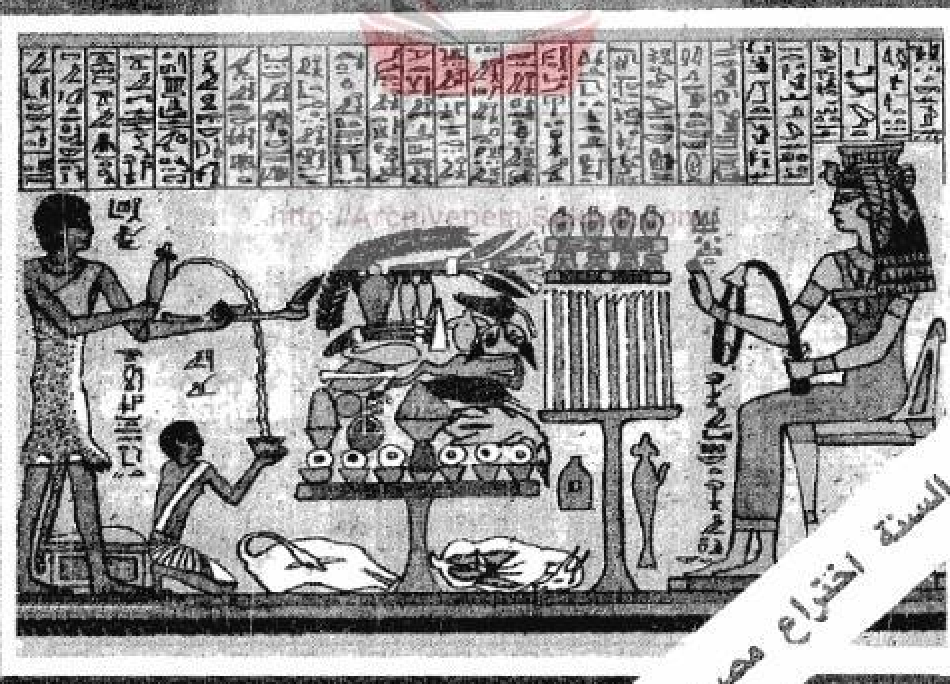
الهلال

آفاق التسعينات

يناير ١٩٩٠ • الثمن ٧٥ قرشا

١٩٩٠ سنة بعد رحلة السيد المسيح



رأس السنة اختراع مصري

مسابقة القصة القصيرة

منذ اشهر اعلن الهلال عن مسابقة فى القصة القصيرة .

وقد تولى التحكيم كل من الدكتور شكرى عياد (رئيسا) امين العيوطى ، وسليمان فياض (عضوان)

وقد علق الدكتور شكرى عياد حول المسابقة بقوله : القصص التى رأيتها ، وقد رشحنا العديد منها للنشر ، فيها مواهب تستحق التشجيع ، ويستحق التنويه بها لكننى انصح هؤلاء الشباب ، حتى الذين لم يفوزوا ان طريق الفن طويل وصعب . ولايحتاج الى موهبة فقط ، بل يحتاج الى الصبر » .

ويرى الدكتور امين العيوطى ان وصول عدد المشتركين فى مسابقة للقصة ، يدل على أن الفن القصصى الذى ينظر اليه عادة على انه يحتاج الى حنكة وخبرة ، قد استأثر بوجدان شبابنا . ومما يلفت النظر لهذه المجموعة من القصص . انها لاتطرح هموم الشباب فقط . بل ان الكثير منها يحمل بصمات هموم مجتمعنا .

ويقول الاديب سليمان فياض : التحكيم هو فى النهاية مجرد رأى نقدى ، يختلف فيه النقاد ، والمحكمون مثلما يختلف القراء ، لكن امرا واحدا سيظل يؤرقنى ، فلم اعثر بين القصص الفائزة ، او المرشحة للنشر ، على قصة تكشف عن مولد كاتب كبير بين الشباب ، والشابات ومن يدرى فربما كانت الموهبة الشابة لم تكشف عن مداها بعد .

اقرا اسماء الفائزين فى صفحتى ١٠٢ ، ١٠٣

السنة الثامنة والتسعون • يناير ١٩٩٠ • جمادى الثانى ١٤١٠ هـ

الهلال

مجلة ثقافية شهرية
تصدرها دار الهلال
أسسها جورجى زيدان
عام ١٨٩٢ ميلادية

آفاق التسعينات

فكر وثقافة

في هذا العدد



الغلاف تصميم الفنان
محمد أبو طالب

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى (١٢ عددا) في جمهورية مصر العربية تسعة جنيهات وفي بلاد اتحادى البريد العربي والافريقي والباكستان عشرة دولارات أو ما يعادلها بالبريد الجوى. وفي سائر أنحاء العالم عشرون دولارا بالبريد الجوى

والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال في ج . م . ع . نقدا أو بحوالة بريدية غير حكومية . وفي الخارج بشيك مصرفي لأمر مؤسسة دار الهلال . وتضاف رسوم البريد المسجل على الأسعار موضحة بعاليه عند الطلب

دائرة الحوار

قصة وشعر

نتائج مسابقة الهلال للقصة القصيره

فنون

الأبواب الثابتة

دار الهلال

[illegible] ٣٦٢٥٤٥٠ سبعة خطوط - مجلة الهلال ٣٦٢٥٤٨٠

رقم [illegible] U.N. HILAL 92703

لبنان ٧٠٠ ليرة ، الاردن ٦٠٠ فلس ، الكويت ٥٠٠ فلس ، العراق ٢٠٠٠ فلس ، السعودية ٧ ريالات ، جمهورية اليمن الديمقراطية ١٢٥ سنتا ، البحرين ٨٠٠ فلس ، الدوحة ٧ ريالات ، دبى ٧ دراهم ، أبو ظبى ٧ دراهم ، مسقط ٧٠٠ بيسه ، تونس ١٤٠٠ مليم ، المغرب ١٥ درهما ، غزة والضفة ٧٥ سنتا ، داكار ٦٠٠ فرنك ، لندن ١٢٥ بنسا ، إيطاليا ٢٥٠٠ ليرة ، نيويورك ٤٠٠ سنت ، الجمهورية العربية اليمنية ٨ ريالات ، كندا ٥ دولارات ، لوس انجلوس ٤٠٠ سنت

عزيزى القارىء

التسعينات : الفصل الأخير على مسرح القرن العشرين

ماذا يمكن أن نرى حين نفتح عيوننا على آفاق العقد الأخير من القرن العشرين ؟! .

إن عقد التسعينات يحمل أخطر التحويلات والتبديلات التى لم يكن يتصورها أحد ، فقد انتهت الثمانينات نهاية عاصفة أطاحت بالانظمة الاشتراكية فى أوربا ، وأرغمت أحزابها العتيدة على تغيير اسمائها ، ونبذ مبادئها وأهدافها السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، والتخلى عن مثلها العليا ، والرضا بدور الاقلية المفقودة بعد دور الأغلبية القائدة ! ..

ومنذ عشرين عاما فقط ، وقف «ميكويان» الذى كان رئيسا للاتحاد السوفييتى يقول : «سيكون القرن العشرون عصر انتصار الاشتراكية على الراسمالية» .

أما خروشوف زعيم الاتحاد السوفييتى الأسبق فقد قال فى المؤتمر الحادى والعشرين للحزب سنة ١٩٥٩ : «ليس فى العالم الآن أية قوة تستطيع أن تعيد النظام الراسمالى فى الاتحاد السوفييتى ، وإن خطر إعادة الراسمالية لم يعد واردا .. وهذا يعنى أن الاشتراكية قد انتصرت تماما .. ونهائيا» .

ولكن لم تنقض إلا ثلاثون عاما فقط بين سنة ١٩٥٩ وسنة ١٩٨٩ حتى شاهد العالم كله مايمكن أن يكون بداية عودة الراسمالية إلى الاتحاد السوفييتى وحلفائه فى شرق أوربا .

وإذا كان هذا كله قد حدث فى السنة الأخيرة وحدها من عقد الثمانينات ، فإن عقد التسعينات ـ قياسا على ذلك ـ ربما شهد التصفية التامة للأنظمة الاشتراكية فى أوربا والعالم كله ، بما فيه الصين وكوبا وألبانيا ..

عزيزى القارىء

سوف يؤدى ذلك ـ إذا حدث طبقا للسيناريو الذى يتصوره الكثيرون ـ إلى تغير شكل الاتحاد السوفييتى كدولة ذات قوميات متعددة ، لأن أجزاء هذه الدولة إنما تترابط بمبادىء «الأممية البروليتارية» أو «الأممية الأشتراكية» .. ولاشك أن بقاء الأممية هو الأساس لارتباط الاقطار الأوربية والآسيوية بموسكو ، فلا تتباعد هذه الأقطار ولاتظهر مكانها فى الساحة العالمية دولة مثل أوكرانيا فى أوربا .. ودولة آسيوية بترولية مثل أذربيجان «السوفييتية حاليا» وعاصمتها باكو ، مدينة البترول الشهيرة فى العالم الآن .

ومن المتوقع أن تتوحد أوربا ثم تتوحد المانيا الشرقية والغربية ، وقد تعود المانيا «العظمى» الموحدة إلى المطالبة بأراضيها التى ضمت إلى بولندا بعد الحرب العالمية الثانية .

وكذلك أراضيها التى ضمت للاتحاد السوفييتى وتشيكوسلوفاكيا ، وربما نشبت نزاعات مسلحة بسبب هذه الأراضى وقد تستطيع أوربا الموحدة بعد سنة ١٩٩٢ أن تدرأ هذه النزاعات وتوفق بين سكان البيت الأوربى شرقا وغربا ، خصوصا إذا وضع الأوربيون والأمريكيون نهاية للحرب الباردة ، وأقاموا أساسا راسخا للديمقراطية تحيا عليه شعوب أوربا ..

ومن البديهى أن تغير النظم الاشتراكية سيغير وجه العالم سياسيا واقتصاديا وفكريا ، وسيؤثر أعمق الأثر حتى فى فنون السينما والمسرح والتليفزيون ، فضلا عن الفلسفة والأدب ، ولايدرى أحد أيكون هذا التأثير سيئا أم طيبا ، ولكن الواضح أن سياسة المشتركين فى الحرب الباردة وهم الشركاء الأمريكان والأوربيون الغربيون ، والروس ستتغير .. فكيف يؤثر تغير هذه السياسة فى مصير العالم الثالث ، وبخاصة العالم الإسلامى الذى يشهد الآن «صحوة» لايدرى أحد إلى أين منتهاها فى عالم الأقوياء المنتصرين ؟! ..

وماذا يكون مصير الأنظمة العربية ، والديمقراطية العربية التى مازالت حلما .. ومن الذى يضع يده على بترول العرب ، ومياه الأنهار العربية فى تقلبات التسعينات ؟ .. وماذا عن علاقات العرب باسرائيل وإيران وتركيا وأوربا وأفريقيا ؟!

تلك هى الأمور الرئيسية التى تمس المصير العربى ، حياة أو موتا ، دعك من مصير الأدب العربى والفن العربى والثقافة العربية واللغة العربية .. فهل سيصبح العرب فى التسعينات أضيع من الأيتام فى مأدبة اللئام ؟! ..

إن العالم ـ ومعه أمتنا العربية ـ يدخل من أبواب التسعينات متوجسا ويده على قلبه خوفا وطمعا ، ولكن العالم قد اتخذ الأهبة لما تأتى به الأيام .. أما أمتنا العربية ، فهل تدخل التسعينات دون أن تفعل شيئا إلا انتظار ماتأتى به الأقدار ؟ !

عزيزى القارىء

بقى أن نحدثك عن هدية «الهلال» إلى قرائه وإلى الأدباء الشبان فى مطلع التسعينات ، فها نحن أولاء نعلن نتيجة مسابقة القصة القصيرة التى اشترك فيها مئات من الأدباء الشبان ، واختارت لجنة التحكيم ثلاث قصص فازت بالجوائز المالية المقررة .. وننشر فى هذا العدد القصة الفائزة بالجائزة الأولى ، ثم ننشر القصة الثانية والثالثة فى العددين القادمين إن شاء الله .

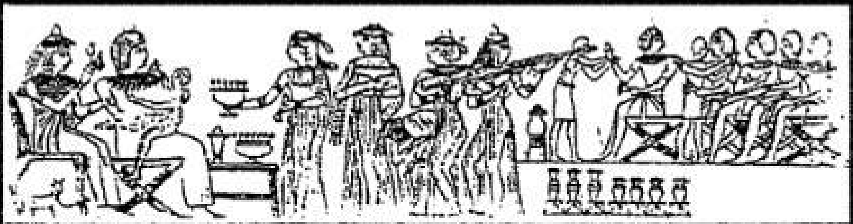
عزيزى القارىء

دعنا نخاطب التسعينات بهذا النداء .

ياأيتها التسعينات ، كونى رحيمة بنا ، فإننا لاندخلك من باب واحد ، بل من أبواب متفرقة ، عسى أن نجد الخير وراء باب من هذه الأبواب ! ..

أما الدعاء ، فإلى الله وحده نرفعه ، إنه سميع قريب مجيب الدعاء ! ..

«المحرر»



الاحتفال بالعيد فى الدولة القديمة

عيد رأس السنة

اخترعته مصر

بقلم : د. سيد كريم

فى مقدمة الاعياد التى عرفتها البشرية واجمعت الشعوب على الاحتفال بها . عيد رأس السنة ، وتؤكد البرديات ان هذا العيد اخترعته مصر .

وتحتفل مصر بعيد رأس السنة منذ عهد الملك "اوسركاف" اول ملوك الاسرة الخامسة منذ ٧٥٤٦ سنة ... أى قبل ميلاد السيد المسيح بحوالى خمسة آلاف سنة ونصف واعتبرته عيدا دينيا وقوميا ..

والاحتفال بعيد رأس السنة فى مصر هو فى الحقيقة احتفال باول تقويم متكامل عرفته البشرية وهو التقويم المصرى القديم ، التقويم الشمسى ، المعمول به فى العالم اجمع منذ ذلك التاريخ .



الاحتفال بالرؤيا . ظهور النجم سيرت الذي يعلن بداية العلم الجديد .

● عيد رأس السنة اخترعته مصر ●

ويبدا اكتشاف المصريين لهذا التقويم عندما لاحظ كهنة معبد الشمس ان فيضان الخير ياتي كل عام مع مطلع نجم ثابت معين يشرق بوضوح في سماء معبد (اون) (معبد مرصد الشمس) في نفس اللحظة التي تشرق فيها الشمس وهو نجم "سبدت" (الشعرى اليمانية) وهو اول مجموعة من النجوم المعروفة باسم الكلب الأكبر في علم الفلك الحديث ـ وهو الاسم الذى اطلقه كهنة "معبد اون" عند رصدهم للنجم "سبدت" فوصفوه بقولهم ان الاله عندما خلق الارض وكورها على شكل البيضة "رمز الخلق" ارسل النجم الشعرى سبدت او الكلب الكبير ليحرسها في الفضاء ويشرق في سمائها مع شروق الشمس في كل دورة من دوراتها في فلك الاله رع

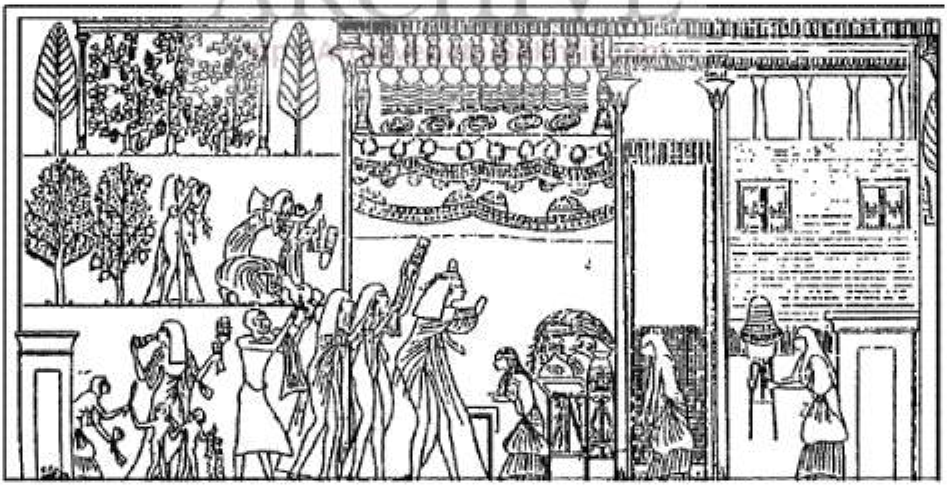
وقد ورد ذكر نجم الشعرى ودورة الفلك في اكثر من آية في قوله تعالى : « وانه هو رب الشعرى » .. « وهو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب » .

وبمراقبة كهنة معبد الشمس ذلك النجم .

وكما ورد في برديات هرمس الخاصة برياضيات الفلك توصلوا الى تحديد طول دورته الفلكية أو الدورة الشمسية بدقة متناهية . حددوا طولها أو طول السنة الشمسية ٣٦٥ يوما وخمس ساعات و٤٩ دقيقة و٤٦ ثانية اى بفارق يوم كل ١٢٨ سنة .

كانت تلك الدقة في حساب الزمن من

تزيين المنزل استعداداً للاحتفال بالعيد واعداد عقود الزهور . وشجرة الحياة



المفاجات التى أعلنها احد علماء الفلك الالمان من بضع سنوات عندما اعلن بالحسابات الفلكية الالكترونية الحديثة صحة تلك النتيجة .

مع بداية عصر الاسرات قدم الكهنة للدولة التقويم الشمسى التحوتى الذى وصف "بالتقويم الرباعى" اى ان السنة تتكون من ٣٦٥ يوما وربع يوم تضاف الارباع الى السنة الرابعة لتصبح ٣٦٦ يوما اطلقوا عليه اسم السنة الضاغطة (السنة الكبيسة) وهو التقويم الشمسى المعمول به فى العالم اجمع الآن .

إن قدماء المصريين الذين كانوا اول من عرف حساب الزمن وتقسيمه ووضعوا له مقاييسه وأبعاده الحالية التى اصطلح عليها العالم أجمع . قسموا السنة (رنبيت) إلى ١٢ شهراً (ابد) اختاروا اسما لكل شهر من شهور السنة من أسماء المعبودات التى تعبر صفة كل منها عن خاصية الشهر وارتباطه بالنيل نهر الحياة وعوامل الطبيعة والحياة الزراعية ومواسم الزراعة والرى والحصاد . ومازالت أسماء الشهور الفرعونية تستعمل إلى الآن مع بعض التحريف فى نطق أسمائها وهو ما يطلق عليه بالسنة القبطية التى تبدأ بشهر "توت" (تحوت الفرعونى) كما أن الأيام الخمسة المنسية أو ايام الآلهة الخمسة هى مايطلق عليه فى التقويم القبطى (ايام النسىء) .

وكما اختاروا أسماء للشهور من بين الالهة والمعبودات فقد اختاروا اسماء لأيام الديكان العشرة عبروا عنها بسفينة الشمس والنجوم التسعة الحارسة التى تدور معها عبر البروج السماوية .

أما ايام الأسبوع فى التقويم الحديث فقد اتخذت أسماؤها من أسماء السبعة ايام الأولى فى الديكان وتشمل الشمس (رع) والقمر حارسها والكواكب السيارة الخمسة (خدام الشمس التى لا تستريح) وهى نفس الأسماء التى مازالت تطلق على ايام الأسبوع فى جميع اللغات الحديثة . وهى حسب ترتيبها الذى لم يتغير كالآتى :

١ - يوم الأحد (يوم الاله رع "الشمس) SUNDAY

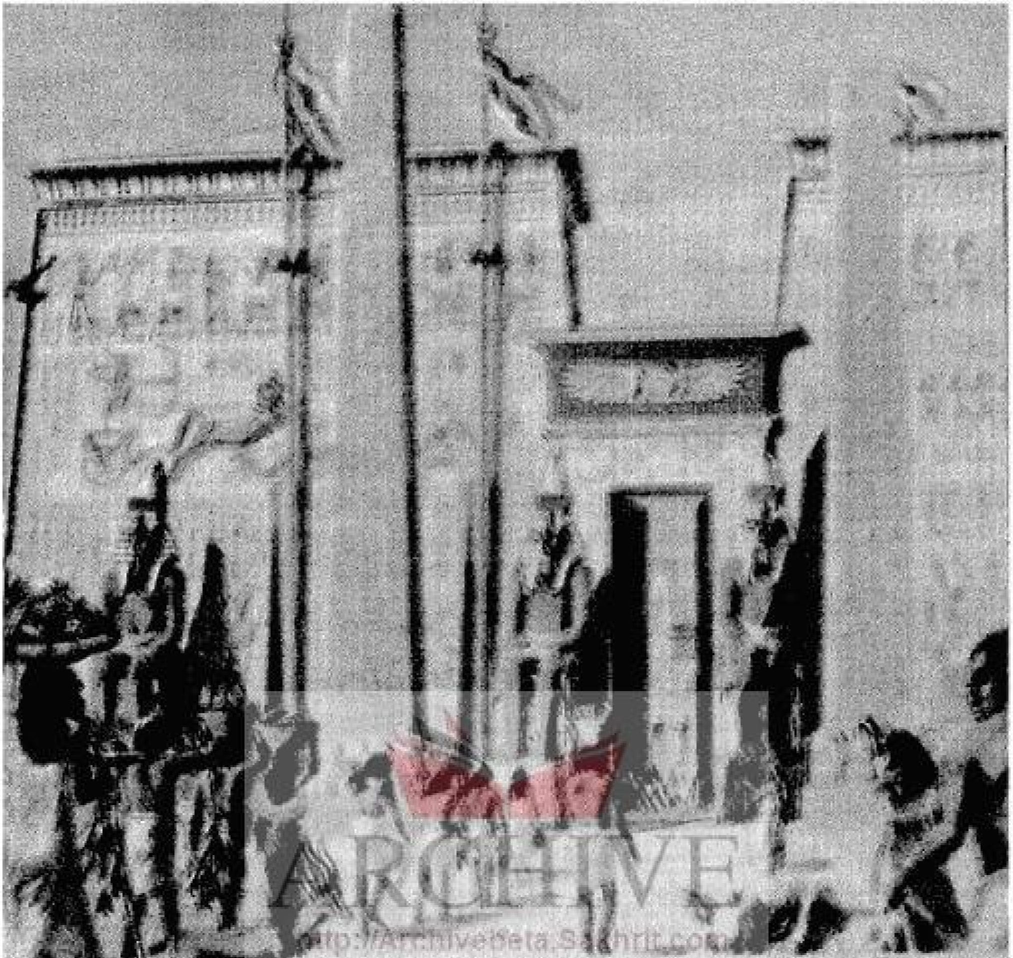
٢ - يوم الاثنين (يوم القمر) MONDAY

٣ - يوم الثلاثاء (يوم المريخ) حورس الأحمر إله الحرب TIW اله الحرب باللغة السكسونية TUESDAY مارس اله الحرب باللغة الفرنسية MARDI

٤ - يوم الأربعاء (يوم عطارد) اله الحكمة المقدسة WODEN اله الحكمة باللغة السكسونية WEDNESDAY MERCURE اسم عطارد بالفرنسية MERCREDI

٥ - يوم الخميس (يوم المشترى) كوكب البرق المضيء THORSDAY يوم الاله ثور اله الرعد THURSDAY JUPITRE كوكب المشترى بالفرنسية JEUDI

٦ - يوم الجمعة (يوم الزهرة) كوكب الصباح والمساء FRIGU اله العشق والحب FRIDAY
VENUS VENDER



الاحتفال بعيد رأس السنة في معبد الكرنك



مهرجانات
الاحتفال بالعيد



● عيد رأس السنة اخترعته مصر ●

٧ - يوم السبت (يوم زحل) ثور السماء SATURDAY SATURN

وقد ثبت كتاب العرب مجموعة الكواكب وترتيبها على أيام الأسبوع كما وردت فى التقويم الفرعونى القديم بهذين البيتين :

شمس وبدر ومريخ عطارده
للمشترى زهرة تعلو على زحل
وكل يوم له نجم فعد به
من تالى السبت بالترتيب فابتهل

لم يكتف القدماء باطلاق الأسماء السبعة السابقة على ايام الاسبوع واكملوها بثلاثة كواكب من كواكب المجموعة الشمسية لتكمل اسماء ايام الديكان العشرة بل وضعوا اسما لكل يوم من ايام السنة الثلاثمائة وخمسة وستون وصفت بانها المعبودات الحارسة للأيام . فكان يكتفى أن يذكر فى وثيقة ميلاد الشخص اسم اليوم والسنة التى ولد فيها . كما وضعوا أسماء مماثلة لساعات النهار الاثنى عشر وساعات الليل المماثلة . وامتدت الأسماء لتشمل الدقائق الستين للساعة ويطلق عليها اسم المعبودات الحارسة للزمن .

كان كثير من القدماء يحتفظون بما يشبه شهادة الميلاد "كف الطالع أو كف الوقاية" وهى كف مصنوعة من الخزف الأزرق نقشت على أصابعها رموز وطلاسم سحرية كشف فك رموز إحداها أن الطلاسم والتعاويذ ترمز إلى معبودات الزمن فالأصبع الأول يحمل

صناعة الفطائر فى الأعياد وفنون اعدادها بمقبرة رمسيس الثانى



اسم معبود ساعة الميلاد والثاني اسم اليوم والثالث معبود الشهر والرابع معبود اليوم القمرى وشكل الهلال والخامس اله السنة ونقشوا على بطن الكف وهى الطلاسم السحرية التى كان الكاهن يسجلها على "كف الحفظ" او "كف التنبؤ" التى تعلق كتميمة فوق الصدر يرجع إليها الكائن عن قراءة الطالع أو التنبؤ بالمستقبل وما اطلقوا عليه جدول تحديد الأيام السعيدة وغير السعيدة خلال العام .

فتلك الالهة والمعبودات التى كانت ترسم على اصابع (الخمسة وخميسة) او لوحات التنبؤ تعتبر بالنسبة للناس تعاويذ للحفظ وبالنسبة للكهنة مفتاحا لقراءة الطالع ومعرفة الغيب مع بداية العام الجديد فكانت قراءة الطالع من التقاليد المقدسة التى يهتم الناس بممارستها مع مطلع العام الجديد

فالتنبؤ بحساب الزمن والتنجيم وقراءة الطالع الذى ربطه القدماء بمطلع العام الجديد انتقل من مصر إلى العالم اجمع مع انتقال التقويم الشمسى المصرى والبروج السماوية التى ابتكر الفراعنة اشكال صورها التى تمسك بها العالم الى اليوم حتى اصبح التنجيم وقراءة الطالع يلقى فى عصرنا الحديث عصر التكنولوجيا تاييدا واعترافا يفوق ما لقيه فى جميع العصور الماضية فما من وسيلة من وسائل الاعلام فى العالم اجمع إلا وتفسح المجال - مع الاحتفال بالعام الجديد - للتنبؤ والبخت والطالع حتى تأسست معاهد خاصة فى مختلف بلاد العالم لتصدر مطبوعاتها ومؤلفاتها العلمية المتخصصة فى بحوث الطالع والتنجيم باحداث العالم مع مطلع كل عام

انتقل التقويم الشمسى وقوائم حساب الزمن من مصر الى حضارات



نقل شجرة عيد الميلاد لزراعتها فى الحدائق



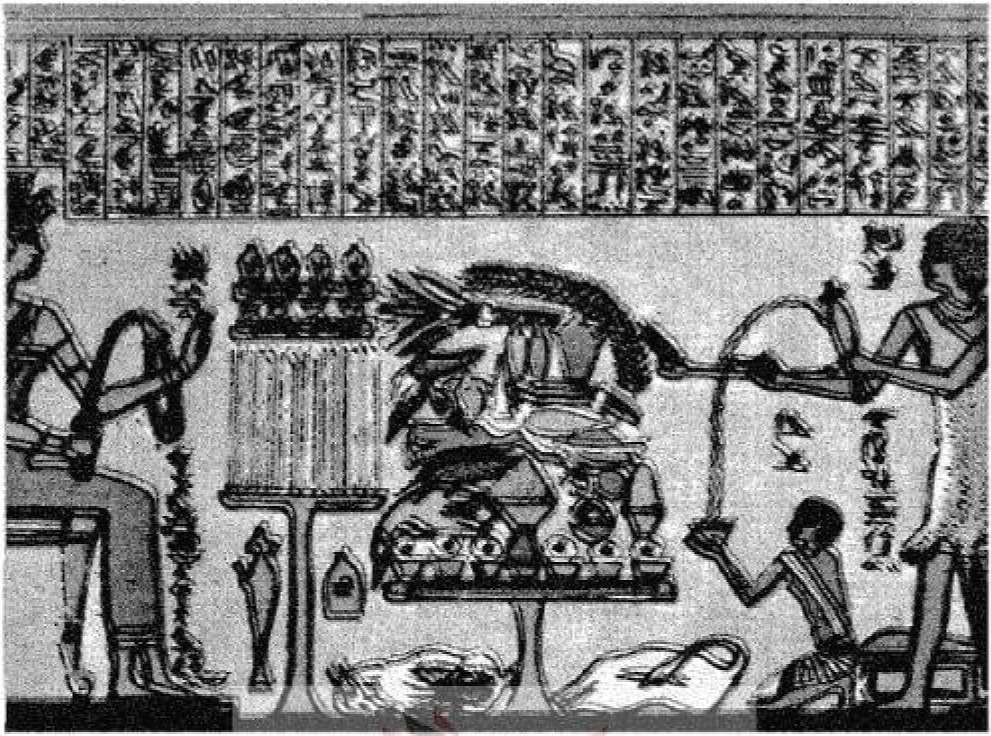
الرقص والموسيقى والغناء فى الاحتفال بالعيد

الشرق القديمة خلال الدولتين القديمة والوسطى مع الفتوحات المتبادلة وخاصية فى عصر الامبراطورية المصرية عندما وصلت حدود مصر الى شواطىء البحر الابيض المتوسط الشرقية مرورا بفنيقيا وفلسطين حتى وصلت الى شواطىء البحر الاسود ومنها الى بعض شواطىء جنوب أوروبا .

يقول المؤرخ سنيكا ان اليهود اخذوا التقويم التحوتى بعد العمل به رسميا عام ٤٢٤٢ ق . م بثلاث وثلاثين سنة . وقد نقله علماؤهم عن كهنة معبد اون ونسبوا بدايته فى اسفارهم الى خلق الارض وهو الاسم الذى اطلقه كهنة اون على التقويم الكهنوتى المقدس ونقل اليهود ذلك التقويم معهم عند خروجهم من مصر ليحتفظوا به وينسبوه الى حكمائهم علما بان اليهود لم يكن لهم وجود فى مصر القديمة ولم يعلن ذلك التاريخ الا بعد خروج موسى من مصر ولم تاخذ أوروبا التقويم الشمسى عن اليهود كما حاول بعض مؤرخيهم ان ينسب انتقال التقويم الشمسى والاحتفال باعياد راس السنة الى اوروبا والعالم الغربى عن طريق مهاجرى القدس .

● تقاليد الاحتفال بالعيد

مع بداية الدولة القديمة وخلال عصر الاهرام تحول الاحتفال بعيد راس السنة بجانب الاحتفال الدينى والقومى



مائدة قرابين العيد

الرسمي . كانت جميع طبقات الشعب ومجتمعاته تشارك في الاحتفال به في المنتديات العامة او الساحات والميادين والحدائق او داخل القصور والمساكن التي تزين وتجهز .

الاحتفال بالعيد . بجانب الاحتفال به بسعف النخيل والزهور والمشاعل التي تضاء مع غروب الشمس لتنير ارجاء المدينة ودورها طوال ليالي العيد . وكان القصر الملكي يفتح لاستقبال جماهير الشعب التي تاتي من جميع البلاد لتحية فرعون في العيد الذي كان يغدق عليهم الكثير من الهدايا والاوسمة على حكام الاقاليم ويعفو عن كثير من المساجين حسني السيرة

يصف المؤرخ كليماندوس احتفال المصريين بالعيد بقوله « يحتفل المصريون بعيد رأس السنة بجميع طبقاتهم حتى امواتهم كانوا يشاركونهم في الاحتفال بالعيد » .

يقصد به زيارة المقابر في العيد وحمل الزهور وسعف النخيل لتزيين المقابر مع الاطعمة والفطائر الخاصة التي يتناولونها مع موتاهم ـ كما تقول برديلتهم ويوزعون بعضها على الفقراء وحراس المقابر (الرحمة) ولازالت تلك العادات ـ الموروثة ـ لم يطرأ عليها اى تغيير الى يومنا هذا .

● من العادات التي ارتبطت بالعيد خاصة في الدولة الحديثة الاحتفال بعقد القران مع الاحتفال بعيد رأس

السنة حتى تكون بداية العام بداية حياة زوجية سعيدة كانت المعابد تخصص ساحات خاصة لعقد القران الجماعى الذى يبدأ بعد غروب الشمس يتنقل بعدها ازواج العرسان للمشاركة فى الاحتفال بالعيد فى الحفلات الموسيقية والراقصة الساهرة فى المنازل والحدائق والتى تمتد لاستقبال شروق شمس اليوم الجديد . وقد سجلت نقوش المقابر صور كثير من تلك الحفلات وما ارتبط بها من عادات وتقاليد تعبر عما وصلت اليه الحضارة فى اوج عصورها الذهبية .

● ومن الفطائر التى كانت تعد للاحتفال بالعام الجديد "تورتة ميلاد العام الجديد" المختلفة الاشكال والاحجام وكانت تزين بالفواكه الطازجة "بشاير العام الجديد" والزهور وخاصة زهرة اللوتس وتزين بالتمائم المصنوعة من الحلوى ويصنع بعضها فى الحفلات الكبيرة من عدة ادوار وطبقات كما هو ظاهر فى عدة رسوم من صور الاحتفال بالعيد فى الدولة الحديثة .

وانتقلت تورتة عيد ميلاد العام لتحتل مكانها طوال العام على موائد اعياد ميلاد الناس . وهكذا كانت "تورتة عيد الميلاد" هدية مصر لشعوب العالم اجمع لتتوسط موائد الاحتفال بقدوم العام الجديد

● ديك الكريسماس ●

من تقاليد الكريسماس التى لن يخطر على البال ان لها علاقة بمصر "ديك الكريسماس" الذى يتصّدر مائدة العيد ويفرض نفسه عليها يرتبط ذلك التقليد ايضا بميلاد "حورس" الذى ربته ايزيس بين سيقان البردى فى احراش الدلتا لحمايته من غدر "ست" تصف الاسطورة انه كلما جاع ارسلت له الالهة اوزة من الاوز البرى الذى تحمله ريح الشمال .

لذا فقد تصدر الاوز البرى مائدة عيد الميلاد والذى تصادف موسم وصوله وصيده مع الاحتفال براس السنة وقد انتقلت تلك العادة الى روما مع احتفالاتهم بالعيد الذى حملوا كثيرا من تقاليده من مصر واستبدل الاوربيون بالأوز البرى لصعوبة حصولهم عليه وندرته "الديك الرومى" الذى لم يكن معروفا قبل وصوله من البلاد الامريكية بعد اكتشافها .

لما كان عيد راس السنة يتفق مع اعياد عصير العنب فقد ابتكر المصريون تقليد شرب عصير العنب الطازج نخب العام الجديد وهو من التقاليد التى نقلها الرومان من مصر ومارسوها فى الاحتفال باعيادهم وخاصة عيد راس السنة ـ وكانوا يستوردون النبيذ المصرى وصنعوا سفنا خاصة لنقله من الاسكندرية الى روما ونقلوها الى مختلف الدول الاوربية القديمة .

هكذا كان المصريون القدماء اول من شرب نخب العام الجديد

وعلموا العالم اجمع شرب الانخاب فى صحة العام الجديد .

أقوال معاصرة


حسني مبارك

● «ادعاء شامير بأن الاردن هي أرض فلسطين يعنى العودة إلى البداية التاريخية للصراع»

الرئيس حسني مبارك

● «الأرض المحتلة إرث لاسرائيل»

اسحاق شامير
رئيس وزراء إسرائيل


اسحاق شامير

● «البولنديون الذين يكنون أية كراهية لليهود يستحقون أن يبصق عليهم»

ليس فاونسا
زعيم حركة التضامن البولندية

● «المعسكر الاشتراكى لم يعد له وجود وحلف وارسو لم يعد سوى وهم»

فيديل كاسترو
الرئيس الكوبى

● «نحن شهود على نهاية الشيوعية كما نعرفها»

مارتن جاك
عضو المكتب التنفيذى للحزب الشيوعي البريطانى

● «التاريخ اليوم يتأرجح ، ونحن أعجز من أن نعرف الى اين يتجه»

فرانسوا ميتران
رئيس جمهورية فرنسا

● «فقدنا خمسة عشر عاما على الأقل»

جوربا تشوف
رئيس جمهورية الاتحاد السوفييتى

نبيه بري



● «ان فرنسا لاتزال تعيش بعقلية الانتداب على لبنان»

نبيه بري
زعيم حركة امل الشيعية

■ ١٩٩٠ بعد الرحلة التاريخية

العائلة المقدسة
فى أرض مصر

بقلم : الأنبا غريغوريوس

أسقف الثقافة القبطية والبحث العلمى

لما ولد السيد المسيح فى بيت لحم ببلاد فلسطينى علم المجوس فى بلاد المشرق بمولده ، اذ ظهر لهم نجم خاص كان قد انبأهم بظهوره زرادشت Zoroastre منشىء الطائفة المجوسية (حوالى ٦٦٠ ـ ٥٨٣ ق . م) فلما ابصروا النجم قاموا فى موكب ضخم ، وحملوا معهم هداياهم ليقدموها للمولود الملك .

دخلوا مدينة اورشليم القدس ، يسألون : (أين هو المولود ملك اليهود ، فاننا رأينا نجمه فى المشرق وأتينا لنسجد له) (الانجيل ـ متى ٢ : ١ ، ٢) فسمع الملك هيرودس بهم ، فاضطرب وفزع وخاف على ملكه من هذا الوليد الجديد ، وجمع رؤساء الكهنة وفقهاء الدين وسألهم : (أين ينبغى ان يولد المسيح ؟) فأجابوه على الفور : (فى بيت لحم التى باقليم اليهودية لانه هكذا كتب بواسطة النبى ميخا) وبهذا اجاب هيرودس المجوس ثم بعث بهم الى بيت لحم قائلا : (اذهبوا وابحثوا عن الصبى بتدقيق ، فاذا وجدتموه فاخبرونى لكى اجىء انا ايضا واسجد له) فاستمعوا الى الملك وانصرفوا ، واذا النجم الذى كانو قد رأوه فى المشرق يتقدمهم حتى جاء ووقف فوق الموضع الذى كان فيه الصبى ، وحين اتوا الى البيت رأوا الصبى مع مريم امه ، فخروا وسجدوا له ، ثم فتحوا كنوزهم وقدموا له هدايا من ذهب ولبان ومر ، (الانجيل للقديس متى ٢ : ٨ ـ ١١) ولم يرجعوا الى هيرودس لان ملاكا تراءى لهم فى حلم وامرهم بعدم العودة الى هيرودس فانصرفوا من طريق اخر الى بلادهم .

اما هيرودس فلما لم يعد اليه المجوس كما طلب منهم استشاط غضبا ، واعتقد انهم خدعوه او احتقروه . فاصدر على الفور امره بقتل جميع اطفال بيت لحم ومايحيط بها . من ابن سنتين فاقل ، حتى يضمن ان يكون الوليد الجديد من بينهم .

وقد فشلت خطة هيرودس لانه بينما كان جنوده يدخلون كل بيت ويقتلون فيه



ايقونة رحلة العائلة المقدسة فى صحراء مصر

كل طفل من ابن يوم الى ابن سنتين ، كان الطفل المقصود قد افلت من تلك المجزرة البشرية ذلك ان ملاكا من السماء تراءى فى حلم ليوسف النجار خطيب العذراء القديسة مريم وامره قائلا : (قم وخذ الصبى وامه واهرب الى مصر وامكث هناك حتى اقول لك .. فقام واخذ الصبى وامه ليلا وانطلق الى مصر) (الانجيل متى ٢ : ١٣ ، ١٤) .

● مسيرة العائلة المقدسة فى مصر

خرج يوسف من بيت لحم كأمر الملاك ، وخرجت معه سيدتنا مريم تمتطى حمارا وتحمل على ذراعيها السيد المسيح طفلا ، ويوسف بجانبها يمسك بمقود الحمار .

وكان لابد للعائلة المقدسة ـ وهى هاربة من شر هيرودس ـ ان لاتسلك الطرق المألوفة التى يمكن ان يسلكها المسافر من فلسطين الى مصر .

وتدلنا مصادرنا الكنسية التاريخية على ان العائلة المقدسة دخلت مصر عن طريق صحراء سينا من جهة (الفرما) بالقرب من بيلوزيوم Pelusium (وتسمى الان تينه) الواقعة بين مدينتي العريش وبورسعيد ، واتوا اولا الى مدينة (بسطه) او « بوبستيس » (وهى الان تل بسطة) بالقرب من الزقازيق وهناك انبع السيد المسيح عين ماء ، وقد سقطت اصنام المدينة امامه ، فلم يقبل الكهنة واهل المدينة اقامة العائلة المقدسة فى مدينتهم واساءوا معاملتها ، فنزحت الى احدى ضواحيها وهناك وجدوا شجرة

العائلة المقدسة

في أرض مصـــر

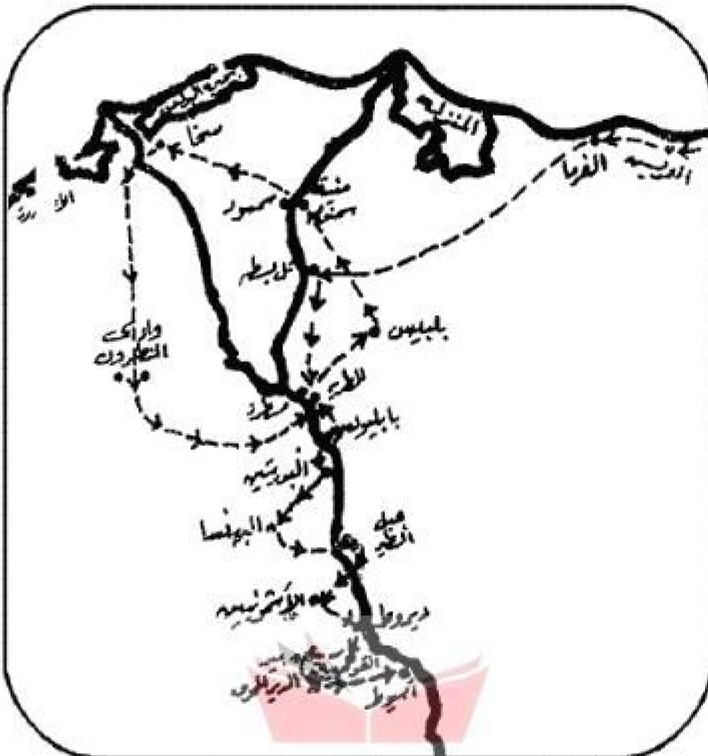
فمكثوا عندها اياما ، وغسلت العذراء مريم ملابس المسيح طفلا واحمته ، فسمى المكان بـ (المحمة) وهى الان بلدة (مسطرد) . وقد بنيت فيما بعد كنيسة فى هذا المكان باسم العذراء مريم لاتزال قائمة الى اليوم ، ويقصد اليها الزوار المصريون والاجانب . وقد رجعت العائلة المقدسة الى (المحمة) مرة اخرى فى طريق عودتها الى فلسطين .

ومن المحمة رحلت العائلة المقدسة الى (بلبيس) ، ويروى التقليد ان فى بلبيس شجرة استظلت تحتها العائلة المقدسة ، ولذلك صارت تسمى بشجرة العذراء ، مريم يجلها المسيحيون والمسلمون على السواء ويدفن المسلمون من حولها امواتهم الاعزاء ، تبركا بهذه الشجرة . ويروون ان عسكر نابليون بونابـرت (١٧٦٩ ـ ١٨٢١) م عندما مروا ببلبيس ارادوا ان يقتطعوا من هذه الشجرة خشبا يطبخون به طعامهم ، فلما ضربوها بالفأس اول ضربة بدأت تدمى ، فارتعب العسكر ولم يجرءوا بعد ذلك على ان يمسوها . ويقوم فى هذه البقعة الان جامع عثمان بن الحارس الانصارى فى وسط المدينة عند ملتقى شـارع الانصـارى بشـارع البغدادى .

وتركت العائلة المقدسة بلبيس وذهبوا الى (منية جناح) ومنها الى ميت سمنود او (سمنود) وكانت تعرف فى مصر القديمة باسم (ذثب نثر = هيكل الله) والمعروف ان الكنيسة الحالية المكرسة باسم (القديس ابانوب) بنيت على انقاض كنيسة قديمة باسم العذراء مريم اقيمت على نفس البقعة التى اقامت فيها العائلة المقدسة . ويقول المسيحيون فى سمنود انه كان فى وقت ما عند شرقية الكنيسة بئر انبعه السيد المسيح بنفسه وباركه . وبعـد سمنود ذهبـوا الى (البرلس) (فالمطلع) ، ثم عبروا الفرع السبنيتى للنيل الى الجهة الغربية حيث (سخا ايوس) وهى (سخا) الحالية فى مركز كفر الشيخ ، وقديما كانت تسمى (خاست) وهناك اثر قيل انه حجر من قاعدة عمود وقف السيد المسيح عليه ، فانطبع اثر قدميه على الحجر فسمى المكان (كعب يسوع) وكان الناس يأتون من الاقاليم البعيدة والبلاد المجاورة ويضعون فى موضع القدم زيتا ويحملونه الى ارضهم وينتفعون به كثيرا وقد بنيت فى نفس البقعة كنيسة باسم العذراء ، مريم وبجوارها مغطس . ويضم الكنيسة والمغطس دير ظل عامرا بالرهبان الى نهاية القرن الثانى عشر الميلادى ، سمى بدير المغطس ذكره الشيخ المؤتمن ابو المكارم سعد الله بن جرجس بن مسعود انه فى جهة منية طانة بالغربية .

ثم سارت العائلة المقدسة الى الغرب فى مقابل (وادى النطرون) وهو الذى صار فيما بعد عامرا بالاديرة والرهبان .

بعد ذلك اتجهت العائلة المقدسة الى (اون) أو (عين شمس) فى المكان المعروف حاليا بـ (المطرية) وقد كانت مشهورة فى مصر القديمة بجامعتها العريقة واستظلوا تحت شجرة تعرف الى اليوم (بشجرة مريم) وهناك انبع السيد المسيح عين ماء وشرب منه وباركه ، وغسلت فيه العذراء ملابسه وصبت غسالتها على الأرض فنبت فى تلك البقعة نبات عطرى ذو رائحة جميلة هو



خريطة خط سير رحلة السيد المسيح بدءا من فلسطين حيث ولد

البلسم او البلسان ، يستخدمونه فى صنع الميرون ، وبعد تقديسه بالصلوات يستعملونه فى تدشين الكنائس ومشتملاتها ، وفى الطقوس الدينية الاخرى .

ومن هناك ساروا جنوبيا الى (الفسطاط) فى المنطقة المعروفة بـ (بابليون) مصر القديمة ، وسكنوا المغارة التى توجد الان بكنيسة القديس سرجيوس او (ابى سرجه) ويبلغ طول المغارة عشرين قدما وعرضها خمسة عشر قدما ، وليست بها نوافذ وتعد الكنيسة من اقدم الكنائس التى بنيت فى مصر ، وقد تهدمت فيما بعد ، فقام بترميمها نحو سنة ١٠٧٣ ابن السرور يوحنا بن يوسف المعروف بابن الأبح ، كاتم سر الخليفة المستنصر الفاطمى (١٠٣٦ ـ ١٠٩٤) ـ ويبدو انهم لم يستطيعوا البقاء فى بابليون الا اياما قلائل لاتزيد على اسبوع نظرا لان الأوثان تحطمت امام السيد المسيح وهربت منها شياطينها الامر الذى اثار والى الفسطاط فاراد قتل الصبى يسوع بعد ان تبين انه بسببه حدث للاصنام ماحدث ، فسارت العائلة المقدسة الى (منف) او مَنفس ، وكانت عاصمة مصر قديما واسمها (من نفر) ـ ومعناها (المقبرة الجميلة ـ او الميناء الجميل) .

فى أرض مصـــر

واقلعت العائلة المقدسة الى الصعيد فى مركب شراعي بالنيل من البقعة القائمة عليها الان كنيسة العذراء بـ (المعادى) ثم جاءوا الى بقعة شرقى (البهنسا) بمركز بنى مزار تسمى (اباى ايسوس) أى (بيت يسوع) أقاموا فيها اربعة ايام كما يروى القديس قرياقوس اسقف البهنسا فى عظة له باللغة القبطية وجدت مكتوبة على ورق البردى ، وبنيت فيها كنيسة ، وفى القرن الخامس للميلاد زاد عدد كنائسها عن اثنتى عشرة كنيسة وكان بها اديرة كثيرة للرجال بلغ عدد رهبانها عشرة الاف راهب ، واديرة للبنات قدر عدد راهباتها باثنتى عشرة الف راهبة .

ثم عبروا بعد ذلك النيل الى شاطئه الشرقى وجاءوا الى المنطقة المعروفة بـ (جبل الطير) بالقرب من (سمالوط) ويروى ابو المكارم انهم وهم فى النيل ، كادت صخرة كبيرة من الجبل ان تسقط عليهم ، وذلك بفعل امرأة ساحرة . فذعرت مريم العذراء ، ولكن السيد المسيح مد يده ومنع الصخرة من السقوط فامتنعت وانطبعت كفه على الصخر ، وصار الجبل لذلك يعرف ايضا بـ (جبل الكف) والكنيسة التى بنتها فيما بعد الملكة هيلانة باسم العذراء مريم صارت تعرف بكنيسة (سيدة الكهف) .

ومن جبل الطير رحلت العائلة المقدسة الى (الاشمونين) بمركز ملوى على بعد ٣٠٠ كيلو متر جنوبي القاهرة ، وكان اسمها بالمصرية القديمة (خمنو) اى (ثمانية) وذلك بالنظر الى عدد آلهتها (الثمانية) واكبرهم (تحوت) المرموز اليه بطائر اللقلق ، وقد تطورت الكلمة فصارت تكتب بالقبطية (شمون) ولما كانت المدينة القديمة قد اندثرت وحلت محلها مدينة اخرى بنفس الاسم ، لذلك سميت المدينة الجديدة (اشمونين) اى اشمون الثانية ، وفى العهد اليونانى البطلمى سميت (هيرموبوليس) .

ويقول المؤرخ سوزوميتوس الذى عاش فى النصف الأول من القرن الخامس فى كتابه (تاريخ الكنيسة) ، يقال انه كان فى الاشمونين شجرة تسمى بيرسيا وهى من نوع شجر الغار وقيل انها من شجر اللبخ . وفى اللحظة التى اقترب فيها المسيح من باب المدينة انحنت الشجرة الى الأرض على الرغم من علوها .. وفى نفس الوقت انكفأت جميع اوثان مصر على وجوهها وفى الاشمونين اقام السيد المسيح الموتى واخرج الشياطين من كثيرين ، وجعل العرج يمشون ، والصم يسمعون ، والخرس يتكلمون والبرص يطهرون وفى كلمة واحدة انه صنع هناك كل العجائب .

ومن الاشمونين ذهبت العائلة المقدسة الى قرية تسمى (فيليس) وهى الان (ديروط الشريف) وتبعد عن الاشمونين جنوبا بنحو عشرين كيلو مترا ، وهى ايضا على الضفة اليسرى للنيل ، واقاموا فى هذه القرية اياما ، ثم اتجهوا الى القوصية القديمة (وكانت تسمى بالمصرية القديمة قوست) فلم يرحب اهلها بهم وطردوهم وذلك عندما رأوا معبودهم سقط وتحطم ، وهو تمثال البقرة حاتحور التى ترمز للالهة ايزيس ، فهربت العائلة المقدسة الى قرية (ميرة) على بعد ٨ كيلو مترات شرقى (نزالى جنوب) وهى الان (مير) ومنها الى جبل قسقام حيث يقوم الان دير



السيدة العذراء الشهير بالمحرق ويبعد نحو اثنى عشر كيلو مترا غرب بلدة القوصية الحالية التى تقع فى محافظة اسيوط على بعد ٣٢٧ كيلو مترا جنوبى القاهرة ، ٤٨ كيلو مترا ، شمال مدينة اسيوط .

وفى دير (المحرق) وفى الجهة الغربية منه توجد الكنيسة الاثرية ، وتعد اقدم كنيسة فى مصر كلها ، وهيكلها هو نفس المغارة التى سكنتها العائلة المقدسة واقامت فيها ستة اشهر وعشرة ايام ، وهى اطول مدة اقامتها العائلة المقدسة فى رحلتها التى تنقلت فيها من مكان الى اخر ، ويقول المؤرخ المقريزى تحت اسم (الدير المحرق) ، تزعم النصارى ان المسيح عليه السلام اقام فى موضعه ستة اشهر واياما » .

وتجمـــع كل المصـــادر التاريخيـة والكنسية على ان منطقة دير المحرق فى جبل قسقام هى اخر بقعة فى صعيد مصر بلغتها العائلة المقدســة فى رحلتها التاريخية من الشمال الى الجنوب ، وأن هناك رأى القديس يوسف النجار خطيب العذراء مريم الحلم الذى اعلمه فيه الملاك بموت هيرودس الملك ، وامره ان يعود الى فلسطين (فلما مات هيرودس اذا ملاك الرب يظهر فى حلم ليوسف فى مصر قائلا : (قم وخذ الصبى وامه واذهب الى ارض اسرائيل فقد مات الذين كانوا يبتغون قتل الصبى) (الانجيل ، متى ٢ : ١٩ ـ ٢١) .

وهذا بالطبع لايمنع ان تكون العائلة المقدسة ، بعد ان تلقت فى جبل قسقام الأمر بالرجوع الى ارض فلسطين قد سلكت فى عودتها طريقا انحرف بها الى الجنوب قليلا حتى جبل اسيوط ، فقد كانت اسيوط انذاك مرسى سفن وكان لابد للعائلة المقدسة من ان تذهب جنوبا الى اسيوط حتى يستقلوا المركب التى تعود بهم الى الشمال .

● مدة إقامة العائلة المقدسة فى مصر

وقد اختلف المؤرخون فى تقدير المدة التى اقامتها العائلة المقدسة فى مصر وفى اعتقادنا ان المدة تزيد قليلا على ثلاث سنوات ونصف ، وقد تصل الى اربع سنوات ، ذلك ان بعض المصادر تنص على ان اقامة العائلة المقدسة فى مصر استغرقت اكثر من ثلاث سنوات ونصف ، أو ثلاث سنوات وسبعة اشهر . ولابد ان استغرقت رحلة العودة بضعة شهور اخرى منذ ان غادرت جبل قسقام حتى وصلت ارض فلسطين فى الطريق العكسى الذى سلكته من فلسطين الى قسقام .

وبعد ، اليس هذا شرفا اختص الله به مصر وحدها من دون بلاد العالم كلها ، بأن يلجأ السيد المسيح اليها وامه العذراء القديسة مريم ، انه حقا شرف عظيم وبركة جزيلة ، اليس هذا هو قول الوحى الآلهى فى الكتاب المقدس (مبارك شعبى مصر) . (اشعياء ١٩ : ٢٥) ؟

آفاق التسعينات

التسعينات تغنى

فى الثمانينات كان غربان الملاهى الليلية وأشرطة الكاسيت هم سادة الموقف فى ميدان الغناء المصرى والعربى . فهل تستقبلهم التسعينات مفتوحة الذراعين . ونضع فى أيديهم زمام الموقف . وتسلطهم على المستمعين كما فعلت الثمانينات ؟ !

كانت الثمانينات شديدة القسوة على الغناء العربى عامة ، والغناء المصرى خاصة ، برغم ما يزعمه بعضهم من أن ما حدث لهما كان مجرد «انعطافة جديدة فى الكلمات والألحان» .. فالحقيقة ان ما حدث لم يكن انعطافا الى طريق جديد ، وإنما كان «انقطاعا» فى فن الغناء المصرى ، وأخصه بالذكر لأنه جوهر الغناء العربى بأسسه ومواصفاته الفنية والعلمية والذوقية الصحيحة .

وإن هذا الانقطاع الذى دهم الغناء المصرى بعد تواصل مزدهر طويل ، لقضية بالغة الاهمية ، تندرج تحت إشارة المؤرخ الفيلسوف ابن خلدون ، فى مقدمته الى أن أول ما ينقطع من «العمران» عند اختلاله ـ أو انحلاله ـ وتراجعه ، هو «صناعة الغناء» بلغة القدماء ، أو «فن الغناء» بلغة عصرنا .

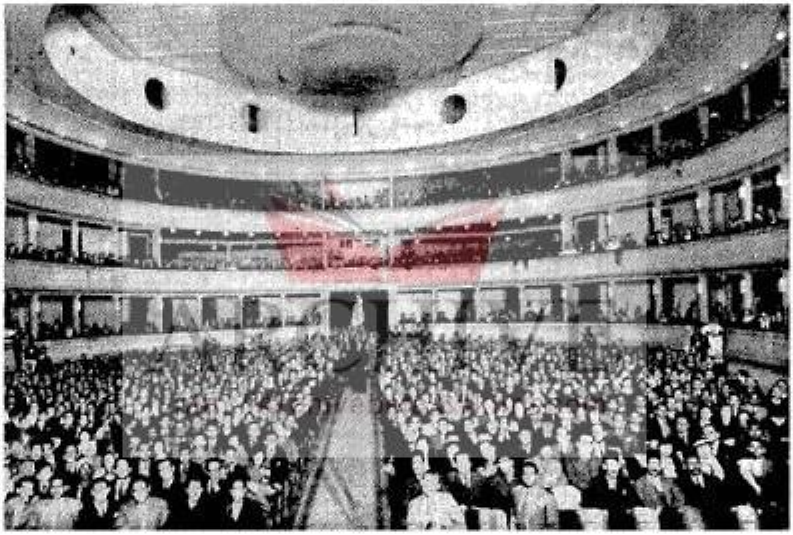
إن أزمة الغناء العربى المصرى ، أو المصرى العربى الآن ، هى أزمة مجتمع فاته القطار السريع مرة بعد مرة ، بل فاتته القافلة السائرة الهوينى ، وتراكمت فيه أسباب الاختلال من وجوه كثيرة ، وتفككت أسباب القوة والفتوة ! ..

لقد كان الغناء فى آخر عصر المماليك «العثمانلية» أو «المصرلية» قبل مائتى سنة ، وهو غناء التدهور الاجتماعى والسياسى والثقافى والروحى ، وانقطاع اسباب العمران والتقدم والتفوق تحت نير الاحتلال العثمانى .. ثم نهضت مصر منذ ايام محمد على باشا وانجزت الكثير فى مختلف الصناعات ، ومنها صناعة الغناء والموسيقى ، ولكن ذلك انقطع اخيرا ، مصداقا لتلك القولة التى أرسلها ابن خلدون قبل خمسمائة عام كأنها المثل السائر الذى يصدق حيثما سار ..

مرة أخرى عادت الحركة الهوجاء ، والصراخ المروع ، والرقصات الهستيرية الى الغناء ، بعد أن تخلص منها منذ مائتى عام ، ولعلك اطلعت يا صديقى القارىء على التقرير المسهب الدقيق الذى وضعه علماء الموسيقى الذين جاءوا الى مصر سنة ١٧٩٨ ضمن الحملة الفرنسية الاستعمارية بقيادة نابليون بونابرت ، وعرفت من هذا التقرير ان الرقص والصراخ والحركات العنيفة كانت تصحب غناء ذلك الزمان ـ كما سجله علماء الموسيقى الفرنسيين ـ وقد لبث الحال

على السلم الخماسى!

بقلم:
كمال النجمى



زمن الاستماع الجيد .. هل طرده زمن الاستماع الرديء

كذلك حتى هذبت التطورات الحضارية أساليب المغنيات والمغنين المصريين، وردتهم الى الآداب القديمة التى كان يتحلى بها ارباب صناعة الغناء ايام الرشيد والمأمون فى العصر العباسى الأول الذى مازالت صناعة الغناء تتدرج صاعدة اليه حتى بلغت فيه ـ قبل الف سنة ـ أقصى مداها فنا وصناعة وأدبا ..

ولقد قيل لنا فى «الثمانينات» المنصرمة حين استشرى الصراخ والرقص الهستيرى إن هذه هى أصول الغناء الشعبى الحديث فى أوربا وأمريكا، كما يشاهدها الناس ويسمعونها فى أغانى الديسكو والبوب وما اليها من الفنون الرخيصة التى أغرقت الأمريكيين والأوربيين .

- فهل كان حتما علينا ان نقلد هؤلاء الناس في مباذلهم ، فنرد انفسنا القهقرى الى ماكنا فيه قبل مائتى سنة فى عهد مراد بك وابراهيم بك وابواظ بك ، من رقص عنيف وصراخ هستيرى فى الغناء ؟ !

إن الرقص والصراخ والحركات المتبذلة ليست تجديدا فى الغناء ننقله عن اوربا وامريكا ، وإنما هو ارتداد الى ماكنا نحن فيه قبل مائتى عام ، ثم تركناه ، تعظيما لفن الغناء ، واحتراما لأهله ، واستمتاعا به فى أعلى درجات كماله وجماله ، كما كنا نفعل فى عصور حضارتنا العربية .

فهل يستمر الرقص والصراخ ، وتعلو موجة الغناء المنبعث من الملاهى الليلية واشرطة الكاسيت خلال التسعينات ؟ !

● **الغناء المطلوب ومعناه**

● ذلك عن المطربين الشعبيين الجدد» الذين يقلدون بلا فهم وذوق ما يجيء اليهم من وراء البحار .

فماذا عن دارسى الموسيقى الاوربية الكلاسيكية والغناء الأوبرالى الأوربى ؟ !

طوال الثمانينات حاول هؤلاء الدارسون الفضلاء ان يواصلوا - كما فعلوا من قبل - استخدام الميلوديات او الالحان المفردة فى الاغانى الشعبية المصرية ، لكى يقيموا عليها اشكالا غنائية «متطورة» و «علمية» او اشكالا موسيقية بحتة متطورة وعلمية ايضا .. اى ذات تراكيب هارمونية وكونتربوينتية ، مقلدين فى ذلك ما صنعه بعض الموسيقيين الأوربيين حين اقتبسوا الحانا شعبية فى بلادهم وصاغوا منه الحانا متراكبة ..

هذا معناه ان موسيقيينا الدارسيين قد حاولوا فى الثمانينات كما حاولوا فى العقود الماضية ، وكما سيحاولون فى التسعينات ، أن يقلدوا الموسيقيين الأوربيين فى هذه الناحية ، كما قلدوهم فى النواحى الأخرى التى لا تعتمد على الالحان الشعبية .

وقد سمعنا من بعضهم الحانا مصرية «شعبية» تحولت فى صياغاتهم «العلمية» الى ضجة أوبرالية كناشسية أوربية شديدة الضوضاء ، ازعجت المستمع المصرى فأعرض عنها اعراضا تاما ، فقد تجاهلت ذوقه ووجدانه ، بل احتقرتهما احتقارا ، ورفضتهما رفضا بدعوى «الصياغة العلمية» فبادلها المستمع انصرافا بانصراف واحتقارا باحتقار ، ووأد هذه التجارب البلهاء فى مهدها .

إن طريق «الهرمنة» العشوائية فى الالحان الشعبية المصرية ، طريق مسدود ، وقد فشلت فيه أعمال الموسيقيين المترمتين كما فشلت فيه من قبل أعمال مطربين محبوبين امثال عبدالحليم حافظ الذى اخرج للناس قبل عشرين عاما اللحن الشعبى : «انا كل ما اقول التوبة يابوى» . مملوءا بالهارمونى والكونتربوينت بشكل يلغى الطبيعة البسيطة للحن .. وكان هذا العمل من اخطاء الموسيقار الملحن النابغة على اسماعيل الذى لم تكن تخفى عليه عيوب عمله ، ولكنه فيما يبدو - كان مدفوعا إليه دفعا باوامر المطرب الشهير ..

هكذا تسقط التجارب «الشعبية» المزعومة سواء كانت من دارسي الموسيقى الاوربية المجهولين ، أو من مطرب مشهور كعبد الحليم .. وفي المقابل تسقط تجارب غربان الملاهي الليلية وأشرطة الكاسيت ، وتجارب سائر المهرجين الذين استغلوا الالحان الميلودية الشعبية ، فصنعوا منها اغنيات هابطة ملأت الاسواق - برغم سقوطها الفني - وطردت هذه العملة الرديئة من سوق الغناء جميع العملات الجيدة الأخرى .. وكانت من اكبر اسباب انقطاع فن الغناء المصري في الثمانينات .. وستبقى سائدة في التسعينات ، لأن اسباب الانقطاع ، لا تنقص ، بل تزيد ! ..

● الاوبرا العربية .. ماهي ؟

● وماذا عن فن الأوبرا ؟ !

لقد فتحت الثمانينات لاختها التسعينات باب الغناء الأوبرالي بعد غياب طويل ! ..

وبلادنا تجرب الغناء الأوبرالي منذ عام ١٨٦٧ أي منذ انشأ الخديو اسماعيل اول دار للأوبرا في مصر ، ولكننا لم نصنع أوبرا واحدة بالالحان العربية الصميمة ، فكل ما عرض على مسرح الاوبرا القديمة التي احترقت سنة ١٩٧١ كان من الأوبرات الاوربية .. ومازالت دار الأوبرا الجديدة التي بناها لنا اليابانيون مشكورين سائرة في الطريق ذاته بلا انحراف ! ..

ذلك ان فن الأوبرا - كما هو الآن وكما كان منذ نشأته في إيطاليا - هو فن موسيقى أوربي خالص ، قائم على الموسيقى الأوربية بمقاميها الكبير والصغير وما يتفرع عنهما .. وهي في الغناء قائمة على مايسمى بالصوت المستعار اما الغناء العربي فله مقاماته المعروفة وكسوره وزخارفه وضروبه وإيقاعاته ، ولا يمكن للصوت العربي أن يكون مستعارا ، بل هو طبيعي دائما لا يقترب من الاستعارة لانها تفسد نطقه وتحيل اللغة العربية الفصيحة أو اللهجة العامية المشتقة من العربية ، مجرد رطانة اجنبية !

كيف يقال اذن إن دار الأوبرا الجديدة ستعرض في التسعينات اوبرات عربية ؟ !

لعلهم يقصدون الأوبرات الأوربية المترجمة الى ألفاظ عربية مع بقاء الحانها على أصلها واستخدام الصوت المستعار في غنائها

ان كان الأمر كذلك ، فبشرهم بفشل عظيم ، لأن المطلوب هو اوبرا ذات الحان عربية المقامات ، مغناة بصوت طبيعي غير مستعار !

وهذا المطلوب ، يناقض اصول الاوبرا كما يعرفها اصحابها الاوربيون ، ولو صنعناه لما وجد قبولا عند الاوربيين الذين نريد ان نبهرهم بفننا ! ..

فلا مستقبل في التسعينات لفن الأوبرا .. بل ان هذا الفن لا مستقبل له في التسعينات حتى في بلاده ذاتها ، لأن فن الأوبرا ينقرض في العالم كله !

وقديما صنعت أم كلثوم أوبرا صغيرة الحقتها بفيلمها «عايدة» فأعرض الناس عن الفيلم بسبب هذه الأوبرا ، مع ان أم كلثوم غنتها بالألحان العربية ، وبصوتها الطبيعي الرائع الذي لا اثر فيه للاستعارة الهجينة !

إن أم كلثوم لم تكن تستطيع اداء مقطع واحد من الغناء الأوبرالي الأوربي ، وكذلك عبدالوهاب وجميع المطربين

آفاق التسعينات

التسعينات تغنى على السلم الخماسى!

والمطربات المصريين ذوى الاصوات الطبيعية التى لم يدربوها على ذلك الغناء .

كذلك يعجز المغنون الأوبراليون عن الغناء العربى بالصوت الطبيعى ، لأن التدريب الاوبرالى يتحكم فى اصواتهم ويشكلها تشكيلا حديديا لافكاك لها منه ، لهذا تتضاءل أصواتهم الاوبرالية الضخمة عندما تحاول الغناء العربى ، فضلا عما يتركه هذا الغناء من لكنة أجنبية فى نطقهم تفسد امرهم كله ولهذا اخفقوا جميعا فى احتراف الغناء العربى ، لأن الجمهور يشعر بغربته عنهم وغربتهم عنه ! ..

ونلاحظ ان ترتيل القرآن لا يمكن ان يتم على وجهه الصحيح الا بالصوت الطبيعى ، وإلا أصيبت التلاوة بالخلل ، وانهارت الاحكام والشروط التى نص عليها علم القراءة ..

وللغناء العربى اوثق الصلات بفن الترتيل من قديم ، فضلا عن أن توزين كلمات اللغة العربية القائمة على اشتقاق بالغ الدقة ، يمنع تماما تحويل الصوت الطبيعى الى صوت مستعار على الطريقة الأوبرالية وغيرها من فنون الغناء الاوربية ..

ولهذا لابد ان نعترف بانه لا مستقبل للغناء الأوبرالى الأوربى بمصر فى التسعينات ولا فى القرن الواحد والعشرين ، الا بلغته الام ، اللغة الايطالية ، وباللغات الاوربية الاخرى .. ومن ذا الذى يطلب غناء باللغة الإيطالية واخواتها ؟!

وقد آن لنا ان نكف عن الجرى وراء الموسيقى الأوربية وتقليدها تقليدا قروديا اعمى ، ولن تتطور الموسيقى العربية وتبنى كيانا ضخما ، الا اذا استطاع اهلها ان يشقوا لها طريقا مستقلا ، فلا تكون ذيلا للموسيقى الاوربية ، ولا تتطفل على فتات مائدتها ! ..

● تعريب الاوتار

● وماذا عن الآلات الكهربائية التى امتلا بها التخت العربى فى الثمانينات ، وسيزداد امتلاء بها فى التسعينات ؟

يبدو أنه لا بأس بهذه الآلات ، مادامت تجرى فى نسق الالحان العربية وقد ادى القيثار دورا هاما فى تخت ام كلثوم - مثلا - وكذلك الأورج .. فالمهم هو طريقة استعمال هذه الآلات ، ولقد كان التخت العربى فى بداية امره يتكون من العود والقانون والناى وآلة الايقاع ، ثم دخل الكمان ، وكانوا يسمونه «الكمنجة الرومية» لان الذين كانوا يعزفون على الكمان فى مصر حتى أواخر القرن التاسع عشر كانوا جميعا من «الروم» العاملين فى فرق الموسيقى الاوربية بالفنادق الكبرى التى ينزل بها السياح الأوربيون ، ثم جاء انطون الشوا - والد أمير الكمان سامى الشوا - فعزف على كمانه الحانا عربية ، وتلاه ابنه سامى فرتب الاوتار أدق ترتيب على أساس المقامات العربية ، وابدع فى ذلك على غير مثال سابق ، ومازال عازفو الكمان فى مصر والبلاد العربية عيالا عليه

برغم ما أضافوه الى طريقته .. وبعد الكمان انفتح الباب للالات الأوربية الاخرى ، فتم تعريب أوتارها مثل الشلو والكونترباص والاوبوا والاكورديون والقيثار ، والأورج الخ .. وسوف تستقبل التسعينات فوجا اخر من هذه الالات .

● وماذا عن الاصوات الجديدة فى التسعينات ؟ !..

لم نسمع اصواتا جديدة فى الثمانينات ، ولا امل لدينا فى سماع اصوات جديدة فى التسعينات ، والموجود الآن اصوات غير غنائية تحدث ضجة شديدة فى اسماع مستهلكى اشرطة الكاسيت ورواد الملاهى الليلية الغارقين فى عالمهم الخاص من نشوة الكأس ونشوة الجنس ونشوة الدخان بألوانها المتنوعة ! ..

وقد تركت هذه الاصوات الغناء العربى واجتمعت كلها على ايقاعات ونغمات ولهجات السلم الخماسى الافريقى البدائى الذى هو الآن ملتقى المغنين الأوربيين والأمريكيين الجدد .. والحقيقة انه لا فرق بين السلم الأوربى والسلم الافريقى فى هذا اللون من الغناء ، وهما يجتمعان فى خلوهما معا من الارباع الصوتية التى تتميز بها المقامات العربية .. وفى رأينا ان خلو السلالم الافريقية والأوربية .. ومعها سلالم الموسيقات الأسيوية من الارباع الصوتية ، هو دليل بدائية لا دليل تطور كما يزعم الزاعمون ، ولولا ضيق المجال



المهم هو طريقة استعمال الأوتار

لوقفنا فى هذا المقام وتحدثنا طويلا ..

ويجب أن نعترف ان مطربى الملاهى والكاسيت سوف يملأون التسعينات من غناء السلم الخماسى البدائى فهم الآن سادة سوق الغناء ، وستبقى السيادة لهم طوال التسعينات ، ومن الصعب «تسويق» اغنية رفيعة المستوى وسط زحامهم فهذا الزمان زمانهم ، وهم أعجوبته ، ولكنهم لن يكونوا وحدهم الباعثين على العجب فى التسعينات ، وقديما قال الشاعر :

ولكنها الأيام قد صرن كلها
عجائب حتى ليس فيها عجائب

فلا عجب فيما سوف تحمله التسعينات من هذه الأعاجيب ، ولا جديد تحت الشمس ! .

آفاق التسعينات

مستقبل الديمقراطية
على مشارف التسعينات

هل ادينا الأمانة ؟

وهل صرنا إلى النظام القويم ؟

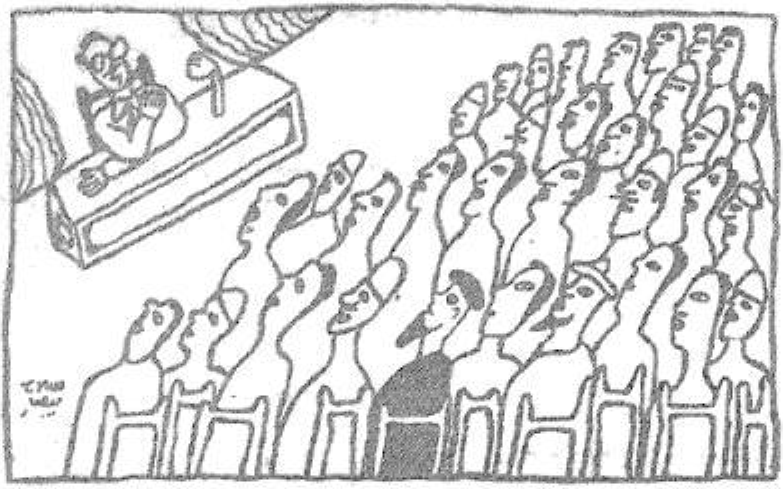
بقلم : طارق البشرى

يمكن القول بان عقد التسعينات سيشهد خروج الجيل الذى تفتح ادراكه السياسي في اوضاع ماقبل ٢٣ يوليه ١٩٥٢ ، وهو جيل يقف افراده على ابواب الخروج الان ويزلفون واحدا واحدا .

وفي مثل هذا الظرف يتساءل الانسان ، عن دنياه التى استلمها من الجيل السابق عليه ، وعن دنياه التى يسلمها للجيل اللاحق ، هذه الامانة ، هل زادت على يديه او نقصت ؟ هل سيسلم الامانة كاملة او زائدة ؟ ام انه سيسلمها منقوصة مبتورة . الحساب صعب وعسير ، والجزاء اشد صعوبة وعسرا ، ان كانت الامانة منقوصة فويل لنا من حكم الاجيال التالية ، وويل لنا من قبل ومن بعد من قضاء الله سبحانه .

● ليت كل جيل يحاسب نفسه ، ويتناجى افراده بعضهم مع بعض ، ماذا استلموا من دنياهم عندما بلغوا العشرين ، وماذا يسلمون عندما يبلغون الستين ، ان كان التسليم ناقصا ، فلن يكون لهم عذر الا انهم قدموا كل مالديهم ، وبذلوا قصاراهم ولم يألوا جهدا ، وان الموج المضاد كان اكثر عتوا والريح اشد عصفا ولكن أهذا فعلا ماحدث ؟ الامر لله .

المسألة في نظرى في جانب واحد من جوانبها انه في وقت التسلم كان ضغطنا على عدونا كبيرا ، فصرنا في وقت التسليم بأسنا بيننا شديدا ، على مسيرة اربعين سنة ، آلت امورنا من ضعف العضل الى وهن العصب ، كنا نتكسر بقوة سلاح الطامعين ، فصرنا نذوب في كيمياء الفرقة والتضارب ، كنا جماعة تواجه خطرا ، فصرنا جماعات تتواجه .. وهذا يقودنا الى صلب المشكلة التنظيمية فى بلادنا اى



مسألة الديمقراطية .

ما اريد ان اوضحه فى البداية ان الديمقراطية نظام اى انها بناء ، هياكل وقنوات ومؤسسات وحركة تندفع فى مسارات منتظمة مرسومة وهى الة وجهاز . هذا التنظيم او التصميم يحتاج الى بنية اساسية وبنيته هى الجماعة السياسية ويحتاج الى مادة خام يشكلها ومادته الخام هى الاهداف العليا التى تنشدها الجماعة فى مرحلة معينة ، ومستقبل الديمقراطية فى التسعينات لايتوقف نجاحه وفشله على مدى كفاءة الجهاز التنظيمى فقط ، ان هذه الكفاءة هامة جدا ، ولكنها ليست السبب الوحيد المرجوع اليه فى صحة التجربة او فسادها ، بل هى مشروطة بوضع الجماعة السياسية وماتتمتع به من قوة تماسك وترابط وهى مشروطة ايضا بالاهداف المجمع عليها او شبه المجمع عليها لصلاح الجماعة وفلاحها فى المرحلة التاريخية الراهنة .

وهى مشروطة ثالثا بمدى كفاءة الاجهزة المؤسسة المساعدة التى ينتظم فيها الجماعات الفرعية فى المجتمع سواء كانت وحدات محلية او نقابية مهنية ، او سياسية حزبية ، او مما كان يسمى قديما بالوحدات الملية التى تنتظم اهل الاديان والمذاهب المتباينة . وهى مشروطة اخرا ـ وليس اخيرا ـ بجهاز الدولة الترابط والتلاؤم بين اجهزة الدولة التنفيذية والقضائية والتشريعية ومدى النفوذ الذى تملكه سلطة التنفيذ على غيرها من السلطات وذلك لنتعرف هل نحن امام حالة « تماسك ديمقراطى » ام امام حالة « تحلل دكتاتورى ».

★ ★ ★

اتصور ان كثيرين يلحظون ان الصراعات السياسية التى جرت فى اواسط السبعينات قد استخدمت فيها ادوات واسلحة من شأنها ان تضرب فى البنية الاساسية وفى اسس تماسك الجماعة السياسية ، وصارت الصراعات السياسية الجارية تستخدم اسلحة

آفاق التسعينات

مستقبل الديمقراطية على مشارف التسعينات

سياسية تمس الاسس التى تقوم عليها الجماعة وتمس قوة التماسك فيها . ان المثل الفذ على ذلك تجده فى السبعينات عندما جرى التمهيد لاصدار قانون ضد المعارضة بإثارة قلق الامة حول ما سمى بالمسألة الطائفية (قانون الوحدة الوطنية) كما صارت تستخدم وسائل المساس بنظام المحرمات الدينية لمجرد استثمار زيادة بعض الوحدة البلواء . وكل ذلك كان له اثر بعيد فى اضعاف نسيج الامة وشعور كل فريق بان امنه وبقاءه مهددان . الا ان يبقى هكذا حذرا متوجسا ولابكاد يطمئن عام الا ويتكاثر فيه مسألة تفرق بين قوى الامة والجماعة وتغري بأس بعضها على بعض فى نوع من الحروب الاهلية الفكرية والسياسية .

اما من حيث الاهداف العامة التى يمكن ان يجتمع عليها تيار غالب فى الجماعة وتعتمد به مؤشرات الحكم على السياسات بالصواب والخطأ . فلم يعد من الواضح ان ثمة اهدافا لها هذا الوضع الحاكم . اهدافا تصلح لان تقوم مقياسا ومعيارا ومن شأن هذا الوضع ان تهتز الاطر الجامعة للحركات السياسية فى المجتمع . بما لاتقوم معه لغة حوار واحد . والحاصل انه لو افتقدت لغة الحوار لقد صار الصراع حربيا وقتاليا بين القوى المختلفة .

خلاصة الملاحظتين السابقتين . ان الاداء السياسى العام ليس من شأنه ان يحفظ الاسس الجمعية للمجتمع وليس من شأنه ان يقوم به تيار سياسى اساسى تتمثل فيه بنسب متقاربة غالب خصائص الجماعة . ويعبر عن غالب طموحاتها . ويغير هذا المناخ يصعب ضمان استقرار تجربة تنظيم كله وترشيد وتفعيل والديمقراطية تنظيم تريده كلنا وترشيدا وفعالا .

درج بيننا فى السنين الاخيرة تعبير « القوى السياسية المحجوبة من الشرعية » ولنا ان نتساءل عن اثر هذا الحجب من الشرعية لقوى سياسية قائمة . اثره على كفاءة التنظيم السياسى وترشيده والحاصل انه كلما انسدت الاوعية التنظيمية من دون مايموج به المجتمع من حركات سياسية ذات شأن وذيوع بين الناس . او كلما ضاقت هذه الاوعية من استيعاب حجم تلك الحركة بالقدر الذى يتناسب مع حجمها وحركتها . كلما حدث ذلك كلما كان التنظيم يمهد الاسباب لظهور التنظيمات السرية والحركات غير المرئية . وكلما اثبت التنظيم بذلك عدم قدرته على « ادارة المجتمع » وكلما قلت امكانية التنبؤ بمسار الحركات الاجتماعية وامكانية دراسة الواقع الاجتماعى السياسى وكلما صارت الحركة التحتية غير المرئية وغير المحسوبة مصدر قلق واضطراب يشيع فى مجمل الحركة الاجتماعية . اى كلما ابتعد المجتمع عن تحقيق الشروط اللازمة لاستقراره ولمسيرته الراشدة .

ان يقوم تنظيم حزبى يؤدى الى وجود عدد من الاحزاب لاتمثل حقيقة الاوضاع السياسية الاجتماعية الثقافية فى البلاد وان يكون الموجود (رسميا) ليس حقيقيا والحقيقى ليس موجودا . وان تنشأ هوة واسعة بين مايعترف القانون بشرعيته ومايعترف الرأى العام بشرعيته . كل ذلك لا اظن انه يمكن به ان ننظم ادارة المجتمع من حيث كون هذه الادارة رابطا بين من يدير ومن يدار .

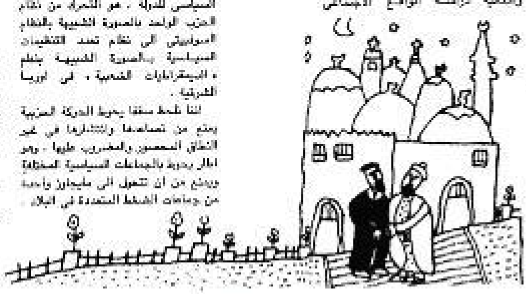
اذكر انه مع بدايات تغير النظام السياسى فى منتصف السبعينات (تغييره من الواحدية التنظيمية الى التعددية التنظيمية) عقدت ندوة عن النظام السياسى المصرى فى الجامعة الامريكية وفيها ذكر احد كبار رجال الحكم المسئولين وقتها . ان هدف تغيير التنظيم السياسى للدولة . هو التحول من نظام الحزب الواحد بالصورة الشبيهة بالنظام السوفيتى الى نظام تعدد التنظيمات السياسية بالصورة الشبيهة بنظم « الديمقراطيات الشعبية » فى اوروبا الشرقية .

اننا نلحظ سقفا يحوط الحركة الحزبية يمنع من تصاعدها وانتشارها فى غير النطاق المحصور والمضروب عليها . وهو اطار يحوط بالجماعات السياسية المختلفة ويمنع من ان تتحول الى مايجاوز واحدة من جماعات الضغط المتعددة فى البلاد . من وضع حريص على استبقاء الحركة الحزبية فى اطار جماعات الضغط من حيث الفاعلية السياسية . وان تبقى كيانات غير مأذون لها بوصفها التنظيمى ان تقترب من مراكز الحكم . ومن هنا ثمة سبب تلك الظاهرة التى يسفر عنها قانون الاحزاب وتطبيقه . وهى اننا لم يمكن صياغتها على طريقة ميول الفلسفية المطلقة « كل موجود غير حقيقى وكل حقيقى غير موجود » فيمكن التعبير النسبى عنها بطوية « من الموجود ماليس حقيقيا ومن الحقيقى ماليس موجودا » .

وعلى مدى حقبة التعددية الحزبية منذ منتصف السبعينات ثمة ان اى تيار سياسى بدت عليه « شبهة » انه مابقى يخضع لوجبة من اجراءات التحجيم وحملاته . واول ذلك الحجب من الشرعية ثم العزل الاعلامى ثم ما يلائم الحال من سطوة الحكم وصرامته .

المهم انه يكاد يظهر من استمرار هذا الوضع سنين طويلة . ان ثمة ترابطا غير ظاهر بين « ماهو موجود » فى مواجهة « ماهو حقيقى » وصارت خريطة الاوضاع السياسية تسمح بالظن بان الشرعى وغير الشرعى يمثل تصنيفا او معيارا لتصنيف القوى السياسية . ويؤثر فى حركتها وفى مدى تقاربها بعضها من بعض لان عددا من الكيانات الشرعية صار مظهرا من مظاهر الاوضاع الراهنة يضاف الى عناصر التكوين المؤسسى الراهن كواحد من مكونات الصيغة المتصل به اتصال قرار واتصال مصير .

انا لا ارى عيبا فى هذا الوضع من حيث ان تتصل مكونات الحياة السياسية المصرية اتصال قرار واتصال مصير شريطة ان تكون ممثلة لمكونات الحقيقية



مستقبل الديمقراطية على مشارف التسعينات

للجماعة السياسية ولمجمل تيارات الرأى العام السائدة بين الناس ولعل هذا مانطمح ان تتعدل الصورة الحاضرة اليه ، ضمانا للفاعلية والرشد والاستقرار الحقيقى الآمن . ولعل هذا مابه نضمن قيام تيار عام سياسى اساسى يحمل الجماعة السياسية على عاتقه ويحميها ويحفظها من التناثر ويدفعها فى طريق النهوض .

ان المنطق الذى اشرت اليه على لسان واحد ممن صمموا ونفذوا اسلوب تغيير النظام السياسى من الواحدية الى التعدد فى السبعينات ، ان هذا المنطق اظن انه لايزال يجد مؤيدين كثر ، وهو ان تبقى التعددية فى اطار محكوم ومحسوب يأذن بابداء الرأى ويسمح بممارسة مايتيسر من ضغوط الرأى العام على اصحاب القرار ، ولكنه لايسمح للقوى السياسية ذات الوجود الظاهر او المحجوب ان تشارك فى اتخاذ القرار على اى من مستويات اتخاذه وان لضمان استصحاب هذا الحال اوضاعا تتعلق بالتنظيم الحزبى اشرنا اليها من قبل ولضمان استصحابه اوضاع تتعلق بمؤسسات الدولة نشير اليها .

اننا نتذكر خلال السبعينات ، وفى اقصى حالات تصاعد قوى المعارضة السياسية وفى اكثر الظروف توفيقا وملاءمة لاتخاذ المواقف الموحدة من جانب القوى المتباينة للمعارضة فان اقصى مااستطاعت ان تصل اليه فى قمة تجمعها وترابطها ، ان توقف اتخاذ اجراء ما ، ولكنها لم تستطع امتلاك المبادرة لتفرض ماتراه فى اى من وجوه السياسات ولا ان تحفظ قدرتها على الحشد والتماسك .

واليوم صار الوضع بالنسبة لقوى المعارضة اكثر صعوبة وتعقيدا فامكانات اللقاء تباعدت على مدى الاعوام القليلة الماضية ، ووجوه الخلاف تكاثرت والفجوات اتسعت ، وذلك كله ملحوظ سواء فى النداءات العامة او فى الانشطة التى تمارس فى الهيئات الرسمية كالمجلس النيابى

ولعل واحدا من اهم الاسباب التى ادت الى هذا الحال ان ادارة الصراع قد جرت بقدر من المهارة والذكاء خلال الثمانينات ، بما يمكن من اثارة القضايا الفارقة والمثيرة للصراع بين قوى المعارضة وبما يمكن من تضخيم وجوه الخلاف بين هذه القوى وابرازها بوضعها القضايا الحاكمة لغيرها . ان المجال لايتسع لذكر الامثلة التفصيلية ولعل القارىء يستطيع ان يستدعى بذاكرته الكثير من الشواهد على مانقول .

وقد كان هذا الظرف مواتيا لصياغة العمل فى المؤسسات الرسمية بما يكفل ضمان الانفراد بسلطة اتخاذ القرار دون مزاحم ودون مشارك .

وقد جاء ذلك بالحرص على ضمان اغلبية عالية جدا فى المجلس النيابى ومن الناحية العملية ليس المطلوب هو مجرد الحصول على الاغلبية المطلقة التى تصلح لتشكيل الحكومات لان ذلك يسير ، وهو لايضمن انفرادا باقيا ، انما المطلوب ضمان اغلبية دائمة ثابتة فى المجلس النيابى لاتقل عن الثلثين بحال ، وهى الاغلبية الاستثنائية اللازمة لاقتراح تعديل الدستور نفسه .. ولضمان هذه النسبة عمليا لابد من ضمان هامش زيادة يستبعد

احتمالات تأثير التغيب والمرض والمفاجآت الطارئة بالنسبة لحضور جلسات المجلس . وهذا الهامش يرفع النسبة الى ثلاثة ارباع المقاعد . وبعد ذلك يبقى الربع تجرى عليه المنافسة .

يضاف الى ذلك ، انه لكى تمارس رئاسة الجمهورية سلطتها الدستورية وفقا لنظام دستور ١٩٧١ ، لابد ان يكون ذلك من خلال رئاسة الحزب ايضا ، لان المجلس النيابى قد صار من الادوات الاساسية للحكم بخلاف ماكان عليه الحال فى الستينات ، وان منصب الرئاسة للجمهورية وللحزب هو مابه تلتقى سلطتا التنفيذ والتشريع لقاءهما المستقر الثابت . ومن ثم وجب استبقاء اسلوب الاستفتاء على رئاسة الجمهورية حتى تكون الشرعية التمثيلية للرئاسة قائمة براسها فى تحقيق النيابة عن الشعب ، ثم هى برئاسة الحزب تستجمع الصفة التمثيلية لمؤسسة الحكم بمجلس الشعب .

اما من ناحية العملية الانتخابية ، فان عملية التمثيل النيابى شئنا ام ابينا تتأثر تأثرا واسعا بالمؤسسات الاجتماعية ذات الهيمنة بين جماعات الناخبين ، وقبل ٢٣ يوليه ١٩٥٢ ، كانت هذه المؤسسات الاجتماعية ذات التأثير الكبير فى نتائج الانتخابات تتمثل فى الاسر الكبيرة الممتدة ذات النفوذ فى الريف وبالعصبيات القائمة هناك ، وكانت معرفة الاتجاهات السياسية لهذه الكيانات الاجتماعية مما يسهل معه توقع نتائج الانتخابات ان جرت حرة . اما بالنسبة للمدن وخاصة فى القاهرة حيث يكثر المهنيون ويضعف اثر العائلات فقد كان للحركة النقابية المهنية اثرها ولتجمعات الطلبة والمهنيين .

الان تغيرت ملامح هذه الصورة لان النفوذ الاقتصادى والاجتماعى الموروث للاسر فى الريف والاقاليم ضعف كثيرا ، شارك فى ذلك قوانين الاصلاح الزراعى وسياسات ثورة ٢٣ يوليه على مدى عشرين سنة والهجرات من الريف الى المدن ، سواء بسبب التعليم والتوظيف بالنسبة للطبقة المتوسطة او بسبب التجنيد بالنسبة للطبقات الشعبية .. وفى الوقت نفسه تغلغل نفوذ السلطة المركزية للحكومة عن طريق الهيمنة على العمليات الانتاجية الزراعية وغيرها وعن طريق مؤسسات الائتمان الزراعى والانتاجى



آفاق التسعينات

مستقبل الديمقراطية على مشارف التسعينات

وعن طريق مؤسسات الحكم المحلى وعن طريق نشر الخدمات التعليمية والصحية التى ربطت الريف بالمدينة وبالسلطة المركزية وصارت هذه المؤسسات هى المؤسسات الاجتماعية ذات الهيمنة فى الريف بعامة .

اما فى المدن فان غالب النقابات المهنية قد صارت الغلبة فى عضويتها لموظفى الحكومة بما لذلك من اثر كبير عليها وذلك شأن النقابات العمالية بوضعها المركزى المهيمن القابض .

★ ★ ★

هذا هو مجمل الاوضاع التى نتقدم بها الى التسعينات ، وانا لا اجد فيها ظلاما كثيفا ، وان كنت اجد فيها خطرا بعيدا ، ليس فيها ظلام كثيف لان ليس فيها مشكلة معضلة وكل حلولها فى اطار القدرات المتاحة للجماعة ومفكريها ومنظميها شريطة ان ندرك مايلى :

اولا : ان تستقر لدينا المسلمات المتعلقة بتكوين الجماعة السياسية وتماسكها وان يستقر لدينا ماتقوم به هذه الجماعة من عناصر ومقومات اساسية تتعلق بادراك الهوية العقيدية الثقافية والتكون التاريخى .. هذه اصول علينا ان نسلم بوجوب احداها فى الاعتبار فى تحديد حركتنا المستقبلية ومسارنا ومعرفة مايعترضنا من مخاطر تمس مقومات هذا الوجود وما نحتاجه من عناصر النهضة بهذا الوجود المحدد .

ثانيا : بمراعاة ماسبق فثمة مايوجب تحديد الاهداف العليا التى يجتمع عليها المجتمع فى هذه المرحلة من تاريخه وتتعلق بالحفاظ على هويته وعقائده وثقافته وارضه ومصالحه الاقتصادية وحريته فى التعبير والنهوض بذلك . وهى على الجملة اهداف الاستقلال فى مواجهة التبعية والتوحد فى مواجهة التجزئة والاصالة الحضارية فى مواجهة الازدواج الفكرى والنفسى والمؤسس الذى يشق المجتمع ويقصمه .

ثالثا : الافساح لكل التيارات السياسية الاجتماعية والثقافية العقائدية بقدر ماتتمتع به من نفوذ لدى الرأى العام الافساح لها جميعا فى الوجود والمشاركة فى وضع الصياغات العامة للنهوض بالمجتمع والمحافظة على استقلاله ووحدته وهويته .

ولست ادرى ان كنا سنستطيع ان نسلم الامانة غير منقوصة رعى الله مصر والهمها الرشاد .



هل انتهى عصر الفلسفة ؟

بقلم : د. فؤاد زكريا

منذ القرن الثامن عشر ، أشار الفيلسوف الألماني الكبير « إيمانويل كانت » إلى سمة فريدة للعقل الانسانى ، هى أنه يسعى إلى البحث عن إجابات لأسئلة يستحيل الاجابة عنها ، ومع علمه بهذه الاستحالة ، فإنه لايكف عن طرح تلك التساؤلات فقد رأى أن هذه السمة الفريدة هى التى تشكل قوام « الفلسفة » .

ولقد كانت تلك ملاحظة عميقة بحق . ذلك لأن « كانت » قد أدرك فيها أن طبيعة الفلسفة أقرب إلى طرح الأسئلة منها إلى تقديم الاجابات وهو يعلم أن الأسئلة القصوى أو الأسئلة « الحدِّية » كما يسميها البعض ، يستحيل أن تجد لدى العقل البشرى إجابة حاسمة . غير أن العقل نفسه الذى يدرك هذه الاستحالة ، هو الذى يعود إلى التساؤل بلا انقطاع . إن الفلسفة إذن ، فى جانب أساسى من جوانبها ، ماهى إلا نزوع إلى البحث عما يستحيل الاهتداء إليه على نحو نهائى قاطع . ولكن هذا النزوع لايعرف اليأس ، ولايتوقف ولاينتابه الاحباط من جراء الاخفاق المتكرر ، أو الحاجة الدائمة إلى البدء من جديد .

● ولكن إذا كان جوهر الفلسفة هو التساؤل فإن هذا لايعنى أن الفلسفة تعجز عن تقديم إجابات ، وإنما يعنى أن الاجابات التى تقدمها تحرض على المزيد من التساؤل أو أنها إجابات تشحذ فى أذهاننا ملكة التساؤل .

وحين نستوعب دلالة هذه الحقيقة يختفى على الفور ذلك التعارض الذى يتصور الكثيرون وجوده بين الفلسفة والعلم ، ويتلاشى تلقائيا ذلك التنافس الوهمى بين تأملات الفلسفة وأبحاث العلم المنضبطة . ذلك لأن التنافس بين الاثنين كان يرتكز على اعتقاد بأن الفلسفة فى جوهرها محاولة للاجابة عن الأسئلة ذاتها التى يسعى العلم إلى كشف غوامضها ومن ثم تصبح الفلسفة منذ مطلع العصر الحديث ، فى موقف الضعف إزاء العلم الظافر ، وتنسحب من كل أرض جديدة يغزوها العلم ولو صح هذا لكان معناه أن عصر السيادة المطلقة للعلم ، والهزيمة المطلقة للفلسفة ، قد أصبح على الأبواب . .

● انبهار بالتقدم العلمى

كان هذا الرأى يعود إلى الظهور بقوة

فى كل عصر يحرز فيه العلم تقدما يبهر العقول . وحسبنا ان نضرب لذلك مثلين ـ ضمن امثلة اخرى كثيرة ـ أحدهما فى أول القرن التاسع عشر ، والثانى فى آخره . فقد كان الانبهار بالتقدم العلمى الذى بدا فى مطلع العصر الصناعى ، انه سيطر على جميع مظاهر الحياة وأوجد تفسيرا لكل شيء هو الذى دعا الفيلسوف الفرنسى « أوجيست كونت » إلى ان يجعل من الفلسفة مرحلة وسطى ضمن ثلاث مراحل مرت بها البشرية : الأولى هى المرحلة الأسطورية (أو اللاهوتية) والثانية هى المرحلة الفلسفية (أو الميتافيزيقية) والثالثة هى المرحلة العلمية (أو الوضعية) وهنا يصبح دور الفلسفة هو تجاوز الفكر الأسطورى والتمهيد لظهور العلم ، وتصبح أهميتها « تاريخية » فحسب فهى مرحلة مرت بها البشرية وانتهت بعد أن حلت محلها مرحلة أخرى تفسر الظواهر بالمنهج العلمى الدقيق .

وفى أواخر القرن التاسع عشر تعود النزعة العلمية المتطرفة الى الظهور وتنظر إلى التفكير الفلسفى بترفع ، فتظهر سلسلة من المذاهب التى امتدت حتى النصف الأول من القرن العشرين ، والتى تجعل من الفلسفة مجرد ملحق من ملاحق العلم فهى تحلل قضايا العلم الهامة ، او تدقق فى مناهجه الرئيسية اما حركة التقدم الحقيقية فلا تتم إلا داخل العلم .

هذه الاتجاهات التى لم نذكر منها إلا مثلين ، تؤكد كلها فكرة « التعاقب » بين الفلسفة والعلم ، ولا تعمل حسابا كافيا « للتعايش » بينهما . ولابد فى إطار موقف كهذا أن ينتهى المرء إلى إصدار حكم سلبى على الفلسفة فيراها طريقة فى التفكير تقادمت منذ أن ظهر العلم بمناهجه الدقيقة ، او يراها « حاشية » على التفكير العلمى أو « مذكرة إيضاحية » لكشوفه الاساسية . ولكن الفهم العميق لطبيعة العلاقة بين الفلسفة والعلم قد كشف عن صورة اخرى مختلفة كل الاختلاف ، لاتدعونا إلى مراجعة مفاهيمنا الراهنة فحسب بل تدفعنا إلى إعادة النظر فى كافة تفسيراتنا السابقة لهذه العلاقة .

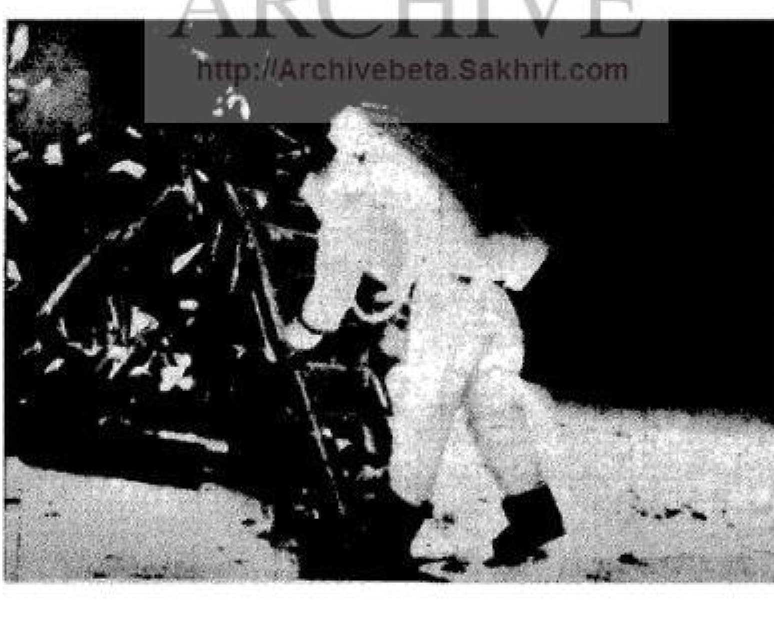
لقد كان النصف الثانى من القرن العشرين من اعظم فترات التقدم العلمى والتكنولوجى خصبا وثراء . وأغلب الظن ان جزءا كبيرا من القرن القادم سيكون محاولة لاستخلاص النتائج الهائلة المترتبة على إنجازات هذا النصف الثانى فى ميادين مثل الحاسب الالكترونى وغزو الفضاء والبيولوجيا الدقيقة . ولقد كان المتوقع لو صحت آراء القائلين بالتنافس بين العلم والفلسفة ، ان تشهد الفلسفة تراجعا كبيرا فى عصر الهيمنة العلمية الذى نعيش فيه ، ولكن حقيقة الأمر أبعد ماتكون عن ذلك .

إن كل تقدم علمى حاسم يفتح ابوابا واسعة لتساؤلات فلسفية أساسية . وبدلا من ان يعمل هذا التقدم على استبعاد الفلسفة او يعلن نهاية عصرها ، نراه ـ على العكس من ذلك ـ يتيح للفلسفة مجالات جديدة لم تطرقها من قبل ، بل ويتوقف فى أحيان كثيرة انتظارا للاجابات التى تقدمها إليه الفلسفة ، ثم يقرر بعد

ذلك أن كان سيواصل طريقه ، أم سيتوقف ، أم سيصحح مساره . والأمثلة على ذلك فى حياتنا المعاصرة لاحصر لها .

لنتأمل مايترتب على التقدم فى تكنولوجيا الاتصالات من نتائج على الطريقة التى يفكر بها الانسان وينظم بها حياته . إن العالم على وشك أن يصبح « قرية صغيرة واحدة » ، كما يقول التعبير الذى أصبح مشهورا . وفى وقت أقرب مما نتصور ، سوف يتسنى لكل أسرة على سطح هذه الأرض أن تسمع وتشاهد من خلال أخطر الأجهزة تأثيرا على عقل الانسان ، أعنى التليفزيون أنباء ومعلومات وأحداثا وأعمالا فنية تنتمى إلى جميع بلدان العالم ، فى اللحظة نفسها التى تبث فيها هذه البرامج فى بلادها الأصلية وسوف يتسنى لكل أسرة أن تتخطى دون أى مجهود ذلك الحاجز الاعلامى الذى تفرضه أنظمة الحكم ، وخاصة فى بلاد العالم الثالث ، على شعوبها . وإذا كان الجيل الأول ممن سيشهدون هذه الثورة ، التى هى فى صميمها ثورة عقلية ، سيظل محتفظا بالكثير من الأفكار الموروثة عن العصور السابقة ، فما الذى سيحدث لعقول الجيل الثانى والثالث والرابع ؟ وماذا سيطرأ على مفهوم « تعدد الثقافات » فى هذه الحالة ؟ وكيف نتوقع أن يكون شكل العالم الذى يعرف كل مجتمع فيه أنماط الفكر والحياة لدى كل مجتمع آخر ويتعايش معها كل يوم ؟ وماذا سيطرأ على القيم الأخلاقية من تغيرات حين تصبح أنماط السلوك لدى الشعوب « المتحررة » بكل مافيها من مزايا وعيوب مكشوفة لدى الشعوب « المحافظة » ؟ وكيف ستتمكن الحكومات الاستبدادية من الاحتفاظ بسيطرتها على شعوب لم تعد خاضعة « لغسيل المخ » الذى كان من قبل يتدفق عليها ، دون أن تدرى ، من كل جانب ؟

الصعود .. الى القمر



● قلق العالم الثالث !

هذه كلها اسئلة « فلسفية فى المحل الأول . ومن خلالها نستطيع أن نفهم حالة الجزع والقلق التى تنتاب المسئولين عن رسم السياسة الاعلامية فى دول العالم الثالث من جراء الاحتمالات المزعجة القادمة ، وندرك سبب تلاحق المؤتمرات التى يعقدها هؤلاء المسئولون ولاسيما فى بلادنا العربية ، والتى هى فى الحقيقة محاولة للبحث عن جواب لسؤال يعد فى نظرهم اساسيا ، وهو : ماذا سيحدث حين ينهار جدار الاكاذيب الذى حاولنا ان نقيمه طوال العقود السابقة أمام وعى شعوبنا ، وكيف سنتعامل مع الناس حين يعرفون « الحقائق » ؟ هذا كما قلت هو الجانب الذى يشغلهم ويقلقهم من هذه التطورات ، أما الجوانب الأخرى ذات الطبيعة الفلسفية والحضارية الأعمق ، فلاشك فى انه يشغل أى قدر من اهتمامهم .

ولننتظر إلى النتائج المذهلة التى ستترتب على غزو الفضاء ، ومدى التحديات التى يجلبها هذا الغزو على طريقة تفكير الانسان ونظرته إلى موقعه فى هذا الكون . إن القرن القادم سيشهد محاولات جادة من اجل إقامة مستوطنات بشرية خارج نطاق الكرة الأرضية : فى القمر اولا ، ثم فى المريخ ، وربما فى كواكب أخرى . وعلى من يشك فى ذلك أو يراه إسرافا فى الخيال ، أن يتذكر أن الانسان لم يستغرق إلا اقل من اثنى عشر عاما لكى ينتقل من أول قمر صناعى صغير اتخذ له مدارا حول الأرض حتى الوصول إلى القمر والبقاء فيه ساعات والعودة منه إلى الأرض بسلام . وليس من المستبعد أن تكون غريزة البقاء والاستمرار لدى الانسان هى التى وجهته دون أن يشعر ، الى ميدان الفضاء الخارجى الفسيح فى الوقت الذى بدات فيه الأرض ومواردها وطاقاتها تضيق بمطالبه واحتياجاته وأعداده المتزايدة والأمر الذى لايشك فيه علماء اليوم هو أن التراكم المتسارع للمعارف العلمية والخبرات العملية سيتيح للانسان خلال القرن القادم ، البدء فى استيطان أجزاء أخرى من هذا الكون الفسيح ، وإقامة « مستعمرات » قادرة على الاكتفاء بنفسها وتجديد شروط الحياة فيها تجديدا ذاتيا .

ومنذ ايامنا هذه بدأ التساؤل بين مفكرين يبدون بمقاييسنا الحالية مسرفين فى الخيال ، ولكنهم قطعا ليسوا أشد إسرافا ممن كان يجرؤ على أن يقول فى أعقاب الحرب العالمية الثانية ، إن الانسان سيمشى على سطح القمر بعد اقل من ربع قرن - اقول إن التساؤل بين هؤلاء المفكرين بدأ منذ الآن حول نوع الحياة التى سيحياها الانسان فى هذه المستوطنات الفضائية فهل ستظل كل جماعة بشرية محتفظة بهويتها « الارضية » بعد انتقالها الى « العالم الجديد » ؟ وهل ستظل « السلالة الأمريكية » محتفظة بالولاء لبلدها الأصلى ، وتخضع لنفسها نظما مماثلة لتلك التى كانت تسود حياتها على سطح الأرض ، وهل ستفعل السلالات السوفييتية واليابانية والفرنسية هذا الشيء نفسه ، أم ان فلسفة الانتقال إلى



عمانويل كانط

استيطان الفضاء الخارجي تحتم طرح هذه الاختلافات « الأرضية » جانبا وإيجاد أسس جديدة لتفكير البشر وتنظيم حياتهم ؟ وهل نستطيع نحن على هذه الأرض المثقلة بالصراعات أن نتعلم شيئا من رؤية إنسان الفضاء لكوكبنا النائى الصغير ؟ وهل سيتمكن البشر حقا من تحقيق هذه الانجازات الحاسمة ، والانتقال إلى عوالم جديدة ، فى ظل منطق القوة الذى يسود حياتهم الراهنة ؟ هذه أسئلة حيوية يعترف العلماء أنفسهم بأنهم لايستطيعون الاجابة عنها ، ويؤكدون أن الفلسفة ـ بأوسع معانيها ـ هى وحدها القادرة على أن تفتح أمام عقولنا احتمالاتها المختلفة ، والنتائج المترتبة على كل منها ، حتى لو لم نستطع الوصول إلى اجابة حاسمة عن أى منها .

● استكشاف أسرار المخ !

فلنأخذ ميدانا آخر سيكون بغير شك من أهم الميادين التى يؤثر فيها العلم على حياتنا خلال القرن القادم ، وهو ميدان البيولوجيا (علم الأحياء) . ففى أيامنا هذه يخطو العلم خطوات أولى ، ولكنها واثقة ومبشرة بانتصارات هائلة ، نحو استكشاف اسرار ذلك العضو الغامض الذى يتحكم تحكما تاما فى وظائفنا الذهنية والنفسية والعصبية والعضوية واعنى به المخ البشرى . وبرغم كل ماحققه العلم فى هذا الميدان من إنجازات فمازلنا ـ باعتراف العلماء أنفسهم ـ فى أول الطريق المؤدى إلى حل الألغاز المحيطة بهذا العضو العجيب . والدلائل كلها تدل على أن أسرارا هائلة ستكشف ، واحدا تلو الآخر فى القرن القادم . وفى الوقت نفسه فإن أكتشاف الشفرة الوراثية فى أواسط هذا القرن قد فتح أبوابا واسعة أمام فرع علمى جديد هو الهندسة الوراثية ، ستكون لكشوفه تأثيرات ثورية فى تخليق أنواع جديدة من الحياة النباتية والحيوانية ، بل والانسانية ، وفى استحداث أساليب جديدة للتكاثر الحيوى (وهى أساليب لايعد « أطفال الأنابيب » سوى المرحلة الأولى والبسيطة منها) بل وفى استنساخ الكائن الحى كاملا أى تخليق نسخة طبق الأصل منه ، عن طريق خلية واحدة من خلاياه .

هذه الكشوف كلها لم يعد تحقيقها الا مسألة وقت ، ولكن جانبها العلمى قد يكون ابسط جوانبها واقلها تعقيدا ، أما جانبها الانسانى والاجتماعى والأخلاقى الذى يقوم فيه التفكير الفلسفى بالدور الحاسم فإن جميع الدلائل تدل على أنه هو الجانب المعقد بحق ، فمنذ اللحظة الراهنة ظهرت مخاوف عميقة من أن تقع هذه القدرات الجبارة فى السيطرة على المخ البشرى ، أو فى إنتاج سلالات بشرية ذات مواصفات إيجابية أو سلبية محددة مقدما ، فى أيدى مؤسسات أو أنظمة تستهدف الربح أو التوسع أو إخضاع العالم لسلطتها . ومنذ الآن اخذ يظهر التعارض بين قيمنا التى صيغت على

اساس الأوضاع الماضية والحاضرة ، وبين الاحتمالات المستقبلية التى ستشكل إنقطاعا خطيرا وحادا عن كل ما كان سائدا من قبل ، والتى تستدعى مراجعة جذرية لكل ما يضبط حياتنا من مبادىء اخلاقية واجتماعية وقانونية وسياسية . ومنذ الأن ظهرت الفجوة الهائلة بين قدرات الانسان على التحكم فى عالمه المادى ، وبين النسق المعنوى الذى ينظم حياته واتضح له ان هناك اختلالا شديدا بين المجالين ، لايعيد إليه التوازن إلا جهد فكرى وفلسفى ضخم يراجع مسلماته ويعيد النظر فى جميع تقويماته . وهكذا ينفتح امام الفلسفة مجال جديد ، وتشكل تلك التطورات المستقبلية الهائلة تحديا ضخما أمام الفكر الفلسفى ، بأوسع معانيه . وكلما تمكن العلم من فتح افق جديدة فى العالم المادى ، إزداد الالحاح على الفلسفة كما تساعدنا على استعادة التوازن المختل واسترجاع التناسق فى رؤية الانسان لعالمه .

وأخيرا فإن الوعى الحاد الذى اصبح يسود العالم باسره فى ربع القرن الاخير ، بالأخطار التى تهدد البيئة الطبيعية على مستوى الكوكب باسره لم يخلق مشكلات علمية وتكنولوجية فحسب ، بل إن الجانب الفلسفى للموضوع كان هو الأشد إلحاحا ، والأكثر حسما . فقد تبين بوضوح ان المشكلة لاتتعلق فقط بالبحث عن اساليب فنية للتخلص من تاثير هذا العادم او ذاك ، او للحفاظ على هذه الأنواع الحية او تلك ، وإنما تتعلق أساسا بالمقومات العامة للحياة البشرية ، التى تكمن من وراء التلويث الخطير للبيئة الطبيعية .

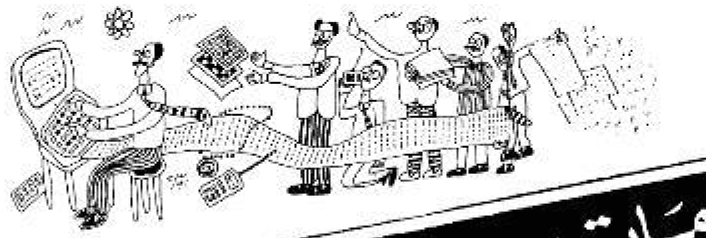
فما الذى ينبغى أن يكون عليه موقف الانسان من الطبيعة ؟ لقد شعر الانسان فى مطلع العصر الحديث بالزهو حين بدأ يسيطر على الطبيعة ، من خلال كشف قوانينها ويسخر قواها لمصلحته وحين قرر أن يقف إزاء الطبيعة موقف السيد من العبد . غير أن الاستنزاف المفرط للطبيعة سرعان ما اثبت له ان التلاعب بها يمكن ان يعود عليه باشد الاضرار . وهكذا بدأ الفكر الفلسفى يعيد النظر فى صيغة « السيطرة على الطبيعة » التى سادت العصر الحديث ، ويستعيض عنها بصيغة « التعاون مع الطبيعة » وهى الصيغة التى يحرص فيها الانسان على احترام الطبيعة والحفاظ عليها ، بقدر مايحرص على تحقيق مطالبه الأساسية من خلالها . ولاجدال فى ان هذه الصيغة تصطدم بتنظيم كامل للحياة يقوم على الاستهلاك المفرط ، والسعى اللانهائى إلى الربح والتوسع فى النشاط الاقتصادى ولن يتقرر مصير هذه المعركة بين مطالب الطبيعة التى توشك على أن تخذلنا وتنقلب علينا ، وبين متطلبات الاقتصاد الاستغلالى التى تتمسك بها اقوى مجتمعات البشر إلا على ارض الفلسفة

ان التحدى الاعظم للفلسفة يأتى من العلم ، ولكن مانقصده بالتحدى فى هذه الحالة ليس المعنى السلبى ، اى تعريض الفلسفة للخطر ، او التهديد بسحب الارض التى ترتكز عليها ، وانما هو المعنى

الايجابى ، اى اثارة المزيد من التساؤلات ، وطرح المزيد من المشكلات ، فى ميادين غير مطروقة ولا مسبوقة ، يعترف التفكير العلمى ذاته بانه يحتاج فيها اشد الاحتياج الى العون الذى يقدمه التفكير الفلسفى ، صحيح ان كثيرا من المشكلات الفلسفية التقليدية لم تعد لها إلا قيمة تاريخية ، وصحيح ان اشكاليات الحاضر والمستقبل مختلفة جذريا عن اشكاليات العصور التى نبعت فيها الفلسفة والتى تركت بصماتها على معظم فترات تاريخها اللاحق ، ولكن ينبغى أن نتذكر ان الفلسفة ليست مضمونا فكريا فحسب ، وانما هى قبل كل شيء منهج ، واذا كان المضمون الفكرى للفلسفة فى حاجة الى تعديلات اساسية كيما يتوامم مع المشكلات الجديدة التى تثيرها الكشوف العلمية والتطورات التكنولوجية فان منهج الفكر الفلسفى بما يتسم به من شمول يتجاوز الجزيئات ، ويبحث عن العلاقات والروابط الكلية بين الظواهر سيظل يمثل احتياجا دائمـا فى صميم العصـر العلمى والتكنولوجى وهو وحده الكفيل باعادة التوازن الينا حين يصدمنا العلم ، فى القرن المقبل بمفاجآته المذهلة .

لقد تركزت جهودنا فى هذا المقال على التحديات التى تواجه الفلسفة من جراء التقدم العلمى والتكنولوجى ، ولابد لنا من ان ننبه القارىء الى ان هناك تحديات اخرى للفلسفة تأتى من ميادين اخرى غير ميدان العلم ، فهناك تحدى اللامعقول الذى يتمثل تارة فى الفوضى والعنف والارهاب وتارة اخرى فى الغياب المتعمد للوعى من خلال الادمان ، اى من خلال ذلك الوباء الذى تختار فيه مجموعات متزايدة من البشر الغاء قواها العقلية والمنطقية عمدا فى سبيل غيبوبة يخيل اليها انها اصبحت الطريق الوحيد الى السعادة او على الاقل الى نسيان الشقاء ، وهناك تحدى التعصب بكل انواعه ولاسيما التعصب الذى شهد فى السنوات الاخيرة صحوة شاملة ، ارتكزت اغلب اتجاهاتها ـ للاسف ـ على موقف ايمانى جامد يرفض المناقشة والحوار الفكرى ، او يقبله ـ على احسن الفروض ـ حتى مدى معين ، ولايلبث بعد ذلك ان ينقلب عليه محتميا بسلطة الايمان ، وهناك ذلك التحدى السياسى العالمى الذى شهدناه فى الاشهر الاخيرة على وجه الخصوص ، والذى بدا انه يهدم ايديولوجيات مستقرة ، ويشكك فى الاسس التى قامت عليها مجتمعات كاملة ، والذى يثير امام الفكر الفلسفى مشكلات هائلة ، على رأسها مشكلة الحرية التى يعاد طرحها فى هذه الايام على اسس مغايرة اكتسبت بفضلها ابعادا جديدة عميقة بقدر ماهى معقدة .

هذه كلها مجالات عظيمة الاهمية بالنسبة الى الانسان المعاصر ، وكلها تثبت احتياجنا الدائم الى الفلسفة وتحتاج من مفكرى هذا العصر الى معالجات غير تقليدية وعلى اية حال ، فسواء اكان الامر يتعلق بالتحدى الاتى من ميدان العلم والتكنولوجيا ـ وهو الميدان الذى ركزنا عليه جهدنا فى هذا المقال ـ ام بالتحديات الاجتماعية والدينية والسياسية الاخـرى فان الشواهد كلها تدل على ان السؤال الذى اتخذناه عنوانا لهذا المقال لا يجاب عنه الا بالنفى القاطع ، ولو شئنا الدقة لقلنا اننا نشهد الان بداية عصر جديد للفلسفة ، تكتسب فيه ابعادا لم تخطر لاقطابها السابقين على بال .



آفاق التسعينات

ثورة المعلومات ومجتمع مابعد الصناعة !

بقلم :
د. أسامة أمين الخولي

منذ بضع سنوات طلع علينا عالم الاجتماع الأمريكي دانيال بيل باصطلاح جديد هو « مجتمع مابعد الصناعة » وكان يعني بهذا تحولا ثوريا في المجتمع الأمريكي أصبحت المعلومات والمعرفة فيه سيدة الموقف ، الأمر الذي أدى إلى ظهور مصطلح « مجتمع المعلومات » وفي رأيه أن المجتمع الصناعي قد حقق مواءمة جهد الإنسان مع إمكانات الآلة لإنتاج منتجاته من سلع وأدوات ، بينما يجري الآن تنظيم مجتمع مابعد الصناعة حول المعرفة من أجل تحقيق السيطرة الاجتماعية وتوجيه الإبداع والتغيير الاجتماعي وكان يرى لهذا التحول الثوري خمسة أوجه هي :

- تحول القطاع الاقتصادي من إنتاج السلع إلى تقديم الخدمات .
- تحول في توزيع العمل بحيث تسود الآن طبقات التكنيين والمهنيين ، لا العمال والفلاحين .
- تحول فكري بموجبه أصبحت المعرفة النظرية لا الخبرة العملية منبع الإبداع ومصدر صياغة السياسات في المجتمع .
- تحول مستقبلي نحو السيطرة على التقانة (التكنولوجيا) والتركيز على تقويم التقانات .
- تحول في صناعة القرار مع نشأة « تقانات فكرية » جديدة .

فمثلا كان بيل يعني بحديثه عن التحول المبدئي في المعرفة النظرية وصناعة القرار ؟ والذي يمثل الفكرة المحورية التي تدور حولها التحولات الثلاثة الأخرى ومن الواضح أن المعرفة كانت دائما ضرورية في كل مجتمع وفي كل العصور ، ولكن بيل يرى تحولا واضحا في الطبيعة المعرفة في مجتمع مابعد الصناعة بحيث أصبح الأمر الحاسم في تنظيم عمليات صنع القرار في المجتمع وتحديد اتجاهات التغيير بموجب هي مركزية المعرفة النظرية ، وسيادة النظرية على الامبيريقية ، وتحول المعرفة إلى رموز مجردة ومفهومات مبدئية يمكن استخدامها بطرق مختلفة في مجالات متنوعة من الخبرة .

بل إنه يرى أن المعرفة النظرية تكتسب بعدا جديدا عند تطبيقها في معالجة المواقف المعقدة ، ومن ثم فإنه يطلق اسم « التقانة الفكرية » على هذا التحول الجديد لأن التقانة قد أصبحت الآن أداة اتخاذ القرارات الرشيدة .

● ثقافة المعلومات

وبعيدا عن هذا التنظير المعقد ، ماهى هذه التقانة التي احدثت كل هذا التغيير وأصبحت أداة اتخاذ القرارات الرشيدة ؟ وكيف ستكون هى أداة تسيير مجتمع مابعد الصناعة فى التخطيط والادارة والسيطرة وإحداث التغيير ؟ .. انها تقانة المعلومات .

ومن العسير تعريف هذه التقانة تعريفا دقيقا وشاملا ، لأنها حديثة العهد لم يتجاوز عمرها بعد سنوات معدودات ، وان كان حشد من الأفكار الجديدة والتحولات الثقافية قد تحالف ليبرز لنا ملامح غير واضحة تماما لهذه التقانة وهذه مهمة مازالت مستمرة ولم تنجز بعد ، إذ أن تقانة المعلومات مازالت تطرح حتى الآن فى أشكال مختلفة وتمر بتحولات فى الجوهر والمغزى . وسنحاول هنا أن نتعرف على شىء من طبيعتها مع التركيز على الجوانب الجوهرية ، والعلاقات الوثيقة بين المعلومات والقيم الانسانية ومايمكن أن تأتى به من تغيرات عميقة فى تنظيم المجتمعات الانسانية .

ويكمن الصعوبة فى وصف تقانة المعلومات ليس تقانيا ، بل هو اجتماعى يتعلق بالمفاهيم . فالانسان قد تميز عن بقية المخلوقات بقدرته على جمع المعلومات وتحليلها وترتيبها وتخزينها ، بشكل أو بآخر واسترجاعها . ولقد تشكل التطور الثقافى ، والتنمية على حد سواء ببروز معارف جديدة نتجت عنها ممارسات جديدة رؤية جديدة للعالم المحيط بالانسان وهذا على وجه التحديد هو دور العلم والتقانة الحاسم فى تطور المجتمعات الانسانية

ويقتضى هذا التركيز على معالجة المعلومات والحديث عن المعرفة الى توضيح بعض المفاهيم . المعرفة تقف على قمة كيان قاعدته المعطيات الثُقل سواء كانت تمثل حقائق أو تصورات للحقائق . وفوق هذه القاعدة يقوم كيان المعلومات ، أى المعطيات مرتبة فى نسق معين لخدمة غرض محدد جرى من أجله جمع المعطيات . والمعلومات تتحول الى معارف عندما يقوم الانسان بتقويمها وإصدار احكامه على مايتوفر لديه من المعلومات وهنا يبرز هذا الدور الجوهرى للانسان فى تحويل المعلومات الى معارف .

● دور هام للمتخصصين

ولنضرب لهذا التمييز بين المعلومات والمعارف بعض الأمثلة أن ميزانية إحدى الشركات وحساب الأرباح والخسائر والتى كثيرا ماتطالعنا فى الصحف لاتمثل معرفة بأحوال الشركة لشخص لايملك الدراية بنظم المحاسبية بينما تعنى الكثير لمن له هذه الدراية وتسمح له بتقويم أحوال الشركة ومدى نجاحها أو فشلها ، فى تدبير شئونها المالية على الأقل ، والبحث العلمى الذى ينشر فى دورية علمية متخصصة ، وهو يمثل معلومات تبحث عن جهد الباحث الكاتب ، لايعنى شيئا لغير المتخصصين فى هذا الفرع من العلوم ، ولكنها تعنى الكثير للمتخصصين وهم قادرون على الاستفادة منها فى أبحاثهم ودراستهم بل أن البطل فى الروايات

البوليسية لايملك من المعلومات أكثر مما يملكه قارىء الرواية ، الا أنه قادر على استخلاص معرفة تحدد الفاعل وتوفر الأدلة الكافية لادانته .

فإذا ماكان الانسان كما رأينا هو الفاعل الاساسي في استخلاص المعارف من المعلومات ، فإن هذا يعني أننا أمام تقانة مختلفة اختلافا جوهريا عن التقانات التي استخدمت حتى الآن في انتاج السلع والمعدات والتي يرى كثيرون انها غير محملة بالقيم .. فالمركبة ذات الدفع الذاتي يمكن أن تكون مدرعة أو حافلة أو حتى سيارة إسعاف . وتقانة الطباعة قد تستخدم في طباعة الكتب المقدسة او أكثر المطبوعات بذاءة وإسفافا .

وشرائط الفيديو قد تكون تعليمية ثقافية مفيدة وقد تكون وسيلة لنشر الاباحية والخلاعة .

أما في تقانة المعلومات فإن التدخل المباشر والمستمر « للعارفين » يعني أنهم يقومون بعملية انتقاء وتقويم للمعلومات تعكس القيم التي يتمثلونها ، اى ان التقانة قد أصبحت بحكم التعريف محملة بالقيم ، فهي الوسيلة التي تستخدم الآن لتشكيل رؤيتنا للعالم من حولنا ؛ ان التركيز الآن لابد أن يكون على تصورات البشر وليس الآلات فهذه الأخيرة تخفي داخلها المعلومات تحت طبقات من المعالجات الذكية داخل نظام المعلومات .

ومرة أخرى قد نطرح مثالا ساذجا يقرب هذا الوجه الخطير لتقانة المعلومات الى الذهن . لم يعد من غير المألوف أن نرى في مكاتب السياحة شاشات تستخدم في حجز الاماكن للسفر بالطائرة وهذه ولاشك وسيلة تقانية مريحة للمسافر وللعاملين في مكتب السياحة ولشركات الطيران على حد سواء إلا أن مشكلة حادة قد نشأت أخيرا لأن نظم المعلومات هذه وعددها محدود جدا يمتلكها عدد محدود جدا بدورهم من كبريات شركات الطيران العالمية نظرا لتكلفتها الباهظة فالنظم الموجودة تعرض المعلومات بصورة تبرز سفريات الشركات صاحبة هذه النظم بصورة تدعو المسافر إلى استخدام رحلاتها على حساب رحلات الشركات الأخرى المشاركة في النظام كما أن هذه النظم لاتتيح للمسافر غير المتمرس فرصة البحث عن بدائل أنسب لأغراضه لأنها تقدم جداول السفر بصورة صماء لاتنبهه الى وجود هذه البدائل وإن كانت لاتقدم له معلومات كاذبة .

وسائل اتصال الكترونية

ولاشك أن القارىء الفطن سيبادر الى القول بأن هذا لايمثل شيئا جديدا في المجتمعات الإنسانية وأن هذه إشكالية نعيشها في كل وسائل الاعلام المقروء والمسموع والمرئي منها وأنها بدورها تشكل رؤيتنا للعالم ودرايتنا بما يجري فيه طبقا لرؤية « العارف » الذي يصوغ المعلومات فيها بالشكل الذي يناسب آراءه ومعتقداته ومن ثم فلا مبرر لأن نتحدث عن مجتمع جديد أو تقانة جديدة ، أو إكسابها هذه الأبعاد الثورية . وهنا يبدأ الحديث عن الحاسبات ووسائل الاتصال الالكترونية والتي هي الوجه المجسد لتقانة المعلومات الحديثة ونحن نعلم أن النماذج الاولى للحاسبات لم يمض على ظهورها نصف قرن بعد وكلنا قد سمع عن الأجيال المتعاقبة منها وعن التقدم الهائل في امكاناتها والانخفاض المتسارع

آفاق التسعينات

ثورة المعلومات ومجتمع ما بعد الصناعة!

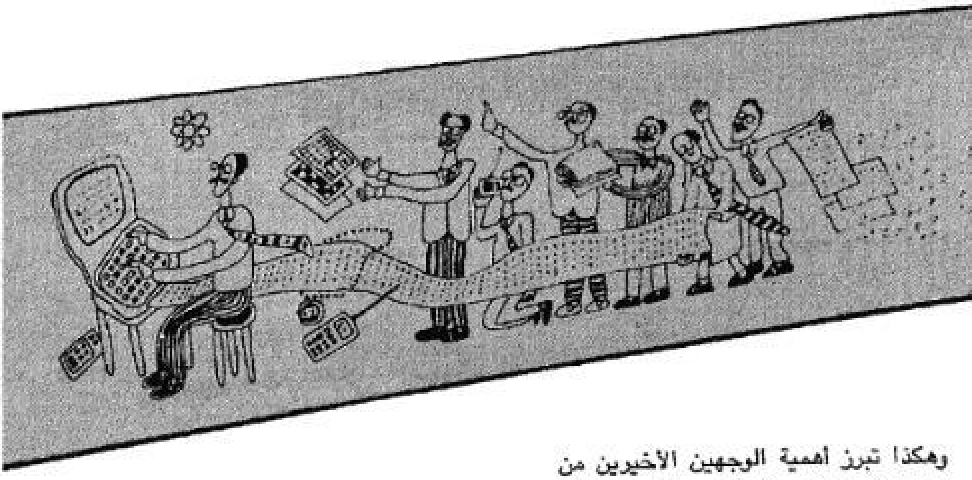
والمستمر في كلفتها . وكلنا يرى مظاهر هذا التقدم والانخفاض في التكلفة في مختلف مرافق حياتنا ويمكننا ان نميز بين مرحلتين في هذا التاريخ القصير لتقانة الحاسب والاتصالات هما مرحلة ماقبل ظهور المعالج الدقيق او الصُغرى Mic-roprocessor في مطلع العقد الماضي والمرحلة التي بدأت باستخدامه على نطاق واسع في الحاسبات أولا ، ثم في عدد يصعب حصره من ادوات حياتنا اليومية كالساعات الرقمية والهواتف الحديثة التي تقوم بمهام متنوعة ومريحة ، أو حتى الغسالة المنزلية ، دع عنك الطائرات وسفن الفضاء وأجهزة التحكم في الات كبيرة معقدة .

ان حاسبا حديثا يقوم اليوم بتنفيذ الملايين بل البلايين من التعليمات في الثانية الواحدة . والحاسبات الشخصية تباع اليوم في أسواق الدول المتقدمة بحوالي ٦٠٠ دولار للمليون عملية في الثانية الواحدة ، ومن ثم انتشارها المذهل في السنوات الأخيرة ولقد انعكس هذا التقدم على نظم الاتصالات بحيث اصبح « سنترال » التليفون الحديث حاسبا كبيرا يعج بالآلاف من المعالجات الدقيقة التي تعمل متتابعة طبقا لبرامج معقدة ، اما الاشارات التي تنقلها وسائل الاتصالات وهي إما أصوات أو كتابات أو رسومات فتنقل بصور إلكترونية خاصة في باطن الارض أو جوف البحار أو عبر أقمار صناعية تطل على الأرض على بعد عشرات الآلاف من الأميال ، ويقتضي هذا تكبير هذه الاشارات من وقت لآخر وتنقيتها من الشوائب التي تلحق بها للمحافظة على سلامتها وقوتها . إن تحقيق الاتصال بين متحدثين في مكانين مختلفين على ظهر الأرض يعتبر بحق من الانجازات الهندسية الرائعة والبالغة التعقيد والالكترونيات الدقيقة هي الأساس الذي يقوم عليه هذا الإنجاز

● أخطار تواجه الدول النامية !

لقد أصبح في مقدور الانسان الآن أن يختزن كميات فلكية من المعلومات من مختلف الأشكال وان يعالجها ايضا بسرعات فلكية وأن ينقلها لآلاف الأميال بسرعات تقارب سرعة الضوء وهنا مكمن الخطر على الدول النامية ، اذ انها ستتعرض بدرجات متزايدة لفيض هائل من المعارف المشكلة خارجها . وستتاح لها هذه المعارف بكلفة زهيدة للغاية ولن يكون لها – على الأقل في المستقبل القريب – دور في تصدير المعارف بل ستظل في موقع المتلقي والمستقبل .

إلا أن اعتبار هذا الخطر مبررا لاتخاذ موقف سلبي من مجتمع المعلومات يكون بدوره خطأ جسيما وحكما صارما على مجتمعنا بالتخلف ومرة أخرى يبرز دور الانسان القادر على امتلاك ناصية القدرة على استخلاص كل ماهو مفيد له ، في حدود رؤيته وقيمه واحتياجاته واستبعاد مايمس مصالحه أو يشوه رؤيته أو يتعارض مع قيمه إن هذا يعني بحكم التعريف مجتمعا مستنيرا ، جسورا يعرف كيف يحدد أهدافه بوضوح وكيف يرسم الطريق لبلوغها وكيف يستغل المعلومات المتاحة له من كل مصدر ويمثل مالم تعرف الانسانية من قبل لتيسير تحقيق أهدافه



وهكذا تبرز أهمية الوجهين الأخيرين من بين الأوجه الخمسة التى عرفه بها دانيال بيل مجتمع مابعد الصناعة أو مجتمع المعلومات ألا وهما السيطرة على التقانة والتركيز على تقويمها ومايقتضيه هذا عن نشأة تقانة فكرية جديدة تعرف كيف تستغل المعارف النظرية التى تتيحها تقانة (ثورة ؟) المعلومات فى حفز الإبداع وصياغة السياسات .

لقد كان النمط التقليدى لتقسيم النشاط الاقتصادى فى المجتمع الصناعى هو تقسيمه الى ثلاثة قطاعات أولها القطاع الاستخراجى (الزراعة والصيد والتعدين) وثانيها الصناعة التحويلية (المنتجات والمعدات والآلات) وثالثها الخدمات (التعليم والصحة والتجارة والمال والسياحة - الخ) وكانت السمة المميزة للدول المصنعة هى أن الغالبية العظمى من قوة العمل فيها موجودة فى القطاع الثانى . اما فى مجتمع المعلومات فقد أصبح القدر الأكبر من قوة العمل الآن فى القطاع الأخير ، الأمر الذى دعا بعض المفكرين الى الدعوة للتسليم بقيام قطاع آخر مستقل هو قطاع المعلومات والذى تمثل قوة العمل فيه فى الولايات المتحدة اليوم - على سبيل المثال - اكثر من نصف قوة العمل الكلية ، بينما يشارك بحوالى نصف القيمة المضافة الكلية لمجمل النشاط الاقتصادى فيها وليس بمستغرب الآن أن تصبح الملكية الفكرية مصدرا هاما للثروة أو أن تقيم لها الأمم المتحدة منظمة خاصة بها - بعد أن كان المال والممتلكات هما الأصل فى الثروة .

وجماع القول أن مجتمع المعلومات تطور حديث فى المجتمع المعاصر يتركز القدر الأكبر من النشاط الاقتصادى فيه فى انتاج المعلومات واستغلالها بدلا من تركيزه فى انتاج السلع المادية ، ويترتب على هذا القول التحول فى نوعية الانتاج ظهور طبقة جديدة سلاحها الفكر قادرة على تحقيق السيطرة الاجتماعية عن طريق التقانة الفكرية التى تحل الآن محل الامبريقية والالهام فى اتخاذ القرارات الحاسمة فى مصير المجتمع .

آفاق التسعينات

العالم الثالث والطريق الى التهميش

بقلم: محمد سيد أحمد

هل العالم الثالث خلال التسعينات ، بسبيله الى « التهميش » ؟ بمعنى انه سوف يصبح على نحو يتعاظم شأنه « هامشيا » و « غير ذى وزن » فى تقرير مصائر عالم الغد ؟

سؤال يطرحه الكثيرون ويستندون فى ذلك الى حجج قوية . منها ما يلى :

● **العنصر الاول** : كان للعالم الثالث « وظيفة » ، حتى بعد ان حققت دوله استقلالها تتلخص فى انها كانت تورد للعالم الصناعى المتقدم المواد الخام فضلا عن كونها قد شكلت - فى مقابل ذلك - سوقا هامة لمنتجات هذا العالم المتقدم الصناعية .. غير ان هذه المعادلة قد اختلت مؤخرا لسببين .

السبب الاول : هو ان التكنولوجيا العصرية بسبيل تخليق مواد مصنعة اكثر كفاءة من المواد الخام التى تستوردها الدول الصناعية من العالم الثالث . وهذه المواد المصنعة تغنى عن الحاجة الى عديد مما يعتمد عليه اقتصاد دول العالم الثالث ، واستقلالها ايضا .

السبب الثانى : هو ان دول العالم الثالث اصبحت فى معظمها مثقلة بالديون « تريليون وثلثمائة بليون دولار فى عام ١٩٨٩ ! » ذلك أن العالم الرأسمالى المتطور قد اقدم على اقراضها بكثرة بعد ان حققت استقلالها السياسى بأمل ان يكون هذا الاقراض الكثيف اداة تكفل استمرار تبعية هذه الدول اقتصاديا .



غابات الامازون تحترق

والآن بلغ الامر حد ان دول العالم الثالث ، فى غالبيتها الساحقة عاجزة عن سداد هذه الديون . بل اصبح الاقراض ينتج مفعولا عكسيا . واصبحت تتجه التدفقات المالية من العالم الفقير الى العالم الغنى ، اى من الجنوب الى الشمال بدلا من أن تتجه من الشمال الى الجنوب ، وفاء بالديون المتراكمة وبفوائدها وخدماتها . ان هذه التدفقات قد بلغت مابين عام ١٩٨٢ وعام ١٩٨٨ فقط ٢٨٠ بليون دولار ، وهى تدفقات تزداد عاما بعد عام ، والفجوة بسببها الى الاتساع ، ولاينتظر تحسن فى قدرة العالم الثالث على الوفاء . كما ان كافة الاقتراحات بخفض الدين او اعادة جدولته ، او التخفيف من عبء خدماته لم تنجح حتى الآن فى الحد من تفاقم المشكلة .

● **العنصر الثانى** : هو الحد من الاهمية الاستراتيجية للعالم الثالث الذى كان يشكل فى المرحلة السابقة ساحة للمواجهة بين الشرق والغرب لاتنطوى على اخطار المواجهة المباشرة ..

وبوصفه ساحة للمواجهة بين اطراف دولية متصارعة ، كان بوسع دول العالم الثالث ان تحقق لنفسها قدرا من حرية الحركة ومن حرية المناورة وكان من ابرز الشواهد على حرية الحركة هذه حركة عدم الانحياز واستثمار دول هذه الحركة اتصالاتها بالكتلتين الدوليتين معا ، مع الامتناع عن الانتماء الى اية منهما ..

غير ان الامر لابد ان يتغير فى ظل المعادلة الدولية الجديدة التى وصفها جورباتشوف بان ظواهر « الاعتماد المتبادل والتداخل والتكامل بين دول العالم جميعا » اصبحت لها الاسبقية على مابين هذه الدول « من اوجه تناقض وعدم تكافؤ » وقد اضحت الاحداث المثيرة فى شرق اوروبا تجسيدا حيا لهذا التداخل ، ومؤشرا عن المدى الذى يمكن ان يصل اليه . ومع هذا التداخل بين الشرق والغرب ، تقلصت المساحة التى كانت متاحة للعالم الثالث كى يباشر فيها ماكان يملكه من حرية حركة .

● **العنصر الثالث** : هو ان التكنولوجيا المعاصرة تغنى عن الحاجة الى قواعد عسكرية ارضية متوطنة فى بلدان العالم الثالث ، خاصة فى مرحلة توصف بانها انتقالية من المواجهة الى التعاون بين الكتلتين الدوليتين ويجرى فيها بالتالى خفض لمستويات التسلح بشكل متوازن وتدريجى .

يضاف الى ذلك ، من الوجهة التكنولوجية البحتة ، ان « القواعد الارضية » قد فقدت الكثير من اهميتها بعد ان برزت للمقدمة الصواريخ

المتوسطة والطويلة المدى التي تنطلق من محطات فضائية او من غواصات تجول البحار والمحيطات اى من خارج نطاق سيادة اية دولة وليس صدفة ان مشاكل تسليح الفضاء الخارجي فضلا عن مشاكل ابرام اتفاق حول القوات البحرية ، هى ابرز العقبات التى مازالت تعوق التقدم فى مجال نزع السلاح . الأمر المؤكد على اى الاحوال ان « القواعد العسكرية » او حتى مايسمى « بالتسهيلات العسكرية » لم تعد كما كانت في الماضى ورقة تفاوض تملك دول العالم الثالث « استثمارها » بفعالية كبيرة .

● ومع ذلك علينا ان ننتبه الى ان تضاؤل اهمية العالم الثالث استراتيجيا لا يعنى تضاؤل حدة الصراعات فيه وليس ذلك فقط بفعل اسباب التصارع الداخلى التى يتعين توقع تفاقمها مع زيادة العالم الثالث « تهميشا » وبالتالى احساسا بالاحباط والضياع ، بل ايضا بفعل عوامل خارجية .

على سبيل المثال : ان التقدم المنتظر احرازه فى عملية نزع السلاح بين الشرق والغرب لن يستتبعه بالضرورة تعميمها لتشمل الجنوب ، بل ربما كان العكس هو الارجح . فكما ان الجنوب اصبح فى احوال كثيرة مستودعا للنفايات النووية ، ليس مستبعدا ان يصبح ايضا مستودعا للاسلحة الفائضة التى تقف عقبات مختلفة فى وجه ازالتها (من ابرز هذه العقبات : الارباح الطائلة التي يحققها منتجو هذه الاسلحة ـ صعوبة تحويل المصانع التى تنتجها الى مصانع مدنية) .

● ثم ان اوجه التفاعل الجارية الآن بين الشرق والغرب سوف تجذب قدرا كبيرا من اهتمام الطرفين ، وايضا من مواردها ، على حساب الجنوب . ولذلك يتعين توقع ان الفوائض المالية الناجمة عن نزع السلاح سوف تخصص للاصلاحات فى الشرق قبل ان تخصص للتنمية فى الجنوب .

وهكذا يتضح ان الجنوب معرض لاوجه « تهميش » متعددة ومن هنا يثور السؤال : ماهو مصير دولة على مشارف قرن جديد ، بل والفية جديدة فى عالم يتجدد تجديدا شاملا ؟

● اشكاليات جديرة بالتأمل

اعتقد بادىء ذى بدء ، ان هناك عددا من الاشكاليات يتعين وضعها فى الاعتبار عند تأمل الواقع العالمى الجديد .

● اولا : لايتسق القول بان العالم اصبح يقوم على الاعتماد المتبادل والتداخل والتكامل دون مانظر الى ما بين دوله من اوجه تناقض وعدم تكافؤ وان يجرى فى الوقت ذاته « تهميش » قطاع من هذا العالم ، خاصة عندما يمثل تعداد هذا القطاع « المهمش » ـ العالم الثالث ـ اكثر من ثلاثة ارباع البشرية ، وهى نسبة تشير كافة المؤشرات الى انها بصدد ان ترتفع مستقبلا .. لايستقيم الحديث عن تداخل واندماج مختلف قطاعات البشرية



جمال عبد الناصر

وعن « تهميش » واستبعاد واسقاط اغلب هذه القطاعات فى وقت واحد ، ان هذا تناقض لابد له من مواجهة .

● **ثانيا** : ان قيام هذا التناقض دون مواجهة ودون علاج ، انما يعنى ان الاعتماد المتبادل والتداخل والتكامل ظواهر ليست بسبيلها ان تتحقق على صعيد كوكبنا ككل ، بل ان المنتظر حدوثه هو احلال التناقض بين الشمال والجنوب محل التناقض بين الشرق والغرب ..

ولأن كوكبنا كل لم يعد يحتمل التجزئة .. إن لم يكن لاسباب ايديولوجية (مقولة جورباتشوف بضرورة تجريد العلاقات الدولية من بعدها الايديولوجى) او لاسباب تكنولوجية (تباين المجتمعات بحكم عدم تكافؤ درجات ومعدلات نموها الاجتماعى والصناعى) فان التجزئة لم تعد تحتمل لاسباب ايكولوجية (التلويث الصناعى لايعرف حدودا سياسية ولاجغرافية) فضلا عن الاسباب العسكرية (الافناء المتبادل الشامل المترتب حتما على نشوب حرب نووية) ولذلك فان استمرار وتفاقم التناقض بين الشمال والجنوب امر يتعذر قبوله فى عالم لايحتمل التجزئة وهذا ايضا تناقض لابد له من مواجهة ومن علاج ..

● **ثالثا** : يترتب على ذلك ان لدول العالم الثالث هى الاخرى اوراقا بوسعها ان تلعبها . فاذا صح ان الشرق والغرب يريدان ممارسة الصراع فيما بينهما بطريقة « حضارية » ولو لمجرد درء الافناء المتبادل فبوسع الجنوب ان يقول ان الصراع لن يتسم بصفة الصراع « الحضارى » الا اذا شمل الجميع . واذا كان احد مقاييس الصراع « الحضارى » هو ان يعترف للخصم ليه بمصالح مشروعة ومعنى ذلك تحاشى اساليب الصراع التى تعرض اصحاب هذه المصالح المشروعة للفناء ، فان هذا ليس واردا بالنسبة للعالم الثالث ذلك ان اطرافا عديدة منتمية إليه معرضه للإفناء على اى الأحوال لأسباب خاصة بظروف العالم الثالث كالجوع والفقر والمرض والتخلف الخ .. حتى اذا ما نجت اطراف الشمال فى تجنيب نفسها وغيرها مغبة الافناء المتبادل .

ولذلك فان الورقة التى تملكها اطراف الجنوب هى ان تقدم على افعال تثبت بها ان خطر الافناء لن يزول الا مع زواله للجميع وثمة شواهد تؤذن منذ الآن بان هناك افعالا كفيلة فعلا بتحقيق هذا الهدف منها على سبيل المثال :

بوسع البرازيل احراق غابات الامازون ، وهذا حق تملكه بوصفها دولة ذات سيادة ، ولكن آثار الحريق لن تقتصر على البرازيل وحدها فان احراق الغابات

كفيل برفع درجات حرارة الجو عملا بما هو معروف علميا « باثر المستنبت الزجاجي » Greenhouse Effect ومعنى ذلك بدوره رفع درجة حرارة المحيطات ، وتعريض الثلوج عند القطبين للذوبان . وهذا كله سوف يحدث آثارا تنال من التوازن الايكولوجي للكوكب كله . ويمثل هذا التهديد تستطيع البرازيل « اثبات » ان العالم الثالث ليس « هامشيا » وانه ليس ممكنا اغفاله و « تهميشه » .

ـ من الممكن تصور تطور لعمليات صنع وتسويق المخدرات بحيث لا يكون المتحكمون في هذه العمليات فقط عصابات على غرار تلك المتوطنة الآن في غابات كولومبيا بل ارهابيون من نوع جديد يستخدمون المخدرات اداة لممارسة كفاح سياسي ضد مجتمعات الاستهلاك والرفاهية . وللمخدرات في هذا الصدد ميزة على كافة اشكال خطف وحجز الرهائن المعروفة حتى الآن ، هي ان مدمن المخدرات رهينة يأتي طواعية وبمحض ارادته !

ـ لايسعنا الا ان نسلم بان محاولات « تهميش » العالم الثالث لابد ان يترتب عليها بروز صور مختلفة داخله من التعصب . ومن محاولة تأكيد الشخصية والهوية ، ذلك ان « التهميش » يحمل ضمن مايحمله من معان ، معنى التتفيه من شان شخصية وهوية مجتمعات هذا العالم الثالث ، ومكانتها في عالم الغد . والتعصب شكل من اشكال تاكيد الذات في وجه تحديات تستهدف اهداره .

ولذلك يتعين توقع ان يتخذ التعصب صورا مختلفة دينية وعرقية وقومية ، الخ .. قاسمها المشترك تأكيد الذات والهوية على نحو او آخر .. كما انه يتعين توقع بروز هذه الحركات في مواجهة مع النظام الدولي الجاري تشكيله ، وعلى نحو يحمل معنى التحدي له . معنى ذلك ان تصاحبها صور مختلفة من الارهاب . وهي ظواهر يرتبط زوالها بزوال الاسباب المفضية اليها .

فهل من سبيل لرأب الصدع ولايجاد حل لهذه الاشكاليات ؟

● مسئولية قيادات العالم الثالث ●

ان العالم الثالث اذن مهدد بانفصام في شخصيته ، بتعاظم الشعور بانه لم يعد سيد مقدراته ، وان الشمال ـ بصورة او اخرى ـ يتلاعب بمصائره ، ذلك من جانب وببروز تيارات من الجانب الآخر تعبر عن رفضه الرضوخ واصراره على التمرد على نظام دولي يعرضه « للتهميش » .

وثمة فرق ملحوظ بين الحركات الشعبية التي انطلقت بقوة في الفترة الاخيرة في شرق اوروبا ، والتي قد تتبعها بعد قليل حركات مماثلة في غرب اوروبا ، وبين الحركات ذات التأييد الشعبي العارم في العالم الثالث ، فان الحركات الاولى تحكمها اتجاهات انفتاحية وتداخلية متطلعة الى اعادة صياغة العالم . بينما تتسم الثانية بالانعزالية والتعصب والرفض .



بوش . وجورباتشوف .. لقاء في مالطا

ولذلك بوسعنا ان نقول انه اذا كان علينا ان نتخيل «مواصفات» لقادة كفيلين باكتساب مركز مرموق على اتساع العالم الثالث والنهوض بدور تاريخي بارز في ظروف وملابسات الحقبة القادمة ، فان هذه «المواصفات» سوف تتمثل - كما اتصور - فيما سوف يظهره هؤلاء القادة من قدرة على التغلب على ظاهرة «تهميش» العالم الثالث .

معنى ذلك انجاز نتائج ملموسة فى التغلب على التناقض بين الشمال والجنوب ، بوصفه ابرز تناقض بات يهدد تكامل وتداخل شعوب كوكبنا .

غير ان التغلب على هذا التناقض يقتضى من هؤلاء القادة احتلال موقع فى المواجهات الدولية ليس هو موقع التبعية للشمال فى وجه الجنوب ، بل موقع الانتماء الى مصالح الجنوب المشروعة فى وجه «شمال» تعقدت صورته .. «شمال» يحجب وضوح الرؤية بشأنه سرعة تغير ملامحه . «شمال» يجرى بالفعل اعادة صياغة العالم ، ولكن دون مشاركة الجنوب ودون مراعاة لتطلعاته .

اننا بحاجة الى قادة على اتساع العالم الثالث من طراز جمال عبدالناصر قادة يتحدون الشمال من موقع الانتماء الى الجنوب .. غير ان مباشرة هذا التحدى فى ملابسات عالم اليوم لاتعنى مباشرته بطريق المواجهة العنيفة العدائية بقدر ماتعنى مباشرته استنادا الى قوة التفاوض التى تمثلها ضمنيا قوى الرفض ، واستنادا الى مقولة ان تجاوز صفتها كقوى رفض انما يتوقف على تجاوز الشمال اتجاهه الى «تهميش» الجنوب .

ان الاشكالية التى تواجه هؤلاء القادة هى ان «يثبتوا» ان النظام الدولى الجديد لن تستقر له بنية اذا ما استمرت العملية الجارية لاعادة صياغة العالم دون مشاركة الجنوب . وايجاد حل لهذه الاشكالية يقتضى رؤية غير ان الرؤية ليست وحدها كفيلة باحداث التغيير المنشود . ذلك ان الرؤية حتى تخلص ، وحتى تكون ممكنة التطبيق انما تقتضى التحلل من إسار التبعية عل شتى الوانها . وهذه قضية اجتماعية قبل ان تكون قضية فكرية .

آفاق التسعينات

الاحتواء المتبادل بين المعسكرين

بقلم: عبد الرحمن شاكر

إذا كانت حقبة الثمانينيات التي انقضت للتو . قد شهدت البريسترويكا ، وآثارها العاصفة في الاتحاد السوفييتي ودول شرقي أوربا .. وإذا كان مظهر التغيرات التي شهدها المعسكر الاشتراكي هو الاقتراب من أوضاع المعسكر الغربي ، من حيث الأخذ بالديمقراطية إلى حد إقرار تعدد الأحزاب ،وتحول بعض الأحزاب الشيوعية إلى أحزاب أشتراكية ديمقراطية ، ومن حيث العمل على إدخال اليات السوق الى الاقتصاد الاشتراكي لبعث الحياة فيه بعد ركود طويل ، ومن اجل اللحاق بانجازات الثورة التكنولوجية التي تحققت في المعسكر الغربي ... فهل يظل ميدان التغيير هو المعسكر الاشتراكي وحده ، بحيث يحتويه المعسكر الراسمالي تماما ويخضعه لأوضاعه ، أو أن طبيعة الأمور أن يكون هذا التداخل التاريخي متبادلا ، وأن يشهد المعسكر الغربي بدوره في ظل هذه الأوضاع الجديدة تغيرات قد لاتقل درامية "وزلزلة" عن تلك التي شهدها المعسكر الشرقي ؟ ويكون ذلك بعضا مما سوف تشهده آفاق التسعينيات التي نستقبلها اليوم ؟!

● توصف الأحداث التي شهدتها دول شرق أوربا في أواخر الثمانينيات بأنها ثورة جديدة ، ثورة من أجل الديمقراطية ، فهل كانت هذه الثورة على الأشتراكية ، أم على الاستبداد وتحكم الأحزاب الشيوعية ، أم على الفساد الذى أستشرى تحت عباءة هذا الاستبداد ؟ .. أم أنها وهذا ما أعتقده ـ كانت جزءا من الثورة العالمية ، وبالاخص ، الثورة الأوروبية(١) ، التي شهد النصف الأول من هذه الحقبة المثيرة ذاتها الفصل الاول منها ، وهو الثورة في مجتمعات غرب



كارل ماركس



لينين

هل يسترد كارل ماركس عرشه من لنين ؟!

أوربا ، مثل بريطانيا والمانيا الغربية وهولندا على أسوأ نظام شهدته البشرية حتى الآن ، وهو نظام انقسام العالم الى معسكرين . يجرى بينهما سباق رهيب حول التسلح ، والتفنن فى أنتاجه ، وتطوير مبتكراته الفتاكة ، وتطويق العالم بعضه بعضا بالصواريخ الذرية البعيدة المدى والقصيرة والمتوسطة ؟ ألم تشهد بريطانيا اقتحام النساء البريطانيات لقواعد الصواريخ الأمريكية الوافدة حديثا اليها لتحول دون تركيبها ، كما شهدت هولندا الانحياز الصريح من جانب الكنيسة البروتستانتية هناك ضد إقامة صواريخ مماثلة على أرض بلادها ، ونشوء حركة "الآى . كى . فى" المعادية لنشر هذه الصواريخ فى حضن تلك الكنيسة ، الى الحد الذى دفع بعض رجال حلف الأطلنطى ، الى أتهام الكنيسة الهولندية بأن عملاء السوفييت يسيطرون عليها ، وهو اتهام لايقل سخفا على اتهام جورباتشوف حاليا بانه اكبر عميل للمخابرات المركزية الامريكية !! وهل نسينا السلاسل البشرية التى شهدتها المانيا الغربية بدورها ، وأشترك فيها الملايين احتجاجا على نشر صواريخ أمريكية مماثلة فى المانيا ، وتحويلها الى ساحة أولى للصدام النووى المرتقب ؟ واضح أن البريسترويكا فى بعض جوانبها ، هى رد فعل طبيعى لتلك الثورة الأوربية الغربية فى حينها ، واستسلام تلك البلدان لخطط نشر الصواريخ الأمريكية على أرضها ، حيث لم يلتقطوا طرف الخيط الذى مدته شعوب غرب أوربا اليهم ، بل ركبوا رءوسهم وأقدموا على غزو أفغانستان ، لكى يثبتوا للعالم كله انهم عازمون على نشر الشيوعية بقوة السلاح ! ولم يفقدوا فى هذه الحماقة ثقة شعوب العالم الغربى الثائرة على سباق التسلح فحسب ، بل ايضا حلفاءهم "الطبيعيين" ـ طبقا لمبادىء الثورة الاشتراكية العالمية ذاتها ـ وهم شعوب العالم الثالث ، وفى طليعتها الشعوب

الاسلامية التى تنتمى اليها افغانستان ، فضلا عن ردود الافعال السيئة داخل الاتحاد السوفييتى بما يضمه من جمهوريات إسلامية ، لاتستسيغ شعوبها أن يذهب أبناؤها لقتل جيران لهم مسلمين كذلك !

بل إن الركود الاقتصادى ذاته ، الذى أطنب جورباتشوف فى وصفه فى كتابه عن البريسترويكا ، لم يكن بعيد الصلة عن سباق التسلح ، الذى كان هو جوهر الحرب الباردة ، التى تحولت جزئيا الى حرب ساخنة : افغانستان فى الاتحاد السوفييتى ليس متورطا فيها بسلاحه فحسب ، بل بجنوده أيضا ، فلا يتم إهدار الطاقات الاقتصادية الجبارة التى يملكها فى صنع السلاح فحسب بل يضيف اليها مصاريف عسكرية يومية باهظة لحرب دامت حوالى عشر سنوات ، ويزيد الأمور ضغثا على إبالة تدهور معنويات شعوبه المتنوعة الجنسية ، التى كان السلام بالنسبة إليها هو أعز أمانيها ، بعد ماعانته من ويلات أكثر من أى شعب آخر فى العالم فى الحرب العالمية الثانية ! كيف يمكن لهؤلاء أن يعملوا بجد أو ينتجوا بهمة كالتى أشار اليها الاستاذ الكبير كمال النجمى فى مقاله فى العدد الماضى فى "الهلال" أيام ستالين ؟! لقد كانوا فى تلك الأيام يدافعون ضد أكبر ترسانة عسكرية فى التاريخ عن "وطن الاشتراكية" أو عن "روسيا المقدسة" سيان ، أما فى حرب افغانستان فى عهد بريجنيف ، فقد كانوا يصمون هذا الوطن العدوان على شعب مجاور صغير ولم تكن حربهم فيها نزهة مسلية ، فقد وجدت أسلحة الطرف الآخر من العالم ، وهى لاتقل تطورا إن لم تزد عن سلاحهم طريقها الى أيدى من يواجهونهم من مقاتلين هناك ، حتى شن عليهم الرئيس الأمريكى السابق ريجان مشروعه "لحرب الكواكب" مجندا كل طاقات بلده وحلفائه فيه سواء كانت عسكرية أم اقتصادية ، أم تكنولوجية ، مستغلا السخط العالمى المتكاثف على السوفييت ، مهددا بأن يدفع الاقتصاد السوفييتى الى ذروة من سباق التسلح بحيث ، ينهار تحت عبء تكاليفها الفلكية المروعة ، وقد أوشك أن يفعل ، ولولا أن هلك بريجنيف أولا ، وأثنان من حلفائه العجزة ، وجاء جيل جديد يتصدره جورباتشوف ، ليحاول الخروج ببلاده بأى ثمن من تلك الهوة السحيقة ، ويواجه حقائق الحياة بجسارة مسئولة ، بما فى ذلك الانسحاب من افغانستان ، والتوقف عن التدخل بالقوات السوفيتية من أى مكان مجاور أو حليف مهما كان ، وترك الشعوب تختار مصائرها أو نظمها بإرادتها الحرة ، بدءا بالشعوب السوفييتية ذاتها .

كانت حماقة بريجنيف ، ومبدؤه فى التدخل للحفاظ على ما يسمى "بالأوضاع الاشتراكية" فى الدول الأخرى ، الذى طبقه من قبل افغانستان ، على تشيكوسلوفاكيا عام ١٩٦٨ ، هى التى ألحقت الهزيمة بالمعسكر الاشتراكى فى الحرب الباردة كما هو ظاهر الأمور حاليا ،



بريجنيف

بل لطخت سمعه اسلافه من مؤسسى الاتحاد السوفييتى ، ليس ستالين فحسب ، بفظائعه المشهورة التى كشف عنها خروشوف فى عام ١٩٥٦ ، بل أيضا اسم "لينين العظيم" مفجر الثورة الاشتراكية فى روسيا عام ١٩١٧ ، ومبداه فى ديكتاتورية البروليتاريا ، الذى يعتبر مسئولا عن كل إساءة لاستخدامه بعد ذلك ، حتى يفكر بعض السوفييت فى إزالة ضريحه من الميدان الأحمر فى موسكو ، الى حيث يرقد ماديا الى جوار أمه وأخته فى مدينة لننجراد ، ويرقد معنويا تحت سور الصين العظيم المتمسكة وحدها تقريبا بمبدئه الى جوار أسلافه من التتر من أول جنكيز خان (وبالمناسبة فإن مولد لينين ونشأته الأولى كانت فى تتاريا على ضفاف الفولجا ، ويبدو أنه من سلالة تترية تم "ترويسها" فى العهد القيصرى)

ولكن الاشتراكية فى نهاية الأمر لم تكن اختراعا روسيا ، بل إن ذروتها الفكرية كانت فى المانيا على يد كارل ماركس وصديقه ورفيق نضاله فردريك انجلز ، وكان من رأى هذين ، وتلامذتهما الذين انتشروا فى كل مكان فى العالم وخاصة اوربا ، أن الموطن الطبيعى لقيام الاشتراكية هو الدول الراسمالية المتقدمة ، وأن التقدم الصناعى هو الذى يخلق الشروط الموضوعية لقيام الاشتراكية ، بحيث تصبح المساواة تقدما حقيقيا فى المجتمع وليس نكوصا به الى الوراء ، واذا كان لينين فى ظروف تاريخية تالية لعهد كارل ماركس ، قد اكتشف أن تحول الراسمالية العالمية الى امبريالية ، قد جعل الثورة الأشتراكية يمكن أن تقدم أولا فى بلد متخلف صناعيا مثل روسيا ، باعتبارها اضعف الحلقات فى سلسلة الامبرالية العالمية ، فإن الذى طبقه فى روسيا فى الواقع ، كان مزيجا من الراسمالية والاشتراكية ، بحيث كان يعود فى أحيان كثيرة الى السماح بحرية السوق ونشاط القطاع الخاص ، كما حدث فى ظل سياسته المسماة "بالسياسة الاقتصادية" الجديدة" وهى السياسة التى يعود اليها جورباتشوف حاليا ويعتبرها مرجعه وهو يعيد آليات السوق الى الاقتصاد السوفييتى لاخراجه من ركوده ويعيد تعويم الروبل الروسى ، ويحاول الحاق اقتصاد بلاده بنظام التجارة العالمى ، سعيا وراء الحصول على مبدعات الثورة التكنولوجية التى تحققت فى الغرب . بل إن الصرامة التى اتسم بها عهد ستالين من أجل تصنيع روسيا ، كان بعض المطلقين يشبهها "بالعصر الحديدى" للنمو الصناعى فى غرب اوربا ويعتبرها استكمالا لمهمة بطرس الأكبر فى تصنيع روسيا . والحاقها بالعالم الراسمالى المتقدم ، تماما كما توصف جهود عبد الناصر لتصنيع مصر ، بطريقة نصف أشتراكية ، متأثرة بالتجربة الروسية ، بأنها كانت استكمالا لجهود محمد على الكبير فى الحاق مصر بالعصر الصناعى .

الماركسية إذن على حالها التى تركها عليها كارل ماركس لم تكن تنطوى على ذلك الذى فعله لينين وخلفاؤه ، بل إن مفهوم كارل ماركس عن "ديكتاتورية البروليتاريا" كان مخالفا لذلك الذى طبقه لينين ، إذ كان يرى أن الجمهورية البرلمانية الديمقراطية ، سوف تكون هى الاطار الطبيعى لحكم الطبقة العاملة تمارس من خلالها ديكتاتوريتها ، أو حكمها كما فعلت الراسمالية من قبل ،

آفاق التسعينات

الاحتواء المتبادل بين المعسكرين

وذلك هو سبب تسميته للاحزاب التى اسسها بالاشتراكية الديمقراطية ، ولاتزال تلك الاحزاب فى غرب أوربا تتمسك بالديمقراطية حتى الآن ، وتعتبر الاشتراكية تكملة لها وسحبا للديمقراطية الى الحياة الاقتصادية ، وليس تدميرا لتلك الديمقراطية فى الحياة السياسية للشعوب ، وإذا كان أتباع لينين قد الحقوا اسمه بالمذهب الماركسى ، فإن ستالين هو الذى فعل ذلك ، وهو الذى صك تعبير "الماركسية اللينينية" علما على الايديولوجية السياسية للاحزاب الشيوعية ، وأشرفت تلك الاحزاب فى ادابها فى استخدام هذا التعبير ، حتى اضطرت بعض الأحزاب الاشتراكية الديمقراطية ، الى إعلان تخليها عن الماركسية ، بعد أن حولها الشيوعيون من أتباع لينين وستالين الى رمز لمعادة الديمقراطية !

والآن ، حيث تعلن بعض الأحزاب الشيوعية تخليها عن ديكتاتورية البروليتاريا ، سواء فى غرب أوربا ، أو شرقها كما حدث أخيرا فى المجر ، وكما ينوى الحزب الشيوعى فى المانيا الشرقية أن يفعل ، فهى تطرح عن كاهلها وعن الماركسية عبء لينين ونظريته ، وكأن كارل ماركس المظلوم تاريخيا ، يسترد عرشه المفقود من لينين !

ونعود الى كارل ماركس ونظريته عن أن البلدان الراسمالية المتقدمة هى الميدان الطبيعى لتحقيق الاشتراكية فمن الواضح حتى الآن أن الاصلاحات الجزئية التى ادخلتها الدول الرأسمالية فى غرب أوربا وامريكا الشمالية ، على أوضاع الطبقات العاملة فيها ، من حيث مستوى الاجور ، والتأمين ضد البطالة ، والتعليم والعلاج المجانى ، سواء كانت هذه الاصلاحات بسبب من ثراء الراسمالية فى تلك البلدان ، وهى التى تملك بالفعل معظم ثروات العالم ، بما فى ذلك ما نهبته ولاتزال تنهبه من المستعمرات وأشباه المستعمرات ، أو نتيجة لخوفها من ثورة عمالها عليها ، أتعاظا بما حدث فى روسيا هذه الاصلاحات قد جعلت عمال وشعوب المعسكر الأشتراكى بمن فيهم شعوب الاتحاد السوفييتى يتطلعون الى مستوى معيشة عمال الغرب ويتمنون أن يتحقق لديهم مثله ، ولو اقتضى الأمر العودة الى الراسمالية ، جزئيا بادخال آليات السوق ، او كليا ، كما يحتمل أن يحدث فى بولندا او المجر ، وكلهم يتطلعون بلهفة الى مساعدات الغرب الاقتصادية ، وبعضهم مدين له بالفعل ، ويتمنون أن تأتى الاستثمارات الغربية بتكنولوجيتها الحديثة الى بلادهم .

إن عبء سباق التسلح لم يقع على شعوب المعسكر الاشتراكى وحدها ، ولم يلحق الضرر باقتصادياتها فحسب بل لقد ادى الى أن يصبح الاقتصاد الأمريكى ، اقوى اقتصاد فى العالم مزعزعا ، من



ريجان

حيث زيادة العجز فى الميزانية الأمريكية بشكل حاد ، واختلال الميزان التجارى بينها وبين اليابان أولا ، والمانيا الغربية ثانيا ، وبحيث بدأ وكأن هاتين الدولتين ، اللتين خسرتا الحرب العالمية الثانية وحرمتا من الانفاق الواسع على التسليح ، هما اللتان كسبتا الحرب الاقتصادية ، حينما انغمست القوتان العظميان ، الاتحاد السوفييتى والولايات المتحدة الأمريكية فى سباق التسلح .

هل تبقى الأوضاع الرأسمالية على حالها ، مع النهاية المرتقبة لسباق التسلح بعد اعلان نهاية الحرب الباردة فى القمة العائمة لبوش وجورباتشوف ؟ إن الدوائر الصناعية الكبرى فى الغرب ، التى انهمكت فى هذا السباق ، وكانت تجنى منه أرباحا فاحشة تضع أيديها على قلوبها اليوم ، خشية أن تتوقف هذه الأرباح حينما تكف الحكومات عن شراء منتجاتها من أسلحة الدمار ، التى توشك أن تصبح سلعا بائرة ، لم يعد هناك من يريدها ، ومعنى ذلك أن تتحرك رءوس الأموال من صناعة السلاح الى الانتاج المدنى ، ومعنى ذلك أن يتزايد هذا الانتاج أضعافا مضاعفة فى الشرق والغرب معا أما فى الشرق فإن ذلك يعنى ارتفاعا مطردا فى مستوى معيشة شعوبه أما الغرب ، فإما أن يتجه هذا الانتاج الضخم الى مزيد من رفع مستوى شعوبه ، بحيث يصبح التفاوت الطبقى على أساس الملكية لامعنى له ، وإما أن يعانى اقتصاد هذه البلاد من الازمات التقليدية التى كان يعرفها الاقتصاد الرأسمالى قديما ، حينما يتكدس الانتاج فى مخازن الرأسماليين ، ويتكدس الفقر والبطالة والجوع فى أكواخ العمال ، بحيث يدفعهم الى الثورة عليه ، كما كان يتوقع كارل ماركس .

إن الدولية الاشتراكية التى تضم الأحزاب الأشتراكية الديمقراطية وتتخذ مقرها فى المانيا "الغربية" التى توشك أن تتحد مع "شرقها" الثائر ، تحاول أن تمسك بزمام الأمور ، وتعيد التوازن الى العالم الجديد ، الذى يوشك أن يتشكل من أحداث شرق أوربا ، ورد فعله المرتقب فى الغرب ، على النحو المشار اليه ، وتدعو الى سياسة تقوم على الاصلاح الاشتراكى المنظم الخطوات ، بل تنصح المتلهفين على الاصلاح الليبرالى فى شرق أوربا ، بالتريث فى اندفاعهم نحو الليبرالية من الناحية الاقتصادية ، حيث أنهم سوف يكتشفون قريبا أنهم بحاجة الى المحافظة على كثير من أوضاعهم فى الضمانات الاشتراكية ضد التسيب الرأسمالى والاستغلال ، وأهم من ذلك أن الاشتراكية الدولية تشير الى الدول النامية باعتبارها المسرب المعقول لرءوس الاموال والتكنولوجيا المتراكمة فى الغرب الرأسمالى بدلا من أن تغص الدول المتقدمة بفائض انتاجها بينما تكاد الدول النامية تهلك تحت وطأة الديون ، فهل يتاح لهؤلاء العقلاء من الاشتراكيين الديمقراطيين ان يستمع اليهم العالم الجديد فى التسعينيات ؟!

---

(١) انظر مقالى "الثورة الأوربية الجديدة فى مواجهة نظام المعسكرين" الهلال عدد اغسطس ١٩٨٤ .

آفاق التسعينات

أحداث أوربا الشرقية ومستقبل العالم الثالث

بقلم : د . جلال أمين

عسى ان يكون ماحدث ، ومازال يحدث فى الاتحاد السوفييتى وبقية اوربا الشرقية ، وماترتب عليه من آثار على نطاق العالم باسره ، درسا اخيرا لأولئك الذين كانوا يصرون على تفسير مايحدث فى بلادنا وكانه نابع فى الاساس من عوامل داخلية ، ويظنون ان مايحدث فى مصر والبلاد العربية من تطورات وتحولات هامة فى السياسة الاقتصادية او الخارجية ، تحكمه فى الاساس شخصية الزعيم وميوله ومبادؤه ، او المنافسة على الزعامة بين بلد عربى واخر ، او نتيجة تناقضات طبقية داخل البلد العربى .. الخ

ان ماحدث ولازال يحدث فى العالم ، وفى منطقتنا العربية بمجرد ان اتفقت الدولتان الكبريان ، يبين بوضوح مذهل الى اى حد يخضع تطورنا لما يحدث خارج حدودنا ، وعلى الأخص للتغيرات التى تطرا على العلاقات بين الدول الكبرى ، وعلى طبيعة المصالح التى تحكم هذه العلاقات . من المستحيل مثلا الا نرى العلاقة بين ماحدث من تقارب بين القوتين الكبريين وبين توقف الحرب العراقية الايرانية وبوادر نهاية المأساة اللبنانية وتباشير الحل لقضية فلسطين والتقارب المصرى الليبى والتحرك نحو الاندماج بين اليمن الشمالى واليمن الجنوبى .. الخ .

● ان هذا الارتباط الوثيق بين تطورات العلاقات الدولية وتطورات المنطقة العربية ليس ظاهرة جديدة بالطبع لقد كان الامر كذلك منذ بدا العالم العربى يتصل بالغرب الحديث بقدوم حملة نابليون الى مصر فمنذ ذلك الوقت ، كانت التغيرات الحاسمة فى تاريخ مصر والمنطقة العربية راجعة فى الاساس الى

مايطرأ من تغيرات على مصالح الدول الكبرى وعلاقاتها . والان تهب رياح جديدة تماما على اوربا وتعلن القوتان العظميان انهاء فترة طويلة وقاسية من الحرب الباردة ، وتنفتح دول اوربا الشرقية فجأة ، واحدة بعد الاخرى ، على العالم الغربى ، وتعلن رغبتها فى الاندماج فى النظام الاقتصادى العالمى . فما هو افضل تشخيص لهذا الذى يحدث ؟ وماهى الاثار المحتملة له على العالم الثالث فى التسعينات ؟



مبارك .. والقذافى .. لقاء مجدد

● تشخيص ماحدث

انى لا اجد تشخيصا لما يحدث فى اوربا الشرقية اليوم ، من انفتاح على النظام الرأسمالى الغربى افضل من التشخيص التالى لمفكرين الماتيين مرموقين ، كانا فى الواقع اول من حاول القيام بهذا التشخيص ، ولهذا فانى اترجمه للقارىء برمته :

« ان الحاجة الى توسيع نطاق السوق ، اكثر فاكثر تدفع الرأسمالية الى المزيد ثم المزيد من التوسع ، حتى تغطى بجناحيها سطح الكرة الارضية باسرها ؛ انها مدفوعة الى ان تبنى لنفسها عشا فى كل مكان ، ان تتوطن فى كل مكان وان تؤسس لنفسها علاقات فى كل مكان ، انها باستغلالها سوق العالم بأسره تطبع الانتاج والاستهلاك فى كل دولة بطابع العالمية وتقضى على الطابع القومى لاية صناعة وهو الامر الذى يثير اسف اولئك المولعين بالتمسك بالقديم ، وهى تحطم كل الصناعات القديمة ، او تقضى عليها يوما بعد يوم وتحل محلها صناعات جديدة يصبح الاخذ بها مسألة حياة او موت فى نظر جميع الامم المتحضرة ، وهى صناعات لاتعتمد ، كما كانت تعتمد الصناعات القديمة ، على استخدام المواد الاولية المتوفرة فى نفس الدولة التى تقوم فيها هذه الصناعات ، بل تستخدم مواد اولية تحصل عليها من اقصى اطراف الكرة الارضية ، ويجرى استهلاك منتجاتها ليس فقط فى داخل الدولة التى تقوم بانتاجها بل فى كل ركن من اركان المعمورة . فاذا بالحاجات الاستهلاكية القديمة ، التى كانت تلبيها الصناعة الوطنية ، تحل محلها حاجات جديدة تقوم بتلبيتها منتجات اقاليم بعيدة ، ذات مناخ مختلف اشد الاختلاف ، واذا بالعزلة التى كانت تعيش فيها امة من الامم ، مكتفية بذاتها ، تحل محلها علاقات جديدة فى كل اتجاه ، واعتماد متبادل بين الامم ، ويحدث هذا ليس فقط فى ميدان الانتاج المادى ، بل وايضا فى الانتاج الفكرى والثقافى فاذا بالانتاج الفكرى لامة من الامم يصبح ملكا شائعا لكافة الامم ، واذا

آفاق التسعينات

أحداث أوربا الشرقية ومستقبل العالم الثالث

بضيق الافق الذى كانت تتسم به النظرة القومية ، يصبح استمراره مستحيلا ، وينمو فى مكانه ادب وثقافة عالميان .

ان الراسمالية عن طريق ماتحققه من نمو سريع فى اساليب الانتاج وماتوفره من سهولة فائقة فى وسائل الاتصال تضم الى عداد الامم المتحضرة اكثر امم العالم بدائية ، واذا بمنتجاتها الرخيصة تصبح بمثابة المدفعية الثقيلة التى تدك بها الرأسمالية جميع الاسوار ، ولو كانت كسور الصين العظيم وتجبر الشعوب البدائية على التخلى عن عنادها وكراهيتها لكل ماهو اجنبى انها تضع جميع الامم امام الاختيار الاتى : اما ان تتبنى اساليب الانتاج الرأسمالية او تنقرض ، وتجبرها على تبنى ماتسميه الراسمالية « بالحضارة » اى ان تتحول كل منها الى الرأسمالية ، او بكلمة واحدة ان الراسمالية تعيد تشكيل العالم كله حتى يصبح صورة لها .. ان الرأسمالية تماما كما انها جعلت الريف يعتمد على المدينة جعلت الامم البدائية وشبه البدائية تعتمد على الامم المتحضرة ، وجعلت الامم المكونة من فلاحين ، تعتمد على الامم الرأسمالية ، وجعلت الشرق كله يعتمد على الغرب »

هذه الفقرات التى قمت بترجمتها حرفيا ليست من كتاب او مقال حديث يعلق فيه الكاتب على ماحدث اخيرا فى الاتحاد السوفييتى ودول اوربا الشرقية الاخرى ، بل ليست الا صفحة من الصفحات الاولى من « البيان الشيوعى » الذى كتبه ماركس وانجلز فى ١٨٤٨ اى منذ نحو قرن ونصف من الزمان . الا يجوز لنا القول ، بعد ان نقرأ هذه الفقرات ان ماركس ، وليس لينين ، هو الذى كان على صواب ؟ ان الاشتراكية لاتأتى الا لدولة بلغت فيها الرأسمالية مرحلة متقدمة للغاية ، والذى حدث لروسيا فى ١٩١٧ ، لم يكن ثورة اشتراكية ، بالمعنى الذى تصوره ماركس بل كانت ثورة دولة تريد اللحاق بدول الغرب الرأسمالية فى اقصر وقت ممكن ، ولم يكن هذا ممكنا الا بتدخل شامل من جانب الدول فى مختلف نواحى الحياة ، وملكية عامة شاملة لجميع وسائل الانتاج والان ، وقد حقق هذا النظام الغرض منه ، بان اصبح الاتحاد السوفييتى قوة صناعية عظمى اصبح من الضرورى ان يتبنى الاتحاد السوفييتى كثيرا من ملامح النظام الرأسمالى كما تطبقه دولة راسمالية متقدمة . اما الاشتراكية ، كما كان يتصورها ماركس فهى لاتزال حلما بعيدا عن التطبيق .

مؤتمر الوفاق اللبنانى



● هل الانتعاش فى اوربا كساد للعالم الثالث ؟

انى لا اتفق تماما مع القائلين بان مايحدث فى الاتحاد السوفييتى واوربا الشرقية سوف يضر بالضرورة بدول العالم الثالث ، لقد تكرر القول بان هذا الذى حدث فى اوربا الشرقية سوف يفتح افاقا لانهائية امام سلع واستثمارات ومعونات الدول الغربية فاذا بدول اوربا الغربية والولايات المتحدة تتجه بانظارها شرقا ، لاستغلال هذه الفرص الهائلة الجديدة : اسواق بالغة الاتساع وشديدة التعطش لمنتجات الغرب الاستهلاكية والانتاجية وفرص رائعة للاستثمار الأجنبى تتيحه هذه السوق نفسها ، بالاضافة الى قوة عاملة ماهرة وشديدة الانضباط واستغلال كل هذا يتطلب على الاقل فى المراحل الاولى تقديم كميات هائلة من المساعدات فى شكل قروض أو منح لدول اوربا الشرقية .. كل هذا لا شك فى صحته ، كما انه لاشك فى ان امكانات دول اوربا الغربية والولايات المتحدة ، وامكانات المؤسسات الدولية كالبنك الدولى وصندوق النقد الدولى ، ومنظمات الامم المتحدة المختلفة ، هى امكانات محدودة مهما كانت ضخامتها . ويترتب على ذلك ان ماسوف يذهب لاوربا الشرقية لابد ان يكون على حساب العالم الثالث .. لاشك ان فى كل هذا الكثير من الصحة ، ولكننا يجب الا نبالغ فى هذه النظرة الميكانيكية والجامدة للامور ، صحيح ان الامكانات المادية محدودة ، ولكن ليس صحيحا ، مع ذلك ان النفع العائد على جزء معين من اجزاء الاقتصاد العالمى لابد ان يعنى خسارة لجزء اخر . ان الاقتصاد العالمى قد اصبح ، اكثر منه فى اى وقت مضى كيانا واحدا ترتبط اجزاؤه ارتباطا عضويا كارتباط اعضاء جسم الانسان بعضها ببعض ، الخلل فى احدها يصيب اجزاء اخرى بالخلل ، كما ان استعادة جزء منها لسلامته يزيد من فرص الشفاء لبقية الاجزاء . ان الانتعاش الاقتصادى فى اوربا الشرقية . الذى لابد ان يترتب على انفتاحها على العالم الغربى سوف يؤدى بدوره الى استعادة العالم الغربى لمعدلات النمو المرتفعة التى عرفها فى الخمسينات والستينات ، والانتعاش فى كليهما لابد ان يعطى دفعة قوية لمعظم بلاد العالم الثالث ، عن طريق عودة التجارة الدولية الى النمو بمعدل مرتفع وزيادة تدفق رءوس الاموال الى الدول الاقل نموا . لا احد ينكر مثلا ان تدفق المساعدات الامريكية على دول اوربا الغربية فى اعقاب الحرب العالمية الثانية ، فى اطار ماسمى بمشروع مارشال والذى ساهم فى الاسراع باستعادة هذه الدول لما حطمته الحرب ، قد ادى ايضا بالاسراع برفع معدلات تدفق المساعدات الاقتصادية على دول العالم الثالث ، خاصة بعد منتصف الخمسينات ورفع معدلات نمو الطلب على صادرات هذه الدول .

● تكامل الشمال يؤدى إلى تكامل الجنوب

صحيح انه قد يؤدى التقارب بين شرق اوربا وغربها ، وزيادة التعاون بين الكتلتين الشرقية والغربية ، فى المراحل الاولى ، الى تقلص حجم التجارة والاستثمارات والمعونات بين الشمال

والجنوب ولكن هذا الاثر السلبى سوف يميل الى الزوال فى المدى الطويل . فاذا حدث هذا التقلص بالفعل فى المراحل الاولى فقد تجد دول الجنوب نفسها مضطرة الى مزيد من التقارب والتكامل فيما بينها ، فقد تجد مصر نفسها مجبرة على مزيد من التجارة مع الهند مثلا او تركيا لتعويض ماقد تفقده كل من هذه البلاد الثلاث من تجارة مع الدول الصناعية المتقدمة اذا صح هذا فانه ربما ينطبق بدرجة اكبر على العلاقات الاقتصادية فيما بين الدول العربية ، فتنمو التجارة فيما بينها ويرتفع معدل تدفق رءوس الاموال والعمالة بين بلد عربى وآخر .

● هجرة العمالة من الجنوب الى الشمال

يمكن ان نتوقع ايضا ان ماسوف يحدث من انتعاش لكل من شرق اوربا وغربها ، لابد ان يسبب عاجلا أو آجلا ، ندرة فى انواع معينة من العمل وارتفاعا شديدا فى مستوى الاجور ، على النحو الذى عرفته اوربا الغربية والولايات المتحدة فى الستينات ، قد يكون من الممكن فى البداية تجنب ذلك طالما وجد فائض من العمالة المدربة والماهرة فى اوربا الشرقية التى سوف يتجه جزء منها الى غرب اوربا ، اوتستوعبه الاستثمارات الاجنبية الجديدة فى شرق اوربا ، ولكن مع استمرار الارتفاع فى معدلات النمو ، لابد ان تظهر اختناقات فى سوق العمل قد تؤدى الى عودة الهجرة من بعض دول العالم الثالث الى العالم المتقدم الى سابق عهدها فى الستينات بل وقد تشهد ظاهرة العمالة المهاجرة التى تحل محل عمالة مهاجرة على النحو الذى عرفناه فى البلاد العربية مثلا فى السبعينات من حلول العمال المصريين محل العمال الاردنيين الذين هاجروا للعمل فى دول الخليج فقد تشهد هجرة للعمالة الماهرة من مصر مثلا او الجزائر الى بعض دول اوربا الشرقية لتحل فيها محل بعض عمالها الذين هاجروا للعمل فى اوربا الغربية .

انجلز



ماركس



● الإنفاق على السلاح

اضف الى ذلك ، ماسوف يترتب على زوال التوتر من علاقات الشرق بالغرب ، بل وترتب عليه بالفعل ، من تخفيض الانفاق على السلاح فى كلا المعسكرين ، مما يوفر اموالا طائلة يمكن ان يتحول جزء منها الى دول العالم الثالث فى صورة مساعدات او استثمارات . لقد انخفضت

بالفعل نسبة ماتنفقه دول حلف الاطلنطى على السلاح الى اجمالى ناتجها القومى من ٢ر٥٪ سنة ١٩٨٥ الى ٥ر٤٪ فى ١٩٨٨ ويقدر بعض الباحثين الامريكيين ان انفاق الولايات المتحدة على السلاح سوف ينخفض نتيجة التحسن فى العلاقات مع الكتلة الشرقية بنحو السدس خلال الخمس سنوات القادمة (من ٣٠٠ بليون دولار الان الى ٢٥٠ بليونا فى ١٩٩٤) اى توفير نحو ٥٠ بليون دولار سنويا وانه اذا استمر هذا التحسن فانه قد ينخفض الانفاق الامريكى على السلاح بنحو النصف وهو مايعنى توفير ١٥٠ بليون دولار سنوياً

الاهم من ذلك من حيث تاثيره على دول العالم الثالث مالابد ان يؤدى اليه التحسن فى علاقات الشرق بالغرب من تخفيض انفاق الدول النامية نفسها على السلاح فاذا كان صحيحا مايتوقعه المراقبون من ان هذا التحسن سوف يؤدى بل بدأ يؤدى بالفعل الى وضع حد لتلك الحروب التى تقوم بها دول العالم الثالث ، بالنيابة ، عن القوتين العظميين ، اى التى تقوم بين دولتين من دول العالم الثالث لابسبب عداوة حقيقية بينهما ، ولكن بسبب تنافس بين القوتين العظميين على منطقة للنفوذ ، او لا لسبب على الاطلاق الا خلق سوق للاسلحة التى تنتجها هاتان القوتان فلابد ان ينخفض انفاق دول العالم الثالث على السلاح ، الامر الذى سوف يرفع عن كاهلها عبئا ثقيلا لم يكن يفيد منه الا بائعو الاسلحة لقد تورطت مصر فى ديون عسكرية ثقيلة تتجاوز العشرة بلايين من الدولارات (اى نحو ٢٠٪ من اجمالى ديون مصر الخارجية) فى وقت كانت ترفع فيها شعار السلام وتقول فيها ان حرب ١٩٧٣ هى اخر الحروب .. ولايزال ميزان المدفوعات المصرى يئن تحت وطأة خدمة هذه الديون التى تتجاوز فوائدها السنوية ١٢٪ وتحاول مصر المستحيل من اجل الهرب من السيف المسلط عليها بان تقطع عنها المعونات الغذائية اذا توقفت عن دفع هذه الفوائد الا يجوز لنا ان نامل ان نكون على ابواب مرحلة جديدة لايفرض فيها على مصر فرضا ان تقترض لشراء


اوربا الشرقية المظاهرات تبض التغير

المزيد من الاسلحة باثمان واسعار فائدة باهظة لمجرد ان تزيد ارباح بائعى السلاح .

آفاق التسعينات

إعادة البناء

بقلم : د . محمود مرتضى

مع اقترابنا من نهاية القرن العشرين ، يحفل عالم الاشتراكية بأحداث خطيرة وتطورات هامة ، تبشر جميعها ببداية عصر جديد ترتفع فيه قيمة الانسان ، وتتأكد حقوقه فى المشاركة الديمقراطية .

ولعل الصيرورة الدرامية لعملية اعادة البناء التى تجرى على قدم وساق فى الاتحاد السوفييتى ، وفى سائر دول أوروبا الشرقية ، قد تمخضت عن دعوة يومية للكشف العميق عن جوهر التغيرات السياسية فى المجتمع الاشتراكى .

فاذا كان تاريخ البشرية وتطورها ، لايقاس فقط بمئات وآلاف السنين ، بل بالتطورات الاجتماعية واسعة النطاق ، وبالتحولات الثورية فى حياة المجتمع فى المقام الأول ، فان مايجرى فى الآونة الراهنة ، داخل قسم واسع من كوكبنا الأرضى ، من تقلصات وانتفاضات وتبدلات ، انما يسجل بداية زمن جديد يشهد على انتصار الانسان فى معركة الوجود والارتقاء .

إن نجاح المجتمع فى التخلص من القديم والجامد ، وفى تحرير مايكمن فى الجديد من قدرات ، إنما هو الضمان الوحيد لاكتسابه دينامية وأفقا لحركة متقدمة . بل أن تاريخ الحضارة العالمية ، هو انعكاس للعملية التى يتشكل بها الكائن الاجتماعى ، ويتطور فى تفاعل مع الطبيعة

وعليه فان النقطة المركزية على جدول أعمال مهمة اعادة البناء الثورية ، هى اشاعة الديمقراطية فى الحياة الاجتماعية ، بغرض محاربة الاغتراب الاجتماعى ، ووقف أية امكانية لسوء استخدام السلطة . ذلك أن السلطة ـ خاصة فى ظل الاشتراكية ـ يجب أن تعزز الطاقات الاقتصادية والسياسية والثقافية للمجتمع كي تؤمن توجهه الانسانى ، وفى سياق البريسترويكا يعاد صياغة العلاقات الاجتماعية ، حتى يصبح الانسان ومصالحه الحيوية هو معيار كل شىء .

لقد احتفظت الاشتراكية العلمية على الدوام بتوجه انسانى ، وقد ورثت وطورت الاتجاهات الانسانية للفلسفات السابقة عليها ، وأوضحت الطريق لتحقيق مثل

والتوجه إلى الانسان

البشرية العليا فى تحرير الانسان ، وفى بناء مجتمع ملائم للأحرار . ولكن لسوء الحظ ، فقد كبت هذا الجانب من الفلسفة الماركسية ودفع به الى التخلف لوقت طويل . وفى الوقت الذى سارت فيه الممارسة الاجتماعية جنبا الى جنب ، مع شعارات الاهتمام بالبشر فى بعض المراحل ، فقد ارتكزت فى العادة الى نظرة ضيقة الى الانسان ، كعنصر من عناصر الانتاج ، وكانت هذه صرخة بعيدة عن المصالح الحقيقية لجماهير العاملين ، وفشلت فى رفع مستوى الفرد ودفع تطوره الشامل ونشاطه الخلاق .

تفرض ضرورات العالم الحديث ، ان تستعاد بشكل كامل المثل العليا الانسانية للاشتراكية ، وهذا مايمليه المنطق الموضوعى للتقدم الاجتماعى والتكنولوجى ، وكلاهما يمكن دفعه الى الأمام فقط ، اذا مأشن المجتمع الاشتراكى حملة ضد الموقف التكنوقراطى من البشر ، ومن أجل احترام حقوقهم وكرامتهم .

ان الفكرة القائلة بأن الفلسفة ترتبط بالعالم الواقعى ، انما يعكسها ويترجم معناها ، أن فترة الركود فى حياة المجتمع الاشتراكى الاجتماعية ، كان يصاحبها بالمثل فلسفة جامدة للركود ومن المفارقة أن الجدل المادى ، الذى اعتبره ماركس وانجلز ولينين ، كأداة للتحويل الثورى والنقدى للمجتمع اتخذ دور التبرير للأشياء البعيدة عن الكمال ، وتوفير مبرر لها ، ولم يستخدم على العكس لحل التناقضات فى المجتمع بمثل ماأستخدم لتغطيتها .

● الكائن ذو البعد الواحد

والفلسفة ذات النزعة الانسانية التى تنطوى عليها عملية اعادة البناء ، هى انتقال لحالة جديدة نوعيا للمجتمع ، ولصورة انسانية وديمقراطية طبيعية للاشتراكية وهذا هو معناها وغرضها العميق لمرحلة تأخرت فى التطور الاجتماعى . انها طريقة تكشف بوضوح





اعـــادة الـبـنـاء والتوجه إلى الانسان

ليس نقلا عن مهام القيادة فى العمل النظرى والعملى ، وانما عن مهمة التغلب على ماتبقى من النظام البيروقراطى للادارة بالاوامر الذى اتجه الى قمع واهمال وحتى تدمير البشر ، وهجر النظريات التى احتاجت أن توفر تحليلا للسلبيا لمثل هذه الحالة من الأمور .

ان اعادة البناء والتجديد ، يركزان الاهتمام على الفرد ، والفلسفة يجب أن تعكس حقيقة أن المجتمع لم يعد يحتاج الى كائن ، ذى بعد واحد ، أو الى شخص اجتماعى ما ، وانما الى فرد حر ذى عقلية انتقادية ، لديه احساس بالمسئولية ومتمتع بقدرة على الابتكار والجسارة .

ان الفرد والمجتمع ، المواطن والدولة ، الانسان والجماعة ، كل هؤلاء



هم واجهات مختلفة لمشكلة واحدة . والواجب فلسفة النزعة الانسانية حلا اشتراكيا لهذه المشكلة ، حلا يكون مزيجا عضويا من عناصر الجماعية والفردية .

ويواجه المجتمع الاشتراكى الآن بشكل خاص مهمة اقرار صياغة لمشكلة التجانس الاجتماعى لوحدة المجتمع والفرد ، إن التجانس ليس انسحاقا ماديا ، كما انه ليس التسوية بين الناس والأفكار . فى الوقت الذى يتعين فيه على المجتمع الاشتراكى المساعدة على التعبير عن الفردية الى اقصى حد ، فى العمل وفى الابتكار ، وفى الابداع ، على اساس المشاركة ، فمن الضرورى كذلك أن يؤيد بقوة النشاط المستقل للمنظمات العامة التى تعبر عن تنوع مصالح واحتياجات وقدرات الشعب ، أى ممارسة سياسة واعية تهدف الى تشجيع المبادرة والتنافس الفكرى والمواهب ، وبدون هذا لايمكن

تصور التقدم ولا حتى طريقة الحياة الاشتراكية نفسها .

● المزيج من الثورة والديمقراطية

ان الترابط الوثيق بين الثورة والديمقراطية فى عصرنا جلى العيان ، لهذان المفهومان متقاربان ، وهما يحتاجان لرؤية طاقاتهما الى تطوير العالم المعاصر . والحقائق الجديدة تحتاج الى معارضة جديدة لفرض أشكالا مناسبة من التفكير ، كما يتطلب الأمر ، اعادة إمعان الفكر جذريا فى التجربة التاريخية بصورة انتقادية . فالحديث ينبغى أن يدور اليوم ، ليس حول التقليل من أهمية المنجزات بل حول التغلب على الآراء المتلاشية الجامدة والخمول العظيم فى التفكير الذى يعرقل الابداع . ويبدو أن الأمر يتطلب

مزية القرن الحادى والعشرين ، ذلك المزيج من الثورة والديمقراطية ، الذى بامكانه ازالة الفوارق الاجتماعية والاقتصادية ورفع مستوى ثقافة الناس ، وحماية البيئة المحيطة وتوظيف منجزات العلم فى خدمة الانسان ، ويمنح الجماهير الشعبية حقا كاملا فى المشاركة فى اتخاذ القرارات السياسية والاقتصادية المهمة .

ان الديمقراطية المستوعبة على هذا النطاق الواسع اعلى من الحرية . فهى « ثورة تكاملية » تتصل بتأثيرها التحويلى فى آن واحد الاقتصاد والسياسة والأخلاق والايديولوجيا وغيرها من المجالات الاجتماعية ، ويصير الحديث الآن جار القول حول ثورة المشاركة الديمقراطية وسلطة الشعب فى كل مستويات المجتمع ويدل نظام جديد لتنظيمه وبدون ذلك فان التحولات الاجتماعية والاقتصادية لن تقدم كل مردودها ، لن الوضع المتأزم أو يضع ماقبل الأزمة فى المجتمعات التى سلكت طريق التطور الاشتراكى منذ عقود أظهر الضرورة الملحة لاشاعة الديمقراطية ، واذا لم تتحقق الديمقراطية فان الاشتراكية تبقى حبرا على ورق .

ان البشرية فى طريقها العظيم الى المستقبل ، تخلق نمطا جديدا من الحضارة نمطا يتفق تماما مع قوى الانسان الجوهرية ، وهو وحده الجدير به . وتعنى هذه الحضارة فجر حقبة يمتلك فيها الانسان ، كما يقتضيا ماركس ، جوهره الشامل ، بطريقة شاملة كانسان متكامل . كما يتأكد من خلالها قول الفيلسوف الاغريقى القديم « بروتاجوس » ان الانسان هو مقياس كل الأشياء .

آفاق التسعينات

هل انتهت الحرب الباردة بين الشرق والغرب ؟!

بقلم : د. السيد أمين شلبى

□ وكانت القضية الرئيسية عام ١٩٨٨ هى واقع ومستقبل القوة الأمريكية . وتساءلت عما اذا كانت الولايات المتحدة تتجه الى نفس الطريق الذى سلكته قوى عظمى سابقة نحو الانهيار . وهل ذلك بفعل الضعف النسبى لقاعدتها الاقتصادية والانتاجية والتكنولوجية ، مقارنة بقوى أخرى ؟ او الانفاق المبالغ فيه على التسلح وعلى الاستهلاك . اما قضية عام ١٩٨٩ فقد ناقشت وبشرت بانتهاء عدد من الظواهر والاوضاع فهوى حكمت حياة الأمم على مدى الجيلين الماضيين بل ربما قبل ذلك .. غير أن ما أعطى هذه القضية خصوصيتها وبعدها الهام هو أنها فى إعلانها لهذه الظواهر قد سجلت انتصار الغرب والعقيدة الليبرالية الديمقراطية فى صراعه السياسى والايدلوجى مع الايدلوجية الماركسية . كانت أول الظواهر التى تبين انتهاؤها هى ظاهرة الحرب الباردة التى سيطرت وحكمت الحياة الدولية بأسرها على مدى الجيلين الماضيين . أما النهاية الثانية التى بشرت بها هذه المدرسة فهو توقعها انتهاء ظاهرة

• الحروب بين الاقطار الديمقراطية ، وسجلت تعدد النظم الديمقراطية منذ عام ١٩٧٤ ، كدليل على أن احتمال الحرب بين هذا النمط من الدول سوف يختفى من حياة البشر مثلما اختفت ظواهر كالعبودية والمبارزة فى المجتمعات المتقدمة ، غير أن هذه المدرسة ان كانت قد افترضت أن ظاهرة الحرب أصبحت أمرا لا يمكن التفكير فيه بين الدول إلا أنها استثنت الدول المتخلفة وبلدان العالم الثالث من

يبدو أن الحياه الثقافيه والفكرية الامريكية قد استطابت ان تثير كل عام قضية كبرى تحرك بها جدلا واسعا وتجتذب تيارات تتصارع حول جوانب هذه القضية السياسية والتاريخية والفلسفية ولخطورة مثل هذه القضايا ، وارتباطها ليس فقط بالواقع والمستقبل الامريكى بل ومستقبل العالم والقوى المؤثرة فيه ، وما يلبث هذا الجدل والنقاش ان يمتد ويجد صداه فى الدوائر الثقافية والفكرية والأوربية ، فتفرد له المجلات والدوريات الجادة أبوابا واسعة ، وتعقد له مراكز البحث المتخصصة مؤتمرات وندوات لمناقشته ، ويشترك فى كل هذا كتاب ، وأساتذة ، فى شتى فروع الانسانيات وذلك لخطورة مايناقش وتشعبه وتعدد أبعاده .

ذلك وتوقعت ان ظاهرة الحرب ستظل ملازمة لها .

أما الصيغة الثالثة والاكثر تطرفا لهذه المدرسة فهى تلك التى اعلنت " نهاية التاريخ" The END OF History" والتى احتفلت فقط بنهاية الحرب الباردة ، وبانتهاء الحروب بين الدول المتقدمة وانما ذهبت أبعد من هذا الى نهاية التاريخ نفسه وان هذه النهاية هى النتيجة المنطقية والتاريخية للنصر الواثق لليبرالية الاقتصادية والسياسية ، وغياب اية نظم بديلة اخرى صالحة واستنفادها لنفسها

وهكذا نجد تناقضا واضحا بين رسالة وافتراضات قضية عام ١٩٨٨ ، وتلك التى حاولت ان تبشر بها قضية عام ١٩٨٩ . فبينما كانت الاولى تشاؤمية ـ وان كان تشاؤما مشروطا ـ وتستمد أصولها من دراسة التاريخ وتعتمد على التشابهات بين



جورج بوش



جورباتشوف

الولايات المتحدة فى نهاية القرن العشرين وبين بريطانيا فى نهاية القرن ١٩ ، وفرنسا واسبانيا ابان قرون اخرى ، فإن قضية عام ١٩٨٩ ومدرستها إنما تتجه الى المستقبل اكثر من رجوعها الى الماضى وهى تنظر الى الامام بشكل واثق وبلا تردد ، كما انها فى اكثر صورها تطرفا مثل تلك التى تعلن نهاية التاريخ ، انما تجد جذورها فى التأمل الفلسفى اكثر من التحليل التاريخى ، وهى تستند فى جانب

كبير منها لا على شهادة التاريخ وانما على الافتراضات حوله وحول الوجهة التى يأخذها . وبينما تتسم النظرية التى سادت عام ١٩٨٨ وهى نظرية الانحدار أو الاضمحلال ، رغم انكار أصحابها لذلك ، بالحتمية التاريخية ، حيث تتطور الامم بشكل طبيعى بل ربما بشكل حتمى عبر فترات الصعود والتوسع والاضمحلال ، وحيث تقع فى قبضة التاريخ التى لا ترحم ، فإن النظرية الثانية تدعى ان الامم ـ او بالتحديد النمط المتقدم منها ـ انما تهرب من هذا التاريخ وتتجاوزه

وحيث تبدو رسالة نظرية الاضمحلال للامريكيين أنهم يخسرون ، تبشرهم النظرية الثانية "بالانتصار" على انه ربما بسبب قسوة النظرية الاولى والتحذير الذى تحمله فانها تؤدى لمجتمعها وظيفة مفيدة من حيث حثه على العمل والتجديد وتجاوز عوامل القصور والتآكل . وهى نفس الوظيفة التى ادتها تحذيرات ظهرت من قبل فى التاريخ الحديث الامريكى فى الخمسينات ، والستينات والسبعينات . على انه على النقيض من هذا فإن النظرية المستبشرة الثانية التى اشاعت نوعا من النشوة إنما تقدم ، وهما حول الانتصار ، وهى فى هذا لا تدعو الى عمل تصحيحى وانما الى حالة من الاسترخاء والرضا عن النفس . سوف نعرض ، لهذه الافتراضات الثلاثة : حول نهاية الحرب الباردة ، وتوقع انقراض ظاهرة الحروب بين الدول المتقدمة ، وأخيرا حول ماسمى بنهاية التاريخ بوصوله الى النقطة التى خرجت فيها العقيدة الليبرالية الديمقراطية منتصرة فى صراعها الطويل مع

وسوف نعتمد فى نقاشنا لها على الجدل الواسع والحوار المتعدد الروافد الذى ولدته هذه الافتراضات .

● هل انتهت الحرب الباردة

مع مطلع الثمانينات ، وبعد حقبة من المحاولات الجادة التى بدأتها القوتان العظميان لترشيد علاقاتهما والعلو بها من مستوى الصراع والتنافس الى مستوى الحوار والتفاوض ، عادت من جديد غيوم الحرب الباردة تظلل علاقتهما ومعها الوضع الدولى فى مجموعه . وفى الأيام الاخيرة من عقد السبعينات ـ ديسمبر عام ١٩٧٩ ـ جاء التدخل العسكرى السوفيتى فى افغانستان لكى يقدم زادا جديدا للقوى المعارضة لعلاقات ايجابية بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى ، واستخدمت هذا التدخل لكى تؤكد تصورها التقليدى عن نوايا الاتحاد السوفيتى واستخدامه لعلاقات الوفاق وترتيباتها لخدمة مصالحه وتوسيع دوائر نفوذه وأنهى رئيس أمريكى هو جيمى كارتر ولايته بإجراءات اعادت الى الاذهان ترتيبات وتصورات الايام الاولى من الحرب الباردة ، ومن الانصاف ان نقول انه جاء الى الحكم بأهداف سلمية وبالرغبة فى البناء على سياسة الوفاق وخاصة فى مجال التسلح النووى والتحكم فيه ، وربطته هذه الاجراءات برئيس أمريكى آخر هو هارى ترومان الذى كان أول من أرسى لغة ومبادىء ومؤسسات الحرب الباردة فقد اقدم كارتر على وقف التصديق على

معاهدة هامة كانت القوتان قد توصلتا اليها منذ شهور هى المعاهدة الثانية للحد من الاسلحة الاستراتيجية SALT 2 ، واوقف بيع القمح للاتحاد السوفييتى ، وقاطع دورة الألعاب الاولمبية فى موسكو ، ثم صاغ نظرية عرفت باسمه هدد فيها باستخدام القوة المسلحة اذا ما تعرضت ما اعتبره مصالح الولايات المتحدة فى منطقة الخليج للخطر ، وأنشأ ما يعرف بالقوة السريعة الانتشار R · D · F للتدخل وقت اللزوم فى هذه المنطقة .

غير ان هذا لم يكن الا مقدمات لعودة الحرب الباردة من جديد بل واندفاعها واكتسابها ابعادا أخطر وخاصة فى مجال التسلح النووى . فقد توافق هذا التطور مع معركة انتخابات الرئاسة الامريكية ، وصور الجانب الجمهورى فيها المعادلة الاستراتيجية بين القوتين على أنها مالت فى اتجاه الاتحاد السوفييتى عسكريا ودوليا ، واطلق مرشحهم للرئاسة رونالد ريجان حملته على أساس من شعارات استعادة الهيبة والمكانة فى العالم ، والتزم بأنه لن يدخل فى اية مفاوضات جادة مع السوفيت الا "من موقع القوة" وبعد ان يعيد بناء القوة العسكرية والاقتصادية للولايات المتحدة ، والواقع ان ريجان ، الذى كان انتصاره فى جانب منه نتيجة اهتزاز صورة الديمقراطيين فى ادارة علاقات الولايات المتحدة الدولية - ظل يطبق فى السنوات الاولى من حكمه هذه الشعارات . واذا كانت الحرب الباردة قد عادت فى اشكالها السياسية والعسكرية ، فقد عادت أيضا فى صورة لغة الحوار والتخاطب المستخدمة وربما بشكل أكثر عنفا ، وبدا هذا على الجانب بشكل خاص ، فوصف ريجان الاتحاد السوفييتى بأنه امبراطورية البشر EVIL Embire ، ووصف قادته بانهم "لا يتورعون عن الكذب والغش والخداع من أجل تحقيق اهدافهم" .

وفى خلال عام ١٩٨٣ اعلن ريجان عن تطور جديد فى سياسة التسلح النووى وهو برنامجه عن الدفاع الاستراتيجى S D I والذى عرف بحرب الكواكب ، ومع نهاية العام فشلت المفاوضات التى كانت تجرى لوقف نشر الصواريخ الامريكية برشنج وكروز فى أوربا مقابل سحب الصواريخ السوفييتية SS 20 ، وهو ماقابله الاتحاد السوفييتى بالانسحاب من مفاوضات الحد من التسلح بكل مستوياتها . وهكذا وصل الوضع فى علاقات القوتين الى درجة لم تصلها منذ أحلك لحظاتها فى أزمة الصواريخ الكوبية عام ١٩٦٣ .

وقد كان من الطبيعى ان تحرك هذه الحالة مخاوف الامريكيين ، والحلفاء الغربيين ، بل والرأى العام الدولى ، وكانت هذه المخاوف من المحاور الرئيسية لمعركة انتخابات الرئاسة الامريكية عام ١٩٨٤ واستخدمها الديمقراطيون فى حملتهم وتصويرهم سياسات الجمهوريين بأنها جعلت العالم أقل أمنا . ورغم أن ريجان قد كسب معركة الرئاسة الثانية فإنه كان قد استوعب الرسالة ، وادرك أن الوقت قد حان للبدء فى اتصالات جادة مع الاتحاد السوفييتى لوقف هذا التدهور وبشكل خاص للبدء فى مفاوضات حقيقية حول خفض التسلح . والواقع أن ريجان وادارته لم تحركهم فقط المخاوف التى ثارت ، وانما لادراكهم أنهم قد استكملوا

او كادوا سياسة بناء القوة العسكرية الامريكية ، واعادوا ترتيب علاقاتهم مع خلفائهم . وفاخر ريجان بأنه فى أيامه "لم يتقدم السوفييت بوصة واحدة فى العالم" والى جانب هذا كانت المشكلات الامريكية الداخلية قد بدات تطفو وكان بعضها بفعل سياسات وتضخم ميزانيات التسلح وبدات تناقش على نطاق واسع اثر ذلك على القوة الفعلية الامريكية وبدات تظهر بوضوح فى أرقام العجز فى الميزانية وفى أهمال البرامج الاجتماعية .

● **مفاوضات الحد من التسلح**

أما الاتحاد السوفييتى فإن قادته الذين كانوا قد توصلوا الى نهاية عام ١٩٨٢ الى استحالة التعامل مع ادارة ريجان ، بعد ان أصبح فوز ريجان برئاسة ثانية مؤكدا عادوا الى تجديد الاتصالات والاستجابة الى بعض الاشارات التصالحية التى بدأت تظهر عن الادارة الامريكية ، ومع اوائل عام ١٩٨٥ كانت مفاوضات الحد من التسلح قد بدأت بالفعل ، وبدأت المياه تتحرك من جديد بعد ركود طويل

غير أن التغيير الحقيقى على المستوى السوفييتى جاء مع تولى زعيم جديد هو ميخائيل جورباتشوف فى مارس عام ١٩٨٥ (٥٤ عاما عندئذ) ، وكان مجيئه وسط احساس عام بأن البلاد تمر بحالة من الركود والترهل ، وان الاوضاع الاقتصادية والتكنولوجية والقيم الايدلوجية للاتحاد السوفييتى تتراجع ومعها امكانياته ومستقبله كقوة عظمى ، ومكانته الدولية ليس فقط ازاء الولايات المتحدة بل ربما تجاه قوى جديدة صاعدة ، وقد استخلص الزعيم السوفييتى الجديد من قراءته للواقع السوفييتى ومؤشراته أن تدارك هذه الأوضاع المتراجعة والتعامل معها بشكل فعال ، يطلق طاقات المجتمع السوفييتى ويجدد إمكانات النظام وادواته لا يصلح معه الإجراءات العادية التى سبق لزعماء آخرين أن حاولوها بل هى تحتاج الى اصلاحات جذرية تعيد النظر فى أركان النظام ومفاهيمه وآلياته وبشكل تتجاوب مع المرحلة التاريخية التى يجتازها وباختصار اكتشف أنه فى حاجة الى ثورة جديدة ولكنها ثورة من داخل النظام وليس من خارجه أو ضده .. ومن هنا شرع جورباتشوف فى سياسة إعادة البناء الاقتصادى والاجتماعى وكانت ادواته فى هذا هى العلانية التى اراد بها ان تجرى عملية اعادة البناء فى مناخ منفتح يناقش جوانب القصور والاخطاء ويكشف عنها ولا يخفيها ، اما الاداة الثانية لأعادة البناء فكانت الديمقراطية وقصد بها أن يتم الاصلاح من أسفل لا من أعلى وبمشاركة الجماهير وتفاعلها واقناعها وليس بتجاهلها وسلبيتها .

غير أن بروستريكا جورباتشوف أن



كـارتـر



ريجـــان

كانت أساسا لاعادة بناء الداخل ، الا أن لها وجها آخر يرتبط بها ارتباطا عضويا وهو السياسة الخارجية ، وتوجهاتها حيث ادرك جورباتشوف ان بناء الداخل ، وخاصة فى ظل الاوضاع الاقتصادية والتكنولوجية العالمية الجديدة وترابطها ، من الصعب ان يتم فى بيئة دولية او اقليمية متوترة ، أو فى ظل مواجهات مع القوى الدولية الرئيسية ، وفى ظل سياسات سباق التسلح بأبعاده الجديدة ، وما تفرضه من أعباء ضخمة ، ويمكن أن نقول أيضا فى ظل مؤثرات وأزمات إقليمية يرتبط بها الاتحاد السوفييتى وتعرض قيودا عن اهتماماته الاوسع وتلقى عليه أعباء لم يعد يستطيع تحملها . ومن هنا جاء ما عرف بالتفكير السوفييتى الجديد فى الشئون الدولية ، والذى اراد به اساسا خلق مناخ دولى مساعد ومتجاوب مع عملية اعادة البناء الجذرية فى الداخل وباختصار شديد ووفقا للتفكير الجديد فقد استبدل جورباتشوف مفهوم الصراع الطبقى بين الرأسمالية والاشتراكية بمفهوم الاعتماد المتبادل ، Inter — de-pendence والتعاون الدولى ، وعقد الاولوية "للنظم البشرية العليا" "والقضايا العالمية" . وبدلا من مفهوم الامن الذى يعتمد على تكديس الاسلحة اعتبر ان الامن يمكن ان يتحقق من خلال اتفاقيات متبادلة للحد من التسلح والتحكم فيه ، ومن مفهوم أن أمن جانب لايمكن ان يتحقق على حساب جانب آخر .

● سياسات عملية ومحددة

غير ان التفكير السوفييتى الجديد نحو العالم لم يقتصر على الكلمات بل تعداه الى سياسات عملية ، فقد اقدم جورباتشوف على الانسحاب من افغانستان التى سممت علاقات الاتحاد السوفييتى ليس فقط مع الولايات المتحدة والغرب بل ومع العالم ، وانهى الخصام الطويل مع الصين ، وساهم فى تحقيق تقدم فى عدد من المنازعات الاقليمية مثل الحرب العراقية الايرانية ، والوضع فى الجنوب الافريقى ، غير أن المجال الخطير الذى بدت فيه المبادرات السوفييتية الجديدة كان هو مجال الحد من التسلح ، وهى المبادرات التى ساعدت على التوصل الى اتفاق هام هو اتفاق الصواريخ المتوسطة المدى INF يفتح الطريق الى اتفاقيات اكثر اتساعا فى مجال الحد من التسلح الاستراتيجى ، وتجاه منطقة كانت البؤرة التى انطلقت فيها الحرب الباردة وهى منطقة شرق اوربا ، فإن الاتحاد

السوفييتى الذى كان يقاوم ، بالقوة احيانا ـ عمليات التغيير والتجديد فى نظمها ، اصبح فى عهد جورباتشوف يشجع هذه العملية ، ويتسامح مع ذهابها الى ابعاد خطيرة مثل التخلى عن سيطرة الاحزاب الشيوعية ودورها القيادى .

مثل هذه التغييرات العميقة ـ سواء فى السياسات الامريكية او السوفييتية ـ هى التى سمحت بعقد اربعة مؤتمرات قمة بين ريجان وجورباتشوف وضعت الاساس لعلاقات متنوعة جديدة بين القوتين لم تشهدها منذ الحرب العالمية الثانية .

هذا التغيير فى مجرى واتجاه العلاقات بين القوتين ، وفى الواقع الداخلى لكل منهما وخاصة فى الاتحاد السوفييتى ، ادى الى نشوء تيارين ومدرستين فى التفكير وفى تفسير مايجرى وتوقع ماسوف تتصف به علاقات القوى الرئيسية فى العالم . فى هذا ذهبت المدرسة الاولى الى ان تعلن بثقة واستبشار ان مانراه هو نهاية الحرب الباردة بما عرفته من صراع ايديولوجى وتنافس حول "عقول وقلوب البشر" وتوترات سياسية ووقوف على حافة المواجهة العسكرية ، ثم الصراع على النفوذ والمكانة فى العالم ومناطقه المختلفة ، وقد اعتمدت هذه المدرسة اساسا على عمق وشمول التحولات التى تجرى فى الاتحاد السوفييتى واعادة جورباتشوف صياغة عدد من المفاهيم الاساسية التى دارت حولها الحرب الباردة ، سواء كان ذلك فيما يتعلق بالبناء الداخلى السوفييتى ، او تصور العالم ، واعتمدت هذه المدرسة بشكل خاص على مايجرى فى منطقة شرق اوربا باعتبارها البؤرة التى انطلقت منها الحرب الباردة واتجاها نحو التعددية السياسية ، وصياغة نظام اقتصادى جديد ، وقيام حكومات لا ينفرد الحزب الشيوعى بالسلطة ، والموقف المتسامح بل وربما المشجع للاتحاد السوفييتى من هذه التطورات ، كل هذه التحولات رأتها هذه المدرسة تقوض الاسس والقواعد التى نشأت وتطورت عليها الحرب الباردة .

اما المدرسة الثانية فهى التى تحفظت تجاه افتراض انتهاء الحرب الباردة ، واعتبرت ان مايجرى لا يقوم اساسا كافيا لكى يغير بشكل جذرى طبيعة العلاقة التنافسية التى قامت بين القوتين بفعل عوامل موضوعية تاريخية وحضارية ، ومصالحهما القومية المتباينة الناجمة عن حجمها الدولى واوضاعهم الجغرافية وتكوينهم الديموجرافى ، وعناصر القوة لدى كل منهما .

وقد بدأت هذه المدرسة مع ظهور جورباتشوف وسياسته الاصلاحية بالتشكيك فى اخلاص هذه السياسات وبأنها "لا تقدم افكارا جديدة" وانها ليست الا تغيرا فى التكتيك ، والتماسا لفترة لالتقاط الانفاس ولكى يكسب بها جورباتشوف بالدبلوماسية والسياسة "مالم يستطع أسلافه تحقيقه بالدبابات" كما اثارت هذه المدرسة فترات سابقة فى علاقات القوتين من التصالح بل والوفاق التى مالبثت ان تراجعت وعادت علاقاتهما من جديد الى طابع الصراع والتوتر وهو مالا يستبعد تكراره .

على ان انصار هذه المدرسة بعد ان تبين لهم اخلاص جورباتشوف وسياساته التى لم تعد مجرد بيانات او نوايا وانما دعمها بالافعال ، تحولوا من التشكيك فى اخلاص جورباتشوف الى التساؤل حول حظه من النجاح والاستقرار فى وجه حجم المشاكل والضغوط التى تواجهه داخليا ، ومن ثم فقد اعتبروا من الخطأ التسرع فى افتراضات وبناء سياسات دائمة مادام الواقع السوفييتى الجديد قابلا ومعرضا للانتكاس

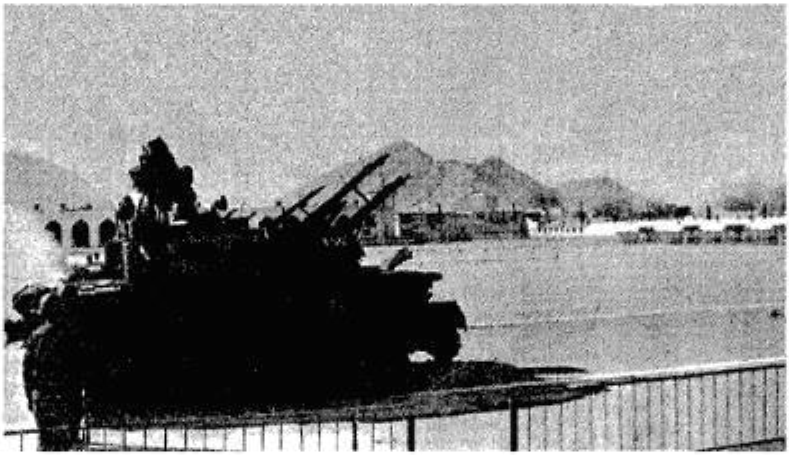
اما الوضع فى شرق اوروبا ، والذى تعتبره هذه المدرسة الامتحان الحقيقى لانتهاء الحرب الباردة ، فانها رغم اعترافها بالتطور الحادث فيها وتسامح الاتحاد السوفييتى معه ، فإنها ترى ان هذا التطور قد يذهب الى المدى الذى يشعر معه الاتحاد السوفييتى لاعتبارات تتعلق بمصالحه الامنية ، انه لا يستطيع التسامح معها ويتجه الى التدخل فيها على نمط ما فعل فى الخمسينات والستينات ، الامر الذى يمكن ان يقوض كل الظواهر التى توحى للبعض بانتهاء الحرب الباردة ومصادرها .

● مابعد الحرب الباردة ؟

الى جانب هذين التيارين المتعارضين فى تفسير مايجرى على الساحة الدولية وبين قواها الرئيسية ثمة تيار يحاول ان يمد بصره الى ابعد من التطور الراهن ، ويتصور اوضاع وعلاقات القوى المقبلة ، وثمة فريق فى هذا التيار يأخذ طريقا وسطا ، ويذهب الى انه حتى لو انتفت مظاهر العلاقات المتوترة التى ميزت مرحلة الحرب الباردة فإن حقائق القوة القومية ستظل ملازمة للقوى العظمى ، وان انتفاء هذه المظاهر لا يعنى ان المنافسة السياسية والايديولوجية والاقتصادية وحتى العسكرية قد انتهت ، كما انها لن تعنى نهاية النضال من اجل القوة والنفوذ ، اما الشىء الجديد فى هذا الصراع فهو انه سوف يحل من خلال التراضى والحلول الوسط وتغليب المصالح المشتركة .

وكان خير من عبر عن هذا الفريق الدبلوماسى والمؤرخ الامريكى جورج كينان ، الذى درس ومارس الشئون الروسية والسوفييتية منذ العشرينات ،

قوات سوفيتية فى افغانستان



آفاق التسعينات

هل انتهت الحرب الباردة؟

وتحول من منظر لسياسات الاحتواء الى اكثر الدعاة اليوم لعلاقات ايجابية وبناءة مع الاتحاد السوفييتي ، وقد وقف أخيرا يدلى بشهادته امام مجلس الشيوخ الامريكي ويستشرف في هذه اللحظات الفاصلة مستقبل العلاقات بين القوتين فقال ".. يبدو لى انه ايا كانت الاسباب التى بدت من قبل للنظر الى الاتحاد السوفييتى فى المحل الاول كخصم عسكرى ، فان زمن مثل هذا الاحتمال قد مضى . ان الاتحاد السوفييتى يجب ان ينظر اليه اليوم بشكل اساسى كقوة عظمى ، شأنها شأن أية قوة عظمى اخرى ، والتى تتحدد امالها وسياساتها بموقعها الجغرافى وتاريخها وتقاليدها ، ولهذا فان امالها لا تتطابق مع امالنا ، ولكنها ايضا ليست فى صراع خطير معنا بشكل يبرر اى افتراض ان الخلافات الرئيسية لا يمكن التكيف معها بالوسائل السلمية من حلول وسط وموائمة واعتقد انه فى الوقت الذى لا يجب أن نهمل فيه امننا العام ، يجب أن نصفى بأسرع وقت ممكن عناصر التوتر غير الطبيعى التى سيطرت حتى وقت قريب على العلاقات الامريكية السوفييتية ، وان نحول اهتمامنا بدلا من هذا الى تطوير الامكانيات الممكنة لهذه العلاقة والتى ليست باية حال قليلة الاهمية .

اما الفريق الاخر من هذا التيار فهو يرى ان هذا التطور قد يحمل معه زيادة فى عدم الاستقرار حيث ستفتقر البيئة الدولية إلى التنبؤ واليقين ، وهو تصور يدفع اصحابه الى ان ينظروا بالحنين الى الايام القديمة للحرب الباردة والتي يرون انها رغم ما اتصفت به من توترات فإنها وفرت اطول فترة سلام وانتقاء للحروب بين القوى العظمى بل وشهدت فيها اوربا مرحلة رخاء وازدهار .

غير انه اذا كان لنا من تعقيب على اصحاب هذا الرأى الاخير فهو انهم يتجاهلون ان الحقب التى اعقبت الحرب العالمية الثانية وان كانت قد وفرت سلاما للقوى العظمى وللغرب ، فإنها ضاعفت من ميزانيات التسلح بشكل فاق التصور ، وتكدست ترسانات الاسلحة ووصلت الى مستويات تدميرية تبلغ مئات المرات اسلحة الحرب العالمية الثانية . اما الحقيقة التى تغافل عنها هذا الفريق فهى ان فترة ما بعد الحرب الثانية قد شهدت اندلاع اكثر من ١١٠ حروب اهلية ومنازعات اقليمية فى اقطار العالم الثالث راح ضحيتها قرابة ١٥ مليون نسمة . وبدون ان نخوض فى اصول ودوافع هذه الحروب والمنازعات ، فإنه من غير شك كان لمصالح وتنافسات القوى العظمى دور فى نشوئها واذكائها ، وهى حقيقة يجب ان تتوقف عندها شعوب العالم الثالث ، وان تدفعها الى ان تدرس وتستوعب بدقة مايجرى امامها من تحولات فى اركان النظام الدولى الايديولوجية والسياسية والاقتصادية ، وهى التحولات التى ايا كانت الوجهة النهائية التى ستاخذها ، سيكون لها تاثير بالغ على مصائر شعوب العالم الثالث وقضاياها الحيوية .

لغويات

● فى بعض الموشحات الغنائية القديمة يردد المغنون نداءات مختلفة منها قولهم : « يامُليم » ـ بضم الميم وكسر اللام ـ والمليم الذى ينادونه او يهتفون به هو الحبيب احيانا . وفى الغالب العذول الذى استحق اللوم و إن لم يقع عليه .. اما « الملوم » ـ بفتح الميم وضم اللام ـ فهو الذى وقع عليه اللوم فعلا ..

● **بعض الناس حصلوا فى عصر الانفتاح الاستهلاكى على اموال جمة .. اى كثيرة .. و « الجمة » فى الاصل هى البئر الكثيرة الماء ، استعير اسمها لكل شىء كثير ، كانهم يغترفونه من البئر .**

● العامة تصف الشاب او الرجل النشيط الخدوم بانه « جدع » .. والجدع بالدال المهملة ـ هو نفسه « الجذع » ـ بالذال المعجمة فى اللغة الفصيحة وهو الشاب الحديث السن ..

● **كلمة « نادر » اصلها الجانب النادر من الجبل ، وهو الجزء البارز منه كانه يتصدره .. والنادر من كل شىء هو البارز المتفوق القليل المثال ..**

● يشتم العامة احدهم بانه « طفس » ـ بكسر الطاء والفاء ـ وهى لفظة فصيحة حين تنطق بفتح الطاء وكسر الفاء .. والطفس هو الذى لايتعهد جسده بالنظافة .. والجمع اطفاس !..

● **بعض المتادبين يستعملون كلمتى « القال والقيل » كانهما مترادفان ، او بمعنى واحد ، وليستا كذلك ، فإن « القال » هو السؤال ، اما « القيل » فهو الجواب .. وهما مصدران ، او اسمان .. واعرابهما يجىء بحسب موقعهما من الكلام ، مرفوعا او منصوبا او مجرورا ..**

آفاق التسعينات

الأدب وآفاق التسعينات

وكانت نهاية العالم ... فى أواخر القرن العشرين !

بقلم : محمود قاسم

بالتأكيد ستحل نهاية العالم ، مع نهاية القرن العشرين ..
لا .. بل سيتحول العالم الى كيان وردى جميل .. وسيتحقق الكثير من أحلام البشر وأمانيهم نحو الحق والخير .. والعدل .
هذان هما المفهومان الرئيسيان اللذان سيطرا على عقلية ، وخيال ، الكاتب المهموم دائما بشكل المستقبل .. لكن ترى كيف سيكون هذا المستقبل حقا ؟. ولماذا تضاربت وجهات النظر بين الادباء فى تصورهم لسنوات المستقبل القريبة ، التى ستحل مع نهاية القرن العشرين .

● لا شك أن الكاتب الذى راح يصور شكل المستقبل قد استمد وقائع كتاباته ، وخيالاتها ، مما يطالعه يوميا فى الصحف والمجلات ، وما تبثه وسائل الاعلام ، عن الامكانات العلمية فى الغد . وعن شكل العالم سياسيا وأيديولوجيا فى سنوات قادمة .

وقد راح بعض العلماء يصفون هذا المستقبل من خلال الانجازات العلمية فيما سمى بأدب الخيال العلمى ، أما الادباء الذين راحوا يتوغلون فى آفاق الغد سياسيا فهم ينتمون الى ادب الخيال السياسى .. وكلا للنوعين من الادباء قد شغلهم المستقبل ، اكثر من هم الحاضر والماضى .. فكلا الاثنين منصرم الى غير رجعة . أما المستقبل ، فهو قادم لا محالة .

والكثير من الروائيين راحوا

يتصورون المستقبل البعيد . وتركوا لخيالاتهم العنان التي لا حدود لها . الا أن القليلين من هؤلاء الكتاب ، راحوا يستشرفون المستقبل القريب ، وخاصة العقد الاخير من القرن العشرين ، ولذا جمعت رواياتهم بين الواقع والخيال بنسب متقاربة عن كتاب الخيال العلمي الذين سافروا بأبطالهم الى قرون قادمة .. بعيدة عن زماننا .. ولن يعيش فيها ، قط ، أى من ابناء القرن العشرين .

ولذا ، فان الادباء الذين استشرفوا التسعينيات ، وعوالمها ، ينتمون ، فى أغلبهم الى أدب الخيال السياسى . وان كان بعضهم قد جمع بين الخيال السياسى والعلمى .. وسنرى أن الادباء العرب قد شاركوا بدور فعال فى استشراف آفاق التسعينيات بشكل يؤكد مدى ما يتمتعون به من بصيرة لتصور المستقبل .

هناك العديد من الروايات التي تبدأ أحداثها مع نهاية القرن .. وتستكمل أحداثها فيما بعد ، مثل رواية « كوكب القرود » لبيير بول ، حيث تبدأ فى نهاية القرن العشرين ، فى مركبة فضائية ترحل الى المستقبل .. وعلى الرواد الفضائيين مغادرة القرن العشرين بأكمله من أجل الاستيقاظ فى قرون قادمة . ولم تكن هناك أية دلالة لذكر القرن العشرين فى هذه الرواية . الا للتأكيد أن ما يمكن أن يدور فى المستقبل من كوارث بشرية له بذور فى القرن الحالى . فالرواية تنتهى فى القرن القادم . حين يعود تايلور مرة أخرى هاربا من كوكب القرود . وحين تحط سفينته فى مدينة باريس ، يهرول الى رجل الشرطة الذى ينظم المرور ، ويمسكه بيده كى يساعده فى محنته .. فيكتشف أن يد الشرطى مليئة بالشعر ، وانه ليس سوى قرد .

● سلطان الله وفضله على الانسان .. ●

أما رواية « مالفيل » للكاتب الفرنسى روبير ميرل فتدور أحداثها فى النصف الثانى من التسعينيات حول ما يمكن تسميته بالحرب العالمية الثالثة الجزئية ، اى التى تأتى بثمارها على جزء من العالم .. هذا الجزء هو مكان محاط بمنزل عمدة احدى المدن الفرنسية . فذات مساء ، دعا العمدة مجموعة من ضيوفه لحضور حفل فى قبو منزله .. وفى تلك اللحظات التى أقيم فيها الحفل يحدث انفجار نووى فى الخارج ، يأتى على كافة أشكال الحياة فى المكان كله . وعندما يخرج الباقون على قيد الحياة من المكان يكتشفون أن هناك مجموعة أخرى بقت على قيد الحياة . لكن الحرب النووية أثرت عليهم . فكشفت على الجانب الشرير .. وتدور معركة أساسها الوجود بين الطرفين احدهما متوحش والآخر لا تزال الحضارة باقية فى دمائه لكن طبيعة الصراع تفرض توحشا خاصا على الطرفين اللذين ينتهيان بالتصفية .. وكان ما فعله الجميع ، بعد الحرب العالمية أشد شراسة من تفجير القنبلة الذرية نفسها .

وقد اختلف منظور الكاتب الامريكى برنارد مالامود ـ الذى توفى عام ١٩٨٦ ـ كثيرا عن منظور ميرل .. فراح ينسج حكاية يهودية تدور فى نهاية القرن العشرين تنتمى فى المقام الاول الى أبناء عرقيته . فاذا كان غير اليهود هم الذين أقاموا الحرب العالمية الثالثة .. فان الشخص الوحيد الباقى على قيد الحياة فى رواية « كرم الله » هو كالمغين كوهين

آفاق التسعينات

.. الذى تدفع به ظروفه ، بعد تدمير العالم تماما ، الى جزيرة معزولة تعيش فوقها قردة اكثر تطورا ، من الناحية البيولوجية ، من القردة التى نعرفها ..

ويرى كوهين ، وهو ابن حاخام يهودى ، ان الله ، سبحانه وتعالى ، قد غضب على الانسان الذى كرمه باعظم السمات والمزايا ، ومنحه السلطان فوق الارض منذ بدء التاريخ . لذا فان الانسان لايستحق، من جلالته ، اى كرم او رعاية .. وان هذا الكرم لابد أن يتجه الى جنس آخر من المخلوقات هم القردة .. ولابد لهؤلاء القردة أن يكون لهم راع خاص ، وهاد مبشر ، هو كوهين الذى يعلم القرود التعاليم التوراتية ، حول أصل الحياة ، ومغزى ضحية النبى ابراهيم عليه السلام . وفى هذه الرواية يضع بالامور كل افكاره العنصرية . فاليهودية ، حسب رؤيته ، هى الديانة الباقية بعد فناء البشر فى نهاية القرن العشرين .

● السلام العالمى .. حلم كاذب .. ●

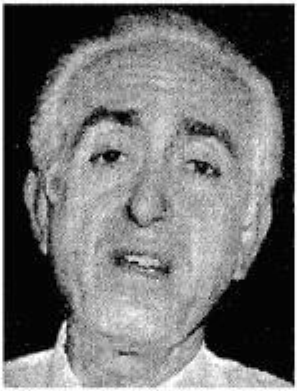
اما الكاتب المصرى نهاد شريف ، فقد راح يصنع نموذجا طوبويا فى روايته « سكان العالم الثانى » التى تدور أحداثها فى الشهور الاخيرة من عام ١٩٩٩ . حين استطاعت مجموعة من العلماء أن يؤسسوا مدينة علمية تحت المحيط . ويعملوا على سيادة السلام فى العالم من خلال ما يملكونه من اسلحة متطورة . وهدفهم هو « رفض الاوضاع السائدة على كوكبنا الارضى ، بعد أن وعينا مدى اتساع الهاوية المخيفة التى يسعى الجنس البشرى الى التردى طواعية ويعمق بالغ فى أعماقها من أجل ذلك تفاهمنا وقد تلاقت أفكارنا قبلا . وقررنا أن نفعل الشىء الذى تأخر فعله مدة قرن أو يزيد من الزمان .

وفى هذه المدينة الطوبوية التى اقيمت اسفل المحيط ، يقوم العلماء بدعوة ثلاثة من الرجال يمثلون اقطاب دول عالم الانحياز ، باعتبارهم قوة محتملة فى العالم ، وهم مصر ، والهند ، ويوغسلافيا .

ورغم حلم الكاتب العربى بأنه يمكن تحقيق فكرة السلام العالمى فى أواخر التسعينات ، فان هذا السلام لا يقام سوى لمدة اشهر قليلة ان لم تكن اسابيع .. وذلك ان نجحت قوى مجهولة ، لم يشر اليها المؤلف ، فى تدمير مدينة القاع الطوبوية فقتلت سكانها ، وحكماءها .

● عصر التبرئة ●

أما الكاتب المصرى عمر كامل فله تجربة بالغة الجرأة تدور احداثها فى التسعينيات تحت عنوان « ثلج فى قاع النهر » ، حيث تخيل أن نهر النيل قد أصابه الجفاف معلنا قيام عصر جديد . مما يصيب السلطات بالارتباك فى اتخاذ القرارات ، وتحت شعار الدين تقوم دولة جديدة تضع لنفسها ناموسا خاصا .. فقام عهد جديد أسماه المؤلف بعصر التبرئة . أى عصر الفتح الثانى لمصر ويعلن



نهاد شريف

ما هي موجهة الى الغموض · ورغبة الادراك والانفعال الانتحاري ،

ثقب في قاع النهر

تأليف

عمر كامل

١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م

الحكام الجدد خطتهم الجديدة التي تبدو نبيلة ، ويتغير ، تماما ، وجه الحياة في البلاد · فيسود العنف ، والتطرف ·

ويرى عمر كامل أن حكماء عصر التبرئة قد منعوا الفيديو والتلفاز عن الناس ووضعوا خلف كل شخص جهاز تجسس صغير يمكن أن يسجل ما يفعله ، ويردده وأصبحت الدولة تتحكم في كل المصائر بدءا من اختيار أسماء المواليد الجدد · وتبديل كل أوجه الحياة ·· ولم يعمل أي من هؤلاء الحكام على اعادة المياه الى النهر ·

وفي عصر التبرئة ، سعى البعض للهجرة · وبقي الاخرون يعانون من ديكتاتورية لم تعهدها البلاد ·· ويرى الكاتب في تذييل الرواية ، التي نشرها على نفقته الخاصة ، « أود ان اعلن بان أحداث هذه الرواية التي يغلب عليها التوقع الخيالي ، ان جاز التعبير ، ليست موجهة الى تيار ، أو جماعة ، أو شخص ، بقدر

● الخيال ·· راح بعيدا ●

تلك هي بعض النماذج الادبية العربية والعالمية ، التي حاولت الولوج الى العقد الاخير من القرن العشرين ·· ورغم انها تبدو تشاؤمية المنظور ، فانها ، في جميعها ، تعد بمثابة حالات تحذيرية مما يمكن أن يأتي الى المستقبل القريب من أحداث جسيمة تتعلق بتدمير نووي · أو بمحاولة سيادة الديكتاتورية ·· وقد حاولنا التركيز على نماذج أدبية في وقت راحت السينما فيه تنتهك براءة التسعينيات ، التي نخطو اليوم على أولى عتباتها · حيث صورت السينما النصف الثاني من التسعينيات بشكل بالغ التشاؤمية ·· في وقت يعرف فيه الجميع أن الادباء الذين كتبوا مثل هذه الاعمال يتمنون أن تكون نهاية القرن العشرين وردية للغاية · مثل بدايته ، لعلهم يدعون الله كثيرا أن يخيب العقد الاخير من القرن خيالاتهم التي راحت بعيدا ·

معركة التعليم

بقلم: د. أحمد عبد الله

التعليم أحد مجالات الحياة ذات الأهمية الخاصة . وقد ضارع فى اهميته الاستقلال السياسي بالنسبة لبلدان العالم الثالث . حيث ارتبطت الدعوة للاستقلال السياسي بالتحرر الاقتصادى والاجتماعي ، فاعتبرت النهضة التعليمية اساسا للنهضة فى عمومها بل واساسا للحفاظ على الاستقلال ذاته ، والتعليم عملية متعددة الاهداف والابعاد ولايقتصر على هدف واحد او بعد واحد برغم امكانية صراع الافكار والمصالح حول تغليب هذا الجانب أو ذاك من جوانب العملية التعليمية فالتعليم عملية ثقافية تتعلق باعادة خلق ثقافة الأمة وتوحيد ابنائها حول هذه الثقافة وتطويرها . والتعليم عملية اقتصادية توفر لسوق العمل احتياجاتها . وهو استثمار انتاجي وخدمي وبشرى فى نفس الوقت .

وحيث أن أهمية العلم لم تعد تقل عن أهمية الثروة فى تحقيق المكانة الاجتماعية للأفراد والجماعات فقد أصبح التعليم مجالا من اهم مجالات الصراع الاجتماعى ، واحتد الخلاف بين الفرق السياسية حول التعليم هدفا وتكلفة وتطبيقا وعائدا ، هذا بجانب الخلافات الفنية حول طريقة التربية . والتدريس والتحصيل وتقويم اداء التلاميذ والمؤسسات التعليمية .

● حسم فكرى



د. طه حسين

وقد عرفت مصر معركة مستمرة حول التعليم مثلت فى البداية فرعا من فروع الكفاح الوطنى ضد الاستعمار، ثم دعوة شاملة للحاق بالعصر من خلال التعليم، ثم صراعا اجتماعيا وفكريا حول كم وكيف التعليم الذى تحتاجه البلاد. وفى هذا الجانب الاخير عرفت مصر صراعا بين انصار تعليم الصفوة وانصار تعليم الجماهير، وصراعا بين انصار التضييق فى الانفاق الحكومى على التعليم وانصار التوسع فيه، وصراعا بين انصار توحيد انواع التعليم الاولى وانصار ابقاء انقسامه الى تعليم دينى وتعليم حديث وانقسام التعليم الحديث نفسه الى مدارس أولية ومدارس ابتدائية، واخيرا صراعا بين انصار التوسع فى التعليم العالى وانصار تضييق نطاقه، وكان القاسم المشترك فى هذه الصراعات هو الصراع حول ان يكون التعليم مدفوع الثمن من جيوب المواطنين مباشرة ام ان يكون مجانيا.

وعند بداية الخمسينات وحتى قبل سقوط النظام القديم كانت معركة التعليم قد حسمت «فكريا» لصالح انصار التوسع والتوحيد والمجانية، اى انصار «الماء والهواء» بتعبير طه حسين، كما انعكس الانتصار الفكرى فى خطوات عملية حين اصبح طه حسين نفسه وزيرا للتعليم. وهو الوضع الذى انطلقت منه ثورة يوليو ١٩٥٢ نحو المزيد فى نفس الاتجاه. وقد زادت الثورة على ذلك تغليب التعليم الوطنى على التعليم الاجنبى فى خضم معاركها الوطنية، والتوسع فى انواع التعليم الفنى والصناعى فى خضم معركة التنمية الاقتصادية التى قادتها، واخيرا تنشيط الحراك الاجتماعى من خلال صعود ابناء الطبقات الوسطى والدنيا على اساس التعليم المكتسب وليس على اساس الثروة الموروثة.

وقد استقرت الامور لفترة على هذا الحال حتى داهمت ارض التعليم اخطار عملية وفكرية جديدة. فالتعليم الشعبى او تعليم الاعداد الكبيرة له بالطبع مشاكله التى تنعكس على نوعية التعليم وخريجيه وميزانية الدولة ليست لامتناهية لتستجيب لكل المطلوب من موارد تنفق على التعليم خصوصا مع وجود معركة وطنية عالية التكلفة. والجهاز الحكومى لم يعد قادرا على استيعاب كل الخريجين الذين التزم باستيعابهم. وسوق العمل كذلك غير قادرة على الاستيعاب سواء فى القطاع العام او القطاع الخاص، والقطاع الخاص الذى اتسع مع الانفتاح الاقتصادى لم يستوعب أيدى عاملة كثيرة، ولولا الهجرة لكانت

فضيحة الانفتاح بجلاجل . والهجرة نفسها ليست بلا حدود . خصوصا مع تراجع فوائد النفط وتناقص احتياجات السوق الخليجية - او الخارجية عموما - من اليد العاملة المصرية والطبقات التى استفادت من الانفتاح - ومنهم من يسميهم الدكتور لويس عوض « جحافل الجاهلية » ارادت ان تعيد تفصيل التعليم على مقاس ابنائها بحيث يتميزون عن بقية ابناء الامة فعادت المدارس الاجنبية والخاصة بل والعامة المتميزة عن بقية المدارس ، وعادت الدعوة لقصر التعليم العالى على ابناء الصفوة تحت مختلف المسميات وطرحت على وجه العموم فكرة انهاء مجانية التعليم ، بل وعاد الصراع حول المناهج التعليمية بين الرؤية الدينية والرؤية المدنية . باختصار عادت الى ارض المعركة كل الموضوعات التى شعر المجتمع لوهلة انه قد اجتازها.

● تدهور نوعية التعليم !

والمشكلة فى هذا السياق هى ان اطراف المعركة إنما نزلت الميدان شاهرة أسلحة قديمة ومتمترسة خلف متاريس قديمة . فأنصار تعليم الصفوة يعاودون المماحكة في مشكلة تدهور نوعية التعليم بسبب الاعداد الكبيرة ، وكذلك فى مشكلة بطالة الخريجين وضيق الطاقة الاستيعابية للجامعات ، وأخيرا مشكلة تكلفة التعليم وضرورة الوفاء بها وهو مالا تسمح به المجانية . وهذه بالطبع مشكلات حقيقية تستوجب النظر فى سبيل حلها دون أن يعنى ذلك بالضرورة سيادة تعليم الصفوة الذى هو الروح الحقيقية السارية لدى اغلب أصحاب هذه الأطروحات ممن يحتقرون الجماهير فى أعماقهم . أما أنصار المجانية وتعليم الجماهير فمشكلتهم أنهم اصحاب قضية عادلة يفترضون أنها تبرر لهم شهر كل الأسلحة مهما كانت قديمة . فتجدهم يدافعون عن الشعارات القديمة نفسها حتى دون صياغات جديدة . بل لعلهم ينشرون نوعا من الأرهاب الفكرى الذى يحول دون تغير الخطاب حتى مع بقاء جوهر الموقف من قضية التعليم .

ولئن كان من اليسير أن يحدد المرء موقفه مع أو ضد جحافل الجاهلية ، فإنه من الصعب أن يكون المرء واقفا فى معسكر انصار الجماهير ومع ذلك تواتيه الشجاعة لانتقاد هؤلاء الأنصار . فسلاحهم فى الدفاع عن الجماهير - بغض النظر عن نجاحهم فى إقناع الجماهير بالدفاع عن نفسها - هو رفع نفس الشعارات التى طالما خلبت لب الجماهير . لكن الزمن غير الزمن ، ومن الضرورى اخذ التطورات الواقعية فى الاعتبار والمواءمة بين الزمن والشعار .

خذ مثلا شعار مجانية التعليم . إنه كشعار تحرير الأندلس الذى جعلته التطورات الفعلية كلاما نظريا مجردا . فمعركة المجانية قد خسرها أصحابها منذ زمن وعليهم اولا الاعتراف بذلك . فالتعليم لم يعد مجانيا . وجميع الجماهير وجميع أنصار المجانية يدفعون تكلفة يومية للتعليم . ربما بقيت المصاريف المدرسية عند رقم الصفر أو بلغت بضعة جنيهات ، وبالتالى فهى بقيت رمزا لاستمرار المجانية التى يخشى انصارها من

سقوطها مع كل جنيه زائد فى المصاريف المدرسية . لكن هذه المصاريف نفسها لم تعد تساوى شيئا بالنسبة لما تتكفل به الأسر لتعليم ابنائها . أن الدروس الخصوصية المدفوعة أصبحت هى بديل المصاريف الكاملة . والجميع يلجأ لهذه الدروس التى تكلف بعض الأسر ما لايقل عن ثلث ميزانيتها . فإذا أضفنا اليها تكلفة الانتقال والغذاء والكساء المدرسى لاصبح أى حديث عن المجانية أضغاث أحلام . إن التعليم فى مصر أصبح مدفوع الثمن ولم يعد من المجدى الحديث عن مجانيته فالأصح إذن هو الحديث عن هذا "الثمن" من يدفعه وكيفية توزيعه وما المقابل له .

أى البحث عن "العدل" فى دفع الثمن ومعالجة ما به من اختلالات ، لكن هذا معناه الاقرار أولا بمبدأ النفقة التعليمية ثم الدفاع عن طريقة أكثر عدلا فى توزيعها . وهو ما يعنى باختصار التحول عن شعار "المجانية" المطلقة والمعممة إلى شعار "العدالة فى توزيع النفقة التعليمية" .

أى أن يدفع الناس لكى يتعلموا لكن ان يدفعوا حسب درجات استطاعتهم . وهو ما يعنى عمليا أن دفع مبلغ مقداره صفر ـ أى المجانية ـ سيكون فقط من حق الفئة الأدنى فى السلم الاجتماعى . أما الباقون فلابد أن يدفعوا من جنيه الى الف حسبما تحدد القواعد المحققة للعدالة والتى يمكن الاتفاق عليها سياسيا فى إطار التراضى الوطنى ، وبالمناسبة فهذا هو الاتجاه فى العالم كله بما فى ذلك العالم الاشتراكى الذى لم يخجل من الحديث عن تكلفة



لويس عوض

الخدمات العامة وضرورة مساهمة المواطنين مباشرة فى دفعها بعد أن كانت الدولة تنوب عنهم فى ذلك .

● تعليم الصفوة وتعليم الجماهير

ولئن خجل انصار الجماهير من الاعتراف بالتطورات العالمية ـ على افتراض علمهم بها ـ خشية أن يضطروا لمواجهة جماهيرهم بالحقيقة المرة على غير ما اعتادوا ، فان الأدهى هو موقف المسئولين عن التعليم المتراوح بين فكرتى تعليم الصفوة وتعليم الجماهير وطريقتى التعليم بالمجان والتعليم بالفلوس . وفى هذه المراوحة لايفتح النظام حوارا حقيقيا للوصول الى التراضى الوطنى الضرورى فى موضوع التعليم ربما اكثر من اى موضوع آخر . فعدم التراضى حول القواعد التنظيمية معناه من باب أولى عدم التراضى حول المضمون الذى يمس ثقافة الأمة نفسها . فالتعليم هو الباب الذى يدخل منه صغار

أبناء الأمة ويخرجون منه أبناء لأمة واحدة أو لعدة أمم وما يفعله النظام بشأن التعليم هو مجرد "الطبطبة" على أكتاف أنصار الصفوة وأنصار الجماهير فى نفس الوقت حيث يستعير شعارات هؤلاء وأولئك فى خطابه الرسمى أما فى الواقع العملى فهو يترك الأمور تسير فى اتجاه موازين القوى الاقتصادية والسياسية فتكون الغلبة فى تحديد شكل ونوع التعليم للطبقات الجديدة وأبنائها . حيث يغلب على تناول النظام لموضوع التعليم "الاهمال" بل والتبلد من حيث الاهتمام بمستوى التعليم (بما فى ذلك مستوى المعلمين الذين تدفعهم مرتباتهم الضئيلة الى استكمالها بالدروس الخصوصية) .

كما يغلب عليه "التردد" بل وفقدان الاتجاه فيما يتعلق برسم السياسات كذلك ميل الحكومة لرسم هذه السياسات وحدها إذا قررت رسمها فتجدها تتخذ الخطوات المفاجئة التى تمررها رغما عن أنف الجميع بسياسة لوى الذراع (مثال ذلك موضوع الجامعة الأهلية ، وموضوع إنقاص سنة من الفترة الابتدائية) . وحين تجد وزارة التعليم نفسها "مزنوقة" فى تحمل أعباء التعليم لايكون أمامها سوى شعار "المشاركة الشعبية" و "الجهود الذاتية" و "مبادرات الجماهير" لكى يتحمل الناس عنها بعض العبء وهو أيضا شعار يعكس ضرورات حقيقية لكنه يتخذ صورة الحق المراد به باطل حين يشكل مجرد مهرب للحكومة .

إن فى مصر مشكلة حقيقية بشأن التعليم شكلا ومضمونا ، وهدفا ووسيلة . وتكلفة وعائدا ، ومن الطبيعى أن تدور حول هذا الأمر معركة وأن تختلف رؤى وأساليب المتعاركين . لكن المزعج فى الأمر هو الا تدرك أطراف المعركة الجوانب المشتركة التى يجب أن تتبناها جميعا فيما يخص العملية التعليمية .

وأهم هذه الجوانب هو ما يتعلق بكفاءة العملية نفسها من حيث عائد الانفاق - وأيا كان مصدر الانفاق - وما يتعلق بمضمون العملية من حيث ضمان الوحدة الثقافية للأمة وارتفاع الحد الأدنى لمستوى تعليمها . لكن إدراك ذلك إنما يستلزم إدراكا أكبر لأهمية الحوار الديمقراطى بما يشمله من صراعات واتفاقات شأن هذا الموضوع الخطير فالمسألة التعليمية أخطر من أن تترك لتسير بالبركة وأخطر من أن نفتقد درجة من التراخى الوطنى حولها وهى آخر ما يحتاج الى الفهلوة فى فن الادارة . أو الى السلفية الفكرية التى تميز القوى السياسية المصرية بشعاراتها العتيقة .

إن معركة التعليم إنما تستلزم بالتعريف جنودا متعلمين وعالمين وقابلين للتعلم .

دائرة الحوار

التغيير في شكل النقابة ووظائفها في المجتمعات الحديثة

بقلم: حافظ أحمد أمين

"النقابة" اسم نطلق على مجموعة من الأفراد، يختصون بمتابعة مشاكل حرفة معينة، ومشاكل الممارسين لها، ويحاولون علاجها. كما يطلق ايضا على البناء الذى يجتمعون فيه لتداول امورهم وإنجاز اعمالهم

● وأعمال النقابة هذه، لم تكن شيئا ثابتا طوال التاريخ، فقد كانت الوظائف الرئيسية للنقابات فى غرب أوروبا فى العصور الوسطى - مثلا - تتركز على الاشراف على مستويات الجودة فى الأعمال، وتدريب الصبية، وتحديد أسعار السلع لحماية المستهلكين، ثم تغيرت وظائفها بعد الثورة الفرنسية إلى رعاية مصالح العمال، والمطالبة بحقوقهم، وخاصة بالنسبة للأجور، وساعات العمل، وظروفه، وبالنسبة لضمان أجر كاف لمن يتعطل عن العمل، بسبب المرض أو الاصابة أو تخفيض العمالة.

● صراع مستمر

وكان أصحاب الاعمال - فى الاغلب - يقفون فى وجه المطالبة المستمرة من النقابات بالمزيد من حقوق العمال، والمزايا التى يتمتعون بها، وقد سئل أحد المديرين مرة عن رأيه فى وظيفة النقابات، فقال: "طلب المزيد". ذلك أن معظم أصحاب الأعمال يعتبرون النقابات جماعات منحازة، تخلق - فى كثير من الأحيان - صراعات ليست فى صالح أحد.

ومع ذلك فهناك الكثير من المفكرين

الذين يمتدحون وظيفة النقابة ـ وخاصة أن لم تبالغ فى طلباتها ـ فيعتبرونها جماعات تعمل على تحسين ظروف العمل ، وعلى تنبيه الادارة بمشاكل العمال لعلاجها قبل استفحالها .

وفى السنوات الأخيرة ، ظهر مفكرون يقولون بأن شكل النقابة ووظائفها لابد أن يتغير ، مع التغيرات السريعة فى التكنولوجيا ونظم الادارة ، ويستدل أصحاب هذا الرأى على صحة ما يقولون . بما نلاحظه هذه الأيام من تناقص مستمر فى نشاط اعضاء النقابات ، وفى التحمس للاشتراك فيها ، وما نلمسه من صراعات عنيفة داخل جدرانها ، تنتقل أحيانا إلى ساحات المحاكم ـ وأحيانا إلى الشوارع ، وسط حصار شديد من قوات الأمن .

● بين التماثل والتميز

المعروف أن النقابات ـ بأشكالها الحالية ـ وغيرها من التنظيمات التى تضم أفرادا متشابهين فى المهنة ، أو فى الرأى ، أو فى غير ذلك ـ كالأحزاب السياسية ، والجمعيات النسائية ، ونوادى الشباب .. الخ ـ بدأت فى الانتشار ، بأشكالها الحديثة ، منذ بداية الحضارة الصناعية . كما أن المعروف أن الفلسفة من وراء قيام هذه التنظيمات تتلخص فى الاعتقاد بأن القوة تنتج من اتحاد الفئات المتماثلة ، فى مواجهة الفئات المنافسة ، وفى الايمان بأن تماثل الفرد مع غيره يرفع من درجة كفاءته وفاعليته ، وأنه ـ لو عمل مع نظرائه داخل تنظيم واحد ـ اكتسب قوة ومكانة لهذا كان مفهوم "الحجم الكبير" ، خلال الحضارة الصناعية ، دليلا على الكفاءة والقوة .

وبعد الحرب العالمية الثانية ـ وربما بسبب شدة مآسيها ـ انقلبت بعض قيم الحضارة الصناعية رأسا على عقب ، فبدأت فى الظهور ـ مثلا ـ دعوات تنتقد التماثل والنمطية ، وتهاجم بشدة فكرة التنازل عن المميزات الشخصية من أجل خلق كيانات كبيرة قوية ، وانتشرت فلسفات تنادى بأهمية التميز والتفرد من أجل حياة أكثر بهجة وإنسانية .

وقد أدت هذه الدعوات والفلسفات إلى ظهور تكنولوجيات جديدة ، كما ادى ظهور هذه التكنولوجيات الجديدة الى إمكانية تحقيق ما تنادى به هذه الدعوات والفلسفات ، فكما أن الحاجة أم الاختراع ، كذلك يشبع الاختراع الناجح حاجات الناس ويزيل توتراتهم .. وهكذا خلقت التكنولوجيا الحديثة حضارة جديدة تماما ـ هى حضارة المعلومات والخدمات ـ عمادها التعاون والتساند ، بدلا من التصارع والتخاصم ، ذلك لأن تبادل المعلومات والخدمات لا يفقد المعطى ما يعطيه ، على عكس تبادل السلع ، زراعية كانت أم صناعية .

كانت نتيجة لذلك أن خفت الصراعات بين العمال وأصحاب الأعمال ، وبانتشار المنشآت الجديدة ، التى تقوم الأجهزة الحديثة فيها بكل الأعمال غير الابداعية ، أصبحت مصلحة كل فرد متداخلة مع مصلحة كل فرد آخر ، ومتكاملة معها ، وزاد احساس العامل ـ الذى أصبح

مبدعا ـ بأهمية بذل الجهد من اجل نجاح المنشأة التى يعمل فيها ، كما زاد إحساس صاحب العمل الحديث بأهمية توفير الرعاية الكاملة لكل من يعمل معه ، نتيجة توفيره لأحدث الأجهزة ، وبسبب التغير فى التنظيمات الادارية ، وأصبح الفرد يضحى بحاجته إلى أن ينتظم داخل كيان كبير يضم زملاءه فى المهنة ، ويفضل عليها الاحتفاظ بحريته وتميزه ، خاصة بعد أن أصبح دوام الفرد فى مهنة واحدة أمرا نادرا فى زماننا .

وكما تغير شكل النقابة وتغيرت وظائفها عندما انتقلت المجتمعات الزراعية الى الحضارة الصناعية ـ كما رأينا فى بداية المقال ـ نلاحظ الآن حيرة القائمين على شئون النقابات ، وإرهاقهم العنيف ، وهم يتعرضون لضرورة تغيير أشكالها ووظائفها ، نتيجة لانتقال المجتمعات الحديثة من الحضارة الصناعية الى الحضارة الجديدة ، بل لعل أكثرهم لا يدرك هذا التطور العنيف ، فيفسر الأزمات الحادة ، والفشل المستمر تفسيرات بعيدة جدا عن الحقيقة .

كذلك أصبح اهتمام الحكومات ـ فى زماننا ـ بعلاج مشكلة البطالة ـ سواء بالتدريب أو الاعالة أو غير ذلك ـ من أهم العوامل فى تخفيف الصراعات التى كانت قائمة بين العمال وأصحاب الأعمال .

من هذا يقترح بعض المفكرين الكبار ـ وخاصة فى البلاد التى تتزايد فيها المنشآت المتقدمة ـ أن تتحول وظائف النقابات ، من رعاية مصالح المشتغلين فى مهنة معينة ، إلى اشتراك العاملين فى اية منشأة ـ مهما اختلفت وظائفهم ـ مع الحكومة ومع المديرين فى عمل الدراسات اللازمة لرفع إنتاجية الاعمال ، ونشر المناخ المبهج داخل العمل ، ورفع كفاءة التدريب وتوفير فرص العمل ، وتحسين العلاقات .. وما إلى ذلك من نشاطات تؤدى إلى رفع الكفاءة وتحقيق إنسانية الفرد وزيادة التعاون ، أو كما قال أحد رؤساء النقابات فى الولايات المتحدة الأمريكية : "لقد أصبحت الادارة أخطر من أن تترك للمديرين وحدهم" .

من هذا نستخلص ثلاثة امور على درجة عالية من الأهمية :

● أن الأزمات التى تمر بها النقابات الحالية ـ بما فى ذلك سخط المشتركين ، وعدم حماس الآخرين فى الأشتراك ـ أمور طبيعية فى وقتنا ، مادامت هناك تغيرات فى شكل النقابة ووظائفها ، وأن هذا الأمر يجب الا يزعجنا أو يصيبنا بالاحباط ، أو يرقعنا فى تفسيرات سطحية لا علاقة لها بأصل المشكلة .

● أن الشكل الجديد لأية نقابة ، لن يكون تنظيما يضم المهتمين بمشاكل مهنة معينة ـ كالتجاريين او المهندسين او المحامين او الممثلين .. الخ ـ وإنما سيكون تنظيما يضم العاملين فى منشأة معينة ، مهما اختلفت وظائفهم .

● أن مشاكل للعمل والبطالة فى أيامنا ، لن يحلها تصعيد الصراعات بين العاملين وأصحاب الأعمال ، أو بين العاطلين والحكومة ، وإنما سيحلها تخطيط ذكى ، يشترك فيه الجميع ، ويؤدى إلى أن تتأقلم كافة الأطراف مع متطلبات الحضارة الجديدة ، وما تفرضه هذه الحضارة من مهارات وسلوكيات وعقائد .

القفز على الأشواك

عودة إلى النقد

بقلم : د. شكري محمد عياد

لابد مما ليس منه بد . خمس سنوات او اكثر وانا اكتب لقارىء الهلال في اى شيء الا النقد ، وانا معدود ـ صوابا او خطأ ـ بين النقاد . ولا اكتب بصورة منتظمة فى غير الهلال . . والقصاصون والشعراء ـ ولا سيما الشبان ـ يتحدثون عما يسمونه (ازمة النقد) ، ولعل لهذه الازمة فى اذهانهم اكثر من معنى واحد ، ولكن من ابرز هذه المعانى ـ على ما اظن ـ ان المساحة المقسومة للنقد فى الصحف والمجلات ـ حتى المجلات الثقافية كالهلال ـ اقل مما يجب وهم محقون فى هذه الشكوى ، او على الاقل هذا ما يعتقده رئيس تحرير الهلال ويحاول ان يتلافاه : وأن يحملنى جانبا من المسئولية عنه . والحق انى لم ازل احاوره وأداوره منذ شهور حتى استمتع بالكتابة عن الاقتصاد وعن التعليم ، وعن الحب ، وعن كل ما يعرف الناس جميعا انى لست من اهله ، وانى خلو منه ، وكانى ارى ان اقحام نفسى فى هذه الموضوعات ، وهى مليئة بالاشواك ، اقل ضررا من السير فوق اشواك النقد .

فللنقد اشواك : اولها ايذاء ان المنقود لن يرضى عنك ابدا . واعجاب الانسان بشعره (او كتابته) وبولده ضعف بشرى لاحظه الجاحظ من قديم فكيف يمكن أن يرضى عنك وانت تنظر الى هذا الشعر او هذه الكتابة بعين غير عينه ؟ ونحن نقول بأن مهمة الناقد هى ان يفسر لا ان يحكم . ولكن التفسير ايضا درجات . فاذا فسرت قصة او رواية فقلت مثلا انها تعبر عن



د . طه حسين

عقدة أو ديب ، وقارنتها بالاخوة كارامازوف ، لقد اعطيتها درجة اعلى من أختها التي فسرتها بتفكك الاسرة في واقعنا المعاصر ، ولم تقارنها بشيء ، ولكنها اقل من تلك التي تشرحها باستخدام الدوائر والمعادلات الجبرية وتقول عنها انهـا تلخص ـ وحدها ـ ما حدث من تطور في الرواية العربية خلال ربع القرن الاخير • واذا حللت قصيدة فقلت انها تسير على نهج شوقي أو حافظ او ابراهيم ناجي او انها متأثرة بالاغنية الشعبية او بالنزعة الواقعية فانت تعني انها لا ترقى الى مستوى القصيدة الاخرى التي قلت عنها فيما سبق انها غنية بالرموز أو انها تحكي بشكلها الفني صورة الكون • وهكذا ترى انك ايها الناقد لن تستطيع ابدا ان تخدع الشاعر او الروائي • وسيجزيك مكرا بمكر ليقول عنك أن قراءتك محدودة ، أو انك لا تفهم من تقرأ • ومعنى ذلك انك اثبت عجزك عن صناعة النقد كما اثبت من قبل انك فنان عاجز •

المبدعون .. وداء الغيرة !

واذا كتبت مرة عن فلان القاص او فلان الشاعر وسر بما كتبت عنه فسيتوقع منك أن تكتب عن كل عمل جديد يصدره ولو كان قصة في مجلة وسيطمع بعد قليل في ان تخصه بكتاب كامل ، وكأنك اصبحت تابعا من تابعيه أو وكيلا لاعماله • وسيغضبه وقد اظهرت اعجابك به ـ ان تكتب عن غيره باعجاب مماثل • فالمبدعون مبتلون بداء الغيرة مثل النساء ، فلا يستريح احدهم الا اذا تسنم القمة وحده ، كما تحب المرأة الجميلة ان يكسف بهاؤها بهاء كل من في الحفلة • ولابد لك اذا أردت الا تغضب احد الكتاب او احدى الجميلات من أن توزع اعجابك بحصافة وذكاء على الجميع •

يريد الروائي او الشاعر من الناقد أن يرصد كل خطواته ، وان يتنبأ بما يهجس به فكره ، وأن يقف خاشعا امام « معاناته » ، وان يكون كاتب وحيه يتلقاه بالتسليم المطلق ، ولا يريد ـ ان لم يكن هو نفسه ناقدا ـ أن يفكر في « معاناة » الناقد ، فالناقد ، لا يجد من السهل دائما ان يضبط موجته على موجة الكاتب ، فاذا نجح في تلقي الرسالة ، وتمييزها من الضوضاء الكثيرة او القليلة المحيطة بها ، فان تفسيرها يتطلب منه جهدا لحل رموزها ، ونحن نسلم بأن لكل كاتب لغته الخاصة ، ولكننا قلما نتنبه لما تنطوي عليه هذه الحقيقة بالنسبة للناقد ، فعليه ان ينفذ الى

خصائص هذه اللغة حتى يستطيع ان يترجمها الى لغة الزب لتفهم العام وربما وجد نفسه حائرا ، مثل حيرة شمبليون امام حجر رشيد ٠ والادهى ان حل رموز لغة طبيعية يمكن ان يجرى على قواعد مستقاة من القوانين اللغوية العامة ، ولكن لغة الكاتب لها قانونها الخاص ، بل ان لكل عمل من اعماله قانونه الخاص ، فالناقد امامه مهمة جديدة في كل عمل جديد ، ولا سلاح له الا خبرته السابقة ، التى يجب عليه ان يستخدمها بمرونة وذكاء ، ولابد له بعد ذلك من ان يعتمد على الحظ !

والناقد قارىء أولا ، ولكنه حين يقف امام العمل الذى سبقت له قراءته ، لينقده ، او بالاحرى ليفسره ، يشعر انه يقرؤه لاول مرة ٠ فالقراءة العادية لا تعنى اكثر من أن دائرة وعى القارىء تماس دائرة وعى الكاتب ، وربما قاطعتها عند وتر صغير ٠ اما القراءة النقدية فتعنى أن الدائرتين تتقاربان حتى لتوشكان أن تتطابقا ، ولكن دائرة الناقد تسبغ على دائرة الكاتب لونها الخاص ٠ ومع ذلك فان الناقد الامين يحاذر اشد الحذر أن يعمق هذا اللون بحيث تبدو الدائرة الجديدة (الناقصة) مختلفة عن الدائرة الاصلية اختلافا اساسيا ٠

ليس الناقد - اذن - حاسوبا بشريا تدخل فيه الكتاب فيخرج لك نقده على صفحة بيضاء ، ولكنه مبدع يجمع الى خيال الاديب امانة العالم ودقته ٠ ولذلك لا يمكنك ان تطالبه بنقد أى كتاب تريده أنت ، فيجب ان يكون هذا الكتاب قادرا على أن يثير تطلعه العلمى أولا ، وشهوته الابداعية ثانيا ٠ والنقد شيء والتعريف بالكتب الجديدة شيء اخر٠

وكما أن القاص والشاعر قلما يرضيان عن عمل من أعمالهما بعد أن يتماه ، فكذلك الناقد قلما يرضى عن نقد يكتبه ٠ فهو يعلم علم اليقين أن العمل الادبى - الجدير بهذا الاسم - لا يمكن أن يسلم نفسه اسلاما كليا للناقد ، مهما تكن قدرة هذا الناقد ٠ والناقد يعلم أنه مقدم على مغامرة في الفهم يمكن أن تخطىء الهدف ، كما أن الروائي او الشاعر يعلمان ان تجربتهما الابداعية يمكن أن تسقط ، ولذلك فهو - مثلهما - يضع يده على قلبه ، ويسلم نفسه للحظ ٠

● موقف الكاتب من الناقد

ولا شيء أشد ازعاجا للناقد من ذلك الكاتب الذى يتوهم أن مهمة النقد هى الترويج لاعماله ، الا ذلك الكاتب الاخر الذى يتوهم أن النقد يضع الموازين لهذه الاعمال ٠ هذا وهم ساعدت على تثبيته المسابقات الادبية (ونحن خارجون لتونا من احدى هذه المسابقات !) ولكن نتائج المسابقات الادبية تتقرر دائما باراء مجموعة من النقاد ، وفي هذه الحقيقة نفسها دليل كاف على أن رأى الناقد الواحد لا يمكن ان يكون حكما للعمل الادبي أو عليه ، واذا اختلف حكم الثلاثة أو الاربعة عن حكم الواحد فما ادرانا ان حكم السبعة أو العشرة لن

يكون مختلفا عن حكم الثـــلاثة أو الاربعة ، أو عن حكم سبعة او عشرة اخرين ؟ وما ادرانا ان حكم اكثر النقاد غدا سيكون مطابقا لحكم اكثر النقاد اليوم ؟ ونحن نعلم ـ مثلا ـ أن ترجمة فتزجرالد لرباعيات الخيام بقيت مهملة سنين طويلة ، ثم اتيح لها من يشيد بهـا فاذا هي درة من درر الشعر الانجليزى تطبع منهـا الطبعات الفاخرة ليتهاداها الناس في المناسبات !

ان الناقد لا يدعي لنفسه منـزلة القاضى . وكم يضيق بعمله ، ويود لو طلقه طلاقا بائنا لا رجعـة فيـه ، حين يسمع ان كاتبا (ولاسيما اذا كان شابا) اطلع على شيء ، من هذا النقد لعمل من اعماله ، فرأى فيا اجحافا ، لا بهذا العمل وحده ، بل بموهبة الكاتب . فلم يحمل هـذا الحكم على انه اجتهاد من الناقد ، يمكن أن يكون مخطئا ، عن عمـل واحد ، يمكن الا يكون موفقا ، بل اخذ القضية على انها حكم محكمة ، لابد لها من استئناف ، او طعنة مسمومة من عدو حاقد ، يجب أن ترد اليه .

***

هذا كله ، ولم تنته اشواك النقد .

فقد بقيت الشوكة العظمى ، التى لا تقى من شرها الا عناية الله .

لا يمارى أحد في أن الفن تعبير غير مباشر ، وبما أن مهمة الناقد هى تفسير الفن (حتى ان كان هذا التفسير تمهيدا للحكم له أو عليه) فمن واجبه أن يترجم المعانى غير المباشرة الى معان واضحة ، أى الى معان مباشرة





نجيب محفوظ ابراهيم ناجى

هذا ان كان أمينا فى القيام بوظيفته، وله بالطبع أن يختار الطريق الاخر ، فيتناسى تماما أن الفن يعبر عن شيء ما ، ويحاول أن يشغل قراءه ، وقراء العمل الادبى بشكل هذا العمل ، ولا بد له أن يربكهم بقضية فلسفية مثل « أن الشكل هو المضمون » بدون أن يخوض كثيرا فى الفلسفة .

فاذا كان ناقدا تصـــف أمين ، فسوف يتحدث عن هذا المضمون ، ولكن بعـد أن يجرده تمـاما من شوائب الزمان والمكان،كما يستخلص المعدن النفيس من شوائبه الخسيسة وإذن فسوف يكون المضمون معنى انسانيا مجردا ، تعاوره الكتـاب والشـعراء على اختلاف الاصـقاع والاجيـال (هذا يتفق تمـاما مع الشكلانية) ولا علاقة له بشـئون الحياة اليومية التى يشتغل بها عامة الناس .

فاذا أبى الا الامانة (وهو ظلوم جهول) فلابد أن يعتبر بأن المبدع هو واحد من البشر ، يأكل الطعام ويمشى فى الاسواق ، ويظمأ ويضحى ويجوع ويعرى ، وربما ضرب وأهين، وأن هذه الاحوال كلها لابد أن تؤثر

فى نفسه (وهو امرؤ حساس) حتى اذا جلس ليكتب لم يستطع أن ينساها تماما لكي يحلق في سماوات الفن الصافي • وسيجد الناقد الامين أن كتابات هذا المبدع تنطق ، بل تكاد تصرخ ، بتأكيد هذه الحقيقة البديهية، بل أكثر من ذلك ان هذه الكتابات (يا للهول !) كثيرا ما تحث على تغيير الواقع المظلم •

واذن فماذا يمكن ان يصنع الناقد الامين ؟

المبدع قال ما قال مستترا وراء التعبير غير المباشر • فلــم يلحقه اذى ، فهل يقدم الناقد على كشــف ما كان مستورا من المعاني ، فيقذفه مع صاحبه فى النار ؟ •

شيخي وأستاذي وعميدي طــه حسين واجه هذا الموقف الصعب ، فماذا تظنونه فعل ؟ كان التعبير غير المباشر في الرواية يرقص بشــدة علىحافة التعبير المباشر•وكان المعنى المقصود ـ والذى لا يحتاج الى ذكاء كبير لاستخراجه ـ كفيلا بأن يجــر على كاتبه اشد البلاء ، وأراد طــه حسين أن يدفع عن الكاتب الشــاب « ظن السوء » ـ وكان يكتب سلسلة من المقالات عن الرواية المعاصــرة فقدم تفسيرا فاحش الخطأ لرواية ذلك الاديب الشاب •

وطه حسين هو فى ذلك الوقت الشيخ الجليل ، عميد الادب العربي ، ذو الشهرة العالمية ، والمكانة الدولية، وهو ناقد أمين بغير شك • ولــكن الضرورات تبيح المحظورات •

فماذا أصنع أنا ، وأنا ـ كما تعلمون ـ لا فى العير ولا فى النفير ؟ لعل الوقت قد أصبح مناسبا لــكى أدلى باعتراف •

حينما ظهرت «السمان والخريف» فى أوائل الستينيات ، أعجبت بهــا أيما اعجاب • وكنت قد كتبت قبل ذلك مقالتين عن أدب نجيب محفوظ • ولكنني حرت : كيف يمكن أن أكتب عن هذه الرواية بالذات ؟ بطل الرواية ـ لعلكم تذكرون ـ شاب وفدى أخذ يشق طريقه الصاعد فى الحزب والــدولة ، ويستعد لزيجة باهرة ، واذا بحــركة الجيش تقوم وتحول المستقبل أمامه الى طريق مظلم • فى ضياعه يقيم فــترة فى الاسكندرية ويعاشر فتاة فقــيرة تحمل منه ويهرب منها • ربما كان لهذه الفتاة نفس الدلالة الرمزية التي لخادمة البنسيون « ميرامار » ولاسيما انهــا تنجب طفلة وتستقيم حالها وتصبح مالكة لدكان • ربما كانت بها دلالــة أسطورية أيضــــا تشير الى أساطير الخصب التى لا يكاد يخلو منها فلكلور أى بلد (كما اراد أن يفهمها صــلاح عبد الصبور) ولكن ما دلالة هــذا الحديث الذى يتبادله البطل مع الشاب الشيوعي وهما جالسان عند قاعــدة تمثال سعد زغلول ؟ وأهم من ذلك ، ما دلالة العنوان ، والرواية نفســها (ان لم تخنى الذاكرة) تخلو خــلوا تاما من ذكر السمان ، أو العلاقة بينه



احمد شوقى



حافظ ابراهيم

وبين الخريف ؟ وان كان قد ورد ذكر عارض لهما ، فما علاقتهما بموضوع الرواية ؟

لا اظننى كنت محتاجا الى ذكاء كبير لكى افهم هذه الدلالة ، ولكننى كنت الى شجاعة المجانين كى اكتب عن هذه الدلالة . وما اظن ان نجيب محفوظ ـ الذكى الحريص ـ كان يمكن ان يخف لنجدتى لو فعلت . فكل من يعرف شيئا عن صيد السمان فى الاسكندرية يعرف ان هذا الطير يهاجر اسرابا فى فصل الخريف ، قادما من مواطنه الباردة الى شواطئنا الدافئة ، فاذا وصل الى الشاطئ وهو فى اخر رمق ، بعد رحلته الطويلة عبر البحر ، وجد الصيادين يتلقونه بالشباك .

ولكن ما علاقة هذه الحكاية بقصة هذا الشاب الوفدى ، أو بذلك اللقاء الاخير عند تمثال سعد زغلول ؟ أليست العلاقة هى علاقة العام بالخاص ، تعليق الكاتب (او لنقل تعليق الرواية!)

ـسى المناخ السياسى الاجتماعى الذى سبق قيام حركة الجيش ، و ـ ايضا ـ على حركة الجيش نفسها ؟

كان الشعب مجهدا من رحلته الطويلة طلبا لنغم الديموقراطية والعدالة الاجتماعية ، فتلقته شباك الصيادين ، ولنقل انهم اولئك الانتهازيون الذين أحاطوا بحركة الجيش واستغلوها لتحقيق ماربهم

علينا أن نقول وعليكم أن تعربوا ! لم يطالب احد نجيب محفوظ بتفسير لمنزاته . ولكن لو تطوع ناقد فصيح بتقديم هذا التفسير ـ انذاك ـ لاخذ بجريرته وحده . وقد سألنى مرة صحفى أو صحفية ـ على الهاتف ـ أليست الحرية شرطا ضروريا للابداع؟ فأجبته : كلا ! الادب الروسى فى العهد العنصرى قمة من قمم الابداع . رغم قسوة الرقابة واضطهاد الاحرار . فالفن يستطيع أن يعيش مهما كبلته القيود . الفن قد تعوزه الحرية ، ولكنه يصنع الحرية . أما الذى يختنق ان لم يتنسم هواء الحرية فهو الفكر ، وهو النقد على وجه الخصوص .

ليس للفنان عذر ان صمت . أما الناقد فقد يضطر الى الصمت ولا تثريب عليه ، لانه ان تكلم ضاع ولم يسمعه احد .

وقد سكتنا عن كثير ، فعسى ان نتمكن اخيرا من الكلام فى النقد ، كما تكلمنا فى غيره ، ولو قفزا على الاشواك !

نتائج مسابقة الهلال للقصة القصيرة

بعقلية شاب يافع يبلغ من العمر الثامنة والتسعين ويتطلع نحو المستقبل اقامت مجلة الهلال مسابقة « القصة القصيرة » من أجل اكتشاف ادباء التسعينات بشكل خاص ، والمستقبل بشكل عام ..

وفور أن اعلنت المسابقة ، توافد الى المجلة كم كبير من القصص راح اصحابها من الشباب يأتون بها او يرسلونها عبر البريد .. وفى كثير من الاحيان سعت المجلة الى ادارة حوار مع هؤلاء الشباب والتعرف عليهم ..

وقد تعمدت المجلة ان تجرى المسابقة للشباب الذين هم دون الثلاثين باعتبار ان الكثيرين من المبدعين الذين تخطوا هذا السن قد وجدوا فرصة للنشر والوجود فى الساحة الادبية داخل وخارج مصر ..

وأهمية هذه المسابقة تجىء فى المقام الأول فى أنها كشف عن مبدعين جدد من ناحية ، وعن حماس متدفق لدى الشباب لتقديم ابداع متميز .. وعلى سبيل المثال فقد حضرت الى المجلة سيدة صغيرة السن وملأت المكان بحماسها وتدفقها . وهى تحمل فى يدها اليسرى ابنتها الوليدة قبل أسابيع . وفى اليد اليسرى قصتها القصيرة التى « ولدتها ايضا قبل ايام »

وقد كان امام اللجنة والهلال ، مشكلة واضحة وهى ضمان ان المشتركين التزموا ببنود المسابقة . فهى مصنوعة اساسا للشباب الذين لم يتجاوزوا الثلاثين كما لم يكن من السهل معرفة ما اذا كانت القصص المرسلة قد سبق نشرها ام لا .. خاصة أن بعض المشتركين ارسل منسوخات من قصصه ، وليست الاصول .. ولذا اختارت المجلة ان تقدم الفائزين الثلاثة الاوائل . ثم تنشر تسعة اسماء من الفائزين باعتبار ان اعمالهم جيدة وتستحق النشر ، ويمكن للمجلة ان توالى نشر بعضها فى حدود المساحة المسموح بها .. وعلى سبيل الاحتياط اختار المحكمون كاتبين يمكن تصعيدهما فى حالة اكتشاف أن ايا ممن سبقوهم فى الترتيب ، يتعارض مع شروط المسابقة .

ولايسع الهلال سوى تهنئة الفائزين فضلا عن أنها ترجو ان يكونوا من ابرز كتاب التسعينات ، فالهلال دائما هى مكتشفة المواهب الأصيلة ، وأول من يقدمها الى الساحة الادبية .. طوال ٩٨ عاما وهى عمر الهلال .

المحكمون



د . شكرى عياد



د . امين العيوطى



سليمان فياض

الفائزون



خالد السروجي (الاول)



منار فتح الباب (الثانى)



خالد عزت (الثالث)

١ ـ خالد السروجي (الاسكندرية) عن اقصوصة « رؤيا الايام السبعة »
(٣٠٠ جنيه)
٢ ـ منار فتح الباب (القاهرة) عن اقصوصة « زهرة البستان » .... (٢٠٠ جنيه)
٣ ـ خالد عزت السيد (القاهرة) عن اقصوصة « الموت فى اسكندرية »
(١٠٠ جنيه)

وفيما يلى اسماء القصص التى تتسم بفنية متميزة :

١ ـ « زوجى العزيز » تاليف زكريا محمد عبدالغنى (اسيوط)
٢ ـ « ديسمبر » تاليف اسامة عزت على اسماعيل (القاهرة)
٣ ـ « عودة السامرى » تاليف حسين علام عبدالواحد (سوهاج)
٤ ـ « دوائر الماء والنار » تاليف فيرونى البنلينى (تونس)
م ـ « قبل أن يزوى ضوء الشموع » تاليف ميرفت احمد السنوسى .... (القاهرة)
٥ ـ « شمس منتصف النهار » تاليف سوزان فوزى رسلان . (العباسية الشرقية)
٦ ـ « طقوس قتل غير معلن » تاليف خالد السروجي (الاسكندرية)
٧ ـ « ذات ليلة باردة » تاليف منذر ابو حليم (الاردن)
٨ ـ « اللافتات » تاليف مجدى مصطفى القوصى (القاهرة)
٩ ـ « احلام » تاليف حسن حسن متولى (المحلة الكبرى)



القصة الفائزة بالجائزة الأولى

رؤيا الأيام السبعة

بقلم :
خالد السروجي

اليوم الأول

عدت الى المنزل لاجد حالة من الذعر تسوده .. تساءلت بنظرات لتريد على شفتي :

- « جدك » ...

خفق قلبي بشدة .. دخلت بسرعة الى غرفته لاجدها خاوية .

فاجأتني شقيقتي مشفقة .

- لقد خرج رغم اوامر الطبيب !

خرجت مسرعا .. ساقتني قدماي الى قهوة « الحلم » « صالح » . علمت انه لم يستقر بها طويلا ، وتركها الى اتجاه عم « حلمي » البقال .. وهناك كان جدي يجلس على كرسي امام المحل ، عاقدا يديه خلفه ، يلمع شاربه الابيض في ضوء النهار .. كان انيقا كما لم يكن طيلة عدة سنوات ، فجلبابه المكوى ، والبالطو الكشمير الابيض .. اثر قطعة من قماش الكشمير الاثير لديه .. الجيب به المنديل ، والعروة تتدلى منها السلسلة الذهبية ، ومن حوله كانت الارض الترابية ندية ، رشت عليها المياه اتقاءا للحرارة البالغة ..

كان سعيدا وازدادت سعادته عندما لاحظ لهفتي .

قال وابتسامته تتسع :

- سوف تبعدونني ويلاكم حبيبا للاطباء .

اشار الى بالجلوس ، فجلست بعد ان حييت عم « حلمي » الذي كان منشغلا بعمل .

قال عم حلمي كالمعتذر :

- « شاهد حيرسون في صرف الشاي والسكر والزيت » .

في الاثر جاء عمي .. متلم بأزيائه .. وفضل والقا .

قال مخاطبا جدي :

- « حان وقت الغداء . لرأيت لن المحضر لاستطعمه » .

ضحك جدي وللمرة ظهرت في وجهه امارات العناد :

- « ربما تالي يعطلكم .. هل حملت لي على تصريح من الطبيب لاشاركم طعامكم اللذيذ » .

- « ولكن يا ابي .. »

- « تفضل انت الآن .. وسوف احضر مع هذا الفتى العاقل » .

ابتلع عمي الملاحظة ، وولى في تسليم ليسمد نفسه للانصحاب .

وقال عمى قبل ان يغادر المكان :

ـ « لعلك ـ يا ابى ـ لا تطيل البقاء حتى الليل ، فالجو بدأ يميل الى البرد »

قال جدى لعم «حلمى» بعد ان انضم الينا :

ـ شىء مؤسف ان تتعرض قهوة المعلم « عبد الغنى » لهذا الحادث ! .

ـ كاد المعلم ان يلقى حتفه لولا ستر الله .

ثم استرسل قائلا :

ـ تصور يا حاج .. عربة « تريلا » تداهم القهوة فتحيلها اثرا بعد عين .

قال جدى :

ـ لقد استبدت بى اللهفة لارى ماحل بالقهوة .

كانت اثار الدمار بادية على القهوة .. الجدران متصدعة ، وبعض المناضد مفككة الاوصال .. ولكن الاهم من ذلك كله الشجرة العتيدة .

وقف جدى ومن انضم اليه من المعارف ، اناس من عدة اجيال ، ووقفوا معه ينظرون بأسى وحسرة الى الشجرة ..

قال جدى :

ـ وتحت هذه الشجرة غنى سيد درويش .. وجلس امير الشعراء احمد شوقى فى اثناء جولته لتأييد صديقه الدكتور محجوب ثابت فى الانتخابات » .

قال عم « بيومى » :

ـ « وكان يجلس هنا ـ ايضا ـ نسيم ابوخضر يوم ان انتصر على حسن القط » .

انفجر البعض ضاحكا

قال شاب من جيلى ساخرا :

ـ لم نسمع بهؤلاء القادة العسكريين » .

وعلق اخر :

ـ لعلك لا تقرأ التاريخ .

قال جدى مطيبا خاطر عم بيومى :

ـ لا تلق بالا يا بيومى .. انهم لا يعرفون من هو نسيم ابو خضر .

ثم التفت الينا :

ـ كان نسيم ابو خضر اديبا زجالا ، من ظرفاء عصره ، اشتهر بحضور البديهية وطلاقة اللسان فى النكت والقفشات .. وكان من ابرز فرسان فن القافية .. وكان فن القافية فى زمنه موضع اهتمام العامة ، يتابعون معاركه بين اساطينه .. وكان نسيم ابو خضرقد طبقت شهرته الافاق ، فكان يعقد الجلسات فى هذه القهوة ، يستقبل فيها كل من يتحداه ، وتحت هذه الشجرة كانت كل جلساته .. وتراجع منافسوه ، الواحد تلو الاخر ، فلم يبق له ليتربع فوق عرش هذا الفن الا ان ينتصر على حسن القط فارس القافيه فى بحرى، وكان الاخر يعمل حسابا لليوم الذى يلاقى فيه نسيم ابو خضر .

حتى كان ذلك اليوم. فازدانت قهوة المعلم عبد الغنى بالرايات والزينات والثريات، وفرش الرمل ، واصطفت الكراسى ، وحضر الزجالون والرواد .. وعقدت جلسة القافية .. وعند الفجر كان لواء الزعامة قد انعقد لنسيم ابو خضر ، فصحا اهل الحى على هياج ابنائه يعلنون انتصار نسيم وكان ذلك من ايام الحى المشهوده .

ادركنا عم « وهبه » ونحن نتهيا للعودة ، وكان يجد فى السير معتمدا على عكازه .. عانق جدى وهو يقول :

ـ لا تقلق من ناحية الشجرة .. لقد كان الدكتور عبد الله بن الحاج جباره هنا .. لقد اصبح مدرسا بكلية الزراعة .. انه يقول : ان الجذور سليمة وسوف يوجد حل لهذه الشجرة .. الحاج حسن الجناينى حضر وقال ان كلام الدكتور صحيح ».

قال جدى :

ـ الامل باق طالما سلمت الجذور .

اليوم الثانى

صحوت على صوت الجدل الدائر بين والدى وعمى .. كان عمى

يعترض على قيام والدى بتهيئة الحجرة بالدور الارضى لفراش جدى .
قال عمى معترضا :
– انك تساعده بذلك على الخروج والاستهانة بأوامر الاطباء .
قال والدى :
– لا فائدة من هذا الجدل .. فوالدنا سيخرج فى اى وقت يراه .. لقد رأى فى منامه أن طيرانه بعد اسبوع ، ولا داعى لاغضابه .
مرت لحظة سكون ، قطعها عمى قائلا باستغراب :
– أكلمك عن اوامر الطبيب ، فتكلمنى عن الطيران .
قال والدى :
– ان الطيران فى عرف اهل التصوف يعنى الرحيل عن عالمنا .
قال عمى فى اضطراب
– اهو قال ذلك ؟!
قال والدى :
– نعم .. الجدير بالذكر انه لا يتوقف عما اعتزم لمجرد ان الاطباء يرون الزامه الفراش .
سكت عمى ، ثم عاد يقول :
– وامينه هل نتركها بغير علم .
– لقد كلمنى هو من نفسه فى استدعاء امينه
احسست بالاسى يعتصر قلبى .. تمنيت لو اكون حالما .. ولكنها الحقيقة .

الجد يرى رحيله فى النام ، ورؤيا الجد لم تكذب من قبل .. يقولون انه بلغ مرحلة الكشف .. بدأت الحقيقة تزداد وضوحا .. تفسير تصرفات الجد بالامس لا تعنى الا شيئا واحدا ، هو انه يشعر بقرب الرحيل .. اشياء صغيرة بدأت تتجمع أمام ناظرى : العصا العاجيه ذات التلبيسة الفضية التى توارثها اجداده .. والمسبحة الكهرمان التى لا يخرجها الا فى شهر رمضان ليترحم بها على والده : لماذا خرجت فى غير اوانها ؟ !
لم يبق الا ان احرص على الاقتراب من الجد « السروجى » لاخذ من انفاسه الطيبة ما امكن ذلك .
عندما حضرت عمتى « أمينه » ، كان كل شيء واضحا فى وجهها .. دخلت غرفة جانبية واخذت تبكى وتلطم بصوت خفيض ، وعندما



تمالكت روعها دخلت عليه والقت نفسها بين يديه وهى تقبلهما وتبكى :
– أهكذا هنت عليك يا أبى .. لو عاشت المرحومة لشكوت اليها .
– وهل كانت ترضى بما فعلت ! .. كنت تتلفين الفتى بتسترك عليه .
– خشيت عليه من بطش ابيه .
الاب يجب ان يعلم بالانحراف فى الوقت المناسب .
– الله ستر .. والولد صلحت حاله .
– كيف حال ابنتك ؟
– سعيدة مع زوجها وتنتظر مولودا .
ابتسم جدى وهو يقول :
– عال .. عال .. بارك الله فى ذريتها .
على الفور قالت عمتى :
– « سمير » بالخارج .. هل تأذن له بالدخول .. انه يؤدى الفرائض ومنتظم فى الجامعة .
اشار الى جدى باحضاره
كان اليوم شبيها بالايام السعيدة التى كانت تمر على البيت قبل رحيل الجده ، لولا ظل من الحزن لاحساسنا بقرب رحيل الجد ، واحساس الجد بالافتقاد للجده . وفيما عدا ذلك سار اليوم فى مثل روتين أيام التجمع فى البيت .. تخلل ذلك صراعات بريئة بين

اطفال الاقارب الذين جاءوا للزيارة ، وكان الجد يفصل فيها بحنان .

وفي بعض الاحيان يحدث ما يترقبه الجميع .. الذكريات .

ذكريات الحج الى بيت الله الحرام وزيارة أهل الله .. ثم تهفو نفسه الى مناسبات حضر فيها «محمد عبد الوهاب» و «ام كلثوم» و «يوسف وهبي» و «نجيب الريحاني» ، و «محجوب ثابت» والالتقاء مع امير الشعراء «شوقي» و «سيد درويش» .

كانت ذاكرة الجد عجيبة وهو يتذكر اصدقاء كل مرحلة من مراحل العمر .

.. وعندما زال التوتر ، قامت عمتي «امينه» بسبب كانت تقوم به من مشاغبات ، بسؤال الجد عن بعض تواريخ الحوادث وميلاد بعض الاشخاص ، وكان الجد كعهده في الذاكرة .. دقيقا لا يخطىء .

اليوم الثالث

لم اكد انتهي من افطاري ، حتى دعيت لمقابلة الجد .. قربني اليه باسما :

– هل لديك محاضرات اليوم ؟

قلت لاسهل عليه الامر :

– لم ندخل بعد في الجد .. والاستاذ المهم مسافر للخارج .

قال :

– تهيأ للخروج معي .

قلت :

– ولكن ..

قال بلهجة حازمة :

– ليس هناك لكن .. لاتذكر شيئا عن الاطباء .

قلت مستسلما :

– الى اين يا جدي ؟

– سنذهب الى المرمة

– المرمة !؟ ..

– نعم .. المرمة هي ورش وابورات السكه الحديد التي كنت اعمل بها وكان اصلاح وترميم الوابورات يتم بها .

تنهد جدي قائلا :

– كم رأت المرمة من رجال افذاذ .. كان السائق والعطشجي رجالا من ذوي العزم ، فالوابورات كانت تسير بالبخار ، وكان الوقوف امام فرن القطار عمل فوق طاقة الرجال العاديين .. رحم الله «السيد رمضان» ..

قاطعته :

– جد «حازم» زميلي

قال :

– نعم جد «حازم» كان عملاقا يتحدى بشاه ، وكانت قوته خارقة ، لم يستخدمها في الشر ابدا ، وانما كانت قوته في نصرة المظلومين .. كم ادب الجنود الانجليز الذين كانوا يتعرضون للنساء .. وهو الذي اوقف «الهريدي» عند حده . قبل أن أسأل ، استرسل جدي :

– كان «الهريدي» فتوة «القباري» .. بنى لنفسه دولة من الارهاب ولكنه لم يفكر يوما في تهديد الاعراض حتى كان اليوم الذي رأى فيه «نعمت بنت الكودية» ذات السته عشر ربيعا ، اية من ايات الجمال والترفع ، فجن جنونه . وزاد كلفه بها لتعاليها على كل الشباب وتمردها على كل من يحاول اخضاعها .. كانت تنظر اليهم جميعا .. بما فيهم «الهريدي» .. على انهم صبيان يحومون حولها .. توسل اليها باللين تارة وبالترهيب تارة ، ولكنه لم يحرك فيها ساكنا .. ويوما عاد الهريدي مخمورا ، فتهجم على الحارة مناديا على «نعمت» . وخرج «السيد رمضان» من بيته على الصراخ ، وكانت الموقعة التي لا تنساها «القباري» .. وقف «الهريدي» ينظر اليه بهزؤ وسخرية ، وسلط عليه بعض الاتباع ، وانتهى الامر بالصدام بين الاثنين .. صراع الجبابره .. انتصر فيه الخير على الشر ..



وخرج « الهريدى » من العمارة الى الابد .. وانفتحت مغاليق قلب « نعمت » للسيد رمضان ، لتعيش معه زوجة صالحة حتى اخر ايامه ، لم يسمع انها تمردت عليه يوما ، حتى ووري التراب ، فادت فريضة الحج عنها وعنه » .

مضيت مع الجد الى ورش الوابورات ، وكان حديث الطريق مليئا بالابهار عن ذكريات رفاق العمل « السيد رمضان » ، « ومحمد عمر » ، « والصيلحى » كانوا جميعا فحولا ، حتى تلاميذ الجد ، ومنهم من خرج على المعاش .. كانوا صوره للرجولة والشهامة .. ورأيت منهم من بقى فى الخدمة ، انهم لمحة من جيل الجد ، ورأيت منهم اكبارا له عزز انطباعاتى عن علاقات الجيل الذى عاشه جدى . كان جدى يرى فى كل ركن من اركان الورشة ذكرى عزيزه .

هنا كان يجلس « محمد عمر » وهذه هى حجرة الصيلحى حينما اصبح رئيسا للسباكين بعد تشريكه لضعف الابصار .. وهذا مكتب المهندس الانجليزى « سبلسر » .

وفى طريق العودة كان جدى ، يبحث ببصره عن شىء فى الحديقة .

قلت :

ـ هذه حديقة حديثه يا جدى !

ـ اعرف ذلك ..

استقر نظره على صخره كبيرة بين الاشجار .

قال جدى :

ـ لم يستطيعوا ان يحركوا هذه الصخرة ، ولكن « السيد رمضان » استطاع تحريكها عشرة امتار وحده .

قلت لجدى :

ـ وهل كان للجميع قصص حب مثلما كان « للسيد رمضان » ؟

ضحك جدى وقد فهم قصدى :

ـ بالنسبة لى ، لم تتح لى فرصة الحب الذى تعرفونه ، فقد عرفت الحب ساعة ان رفعت خمار عروسى ـ جدتك ـ فى كوشة الزفاف .. كانت يدى ترتجف وانا ارفع الخمار .. كنت اتمنى وادعو الله ان اراها جميلة . وخفق قلبى لرؤية وجهها .. كان كالقمر وقت تمامه ، وزاد من جماله هالات الحياء التى كست وجهها

اما قبل ذلك ، فلم اكن استطيع ان ارفع نظرى عن الارض ، وانا امر بحارتنا . كان سلطان ابى ـ رحمه الله ـ قويا ، وكانت شخصيته مهيبة ، حتى ليكاد قلبى يكف عن الخفقان عندما اسمع صوته ينهرنا . كان يخبرنى وانا صغير بأن العصافير تقول له كل شىء ، وعندما كبرت اصبحت اظن انه يستطيع ان يكشف عن خبايا نفسى من اول نظرة دون حاجه الى العصافير .

كان ابى شيخا من اهل الطريق ، وكان معروفا بالصلاح ، والزمنا صبته ان نلزم طريق الرشاد .

صمت جدى برهة ثم استطرد وكان صوته يأتى من واد سحيق :

رواية الأيام السبعة

ـ لقد شــاء الله ان يأتي يوم جنتك قبـــل يومي ، فلم تكن لتتحمل يوما واحدا بعد رحيلي

اليوم الرابع

لم يكن لخروجنـــا اليـــوم ما يبرره .. فالجد قد اراد مفاجأة الاســطى « رجب » الحلاق فى دكانه وكان الاسطى « رجب » قـــد تعود ان يأتى الى المنزل فى مواعيد حلاق الجد ، فلم توقفه توسلات الجد بأن يخفف عن نفســه الشقة بارسال صبيه .. كانت الصــداقة بينهمـا وطيدة ، وكان الاســطى رجب يتعمد الاطالة مــع الجد ويحرص على البقاء معه أطول فترة ممكنه ، والجد مســتمتع لا يــدع لحظة تفــوته دون ان يجتر معه ذكريـــات عزيزه .. فاذا انتهــى الامر بكلمة « نعيمـــا » قالها الاسطى « رجب » بحب صادق ، وتلقاها الجد بأسارير منبسطة ، وكانها ليست الفاظـــا روتينيه ٠

كنت قد قضيت مساء الامس ـ حينما خلـوت الى الجد ـ اســتزيده من قصص الفترات التى بهرتنى،وجاء فى الحديث ذكر الاسطى « رجب » عدة مرات باعتبـــاره شاهد عيان على الكثير من حوادثهم .. وخيل الى ان ذلك هو الـــذى شحذ فى نفس الجـــد الرغبة فى زيـــارة دكان الاســطى « رجب » او لعله أيضا الحنين الى دائرة الســـكان الذى يتوسطه الدكان ٠

كان الدكان بجـــوار بورصة البصـــل والتى اشتهرت بقهوة الاجريجى وكانت ملتقى جميـــع الطبقات ، من تجـــار البصـــل وتصـــدير الحاصلات ، وعمـــال السكة الحديد الـــذين يهربون من اعمـــالهم ٠ وفى المساء كانت ملتقى المـــوظفين والمثقفين ، وكان كبار الخواجـــات فى الماضى يستخدمونهـا لابرام عقودهم والقيـــام بأعمال البورصـــة ، وكانت بجوارها قهـــوة لعلم « ابراهيم عطية » لكن اضمحلت وانتهت منها أجزاء كبيرة تحولت الى « بوتيكات » بعد ان مات صاحبها ٠

القى الجد عليهـــا نظرة رثاء وقال :

ـ كانت هذه القهـوة مقصدا لكبار المعلمين ، وكان صاحبها ـ رحمه الله ـ فريدا فى رجولته كلمته لا تنزل الارض ».

عندما اقتربنـــا من محل الاسطى « رجب »، توقف جدى قليلا ، ثم اشار بأصبعه :

ـ هنا قتـــل الرومى وهو يهم بقتل الحـــاج « محمد حموده » ٠

سكت قليلا ثم قال :

ـ عمك «رجب» شاهد الحادثة ٠

تساءلت :

ـ وهل كان الحـــاج « محمد حموده » فتوه؟



قال جدى :

ـ الحاج محمد حموده كان رجلا صالحا .. كان مقاولا وكان يفتح بيوتا كثيرة .. كان يعمل بالميناء مقاولا من الباطن مع احد الخواجات ، وعندما اختلف معه لانه لص وانسحب من العمل .. توقف العمل تماما فى رصيف الفحم .. واضطر أصحاب المصلحه ان يتعاملوا معه مباشره خاصة بعدما علموا حقيقة الخلاف .. ولكن الخواجه لم يسكت .. دبر للانتقام من الحاج « حموده » ، فاتفق مع الرومى على قتله .. وتربص الرومى للحاج « حمودة » .. وعندما رفع يده بالسكين لقتله لمحه الحاج « حموده » وضربه بسرعة خاطفه بعصاه الثقيلة ، فأرداه قتيلا .

اليوم الخامس

ـ تأهب للخروج .

قالها جدى بلهجه امرة صارمة .

تساءلت :

ـ الى اين اليوم يا جدى ؟

قال بحزم :

ـ ستعرف عندما نذهب .

وفى الطريق همس الى جدى كأنه يفضى بسر خطير :

ـ سنزور شيخى .

كنت تواقا لرؤية الشيخ .

كان الطريق طويلا وشاقا ، ولكن جدى كان يزداد تألقا وقوة مع اقتراب موعد النبوءة

عندما وصلنا الى مكان الشيخ ، اقترب جدى من خلوته على اطراف الاصابع وفعلت مثله ـ نقر جدى على الباب بهدوء ، حتى اتاه الاذن .

ـ السلام عليك يا مولاى .

حياه الشيخ بابتسامه انارت وجهه واشار الينا بالجلوس .

ـ معذرة للتطفل عليك يا مولاى .

ـ لا عليه يا ولدى

صمت الشيخ هنيه ، ثم عاد يقول لجدى :

ـ احان الوقت ؟

ـ بعد الغد اطير .. ان شاء الله ..

اشرق وجه الشيخ وهو يتمتم :

ـ مبارك لقاء الحبيب .. طوبى لك .

استطرد الشيخ وكانه يحدث نفسه :

ـ اوحشنى مولاى « عبد الله » والاحبة

ـ يصل سلامك يا مولاى .

سأل الشيخ جدى :

ـ اتزودت ؟

ـ بخير الزاد يامولاى

قرأ الشيخ :

ـ « وتزودوا فان خير الزاد التقوى »

بكى جدى .

قال الشيخ :

ـ اتأدم على فراق الدنيا ؟!

ـ ابكى ذنوبى .

ـ كيف ترى الدنيا ؟

ـ كل ما عدا الحبيب زيف .. وكل ما مر فى غير طاعته باطل

ـ الا بورك فيك وفى ذريتك

سادت فترة من الصمت الجليل .. تشاغلت بالعبث فى قش « الحصيرة » التى تجلس عليها .. نهرنى جدى

قال الشيخ باسما :

ـ دعه .. لقد فعلت مثل ذلك فى اول لقائى بمولاى .. سيكون هذا ان شاء الله صالحا .

أسعدتنى نبوءة الشيخ ..

قام جدى مستأذنا .. عانق شيخه .

قرأ الشيخ :

ـ « يا ايتها النفس المطمئنه ... » .

وقرأ :

ـ « ان الابرار لفى نعيم » .

خرجت من عند الشيخ ، وكان شيئا قد انار بداخلى .

اليوم السادس

استدعانا جدى الى حجرته الارضية .

وأصر ان يدخل علينا

جميع العائلة لا ينقصه فرد واحد · تحلقنا جميعا حول سرير الجد .. صامتين وقفنا .. كان الصمت يضفى على الموقف جلالا ورهبة وكأن الجد ينظر الينا نظرة المستزيد من شىء يحبه قبل الرحيل ·

لم يكن أحد ليستطيع قطع هذا الصمت ، حتى يقطعه الجد بكلماته · وكنا جميعا ننتظر بلهفة ما سينطق به الجد ، وعيوننا تتعلق بشفتيه الساكنتين ·

قطع جدى الصمت الجليل قائلا :

ــ أوصيكم بطاعة الله واحذروا الشقاق ·

بكت عمتى « أمينة » فنظر اليها جدى لائما ، فتوقفت عن البكاء ·

تناول جدى عصاه العاجيه ذات التلبيسة الفضية ، وناولها لوالدى ·

قال جدى :

ــ هذه عصاى ، عن أبى ، عن جدى ، نتوارثها منذ أزمان بعيدة .. هى لك فأنت أكبر الابناء ثم لابنك أكبر الاحفاد من بعدك ... هذه العصا هى كل ما تركه أبى لى ، وهى كل ما اتركه لكم .. حافظوا عليها واحذروا ان تضيع منكم ·

قال لى أبى ــ رحمه الله ــ قبل أن يرحل : « اذا ضاعت منكم هذه العصا ضعتم » ولم اكن افهم كلامه وقتها .. والآن أفهمه جيدا .. هذه العصا هى ارثكم الحقيقى » ..

سكت جدى ، ولم ينبس أى منا بكلمة ، فكأن الطير قد حط على رءوسنا ·

قال جدى بصوت متهدج :

ــ تستطيعون الآن ان تنصرفوا ·

خرج الجمع متثاقلا حزينا ، وكنت آخرهم .. قبل ان اغلق الباب ورائى ، ناداني جدى . قال :

ــ ناولنى المصحف .. واغلق الباب وراءك ولا تدع أحدا يدخل على

ناولته المصحف ، ثم خرجت مغلقا الباب ورائى .. تسمرت بجوار الباب لا ادرى ماذا افعل .. تناهى الى سمعى صوت جدى متهدجا بالبكاء ، وهو يرتل القرآن ، كأحلى ما سمعت من ترتيل

اليوم السابع

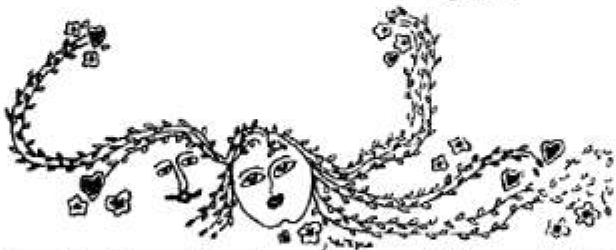
لم أنم ليلتها .. استولى القلق على كيانى .. أتكون النهاية؟ .. أحقا سيموت جدى ؟ .. فى الصباح يبدأ اليوم الاخير .. اخترق أذان الفجر مسامعى .. أوقف سيل الخواطر المتدفق فى رأسى .. أحسست بنشوة غريبة وأنا أسمع صوت تحركات جدى وهو يستعد لصلاة الفجر .. سمعت صوت باب المنزل يفتح ويغلق .. لقد ذهب الآن الى المسجد .. خطر ببالى ان اذهب خلفه ، ولكننى لا أعرف لماذا تقاعست أو خفت ·

صليت الفجر فى المنزل ، وظللت انتظره .. سمعت باب المنزل يفتح ويغلق ثانية .. لقد عاد استولى على القلق ثانية .. ظللت فى خواطرى حتى فاجأنى ضوء الشمس .. تسللت الى غرفة جدى .. وبدأت اطرق الباب ..



أطياف

شعر: حسين علي محمد



عن الأطيار ، والأشعا　　ر ، والأسفار تسألني
تحاصر صوتها الأنـدا　　ء ، تـدنيني وتبعدني
وجرح الغيم في أعمـا　　ق أوهـامي يعذبني
وأعشاب السهول الخضـ　　ـر في الوديان تذكرني
فصول بكارة كانت　　ربيعا ظل يغمرني

***

وبيتي كان من عشب　　وأنت الدفء والشعر
وأسأل : كنت أبصرها　　سحابا ضمه الزهر
وأعصارا يزلزلني　　أحب ذاك أم جمر ؟
دهاليزي مهللة　　لجمر بات يستعر
ودمعي كالبروق بدا　　لجرح ظل يستتر !

***

أطيفك جاء وقظني　　أينسيني مسـاءاتي
أيغرقني بأمواج　　أيبحر بي للجـات
وسوسنة الشموس مضت　　والقتني الى ذاتي
أفتش في مجاهلها　　وفي صحراء سوءاتي
عن الماضي الذي ولى　　عن المقدور ، والآتي !

شهريات

رأى فى الثقافة

● المثقفون والارهاب الفكرى

ظاهرة غريبة نشاهد ونرى ونحس تجلياتها العديدة هذه الأيام ، يمكن إجمال ملامحها الأساسية تحت عنوان « الإرهاب الفكرى » الذى يبدو أنه يجد مرتعا خصبا له في جو التخلف العام الذى يعيشه مجتمعنا ، وعدم قدرة المثقفين وعجزهم عن الانتظام فى شكل من اشكال التجمع ، التى تبعث الحالة الثقافية من سباتها ، وتدفع حركة المجتمع فى اتجاه التنوير لتصد قوى الظلام التى تزحف وتزحف حتى تكتسب كل يوم أرضا جديدة .

فى مجال النشر نجد العديد من الكتب والمطبوعات الدورية وغير الدورية التى .. وهذا هو مربط الفرس .. لاتتجه بهجومها الى الأبنية الرسمية وحدها كما كان فى السابق ، بل تتجه للهجوم على المثقفين والثقافة نفسها .

نجد هذا فى مجالات النشر ، كما نجده فى المنتديات والمناقشات التى تدور فى أوساط دعاة الظلام ، كما نجده فى اشكال اخرى ، رسائل عديدة تصل للأدباء والمثقفين ، لا لتناقشهم بل لتهددهم ، وخطب نارية يلقيها البعض مطالبا برقاب المثقفين ورقبة الثقافة ، ليبقى لنا السؤال : اين هم المثقفون ؟ ألم يشبعوا من الانقسام ، ومن النم ... ضد بعضهم البعض ، الا يتحركون بشكل ايجابى من أجل حتى انقاذ وجودهم وتأثير أعمالهم نفسها فى المجتمع الذى يعيشون فيه ؟

إن هذه النزعة الفردية التى شاعت سنوات طويلة بين المثقفين يجب أن تنتهى ، ولننظر حولنا لنجد الحلقة تضيق وتضيق ضد الثقافة والمثقفين ، وبعض مظاهر الفرح التى عشناها لايجب ان تغمض عيوننا عما يحاك لنا فى هذا البلد ، والا فاننا سنستيقظ ذات صباح لنجد الا وجود لنا ولا تاثير لأعمالنا خاصة على جيل الشباب الذى يجد من دعاة الظلام جماعات منظمة تدفعهم فى اتجاههم ، وتبعدهم عن كل ثقافة متنورة ، والحالة العامة سند لازدياد الضغط والفرار الى أى جماعة بحثا عن دفء واهم فليستيقظ المثقفون من سباتهم ، فهذه قضيتهم ، أم أنهم ينتظرون ان تخوض لهم الأجهزة الرسمية معركتهم أيضا !

عبده جبير

شهريات

اشارات ثقافية

• ثلاث قضايا لها وجه واحد

١ ـ لويس عوض والوجه القبيح

غصة ومرارة أحس بها كاتب هذه السطور وهو يقرأ ويتابع ماجرى بخصوص تلك التى سميت دعوة من شخص جاهل جهول مجهول يطلب فيها سحب جائزة الدولة التقديرية من ناقدنا الكبير الدكتور لويس عوض ، الذى نعتقد أن الجائزة نفسها تشرف به قبل اى شىء آخر ، بل ان فوز واحد من الرواد الكبار مثله بها يعطى لها قيمة اكبر ومصداقية اعمق فى الوقت الذى تشوب الجوائز فى بلادنا العربية شبهات عديدة بسبب انها ذهبت طويلا الى من لايستحق

لويس عوض كان يستحق هذه الجائزة منذ سنوات طويلة ، وما نريد أن نسجله هنا ليس مجرد عرض مبسط لهذه القصة ، ولكننا نسجل أننا لانقصد ان ما جرى بهذا الخصوص هو عمل فردى لشخص مجهول ، بل هو جزء من مخطط كامل تنسج خيوطه جيوش الظلام ، بكل عمد وقصد ، وهى فعلة لاتتجه للويس عوض وحده بل لكل المثقفين والثقافة نفسها اذا أحسنا النظر .

٢ ـ ترجمة ماريو فارجاس يوسا

ضمن هذا التوجه يأتى ايضا هذا





د . لويس عوض

القرار الغريب الذى صدر عن مجلس كلية اللغات والترجمة الفورية التابع لجامعة الأزهر باحالة الدكتور حامد أبو أحمد لمجلس تأديب بسبب ترجمته لرواية من قتل موليرو "لكاتب بيرو" المعروف ماريو فارجاس يوسا التى كانت قد صدرت فى فبراير من العام الماضى ١٩٨٨ عن الهيئة المصرية العامة للكتاب .

والمعروف ان حملة شعواء كانت قد شنت على هذه الرواية من بعض الاقلام التى لاتعرف لها قدرا من الثقافة يؤهلها للحكم على عمل فنى ، ولكن المثقفين تصدوا للحملة فى حينه ، ثم وبعد نوم دام عاما كاملا ، تستيقظ الحملة مرة أخرى ، لتؤكد تصورنا بانه مخطط منظم يقوم به اعضاء اوركسترا جيوش الظلام .

والغريب ان المذكرة المرفوعة الى رئيس الجامعة تعرضت للقيمة الأدبية للرواية ، وللروائى نفسه ، ومن قبل من لم تعرف له من قبل اى مجهودات ثقافية تؤهله لهذا الحكم ، واذا كنا قد تعرضنا لهذه القضية فى حينه بالرد على مثيريها

شهريات

اشارات ثقافية

بالرأى ، فاننا نقدم هذه المرة للجنة التحقيق عدد ملحق الكتب لجريدة الواشنطن بوست الصادر فى ٢٩ اكتوبر (١٩٨٩) وعلى غلافه صورة ماريو فارجاس يوسا ومعه دراسة متخصصة عن أحد أعماله الجديدة ولعل الأخوة من كلية اللغات والترجمة وهم متخصصون فى اللغات ، يستطيعون العودة اليه ، ليعرفوا القيمة الأدبية الكبيرة التى يحتلها هذا الكاتب ، وهم يعرفون طبعا ، أن غلاف ملحق الكتب لجريدة الواشنطن بوست لايخصص لأى شخص ، ولأى كاتب ، وهى ورقة رابحة فى صالح حامد ابو احمد نضيفها لملف قضيته ، لعل البعض يعقل ويعرف .

٣ ـ كلمتنا فى الرد على أولاد حارتنا .

عمل مريض من شخص مريض .. هذا هو التفسير الوحيد الممكن لما جاء فى هذا الكتاب الضخم (٣٥٠ صفحة من القطع الكبير) لمؤلفه عبد الحميد كشك ، خصصه كله لقضية واحدة : هى الهجوم على كاتبنا الكبير نجيب محفوظ ، هجوما يتضمن علاوة على سلاطة اللسان اقوالا من الجهل الخالص ، فالكاتب الخطيب لا فض فوه ، لايعرف الفرق بين الاشتراكية ، التى يؤمن بها نجيب محفوظ ، والاشتراكية العلمية التى يقول بها الماركسيون ، لذا فانه يضع كاتبنا الكبير مع أصحاب الماركسية ، وهكذا ، ودليله على ذلك كلام كان قد قاله نجيب محفوظ عن العدالة الاجتماعية ، وهو لايعرف وهذا ما يجعلنا نضع كتابه ضمن مخطط جيوش الظلام ، اتهام نجيب محفوظ فقط بتهم اقلها الالحاد ، بل هو يتهم العقاد وطه حسين وتوفيق الحكيم هذه التهمة التى سيظل يحمل وزرها .

قال (ص ٣٦) وقد تعجب عندما اغفل الكاتب نجيب محفوظ ذكر سلامة موسى وهو صاحب الأثر العميق فى فكره ، فقد ذكر العقاد وطه حسين وتوفيق الحكيم لحظة اعلان فوزه بالجائزة ... وهى اسماء فخمة تخفى الدلالة الالحادية الوثيقة بها .

● لم تشفع كتابات العقاد ودفاعه المجيد عن الاسلام ـ ولا كتابات طه حسين وتوفيق الحكيم التى يعرفها اطفال المدارس عن الموضوع ، وراح يكيل لهم هذه التهمة التى اعطى لنفسها حق رفعها فى وجوههم دون سند ولا دليل ، الا اعتبار اى منتوج ثقافى يصب فى بحر الالحاد الذى رمى فيه الجميع .

إن قراءة هذا الكتاب لتؤكد لنا انه واحد من أعمدة الجهل والظلام التى ترعاها جهات مشبوهة ، نرى ضرورة تصدى المثقفين أنفسهم لها بكل الحزم والقوة ، لتبيان مناطق الجهل الخالص التى تشيعها بادعاءات تحسد عليها ، والدليل واضح فى هذا الكتاب الذى يتعسف فى تفسيرات لا علاقة لها بالموضوع ويتعرض لقضايا لايعرف عنها شيئا .

شهريات

اشارات ثقافية

• معرض القاهرة الدولى السادس لكتب الأطفال

فى الفترة مابين السادس والعشرين من نوفمبر الماضى وحتى ٨ ديسمبر اقامت الهيئة المصرية العامة للكتاب المعرض السادس لكتب الأطفال الذى افتتحته السيدة سوزان مبارك حرم الرئيس . أقيم المعرض هذا العام فى ساحات وقاعات تقع فى المركز التعليمى (دار الاوبرا) الواقع فى قلب القاهرة الأمر الذى دفع به الى أن يكون أكثر حيوية ونشاطا من الأعوام السابقة التى اقيم فيها فى ارض المعارض بمدينة نصر ، نظرا لقربه من الأحياء السكنية المختلفة .

شارك هذا العام اكثر من ١٢٠ ناشرا عربيا وأجنبيا فى المعرض ، من ٢٧ دولة مختلفة عرضوا بزيادة ٩ دول عن العام الماضى ، وبعدد وصل الى ٣ ملايين كتاب بزيادة نصف مليون كتاب عن العام السابق .

ضم المعرض ايضا نشاطات ثقافية مختلفة من عروض سينمائية ومسرحية وشرائح مصورة وناطقة ، ومسرح عرائس ، وندوات عديدة ناقشت كتب الاطفال ، والقضايا العديدة التى تتفرع عنها .

فى هذا العام يقدم المعرض خطوات ايجابية محسوسة ونرجو له أن يقدم المزيد فى الأعوام القادمة .



نجيب محفوظ

• أعمال نجيب محفوظ للأطفال

أحسنت دار الشروق وهى تقدم هذا المشروع الثقافى النابه الذى يسعى الى تقديم اعمال كاتبنا الكبير نجيب محفوظ مبسطة وميسرة للأطفال فى طبعة فاخرة وانيقة ، قام بكتابتها ابراهيم المعلم مدير الدار ، ورسمها الفنان مصطفى حسين .

حرص ابراهيم المعلم على ان يبدأ بالأعمال التاريخية لكاتبنا الكبير لتعرف منها الأجيال الجديدة مسيرة تاريخها ، وما صنعه الاجداد من حضارة كما حرص على الحفاظ على بناء واحداث وشخصيات الروايات التى صدر منها بالفعل ثلاثة كتب هى "عجائب الأقدار" فى جزئين ـ كفاح طيبة ـ كفاح أحمس ، وامام العرش .

وتنوى الدار اصدار باقى أعمال نجيب محفوظ تباعا .

• مجـــلات

• ثلاث مجلات لثلاثة إتحادات للكتاب

بين أيدينا ثلاثة أعداد هامة لمجلات يجمع بينها إنها صادرة جميعها عن

شهريات

اشارات ثقافية

ثلاثة إتحادات من اتحادات الكتاب العرب .

الأول هو العدد الثالث من مجلة ٤٨ التى يصدرها إتحاد الكتاب العرب فى فلسطين المحتلة ، وهى مجلة فصلية نابهة ، خصص جزؤه الأكبر لكتاب مصريين جاء فى مقدمتهم عبد الحكيم قاسم وجمال الغيطانى ، ويوسف القعيد وعبده جبير وغيرهم .

والملف إن دل على شىء فإنما يدل على أن اتحاد الكتاب العرب فى فلسطين المحتلة الذى يراسه الشاعر سميح القاسم يقول بالفم الملآن ، أن الثقافة العربية واحدة ، وان الأدباء العرب فى فلسطين ، يجدون إمتدادهم الطبيعى فى كتابات زملائهم فى الأقطار العربية الأخرى ، وفى مقدمتها مصر ، كما يقول أنه على الرغم من الظروف القاسية التى يعانيها أبناء فلسطين فى الداخل ، الا انهم قادرون على العطاء ، مستمرون فيه ، لاينام لهم جفن ، دائما مستيقظون لحقيقة ان الثقافة العربية هى سلام فعال فى مجال تحقيق حضارة عربية مستنيرة فاعلة ومؤثرة فى مجتمعها .

الثانى هو العدد الجديد من مجلة آفاق الفصلية التى يصدرها إتحاد كتاب المغرب وهو الاتحاد الأكثر نشاطا وحيوية منذ زمن طويل ، يقف فى طليعة المؤسسات الثقافية المستقلة الفاعلة فى ساحة الثقافية العربية ، بنشاطاته العديدة التى تمتد - هى أيضا - لتلامس الساحة الثقافة العربية ، خاصة بالندوات التى تعقدها بشكل منتظم بمشاركة العديد من الفعاليات الثقافية العربية على أرض المغرب الشقيق .

يضم هذا العدد المؤرخ (صيف ١٩٨٩) قصائد للشعراء محمد بن طلحة ، محمد الأشعرى (رئيس إتحاد الكتاب) محمد عزيز الحصينى ، محمد عبده بوزوبع ، محمد بن عمارة ، وقصص لكل من محمد محمد الهراوى ، إدريس الحدادى ، خليل الدمون ، محمد زهير ، عبد الغنى ابو العزم ، ودراسات لـ مليحة العروس ، بشير القمرى ، محمد العمرى ، وحوار أعده محمد الدغمومى مع عبد الفتاح كيليطو ، بالاضافة الى نص من النقد الروائى المغربى من الأربعينات أعده للنشر أحمد بوحش وهو دراسة كان قد كتبها عبد الرحمن الفاسى لرواية "دمعة يزيد" للأديب اللبنانى كرم ملحم كرم .

الثالث هو العدد التاسع من مجلة شئون أدبية التى يصدرها إتحاد كتاب الامارات ، وهو العدد الذى ضم كشافا تحليليا لأعداد المجلة التى صدرت منذ عام ١٩٨٦ وحتى هذا العدد ، ومنه نتبين ان هذه المجلة الشابة قد استوعبت العديد من الكتاب العرب .

شهريات

اشارات ثقافية

من خارج الامارات حتى شملت كتابات من اغلب البلاد العربية ، وهى بهذا تعد نافذة حقيقية وجادة ومفتوحة ليس فقط لاعضاء الاتحاد الذى تصدر عنه ، بل لكل كاتب عربى ، يمد يده بالمساهمة فيها .

وميزة هذه المجلة الجادة أيضا انها توزع فى مختلف الأقطار العربية وعددها هذا يصل عدد صفحاته الى ٣٦٤ صفحة من القطع الكبير ، ومن ناحيتنا ندعو الى قراءتها فهى واحدة من المجلات العربية الجادة والجديدة والتى تستحق المتابعة .

ولانجد فى هذا المقام الا همسة نوجهها لاتحاد كتاب مصر : صحى النوم وغير ولاتحسد .

● ترويض النمرة

ابتدات دار الاوبرا موسمها الثانى بعرض "لترويض النمرة" عن مسرحية شكسبير من تصميم واخراج "جون كرانكو" ، قدمته فرقة باليه شتوتجارت خلال ايام ثلاثة لاتزيد

ويالها من بداية رائعة ، تبقى على شاشة الذاكرة لاتنمحى .

من المعروف ان تلك الفرقة من اكثر فرق الباليه الكلاسيكى تميزا وفورانا بروح مرحة وتعبير درامى ومستوى اداء قل ان يكون له نظير .

وكل ذلك بفضل "كرانكو" (جنوب افريقيا) الذى لم يرحل بالموت فجاة (١٩٧٣) ، الا بعد ان كان قد نجح فى ان



راقصتان من فرقة شتوتجارت

يمزج فى تآلف وانسجام مواهب راقصيها وراقصاتها الذين اتوا الى شتوتجارت من كل فج عميق .

ولقد انتقل مشعل الفرقة من بعده الى مصمم الرقصات "جلين تيتلى" الذى سرعان ما سلمه الى راقصتها "مارسيا هايدى" البرازيلية المولد .

وهى تشغل مركز مديرة الفرقة حتى يومنا هذا ، وترقص ماتزال ، وآية ذلك قيامها اثناء حفلة الفرقة الاولى بالقاهرة باداء دور الابنة الكبرى الشرسة "كاترين"

ولن اقف عند حبكة الباليه الذى كان متاعا للاذن والعين

فالجميع يعرفها ، اذ هى لاتعدو ان تكون ترجمة امينة لمسرحية شكسبير المرحة التى مدارها ترويض "كاترين"

حتى تصبح زوجة هينة ، لينة ، حبوبة ، تدين لشريك حياتها بالطاعة والولاء .

وحتى نكتشف مع تلك النهاية السعيدة ، ان النساء لايظهرن دائما ما بداخلهن ، فنقتنع بحكمة شكسبير القائلة "لاتحكم مطلقا على كتاب من غلافه"

وانما اقف قليلا عند اللمسات التى اضافها اولا : اعداد الموسيقار المعاصر "كيرت هينز شتولز" لعدد من سوناتات "سكارلاتى" للبيانو (١٦٨٥ - ١٧٥٧)

ثانيا : التصميم المذهل للرقصات ، وذلك التناسق بين الحركات وفق نظام ثابت قائم على الالهام .

اقف عندها لاقول انها قد اضفت على معانى شكسبير مزيدا من التحديد والوضوح والجمال .

● ندوات ●

على الراعى يعرف بقصص أديبة بحرانية

فى اتيليه القاهرة وبتاريخ (١٢/١٢) الماضى عقدت ندوة كان على رأس المتحدثين فيها الناقد الكبير الدكتور على الراعى الذى قدم ضيفة الندوة القاصة البحرانية "فوزية رشيد" معرفا بها وبقصصها جموع الحاضرين ، مؤكدا على ضرورة التواصل بين



د . على الراعى

المبدعين العرب ، وعلى الالتفات بقوة لما يصدر فى البحرين الشقيقة من اعمال ابداعية ، وعلى ان قصص "فوزية رشيد" هى نموذج حى ضمن هذا النتاج يستحق التامل ، خاصة لانها تتبنى قضايا مجتمعها الحيوية فى اعمالها ، وتكتب بتلقائية وصدق مع ذاتها ، مما يجعل اعمالها اشبه بالشهادة على مايجرى من تحولات فى واقعها .

شارك العديد من الحاضرين بالتدخلات كان منهم الناقد ابراهيم فتحى والناقد سيد البحراوى والدكتور مدحت الجيار وغيرهم .

● مصر فى أدب القرن العشرين

وفى كلية آداب القاهرة وفى الفترة مابين ١٨ الى ٢٠ ديسمبر الماضى نظم قسم الأدب الانجليزى ندوة علمية تحت عنوان : « مصر فى أدب القرن العشرين » دعا اليها الدكتور حسنين ربيع عميد الكلية لفيفا من النقاد العالميين على راسهم الناقد الانجليزى

شهريات

اشارات ثقافية

الشهير تيرى ايجلتون (من جامعة اكسفورد) والدكتور مالكوم هيورد (جامعة انديانا الامريكية) والدكتورة هيلدا سبيرا (جامعة دادى ـ اسكتلنده) والدكتورة باربرا هيلى (جامعة ترينتى ـ ايرلندا) .
وشارك فى الندوة من النقاد واساتذة الأدب المصريين كل من الدكتور مجدى وهبة ، ود . لطيفة الزيات ، ود . سمير سرحان ، ود . محمد عنانى . ود . انجيل سمعان ، ود . فخرى قسطندى ، والمشرفة على اللجنة المنظمة للندوة الدكتورة هدى الجندى رئيس قسم الأدب الانجليزى .

مكتبة الهلال

الكتاب : الريف فى الرواية العربية
تأليف : د . محمد حسن عبد الله
الناشر : عالم المعرفة ، الكويت ٣٥٦ص ، ٥٠ ف : ك



يحدد مؤلف هذه الدراسة الأدبية ، موضوعه بالموقع والبيئة والشكل الفنى متناولا الرواية التى اتخذت من الريف وأهله ومشاكلهم بالتحليل والتاريخ وقد قسم دراسته الى بابين :
الأول : يتناول فيه بالتحليل رؤية الكاتب وموقفه الفكرى من الموضوع حيث بدأت روية الكاتب بشكل رومانسى ، ثم بدأت الرواية تتجه الى الواقعية ، ثم الواقعية الاشتراكية ثم الريف الرمزى من موقع التأمل الفلسفى .
الثانى : يتناول فيه العلاقات التبادلية بين الريف والمدينة ، ثم الريف والبادية ، كما أفرد فصلا خاصا لرمز الأرض فى الرواية الفلسطينية لأهميته الموضوعية ، وفصلا آخر للريف السودانى لتميزه الفنى .
اختار الناقد بشكل انتقائى نماذج من رواية الريف ، وإن كان هذا قد جعل عنوان الدراسة بعيدا عن واقع الدراسة الفعلى ، فهى فى الحقيقة بعيدة كل البعد عن أن تكون دراسة عن "الريف فى الرواية العربية" ، وإنما دراسة عن بعض روايات الريف فى مجال الرواية العربية لدى اسماء بعينها .

الكتاب : أمريكا .. الجينز والسكين مغامرات صحفى مصرى فى سجون وشوارع أمريكا !
تأليف : محمد حسن الألفى
الناشر : محمود الجداوى
٢١٦ص ، ٣ ج . م

كتاب يحمل روح الرواية ، وتكثيف القصة

شهريات

مكتبة الهلال



القصيرة ، وبنيان المقال الادبي . يضم اربعة عشر فصلا ، تحكي تجربة مثقف مصري ، فلاح حتى النخاع ، يحمل براءة ابن البلد ونخوته وتعطشه للسفر ، تقذف به روح المغامرة الكامنة تحت جلده الاسمر ، الى بلاد غريبة الأطوار والمزاج النفسي والمعمار . الانسان فيها يتعامل مع البيئة والمجتمع والناس من خلال مستوى واحد على الصعيد اللغوى والسلوكي . حيث لاتوجد المساحات المألوفة للمرونة اللغوية والسلوكية الموجودة في شرقنا العربي .

والكتاب تجربة متميزة في مجال الكتابة لأدب الرحلات ، وادب المغامرات والسياحة النفسية ، الذى يقوم على التشويق ، والرشاقة اللغوية .

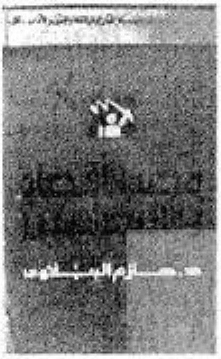
من عناوين فصوله : « ليلة زفاف الأشباح - خذ ٥٠ الف دولار - في بطن الحوت - رؤساء دول من الفضاء الخارجي - في ورشة الساحرة الجميلة - قابلت الكونت دراكيولا - الجينز والسكين - تذكرة الى سجن الكاتراز - شركات خطف الأطفال - في غرفة الاعدام - محاولة خلق طفل - حرب القاهرة واشنطن » .

وهو في مجمله اضاءة للنفس الامريكية ، وجنون المادة ، والعطش الدائم للعلم والتطوير ، والأنماط النفسية والاجتماعية الشاذة والغريبة . إنه مغامرة مثيرة في الغابة الامريكية .

الكتاب : محنة الاقتصاد والاقتصاديين
تأليف : د . حازم الببلاوى
الناشر : دار الشروق
٢٨٨ ص ، ٩ ج . م

يتناول هذا الكتاب بالدراسة والتحليل عددا من القضايا الرئيسية التى تتعلق بالسياسة والاقتصاد المطروحة للنقاش على الساحة المصرية .

والمؤلف يرى ان



الاقتصاد- يطرح المشاكل والخيارات والسياسة تحسمها ، وماله دلالة فى هذا الاطار انه يرى ايضا ان القرارات السياسية ، وهي تحسم الخيارات المطروحة كثيرا ماتكون طاغية وساحقة ، فالسياسة لاتسمو فقط على الاقتصاد وتحكمه ، ولكنها قد تسحقه ، إذن هو يرى ان محنة الاقتصاديين في غير قليل من الأحوال هي ايضا مسئولية السياسيين .

كتبت مقالات وابحاث هذا الكتاب فى الفترة ما

شهريات

مكتبة الهلال

بين عامى ٨١ و١٩٨٩ ، وتضم تسجيلا لملخص مقابلة مع الرئيس السادات كانت قد جرت نتيجة لمقال نشره الكاتب بعنوان « الاقتصاد اخطر من ان يترك للاقتصاديين » .. بالاضافة الى بحث اخر عنوانه ، « مستقبل دور الدولة فى الوطن العربى فى ضوء المتغيرات الاقتصادية والتكنولوجية » .

وقد قسمت الدراسات والمقالات تقسيما موضوعيا إلى ثمانية اقسام ، هموم الاقتصاد المعاصر ، المستقبل والحتمية ، إدارة الدولة الاقتصادية ، مفاهيم شائعة ، الأموال الهائمة ، ماراى الدين ، رسائل قصيرة ، حوارات .

ويمكن بنوع من الاجمال رد هذه الموضوعات الى محورين رئيسيين هما الدولة ودورها الاقتصادى من ناحية ، والحقائق الاقتصادية المستجدة على واقعنا وما ارتبط بها من مفاهيم .

الكتاب : أشجار الاسمنت ، قصيدة لا .

تأليف : أحمد عبد المعطى حجازى

الناشر : مركز الأهرام .

الأول : ١٢٠ ص ، والثانى : ٢٥٢ ص .

دفعة واحدة صدر للشاعر الكبير احمد عبد المعطى حجازى كتابان عن مركز الاهرام للترجمة والنشر ، الأول : بعنوان

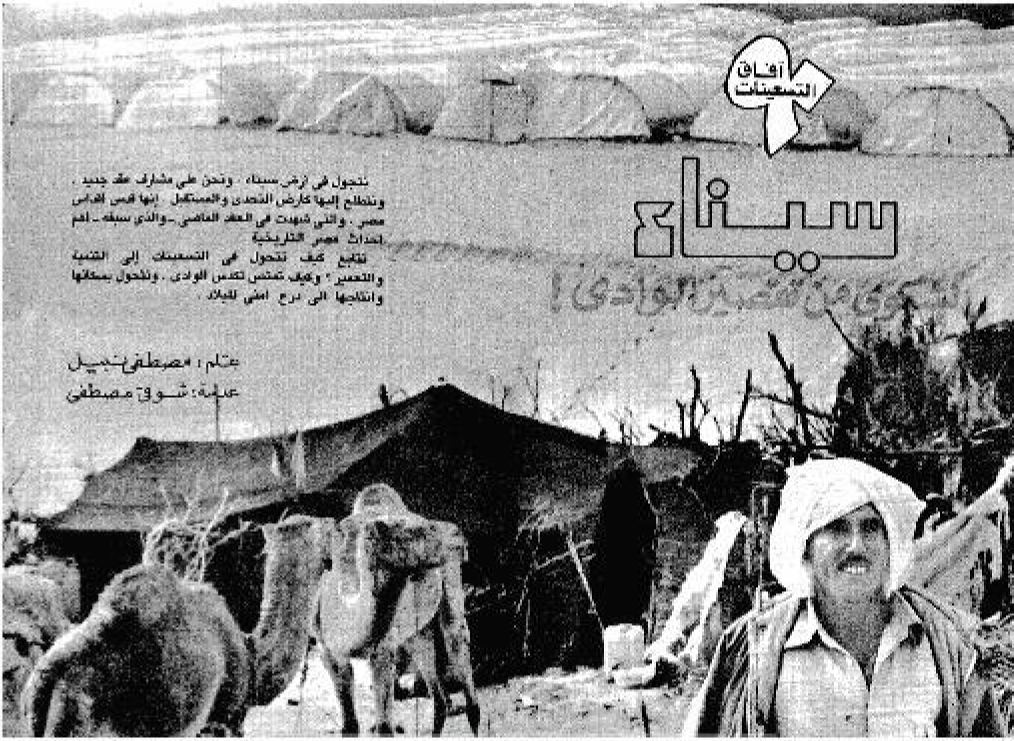


أشجار الأسمنت وهو ديوان شعرى جديد والثانى : مجموعة دراسات ومقالات عن موضوع قصيدة الرفض

يضم الديوان ست عشرة قصيدة كتبت فى الأعوام المتحلقة حول عامى ٧٩ ، ٨٩ ، اى خلال عشر سنوات كاملة ، ضمنها قصيدته الرائعة العودة من المنفى التى كان قد كتبها بعد ان قرر العودة الى مصر بعد غياب طويل ويقول فيها :

لما تحررت المدينة عدت من منفاى .
ابحث فى وجوه الناس عن صحبى .
فلم اعثر على أحد ،
وادركنى الكلال
فسالت عن أهلى ، وعن دار لنا فاستغرب الناس السؤال .
وسالت عن شجر قديم .
كان يكتنف الطريق الى التلال
فاستغرب الناس السؤال .

أما الكتاب الثانى فيضم مجموعة من المقالات التى يقول عنها المؤلف انها كانت من الأولى أن تكون كتابين ، فهو يدور حول محورين مختلفين الأول يتخذ مادته من الشعر القديم ، والآخر من الشعر الحديث ، والمحور الأول يختار من الشعر القديم جانبا مجهولا او يكاد ، فهو يلتفت لقصيدة الرفض والتمرد ، قصيدة الصعلوك والخارجى ، والفاتك ، والماجن .



سيناء

نتجول في أرض سيناء، ونحن على مشارف عقد جديد، ونتطلع إليها كأرض التحدي والمستقبل. إنها قدس أقداس مصر، والتي شهدت في العقد الماضي ـ والذي سبقه ـ أهم أحداث مصر التاريخية.

نتابع كيف نتحول في التسعينات إلى التنمية والتعمير؟ وكيف تمتص تكدس الوادي. ونتحول بسكانها وانتاجها الى درع أمني للبلاد.

عتلم: مصطفى نبيل

عدسة: شوقي مصطفى

سيناء

وصلت الى ارض سيناء فى يوم شتوى مطير .

انتقلت اليها عبر المعدية من مدينة القنطرة ، يتقاطع طريق المعدية مع الملاحة الدولية التى تصل بين البحر الابيض والبحر الاحمر ، تتقاذفنى المعدية فى نقطة تقاطع على مياه القناة بين افريقيا وآسيا ، وفى هذا المكان تتزاحم الخواطر وتتلاحق الصور ، فامامك القنطرة شرق التى شهدت أعنف معارك التحرير ، يقفز الى ذهنك مشهد العبور المهيب فى حرب اكتوبر ، فيض من الصور والذكريات عن تلك الايام التى ينبغى ان تعيش فى ذاكرتنا ووجداننا ، فمازلنا نحتاج الى عمق اللحظة ومشاعرها لكى يمدنا بطاقة من اجل تعمير وتنمية سيناء .

نمضى فى فضاء شاسع على طرق معبدة ، ونلتقى بالعديد من التجمعات السكانية المتناثرة ، بعد ان تركنا وراءنا مدينة القنطرة القديمة ومبانى مدينة القنطرة الجديدة التى لم تجذب اليها سكان المدينة القديمة الذين ترتبط اعمالهم بالقناة ، ومضت السيارة تقطع التلال والوديان فى الدرب التاريخى القديم الذى اطلق عليه قديما « درب الشام » والذى شاب عليه الزمن ومرح فى اعطافه التاريخ ، والذى خطت المياه معالمه ، وما اكثر ماتفصح عنه سيناء بعمق صمتها ، وروح الخلود التى تحيطك

توقف قطار السكك الحديدية ، وانتزعت فلنكاته وبقيت المحطة ، ومازالت تنتظر فى صبر عودة القطار



امامنا المياه الزرقاء والسماء الصحوة والشمس الدافئة المشرقة فى عز الشتاء .

اتحرك على الدرب الذى يبدأ عند الفرما (بالوظة) وينتهى برفح ، مرورا بالبردويل وراس العبد والعريش والخروبة والشيخ زويد وهو ذات الدرب الذى مرت عليه الكثير من الحملات والذى حمل بعضها غصن الزيتون والبعض الاخر السيف والمدفع ، وهو عند المؤرخين .. ساحة المعركة الدائمة بين الشرق والغرب . وهو بالنسبة لأهل مصر ، العقبة الكأداء التى ينبغى على اى جيش ان يتغلب عليها ـ كما يؤكد الدكتور جمال حمدان ـ فقد عبرته الجيوش منذ فجر التاريخ . وقدم لنا التاريخ على ارض سيناء اهم عبره واحكم دروسه ، ويعنى التاريخ تراكم الخبرة الانسانية ورصد التفاعل الدائم بين الانسان والمكان .

وقد شهدت هذه الأرض ما لا يقل عن ٥٠ حربا كبرى ، من الهكسوس حتى الاسرائيليين وامتزجت رمال سيناء بالدم المصرى ، فى قائمة طويلة من شاروهن الهكسوس ، وقادش تحتمس الى قرقميش البابليين ، وحطين صلاح الدين ، وعين جالوت قطز ، ومرج دابق الغورى ، وعكا نابليون ، وحمص ونصيبين محمد على .

فهو الدرب الذى يصل الى قلب مصر ، كما عبرته جحافل الغزاة عبره الانبياء والصالحون ، وتحفل الكتب المقدسة بذلك ، ومر على أرض سيناء وباركها النبى ابراهيم ويعقوب ويوسف ، وموسى وهارون والعائلة المقدسة .

وليس غريبا ما ذكره بعض المؤرخين انه كان لمصر سور عظيم ، يبدأ من العريش ويتجه الى القلزم ، (السويس) ثم يتجه مع شاطىء النيل الشرقى الى



اجتماع فى المحافظة على مشارف التسعينات ، وعود على بدء يناقشون ضرورة توفر المعلومات ووجود خطة محكمة للتنمية الشاملة .

الجنوب وأن سيزوستريس هو بانى هذا السور .

وتفصح ارض سيناء عن الكثير لزائرها ، وكل ما حولك يقول . انه حان الوقت لكى تشهد سيناء تغييرا نوعيا فى اساليب التنمية والتعمير ، ونصل الى تصور شامل لتنمية كل طاقاتها وتعبئة كل احتياجاتها . بافكار جديدة عصرية ، وان يكون هذا التصور جذابا وملهما ، وان يتجنب ـ على هذه الارض البعيدة عن الوادى ـ وطأة البيروقراطية وامراض الوادى المستعصية ، وان ننقذها من مسالك الروتين الحكومى المعقد وتنازع الاختصاصات بين جهاز تعمير سيناء والوزارات المختلفة والحكم المحلى ، مستفيدين من كوننا نقيم مجتمعات جديدة ، ومستغلين ماتتمتع به ارض سيناء من تنوع ومصادر مختلفة فى الانتاج . فيجتمع فيها معظم انواع التكوينات الجيولوجية وطبقات الأرض والصخور وتنوع النشاطات الاقتصادية من زراعة ومعادن ورعى وصيد ، والقيام بعمل جماعى خلاق يستخدم مختلف فروع المعرفة ويشرك مؤسسات اتخاذ القرار

سيناء

ورسم البرامج من اجل تلك النقلة .

ويكفى ما قمنا به فى ظل اندفاع له مايبرره ، وتعطش هذه الأرض المحررة الى الرعاية والاهتمام ، وليكن ماقمنا به من شق الطرق واقامة المدن الجديدة وبناء المدارس والمستشفيات ووصول الكهرباء والماء لكل تجمع بدوى ، هو البنية الاساسية الضرورية للعبور منها الى مشاريع التعمير والتنمية والامن جميعا .

على ان يكون المؤشر الجديد هو الزحف الانتاجى على مراكز الثروة الجديدة . فمثلا تقول تجربة التنمية فى الصين ، انه بعد تحديد موقع الانتاج ينتقل العمال الى هذا الموقع ويعيشون فى الخيام ، ثم يقومون ببناء بيوتهم ، وبعد الانتهاء منها يشرعون فى بناء مصنعهم وهكذا يعم وينتشر التعمير .

وليست صيحة الاتجاه الى الجنوب والى الافاق الجديدة ، فى تعمير الولايات المتحدة ببعيدة وهى تقدم العديد من الدروس والتى كانت تدور حول مواقع الثروة ومد خطوط السكك الحديدية اليها .

وكل هذه تجارب هامة فى التعمير والتنمية لابد ان توضع امام مؤسسات صنع القرار .

● بساتين النخيل

وتمضى فى رحلتنا على ارض قدس الاقداس ..

ونصل الى العريش كبرى مدن الصحراء وعاصمة محافظة شمال سيناء والمدينة التاريخية التى تطل على البحر ، وتلحظ على الفور حركة التعمير الواسعة ، الفنادق الفخمة ، العمارات السكنية الجديدة ، القرى السياحية الجديدة ، رغم انه لاتتجاوز شهور السياحة هنا شهور الصيف الثلاثة ، وتفزعك تلك الغلظة التى اقتلعت بها بعض اشجار النخيل ، وزرعت بدلا منها الشاليهات التى تحجب البحر عن الرؤية واتساءل .. الى متى يقوم التعمير على حساب الجمال والذوق ؟

ان مدينة العريش هى المدينة المؤهلة لكى تتحول الى مركز حضارى لكل سيناء ، تشع على كل ما حولها ويصب فيها الفائض البشرى من الوادى . وكثيرا ماوصف الرحالة مدينة العريش ، ووقفوا امام بساتين النخيل وتغنوا بالخضرة وسط الصحراء ، ووصفوها « بانها مدينة ذات حصون ، كانت اسوارها قائمة ازاء البحر حتى القرن السابع الهجرى » .. واذا قلبت اوراق فتح العرب لمصر تجد مايذكره الواقدى ان عمرا « ترك الصحراء وجعل الحصون التى فى طريقه الى مصر عن يمينه ، وهى حصون رفح والعريش وحتى الفرما (بالوظة) وينقسم السكان بين المدينة وبدو رحل مبعثرين حولها .

وساحل سيناء الشمالى الذى تشكل العريش مركزه ، بامطاره ومياه كثبانه ورماله وقطعانه وزراعاته ومدنه الجديدة ، ترى فيه بدايات كبيرة للاستثمار والتعمير فهو فى الاساس ساحل زراعة ويوجد فيه الكبريت الذى تستخرجه شركة فريبورت الامريكية وساحله الممتد غنى بأسماكه ، وهنا اهم مناطق الزراعة فى شريط من الأراضى الرملية الطينية التى لاينقصها سوى موارد المياه الجديدة . ولكل مزرعة



حتى في الصحراء البعيدة ، تفرض الأساليب الحديثة نفسها على الحياة ، والمطلوب الوصول الى المعادلة الصحيحة بين القديم والجديد

هنا بئر خاصة وتنتشر الصوبات والزراعة المغطاة ، وتستخدم المياه بصورة اقتصادية بالتنقيط او الرش ، ولكل من هذه المزارع سور ، بسياج نباتي ، وتنتشر فيه أشجار الزيتون والفواكه .

وشريط الساحل يزداد خضرة كلما اتجهنا شرقا في اتجاه الشيخ زويد ورفح ، وفي بعض وديانه تكاد ترى غابة من الاشجار وخاصة السنط الى جانب النخيل .

ويؤكد الخبراء غنى سيناء الشديد بالانواع النباتية المختلفة ويقدرون ان فيها ما يزيد على ٥٢٧ نوعا من النبات وجزءا كبيرا منها لاوجود له في اية منطقة اخرى من الوادي وهذا يؤهلها لزراعة العديد من النباتات الطبية .

وتقوم الكثير من الهيئات الدولية بالمساهمة في التنمية فلدى اليونيسيف مشروع حفر ١٢ بئرا على عمق الف متر بتكلفة ٨ ملايين جنيه في كل من نخل والحسنة ، ويقوم الايطاليون بدورهم بحفر ٢٥ بئرا جنوب العريش لزراعة خمسة الاف فدان .

ووجد الخبراء الى جانب المشروع الايطالي مساحة تصل الى ٢٠ الف فدان ، ظهر فيها نبات يشبه القمح ، وكان الكشف عنه بالمصادفة وبدأت الابحاث لتحويل المنطقة الى زراعة القمح وتحويلها إلى محمية .

ان استثمارات الخطة الخمسية الثانية

آفاق التسعينات

سيناء

فى سيناء تصل الى ٦٦٣ مليون جنيه . بالاضافة الى ٥٠٠ مليون جنيه فى الخطة الخمسية الأولى التى ركزت على الهياكل الاساسية وهذا يعني! ان الوادى لايبخل على سيناء ، وقامت فى العريش كلية للتربية واخرى لعلوم البيئة تتبعان جامعة قناة السويس ، وعندما زرت مكتبة الجامعة فى العريش لم اجد فيها ايا من الكتب الرئيسية عن سيناء مثل كتاب نعوم شقير وكتاب الدكتور رشدى سعيد عن جيولوجية سيناء ، فكيف تقوم جامعة بيئية لايكون اول مهامها جمع الكتب الرئيسية عن سيناء .

وقدمت العديد من مراكز الابحاث كل فى مجاله العديد من الدراسات الهامة ، ولكنها مازالت متفرقة ، وتشمل ابحاثا عن مصادر المياه ، وتطبق الهندسة الوراثية فى الزراعة للوصول الى بذور تتحمل نقص المياه وملوحتها ، ودراسات لاستخدام الطاقة الشمسية وسرعة الرياح لرفع مياه الابار الجديدة ، وهناك مركز للمعلومات داخل محافظة سيناء يستخدم الكومبيوتر ويرتبط بمركز المعلومات التابع لمجلس الوزراء ، ويبقى ان تتصل كل هذه المحاولات فى خطة واحدة حاكمة حتى تصبح التنمية والانتاج والامن الضابط لايقاع العمل كله .

● خطة حاكمة

فنقطة البداية نحو المستقبل ، وجود « خطة حاكمة » يضعها خبراء فى كل المجالات وتصب لديهم كل المعلومات والدراسات ، وتوائم هذه الخطة بين الاهداف العمرانية والامنية ، على ان تحدد هذه الخطة بصرامة الأولويات واشكال التمويل المختلفة ، ويشرف عليها هيئة مستقلة لها صلاحيات كاملة ، فهى مشروع لايقل عن مشروع اقامة السد العالى اهمية وتأثيرا ، وبذلك يتجنب المجتمع الجديد تنازع الاختصاصات بين الحكم المحلى وجهاز تعمير سيناء والوزارات المختلفة . ويتجنب تضارب المعلومات وتوزعها وتتوفر له القدرة على اتخاذ القرارات السريعة .

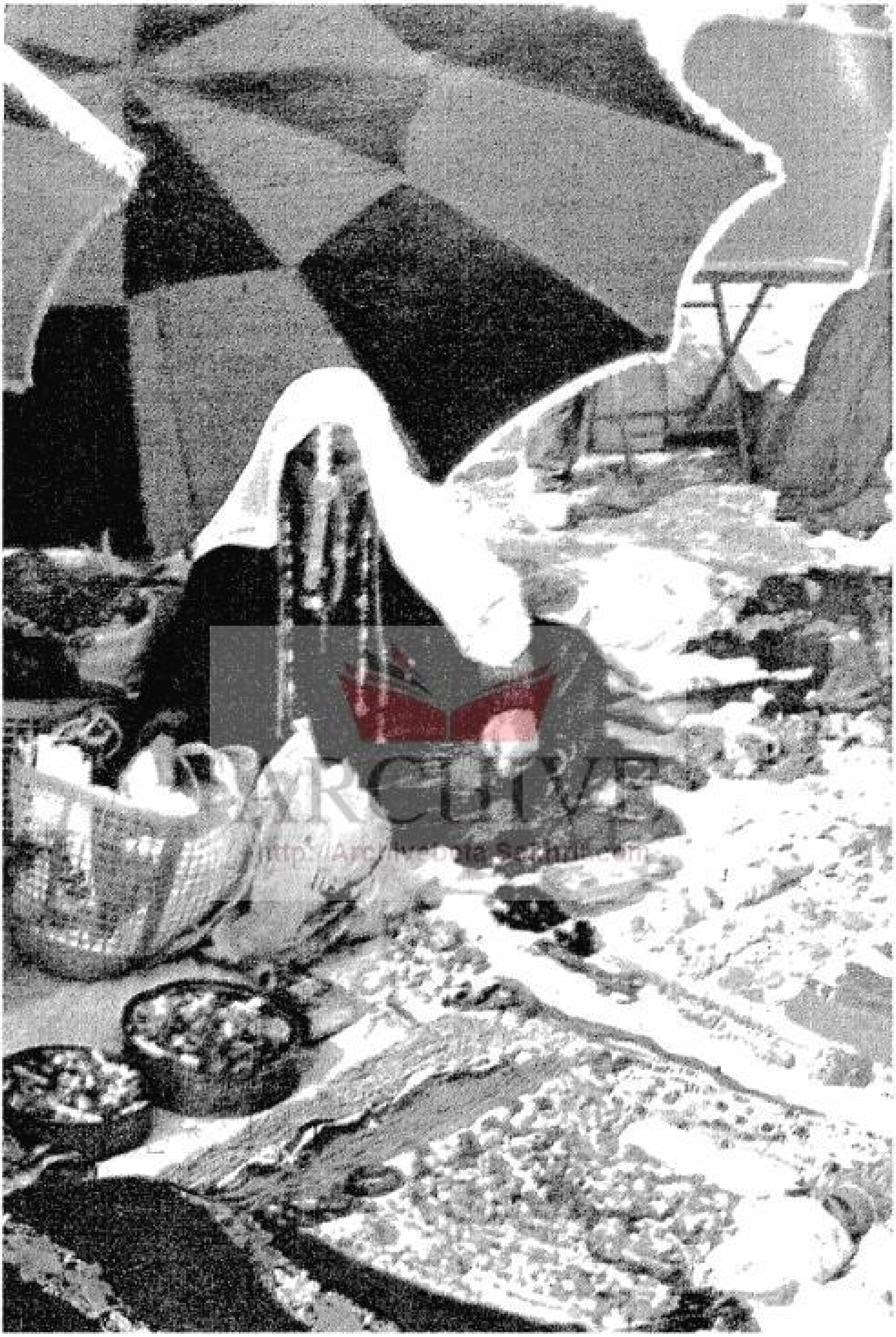
● العزلة والاتصال

واذا كانت « ارض » سيناء التى تبلغ ــــ١ــ من ساحة مصر ، والغنية بارضها الصالحة للزراعة الا انها مطوقة من كل الجهات بالمياه ولها ثلاثة سواحل يبلغ طولها ٧٠٠ كم تطل على البحر الاحمر والبحر المتوسط ، ولايوجد فى سيناء نقطة تبعد عن البحر الا قليلا .

وبرزت عقبتان رئيسيتان تعطلان التنمية والتعمير ، هما العزلة وندرة المياه . واذا مثلت قناة السويس التى حفرت منذ ١٢٠ عاما اداة اتصال هامة بين البحرين الابيض والاحمر ، فانها شكلت فى نفس الوقت اداة فصل بين شبه جزيرة سيناء والوطن الام ، واقامت عازلا مائيا بين الوادى وسيناء .

ولم تعد تلك العزلة تستعصى على اصحاب الخيال الذين ياخذون بمنجزات العلم الحديث ، وبالانفاق والجسور والطائرات والقاطرات والعبارات يمكن انهاء هذه العزلة .

الحديث لتصاعد قيمة المصنوعات اليدوية ، ويمكن ان تدر دخلا



آفاق التسعينات

سيناء

وبالفعل اقيم نفق الشهيد احمد حمدى عند مدينة السويس ، واقيمت ثلاثة منافذ نقط للعبور بالمعديات فى كل من الاسماعيلية والفردان والقنطرة ، واقيمت المطارات شمال وجنوب سيناء . ويتوقف مطار العريش عن العمل فى فصل الشتاء .

ورغم انه سبق وأعلن عن مشروع انشاء ثلاثة خطوط للسكك الحديدية ، الأول هو خط الساحل القديم الى رفح ، والثانى على محور الوسط من الدفرسوار الى ابو عجيلة ، والثالث يربط بين الاثنين بطول شرق القناة ثم يمتد جنوبيا حتى الطور . الا ان ما هدمته الحرب لم يشرع فى بنائه بعد ، رغم ان السكك الحديدية تلعب دورا رئيسيا فى عمليات التعمير .

واذا كانت الطائرات والعبارات التى اقيمت كافية اليوم ، فهى لاتكفى لمشروعات المستقبل ، ولايجوز ان تقاس الجدوى الاقتصادية لها فى الزمن القصير ، بل من خلال المستقبل البعيد ، وما ستجذبه العمليات الانتاجية من اولئك الذين مازالوا يلتصقون بالوادى ، وتظهر من خلال هذه النظرة المستقبلية اهمية اعادة خط السكك الحديدية ويغدو ربط ميناء العريش بميناء بورسعيد بالعبّارات السريعة جزءا هاما من خطة شاملة ذات جدوى اقتصادية عالية .

● ماء الحياة

واذا كانت المياه هى ضابط الحركة فى سيناء فهى ايضا سقف تنمية المستقبل . واذا كانت ارض سيناء غنية بالابار والعيون وهى اغزر صحارينا بمياه الامطار . فاننا لاتملك حتى اليوم خريطة دقيقة تحدد كمية المياه الجوفية ودرجة ملوحتها ، وهذه الخريطة هى الخطوة الأولى فى اتجاه الزراعة الكثيفة ويؤكد محافظ سيناء اللواء منير شاش .. « انه منذ سبعة اعوام وهو يلح على الجهات العلمية للحصول على خريطة مائية لسيناء ، ولامجيب » رغم وجود معهد بحوث تنمية الموارد المائية ، وفى عصر الاقمار الصناعية والاستشعار عن بعد وبعد حفر العديد من الآبار ! .

ويتركز المستقبل فى نقل مياه النيل اليها ، وقبل عام ١٩٦٧ اقيمت اول سحارة تنقل مياه النيل عبر القناة امام مدينة الاسماعيلية بطاقة محدودة ، وبدأت الدراسات بعد تحرير سيناء لاقامة مشروع رئيسى لنقل مياه النيل . ويذكر محافظ شمال سيناء « لقد وصلت جهودنا فى التنمية الى نقطة فاصلة فاذا لم تتوفر المياه فلن نقدر على استمرار مشروعاتنا الزراعية او الصناعية . ويستطرد قائلا : لقد قطع مشروع ترعة السلام مرحلة كبيرة ، ووصلت الترعة من فارسكور الى قرب قناة السويس ، واقيمت السحارة - بمشروع يابانى - التى ستنقل المياه الى سيناء والمشروع فى طريقه الى الاستكمال وقطعت المفاوضات مع صندوق التنمية الكويتى مرحلة كبيرة من اجل التمويل ويبقى تحديد مسار الترعة وهل تمر على محور الوسط وتصل الى متلة ونخل ، ام يكون مسارها قرب الساحل على « درب الشام » حتى لاترفع المياه بالمضخات لكى تجتاز المرتفعات فى الوسط ؟



المبانى الجديدة فى الشيخ زويد ، كجزء من عمليات التعمير الواسعة ولكن ليس بالسكن وحده يحيا الانسان

ورغم تسليم المشروع باهمية ان يكون المسار فى الوسط واهمية ان يتركز فيه المشاريع الانمائية والسكان ، ولاسباب اخرى استراتيجية وامنية ، ولكن بقيت مشكلة رفع المياه كمشكلة فنية تزيد من تكاليف المشروع .

وقد سجلت وجهة نظر المحافظة فى هذا الخلاف . مؤيدا ان يكون مسار النهر فى الوسط ، لكى نتجنب تفريغ الوسط من السكان ، وهو الذى يعانى اكثر من نقص المياه » .

وعندما تصل مياه النيل الى سيناء ستصبح سيناء جزءا من حوض النيل .

● مصاعب العمران

ويقى من اجل اقتحام التسعينات ان نعالج بعض الصعوبات الرئيسية التى واجهت التنمية الشاملة ، واول هذه الصعوبات تعدد سلطة اتخاذ القرار ، وغياب التنسيق بين الاطراف المختلفة . فمثلا لدى المحافظ مشروع كبير لكى

يصبح ميناء العريش ، ميناء دوليا ، ولكن الميناء تنفذه وزارة التعمير ، ولاتوافق وزارة المواصلات سوى على ان يبقى مجرد ميناء للصيد ، رغم انه من الممكن ان يصبح ميناء دوليا تصدر منه منتجات سيناء ، أو يغدو ميناء محليا تصل اليه احتياجات المحافظة مثل الاسمنت وحديد التسليح والبترول والقمح .

اما ثاني هذه الصعوبات فهو غياب التحديد الدقيق للأولويات ، وقيام هذا التحديد على فكر واضح ، فهل تكتفى الدولة باقامة البنية الاساسية والخدمات ، ام ان هناك دورا مميزا لتغيير وجه الحياة على ارض سيناء ؟!

ومن هذه الصعوبات ايضا ماتقوم به المكاتب الاستشارية الاجنبية ، فقد حصل مكتب خبرة امريكى على خمسة ملايين دولار ، لقيامه بدراسة حول سيناء وتنميتها ، ولم تستفد منه التنمية فى

اخر حدود مصر مدينة رفح المقسمة



شيء . فأعطى الأولوية للسياحة في شمال سيناء ، رغم ان السياحة في شمال سيناء تقتصر على ثلاثة شهور في السنة ، وقررت الدراسة عدم صلاحية شمال سيناء للزراعة وتم زراعة ٢٥٠ الف فدان بالامكانيات الأولية ، وكل الذى قامت به الدراسة هو تجميع المعلومات المتوفرة لدى الادارات المختلفة واعادة تقديمها في شكل جداول ودلالات .

والاجدى ان يستفاد من الامكانيات المحلية والجامعات والاكاديمية ومعاهد البحث المختلفة بدلا من هدر المال العام !

● الشيخ زويد

وصلت الى مدينة الشيخ زويد يوم سوق الثلاثاء ، ووجدته مثل اى سوق في اى قرية مصرية يضاف اليه المشغولات اليدوية الخاصة بسيناء ، والتى تقوم فيه المرأة البدوية بالدور الرئيسى ، فهى التى تقوم بتصنيع كل احتياجات الاسرة .

وتشعر في مدينة الشيخ زويد بحيوية ضرورة اعادة اكتشاف التراث الثقافي الحضارى لسيناء ، ومعرفة قيمته كقوة دافعة للتطور ، والبعد المفقود في اى خطة

خطـــوات هامـــة فـــى طريـق التعمير . اقامة كلية للبيئة



آفاق التسعينات
سيناء

شاملة للتنمية وتتبين ذلك عندما يجهدك البحث عن طراز معمارى يعبر عن البيئة المحلية . فكل المبانى الجديدة عمارات خرسانية لاتناسب البيئة .

ولم يعد مقبولا ان يشعر سكان سيناء بالغربة معع ابناء الوادى ، وستستمر الغربة اذا لم يتفهم كل طرف الطرف الاخر ، ويعرف اعرافه وتقاليده وطرق حياته ، كما تظهر هذه الغربة . عندما يترك البدوى البيت الاسمنتى الذى اقامه له جهاز التعمير أو المحافظة ويبنى الى جواره بيت الشعر ، الذى يسكنه كما تظهر من ذلك البدوى الذى سمعته يطلب الدواء من الصيدلى قائلا : «لقد اختجنا الدواء عندما سكنا فى تلك البيوت المغلقة التى فصلتنا عن السماء» ، ان هذا الفهم المتبادل هو الذى يخلق الاتصال الحقيقى بين ارض سيناء والوطن الأم .

● بحيرة البردويل

وفى طريق العودة زرت بحيرة البردويل التى احمل لها ذكريات عطرة .

ويمضى بنا الطريق .. تبدو الصحراء الشاسعة للوهلة الأولى غير مسكونة ، فلا ترى سوى القليل النادر من اوجه الحياة فتجمعات البدو فى كل مكان ولكنهم يتوزعون فى ارض سيناء فى بقع خضراء ، ينصبون خيامهم – بيت الشعر – حيثما وجد المرعى ، وجوههم حادة ، لباسهم وفنونهم مميزة ، يشعرون من يلتقى بهم فى جوف الصحراء بحدبهم وكرمهم وننتقل الى قرية الصيادين ، وتدهش وتتساءل كيف تتغير العادات من مجرد تغيير المهنة ، فالقيم السائدة تختلف عن تلك السائدة بين البدو ، ويكفى ان تعرف ان البدوى ، لايتعامل مع البحر ولا سمكه .

وبحيرة البردويل بحيرة واسعة تصل مساحتها ١٦٤,٥٠٠ فدان ، تقع غرب العريش بنحو ٥٠ كيلو مترا ، يفصلها عن البحر لسانان وبوغازان ، وهى من اكثر المناطق جاذبية ومن اكثر المشروعات نجاحا ، فقد تم تصدير ماقيمته ١٦ مليون دولار من سمك البحيرة خلال عام ١٩٨٩ .

والسؤال الذى تطرحه هذه البحيرة لماذا لاتنتشر قرى الصيد على طول الساحل سواء البحر المتوسط ، أو خليج السويس ، وبعد ان اكدت الدراسات ان المنطقة من رفح الى بورسعيد غنية بالسمك على عمق ٥٠ مترا ، وهذا يحتاج الى وسائل صيد حديثة ، لامجرد قوارب الصيد التقليدية وهو مايحتاج الى شركات ضخمة او جمعيات تعاونية لكى نضيف مصدرا جديدا للثروة والانتاج وقد طلبت الصيد فى هذه المياه كل من فرنسا ،ايطاليا واليونان وقبرص .

● التقصير

وكان الشعور الذى لم اتمكن من مغالبته طوال الطريق ، وكلما سمعت معاناتهم الطويلة فى ظل الاحتلال هو الشعور العميق بالتقصير ، تقصير ابناء الوادى ، وهو تقصير امتد طويلا ، وتزايد مع شق قناة السويس ثم مع الاحتلال البريطانى الذى اختار احد الضباط البريطانيين حاكما عاما لسيناء واخذت العزلة تتزايد والتقصير يتصاعد ولخذ كل جيل يرث تقصير الجيل السابق ، ولم يعد يدخل ابناء الوادى الى ارض سيناء الا

بتصريح خاص ، ويفطن الكثيرون للخطر بعد حرب ١٩٤٨ وحرب ١٩٥٦ ، ويطالبون بتعمير سيناء كعمل استراتيجي بالغ الخطورة ولكي لاتترك اطراف مصر فراغا ومرتعا فالحدود الآمنة هي الحدود البشرية الكثيفة الصلبة ، وتمر الأيام ولايتحقق سوى القليل .

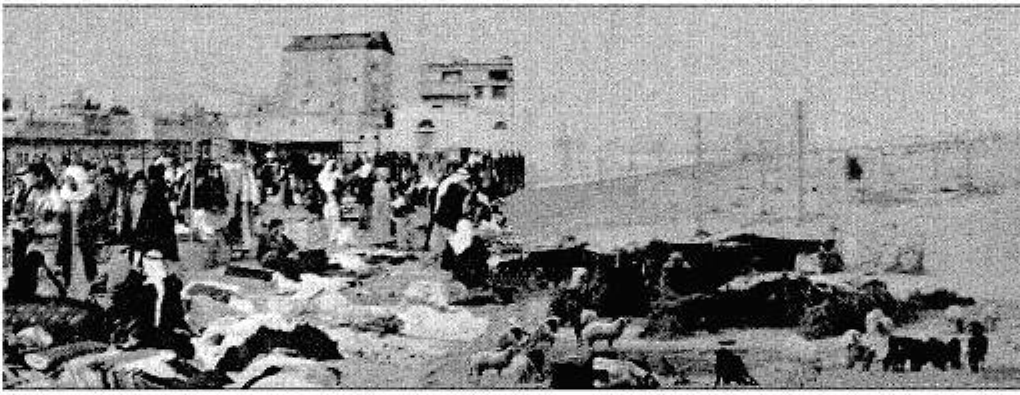
وقد اثارت زيارة البردويل ذكريات سوداء قديمة ، عندما وجدت نفسي امام هذا التقصير في احد الايام التي اعقبت حرب عام ١٩٦٧ .

وسارعت الى السفر الى بورسعيد والتقيت هناك بعدد من الشباب المتطوع ، وعدد من القيادات مازلت اذكر منهم السيد عبد الفتاح ابو الفضل والمهندس عاطف زيد ، وعددا من الاطباء المتطوعين ، وكان الجميع ينتظرون هجوم اسرائيل على بورسعيد وقد ساهموا في معركة رأس العش التي .اوقفت تقدم القوات الاسرائيلية الى بور فؤاد وبدأت اقامة شبكة اتصالات مع اهالي سيناء قبل احكام السيطرة الاسرائيلية على الأرض المحتلة ، وكان هدفهم مساعدة فلول الجيش المنسحب في الخروج من ارض التيه ، واقاموا مركزا متقدما على بحيرة البردويل ، يقدم فيه الاطباء الاسعافات الأولية لاولئك الذين ارهقهم العطش في الصحراء ، وادمى اقدامهم السير لمسافات طويلة ، وبعدها ينقلون بزوارق الصيد الى بورسعيد ، وبمساعدة بدو سيناء وصيادي البردويل ، وقدم البدو اعمالا بطولية ، ودهش الاطباء من ارتفاع نسبة الامراض في بدو سيناء بسبب سوء التغذية .

وشعرت بعمق التقدير والعرفان نحو هؤلاء البدو الذين وقفوا مع الوطن في محنته رغم تقصير ابناء الوادي في حقهم ايام عزهم .

الطاقة الشمسية هي المستقبل ، ومهما زادت التكاليف ، فهي قليلة في الزمن البعيد ، وتتجنب التلوث





بين القصر وبين الاسطح ، وطبيعة ... السوق

لقد تركزت تجمعات السكان حول بئر او خدمة طريق ، وحول الواحات القليلة المتناثرة على الطريق ، تتزايد التجمعات السكانية كلما اتجهنا شرقا ، ينصبون خيامهم حيثما يوجد مرعى لقطعانهم ، وهؤلاء البدو يجيدون التعامل مع الطبيعة القاسية ، يعرفون الدروب بالنجوم وحركتها ولهم خبرة في تقصي الاثر ، يعرفون الوقت بلا ساعة ، ويرصدون هبوط الامطار دون ارصاد جوية ، ويعرفون اتجاه الريح ، ومازالوا يعيشون بعاداتهم وتقاليدهم الخاصة .

وتبقى دائما ظاهرة لافتة للنظر ، وهي ان السكان الذين يقطنون في اطراف مصر وعلى حدودها ، يتجهون بوجوههم الى خارج الوادي ، « اولاد علي » على حدود مصر الغربية والبشارية والعبابدة على حدود مصر الجنوبية ، وبدو سيناء ايضا يبحثون عن هذه الظاهرة فتمتد مشاعرهم الى الاردن والجزيرة العربية ، صحيح ان كل هذه القبائل تمتد متخطية خط الحدود ، ولكن الصحيح ايضا انه في الوادي اكثر المجتمعات استقرارا وثباتا .

واظن ان ذلك يعود الى عدم تفهم الوادي لهم ، وغياب اي مراكز حضارية كبيرة ومؤثرة خارج الوادي ، واهل مدينة العريش تقوم بهذا الدور وهي المؤهلة له ، وخاصة بعد ان بدأت فيها كلية التربية ، ومع حركة العمران الواسعة التي تشهدها ولايكفي ان ميزانية الثقافة في كل سيناء لاتتجاوز ٦٠ الف جنيه ، فالدور الثقافي ليس مجرد قصائد حماسية او اعمال تشكيلية انما المساهمة في خلق نسيج ثقافي وحضاري متماسك ويساهم في خلق هذا النسيج الثقافي الواحد ، الاهتمام ومتابعة المجالس المحلية المنتخبة ، وبذل الجهد الكبير في انجاح هذه المجالس التي تؤثر في حياة الاهالي بدلا من مجرد تبادل المصالح ، وهذه المجالس هي المؤهلة لكي تكون حلقة الوصل بين الادارة والاهالي .

وفي سنة ٢٠٠٠ سنحاسب لا على ماقمنا به ولكن على ما لم نقم به ، وحان الوقت للمطارات التي تعمل والجرارات التي تدور ، والمباني التي تقوم ان تكون كلها جزءا من خطة شاملة تقوم على فكر اصيل ونظرة مستقبلية ، لكي تتحول هذه الانتفاضة التي نراها الى حركة منظمة واهداف محددة . فمازالت سيناء تشكو من اهمال الوادي !!

جولة المعارض

محمود بقشيش

حوار بين ثلاثة معارض

جاء افتتاح مجمع الفنون الجميلة بالزمالك ، في نوفمبر الماضي ، إعلانا حقيقيا عن بداية الموسم التشكيلي ، وقدم سلسلة مختارة من المعارض رفيعة المستوى ، جمعت بين كبار الفنانين المصريين والأجانب ، وجعلت من أماكن العرض ساحات للحوار بين ابداعات متمايزة ومتميزة ولاشك أن تقديم تلك العروض المقارنة بين ابداعات مصرية وأجنبية ، بتلك البراعة .. أمر صعب ، والأصعب أن يتم عبر شبكة « البيروقراطية » المعطلة - بطبيعتها - لأى تقدم .

لقد قدم المجمع خلال شهرى نوفمبر وديسمبر ستة من المعارض الهامة هي : معرض الفنان الفرنسي (الهولندى الاصل) « كورني » ومعرض الفنان المصرى الراحل « فؤاد كامل » ، ومعرض فناني « شتوتجارت » للفن الحركي البنائي . ومعرض الفنان النمساوى جوزيف ميكيل . كما قدم معرضا للفنان الكبير « منير كنعان » ، والفنان « عبدالله صبره » .. أما في قاعة المركز المصرى للتعاون الثقافي الدولي فقد عرضت الفنانة « منى زعلوك » - المقيمة حاليا في باريس - آخر أعمالها ، وهو معرض يستحق وقفة تأمل ، وقدّم اتيليه القاهرة بعد فترة من الاضطراب في عروضه ، افضل معارض موسمه ، حتى الآن ، للفنان « جميل شفيق »

• جميل شفيق .. والنحت المصرى القديم •

اقام الفنان « جميل شفيق » ـ ٥١ عاما ـ معرضه الأول بأتيليه القاهرة ، فى مجال الرسم بالحبر الصينى ، فقد أقام معرضه الأول ، والمفاجىء ، بعد انقطاع استمر منذ تخرجه فى كلية الفنون الجميلة .. لم يحرص خلال تلك الفترة على الاشتراك فى معارض خاصة ، بل منح نفسه للعمل الصحفى رساما ومصمما ، لذا اختار لمعرضه الأداة والمجال الذى أتقنه .

إن المتلقى يستطيع ، على الفور ، اكتشاف خطوط الاتصال بين الرسوم المعروضة وملامح المنحوتات الفرعونية ، فقد بدت رسومه أقرب إلى النحت البارز ، وجعله هذا يميل إلى إغفال التفاصيل والاهتمام بما يحفل به النحت المصرى القديم من كتل نقية ، فظهرت الوجوه بلا ملامح ، أو بعين واحدة ..

وكما أسقط من حسابه التفاصيل واكتفى بالقليل من العناصر .. احتلت « السمكة » البطولة فى لوحاته ، وهى تارة تتجلى رمزا للخصوبة ، وتارة تبدو مجرد « غذاء » للانسان والحيوان .. خاصة « القط » .

إن عالم لوحاته بسيط ، ومتفائل ، وهادىء ، يحتفل بالكليات وبالبناء والضوء الثابت ، وتكشف لوحاته أيضا عن نوايا « تطبيقية » وفى كثير من لوحاته مايصلح للتنفيذ الجدارى والميداليات التذكارية .

لوحة للفنان : جميل شفيق



• كورنى .. وأغنياته البريئة •

أقيم معرضه بالقاعة رقم (١) بالمجمع ، وضم لوحات متوسطة الحجم ، ومطبوعة بالشاشة الحريرية ، وهو أحد جماعة (الكوبرا) التى تكونت بعد الحرب العالمية الثانية ، من بين شعراء وفنانين تشكيليين .. بلجيكيين ودانماركيين وهولنديين . وإسم « الكوبرا » ليس وصفا للثعبان الشهير ولارمزا له .. بل على حد تعبير « كورنى نفسه » اسم بلا معنى ولا

تصوير: للفنان كورنى

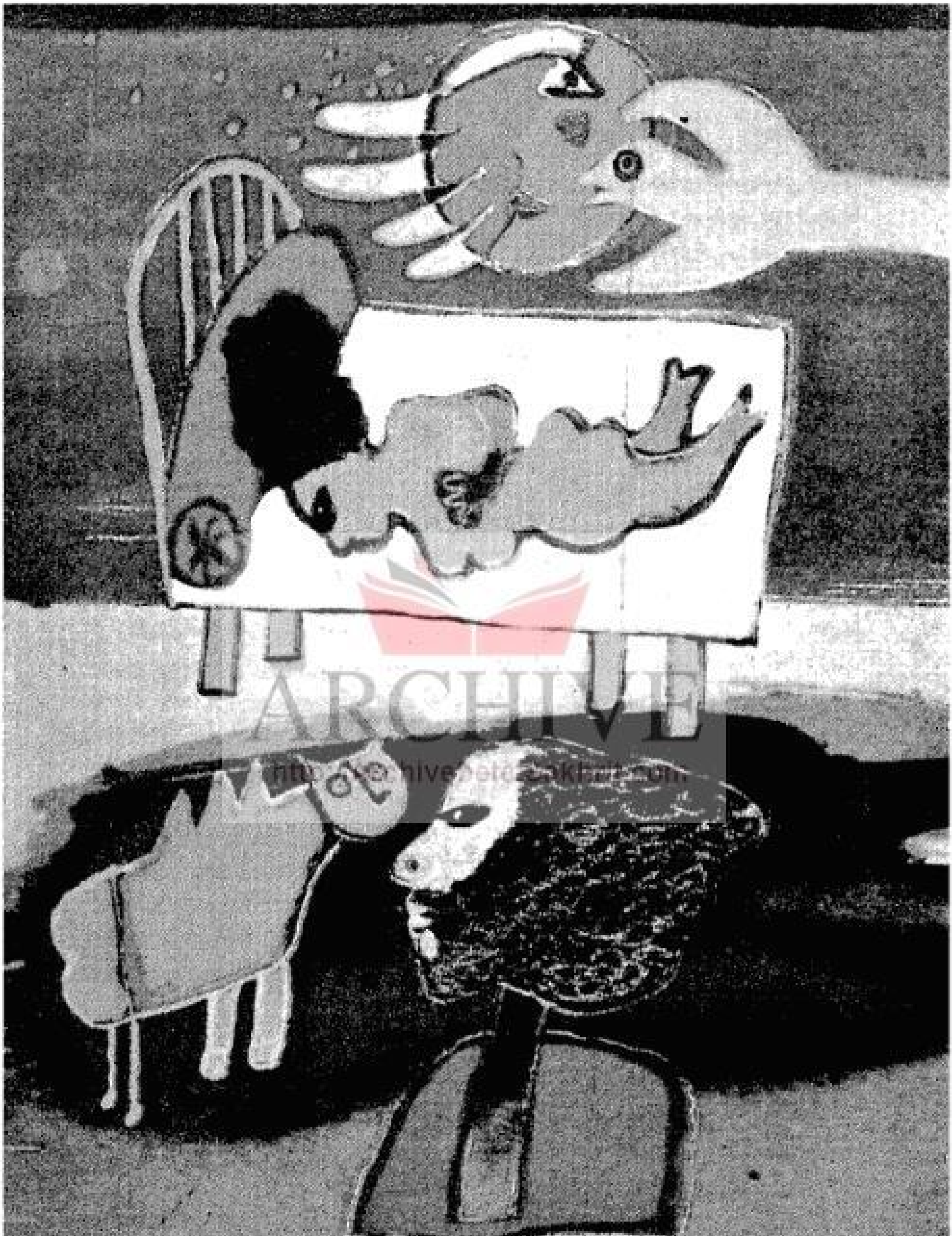


رمز . مجرد اسم اشتق من الأحرف الأولى للعواصم الاولى الآتية : « كو ـ بنهاجن ، بر ـ وكسيل ، أ ـ مستردام » ! وانضم إليها فنانون من ألمانيا وتشيكوسلوفاكيا والولايات المتحدة ، وسعت إلى مباركة فنانين ذوى شهرة عالمية أمثال « جياكومتى » .. ورغم ذلك لم تصمد اكثر من ثلاث سنوات تبددت بعدها .. (من ١٩٤٨ حتى ١٩٥٠) أما سيرة « كورنى » قبل « الكوبرا » وبعدها فيمكن تلخيصها فى الآتى :

ولد عام ١٩٢٢ فى « بلجيكا » من اسرة هولندية . درس الرسم والجرافيك فى الاكاديمية الملكية الهولندية بامستردام بين الاعوام : ١٩٤٠ ـ ١٩٤٣ ، واقام معرضه الأول عام ١٩٤٦ ، ثم جاءت جماعة « الكوبرا » وبعد تفككها قام برحلات متعددة إلى المغرب وافريقيا الوسطى وجزر مايوركا وامريكا الشمالية والجنوبية . اقام منذ عام ١٩٥٠ إقامة دائمة فى مدينة باريس .. وهو يقيم معرضا سنويا ـ تقريبا ـ منذ معرضه الأول حتى الآن !

وقد أجاب « كورنى » على تساؤل لى عن الأساس النظرى والفكرى لجماعة « الكوبرا » بما معناه انها جاءت لتواجه ثلاثة أعداء : العدو الأول هو الحرب وما أحدثته من بشاعات مادية وروحية فى الانسان . ثانيها : ضد الفن الذهنى والرياضى والذى يتبدى فى لوحات « موندريان » حيث يتلاشى العنصر الانسانى ، وفى نفس الوقت ضد الفن الذى يُظهر الانسان مقهورا . دميما .

حلم للفنان : كورني



ثالثها : ضد المؤسسات والأحزاب وطابعها الدعائى .. وكان سلاحها فى تلك الحرب هو الدعوة إلى البراءة . العودة إلى الطفولة . الفطرية . البهيجة . وعندما سُئل عن المشابهة بين فنه وبعض جوانب فن « ميرو » نفى ذلك وأجاب بأن طفولة « ميرو » و « بول كلى » طفولة فيها تصنع ، وهى طفولة خائفة .. بينما الطفولة التى ندعو إليها هى الطفولة المرحة البهيجة . وعندما سُئل : هل من الممكن أن نظل أبرياء ، أطفالا ، فى زمن الاجتياح ؟ .. أجاب إجابة طريفة : إذا لم يكن بمقدورنا أن نبدأ من عالم الطفولة فهل الأصح هو أن نبدأ من عالم الشيخوخة ؟!

وعندما سُئل عن رأى النقاد فى فنه وفى فن جماعة « الكوبرا » أجاب بأنهم ، كالعادة غير راضين عن شيء .. أما الجمهور .. فهم يقدرونه بدليل أنه يحيا من فنه حياة كريمة !

ومهما كان الرأى فى فلسفة تلك الجماعة ، فقد شاركت فى طوفان الأساليب الفنية فى التعبير عن المناخ النفسى الذى خلقته حربان طاحنتان بسلاح واحد هو : البراءة !

• عن المعرض •

ضم المعرض مستنسخات مطبوعة بواسطة الشاشة الحريرية ، بدرجة عالية من الاتقان ، وقد علق « كورنى » على اختياره نوعا واحدا من الابداع .. بأنه اضطر إلى ذلك لتفادى مشكلات النقل . والحق فإن الوقت الذى نقضيه فى رحاب معرضه لاشك ممتع ، فستجد فيه الطفولة - وإن كانت مستعارة - وستجد فيه التلقائية - المحسوبة رغم ذلك - وتألق الصراحة اللونية ، وحيوية اللمسات . وهو يقنع بعالم الطفولة فى سنواتها الأولى .. حيث لا ترابط فى وحدة المكان أو وحدة التكوين . ويترك لروح الشعر الكامنة فى اللوحات أن تقوم بهذا الدور .

إن طائره العجيب . المسيطر على مجمل لوحات المعرض .. هو لحنه الأساسى .. الذى يوحد بين مايتبدى فى اللوحات من شتات طفولى . كذلك يلعب الخط المتموج ، والاقواس .. دورا رئيسيا آخر فى توحيد طابع نفسى . بصرى .. وتأتى الألوان الصريحة لتسهم اسهاما فعالا فى هذا الدفء ، وفى تشكيل عالم خاص ، مصاغ بعين الرضا ، فى مواجهة عالم حقيقى شرس ، وقد لاتفلح هذه النظرة الباسمة فى مواجهة حقيقية .. ومع ذلك فإنها على الأقل تمنحنا الأمل فى القدرة على ذلك !

.. ومع ذلك فإننى أرى أن ابداع « كورنى » قد تأصل فى المدرسة الفرنسية بشكل خاص .. بما تتميز به من أناقة ورقة وبهجة وإقبال على الحياة .

●●●●

• معرض اتجاهات الحركة البنائية .. لفنانى شتوتجارت •

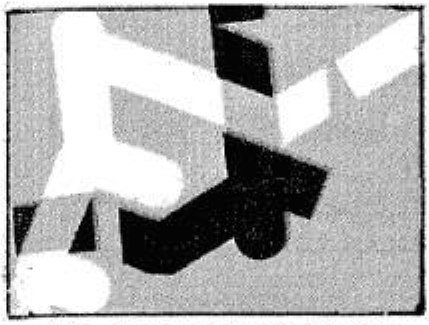
اما هذا المعرض والذى أقيم بقاعتى « ٢ » و « ٣ » فجاء مناقضا لكورنى، وفؤاد كامل معا، فإذا كان اسلوب كل منهما مشبعا بالعواطف والتلقائية، فإن المعرض الثالث يرتكز على اساس العقل وتجلياته فى الرياضة والهندسة المعمارية، والحركة المبرمجة، واناقة المعادن البراقة، والمصنوعة، والانشاءات المبهرة التى لاهدف لها إلا الجمال. ولقد جىء بهذا اللون من الوان الفن التشكيلى إلى مصر فى أواخر الستينات، وأقيم له معرض تحت عنوان الفن الحركى، وفى حين اقتصر المعرض الحديث – كما هو واضح فى العنوان – على الحركة الهندسية المعمارية. فقد اشتمل المعرض السابق على نوع آخر من الحركة وهو « الحركة العضوية » المستلهمة من كيانات حية حيث جاءت حركاتها اقرب إلى حركة التنفس .. إلى غير ذلك من الايماءات العضوية لكن على الرغم من اختفاء البوح العاطفى المباشر، واختفاء الانسان بهيئته المألوفة .. فإننا نلتقى بأشعار جديدة. مرئية ذات كتل نقية. وملامس مصقولة .. حتى من يرد أن يكتشف إيماءات إنسانية، أو أصولا فى الواقع فسيجد بغير عناء. فمن من المشاهدين لايستطيع اكتشاف البعد الموضوعى المباشر لمجموعة « ماكس شميتس » التى تشبه إلى حد بعيد جماعة أو مجموعة من الموسيقيين ؟ .. غير ان الفنان لايكتفى بهذا البعد الوصفى بل يريد لنا ان نعيش لحنا، تتوحد فيه الآلة والعازف واللحن ..

ويطمع فيما هو اكثر بالطرق على وجدان وذاكرة المشاهد .. يستنهض من كل ذات لحنها الخاص. أليس فى هذا عودة إلى الشعر، والوجدان، والعواطف .. لكن بطرق مغايرة لما اختاره « كورنى » و « فؤاد كامل » ؟! .. لقد وضعنا « ماكس شميتس » امام شفرة يسهل فضها. فأعطى لكل شكل فى فرقته الموسيقية اسما وظيفيا. يسهم مع بقية الاسماء فى ميلاد اللحن.

أعطى لعازفيه التسعة تلك الاسماء: رأسى – فى الركن – الايقاع – ديناميكى – متماسك – افقى – لولب – اختراق – ستاتيكى.

اما أكبر العارضين سنا وهو الفنان « شتانكوفسكى » فقد قدم مجموعة بديعة من رسومه الهندسية والملونة بألوان الاكليريك، ومن اجمل لوحاته لوحة بعنوان « أشياء » لوحة مربعة، مقسمة إلى مربعات متساوية، يشكلها بأشكال هندسية مغايرة تتكامل وتشكل فيما بينها نغمة لحنية أخرى .. يتجاوز بها حدود المربعات المتجاورة، ويشكل من « الحركة النمطية » للمربعات و « الحركة المتجاورة » لها لحنا بصريا ممتعا.

إن « ماكس شميتس » و « انطون شتانكوفسكى » مجرد نموذجين من عشرة نماذج وكلهم يستحقون وقفة متأملة ومتأنية، وربما الذى دفعنى إلى



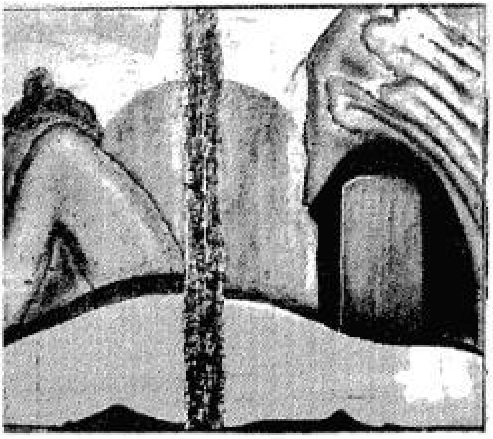
الرموز والعلاقات للفنان . هوست كونرت

اختيارهما ، ليس فقط الاعجاب بما قدماه ، أو لأنهما يقدمان مايختلفان به اختلافا عميقا مع « فؤاد كامل » « وكورنى » ..

ولكننى اخترتهما لاسباب لاتخلو من دوافع شخصية ، فأولهما دارس لعلم المصريات وتاريخ الفن والفلسفة بجامعة ميونخ ، والآخر ناقد فنى !

اشياء .. للفنان شتافلوفسكى





العمارة الفطرية .. للفنانة : منى زعلوك



● منى زعلوك .. والعمارة الفطرية ●

أقيم بالمركز المصرى للتعاون المصرى الثقافى الدولى معرض للفنانة « منى زعلوك » المقيمة حاليا بباريس وتطالعنا كل بضعة أعوام بمعرض جديد لها . إن اللافت للنظر أن موضوعها المفضل ـ سواء عندما كانت فى مصر أو باريس الآن ـ هو العمارة الفطرية ، التى تجمع ملامحها من بيوت القرية المصرية ، والضوء الاستوائى ، واللون الافريقى ، وشيئا من المذاق الجوجانى . وعمارتها تبدو للوهلة الأولى خالية من البشر .. لكن ماتكاد تتجول ببصرك فيها .. حتى تكتشف أن أبوابها وجوه تطالعك فى صمت مبهم ، وخطوطها القوسية . اللينة . تذكرك بكيانات انثوية انسانية .. غير انها لاتتركك لاسترسال الخطوط اللينة ، بل تفاجئك بخطوط رأسية .. خشنة ، وحاسمة كما تفاجئك بضربها الاستوائى المعترض لمساحات أشكال البيوت .. وهى تلغى التجسيم .. ثلاثى الأبعاد ، دون أن تسقط من حساباتها الايحاء به ، لأنها لاتريد لنا أن نتوقف عند البعد الوصفى . الوظيفى . لعمائرها .. بل أن نتوقف عند حوار الأضداد :

الضوء الباهر ومساحات الأشكال الداكنة ـ الخطوط اللينة والخطوط العمودية أو المعترضة فى مواضع غير متوقعة ـ الملامس الخشنة والملامس الرقيقة . الخطوط العفوية الفطرية .

والخطوط ذات الطابع الهندسى . مع الاحتفاظ بجراة لاتخطئها العين .. فى لمسات الفرشاة .

الجديد فى معرضها هذا هو القراءة الشعرية التى قدمتها الشاعرة الفرنسية « جنيفييف كلانسى » لأعمال « منى زعلوك » فى نص مطبوع وزع على زوار المعرض ، كما القته الشاعرة فى حفل خاص اقامه المستشار الثقافى .. وأحب أن أحيط القارىء بمقطع صغير من قصيدتها الطويلة ..

تقول :

الصمت العميق علق على الابواب ..
ينادى الصحراء !
ويبتهل إلى الظلال ..
لن تكشف النور.. للجراح والجذور .
وينادى بلاد الضوء المتالق .. والابدية
ذات المعابد العذراء .

• تكريم فؤاد كامل •

اقيم فى القاعة رقم « ٤ » معرض للفنان الكبير الراحل « فؤاد كامل » بمناسبة مرور سبعين عاما على ميلاده ، ويشبه « كورنى » فى كونهما قد شاركا فى تاسيس جماعة فنية ، وقد شارك « فؤاد كامل » فى تاسيس اكثر الجماعات المصرية تاثيرا وهى جماعة « الفن والحرية » ، كما ينتميان لجيل واحد وشغلتهما أحداث الحرب .. وفى الوقت الذى انتمى فيه « كورنى » إلى الجناح المتفائل ، انتمى « فؤاد كامل » إلى جناح السيريالية المتشائم .. لكن لم تلبث الجماعة أن انصرفت عنه ، بعد أن فجعت فى قائدها الشاعر « أندريه بريتون » بعد أن أيد حملة بيع أعمال فنية من أجل إقامة دولة صهيونية فى فلسطين . انصرف « فؤاد كامل » إلى اسلوبه الذى تالق به ، بعد تاثره بالفنان الامريكى « جاكسون بولوك » لهذا نجد بعض المشابهات القشرية بينهما ، وأقول قشرية عمدا ، إذ أن العالم الذى يقدمه « فؤاد كامل » له مذاق خاص . روحى . أحب الا افسد على القارىء الطريق إليه .. بل اترك « فؤاد كامل » يقدم لنا عالمه الخاص بكلماته العميقة . الصادقة . الشعرية .

يقول :

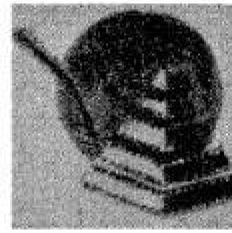
أجل ، إن صورى مهما كبر أو ضؤل حجمها ، عشق وعجب ومغامرة .
أتخطى بها عالم المرئيات ،
وأفصل مادة الفن عن صورته ،
كيما أقيم فوقها الشكل المطلق ..
استكشف به عالم المجهول ،
يتراءى لى
وأنا أول من أدهش له

وعندما أخلع نقاب الزركشة وأحطم اليقين الرياضى والبناء الهندسى ، أجد نفسى واجما أمام قدر متربص وكون صامت ، لكنى أقترب من سرداب مطمورة كامنة فى الأغوار البعيدة ، من قوى طاردة عاملة على التشعب والتناثر ، ومن قوى جاذبة عاملة على التلاقى والتجمع .



الفنان فؤاد كامل في حالة الرسم

ذلك الصراع بين الذات الحرة والعالم الخارجي ، يتولد منه نسيج لوحاتي
نسيج النفس واشتهاءاتها
نسيج المجرات والفضاء المزدهر بالنجوم ، والتعرجات عندما تتقمص بذرة الحياة الأولى
وتبعث الدفء والنور في شظايا الصخور البلورية
في حبيبات الرمل والطين
في رذاذ المطر
في عروق الرخام وجذوع الجميز والسنط
في أرض مصر التي سعفتها رياح الصيف
وفي شواطئها التي صفقت بصخورها رياح الشتاء في الجرانيت المكسو بطمي النيل ، في حجارة المآذن القديمة ونقوش القباب التي يزحف عليها لون كامد أغبر ، في حواشي البرونز التي تكسو الابواب الخشبية العتيقة ، في غدير النور ، في طائر الرمال ، في شجرة اللهب ، في زهرة الصخر ، في سعفة الرماد .. وكأنما تجتاز ممرا سحريا تختفي فيه خطوط الارض والافق إلى الابد . وقد يختفي الضوء ايضا ، فيختفي معه الشكل وظله تماما . راصل إلى مايشبه المأزق ، لا أبرح أن أستلهم من القوة والعنف ، ومن الهدوء والارتخاء من ثنايا تبدلات الاشكال ، بل انتفاضاتها ، شيئا ما يفجر الطاقة الراقدة فيها ...



نظرة طائرة على

بدا مهرجان القاهرة السينمائى الثالث عشر بداية متواضعة كل التواضع ، غريبة كل الغرابة .
فلقد استهل عروضه ليلة الافتتاح بدار سينما مترو لا بفيلم من افلام الافتتاح الضخم مثل (الطريق الى الهند) و (الارنب روجرز) ، وانما بفيلم قصير اقرب الى التسجيلى منه الى الروائى ، لم يمكث عرضه سوى دقائق معدودات وفوق هذا له من العمر خمسة وسبعون عاما او يزيد .
فما هو هذا الفيلم القصير ، القديم الذى اجنح بمهرجان القاهرة الى الخروج الاكيد عن التقاليد ؟

نجوم الامريكى العجوز



المغنية التى اسقطت حكومة المحافظين



مهرجان السينما بالقاهرة

بقلم :
مصطفى درويش



الانزلاق المثير لحظة تحول

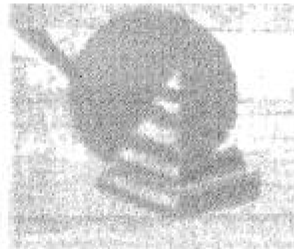
انه « سباق عربات الصغار في فينيس » ، ذلك الفيلم الذى جرى تصويره في احدى الضواحي « لوس انجلس » •

وهو ثانى فيلم يمثله شارلي شابلن ، واول فيلم يظهر فيه مرتديا زى المتشرد الخالد •• السروال المنتفخ ، السترة الضيقة ، الحذاء الضخم المترهل ، القبعة الصغيرة المستديرة ، العصا الخيزران الملتوية، فضلا عن الشارب الاسود القصير الوقور •

وسباق السيارات هذا ، انما كان سباقا حقيقيا توجه اليه شارلي شابلن مع المصور « هنرى لهرمان » استجابة منهما لامر صادر اليهما من « ماك سينيت » صاحب « ستديو كيستون » باستغلال هذا الحدث وعمل فيلم سريع منه • يتيح للاستديو فرصة تنفيذ التزامه بتسليم دور العرض كل اسبوع ثلاثة افلام من بكرة واحدة لا تزيد •

ومما يميز فيلم الافتتاح الذى صور السباق المشار إليه عن غيره من الافلام ، هو أن اشهر شخصية سينمائية ابتدعها خيال الانسان قد بدأت مشوارها به •

وبدأته واقعيا في سباق حقيقي ، وليس في عالم مصنوع قوامه الايهام فالمتشرد الخالد ذلك الكائن الذى من صنع الخيال ، انما يظهر بلحمه ودمه لاول مرة وسط جماهير حقيقية



مقتحما سباقها ، مسجلا ذلك الاقتحام على فيلم ، لينتقل فور ذلك ، والى الأبد ، فيما بعده من افلام الى عالم الاطياف القائم على محض الخيال .

ولعلها المرة الأولى والوحيدة فى تاريخ السينما التى تشاهد فيها كيف أصبح جمهور نظارة اثناء حدث عام شاهدا ومكتشفا لميلاد اسطورة

وغنى عن البيان ان اختيار ذلك الفيلم الفريد كى يكون فيلم الافتتاح، انما يرجع الى جنوح المهرجان الى تكريم شارلى شابلن بمناسبة احتفال العالم بميلاده قبل مائة عام . وبالتحديد فى الخامس عشر من شهر ابريل لعام ١٨٨٩ .

ولم يكتف المهرجان بتكريم شابلن المتفرد الخالد ، بل كرم الى جانبه ممثلنا ومخرجنا « نجيب الريحانى » ، وكذلك كلا من المخرج البولندى « كافالوروفيتش » صاحب فيلم « فرعون » الذى شارك فيه مخرجنا الراحل « شادى عبد السلام » بالديكور ، والمخرجة التشيكوسلوفاكية « فيرا شتيلوفا » والمخرج الفرنسى « رينيه كليمان » والمخرج الاسبانى « جوزيه لويس بوراى » والمخرج الامريكى « بوب رافلسن » الذى شارك فى المهرجان بثلاثة من افلامه اخرها « ساعى البريد يقرع الجرس دائما مرتين » (١٩٨١) تمثيل « جاك نيكلسون » و « جيسيكا لانج » و « انجيليكا هوستون » ابنة المخرج الراحل « جون هوستون » .

ومن ضمن ما ابتدعه المهرجان تكريم النجمتين الايطاليتين الساحرتين « ستيفانيا ساندرلى » و « كلاوديا كاردينالى » .

فضلا عن اقامة عرض بانورامى للسينما الافريقية ، وذلك بمناسبة انتخاب حسنى مبارك رئيسا لمنظمة الوحدة الافريقية .

وعرض للسينما التونسية منذ البداية والى هذه الساعة .

وفوق كل هذا عرض للافلام التى من ابداع نساء مخرجات .

وكما هو الحال فى العامين السابقين ، كان للسينما الامريكية نصيب الاسد من الحضور والاقبال والاهتمام .

ولو فكرنا تفكيرا هادئا فى افلام المهرجان ، لانتهى بنا الامر الى القول بان اهمها انما يعرض لمحنة المرأة من خلال العلاقات المشوهة المفروضة عليها باعتبارها سلعة تباع وتشترى

وهنا ، وقبل تناول هذه الظاهرة بالكلام ، أرى من المناسب ان اذكر ان السينما العربية ، انما تأخذ بخناقها أزمة ابداع حادة ، وآية ذلك انها لم تستطع أن تتقدم لعروض المهرجان الرسمية بفيلم يرقى الى المستوى اللائق بحضارة لها من العمر الاف السنين .

واستثنى من هذا الغم فيلما واحدا الا وهو « سمع .. هس » رائعة المخرج المصرى الواعد « شريف عرفة » .

ومن عجب أنه فى الوقت الذى لم تتميز فيه السينما العربية خارج مصر باى فيلم ، تميزت السينما الافريقية الشابة بفيلمين احدهما « الاختيار » للمخرج « ادريس اودراجو » الذى اثار ضجة كبرى بفيلمه الاخير « بابا » (١٩٨٩) ، وهو من مواطنى بوركينا فاسو .

اما الفيلم الثانى « الضوء » فصاحبه المخرج المالى « سليمان سيسى » .

ولعله اول فيلم من افريقيا السوداء يكتب له ان يفوز بجائزة لجنة تحكيم مهرجان كان (١٩٨٨) . وقصته تدور حول الصراع بين القديم والجديد من خلال عرض يكاد يكون تسجيليا للطقوس والتقاليد .

● سينما الملايين

ومرة اخرى ، وقبل الكلام عن الافلام التى تعرض لمحنة المرأة على مر العصور ، قد يكون من المفيد ان نشير اشارة عابرة الى خمسة افلام ضخمة انفق على انتاجها ملايين الدولارات وهى « فوق السطوح » ، و « الازرق العظيم » و « روزالين والاسود » و « الامريكى العجوز » و « ثورة » .

واولها « فوق السطوح » للمخرج الامريكى « روبرت وايز » صاحب قصة « الحى الغربى » و « صوت الموسيقى » .

وموضوع الفيلم لا يعدو ان يكون تكرارا لقصة الحى الغربى المستوحاة من مأساة روميو وجولييت مع افتعال نهاية سعيدة .

شابلن .. متشرد خالد



ولو رأيت « فوق السطوح » دون ان تكون على علم بان مبدعه مخرج مخضرم فى طريقه الى الخامسة والسبعين ، لذهب بك الظن الى ان الفيلم من صنع شاب فى مقتبل العمر. فهو عمل سينمائى موسيقى صاخب ، لاهث الايقاع ، يشع حيوية وانطلاقا.

اما الفيلم « الازرق العظيم » فقد تركز عليه كثير من الترقب واللهفة ، لكثرة مديح الصحافة الفرنسية له ، ولافتتاح مهرجان كان (١٩٨٨) به .

وهو من اخراج « لوك بيسون » .

هذا وقد تركز ترقب واهتمام المولعين بالسينما الفرنسية لا على « احذر يمينك » اخر فيلم يبدعه المخرج الرائد المجدد « جان لوك جودار » وانما على « روزالين والاسود » لصاحبه « جان جاك بينيكس » ذلك المخرج الشاب الذى بهر العالم بجرأة تناوله للموضوعات ، وحسه السينمائى العالى المستوى .

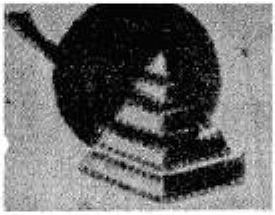
ولقد جاء فيلمه الرابع « روزالين » مخيبا لآمال المترقبين المهتمين لخلوه من اية مشاهد جنسية فاتحة للشهية، هذا فضلا عن ان موضوعه لا يتصف بالجدة والابتكار .

ومع ذلك فهو يعتبر واحدا من اجمل افلام المهرجان لوصول حرفة السينما فيه الى ذروة عالية من البراعة ، وبخاصة فى مشاهد « روزالين » (ايزابيل باسكو) ، وهى داخل القفص تروض الاسود .

● رحلة غريبة

فاذا ما انتقلنا الى « الامريكى العجوز » فسنجد انفسنا امام فيلم طموح مستوحى من قصة الاديب المكسيكى المعاصر «كارلوس فوينتس» التى بنفس الاسم .

والامريكى العجوز هو « امبروز بيرس » الاديب والصحفى المعروف الذى امتطى حصانا ، وسافر به الى



المكسيك اثنـــاء ثورة « بانكوفيلا » (١٩١٤) حيث اختفى دون أن يترك اثرا ·

و « فوينتس » فى روايته لمأسـاة ذلك الاديب الذى ذهب الى المكسيك ولم يعد ، انما يعرض لها من خـلال تخيل لحالته النفسية ، بالقيام برحلة داخل عقله الذى شك فى جدوى كل ما كتب ، وكل ما آمن به ، حتى انتهى به الأمر الى الظـن بانه قد خـان رسالته فى الحياة ·

● الاجل المحتوم

فكان ان سافر وحيدا الى المكسيك التى كانت وقتذاك تموج بثورة رأى فيها انعكاسا لما كان يعتمل داخلـه من شد وجذب واضطراب ·

وهناك فى صحبة عانس امريكية (جين فوندا) وثورى شاب (جيمس سميتس) يسترد الثقة بنفسه ، يجد لحياته معنى جديدا ، وذلك الى ان يجيئه الموت برصاصـات تنطلق من غدارة هذا الشاب ·

ولقد لعب « جريجورى بك » (٧٢ سنة) دور هذا الاديب الصـحفى المتأزم نفسيا ، الباحث عن الذات ·

ومن مزايا الفيلم تصـويره فى اماكن احداث الثـورة ، أى على ارض المكسيك ، بمجموعات حاشدة ، من المكسيكيين المقيمين جنوب نهـر الريوجراند ، مما اسبغ عليه طابعا مكسيكيا أصيلا ، نجده مفتقدا فى الافلام الامريكية الاخرى التى عرضت لثورة المكسيك مثل « يحيا زاباتا » يبقى فيلم « ثورة » وهو عن الثورة الامريكية وأحداثها الجسام قبل مائتى عام ·

ومخرجه هو « هيو هدسون » الذى سبق أن رأينـا له « جرى ستوك » أحدث أفلام طرزان و « عربات النار » الفائز بجائزة أوسكار احسن فيلم (١٩٨١) ·

ولقد اختير لاداء الادوار الرئيسية فيه نجوم لامعة فى مقدمتهـا « آل باشينو » و « دونالـد سوذرلاند » و « ناستسيا كينسكى » و « جوان بلاورايت » زوجة الفنـان الراحل « لورانس اوليفييه » ·

كما حشد لمشاهد المظـاهرات والمعارك الحربية الزاخر بها مئـات الكومبارس ، ممـا أسبغ على تلك المشاهد واقعية ومصداقية اخاذة ·

ومع ذلك فهو يعتبر كارثة فنية من البداية وحتى النهـاية ولعل ضعف السيناريو هو الذى أدى الى عـدم الارتقـاء به الى المسـتوى اللائق بمخرجه وممثليه ·

والآن الى أهم الافلام التى عرضت للعـلاقات التى تفسـد بين المرأة والمجتمع ·· أعود ··

هى ثلاثة افـلام « المتهمـة » و « العلاقات الخطرة » و « فضيحة »

● امتحان قاس

وأولها يعرض لحادث اغتصـاب فتاة عاملة فى مكان عام ، وعدم أخذ القضاء شهادتها مأخذ الجد ·

ومن هنا اضطرار المحققة « كيللى ماكجيليس » الى اسـقاط تهمـة الاغتصاب ، وبدلا منها توجيه تهمـة تهديد الارواح والاموال الى الشبان الثلاثة المغتصبين ·

وهذا ما اغضب الفتاة المغتصبة « جودى فوستر » ، وذلك لانها كانت تتوقع ان تنتصف لها العدالة اذا ما حكت مأساتها تفصيلا امام المحكمة ، وكانت ترى فى ذلك خير تعويض لها عما وقع على جسدها من اعتداء اثم مهين ·

ولم يكن امام المحققة ، حتى تستطيع اعادة المحاكمة استجابة لرغبة الجنى عليها التى بدأت تتعاطف معها ، سوى حل وحيد ، هو توجيه الاتهام الى رواد المكان العام (وهو بار) الذين شاهدوا الاغتصاب ، وكأنهم متفرجون يستمتعون باستعراض حى مثير .

● دقل الجنس

اما « العلاقات الخطرة » فهو عندى اكثر الافلام الامريكية جرأة وهو مستوحى من قصة الاديب الفرنسى « كودرلو دى لاكلو » (١٧٨٢) . تلك القصة التى احدثت ضجة كبيرة عند نشرها قبل قيام الثورة الفرنسية بقليل .

ومما يقال فى حقها ان الملكة « مارى انطوانيت » كانت تحتفظ بنسخة منها سرا .

والفيلم الذى أبدعه المخرج الانجليزى « ستيفن فريرز » ليس مأخوذا مباشرة عن تلك القصة ، وانما من مسرحية مستوحاة منها الفها الاديب الانجليزى المعاصر « كريستوفر هامبتون » .

وبطولة الفيلم يتقاسمها متآمران « الماركيزة دى ميرتى » (جين كلوز) اما المتآمر الاخر الكونت دى فالمونت (جون مالكوفيتش) .

والفيلم يبدأ بهما يتآمران .

فهى تطلب اليه باسم حبهما القديم أن يوقع الصغيرة العذراء « سيسيل دى فولانج » فى شباك الحب ، لا لسبب سوى انها فى سبيلها الى الزواج من الشاب الوجيه « المسيو دى باستيد » احد عشاق الماركيزة المغيظة من انه على وشك الافلات من قبضتها التى لا تلين . ولكن « فالمون » اكثر طموحا .

وسرعان مايتفق الاثنان — الماركيزة



العلاقات الخطرة .. فيلم خطر

والكونت — على لعبة مزدوجة جوهرها التآمر والخيانة والاغراء .

● فضيحة القرن ●

يبقى فيلم « فضيحة » الذى يعرض لعلاقات الغانية « كريستين كيللر » مع « بروفومو » وزير حربية انجلترا فى حكومة المحافظين تحت رئاسة « هارولد ماكميلان » (٥٧/١٩٦٤) والملحق البحرى السوفييتى «ايفانوف» وغيرهما من الرجال .

وكما هو معروف انتهت تلك العلاقات الآثمة باستقالة الوزير ، وبسقوط حكومة المحافظين ، وبانتحار « ستيفن وارد » (جون هيرت) رسول الغرام بين الغانية والوزير ، وبسجن « كيللر » عدة اعوام .

ولو خيرت لاخترت « فضيحة » واحدا من احسن الافلام التى تناولت واقعة من واقعات التاريخ المعاصر .

فهو اية فى الصدق والاتقان ، يروع بدقة البحث والاستقصاء .

وعرضه للفضيحة وتصاعد احداثها ، انما يتصف بالفهم الواعى لآسى الغانيات ، باعتبارهن ضحايا علاقات مشوهة تقوم على استبداد القوى بالضعيف .

العالم في سطور

أمستردام

□ فان جوخ : رجل عام ١٩٩٠

سيكون الفنان الهولندي فان جوخ هو احد اشهر الشخصيات في عام ١٩٩٠ . ليس بالطبع بسبب إضطراد أرقام مبيعات لوحاته التي وصلت إحداها الى ستين مليون دولار . بل لأن كافة الاوساط الفنية ودور النشر واصحاب المعارض . يستعدون للاحتفال بالذكرى المئوية لوفاته ..

وايمانا بان فان جوخ هو احد عباقرة الزمن في الفن التشكيلي ، الذين جاءوا في الزمن الخطأ ، حيث عاش في فقر مدقع ، وبيعت لوحاته بابخس الاثمان في حياته . فان عشاق الفن التشكيلي الذي صنعه جوخ يرون ان الاحتفالات الضخمة التي ستقام بهذه المناسبة ليست سوى محاولة لتكريم الفنان الذي اثر ، بشكل واضح ، على كافة مدارس الفن التشكيلي المعاصر ..

لقد اشتهر فان جوخ بعشقه الشديد للعمل . فكان يرسم اللوحة تلو اللوحة في شوق جارف .. وقد اثر هذا على عقله . فاصابه بجنون حاد في اواخر ايامه . وقد بدا هذا في الرسالة التي تركها في ملابسه عقب انتحاره في عام ١٨٩٠ « في عملي اخاطر بحياتي ، كاد يذوب عقلي بكامله » .

وفي الثلاث سنوات الاخيرة من حياة جوخ ، انجز العشرات من

فان جوخ



اللوحات التي تعتبر بمثابة قنابل موقوتة من الالوان المتناسقة . وقد عشق الضوء بشكل خرافي فصنع منه ملهاته وماساته .. وقد عبر عن ذلك في احدى رسائله الى اخيه ، والتي عثر عليها في عام ١٩٣٧ حيث قال :

« ان الفن التشكيلي كما هو عليه الآن ، يعد بان يصبح اكثر دقة وبراعة . اكثر موسيقى واقل نحتا . وهو فن مجنون بالالوان » .

« اود ان ارسم رجالا ونساء بشيء ما ابدي ، كرمز هالة من الضوء تشع منها الالوان في حالة متوجة » .

جوهانسبرج

□ ١٩٩٠ : عندما يعود السيد المسيح

عندما يصبح المسرح ضرورة . لاتعد هناك ضرورة ..

مثل هذا القول الغريب يردده المخرج المسرحي البريطاني المعروف بروك بين وقت وآخر ، خاصة عندما يكون في حالة عمل


بيتر بروك

وبروك يجد نفسه في حالة عمل متواصل منذ ان احترف الفن قبل ثلاثة وثلاثين عاما . فهو شخص يجد نفسه دائما في عمله . عندما يخرج للمسرح ، او يكتب عنه ، وعندما يكتب سيناريوهات سينمائية ويقوم بإخراجها .

« ووزا البرت » هو عنوان المسرحية التي يخرجها بروك الان ، ليس في لندن التي ولد بها ، وليس في فرنسا التي اختارها مقر اقامته منذ سنوات . ولكن في جوهانسبرج ، بجنوب افريقيا .. وكالعادة فلابد لهذه المسرحية ان تكون من تاليفه ، واخراجه وان يضع موسيقاها ومن الطبيعي ان تكون عن التفرقة العنصرية

وفي مسرحية « ووزا البرت » يحكي بروك حدوتة اسطورية اخلاقية حول امكان عودة بعث السيد المسيح عليه السلام الى الارض مرة اخرى . فهو سيتوجه الى جنوب افريقيا ، وسيجد نفسه يواجه السلطات الحاكمة التي ستقف ضده بكل ماتملك من قوة .

الجدير بالذكر ان مسالة عودة ظهور السيد المسيح في القرن العشرين كانت مصدر الالهام للعديد من الكتاب والسينمائيين ورجال المسرح ، وخاصة الكاتب اليوناني كازنتزاكيس في مسرحية « المسيح يصلب من جديد » .

وقد علق بروك على تجربته المسرحية الاخيرة قائلا : « رجال المسرح محكوم عليهم ان ينجحوا دوما . كما ان عليهم دائما ان يبدأوا من جديد » .

باريس

□ الجوائز الادبية . خيبت الظنون

الجوائز الادبية التي اعلنت في باريس اخيرا خيبت الكثير من الآمال لدى المهتمين بمواسم الجوائز الادبية الذي يبدا في الاسبوع الاخير من نوفمبر كل عام .

لم يكن ذلك بسبب ان الذين نالوا الجوائز من الكتاب الأقل شهرة ، بل لان احدا لم يكن يتوقع بالمرة ان يفوز جان فوتران بجائزة جونكور ، ولا فيليب دومنك بجائزة ميديتشي .. فاعمالهما لم تطف قط على السطح في كل التنبؤات باسماء الروايات او المؤلفين الذين يمكن لهم الحصول على اى من الجوائز .. فالاعمال التي حققت الفوز هذا العام لاتتسم باهمية ادبية خارقة تجعلها تنال هذا الشرف الذي ناله من قبل الطاهر بن جلون ومرجريت دوراس ، واندريه مالرو ، وهنري ترويا ..

واثارت الصحف ، ربما لاول مرة زوبعة حول قيام اعضاء الاكاديميات الادبية بمحاباة دور النشر وذلك لان اغلب هؤلاء الاعضاء متعاقدون لنشر اعمالهم


فيليب دومنك

فى كبريات دور النشر ، ولذا تم توزيع الجوائز الادبية بالتساوى بين هؤلاء الناشرين حتى ولوجاء ذلك على حساب اهمية العمل الفنى ..

من المعروف ان جان فوتران قد فاز بجائزة جونكور عن روايته « خطوة كبيرة نحو الله » وهو كاتب قليل الانتاج . فلم يقدم للمكتبة طوال ستة عشر عاما سوى ثلاث روايات فقط وفى كتابه الاخير تناول حكاية نورماندية تدور وقائعها نهاية القرن التاسع عشر ..

اما فيليب دومنك فقد فاز بجائزة ميدتشى عن روايته « مائدة الجنوب » .. وهى ايضا تدور فى اجواء تاريخية فى المنطقة البحرية الواقعة بين فرنسا والمغرب ، ومالطة . وهى المنطقة التى شهدت كبريات مغامرات القراصنة لقرون عديدة ..

وقد استفاد دومنك من تجربته كضابط بحرى عاش بين الجزائر والمغرب والولايات المتحدة وافريقيا ، وصادق البحر .. وسمع الكثير من حكايات القراصنة .

باليرمو

□ عربى .. فى صقلية

مات ليوناردو شاشا .. اكثر ادباء القرن العشرين استشرافا للمستقبل . ليس المستقبل البعيد .. بل البالغ القرب .. فقد ارتبط ، ادبه بما يدور فى ايطاليا ، وصقلية بصفة خاصة ، وراح يتوقع مايمكن ان ياتى للبلاد فى الغد القريب من خلال رواياته السياسية .

ولد شاشا فى عام ١٩٢٠ بباليرمو فى جزيرة صقلية . فى عائلة ذات جذور عربية ، وبدا حياته الادبية فى سن متاخر نسبيا ، حيث نشر روايته الاولى « اعمام صقلية » عام ١٩٥٨ . وتوالت اعماله التى من اشهرها « يوم اليوم » و « لكل مصيره » و « البحر بلون النبيذ » و « القرين » و « تودو مورو » .

وفى هذه الرواية الاخيرة ، التى تعتبر حدثا فريدا ، تنبا شاشا باختطاف الزعيم الايطالى الدو مورو ، وقد نشر الرواية لاول مرة عام ١٩٧٤ إبان تولى مورو لرئاسة الوزارة .. وكان بالغ الوضوح فى الاشارة الى ان مورو يمكن ان يكون ضحية العنف السياسى فى ايطاليا . وبعد اربع سنوات من نشر الرواية ، قامت عصابة الالوية الحمراء بخطف مورو .. واحتبسته رهينة لعدة اسابيع ثم قتلته .

وقد ارتبط شاشا بمورو بعد ذلك ، بشكل واضح ، فكتب عنه رواية تحمل عنوانه « قضية مورو » سجل فيها روائيا ، كافة الوقائع التى حدثت فى ايطاليا المتعلقة بخطف ومقتل مورو ..

كما جاءت اهمية



ليوناردو شاشا

ليوناردو شاشا ايضا في انه كرس قلمه من اجل جزيرته صقلية . فكتب عن انشطة عصابات المافيا . وكتب عن الادباء الذين عاشوا في الجزيرة واحبوها ، سواء من ابنائها مثل بيراندللو ، وكونصولو ، او سواء الذين اختاروها لفترة من حياتهم مثل الكاتب الفرنسي ستندال ..

الولايات المتحدة

□ قصة متمردة

ولدت في الربع الاول من القرن العشرين (١٩١٢) وماتت بالسرطان قبل ايام عن



ماري ماكرثي

عمر ناهز السابعة والسبعين .

جمعت لنفسها من مزايا هذا القرن ماجعلها ابرع نساء الولايات المتحدة ادبا ، واكثرهن ذكاء واشدهن سخرية واعتراضا وانتقادا .

هي « ماري ماكرثي » التي كان مولدها ونشاتها قبل وخلال سنوات الحرب العالمية الاولى القاتمة

ادركها اليتم طفلة في السادسة من سنيها وذلك عندما اصاب وباء الانفلونزا والديها الموسرين في مقتل .

وعن سنوات اليتم هذه كتبت « ذكريات شباب فتاة كاثوليكية » (١٩٥٧) حيث وصفت نشاتها على ايدي اقارب قساة خلقت قلوبهم من حديد .

ولم ينقذها من هذا الجحيم الا هروبها الى منزل جديها اللذين بادرا بالحاقها باحدى مدارس الراهبات

ولقد عرفت اثناء سنوات الدراسة ، وبخاصة ماكان منها في كلية « فاسار » بحدة الذهن ، وذلاقة اللسان وجراة البيان .

استهلت « ماكرثي » حياتها ابان عقد الثلاثينات بكتابة المقالات والنقد الحاد في مجلة « البارتيزان ريفيو » ذات النزعة التروتسكية

اما القصة فلم تبدا في كتابتها الا في بداية الاربعينات اي عندما اصبح اسمها على كل لسان في دوائر المثقفين من اهل اليسار .

وعلى كل فهي لم تكتب طوال حياتها سوى سبع قصص طويلة ، لعل اكثرها شهرة « الجماعة » (١٩٦٣) التي جرى ترجمتها الى لغة السينما قبل عشرين عاما او يزيد .

وهي تدور حول فتيات كلية فاسار في زمانها ، وكيف كن مؤمنات بالتقدم حتما مقدورا .

حكايات قديمة

الملك عقة والبحر

بقلم : فاروق خورشيد   ريشة : حلمى التونى

تحكى قصة قديمة عن ملك احدى موانىء البحر ، اشتغل بالحكمة وحب المعرفة ، وكان فخورا بما لديه من علم ، وماحصل من معرفة ، اذ امتلأت خزائنه بالكتب تأتيه مع كل سفينة تدخل ميناءه الذى تتقدمه منارة مضيئة ليل نهار تهدى إليه السفن ، وتعلن ترحيب المدينة بالوافدين بالتجارة والمال ، والمزيد من الكتب والمخطوطات والحكمة ... ولكن مع كل اشتغال الملك بالحكمة والمعرفة ، ومع حرصه أن يزور سكان المدينة كلما رست سفينة جديدة بالميناء ، مكتبته الضخمة ومتحفه الكبير ، كان الجميع يتحدثون عن الشيخ الفيلسوف الذى يقطن فى كوخ متواضع الى جوار البحر ، ولاينطق الا بالحكمة ، ولايتحدث الا بصوت المعرفة ... وكان زوار المدينة من التجار بعد ان يزوروا المكتبة والمتحف يتركون المدينة ومنازلها ومبانيها الى كوخ هذا الشيخ الفيلسوف يزورونه ويجلسون امامه فى إنصات ويعودون ليتحدثوا من جديد عن حكمة الشيخ الفيلسوف ، وعميق معرفته ، وبالغ علمه ..


حلمي التوني

حكايات قديمة

● وتحكى القصة القديمة ان الملك كانت تنتابه الحيرة كلما ذكر له زواره امر الشيخ الفيلسوف متجاهلين ما ملأ حديثه به من اسماء الكتب النادرة ، ولوصاف التحف الثمينة ، وقطع الفن عالية القيمة التى يقتنيها ويدفع فيها من المال مايدفعه غيره فى متع الحياة العابرة .. وتحول الأمر من حيرة الى غيرة .. فهذا الشيخ لايقتنى فى كوخه الحقير المتهاوى تحفة واحدة من روائع الفن ، ولايضع فوق جدران كوخه المتاكلة صفا واحدا من نوادر المخطوطات ، وبدائع الكتب ... ولايعرف من اسماء المفكرين والكتاب مثل مايعرف ، ولايحفظ من كلماتهم التى تسرى مسرى الامثال والحكم مثل مايعرف ، وليس عنده من مهرة العازفين والراقصين والممثلين من يجسدون له تحف الابداع ، وعطاء الفن ...

حقا كان الشيخ الفيلسوف لايملك كل مايملكه الملك ، ولكنه كان يملك شيئا لايستطيع الملك ان يملكه ، ذلك هو سمعته كفيلسوف حكيم ، تفيض منه الحكمة ، وتقطر منه المعرفة ..

وجاء اليوم الذى لم يستطع فيه الملك ان يقاوم فضوله ، ولا ان يكبح جماح غيرته وغضبه ، فقرر ان يذهب بنفسه ليرى هذا الشيخ الفيلسوف ، ويجادله ، ويقارن علمه ومعرفته وتذوقه بعلم هذا الرجل المنعزل الى جوار البحر يدعى ويدعى له الناس مالا يمكن ان يقارن بما عند الملك .. اما المعرفة والتذوق فقد كان الملك واثقا انه لاوجه للمقارنة ابدا بينه وبين الشيخ العجوز المنعزل عند حافة البحر ... لايرى من متع العالم الا كوخه الحقير والصحراء حوله ، ثم البحر امامه ، تكسوه سماء لاتتغير ، وترفرف حوله طيور متوحشة لاتانس ولا تستانس ..

وصل الموكب الملكى الفخم تتقدمه الموسيقى وتتبعه الحاشية ، وحولهم وامامهم وخلفهم الحرس ، وامتلات الساحة امام الكوخ بمجاميع من المخبرين فى زى الصيادين والبحارة والبدو يصفقون فى حرارة ، ويرفعون اصواتهم بالدعاء للملك منبع الحكمة ، ومنارة المعرفة ، وموئل العلم ، والملك يتهاوى من عربته الفاخرة ويقف عند باب الكوخ ، ويتقدم ناحيته فى تؤدة وهو يرفع يديه رادا تحية جماهير المصفقين والهاتفين والداعين .. ولكن الشيخ الفيلسوف لم يخرج من كوخه ، ولكن الكوخ صامت مقفر لاتؤثر فيه صيحات الجماهير ولا تصفيقاتهم . وكانه يعرف انهم جماهير مزيفة ، لا صدق فى اصواتهم ، ولاحرارة فى تصفيقاتهم ... ولكن البحر يرسل موجه الى الشاطىء عارما عنيفا فاذا ماقارب الشاطىء تكسر فى ضعف ولين ، ومضى يهمس مابقى فيه من زمجرة وعنف فى نغم هادىء متوسل ، يحاول ان يكون فيه معنى الرقة والهدوء ، ومالبقى فيه من ضراوة مكبوتة تفشى سره ، وتفضح عنف امره الذى يكتم ويظن انه دون الوجود ـ خبىء ـ



وتدور رأس الملك مع صفقات الموج على الشاطىء ، ومع عويل الريح تدور حول الكوخ فى يأس ان تصيب شيئا يتحداها ، ويحتمل ثقل حركتها العنيفة العتيدة ... وتدور فى نفس الوقت عينا الملك بحثا عن مدخل الكوخ او الى جواره ، عن الشيخ الفيلسوف ، ساكن الكوخ ، ومواطن الشاطىء المهجور ...

وبعد حين خرج كبير الحاشية من الكوخ وهو يرتجف خوفا من غضب الملك اذا ما اخبره بالحقيقة ، ولكنه تمالك نفسه آخر الامر ، وكتم خوفه ، ونظر الى الملك فى استعطاف مستأذنا اياه ان يسمح له الكلام فى حضرته السنية ، وامام طلعته البهية .. واذن له الملك فى تبرم وضيق وقد بدأت وقفته امام الكوخ تملأ نفسه بالضيق وتحجب عنه صيحات التهليل والتعظيم .. وازداد تبرم الملك وضيقه حين اخبره كبير الحاشية وعظيم الحجاب ان الشيخ الفيلسوف يقضى وقته على شاطىء البحر بعيدا عن الكوخ ليتأمل ويفكر ، واستأذن الملك فى ان يذهب ليحضره ويعود به الى معيته الملكية ..

ولكن الملك كان قد سئم صراخ الجماهير المأجورة ، وتملق الحاشية المبهورة ، وابهة الموكب والزينات المنصوبة ... فرفع يده يهزها فى تبرم .. ومضى على قدميه ناحية شاطىء البحر ، وحين اراد الجمع ان يتبعه اشار بيده فتوقفت الاقدام ، واطرقت الرءوس ، وانحنت الجباه ، ومضى وحيدا وئيدا يمشى على مهل مبتعدا عن كل ضجة ، وكل الصخب ، ومنحدرا تدريجيا نحو عالم من الهدوء لا صوت فيه الا لحفيف الهواء وهدير موج البحر الذى يزداد تعاليا كلما اقترب منه الملك فى مشيته الهادئة المتمهلة .. وهناك عند حافة البحر تماما ، حيث يمتزج ماء البحر المتهالك من نهاية الموجات برمال الشاطىء المبتلة ابدا بحركة مد الماء وجزرها المستمرة الابدية ، كان الشيخ الفيلسوف يجلس مقعيا وقد تدلت لحيته فوق صدره تهتز مع حركته اذ يواجه البحر حينا ، ثم يعود لتهتز مع حركته اذ يواجه البر حينا آخر ... وتعجب الملك من هذه الحركة المنتظمة التى كانت تشبه حركة رقص غامضة لإله مجهول يؤديها الشيخ الفيلسوف جالسا او مقعيا عند حافة البحر ... وكاد الملك يضحك ، وكاد الملك يظن فى الرجل الجنون ، لولا ان لاحظ ان الشيخ العجوز يحمل فى يده شيئا صغيرا يتحرك به فى حركته الرتيبة بين البحر والرمال فى جدية وانهماك ،

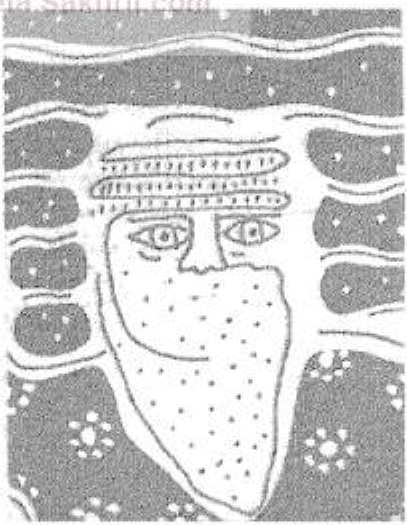
حكايات قديمة

وكانه يقوم بعمل بالغ الخطورة شديد الأهمية .. ولولا ان عاد فتذكر ماتحكيه الناس من أهل البلاد من الاغراب والسياح عن علم هذا الرجل ومعرفته الواسعة ، وحكمته التى سار بذكرها الركبان .. فكتم الضحك فى نفسه ، وتملك الفضول الذى سيطر على فكره ووجدانه معا ، ومضى يقترب من الشيخ الفيلسوف فى هدوء ووقار ..

وافاق الملك من تاملاته على صوت الفيلسوف الشيخ ياتي هادئا عميقا ويقول :

– مرحبا بك ايها الملك العالم المطلع الذواقة ..

وسر الملك من كلمات الشيخ التى تحمل له المعانى التى يتوق ان يسمعها من غيره ولا يجد بدلا منها الا كلمات الشجاع والعادل والقوى .. كما سر الملك من صوت الشيخ الهادىء الذى لايحمل خوفا او رهبة ، ولا يشي بتواضع او انصياع .. ولم يملك نفسه



الا ان ازداد اقترابا من الشيخ الفيلسوف والا أن يساله :

– كيف عرفت بمقدمى ايها الشيخ الفيلسوف .. ؟

قال الشيخ الفيلسوف :

– اعلنت عن مقدمك البوقات والموسيقى ، وافصحت عن مكانتك الصيحات والتحيات والهتافات للعادل العارف الشجاع القوى المانح المانع المحسن الكريم ، ومن تهتف له الابواق بكل هذا فهو ملك يرهبه الناس ، ويرجوه الناس ، ويتملقه الناس .. وليس غير .

ابتسم الملك وهو يقول :

– ولكنك اسميتنى العالم المطلع الذواقة فهل عن رهبة او رجاء او ملق .. ؟

صمت الفيلسوف ومضى يمد يده الى البحر بشىء فيها ، ثم يعود بها الى البر مرة أخرى ، وجاء للملك صوته الهادىء وهو يقول فى تؤدة واناة :

– ولكنك ايها الملك تقرا اندر الكتب فانت عالم ، وانت ايها الملك تاتيك أخبار كافة الأمم فانت مطلع ، وانت ايها الملك تقتنى أجمل اللوحات والتماثيل ، وتعزف فى قصرك ابرع فرق العزف ، وترقص في باحتك امهر فرق الرقص ، فانت ذواقة .. فلا رهبة ولا رجاء ولا ملق .

قال الملك فى حيرة :

– فلماذا توصف انت بالحكمة ولا اوصف انا بها رغم اننى العالم المطلع الذواقة كما تقول .. ؟

فى بطء شديد نصب الفيلسوف الشيخ قامته ، ووقف امام الملك الذى

راعه طوله ونحول جسده وبياض لحيته ولمعان عينيه اللتين كانتا فى صفاء زرقة السماء ، ومد يده بما يحمل الى الملك قائلا :

- اتعرف ما هذا ايها الملك ؟

نظر الملك الى مابيد الفيلسوف الشيخ ثم صاح مندهشا :

- ولكن ايها الشيخ هذه ملعقة .

ابتسم الفيلسوف الشيخ وقال :

- انقل بها ماء البحر من البحر

صاح الملك :

- البحر لايفرغ مهما نقلت منه ايها الشيخ

ازدادت ابتسامة الفيلسوف الشيخ اتساعا وهو يقول :

- واصب ماءها فى الرمل

فعلا صوت الملك وهو يصيح :

- ولكن الرمل يشرب ماء البحر ولا يغرق ..

قال الشيخ الفيلسوف

- هذا ايها الملك معنى الحكمة ، تاخذ من بحر المعرفة ، وبحر المعرفة لاينتهى ، وتصب فى رمال وجودنا ، ورمال وجودنا لن تغص بالمعرفة ابدا .. وكلما نقلنا من ماء البحر عرفنا اى عجزة نحن عن استيعاب كل مابه من مـاء ... ونفوسنـا المتشـوقـة الى المعرفة ، كلما نقلنا اليها الجديد من قطراتها لم تغص ولم تمتلىء بل تتشرب هذه المعرفة وتمتصها ولاتشبع منها ابدا ... ولن تتحول الرمال الى بحر ابدا ..

اطرق الملك براسه وهو يقول :

- ولن يتحول البحر الى رمال ابدا ..

ابتسم الفيلسوف الشيخ وهـو يقول :

- لم يغرك الملك ايها الملك ، ولا السطوة ولا السلطان ، فلا يدرك مثل هذا المعنى الا من تجردت نفسه الى حب المعرفة ..

ابتسم الملك ابتسامة شاحبة وهو يقول :

- تريد ان تغرف ماء البحر بملعقة ، فلا البحر ينتهى ولا الرمال ترتوى ..

وعقب الفيلسوف الشيخ قائلا :

- ما أقصر العمر واعجز الاداة ..

وابتسم الملك من جديد وهو يطرق وهمس :

- لا العمر يكفى ، ولا البحر ينتهى ، ولا الرمال ترتوى .. صدقت ايها الشيخ - فما عرفت رغم كل ملحوت مكتبتى ومتلحفى وبلحاتى شيئا .. وما كنت لأعرف حقيقة اننى لا اعرف لولا ان جئت اليك هنا .

قال الشيخ الفيلسوف :

- وما ان جئت الى هنا ، حتى كنت تبدا طريق المعرفة ..

همس الملك فى حزن :

- امسك بملعقة ، واقعى الى جوارك ، واحاول ان اغترف من البحر بها ، واحاول ان اروى الرمال من ماء البحر ... صدقت ياسيدى ... صدقت ايها الشيخ ...

● ● ● ● ●

قيل ان الحاشية ظلت تنتظر الملك دهرا ، وان الهاتفين بحت اصواتهم فسكتوا ، وان العازفين بالأبواق كفت لهاتهم عن الحركة فصمتوا .. وان الحاشية ظلت تنتظر الملك حتى وثب الى العرش ملك جديد فهرعت اليه .. ولكن هذا الملك لم يعد من حافة البحر الى جوار الكوخ العتيق ابدا .

الشيخ محمد الغزالى

ومعاركه الفكرية

أولى المعارك الفكرية

بقلم: د. محمد عمارة

لقد جاء "المشروع الفكرى" للشيخ محمد الغزالى - والذى تجسد فى خمسين كتابا - جاء شاهدا على مجموعة المعارك الكبرى التى واجه بها شيخنا ابرز التحديات والمخاطر التى واجهت وتواجه طموح الأمة الإسلامية فى النهوض والتقدم والانعتاق، وحاجة الفكر الإسلامى الى التجديد، كى يكون قادرا على الوفاء بمتطلبات هذا التقدم المنشود بالنسبة للمسلمين ..

واذا كان المقام لا يسمح باستقصاء هذه المعارك الكثيرة، التى تجسدت فى هذا المشروع الفكرى، فاننا سنختار منها .. أولاها واحدثها .

قد يستغرب البعض - وخاصة من اصدقائنا واخوتنا ذوى المرجعية الفكرية التغريبية، غير الملمين بموقف الإسلام وتراثه من القضية الاجتماعية، ومذهبه فى الاموال والثروات، قد يستغرب هؤلاء ان تكون اولى معارك هذا الشيخ الأزهرى خريج كلية اصول الدين، والذى يحترف "الوعظ والدعوة" فى مساجد وزارة الاوقاف والذى لم يدرس الاقتصاد ولم يتفقه فى النظريات الاجتماعية الغربية - قد يستغربون ان تكون اولى معاركه الفكرية فى ميدان الاقتصاد والاجتماع، وان يكون هذا هو حجم اسهامه المبكر فى هذا الميدان .

والحقيقة ان هذا الموقف يثير قضية "الجهل - والتجاهل" لإسهام الإسلام والإسلاميين فى ميدان الفكر الاجتماعى، كموقف دائم وصارخ واصيل !!

والا فمن يعرف ان حسن البنا - والاخوان المسلمين - كانوا اسبق الحركات السياسية والتيارات الفكرية بمصر، التى طالبت بتحديد ملكية الأرض الزراعية، ونزع الاملاك الزائدة عن الحد الاقصى، من كبار الملاك، وتوزيعها - هى واملاك الحكومة - على الفقراء والمعدمين من الفلاحين ؟! من يعرف هذه الحقيقة "التاريخية - الاجتماعية" من الكتاب العلمانيين ؟!

ان المطالبة بتحديد حد اقصى للملكية الزراعية ، وتوزيع الزائد عنه على الفلاحين قد طالب به "الحزب الاشتراكى" - حزب الاستاذ احمد حسين - بواسطة نائبه فى مجلس النواب المصرى ، الاستاذ ابراهيم شكرى فى سنة ١٩٥١ م .. اما مشروع عضو الشيوخ محمد خطاب الذى طالب بتحديد حد اقصى للملكية الزراعية ، والذى قدمه للمجلس فى ١٩٤٥/٦/٢٥ م . فقد كان يطلب ذلك فى الملكيات التى تتكون مستقبلا ، حتى تتوجه الاموال فى الريف الى التصنيع . بدلا من حيازة الاطيان ، ولم يكن يدعو الى تطبيق هذا التحديد على الملكيات التى كانت قائمة يومئذ ، والتى كان يتعدى الكثير منها الخمسة الاف والعشرة الاف فدان .. بل وحتى الحزب الشيوعى فى مصر ، فانه لم يطالب فى برنامجه "بالغاء الملكية الكبيرة واعادة توزيع الملكيات الزراعية" .

اما حسن البنا فهو الذى طالب - فى منتصف عقد الاربعينيات - اى قبل سبع سنوات من مشروع ابراهيم شكرى - باصلاح الخلل المتمثل فى التفاوت الفاحش بين الملكيات الزراعية فى الريف ذلك أن "روح الإسلام الحنيف وقواعده الاساسية فى الاقتصاد القومى ، توجب علينا ان نعيد النظر فى نظام الملكيات فى مصر . فنختصر الملكيات الكبيرة ، ونعوض اصحابها عن حقهم بما هو اجدى عليهم وعلى المجتمع ، ونشجع الملكيات الصغيرة . حتى يشعر الفقراء المعدمون بانه قد اصبح لهم فى هذا الوطن ما يعنيهم امره ويهمهم شانه . وان نوزع املاك الحكومة على هؤلاء الصغار ...!!"

كما طلب ايضا ، فى ذات التاريخ



"بفرض ضرائب اجتماعية على النظام التصاعدى - بحسب المال لابحسب الربح يعفى منها الفقراء طبعا ، وتجبى من الاغنياء الموسرين ، وتنفق فى رفع مستوى المعيشة بكل الوسائل المستطاعة" .

فهو ، اذن "الموقف الرائد" للإسلاميين فى هذا الميدان الهام .. ذلك الذى "يجهله - ويتجاهله" اخواننا العلمانيون ؟! .

واذن فلم يكن بالغريب - ولا بالعجيب - ان يبدأ شيخنا الغزالى اولى معاركه فى هذا الميدان .

صحيح أن الرجل "داعية" يحترف "الوعظ والارشاد" ، وانه لم يدرس - فى الأزهر - ادم سمث (١٧٢٣ - ١٧٩٠ م) ولا كارل ماركس (١٨١٧ - ١٨٨٣ م) ولكنه ، رغم روح الاديب فى ثقافته

واسلوبه ، وطبيعة الفنان فى نظرته الى الاشياء فقد امتلك منذ بداية حياته ، والمراحل الأولى لتكوينه الفكرى ، امتلك خاصيتين دخلتا به الى هذا الميدان من اوسع الابواب .

١ ـ امتلك الخبرة الذاتية العميقة بالابعاد الرهيبة ، واللانسانية ، لمأساة الظلم الاجتماعى التى كانت تمسك بخناق الفلاح المصرى ـ وفيه يتمثل جمهور الأمة ـ عندما نشأ فى القرية المصرية "نكلا العنب" مركز ايتاى البارود ، محافظة البحيرة ، كابن فقير لأسرة تعيش فى محيط الفقراء .

٢ ـ وامتلك الرؤية الإسلامية ، التى مثلت وتمثل عدل الله وميزان القسطاس المستقيم الذى شرعه سبيلا للخلاص من الظلم بكل ألوانه فى اى زمان ومكان .

ولـذلك .. رأينـا هذا "الـداعية" و"الأديب ـ الفنان" الذى يحترف "الوعظ والارشـاد" فـى مسـاجـد وزارة الأوقاف ،يتوكل على الله ، فيبدأ معاركه الفكرية بمنازلة الاستبداد المالى والظلم الاجتماعى واخطر اعداء الانسان !

★ ★ ★

● عندما اسمع الشيخ الغزالى الى الفنان الكبير محمد عبد الوهاب يغنى قصيدة امير الشعراء احمد شوقى (١٢٨٥ ـ ١٣٥١ هـ ـ ١٨٦٨ ـ ١٩٣٢ م) عن صمود دمشق فى معركة الحرية امام جحافل الفرنسيين الغزاة .. وتأمل تلحين عبد الهواب لقول شوقى :

وللحرية الحمراء باب
بكل يد مضرجة يدق

تحدث حديث الناقد الفنان ، فقال : "لقد شعرت بان المغنى فشل فشلا ذريعا فى تلحينه ، كان ينبغى ان يتعاون النغم والاداء على ابراز صوت المطارق التى تهوى على الابواب الموصدة ، وجؤار المجاهدين وهم يهاجمون السجون التى قبعت داخلها الجماهيـر المستعبدة ، وعزائم الشهداء وهم يجودون بانفسهم فداء للحق ، وانين الجرحى ، وحداد المكابرين .. ان حشودا من الاصوات المزمجرة ، والجيوش الملتحمة كان يجب ان تبرز خلال تلحين القصيدة وعند غناء هذا البيت ذاته : لكن الملحن المغنى ليس رجل هذه الملحمة !"

انه "فنان" لكنه "الفنان" الذى يغوص بمشاعره ، وايضا بعقله الى الاعماق ..

● وفى عقد الاربعينيات من هذا القرن العشرين ـ عندما بدأ الشيخ الغزالى معركته الفكرية الأولى ضد التفاوت الاجتماعى الصارخ ، والظلم الاقتصادى الفاحش ـ كانت الثقافة السائدة ، ومعها الفن والاعلام يتحدثـون عن الريف المصرى بانه موطن الجمال ، ومسرح "الماء .. والخضرة .. والوجه الحسن" "فما احلاها عيشة الفلاح .. مطمئن وباله مرتاح ؟!" .. لكن الشيخ الغزالى. يبدأ معركته برفض هذا الزيف .. ويقول "ان نظرتى للاشياء واقعية اقتصادية ، لا اثر فيها للخيال !" ثم يمضى ليكشف زيف الفكر الذى يتوهم اصحابه امكانية اصلاح احوال الناس بالمواعظ والافكار دون تغيير الواقع المادى والاجتماعى الذى يلعب دوره البارز فى فتح العقول والقلوب كى تتقبل المواعظ والافكار .. يمضى ليكشف العلاقة بين الاصلاح المادى وبين

الاصلاح الأدبى والروحى لحياة الناس ، محددا منهجه فى معالجة الادوار الاجتماعية والاقتصادية التى تعانى منها مجتمعات المسلمين « فشعوب الشرق الإسلامى ـ (برأى الشيخ الغزالى) ـ تحتاج ـ قبل ان تفهم الاسلام ، وقبل ان ينتظر منها اعزاز الاسلام ، الى جهود جبارة ، لرفع مستواها المادى والادبى ، اى الى تصحيح انسانيتها اولا ، اما جهود المصلحين ـ قبل اتخاذ هذه الخطوة فهى امواج من الماء تتدفق على صحراء من الرمال ، وهيهات ان يكون لها ثمر » . ذلك ان "للرذائل" التى يحاربها الدين ـ و"الفضائل" التى جاء الدين ليحلها محل "الرذائل" لهذه وتلك اسباب اقتصادية لابد من معالجتها اذا شئنا اقامة الدين الحق فى هذه الحياة ..

يقول الشيخ الغزالى : "لقد رأيت بعد تجارب عدة ، اننى لا استطيع ان اجد بين الطبقات البائسة ، الجو الملائم لغرس العقائد العظيمة ، والاعمال الصالحة ، والاخلاق الفاضلة ، انه من العسير جدا ان تملأ قلب انسان بالهدى ، اذا كانت معدته خالية ، او ان تكسوه بلباس التقوى ، اذا كان جسده عاريا ، انه يجب ان يؤمن على ضروراته التى تقيم أوده كانسان ثم ينتظر بعدئذ ان تستمسك فى نفسه مبادىء الايمان ، فلابد من التمهيد الاقتصادى الواسع ، والاصلاح العمرانى الشامل ، اذا كنا مخلصين حقا فى محاربة الرذائل والمعاصى والجرائم باسم الدين ، او راغبين حقا فى هداية الناس لرب العالمين" .

● منهج إسلامى أصيل

وينهض الشيخ الغزالى فيدافع عن اسلامية هذا المنهج فى اصلاح ادواء


حسن البنا


محمد عبدالوهاب

المجتمع والناس ، نافيا الوهم الذى يحسب اصحابه ان اعطاء العامل الاقتصادى والاجتماعى حقه ، فى العملية الاصلاحية انما هو خصيصة من خصائص المنهج المادى للشيوعية والشيوعيين ، فيقول : "يتوهم ذوو الافاق المغلقة ان ادخال العوامل الاقتصادية فى الرذائل والفضائل جنوح الى التفكير الشيوعى القائم على النظرة المادية المحضة للحياة ! واستهانة بالقوى الروحية السامية ..وهذا التوهم خاطىء . فلسنا نغض من قيمة الجانب الروحى .. بيد أن ذلك لا يعنى اغفال المشاهد المحسوس ، من تولد الرذائل الخطيرة فى المجتمعات المصابة بالعوز والاحتياج بل ان الاضطراب الاقتصادى فى احوال كثيرة جدا قد يكون السبب الأوحد فى نشوء الرذيلة وشيوعها .. والحديث النبوى الذى يلمح فيه نبى الإسلام الى ان المعاصى قد توقع فيها الضوائق المادية ـ حديث : ان المدين قد تلجئه قلة الوفاء الى الكذب . يضع ايدينا على طرف الحقيقة التى بدأ الناس يفهمونها الان كاملة" .

لقد تبنى الشيخ الغزالى وابرز هذا المنهج الإسلامى الاصيل ، الذى يرى ان صلاح امر الدين مؤسس على صلاح امور

الدنيا ـ وليس العكس ـ واذا كان القرآن الكريم قد نبه على ان الاستبداد والانفراد بالسلطة والسلطان ـ ان فى المال أو السياسة ـ هو المقدمة المفضية الى الطغيان .. "كلا ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى" فلقد صاغ هذا المنهج الإسلامى . من قبل الامام ابو حامد الغزالى (٤٥٠ ـ ٥٠٥ هـ ١٠٥٨ ـ ١١١١ م) عندما قال : "ان نظام الدين لا يحصل الا بنظام الدنيا .. فنظام الدين بالمعرفة والعبادة . لا يتوصل اليهما ، الا بصحة البدن . وبقاء الحياة وسلامة قدر الحاجات من الكسوة ، والمسكن ، والاقوات ، والأمن ، ولعمرى ! من اصبح آمنا فى سربه ، معافا فى بدنه ، وله قوت يومه ، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها .. فلا ينتظم الدين إلا بتحقيق الامن على هذه المهمات الضرورية . والا فمن كان جميع اوقاته مستغرقا بحراسة نفسه من سيوف الظلمة وطلب قوته من وجوه الغلبة ، متى يتفرغ للعلم والعمل ، وهما وسيلتاه الى سعادة الآخرة ، فاذن بان ان نظام الدنيا اعنى مقادير الحاجة ، شرط لنظام الدين" .

فهو اذن ، منهج الإسلام الحق .. تبناه كل فقهاء الإسلام العدول . عندما حكموا بان صلاة الخائف والجائع لا تصح ، فالأمن على ضرورات الدنيا ، وانتظام احوالها ، هو الشرط الضرورى لاقامة الدين فى هذه الحياة !..

ويدرك الشيخ الغزالى ان استمرار آفات الظلم الاجتماعى هو امر مخطط له ، ومستهدف ومقصود ! فالقلة التى تحتكر السلطان السياسى ، حريصة ، كى تدوم



كارل ماركس



آدم سميث

لها هذه الاثرة ـ على عزل جماهير الأمة عن منازعتها هذا السلطان السياسى ، وذلك بابقائها اسيرة قيود الفقر والعوز التى تشل مالديها من طاقات وامكانات ؟! اذن فبقاء كثير من الناس صرعى الفقر والمسكنة ـ والحق يقال ـ هدف اكثر الحكومات المتتابعة ، فى العصور السابقة واللاحقة . إذ ان تجويع الجماهير ، بعض الدعائم التى تقوم عليها سياسة الظلم والظلام ، ومن هنا انتشر الفقر فى الشرق وسخر الدين ورجاله لحمل الناس على قبوله واستساغته ، وفسرت نصوص الدين المتصلة بهذا المعنى تفسيرا سقيما ، نسى الناس معه حقوقهم وحياتهم ، وجهلوا دنياهم واخراهم . وحسبوا الفقر فى الدنيا سبيلا الى الغنى فى الآخرة .

● واذا كان الإسلام بريئا من هذه التفسيرات "الخاطئة ـ الجبانة" لمأثوراته المتعلقة بالثروات والاموال والفكر الاجتماعى .. فان الشيخ الغزالى يفتح عقول قرائه على حقيقة فلسفة الإسلام فى هذه القضية المحورية من قضايا النهوض والاصلاح .. فالوسطية ـ اى العدل ـ والتوازن هى فلسفة الإسلام فى الاموال والثروات .. وعلى الحكومات ان تحقق هذه الفلسفة فى الممارسة والتطبيق ، وان

تسهر على اعادتها الى نصابها كلما لحق بنا خلل احل الظلم محل العدل والتوازن . والقسط ، الذى يجب ان يحكم علاقات الناس بالثروات والاموال . "ان هدف الديانات والرسالات هو قيام التوازن بين الناس ، باقامة العدل الاجتماعى والسياسى فيهم .. وقيام الناس بالقسط والعدل - هو محور الارتكاز الذى لا يتغير ابدا . وقد قال بعض علماء الاصول ان مصالح الناس المرسلة ، لو وقف دون تحقيقها نص أوّل هذا النص ، وامضيت المصالح التى لابد منها وللحكومة - من وجهة النظر الدينية - ان تقترح ما تشاء من الحلول . وان تبتدع ما تشاء من الانظمة ، لضمان هذه المصلحة ، وهى مطمئنة الى ان الدين معها لا عليها . مادامت تتحرى الحق ، وتبتغى العدل وتنضبط بشرع الله فيما تصدر من اقتراحات وقوانين .

ولا ينسى الشيخ الغزالى ان هناك تفسيرا من التفسيرات الإسلامية فى المأثورات المالية - لا يوجب اصحابه فى الأموال اكثر من الزكاة !! فيتقدم منحازا الى اغلبية العلماء الذين رفضوا هذا التفسير ، واطلقوا يد ولى الأمر فى الأموال حتى يقوم التوازن الاجتماعى وتعتدل موازين القسط بين الناس .. فيقول : "والمال الذى يكفى لاذهاب العَيْلَة ، واستئصال الحرمان . واشاعة فضل الله على عباده يجب اخراجه - مهما عظم - من ثروات الاغنياء ، ولو تجاوز تجاوزا بعيدا مقادير الزكاة المفروضة . لان حفظ الحياة حق اسلامى اصيل - ومقادير الزكاة ليس الا الحد الادنى لما يجب انفاقه - وقد ورد عن النبى صلى الله عليه وسلم "ان فى المال حقا غير الزكاة" .

بل ويؤكد شيخنا على ان فلسفة الإسلام فى الأموال - هذه هى التى تقوم على "التوازن - العدل - انما ترتكز على مبدأ ان الملكية الحقيقية فى الأموال - ملكية الرقبة - هى لله سبحانه وتعالى وحده - وان ملكية الانسان فى المال انما هى ملكية مجازية - ملكية منفعة - باعتباره مستخلفا فى المال . وليس مالكه على سبيل التحقيق : "فالمال الذى فى ايدينا هو ملكنا على التجوز لا على الحقيقة ونحن نعمل به ، فاما حكمت تصرفاتنا لنا أو علينا والى هذا يشير القرآن : (وآتوهم من مال الله الذى اتاكم) (وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فالذين آمنوا وانفقوا لهم اجر كبير) .

وانطلاقا من هذه الفلسفة الإسلامية فى الأموال والثروات - وفى القضية الاجتماعية كان طبيعيا ان يتقدم الشيخ الغزالى فى اول كتاب الفه - سنة ١٣٦٦ هـ - ١٩٤٧ م كأول طلقة فى أولى معاركه الفكرية ، ان يتقدم ببرنامج للاصلاح الاجتماعى والمالى ، يقترح فيه :

١ - تأميم المرافق العامة ، وجعل الامة هى المالكة الأولى لموارد الاستغلال ، واقصاء الشركات المحتكرة لخيرات الوطن ، اجنبية أو غير اجنبية ، وعدم اعطاء اى امتياز فردى من هذا القبيل .

٢ - تحديد الملكيات الزراعية الكبرى ، وتكوين طبقة من صغار الملاك تؤخذ نواتها من العمال الزراعيين .

٣ - فرض ضرائب على رءوس الأموال الكبرى ، يقصد بها تحديد الملكيات غير الزراعية .

٤ - استرداد الاملاك التى اخذها الاجانب ، واعادتها الى ابناء البلاد ، وتحريم تملك الارض المصرية على الاجانب تحريما مؤبدا .

الشيخ محمد الغزالى ومعاركه الفكريه

٥ - ربط اجور العمال بارباح المؤسسات الاقتصادية التى يعملون فيها بحيث تكون لهم اسهم معينة مع اصحابها فى الأرباح .

٦ - فرض ضرائب تصاعدية على التركات ، تنفق فى وجوه الخير ، على النحو الذى اشار به القران ، اذ يقول : "واذا حضر القسمة اولو القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه وقولوا لهم قولا معروفا" .

ثم يختم حديثه عن هذا البرنامج بقوله : "ولو لم يبق لكل فرد من افراد الشعب الا قوته الضرورى لما جاز ان تتراجع الدولة فى تحقيق هذا البرنامج الذى تعلن به الحرب على الظلم والجهالة والاستعمار .

هذا عن اولى المعارك الفكرية للشيخ الغزالى التى خاضها ضد الاستبداد المالى ، والظلم الاجتماعى كواحد من اخطر التحديات التى تشل طاقات الأمة ، وتحول بينها وبين التقدم والنهوض والانطلاق .

● احدث المعارك الفكرية

أما المعركة الفكرية الحديثة ، والتى أفرد لها شيخنا محمد الغزالى أحدث كتبه - وهو كتاب (السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث) - وهى المعركة التى يحتدم الجدل حول قضاياها منذ نحو عام - على صفحات الصحف والمجلات، وفى الكتب ، ومن على كثير من منابر المساجد ، وبواسطة "تسجيلات الكاسيت" - فهى معركته ضد "النصوصية الحرفية" و "الظاهرية الجديدة" ، و "سلفية البداوة" التى انعشتها ، وامتدت بتأثيراتها السلبية خارج نطاقها التاريخى "حقبة النفط" فى منطقة الخليج ؟! ..

ولقد زعم خصوم الشيخ الغزالى ، ويزعمون أن معركته هذه إنما هى ضد السنة النبوية ، وضد المحدثين ؟! .. لكن حقيقة الأمر أن الرجل - ويشهد على ذلك تاريخه وعمله وكتاباته - إنما هو مجاهد ومنافح عن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ضد لون من "محبى السنة" يشبه "حبهم" لها حب الدبة القاتلة ، بحبها الأعمى ، للمحبوب ؟! .. وأيضا ضد فريق من جاحدى السنة ومنكريها ...

إنه داعية الى حب السنة حبا واعيا ، على النحو الذى يجعلها - كما أرادها الله سبحانه وتعالى - "بيانا" للقرآن الكريم (وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس مانزل اليهم ولعلهم يتفكرون) .. و "إراءة" الهية لنبيه كاشفة عن مرامى التنزيل الحكيم (إنا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله) .. وهو - سواء فى كتابه القديم (فقه السيرة) أو فى كتابه الأخير (السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث) أو فى غيرها من الكتب التى عرض فيها السنة والسيرة - إنما يروم تحقيق التكامل بين فقه الفقيه ورواية المحدث ، بين الدراية والرواية ، لتنتفى من ساحتها

الفكرية أسباب الشذوذ ، التى جعلت البعض ينكر السنة جملة ويتنكر لها ، وجعلت آخرين ـ حتى وإن لم يعلنوا ـ يمارسون روايات آحاد ومرويات معلومة على النص القرآنى المحكم . الذى تعهد الله بحفظه ، والذى (لاياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) .

فمعركة الشيخ الغزالى هذه ، إنما هى دفاع عن السنة الحقة ، لا ضد حرفية "الظاهرية البدوية" الجديدة ، وحدها ، وإنما أيضا ، ضد الذين يستندون الى الثمرات الشاذة لهذه "الحرفية" فى إنكارهم المطلق ، والمتعسف ، لسنة رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ..

وحول هذه الأبعاد لهذه المعركة ، يتحدث الشيخ الغزالى فيقول : تواجه السنة النبوية هجوما شديدا فى هذه الأيام ، وهو هجوم خال من العلم ومن الانصاف . وقد تألفت بعض جماعات شاذة تدعى الاكتفاء بالقرآن وحده ، ولو تم لهذه الجماعات

احمد شوقى



احمد حسين



ماتريد لأضاعت القرآن والسنة جميعا ، فإن القضاء على السنة ذريعة للقضاء على الدين كله ! .

إن محاربة السنة لو قامت على أسس علمية ، لوجب الا يدرس التاريخ فى بلد ما ؟! .. لماذا يقبل التاريخ ـ على أنه علم ـ وتهتم كل أمة به ، مع أن طرق الاثبات فيه مساوية ، أو اقل من طرق الاثبات فى الحديث النبوى ؟؟! ..

وأمر آخر ، نحب أن نثيره : لماذا تدرس سير العظماء وكلماتهم ، وتعرض للناس والاعجاب ، ويحرم من ذلك الحق رسل الله ، وفى صدارتهم سيد أولئك الرسل مروءة وشرفا ، وبيانا وأدبا وجهادا وإخلاصا ؟؟! .

إن بعض البله يتصور الانبياء أبواقا لأمين الوحى ، يرددون ما يلقيه اليهم ، فإذا انصرف عنهم هبطوا الى مستوى الدهماء ، وخبا نورهم ! .. أى غفلة صغيرة فى هذا التصور ؟! ... إن الله فى كتابه ، أحصى أسماء ثمانية عشر نبيا من الهداة الأوائل ، ثم قال للهادى الخاتم : (أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده قل لا أسألكم عليه أجرا إن هو إلا ذكرى للعالمين) .. فإذا برز للانسانية إنسان كامل ، التقت فى سيرته شمائل النبوات كلها ، وتفجرت الحكمة على لسانه كلمات جوامع ، واستطاع ـ وهو الفرد المستوحش ـ أن يحشد من القوة ما يقمع كبرياء الجبابرة ، ويكسر قيود الشعوب ، ويوطىء الاكناف للحق

المطارد... إذا يسر الله للانسانية هذا الانسان العابد المجاهد الناصح المربى جاء غر ليقول : لا نأخذ منه ولانسمع له ، ثم يستطرد ، مخفيا غشه : حسبنا كتاب الله !.."

ثم يعقب الشيخ الغزالى على هذا التفنيد العقلى لدعوى منكرى السنة ، فيقول متسائلا : "وهل السنة إلا امتداد لسنا القرآن ، وتفسير لمعناه ، وتحقيق لأهدافه ووصاياه" ؟ ..

ثم يشير الى مسئولية نفر من المنتسبين للسنة ـ انتسابا غير واع ـ عن هذا الشذوذ المغالى فى إنكار السنة ، فيقول فى رفق المعاتب ـ : .. على اننا نعتب على جماعات كثيرة تنتسب للسنة ، وتظهر التمسك بها ، فإن مسلكها قد يكون وراء انصراف بعض الناس عن السنة وشكهم فى جدواها . ونأخذ على هذه الجماعات امرين :

اولهما : انها تخلط الصحيح بالسقيم ، ولاتدرى بدقة مايقبل ويرد من المرويات ..

وثانيهما : قصورهم الفقهى ، فليست لهم قدم راسخة فى فقه الكتاب الكريم ! ـ مع أنه الأصل ـ كما انهم يأخذون الاحاديث مقطوعة عن ملابساتها ، ولا يضمون اليها ما ورد فى موضوعها من مرويات أخرى قد تؤيدها وقد تردها ..."

ثم يمضى الشيخ الغزالى ، فيورد عناصر المنهج الذى اتفق عليه أعلام علماء الاسلام إزاء تحقيق صدق المرويات فى السنة ، داعيا الى إحياء معالم هذا المنهج ، تنقية للسنة النبوية ، وتحقيقا لوظيفتها ـ كبيان للقرآن الكريم ، وتجسيد عملى لمراميه فى حياة المجتمع الاسلامى الأول ـ قطعا للطريق على منكرى سنة رسول الله ، عليه الصلاة والسلام ..

يمضى فيورد معالم هذا المنهج ، فيقول : "لقد بذلت جهودا لم يبذل مثلها فى الوقوف على تراث بشر ، كى يعرف ما قال الرسول حقا .. وانتهت هذه الجهود بجملة حقائق محترمة :

١ ـ إن فى السنة ماهو متواتر لفظا ومعنى ، وهذا النوع من السنة يشبه القرآن الكريم فيما أتى له من أحكام ...

٢ ـ جمهور الأمة يقبل سنن الآحاد ، ويعدها دليلا على الحكم الشرعى الذى نتعبد الله بإقامته ، ومن الناس من عد هذه السنن مفيدة لليقين الذى يفيده التواتر ـ مادامت صحيحة ـ ولكن جمهور العلماء يقبل سنن الآحاد فى الاحكام العملية والفروع الفقهية ، ولاينقلها الى ميدان العقيدة الذى يقوم الأمر فيه على القطع ، ومعنى ذلك أن سنن الآحاد تفيد الظن العلمى وحسب .

٣ ـ مع اتفاق الفقهاء على أن سنن الآحاد قرينة مقبولة فى إفادة الحكم الشرعى ، فإن عددا من الائمة يتجاوز

هذه السنن إذا كانت هناك قرينة أقوى منها فى إفادة حكم الله .

فالامام "مالك" مثلا يرى عمل أهل المدينة أدل على السنة النبوية من حديث الآحاد مهما كانت صحته .

و"الاحناف" يرون أن حديث الآحاد لاينهض على إثبات الفرضية وحده ولا ينهض كذلك على إثبات الحرمة ، ولكنه يثب أحكاما أقل رتبة .

وغالى بعضهم فجعل القياس القطعى أرجح من سنن الآحاد ..."

ثم يختتم الشيخ الغزالى حديثه عن معالم هذا المنهج ، فى اعتبار السنة بقوله : ".. ودراسة السنة علم له رجاله الخبراء ، ولايقبل فى هذا الميدان مايرسله السفهاء من أحكام طائشة ، تجعل التطويح بالسنة الشريفة أمرا جائزا ، أو تجعل تكذيب حديث ما هوى مطاعا .

إنه لافقه بغير سنة ، ولا سنة بغير فقه ، وقوام الاسلام بركنيه كليهما من كتاب وسنة ..."

ذلك هو منهج علماء الاسلام - الذى ارتضاه الشيخ الغزالى - فى النظر الى قضية السنة النبوية .. ولقد رأى الرجل - بحق - أن مكمن الخطأ والخطر - من قبل أهل الجمود والحرفية النصوصية - إنما يأتى من :

ا - إهمال نفر من المحدثين للقرآن الكريم .. بينما الواجب هو الجمع بين القرآن والسنة على نحو يجعل القرآن هو الأصل الحاكم ، والسنة هى البيان والتفسير لآياته البينات ..

ب - وجود فريق من المحدثين قد حرموا من ملكة الفقه ، الأمر الذى عزل "الرواية" عن "الدراية"" .. بينما الواجب هو جمعهما واقترانهما معا ..

... إن الحكم الدينى لايؤخذ من حديث واحد مفصول عن غيره وانما يضم الحديث الى الحديث ، ثم تقارن الاحاديث المجموعة بما دل عليه القرآن الكريم ، فإن القرآن هو الاطار الذى تعمل الاحاديث فى نطاقه لاتعدوه ، ومن زعم ان السنة تقضى على الكتاب ، أو تنسخ أحكامه فهو مغرور ! .. إن حياة محمد صلوات الله عليه ، كانت تطبيقا عمليا لتوجهات القرآن ! .. كانت قرآنا حيا يغير الأرض ويصنع حضارة اخرى . ولولا هذه السنة العملية والقولية لكان القرآن اشبه بالفلسفات النظرية الثابتة فى عالم الخيال ! ...

... إننا نعتقد - مثل كثير من العلماء المحققين - أن الاحكام التى توجد فى الاحاديث الصحيحة هى مأخوذة ومستنبطة من القرآن الكريم ، استنبطها النبى ، صلى الله عليه وسلم، من القرآن ، بتأييد إلهى ، وبيان ربانى ، ولذلك يجب علينا قبولها والعمل بها بشرط ثبوتها الى النبى صلى الله عليه وسلم . وهذا الفهم والاستنباط يسمى فى اصطلاح القرآن تارة "تبيينا" وتارة "إراءة" قال تعالى : (وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس مانزل اليهم ولعلهم يتفكرون) وقال جل شأنه : (إنا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما اراك الله) .."

• خارطة لموروثات الانسان •

اعتمد فى الولايات المتحدة خلال العام الماضى مشروع هائل يمكن ان يضاهى برنامج « ابو للو » للوصول الى القمر من حيث التكاليف والمشروع الجديد يستهدف رسم خارطة كاملة للعوامل الوراثية المطوية فى نواة كل من المائة تريليون خلية الموجودة فى جسد الانسان .

ومنذ تمكن جيمس واطسون وفرانسيس كريل من اكتشاف تركيب الحامض النووى والعلماء يعملون على حل شفرة بعض جينات الانسان .. ومن مائة الف مورث يفترض وجودها فى نواة الخلية امكن حتى الان معرفة ٤٥٥٠ مورثا كما تم تحديد موقع ١٥٠٠ منها على الخيوط الوراثية (الكروموسومات) اما رسالة المورث فالالمام بها من الصعوبة بمكان ذلك ان كل مورث يحوى مابين عشرة الاف و١٥٠ الفا من حروف « التكويد » ولهذا لم تفك الا شفرة عدد قليل جدا من المورثات .

لكن العمل فى هذا المجال شهد دفعة قوية مع التقنيات الجديدة ويدفع ذلك العلماء الى الاعتقاد بامكان الانتهاء من رسم خارطة المورثات خلال ١٥ سنة .. وكانت فكرة هذه الخارطة قد طرحت للمرة الأولى عام ١٩٨٥ وكانت قد اعترضت على فكرتها ـ الخارطة ـ اوساط علمية متعددة وبدت انها تمثل بالنسبة لعلوم الحياة ما مثله « المكوك » بالنسبة للانشطة الفضائية ، اذ انها ستمتص موارد ومواهب كثيرة الأمر الذى سيؤدى الى افقار مشروعات اصغر وان كانت اكثر حيوية بالنسبة للانسان ..

لكن انتصرت فى النهاية وجهة نظر المتحمسين لرسم مثل هذه الخارطة وصمت الناقدون حين اختار معهد الصحة القومى جيمس واطسون (الفائز بجائزة نوبل عن اكتشاف تركيب المادة الوراثية) مديرا لمشروعه .. بالذات وان التوصل الى خارطة للمورثات يعد مساهمة هائلة فى فهم نواميس النمو والتطور وصحة الانسان كما يفتح الباب امام طرق جديدة فى العلاج . ذلك ان الترجمة الكاملة لرسالة المورثات ستمكن من التعرف على سبب الاف من « الاخطاء » الموروثة بدنيا وسلوكيا ، مما لايزال مجهولا حتى اليوم .

• تغيير موروثات الانسان •

يعد اطباء المعهد القومى للصحة فى امريكا لزرع مورث يخص نوعا من البكتيريا فى خلايا مرض السرطان .. والمورث نفسه لاينطوى على قدرة علاجية بالنسبة للمرضى ، لكنه سيساعد الباحثين فى تحديد فعالية احد سبل معالجة السرطان كما ان التقنية التى يجرى اعدادها لزرع المورث يمكن ان تستخدم



التغيير الوراثى فى الانسان

فيما بعد ، فى علاج عدد من الامراض الوراثية .

ويقوم على تجربة المعهد القومى للصحة ثلاثة علماء احدهم خبير فى علاج السرطان ، والاخوان من خبراء نقل الموروثات . وعلى امتداد سنوات كان العالم الأول يطور طريقة جديدة لعلاج السرطان باستخدام نوع من الخلايا الليمفاوية المقاومة للسرطان .. وكان يستخلص هذه الخلايا من مريض السرطان ، ثم يعمل على تكثيرها معمليا بكميات كبيرة ليعيد حقنها بعد ذلك فى جسد المريض ، مما كان يقلص ورمه السرطانى على نحو ملحوظ .

وفى احدى التجارب على المصابين بنوع من انواع السرطان افادت الطريقة العلاجية ٦٠٪ ممن شاركوا فى التجربة وهكذا بات على الطبيب معرفة الكيفية التى تتحرك بها خلايا المقاومة التى يحقنها داخل جسم الانسان ، بالاضافة الى سبب عدم فعالية الطريقة فيما يخص ٤٠٪ من المرضى .

هنا خف علماء الهندسة الوراثية الى معونته وتوصلوا الى تقنية يمكن منها متابعة تقدم الخلايا المقاومة فى جسد المريض عن طريق زرع جين أو مورث يسهل متابعته .

وهذه التجربة المحدودة ليست سوى البداية اذ يخطط الباحثون فى المعهد القومى للصحة وغيره من المؤسسات الطبية لزرع جينات يمكن ان تساعد المرضى حقا فى مقاومة السرطان وغيره من الأمراض .

ويتوقع الباحثون ان تمكن التقنية المستخدمة من القضاء على بعض الامراض الوراثية بتغيير المورثات غير الطبيعية بأخرى سليمة ، ويبين هذا المشروع ان الخارطة التى اشرنا اليها فى فترة سابقة ليست مجرد اهتمام علمى محض .

وجدير بالذكر ان هذا يفتح الباب امام محاذير كثيرة فماذا مثلا اذا رغب الناس فى استخدام التقنية الجديدة ليس فى مجرد تغيير المورثات المسببة للمرض ، بل فى تحسين مايعتقدون انه متوسط القيمة (مثلما يحدث فى جراحات التجميل) ومن يستطيع القطع بأن مورثا لايرى فيه الدارسون شيئا خاصا فى الظروف الراهنة يمكن ان ينطوى على منافع جمة وان كانت متنحية حتى تستجد ظروف تتطلب عملها .

• طاقة الالتحام النووى •



من المسلم به أن وتائر استهلاك العالم للطاقة فى تزايد مستمر كما ان الاعتماد على مصادر الطاقة التقليدية كالنفط والغاز امر مستحيل فناهيك عن محدودية الكميات المخزونة منها فان احتراقها يزيد من كمية ثاني اكسيد الكربون فى الجو الامر الذى يساهم فى امتصاص جو الارض كميات اكبر من الطاقة الشمسية الأمر الذى يرفع حرارة الكوكب ويعمل على اذابة جليد المناطق المتجمدة ويمكن ان يؤدى الى غرق مناطق ساحلية كثيرة كثيفة السكان من عالمنا .

وليس من المتوقع ان يجرى حل ازمة الطاقة حلا ناجعا خلال السنوات العشر القادمة وان كانت خطوات اساسية سوف تنجز على طريق الاستفادة من الطاقة المتجددة مثل الطاقة الشمسية وطاقة الرياح ، وعلى طريق طاقة الاندماج النووى التى ستشكل الحل النهائى لمشكلة الطاقة بالفعل .

لقد نجح العلماء فى فك عقال الطاقة الناتجة عن انشطار نواة العناصر الثقيلة النادرة فى الطبيعة مثل اليورانيوم (القنبلة الذرية) والطاقة الناتجة عن انوية العناصر الخفيفة مثل الهيدروجين (القنبلة الهيدروجينية) ثم نجحوا بالتحكم فى طاقة الانشطار (المحطات النووية المعروفة) لكن عشرات السنين من كد العلماء فى السيطرة على طاقة الاندماج لم تفلح فى الابتعاد عن دائرة الحلم .

لكن العلماء نجحوا اخيرا فى تسخين المادة التى ستتحد انويتها لتوليد الطاقة الاسطورية الى درجة الحرارة المطلوبة لذلك ، وهى مائة مليون درجة (نقول ان الجو حار عند ٤٠ درجة مئوية) وفى مضاعفة فترة الابقاء على المادة فى درجة الحرارة هذه مئات المرات ، لكن مازال ينقصهم ثانية او ثانيتان ، لتحقيق مدة الثبات المنشودة لحدوث التفاعل ..

وهكذا يقف العلماء على عتبات انتاج اول وحدة تجريبية لانتاج طاقة الاندماج النووى ، والمتوقع ان يحدث ذلك خلال

العشر سنوات القادمة والمتوقع ظهور المحطات التجارية من هذا النوع عام ٢٠١٥ تقريبا . ولاتقتصر المسألة على ان الطاقة الجديدة لاتلوث الجو ولايتبقى عنها مخلفات ضارة ، ولا على ان مفاعلاتها لاتنطوى على اية مخاطر ، ذلك اننا تسد بما تنفقه فى سبيلها ـ مايقدر بمليارات الدولارات ـ بعض ديننا لاجيال المستقبل بعد أن اسرفنا فى استخدام نصيبهم من خدمات الطاقة .

● الفضاء من أجل الأرض●

بعد المباراة الحامية الوطيس بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى على غزو الفضاء خلال العقود الفائتة ، المتوقع بعد اتفاق البلدين على انهاء الحرب الباردة ، ان تتخذ الانشطة الفضائية وجهة اكثر تعاونا فى هذا المجال ، مع التركيز على مايمكن ان تقدمه انشطة مثل الاستشعار عن بعد لصالح الأرض ، بعد ان كان الجانب العسكرى يستنفد كل الامكانيات التى يمكن ان توظف فى هذا المجال ، وقد بات بالامكان استخدام المعلومات الفضائية لا فى التنقيب عن الثروات الطبيعية فقط وانما فى رصد تحركات الاسماك فى المحيط مما يسهل عمليات الصيد ويرفع غلتها ، كما فى مكافحة الجراد وبعوض الملاريا و .....

من المتوقع ان تشهد السنوات العشر القادمة تعاونا بين البلدين وغيرهما من



بلدان العالم المتقدم فى انجاز عمليات صناعية على نطاق تجارى فى المحطات المدارية من طراز « مير » السوفييتية الدائرة فى الفضاء حاليا ـ ومحطة « فريدوم » الأمريكية المزمع اطلاقها فى بدايات العقد القادم .. والسلع المرشحة للانتاج قبل غيرها فى الفضاء هى انواع مستحدثة ـ من حيث المادة والحجم ـ من البلورات التى يمكن ان تحث تطور العقول الالكترونية حثا لايمكن ان نتصور اليوم ابعاده ، ثم انواع من الدواء لايمكن انتاجها على الارض بالمرة ، او بنفس النقاء الذى ستحصل عليه فى الفضاء ، وسوف تستفيد الصناعات الفضائية من ظروف « انعدام الوزن » الأمر الذى يمكن ان يساهم فى خلط مواد لايمكن خلطها على الأرض بشكل جيد لاختلاف كثافتها ـ مثل الزيت والماء .

وهذا ويتوقع ان تساهم الازمات التى ستواجهها الأرض خلال التسعينيات فى ارجاء تحقيق احلام طموحه ، وفق امكانات البشرية حاليا ـ مثل التهاب الى المريخ ، كما ستشهد السنوات القادمة عودة الى استخدام الاجهزة الاوتوماتيكية فى مواصلة سبر اغوار المجموعة الشمسية والفضاء من بعدها بعد نموذج جهاز « فويجر » الذى فاق نجاحه كل التوقعات .

المائة الأعظم

بقلم: حسين أحمد أمين

الإدريسي

١١٠٠ - ١١٦٦ م

صاحب خير محاولة للتقريب بين الجغرافيا الوصفية والفلكية . ورغم اننا لانستطيع ان نضعه في مصاف العلماء المبرزين الممتازين ، فان كتابه « نزهة المشتاق في اختراق الافاق » اكثر الكتب الجغرافية العربية رواجا وصيتا في اوروبا . ذلك انه ليس ثمة كتاب حفظ لنا معلومات وافرة ذات قيمة كبرى عن الاقطار الاوروبية ككتاب الادريسي .

ولد في مدينة سبتة بالمغرب وبدأ اسفاره في سن مبكرة ، وكانت اسفاره الى مناطق لم يكن من المألوف في ذلك العهد الاهتمام بزيارتها . فبعد ان زار لشبونة واسبانيا وسواحل فرنسا وانجلترا ، قصد اسيا الصغرى فجزيرة صقلية حيث اتصل ببلاط الامبراطور روجر الثاني في بالرمو . وقد ظل الادريسي وثيق الصلة بروجر الى حين وفاة الثاني عام ١١٥٤ ، ثم عاد الى مسقط راسه سبتة حيث توفي في نحو عام ١١٦٦ . اما كتاباته عن الدنمارك والنرويج والسويد وفنلندا وروسيا واستونيا وشمال المانيا فالراجح ان مادتها مستقاة مما حصله من استجواباته النشطة للرحالة والحجاج .

ومعلوماتنا عن سيرة حياة الادريسي نزرة للغاية ، ومستمدة في جوهرها من كتابه هو . بل اننا نجد خبيرا كبيرا بالادب الجغرافي مثل ياقوت الحموي صاحب « معجم البلدان » لايعلم شيئا على الاطلاق عنه ، شأنه في ذلك شأن معظم علماء العرب . وقد يكون هذا الصمت من جانب العرب عن ذكره راجعا الى ان الادريسي عمل ببلاط ملك نصراني بل واهدى اليه كتابه امتدحه في افتتاحيته . غير ان الارجح ان يكون حجم كتاب « نزهة المشتاق » وخرائطه المعقدة ، قد جعل من مسألة استنساخه امرا عسيرا واعاق



انتشار مخطوطاته في العالم الاسلامي .

فبمدينة بالرمو اذن تقترن ذكرى انضر فترة في حياة الادريسي . كما انه ليس ثمة مايبرر تكذيبنا لما ذكره في مقدمة كتابه من ان الفضل في ظهور الكتاب يرجع الى روجر الثاني الذى اوصى الادريسي بتأليف مصنف جامع في الجغرافيا . وفي رأينا ان مجرد تكليف هذا الامبراطور لعالم عربي بالذات بوضع وصف للعالم المعروف انذاك . دليل ساطع على تفوق الحضارة العربية في ذلك العهد ، وعلى اعتراف الكافة بهذا التفوق .

ويقدم لنا الادريسي في البداية وصفا موجزا للأرض التي يتصورها على شكل كرة طول محيطها ٢٢٩٠٠ ميل ، ومعلقة في الفضاء كالمح "البيضة" . وبعد وصف قصير للاقاليم والبحار والخلجان ينتقل الى وصف سطح الأرض واقطارها بالتفصيل . اما اهم اقسام الكتاب فهي التي افردها لافريقيا الشمالية واسبانيا وصقلية وسائر نواحي ايطاليا ، اذ هي تعتمد قبل كل شيء (خلافا للاقسام الاخرى) على الملاحظة الشخصية للمؤلف غير ان حديثه عن سائر البلدان الاوروبية - رغم افتقاره الى الدقة - يشتمل هو ايضا على مجموعة من المعلومات الهامة خاصة فيما يتعلق بالعلاقات التجارية ، والأوضاع الاقتصادية وبالتاريخ . اما الاقطار غير الاوروبية فان الادريسي لم يعرفها معرفة مباشرة باستثناء شمال افريقيا . ولم يعن بان يجمع عنها مادة وفيرة كتلك التي جمعها عن اوروبا بفضل اسئلته المتواصلة للحجاج والرحالة . لذلك جاءت كتاباته عن جنوب شرقي اسيا مثلا - بما في ذلك الهند - وكذا عن الصين ، ضحلة للغاية ويشوبها الاضطراب . وقد اعتمد في وصفه لافريقيا السوداء على كتاب بطليموس ، وان كان وصفه لمجرى نهر النيجر قد اكدت صحته الاكتشافات الجغرافية الأوروبية في القرن التاسع عشر .

ويضم كتاب الادريسى سبعين خريطة لابد عند تحليل الكتاب من تحليل مماثل لها جنبا الى جنب مع المتن ، وتتميز هذه الخرائط بدقة الرسم ، وباطراح منهج الخطوط المستقيمة والدوائر الهندسية المعروف قبله . ويعتبر تحديده لسواحل البحر الابيض المتوسط اقرب الى الواقع من اى من الخرائط السابقة على خريطته لها . فخرائطه اذن هى اوج فن رسم الخرائط الجغرافية عند العرب . بل لعلها اهم اثر لكارتو جرافيا العصور الوسطى على الاطلاق اما « نزهة المشتاق » نفسه فان اراء المستعربين والجغرافيين فى القرن العشرين موزعة بين اعتباره « محاولة التنظيم والترتيب على حساب الدقة والتثبت » واعتباره « افضل كتاب فى الجغرافيا وصلنا من العصور الوسطى ، سواء من الشرق او الغرب » .

محمد عبده

١٨٤٥ - ١٩٠٥ م

أعظم المصلحين الدينيين والاجتماعيين في مصر في العصر الحديث ، وداعية بارز إلى فتح باب الاجتهاد من اجل ملاءمة الاسلام مع حاجات العصر الحديث .. ومع انه حورب في زمنه من قبل من رأوا في الاصلاحات والآراء التي ينادي بها خطرا على مصالحهم (وهي معارضة حالت دون تنفيذ الكثير من هذه الاصلاحات) فإن خصومه انفسهم لم يشكوا قط في نزاهة اغراضه ، وطهارة شخصه ، وحميته للدين .

كان يؤمن بأنه إذا أصلح الأزهر أصلح حال المسلمين ، وفى رأيه أن إصلاح الأزهر يكمن فى إصلاح الإدارة والتعليم فيه ، وتوسيع مناهجه حتى تشمل بعض العلوم الحديثة ، وتقوية وجوه الشبه بينه وبين الجامعات الأوروبية حتى يصبح منارة وهدى للمسلمين العصريين كافة .. وعنده الأزهر إما أن يعمر ، وإما أن يتم خرابه .. وقد فشل فى إقناع شيخ الأزهر أنذاك وسائر الشيوخ بالأقدام على الاصلاح .. فسعى إلى الحصول على تأييد الخديو توفيق لخططه .. ولكن دون جدوى .. فلما تولى عباس حلمى الحكم أصدر قرارا بتشكيل مجلس لإدارة الأزهر كان محمد عبده ممثل الحكومة فيه ، والروح المحركة له .. وقد نجح المجلس فى زيادة رواتب الشيوخ الفقراء من مدرسى الأزهر ، واهتم بمساكن المجاورين وظروفها الصحية ، وجدد مكتبة الأزهر التى كانت فى حال يرثى لها ، وأضاف إلى العلوم التى تدرس فيه الحساب والجبر وتاريخ الاسلام ومتن اللغة وادابها ومبادىء الهندسة

والجغرافيا .. غير أن الخديو عباس سرعان ما انقلب عليه وبات يعارض إصلاح الأزهر ، مما رجح كفة المحافظين ، فاستقال الشيخ محمد عبده من مجلس الادارة وعاد الأزهر إلى مسيرته الأولى ونهجه المألوف .

أما عن عمله في منصب الافتاء فقد ألبس هذه الوظيفة ثوبا جديدا .. فقد كان أكثر أسلافه يظنون أن المفتي مستشار ديني للحكومة ، فلا يكتب ولايفتي إلا في المسائل التي تحيلها عليه المصالح الحكومية .. وقد تناولت الفتاوى العديدة التي أفتى بها محمد عبده الأمور الناجمة عن مخالطة المسلمين لمن يخالفونهم في الجنس أو الدين ، والتي تمس أحوال المدنية الحديثة .. وكانت فتاواه كلها تتميز بروح من الاستقلال والتحرر من أغلال التقليد وتزخر بالرغبة القوية في جعل الاسلام ملائما لحاجات المدينة الحديثة ، وأشهر فتاواه التي أثارت عليه معارضة المتمسكين بأهداب القديم ، الفتوى التي تحل للمسلم ذبائح الكتابيين ، وتلك التي تحل إيداع الأموال في صناديق التوفير وأخذ الفائدة عليها ، وفتواه التي تحل للمسلمين أن يلبسوا ملابس الأوروبيين .

وقد تأثر محمد عبده تأثرا كبيرا من جراء صلته بجمال الدين الأفغاني .. فقد فتح الثاني أمامه آفاق العالم الاسلامي ، ومشكلات العالم المعاصر ، ووجهه نحو الصحافة التي تعلق بها طيلة حياته ، مشتركا معه في تحرير « العروة الوثقى » بباريس ومن خلال مقالاته الصحفية .. كما من خلال دروسه في دار العلوم والأزهر ، ونشر آراءه الحرة الحديثة ، وعمل على تغذية الروح الوطنية في المصريين ، ودعا الى العودة بالاسلام



إلى ماكان عليه في الصدر الأول من تحرر واجتهاد ، والى النهوض باللغة العربية من كبوتها وإحياء آدابها ، ورفع راية حرية البحث في الدين ، واستنكر انشغال الفقهاء وعلماء الدين بالتفريعات والتفاهات ، وحارب الخرافات السائدة بين العامة ، ونادى بالتسامح الديني ، وأعرب عن ثقته بأنه لاتناقض بين الدين والعقل ، وأنه بوسع المسلمين الإفادة من التقدم العلمي في الغرب متى ماطهروا العقيدة الاسلامية من كل ماتراكم عليها على مدى القرون من أوهام وشوائب ليست منها .. وكان يرى أن السبيل الحق لتحرير الشعوب من الاستعمار والاستبداد هو الاهتمام بالتعليم والتربية ، لا الانقلاب أو الثورة على نحو ماسعى إليه الأفغاني ، مؤمنا بالتدرج دون الطفرة .

ابن الرومى

٨٣٦ ٨٩٦ م

اشعر اهل زمانه ، واكثرهم شعرا ، واحسنهم اوصافا ، وابلغهم هجاء ، واوسعهم افتنانا فى سائر اجناس الشعر وضروبه وقوافيه وتشبيهاته ، وكما يتفق النقاد العرب ـ عكس النقاد من المستشرقين ـ على تفضيل المتنبى على أبى نواس ، فهم يتفقون على تفضيل البحترى على ابن الرومى ، فى حين يرى الغربيون انه وإن كان البحترى أجمل لغة واكثر صقلا ، فان ابن الرومى اكثر إخلاصا لنفسه ، واقل تقيدا بالقديم واغراضه ، وان الكثير من قصائده ، كمرثيته فى ابنه ، فيه من حرارة الشعور وعمق الإحساس مايندر ان نجده فى الشعراء غيره باستثناء ابى فراس .

يقول المرزباني عنه : « وهو فى الهجاء مقدم لايلحقه فيه أحد من أهل عصره غزارة قول ، وخبث منطق » والواقع أن الهجاء غلب على ابن الرومى حتى شهر به ، وحتى أصبح يقال « اهجى من ابن الرومى » غير أن فى هجائه من الاحتقار المخلص والازدراء الحقيقى مايعوض عن إقذاعه المفحش ، ويظهر ابن الرومى فى وصفه قوة ملاحظة غير عادية ، ويضع لمسات سريعة منه كفيلة بأن تجعل لوصفه تأثيرا حيا ، ومن خصائص شعره اللافتة للنظر اتصال الجدل فيه وتماسكه بحيث تغلب عليه وحدة القصيدة لا وحدة البيت كما عند غيره (وهو أحد الأسباب التى دفعت عباس العقاد إلى تفضيله على غيره من الشعراء) كما نلاحظ جرأته فى صوغ تجاربه فى صورة موضوعات وألوان من الحوار ، وفى طرق التعبير التى قلما ترد فى شعر غيره من شعراء العربية فى عصره ، حتى إنه لفى الوسع اعتبار ابن الرومى مبتكرها او مكتشفها ، إذ ليس ثمة دليل واحد انه اخذها من غيره ولو انها كانت تطورت على أيدى الشعراء بعده لأضافت العنصر الدرامى أو القصصى إلى الشعر العربى ، غير أن هذا التطوير لم يحدث ، ومع ذلك فإن تأثير ابن الرومى فيمن بعده ـ كالمتنبى ـ كان واضحا .

ويضم شعر ابن الرومى جميع فنون الشعر التى عرفها العرب فى عصره ، من مديح وهجاء ونسيب وخمريات ووصف



وفخر وحكمه ومراثى ، وربما كانت لغته من أكثر مايشد انتباهنا الى شعره ويدفعنا إلى الاعجاب به .. فهى لغة موجزة محكمة كثيرة الألفاظ والأسلوب سهل إلى أقصى حد بحيث يشبه العربية الأدبية فى القرن العشرين ، وبحيث يستطيع المثقفون الناطقون بالعربية فى يومنا هذا فهم شعره دون مشقة أو حاجة إلى شروح لكلمات فيما عدا الألفاظ الفارسية التى كانت فى عصر ابن الرومى جزءاً من اللغة المتداولة فى بغداد .

وقد كان ابن الرومى قادرا على نظم القصيدة الطويلة فى ساعات قليلة ، دون أن ينقحها بعد نظمها أى تنقيح .. لذلك فإن مابقى من شعره يفوق ماخلفه أى شاعر عربى آخر فى عصره بقدر كبير فهو ضعف شعر البحترى ، وثلاثة أضعاف أو أربعة أضعاف شعر أبى تمام ، وغزارة انتاجه هذه قد تكون السبب فى كثرة الأخطاء النحوية فيه ، كما انها - هى وبذاءة هجائه - ظلتا قرونا طويلة دون نشر ديوانه كاملا حتى تصدى الدكتور حسين نصار لهذه المهمة عام ١٩٧٣ .

وقد جلبت بذاءة هجاء ابن الرومى عليه عداوة الكثيرين ، كان من بينهم القاسم بن عبدالله وزير الخليفة المعتضد الذى يقال انه دس السم للشاعر فى حلوى اللوزينج ، فمات وإن كان عباس العقاد يرجح أن يكون حديث السم خرافة مخترعة ، وأن يكون ابن الرومى مات من مرض السكر بعد إفراطه فى أكل الحلوى .

أنت والهلال

• الراديكالية •

• يكثر فى هذه الأيام ترديد كلمة « راديكالية » دون أن يحاول احد ممن يرددونها ان يشرحها ، مما يجعل القارىء او المستمع لايعرف المقصود منها بالضبط ، فماذا تعنى هذه الكلمة وما المراد بها ، وهل هناك كلمة عربية بديلة لها ؟ !

محمد حسن عبد الراضى
اسيوط

• تعليق الهلال :

ـ فعلا .. ترديد هذه الكلمة كثير فى هذه الأيام بدون معنى محدد لها .. والراديكالية تعنى « الجذرية » .. أى رد الأشياء الى جذورها ، أو طلب الاصلاحات الأجتماعية والسياسية العميقة التى تحقق المساواة .. وقد ظهرت هذه الكلمة منذ حوالى مائتى عام فى انجلترا مع ظهور الطبقة الصناعية التى تتعارض مصالحها مع مصالح الأقطاعيين والنظام الملكى البريطانى فى ذلك العصر .. وقد ايد الراديكاليون الثورات فى أوربا وامريكا ، وتكونت احزاب راديكالية تحمل هذا الاسم . ولكنها تلاشت ، وبقيت الكلمة مرادفة للتطرف السياسى والاجتماعى ، ولم يتفق اصحاب الأقلام العربية على ترجمة واحدة لهذه الكلمة ولذلك يستعملونها كما وردت فى اللغات الأوربية .

• ذقن أبى الهول •

علامة الحزم والوقار
وزينة الوجه فى ائتلاف
ياصاحب الذقن كنت دوما
يبدو محياك فى اعتداد
بافكرة الحق فى ضحاها
قم وانظر الشرق ماذهاه
عز على النيل مايراه
مدوا يد الحسم باتحاد
هذا ابو الهول فى اعتداد

ومعقد العزم فى اقتدار
ومظهر اليمن واليسار
ترنو الى الرمل فى اصطبار
فى صحبة الليل والنهار
وشامة المجد والفخار
الحرب والسلم فى دوار
من فرقة الأهل والجوار
لن ينجح العرب بانتظار
حامى حمى النيل والذمار

زفوا الى ذقنه التحايا لابد من عودة المعار

عبد العزيز بيومى على
مدير بالمدارس الثانوية سابقا

• المجلات وملاحقها •

• اين ملحق الهلال « الزهور » الذى كان يصدر معها فى السبعينات ؟ ! .. ها أنتم ترون طوابير المواهب وبالذات فى الشعر ، ومع وجود الأمية والتخلف .. فليس قراء الأدب فى الغالب إلا ابناء المستقبل.

واخيرا رجاء - قد يكون مملا - بأن تنظروا بالرأفة الى القصيدة المرفقة فقد تكون صالحة للنشر وهى نتاج عام ١٩٨١ ، ١٩٨٩ .. تحت اسم « ليس زمن الفرسان » .

عادل عمر محمد الشيخ
مهندس زراعى - مدينة رشيد

• تعليق الهلال :

- « الزهور » لم تكن فى الاصل ملحقا للهلال ، بل كانت مجلة مستقلة فكر فى اصدارها المرحوم يوسف السباعى حين تولى رياسة مجلس ادارة دار الهلال سنة ١٩٧١ ثم قضت الظروف بجعل هذه المجلة - مؤقتا - ملحقا للهلال ريثما يتيسر لها الصدور فيما بعد مستقلة .. وبعد سنوات رئى الاكتفاء بما صدر من اعدادها . وسوق الصحافة والنشر حافلة الآن بالمجلات ولا تحتاج الى ملاحق .. أما « قصيدتكم فهى فى الحقيقة نثر لاشعر لأن الوزن ينقصها الا فى سطرين او ثلاثة منها » .. فهل كتبتموها فى الأصل لتكون شعرا منثورا او قصيدة نثرية ؟ ! ..

• المصرى وذل الاغتراب •

أيا ابن مصر العظيمة يالذا العروق الكريمة
انعم بخير مقام تعليك خير أرومة
ولا تبال بفعل من النفوس السقيمة
فانت أعلى واسنى فى الفضل قدرا وقيمة
وانت تحكى وحقا من السماء نجومه

أنت والهلال

لقد سبقت بعقل
النيل انت وخوفو
هذى لعمرى اصول
فى الدين حزت امتيازا
جمعت كل فخار
وعش لمصر كريما

أسقى الجميع علومه
ويعرب والعزيمة
هى الأصول القويمة
بملة مستقيمة
فعش لمصر الكريمة
ان الكرامة قيمة

احمد قاسم احمد
قنا ـ شارع على بن ابى طالب

• المصرى والغربة •

مازال المصرى عظيما رغم الغربة !.
يقتله الشوق .. يقتله الناس ..
لكن المصرى عظيم فى غربته الصارمة الوجه .
لا يحمل ذلا . لايرضى الضيم
يعمل مالا يقدر ان يحمله الناس
ويقابل كل جحود بالنسيان !..

وهبى عبد الله حامد
بهجورة

• إليها •

مدير «دركسيونا» فى يديها
يدا (حواء) من در مصفى
فغض الطرف ان تنظر اليها
فان صعّدن فلسوف تلقى
وسوف تراك مشدودا بعنف
ويامسكين ، سوف تصير صيدا
ومن ثمّ اعذرونى يارفاقى
فانى شاعر ، والشعر لمح

وتلهو بالحياة ، وما عليها
وقد سال النضار بساعديها
وقل : سبحان من سوى يديها !
بنفسك فى تضرم وجنتيها
تقبلها ، وتاكل جمرتيها !
لسهم قاتل فى ناظريها !
اذا اهديت أبياتى اليها
وقد سطرته اذ قال : ويها !!

رمضان ابو غالية
الوكيل الأول لقويسنا الثانوية للبنين

● مصيبة اللغة والأدب ●

● لقد « استئت » كثيرا جدا لانكم تنقدون اشعارى بالطريقة الجبارة التى تهدم الشعراء و « المثقفون » ولاتجعلهم « يبدئون » بداية شاعرية جيدة ، ولهذا ارسلت لكم هذه القصيدة حتى « تحكمون » « حكم جيد » على شعرى ولا « تمزقونه » ابدا ، هذا وقد اوجه شكرى لكل من دافع عن اشعارى الجيدة التى لها مذاق خاص ومتفردة عن اشعار « الكثيرون » من شعراء هذه الأيام : مع الشكر والاحترام .

وهذه هى القصيدة :

كان حين أطل من ثقب صغير يقول
كان اعطيناك الكوثر فانزعج جدا .
كانت توابيت الذكرة المبعوثة متناثرة الى حد « الانماج »
المباشر مع الأحداث الكونية .
اخذ يغنى ويغنى - اراك « عاصى الدمعى »
ضحك القمر وبكت النجوم « وشهدت » على ذلك الليل الطويل
حين اطل - قال - لاتلومونى فقد .
صغت « شيى » فريدا جدا - رحمك من « هلأ » العذاب
ظهر الفرس فسكت عن الكلام « النباح »
ونظر الى حبيبته وابتلع كبسولة « مضادة حيوى »
ونام واستيقظ على صوت « ناعما » وهو صوت امرأته
كانت جهزت له الشاى
لم يتكلم وتركها واشعل سيجارته وقال
كان فان جوخ « فنان عظيم » جدا
انتهت اللوحة

اوفى عبد الله الأنور
سوهاج

● تعليق الهلال

- تجيء إلينا من سوهاج احيانا رسائل مدسوسة من بعض من لا خلاق لهم ، على بعض الأدباء لاظهارهم فى صورة من يجهل ابسط قواعد النحو والصرف والاملاء .. فاذا لم تكن رسالتك هذه مدسوسة علينا ، فانها تكون مصيبة للغة والأدب ، فكاتب هذه الرسالة لايعرف شيئا فى الاملاء ، فضلا عن النحو والصرف .

أنت والهلال

وهو مع ذلك يتصدى لكتابة الشعر الذى لايعرف شيئًا عن اوزانه بطبيعة الحال .. لقد وضعنا لك مصائب اللغة من اخطاء النحو والصرف والأملاء فى رسالتك وفى قصيدتك بين اقواس ، فاسأل عنها من يعرف هذه الأمور ، وابدأ من جديد ، محاولا ان تتعلم هذه اللغة المسكينة التى تنقرض بين ايدى اهلها !! ..

• إلى أم كلثوم فى ذكراها •

لآهاتك القلب غنى ونادى عصى الدموع
وطار ـ الى عرفات ـ يطوف
ويلثم مهد النبى الأمين
ويرجع معنى لما هو آت يسائله العاشقون
يقول : سلوا قلبى .
الناس تخرج ـ من ثورة الشك ـ سابحة فى الحنين
الى ذكريات تفيض ، فيجلو لديها الغموض
على طرق الفاتحين !!!

عبد الرحيم الماسخ
نجع الماسخ / المراغة / سوهاج

• الصنبور •

عطشانا جئت الى الصنبور فقابلنى بصفير
فمددت يدى استجدى نقطة ماء اسألها
عن سر الحب كأنى شحاذ يتجسد فيه الف فقير
نزلت فى كفى نقطة ماء فى لون الفضة
نزلت بثياب قد صنعت بحرير
قالت : ان كنت تريد مياها من هذا النهر
زايد : واحرص ان تدفع اعلى سعر فى المهر
اما ان كنت تعانى من ظلم الفقر
فاشرب ـ ان شئت ـ من البحر

عبد العزيز الشراكى
المنصورة

● أسمهان والجاسوسية ●

● جاء في فقرة من مقالة « المطربة ورئيس الديوان » في هلال نوفمبر الماضي للاستاذ كمال النجمي مايلي :

« بدأ الانجليز يقبضون ايديهم عن اسمهان بعد انتهاء مهمتها . وهنا هبط عليها احد وكلاء المخابرات الألمانية يعرض عليها ان تعمل لحساب الألمان واعدت كل شيء للسفر وركبت القطار من حلب قاصدة الحدود التركية ، ولكنه لم يكد يقترب من الحدود التركية حتى توقف ودخل ضابط بريطاني وطلب إليها ان تغادر القطار وكانت في انتظارها إحدى السيارات الحربية وعادت بها الى حلب ، ولم يبين الكاتب خفايا هذه الواقعة حيث بدأت هذه الحكاية عندما تعرفت اسمهان على احد الصحفيين الامريكيين وكان هذا الصحفي يتعامل مع الالمان ودول المحور وكان هذا الصحفي مكلفا من سفير المانيا في انقرة وقتها - فون باين - باحضارها الى تركيا حيث ستتم تصفيتها جسديا - اى إعدامها - حيث انها قد حكم عليها بالأعدام من قبل السلطات الألمانية لتجسسها لصالح بريطانيا . وبالفعل وافقت اسمهان على السفر مع الصحفي الى تركيا وفي القطار فشلت الخطة حيث اوقفت المخابرات البريطانية القطار وانزلت اسمهان بالقوة واعتقلت الصحفي الامريكي حيث انها - اى المخابرات البريطانية - علمت بالمؤامرة كلها قبل ان يتم تنفيذها بساعات قليلة لولا ذلك لكان الأعدام من نصيب اسمهان دون شك .

صلاح الشهاوى - طنطا

● تعليق الهلال :

- قبل كل شيء لاتضع همزة تحت حرف الألف الأول من اسم اسمهان ، لان الهمزة فوق الألف .. اما قصة هروب اسمهان الى تركيا لمقابلة فون بابن (الباء لا الياء) فلم نتوسع فيها اختصارا ، لانها تستغرق وحدها عدة صفحات وقد ذكرها المرحوم محمد التابعي في كتابه عن اسمهان ولم نشا ان ننقلها عنه وأما قولك إن الألمان كانوا يريدون إعدام اسمهان فغير صحيح ، والصحيح انهم كانوا يريدون استخدامها في التجسس ، ولم يحكموا عليها بالأعدام ، ولا ندرى من اين جئت بهذه الحكاية غير الصحيحة ، لكن الأنجليز هم الذين كانوا سيعدمونها لانها شرعت في خيانتهم ، ثم توسطت فرنسا في الامر وتحولت اسمهان الى مجرد عميلة فرنسية ! ..

أنت والهلال

• مصر •

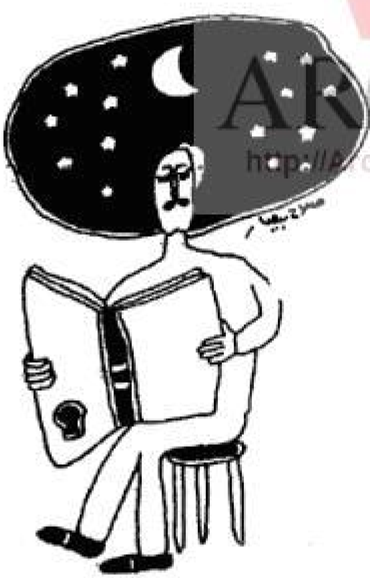
بلدى قراها جنة ... يحلو بها شم النسيم
فيها البساطة قد بدت ... والخير والخلق الكريم
اشجارها اطيارها ... تشدو لخالقها العظيم
والنيل يجرى هادئا ... يشفى برؤيته السقيم
شكرا إلهى قد حبو ... ت لمصر أسرار النعيم

وائل محمد جاويش -
تجارة القاهرة

• أنا والليل •

ابواب ..
اطرق منها
ما اعرف
كي لا اعرف ..
انى ..
مازلت غريب !!
وأهيم بكل العالم
اقرا مالا يقرا

استلهم
مالا يلهم !
لكانى اعرف انى ..
قد عشت العمر غريب
انا والليل صديقان
قد حرنا
من فينا .. انا والليل
تراه الشاعر



رمضان الهجرسى

● مع أصدقائنا ●

● يوسف عبد الحميد النورى - كوم الحجنة - كفر الشيخ :
- سؤالك عن الأديب الذى احبته الأديبة المشهورة المرحومة الآنسة مى ، لا جواب له لأنها لم تحب احدا من الأدباء ولا من غير الأدباء وكل ما يزعمه الزاعمون غير ذلك ، فهو اقاويل وتلفيقات ! » .

● صلاح الدين امين حسين - المعهد الفنى الصناعى بشارع الصحافة - القاهرة .
- نحيى فيك حبك للأدب والشعر ، ونحثك على القراءة الكثيرة والتعلم الطويل ، لانك مازلت فى أول الطريق .

● رفعت عبد الوهاب المرصفى - القاهرة :
- نشكركم على ماتوافوننا به من اشعار ، ونحاول ان ننشر منها مايتاح لنا نشره .

● عبد الحميد عبد السلام شمخ - شبراخيت :
- نعم ، تستحق « الانتفاضة » ان يتغنى بها كل شاعر عربى ، ولكن قصيدتكم التى بعثتموها الينا عنها تحتاج اوازنها الى إعادة نظر !

● اشرف العنانى - العريش :
- نشكركم كثيرا على تحيتكم للهلال ، ونرجو أن تتسع الأيام لكم للتمكن من الأوزان الشعرية .

● اشرف محمود خليل - مهندس بورش المحركات - المنصورة :
- قصتكم «الكابوس» عن التعذيب فى السجون ، تتحدث بطريقة «الحدوتة» الساذجة المباشرة الخطابية .. وفيها كثير من أخطاء النحو واللغة والتعبير .. اقرأ عن فن القصة كثيرا واكتب قليلا حتى تنضج أدواتك ..

● وائل وجدى - الدقى - الجيزة :
- أقصوصتكم «براءة» المكونة من سبعة أسطر لا تدخل فى باب الأقصوصة ، لأنها مجرد خاطرة أو نظرة سريعة ..

● ونشكر اصدقاءنا السادة : ابراهيم سمير سعدة .. فتحى سلمان .. صالح السباعى .. عاصم فريد البرقوقى .. خليفة على اسماعيل .. رفعت محمد بروبى محمود عبد المجيد أحمد .. عبد العال عبد الصمد الشال .. اشرف محمد ابو العز .

الكلمة الأخيرة

المجلة الثقافية

لست أعرف وسيلة ثقافية أطول عمرا ، وأجمع أمرا ، وأطيب ثمرة ، وأقرب مجتنى ، وأوجد فى مكان ، من مجلة تزين مكتبتك ، وتمدك بالمعرفة حين تحب ، وتستجيب لندائك ساعة الملل ، وتفرج عنك لحظة الكرب ، مع رخص ثمنها ، وإمكان وجودها ، وخفة حملها ، وتنوع ماتقدم من زاد ، لولاه لبطل أكثر العلم ، وغلب سلطان النسيان ، وحرمنا أكثر النفع والمتعة .

إنها مسامر لايضايقك فى حال شغلك ، ويسعدك فى لحظات نشاطك ، وزائر إن شئت جعلت زيارته غبًا ، وإن شئت لزمك كظلك ، وكان منك بعضك ، لايعاملك بالمكر ، ولا يخدعك بالنفاق ولايحتال لك بالكذب .

احلم بمجلة تتسع لكل فكر جديد من ثمار العقول الرفيعة ، والتجارب الحكيمة ، والآداب المتنوعة ، وأن تعيش حاضرنا دون أن تنسى الماضى ، فمن لا تاريخ له لاحاضر له ، وألا تقف عند لحظاتنا المعاشة ، وإنما تتجاوزها إلى المستقبل ، تتنبأ وتبشر ، وتهيىء الأذهان لعالم جديد لما يزل جنينا فى ضمير الغيب .

مجلة تكون من الوضوح بقدر لايحتاج معه القارىء إلى إعمال روية فى فك طلاسمها ، أو كدح ذهن فى حل معمياتها ، فلا تتعالى عليه بالكلمة الغامضة ، أو الأفكار المعقدة ، أو العجمة المربكة ، وأن ترتفع فى الوقت نفسه عن العامية الساقطة ، فتجىء لغتها صافية مهذبة .

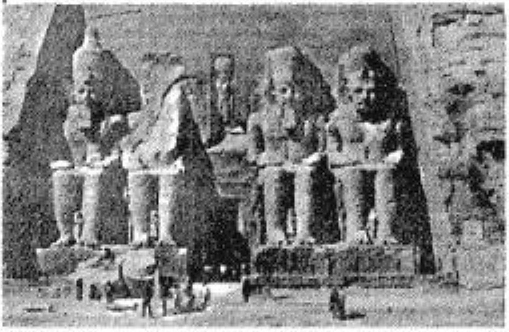
مجلة تسمو عن الاقليمية الضيقة ، المحلية المعوقة ، فتكون لأبناء العرب جميعا ، مهما اختلفت بهم المهابط أو باعدت بينهم الاراء يجدون فيها أمتهم في ماضيها ، وحاضرهم على حقيقته ، ومستقبلهم الذى يأملونه ، وعلى صفحاتها يتعارفون ويتوادون

لا أعلم جارا ، ولارفيقا أطوع ، ولاصديقا ، ولامعلما أنفع ، ولاصاحبا أظهر كفاية وأقل إملالا ، من مجلة احسنت اختيارها ، وجعلتها لك صديقا . وهى ثروة لاتدفع عليها ضريبة ، ولاتنقص مع الانفاق ، وخير المالكين من أورث بنيه مايجمع ولايفرق ، ويعطى ولاياخذ ، ويجود بالكل دون البعض ، ونعمة لا حيلة فيها لحاسد ، ولايرغب فيها سارق !

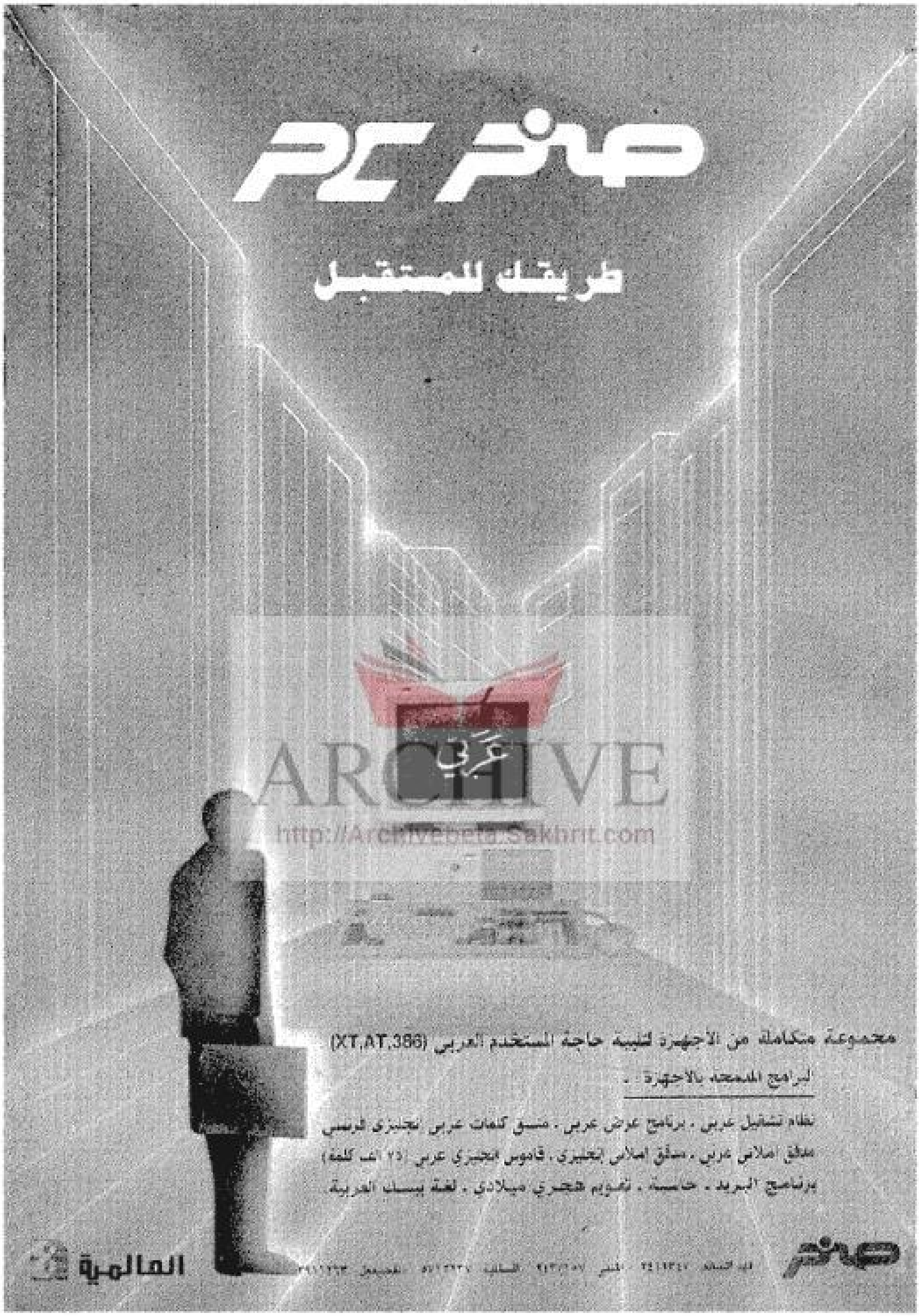





EGYPTAIR
مصر للطيران



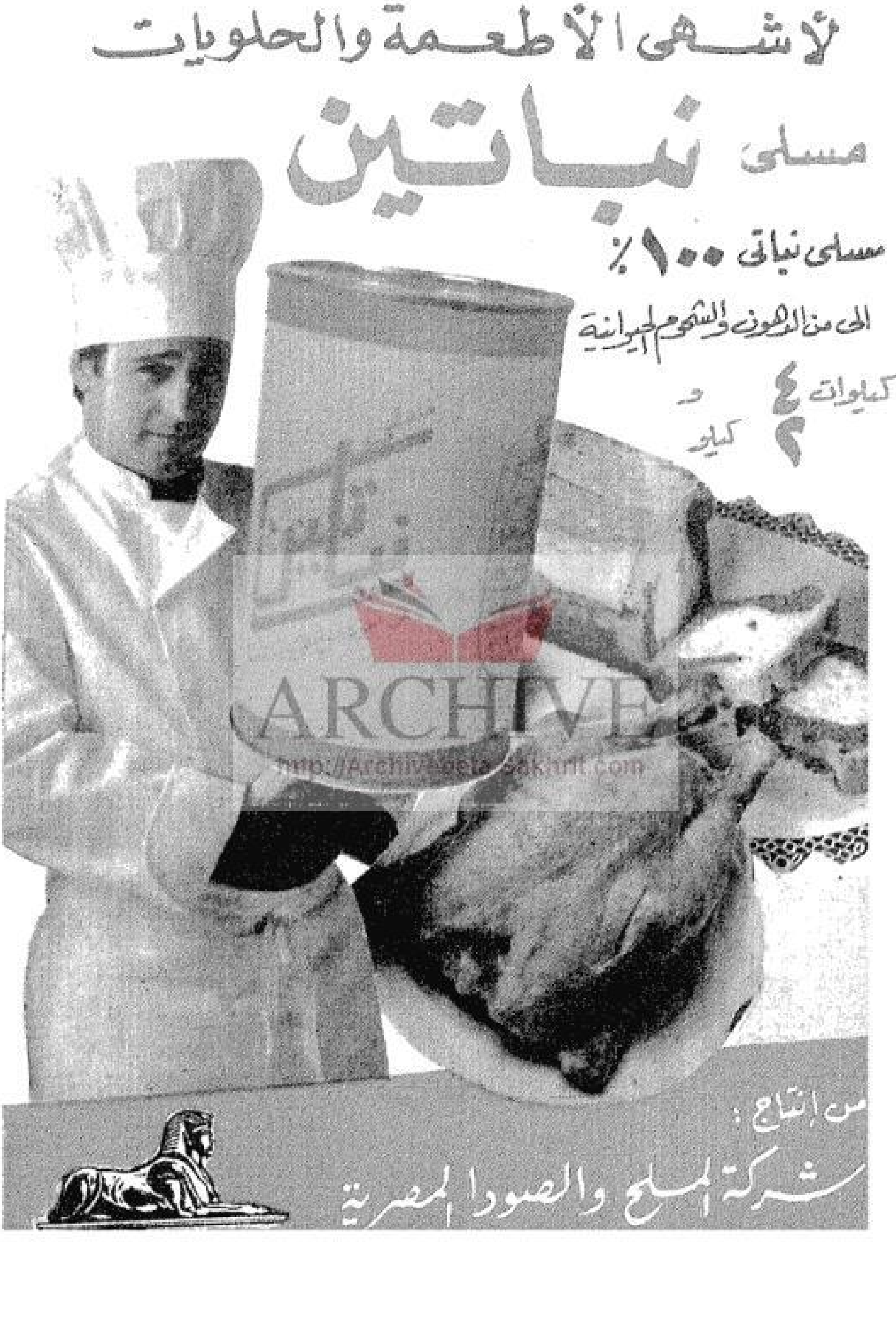



صخر PC
طريقك للمستقبل
مجموعة متكاملة من الأجهزة لتلبية حاجة المستخدم العربي (XT,AT,386)
البرامج المدمجة بالأجهزة :
نظام تشغيل عربي . برنامج عرض عربي . منسق كلمات عربي انجليزي فرنسي
مدقق املائي عربي . مدقق املائي انجليزي . قاموس انجليزي عربي (٢٥ الف كلمة)
برنامج البريد . حاسبة . تقويم هجري ميلادي . لغة بيسك العربية
صخر
العالمية

الهلال
فبراير ١٩٩٠ ● الثمن ٥٠ قرشا

احسان عبد القدوس
أمس .. واليوم .. وغدا!




لأشهى الأطعمة والحلويات
مسلى نباتين
مسلى نباتى ١٠٠٪
الى من الدهون والشحوم الحيوانية
كيلوات ٤ و ٢ كيلو
من إنتاج :
شركة الملح والصودا المصرية

الهلال

مجلة ثقافية شهرية
تصدرها دار الهلال
أسسها جورجي زيدان
عام ١٨٩٢ ميلادية

رئيس مجلس الإدارة
مكرم محمد أحمد

نائب رئيس مجلس الإدارة
عبد الحميد حمروش

رئيس التحرير
مصطفى نبيل

المستشار الفني
محمد أبو طالب

مدير التحرير
عاطف مصطفى

المشرف الفني
محمود الشيخ

سكرتير التحرير التنفيذي
عيسى دياب

السنة السابعة والتسعون • فبراير ١٩٩٠ • رجب ١٤١٠ هـ

يحيى حقى ينال جائزة الملك فيصل

يقاس تقييم اية جائزة ، بمن تقدم لهم هذه الجائزة ، وللاسباب التى تقدم من اجلها الجائزة الى اديب او فنان او عالم دون غيره .

– وجائزة الملك فيصل فى القصة القصيرة ، حين تختار يحيى حقى هذا العام ، فإنها تحقق هدفا عظيما ، هو تتويج اعمال فنان كبير .

– فيحيى حقى رائد من رواد القصة القصيرة العربية ، رائد بالسبق الزمنى ، فقد كتبها منذ العشرينات ، ورائد بالابتكار فى اشكال القصة القصيرة ، ورائد فى النزعة الانسانية الصادقة .

– من دواعى سعادة مجلة « الهلال » ان يحيى حقى اختارها ، لينشر فيها سلسلة مقالاته تحت عنوان ثابت « قنديليات » نسبة الى « قنديل ام هاشم » احد اهم اعماله الابداعية .

كما كان من حسن حظ مجلة « الهلال » ان التقت يحيى حقى فى ندوة مع عدد من تلاميذه ومريديه ، نشرتها المجلة على امتداد عددى اغسطس وسبتمبر ٨٩ .

– ومجلة « الهلال » تقدم التهنئة الى الاستاذ الكبير يحيى حقى والى جائزة الملك فيصل للقصة القصيرة .

وبعد فوز نجيب محفوظ باهم جائزة عالمية (نوبل) توالت الجوائز الادبية وفاز الدكتور يوسف ادريس ومن بعده الكاتب الكبير فتحى غانم بجائزة صدام .

وجاء الوقت لكى يعود كتاب مصر الى مكانتهم فى قلب الامة العربية .

إقرا مقال يحيى حقى ص ١٦

في هذا العدد

عدد خاص

احسان عبدالقدوس :
أمس .. واليوم .. وغدا !

فكر وثقافة



الغلاف : إحسان
بريشة الفنان : صبرى راغب

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى (١٢ عددا) في جمهورية مصر العربية تسعة جنيهات وفي بلاد اتحادى البريد العربي والافريقي والباكستان عشرة دولارات او مايعادلها بالبريد الجوى . وفي سائر انحاء العالم عشرون دولارا بالبريد الجوى .

والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال في ج . م . ع . نقدا او بحوالة بريدية غير حكومية . وفي الخارج بشيك مصرفي لامر مؤسسة دار الهلال . وتضاف رسوم البريد المسجل على الاسعار موضحة بعاليه عند الطلب .

دار الهلال

١٦ شارع محمد عز العرب الرقم البريدى (١١٥١١) القاهرة تليفون ٣٦٢٥٤٥٠ سبعة خطوط ـ مجلة الهلال ٣٦٢٥٤٨١

رقم التلكس 92703 HILAL U.N

الثمن

لبنان ٧٠٠ ليرة ، الاردن ٦٠٠ فلس ، الكويت ٥٠٠ فلس ، العراق ٢٠٠٠ فلس ، السعودية ٧ ريالات ، جمهورية اليمن الديمقراطية ١٢٥ سنتا ، البحرين ٨٠٠ فلس ، الدوحة ٧ ريالات ، دبى ٧ دراهم ، ابو ظبى ٧ دراهم ، مسقط ٧٠٠ بيسه ، تونس ١٤٠٠ مليم ، المغرب ١٥ درهما ، غزة والضفة ٧٥ سنتا ، داكار ٦٠٠ فرنك ، لندن ١٢٥ بنسا ، ايطاليا ٢٥٠٠ ليرة ، نيويورك ٤٠٠ سنت ، الجمهورية العربية اليمنية ٨ ريالات ، كندا ٥ دولارات ، لوس انجلوس ٤٠٠ سنت

عزيزي القارىء

بلاغ إلى النائب العام ..

كتاب ضخم (٣٥٠ صفحة من القطع الكبير) يتضمن جريمة قذف وسب علني متكرر على امتداد صفحاته ، والأخطر من ذلك ان هذا الكتاب - فى حقيقته - هو حيثيات حكم بالردة عن الدين ، والردة عقوبتها القتل فهل هذا مايهدف اليه صاحب هذا الحكم ؟ الذى اقام نفسه خصما وحكما ، وفتح لحسابه محكمة خاصة ، أصدر من فوق منصتها هذا الحكم مشفوعا بالسب والقذف العلنى ، ثم رمى الى المطبعة بصفحات حكمه الثلاثمائة والخمسين ونشرها على رءوس الاشهاد ، مصورا نفسه على غلاف كتابه او حكمه هذا فى شكل شيخ يمسك بعصا التأديب والتهذيب فى يمناه ، ويمسك بكتاب الله فى يسراه ، وكأنه مبعوث العناية الإلهية لاقرار الايمان على الارض !

اما المحكوم عليه المسكين الواقف تحت عصا التأديب والتهذيب التى هى رمز لعقوبة الردة ، فهو أديب مصر والعرب العالمى الكبير الاستاذ نجيب محفوظ صاحب جائزة نوبل .

وقد اصدر الشيخ عليه هذا الحكم لمناسبة فوزه بهذه الجائزة ، واما عقوبة الردة فقد أوقعها الشيخ عليه بسبب روايته الكبيرة « أولاد حارتنا » التى نشرتها الصحف قبل ثلاثين عاما ولم يصدرها نجيب محفوظ فى كتاب .

واما الشيخ صاحب محكمة التفتيش الذى اصدر الحكم ، فاسمه عبد الحميد كشك الشهير بالشيخ كشك ، وهو واعظ لايقبل المناقشة ، ويجترىء دائما على كرام الناس ، ويختار الهجاء المقذع اسلوبا يشفى به صدره من حقد دفين ليس له شفاء !

وحتى الان لم يتقدم نجيب محفوظ الى النائب العام ، طالبا التحقيق فى جريمة التحريض على القتل ، التى يتضمنها كتاب « كلمتنا فى الرد على اولاد حارتنا » تأليف واملاء الشيخ كشك .. ولانظن ان نجيب محفوظ سيتقدم يوما ببلاغ الى النائب العام ولا الى اية جهة من الجهات ، لانه اعتاد ان يدع الامور تجرى فى اعنتها ، ويفسح بصبره وحلمه طريقا لكل الحمقى للهجوم عليه بكل ماجبلوا عليه من جراءة عمياء !



الا ان الجهل ، تجاوز طوره فى كتاب هذا الشيخ كشك ، الذى هو ـ بدوره ـ لم يصدر تكذيبا لكتابه التحريضى ، ولم يقل انه لم يمل ماحواه من الكلام او ان المستملى لم يكن أمينا فى كتابة ما أملاه عليه !

فالشيخ كشك ـ اذن ـ قد املى هذا الكتاب بلا مراء ، وذلك المستملى قد كتبه له بخطه ثم دفعه الى المطبعة ، وهما معا يعترفان بأن الكتاب للشيخ وانه مسئول عنه حرفا حرفا .

وهكذا تثبت الجريمة النكراء على الشيخ وعلى المستملى ولكن هذا المستملى قد يكون مسكينا يقبض اجر كتابته .. والشيخ هو الذى استأجره وجزاه اجره ، فالشيخ هو المسئول اولا واخرا عن جريمة التحريض على القتل المسطورة فى الكتاب بكل صراحة !

لقد عميت بصيرة المؤلف الشيخ ، فاطلق العنان لنفسه ليثبت بكل ضراوة ان نجيب محفوظ قد اساء فى روايته « اولاد حارتنا » الى الله والانبياء وزوجات الانبياء وامهاتهم واولادهم ..

واسهب الشيخ فى سرد الادلة على وجود الله من علم الفلك وعالم الحيوان والنبات وعسل النحل والمجموعات الشمسية فى الكون اللانهائى خلال استعراض طويل لما حصله من قراءة وعلم فى الصحف والكتب .

ولو ان شخصا خولط فى عقله لما جمع فى كتاب واحد هذا التخليط العجيب من العلم والجهل والمادة وما وراء المادة ومن الشعر والنثر ، ومن الفقه والاصول والحديث ، ومن العلوم العربية والافرنجية ، ليثبت ان « أولاد حارتنا » عمل خارج عن الدين .

لقد رأى الشيخ ببصيرته الخابية ان الله تعالى هو نفسه المصور بالرواية فى شخصية « الجبلاوى » وان شخصية « جبل » هى صورة النبى موسى ، وان

شخصية « رفاعة » هى المسيح ، وشخصية « قاسم » هى محمد عليهم الصلاة والسلام !

ونقول للشيخ :

ـ دعك من جهلك بأساليب الفن الروائى وعلاقته بالتراث التاريخى والدينى ، ولكن كيف حق لك ايها الشيخ ان ترى فى الجبلاوى صورة الله تعالى ، وهل لله صورة ؟! ألم تقرأ فى القرآن « ليس كمثله شىء » وانه تنزه عن أن تكون له صاحبة او ولد ، وان الأبصار لاتراه !

ان كنت قرأت الرواية حقا ، فان الجبلاوى فيها رجل من الرجال ، يأكل الطعام ويمشى فى الاسواق ، وله رجلان ويدان ، وله زوجات ومطلقات ، وبنون وبنات ، ويسكن بيتا يأوى اليه من الحر والبرد وينام فيه على سرير وقد عاش ثم مات كسائر الرجال ، وتوزعت الايدى ماتركه من مال ، فكيف رأيت ـ ايها الشيخ ـ فى هذا الانسان الواضح الملامح ، صورة الله تعالى المنزه عن ان يتجسد فى انسان ؟

اواثق انت انك موحد لله منزه له حق التوحيد والتنزيه ، وانك تربأ بايمانك ان ترى الله فى صورته التى رسمتها الاساطير الاسرائيلية وغيرها من اساطير الديانات القديمة .

فان كنت موحدا منزها غير مشبه لله ، فكيف سارعت حين رأيت الجبلاوى فامليت على كاتبك ان هذه هى صورة الله ؟! كبرت كلمة تخرج من فيك ، ان قلت الا كذبا .



ايها الشيخ .. راجع نقاء توحيدك ، فانك عكرته بتصوراتك الخاطئة التى زينها لك حقدك على صاحب جائزة نوبل ورغبتك فى الطعن عليه فجعلت لله ورسله صورا من عندك ألبستها ماتخيلته من كلمات « أولاد حارتنا » فى قراءتك غير الواعية !

ايها الشيخ .. انك انت المدعو الى التوبة مما وقعت فيه من التشبيه ، ومن اصرارك على التشبيه بتأويل كلمات الرواية واختراع صور لها من خيالك ، ولو كنت فهمت شيئا من علم التوحيد لما جرؤت ان تقول ان الجبلاوى صاحب الزوجات والمطلقات والبنين والبنات ، هو صورة الله !

صحح ايمانك بالله ، ونزهه عن كل صورة تخطر بخيالك واقرأ "رسالة التوحيد" ، للشيخ محمد عبده - وهى مطبوعة فى دار الهلال - لكى تصحح توحيدك ، وتتوب عن اسرافك على نفسك اذ جعلت لله امتدادا من البشر ، وتصورته فى صورة واحد منهم ، معتسفا التأويل اعتسافا شائنا يبرأ منه كل مسلم .

ايها الشيخ .. لقد اقتحمت مجالا فى النقد والفكر ، انت فيه والعامى السائر فى الطريق سواء ، فالنقد الادبى والفنى ليس لعبة ذوى البصائر المطموسة الذين يرون الله فى صورة رجل عجوز مسكين ، ويرون الانبياء فى صورة أشخاص من عامة الناس .. ولقد ضربت بمعولك حائطا عاليا ، ونطحت صخرة ضخمة ، ولم ترجع من هذا العناء كله الا بما اقترفت يداك من جريمة التحريض على قتل مفكر مصرى مسلم ، لو انك قدرته حق قدره لطأطأت له رأسك احتراما وعرفانا ، بدلا من ان تمسك له العصا على غلاف كتابك ، وتحرض عليه العامة ومن تخاطبهم من حشوة الناس !

وبعد ..

ان الشيخ عبد الحميد كشك صاحب السوابق الكثيرة فى التكفير والتحريض ، قد اخرج للناس كتابه هذا يحرضهم فيه على مفكر اديب مسلم مسالم هو نجيب محفوظ .

وان نجيب محفوظ فى ادبه وحياته وايمانه قد اعتاد اذا مر على الجاهلين ان يقول سلاما ، والا يشكو المتطاولين عليه الا لله ..

فهل تترك الجهات القضائية هذا الشيخ ، يقيم محكمة من محاكم التفتيش ، ويصادر الكتب ، ويحكم بالكفر ، ويشعل نار التحريض بين الملتفين حوله من العامة والبسطاء الذين يسهل التغرير بهم واللعب بعقولهم ومشاعرهم ؟

هل تترك منصة القضاء من يظن ان الدنيا قد خلت الا منه ، وان فى يده حق الحياة والموت ، أم تضرب على يده وتحاكمه ؟!

اننا نكتب هذه الكلمة السريعة ، ونعتبرها بلاغا الى النائب العام "

المحرر

شئ من الحداثة

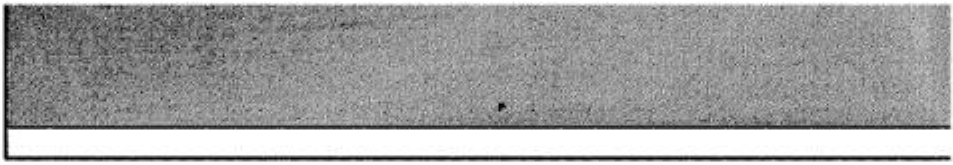
بقلم: د. شكري محمد عياد

ارجو ان يأذن لي القارىء في ان ابدا الكلام عن الحداثة قبل ان اعرف الحداثة وليس هذا بالأمر الغريب ، فالصورة الصحيحة للتعرف لاتحصل في الذهن الا بعد معرفة الشيء نفسه ، ولذلك فقد يكون الطريق الأسلم للدخول في موضوع ما هو ان نضعه على خريطة ، اعني ان نحاول تحديد موقعه بالنسبة الى حقل من حقول المعرفة التي نتعامل معها كشيء مألوف .

فالادباء ـ ولاسيما الشبان ـ يتكلمون عن الحداثة باعتبارها مذهبا أو طريقة في الكتابة أو في الفن على العموم . ولذن فليس كل ما كتب "حديثا" ، أى في هذا الزمن الاخير ، هو (حديث) بالمعنى الذي يقصدونه ، ولذلك فالأولى أن نصفه بأنه (حداثي) كما نقول كلاسي ورومنسي وواقعي . وكما عرّبت هذه الأسماء الثلاثة عن اسماء اجنبية ، فالحداثة أيضا تعريب لمصطلح أجنبي ، وبما أنه لم يعد من المستنكر أن يذكر الناقد العربي الكلاسية أو الرومنسية ، أو الواقعية في مجال الكتابة عن الأدب العربي نفسه ، فلا ينبغي أن نتلكأ في قبول هذا المصطلح الجديد "الحداثة" .

ولكن اين يقع هذا المذهب على خريطة المذاهب الفنية ؟ هنا تبدأ الصعوبة حقا ، فقد سمعنا عن مذاهب كثيرة ظهرت في أوربا وأمريكا بعد الواقعية : سمعنا عن الرمزية منذ أواخر القرن الماضي ، ثم تكاثرت المذاهب بعد الحرب العالمية الأولى : التعبيرية والسريالية (أو فوق الواقعية) والدادية ، ثم سمعنا عن طريقة وجودية في الكتابة ، ثم سمعنا عن الرواية الجديدة أو عن مسرح العبث أو اللامعقول . فأين الحداثة من هذا كله ؟

لعلنا لا نخلط بين الامور حين نقول إن الحداثة تشمل هذه المذاهب كلها ، بدءا من الرمزية الى اللامعقول ، فأساسها جميعا واحد ، وهو التحول من تصوير الظاهر الى تصوير الباطن ، أى العدول عن وصف المناظر والحركات المرئية أو المدركة بالحواس الخمس الى تسجيل حركة النفس حتى في أخفى خفاياها . ولكن كيف يمكن أن يتم مثل هذا التسجيل ؟ إن هناك ، في جهازنا العصبي ، مسالك بين الحواس الخمس والمراكز العليا في المخ تحول المحسوسات الى مدركات لتدخل هذه المدركات في عمليات عقلية مركبة يمكن أن يدخل فيها





ادوار الخـراط



بـدر الديـب

ما نسميه الوجدان أو ما نسميه الارادة ، ولكن النظام العقلى يظل مسيطرا من خلال اللغة التى اكتسبها الجنس البشرى ـ وهو يرتب جهازه العصبى على هذه العمليات المعقدة ـ على مدى آلاف السنين ، ولكن كيف يمكن التعبير ـ والحالة ـ هذه عما بقى مطمورا فى اعماق النفس من إحساسات ، وقفت فى منتصف الطريق بين الحس والادراك ، وتقادم بها العهد حتى ابتعدت عن أصلها فى الخارج المادى واختلطت بما لايحصى ولا يعرف كنهه من الاشواق والمخاوف والرغبات ؟ لم تكن نعرف الا طريقة واحدة للتعبير عن هذا العالم الباطنى وهى الاحلام ، وللأحلام لغة ، يصعب بل يتعذر نقلها فى أكثر الأحيان الى لغة الكلام . وإذن فليس أمام الفن الذى يحاول التعبير عن هذا الوجود الداخلى الا أن يخترع ، لغة جديدة بمعنى من معانى الاختراع . وتختلف المذاهب التى ذكرناها فى درجة هذا الاختراع ، كما تختلف فى نوع الوجود الباطنى الذى نهتم بالتعبير عنه .

● البحث عن الذات

فالروايات الوجودية لاتتجاوز الوعى وما تحت الوعى ، أو ما يسمى أحيانا هامش الشعور ، لأنها معنية ـ حسب الفلسفة الوجودية ـ بجدل المرء مع نفسه ببحثه المستمر عن ذاته أى وجوده الحقيقى ، وسط المؤثرات الخارجية التى لاتحصى ، ولا يمكنه التحكم فيها إلا بإدخالها فى هذا الوعى حتى يصبح جزءا من ذاته ، وهكذا يخلق عالمه بإرادته الحرة . ولكن على الطرف الآخر هناك "الدادية" التى تحاول أن "تخلص" اللغة من دلالاتها المحددة ، مسترجعة لغة الطفل "داداء" وهناك ـ دون ذلك ـ السيريالية ، أو مافوق الواقع ، التى تعتمد ما يسمونه "الكتابة التلقائية" ، اى إلغاء رقيب الوعى أثناء الكتابة ، حتى تصل الى لغة تشبه

لغة الاحلام . وهناك مسرح العبث او اللامعقول ، الذى يعتمد على إجراء الحوار بين اشخاص لايعرفون بالضبط ماذا يريدون ، ولا ماذا يريدون أن يقولوا ، ولايحاول الواحد منهم ان يفهم ماذا يقول صاحبه .

وهكذا ترى أن الحداثة درجات ، ولكنها تحاول على اختلاف صورها ـ أن تبتعد عن اللغة الأدبية المعهودة ، لكى تطلق العنان لمشاعر ، وأحاسيس وأفكار ، تعود الانسان ان يهملها ، وإن كانت قائمة فى أعماقه ، تضطرب وتتصادم ، وتوجه سلوكه دون أن يدرى ، إنها مشاعر وأحاسيس وأفكار لاتشبه تلك التى تداولها الأدب القديم (أى كل ادب سبق الحداثة) . فيها كائنات مشوهة ، وحشية ، ومع ذلك فإن الكاتب الحداثى يحاول أن يصنع منها فنا جميلا .

واذا اعتبرنا المساحة العريضة التى تشغلها الحداثة فلا بد أن ندخل فيها أعمالا مثل اللص والكلاب ، وثرثرة فوق النيل ، وميرامار ، ولانقصرها على مسرحية مثل ياطالع الشجرة، فكل اديب معاصر يحاول استكشاف عالم الانسان الباطنى ، ويطوع لغته وفنه لتصوير هذا العالم ، هو اديب "حداثى" ولو الى حد ما . ولكن هذا العتيد الأخير يعنى أن هناك أعمالا حداثية بغير تحفظ ، أعمالا تثور على كل المواصفات الأدبية والاجتماعية والاخلاقية ، وتنعت كل الاعمال السابقة عليها بالزيف والتفاهة ، ومع أن هذه الحداثة مذهب (أو قل تيار) غربى كما سبقت الاشارة ، فإنه لايمكن حصره فى الثقافة الغربية ، ولابد أن تصل الى عالمنا الثالث نتف منه كما هو الشأن دائما ، ولو أن هذه النتف لا تعدو ، فى كثير من الأحيان ، اللغة المكسرة والتعبيرات الجنسية المكشوفة .

● موجات الحداثة

● لهذا نرحب بالأعمال الحداثية الجادة ، التى تتعلم من تجارب الغربيين وتستند الى فكر شبيه بفكرهم ، وتعتقد أن أدبنا الحديث ، الذى لا يزال ناشئا ، يمكنه أن يتعلم منها ، فهناك دور لناقلى المؤثرات الأجنبية يعرفه دارسو الأدب المقارن ، والقائمون بهذا الدور هم غالبا أناس مخلصون ، لايضمرون شرا للثقافة القومية ، ولكنهم ، ببساطة ـ يعيشون فى بيئات خاصة ، شبيهة الى حد ما ببيئة البلد الأجنبى الذى يقتبسون ثقافتهم منه .

لذلك كانت بيئات الحواضر اللبنانية والمغاربية أوساطا صالحة لانتقال شىء من هذه الحداثة الى العالم العربى ، وكذلك كانت بيئة القاهرة والاسكندرية .

فقد عرفت مصر موجات ثلاث من الحداثة ، عرفها وعاشها عن قرب اديب قصاص ناقد استطاع أن يفيد منها دون أن ينغمس فيها ، وكتب عنها كتابا صغير الحجم جليل القيمة "اللامعقول فى الأدب المعاصر بقلم يوسف الشارونى» (سلسلة المكتبة الثقافية ، ١٥ أكتوبر ١٩٦٩ ـ وكم أتمنى أن تعيد هيئة الكتاب طبعه بين ما تعيده من أعداد هذه السلسلة) . وبوعى تلقائى صائب تحدث عن ممثلى هذه الحركة فى كل من العاصمتين : تمثلت الموجة الأولى فى جماعة «الفن والحرية" التى لم تلبث أن غيرت اسمها الى "الخبز والحرية" وكانت تضم عددا من الفنانين والكتاب ، منهم رمسيس يونان ، وأنور كامل ، وجورج حنين (الذى كان يكتب بالفرنسية وتترجم اعماله لتنشر فى مجلة الجماعة "التطور") نشطت هذه الجماعة



توفيق الحكيم



نجيب محفوظ



صلاح عبد الصبور

فى اثناء الحرب العالمية الثانية ولكنها لم تعمر طويلا ، وتلتها موجة ثانية عرف يوسف الشارونى عددا من ممثليها فى القاهرة والاسكندرية وقرا كتاباتهم التى كان معظمها غير منشور ، او منشورا فى مجلات ضيقة التوزيع جدا ، وكان معظمهم شبابا حديثى التخرج فى الجامعة ، ولهم اطلاع حسن على الاداب الاجنبية ، من الفريق القاهرى : بدر الديب ، وعباس احمد ، وفتحى غانم ، (لا ادرى لماذا لم يعد بينهم محمود امين العالم) . ومن الفريق الاسكندرى ادوار الخراط ، الذى كان قد اصدر مجموعته القصصية الاولى "حيطان عالية" قبل كتاب يوسف الشارونى بعشر سنوات . ولكن هذه الحركة الثانية ، او الموجة الثانية ، لم تلبث أن هدأت مثلما هدأت الموجة الاولى ، بالرغم من أن التأثيرات الخارجية ، فى مختلف مجالات الحياة المصرية ، استمرت فى التعاظم منذ الحرب العالمية الثانية . وكان من مظاهر هذا التأثير فى الحياة الأدبية تقديم مسرحية بيكيت "انتظار جودو" على مسرح الطليعة فى اوائل الستينيات فى القاهرة وما اثارته من اهتمام بين المثقفين ، والاعتراف الضمنى او الصريح بالطريقة الحداثية فى الكتابة ، حين نشر نجيب محفوظ رواياته الثلاث المشار اليها فى تعاقب سريع ، منذ اواخر الخمسينيات ، وكأنه اراد ان يؤكد اسلوبه الجديد ، مع ان جماعة بدر الديب واصحابه لم تكن غريبة عليه ، وكان بعضهم يحضر مجلسه فى "كازينو اوبرا" . وفى الوقت نفسه تقريبا اصدر توفيق الحكيم مسرحية "ياطالع الشجرة" ، "حتى لايحرم الأدب العربى من هذا النوع من الكتابة" ، وهو الذى عايش السيريالية وهى حركة فتية اثناء بعثته فى فرنسا ، ولم تثر لديه ادنى اهتمام ومن جيل الشباب ، وبعدها بقليل ، اعلن صلاح عبد الصبور تأثره بيونسكو فى مسرحياته الشعرية الأخيرة .

وكأن قصة "الفن الثورى" فى روسيا السوفيتية كانت تعاد بشكل ما . فقد ظن جماعة من الشعراء والكتاب "الحداثيين" فى بداية الحكم السوفيتى أن بينهما نوعا من التحالف الطبيعى فالثورة الاجتماعية - فى تقديرهم - كانت بحاجة الى ثورة فنية توازيها . ولكن السياسيين كان لهم رأى آخر . فلم تلبث الحداثة ان كتبت لمصلحة الواقعية الاشتراكية ، واصبح الفنانون الثوريون تروتسكيين او مارقين . وفى مصر حيث لم يقم حكم سوفيتى بل

وجدت أحزاب وحركات شيوعية صغيرة متفرقة وجد أصحاب الفن الثورى انهم مطالبون بأن يختاروا بين الحداثة أو الواقعية الاشتراكية ليضمنوا تأييد تلك الحركات التى كانت ، رغم صغرها ، ذات تأثير اعلامى قوى ، فاختار معظمهم الواقعية الاشتراكية ، ولكن الحداثة رجعت تدق باب الاشتراكية نفسها ، كما جدت فى سائر البلدان الاشتراكية ، فكان ذلك مصدرا لكثير من الحيرة ، وأحيانا لاختيارات جديدة لم تكن تخطر على بالهم .

قليلون هم الذين تشبثوا ببداياتهم الحداثية ببداياتهم ، وحاولوا ان يطوروها دون ان يخرجوا عنها . اقول قليلين ، ولكن لايحضرنى فى الحقيقة غير اسمين : ادوار الخراط وبدر الديب . اما إدوار الخراط فانصرف انصرافا يكاد يكون تاما الى الترجمة ، والى عمله الرسمى فى اتحاد كتاب آسيا وافريقيا ، حيث يشهد له بالدقة والكفاءة . اما بدر الديب فعمل خبيرا للتوثيق (وهو تخصصه) فى اليونسكو مرتين : مرة أوفد فيها الى تايلاند ، ومرة الى الرياض ، وقضى بين المرتين فترة فى مصر عمل فيها مستشارا ثقافيا لدار التحرير ورئيسا لتحرير جريدة المساء ، وكان فى كل هذه الاعمال مثال الموظف النشيط المثابر .

لم ينقطع أحدهما عن الأدب (وهل هذا ممكن ؟) ولكن ابداعهما طوال الستينيات والسبعينيات تقريبا كان متوقفا . كاد إدوار الخراط يكتفى - الى جانب الترجمة - برعاية عدد من الادباء الاصغر سنا ، وظهر مجهوده هذا فى مجموعة "جاليرى ٦٨" وفى مجلد صغير من القصص المختارة كتب له مقدمة طويلة . ولكنه أخذ ينشط من جديد فى أواخر السبعينيات فاتم عملا كان قد بدأه قبل سنين طويلة وتوقف بعد الفصل الثالث منه : "رامة والتنين" وتتابعت اعماله بعد ذلك . وأما بدر الديب فبعد عدد قليل من القصص القصيرة نشر بعضها فى مجلة الكاتب حوالى منتصف السبعينيات استطاع ان يعكف فى شتاء ٧٧ ، وهو فى الرياض ، على روايته الأولى "أوراق زمردة أيوب" لم تنشر هذه الرواية إلا سنة ١٩٨٧ ، لكن تتابعت اعماله بعدها ، وكلها ، كاعمال صاحبه ، جديرة بالاهتمام الكبير على الاقل حتى يعرف المفتونون بالحداثة من الشباب ، انها ليست مجرد تخليط وهذيان .

ولكننا ، وقد اردنا بهذا المقال ان نعرف بالحداثة : مضمونها وظروف نشاتها ، نرجىء الكتابة عن هذه الاعمال لنقصر الحديث على كتاب واحد لبدر الديب ، هو اقدمها كتابة ، وان لم يكن اولها نشرا ! "كتاب حرف الـ ح" (دار المستقبل العربى ، ١٩٨٨) .

فهذا الكتاب بدئت كتابته حوالى منتصف ٤٧ ، وتمت فى اوائل ٤٨ ، اى ان صاحبه كتمه اربعين سنة . لعله لم يقصد ذلك ، ولو وجد من ينشره له فى حينه ، لما تردد . كان بدر الديب وقتها فى الثانية والعشرين ، هل كان يفكر فى ان يشغل الناس بكتابه هذا ، كما شغلهم رامبو بشعره وهو ابن سبعة عشر ، ولكن شعر رامبو قرىء وفهم (واستطيع ان ادعى انى من بين من قرءوه وفهموه) اما كتاب حرف الـ ح فلا اظن ان بدر الديب نفسه ارادنا ان نفهمه . لقد كتب له مقدمة حديثة (١٩٨٥) بدأها بهذه الفقرة .

● كتاب حرف !

هذا "حرف" وليس بكتاب او موضوع او قصة او شعر او حدث . (لماذا إذن حرص على ان يسميه "كتاب" حرف الـ ح ؟) وليس هذا كلاما سحريا غامضا ، ولكنه واضح وضوح

الشمس في عز الظهيرة او الماء الصافي في قناة أو الثمرة التي تنشق عن نواتها . الصعوبة - وهي بالطبع قائمة - في انه حرف ، والحرف هنا يعني "وضعا حرا" للتجربة في صياغة محددة ، اذا لم تقبل لايصبح التعامل ممكنا ، ولايمكن التواصل وبالتالي - بالطبع - الفهم . والحرف الذي هو وضع حر للتجربة لانه يريد أن يصل الى ماقبل الادراك الموضوع في قالب ، ما قبل المعرفة الموضوعة في تسلسل ، والى الحدث قبل ان يصبح تاريخا منسجما) .

ان يكون هذا الكلام واضحا وضوح الشمس للكاتب لايعني بالضرورة أن يكون واضحا لقارئه ، مثلا : الوضع الحر والصياغة المحددة كيف يمكن أن يجتمعا ؟ الا يستحق القارىء إشارة واحدة - ولو هينة جدا - الى الطريقة التي يمكن أن يقرا بها هذا الكتاب ؟ ان الكاتب يعبر - خلال الكتاب كله - عن انفراده بنفسه - وحرفه - وإن خاطب الناس ، أو اصطنع لغة تنبوية . يقول - مثلا - في آخر القطعة الأولى "حرف الـ ح" :

ح ح ح ح ح ح
أنا احبك أحبك وأحيا احيا فيك
لقد خفت عليك العيون .. ستقتلك بك الحروف
وضعتك في صندوق صغير وأسلمتك بإحرفي الى اليمّ "الكبير .
أنا وحدي .. وحدي أقصك . وصندوقك الصغير يرقص رقيقا على اليم .
قد حطمت الواحي ، ونبذت اولادي ، اولادي الثلاث عشر (كذا)
سأظل وحدي .. وحدي معك ..
في الدخان والنار
أنا ادعو أنا ادعو أنا ادعو لعين .

فإذا كان قد ضمن هذه الفقرة قصة موسى الرضيع فقد تلى معناها لانه لايزال مصرا على أن يبقى وحده يرقب حرفه الذي أودعه الصندوق المغلق ، وإذن فهو كاتب مكتف بذاته ، او هذا مايزعمه . فيم إذن عمل هذا الكتاب ، وقدمه الينا لنقرأه ؟ قد اقول ، بناء على مفهومي للحداثة ، إنه اراد بالحرف ، وهو الوحدة الصغرى للكلام ، ان يرمز الى فتات الشعور ، "ماقبل المعرفة" كما يقول . ولكن تحويل فتات الشعور الى لغة جهد شاق بالنسبة الى الكاتب والى القارىء على حد سواء . نحن نحتاج الى تدريب طويل حتى نتمكن من أن نعيش ولو لحظات ، في تلك الحالة التي تشبه حالة المستيقظ لتوه من النوم ، ثم لكي نصنع من هذه اللحظات جمالا ، هكذا - على الاقل - اقرا "حرف الكاف" . والقراءة هنا - بالطبع - غير الفهم ، ما دمنا قد اتفقنا على اننا نبحث عن شيء وراء الفهم .

هل يرضى الكاتب عن هذه الطريقة في القراءة ؟ ان هذا السؤال يتضمن بالضرورة - ان تكون هي نفسها طريقة في الكتابة ، وهو لم يحدثنا في "حديثه الشخصي" عن ذلك .

وفي الكتاب - بعد ذلك - تأثيرات كثيرة من رامبو ، واليوت ، وجويس ، وما يمكن فهمه من الكتاب لن يفهمه الا من قرأ هؤلاء ومن عرف اللغتين الانجليزية والفرنسية كمعرفة الكاتب على الاقل ، ففيه عناوين بالانجليزية والفرنسية ، وفيه لعب لفظي - على طريقة جويس - على الجذر العربي "دله" (الذي منه التدله في الحب) والتعبير الفرنسي ou dela (الماوراء) فيه وفيه . ولكننا نكتفي بهذا حتى نفرغ للحديث عن اعماله الجديدة .

يحيى حقي

وثورة يوليو ١٩٥٢

بقلم: محمد روميش

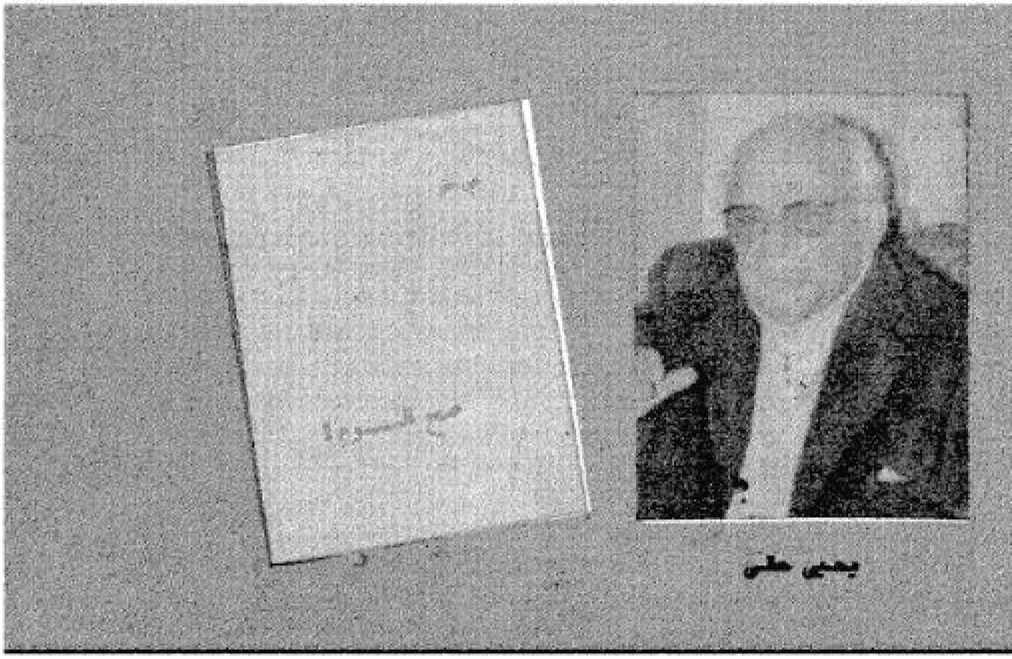
ينبهنا استاذنا الجليل يحيى حقي، الى انه يضع فى حياتنا الادبية، ومستين، رواية «صح النوم» كابداع ادبي، وكتاب «ناس فى الظل» كنماذج للمقالة الادبية.

● ورواية «صح النوم» كتبت سنة ١٩٥٤، كان قد سبقها، فى ليلة ٢٣ يوليو ١٩٥٢، أن زحفت طليعة من القوات المسلحة، مختلفة المنازع والمشارب والانتماءات الاجتماعية والولاءات السياسية، وازاحت قمة السلطة السياسية، وتلفتت حولها .. حزب ورث جماهيره من ثورة ١٩١٩، يتسلل، فى إصرار، الى قيادته، كبار الاقطاعيين، واصحاب رءوس الأموال الكبيرة، وتتفرع من عند جذوره، طلائع شعبية ثورية، تحاول جاهدة، أن تحفظ للحزب موقفه الليبرالى الديموقراطى .. احزاب اقلية، تتعاون مع السراى، والمصالح الاجنبية، وأدارت ظهرها للجماهير .. حزب دينى قوى يحاول ان يجير، التغييرات التى حدثت «الثورة» لحسابه .. قوى شعبية متناثرة، تحاول منذ ما قبل سنة ١٩٤٦، أن تجمع اشلاء اوزيريس الممزقة .. ووسط كل هذا الاشتباك والتشابك، استطاعت الثورة ان تصدر فى ٩ سبتمبر ١٩٥٢ قانون الاصلاح الزراعى، لتقليم اظافر كبار الملاك الزراعيين، وهو القانون الذى سمته رواية «صح النوم» ـ على ما سيجىء ـ قانون ايجار الاراضى الزراعية.

بعد قيام الثورة سكت، معظم الادباء المصريون استكناها لما سوف تتكشف عنه الاحداث وانفرد يحيى حقى باتخاذ موقف من هذه الاحداث، وهو يردد دائما «إن الله انقذنى من الثورة» مرتين، مرة بعد أن كتبت رواية «صح النوم» احذر بها من الديكتاتورية العسكرية. ومرة بعد العدوان سنة ٦٧، اذ اعلنت ان المعركة كانت بين جيش منتظم ضد جيش غير منتظم.

● رواية فى ملف ميرى!

.. وقد اصدر يحيى حقى، رواية «صح النوم» على نفقته الخاصة، واصدرها ـ كما يقول ـ فى شكل ملف ميرى، فالغلاف، ورقة صفراء، والعنوان، بحروف المطبعة، واسم المؤلف بالحرف الصغير، دون اكليشيه، ترى هل كان المقصود الا تثير الانتباه، لقد حصلت على نسختى فى ذلك الزمن الباكر، ليس من



يحيى حقي

مكتبة ، بل من على سور الازبكية .. وخلافا ، لعادته فى كل ما يبدعه ، فقد بدأها ـ كما يقول ـ بجملة ثقيلة «اكانت تكون بدعة ، او خرافة ، لو مر بنا شريط السكة الحديدية ؟ إن نظرة سريعة من عل الى الخريطة ، توصل بين المدينتين كالخيط بين شقى رتق واسع ، لا تنفرج الا بمقدار شعرة لو ألمت بقريتنا الراقدة بين الغيطان ويعلق يحيى حقى على هذا كله «أصدرتها «صح النوم» كتابا مغلقا مجهول الزمان ، مجهول المكان» .

.. الرواية ذاتها قسمها المؤلف الى كتابين : الكتاب الأول ، وتحته عنوان «الامس» الكتاب الثانى ، وتحته عنوان «اليوم» . فى الكتاب الأول «الامس» يقدم لنا المؤلف «قرية» مسرحا لأحداث الرواية ، من البدء حتى الختام ، القرية بلا اسم ، وقد راجعته ، مرة إنه سماها «الجسر» فاعترض بشدة قائلا ، انها تقع على الجسر ! وعندما يعرفها يسميها «قريتنا» ويتحدث عن أهلها اجمالا ، «اهلها معروفون فى المقاطعة بسذاجتهم ، وتوكلهم على خالق الكون ، «مقسم الأرزاق» ، و «أهل القرية اسرة واحدة» ، كبيرة معروفة بالكسل ، قليل تنقل افرادها» وإذا اختار الراوى ، أشخاصا بعينهم ، فهو يقدم «وجيه القرية» «الذى يملك اكثر اراضيها ومبانيها .. وكان هو الذى يدافع عنا ، ام تراه كان يدافع عن مصالحه الشخصية» .. وقد مات وجيه القرية ، وخلف ابنا ارسله منذ الصغر لطلب العلم ، وقد عرفنا ان خط السكة الحديدية ، قد انحرف بعيدا عن القرية ، ولم يمر بها ، وخلال تعليقاتهم ، على هذه الواقعة ، نتعرف على حلاق القرية وعمدتها ، والمساح ، ومعلم الرسم ، وسائق العربة الفرد الوحيدة فى القرية ، واخيرا واعظ القرية ، وكل هؤلاء شخصيات باهتة لا تزيد عن ان تكون مجرد صفات لا ترقى ، بأصحابها ، الى مرتبة «الشخصية» ، مشهد واحد ، نذكره لانه سيتكرر ـ بنفس كلماته ـ فى آخر الرواية ـ لواعظ القرية ، معلقا على نفس الواقعة ، يخاطب العمدة ، على مشهد من الراوى واهل القرية : نعم العمل عملك ! هكذا تكون الحكمة والسياسة ، وبعد النظر كأنك ترى من وراء

يحيى حقي
وثورة يوليو ١٩٥٢

الغيب وان القرية لم تسعد الا فى عهدك الزاهر ، فأنت الذى تدرأ عنها الأخطار والمتاعب ، عهدك ، كله بركة وخير ، لا حرمنا الله منك ، انى ادعو الله فى كل ركعة ان يطيل عمرك ..» وهوى على يد العمدة يصر على ان يقبلها .

● تعليق ساخر !

... بهذا عرّفنا المؤلف على قريته ، وجماعة اهلها ، وسنتنبه الى :

(١) الرواية ، وقد اتخذت من قرية ، مسرحا لها ، فإن النماذج التى قدمتها ، ليست بينها ، شخصية فلاح واحد ، عماد القرية ، وإنما قدمت تعليقا جماعيا ساخرا ، على لسان «ابناء قريتنا» يصفون المهندس الذى انحرف بخط السكة الحديدية ، بعيدا عن القرية ، انه اما حنبليا أو مخمورا ، وسترى ان هاتين صفتين ، فى الرواية ـ احلاليتان ، اى تحل احداهما محل الاخرى ، فى حالة غيابها ، وسنقابل هذه الفكرة على نحو اوضح فيما يلى من احداث الرواية .

(٢) حين تتحدث الرواية عن ابناء القرية تلح على فكرة التواكل ، ثم صفة الكسل ، وبالتالى ، فإن امكانية «الحركة» فى «قريتنا» متاحة فقط لوجيه القرية وهو تعبير مؤدب ومهذب عن الاقطاعى «الذى يملك اكثر اراضى القرية ومبانيها» والرواية تقول ان «ابناء قريتنا» فى غياب ، وأن اصحاب الأراضى يديرون الأمر وفق مصالحهم الشخصية .. اى وفق مصالحهم الطبقية .

(٣) ترتبط بالملاحظة السابقة ، ان فرصة «المشاكسة» بلغة الرواية معدومة ، ولعل غير المؤلف يسميها التمرد ، او الثورة ، رغم ان قرانا ، عرفت ، قبل الثورة هبات فلاحية ، فى عديد من القرى ، مثل قرية بهوت ، وقرية كفور نجم ، وان كانت هذه الهبات ، قد سحقت بالحزم اللازم .

... ومن حقنا ان نصُر هذه الملاحظات جميعا ، فى منديل محلاوى ، نلقى بها فى البحر ، الذى لا يمتلىء ، فمن قال ان المؤلف اراد ان يقدم لنا واحدة من قرانا التى تفرش ارض مصر الا يجوز ان تكون القرية ، رمزا لشىء اكبر من مجرد قرية ، رغم ان المؤلف ، سبق ان افضى الىّ ، بصدد حديثنا عن «قنديل ام هاشم» انه لايهمه سرد الحوادث ، ولا تهمه الرمزية فى العمل الادبى ، وكون المؤلف لايهمه سرد احداث فى العمل الادبى ، فهى خصيصة ، اظهر ما تكون فيما نحن بصدده «صح النوم» فبعد ان قدم لنا «قريتنا» التقديم الطبقى الامين ، يقدم لنا حيلة فنية ، يجمع بها النماذج الانسانية الباقية فى الاداب الانسانية .. فى طرف القرية «خمارة» يسميها المؤلف «حان» لانه يريد ان يحفظ لها جلالها واحترامها وتوقيرها ، منذ البداية ، ولانها ، ولا تحاسب الفنان على كل ما يصرح به ، تمثل ، اذا لم نقل ترمز ، الى الجانب الروحى فى الحياة ، ولأن المؤلف يريد أن يحفظ لديك الاحساس بجسامة الخسارة بسبب الضربة التى ستصيب «القرية» حين يغلق النظام الجديد «الحان» .. «اذا اتى المساء» سواء كان القمر هلالا او بدرا ، وفرغ الرجال الكادحون من عملهم تسلل بعضهم الى «الحان» حيث يشربون النبيذ ويلعبون الورق ثم يخلق المؤلف خمسة نماذج زوجية ، صاحب الحان وزوجه ، القصاب وزوجه ، القزم وزوجه ، العرجاء وزوجها ، التاجر وابنه الفنان . والراوى نفسه ، شخصية فاعلة ، تصله بصاحب الحان وبنماذجه ، العلاقة الحميمة ، الخاصة ، الودودة ، المتعاطفة .

صاحب الحان : رجل بدين ، خفيف الحركة ، ضخم الرأس ، قصير القامة ، بشوش الوجه ، يعرف الجميع ويناديهم بأسمائهم ، فعل الصديق بصديقه ، يسأله الراوى ، لم اختار هذه المهنة ؟



أحمد شوقي



محمود شاكر

ـ .. اقول لك اولا ، إننى لا احب الهم .. الحياة خذ وهات ، إن اردت ان تُسْعَد ، فعليك ان تسعد غيرك اولا ، لا يهمنى عدد السنين التى اعيشها .. لكن يهمنى نوعها .

.. يعرض صاحب الحان فلسفته فى اختيار مهنته ، اذ تتيح له ان يرى الناس على حقيقتهم ، عراة كما ولدتهم امهاتهم ، ثم يطلق حكمته ، ان عاهات النفوس شىء بشع ، لانها المخلوق الوحيد الذى لا يعيش الا مخنوقا ، فإن اتحت له التنفس مات .. وفى الحان يتنفس الرواد ، ثم يعلن انه يمقت من قلبه الكذب والرياء ، والنفاق والخداع ، لانها تمسخ البشر ..

زوجه امرأة نحيفة ، بقدر ما هو بدين ، لا تتكلم كثيرا ، نغمة كلامها القليل تنزل على قلبه بردا وسلاما ، فيها تدليل ، وزجر ، وحث على الجد وترحيب مستتر بالهزل ، ورضا بالواقع ، وأمل فى قادم افضل ، وغفران لماضٍ ، فيها الطهر والنزوة .. امرأة فاتنة لا تترك فرضها ، تكره التعرى حتى لزوجها ، لها حياء الناقة الانوف ، ليست من قريتنا ، صاحب الحان ، سافر الى العاصمة وعاد بشيئين ، هذه المرأة النحيلة .. وجرح غليظ فى جبهته ، عاشت فى عزلة ، زوجها هو عالمها ، لذلك كرهتها نساء قريتنا ، قلن مؤكدات ، انه التقطها من أزقة البغاء او من اصلاحية النساء .. بل قلن ان احدا لا يعرف هل تعاشره فى الحلال او فى الحرام !

★ القصاب وزوجه : قصاب القرية واحد من اغنيائها ، صاحب حلقة من حلقات الحان ، الراوى يحب صحبة القصاب لمائدته ، جو خاص يسحر الراوى بمتناقضاته ، القصاب فى النهار ينطق بالقسوة ، والتجهم ، لكن هذا طلاء كاذب ، فالرجل نفسه إذا جن الليل يصير كالطفل الوديع ، طيبة وتسليما ، يقول لك ، هذه هى الحياة ، خذها كما تأتى اياك ان تظلم او تؤذى احدا . ابن عم القصاب تاجر ميسور الحال ، فى اعقاب الحرب ، افلس ومات مقهورا ، تاركا زوجه وابنه فى فاقةٌ ، رعاهما القصاب لوجه الله ، قال الناس ، ان القصاب عينه على ابنة عمه ، بغية الاقتران بها . نزل بالقرية سيرك متنقل نصب خيامه على الجسر .. ذهبت الفتاة مع امها للسيرك اول ليلة ، استرعى الفتاة ، فتى من بهلوانات السيرك ، ميصفع ويركل ، ويصب عليه الماء ، وهو يضحك ، ويقفز ويقوم والناس ترثى لحاله وتضحك، عاودت الفتاة ، ساحبة امها معها ، مشاهدة السيرك وعينها على البهلوان .. المؤلف على مهل يصنع دبيب ارتباط الفتاة بالبهلوان ، ويهيء لذلك بمهارة فنان قدير ، ابن عمها القصاب رجل طيب واسير ولكن قلبها لا يميل اليه ، المؤلف يثبت على الفتاة ، شذوذها منذ صغرها فقد كانت لا تلعب مع الفتيات بل مع الفتيان ، لكن المؤلف يتجاهل حقيقة ظروف نشأة فتاة ، مات عنها ابوها ، وتركها مع امها فقيرة معدمة ، وتجاهل المؤلف ايضا ، ثقل الاحساس بالفضل يبذله الغير ، ايا كانت الاسباب ، وايا كان الغير ، اى ان المؤلف يأخذ بالجبلات الانسانية ، ولا يأخذ بالظروف الاجتماعية ، فى تشكيل طبائع البشر ، لذلك نحن لا نفاجأ ، ان الفتاة حين رحل السيرك ، رحلت هى مع الفتى البهلوان ، المؤلف متعاطف مع فتاته السمراء ، فيعقد عليها قران البهلوان فى القرية المجاورة ، ويتابع المؤلف تعاطفه مع الفتاة ، فيثبت ان المهرج سليل اسرة طيبة ، اخنى عليها الدهر وكان الانسان لا يكون كذلك ، الا اذا كان سليل اسرة طيبة ، اما باقى خلق الله ، فمن سقط المتاع .. تمر

يحيى حقي

وثورة يوليو ١٩٥٢

اعوام .. يموت البهلوان . فوجئت قريتنا ، بعودة الفتاة تسحب ثلاثة ايتام . قادها سائق العربة الفرد ، الى ابن عمها «فلما دقت الباب ، خرج لها ، ورآها ، ولم يزد عن ان يقول لها :

– اهلا وسهلا ومرحبا بك ، وباولادك» .

تزوجها القصاب ، وقالت نساء القرية انه الحب ، ومع ذلك «ظلت ساهمة النظرة منطوية على نفسها ، لا تأبه لما يدور حولها» ويحدث ان تذهب يوما مع صحبة من اترابها الى مطحن القرية ، رأت زميلاتها يتدافعن حول صبي الطحان ، وجهه وملابسه مغطاة بالدقيق ، سمعت انه غريب عن القرية ، وانه يتيم ، وانه يقضى يومه فى المطحن ، وجدت اعصابها شيئا من الهدوء فى المطحن ، ترددت على المطحن ، ثم تزعم الاشاعات ، انها تقابل صبى الطحان بالليل فى غفلة من زوجها ولا تتركه الا اذا اكل ما تحمله له من طعام وفاكهة وحلوى ، لكن المؤلف يتدخل – مرة اخرى – ويثبت انه يفتقد الدليل على ان علاقتها بصبى الطحان تتجاوز حد اللقاء البرىء ، وحدب كحدب العجائز على القطط المشردة» .. تحت جنح الليل .. تناجى ربها «ياربّ انت الذى خلقت القلب .. انت اذن من يهبه .. من اخون ؟ قلبى ام اولادى ؟ فارحمنى واغفر لى ، واستر علىّ» .

وعلى الفور ، تذكرنا هذه المناجاة الاليمة ، من سمراء «صبح النوم» بمناجاة فتاة سمراء اخرى ، فى «قنديل ام هاشم» «الصقت جبينها على السور .. وتقول هامسة : يا ام هاشم ، يا ستارة على الولايا ، لا تغمضى عينيك ، لا تشيحى بوجهك ، تمد اليك يد مسترحمة ، فخذيها .. ان الله طهرك وصانك ، وانزلك الروضة .. اذا لم يقصدك المرضى والمهزومون والمحطمون ، فمن غيرك يقصدون ، متى يمحى المقدر علىّ .. ايرضيك ان جسدى ليس منى .. افيطول الامد .. لم رحمة الله قريبة ..» واللغة تسمى سمراء «قنديل ام هاشم» مومسا ، وتسمى سمراء «صبح النوم» زوجة ، على ان الحياة انبل ، من المجتمع ومن اللغة ، اذ تمنحنا قديسا طيبا ، كيحيى حقى ، صاحب تجربة حية معاشة ، يريحنا ، فى سطوره على الاقل ، فسمراء القنديل ، يتوب الله عليها ، بعد سبع سنوات فى المقدر والمكتوب ، وتهتدى الى مأذون ، فيرتاح الجسد المنهوش والروح المعذبة ، اما سمراء «صبح النوم» فإن قلب المؤلف ، ونحن معه – يأسى من اجلها . اما القصاب ، وقد بلغته الاشاعات ، فسكت عنها ، وأخذ يمضى لياليه فى الحان مع زمرة من اصدقائه ... وفى الكتاب الثانى «اليوم» من «صبح النوم» والذى تجرى احداثه فى العهد الجديد ، اى بعد قيام الثورة ، يتابع يحيى حقى ، قدر فتاته السمراء ، فقد هزل بدنها ، لا تنقطع عن التفكير ماذا فعلت بنفسها وبزوجها وبصبى الطحان ، تتساءل كيف الخلاص ؟ وقامت من فراشها ، ذات ليلة ، اتجهت الى فراش اولادها .. قبلتهم واحدا واحدا .. وفى الصباح ، علمت القرية ، نبأ هروبها مع صبى الطحان .. قال الناس .. عادت ريمة لحالتها القديمة .. ولم يدهش ابناء القرية ، حين رأوا القصاب يطيل تردده على المسجد .. فالعهد الجديد ، كان قد اغلق الحان .. والهروب الثانى لسمراء «صبح النوم» يتفق مع ما تأخذ به الرواية من ان سلوك البشر ابن طبائعهم وجبلاتهم وليس ابن الظروف الاجتماعية .. ام ترى ان احداث الثورة .. كانت بعد غضة .

★ **العرجاء وزوجها** : من بنات العاصمة ، ولدت لاسرة معيلة ، عاشت فى كنف قريب لها غنى ، اختار ان يرعاها من بين اخواتها من اجل عاهتها التى اصيبت بها فى طفولتها ادخلها المدارس . كان المتوقع ان يوصى لها بوصية او ان يوقف عليها جل ماله . مات فجأة . خرجت من عنده صفر اليدين !

عادت الى اهلها ، وقد اصبحوا اكثر عيالا ، واشد فقرا . زوجها شاب من عشيرتنا ، ابوه من صغار الموظفين ، عاد الى قريتنا بعد تقاعد الشاب ابوه ، كان قد ارسله الى العاصمة لطلب العلم فى مدرسة الفنون والصنايع ، الى ان اوشك على التخرج .. كان الشاب يسكن الى جوار اهل الفتاة .. عقد عليها .. ارجأ زفافها حتى ينال شهادته ، خرج ذات صباح فى طريقه الى المدرسة ، فإذا شوارع العاصمة تموج بحشد من المتظاهرين ، يهتفون بسقوط الحكومة .. كان الشاب لا يحب السياسة ، لا يناصر حزبا على حزب .. وصل المدرسة راعه أنها محاطة بعدد كبير من الجند ، يحمل بعضهم البنادق .. زجره جندى وأغلظ له ، هم أن ينصرف ، فإذا بحجر يصيب رأس قائد الجند ، اذا بهم يتدفقون ويجد نفسه محمولا وسط التيار ، يصعد معهم سلم المدرسة ، يتخلف فى الطابق الأول . رأى رفيقا له مختبئا وراء باب المرحاض . لم يكد يسير بزميله ، حتى اطبق عليهما الجند . رأى واحدا منهم يهوى بعصاه الغليظة . لم ينس حتى الآن وجه هذا الجندى ، ينطق بالقسوة . سقطت العصى بقوة على رأس زميله .. والشاب فى السجن ، عرف ان زميله مات .. عاد الشاب الى قريتنا بعد ان فصلته المدرسة ، وحرمت عليه الحكومة دخول كافة معاهدها . فتح دكان نجارة . تركه .. استحوذ سلام العقول على لبه . العرجاء تصرف على البيت من مكسبها فى خياطة الملابس . لم يتنكر اهل قريتنا للشاب ، ادركوا اخيرا ، وهم لا يعلمون ان وفاة زميله المسكين قد حطمت روحه وأن لا علاج له ، فهو طفل فى ثياب رجل .. واستقبله الحان . فهو مكانه المختار .

★ **القزم وزوجته** : يعد نفسه من ابناء قريتنا ، وماهو كذلك ، ينحدر من اسرة لا تجرى فى عروقها دماء الفلاحين ، الاسرة اقامت فى العاصمة ، واتصلت بحاشية السلطان وهو من جنس دمائها ، فأقطعها ارضا فسيحة فى زمامنا ، تجىء الاسرة مع المحصول فاذا انتفشت جيوبها عادت الى العاصمة ، يشاء ربك مالك الملك ان يخلف الآباء ابناء اضاعوا ما ورثوا . لما مات امين مخزن السماد فى قريتنا ، بذل الحفيد جهدا ليفوز بهذا المنصب المهين . زوجه امرأة ضخمة بدينة دميمة الخلقة ، لها عينان وانف وفم بعثرت فى وجه عكر .. يحتل الخد الايسر ندبة سوداء كبيرة كالزيتونة ينبت فيها قرنان او ثلاثة من شعر صلب مقوس .. هذه المرأة .. أرمل وارثة من الأسرة .. قال القزم بعد ان وضعت يدها على التركة ، اتزوجها قياما بواجبى ، كزعيم للأسرة ، فليس لها غيرى ، رفض ان تقول انها تزوجت من عاطل ، فعمل امين مخزن السماد ، لا يطيق البقاء فى المنزل ، فتتلقفه الحان . يسقى جميع الحاضرين ، جعة ، على حسابه . أما زوجه فقد هدتها فطرتها الى بعثرة نقودها على جيرانها والمأزومين والمساكين .

★ **النموذج الأخير .. التاجر وابنه الفنان** : بعد انتصاف الليل ، ينبعث فى رواد الحان ، نشوة حلوة ، حين يدخل الفتى الفنان ، كأنه هبة نسيم ، وفى يده الكمان . هذا الفتى ابوه ، من اغنى تجار الحبوب فى قريتنا ، ليس له ولد غيره ، لكن امر الفتى عجيب ، إنه يضيق بمهنة ابيه ، يكربه ان يلح على الفلاحين ، زبائن ابيه لينتقص من ثمن قمحهم مليما او مليمين ، ويكره ، بالداهية ـ المال ورأس المال والجمع والطرح ، ويرتجف قلب الاب التاجر ، على ابنه اشفاقا ، ان اكبر ما يسره ان يرى ابنه فى الدكان ، ولى عهد ابيه ، وانضم اغلب اهل قريتنا الى الاب التاجر وازدروا بالفتى ، وأهوائه ، وعد عندهم احمق مأفون ، اما اهل الحان فهو عندهم العزيز الاثير .

● ملح الأرض !

... الى هنا تنتهى النماذج الانسانية التى صاغها المؤلف على مهل ، وهى على عكس

يحيى حقى

وثورة يوليو ١٩٥٢

اهل القرية ، التى قلنا انها مجرد صفات لا ترقى الى الشخصيةوقد اعترف المؤلف انه «لم ينصف وصف اهل القرية ، فهم ملح الأرض ، يكسبون رزقهم بشق الانفس ، وليتهم بعد ذلك ، فازوا بما يقيم اودهم ، أو يستر عورتهم .. طال تساؤلهم متى تنتهى المظالم وتتعدل الامور ، ويستقيم المعوج ، ويعم السلام» .

.. ليست رواية «صح النوم» تاريخا ادبيا لثورة ٢٣ يوليو ، فلم يكن للثورة حين كتبت «صح النوم» تاريخ بعد ، كانت «حركة» لم تتشكل ، وشخصية قائد الثورة ، او قائد الحركة ، تسميها الرواية «الاستاذ» وقد شاءت الرواية ، ان تجعل الاستاذ ، ابن وجيه القرية «الذى يملك اكثر اراضيها ومبانيها» فهل اراد يحيى حقى ان يقول ان الثورة او الحركة ، ثورة برجوازية ، وليست ثورة شعبية ، أعرف ان يحيى حقى يرفض مثل هذا النظر من اساسه ، ففى الحديث معه ، يقول ان سر اعجابه بالادب الروسى – قبل الثورة – انه ادب له رسالة روحية ، وحين اشاكسه ، واقول ، كان له رسالة اجتماعية ، فان التعبير لا يصل اذنيه ، لكن هل تفسير الاعمال الادبية رهن بموافقة مبدعيها ، لا اظن ذلك ، اكثر من هذا ، ان فى صلب الرواية ان وصول الاستاذ «الى القرية ، وهو بديل اعلان قيام الثورة ، هذا الحدث يقع فى الكتاب الاول «امس» فماذا اراد يحيى حقى ان يقول بهذا ، هل اراد ان يقول ان الثورة او الحركة ، تنتسب الى الامس ، وانها حتى تاريخ كتابة الرواية ١٩٥٤ – تنتسب الى الماضى ، بمعنى انها لم تحدث تغييرا جذريا رغم انها كانت قد اصدرت قانون الاصلاح الزراعى ، الذى وضع حدا اقصى للملكية الزراعية ، ووزع ما تم نزعه من اراض زراعية على صغار الفلاحين ، مرة اخرى ، ليس هناك من تفسير ، غير هذا ، لوضع احداث الثورة ، او الحركة فى كتاب «الامس» .

● اهتمام بالقرية

.. وصل «الاستاذ» الى القرية «فوجدنا فيه ، اهتماما بالقرية واحوالها ومالحق اهلها من ضنك وفاقة» وقد دعا الاستاذ اعيان القرية ليتحدث اليهم .. جلس الحاضرون حلقات ، خلفها حلقات . فالاعيان ايضا مقامات ، لاحظ ان الفقر والضنك من نصيب اهل القرية ، وأن الدعوة من نصيب اعيان القرية ، وقف الاستاذ ومن حوله نفر من شباب القرية ، نعرفهم بالجد والاستقامة ، وكان تشخيص الاستاذ لاس الفساد ، هو شعور المواطنين بالضعة والهوان ، وأن العلاج هو بث الشعور بالعزة والكرامة ، والشجاعة فى المطالبة بالحق ، ومع اداء الواجب ، واول ما سيرفع من مظالم هو ما يعانيه الفلاح ، وسيتم تحديد ايجار الأراضى الزراعية بمبلغ معقول ، ونلاحظ هنا أن المؤلف يضع اراءه هو وفكره ، وليس اراء او فكر الاستاذ ، والا فما معنى ان يضع على لسان «الاستاذ» فكرة تحديد ايجار الأراضى ، اذا كان قد صدر فعلا ، قبل كتابة الرواية ، قانون تحديد الملكية الزراعية ، وتوزيع الاراضى التى انتزعت من كبار الملاك الزراعيين على صغار الفلاحين ، على اى حال ، فإن الاستاذ يواصل «سيتم اغلاق الحان ، لانه بؤرة الفساد ، ويصرف الرجال عن بيوتهم» واذا ما كان الحان مقابلا للحياة الروحية ، فإن المؤلف يعبر فى وقت مبكر ، عن مخاوفه من تأثير الثورة على الحياة الفكرية والفنية والثقافية ، وكان مطلب الاستاذ الأخير ان يعم العدل والنظام ولعل هذين المطلبين يلخصان مسيرة الثورة حتى وفاة الاستاذ فى ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ . ثم غاب الراوى خارج البلاد الى اكثر من سنة .



يحيى حقى فى ندوة الهلال اغسطس ١٩٨٩ ناقش فيها كثيراً من القضايا الادبية

الكتاب الثانى « اليوم »

.. يرى نبيل فرج ، أن المؤلف فى الكتاب الثانى «اليوم» من الرواية ، قد قطف القمح عشبا ولعل هذا الرأى يرجع الى أن الجزء الثانى من الرواية ، وهذا امر طبيعى ، اقتصر معظمه على وضع نهايات للنماذج التى ابدعها المؤلف فى الكتاب الاول «امس» فضلا عن اثبات التغيير الذى حدث فى القرية ، فى العهد الجديد ، فبعودة الراوى من الخارج عرف ان «الاستاذ» اصبح هو عمدة القرية الجديدة ، بعد اجراء انتخابات ولعل المؤلف يوحى الى قادة العهد الجديد ، الى وسيلة من وسائل الحكم ، فإذا كان النظام السابق قد سقط بقوة الجيش ، فان استمرار الحكم له وسيلة اخرى ، غير القوة .. تلك هى الانتخابات ، تم تحويل خط السكة الحديدية ، فمر بقريتنا مع ما صاحب ذلك من تغييرات . صاحب العربة الفرد ، وقد الغت المحطة القريبة مصدر رزقه ، جلس متسولا على باب المسجد ، ان لكل اصلاح ضحايا ، جندى المطافىء وعامل النظافة ، شخصيات جديدة ، اشاعات كثيرة عن اتفاقات غير شريفة بين مصلحة المبانى والمقاولين ! ولعلها تنبؤات مبكرة ، وحين تسجل الرواية ان أهل قريتنا دبت فيهم حياة جديدة ، ايقظهم تولى «الاستاذ» مقاليد الامور ، واقامة القانون سواسية ، فإننا نقف على خلل فنى ، فإن التغيير الذى تم فى اهل قريتنا بقيام العهد الجديد ، لا تقابل ــ فى الرواية ــ الاشخاص الذين تمثل فيهم هذا التغيير ، فقد اكتفت الرواية ان وصفتهم انهم ملح الارض .

ولذلك ، فان الحياة الجديدة التى دبت فى اهل القرية ، ويقظتهم تبقى ، مجرد كلمات وصفية لا تتجسد فى اشخاص احياء على المستوى الفنى ، بل ان النماذج التى قدمها الراوى فى الكتاب الاول «الامس» وتابع مسيرتهم فى الكتاب الثانى «اليوم» نفتقد فى مسيرة هذه النماذج ، ما يشير الى اليقظة التى بعثها العهد الجديد ، اعنى اليقظة التى اشاعها «العدل» فصاحب الحان ، وهو الذى يحب ان يرى الناس على حقيقتهم ، وقد مات تربى القرية ، اسرع وقبل الحلول محله . ويثير فى تاملاته قضية ميتافيزيقية ، اعنى ملاحظته ، صمت الطبيعة فى مواجهة الانسان ، وفتاتنا السمراء ، فى طريقها القدرى المرسوم ــ كما رأينا ــ فى هروبها مع

يحيى حقي

وثورة يوليو ١٩٥٢

صبي الطحان، بالدقيق يغطيه ،' لعله بهلوان اخر ، والقصاب استبدل المسجد بالحان ، العرجاء فى طريقها تقيم بيتا ، فلازالت تعمل فى خياطة الملابس وكثر قصادها من العمال . أما الشاب الذى اعطبه العهد الماضى ، فقد اصلحه العهد الجديد نسبيا ، اذا استرده من جولات الحقول وعمل امين مخزن .. التغيير الذى تم مع القزم وزوجته فلم يذق الخمر منذ اغلاق الحان ، وهو نوجه على تصميم ان يستردوا الأرض الزراعية التى باعها الاباء ، ونتساءل ترى هل هى صحوة البرجوازية فى استرداد وعيها ، أما الولد الفنان ، فقد عاد الى متجر ابيه ، يواصل مسيرة الاب ويرعى ولى عهده ، ويحدث نفسه لقد كان اسيرا للموسيقى لم لا تكون الموسيقى اسيرته .. وكانت نهايته هذه اثر من اثار اغلاق الحان .

.. فى الرواية ، مشهد اخير ودال ، ذلك هو لقاء الراوى «بالاستاذ» فقد تلقى الراوى دعوة من الاستاذ للقائه .. اثناء اللقاء جاء وفد من القرية على رأسه واعظ القرية هذا الذى سبق ان قابلناه بالامس ، لقد اعاد نفس الخطبة امام «الاستاذ» بنفس كلماتها وهوى على يده يصر على تقبيلها .. التفت «الاستاذ» الى الراوى : بلغنى خبر جولاتك فى القرية ، للقاء اصدقائك القدامى ، وبلغنى انك تكتب مذكرات وقد اطلعت عليها ، وقد فوجىء الراوى ، اما «الاستاذ» فقد عاد فطلب من الراوى ان يؤدى واجبه ، وها قد فعل الراوى فكتب رواية «صح النوم» فى سنة ١٩٥٤ ، وصدرت فى ١٩٥٥ ، دون ان يلتفت اليها احد .

.. ونحن نصدق يحيى حقى ، حين ينفى عن نفسه ، انه كاتب سياسى ، لكن الكاتب ، الذى تشيع فى طفولته للحزب الوطنى المصرى القديم ، وشارك شابا فى مظاهرات ثورة ١٩١٩ ، وعمل بوزارة الخارجية ربع قرن عايش فيها الحكم الثيوقراطى فى جدة ـ ١٩٢٩ ـ والديكتاتورى فى تركيا والفاشستى ، فى ايطاليا وتذوق طعم الحياة الحرة فى فرنسا ، وعمل بالادارة الاقتصادية ومديرا لمكتب وزير الخارجية المصرى قرابة ، عشر سنوات ، وهو فوق ذلك فنان ومثقف لابد ان يقف طويلا امام احداث هامة فى وطنه ، تلك هى واقعة استيلاء الجيش على الحكم والرواية كتبها فنان وسياسى ، الفنان قدم النماذج الانسانية الباقية ، والسياسى قدم البيئة القرية التى تعيش فيها النماذج الانسانية وبقدر تميز النماذج الانسانية بقدر تميع القرية ، ولقد اراد المؤلف لروايته فى بعض اوجهها ان تكون طلقة تحذير ، ويحيى حقى لديه قناعة تامة ، لا ينى يرددها ، ان رواية «صح النوم» تحذير من الديكتاتورية العسكرية وهى قناعة ، قد لا تجد سندا قويا ، صريحا من احداث الرواية ، الا ان الرواية فعلا تضمنت ان قائد الحركة ، او العهد الجديد ، او الثورة ، سمح لأجهزته ان تقتحم منزل الراوى فى غيابه وتحمل اليه مذكراته ، وهى واقعة خطيرة ذات دلالات : ان العهد الجديد لا يرعى حرمة المسكن ، ولا يرعى الحرية الشخصية ، ولا بد ان ذكريات حكم الفرد وطغيانه فى تركيا وايطاليا ، كان يقض مضجع المؤلف .. وسواء حذر يحيى حقى من الديكتاتورية العسكرية أو من حكم الفرد أو من عدوان اجهزة الامن على المواطن ، ومدح الثورة بما يريده منها الا وهو نظام الانتخابات ، إلا ان رواية «صح النوم» لم تستشرف ، لأسباب عديدة ، آفاق العدالة الاجتماعية ، التى بشر بها ، قانون الاصلاح الزراعى ، تلك العدالة ، التى ظلت ، هدفها نبيلا ، دؤوبا ، تحققه الثورة قدما ، حتى ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ ، حين توقف قلب الثورة ، وبقى منها الانقلاب .

أقوال معاصرة


ادوار شفرنادزة

● "اى نوع من الديكتاتورية سواء كانت شيوعية. ام برجوازية امر غير مقبول"
ادوارد شيفرنادزى
وزير خارجية الاتحاد السوفييتى

● "نهاية الحرب الباردة لاتعنى نهاية التنافس عالميا بين القوى العظمى"
مايكيل ساندل
الاستاذ بجامعة هارفارد


البرتو مورافيا

● "جائزة نوبل تمنح لاسباب خارجة عن نطاق الادب"
الاديب الايطالى البرتو مورافيا

● "الخطيئة الكبرى فى مهنتنا هى الاملال"
الممثلة النرويجية "ليف اولمان"

● "سنجد انفسنا فى مناطق كثيرة من العالم الثالث فى حالة تنافس وتعاون مع اليابانيين، وليس مع السوفييت".
جيوفرى كمب
عضو بمجلس ادارة مؤسسة كارنيجى الامريكية

● "امريكا ملك العالم، وليست ملك الأمريكيين وحدهم"
المخرج الايطالى سيرجيو ليونى

● "قالوا ان الشعب ليس مهيئا للديمقراطية البرلمانية، والآن يقولون انه مهيأ للديمقراطية الفيدرالية، وهى اكثر تعقيدا وخطرا"
الاديب السودانى الطيب صالح


توفيق صالح

● "فى السينما لا احد يعرف اى شىء"
الاديب الأمريكى ويليم جولدمان

● "لكل مرحلة رجالها وانا غير موجود" !
المخرج توفيق صالح

● "الاقتصار على قول الحقيقة لايكفى الآن"
المخرج السوفييتى الكسى جيرمان

محمد بكتال

البريطاني المسلم الذي ترجم معاني القران

بقلم: د. عبدالمنعم عبدالمجيد

يلجا الكثير من الادباء والشعراء الى ايجاد الاساليب الادبية كالاقنعة الفنية المختلفة من اجل الانتشار وتجنب الاضطهاد من حاكم او اتجاه نقدى او للتغلب على ظروف سياسية او اجتماعية اقوى منهم . الا ان الاديب والكاتب محمد مرمادوك بكتال (١٨٧٥ ـ ١٩٣٦) لم يكن من هذا النوع . فقد كان يتمتع بشجاعة حباه بها الله

فعل ذلك قبل ان يعلن اسلامه عام ١٩١٧ . وكان وجدانه وحدسه يتجهان دوما الى الصدق مع النفس سواء كان الشكل الادبى هو القصة القصيرة او الرواية او المقالة او الكتاب .

ولا عجب ، فقد ظلم النقاد الانجليز هذا الكاتب حيا وميتا . فقد اهملوا رواياته وكتبه ومقالاته حتى طواها النسيان وذلك فور اعلانه اسلامه . وفى هذا المقال يحاول الباحث القاء الضوء على الانتاج الادبى المتنوع لبكتال بهدف انصافه

● واليوم يذكر بكتال فى الغرب فقط كمترجم لمعانى القرآن الكريم وهى اول ترجمة ظهرت بقلم مسلم بريطانى المولد والجنسية اعتنق الاسلام واخلص له . الا ان بكتال كتب ايضا العديد من الروايات والقصص والمقالات والخطب الجديرة بالدراسة . وقد حار بعض النقاد المعاصرين فى الاسباب التى ادت الى إهمال اعمال بكتال وحرمانه من البقاء فى دائرة الضوء التى تسلط على غيره من الكتاب الذين عاصروه . وقد ذكرت الكاتبة ان فريمانتل ابنة عمه وصاحبة الكتاب الوحيد حول سيرته الذاتية والذى نشر فى عام ١٩٣٨ ان من بين الأسباب التى ادت الى اهمال بكتال كان دخوله الاسلام ودفاعه عنه فى اوربا فى سنوات الحرب العالمية الاولى والتى كانت بريطانيا تعتبرها حربا ضد تركيا المسلمة او الدولة العثمانية رمز الخلافة الاسلامية . ولعل هناك بعض الوجاهة فى هذا الراى .

☆ د . عبدالمنعم عبدالمجيد ـ جامعة المنوفية



مصطفى المراغي



اللورد كرومر



احمد عرابي

● رحلة حياة وعلم

ولد محمد مرمادوك بكتال (وكان اسمه وليم مرمادوك بكتال قبل اعتناقه الاسلام) فى مقاطعة سافوك شرقى انجلترا حيث قضى طفولته . وعقب تخرجه من الجامعة سافر الى العالم العربى مع بعثة للتبشير . الا انه سرعان ما تغير مسار حياته تماما برفضه التعاون مع البعثة وبدأ فى تعلم اللغة العربية وتعاليم الدين الاسلامى . وبعد اعتناقه الاسلام سافر الى الهند علم ١٩٢٠ واستقر فى حيدر اباد وعمل بالتدريس فترة ثم عمل بالصحافة وظل يكتب عن الاسلام حتى وفاته فى عام ١٩٣٦ .

وعندما ذهب بكتال الى الشرق الاوسط وخاصة الى فلسطين ولبنان وسوريا ومصر وجد نفسه تواقة الى نهل المزيد من سحر الشرق والتعرف على الدين الاسلامى .. ويروى انه اراد ان يعتنق الاسلام مباشرة بعد ان عرف تعاليمه لولا ان احد اصدقائه من المسلمين اخبره بضرورة التريث والتدبر فى الأمر حتى لا يدخل الاسلام مبهورا مما قد يؤدى الى عواقب غير محمودة لكنه . بعد سنوات من المزيد من القراءة والمعرفة اعلن اسلامه علم ١٩١٧ وكان يلقى خطب الجمعة كل اسبوع فى الحدائق العامة الكبرى فى لندن خاصة حديقة هايدبارك وريجنت بارك كما تجول فى معظم المدن الكبرى فى انجلترا لمدة ثلاث سنوات يخطب فى المسلمين ويحث السلطات البريطانية على منحهم المزيد من الحريات والحقوق . وقد كتب العديد من المقالات يشرح فيها ويفسر الشئون الاسلامية والقضايا التى تغمض على القارىء الغربى ويرد على المستشرقين . واستمر فى بريطانيا حتى علم ١٩٢٠ ثم ذهب للعمل فى الهند حيث عمل لمدة خمس سنوات رئيسا لتحرير جريدة (يومياى كرونيكل) كما عمل مديرا لمدرسة ثانوية اسلامية للبنين فى حيدر اباد من علم ١٩٢٥ وبعدها تفرغ لترجمة معانى القرآن الكريم التى نشرت فى كتاب علم

محمد بكثال

١٩٣٠ . وقد ظل بكثال في الهند حتى عام ١٩٣٥ .

وقد اثارت ترجمة بكثال لمعاني القرآن الكريم ضجة كبرى في حينها . علاوة على انها كانت بالنسبة لبكثال بمثابة التحدي الاكبر ، فقد قال ردا على من شككوا في قدرته على ترجمة معاني القرآن انه على علم بان القرآن وهو المنزل من لدن عزيز حكيم لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وذكر في احدى مقالاته : (انه لايمكن لاحد ان يترجم القرآن وتلك هي العقيدة الراسخة لدى جمهور الفقهاء في الامة الاسلامية ولدى العبد الفقير مترجم معاني القرآن) وذهب الى القول بان (القرآن فعلا وحقا ليس كمثله شيء على وجه الارض وسوف يظل معجزة المعجزات للعالمين) . ولما كان بكثال قائما بعمل امام المصلين في مسجد لندن لم يكن راضيا تماما عن التراجم المنشورة حول معاني القرآن لذلك كان دائما ما يستبدل هذه الترجمات بترجمة من عنده . وقد كان بكثال يؤمن بان لابد وان يكون القرآن متاحا لكل المسلمين باختلاف السنتهم ولغاتهم .

وقد سافر بكثال الى مختلف بقاع الارض ليتمكن من اخراج ترجمة متقنة لمعاني القرآن الكريم ـ ففي عام ١٩٢٧ سافر الى اوربا ليستشير بعض العارفين من علماء الترجمة في هذا الشان . لكنه اراد ان يحصل على موافقة الازهر في مصر على ترجمته لانه كان المنبر الرئيسي لحفظ القرآن وتعليمه في ذلك الحين وفي عام ١٩٢٨ توسط اللورد لويد المندوب السامي البريطاني في مصر لدى شيخ الازهر لكي يستقبل بكثال وقد تم هذا اللقاء بينه وبين الشيخ مصطفى المراغي شيخ الجامع الازهر في عام ١٩٢٩ . كما التقى بكثال برجال الفكر والدين في مصر في ذلك الحين امثال لطفي السيد ورشيد رضا وطه حسين الذي كان يعترض على الترجمة كما اعترض عليها بعض مشايخ الازهر ، الا انه بعد تنفيذ بكثال للمقترحات التي اقرها الازهر في اجتماع لمجلس شيوخه سمح الازهر بنشر ترجمة معاني القرآن لبكثال عام ١٩٣٠ .

• الإبداع الأدبي

وياتي بكثال ككاتب روائي انجليزي في مصاف العديد من الروائيين الذين لم ينالوا شهرة د . هـ . لورانس وفرجينيا وولف وجيمس جويس و ا . م . فورستر وارنولد بينيت وهم جميعا من معاصريه . فقد كتب بكثال حوالي

محمد على



لطفي السيد



اثنتي عشرة رواية كانت اشهرها على الاطلاق روايات (سعيد الصياد) و (ابناء النيل) و (دار الاسلام) و (نساء محجبات) وغيرها . اما رواية (سعيد الصياد) فهي من ارقى الروايات التي ابدعها محمد بكثال فهي توضح قدرته على الملاحظة وحبكة قصته في رواية جيدة المستوى . وقد عالج فيها الحكايات الشعبية والعادات والتقاليد والظروف الاجتماعية والسياسية في بلاد العالم في أواخر القرن التاسع عشر .

وقد استقبلت رواية (سعيد الصياد) استقبالا حافلا حين صدورها عام ١٩٠٢ ، ولاقت نجاحا شعبيا لدى القراء لدرجة انه اعيد طباعتها لاربع عشرة مرة حتى عام ١٩٢٧ - وقد اعتبرها المستشرقون من امثال ستانلي لين بول ود . س . مرجليوث تحفة فنية كما حازت اعجاب كل من ا . م . فورستر وهـ . ج . ويلز وارنولد بينيت ود . هـ . لورانس الذي كتب مراجعة جيدة عنها في كتابه (الملقى) .

وتدور احداث القصة حول الشاب سعيد الصياد البالغ من العمر الثالثة والعشرين وقد تزوج من حسنة ولم يرزق منها باولاد . وكان يمارس الصيد على شاطىء فلسطين بالقرب من حيفا ، الا انه يترك مهنته ويتوجه الى دمشق ليعيش هناك حياة الكفاف وذلك في صيف عام ١٨٦٠ . وفي تلك الاحيان كانت تدور في دمشق مشاحنات بين المسلمين والمسيحيين والدروز - وبالطبع كان هناك ايضا الامير عبدالقادر الجزائري الذي كان منفيا في دمشق . ويتعرف سعيد على سليم الخادم في قصر احمد باشا والي دمشق - وتجرى حوادث شغب في دمشق - وبعدها يهرب سعيد مع فتاة مسيحية تدعى فريدة ويتزوجها فيما بعد ويرزق بابن منها . لكنه سرعان ما يدب الخلاف بينهما وتخونه فريدة وتسلبه ممتلكاته . هكذا بعد ان خسر كل شيء حتى اصدقائه يهرب الى لبنان ثم الى لندن مفلسا ومنبوذا . ثم يذهب بعد ذلك مع جماعة للتبشير بالمسيحية الى مصر لكنه يهرب ويتنكر مدعيا الجنون حتى عام ١٨٨٢ عندما يقتل في المظاهرات ضد انجلترا في مصر . ويصور بكثال سعيد على انه الصعلوك المتشرد الذي يتسم سلوكه باقصى مراحل القسوة والصرامة ، وهو كذلك الحاسد الحاقد الذي يقبل مواقف غير مقبولة اخلاقيا - كل تلك الصفات تجعل من سعيد شخصية يصعب نسيانها . وعلى النقيض يقدم لنا بكثال شخصية سليم (الشاب المسلم الصالح الذي يتبع السلوك القويم في عمله وخلقه) وهو بذلك يمثل الضمير الحي لشخصية سعيد - فهو ذلك المسلم المتحضر الطيب بغير ضعف والفاهم للنفس البشرية الضعيفة والامارة بالسوء والذي يطوع نفسه للبعد بها عن الانحراف .

اما روايته الثانية (دار الاسلام) والتي نشرت عام ١٩٠٦ فقد جاءت اضعف كثيرا عن سابقتها من الناحية الفنية والاسلوبية . وتدور احداث الرواية في القدس اثناء القرن التاسع عشر وتعرض لاسلوبين مختلفين في الحياة لاخوين فلسطينيين يدعى الاول

محمد بكثال

ملحم اما الاخر فيسمى شمس الدين . وتبدا احداث الرواية فى مدينة القسطنطينية بتركيا حيث يعمل ملحم موظفا لدى الدولة العثمانية بينما يعمل اخوه بالتجارة وبعد ذلك ينتقل ملحم الى القدس كما ينتقل اخوه الى الاردن ليعيش فى مدينة بترا الاثرية القديمة مع جماعة من الشراكسة الذين استقروا هناك بعد الحرب الكريمية (١٨٥٣ - ١٨٥٦) . وهناك يكرس حياته لخدمة الدين والدعوة الاسلامية واشتهر بالتقوى . وكان لشمس الدين ابنة تدعى عالية اقعدها المرض وتاتيه النصيحة بان ياخذها للعلاج لدى طبيب افرنكى فى القدس . فيذهب الى هناك بصحبة حسن زعيم عصابة من الشركش . وفى الطريق تجرى بعض المغامرات التى تهدف الى الاثارة وتستهلك الجزء الاكبر من الرواية . لكنها جاءت فجة و غير مقنعة .

لكن بكثال برع فى وصف المكان الذى جرت فيه الاحداث وهو القدس فقدم وصفا جميلا للمدينة باسوارها وشوارعها النظيفة المنسقة وحياة الناس فيها المرتبطة باصولها الموغلة فى القدم . انها صورة رومانسية للمدينة التى احبها بكثال نفسه - فلا غرو فانه اثناء فترة بقائه فيها من قبل ابدى رغبته فى اعتناق الدين الاسلامى الذى دخله عن اقتناع بعد ذلك .

وفى عام ١٩٠٨ نشرت روايته (ابناء النيل) التى جاءت نتيجة لزيارة بكثال لمصر عام ١٩٠٧ . وهى تمثل اسهام بكثال فى الجدل الذى كان يدور حينئذ حول احتلال بريطانيا لمصر عام ١٨٨٢ ونتائجه والذى انبثق عن استقالة اللورد كرومر المندوب السامى البريطانى فى مصر عام ١٩٠٧ ونشر كتابه عن مصر بعنوان (مصر الحديثة) . وقد سجلت رواية بكثال كما سجل من قبله ويلفريد بلنت و اللورد كرومر فى كتبهم التغيرات الاجتماعية التى طرات على المجتمع المصرى فى القرن التاسع عشر .

وتتناول القصة الاحداث التى جرت فى القاهرة والاسكندرية ودلتا النيل فى السنوات التى سبقت معركة التل الكبير فى سبتمبر ١٨٨٢ عندما. انهزم جيش احمدعرابى نتيجة لخيانة الخديوى مما ادى الى احتلال بريطانيا لمصر . وتدور احداث القصة حول شخصية البطل مبروك ابن احد العمد فى قرية مصرية بالدلتا والذى كان يدرس الطب فى القاهرة الا انه انصرف عن دراسته الى قراءة القصص الرومانسية المترجمة عن الانجليزية والفرنسية ...وتجرى احداث الرواية فى ثلاث اماكن ففى البداية نرى مبروك يقضى طفولته فى قريته حيث انشغاله فى المنازعات العشائرية وتعامله مع الفتوات وقطاع الطرق . فقد انتشرت فى مصر ظاهرة البلطجة والفتوات فى السبعينيات والثمانينيات من القرن التاسع عشر . يدور الجزء الثانى من الرواية فى طنطا ايام مولد السيد احمد البدوى . اما الجزء الثالث فتدور احداثه فى احدى الوحدات العسكرية الوطنية فى جيش عرابى حيث يلتحق مبروك ضابطا عاملا

فيها . ويصور بكثال الاحداث والمظاهرات التى سبقت معركة التل الكبير تصويرا مفصلا .

ويحاول بكثال في هذه الرواية التاريخية تجنب التعرض المباشر لأسماء الشخصيات التاريخية المعروفة فى ذلك الحين فهو يصور التاييد الشعبى الذى حظى به جيش عرابى وكيف ان الفلاحين ومختلف طبقات الشعب المصرى سارعت بالانضمام الى عرابى وتاييده ضد الانجليز والخديوى الفاسد ، كما يصور حال الاجانب فى مصر حينئذ وكيف انهم تارجحوا فى تاييدهم لعرابى والخديوى حسبما اقتضت مصالحهم .

وتتعرض رواية (ابناء النيل) الى ظاهرة الالتزام الادبى بشكل واضح ، فنحن نرى بكثال الكاتب الملتزم سياسيا واسلاميا بتعاطفه الواضح مع المصريين المسلمين - كما تظهر فى الرواية معرفته العميقة بطبيعة الدين الاسلامى والتى تبشر باقتراب قناعته الكاملة باعتناق الاسلام .

وفى رواية (وادى الملوك) التى نشرت علم ١٩٠٩ ياخذ الفن الروائى عند بكثال منعطفا اخر حيث تمثل الرواية بالنسبة له شكلا جديدا ومضمونا جديدا فهو يتعرض فيها لظهور القومية العربية فى الشرق الاوسط . وتحكى الرواية قصة اسكندر الذى ينتمى الى عائلة فلسطينية مسيحية والذى تلقى تعليمه على ايدى مبعوثى الارسالية المسيحية الاوربية . لكنه اثناء وجوده بالمدرسة يقع فى غرام احدى الراهبات ويغرر بها ويهرب



د . طه حسين

من المدرسة بصحبة صديق له يدعى امير ويذهبان الى وادى الملوك اى الى مدينة بترا بالاردن بحثا عن الذهب . لكن اسكندر يقع هناك فريسة للمرض فينبذه صديقه ويلقى به الى قارعة الطريق ليموت . وتاتى اهمية هذه الرواية فى انها تناولت بعض الموضوعات والثيمات الحساسة بجراة وجسارة غير معهودتين فى ذلك الحين - وقد ادى الجدل الذى دار حول الرواية الى مزيد من اهتمام بكثال بالموضوعات المثيرة للراى فى رواياته التالية .

ففى روايته (نساء محجبات) التى نشرت علم ١٩١٣ يتعرض بكثال الى مسالة تعدد الزوجات فى الاسلام - وتحكى الرواية قصة مارى العربية الانجليزية التى تذهب الى مصر للعمل لدى عائلة مصرية من اصل تركى وسرعان ما تنشا قصة حب بينها وبين الابن الاكبر للعائلة ويدعى يوسف فيتزوجا . وتنقسم احداث الرواية الى جزءين يتناول الاول احداث فترة الخطوبة بين يوسف ومارى ويدور الجزء الثانى بعد ذلك بسنوات عديدة اى فى ايام ثورة عرابى . وفى الجزء الاول تحدث العديد من المفارقات حين



تشعر مارى بالملل من حياتها مع الاسرة المصرية فتخرج فى النقاب الى الشارع مما يؤدى الى اثارة المشاكل حيث تكثر الاقاويل والاشاعات حول اسباب خروجها الى الشارع والتى تراوحت من ان وراء خروجها كان لقاء حبيبها الانجليزى الى القول بان السبب الرئيسى وراء خروجها كان نتيجة لإصابتها بالجنون . لكن مارى التى تزوجها يوسف والتى اصبح اسمها بركة بعد ان اعتنقت الاسلام تتقبل الحياة كواحدة من النساء فى بيت الاسرة الكبير . ويعرض بكثال للحياة المعقدة التى كانت تعيشها الحريم حينئذ وقواعد التعامل بينهن ويروى كيف انه حين مرضت بركة (او مارى) جاءت قريناتها اللائى كن يؤمن بالسحر والخرافات بعناقيد الثوم وعلقنها على باب غرفتها وبعد ذلك احضرن عدة دجاجات سوداء لعمل (الزار) لها حتى يخرج العفريت الذى تقمص روحها ويتركها لحال سبيلها . يضع بكثال ذلك


رشيد على رضا


عبدالقادر الجزائرى

موضع المقارنة مع معتقدات مارى التى عاشت طفولتها الاولى فى انجلترا . ويقدم بكثال فى روايته ايضا التغييرات التى حدثت فى مصر نتيجة لاتصالها بالثقافة الانجليزية وبداية التغيير فى العادات والتقاليد بالنسبة للنساء والرجال .

يقدم ذلك عن طريق اجيال ثلاثة من الأسرة المصرية التركية الأصل ـ فيقدم جيل الأب الذى صعد الى الثراء ايام الوالى محمد على ، وجيل الابن الذى يتزوج المربية الانجليزية واخيرا جيل ابنائهما وخاصة الابن الذى انخرط فى سلك الجيش مبهورا بشخصية عرابى وثورته وهو دون الخامسة عشرة من عمره .

لكن الموضوع الرئيسى للرواية يدور حول وضع المراة فى الاسلام حيث يقدم بكثال دفاعا ضد هجوم المستشرقين على موقف الاسلام من المراة بطريقة موضوعية وقد اتهمه بعض النقاد بالمباشرة فى دفاعه لكن ذلك غير صحيح لمن يقرا الرواية بتمعن وتعاطف . ولاريب فان الرواية تلقى مزيدا من الضوء على موقف بكثال بشكل عام من الاسلام دينا وعقيدة

ثم جاءت بعد ذلك رواية (دار الحرب) عام ١٩١٦ والتى تناولت احداث الشغب والمشاحنات بين المسلمين والمسيحيين فى إحدى قرى الشام كمثال لما جرى خلال الحرب العالمية الأولى التى يعتبرها بكثال حربا بين تركيا المسلمة والغرب المسيحى . وتدور احداث الرواية حول الفتاة الانجليزية (السى وايلدنج) وعمتيها اللتين كانتا تديران احدى

مدارس ارساليات التبشير المسيحية فى احدى القرى السورية وقد كانت العلاقة بينهن وبين المسلمين هناك جيدة خاصة مع الحاكم التركى حسن باشا ـ وتبدأ المشاكل حينما تريد السى افتتاح مدرسة تبشيرية جديدة فى قرية اخرى ـ وتدور بعض المفارقات حول شخصية السى ومحاولتها الاختلاط بالرجال وينتج عن ذلك اتهامها باهانة المسلمين وتنشأ المظاهرات نتيجة لذلك . الا انه فى النهاية تقع السى فى غرام صديق لاخيها وتتزوجه وتترك القرية . ويتضح من معالجة بكثال تعاطفه الشديد مع المسلمين والدين الاسلامي ومعاداته لحملات التبشير فى دار المسلمين .

اما روايته التالية والتى جاءت بعنوان (فرسان العرب) ونشرت عام ١٩١٧ قبل اعتناق بكثال الاسلام بشهرين فقط فقد كانت كل شخصياتها من المسلمين ـ وتدور احداثها فى اليمن فى القرن الحادى عشر الميلادى ـ وقد استقى بكثال مصدر قصته عن كتاب حول تاريخ اليمن فى العصر الوسيط من تاليف نجم الدين عمارة الحكمى (١١٣٥ ـ ١١٧٢) . وتميل الرواية الى الاسلوب الملحمى فى الروى على غرار قصص سيف بن ذى يزن وابو زيد الهلالى والزير سالم . وفى اجزاء متفرقة من الرواية يحاول بكثال شرح بعض الأمور المتعلقة بالدين الاسلامى والتى يصعب على القارىء الاجنبى فهمها كما رد على افتراءات المستشرقين .

اما آخر رواية كتبها بكثال فكانت بعنوان (الفجر او ساعات الصباح الاولى) نشرت عام ١٩٢١ وهى الرواية الوحيدة التى كتبها بعد اعلان اسلامه ـ وتدور احداث القصة فى تركيا حول شخصية قمر الدين الذى يعانى الكثير بسبب المحن والصراعات التى صاحبت الحرب الاولى وظهور كمال اتاتورك ـ وتظهر فى الرواية بعض ملامح تسجيل السيرة الذاتية . فهناك العديد من نقاط الشبه بين بكثال وشخصية قمر الدين فمن خلاله يقدم لنا المؤلف الكثير من وجهات نظره فى العديد من القضايا الهامة الدينية والحياتية . وتتميز اللغة فى هذه الرواية بالبساطة والسلاسة على عكس العديد من رواياته الاولى . فقد كتبها بكثال باسلوب الخطاب الذى تبناه وروج له فى مقالاته العديدة التى دافع فيها عن الاسلام . فمنذ اعلانه اسلامه كرس بكثال حياته لخدمة هذا الدين القيم .

وخلاصة القول ان محمد مرمدوك بكثال كان من الكتاب القلائل الذين اغترفوا من معين واحد ودافعوا عن قضية واحدة وبدرجة عالية من الجودة والاتقان ـ فعلى حد قول الناقد والروائى ا . م . فورستر : (ان بكثال من الروائيين القلائل الذين اجادوا الكتابة حول موضوعات واماكن بعيدة احس فيها بكثال انه وسط اهله وعشيرته) كما قال عنه ايضا (ان زوايا رؤيته ظلت ثابتة من رواية الى اخرى) . لذلك فالاحرى بنا ان نهتم بهذا الكاتب الذى ظلمه النقاد الاجانب لمجرد اعتناقه الاسلام .

حقوق الإنسان المسلم

بين العدل والاستبداد

بقلم : د. خلدون حسن النقيب

يمثل المقال القصير الذى نشره أحد الكتاب فى الصفحة الأخيرة من جريدة القبس الكويتية بعنوان «أموى عند الرشيد وست منافع» نموذجا مثاليا للتفكير الاعتذارى للاستبداد ـ الفكر يجد الأعذار والمبررات للحاكم المستبد ونظام حكمه الاستبدادى . فى هذا المقال يحاول الكاتب أن يجد ست منافع فى واقعة تتلخص عناصرها فى : ـ

(أ) «كان فى الشام رجل من بقايا بنى أمية» .

(ب) «كبير الجاه مطاع فى بلده» ، (وهنا مربط الفرس)

(ج) ولكن الوشاة أدخلوا فى روع هارون الرشيد «أنه لايؤمن جانبه»

● وقبل أن يتأكد الرشيد من كيف أن الرجل لايؤمن جانبه ، أو يطلب من الوشاة إقامة الدليل على صدق اتهامهم للرجل ، أمر بأن :

(أ) يحضر إليه فى بغداد فورا .

(ب) على أن يحضر مقيدا .

(ج) وأن يحضر مهانا ، بأن يركب على جمل واحد مع خادم الرشيد والذى عليه أن يسجل كل كلمة يقولها الرجل .

هذا الأسلوب فى التعامل مع الوشايات هو أسلوب الحكم الاستبدادى الذى يتعامل مع المواطنين لا من حيث هم مواطنون لهم حقوق مثلما عليهم واجبات ، وإنما من حيث هم مذنبون (قبل أن تثبت إدانتهم) حسب قاعدة خذوه فغلوه : فى غياهب السجن أو سلموا رقبته للجلاد ..

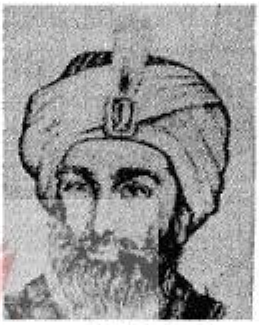
اين يجد كاتب متنور منفعة واحدة فى هذه الواقعة فما بالك بست ؟

نسوق إليك هذه المنافع الست حسب منطق كاتبنا ملخصة :

د . خلدون النقيب ـ جامعة الكويت



خالد محمد خالد



هـارون الرشيـد

المنفعة الأولى : أن الوشاية سببها الحسد ، والحسد مذموم ، وفى هذه عبرة لمن يعتبر .

المنفعتان الثانية والثالثة : أن الثقة بالله عظيمة ، فلمّا كان الرجل بريئا واثقا من براءته ، تسلح بالإيمان والشجاعة (وعدم الخوف من السلطان) ، فأنجته شجاعته . ولم يُخِفْهُ وجوده فى حضرة سلطان يمكن أن يأمر بقطع رأسه وقتما شاء .

المنفعة الرابعة : بالرغم من كون أمر الاعتقال اعتباطيا اتخذ بناء على وشاية إلا أن «المسئول الأمنى» ! أى خادم الرشيد ترفق بالرجل ولم يبادره بإبلاغه أمر اعتقاله إلا بعد أن فرغ المسئول الأمنى من الطعام والصلاة وانصراف الناس وفى هذا حس حضارى غلب على الحس الأمنى أو على ماقد يدعو جلاوزة السلطان وزبانيته إلى الرعونة المنتظرة منهم .

المنفعة الخامسة : كان خادم الرشيد أمينا فى كتابة «تقريره الأمنى» ! فلم يزد عما رأى وسمع ولم يتقول على الرجل أو يتزيد .

المنفعة السادسة : أن السلطان رجع عن الخطأ عندما اكتشف براءة الرجل (وكان ماء الحياء باديا على وجه الرشيد ، ولكن الكاتب لايخبرنا كيف اكتشف الرشيد براءة الرجل) ... ولعله رجع إلى (مصادره) ... ليتأكد من مصداقيتها !

● التفكير الاعتذارى

وأصارح الكاتب أننى كنت وأنا أقرأ كلمته أغالب منع نفسى من الابتسام ليس سخرية وإنما حزنا وإشفاقا ، لأن هذه الواقعة تمثل نقصا مزمنا ومحزنا فى التراث السياسى للدولة العربية الإسلامية . ولو كان الأمر طبيعيا يخضع لحكم منطق الأشياء الاعتيادى ولو كان الحكم مبنيا على مبدأ العدل وسيادة القانون لكفانا هارون الرشيد مغبة البحث عن منافع متخيلة إلا منفعة واحدة ، وهى المنفعة الأخيرة (السادسة) ، أى لو أنه رجع إلى مصادره أولا ، أو أنه طلب من «المسئول الأمنى» الحقيقى ـ وهو واليه على الشام وعامله وليس خادمه الخاص ـ أن يتحقق من الأمر حسب ما هو مشروع من الإجراءات ومشرع له ، مع حفظ كرامة الرجل وعدم ترويع أهله بغير داع .

اقول لو انه فعل ذلك لما كان لهذه الواقعة من معنى ، ولما تكررت الوشايات واستمرت ، ولما أصبحت المصادرات المبنية عليها واعتداءات الأمراء على املاك التجار والمواطنين عرفا ومصدرا واسعا لدخل الأمراء واثرائهم . ولما اختلت دائرة العدل . ولمن يريد أن يتأكد من سعة انتشار ظاهرة المصادرات هذه في تلك الفترة من تاريخنا ما عليه إلا الرجوع إلى كتاب (أحد أفاضل المؤرخين العرب المعاصرين) عبدالعزيز الدورى عن تاريخ العراق الاقتصادى فى القرن الرابع الهجرى .

ولكن الاشياء لم توضع دائما فى نصابها الحقيقى وغابت فى كثير من الأحيان مقومات العدل : مبدأ المواطنة والانتماء ، مبدأ سيادة حقوق الإنسان (كفالة الحريات وخاصة حق اختيار الحكام ومحاسبتهم) ومبدأ سيادة القانون ، مبدأ المساواة أمام القانون ، مبدأ استقلال القضاء . أما الفكر الاعتذارى الذى يحاول تبرير استبداد الحاكم فيلجأ إلى تسمية الأشياء بغير مسمياتها . وهذا الفكر الاعتذارى ليس مقصورا على العرب والمسلمين وحدهم ، فرئيس اكبر دولة فى «العالم الحر» وهو ريجان رئيس الولايات المتحدة يصف عصابات الكونترا (المكونة من قطاع طرق ومرتزقة باشسين - والتى اشتركت عدة دول إسلامية فى تمويلها) بالمجاهدين فى سبيل الحرية «فريدوم فايترز» .

وفى مقطع من افتتاحية جريدة الايقاظ (عدد ١٥ ، ٨ آب - أغسطس ، ١٩٠٩) نرى إلى أى درجة من الخلل يمكن أن يؤدى إليه التفكير الاعتذارى ، عندما كتب سليمان فيضى (الذى قدر له أن يصبح فى سنى الاستقلال الأولى أحد قادة الحركة الوطنية فى العراق) فى تعريف الحرية :

الحرية - هى إطاعة الملة جمعاء للحضرة السلطانية لأن هذه الطاعة فرض على المسلم بقوله تعالى : «واطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم» ..

الحرية - هى كما يلزم على الأمة الاطاعة التامة للحضرة الملوكية كذلك واجب عليها الاطاعة والانقياد لأوامر الحكام والمأمورين العادلين وهيئة الحكومة المجموعة ...

الحرية - هى انقياد العساكر واطاعتهم لجميع قوادهم ومحافظتهم على الضبط والربط ..

الحرية - هى هذه لا كما يذهب اسرى الاغراض وحب الذات يؤولونها خلاف حقيقتها ....!!

بعد هذا ليس بمستغرب إذن أن يجد كاتب متنور من امثال كاتبنا منافع فى الحكم الاستبدادى وفى قرارات غاية فى التعسف تتخذ بناء على وشايات يستثمرها نظام الحكم ويستحلبها الى اقصاها . رحم الله عمر بن عبيد الذى قال عندما رأى سارقا تقطع يده بأمر من السلطان «لا إله إلا الله سارق العلانية يقطع سارق السر» (فى المستطرف فى كل فن مستظرف)

ان مبادىء العدل سالفة الذكر والتى تعتبر الآن روح العصر وميثاقه تمنعنا من أن نجد منافع من النوع الذى يستخلصه كاتبنا من الحكم الاستبدادى . بل أذهب إلى أبعد من هذا إلى حد الاستغراب كيف أن بعض الدول العربية تملك قوانين عصرية ولكنها تتجاوزها إلى حد تصفية

المواطنين جسدياً بمجرد سماع وشاية من النوع الرشيدى . وكيف أن بعض الدول العربية الأخرى لاتملك قوانين عصرية بالمرة وبالتالى لاتملك قوانين تنظم إجراءات الأدلة الجنائية ، فهى فى هذا مازالت تتبع قانون ! : خذوه فغلوه .

فى ورقة قدمتها إلى منتدى التنمية فى الخليج العربى فى ندوته السنوية التى عقدت فى الكويت فى يناير ١٩٨٨ بعنوان : المواطنة وأزمة الدولة القطرية ، استنتجت أن النموذج التراثى للمواطنة ولنظام الحكم لايمكن الرجوع إليه فى بناء الدولة الحديثة ، اى أنه لايصلح أن يكون إطارا مرجعيا إلا بعد معالجة مواطن النقص والقصور التالية :

أولا : أن الفهم التراثى للمواطنة فهم دينى خالص ، يفتقر إلى مبدأ الحقوق والواجبات : ليس للإنسان فى هذا الفهم حقوق ، فمالك الحقوق هو الله ، وما الإنسان إلا مكلف بالمحافظة على نعم الله . وهذا التكليف مبنى على مبدأ الفرض والوجوبية ، أى الواجبات المفروضة على الأفراد وهى أما فروض عينية (القيم السامية الملزمة للجميع) أو فروض كفاية مبنية على فكرة الانابة كالامامة والقضاء والجهاد (انظر لمزيد من التفاصيل محمد عمارة : حقوق الإنسان فى الإسلام . سلسلة عالم المعرفة ، الكويت ١٩٨٥) . ولذلك لم يجد عبدالله النفيس فى ملاحظاته حول النظام العام للتنظيم الدولى لجماعة الاخوان المسلمين (جريدة القبس ، ١٩٨٩/٩/٢١) أى ذكر فى هذا النظام لحقوق الأعضاء إزاء تنظيم الأخوان المسلمين بينما يحفل النظام بذكر حقوق التنظيم ازاء الأعضاء . فهذا امتداد عميق لموقف تاريخى فى صلب النظام السياسى للدولة العربية الإسلامية .

ثانيا : مع أن الدولة العربية الإسلامية كما ظهرت فى عهد الخلافة بنيت على مبادىء أربعة أساسية (كون السلطة للجماعة ـ كون الأمامة واجبة بالشرع والعقل لإقامة العدل ـ كون الحاكم مسئولا أمام الأمة عرضة للتقويم والخلع ـ كون حماية الرعية وصون حريتها فرضا على الأمام) إلا أن هذه المبادىء لم تحترم فى الحقب اللاحقة . لأن مصدر السلطة تحول من الأمة إلى القبلية السياسية (أى قبلية التحالف والاتحاد وليس قبلية الدم والنسب) . فقد استلهمت الرموز القبلية فى الحضارة العربية الإسلامية لتخدم ثلاث وظائف : كمصدر لتماسك الجماعة (العصبية والنعرة : عدنانيون قحطانيون .. إلخ) ، وكاطار للعضوية فى الجماعة (مسلمون ، موال ، ذميون ، مستأمنون .. الخ) . وكرابطة موحدة الفرض (انظر بحثى عن بناء المجتمع العربى ، مجلة المستقبل العربى ، عدد ٧٩ ، ١٩٨٥) .

ثالثا : افتقرت الدولة العربية الإسلامية إلى تحديد أسلوب مؤسسى لاختيار الحاكم ، فقد انتهت الحال بأن أصبحت امارة الاستيلاء (بالقوة والغلبة) هى القاعدة فى أغلب الدول العربية والإسلامية ، وليس امارة الاستكفاء ذات الشروط المحددة شرعا وعرفا . كما تعددت اساليب اختيار الحكام من النمط الجمهورى إلى النمط السلالى إلى النمط القبلى . وقد ادت تخريجات الفقهاء إلى اضفاء شرعية شكلية (لم ترض بها الجماعة) على هذا النوع من الإمارة وعلى جواز امامة المفضول مع وجود الأفضل

(كما عند الماوردى فى الأحكام السلطانية وقوانين الوزارة) .

رابعا : ويترتب على هذا عدم تأسس أساليب محاسبة الحاكم فى حالة الجرح بعد التهم ، مما جعل تطبيق مبدأ السلطة للجماعة من باب المستحيلات فى البيئة التقليدية . واختلف الفقهاء والمفكرون فى حدود الطاعة . والصبر على الحاكم الجائر ولذلك لم يهتدوا إلى الشروط الواجب توافرها فى الثورة على الحاكم الجائر أو قواعد خلعه . وقد قاد التيار السلفى المحافظ إلى أضعاف التوازن بين الحاكم والمحكوم وسمح أو تغافل عن أساليب كثيرة ممكنة للاستبداد كما فى استغلال مبدأ المصالح المرسلة . فأجاز هذا المبدأ للحاكم التصرف غير المقيد فيما لايحصل فيه اجماع بين الفقهاء فى أمور السياسة .

خامسا : وقد أدى ذلك كله إلى شخصانية الولاء فى الدولة العربية الإسلامية ، أى أن الولاء والطاعة كضرورة واجبة هى للحاكم لشخصه وسلالته وليس للجماعة باعتبارها مصدر السلطة فى المجتمع . وتأصل هذا المفهوم فى الحضارة العربية الإسلامية إلى درجة أن مصطلح الدولة فى التراث وكما استعمله ابن خلدون يعود إلى حكم سلالة الحاكم (دولة بنى أمية ، دولة الحمدانيين ، دولة المرابطين .. إلخ) . فازدهر الحكم السلالى فى الحضارة العربية الإسلامية مستغلا عدم وضوح هذا الجانب فى عقد الأمامة ، وبخاصة البيعة المشروطة بإقامة العدل .

سادسا : ويتضح من كتابات الفقهاء والمفكرين (وخاصة ابن المقفع فى رسالة الصحابة ، والماوردى فى مشروع الدولة الميمونية .. الخ) أن نظام الحكم السلالى المركزى فى إدارة الحكم وشئون الدولة لم يعد يتلاءم مع التعددية الكبيرة فى صلب الحضارة العربية الإسلامية ، لأن المركزية الأموية والمركزية العباسية فيما بعد لم تأخذا بعين الاعتبار «العصبيات» الجديدة التى بدأت بالظهور (العصبية الشامية ، الكوفية ، الخراسانية ... الخ) فى ظل تفجر نمط الإنتاج المركنتالى العربى الإسلامى وارتفاع مستويات الإنتاج والتحضر ، وبالتالى ارتفاع مستويات المعيشة ، مما خلق تناقضا محوريا أدى بالإضافة إلى عوامل أخرى الى تمزق الدولة وتشتتها . ولذلك حصر ابن خلدون فرص بقاء نظام الحكم السلالى فى السلطة فى حالة عدم قيام ظرف استثنائى بأربعة إلى خمسة أجيال .

وفى الحقيقة فان هناك ثمرة خير يمكن أن تجنى من أن الفهم الدينى للمواطنة فى التراث يفتقر إلى مفهوم حديث للحقوق والواجبات عندما يجتهد فى تفسيره وتخريجه من صدق عزمه وروائه الشجاعة فى قول كلمة الحق ، كما فعل بعض علماء المسلمين وأساتذة القانون الذين كتبوا «الإعلان الإسلامى العالمى لحقوق الإنسان» الذى أعلنه أمين عام المجلس الإسلامى فى مقر اليونسكو فى جلسة مهيبة بتاريخ ١٩٨١/٩/١٩ ، وأحسب أن قلة من المسلمين خارج أوربا علمت بتفاصيله حتى الآن والإعلان لايبتعد كثيرا عن الإعلان الثورى لحقوق الإنسان الذى أعلنته الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩ .

فقد استنبط هؤلاء العلماء الرؤية العامة

لحقوق الإنسان فى الإسلام من القناعة الراسخة بأن الله عز وجل هو وحده مؤلف القانون ، وأصل كل حقوق الأنسان (كما ورد فى الفقرة أولا ، ص ٤ أعلاه) ، ولما كان للقانون أصل إلهى لايمكن لأى زعيم سياسى أو حاكم أو أى مجلس نيابى أن يلغى أو ينتهك أو يغير حقوق الإنسان فى الحرية والكرامة والأمن وغيرها ، التى وهبها الله له ... ومن هذا المنطلق فان نقطة الضعف فى الفهم الدينى للمواطنة يمكن أن تتحول إلى نقطة قوة بحيث يصبح للحضارة العربية الإسلامية قانون مثالى لحقوق الانسان .

ولكن المعضلة الرهيبة كما يقول محمد أركون تكمن فى أن التطبيق بخلاف المثال النظرى يصطدم بواقع اتكر على مدار أربعة عشر قرنا هذه الحقوق وشوهها ، بحيث اختلطت الأصول الالهية للقوانين عامة بتخريجات الفقهاء واجتهاداتهم ، واصبح كل مايدخل فى الشريعة قدسيا ، اى أنه حتى تخريجات الفقهاء واجتهاداتهم أصبحت مقدسة يخاف اشجع العلماء من أن يخضعها إلى منطق العقل ومتطلبات العصر والواقع . وكلنا يعلم مصير العالم الجليل على عبد الرازق الذى استنتج ، وكان على صواب ، بأن ليس للخلافة ولا للدولة فى الإسلام أساس دينى الهى قدسى . ليأتى بعد نصف قرن من هذا الإنجاز الكبير من ينادى بالحاكمية ويشرع للتعصب والإرهاب ، باسم الدين وباسم الله .

واردنى مضطرا للاتفاق مع محمد اركون فى أن المسلمين عموما والعرب خصوصا لايجهلون فقط عملية التطور التاريخى للمجتمعات الأوربية المواجهة لهم ، وانما يجهلون انفسهم أيضا وتراثهم الابداعى المنتج فلو انهم فعلوا لوجدوا نقاط ارتكاز صلبة ينطلقون منها بثقة للإسهام فى الحضارة الإنسانية المعاصرة المتطورة النامية على الدوام (انظر خلاصة النقاش فى الندوة الثالثة التى نظمتها الاكاديمية الفرنسية للعلوم الأخلاقية والسياسية فى باريس بتاريخ ١٩٨٩/٧/٢٢ عن الإسلام وحقوق الإنسان ، المنشور فى مجلة الفكر العربى المعاصر ، عدد ٦٢ ـ ٦٣ ، مارس ١٩٨٩ ، ص ١١٠ ـ ١٢٢) .

وتأسيسا على ما تقدم فاننى اتوجه الى المتنورين من دعاة الحل الاسلامى والى الذيت يتبعونهم او يهتدون بهديهم بمطلب سبق ان قدمه خالد محمد خالد ـ من العلماء ـ فى كتابه "مواطنون .. لا رعايا" فى مارس سنة ١٩٥١ وهو ان : اطلقوا سراح العقل .. "ان العقل فى بلادنا . مشرد تطارده الحكومات ، وتطارده ايضا الجماعات .. ان الخوف والتقليد هما اللذان يلفان عقولنا فى الظلمات .. وهؤلاء الذين يثيرون العواصف امام العقل باسم الله جد مفترين ! (ص ٩٤ ـ ٩٥) .

لقد زهدنا فهذه المنافع التى تاتينا من الاستبداد فنحن مواطنون لنا حقوقنا مثلما علينا واجبات : «المواطنية هى المحور الذى نختاره لننظم حوله شتى قيمنا وكافة معاييرنا .. ان المواطنية .. هى الا تعيش فى بلادك محايدا ـ بل مجاهدا .. هى ان تحترم حقوقك ، وتمارسها حقا .. هى ان تدوس مصالحك الخاصة ـ عندما تصبح مصاير بلادك فى كف القدر .. وهى ان تعامل الدولة اعضاءها باعتبارهم مواطنين ـ لا رعايا .. وان توقظ فى ضميرها معانى الانسانية والكرامة» .. (ص ١٦٦ ـ ١٦٨) .



شاهد دون محاكمة

بقلم: مصطفى الحسيني

عنوان الكتاب يستحق التوقف : « لبنان : انهيار .. ام انتحار ؟» فهذه ثنائية تخلو من التفضيل . ثنائية تجمع بين ويلين ، فلا فرق كبير بين الانهيار والانتحار سوى شبهة عنصر الارادة او الحماقة الذى يتضمنه الانتحار ، ولاشك ان مؤلف الكتاب زميلنا محمود احمد ، قد تعب كثيرا ، وقدح فكره طويلا قبل ان يتوصل الى هذا العنوان ، ولعل مشقة اختياره ، كانت اشد كثيرا من مشقة ابداع الكتاب ذاته ، لذلك جاء العنوان ناطقا بحيرة المؤلف امام « الأزمة اللبنانية » التى يفصح كتابه عن انه يعرفها جيدا ، وانه قد استوعبها بعمق ، تعبر عنه هذه السلاسة التى يعرض بها وضعا يتميز بتعقيد فريد ، وبحركة متدافعة تصعب متابعتها ، وحتى من يقدر على متابعتها يستعصى عليه ان يدرك لها منطقا يقبله العقل .

● ومع ذلك فان محمود احمد ، وقد استطاع ان يقبض على عناصر هذه الازمة ، وأن يستجمع عواملها ، وأن يستوعب مجرياتها ويهضمها الى الحد الذى جعله قادرا على عرضها بهذا الوضوح النادر بين ماكتب عنها ، ومازال كما ينبئنا العنوان : حائرا أمامها !

ولعل من دلائل التعقيد ـ الذى يصل حد الشذوذ ـ فى هذه الازمة اللبنانية ، ان « محمود احمد » بالذات حتى وهو يكتب هذا الكتاب ، مازال يجد فيما شاهد ، او بالاحرى فيما عانى من احداث لبنانية ، مايستدعى منه الدهشة والاستغراب !

لماذا نقول : « محمود احمد » بالذات ؟

لانه عاش فى لبنان عشر سنوات ، صحافيا يتميز باليقظة والدقة والتحفظ ، وبالقدرة على ان يرى الحدث من داخله ، ثم يعيد النظر اليه من خارجه ، اى انه عاش تلك السنوات العشر فى لبنان صحافيا كما يجب ان يكون الصحافى : شاهدا يلتزم صرامة الامانة ، دون ان « يتحلى » ببراعة « المراقب المحايد » .


محمود احمد

● كتاب فريد !

ولانه بعد هذه التجربة باعد بينها وبين الادلاء بشهادته فى هذا الكتاب بما يقرب من السنوات الخمس ، وكأنه عمدا يتجنب انفعالات الشاهد ففى الانفعال منزلق الى الشطط .

لكن دهشة المؤلف واستغرابه اللذين يردان صراحة فى أكثر من موضع فى متن الكتاب ، وحيرته امام « منطق » مايجرى فى لبنان كما يعبر عنها العنوان لم تمنع ان يكون الكتاب فريدا بين الكتب الكثيرة التى تناولت موضوعه ووجه ذلك ان الكتاب

يعرض الازمة اللبنانية على نحو يساعد غير اللبنانيين بالذات على فهمها ، ولهذا اهمية خاصة .

هذه الاهمية هي ان مجرى ما دار ويدور في لبنان منذ مايقرب من خمس عشرة سنة ، قد استعصى على فهم غير اللبنانيين (دون ان يستثنى هذا كثيرا من اللبنانيين) والمعنيين منهم بهذا الذى يجرى ، بحيث شاع استسهال التخلص من مسئولية الاهتمام به إما بنعته بالجنون ، وإما عن طريق تبسيطه تبسيطا مخلا يؤدى بمن يقعون فيه الى استنتاجات تترتب عليها مواقف خطيرة من قبيل : القاء العبء على الايدى الاجنبية او المؤامرات الخارجية او التسوية بين مطالب الاطراف ومواقفها او الوقوع فى شرك المعادلة - مثلا - بين الوجود العسكرى السورى والاحتلال الاسرائيلى ، أو هزّ الكتفين تعبيرا عن عدم اهتمام او يأس .. وهذه مجرد امثلة ..

ومافعله الكتاب هنا هو ان يفرز - الى حد بعيد من الدقة والتوفيق - بين المعقولية والمبالغة وبين المشروع وغير المشروع فى مواقف الاطراف اللبنانية وغير اللبنانية ومطالبها .

ومن هذه الزاوية تكون للكتاب اهمية اضافية هنا فى مصر ، حيث يوجد من العوامل الموضوعية مايجعل من الصعب على المصرى ان يفهم ماجرى ويجرى فى لبنان ، عوامل موضوعية ابرزها صعوبة ان يفهم ابناء المجتمعات المتجانسة - بسيطة التركيب - مجتمعا مركبا مثل المجتمع اللبنانى بطوائفه (١٧ طائفة) وبمناطقه المتقاربة المتلاصقة بالجغرافية ، والمتفاوتة بالتاريخ وبمستويات النمو ، وبما يشيع فيه من ولاءات ترجع الى المناطق والعشائر ، التى تتجمع كلها فى رقعة بالغة الصغر ، ومع ذلك فان لها من الامتدادات او التطلعات الى امتدادات اقليمية ودولية ، مايجعل بلدا بهذا الصغر ، يبدو اكبر من حجمه بكثير ، بحكم هذا التنوع وارتباطه بما يحيط به فى اكثر من دائرة متتابعة الاتساع .

● الطوائف ولبنان

وللتوضيح ، فان المسلمين السنة فى لبنان مثلا ، لايعتبرون انفسهم مجرد جزء من الاغلبية المسلمة السنية فى بلاد العرب ، بل ولا حتى يعتبرون انفسهم امتدادا لهذه الاغلبية انما هم بالاحرى يعتبرونها امتدادا لهم ، وبالتالى يعتبرون ان مكانهم فى لبنان : مجتمعا وسياسة ومؤسسات يجب ان يعكس ثقل هذه الاغلبية السنية العربية . بينما المسلمون الشيعة يرون « امتدادهم » من بلاد العرب الى تخومها فى العالم الاسلامى الاوسع ، فيتطلعون الى مركز فى « التركيبة » اللبنانية ، لايعبر فقط عن ثقل هذا الامتداد - وهو ثقل تمثله ايران بالذات ، فى عهد الشاه كما فى عهد الجمهورية الاسلامية - انما يعبر ايضا عن موقع « الشيعة » فى التاريخ الاسلامى بما يحمله من خلاف ، وقهر واستخفاء واحزان . كذلك فان المسيحيين الكاثوليك الموارنة ، يتطلعون الى فرنسا - التى اعلنت نفسها منذ قرون حامية للكنيسة الكاثوليكية - يتطلعون اليها ليس باعتبارها مجرد « الام الرءوم » حسب تعبيرهم المفضل ، وانما يستندون اليها فى المطالبة بمركز فى لبنان يعبر عن ثقل فرنسا فى العلاقات الدولية ، وفى المقابل فان المسيحيين الارثوذكس اللبنانيين ينظرون الى انفسهم باعتبارهم ابناء

الكنيسة التى ادخلت المسيحية الى روسيا ، وسواء كانت روسيا قيصرية تتعامل مع الارثوزوكسية بما تستحقه من اجلال ، او شيوعية تنكر الكنيسة ، او « جورباتشوفية » تتصالح معها ، فان وزن روسيا لابد ان يضاف الى وزنهم داخل لبنان .. وهكذا بقية الطوائف او الأدق اغلبهـا ، تستقـوى بمـا تعتبـره « امتداداتها » الخارجية ، ربما باستثناء الطائفة الدرزية التى لايكاد يكون لها امتداد خارجى يتعدى الجوار المباشر فى سوريا وشمال فلسطين ، انما لايعوزها هذا الى ماتستقوى به ، ففى لبنان « المركز » الدرزى الاكبر ، وفى تركزها فى منطقة الشوف ، الموقع الحاكم بين الاقاليم اللبنانية المتعددة ، وفى توحدها التاريخى الغالب مع وجهة حركات الاغلبية العربية - سواء ابان حركة الجامعة الاسلامية ، او مع صعود القومية العربية ، مايوفر لها من الرصيد مايعينها ايضا على الاستقواء .

هذا التصور اللبنانى المميز ، للصلة بين الطوائف اللبنانية وبين ماترتبط به من قوى خارج لبنان ، يكسب هذا البلد الصغير ، بعض مميزات الدولة الكبرى فى تصور ابنائه ، كما انه فى الوقت نفسه يفتح بابا « مشروعا » لادوار مؤثرة للقوى الخارجية فى اوضاع لبنان ، وفى تفاعل العلاقات داخله .

هذا العنصر ، من بين العناصر التى تجعل فهم لبنان صعبا على ابناء المجتمعات المتجانسة - والمصريين منهم - يضم فى الحقيقة عنصرين : التركيبية الشديدة التنوع ، والتفاوت الكبير بين الحجم الفعلى للبلد ، وحجمه فى وعى ابنائه .

وامانة للكتاب الذى يتناوله هذا المقال ، فانه لم يلمس هذا العنصر ، او هذا البعد منه صراحة ، وان كان بعرضه الواضح للتركيب الطائفى اللبنانى قد اقترب منه .

● الأقضية الأربعة !

يضاف الى هذا العنصر ، عنصر آخر ، يزيد من تعقيد التكوين اللبنانى ، وبالتالى صعوبة فهمه ، وهذا هو التمايز بين مايعرف فى التاريخ اللبنانى بانه لبنان الصغير ولبنان الكبير ، وهو عنصر تناوله الكتاب بامتياز فحتى ١٩٢٠ ، كان القائم هو « لبنان الصغير » اى ذلك الذى يضم المنطقة الجبلية من لبنان : اقاليم كسروان والمتن بقسميه الشمالى والجنوبى والشوف ، وكان « لبنان الصغير » اقل تعقيدا فاغلبية سكانه تنتهى الى طائفتين : الموارنة والدروز ، لكن فرنسا عندما تحقق لها « الانتداب » على لبنان بقرار من عصبة الامم ضمت اليه مايعرف باسم « الاقضية الاربعة » طرابلس (عاصمة الشمال) وبيروت (التى اصبحت عاصمة البلاد) وصيدا (عاصمة الجنوب) وبعلبك (مركز البقاع وان لم تكن عاصمته الرسمية ، بدلا منها زحلة) هذه الاضافة هى التى انتجت هذا التركيب المعقد الذى تعرفه الان .. فكل من طرابس وصيدا يسودهما المسلمون السنة ، على ان الجنوب يضم الى سنة صيدا اغلبية شيعية طالما اعتادت النظر جنوبا باتجاه فلسطين ، ومازال بعض ابناء الجنوب يقولون ان جنوب لبنان هـو شمال فلسطين ، اما بيروت فيتقاسم الغلبة فيها المسلمـون السنـة والمسيحيـون الارثوذوكس وفى البقاع يغلب المسلمون الشيعة الى اعداد غيـر قليلة من المسيحييـن الارثـوذوكس والـروم

الكاثوليك ، اضافة الى موارنة فلاحين (يتمايزون عن موارنة الجبل فى عكار) وعشائر فى الهرمل تتمايز ثقافتها القبلية الفرعية ، سواء عن ثقافة المسلمين السنة او المسيحيين الارثوذوكس والموارنة الجبليين حملة تقاليد التجارة وثقافتها . او عن جماهير الشيعة المشتغلة بالزراعة ، كما ان محافظة طرابلس تضم جيبا مارونيا حصينا ، لم تؤثر فيه رياح « الثورة التجارية » التى اصابت سواهم من الموارنة ، وعلى مايبدو فى ذلك كله من تنوع وتعقيد ، فان التفاصيل اعقد من ذلك بكثير ، وهو الامر الذى ادى الى جعل التمايز بين « لبنان الصغير » و« لبنان الكبير » بقدر كبير من التعقيد ، انما دون اخلال بأن هذا التمايز يتلخص فى ان « لبنان الصغير » كان منغلقا على ذاته ، ويمد بصره فى الوقت ذاته الى ماوراء جواره العربى : الى فرنسا من جانب الموارنة والى بريطانيا من جانب الدروز (حتى يوازنوا النفوذ الفرنسى طبقا لما كانت تمليه قواعد الصراع الدولى فى ذلك الحين ، بينما كانت المناطق التى اضيفت لتشكل لبنان الكبير اكثر ارتباطا والتصاقا بالمحيط العربى ، سواء من جانب المسلمين السنة الذين يتطلعون الى الاغلبية السنية العربية ، او من جانب المسيحيين الارثوذوكس الذين وان تطلعوا الى روسيا التى تبقى فى نظرهم ارثوذوكسية بغض النظر عن تقلبات النظام السياسى ، فانهم كانوا يعتبرون انفسهم هم الاصل والمرجع فى الارثوزكسية ذاتها ويستوعبون تاريخا من التداخل والتمازج بين الاسلام والمسيحية الارثوذكسية ، او من جانب الشيعة ، الذين وان تطلعوا الى ايران كمركز للقوة الشيعية ، فان افئدتهم كانت تهفو الى النجف الاشرف فى العراق مركزا للفقه الشيعى تتبعه حتى ايران ذاتها ، ويعتزون بمنطقة « جبل عامل » فى جنوب لبنان كمعقل للثقافة الشيعية لم ينقطع التبادل بينه وبين النجف الاشرف .

● مهمة صعبة !

هل يسهل على ابناء المجتمعات المتجانسة ـ والمصريين منهم ـ ان يستوعبوا كل هذا القدر من التعقيد ؟ هل يسهل عليهم ان يفهموا ان الطائفة ليست مجرد مذهب دينى وان الطائفية مركب اكثر تعقيدا من ذلك بكثير ؟

بدون العرض السهل ، السلس ، المبسط دون كبير اخلال ، الذى يقدمه هذا الكتاب تكون مهمة فهم هذا ، وفهم لبنان وماجرى فيه ومايجرى اصعب بكثير .

يؤدى الكتاب هذه المهمة الحيوية بامتياز ، وبذلك يجيب على احتياج كان قائما الى ان صدر هذا الاحتياج هو ان يفهم العربى العادى ـ فضلا عن المهتم والمعنى ـ جوهر « الأزمة اللبنانية » دون عصبية ودون تعصب ودون تأفف وهذا الفهم الذى يوفره الكتاب كفيل بان يكون مؤثرا مهما فى التعامل العربى ـ الرسمى والشعبى على السواء ـ مع لبنان ومأساته ، كما انه كفيل ايضا بان يفتح العيون والمدارك على مخاطر عديدة ، تبدأ من الانغماس فى الوعى الطائفى ، الى الاستنامة الى يسر الكسب وراحة العيش فى اقسام من المجتمعات العربية ، الى اغماض العين على التفاوت المستقر بين الفئات الاجتماعية وهو تفاوت ضارب الجذور فى كثير من المجتمعات العربية ، خصوصا عندما يرتبط هذا التفاوت باسس طائفية او مذهبية او اقليمية الى

مخاطر غياب تبلور مفهوم « الوطن » وهو ماكان ولايزال يميز لبنان ، ومابدأ يتسرب (يتسرب فقط ؟!) الى غير قليل من المجتمعات العربية .

ولايعنى هذا ان الكتاب قد جمع فأوفى ..

فمن مزايا هذا الكتاب وفى الوقت ذاته من عوامل نقص تمامه ، ان مؤلفه محمود احمد قد التزم - عمدا - بالتمييز بين منصة الشهادة وسدة القضاء .. فوقف امام الاولى دون ان يتوهم انه يتربع على الثانية ، كما انه التزم وبالقدر ذاته من التعمد والصرامة بالتمييز بين امانة الشهادة وبين مهمة المؤرخ فالتزم الاولى ولم يقع فى ادعاء الثانية ، حتى عندما رأى ان شهادته تحتاج الى بعض الخلفيات التى تلقى الضوء على مارأى وما عايش وماكابد فى لبنان ، وتساعد على توضيح مغزى الشهادة ، قصر انغماسه فى هذه الخلفيات على ماحدد لنفسه من غرض : ان يكون شاهدا مفتوح العين والادراك .

ولعل هذا الالتزام المفهوم بمهمة ذات حدود ، هو مرجع ماقد يكون غائبا من الكتاب . فالأزمة الاجتماعية فى لبنان لاتمس الا مسا خفيفا ، والبعد التاريخى يتناول هيكل الاساسيات والسياق الاقليمى للأزمة اللبنانيـة لايتناول سوى اللاعبين المباشرين ، المرئيين والسياق الدولى مجرد اطار لما رأى .

وليست هذه مآخذ على الكتاب فلاشك ان المؤلف لم يقع فى غرور ان كتابه هو الوحيد فى موضوعه ، او انه يخرج على الناس بالكلمة الاخيرة ، انما هو يؤدى شهادة فى غير محاكمة . لذلك نراه يعترف للاطراف كلها بما لها ، ويأخذ عليها ماعليها ، ويفعل هذا كله برفق انيس ، فاللبنانيون كان هو معهم ، وفى ماعانوا من ويلات المأساة كان منهم ، مثلهم عاش بين السكين والجرح ، ان لم يصبه حد السكين اصابه نثار الدم ، واحس الم الجريح ، وشارك فى الحزن على الشهيد والقتيل والضحية ، فاستطاع ان يميز التمييز الضرورى بين الظلم والظالم ، وبين الحق والمظلوم ، فاستطاع ان يرى من المأساة وفيها تلك الرابطة الخفية التى تجمع القاتل والقتيل . وربما كان هذا لانه احب الناس اللبنانيين الذين عرف ، فكان بمقدوره ان يفهمهم كما هم - بفضائلهم وعثـراتهم - دون استعـلاء عليهم ، بالتقييمات والاحكام ، انما دون ان يبررهم او يعتذر عنهم ، فاستطاع ان يرى فى عمق المأساة اسبابها فى مايتميز به تكوين لبنان من تشوه ، ومايحيط بلبنان من اطماع ، ومايحفل به البلد وفئاته المتميزة من شهوات ومايتصارع عليه من مصالح .

ولقد عايش كاتب هذه السطور اربعا من سنوات « محمود احمد » الغنية والعسيرة فى لبنان ويقر هنا علنا انه لم يكن بامكانه ان يكتب عن لبنان كتابا له هذه الفائدة ، ويوفر ايضا هذه المتعة فى القراءة ، وهو يسجل هذا بريئا من الغيرة والحسد ، انما يعلنه بامتنان

ذلك اننا - نحن المصريين - ذوى التجربة اللبنانية - ان كانت ثمة جماعة يمكن ان توصف هذا الوصف ، كنا نحتاج الى هذا الكتاب ، فهو على الاقل يريحنا من الاجابة على اسئلة تعترضنا كثيرا ، تطلب الينا ان نفسر ماجرى فى لبنان ومايجرى ، والان اصبح بين ايدينا مرجع نستطيع ان نحيل اليه السائلين .

أزمة الانتماء

بقلم : د. أحمد عبد الله

«إن الحصول على الإجابات الصحيحة يستلزم اولا طرح الأسئلة الصحيحة . تلك قاعدة من قواعد المنطق التى صارت من قبيل الحكمة السائرة . واعمالا لهذه الحكمة يتوجب علينا فى البداية ان نطرح سؤالا حول وجود ازمة للانتماء فى سياق مجتمع قومى معين ، وليكن فى هذه الحالة المجتمع المصرى الذى يطرح فيه هذا السؤال مرارا على السنة الكثيرين هذه الأيام . والإجابة اليسيرة هى نعم . هناك حقا ازمة انتماء فى هذا البلد .

لكن لنتفاهم أولا حول معنى الانتماء ذاته . ولنقل بادىء ذى بدء أن هناك مفهوما فلكلوريا للانتماء هو فى جوهره عكس المعنى الصحيح للكلمة . وهو بذلك يصلح لتعريف الانتماء تعريفا سلبيا على طريقة الحكمة العربية : «وبضدها تتميز الأشياء» والمقصود بهذا هو الانتماء اللفظى الذى يتردد بكثرة فى أغنيات الراديو والتليفزيون على شاكلة «ياحبيبتى يامصر» وهى اغنيات يتصور من يستمع إليها أن العلاقة بين المواطن وبلده فى غاية التمام وأنه ليست هناك أزمة انتماء ولايحزنون . ومايشبه الأغنيات هو المانشتات التى تعج بها الصحف راسمة صورة وردية لاتختلف عن كلام الاغانى وإلى حد مزعج يوجب الصدح بقول أحد الشعراء : «ياأهل المغنى دماغنا وجعنا .. دقيقة سكوت لله !» إن مفهوم الإنتماء الذى تبثه الأغنيات والمانشتات فى بلادنا هو مفهوم سطحى لوطن كل مافيه يبرق ويلمع ولمواطن يتغزل فى هذا الوطن فى جميع الأحوال على طريقة : «بلادى وإن هانت علىّ عزيزة .. وأهلى وإن ضنوا علىّ كرام» . إنه باختصار مفهوم شعرى قد يعكس قدرا من حقيقة العلاقة بين الإنسان ووطنه ، لكنه لايحكى لنا قصة الحب فى إمكانات تأججها وخبوها مثل كل قصص الحب الإنسانى . إن الانتماء الذى تقدمه لنا الأغنيات والمانشتات هو باختصار شىء أقرب إلى مايقصده أولاد البلد بقولهم : «زى الوز .. حنية بلا بز» ! فلنسمه إذن انتماء الأوز .

أما عن إنتماء البشر فمسألة أخرى . صحيح أن إنتماء غمار الناس هو أقرب



إلى الحالة الوجدانية أى المشبعة بعواطف حب الإنسان لمكان نشأته وترعرعه . إلا أن هذه الحالة يمكن أن تعتريها أعراض التقلب الوجدانى حين تضيق بالناس سبل العيش فتجدهم يضربون أخماسا فى أسداس ويلعنون اليوم الذى ولدوا فيه على هذه الأرض . وبذا تجدهم تواقين للهجرة ومستميتين فى السعى إليها . حتى إذا هاجروا فعلا تجدهم عادوا أدراجهم فى حالة حنين إلى الوطن . فإذا عادوا إليه فعلا فى أجازة أو ماشابه تجدهم قد ضاقوا مرة أخرى بصور للمعاملة أصبحت سيئة بمقاييس ماقد يرون خارج بلدهم . وهكذا يسير المنحنى صعودا وهبوطا مع وجدان اللحظة ، وإن بقى الإطار الوجدانى الأعم هو علاقة الحب التى تربط الإنسان بوطنه والتى يسميها الناس الانتماء .

أما صفوة الناس من أهل الفكر والعلم والثقافة والسياسة فتجد مشاعرهم قد تطعمت بشىء من المنطق العقلى جنبا إلى جنب مع ميول الوجدان . وقد يقبع هذا المنطق فى آخر خلفية العقل فيكون أقرب إلى اللاشعور ، أو قد يكون بارزا منطوقا فيكون أقرب للمفهوم المعلن . وأساس هذا المنطق هو أن الانتماء إنما هو عملية أو عملة ذات وجهين . الأول هو وجه عطاء الإنسان للوطن . والثانى هو وجه أخذ الإنسان من الوطن . وللعطاء قائمة مفصلة مثلما أن للأخذ قائمة . وقد تكون قائمة العطاء لانهائية من حيث أنها تشمل التضحية بالنفس فى سبيل الوطن بجانب العمل بذمة والأداء الجاد فى مجال الإنتاج . أما قائمة الأخذ فقد تكون محدودة من حيث أن الإنسان قد لايطلب من وطنه تتويجه ملكا وجعله أغنى المليونيرات . لكن لهذه القائمة حدها الأدنى الذى تصبح بدونه قائمة صغيرة ليس فيها أى أخذ أو قائمة أحادية فيها العطاء وحسب . ولعل أفضل تحديد لهذا الحد هو ماتشير إليه الآية الكريمة القائلة : «فليعبدوا رب هذا البيت الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف» . ولعل هذه الآية تحتوى تعريف الوطن نفسه مثلما تبين أن الطعام والأمان هما الحد الأدنى المفترض أن يتوافر للإنسان على أرض وطنه . وإلا فأى وطن هذا ذلك الذى لايتيح لأبنائه لا طعاما ولا

أزمة الانتماء

أمانا ؟ وهل تجدى فى افتعاله وطنا ألف أغنية ؟

● الطعام والعدل

وحديث الطعام والأمان إنما ينقلنا من المجرد إلى العينى . حيث لايصبح الوطن قيمة مجردة وحسب ، وحيث لايصبح تراب أرضه فقط هو جنة محبيه التى قصدها الشاعر بقوله : وطنى لو شغلت بالخلد عنه .. نازعتنى إليه فى الخلد نفسى . بل ترتبط قيمة الوطن بماينشده أهله من قيم إنسانية تحدد تضاريس حياتهم الاجتماعية التى لاتقل أهمية عن تضاريس تراب الوطن . وعندئذ يرتبط الطعام بقيمة العدل ، كما يرتبط الأمان بقيمة الحرية . حيث لايكون الأمر متعلقا بكم ونوع الطعام وإنما بمقدار العدل فى توزيع ثروة الوطن صغيرة كانت أم كبيرة . كما لايكون الأمر متعلقا بنصوص الدساتير المقدسة للحرية وإنما بممارسة شعائرها حقا فى الميدان . ولأن العدل فى توزيع الثروة يستلزم ضغوطا من أصحاب المصلحة ، كما أن ممارسة الحرية تستلزم نوبات حراسة من قبل الممارسين ، فإن الإطار المنطقى لاستيعاب هذا وذاك إنما يكون إطار المشاركة الشعبية أو الديمقراطية .

إن الديمقراطية هى منطقة تقاطع جانبى الأخذ والعطاء المكونين لمفهوم الانتماء العقلانى والوجدانى معا . ففى هذه المنطقة يمكن أن يحاسب المواطنون على عطائهم للوطن (الواجبات) كما يحاسب الوطن بصفته نظاما اجتماعيا على عطائه للمواطنين ماهم جديرون بأخذه (الحقوق) . وليس معنى غياب الديمقراطية أن يغيب الانتماء . فالكفاح من أجلها هو صورة من صور الانتماء المعمق وربما المكلف كما أن توافر الديمقراطية ليس معناه أيضا إقبال المواطنين على الوطن بصورة تلقائية . فقد يتضمن تاريخ الوطن وواقعه من العوامل مايجعل علاقة الإنتماء باردة من خلال مرض اللامبالاة . فماذا فى مصر ياترى من هذا وذاك ؟ هل انتماء متزايد مع مقدار الديمقراطية الوليدة ، أم عوامل معرقلة للانتماء والديمقراطية معا ؟

● أزمة الانتماء

الإجابة تدور بالطبع حول عوامل العرقلة ، وإلا لما قلنا فى البداية أن فى هذا البلد أزمة انتماء فهناك إرث التاريخ البعيد الذى جعل من النظم السياسية فى مصر نموذجا للاستبداد . فهل تزيل سنوات الحرية القلائل ميراث استبداد آلاف السنين ؟ وهل يتجاسر الناس بسهولة على أن يكونوا فلاحين فصحاء يواجهون الحاكم ؟ لقد جرت فى النيل حقا مياه كثيرة منذ تلك العهود البعيدة . لكن من قال أن آثار الأصول تزول ؟ وهناك أيضا إرث التاريخ القريب حيث الحرية بلا عدل عبر ثلاثة عقود من الزمان فيما بين ثورة ١٩١٩ وثورة ١٩٥٢ ، ثم بعد ذلك ثلاثة عقود أخرى أولها عدل بلا حرية وآخرها حرية بلا عدل . وهناك النموذج السيىء للانفتاح الاقتصادى الذى عرفته مصر فعلم الناس السرقة والتربح بلا عمل ، ومعه اختل أكثر توزيع الثروة أى اهتز أكثر جانب الأخذ المحقق للانتماء .

من جماع كل هذا تتبدى أمامنا مظاهر ناطقة لأزمة الانتماء ، أى ضعفه على المستوى الجماعى وكذلك ضعفه وانعدامه

على المستوى الفردى . فهناك المظاهر الهروبية الحادة مثل الرغبة فى الهجرة بأى ثمن ، وإنتشار تعاطى المخدرات ، واحتداد صور الجريمة ، والعنف اليائس لدى بعض الجماعات السياسية . وهناك الإضراب اليومى الصامت عن العمل وفقدان الرغبة فى الإنتاج أو فى أحسن الأحوال الإنتاج «على قد فلوسهم» . وهناك الانفعال القاطع بين الخاص والعام ، حيث عناية المواطن بكل ماهو خاص وإهماله الشديد وربما تخريبه لكل ماهو عام حتى أن أنظف الشقق توجد فى أقذر الشوارع دون أن يثير ذلك لدى المواطن إحساسا بالتناقض وهناك ضعف الرغبة فى المشاركة فى الحياة السياسية بل والحياة العامة ، فهو غير مصدق للعبة الديمقراطية من الأصل . وقد يكون معه بعض الحق فى هذا ، دون أن ينفى ذلك واجب المواطن فى تحويل اللعبة الشكلية إلى عملية حقيقية . لكن بلادة الإحساس إزاء التناقض بين الخاص والعام إنما تضارعها الرغبة فى الهروب من ربط الحق بالواجب .

لهذا كله لايكون غريبا أن تنتشر بين المصريين ظاهرة الانتماء للآخرة دون الدنيا وظاهرة الانتماء للماضى دون الحاضر أو المستقبل . ورغم أن المعروف عن المصريين أنهم أهل توسط يبحثون دائما عن نقطة التوازن بين الأطراف ، إلا أنهم فى حالة انعدام الوزن الناجمة عن أزمة الانتماء إنما يتجهون إلى الأطراف . حيث تتجه الأقلية إلى العنف ، بينما تتجه الأغلبية إلى اللامبالاة . وبين هؤلاء وأولئك يقف النظام السياسى متعنفا مع ممارسى العنف لكن خائفا من اللامبالين خشية أن يبالوا يوما . وبهذا يقدم النظام نموذجا لعدم الانتماء حيث يخرج على القانون وهو يطبق القانون على ممارسى العنف وحتى ممارسى الكلام أحيانا ، وحيث لاتتوافر لديه رغبة حقيقية فى المشاركة الشعبية الواسعة ، وحيث تغيب عن تصرفاته روح الإحساس بالمستقبل والمسئولية عن الأجيال القادمة بإعتبار اكتفائه بإدارة البلد من يوم ليوم بأى طريقة ، وحيث تثبت بعض عناصره الفاسدة أن غاية ضمان مستقبلها الخاص تبرر وسيلة نهب المال العام .

إن أزمة الانتماء فى مصر حقيقية حيث الاهتزاز قائم فى جانب الأخذ وجانب العطاء معا . والعملة التى تحتوى الوجهين لاتحتمل قيام عوامل التعرية بمسح هذا الوجه أو ذاك ؛ لأن فى ذلك مسحا لتضاريس الوطن نفسه من حيث هو مكان للسعادة المشتركة إن لم يكن مكانا على الخريطة ومع ذلك فليست الصورة فى مصر قاتمة بمقدار قتامتها فى بلدان أخرى قد لا يقدر مواطنوها على مجرد فتح الموضوع خشية القتل بلا دية . ففى مصر بصيص أمل من حرية تعبير وألف باء ديمقراطية . وفيها مناط أمل من رجال منتمين ومهمومين بهموم الوطن . والمهم فى الأمر أن يثبت هؤلاء قدرة أكبر على التفكير وطاقة أعلى فى ضخ الحماس . وإذا كان بين صفوف هؤلاء النسبة الملائمة من أبناء الجيل الشاب المسئول عن المستقبل والذى تتجسد فيه اليوم أزمة الانتماء ، فإن تجاوز الأزمة ممكن بالفعل . بل ربما جاز اعتبارها ضارة نافعة أستفاق عندها المصريون فدقوا أبواب المستقبل بكل يد مضرجة .

الاساطير تحيا وتتحرك

الرقص الكلاسيكي الهندي

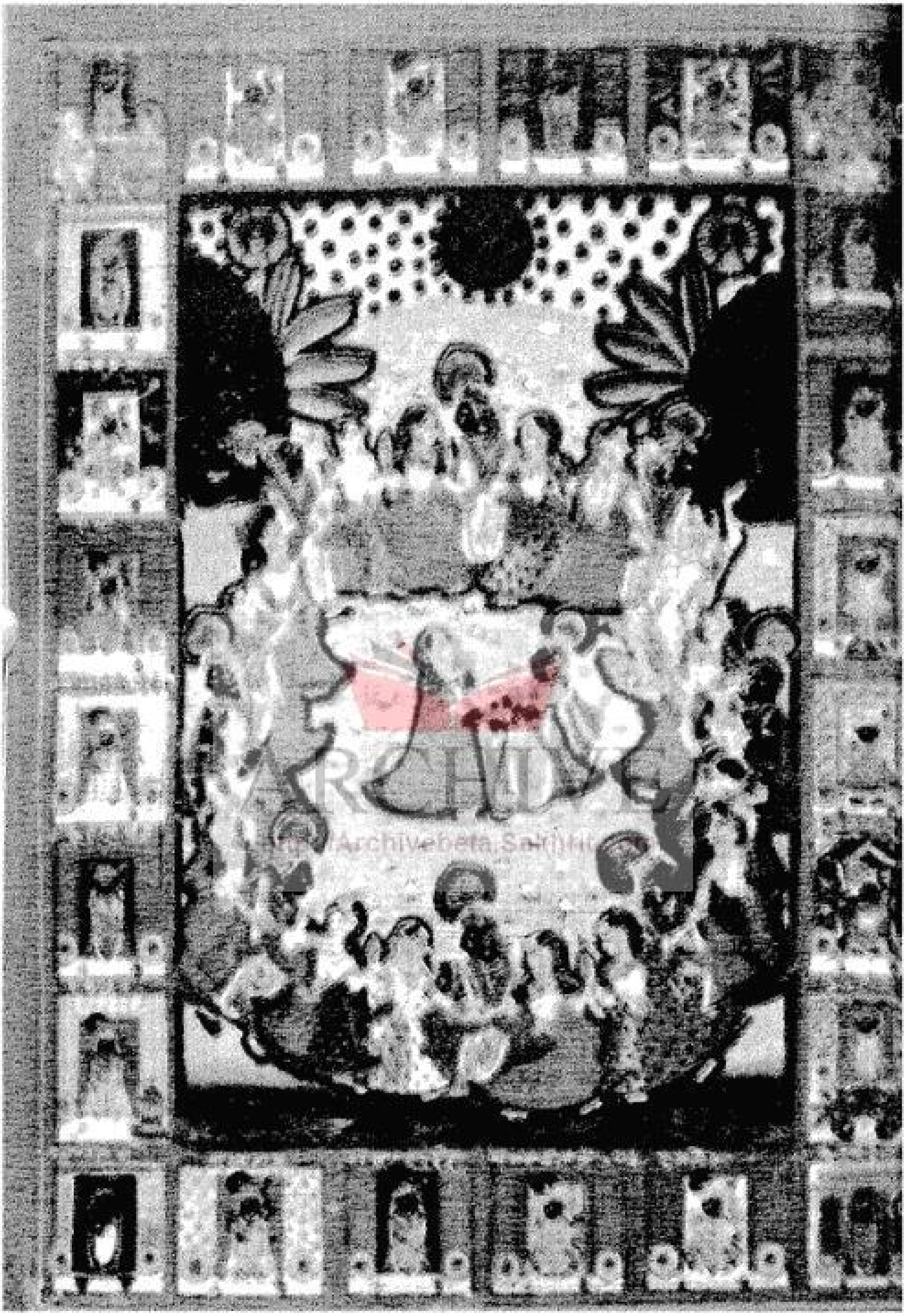
بقلم: إحسان قاسم

تام تام ديجي تاى ديجي .. إنبعث الايقاع الصوتى الحماسى المتوتر صاعدا على نغمات الطبلة والسيتار . وانشقت خشبة المسرح المعتمة عن كتلة ضوء متحركة .. حورية جميلة علا صوت خلاخيلها ودقات اقدامها العارية الملونة بالحناء تتوقد اشتعالا ايقاعيا .. بدت لحظتها كاحد الآلهة الجميلة التى تغطى جدران معابد اوريسا برقصاتها الحجرية ... وبلغة الايقاع الجسدى وبتفسيرات مستفيضة من حركات الاصابع والكفوف قصت الحورية على الجمهور فصلا من اسطورة كريشنا إله العشق الذى يعزف على الناى الحانه المقدسة .

حينما وصلت الى بلاد السحر والجمال .. بلاد الاساطير والماضى العريق غصت فى بحار لا متناهية من الفنون الرفيعة . وما بين النحت والتصوير مرورا بالغناء والرقص وصلت لشاطىء الاساطير والملاحم والحواديت الخرافية لتلك الحضارة العريقة .. وتوقفت طويلا امام روائع الفن الهندى وبدأت اغترف منه وكلما حاولت

صورة للاله كريشنا فى رقصة الراسليلا والتى كان يرقصها مع حبيبته رادها وفتيات اللبن .

ويتمتع كريشنا بشعبية كبيرة فى بلاد جنوبى شرق اسيا وغرب اوربا وهو احد تجسيدات الافيشنو عضو الثالوث الهندوسى الكبير براهما - فيشنو - شيفا



الرقص الكلاسيكى الهندى

الفهم إزدادت المسألة تعقيدا .. فمازالت الاساطير القديمة تسيطر وتهيمن على الشارع الهندى ومازالت الآلهة الأسطورية تتحكم فى تشكيل العادات الاجتماعية .. حيث يؤمن ٨٢٪ من افراد الشعب الهندى بعقائده الهندوسية القديمة ومازالت الطقوس القديمة تؤدى يوميا فى المعابد المنتشرة على اتساع شبه القارة الهندية ، كما ان النظام الطبقى العتيق لم يفقد سطوته بعد ومازال يحكم العلاقات الانسانية والاجتماعية المعاصرة بين الهنود .

وهناك بعض المعطيات الاساسية الأخرى مثل اختلاف الأصل العنصرى . فأهل الشمال ينحدرون من عنصر آرى وأهل الجنوب من عنصر دراڤيدى .. ناهيك عن تعدد اللغات واللهجات فى ربوع شبه القارة الهندية .. فالدستور الهندى يعترف بخمس عشرة لغة رئيسية وهناك عشرات اللغات واللهجات الأقل انتشارا ..

وكان فن الرقص الكلاسيكى من اوائل الفنون التى استمتعت بها خلال اقامتى الطويلة بالعاصمة الهندية نيودلهى .. فقد تصادف أن عرضت فرقة باليه أوبرا باريس فى نيودلهى رقصة بديعة مستوحاة من الرقص الكلاسيكى الهندى .. ومن هنا بدأت اتابع الأصل .. وأصبحت لغة الرقص الكلاسيكى هى اللغة الوحيدة التى افهمها فى بحر اللغات المتلاطم بالهند ..

كانت أول تجربة لى فى مشاهدة الرقص الكلاسيكى الهندى هى حضور مهرجان الرقص الأوليسى فى مارس ١٩٨٥ على احد المسارح الهامة بنيودلهى ... وقد لاحظت أن جمهور المشاهدين ضم صفوة من المثقفين ومن الطبقات العليا فى السلم الطبقى الذى يضم أربع طبقات أساسية تتفرع منها هى الأخرى عشرات الفئات .

وعلى مدى ساعتين استمتعت برقصات منفردة تميزت بعفوية خالصة وبقدرة فائقة على التعبير ، تفوق قدرة أى باليه عالمى سبق لى أن شاهدته .

فقد حكت الراقصات مقتطفات من الملاحم الاسطورية تتناول حياة الاله كريشنا ـ إله الحب الشهير ـ وقد تميزت الرقصات القصيرة ، فأطولها قد استغرق عشرين دقيقة ـ بقدرة فريدة فى استخدام فن التمثيل الصامت (Pantomime) استخدمت عدة لغات منها لغة العيون ولغة الأصابع والكفوف والاقدام الحافية بإيقاعها السريع والبطىء مصحوبا بصوت الخلاخيل الفضية الى جانب لغة التعبيرات الحركية المركبة الأطراف والجذع والأكتاف بمصاحبة موسيقية صوتية يؤديها صوت رجالى يتلو مقاطع اللحن "تام تلم تيجى تام .. تلم" وخلفية من آلات عزف موسيقية والشعر القتالى وأكمل الوجبة الدسمة استخدام رائع للملابس بألوانها الداكنة والحلى المتممة والتجميل وطرق الزينة المغرقة فى شرقيتها الأصيلة ...

وأتيح لى بعد العرض لقاء مع احدى الراقصات فتبينت من حوار معها أنها تنحدر من أسرة عريقة من اقليم غرب البنغال الذى مازال يعد مركزا متميزا للثقافة الهندية الأصيلة .. فهو منبع فنى أصيل ومن أشهر ابنائه طاغور والمهاتما



لورد شيفا : الناتراجا .. احد الآلهة الثلاثة الكبار فى الديانة الهندوسية .. ويعتقد الهندوس انه ساعد الحكيم بهاراتا فى صياغة قواعد الرقص الكلاسيكى فى كتابه (الناتياشاسترا)

غاندى ، واخبرتنى الراقصة انها بدات التدريب على الرقص فى سن الرابعة على ايدى المتخصصين . اما تعليمها العاى فقد وصل الى درجة الدكتوراه فى علم الحيوان من الولايات المتحدة الامريكية .

● الرقص فى الميثولوجيا الهندية

يعد الرقص احد الموضوعات الرئيسية للفنون القديمة إلا انه يكاد يكون أهمها فى الحضارة الهندية .. فنحن لم تر الآلهة الاسطورية الراقصة إلا فى الميثولوجيا الهندية .. ولا نستطيع ان نفهم فكرة الكون الهندوسية بدون رقصة الإله شيف Siva الناتراجا Natraga شيفا هو إله الدمار ويدين بديانته جانب كبير من الهندوس .. وهو أحد أعضاء الثالوث الإلهى : المؤلف من براهما الخالق وفيشنو الحافظ وشيف المدمر ..

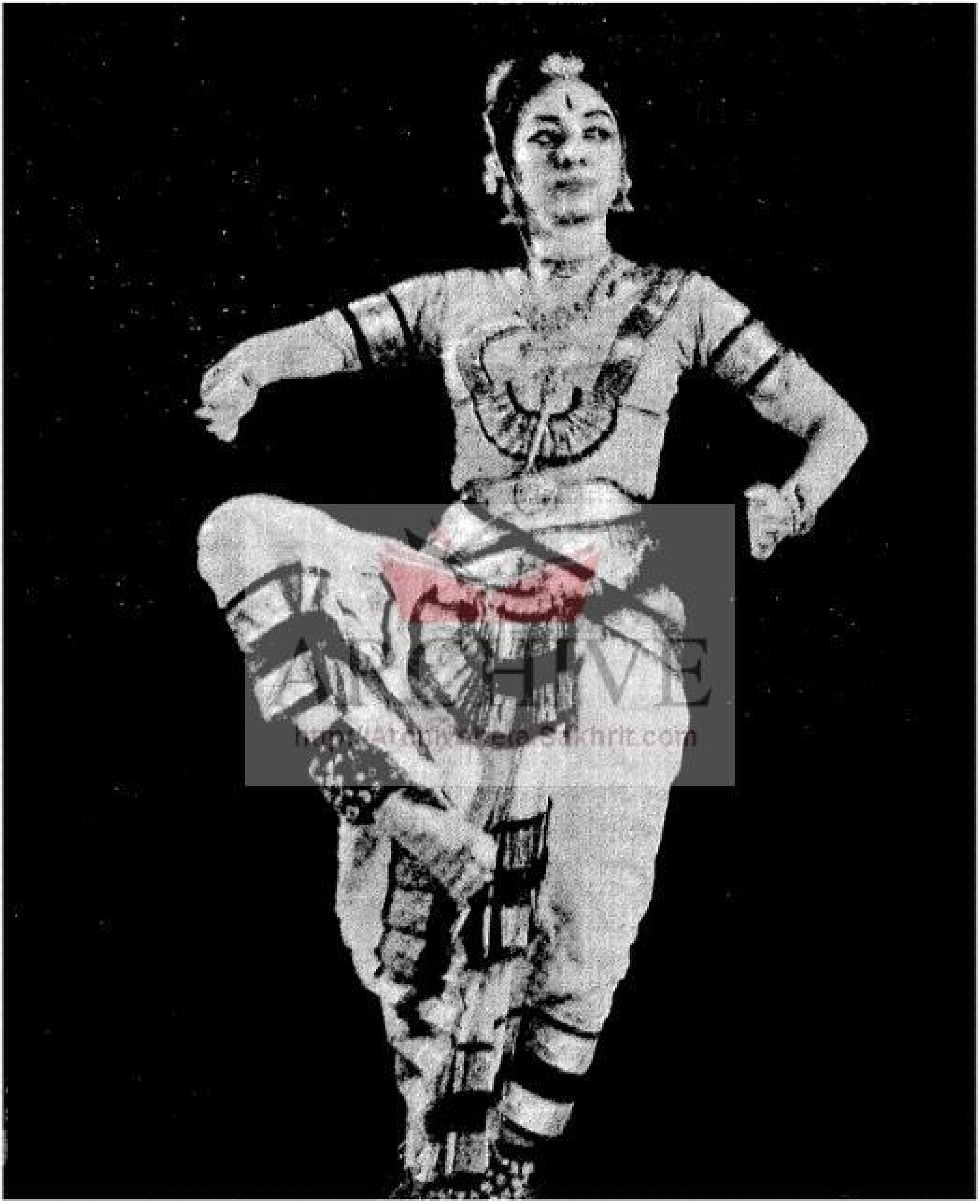
كما ان إله كريشنا Krishna إله العشق والحب له رقصة شهيرة هى الناتافارا Natavara وكريشنا إله يتمتع بشعبية كبيرة فى الهند وفى بلاد غرب اوروبا ايضا .. وهو احد تجسيدات الالهة فيشنو الحافظ الذى تجسد للآن فى تسعة اشكال ومازال هناك تجسيد عاشر له لم يظهر بعد ..

ويستمد الرقص الكلاسيكى الهندى عنه من الملاحم والاساطير الدينية الهندوسية ... وهو أحد الشعائر المقدسة فى المعبد الهندوسى منذ القرن الأول قبل الميلاد .. "أو ماقبل ذلك"

ويذكر بنيامن ووكر Benjamin Walker فى كتابه "عالم الهندوس" أن قواعد الرقص الكلاسيكى الهندى قد تم تصنيفها لأول مرة فى القرن الثالث قبل الميلاد حين قام الحكيم بهاراتا Bharata فى كتابه الشهير Natya sastra بتقنين فنون الدراما والموسيقى والرقص ... ويقول الكاتب أن اسم المؤلف وهو بهارات مكون من ثلاث مقاطع وهى تعنى على التوالى : Bhava العواطف و Raga اللحن و Tala الايقاع ..

وطبقا للأساطير فإن شيفا هو مبتكر وخالق فن الرقص حين رقص رقصته الكونية التاندافا ورقصت زوجته بارفاتى اللاسية ويعتقد الهندوس ان الآله شيفا

راقصة هندية فى وضع راقص ويمكن ملاحظة ثراء الملابس وجمالها والحلى الكلاسيكية سواء القلادة وحلى الجبهة والخلاخيل والاسلور وتزيين الشعر بالزهور الطبيعية





الرقص الكلاسيكي الهندي

وزوجته بارفاتي Parvati هما مساعدا الحكيم بهاراتا في كتابه شرحه المستفيض للقواعد الاساسية للرقص الكلاسيكي الهندي ..

ومن رقصة شيفا اشتقت رقصات الرجال المعروفة باسم التاندفا وهي تتميز بقوة الحركة وعنفها وتتطلب لياقة بدنية عالية ..

● اهتمام خاص بالراقصين

في القديم كانت هناك طبقة او فئة خاصة ينحدر منها الراقصات والر قصات وتسمى المهاريس Maharis تعيش حياتها تخدم في المعابد ولا علاقة لها بالمجتمع خارج المعبد ويذكر الرحالة الفرنسي Dubois ديبوا الذي عاش في الهند ما يزيد على ثلاثين عاما من ١٧٩٢ الى ١٨٢٢ متنقلا في ربوعها مسجلا كل مشاهداته في كتابه العادات والتقاليد والاحتفالات "الهندوسية" يذكر ان راقصات المعبد يأتين في المرتبة الثانية بعد الكهنة . وكان يطلق عليهن اسم Devadsis ومعناها خدم أو عبيد الاله .. الا أن العامة يطلقون عليهن اسما سوقيا هو "العاهرات" ... وكانت مهمتهن الرسمية هي الرقص والغناء داخل المعبد مرتين يوميا في الصباح والمساء ... وكان لكل معبد كبير فرقة مكونة من ثمانية الى اثنتى عشرة راقصة .. كما انهن كن يشاركن في الاحتفالات الدينية والاحتفالات العامة .. ويقول ديبوا ان الراقصات كن النساء الوحيدات اللاتي تلقين تعليما مختلفا عن بقية نساء الهند فقد كن يتعلمن القراءة والرقص والغناء ... ويقول انهن كن يحصلن على مرتب ثابت عن اداء واجباتهن الدينية في الرقص والغناء في المعبد .

ولم يكن من الغريب في تلك الفترة أن تهب امرأة ابنتها للمعبد ومن هنا كانت هناك بعض الراقصات ينتمين للفئات العليا في صفوف راقصات المعبد ... حيث اتين له كأحد نذور امهاتهن للآلهة ...

ويذكر كتاب "كريشنا العاشق الالهي" Krishna the Divine lover ان القرن الثامن عشر كان فترة تدهور سياسي واجتماعي عامة وانحطاط لطبقة المهاريس بوجه خاص فقد كانت تلك الطبقة تخدم في المعابد ولاتنتمي للمجتمع العادي .. بل كرست كل حياتها للرقص الديني فقط . الا انها في فترة التدهور تلك بدأت الرقص في قصور الملوك والاثرياء ثم انضمت لصفوفها والمحظيات مما جعل الشعب ينظر اليهن بازدراء .

ويعود الفضل لمحامي شاب في العشرينات من هذا القرن في تنقية صورة الرقص الكلاسيكي مما شابه من سوء السمعة .. فقد عمل المحامي ا . كريشنا اير باستعادة المهابة لفن الرقص الكلاسيكي حيث قام بشرح جماليات هذا الفن الكلاسيكي وقدم عدة عروض حازت اعجاب النقاد الهنود والاوربيين .. وبدأت مدارس الكلاسيكي في الانتشار حيث تم احياء هذا الفن العريق ، ولكن خارج المعابد ... واعتمدت هذه المدارس في تطوير فنها على استلهام حركات الالهة التي تغطي معابد اوريسا وكاجوراهو الخ

وغيرهما من المصادر مثل المخطوطات القديمة ... وتبدأ الدراسة فى هذه المعاهد من سن الرابعة وتستمر ... وهى تشبه مدارس الباليه الأخرى فى العالم وتسمح لطالباتها اللاتى عادة ما يأتين من قمة السلم الطبقى بتلقى التعليم العلمانى سواء للعلوم أو الفنون ... وانتشرت فرق الباليه الهندى الكلاسيكى والتى تعد من اهم الفرق التى تشارك فى مهرجانات الهند فى أوربا والولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى .. وقد زار مصر فى عام ٨٦ ثنائى راقص كوتش يوتشى وفرقته فى افتتاح الاوبرا ...

الاله كريشنا النتاترا «اى الراقص» وكريشنا هو احد تجسيدات الاله فيشنو وتلاقى اسطورته قبولا واسعا سواء فى الهند وبلاد شرق اسيا او فى أوروبا وهو اله الحب والعشق العازف على الناى «الفلوت» .



مدارس الرقص

تتنوع مدارس الرقص الكلاسيكى الهندى .. وسواء كانت من الشمال أو الجنوب فكلها تستلهم الاساطير القديمة والملاحم الدينية ... وتتبع القواعد الكلاسيكية للناتيلشاسترا التى كتبها بهاراتا .. الا أن لكل منها خصائصها المميزة سواء فى الملابس أو الاقنعة أو الحلى . كما أن هناك أختلافات فى الموسيقى والشعر الدينى المصاحب ايضا ...

وأهم مدارس الرقص الكلاسيكى الهندى هى :

١ ـ البهاراتا ناتيام Bharate Natyam وهو الاسم الحديث للراقصات القديمة التى كان موطنها جنوب الهند حول منطقة تانجور Tanjure .. وهى رقصة نسائية معبدية وظلت مرتبطة لقرون عديدة بالديفاداسيس Davadasis او عاهرات المعبد اللاتى كن يؤدينها امام تماثيل الالهة .. وفى القديم كان هناك اربعة عوامل تختار على اساسها الراقصة "فيجب أن تكون شابة فى مقتبل العمر ممشوقة القوام لها عيون واسعة ونهود مستديرة واثقة من نفسها ، خفيفة الدم حاضرة النكتة ، ممتعة ولديها احساس طيب للتوقيت" .

وتعد البهاريتا ناتيام فن قص درامى للرقص وعادة ما تؤديه راقصة منفردة وتقوم باداء أكثر من دور فى رقصتها مستخدمة الايماءات وفن التعبير الصامت وقد تم تسجيل اوضاعه الراقصة بالنحت

البارز على جدران معبد تشيدامبرام Chidandaram .

٢ ـ الاوديس Odissi وهو فن الرقص الكلاسيكى الذى تم احياؤه فى ولاية أوديسا فى شرق الهند وتقع جنوب ولاية البنغال .. وقد قام الباحثون باستلهام تقاليده من النحت البارز الذى يغطى جدران معبد جانات فى مدينة بورى الساحلية Puri حيث كانت تؤديه راقصات المعبد فى الصباح والمساء أمام المعبود الهندوسى ... وعندما تم احياؤه فى الاربعينات من هذا القرن وخرج لأول مرة من داخل المعبد الى خشبة المسرح ... واعتمد المدربين على صالة الرقص فى معبد كارنكا Karanaka حيث توجد مئات الاوضاع الراقصة للنساء تم حفرها على جدران هذا المعبد .. وتتميز هذه الرقصات بأنها مبسطة وعنيفة وغير معقدة ويرى بعض الباحثين انها انقى انواع الرقص الدينى الهندى وابسطها وبالتالى يمكن أن تكون اقدمها ...

واقدم دليل على وجود الرقص كمهنة للمحترفين من النساء داخل المعبد وجدت فى كهوف اوديجيرى وخاندا جيرى Khandagiri بالقرب من عصمة ولاية اوديسا فى القرن الأول قبل الميلاد ... وفى تقاليد الرقص الاوديسى يقوم الكاهن Curu بقيادة الراقصات مستخدما زوجا من الصحائف المعدنية يضرب بأحدها على الاخرى Symbal .

٣ ـ الكاتاك : Kathak .

ومعناها "القصة" وهى نسق من الرقص الكلاسيكى الهندى يرجع للقرن الخامس عشر الميلادى فى شمال الهند وله شعبية كبيرة فى البنجاب أوتاربراديش وموضوعاته مشتقة من الملاحم لالاه كريشنا وكان الكاتاك فى الاصل رقصة منفردة ويقوم الراقص فيها باداء ادوار رادها وكريشنا (رادها Radha هى حبيبة كريشنا وعادة ما تظهر معه فى التصوير الهندى وهما يرقصان أو يمارسان الحب) وتتميز الرقصة باسلوبها الفنى الغنائى المفعم بالعواطف الرشيق الحركات ... وقد تمتع هذا النسق الراقص بعشبية كبيرة فى عصر المغول ... وأصبحت تؤديه المحظيات وأصبح مثالا للخطاطة والتحلل .. وبعد هذه الفترة عاد لنقائه واسلوبه الفنى المتميز ...

وكما يعتمد كل من الاوديسى ولبهارتا ناتيام على المعابد فى تسجيل الحركات الراقصة عن طريق النحت الحجرى والتماثيل البرونزية والنحاسية فإن رقصة الكاتاك تم تسجيلها على ايدى فنانى التصوير المنمنم Miniatures وهناك مئات اللوحات الساحرة الفاتنة تصور حب رادها وكريشنا خلال رقصاتهما ...

٤ ـ كاتا كالى Kartha kali رقصة درامية من اقليم مالابار Malabar فى جنوب الهند وأصبحت الان تتمتع بشعبية كبيرة فى كل انحاء الهند ... وبدأت فى القرن الرابع عشر الميلادى كرقصة تعتمد على البانتوميم وكانت تؤدى فى الحقول ... وتتميز باستخدام الاقنعة الملونة الكبيرة كثيرها من الرموز فى هذه الرقصة المميزة وهذه رقصة رجالية ويقوم بدور



صورة تفصيلية لزينة العيون
والوجه بالماس على الجبهة



حركة الرأس والعيون والاصابع في تعبير
صامت هو اسلس الانجيكا



جمال العيون كان احد المطالب الرئيسية
الأربعة التي يجب توافرها في راقصة المعبد

النساء الاولاد صغار السن ... وهى أشهر قصة هندية من الجنوب خاصة ولاية كيرالا واشتهر اداؤها لاسطورة راما معتمدة على الكتاب الهندوسى المقدس الرامايانا Ramayana .

٥ ـ الكوتشى بودى Kuchipudi ... وهى رقصات اقل اهمية وإن كان لها أصل كلاسيكى وبعضها يرجع الى عصور قديمة ومازالت تتمتع بسحرها الأصيل وتقاليدها الراسخة و رقصة الكوتشى بودى والتى أشتق إسمها من قرية صغيرة فى أندرابراديس بوسط الهند وهى رقصة حافظت على تقاليدها طبقة البراهمية حيث تؤديها بعض الأسر البراهمية وتم توارثها جيلا بعد جيل ... وهى رقصة ثنائية يؤديها راقص وراقصة Gitlajcvimda وتعتمد على قصص الجيتا جوفيندا ..

٦ ـ المانيبورى Manipuri :

.... وهى رقصة كلاسيكية من اقصى الشمال الشرقى لشبه القارة الهندية وتعرف الولاية باسم وادى الالهة ويعتقد الباحثون أن أحداث الكتاب المقدس المهاريارتا Mahabbarata قد دارت أحداثه على تلك البقعة وقد دخلت الهندوسية للوادى فى القرن الثامن الميلادى ... وتقول الاساطير أن الاله شيفا قد زار الوادى وصب الماء فى بحيرة جميلة لكى يخلق واديا مناسبا ليكون مكانا مناسبا لرقصاته مع الالهة بارفاتى ومن ناحية الأصل العنصرى ينحدر سكان هذه البقعة من أصول تبتية من بورما ومن أهم الرقصات التى تؤديها هذه الفرق الراقصة هى الـ Rasalila وتتميز بالرقصات والغناء الجماعى وتحكى قصة كريشنا مع الجوبيز ومعناها فتيات اللبن وهى رقصة تؤدى فى شكل الدائرة وهناك أنماط مختلفة من رقصة الراساليلا يتقنها أهل مانيبور ...

وتعتمد كل هذه الرقصات أساسا على القواعد الكلاسيكية للرقص المعبدى القديم .. والرقص الكلاسيكى ـ مثله فى ذلك بقية الفنون ـ يرتبط إرتباطا وثيقا بالعواطف والاحاسيس والهدف النهائى منه هو خلق حالة نفسية معينة عند المتفرج هى حالة التعاطف وذلك من خلال

صورة رجال فى اوضاع الرقص التعبيرى الكلاسيكى الهندى وكلها مستقاة من رقصة الاله شيفا النتاراجا



إثارة المشاعر مثل الحب والعنف والاسى والمرح والخوف والحماسة والاشمئزاز والبطولة والكوميديا والمأساوية والحزن بل والخوف والشهوة الجسدية .. الخ كل ذلك من أجل الوصول الى التعاطف مثله فى ذلك مثل الدراما الاغريقية القديمة والتى كانت تهدف هى الأخرى الى إثارة مشاعر التعاطف لدى المتفرج ...

وللوصول الى هذا التعاطف يعتمد الرقص على أربعة محاور رئيسية :

١ ـ الانجيكا Argika :

... وهى لب الرقص وهى الحركات المختلفة للتعبير عن المشاعر وهى تتطلب سيطرة كاملة على عضلات الجسم كلها بما فيها عضلات الوجه بل وعضلات الانف ولذلك سنتحدث عنها بعد أن نذكر بقية المحاور .

٢ ـ الفاتشيكا Vachika :

.... وهى التعبير عن المشاعر بالكلمة والشعر الغنائى .. والنصوص المستخدمة فى الرقص الكلاسيكى هى نصوص دينية قديمة أو شعر كلاسيكى يتحدث عن ملاحم الآلهة الاسطورية وسيرهم الذاتية .. وأغلبها مكتوب باللغات القديمة كالسنسكرتية والملايامية والماينبورية وغيرها ..

٣ ـ الأهاريا Ahanye :

.... وتشمل الملابس والحلى وطرق الزينة المتفردة التى تلجأ اليها الراقصة مثل الزهور من الشعراء والحناء فى الاقدام والاصابع والحلى الفضية على الشعر والاذنين والوسط والصدر والخلاخيل ... الخ .

٤ ـ الساتريكا Sattwika :

.... وهى التعبير الخارجى الذى يعكس المشاعر الباطنية العميقة .

وإذا كان الرقص فى جوهره هو التناغم والانسجام بين الموسيقى وحركات الجسم فإن هذه الحركة تعرف فى الرقص الهندى باسم الانجيكا وتشمل اوضاع الجسم والأطراف وتعبيرات الوجه والعلاقات بين الحركة والوقفة (السكون) وهى الوسيلة المستخدمة للوصول الى أعلى درجات التعبير الصامت والى جانب الرقص تلعب الانجيكا دورا رئيسيا فى فنون مختلفة فى الدراما والنحت الرمزى وفى إقامة الشعائر الدينية والتأمل Meditatian (وهو ممارسة اليوجا) وكذلك الطقوس السحرية إلا أن استخدامها فى الرقص قد سبق كل استخداماتها الاخرى .

أوضاع مستوحاة من رقصة الاله شيفا النائراجا يقوم بها بعض الرجال



رفح
مدينة فى قلب التحدى

الوقائع التى عاشتها بوابة مصر الشرقية !

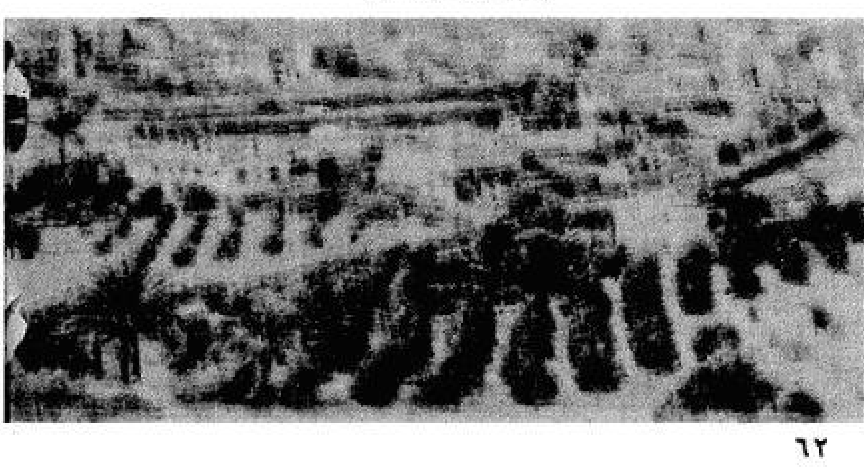
بقلم : مصطفى نبيل

بقلم : مصطفى نبيل

« ..... الرحلة لابد منها ، فى طلب المعرفة ، واكتساب الفوائد » ، هذه كلمات العلامة عبدالرحمن بن خلدون ، وكتب بعدها بعدة قرون ت . س . إليوت يقول : « ارتحلوا فلن تكونوا ذات الأشخاص التى كانت عند بدء الرحلة » ...

دفعتنى هذه الكلمات إلى حب الترحال ، وعدم الاكتفاء بالكلمة المكتوبة كمصدر للمعرفة .

منظر عام لمدينة رفح





رفح
مدينة في قلب التحدى

● أخذت هذه الكلمات تلح علىّ عندما توجهت إلى آخر نقطة عند الركن الشمالى الشرقى من الحدود المصرية، قاصداً مدينة رفح، وقطعت فى طريقى ذلك القفر الجميل المخيف سيناء المقدسة، يصحبنى مشهد ثابت بين رمال صفراء وسماء زرقاء صافية، تتتابع فى كثير من مواضعها أشجار النخيل والسنط، وتلتقى بتجمعات بدوية متناثرة، ومدن جديدة قائمة، وكلما اقتربت من هدفى تزايد العمران، وانتشر اللون الأخضر...

تصل إلى رفح بعد أن تقطع نحو ٤٠٠ كيلومتر من القاهرة، بعدها تصبح أمام بوابة مصر الشرقية، والمنفذ الى درب الشام عند نقطة العبور التاريخية بين مصر والشام.

ويبدو أن المدن مثل البشر، بعضها له حظ وافر وبعضها له حظ عاثر، فبعض المدن مراكز للثقافة والحضارة، ومدن أخرى، مدن حدود وعبور وقتال، ورفح ضمن مدن العبور والحدود، شهدت العديد من فصول التاريخ الدامية، ويحكى تاريخها الكثير من الدروس والعبر، وما أكثر ما شهدت من صراع الاقدار وصليل السيوف، وكان آخرها ما عانته من قوات الاحتلال الإسرائيلى.

وتحرر أهلها وخرجت من الأسر بعد ما يزيد على خمسة عشر عاما، ويبقى ما تعانيه من سكين التقسيم الحاد، الذى فرق بين الأب وابنه، وبين صاحب الأرض وأرضه، وبين الجار وجاره، وقسمت العائلات يعيش بعضها فى رفح المصرية والبعض الآخر فى رفح الفلسطينية.

ولتكن بداية جولتنا من قلب المدينة، من شارع صلاح الدين، فهى مدينة الشارع الواحد، تدور فيه أغلب نشاطاتها، به السوق والمدرسة والمسجد والمخفر، وتتركز به أيضا مأساتها!.

وكل ما تراه أو تلحظه داخلها له ايحاء خاص، عندما أطلق على الشارع الرئيسى اسم البطل صلاح الدين الأيوبى، الذى قطعه بجيوشه فى الطريق الى تحرير القدس، وهو الشارع الوحيد الذى يمكن الانتقال منه إلى رفح الفلسطينية، ومازال محور حياة المدينة رغم الأحياء الجديدة والمنشآت الحديثة. وحتى الحى الجديد سمى حى الإمام على تقديرا لمن استشهد دفاعا عن الحق، وقامت حوله قصر الثقافة والمكتبة العامة والنادى.

وأطلق على معظم محلاته، أسماء ذات مغزى، منها القدس ومكة وبورسعيد.

● أحزان مدينة

وسكان المدينة بقسميها ذوى أصل واحد، حتى لو اختلفت جنسياتهم، معظمهم من العشائر البدوية الذين يمتدون عبر الحدود السياسية، ويصلون الى جنوب فلسطين وجنوب الأردن وشمال الحجاز، ويصلون عبر قناة السويس الى مدينة الشرقية وحتى ساحل البحر الأحمر، وأبرز عشائر رفح المصرية هى زغرب، وقد استقرت كل عشيرة فوق الرقعة التى اختارتها من الكثبان، وقامت



سكين التقسيم الحاد الذي يقطع مدينة رفح

المدينة على التلال والوهاد . مما أعطاها شخصيتها المميزة ، وكثير من سكانها المستقرين كانوا بدوا متنقلين ، وبعد استقرارهم ظلوا على صلة بالبدو في سيناء وفي النقب على السواء .

تقطع الأسوار الشائكة شارع صلاح الدين ، بعد أن هدمت السلطات الإسرائيلية تلك البيوت التي اعترضته .

أقف أمام نقطة العبور بين قسمي المدينة ، عند المركز الأمامي الذي يرفرف عليه علم مصر ، وهو مبنى متواضع أقيم على عجل ، وبين المركز المصري والمركز الإسرائيلي تقوم أسلاك شائكة مزدوجة وبينها منطقة عازلة ، ويضم المركز الرئيسي عددا من الجنود الإسرائيليين لا يكف أحدهم عن ملاحقة كل مايجري في رفح المصرية من خلال منظاره المكبر .

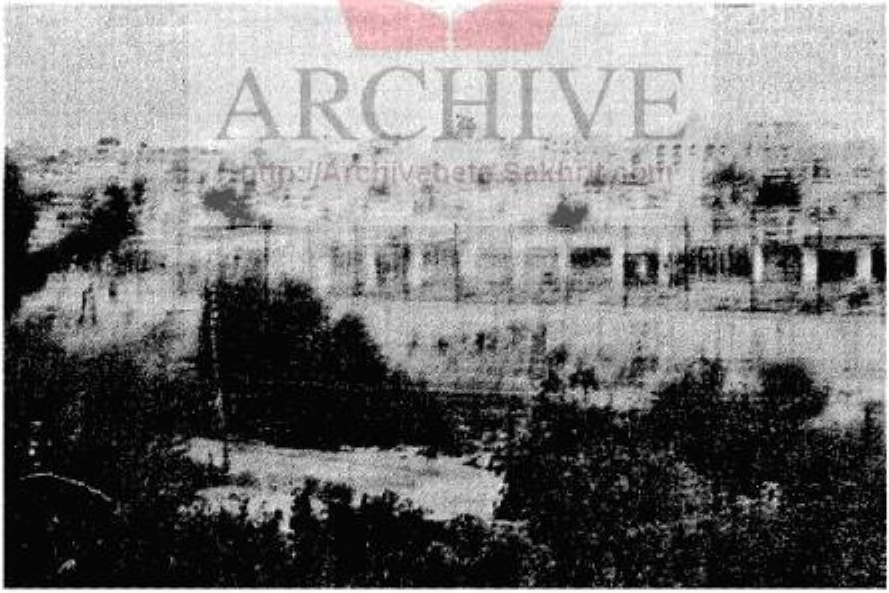
ينتقل من خلال هذا المركز أولئك الذين تقوم بيوتهم بأحد جانبي المدينة وأراضيهم في الجانب الآخر ، ولديهم تصاريح بذلك ، والتي تتجدد كل ستة شهور ، بعضها يومي وبعضها الآخر أسبوعي وبعضها شهري ، ويقدر عدد الحاصلين على هذه التصاريح بنحو مائتي مواطن ، وكثيرا ما تلغي السلطات الإسرائيلية هذه التصاريح دون سبب معروف .

وعند نقطة على يمين شارع صلاح الدين يصرح للأهالي بتبادل الأحاديث بين الجانبين في ساعات محددة من

صحراء رفح ، القديم والجديد جنبا الى جنب



رفح ويظهر فيها الجانب المصرى والجانب الفلسطينى



النهار ، على أن يبتعد المتخاطبون عن السور ، ويتحول الحديث الى مايشبه الصراخ ، ويفقد خصوصيته وتختلط الأصوات ، وتلتقط من هذا الصراخ بعض المآسي الإنسانية الناتجة عن المأساة الفلسطينية ، فمع السؤال عن الصحة والأحوال وأخبار الأهل والأصدقاء ، تسمع سؤالا عن أخبار قريب مريض لا تساعده صحته لكي يراهم عبر الأسوار .

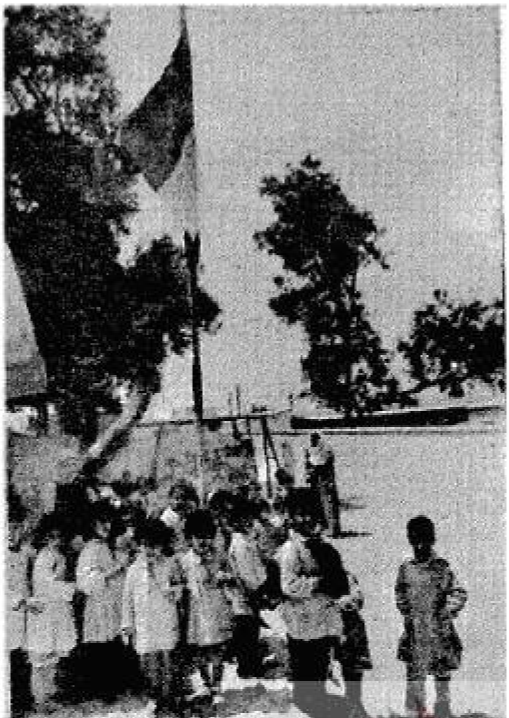
● صوت كهل يسأل بصوت مرتجف : عن أخبار سلمان ، الذى لم نعد نراه ..

ـ يرد شاب : لا أريد أن أثير قلقك ، لقد اعتقلته السلطات الإسرائيلية . يصل إلى سمعى صوت امرأة تتحدث بكبرياء عن زوجها أبوأحمد الذى ترك عمله فى الشرطة ، وانضم الى صفوف الانتفاضة ، لتحقيق هدف الانتفاضة فى استكمال العصيان المدنى ، ووقف أى تعاون مع سلطات الاحتلال .

ويأتى صوت الأخ الذى يحكى لأخيه عن أخبار العائلة ، الابن الذى يدرس فى كندا ، والآخر الذى يعمل فى الكويت والثالث الذى استقر فى لبنان .

كأنك أمام أحد السجون ، يتبادل الحديث فيها ، من هم داخل الأسوار مع من هم خارجها ، لقد سقط حاجز الخوف ، وغيرت الانتفاضة الفلسطينية طبيعة الأهالى ، وأصبحوا أكثر ثقة و أكثر ايمانا بالمستقبل .

يروى لى أبوعبدالله .. ان أرضه على بعد ٥٠٠ متر من بيته ، ولكنه لا يتمكن من الإشراف عليها ، ولا يصل اليها وكأنها فى قارة أخرى ، بعد ان سحبت السلطات تصريحه . ولم يسترده رغم كل الشكاوى التى كتبها ! .



العلم المصرى يرفرف فى رفح فوق العديد من المبانى والمدارس

ويروى أمين الشرطة المصرى ، المشرف على العبور الى الجانب الآخر ، الحكايات الانسانية ، وكيف جاءه أحد الشباب مهرولا ، يطلب منه أن يسمح له بالاقتراب من السور حتى يتمكن من مشاهدة عروسه التى اختارتها له أسرته فى رفح الفلسطينية ، وحكاية الأم التى فاجأها المخاض وهى فى زيارة رفح الفلسطينية ، وعند عودتها مع وليدها ، رفضت السلطات الإسرائيلية السماح لطفلها بالمرور ، فليس لديه أوراق أو تصريح ! ...

ولم يكن غريبا أن تكتشف السلطات بين وقت وآخر تلك الأنفاق التى أقامها

رفح
مدينة فى قلب التحدى

البعض ، تحت الأسوار وتصل تحت الارض بين مصر وفلسطين ، والتى اقيمت بعمق حوالى ثمانية أمتار وطول حوالى ٥٠٠ متر ، وكلما تم اكتشاف أحد هذه الانفاق ظهر نفق جديد .

وتمضى الحياة ...

وإذا كان معبر صلاح الدين يستخدم للراجلين من سكان رفح للانتقال بين قسمى المدينة ، فقد أقيم جنوب مدينة رفح المنفذ البرى الذى تقطعه الحافلات والسيارات القادمة من اسرائيل ، ويصل معدل العبور الى مايزيد على ربع مليون نسمة سنويا ، وزرت هذا المنفذ وهو يستعد لاستقبال نحو ٢٠ الف قادم لقضاء عيد رأس السنة فى مصر ، ويضم هذا المركز شرطة الجوازات ورجال الجمارك وسوقا حرة ..

ويعمل المعبر من الصباح الباكر حتى الساعة الخامسة مساء .

● من فوق ربوة عالية

وبعد جولتنا فى المدينة نصعد فوق ربوة عالية ، على الطريق بين رفح وساحل البحر ، تظهر بانوراما المدينة المقسومة ، وتظهر مبانيها فوق التلال ، وتقع ناحية الشرق رفح الفلسطينية وناحية الغرب رفح المصرية ، وهى تعانى مثل برلين وبيروت ونيقوسيا ، ويدفع أهلها مثل غيرها نتائج الصراع العربى الإسرائيلى ، ومن المفارقات ان مدينة رفح قسمت عند التحرير ، وان مدينة القدس وحدت فى ظل الاحتلال ، وكلاهما ينتظر الخلاص ! ...

وتبعد رفح عن ساحل البحر الأبيض نحو خمسة كيلومترات . فهى مثل أغلب المدن العربية اقيمت بعيدا عن ساحل البحر ، وهى داخلية الموقع مثل الفرما وبالوظة ورمانة ، والعريش القديمة ، ربما لأسباب أمنية أو خشية تقلبات البحر ..

وبين المدينة والبحر كثبان من الرمال ، يقوم فوقها معالم القديم والجديد معا ، بيت الشعر البدوى ، وحوله الماعز الى جانب الزراعة الحديثة المغطاة ، وترى اشجار التين والزيتون والخوخ واللوز مع اشجار النخيل التى لا تنقطع وهنا اهم مناطق سيناء انتاجا للحبوب فى الشتاء ، وسبق واقيمت مزرعة تجريبية فى رفح قبل الاحتلال تابعة لمصلحة البساتين واستطاع الاهالى تثبيت هذه الكثبان الرملية وزراعتها .

وتظهر المراة البدوية حول بيت الشعر فى ملابسها المميزة ، وتكاد المراة أن تقوم بالعبء الاكبر فى شئون الأسرة ، رغم أن الاناث هنا أقل عددا من الرجال ، فهى التى تبنى بيت الشعر ، وهى التى تغزل الأغطية والأخراج والأكلمة ، وتقوم بجمع الحطب وطحن الحب ، وهى التى ترعى وتحلب النياق والماعز ، وهى التى تطرز الزخارف الجميلة على ثيابها ، التى تتكون من وحدات يسمى بعضها ، دقن الباشا وحب الترمس ، والنخلة ، والمقص

● الأمن الخادع !

اقتصرت العديد من الكتابات حول مصر على الوادى ، وتجاهلت بعض

هذه الكثابات الصحارى الواسعة ، مما أعطى أبناء الوادى شعورا خادعا بالأمن ، فالصحارى الشاسعة تحيطهم من الشرق والغرب والجنوب . وقد ألغت الطائرات والصواريخ المسافات فى العصر الحديث ، ولم يعد ممكنا أن يعيش سكان مصر على نحو ٤٪ من المعمور بعد أن اكتظ الوادى بالسكان ...

ورفح آخر نقطة فى الركن الشمالى الشرقى ، وهى أحد مدن الصحراء والحدود الاستراتيجية الحرجة ، وهى نقطة لقاء بين البداوة والاستقرار ، وفى الصحراء كل مدينة قلعة ، لذا فهى أقرب ما تكون إلى المدينة العسكرية بحكم وظيفتها كأحد مدن الحدود أو مخافر الدفاع .

هكذا كانت قديما فهى تقوم على أنقاض مدينة (رافيا) التى شهدت عدة معارك بين مصر وقوى معادية منذ فجر التاريخ ، وكان أبرز هذه المعارك ضد الأشوريين سنة ٧٢٠ ق . م وتقع على أهم طريق حربى هو طريق حورس ، الذى استخدمه المصريون القدماء منذ غزوهم لآسيا ، وسار عليه من أتى للهجوم على أبناء الوادى عبر العصور ، وكثيرا ما استخدمه عشرات من الفراعنة يقودون جيوشهم دفاعا عن مصر .

وقد عثر الأهالى فى علم ١٩٥٢ فى رفح آخر المدن على هذا الطريق ، عند بحثهم عن أحجار البناء على بعض تلك المبانى الأثرية ، ومن بينها حمام رومانى ، وبعض التماثيل [أحمد فخرى - موسوعة سيناء] .

● وتقع أيضا على طريق الهجرات الكبرى ..



الصمود على الحدود

ورفح التاريخية فى كتب الأقدمين كانت دائما مدينة مصرية واحدة ، منذ ياقوت الحموى (٦٢٦ هـ - ١٢٢٩ م) فى كتابه معجم البلدان ، إلى نعوم شقير فى سفره التاريخى عن سيناء الذى كتبه علم ١٩١٦ م ، فقدم ياقوت الحموى وصفا للدرب السلطانى الذى سلكه أكثر من مرة ، وحدده بمسيرة خمسة أو ستة أيام ، كما حدد شريانه الرئيسى وطرقه الفرعية والبديلة ، وذكر أن بدايته فى الشرق عند رفح ، وأن وادى السباع فى شرقى رفح ، ووصف ما رأى فى شمال سيناء بأنه رمال هلبلة بيضاء سميت برمل الجفار لكثرة ما بها من جفار - الجفر البئر القريبة

رفح
مدينة في قلب التحدى

الواسعة القعر يشرب منها السكان ـ ويمضى فى كتابه قائلا : « وفى الطريق بين رفح وقطية ، مواضع عامرة يسكنها قوم من السوقة للمعيشة على القوافل ، وفى كل موضع فى رفح والقس والزعقا والعريش والواردة وقطية ، عدة دكاكين يشترى منها كل ما يحتاج اليه المسافر » .....

ويصف ياقوت الحموى مدينة رفح بقوله : « .... نزل هى أول الرمل ، وقد كانت عامرة من قبل ، خرب الآن وله ذكر فى الأخبار » ... ولا يفوته أن يبين أنه زارها فى وقت دمر فيه الغزو الصليبى الكثير من المدن الساحلية ، وخرجت فيه مصر من حكم الفاطميين .. مما دفع قوافل التجارة لتأخذ طريق أيلـه ـ القلزم (السويس) .

وينقل ياقوت الحموى وصف من سبقه من الجغرافيين والرحالة ، ويورد وصف المهلبى لها (٥٧٥ هـ ـ ١١٧٩ م) ، مما يؤكد ما فعله الفرنجة بها ، يقول ... « إن رفح مدينة عامرة فيها سوق وجامع ومنبر وفنادق .. ومن رفح إلى مدينة غزة شجر جميز مصطف من جانبى الطريق متصلة الأغصان بعضها ببعض مسيرة نحو ميلين .... » .

هكذا وصفها ياقوت الحموى والمهلبى فى القرنين الثانى عشر والثالث عشر الميلادى ، ثم يأتى كتاب نعوم شقير ويذكر :

« بنى محافظ سيناء سنة ١٩٠٧ مركزا للبوليس فى رفح قرب عمودى الحدود .. وكان قد حضر الى رفح بعض رجال الجمعية الصهيونية ، واشتروا من أهلها بعض الأراضى بقصد تأسيس مستعمرة لهم ، ولم يثبت لرجال الجمعية من الأرض ما يكفى لإنشاء مستعمرة فوقف عملهم .... » .

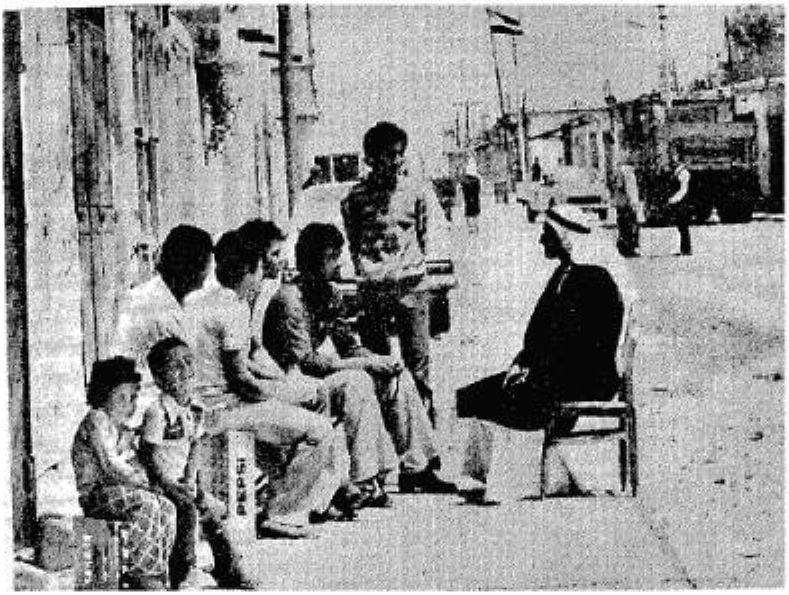
وقد زار الخديو اسماعيل رفح عام ١٨٩٨ م أى بعد مائة عام من مرور نابليون برفح قادما من القاهرة فى حملته سنة ١٧٩٩ م ، وزارها بعده الخديو عباس حلمى ، وخلال هذه الزيارة تم تحديد الحدود بين مصر والشام ، بعمود الجرانيت القائم تحت شجرة السرو القديمة .

وتم توقيع اتفاقية فى أول أكتوبر سنة ١٩٠٦ بين مصر وتركيا ، ونصبت أعمدة على طول الخط ، بحيث يرى الواقف عند عمود العمود الذى يليه ، وبلغ عدد الأعمدة ٩١ عمودا ، بنيت بالحجارة على شكل هرم ناقص ، قاعدته ١ × ١ متر مربع ، وارتفاعه متران الى مترين ونصف ، وآخر عمود بنى على تل الخرائب بساحل رفح فى ٩ فبراير عام ١٩٠٧ ، وأعطى رقم (١) .

● قصة الحدود

شهدت رفح أحَدّ صراع على خط الحدود بين مصر وتركيا ، خلال الترتيبات السابقة على الحرب العالمية الأولى ، وقد كان خط الحدود المصرية يقوم على فرمان الباب العالى بتولية الخديو عباس حلمى ، والذى يمتد من رفح الى العقبة .

ولكن فى مطلع عام ١٩٠٦ ، قامت القوات التركية بإنشاء نقط عسكرية عند



الصبية يتلقون الخبرة التاريخية من شارع صلاح الدين

كل من القسيمة والكونتيلا ، واسرعت الحكومة المصرية بالمطالبة بازالتها ، وتشكيل لجنة مشتركة مصرية تركية ، لبحث مسألة الحدود بين سيناء وفلسطين ، وكانت مصر أيامها خاضعة للاستعمار البريطاني وفلسطين خاضعة للحكم العثماني ..

وسعت قوات مصرية بقيادة الأميرالاى سعد رفعت الى الوصول الى خط الحدود ، فأرسل الأتراك جنودا الى رفح أزالوا الأعمدة المصرية ، وأرسلت القوات البريطانية الطراد الانجليزى منيرفا ، من بورسعيد الى رفح ، وقابلتهم فى رفح قوة مصرية من العريش ، وتقدم رؤساء القبائل بشهادتهم على وجود الأعمدة ، التى كانت قائمة من الجرانيت وعليها نقش باسم الخديو عن زيارته رفح فى عام ١٨٩٨ .

وبدأت الاتصالات الدبلوماسية أمام خطر الانفجار ، وانتهت باقرار الحكومة التركية للمطالب المصرية فى ١٤ مايو سنة ١٩٠٦ ، وبدأت لجنة مشتركة بين مصر وتركيا ، لتحديد خط الحدود على الأراضى وعلى الخرائط ، وقامت لجنة مشتركة ، يرأس الوفد المصرى فيها اللواء إبراهيم فتحى ، وصحب اللجنة عدد من مهندسى المساحة وطبيب ، ورسم خط الحدود ورسمت الخريطة بعد سير الحملة المكونة من حوالى مائة ناقة ، وبدأت رحلتها من العقبة حتى وصلوا الى رفح بعد مسيرة ٢١ يوما ، ورسم خلال هذه المسيرة خريطة تعيين نقط الحدود ،

رفح
مدينة في قلب التحدي

وانتهت المهمة يوم ٢٨ يونيه عام ١٩٠٦ ، وتم الاتفاق النهائي في اكتوبر عام ١٩٠٦ ، وتضمن اتفاق الحدود على أن جميع القبائل القاطنة على كلا الجانبين لها الحق في الانتفاع بالمياه ، ويبقى أهالي وعربان الجهتين على ماكانوا عليه قبلا من حيث ملكية المياه والحقول والأراضي في

حتى سقطت الاسلاك الشائكة !!



الجهتين كما هو متعارف عليه بينهم .

وكانت مصر والشام بلدا واحدا ، منذ زيارة ياقوت الحموي ، وحتى عصر محمد علي يتنقل المسافر بينهما بلا جواز سفر وبلا تأشيرات ..

ثم ترك الاستعمار آثاره ، وقبل عام ١٩٤٨ تكون على جانبي الحدود مدينتان احدهما مصرية والأخرى فلسطينية ، وقامت حرب فلسطين عام ١٩٤٨ ، ونجت رفح وقطاع غزة من الاحتلال الاسرائيلي ، وبعدها تم الاحتلال الاسرائيلي في اكتوبر عام ١٩٥٦ خلال العدوان الثلاثي على مصر ، واستمر احتلال رفح حتى مارس عام ١٩٥٧ ، ووقعت في الأسر من جديد عام ١٩٦٧ .

وكان للاحتلال الإسرائيلي الذي استمر مدة خمسة عشر عاما آثارا بالغة ، فقامت سلطات الاحتلال بتوسيع شوارع مخيمات اللاجئين الرئيسية ، لأسباب أمنية ، ولكي تتمكن الدوريات العسكرية الإسرائيلية من القيام بجولاتها ، وهدمت المباني السكنية المطلة على بعض الشوارع ، ورحلت أصحابها للإقامة في مخيم جديد أقامته فوق الكثبان بين رفح وساحل البحر ، وسمي مخيم كندا لأنه أقيم فوق أحد المعسكرات القديمة لقوات الطوارىء الدولية ، وكان يحتله القوات الكندية ، وعملت السلطات الاسرائيلية على عزل المناطق المحتلة عن الوادي ، وسمح للأهالي بزيارة اسرائيل ، وأخضع السكان لآلة غسيل المخ الإسرائيلية ، وتابع الأهالي التليفزيون والاذاعة الاسرائيلية ، ولم يكن بث التليفزيون المصري يصل اليهم .

وتزايد شعور الأهالي بالتحدي الحضاري ، ووقعت تغيرات كبيرة ،

واندفع السكان يزرعون الصحراء، ويستغلون كل قطرة ماء، ويعملون على تطوير الحياة، فليس اكثر من الخطر دافعا للتطوير والتغيير.

● الجلاء

وجاء وقت تنفيذ الاتفاقية المصرية الإسرائيلية، وحان وقت انسحاب القوات الاسرائيلية، واقترح الإسرائيليون الانسحاب من رفح كلها، وأصر الجانب المصرى على خط الحدود التاريخية، ورفض فكرة اى تعديل او مساس بالحدود، ورفض أى شبهة فى اية اطماع فى الاراضى الفلسطينية، مع تأكيد حق تقرير المصير للشعب الفلسطيني.

وأكد الجانب المصرى على ضرورة إزالة اى تغييرات وقعت خلال الاحتلال، وتم الاتفاق على تبادل السكان، وعودة المصريين من ابناء رفح الى الجانب المصرى، على أن يتم تبادل السكان خلال ستة اشهر، ورحبت باستقبال كل من لديه ما يثبت جنسيته المصرية، وتم الاتفاق على عودة اللاجئين الفلسطينيين المقيمين فى مخيم كندا، ونجحت الدبلوماسية المصرية فى تأكيد حق العودة للفلسطينيين، وقامت المظاهرات فى إسرائيل احتجاجا على موافقة السلطات الاسرائيلية على هذا الحق.

وبدأ الانتقال التدريجى لأبناء مخيم كندا الى مدينة جديدة هى تل السلطان، وبين وقت وآخر يتعرقل المشروع، وتثير إسرائيل مسألة تمويل هذا الانتقال وتكلفة إعداد المساكن والمرافق للعائدين، وتمر الأيام، وكلما تم الاتفاق على تكاليف عودة العائلة الفلسطينية، عادت إسرائيل تطالب برفعه لزيادة التضخم فى اسرائيل، وقد شاركت فى تمويل عودة الفلسطينيين وكالة غوث اللاجئين، وساهمت منظمة التحرير الفلسطينية فى إقامة مدرسة.. كما ساهم بعض السكان او اقاربهم فى إعداد بيوت لهم فى تل السلطان.

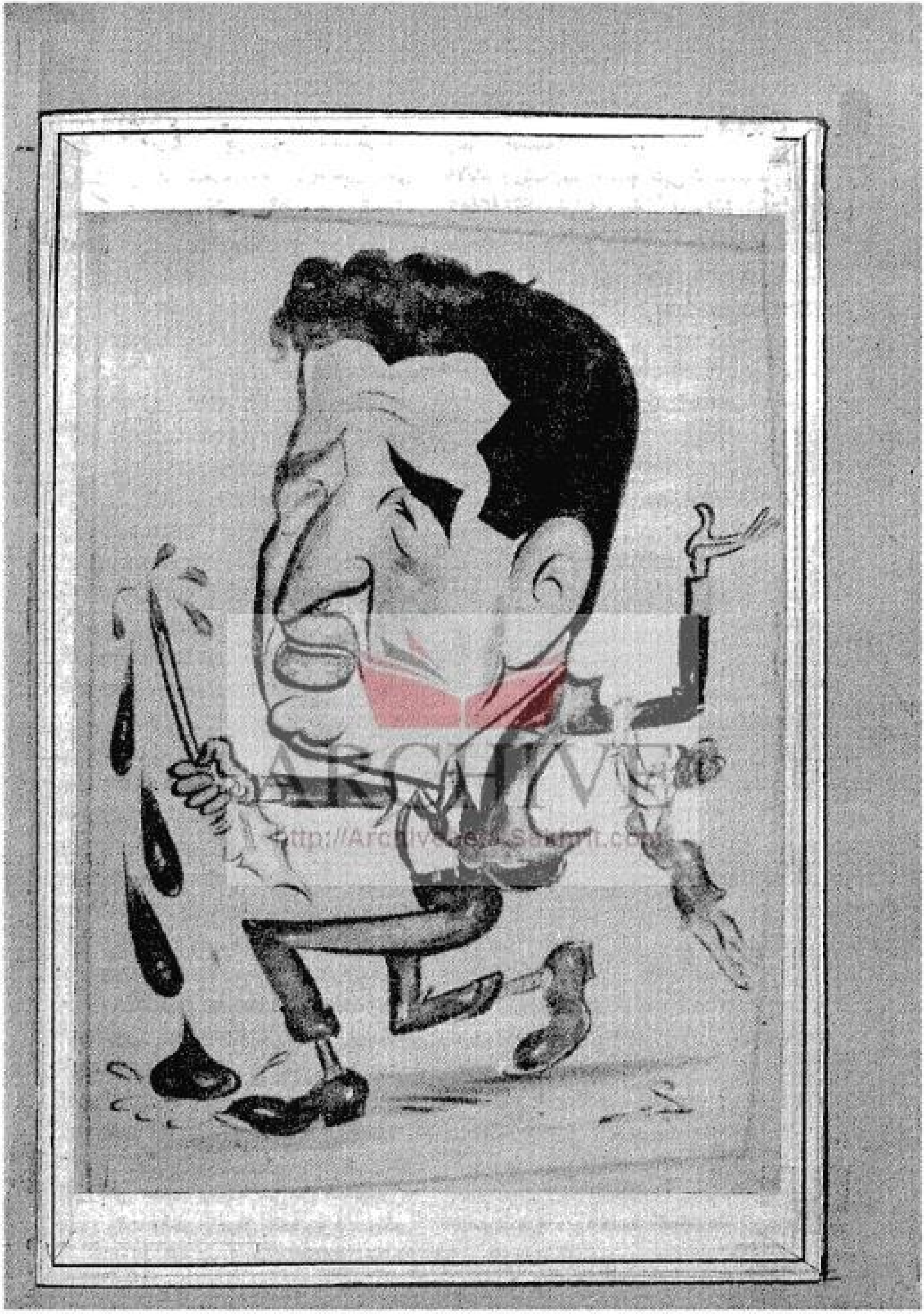
ويستمر انتقال أبناء مخيم كندا بطيئا، وتشترط إسرائيل الموافقة الأمنية على كل عائد، ويتراوح سرعته بين تقاعس عربى وتسويف إسرائيلى.

وتأثر مشروع العودة، بعملية «ديمونة» التى نظمها الشهيد خليل الوزير (ابوجهاد)، والتى استهدفت المفاعل الذرى فى ديمونة، واتهمت اسرائيل مجموعة من سكان المخيم بالتسلل والقيام بهذه العملية فى النقب، ولكن سرعان ما ادركت أن الاشراف الأمنى على مدن جديدة أسهل منه فى المخيمات العشوائية.

وغيرت الانتفاضة الفلسطينية، كل ماهو ساكن فى القضية الفلسطينية، واصبح مخيم كندا مثل القنبلة الموقوتة على الحدود، وخاصة عندما قام ابناء المخيم بمظاهرات كبيرة تأييدا للفلسطينيين وراء الأسوار.

وبدأت من جديد عمليات عودة الفلسطينيين..

وتبقى مدينة رفح المرصد الحساس تسجل كل ما يجرى حولها، واحد الاختبارات الدقيقة لمدى تطبيق إسرائيل للاتفاقية المصرية الإسرائيلية، والقلعة المتقدمة للدفاع عن الوطن.



إحسان عبد القدوس

أمس .. واليوم .. وغدا ..

عزيزى القارىء :

مرة اخرى نلتقى بعد لقائنا فى بداية العدد ، فهذا الجزء من "الهلال" يوشك باهميته الكبيرة أن يكون عددا تذكاريا خاصا عن الصحفى والمفكر والسياسى والروائى الأستاذ إحسان عبدالقدوس رحمه الله ..

لقد عاش إحسان عبدالقدوس فترة من تاريخ بلادنا حافلة بالاحداث الجسام .. فكان شاهدا عليها بمواقفه وكتاباته المتنوعة ، وكانت شهادته ذات اهمية كبيرة . لأنه كان دائما فى قلب الأحداث والتحولات التاريخية ، يسجلها بقلمه فنا روائيا او كتابة صحفية ، ولوشك ان ينفرد وحده بهذه الميزة ، ولهذا انفرد فى الادب والصحافة بمكانة خاصة .

وهذا الجزء من الهلال عن احسان عبدالقدوس يرسم له صورة شاملة تراها ياعزيزى القارىء فيما نقدمه لك من المقالات التى كتبها عن نفسه ، وفيما كتبه عنه معاصروه من كبار الكتاب والنقاد ، وفى المتابعات الجديدة التى تتناول النشاطات المتعددة لهذا الصحفى الاديب الفنان المتعدد المواهب الذى استحق بجدارة مكانته الممتازة امس واليوم وغدا .





إحسان عبدالقدوس ومدرسة الهواء الطلق

بقلم: كامل زهيري

□ بدأت مع احسان عبدالقدوس فى روز اليوسف . وكان احسان اسما لامعا جدا . وكان اسمى مجرد اسم ثلاثى فى بطاقتى الشخصية . وتعلمت منه الكثير . واهم ما اكتشفته واحببته انه يؤمن بالحرية الفكرية والفنية . وانه لم يفرض رايا . ولذلك تعلمت منه وانا اتمتع . ومدرسة احسان هى مدرسة الكتابة فى الهواء الطلق . ولايفرض فيها الاستاذ على تلاميذه استاذيته . والمتعة انه لايضع مسافة بينه وبينهم .. ولان ذكاءه من النوع العاطفى ، فهو يتسلل الى قلب تلاميذه بموهبة ولطف .. تماما كما يفعل فى رواياته مع قرائه .

ولذلك لم يكن العمل مع احسان مجرد تلمذة .. بل كانت مشاركة ومتعة ولهذا دخلت مدرسة احسان اسماء عديدة ، بدأت مجرد اسماء ثلاثية او رباعية فى البطاقات الشخصية أو شهادات الميلاد .. وتخرجت اسماء قوية لامعة .


دولت ابيض


فاطمة رشدى


محمد التابعى

واحسان عبدالقدوس عاطفي الذكاء . لانه فنان . مضطرم وجياش . وهو عنيد . لكنه لايعرف العنف الا فى العاطفة . واستاذيته موهبة . وهى تختلف عن استاذية الذين يحبون وضع التقديرات لتلاميذهم ، ويحبون ان يفرضوا أو يفترضوا استاذيتهم .

واحسان عبدالقدوس كان استاذا لكثيرين دون فرض او فروض طاعة وهذا هو الفارق بين الاستاذ بطبيعته والاستاذ بوظيفته . وهو نفس الفرق الدقيق بين الانيق والمتانق . فالأنيق ينتخب الوانه الهامسة دون أن يهجم على النظر . اما المتانق فهو الذى يصرخ بألوانه الفاقعة أو اللافتة .

وقد تعلم اكثر ابناء روز اليوسف من احسان عبدالقدوس أثناء العمل ومن طريقة عمله . فقد كان يتخذ من روز اليوسف « محله المختار » ويجلس الى مكتبه بالساعات . ويحضر كل صباح فى الحادية عشرة حتى الثالثة . وينام القيلولة مواظبا . ثم يعود فى الثامنة ليبقى حتى الثانية صباحا . ولم ادخل عليه مكتبه الا وجدته الى قلمه ، أو بين الصحو والسرحان كأنه منذ لحظة قد انتشل نفسه عنوة من العمل .

ولم يكن احسان يحاضرنا عن أهمية العمل . بل كان يعطينا القدوة ويسبقنا بالوفرة والموهبة .

واحسان كان يكره المواعظ . وهو لايجيد كثيرا الحديث . لان لسانه كان فى قلمه . وخلال عشر سنوات أفشى لى ببضع نصائح قليلة . وكانت النصيحة الاولى التى قالها لى احسان قد حكاها لى فى صورة قصة قصيرة . وكان اغلب حديثه حكايات وقصصا .

قال لى أن محمد التابعى الجد الاكبر لمدرسة الصحافة الحديثة كان يشرف على المجلة . وكان احسان يعمل محررا صغيرا . وكان التابعى يدق الجرس ليطلب احسان من آخر الصالة . فيهرع احسان وقلبه يدق بعنف . يخشى ان يكون ماقدمه الى استاذه ركيكا . فيجد وجه التابعى الطويل ممطوطا .

ويقول التابعى :

ـ احسان .. لقد نسيت فى مقالك أن تضع نقطتين فوق التاء ، ونقطتين تحت الياء !



وصدقت قصة احسان .. لانني كنت أعرف خطه . وارى مقالاته قبل ارسالها للمطبعة . ولعله الكاتب الوحيد الذى كان يضع النقاط فوق الحروف بدقة . وكان اكثر الكتاب اناقة فى خطه واشدهم عناية بما يكتب .

وهذه القصة القصيرة جدا ـ مغزاها ان العمل فى الصحف ـ رغم السرعة يستلزم العناية . فالصحف ـ كالحدائق تذبل من غير عناية مستمرة . وهى كالزهور الرقيقة ، سريعة التلف ، او كالثمار سهلة العطب . والأصل ان الصحيفة ليست سلعة تبيعها لقارىء عابر . بل هى هدية لقارىء دائم يحبك ويثق فى رأيك .

* * *

وخلال عشرتى لاحسان عبدالقدوس لم احس كثيرا انه صاحب عمل . واحسست اكثر انه صاحب مدرسة موادها الأساسية الحرية والموهبة ثم الدأب .

وقد يرجع ذلك الى ان روز اليوسف لم تحقق منذ انشائها ان تصبح مؤسسة رأسمالية كبرى . ولا ان تتحول الى صناعة ثقيلة . تستند الى الطباعة . وتعتمد على الاعلانات . وظلت روزا كما بدأت مجلة رأى . تعتمد على الصناعة الدقيقة . اى على النقد فى الفن أو السياسة . ولذلك اصبحت وكرا رائعا لمواهب الرسامين ، وعشا طبيعيا للموهوبين فى الرواية والقصة القصيرة ، واخرجت عددا لايحصى من كتاب المقالات والاعمدة .

وكانت روزاليوسف من ١٩٢٥ الى ١٩٥٥ ضعيفة الادارة . وكان مديرها « العام » محاميا غير متفرغ للادارة . ولم تكن فيها خزانة حديدية ، فقد كانت الخزانة المالية هى حقيبة السيدة فاطمة اليوسف واثبتت روز اليوسف خلال ثلاثين عاما معجزة ان تعتمد على القارىء اى على التوزيع . وهذا ماجعل احسان حساسا جدا لما يقوله القراء عن المجلة .

وكان يعتقد أن ثقة القارىء هى اكبر جائزة يمكن ان يحصل عليها اى صحفى .

وقد ظهرت روز اليوسف عام ٢٥ اى بعد دستور ٢٣ بعامين . وكان قد ظهر القارىء الناخب الوطنى والحزبى ـ بعد ثورة ١٩ ـ الذى يريد ان يشارك فى الحكم بصورة أو بأخرى . وان يضع « الامة فوق الحكومة والحق فوق القوة » ومع ظهور هذا القارىء الجديد ظهرت مدرسة روزاليوسف الصحفية بقيادة محمد

شغف فنانو الكاريكاتير بتصوير احسان من زوايا مختلفة



التابعى الذى أنزل الكتابة ـ من الصحف ـ من عرش الادب والبلاغة وخلعها من السجع السياسى ، وطنطنة الخطابة ليظهر نوع جديد من الكتابة السهلة المحببة .

واحسان عبدالقدوس كان الحفيد الفنى والشرعى لهذه المدرسة الصحفية الشعبية ، وزاد عليها بفنه . ومن نصائحه القليلة قال لى ان من الكتاب من يعقد السهل .. وهناك من يبسّط الصعب .

وقلت له : ان الألمان يعقدون الفلسفة . وان الفرنسيين يسهلون الأفكار المعقدة . وانظر إلى أفكار هوسيرل وهيدجر الالمانيين واسلوب سارتر . وفرق بين التعقيد والتبسيط . قال :

ـ افضل الفرنسيين فى اسلوبهم .

وكان احسان فى الخمسينات حريصا على ان تقدم روز اليوسف وصباح الخير اعقد المذاهب وأصعب الكتب باسلوب سهل وسلس . وفى روز اليوسف قدمت « مذاهب غريبة » عن السوريالية والعدمية والفوضوية والوجودية ، وفى صباح الخير قدمت « الادب المغضوب عليه » كرواية « زيفاجو باسترناك » و « الخبز وحده لايكفى » لدودينتسيف . وكان احسان يشجعنى الى حد اننى لم اطلب فى حياتى منه علاوة . لانه كان يسبقنى بذكائه ، فيقترح الزيادة . وكان يقول معتذرا :

ـ وستأخذ بالباقى مجدا !

ولم يكن اكثرنا من ابناء مدرسة الهواء الطلق يحس ان هناك أمجد من ان تكتب وتنشر فى « جوه الخاص » وحنانه الجاد .

وقد ولد احسان عبدالقدوس فى اول يناير ١٩ ، مع مطلع الثورة . ولدت مجلته عام ٢٥ بعد الدستور بعامين . ومابين الثورة والدستور ولدت مدرسة الرأى ـ قبل ان تولد مدرسة الخبر ـ وشقت طريقها رغم المصاعب المالية ورغم التعطيل والمصادرة . وبعد الدستور ايضا ظهرت مجلات اخرى مشابهة ومقلدة ، ولكنها كانت حادة اللسان ، تستخدم الشتائم والفضائح فهبطت واختفت وبقيت روز اليوسف كمدرسة للرأى . لانها امنت ان

القبلة الأخيرة .. بين احسان عبدالقدوس .. وكامل زهيرى





السياسة روحها فى نقدها . ولايزهق روحها غير النفاق . وكان احسان ابنا بارا لهذه المدرسة . وكان لايكره مثل النفاق السياسى او النفاق الاجتماعى . وكل اعماله الفنية شهادة على حربه الطويلة ـ التى لم تيأس ـ ضد النفاق الاجتماعى ، رغم تعرضه لأزمات الصمت المدبر او الهجوم المدبر أيضا . وأهم حملاته الصحفية ومقالاته السياسية ضد النفاق السياسى . وستبقى هذه الحملات نماذج فذة . وكان يقول لى : ان النقد فن . وآية الفن ان تقول رأيك وتنقد وان تجرح « دون ان تسيل دما » .

وسيسجل مؤرخو الرأى لاحسان عبدالقدوس مقاله النارى عام ٤٥ ضد السفير البريطانى مايلز لامبسون « هذا الرجل يجب أن يذهب » وعنوانه يلخص حملته .. وقد سجن احسان من اجله . وكان السجن مسوغات تعيينه لرئاسة التحرير . وكانت حملته العاصفة قبل الثورة ضد الاسلحة الفاسدة فى حرب فلسطين رمزا للهجوم على الفساد السياسى ، ومهدت لثورة يوليو بلا نزاع . ولكن عقيدته الداخلية بأهمية الاستقلال الفكرى للفنان او الكاتب عصمته من النفاق . وانقذته موهبته الفنية ، لانه كان فى كل أزمة يعتصم بالكتابة القصصية ، والروائية ، حتى اكتشف ان الرواية هى فن الجماهير ، وان السينما هى اوسع الفنون الجماهيرية انتشارا ، فكتب كثيرا ، حتى اصبح اكثر كتاب جيله ذيوعا ورواجا ونجاحا .

ولست اظن ان ذلك كان صدفة بحتة . بل لقد اجاب احسان عبدالقدوس على ضرورة اجتماعية ملحة فى التعبير الادبى والروائى عن نصف المجتمع ، وهو المرأة .

ويذكر اباؤنا أن الرجل فى مطلع القرن كان يعتبر اية فتاة تجرؤ على اقتحام المسرح مجرد غانية او حتى ساقطة ، ولهذا بدأ المسرح بادوار نسائية يلعبها الرجل اضطرارا . وقليل من الاصباغ والكحل وتلوين الصوت والباروكه ! ثم وفدت الفنانة الاجنبية الى المسرح المصرى . ولم يتم تمصير الادوار النسائية الا بعد ثورة ١٩ ومنذ شاركت

احسان .. بريشة : ايهاب عام ١٩٦٠



المرأة فى تلك الثورة ، اخذت نصيبها وحصتها من ارباح الثورة برفع الحجاب . وتم توزيع الارباح وسط حادث هائل ، وهو مظاهرة عشرة آلاف سيدة فى شوارع القاهرة تأييدا لعودة الزعيم الوطنى سعد زغلول من المنفى .

وانتهت المظاهرة الشهيرة برفع الحجاب ، او الاكتفاء باليشمك الابيض الشفاف الذى يخفى ويظهر . ومنذ ذلك الحدث الاجتماعى السياسى اعتدل توزيع الادوار بين الرجل والمرأة . ثم ظهرت ثلاث مصريات وفنانات قديرات مثل زينب صدقى ودولت أبيض وفاطمة رشدى وروز اليوسف . وانتقلت روز اليوسف من المسرح الى الصحافة . وسمى عبدالقادر المازنى المحرر الكاتب فى أول عدد لها هذه المجلة بأنها .نزوة . ولكن النزوة اصبحت مجلة ثم مدرسة للرأى والفن .

وقد بلغت روزا قمة المجد حتى سماها معاصروها « سارة برنارد » الشرق . واذكر حكمتها التى قالتها لى ايام روز القديمة ببساطة :

ـ ان احسن لحظة للاعتزال هى قمة المجد .

وقد كانت شخصية فذة حقا ..

وصفها ابنها بأنها : ام حنون مرهفة العاطفة ، الى حد انها تبكى ـ وهى تقبلنى ، بل ان عاطفتها تغلبها احيانا فتقبلنى امام زملائى المحررين ، وأذوب انا خجلا منهم !! بل انها تفرح باليوم الذى اقضيه فى بيتها كأنها ام ريفية تستقبل ولدها بعد غياب طويل ، وتكاد تشعرنى انها ابنتى لكثر منها امى ، فأضمها بين ذراعىّ ، واسند رأسها على صدرى ...

ويبلغ من حنانها انها قبل ان اشترك معها فى العمل ـ كانت تخفى عنى كل مايصيبها من نكبات . وحدث ان خسرت كل ما تملك نتيجة حملة اضطهاد سلطتها عليها الحكومة حتى انها لم تستطع ان تدفع مرتبات الخدم والسائق ، فتركوها جميعا ، وكل منهم يترك دموعه فوق يدها وهو يقبلها ..

واستطاعت ان تستخلص القليل مما بقى لتضمن للمجلة استمرار ظهورها ، ثم مرت ايام لم تكن تجد فيها ثمن الطعام الذى تأكله ... وكنت فى ذلك الحين اقيم مع ابى ، واتردد عليها كل اسبوع فتعطينى عشرة قروش للذهاب الى السينما ... وفى وسط هذه الظروف القاسية التى تمر بها ، حرصت على ان تعد لى دائما هذه العشرة قروش ، وهى فى حاجة الى خمسة منها لتأكل بها ... كل ذلك حتى لا ادرى وحتى لا اشاركها همًا ، فيصيبنى اليأس قبل ان يشتد ساعدى .

وفى خلال الحرب الاخيرة مرت بها ازمة اخرى .. واضطرت ان تبيع سيارتها فى الوقت الذى كان فيه كل اصحاب الصحف يبنون الثروات ... وكانت تضطر الى ان تسير على قدميها كل صباح ساعة كاملة من بيتها فى الزيتون إلى سراى القبة لتركب الاتوبيس الذى يوصلها الى مكتبها ، ثم كانت تقول لى أن الطبيب اوصاها بالسير الطويل محافظة على صحتها ! حتى لا ادرى ولا اشاركها همها ..

كل هذا الحنان الذى لاتستطيعه كل ام ، كان يقابله قسوة لا اعتقد ايضا ان كل ام تستطيع ان تقسو بها على ابنها ..

فقد طردتنى مرة ـ كما قلت ـ من العمل ، وانا متزوج وصاحب أولاد او على الاصح تركتنى اخرج من العمل .



وظلت عاما كاملا لاتخاطبنى . وقد تلتقى بى فتتجاهلنى وأمد يدى لأقبل يدها فترفضها ... بل انها ضربتنى يوما فى مكتبى وبين زملائى عقب تخرجى فى الجامعة .. وهى الى اليوم لاتزال تقسو احيانا علىّ وعلى شقيقتى ، ويبلغ من قسوتها اننا لا نعرف لها سببا . ولكننا دائما نعرف السبب بعد ان نثوب إلى الطريق الصحيح .

وانى اعترف ان هذه القسوة كانت من الاحجار القوية فى بنائى واعدادى للعمل الذى اقوم به(1) .

وفى ظنى أن فاطمة اليوسف ـ ويشهد على ذلك كل من عرفها أو عمل معها ـ كانت شخصية نسائية فذة نادرة . وقد ظننت ان مفتاح « الاستقلال » هو مفتاح شخصيتها كما كان مفتاح شخصية احسان عبدالقدوس . وقد اقتحمت المسرح حتى وصلت الى قمة المجد والشهرة فتركته بقرار عنيد واقتحمت عالم الصحافة الذى لايقل صعوبة ، واستطاعت ـ كما يقول احسان ، وفى يديها خمسة جنيهات ، وانشأت مجلة تحمل اسما يكاد يكون اسما اجنبيا ـ وهو الاسم الذى اشتهرت به على المسرح ، فاستطاعت ان تجعل من هذه المجلة أقوى المجلات نفوذا فى الشرق . وان ترسم بها مستقبل مصر . واستطاعت ان تجعل من هذا الاسم الذى يكاد يكون اجنبيا ، علما يضم تحته كل الكتاب وانضج الاراء ولايثير عجبا فى مصر ، كما لاتثير الاهرام أو ابو الهول عجبا بين بنى مصر .

وقد كانت هذه الشخصية النسائية الباهرة اول درس فنى للكاتب الابن الذى حيرته وعلمته ان نفس المرأة عالم فسيح من الصراع الهائل . ولا اظن ان كاتبا معاصرا شغف بتشريح شخصية المرأة كما فعل احسان عبدالقدوس ولعل ماحدث فى المسرح فى مطلع القرن حدث بعده فى منتصف القرن فى ادب الرواية . فلم تجرؤ اديبة كاتبة على تصوير حياة المرأة الحميمة ومشاعرها الداخلية الخاصة وطرح قضايا المرأة وحديثها واستقلالها وعلاقاتها بالرجل والمجتمع . وباستثناء مى زيادة وملك حفنى ناصف على استحياء أو توجس ، نلاحظ أن بعض كاتباتنا اخذن يقلدن اسلوب الرجل فى الشكل والمضمون وكأنك لاتقرأ لسيدة كاتبة بل للرافعى او المنفلوطى بل والعقاد ـ رغم شاعريته الفياضة ، كتابات مرصعة بالفصحى الخشنة المليئة بالذكورة . حتى جاء هذا الروائى الجرىء احسان عبدالقدوس ففتح بابا جديدا فى الادب باسلوبه السهل والسلس والبسيط ـ الناعم ايضا ـ وساعدته الصحافة فاصبح اغلب ابطاله بطلات . وعرض مشاكل المرأة باعمارها وحكى قصص الأم التى تواجه مجتمعا بلارجل ، شرسا وطامعا ، او المراهقة المتحدية المتحررة او المطلقة المعذبة ، ولولا جرأة احسان عبدالقدوس وفنه لما استطاعت الرواية المصرية ان تسبق كل رواية بالعربية ، فتنقل نصف المجتمع الى نصفه الآخر .

وكما دوت حملاته الصحفية شقت رواياته الادبية طريقها الجرىء والجديد وصور احسان عبدالقدوس شخصيات



روزاليوسف : الأعداد الأولى فى عام ١٩٢٦

نسائية من نوع خاص ، مثل امينة فى « انا حرة » وعلية فى « اين عمرى » ونادية لطفى فى « لا أنام » وغيرها مئات الشخصيات التى تدفق بها خيال احسان عبدالقدوس . وفرضت عليه الصحافة فضلها وعيوبها . وأبدع فيما يسمى الرواية النهرية المسلسلة ، كما كان يفعل ائمة الرواية الفرنسية حين ينشرون مسلسلاتهم فى الصحف والمجلات . وكان عادة يبدأ قصته الجديدة مع شهر اكتوبر لينتهى فى يونيو او قبله اى مع بدء السنة الغنائية لام كلثوم ، وعودة المدارس ، ونهاية العطلة الصيفية . وان كان قد اكتشف موسما صيفيا آخر للقراءة الصيفية . وقد يكون احسان عبدالقدوس من الروائيين القلائل الذين كانوا يختارون اسم روايتهم ، وينتقون مانشيتا يلخص فكرتها ، وكأنه مانشيت للموضوع الصحفى . لهذا يقول مرة فى احدى رواياته .

– العمر لايحتسب بالستين ولكن يحتسب بالاحساس (فى اين عمرى)

– وشىء اسمه الحب .. وشىء اسمه غريزة التملك .. وبين الحب وغريزة التملك خيط رفيع – فى قصة « الخيط الرفيع »

والغريب ان تأثير الصحافة لازم لمن عمل بها من الادباء بل الشعراء ، حتى تلاحظ فى اكثر اشعار كامل الشناوى اخبارا . وانظر الى قصيدته الشهيرة « انى رايتكما معا ، وعيناك فى عينيه وهكذا افادت الصحافة احسان عبدالقدوس حين اعتصم بالفن والقصة وأن كانت قد فرضت عليه هذا التقطيع الذى يفرضه عرض الرواية على اسابيع . وقد تنبه احسان عبدالقدوس إلى خطر الصحافة فى نشر الادب . فكان صاحب فكرة الكتاب الذهبى الذى قدم ادبه وادب غيره من عمالقة جيله فى الرواية ، واقترح انشاء المجلس الاعلى للفنون والاداب واقترح توفيق الحكيم رئيسا ، وكان فضل الرواية المسلسلة فى الصحافة ان خرجت بالرواية من توزيعها المحدود إلى توزيع المجلات الاسبوعية الرائجة ومن الالاف الى عشرات الالاف فاذا انتقل الى اخبار اليوم وصل توزيعها لاول مرة – فى عهده – إلى رقم المليون ، وهو رقم لم تعرفه الصحافة ولا قراء الآداب من قبل . وقد كان نجيب محفوظ يخشى ان يصبح حظ الرواية مثل حظ الفنون التشكيلية تنحصر فى نخبة ضيقة ، فاذا الرواية باحسان عبدالقدوس تنتقل من المجلة إلى السينما الى أوسع الجماهير ، وتصبح الرواية سببا فى زيادة القراء واقبالهم على ادب جديد تماما .

(١) مقدمة الطبعة الأولى، لاحسان عبدالقدوس لكتاب ذكريات فاطمة اليوسف ، ديسمبر ١٩٥٣ .





صورة مصر في أدب إحسان عبد القدوس

بقلم : د. الطاهر أحمد مكي

يمثل إحسان بين كل مبدعي عصره اتجاها متميزا أصيلا ، ومدرسة قائمة بذاتها ، لايمكن أن تنسبها إلى غيره ، ولا تجد من يمكن أن تضمه إليها ، ولو أن هذا لايمنع بداهة أنه قرأ كثيرا ، في آداب مختلفة ، وتمثل ما قرأ جيدا ، فجاء إبداعه فردا ، يمكن أن تلمح فيه توافقات خافتة مع غيره ، في الظلال أو المعالجة ، ولكنه يحمل طابعه ومذاقه وصناعته .

لا أجد كاتبا تصدق عليه مقولة "الفن صورة عصره" كما تصدق على أدب إحسان ، فبين صفحات ما كتب تجد مصر المعاصرة كلها ، في شتى صراعاتها وتناقضاتها ، الفكرية والسياسية والاجتماعية ، في الريف والمدينة ، بين العمال والفلاحين والموظفين ، والأغنياء والفقراء ، والشباب والشيوخ ، والرجال والنساء على السواء . مصر كلها

هناك فى أدب إحسان ، تتزاحم فى الشوارع والميادين ، والمدارس والمصانع والحقول ، تعيش وتتحرك وتناضل ، تنبض بالحياة والأمل ، يتغشاها اليأس والاحباط لحظات ما ، ولكنها تتقدم نحو غايتها دائما .

هذه الحيوية الدافقة نجدها فى كل ما كتب ، فى الرواية والقصة والمقال ، وإن اختلفت المعالجة طبقا لما تقتضيه متطلبات النوع الأدبى من تقنيات فنية ، وفيها كلها تلتقى بالصدق الفنى دائما ، والواقعى معه فى أحايين كثيرة .

● رحلة حياة

وقد تميز فى كل ما كتب بالشجاعة والصراحة ، فى تصوير الواقع وفى التعبير عن رأيه ، لا يمالىء ولا يداجى ولايزيف ، وإنما يقول الحق واضحا صريحا ما استطاع إلى ذلك سبيلا ، فإذا حالت دون القيود المانعة لجأ إلى الاسقاط ، واتخذ من الرمز وسيلة ، ووجد المجال فسيحا فى الفن الروائى بخاصة .

لقد كتب إحسان القصة منذ أن كان صبيا فى الحادية عشرة من عمره ، مجرد محاولات

إحسان .. اتخذ من الرمز وسيلة



عابثة يقوم بها صبى ، وفى السابعة عشرة كتب قصصا فى أسلوب أقرب إلى الشعر المنثور ، فكانت مجرد خيال مراهق .

وفى الثانية عشرة عندما دخل كلية الحقوق توقف عن محاولات الكتابة ، وبدأ رحلة القراءة الواسعة مع الأدب العربى والعالمى .

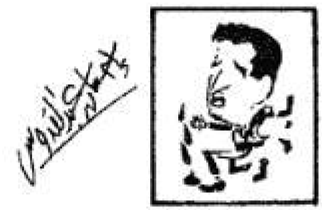
ثم بدأ يعمل بالصحافة ، وغلبت على كل تفكيره ، وأخذت منه جهده وعواطفه ، فاتجه بقوة إلى الخبر والمقال .

وبعد أن قطع فى الصحافة شوطا عاد إلى محاولاته الأولى قصاصا ، وغلب عليه فيها طابعه الصحفى ، فجاءت قصصه الاولى والتى نشرها فى مجموعتى "صانع الحب" و "بائع الحب" ، مجرد ذكريات لشاب يزور أوربا ، وكتبها بأسلوب اقرب إلى الاسلوب الصحفى ، حتى أنه كان يقطع سياق القصة ليصف بلدا ، أو يتكلم عن شخصية التقى بها ، وفى مجموعة "النظارة السوداء" ، ونشرها لاول مرة عام ١٩٤٩ ، كان يقحم نفسه فى السياق ليكتب مقالا يدافع عن فكرة أو يعرض رأيا .

وعندما نشر روايته «أنا حرة» عام ١٩٥٢ جاءت تحقيقا صحفيا أكثر منها رواية أدبية ، وكان هذا عيبا خطيرا فى تقنية القصة أدركه ، واعترف به فيما بعد ، وأخذ نفسه على تجاوزه والتخلص منه ، وساعده على ذلك أن كتابة المقال العنيف المثير الذى يشد أعصاب القراء لم يكن متاحا بسهولة بعد أن تمكنت الثورة فوجد المجال فسيحا فى القصة والرواية ، وفى اسقاطاتها ورموزها ما يتيح له أن يعبر عن كل ما يريد دون خشية من ملاحقة أو مصادرة ، فأقبل على كتابتها بجدية ، ومع المران والدربة والمثابرة والزمن أخذت شخصيته الأدبية تتطور وتنضج ، وعيوبه الفنية تقل وتذوب ، إلى أن امتلك ناصية الفن الروائى كاملة .

كان إحسان فى تطوره الروائى مرتبطا بأمرين :

نضجه فنيا من جانب ، وتطور المجتمع المصرى من جانب آخر ، وكان المجتمع فى



فترة توهج إحسان يتغير بسرعة مذهلة ، من الأحتلال إلى الاستقلال ، ومن الملكية إلى الجمهورية ، ومن الرأسمالية إلى الاشتراكية ، ومن الشمولية إلى التعددية الحزبية ، ومن الاقتصاد الموجه إلى «الانفلات» ، المخرب ، وشهد ست حروب ، إحداهما كانت عالمية .

وحين يجيء التطور سريعا وعميقا ، وعنيفا أحيانا ، تصبح صلة الحاضر بما كان واهية ، وصورة مصر بعد الثورة تختلف تماما عما كانت عليه قبلها ، وهي بعد هزيمة ١٩٦٧ شيء مختلف ، ومجتمع ما بعد «الانفلات» ، يباين في أخلاقياته وسلوكياته ما قبل ذلك تماما ، وقلة حاولت أن تتماسك ، وصبرت على المعاناة ، وأصبحت موضع سخرية "المتفلتين" . ولأن إحسانا يتميز بالحساسية المفرطة ، والشفافية المتناهية ، والالتصاق الشديد بوطنه أفرادا وأحداثا ، فقد كان شديد التأثر بما يجري على أرضه ، ولأن مصر في تطور مستمر (والتطور قد يكون إلى الأمام أو الوراء) ، فقد جاء أدب إحسان صورة قوية وصادقة ومعبرة عن هذا التطور في كل حالاته وجوانبه ، السلبي منها والايجابي ، المظلم والمضيء ، الطيب والخبيث على السواء .

ومن هنا فإن بعض قصصه ، أو رواياته ، تمثل مرحلة انتهت ، أو حالة اجتماعية اقتضتهما ظروف معينة ، وكان على وعي بذلك ، فهو يقرر صراحة أن قصته "القضية نائمة في سيارة كاديلاك" ترمز إلى حالة سياسية اجتماعية معينة أحاطت بقضية فلسطين قبل حرب ١٩٦٧ ، وتصور حالة الحيرة والضياع التي كان الشباب الفلسطيني يعانيهما ، وموقف بعض الدول العربية التي كان الشباب الفلسطيني يلجأ إليها ويخدع فيها ، وقد تطور الوضع وتغير الواقع ، ولكن القصة بقيت في أدب إحسان تمثل مرحلة في تاريخ القضية الفلسطينية .

كانت أحداث اللحظة تفرض نفسها على خياله ووجدانه ، ففي أوائل عام ١٩٦٧ راودت عقله فكرة قصة جديدة هي "دمي ودموعي وابتسامتي" ، تصور عالم التجارة اللا أخلاقي ، وتتحرك أحداثها بين أب من رجال المال ، يقوم بأعمال مختلفة ، من تصدير واستيراد ، وسمسرة بيع وشراء أحيانا ، ووكيلا لشركة أو لأحد الأثرياء ، وله مكتب صغير متواضع ، ولا يرى مانعا لكي ينمي ثروته ، ويزيد في ثرائه ، أن يغض الطرف عن مداعبات صديقه اللبناني لابنته ، ولا يرى هذا بأسا أن يزوجها لابن أخيه اسما ، ونيابة عنه ، على أن يكون هو الزوج واقعا ، أي العشيق ، ولا يرى ابن الأخ فيما صنع عمه باسمه ما يعيب ، وأعدها لتنشر مسلسلة في جريدة أخبار اليوم مع بداية عام ١٩٦٨ .

● ابداع الكاتب ●

ووقعت حرب يونية فانفعل بالموقف السياسي ، وأزاح القصة جانبا ، وتفرغ للمقال السياسي كلية ، وبعد الهزيمة كتب ثلاث قصص قصيرة تصور مناخ المجتمع الذي أدى إليها ، ثم توقف نهائيا عن كتابة القصة والرواية في تلك الفترة ، لأنه لم يكن قادرا على الافلات من الانفعال بالموقف السياسي والعسكري من جانب ، ولم يكن راغبا في أن يشد الناس بعيدا عن هذا الموقف إلى قصة عاطفية من جانب آخر ، ولم يكن راغبا في الوقت نفسه أن يصدمهم بقصص أو روايات تصور واقع الهزيمة .

لقد كان فنانا وطنيا حقا ، يدرك واعيا ، وبدقة ، الفرق بين أن تصور الفساد ونواحي القصور محتجا ، وأن تكشف عن الخلل في أجهزة الدولة ، وتعرية الفساد في مختلف

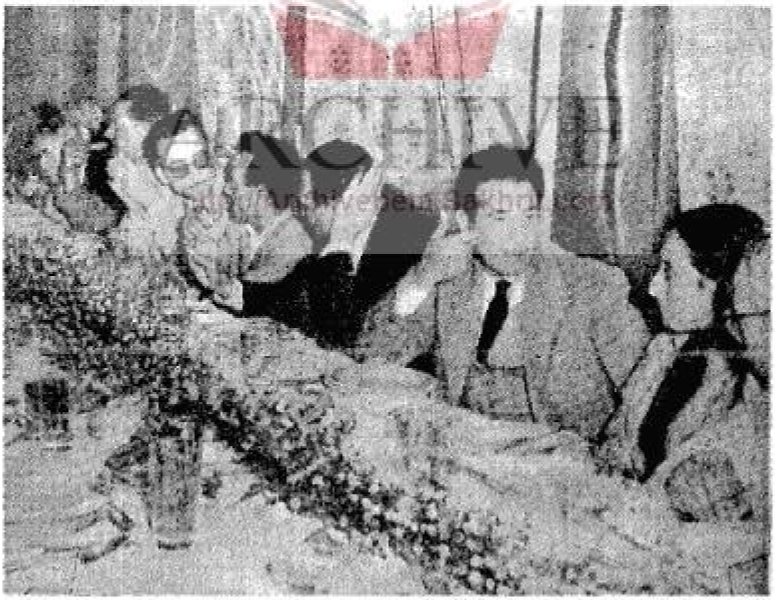
البيئات ، وبين أن يتحول القلم فى يدك إلى مثبط ومحبط وداعية هزيمة ، وكان الموقف دقيقا ، ولم تكن حالته النفسية تسمح له ان يكتب اية رواية عاطفية ، لانه عندما يكتب قصة ينفعل بها ، ويعيشها أحيانا ، أكثر مما ينفعل بها القارىء او يعيشها ، والأدب الحق ليس إلا تعبيرا عن تجربة يمر بها الاديب .

بدأ إحسان حياته اديبا خلال الحرب العالمية الثانية ، يكتب القصة القصيرة فى البداية ، ثم الرواية مع انتهائها ، ومن شأن الحروب أن تذيب ترهل الشعوب ، وأن تحدث انقلابا فى الاخلاق والأذواق والأمزجة ، ومع أن مصر لم تشارك فى هذه الحرب عسكريا ، لكن معاناتها وبخاصة فى الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والسياسية لم تكن هينة ، فتدفق عليها مئات الآلاف من الجنود الأجانب من كل الجنسيات ، وعرفت السوق السوداء ، والتهريب ، والرقيق الأبيض ، والرشوة ، وتوزيع الأطعمة والملابس بالبطاقات على أوسع نطاق ، وتطلب ذلك كله أدبا جديدا يصور هذا الواقع من خلال اللحظة الآنية ، دون تحايل بالعودة إلى التاريخ أو التحدث عن الماضى .

وكان ذلك أحد معالم الرواية عند إحسان ، فهو يكتب لعصره ، ولا ينكر فيما سبق ، أو فيما سيجىء بعد ، وإنما يصور أحداثا رآها فعلا ، ووقائع عاشها ، وأبطالا شاهدهم ، وتعامل معهم ، وتشعر فى بعض قصصه ، رغم التخفى ، أنها تمثل تجربة ذاتية حقا ، خبرها الكاتب فعلا ، وكان بطلها واقعا .

إجمالا نلحظ أن رحلة الفن مع إحسان مرت بأطوار ثلاثة ، ومع أن الحدود الفاصلة فى عالم الفكر ليست دقيقة ولا صارمة ، إلا اننا نحكم من خلال غلبة طابع معين على إبداعه

إحسان فى دمشق يشارك فى الاحتفال بعيد الوحدة ..





في كل طور ، وكان الطور الأول منها متجها إلى كتابة الرواية السينمائية .

في عام ١٩٤٢ تخرج إحسان من كلية الحقوق ، وكان في البداية ، كأي شاب في مثل سنه وظروفه ، حائرا بين اتجاهات مختلفة لا يدري في أيها يسير ، ومع أيها يحقق أحلامه في المجد والشهرة ، وربما الثروة أيضا ، وكان قد بدأ عمله في الصحافة طالبا ، مخبرا ومحررا ، في دار الهلال ، وآخر ساعة ، والمصري ، والأهرام ، والجرنال دي إيجبت ، والزمان ، وعمل حتى مدير مطبعة ، ثم محاميا محترفا لمدة عامين .

وفي هذا الطور من حياته بدأ يكتب القصة السينمائية وكانت السينما في العقد الخامس من هذا القرن من الصناعات الناجحة في مصر ، وتلي صناعة النسيج في الأهمية والأرباح ، وكتب قصتين اشترتهما منه الفنانة عزيزة أمير بمبلغ مائة وستين جنيها ، وهو مبلغ كبير بمستوى تلك الأيام ولكنهما لم تريا النور أبدا ، وبعدهما أدار ظهره لهذه المحاولة وحتى لمهنة المحاماة .

عدل عن الكتابة للسينما بدءا ، وحتى عن المشاركة في كتابة حوار رواياته التي أخذتها السينما فيما بعد ، لأنه وجد العمل السينمائي جماعيا ، يشارك فيه كثيرون : المؤلف والمخرج والمصور وكاتب الحوار والممثل والممثلة ، والمنتج أخيرا ، وهو صاحب القول الفصل ، وكان إحسان يفضل أن يعيش فردا حرا عندما يكتب رواية أو قصة ، ويفضل أن يقدمها عملا أدبيا مستقلا .

وفي تلك الأيام كانت الكتابة المسرحية مزدهرة ، ويحكمها اتجاهان مختلفان ، فهناك الكاتب الذي يعنى بالحوار ويتجه إلى القارىء والمشاهد معا ، وهو ما يتطلب تقنية عبقرية لا تستطيعها إلا قلة نادرة ، وهناك الكاتب المسرحي الذي يتجه إلى المشاهد ويكتب له وحده ، ليرى ما يكتبه منفذا على خشبة المسرح ، حيث يسهم الصوت والمناظر والملابس والموسيقا ، وحتى الاشارة ، في ترجمة ما يقول ، وهو لا يعير القارىء اهتماما ، ويعي أن مسرحيته تعيش حين تمثل ، وتموت خارج أبواب المسرح ، وهو اتجاه كان يشمل جل من يكتبون للمسرح في تلك الأيام وحتى وقتنا ، وكان توفيق الحكيم الوحيد من بين كتاب المسرح النثري الذي حرص على القارىء أولا ، فكتب مسرحه حوارا خالدا ، حتى لو خالف قواعد الاخراج .

وعرف إحسان بذكائه أن هذا يمكن أن يقع في مجال الرواية ، فكتب لها روايات «لايراعي فيها الاسلوب والسياق الأدبي المعد للقراءة ، وإنما هي قصص تعتمد أساسا على تحديد مجال الصورة السينمائية التي تبدو على الشاشة ، فلا تتطلب مثلا تحليل شخصية البطل أو البطلة تحليلا دقيقا بالقلم ، وإنما يترك ذلك لكاتب الحوار ، وللمصور ، ولأداء الممثل .. لأن الفرق كبير بين الانتاج الأدبي والانتاج السينمائي» .

فالأول عمل فردي يقوم به الكاتب وحده ويعتمد على تحريك خيال القارىء وإطلاق حريته ، والثاني عمل جماعي يشارك فيه كثيرون ، ويعتمد على جذب خيال المشاهد وحصره في صورة محددة ، ومن هنا كانت قصص إحسان السينمائية لا تتجه إلى القارىء ، وغير معدة للنشر ، ولكن إحسان وافق فيما بعد على نشر هذه الروايات السينمائية ، ولم تحقق نجاحا عاليا ، حتى ينفض عن نفسه الاتهام بأنه توقف عن كتابة الرواية في فترة توقفه فيها عن نشر إبداعه الأدبي الذي يتجه به إلى القارىء مباشرة ،

وكانت أيضا دعوة منه لأن يتسع أدبنا العربى لما يمكن أن ندعوه الأدب السينمائى ، يقف على قدميه بجوار الأدب المسرحى .

على أن بعض الروايات التى كتبها للسينما بدءا تغلبت عليه فيها هواية الأديب ، فجاءت كأنها للقراءة لا للسينما ، اعتمادا على أن كاتب الحوار سوف يحيل النص الأدبى إلى صور مرئية .

فى الطور الثانى اتجه إلى الرواية العاطفية ، وكانت بدايته «النظارة السوداء» ، ونشرت للمرة الأولى عام ١٩٤٩ ، وتمثله كاتبا شابا جريئا مندفعا ، لا يشك ولايناقش ، وإنما يريد ، ويملى إرادته دون أن يهمه شىء ، أو يحسب لأحد حسابا ، أو يشعر بأنه مسئول عن تفسير إرادته ، وقد أحس هو فيما بعد أنه كان جامحا بأكثر مما تتطلبه اللحظة يومها ، فحاول أن يعود إلى الرواية ثانية ، وأن يصوغها من جديد فى قالب ربما أكثر رزانة ووقارا ، ويعكس اتزان الرجولة ونضج العقل ، ثم بدا له أنه فى مثل هذه الحالة يكتب شيئا جديدا مختلفا ، ففضل أن يتركها كما هى ، تحمل طابع بداية شبابه ، بكل ما فيها من تهور واندفاع .

ثم تلتها رواية «أنا حرة» ، ونشرت عام ١٩٥٢ ، وأثارت لغطا شديدا حولها ، لما اتسمت به من جرأة فى التصوير والتعبير ، ولكن إحسان لم يعر هذه الضجة التفاتا ومضى فى طريقه ، فليس هناك فنان يمكن أن يقصر إبداعه على جانب واحد ، لأن العاطفة ، والفن تعبير عنهما ، يمكن أن تتعاورهما كل الأحاسيس ، من حب وغضب وكبرياء وخير وشر ، وأشجع الرجال تراوده لحظات من التردد وحتى الجبن ، وأعظم الوطنيين قد تطوف برؤاه أشباح اليأس ، وحتى التفكير فى الخيانة ، عندما يحاصره اليأس أو الاحباط ، أو المغريات المبهرة التى يتراجع بإزائها كبرياء الضمير .

وأعظم الشعراء تغنيا بالحب هم أصلبهم فى النضال ، وأثبتهم عند اللقاء ، كذلك كان



أنا حرة .. تحقيق روائى
.. أم تحقيق سينمائى

المتنبى وأبو فراس الحمدانى ، ومحمد مهدى الجواهر ، وبابلو نيرودا الشيلى ، الحائز على جائزة نوبل ، وربما لهذا السبب اخترت عنوانا لكتابى عنه : «شاعر الحب والنضال» .

روايات هذا الاتجاه تتخذ مما يدور بين الرجل والمرأة إطارا عاما ، وتشغل هذه العلاقة حيزا كبيرا من بناء الرواية ، ويقف متأنيا أمام تصوير دقائق هذه العلاقة فى شتى جوانبها ، ولكننا نظلمه أشد الظلم إذا قلنا عن هذه الروايات إنها وقف على هذا الجانب وحده ، فالحق أنه يصور من خلالها قطاعات متعددة من المجتمع فى حركته اليومية المتغيرة ، فى دنيا السياسة أو الصفقات أو العلاقات الاجتماعية ، الشاذة والسوية على السواء ، ففى رواية «النظارة السوداء» ، وهى نموذج لروايات هذه الفترة ، نجد صورة دقيقة لعالم المتمصرين فى مصر ، جاءوا من كل بقاع الدنيا ، يعيشون فيها ، ويطعمون خيرها ، وليسوا منها ، ولا يتحملون من همومها شيئا .

أكد هذا الاتجاه عند إحسان ، وشجعه على المضى فيه إقبال القراء عليه ، وأن الفترة التى كتب فيها ، كانت مهيأة له أحداثا ومزاجا ، فقد



خرجت مصر من الحرب العالمية الثانية ، فاقدة توازنها الاجتماعي ، وانهارت فيها قيم كثيرة ، تحت وطأة الغلاء ، والأحكام العرفية ، والظلام المادي والمعنوي ، ومئات الالوف من الجنود ، من كل أنحاء المعمورة ، انتزعوا من بيوتهم ليقاتلوا لغير قضيتهم ، ويدافعوا عن غير وطنهم ، ولا يعرفون إن كانوا سيعودون إلى بيوتهم يوما أو يموتون مجهولين ، فأطلق هذا الاحساس غرائزهم المكبوتة ، ومضوا يسكرون ويعربدون ويسرقون ويبحثون عن المرأة أنثى بأي ثمن .

وفي مثل هذا الجو راجت سوق القوادة الظاهرة والخفية ، يقوم بها سفلة يبحثون عن الرزق أو الثروة ، وأخرون من طبقات غير محتاجة ، تحت شعارات براقة ، من الترفيه عن الجنود ، إلى حفلات الرقص للضباط ، وعلى الجانب الأخر كان هناك آلاف المجندات من الجيوش الحليفة ، يجتاح داخلهن نفس المشاعر التي تملأ داخل الجنود ، فهن يعملن في الحرب ، ولكنهن أيضا يبحثن عن المتعة والاسترخاء عند من يعرفن ومن لا يعرفن ، ومن يريح أعصابهن من كابوس الدماء والقتلى ، وفي مثل هذا الجو ساد شعار : «في أيام الحروب يجب التجاوز عن مبادىء الأخلاق» .

والحق أن الأمر لم يكن وقفا على مصر وحدها .

ولم يختف هذا الاتجاه في روايات إحسان ، وظلت المرأة فيه واضحة على الدوام ، ولكن التفاصيل الدقيقة والمثيرة سوف تقل ، أو تختفي ، وتحل مكانها اهتمامات وأفكار من لون آخر .

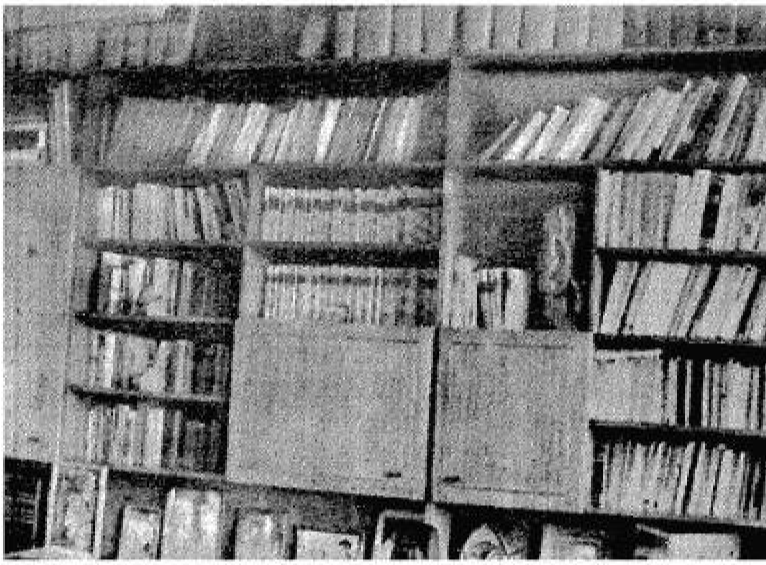
ظل الاناء من المادة نفسها ، ولكن السائل داخلها تغير لونا وتكوينا .

وجاء الطور الثالث في أدب إحسان مع الثورة نفسها ، ولم يكن ذلك صدفة ، فقد لعب إحسان كاتبا سياسيا دورا عظيما في التمهيد لها .

لقد وقع عليه اختيار الضباط الاحرار ليكون لسانهم في فضح المآسي التي صحبت هزيمة العرب الأولى في حرب فلسطين ، ومن بينهم مصر ، وحمل إحسان الرسالة في شجاعة منقطعة النظير ، فقد كان يواجه القصر ، والمستعمر ، وحكومة الاقلية ، وكانت فرقة الحرس الحديدي قد تكونت لتغتال كل من يقف في طريق الملك ، (وكان الضابط أنور السادات أحد أفرادها) ، واغتالت الضابط طه عبدالقادر فعلا ، ومع ذلك أقدم ، ووقف قلمه على فضح الفساد في الطبقة العليا والحاكمة ، ويومها كانت روز اليوسف التي يكتب فيها أروج المجلات انتشارا ، وتباع بضعف ثمنها في بعض الأحيان .

وخلال أيام النضال هذه شغل بالمقالات السياسية ، وقامت الثورة ونجحت ، ولم يكن موقف إحسان تأييدا على طول الخط ، ولا معارضة دائمة ، وأصابه مس من شظاياها ، فاعتقل ولوحق ، ولكنه ثبت .

وكان عليه في المجال الأدبي أن يواجه حملة شديدة ، ونقدا قاسيا ، غير مبرر في أغلبه ، تحاملا من أناس ضاقوا بنجاحه الأدبي وحسدوه عليه ، لروايته «أنا حرة» ، وقيل يومها إن إحسان لا يصلح لغير هذا اللون من الكتابة ولا يستطيع أن يتجاوزه ، وكان عليه أن يرد على هذا التحدي ، وواتته الفرصة مع حرب ١٩٥٦ ، فكتب روايته «لا تطفىء الشمس» من وحي معركة بورسعيد ، ثم كتب قصة «البحث عن ضابط» لتكون فيلما سينمائيا يسجل المعركة ، ولكن القصة



فى مكتبة إحسان وثائق بالغة الأهمية

ضاعت ، والفيلم لم ينتج . فأعاد نشرها فى مجموعته «حمى ونموعى وابتسامتى» .

ومن هذه اللحظة تواكبت القضايا الاجتماعية والسياسية فى إبداعه ، ولم تعد المرأة وقضاياها محورها الوحيد . فجاءت روايته «فى بيتنا رجل» ، ونشرها عام ١٩٥٦ . وهى تصوير لاغتيال أمين عثمان باشا ، بيد حسين توفيق ورفاقه . والفوران السياسى الذى كانت تشهده مصر ، ومع أن الرواية ارتبطت بحادث معين ، لأن كثيرا من مشاهدها لا تزال حية بيننا ، تتكرر كل يوم ، ويحسبنا الفصل الخامس منها مثلا .

فى هذا الفصل يصف المؤلف تفتيش البوليس لمنزل الأسرة ، ويقدم تفصيلات إنسانية دقيقة لما قاموا به ، ووحشية رجال الشرطة وفظاظتهم ، ولا تستطيع أن تنهى قراءته دون شعور بالاشمئزاز والحزن ، وأن تطل الدموع من عينيك . وأنت تشهد حرمة هذه الأسرة الوادعة تنتهك وتمتهن وتستذل ، كما تستذل كثير من الحرمات فى بلادنا .

ومع الزمن والتطورات المفاجئة والمتواصلة سوف تشغل القضايا الاجتماعية والسياسية فكر إحسان ، وتحتل المساحة الأوسع فى إبداعه ، واستطاع عن طريق الرمز والاسقاط أن يكتب مالم يستطعه غيره ، عن الطبقة الجديدة ، والصفقات المريبة ، وفساد ضباط الثورة ، والعفن الذى تفشى فى غيبة الحرية والديمقراطية ، وعن شيوخ البترول والمال وشيخاته ، واليهود ومؤامراتهم فى التسلط والتجسس ، وغيرها .

● إحسان وتاريخ مصر ●

وفى رأيى فإن هذه المرحلة ، تضم أروع ما كتب إحسان ، وتمثل وثيقة بالغة الأهمية فى تاريخ مصر المعاصر .

يتخذ إحسان من الطبقة البرجوازية مجالا لابداعه ، ففيها يجد بغيته ، الخيرين والأشرار ، وعندها تلتقى بقية الطبقات ،



صعودا إلى العليا أو هبوطا إلى الدنيا : تاجر منيفاتورة من الموسكى ، راقصة فى ملهى ، مدير شركة ، رجل أعمال ، سيدة صالون ، تلاميذ فى المرحلة الثانوية ، أو الجامعية ، جادون ومتميزون وفقراء ، ومعظم فتيات سمراوات ومراهقات ما بين الثالثة عشرة والعشرين ، وقد تكون البطلة أجنبية تقيم فى مصر ولا تعرف العربية ، أو سائحة التقى بها صدفة .

ومعظم أحياء القاهرة تتوارد فى رواياته ، العباسية والدقى والمعادى ومصر الجديدة والروضة ، وفازت شبرا بالنصيب الأوفر ، فقد كانت فى الأربعينيات حى الطبقة الوسطى المتماسكة ، والطبقة البرجوازية الصاعدة ، وفى شوارعه تتراقص أجمل الفتيات ، وفى الصيف يتخذ من شواطىء الاسكندرية الراقية مسرحا : المعمورة ، المنتزه ، سيدى بشر وغيرها .

وقد يرحل إلى خارج مصر : بيروت فى لبنان ، والآن فهناك شارع الحمراء الشهير ، أو إلى المغرب أو الكويت ، أو إلى بلد أوربى : باريس أو روما ، أو كابرى ، أو فيينا ، وغيرها كثير .

وعبر التصوير تمر بك أسماء شوارع عديدة ، لا يخطىء فى وصفها ، فحارة درب اللبانة فى القلعة يسكنها كثير من الفنانين البوهميين وأصحاب المذاهب المتطرفة الذين تطاردهم الشرطة ، ومن يؤرخ للقاهرة يوما فى تطورها المعمارى وشوارعها وجغرافيتها ، سوف يجد الكثير المفيد فى روايات إحسان وقصصه ، وهو دقيق للغاية فيما يقدم من معلومات المتصلة بحركة الأسر الاجتماعية صعودا وهبوطا ، تبعا لارتفاع أسهم الحى أو هبوطه فى التمايز الطبقى .

واسم البطل يتفق مع بيئته وطبقته ، ولكل مجتمع أسماؤه الشائعة بين أفراده ، فالشاب الفلسطينى غسان ، والعربية زين ، والتلاميذ المصريون : علاء ، وأمينة ، وإبراهيم ، وسها ، وأما عتاة المجرمين فى سجن أبو زعبل فهم : الوحش والعتر وعبدالله وحمدان . ومن الأجانب : جينى ، ولوتى ، وتشارلى ، وهانز ، وجان ، وغيرهم كثير .

وهو فى كل مكان من مئات الأمكنة التى اتخذ منها مسرحا لأبطاله خبير به ، يعرف أدق تفاصيله ، وأساليب التعامل فيه ومستوى الطبقة الاجتماعية التى تتردد عليه ، واللغة التى تتكلمها ، عربية خالصة ، ذات مستوى

إحسان .. القلم لايزال فى يدىّ ..



فصيح أو تغلب عليها لهجة عامية ، واللهجات عديدة ومتنوعة ، وقد تشوبها لكنة أجنبية ليست واحدة دائما ، الفاظ فرنسية او إنجليزية او إيطالية أو حتى يونانية ، ونسبتها تختلف حسب شخصية المتكلم بها وبيئته .

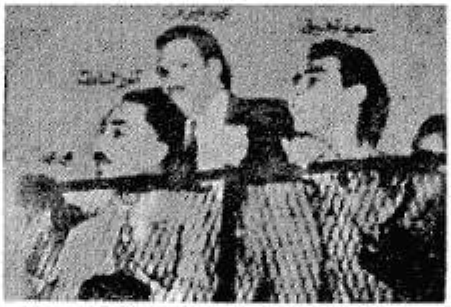
ليس لاحسان تقنية محددة فيما يكتب من قصة او رواية ، قد تجيء فى شكل تقرير صحفى كما فى «فنجان قهوة فوق حلة ملوخية» ، او يستخدم تيار الوعى بطريقة ساذجة كما فى «القط اصله اسد» ، وقد تجيء فى ضمير المتكلم او الغائب ، او فى شكل اعترافات ، او شكل رسالة او رسائل موجهة الى البطل ، كما فى «سيدة صالون» .

وهو يكتب الرواية ، والرواية القصيرة ، والخطوط الفاصلة عنده بين هذه الأخيرة وبين القصة غير واضحة تماما . وقد تقصر الرواية القصيرة عنده حجما حتى تصبح قصة من ناحية الشكل ، ولكن امتداد الزمن ، وتعدد الامكنة ، وتنوع الاحداث ، يجعلها اقرب إلى الرواية القصيرة كما فى «الله محبة» و «كل النساء» ، وربما لهذا السبب ضمها فى مجموعة إلى روايته «الوسادة الخالية» .

وقد تجيء القصة عنده وصفا خالصا يتخلله حوار قصير ، كما فى «عمرنا اربع ساعات» او مزيجا من الحوار والوصف كما فى «الله محبة» ، او حوارا خالصا كما فى «كل النساء» .

ويختلف الحوار من قصة إلى اخرى ، يجيء احيانا قصيرا متوترا جذابا ، وقد يطول كما فى «الله محبة» ، فيأخذ شكل خطبة بليغة ، ويفقد ديناميكيته وتوتره ، ودوره فى الامساك باهتمام القارىء وإثارته .

وهو يفجر الاحاسيس المضطربة فى اعماق ابطاله ، وهم متوترون نفسيا ، ومن ثم فهو يهتم بتحليل كيانهم مستفيدا من منجزات علم النفس محاولا ان يقدم التبريرات الكافية لتفسير سلوكهم ، غير ان عمله الصحفى ترك بصماته واضحة فى هذا الجانب ، فجاء



قضية امين - عثمان .. هل حولها احسان الى رواية ؟

تحليله ، فى المرحلة الاولى والثانية بخاصة ، سريعا متعجلا ، كما لو كان مجموعة من التقارير .

ويكتب إحسان بلغة عربية عصرية سلسلة بدأها صحفيا ، وانتهى بها اديبا مصورا ، إلا انه حرص على ان تجيء اللغة صورة من حديث الطبقة التى يصورها ، ومن هنا كثرت الالفاظ الأجنبية المتناثرة فى رواياته ، ما اتصل منها باسماء الأثاث والطعام والملابس والاسطوانات الموسيقية ، وانواع الرقص وغيرها .

وقد درج فى البدء على ان يكتب الحوار باللهجة العامية ، والوصف بالفصحى ، ثم وقعت فى يده رواية عراقية تتبع هذا النهج ، فلم يفهم من العامية العراقية شيئا ، ومن يومها ادرك خطأ هذا الاتجاه وبدأ يحرص على ان تكون رواياته كلها بالفصحى حوارا ووصفا .

وكانت صورة عادية بسيطة ، فى جلها تشبيهات ، انتزع مادتها مما حوله ، وليس فيها اثر لمخزون تراثى ، وكان يكفيه ان يمد خياله إلى حياته نفسها فى حركتها وعمقها ، لتمده بما يريد ، ولذلك تجيء الصورة أحيانا دون ما يتمنى الناقد .

وخلاصة ما يمكن ان يقال فى ادبه ، انه صورة مصر ، رسمها مصور باهر ، وفى قدرة فائقة ، للفترة ما بين عام ١٩٣٨ و ١٩٨٩ من حياتها .





إحسان عبد القدوس بقلمه

● كان احسان عبد القدوس يكشف عن ذاته ويتحدث عن نفسه بشيء من الحياء والتواضع ولكن بصراحة وبلا محاولة لاخفاء شيء .. وفيما يلي مقتطفات من كتاباته ، يرسم بها لنفسه صورة دقيقة .

عانيت كثيرا من اسمي ..

ففي فترة طفولتي كنت كلما تشاجرت مع الاولاد في الشارع يجرون ورائي وهم يرددون "البنوته اهو .. البنوته اهو" لماذا ؟ لان اسمي احسان .. واحسان اسم يطلق على البنات ولهذا كنت دائما وانا صغير اسأل والدي ووالدتي :

ـ انتو ليه سمتوني احسان ؟!

كانت والدتي ، روز اليوسف ، تقول لي : ان السبب في تسميتك باسم احسان هو انها اثناء الولادة وقفت بجانبها صديقتها الممثلة احسان كامل ، فاطلقت اسمها "احسان" على اول ابنائها .

لكن والدي يحكي لي قصة اخرى سبب تسميتي ، وكان يقول ان جدتي كانت تركية



فاطمة اليوسف

.. واسم احسان فى تركيا يطلق على الاولاد . احسان مذكر لا مؤنث فى تركيا وجدتى هى التى اختارت لى اسم احسان والدى ووالدتى كل منهما يريد ان يخفف على نفسى وقع اختيار اسم احسان .

لكننى فى الحقيقة اكثر اقتناعا بكلام والدتى من والدى لانه كان يحبنى جدا . ولهذا اراد ان يبرر لى اختيار الاسم ، ويخفف الصدمة نفسيا جدا من اختيار اسمى لدرجة اننى عندما بدات الكتابة ونشرت اسمى فى الصحف والمجلات ، فوجئت برسائل كتب عليها الانسة احسان عبد القدوس .

رغم كل هذا فاننى استطعت ان افرض اسمى كرجل فلدى الاحساس دوما اننى ولدت مشهورا فكلما ذهبت الى مكان يشار على احسان . ابن روزاليوسف ومحمد عبد القدوس . لذا لم تكن الشهرة شيئا ذابال فى بداية حياتى . فابى محمد عبد القدوس هو اكبر شخص فى حياتى فلقد تاثرت به كثيرا من الناحية الفنية كان يجلس فى البيت يكتب القصص والازجال والاشعار وكتب قصة اسمها "احسان بيه" وتحولت



احسان الجد .. ومحمد الحفيد

الى فيلم سينمائى وكان ثانى فيلم مصرى بعنوان "بنت النيل" .. ولهذا فاننى دائما ما اقرب الواقع الذى اعيش فيه بخيالى .. فقد كنت اسير فى الصحراء التى كانت فى الناحية الشرقية من العباسية أسير وحيداً تتنابنى نوازع ومشاعر متباينة ، وأخلو بنفسى واسرح واظل ابكى .. ولا اعرف لماذا ابكى

ليست هناك اسباب وانما هى نوازع طبعا كنت اقدر والدى . وكان والدى يكتب واجلس انا فى مواجهته واكتب أنا الآخر كتبت شعرا منثورا وزجلا ، وشعرا وقصصا . وكتبت اول مسرحية فى حياتى وعمرى عشر سنوات .. مقلدا والدى الذى كان يكتب مسرحيات .

● تعلمت العناد من أمى

هذا عن ابى .. فماذا عن امى . فانا لاادرى كيف استطاعت ان تحملنى السيدة فاطمة اليوسف تسعة اشهر وهى واقفة على خشبة المسرح تعتصر الفن من دمها واعصابها لتكون يوما اعظم ممثلة فى الشرق ولا ادرى كيف استطاعت ان تطرد عنى الموت الذى



طاف بى مرات خلال طفولتى وصباى فى حين انها كانت دائما بعيدة عنى تسعى فى طريق مجدها .

ولا ادرى كيف استطاعت ان تنشئنى هذه النشأة وان تغرس فىّ هذه المبادىء وهذا العناد وان تقودنى كطفل وكشاب فى مدارج النجاح فى حين انى لم التق بها ابدا إلا وفى راسها مشروع ، وبين يديها عمل .

كيف استطاعت ان تجمع فى شخصها كل هذا .

واذا كانت قد استطاعته فكيف تستطيعه اية سيدة اخرى تريد ان تسعى سعيها .

انها لم تكن غنية يوم ولدتنى ويوم نشأت فى رعايتها ولا كان ابى غنيا فلم تكن لنا قدرة على استئجار مربية لتعهد بى اليها ولم تكن الحياة قد سهلت الى هذا الحد الذى نراه الآن لتيسير تربية الاطفال انما هى التى صنعتنى بيديها هى التى ارضعتنى وهى التى اعدت طعامى وهى التى بدلت ثيابى وهى التى نامت على مرضى ، وهى التى وضعتنى على فراشى وهى التى علمتنى كيف اخطو ، ولقنتنى كيف انطق .

صنعتنى بيديها كما صنعت مجدها بيديها كل يوم من ايام هذا المجد وكل حرف فيه ، وكل خطوة من خطواتها هى وحدها صاحبة الفضل فيه وليس لاحد فضل عليها .

هى التى التقطت دروس الفن ، وجعلت من نفسها سارة برنار الشرق ، كما اطلق عليها نقاد ذلك الجيل .

كنت احيانا اضع نفسى بعيدا عنها واجرد نفسى من عاطفتى نحوها ثم احاول ان ادرسها كما يدرسها اى غريب عنها ، علنى اجد مفتاحا لشخصيتها وعلنى اخرج من دراستى بقاعدة عامة لحياتها اطبقها على بنات جنسها . ولكن كنت اخرج دائما بمجموعة من المتناقضات لايمكن ان تجتمع فى انسان واحد . انها هادئة رقيقة تكاد تذوب رقة يحمر وجهها خجلا اذا ما سمعت كلمة ثناء ، ويكاد صوتها الناعم الخفيض الرفيع المنغم يشبه صوت فتاة فى الرابعة عشرة من عمرها . وهى تفضل العزلة ولها دنيا خاصة تعيش فيها . وليس لها كثير من الاصدقاء والخصوصيين رجالا او نساء ، واغلب من يعرفونها لاتعرفهم وهى تكره المجتمعات وتكره ان تقيم فى بيتها حفلا او مأدبة بل انها فى بعدها عن الناس يفوتها كثير من المجاملات ، حتى المجاملات التى يتطلبها العمل وهى بعد كل هذا قلب طيب ينشر الحب والسلام حوله . حتى تبدو ساذجة تستطيع ان تضحك عليها بكلمة ويد سخية تعطى باستمرار وتأبى ان تأخذ نظير ما تعطى .

اما الشخص الثالث الذى له شىء فى صدرى فهو جدى الشيخ احمد رضوان الذى نشأت فى بيته كان من رجال القضاء الشرعى ومن خريجى الازهر وكان متدينا له حجرة صغيرة داخل المنزل مليئة بالكتب الدينية اطلق عليها والدى المعبر خانه .

وقد رفضت فى بيت جدى امورا احذر كل شاب متدين منها وهى التقاليد التى تنسب الى الاسلام زورا وبهتانا خاصة فى مسألة المرأة وتحريم كل الحقوق الطبيعية عليها حتى الحق فى ان تطل من الشباك واعتبارها مجرد متعة للرجل وعلى العكس من كل ذلك كانت والدتى التى انفصلت عن والدى منذ وقت مبكر تتمتع بكافة حقوقها كامرأة وشاركت فى الحياة السياسية والعامة مشاركة فعالة . وقد ادى هذا التناقض بين الحياة فى بيت جدى وحياة والدتى الى ازمة نفسية عنيفة تعرضت لها فى شبابى المبكر الزمتنى الفراش ثلاثة شهور واوصانى والدى فى مرضى بقراءة القرآن الكريم بعناية .. وفعلا قرأته اكثر من مرة خلال

فاطمة اليوسف .. وزوجها ..



من هذا الكوب شربت كثيرا فى السجن عام ١٩٥٤ .. احسان



تلك الفترة .. ومن وقتها وانا اميل الى الاراء المجتهدة فى الدين .

عشت فى بيت جدى حتى سن الثامنة عشرة كانت "عمتى" هى التى ترعانى فى واقع الامر . وبدأت غرابة حياتى فى عمر مبكر . فعلاقة احساسى بأمى لابد ان تستوقفنى فقد كنت مرتبطا بها ، رغم انى لم اعش معها . كنت ازورها مرة كل اسبوع واعود فى آخر النهار الى بيت جدى كنت اتردد عليها فقط ولم انم يوما فى حضنها الا مرات قليلة تعد على اصابع اليدين ! ورغم هذا الارتباط كنت دائما فى معارك مستمرة معها . كانت حياتى مع عمتى هى التى تشعل فى نفسى الثورة عليها . ففى الوقت الذى كان محرما على عمتى ان تجالس رجلا من غير الاسرة كنت ارى امى جالسة بين عشرة رجال .. كالعقاد والتابعى وآخرين ..

كنت اتساءل ايهما على صواب امى ام عمتى ؟ وظل التساؤل يكبر معى حتى صار "حيرة" واعترف ان هذه الحيرة مزقتنى فى وقت من الاوقات .. وانتصبت العقد فى طريقى كالمتاريس ! وحاولت الانتصار على العقدة" فكانت ثورتى اننى ثائر على وضع امى . وثائرا ايضا على وضع عمتى اننى احبهما ولكن اسلوب حياة كل منهما ليس كل الصواب بل بدأت فى العمر المبكر اكتشف ان الوضعين خطأ

● ابن الست .. رجل

كانوا ينادونى ويقدمونى للجميع ابن "روزاليوسف" فانا منسوب لامى كنت اتساءل بينى وبين نفسى : لماذا انا فقط انتسب الى امى واصدقائى ينتسبون لابائهم ؟ ! فلا احد من الاولاد فى العباسية ابن سنية هانم او خديجة هانم وكانت هذه عقدة اعانى منها !

وبدأت التفكير فى المرأة وانا لم اصل حتى لسن البلوغ .. بدأت افكر ، لماذا انتسب لابائنا دون امهاتنا . ولماذا انتسب انا لامى .

ومن هو هذا الكائن الغريب المسمى المرأة وفيم يختلف عن الرجل ؟ هل هو مخلوق آخر من يكون اذن من هما ؟

ومازلت حتى الآن ، احاول ان اجيب على التساؤلات . ربما دفعنى هذا لاعتبار المرأة عندى ، كائن مستقل يشغل بالى ، ويستفز فكرى .

ربما !

إحسان عبدالقدوس



قضية الأسلحة الفاسدة

بقلم: د. أحمد عبدالرحيم مصطفى

أثارت قضية الاسلحة الفاسدة اهتمام الراى العام المصرى فى اعقاب حرب فلسطين . وكانت لها مضاعفات قوية ساعدت على انهيار النظام القائم فى مصر . واقترنت الضجة التى صاحبت هذه القضية باسم الصحفى الراحل احسان عبدالقدوس الذى نشر مقالات حادة فى مجلة روزاليوسف كان لها صدى واسع النطاق فى الراى العام المصرى الذى تكشفت له الهزيمة التى حلت بالقوات المسلحة المصرية والتى حار فى تفسير اسبابها بعد ان لم يقتنع بالتبريرات التى قدمت له عنها .

●●●



مقال عن الأسلحة الفاسدة .. اقام محاكمات طويلة في القاهرة

وقد مست مقالات احسان عبدالقدوس الملك وحاشيته بوجه خاص كما مست كثيرا من الشخصيات الاخرى التي قيل انها حصلت على ارباح طائلة من توريد اسلحة فاسدة قيل انها كانت السبب في الهزيمة ولو أن هذه الهزيمة ، كما سنرى كانت نتيجة لأسباب اخرى سنتعرض لها في هذا السياق .

فبعد قرار تقسيم فلسطين الذى اصدرته الجمعية العامة للأمم المتحدة في ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ استعد اليهود للحرب ضد العرب الذين ابدوا رفضهم لقرار التقسيم . وسعى ممثلو اليهود لشراء الأسلحة والعتاد الحربي في الولايات المتحدة واوربا الغربية وتشيكوسلوفاكيا وامكنهم تهريب كميات كبيرة منها إلى فلسطين قبل انتهاء الانتداب البريطاني في الوقت الذى عبئوا فيه الرجال والنساء للخدمة العسكرية . كما بذلت الوكالة اليهودية جهودا ضخمة لتحصيل الأموال من يهود "الشتات" وامكن جمع مبلغ طائلة وبخاصة من يهود الولايات المتحدة . وفي اوائل مايو ١٩٤٨ كانت لدى وزير الدفاع الأمريكي تقديرات عن قوة اليهود استخلص منها ان القوات اليهودية في فلسطين كانت تتفوق على كل القوات العربية مجتمعة من حيث الرجال والتجهيز والتدريب . وبعد اندلاع الحرب بقليل قدم قسم المخابرات العسكرية الامريكية الى رئيس الأركان مذكرة قدرت قوات الجامعة العربية التى دخلت فلسطين بعد انتهاء الانتداب البريطاني او وقفت بالقرب من حدودها بحوالي ٢٠ الف مقاتل مضافا اليهم حوالي ١٣,٠٠٠ محارب فلسطيني . كما قدرت القوات اليهودية باربعين الفا يساندهم



حوالي ٥٠,٠٠٠ من الميلشيا . وخلال الهدنة عزز العرب قواتهم بنسبة الثلث فاوصلوا اعدادها إلى ٣٥,٠٠٠ مقاتل فى حين توصل اليهود قواتهم إلى ٦٠,٠٠٠ مقاتل . وفى اواسط يونيه ١٩٤٨ قدرت هيئة الاركان الامريكية المشتركة الاحتياطى البشرى لدى الطرفين المتحاربين على الوجه التالى : الحد الاعلى لتعبئة اليهود : ١٨٥,٠٠٠ والعرب حوالى ١٤٠,٠٠٠ من الجنود الذى يمكنهم الاشتراك الفعلى فى القتال . وفى نوفمبر قدر الانجليز ان القوة الجوية اليهودية بلغت حوالى ١٥٠ ـ ١٦٠ طائرة حربية يقودها متطوعون اجانب .

والحق ان الدول العربية لم تكن حتى ١٥ مايو ١٩٤٨ تصدق ان الإنجليز سينسحبون من فلسطين وبالتالى فإنها لم تعد العدة للحرب ولكن الزعماء العرب ضللتهم دعاياتهم الحماسية خاصة وأن بعضهم استهتروا بقوة اليهود واعتقدوا ان هزيمتهم ممكنة ولن يعدو القتال ان يكون نزهة حربية . وقد اصاب عبدالرحمن عزام ، الأمين العام للجامعة العربية ، كبد الحقيقة حين صرح للسفير البريطانى فى القاهرة فى اواخر إبريل ١٩٤٨ بأن الاستعدادات العسكرية التى كانت تتظاهر بها الدول العربية كانت تستهدف انقاذ الزعماء العرب من جماهيرهم ، ولهذا فإنه حاول عبثا ان يقنع الانجليز بالبقاء فى فلسطين فترة أخرى ـ وكان رئيس الوزراء المصرى محمود فهمى النقراشى قد صرح فى مؤتمر "عاليه" الذى عقدته الجامعة العربية ان مصر اذا كانت توافق على الاشتراك فى الحشد العربى للقوات العربية على حدود فلسطين فإنها غير مستعدة للمضى اكثر من ذلك . ورغم ذلك فإن الملك فاروق ، بصفته القائد الاعلى للقوات المسلحة ، اصدر امره بدخول هذه القوات الى فلسطين حتى يتمكن من إفشال مشروعات الملك عبدالله حاكم الأردن الخاصة بتوسيع مملكته تحقيقا لمشروع سوريا الكبرى ، بالاضافة إلى رغبته فى تحويل انظار الرأى العام المصرى عن المشاكل الداخلية ولن يقوى سلطته .

وعلى اى حال فقد دخلت جيوش الأردن ومصر والعراق وسوريا ولبنان إلى فلسطين فى ١٥ مايو ١٩٤٨ وهى تجهل حالة اليهود ومقدار قواتهم ومدى تسلحهم ومناعة تحصيناتهم فى الوقت الذى كان فيه اليهود يعرفون الكثير عن هذه الجيوش . ورغم الدعايات الواسعة التى احيط بها تقدم القوات العربية فى القسم العربى من فلسطين إلا ان الواقع كان مغايرا . وكانت النتيجة هى ان القوات العربية لم تنجح فى تحقيق اهدافها . بل لقد استولى اليهود على اراض جديدة لم تخصص لهم فى قرار التقسيم ، واضطرت الدول العربية الى قبول الهدنة التى قيل انها تستهدف التمهيد لقيام سلام دائم فى فلسطين .

وقد حارت الجماهيرالعربية فى تفسير ماحدث ، حقيقة إنها خدرت بالبيانات الكاذبة ، إلا انه كان من المستحيل التكتم على الحقائق بعد عودة المقاتلين إلى اوطانهم ـ وكانت النتيجة هى اهتزاز هيئة الانظمة الحاكمة التى مالبث بعضها ان سقط بعد قليل نتيجة لانقلابات عسكرية قام بها بعض الضباط الذين اشتركوا فى الحرب . وكانت قضية الاسلحة الفاسدة اول معول وجه إلى نظام الحكم القائم فى مصر ـ واساس هذه القضية ان الولايات



الملك فاروق



النحاس باشا



فؤاد سراج الدين

المتحدة وفرنسا وبريطانيا قد اصدرت بعد نشوب الحرب فى فلسطين بيانا بحظر تصدير الأسلحة والذخائر الى الدول التجارية . وعلى حين ان الدولة اليهودية كان لديها ما يكفيها من الاسلحة ، بالاضافة إلى ماصنع منها محليا ، فإن عمليات التهريب الى داخل فلسطين لم تتوقف . بل لقد افلحت السلطات اليهودية فى عقد صفقة اسلحة مع تشيكوسلوفاكيا وافق عليها ستالين الذى كان يسعى إلى إيجاد حالة ارتباك فى الشرق الاوسط تمهد للقضاء على النفوذ الغربى فى المنطقة . وقد تدفقت الإسلحة التشيكية على فلسطين بعد الهدنة الاولى وكان لها اثرها فى إنهاء الحرب لصالح اليهود .

وإزاء الحظر الذى فرض على توريد السلاح الى المنطقة ، وهو الحظر الذى تحايل اليهود على خرقه فإن وزارة الحربية والبحرية المصرية سعت بعد ان كادت تنفد اسلحتها فى المراحل الاولى من الحرب الى الحصول على السلاح من السوق السوداء باى ثمن وبغض النظر عن صلاحية هذه الاسلحة . وظهر وسطاء وعملاء استغلوا الموقف للحصول على الربح السهل . وكان الصحفى الراحل إحسان عبدالقدوس هو الذى قام بحملة صحفية مكثفة على صفحات مجلة "روز اليوسف" كشفت ابعاد الصفقات المريبة التى احاطت بتوريد السلاح الفاسد الذى قيل إن بعضه كان سببا فى الهزيمة ، ولو ان ذلك لايفسر كل الاسباب التى لمحنا إليها من قبل .

وكان هدف احسان من الحملات الصحفية التى شنها هو مهاجمة النظام القائم وتحريض الراى العام ، وبخاصة فى صفوف القوات المسلحة على الثورة .. وقد تنبه إلى موضوع الاسلحة الفاسدة اثناء وجوده فى إيطاليا التى استمع فيها إلى اخبار عن صفقات الاسلحة التى عقدها مندوبو الجيش المصرى . وفى ٢٠ يوليه ١٩٤٩ كتب مقالا عنوانه "محاكمة مجرمى حرب فلسطين" طالب فيه بتشكيل محكمة لمحاكمتهم . ورغم ان مقاله لم يثر اهتماما جديا فى البداية فإنه واصل هجومه على النظام القائم مستغلا فيه الانباء التى وصلته عن صفقات الاسلحة التى كانت تعقد فى ايطاليا وفرنسا .

ورغم المخاطر التى تعرض لها احسان ، ومنها محاولة قتله ، فانه استطاع ان يلفت الانظار الى الفئة التى سعت الى الاثراء





عبد الرحمن عزام



النقراشى باشا

باستيراد الاسلحة فاسدة وغير فاسدة .
وكانت من نتيجة ذلك ان محمود محمد محمود رئيس ديوان المحاسبة ، ضمن تقريره السنوى عن الحساب الختامى للحكومة لبعض صفقات الاسلحة والذخيرة التى ايدها بالوثائق . ولكن تقرير رئيس ديوان المحاسبة لم ينجح فى تحريك القضية بل لقد اصرت الحكومة حين تقدم للمطبعة الاميرية لطبع التقرير ، على ضرورة حذف العبارات التى تشير الى وجود تلاعب فى صفقات الاسلحة ولكنه اصر بدوره على نشر التقرير كاملا . ولما لم تستجب الحكومة لطلبه قدم استقالته من منصبه ولم يقف الامر عند هذا الحد . بل اثير الموضوع فى مجلس الشيوخ على يد مصطفى مرعى العضو فى المجلس الذى استخرج من تقرير رئيس ديوان المحاسبة السابق مستندات تثبت التلاعب فى شراء صفقات السلاح التى ثبت انها كانت تتم بعلم رجال وزارة الحربية بما فيها من تلاعب وطرد مصطفى مرعى من عضوية مجلس الشيوخ ومعه كل من ايده من الاعضاء بل لقد وصل الامر الى عزل رئيس مجلس الشيوخ الذى سمح بمناقشة الاستجواب !

وإزاء كل ذلك لم يجد احسان بدا من الاتجاه الى ضباط الجيش الساخطين على فساد النظام القائم فعقد معهم اجتماعا فى بيت احدهم ثم اجرى اتصالات مع شباب الضباط الذين اشتركوا فى حرب فلسطين واستغل المعلومات التى وصلت اليه فى كتابة مزيد من المقالات فى مجلة "روزاليوسف" ومنها مقال استفز فيه وزير الداخلية الوفدى فؤاد سراج الدين على امل ان يقدم الى المحاكمة . وبلغت الحكومة الوفدية النائب العام ضده للتحقيق معه فى مجموعة المقالات التى بدأ نشرها فى ٦ يونيه ١٩٥٠ ولكنه امكنه بمساعدة اصدقائه ان يحصل على صورة للعقد المبرم بين احد تجار الاسلحة وبين زوجة ضابط كبير . وهو العقد الذى كان ينص على قيام الشركة بينهما لتوريد الاسلحة الخاصة بحرب فلسطين وادى ما نشره احسان الى تحقيق النائب العام معه - وتطرق التحقيق الى "النبيل" عباس حليم - الذى اتهمه احسان رسميا امام النائب العام بعد ان حصل من شباب الضباط على ادلة اتهامه . وبعد ان انتهى من الادلاء بشهادته نشر نداء يطالب فيه المواطنين بان يتقدم كل من لديه معلومات تتصل بالقضية للادلاء بها للنيابة مع وعد بحمايته .. ومن هذه المعلومات التى وردت اليه ما يثبت من ان احد التجار كان قد انتشل الذخيرة من البحر بالقرب من السواحل الايطالية وكانت موجودة فى سفن



الملك عبدالله

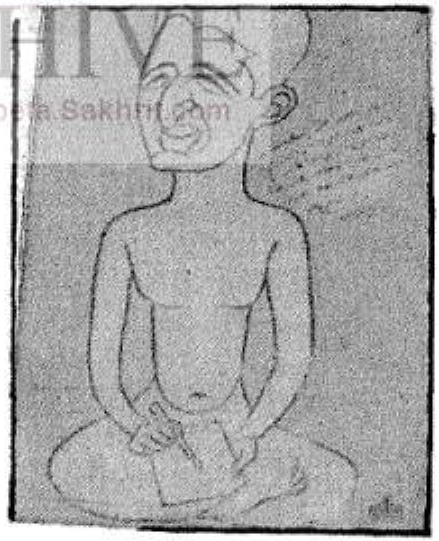


الخديو عباس حلمي

الحلفاء التي اغرقتها الغواصات الالمانية ورغم فساد هذه الاسلحة التي بقيت سنوات في مياه البحر المتوسط فإنها بيعت للجيش المصرى .

وكما سبقت الاشارة كانت حملة احسان موجهة ضد النظام الملكى القائم مع الاستعانة ببعض صفقات الاسلحة التى تمت خلال حرب فلسطين . وقد ثبت تاريخيا

احسان عبدالقدوس .. كما رسمه صلاح جاهين عام ١٩٥٥



ان هذه الاسلحة الفاسدة لم تكن بالاهمية التى علقها احسان عليها بل ان الهزيمة فى فلسطين فى عامى ١٩٤٨ ، ١٩٤٩ كانت مرتبطة بعجز النظام القائم فى مصر وضحالة معلوماته عن قوة اليهود واستعداداتهم وتدخل السراى فى سير المعلومات الحربية وعدم كفاءة القائد العام - حيدر باشا الذى كان لجهله قد زين للملك فاروق النصر وشيك - هذا فى الوقت الذى منى فيه عبد الرحمن عزام الملك بتبوؤ زعامة العالم العربي كله وزين له ان انقاذ فلسطين سيتحقق بسهولة خلال ثلاثة اسابيع ، وسيكون الخطوة الاولى التى تقوم بها الجامعة العربية ، تحت زعامة مصر ، لضمان حرية ليبيا اولا ثم بقية شمالى افريقيا !

وعلى اية حال فقد اصدر النائب العام فى ٢٨ مارس ١٩٥١ قرارا بحفظ التحقيقات بالنسبة لافراد الحاشية الملكية جاء فيه ان كل ما اسند اليهم تبينت عدم صحته ، كما اعتذر رئيس الوزراء الوفدى - مصطفى النحاس - للملك عما حدث من تحقيقات فى قضية الاسلحة الفاسدة من بعض افراد الحاشية الملكية . وبعد قيام الثورة ١٩٥٢ اعادت النيابة التحقيق فى القضية وانتهت الى حفظها من جديد ، بعد ان لم تقدم مدنيا او عسكريا الى المحاكمة . ورغم كل ذلك فإن هذه القضية قد نجحت فى المساس بهيبة النظام القائم الذى فشل فى مواجهة مشاكل البلاد وإيجاد حلول لها فشله فى الحرب الفلسطينية التى اشرك فيها الجيش المصرى دون اى استعداد .

وفى ختام هذا المقال لابد ان نشيد بجراة إحسان عبدالقدوس ووطنيته فى تناول هذه القضية التى كانت تهدد حياته . ورحمة الله على هذا الكاتب الذى طالما هزّ ضمائر جيلنا الذى كان متفتحا لقضايا بلده ومستعدا لخوض الصعاب فى سبيل رفعته وتقدمه .





ذكريات مع إحسان عبد القدوس

بقلم: د. عبد العظيم أنيس

رأيت احسان لاول مرة في المدرسة ، مدرسة فؤاد الاول الثانوية ، كان هو في السنة الخامسة او الرابعة - لااذكر بالضبط - وكنت بالنسة الاولى ، وكانت هذه السنة - ١٩٣٥ - هي سنة المظاهرات ضد الانجليز وكان حزب الوفد في مقدمة المحرضين على هذه المظاهرات . لكن مشكلة مدرستنا ان كان على راسها ناظر اتسم بالحزم والشدة (اسماعيل القباني) فلم يكن يتردد في فصل اى تلميذ يراه يهتف بالشعارات السياسية في فناء المدرسة ، وكان من الطبيعي ان يكون « الهتيفة » من تلاميذ السنة الرابعة والخامسة .

● ولما زاد عدد المفصولين من تلاميذ الصفين الرابع والخامس ، تفتق ذهن الباقين منهم ، عن حيلة حتى لايستطيع الناظر ان يرى المسئول عن بدء الهتافات ..

وتتلخص الحيلة فى ان يبدأ واحد من تلاميذ السنة الاولى من القصار بالهتاف على ان يحيط به تلاميذ الصفين الاخيرين من جميع الجوانب ويقتصر دورهم على ترديد الهتاف وراءه فلايستطيع احد معرفة من الذى بدأ الهتاف فى المدرسة ، وتطوعت وغيرى من تلاميذ السنة الاولى لاداء هذه المهمة ، وخرجنا الى الشارع وعندئذ اصطدم البوليس بنا واطلق بنادق الرش علينا فقمنا برميه بالطوب وكانت معركة انتهت بالقبض علىّ فى المساء من منزلى بينما نجا احسان مع انه كان فى مقدمة المظاهرة !

ودخلت السجن لاول مرة فى حياتى وقضيت اربعا وعشرين ساعة مابين حجز قسم الوايلى وتخشيبة محافظة القاهرة ، ولم يفرج عنى الا بسبب صغر سنى اذ كنت فى الثامنة عشرة من العمر وعندما عدت فى اليوم التالى الى المدرسة استقبلت استقبالا حماسيا من التلاميذ.

* ولابد ان احسان كان قد تابع هذه الاحداث وتيقن من شكلى المميز تماما ، ولاننى عندما قابلت احسانا بعد الثورة فى مكتبه بروزاليوسف بعد سبعة عشر عاما من هذه المظاهرات وجدته يذكرنى بها وبحادث القبض علىّ لمدة يوم كامل .

كان احسان ـ تلميذا مرموقا فى المدرسة فأمه السيدة روزاليوسف الصحفية المشهورة ووالده الاستاذ محمد عبد القدوس الممثل المعروف ، بينما لم يكن احد يعرفنا ، ومع ان احسان لم يكن انذاك يعرفنى شخصيا الا اننى كنت اعرف عن طريق اقاربى من عائلة امى القاطنين فى حى العباسية الكثير عنه . فقد كنت اعرف انه يقيم مع عمته فى شارع رضوان شكرى (حيث كان يقيم نجيب محفوظ) سنين طويلة ، وانه ظل يقيم مع عمته السيدة نعمات رضوان الى ان انهى دراسته الثانوية والتحق بكلية الحقوق فانتقل الى منزل والدته .

وظللت اتابع من بعيد احسانا فى عمله الصحفى ومقالاته النارية عن قضية الاسلحة الفاسدة دون ان نلتقى الى ان عدت من البعثة بعد حصولى



الكاريه بريشة طوغان





احمد بهاء الدين

على الدكتوراه من جامعة لندن فى سبتمبر سنة ١٩٥٢ ، وتم تعيينى مدرسا بقسم الرياضة البحتة بكلية العلوم جامعة القاهرة ، وبدأت اكتب مقالاتى فى الادب فى صفحة يوم الاحد بصحيفة المصرى واذكر اننى كتبت مقالا عن « الادب الواقعى » تعرضت فيه بشكل جانبى لقصص احسان ورأيى السلبى فيها . واذا باحد الاصدقاء من العاملين مع احسان فى روزاليوسف يتصل بى تليفونيا ويبلغنى انه يريد ان يرانى فلما ذهبت اليه فى مكتبه فوجئت به يعرض علىّ الكتابة بانتظام فى روزاليوسف . وهكذا بدأت صلتى من جديد باحسان وبالمجلة ، وظللت اكتب فيها حتى نهايات عام ١٩٥٤ واذكر اننى قمت بتحرير باب « ادب » فى المجلة بعد انتقال فتحى غانم الى اخبار اليوم .

● موقف لن انساه

لكن حدث فى نهايات عام ١٩٥٤ ان اصدر مجلس قيادة الثورة قرارا بفصل ٤٢ من اساتذة الجامعات الذين عارضوا النظام بسبب قضية الديمقراطية ، وكنت واحدا من المفصولين ووجدت نفسى بلا عمل فجأة وانا صاحب اسرة . ولم يمض وقت طويل حتى عرضت علىّ وظيفة مدرس باحدى كليات جامعة لندن فقبلتها على الفور وسافرت الى بريطانيا .. ومن هناك اخذت ارسل مقالات فى قضايا ثقافية فيقوم احسان بنشرها فى المجلة مع انه يعلم اننى من المغضوب عليهم من جانب السلطة .. وفى احد الايام وصلنى منه خطاب يقول فيه انه حزين لاننى اعمل فى خدمة جامعة بريطانية بينما تحتاج مصر الى من هم مثلى ، ورددت عليه قائلا اننى ساكون اسعد انسان اذا استطاع ان يدبر لى اى عمل فى مصر .. وبعد وصول خطابى كتب



كامل الشناوى

احسان مقالا طويلا فى روزاليوسف عنوانه (الرجل الذى سرقه الانجليز) قال فيه عنى كلاما طيبا قد لا استحقه ودعا الحكومة الى اعادتى الى جامعة القاهرة .

وبعد نشر المقال بايام كان احسان فى طريقه الى باندونج فى صحبة جمال عبد الناصر ، الذى ساله عن المقال وعنى فشرح احسان وجهة نظره بالكامل . لكن عبد الناصر ختم حديثه قائلا : ان الشيوعيين يضحكون عليك يستخدمونك ياحسان ! وبقيت فى بريطانيا حتى اعلن عبد الناصر تاميم القناة فى يوليو سنة ١٩٥٦ فقدمت استقالتى على الفور من الجامعة وقررت العودة الى مصر ، وكان احسان واحدا من اسعد الناس لعودتى وتوثقت صلتنا من جديد خصوصا اننى بدات اعمل فى صحيفة « المساء » بالقاهرة كمحرر للشئون العربية واصبحت متفرغا للعمل الصحفى .

● مقال اغضب روزاليوسف !

ولعل هذه الوقائع التى سردتها توضح كيف كان احسان مستنيرا واسع الافق وشجاعا فى الوقت نفسه فى الدفاع عن رجل لايشاركه قناعاته السياسية . وثمة مثال اخر يوضح كيف كان واسع الافق حتى عندما يتعلق الامر بانتاجه الادبى : اذكر مرة اننى دعيت للاشتراك فى ندوة بالاذاعة بالبرنامج الثانى فى عام ١٩٥٧ لمناقشة قصته (الطريق المسدود) وكان زميلاى فى الندوة هما احسان وكامل الشناوى . وكنت قد اعددت ملاحظاتى النقدية لكى استفيد منها فى الندوة لكننى احسست ان كامل الشناوى قد استهلك وقت الندوة كله فلم يدع لى فرصة لتوضيح وجهة نظرى وهكذا كتبت مقالا عن القصة ونشرته فى صفحة الادب بصحيفة المساء وكان هذا المقال هو الوحيد الذى نشرته فى النقد الادبى ابان عملى فى المساء وكان مقالا قاسيا شديد الوطأة على ادب احسان كله ، وهاجت السيدة روزاليوسف وماجت عند نشر المقال ، وشتمت كل المحررين اليساريين الذين كانوا يعملون فى روزاليوسف انذاك مع انهم



لاذنب لهم فيما نشرته انا من اراء . لكن احسانا ظل على صداقته لي ولم يفاتحني في كلمة ممانشرت

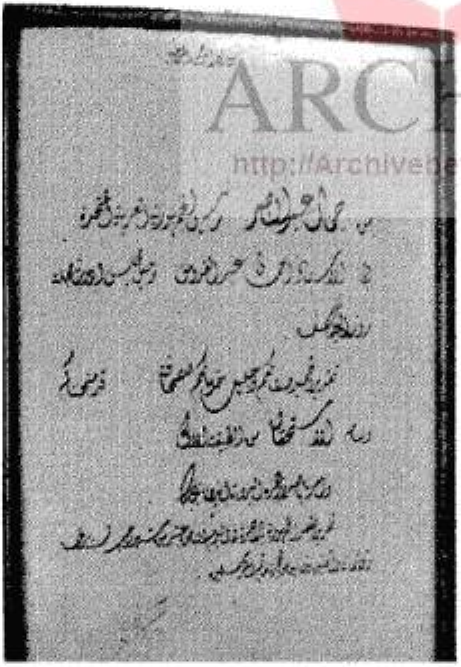
ولقد ظلت سنوات عملي في صحيفة « المساء » هي ايضا سنوات ارتباطي الوثيق باحسان وكامل الشناوي وكنا عادة نلتقي مساء كل يوم خميس في صحيفة الجمهورية في مكتب كامل الشناوي وننتظر حتى تصدر الطبعة الاولى من جريدة الجمهورية ثم نخرج نحن الثلاثة للسهر حتى الصباح تقريبا في فندق مصر الجديدة وكان يشاركنا هذه السهرات احمد بهاء الدين او فتحي غانم احيانا . وعندما رشحت نفسي في يوليو ١٩٥٧ للانتخابات النيابية عن الدائرة السادسة (الوايلي والعباسية) لم يتردد احسان هو وكامل الشناوي في التوقيع على بيان الكتاب والفنانين الذي دعا الشعب الى انتخابي ، هذا رغم علمهم ان بعض اجهزة السلطة في مصر لم تكن راضية عن ترشيحي وكانت تسعى سرا وعلنا الى اسقاطي فقد كنت مرشح اليسار الوحيد في هذه الانتخابات وكان نجاحي سابقة لها مابعدها .

في أول يناير ١٩٥٩ بدأت الحملة الامنية ضد قوى اليسار في مصر ، واعتقل اكثر من مائتين في اليوم الاول كنت واحدا منهم . وكان الخلاف قد بدأ حول قضية الوحدة مع سوريا وشكلها وقضية الديمقراطية ثم تداعت الاحداث الى حملة معادية للشيوعية استمرت سنوات .

وبقيت في معتقلات مصر خمس سنوات وثلاثة شهور ، هذا على الرغم من انني قدمت للمحاكمة امام مجلس عسكري في نوفمبر سنة ١٩٥٩ واصدر المجلس حكما ببراءتي !

وعندما افرج عني في ابريل سنة ١٩٦٤ اتصل بي احسان عبد القدوس

شهادة تقدير من جمال عبدالناصر





ودعاني الى الكتابة فى روزاليوسف وبالفعل عدت للكتابة من جديد فيها الى ان انتقل الاستاذ احمد بهاء الدين الى دار الهلال فانتقلت الى الكتابة فى مجلة المصور معه .

ولقد ترددت كثيرا على منزله فى الستينات ومازلت اذكر لقاءنا مع جيفارا فى منزله الحالى فى الزمالك والنقاش الذى دار انذاك حتى الصباح تقريبا وفى هذه اللقاءات كنا نتفق ونختلف ولم يؤثر الاتفاق او الخلاف على مودتنا المتبادلة .

الا ان الايام باعدت بيننا بعد ذلك . فقد توفيت زوجتى عام ١٩٧٥ وبدأت اسافر كثيرا ، فقضيت فى بريطانيا اكثر من عامين ونصف استاذا زائرا فى السبعينات وعملت مع الامم المتحدة بالكويت اربع سنوات بين اواخر السبعينات واوائل الثمانينات ولم التق مع احسان طوال هذه السنوات ، لكنى كنت حريصا دائما على ان ابعث له تحياتى وتمنياتى له بالصحة والعافية كلما قابلت نجله الاكبر محمد ولاشك ان مرضه فى السنين الاخيرة قد اثر على اتصالاته باصدقائه القدامى ، كما ان للشيخوخة احكاما !

وعندما ذهبت للمشاركة فى تشييع جنازته احسست اننى احمل على ظهرى ذكريات خمسين عاما من النضال والاتفاق والخلاف ، ولم استطع ان اكتم دموعى ونحن نودعه الوداع الاخير !





بطلات رغم أنف المؤلف !

بقلم : إحسان عبد القدوس
ريشة : الفنان حلمى التونى

القراءة جنون .. والاستغراق فى شخصية البطل بعد مطالعة الرواية اكثر جنونا .. اما مطاردة المؤلف وحصاره بسياج من الافتتان والحب والهيام فهذا يتطلب تدخلا سريعا من علم النفس وكل علوم الطب .. هذه مقالة كتبها الراحل احسان عبد القدوس ونشرت عام ١٩٦٢ فى الهلال .

● انا مقتنع بان هناك نوعا من الجنون احب ان اسميه : « جنون القراءة » .

والجنون هو ان تفقد شخصيتك وتعيش فى شخصية اخرى ، قد تكون شخصية تاريخية ، او شخصية خيالية .

والقراءة ـ خصوصا قراءة القصص ـ تساعدك على هذا الجنون .. لانها تنقلك من شخصيتك الى شخصية البطل او البطلة التى تقرأ عنها ..

وكلنا مصابون بهذا الجنون .. بل اننا لانقبل على قراءة القصص الا لاننا نسعى





الى الجنون .. نريد ان نستريح من الشخصية التى نعيش فيها ، وننتقل الى شخصية اخرى يخلقها لنا مؤلف ..

وهذا الجنون الذى يصاب به القارىء له انواع : جنون مؤقت ، ينتهى بانتهاء القصة التى تقرؤها ، ويفقد ابطالها تأثيرهم عليك بمجرد ان تطوى الكتاب .. وجنون دائم ، يستمر معك الى مابعد انتهائك من قراءة القصة . وتبقى متأثرا بابطالها شهورا ، وربما سنين .. وقد تدخل مستشفى المجاذيب !!

وانا مصاب بهذا الجنون ..

حياتى كلها .. جنان !!

عندما كنت فى الثانية عشرة من عمرى ، بدأت اقرأ روايات « روكامبول » .. وهى روايات مخيفة غامضة .. وكنت اقرؤها وقلبى يرتعد من الخوف .. ثم كنت ارتعش من الخوف فعلا .. اطرافى كلها ترتعش .. ثم كنت ابكى .. ابكى بدموع حقيقية .. ورغم ذلك لاالقى بالكتاب واستريح .. بل اظل اقرأ من خلال دموعى .. وفى مرة صرخت من الفزع ، ودخلت خادمتنا « ام نبوية » على صرختى ، فتوسلت اليها ان تبقى بجانبى وانا اقرأ .. وبقيت بجانبى .. جلست على الارض ، وانا اقرأ فوق السرير .. عيناى تنطلقان فى رعب وراء السطور .. واصرخ بين كل صفحة واخرى « الحقى ياام نبوية .. حوشى يا ام نبوية .. وهى تنظر الىّ كأنها تنظر الى مجنون وتمصمص شفتيها قائلة :

ـ ياابنى مالك ومال الهم ده .. ماتسيب الكتاب ، وتنام بأه !

ولكنى لم استطع ان اترك الكتاب .. وظلت روايات روكامبول مسيطرة علىّ حتى بعد ان انتهيت من قراءتها .. عشت شهورا طويلة فى خوف .. اخاف من الظلام . واخاف من الوحدة .. واخاف من خيالى !!

الى ان قرأت رواية الفرسان الثلاثة واصبحت باردليان !

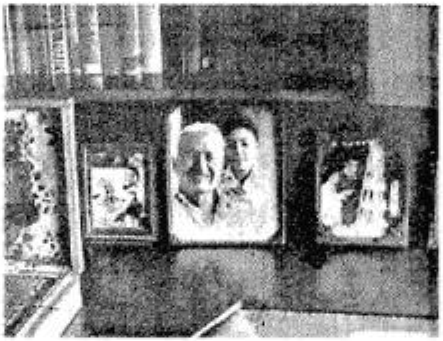
اصبحت اسير دائما وفى يدى عصا صغيرة بمثابة سيف باردليان .. وأعود من المدرسة فاخبط على باب بيتنا وانا اصيح « افتح باسم الملك !» وتفتح لى ام نبوية فاضع طرف سيفى فوق قلبها واصيح « باسم الملك .. هاتى لى اكل »!!

وفى مرة قررت ـ بصفتى باردليان ـ الاستيلاء على البيت .. بيت عمتى الذى نشأت فيه .. واعلنت الحرب على اولاد عمتى .. ولكن عمتى تدخلت بنفسها فى الحرب واستطاعت ان تنتصر على باردليان .. ضربته علقة بالشبشب !

ثم اصبحت ارسين لوبين ... اللص الشريف !!

وسرقت من جيب ابن عمتى ـ الاستاذ احمد سعد الدين ، مدير مكتب وزير الارشاد الان ـ قرش صاغ واحدا ، لاعطيه لابن جار فقير ، ليشترى به دندرمه .. وضبطنى ابن عمتى واخذ منى القرش .. وحتى اليوم لايزال يأخذ منى قرشا كلما قابلنى .. وربما كان هذا هوالسبب فى انى لا اقابله كثيرا !

وكل هذا الجنون مرّ بى فى صباى المبكر ، فلم يترك فى نفسى اثرا كبيرا .. كنت اشفى منه بمجرد انتقالى الى قصة اخرى .. ولكن هناك فترات من الجنون لاتزال اثارها عالقة فى اعصابى ، تسيطر



جانب من مكتبة احســـان
وبعض مقتنياته من الصور

على فكرى وعلى شخصيتى ، حتى اليوم ..

عندما كنت فى السادسة عشرة من عمرى مررت بفترة تدين عميق .. قرات القرآن وادمنت الصلاة ، كنت اصلى التراويح ايضا .. وفى هذه الفترة ، قرات تاريخ اخناتون اول من دعا الى التوحيد ..

وسيطرت علىّ شخصية اخناتون .. اصبحت اخناتون نفسه !

اصبحت اعتزل الحياة فى غرفتى ، كما كان يعتزلها اخناتون فى معبده .. واصبحت مقتنعا بان رسالتى فى الحياة هى توحيد الاديان .. لماذا ينقسم الناس الى مسلمين ، ومسيحيين ، ويهود ، وبوذيين .. والاله واحد .. لماذا .. لماذا .. وجننتنى كلمة « لماذا » .. واحترت .. وعذبتنى الحيرة .. فكنت اخرج الى صحراء العباسية ـ التى تقع خلف بيتنا ـ فى الليالى القمرية .. واسير طويلا فى جوف الليل ، وانا رافع راسى الى السماء ، ابحلق فى القمر ، واسال الله : لماذا .. لماذا .. واشعة القمر تحرق عينى ، وتذيب منهما الدموع .. فابكى .. وابكى .. الى ان اقع مغشيا علىّ .. ثم ياتى اهلى ، بعد ان يكتشفوا غيبتى ، ويعودوا بى الى البيت ..

وقد مرت هذه الفترة بسلام بعد ان بدات اشترك فى ثورة عام ١٩٣٥ .. ولكنها تركت فى اثرا لم استطع ان اتخلص منه .. وظلت شخصية اخناتون تشع فى عقلى بين الحين والحين .. وعندما بدات اكتب القصص ، كتبت اكثر من عشرين قصة ، كلها من افضال اخناتون .. الله محبة .. منتهى الحب .. انا والسماء .. و.. و.. قصص كلها تتساءل عن سر اختلاف الاديان والله واحد !

وقصة اخرى جننتنى .. وظل جنونها عالقا بى حتى اليوم ..

قصة حياة توسان ..

و .....

المهم .....

ماهى مسئولية المؤلف عن هذا الجنون الذى يصيب القارىء ؟

انا نفسى لم اكن احس ان المؤلف مسئول .. لم اعتبر مؤلف رواية الفرسان الثلاثة مسئولا عن ضربى علقة .. من المستحيل ان يتصور هذا المؤلف ان بعد خمسين سنة من كتابة قصته ، سيظهر صبى فى حى العباسية يعتبر نفسه بارداليان .. ويتصرف تصرفات بارداليان ، الى ان يضرب علقه .

الى ان اصبحت انا نفسى مؤلفا ..

واذا بى اكتشف عالما كاملا من المجانين ثم اذا بى اكتشف حقيقة اخرى ، وهى ان البنات اقرب الى جنون القراءة من الاولاد .. وربما لان فراغ وقت البنات يتسع للجنون .. وربما لان شخصياتهن اضعف من ان تقاوم الشخصيات التى تحاول ان تفرض نفسها عليهن .. وربما لان خيالهن ارق من خيال الاولاد .



واكتشف حقيقة ثالثة .. وهي ان المؤلف في خيال القارىء هو بطل قصته .. فاذا كتب طه حسين قصة بطلها لاعب كرة ، فطه حسين نفسه في خيال القراء هو لاعب الكرة .. وقد يرسل له نادي الزمالك خطابا يرجوه فيه ان يتولى تدريب فريقه !!

واذا كان توفيق الحكيم قد كتب مائة قصة حب .. فمعنى ذلك في خيال القارىء ان توفيق الحكيم نفسه قد احب مائة مرة .. وان في حياته مائة امرأة !!

ثم حقيقة رابعة .. وهي ان الجنون - جنون القراءة - اكبر بكثير مما كنت اتصوره .. انه يصل احيانا الى حد الخطر .. الى حد المرض .. الى حد مستشفى المجاذيب .. وان هذا الجنون يقع دائما على راس المؤلف !

واسمعوا بعض ماحدث لي ..

بعد ان كتبت قصة « اين عمري » بشهور ، اتصل بي احد الاشخاص بالتليفون ، وقال لي بلهجة حادة :

- انا فلان ..

ولم اعرفه ..

وعاد الرجل يصيح بصوت اشد حدة :

- لا ياشيخ .. بأه مش عارفني .. طيب انا جوز فلانة !..

ولم اعرفه ايضا ..

وصرخ الرجل ..

- اسمع .. ماتحاولش تهرب مني .. اذا ماكنتش حاقابلك دلوقت حالا .. مش حايحصلك طيب !

ورفضت ان اقابله والقيت بسماعة التليفون من يدي .

وبعد نصف ساعة جاء الى مكتبي احد الاصدقاء .. وقال لي انه صديق الرجل الذي كان يحادثني منذ برهة .. وان من الخير لي ان اقابله .

قلت :

- ليه ..

قال الصديق :

- مسالة كبيرة .. مسالة خصوصية .. واحسن تقابله وانا معاك ، من انك تقابله لوحدك .. المسالة فيها قتل !!

وتعجبت ..

ولكني ازاء الحاح صديقي ، ذهبت معه الى بيتي على ان يلحقنا الرجل هناك ..

وجاء الرجل .. رجل محترم .. في حوالي الخمسين من عمره .. تنطلق النار من عينيه ، وقال وهو يرتعش :

- مراتي حكت لي على كل حاجة ..

قلت في دهشة :

- على ايه ..

قال :

- على كل اللي بينكم ..

وصرخت :

- انا ماعرفش مراتك .. عمري ماشفتها .

قال :

- ماتحاولش تخبي .. مافيش لازمة تخبي .. انا فكرت كثير .. فكرت اطلقها واخرب بيتي بسببك .. وفكرت اقتلها .. انما اعترافها لي خلاني ماقدرش اقتلها .. فكرت اقتلك انت .. ولسه حاسس اني لازم اقتلك .. انما القتل خسارة فيك وعدت اصرخ :

- والله العظيم انا لااعرف حضرتك .. ولا مرات حضرتك اللي قال لك كده غلطان ..

قال فى حدة :

- هى اللى قالت لى .. وانت اعترفت بكل حاجة فى القصة اللى كتبتها ..

قلت :

- اية قصة ؟

قال :

- اين عمرى .. يعنى مش عارف .. اسمع .. اذا كنت فاكر انك دون جوان ، انا دون جوان ادك الف مرة !

وهدأت .. لا ادرى لماذا .. فلم تكن هذه هى اول مرة ، اسمع فيها ان فتاة او سيدة ، تدعى انها بطلة قصة .. بطلة رغم انفى .. كانت خطابات كثيرة تصلنى وكل منها يحمل حكاية بنت تدعى انها مرت فى نفس الحوادث التى ذكرتها فى قصة !

وبدأت اناقش الرجل فى هدوء ..

بدأت احاول ان اقنعه بان زوجته قد تاثرت بالقصة الى حد تخيلت نفسها بطلتها ، تخيلتنى بصفتى المؤلف انى البطل ..

وعاشت فى هذا الوهم الى ان اعتقدت انه حقيقة .. وضاعت بهذه الحقيقة المزيفة الى حد ان اعترفت بها لزوجها .. وقلت له انه لو كان مؤلف القصة هو كامل الشناوى لكان الان يفكر فى قتل كامل لا فى قتلى .. وقلت له عن الخطابات التى تصلنى وتعبر عن نفس الحالة .. بل اطلعته على بعض هذه الخطابات .

وهدأ الرجل مع هدوئى .. وبدأ يميل الى الاقتناع بان زوجته فى حالة وهم .. وخرج بعد اربع ساعات طوال ، وانا اتحسس رقبتى لاتاكد انها مازالت فى مكانها ..

وقد اكتشف الرجل فعلا ان زوجته ليست فى حالة طبيعية ، واضطر الى نقلها الى مستشفى بهمان ..

وشفيت .. شفيت من القصة ..

واصبح الزوج صديقى .. وكان يتعجب من ان يكون لقصة مثل هذا الاثر على زوجته .. ولكنى اقنعته بانه لابد ان يكون فى حياة زوجته دافع اخر لهذا الجنون .. دافع للهرب من حياتها ومن شخصيتها ، الى ان هربت من حياتها فى قصة وهربت من شخصيتها الى شخصية بطلة خلقها مؤلف من خياله .

وراح الزوج - وهو انسان مثقف - يبحث فى نفسية زوجته عن السبب الاخر ووجده ..

و ..

وحكاية اخرى اكثر غرابة .

فوجئت يوما - منذ سنوات - بخطاب من قارئة .. عدد صفحات الخطاب بلا مبالغة خمس وعشرون صفحة فولسكاب ..

ولم تكن السيدة صاحبة الخطاب تقرأ قصصى وحدها .. بل كانت تقرأ كل ماأكتبه .. وكل ماينشر فى جميع الصحف والمجلات وتسمع كل برامج الاذاعة .. وكان خطابها تعليقا على كل ماقرأته وماسمعته فى يومين اثنين .. تعليقا خفيفا مرحا ، لاتفهم منه شيئا ، الا انه مجرد دردشة خفيفة الدم ..

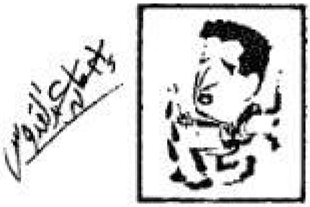
وبعد ثلاثة ايام جاءنى منها خطاب اخر .. من خمس وعشرين صفحة فولسكاب ايضا ..

واستمرت الخطابات .

كل اسبوع ثلاثة خطابات منتظمة لا يقل عدد صفحاتها عن خمس وعشرين ..

وبدأت الحظ فى هذه الخطابات شيئا غريبا .. انها تعتقد أن كل ماأكتبه وأنشره فى روزاليوسف هو رسالة خاصة أكتبها اليها ..

ثم بدأت الحظ انها تفسر كل ماأكتب على انه كلام غزل موجه اليها .. حتى ما



اكتبه فى السياسة .. فاذا كتبت « ان على بريطانيا ان ترضخ لمطالب مصر » نزعت هذا السطر من المجلة ، ولصقته فى خطابها الذى ترسله الى ، وكتبت تحته « انا رضخت خلاص ياحبيبي .. بس قول لى انت عايز ايه »!

انها اعتبرت نفسها بريطانيا ..

وانا مصر ..

ثم ..

جاءت القارئة صاحبة هذه الخطابات لزيارتى فى مكتبى .. ودهشت .. انها عاقلة .. ليست مجنونة كما كنت اتصور .. حديثها كله هادىء متزن ، وآراؤها كلها معقولة .. وقبل ان تهم بالانصراف نظرت الى من خلال رموشها وقالت :

– مش حانتكلم بقه ..

قلت :

– نتكلم فى ايه ..

قالت :

– فى حكايتنا ..

وبدأ الجنون ..

انها تعتقد ان لنا حكاية .. وحكاية قديمة .. وتعتقد ان كل ما هنالك انى مكسوف ان اصرح لها بحبى !!

قالت وهى تتنهد :

– ماتتكسفش .. انا كمان كنت مكسوفة زيك .. لكن قلت ان مش ممكن نضيع حياتنا فى كسوف !

وتخلصت منها ..

ولكنها عادت ..

وحاولت ان اساعدها .. حاولت ان اعرف سر جنونها .. مأساتها .. وعرفت المأساة .. مأساة كل زوجة عاشت حياة طويلة مع زوج لاتحس به .. وحاولت ان اكشف لها مأساتها لعلها تحل عقدتها كما يقول علم النفس ..

ولكنى فشلت ..

واشتد بها الجنون .. جنون القراءة .. اصبحت تعتقد ان اية كلمة تنشر فى اية جريدة سواء كتبتها انا او كتبها غيرى من الكتاب ، هى رسالة موجهة منى اليها .. فاذا كتب الاستاذ التابعى فى جريدة الاخبار ان سعر الكوسة قد ارتفع ثلاثة قروش .. وان وزير التموين يجب ان يتدخل .. اعتقدت انى طلبت من الاستاذ التابعى ان يكتب هذا الكلام ، وانى اريد ان اقول لها ان حالتى سيئة واريد منها ان تتدخل .. فتقص هذه السطور وتكتب تحتها « انا بجانبك ياحبيبي مهما ارتفع سعر الكوسة »!! واذا اذاع الراديو اغنية شادية « حبيبى اهه .. خطيبى اهه » اعتقدت انى اتصلت بالاستاذ حماد مدير الاذاعة وطلبت منه ان يذيع هذه الاغنية .. وكتبت الى : « طيب ما انا عارفة »!!

ثم ...

وقع الحادث الاليم ..

كتبت قصة عن فتاة طلقت زوجها لتتزوج حبيبها .. فاذا بها تطلب الطلاق من زوجها .. المستشار .. وتصر على الطلاق .. الى ان تتطلق فعلا .. ثم ترسل لى تزف الى النبأ السعيد .. وتوقع خطابها بامضاء : « زوجتك المخلصة »!!

واصبحت انا المجنون ..

وخطاباتها لاتنقطع .. كل خطاب خمس

وعشرون صفحة !

وتأتى الى روزاليوسف .. وارفض ان اقابلها .. فتصر على مقابلتى .. وتبقى فى انتظارى ساعتين .. ثلاثة .. وكل محررى روزاليوسف يعرفون قصتها ، ويحاولون علاجها . ويفشلون !

وفكرت ان اسلمها للبوليس ..

لقد اصبحت حالتها خطرة ..

ولكنى اشفقت عليها من البوليس .. انها مريضة .. فى حاجة الى طبيب لا الى البوليس .. ولكنها ترفض ان تذهب الى طبيب ..

ولم تيأس القارئة العزيزة .

بدأت تطوف على كبار الكتاب تشكونى اليهم .. ذهبت الى مصطفى امين ، وعلى امين ، وفكرى اباظة .. و و وكلهم اكتشفوا جنونها ، ماعدا الزميل العزيز صالح جودت !!

وكان يمكن ان تسبب لى فضيحة .. لولا ..

لولا ان القارئة العزيزة فى الستين من عمرها ..

شفاها الله ..

• • •

وبعد ..

هل لكل قصة اكتبها بطلة معينة ، او بطل معين ؟

لا اظن ..

انى اعتقد ان كاتب القصة ، يختزن فى خياله كثيرا من معالم الشخصيات التى صادفته فى حياته .. ثم اذا بدأ يكتب قصته .. لم يفكر فى البطلة اولا .. ولكنه يبدأ اولا التفكير فى الموضوع .. ثم يبدأ فى خلق بطلة يمكن ان تعبر عن هذا الموضوع .. يخلقها من معالم الشخصيات التى اختزنها فى خياله .

فيأخذ انف خديجة .. ويركبه على فم فاطمة .. وعلى عينى امينة .. وعلى قوام ست الدار وهكذا .. ليس فقط فى معالم الشكل بل ايضا المعالم النفسية ..

وربما كان هذا هو السبب فى ان كل قصة يظهر لها دائما اكثر من بطلة ..

وعندما كتبت « لا انام » فوجئت بثلاث بنات يقفزن امامى ، وكل منهن تدعى انها البطلة .. وتثور علىّ لانى كتبت قصتها !

وعندما كتبت « لاتطفىء الشمس » ظهر لها اكثر من عشرين بطلا وبطلة .. بل ان فى هذه القصة شخصية كنت اعتقد انها شخصية خيالية .. وهى شخصية الاستاذ امين عبد السيد المعيد فى الجامعة .. ولكنى فوجئت بفتاة تقول لى فى التليفون .

ـ اخص عليك كده تكتب عن بابا !!

إحسان بريشة صاروخان





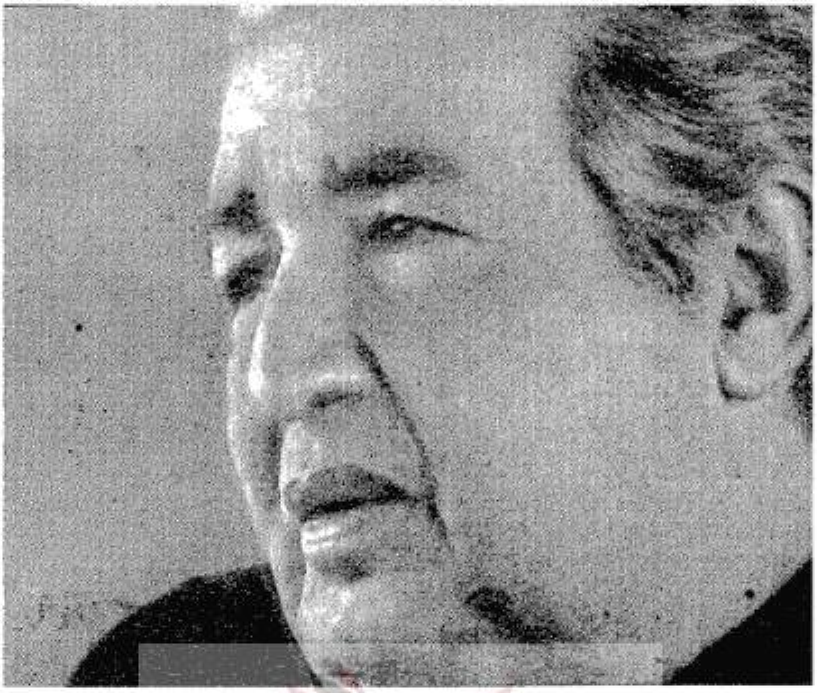
إحسان عبد القدوس لم يصنعه النقاد



كتب : عادل عبد الصمد

يستطيع النقاد ان يقيموا ضجة حول هذا الكاتب او ذاك ، وان يتجاهلوا كاتبا معينا فلا يكتبوا عنه كلمة واحدة وهم يظنون انهم يقذفون به إلى الظلام ، ولكن الحقيقة ان النقاد لا يستطيعون بضجتهم ان يصنعوا كاتبا ، ولا يستطيعون بالتجاهل ان يئدوا كاتبا آخر .. ولاشك فى ان إحسان عبدالقدوس قد صنع شهرته بيديه بلا مساعدة من النقاد الذين كانوا يجمعون على التزام الصمت حول ادبه .. ولكن إحسان كان ـ مع ذلك ـ موضع إعجاب الكثيرين من الكتاب والصحفيين والأدباء ، كما تدل على ذلك السطور التالية :

● محمود تيمور : ليس فى أدب إحسان ما يعيبه ، فصاحبه قد التزم بمقومات الفن الإنسانى الأصيل ودواعيه الحقة .. إن أدب إحسان لا يرقى الشك إلى أنه أدب فنى ، أدب الشباب يخاطب



وجدانه ويبسط نوازعه . وهو صفحة صادقة من المجتمع الراهن بما يحويه من شخصيات وقضايا ومفاهيم ..
مجلة الجديد ١٥/٤/٧٣

● محمد التابعي : إحسان عبدالقدوس قصصي موهوب .. كانت روزاليوسف تشكو لي كثيرا من انه لعبي وكان يقول لها انني لعبي مثل التابعي ، ولكني أعتقد ان شعوره بالمسئولية بعد وفاة والدته (ابريل ١٩٥٨) سيبطل عنه هذه الصفة . انه يتقدم فنيا سنة بعد سنة . فقصصه عام ١٩٥٩ افضل بكثير من قصصه عام ١٩٥٢ والفرق واضح جدا في الأسلوب والحبكة وهو يعرف بالضبط كيف يلتقط الحوادث العادية في حياة الأفراد العاديين ويجعل منها مادة لقصصه . فقصصه في الواقع صور متعددة للحياة بين مختلف طبقات الشعب عندنا .
المصور ٢٢/٥/٥٩

● مصطفى امين : « إحسان قصاص من الطراز الأول ، استطاع أن يشق طريقه في الصخر واستطاع أن يصل إلى الصفوف الأولى بجهد وعرق ودم .. انه صحفي جريء وقصاص أكثر جراءة .. »
الإذاعة ٢٠/٦/٥٩

● د . زكي نجيب محمود : إحسان عبدالقدوس هو أقدر من كتب في المرأة وصور نوازعها ومشاعرها بدقة بالغة .
حواء ١٥/١/٨٣

● لطفي الخولي : إن إحسان يعالج قضية الحرية لدى المرأة المصرية التي انطلقت منذ زمن يسير من ياسار الحريم وتساوت مع الرجل فاصطدمت بالمجتمع





محمود تيمور



محمد التابعى

ورواسب التقاليد القائمة فيه ، وان كان مفهوم الحرية لدى إحسان لا يزال مفهوما ميكانيكا يرى فى الحرية شيئا مجردا ومطلقا .

المساء ١٥/١/٥٩

● **رجاء النقاش** : رواية « فى بيتنا رجل » لإحسان عبدالقدوس تعتبر من اجمل الأعمال الأدبية التى تكشف المعانى الانسانية فى البطولة .. بطريقة فنية ناجحة .. إلى جانب انها تصور مرحلة حية من تاريخنا قبل ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، وفى هذه الرواية يتخلص إحسان عبدالقدوس من العناصر التى كانت تسبب ثورة النقاد عليه ، وعلى رأس هذه العناصر عنصر الجنس الذى كان إحسان يعتمد عليه كعنصر أساسى فى رواياته .. ولكن فى هذه الرواية والروايات التالية يتخلص من هذا العنصر فيبدو ثانويا فى كتابته أمام تصويره للمواقف والعلاقات البشرية الأخرى ..

مجلة الشهر مارس ١٩٦١

● **د . لويس عوض** : دعت مؤسسة روزاليوسف فى يوم الأحد الموافق أول يناير سنة ١٩٨٩ الأستاذ إحسان عبدالقدوس الذى يوافق ذلك اليوم عيد ميلاده الذى بلغ فيه سن السبعين .. وقد احتفلت مؤسسة روزاليوسف فى نفس اليوم بإطلاق اسم إحسان عبدالقدوس على قاعة كبيرة فى المؤسسة تسع ١٥٠ فردا ، وفى هذه المناسبة قام كثير من زملاء إحسان سواء داخل المؤسسة أو خارجها بإلقاء كلمة بهذه المناسبة ، من ضمنهم أحمد بهاء الدين ، كامل زهيرى ، والفنان عبدالغنى ابوالعينين ، لويس جريس ، سميحة أيوب ، نادية لطفى .. نبيلة عبيد ، عبدالعزيز خميس وغيرهم .. وسأختار من بينهم الأستاذ لويس عوض .. الذى القى كلمة كان لها اكبر الأثر ، فى نفوس المستمعين .

قال لويس عوض : سأحاول أن اكون مختصرا جدا .. وسأتكلم عن إحسان الذى انتصر على النقاد .. إحسان الذى عرفته منذ عام ١٩٤٠ وكان فى بداية حياته لا يزال طالبا فى كلية الحقوق ، وبعد ذلك مزاولا للعمل الصحفى .. لاحظنا أنه كان هناك عدة فرسان نذكرهم بالاسم إحسان عبدالقدوس ، ويوسف السباعى ، وأمين يوسف غراب ، ومحمد عبدالحليم عبدالله ، ولو نظرنا إلى إحسان عبدالقدوس نجد أن نقاد الأدب هو ليس مدينا لهم أو لأحدهم بشيء ، ظلوا يتجنبونه .. فهم لا يستطيعون أن يتجاهلوه كظاهرة أدبية ، ولكنه كان فى كتاباته


مصطفى امين


د . زكى نجيب محمود


لطفى الخولى


رجاء النقاش

محرجا لهم .. لأنهم لا يعرفون كيف يبوبون عملهم وهم بطبيعة الحال تعودوا القوالب والمدارس .. ومع ذلك فقد كان انتشار إحسان عبدالقدوس انتشارا جماهيريا ، ثم انتشاره عن طريق السينما ثم انتشاره الذى وضعه فى قمة العمل الصحفى ، كان خير دليل على أن دور النقاد فى حياتنا المصرية دور ثانوى .. وأنا أعتقد ربما كانت هذه أحسن تحية يمكن أن تساق إلى إحسان عبدالقدوس .

المحررة :

وتأكيدا لكلام الدكتور لويس عوض اذكر أن الأستاذ إحسان أدلى بحديث لمجلة الإذاعة بتاريخ ١٢/١٢/٧٠ للصحفى عبدالمنعم صبحى والسؤال الموجه الى الكاتب ، هل لدينا نقد فى بلادنا ؟ .

الأستاذ إحسان عبدالقدوس : «ليس تماما فمعظم ما اقرأ من نقد ، غير مدروس ، وهو أميل الى الهجوم ، والمجاملة ، أكثر من دراسة وتقييم وتأمل ..»

صباح الخير اول يناير ٨٩

● **يحيى حقى** : لو أقيم عندنا معبد للحب لكان الأستاذ إحسان عبدالقدوس ـ رغم شبابه ـ حقيقا بأن يكون كاهنه الأكبر ، إليه يصعد بريد القلوب ، فيلقى عليه نظرة فهم واشفاق ، ثم يستخلص منه عن ابناء هذا الجيل وبناته صورة يكفيه أنها عنده صادقة ، وليس غير الصدق فضيلة تجمل الخير ، وتستل من الشر مكمن الخطر فيه ، خفاؤه وخبثه ونفاقه ، وقد يضيف إليها قصصا توحى بأنها مستمدة بلا طلاء من تجاربه فى الشرق والغرب ، فمن شأن اسلافه من قديم أن ينزلوا هم أيضا إلى الميدان ، لا حبا فى المشاركة فى اللعب ، حاشا لهم ، بل ليعرفوا الأمور حق المعرفة ، لا يضللهم عنها وسيط مخادع أو مخدوع ، وهل ينكر إنسان أن انجح الدواء هو ما وصفه لك من خبر فى نفسه داءك ؟ .

وكاهن المعبد يعانى من جراء بريده وتجاربه هما ثقيلا ، إياك أن تحسبه سعيدا ، فالسعادة طير مفزع بطبعه ، هيهات أن يقتنصه صاحب رسالة تقتضيه أن يترك نفسه تتناهشها وتتناهبها أنات الأرواح ووجائع الأكباد ، فهاهو ذا يصارحنا تحت قناع من السخرية بالنفس «الكتاب ص ١١٩» أن سر شقائه فى الدنيا أنه «يعتقد فى نفسه أنه مبعوث



العناية الالهية لاسعاد البشر واصلاح حالهم » .

جدران هذا المعبد من زجاج ، ونوافذه مفتوحة على مصراعيها ، لأنه مستند الى دعامة لو قنع المجتمع بها وحدها لقام عليها كل بناء جميل مستو لا عوج فيه ، يعمه النور والهواء الطليق . فشكوى المجتمع غير المنكورة من أن مبانيه خليط من عمالقة واقزام ، وحسن وقبح ، وانها معتمة أو مظلمة ، مخنوقة الانفاس ، وأنها مخلخلة آيلة للسقوط ، لا يجد فيها ساكن غذاء روحه من الطمأنينة والهدوء ، فمرجعها عند أشياع المعبد أن المجتمع يصر ـ بسبب عقائده وتقاليده الموروثة ـ على أن يضيف إلى هذه الدعامة دعائم اخرى تختلف عنها طولا ومتانة .. هذه الدعامة الوثقى هي الإيمان المستند الى الواقع والتجربة ، لا إلى الامل والمثل الاعلى ، بأن الضرر الذي قد يصيبنا على مدى الزمن من العلم والصراحة ومواجهة الحقائق في مسائل الحب والغريزة والجنس ، هو أخف في مجموعه بكثير من الضرر المحقق الواقع بنا فعلا ، المتكرر ، أو المتزايد جيلا بعد جيل ، من جراء احاطتها بالكتمان والتستر ، وتفسيرات خاطئة او مكذوبة .

الرسالة الجديدة ديسمبر ١٩٥٥

● عباس محمود العقاد : « إنه صاحب أدب الفراش» وتجاهله ككاتب صحفي .. وقال عنه بعض النقاد أنه « رائـد مدرسـة الأدب العارى في مصر .. »

● د . جابر عصفور :

في أدب إحسان هذه النظرة الرحبة الى العالم ، وهي نظرة تحاول أن تلتقط مختلف الجوانب المعقدة والممنوعة والمتنوعة في الحياة الانسانية .

النظرة الشجاعة في تحليل العلاقات الانسانية من منظور الرجل والمرأة وبطريقة لم يعرفها الأدب العربي من قبل ...

● محمود أمين العالم :

هناك سؤال لابد أن يتبادر الى اذهان الكثيرين من المعنيين بقضية الأدب في مصر :

لماذا يختار إحسان كل ابطال قصصه افرادا في طريق الهاوية الى الانحلال الخلقي والتعفن النفسي وتدهور الضمير ؟ لماذا كانت الدعارة وبيع الأجساد بالمال موضوعا عاما في انتاج إحسان الأدبي ؟ .

إن إحسان يجيبنا ، لا أستطيع غير ذلك ، هذا هو الواقع ، ومن المسلم به ان أبطالا من هذا الطراز موجودون أحياء في مصر ، وانه يستطيع ان يجدهم متى ذهب اليهم وقضى معهم بعض الوقت في ملاهي عماد الدين أو سهرات الأوبرج أو نوادي السباق أو حفلات الطبقة (الراقية) فمثل هذه الأماكن مملوءة بالأرواح الميتة التي لا تعرف هدفا لوجودها مملوءة بالنفوس التي حطمها الضجر والخمول وشراء الأجساد بالمال وتعاطي المخدرات وموت الضمير .

ولكن هل صحيح أن مصر كلها على هذا الطراز ؟



د . لويس عوض   يحيى حقى

إن هناك مصر أخرى ، مصر التى يعيش فيها ملايين من العمال والفلاحين والطلبة والموظفين يعملون فى المصانع والحقول والمعامل والدواوين ، مصر التى يتصارع فى ضميرها القلق والأمل ، مصر التى حاربت فى القنال ومازالت تصارع دفاعا عن استقلالها وشرفها وحريتها ...

وبالاختصار هناك شعب بأسره يضطرب بالحياة والقلق والتطلع الى المستقبل ، ومثل هذه الحياة ، مثل هذه الملايين من أبناء الشعب ، تستطيع ان تزود الفنان بمادة حية لفنه لو شاء هو أن يختار ...

إن من المعترف به أن إحسان يتناول فى قصصه الواقع ولكنه رغم ذلك ليس من انصار المدرسة الواقعية لأن الواقع الذى يتناوله محدود . وهو بمثابة خبرة بشرية ضيقة ... وحتى هذا الواقع المحدود لا يتناوله إحسان فى إطار عام من فهم صحيح للواقع الكلى للمجتمع المصرى ، ولا بالأسلوب الذى يقتضيه هذا الفهم ..

« فى الثقافة المصرية » ١٩٥٥

● **عبدالرحمن أبوعوف :**

يستحق إحسان عبدالقدوس من جيلنا كل التقدير والاحترام ايا كانت اختلافاتنا معه حول مفاهيم ونوعية فن الرواية والقصة والتحليل السياسى لأكثر من سبب ربما أبرزها فى اعتقادى صدقه مع تكوينه الفكرى والسياسى وتماسكه عبر كل المراحل التى برز من خلالها قلمه المميز المقدس لحرية الرأى سواء فى ظل النظام الملكى أو النظام الجمهورى بكل أشكاله التى تتابعت حتى الآن .

والكتابة عن إحسان عبدالقدوس فى هذا المجال المحدود صعبة فهو كاتب رواية يحتاج إلى دراسات تفصيلية حاولنا القيام بها فى مجلات متخصصة ربما لأن احسان عبدالقدوس الروائى والكاتب السياسى وحدة محيرة للناقد تجعله يحتاج الى رصد كل أشكال كتاباته ، والتى بالتأمل والحيطة والاتزان يمكن اكتشاف سماتها وهى التنوع والوحدة والخبرة العميقة بكل أشكال الحياة الاجتماعية البسيطة والمركبة فى المدينة البرجوازية ، تبدأ بتأمل وتصوير وتحليل العلاقات الاجتماعية من وحدة الأسرة حتى العلاقة مع الطبقة والسلطة .

● **د . لطيفة الزيات :**

الانسان الحر هو ذلك الإنسان الذى تنبع أفكاره ومشاعره وأفعاله من ذات مستقلة عن الآخرين ، ويتحول هذا الانسان الى شىء مسلوب الارادة والذات اذا ما صدر عن فكر غير فكره ، وعن رغبات غير رغباته تقوده بالضرورة الى افعال غير افعاله وان صدرت عنه ، والانسان يتحول الى شىء اذا ما استسلم لهذا المصير سواء وعى هذه الحقيقة أو لم يعيها .

والمجتمع الذى نعيش فيه يشرع جميع أسلحته لسلب الإنسان حريته بهذا المعنى ، أى للفرض وعى زائف على الانسان يفقد بمقتضاه القدرة على الفكر



المستقل والرغبة المستقلة والفعل المستقل ، والمعركة التى يشنها المجتمع الطبقى على الانسان فى هذا الاتجاه تبدأ من المولد الى الممات . وفى مجتمع طبقى مغلق يفتقر الى الحرية والديمقراطية ، ترمى التربية التى يتلقاها الطفل فى البيت ، والصبى فى المدرسة ، والفتى فى الجامعة والمواطن فى الحياة العامة ، عن طريق الجريدة اليومية والإذاعة والسينما والتليفزيون وأحيانا عن طريق الكتاب والتفسيرات المتعسفة للأديان والتراث والتقاليد العفنة والأعراف ، الى تزويد الانسان بوعى زائف غير وعيه الناتج من تجربته ، وبفكر زائف غير فكره الناتج من حاسته النقدية الفاحصة ، والى تحويله بالتالى إلى شىء متوائم مع اسرته ، ومتوائم مع مجتمعه ، يصدر عما تريده له الأسرة أولا ، ويصدر عما تريد له السلطة ثانيا ، وهو يتوهم أنه يصدر عن ذاته ، والانسان حر بمدى ما يحافظ على ذاته الحرة ، وعلى ارادته الحرة ، وبمدى ما يفسد كل مخطط لتزييف فكره ومشاعره وفعله ، واذا كانت محاولة تشيىء الانسان تمارس ضد الرجل فى مجتمعنا مرة ، فهى تمارس ضد المرأة مرتين ، ويساهم فيها الرأى العام والرجل أبا وأخا وزوجا ، والمرأة أما وأختا وصديقة وجارة تحت تأثير الايديولوجية الطبقية المسيطرة ، ويتمخض عن كل هذا منظور للمرأة يتبناه الرجل فى كل الطبقات بلا وعى ، وتتبناه المرأة فى معظم الأحيان ، ويتحول المنظور الى وعى زائف يكرس وضعية مجتمع يرتبط فيه الاضطهاد الطبقى باضطهاد الذكر للأنثى ، والمرأة فى ظل هذا المنظور لا وجود لها فى استقلال عن الرجل وهى موجودة بمدى ما تدخل فى علاقة مع الرجل كأم أو أخت أو ابنة أو عشيقة الخ ... وهى بالنسبة للرجل « الآخر » أى الموضوع لا الذات المستقلة القائمة خارجا عنه ، والمجتمع الطبقى يصنع المرأة بوعيه الزائف ويحبسها فى قوالب نمطية مستهلكة فى ظل هذا الوعى .

وإذا كان الفكر والفعل الصادر عن الذات الحرة المستقلة يشكل السمة الاولى من سمات الحرية الانسانية فهو ليس بالسمة الوحيدة ، بل لعل مثل هذه الحرية تبقى محصورة فى نطاق ما يمكن أن نسميه بالحرية السلبية ، التى تبقى معبرا الى حرية ايجابية أكثر رحابة ودلالة ، والانسان الحر فعلا هو الانسان الذى يتفاعل بذاته الحرة مع المجتمع والناس من حوله من خلال أفعال خلاقة وعلاقات حميمة تستوعب الفكر والمشاعر معا ، العقل والجسد معا ، الشعور والحس معا ، والانسان الحر هو الذى يعيش ويعمل معيدا صياغة ذاته ومجتمعه ، والانسان الحر هو الذى يمارس الحياة كإنسان كلى بمجمل ملكاته الانسانية والكلية ، واختزال الوجود الانسانى الى بعد واحد يطيح لا بحريته فحسب ، بل بانسانيته ، ويحول هذا الانسان الى شىء .

وقد يكون التوصل الى مثل هذه الحرية مطلبا عزيزا فى واقعنا العربى ، ولكن

تتبقى حقيقة أن التطلع الى الحرية ضرورة وأن الحرية درجات وأن انسانيتنا تتبدى فى اكبر قدر من الحرية ننتزعه من مجتمعنا ، وبأكثر قدر من الحرية نغنى به مجتمعنا ، ونملك أن نحققه فى ظل الواقع الموضوعى لهذا المجتمع .

من كتاب « صور المرأة فى الروايات العربية »

● محسن محمد :

فى بعض الصحف ، والمجلات هذه الأيام حملة قوية على إحسان عبدالقدوس لأنه بدأ أخيرا فى نشر قصة جديدة مسلسلة ، بعض الكتاب قال عن إحسان انه يشغل الناس بهذه القصة عن الاهتمام بأمور أجدى وأهم والبعض الآخر قال إن هذه القصة ككل قصص إحسان جنسية أو معظمها أدب جنسى وقال البعض إن نشر هذه القصة هو مصيبة المصائب وكارثة الكوارث وأنها هى التى ستؤدى الى انحلال الشباب وانحرافه وأنا لا أكتب هنا دفاعا عن إحسان .. هذا ليس قصدى ولا الدفاع يعنينى فإحسان لديه قلمه ولديه لسانه وهو لاشك أطول وإنما يهمنى هنا الدفاع عن حرية الأديب ، سواء أكان إحسان أم الكتاب والنقاد أنفسهم الذين هاجموه وحملوا عليه ويريدون أن يحملوه من الآن وزر كل جريمة يرتكبها شاب خلال فترة نشره القصة المسلسلة فإذا صح مثلا أن هذه القصة أو غيرها تشغل الناس عن الاهتمام بأمور مجدية فيجب تطبيقا لهذه القاعدة أن نمنع الاذاعة والتليفزيون من أن يذيع كل المسرحيات والتمثيليات والأفلام المصرية والاجنبية لكها بغير استثناء تعرض قصصا عن الحب وزوجة خائنة وطفل غير شرعى .. وتطبيقا لهذه القاعدة أيضا يجب منع ترجمة كل الكتب




د . لطيفة الزيات   محمود أمين العالم

العاطفية أو نشر كل انتاج مؤلفى المسرح وكتاب القصة لأن قصصهم أو معظمها تدور حول العاطفة وفى كثير منها مواقف غير بريئة لا تتفق مع الدعوة لنوع معين من الأدب ليست فيه قبلة محرمة أو فاكهة محرمة ...

لماذا يستثنى إحسان وحده ولماذا يطالب دون غيره بألا يكتب قصة لماذا وفى كل مجال الانتاج الفنى تكتب وتنشر وتذاع على الناس قصص كثيرة فيها مواقف كتلك التى يكتب عنها إحسان . وأن من حق كل كاتب وكل ناقد مثلا أن يهاجم اسلوب قصص احسان أن ينتقد فكرة القصة ... أن يقول إن الفكرة لا تتضمن جديدا أو أنها مسروقة أو مقتبسة أما هذه المناقشات فماذا أقول إلا أنها تساهم ربما عمدا أو بغير قصد فى الدعاية للقصة المسلسلة الجديدة » .

الجمهورية ٢٨/٢/١٩٦٢

● أنيس منصور : إن إحسان عبدالقدوس هو طبيب العلاقات الاجتماعية ومهندس العلاقات السياسية ، ذلك أن الفن القصصى عنده لا ينطوى على ظاهرة ، « تشكيل بشرى » فحسب بل هو ينطوى كذلك على ظاهرة « تشكيل اجتماعى » .

١٣/٨/١٩٨٩



احسان فى بيته ورواياته



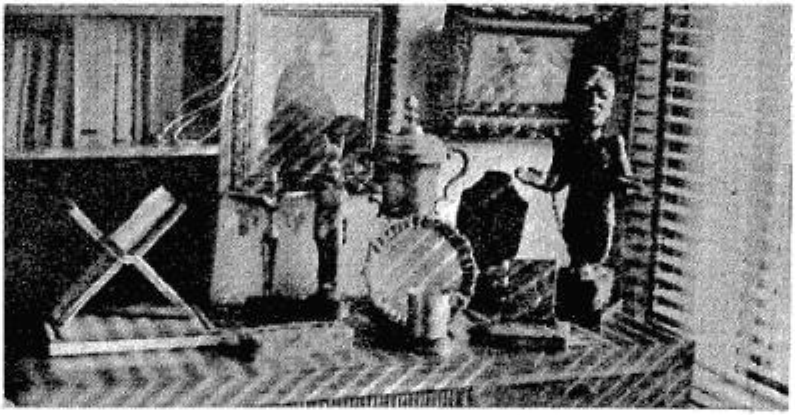
كتبت : نجوى صالح

منذ اربع سنوات تعرفت باحسان عبد القدوس وزوجته عن طريق صديقتى نرمين سكرتيرته الذى يسميها (نصف عقلى) ، وكان اللقاء الاول لمناسبة عيد راس السنة الذى يوافق يوم عيد ميلاده .. كان واضحا عليه الاجهاد ، ولكن ارتسمت على وجهه ابتسامة تنم عن سعادته بمن حوله وبما حوله .

وحينما تزور « احسان » فى بيته تلاحظ الحرص الشديد على انتقاء كثير من الأعمال الفنية من لوحات وتماثيل لفنانين مصريين ، واختيار قطع من الأثاث ذات ذوق خاص .

وهناك الحب الذى يملأ البيت والتراحم بين أفراد الأسرة .

وقد شدتنى نظرة زوجته لولا اليه .. الى ذلك « العجوز » القابع على كرسيه ، وكأنها تقول اليه : « أحببتك .. والآن .. حبى لك مشوب بالخوف عليك ، لقد رايت



تمثال وميداليات وكاس تقديرا لأعمال إحسان الأدبية والسينمائية

زوجته متيقظة لكل حركاته وسكناته .. وكان يعانى من مرضه الأخير .

واذا كنت رأيت احسان عبد القدوس فى سنواته الأخيرة ، فإن صلتى بأدبه قديمة .. فقد كنت فى الثامنة عشرة من عمرى حينما بدأت أقرأ لهذا الكاتب المتميز البديع الاسلوب وكنت متزوجة فى ذلك الوقت ، وتوالت قراءاتى له وتعلقت بشىء ما فى قصصه ، لم استطع أن اتبينه جيدا ..

إلا أنه خط خفى عن قضية الثواب والعقاب .. وهاهو أجد فى كتاب الكاتب الكبير (يحيى حقى) خطوات فى النقد يفسر ما كنت أشعر به فى مقال بعنوان « الوسادة الخالية » لاحسان عبد القدوس .. قال « يحيى حقى » لأن الاستاذ احسان .. قد حصن نفسه من النقد بفطنة وذكاء منبعثين من روح سمحة طيبة تهفو الى الخير والفضيلة فهو يدير فى الواقع كل قصصه فى اطار من القيم الاخلاقية ، فأنت تراه يؤكد أن الزواج لن يقوم على الخطيئة او الجريمة ، ويحمل حملة شديدة على البغاء الرخيص .. فيقول عن بعض الشبان : « يحاولون أن يكونوا رجالا على حساب امرأة مسكينة تطعمهم بجسدها المتعب ويظلمونها بأجسادهم الفتية » .

وهو قوى الأيمان بالخير ، وأن الانسان مفطور عليه فيقول :

« ليس فى الدنيا رجل شرير وامرأة شريرة ، فانك لو بحثت فى نفس كل رجل وامرأة لوجدت منفذا من النور تستطيع أن تصل منه الى قلبه ، وتثير أرقى عواطفه » .

وهو بعد ذلك متفائل ، لايكربه مايصادفه الفتى والفتاة من تجارب وزلات فى مستقبل الصبا ، لأن الزمن كفيل بأن يهديهما سواء السبيل ، فيجد أن عنده السعادة والطمأنينة ، وهذه قصة (الوسادة الخالية) . أصدق مثال على هذا الاتجاه المحمود ، فليس فى قصص الاستاذ احسان ، اعتراف بأن الشر والرذيلة ، عنصران ثابتان فى طبيعة الانسان ، وليس فيها انجذاب مقبل على القبيح والتلذذ بعرضه ـ والتمرغ فيه ، بل هناك ظاهرة واضحة .. وقفت أتأملها طويلا .. احاول أن افهم دلالاتها ، وهى أن سطور الاستاذ احسان .. محشوة بذكرى الجنة ، واجنحة الملائكة ، والطهر والعفاف ..





صورة المرأة بين احسان وعمر بن أبى ربيعة

بقلم: د. يوسف خليف

تبدو المرأة المحور الأساسى الذى تدور عليه اكثر أعمال إحسان عبد القدوس الروائية، أو الشخصية المحورية فى اكثر رواياته. وهى ظاهرة طبيعية فى الفن الروائى، بل فى كل الفنون الأخرى، وإن تكن هناك شخصيات محورية أخرى تظهر احيانا معها فى طائفة منها. ولكن المرأة فى أعماله الروائية تختلف فى ملامحها المميزة لها عن المرأة عند غيره من الروائيين العرب.

انها ليست «المرأة المثال» التى تتراءى خيرا خالصا ولا «المرأة الأفعى» التى تتراءى شرا

مطلقا ، ولا "المرأة التاريخ" التى تتراءى صورة للذكرى معلقة على جدار ، وهى أيضا ليست المرأة الريفية بنت القرية . ولا المرأة الشعبية بنت البلد ، ولا غيرها من النماذج النسائية التى نراها فى رواياتنا ، ولكنها "المرأة الجديدة" التى تعكس ما حققه مجتمعنا المعاصر من تطور نتيجة اتصاله بالدنيا المتحضرة من حولنا التى انفتحت حياته عليها ، أنها بنت هذا المجتمع الجديد بكل ما أتاحه لها من حضارة وثقافة وحرية وانطلاق فى عالم مفتوح بعيدا عن عالم القيود والسدود ، إنها المرأة الجديدة التى وجدت نفسها ، وحققت ذاتها ، وأثبتت شخصيتها ، وخرجت من "عالم الأنوثة" .

وعالم إحسان الروائى من هذه الزاوية

بورتريه لإحسان
للفنان صبرى راغب



يتشابه فى كثير من جوانبه مع العالم الشعرى لشاعر الغزل الاكبر فى تاريخ الشعر العربى عمر بن أبى ربيعة الذى انفرد بين شعراء العربية بلون متميز من الغزل لم يستطع شاعر عربى غيره على امتداد رحلة الشعر العربى الطويلة أن يكون صورة أخرى منه . لقد استطاع عمر أن يرسم فى شعره صورة دقيقة صادقة للمرأة الجديدة المعاصرة له التى ظهرت مع المجتمع الحجازى الجديد فى العصر الأموى بكل ما تمثله من تطور حضارى لم تشهده المرأة العربية فى أى مجتمع آخر فى هذا العصر ، وما أتاحه لها من انفتاح على الحضارات الأجنبية التى قد تدفقت عليه مع موجات الفتوح الاسلامية .

وقد أتاحت لعمر هذا اللون المتميز من الغزل الذى استطاع أن يرسم فيه هذه الصورة الدقيقة للمرأة الجديدة المعاصرة له نشأته الاولى وحيدا لأمه التى أحاطته بكل ما تحيط به أم وحيدها الصغير ، وأتاحت له فرصة نادرة لتصله بالجو النسائى الذى كانت على صلة به أتاحت له بدورها فهما دقيقا لنفسية المرأة وخبرة بعواطفها وأحاسيسها ، وما يدور فى أعماقها من رغبات ونزعات ، وما يسيطر على حياتها من دوافع وأهواء ، وما يجرى على لسانها من عبث ودلال . ومن خلال الأسلوب القصصى الذى اعتمد عليه فى بناء قصائده تحول ديوانه الى مجموعة قصصية تدور كلها حول المرأة على قدر كبير من البراعة فى رسم الشخصيات النسائية وادارة الحوار بينها من ناحية وبينها وبينه من ناحية أخرى .

هكذا كان عمر فى عالمه الشعرى ، أو لم يكن كذلك إحسان فى عالمه الروائى ؟

● ● ●





في بيتنا إحسان عبد القدوس

بقلم : محمود قاسم

احسان عبد القدوس هو احدى المرايا التى رأى فيها الكثير من الناس انفسهم طوال نيف واربعين عاما ، حيث راح يجسد احلامهم ، وافكارهم ، وتمردهم بإيقاعه الخاص .

وقد نجح الكاتب ان ينقل غالبية كبيرة من الناس الى حيث القصور الفخمة ، والابنية التى يسكنها ابناء الطبقة الراقية ، فراح يمزق ، بمبضعه وقلمه ، حشايا هذه الطبقة تارة ، وراح يرتق تمزقاتها تارة اخرى .

● كانت السينما هى الحقل الخصب لبنات افكار احسان عبد القدوس ، فالسينما المصرية بشكل عام ، تميل الى تلك الحكايات الملتهبة التى راح يرويها فى رواياته واقاصيصه ، وكان على السينما

ان تتخلص من حكاياتها الميلودرامية المتكررة ، والجامدة كى تجسد روايات احسان ، ولتتعامل معها بشكل مكثف جعل منه الكاتب الاكثر تعاونا ، من خلال النصوص المأخوذة عنه ، مع السينما .

ويمكن ان نرصد علاقة ادب احسان بالسينما من خلال مجموعة من السمات نوجزها بما يتناسب واهمية هذا الموضوع .

– استطاعت روايات احسان ان تصبغ كل مخرج عمل معه بصبغة خاصة . وفى خلال الاعوام الخمسة والثلاثين الماضية شهد كل الذين عملوا مع احسان بما يسمى « بالمرحلة الاحسانية » فعلى سبيل المثال فان صلاح ابو سيف اختار ان يتوقف عند روايات الكاتب ، وقدم نوعا جديدا من الافلام يختلف تماما عن الافلام الواقعية التى اشتهر بها سميت بالمرحلة الرومانسية . واخرج لاحسان ثمانية افلام من اهمها « الطريق المسدود » ، « لاأنام » ، « انا حرة » ، « ولاتطفىء الشمس » وغيرها بين عامى ١٩٥٧ و١٩٦٦ .. ثم توقف عن العمل فى هذه الروايات الى ان عاد مرة اخرى ولمرة واحدة ليقدم فيلم « وسقطت فى بحر العسل » عام ١٩٧٦ .

نفس الشىء حدث مع كمال الشيخ . فبعد ان قدم « بئر الحرمان » عام ١٩٦٩ . قدم فى العام التالى رواية « شىء فى صدرى » وكان قد سبق ان قدم فى عام ١٩٦٦ اسكتشا فى فيلم « ٣ لصوص » تحت عنوان « سارق عمته » .. اما حسام الدين مصطفى فرغم انه حقق نجاحا متميزا مع « النظارة السوداء » عام ١٩٦٣ الا انه لم يعد الا بعد عشر سنوات من خلال « غابة من السيقان » وقدم له على



الخيط الرفيع .. فصل بين فاتن ومحمود ياسين

سنوات متتالية افلاما مثل « الرصاصة لاتزال فى جيبى » و« انا لاعاقلة .. ولامجنونة » .

ويعتبر حسين كمال المخرج الاقرب الى روايات وادب احسان عبد القدوس فى السنوات الاخيرة .. بدأت هذه العلاقة عام ١٩٦٩ من خلال فيلم « ابى فوق الشجرة » الذى استوحاه الكاتب من قصة تاييس لاناتول فرانس . وقد حقق الفيلم نجاحا مميزا .. وعرض قرابة عام باكمله فى دور العرض ، مما دفع بحسين كمال ان يقدم فى عام ١٩٧٢ فيلمين لاحسان هما « امبراطورية ميم » و« انف وثلاثة عيون » . وقد تعامل المخرج مع هذه النصوص المكتوبة بشغف شديد ، وبوجدانية دفعته ان يكرر التجربة على فترات متقاربة للغاية ، ومن اهم هذه الافلام « دمى ودموعى وابتسامتى » عام ١٩٧٣ ، و« لاشىء يهم » ١٩٧٦ . ثم « بعيدا عن الارض » فى العام التالى . وفى النصف الاول من الثمانينات بدا كأن المخرج قد امتزج اكثر بكيان الكاتب



فاخرج له « العذراء والشعر الابيض » و« ايام فى الحلال » ثم « ارجوك اعطنى هذا الدواء » وهى افلام تتمتع باهمية فنية خاصة فى السينما المصرية .

● المراة التى جرحتها الثورة

انجذبت السينما الى النموذج الانسانى الذى يصنعه احسان ، خاصة نموذج المراة ، ورغم ان هذا النموذج قد تكرر واصبح نمطيا ، الا ان السينما راحت تستهلكه . تضيف اليه . وتقص منه كما تشاء ، وهذه النماذج تدور فى اطر محددة حول الخيانة الزوجية ، والملل ، والبحث عن الرجل المناسب .

والطموح فى هذه الافلام ، هو سبب كسر كل العلاقات الانسانية فهو طموح ميكافيلي . يمكن لصاحبه ان يدمر كل القيم من اجل اعتلاء المكانة التى يسعى اليها : كوثر فى « لاانام » . وأمينة فى « انف وثلاثة عيون » وفايزة فى « ولايزال التحقيق مستمرا ».

واذا كانت بعض النساء الارستقراطيات يمارسن الهوى فى اعماله الروائية والسينمائية بدافع الشبق ، فان العاهرات غالبا مايكن ساقطات رغما عن انوفهن ، مثل سوسن فى « اختى »، فهى تضطر الى ممارسة الدعارة من اجل تربية اخوتها . وهى تهب جسدها للمهندس لانه يحبها ، وهى تأبى ان تنتقل معه الى كفر الزيات كى يعاملها نفس المعاملة .

وهذه الشخصية تختلف تماما فى الاقصوصة التى كتبها احسان ، فهى مجرد عاهرة يبعدها عشيقها الى المدينة عندما تحوم الشبهات من حولهما . اما شخصية منى فى « الخيط الرفيع » فهى عشيقة لرجل واحد من اجل الضمان الاجتماعى .. وهى تتحول كثيرا بعد ان يدخل فى حياتها رجل اقل خبرة بشئون النساء .. وبعد ان يكبر الرجل اجتماعيا يفكر ان يترك حبه من اجل مستقبله .. مما يدفع بها ان تعود الى عشيقها القديم .. ثم الى رجل ثالث .

ويتعمد احسان ، فى رواياته أن يصور الكثير من هؤلاء النساء على انهن غير مصريات .. مثل شخصية ماجى فى « النظارة السوداء » ويولندا فى « الخيط الرفيع » فهى من أم ايطالية واب مالطى ..

وفى اقصوصة « محاولة انقاذ جرحى الثورة » التى صورت فى السينما تحت عنوان « أم ياليل يازمن » تفضل فاتن البلتاجونى العمل مع بنات الليل فى الغربة عن العودة الى مصر ، التى هربت منها بعد قيام الثورة ، وعندما تعود الى مصر من اجل فتح صفحة جديدة يصدمها الواقع الاجتماعى الذى يحوط بها ، فتقرر العودة مرة أخرى من حيث جاءت .

● أخت .. وكيل النيابة

ليس صحيحا بالمرة ان احسان قد جعل فقط من المنحرفات ، والنساء الشبقات بطلات لرواياته فهناك العديد من

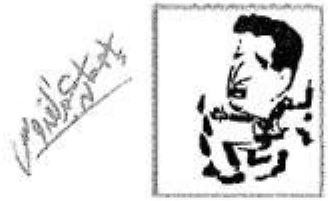


بيت احسان عبد القدوس .. وطني .. ومتبين

النساء اللائي يتمردن على العالم الذى حولهن ، ويسعين الى تحقيق طوبوية خاصة ، رغم مايتعرضن له من عقبات ، ومايوضع امامهن من عراقيل ، مثل شخصية فايزة فى « الطريق المسدود »، فهى فتاة مثالية ، حالمة تعيش فى اسرة ينخرها الفساد ، فتهرب الى الريف لتعمل هناك كمدرسة . فتصطدم بسلبية الناس . وشرورهم ، وخاصة الشاب الذى ارتكنت اليه . ثم المؤلف الذى تعجب بمؤلفاته عن المثالية .

وهناك ايضا سميحة فى « الوسادة الخالية » التى تقرر ان تقطع كل علاقتها بحبها الاول العابر ، طالما انها اصبحت زوجة لرجل مرموق .. وتمسح تماما كل هذه الصفحة التى لايمكن للرجل ان ينساها . اما امينة فى « انا حرة » فهى تمر بحالة تمرد من اجل البحث عن كينونة خاصة ، الى ان تلتقى بعباس الذى يوجه هذا التمرد ناحية وجهته الصحيحة ، نحو الايمان بتحرر المرأة ، وقضايا الكفاح الوطنى .. كذلك هناك ماجى فى « النظارة السوداء » التى تشهد تحولا ملحوظا فى حياتها بعد ان تعرفت على المهندس المناضل من اجل حقوق العمال .. والتى تسعى فى الفيلم لاعادته الى حظيرة الالتزام مرة اخرى بعد ان كاد ان يهوى الى القاع ..

وفى « كرامة زوجتى » الذى اخرجه فطين عبد الوهاب ، راحت الزوجة توهم زوجها انها تخونه مثلما يفعل حتى تعيده مرة اخرى كانسان ملتزم رغم كافة الاغراءات التى تتعرض لها فى العمل ، والنادى ، كامرأة جميلة . وقد تكرر هذا



النموذج فى « دمى ودموعى وابتسامتى »، فرغم ان الزوج قد اقترن بالمرأة من اجل مالها .. ورغم انه يخونها .. ويحاول ان يتاجر بجسدها ، الا انها تقاوم كل هذه الرغبات الشيطانية بكل ماالديها .

غيرت السينما الكثير من الاحداث والوقائع عندما حولت ادب احسان الى الشاشة . فبطل اقصوصة « امبراطورية ميم » هو رجل كل ابنائه من الذكور ويسعى كل منهم الى اثبات انه يفكر بالطريقة المثلى ، مما يدفع بالاب الى اجراء انتخابات عائلية ، وقد قدم الفيلم الذى اخرجه حسين كمال الفكرة المتعلقة بالانتخابات فقط . وحول الاب الى ارملة تتولى تربية بناتها وابنائها .

وفى فيلم « اضراب الشحاتين » الذى اخرجه حسن الامام فى تجربة فريدة من نوعها ، حيث جعل الحوار كله غنائيا ، تحولت شخصية التاجر المحسن الى وزير يود ان يقيم لنفسه دعاية انتخابية خلال عشرينات هذا القرن ، والغيت شخصية زعيم الشحاذين ، واستبدل بها علاقة حب بين شحاذة حسناء « لبنى عبد العزيز » واحد العمال الذين جاءوا من منطقة اخرى .

وفى فيلم « اختى » لهنرى بركات تبدلت وظيفة رجل القانون الى مهندس زراعى . ففى الاقصوصة يعمل محمود بك وكيلا للنيابة فى احدى المدن الصغيرة . ويقرر ان يحضر سعدية من الاسكندرية لتعيش معه على انها اخته ، وهذه الاخت المزعومة تدور بين أسرة الرجال ، وتدور الاقاويل .. فالرجال يفخرون انهم على علاقة باخت الوكيل .. مما يدفعه ان يردد « اختى ليست مومسا . اختى ليست سعدية » . وعندما يكتشف امره يقرر ان يقدم استقالته .. وفى الفيلم تكون المرأة فقط من اجل المهندس الزراعى .. ولكنها تسبب له المتاعب عندما يجىء الشباب ليخطبوها منه .. فيقرر ان يغادر المدينة .

● ملكة جمال .. وامرأة بديلة

تغيرت نهايات الافلام المأخوذة عن قصص احسان عبد القدوس كثيرا عن النهايات الواردة فى اعماله الادبية ، فقد تزوجت امينة من عباس فى فيلم « انا حرة »، ويدخل السجن بتهمة الكفاح الوطنى ضد الاستعمار . اما فى الرواية فقد اختارت ان تعيش مع عباس الذى علمها كيف تكون العبودية والخضوع للرجل ، وتقيم معه فى شقته دون ارتباط شرعى ولايفكران فى ممارسة هذا القانون السماوى . اما فى « النظارة السوداء » فقد كان على المهندس ان يختار الطموح الاجتماعى على حساب علاقته بماجى .. بينما نجحت المرأة فى استعادة حبيبها فى الفيلم ، وبينما صوره حسام الدين مصطفى مهندسا فان احسان قد اختار لصاحب هذه الشخصية ان يكون رجل سياسة .. وهذا الرجل يرى طريق النضال السياسى مفتوحا امامه يلتفت وراءه بينما صور الفيلم ان المهندس سعى للترقى الادارى من خلال علاقته بابنة رئيس الشركة التى يعمل فيها .



الابن عبد الحليم حافظ وحبيبته تحت الشجرة ..

وفي « كرامة زوجتي » تم الطلاق البائن بين الزوجين .. اما في الفيلم فقد اختارت الزوجة ان تعود الى زوجها بعد ان غفرت له ذنبه .. وقد صنع كمال الشيخ ثلاث نهايات لفيلمه « بئر الحرمان » قبل عرضه على الجمهور ثم اختار نهاية مفتوحة .

ومن ابرز النهايات تلك التى اختارتها ماسى فى القصة الأولى من « البنات والصيف » حيث فوجئت ، وهى ملكة جمال الشاطىء لعام ١٩٥٨ ، ان حبيبها يعشق امرأة بدينة . فى حجم الجاموسة لمجرد انها تذكره بامه .. ولاتتصور ماسى أن يدى حبيبها اللتين تتحسسانها ، يمكنهما ان تلمسا هذا الجسد المترهل بنفس الشغف ، لذا تقرر ان تنهى علاقتها به .. اما ماسى السينما فى فيلم « وسقطت فى بحر العسل » فقد اختارت أن تغفر لحبيبها ابو بكر هذا الخطأ .. وان ترتمى بين ذراعيه مثلما فعل فطين عبد الوهاب ببطلته فى نهاية « كرامة زوجتى » .

هذا هو بعض من جوانب العالم الرحيب الذى صنعه احسان عبد القدوس فى ادبه .. ثم نقلته السينما .. الجدير بالذكر ان احسان لم يقترب قط من كتابة ادبه سينمائيا .. ولم يعمل فى كتابة السيناريو مثلما فعل نجيب محفوظ فى الفترة بين عامى ١٩٤٥ و١٩٥٨ ، الا ان لاحسان عبد القدوس تجربة رائدة وفريدة .. حيث الف النص السينمائى على انه نص أدبى ، وراح ينشره فى مجلة صباح الخير قبل أن يقدمه للمنتجين .. وتم نشر هذه التجارب فى كتب .. وذلك اسوة بما يحدث فى العديد من دول العالم المتقدم سينمائيا .. حدث هذا فى السبعينات مع « هذا احبه وهذا اريده » ثم « بعيدا عن الأرض » وقد تحولت التجربتان فيما بعد الى افلام سينمائية .

معلومات لكتاب مصر

فى حديث اجراه الزميل فتحى العشرى ونشر فى لندن مع الكاتب السوفييتى فلاديمير سيداروف مدير معهد جوركى ، وسكرتير مجلس إدارة اتحاد الكتاب السوفييت ، جاءت هذه المعلومات والأرقام الهامة التى نسوقها لمن يهمه أمر الثقافة فى مصـر ، التى لم نكف عن ترداد انها « أم الثقافة » .

● يضم اتحاد كتاب الاتحاد السوفييتى عشرة آلاف عضو يتمتع اعضاؤه بحقوق عدة منها : أن تصدر كتبه من اكبر دار نشر فى الاتحاد السوفييتى (دار الكاتب السوفييتى) . يكفل له الاتحاد راتبا شهريا يكفيه لحياة كريمة . يتمتع بالحصول على دار من دور الابداع للاقامة المؤقتة او الدائمة . يتبع الاتحاد معهد جوركى والدراسة به جامعية (٥ سنوات) فضلا عن حلقات دراسية حرة مع الأدباء المشهورين يصدر الاتحاد فى كل الجمهوريات ٨٨ مجلة ، و ١٥ جريدة (تحقق ارباحا ولا تخسر) . تطبع من الجرائد اربعة ملايين نسخة ، ومن المجلات مليون وربع مليون نسخة ، ومن مجلات الشباب ثلاثة ملايين ونصف مليون نسخة (المجموع = ٨ ملايين وثلاثة أرباع المليون نسخة) .

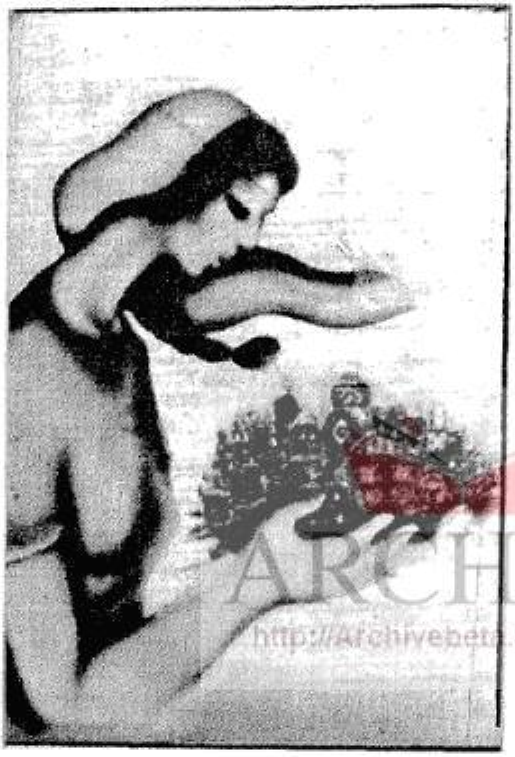
هذه هى الأرقام والمعلومات ذات الدلالة التى نسوقها ونحن نتساءل : إذا كان سكان الاتحاد السوفييتى يبلغون نحو ٢٧٠ مليون نسمة ، وسكان مصـر يبلغون ٥٥ مليون نسمة (حسب آخر احصاء) فكم نسخة كان من المفروض أن يطبعها اتحاد كتابنا من الصحف والمجلات ؟

مجرد سؤال نوجهه الى الزملاء الكتاب .

وكل سنة وانتم بخير .

عبده جبير

ايام فلسطين الثقافية



فى الفترة ما بين التاسع والسادس عشر من يناير الماضى اقيمت بالقاهرة تظاهرة ثقافية وفنية تحت عنوان ، ايام فلسطين الثقافية والفنية ، احتفالا باليوبيل الفضى لانطلاقة الثورة الفلسطينية والذكرى الثانية للانتفاضة الفلسطينية فى الأرض المحتلة .

قام بتنظيم التظاهرة ، دائرة الثقافة التاسعة لمنظمة التحرير الفلسطينية ، بالاشتراك مع الاتحاد العام للفنانين العرب ـ مصر ، وجرت احداث افتتاحها فى مبنى جامعة الدول العربية بالقاهرة .

فعاليات هذه التظاهرة شملت معرضا للفنون التشكيلية أقيم بقاعة النيل بمشاركة ٥٦ فنانا فلسطينيا ، و ٢٧ فنانا مصريا ، كما شملت معرضا للملصق الفلسطينى (١٠٠ ملصق) تحكى تطور احداث الثورة الفلسطينية ، بالاضافة الى معرض لتراث الشعب الفلسطينى الفنى والمتنوع .

كما كان فى بؤرة فعاليات الايام عددا من الندوات الثقافية جرت حول قضيتين ، الأولى تحت عنوان : ، الثقافة العربية والمسالة الفلسطينية ، وجاءت اوراقها الاربعة مقدمة من الدكتور محمد برادة ، والناقدة المعروفة خالدة سعيد ، وحسام الخطيب ، والناقد مدحت الجيار .

القضية الثانية جاءت تحت عنوان : « فلسطين فى السينما الروائية العربية » حيث عرض كل من الناقد كمال رمزى ورقته عن السينما المصرية الروائية والقضية الفلسطينية ، والباحث حسين العويدات عن السينما السورية الروائية والقضية الفلسطينية .

بالأضافة الى ذلك جاءت امسيتان شعريتان لتكريم شعراء فلسطين :

فدوى طوقان ، توفيق زياد ، هارون هاشم رشيد ، وحسن البحرى ، وسلمى الخضراء الجيوسى ، بالأضافة الى قصائد من محمود درويش ، وادونيس ، وسميح القاسم ، ونزار قبانى ، واحمد عبد المعطى حجازى .

كما شملت التظاهرة عرض مسرحيتين من الأرض المحتلة « المتشائل » لاميل حبيبى ، و « عنتر بالسلحة خيال » من تاليف واداء راضى شحاته ، بالأضافة الى اوبريت « الحجر فى مطرحه قنطار » الذى قدمته الفرقة القومية للفنون الشعبية الفلسطينية وهو من تاليف عبد اللطيف عقل واخراج حسين الاسمر .

كما قدمت فرقة كورال فلسطين عرض « عباد الشمس » و عرضا آخر بعنوان « طاق - طاق - طاقية » من تاليف صلاح الحسينى ، وموسيقى مهدى سردانة

غالب هلسا والرواية المصرية



غالب هلسا

الذين رأوا غالب هلسا فى ايامه الأخيرة وجدوه حزينا ، مكتئبا ، يردد انه يحس بالأختناق لانه بعيد عن مصر ، وعن اصدقائه وعن الاجواء التى عشقها وعاشها وتشرب منها فى اهم فترة من فترات حياته ، فترة نضوجه التى بدات منذ دخل مرحلة الشباب حتى بداية الكهولة .

فقد قضى غالب هلسا واحدا وعشرين عاما من عمره فى مصر شكلت فترة تكوينه الاساسية ، واعطى خلالها ما يمكن ان يعد حجر الزاوية فى اعماله الروائية والنقدية التى بلغت سبع روايات هى « الخماسين » ، « الضحك » ،

« البكاء على الاطلال » ، « السؤال » .. ثم رواياته التى كتبها خارج مصر « ثلاثة وجوه لبغداد » وصياغة اخرى لرواية كان قد بدأها فى مصر لكنه غير من بنيتها وهى التى عرفناها مخطوطة بعنوان « الخادمة » ثم بعد اعادة صياغتها نشرها فى دمشق بعنوان « سلطانه » ثم آخر اعماله رواية « الروائيون » .

بالاضافة الى مجموعتى قصص هما « وديع والقديسة ميلاده وآخرون » و « زنوج وبدو وفلاحون » بالاضافة الى كتابين احدهما يضم دراسات عن جبرا ابراهيم جبرا ، وحنا مينا ، واميل حبيبى . والآخر بعنوان « العالم مادة وحركة » وهو دراسة عن الفلسفة الاسلامية .

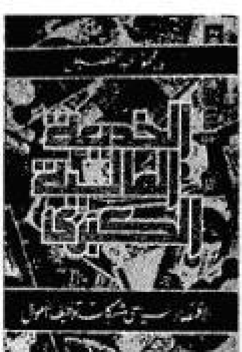
واذا قلنا ان غالب هلسا الكاتب الاردنى الأصل (ولد فى قرية ماعين ـ الأردن ١٩٣٢) والذى تلقى تعليمه فى الجامعة الأمريكية ببيروت قد تشرب بأجواء القاهرة وكان يرى انه كاتب « قاهرى » فإننا لانختلق الحقيقة من واقع اعماله نفسها . فجل اعماله تدور احداثها فى القاهرة . واغلب ابطاله هم من مثقفى القاهرة . بل ان الحوار فى اغلب هذه الأعمال يدور بالعامية القاهرية . وتشتم منه رائحة ام الدنيا .

وغالب هلسا الذى رحل عن دنيانا فى الثامن عشر من يناير الماضى فى دمشق ستثبت الأيام القادمة مدى اهميته ككاتب روائى جاد وضع حجرا اساسيا فى اعمدة الرواية العربية الجديدة .

والدعوة الآن موجهة للدارسين والنقاد ليعيدوا دراسته من جديد .

شركات توظيف الأموال وسيل من الكتب

يصدر هذا العدد من الهلال ومعرض الكتاب هو الحدث الثقافى الاكبر الذى تعيشه مصر كلها ، واذا نظرنا الى ما صدر من كتب فى الفترة التى شارفت افتتاحه وجدنا صبغة جديدة من النشر صبغته بطابع جديد ، نعنى صبغة



شهريات

اشارات ثقافية

« كتب الساعة » التى تتناول القضايا والمشاكل الساخنة التى تمر بها بلادنا .

على راس هذه الظاهرة مجموعة الكتب التى تناولت قضية شركات توظيف الأموال ، التى تاتى كلها تقريبا ، باستثناء كتاب يعمل صاحبه دوما على السباحة عكس التيار ففى كتاب « الناصريون قادمون : مذبحة شركات الأموال » لصاحبه محمد جلال كشك .. باستثناء هذا الكتاب نجد سلسلة اخرى من الكتب تناولت الظاهرة من منطلق آخر يحللها بشكل علمى ككتاب الدكتور محمود عبد الفضيل الباحث الإقتصادى البارز الذى تناول قضية الاقتصاد السياسى لهذه الشركات من زاوية البحث فى « نشأة وتطور ظاهرة شركات توظيف الأموال » وتشابكاتها داخل المجتمع المصرى ، بهدف استخلاص الدلالات التاريخية والاجتماعية للحدث ، اذ ان البعد الاقتصادى لظاهرة شركات توظيف الاموال لايمثل سوى البعد الظاهر (او المرئى) لجبل الثلج ، بينما الابعاد الخطية تكمن فى جبهة الاجتماع والسياسة .. وسيكلوجية الجماهير .

اما بدر عقل خيرى مهمة كتابه المعنون « توظيف الفساد » تتلخص فى انه وهو يرصد ظاهرة شركات تلقى الأموال ، ويشرح بداياتها ويضع يده على عناصر الخداع ، والتلاعب فيها ، فإنه ـ وهذا هو الاهم يركز على المناخ



السياسى والاجتماعى والتاريخى والدينى الذى وجدت فيه ، والذى دعمها وشد ازرها ، ثم سارع بالتخلص منها ، وسحقها بحثا عن بديل آخر ..

اما فرج فودة فيرى المسألة باعتبارها ملعوبا (هكذا يعنون كتابه) وهو كما يقول : تعبير اصطلاحى يحمل معنى الخدعة ، ويوحى فى ذات الوقت بان الخدعة معدة سلفا وليست من وحى الخاطر ، كما انها متقنة الصنع وليست تلقائية التكوين ، وهو ايضا لفظ يوحى بالطرافة ، ويدفع الى القبول ، فالملعوب لكى يكون ملعوبا ، لابد وان يكون مرغوبا ويستحيل ان يكون شرا كله ، بل منطقيا ان يكون به قدر من الخير ، قل او كثر ، كما ان الملعوب يعنى الاخراج المقبول لفكرة

شهريات

اشارات ثقافية



قد تكون صحيحة وصائبة وقد لاتكون ، واللفظ بهذه الايحاءات شديد الدلالة ، واوضح الايحاء بما نتصور انه قد حدث .. فنحن هنا نختلف عن غيرنا ممن اوحوا بنشأة العملية كخداع فى خداع من البداية لان مبررات النشأة لم تكن تحتمل المقامرة أو المغامرة ولكنه الملعوب .

ثم يأتي كتاب جمال الشرقاوى « حقيقة اوضاع شركات توظيف الأموال » ليقدم مجموعة نصوص هامة للغاية سجلها كأقوال حية مع عدد من كبار اصحاب هذه الشركات ليأتى التحليل الذى قدمه بجدية بالغة مستندا الى هذه الأقوال نفسها ، وليكون بحق تحقيقا جريئا لهذه الظاهرة .

وضمن هذه السلسلة ايضا يأتى كتاب الأهرام الاقتصادى (عدد يونيو ١٩٨٨) المعنون « شركات توظيف الأموال : الاسطورة - الانهيار - المستقبل » وهو يضم مجموعة من المقالات والدراسات التى كتبها باحثون ونشرتها المجلة فى اعدادها السابقة ، وجلها يصب فى تحليل هذه الظاهرة ، ويبين دلالات ظهورها ، وانعكاساتها السلبية على المجتمع .

ويأتي كتاب عبد القادر شهيب المعنون « الأختراق : قصة شركات توظيف الاموال » ليحكى بدأب حقيقى القصة التى يقول عنها انها ستعيش الى ما بعد القرن الواحد والعشرين ، فالضحايا الذين جربتهم هذه الشركات من اموالهم سيظلون ينبشونها حتى القرن القادم ، وبعدهم سيظل ينبشها الورثة ، فالأسرار والخبايا والاشخاص ومخابىء الأموال فى مصر والخارج ستظل موضوع مسلسل بوليسى محلى ودولى الى ما بعد نهاية القرن الحالى بكثير .. ومادة مثيرة للصحافة والكتابة .

وبالفعل فإن عبد الستار الطويلة فى كتابه « شركات توظيف الأموال والمستقبل الغامض » يقدم جزءا من هذه المادة المثيرة ، فنجده ينقل على لسان احدهم قوله : « ما الخطا فى أن يثق الناس فى جماعة فاعطوهم اموالهم لتوظيفها بطريقة حلال لفائدة المجتمع الاسلامي .. الا يوجد منذ القدم وحتى الآن نظام الجمعيات التعاونية بين الأفراد والجيران ولا يعلم بها احد (كذا !) إلا ضابط الثقة والقائمون عليها » ..

الكتاب : كارثة الأدمان
تأليف : ابراهيم نافع
الناشر : مركز الأهرام للنشر
٢٤٠ ص ، ١٠ ج م .

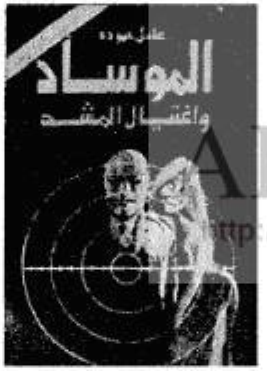


الحملة التي بداها الاستاذ ابراهيم نافع رئيس مجلس ادارة مؤسسة الأهرام ورئيس التحرير عن « كارثة الأدمان » بعدد من المقالات ، وتتالت بعدها تقصيات المتخصصين واصحاب الرأى حول المشكلة ، هذه الحملة جمعها ابراهيم نافع في هذا الكتاب الذى جاء من ناحية اخرى ، وقد استكمل جوانب القضية بفصلين جديدين هامين الأول ضم الملف العلمى الشامل للمخدرات التي عرضها الانسان ، والثاني يحكي قصة الانسان المصرى ومشوار خمسين قرنا مع المخدرات .

يقول المؤلف : « لم اكن اتصور يوما ان الأدمان قد انشب مخالب الموت في عنق المجتمع المصرى الى هذه الأعماق الدامية ، كانه دراكيولا الرهيب مصاص دماء البشر يدمر ما شاء له التدمير ، ويقتل ما شاء له القتل ، ويطلق في سمائنا غربان الشر ، تنوح بالخراب للبيوت الآمنة ، وتحرم الأمة من اعز ما تملك : شبابها .. رصيدها في بنك المستقبل .. وأملها في غد مشرق بسام .

ويشير الى نقطة غاية في الخطورة حين يقول : وهكذا تجرى عملية تدمير المجتمع المصرى من الداخل ، من خلال مخطط اجرامي تشارك فيه مافيا المخدرات التي تحكم عالم الظلام في الدنيا كلها ، وترسل زبانية الشيطان الى مصر في صورة مهربين وتجار باعوا ضمائرهم لابليس » .. وهم لايدرون او يدرون لا فرق .. انهم يدمرون جيلا مصريا بكامله اصابه الادمان في مقتل ..

الكتاب : الموساد واغتيال المشد
تأليف : عادل حمودة
الناشر : سفنكس للنشر
٢٥٨ ص ، ٨ ج م .

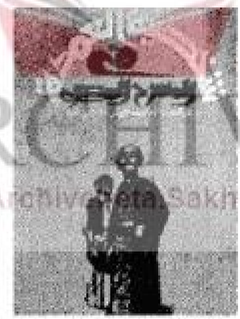


مساء يوم الخميس الموافق ١٣ يونيو ١٩٨٠ اغتيل عالم الذرة المصرى النابغة يحيى المشد ، وكان في زيارة عمل للاتفاق على معدات جديدة للمفاعل الذرى العراقي الذى كان يعمل به اثناء اغتياله .

ومنذ حادثة الاغتيال والكاتب الصحفي عادل حمودة يتابع القضية يفتش في وثائقها يجمع اسرارها ، يحاور الاطراف المختلفة من شهود العيان ، والمقربين اليه من افراد اسرته وعلى راسهم زوجته ، اولئك الذين عرفوه اثناء عمله في جامعة الاسكندرية من زملائه العلماء ، حتى اكتملت الرواية ، ليؤكد ان قاتل العالم المصري هو جهاز المخابرات الاسرائيلي « الموساد » .

لكن عادل حمودة لم يكتب بسرد قصة الاغتيال وانما راح يعرض لقضية الصراع العربي الاسرائيلي من زاوية عمليات اسرائيل الرامية الى التخلص من اى امكانية لدى اى طرف عربي تعمل على ان يدخل العرب العصر الذري ، سواء كان ذلك عن طريق تدمير المفاعلات الذرية العربية وهو ما فعلته مرتين بالمفاعل الذري العراقي ، او بقتل اى عقل يؤدي وجوده الى ان يمتلك اى طرف عربي للقنبلة الذرية ، ولو في المستقبل غير المعروف .

الكتاب : شخصية العمدة
في المسرح المصري
تأليف : د . نجوى عانوس
الناشر : شخصي ،
١٤٤ ص
٣٢٥ ق . م



. يتناول هذا الكتاب جانبا واحدا ، او لنقل موضوعا نوعيا من موضوعات المسرح المصري منذ الحرب العالمية الاولى ١٩١٤ الى عام ١٩٥٢ ، هي قضية شخصية العمدة في المسرح المصري في الفترة المذكورة .

تقول المؤلفة : ان شخصية العمدة قد استرعت انتباهها في المسرح المصري لذيوعها في العشرينيات متمثلة في شخصية « كشكش » عمدة كفر البلاص التي جسدها الريحاني حتى تخصص في تمثيلها .

وتقول : ونظرا لارتباط هذه الشخصية بمتغيرات اجتماعية وسياسية واقتصادية متتابعة فقد دفعني ذلك الى تقسيم البحث تقسيما زمنيا متعدد الفترات والمراحل من الناحية السياسية والتاريخية والفنية ..

لذلك فقد تعرضت بشكل تفصيلي لشخصية العمدة في المجتمع المصري ، وموقف العمد السياسي عقب الاحتلال . كما تعرضت لوضعه الاجتماعي كشريحة من الطبقة الرأسمالية والبرجوازية وارتباطه اقتصاديا واجتماعيا بالقطن . ذلك المحصول الوحيد الذي اعتمد عليه الاقتصاد المصري .

اشارات ثقافية

وقفة مع الشاعرة : سعاد الصباح

بقلم : جليلة رضا

سعاد الصباح شاعرة بأدق معاني الكلمة ، استطاعت ان تثبت وجودها على امتداد ساحة الشعر العربي الحديث ، بجدارة واقتدار .. ولم يحل لقبها ومركزها ـ كاميرة ـ بينها وبين مراقي الابداع . وقد قدمت للمكتبة العربية دواوينها الرائعة :

١ ـ امنية ٢ ـ إليك ياولدي ٣ ـ فتافيت امرأة ..

وبالنسبة لديوانها الثاني ، فإنني اردد دائما معها ، بعد ان اجتزت تجربة أليمة مثلها ، بفقد الابن الوحيد :

كلماتي مُرَّةٌ كالصبر حرى كدموعي
منذ ان جارت يد الموت على اغلى شموعي

وكم يستوقفني عنوان ديوانها الاخير المثير (فتافيت امرأة) .. فأتساءل : ـ هل يمكن حقا ان تتحول امرأة ما ـ كإنسان ـ الى مجرد .. فتافيت ؟! ولماذا لا تقول مثلا : بقايا امرأة ، أو حطام امرأة .. مثلا ، مثلا ؟ أتراها تعني بالفتافيت مجرد شيء ينكسر ويتهشم ، ولايصلح لن يجتمع مرة أخرى ، ويعود الى أصله ، أو قريب من أصله .. ولكن ، ترى ما الذي يمكن ان يدمر الانسان ، والانسان الشاعر على الأخص ؟ فيصبح كأوراق الشجر التي تتساقط وتتلوى وسط موج الرياح الخريفية ، ثم تتبدد وتصبح كالهباء المنثور ..

إن الحياة ليست الا مراحل متعددة ، تحفل ببعض الصراعات بين الحين والحين ، وتستلزم ، بالتالي ، بعض المواقف المصيرية الحازمة ، وقد يدمر الانسان نتاج هذه المواقف ، أو ربما هذه المواقف نفسها ، بما قد تزخر به من صخب وعنف ..

ولكن شاعرتنا المبدعة تتميز بامتلاكها لرصيد وفير من السماحة والحب ، للحياة والناس ، وللوطن ، وللمجتمع .. وللرجل .. الرجل الحق الذي تجد لديه المشاركة الوجدانية الحقة ، والذي لا يلفته اليها مجرد اللحاء ، أو القشرة الخارجية المبرقشة لذاتيتها .. وتتبين ذلك بجلاء ووضوح ، حين تتهدج مصرحة في أبياتها التالية :

إنني احتاج احيانا لأن امشي على العشب معك
وانا احتاج احيانا لأن اقرأ ديوانا من الشعر معك
وانا كامرأة .. يسعدني ان اسمعك
فلماذا ـ ايها الشرقي ـ تهتم بشكلي ؟
ولماذا تبصر الكحل بعيني ، ولا تبصر عقلي ؟

وهكذا نكاد نلمح بصيصا من الضوء ، يجلو لنا غياهب حيرتها التي أملت عليها اختيار عنوان ديوانها الأخير ، في لحظة يأس واحباط ..

فخيبة املها في (الرجل الشرقي) ، وموقفه منها ـ وهي من هي ـ : الشاعرة ،

اشارات ثقافية

الرقيقة ، المفكرة ،الحساسة ، العربية ، الخليجية ..

كل هذا جعلها فى واد ، وهو فى واد آخر ..

فما أشد فجيعتها فيمن تقول فيه :

يا أميرى .. أنت أطهر من طين البشر !

أنت بلنفحة نور من إله مقتدر

يا ملاكا ساحر الطلعة ، فتان الغرر

وحينما تصدم بموقف (الرجل الشرقى) وتتبين محاولته اتخاذها دمية ، تشبه دمية ابسن فى مسرحيته المشهورة ، تصلى هذا الرجل الشرقى شواظ من لهب فى (قصائد امرأة) ، بحيث تستحيل هذه القصائد الى شبه صاروخ مدمر ، يتخفى بين دفتى ديوان ، ليحدث دويا هائلا ، بعد ذلك ، فى الأعماق .. فنلمس فى كل كلمة من كلماته ، تمردا وعنفا وإباء ، وقوة عارمة تنطلق بتدفق ، كما لو كانت نافورة غضب ، تلمس برذاذها عنان السماء ، سماء الرجل المتغطرس ، وتنساب فى حنايا الكيان الانسانى ، لتغسل كل الأدران العالقة به ..

وكم تبدو رائعة حقا ، وشامخة حقا .. حينما تخرج من نطاق الذاتية الضيقة ، إلى رحاب الموضوعية الفسيحة ، لتشارك ابناء امتها العربية همومهم واهتماماتهم ، حين تنفعل وتختلج ، هاتفة :


الشاعرة سعاد الصباح

إننى بنت الكويت .

كلما مر ببالى ، عرب اليوم .. بكيت

كلما شاهدت عصفورا بروما

او بباريس يغنى

دون أن يشعر بالخوف بكيت

كلما شاهدت طفلا عربيا

يشرب البغضاء من ثدى الإذاعات

بكيت ..

كلما استجوبنى بوليس قطر عربى

عن تفاصيل جوازى

عُدتُ .. من حيث أتيت .

إيه ياسعاد ! لقد أصبت بأبياتك تلك المحز ، بحيث يخجل التعبير أن يعرض لها بالشرح والتأويل .. ألا ليتك تستمرين فى السير على هذا الدرب ، وتزيديننى من هذه النوعية .. حتى يتعبد طريق العرب نحو المستقبل الاسعد ، والوئام الأمثل .. وحسب الشعر ما ظفر به من ابداعك العاطفى الوجدانى فى السنين الماضيات ..

فالوطن العربى لحق بحبنا الأكبر ، والتفاتنا الأعمق .. وما أشد وأعظم توفيقك فى رائعتك : (إننى بنت الكويت) ..

حقا إنك ابنة بجدة العربية ، وأم عذيرتها بحق وصدق

جولة المعارض

محمود بقشيش

مباراة

بين الكاميرا والريشة والأزميل !

اقيمت ـ بالمصادفة ـ ثلاثة معارض ، فى مجال التصوير الضوئى .. ففى القاعة المستديرة بنقابة التشكيليين كان معرض الفنان «عصمت داوستاشى » ، وفى قاعة المركز المصرى للتعاون الثقافى الدولى اقيم المعرض المشترك للفنانين صلاح شكرى ومحمود صالح ، واقامت الفنانة «منال كمال » معرضها الأول بأتيليه القاهرة . وبهذه المعارض ، وبما سبقها من معارض ، وما سيلحقها من معرض عام يضم كل المبدعين ، وبما سمعناه من نوايا إلى إقامة «بينالى » دولى فى القاهرة للتصوير الضوئى ..

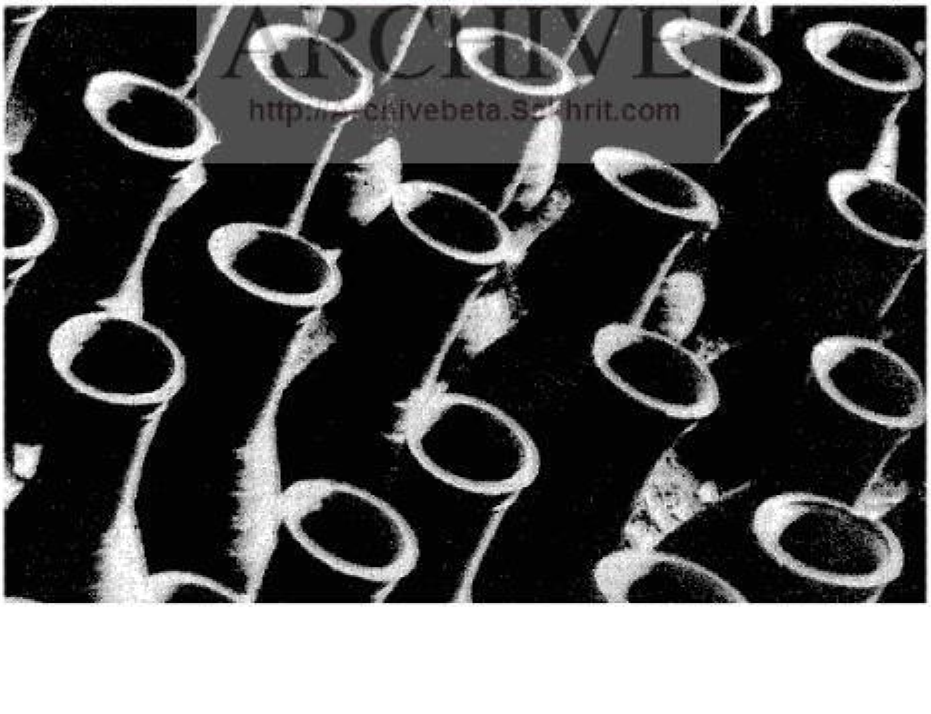
● يحرز هذا الفن نصر الاعتراف به من صناع القرار .. وصناع الكلمة الناقدة ، ونستطيع ان نقرر ان هذا الاعتراف كان لابد منه .. بعد ان انخفضت الحرب التقليدية بين الكاميرا والريشة ، فى العالم ، إلى مستوى التنافس الشريف ! .. فى البدء كانت الحرب . بادرت بها «الكاميرا » . واستهدفت الازاحة ، والنفى للمنافس . واستطاعت فى جولاتها الأولى ان تصيب ما يتفلخر به الرسام من قدرة على نقل الواقع بسهلم قـاتلة ، واضطرته إلى الانتقال إلى مناطق اخرى للتعبير ، غير ان فنان الريشة استطاع ان يبدع ما تفوق به عليها ، واضطرها إلى منافسة جديدة .. غير ان كليهما ـ فنان الكاميرا وفنان الريشة ـ اكتشفا ، مع الزمن ، انهما يتكاملان من اجل خدمة عيون وحواس الانسان ، وان مهمتهما واحدة : هى اسعاد وتثقيف تلك العيون والحواس !

على الرغم من ان من بدهيات آلة «الكاميرا » نقل الواقع ، وان تلك الآلة المحايدة كانت الأداة الوحيدة للفنانين



خير بلدنا .. للفنان عصمت داوستاشى

ايقاعات بصرية .. للفنان محمود صالح



الأربعة . فقد قدم كل فنان من الفنانين الأربعة ما يختلف به عن زميله في موقفه الجمالي والتعبيري .. ففي حين ركزت «منال كمال» - بالأسود والأبيض - على وجه الانسان ، وبالذات وجوه الاطفال العاملين في الفواخير ، والكشف عما يعانونه من بؤس وفاقة .. رغم الابتسامات العارضة التي تفرضها ظروف وجودهم امام آلة التصوير . في حين اختارت «منال» تلك الزاوية اختار «صلاح شكري» زاوية معكوسة : اتسمت مناظره الليلية ، والنهارية ، بالاضاءات الهمسية ، الانيقة (المُفَلْترة) والمحسوبة ، واخلا لوحاته من البشر ، حتى لا تعكر صفو هذا الجمال الخالص الذي يستنطقه من الطبيعة - على حد تعبير «كروتشه» بينما يتجول «محمود صالح» في الاسواق ليختار لنا بشرا في إيقاعاتهم اليومية . وفي حوار لجسادهم مع الضوء الذي (يفلتره) حتى يتسق مع الغرض التعبيري والجمالي .. ولان داخل كل مصور «صياد» ، يترقب صيدا معبرا وجميلا ، فإنه لا يكف عن ترقب لحظة الانقضاض .. حتى عندما تضطره الظروف الى عدم مغادرة بيته ، فإنه يوجه حاسة القنص صوب ابسط الاشياء واقلها إثارة ، بالنسبة للمشاهد العادي ، ويستخرج منها عجائب .. كما في لوحة «بلّيه» لمحمود صالح ، كما يتعين عليه ان يكون صبورا ، فلكي يصور «محمود صالح» راس نعامة صادقها اولا ، وكان يزورها يوميا بحديقة الحيوان ، ويطعمها .. حتى وافقت اخيرا على الوقوف امامه هادئة ! .. أما الفنان الشامل «عصمت داوستاشي» فقدم لنا حصاد جولاته من عام ١٩٧٥ حتى يونيو عام ١٩٨٨ في ربوع الوطن . يتسع عالمه للانسان .. وآثاره على الجدران ، وعلى عربات «الكارو» ، كما يتسع للحيوان والجماد . يتجول في الأسواق الصاخبة ، والشواطىء الساكنة ، والاطلال الرامزة إلى زمن انقضى . يتجول بنا بعين محبة ، رقيقة .

لوحة للفنانة : نجوى المصري





تكوين للفنانة
نجوى المصرى

اختارت «منال كمال» الاسود والابيض - كما اشرت من قبل - واختار الآخرون الالوان .. وحسنا فعل الجميع ! .. فالاسود والابيض قد ساعد على التركيز على التعبير والغرض الدرامي .. وهو غرض تحريضي ، يوقظ انتباهنا إلى حقائق مؤلمة .. على امل ان ننحاز للدفاع عنها ، واتسم اسلوبها بالبساطة .. ولوحاتها فى مجملها ، وفى طريقة اخراجها اقرب إلى شكل «الريبورتاج» الصحفي . ويشترك معها «داوستاشى» فى البساطة ، ويختلف معها فى نظرته المتفائلة . المحبة . وهى نظرة يشاركه فيها زميلاه الآخران !

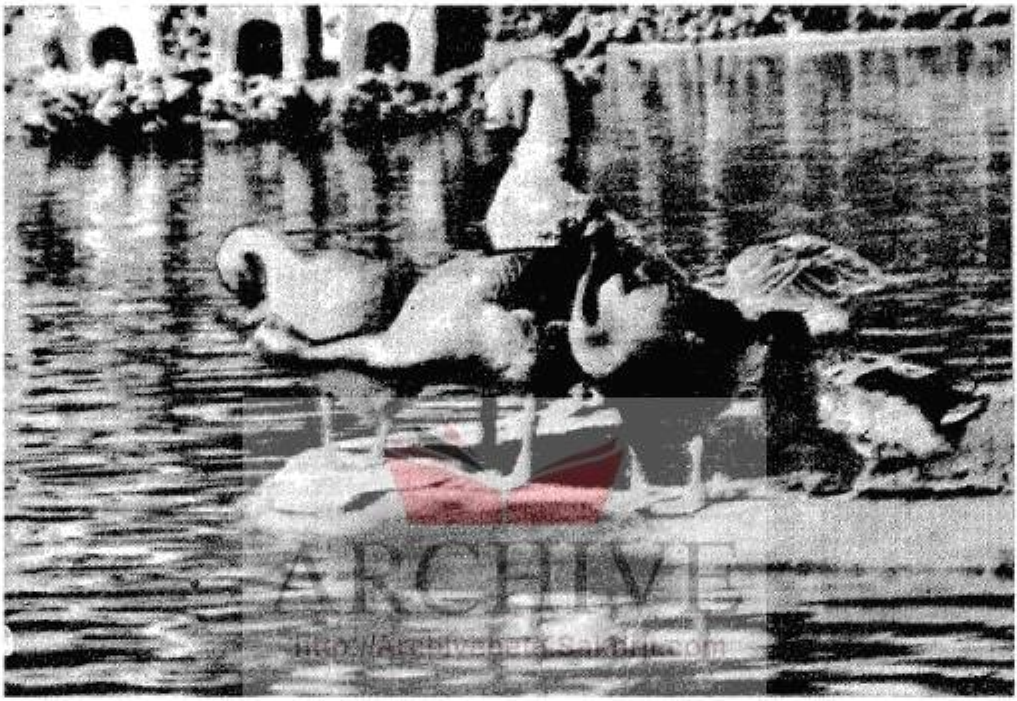
• غائبون حضروا ! !

استضافت قاعات مجمع الفنون بالزمالك اعمال ثلاثة من الفنانين الذين غابوا عن الساحة التشكيلية المصرية ، لاسباب مختلفة ، وهم : «محمد مجرس» المثال المعروف الذى غاب عن مصر فترة تقترب من العشرين عاما ، انفقها بين لبنان وسوريا والعراق بحثا عن مصدر رزق .

«مصطفى كمال» استاذ «الجرافيك» بكلية الفنون التطبيقية الذى غاب فى الخارج لاسباب «اكاديمية» . «مدحت شفيق» الذى هاجر إلى «ميلانو» منذ اكثر من عشر سنوات بحثا عن الذات !

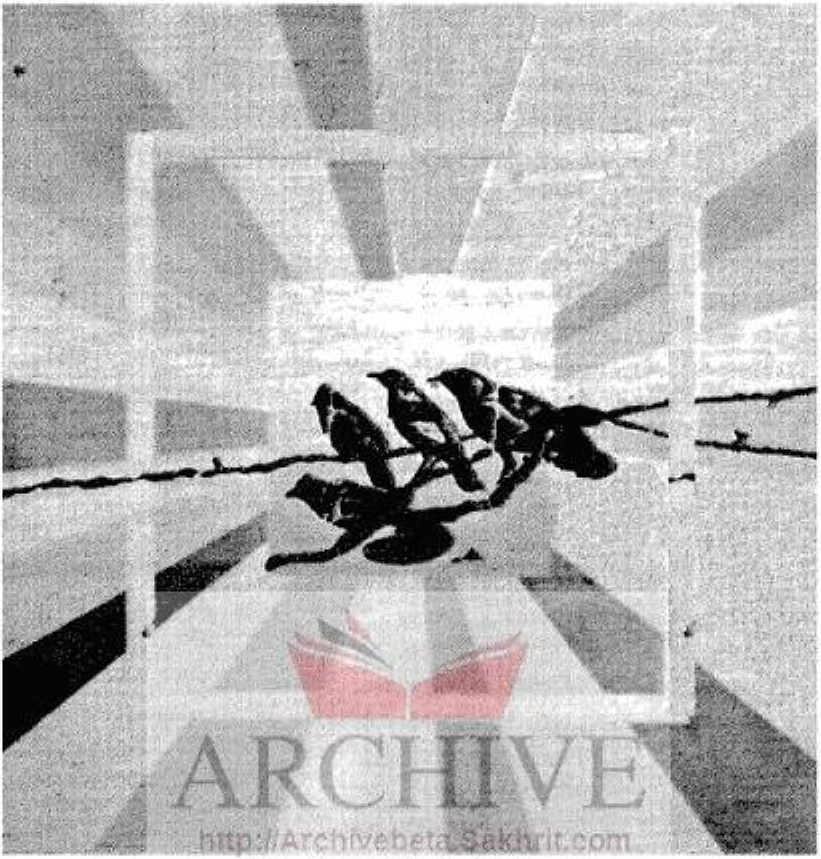
جولة المعارض

جزيرة الحب للفنان : محمود صالح



● المثال «محمد هجرس»

قدم منتخبات من مراحل مختلفة ، يفصل بين اقدمها واحدثها نحو ربع قرن ، لهذا جاءت منحوتاته متنوعة ، ومتفاوتة في درجة اقترابها من مألوفات الاشكال الواقعية : فهي تقترب اقترابا واضحا من الواقع المرئي في منحوتات الستينيات ، وتتباعد عنه شيئا فشيئا ـ في مرحلة الغياب ـ الى أن تقف عند مشارف التجريد . ورغم التنوع في الاسلوب والخامة فإن منحوتاته تكشف بوضوح عن انتماء الى فنان واحد ، يحتفل بتوتر السطح ، وحركة الاطار الخارجي ، وبمفلجات الجوانب غير المتطورة (للمشاهد الثابت) . كتلةً ،



طيور وأسلاك : للفنان مصطفى كمال

أيضا ، توحى بأنها على وشك أن «تفعل » شيئًا عنيفا : تندفع فى الفراغ فى شكل قفزة انتحارية (كما فى منحوتة «حارس المرمى ») أو تغوص الى القاع كما فى منحوتة «الجوع » .. أو تجذب بعناء «حمولة » ثقيلة لانراها ولكنا نشعر برد فعلها على ثلاثة رجال ـ كما فى منحوتة (المراكبية) . إن منحوتاته ، فى تجلياتها المختلفة ، تصطرع فى

الفراغ المحيط والفراغ البينى ، وتكشف فى نفس الوقت عن صرخات إنسانية .. صريحة أحيانا كما فى منحوتته الحجرية . البديعة : «صرخة الذئب » أو تقف أحيانا عند حدود الايحاء ، وتكشف «شفرتها » الخاصة عبر تقلبات السطوح المتوترة ، والمسطحات الحادة .

إن معظم منحوتات «مجرس » ، تتميز

بالمذاق التعبيرى اللاذع ، وبالحركة .. التي تدفع عن مشاهدها مشاعر الاسترخاء ، وهي حركة «درامية» .. تصطرع مع الفضاء ، وتحرك في وجدان المشاهد ، أو توقظ داخله ، أو تذكره - على أقل تقدير - بآلام انسانية مشتركة .

إن منحوتاته - على مستوى الشكل - تكشف عن درجة اختياراته من انجازات الفن المعاصر والقديم ! فهو يأخذ من «التكعيبية» ولنقل أيضا من المنحوتات المصرية القديمة .. مسطحاتها الصريحة والتي ازدانت مرحلة مع تراجع الشكل الواقعي في مرحلة ما بعد السفر .

لقد قدم «مجرس» في معرضه خامات مختلفة .. تعاطفت من بينها مع منحوتاته الخشبية «المتفردة» بين مبدعي النحت بهذه الخامة ، ولم تزل منحوتة «جذع» الخشبية والتي نفذها قبل السفر .. من أكثر من منحوتاته تميزا .. وبشكل عام .. فقد تعاطفت مع مرحلة ما قبل السفر .. وبمعنى أدق .. ما قبل الغياب !

● الرسام «مدحت شفيق»

(اكتب كلمة «رسام» عامدا لأن كلمة «مصور» و «تصوير» قد توحي بالتصوير الفوتوغرافي ، ولم يتفق النقاد المصريون على تعبير دقيق يصف ذلك المجال من الابداع)

الفنان «مدحت شفيق» واحد من عشرات الموهوبين الذين حال نظام «المجموع» دون التحاقهم بكلية الفنون الجميلة ، وقد حال هذا النظام العجيب دون ظهور مواهب .. وعلى الرغم من صرخات النقاد ضد هذا النظام ، من أول ظهوره ، فلم يجد حتى الآن الأذن الصاغية . وقد أعاد «مدحت شفيق» الثانوية العامة على أمل الالتحاق بالفنون الجميلة دون جدوى .. فاضطر الى السفر إلى شقيقه بميلانو ، والتحق بكلية الفنون الجميلة ، وحصل على نفس الشهادة التي يحصل عليها المبعوثون من كلية فنون القاهرة ، وهي شهادة يسمونها في القاهرة «دكتوراه» ! .. غير انه لم يكن في حاجة الى الشهادة بل في حاجة إلى أن يجد نفسه في الفن الذي أحبه ، واستطاع خلال سنوات قليلة أن يشق طريقه ، وهو أحد الفنانين المعروفين الآن هناك .. وأخيرا قرر أن يقيم معرضه في القاهرة ، أملا في تواصل كان يتمنى ألا ينقطع .

يدور المعرض حول موضوع محوري هو «السيرك» ، واختار من بين جوانبه الجانب الصاخب ، واحتلت «الخيول» البطولة الأولى . لوحاته مليئة بالحركة ، وإن لم تكن حركة وصفية : أى خيول تنطلق في مكان ثلاثي الأبعاد ، وانما الحركة عنده هي حركة سطح اللوحة ، ونسيجها الصاخب باللون ، وخطوطها المرسومة

، تارة بالالوان ، وتارة بالة حادة تزيل اللون .
لافاصل بين مقدمة وخلفية ، بل الكل يتداخل في الكل !
ورغم هذا التفاعل المحموم فإنك تستطيع أن تتبين معالم الاشكال ، والأهم من ذلك انك تستطيع أن تكشف انك امام رسام بارع ، لا يبتعد عن المنهج الاكاديمي هروبا بل اختيارا . وتشارك لمساته الجسورة . المتنوعة . في تشكيل اسلوب تعبيري مشرق .. على انه لم يكتف بتقديم موضوع السيرك ، وربما اراد لزائر معرضه المصري أن يتأكد من أن مصر لا تزال

صائمات للفنانة : نجوى المصري



في وجدانه ، فظهرت الاهرام صريحة في مشهد صحراوي ، وظهرت على استحياء ، وعلى بعد في لوحات اخرى .

● فنان الجرافيك مصطفى كمال

قدم الفنان «مصطفى كمال» معرضا .. هو الاول بالنسبة له ، فلم يسبق لي أن شاهدت شيئا . وهو معرض يدعوك الى الاستمتاع والتأمل كما يحرك فيك الحس النقدي . أولا هو يدعوك الى المتعة لما يتمتع به من رهافة لونية ، وأناقة هندسية ، وبراعة في الرسم ، ويدعوك ثانيا الى تأمل تلك العلاقات التي تجمع بين العابر والمألوف .. وبين الهندسي والمجرد ، وتدعوك إلى النقد لاكتشاف الخط الواصل بين متناقضات متطورة . ولقد حدد لنا الفنان من البداية أغراضه ، والطريق الذي نسلكه ، فوصف معرضه بانه «بحث» جمالي ، وان «الشفرة» التي يتعين علينا فضها هي ثنائية : البعد الثالث والبعد الثاني ، وعنون معرضه بـ ٣×٢ ، إذن علينا أن نسقط من حسابتنا موضوعاته الاليفة والرقيقة : الطيور والفراشات واشكال خيال الظل ، وأن نتأمل فقط تلك العلاقات الشطرنجية بين ما يسميه بالبعدين الثاني والثالث .. والواقع أن البعد الثالث لا وجود له في لوحاته الا عن طريق الايحاء النظري لا الحسي .. عبر شرائح هندسية ، تلتزم ، أحيانا ، منظورا هندسيا .. على اننا لو



تجاوزنا الطريق الضيق . المسدود الذى اراد لنا الفنان ، بكلمته ، ان يختاره .. فسنجد نقاطا إيجابية فى معرضه ، فالمعرض شانه شان كثير من الأعمال الناجحة تكشف عن ضرورة وجود «حوار» بين عناصر اللوحة المختلفة والمتكاملة ، ولوحاته مؤسسة على ثنائيات : رسوم مطبوعة لطيور وحيوانات وأيد ، ومساحات هندسية ملونة بدرجات لونية متناغمة لامتصادمة + ثنائية الشكل العضوى والشكل الهندسي . وفى تقديرى ، انه رغم تلك الثنائيات المنظورة فإنها لم تشتبك فى حوار «دينامى» ، بل وجدت فى حالة تراكم وصفى «ستاتيكى» لهذا لم يكن من المستغرب أن يرسم طيوره وحيواناته فى حالة سكون وأقرب إلى الرسوم التوضيحية .

إن تلك التحفظات لاتقلل من دعوة المعرض الجادة إلى ضرورة الاجتهاد فى التنظير الفنى ، والدعوة إلى الاتقان .. وما أشد الحاجة إليه فى مصر .

• مولد فنانة جديدة

اتابع باهتمام الفنانين الشباب الذين اشتركوا فى مسابقة صالون الشباب التى تنظمها المركز القومى للفنون ، وتنتابنى مشاعر السعادة أو الحزن ، مع ما يصيبهم من إصرار على النجاح أو تراخ فى العزيمة .. لهذا سعدت بمعرض الفنانة «نجوى المصرى» الذى أقامته باتيليه القاهرة ، وأكدت به تفوقها على نفسها .. فقد فازت فى فرع الرسم فى صالون الشباب واختارت لمعرضها الأول مجال الرسم بالحبر الصينى .

وفن الرسم بالحبر الصينى أو الرصاص كان ينظر إليه ، فيما مضى ، باستخفاف .. على اعتبار أن مجاله الوحيد هو الاعداد والتحضير للوحات ، ومثلما حققت «الكاميرا» انتصارا باعتبارها فنا من الفنون الرفيعة .. فعل

الجوع .. تمثال للفنان : محمد هجرسى



فن الرسم ، وظهرت معارض ، ووجوه مرموقة فى هذا المجال .. منها : احمد نوار . محمد ابراهيم عبدالسلام . سيد سعد الدين .. عصمت داوستاشى . حامد صقر . محمد ابو طالب . مصطفى عبدالمعطى . محمد شاكر . عبدالله صبره . إيهاب شاكر . جميل شفيق . سمير تادرس .. وغيرهم كثيرون .. مما دعا وزارة الثقافة الى تخصيص جائزة فى الرسم ضمن جوائز الدولة

السيرك .. للفنان : ملاحت شفيق

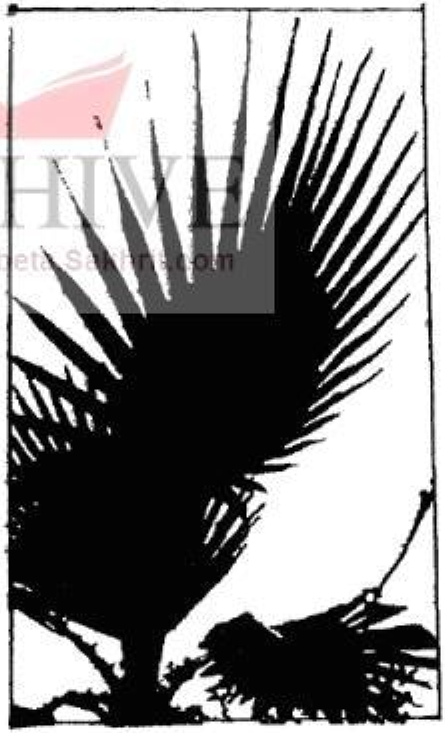


التشجيعية .. وتدخل الفنانة «نجوى المصرى» فى سباق المبدعين فى هذا المجال الذى يحتاج - على عكس ما يظن - الى قدر كبير من البراعة .. لأن اى خطأ صغير يعنى فشل اللوحة . اختارت لمعرضها موضوعا محوريا هو «المرأة» .. لكن .. اى امرأة واى

شكل مجرد .. للفنان : محمد هجرسى



للفنان صلاح الدين شكرى



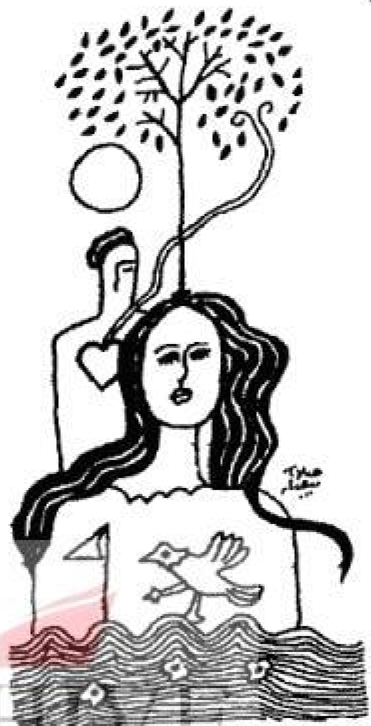
نساء !! ؟ .. كتل هلامية ، لا تعرف لها بداية من نهاية ، معلقات كالذبائح مسوخ لا حول لها ولا قوة .

هل هى مذكرات تعيسة عن موقع المرأة فى مصر ، أم هى عذابات ذاتية ، أم كلاهما معا ؟ ربما هى كل هذا ، والمهم انها لمست أوجاعنا .. أيضا .. نحن المشاهدين .

اما عن مستوى أدائها فلابد من الاعتراف بأنها تتمتع بقدر كبير من الصبر والمهارة . وهى تلاحق سن «الرابيدوجراف» على مسطح الورق الابيض ، وتصنع من الوف اللمسات نسيجا أشبه بالنسيج النحتى ، ولتأكيد هذا المذاق النحتى فإنها قد تركت المسطحات الورقية المحيطة بالاجسام بيضاء .

سيمفونية طائر

شعر: عباس محمود عامر



ايقظتني نداءات عينيك
تبدو طقوس النهار
وترقص عصفورة الحلم
فرحى
على ايكة الغيب
تنشد اغنية للبشارة
في موكب للرفيف
وتسفر لى رؤيتى
بعد عودتها من دوار الأفول
فاهجر كل بروج ، « الأنا »
واحلّق فوق الغمام
وعبر الشمال اليك
فتبدين انت بهذا البهاء
بهذا الضياء
مليكة كل الكواكب
يامن قرأتك فى آية الشمس
اسما لذاك الوطن
اتصفح قلبى وذاكرتى
فأراك تجوبين عشقا بنهرى
نقوش جنون
على جسد الوعى .. لم تنعدم
اتصفح كونى
تكونين راية نصر
ترفرف رغم المطر
واحوم كصقر لاجلك
تاركا الاغنيات
ودفء الشجر
●● لانك انت بلادى
خلودا
وجودا
يضم البشر

زهرة البستان

القصة الفائزة بالجائزة الثانية

بقلم: منار فتح الباب

ريشة الفنان: محيي الدين حسين

لم أكن أعتقد أنه سيأتي يوم أجدني فيه أستكشف شيئا في مقلتي ينعكس على أنوف المدعوين والمختارين لصحوتي، فأهتم بأبعاد عويناتي والمسافة بين المقلتين إذ تنقل إلى تفاوت حركات شفاههم الجرداء .. متجعدة .. قرية .. جوفاء .. كلهم خشبي قديم لا يكلف.

أراهم يقبلون على بعضهم بهمسا لتسع بطونهم وتستطيل أعناقهم والأحل، وتكبر الشفاه في غير مكانها ..

ومع كل فجر جديد تنتقل إلى مكان .. فأعرف سر الألوان.

وإننا نشهد مع علماء الغرب أن ما يحيط بنا ليس هو الواقع، وإنما الواقع هو ما خلف مشاهداتنا ... ولهذا، فإنه يجرى البحث دائما عن منهج جديد للبحث عن .. عن .. أسف !!

كانت بركة صغيرة من المياه قد أثارت خيالاتي، فتحركت فيها قدماي لأجد نفسي بين هؤلاء الجالسين يلمسون ابتسامة مريرة نحو الأسفل .. يشدون على مقاعدهم وأذانهم لعلهم يتوسمون صوح طيورهم، وأنوارهم.

كانت زمن طفولتي أهوى إجابة الشجار، ثم القلع .. ولهذا ظللت أعتقد أن تصوراتي هي السبب .. وكان أولها إصراري على أن أنوف البشر كلها ذات طراز واحد لعلي الآن قد عرفت، بعد اشتداد أزمات عصبيتي، أنها مختلفة.

وغفلت عن نفسي يوم كنت أعلق الوقت في 

الزهر باختلاف أحجام النخل، والحيرة بادية في مقلتي من تقلبات أطرافه .. أهي الفراشة أم أنوفه .. اللفجار أم تلهو أم للتعاون المثمر حتى لا يجرح أنه .. وكيف كانت تشرد واحدة منهم .. الفلطمية .. خائفة .. خائفة .. ؟ أم متحمسة من أجل الجميع .. وأحبيها باستحياء لتنزع .. وتهرب ثم أنساها، فقد كانت ذاتي تنضم إلى علاقة أمام الكائنات

زهرة البستان: القصة الفائزة بالجائزة الثانية

الصغيرة .. ترى اين تذهب فى الظلام ؟ أثمة عرش فى الكرة السوداء ، وكم من طبقة تمتد حتى العرش . وهل ينهب كل القوت لنفسه . هل نسيتنى النملة ؟ اتحسس الليل والفجر ؟ .. لماذا لا تكبر ؟

قررت فى نفسى ان انوية خلاياى سوف تتضاءل وانى سأصبح فى حجم نصف ثانية صغيرة لشعاع شمس يضاعف زمن الموت المتخبط فى أحداق البشر الصفراء .. الصفراء .. تلك الاشجار فى الاقاصيص الرومانسية .. يا انت كم انت شريدة .. جميلة .. حدثينا قبل ان ندعوك الى زاوية المقهى الادبى عن موضوعات قصائدك .. هل تكتبين ؟ .. ثمة كرسى فاخر من اجلك . حسنا .. حدثينا عن التوت فى (أمرأة أرق) .

وكنت قد تسلقت شعرة بيضاء عجوزا مجعدة من رأس احدهم ..

ـ زهرتنا الصغيرة .. قولى شيئا .

ولم اكن قد قلت شيئا يوم ولدت .. وكان هذا الجيش الهائل من جياع العالم قد تألف فى دائرة من الواقع دون ظل .. الشكل موحد الأفواه .. مفتوحة .. مفتوحة فى الفضاء .. الصياح كالدخان .. وأنا وحدى امام المرآة . اتأمل البقع الصغيرة التى تحجب تشكل انفى واستدارته هو وخصرى ..

لست الا لغطا .. سيلا من دموع نمل .. أو لوحة نحل جفت ازهاره وصارت كالسياط ..

دخان السيجار يملأ المتقطعة بين الزفير المتخم ، وأتجاهل عواء قطة جانبية .

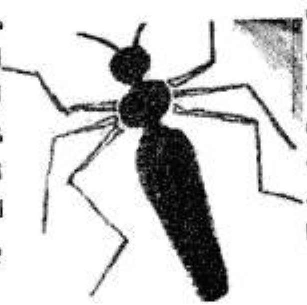
هاهم يتحولون الى كلمات تنطبق على بعضها صدأ . وتطل عيونهم فوقى فى عين واحدة تسطع فى ظلال قاعدة منشور من اجسامهم سطوع المرآة الكاذب . وأنا وحدى التى اجمع نشاراتها فى هذا العالم .. مادمت قررت ان اتضاءل ولا اسمع شيئا سوى صوت التنفس .. ذراعاى زجاجتان ترفرفان فى الهواء الضئيل .. ودمائى قد جفت وآل جفافها صفائح رقيقة متقشرة .

ـ عطشنا جميعا ..

الا يوجد شراب ؟ ..

ذهبت ليالى السفر !

كنت اهوى قديما مشاهدة قصدير القطارات المتآكلة وأحلم ان لى فيها بيتا جرسه نفير . بيتا من أعواد قصب ملونة تلوح للشمس .. اعبئه بزجاجات زيت ادلك بها





بشرتى فتنعم وأحلق فى الأفق .

ـ فلنشرب فى نخب ايام النضال والقضبان والطوابير .. صغيرتنا تبدع قصيدة من جمال الصمت ..

حاربت وعيى كى أعرف هل يتكلم النمل بينما يعمل فى طوابيره .. اثمة مجال لهذا الصمت . أم هو صمت لوحتى .. مشاهدتى .

وكنت اعتقد - انه ، وبعد قرارى الهائل العنيف ، لا تزال توجد بعض الطاقة كى اتخذ قرارا آخر بشأن صمتى . ولعلنى يوم أفهم سر الصمت تكون حاسة النطق قد دمرت ايضا .. بينما تدق مقلتاى اسوار ثقيلة حول خصرى بغية الانزلاق تحت أضواء العتبة السفلية للغموض الأسود .

ولم أكن قد اكملت بعد مناجاتى القديمة للنمل ، عندما انشغلت بالبحث عن مكان القى فيه بنشارات قلمى الرصاص ، وقد بدت مراوح صغيرة قررت ان اقرر اننى اطير .. واكلم الموجودين بصدى الصوت الرخيم .. دون انف .. دون مكان .. دون ملامح .. فقد ذكرت نفسى اننى اتضاءل وأن الزمن الباقى لجلسة صحبة قد صار أنا .. وقد تعامدت مع عمود النور دون ظل .. كانت الاضواء شاحبة صامتة .. والليل كالفجر يستبق على نداءه ديكان بمنقار واحد .. وأبخرة (علاقات التبادل) تهيم فى (نسق الابنية اللاشعورية) .

لحظة ان اكشف امامهم ابخرتى هذه ستكون الاسئلة عن التفجير النووى قد تمزقت ، ودمرت اسواق القوت اليومى ، وتخلو الشوارع .. ساكون فى طريقى الى منزلى .. بل الى التضاؤل .. قد ترتفع السماء يومها لتترك للأرض مكانها .. جنة وردية لكل فرد .. فى حجم نملة صغيرة سوداء .. سوداء .. وليست بنية فجة شقراء .

كنت قد قطعت برهة قصيرة من قرارى ان اتضاءل وتخيلت نفسى ادور حول «محورى» الصغير وارى الجالسين من الخلف وقد طالت الانوف وتورم خط حدودها ثم مالبثت ان عادت لمكانها .. واستوت بينهن المسافات الداخلية للهمس الالدغ فتحولت الى عيون اشبه بعيون الثعالب الهاربة .

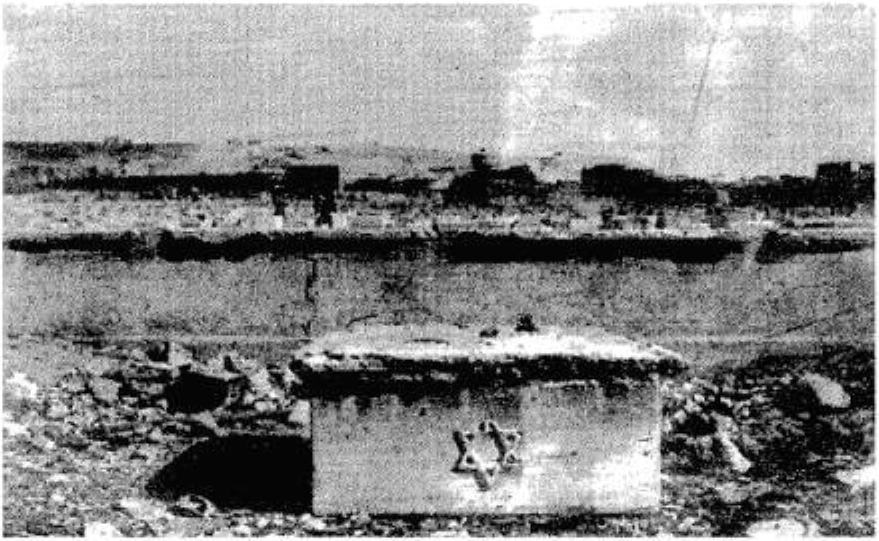
وعلا صوت الفم المتثائب مفتوحا :

ـ ها هى الجلسة تحلو عند اقتراب الفجر .

فى طفولتى كنت اقيس حلول ضوء الفجر بانكشاف عروش طبقات السماء السبع . وتحركها تدريجيا على نحو احادى . ومع هذا اجد تلك الانوف مستقرة لا تتحرك ..

ـ زهرتنا الصغيرة .. قولى شيئا .

ولم اقل .. كنت قد ذكرت نفسى بمناجاتى للنمل .



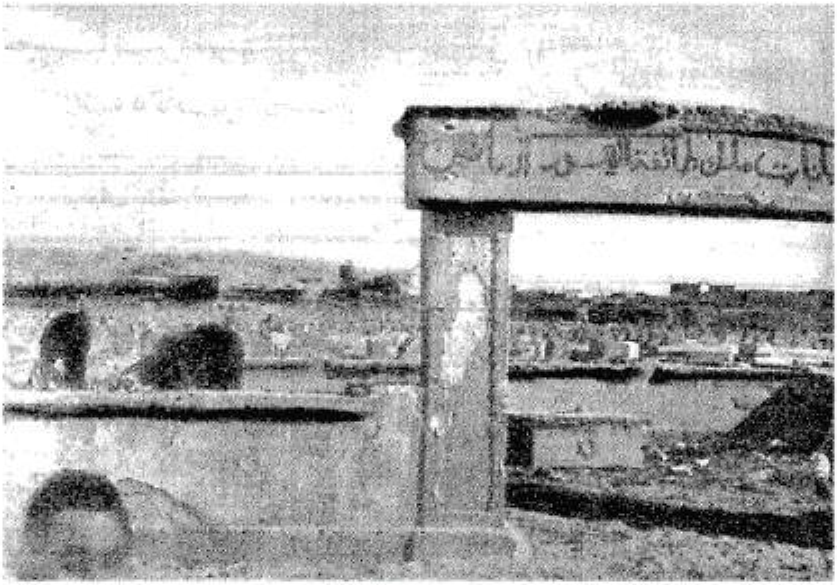
منظر عام لجبانات اليهود

مقابر اليهود وتهريب

بقلم : عرفه عبده علي

ليهود مصر عدة مقابر فى القاهرة (البساتين والمعادى) وفى الاسكندرية والبحيرة والمنصورة والمحلة والمنيا ودمياط ..

وبين هذه المقابر جميعا ، تتمايز (مقابر البساتين) باهميتها العلمية والتاريخية ، والتى حظيت باهتمام مكثف من البـــاحثين والمؤرخين الاسرائيليين تحت اشراف – المركز الاكاديمي الاسرائيلي بالقـــاهرة –



بوابة متهدمة لجبانات اليهود الربانيين

وثـــائق الجنيزة

ـ وقد رفضت محكمة القضـــاء الادارى ، الدعوى التى اقامهـــا مجلس الطائفة اليهودية بالقاهرة ، التى يطالب فيهابوقف انشاء الطريق الدائرى الجديد حول القــاهرة ، والذى سيتعارض ـ كمـــا تنص الدعوى ـ مع بعض اللحود الخاصة بمقابر اليهود فى تلك المنطقـــة ، وتستند هذه الدعوى الى ان نزع ملكية المقابر يتعارض مع (الشريعة اليهودية) ، وان نقل رفات اليهود فى تلك المقابر لايتماشى مع عقيدتهم !

مقابر اليهود وتهريب وثائق الجنيزة

وفى اول ديسمبر الماضى ، اخطرت وزارة الخارجية المصرية ــ د. شيمون شامير ــ السفير الاسرائيلى بالقاهرة ، انه لايمكن استثناء مقابر اليهود من الازاله بسبب اعتراضها الطريق الدائرى حول القاهرة ، وابلغته انها عرضت الامر على الجهات المعنية : وزارة التعمير، محافظة القاهرة ، ورئاسة الجمهورية ، فاتفق الجميع على أن الازالة ستشمل مقابر للمسلمين والمسيحيين ولايمكن استثناء مقابر لليهود .

وتردد ان بعض الاثرياء اليهود والجالية اليهودية الامريكية ، قد عرضوا مبلغا قدره ٥٠ مليون دولار ــ كتعويض مؤقت ــ لتغيير مسار الطريق بعيدا عن مقابر اليهود ، الا أن هذا العرض قوبل بالرفض ..

فما قصة هذه المقابر التى اشتهرت باسم (مقبرة البساتين) عندما نتتبع الجذور التاريخية لهذه المقبرة ، نجد ان ــ أحمد ابن طولون ــ مؤسس الدولة الطولونية بمصر (٢٥٤ هـ ٨٦٨ م ــ ٢٧٠ هـ / ٨٨٣ م) حين شرع فى تشييد ميدان فى قلب عاصمته الجديدة (القطائع) أمر بتدمير مقابر اليهود فى هذا المكان .. وكان ان خصص لليهود المكان الحالى بحى البساتين لدفن موتاهم ، على مساحة مقدارها ١٠ هكتارات .

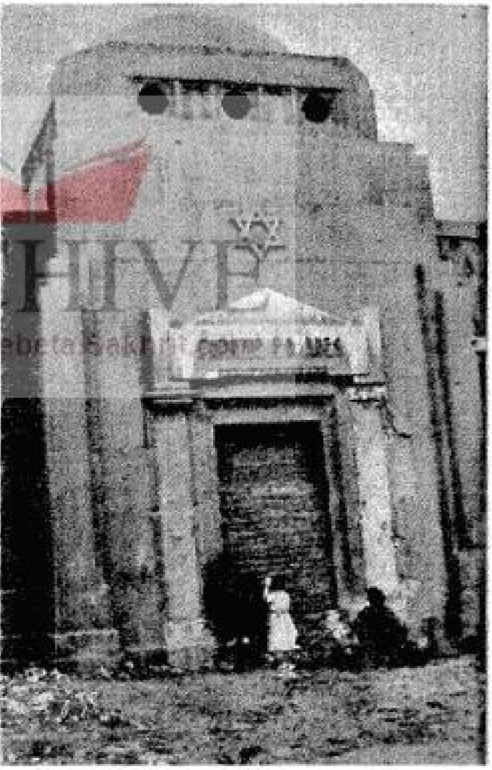
ذهبت فى جولة استطلاعية لتلك المقبرة الشهيرة ولاحظت اتساع العمران فى مواقع المقابر والاحواش ، الامر الذى تتعرض له آثار مصر ومعابدها ومقابرها ومساجدها التاريخية ! ..

المنطقة تزدحم بالبشر وتضيق . المحاجر وورش الرخام والباعة الجائلين ورائحة التراب . مررت بشارع ضيق تحيط بى وجوه الناس .. الى اليمين حوش عائلة (قطاوى) والى اليسار حوش عائلة (عدس) .. ثم انحرفت يسارا حيث واجهت مقبرة عامة لليهود الربانيين ، مازالت بقاياها قائمة الى اليوم ، وامامها صف من احواش العائلات اليهودية الشهيرة منها : حوش موصيرى ، حوش ليفى ، ضريح للحاخام الاكبر حايم ناحوم ، حوش البرت سابريل ، حوش ميشيل سابريل ، حوش يوسف عوباديا الدمشقى ، ضريح راب حايم كابوتشى ..

اجول ببصرى فتطالعنى (نجمة داود) على الجدران الحجرية

والابـواب الخشـبية وشـواهد القبور ، انتزعت الواح الرخـام والمرمر التي كانت تغطى معظـم هذه القبور ! ومعظم هذه الاحواش يقطنها اسر فقيرة من اهل المنطقة

حوش عائلة إميل داود عدس



دون سـند قانوني ! . تحلـق حولى مجموعة من الاطفال يريدون التصوير بالحاح !

ترتبط اهمية مقبرة البساتين بقصة اكتشاف وثائق (الجنيزة)، ويطلق هذا الاسم فى ـ التقاليد اليهودية ـ على مستودع الاوراق البالية من الكتابات العبرية المقدسة التي لايجوز ابادتها ، وذلك لما يفترض من ورود اسم الله فى ثناياها ، ثم توسع يهود مصر كثيرا فى تفسيرهم لتحريم ابادة الاوراق المكتوبة ، ليشمل كل ماكتب بالحرف العبرى بتنوع اغراضه ، وقد جرت العادة على (تخزين) هذه الاوراق فى حجرة خاصة بمعبد (ابن عزرا) بمصر القديمة ، ومن حين لاخر ، يتم تفريغها من محتوياتها لتنقل ـ بطقوس خاصة ـ الى مقابر البساتين حيث تدفن نهائيا ..

وحجرة الجنيزة بمعبد ابن عزرا أو (كنيس الياهو) كما كان يطلق عليه ، تقع بأعلى المعبد فى نهاية بهو النساء ، وتبلغ قياساتها ٥ × ٢ × ٥ر٢ م

ولا مدخل لها سوى نافذة او كوة عالية يمكن الوصول اليها بسلم متنقل ، اذ كان المقصود فقط ان يلقى فيها الناس بتلك الاوراق بعد صعودهم اليها .

واول من علم بوجود الجنيزة، الرحالة اليهودي (سيمون فون

مقابر اليهود وتهريب وثائق الجنيزة

جلدرن) الذى زار كنيس الياهو عام ١٧٥٣ (والقى نظرة على الجنيزه) كما ذكر فى يومياته ، وفى عام ١٨٦٤ زار القاهرة رحالة يهودى اخر هو (يعقوب سفير) وبالرغم من حصوله على اذن من المسئولين اليهود فى التعرف على الجنيزة ، الا انه لم يدرك أهمية مكنوناتها !

ثم أتى (ابراهام فيركوفتش) اليهودى الروسى ، فى منتصف القرن الماضى ، والذى نجح فى الحصول على الاف المخطوطات من مقابر البساتين ، وهى التى تكون مجموعة الجنيزة بالمكتبة العامة فى لننجراد .

حوش ميشيل سابريل وعائلته



فى عام ١٨٨٨ قام تاجر الكتب اليهودى البريطانى (الكان ادلر) بزيارة معبد ابن عزرا ، وزار ايضا مقابر البساتين .. ثم عاد مرة اخرى فى عام ١٨٩٦ ، وقاده الحاخام الاكبر الى غرفة الجنيزة حيث ولج عبر الكوة ليمكث نحو ٤ ساعات ، ويخرج محملا بالاف المخطوطات ، والتى كونت مجموعة باسمه فى مكتبة السمنار الثيولوجى اليهودى فى نيويورك .

وفى ديسمبر عام ١٨٩٦ ، جاء الى القاهرة (سلومون شيختر) استاذ التاريخ اليهودى بجامعة كمبردج ، محملا برسائل توصية من الحاخام الاكبر فى انجلترا الى زعماء الطائفة اليهودية بالقاهرة ، وبالفعل حصل على تعاون المسئولين اليهود فى القيام بالتنقيب المنهجى الطويل فى حجرة الجنيزة بمعبد ابن عزرا ومقبرة البساتين ، حيث تمكن من استخلاص نحو مائة واربعين الف ورقة من المخطوطات الثمينة ، وارسلت الى مكتبة جامعة كمبردج مكونة اكبر واهم مجموعة جنيزة فى العالم .

بعد ذلك قام اليهودى المصرى (جاك موصيرى) عام ١٩١١ بتمويل جهود بعض الباحثين الاوربيين والامريكيين فى التنقيب بمقبرة البساتين ، اسفر عن اكتشاف نحو اربعة الاف مخطوطة

جنيزية ، تستقر الان بالجامعة العبرية فى القدس تحت اسم (مجموعة موصيرى) .

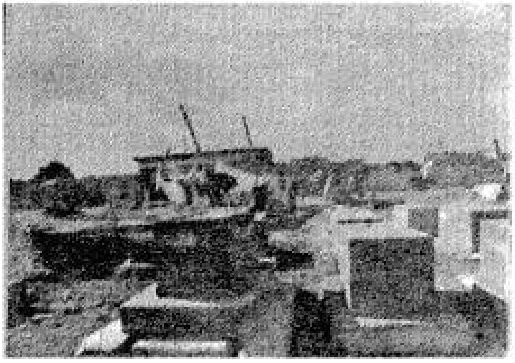
● **نهب وتهريب وثائق الجنيزة**

عقب معاهدة السلام بين مصر واسرائيل ، لوحظ ان الوفود الاسرائيلية التى تقاطرت الى القاهرة ، والتى ضمت باحثين ومستشرقين واساتذة متخصصين فى تاريخ مصر والتاريخ اليهودى راحوا يجرون عمليات بحث وتنقيب فى (مقبرة البساتين) ومعبد (ابن عزرا) ونهب ماتبقى بهما من مخطوطات الجنيزة .

وكانت وحدة البحوث الاسرائيلية بجامعة عين شمس برئاسة (د. ابراهيم البحراوى) قد تقدمت بمشروع بحث الى الجامعة عام ١٩٨١ ، بعنوان :

(بحث حماية المخطوطات اليهودية المصرية من النهب والتهريب) .. والتوصية بتكوين فريق من الباحثين يشرف على التنقيب عن هذه المخطوطات ، وحفظها ، وفهرستها علميا ، لتحقيق هدفين :

١ — منع احتمالات تزييف التاريخ من جانب المستشرقين والباحثين الاسرائيليين ، الذين اذا امتلكوا هذه الوثائق ، حجبوا منها مالايروق لهم وروجوا لما يناسبهم ، وزيفوا حقائق التاريخ فى اطار (التوظيف السياسى) لاغراض البحث العلمى !



بعض مقابر اليهود الربانيين ويشاهد ضريح الحاخام الاكبر حاييم ناحوم

٢ — الحفاظ على ماتبقى من المخطوطات المدفونة فى مقبرة البساتين ، قبل أن تمتد اليها يد النهب ، ويكون مصيرها التهريب الى خارج مصر ، كما حدث للمجموعات الموجودة فى جامعات : كمبردج (أهم مجموعة جنيزة فى العالم) واكسفورد ونيويورك وفيلادلفيا وواشنطن ولندن وباريس وميونخ وفيينا وبودابست والقدس .

وتم بالفعل تشكيل فريق العمل برئاسة د. البحراوى ، وبعد سنة كاملة من الدراسة التحضيرية ورسم خرائط التنقيب ، وتحديد (حوش موصيرى) و (حوش قطاوى) ليكونا اول مناطق التنقيب ، تبلور المشروع فى — ورقة عمل — قدمت الى اللجنة الدائمة للاثار بتاريخ ٢٦ مارس ١٩٨٢ .

مصادرة اليهود
وتهريب وثائق الجنيزة

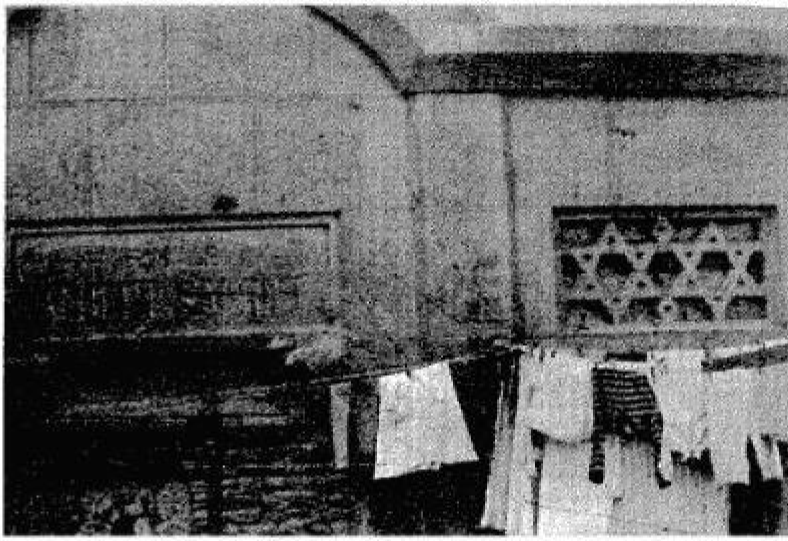
هنا ادركت .اسرائيل عن طريق – المركز الاكاديمى الاسرائيلى بالقاهرة – ان هذا المشروع المصرى ، يقطع الطريق على عمليات النهب الجارية لوثائق – الجنيزة ، فسارع د. شيمون شامير مدير المركز – فى ذلك الوقت – والسفير الاسرائيلى الحالى ، الى صياغة مشروع بحث (طبق الاصل) عن مشروع بحث جامعة عين شمس وقام بتقديمه الى هيئة الاثار المصرية باسم البروفيسور (مارك كوهين) الاسرائيلى الامريكى استاذ تاريخ الشرق الاوسط بجامعة برنستون الامريكية، بهدف أن تظل الهيمنة على هذه المخطوطات الهامة ملكا لهم !

وبعد محاولات لتمرير المشروع الاسرائيلى الذى تموله جامعة برنستون ، صدر قرار اللجنة الدائمة للاثار باستبعاد ذلك المشروع (المشبوه) ومنح امتياز البحث والتنقيب لجامعة عين شمس .

لم يستسلم الجانب الاسرائيلى فقرر د. شيمون شامير اللجوء الى سلاح الضغط بالجالية اليهودية الامريكية ، فاستدعى احد زعمائها وهو البروفيسور (برنارد لويس) أستاذ تاريخ الشرق الاوسط بجامعة برنستون وزميل مركز البحوث الامريكى بالقاهرة ، وذلك لغرض مشاركة الجانب الاسرائيلى فى مشروع جامعة عين شمس !

ثم قام د. شيمون شامير بزيارة وكيل كلية الاداب ، وعبر له عن استيائه واستياء زعماء الجالية اليهودية الامريكية ! وقرارهم بتفويض د. لويس بشأن اشراك المركز الاكاديمى الاسرائيلى فى مشروع جامعة عين شمس ، كما اوضح له انه فى حالة رفض هذا الاقتراح ، فان الطائفة اليهودية المصرية سترفض قيام الجامعة بالتنقيب فى مقبرة البساتين ، باعتبارها منطقة دينية لها حرماتها الخاصة !

وعلى اثر ذلك ، اعلنت جامعة عين شمس رفضها لتهديدات د. شيمون شامير ولأى محاولات للانتقاص من سيادتنا على ثروتنا التاريخية ، وتم بالفعل تحديد الثانى والعشرين من ابريل ١٩٨٤ موعدا لبدء العمل الميدانى ، غير ان هيئة الاثار – ممثلة بمراقب عام المعابد اليهودية – قامت باخطار مجلس الطائفة اليهودية فى خطاب رسمى بموعد العمل ، فاجاب مجلس الطائفة بطلب مهلة ثلاثة شهور لحين : (استفتاء الحاخام الاكبر فى اسرائيل حول مشروعية هذا العمل) !!



حوش عائلة البرت سابريل

وللاسف وافقت هيئة الاثار على ذلك وتم تأجيل بدء العمل الميداني ، وبالطبع لو كان المشروع الاسرائيلي بتمويله الامريكي هو الذي اقرته هيئة الاثار لما اعترض مجلس الطائفة اليهودية !

فى اول يناير ١٩٨٥ ، ارسل رئيس الطائفة اليهودية خطابا الى هيئة الاثار يتضمن الفتوى التى اصدرها الحاخام الاكبر الاسرائيلي ونصها ، (ممنوع اخراج اى سفر او اى شيء جنيزى وفقا للشريعة اليهودية ، الا اذا كان هناك سبب معقول ! .. وعليه يتوجب ارسال ثلاثة من الحاخامات الذين لهم دراية فى هذا الموضوع اليكم ، للكشف على المنطقة المعنية ، واتخاذ القرار فى تحديد المكان الذى يمكن اجراء الحفر فيه ، وبعدها يصنفون مايجوز اخراجه من المخطوطات والاسفار الجنيزية، وكيفية اعادة مايجب دفنه مرة اخرى) !

وهكذا ظل المشروع مجمدا ، على الرغم من كل مابذل من جهود ليخرج الى حيز التنفيذ والحفاظ على ثرواتنا التاريخية من النهب والتهريب ، كما سيظل موضوع (وثائق جنيزة مقبرة البساتين) مثالا صارخا لمحاولات التدخل الاسرائيلي فى ابحاث الجامعات المصرية !

العالم في سطور

براغ

● الكاتب .. اصبح رئيسا للبلاد

هل يمكن للادباء ان يحكموا العالم فى المستقبل ؟

ذلك هو السؤال المثار حاليا فى عواصم عديدة من العالم بعد ان تولى الكاتب المسرحى فلكلاف هافل مقاليد رئاسة الدولة فى تشيكوسلوفاكيا عقب التغيرات الديمقراطية الاخيرة .. وبعد ان اعلن الكاتب البيرونى المعروف ماريو بارجاس يوسا عن نيته ان يرشح نفسه فى انتخابات الرئاسة الاخيرة فى بلاده .

تجىء أهمية السؤال فى ان البعض يرى ان الكاتب هو فى اغلب الاحيان ثورى سلبى ، يجيد الكلام والتنظير



فلكلاف هافل

والاعتراض . لكنه لايستطيع ابدا ان يدير دولة بمؤسساتها المختلفة ، ذلك لانه شخص حالم بيوتوبيا ، والسياسة تتعارض تماما مع الطوباوية .

لكن من هو فاسلاف هافل الذى استطاع ان يؤكد ان المثقف يمكنه ان يصبح ايجابيا ، فيتمكن من الوصول الى اعلى مقاليد السلطة بعد ان يعترض لسنوات ، ويعرف جدران السجن وقسوته ويطارد كلماته التى الفها كي تصبح حقيقة واقعة يمكن ان يطبقها على الملا ، وامام ملايين الناس ، سواء كانوا من قرائه ، او من الذين لايعرفونه ؟

ولد هافل فى الخامس من اكتوبر عام ١٩٣٦ فى مدينة براغ وفى بداية حياته العملية سعى ان يكون كيميائيا فى احد المعامل التقنية ، والتحق فعلا باحد المعامل طوال الفترة من عامى ١٩٥١ الى ١٩٥٥ ، وفى تلك السنوات كان يواصل دراسته الثانوية فى مدرسة قواعد اللغة .. وفى عام ١٩٥٥ التحق بكلية الاقتصاد فى براغ . لكنه لم يستكمل دراسته وبعد عامين التحق بالخدمة العسكرية لمدة عامين .

وعقب تسريحه من الجيش فى اواخر الخمسينات عمل هافل كمصمم مناظر فى المسرح .. ثم أصبح مسئولا عن مراقبة الدراما .. ثم مساعد منتج .. واخيرا تحول الى كاتب .

وكان على هافل ان يدرس المسرح الذى وجده اكثر اقترابا منه من كل المهن التى مارسها فانتهى من دراسة فن الكتابة للمسرح باكاديمية فنون الموسيقى ببراغ عام ١٩٦٧ وبعد عام اصبح عضوا فى نادى الحيادين ، وكان اعضاء النادى من

الاشخاص غير الملتزمين بسياسة الحزب الشيوعي التشيكي ، ثم اصبح رئيسا لاتحاد الكتاب المستقلين واتجه نشاطه في الكتابة الى السياسة . وصدر قرار بمنعه من الكتابة بعد ربيع براغ حين احتلت القوات السوفييتية مدينة براغ ، بعد حركة الاصلاح في عام ١٩٦٨ .

كان على هافل ان يترك المسرح ، كموظف وبذل كل مساعيه لنشر كتبه ومسرحياته التي منعت من التمثيل على خشبة المسرح وفي عام ١٩٦٩ مارس العديد من المهن الصغيرة من اجل توفير لقمة العيش .

وعرفت سنوات الستينات بالنسبة للكاتب بانها سنوات السجن ، حيث قضى خمسة اعوام داخل الجدران خلال ثلاث مرات ، وفي عام ١٩٧٧ اصبح مسئولا عما عرف بميثاق ١٩٧٧ ، ثم اصبح عضوا في العديد من المؤسسات التي تنادي بالديمقراطية وحرية الانسان .

وترجمت اعمال الكاتب الى لغات عديدة في فرنسا ، والسويد ، وسويسرا ، والنمسا وفي عام ١٩٨٣ حصل على جائزة اولف بالم في السويد ثم على جائزة السلام في معرض الكتاب بفرانكفورت .

وقد جاءت اهمية وشهرة هافل انه احد الكتاب الذين آمنوا ونادوا بحقوق الانسان ، وقد نادى بذلك من خلال اشخاص مسرحياته التي بلغ عددها ست عشرة مسرحية ، ومن بين هذه الاعمال « الترس الكبير » و« رسالات الى اولجا » و« البروتوكولات » .

ولهافل شعبية كبيرة ليس في بلاده فقط ، بل في اوربا ، حيث راحت المؤسسات المختلفة تمنحه العديد من جوائزها لتكريمه ، اخرها جائزة الحرية لعام ١٩٨٩ .

كان على هافل ان ينتظر واحدا وعشرين عاما كي يجني ثمار افكاره ، وافكار زملائه من خلال تلك الثورة الهادئة التي شهدتها يوغسلافيا في نوفمبر الماضي ، وكان عليه ان يعيد الديمقراطية لبلاده بعد ان تم انتخابه كرئيس دولة في التاسع والعشرين من ديسمبر الماضي .

السؤال المطروح هو هل يمكن لفاكلاف هافل ان يصنع طوبويته في بلاده ؟ وهل يمكن ان ينتقل ببلاده فعلا الى ماكان ينشده ؟ .. وترى الى اي حد يمكن ان يفعل ذلك ؟

طنجة

طنجة صامتة بعد ليلة القدر



الطاهر بن جلون

يوم الصمت في طنجة ..

عنوان الرواية التي صدرت اخيرا للكاتب المغربي الطاهر بن جلون . وهو اول كتاب ينشر للكاتب بعد روايته « ليلة القدر » التي فازت بجائزة جونكور عام ١٩٨٧ . والتي باعت في طبعتها الفرنسية مليوني نسخة .

تدور أحداث الرواية الجديدة ذات شتاء في مدينة طنجة . هناك رجل وحيد في منزله المحاط

بالبرد . رجل يصارع المرض والوحدة والشيخوخة .. يروح يحصى عدد اصدقائه الذين اصبحوا في عداد الموتى . ويتذكر مغامراتهم ، وحيواتهم ، واحلامهم . وامالهم التى رحلت معهم .

لقد كان ترزيا يوما ما في مدينة فاس . وعاش حياة هنيئة سالمة ، لكن الزمن يصيب الناس دائما ، يأتيهم بالمرض والشيخوخة . وهاهو مصاب في الحنجرة . وفي صدره بمرض عضال يأتيه بالازمات .

الغريب ان بن جلون قد اختار ان يتحدث عن عائلة مغربية يهودية اخرى ، وعن منزلها وعن الطيبة التى تتمتع بها . وعلاقتها القوية مع الاسر الاخرى .

ويقول الكاتب في مجلة لوبوان في ٨ يناير الماضي « لقد فكرت دوما في ابي الذي عاش دوما في طنجة ، وانا اكتب هذا النص الذي لم اكن اتصل به الا بصعوبة فهذا الكتاب ليس سوى وسيلة لطرح المشاكل ، ان لم يكن لحلها »

وتقول المجلة ان هذه الدراما لايمكن ان تجد نهايتها الا بالموت ، فالراوية يحس بالمتعة وهو في قمة كسله .

بلندن

● الشاعر الاخرس والعزف على الكلمات

كرستوفر نولان هو اول شاعر اخرس في العالم ..

فرغم انه لايتكلم .. الا انه يجلس امام مكتبه اكثر من اربع ساعات يوميا ليكتب رواياته واشعاره ، كما يجلس الى جهاز الكومبيوتر كي يدون ، ويحفظ كتاباته التي ينشرها منذ اكثر من سبعة اعوام ، اى عندما كان في الخامسة عشر من العمر .

لكن المشكلة التي يعانيها نولان انه بطيء في الكتابة ، فهو يكتب الكلمة في ربع ساعة تقريبا ، ولذا فهو يمكنه ان يصوغ فقرة في ثلاث ساعات تقريبا ..

ولذا يحس انه لايؤلف ، بل انه يلاعب الكلمات حتى يحصل عليها ، ويرتبها الواحدة وراء الاخرى من اجل أن تخرج مليئة بالحياة ، والنبض الصادق .

وقد نشر نولان ، اخيرا ديوانه الاول تحت عنوان



كرستوفر نولان

« وقائع الاحلام » وهو يضم مجموعة القصائد التى كتبها وهو بين الحادية عشرة . والخامسة عشرة ، وقد كتب احد النقاد البريطانيين ان نولان يستخدم الكلمات كأنه يخلق لها جسدا متأججا بالحياة .

كما نشر ايضا لنولان سيرته الذاتية التى تحمل عنوان « تحت عيني الساعاتي » والتي ترجمت الى اثنتى عشرة لغة عالمية ، والبطل في هذه السيرة يدعى كرستى ، يلعب مثل المؤلف مع الكلمات يغير الحروف كي تتغير معانيها وتتضاد ، وهو يرى ان اجمل الالعاب في الدنيا هى لعبة ترتيب الحروف في الكلمات .

باريس .

● محنة سينما

تعانى السينما الاوربية من طغيان افلام مصنع الاحلام فى هوليوود .

وفى محاولة لانقاذها من طوفان هذا الطغيان اقيم فى باريس قبل ايام اول مهرجان للسينما الاوربية .

وكان من بين اعضاء لجنة تحكيم هذا المهرجان « استفان زابو » المخرج المجرى صاحب « مفيستو » الفائز بجائزة اوسكار لاحسن فيلم اجنبى .

اما رئاسة تلك اللجنة فقد انعقدت للممثلة النرويجية « ليف اولمان » ونجمة بعض روائع المخرج السويدى « انجمار برجمان » .

ورغم الدعاية التى صاحبت ايام المهرجان وحفلة توزيع الجوائز التى منحتها تلك اللجنة الى الافلام الفائزة ، فليس ثمة فى الافق مايدل على ان السينما الاوربية على وشك الافاقة من حالة الغيبوبة التى تعانى منها .

وبنظرة سريعة على جنسية الافلام التى رخص بعرضها خلال عام ١٩٨٨ فى بلد اوربى كفرنسا تكفى لتاكيد صحة هذا التشخيص .



ليف اولمان

ففى حين رخص بعرض مائة وأربعة افلام امريكية ، لم يرخص بالنسبة للسينما الاوربية الا بستة عشر فيلما . موزعة كالاتى سبعة افلام لايطاليا وثلاثة افلام لهولندا ، وفيلمان لالمانيا الغربية ، وفيلم واحد لكل من بلجيكا والدنمارك والنرويج وبولندا .

واذا كان ثمة اثنا عشر فيلما آخر مرخص بها ـ وهى لبريطانيا ـ فان ذلك لايغير من الامر شيئا ، لان معظمها فى حقيقة الامر ، انتاج امريكى جرى تصويره فى استديوهات انجليزية .

وانخفاض هذه الارقام لايرجع الى قلة انتاج الافلام الاوربية .

حقا قد هبط الانتاج الاجمالى الاوربى بنسبة خمسة وعشرين فى المائة خلال الاعوام العشرة الاخيرة .

غير أن مجمل انتاج اوربا من الافلام يزيد رغم ذلك عن مجمل انتاج الولايات المتحدة .

ولامر ما لاتثير هذه الافلام شهية اى موزع خارج البلاد المنتجة لها .

وكأية سلعة ، فان قلة العرض للافلام الاوربية كان لابد وان يؤدى الى انخفاض الاقبال على ماقد يتاح منها للمشاهدة فعندما كانت السينما الايطالية فى اوج مجدها كان نصيب افلامها المعروضة فى فرنسا حوالى خمسة عشر فى المائة من عدد المتفرجين .

والان لايتجاوز هذا النصيب الثلاثة فى المائة الا بالكاد .

ولما طلب الى عضوى لجنة التحكيم « اولمان » و« زابو » ان يدليا برأيهما فى هذه المحنة ، ارجعاها الى استسلام النقاد واجهزة الاعلام الجماهيرية لسحر السينما الامريكية وانبهارهم بكل ماتنطوى عليه من سطحية وابتذال فضلا عن ادمانهم لالاعيب ابطالها الكاريكاتوريين امثال رامبو وانديانا والوطواط .

هل إنتهى التاريخ ؟

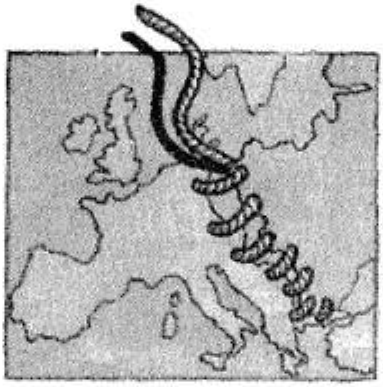
بقلم : د. السيد أمين شلبى

عرضنا فى العدد الماضى ما ساد الحياة الثقافية والفكرية والأمريكية والاوربية خلال العام المنصرم ، وهى القضية التى حركتها المدرسة التى بشرت وتنبات بانقضاء ثلاث ظواهر من حياة الأمم : ظاهرة الحرب الباردة التى حكمت الوضع الدولى منذ انتهاء الحرب الثانية ، وظاهرة الحروب وخاصة بين الدول الصناعية الديمقراطية ، أما النبوءة الثالثة لهذه المدرسة والتى كانت مركز الجدل والحوار ، فهو توقعها ليس فقط انقضاء حقبة معينة من التاريخ ، وإنما انتهاء التاريخ ذاته ببلوغه نقطة حاسمة ونهائية من تطور البشرية الايديولوجى انتصرت فيها الليبرالية الديمقراطية الغربية كشكل نهائى من اشكال الحكم .

وقد تناولنا بالتفصيل النقاش الذى دار حول انتهاء الحرب الباردة ، ونعرض اليوم لتصورات هذه المدرسة وتوقعها لاختفاء ظاهرة الحروب ، وعن فكرة نهاية التاريخ ، ولدوائر النقاش التى حركتها .

● هل ستنتهى الحروب ؟ !

ويستند توقع هذه المدرسة لانقضاء ظاهرة الحروب بين الدول الديمقراطية الى الانتشار الملحوظ للنظم الديمقراطية منذ منتصف السبعينات ، وأنه تاريخيا كانت ظاهرة الحرب بين النظم الديمقراطية قد غابت منذ نشوء هذه النظم فى القرن ١٩ ، والى ان حالات النزاع المسلح التى نشأت منذ هذه الفترة قد قامت بين النظم الديمقراطية وتلك التى تتبنى نظما شمولية ، كما استمدت هذه المدرسة منطقها من أن غياب الحروب بين النظم الديمقراطية يبدو متسقا مع طبيعة الديمقراطية التى تساعد وتسهل الحل السلمى للمنازعات من خلال التفاوض ، والتراضى والحلول الوسط ، ومن خلال تأثيرات الرأى العام ، وعمليات الانتخابات والتصويت ، وأنه فى النظم الديمقراطية يشعر الزعماء أنهم مسئولون امام شعوبهم على ان يستنفدوا كل الوسائل السلمية لحل المنازعات وقبل اللجوء الى القوة المسلحة . وتذكر هذه المدرسة بأنه منذ نهاية الحرب الثانية مثلا ، فإن عددا من الصراعات التى كان يمكن أن تؤدى الى الحرب بين اقطار قد اتجهت الى التضاؤل حين تتحول هذه الاقطار الى الديمقراطية . وضربت على



ذلك مثلا الصراع بين بريطانيا والارجنتين وبين جواتيمالا واسبانيا ، حيث خف هذا الصراع حين تحولت الدول الثلاث (اسبانيا ، والأرجنتين وجواتيمالا) الى الديمقراطية ، كما تنبه هذه المدرسة ايضا الى أن الصراع بين تركيا واليونان بدأ يخف ، بعد ان اخذ كلا البلدين بالديمقراطية .

وتستمر هذه المدرسة فى افتراضاتها حول اختفاء ظاهرة الحروب أنه اذا ما استمرت هذه العلاقة بين غياب ظاهرة الحرب وبين النظم الديمقراطية واذا ما استمرت الديمقراطية فى الانتشار ، فإن الحروب سوف تصبح اقل فى المستقبل عما كانت عليه فى الماضى ، وما يبدو مبشرا فى هذا الشأن انه منذ عام ١٩٧٤ . بدأت النظم الديمقراطية تكتسب مواقع فى عدد من الاقطار بلغت العشرين تقريبا ، على أن هذه المدرسة ان كانت قد اعتبرت ان الحرب اصبحت امرا لا يمكن التفكير فيه بين الدول المتقدمة سواء كانت رأسمالية أم اشتراكية ، الا ان توقعها هذا لا ينسحب على البلدان النامية حيث توقعت ان الحروب ستظل ملازمة لعلاقاتها .

وقد تصدى بعض المفكرين لهذا التصور بالتحليل والتفنيد وقدموا عددا من الملاحظات على هذا التوقع ، أولها ، اعتبار أن الديمقراطية مازالت اقلية فى نظم العالم ، فبين ١٦٧ دولة فإن النظم الديمقراطية فيها وفقا لمعايير الديمقراطية الصارمة ـ هى ٦٠ دولة فقط وعلى هذا فثمة امكانيات متعددة للحروب ـ بين ١٠٧ دول التى لا تتمتع بنظم ديمقراطية وبين الدول الديمقراطية . والملاحظة الثانية انه اذا كان عدد الدول الديمقراطية حقا فى نمو الا انه نمو غير منتظم . وعلى نمط خطوتين للامام وخطوة للخلف .

ويؤكد سجل التطور نحو الديمقراطية هذا النمط ، فقد حدثت موجة كبيرة من الديمقراطية فى القرن ١٩ اعقبها تراجع الى النظم الشمولية ما بين ١٩٢٠ ـ ١٩٣٠ . كذلك حدثت موجة ثانية من الديمقراطية بعد الحرب الثانية اعقبها انتكاسات فى الخمسينات والستينات ، تلاهما موجة ثالثة منذ عام ١٩٧٤ حيث تحولت مابين ١٥ ـ ٢٠ دولة الى الديمقراطية . فاذا ما استمر هذا النمط السابق فإن بعضا من هذه الديمقراطيات الجديدة من المحتمل ان تتحول الى الشمولية ، ومن ثم فإن ظاهرة الحروب يمكن ان تزداد اكثر مما تقل فى المستقبل . أما الملاحظة الأخيرة فهى ان السلام بين الدول الديمقراطية قد يكون راجعا الى عوامل عارضة جاءت عن طريق الصدفة لا الى الطبيعة الديمقراطية ، ففى القرن ١٩ مثلا كانت الحروب تقع بين الدول المتجاورة جغرافيا ، فى هذا الوقت كانت الدول الديمقراطية قليلة العدد ونادرا ما كانت تتجاور ومن ثم فإن غياب الحرب يمكن أن يكون نتيجة غياب القرب الجغرافى .

هـل إنتهى التاريخ ؟

● نهاية التاريخ ؟

حدث ان محرر مجلة ناشيونال انترست THe NATIONAL INTERST وهي منبر التيار المحافظ المتشدد الذي عرف بـ NeW Congeuation وهو التيار الذي نما واشتد في السبعينات وكان له دور بارز في اسقاط جيمي كارتر وفي تكوين رؤى وتصورات ريجان وخاصة في العامين الاولين من حكمه ـ كان يبحث عن موضوع كبير «يربط التاريخ بالتقاليد العظيمة للفكر السياسي» وقد عثر على ضالته في محاضرة كان قد القاها اخيرا مفكر شباب امام جامعة شيكاغو هو فرانسيس فوكوياما (٣٦ عاما) وهو امريكي من اصل ياباني ، درس وتعلم في جامعات ييل وهارفارد وباريس وعمل بعد دراسته في مؤسسة راند ، واستعارته ادارة التخطيط بالخارجية الامريكية في بداية الثمانينات ، ثم عادت فاستدعته اخيرا كنائب لمدير هذه الادارة . وكان فوكوياما قد شعر انه يريد ان يقدم شيئا يتجاوز به معالجاته الجزئية للاحداث ، وأن يقدم مسحا للمسرح الدولي يعالج من خلاله «المسائل الكبيرة» فكانت هذه المحاضرة التي قدمها في جامعة شيكاغو ، ونشرتها المجلة في عدد صيف ١٩٨٩ ، وأثارت ومازالت تثير كل هذه الضجة والتعليقات والمناقشات في الدوائر الاكاديمية والفكرية وعلى المستوى الامريكي والأوربي . فما الذي قاله فوكوياما في محاضرته او مقالته .. ؟

يعتبر فوكوياما ان القرن العشرين قد بدا والعالم المتقدم يخوض صراعا عنيفا بين الليبرالية الديمقراطية وبين بقايا الحكم المطلق ثم مع النازية والبولشفية ، ثم انتصف بما تنبأ به البعض من عملية تلاقي او تقارب بين الرأسمالية والاشتراكية غير أن القرن ينهي دورته بالنصر الواثق لليبرالية الاقتصادية والسياسية . ويرى فوكوياما ان هذا النصر يبدو اولا وقبل كل شيء في .. «الاستبعاد الكامل لأي نظم بديلة لليبرالية الغربية تكون صالحة للحياة ..» ويستدل فوكاياما على هذا بما حدث في الحقبة الماضية في اكبر قوتين شيوعيتين هما الاتحاد السوفييتي والصين ومن حركات اصلاحية لم تقتصر فقط على القضايا السياسية الكبرى وانما انتشرت لتصل الى اساليب الحياة والثقافة الغربية ولكي تشمل قطاعات الفلاحين وعلى هذا يستخلص فوكوياما ان ما نشهده «.. ليس مجرد انتهاء الحرب الباردة ، وانقضاء فترة من فترات ما بعد الحرب ، وانما نهاية التاريخ نفسه ، ووصوله الى نقطة نهائية في التطور الايديولوجي للبشرية ، ولعالمية الديمقراطية الغربية . كشكل نهائي من اشكال الحكم ..» غير أن هذا لا يعني في نظر فوكوياما « . انه لن يكون ثمة احداث تعلق عليها الدوريات المتخصصة في الشئون الدولية ، ذلك ان انتصار الليبرالية قد تحقق في الدرجة الأولى في عالم الافكار او الوعي ، وهو لم يتحقق بعد في العالم الواقعي والمادي . ومع هذا فإن هذا لا ينفي ان ثمة اسبابا قوية تدعو الى الاعتقاد ان المثالي هو الذي سيحكم العالم المادي في المدى الطويل ..»

ولم تكتسب مقالة فوكوياما قيمتها من مجرد تحليلها للوضع الدولي او لتنبؤاتها

حول مستقبله ، وانما ايضا من الاسس التاريخي والفلسفي التى استندت اليه ، فهو يعتقد ان فكرة نهاية التاريخ ليست جديدة وانما يرجعها الى كارل ماركس الذى اعتبر ان اتجاه تطور التاريخ كان دائما اتجاها هادفا حكمه التفاعل بين القوى المادية ، وأنه سوف يصل الى نهايته فقط باليوتوبيا الشيوعية التى سوف تحل فى رأيه بشكل نهائى التناقضات السابقة ، ويضيف فوكوياما ان مفهوم التاريخ كعملية ديالكتيكية ذات بداية ووسط ونهاية قد استعارها ماركس من فردريك هيجل الذى اعتقد ان التاريخ يبلغ ذروته عند نقطة مطلقة وهى اللحظة التى ينتصر فيها نهائيا بشكل عقلانى من اشكال الحكم والمجتمع . وعلى هذا الاساس الفلسفى اعتبر هيجل ان التاريخ قد بلغ نهايته عام ١٨٠٦ فى انتصار نابليون فى معركة يينا ولأنه عند هذه النقطة فإن «طليعة البشرية» قد حققت مبادىء الثورة الفرنسية .

وقد يبدو انتهاء التاريخ عند النقطة التى تنتصر فيها الليبرالية الديمقراطية الغربية امرا يدعو للابتهاج بالنسبة لفوكوياما الا انه يعتبر ان الزمن المقبل هو زمن حزين يدعو الى الملل . لماذا ؟ « ..


هيجـل


بلانسفيلد

لان الصراع من اجل اثبات الذات ، واستعداد المرء للمخاطرة بحياته من اجل اهداف مجردة والصراع الايديولوجى العالمى الذى يدعو الى الجسارة والاقدام ويثير الخيال والمثالية سوف تحل محله الحسابات الاقتصادية ، ومحاولات حل المعضلات التكنيكية ، والاهتمام بشئون البيئة ، والرضا بإشباع الحاجات الاستهلاكية المتقدمة ..» ويذهب فوكوياما ابعد من هذا فى تصور عصر ما بعد التاريخ «.. فلن يكون هناك فن او فلسفة مجرد رعاية لمتحف التاريخ الانسانى ..» «وهووضع يجعله يشعر ، ويرى الآخرين من حوله يشعرون «.. بحنين قوى للزمن الذى كان التاريخ قائما فيه ، ومثل هذا الحنين فى الواقع هو الذى سيظل يحرك المنافسة والصراع حتى فى عصر ما بعد التاريخ ..» .

● عاصفة من النقد :

وقد اثارت نظرية فوكوياما ردود فعل عارمة ، وتناول نفس العدد من المجلة التى نشرت مقالته فقط عشرة تعقيبات من فلاسفة ، ومؤرخين ، وساسة ، واساتذة علوم سياسية ، تناولها بالنقد والتحليل ، وكان من ابرز هذه التعقيبات ما قدمه الاستاذ صامويل هنتجتون مدير مركز الدراسات الاستراتيجية فى جامعة هارفارد الذى سجل الملاحظات التالية على نظرية فوكوياما . كانت اولى ملاحظاته ، ان تراجع مجموعة من المثل والافكار لا يعنى اختفاءها نهائيا فقد تعود الى الظهور بقوة متجددة بعد جيل او جيلين ، وضرب مثلا على ذلك ان التيار الذى سيطر فى الاربعينات والستينات على الفكر الاقتصادى كان هو المفكر

هل إنتهى التاريخ ؟

الكينزى حيث دولة الرفاهية والديمقراطية الاجتماعية والتخطيط ، وكان من الصعب ان نجد مثل هذا التأييد لليبرالية الكلاسيكية التى عادت الى الظهور بشكل مدهش ، فالاقتصاديون والمؤسسات التى كانت تركز على «الخطة» فى الخمسينات ، عادت تركز على سياسات السوق فى الثمانينات ، وبشكل مشابه فإن علماء الاجتماع الذين جادلوا فى الحقب التى اعقبت الحرب الثانية بأن الدين والوعى القومى سوف يختفى بالتقدم الاقتصادى والتحديث ، الا انه فى الثمانينات رأينا الانبعاث الدينى كظاهرة عالمية . اما الملاحظة الثانية التى اوردها هنتجتون فقد انصبت على ان انتصار عقيدة ما لا يعنى انتفاء وعدم توقع ظهور خلافات داخل صفوفها ، فتاريخ الايديولوجية هو تاريخ الفرق والانشقاقات الايديولوجية كما ان الصراع بين هؤلاء الذين يقدمون تفسيرات مختلفة للايديولوجية الواحدة غالبا ما تكون اشد قسوة من الصراعات بين هؤلاء الذين يتبنون ايديولوجيات مختلفة تماما ، فبالنسبة للمؤمن فإن المرتد يعتبر اسوأ من غير المؤمن ، وتقف الخلافات التى نشأت تاريخيا داخل الديانات المختلفة وكذلك بين اصحاب العقائد العلمانية دليلا على ذلك اما الملاحظة الثالثة فهى ان انتصار ايديولوجية ما لا يعنى تجمد التطور الايديولوجى وعدم ظهور ايديولوجيات جديدة وسوف تتعرض اهداف البشرية فى الرفاهية والسعادة لتحديات مستمرة تدفع المجتمعات الى ان تطور مفاهيم ومذاهب جديدة لمواجهة هذه التحديات .

ويعتبر هنتجتون ان نظرية فوكوياما تعانى من وهم خطير وهو تصورها لامكانية التنبؤ بالتاريخ ومسيرته ، ذلك ان سجل «التنبؤات» هو سجل غير مشجع ، ثم من الذى كان يستطيع ان يتنبأ بعمق وشمول التحولات التى حدثت فى العالم الاشتراكى اما الوهم الذى تعانى منه نظرية نهاية التاريخ فهو انها تميل الى تجاهل ضعف ولاعقلانية الطبيعة البشرية ، وهى تفترض ان البشرية سوف تتصرف دائما على اساس عقلانى ، فمادامت ترى انه من الحكمة التركيز على رفاهيتها الاقتصادية فلن تتورط فى حروب غير مجدية او فى صراعات ايديولوجية جوفاء ، الا ان حقيقة الأمر ان البشر يتصرفون احيانا بشكل عاقل وكريم وخلاق ، ولكنهم غالبا ما يتصرفون بشكل احمق واناني .

كما كان من بين من تحدوا نظرية فوكوياما فى اسسها الفلسفية والتطبيقية هو جرترود هملفارب الاستاذ بجامعة نيويورك فقد اعتبر ان هيجل لم يقل ابدا ان التاريخ سوف ينتهى بالمعنى الحرفى ، ذلك ان التاريخ عملية مستمرة تظل فيها حركة الديالكتيك لا تنتهى ، وبشكل يبقى على دراما التاريخ قائمة ، ويتساءل هملفارب « .. وماذا عن الفقر الاسود ، وفقر الطبقات الدنيا ، وحيث يموت الشبان السود كل ليلة فى الخطوط الامامية لحرب المخدرات ، ان التاريخ بهذا المعنى لايبدو قد انتهى ، بل ربما يبدو انه قد بدأ فعلا ..»

ويستشهد بما ذكره مفكر امريكى

محافظ هو ارفنج كرستول من ان مقد نكون قد كسبنا الحرب الباردة ، وهذا شيء جميل ، ولكن هذا لا يعنى ان العدو الان هو نحن وليس هم » .

كذلك اخذ عدد من الذين عقبوا على فوكوياما تسرعه فيما استخلصه عن نهاية التاريخ ، فعندهم ان التغيرات التى حدثت فى الاتحاد السوفييتى ولم تستقر بعد بشكل نهائى ، ولا يستطيع احد ان يتنبأ بما سيحدث اذا ما فشلت اصلاحات جورباتشوف ، وعلى المستوى الأوربى لا يمكن التنبؤ بما يمكن ان تطلقه الوحدة الالمانية من تنافس بين الامم الاوربية وكذلك الوحدة الاقتصادية التى تخطط لها المجموعة الاوربية مع عام ١٩٩٢ ، كما يضيفون الى هذا ان صراعات القوى الكبرى لم تنبع دائما من الايديولوجية فالاحرب العالمية الاولى ، والحرب الفرنسية الروسية ، والحرب البروسية اليابانية من الصعب القول انها كانت حروبا ايدلوجية .

كذلك اثارت نظرية فوكوماما جدلا على النطاق الأوربى ، وكان من بين من تعرضوا لها بالنقد الكاتب البريطانى بيتر مانسفيلد الذى وصف النظرية بأنها تبسيط مخل للأمور ، فعند مانسفيلد ان التطلع لمزيد من الديمقراطية والحرية الفردية قد يأخذ اشكالا مختلفة كذلك يمكن الوصول اليها من خلال اساليب مختلفة ايضا . فإذا كانت اليابان تتبنى الديمقراطية والراسمالية الا ان ديمقراطيتها وراسماليتها مختلفة جدا عن الراسمالية والديمقراطية الأمريكية ، كما ان الاتجاهات الأوربية الان تؤكد ان اوربا لا يمكن ان تتبنى راسمالية الولايات المتحدة . ويستشهد مانسفيلد بالعالم



جورباتشوف فى طفولته .. من كان يفكر انه سيغير العالم ؟

الاسلامى ويعتبر انه رغم ان قطاعا من مجتمعاته تعتقد بوجوب الاخذ بالتكنولوجيا واسلوب الحياة الأمريكى ، فإن هذا لا يعنى انهم يريدون ان يكون دستورهم . ونظمهم الاجتماعية والاقتصادية نسخة من الدستور او النظم الامريكية ، فاكثر المسلمين ميلا الى الغرب لا يعتقدون ان هذا يمكن ان يحدث يوما ما ويريدون ان يقيموا نظمهم المتميزة .

● فوكوياما يرد :

ازاء هذه العاصفة او «هيستيرياء النقد والتعليقات ، وبعد ما اسماه فوكوياما «جالونات الحبر التى سكبت على مقالته» كان لابد له ان يقدم رده عليها ، حيث اعتبر بداءة ان الانجاز الحقيقى الذى حققه هو هذا الاجماع العالمى الفريد الذى ضم اقصى اليمين واقصى اليسار لا حول الوضع الراهن لليبرالية وإنما حول اثبات مخطىء وان التاريخ لم ينته بعد . ثم يعتبر فوكوياما بعد هذا ان سوء الفهم المشترك بين نقاده هو فشلهم فى فهم وقبول استعمال هيجل لكلمة «التاريخ» فكثير من الناس يشعرون بالانزعاج حين يعجز فرد فى استخدام التعريف التقليدى

هل ينتهي التاريخ

للتاريخ كتعاقب عشوائي للاحداث حيث ليس هناك محاولة للتمييز بين ماهو اكثر واقل اهمية ، ولهذا فإن فكرة أن التاريخ قد يأتي لنهايته انما تدهش فقط هؤلاء الذين ليسوا على دراية بالتقاليد الماركسية الهيجلية . فالتاريخ بالنسبة لهيجل يمكن أن يفهم بالمعنى الضيق لتاريخ الايديولوجية او تاريخ الفكر حول المبادىء الاولى بما فيها تلك التي تحكم النظام السياسي والاجتماعي ، فنهاية التاريخ ، تعني ليس نهاية الاحداث العالمية وانما نهاية تطور الفكر البشري حول هذه المبادىء الاولى . ويذهب فوكوياما ان قراء مقالته لم يكونوا اول من ادهشتهم فكرة نهاية التاريخ ، فقد اثار هيجل نفسه صيحات احتجاج باعلانه نهاية التاريخ في بداية القرن ١٩ وخاصة من جانب ماركس الشاب الذي يشعر ان مظاهر عدم عدالة المجتمع في زمنه يكذب تاكيدات هيجل «ان كل شيء حقيقي هو شيء عقلاني» والواقع ان ماركس قد صرف حياته يحاول ان يظهر ان هيجل كان مخطئا ليس حول امكانية انتهاء التاريخ وانما حول اعلان هيجل أن النهاية قد حلت بالفعل .

ويجادل فوكوياما نقاده بالقول انه لكي يرفضوا افتراضه فإنه لا يكفي القول بأن المستقبل يحمل في جعبته احداثا كبيرة واسعة ، وإنما على المرء ان يظهر ان هذه الاحداث مدفوعة بفكرة متماسكة حول العدالة السياسية والاجتماعية التي تدعي انها يمكن ان تحل محل الليبرالية . «فوقوع حرب نووية بين الهند والباكستان رغم رعبها بالنسبة للبلدين الا انها لن تكتسب اهمية الا اذا أجبرتنا بشكل ما على ان نعيد النظر في المبادىء الرئيسية التي تميز نظامنا الاجتماعي .»

ويرد فوكوياما على النقد الذي اشترك فيه معظم من تناولوا مقالته وهو انه تسرع في استبعاد الاشتراكية كقوة في العالم او كفكرة ، وعلى ما اشاروا اليه من عدم اكتمال وهشاشة عملية الاصلاح الجارية في الاتحاد السوفييتي واوربا الشرقية والصين ، فيقول انه اول من يعترف ان الاصلاحات الجارية اليوم في العالم الاشتراكي لم تكتمل بعد ، وأن القهر الذي حدث في بكين في يونيو الماضي قد انتكس بقضية الحرية لعدة سنوات ، وسيكون المرء احمق اذا ما تجاهل ان مثل هذا الارتداد لن يحدث في احد البلدان التي تجري فيها عملية الاصلاح الان ، ومع هذا فإن فوكوياما يشك فيما اذا كان مثل هذا الارتداد اذا حدث سوف يعيد بشكل كامل الاتحاد السوفييتي الذي عرفه الغرب وخشي منه خلال الاربعين عاما الماضية ، ويعتقد ان التهديد السوفييتي التقليدي للغرب لم ينبع فقط من القوة العسكرية والمصادر المادية ، وانما من حقيقة اعتبار الاتحاد السوفييتي انه يجسد فكرة وعقيدة عالمية معادية لمثل الغرب واسلوبه في الحياة ، مثل هذا الاحساس بالرسالة التبشرية هي بالتحديد ما يعتبر فوكوياما انه اقل احتمالا ان يبعث من جديد .

كذلك يعتقد فوكوياما انه حتى لو عاد نظام محافظ جديد للاتحاد السوفييتي فإنه من المستبعد ان يعود الى اساليب القهر القديمة في محاولة منه لاستعادة السلطة المعنوية للحزب او اصلاح مشاكل الاقتصاد الملحة .

• حمام لضغط الدم

منذ قديم الزمان يشيع على نطاق واسع الحديث عن التأثيرات العلاجية للمياه المعدنية ، وذلك رغم عدم وجود تفسير علمي واضح وقاطع لذلك •• لكن اليات مثل هذا التأثير بدات تتكشف خلال الفترة الاخيرة •

فالمعروف أن الغطس فى المياه المعدنية يؤثر على الجسم تأثير العقارات المدرة للبول ، فبعد قضاء وقت فى السباحة يحس المرء بالرغبة فى التبول الأمر الذى ينشط خروج الاملاح - ذائبة فى المياه - من الجسم •

وفى الوضع العادى للجسم تهبط كمية من الدماء الى الجزء الاسفل بتاثير الجاذبية ، لكنه عند الوجود فى الحوض يعود الدم الى وسط الجسم فيرتفع ضغط الدم وتتمدد جدران القلب الامر الذى يحفز الهرمون المتسبب فى امتصاص كثير من الاملاح وافرازها مع البول •• هذا كما أن فقدان الجسم لبعض سوائله يقلل الدم فيهبط الضغط •

ونفس التاثير يتعرض له ملاحو الفضاء عند وجودهم فى حالة انعدام الوزن •• وهكذا توصل العلماء الى الى امكانية علاج ضغط الدم العالى باستخدام نفس الهورمون لكنه تبين أن تناوله على شكل اقراص لن يجدى لانه عبارة عن بروتين يتحلل فى الكلى بسرعة ، ومن هنا جرى السعى الى مركب كيميائى يزيد من نسبة الهرمون الطبيعى او يؤدى وظيفته •



ولقد أمكن التوصل بالفعل الى عقار يبطىء من تحلل الهورمون فى الكلى مما يساعد على اتمام الية افراز الاملاح والمياه لوقت اكبر مما يقلل ضغط الدم •• وهكذا بات بالامكان علاج ضغط الدم العالى بالاستلقاء فى حوض مملوء بالماء الدافىء بضع ساعات يوميا ••

العلاج فى المنجم !

الربو من أمراض الحساسية المعضلة التي يستغرق علاجها بواسطة الادوية وقتا طويلا رغم أن عدد المصابين به فى تزايد مستمر حتى ان نسبة انتشار أمراض المسالك التنفسية تتضاعف كل ١٠ سنوات

نتيجة تزايد تلوث المحيط الجوى فى المدن بالدرجة الاولى ..

وقد لوحظ منذ وقت بعيد ان لمناخ الكهوف الطبيعية (والترسبية منها على وجه الخصوص) تاثيراً مواتيا ومطرداً على مرضى الربو ، ومن هنا جرى التفكير فى استخدامها لاغراض العلاج ونشأ الفرع الطبى الخاص بالعلاج فى الكهوف . وفى اطار هذا الفرع وضعت طرق فعالة لعلاج الربو فى مناجم الملح .

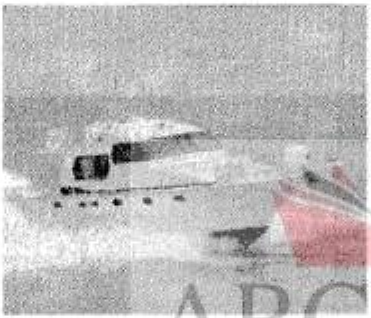
والعوامل العلاجية الاساسية فى هذه الطريقة هى تشبع الهواء بعوالق كلوريد الصوديوم وتاثير الهواء النقى تماما ، وانخفاض نسبة الرطوبة وثبات درجة الحرارة فى حدود مريحة للانسان (٢٣ - ٢٣,٥ درجة مئوية) والهدوء غير المألوف ..

واستفادة من هذه العوامل العلاجية شيد فىسولوتفينو (اوكرانيا) مستشفى ملحى لعلاج امراض الحساسية يتبع معهد المنتجعات للابحاث العلمية فى اوديسا .. والمستشفى يتكون من عدة ممرات بنيت على عمق ٣٠٠ متر وفق تصميم خاص ، ويبلغ طولها الاجمالى ٦٠٠ متر .

والطريف ان متانة الكتلة الملحية فى المنطقة كبيرة للحد الذى لا تحتاج معه سقوف الفجوات مهما بلغت الى ركائز . وتحوى هذه الممرات عيادات الاطباء ومختبرات الفحص وردهات النوم وغرف الاستجمام وقاعة الاجتماعات ويتسع لعلاج ٢٥٠ من مرضى الربو دفعة واحدة .

وتستغرق دورة العلاج زهاء ٢٠ يوما يقوم خلالها المريض المقيم فى المنطقة بـ ٢٤ - ٢٦ هبوطا الى دروب المنجم حيث يتراوح الوقت اللازم للشفاء هناك بين ١١٠ و ٢٠٠ ساعة

● السفن الطائرة



اعلنت اليابان عن مشروع بناء سفينة القرن العشرين « ياماتو - ١ » الفائقة السرعة والتى تعمل دون ضوضاء .. ويقوم عمل محركة السفينة على امتصاص ماء البحر ثم طرده بقوة باستخدام قوة المجال المغناطيسى الذى ستكون وحدات كهرمغناطيسية قوية ، استخدمت فى صناعتها المواد الحديثة الفائقة التوصيل - ومن المنتظر ان تصل سرعة السفينة ١٨٥ كيلومترا فى الساعة وان يجرى تشغيلها خلال العام القادم .

ومن الجدير بالذكر ان مهندسا سوفيتيا قد نال براءة ابتكار هذا

النوع من المحركات عام ١٩٥٥ ، بيد ان الاتحاد السوفييتي عجز عن تطبيق هذه الفكرة ..

ومن جانب اخر انتجت احدى الشركات الالمانية نموذجا لسفينةجديدة محمولة على وسائد هوائية ، ومصنوعة أساسا من اللدائن (٧٦ × ١٢ مترا) ، وتصل سرعتها ١٩٠ كيلو مترا ، وهي تستطيع مقاومة الاحوال الصعبة والامواج التي يصل ارتفاعها الى ٦ امتار ، كما تتميز هذه السفينة بانخفاض الضجة الصادرة عن صوت محركاتها ، ويساهم محركان فيها في ملأ الوسائد الهوائية مما يساعد على طفو السفينة بنسبة ٨٥٪ .

وبسبب السرعة الكبيرة للسفينة سيكون على الركاب المكوث في حجراتهم جالسين ، تماما كما يحدث في الطائرة ، ولامكانات هذه السفينة الضخمة سوف يشيع استخدامها في رحلات أعالي البحار ..

• بنك لروائح المجرمين

من المعروف أن الروائح التي تستخلص من مسرح الجرائم تساعد الكلاب البوليسية في العثور على المجرمين .. ومن هنا فكرة رقيب يعمل في بوليس روتردام يدعى يان دي بروين في انشاء بنك لروائح المجرمين هو الاول من نوعه في العالم ..

وفي مركز بوليس مدينة روتردام لا تقتصر الاجراءات اليوم عند اعتقال كبار المشتبه في اجرامهم على تصويرهم فوتوغرافيا والتقاط بصماتهم اذ يكون على المشتبه فيه أن يقدم ايضا عينات من رائحته وفق تقنية خاصة يحمل فيها قطعا من القماش الخاص لمدة خمس دقائق ..

هذا كما يستدعي دي بروين ، عند وقوع جريمة خطيرة ، على عجل حيث يقوم بتغليف ما يعثر عليه في مسرح الحوادث مما يمكن أن يحمل رائحة المجرم في قماش قطني معقم ثم يضعه في صندوق تهوية واسع من مادة البلاستيك ومجهز بمروحة كهربية وعندما يتحرك الهواء في الصندوق تتبخر ذرات الرائحة فيمتصها القطن وبعد ٣٠ دقيقة ينقل القماش الى اناء محكم الاغلاق مخلخل الهواء يحمل تاريخ أخذ العينة ومكان وقوع الجريمة ويخزن في مركز الوحدة ..

ويمكن لمثل هذه العينات ان تستخلص من أصغر متعلقات المشتبه فيه فهناك عينات اخذت من قفازات واخرى من ولاعة سجائر ، و ..

وقد شكلت العينات التي استخلصها دي بروين المدير الفني للوحدة التي تتولى الكلاب البوليسية في روتردام والذي كرس ما يزيد على ١٢ سنة لاتقان عملية جمع الروائح وتخزينها شكلت اضافة فريدة للفات وسجلات المجرمين في روتردام رغم انها تكلفت ما يزيد على ٧٠٠ الف دولار فقد بأتت قوات البوليس في سائر انحاء هولندا تشعر بالحسد من بنك روتردام ، ذلك بالاضافة الى ما أحدثته

الاساليب المتبعة فى انشاء هذا البنك من وقــع قوى على خبراء الكلاب البوليسية فى العـديد من البلـــدان الاوربية والامريكية .. وقـد يبـدى العلماء اعجابهم بعمل دى برون الذى يقولون انه قد يؤدى الى توفير ادلــة حيوية فى التحقيقات الجنائية ، وقـد صرح الكيميائى المتخصص فى الروائح الذى يستشيره برون بان اساليب الرجل الفنية حديثة الى درجة كبيرة وقـــد تكون عظيمة الفائدة بالنسبة للبوليس

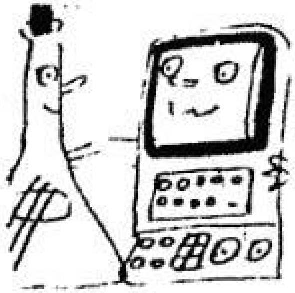
وقد اظهرت الاختبارات التى اجريت ان الكلاب استطاعت ان تتعرف بـدقة على اشخاص من خلال عينات لروائحهم اخذت قبل ٣ سنوات ، ويعتقد دى برون ان مثل هذه العينات يمكن ان تحـافظ على فعاليتها مدة اطول من ذلك بكثير

والجدير بالذكر ان دى بـرون كان قد اتهم فى المراحل الاولى بالجنـــون لمحاولته التوصل لمثل هذا النظام

● الايـدز من اللعـاب

كشف المهندســــون الســـوفييت المتخصصون فى الطب عن صنع جهاز خاص لتحليل المحاليل يمكن ان يساعد خلال ربع ساعة على تشــخيص كل الامراض الخطرة ، حتى فى المرحـلة المبكرة للاصابة بها !!

ولاجراء التشخيص يكفى ان يعطى المريض تحليلا واحـدا فقط لاى من سوائل الجسم ، وليس مهما ان يـكون الدم او البول او المخاط .. فالجهاز يعتمد فى عمله على اختبار وجـــود الاجسام المضادة (التى يفرزها جهاز المناعة) ، عن طريق تسجيل التغييرات



التى تطرأ على الخواص الـــكهربائية للمحلول الذى يجرى تحليله لحظــة رد الفعل المناعى ..

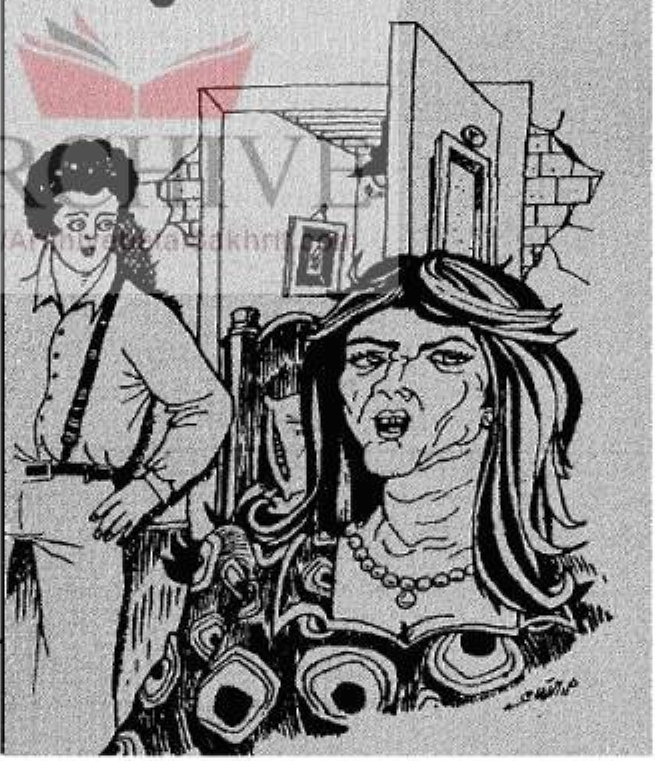
والجهاز الجديد من النوع المحمول وهو فى حجم جهاز التسجيل ، ويمكن ان يستخدم فى تشخيص العـــدوى ، بالسالمونيلات والدوسنتاريا والسـل والسرطان والايدز . وللجهاز وفق ما ذكر عنه ، مزايا كثيرة اولهـــا السرعة اذ يجـــرى تشـــخيص الاصابة بفيروس الايدز ، على سـبيل المثال ، خلال مدة دقائق . وثانيهـــا دقته العالية .. ذلك ان اخطاء قراء الكادر الطبى غير ذات موضـــــوع ، وثالثها اقتصاديته حيث تســـتخدم فيه نفس الكواشف الاختبـــــارية المستخدمة حاليا ولكن بكميات قليـلة جدا ، اذ تكفى الكمية التى يستهلكها تحليل واحد للاجسام المناعية المضادة فى ظل الاسلوب الحالى لاجـراء الف تحليل مع الجهاز الجديد ..

ولعل اهم مزايا الجهاز الجديد ان طريقته آمنة تماما فيما يخص الفحوص لانها تتيح امكانية عدم اخذ دم منــه ذلك ان الفحص يمكن ان يتم على اى مادة بيولوجية سائلة من الجسـم

٤ قصوصة

بقلم
عبد الحكيم قاسم

صاحبة المنزل!



تسكن فى الطابق الأول ، والغرف اللاتى على الارضى تؤجرها مفروشة لطلبة الجامعة . اما فى الصيف فيعمرها الآتون ينشدون الطراوة وريح البحر . نحن الآن فى عز الشتاء ، وهموم الطلبة . تنزل كل يوم فى الصباح تنظف وتروق ، وتنظر فيما حصل من تلفيات ، وتؤنب الساكنين على النظام ، وهى فى ذلك مسلحة بسلاح الإسكندرانية من الشخط والنطر ، وكل مايبلى الغريم بالخرس والذهول فى عينيه وبما يفغر فمه خيبة وتعسأ .

والولد الساكن فى غرفة تحتية يقول لها : "حاضر ..! طيب .. حاضر ياستى ..!" وتفكر الولد فى أمر السيدة ، إنها إمراة عجوز ، أهرمها السن ، فليس لها من الطلبة الساكنين إلا فلوس الإيجار ، ثم تصعد لشقتها بعد التفتيش اليومى لزبائنها من النساء الموسسات . كلهن جئن إليها يشربن قهوتها ، ثم إن المعلمة تشوف لهن الفنجان ، وتقول للواحدة منهن اربع كلمات حسان

طيبات . إذن تطلع علب السجائر ، والعزائم ، وبالقطع الفضية ، وورقات النقود ، وكل واحدة من ضيفاتها تبقى عندها ردحاً من الزمن ، وتذهب بعد ذلك لشغلها . وتبقى السيدة وحدها مشغولة بصداعها .

ثم تبكّر لجولتها اليومية تفتش على غرفها . والولد ينتظرها . قال في نفسه إنها إمراة هرمة ، لكنها بقى لها بهاء في الوجه ، يتورد إذا ضحكت .. آه ياسلام .. وهي قالت في نفسها إنه الولد الذى سكن عندها أخيرا له عليها عين . تحذر عينه . تدور وتلف ، والولد قاصدها ، أردافها وصدرها ، يلطسها لطساً ببسطة كفه ، يلمس ويمسك ، وكلما أرادت أن تفر قبض على يدها يستبقيها . بذلك وقعت في الناصية ، إنبهرت ، وبهرت أنفاسها ، واقتم اللون الوردى في وجناتها . ثم صعدت لزبوناتها من النساء المومسات جلست معهن شاردة ، لا تستطيع أن تفتيهن في أمرهن شيئا .

وفي ثاني يوم وجدته ينتظرها ، يزنقها ، تحاول أن تفلت بكومة لحمها ، لكنها لا يطاوعها جسمها ، أن تشخر فيه ، تصفره وتلزمه الأدب ، إنفرطت منها عدتها الإسكندرانية . أن تصرخ فيه ، فخانها صوتها .. وحاولت أن تفر ، وكانت سبقت إرتبكت في شباكه . قالت له : "ماذا تريد مني ياولد ؟"

قال لها : "أريدك أنت ..! أريدك كلك ..! أكلك ..!" صعدت إلى مسكنها وهي ترتجف إرتجافاً .

حتى المومسات جئن يتضاحكن . رفعت عينيها فيهن ، وتحت الطلاء بأساء المهنة . قالت في نفسها ، إنهن عندهن الرجال من كل نوع ، ثم يأتينني ينشدن حظاً عند الوحيدة . قالت لهن : "بالإذن ياخواتي ، أروح لزيارة أمي !؟" فخرجن كلهن ، وهي نزلت إلى الطابق الأسفل .

قالت للطالب وهي تدخل غرفته وتغلق الباب وراءها : "ياولد ..!" وفي صوتها كل الهزيمة . قبض على ذراعها وضمها إلى صدره ولف ذراعيه على ظهرها وقبلها في شفتيها فخرت منهارة على السرير .

وهو واقف يغالب تقززه من سوء طعم ريقها وإرتخاء شفتيها قالت له رائخة : "إلا .. لا .. ليس هنا .. سيكون ذلك عندى ، قبلها تقسم على المصحف ألا تفضحني ..!؟" تأمل الكومة الهرمة على السرير . رد عليها كالمخدر : "نعم .. أجيك .. وأحلف ..!" وصعدت السيدة صاحبة النزل إلى مسكنها .

إستحمت ، صففت شعرها . وصبغت خدودها . ولبست قميص نوم حريرى أحمر كان عندها من زمان . نظرت في المرآة . إرتجفت . قامت تنشد المصحف الشريف وجدته . فردته على حجرها . لا تعرف القراءة . أغلقته . نظرت في المرآة ففزعت . هتفت : "الولد لم يأت ..!" تقطع الشقة بخطوات متسرعة ملهوجة ثقيلة والمصحف تحت ذراعها اليمين ، فتحت باب شقتها وإنطلقت تعدو الدرجات النازلة للغرف . تصفق باب الولد بيدها اليسرى ولا من مجيب . تصفق . تصفق . وتصفق ثم نطحت الباب برأسها ، وصرخت ، وسقطت ، والدم ينبجس من جبينها .

أنت والهلال

● زكى نجيب محمود فى الخامسة والثمانين

● فى هذا الشهر ـ فبراير ١٩٩٠ يبلغ الدكتور زكى نجيب محمود الخامسة والثمانين من عمره المديد ، وقد أمتع عالم العرب خلال الستين عاما الماضية بفيض من المؤلفات والبحوث التى ساهمت فى نهضة ادبنا العربى المعاصر ، فضلا عن استاذيته فى الفلسفة للجيل الحالى من أساتذة الفلسفة فى الجامعات المصرية والعربية .

ولد فى فبراير سنة ١٩٠٥ فى بيت الخولى عبدالله بمحافظة الدقهلية ، وفى التاسعة من عمره انتقل مع ابيه الى الخرطوم ، حيث تلقى تعليمه الابتدائى وجزءا من تعليمه الثانوى ، وبعدئذ استأنف دراسته فى القاهرة ، حتى تخرج فى مدرسة المعلمين العليا ، واشتغل بالتدريس سنوات ، ثم اتيحت له الفرصة للسفر الى انجلترا للحصول على درجة جامعية فى الفلسفة ، والدكتوراه فى الفلسفة من جامعة لندن ، وعاد ليدرس الفلسفة فى كلية الاداب بجامعة القاهرة ، بدأ ينشر كتاباته الادبية والفلسفة والنقدية منذ سنة ١٩٢٧ وقبل تخرجه فى مدرسة المعلمين العليا فى سنة ١٩٣٠ فى مجلات السياسة الاسبوعية والبلاغ ومن بعدهما الرسالة والثقافة .

وفى الثلاثينيات شارك المرحوم الاستاذ أحمد امين فى تأليف قصة الفلسفة اليونانية ، وقصة الفلسفة الحديثة ، ومن خلال ترجمته لمحاورات افلاطون ومساهمته فى كتابيه السابقين كان له دوره الريادى فى صياغة المصطلحات الفلسفية التى تستخدم فى اللغة العربية كتابة وتأليفا وبحثا فى الفلسفة .

كانت دراسته فى المعلمين العليا هى التى وضعت له أساس التحصيل العلمى الغزير ، وهى التى امدته بمجموعة من الاصدقاء كانوا عالمه الصغير ، وهى التى بذرت فى نفسه تذوق الادب والفن . وكانت هذه المرحلةبمثابة المرحلة التحضيرية لمستقبله كله قارئا وكاتبا . وقبل ذلك كان قد قرأ الاجنحة المتكسرة لجبران خليل جبران ، وليالى سطيح والبؤساء تأليفا وترجمة لشاعر النيل حافظ ابراهيم ، والعبرات للمنفلوطى . ويواصل قراءاته لكتابات أحمد حسن الزيات ، وعباس محمود العقاد ، وطه حسين ، ومحمد حسين هيكل ، وأحمد أمين . وتأكيدا للمنهج العلمى والتجريبى فى حياتنا الفكرية أصدر الدكتور زكى نجيب كتبه الثلاثة فى الخمسينات : المنطق الوضعى وخرافة الميتافزيقا ونحو فلسفة علمية لتكون أساسا قويا للأمة العربية فى نهوضها العلمى والفكرى والثقافى ، ومنهجا فى مجال النظر العلمى يضبط القول ضبطا يصونه من الانزلاق فى سيال اللفظ الذى يلهينا عن المعنى ومضمونه .

وفى نهاية الستينات وبداية السبعينات أصدر ثلاثيته «تحديد الفكر

العربى» و «المعقول واللامعقول فى تراثنا الفكرى» و «ثقافتنا فى مواجهة العصر» ، اراد بها الدكتور زكى نجيب محمود ومحاولا ان يوجد صيغة ثقافية تلتقى فيها أصولنا الموروثة مع ثقافة العصر الذى نعيش فيه . ولم تكن دعوته الى الجديد الا وصلا للماضى الاصيل بالحاضر المشهود .

عاد الدكتور زكى من بعثته العلمية فى انجلترا قرب نهاية الاربعينات واصدر كتابه «جنة العبيط» ثائرا فى مقدمته وصفحات مقالاته على اسلوب المقالة الادبية فى مصر وكيف انها لاتعدو ان تكون فصلا من بحث او بابا من كتاب من كتب التاريخ أو الفن أو الاجتماع أو الاقتصاد ، ثم نراه فى صفحات الكتاب يحمل حملة شعواء على القيم الاجتماعية فى المجتمع المصرى التى تقسم الناس الى سادة وعبيد ، ويدعو الى تعديل القيم فى حياتنا بما يحقق احترام انسانية الانسان وكرامته .

ويصدر الدكتور زكى نجيب محمود كتابه قصة نفس كترجمة ذاتية نفسية ـ فى سنة ١٩٦٥ ـ له تسبر أغوار ذاته ، والعوامل التى ساهمت فى تكوين شخصيته ، من النواحى النفسية ، وتمثل تحليلا وتشريحا للنفس الانسانية من خلال عملية استبطان ذاتى ، وفى اطار فنى وكعرض ادبى يتوافر فيه جل عناصر العمل الادبى والفنى الناضج من زوايا مختلفة ، وتشكل هى وشقيقتها قصة عقل نموذجا للابداع الادبى فى ادبنا العربى المعاصر .

عمرو عبدالمنعم حمودة

● الشيخ ●

حزين كطفل يضل الطريق
كئيب كليل انتظار الغد
غريب وكل همـوم الـزمان
تسافر عبر خطوط يدى
ضلالات هذا الزمان العجيب
تلوح على وجهى المجهد
يحاصرنى الخـوف انىَّ اتجهت
وينشب أظفاره فى غدى
قطعت الصحارى وخضت البحار
وقد طال بحثى ولم أهتد
اتيتـك رغم احتضار خطــاى
(وأتعبنى السير ياسـيدى)

محمد عبدالقوى الشباسى
الاسكندرية

• أمثال وأشعار •

● يقول المثل العامى : «ما ضاقت الا مافرجت» ويقول آخر : تبات نار تصبح رماد» وفى هذا المعنى قال الشاعر :

دع المقادير تجرى فى اعنتها ولاتبيتن الا خالى البال
ما بين طرفة عين وانتباهتها يغير الله من حال الى حال

ويقول المثل العامى : «خير تعمل شر تلقى» وفى هذا المعنى قال الشاعر :

عانيت من شر الصداقة ما كفى وشربت كأس الغدر من كف الوفا
فلذا خشيت اذى عدوك مرة فاحذر صديقك مرتين اذا صفا

ويقول آخر :

وحدة الانسان خير من جليس السوء عنده
وجليس الخير خير من جلوس المرء وحده

ويقول المثل العامى : «ايش قلتم فى جدع لاحب ولا اتحب قالوا يعيش حمار ويموت حمار» .

وفى هذا المعنى قال الشاعر :

اذا كنت لم تعشق ولم تدر ما الهوى فانت وعير الفلاة سواء

وقال آخر :

اذا انت لم تعشق ولم تدر ما الهوى
فكن حجرا من يابس الصخر جلمدا

محمد أمين عيسوى — الاسماعيلية

• العقاد فى ذكراه •

ليس من عادتى امتداح الرجال
غير مدح «الامين» أهل الكمال
لكن الحق يفرض المدح فرضا
لجليل من الرجال غالى
ليس من بلدتى ولكن نماه
طيب العرق بالصعيد العالى
ذاك «عباسنا» وليس عبوسا
باسم الفعل ، فائق فى الخصال
يعقد القول محكما ومتينا
يرفض النقض رغم كر الليالى
ليس كالآى فى «الكتاب» فمهلا
خارج الحكم قول «رب الجلال»
فى رحاب الصعيد مجد عريق
ونماء موهوبة للنزال

ليس للضيم عندنا من مكان   يعلم الضيم باسنا في القتال
نحن جيش لمصرنا ، قد وعينا   أن هذا الجنب صنو الشمال
وتبدى «الامير» .. اهدى الينا   فرق ما مر .. إمرأة في المقال
وحبانا من المعارف كنزا   فلق في القدر غاليات الآلى
نحن أهل الصعيد من ذا يبارى   قد اصبنا من الأمور العوالى
فكرُ «عقادنا» يفوق سواه   مثلما فاق مجدنا في الأوالى
بإكرام الضيوف في خير حفل   هو في الحق نصرة للمعالى
لاتعيبوا أنا فخرنا وقلنا   إنما الفخر من طباع الرجال
انتم العين أن إردنا اجتلاء   أنتم القلب في صدور غوالى
قد شرفنا بسعيكم وانتشينا   فلتعودوا بعود كل هلال

أحمد قاسم أحمد

المدير المركزى السابق للتعليم الثانوى

بمحافظة قنا

• تداعيات •



اول الحرف بحر ..
مداه اشراق ونار
وتلعثم الآهات ..
فى اللغة المدار ..
صمت يعذب فى حشاه
الكائنات حنين وابتهال
زهـــرة ..
شفتاها الرمـــال
عيناها العمر المحال
فاستكن ..
واجعل جراحك مسرحية
أيها البطل المعلق من لسانه

رمضان الهجرسى

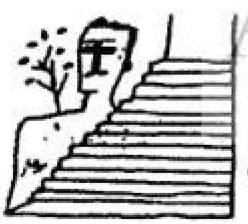
أنت والهلال

• الحظ والجهل •

سـألت الحظ : كيف نأيت عنـى ؟! فقال الحظ : لاتسأل ، ودعنى
فليس الحـظ حظ العلم ، إنـى ... احب الجهل ... إن تجهل فخذنى
فقلت : الجهل ؟! ويحك !! ليس هذا ... هو الانصاف .. قال : إليك عنى
إذا أمسـكت بالانصـاف .. عمرى ... يموت الجاهلون .. وذاك تعنى ؟!
وهم قـوم لـهم حق علـينا ... أتعميهم ، وبين الناس تضنى ؟!
ألم تعلم بـأن العـلم كنـز ؟! ... إذن .. يكفى .. قطاف العلم تجنى !
ألم تعـلم بأنْ العـلم نـور ؟! ... وأن العلم عن دنياك يغنى ؟!
فكيف اليوم تـرجونى عطـاء ؟! ... تريث : فالعطاء اليوم .. منى ..
لمن فى الجهل قد عاشوا ، ويكفر ... بـأن الجهـل أعـماهم .. فغنِّ :
، ذكـاء المـرء محسـوب عليه ... وجهل المرء .. تحقيق التمنى !!

رمضان أبو غالية
الوكيل الأول لقويسنا الثانوية

• الرقص على السلم •



تُحيِّرنى ياأنا ..
يناديك صوت البعيد البعيد
فتمشى اليه ببطء شديد
فيغضب منك ، ويغلق باب القبول أمامك
فتبقى على بابه فى انتظار نداء جديد
فمالى أراك تحب الوقوف البليد ؟
وتبقى هنا ..
تحيرنى ياأنا ..
فلا أنت أحجمت حين وجدت الطريق يضيق
ولا أنت أقدمت لمّا دعتك المنى
بربك لاتُرجىء الحسم إنى مللت الجمود
فإماُ النزول .. وإماُ الصعودْ ..
فرقص السلالم لاشىء منه علينا يعودْ
فإمّا النزول ... وإماُ الصعودْ ..

عبد العزيز الشراكى
المنصورة

● مع الأصدقاء ●

● **ابراهيم البسيونى ـ الجيزة ـ السنطة غربية**

ـ نرحب بكم صديقا كريما .. وأما قصيدتكم «ذكرى وأمل» فلا تفتقر الا الى تصحيح وزنها ، فاذا استقامت لكم الأوزان فيما بعد ، رجونا لكم مستقبلا حسنا فى الشعر .

● **حنان حسن محمد عبدالعال :**

ـ نحن نشجع إصرارك على التقدم فى مجال الشعر ، ورأينا أنك إذا تمكنت من الأوزان ، فستصبحين شاعرة ممتازة

● **محمد محمد السنباطى ـ شبراخيت :**

ـ تقول انك تنشر انتاجك فى ثلاث عشرة مجلة فى البلاد العربية والأوربية ، فكيف تحافظ على مستوى انتاجك مع هذه الكمية غير العادية ؟! .

● **رشلد جاب الله على ـ مصر القديمة :**

ـ كلمتكم عن الزعيم التونسى المرحوم الثعالبى كلمة طيبة ، ولكنكم اختذتموها ـ كما تقولون ـ تلخيصا من إحدى المجلات العربية . ولهذا نكتفى بأنها نشرت من قبل فى تلك المجلة ونشكركم ..

● **ممتاز محمد ممتاز الحنفى ـ محلج شربين :**

ـ نرجو لكم حظا حسنا مع الشعر ، ونرى أن معرفة الأوزان واجب على كل شاعر ، فحاول أن تقرأ الشعر الجيد الموزون المقفى لتتعلم الأوزان من الشعر نفسه لا من كتب العروض ..

● **على عبد الرازق الدالى ـ كلية الآداب بالمنصورة :**

ـ خطبة طارق بن زياد عند فتح الاندلس مشهورة متداولة ، وكانوا قديما يدرسونها فى المرحلة الابتدائية ، ولم نتلق بحثكم حول هذه الخطبة ولانعرف عنه شيئا ، ولو وصل الينا ورأينا فيه شيئا جديدا لنشرناه ..

● **صالح عبد الكريم بشير صالح ـ المدينة المنورة :**

ـ ليس صحيحا ـ مع الأسف ـ ما سمعتموه من أننا نعيد طبع مجلدات الهلال القديمة الآن ، ولكن ربما فكرنا فى ذلك مستقبلا ..

● **ونشكر إخواننا وأصدقائنا الأعزاء السادة : أبو بكر محمد محمد حسانين .. ناصر السيد طه .. عبد المقصود السعيد عبد المقصود .. إيمان محمد على أحمد فياض .. رمضان عبد اللطيف حامد .. ناصر البحراوى .. عبدالحميد عبد السلام شمخ .. عبد الناصر عبدالرحيم أحمد .. زارع عبد الراضى رضوان .. عبد الشفيع وهبى مطر ..**



الصديق الذى فقدناه !

اننى حزينة كل الحزن على إحسان ، ويعز علىّ ان اكتب فى هلال هذا الشهر عن احسان عبد القدوس الاخ والصديق .

ولاشك ان حزنى اكبر على الصداقة التى فقدتها ، وحزنى على فقدان زميل عزيز ربطتنى به صداقة طويلة وممتدة .

وحزنى على الخسارة الفادحة التى اصيبت بها دنيا التاليف والابداع . لقد عالج إحسان عبد القدوس جميع مشكلات مجتمعنا ، وكتب ألوانا لا اول لها ولا اخر من الابداعات ، ولذلك فانه فاق كثيرين من الكتاب العظماء فى كم وجودة هذا الانتاج .

وبضياع هذا الكم الذى يتميز عن بقية الأقلام بذخيرة وفيرة من الفكر الذى برع فى وصف وتحليل شخصية الشباب حتى لنظن انه واحد منهم فى كل ماكتبه .

احسان عبد القدوس كان له طابع مميز ، وكان له اسلوب جميل ، هو اسلوب السهل الممتنع فضلا عن بساطة تحليلاته التى يستفيد بها كل ذهن وكل عقل على مختلف المستويات ، وهذه قلما توجد فى شخص واحد .. لقد كان احسان عدة مبدعين فى مبدع واحد .

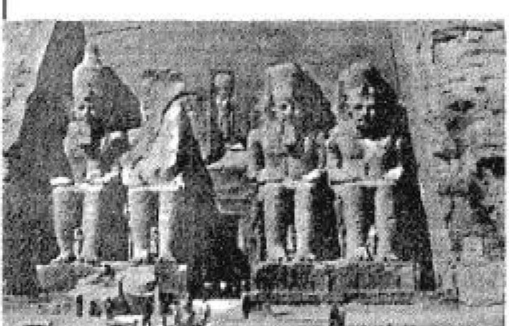
اننى أنعى الاخ الحبيب والكاتب العظيم ، وارجو من الله ان يسكنه النعيم وان يعوضنا خسارتنا فيه ، بانتاج اخوتنا من كتاب القصة الحاضرين .

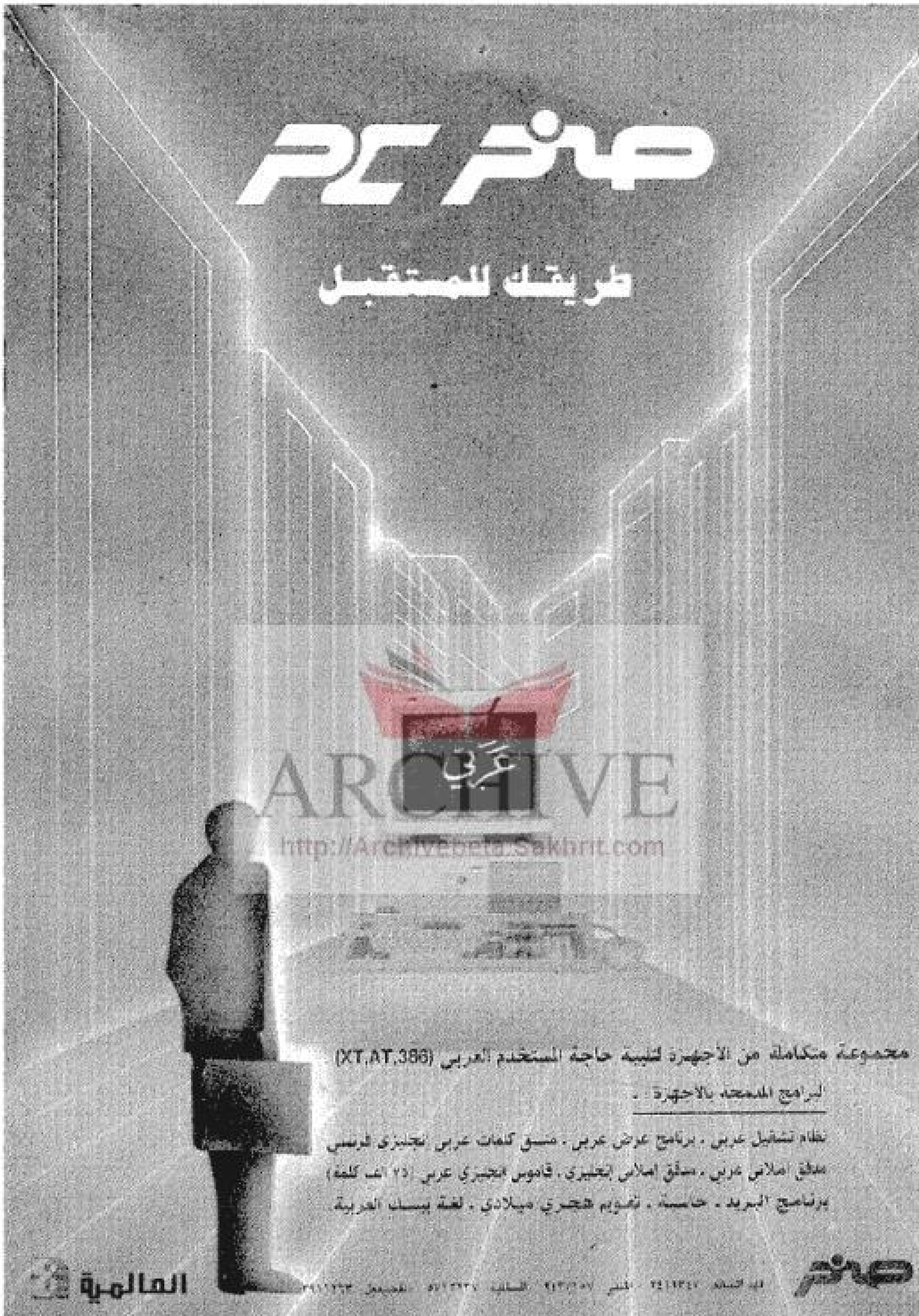





EGYPTAIR
مصر للطيران






صخر PC
طريقك للمستقبل
مجموعة متكاملة من الأجهزة لتلبية حاجة المستخدم العربي (XT,AT,386)
البرامج المدمجة بالاجهزة :
نظام تشغيل عربي . برنامج عرض عربي . منسق كلمات عربي انجليزي فرنسي
مدقق املائي عربي . مدقق املائي انجليزي . قاموس انجليزي عربي (٢٥ الف كلمة)
برنامج البريد . حاسبة . تقويم هجري ميلادي . لغة بيسك العربية
صخر
العالمية

مارس ١٩٩٠ ● الثمن ٧٥ قرشاً

الهلال

النيل

في السجلات والخرائط



شاجال اللون والظلال والنغم

□ العلم والروح عند نجيب محفوظ

كتاب الهلال

يقدم

الفيديو والناس

بقلم :

د. نوال عمر

يصدر

٥ مارس ١٩٩٠

روايات الهلال

تقدم

متاعب على الزبوج

بقلم :

فاروق خورشيد

تصدر

١٥ مارس ١٩٩٠

الهلال

مجلة ثقافية شهرية
تصدرها دار الهلال
أسسها جورجي زيدان
عام ١٨٩٢ ميلادية

السنة السابعة والتسعون • مايو ١٩٩٠ • شعبان ١٤١٠ هـ

د . لويس عوض .. والابداع الفكرى

الدكتور لويس عوض شعلة متوهجة دائما فى حياتنا الثقافية وله بصمات واضحة فى عالم الفكر والمعرفة وهو نافذة نطل منها على عالم جديد دائما بالافكار والقيم والمشاعر .

نشأ فى شلروتة مركز مغاغة محافظة المنيا فى ١٩١٤/٦/٢٠ .

تخرج فى الجامعة فى عام ١٩٣٧ ، وحصل على الماجستير من كامبريدج ، والدكتوراه من برنستون وكان أول استاذ ورئيس مصرى لقسم اللغة الانجليزية بكلية الآداب علم ١٩٥٤ ، يجيد أكثر من لغة منها الانجليزية والفرنسية واللاتينية ، والانجلوسكسونية ، الايطالية ، اليونانية القديمة ولذا كانت اهتماماته متعددة وتغطى أكثر من مجال .. كتب فى الشعر والنقد والرواية ، كما كتب أبحاثا نظرية كثيرة فى عدة مجالات :ـ سياسية ولغوية وفكرية عامة .

وتتناول كتابات د . لويس عوض ثقافتنا المصرية الحديثة منذ الحملة الفرنسية على مصر ، وبصفة خاصة الادب المصرى المعاصر الذى ارتبط بثورة ١٩٥٢ .

ومن ينابيع هذه الكتابات التى تمثل جانبا من اهتمامات أشمل بالتراث العلمى يلحظ بجلاء حرص لويس عوض على نشر المعرفة ، بحيث يقف القارىء من خلال اتجاهه التفسيرى فى النقد على الحقيقة الكامنة وراء الظواهر ، ويلمس ابعادها وتطوراتها الموضوعية .

إقرأ مقالا للدكتور لويس عوض ص ٥٧

فكر وثقافة

كتاب الشهر

فى هذا العدد



الغلاف تصميم الفنان :
محمد ابو طالب

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى (١٢ عددا) فى جمهورية مصر العربية تسعة جنيهات وفى بلاد اتحادى البريد العربي والافريقي والباكستان عشرة دولارات او مايعادلها بالبريد الجوى . وفى سائر انحاء العالم عشرون دولارا بالبريد الجوى .

والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى ج . م . ع . نقدا او بحوالة بريدية غير حكومية . وفى الخارج بشيك مصرفى لامر مؤسسة دار الهلال . وتضاف رسوم البريد المسجل على الاسعار موضحة بعاليه عند الطلب .

دار الهلال

١٦ شارع محمد عز العرب الرقم البريدي (١٥١١) القاهرة تليفون ٣٦٢٥٤٥٠ سبعة خطوط ـ مجلة الهلال ٣٦٢٥٤٨١

رقم التلكس 92703 HILAL U.N

ثمن النسخة

لبنان ٧٠٠ ليرة ، الاردن ٦٠٠ فلس ، الكويت ٥٠٠ فلس ، العراق ١٠٠٠ فلس ، السعودية ٧ ريالات ، عدن ١٢٥ سنتا ، البحرين ٨٠٠ فلس ، قطر ٧ ريالات ، الامارات العربية المتحدة ٧ دراهم ، سلطنة عمان ٧٠٠ بيسه ، تونس ١٤٠٠ مليم ، المغرب ١٥ درهما ، غزة ٧٥ سنتا ، انجلترا ١٢٥ بنسا ، ايطاليا ٢٥٠٠ ليرة ، الولايات المتحدة الامريكية ٤٠٠ سنت ، الجمهورية العربية اليمنية ٨ ريالات ، كندا ٥ دولارات .

مكتبة الاسكندرية

تاريخ الانسانية ومستقبلها

اهتم العالم كله بالاحتفالات التى اقيمت فى "أسوان" إيذانا ببدء تنفيذ مشروع مكتبة الأسكندرية الجديدة التى سوف تكون امتدادا لمكتبتها القديمة ذات الشهرة العالمية العظيمة منذ ثلاثة وعشرين قرنا من الزمان ..

وقد كانت إقامة هذه الاحتفالات فى "أسوان" ذات دلالة موحية ، فإن أشهر فلاسفة المدرسة الجامعة القديمة فى الأسكندرية خلال العهد البطلمى ، وهو الفيلسوف "افلوطين" كان من أبناء مصر العليا ، وقضى بعض شبابه فى الأقصر وأسوان ، ثم رحل الى الاسكندرية ليتعلم الفلسفة فى مدرستها الجامعة ، ويطالع الذخائر العلمية فى مكتبتها ..... ثم غادر افلوطين الأسكندرية إلى فارس والهند ، ثم إلى اوروبا حيث استقر فى روما وملأ أوروبا بفلسفته وأفكاره التى جاء بها من الاسكندرية ....

إن الصبغة العالمية لمدرسة الاسكندرية الفلسفية ومكتبتها العظيمة قد تحققت منذ اكثر من الفين ومائتى عام ، وكان جوهر فلسفة افلوطين هو "الخير" و"الواحد" الذى من معانيه « التوحيد » فى الصياغة الدينية ، فكان افلوطين عظيم الأثر فى اللاهوت المسيحى الأوروبى ، كما التفت اليه فلاسفة المسلمين ، وامتد اثره إلى عصر النهضة فى اوروبا ، وعلى اساس فلسفته نشأت جماعة الأفلاطونيين الجدد فى جامعة كمبردج البريطانية .

هكذا امتد شعاع مكتبة الأسكندرية عبر الزمان الطويل ، وامتد اثر الفيلسوف الأسوانى الصعيدى افلوطين خلال الأجيال ، ودل ذلك على الأهمية الكبرى التى كانت لهذه المكتبة وبيئتها الثقافية والعلمية فى العالمين القديم والوسيط ، وعلى مايمكن ان يتجدد لها من الأهمية فى عصرنا الحاضر إذا تم إحياؤها على نسق يحقق هذا الهدف الرفيع ..

ولاشك ان الاسكندرية تستحق لقب « مدينة المكتبات الكبرى » ... فمنذ العهد البطلمى كان ابرز ما فى قصور الأسكندرية مكتباتها العظيمة ... وقد انتبه أمير الشعراء أحمد شوقى إلى هذه الحقيقة حين كتب مسرحيته الشعرية "مصرع كليوباترا" التى جرت حوادثها الدامية فى الأسكندرية فى خاتمة العهد البطلمى ، ولهذا جعل شوقى الفصل الأول من مسرحيته يبدأ فى مكتبة قصر كليوباترا بالأسكندرية ، حيث يردد المغنون نشيدا يقولون فيه :

صارت الأسكندرية
هى فى البحر المنار

ولها تاج البرية
ولها عرش البحار

وتدخل كليوباترا المكتبة فتسأل عن كتاب تقرؤه فيقول لها "زيتون" أمين المكتبة :

عندى ..... يامولاتى
روائع الآيات
تسعون ألف سفر
قد كتبت بالتبر
من كل رق عجب
فى العلم أو فى الأدب

ويقفز مضحك الملكة فتهوله كثرة الكتب فيقول ساخرا لكى تضحك الملكة وتتسلى :

إذا كانت الكتب فى شرعكم
نظير الجواهر كفء النضار
فما الكتب قوتى ولا منزلى
فما أنا سوس ولا أنا فار

إن أمير الشعراء بقريحته الثاقبة قد جعل الفصل الأول من مسرحيته الرائعة يدور فى مكتبة كبرى بقصر كليوباترا تضم تسعين ألف كتاب ، لأن "المكتبة" هى الرمز الخاص للاسكندرية عاصمة مصر فى العهد البطلمى ومايليه إلى نهاية العهد الرومانى ... وهذا الرمز الخاص ـ رمز المكتبة ـ كان يميز الأسكندرية عن غيرها من مدن العالم فى العصور الماضية ، فما أحراه أن يعود فى العصر الحديث لكى يتوهج على جبين الأسكندرية من جديد ..

لقد تغيرت الدنيا بطبيعة الحال خلال القرون الطوال ، واندثرت مكتبة الاسكندرية وصارت مدرستها العالمية مجرد كلمات وذكريات فى التاريخ ، ولكن ها هى ذى مصر ترى من واجبها أن تنبه العالم المتحضر إلى أهمية إحياء ذلك الرمز الحضارى العالمى العريق المتمثل فى مكتبة الأسكندرية ذات الأسم الباقى على الدهور ..

إن المكتبة الجديدة سوف تكون رمزا لما أنجزته البشرية كلها فى العلم والتقدم والتحضر خلال أكثر من ألفى سنة ، وسوف تربط مصر والعالم العربى كله بمسيرة الموكب العالمى المندفع فى عصرنا بخطوات سريعة نحو الحرية والديمقراطية والتقدم والعدالة الاجتماعية والوفاق والسلام بين الشعوب جمعاء ، بلا تفرقة بين الألوان واللغات والأديان ..

وإن مساهمة الشعوب فى مشروع مكتبة الاسكندرية سوف تعزز المسيرة العالمية الحاشدة فى هذا العقد الأخير من القرن العشرين لكى تدخل الشعوب من باب القرن الواحد والعشرين متماسكة الأيدى ، فى سبيل عالم جديد سعيد ، تفتح أبوابه مكتبة الأسكندرية ، رمزا للتاريخ ، ورمزا للمستقبل ...

« المحرر »

عالم مارك شاجال

عبقرية اللون ..

والبعد الرابع فى فنون القرن العشرين

بقلم : عبدالغنى داوود

« يطاردنى الخوف دوما اثناء النقش ، او الرسم ، واتساءل دوما .. هل ساكمل عملى ام ساخربه . واظل اعمل دون أن اجرؤ على التنفس . وبحركات سريعة اضع خطوط الوجوه والملابس والزهور والزخارف بغية أن تكون خطوطها خفية وحية .. »

هذا هو مارك شاجال ، الفنان التشكيلى الذى تحل ذكراه الخامسة هذا الشهر حيث رحل عن عالمنا فى الثامن والعشرين من مارس عام ١٩٨٥

ولد شاجال فى السابع من يوليو عام ١٨٨٧ بمدينة فتسيك الروسية الواقعة على الحدود بين الإتحاد السوفيتى وبولندا . ثم سافر إلى بطرسبورج . والتحق بمدرسة (ليون باسكا) واشترك فى رسم لوحات ديكورات اعمال الفنان (سيرجى دياجليف) الذى إشتهر فى ميدان فن الباليه ـ وبعدها سافر (شاجال) إلى فرنسا فعشقها وعاش فيها ، وعاد إلى روسيا ليتزوج (بيلا) الفتاة التى احبها . ويعود بها الى باريس فتموت هناك . مما يترك اثرا كبيرا فى أعماله التى من ابرزها لوحة « عيد الميلاد » ١٩١٥ ـ ثم عاش شاجال بعد ذلك فى الريفييرا الفرنسية فى بقعة رائعة الجمال .. حتى وفاته .

هذا الفنان الذى اكتسب شهرته من خلال اعماله الفنية مثل لوحته المعروفة « التعذيب » ١٩٤٠ ـ حيث نجد الشخصية الرئيسية فيها هى الانسان المصلوب والمراة الجاثية عند قدميه ، وحيوان خرافى مكون من نصف بقرة . ونصف إمراة .. او يبدو كعصفور على هيئة ديك . ويزين اللون الأصفر المصلوب بتقطيعه لقميصه



مارك شاجال

المكون من المرأة الباكية وقميصها .. وتسود الألوان السماوية والبرتقالية والبنفسجي والزهري والأزرق .. وكان هذه الألوان اشبه بممثلين يقوم كل واحد بدوره في تلك المأساة .. ولذلك فهي تظهر منفصلة عن الخلفية التي يظهر عليها منظر القرية بالوانها الرمادية المحايدة والتي تعلوها سحابة ذات دخان داكن .. لذا فالقالب التشكيلي ، هنا ، لا يتوخى تمثيل موضوعية الواقع .. لكنه يمثل إيحاءات ترمز الى ما يتعرض اليه الانسان من عذاب لذلك وقف بعض النقاد يشيدون به لانه شارك في الترويج لفكرة اضطهاد اليهود وتعذيبهم ..

● رفض الانتماء

ولقد ساهم النقاد في تضخيم حجم (شاجال) .. وقالوا عنه : إنه وقف وحيدا متشبثا برؤيته الخاصة .. رافضا الانتماء لأية مدرسة فنية ـ فهو على النقيض من جميع الفنانين في المضمون والأسلوب والمعالجة والحلم .. لذا فإنه يختلف عن سلفادور دالى كبير السيرياليين الذين توسلوا اليه ان ينضم اليهم .. لكن (شاجال) رفض لأن (دالى) ينبع حلمه ورؤيته من منطق التناقض ، ويختلف كذلك عن الفنان المعاصر فرانسيس بيكون الذى ينفجر حلمه من قوة الاندهاش .

فلا تعترف لوحات شاجال بفارق المسافات بين الأزمنة والامكنة ، ولا بحاجز بين الشعور واللاشعور .. إذ هو مخلص لأرض احلامه ، وللفولكلورية وطنه الأصلى روسيا .. فلوحاته لا تنتمى الى التجريد أو السيريالية او التكعيبية .. وإن كانت تستفيد من هذه الاتجاهات جميعا بقدر وبتعقل .. فهذا الرفض للتجريد والمنطق والتشريح جعل النقاد يعجبون بدفء رؤيته .. فهو فنان دافىء القلب يرسم من قلبه ، وبصراحة بليغة ، وبغنائية جعلت بينه وبين الموسيقى والشعر تماثلا .. ويقولون عنه ايضا : إن (شاجال) واقعى بطريقته الخاصة .. فهو واقعى انفعالى او نفسى .. إذ يتمنى ان تحدث لوحاته ما يشبه الصدمة النفسية .. فالاشياء عنده تبدو حقيقة لكنها تأخذ اوضاعا جديدة تبرز معناها وتجسده . فهو لايخضع إلا لشعوره .. إذ تجد كلا من اللون الأخضر والأحمر والأزرق والبنفسجي في لوحة ، إناء الزهور المزين بالاناناس ، يكاد يغسل عذاب الحياة اليومى ، ويمحو القلق والتوتر لأنها تحتفظ ببراءة مثالية .. فهو ـ إذن ـ يقبل الواقعية التقليدية لكى يبنى عالما آخر ، عالما ينبعث من داخله بتقنية جديدة .. فالطبيعة عنده لايمكن أن توجد بدون الميتافيزيقا ، لذلك تحررت اعماله من قوانين الواقع وحواجز العناصر .. فقد اكتشف تعبيرية اللون .. كما اكتشف القيمة التعبيرية لمسخ الخط ، واستطاع أن يجسد التشبيه .. ويحقق حرية الشكل دون أن يتردى في مهاوى التجريدية او السيريالية او التكعيبية .. كذلك استعان هذا الفنان بأسلوب التضخيم



مـارك شـاجال



العسكرى رسمها
شـاجال عام ١٩١٢

والمبالغة لتاكيد الشيء كان تنمو باقة زهر كما لو كانت شجرة عريقة ويرى النقاد ان الأبعاد تتحول على يدى شاجال الى ابعاد نفسية ، وان (شاجال) يرى ان هذا التحرر فى الشكل يعطى للشيء معناه .. وعندما ظن البعض ان هذا تهريج لم يولهم الاهتمام واستمر فى دربه ، واوغل فى تحرره لدرجة انه من الممكن للمتفرج ان يمسك بإحدى لوحاته بالمقلوب فيجد فيها اشياء معتدلة .

ويفسر (شاجال) عالمه الغريب هذا قائلا :

اريد ان انشيء عالما كل شيء فيه .. واى شيء فيه ممكن .. فالرسم فى نظرى مادة محطاه تصور اشياء ومواد وحيوانات ، وكائنات بشرية وفقا لنظام معين .. لا اهمية فيه للمنطق والمطابقة ، واريد ايضا ان اضمن لوحاتى صدمة نفسية ، وبعدا رابعا .. كى يكف الناس عن الكلام عن الحكايات الاسطورية وعن الأشياء الغريبة ، وعن (شاجال) الرسام الطائر ..

و(شاجال) فى رسومه يستعمل ايضا طريقة الحفر الجاف مع إظهار التفاصيل الدقيقة ، وله رسوم فى الكتب المصورة والمحفورة والمطبوعة عن القالب الخشبى .. فرسم لوحات لتزيين « الكتاب المقدس » ، وبعض الكتب الادبية .. لذا نجد ان هناك فارقا ـ فى الاسلوب او الطابع ـ بين لوحاته

مارك شاجال

الملونة ، ورسومه بالأبيض والأسود فى الكتب ـ فرسوم الأبيض والأسود تحتضن كل ألوان المنشور ، ومن أشهر ما قدمه (شاجال) فى هذا المجال ـ رسومه لسقف اوبرا باريس الذى تبلغ مساحته (١١٥٣) قدما مربعا ملأها برسوم راقصى الباليه والطيور الغريبة .

● عذوبة الخط المنحنى

ومن سماته ايضا التى تحدث عنها

يوم السبت .. رسمها شاجال عام ١٩١٠





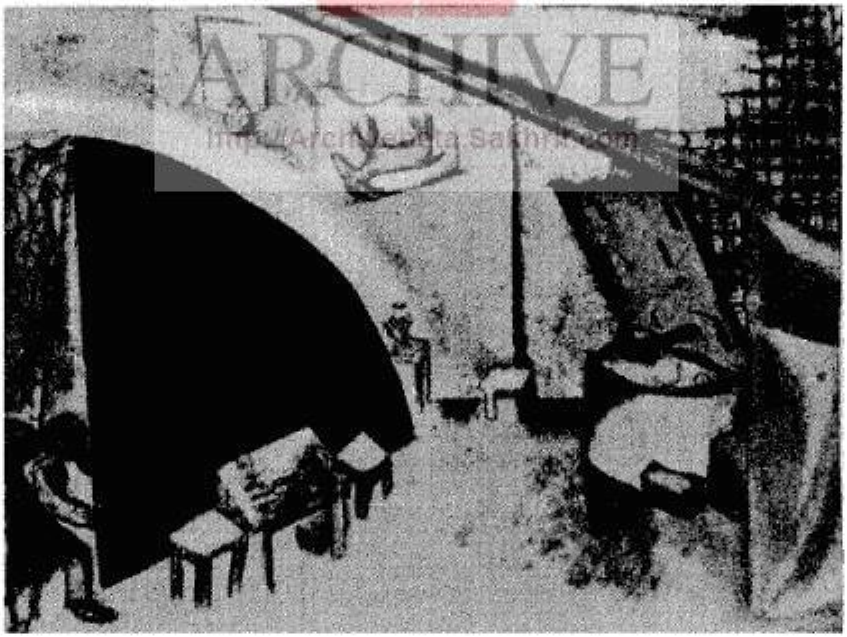
مارك شاجال

النقاد ـ في مجال التصوير أن الخط المنحنى والدائرى عنده ـ يجسد العذوبة ـ فقد رسم هذه الأشخاص الطائرة أو الدائرة حول نفسها أو المنقلبة رأسا على عقب .. لكنها مع ذلك تفيض بالبكارة .. ويقول النقاد إن (شاجال) اعترف بجرأة تصويره .. مبرزا إدراكه لطبيعة الألوان حين قال ربما كان في أعمالى روح متوجهة ، روح زرقاء تلتمع فوق لوحاتى) .. لذا ـ يلاحظ النقاد ـ أنهم أنفسهم لا يكادون يميزون فارقا كبيرا في ـ الأسلوب ـ بين لوحات التصوير ولوحات الحفر في أعماله .. ويرى البعض انه استطاع أن يحقق في لوحات الحفر نفس اللون الشاعرى السحرى .. بل إنه يحقق المزاوجة السعيدة بين اللون والشكل ، ويتجلى (الموزايكو) في لوحاته وتصميماته داخل الكنائس ، وترميماته للنوافذ القديمة في أوربا .

ومن الجدير بالذكر أن (بيكاسو) قال عن (شاجال) :

(عندما يموت (ماتيس) سيبقى (شاجال) الرسام الوحيد الذى يفهم ماهو اللون حقا) .. قال بيكاسو قبل منتصف هذا القرن .. وبعدها مات (ماتيس) (١٨٦٩ ـ ١٩٥٦) ومات (بيكاسو) نفسه ١٨٨١ ـ ١٩٧٣ ، وظل شاجال بعد وفاتهما بسنوات طويلة

تجارب ديكورية .. صممها شاجال



حتّى وافاه الأجل في ٢٨ مارس منذ خمس سنوات .

لقد استطاع شاجال ان يجعل من اللون عنصرا سماويا ، ومن خلاله راح يحقق رؤياه من خلال ما يتصوره من احلام ورؤى .. فاللون ـ عنده ـ يجب ان يكون عميقا لدرجة تجعلك تحس انك تسير فوق سجادة وثيرة كما يقول ..

وفى الحق ان الوان (شاجال) تتلألأ من بعيد كالسحر .. كأنها تأتى من عالم الأساطير ، ارض البراءة السعيدة والأحلام ! ! ، مما اكسبه شهرة لدى البسطاء من الناس .. لدرجة أن العاملات العاديات في باريس يعرفنه ويقلن عنه : (إنه الرسام الذى يرسم الأبقار التى تطير) .. ففى لوحاته كنائس وأبقار وأسماك وسكاكين وزهور .. لكن هذه الأشياء لا تستقر فى اوضاعها المألوفة . إذ تقف أبقار (شاجال) فوق اسطح البيوت المثلثة ، اما رجاله ونساؤه فيطيرون فى الهواء ، وبعض بيوته تقف على سقوفها بينما قاعدتها تواجه السماء ..

وفى لوحاته لا ينفصل الرجل ـ أبدا ـ عن المرأة ماديا ـ وتشكيليا ـ فالعلاقة بينهما علاقة عشق .. فقد يرسم شفاه واحدة لرجل وإمرأة معا ، او يرسم رجلا او امرأة يطيران معا طيران طائر محلق واحد ، ونصف وجه الانسان فى لوحاته لايطابق ابدا النصف الآخر .. بل انه يذهب الى حد تلوين إحدى العينين بلون ويختار لونا مختلفا تماما للعين الأخرى ، ويذهب الى حد رفع احدى العينين من مكانها قليلا .. لعله يريد ان يقول إنه ليس للانسان وجه واحد وإن الوجه عملة لها وجهان او جانبان ، وفى لوحاته إهتمام كبير بالأصابع البشرية ـ أصابع اليد .. والدلالة على إهتمام (شاجال) بالأصابع انه كثيرا ما يرسم أصابع الأشخاص اكبر من هؤلاء الاشخاص انفسهم .

وتذكر هنا فناننا المصرى الراحل (جمال محمود) ١٩٢٤ ـ ١٩٧٨ الذى اولى إهتماما كبيرا بالعيون .

كذلك نجد باقات الزهور عند شاجال سخية ومثمرة وتنمو نمو الاشجار .. بل وتبلغ حجم الأشجار وتتجاوز الأبعاد الطبيعية لها . وتحفل لوحاته بآلة الكمان يمسك بها عازف او يمسك بها حصان كما فى لوحة « السيرك » ، ورءوس الحيوانات فى اعماله لها فم مدبب ويكاد الوجه ان يكون مثلثا رأسه الفم .. ودائما ما نجد فى لوحاته سقوف بيوت مثلثة ، ومعابد .

● للفنان .. نقيصه

إن شاجال الفنان والانسان ـ مثله مثل كثير من الفنانين اليهود وغير اليهود ـ خدعته فكرة الصهيونية فوقعوا فى أسرها ، وعاشوا فى اوهامها .. فافسدت نقاء إبداعاتهم ، وزيفت مالديهم من موهبة ، وإن تحليلا واعيا لأعمال (شاجال) الفنية يكشف عن كثير من الملامح الصهيونية فى اعماله .. وهى ملامح لا يستطيع ـ كما يبدو ـ ان يتخلص منها .. خاصة إذا إنجرف بعاطفته لتسخير فنه للأيديولوجية الصهيونية .

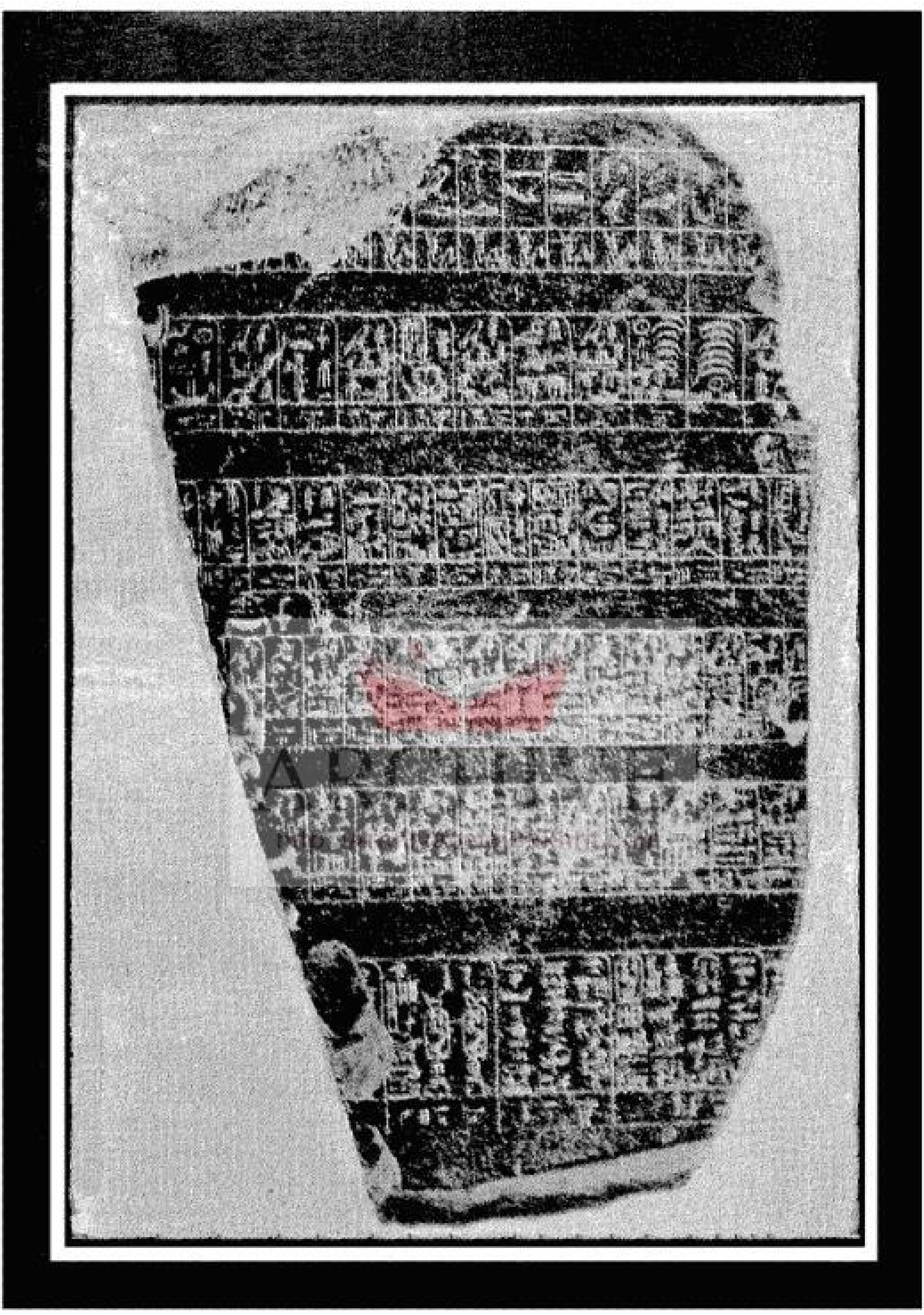
أقدم سجلات النيل

بقلم : د . رشدى سعيد

درج المصريون منذ اقدم الازمنة على تسجيل منسوب النيل على طول السنة . وعند فيضانه فى فصل الصيف . فقد كان فى بلوغه الارتفاع المناسب لكى يغمر الاراضى اهمية كبرى للزراعة ورخاء البلاد بل ولجمع الضرائب والخراج كما كان لقصوره عن الارتفاع الى هذا المستوى المناسب اوخم العواقب ـ سبب للبلاء ـ ويعتبر نهر النيل واحدا من انهار الدنيا القليلة ذات النظام الرتيب تزيد مياهه فى صيف كل عام حتى تفيض فوق جنباته فيغرق الاراضى . ويخصبها بمياهه وبالطمى الذى يحمله معه فيحييها بعد موات ويعطيها القدرة على اجذال العطاء ولايفاء النيل طقوس كما ان قياس منسوبه امر يسجل فى السجلات الملكية ويعتبر من الوثائق الهامة للدولة .

وكان تسجيل ارتفاع النيل يجرى فى عصر المملكة الحديثة فى مصر الفرعونية وفى العصر البطلمى بداخل المعابد التى كانت تبنى على جسر النيل وفى بئر تتصل بالنهر بنفق او انفاق على احد جدرانه مقياس مدرج ـ وكانت مياه الفيضان عند اول وصولها تعتبر بعد الصلاة عليها ماء مقدسا يرش للبركة ـ على جموع المصلين ـ ويكاد لا يخلو معبد من معابد هذه الفترة من تاريخ مصر من مقياس للنيل ـ وفى اغلب الظن ان قياس منسوب النيل فى عصر المملكتين القديمة والمتوسطة من مصر الفرعونية كان يتم خارج المعبد كواحد من الطقوس الدينية الهامة وكان تسجيل منسوب النيل يتم على حوائط المعابد الخارجية او على الصخور التى تحيط

د . رشدى سعيد من اشهر العلماء المصريين يعد حاليا دراسة فى معهد الدراسات المتقدمة ببرنستون وهذا المعهد يختار ٤٠ عالما من كل انحاء العالم ويضع بين ايديهم كل الامكانيات لاستكمال الابحاث التى يختارونها





● خريطة قديمة للنيل كما رسمها الانجليزى هرمان هول عام ١٧٣٠ م

بالنيل كما كان تسجيله يتم ايضا بواسطة مقياس متنقل يحفظ بداخل المعبد طول العام ويستخدم فى مناسبة الفيضان لتسجيل ارتفاعه .

واقدم سجلات مناسيب النيل هى تلك المنقوشة على حجر بالرمو الشهير الذى نحت خلال الاسرة الخامسة (عام ٢٤٥٠ قبل الميلاد) والمحفوظ الآن بمتحف هذه المدينة بجزيرة صقلية بايطاليا منذ عام ١٨٨٧ ميلادية عندما انتقل اليه من اسرة ثرية كانت قد اقتنته من مصر ـ ولا يعرف بالضبط



النيل .. في الخرائط القديمة

المكان الذي يوجد به هذا الاثر وان كان من شبه المؤكد انه من مدينة منف القديمة اذ انه يشبه من حيث المادة والنقش والنظام قطعا اخرى وجدت فيما بعد بهذه المدينة وهي محفوظة الآن بالمتحف المصري .

والحجر عبارة عن لوح من صخر الشست الأخضر سمكه حوالي ٦ سم وارتفاعه حوالى ٤٠ سم عليه نقش على وجهيه ويبدو انه كان منصوبا على قائم باحد معابد منف لكي يقرا من وجهيه . ويحمل الحجر اسماء ملوك مصر من الاسرة الأولى حتى الاسرة الخامسة (بين عامى ٣٠٥٠ و٢٤٥٠ قبل الميلاد) ابتداء من الملك جر في صفوف افقية قسمت بواسطة خطوط الى السلم في كل قسم منها اسم الملك واسم امة وتحت كل قسم صندوق مستطيل كتب عليه منسوب نهر النيل في زمن هذا الملك مسجلة بالذراع والشبر والكف والاصبع - وقد وصف الحجر عالم المصريات الشهير سيثر علم ١٩٠٢ كما سجل مناسيب النيل العالم هلك علم ١٩٦٦ في محاولة لمعرفة اعياد مصر القديمة وتاريخها .

وترجع اهمية الحجر الى انه احد السجلات الهامة لمعرفة سلسلة ملوك الدولة القديمة بمصر الفرعونية ويبدو ان ناقش الحجر كان من الامانة والدقة حتى انه ترك دون رصد بعض مناسيب

اقدم سجلات النيل

الفيضانات عندما لم يستطع ان يجد سجلاتها ، وعلى الحجر ٦٣ منسوبا للنيل قمت بتحويلها الى القياسات المترية على اعتبار ان الذراع يساوى ٥٤,٢ سم وانه مقسم الى شبرين او سبعة كفوف او ثمانية وعشرين اصبعا - وقد وجدت ان منسوب النيل اخذ فى التناقص تدريجيا من منسوب بلغ فى متوسطه ٢,٨ متر خلال الأسرة الأولى إلى منسوب بلغ فى متوسطه ١٫٨ متر فى آخر الاسرة الخامسة .

● تسجيل ارتفاع المياه

ولايعرف بالضبط مكان تسجيل هذه المناسيب او الارتفاع المطلق لنقطة الصفر فى مقياسها او الطريقة التى تم القياس بها ان كانت على حائط بئر متصلة بالنيل او بواسطة مقياس متنقل - على ان نظرة فاحصة لهذه القياسات تجعلنى اعتقد انها كانت تسجيلا لارتفاع مياه النيل فى حوض منف عند البدرشين بعد ان يغطيه ماء الفيضان قبل زراعته - وكان ارتفاع الماء فى هذا الحوض قبل ادخال نظام الرى المستديم فى اوائل هذا القرن يتراوح بين المتر الواحد والمتر وربع خلال معم سنى القرن التاسع عشر والتى ليس لدينا عنها اية سجلات وقد وصل ارتفاع الماء بهذا الحوض الى ٨,٠ متر فى عام ١٨٧٨ الذى سجل فية النيل اقصى واعتى فيضاناته المرصودة عندما بلغت كميته ١٤١ بليون متر مكعب (بالمقارنة بمتوسط للفيضان يبلغ ٨٤ بليون متر مكعب فقط خلال المائة وعشرين عاما الماضية) .

ويمكن من ذلك ان نستنتج ان النيل قد قل حجمه فيما بين عامى ٣٠٥٠ ، ٢٤٥٠ قبل الميلاد تدريجيا حتى وصل الى حجم فيضان عام ١٨٧٨ العالى فى اخر هذه الفترة وعند نهاية الاسرة الخامسة - اما حجم النيل فى الاسرات الاولى فكان اكثر من هذا الفيضان العالى بحوالى النصف اى انه كان فى حدود ٢٠٠ مليون متر مكعب .

وفى ظنى ان هذا الاستنتاج يتمشى مع مانعرفه عن مناخ مصر فى هذه الحقبة من تاريخها فقد كانت تمثل اخر سنى العصر المطير الذى بدأ فى مصر حوالى سنة ٨٠٠٠ قبل الميلاد بعد تراجع الجليد فى اوروبا والذى استمر حتى نهاية الاسرة الخامسة وقد تسببت امطار هذه الفترة التى غطت شمال السودان والنوبة والجزء الاكبر من صحراء مصر الى تزايد كمية المياه التى يحملها النيل - كما تسبب انتهاء امطار هذه الفترة فى تغيرات كبيرة ليس فقط فى كمية المياه التى يحملها النيل بل وفى تغير المناظر الطبيعية وفى نوعية الحيوانات والنباتات التى كانت تنقش على جدران المقابر فى مصر القديمة كما ادت الى نزوح اعداد غفيرة من بدو الصحارى الى مصر التى بدأت تظهر فى مصر بشكل واضح خلال الاسرة السادسة كما انتهى من الصحارى تلك النقوش الكثيرة التى كانت ترسم على الصخور .

أقوال معاصرة


نلسون مانديلا

● « قرار الافراج ليس منحة من أحد »

الزعيم الافريقي نلسون مانديلا

● «لابد من صياغة رؤية جديدة لمصر قبل ان يطردنا التاريخ

الكاتب محمد حسنين هيكل


محمد حسنين هيكل

● « تخلصنا تماما من الرقابة »

أرثر يارماكوف
سينمائي سوفييتي

● « نفر من الادباء السوفييت يرى ان الطريق الى استوكهلم يمر اولا بتل ابيب »

الاديب السورى حنا مينا

● «اعتقد ان قدماء المصريين كان لهم تاثير كبير على اليهود »

الاديب الامريكي نورمان ميللر

● «من الخطأ ان ترسم أمريكا سياستها على اسس وجود رجل واحد في الاتحاد السوفيتي »

هنرى كيسنجر
وزير خارجية الولايات المتحدة سابقا

هيلموت كول


● «حياد المانيا غير وارد »

هيلموت كول
مستشار المانيا الغربية

مكتبة الاسكندرية وإحياء تراث الانسانية

تراث الشرق والغرب في مكتبة واحدة !

بقلم : د. مفيد شهاب

● فجميع المكتبات القائمة فى مصر حاليا ، العامة منها والجامعية - لاتفى بمتطلبات البحث العلمى الجاد وسعيا وراء سد هذا القصور ، وضع مشروع إحياء مكتبة الاسكندرية القديمة موضع التنفيذ . ولاشك أن المشروع طموح ، ولكنه خطوة بالغة الأهمية فى الاتجاه الصحيح نحو الاستعداد للتعامل الإيجابى مع الثورة التكنولوجية دائمة التطور فى أرجاء العالم .

ولعل واحدا من أبرز معالم المعرفة الحديثة هو عالميتها ، فكثير من مجالات البحث العلمى وتطبيقاته تتخذ ابعادا تشمل الكون بأسره ، وان نظرة واحدة إلى محتويات عدد من اكبر مكتبات العالم لكافية لإظهار ذلك الجانب العلمى للمعرفة الحديثة ، ولكن صفة العالمية للمعرفة الإنسانية ليست حقا مقصورا على العالم الحديث . فلقد سبق أن تم إدراكها وممارستها بدرجة عالية من الشمول والاتساع فى الاسكندرية القديمة منذ أكثر من ألفى عام .

وما من شك فى أن مدينة الإسكندرية تعتز بأنها كانت مقرا لأكبر مكتبة عرفها العالم القديم . تمت أول محاولة إنسانية لتضم مكتبة واحدة تحتوى على كتابات جميع الشعوب ، ونظرا لموقعها المتميز على البحر المتوسط عند نقطة التقاء خطوط المواصلات والتجارة العالمية ، استطاعت هذه المدينة أن تحقق واحدا من أحلام الإسكندر الأكبر ، وهو أن تكون بوتقة تنصهر فيها أرقى الحضارات ، وهى حضارات اليونان ومصر والشرق الأدنى فليس غريبا إذن ، أن تطمح اسكندرية المستقبل إلى استعادة الدور الحضارى القديم ، وأن تعمل على تحقيقه عند هذا المنعطف الحاسم من تاريخنا الحديث .

● عروس المتوسط

نعود بالذاكرة إلى القرن الرابع قبل الميلاد ، يوم ان فتح الأسكندر مصر عام ٣٣٢ قبل الميلاد ، واقام الإسكندر إمبراطورية امتدت من مصر غربا إلى الهند شرقا ، وكان يريد أن يمزج بين حضارة الأغريق ، وحضارة الشرق ، والتى عرفت فى التاريخ القديم بالحضارة الهلينستية واختار فى مصر مكانا لمدينة

شرعت مصر خلال السنوات القليلة الماضية فى الاستعداد للحقبة التاريخية الجديدة ، التى تبدأ مع سنة ٢٠٠٠ فعقدت عدة مؤتمرات قومية ودولية ، لدراسة بعض مشاكلها الملحة مثل الإسكان والنمو العمرانى والتلوث ، والانفجار السكانى والتقدم العلمى وإصلاح نظم التعليم ونحوها ، كما قامت جامعة الإسكندرية من جانبها بالمشاركة فى هذا النشاط القومى ونظرت للموقف من وجهة نظر خاصة ، فرأت أن سرعة التقدم الهائلة فى مجال العلم والتكنولوجيا تمثل التحدى الحقيقى لقدرتنا على المشاركة الايجابية مع آفاق المعرفة الحديثة ، متابعة واستيعابا وإسهاما .

سمو الشيخ زايد والرئيس مبارك وميتران والسيدة سوزان مبارك والملكة نور جاءوا من اجل احياء مكتبة الاسكندرية



تحمل اسمه ، ولتكون عاصمة امبراطوريته ، وهى مدينة الاسكندرية التى خططها المهندس دينوكراتس ، وجاءت على شكل رقعة ، الشطرنج يحدها البحر المتوسط من الشمال ، وبحيرة مريوط من الجنوب ، وتتقاطع شوارعها مع بعضها عموديا

وقد توفى الاسكندر قبل استكمال المدينة ، والتى دفن بها . واستكمل بناء المدينة فى عهد بطليموس الثانى ، حيث استغرق بناء المدينة مدة تقارب الثمانين عاما .

وتتألف المدينة من خمسة أحياء كان

تراث الشرق والغرب في مكتبة واحدة

اهمها واجملها الحى الملكى أو البروكيوم ، وفى مواجهة هذا الحى وعلى صخرة مرتفعة شرقى جزيرة فاروس اقام بطليموس الثانى لهداية السفن ، منارة الاسكندرية احدى عجائب الدنيا السبع .

وكان الحى الملكى يشمل معبد السرابيوم وهو اسم مشتق من الاسمين اوزوريس وابيس .

● أول أكاديمية

وفى هذا الحى الملكى كانت الأكاديمية أو الموسيوم ، والتى شكلت مكتبة الأسكندرية جزءا منها ، وقد أنشأ بطليموس الأول الأكاديميـة والمكتبة بتصميم من ديمتريوس الفاليرى أحد تلاميذ الفيلسوف اليونانى ارسطو ، وكان المتحف أو الأكاديمية عبارة عن مركز ابحاث ، يشتمل على قاعات للمحاضرات وغرف للدراسة واروقة فسيحة بها اعمدة وقاعات مشتركة للطعام ، كما وجد مرصد فلكى وحديقة حيوان لإجراء بعض التجارب العلمية ، والحديقة التى خصصت لدراسة علم النبات وتضم الأكاديمية ، المكتبة والتى أصبحت سمعتها تفوق سمعة الأكاديمية .

● مكتبة الاسكندرية

ومكتبـة الاسكندريـة هى المكتبة الرئيسية والتى تشكل جزءا من الأكاديمية ، حيث توجد مكتبة اخرى ، عرفت بالمكتبة الصغرى وانشئت فى معبد سرابيس ... والمكتبة الكبيرة هى التى اسسها بطليموس الأول عام ٢٨٥ ق . م .

وتولى امرها مجموعة من الشعراء والعلماء الذين جاءوا إلى الاكاديمية ... أما مصادر الكتب وتزويد المكتبة بشكل منظم ، فقد عمل ملوك البطالمة على اثراء المكتبة بالكتب من شتى بقاع العالم ، وبوسائل متعددة ، واساليب يمكن ان توصف بالتعسف ، مثال ذلك أن بطليموس الثالث فرض على جميع المسافرين الذين يصلون الاسكندرية وبحوزتهم بعض الكتب تسليمها إلى المكتبة حتى تنسخ ، ثم يبقى على أصول الكتب بالمكتبة وتسلم النسخ المنسوخة لأصحابها .

وكان التزويد يتم عن طريق الشراء ، أو عن طريق مندوبى المكتبة المنتشرين فى آسيا واليونان .

● إحياء لمشروع ثقافى حضارى

واليوم ومن ارض عربية ـ اسوان ـ يأتى النداء للعالم للمشاركة فى احياء مكتبة الاسكندرية التى لعبت دورا أساسيا فى العالم القديم .. الدعوة لبناء المكتبة الجديدة لتقوم بنفس الدور فى عصرنا الحديث ، تثير فى العالم الماضى الحضارى المشترك للإنسان ، للوصول إلى صيغة حضارية أكثر عدلا وأكثر إنسانية .

وان الهدف المباشر فى انشاء مكتبة الاسكندرية الجديدة هو أن تكون مثل سابقتها القديمة ـ مكتبة عامة للبحث العلمى قادرة على أن تساعد المنطقة باسرها على استعادة سمعتها السابقة فى مجال البحث العلمى ، على أسس حديثة ، والعزم منعقد على أن المكتبة الجديدة سوف تحتوى فى النهاية على كل ماأنتجه

العقل البشرى ، فى أية صورة متاحة من شتى الحضارات واللغات . وسوف تزود بكافة الأجهزة والأدوات اللازمة للمكتبات الحديثة بالاضافة إلى هذا الهدف العام ، يعمل هذا المشروع على أن يكون للمكتبة ملامح خاصة بها تميزها عن غيرها من المكتبات الكبرى ، فسوف يكون هناك اهتمام خاص ، وعناية كبرى بالدراسات التى لها اتصال مباشر بالأسس التاريخية والجغرافية والثقافية للاسكندرية ومصر والشرق الأوسط فمن المتوقع أن تصبح مكتبة الأسكندرية الجديدة مركزا لكل الدراسات التى تهتم بالمنطقة بأسرها .

ويمكن تحقيق ذلك باتخاذ الخطوات التالية :

● الحصول على كل ماهو متاح على هيئة كتب أو دوريات أو مخطوطات مما له صلة بالتراث الثقافى والفكرى للبحر المتوسط والشرق الأوسط

● الحصول على الدراسات الخاصة بالحضارة المصرية فى جميع العصور وتجميع المنشورات البردية والنقوش الكتابية فى اللغات المختلفة والمصرية القديمة واليونانية واللاتينية والارامية والقبطية والعربية .

● الحصول على المخطوطات أو مصوراتها باللغات العربية والفارسية والتركية والعبرية والسريانية واللغات الشرقية الأخرى التى تقدم سجلا بالانجازات الفكرية للعالم الإسلامى .

● تكوين مجموعة خاصة بالدراسات الأفريقية

● الحصول على جميع الأعمال والدراسات المتعلقة بتاريخ العلوم والطب .

● الحصول على مكتبة شاملة بجميع انجازات الحركة العلمية الحديثة كما أنه من المناسب أن يلحق بالمكتبة متحف للعلوم .

● سوف يلحق بالمكتبة قاعة لعرض القبة السماوية مزودة بمتحف لعلم الخرائط وتاريخها .

● تخصص قاعة لعرض تاريخ الكتابة وأدواتها ووسائلها .

● إقامة مكتبة للاسطوانات والافلام ، ارشيف للصور وشرائح تصويرية للشخصيات والمعالم ذات الأهمية فى المنطقة .

● إقامة قاعة مشاهير الخالدين من رجال الفكر والعلم والتاريخ .

وسيتم تصميم المكتبة لكى تتسع فى سعتها القصوى لحوالى ٤ ملايين مجلد ، من كافة عناصر المعلومات المطبوعة او الالكترونية بأشكالها المختلفة فى الموضوعات التالية :

● الحضارة المصرية فى عصر البطالمة حتى العصر الحالى .

● التراث الاثرى فى العصور اليونانية والرومانية .

● التاريخ القبطى والدراسات القبطية والتراث الحضارى لقبطى فى مصر .

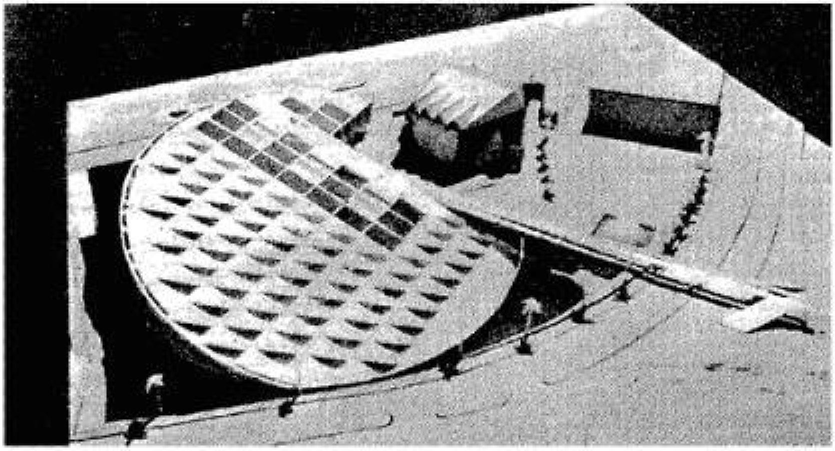
● تاريخ وحضارة الشرق الاوسط وحوض البحر المتوسط .

● الحضارة الاسلامية فى مصر والدراسات العربية والثقافية واللغوية .

● تاريخ العلوم والطب فى العالم القديم والقرون الوسطى .

● التاريخ الحديث والمعاصر لمنطقة البحر المتوسط .

● مجموعات عامة تهم عموم فئات السكان .



الحياة الثقافية والاجتماعية في الاسكندرية قبل ٤ آلاف سنة

كانت ارضها مرصوفة وشوارعها مضاءة ، وكانت لها شرطة تحمى اهلها ، وكانت تمد بالماء النقى ولكن الاسكندرية بالذات كانت تستمتع بنظام حديث لم يعهد له مثيل من قبل .

هذه هى مدينتنا الاسكندرية التى تسعى الى استعادة وجهها الحضارى الجميل والنضر من خلال ماكتبه وول ديورانت فى « قصة الحضارة » الذى يتحدث عنها قائلا ان المؤرخ استرابون قد وصفها فى القرن الاول بعد الميلادى بانها كانت تبلغ اكثر من ثلاثة اميال فى الطول وميلا فى العرض ، ويقدر بلينى طول اسوارها بخمسة عشر ميلا ، وقد اختط المدينة دنقراطس المهندس الروسى واستراتس النيرى على شكل مستطيل فى وسطه شارع رئيسى يبلغ عرضه مائة قدم يخترقها من الشرق الى الغرب ، ويقطعه شارع اخر فى مثل عرضه من الجنوب الى الشمال ، وكان هذان الشارعان الرئيسيان واكبر الظن ان شوارع غيرهما يضاءان ليلا وتظللهما اثناء النهار اميل من الاعمدة وكان الشريانان الرئيسيان السابق ذكرهما

يقسمان المدينة اربعة احياء ، ابعدها نحو الغرب حى ركوتس وكانت كثرة سكانه من المصريين وكان الحى الشمالى الشرقى حى اليهود والجنوبى الشرقى او البركيوم يحتوى على القصر الملكى ، واهم الهياكل اليونانية وكثير من الحدائق الفسيحة وكان لاحدى هذه الحدائق مدخل كبير . وكانت حديقة اخرى تحتوى على مجموعة الحيوانات الملكية .. وكان فى وسط المدينة مبانى الادارات والمخازن الحكومية ومدرسة الالعاب الرياضية والف حانوت وسوق .

وكان فى خارج الابواب الكبرى ملعب رياضى وميدان للسباق ومدرج ومقبرة عظيمة تعرف بمدينة الموتى ، وكانت تمتد على طول شاطىء البحر مقاصير للاستحمام والاصطياف . وكان يصل المدينة بجزيرة فاروس جسر يسمى الهستريوم وكان طوله يبلغ قرابة اربعة الاف قدم ، وكان المرفأ مرفأين . ويقع خلف المدينة بحيرة مريوط . وتستخدم مرافىء ومخارج السفن النيلية وفى هذه البحيرة كان البطالمة يحتفلون بقوارب التنزه ، ويقضون ساعات الراحة من عناء الاعمال .

وكان سكان الاسكندرية فى عام ٢٠٠٠ قبل الميلاد خليطا من اجناس مختلفة كما هى حال سكان العواصم فى هذه الايام .. وكانت عدتهم تتراوح بين أربعمائة الف وخمسمائة الف من المقدونيين واليونان ، والمصريين واليهود ، والفرس واهل الاناضول والعرب والزنوج . وزاد انتشار التجارة عدد افراد الطبقة الوسطى ـ الدنيا ، وملأ العاصمة المختلطة السكان بطائفة نشيطة وثرثارة متشاحنة من اصحاب الحوانيت والتجار لاتغفل لهم عين عن اقتناص اية فرصة لعقد الصفقات التجارية غير مراعين فى ذلك شرفا او امانة ، وكان على رأس هذه الطوائف السالفة الذكر المقدونيون واليونان . يعيشون عيشة بلغت من الترف حدا ادهش السفراء الرومان الذين عينوا فى بلاط ملوك مصر عام ٢٧٣ . ويذكر اثنيوس اصناف الاطعمة الشهية التى كانت تثقل موائد هؤلاء السادة ومعداتهم .

ويقول عنهم هيروداس ان الاسكندرية هى بيت افروديتى وان الانسان ليجد فيها كل شىء ثروة ، وملاعب وجيشا كبيرا وسماء صافية . ومعارض عامة وفلاسفة ومعادن ثمينة وشبانا ظرفاء وبيتا ملكيا طيبا ومجمعا للعلوم وخمرا لذيذة ونساء حسانا .

وكان شعراء الاسكندرية قد اخذوا يكشفون ما للعذارى من قيمة ادبية وسرعان ماجعلهن كتابها القصصيون موضوعا لكثير من قصصهم كما جعلوا سقوطهن خاتمة تنتهى بها هذه القصص غير ان المدينة قد اشتهرت بسماحة نسائها وبكثرة ماقيها من فتيات المتعة ، حتى لقد شكا بوليبيوس من ان اجمل البيوت الخاصة فى الاسكندرية تمتلكها العاهرات وكانت النساء من مختلف الطبقات يسرن بكامل حريتهن فى الشوارع ويبتعن حوائجهن من الحوانيت ويختلطن بالرجال وكان منهن اديبات وعالمات مشهورات . وكانت الملكات المقدونيات وسيدات بلاطهن من ارسينوئى زوجة بطليموس الثانى الى كليوباترة يقمن بدور هام فى الشئون السياسية ، ويقترفن جرائمهن خدمة للاغراض السياسية لا للحب ، ولكنهن قد احتفظن بما يكفى من الجمال والفتنة لاثارة الرجال لاعمال من الشهامة والبطولة

لامثيل لها من قبل فى عالم الشعر والنثر على الأقل ان لم يكن فى واقع الامر وقد ادخلن فى مجتمعات الاسكندرية عنصرا من الظرف والرشاقة النسوية لم يكن معروفا فى بلاد اليونان ايام مجدها .

ويؤكد وول ديورانت ان المصريين واليونان قد اعتادوا جميعا وحدة الدين والدولة ولم يكن يرضيهم استقلال اليهود الثقافى عن سائر البلاد يضاف الى هذا ان منافسة الصانع ورجل الاعمال اليهودى كانت ثقيلة الوطاة عليهم ولم يكونوا يطيقون نشاطه وصبره وحذقه ولما أخذت روما تستورد الحبوب من مصر ، كان تجار الاسكندرية اليهود هم الذين ينقلون هذه البضاعة فى اساطيلهم .

● وفى حديثه عن الوضع الاجتماعى فى الاسكندرية القديمة يؤكد الدكتور لطفى عبد الوهاب فى كتاب "تاريخ الاسكندرية" انه يمكن تقسيم سكان المدينة بوجه عام الى خمسة عناصر تمثل خمس طبقات من ناحية الوضع الاجتماعى فى المدينة اول هذه العناصر هم الاغريق الذين كانوا يتمتعون بالحقوق المترتبة على المواطنة الكاملة فى كل المجالات سواء منها السياسية او الادارية او الاجتماعية الى جانب تمتعهم بامتيازات اخرى مثل الاعفاء من اعمال السخرة ومن بعض الضرائب .

اما طبقة انصاف المواطنين فقد كانوا عادة من اليونان المقيمين بالاسكندرية ولكنهم لم يسجلوا بعد فى قوائم الاحياء التى كانت تنقسم اليها القبائل .

ولكن العنصر الثانى يمثل المقدونيين الذين يمثلون طبقة ممتازة من ناحية حقوقهم ، او وضعهم الاجتماعى حيث كانت هذه الطبقة تضم الرتب العسكرية العليا فى القوات الضاربة للبطالمة .

وقد شكل اليهود فى المدينة اعدادا كبيرة منذ بداية حكم البطالمة .

اما المصريون فقد كانوا عادة من اصحاب الحرف الصغيرة ، كما كان منهم من يعملون فى صفوف بعض كتائب الجيش وهؤلاء ظلوا فى مجموعهم محافظين على صبغتهم الوطنية بعيدا عن المؤثرات الاغريقية .. لم يكونوا يتمتعون رغم عددهم الكبير ، بحقوق المواطنة ، وان كان بعضهم مثل الكهنة القائمين على عبادة سرابيس قد وصلوا الى مركز اجتماعى ممتاز ، كما كان منهم كذلك من شغل بعض وظائف البلاط الملكى فى الشطر الاخير من حكم البطالمة .

وسط هذه السمات الاجتماعية والحركة الحضارية المتدفقة كانت مكتبة الاسكندرية تلعب دورها كمنارة للثقافة المعاصرة انذاك ترشد البشر الى التنوير والمعرفة مثلما ترشد اضواء منارة المدينة السفن العابرة الى الطريق الصحيح .

● قالوا عن مكتبة الاسكندرية

وكانت هذه اهم الاقوال عن مكتبة الاسكندرية ..



مكتبة الاسكندرية ـ لوحة جرافيك مرسومة فى القرن ١٩

● فنيكا الفيلسوف والشاعر الرومانى : عاش من ٤٠ قبل الميلاد حتى ٦٥ ميلادية من مقال بعنوان « راحة البال » مافائدة امتلاك كتب ومكتبات لا حصر لها لايستطيع اصحابها طوال سنين عمرهم سوى ان يقراوا بالكاد عناوينها .

لقد احترقت فى الاسكندرية مكتبة تضم اربعين الف كتاب فلم يمدح شخص اخر غيرى هذه المكتبة على انها انبل مبنى فى الممتلكات الملكية .

● يقول د . مصطفى العبادى فى كتابه « مكتبة الاسكندرية القديمة »

كان للانتاج الادبى والمسرحى فى الاسكندرية رواج كبير فى هذا العصر ولا نعرف مكتبة من المكتبات اكتسبت من الشهرة او شغل بامرها رجال الفكر والعلماء واهتم بمصيرها الدارسون والمثقفون عموما كما حدث لمكتبة الاسكندرية القديمة فلقد اعتبرها القدماء اكبر مكتبة فى العالم القديم على الاطلاق كانت مشعلا للحضارة ومعهدا للبحث والاساس الذى قامت عليه جامعة الاسكندرية القديمة وظلت كذلك طيلة سبعة قرون حملت فيها الاسكندرية لواء الثقافة العالمية فى ذلك الوقت .

● يقول : « الفرد هيسيل » فى بحثه «تاريخ المكتبات» كانت مصر مصدر مادة الكتابة القديمة على اوراق البردى وكان للمصريين انتاج وافر من الكتابات فى ميادين العلم والادب ولعل الكتابة لم تنتشر فى تلك الايام فى اى مكان كما انتشرت فى ارض النيل . وكان يوجد ايضا فى

مصر نظام ممتاز للمحفوظات والسجلات العامة يقوم عليها امناء كثيرون ولكننا لم نسمع شيئا عن وجود مكتبات يمكن ان تقارن بمكتبة الاسكندرية .

● نص إعلان أسوان عن مكتبة الاسكندرية

فى بداية القرن الثالث قبل الميلاد شهدت مدينة الاسكندرية القديمة التى كانت ملتقى للشعوب والثقافات .. انبثاق فكرة مشروع عظيم لبناء مكتبة تكون امتدادا لمدرسة ارسطو وتتحول فيها أحلام الاسكندر عن ارساء صرح امبراطوريته الى سعى حثيث من أجل الاحاطة بشتى جوانب المعرفة .

وعلى مشارف الالف الثالثة بعد الميلاد تعمل حكومة جمهورية مصر العربية تحت رعاية الرئيس محمد حسنى مبارك ، بالتعاون مع اليونسكو وبدعم مالى من برنامج الامم المتحدة للتنمية ومصادر اخرى عامة وخاصة عن احياء مكتبة الاسكندرية القديمة من خلال بعث التراث العالمى لهذه المكتبة فى اشكال حديثة .

ان مكتبة الاسكندرية ستقوم شاهدا على لحظة حاسمة فى تاريخ الفكر البشرى تتمثل فى محاولة تشييد صرح للمعرفة وتجميع كتابات شعوب العالم قاطبة . وستكون هذه المكتبة دليلا على مشروع فذ اصيل اصبح بفضل احتضانه للتجربة الانسانية بمختلف جوانبها منطلقا لروح جديدة قوامها التمحيص النقدى ، واساسا لتصور ارقى للمعرفة وركيزة لاكتساب المعرفة من خلال الجهود المتضافرة .

ان مكتبة الاسكندرية القديمة والمتحف الملحق بها قد بعثا حركة فكرية جديدة ، اذ ارسيا من خلال احتواء كل ما لدى الانسان من مصادر للمعرفة وتنظيم هذه المصادر لاغراض الدراسة والبحث العلمى ، الدعائم التى قام عليها المفهوم الحديث لمعاهد البحوث والجامعات .

ففى هذا الصرح العلمى المهيب ، ازدهرت الفنون والعلوم والبحوث طوال مايربو على ستة قرون من الزمان ، ذلك ان عملية تصنيف وتسفير قواعد الادب الكلاسيكية قد شحذت قريحة كاليماخوس الشعرية والهمت ثيوقريطوس اشعاره الرعوية ، كما ادت دراسة نظريات اعلام الفكر اليونانى بفضل ماشاع فى الاسكندرية من روح جديدة فى ميدان التمحيص النقدى والتجريبى الى تعمق افكار اساسية واحراز تقدم كبير فى المجالات العلمية المقترنة باسماء اقليدس ، وهيروفيلوس وايراطوستينيس واريستارخوس وبطليموس وستاربو وارشميدس وهيرون .

وقد كان للانجازات التى حققها العلم فى الاسكندرية والتى افتقدها الغرب طوال مايزيد على الف عام قبل ان يستعيدها جزئيا عن طريق القسطنطينية والثقافتين العربية والاسلامية دور فعال فى حث النهضة الاوروبية على استكشاف عوامل

جديدة . ان مكتبة الاسكندرية القديمة تبقى فى هذا الاطار وبوصفها وسيلة لنقل الحضارة اليونانية عموما . حلقة وصل حيوية فى سلسلة متصلة من التراث النابض بالحياة .

وستكون مكتبة الاسكندرية الجديدة بعد انشائها فى موقع قصر البطالسة القديم ، تعبيرا حديثا عن الجهود التى بذلها القدماء ، وقد تم اختيار تصميم عصرى رائع للمكتبة فى مسابقة معمارية دولية ، واعدت تصميمات تفصيلية للمكتبة ومرافقها التى ستضم احدث التطورات فى تكنولوجيا الحاسبات وستكون بمثابة مكتبة عامة للبحث وتقصى المعرفة وان هذه المؤسسة التى انبعثت فكرتها فى اطار العقد العالمى للتنمية الثقافية وصممت بفضل المساندة الدولية ستفتح ابوابها للباحثين القادمين لا من بلاد البحر المتوسط فحسب بل من شتى انحاء العالم ، اما مجموعاتها المتخصصة فسوف تتعلق بالحضارة المصرية وسائر حضارات الشرق الاوسط والحضارة اليونانية ونشوء المسيحية القبطية والتراث الاسلامى مع التركيز بوجه خاص على تاريخ العلم وعلى المصنفات التى كان يرجح وجودها فى المكتبة القديمة وسيتسع نشاط المكتبة فى مرحلة لاحقة ليشمل فروعا وتخصصات اخرى وفقا لرسالتها العالمية . وبذلك ستسهم فى تنمية المنطقة التى ستنشأ فيها فضلا عن تمكين شعوب العالم من الاطلاع على شئون تلك المنطقة وفهمها .

وستكون مكتبة الاسكندرية ـ بما تمثله من ارتباط بالماضى واستشراف للمستقبل ـ فريدة من نوعها بوصفها اول مكتبة بهذا الحجم يجرى تصميمها وتشييدها بدعم يقدمه المجتمع الدولى من خلال منظمة الامم المتحدة .

ونحن اعضاء اللجنة الدولية لاحياء مكتبة الاسكندرية القديمة ، التى تعقد دورتها الافتتاحية فى اسوان فى فبراير/ شباط ١٩٩٠ تحت رئاسة السيدة سوزان مبارك ، نتعهد بان نقدم اقصى ماتملك من دعم ومساندة لهذا المشروع ونؤكد لهذا الغرض النداء الذى وجهه المدير العام لليونسكو فى عام ١٩٨٧ .

ونناشد الحكومات والمنظمات الدولية الحكومية وغير الحكومية والمؤسسات العامة والخاصة ، ووكالات التمويل وامناء المكتبات والمحفوظات وشعوب العالم قاطبة ان يشاركوا من خلال تقديم المساهمات التطوعية بمختلف انواعها فى الجهود التى تبذلها الحكومة المصرية لإحياء مكتبة الاسكندرية وتكوين مجموعاتها وصونها وتدريب الموظفين اللازمين لها ، وتشغيلها وادارتها

ونناشد العلماء والكتاب والفنانين والمشتغلين بالاعلام عن طريق الكلمة والصورة ، ان يساعدوا على اثارة الاهتمام بالمشروع الدولى لاحياء مكتبة الاسكندرية وتوفير المساندة لهذا المشروع التاريخى .

واخيرا ، نهيب بجميع الحكومات ان تهدى مكتبة الاسكندرية مالديها من مصنفات من شانها ان تسهم فى تكوين مجموعات المكتبة وتعزيزها ، وذلك اعترافا منها بمكتبة الاسكندرية القديمة من فضل سابغ على تراثنا المشترك .

بقلم: د. شكري محمد عياد

القفز على الأشواك

يحيى حقي

في قصصه القصيرة

خرجت لجنة جائزة الملك فيصل الادبية هذا العام على مالوف عادتها ، فخصصتها للأعمال الابداعية بدلا من الدراسات الاكاديمية ، وحددتها بالقصة القصيرة فكان الفائز بها شيخنا يحيى حقى .. وهذا كله توفيق من أصحاب الجائزة وحكّامها .. لا اقول ذلك انكارا لقيمة الدراسات الاكاديمية ولا بخسا لاقدار من فازوا بهذه الجائزة من قبل ، فكلهم علماء اجلاء ، وبعضهم من اصحاب الصوت المسموع فى حياتنا الثقافية بوجه عام ، كالاستاذ محمود محمد شاكر ، والدكتور شوقى ضيف ، والدكتور عبدالقادر القط ، والدكتور احسان عباس ، والدكتور ناصر الدين الاسد ..

واذا كانت هذه اللجنة قد فاتها ، حين اقتصرت على البحث الادبى وتحقيق التراث ، ان تكرم عالما جليلا كالمرحوم الدكتور طه الحاجرى ، واذا كانت قد استبعدت دراسات ادبية مهمة لاسباب لا علاقة لها بالثقافة الحقة ، فتلك آفة الجوائز الادبية كلها ، (ولكل جائزة افة من جنسها !) .. انما الامر الذى بقى غائبا عن وعى اللجنة حتى هذا العام هو ان للجوائز الادبية بالذات صدى عند جمهور المثقفين ، وان هذا الجمهور يعنى بالاعمال الابداعية اضعاف عنايته بالدراسات الاكاديمية ، فاذا اقتصرت جائزة ما على الدراسة دون الابداع ضعف تاثيرها فى الجمهور ، ويطل ـ من ثم ـ الغرض منها .

فالابداع الادبى الجاد ـ وهو يضارع الابداع العلمى البحت فى صعوبته وقدرته ـ يحتاج الى التنويه به حتى يصل الى الجمهور العريض ، ويعادل ـ ولو الى حد ما ـ التاثير المفسد للادب الرخيص . والمبدع الادبى الجاد يتعفف ويكره أن يعرض نفسه فى السوق ، ويرضى ان يعيش عيش الكفاف ، ولكن القضية اجل خطرا من ان تكون تحية تهدى الى اديب منزو قانع ، يجد السعادة كل السعادة فى ممارسته لفنه دون انتظار لجزاء من احد .. انها قضية ثقافة الامة فى عصر



القفز على الأشواك

وسائل الاعلام الجماهيرية (الماس ميديا) التى لاهم لها الا وضع ابطال الكرة الكبيرة والصغيرة ونجوم الشاشة الكبيرة والصغيرة فى بؤرة اهتمام الناس .. ولا بأس بهذا كله (وليته يؤخذ دائما بالجد الواجب) ، ولا مفر ايضا من وجود ادب رخيص (معنى ومبنى) يحاول اصحابه ان يختطفوا قدرا من "النجومية" ولو قليلا بالقياس الى ما يحظى به نجوم الرياضة ونجوم التمثيل والغناء . ولكن الثقافة القومية لا تقوم بشيء من الاشياء ولا بها مجتمعة ولو بلغت الغاية من الاتقان فستظل دائما مادة هلامية لاقوام لها اذا خلت من عمودها الفقرى وهو الادب الرفيع .

اذا زهد المبدعون الحقيقيون فى الشهرة والمال فيجب ان يدفعوا اليهما دفعا حتى تظل قيم الثقافة الحقة قائمة فى بلادنا .. لهذا نحرص على ان تبقى الجوائز الادبية وان حرصنا دائما على التنبيه الى اخطائها .. انها الوسيلة الكبرى "لتسويق" الانتاج الرفيع .. وارجو الا تستنكر كلمة "التوسيق" فى هذا المقام .. فالانتاج الادبى يشتمل على كتب .. والكتب بضاعة تباع وتشترى ، وكل بضاعة تحتاج الى توسيق يناسبها .. والضجة العالية فى بلادنا على الخصوص ، ولو من حين الى حين ، امام صوت هادىء رزين ..

وجميل ان تمنح جائزة الملك فيصل للاستاذ يحيى حقى عن ابداعه فى القصة القصيرة ، وجميل ان اكتب عن هذه القصص التى انتشرت على مساحة أكثر من ستين عاما ، فهذه القصص ـ على قدر علمى ـ لم تدرس حتى الان دراسة نقدية شاملة "ولعل فى هذا بعض العزاء لكتّابنا الشبان والمكتهلين ، الذين يشكون ـ ولهم كل الحق ـ من اهمال النقد لاعمالهم" .

وجميل الا احتاج الى الكتابة عن "صح النوم" التى سمعت يحيى حقي يصفها بانها "وصيته الى الكتاب من بعده!" فقد تكفل بهذه المهمة صديقنا الاستاذ محمد روميش ، وهو ممن سمعوا وصية الاستاذ يحيى ، ولا ادرى أعملا بوصية الاستاذ ام تحللا منها كتب مقالة فى العدد الماضى عن "يحيى حقى وثورة يوليو ١٩٥٢" ، وان كان نقده اللماح المغلف بأدب شديد يدعونا الى ترجيح الاحتمال الثانى ، اما انا فلا اجد بدا من ان اقول لاستاذى الجليل ، بكل رفق ومحبة : ان "صح النوم" تجربة باهرة فى خداع النفس فالاحسن ان تنساها ، وانا لا اقول هذا من منظور خاص لثورة ٥٢ وقائدها (وهو على كل حال مختلف عن منظور الصديق محمد روميش) ولكن لان الفنان الكبير حين اراد ان يلبس الواقع ثوبا جميلا من التجريد ، ظلم الواقع (ولا اقول خانه) وجاء ثوبه التجريدى شفافا مهلهلا، لم ينجح فى اخفاء قبح الجسم الهزيل .

* * *

يحيى حقى مثال للفنان الذى لا يمكنه ـ حتى لو اراد ـ ان يخون فنه . وقد عرفه عامة المثقفين العرب من خلال مجموعته القصصية الاولى "قنديل ام هاشم" التى صدرت قبيل نهاية الحرب العالمية الثانية ، مع انه بدأ يكتب القصة وينشرها قبل اكثر من عشرين سنة ، اذ كان عضوا نشيطا فى تلك "المدرسة الحديثة" التى حدثنا عنها فى كتابه "فجر القصة

المصرية" .. ولكن يحيى حقى ظل يتجنب الشهرة ، وكأنه يخشى ان نغفل ابداعه ، فلم يهتم بنشر كتاباته القصصية والنقدية فى الصحف واسعة الانتشار (لا يزيد ما نشر له فى الاهرام واخبار اليوم عن خمس قصص) ، وكان يؤثر بها مجلات ثقافية مثل "الكتاب" او صحفا محدودة التوزيع نسبيا مثل "المساء" ، وذلك بعد ان استقرت مكانته الادبية - والاجتماعية ايضا - واصبح الوصول الى المنابر الكبرى هينا عليه .

والحق ان قصصه القليلة التى نشرت فى الاهرام واخبار اليوم تحمل الكثير من خصائص الكتابة الصحفية : المبالغة ، النهاية غير المتوقعة ، الدعابة الواضحة مع شىء من الفضح .. الخ .. ولا تحرص على التعمق فى التحليل او الوصف قصة "امرأة مسكينة" مثلا .. التى نشرت فى الاهرام ٢١ مارس ١٩٦١ .. (مجموعة "الفراش الشاغر" ج ١٩ من الاعمال الكاملة) ، تقدم صورة امرأة عادية الجمال ، يصاب زوجها بمرض عصبى يستلزم بقاءه فى المستشفى لمدة طويلة ، فتستغل عطف زملائه ورئيسه حتى تتولى عملا "يُخلق لها خلقا" فى الشركة التى يتبعها ، ثم لا تلبث ان تستقوى وتربط مدير الشركة بعلاقة معها . واقرب من ذلك الى الكتابة الصحفية قصة "عقرب افندى" «اخبار اليوم» ١٩٤٥/٧/٢١ ، مجموعة "ام العواجز" ج ١٠ من الاعمال الكاملة ، وهى صورة لمدرس شديد القسوة ، يظل تلميذه - راوى القصة - يذكره دون سائر معلميه ، ويتفق له ان يلتقى باحد زملاء الدراسة وقد اصبح طبيب اسنان ، فيروى له كيف انتقم من "عقرب افندى" . هذا حين لجأ اليه لعلاج اسنانه ، فخلعها له كلها وتعمد الا يحقنه بكمية كافية من المخدر .

هذا نوع من الكتابة جرّبه يحيى حقى فى مطلع حياته الادبية فى قصص مثل "فلة ، مشمش ، لولو" ، "محمد بك يزور عزبته" ، "عبدالتواب افندى" .. "السجان" ، "الوسائط يا افندم" الخزنة عليها حارس" "الفراش الشاغر" .. ج ١٩ من الاعمال الكاملة ، وهى قصص تعتمد على حادثة طريفة ، او شخصية فيها شىء ، من الشذوذ ، وكأنما هى "نادرة" تحكى بشىء من التطويل ، ولكن الشاب يحيى حقى جرب ايضا نوعا من الكتابة الجادة ، التى تقترب من الميلودراما ، "دبتيا .. فى الفراش الشاغر" ، او من الخواطر الحزينة المتشائمة "القلب المسموم" .، والموت

الشيخ شاكر ١



د . شوقى ضيف



د . عبدالقادر القط



والتفكير فى "الفراش الشاغر" .. كما جرب ان يكتب قصة الخيال والرعب على طريقة ادجار الان بو "السخرية او الرجل ذو الوجه الاسود" فى الفراش الشاغر ، وقد صرح بهذا التأثر فى سطر وضعه بين قوسين تحت عنوان "بعد قراءة ادجار الان بو" .. ولكننا نلاحظ ايضا ان اسلوبه الموغل فى الذاتية ، والذى يصور نفسا معذبة مضطربة ، يمكن ان يكون متأثرا بكتاب "الاعتراف" لعبد الرحمن شكرى .

ان هذه الاعمال المبكرة التى اعيد نشرها ضمن مجموعة الاعمال الكاملة تكشف عن البذور الاولى لفن يحيى حقى ، سواء منها ما كان راجعا الى مزاجه الشخصى او مستمدا من قراءاته الخاصة ، وماكان متأثرا بالمحيط الاجتماعى العام او الخاص .. ونعنى بالمحيط الاجتماعى الخاص تلك "المدرسة الحديثة" التى كان يحيي حقى اصغر اعضائها المعروفين لنا سنا .. لقد كان المحيط الادبى العام اقرب الى النزعة الرومنسية بينما كانت تلك المدرسة تدعو الى الواقعية .. يقول يحيى حقى عن تلك المدرسة انها "بقيت عند اسفل السلم لم تتجاوزه الى ما فوقه" فقد اقتصر اغلب انتاجها على الوصف الفوتوغرافى ، الاشخاص مرسومة من الخارج لا من الداخل ، لم تبد منها محاولة جادة ، تدل على ثقافة ذهنية وروحية ، لاعطاء تفسير او مغزى فلسفى للحادثة ، انها سريعة فى التقاط الحادثة ، سريعة فى تسجيلها على الورق فى شكل قصة قصيرة ، تكتب فى جلسة واحدة ، انها لم تعرف الاجترار ثم التخزين ثم التعبير بل النضج على نار حامية .. لا عجب ان "شاطت" الطبخة احيانا كثيرة ، والكاتب اما مغرق فى الخيال والافتعال ـ اذا لم يتخلص من لوثة النزعة الرومنسية ـ واما يضع اولا الهدف مفصلا له القصة على قده ، محاولا ما امكنه اقتباس حوادثها واوصافها من الواقع .. ومع ذلك فقد اقتصر اهتمامهم على الهموم المعاشية الارضية وتصوير العلاقات الاجتماعية بين الناس ، او وصف انماط شاذة مضحكة من البشر ، فلا تجد فى انتاجهم اثار القلق ازاء لغز الوجود وقدر الانسان والصراع بين الخير والشر ، وحاجة النفس الى الوصول للطهر فى محراب الجمال" ، (مقدمة "سخرية الناى" لمحمود طاهر لاشين ، طبعة الدار القومية ١٩٦٤) .

فى هذه الكلمات التى كتبها يحيى حقى بعد ان بلغ قمة نضجه الفنى ، تصوير لمسيرته هو ، بادئا بامشاج من الصور الواقعية السطحية والخيالات السوداوية المفزعة والاعترافات العاطفية المغرقة فى الكآبة والتأملات التى تتعلق باذيال الفلسفة ، ومنتهيا الى شاعرية مثقفة مرهفة تغوص فى اعماق النفس البشرية وتكشف مخبآتها فى دقة لا تعرف

د. احسان عباس



ناصر الدين الاسد



المراوغة ، ورفق لا مجال فيه للفضح او السخرية ، انما هي دعابة رقيقة ملؤها الحياء ، تمنع القارىء من الانغماس في الحدث حتى لا تغيب عنه دلالته .. لم يعد يحيى حقى يبحث عن الغريب والخيالي والشاذ ، ولكنه يجعل الخيال مطية الى اكتشاف كل ماهو غريب في طبائع البشر العاديين ، او من هم دون العاديين .. ومما تجب ملاحظته ان يحيى حقى سلك هذا الطريق الطويل الشاق بمفرده .. فقد كانت التغيرات التى طرأت على القصة القصيرة العربية خلال الاربعينيات والخمسينيات بعيدة عن النموذج الذى تخيله في تأملاته السابقة ، ولكنه استطاع بعد جهد ان يحقق فى فن القصة القصيرة مزج الخيال الشعرى بالدقة الشمولية والعمق الفلسفى ، واستطاع بهذا المزاج الجديد ان يعبُر من جيل الى جيل ، بل ان يصبح رائدا لجيلين بعده .

ولكى نحصل على لمحة اولى من هذا التقدم الوئيد الدءوب نقارن بين قصة من عصر التلمذة واخرى من قلم الاستاذ يجمع بين القصتين ان الابطال الحقيقيين في كلتيهما من الحيوانات الاليفة .. ويحيى حقى شديد العطف على الكائنات الضعيفة المهانة في هذه الدنيا .. انه عميق الاحساس بشقاء العالم الذى يحط به ، ولذلك فابطاله دائما ـ فى هذه المرحلة من انتاجه ـ صغار مأزومون او مهزومون ، وان كانوا فى اكثر الاحيان غير شاعرين بالهزيمة او الازمة .. انه يوحى الينا ، فى وقت واحد ، بقوة الحياة وقسوتها ، ويثير فى نفوسنا معنى اكبر من التألم او الاشفاق : معنى اقرب الى الخشوع امام لغز الوجود ، معنى فيه الكثير من روح التدين .

فى القصتين كلتيهما شعور باختلاف حظوظ هذه الحيوانات ، حسب اختلاف حظوظ اصحابها .. ففى القصة الاولى "فلة ، مشمش ، لولو" منزل ذو ثلاثة طوابق ، تقيم فى الطابق الاول سيدة تركية متقدمة فى السن ، لا تؤنس وحدتها الا قطتها الاليفة "فلة" وقد عودتها سيدتها الادب والنظافة ، فهى هادئة كسيدتها ، لا تألف غيرها ، تبادلها الحنان وتعكس شعورها بالقناعة والرضى . ويسكن الطابق الثانى موظف صغير مع زوجته واطفاله الثلاثة ، وهم بنتان وولد ، والولد ـ كما يجب ان نتوقع ـ مدلل لا يجرؤ احد فى البيت على اغضابه ، وله قط التقطه من الشارع وهو مثله مدلل فاسد ، لانه يحتمى به كلما ارتكب جريمة ما .. اما الطابق الثالث فغرفتان صغيرتان تقيم فيهما سيدة رومية مع زوجها الذى لا يكاد يراه احد ، فهو يخرج مبكرا ويعود عند منتصف الليل .. ولهذه السيدة بدورها كلب ضئيل ، له جرس صغير فى رقبته ، يصاحب نباحه النحيل بجلجلته كلما جرى نحو باب الشقة لشعوره بشخص قادم ، ولكنه لا يجرؤ على الخروج من هذا الباب ابدا .

تقوم هذه القصة على السرد والوصف ، يتخللها حوار قليل .. والحادثة التى تجمع اطرافها الثلاثة هى ان مشمش خطف احد صغار فلة ولم يستطع احد منعه من افتراسه .. فالقصة اذن تعرض من خلال علاقة الانسان بالحيوان شخصيات ، او بالاحرى نماذج متباينة ، ترسم لنا سلوكها الظاهر بكثير من الدقة ، ولكنها لا تتعمق تلك العلاقات ، ولذلك فقد تنجح فى رسم ابتسامة على فم القارىء ، ولكنها لا تترك اثرا يبقى فى وعيه ووجدانه

اما القصة الثانية "عنتر وجولييت" فقد عنون بها يحيى حقى إحدى مجموعاته ، وكتب مقدمة للمجموعة هى فى الواقع مقدمة لهذه القصة بالذات . يستشهد يحيى حقى بنص طويل من "الدكتور زيفاجو" لبوريس باسترناك "وقد اشترك يحيى حقي مع اخرين فى ترجمتها" ، وصف فيه ذلك الكاتب الروسى – وهو شاعر قبل ان يكون روائيا – كيف كان بطله ينظم ما تضمنته الرواية من شعر واهم ما فى هذا النص هو تأكيد فضيلة الايجاز اى حذف فضول الكلام والاعتماد على الايحاء اكثر من الاشارة الصريحة .. يعلق يحيى حقى على هذا النص قائلا : "هذا هو الاسلوب الذى اومن به ، ولا أكف عن الحض عليه ، وسيجد الكاتب فى هذه المجموعة قصة "عنتر وجولييت" مكتوبة على نحو جديد حاولت فيه ان اكسر ما امكن من مطالب السرد حتى تتحرر الفكرة من سيطرة التركيب اللغوى ، وعسى الا يكون الحكم على هذه التقليعة الجديدة انها تقليد مفضوح للشعر المنثور .."

ان قيمة هذه التجربة ترجع اولا الى كونها تجربة ، فليس من المألوف ان يجرب كاتب اسلوبا جديدا حين يكون قد ناهز الستين او تجاوزها ، ولا سيما اذا انطوت هذه التجربة على نوع من التدريب القاسى يأخذ به الكاتب نفسه ليحقق ما يراه المثل الاعلى فى الكتابة .. ولكنها فى الحقيقة لا تعد طفرة فى اسلوب يحيى حقى .. وليس فى مقدور احد ان يحرر الفكرة من التركيب اللغوى ولا ان يحرر القصة من السرد .. ان التجديد الذى حاوله يحيى حقى فى هذه القصة ينحصر فى الاعتماد على وحدة الجملة بدلا من وحدة الفقرة ، فهو يفرد الجملة بسطر ، واحيانا يقسمها على سطرين (ولهذا لم يبعد حين اشار الى شبه هذا الاسلوب بالشعر المنثور .. اما السرد فباق فى القصة كعهدنا به ، لولا ان الكاتب يدخل ضمير المتكلم فى ثنايا القصة بعد ان يكون قد بدأها بضمير الغائب ، فكأنه يعطى القاص حقا خصصته التقاليد الادبية للشاعر .. والى جانب السرد هناك وصف كثير ، اما الحوار فيكاد يكون معدوما .. ولكن خاصية السرد والوصف فى هذه القصة هى انهما انطباعيان ، يعبران فى آن واحد عن الواقعة ومعناها فى وعى الشخصية وانعكاس هذا المعنى فى شعور الراوى .. والمقابلة الانسانية والاجتماعية بين الست كوكب "الفقيرة كثيرة العيال" وكلبها عنتر من ناحية ، وبين اجلال هانم "الغنية العاقر" وكلبتها جولييت من ناحية اخرى تعبر عن نفسية الكاتب التى تهش لنقاء الفطرة ورحابتها وتنقبض من التصنع الاجوف ..

الفرق بين القصتين اذاً – ويمكن اعتباره مثالا للتطور فى فن يحيى حقى – لا يكمن فى تحرير اللغة من السرد بل فى ان رؤية الكاتب لم تعد تقف عند الاشكال الخارجية ، مكتفية بدلالتها المتعارفة عند الجميع ، بل اصبحت رؤية خاصة تمزج الظاهر بالباطن ..

فى القصة الاولى يصف الكاتب معاملة السيدة التركية لقطتها على النحو التالى :

تتوسد قلة المقاعد وتنام معظم النهار وتسهر الليل ، واصبحت عند سرتديل هانم كاولاد الذوات من حيث التنعم وظهور

نتائج التربية الصحيحة ، فهى لا تعرف باب البيت ولا تتخطاه ، لانها ليست كقطط الحوارى الذين لا مأوى لهم ولا مسكن ، وقلما تدخل فى عراك مع قطط اخرى .

لذلك فهى قطة أليفة لا تعرف من العالم سوى سيدتها . فتراها ـ اذا جلست سرتديل هانم ـ تأتى اليها وتضع رجليها الاماميتين على ركبتها ، وتمد بفمها الى فم سرتديل هانم ، ثم تمسح رأسها على ذقنها مرة واخرى . هل تبحث عن قبلة ؟ وهل تعرف القطط القبل ايضا ؟ فتمر سرتديل هانم بيدها على ظهرها مرة اخرى ، وتكلمها برقة فتموء القطة وتعتمد على ركبتها وتظل تلعب بذيلها جذلة فرحة .. "الاعمال الكاملة ج ١٩ ص ٥ ـ ١٩" .

هذا وصف دقيق ، وفيه تعبير دقيق عن الالفة بين القطة وصاحبتها ، ولكنه لا ينبىء عن شىء اكثر من ذلك ، واذا قورن بوصف جوليت بين يدى اجلال هانم تبين المدى الذى بلغه الكاتب فى اغناء الوصف الخارجى بالدلالات الانسانية العميقة ..

جوليت تعرف كثيرا من الالعاب .
تقف على ساقيها وتهز يديها .
اذا امرتها اجلال هانم ان تقفز لحجرها اطاعت
أن تنزل عن المقعد فورا .
لم تتلكأ .
تذكرنى بكلاب السيرك .

بعض حيوانات السيرك لا يبرع فى اداء ادواره الا بعد ان يصيبه على يد مدربه اشد العذاب .. من تجويع ، وضرب ، وكى ، وخلع اضراس .
اذا كانت جوليت لم تضرب ابدا فان الضرب عندها كان اهون من صراخ اجلال هانم .. (الاعمال الكاملة ، ج ١٣ ، ص ١٠٨ ـ ١٢٦) ، وقد تكون الحادثة فى "عنتر وجوليت" اهون منها فى "فلة . مشمش . لولو" فهى لا تعدو ان عربة الكلاب التقطت الكلبين من الطريق ، فاصبحا جارين حقا لاول مرة .. ولكن الحظوظ التى جمعت بينهما فى السجن لم تلبث ان فرقت بينهما فى الاطلاق ، فاجلال هانم ابت ان تنام الا بعد ان تسترد كلبتها ، فبقى محجر الكلاب مفتوحا بعد الدوام الرسمى الى ان تسلمتها ، اما الست كوكب فبعد طواف طويل بالشوارع وسؤال مثابر للجيران علمت انها لن تسترد عنتر الا اذا دفعت الغرامة ومقدارها جنيهان او ثلاثة ، وهى لا تملك هذا المبلغ ولا تعرف كيف يمكنها الحصول عليه .. ولكن هذه الحادثة التى تبدو تافهة فى حد ذاتها تعمق شعورنا بالمفارقات الانسانية والاجتماعية ، التى تجعل الحياة صعبة وشائقة فى جانب وسهلة وخاوية فى الجانب الاخر .

الفارق الزمنى بين القصتين تسعة وعشرون عاما .. اعتمادا على تاريخ النشر (١٩٢٦ و ١٩٥٥) ، لم يكف يحيى يحقى خلالها عن التجربة ، ولم يكف بعدها عن التجربة ايضا .. وقد تمخضت هذه التجارب عن اعمال باهرة قد لا يكفى لتأملها واغراء القارىء بها مقال او مقالان .. هنا عطاء سخى لا يقتصر على التجديد فى الشكل بل يقدم ـ من خلال الشكل الجديد وبواسطته ـ رؤية فنية عميقة للوجود والمصير ..

فإلى لقاء

الخرافة في

بقلم : د. سعيد اسماعيل على

فى حوار علمى بينى وبين مجموعة من الطلاب ، كان الحديث يدور حول التوجيهات العامة الحالية فى التفكير عند شبابنا وخاصة فى الجامعات ، فاذا بواحد من الباحثين طلاب الماجستير يقول انه يشعر بكثير من الأسى لما اسماه بـ (الرّدة العقلية) التى لاحظها على شباب جامعاتنا ، فلما استفسرته عما يقصده بذلك اجاب بانه يقصد شيوع الغيبيات والتفكير الغيبى بينهم ، فى عصر ، المفروض فيه ، انه ذو نهج علمى جعله يحدث تفجرا معرفيا وثورة علمية تكنولوجية اتت بنتائج تجاوزت فى بعض الأحيان احلام وخيالات المفكرين والفلاسفة .

إن هذا القول يعكس خطأ فى التعبير يقع فيه البعض بحسن نية ، اذ يقصدون فى أغلب الأحوال ما يسمى بـ (التفكيـر الخـرافى) و (الخرافات) بحديثهم عن (التفكير الغيبى) و (الغيبيات) ، وهو الأمر الذى يستلزم ايضاحا للفروق ورسما للحدود حتى لاتختلط الاوراق ، ويقع هؤلاء فى المحظور .

إن الايمان (بالغيب) شرط أساسى من شروط الإيمان فى العقيدة الاسلامية ، وتبلغ أهميته الحد الذى صورته الآيات الاولى من سورة البقرة ، حيث قال عز وجل : "ألم . ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين . الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون) الآيات : ١ ـ ٣ ، والإيمان بالغيب هنا كما يقول صاحب تفسير المنار "هو الاعتقاد بموجود وراء المحسوس" "وشرح ذلك يأتى فى الآية الرابعة : "والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون" فالغيب هنا يتعلق بالايمان بالله وبما أنزله على رسله والايمان بوجود عالم آخر .

الحديث عن الايمان بالغيب اذن هو حديث عن الايمان فى النطاق الدينى الالهى ، لكن الحديث عن الخرافة والتفكير الخرافى ، فهو ينصب على نهج معين فى الحياة البشرية يتعلق بالربط غير المنطقى وغير العلمى بين ظاهرتين او أكثر كالقول ـ مثلا ـ بأن زيارة ضريح من أضرحة الأولياء من قبل سيدة عاقر يمكن ان يزيل

التاريخ المصرى!



الدكتور محمد القصاص

عنها العقم فتحمل وتلد ، فظاهرة الحمل والولادة لها متطلباتها وشروطها وأسبابها التى ليس من بينها على وجه الاطلاق ، زيارة ضريح فلان او حمل تميمة او حجاب .

● معجزات الانبياء

ولاشك ان حياة الانبياء والرسل تروى العديد من الأمثلة التى تظهر إمكان اقتران بين ظاهرتين ليس بينهما إرتباط سببى ، فوجود ابراهيم عليه السلام فى نار ، ومع ذلك فانه لايحترق ، واقعة تتنافى مع التفسير العلمى الذى يوجب احتراق الجسم البشرى اذا وضع فى النار ، وهكذا الشأن بالنسبة لما كان يقوم به السيد المسيح عليه السلام من معجزات ، ومسألة الاسراء والمعراج بالنسبة للنبى محمد صلى الله عليه وسلم . لكن هذا كله لايمكن ان يدخل فى باب (التفكير الخرافى) ، لأننا هنا نخرج من النطاق البشرى الى النطاق الالهى ، فالمجال البشرى تحكمه سنن وقواعد ، يستحيل ان تكون هى نفسها التى تحكم الفعل الالهى ، ومن هنا فاذا اعتقد واحد من الناس انه يمكن أن يضع نفسه فى نار ثم لايحترق ، فاننا نصف هذا بأنه تفكير خرافى ، لكنه عندما يجىء رواية عن نبى او رسول ، يكون (غيبا) لابد من الايمان به ، هذا طبعا بالنسبة للمؤمنين بوجود الله .

والتفكير الخرافى سمة من سمات (البدائية) حيث يكون التطور العلمى والمعرفى عند أدنى مستوياته ، اذ يكون الانسان جاهلا بما بين الظواهر من علاقات ، وتعوزه الادوات التى تمكنه من ثمّ بالتحكم فى هذه الظواهر وتسخيرها لصالحه . والانسان فى حالة العجز هذه ، يمتد بخياله الى تصور (قوة) غير مرئية تعاديه عن طريق هذه الظواهر اذا كانت مضرة ، فيسعى الى محاولة استرضائها بتقديم القرابين والهدايا . وترتب على هذا ظهور (طائفة) من (المنتفعين) الذين لعبوا دور الوسطاء بين الناس وبين هذه القوى فيحصلون على (سلطة)

الخرافة فى

ويحصلون على (مال) يجعل منهم طبقة متميزة .

وللعالم الفرنسي (ليفي بريل) كتاب ضخم هام ترجمه الدكتور محمد القصاص بعنوان : (العقلية البدائية) - بدون تاريخ - يشتمل على العديد من المظاهر والحالات التى صورت طريقة التفكير عند مجموعات بشرية متخلفة غاية التخلف ، وكيف ان هذه الطريقة قد افتقدت العديد من شروط التفكير العقلى المنطقى ، وقد لاحظ بريل ان الفروق التى تميز العقلية البدائية وعقلية الجماعات المتحضرة عديدة جدا ولكن فرقا واحدا من بينها هو الذى استرعى انتباه عدد كبير من الباحثين الذين توفروا على دراسة الجماعات البدائية فى خير الظروف الملائمة لهذا البحث ، أى قبل ان يؤثر فيها الاحتكاك الطويل بالاوربيين ، فقد لاحظ هؤلاء الباحثون ان البدائيين ينفرون أشد النفور من الاستدلال العقلى ، ومما يسميه المناطقة بالعمليات المنطقية للتفكير ، كما لاحظوا أيضا ان هذا النفور لايرجع الى قصور أصيل أو عجز طبيعى فى إدراكهم ، بل بالأحرى الى مجموعة العادات العقلية التى درجوا عليها ، أى الى طريقتهم فى التفكير .

وإذا رأى العقل البدائى نفسه أمام شىء يهمه أو يقلقه او يخيفه ، فانه لايسلك تجاهه نفس المسلك الذى يسلكه عقلنا ، بل يسير على الفور فى طريق مختلف عن طريقنا ، وذلك لأن حسنا الدائم بوجود الضمان العقلى قد بلغ درجة

النيل .. ومقياس النيل



من الاستقرار لاتجعلنا نتوهم امكان اختلاله . فاذا فرضنا ان ظاهرة لانعرفها قد ظهرت أمامنا بصورة مفاجئة وأن اسبابها تخفى علينا فى بادىء الامر لخفاء تاما ، فان ذلك يزلزل اقتناعنا بان جهلنا أمر مؤقت وان هذه الاسباب موجودة بالفعل ويمكن اكتشافها ان عاجلا ام آجلا . وهكذا يمكننا ان نجزم بأن الطبيعة قد أصبحت فى الوسط الذى نحيا فيه موضوعا للتأمل منذ البداية ، وأنها نظام وعلة كالعقل الذى يفكر فيها ويجول فى مضمارها . ويشير نشاطنا اليومى فى اتفه تفاصيله الى ثقتنا التامة فى عدم قابلية القوانين الطبيعية للتفاوت . (العقلية البدائية ، صـ ٢١) .

أما مسلك العقلية البدائية فمختلف عن ذلك المسلك كل الاختلاف ، لأن الطبيعة التى تعيش فى أحضانها تمثل أمامها فى مظهر مختلف تمام الاختلاف . فجميع الأشياء والكائنات التى تتضمنها متشابكة مختلطة بأمور خفية . ومن هذا التشابك يتكون بناؤها ونظامها ، وهوالذى يبدأ بالظهور أمام انتباه البدائى ويستوقفه ، فاذا استرعت اهتمامه احدى الظواهر ولم يقتصر على ادراكها بطريقة سلبية خالية من رد الفعل ، اتجه ذهنه فورا وبما يشبه ان يكون حركة عقلية عكسية الى وجود قوة خفية غير مرئية ، وجعل تلك الظاهرة مظهرا من مظاهرها .

● اسباب للتخلف

والدارس للتاريخ المصرى وخاصة فى أواخر العهد المملوكى وأيضا العهد العثمانى ، يستطيع ان يلمس ، كيف أدت قسوة الظروف الاقتصادية ، والتخلف الصارخ فى كثير من جوانب الحياة المجتمعية والقهر والظلم والاستبداد الذى أحاط بجموع المصريين فى صباحهم وفى مسائهم من قبل حكام الفترة ومن قبل الفئات المستغلة المتعاونة مع القوى الحاكمة المستفيدة منها .. كل هذا ادى الى ان يشعر كثير من المصريين بحالة من العجز الفعلى أمام المحن المحيطة وفراغ اليد من المقومات الاساسية التى تمكنهم من مواجهتها ، فوقع منهم من وقع فريسة للتفكير الخرافى حيث يتوهم ان ما عجز عن تحقيقه فى عالم الواقع يمكن ان يتحقق (بمعجزة) عن طريق هذا او ذاك من (المنتفعين) بانتشار هذا الوباء العقلى المفزع .

وليس شيوع ظواهر القهر والاستبداد والفقر هى وحدها المكونة للتربة التى ينمو فيها التفكير الخرافى ، فقد لايكون هناك قهر واستبداد أو فقر ، لكن يشيع الجهل وتخبو انوار المعرفة وتذبل براعم الفكر ، فها هنا ايضا يجد هذا الميكروب العقلى فرصة لاتعوض للتكاثر والانتشار ، وأمامنا فى كتابات المؤرخين لتاريخ مصر كم كبير من المظاهر والأمثلة الدالة ، ومن ابرز هذه الكتابات الكتاب الهام لابن إياس المسمى (بدائع الزهور فى وقائع الدهور) ، طبعة الشعب ، القاهرة ، ١٩٦٠ ، المختصرة الى حد ما :

فقد نقل ابن اياس عن جامع السيرة الطولونية قوله :

"كان بمدينة عين شمس ... صنم من الكذان الأبيض على قدر خلقة الانسان

المعتدل ، وكان محكم الصناعة يكاد ان ينطق ، فقصد الأمير أحمد ان ينظر اليه ، فنهاه عن ذلك بعض الكهان وقال له : أيها الأمير لاتنظر الى هذا الصنم فما نظر اليه أحد من ولاة مصر الا عزل عنها فى سنته ، فلم ينته الامير أحمد عن ذلك وركب وتوجه الى مدينة عين شمس ، ولم يزل حتى رأى ذلك الصنم ، فأمر باحضار القطاعين فكسروه قطعا ولم يبق له اثر . فلما رجع الأمير أحمد الى داره ، لم يقم بعد ذلك سوى عشرة أشهر ، ثم مرض وتسلسل فى المرض ، فاضطربت مصر بسبب مرضه وخرج الناس قاطبة الى الصحارى وفعلوا مثل ما يفعلون فى الاستسقاء ، فخرج الناس حفاة وعلى رءوسهم المصاحف ، وخرج اليهود وعلى رءوسهم التوراة ، وخرج النصارى وعلى رءوسهم الاناجيل ، وخرج الأطفال من المكاتب وعلى رءوسهم الألواح ، وخرج سائر العلماء والصلحاء وهم يدعون الله تعالى له بالعافية والشفاء .

لكن ابن طولون استمر فى المرض حتى مات سنة ٢٦٩ هـ فكأن المرض هنا المؤدى للوفاة لم يكن لعلة ميكروبية ، وانما لقوة خفية فى هذا (الصنم) الذى نرجح ان يكون أحد التماثيل الفرعونية وخاصة فى منطقة عين شمس والمطرية . ويبدو ان المسألة لاتقف عند حد (المستوى المعرفى) القائم ، فنحن قد قرأنا عن غربيين على درجة عالية من التعليم ، ومع ذلك فقد اعتقدوا بصحة ما قيل عما سمى بـ (لعنة الفراعنة) التى يبدو ان ابن طولون قد اصيب بها .

ومن العجيب انه فى فترة الانتصار والعزة التى تبدت فى عهد صلاح الدين الايوبى ، ان يروى مؤرخون عن حوادث تنطق بالخرافة الصارخة مما يدل على ضعف التدقيق والتحقق من قبل المؤرخ الذى يروى مثل هذا ، وان كنا لانستطيع ان نخصه هو باللوم ، اذ يبدو ان (مستوى التفكير) كان يقبل مثل هذا ولا يرى فيه غرابة

● خوارق فى الماضى والحاضر

فمن ذلك ما نقله ابن اياس عن (المسبحى) انه بعد رحيل الافرنج عن دمياط توجه صلاح الدين الى الشام فأقام بها مدة . قيل ، لما دخل صلاح الدين الى دمشق ، نزل بالميدان الكبير فجاءت اليه ارباب الملاعب من المصارعين والمتآنقين وغير ذلك ، وكان فيما جاء اليه رجل أعجمى فتكلم معه بأن يريه أعجوبة فى صنعة الشعوذة فأذن له فى ذلك ، فنصب خيمة فى الميدان بين يدى السلطان صلاح الدين وأخرج من كمه (كبة خيط) فربط طرف ذلك فى يده ، ثم حذف تلك الكبة الخيط فى الهواء ثم تعلق بها وصعد حتى غاب عن الأبصار ، ثم سقطت بين الناس احدى رجليه وصارت تزحف على الارض حتى دخلت الى الخيمة ، ثم سقطت احدى يديه ودخلت الى الخيمة ، ثم سقطت اليد الأخرى ودخلت الى الخيمة . ولم تزل أعضاؤه تتساقط عضوا بعد عضو حتى سقط الرأس وصار يزحف على الارض حتى دخل الخيمة ثم بعد ساعة خرج ذلك الرجل وهو سوى كما كان يمشى على أقدامه فقبل الارض بين يدى الملك الناصر ... فبهت الناس من ذلك . ثم ان الرجل دخل الخيمة ثانية امام الناس

فقال رفيقه للحاضرين : ادخلوا الخيمة فتشوا فيها ، فدخلوا الخيمة وفتشوا فيها فلم يجدوا أحداً ، ثم فكوا الخيمة ونصبوها فى مكان آخر فخرج منها ذلك الرجل وهو يمشى على قدميه كما دخل !!

صحيح ان شيئا مثل هذا ـ والقياس مع الفارق ـ نشاهده فى ايامنا هذه فى بعض البرامج التى تعرض بالتليفزيون ، لكننا مهما بلغنا من درجات الدهشة ، نفسره دائما بانه (خفة يد) لكن الامر كان يختلف فى تلك الحقب حيث كان الناس يفسرون ما يحدث ، بامتلاك هذا الشخص وذاك قدرة خارقة تتيح له ان يخرق سنن الطبيعة ونواميسها ، ولايرون ذلك يتنافى مع العقيدة الدينية التى تجعل القدرة الالهية وحدها هى التى لها الفعل على غير هذه السنن والنواميس .

واذا كان (الدعاء) معروف فى الاسلام ، بل ومأمور المسلم به ، لكن كثيرا من الناس قد أساءت استخدامه ، اذ فهمت انه يمكن أن يؤدى الى تحقيق المراد من غير اتخاذ الاسباب المرتبطة ارتباطا علميا بنتائجها ، كمن يتصور من الطلاب ، امكان النجاح فى الامتحان بمجرد الدعاء الى الله بدون بذل الجهد فى التحصيل والتعلم ، فهذه صورة اخرى من (الخرافة) لأنها تنسب لمجرد الكلام ، قدرة على تغيير الواقع ، وخاصة عندما يكون كلاما لايخرج عن حدود التلفظ به او كتابته .

ومن هنا فقد رأينا فى مناسبات عدة ، أمراضا وأوبئة خطيرة تهجم على الناس



الجبرتي

فى مصر ، وتحصد فيهم حصدا ، فلا يجدون ما يمكن ان يواجهوا به هذا الا مجرد الدعاء ، ومن ذلك ما جاء فى حوادث عام ١٣٤٨م ـ ٧٤٩هـ ايام الملك الناصر ابو المحاسن ، وهو السابع من اولاد الملك الناصر محمد بن قلاوون ، ذلك "ان الفناء وقع بالديار المصرية وعم سائر البلاد ، فكان يخرج من القاهرة فى كل يوم ما ينوف عن عشرين الف جنازة . وقد ضبط فى شهر شعبان ورمضان فبلغ عدة من مات فيهما من الناس ، فكان تسعمائة الف انسان .

واذا كان القارىء قد لايصدق مثل هذه الأرقام الا انه سيتخلى عن شكه اذا أضفنا الى معلوماته ان هذا الوباء سمى بـ (الموت الاسود) الذى اجتاح المعمورة فى منتصف القرن الرابع عشر للميلاد . وقد بدأ فى أواسط آسيا ، ثم انتقل الى شبه جزيرة القرم ، ومنها نقلته

الخرافة في

احدى السفن الى جنوا وسائر انحاء اوروبا . وانتقل من ارمينيا الى انجلترا عام ١٣٤٨ ، فقضى على نصف سكانها وقضى في الصين على ثلاثة عشر مليونا .

وهجوم ضار مثل هذا الهجوم المرضى ، لم يكن لأحد قدرة بطبيعة الحال على مواجهته ، فماذا كان العمل ؟

قيل : لما زاد أمر هذا الطاعون بالديار المصرية ، أمر بعض العلماء بأن الناس يخرجون قاطبة الى الدعاء برفعه ، فخرج الناس قاطبة الى الصحراء وفعلوا كما يفعلون في الاستسقاء ، فلم يفد ذلك شيئا ، بل زاد أمر الطاعون حتى عم سائر البلاد ودخل الى مكة ، ولم يعهد هذا قط في سوى هذه السنة ... "نقل ذلك ابن حجر في كتاب" (بذل الماعون في أخبار الطاعون) .

الجامع الأزهر



وتدفع وفاة تيمور لنك الخيال العام الى تصور أمور انما تعكس في جملتها مدى الكراهية التي كان المصريون يكنونها له ، ففي سنة ٨٠٤هـ ـ ١٤٠١/١٤٠٢م ، وان ذكر البعض انه مات عام ٨٠٧هـ ، تجيء الانباء بمرض تيمور لنك بمرض خطير لايشفى منه تمثل في "حمرة" طلعت في جسده ، فمات فيعلق القاضي تقي الدين المقريزي محتسب القاهرة في ذلك الوقت " وعجل الله بروحه الى النار" كما قد قيل :

زبانية النيران تكره وجهه
ومنه استعاذت مذ رأته جهنم

وتتعدد القصص والروايات حتى لقد نقل ابن اياس انه قيل انه لما دفن كان يسمع عواء في قبره مثل عواء الكلاب . وقد قال بعض السواح انه شاهد الدخان يطلع من قبره . وقيل انه لما دفن لم تقبله الارض ، فصنعوا له صندوقا من الخشب ووضعوه فيه وعلقوه بين السماء والارض !!

ونحن نذكر منذ عامين تقريبا كيف كنا نتتبع مقياس النيل بكل خوف وهلع حيث كان في انخفاض مستمر ، رغم ما بلغناه في العصر الحاضر من مظاهر التطور والضبط العلمي وتعديد مصادر الثروة ، فما بالنا بمشاعر المصريين في قرون سابقة حيث الاعتماد الرئيسي على الزراعة وحدها وبالتالي على النيل ؟ ففي سنة ٨٦٦هـ ـ ١٤٦١/١٤٦٢م انحسر النيل انحسارا شديدا "وحصل للناس الضرر الشامل لقلة الزيادة .." ، فماذا كان رد الفعل الرسمي .

ورسم السلطان للقضاة الاربعة

والمشايخ والعلماء بأن يتوجهوا الى المقياس ، ويبيتوا به ويتلوا هناك القرآن والحديث الشريف ويدعوا الله تعالى بزيادة النيل . فتوجه القاضى يحيى المناوى والسيد الشريف بن حريز المالكى وجماعة من العلماء فأقاموا فى المقياس اياما ورجعوا ولم يزد النيل شيئا ، فأرسل السلطان إلى الشيخ أمين الدين يحيى الاقصرائى يستفتيه فى ذلك ، فقال الشيخ أمين الدين : (اجمعوا بنى العباس من الرجال والنساء ، من صغارهم لكبارهم ثم يضعون فى افواهم شيئا من الماء ويمجونه فى اناء ثم يصبونه فى فسقية المقياس) .. ففعلوا ذلك ، فكانت فيه البركة .

هكذا يظن (علماء الامة) فى بقايا بنى العباس الهاربين الى القاهرة تلك القدرة الخارقة التى تجعل من ماء ينزل من افواههم فى مقياس النيل سببا فى زيادة مياه النيل . وهى غفلة ما بعدها غفلة ، وشطحات تفكير تردى الى جب الخرافة الى درجة تبعث على الأسى والألم حقا .

فاذا قفزنا قرونا ثلاثة بعد ذلك لنجىء الى القرن الثامن عشر الميلادى ، فسوف لانجد تحسنا فى مستوى معيشة الناس ولا فى مدى تمتعهم بالحقوق الأساسية ، مما يستتبع استمرار النهج الخرافى فى التفكير ، ولكننا من جهة اخرى نلاحظ هنا أمرين هامين ، أولهما ان المؤرخ لهذه الفترة وهو عبد الرحمن الجبرتى يتميز بقدر كبير من الوعى والتفكير الناقد الذى يستطيع ان نلمسه فى روايته لقصص الخرافات ، فهو يرويها غالبا بلهجة السخرية . والملاحظة الثانية ان جماهير الناس ، عندما تجد من ينير امامها الطريق ويحقن عقولها بالاتجاه المستنير ، تلتف حول هذا الاتجاه ، على عكس القوى الحاكمة المستبدة التى يهمها بالدرجة الاولى ان يستمر الناس فى جهلهم وزيف وعيهم حتى يمكن لـهم استمـرار استغلالهم .

فمن حوادث رمضان عام ١١٢٣هـ ـ اكتوبر ـ نوفمبر ١٧١١م جلس رجل رومى يعظ الناس بجامع المؤيد ، فكثر عليه الجمع ، وازدحم المسجد ، ثم انتقل من الوعظ وذكر ما يفعله اهل مصر بضرائح الاولياء ، وايقاد الشموع والقناديل على قبور الاولياء ، وتقبيل اعتابهم ، "وفعل ذلك كفر يجب على الناس تركه ، وعلى ولاة الأمور السعى فى ابطال ذلك" . وذكر ايضا قول الشعرانى فى طبقاته ان بعض الاولياء اطلع على اللوح المحفوظ "انه لايجوز ذلك ، ولاتطلع الانبياء ـ فضلا عن الاولياء ـ على اللوح المحفوظ ، وأنه لايجوز بناء القباب على ضرائح الاولياء والتكايا ، ويجب هدم ذلك ..

ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، بل تعداه الى التحرك العملى والسلوك التطبيقى كما فعل انصار محمد بن عبد الوهاب فى شبه الجزيرة العربية ، يذكر الجبرتى : "فلما سمع حزبه ذلك خرجوا بعد صلاة التراويح ، ووقفوا بالنبابيت والأسلحة ، فهرب الذين يقفون بالباب ، فقطعوا الجوخ والاكـر المعلقة وهم يقولون : اين الاولياء ؟

● الازهر والتنوير

واذا كان علماء الازهر لهم الدور

الخرافة في

الاساسي في تعليم الناس وتنويرهم ، الا ان الظلام المطبق على المجتمع ، فيما يبدو ، قد شملهم ، فاذا بالعلم الذى عندهم يوظف فى غير هذا الطريق واذا بهم يدعمون الوعى الزائف . فلقد ذهب بعض الناس الى العلماء بالازهر وأخبروهم بقول الواعظ الرومى وكتبوا فتوى وأجاب عليها الشيخ احمد الخليفى (توفى عام ١٧١٥م) والشيخ احمد النفراوى (توفى عام ١٧١٣م) ، بأن كرامات الاولياء لاتنقطع بالموت ، وان انكاره اطلاع الاولياء على اللوح المحفوظ لايجوز ، "ويجب على الحاكم زجره عن ذلك" ، انهم يستعدون السلطة على الرجل ولايكتفون باصدار هذه الفتوى !!

وأخذ بعض الناس تلك الفتوى ودفعها الى الواعظ الرومى وهو فى مجلس وعظه ، فلما قراها غضب وقال : ايها الناس ، ان علماء بلدكم افتوا بخلاف ما ذكرت لكم ، وانى اريد ان اتكلم معهم واباحثهم فى مجلس قاضى العسكر ، فهل منكم من يساعدنى على ذلك وينصر الحق ؟

الرجل اذا لايلقى الكلام على عواهنه ، وانما بحث ودرس وقرأ واقتنع ، ولذلك فهو لايفرض رأيا وانما يريد اتباع النهج العقلى ، الحوار والمناقشة مع أصحاب الرأى الآخر . وهو لايريد (ارستقراطية الفكر) بحيث تنحصر المسألة بين عدد من العلماء ، وأنه يسعى الى المشاركة الشعبية ، اذ ما وظيفة العلم ان لم يوظف لصالح الجماهير ؟ وما جدوى ان يكون بالمجتمع بضع عشرات او حتى مئات وهناك ملايين الناس تتمرغ فى وحل الوعى الزائف والجهل البغيض ؟

وانفعل الناس بجدية الواعظ وحماسه ، فسرت عدوى الحماس والجدية اليهم ، فاذا بهم يسارعون الى التجمع حوله شادين من أزره ، ويلتف حوله المئات والمئات فى حركة شعبية عجيبة الشأن ليست ككثير من الحركات سعيا وراء لقمة عيش او كسب رزق أو رفع ظلم ، وانما سعيا الى المعرفة الصحيحة وجهدا لازالة الغشاوة من على العيون :

"ومر بهم من وسط القاهرة الى ان دخل بيت القاضى قرب العصر ، فأنزعج القاضى ، وسألهم عن مرادهم فقدموا له الفتوى وطلب منه احضار المفتين والبحث معهم ، فقال القاضى : اصرفوا هؤلاء الجمع ثم نحضرهم ونسمع دعواهم . فقالوا : ما تقول فى هذه الفتوى ؟ قال : انها باطلة ، فطلبوا منه ان يكتب لهم حجة ببطلانها ، فقال : ان الوقت قد ضاق ، والشهود قد ذهبوا الى منازلهم ، وخرج الترجمان ، فقال لهم ذلك فضربوه ، واختفى القاضى بحريمه ، فما وسع النائب الا انه كتب لهم حجة حسب مرادهم .

ولم يكن ذلك عن قناعة من اصحاب السلطة فى الفتوى والقضاء ، وانما هو جبن السلطة الشهير امام الحركة الشعبية ، ومحاولة معروفة لامتصاص الغضب بصفة مؤقتة حتى يتم التفكير فى الالتفاف حولها بعد ان يظن الناس ان السلطة قد استجابت لهم . وهكذا عندما ذهبوا فى يوما آخر الى جامع المؤيد لسماع الواعظ لم يجدوه .. لقد ذهب وراء الشمس كالعادة !!

فى البداية ، كان عدم حضور الواعظ ، لأمر سلطاني يمنعه عن الوعظ ، لكن الجماهير لم تسكت فقد ذهبوا الى القاضى الذى اصيب بالرعب من اعدادهم الغفيرة وأجبروه ان يذهب معهم الى (الباشا) بالقلعة ، وكان مطلب الجماهير ، أن يأتى الشيخان صاحبا الفتوى للتباحث معهما فإن اثبتوا دعواهم نجوا من ايدينا وإلا قتلناهم وحصلوا على امر بذلك من الباشا ، فأتوا بالواعظ الى الجامع وأصعدوه الى الكرسى فصار يعظهم ويحرضهم على الاجتماع فى غد بالمؤيد لشهود المناظرة الكبرى المنتظرة ، لكن الباشا اثناء ذلك كان يدبر مكيدته الكبرى ، اذ راح يبعث الى امراء ، المماليك محرضا اياهم ومحذرا من هذه الانتفاضة الشعبية الفكرية ، وقبل ان يجيء اليوم المنتظر ، كان قد تم القبض على القيادات ويتم اخماد ما اسموه بـ (الفتنة) ليستمر الجهل مخيما على العقول ويستمر هذا النفر من الحكام فى غيهم واستغلالهم وظلمهم !!

وأشيع فى الرابع والعشرين من ذى الحجة عام ١١٤٧ هـ - ١٧٣٥/٥/١٧م فى مصر بأن القيامة قائمة يوم الجمعة سادس وعشرين من ذى الحجة ، وفشا هذا الكلام فى الناس قاطبة حتى فى القرى والارياف ، وودع الناس بعضهم بعضا ويقول الانسان لرفيقه : (بقى من عمرنا يومان) !! وخرج كثير من الناس والرقعاء الى "الغيطان والمتنزهات ويقول لبعضهم البعض : دعونا نعمل حظا ونودع الدنيا قبل ان تقوم القيامة !! ومن الناس من



الناصر صلاح الدين

داخله الهم والحزن ومنهم من أخذ يعلن التوبة ويبتهل ويصلى واعتقدوا ذلك ووقع صدقه فى نفوسهم ، ومن قال لهم خلاف ذلك او قال : هذا كذب ، لايلتفتون لقوله ويقولون هذا صحيح .

فلما جاء اليوم الموعود ولم تقم القيامة ، واصبح يوم السبت لم يظهر الناس تكذيبهم للاشاعة وانما حرصوا على اظهار المزيد من غفلة التفكير ، فاذا بهم يفسرون عدم مجيء القيامة بأن "فلان العالم قال ان سيدى احمد البدوى والدسوقى والشافعى تشفعوا فى ذلك وقبل الله شفاعتهم ، فيقول الآخر : اللهم انفعنا بهم فاننا يا اخى لم نشبع من الدنيا وشارعون نعمل حظ ونحو ذلك من الهذيانات !!

واستمر نهج التفكير الخرافى سنوات طويلة ، طالما استمر القهر والاستغلال وتزييف الوعى ...

العلم والروح

في أدب نجيب محفوظ

بقلم : د . صلاح خليل

نحاول هنا إظهار كيفية تعرض نجيب محفوظ لهذه القيمة الفكرية ، قيمة « العلم » في مرحلتين من انتاجه ، وعلى وجه التحديد ـ في مرحلتي الواقعية والميتافيزيقية مما يبين بوضوح ان الايمان بالعلم الحديث يكاد يكون احدى القيم المحورية لفكره ، ويتجلى ذلك اما بطريقة مباشرة على لسان ابطال رواياته ، واما من خلال احداث تلك الروايات كما يتاثر أسلوب اظهار « قيمة العلم الحديث » بالطابع الغالب على المرحلة التي يظهر فيها هذا الانتاج .

ان « انبهار » نجيب محفوظ بالعلم الحديث ، والذي يتجلى في روايات المرحلة الاولى لانتاجه ، قد تطور الى ادراك اكثر للأبعاد المختلفة لدور العلم في حياة البشر في المرحلة الثانية لهذا الانتاج ، ففي روايته غير العادية « اولاد حارتنا » والتي تنتمي الى المرحلة الثانية ، يظهر نجيب محفوظ انه يعتقد أن العلم وحده ليس كافيا لتحقيق السعادة بين البشر ، ويرى ـ في هذه الرواية ـ ان « سيطرة العلم » في غياب الايمان بالقيم الروحية يؤدى الى اختلال قيمة هامة اخرى وهي العدالة .

وقد ذيل المقال بمقارنة مختصرة بين رؤية « نجيب محفوظ » لكيفية تحقيق الاتزان بين القيم الاساسية التي تحكم حياة البشر وكبح جماح « العلم » وطغيانه ، ورؤية احد كبار العلماء المعاصرين لكيفية مواجهة الاختلال في العلاقات بين البشر والذي قد ينشأ من التقدم العلمي وسيطرة العلم والتكنولوجيا على حياتنا .

المرحلة الأولى : طبقا لاراء العديد من الدارسين والنقاد ، فان المرحلة الواقعية والتي تنتهي بظهور اخر جزء من الثلاثية ، تعتبر المرحلة الاولى لانتاج « نجيب محفوظ » وذلك باستثناء رواياته التاريخية الثلاث الاولى ، ومن روايات هذه المرحلة : القاهرة الجديدة وزقاق المدق وبداية ونهاية والثلاثية ، وقد جاء تعبير نجيب محفوظ عن اهتمامه بالعلم في هذه



نجيب محفوظ

المرحلة بطريقتين : الاولى بطريقة مباشرة على لسان ابطال رواياته ، مثل ماجاء على لسان احد ابطال روايته « القاهرة الجديدة » « الايمان بالعلم بدل الغيب هو مايحتاجه جيلنا » ، والثانية بطريقة غير مباشرة من خلال نسيج رواياته وبناء احداثها وشخصياتها والمواقف التى يتعرضون لها ، وتعتبر الثلاثية اكثر اعماله نضجا فى هذه المرحلة ، وسوف نتناولها كمثال لاثبات مقولة ان العلم يمثل احدى القيم المحورية لفكر نجيب محفوظ ، وانسحاب هذه المقولة على انتاجه فى هذه المرحلة علما بان هناك امثلة اخرى متفرقة فى اعماله فى هذه الفترة لايتسع المجال لعرضها هنا .

● الثلاثية ١٩٥٦/١٩٥٧

تتجلى قدرة نجيب محفوظ فى هذه الرواية على صياغة وعرض افكاره بحيث تنتقل الى قارئه حية مجسمة ، الا انه ايضا ـ فى هذه الرواية قد لجأ الى الحوار المباشر ولكن باسلوب ذكى ممتع ، وفى كل الحالات ، فالى جانب تحميل رواياته وابطاله لافكاره وقيمه التى يهتم بها ، فقد نجح ايضا فى تحقيق كل هذا من خلال اطار فنى ، يبدو فيه كمن يقدم صورة حية صادقة لقطاع من المجتمع المصرى ، وذلك من خلال نسيج ادبى راق دقيق البناء ، وقد بلغ فى دقته احيانا دقة العالم المؤرخ الذى لاتفوته ادق التفاصيل .

ينتمى ابطال الثلاثية ، الى الطبقة المتوسطة الصغيرة ، والتى تتمسك بالتقاليد وتتقيد بالعرف وتهتم بصورتها فى المجتمع ، وقد عبر نجيب محفوظ ـ عن اهتمامه بالعلم وقيمته ، وذلك من خلال تسجيله ، لاحد الاهتمامات الاساسية لهذه الطبقة من المجتمع فى ذلك الوقت ، فيعتبر العلم والتعليم من اوليات اهتمام ابناء هذه الطبقة ، لاسباب سياسية واجتماعية واقتصادية ، ويصبح التعليم عند ابناء هذه الطبقة غاية ووسيلة فى نفس الوقت لتحقيق طموحاتهم للحاق بالطبقة العليا فى المجتمع ، ويصور نجيب محفوظ ، باسلوب غير مباشر كيفية اهتمام « السيد احمد عبد الجواد » البطل الاول فى الثلاثية ـ بتعليم ولديه ـ فهمى وكمال ـ وهو التاجر الذى لاينتمى الى اهل العلم والثقافة ، وينقل لنا من خلال الحوار الذكى الممتع كيف يحتل تعليم ابنيه جزءا من حياته البعيدة كل البعد عن عالم الفكر والثقافة ، وعلى الرغم من ذلك فهو يطمع ان ينال ابناؤه من التعليم مايؤهلهم للوظائف العليا فى المجتمع ، ومن الملامح الهامة لهذه الرواية ايضا ، هو مايسجله نجيب محفوظ ـ ببراعة ـ منقطعة النظير ـ من تطور وجهة نظر المجتمع المصرى الى العلم والتعليم ـ من جيل الى جيل ـ

العلم والروح
فى أدب نجيب محفوظ

وتحوله من احترام للعلم والمتعلمين (جيل السيد احمد عبد الجواد) الى الانبهار بالعلم نفسه (جيل ابنه كمال) واذا كان كاتبنا يسجل فى هذا المقام احدى خصائص المجتمع المصرى عموما ـ وهى اهتمام الاجيال على تعاقبها ـ بتعليم اولادهم ـ كما يسجل ايضا احترام المصريين للعلم والمتعلمين ، فيصبح التعليم جواز مرور من طبقة لاخرى ، وفى ذلك يبرع نجيب محفوظ مرة اخرى ، حيث لايصيغ هذه القيم بطريقة مباشرة ، او بعبارات انشائية ، ولكنها تجىء من خلال نسيج رواياته .

يقول فى السكرية على لسان احد الادباء (الاستاذ عدلى كريم) :

« لاتدهش ان يصارحك بهذا الرأى رجل معدود من الادباء فالعلم اساس الحياة الحديثة ، ينبغى ان ندرس العلوم وان نتشبع بالعقلية العلمية ، الجاهل بالعلم ليس من سكان القرن العشرين ولو كان عبقريا ، وعلى الادباء ان ينالوا حظهم منه ، لم يعد العلم وقفا على العلماء ، اجل لهؤلاء التضلع والتعمق والبحث والكشف ، ولكن على كل مثقف ان يضىء نفسه بنوره وان يعتنق مبادئه ومناهجه ويتملى بأسلوبه ».

وفى موقع اخر من السكرية يقول نجيب محفوظ على لسان أحد ابطال روايته :

« ادرس الآداب كما تشاء واعن بعقلك اكثر ماتعنى بالمحفوظات ولاتنس العلم الحديث »

ثم يستطرد كاتبنا العظيم فى نفس الرواية :

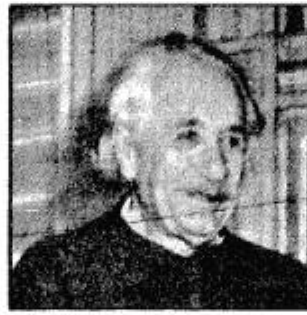
« ينبغى ان نذكر ان لكل عصر انبياءه وان انبياء هذا العصر هم العلماء » ثم يتغزل برقة فى العلم فيقول :

« العلم سحر البشرية ونورها ومرشدها ومعجزتها » السكرية ص١٢٧

المرحلة الثانية : تبدأ هذه المرحلة برواية « اولاد حارتنا » (١٩٥٩) وتنتهى برواية « ثرثرة فوق النيل » (١٩٦٦) وتشمل ايضا : اللص والكلاب ، والسمان والخريف ، الطريق ، الشحاذ ، وقد ترجمت معظم هذه الروايات الى اللغات الاجنبية المختلفة

وطبقا لاراء النقاد والدارسين ، فقد ارتفع الاسلوب فى هذه الروايات واعتمد على الرمز فى كثير من الاحيان ، وغلب الطابع الميتافيزيقى على روايات هذه المرحلة ، وعلى الرغم من ضرورة دراسة كل رواية على حدة وتحليلها كوحدة قائمة بذاتها ، فإنه يكاد يكون هناك اتفاق بين النقاد على ضمها كمجموعة واحدة لها سمات مشتركة

وكما احتوت روايات المرحلة الاولى على مؤشرات تؤكد اهتمام « نجيب محفوظ » بقيمة العلم وقد عبر عنها اما ضمنيا من خلال نسيج رواياته او مباشرة على لسان ابطال هذه الروايات نجد ان هذا الاتجاه يتكرر ايضا فى انتاج هذه المرحلة مع ما اكتسبته وسائل التعبير فى هذه المرحلة من ارتفاع الاسلوب والاغراق فى الرمز وغلبة الحوار احيانا والجدير بالذكر ان هذه المرحلة من انتاجه تتضمن رواية « اولاد حارتنا » وفيها يلعب العلم دورا اساسيا ويحتل مساحة كبيرة من



البرت اينشتاين



الرواية على خلاف اية رواية أخرى ، سواء فى المرحلة الاولى او الثانية من انتاجه ولقد اخترنا روايتين من هذه المرحلة للتدليل على ان العلم يعتبر احدى القيم الفكرية الاساسية التى يهتم بها نجيب محفوظ فى انتاجه ، وهاتان الروايتان هما اولاد حارتنا (١٩٥٩) والشحاذ (١٩٦٥) تلك الرائعة التى تحتاج الى دراسة خاصة بها .

● اولاد حارتنا (١٩٥٩)

تمثل هذه الرواية اتجاها متفردا فى انتاج « نجيب محفوظ » عند مقارنتها بانتاج المرحلة السابقة بل تعتبر فى ذاتها نسيجا قائما بذاته فى انتاجه ، وقد اشاد النص الرسمى لحيثيات منح « نجيب محفوظ » جائزة نوبل فى الآداب بهذه الرواية مشيرا اليها بانها الرواية « غير العادية » لنجيب محفوظ .

ويتمثل الرمز فى هذه الرواية فى بنائها الكلى ، ويلعب فيها العلم دورا اساسيا متجسدا فى شخصية « عرفة » والذى يرى فيه نجيب محفوظ مستقبل البشرية (راجع ماجاء عن العلم صراحة فى السكرية فى الفقرة السابقة)

الا انه من الجدير بالذكر هنا .. ملاحظة ان انبهار نجيب محفوظ بالعلم والذى يتجلى فى انتاجه المبكر ، قد حل محله الادراك الاكثر نضوجا لذوى العلم فى حياة البشر والرؤية المتكاملة للوجه الاخر للعلم ومدى خطورته وتاثيره على العلاقات والقيم الانسانية .

فنجيب محفوظ ـ فى هذه الرواية وان كان لايزال يرى انه فى العلم يكمن مستقبل البشرية ، الا انه يظهر ـ وببراعة كالعادة ـ ان « سيطرة العلم » فى غياب « الايمان بالقيم الروحية » انما تؤدى الى طغيان العلم وتسلطه ، واختلال ميزان العدالة بين البشر ، ولكن نجيب محفوظ يثير قضية معقدة هنا عن العلاقة بين العلم والايمان بالقيم الروحية وهل يكون العلم هو الطريق او الوسيلة الى ذلك الايمان ، اذ انه على الرغم من انه يرى ان العلم قد لايكون كافيا لسعادة الانسان إلا انه ، لايزال يحس ان العلم قد يمهد الى ذلك .

وعلى الرغم مما اثارته هذه الرواية من جدل ، فإن هناك شبه اتفاق بين العديد من

العلم والروح

فى أدب نجيب محفوظ

الدارسين والنقاد ، شرقيين وغربيين ومستشرقين - وهم نادرا مايتفقون - ان نجيب محفوظ - يكاد يصيح فى هذه الرواية :

ان العلم وحده ليس السبيل الى سعادة البشر ، وانه لاسعادة للانسان الا بالايمان بالقيم الروحية الى جانب العلم الحديث .

● الشحاذ (١٩٦٥)

على الرغم من ان المحور الاساسى لهذه الرواية ، يعتبر « سيكولوجيا » أو نفسيا - حيث يعالج فيه نجيب محفوظ ، مايطلق عليه علماء النفس « بازمة مرحلة منتصف العمر » عند الرجال Middle age crisis الا ان هذه الرواية تحتوى على مؤشرات مباشرة وواضحة تؤكد الحاح العلم وقيمته على فكره ، ويصور نجيب محفوظ ، فى هذه الرواية رحلة بطل الرواية « عمر الحمزاوى » باحثا عن معنى لحياته بعد تكوينه لاسرته ونجاحه المادى فى عمله ، وتوجد بالرواية ايضا ، مقارنات خفيفة بين الفن والادب والعلم ، ففى احد المواضع يقول « نجيب محفوظ » على لسان احد ابطال الرواية :

« قديما كان للفن معنى حتى ازاحه العلم من الطريق وافقده كل معنى » .. ثم يقول فى موضع اخر ..

« اقرأ اى كتاب فى الفلك او فى الطبيعة او فى اى علم من العلوم وتذكر ماتشاء من المسرحيات او من دواوين الشعر ثم اختبر بدقة احساس الخجل الذى سيجتاحك » ص ٢٣ ومابعدها .

ثم فى فقرة تالية :

« هذا الشعور المخجل لايعانيه الا الفنان المنبوذ من الزمن »

فنجيب محفوظ ، يربط العلم بالزمن برباط مباشر فمن لايتطور بالعلم ومع العلم ، يصبح منبوذا من الزمن ، ترى هل يشعر نجيب محفوظ بشعور مقارب لذلك لانتمائه الى فئة الادباء ، فى عصر - يطلق هو نفسه عليه - عصر العلم والعلماء ؟ سؤال مفتوح موجه اليه .. بعد فوزه بجائزة نوبل فى الاداب .

ويستمر نجيب محفوظ فى قدح زناد فكر قارئه باثارة القضية تلو الاخرى فى الحوار ، ويستطرد فى نفس الرواية مقارنا بين الفن والعلم والقانون على لسان احد ابطال الرواية .

« لقد مات القانون قبل الفن وتغير مفهوم الفن ونحن لاندرى ، عهد الفن قد مضى وانقضى وفن عصرنا هو التسلية والتهريج ، هذا هو الفن الممكن فى زمن العلم ويجب ان نتخلى للعلم عن جميع الميادين عدا السيرك »

ثم فى موضع اخر فى نفس الرواية :

● العلم وحده ليس كافيا لتحقيق السعادة بين البشر .

« بل قضى العلم على الفلسفة والفن »

وتزداد الجرعة عن العلم في هذه الرواية . فتظهر مرة اخرى بطريقة شبه مباشرة في الحوار بين « عمر الحمزاوى » بطل الرواية وابنته التى تهوى الشعر ، فيقول لها وكانه جيل مضى يخاطب جيلا جديدا :

« هل اطمع ان تعدينى بالا تفرطى في دراستك العلمية ؟ يمكن ان تكونى شاعرة وفى ذات الوقت مهندسة .. مثلا »

ثم يقول لابنته بعبارات قوية تشي بمكنون نفسه من اقتناع بالعلم وايمان به :

« لا احب ان تنتهى يوما فتجدى نفسك في العصر الحجرى على حين يعيش من حولك عصر العلم »

وبعد .. الا تتفق معى ـ عزيزى القارىء ـ ان كاتبنا العظيم يكن تقديرا للعلم يفوق كل حد ؟

● بين رؤية عالم ورؤيـة اديـب

ربما يكون غريبا مقارنة رؤية عالم برؤية اديب ، حيث ان السائد ان العلماء يهتمون عادة بالجانب العلمى لتخصصاتهم الدقيقة ، دون النظر الى تاثير التقدم فى هذه التخصصات على البيئة والمجتمع من حولهم ، ولكن اذا كانت هذه سمة معظم العلماء فانها بالقطع ليست سمة « العلماء الحقيقيين »ذوى الرؤى المتكاملة للكون من حولهم ، ومثال ذلك « البرت اينشتين » وهو غنى عن التعريف ، ونيلز بوهر (احد علماء الذرة الاوائل) ، ونوربرت فينير (ابوعلم السبيرنطيقا) وغيرهم فللقارىء لهؤلاء العلماء يستطيع بوضوح ادراك انهم الى جانب براعتهم فى تخصصاتهم الدقيقة فانهم يملكون رؤى واضحة لتأثير اكتشافاتهم على المجتمع من حولهم وعلى العلاقات الانسانية وبدون الاسترسال فى هذا الاتجاه فقد كتب احد هؤلاء العلماء ، وهو الدكتور « نوربرت فينير » مكتشف علم السبيرنطيقا Cybernetics فى مقدمة كتابه عن هذا العلم ـ مايشير الى رؤيته لتأثير هذا العلم على العلاقات الانسانية ، ومن الغريب ان هذه الرؤية تقترب كثيرا من رؤية اديبنا الكبير نجيب محفوظ لدور العلم فى حياة البشر فى روايته اولاد حارتنا ـ مع اختلاف الاقتراب والتناول لكل منهما لهذه القضية ولنتأمل ماكتبه العالم اولا ، ثم نقارنه بما كتبه الاديب .

يقول نوربرت فينير بالحرف الواحد .. « ان التوصل الى اكتشاف هذا العلم (يقصد السبيرنطيقا) قد فك احتمالات كبيرة لقوى هائلة للخير والشر .. ثم يستطرد قائلا : « ان الامل واه جدا فى استخدامه لخير البشرية حيث ان القوة عادة ماتتركز فى ايدى اشد الناس استهتارا »

● سيطرة العلم فى غياب الايمان بالقيم الروحية يؤدى الى اختلال قيمة العدالة ..

العلم والروح

فى أدب نجيب محفوظ

ان القارىء لهذه الكلمات يرى بوضوح ان هذا العالم الجليل ـ يقرر ان للعلم وجهين وجها خيرا واخر شريرا ثم بقوله ان القوة عادة ماتتركز في ايدى اشد الناس استهتارا ، انما يعنى ببساطة ـ مدى اقتناعه بتغلب الشر على الخير فى هذه الحالة ، لقد تنبأ هذا العالم ـ فى مقدمة كتابه الاول عن هذا العلم والذى كتبه عام ١٩٤٨ان التطور الهائل الذى سينشأ من تطور علوم السبيرنطيقا ، لن يؤدى فقط الى استخدامها في تطوير اسلحة ووسائل الدمار ، بل انه أيضا سيؤثر على وسائل الانتاج وشكل المجتمع كما انه سيؤدى إلى اتساع الهوة بين الدول المالكة للتكنولوجيا والدول المتخلفة ، وقد استطرد هذا العالم فى رؤيته فتنبأ بما حدث اليوم ـ من اختلال فى العلاقات الاقتصادية بين الدول الغنية والدول المتخلفة حيث لاتجد الاخيرة حاليا ماتقايض به الدول الغنية ، وقد اقترح د . فينير حلا لهذا الموقف ، ان على العالم ان يجد قوانين اخرى تقوم على اسس انسانية لتنظيم العلاقات الاقتصادية بين الدول الغنية والفقيرة .

اذن فان رؤية هذا العالم يمكن تلخيصها ببساطة ان للعلم وجها اخر قبيحا وان التقدم العلمى ان لم تحكمه قواعد اخلاقية سوف يؤدى الى اختلال فى العلاقات الانسانية .

اليس هذا قريبا مما أراد نجيب محفوظ ان يقوله للقارىء فى روايته « اولاد حارتنا » فالعالم والاديب قد اتفقا على ان العلم يحمل الشر كما يحمل الخير ، فشخصية عرفة التى استخدمها نجيب محفوظ لتجسيد العلم فى اولاد حارتنا تحمل الكثير من الشر ، فقد جعله يقتل الجبلاوى رمز القيم الروحية فيختل ميزان العدالة بين الناس .. اذن فطغيان العلم فى غياب القيم الروحية سوف يؤدى الى اختلال العدل بين البشر وهى قيمة هامة لسعادة البشرية ولكن نجيب محفوظ فى روايته اولاد حارتنا يترك الناس فى انتظار عودة الجبلاوى حتى تكتمل سعادتهم اى انه يرى ان سعادة البشر لاتكتمل الا بعودة الايمان بالقيم الروحية .

اذن فقد اتفق الرجلان العالم والاديب ان للعلم وجهين وجها خيرا واخر شريرا ، وان طغيان العلم ، سوف يؤدى الى تعاسة البشر ، وانتشار الظلم وغياب العدالة .

ولكنهما اختلفا فى الحل الذى يريانه لعودة السعادة والعدالة الى البشر واعادة الاتزان فى العلاقات بينهم فبينما يرى العالم د . فينير ان الحل يكمن فى محاولة تغيير القواعد الاقتصادية للتعامل بين البشر (وقد ثبت فشلها حتى الان ، ثم فلنتساءل ما الذى يدفع الاقوياء الى ذلك ؟) فان نجيب محفوظ يقدم رؤية اكثر شمولا حيث يرى ان الايمان بالقيم الروحية هو الطريق لتحقيق سعادة الانسان واعادة الاتزان الى حياته وخلاصه من ازمته .

وبلاشك ـ فلو آمن الاشرار بالقيم الروحية لما استخدموا العلم فى القتل والتدمير ، ولما قايضوا الفقراء من البشر ، على مبادئهم وحرياتهم وهل هناك اقوى من الايمان وسيلة لكبح جماح الشر فى نفوس البشر ؟

للويس عوض

بقلم : د . جابر عصفور

كتابة السيرة الذاتية عملية تنطوى ـ فى غير حالة ـ على إحساس دافعى بأزمة متعددة الأبعاد ، ازمة تتضمن مايهدد الذات المبدعة ، ويعرقل حركتها فى الحاضر ، ويقطع خطوها صوب المستقبل ، فترجع الذات المبدعة إلى تاريخها ، تتأمل إنجازها ، منقسمة الانقسام الذى يجعل منها ذاتا متأملة وموضوعا للتأمل . وبقدر ماتتطلع هذه الذات إلى نفسها كما لو كانت تتطلع إلى مرآة ، فإنها ترقب الموجب والسالب فى وعيها ، وترصد نقاط القوة والضعف فى حياتها ، مؤكدة الموجب ، مبرزة نقاط القوة ، متحركة بوعيها عبر مهاد غير ثابت من الزمن ، يبدأ من لحظة البداية التى تحمل بشارات النهاية .

بعبارة أخرى ، تضطر الذات ـ بضغط من الواقع ، وفى آلية دفاعية ازاء عدوانيته ـ إلى الدخول فى عالم الذاكرة ، واحة الذات المشتهاة وقلعتها الدفاعية ، وبمقدار ماتتيح الذاكرة لهذه الذات سفرا دائما هو انعتاق من أسر الحاضر فإن الذاكرة تنفى حدة اغتراب الذات فى واقعها بتعقل مكونات مستودع وعيها الذى يتضمن لحظات ومواقف وأفكارا وانجازات ومؤلفات والوانا من السلوك اعطت لحياة الذات مسارا ومعنى ، وجعلت منها ماهى عليه ، من حيث هى ساحة لصراع ورمز لقيمة وهدف لهجوم فى حاضر يغترب عنها وتغترب فيه . ولاتتباعد الذات عن هذا



الحاضر فى الزمان أو المكان إلا لتعود إليه ، ملحة على ماضيه بطرائق مباشرة أو غير مباشرة ، فهذا الحاضر هو العنصر المهيمن الذى تتحدد بإشاراته الخفية مناطق التوقف فى رحلة وعى الذاكرة لمكوناتها عبر الزمان والمكان ، حيث تبدأ الرحلة ببعديها الزمانى والمكانى من نقطة واحدة تعود إليها ، فى حركة دائرية تبدأ من حاضر الكتابة وتنتهى به مهما تباعدت عنه مشيرة دائما إلى مايؤكد قدرة الذات على تجاوز أزمات موازية لأزمة الحاضر ، فى إلحاح تؤكد دلالته الضمنية رغبة الذات فى استعادة تكاملها إزاء عدوانية واقعها .

هذا هو المعنى الأساسى الذى تضمنته « الأيام » لطه حسين ، حيث رحلة الفتى الذى واجه عجزه ، وتحدى تخلف مجتمعه ، وانتصر على عوامل الضعف داخله ، والذى عاد إلى واحة الذاكرة ، فى أحرج لحظات حياته (عام ١٩٢٦) فى ذروة أزمة كتاب « فى الشعر الجاهلى » فكانت هذه العودة إعادة بناء لماضى الذات ، واجتلاء خلاقا لعناصر القوة التى حققت معجزة الفتى فى الماضى ، واغناء للامكانات التى تفجرت عنها قرارات الفتى نفسه فى مواجهة أزمات العشرينيات ، ومن بعدها أزمات الثلاثينيات والأربعينيات ، وغيرها من الأزمات المقدورة على كل من ينذر نفسه للحلم الجليل الذى يبشر بانتقال مجتمعه من مستوى الضرورة إلى مستوى الحرية .

● رسالة التنوير

هذا المعنى هو ماتنطوى عليه سيرة لويس عوض ، تلميذ طه حسين ، وحامل رسالته التنويرية إلى أقصى مداها ، وذلك فى الجزء الأول الذى صدر منها بعنوان رئيسى هو : « أوراق العمر » وعنوان فرعى هو « سنوات التكوين » حيث يستعيد لويس عوض البدايات التى تضمنت النهايات ، وأومأت إلى حتمية حصاد « أوراق العمر » كلها .

صحيح أن أوراق العمر للويس عوض لاتبدأ من وعى درامى متوتر ، يواجه أزمة مباشرة ، حادة عنيفة ، مثل تلك التى واجهها طه حسين عام ١٩٢٦ ، فكانت دافعا لرحلة الوعى المعاكسة فى الزمن ، حيث بدايات « الأيام » ولحظة المواجهة الأولى بين الذات ومايعوق انطلاقها فى آفاق المعرفة ومن المؤكد أن لويس عوض لم يصدر كتابا أثار المؤسسات التقليدية وأهاجها واستعداها على نحو مافعل كتاب فى الشعر الجاهلى . ولكن فى « أوراق العمر » مايصل بينها وبين الأيام التى عاناها طه حسين . إن التلميذ يذكر بأستاذه فى تحدى المؤسسات التقليدية للمجتمع ، ويذكر بأستاذه فى بعض الوقائع الحياتية الدالة . وإذا كان طه حسين قد طرد من الجامعة عام ١٩٣٢ (تحديدا فى ٣ مارس) وكان طرده مفتتح تدخل السلطة السياسية فى البطش باستقلال الجامعة فإن لويس عوض كان على رأس الموجة الثانية من صور هذا التدخل ، حين طرد من الجامعة مع أكثر من خمسين أستاذا ومدرسا بقرار من مجلس قيادة الثورة فى ١٩ سبتمبر ١٩٥٤ (ووافق مجلس الوزراء على ذلك فى ٢١ سبتمبر ١٩٥٤) . وإذا كان طه حسين قد عانى عنت حكومة صدقى باشا فأن لويس عوض قد عانى

متاعب الوجه غير الديمقراطى للناصرية ، حين اعتقل عام ١٩٥٩ ، وظل معتقلا قرابة عام إلى أن أفرج عنه عام ١٩٦٠ . وإذا كان طه حسين ظل هدفا للاتهام بتهم العمالة والتبشير والكفر والالحاد والانحلال والاقليمية فإن التهم الظالمة نفسها تصل بين التلميذ والاستاذ ، وتنفصل فى الوقت نفسه بين دعاة التنوير ودعاة الاظلام .

ومن الطبيعى - والأمر كذلك - أن تتخلق « أوراق العمر » التى يكتبها لويس عوض من بعض مكونات الوعى نفسه ، حيث يتصل المثقفون الراديكاليون برابطة التحدى فى الدعوة إلى التنوير ، وصفات التوتر التى لاتفارق هذا الوعى ، نتيجة الصدام غير المتكافىء بين هؤلاء المثقفين ومجتمعاتهم المتخلفة . إنها الرابطة التى جعلت من أوراق العمر تحمل بعض المشابه البنائية التى تصل سنوات التكوين برحلة الأيام فى المغزى والمبنى على السواء . فهنا وهناك الاستدارة المنعكسة للزمن ، حيث يبدأ الوعى المتوتر لـلأنا رحلته الاسترجاعية للماضى . وهنا وهناك انقسام الذات على نفسها لتصبح فاعلا للتأمل ومفعولا له . وهنا وهناك البعد الدائرى للزمن فى فعل الكتابة ، حيث كل ابتعاد عن نقطة البداية اقتراب منها . وهنا وهناك المغزى التمثيلى الذى تغدو معه السيرة الذاتية نوعا من أنواع ضرب المثل ، أو الأمثولة التى تكتسب دلالتها على مستوى المبدع والمتلقى ، فتؤكد لدى كاتبها معنى المقاومة وقيمة التحدى ، وتؤكد لدى قارئها دلالة ماتنطقه من تمثيل لنموذج معرفى - أخلاقى لابد من اتباعه والايمان بموقفه مهما كانت العقبات . وهنا وهناك - أخيرا - الشعور المغترب عن الحاضر ،


طه حسين


عباس العقاد

والألم المصاحب للاحباط المتولد عن تخلف الواقع وعدوانيته ، ومايرصفه من قيود تسجن الخطى وتعرقل تقدم المعرفة .

● تحدى الواقع

وأنا أتحدث عن الألم الذى يعرفه قراء طه حسين ، حين يشير إلى الحاضر الذى يجعل الحر شاحطا فى بلاد ليس فيها متسع ، خصوصا ، حين يكثر من حولك الأعداء ... ويسعى بك الساعون ، ويكيد لك الكائدون » إنه الحاضر نفسه الذى يتحول فى الزمان ، ويقسو فى الملامح والقسمات ، فيجعل التلميذ الشيخ ، لويس عوض ، يردد فى أوراق العمر عبارات تذكرنا بعبارات أستاذه ، خصوصا حين يتحدث عن أعدائه الأقوياء ، ولكن الشعور الممض بالحزن الذى تنطقه أوراق العمر لافت للانتباه فاقع فى الدلالة . لايوازيه سوى نبرة الاصرار على تحدى الواقع المتخلف للحاضر ، على نحو يولد احساسا مضادا موجبا يواجه سلب الاحساس الأول ويقابله كما تتقابل الاضداد . وإذا كان الاحساس السالب يدفع إلى التساؤل الضمنى عمّا إذا كانت الرحلة كلها تستحق مابذل فيها ومن أجلها ، خصوصا حين تتداعى صور الغلظة والتخلف الانسانى والجهالة على

المستوى الفردى ، وصور الظلم الناتج عن سخط المؤسسات التقليدية وتسلطها الارهابى على المستوى العام ، فإن الاحساس الموجب يواجه سلبية نقيضه وينفيه بالاجابة التى تؤكد قيمة الهدف من الرحلة . وذلك فى دلالة متكررة الرجع ، تصل إلى ذروتها الختامية فى الصفحة قبل الأخيرة من « أوراق العمر » حين نقرأ الأسطر التالية :

وأنا الآن على بعد خمسين عاما من هذه الأحداث التى استرجعها فى **تامل حزين ورغم خمسين كأسا من العلقم جرعتها حتى الثمالة** ، لست نادما على اختيارات حياتى ، مع أنى أقترب من القبر ولا أملك شيئا من متاع الدنيا غير لقمتى وسترتى ووفاء الشباب من قرائى على تعاقب الأجيال . ولو عدنا إلى الوراء لبدأت كل شيء من جديد ، حتى حماقات حياتى » (ص ٦٢٥ ـ ٦٢٦) .

إن "التأمل الحزين" فى هذه الأسطر يدفع إلى التساؤل عن أسبابه ، وعن المبررات أو العوامل التى جعلت من الخمسين عاما السابقة على لحظة التأمل خمسين كأسا من العلقم . ولهذا التساؤل أولويته البالغة ، ونحن نتحدث عن لويس عوض على وجه الخصوص ، فنحن نتحدث عن مثقف من نوع متفرد . أثمر فى الدراسات الأدبية مايربو على عشرين كتابا من الكتب العلامات ، ابتداء من "فى الأدب الانجليزى الحديث" (١٩٥٠) ومرورا بالمؤثرات الأجنبية فى الأدب العربى الحديث (٦٢ ـ ١٩٦٣) والاشتراكية والأدب (١٩٦٣) والبحث عن شكسبير (١٩٦٥) ونصوص النقد الادبى (١٩٦٥) وعلى هامش الغفران (١٩٦٦) والثورة والأدب (١٩٧٠) وأسطورة أورست والملاحم العربية (١٩٦٨) .. والقائمة طويلة بالغة الثراء . ولقد انتج فى الفكر السياسى والاجتماعى مايزيد على عشرة كتب اشكالية ، تصل ما بين دراسات فى النظم والمذاهب (١٩٦٢) والجامعة والمجتمع الجديد (١٩٦٤) والحرية ونقد الحرية (١٩٧١) ودراسات فى الحضارة (١٩٨٨) لتؤصل وضعا يوجه ثقافتنا فى مفترق الطرق (١٩٧٤) ويحدد موقفا من اقنعة الناصرية السبعة (١٩٧٦) على نحو يظل الهدف النهائى متجها دائما لمصر والحرية (١٩٧٧) وأضف إلى هذه القائمة ما أثمره لويس عوض فى الترجمة ، حيث قدم مالايقل عن ثمانية أعمال تأسيسية لكل من اسخيلوس وهوراس وشكسبير وبن جونسون وشيللى وأوسكار وايلد . وأبدع فى المسرحية والشعر والرواية والسيرة الذاتية ، ابتداء من "بلوتولاند" التى كانت ارهاصا بحداثة القصيدة العربية (١٩٤٧) وانتهاء بأوراق العمر (١٩٨٦) . ولن يغيب عن البال لويس عوض المؤرخ الذى اقتحم تاريخ الفكر المصرى الحديث (١٩٦٩) بالجرأة نفسها التى كانت وراء الأطروحة الأساسية فى كتاب مقدمة فى فقه اللغة العربية (١٩٨٠) الذى تمت مصادرته .

● تأصيل المنهجية

وإذا أضفنا الى هذه الكتابات الأدوار التى قام بها لويس عوض الأستاذ الجامعى فى تأصيل معنى الجامعية والمنهجية بالنسبة لتلاميذه ، والمفكر الذى لم يتردد فى اقتحام حقول الغام الواقع تأكيدا للاستنارة ومعنى حرية الفكر ، والناقد الادبى الذى لم يكف عن الدعوة اللاهبة إلى الجديد وتشجيعه ومتابعته عبر الاجيال المتلاحقة من

الثلاثينيات إلى السبعينيات ، إذا أضفنا إلى الكتابات الأدوار أدركنا أننا إزاء آخر الموسوعيين من التنويريين الذين يتمسكون بقيم العقل والعلم والتطور والحرية والعدل والديمقراطية تمسكهم بنسمات الحياة نفسها ، بل ازاء اقصى ماوصل اليه التنوير العربى من آفاق راديكالية ، قرنت اسم لويس عوض وحضوره وانجازه بالدعوة الدائمة للجديد والعداوة الضارية للقديم ، لأكثر من نصف قرن .

هذا المثقف المتفرد الذى صار بإنجازه واثره عنصرا أساسيا ومكونا فاعلا فى استنارتنا المعاصرة وفكرنا الحداثى وطموحنا الاجتماعى السياسى وتذوقنا الأدبى ، هذا المثقف بدل أن يشعر بالفخر والزهو وأكاليل الغار والفرح بما انجز وبما مثله ويمثله من قيمة ، يسترجع حياته فى تأمل حزين ، وشعور ممض تتحول معه السنوات الخمسون من الصراع إلى خمسين كأسا من العلقم ، نتجرعها معه ونحن نتساءل عن سر هذه التعاسة التى لاتفارق . المثقف الراديكالى فى هذا العصر والتى تصل إلى اقصى مداها فى أووراق العمر .

هذا التساؤل تردنا إجابته إلى طبيعة عصر لويس عوض واختلافه عن عصر أستاذه طه حسين من ناحية ، وإلى طبيعة الفارق بين فكر جيل طه حسين الليبرالى والفكر الأكثر راديكالية لجيل لويس عوض من ناحية ثانية ، وإلى تغيرات وعى الاقلية التى لاتخلو منه كتابات لويس عوض من ناحية ثالثة . لقد طرد طه حسين من الجامعة فى اوائل الثلاثينيات غير انه عاد إليها محمولا على أكتاف طلابه بعد ثلاث سنوات أو اقل (تحديدا فى ديسمبر ١٩٣٤) . أما لويس عوض فقد طرد من الجامعة فى الخمسينيات ولم يعد اليها الى الآن ، ولو حتى على سبيل الدعوة إلى القاء محاضرة عامة (محاضرة واحدة فحسب) فى القسم الذى أسهم فى تأسيس مافيه من قيم علمية . ولقد وقع طه حسين تحت طائلة المساءلة القانونية فى العشرينيات ، ولكن التهمة حفظها وكيل نيابة مستنير ، ودافع عنها وزير معارف مستنير (كان الوزير وفديا هو على الشمسى وطه حسين من اعداء الوفد ، أى الاحرار الدستوريين) ، أما لويس عوض فقد ألقى به فى المعتقل ، حيث واجه الاهانة والتعذيب ، مع مئات من مثقفى مصر ، وخلاصة وعيها ، دون تحقيق قانونى ، أو تهمة حقيقية ، فى مختتم الخمسينيات .

وإذا كان الجيل الليبرالى لطه حسين والعقاد وهيكل قد تحول عن جذريته العلمانية إلى اصلاحية مهادنة بعد معاهدة ١٩٣٦ التى كانت بمثابة "الحل الوسط الكبير" فإن لويس عوض ظلت راديكاليته قرينة منظور لايقبل المهادنة أو الهوادة ، حتى بعد أن تجاوز الخامسة والسبعين ، فهو - كما يصف نفسه بحق - "تقدمى فى الفكر والأدب ، تقدمى فى السياسة والاقتصاد ، تقدمى فى القيم الاجتماعية ، تقدمى فى المفاهيم الدينية" .

ولقد كان الجيل الليبرالى ، اخيرا ، يعيش اللحظات التاريخية الصاعدة لوحدة شطرى الامة مع المد الزاهر لثورة ١٩١٩ وفى أعقابها ، فى الوقت الذى كان يعيش مناخا من التسامح الاعتقادى جعل من شاعر مثل حافظ ابراهيم (صفى الامام محمد عبده شيخ الجامع الازهر العظيم) لايتردد فى رثاء الدكتور شبلى شميل عام ١٩١٧ بقوله :

إيه شبلي قد أكثر الناس فيك الـ
ـ قول حتى تغننوا فى عتابى
قيل : ترثى ذاك الذى ينكر النو
ر ولايهتدى بهدى الكتاب ؟!
قلت : كفوا فإنما قمت أرثى
منه خلا امسى طويل الغياب
كان حر الآراء لايعرف الختـ
ـ ل ولا يستبيح غيب الصحاب

أما جيل لويس عوض والجيل اللاحق فقد عاش عصرا مختلفا ، واكتوى بالثمار التى خلفتها هزيمة ١٩٦٧ ، وما صاحبها من ظهور اسلام النفط والتطرف الدينى وانفلات النغمات الشائهة التى تحول اى خلاف الى اتهام دينى او غمز فى المعتقدات ، وذلك فى تصاعد ارهابى قمعى يوازى تصاعد الثروات النفطية ومصاحباتها الانفتاحية . على نحو غدا معه كل تراثنا التنويرى العظيم وحضوره الحى مهددا بارهاب فعلى اداته الرصاصة لا الكلمة . وانتقلنا من استثارة الخطاب الأدبى لحافظ ابراهيم الى خطاب مخالف ، تسلطى ، قمعى ، صار معه لويس عوض (اجاكس عوض) الدمية التى تلهو بها أصابع هيئات التبشير ودوائر الاستعمار لتؤدى مايراد منها ، فلا ترى او تنطق الا بتسبيح اليونان والروم والصلبان والجنرال يعقوب ؟! . وحتى عندما يحصل هذا التنويرى العظيم على جائزة الدولة التقديرية ، بعد أن تجاوز الخامسة والسبعين ، وبعد أن حصل عليها من هم أقل شأنا من تلامذته ، تتعكر الفرحة المتأخرة بتعيب الطائفية والتعصب الجهول .

هذه الدوال التى تشير الى متغيرات التاريخ تتحول إلى مدلولات تبرر نبرة التأمل الحزين لصوت لويس عوض فى أوراق العمر بالقياس الى غيرها من ايام الجيل السابق . وهى دوال تشد أوراق العمر إلى منطقة المذكرات التى توازى بين الوعى التاريخى والتوثيق المرجعى فى نوع من الكتابة ، يصل بين السيرة الذاتية من حيث هى نوع أدبى والكتابة التاريخية من حيث هى تأمل فكرى ، فى فعل متحد يسعى إلى أن يكتشف العلة ويتعرف الاسباب الكامنة وراء تحولات المجتمع وتقلب أوراق عمره . وأول ما تتجلى لوازم ذلك لغة فى ضمير الخطاب الذى ينطق أوراق العمر ، حيث تختفى الأنا الفردية ، الطاغية فى حضورها المصاحب للخاصية الشعرية والوظيفة الانفعالية التعبيرية للكلام ، وتحل محلها انا أخرى مثقلة بوعيها التاريخى ، ومتميزة بلغتها الوصفية ذات الوظيفة الاشارية الغالبة . ومن خيوط التاريخ ، تتشكل خلفية المشهد الذى تتحرك فوق مهاده هذه الانا ، فى علاقات اجتماعية تبرز ابعادها الطبقية ، وعلاقات سياسية لها طبيعتها الصراعية . وذلك على نحو يلتقى معه تسجيل ماهو خارج الانا وتصوير ماهو داخلها ، فى خطاب متباين المكونات ، متعدد الوظائف ، يصل بين التاريخى الوثائقى والأدبى الانشائى .

ولكن علاقة الخارج بالداخل لافتة للانتباه فى أوراق العمر ، فالتركيز على الخارج اكثر من التركيز على الداخل ، والأنا تبدو كأنها مغرمة بالفرار من ذاتها أكثر من الحديث المباشر عن نفسها . وسواء كان ذلك من الخصال النفسية للشخصية او محاولة للفرار من انفعالات التأمل الذاتى الحزين أو نتيجة مباشرة



نجيب محفوظ



حافظ ابراهيم

لطبيعة الوعي التاريخي فإنه يجعل من اوراق العمر تشكيلا متميزا على المستوى الأدبي للسيرة الذاتية . أعني تشكيلا ينطبق عليه ماقاله اليوت من أن الشعر (ومن ثم الكتابة) فرار من الشخصية وليس تعبيرا عنها . وأوراق العمر من هذا النوع من الكتابة . إنها تتكون من تسعة عشر فصلا . ثمانية منها عن الأحداث السياسية والشخصيات والنماذج النمطية الدالة على الواقع السياسي الاجتماعي ، ابتداء من ريا وسكينة وادهم الشرقاوي ومارجريت فهمي ، مرورا بالعنف السياسي والانقلاب الدستوري الأول (أحمد زيور) والانقلاب الثاني (محمد محمود واليد الحديدية) والانقلاب الثالث (اسماعيل صدقي وأصحاب المصالح الحقيقية) وانتهاء بمولد الفاشية المصرية . وثلاثة فصول عن العائلة ، تشير إلى ماقبل الذكريات وبروفيلات الاقرباء ، وأربعة فصول عن الأساتذة والزملاء ، حيث العمالقة الثلاثة (طه حسين والعقاد وسلامة موسى) وزملاء كلية الآداب الذين يمثلون لوحة شرف الجامعة المصرية التي ينبغي أن تكون موضع فخار الأجيال المتعاقبة من أبناء كلية الآداب ، عسى أن تدفعهم إلى العمل على استرداد المجد الذي كان . ولايبقى خالصا للذات سوى أربعة فصول فحسب ، عن اليقظة المبكرة وسنوات التكوين وذكريات المدرسة الثانوية وبدايات الرحلة . وحتى هذه الفصول تحدق العين فيها صوب الخارج أكثر من الداخل ، وتبدو الذات وكأنها تنفر من كل ما هو شخصي حميم ، فالقرار الفاشل للذهاب الى امريكا في سن الرابعة عشرة على سبيل المثال ، والتجربة الجنسية الأولى والقصيدة الأولى وتفاصيل العلاقة الحميمة بالأصحاب ـ كل ذلك يمر سريعا كاللمح ، كما لو ان الأنا التي تقص السيرة تذكرة لاستكمال عناصر المشهد ، وذلك مقابل التأني ازاء مايقع في الخارج ، التأني الذي يصل الى حد التوثيق والعودة إلى صحف العصر ومؤلفاته في الكتابة عن ريا وسكينة أو مرجريت فهمي أو أدهم الشرقاوي (وللاختيار دلالة الامثولة في هذا المقام) .

ويقدر مايلمح دارس الفكر ملامح الوعي التاريخي الذي يسيطر على أوراق العمر فان الناقد الأدبي يلمح نزوعا كلاسيا موازيا . واذا كان اليوت الذي استشهدت به يعد نموذجا للاحياء الكلاسي ، فإن لويس عوض نموذج لنزعة كلاسية من نوع مقارب . هذه النزعة هي التي جعلته يميل الى الأدب العقلاني الواقعي ، والنقد التفسيري التاريخي ، وينفر من العبثية والسريالية في الأدب ، وعلم المعاني الجديدة (السيمانطيقا الجديدة) عند اوجدن ، ومن البنيويات الاحدث بمعناها الشكلي او التوليدي في النقد الأدبي . إنها النزعة التي تبحث عن السببية المنطقية في فهم تشكل المعنى الادبي للعمل وعن البيئة الاجتماعية في تفسير تولده وهي نفسها الوجه الادبي لمكونات الوعي التاريخي الذي تنطقه أوراق العمر وتتأسس به .

والحرص على منطق السببية التوليدية هو المسئول عن مجموعة من الأوراق الدالة الكاشفة في سنوات التكوين من أوراق العمر ، سواء بالمعنى الأدبي أو الاجتماعي أو حتى اللغوى . والمقارنة التى عقدها لويس عوض بينه وبين نجيب محفوظ لافتة في هذا المجال ، وهى التيمة الأساسية في الفصل الرابع كله عن اليقظة المبكرة . هنا ، نواجه المغايرة في التنشئة الاجتماعية ، وهي مغايرة تتجسد خلال ذكريات ١٩١٩ التى يعكسها نجيب محفوظ (**وهو أكبر من لويس عوض بثلاثة أعوام فهو من مواليد الجمالية في ١١ مارس ١٩١١ ولويس عوض مواليد المنيا ٥ يناير ١٩١٤) على مرايا شخصياته** وأحداث روايته "بين **القصرين**" ، حيث تتوارى ثورة ١٩١٩ في خلفية الأحداث إلى حد أن البصر لايرى منها شيئا ، سوى أن أحد أبناء السيد أحمد عبد الجواد قد قتل مصادفة برصاصة في ظهره من بنادق الانجليز ، في آخر يوم من أيام الكفاح الوطني .. أما صدارة الأحداث فهى مخصصة تماما للسيد أحمد عبدالجواد ، نموذج تجار الغورية من الأثرياء التقليديين الذين لم تتعمق الصورة وعيهم ، والأرجح - فيما يقول لويس عوض - أن نجيب محفوظ رسم نموذج السيد عبدالجواد من تجربة واقعية مباشرة ، فقد كان أبوه ، في مرحلة من مراحل صباه يدير محلا لبيع النحاس في الجمالية .

وعلى النقيض من ذلك الشريحة الاجتماعية التى ينتمى اليها لويس عوض ، بأنماطها الثقافية التى تتمتع بحظ وافر من التعليم والعلمانية من ناحية ، وبوعى الأقلية الطائفية من ناحية ثانية .. وإذ يشكل ذلك بذور بدايات اليقظة ويرويها فانه يتجه بأوراقها الى الوفد في الانتماء السياسى الباكر ، حيث تكتمل العقيدة الوفدية (الوطنية والديمقراطية) مابين عام ١٩٢٢ تاريخ عودة الأب الموظف حنا عوض من السودان وعام ١٩٢٧ تاريخ وفاة سعد زغلول .. ويظل الوفد طوال صفحات أوراق العمر ممثلا للعلمانية والوحدة الوطنية ووحدة المواطنة لاينازعه في ذلك حزب آخر .. بل تزداد عقيدته تأسيسا بتعرف الفكر الماركسى في مرحلة الجامعة ويلفتنا هذا التكييف المتميز للوفد الى بدايات الوعى السياسى بالمسألة الطائفية ، حيث يلتقى النفور من الحزب الوطنى بدعوته القائمة على إلهاب الشعور الدينى والهجوم على السير ايلدون جورست (خليفة كرومر) بسياسته التى قامت على التودد الى الرأى العام الاسلامى واثارة الفتنة لتعطيل الحركة الوطنية .

وفى بعض ذلك مايلقى الضوء على الأسباب التى تغدو العلمانية نتيجة لها ، حيث يتضافر الوعى السياسى بالمسألة الطائفية مع عمليات المثاقفة والتنشئة الاجتماعية داخل الشريحة الأسرية والطبقية ، وتتشكل قيمة العلم بالنسبة لأسرة تقدس التعليم وتتضامن لاتمامه الى أقصى مستطاع أو متاح ، فهى أسرة تجد ملاذها في العلم ماظلت لاتشتغل بضبط المجتمع أو انضباطه .. والهوية العلمانية لافراد هذه الأسرة تعبير (مباشر أو غير مباشر) عن وضعها الاجتماعى والطائفى ، ودلالة صورة الأب كاشفة في السياقات التى تجسده وهو يشرح لابنه

دور رجال الدين فى منع نهضة تركيا ومصــر والبلاد العربية ، وفى تعطيل بناء الدولة العصرية فيها على غرار الدولة الاوروبية .

هل كانت بدايات الوعى السياسى بالمسألة الطائفية قرينة التوجه التعليمى من ناحية والدعوة الى العلمانية من ناحية ثانية ؟ ان أهمية الحرص على اكتساب لغة الآخر (الغرب) والتفوق فيها ، والتسليم بأن اتباع نموذجه الثقافى (ومن ثم الحضارى والسياسى) هو السبيل الى الخـلاص من التـركيبـة السيـاسيـة الاجتماعية الفكرية المتدنية أمر لاتخطئه العين فى أوراق العمر ، خصوصا حين نعود الى نموذج الاب والاعمام وابناء الاعمام ، حيث ثقافة الآخر ولغته وآدابه وعلمانياته هى الطريق السريع لاكتساب حضارته ، وحيث حضارته (فى بعدها غير الاستعمارى غير الاستغلالى) دعوة الى انسانية تتجاوب مع علمانية الوفد التى تقرن الوحدة الوطنية بالنزوع الهيومانى لوحدة المواطنة الانسانية فى الحضارة .

هذه الدائرة هى التى يتسرب منها كل مايخل بالحياد البارد لمنطق السببية التوليدية فى التفسير الاجتماعى ، فيفسح المجال لمتفجرات دلالية شعورية ، وآليات دفاعية لاتفارق عمليتى العقلنة والتبرير بمعناهما المستخدم فى التحليل النفسى ، خصوصا حين تدخل الانا فى علاقة تضاد مع نقائضها على المستوى الاجتماعى او السياسى او الثقافى الـذى يلتبس بالمستوى الدينى أو يومىء اليه . عندئذ ، يهتز الحياد التحليلى الواصف مفسحا المجال للسخرية أو الاشارة اللاذعة ، وفى سياقات تبدو معها الذات كما لو كانت قد ملت الفرار من وطأة انفعالها ، وقررت مواجهة الجميـع : الأصدقـاء الذين يهادنون ، والرفاق الـذين ينكصون ، والزملاء الذين يتراجعون ، والاعداء الذين يسفون . ويتجاور فى هذه السياقات الشعر "السخيف" لأحمد شوقى مع الاشارة الى كبار المستنيرين الذين يعادون الثيوقراطية و"لكنهم يدورون ويناورون فيما يكتبون خوفا من الغوغاء والكهنة" . وفى الوقت نفسه ، تتجاور "السوقة والغـوغاء" مـع "الرجعيـة العربية" ، ويتراصف كلاهما مع "بعض المثقفين المصريين" الذين فتحوا دمل التعصب الدينى فطفح مافيه من قيح على السطح .

ولعل رواسب النزعة الفرعونية التى لم تبن عن نفسها سوى مرة واحدة فى أوراق العمر ، وفى عجلة منبترة ، هى رد الفعل المصاحب لأزمة الوعى القبطى عند لويس عوض ، وآليته الدفاعية التى يضطر اليها مرغما عندما يجد نفسه هدفا لهجوم كاسح ، ظالم ارهابى ، باسم العروبة مرة والاسلام مرات . عندئذ ، يمكن أن يحس أفراد العوضية ... احساسا عميقا ليس فقط بفرعونيتهم ولكن أيضا أنهم من نسل ملوك مصر القديمة (ص ٥٥) .

ومن المؤكد أن لويس عوض يعرف أن العرب ليسوا كلهم أعرابا ، وأن فرعونيته لاتتناقض مع عروبته بل تتكامل معها ، وأن عروبته مكون أساسى من ثقافته واسهامه . ومن المؤكد أيضا أن كتاباته وانجازاته أضافت إلى العروبة والعربية مالم يضفه الكثيرون ممن يتشدقون بالعروبة وينافحون عن العربية .

أسطورة حب هندية

جواهر لال... وكمالا

بقلم: محمد عودة

وأضيفت القصة إلى تراث أساطير الحب الهندية

يقام احتفال كل عام في بيت آل نهرو في نيودلهي يشارك فيه خمسون شخصا فقط ، هم الذين كانوا أحب الناس وأقربهم إلى قلب انديرا غاندى ، طوال حياتها وحتى استشهدت سنة ١٩٨٤ .

ويجرى الاحتفال في حديقة المنزل ، ويمضى الجميع اليوم في تلاوة الصلوات الهندية ، وانشاد الأغاني الوطنية وينتهى الاحتفال بزيارة النصب المقام حيث تم احراق جثمانها وفق الطقوس التقليدية .

وتميز احتفال هذا العام بأن وقع مراجيف غاندى ، وكان لايزال رئيس الوزراء النسخة الأولى ووزع الكتاب الجديد الذى كانت أمه تحلم بكتابته والذى تقرر أن يتحول إلى فيلم أيضا وكانت أمنية عزيزة على نفس انديرا غاندى أن تكتب قصة حياة أمها «كمالا» ، وكان يحزنها أنها عاشت وماتت بطلة مجهولة منسية وقد رحلت سريعة في ذروة شبابها ، ولم تنل حقها من التاريخ والتكريم وقد احتل آل نهرو مكانتهم المناسب ، سواء بما كتبوه أو بما كتب عنهم ، وبقيت واحدة فقط هى أمها «كمالا» في الظل !

وقد كتب الأب جواهر لال القصة في فصول من كتابين شهيرين له ، الأول في قصة حياته والتى أهداها إلى التى ذهبت قبل أن تقرأ فصوله الأخيرة .. والثانى في «اكتشاف الهند» والذى روى فيه النهاية التراجيدية .. ولكن انديرا كانت مصممة على أن تكتب «سفرا» مستقلا يروى قصة الزوجة والأم والمناضلة التى انكرت ذاتها وقدمت حياتها تضحية للهند . وبدأت ذلك فعلا ولكن لم تمكنها مهامها ومسئولياتها ، ولهذا عهدت بالمهمة إلى كاتبة وصحفية صديقة لها هى «يرد ميلا كالهان» ، من صحيفة الهند وستان تايمس . وصدر الكتاب ولم تقرأه انديرا ! !

وقد شهد هذا العام وخلال الذكرى المئوية لنهرو سلسلة من الكتب عن حياته

لم يكن نهرو بطلا وطنيا أو رجل دولة أو أحد صناع تاريخ هذا العصر فحسب ولكنه كان فتانا عاشقا أحب امرأة واحدة حتى العبادة .. وحينما رحلت مبكرة وتركته وحده ظل وفيا لها ثلاثين عاما ولآخر حياته .

وعاش على ذكراها مكتفيا برعاية ابنته الوحيدة منها .. انديرا ..

صورة التقطت في جينيف عام ١٩٢٧ تبدو فيها كمالا نهرو وكريشنا وجوال لال وانديرا وفيجايا لاكشمي



وكفاحه وانتج أيضا عدد من الافلام التسجيلية والدرامية ولكن رؤى أنه لابد من استكمال حياة نهرو بقصة حبه الكبير والوحيد والذى أصبح أحد «اساطير» الحب العصرية فى الهند ولم تبدأ القصة مع هذا «رومنسية» ولكن بالزواج والذى تم تقليديا عائليا وفق الطقوس والمراسم «الهندوكية» الصميمة !

وحينما اقترب موعد عودة «جواهر لال» من بريطانيا بعد أن أتم دراسته فى كلية هارد جامعة كمبريدج قرر والده أن يختار له زوجة «صالحة» لتكون فى انتظاره .

وكان الأب «موتيلال» قد ارسل ابنه الوحيد إلى بريطانيا ليعود ويعمل معه فى المحاماة أو ليلتحق بأحد مناصب «الخدمة المدنية الهندية» وكانت أرفع المناصب مقصورة على ابناء الارستقراطية الهندية والبريطانية وبشروط خاصة ولكى يؤتمنوا على إدارة الامبراطورية !

وكانت المرشحات كثيرات ولكن وقع اختيار الاب على فتاة صغيرة فقيرة من حى شعبى فى دلهى القديمة كانت براهمية كشميرية من أسرة عريقة ولكن بفارق شاسع واسع فى الثروة والثقافة والمكانة .

وكانت المفاجأة أن الشاب العائد من هارد وكمبريدج بارك الاختيار ، وانطلقت شرارة حب ربطت بينهما من النظرة الأولى ، كانت هندية صميمة جميلة على الفطرة . وكشميرية ذات كبرياء كان الفارق كبيرا بينهما أولا فى السن - كانت فى السابعة عشرة من عمرها وكان فى السادسة والعشرين وثانيا فى الثقافة ، إذ لم تتلق أى تعليم مدرسى أو عصرى ، وثالثا فى طريقة الحياة والإنتقال لحياة القصور من الأحياء الشعبية ، ولكن بدا أيضا انها لا تخاف أو تهاب !

وقرر أن يأخذ بيدها ويساعدها وادهشته بأن تأقلمت مع الحياة الارستقراطية وفرضت شخصيتها على الأسرة «المتعالية» ، ثم تفتح عقلها واستجابت سريعا للآفاق العالية التى كان يحملها إليها .

وقد عاد نهرو من بريطانيا متأثرا بمبادىء الاشتراكيين «الفابيين» ومهموما لهذا بمشاكل الهند ، وقد اعتذر لأبيه ، عن العمل بالمحاماة أو الالتحاق بمنصب فى الخدمة المدنية ووجد ملاذا ومهربا فى الزواج السعيد ثم فى ثمرته وكانت طفلة سميت « انديرا » .

وذات يوم التقى جواهر لال فى أحد النوادى الخاصة بقديس هائم بدا أنه دخل خطأ إلى النادى وكان يجول الهند طولا وعرضا يبحث لها عن طريق خلاص .

وعرف أنه كان محاميا تعلم فى بريطانيا مثله ، ثم ذهب إلى جنوب أفريقيا للدفاع فى قضية خاصة ، واكتشف هناك قضية عامة أكبر هى اضطهاد الانسان الملون وتحول للدفاع عن « المجنى عليهم » ، وابتدع أساليب مقاومة سلمية « روحية » هزمت الطغاة .. ثم عاد إلى وطنه الهند وخلع روب المحاماة وارتدى ثياب فلاح فقير وبدأ رحلة البحث الطويل .

وتقرر مصير جواهر لال بعد ذلك اللقاء ، ووجد ما كان يبحث عنه وقامت العلاقة

التى قادت الهند إلى الحرية .

واستجابت الملايين «المسحوقة» ، وانتفضت وراء غاندى ونهرو ، وأصبحت «حقوقها» قضية حياته الأولى والأخيرة .. ولا قضية سواها ، وارتد الحب والبيت والزوجة والابنة بعيدا إلى الخلف ..

لم يكن يعود الا نادرا .. واذا ما حدث كان مرهقا مكدودا ، ولكن كان يجدها كما تعود أن يراها فى «الماضى» سعيدة باسمة وكانت تغمره بحبها وحنانها وتجدد حيويته وثقته .. وايضا تخجله وتثقل على ضميره ..

أخذ يضنيه ويعذبه أنه لم يعد يملك ازاءها شيئا ، وأنه لا يستطيع أن يمنحها شيئا من حقوقها ، وان الهند استولت عليه واستغرقت كل حياته .

ثم بدأ عناء وعذاب جديد وعصيب ؛ فتحت سجون الهند أبوابها وازدحمت بعشرات الآلاف من الرجال والنساء وكان أولهم ، وطليعتهم واللذين انصب عليهما أشد العقاب والتنكيل هما غاندى ونهرو .. وهيىء للسلطة أنهما لو اعتقلا وأبعدا ، سوف ينتهى «الشغب» .

وأصبح السجن مقرا لايخرجان منه الا ليعودا إليه ثانية ، ولم يعد يرى كمالا ولكن اصبحت خطابات «كمالا» هى عزاءه فى السجن ، والتى تبدد وحدته الثقيلة الوطأة فى الزنازين المنفردة .. وأدهشته قدرتها على الكتابة .. «ولم يكن هناك أجمل من اللحظة التى يصل فيها خطاب منها»

ودفعت خطاباته بها مرحلة أبعد وأعمق ولهذا قررت أن تدع دور زوجة «البطل» التى تنتظر عودته لتجدد ثقته ، وقررت أن تشترك ، وأن تنزل إلى المعركة ، وأن يكون لها دورها الخاص .. إلى جواره !

وكانت حياة الأسرة قد انقلبت رأسا على عقب ، اعتزل الأب المهنة وتبرع بكل الثروة ووهب القصر المنيف ليكون بيت الشعب وانضم الى «المهاتما» ، وطرحت الشقيقتان حياة الترف والرغد وجلستا تحت اقدام أخيهما الأكبر !

ولكن فاقت «كمالا» الجميع وانطلقت إلى القرى والأحياء الفقيرة لتعبىء وتثير



نهرو .. الطريق الى السجن



راجيف غاندى

الفلاحات والعاملات ، وتنظم المظاهرات ، وتقود الاعتصامات والصدامات ، ومالبثت ان بهرت الجميع ـ لشجاعتها وقدرتها ، ونصبت بالاختيار العام زعيمة النساء فى « الله اباد » عاصمة الوطنية حينذاك

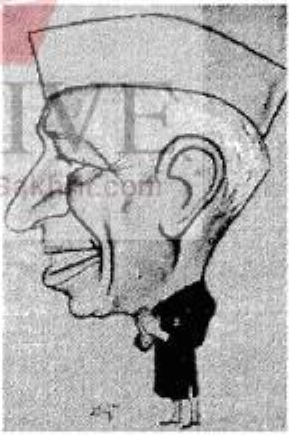
وذات يوم اعتقل كل الرجال فى المدينة ولم يبق منهم أحد ـ وهبت «كمالا» لتنظم اكبر مظاهرة احتجاج وتقود الصدام وتجاوب صدى الحدث كل الهند ووصل نبأها إلى «المهاتما» ونهرو ، فى السجن .. وشعر نهرو بالفخر كما لم يشعر به فى اى وقت آخر «اذهلنى ما يكمن فى ثنايا كمالا الرقيقة من مواهب «ومعجزات» ولاشك ان هناك ثنايا ابعد وأعمق لم تكشف عنها بعد وكان لابد وأن تنتهى كمالا » إلى المصير المحتوم فى السجن وأخذا يتبادلان الخطابات كل منهما من سجنه ! ! ولم تقو مع هذا على الاستمرار وكان عليها ان تتوقف وتسرب إليها ميكروب « السل » وزحف على كيانها الرقيق وبدأت رحلة عذاب مرير فى التنقل بين المستشفيات والمصحات .. بعد السجون ! !

ووصل النبأ إلى جواهر لال .. وأحزنه حزنا بالغا ولكن ظل يثق أنها سوف تشفى وتهزم المرض ، وتتمخض عن «كرامة» أخرى .

ولكن ذات يوم استدعاه مأمور السجن وأبلغه انه تقرر الافراج عنه مؤقتا لكى

نهرو .. وأنديرا .. اكلة هنيئة





يتمكن من زيارة زوجته المريضة وشدد على أن الافراج مؤقت ولهذا السبب «الانساني» فقط .

ووجدها ممددة في سرير المرض مجرد شبح لكمالا التي كان يعرفها ، نال منها المرض تماما وحاولت جاهدة ان تبتسم وأن تتماسك وأن تعبر عن سعادتها برؤيته ، ولكن كانت الحقيقة اثقل من أن تخفيها وقرر بينه وبين نفسه أن يتفرغ للعناية بها ورعايتها ، أن يكفر عن الذنب الكبير الذي ارتكبه باهمالها والتقصير في حقوقها ، ولابد أن يغمرها بكل الحب الذي يفيض به قلبه نحوها . ويحيطها بكل الحنان الذي افتقدته ويعبر بها هذه اللحظة الحرجة من حياتها ... وبذل كل ما يستطيع .

ودهش الأطباء للتقدم المضطرد في صحتها ولتدفق الحيوية في أوصالها والابتسامة التي عادت لتضيء وجهها ولاستجابتها للعلاج .

ولكن لم يطل ذلك أكثر من عشرة أيام وفجأة جاءت «الحكومة» لكي تستعيده وتخبره أن المهلة انتهت وتجلدت وهي تودعه ، وطمأنته على نفسها وأنها سوف تستأنف الكتابة اليها !

وتدهورت صحتها بعد رحيله وانتابه أرق دائم ، «لقد اصبحت كل شيء في حياتي ولم يعد ممكنا أن أفكر في الحياة بدونها ، أصبح كلانا يعتمد على الآخر في كل شيء .. وبعد ثمانية عشر عاما من الزواج ، استقر فهم كل منا للآخر فهما كاملا» .

وكتب أيضا : «كانت الآلام أشد مما احتمل لم يسبق ان عانيت هذا القدر من العذاب بل وبدأ الفزع والرعب يتملكني أحيانا مما عساه ان يحدث لكمالا» .

ومرت بضعة اسابيع ، ثم استدعاه مأمور السجن مرة أخرى وأبلغه أن الحكومة قررت نقله إلى أحد سجون الشمال ليكون قريبا من مصحة جبلية نقلت اليها زوجته للعلاج في مناخ مناسب ، وأضاف المأمور أن الحكومة رعاية لحالته سوف تسمح له بزيارتها مرتين في الاسبوع .

وتم ترحيله ووجد نفسه السجين السياسي الوحيد في سجن موحش بعيد وكان له أن يزورها مرتين في الأسبوع ولساعات قليلة ، ولكن يقضي الوقت كله الليل والنهار على السواء في عذاب متصل . «في كل مرة أزورها ، يطاردني شبح رهيب أن لا أجدها ، ورعب أشد وأنا اغادر خشية أن تكون المرة الأخيرة التي أراها» .

وكانت تبذل جهدا شاقا في كل زيارة لكي تبدو أفضل وأحسن ، وتخفف عنه قبل أن يسري عنها ، ولكن كان واضحا أن حالتها تسوء .

وذات يوم جاء من لخبره أن الحكومة على استعداد لأن تلغي الحكم وأن تفرج عنه نهائيا لكي يتفرغ لرعاية زوجته في حالتها الحرجة ولكن بشرط واحد هو أن يتعهد بعدم الاشتغال بالسياسة طوال فترة الحكم ..

«وكان ذلك يعني خيانة صريحة لنفسي ولمبادئي ولرفاقي ولكل شيء قامت عليه حياتي ولكن ساورني أيضا احساس أليم ، أليس من حقها أيضا أن أضحي من أجلها .. في هذه المحنة أليس لها نصيب في حياتي وقضيت كل أيامي يمزقني هذا

العذاب ويشل قدرتى على الاختيار » .
وخلال الزيارة التالية نادتنى وطلبت الىّ ـ على غير عادتها ـ أن اقترب منها لأنها تود أن تهمس فى أذنى .
وقالت بصوت خافت .. وحاسم ..
ـ ما هذا الذى يقال عن انك سوف تتعهد للحكومة بشىء من أجلى اياك أن تفعل «وازاحت الهم الثقيل ، وتنفست الصعداء .. » عائدا الى السجن » ومضت عدة اسابيع أخرى واستدعاه مأمور السجن ليبلغه أن قرارا صدر بالإفراج عنه نهائيا وأنه سوف يسافر على الفور إلى الخارج لأن زوجته نقلت للعلاج فى مصحة فى ألمانيا .
وانتقل من السجن إلى «الغابة السوداء » فى ألمانيا وفاضت السعادة بكمالا حين وجدته أمام سريرها ، وأنه سوف يبقى طوال الوقت معها ..
وحقق له ما كان يحلم به وأن يتفرغ للعناية بها وبلا شروط واستأجر غرفة فى فندق مجاور وكان يقضى اليوم بطوله معها ، ويقضى الليل وحيدا فى غرفته ، ولم يكن يريد أن يعرف بوجوده أحد فى ألمانيا الهتلرية .
واستعادت «كمالا » اشراقها وأضاء وجهها وبدأ الاطباء يدهشون للتقدم .. وكان أحد اسباب تقدمها أن تعرفت إلى صبى ايرلندى صغير كان يعالج فى المصحة ، ونشأت بينهما صداقة حميمة ، كان يتردد عليها ويجمع لها الزهور فى الصباح من الحديقة وازداد الأمل يوما بعد يوم فى شفائها ..

وصدم الجميع ذات صباح بوفاة الغلام الايرلندى فجاة وحاول بكل الطرق ان يخفى النبأ عنها ، ولكن تسرب اليها وانتابتها نكسة حادة .. وطلبت وهى تبكى ان لا تبقى فى المصحة ، وان تنقل منها على الفور ..
وانتقل بها إلى مصحة شهيرة فى لوزان بسويسرا وهناك بدا ان الدعوات الحارة قد استجيبت وان قوة خارقة خفية قد تفجرت من داخلها وبدات ترد لها كل ما سلبه منها لمرض .. معجزة اخرى توشك ان تحدث استردت صفاءها وذكاءها واقبالها على الحياة وبدات تمرح وتضحك ، وتجادل وتناقش .
واستبشر الجميع وكان اشدهم تفاؤلا الأطباء ، والذين وجدوا أن شفاءها التام وعودتها للهند قد لا تكون بعيدة .
وبدأ التفكير فى العودة وقرر ان يسبقها إلى هناك ، ليعد لاستقبالها وبحث الامر مع الأطباء ووافقوا ، وحجز مقعده على الطائرة ..
وفى صباح اليوم الذى تحدد لسفره استدعاه الطبيب وطلب اليه أن يؤجل سفره .
وفى صباح اليوم التالى ذهب لزيارتها كالعادة .. وكانت الفاجعة فارقت كمالا الحياة وتقرر وفقا للطقوس الهندية احراق جثمانها ، وان يحمل الرماد ليعود به وينثره فى نهر المحبة "المقدس"
فى دقائق تحول الجسد الرقيق الذى كان مضطرما بالحياة والوجه الوديع الجميل ذو الابتسامة الدائمة الدافئة .. تحول إلى رماد . "وحملت الصندوق الصغير الذى يحويه وتأملت هذا كل ما تبقى من كمالا .."

شتاء العام

شعر: جليلة رضا

شتاء ضيّق الانفاس دمّاع وبكّاء
يطلّ على الورى جهما كأن الناس اعداء
ويحجب شمسه عنا ويسكب حزنه فينا
فرفقا ايها المغرور هلا ترعوى حينا
على من انت غضبان ؟ وممن انت مستاء

● ● ●

شتاء وارم الاشداق ملتحف بغيماته
تباكى ثم ابكانى .. وارهقنى بآناته
طريد الكون صعلوك ، طفيلى ومجهول
اشلّ الخطو ، معلول ، وفوق الصدر محمول
ولاشىء به يمشى سوى دقات ساعاته

● ● ●

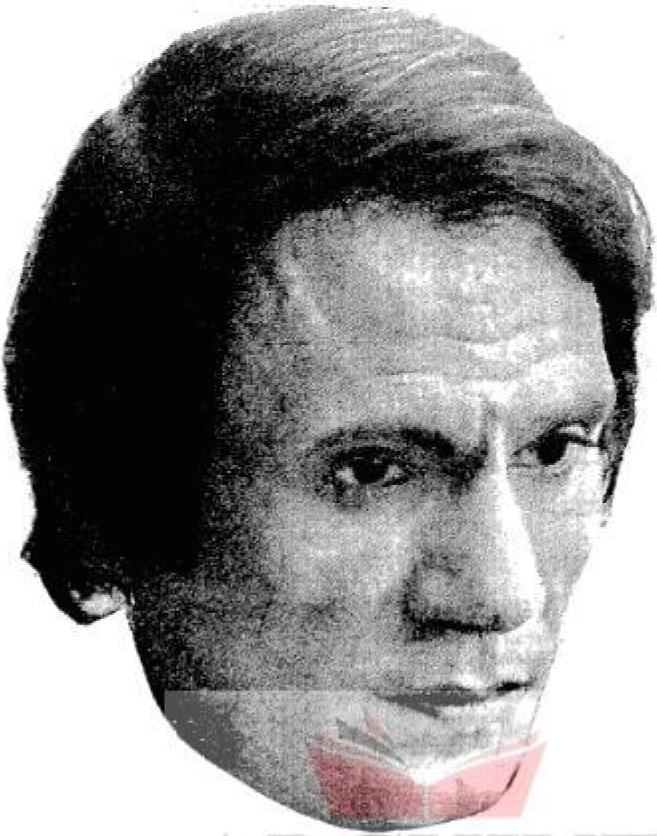
اتدرى ياشتاء العام كم انقصت من قدرى
انا فى الصبح منديل قديم ماج بالعطر
انا كالطائر الصيفى يشدو للورى حبه
على جدر مهدّمة وفوق سقائف خربه
انا فى الليل قنديل بلا زيت .. ألا تدرى

● ● ●

ولكن .. كيف قنديل بلا زيت ولا نار
وهذا الدفء فى روحى وفى اغوار اغوارى
وهذا الخافق الوثّاب يملأ عالمى قوّه
ويفرى البرد اوصالى فاسخر منه مزهوّه
ولى قلمى .. وقرطاسى ، ولى فى الليل اشعارى



في ذكراه الثالثة عشرة



العندليب وسره الفني

بقلم: كمال النجمي

في هذا الشهر تمر الذكرى الثالثة عشرة لأشهر ظاهرة فنية غنائية في النصف الثاني من القرن العشرين ... ظاهرة عبد الحليم حافظ أو العندليب الأسمر الذي احتفظ بمكانته وشهرته بعد رحيله كما كان يحتفظ بهما في حياته ! ..... إن التحليل الفني والعلمي يكشف سر العندليب في الغناء العربي المتقن المعاصر ، وهو سر بسيط ولكنه يستعصي على التقليد والتزييف !.

قاعدة ذهبية بسيطة جدا كانت السبب فى ارتفاع عبد الحليم حافظ إلى مكانته الفنية التى لم ينازعه فيها أحد طوال حياته ، وهى نفس القاعدة الذهبية التى كانت السبب فى عظمة ونجاح سى عبده الحامولى قبل عبد الحليم بعشرات السنين ! .

ولا يحتاج المستمع للتبحر فى علوم الغناء والموسيقى ليعرف أن هذه القاعدة الذهبية الفنية اسمها "الجاذبية" .

وتكوينات هذه الجاذبية يمكن تحليلها بالأجهزة العلمية الجديدة الدقيقة ، ولكن عمل هذه الجاذبية الفنية فى القلوب والجوانح لا يعرف سره إلا الله ! ...

إن عبد الحليم حافظ لم ينجح بقوة حنجرته ، ولا بكثرة مقامات صوته ، ولا بانسجام جواب صوته فى أعلى طبقاته مع قراره فى أكثر طبقاته انخفاضا ، وإنما نجح بالجاذبية الكامنة فى المنطقة الخصبة من مقاماته .... وكان عبد الحليم يعرف أن هذه المنطقة الخصبة من مقاماته الصوتية ليست أكثر عدداً ولا أوسع مساحة من مقامات الأصوات الأخرى ... ولكنها أكثر منها نضارة وغزارة وتعبيراً وإحساساً ...... وجاذبية للقلوب والأسماع .....

وقد دهش بعض المطربين ذوى الأصوات الواسعة المساحة ، القوية العضلات من نجاح هذا الصوت الخافت الصغير الحجم ، وتساءلوا وهم يضربون كفاً بكف : لماذا نجح هكذا .. واكتسحنا ، وخلفنا وراءه بعد أن كان مجرد نافخ "أوبوا" فى الفرقة الموسيقية بالاذاعة اللاسلكية للحكومة المصرية حتى بداية الخمسينيات ؟



ام كلثـوم

كأنما جهل هؤلاء المطربون أو نسوا القاعدة الذهبية للفنون الموسيقية والغنائية ، ولكل الفنون الإنسانية : الجاذبية !

إن نجاح الصوت لا يقوم على ضخامته ولا اتساع مساحته بل يقوم قبل كل شيء على جاذبيته ، وهى كلمة مبهمة فضفاضة ، تبدو كأنها غير علمية ... لكنها هى الكلمة السحرية والقاعدة الذهبية التى تفتح أبواب النجاح ، وهى فى التحليل النهائى كلمة علمية وعملية !

قبل خمسين عاما كانت منيرة المهدية سلطانة الطرب فى مصر ، وكان لها صوت كبير الحجم ، واسع المساحة ، ذو بحة كأنها أرغول عميق ساخن النبرات متعدد النغمات ، حتى لقد صرخ كمال أتاتورك ديكتاتور تركيا الأسبق عندما سمعها خلال رحلة لها فى تركيا منذ حوالى ستين عاما : أيها الناس ... إن هذه المطربة المصرية تغنى بحنجرتين فى وقت واحد !

ولكن صوت منيرة المهدية الهائل ،

انهزم فى أسرع وقت ، كأنه جيش فقد روحه المعنوية برغم كثرة أسلحته ...... وانتصر عليه صوت الشابة الصغيرة أم كلثوم التى جاءت من الريف تغنى لسكان العاصمة .

فقد كان هذا الصوت الجديد الشاب يحمل من الجاذبية وسحرها العجيب أضعاف ما يحمله صوت السلطانة ذات الأرغول والحنجرتين !

● الصوت الجذاب ينتصر

وقبل ستين عاما ايضا انتصرت جاذبية صوت المطرب الشاب الناشىء محمد عبد الوهاب على شهرة معاصريه الكبار ، فأحالهم إلى التقاعد ، ولم يصمد منهم فى الميدان إلا بعض من اعتصموا بحائط مبكاهم الفنى ، يغنون على اطلاله للذكريات !

وأثبت نجاح أم كلثوم وعبد الوهاب أن قاعدة "الجاذبية" لا تخطىء أبداً فى حكمها ، فالصوت الجذاب ينتصر ، وغيره يذهب مع الريح ... وحكمها دائماً نهائى !

وتطبيقا للقاعدة نجح عبد الحليم حافظ ، وسينجح كل صوت جديد يتقدم إلى المستمعين بجاذبيته لا بزعيقه ، ولا بتقليده لعبد الحليم أو لعبده الحامولى !

إن الصوت الذى سيكتب له النجاح هو الصوت الذى سيكون جديداً جذاباً مختلفاً عن صوت العندليب الأسمر ، وكل عندليب آخر من أى لون !

ولكن تلك القاعدة الذهبية السحرية التى لايعرف سرها الحقيقى غير جمهور المستمعين ، ليس معناها أن الأصوات ذات المساحة الواسعة والقدرة الفائقة على الأداء تتخلف أو تسقط فى الامتحان ، فى حين تتقدم الأصوات الضيقة أو الخافتة !

إن صوت أم كلثوم هو أعظم الأصوات جاذبية وسحراً ، ولكنه فى الوقت نفسه أوسعها مساحة وأكثرها مقدرة على الأداء ، وكذلك كان صوت عبد الوهاب الذهبى القديم قبل التغيرات التى طرأت عليه .

ولكن هاتين الحالتين ـ أم كلثوم وعبد الوهاب ـ جاءتا لتضيفا شيئا إلى تلك القاعدة الذهبية لا لتلتمسا مجرد تطبيقها عليهما ... وكان ذلك فتنة تملكت ألباب الناس ، وكلنا يعرف كيف كانت أم كلثوم ومازالت ... وكذلك عبد الوهاب .

ولعب "الميكروفون" دوراً حاسماً فى تطبيق قاعدة الجاذبية الذهبية على الأصوات ، فلولاه لما سمع الناس الصوت الملائكى ، صوت الشيخ محمد رفعت ولا سمعوا صوت عبد الحليم حافظ ، فإن عبد الحليم تفاهم مع الميكروفون إلى الحد الذى استطاع معه إبراز نبراته الخافتة الهامسة مجسمة القسمات والسمات فى أسماع الناس وأمام عيونهم !

ومع ذلك تختلف الجاذبية فى أذواق الناس ، فتتعايش الأصوات النادرة المعدن مع الأصوات الصفيح وكل يغنى على ليلاه ، ويكسب بعض ذوى الأصوات النكراء فى شوارع الملاهى ويجمعون الملايين ! .

ونحن نتحدث هنا عن الغناء والمغنين وعن القاعدة الذهبية فى نجاحهم ولكننا نذكر ايضا أصوات الملاهى التى هى أنكر الأصوات تسجيلاً لواقع الحال فى دنيا الغناء بعد رحيل ام كلثوم وعبد الحليم !

ولقد كان حتى للقبح و« الوحاشة » فى

الغناء المصرى قبل ثلاثين عاماً قواعد محترمة ، فكان المرحوم عزيز عثمان أقبح أصوات المطربين بلا منازع ، ولكن لايمكن أن نغض الطرف الآن عن أدعياء الغناء الذين يرتزقون من فساد أذواق بعض الناس ، ومن محاولاتهم إفساد أذواق جميع الناس !

وليس معنى الترحيب بالأصوات الجديدة أن تهلل وتكبر للأصوات المجهولة والمعروفة ، والشابة والشائخة ، المنهمرة علينا كالمطر من كل مكان بين المحيط والخليج !

لقد كان عزيز عثمان صاحب "أوحش" صوت فى مصر ، ولكن المستمع كان يحيى فيه اجتهاده الغنائى فى مصارعة فن الأداء ، وانتزاع النغمات من براثن نبراته الخشنة الحادة كأسنان المشط الردىء ... ومقدرته بعد ذلك على مواجهة المطربين ، فضلاً عن مواجهة المستمعين بعد أن رماهم بأدواره وطقاطيقه من وراء أسوار الإذاعة الحصينة ! .

وبهذا وذاك أصبح لعزيز عثمان لون غامض غير مفهوم ولا معترف به من ألوان الجاذبية ، يبعث لدى المستمع بعض الابتسام الساخر من صوته ، وبعض المرح أو الاستمتاع مع اليأس من محاولاته المستميتة للأداء بذلك الصوت الذى تربع على عرش قبح النبرات بلا منافس !

ولكن هذا القبح كله كان قبحاً فى الفن وليس فناً فى القباحة كالذى نراه الآن من مطربى كباريهات شارع الملاهى ! إن هؤلاء المغنين الصعاليك المفاليك يقدمون إلى الناس قبحاً خالصاً يمثل الزمان والمكان وواقع أحوال الانسان الآن ! .


عبد الحليم وعبد الوهاب زمن العمالقة

وهكذا تبدو "الجاذبية" كلمة مترامية الأطراف لكنها ليست كلمة مبتذلة بأى حال .. وقد سقط عبد الحليم أمام لجنة الاستماع فى الإذاعة ، أول مرة لأنهم لم ينتبهوا إلى جاذبيته ، ولكنه بمثابرته وموهبته وصحة جاذبيته استطاع أن يثبت لهم وللناس هذه الظاهرة الفنية الخفية التى اسمها عبد الحليم حافظ والتى تحولت بسرعة إلى أشهر ظاهرة فنية ثم انطفأت فى سمائها كما ينطفىء الشهاب !

والجاذبية ككل شىء فى الحياة ، تحتاج إلى عمل وموهبة وعلم ، لإثباتها وضمان ثباتها واستمرارها وقد جمع عبد الحليم كل اولئك فصنع لصوته جاذبيته الدائمة ، مقيماً وراحلاً ..... وهاهو ذا بعد رحيله بثلاثة عشر عاما يعيش فى أسماع الناس ، ويخالط وجدانهم ، ويبرهن على أن الجاذبية الفنية هى سر كل فنان تتعلق به الجماهير ... ولايمكن أن تقوم جاذبية الفنان على خداع ولا شعوذة ، فهى فى تحليلها النهائى حقيقة فنية وعلمية تستعصى على المخادعين والمشعوذين ! ...

الكاتب والرصيد

بقلم : فاروق خورشيد

فى رواية شتاينبك الرائعة (مراعى الجنة) شخصية تلعب الدور الرئيسى فى الفصل الثالث ، وان كانت تلعب ادوارا جانبية وهامشية فى باقى الفصول ، كما هو الحال بالنسبة لكل شخصيات هذه الرواية ، التى تلعب فيها كل شخصية من شخصياتها الرئيسية دورا رئيسيا فى فصل ثم تشارك كشخصيات هامشية وثانوية فى باقى الفصول .. الشخصية التى اتحدث عنها والتى استوقفتنى لفترة طويلة ـ اذ اننى انتهيت من قراءة هذه الرواية منذ عشرين سنة على الاقل ومع هذا ظلت هذه الشخصية تلح علىّ ، وتعيش فى ضميرى وعقلى الباطن الى ان فرضت نفسها الان .

هذه الشخصية هى شخصية (ادوارد ويكسى) او (القرش) كما كان يسميه سكان الوادى .. (ادوارد ويكسى) ـ كما يصفه شتاينبك له وجه مريح وعينان باردتان صغيرتان تكاد تكونان عاريتين من الرموش ، وكان يعرف بأنه اكثر اهل الوادى (حداقة) .. فهو دائما ما يعقد صفقات مستعصية ، ولايستريح ابدا الا اذا استطاع ان ينتزع بضعة سنتات ثمنا لمحصوله اكثر مما يحصل عليه جيرانه ....

ولنصاحته هذه فقد اكتسب احترام مجتمعه ، وعلى اية حال فقد كان يتظاهر وقتها بأنه يودع أمواله فى مشروعات ناجحة ، وكان فى اجتماع مجلس ادارة المدرسة يسأل النصيحة من الاعضاء الآخرين حول الأسهم المختلفة ، ومدى امكانيات الكسب العاجل من وراء استثماراته المتعددة ، ولهذا لقبه سكان الوادى باسم «القرش» وكانوا يقولون (شارك) هذا ، انه يساوى حوالى عشرين الفا وربما اكثر ، فليس شارك بالأبله قطعا ـ هو يعرف كيف وأين يستثمر أمواله ، وهو دائما ناجح حيث يفشل الاخرون .

ولكن الحقيقة أن شارك أو القرش لم يستثمر فى حياته قرشا ، وما كان يمتلك أبدا أكثر من خمس مائة دولار فى حياته ـ ولكن القرش او شارك كان يجد متعته الكبرى فى نظرة الوادى اليه باعتباره رجلا ثريا ، وقد كان يستمتع بهذا الاحساس بالفعل بحيث أصبحت هذه الثروة الموهومة شيئا حقيقيا بالنسبة له ،



حتى لقد حدد ثروته المتخيلة بمبلغ خمسين ألف دولار ، واحتفظ بدفتر حسابات يحسب فيه أرباحه من استثماراته العديدة المتخيلة ، وكانت عملية الحسابات هذه هى أمتع ما فى حياته كلها ..

وتمضى هذه الشخصية تلعب دورها فى قصة شتاينبك هادئة فى حياتها فى الوادى ، مغلقة على نفسها فى حياتها وسط الحسابات الوهمية التى تتزايد فيها الارباح يوما بعد يوم ، مستكينة الى ما يحوطها من دعاية ان صاحبها هو القرش أو الشارك الذى يعرف من أين تؤكل الكتف ، ويستمتع بطاعة زوجته الهادئة كاترين التى كانت تعيش حوله فى صمت واقتناع وتقديس ، وشخصية كاترين نفسها تحتاج الى وقفة فهى فى ظله آمنة ومستكينة لاتفتح فمها باعتراض ، ولاتستطيع ان تخالف أوامره مهما كانت الظروف والأحوال ، ولم تخرج عن هذه القاعدة ابدا الا مرة واحدة حين سمحت لاليس ابنتها أن تذهب الى حفلة الرقص أثناء غيابه ، وحين عصت أمره كانت هذه هى سقطة البطل ، فأليس كانت جميلة كما لايحلم أب لابنته ان تكون .. وكانت مع هذا غبية كما لايريد أب أن تكون ابنته . وكانت اليس هى ثروته الحقيقية التى يخاف عليها أكثر عشرات المرات من مزرعته وزوجته وحساباته الوهمية .. لقد كان حرصه عليها يدفعه الى أن يسأل امرأته كل شهر ، هل تمت لها الدورة الشهرية أم توقفت ـ سؤال مرعب ومخيف ومحير للأم التى كانت تثق فى براءة ابنتها وفى براءة زوجها ايضا ، ولكنها حين سمحت لابنتها ان تذهب الى حفلة الرقص التى يحضرها جيمى مونرو ، الفتى الذى يشيع عن نفسه أنه فاتك بين الفتيات ، وان مغامراته عديدة وانه يعرف منهن ما يفوق أحلام الوادى كله ـ والفتى الذى يخشاه القرش أكثر من خشيته لأى شىء فى الوادى وأى انسان ، فهو يخشى هذا الفتى على كنزه الثمين البرىء «اليس» وحين سمحت كاترين لاليس ان تلتقى بالفتى الفاتك فى غياب الزوج والاب ، وحين سمحت اليس لهذا الفتى الذى ملأ احلامها لكثرة تحذيرات أبيها لها من عبثه بعقول الفتيات ، ان يقبلها بحيث يراها عجائز الوادى ، وبحيث يتناقلون فى همس وفى علن أمر هذه العلاقة المفاجئة ، يحمل القرش سلاحا وضعه القدر امامه بالصدفة ويسرع وهو فى قمة الغضب الى منزل والد جيمى مونرو .. والى هناك يسبقه نائب المأمور وكبار رجال الوادى ليمنعوا جريمة مؤكدة ، ويسلم القرش سلاحه ويحكم عليه بغرامة مالية لتهديد حياة مواطن بالسلاح .. ولأن المشهور عن ادوارد ويكس انه ثرى بدرجة فاحشة فقد حكم عليه بمبلغ كبير .. وانهار ادوارد ويكس ، وانهارت احلامه ، وانهار الستار الوردى الذى كان يحيط به حياته ، حين يضطر الى الاعتراف بفقره وبأن ثروته زعم ووهم ، وأنه كان يكذب على الوادى كله وعلى نفسه .. ويضطر بعد هذا الى أن يجمع زوجته وابنته وما تبقى له من مال من ثمن بيع المزرعة بعد دفع الغرامة ، ويغادر الوادى الى الابد ..



ومنذ قرأت رواية شتاينبك هذه ، وشخصية ادوارد ويكسى الشارك او القرش مخزونة فى ذاكرتى لاتبرحها ابدا ـ ذلك الرجل الذى يدعى الثراء ويعلنه على الناس ، ويعلن عنه فى كل محفل ويروح يدون فى دفتره رصائد الربح المتراكم من نفقات وهمية وأسهم وسندات اشتراها فى خياله ولم تخرج الى حيز الفعل والوجود ابدا ـ وباستمرار وعندما يلح اسم كاتب من كتاب الوهم على أخبار الصحف والمجلات وندوات الاذاعة والتليفزيون ، أسأل نفسى ، أليس هذا الكاتب واحدا ممن يدونون أرصدتهم الموهومة ليلا فى دفتر حسابات لايراه احد الا هم ، وأليس ما يخرجون به الى الناس من ادعاء عريض شبيه بما كان يفعله القرش فى مجتمع مراعى الجنة ..

يعيش الكاتب فى عالم لاينتهى من الاحلام والرؤى التى لابد ان تخرج الى حيز الوجود ، إن توفر له الوقت والعمر والقدرة .. فكل يوم جديد اضافة جديدة الى عالم الكاتب الداخلى ، وكل إنسان جديد يعرفه يفتح امامه كنوزا من الأحلام والتصورات ، واعادة تقدير العلاقات ومعناها ، واضافة جديدة لحسه بالانسان والكون ، وفلسفة الحياة ومغزاها ـ وكل كتاب جديد يقرؤه مفتاح لعالم ورؤى جديدة تضيف الى ثراء وجدانه وعقله ، وتضيف الى دنيا تصوراته السحرية ـ وليس من كاتب يعيش الا وعيونه مفتوحة وآذانه مفتوحة ، وحواسه مرهفة ، وعقله فى حركة دائبة بين المعرفة والاستيعاب والتوليد ، وخياله يجمع كل هذا ويفصله حينا ، ويفرق كل هذا ويلملمه حينا اخر ... ومن كل هذا تتولد كل يوم أفكار جديدة ، ورؤى جديدة وانفعالات متجددة

تريد ان تفرض وجودها على قلم الكاتب ووقته وحياته ، ولاتهدا ولاتكف عن إلحاحها الدائم عليه حتى تخرج كلمات فوق الورق ، أخذت القالب الذى تريد ، والشكل الذى تحتمه على قلم الكاتب واسلوبه .. والكاتب يعيش غالبا ودائما حياة القلق والتوفز ، بين موضوع يكتب وموضوع ينتظر ، وموضوع ثالث يلح بأفكاره وعواطفه وانفعالاته .. وجزء هام من عمل الكاتب هو تنظيم جهده بين عمليات الابداع الفعلية وبين العمليات التى تسبق الابداع نفسه من تنظيم للافكار ، وترتيب للرؤى ، والاستعداد للحظة الكشف التى تفرض الموضوع على القلم فرضا ، وبين عملية التحصيل الدائم والاستيعاب المستمر. فالكاتب فى الحقيقة قارىء بالدرجة الاولى ، لن يكف عن القراءة والتحصيل الى النهاية وهو

الكاتب والرصيد

فاحص للحياة والناس . متأمل فيهما ، ولن تكف عمليات الفحص والتأمل عند الكاتب حتى النهاية، فالامر اذن عناء فى عناء .. ومن هذا العناء الدائم يكون رصيد الكاتب الذى هو ثروته الحقيقية فى دنيا الفكر والادب .. ولنسأل انفسنا ونسأل العديد ممن يتصدرون مجالس الادب والفكر دعاية واعلاما ، وكتابة هينة متسرعة بين الحين والحين - اين انتم من كل هذا العناء ؟ وما هو حقيقة رصيدكم فى دنيا القلم ؟ ثم أليس فيكم من هو هذا (القرش) الذى رسمه شتاينبك بحق فى ادوارد ويكسى الشارك .. ؟ لاعناء ولاجهد ولابذل ، اللهم فى اتقان الدعاية واحتراف الاعلان والادعاء ، وفى الليل يضيفون الى دفاترهم ارصدة وهمية لاعمال يتخيلون انهم كتبوها ، ولايهم ان تكون قد كتبت بالفعل ، وإنما المهم ان يظن الناس انها قد كتبت ، والمهم ان تزداد امام الناس ارصدتهم من الاعمال التى يخدعون انفسهم بتصوراتهم انهم انجزوها ، ويخدعون الناس بإعلانهم عنها ، ويضعها أمامهم الى رصيدهم الوهمى .. وهناك من الاعمال المطروحة للقراءة ما هى وهم فى ذاتها .. اى انها ليست حصيلة معاناة حقيقية ، او نتيجة تجربة فنية صادقة او هى نتيجة قراءة واعية وجادة .. هى اشباه الاشياء ، وليست الاشياء نفسها .. ولعل الجرأة على الامساك بالقلم دون موهبة ودون استعداد ودون دراسة ودون عناء ، هى السبب فى هذه الظاهرة فى الارصدة المزورة عند الكثيرين من أصحاب الموضوعات المكتوبة والمنشورة ، سواء فى مجالات النشر أو فى الكتب على السواء ، فالكتابة قد أصبحت بحكم المتغيرات العجيبة التى تمس عالمنا . مهنة وتدر ارباحا هائلة على من يجرؤون على مطاوعة المد ، والسير مع التيار الذى يزيف ويركب الموجة ، ويقدم التفسيرات والتعليلات ويستعمل القلم ليركب عنق المتلقين من جماهير الناس ، دون ارتباط ما بقضية او موقف أو فكر ، أو حتى ارتباط بمعنى مسئولية حمل القلم والكتابة أصبحت تدر أرباحا مخيفة على من يتواقحون فيزورون التاريخ ، ويتحكمون فى رؤية الواقع ويلوون عنق الحقائق لتساير منطق من يملكون ويقدرون ، ولايبالون بمستقبل الشعوب ولابصحتها ، ولابقدرتها على البقاء والمقاومة والمشاركة فى ركب العالم المتحضر .. دون ان تطرف لهم عين ، أو يهتز لهم ضمير ، أو يرتجف لهم قلم - دون احساس ما بأهمية هذا القلم وخطورته فى ترجمة آلام أمه ، ورسم طريق شعب ، وتحديد مستقبل القادمين على الطريق من أصحاب الفكر ، وصناع القرار ..

وبعضهم عميل يعرف انه عميل ، وهذا خطره واضح ومقاومته واجبة ، يدخل فى اطار واجب الادباء والمفكرين الى جوار واجب الاجهزة المعنية بسلامة المواطنين وامن تفكيرهم ، ولكن بعضهم عميل ولايعرف انه عميل ، وهذا هو الخطر الداهم والهم المقيم - فهو يندفع وراء مجموعة من الافكار الثابتة قد صنعتها فى ذهنه مجموعة من الظروف والمتغيرات ، الى جوار ضغط اعلام واع بفكرته

السياسية والتى يريد ان يحققها من خلال الكاتب ، . فى البيئة التعسة التى تعيش التخلف والانقراض .. وهذه الافكار الثابتة تجعله يحارب كل ما هو تقدم ، وتجعله يقف بكل ثقله وراء كل ما هو تخلف ، فهو من اصحاب المال ضد الفقراء ، وهو مع اصحاب القرار ضد من يتخذ بشأنهم القرار ، وهو مع اصحاب السلطة ضد كل ما ينتقض من هذه السلطة او يقلل من شأنها ، وهو مع اصحاب الثبات ضد كل تغير ، ايا كان هذا التغير ، وايا كان اتجاهه وتطلعه .. ولايعرف فى استغراقه الشخصى فى قضاياه الآنية معنى للمستقبل ولامعنى للغد ، وهو يعيش لحظته بكل ما تعطيه من عظمة وانتشار ووجود ، وهذا يكفيه ، ومن اجل هذا ينسى معنى الكلمة ، وكل معنى المثل وكل معنى ما عاهد نفسه عليه من كلمة حين بدأ الطريق فى تطلع الشباب والحلم والصراع من اجل تثبيت القيم والمثل .. هذا كاتب مخدوع عن نفسه وعن وطنه وعن شعبه ، وعن مستقبل هذا الوطن وهذا الشعب ، استهواه انه نجح فى ان يحتل مكانا مرموقا فى دنيا النشر ، فهو ينشر حيث تنشر العمالقة من الجيل الذى سبقه ، وهو يكتب فى المكان الذى تبوأ فيه هؤلاء العمالقة اغلى امجادهم واعظمها ، ويستقر فى ذهنه ونفسه ان ما يفعله هو النجاح وانه اصبح كهؤلاء سطوة وعظمة ، وانه كهؤلاء وجودا فى الحياة الادبية وكيانا ، ويعلم الله انه سقط بالمكان والمكانة الى ادنى ما يمكن ان يسقط اليه مكان ومكانة ، فلا هو اصاب شيئا ولا المكان استمر على احترام الناس له .. ولا اسماء الاعلام التى ملأت المكان يوما ، ردت حقيقة الحديث عنه ، او عن الحيز الذى يشغله الا بالرثاء والتحسر والذكرى التى تتمنى التغيير ، وربما تقفى العودة الى ما سبق ، والتى لاتجد الا الصمت عما هو قائم واعتباره كأنه ما قام ولا كان وكل هذا عدم وضياع .... واذكر كاتبا صديقا كان يتحدث معى ذات ليلة حين قال : لقد كتبت ما يملأ من الارض الى السقف من الاوراق لو رصت فوق بعضها ، ولكنى لست اعرف اننى كتبت شيئا .

هذا الصديق بالقطع كان فى وعيه الكامل ، فكلماته هذه تحمل المأساة ، مأساته ، ومأساة الكلمة العربية اليوم فى آن ، وهى تحمل باقى قصة القرش ، الذى يبحث عن ثروته الفالية ، عن اليس وعن احترام الناس له ككاتب ومفكر ، ويجد ان هذا الاحترام قد انتهكه مجيىء موزون آخر هو المرامة والصدق ، وازال عنه الوهم فتعرى .. والانتشار على حساب الصدق والاصالة والاجتهاد والتحصيل معناه ان الكاتب سيصحو يوما ليجد ان حقيقة رصيده قد غدت معروفة عند الناس ، وان ثروته من العطاء الفنى كانت وهما وتكون وهما ، ولن تكون ابدا الا الوهم ، فاما ان يحمل عصاه ويرحل عن دنيا الكلمة _ واما ان يظل مكانه مكشوف الستر ، مفضوح القيمة مزيف الرصيد .



رياح الحرية ورسائل الإنذار

بقلم : د. مصطفى سويف

يتضاعف شعور الكاتب في خضم الأزمات الكبرى بمسئوليته ، ويتأكد لديه ثقل الأمانة التى يحملها فى عنقه ، نحو صورته أمام ذاته ، وصورته أمام الآخرين ، ونحو الآخرين أنفسهم .
فأما مقومات الأمانة ففى مقدمتها أن يروى مايشهد ، فلايكتم الشهادة مختارا . وأن يروى صادقا مع نفسه ، فتكون روايته مطابقة لرؤيته . وألا يتوقف عند حد الرواية القاحلة الجرداء ، بل يشفعها باستخلاص الدلالات ومالتوحي به من ماليات ، لاستشفاف مستقبل الأحداث .

● تمور فى الذهن هذه الأفكار وأمثالها ، وفى ثناياها يبرز من حين لآخر تساؤل غير محدود المعالم حول معنى الأزمة العالمية فى صورتها الراهنة . ويستمر حوار الأفكار فى الذهن ، ويتصل إلحاح السؤال وإن تعددت صياغاته وتبلورت حول نواة مركزية مؤداها كيفية الإفادة من المعنى أو جدوى هذا التحديد . وتظل الإجابة على هذا السؤال ومايتولد عنه من أسئلة فرعية غائمة لاتشفى غليلا . ومع ذلك لايستطيع الكاتب أن يعفى نفسه من اداء الأمانة التى حملها مختارا .

مشاهد الأزمه سوالى فى تعدد وتباين يوما بعد يوم . ومع ذلك فالواجب الاول ان يقدم الكاتب منظوره عما يجرى . هو لن يستطيع القيام بتحليل تاريخى أو إجتماعى ، أو اقتصادى أو سياسي للأحداث ، ولن يستطيع أن يقدم أيا من هذه التحليلات بصورة منضبطة فى ذات اللحظة إذ لابد من مرور وقت كاف حتى تقع أحداث لاحقة تكشف عن الدلالة الحقيقية لأحداث سابقة ، وفى ثنايا هذا الوقت تظهر وثائق تكشف عن وقائع كانت خافية على غير المشاركين فى صنع الأحداث فتتغير الدلالات من وجهة إلى وجهة . كل هذا صحيح ، لكنه لايعفى الكاتب من تقديم منظوره عن مشاهد الأزمة وأحداثها ، بل ولايعفيه من مطلب الموضوعية فى المنظور الذى يقدمه ؛ ذلك أن الموضوعية أرحب وأشمل من تفصيلات التحليل التاريخى أو السياسى .

● أبعاد الأزمة الراهنة

المشهد الأخير فى الأزمة العالمية

الراهنة هو انهيار الجليد فى أوروبا الشرقية . ولكنّ هذا هو المشهد الأخير فقط ، فلا هو أول المشاهد ولا آخرها . ومن حيث هو كذلك فهو نقطة غليان ، أو عنوان على نقطة حرجة في مسار تغيرات متلاحقة بدأت قبل ذلك بكثير . وقد تعلمنا في صبانا أن مافى التاريخ من دروس وعبر إنما نفيد منه بقدر مانعلم عن المبتدأ والخبر . لذلك يتعين علينا أن نجتهد فى معرفة اين المبتدأ لما حولنا من أخبار ، فإذا أصبنا فبها ونعمت ، وإذا أخطأنا فلنا اجر الاجتهاد من قبل ومن بعد .

منهج التراجع التاريخى قد يفيدنا فى هذا الصدد . وربما كانت فضيلته الكبرى انه يمدنا بأسلوب منظم للقيام بتحليل تاريخى مؤقت ، إلى أن تتاح ادوات التحليل التاريخى الأكثر دقة وصدقا ، فتسمح لأهل الاختصاص بأن يقولوا كلمتهم . أما وجه الضرورة فى القيام بهذا التحليل التاريخى المبسط فيتمثل فى أن نتائجه مهما تكن مؤقتة فى قيمتها فإن لها وظيفة بالغة الأهمية ، فهى وسيلتنا إلى أن يكون لنا توجه على درجة لابأس بها من النضج نحو هذه الأحداث الجسام ، وإن يستقيم لنا هذا التوجه بسرعة تلائم وإن لن تطابق سرعة الأحداث فى جريانها .

جوهر الأزمة الراهنة أن العالم كله فى حالة مخاض إيذانا بمولد نمط جديد من تنظيم العلاقات الاجتماعية والسياسية على جميع الأصعدة ، الوطنية والإقليمية والدولية ويأتى هذا المخاض كتصعيد جديد لسلسلة من التحولات البالغة الخطر اتخذت شكل موجات عاتية ، تتسع رقعتها أحيانا وتضيق أحيانا أخرى ، وتشتد سرعتها لتأخذ شكل العاصفة الهوجاء



المطرقة والسندال .. هل تغيرت الصورة

حينا ، وحينا آخر تهدأ السرعة فيبطيء بعض الشيء تلاحق الأحداث . وربما أصاب الموجة التفتيت فى بعض الحالات ليكون لها بؤرات متعددة ، وفى حالات أخرى تتجمع طاقتها لتتفجر فى بؤرة واحدة أو فى عدد محدود من البؤرات . هذا هو جوهر الأزمة الراهنة ، مخاض يعقب سلسلة من التغيرات المتلاحقة والمتصاعدة ، التى لم تكد تترك مجتمعا واحدا على وجه الأرض فى حالة ركود . هذا منظور ينتمى إلى فلسفة التاريخ ، اكثر مما ينتمى إلى علم التاريخ كما عرفناه فى صورته التقليدية .

اما عن بداية هذا المنظور فى الزمان فيخيل إلينا انها الحرب العالمية الأولى . انقضى القرن التاسع عشر فى إقرار الكيانات السياسية الكبرى ودعمها . ومع قدوم القرن العشرين كانت عدة أجنة قد

تخلقت فى أرحام هذه الكيانات ، باسم صراع القوميات ، وباسم صراع الطبقات ، وباسم صراع المستعمرات ، وباسم صراعات أخرى ربما كان صوتها خافتا بعض الشيء . واختلطت هذه الصراعات جميعا فيما بينها ، واختلطت كذلك مع الصراعات التى تولدت بين الكيانات الكبرى نفسها . وكانت المحصلة النهائية من هذا كله موجات الحروب ، والثورات العنيفة ، والثورات السلمية على امتداد القرن العشرين ، بادئة بالحرب العالمية الأولى ، أول حرب بهذا المقياس فى تاريخ البشرية ولم تتوقف هذه الموجات أبدا طوال القرن العشرين . بل إن الأمر تعدى مجرد الاستمرار إلى التصاعد كما وكيفا ، فقد كانت الموجات فى مسارها عبر السنوات والأقطار ترسم خطا صاعدا نحو مزيد من الشمول والإصرار ؛ وكانت كل خطوة تالية تشهد بمزيد من تراكم الخبرة ، وشحذ الهمة . وفى أحداث بولنده على امتداد العقد الأخير نموذج يشهد بصحة هذا التصوير . قارن بين حركة تضامن وقد ولدت فى أوائل العقد وحركاتها وقد نجحت فى أواخره . ولتعميق دلالة هذا المثال قارن بين حركة تضامن فى هذا العقد سواء فى أوائله أو فى أخرياته وبين ثورة العمال فى مدينة بوزنان فى الستينيات ، ولمزيد من التعميق أكثر من ذلك قارن بين هذا الذى حدث فى بوزنان ومقدمات حدثت فى بولنده أيضا فى الخمسينيات وفى أعقابها قبض على جومولكا الزعيم البولندى الكبير وأدخل السجن فلم يخرج منه إلا ليحتوى أحداث بوزنان . أى تحليل تراجعى على هذا النحو فى أى بقعة من بقاع العالم الساخنة الآن يكشف لك عن صحة المنظور الذى تقدمه ، فى خطوطه الكبرى .

فى حدود هذا المنظور تبدو أبعاد الأزمة الراهنة ممتدة فى الزمان عبر عقود القرن العشرين حتى أوائله ، كما أنها تمتد فى المكان لتشمل الكرة الأرضية أو تكاد ، وكذلك تمتد عبر نظم الحكم بأشكالها المختلفة ، من الشمولية الاشتراكية ، إلى الليبرالية الرأسمالية ، إلى الديكتاتوريات بأقنعتها المتباينة . بل وتمتد عبر مستويات التقدم والتخلف على تعددها ومابينها من تفاوت .

● فى أعقاب المشهد الأخير :

طريق محفوف بالمخاطر فى استخلاص الدلالات أن يجعل الكاتب نقطة انطلاقه هى المشهد الأخير فقط من بين مشاهد الأزمة الراهنة ، هكذا دون أن يدخل فى حسابه عناصر المنظور الأخرى . وفى يقيننا أن هذه العناصر ، بما ذكرناه ومالم نذكره منها ، لاتقل خطرا وإن كان بعضها بلا ريب أقل جلية وضوضاء من مشهد انهيار الجليد فى أوروبا الشرقية :

القاعدة التى نبدأ منها قراءة الدلالة تجمع بين هذه المشهد الأخير بكل هديره وعنفوانه ، وبين تحرك الدول الأوروبية الغربية حركة وئيدة نحو الاندماج فى صورة كيان أوروبى موحد ، دولة أوروبية عظمى ، أيا كان تركيبها الداخلى الذى سترتضيه خلال المستقبل المنظور . هذا

التحرك جاء منتظما ومحسوبا فى معظم خطاه ، وقد بدأ منذ أواخر الأربعينيات ، على اثر انتهاء الحرب العالمية الثانية كان مشروعا يتقدم حسب خطة متكاملة ، وفى الوقت نفسه كان مشروع الرفض والثورة يتقدم فى دول أوروبا الشرقية حسب ردود افعال لاتبدو وراءها خطة مقصودة ولكنها كانت متكاملة فيما بينها تكاملا اقرب إلى العفوية أو إلى الخطط المتعددة قصيرة المدى . وكان المقام المشترك بين المشروعين هو الإصرار .

المشروعان معا ، رغم أوجه الاختلاف العديدة بينهما ، لابد من أخذهما فى الاعتبار عندما نصوغ استنتاجاتنا ، أو تنبؤاتنا . وليس هذا فحسب . فأوروبا الشرقية والغربية ليستا كل العالم ، وإن كانتا مركز إشعاع الأحداث المؤثرة اقوى الأثر ، فى الوقت الراهن اقل تقدير لايمكن إغفال أمريكا بكل مايحدث فيها من اتساع والتهاب للمناطق الساخنة ، وخلصة فى أمريكا الوسطى . ولايجوز تجاهل آسيا بما يقع فى الصين وفى الدول المتاخمة لها ، فيتنام ولاوس وكمبوتشيا . ولا أفريقيا بأحداث الجنوب والشرق والشمال . ولا كذلك مسرح الصدام فى الشرق الأوسط .

وبعد – فماذا عن الدلالات ، والتوقعات ، وماليمسنا منها ؟

التوقع الذى يكاد يبدو مؤكدا هو أن المشهد الأخير ، مشهد ذوبان الجليد فى أوروبا الشرقية لن يكون آخر المشاهد . أما ماذا يأتى بعد ذلك فليس بالضرورة أن يكون وجها مشرقا للحرية والديمقراطية . لكنه سوف يتحدد على أساس عدد من العوامل لاتزال تتفاعل فيما بينها . وربما كان من أبرز هذه العوامل الدعوة والدفع إلى توحيد ألمانيا بشطريها . وليس المهم هنا هو التوحيد نفسه ، لكن المهم هو القوى الفاعلة فى التوحيد وبلورته . وقد أتت الأنباء أخيرا بوجود تنظيمات يمينية متطرفة عبرت من ألمانيا الغربية إلى الشرقية ، وأنها نشطة فى الدفع إلى التوحيد . ومعنى ذلك ان التحرك إلى التوحيد قد لايكون بشير استقرار وديمقراطية بقدر ماهو نذير بكابوس مزعج ، لأوروبا وللعالم بأسره ، يقوم على تصفية حسابات قديمة ، ومواصلة السير من حيث اجهضت المسيرة السابقة مع نهاية الحرب العالمية الثالثة . ربما !!

وثمة عناصر أخرى داخلة فى التفاعلات فى أوروبا الشرقية ، ففى بلغاريا ورومانيا كان من بين البؤرات المبكرة فى الظهور والمؤثرة فى مسار الثورة متاعب تتعلق بالأقليات ، وفى بوتقة هذه المتاعب كانت تختلط عناصر عرقية ودينية وسياسية ومثل هذا جرى ولايزال يجرى فى بعض الجمهوريات السوفيتية فى آسيا الوسطى . وتبدو نتيجة التفاعل هنا مفتوحة لاحتمالات متعددة ، منها مايدعم أحلام الحرية والديمقراطية ، ومنها مايخنق هذه الاحلام .

ويمكننا أن نضيف فى هذا السياق مزيدا من التحليلات التنبؤية بما يحتمل أن يقع فى الصين بعد وفاة نجوم المجموعة الحاكمة فى الوقت الحاضر . وقد يفيد أن نذكر هنا ان هذه المجموعة نفسها ، وبأشخاصها ، قفزت إلى الحكم فى منتصف السبعينيات باسم الحرية والديمقراطية فى مواجهة عصابة الأربعة !!

وقد نضيف كذلك مايحتمل أن يحدث فى مجموعة الدول المتاخمة للصين

وماييدو أن اليابان مقبلة عليه من تغيير دورها فى السياسة العالمية ، وقد فرغت من تشكيل هذا الدور فى الاقتصاد العالمى . يخيل إلينا أنها تستعد الآن للقيام بمهمة الدول العظمى على الصعيد السياسى .. وسيكون لهذه المهمة أبعاد معينة نحو آسيا فى المقام الأول . ونحو أوروبا فى المقام الثانى . ويغلب علينا الظن بأن هذه الأبعاد لن تعنى مزيدا من الحرية والديمقراطية والسلام فى جميع الأحوال .

وتحليلات وتوقعات أخرى عن أمريكا اللاتينية ، وأفريقيا السوداء ، ومنطقة الشرق الأوسط العربى .

ولكن خارج هذه الدائرة ، تقوم علامات تنبىء بأمور أخرى ، وأخرها الغزو العسكرى الأمريكى لبنما . ويغض النظر عن كل الشوائب الإعلامية التى أحاطت بهذا الغزو ، لتلميع وجه الغازى ، وتلطيخ صورة المغزو ، فقد نرى فيه رسالة إنذار مبكر ، هذا الإنذار موجه إلى أية دولة أمريكية صغيرة بسوء المآل إذا سولت لها نفسها الخروج على الإرادة الأمريكية . ويكتمل معنى الرسالة بل وتزداد بلاغتها إذا أضيف لها الفيتو الثلاثى من أمريكا وانجلترا وفرنسا ضد مشروع قرار مجلس الأمن بوقوف الرأى العام العالمى ضد هذ الغزو . هذا الفيتو إنذار مكثف لمن يستطيع أن يتذكر فتنفعه الذكرى ؛ فقد قامت فرنسا وإنجلترا من قبل بغزوتين مماثلتين ، فرنسا فى جزر القمر منذ بضعة أسابيع ، وإنجلترا فى جزر الفوكلاند منذ بضع سنوات . وبذلك تتحول الرسالة إلى إنذار مبكر موجه إلى أية دولة صغيرة حيثما كانت ، إذا حاولت هذه الدولة أن تثور على سادتها الكبار فى الغرب مثلما تحاول دول أوروبا الشرقية على سادتها الكبار فى الشرق .

وثمة رسائل إنذار مبكر أخرى . فمنذ أسابيع قليلة جرى حوار عربى أوروبى يشبه أن يكون مشروعا تمهيديا لتنظيم العلاقة بين العرب وأوروبا الموحدة بعد عام ١٩٩٢ .

وكان من أهم المطالب العربية فى هذا الحوار طلب بتيسير الحصـول على التكنولوجيا المتقدمـة وكان السيـدة مارجريت تاتشر أن هذا المطلب شديد الطموح ، وأن المجموعة الأوروبية لن تستطيع أن تستجيب له . وقبل ذلك ببضعة شهور ، أثناء احتفال فرنسا بعيد الثورة الفرنسية فى ١٤ يوليه الماضى ، حدثت محاولة مماثلة بصورة غير رسمية ، قام بها وفد محدود من عدد من حكام العالم الثالث لجس النبض مع عدد محدود من حكام العالم الأول . وكانوا جميعا ضيوفا على الحكومة الفرنسية ، وكان الموضوع هو مستقبل المديونية واقتراح أسلوب للتفاوض بشأن تيسير إجراءات السداد .. ورفض الاقتراح صراحة وبلا أدنى تردد . وكان على رأس الرافضين الرئيس جورج بوش .

ثم هناك فئة أخرى من رسائل الإنذار المبكر ؛ وتتمثل فى مسارعة الوجوه الجديدة فى السلطة فى عدد من دول أوروبا الشرقية إلى إعلان استعادة العلاقات الدبلوماسية الكاملة مع إسرائيل ، بعد توقفها منذ حرب عام ١٩٦٧ . وفى

هذا الوقت بالذات !!
والسؤال الآن

كيف نفهم هذه الرسائل ؟ ماهى الدلالات التى تنطق بها فى إطار الأزمة العالمية الراهنة ؟

فى ظننا ان الرسالة الأولى ، وهى موجهة إلى كل من يهمه الأمر ، تقول إن رياح الحرية لاتعنى سوى التحرر من سلطان الحكم الشيوعى ، أو الاشتراكى ، او الديمقراطى الشعبى ، أيا كانت الأسماء والألقاب المتداولة فى هذا الفلك . وانها تلقى الترحيب والتشجيع المعنوى والمادى من القوى الفعالة فى العالم الغربى مادامت محصورة فى هذا النطاق وحده . وأن من يتصور غير ذلك يرتكب خطأ فادحا لن يلوم عليه إلا نفسه . وسيكون مصيره مصير بنما ، وجزر القمر ، والفوكلاند ، وخليج سرت على السواحل الليبية .. إلى آخر هذه الأحداث التى توالت طوال عقد الثمانينيات .

وفى ظننا كذلك أن الرسالة الثانية ، وهى مكتوبة بالدرجة نفسها من الوضوح الذى كتبت به الرسالة الأولى وإن لم تكن بالقدر نفسه من الإسهاب ، تقول إن شعوب شرق أوروبا وهى تفتح النوافذ لرياح الحرية تولى وجهها شطر غرب أوروبا فحسب ، فالأوروبيون يتحدثون إلى الأوروبيين ، والمقام المشترك بين الفريقين هو «الأوربية» (أو الأورو ـ أمريكية) . وبالتالى فإذا تصور الناس فى بلادى أن الثائرين فى شرق أوروبا إنما ينادون بالحرية هكذا ، باعتبارها مطلبا إنسانيا أساسيا لاينفصم عن العدل ، أو باعتبارها مضمونا لمستوى جديد من الوعى السياسى العام يستوعب ماقبله ويستشرف مابعده ، وباعتبارها خطابا موجها إلى الإنسان حيثما كان وأيا كان عرقه ولسانه ، فهذا رأى موغل فى الخطأ . إنما هم يثورون طلبا لطراز من الحرية يمكن أن تسميه الحرية الأوروبية .

ومن ثم فلا وزن ، ولامعنى ، بل ولا وجود لشىء من قبيل الانتفاضة الفلسطينية فى وجدانهم ، ولا فى حسباناتهم . وهم لايرون أى تناقض بين ثورتهم على طغيان حكامهم وبين دعمهم المتعجل لصورة إسرائيل فى العلاقات الدولية .

خاتمة :

هاتان رسالتان لالبس فيهما ، تحمل كل منهما إنذارا واضح المعنى والمبنى . تأتى إحداهما من الغرب ، والثانية من الشرق . وتلك من المصادفات السعيدة فى الحياة لأمثال شعوبنا ومناط السعادة هنا أن يأتى الدرس بهذا الوضوح ، وبهذا التكثيف فى هذا الزمن القصير .

ومع ذلك فلا يجوز لرسائل الإنذار هذه أن توهن من عزائمنا .

لايجوز لها أن تثنينا عن الإقبال على رياح الحرية ، ولا عن استخلاص الدروس والعبر ، تلك التى تخصنا ، من جريان الأحداث بين المبتدأ والخبر . وربما كانت عبرة العبر فيما كان ويكون ، هى فى استخلاص أن سلطان الحاكم على المحكوم ، مهما يكن التبرير ومهما تكن الشعارات المواكبة له ، يجب أن تقترن به وتكافئه رقابة المحكوم على الحاكم . وأن مستقبل الكرامة الإنسانية إنما يكمن فى ابتكار أفضل صيغة لهذه المعادلة ، وأكثرها استعصاء أمام عاديات الزمن .

دائرة الحوار

مستقبل الاشتراكية

بقلم: د. فوزي منصور

فى القرن التاسع عشر، قرن الحلم الاشتراكى، كانت الاشتراكية وخاصة كما صورها ماركس ورفاقه، ينظر إليها على انها النتاج الطبيعى والحتمى لتطور التناقضات الداخلية التى تحفل بها المجتمعات الراسمالية المتقدمة: تظهر الاشتراكية فى هذه المجتمعات واحدا بعد الآخر لكى تملأها عدلا بعد ان ملأتها الراسمالية جورا، ولكى تحقق وفرة تفوق ماكانت الراسمالية العالية التطور قد حققته بالفعل.

كانت الاشتراكية المرتقبة ثمرة التقدم الراسمالى والبانية على إنجازاته فى كل المجالات: فى مجال تطوير قوى الانتاج وفى مجال الممارسات الديمقراطية والحريات الفردية، وفى مجال التحرر الفكرى والتقدم العلمى، وفى مجال الازدهار الثقافى، لكنها إذ كانت ترث هذه الانجازات وتبنى عليها كانت تنشىء فى الوقت ذاته مجتمعا جديدة يختلف كيفيا عن سابقه ويفضله من كافة النواحى:

فقوى الانتاج سوف تتطور بمعدلات أعلى تسمح بالوفاء المتزايد بحاجات الانسان المادية والمعنوية بفضل القضاء على التناقض القائم فى المجتمع الراسمالى بين ملكية الراسماليين لوسائل الانتاج وبين الطابع الاجتماعى للعمليه الانتاجية، ويتم ذلك عن طريق تحويل هذه الملكية الخاصة التى تزداد تركزا فى يد عدد اقل فاقل من الراسماليين الى ملكية اجتماعية.

وبزوال الملكية الخاصة لوسائل الانتاج - هكذا كان التصور - يزول انقسام المجتمع إلى طبقات مستغلة واخرى مستغلة تتناحر مع بعضها البعض ويزول معه القهر الطبقى الذى تمارسه الأولى على الثانية من خلال سيطرتها على سلطة الدولة واجهزتها، وينفسح المجال للممارسات الديمقراطية والحريات الفردية التى تشمل الجميع ولاتقتصر على فئات محدودة متميزة، والتى تمتد إلى مكان العمل وكافة نواحى الحياة الاجتماعية بدلا من أن تقف محدودة بحدود صندوق



البندقية تواجه صراع القوميات في الاتحاد السوفييتي

الاقتراع الضيقة . ويتحرر الفكر الانساني من كافة القيود التي كانت مهمتها - تاريخيا - تكريس ظاهرة الاستغلال الطبقي والتنظير له . وتصبح الثقافة ملكا للبشر ونتاجا لهم جميعا لا لفئة محدودة منهم .

ومع انتشار الاشتراكية السريع من بلد رأسمالي عالي التطور إلى آخر يماثله ستنتفي أيضا التناقضات بين الشعوب وتنتفي الحاجة إلى الجيوش وترسانات الأسلحة . تتحول السيوف الى محاريث وتتحول الدولة من أداة للقهر الطبقي والتناحر الأممي إلى مجرد لجنة تنفيذية تنوب عن المجتمع الديمقراطي في إدارة الأشياء .

(٢)

على أن الاشتراكية التي تحققت في القرن العشرين على يد خلفاء ماركس لم تظهر حيث كان ماركس يتوقع لها الظهور : في بلدان المغرب لكي تحل تناقضات التقدم وتتجاوزها وإنما ظهرت في المشرق حيث التخلف الاقتصادي والاجتماعي والثقافي .

وفي مرحلة أولى ظن خلفاء ماركس أن الاشتراكية التي ظهرت على أيديهم في غير موطنها الطبيعي لن تلبث أن تصحح هذه المفارقة التاريخية وتنتقل إلى المغرب بادئة على الأرجح بألمانيا لكنها مضت في إصرار عنيد تنتقل من بلد متخلف إلى آخر أكثر تخلفا . وتعين البحث لها عن أساس نظري يختلف بعض الشيء عما قاله ماركس .

من هنا كانت مقولة ظهور الاشتراكية في أكثر حلقات النظام الرأسمالي ضعفا : حيث تبلغ التناقضات الداخلية أقصى

درجات الحدة ، وتعجز الرأسمالية المحلية (الناشئة ، أو الوليدة ، أو الجنينية) عن القيام بالمهام التاريخية التى انجزتها فى الغرب ، وتصبح مهمة الاشتراكية اختزال مرحلة الرأسمالية المتهافتة (فيما سمى بإنجاز مهام الثورة البرجوازية الديمقراطية أو الثورة الوطنية الديمقراطية) ثم التحول السريع إلى مرحلة البناء الاشتراكى . **ولم يكن هناك بد أن تظهر آثار اختلاف الموطن والظروف (عما كان يتوقعه ماركس) على هذا النبت الجديد الذى ظل مع ذلك ينتسب إلى الاشتراكية :**

أ ـ فظهور الاشتراكية فى بلد ضعيف **نسبيا (روسيا القيصرية) وتوقفها طويلا داخل حدود هذا البلد اغرى البلدان الرأسمالية التى كانت تسيطر على باقى العالم بمحاولة وأد الظاهرة الوليدة ، ثم تحطيمها ، ثم تضييق الخناق عليها** بكافة السبل . من هنا كان تدمير الرأسمالية العالمية للقوى الانتاجية فى الاتحاد السوفييتى مرتين على نحو لم يسبق له مثيل منذ أيام هولاكو : مرة فى حروب التدخل التى أعقبت الثورة ، وأخرى على يد جحافل النازية ، ثم الحصار الاقتصادى الذى لاتزال بعض آثاره قائمة حتى اليوم .

ومن هنا أيضا كان اضطرار الاتحاد السوفييتى لاعطاء اولوية اولى لكل مايتصل بالدفاع ، بكل مايترتب على ذلك من حبس للموارد الاقتصادية الطائلة فى اتجاهات غير منتجة ، وتركيز مبالغ فيه على الصناعات الثقيلة واسراع فى عمليات التجميع الزراعى .

يضاف إلى ذلك أن شعوب الاتحاد السوفييتى تحملت تضحيات اقتصادية وعسكرية لم يشهد لها التاريخ مثيلا من قبل لمساندة التحولات الاشتراكية وحركات التحرر الوطنى فى بلدان أخرى .

ب ـ وقد كان على البلدان التى سارت على طريق الاشتراكية أن تبنى الهياكل الاقتصادية الأساسية التى كانت شديدة التخلف أو شبه معدومة فيها جميعا باستثناء بلدين او بلدين فى أوربا الشرقية ، وان تقوم بعمليات التراكم (أو الاستثمار) اللازمة لتطوير قوى الانتاج المتخلفة فيها بالاعتماد على قواها الذاتية ، كما كان **عليها ان تركز هذه العملية الشديدة التكلفة والبطيئة (بالنسبة لبلد متخلف) بالاعتماد على قواها الذاتية وفى فترة تاريخية كانت صعبة بقدر ماكانت قصيرة** . وتمشيا مع تطلعاتها الاشتراكية كان عليها أيضا أن توفر الموارد اللازمة لتقديم الخدمات الاجتماعية والتعليمية والثقافية والصحية لمجموع الشعب لا لطبقات متميزة منه ، وبشمول يفوق ماوصلت اليه بعض البلدان الرأسمالية العالية التطور حتى الآن .

باختصار : كان عليها أن تحقق فى بضعة عقود ماوصلت إليه البلدان الرأسمالية المتقدمة فى عدة قرون ، ووصلت إليه ـ فى نهاية المطاف ـ بفضل الاستغلال الرأسمالى البشع لطبقاتها العاملة على نحو مكثف لم تعد ظروف العصر الحديث تسمح بتكراره فى اى بلد رأسمالى أو اشتراكى وبفضل الاستغلال الأكثر بشاعة

للثروات وعمل شعوب البلدان المستعمرة وشبه المستعمرة (العالم الثالث) التي كانت وظلت حتى الآن الاحتياطي الرئيسي للرأسمالية عالية التطور

ج - وبالإضافة إلى تخلفها الاقتصادي ، كانت البلدان التي حاولت بناء الاشتراكية متخلفة أيضا - بكل مقاييس العصر - من النواحي السياسية والفكرية والثقافية . فعادات الانضباط والنظام والمواظبة والدأب والدقة واحترام التكامل في العمليات الانتاجية وغير ذلك من القيم التي فرضها التطور الرأسمالي - وخاصة نظام المصنع - على شعوب العالم المتقدم لم تكن قد تأكدت بعد لدى الطبقة العاملة الوليدة القريبة من أصولها الريفية .

ولم تكن الممارسة الديمقراطية في النقابة او الحزب أو البرلمان جزءا من التراث المتراكم ، ولم يسهم تطور بورجوازي طويل في ارساء قيم الحرية الفكرية وغيرها من الحريات الفردية على نحو ماحدث في الغرب .

ولفترة طويلة ساد الظن - او الوهم - أن « ديكتاتورية البروليتاريا » يمكن أن يكون لها وجهان دكتاتورية الطبقة الجديدة المنتصرة في مواجهة الأعداء الطبقيين للنظام الاشتراكي الجديد ، تمارسها كضرورة تاريخية على نحو مافعلت في الماضي بكل الطبقات المنتصرة - بما في ذلك البورجوازية نفسها - في لحظات انتصارها الثوري ، والوجه الآخر هو ديمقراطية الطبقة العاملة التي لاتلبث أن تتحول إلى ديمقراطية الشعب العامل تمارسها الطبقة العاملة الحاكمة داخل



ماركس



لينين

صفوفها . كذلك كثر الحديث الرومانسي أو العاطفي عن القيم الجديدة للطبقة العاملة التي سوف تحل محل قيم البورجوازية المتحللة ، وعن فكر الطبقة العاملة ، وثقافتها وفنها .. الخ وربما لو كانت الاشتراكية قد بنيت ابتداء في المجتمعات الرأسمالية . العالية التطور وفي ظروف الرخاء والارتخاء النسبي لأصبح لكل هذه المفاهيم مضمون حقيقي متقدم يبنى على تراث طويل ويتجاوزه .

لكن محاولة بناء الاشتراكية قد جرت كما رأينا في مجتمعات متخلفة في كافة النواحي وتحت ضغوط اقتصادية داخلية وخارجية هائلة . ومن هذه المفارقة التاريخية نبتت مفارقة تاريخية اخرى لاتقل غرابة هي تحول الماركسية التي يفترض انها خلاصة ثمار تسليط التفكير العقلاني العلمي على قضايا المجتمع ، تحولها في هذه البلدان إلى عقيدة جامدة تفرض بقوة الدولة على كل نواحي الحياة الفردية والاجتماعية والفكرية .

وقد كان لهذا الغرض نتائج فادحة . فبدلا من أن يساعد الفكر العلمي الحر على الوصول إلى الحلول السليمة لقضايا البناء الاشتراكي في بلد متخلف

او على الأقل على تقليل وتقبل صعوبات هذا البناء . اضاف الجمود والفرض بقوة السلطان إلى هذه الصعوبات في كثير من الاحوال . وعلى كل المستويات ادى ذلك وخاصة في العقدين الأخيرين إلى قدر كبير من اللامبالاة وانعدام الثقة فيما ترديده اجهزة الاعلام والتثقيف الرسمية حتى ولو كان صحيحا في ذاته .

على المستوى الشعبي انتشرت الخرافة والفكر اللاعقلاني ، على النحو الذي يصدم الآن من يتابع بعض ماتنشره وسائل الاعلام السوفييتية .

وبين المثقفين تعددت الاتجاهات ، ابتداء من الترديد الممل غير الخلاق لمواقف السلطة « الفكرية » عن اقتناع او غير اقتناع إلى الوقوع فريسة سهلة في احابيل العلوم الاجتماعية البرجوازية . وكاتب هذه السطور لن ينسى دهشته عندما تبين ، اثناء مناقشة جرت مع أساتذة قسم الاقتصاد السياسي في مدرسة الحزب العليا في براغ في عام ١٩٦٧ (التي كانت تعتبر قلعة الفكر الماركسي) أن آخر قناعاتهم الفكرية هي نظريات المدرسة الحدية في الاقتصاد البرجوازي وبعض افكار كينز التي كان قد عفا عليها الزمن .

افتتنوا بها لأنهم لم يكونوا قد تعرفوا عليها إلا من فترة قصيرة عندما وقعت في أيديهم بعض الكتب الأجنبية . وفي أوائل الثمانينات كان كبار المسئولين في الصين يرسلون إلى واشنطن لحضور دورات تدريبية في واحد من أكثر معاهد العالم تخلفا من الناحيتين الفكرية والتكنولوجية (حتى بالمقاييس البرجوازية) هو معهد التنمية التابع للبنك الدولي ، كما أن اساتذة هذا المعهد كانوا يستقدمون الى الصين لاعطاء دورات مكثفة في وسائل واهداف إدارة الاقتصاد القومي ! وفي الاتحاد السوفييتي الآن يقدم « طلائع المثقفين » المدرسة البنيوية ووسائل استطلاع الرأي العام على الطريقة الأمريكية على أنها الصيحة الأخيرة في علوم الاجتماع التي كانت غيبتها سببا في تخلف المجتمع السوفييتي ، وعجزه عن تطبيق الديمقراطية .. تطبيقات متعددة من أماكن متفرقة لظاهرة واحدة : هي أن الجمود الفكري المفروض بواسطة السلطة والانعزال عن كافة التيارات الثقافية (حتى المعادية منها) يصيب المثقفين بمرض انعدام المناعة الفتاك ويجعلهم تحت رحمة أي وافد غريب يأتي من الخارج .

(٣)

والآن ونحن نقف على مشارف القرن الواحد والعشرين ، ماذا سوف يحمل للاشتراكية هذا القرن ؟

في البلدان التي تنتسب إلى الاشتراكية ، هل ستنجح سياسة المصارحة الجديدة وبوجه أعم الممارسة الديمقراطية الشاملة ، في شق طريق جديد خلاق للماركسية يدفع بها إلى تجاوز التخلف والانطلاق نحو البناء التدريجي للاشتراكية الحقة ، أم سيثبت أن ماسمي في الماضي بمرحلة بناء الاشتراكية لم يكن سوى انعطافة مؤقتة ، وأن الطريق

الجديد الذى تقود إليه المصارحة وإعادة البناء هو طريق التطور الرأسمالى الذى يصعب اختزاله ؟

● هل ستبقى البلدان الرأسمالية عالية التطور قادرة فى الظروف الجديدة وبوجه خاص ظروف غيبة « العدو » المشترك الذى كان وجوده يسهم فى تحقيق تماسكها الداخلى ، على التجاوز المستمر لتناقضاتها ومتابعة النمو والتوسع ، أم إنها كما كان ماركس يتنبأ لن تجد الخلاص فى تناقضاتها المتزايدة إلا بانتهاج طريق الاشتراكية التى كان يتصورها : اشتراكية الوفرة والعدالة والحرية معا ، إما من خلال الطريق الثورى الذى تفرضه عليها أزماتها المتصاعدة أو عن طريق التحولات التدريجية ، لكن الأكثر حسما مما يحدث الآن – على سبيل المثال – فى بعض بلدان أوربا الشمالية ..

● ثم هذه المنطقة الواسعة التى يطلق عليها بلدان العالم الثالث : أى الطرق سيبقى مفتوحا أمامها ؟ طريق التطور الرأسمالى تطوقه مقتفية – على مسافة قرن أو قرن ونصف من الزمان – آثار البلدان الرأسمالية العالية التطور الذى قد ينتهى الى الاشتراكية ؟ أم أنها وقد سد أمامها هذا الطريق سوف تبتدع لنفسها أشكالا أكثر ملاءمة وأكثر صدقا وفعالية للتحول السريع إلى الاشتراكية أو ستشق عبر الصخور طرقا خاصة . يصعب الآن تصور معالمها وقد يفضى بعضها إلى نهايات مسدودة ؟

هذه الأسئلة جميعا واردة بالنسبة لأى تساؤل يتقصى مستقبل الاشتراكية . لكنها فى تقديرى ستبقى قاصرة بل وقد تكون مضللة إذا لم توضع فى إطارها الصحيح : اطار التساؤل عن تطور ومصير النظام الاقتصادى العالمى فى مجموعه وفى ظنى أن غيبة هذا الاطار هى السبب الرئيسى فى وقوع ماركس فى خطأ التنبؤ بأولوية – واقتراب – ظهور الاشتراكية فى المجتمعات الرأسمالية عالية التطور كما كانت هذه الغيبة أيضا مسئولة عن توهم بعض خلفائه أنهم قادرون على بناء الاشتراكية فى مجتمعات متخلفة ، محدودة القدرة بالمقارنة مع النظام الرأسمالى العالمى وغير محصنة ضد مؤثراته ، بينما الذى كان يبنى فى الحقيقة شىء مختلف عن الاشتراكية حتى وان تشابه معها فى بعض سماتها .

ولو أن الوحدة الأساسية للتحليل عند ماركس وخلفائه كانت منذ البداية ، كما ينبغى أن تكون ، هى النظام الاقتصادى العالمى ، النظام الرأسمالى العالمى ، والتناقضات الرئيسية التى تعتمل فى داخله ، بدلا من التركيز على التناقضات الداخلية لهذا المجتمع الرأسمالى أو ذاك ، لربما كانت رؤياهم بالنسبة للاشتراكية من إمكانات وأماكن ظهورها قد اختلفت عما أذنوا للناس به .

لكن ماركس – ككل مفكرى أوربا المفتتنين بها فى القرن التاسع عشر – كان معقود الرؤية بأوربا وما قد يحدث فيها : رأى فقط ذلك الجزء الأكثر تقدما من النظام الرأسمالى العالمى وانشغل به عن ذلك الكل الذى كان يتشكل تحت سمعه وبصره كما لم يتشكل من قبل عبر تطور الرأسمالية الطويل . وحتى لينين الذى

رأى أن الظاهرة الامبريالية هى امتداد طبيعى للنظام الرأسمالى وأعلى مراحله تطورا لم يخط الخطوة الحاسمة التى تتمثل فى دراسة النظام الرأسمالى العالمى كنظام متكامل تستوعب تناقضاته الرئيسية تناقضات البلدان الرأسمالية وتحكمها فى النهاية .

وكالعادة - تلك لعبة يلعبها التاريخ دائما معهم - كان على التاريخ أن يصحح أخطاء المفكرين ويعدل رؤاهم . وقد فعل ذلك - بالنسبة لموضوعنا الحالى - مرة أولى فى منتصف القرن العشرين عندما انتقل « العالم الثالث » من الكواليس الخلفية إلى مقدمة المسرح لكى يعلن ، بوجوده ومشاكله وبمائة حرب وحرب تحريرية ، أن الانقسام الحقيقى الرئيسى والطويل المدى هو انقسام العالم الرأسمالى إلى قسمين : البلدان الرأسمالية المركزية أو المتقدمة أو العالمية التطور والبلدان الرأسمالية الطرفية أو التابعة . وها هو التاريخ فى أواخر القرن العشرين يؤكد إعلانه الأول عندما يظهر أن التناقضات التى ظلت قائمة دهرا بين البلدان الرأسمالية العالية التطور والبلدان الاشتراكية قابلة للحل بشكل أو لآخر طالما أن البلدان الاشتراكية تقبل أن تفك التحالف الذى كان قائما بينها وبين شعوب العالم الثالث على أمل أن يقبل انضمامها إلى قافلة الرخاء التى يقودها المركز الرأسمالى .

(٤)

ماهو اذن موضوع هذه « الاشتراكية » التى ظهرت على خلاف المتوقع كما رأينا فى عدد من البلدان المتخلفة وكان التصور انها هى المناقض الرئيسى والدائم للرأسمالية ، ثم مامصير هذه الاشتراكية التى تبدى الان استعدادها المتزايد للتهادن بل وللتوافق معها على كل المستويات على اساس قواعد جديدة لمثل « الاعتماد المتبادل » و« توازن المصالح »؟ ذلك يتطلب الوقوف لحظات للتأمل فى تطور النظام الرأسمالى العالمى وطبيعة التناقض الرئيسى الذى يتفاعل داخله منذ بداية ظهوره .

ان الاستقطاب بين « الشمال » و« الجنوب » ليس وليد القرن الحالى ، وانما بدأ ظهوره منذ حوالى خمسة قرون مع ظهور الرأسمالية كنظام قومى فى البلدان الرأسمالية المتقدمة . وفى الوقت ذاته كنظام عالمى يشمل هذه البلدان ويشمل ايضا - فى الطرف الاخر - المستعمرات واشباه المستعمرات التى اخذت الرأسمالية المتقدمة تستولى عليها تباعا وتستغلها لصالح المزيد من التطور الرأسمالى فيها دون ان تسمح لها بتطور رأسمالى شامل ومستقل .

لقد حاربت رأسماليات البلدان المركزية فى القرون السابقة على القرن العشرين ظهور الرأسمالية المستقلة فى المستعمرات واشباه المستعمرات ومانسميه الان البلدان الطرفية بوجه عام (والتى تكون فى مجموعها الجزء الاخر من النظام الرأسمالى العالمى) حاربتها بقدر ماحاربت ظهور الاشتراكية فى القرن العشرين والسبب واحد فى كلتا الحالتين : قدرة كل من الرأسمالية المستقلة

والاشتراكية على تطوير قوى الانتاج الداخلية على نحو يمنع خضوعها لمختلف اشكال الاستغلال الاستعمارى يضاف الى ذلك ان تطور الراسمالية المستقلة فى البلدان الطرفية (مع ماهو معروف عن الراسمالية بوجه عام من حرصها على التوسع الخارجى) يخلق منافسا جديدا للراسماليات المركزية على الاسواق وعلى اسلاب المستعمرات هى فى غنى عنه . وحتى القرن العشرين لم ينجح من الافلات من هذا الحصار المضروب على البلدان الطرفية سوى اليابان التى ساعدتها ظروف خاصة على الفكاك منه .

ورغم كل ماكتب عن تطور الراسمالية فى روسيا قبل الثورة فقد كان اقتصادها اقرب الى اقتصاد المستعمرات واشباه المستعمرات التى تسيطر عليها الراسماليات المركزية وكانت هذه الاخيرة حريصة على ان تسد عليها افاق التطور المستقل وقادرة على ذلك .

ولست اشك فى مدى اخلاص قادة الثورة البلشفية للمثل الاشتراكى او فى اقتناعهم بانهم يقومون ببناء الاشتراكية . لكن الاحداث التاريخية الكبرى لاتفسر - كما نعرف - وفقا لرؤى قادتها او

ستالين



خروشوف



القائمين بها ، ولكن وفقا للنتائج الموضوعية التى تترتب عليها فى المدى الطويل . وفى تقديرى فى ضوء صعوبات بناء الاشتراكية فى بلد متخلف التى اشرت اليها فى مستهل هذا المقال وفى ضوء معرفتنا بالتطورات اللاحقة التى حدثت داخل المجتمع السوفييتى ان ماكان يبنى كان شبيها - فى مضمونه الحقيقى - لما حاوله محمد على فى مصر فى مستهل القرن التاسع عشر (مع اختلاف العصر والنتائج) بناء اقتصاد حديث مستقل فى ظروف سدت فيها الراسمالية العالمية سبيل التطور المستقل الذى يعتمد على نموذج الراسمالى التقليدى وذلك بالالتجاء الى طرق غير تقليدية هى فى حالة روسيا التاميمات والزراعة الجماعية والتخطيط .

ومع تطور التجربة الروسية تولى قيادتها ليس الطبقة العاملة او حتى قيادتها الطليعية لكن طبقة جديدة يمكن تسميتها بالبورجوازية البيروقراطية تضم خليطا من القيادات الحزبية والسياسية وقيادات جهاز الدولة الاقتصادية وينضم اليهم فريق من المثقفين ، الذين شاركوا هذه الطبقة امتيازاتها وتكفلوا بالدفاع عنها والتنظير لسياساتها .

وقد تمكنت هذه الدولة بالفعل من تحقيق مهمتها التاريخية : بناء الاقتصاد المستقل والدفاع عنه وتحديثه فى اتجاهات متعددة وذلك بالالتجاء الى اساليب لم يكن يفلح غيرها - فى الظروف التاريخية التى واجهتهم - فى تحقيق هذه المهمة لكن

هذه الاساليب بدورها لها حدودها خصوصا اذا كان المجتمع قد وضع نصب عينيه ادراك وتجاوز معدلات وانماط الاستهلاك السائدة فى المجتمعات الراسمالية المتقدمة (وان تكن هذه اهداف لاشأن لها - فى رأيى بتحقيق الاشتراكية) ومن ثم يأتى الوقت الذى يتعين فيه اعادة النظر فى هذه الاساليب .

وقد اتى هذا الوقت مرات عديدة فى خلال العقود الثلاثة الاخيرة وفى كل مرة كان الامر ينتهى بازمة مجتمعية ولم يكن ذلك لصعوبة الوصول الى حلول جديدة فليس هناك على سبيل المثال ، وعلى خلاف مايروج دعاة علم الاقتصاد المبتذل من يقول ان الاشتراكية يحرم عليها ان تلجأ الى استخدام الحوافز او استخدام جهاز الثمن والاسواق وانما الخلاف هو فى مدى الحوافز التى يمكن السماح بها وكيفية قياس دواعيها وفيما اذا كان جهاز الثمن والاسواق تصبح الوسيلة الرئيسية لادارة الاقتصاد القومى ومن ثم المسيطرة على اختياراته الرئيسية ام انها تستخدم كادوات تابعة لضمان الرشاد والكفاءة فى تحقيق اهداف المجتمع الرئيسية التى تتحدد على اسس سياسية واجتماعية

والخلاف حول هذه الخيارات ليس خلافا نظريا او فكريا ولكنه خلاف حول مصالح طبقية محددة ترتبط بكل خيار ، وهو من ثم موضوع لصراع اجتماعى محدد صريح أو مستتر . ولن يتسع المجال الان للدخول فى تاريخ او حقيقة هذه الصراعات لكن يبدو من ظاهر الامور ان المرحلة الحالية يدور فيها الصراع بشكل خادع بين جناحين فى داخل البرجوازية البيروقراطية الحاكمة

الجناح المرتبط مباشرة باجهزة الانتاج وبالتقدم العلمى والتكنولوجى والاكثر انفتاحا على اساليب العمل والتفكير الغربية وذلك فى الاغلب هو الجناح الذى يمثله جورباتشوف والجناح الاكثر ارتباطا باجهزة التوزيع وبالقيادات الادارية للدولة وقيادات القوات المسلحة ، وهو الجناح الاكثر ميلا الى المحافظة على نظم العمل واجهزته القائمة التى ترتبط بها امتيازات هذا الجناح المقننة او غير المشروعة .

وانتصار الجناح الاول يعنى اعطاء ديناميكية جديدة للاقتصاد السوفييتى قد يصحبها ارتفاع مستوى المعيشة فى المدى الطويل لفئات واسعة لكنه يعنى ايضا زيادة الفوارق الاجتماعية وتاكدها كفوارق طبقية وظهور البطالة الصريحة لا الدائمة او المؤقتة واضعاف الضمانات والحقوق الاقتصادية والاجتماعية للمواطن العادى وغير ذلك من شرور التطور الرأسمالى . اما انتصار الجناح الثانى فيعنى استمرار حالة الركود المتوطن ومايصاحبها من شرور اجتماعية وخلقية .

وفى المستقبل العاجل يبدو ان تطور مشكلة القوميات هو الذى سيرجح بين الجناحين ويقدم تفجر المشكلة على هذا النحو المروع دليلا اخر على عدم دقة وصف المجتمع السوفييتى بالمجتمع الاشتراكى فالتطور الاشتراكى يعنى - ضمن مايعنى - التطور المتكافىء لمختلف الاقاليم والقوميات وحل مشاكل تعدد

القوميات بشكل دائم ومستقر وهو مالم يحدث فى الاتحاد السوفييتى .

والارجح فى المدى الطويل ان يمر المجتمع السوفييتى بمرحلة من عدم الاستقرار يتناوب فيها كل من الجناحين السلطة . فيرجح جانب الجناح النازع الى تحديث الاقتصاد عن طريق اطلاق قوى السوق عندما تزداد سلبيات النظام القائم وضوحا وتعلو الشكوى منه . ثم يحل محله الجناح الاخر النازع الى تغليب التخطيط الشامل واعطاء اولوية للضمانات الاجتماعية والاقتصادية لمجموع العاملين عندما تتضح الشرور المصاحبة لطريق التطور الراسمالى الطليق . ويستمر التناوب على هذا النحو الى ان تفرز القوى الشعبية قيادات تستطيع ان تفرض ـ عند مستوى عال من التقدم التكنولوجى والثقافى ـ مسارا اشتراكيا متكاملا .

امام هذه الخيارات المتعددة فان كل من يتعاطف مع نضالات الشعب السوفييتى وتضحياته الكبرى ودوره فى مناصرة قضايا التحرر الوطنى لايملك الا ان يرجو ان يصبح طريق الصلاح الديمقراطى المفتوح بكل ضماناته ووسائله هو الطريق الوحيد الذى تتحدد من خلاله الخيارات ، ايا كانت فى هذه المرحلة او تلك .

وبالنسبة للصين فمن المحتمل ان يكون مسارها قريب الشبه بمسار الاتحاد السوفييتى وهى بالفعل قد مرت بظاهرة « التناوب » التى اشرت اليها من قبل وان كنت ارجح ان تكون الصين اقل اخذا بمنطق سيطرة اجهزة الثمن والسوق والحوافز من الاتحاد السوفييتى ، من جهة لان تخلف قواها الانتاجية يجعلها اكثر عرضة لسيطرة الراسمالية العالمية لو انها اوغلت فى هذا الطريق ومن جهة اخرى لان الام التطور الراسمالى تصبح اكثر بروزا فى شبه قارة ضخمة فقيرة مثل الصين .

اما بالنسبة لاوربا الشرقية فالارجح ان تتجه تباعا (وبعضها قد اتجه بالفعل) الى السير على طريق التطور الراسمالى التابع للغرب فيما يتعلق بالبلدان الاكثر تخلفا مثل رومانيا وبولندا والاكثر استقلالا بالنسبة للبلدان صاحبة القوى الانتاجية المتقدمة نسبيا مثل تشيكوسلوفاكيا والمانيا الشرقية (اذا لم تنضم هذه الى المانيا الغربية وتصبح جزءا من الراسمالية المركزية العالية التطور) ويصعب التنبؤ بما سيحدث بعد ذلك عندما تصحو الطبقات العاملة فى هذه البلدان على فقدان الامتيازات الحالية التى تتمتع بها ، وضياع احلامها فى الانضمام السريع الى « الرخاء الغربى » الباهر للانظار والقائم فى جزء كبير منه على اسلاب سيطرة استعمارية سابقة او حالية لم ولن تشارك فيها .

(٥)

ماذا عن مستقبل الاشتراكية فى البلدان الراسمالية العالية التطور ، مركز النظام الراسمالى العالمى ، وبلدان العالم الثالث التى تكون اطرافه ؟

فى الماضى القريب فى عقود الانتصار المتتابع لثورات التحرر الوطنى وارهاصات اقتراب التحرر السياسى بانتصارات متتالية على طريق التحرر الاقتصادى كان

يبدو لى ان ذلك هو الطريق الدائرى لانتصار الاشتراكية فى البلدان الراسمالية عالية التطور ذاتها ، وكان منطقيا فى ذلك ان اسلاب الاستغلال الاستعمارى هى التى ارست التحالف الموضوعى الذى قام (رغم اختلاف التسميات الحزبية) فى البلدان الراسمالية المتقدمة بين الطبقة الراسمالية والطبقات الشعبية والذى كان اساسه اقتسام هذه الاسلاب بدلا من التصارع على الفائض الذى يحققه الانتاج الراسمالى داخل كل بلد (وساعد على هذا التحالف ايضا بطبيعة الحال التقاليد الديمقراطية التى كانت قد تكونت فى هذه البلدان ومرونة وبعد نظر الطبقات الحاكمة فيها) كان ذلك اذن هو السبب الرئيسى فى عدم قيام الثورة الاشتراكية التى تنبأ بها ماركس فى تلك البلدان لكن مع تحقيق بلدان العالم الثالث لاستقلالها الاقتصادى ـ هكذا كان يبدو الامر فى الخمسينات والستينات ـ فسوف تجف منابع هذه الاسلاب وتوضع الطبقات الشعبية فى البلدان المتقدمة وجها لوجه امام تناقضات الراسمالية المتزايدة الحدة وتصبح الفريسة الواضحة لهذه التناقضات . عندئذ لن يبقى امامها ـ وهى الاغلبية المثقفة سياسيا ـ سوى ان تمسك بزمام السلطة وتقود عملية التحرك الاشتراكى والتى اصبح المجتمع المتقدم مهيأ لها من الناحية الموضوعية وقادرا على تقنينه باقل التضحيات .

لكن الاسباب متعددة تختلف من منطقة لاخرى ، عجزت بلدان العالم الثالث عن تحقيق الاستقلال الاقتصادى الذى يتكفل وحده بوضعها على قدم المساواة فى التعامل مع البلدان الراسمالية المتقدمة ويسد تدريجيا منافذ الاستغلال التى يتسرب منها الفائض من الاولى الى الثانية . وعلى العكس اصبحت غالبية هذه البلاد اكثر اندماجا من موقع التبعية حتى مما كانت عليه فى ايام الاستعمار مع مراكز الاقتصاد الراسمالى العالمى

لقد تضخمت مصادر تسرب الفائض القديمة واضيف اليها مصادر جديدة : التبادل غير المتكافىء بين منتجات العالم الثالث والعالم الاول ، فوائد الديون الضخمة التى كبل بها العالم الثالث ارباح الشركات المتعددة الجنسية ، عوائد براءات الاختراع وحقوق الملكية الفنية والادبية واتعاب بيوت الخبرة الاجنبية ثمن السلاح والخدمات المصرفية والتأمينية والترفيهية واتجهت الطبقات الموسرة فى اغلب بلدان العالم الثالث الى تهريب رءوس الاموال الى البلدان المتقدمة كما اتجهت الكفاءات العلمية والفنية الى الهجرة اليها وترتب على ذلك جميعه ازدياد تدفق الفائض من العالم الثالث الى العالم الاول واسهم فى تحقيق رخاء العالم الاول بقدر ما اسهم فى افقار العالم الثالث واستمرت تناقضات الراسمالية فى العالم الاول خفيفة الوقع بقدر مازادت حدتها فى العالم الثالث .

بعبارة اخرى لقد صدرت بلدان العالم الاول الى العالم الثالث تناقضات



جورباتشوف



ماونسى تونج

التطور الراسمالى على المستوى العالمى : الافقار المطلق والنسبى ، وجيش البطالة الدائم المتزايد العدد ، والنتائج الاكثر تدميرا للازمات الدورية وزادت عليها مضاعفات جديدة يختص بها العالم الثالث ، مثل تحطيم القوى الانتاجية التى كانت تتعيش عليها شعوب بعض هذه البلدان وتحويل الاراضى الزراعية الى مراع او صحارى فى افريقيا او تهميش ملايين الاشخاص الذين فى سن العمل خارج العملية الانتاجية والاجتماعية .

لم تختف اذن التناقضات التى تنبأ بها ماركس ولم تتمكن الراسمالية من حلها كما يزعم دعاتها وانما انتقلت من المستوى القومى فى الراسماليات المتقدمة الى المستوى العالمى فهل يترتب على ذلك انتقال النتائج التى تنبأ بها ماركس : ضرورة الحل الاشتراكى وحتميته من المستوى القومى الى المستوى العالمى ؟ هل اضحت وحدة التحليل الاساسية بالنسبة لمستقبل الاشتراكية هى الاقتصاد العالمى فى مجموعه كما اصبح هذا الاقتصاد العالمى هو وحدة التحليل الاساسية بالنسبة لتطور النظام الراسمالى ؟ وعلى النحو الذى اضحى يوحى به تعدد ظهور المؤسسات والنظم التى تعمل على النظام العالمى فى مختلف المستويات مثل صندوق النقد الدولى والبنك الدولى واللجان والمشروعات المتعددة الجنسية فى المستوى الاقتصادى ، ومثل الامم المتحدة بمجلس امنها التنفيذى وجمعيتها العمومية الاستشارية ، على المستوى السياسى ؟ ومثل محاولة فرض قانون دولى جديد للعلاقات الاقتصادية (يحاول كل طرف من طرفى التناقض ان يشده الى جانبه) بنظمه ومؤسساته التشريعية والقضائية فوق القومية ، ومثل السيطرة الفكرية والثقافية والاعلامية ـ ومن ثم الايديولوجية التى تتأكد تباعا للعالم الاول على نطاق العالم باسره ؟ ذلك فى تصورى ، هو موضوع البحث الرئيسى فى مستقبل الاشتراكية فى القرن الواحد والعشرين وهو موضوع قد اعود الى طرقه فى مستقبل قريب .

ظاهرة خطيرة

شاب مغمور ينشر مقالات قديمة في معظم المجلات الثقافية !!

بقلم : محمود قاسم

كان لابد من ظهور العديد من السلبيات نتيجة لانتشار الصحف والمجلات العربية بهذا الكم الهائل في العشرين عاما الأخيرة .. فقد استدعى ذلك ظهور عدد كبير من الكتاب لم تكن ساحة الكتابة في حاجة اليها بالمرة .. ودخل الى عالم الصحافة جمع غفير من الذين لا علاقة لهم بالكتابة سوى عملية فك الخط ..

شهادة من الدكتور محمد دسوقي
السكرتير الاسبق للدكتور طه حسين

وبعد. فقد قرأت في عدد ديسمبر من الدوحة القطرية مقالا تحت عنوان «طه حسين الانسان والشاعر» بقلم الدكتور نبيل سليم ، وقد راعني أن كاتب المقال نقل مقالا لي كنت قد نشرته في صحيفة الأسبوع الثقافي التي كانت تصدر في طرابلس بليبيا في الذكرى الثانية لوفاة عميد الأدب العربي سنة ١٩٧٥ ، فقد نقل المقال حرفيا في النصف الأول من المقال المنشور في الدوحة ، وقد بعثت اليكم مع هذه الرسالة بصورة المقال الذي [illegible] عليه الدكتور نبيل ونسبه إلى نبيل ، لأنه ذكر أنه [illegible] وفاته بخمس سنوات ثم أورد في ثنايا كلامه أن العميد حدثه يوم حصوله على قلادة النيل بعد أن قرأ له خبر منحه هذه القلادة .. ولم يكن الدكتور الفاضل قارئاً للعميد ، وكان منح هذا الوسام في عام ١٩٦٥ ، أي قبل وفاة العميد بنحو ثماني سنوات ، وفي صدر مقال الدكتور نبيل أنه التقى طه حسين قبل وفاته بخمس سنوات ..

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

دكتور محمد الدسوقي

فى حياتنا الثقافية

ولان صفحات هذه الدوريات البيضاء يجب أن تجد مادة تملؤها كلما تصدر واغلبها يصدر بصفة منتظمة فقد دفع ذلك العديد ممن لا علاقة لهم بفن الكلمة لن يجدوا فى هذه الصحف والمجلات حقلا خصبا للغاية ..

وقد زادت اعداد اشباه الكتاب عاما وراء اخر لعدة اسباب منها بالطبع ان هذه الدوريات تدفع لمن يكتبون فيها مبالغ كبيرة قياسا الى الاجور العادية التى يمكن ان يحصلوا عليها فى وظائفهم التى يعملون فيها . كما ان الكثير من المؤسسات الصحفية قد اقامت مكاتب لها فى العديد من المدن العربية بينما بقت العلاقة بين بعض المؤسسات وكتابها مقطوعة الا من خلال المراسلات البريدية .

وفى احيان عديدة كانت الدوريات تميز بعض كتابها سواء من حيث قيمة المكافآت الممنوحة لهم عما يكتبون او من حيث طريقة نشر المقالات . كأن تقدم عن كاتب ما نبذة تعريفية . او تنشر صورته الى جانب المقال .. وكان لاساتذة الجامعة تميز خاص فى بعض البلدان العربية عن غيرهم من الكتاب الذين لا يعملون فى الجامعة .. او بالدقة ممن لا يحملون شرف حرف الدال .. ولم يتصور المسئولون عن هذه الدوريات انه يمكن ان يظهر شخص يجرؤ ان يضيف حرف الدال الى اسمه دون ان يكون له الحق فى ذلك .

فى هذا الجو ظهر الدكتور نبيل سليم ، احد اشهر الكتاب واكثرهم غزارة فى السنوات الاخيرة واحد الذين اثاروا حولهم الكثير من اللغط والحديث .. نظرا لما احيط بهم من غموض .. ونقاشات ، وايضا العديد من الفضائح المتعلقة بالكتابة ..

يهمنا اولا ان نشير انه قد جاء وقت على عالم الكتابة ، والكتاب ، انك لو وجدت لن توصم كاتبا ، او فنانا ، بسمات قد تعرقل مسيرته ان تتهمه بتهم اخلاقية .. اى بما يعنى انه لا خلقى .. حيث من المفروض ان يكون الفنان مثاليا واخلاقيا فى المقام الاول .. ولم نسمع عن شخص ما انه اتهم ، ككاتب ، بانه موظف فى عمل يتنافى مع عمله ككاتب .. فكل ما يهم بالنسبة له هو الكتابة .. ماذا يكتب والى اى حد هو موهوب .. فالكتابة ليست وظيفة .. ولكنها موهبة فى المقام الاول ..

وفى هذا العالم قد يكون هناك شخص ما موهوب فى الكتابة اكثر من عشرات الاشخاص الذين حصلوا على درجات علمية عالية وسافروا الى انحاء متعددة من العالم للاستزادة من المعرفة ..

اما انه فى حالة "الدكتور" نبيل سليم لا يهم بالنسبة للقارىء ان يكون المؤلف حاصلا على دكتوراه .. او حتى على شهادة علمية اقل .. المهم هو ما يكتب .. وعندما ظهر نبيل سليم فى الاسكندرية فى

اواخر السبعينات واوائل الثمانينات لاول مرة كان كثيرا ما يدهش الحاضرين بلباقته ، وثقافته واتقانه الخاص للغة الانجليزية . وحماسه المتقد ، وطموحه الشديد . كان يكتب الشعر . وشغوفا بالرسم . وتردد اسمه كثيرا فى الاوساط الثقافية فى الثغر على انه شخص مثقف وموهوب ، وكان كثيرا ما يقدم نفسه على انه "الدكتور" نبيل سليم .. ومع ذلك فان احدهم همس يوما فى اذن جاره انه ليس "دكتورا" اى ليس حاصلا على الدكتوراه .. وايضا ليس طبيبا .. اى لم يتخرج من كلية الطب كما يقال ..

ورغم ان هذه الشائعات كانت تسرى خجلة بين الالسن ، فإنها سرعان ما كانت تخرس فقد كانت لباقة "الدكتور" كافية ان تسكت من ينطق بها وكان احيانا ينسحب من هذه النقاشات بلباقة شديدة وينهيها قبل ان تبدأ ..

● فرخة .. للمجلات العربية ●

ومع بداية سنوات الثمانينات ، راح "الدكتور" يكتب الى المجلات العربية ليختار موضوعات تتناسب مع دراسته كأستاذ فى الطب .. فراح يكتب فى العلوم ، والطب . وكان يختار الموضوعات الطريفة ويكتبها بجاذبية شديدة جعلت ابواب المجلات والصحف العربية تفتح له بأوسع مصاريعها .. لم يكن هناك من يكتب فى هذا المجال سوى الدكتور عبدالمحسن صالح . الذى تربع فى هذا المجال بلا منازع سنوات . وكان الدكتور احمد زكى قد سبقه بسنوات الا ان المنية وافته فى السبعينات .

ولأن المجلات تعانى عجزا فى هذا النوع من الكتابات . فان نبيل سليم . اقصد الدكتور نبيل قد اصبح الفرخة التى تبيض كثيرا للعديد من المجلات العربية .. واصبح من الكتاب البارزين فى هذا الميدان .. ولاقت هذه الموضوعات استحسان العديد من رؤساء التحرير .. وبدأت الخطابات تتبادل بين إدارات المجلات ، وبين الكاتب .. وقد كتب له رئيس تحرير احدى المجلات العربية الكبرى يوما "انتى ارى فيك شبابى" .

كان من الموضوع من خلال هذه الموضوعات ان الكاتب يتمتع بثقافة علمية موسوعية ، وانه يرجع الى العديد من المراجع الحديثة والمتطورة . ولذا لم يتسرب الى هذه المؤسسات الاعلامية يوما اى شك ، او حتى تساؤل ، حول القيمة العلمية التى يملكها الكاتب .

الى ان جاء اليوم الذى اراد الكاتب ان يغير جلده ..

اراد ان يؤكد لهذه المجلات انه ليس فقط الاستاذ فى الطب وتبسيط العلوم . بل هو ايضا الشاعر والباحث والناقد والرسام .. وفى اواخر عام ١٩٨٤ نشر اول مقال ادبى له فى مجلة "الدوحة" القطرية . وليته ما فعل .. فسرعان ما انكشف امره .. لقد انكشف انه ليس سوى شخص ينقل بالمسطرة وبالحرف الواحد مقالات سبق نشرها وانه ليس كاتبا بقدر ما هو "نقال" مقالات يكتبها اخرون

ليس دكتورا

● ● الأخ : محمود عبد الصمد زكريا - مصر
● أرفق برسالته قصاصة من الزميلة مجلة (العربي) الكويتية ، تميط اللثام عن سرقة اقترفها الدكتور نبيل سليم في العدد ٣٣١ من

وينسبها الى نفسه . ولم يكن اكتشاف الامر بالشيء السهل ، لعدة اشياء .. انه لا حيلة لمن تنادى فاغلب هذه المقالات منشور في مجلات طبية قديمة لا يقرؤها احد .. اما المقالة الادبية الاولى التي كتبها فلم يكتشفها احد قط سوى صاحبها .. اى كاتب المقال الاصلى ..

● دكتور .. فوق الشبهات ●

ففى عدد شهر فبراير ١٩٨٥ من مجلة الدوحة نشرت على لسان الدكتور محمد الدسوقى ، السكرتير الاسبق للدكتور طه حسين ، خطابا جاء فيه ان "نبيل سليم" نقل مقالا لى كنت قد نشرته فى صحيفة الاسبوع الثقافى التى كانت تصدر فى طرابلس بليبيا فى الذكرى الثانية لوفاة عميد الادب العربى سنة ١٩٧٥ . لقد نقل المقال حرفيا فى النصف الاول من المقال المنشور فى الدوحة . وقد بعثت اليكم مع هذه الرسالة بصورة للمقال الذى سطا عليه الدكتور نبيل ونسبه الى نفسه .

"انها مأساة فكرية ان ينقل كاتب يحمل درجة الدكتوراه مقالا بنصه وفصه دون ان يشير الى المصدر الذى اخذ منه وقد خان التوفيق الدكتور نبيل ، لانه ذكر انه لقى العميد قبل وفاته بخمس سنوات ثم اورد فى ثنايا كلمته ان العميد حدثه يوم حصوله على قلادة النيل بعد ان قرأ له خبر منحه هذه القلادة .. ولم يكن الدكتور الفاضل قارئا للعميد ، وكان منح هذا الوسام فى عام ١٩٦٥ ، اى قبل وفاة العميد بنحو ثمانى سنوات . وفى مقال الدكتور نبيل انه لقى طه حسين قبل وفاته بخمس سنوات .



الدكتور نبيل سليم !!!

كشف هذا الخطاب انه بالفعل لا حيلة لمن تنادى فى المؤسسات الثقافية والعلمية فى الوطن ، وانه رغم كثرة المطبوعات الدورية ، فان الصلات متقطعة فيما بينها ؛ اول هذه الجهات هى جامعة الاسكندرية التى يكتب الدكتور نبيل للمجلات بانه يعمل بها مدرسا فى كلية الطب وانه نال فيها درجة الدكتوراه عام ١٩٨٢ - مثلما جاء فى عدد شهر نوفمبر ١٩٨٩ من مجلة الفيصل .

● ظاهرة خطيرة فى حياتنا الثقافية

كما لم يقم واحد من العلميين او المثقفين الباحثين عن الحقائق فى العالم العربى بتحرى هذا الموضوع . لا بالدفاع عمن يحملون الدكتوراه . او كشف حقيقة نقل المقال بالمسطرة .. مر كل شىء بهدوء شديد .. وكل ما حدث ان مجلة الدوحة قد منعت نشر مقالات جديدة "للدكتور" نبيل سليم . بل اصابتها وسوسة شديدة . فراحت تمنع نشر اى مقالات تجىء عبر البريد من مدينة الاسكندرية باعتبار ان ذلك كاف لمنع أية شبهات .

اما المجلات العربية . فقد بدا انها لم تقرا قط ما حدث فى الدوحة .. او لعلها طالعته وتناسته ولعل بعضها قد اعتبر ان الامر لا يتعدى ان يكون نكتة سخيفة . او مكيدة من شخص قد لا يحبذ النجاح للاخرين ..

ولانه لا حياة لمن تنادى فى هذا العالم . ولان كل شىء مر بهدوء شديد فان "الدكتور" قد راح يتابع نشر مقالاته فى مجلة "العربى" الكويتية .. وكان يمكن للامور ان تسير على ما يرام . لولا ان جاء للمجلة . فى العدد المنشور فى نوفمبر ١٩٨٦ ان "الدكتور" نبيل سليم قد سرق مقالا منشورا فى "العربى" من مجلة "طبيبك" التى كان يراس تحريرها المرحوم الدكتور صبرى القبانى العدد ١٩٦٣ الصادر فى مارس ١٩٧٠

● ياعزيزى .. كلهم حالدون ●

فى هذه المرة جاءت الملحوظة من قارىء فى اغادير بالمغرب وكتبت المجلة "فوجئنا هناك بأن المقال منقول بشكل يكاد يكون حرفيا من المجلة المشار اليها . وقد اردنا ان نتابع الموضوع اكثر فوجدنا ان هناك مقالات اخرى لنفس الكاتب مع الأسف ..

ورغم كل الاسف .. فان الامر قد مر بهدوء .. ودون اى متاعب للكاتب .. كل ما حدث ان "العربى" منعت نشر مقالات "الدكتور" الذى كان عليه ان يستمر . فى جراة يحسد عليها . متابعة النقل حرفيا .. ومن جديد انكشف مدى ما تعانيه المؤسسات العلمية والاعلامية من سلبية واستكانة .

ولم يتوقف الامر عند هذا الحد .. فراح "الدكتور" ينشر مقالات مجددة فى مجلات عديدة . وقد نشرت المجلة العربية التى تصدر فى الرياض رسالة من القارىء محمود عبدالصمد زكريا اكد فيها ان "المذكور ليس طبيبا" واكد على دوره فيما اسمته المجلة بظاهرة السرقات الادبية ..

الطريف فى كل هذه الحكايات ان الكاتب كان يرسل ردودا فياضة الى المجلات يدافع فيها عن نفسه مؤكدا ان العلم مشاع . وانه لا جديد فيه . وان من يحاول ان يكشف هذه السرقات ليس سوى شخص يفرغ حقده وتشهيره ارضاء لشهوة نفسية . وانه "يبتعد عن اصول النقاش وادبه لانه لا يعرف النقد والحوار المهذب الذى هو الطاقة المحركة للتقدم فى كافة معارف الحضارة" وذلك مثلما جاء فى رده الى المجلة العربية

والطريف ان "الدكتور" نبيل يرسل مع خطاباته العديد من البطاقات التى تؤكد

انه عضو هيئة تدريس بكلية الطب . وانه عضو نادى اعضاء هيئة التدريس بالاسكندرية . وقد شاهد كاتب هذ السطور بيعنى راسه قبل سنوات بعض هذه البطاقات ، وهى مغلفة ، وتبدو جديدة وليس فيها اية شبهة تزوير .. وقد اثار هذا حيرة وريبة .. ففى اعضاء هيئة التدريس تفاجأ ان البعض يؤكد ان نبيل سليم ليس "دكتورا" وايضا ليس طبيبا .. وفى كلية الطب تسمع التأكيدات انه لا يوجد دكتور يحمل نفس الاسم بينما يؤكد الاخرون ان نبيل سليم ليس سوى شخص يعمل مساعدا فى قسم الاشعة ..

وايمانا بأن ما يكتبه نبيل سليم ينم عن ثقافة ومعرفة موسوعية ولعدم التعرض للاتهام بأن من ينتقده شخص حاقد . فقد توارى الكثيرون عن التصدى لهذه الظاهرة الغريبة فى حياتنا الثقافية العربية ، ويبدو أن الكاتب مؤمن بأنه لا حياة لمن تنادى .. وان كل ما حدث مسبقا لم يكن سوى زوبعة فى فنجان . فقد راح ينشر فى مجلة الفيصل ، فى العدد السابق الاشارة اليه ، صورته موقعة ، ببيانات يؤكد فيها انه حاصل على درجة الدكتوراه فى الجراحة . وانه يجيد الانجليزية والفرنسية والالمانية وانه عضو فى نادى التليفه الاسكندرية ، هو بالمناسبة الجهة الوحيدة التى تصدت له ، فاصدرت قرارها بفصله فى العام الماضى ، وأن له دراسة عن تاريخ السينما الالمانية .

وكانت هذه هى المرة التى تنشر مجلة كبيرة صورة شخصية الكاتب . بعد ان ترددت الاقاويل انه شخصية وهمية ، او انه شخص ينشر باكثر من اسم ، وهذه ليست حقيقة بالمرة فالحقيقة انه ينشر باسمه الثنائى والثلاثى وراح يقدم دراسات موثقة فى مجالات متعددة ، ليست فى مجال تبسيط العلوم فقط فى الاعداد الأخيرة من مجلة الشاهد ، والوحدة . والدفاع .

ترى لماذا استمرت هذه الظاهرة ، هل لأن الصحف والمجلات تتعامل مع الحاصلين على الدرجات العلمية الاعلى بشكل افضل من غير الحاصلين عليها ؛ وهل يمكن هذا ان يدفع الكثير الى الصاق حرف الدال باسمائهم فوق المقالات التى يرسلونها الى مجلات تصدر فى اوطان بعيدة لا يمكنها ان تتحرى ، على طريقة المخبرين السريين ، عن شخصية الكاتب . واعتقد ان هذا ليس دور المجلات . ام ان الامر يمكن ان يزداد تعقيدا ويرسل الكاتب صور شهاداته موثقة .. او ان يرسل شهادة من اثنين موظفين بحسن السير والسلوك وبانه حاصل على حرف الدال .. ؟ وهل ما يحدث يعكس صورة من شكل الحياة الثقافية فى الفترة الاخيرة .. ام ان كل هذا سوف يمر بشكل هادىء ، ويؤكد بالفعل انه لا حياة لمن تنادى ؟

١٥ سنة على رحيل :

أم كلثوم

قيثارة العصر ..

بقلم : عاطف مصطفى

تقاس عظمة الإنسان بما قدمه في مجال الإبداع ، وتظل اعماله خالدة تشهد بنبوغه ، كما تعطى المثل والقدوة لمن يسير على نفس الدرب .. هكذا كانت أم كلثوم ، والتى مر على رحيلها خمسة عشر عاما ، ومازالت الصوت الأثير .. الذى يتربع على عرش الغناء فى عالمنا العربى .

● إحتفلت محافظتها الدقهلية بذكراها ، وشارك فى الاحتفاء عدد كبير من الشعراء والأدباء من بينهم محمد التهامى وابراهيم عيسى ود . محمد عبدالمنعم خفاجى ود . عبدالعزيز شرف وحياة ابوالنصر ، واقيمت ثلاثة معارض فنية من وحى اغانى ام كلثوم ومشوار حياتها الفنية واسهامها فى قضايانا القومية ، الأول اشترك فيه الفنانون التشكيليون من أبناء الدقهلية وضم ٥٠ لوحة فنية ، والثانى ضم المقتنيات التذكارية لأم كلثوم واكسسواراتها الخاصة والملابس التى ظهرت بها فى حفلاتها فى مراحل مختلفة من حياتها ، ثم معرض صور نادرة للفنان سعد سويلم الذى رافق أم كلثوم حفلاتها ورحلاتها

خارج مصر ، ومشوارها الذى أسهمت من خلاله أثناء حرب الاستنزاف .

كانت المفاجأة ثلاث فتيات من أبناء الدقهلية قدمن أغاني ام كلثوم منهن فتاة عمرها تسع سنوات ، يحتجن إلى رعاية خاصة لنرى من جديد أم كلثوم من ريف المنصورة .

جاءت الندوات كلها تتحدث عن الصوت المعجزة ، وكيف قدمت ام كلثوم على مدى نصف قرن عطاء يصل إلى حد الإعجاز .

● منهج تواصل الاجيال

وتكريم أم كلثوم وإحياء ذكراها كل عام كما يشير اللواء محمد حسين مدين محافظ الدقهلية ، يعتبر تأكيدا لمنهج تواصل الأجيال ، وتأصيلا للقيم وعلى رأسها قيمة الوفاء لمن شاركوا فى صنع الحياة الفنية والفكرية والثقافية على أرض مصر ، ومن خلال أعمالهم العظيمة ، التى تعتبر وساما على صدر كل مصري .

فلقد شهد عام ١٩٢٠ أم كلثوم وهى تبدأ رحلتها مع الفن فى قريتها طماى الزهايرة ، وبعد سبع سنوات ظهرت أم كلثوم تصاحبها الآلات الموسيقية وهى تجوب مديريات مصر ، واستمرت فى تطوير فنها حتى استطاعت أن تواصل طريقها فى الفن بين الأسلوب الشرقى القديم والأسلوب العصرى الحديث ، كما استطاعت أن تشارك الشعب المصرى فى أفراحه منذ قيام ثورة يوليو ، كما شاركت فى الامه طوال فترات كفاحه ، واستطاعت أن تحمسه لمواجهة التحديات المختلفة التى كان يواجهها خاصة فى حروب ١٩٥٦ ، ١٩٦٧ ، وأيضا وهى تبعث فيه



روح الإصرار والنضال أثناء حرب الاستنزاف .

وفى عام ١٩٧٥ ترحل ام كلثوم إلى جوار ربها بروحها ، ويشارك فى وداعها كل أبناء مصر والعالم العربى ، فكان بحق وداع الزعماء والمناضلين ، فهى التى جعلت قيمة الغناء الحقيقى فى ارتباطه بأحداث وطنه ومعايشة قضاياه ، قبل أن تكمن فى موهبته ، وبهذا كانت زعيمة أكبر تجمع جماهيرى عربى ، ظهر فى النصف الثانى من القرن العشرين .

وهى ركن من اركان الموسيقى العربية ، ورمز العطاء فى الوطن العربى ، فقد استطاعت أن تصنع مجدها وخلودها وأن تكتسب تقدير المستمعين وإعجابهم بفنها

الرفيع طوال ٥٠ عاما ، فعاشت أسطورة وماتت أسطورة وستظل أم كلثوم أبد الدهر أسطورة حيث ألهمت وحدة الوجدان بصوتها العربي الأصيل

يقول الشاعر محمد التهامى فى ابيات عنها :

إن من عد أم كلثوم فردا
فهو غر أو حاسد يتجنى
إنما فن أم كلثوم خفق
وحياة جاءت تعمر كونا
إنما فن أم كلثوم سحر
قد أحال النهار والليل فنا
إن اطعتم بأم كلثوم لفظا
لم تحيطوا بأم كلثوم معنى
ليت إذا افرد السماء نبوغا
اغرم الكون بالنبوغ فثنى

إلى أن يقول:

أسمعتنا الأنغام حتى انتشينا
وسقتنا الأنغام حتى سكرنا

ويقول الشاعر ابراهيم عيسى من بين قصيدة له فى مهرجان الاحتفال بذكراها

يالم كلثوم .. ياكل الغناء .. ويا
نهرا جرى للعلا كم رق منهله
زرعت فى كل قلب حبة فربت
واهتز بين حنايا الوجد جدوله

....

غنيت مصر التي فى خاطرى املا
فأسترجع المجد يوم النصر جحفله
وغبت كالشمس لكن فى جوانحنا
نورا نهدهده شوقا ونمهله
فغردى فى سماء الخلد واستبقى



سيد ابو حطب
غنى لام كلثوم



نيللى الشافعى

فى عالم الروح حشد اشف محفله
لو أصبح الكون عصفورا وأغنية
فأنت آخر مايشدو وأوله

● عام الثقافة بالمنصورة

وقد أعلن محافظ الدقهلية أن عام ١٩٩٠ هو عام الثقافة ، كما أعلن حسين مهران رئيس الهيئة العامة لقصور الثقافة عن خطته فى تطوير وتحديث قصور الثقافة ، ليلتقى هذان القراران فى محراب مناسبة الاحتفال بذكرى أم كلثوم .. كما تبدأ مديرية الثقافة بالدقهلية بإصدار سلسلة كتب المبدعين من أبناء الدقهلية ، يصدر أولها خلال هذا الشهر بعنوان « أوراق فى مشوار أم كلثوم » ويتم تخصيص سلسلة الكتب هذه للكتاب الأول للمبدع ، تشجيعا لتفتح المواهب ودعمها



اللواء محمد حسين مدين
يفتتح معرض صور أم كلثوم



سماح الشافعى
صوت قوى ومميز

ورعايتها ويتم دراسة إقامة ندوة شهرية باسم «ندوة المنصورة الثقافية» ، يثريها أعلام الثقافة والفكر فى مصر ، وتتناول الموضوعات والقضايا الفكرية .

وفى مناسبة الاحتفال بذكرى أم كلثوم الخامسة عشرة ، فقد أطلق أسم الفنان المثال مختار على قاعة المتحف التشكيلى بقصر الثقافة بالمنصورة ، واسم رائد الرواية العربية الدكتور محمد حسين هيكل على قاعة نادى الأدب بقصر الثقافة ، واسم الدكتور فاروق الباز على قاعة نادى العلوم ، واسم الفنانة فاتن حمامة على قاعة الفيديو .

كما أعلن عن إقامة مسابقة فنية سنوية باسم ميدالية أم كلثوم ، يتم منحها على المستوى القومى ، لصاحب عمل متميز فى مجال الموسيقى والغناء والكتابة فى مجال الفن .

إن لدينا كما أشار حسين مهران الإنسان القادر ولدينا الوسائل والأدوات المتطورة ، ولدينا منهج العمل ، والنوايا الصادقة ، ولدينا جميعا ماتمتلك من الحس الوطنى والشعور القومى ، ولدينا الحماس لمقومات الانتماء .. ويبقى لنا أن ننصهر جميعا فى بوتقة واحدة ، وأن نتكاتف من أجل مصر .

إن ذكرى أم كلثوم ليست ذكرى فنان أعطى فنه كل حياته ، بل هى مناسبة للدرس الوطنى وللعمل القومى ، ومناسبة لتفجير الطاقات الإيجابية .

....

ليت أجهزة الإعلام ومن بينها التليفزيون ، تحرص على تلك المهرجانات الفنية والثقافية ، فهى مليئة بالمواهب التى تحتاج إلى إلقاء الضوء عليها فهى فى رأيى أفضل بكثير من برامج لسنا فى حاجة إليها ، فيكفى أن هناك مواهب فنية ظهرت فى حفل أم كلثوم فى ذكراها بالدقهلية ووجهت الدعوة للتليفزيون ولم يحضر أحد .. !

شهريات

رأى فى الثقافة

استطلاع الهلال

هل الكتاب العربى فى أزمة ؟

إعداد : عادل عبدالصمد

مضى معرض القاهرة الدولى الثانى والعشرون للكتاب كتظاهرة ثقافية ضخمة احتشدت بها اسماء عديدة من كتابنا العرب الذين اتوا من كل البلاد العربية تقريبا .

● « الهلال » التقى بالعديد منهم ليستطلع رأيهم حول وضع الكتاب العربى فكانت هذه الحصيلة من الآراء المتنوعة .

● سميح القاسم :
ما أزمة الكتاب ؟


الشاعر سميح القاسم

قال الشاعر الفلسطينى الكبير

يبدو لى ان هناك نوعا من الهوس بألفاظ وتعابير تتكرر من حين لآخر . وكثيرا مايكون هذا الهوس بالمعنى الموضوعى لاسلبا ولا ايجابا ، كثيرا مايكون على قدر من الافتعال ..

ويبدو لى ان كلمة ازمة مثلا ، هى من الكلمات الاكثر رواجا فى حياتنا الثقافية ، الأمر الذى يستدعى التوقف والتأمل واعادة النظر ، لأنه يتم باستمرار خلط عشوائى بين ماهو حقيقى وبين مايشكل جزءا من مخاوفنا ، وهناك خلط بين الأزمة وبين "الاشكال" وخلط بين "الاشكال" وبين الصعوبات .

وثراء اللغة العربية يجب الا يفقدها التخصص ، فكل لفظة تتحدث عن وضع

معين ، عن حالة معينة .. ونحن كثيرا ماتهجم على اقصى التعلبير ، للدلالة المحدودة ، في حيز محدود ، وفي زمن محدود ، فكل عمل جميل يطلق عليه خرافة ، كل قصيدة نسميها ابداعا ، كل حادث طرق نسميه كارثة .

بهذا الأسلوب نحن نفقد اللغة قدرتها على التجاوب مع حياتنا ، بالمستويات المعقولة والمطلوبة ، والتي كانت اللغة اصلا من اجلها ...

وهذه المقدمة ليست الا محاولة لتحجيم المشكلة ، واقول ان الكلمة العربية ليست في ازمة ، والتأزم كثيرا مايكون نابعا من ذواتنا من داخلنا ، نحن نسقط ازمة فردية على مجتمع ، على الثقافة ، على اللغة .. واعطي مثالا هنا من تجربتي الشخصية ، "انا تعودت على الكتابة بقلم الحبر السائل" اللون الأسود ، وعلى ورق مصقول ... فاصبح لدى نوع من الشجن حين اسمع حفيف لسان القلم على الورق ، واحب الكتابة بهذا الشكل ..

وبمرور الوقت نشأت امكانية بأن يكتب الشاعر او الكاتب على الآلة الطابعة او الكتابة عبر الكمبيوتر .

الآن في الولايات المتحدة يقرأ الانسان رواية كاملة على "تيب بوردر" ويستطيع السائق ان يسمع الرواية كاملة في سفرياته الطويلة ، ويستطيع الشاعر ان يسجل قصائده واشعاره ، على "راديوتيب" ..

انا شخصيا مارست هذا الاسلوب من الانتشار والوصول الى الجمهور من خلال "راديو تيب"

وهناك مشروع الآن لاعداد "فيديوتيب" كاستات لقراءات شعرية ولا أرى ان ذلك يسبب اى ازمة ، بل هي محاولة لتحديث اساليب وادوات ايصال الكلمة الى الجمهور .

والبعض يحاول مرة أخرى تضخيم مشكلة ، هي مشكلة حقيقية ، مشكلة المنافسة بين الكتاب والتليفزيون والفيديو ..

قد يكون في هذه المنافسة مكان للتأزم لدى كاتب اعتاد ان يرى انتاجه مطبوعا في كتاب ويوزع في المكتبات ، ويقرأ في المكتبات العامة ..

واعتقد اننا مطالبون بالتحفظ من تضخيم الاشكاليات المبرر منها احيانا وغير المبرر احيانا أخرى من أساليب الايصال الحديثة ..

ومن قال ان القراءة بطريقة امساك الكتاب هي الطريقة الوحيدة ؟

اعتقد انه اذا كانت القراءة تعتمد على العينين ، فهناك قراءة تعتمد على السمع ، وقراءة تعتمد على اللمس .. لذلك لا اخشى كل هذه التطورات المرئية في الافق والمرئية في حياتنا اليومية .

وانا اعتقد ان الاستماع للقصيدة عبر الكمبيوتر لايقل تأثيرا او امكانية للتأثير ، عن قراءة الكتاب بالبصر والسمع واللمس ، وقد يأتي يوم نقرأ فيه كلمة حامض بلساننا من يدري ؟!

الانسان غير محدود ويجب الا يحد نفسه ، ويجب ان ينطلق بشكل عاصف نحو الآفاق التي مازالت مغلقة لأنه دون تجديد الحياة ، ودون تجديد الانسان قد نتحول الى ديناصورات .. وكما تعلم ان انقراض الديناصور كان بسبب عجزه عن التكيف مع البيئة ، ومع الزمن والمناخ ، ونحن نختلف عن الديناصور باننا قادرون

على صياغة ذواتنا بشكل ارقى ، من زمن الى زمن ومن مكان الى مكان ومن عصر الى عصر .

اننا قد اخترنا الحياة ، وليكن هذا الخيار غير قابل للتردد والتراجع .. وبهذا المعنى نحن مطالبون بالتهيؤ الكامل لكل ماهو جديد .. لكل ماليدو مدعاة للاشكال للعراقيل وللتأزم ايضا .

● هناك ظاهرة يعرفها كل الناشرين تؤكد أن هناك انحسارا مايتم على ساحة توزيع الكتاب ، واعلم ايضا من تجربتى وهذا ليس سرا ، اننى احد الشعراء الاكثر رولجا فى الوطن العربى .

وادرك ان زملائى الشعراء الاكثر انتشارا ، هم ايضا يحسون بان هناك انكماشا فى سوق الكتاب .

هذه المسألة لاتتعلق فقط بمسألة الكتاب والفيديو والتليفزيون ولكن هناك ايضا جانب اقتصادى .. الكتاب الذى يساوى ثمنه دخل عامل فى بلد معين طيلة النهار ... لايمكن ان يأتى قبل الرغيف ..

قد يكون هناك قراء يعتبرون الكتاب من الضروريات ، ولكن اقول وهذا اعتراف منى اننى اذا خيرت بين الكتاب للقراءة وبين قميص لأحد اطفالى ، سأختار القميص اولا ، وهذا أمر مشروع وانسانى .

اما عن تقلص الكتاب العربى فهو ليس تقلصا تراجيديا ، فقد رأيت فى معرض الكتاب مشاهد رائعة لشبان ونساء وشيوخ واطفال ، يخرجون باكياس البلاستيك محملة بالكتب .

وهذا المشهد البهيج لم اشاهد له مثيلا فى أوربا ، والولايات المتحدة ، أو فى أى مكان فى العالم .

ولا أجد كلمات للتعبير عن الاحساس الذى رايته فى عيون الكتاب والشعراء والمثقفين والفنانين والجمهور فى تظاهرة حضارية عظيمة فى زمن يشاع وصفه بالقبح وبالرداءة وبالتخلف .

هنا تنبثق نقطة ضوء أرجو لها ان تصبح شمسا حقيقية فى غد قريب .

● بلند الحيدرى :
الكلمـــة تتطور

الشاعر العراقى بلند الحيدرى يقول :

لا مناص من ان نعترف بأن اللغة ، وكأى كائن حى ، يمرض ويهزل ويموت وقد يبعث حيا فى كينونة أخرى ويؤثر فى اشكالات متعددة ، وقديما قيل : تبلبلت الالسن فى بابل فجاءت على حياتها ، وعرفنا من قبل كيف ان اللغات الأوروبية قضت على أمها . فهناك دوما أزمات ، واللغة العربية كغيرها من اللغات قد ناشها الكثير من هذه الأزمات ، وكان أن خرجت منها بشىء من عافيتها ، وكان للقرآن الكريم ما مدها بكل ما شد ازرها فانتصرت بذلك على مناوئيها .

واذا كنا نقول اليوم بتخلفها عن استيعاب العصر فلابد من ان نقول بأن تخلفها كان من بعض تخلف اهليها ، واذا صدقنا الاحصائيات القائلة بأننا نزداد



الشاعر العراقي بلند الحيدري

امية عاما بعد عام فعلينا ان نصدق بكوننا لن نستطيع ان نتعامل مع اشكالات عصرنا وتطلعاته إلا من خلال المستوى الادنى من لغتنا ..

وهكذا استضمر قدراتها الهائلة عاما بعد عام ، ويتراخى الزمن اكثر فاكثر مابينها وبين امكانيات استيعاب منجزات عصرها .

ومن بعض ازماتها الاخرى شيوع العامية وتمادى بعض مثقفينا الى استبدال الفصحى بها .. وكذلك من بعض ازمات لغتنا شيوع اللغات البديلة وفي غير قطر عربي ، ويعاني الكاتب العربي كوسيلة تعبيرية في حدود قسرية تأخذ اشكالا متعددة ، سياسية واقتصادية واجتماعية ، مما سينعكس حتما على مستوى اداء دورها في هذا القطر او ذاك .

ومما لاشك فيه ان للمذياع الذى دخل كل بيوتنا ، وللتليفزيون الذى اصبح من اكثر وجبات طعامنا في تناولنا اليومي للثقافة ، دورا مهما في محاصرة الكتاب اليوم ، وهي محاصرة ذات ابعاد مختلفة من حيث الزمن الذى يطول ، الزمن الذى كنا نفرده للقراءة ، ومن حيث مستوى مايمكن ان يفرزه المنهج الثقافي الذى يحمله المذياع ، والتليفزيون الينا وهي على العموم ثقافة معلوماتية وسطحية ، تمر بسرعة على ذاكرتنا الذهنية والعينية ، وانها بذلك دون مايحمله الينا الكتاب ، وعلى الاخص الكتاب القائم على ثقافة عميقة ودقيقة ، ومن بعض مخاطر هذه الثقافة انها تخلق قراءة على هذا المستوى الذى ليس له الا ان يعلمنا بما ينجز في العالم ، ودون ان يمكننا من التفاعل والتعامل معها ، وبما يخرج بنا من مرحلة الانبهار الساذج بها الى مرحلة ادراكها في صميمها ، وعبر ما يمكن ان يؤكدنا في خصوصيتنا القومية .

اللغة كوعاء للفكر لا يمكن ان تموت ، والوسائل المطروحة في عصرنا لايصال الافكار من خلال الاذاعات والتليفزيونات هي في ذاتها تعزيز للغة ، وما نأخذه على هذه اللغة هو مستواها الذى لاتعالج فيه غير الظواهر المسطحة من اشكالات ثقافة عصرنا وانجازاته ، وضمن فترات قصيرة جدا .. فالمشكلة ليست في هذه الوسائل ، ولكن في كيفية تعاملنا معها وكيفية استخدامها لتعزيز العمق الثقافي واتساع ابعاد اللغة وامكاناتها .

● محيي الدين فارس : الكلمة سيدة الموقف

اما الكاتب المعروف محيي الدين فارس فيقول : منذ ان كانت اللغة صوتيات قبل ميلاد الحروف .. الكلمات فالمكونات الاولى للمقاطع والجمل كانت تحمل مضمونا اجتماعيا يعكس ما كان يعتمد في صدر العالم البدائي ، وهذه الصوتيات كانت تؤدى المعاني من خلال التلوين

شعريات

الصوتى الذى يحذر القبيلة من الحيوانات الضارية الشرسة أو يعلن لها الاشارة عن نبأ سار ، كاصطياد حيوان ضخم يؤمن للقبيلة امنا غذائيا يوما او بعض يوم وفى المتروك التراثى لاجدادنا الأوائل ، سواء أكان رسومات على واجهات الكهوف القديمة أو مخلفات اثرية لمكتشفات الانسان تجد فى كل ذلك بريدا مرسلا الينا عبر القرون والأزمنة .

وإذا تأملنا محتويات ذلك البريد نلمح فكرا مصبوبا فى أوان تتأبى على الزوال كالآثارالحجرية والمستعملات اليدوية .

وإذا تأملنا واقع أمتنا العربية ومشاكلها المركبة وازماتها المتوالية ، وصراعاتها الخفية ، والواضحة للعيان ، فى الوقت الذى تسعى فيه اوروبا للوحدة والتماسك نجد ان الكلمة قد لعبت دورا كبيرا فى تعميق الخلافات ولكن هذه الكلمة التى تدمر صرح الوحدة والتماسك العربى تقابلها الكلمة الشريفة التى تؤدى دورها التاريخى فى بث الوعى والدعوة الى الوحدة .

فالعالم من حولنا أصبح قرية صغيرة . وفى هذا الحيز الضيق والواسع معنا لابد من بناء الذات والكينونة وايجاد القالب الذى يحفظ لامتنا العربية وجهها الحضارى المشرق وفى مسرح التسعينات المتسم بالايقاعات السريعة والمتلاحقة والنتائج غير المتوقعة والتى اصبحت امامنا حقيقة مادية وملموسة ندرك ان العالم القديم يدخل دائرة



الشاعر السودانى
محيى الدين فارس

المحاق ، فقد هزت شجرته العجوز رياح التغيير المفاجئة ، والانتقال من العالم القديم الى العالم الجديد .

وقد لعبت الكلمة الشريفة دورها ولاتزال فى صياغة الانسان العربى صياغة تواكب الزمان وتماشى اسلوب التطور ، ومما يساعد على ذلك وعى القارىء العربى القادر على غربلة الافكار والتمييز بين الفكر المعوق والفكر البناء الا ان هناك شيئا يجب ان نشير إليه وهو غموض اللغة وضبابية العقل فى بعض نماذج الشعر الحديث مع ان الشعر هو فن امتنا الاول ، تأتى بعده القصة والرواية .. وبما انه يحمل الشفرة السرية فى تخصيب العقل الجمعى فان مافيه من غموض جميل ولغة جديدة يجب ان يفضى فى نهاية المطاف الى شىء . وترهل جسد القصيدة ونموها العشوائى يفسد هذا الفن الجميل ، ويبطل مفعول رسالته النبيلة .

ولعل ترجمات بعض المذاهب والتى

ماتت في مواطنها الأصلية كالبنيوية واللسانيات التى تحول القصيدة الى معادلات رياضية جافة وغيرها لعل كل ذلك وغيره شيء مقصود لاقامة حواجز وعوازل بين المبدع والمتلقي . وكما ان المسرح كما قال ارسطو يدعو الى تطهير النفس من الداخل . فان الشعر وهو خبز الملايين عندنا يجب ان تكون قنواته مبراة من تصلب الشرايين . فالكلمة ستبقى سيدة الموقف وقادرة ابدا على الاسهام فى بناء المدينة الفاضلة ويوتوبيا الجماهير .

● حسن عبد الله القرشي : صباح الكلمة الحرة

الشاعر السعودى حسن عبد الله القرشي يقول :

حرية القلم هى الأساس فيما يكتب الكاتب ، وفيما يصور الشاعر ، وفيما يعرض الصحفى ، وفيما يناقش الناقد .

وحينما يفتقد القلم حريته ولايجد صاحبه نظاما يحميه من سلطة حاكم او بطش متسلق او سيطرة مستبد . تنشأ ازمة الكلمة وتستحكم ..

ولا تنفصل ازمة الكلمة المكتوبة عن ازمة الكلمة المنطوقة ، وما اكثر ماتعرض الكتاب والشعراء والفلاسفة لإيذاء الطغاة ، سواء بالضغط على مصدر الرزق او حتى بالسوط ، بالسيف والمقصلة .

ان الفكر لايزدهر مادامت الكلمة مختنقة ، ومادام مجال القول ضيقا . فالأزمة اذن ماضيا وحاضرا ومستقبلا ـ هى ازمة الحرية .

وإذا كانت المعارضة ـ الفكرية او السياسية محترمة ، ومعترف بها فى البلاد التى قطعت شوطا كبيرا من التمدين فانها فى اكثر ـ ان لم اقل فى سائر ـ بلاد مايطلق عليه الآن العالم الثالث مضطهدة بل مداسة احيانا ، ولاسيما حينما تتسلق على الحكم حفنة جاهلة ، او غبية تمالؤها فئات منافقة ، همها الارتزاق والسيطرة ، وبعيدة عن اهدافها ـ كل البعد ـ مصلحة الشعب ورقى الامة .

وها نحن نشهد اليوم محنة الحرية فى كثير من هذه البلدان ، ومن قبل غرباء استولوا على خيرات بلاد أخرى وامتصوا مواردها ، وأذلوا شعوبها ، كما هو الحال مثلا فى جنوب افريقيا وفى اسرائيل وغيرهما ..

فقدان الحرية اذن هو سر الأزمة ولبها واساسها . وحينما تتاح لاصحاب الرأى والفكر والقلم حرية القول والكتابة ، ستتلاشى هذه الأزمة وتنتشر وينبلج صباح الكلمة مكتوبة او منطوقة .

وحينما يملك المصلحون ان يرفعوا اصواتهم وان ينتقدوا ويوجهوا حينئذ يقوى ساعد الامة ويزدهر اقتصادها ، وتترسخ اقدامها ، وتستطيع ان تحمى ذاتها وتدافع عن سواها عند الحاجة .

● عبد الرازق عبد الواحد : من الورق الى الوعى



الشاعر العراقى عبد الرازق عبد الواحد

ويقول عبد الرزاق عبد الواحد الشاعر العراقي المعروف إن مايحدث هو ازمة في الورق ! وازمة في القلم .. ! وازمة في الهواء .. ! وازمة في الوعي .. وازمة في اللغة بين المنطوقة والمكتوبة .

ولا ادري ، بعد ذلك ، كيف تحافظ الكلمة المكتوبة على تواصلها مع الناس ، وعلى فاعليتها .. هذا اذا كتب لها ان تكون مكتوبة !

عبد الرحمن مجيد الربيعي
الكلمة في أزمة



الروائي العراقي عبد الرحمن مجيد الربيعي

يقول عبد الرحمن مجيد الربيعي حول ازمة الكلمة المكتوبة : هناك ازمة في الكلمة المكتوبة في عالمنا العربي ، إن الأدب العربي في سنواته الاخيرة خلا من الاعمال المميزة الكبيرة ، كما خلا من الاسماء الكبيرة ايضا ، ويخيل الى ان العمالقة الاحياء ، أو بقايا العمالقة الاحياء هم آخر سلالة المبدعين الكبار في الأرض العربية التي ضاقت بمبدعيها الأصلاء ولم تحتملهم ، ومثلما يعين الوزراء والمدراء العامون بأوامر صار الادباء يعينون بأوامر ايضا ، وتمنح كل الفرص للبعض لمنصبه وموقعه الوظيفي لا لابداعه ، وقد وصل الرياء ببعض المؤسسات الثقافية العربية ان ترى الأدب في اولئك الذين يجلسون وراء مكاتب فخمة وتتصدر اسماؤهم القابهم الوظيفية الكبيرة . فالثقافة العربية الآن قد دجنت بالكامل والأدباء صاروا مصفقين في جوقات السلطان ولن نحلم بولادة عقاد آخر أو طه حسين آخر ، اولئك الذين كانت السلطة تحسب لهم حسابا .

انها المحنة العربية ، كان هذا الاذلال مطلوب .

أما الأعمال الشابة المتميزة فانها تحاصر ، وقد لاتجد فرصتها في النشر ، يوما ما كانت بيروت مساحة اوسع ، ولكن اغتيال دور بيروت جعل هذه الاعمال سجينة ادراج كتابها .

فالناشرون يفضلون الادباء الرسميين لانهم إن نشروا لهم ضمنوا بيع وتوزيع كتبهم في اقطارهم ، اما الآخرون من غير الرسميين فقد يكونون غالبا مثار اشكالات كبيرة .

ان مساحة اللاحرية في الوطن العربي تتسع ، وسلطة القمع تقوى وتشتد ، والخوف من الكلمة الحرة اكبر الآن مما كان عليه في يوم مضى وحوصلة اجهزة الرقابة ضاقت حتى اصبحت بحجم حوصلة عصفور .

شهريات

مكتبة الهلال



الكتاب
الترانسفير
ترجمات مختارة من العبرية
تقديم :
د . محجوب عمر
الناشر :
دار البيادر

٢١٦ ص ، ٥ ج . م

« الترانسفير » في العقيدة الصهيونية يعني عملية تهجير العرب من فلسطين إلى خارجها ، وهذا الكتاب عبارة عن ترجمات من اللغة العبرية إلى اللغة العربية ، تبلغ تسعة عشر مقالا مأخوذا من الصحف الإسرائيلية في الفترة التي شهدت بداية إندلاع الإنتفاضة الفلسطينية وحتى الآن ، بإستثناء المقال الأخير الذي كتبه إسرائيل شاحاك .

وقد جمعت هذه المقالات فور صدورها تقريبا ، إذ لفت النظر إليها احتلالها واحتلال مقولة الترانسفير مساحات متزايدة من الصحافة الإسرائيلية ، في الوقت الذي كانت الإنتفاضة الفلسطينية فيه تفاجيء العالم كله والإسرائيليين بوجه خاص ، بحيث أثارت عشرات الأسئلة .

الإسرائيليون تساءلوا جميعا عن المخرج ، وعن كيفية مواجهة الإنتفاضة ؟ وهنا جاءهم الجواب على لسان عدد من القادة الصهاينة ، يذكرونهم بما كانوا قد نسوه ، عندما صدقوا أنفسهم ودعايتهم ، وتصوروا أن إسرائيل دولة ديمقراطية متحضرة بالفعل ، والحل كان عند هؤلاء القادة مختصرا في كلمة واحدة يعرفها الإسرائيليون جيدا هي الترانسفير .

يقول أحد القادة الإسرائيليين : إن فكرة الترانسفير ، أو نقل العرب الفلسطينيين إلى خارج أرض إسرائيل بإرادتهم ليست فكرة جديدة ولاتؤيدها جماعات هامشية في إسرائيل ، إن الاستفتاءات العامة واستطلاعات الرأى تظهر أن الكثير من الإسرائيليين يؤيدون هذه الفكرة ويؤمنون بها .



شهريات

مكتبة الهلال

الكتاب : طبيعة ومشكلات الحكم فى مصر
تأليف : أسامة خالد
الناشر : دار ثابت
٢٤٠ ص

يرى مؤلف هذا الكتاب أنه يتوجه بعمله هذا إلى لكثرة القراء الذين لم يختاروا إتجاها سياسيا أو راية ينتظمون تحتها ، مثلما يتجه به للذين لاترضيهم الأحزاب الموجودة ويبحثون عن إطار جديد ، أو شكل جديد ، أو فكر جديد . مثلما هو متجه للعاملين فى الأحزاب والمنتديات الفكرية القائمة فعلا . يقول المؤلف أيضا أن القارىء ربما سيشعر ببعض التعالم خاصة فى الفصل الذى يتناول قواعد ومفاهيم عامة يحسبها غائبة عن حياتنا السياسية أو صراعاتنا الفكرية ، ولذا فهو يقدم العذر بين يدى القارىء لأن التعالم أو استعراض المعرفة هما أكثر بعدا عنه فمؤلف الكتاب يرى أن الحقيقة لاتوجد فى إتجاه واحد أو حزب أو فكر واحد أو سلة واحدة ، وأنها موزعة بين قوى مختلفة يمكن استخلاصها وتجميعها خلال الحوار الديمقراطى الحر شرط أن يجرى على أسس واقعية ومن زاوية عملية .

لهذه الأسباب إقتصر المؤلف على كشف الحقائق بطرق الإثبات العلمية وتتبعها حتى نتائجها المنطقية التى تحددها عواملها الذاتية والعوامل المحيطة بها ، ولذا فلا يوجد أثر من حب لاتجاه بعينه أو كره لإتجاه آخر .



الكتاب : الجيش والديمقراطية فى مصر
تأليف : نخبة من المؤلفين .
الناشر : سينا للنشر
٢١٢ ص ٦ ج . م

هذا الكتاب هو تجميع لعدد من الأوراق العلمية المنشورة وغير المنشورة حول موضوع الدور السياسى للعسكريين فى مصر ، سواء من ناحية الخلفية التاريخية المرتبطة بثورة يوليو ١٩٥٢ ، أم من ناحية الوضع الآن .

ويرى الدكتور أحمد عبدالله محرر الكتاب أن أحد أشكال الممارسة الديمقراطية وتوسيع نطاق المشاركة الشعبية هو نقل الإهتمام بالقضايا العامة ـ ومنها بالطبع قضية الدور السياسى للعسكريين ، من دائرة الصفوة الضيقة المهتمة بالسياسة ، إلى الدائرة الأوسع من المواطنين على الأقل بدءا

شهريات

مكتبة الهلال

من دائرة المهتمين بالقراءة .

ولأن الجدل حول قضية الدور السياسى للعسكريين هو موضوع قديم اتخذ يوما شكل الهمس ثم شكل المظاهرات فالجديد فى الأمر – يقول المحرر – أنه يتخذ اليوم شكل الحوار الديمقراطى المفتوح .

شارك فى الكتاب أيضا كل من د . مجدى حماد الذى كتب المؤسسة العسكرية والنظام السياسى المصرى ١٩٥٢ – ١٩٨٠ – والدكتور جهاد عودة الذى كتب عن المؤسسة العسكرية والسياسة الخارجية فى فترة الرئيس مبارك ١٩٨١ – ١٩٨٧ ، والدكتور روبرت سبرنجبورج عن الرئيس والمشير : العلاقات المدنية العسكرية فى مصر اليوم .

بالإضافة إلى دراسة أحمد عبدالله المعنونة ، القوات المسلحة وتطور الديمقراطية فى مصر ملحق توثيقى يضم متابعات صحفية للقضية فى الصحف المصرية .



الكتاب : الكلام هنا .. للمساكين
تأليف : محسن يونس
الناشر : دار الغد
٢١٢ ص ، ٢٠ ج م

تضم هذه المجموعة الجديدة لمحسن يونس أربع عشرة قصة قصيرة تدور حول أجواء الحكايات للكاتب التى يصفها الناقد إبراهيم فتحى بأنها تقدم الفرد كله داخل الحياة الاجتماعية فى لقطة واحدة .. فأمامه خيارات وفرص محددة وعليه أن يلعب كل شىء وفقا لرمية واحدة للفرد ، وتميل حياته نحو أن تأخذ مظهر القدر ، أى مظهر حكاية تروى ، فلدينا تاريخ طبيعى فى مسار مستقيم . وتماثل بين رؤية الحياة الاجتماعية والحياة الطبيعية ، وقد تبدو بعض الأحداث وكأنها تتحرك مؤقتا وعرضا – بدون حتمية للإثارة والتشويق ، ولكنها لابد أن تستوعب داخل منطق صارم وأن تؤكد بتباينها ذلك المنطق الصارم .

ويقول الخراط أن محسن يونس يبدأ من قصته الأولى المنشورة بمغامرة بهيجة فى اللغة ، بين الفصحى وعامية الريف الساحلى بالتحديد .

ونحن نعرف أنه من عائلة صيادين بدمياط ، ولكننا نعرفه على الأخص من خلال هذه اللغة التى ينحتها ويروضها ويسلسها لتجعل من عالمه النص كيانا متفردا وحضورا قويا .

كتاب جديد

فى الثــورة والدبلوماسية

تقديم : مصطفى نبيل

يتناول كتاب « فى الثورة والدبلوماسية » ، مشاهدات وذكريات كاتبه جمال منصور . وهو أحد ضباط ثورة يوليو ، وأحد الدبلوماسيين اللامعين الذين وصلوا إلى أرفع المناصب الدبلوماسية .

وفى تناوله للإعداد للثورة تحكم نظرته السياسية ووجهة نظره كل الوقائع التى سردها ، وستتخذ من هذا الكتاب مجرد « تكأة » لمعالجة المنهج الذى تكتب به بعض من هذه المذكرات ..

فإذا كان التاريخ قابلا لإعادة التشكل ، مع ما تكشف عنه الأيام من وقائع ومعلومات ، تبقى الموضوعية التاريخية ، مسألة نسبية ، تتحدد بمدى تجرد الكاتب وتحريه الدقة فيما يعالجه من موضوعات .

جاء على لسان الكاتب الكبير عباس محمود العقاد .. « ويل للتاريخ من المؤرخين – لأن الناس لايعرفون من يعيش بينهم فى قيد الحياة ، ومن يسمعهم ويسمعونه ، ويكتب له ويقرأونه . فكيف يعرفون من تقدم به الزمن ، ولم ينظر إليهم قط ولم ينظروا إليه » .

ألحت على ذهنى هذه العبارة عند متابعة سيل المذكرات التى تصدر عن ثورة يوليو ، التى مازالت على قيد الحياة العديد من الذين عاشوا أحداثها وشاركوا فى معاركها .

وبين وقت وآخر يخرج علينا كاتب يفيد الوقائع ويطمس الحقائق ، وبدلا من أن يلقى الضوء على خلفياتها ، يزيد هذه



مجلس قيادة الثورة





جمال منصور

الوقائع غموضا . ويساهم في أن يختلط الحابل بالنابل . أمام الأجيال التي لم تشهد هذه الأحداث .

صحيح . طالما قرأنا من يلح على شهود أحداث التاريخ مطالبا أن يسجلوا شهاداتهم للكشف عن هذه الأحداث . أو تقديم أبعاد انسانية لها . وحتى يكسوها اللحم والدم . ولكن بدلا من ذلك خرجت علينا المطابع بفيض من المذكرات تتفاوت في قيمتها العلمية وأهميتها التاريخية . الكثير منها لايمت لوقائع التاريخ بصلة . تشغلها تصفية الحسابات وتضخيم الذات . ونلمس عند قراءتها رائحة التحيز وتبرير الأخطاء . وانتحال الأدوار وتشويه الخصوم . إلا القليل النادر الذي يلقى مزيدا من الضوء على تلك الأحداث ..

كتاب جديد

فى الثورة والدبلوماسية

والخطر ماصاحب هذه المذكرات ظاهرة عدم احترام الواقعة التاريخية . والخلط بين الواقعة والرأى . فالواقعة التاريخية ليست ملكا لأحد . أما الرأى فهو ملك صاحبه . له حق الاجتهاد . وله رؤيته الخاصة . ومن الطبيعى أن يتأثر بتحيزاته الفكرية وتجربته العملية ومعاناته اليومية ..

وكثيرا مايلاحظ المتتبع لهذه المذكرات اغفال أصحابها الوقائع التى لا تناسبهم . مع أن قسم الشهادة المعروف فى المحاكم ينص على قول الحق وينص أيضا على كل الحق . فمابال الذى يقدم شهادته فى محكمة التاريخ ..

عندما خرج الملك



وهذا الذى يستخدم مذكراته كسلاح فى صراعه السياسى . فيلوى عنق الحقيقة ويشوه حقائق التاريخ ..

ومما زاد من خطر هذه الظاهرة زهد الكثيرين فى التصدى لهذا التشويه . ممن شارك فى تلك الأحداث . ويتسلل بالتدريج إلى قاموس تاريخنا وقائع مزيفة تشوه مسار التجربة المصرية . وتفوت على الأجيال الجديدة إدراك دروسها الحقيقية . وغالبا لاتسمع سوى تصفيق مدرسة تشويه التاريخ . التى تستخدم هذه المذكرات لخدمة أهدافها السياسية !

والمدهش حقا أن بعض الذين يكتبون مذكراتهم . لايكلفون انفسهم الاطلاع على ماسبق كتابته . والاضافة اليه أو تصحيحه . وكأنهم يكتبون فى فراغ . ولا يوجد من يعرف الحقائق سواهم . لايناقشون ولايصححون . ما سبق نشره . وأيا كان ما وراء هذا الموقف .. سواء كان تأففا أو تعففا فهو لايخدم الحقيقة التاريخية .

والخطر ما نلاحظه . اتفاق عدد كبير من كتاب المذكرات . على اغفال دور القوى الاجتماعية فى الأحداث التى يعالجونها . والاقتصار على الظاهرة السياسية . وكأنها معزولة عن حركة المجتمع. وعن الصراعات المحلية والاقليمية والعالمية من باب الاستسهال لحياتنا . ومن باب إلقاء المسئولية على الغير . ويا حبذا إذا كان غائبا . فيستريح الجميع . وتنزاح المسئولية . وغالبا ماتنتهى عند جمال عبد الناصر رمز ثورة يوليو ومفجرها .

وليكن صحيحا مايرويه البعض عن سلبيات ثورة ٢٣ يوليو فقد كانت بحق . عظيمة الانجاز وعظيمة الأخطاء . على أن

يكون مرشدنا فى البحث عن تاريخها ويضع ايدينا على مايجب تغييره او تصحيحه ، فالحياة حركة دائمة ، وحركة الشعوب مثل التجديف الدائم ضد التيار ، وتتحمل الاجيال الجديدة مسئولية استكمال ما بدأته ثورة يوليو أو تصحيحه . فلا يكفى تبرئة الذات وتشويه الغير ، وشرط هذا المنهج أن تبدأ بالحقائق التاريخية ، وليس من امعلومات غامضة شوهتها الاغراض السياسية ، مما لايقود سوى إلى التيه والضياع .

وما أسهل إلقاء مسئولية الأخطاء على الغائب وكل غائب وما أيسر أن يتسلخ البعض عن ماضيهم ، ويلقوا تبعة الماضى والحاضر على سواهم ، ويحملوهم وحدهم مسئولية كل فشل .. ! ..

● نواة أول تنظيم

هل طالت المقدمة ، قبل الوصول إلى كتاب جمال منصور ، والوقوف امام تجربة عريضة وخصبة ، امام خبرة سياسية واسعة ، عاش صاحبها سراديب الثورة وعرف أسرارها . وانتقل بعدها إلى المحافل الدولية والحياة الدبلوماسية ، وانتهى به المطاف مديرا للغرفة التجارية بنابولى فى ايطاليا ..

إنها حياة خالية من الاخفاق ، تزخر بالنجاح والتألق .

ويدعى صاحب المذكرات انه كان نواة اول تنظيم سرى فى الجيش ، وانه الذى كتب المنشورات السرية ، وطبعها وتولى توزيعها ، وهو الذى اطلق اسم الضباط الاحرار على التنظيم ، وانه هو الذى وضع وصاغ المبادىء الستة ، ولكنه نسى أن يقول لنا اين كان يوم ٢٣ يوليو ، يوم قيام الثورة ، وما دوره يومها .. !

ويذهب بعيدا عندما يذكر انه اسس .. « الجماعة التأسيسية لسلاح الفرسان » .. التى تتكون من مصطفى نصير وسعد عبد الحفيظ وجمال الدين منصور ، وعبد الحميد كفافى ومحمد حلمى ابراهيم .. لأن حركة « الضباط الأحرار » ، لم تنضو تحت هذا الاسم منذ نشأتها ، ومرت بمرحلتين ، المرحلة الأولى من عام ١٩٤٥ حتى عام ١٩٤٩ ، وكانت تسمى فى هذه المرحلة باسم « ضباط الجيش » ثم انتقلت بعد ذلك إلى العمل تحت اسم « الضباط الأحرار » .

وبقمة ١٩٤٤ من سلاح الفرسان كانت النواة الأولى » .. وانطلقت المجموعة الأولى بأفرادها الخمسة تسعى إلى الجيش بأسلحته المختلفة .. وجاءت فكرة طبع المنشورات من اجل الوصول بافكار الثورة الى قاعدة اعرض فى الجيش . وانتهى الأمر الى تكليف موظف فى السكة الحديد بطبع المنشورات واسمه محمد شوقى عزيز ، والذى كتب اول منشور على الاستنسل وطبعه على « الرونيو » فى مكان عمله فى السكة الحديد » ..

« ... كان علينا أن نقوم بالعمل من بدايته الى نهايته ، من الاتفاق على النقاط التى تأتى فى المنشور ثم صياغتها فى اسلوب مقبول ، ثم كتابتها وتوزيعها على عناوين مساكن الضباط .. واذكر ان اكبر اجتماع كان يضم حوالى ٣٠ ضابطا من مختلف الأسلحة ، وكان فى منزل عبد الفتاح ابو الفضل فى السطوح فى شارع البراموني ، خلف قصر عابدين » .

« ... اما عن علاقة التنظيم الذى كان نواته جمال عبد الناصر ، فقد قامت بعد حرب فلسطين ، بواسطة خالد محيى

كتاب جديد

في الثورة والدبلوماسية

الدين » .. وكانت مجموعة جمال عبد الناصر وخالد محيى الدين تضم خمسة اعضاء فقط هم : عبد الناصر وعامر وخالد وكمال الدين حسين وحسن ابراهيم .. ثم « انضم اليهم البغدادى وصلاح سالم » .

ويضيف .. « .. ويتضح من ذلك ان مجموعة عبد الناصر لم تبدا فى التشكيل إلا فى نهاية صيف ١٩٤٩ . فى حين ان مجموعة الفرسان (مجموعته) قامت عام ١٩٤٥ » .

وخلاصة ما جاء على لسانه ان عبد الناصر اختلس الثورة لنفسه مستغلا سذاجة زملائه .. وقلة حنكتهم . ومثاليتهم المفرطة ! ..

ولدى جمال منصور مرارة من ثورة يوليو ، لم تستطع الايام التخفيف من حدتها ، ويرى ان الثورة تاكل ابناءها ، وانه نال مع الكثير من زملائه هذا المصير بعد ان قال فى احد الاجتماعات بسلاح الفرسان ... « إننا لم نخلع فاروق ونأتى فى مكانه بـ « ١٣ فاروق » » . وكان اعضاء مجلس قيادة الثورة ثلاثة عشر ، ومن يومها لم يعد له مكان فى صفوفها ، ولم يجن مكاسبها ، وكان يدرس العلوم السياسية ، ونال شهادتها ، ودخل مثل غيره مسابقة وزارة الخارجية ، وبدأ عمله الدبلوماسى من اول السلم ، وما حققه فى عمله الدبلوماسى ليس له اية علاقة بدوره فى الثورة وانما تم تعيينه بنفوذ عمه د . صبرى منصور الذى كان وزيرا للمالية فى مطلع الثورة ، والذى قدمه ايامها الدكتور محمود فوزى .

وما يلقى الضوء عليه فى المرحلة الاولى ، هو تخلص عبد الناصر ممن يطلق عليهم الصف الثانى والذى يعتبر نفسه واحدا منهم ، ولا يلقى بالا للحجة التى قيلت يومها ، من ان على الثوار ان يختاروا بين العمل فى السياسة وبين العمل فى الجيش ، وإلا تحول الجيش إلى قوة انقلابية ، ويفوته ايضا ان البعض قد استمر فى صفوفها حتى النهاية ، وان البدايات ليست دائما مثل النهايات ، إنما يجب الحكم عند نهاية الشوط ، ولعله فيما نقله عبد المنعم عبد الرءوف عند عبد الناصر فى مذكراته ما يلقى الضوء على هذه المسألة ، يقول عبد الناصر « انه كان يضم الى صفوف تنظيمه من يتميز بالجسارة والكتمان » . وليس كل من يتصف بهما يقدر على المساهمة فى بناء الدولة بعد نجاح الثورة .

وتتكرر ذات المحاولة ، والمتمثلة فى السعى إلى التقليل من دور عبد الناصر خلال الاعداد للثورة او يوم قيامها ، عند العديد من كتاب المذكرات ولم يكتب لهذه المحاولة النجاح ، ولم تنل من الدور الحيوى لجمال عبد الناصر ، ومن مكانته كمحرك رئيسى للتنظيم ، وصاحب الدور الاول يوم ٢٣ يوليو .

● الحرس الحديدى

واهم ما تتناوله المذكرات ما جاء عن الحرس الحديدى ، وينقل جمال منصور عن سيد جاد احد ضباط الحرس الحديدى ، قوله .. « إننى لو استعرضت اعضاء الحرس الحديدى لوجدت ان بينهم انور السادات الذى تلقاه د . يوسف رشاد طبيب الملك الخاص ورئيس الحرس

الحديدى بعد خروجه من السجن فى قضية أمين عثمان ، ولحقه برعايته وأعطاه مبلغ ألف جنيه ، وأصبح السادات عضوا فى الحرس الحديدى له نفس مميزات باقى الأعضاء (مرتب ٨٠ جنيه شهريا وعربة صغيرة) .

ثم حسن التهامى ، الذى كان عضوا جريئا فى الحرس الحديدى وقام بإطلاق الرصاص من مدفع رشاش على رفيق الطرزى .. تنفيذا لتعليمات السراى بسبب منافسته للملك على إحدى الراقصات » ..

ويضيف كاتب المذكرات ، أنه فى لقاء مع جمال عبد الناصر روى له القصة التى رواها له الضابط سيد جاد .. وكان تعليق عبد الناصر عليها .. « كنا نعلم بعض هذه المعلومات عن السادات ، وكنا لانريد أن نصدق أنفسنا ، وكان الشك ينتابنا أحيانا .. أما وقد عرفنا كل هذه التفاصيل ، فلم يعد هناك مجال للشك .. لكن أنا حعرف إزاى أكشفه » !

ومن الطبيعى أن يثير هذا الجزء ، الكثير من الجدل ، وأن ينال عناية المهتمين بالتاريخ ، ويسعى المؤرخون الى إزاحة الستار عن كل حقائقه ، ولايجوز أن تبقى علاقة الضباط الأحرار بالحرس الحديدى يكتنفها الغموض والتأويل ، فيرى مرتضى المراغى آخر وزير داخلية أيام الملك ، أن الحرس الحديدى كان غطاء لنشاط الضباط الأحرار مما ساهم فى نجاح الثورة ، والذى أرجحه أن الضباط الأحرار اخترقوا التنظيم الذى أقامه الملك ، وليس العكس ، وإلا لنجح الملك فى تصفية تنظيم الضباط الأحرار قبل قيام الثورة .. وهى مسألة مازالت تستحق عناية



جمال عبدالناصر

المؤرخين ، وعليهم جمع تلك المادة المتناثرة فى العديد من الكتابات ، ثم تحقيقها مع أولئك الذين على قيد الحياة ، قبل أن تطوى هذه الصفحة من التاريخ .

● نقطة البداية

وإذا قلبنا بعض أوراق الثورة ، لمعرفة نقطة البداية فى قيام تنظيم الضباط الأحرار ، فسنجد أن الجيش ازدحم بالتنظيمات السرية خلال الحرب العالمية الثانية ومابعدها ، وأن عبد الناصر قام بالدور الرئيسى فى توحيد بعض من هذه التنظيمات فى تنظيم الضباط الأحرار ، وهو التنظيم الذى نجح فى القيام بالثورة وإعلان الجمهورية ..

● فمثلا يقول عبد اللطيف البغدادى فى مذكراته .. « مع بداية الحرب العالمية الثانية ، وبعد تنحية عزيز المصرى .. رئيس الأركان .. كانت هناك مجموعة من أربعة ضباط برتبة ملازم طيار تقيم معا فى شقة بمصر الجديدة ، ويعملون معا فى

فى الثورة والدبلوماسية

مطار الماظة ، وهم أحمد سعودى ابو على وحسن عزت ووجيه اباظة وعبد اللطيف البغدادى ، وقررت هذه المجموعة عمل تنظيم سرى بين ضباط الطيران والجيش لمقاومة الاحتلال .. ولم يكن عمر أحد منهم يتجاوز الاثنين والعشرين عاما .. ويستدرك قائلا .. وليس هذا التنظيم هو تنظيم الضباط الأحرار ..

ثم كانت حرب فلسطين ، وكان جمال عبد الناصر هو الذى تحرك وبدأ الاتصال ببعض الضباط الوطنيين قبل نهاية عام ١٩٤٩ من أجل لم شملهم فى تنظيم واحد » ..

● ويذكر عبد الفتاح ابو الفضل فى كتابه .. « كنت نائبا لرئيس المخابرات » .. « سنه ١٩٤٦ تم تكوين اول تنظيم سرى للضباط ، وكان الاجتماع الأول فى منزلى ٦ شارع اليرموني بعابدين .. ثم يضيف .. « لا ادعى ان هذا التنظيم هو نفس تنظيم الضباط الأحرار ، لكن بعد عودتنا من فلسطين استمر التنظيم فى عقد اجتماعاته ، فى الوقت الذى كان فيه تنظيم الضباط الأحرار يتكون ، ودخله بعض الأعضاء من تنظيمنا وانشق من هذا التنظيم تنظيم الحرس الحديدى ، وكان اغلبنا معارضين لتكوينه وتعاونه مع الملك .. والبعض الآخر انضموا الى تنظيم جمال عبد الناصر وزكريا محيى الدين وكمال حسين ويوسف صديق » .

● وفى زحمة المذكرات وفى هذا الفيض او الفيضان من المذكرات ، نجد ان ثورة يوليو اخوانية عند الاخوان ، وماركسية عند الماركسيين !

يقول حسين حموده فى كتابه « أسرار حركة الضباط » ..

« التقينا بمنزل عبد المنعم عبد الرءوف بالسيدة زينب فى مطلع عام ١٩٤٤ ، عبد المنعم عبد الرءوف ، وجمال عبد الناصر ، وكمال الدين حسين ، وسعد حسن توفيق ، وخالد محيى الدين ، وصلاح الدين خليفة ، وحسين حموده ، ومحمود لبيب ..

وشكلنا تنظيما تكررت اجتماعاته طيلة سنوات ٤٤ ـ ٤٥ ـ ٤٦ ـ ٤٧ ـ ٤٨ وانقطعت فى مايو عام ١٩٤٨ ، وخلال هذه الفترة اتسع التنظيم الذى يعمل تحت لواء الاخوان .

... وبعد حرب فلسطين وفى اوائل عام ١٩٥٠ ، فاتحنى عبد الناصر فى اعادة تكوين التنظيم السرى للضباط قائلا .. « إنه بموت البنا ومحمود لبيب انقطعت صلة الاخوان بالتنظيم السرى لضباط الجيش ، وانه يرى لدواعى الامن قطع الصلة بعبد الرحمن السندى ـ مسئول التنظيم الخاص للاخوان ، واضاف عبد الناصر قائلا : ان التنظيم الجديد لن يتم ـ كالتنظيم السابق ـ على اساس المعرفة والصداقة ، فتلك كانت مرحلة تحضيرية لابد منها ، اما التنظيم الجديد ، فسنحاول ان نجد لنا فى كل كتيبة او وحدة من وحدات الجيش خلية من الضباط الاحرار حتى يمكن السيطرة على الجيش عند قيام الثورة » .

● أما عبد المنعم عبد الرءوف فيقول فى مذكراته عن النشأة الاولى مايلى : « استطعت فى شهر اكتوبر عام ١٩٤٢ ان

ادعو ضابطا هو النقيب جمال عبد الناصر حسين لحضور درس الثلاثاء بدار المركز العام للاخوان ، ثم اتبعته بضابط ثان هو حسين حموده ، ثم دعوت ضابطا ثالثا هو كمال الدين حسين الذى كان منزله قريبا من منزلى بحى السيدة زينب ، ودعا حسين حمودة شقيق زوجة سعد توفيق كما دعا صلاح الدين خليفة الذى دعا بدوره زميله فى سلاح الفرسان خالد محيى الدين ، واكتمل عددنا سبعة عام ١٩٤٤ ، وواظبنا على الاجتماع اسبوعيا » .

● هل نبعد كثيرا عن مذكرات جمال منصور ، عندما نستمر فى تقليب الأوراق ، ونتابع ما كتبه احمد حمروش فى كتابه قصة ثورة يوليو ، والذى يقول فيه : « استطاع قسم الجيش فى (حدتو) احد التنظيمات الماركسية ، ان ينجو من ارهاب الحكومة عام ١٩٤٩ .. وكان فى كل سلاح ضباط لحقتهم يد السياسة ، ولم يكن ممكنا لهم ان يتخلصوا منها بعد هزيمة حرب فلسطين ، وفى هذه الفترة كان عبد الناصر وكمال الدين حسين قد تركا الاخوان مع عدد ملحوظ من الضباط .. وكان هناك وطنيون لهم اتجاهات فكرية مختلفة بعيدا عن اية صلات تنظيمية .. ولعب عبد الناصر دورا رئيسيا فى تجميع الضباط من مختلف الاتجاهات ..

وجمال عبد الناصر اللجنة التاسيسية التى كان يتصل بها فى اواخر عام ١٩٤٩ ، وكانت مشكلة من خمسة هم عبد الناصر وحسن ابراهيم وخالد محيى الدين وكمال الدين حسين ، وعبد المنعم عبد الرءوف .. ولم يكتمل الشكل التنظيمى إلا مع مطلع عام ١٩٥٠ ، عندما زاد عدد اللجنة بانضمام صلاح سالم وعبد اللطيف البغدادى وعبد الحكيم عامر وانور السادات وجمال سالم ، وتم فى هذا الوقت انتخاب عبد الناصر رئيسا للجنة التنفيذية » .

● اما ثروت عكاشة فيؤكد ان جمال عبد الناصر هو مؤسس التنظيم ، وبالتالى لاصحة لما رواه بعض اعضاء هذا التنظيم ويذكر انه تشكل عام ١٩٤٩ » .. ويصف جمال عبد الناصر بقوله « لما شهدنا عليه إلا نزاهة مسرفة فيما يفعل .. وتضحيته من اجل الغير .. وانسانية فياضة ، وحرصا على اغاثة كل من تنزل به نازلة مادية كانت ام معنوية ، وبذلا لجهده وماله ووقته فى سبيل قضية مصر .. فضلا عن حنكته السياسية ودرايته العسكرية وتجرده المثالى .. »

هذا بعض من الذكريات التى توضح على ما جاء فى مذكرات جمال منصور ..

أما ما جاء فى مذكراته فى اروقة الدبلوماسية ، فلا يعدو ان يكون حكايات خفيفة ، باستثناء الجزء الأخير عندما كان سفيرا فى دمشق ، ووصف اللقاء الاخير بين الرئيس انور السادات والرئيس حافظ الاسد ، قبل زيارة القدس ، وشهادته حول طرد الخبراء السوفييت عندما كان مساعدا لوزير الخارجية .

ويدهش القارىء هذا الجزء لتناوله موضوعات هامة فى العلاقات الدولية ، والافريقية بكشف ابعادها المختلفة .. واكتفائه بالحكايات الطريفة .

ومازلنا فى انتظار القصة الكاملة لثورة ٢٣ يوليو ..

●●

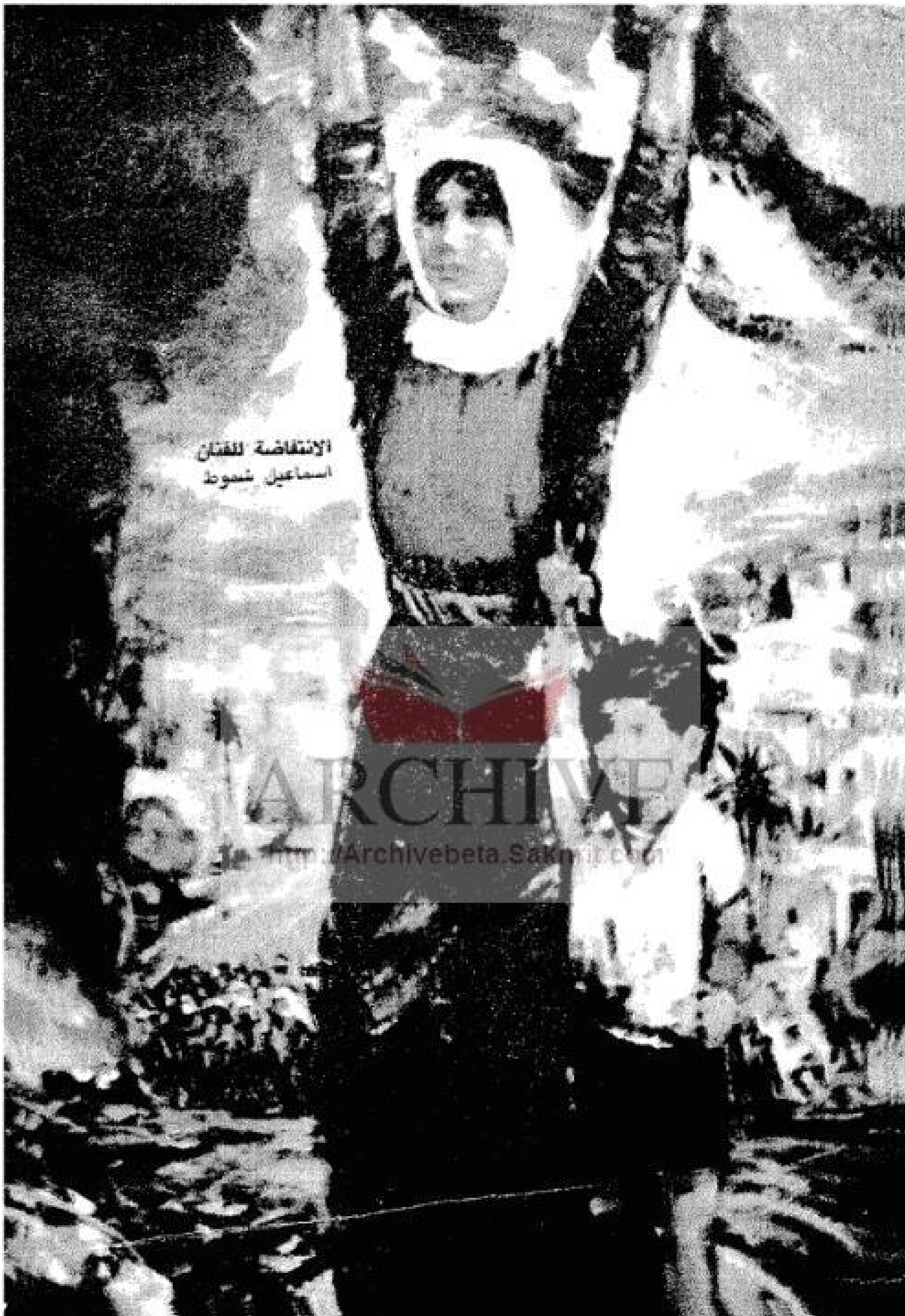
جولة المعارض

بقلم: محمود بقشيش

أيام فلسطين الثقافية والفنية

فى سياق التظاهرة الثقافية الهامة التى أدارتها "دائرة الثقافة" التابعة لمنظمة التحرير الفلسطينية .. تحت عنوان : "أيام فلسطين الثقافية والفنية" ، أقيم معرض بقاعة النيل بالجزيرة .. ضم أعمال نخبة من الفنانين الفلسطينيين بالاشتراك مع عدد من الفنانين المصريين . وكنا نأمل أن نشاهد ابداعات كل الفنانين الفلسطينيين ، الموجودين فى كل البلدان العربية ، لولا أن فروع "دائرة الثقافة" ـ ومقرها الرئيسى الآن فى تونس ـ لم تمتد إلى كل البلدان العربية ، بل إلى عدد قليل منها وهى بالتحديد : الأرض المحتلة ، الكويت ، لبنان ، سوريا ، الامارات ، قطر .. كما كنا نأمل أن يُصاحب المعرض مطبوعات تلقى الضوء على حركة الفنون التشكيلية الفلسطينية ، وتساعد الباحث ، والقارىء العادى ، على تمثُّل صورة تلك الحركة الفريدة فى تكوينها .

اتسم المعرض بالتنوع .. وضم إلى جانب الرسوم بخامات مختلفة ـ أو ما يصفه نقادنا بمصطلح "التصوير" ـ الملصق الفلسطينى منذ ربع قرن . بالاضافة إلى تسجيلات من التراث الشعبى الفلسطينى .. كما شارك الجانب المصرى بالنحت والتصوير .. والمدهش فى هذا اللقاء أن المشاهد العادى أو حتى المتخصص .. يظن للوهلة الأولى أن المعرض لفنانين ينتمون إلى وطن واحد وثقافة واحدة .. بل إلى أسلوب فنى واحد ، هو : الأسلوب الرمزى .. وحتى عندما تتقشع لحظة الدهشة الأولى كاشفة عن منطق البحث والتأمل .. فإن الناقد يتأكد انطباع اللحظة العابرة ، فأكثر العارضين قد درسوا الفن فى القاهرة والاسكندرية ، وبصمات بعض أساتذة الفن من المصريين قد تركت آثارها عليهم .. غير أن هؤلاء الأساتذة لم يفرضوا على هؤلاء الفنانين أسلوبا بعينه ، كما لم يتفق الفنانون بين بعضهم والبعض على أن يتخذوا من "الرمزية" أسلوبا ينتهجونه فى التعبير عن قضايا الواقع الفلسطينى ، بل إن طبيعة هذا الواقع ، بمشكلاته وأحلامه المستقبلية هى التى تدفع إلى ميلاد شكل فنى ، تتفاعل فيه "الكلمة" و "اللون" و "الخنجر" ، يكون ممتعا لكونه فنا ، وحافزا لفعل تغييرى فى الواقع .. لكونه


الانتفاضة للفنان
اسماعيل شموط

جولة المعارض

حافظا لرسالة . واختلف الفنانون ، بطبيعة الحال ، فى التعامل مع هذا الاسلوب .. فمنهم من استعار لرمزيته ملمحا من "السيريالية" ومنهم من اقترب بها من الواقع اليومى ، أو دخل بها إلى عالم الزخارف الشعبية ، أو اغراه طابع الاعلان ببساطته ووضوحه . منهم من جذبته الرمزية إلى منطقة الحسابات الرياضية ، ومنهم من انجذب إلى حرارة التعبير ، مضحيا بأناقة الأداء ، ومنهم من انجز لوحاته بعيدا عن أعين حراس المعتقل الاسرائيلى مثل : "زهدى العدوى" و "محمد الركوعى" . ولأنهم جميعا يتعاملون مع رموز موضوعية ، لا لبس فيها ، مثل الحمامة والبندقية والقضبان الخ ... فقد انتشرت تلك المفردات فى مجمل لوحات المعرض .. لهذا كانت "الملصقات" هى أكثر لوحات المعرض إثارة والتصاقا بأهداف الثورة ، من حيث التعبير والتأثير معا .. فاللوحة المؤطرة مآلها إلى غرفة مغلقة على غير الحال مع الملصق .. فهو يستطيع أن يتجاوز الحدود الثابتة إلى الشارع .. وإلى البشر فى كل مكان .. وفى تقديرى فإن هذا الفن ـ فن الملصق ـ هو أنسب الفنون إلى الثورة .

تكوين للفنان برهان كركتلى



مع دافيد فايس وبيتر فيتلي .. بعد الظهر الهادىء!

عندما اعلم ان هناك اثنين او ثلاثة من الفنانين المصريين ، اجتمعوا بالارادة الحرة ، فى معرض مشترك .. يتحرك داخلى فضول مترقب لما سيحدث بينهم من سلوك اخلاقى يتسم بالاتانية ، وقصر النظر .. مع امل لم يتحقق بعد ـ فى تغيير الصورة السوداء التى ترسبت فى الذاكرة .. لهذا سعدت بهذا الثنائى السويسرى ، فقد نجحا فى التوحد فى عرض فنى لايستطيع الناقد ـ مهما كانت قدرته ـ على التقاط خيوط الاستقلال والاختلاف بينهما .

أقيم هذا المعرض بالقاعة رقم (٢) بمجمع الفنون بالزمالك ، واطلقا على معرضهما عنوان : "بعد الظهر الهادىء" .. ولم يقدم الثنائى معرضا لفن اللوحة أو المنحوتة .. بل قدما اشكالا مناسبة لأغراضها التعبيرية . و هما يقدمان علاقات جديدة لعناصر يومية مألوفة .. مثل : المقاعد والزجاجات والاحذية الخ .. ويقيمان منها علاقات تتسم بالتوازن البهلوانى ، لايربط بينها مسمار أو حبل أو غير ذلك من وسائل الربط .. وتتعرض عند الاحتكاك بها إلى انهيار عنيف ! وهما لايكتفيان بتلك العلاقات التى لامفر من عودتها إلى فوضاها الأولى .. بعد لحظة او لحظات .. او يدفعاننا إلى التعلق باللحظة الخاطفة



من اعمال الثنائي السويسري

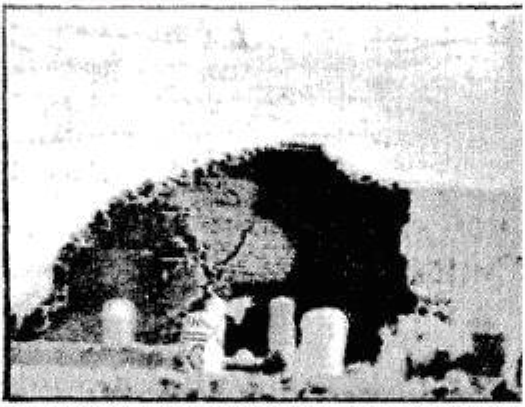
التى تسبق السقوط ، وهى اللحظة التى يصفها أحد نقادهما بأنها اكثر اللحظات جمالا .. غير أنهما يعمدان إلى استنطاق ذلك التوازن الفريد ، والمؤقت ، موقفا تعبيريا يستدعى إلى الذاكرة تداعيات روائية ، وبالتالى فإنهما يحرصان على وضع عناوين وصفية ـ منها على سبيل المثال : "اقصى مدى للتطور" ـ "إساءة استعمال الوقت" ـ "كرسى الاعتراف" "السيدة" "بير" تحضر لزوجها قميصا مكويا للذهاب إلى الأوبرا .. إن تلك العناوين هى أوصاف دقيقة لعلاقات روائية كونناها من أدوات الاستعمال اليومى .

جولة مع كاميرا ناقد !

من مقتنيات المتحف القبطي
قلعة شالي الطينية



ومقابر الهو .. بعدسة صبحي الشاروني

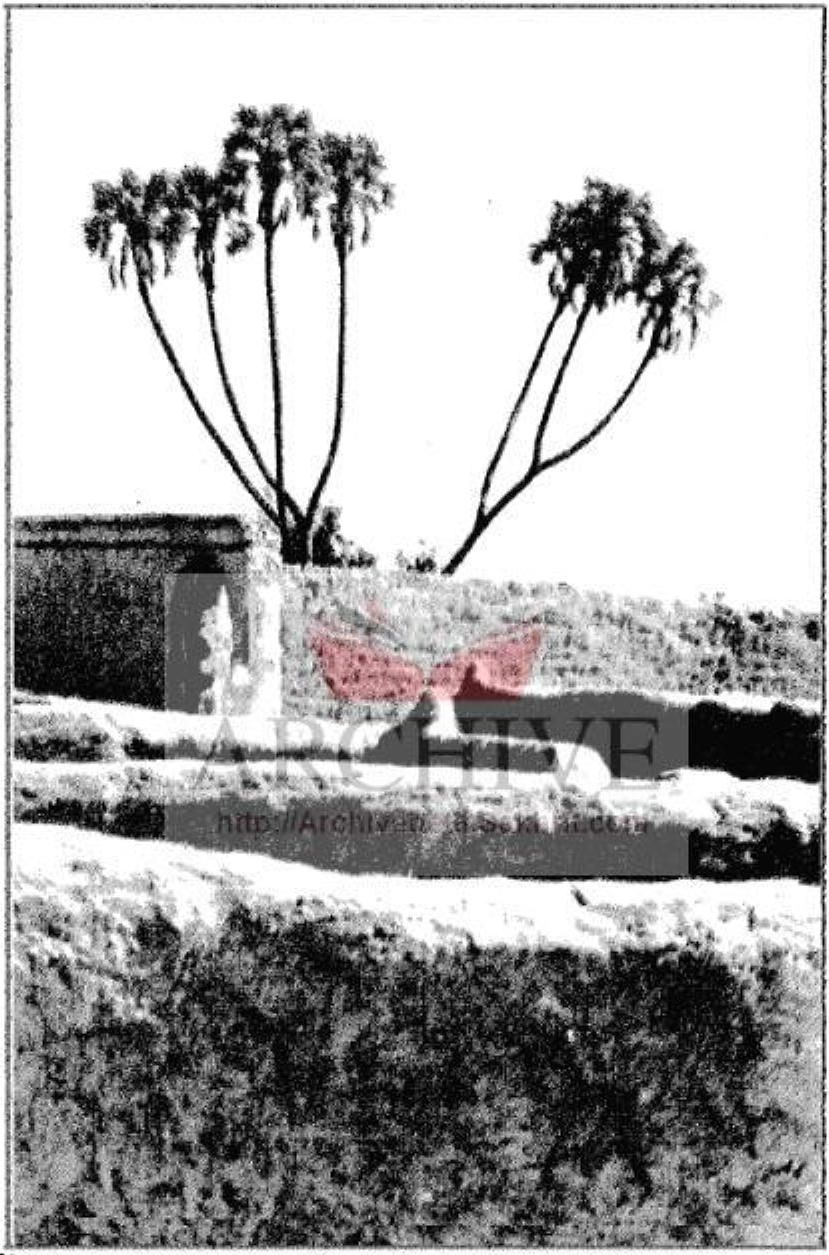


اقام الناقد المعروف . "صبحي الشاروني" معرضا لفن التصوير الفوتوغرافي بأتيليه القاهرة ويأتي هذا المعرض في سياق سلسلة من معارض هذا الفن الذي اكد وجوده في الساحة التشكيلية المصرية

دار المعرض حول موضوعين ، اولهما : "شواهد الهُوّ" بالصعيد وثانيهما قلعة شالي، الطينية بسيوة التي اندثر معظمها الآن بفعل أمطار : غزيزة مفاجئة ذوبت الاملاح بها .

إن كاميرا "الشاروني" تجمع بين صفتين يحرص عليهما معا ، وبنفس القدر ، وهما : التوثيق والجمال لهذا تكشف لوحاته المصورة عن معلومات يمكن الاستعانة بها في البحث العلمي دون ان يسقط من الحساب الزاوية المعبرة والجميلة ، للمشهد المراد تصويره .. وفي هذا يختلف عن كثيرين من مبدعي هذا الفن في مصر ؟

ففي شواهد "الهو" يقدم لنا ما ترمز به اشكال المقابر المختلفة فمنها ما هو خاص بالرجال او النساء او الأطفال ولوحات "شالي" تصور لنا ابنية قطرية ، اندثر معظمها ، ولم يعد لدينا غير صورها الفوتوغرافية وينتمي "صبحي الشاروني" إلى اتجاه في التصوير الفوتوغرافي يرى ان جماليات التصوير الفوتوغرافي والتصوير السينمائي تختلف اختلافا كبيرا فالأولى طابعها "سكوني" والثانية طابعها "حركي" ولأنه نحات - سابق - فإنه يحتفل بالكتلة ويؤكد رسوخها بمقابلات النور والظل الكثيفين ، كما يحتفل بالملمس . وبشكل عام فإن لوحاته تتسم بالبساطة والوصول إلى كل المتذوقين والباحثين على كافة مستوياتهم .



القرية المصرية : تصوير صبحي الشاروني

جولة المعارض

جورج البهجورى والوجوه الأقنعة !

منذ عرفته الساحة التشكيلية المصرية ، ومنذ غاب عنها وأقام فى باريس ، وعودته المتقطعة إلى القاهرة .. ووجه الفيوم لم يفارقه كمثير جمالى وتعبيرى ، وقد تجلى هذا الوجه فى صور مختلفة ، وأصابه ما أصاب الفنان من تغيّر . فى المرحلة القاهرية أخرج "جورج" هذا الوجه من المتحف وجال به فى حوارى القاهرة ، وألبسه وجوه أطفالها الفقراء ، الكادحين ، الشائهين فى أزقتها .. كما جعله قناعا للجميع وكان ميله إلى التجسيم والزحام ، ووضوح معالم الشخوص مؤكدة .. ومنذ ترك القاهرة تبدل حال اللوحة وحال الوجوه ، وظهر هذا التغيير واضحا فى معرضه الأخير بقاعة "زاد الرمال" بالزمالك ، فقد اكتفى "بالوجه / القناع" الذى ملأ به مسطحات لوحاته كبيرة المساحة . وتخلى عن مبدأ التجسيم وصار اقرب إلى طيف يجاهد ضد سطح مقاوم ، وجه متخفى يحاول ان يتخطى حاجز الزمن ، وبمعنى ادق : بقايا اقنعة من زمن غابر تستجدى سطوح اللوحات المغطاة بشرائط ورقية .. أن تتيح له ان يتجسد ، وأن يخاطب مشاهديه او يتسلل إلى قلوبهم .. لهذا ترتفع القيمة الملمسية فى لوحات معرض "البهجورى" على ما عداها من قيم فنية .

قال "البهجورى" فى خطاب قديم أرسله إلىّ من باريس ما يؤكد ذلك ـ قال : "تبدأ عملية الخلق عندى أولا بالبحث عن ملمس . يتحول ملمس الورقة إلى بشرة إنسان أو تفاحة أو وردة .

إن حاسة اللمس عندى تسبق حاسة النظر !

أخترت لنفسى ملمس الورق الملىء بالتضاريس : كقلب الاشجار النابضة بالحياة ، أو القماش الخارج لتوه من النباتات ، كالكتان مثلا .. ربما اشبه هذا الفنان المصرى القديم فى تعلقه بخامة الكتان اول الامر . اكره الملمس الصناعى كالصلب ، والحديد ، والألومنيوم ، والفورمايكا ، والزجاج .. لهذا اخترت الماء بدلا من الزيت لأننى كنت احب المطر فى طفولتى (!) .. كما تعلقت باللون الابيض ، وانفقت عشر سنوات من عمرى فى البحث عن معنى هذا اللون(!)

إننى أبدأ بالملمس كما قلت ، لهذا أختار نوعا معينا من الورق يتميز بملمس يشبه ورق البردى أو ورق الالوان المائية المضغوط : "النشاف" كما عثرت على نوع من الورق اليابانى مصنوع بطريقة "البردى" فى محلات الفنون الجميلة فى باريس ، وهو مصنوع من فروع وسيقان الارز ، حيث تبدو فى خلاياه خيوط دقيقة جدا تشبه بشرة الانسان ، وعندما اسيل لونا مائيا فى هذه الخيوط .. عندئذ تتجلى امامى بشرة الانسان ، تجرى فى شرايينها الدماء وكثيرا ما اضيف على سطح الورقة مساحيق بيضاء من الزنك الابيض الترابى وأشعر وقتها اننى

"ماكيير" اقوم بصبغ الممثل قبل ان يدخل حلبة السيرك او خشبة المسرح، إلا انني لا اكتفي بهذا بل انني احوّل اللوحة إلى "خرقة" مبللة، أمزقها، واختار من بين المزق الجزء الذي انفعلت به اكثر من الآخر وأهمل الباقي (!)

عبدالرحمن عطية وجه من كفر الشيخ

اقام "عبد الرحمن عطية" ـ أحد فناني كفر الشيخ المرموقين ـ معرضه الأول بالقاهرة باحدى قاعات عرض الاتيليه. وتخرج في فنون الاسكندرية ودرس على يد الفنان الكبير "سيف وانلي" ويعُد الآن رسالة "ماجستير" عن خصوصية ملامح فن التصوير المعاصر بمدينة الاسكندرية. وحتى يتعرف عليه جمهور القاهرة فقد قدم مرحلتين من مراحل انتاجه الفني. مثلت الأولى مشروع تخرجه، والثانية مثلت آخر انتاجه. في لوحاته الأولى بدت آثار الاسلوب الاكاديمي واضحة وتكشف المرحلتان معا عن نقاط اتفاق ونقاط اختلاف بينهما. يأتي الاختلاف من محاولات الخروج على الاطار المدرسي. الثابت. في اللون والتكوين، مع الاحتفاظ بمفردات بعينها وبجو مشحون بالاضطراب والقلق والجهامة. من بين مفرداته مفردة: القماش. التي انتقلت من دور مساعد إلى دور محوري، ويحدثنا في بيانه عن تلك المفردة ـ بما معناه:

عندما يولد الانسان فإن أول شيء يصافح جسده هو "القماش" وعندما يغادرهما يكون القماش في وداعه، وبين البداية والنهاية يتألق رمزا للزينة، أو يسود رمزا للحزن.. الايدعونا هذا إلى التأمل العميق؟

إن القماش، بأشكاله وملامسه المختلفة، ظل ملهما لمئات الفنانين.. منذ الكلاسيكيات الاغريقية والرومانية حتى يومنا هذا، وتجلى في صور ورموز مختلفة لدى عدد من الفنانين المصريين البارزين، فقد ظهر "غنائيا" "راقصا" على عذراويات "بيكار"، ومأساويا في لفافات "احمد نوار" ووريديا في عالم "نعيمة الشيشيني"، وغامضا في رمزية "صبري منصور" وسيريالية "محمد رياض سعيد".. أما عند "عبد الرحمن" فالقماش يبتعد عن كونه غطاء، ويصبح طرفا في صراع مع كيان حيّ. غامض. لاينتصر احدهما على الآخر، بل يقف بنا الفنان عند لحظة الاشتباك تلك.. أو لحظة الفعل الدرامي بين نقيضين. ومعركة النقيضين تقام في فضاء لايعترف بجاذبية الارض ولايعترف بثبات العناصر او استقرارها، ولايعترف بكل ما تعلمه الفنان من اسس التصميم المؤسسة على وحدة المكان، ومنطقية العلاقات.. لهذا تبدو معظم لوحاته اشبه بمقاطع مقتطعة من لوحات اكثر اتساعا وشمولا.

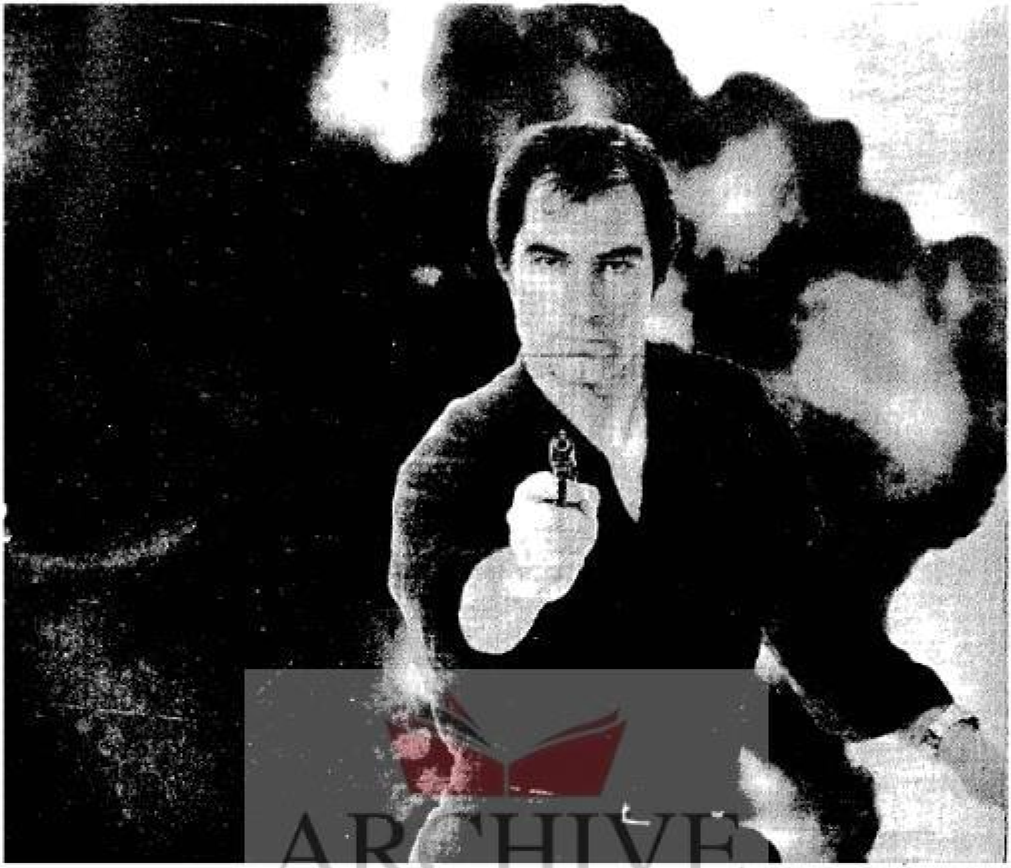
الأسرة
زيت على توال
من أعمال الفنان جورج البهجوري





لوحتان من اعمال عبدالرحمن عجايه





جيمس بوند

وغزو بنما وأسرار اخرى

بقلم : مصطفى درويش

انتهى عقد الثمانينات بجيمس بوند ، وبه بدأ العُشر الأخير من القرن العشرين .

وما ان انطوت الأيام السبعة الاولى من اول اعوام العقد الجديد ، الا وكان « الرجل الوطواط » قد ظهر فى سماء مصر محلقا ليستقر بعد تهليل وتكبير على شاشة احدث وافخم سينما فى القاهرة .

● وبينما الجمهور يتلهى ببطولات بوند والوطواط، إذا به يبشر بوليمة اخرى تخلب الابصار قوامها مغامرات منقذين آخرين للانسانية اولهما عالم الآثار «انديانا جونز» (هاريسون فورد).

وهو فى حملته الأخيرة ضد الاشرار ليس وحده، وإنما فى رفقة والده «هنرى جونز» ذلك العالم الفاضل الذى اوقد فى قلب الابن «اندى» شرارة الشغف بكل ما قد يكون له صلة بالآثار.

وهما معا يبلغان ذروة اللقاء سينمائيا، لاسيما ان الذى يؤدى دور الاب هو «شين كونرى»، ذلك النجم الذى مازال يختلط فى الأذهان اسمه وشكله بشخصية جيمس بوند البدايات «الدكتور نو»، «جولد فنجر» و «من روسيا مع حبى».

اما المنقذ الثانى «مارتين ريجز» (ميل جيبسون) شرطى مدينة لوس انجلوس الهمام.

انه فى فيلمه «السلاح القاتل» جزء ثان ـ امير انتقام وذلك لانه يقاتل الاشرار ـ وهم من قنصلية جنوب افريقيا بالمدينة ـ لا لسبب سوى انهم قد تسببوا فى موت زوجته ميتة بشعة فى حادث انفجار سيارة ملغومة ومن بعدها موت عشيقته الشقراء العاملة بتلك القنصلية مختنقة فى قاع اليم.

وفضلا عن ذلك لان هؤلاء الاشرار البيض الافارقة.. انما يتهددون شعب الولايات المتحدة، بل قل، البشرية جمعاء بالسموم البيضاء.

واول ما يلاحظ على هذه الافلام الاربعة انها من توزيع مصنع الاحلام فى هوليوود، وبالتحديد اربع شركات



بوند بطل شعبى

كبرى لا تزيد الا وهى متروجلدوين ماير ـ الفنانين المتحدين، وارنر وبارامونت ذات الجلال.

● بطل فرد

اما ثانى ما يلاحظ عليها، فهو تركيزها على العنف والجنس، علاوة على اظهارها البطل ـ وهو انجلو سكسونى ـ قويا، مرتفعا فى السماء، عريضا فى الفضاء، شجاعا لا يعرف الخوف، مصمما لا يحب التردد، وحيدا لا ينهزم ابدا، قانعا لا يطمع الا فى ان يخلص العالم من الاشرار ولا يتمنى الا ان يعود من حيث اتى كى يستانف حياته فى عالم يرفرف عليه الامن والامان.

وما استطيع ان اعرض بالتفصيل لهذه الافلام الاربعة، فذلك شىء

جيمس بوند

بطول ، ومن ثم لا يتسع له المجال .
وانما اكتفى بان اقف قليلا عند فيلم واحد ، الا وهو اخر افلام عميل صاحبة الجلالة ملكة بريطانيا «او او سفن» المعروف للخاصة والعامة تحت اسم «جيمس بوند» اقف عنده لا لسبب سوى توقيت عرضه الذى جاء مواكبا لغزو القوات الامريكية لجمهورية بنما .
وقد يسأل سائل مندهشا ما الصلة بين بوند وبنما .. وإذا كان ثمة صلة فما هى ؟

وقبل الاجابة ارى من المفيد ان نستعيد ذكريات ما كان من امر «بوند» فى دنيا الاطياف .
على امتداد ربع قرن من عمر الزمن شاهد افلام بوند التى يبلغ عددها ستة عشر فيلما ، واستمتع بمغامراته عدد تجاوز الالفى مليون ، وهو رقم مذهل بكل المعايير ، وبخاصة اذا ما اخذ فى الاعتبار ان ايا من افلامه لم يعرض فى الاتحاد السوفيتى والصين الشعبية وغيرهما من البلاد المسماة بالاشتراكية .

● الكرامة الجريحة

وشهرة «بوند» بدأت بشكل ملموس بين الشرائح الدنيا من الطبقة المتوسطة الانجليزية خلال عام ١٩٥٠ ، اى قبل ترجمة القصص مبدعه «ايان فلمنج» الى لغة السينما بدءا بـ«دكتور نو» بخمسة اعوام .
فعلم الشهرة هذا يجيء مباشرة عقب عام العدوان الثلاثى على مصر (١٩٥٦) ، ذلك العدوان الذى انتهى بفشل ذريع مهين لكبرياء أمة كانت الى عهد قريب تعيش فى دفء امبراطورية لا تغرب عنها الشمس .
وفى ذلك الجو المشحون بالخزى والعار اصبح «بوند» ، ذلك الشخص الذى من بنات الخيال ، اصبح رمزا به يمكن وهما وقف مدّ التاريخ وتقلباته ، ودفع مسار البلاد فى اتجاه نقيض ، اى نحو مستقبل باهر فى يوم من الايام ، قريب او بعيد .
ولا غرابة فى هذا . ألم يستطع - وهو البطل الانجليزى لحما ودما - ان ينقذ وحده العالم الغربى من كارثة كبرى تتهدده ، مجسدا بذلك الوهم الذى جنح بالبعض الى الاعتقاد بأن ثمة امكانية فى ان تعود الروح الى انجلترا ، فتحتل من جديد مركز الصدارة فى الشئون الدولية ، وذلك رغم انها كدولة لها صوت مسموع كانت قد دخلت مرحلة اضمحلال ظاهر وانحدار سريع .
وفى الحق فإن سيرة «بوند» حسب رأى «تونى بينيت» و«جانيت وولاكوت» اللذين تحدث مؤلفهما القيم «بوند وما بعد بوند» السيرة السياسية لبطل شعبى (٣١٥ ص . طبعة ماكميلان ايديوكيشن ١٩٨٧) ، انما تنقسم الى مراحل ثلاث .
الاولى كان فيها «بوند» بطلا من ابطال الحرب الباردة ، بل قل ، بطلا نموذجيا يمثل فضائل الرأسمالية الغربية المنتصرة على رذائل شيوعية الشرق .
ومما يلاحظ على الاشرار الذين كان



الوطواط فى مهمة خير

يحاربهم طيلة تلك المرحلة ، انهم جميعا من الروس الحمر وعملائهم المتآمرين على امن وسلام العالم الحر الذى تمثله اما بريطانيا او الولايات المتحدة .

وبفضل تحلّى بوند بالذكاء والشجاعة والجلد ، وتسلحه بأدوات دمار يفوق هولها كل خيال بفضل كل ذلك كان لابد للقيم المرتبطة به الا وهى قيم الغرب ـ وبالذات الحرية والفردية ـ ان يكتب لها الغلبة والانتصار على القيم المرتبطة بالاشرار الا وهى الشمولية وجمود المكتبية وما شابهها من قيم ترتبط عادة بنظام الشيوعية فى روسيا السوفيتية .

● اختلاف الاشرار

واذا ما انتقلنا الى المرحلة الثانية من السيرة فسنجد انفسنا امام بوند لا يحارب الاشرار الحمر المتاكيد ، وانما يحارب اشرارا اخرين يتهددون الشرق والغرب على حد سواء .

والشىء الذى ليس فيه شك ان هذا لتحول فى طبيعة الاشرار خصوم بوند نما يرجع الى الانفراج الدولى الذى ميز العلاقات بين الشرق والغرب حتى نهاية عقد السبعينات .

فلم يكن من الملائم فى ظل هذا الانفراج ان يظل «بوند» بطلا لحرب باردة اصبحت فى خبر كان .

ومن هنا فاشرار افلام تلك المرحلة «الرعد الصاعق» ، «فى خدمة مخابرات صاحبة الجلالة» ، و «انت لا تعيش سوى مرتين» ليسوا شيوعيين . وإنما اشرار ينتمون الى منظمة اجرامية عالمية (الشبح) يسعى زعيمها «ستافرو بلوفيلد» الى استغلال العلاقات الهشة بين الشرق والغرب من اجل مكاسب خاصة ، قد يؤدى سعيه نحو تحقيقها الى دمار العالم .

جيمس بوند

● حرب النجوم

اما المرحلة الثالثة من سيرة بوند فهي والحق يقال لا تعدو ان تكون انتكاسة الى المرحلة الاولى ، اذ فيها تعود الحرب الباردة اقوى واعنف مما كانت فالجيش السوفييتي يجتاح افغانستان غازيا ، وجيمي كارتر يوقف العمل باتفاقية سولت الخاصة بالصواريخ عابرة القارات ويقاطع ومعه معظم دول الغرب ، اوليمبياد موسكو ، ومارجريت تاتشر تعلن الحرب على جنرالات الارجنتين من اجل استرداد حفنة من الجزر النائية القاسية البرد ، وتخرج من ساحة الوغى متوجة باكاليل الغار .. ورونالد ريجان يلعن الاتحاد السوفييتي واصفا اياه بامبراطورية الشر ، متخذا من هذا الوصف ذريعة لتبنى برنامج للفضاء مكلف استوحى له اسما من فيلم للمخرج «جورج لوكاس» عنوانه «حرب النجوم» .

فى هذا الجو المحموم كان لامناص من ان يعود «بوند» سيرته الاولى بطلا شعبيا من ابطال الحرب الباردة ، بطلا لا يريد بغيا ولا اعتداء ، وانما يريد ان ينجو بالعالم من مؤامرات الاشرار الحمر روسا كانوا ام عملاء .

ولو كان مؤلف «بينيت» و «وولاكوت» سالف الذكر قد تاخر ابداعه الى ما بعد عرض فيلم «بوند» الاخير «ترخيص بالقتل» (١٩٨٩) . لانقسمت سيرة «بوند» فيه الى مراحل اربع بدلا من ثلاث .. لماذا ؟

لان فيلمه الاخير يختلف عن افلام المرحلة الثالثة فى أن اشراره ليسوا شيوعيين ، وإنما مهربون للسموم البيضاء وبالتحديد اشدها فتكا «الهيروين» .

ويقول الفيلم صراحة ان الاشرار مهربى الهيروين على علاقة برئيس احدى جمهوريات امريكا الوسطى عاصمتها مدينة «استموس» وترجمتها «ارخبيل» ملمحا بذلك الى مدينة بنما والى «نورييجا» رجل جمهورية بنما القوى ، والمتهم من قضاء الولايات المتحدة بتزعم واحدة من اخطر عصابات تهريب المخدرات فى البحر الكاريبى .

بل يذهب صانعو الفيلم الى حد اظهار رئيس الجمهورية الذى قام باداء دوره الممثل المكسيكى «بدرو ارمنداريز» اظهاره فى لقطة سريعة ، وهو يستلم شيكا من زعيم العصابة مقابل ما قدمه له من خدمات .

وكذلك يختلف عن جميع افلام «بوند» السابقة فى امر هام اخر ، الا وهو تمرد «بوند» (تيموثى دالتون) على رئاسته فى لندن .

فلاول مرة نراه لا يقوم بمهمة رسمية لحساب مخابرات صاحبة الجلالة .

● دائرة الانتقام

وانما يتحرك من منطلق شخصى بحت هو الانتقام لصديقه ، فيلكس ، (دافيد هيدرسون) من قاتل زوجته زعيم العصابة ، فرانز سانكيز ، (روبرت دافى) .

بالرشوة والخديعة فى الهروب اثناء الانتقال به الى احد السجون .
ولا يكتفى بذلك بل يكلف اعوانه بقتل العروس ، واختطاف العريس الى مكان للتعذيب حيث تركا نهبا لاسنان سمكة قرش شديدة الافتراس .
وعندما رأى «بوند» العروس جثة فارقتها الحياة ، ووقعت عيناه على جسد العريس المثخن بالجراح ، غلى الدم فى عروقه وعزم على الانتقام .
وعبثا حاول رئيسه « ام » (روبرت براون) ان يثنيه عن عزمه ، باقناعه بـان إلقـاء القبض على المهـرب « سانكيز » ومحاكمته انما هو من اختصاص السلطة الأمريكية وحدها .
وفوق هذا يذكره بالمهمة العاجلة التى تنتظره بعيدا عن خليج المكسيك على ضفاف البسفور فى اسطنبول مدينة الاساطير .

● بطـل للجمـيع

يبقى ان اقول ان جرعة العنف فى الفيلم ازيد منها فى اى من أفلامه الأخرى .
ولعل هذا هو السبب الذى حدا بالرقابة فى انجلترا الى قصر مشاهدته على الكبار .
وهكذا ولاول مرة تجنح الرقابة فى بلد البطل الشعبى الى حماية الصغار منه .
واغلب الظن ان الصغار الذين اعتادوا على عبث بوند والاعيبه فى غضب من هذا الحرمان .
اما عندنا فالفيلم يستمتع به الصغار اسوة بالكبار لان الرقابة لم تشأ ان تحرم احدا من متعة مشاهدة البطل الشعبى وهو ينتصر للاخيار ضد الاشرار .



مايكل كيتون اجاد دور الوطواط

وذلك الصديق الذى ينتقم له «بوند» انما كان يعمل لحساب المخابرات المركزية الامريكية ، قبل ان يتركها لرئاسة مكتب مكافحة المخدرات بجنوب ولاية فلوريدا .
والفيلم يبدأ به مع «بوند» فى سيارة متجهين الى كنيسة حيث سيعقد قرانه على بنت الحلال .
ولكنهما بدلا من الذهاب الى الكنيسة ، يغيران فجاة المسار استجابة لنداء الواجب ، ويطاردان المهرب « سانيكز » فى مشاهد اخاذة تنقطع لها الانفاس .
وطبعا تنتهى المطاردة المثيـرة بإلقاء القبض على المهرب الخطير .
وها هو ذا « بوند » وصـديقه « فيلكس » يقفزان بالبراشوت فوق الكنيسة حيث يعقد قران الاخير على « ديللا تشرشل » (بريتشيلا بيزنز) التى كانت مع المدعوين على سلالم الكنيسة تنتظر العريس الهابط من السماء وهى مرتدية ملابس الزفاف !!
ولكن سرعان ما ينجح « سانكيز »

قصة قصيرة :



الموت فى اسكندرية

اجمع اعضاء لجنة تحكيم مسابقة الهلال للقصة القصيرة على فوز هذه القصة لما يتمتع به مؤلفها من قدرة على تصوير النفس البشرية بشكل بالغ الخصوصية

القصة الفائزة بالجائزة الثالثة ... بقلم : خالد عزت

ريشة الفنانة : سميحة حسين

(١)

ـ انا هويت وانتهيت وليه بقى لوم العزول .

رفعت بهيجة صوتها الخفيض المبحوح النبرة بالغناء واعقبت بتنهيدة طويلة وشاهدها وهى تمسح وجهها بظهر يدها فعرف انها تبكى فى صمت . كانت لحظتها واقفة بجوار النافذة المسيجة معطية ظهرها العارى له ناظرة الى الخارج حيث العتمة . نظر اليها ولم يقل شيئا وظل ساكتا فى مطرحه مرتكنا بمرفقه على حافة المنضدة المستديرة ناظرا فى جوف فنجان القهوة ومتأملا الرسومات الهلامية البنية اللون فى حواف الفنجان ومتحاشيا اى كلمات تثير الحزن فى قلبينا المثقلين بهموم العيشة كما يحدث فى كل زيارة اليها والى اسكندرية تنتهى بالبكاء والصمت .

(٢)

استدارت منكسة الوجه منكسرة النظرة وجلست امامه وقالت بصوت مخنوق الشيخ سيد قالها من خمسين سنة ثم رفعت ركبتها اليسرى فانحسر قميصها عن وركها واراحت جبهتها المثقلة عليها ـ كان شعرها الاصفر الربانى المتموج متهدلا على جبهتها ويكاد يغطى عينيها الزرقاوتين ويمنع الضوء الشحيح من الوصول

إليهمـا وتبين لـونهمـا الحقيقي.

(٣)

نظر عزيز الى عينيها المغسـولتين بماء بحـر اسكندرية وكـان العرق يغطي وجههـا الشاحب بالرغم من برودة حجرتها العارية واننا في عز الشتاء ورغم هذا كانت ترتدي كعـادتها القميص على اللحم سواء كان الجو حارا او باردا ولم تغير ابدا عادتها منذ رآها لأول مرة - كوم الدكة - يوم أوته في حجرتها الارضية وأخفته عن عساكر الملك - في تلك اليوم الشتوي البعيد - بعد أن طردته أمه لان عساكر الملك عرفوا طريق البيت بسببه - وأنه يعكر صفو حياتها مع زوجها جرجس افندي - كل يوم والثاني - كما قالت وانها حلفت بجسد يسوع الطاهر انه لن يبيت في البيت من هذه الليلة .

(٤)

خرج عزيز الى الشارع الخالي وكانت مـلابسه لاتزال مبتلة والصـوات الملتاث المحروق بلوعة الفقد يأتي من بيت نديم فايقن ما حدث وحزن . وسار ناحية البحر وكان البحر باردا ولعن جسد يسوع الطاهر وكل الانبياء والقديسين الذين حالوا بينه وبين المبيت في البيت . فكر أن يذهب الى عبد الله الذي تركه منذ قليل ليبيت عنده تلك الليلة السوداء - حاول جاهدا ان يتقـدم ولكن الـريـاح الشديدة اعاقته وجلس على حافة الطوار واحتضن نفسه وردد أسم نديم . وبكى .

(٥)

جـاء الخبـر الـى اسكندرية بعـد ساعـة واحدة من فتح الكوبري . عرفه من عمال شركة النحـاس وكـان يحب الجلـوس معهم لأنهـم يقولون له أشياء لايعرفها ويذهب للقائهم في مقهى الطرابيشي العالية بباكوس ويشرب معهم الزنجبيل الحامي . كانوا جالسين صامتين حزانى في ضوء الشموع الشحيح والتي أشعلها صاحب المقهى بعد ان قطعت الحكومة الكهرباء عن اسكندرية كلها خوفا من قيام مظاهرة واعمال شغب يردون بها . وقال احدهم وهو يتحسس مابين فخذيه وكان يرتدي عفريتة زرقاء : انه بقى طواشي .



(٦)

عنـدمـا خـرج الى الكورنيش وسار بجانب شاطىء جليم المواجـه لمنطقة باكوس وجد ان السواد قد غطى اسكندرية كلهـا . ونزل الـدرجات الحجرية ووجده جالسا على الـرمال محتضنـا ركبتيه ويدخن في صمت ووجهه الى البحر . وجلس أمامه معطيا ظهره الى البحر وكانت الرمال مبللة لأن المـد كـان يغمـر الشاطىء المتآكل ويصل الى مجلسهمـا . ويبلل مؤخرتهما دون أن يحسا . وعندما قال له رد عليه في حزن انه عـرف وكان بإمكانه ان يرى نيران المشاعل لباعة البطاطا

المتناثرين على طول الكورنيش وهي تروح وتجيء بفعل الرياح الباردة الآتية من البحر .

(٧)

كان العسكر بزيهم الأسود الشتوى وخوذهم المعدنية وبنادقهم وبياداتهم الميرى واقفين منتظرين اقتراب جموع الطلبة الذين كانوا يتقدمون دون أن يخافوا ويهتفون للموت والحرية والمجد للذين غرقوا في النهر وكان الميدان الفسيح المضبب قد ضاق واتسع بهم . رآهم ورأى نديم محمولا على أكتاف زملائه وصوتهم وأنفاسهم الهادرة تلتحم بصوت ورائحة زفر البحر غير البعيد عن المكان وعندما اقتربوا دون ان يهابوا العسكر - كما كنا نهابهم ونحن صغار - أمر كبيرهم وكانت النجمات والازرار الذهبية تغطى صدره وكتفيه والطربوش ذو الحمرة القانية يغطى رأسه الحليقة ويركب جوادا اشهبا - بأن يطلقوا النار في المليان فجرى عزيز وعبدالله للانضمام الى الجموع وقبل ان يصلا كانت الرصاصة الاولى قد انطلقت وراه يهوى الى ارض الميدان الاسفلتية وبدأت القنابل الدخانية تنفجر والجموع تتخبط وتتفرق وعندما اقترب منه وسط الدخان الكثيف والاجساد المتخبطة المدماة رأى الدماء قد غطت قميصه الابيض وانه كان واضعا يده على قلبه وقد ثبتت اليد ولم تتحرك وكانت عيناه مازالتا مفتوحتين ووجهه متجه الى السماء المغيمة . نادى عليه ولم يرد وعندما حاول ان يحمله شده احدهم وهو يجرى دون ان يدرى الى اين .

وعندما التفت وانا اجرى مهرولا وسط الدخان وجدت العسكر قد ملأوا الساحة الواسعة وعربات البوليس السوداء تتقدم بعد أن امتلأت صناديقها الخلفية . وعندما خرجنا الى الكورنيش وجدناهم راقعين هراواتهم واصابوا بعضنا وقذفوا بهم الى جوف العربات . فعبرا السور الى الشاطىء الصخرى وكانوا خلفهما وعندما استدار ونظر في عين العسكرى الاسمر وكانا لحظتها واقفين فوق الصخرة العالية النازلة الى الماء مباشرة دون انحدار قال له عبدالله وهو يلهث والدموع تسح من عينيه من أثر الدخان : مفيش فايدة . ودفعه الى الماء وقفز خلفه . وبلع الماء فشرق وغاص رغم انه نزل الى الماء الف مرة ومرة فحمله عبدالله على ظهره وسبح به حتى الجزيرة الصخرية الصغيرة .

(٨)

عندما خرجا من الماء مبتلين ، كان الليل قد دخل .

ولم تنر اسكندرية انوارها . وباتت كالأمس .

(٩)

تقدم عزيز في الزقاق الضيق المظلم متحسسا طريقه الى بيت عبد الله وسمع من خلفه وقع الاقدام الثقيلة ولمح اسفل البيت اشباحا تجرى ناحيته وفي نهاية الزقاق كانت (البوكس فورد) بجوفها المظلم ترقد هادئة في الانتظار وعندما التفت الى الخلف نزلت الهراوة الثقيلة على جبهته ولكنه تراجع دافعا الرجل بقوة وصعد الدرجات الحجرية القديمة في صعوبة بالغة . وكانت الاصوات والخطوات الشرسة خلفه .

وكانت الدماء تسيل من جبهته بغزارة .

(١٠)

ضحك ولكنه سعل بشدة فى منتصف الضحكة ورفعت وجهها وقالت له وهى تمسح بيدها على وجهه :

- عجزت خلاص .

- لكن انت زى ماانت بهيجة .

- الله يجبر بخاطرك . دانا اكبر منك .

- سنتان .

وقامت واحضرت زجاجة براندى وفنجانا وملاته وارتشفت منه وكانت عيناها منتفختين قليلا ويدا اسفلهما الهالات الداكنة - ولمح زجاجات البراندى الرخيص الفارغة مركونة بجوار الفراش واشعل السيجارة الوحيدة المتبقية وتبادلاها ولمسحت على جبهته وقالت :

- الجرح لسه له اثر .

وقلت لها نعم لايزال له اثر وسالتنى عن يوسف ابنى . فصمت . وتناولت منها السيجارة ولم اقل لها ان يوسف معتقل مع زملائه الطلبة وان الجامعة محاطة بقوات الامن المركزى وانه يحب فتاة مسلمة وان اهلها يرفضون . واننى حزين لهذا جئت اليها فوجدتها اكثر حزنا .

(١١)

دفع عزيز الباب الوحيد الموجود فى الطرقة الحجرية الرطبة المعتمة فانفتح الباب تحت ثقل جسده الدائخ من اثر الضربة التى تلقاها ووجد نفسه واقفا فى منتصف الحجرة وكانت ترقد عارية بعد ان انتهت لتوها . وكانت الاصوات ووقع البيادات الثقيلة الباحثة عنه فى جنون تسمع بوضوح خارج الحجرة فى الزقاق . نهضت ونظرت اليه دون ان تخف واغلقت الباب وارتدت قميصها ونفخت فى اللمبة واقتربت من خصاص النافذة ونظرت الى الخارج فى حذر . وكانت الدماء اللزجة قد غطت وجهه تماما .

(١٢)

خلعت عنه ملابسه المبللة الملوثة بدمائه ونشرتها على شباك السرير النحاس ومسحت وجهه وربطت جبهته المجروحة واطعمته بيدها وسهرت عليه ورفضت أن تستقبل زبائنها من اعيان دمنهور وكفر الدوار الذين يأتون اليها متخفين فى عباءاتهم مطمئنين فى عتمة الليل كما قالت له بعد ذلك . يفعلون ويمضون بعد ان اعطتهم الراحة وخلقوا لها الحزن والالم .

(١٣)

كانت جالسة بجوارى محتضنة ركبتيها وكانت قطرات الدماء تنساب فى بطء على جانب وجهى وتسقط على صدرى العارى عندما سألتنى بصوتها المبحوح وعندما قلت لها سبب الجرح وانني تلميذ فى المدرسة الزخرفية بالشاطبى قالت لى متألمة : انت صغير على كده .. مالك انت ومال الهم ده . شوف حالك . وقلت لها ان الحكومة فتحت على الطلبة كوبرى عباس امبارح وان نديم . وصمت . ولما سألته قال لها إنه جارى وتلميذ فى الحقوق وانه يكره الملك والباشوات وانه قال لى عندما كنا نسبح داخل البير انه يحلم بالسفر الى فرنسا وعندما سألته لماذا فرنسا قال انه يحب اديث بياف المغنية والتى يسمع اغانيها فى بيت الخياطة اليهودية راشيل التى تأخذه فى حضنها كل ليلة جمعة بعد ان غادرها زوجها الى فلسطين وانها رفضت الذهاب معه وحلفت بايمانات المسلمين والنصارى واليهود انها لن

تترك اسكندرية واخذت تكرر له وهى تهتز وتقلد نسوان الانفوشى والازريطة وكوم الدكة :
(وحياة المرسى ابو العباس ما نسيبوها)

وانها ستحزن عليه لانه اخبرنى بانها تعشقه موت عندما كنا نحشش مع الشيخ حسونه الواعظ بجامع سيدى بشر الذى نسى وجودنا ونهض وهو يتخبط فى طرقة الربع المعتمة ودخل حجرته وسمعنا صوت اهتزاز السرير النحاس فعرفنا انه يجامع مراته الجديدة فضحكنا واخذنا نغنى معا بصوت خافت لايسمعه غيرنا وكلانا ينظر فى الآخر .

(خليف اقول اللى فى قلبى تزعل وتعلند ويايا . ولو داريت عنك حبى تفضحنى عينى فى هوايا) .

وصدى غنائنا يتداح ويتوغل فى فضاء الربع الخالى البارد المترب مرتدا الينا ومتكررا ونسيت فى نشوة الغناء ان اسأله ان كان احبها كما احب الذهاب الى الكنيسة صباح الاحد لسماع التراتيل وعشقها كما عشق صوت الشيخ رفعت وكان



يحب سماعه وهو سكران طينة وكنت أراه من نافذتى فى الفجر وهو عائد من خمارة اسطافينوس الجريجى مترنحا يدور ويلف حول بيته وهو يبحث عن المدخل حتى يطلع النهار ويفيق فيصعد .

.. وإنه مات النهاردة برصاصة ميرى .

وكان يقود المظاهرة وكانت صامتة .

والتفت اليها بصعوبة بالغة وقال لها فى حزن : انه سمع عن الموت كثيرا ولكنه رآه اليوم واحس به : نظرت اليه ولم تستطع ان تقول شيئا واحتضنته وقبلته فى فمه برغم دمائه التى علت وتجمعت على وجهه وصدره ونسى ألمه والهراوة الثقيلة التى انزلها العسكرى الجاحد على جبهته . وفعل . وعرف .

(١٤)

وبعد يومين صحا .

ولم تتوقف الدماء عن السيل .

ولم يتوقف الالم .

وعندما فتح عينيه وكانت الحجرة غارقة فى العتمة وجدها واقفة عند النافذة عارية تبكى بصوت خافت مكتوم فنهض متحاملا واقترب منها وعندما التصق جسده بها واحست به قالت دون أن تلتفت اليه وهى مختنقة بالدموع : انها وحيدة وانها تحب صوت الشيخ سيد .

(١٥)

فى الفجر لخذته الى بير مسعود وسبحا معا عرايا وغسلت له جرحه بماء البحر المالح واحضنته وطلبت منه ان يفعل فامتزجا معا وذاب فى الماء . وطاب الجرح ولكنه ترك اثره فى الجبهة . والقلب وعندما قلت لها انها اول امراة انام معها ضحكت بشدة وقهقهت كالاطفال وقالت وهى ترفع حاجبيها وتقرصنى فى فخذى وهى المراة المجربة رغم عمرها القصير : مش باين عليك ـ

ولما سألتها وكنا سائرين على الرمال الباردة قالت : انها ابنة برنسيسة من العيلة المالكة وان السيدة التى ربتها وعلمتها المهنة كانت ترسل الى البرنسيسة العساكر الانجليز ذوى العيون الزرق لتأخذهم فى حضنها ويدفئوها فى فراشها المطعم بالذهب والعاج لان البرنس زوج البرنسيسة كان عجوزا ولايقدر ان يفعل وحينما عرف السلطان حكاياتها الليلية امر ان تترك مصر وان تعود الى اسطنبول ولكنها كانت قد حبلت ووضعت فتركت الطفلة للسيدة واعطتها صندوقا مليئا بالزمرد والياقوت واوصتها بان تسميها (بهيجة) على اسم الزوجة الرابعة للسلطان عبد الحميد .

وضحكت وكنت صامتا ولكننى عندما نظرت الى شعرها الاصفر المندى برذاذ الامواج الملتصق باعلى ظهرها وعينيها الزرقاوين والرقبة الشامخة المنحوتة فى الجسد الشمعى صدقت وعرفت انها لاتكذب .

وكان البحر هائجا والامواج تتكسر على الاحجار الثقيلة التى وضعت على مسافات متقاربة وهى تقفز من حجر الى آخر حافية وثدياها يترجرجان فى الثوب الابيض الشفيف الذى شغلته بنفسها وهى تضحك وتغنى ـ حمامة بيضا ومنين اجيبها ـ وانا اركض خلفها وفوقنا السحب الرمادية المحمرة الحواف وضوء النهار الكابى يزحف ببطء ويغمر الشاطىء .

(١٦)

كانت زجاجة البراندى قد فرغت تماما .

فنهضت واقفة واتجهت الى النافذة واغلقتها ثم خلعت قميصها واستلقت على الفراش وقالت له بصوت خفيض : تعال .

فقام وخلع ملابسه الثقيلة واستلقى بجوارها واخذته على صدرها وقال لها ان يوسف يحب فتاة مسلمة . فتنهدت وقالت بصوت حزين مجهد لامبالٍ انا الاميرة بهيجة بنت الحسب والنسب . وشخرت . فتنهد وقال لها ان الزمن مضى دون ان يدروا وان الجرح لايزال يؤلمه ولم يطب . فقالت فى اسى : الشيخ سيد قالها من خمسين سنة . واغمضت عينيها الزرقاوتين .

نهض من جانبها فى هدوء وارتدى ملابسه وخرج .

(١٧)

جلس عزيز فوق الصخور المدببة واحتضن نفسه وكان الضباب الثقيل يحول بينه وبين رؤية الافق ونهض وسار ناحية البير ونظر داخله وسمع صوت ارتطام الامواج العنيف .

وتحسس جبهته .

وجرحه .



لغويات

● يوصف الديكتاتور الطاغية بأنه « جبار » اى قهار متسلط متكبر قاتل .. واصل « الجبار » فى اللغة : الطويل من النخل ، فتبدو النخلة الطويلة السحوق ، جبارة مخيفة لمن يريد ان يتسلقها .

● يقال : أنا ومن بعدى الطوفان ! اى السيل العظيم الذى يغرق الأرض وما عليها .. واصل الطوفان : شدة سواد الليل او الموت الذريع الذى لايبقى ولايذر .

● مذهب الرمزية فى الأدب والفن معروف فى العالم كله .. والرمز فى اللغة : تحريك الشفتين باللفظ من غير إبانة بصوت ، وقد يكون اشارة بالعين والحاجب .

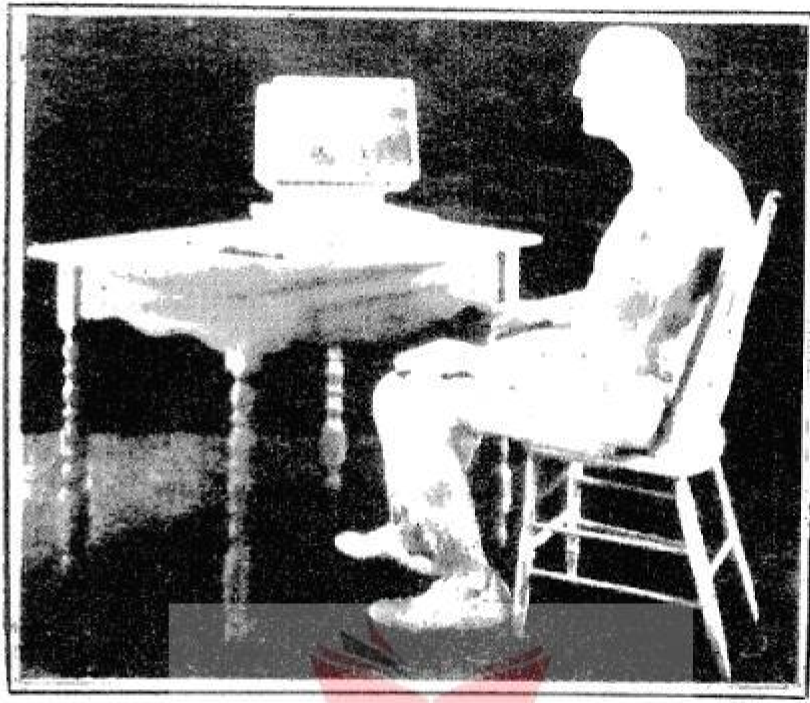
● طوبى لهم ، معناها السعادة وطيب العيش لهم .. وبعض اللغويين القدماء قالوا ان « طوبى » اسم للجنة باللغة الهندية ، او اسم شجرة فى الجنة !

● كلمة « أعمه » يستعملها بعضهم لوصف من ولدته امه اعمى ، وهذا خطأ والصواب « اكمه » فهذا هو الذى ولد غير مبصر ، اما الأعمه فقد يكون مبصرا ، لكنه يركب رأسه متخبطا حائرا عن الطريق ، حائدا عن سواء السبيل !

● يهش الراعى على غنمه بعصاه .. وفى القرآن : « واهش بها على غنمى » .. اى اضرب بها اغصان الشجر ليسقط ورقها لتأكله الغنم .. ومن معانيها قيادة الاغنام وضبطها .

● عامة المصريين يقولون : هذا الحمل الثقيل يضلع الانسان ؟ وهو تعبير صحيح .. ومن كلام على بن ابى طالب : "اريد الى الله ورسوله ما يضلعك من الخطوب"

● يقول : فلان ذاق الأمرين فى حياته ، ولا يسألون ماهما هذان الأمران ـ بفتح الميم وفتح الراء وشدها ـ حتى صار هذا التعبير مجرد "كليشيه" .. والأمران هما الفقر والشيخوخة ، ويستعملان فى هذا التعبير بمعنى الشدة الهائلة والشر العظيم ..



أمة فى خطر

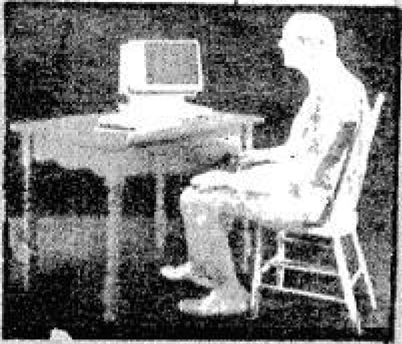
تلك التى ليس لديها القدرة على استخدام أداة العصر!

اكتسبت المعلومات اهمية كبيرة حتى اصبحت واحدة من اهم السلع الاستراتيجية ، التى يمكن لمن يملكها ان يتحكم فى مصائر البشر .. وبعد القفزات الكبيرة التى ادخلت الكمبيوتر اخرى فى كل مجالات الحياة ستشهد السنوات القليلة القادمة قفزات هائلة اخرى ، مع ما ستسفر عنه ابحاث «الذكاء الصناعى» ، ومع الجيل الجديد من الكمبيوتر الذى سيعتمد على هذه الابحاث ، الجيل الذى حددت اليابان بداية التسعينات موعدا للانتاج التجارى له .. وبصرف النظر عن مدى النجاح الذى سيتحقق فى هذا المجال يمكن التأكيد من اليوم على ان مجتمعنا لايمكن ان يعد نفسه مجتمعا معاصرا ما لم يلحق بهذه التطورات التى ستضاعف الفجوة بين المتقدمين والمتخلفين ..

لهذا كله تنشر «الهلال» هذا الملف الخاص بالمعلومات الذى يتطرق الى اهم قضاياها فيكتب لنا د . اسامة الخولى عن مجتمع المعلومات وكيف تشكل موردا للمجتمعات النامية . ويكتب محمد فتحى عن التربية وثورة المعلومات ، كما يكتب الدكتور نبيل على والدكتور على فرغلى عن اللغة العربية والكمبيوتر .

● كيف يمكن أن تكون المعلومات موردا للمجتمعات النامية ؟

● ماهى حقائق إكساب الآلة الصماء نوعا من الذكاء ؟



المعلومات سلاح العصر الحديث

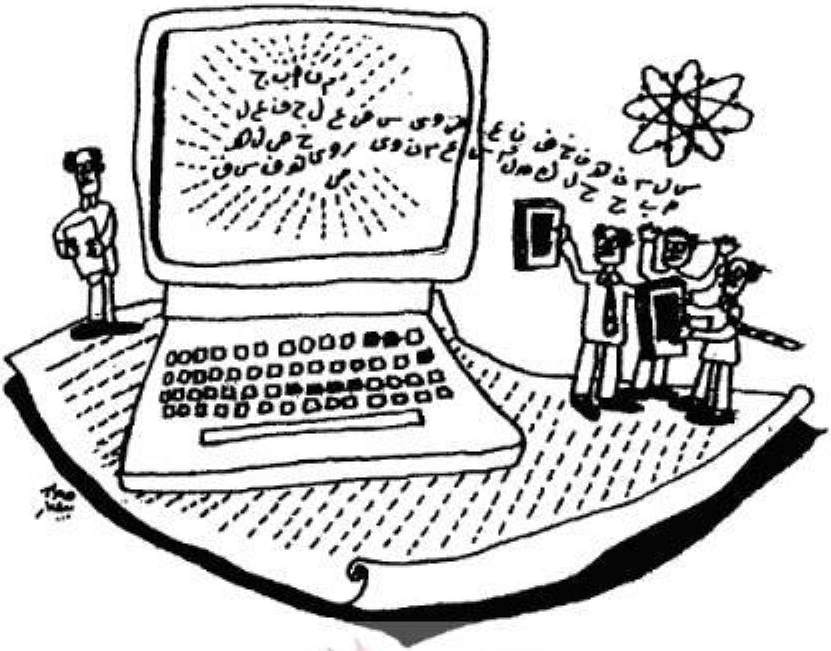
متى وكيف نستخدمه ؟

بقلم :
د. أسامه الخولى

تتعدى تأثيرات انتشار تكنولوجيا المعلومات حدود الدول وتغير موازين القوى التى تشكل انماط التجارة الدولية وانماط الاستثمار .. وتتمثل خطورة هذه التأثيرات فى اكتساب الانتاج الصناعى اليوم سمات عالمية لا يرتبط فيها بدولة ولا بسوق محلية فى دولة واحدة كما تتمثل فى التنافس الاقتصادى والسياسى الحاد الذى ينعكس فى كثير من القضايا الخلافية بين الدول المصنعة ، والتى لابد ان تنعكس بشكل أو بآخر على الدول النامية .

● المعلومات مفهوم يحيط به قدر غير قليل من الغموض . والمصطلح يتداول فى سياقات مختلفة بمعان متفاوتة . فهو قد يشير إلى معطيات رقمية أو بيانات إحصائية ، أو إلى أنباء ومقالات ، أو إلى تقارير ودراسات وكتب ، أو إلى رسومات وأشكال أو إلى براءات اختراع ومعارف فنية وأدلة ارشادية . والمعلومات تتداول سماعا أو مخطوطة أو مطبوعة أو مرئية بوسائل تطورت مع مرور الزمن بدءا بالنقش على الحجر أو الرسم عليه ، مرورا بالكتابة على الورق أو النسخ أو الجلود ، ثم الطباعة ـ وأخيرا على أشرطة وأسطوانات ممغنطة أو شاشات مضيئة للحاسبات .

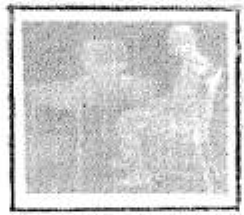
ويمكننا أن نميز بين أنواع مختلفة من المعلومات ، من حيث المضمون . فهناك فروق جوهرية بين المعلومات الخاصة



بالتراث أو العلوم الإنسانية ، وبين المعلومات العلمية ، وبينهما وبين المعلومات التقنية (التكنولوجية) . إن أى إضافة جديدة فيما نسميه العلوم الإنسانية والاجتماعية (مثل الفلسفة أو التاريخ أو الأدب ، أوفى التراث) لا تحل محل القديم ، وإن قامت بالطبع استنادا إليه ، مرتبطة به ارتباطا وثيقا . ولكن هذا يجرى فى كيان ذى علاقات فضفاضة ومرنة بحيث لا يشكل القديم مع الجديد كيانا متراصا تربطه علاقات منطقية صارمة . والأمر يختلف تماما فى المعلومات والمعارف العلمية التى هى نتاج نشاط تمارسه الأسرة العلمية الدولية فى إطار متفق عليه من القيم وأساليب العمل ، لا يتأثر الاجتهاد فيه بالجنس أو العقيدة أو اللغة أو المزاج النفسى . ومع أن المعلومات العلمية ترتكز هى الأخرى على الإسهامات السابقة ـ شأنها فى هذا شأن المعلومات والمعارف فى المجالات الإنسانية والاجتماعية والتراثية ـ إلا أن علاقة السابق باللاحق هنا علاقة ينسخ فيها الجديد القديم أو يعدله ، فيفقد السابق قيمته ويصبح أمرا فى ذمة التاريخ لا جدوى له فى النشاط العلمى المعاصر .

● المعلومات مورد اقتصادى

أما المعلومات التقنية (التكنولوجية) فهى اليوم سلعة تباع وتشترى لتحقيق هدف نهائى هو إنتاج سلعة ما أو توفير خدمة . ويجرى الحصول على هذه المعلومات مقابل ثمن يغطى تكلفة الجهد الذى بذل فى توفيرها بالإضافة إلى عائد جيد لما استثمر فى هذا الجهد من مال



ووقت وفكر . وبهذا تكون المعرفة التقنية مما يعتبره المحاسبون "الأصول" ، أى أن لها قيمة ويتوقع أن يدر استغلالها عائدا . وهذا أمر لا تجده فى المعارف العلمية البحتة التى يمكن الحصول عليها من الإصدارات العلمية بلا قيود ، وبثمن لا يتجاوز تكلفة الطباعة والنشر . وفى أغلب الاحوال مع ازدياد التلاحم بين العلم والتقنية نشهد تحركات نحو وضع قيود على النشر العلمى ، خصوصا فيما يمكن أن يكون ذا أثر فى شئون الدفاع والأمن القومى . وفى هذا الوضع المميز للمعلومات التقنية تناقض يستحق أن نتوقف عنده قليلا . فإذا ما كانت هذه المعلومات سلعة مطروحة للبيع فى سوق ، فإن المشترى المحتمل محتاج للتعرف على جوهرها كى يقدر مدى صلاحيتها لخدمة أغراضه . ولكن مجرد الكشف عن جوهرها يفقدها القدر الأكبر من قيمتها ، مالم يبادر صاحبها باستغلالها فى "نافذة فرص" تضيق مع مرور الزمن وتغلق تماما عندما يتوصل آخرون إلى تحقيق نفس الإنجاز ، أو ربما ماهو أفضل منه . ولقد اقتضى هذا ظهور التشريعات والإجراءات لحماية حقوق صاحب المعلومات التقنية بمثل ما يحدث لحماية حقوق المؤلف . ويعنى هذا أن آليات السوق التقليدية لتداول السلع المادية لا تسرى فى سوق المعلومات ، نظرا لتعارض توجهات السوق الحرة التقليدية مع مبدأ حرية الحصول على المعلومات ، والذى تحرص عليه كل المجتمعات الديمقراطية .

وأهمية قطاع المعلومات للنشاط الاقتصادى تختلف عن أهمية القطاعات التى يجرى فيها تحويل المادة أو الطاقة من شكل إلى آخر ، إذ أنها تتعامل مع أشياء غير مادية فتحولها من شكل إلى آخر ، أو تنقلها من مكان إلى آخر . إلا أن بين النشاطين ارتباطا وثيقا . فالنوع الأول يحتاج إلى المعارف والمهارات التى أتت من جمع المعلومات وتحليلها والتنسيق بينها وتخزينها واسترجاعها واستخلاص الدروس المستفادة منها . وفى نفس الوقت ، فإن إنتاج المعلومات ومعالجتها وتداولها أمور تحتاج بدورها إلى المادة والطاقة بشكل أو بآخر وبقدر أو بآخر .

وهكذا يحق لنا أن نعتبر المعلومات موردا ، بمثل ما نعتبر المادة أو الطاقة موردا . فالمعلومات هى التى مكنت الإنسان من تحويل المادة أو الطاقة من شكل إلى آخر وفاء بمتطلباته من المأكل والمسكن والتعليم والثقافة والترفيه والدفاع عن النفس . فخامات الحديد ظلت مادة بلا فائدة حتى اكتسبنا المعرفة الكفيلة بتحويلها إلى حديد وفولاذ بطرق مختلفة . وخام البوكسيت لم يتحول إلى الألومنيوم وسبائكه إلا فى مطلع هذا القرن ، واليورانيوم لم يصبح مصدرا للطاقة فى المفاعلات النووية إلا منذ أقل من نصف قرن . وحتى النفط لم نستخدمه كمصدر للطاقة إلا منذ قرن وأحد فقط ، وكمادة خام لتشكيلة متنوعة من البتروكيماويات إلا فى هذا القرن . ولكن هذا المورد يكتسب صفات طريفة تميزه

عن موارد النوع الأول من النشاط الاقتصادى . فانتقال المعلومات من شخص إلى آخر ، أو من مكان إلى آخر ، لا ينقص رصيد المصدر منها بمقدار ما يزيد من ذخيرة المتلقى لها . والكثير منها ـ كما لاحظنا من قبل ـ "يفسد" مع مرور الزمن ويفقد قيمته ، بل قد يصبح ضارا ، بمثل ما يفسد الطعام ، فيلفظ ليحل محله رصيد جديد من المعلومات الأحدث والأكثر جودة .

• جدوى المعلومات

وتبقى بعد هذا مسألة أخرى كثيرا ما تتناول بسطحية مع أنها فى صميم تحديد جدوى المعلومات بما يجعلنا نعتبرها موردا ، ألا وهى موقف المجتمع من استخدام المعلومات . فالمعلومات ـ شأنها فى هذا شأن الموارد الأخرى ـ لا يكفى مجرد وجودها لكى تصبح ذات جدوى اقتصادية واجتماعية ، إذ أن الأمر يحتاج إلى اكتساب الدراية باستغلالها وتحويلها إلى أشكال نافعة ومؤثرة فى حياة الفرد أو المجتمع .

والسؤال الذى يتردد ـ إن سرا أو علانية ـ فى كثير من الدول النامية يدور حول فائدة الفيض المنهمر من المعلومات الذى شهدته العقود الأخيرة ، وحول جدوى ما ينفق فى جمعه من الجهد والمال . وإذا ما كانت هذه قضايا قد حسمتها المجتمعات المصنعة على المستويين الحكومى والخاص بدليل ما ينفق على أجهزة المعلومات فى الحكومات والشركات ومراكز الأبحاث ، فإن الأمر لا يزال محل تساؤلات مفهومة ومشروعة فى الدول النامية حول مدى حاجتها لكل هذه المعلومات ، ومدى رغبتها ، أو قدرتها ، على الاستفادة منها وقد أصبحت اليوم متاحة لها . وباختصار ، يكون السؤال الآن : هل المعلومات حقا مورد للمجتمعات النامية ؟

وواضح أن الأمر يتعلق هنا بالقدرة على تحويل المعلومات إلى معارف ، أى تمحيصها لاستبعاد الزائف أو الذى يفتقر إلى مضمون له مغزى ، ثم استشفاف كنه المجدى منها والربط بينه بذكاء تتولد عنه معلومات جديدة كامنة فى المعلومات "الخام" . وهكذا ظهر فى نهاية عقد السبعينات مفهوم "الذكاء الاجتماعى" تعبيراً عن قدرة المجتمعات على استغلال المعلومات "الخام" وتحويلها إلى معارف مفيدة فى النشاط الاقتصادى والاجتماعى .

إن حسن استغلال المعلومات يفترض بداية أنها متاحة بدون قيود ، الأمر الذى لا يتوفر فى كل الدول النامية ، أو فى كل





الأحوال ، لأسباب تستحق أن نتوقف عندها قليلا .

● أهل الخبرة وأهل الثقة

كثيرا ما يتميز الوضع فى الدول النامية – على الأقل حتى الماضى القريب – بمحاولات إحداث تغييرات حادة فى نمط الحياة والتنظيم الاجتماعى وتوازن القوى فى المجتمعات ، قد نسميه "ثورة" أو "انقلابا" . وفى مثل هذا الوضع تفتقد القيادات الجديدة عادة الخبرة بإدارة شئون المجتمع ، بينما لا تثق كثيرا فى من تعاملوا مع العهد السابق من "الخبراء" الذين تتركز فى شخصهم خلاصة خبرة المجتمع المتخصصة فى مختلف مجالات النشاط الاقتصادى – الاجتماعى . وهكذا يحل محل "الحرس القديم" جيل جديد من مؤيدى التغيير ، قليلى الخبرة ، ولكنهم من "أهل الثقة" وهنا يقف صاحب القرار حائرا بين آراء "أهل الخبرة" ، التى ربما كانت تعكس تمسكهم بالفكر القديم ، وآراء "أهل الثقة" أصحاب الرؤية الثورية الجريئة . ولنا فى خبرتنا فى بعض المواقف الحاسمة فى تاريخنا الحديث رصيد طيب يستحق أن نقوم بتحليله لتعميق فهمنا بما جرى . (من الأمثلة الناجحة للجراة الثورية قرار الاستغناء عن مرشدى السويس الأجانب بعد تأميمها) ولكن التغيرات الحادة تحتاج إلى تحقيق مساندة شعبية على نطاق واسع لا يأتى إلا ببناء الثقة بالنفس ، الأمر الذى قد يؤدى أحيانا إلى حجب المعلومات المثبطة للهمم عن غالبية الشعب حتى لا يفتر حماسه للتغيير . وقد يتمادى المسئولون فى هذا الاتجاه فيلجئون "لفبركة" معلومات غير صحيحة ، أو غير دقيقة ويتداخل مع هذا الاعتبار الحرص على عدم "الانكشاف" امام العالم الخارجى ، من منطلق التسليم بقدرة الآخرين على استغلال المعلومات بكفاءة عالية لا تتوفر للدولة النامية . وقد يؤدى هذا إلى وقوع القيادات نفسها فريسة لدعايتها وميلا للاطمئنان إلى ما يقدم لها من معلومات من مختلف المصادر الداخلية ، والتى سرعان ما تستشعر رغبة القيادات فى حجب المعلومات غير السارة فتقوم بهذا الدور بحماس ، خصوصا وأن هذا يوفر للمسئولين على المستويات الأدنى حماية من المساءلة عن نتائج أعمالهم عندما يتبين ما فيها من أخطاء ونقائص .

لقد ساعد التطور فى نظم جمع المعلومات وتداولها بفعل انتشار الحسابات ووسائل الاتصال السريع عبر الاف الأميال وبكلفة زهيدة جدا على "انكشاف" متسارع لكل الأنظمة الكبيرة ، سواء أكانت دولا كبيرة ، أو شركات متعددة الجنسية ، فلم يعد من الممكن الآن لأى مجتمع أن يحجب الحقائق عن مواطنيه أو عن العالم الخارجى لفترات طويلة من الزمن ، مهما حاول ذلك . ومن الواضح انه مهما كانت النزعات الديمقراطية فى أى مجتمع فإنه يظل بحاجة لتأمين بعض المعلومات على الأقل ، وتقييد تداولها خصوصا فيما يتعلق بالأمن القومى ، أو بحرمة

خصوصية الفرد ، أو بحدود انتقال المعلومات عبر الحدود الوطنية . وهذه كلها مسائل معقدة تجرى مناقشتها على عدة مستويات لمحاولة التوفيق بين حرية الحصول على المعلومات والمقتضيات المشروعة لتأمين المصالح الوطنية المشروعة . وأظن أننا نلمس تحولات واضحة فى موقف مصر من المعلومات فى السنوات الأخيرة ، مازالت فى حاجة لترشيدها على أساس سياسة وطنية واضحة للمعلومات .

إن تأثيرات انتشار الحاسبات وتطور وسائل الاتصال يلقى اهتماما كبيرا فى الغرب لما يمكن أن يكون له من آثار عميقة على هيكل التنظيم الاجتماعى وعلى توازن القوى بين فئات المجتمع ، إذا ما تحققت أساليب جديدة للسيطرة الاجتماعية (راجع مقالنا فى عدد يناير من الهلال) .

ان هذه التأثيرات لا تقف عند حدود الدولة بل تتعداها إلى تعديل موازين القوى التى تشكل أنماط التجارة الدولية وأنماط الاستثمار . وتتمثل خطورة هذه التأثيرات فى اكتساب الإنتاج الصناعى اليوم سمات عالمية لا يرتبط فيها بدولة واحدة ، ولا بسوق محلية فى دولة واحدة ، من ناحية ، وفى التنافس الاقتصادى والسياسى الحاد الذى ينعكس فى كثير من القضايا الخلافية بين الدول المصنعة والتى لابد وأن تنعكس بشكل أو بآخر على الدول النامية . والتعرف على آثار هذه التطورات على أنماط تقسيم العمل الدولى يتطلب تحليل القوى الكامنة وراء التطورات التقنية وتطبيقاتها . ويعنينا هنا ، إلى جانب الأبعاد الدولية لهذه التطورات ، أن نشير إلى الدور الذى يمكن أن يلعبه التطور فى أساليب معالجة المعلومات فى المجتمعات النامية بالذات فى أمور مثل محاربة البيروقراطية غير الكفؤة وتنوير المجتمع بشكل عام . إن هذه الإمكانية لم تلق بعد الاهتمام الكافى لاستغلالها فى المجتمعات النامية ، لا لمجرد الإسراع بمحو الأمية أو توفير سبل التعليم المستمر ورفع كفاءة العاملين . فى مختلف المجالات مع التطورات التقنية المتوالية ، ولكن لتأكيد حق المواطن فى أن يعرف وأن يكون أهلا للمشاركة الفعالة فى اتخاذ القرار وفى التنفيذ وفى تصحيح المسار .

وإذا ما كانت هذه محاولة لنظرة سريعة وعامة على مسألة المعلومات فى العالم بشكل عام ، فإن الواضح أننا لا نملك رفاهية تجاهل ما يدور حولنا أو الهرب من مواجهة التحدى الذى تواجهنا به ثورة المعلومات . والأمر ليس أمرا يخص الفنيين أو الاقتصاديين وحدهم لأننا أمام انعكاسات انسانية واجتماعية وفكرية وثقافية فى كل نواحى حياتنا : فى العمل وفى المنزل وفى الترفيه وفى الدفاع عن هويتنا وتأمين مستقبلنا . وقضية استخدام اللغات الوطنية فى جميع المعلومات واسترجاعها لا ترتبط فقط بالحفاظ على لساننا وتراثنا وهى أمور فى صميم الكيان الوطنى ، ولكن بحصول المواطنين ـ كل المواطنين ـ على المعلومات .

إن المستقبل يبشر بثراء غير محدود فى المعرفة لمن يحس استخدام المعلومات التى تتوفر اليوم بيسر غير مألوف ، ستكون له آثار عميقة على كل ممارساتنا ، إلى الأفضل أو الأسوأ ، طبقا لما نعد لمواجهة هذا الموقف من فكر متعمق وقدرة على استغلال هذا المورد الجديد ، والمتجدد معا .



الكمبيوتر يعيد تربية الانسان

بقلم: محمد فتحى

التعليم هو الأساس الذى يقوم عليه مستقبل الأمم .. وقصور التعليم فى امة يسهم فى تدهور مستواها ويحرم الأفراد والجماعات من التهيؤ الصحيح للتحديات التى يواجهونها . كما يحرمهم من التفاعل مع ما يجرى فى عالمهم . مما يوسع الفجوة التى تفصلهم عنه .. ومن هنا يعد قصور التعليم مشكلة المشاكل فهو يحد من قدرة الأمة على مواجهة مجمل مشاكلها ويبقى على استخدام قدراتها البشرية وغير البشرية فى مستويات ادنى من امكاناتها .

والعالم يشهد هذه الايام غزوا متزايدا لمؤسساته من قبل الكمبيوتر يكرس ماصار يعرف بحضارة المعلومات . وذلك يفرض اعداد الاجيال الطالعة للنهوض بمتطلبات هذه الحضارة ناهيك عن متطلبات الاستفادة بامكاناتها .. وامة تتعثر فى كفالة التعليم العادى لابنائها امة فى خطر لأن تعليم الكمبيوتر والتعليم بالكمبيوتر يحتاجان فى البداية الى امكانات اضخم ولانهما يطوران فى النهاية من بنية العملية التعليمية ناهيك عن اسلوب تفكير الانسان .

فى أحد ايام الستينات المبكرة جلست ابحلق فى ورقة امتحان مادة المساحة والجيوديسيا ، وسرعان ما اغلقت عينى

وربحت افركهما .. كانت الصورة التى نشرتها جرائد الصباح للهدف الذى فاز به الزمالك على الاهلى واثارت كثيرا من الشجون ، تشغل الجانب الاكبر من صفحة الامتحان ، وكان السؤال المصاحب لها : اثبت ان هذه الكرة ليست هدفا ؟ !

وكان أستاذ المساحة والجيوديسيا لايلبث ان يلقى من محاضرته بضع كلمات ، يصيغها على شكل تساؤل ، حتى يختار بصورة عشوائية اسما من كشف الطلاب الموجود أمامه ، ويطلب منه الاجابة (المنطقية) عن سؤاله ، ليمهد الطريق بعد أن ينتهى الطالب لتساؤل آخر ، يطلب من طالب ثان يختاره عشوائيا ، أن يجيب عنه .. وتمضى المحاضرة على هذا المنوال حتى نهايتها .

كان الأستاذ يسعى من خلال هذه الطريقة المبتدعة للمحاضرة والامتحان إلى كسر الأسلوب المعتاد للعملية التعليمية التى يجلس الطالب فيها منصتا أو ناسخا أو مستعيدا ، وضمان تفاعل الطلاب معه .. أى ضمان مشاركتهم وتفكيرهم .

وفى هندسة الاسكندرية حيث كنت ادرس لم يكن استاذ المسلحة فريدا فى مطمحه فقد كان الدكتور ابراهيم رفعت (مترجم اوبرا لاترافيلتا) يضيف من التوابل « الفنية » الى محاضرة ، الميكانيكا ما يجعلها عملا آسرا حيا ، جذابا بحق ، يثير موجات متلاحقة من الضحكات .. كما كان معروفا لنا نحن الطلاب ان ورقة امتحان مادة « إنتقال الحرارة » تحوى مسألة تكفل لمن يحلها درجة « إمتياز » ، بينما لايحصل من يحل المسائل الاربعة الاخرى ، فى نفس الوقت إلا على درجة مقبول ، والفرق بين المسألة المعنية وزميلاتها أنها تختبر قدرة الطالب على توظيف ماحصله فى تفكير مبدع دون اكتفاء بالنسج على منوال المسائل التى عرضت له خلال الدرس ولم يكن ذلك إلا تتويج لغرس يستمر طوال العام يستهدف تعويد الطالب على فضيلة التفكير ومن المواقف الطريفة التى تحضرنى فى هذا الصدد انى تسلمت مرة ورقة اجابتى عن احد امتحانات اعمال السنة لأجد انى حاصل على ١٣٠ درجة من مائة ، بينما جاءت نتيجة احد الامتحانات التالية صفر من مائة .. كان استاذ المادة يتبع اسلوب الثواب والعقاب على طريقة التفكير ، فإذا اتى الطالب بفكرة مبتدعة لاباس من ان يتجاوز الثواب الحد الأعلى للدرجات وبالمقابل لاباس من حرمانه من ادنى جزاء على جهده إن تضمن هذا الجهد خطأ ساذجا (يمكن ان يودى بحياة الناس فى النهاية سواء كان العمل تشييد كوبرى او تصميم جهاز طبى) .

ولاشك أنه يتبادر الى ذهن القارىء تساؤل حول علاقة مثل هذه الذكريات بموضوع المقال ولاباس بعد هذا الاسهاب من اجابة مباشرة تلك ان الاعتبارات الاساسية لاستخدام الكمبيوتر فى التربية لايمكن ان تكون اعتبارات سياسية او اقتصادية او .. كما لايمكن ان يكون ظهور تكنولوجيا جديدة فى عالم الادارة او عالم الأعمال مبررا كافيا لتجريبها فى عالم التربية ، مالم تكن تلبى احتياجات داخلية تكمن فى العملية التربوية ذاتها .. ومجمل ماقصلناه يؤكد وجود محاولات من قبل التربويين لتلبية احتياجات نابعة من عدم كمال العملية التربوية .

والحقيقة ان « الكمبيوتر » يمثل نقلة نوعية فيما يخص التقنيات المساعدة



للتعليم تتجاوز كل ماسبق من اختراعات فهو يتيح للدارس المتعامل معه امكانات لم يسبق لها مثيل فى التفاعل ايجابيا مع المادة التى يدرسها ، وفى قياس تحصيله لها كما يمكن ان يكون قوة حفز هائلة ناهيك عن أداة تعزيز آنى لامثيل لها .

وربما ساعدنا نظرة سريعة الى انواع البرامج التعليمية الجاهزة على تصور أوضح .. فهناك برامج « التقويم » التى تشخص درجة المعارف والمهارات بهدف تحديد نقطة انطلاق الدارس .. وهناك برامج « المعلم » التى توجه الطالب على ضوء المعارف السابقة التى يمتلكها ، وتقنيات التعلم التى يفضلها ، الى تحصيل معارف جديدة .

وهناك برامج « التثبيت والتمرين » التى تستهدف المراجعة والتدعيم دون اثراء للمعارف وذلك اضافة الى برامج « ادارة العملية التعليمية » التى تتضمن بعض وظائف المعلم التقليدية مثل طلب تدقيق شيء ما أو البحث عن معلومات تكميلية أو ترك الكمبيوتر للنقاش مع الآخرين .

وعلى الرغم من تطرق « البرامج التعليمية الجاهزة » الى مجالات اوسع ربما كان الشق التربوى من نماذج تقويم مدى صلاحية استخدام مثل هذه البرامج هو الأقدر على تقديم صورة الصق بموضوعنا ، ولابأس من اختيار شق واحد من هذه النماذج هو الشق الذى يحدد درجة التفاعل الحوارى مع المستخدم وتتوزع التساؤلات التى تثار فيه حول بندين .

الأول : امكانات تدخل المستخدم :

- هل يستطيع الدارس الاختيار بين درجات مختلفة من الصعوبة او التعقيد ؟
- هل تتاح له عدة خيارات فيما يخص مضمون المادة ؟
- هل يستطيع تغيير سرعة الاستغلال ؟
- هل يمكن استعمال العناصر التعليمية المختلفة وتطويرها إلى الحد الاقصى ؟
- هل يمكن استخدام انماط جديدة من الوظائف التعليمية ؟
- هل يمكن ادخال ومعالجة بيانات حقيقية ؟
- هل هناك فرصة لتعديل البيانات والبرنامج ؟

الثانى : امكان التغذية الراجعة :

- هل يقبل البرنامج أسئلة متنوعة ويقدم اجابات عنها ليحول دون اعتماد المستهلك سلوكا روتينيا ؟
- هل يتضمن وظيفة لتحليل الأخطاء بهدف مساعدة المنتفع ؟
- هل يقترح استخدام مواد اخرى ؟
- هل يشجع انشطة اخرى مستقلة عن الكمبيوتر ؟
- هل يحث التلاميذ على التعاون والعمل المشترك ؟

....

وإن كانت هناك استحالة للوقوف وقفة تفصيلية أمام هذه العناصر .. لاعتبارات المساحة - فلا بأس من الوقوف عند بعضها لتبين صلتها باحتياجات كامنة فى العملية التعليمية .

● الكمبيوتر مدرس خصوصي :

ولعل ايا منا يذكر كم تعس بالعجز عن متابعة مادة تعليمية ، ليكتشف بعد كثير من المعاناة أن التمهل لدقيقة واحدة ، بهدف إجلاء جزئية ما غمضت في حينه كان كفيلا بتحويل التعاسة إلى متعة معرفية حقيقية ، ولعله يكمن هنا مغزى الدرس الخصوصي ومغزى المدرس الذي يتمهل مع التلميذ لحظة إحتياجه ليوضح ماغمض .

والكمبيوتر يمكن أن يتيح الفرصة لوتيرة مناسبة في التعامل مع كل فرد ، وهو أمر يستحيل عمليا في حالة الاقتصار على المدرس العادي ، مع الأعداد الهائلة من الطلاب ، ذلك أن بإمكان الكمبيوتر مراعاة الفروق الفردية بين الدارسين والتزام السرعة التي تتيحها الإمكانات الذهنية والتحصيلية لكل متعامل معه .. وهو في ذلك كله يتميز بالصبر ولايحس بالتعب ـ مقارنة بالمدرس ـ مما يخفف من الضغوط النفسية التي تحيط بالعملية التعليمية فاعصابه لاتفلت مثلا أمام تكرار التلميذ لخطأ ساذج بل ويمكن أن يكون ـ دوما ـ من الحصافة بمكان ، ويعطي للمتعثر مؤشرات تدله على الاجابة الصحيحة ، حتى لايعمل من الحبة قبة ، ويتسبب في مشكلة تربوية .. هذا كما يتيح الكمبيوتر تكريس خبرة أكفأ المدرسين لخدمة اعداد أكبر من التلاميذ عند تحويلها الى برامج تربوية .. ورغم اهمية كل ماسبق فيما يخص الفروق الفردية فإن هناك ماهو أخطر ..

● بدلا من التعليم « الهش » !

إن الانسان رغم تجربته الحضارية يقف فوق نظام تربية وتعليم هش ، يمكن تلخيصه في تربية « كلشنكان » (كل شيء كان) في المنزل أو الحضانة حتى عمر المدرسة ، التي تقوم بتلقين التلميذ بالمعارف العامة المنتظمة ، وفي أغلب الأحيان بعيدا عن الاهتمام بالتربية ، وتسلم التلميذ بعدها الى المعاهد والجامعات التي تقدم له معارف متخصصة .. وهذا البرنامج مفصل على مقاس المجموع « أول سايز » ذلك بينما شاء القدر أن يكون كل ابن لآدم شخصية على درجة غريبة من التفرد (من البصمة الى التفرد الخلوى المناعي ، الى تفرد الدماغ والجهاز العصبي .. الخ) الأمر الذي يحتاج حتى تتجلى إمكانات هذا التفرد بصورة كاملة إلى نظام « عمولة » على مقاس هذا الفرد بالذات والى مناهج تساعده على أن يجد عالمه الخاص وتسلحه في أبكر وقت ممكن بمناهج تعليم نفسه وتربيتها ذاتيا ، لأن ذلك هو مايتيح اقصى فرص تفتق الفردية وتجنب مضار المناهج العامة .. ولعل ماسبق من تفصيل يوضح مايمكن ان تساهم به البرامج التعليمية الكمبيوترية في هذا الصدد .

ولاتقف إمكانات الكمبيوتر عند هذا الحد فلاشك أن احدى الأمنيات التي صاحبت الكثيرين خلال تعلمهم هي تعزيز الجانب النظرى بغرض التجريب والاكتشاف بل والمغامرة .. وكلها أمور تشكل تحديا هائلا للامكانات التعليمية التقليدية بالذات مع النمو المطرد للعلم والتكنولوجيا .. ويمكن للكمبيوتر المساهمة بدور هام كوسيلة مساعدة لاجراء التجارب حال تعذر اجرائها على الطبيعة ، والكمبيوتر ميزة لاتبارى في هذا المجال إذ يتيح موضوعات يتعذر التطرق اليها كمحاكاة العمليات الجارية داخل الجسم



(القلب والأوعية الدموية) ومحاكاة رحلات الفضاء بل وبمقدوره المساعدة على محاكاة المتغيرات التجريبية التى يستحيل على الدارس القيام بها لتكاليفها الباهظة او لخطورتها .

● التعليم من خلال اللعب

ولضافة الى أن الكمبيوتر يمكن أن يوفر للطالب فرصا عظيمة للتجريب والاكتشاف والمغامرة دون خشية أو خوف واذا اخذنا بعين الاعتبار أن التعلم يكاد يكون غريزة فى الانسان (تتبع سلوك الطفل فى هذا المجال) لادركنا أن « التعلم المستمر » وهو صيحة حديثة فرضتها ظروف تطور المعارف فى عصرنا سيجد فى الكمبيوتر وسيلة ناجعة فعالة لتحقيق أهدافه فى تطوير الحياة والمجتمع ناهيك عن الاستجابة لما فطر عليه الانسان من فضول ورغبة فى الاستكشاف بالذات والكمبيوتر يمكن أن يسلم زمام قيادة العملية التعليمية الى الطالب نفسه مما يساعد على دعم الثقة بالنفس ، ويفتح المجال واسعا أمام للنمو الذاتى ، ذلك أن السمة المشتركة بين البرامج الكمبيوترية هى إعتمادها على مبدأ الاستقلالية أو قدرة المنتفع على الاسهام فى تعميم أهداف ومضامين نشاطه وعلى التأثير فى سيرورة التعليم .

ولاتقف مساهمة الكمبيوتر عند التعليم أو التعلم المستمر بل تمتد الى كل الصيحات التعليمية المعاصرة ، وتطور نماذج مستحدثة مثل الجامعة المفتوحة إذ تقدم لها العناصر التى كانت تفتقدها مثل عنصر التفاعل بين المعلم والمتعلم وكما اسلفنا ، وعنصر المشاركة الزمنية من خلال ربط شاشة المتعلم مع مركز معالجة تعليمية رئيسى .

بقيت إشارتان أخيرتان أولاهما ان الكمبيوتر يستطيع القيام بدوره التربوى من خلال اللعبة فقد لاحظ عدد من علماء التربية أن الاطفال يتعلمون من خلال اللعب مواجهة مشكلات الحياة .. واللعب مع الكمبيوتر يحفز وينمى إلى جوار مهارة حل المشكلات مهارة إتخاذ القرار كما انه يزيد من قدرة الطفل على التركيز ويشحذ خياله ، هذا بالاضافة الى أن الكمبيوتر يدخل عناصر العفوية والمرح والمتعة على عمليتى التعليم والتعلم ، داعما ماتوصل اليه التربويون قبلا من أن التعلم عن طريق اللعب وسيلة تربوية لها مردود ناجع .

أما الاشارة الثانية فهى أن الكمبيوتر ومن منطلق عمله كآلة حاسبة خارقة ينجز عمليات كان من المستحيل القيام بها فى الماضى ، كما أنه يتكفل بعمليات كانت تعوق التفكير عند الاطلاع بها يدويا ، ومن هنا واضافة إلى بنية عمله المنطقى يساعد الطلاب على تناول القضايا باسلوب ابداعى لانه يؤدى الى تحويل الاهتمام من آليات حل المشاكل إلى العلاقات التى تدور حولها .

ويمكن لذلك كله أن يؤدى فى نهاية المطاف الى تفكير الانسان بطريقة مختلفة نوعيا عن الطريقة التى كان يفكر بها من قبل ..

● اعتبارات اجتماعية وانسانية :

وعلاوة على أن تطور العملية التعليمية سنة من سنن الحياة فإن هناك اعتبارات اجتماعية وتربوية وانسانية كثيرة تفرض الاهتمام بالقيمة التربوية للكمبيوتر بإضافة إلى أن كثيرا من الوظائف باتت تقتضى اجادة التعامل مع الكمبيوتر بطريقة مباشرة وغير مباشرة فإن التعليم هو القناة التى تنتقل من خلالها حضارة الأجيال السابقة والحالية إلى الاجيال القادمة وبالتالى فهو يشكل مستقبل الأمة وتزيد الحاجة اليه فى حالة نقص المدرسين المؤهلين وعندما تكون المعارف الواجب تلقينها فى حالة تطور سريع .. هذا كما ان التعليم العصرى هو الذى يرفع من قيمة البشر كمورد تنموى ، لانه يجعل الانسان محور التنمية .

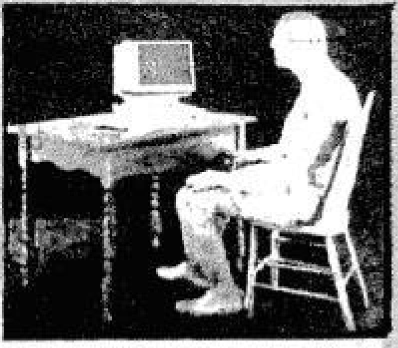
هذا وتجدر الاشارة هنا إلى ان الحمل التعليمى الاكثف مطلوب للانسان الذى يذهب الى القبر اليوم دون ان يستخدم ٩٠٪ من قدراته الذهنية .

وعلى الرغم من أننا مسبوقون فى هذا المجال بأكثر من عقدين فإن تطوير الحاسبات إختصر كثيرا من الفجوة (قلل التكاليف ، ويسر الاستخدام ، وزاد الامكانات) إلا أنه تواجهنا فى الطريق إلى ذلك عقبات كاداء فهناك متطلبات فنية وعلمية وتربوية وسيكولوجية مازالت تحتاج منا إلى جهد كبير .

وناهيك عن عدم توافر القناعات الكافية لدى عدد من صانعى القرار التربوى لعل واحدة من أكبر العقبات عدم تهيؤ المجتمعات المدرسية بالشكل الكافى لتقبل الكمبيوتر الصغير (الميكروكمبيوتر) على نطاق شامل فالمدرسين غير مدربين أو لم تتولد لديهم الرغبة والاستعداد لتفهم الكمبيوتر والتعامل معه .. كما اننا نعانى من نقص فى الكوادر والمؤسسات الفنية القادرة على إعداد البرامج التربوية المناسبة بالاضافة إلى عدم حسم قضايا معالجة العربية فى الكمبيوتر .. وإن كان ذلك كله مدعاة للتروى ونحن نسعى إلى ادخال الكمبيوتر فى مجال التربية إلا انه يجب الا يتحول إلى شماعة للإهمال ..

بقيت اشارة أخيرة إلى اننا اخذنا مصطلح التربية بمعناه الواسع الذى يتجاوز ما نألفه فى التعلم فى المدرسة إلى الأسلوب الذى نتخذه من المعرفة ، والأسلوب الذى يؤكد جانب المبادرة البشرية ناهيك عن تجاوز تعلم تقنية الكمبيوتر ذاته .

هذا ويجب الا يفوتنا هنا التأكيد على ان المعارف التى تنقلها الوسائل الكمبيوترية هى بالضرورة معارف مبسطة ومبتورة إذ لم تكتشف بعد اساليب تقوى على التعبير عن جميع الدقائق والتنوعات التى يشملها الاتصال المباشر من هنا فإن الكمبيوتر لايعدو أن يكون مساعدا فى العملية التربوية وإن كان مساعدا له قدرات جبارة .. ومن هنا يجب الا ننظر إلى الكمبيوتر وما يتفرع عنه من تقنيات على انه ترياق يشفى من كل المشكلات البشرية ولا أن نقترف الخطأ الاخطر المتمثل فى تحويل كل شىء الى صيغ حسابية . كما يجب أن نتحلى باليقظة حتى لاتتقهقر القيم الانسانية التقليدية وتتوحد انماط التعلم امام الدعاوى التكنولوجية الحسابية لان ذلك يمكن ان يقود إلى تأحيد للفكر وهذه جريمة فى واقع سمته الاساسية هى الحركة والتطور .



اللقاء المثير

بين الكمبيوتر واللغة

بقلم: د. نبيل على

يشهد العالم حاليا لقاء مثيرا، ومثريا، للغاية بين اللغة والكمبيوتر، وهو اللقاء الذى حلم به الكثيرون منذ بداية ظهور الكمبيوتر فى اواخر الاربعينات، والذى جعل من استخدام الكمبيوتر فى مجال اللغة بصفة عامة، والترجمة الآلية بصفة خاصة، حقلا خصبا للانتهازية العلمية والعملية، حين اسرف المغامرون العلميون، بل المحتالون احيانا فى وعودهم البراقة بإمكانية استغلال سرعة الكمبيوتر الهائلة وطاقة تخزينه الضخمة فى الترجمة مابين اللغات

● لقد تصوروا خطأ ان الكمبيوتر يمكنه أن يترجم بمجرد تخزين المعاجم الضخمة لمفردات اللغة التى يترجم منها واللغة التى يترجم إليها. أى لغتى المصدر والهدف باستخدام مصطلحات علم الترجمة عن طريق الترجمة بأسلوب «كلمة مقابل كلمة» مع إضافة بعض العمليات البسيطة لمراعاة الفروق الصرفية والنحوية بين اللغتين.

وكان لابد للنكسة أن تحدث، بعد أن بات واضحا للجميع أن كلا من الكمبيوتر واللغة غير مؤهل لهذا اللقاء «التقنى - اللغوى» فقد كانت الأجيال الأولى دون الحد الأدنى الذى يؤهلها للتعامل مع اللغة بغموضها ولبسها، بحذفها وتقديرها،



بمجازها ، وإيجازها ، وإطنابها ، بتجلياتها الظاهرية ، بمعانيها الخفية ، بمعاجمها الضخمة وتركيباتها النحوية غير المحددة .

أما بالنسبة للغة ، فقد كانت جميع عناصر بنيتها الأساسية تفتقر إلى الحد الأدنى من الأسس العلمية والمنهجية التى تتطلبها المعالجة الآلية بواسطة الكمبيوتر ، ونقصد هنا بالبنية الأساسية اللغوية نظام القواعد (أو « الأجرومية ») ، والمعجم ، ومنهجيات تعليم اللغة ، والأسس السيكولوجية لاكتساب الطفل لها .

هذا عن الموقف فى البداية ، أما كيف تأهل الكمبيوتر للقاء اللغة الذى أشرنا إليه ، فهذا هو السؤال الذى سنحاول أن نجيب عليه هنا . أما كيف تأهلت اللغة للقاء الكمبيوتر . وهو سؤال لايقل إثارة عن سابقه ، فنتركه لأهل اللغة - وبالتحديد لمن يرى منهم أن القضية اللغة أبعادا كمبيوترية تستحق الدراسة والتمحيص .

لقد رأينا أن نجيب على هذا السؤال من خلال عدد من المتغيرات النوعية التى شهدها الكمبيوتر ، ونحن نوجز هنا ، وبشدة ، بهدف إبراز المفاهيم الأساسية واستخلاص الأفكار المحورية من خضم تلك التى تذخر بها شبكة العلاقات الشائكة التى تربط بين الكمبيوتر واللغة : بين الكمبيوتر ذروة الانجاز العلمى - التقنى ، واللغة قمة علوم الانسانيات بلامنازع .



● الكمبيوتر .. آلة ذكية

شهدت ثقافات (تكنولوجيا) الكمبيوتر عدة نقلات نوعية تخلص من خلالها الكمبيوتر من « وصمة » الآلة ذات القدرة الحسابية الغاشمة ليتحول تدريجيا إلى آلة « ذكية » ، تقدر ـ فيما تقدر عليه ـ على محاكاة بعض وظائف الذهن البشرى ، وعلى رأسها المهارات اللغوية من قراءة وفهم وتعبير واستنتاج واستقراء .

ولنبدأ هنا بسرد قائمة النقلات النوعية قبل أن نستطرد فى تناول كل منها على حدة :

(١) من الصمامات الالكترونية إلى الدوائر المتكاملة متناهية الصغر .

(٢) من سرعة الآلاف إلى سرعة البلايين .

(٣) من « سحق » الأرقام إلى معالجة الرموز والمنطق .

(٤) من ذاكرة « صناديق البريد » إلى ذاكرة « التداعى » أو الاسترجاع الفورى .

(٥) من الأقراص الممغنطة إلى الأقراص الضوئية .

(٦) من البطاقات المثقبة إلى تمييز الكلام آليا .

(٧) من التسلسل والتلاحق إلى التوازى والتدخل .

وليس لنا القارىء برحلة سريعة لتعريف المقصود بهذه المصطلحات الفنية ومغزاها بالنسبة لمعالجة اللغة آليا باستخدام الكمبيوتر .

(١) من الصمامات الالكترونية إلى الدوائر المتكاملة متناهية الصغر : وراء كل هذا التطور فى تكنولوجيا الكمبيوتر ، عتاد HARDWARE ، وبرمجيات SOFTWARE ، يمثل سلسلة من النقلات النوعية التى طرأت على وحدة بنائه الأساسية .. فبعد استبداله الصمام الالكترونى بالترانزيستور الصغير ، جاءت الدوائر المتكاملة متناهية الصغر لتدمج فى حيز صغير للغاية مايوازى عددا هائلا من الترانزيستورات ، وهو العدد الذى يقترب حاليا من رقم المليون « خلية » ترانزيستورية فى الشذرة CHIP الواحدة .

لقد أحدثت سلسلة النقلات النوعية هذه ثورة ، بل قل ثورات ، فى معمارية تصميم الحاسب وسرعة وأسلوب تشغيله وبرمجته . والأهم من هذا كله ، هو إمكانية تطوير كمبيوتر شخصى صغير ، الأمر الذى أدى بدوره إلى انتشار الكمبيوتر فى المكاتب والمصانع والمنازل . ليغير نسيج المجتمعات الانسانية ويبدأ مواجهة صريحة مع اللغة ، ذلك الكيان الحديدى الذى يقوم عليه صلب المجتمع الانسانى .

(٢) من سرعة الآلاف الى سرعة البلايين : كما هو معروف ، تقاس سرعة الكمبيوتر بعدد العمليات الحسابية الأولية (كجمع أو طرح رقمين أو المقارنة بين رقمين .. الخ) التى يمكن أن يجريها الكمبيوتر فى الثانية الواحدة . كانت سرعة الكمبيوتر فى البداية لا تتجاوز عدة آلاف عملية حسابية فى الثانية الواحدة . أما

الآن ، فتصل هذه السرعة إلى عدة بلايين عملية حسابية فى الثانية . وتعد السرعة عاملا حاسما فى تأهيل الكمبيوتر لمعالجة اللغة آليا ، حيث توفر السرعة العالية إمكانية تنفيذ العديد من المهام المعقدة فى وقت قصير بينما تتسم معظم التطبيقات اللغوية بتعقدها . ولننظر على سبيل المثال فى قيام الكمبيوتر بعملية الترجمة الفورية مثلا ومدى السرعة التى يجب أن يعمل بها برنامج الترجمة ليلاحق سرعة المتكلمين البشريين كى ندرك الدور الحاسم لسرعة إجراء العمليات فى تحقيق الترجمة الآلية .

(٢) من سحق « الأرقام » إلى معالجة الرموز والمنطق : تركزت تطبيقات الكمبيوتر فى البداية على التطبيقات التجارية والادارية ، وهى تطبيقات لا تتجاوز العمليات الحسابية فيها مجرد تكرار هائل لعمليات الحساب البسيطة ، أى مجرد سحق « للأرقام التفصيلية ، من بيانات الفواتير والحسابات وساعات الأجور .. الخ ، لاستخلاص المجاميع الكلية أو المتوسطات ، والفروق ، وهلم جرا ، بينما تحتاج معالجة اللغة آليا بواسطة الكمبيوتر لما هو أكثر من سحق الأرقام » ، إذ تحتاج إلى معالجة الرموز والمنطق . ولتوضيح المقصود هنا نأخذ مثالا من اللغة العربية : إذا كان هناك مصدر منصوب ، فهو إما أن يكون مفعولا مطلقا ، أو مفعولا لأجله ، أو مفعولا به ، أو حالا ، كيف يمكن لبرنامج للاعراب الآلى أن يستنتج الوظيفة النحوية لهذا المصدر المنصوب دون تطبيق بعض القواعد المنطقية مثل : أن كان المصدر من مادة الفعل فهو مفعول مطلق ، فى مثل : « استقبل ضيفه استقبالا حسنا » ، وإن لم يكن كذلك ، وكان مصدرا لفعل من أفعال القلوب ، كان مفعولا مطلقا ، فى مثل : « استغفر ربه ابتغاء رحمته » . وإن لم يكن كذلك ، فهو إما مفعول به أو حال .. وهكذا .

لقد ظهرت لغات برمجة خاصة بمعالجة المنطق مثل لغة برولوج (prolog) ، كما ظهرت الحاجة إلى منطق أعلى رتبة من منطق أرسطو القاطع ذى الدرجة الأولى ، منطق يستطيع أن يتعامل مع النصوص اللغوية ، يتعامل مع الاحتمال والتقدير والافتراض واللبس والغموض . منطق يتعامل مع « ربما » . « وغالبا » . « وفى المتوسط » ، وليس فقط مع مقولات مثل « كل لغة حية لها معجم ، اللغة العربية لغة حية ، إذا





اللغة العربية لها معجم » .

(٤) من ذاكرة صناديق البريد إلى ذاكرة « التداعي » : ظلت ذاكرة الكمبيوتر منذ نشأته تعمل بأسلوب يشابه « صناديق البريد » . كل بيان يراد تخزينه في الذاكرة لابد أن يحدد له موضع (عنوان) بها .

وعندما يراد استرجاعه من الذاكرة لابد من ذكر « العنوان » . ويعرف هذا النوع من البحث داخل الذاكرة بـ « البحث من خلال العنوان » . وهو ، كما يبدو ، أبعد ما يكون عن الأسلوب الذى تعمل به الذاكرة البشرية ذات البنية المركبة للغاية ، والتى تتداعى فيها المعلومات والمفاهيم فى فيض منهمر ، واحدة تجلب الأخرى ، أو تندمج معها لتجلب ثالثة أكثر تعقيدا وهكذا . ويحاول علماء الذكاء الاصطناعى حاليا ، ومعهم علماء البيولوجى وعلماء اللغويات العصبية ، واللغويات السيكولوجية ، سبر أغوار الذاكرة البشرية . وهم يهدفون من وراء هذا إلى فهم أسلوب عمل الذاكرة البشرية : كيف تنتظم المعارف والمفاهيم داخلها بالصورة التى تمكن الإنسان من استرجاعها فوريا . إن الفهم الآلى للنصوص اللغوية يحتاج من الكمبيوتر إلى ذاكرة أكثر تعقيدا ، وبكثير ، من ذاكرة « صناديق البريد » ، أى الذاكرة التى صاحبت الكمبيوتر عبر أجياله الأربعة السابقة .

(٥) من الأقراص الممغنطة إلى الأقراص الضوئية : يتم تخزين البيانات حاليا على وسائط ممغنطة (أشرطة كاسيت أو أقراص) . ويمكن تخزين مايوازى مضمون كتاب فى ٣٠٠ صفحة من القطع المتوسط على قرص ممغنط صغير يبلغ قطره ٣٫٥ بوصة . وحدثت أخيرا نقلة نوعية فى وسائط تخزين البيانات باستخدام الأقراص الضوئية التى تعمل بأشعة الليزر . وتبلغ سعة القرص الضوئى ما يوازى ٦٠٠ مرة سعة القرص الممغنط . ويعنى هذا أنه يمكن تخزين ما يزيد على ٦٠٠ كتاب فى حجم « القرآن الكريم » على قرص ضوئى واحد . ومن المحتم أن يحدث هذا ثورة حقيقية فى تخزين النصوص اللغوية واسترجاعها . فلم يعد السؤال الآن هو سعة التخزين ، بل كيف « نبحر » داخل هذا الكم الهائل من النصوص بحثا عن المعلومات ذات المغزى بالنسبة لطالبها .

(٦) من البطاقات المثقبة إلى تمييز الكلام آليا : كما تغيرت سرعة الكمبيوتر وذاكرته ووسائط تخزينه ، كان لابد أن تتغير الوسيلة التى يتعامل بها الإنسان مع آلته الجديدة ، فبعد إدخال البيانات عن طريق البطاقات المثقبة التى استخدمت فى الماضى ولوحة المفاتيح المستخدمة حاليا ، يحاول العلماء والمهندسون الآن إكساب الكمبيوتر القدرة على تمييز

الكلام المنطوق ، بحيث يمكن للانسان المستخدم التعامل معه بأكثر وسائل إدخال البيانات طبيعية ، ألا وهي الصوت البشرى نفسه ، دون التقيد بحلقات وسيطة ، من بطاقات أو لوحات مفاتيح أو غير ذلك .

● الكمبيوتر واللغة

ولكى يمكن للكمبيوتر تمييز الكلام آليا ، عليه أن يستخلص الاشارة الكلامية نقية من التشويش ، ومن آثار الادغام ، وتقصير الكلام وتطويله ، وتنغيمه ، وبما يتضمنه كل هذا من تحديات لغوية وتقنية .

(٧) من التسلسل والتلاحق الى التوازى والتداخل : ينجز الكمبيوتر المهام المكلف بها من خلال البرنامج الذى يتضمن قائمة التعليمات المغذاة إليه بإحدى لغات البرمجة ، مثل « البيسك » أو « الكوبول » أو « الفورتران » . ويقوم الكمبيوتر بتنفيذ تعليمات البرنامج واحدة تلو الأخرى بصورة متسلسلة متلاحقة ، فينفذها بسرعة هائلة وبصورة تختفى معها ، ظاهريا ، الآثار السلبية المترتبة عن هذا الطابع التلاحقى المتسلسل لعملياته . ولننتقل بالحديث فى هذا الخصوص إلى مجال اللغة ، ودعنا نتصور أن الكمبيوتر يقوم بمهمة الاعراب الآلى لجملة معينة ، سيقوم برنامج الاعراب أولا بالمهمة الصرفيةلتحليل كلمات الجملة إلى عناصرها الاشتقاقية والتصريفية ، ليقوم بعد ذلك بتطبيق قواعد النحو لتمييز الوظيفة النحوية لكل كلمة حسب موقعها فى سياق الجملة ، ومن ثم ينتقل إلى تطبيق قيود الدلالة (أو المعنى) ليرفض جملا على غرار « تتنفس الجبل الصعداء » و « بكت الصخرة وليدها » .

يتناقض هذا التسلسل والتلاحق مع طبيعة التعامل مع النصوص اللغوية ، والتى تحتاج فى فهمها ، وإجلاء لبسها ، إلى تضافر جميع القرائن وإلى أن تجرى جميع المعالجات الصرفية والنحوية والدلالية بصورة متوازية ومتداخلة . إن اتجاه مصممى الكمبيوتر ومبرمجيه إلى الأسلوب المتوازى المتداخل يعد خطوة أساسية فى الاتجاه السليم لمحاكاة خاصية أساسية فى أنشطة الذهن البشرى اللغوية .

خلاصة القول : أن النقلات النوعية التى حدثت حتى الآن لتأهيل الكمبيوتر لعلاقته مع اللغة كانت فى مجملها مجرد محاولة بدائية لمحاكاة الوظائف اللغوية المعقدة التى يقوم بها الذهن البشرى . إنها محاولة لإكساب الآلة الصماء ، نوعا من « الذكاء الاصطناعى » . وهو الاتجاه الذى يرمز إليه الجيل الخامس من الكمبيوتر ، الجيل الذى انتقلت فيه السيطرة من العتاد (hardware) إلى البرمجيات (software) ، أو بقول آخر ، سيطرة الفكر على المادة » . نوردها هنا مقولة صريحة ، وبعيدا عن كل مجاز ودون أية رغبة منا فى المبالغة أو « التفلسف » .



الكمبيوتر وتعريب أنظمة المعلومات

بقلم: د. علي فرغلي *

القدرة اللغوية هي السمة الرئيسية التي تميز الانسان عن باقي المخلوقات. فاللغة هي وسيلتنا الأساسية للتواصل والحوار وتبادل الخبرات، والتعبير عن احاسيسنا وامالنا ورغباتنا، وقضاء احتياجاتنا الاجتماعية. وهي بطبيعتها قادرة على التعبير عن كم هائل من المعلومات المتباينة والأفكار البالغة التعقيد. ولو لم تكن اللغة لما كانت الآداب والعلوم والحضارات نتائج ابحاث. واللغة هي اداتنا لمتابعة الشعوب الأخرى والتفاعل معها.

ومع تزايد اهمية المعلومات والمعرفة، وتضاعفها عدة مرات، واستحالة إلمام عقل الخبير البشرى بكل ما يستجد في مجاله، فكان من الضروري استخدام الكمبيوتر في تخزين واسترجاع العديد من المعلومات الهامة. ومن هنا نشأت انظمة المعلومات.

وانظمة المعلومات هي برامج الكمبيوتر التي تسمح بادخال وتخزين المعلومات التي نزوده بها، وتقوم بمعالجات مختلفة لهذه المعلومات بحيث يمكنها تزويدنا بإجابات صحيحة معتمدة على المعلومات التي خزنت بها. وتمثل اجاباتها عادة إعادة تصنيف وترتيب المعلومات التي أدخلت، والاستنتاجات التي توصلت

---

* د. علي فرغلي أستاذ في الجامعة الأمريكية - القاهرة.

إليها . ويطلق على مثل هذه البرامج قواعد البيانات . فمن الممكن مثلا ادخال معلومات عن جميع العاملين بوزارات الدولة الى مثل هذه البرامج . ويمكن ان تتضمن المعلومات عن كل موظف : اسمه والوزارة التابع لها وتاريخ تعيينه ومرتبه الشهرى ووظيفته .. الخ . ثم يمكننا ان نطالب من الحاسوب إعطائنا اسماء الموظفين العاملين بوزارة الاقتصاد مثلا والذين عينوا بعد عام ١٩٨٥ ويزيد مرتبهم الشهرى على مائتى جنيه . وفى ثوان نحصل على المعلومات المطلوبة رغم اننا لم ندخل هذه المعلومات بهذا الشكل

ولا توجد مشاكل حقيقية فى تعريب مثل هذه البرامج فقد امكن بناء نسخ عربية من قواعد هذه البيانات تسمح بادخال مثل هذه البيانات باللغة العربية وبالتالى يعطينا الحاسوب المعلومات المطلوبة باللغة العربية ايضا .

ورغم اهمية قواعد البيانات هذه ، فان استخدامها ينحصر فى ادخال المعلومات التى يمكن التعبير عنها فى صورة بيانات محددة سواء كانت بيانات حرفية كالاسم مثلا والوظيفة والعنوان او رقمية مثل الراتب وتاريخ التعيين ورقم التليفون ولكن هناك نوعا آخر واهم من المعلومات يستحيل ادخاله الحاسوب بنفس الطريقة ، فكيف يمكن ادخال معلومة "ارجل خشبية" او "ارجل متخشبة" كاعراض مختلفة لمريض ما ؟. ان اغلب المعلومات التى نود ادخالها الحاسوب هى معلومات فى صورة احد اللغات الطبيعية ولابد للحاسوب من ان يفهمها قبل ان يستطيع ان يجيب على استفساراتنا بشأنها وفيما يلى بعض هذه البرامج :

١ ـ برامج معالجة النصوص اللغوية

وتهدف هذه البرامج لفهم النصوص اللغوية التى ادخلت اليها وقد نعرف الفهم هنا بأنه قدرة البرنامج على اجابة الاسئلة بطريقة ملائمة ، والقدرة على اعادة صياغة العبارات شارحا معناها بطريقة اخرى والقدرة على الاستنتاج ، اى اعطاء النتائج المحتملة او الممكنة لبعض الافكار الواردة فى النص . وقد قام العالم الامريكى "روجر شانك" بكتابة برنامج يقوم بعمل الاستنتاجات المحتملة من جمل باللغة الانجليزية واعادة صياغتها . فهو يعيد صياغة الجملة .

فمثلا : خنق جون مارى

يعطاه الآتى :

١ ـ قتل جون مارى بأن خنقها .

٢ ـ خنق جون مارى وماتت لانها لم تستطع ان تتنفس .

٣ ـ ماتت مارى لانها لم تستطع ان تتنفس ، وهى لم تستطيع لان جون عصر رقبتها .

كما يستطيع البرنامج ان يقوم بالاستنتاجات التالية من جملة :

اعطى جون مارى حبة اسبرين .

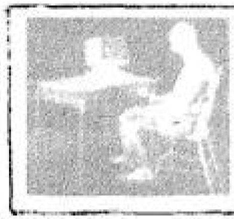
الاستنتاجات :

١ ـ اعتقد جون ان مارى تريد اسبرين .

٢ ـ لم تكن مارى تشعر بأنها على مايرام .

٣ ـ ارادت مارى ان تتحسن .

وتحتوى مثل هذه البرامج على محلل اللغة الطبيعية الذى يقوم بالتحليل النحوى والدلالى للجمل الداخلة ويولد تمثيلا داخليا لها كما لابد ان يحتوى على مولد اللغة الطبيعية حتى يصنع الجمل الخارجية



فى الشكل الطبيعى وطبقا لقواعد النحو والدلالة للغة الطبيعية .

٢ ـ **النظم الخبيرة** ، هى برامج صممت لتحاكى عمل الخبير البشرى : ولهذا يمكن اعتبارها من انظمة المعلومات ، لأننا ندخل اليها المعلومات التي نفترض أن الخبير البشرى يستخدمها فى حل المسائل فى مجاله ، كما اننا نستفتى هذه النظم كما نستفتى الخبراء فى مجالهم . والمشكلة هنا هى تمثيل المعرفة التى نعرفها نحن باللغة الطبيعية فى شكل يفهمه ويدركه الكمبيوتر ، فنحن نستطيع ادخال جملة مثل : "ذهب محمد الى واشنطن" الى الكمبيوتر ، ولكنه لن يستطيع ان يجيب على سؤال : "من ذهب الى واشنطن ؟" إلا اذا تمكن من ان يتعرف على فاعل الجملة . وهو لن يستطيع ذلك إلا اذا ادخلنا اليه قواعد النحو العربى .

٣ ـ **برامج الترجمة الآلية** ، يمكن اعتبار برامج الترجمة الآلية ضمن انظمة المعلومات لأنها تقوم بمعالجة النص اللغوى باللغة الأصلية وتقوم بترجمته الى اللغة الثانية مما يسهل علينا الحصول على المعلومات المتضمنة فى النص .

● تعريب انظمة المعلومات

هناك شقان فى عملية تعريب انظمة المعلومات : اولهما الشق المتعلق بالمعلومات ونعنى به ادخال المعلومات العربية عن الثقافة العربية أو المراجع أو البلاد العربية بشكل خاص فهناك مثلا برامج لفهرسة المراجع الأجنبية فى جميع فروع العلوم والآداب . وتمكن مثل هذه البرامج الباحثين من تتبع ما ينشر فى مجالهم ويمكن ان تعطيهم فى ثوان معدودة قائمة بما نشر حول موضوع معين وتلخيص لكل بحث . وتمثل شركة ديالوج بالولايات المتحدة الأمريكية نموذجا لأنظمة المعلومات هذه ، ولكن البرنامج يعمل باللغة الانجليزية ولا تتضمن سوى المراجع المكتوبة بلغات لاتينية . وعندما نفكر فى تعريب انظمة المعلومات لابد ان يكون اهتمامنا ايضا بجمع المعلومات العربية التى تهم المستخدم العربى .

اما الشق الثانى فى تعريب انظمة المعلومات فهو يعنى بالناحية اللغوية ، بحيث تصبح انظمة المعلومات متاحة باللغة العربية وللمستخدم العربى الذى لا يكون بالضرورة مجيدا للغة الانجليزية . وهو ما سنعالجه فيمايلى :

● المتطلبات اللغوية لتعريب انظمة المعلومات

تنحصر المتطلبات اللغوية لتعريب انظمة المعلومات فى بناء برامج قادرة على تحليل الأسئلة الموجهة باللغة العربية لنظام المعلومات وترجمتها الى الشكل الداخلى الذى يمكن ان تتفهمه الآلة وذلك بتحويل الجمل العربية الى تمثيل دلالى يعبر عن المعنى ، ثم يقوم البرنامج اللغوى بعد ذلك بتحويل التمثيل الدلالى للمعلومة المطلوبة الى شكل الجمل العربية الصحيحة مما يعطى المستخدم الانطباع بأنه يتعامل مع إنسان يجيد العربية أى باختصار أن يكون البرنامج قادرا على تحليل وفهم النص العربى وتوليد جمل

عربية سليمة تشكل ردودا ملائمة على الأسئلة التى وجهت لنظام المعلومات .

ويصبح السؤال هنا عن المكونات اللغوية الأساسية التى تحتاجها مثل هذه البرامج ،ويستعرض فيمايلى وصفا لكل هذه المكونات :

* قاموس للغة العربية

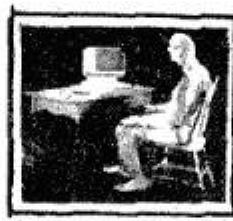
والمقصود هو قاموس للغة المعاصرة فى شكل الكترونى فلكى يستطيع البرنامج التعرف على الكلمات العربية لابد أن يكون له معرفة بمفردات العربية كما نتحدثها اليوم . ومعظم القواميس العربية الموجودة تتبع الطريقة التقليدية بأن ترد الكلمات تحت الجذور ، وهى بذلك تفترض ان من يستخدم القاموس يعرف جذر الكلمة التى يود البحث عن معناها . وهذا لا يكون صحيحا فى جميع الأحوال . كما أن القواميس الموجودة حاليا خالية من استعمالات حديثة لكلمات قديمة ، ومن الكلمات التى استحدثت فى السنوات الأخيرة نتيجة لتعاظم المعرفة والثقافات والعلوم .

واللغة العربية ـ شأنها شأن بقية اللغات الحية ـ لغة متطورة وهى تلبى احتياجات مستخدميها وتمكنهم من توليد كلمات ومصطلحات جديدة باستخدام قواعد الاشتقاق فى اللغة العربية . ولابد من تكاتف فريق من بين علماء اللغة العربية لوضع قاموس شامل لمفردات اللغة العربية المعاصرة ، على أن يُراجع كل عشر سنوات على الأقل لاضافة الكلمات الجديدة وحذف المفردات التى بطل استعمالها .

ونحن فى حاجة الى جهد جديد لوصف مفردات اللغة العربية المعاصرة .

وتطرح عملية بناء هذا القاموس العديد من المسائل أولها ما هى مدخلات القاموس ؟ هل هى الكلمة كما ترد فى الكلام المكتوب ، أم هى الجذر (الثلاثى أو الرباعى ، ... الخ) . أم هى جذع الكلمة ؟ أى هل لابد مثلا من ادخال (قال ، قالت ، قالوا ، قيل ، قلن ، قالا ، قالتا ... الخ) أم نكتفى بجذع الفعل مثل (قال) مع إدخال قواعد الصرف التى تمكن الكمبيوتر من معرفة أن (قالتا) هى كلمة مُصرفة من الجذع (قال) بإضافة التاء والألف وأنها تفيد بالإضافة الى معنى القول أى التحدث أنه فعل ماضٍ وأن فاعله مثنى ومؤنث . وقد ينادىَ البعض بإدخال الجذور فقط واستخدام الميزان الصرفى العربية ، بعد ادخاله للكمبيوتر وكتابة البرنامج المناسب ، للتعرف على الكلمات المدخلة اليه وارجاعها الى جذورها وميزانها الصرفى . ولابد من اتخاذ القرار فى هذا الشأن قبل بناء القاموس فاذا اخترنا ادخال جميع الكلمات بالشكل التي ترد فيه فى الجملة زاد حجم القاموس اللغوى كثيرا وزاد الوقت الذى يبحث فيه البرنامج عن الكلمات ، واذا ادخلنا الجذر أو جذع الكلمة العربية قل حجم القاموس وزاد العبء على المعالج الذى سيعمل على رد الكلمات التى تدخل البرنامج الى جذورها وجذوعها طبقا للقواعد الصرفية والاشتقاقية .

والمشكلة الثانية فى بناء قاموس اللغة العربية المعاصرة هى تحديد كافة المعانى للكلمة ، ولحصر المعانى المختلفة والاستعمالات الجديدة لكل مادة من مواد القاموس لابد من دراسة فاحصة لنصوص عربية معاصرة كى نتعرف على الكلمات



من واقع استخداماتها فى سياقات مختلفة ومواضيع ومناسبات متعددة . وبهذا يصبح القاموس تعبيرا صحيحا عن الاستعمالات الشائعة فى كافة البلاد العربية ويصبح احد اسس الثروة اللغوية المشتركة لكافة المثقفين والعلماء العرب مما يمكنهم من التحاور بسهولة فى كافة الامور والموضوعات والمسألة الثالثة فى بناء هذا القاموس هى تحديد المعلومات التى تصاحب كل كلمة عربية . فكل كلمة لها سمات نحوية ودلالية تمكننا من فهمها الفهم الصحيح ووضعها فى السياق السليم . فالسمات النحوية لفعل مثل (ذهب) تتطلب ان يتبعه جار ومجرور مثل (ذهب على الى المدرسة) ولا يجوز مثلا ان نقول (ذهب على المدرسة) بينما يمكن ان نقول (غادر على المنزل) او (غادر على الى الولايات المتحدة) . والكلمات ايضا سمات دلالية فيمكن تحليل كلمة (صبى) كمجموعة من السمات مثل : انسان + ذكر + عمره اقل من ١٢ سنة ، + عمره اكبر من ثلاث سنوات مثلا . وهكذا يمكن ادخال السمات الدلالية والنحوية للكلمات العربية لاستخدامها اثناء تحليل وتوليد الجمل العربية .

● قواعد النحو

تحدد قواعد النحو فى برامج التحليل بنية الجملة المدخلة . فهى يمكن ان تتعرف على الفاعل والمفعول لكل فعل كما تحدد البنية العامة للجملة فى شكل شجرة إعراب . ويمكن ايضا لهذه القواعد ايضا تبسيط تحليل الجملة باستعادة بعض المكونات المحذوفة ففى الجملة التالية :

شرب على الشاى واحمد القهوة

هناك فعل شرب محذوف من عبارة واحمد القهوة .

ويمكن لقواعد النحو تفسير الجملة على ان فاعل شرب : هو مركب اسمى مكون من (على واحمد) وليس عليا فقط . ويعتبر التحليل النحوى جزءا اساسيا فى برامج معالجة اللغات الطبيعية .

● التحليل الدلالى

نحتاج هنا الى دراسة الدلالة فى اللغة العربية ودراسة العلاقات الدلالية بين الكلمات المشتقة من جذر واحد وتحديد الاطر الدلالية للافعال العربية وفك غموض الجمل العربية كما يلى :

١ ـ قابل على الوزير الذى انتقده . (انتقد من ؟) على انتقد الوزير ام الوزير انتقد على .

٢ ـ رأيت احمد يلعب فى الحديقة . (هل رأيت احمد وانا فى الحديقة ، ام ان احمد يلعب فى الحديقة)

٣ ـ رأيت سيارة سعاد الجميلة . (هل سعاد هى الجميلة ام السيارة)

ونود ان نختم مقالنا بالتأكيد على الحاجة الشديدة لتعريب انظمة المعلومات فى كافة بلدان العالم العربى وان الاستثمار فى هذا المجال سيكون له مردود ممتاز لان مستقبل الامة العربية يعتمد على مواكبة الثورة العلمية المعاصرة واستخدام نتائجها فى حل الكثير من مشاكلنا المزمنة .



كلود سيمون

فن اللوحة المكتوبة

بقلم : ماجده الجندى

سألوا الكاتب الفرنسى كلود سيمون عن أحب الكتّاب إليه فاختار بروست وجويس وفوكنر ، ثم أضاف « كل من يمنحنى الكثير من الرؤية واللمس والاحساس والسمع واعتقد ان اكثر من مسنى كان دستوفسكى ثم تشيكوف ورائعة الان روب جرييه "الغيرة" التى ستعيش لالفى عام على الأقل » .

ولعل هذه الاجابة تقربنا من معنى الأدب عند كلود سيمون . إنه فى المقام الأول "مساحة من الفن" بمعنى البحث والعناية بالشكل "دون تفريغ المحتوى فى نهاية اللعبة" كما قال أحد النقاد عنه .

كلود سيمون

● فنسيج أعماله يسع العالم كله بل الحياة بدءا من الطبيعة والانسان وحتى الثورة والحرب .. ويستعيد للفعل قيمته .. ففى سنة ١٩٥٧ صدرت له "الريح" عن دار مينوى وبرز فى حربه ضد الموت والنسيان غازلا من ذكرياته وحياته صورة لحياة الانسان فى معنى أوسع ..

أراد كلود سيمون فى البداية أن يصبح رساما "ثم مصورا" ثم أحس بذاته فى فعل الكتابة ولذلك كانت العين أداته الرئيسية فى حفر المضمون الذى يكاد يرتبه ترتيبا مرئيا .. فالعالم كما يقدم سلسلة من اللوحات التى تشم وتحس وتستشعر الدفء أو البرودة وتسمع الصوت و"الحركة" . وصف الحركة يحتل بؤرة اهتمامه .. فى "طريق الفلاندر" قدم تجربته الشخصية ، فى الأسر أثناء الحرب وقال "لقد أردت إسماع صوت المدافع" وفى روايته "القصر"

عاش المتلقى تجربة كلود سيمون فى الحرب الأسبانية ومنح عنها جائزة ميديسيس سنة ١٩٦٧ فى "الأجسام الموصلة" و"معركة فرسال" تعيش مدينتان : نيويورك واليونان فى "الجورجيك" أو الزراعيون "يستعيد الحكاية فى كل الاحوال هو كلود سيمون الذى يقدم اللوحة المكتوبة بمفردات تكتسب أو يكسبها دلالات لغوية يمنحها الى حد القول أنه يقوم بنوع من الحفر اللغوى ليطوع الحرف فى حدقة الاحساس باللون والصوت واللمس والحركة ، لتكون الكلمة "مشعة" قادرة على توصيل "الحياة" .

● طريقتان في الكتابة

وصفوا يوما طريقة كلود سيمون فى الكتابة بالقول انه يكتب كما يتكلم .. دون فواصل ولا علامات ترقيم متجها مباشرة نحو هدفه .. وهدفه دوما ليس تقديم فكرة أو معنى محددا "من خلال عمل ادبى ولكن توصيل "رؤية" وهكذا يحدث التماس بين ابداعه المكتوب وبين اللوحة التشكيلية .. بعد عمله الشهير "طريق الفلاندر" سألوه كيف وصلت الى هذا التكثيف فى الرؤية والبشر ولم يجد سوى القول : انه كما أن على الرسم ان يقدم فى بعدين عالما من ثلاثة ابعاد كذلك الأمر فى الأدب كيف تضمن بعدا فى اخر وتغزل زمنا فى آخر .. لتكون الديمومة !

فى قفزة واحدة تخترق اللوحة مخيلة "كلود سيمون" ومنها تولد فكرة العمل الروائى الذى قد يستغرق سنوات فى بناء تفصيلاته لكنه لابد وأن يولد كمشهد مرة واحدة "كومضة" يقول كل شىء يقفز فى وجهى مرة واحدة فالاحساس يأتى بأسرع مما يأتى الفكر .. فى طريق الفلاندر اشتغلت عاما دون أن ادرك كيف سيتم البناء ثم استخدمت اقلام الالوان وجعلت لكل شخصية لونا أو لكل "تيمة" لونا وهكذا شيدت اللوحة ولنتأمل اللوحة التى تعكس امتزاج فن الحرف بفن الرسم وتلك معادلة "كلود سيمون" ، والذى يقول "إن احساسه هو ما يقوده .. فالشعور وحده له الريادة فى قلمه" .

يقول "فى الكتابة كما فى الحياة هناك



- نجيب محفوظ وكلودسيمون : جائزة واحدة .. واتجاهان مختلفان

اشياء تنسى" ولعل هذا هو السبب فى أن القارىء قد يحس بفجوات فى بعض سطور أعماله وعن ذلك يقول كلود سيمون هناك لحظات لا نحس فيها بشىء وأنا لا افتعل ملأها ..

سألوه يوما : الا تضع فى حسابك حجم المعاناة التى يلقاها قارىء يجد فراغات او فجوات فى عمل روائى فأجاب : لو ان "فان جوخ" أو "بيكاسو" قد فكرا فى رجل الشارع وفى العناء الذى يلاقيه فى تأمل اعمالهما ما قدما شيئا لذلك لا يستخدم اية علامات ترقيمية او فواصل أو نقاط ..

● مفهومه للرواية

عندما سألوه عن مفهومه للرواية اعتبر السؤال فى حد ذاته "شيئا رائعا" وان كان فضفاضا "بعض الشىء" وبدأ اجابته بالقول بأن نفس السؤال تقريبا قد وجه لـ "موباسان" سنة ١٨٨٧ الذى قال إن النقد بعد اعمال بول وفرجينيا - الأب جوريو - الأحمر والأسود - نوتردام دى بارى - مدام بوفارى .. هذا النقد الذى مازال حائرا فى ان يصف عملا بأنه رواية واخر بأنه غير ذلك - هذا النقد يبدو لى قاصر النظر" .

ثم أضاف "كلود سيمون" إننا لو الحقنا بالاعمال السابقة : "عوليس" و"الأخوة كرامازوف" و"الرحلة فى نهاية الليل" فاننا سنجد "مروحة اكثر انفراجا" أو اكثر تشعبا ولكن على اية حال بامكاننا أن نجد "تعريفا" مشتركا او ذا قاسم مشترك للرواية يكون كالاتى "شخصيات متخيلة مقادة داخل حركة متخيلة" وهنا تبدأ المشكلة أو المشاكل ، لأننا لو فكرنا فى الامر فسنجد أن الرواية على الأقل فى فرنسا والتى تستمر بتقاليد الحكاية الشعبية للعصور الوسطى وفلسفة القرن الثامن عشر ، ليس فى مجموعها سوى معالجة للحكمة او الأمثال بمعنى أنه بواسطة حكاية مختلفة من المتخيل يضع على الساحة شخصيات رمزية (انسان بدلا من الذئب او الحمل او الأسد أو الحمار) ليبرز الكاتب مقولة أو نظرية أو معنى متصورا "سلفا" .

فالرواية فى فرنسا تريد ان تكون - قبل

كلود سيمون

اى شىء ـ تعليمية أو مفيدة وهكذا نجد بلزاك فى مقدمة مهداة الى Cesar) Birotteau سيزار بيروتو انه يأمل ان يحوى نشر هذه الرواية ارشادا اجتماعيا ويستمر الكاتب "كلود سيمون" فى طرح وجهة نظره عن معنى الرواية بقوله انه على عكس ما يعتقد صديقه "الان روب جرييه" فى ان هذا النوع من الرواية "ولنقل الرواية التقليدية" لا يدين بشكل الـى الكـائنـات أو الشخصيـات "الـلاجتماعيـة" فقد قـدم "صـاد" البرهان . وهو المدافع عن هذا العيب ـ فالرواية بالنسبة له مكان للتعليم ولتسليم رسالة .

والمشكلة بكل معنى الكلمة كما يرى "كلود سيمون" تكمن فى اننا لا نستطيع ان نمنح اعتمادا ايا كان لقيمة تعليمية او ارشادية فى عمل مختلق أو متخيل من كاتب قد يرى لأسباب خاصة بخياله أن يحدث تغيرات فجائية فى عمله أو فى خاتمته أو عقدته والمشكلة الاكبر ان التقاليد الفرنسية جعلت الشخصيات (تحافظ على المعنى) على مدى العمل كاملا الى حد الكاريكاتير او الى حد المبالغة بينما نرى الشخصيات لدى دستوفسكى على سبيل المثال هى فى آن واحد قد تكون الضحية والجلاد معا .. الابله والذكى او الدنىء والكريم . ولكن لنرى شخصية مثل "اربا جون" فى بخيل موليير ـ والملاحظة هنا يسوقها "كلود سيمون" على لسان "سترندبرج" Strindberg ـ يقول : اعرف ان اربا جون شخصية كوميدية فى المقام الأول ولكن كل الرواية التقليدية الفرنسية مبنية على هذا النموذج : الكوميديا الانسانية ـ ارباجون الذى من الممكن ان يكون قاضيا جيدا أو فنانا كبيرا أو حتى طبيبا جيدا نجد ارباجون مجرد "بخيل" فما يهم فى هذا النوع من الرواية "الرمز" وهنا يستحضر كلود سيمون من "طاعون" البير كامى محاولات الكاتب والتى بلغت عشرين ليصل الى وصف "فارس" !

حصان طروادة

أما ظاهرة "حصان طروادة" التى أطلقها "كلود سيمون" على ظاهرة الوصف فى الرواية التقليدية الفرنسية ، فنجد تفسيرها هنا حين يقول انه فى القرن التاسع عشر لاحظ ما اسماه بـ "حصان طروادة فى الوصف" والذى حمل الموت الى الرواية التقليدية فى فرنسا كيف ؟ يقول كلود سيمون انه حتى هذا التاريخ لم يكن الوصف موجودا سواء عند فولتير أو صاد أو حتى روسو عاشق الطبيعة عمليا لم تحو أعمال هؤلاء الوصف الروائى بالمعنى المفهوم كل ما تقابله لدى هؤلاء نوعا من الاكليشيهات الثابتة "كنساء جميلات لهن بشرة وردية" والعجائز دائما قبيحات هكذا ، حتى جاء بلزاك والذى تكمن عبقريته فى انه منح مصداقية وحقيقة للوصف ثم "فلوبير" الذى منح الوصف اهمية توازى اهمية الحركة (فحين تقرأ سيناريو ـ مدام بوفارى على سبيل المثال تدرك ما منحه من اهتمام لتحس رائحة المكواة الساخنة لدى حلاق النساء) بلزاك ادخل الوصف الى الرواية وكان بمثابة حصان طروادة



كلود سيمون

الذى هدم الحدوتة .

اننى انصت عبر كلمة "وصف" لمعنى وصف المكان والاشياء وايضا وصف الحركة والأفعال ..

● ما بين الذاتية والخيال

اما كيف امتزج خيال "كلود سيمون" بمسيرته الذاتية أو كيف تداخلت شخوصه بحياته فعن ذلك يقول : حين بدأت أو شعرت برغبة الكتابة تصورت أن علىّ أن أخلط بهذه الرغبة حكاية لها معنى أو دلالة بطريقة أو بأخرى وبالمعنى "السارترى" لم يكن لدى شيء اقوله ولم يكن لدى ابدا ! .. أنا الان عجوز .. وككثيرين غيرى عشت أوروبا القديمة بعنفوانها ، كنت شاهدا ، على الثورة ، عايشت الحرب فى أوضاعها المميتة .. أسرت .. عرفت الجوع حتى الموت .. وتذوقت شقاء العمل البدنى حتى الذروة .. مررت بتجربة المرض الذى يصرع وكنت مرات عديدة على شفا الموت سواء الموت الطبيعى أو الموت صريعا .. عرفت عن قرب اناسا عديدين شديدى التنوع قديسين وشياطين .. أغنياء وفقراء وقاسمت اللقمة مع صعاليك .. والتقيت بموهوبين وبلهاء ، ثم دخلت تلك أو مارست المغامرة الكبرى ، وهى عملية الكتابة أو محاولة الكتابة ، وخجلى الأكبر وأنا فى هذه السن المتقدمة هى أننى بعد لم أكتشف معنى

« اشارة »

ولد فى ١٠ اكتوبر ١٩١٣ وتلقى دراسته الثانوية فى باريس ١٩٢٤ ، لم يلتحق بالجامعة وإن كان قد تلقى دروسا فى الانجليزية بكسفورد وكمبردج ودرس التصوير على يد اندريه لوط .

فى ١٩٣٢ قام بعدة رحلات إلى انحاء اوربا والتحق بالجيش فى ١٩٣٤ و ١٩٣٥ . واستأنف السفر إلى اسبانيا والمانيا وروسيا وايطاليا واليونان فيما بين ٣٦ و ١٩٣٩ .

بدا كتابة اول رواياته « الغشاش » سنة ١٩٣٨ وشارك فى الحرب العالمية ١٩٣٩ واسر فى مايو ١٩٤٠ لكنه فر فى نوفمبر من نفس العام .

استكمل عمله الروائى « الغشاش » بين ٤٣ و ١٩٤٥ يعتبر عام ١٩٦٣ ـ سنة ظهور عمله المسرحى ـ الانفصال ـ تاريخا لبدء امتزاج حياته بكتاباته .

حصل سنة ١٩٦٧ على جائزة « ميديسيز » ، ثم جائزة نوبل ١٩٨٥ .

كلود سيمون

لكل هذا . وان لم يكن المعنى هو ما قاله Barthes "برث" "لو أن العالم يعنى شيئا فهو انه لا يعنى شيئا" سوى كما هو !

لا أعرف ان كان للحياة وللمكان والألم معنى .. كل شيء يبدو لى فى أن واحد رائعا و"شنيعا" .. طيبا وشريرا ، إيجابيا وسلبيا ، وبالتالى ليس لدى المقدرة على توجيه "رسالة" ما !

فى رواية "الرياح" والتى اضطررت فيها ان احذو حذو ـ فلوبير واحكى حكايته ـ ولهذا ـ الخطأ .. خطأ ان يكون لديك شيء خاص لتقوله ـ ربما صنعت عملا جادا كما قال كثير من النقاد اعادة صياغة لابله دستوفسكى .

بعد ذلك جاءت اعمالى "اتوبيو جرافيه" فالعشب هى ذكرى احتضار عمة عجوز و"طريق الفلاندر" هى الحرب كما عشتها و"القصر" هى ذكريات ما عشته فى برشلونة اما "الجورجيك" او الزراعيون .. فكل خيال مستبعد منها تماما .

وعما اذا كانت اعمال كلود سيمون تسير باتجاه التعبير عن واقع معاش يقول سيمون "لا" واضحة "نحن لا نكتب ابدا شيئا سبق انتاجه أو ممارسته من قبل لكنا نكتب ما يحدث لحظة فعل الكتابة ذاتها أو بالاحرى ما تحسه لحظة فعل الكتابة ، فلابد أن نضع فى الاعتبار ادراكنا الحسى وذاكرتنا وديناميكية الكتابة والتى تشكل القصد الأول .. والتى تستبعد الطموح للواقع .. وفى النهاية كما (فلوبير وتولستوى) نحن لا نقبض على الواقع الا بطريقة مجزأة !

● الكتابة مثابرة

"اننى أدرك الثمن الذى تكلفت اياه كتبى" عبارة فقيرة مضخمة للغاية ، لكنها تفضح عما يكابده كاتب حقيقى فى مواجهة فعل الكتابة حين يوازى فعل الحياة .. يقول كلود سيمون عن كيفية عمله "اننى اعمل بكثير من الألم .. كعامل .. أو كفنان يمتهن العمل اليدوى .. بالمداومة يوميا على الجلوس أمام المكتب فى نفس الساعة أواجه الورق ولا أغادره حتى ولو لم أجد شيئا اقوله !" .

ومما يذكر فى هذا السياق أن روايته "طريق الفلاندر" أعقبها عدة لقاءات كانت محاولة لشرح كيفية غزل هذا العمل الدقيق ، كيف عمل فيه وبأى الطرق .. وهو يرى أن أى كلام فى هذا لا يوازى معاناة كاتب . فحين يقول ناقد عن عمل "انه كتب بمثابرة" يضحك سيمون فانه يستشعر نوعا من التعالى من قبل الناقد للعمل "الم ير هؤلاء النقاد عشرات المسودات المصححة لبروست أو بلزاك" .

ان عبارة الناقد المختزلة فى مواجهة عمل مغزول بالألم والضنى "كما يقول سيمون هى شيء مضحك .

فالفنان لا يتلقى وحيا من الملائكة وهو ذلك الكاتب ذو الشعر المغسول الجالس فى انتظار تلقى رسالة ما .. انه الناحت بالاظافر فى مداومة لا تكل ولا تعترف بالملل .. انه كائن لا يعرف سوى الكتابة وقد تكون العبارة الأخيرة جزءا من اجابة كلود سيمون عن سؤال يضحك له فى كل مرة يوجه اليه وهو سؤال لماذا تكتب .. ؟ انه جزء من طراز من الأسئلة الصحفية التى يراها سيمون مسلية أو مضحكة فعندما نسأل كاتبا "لماذا تكتب" فان هذه ال "لماذا" تعترض أو تحمل فى طياتها افتراضا بتلقى اجابة عقلية تحوى اسبابا مع ان الابداع والفن ضمنا فعلا يجافى ذلك .. ان له منطقه الخاص الذى ليس هو منطق العقل أو حكمته .



كلود سيمون مع مجموعة من رفاقه

يقول سيمون بالتحديد "لا أتصور اننا نتخذ قرارا بأن نكتب أو بأن "نكرس انفسنا للكتابة" فقد يصلح هذا للمهندس الذى يقرر أن يشيد سدا".

فى شبابنا نجرب .. نحاول .. "نجس التربة" فى مجالات متعددة أو اتجاهات متعددة .. وانا جربت الرسم والكتابة والثورة (مثلى .. مثل الجميع) واكتشفت ان "الأمر يسير فى الكتابة" أو هكذا تصورت ..

وحين يثيرون قلقى بسؤال ـ كما يحدث عدة ـ مثل ماذا أردت أن تقول "فاننى اجبت مثل فاليرى" .. "اننى لم أرد ان اقول بالكتابة انما اردت ان افعل" ان مارلو بونتى كان محقا تماما فى تعبيره "ان الفرق بين من يتكلم ومن يكتب هو ان من يتكلم لديه أراؤه وحججه النظرية اما من يكتب فانه يحس ويعيش فى الكتابة" .

وهكذا وفى نفس الاتجاه سار نوفالى ويردست قبل ان تسقط فوق رأسنا "الواقعية" !

• مقتطفات عن عبد الرحمن الرافعي •

● زملاء الرافعي الذين حازوا على شهادة ليسانس الحقوق في يونيو سنة ١٩٠٨ هم :

احمد ماهر "باشا" وكان رئيسا لوزراء مصر . عبد الحميد بدوى "باشا" واختير قاضيا في محكمة العدل الدولية "لاهاى" . حسن نشات باشا رئيس الديوان الملكي . عبد الملك حمزة بك . منصور اسماعيل باشا . كامل الوكيل باشا . محمد نجيب الغرابلى باشا . وكان اول الليسانس عبد الحميد بدوى وكان ترتيب الرافعي الثاني والعشرين ...

اول مرة تقابل مع مصطفى كامل في سنة ١٩٠٦ في مقر جريدة اللواء بشارع الدواوين سابقا نوبار باشا الآن وكان مصطفى كامل رئيس تحرير جريدة اللواء . وكانت تصدر عن الحزب الوطنى الذى كان زعيمه ورئيسه ..

ازداد حب الرافعي للحزب الوطنى وعشقه لمصطفى كامل عندما وقعت حادثة دنشواى في ١٩٠٦/٦/١٣ وحارب مصطفى كامل الاحتلال البريطاني في شخص "كرومر المندوب السامى" للحكومة البريطانية .. في مصر وكانت مقالات مصطفى كامل النارية التي يكتبها من باريس سببا في نقل كرومر من مصر ..

الف الرافعي كتابا سنة ١٩٣٩ عن مصطفى كامل ونشرته سلسلة الهلال في فبراير الماضي .

اول مقال صحفي كتبه المغفور له عبد الرحمن الرافعي في جريدة اللواء بعنوان "تبدد الشعور الوطني وتجمعه" ووقعه بإمضاء حقوقى ..

من اعمال الرافعي ايام كان عضوا في مجلس الشيوخ تقديم مشروع قانون "منع تملك الاجانب للاراضى الزراعية والاراضى البور والصحراوية والعقارات المبنية والاراضى الفضاء سواء على الافراد والشركات الاجنبية وبأثر رجعى" وللاسف الشديد عارض هذا المشروع الحكومة ومن يؤيدها من اعضاء المجلس .

واهم ما كتبه الرافعي في كتابه "ثورة ١٩١٩" مباركة سعد زغلول باشا زعيم الامة في ذلك الوقت لعدوه اللدود عدلي يكن باشا عندما الف الوزارة وسميت بوزارة "الثقة" . وفى ١٢ يناير سنة ١٩٢٤ رشح الرافعي نفسه عن الحزب الوطنى لانتخابات البرلمان في مدينة المنصورة ورشح الوفد امامه "على عبد الرازق بك" كبير اعيان المنصورة ورغم دخول الوفد بالجمعه المعركة بجانب مرشحه على عبد الرازق وقيامه بالدعاية اللازمة فاز عبد الرحمن الرافعي الحزب الوطنى

على منافسه على عبد الرازق بك الحزب الوفدى بفارق صوت واحد .
كان عبد الرحمن الرافعى طيلة حياته البرلمانية على مدى اربعة عشر عاما . يعتبر المعارضة بابا من ابواب الكفاح الوطنى .. وهذا الذى وضع للمعارضة البرلمانية قواعدها منذ كان عضوا فى اول مجلس للنواب سنة ١٩٢٤

رشاد جاب الله على
مصر القديمة

• الشيخ كشك وجريمة التحريض •

• نشرتم فى هلال فبراير الماضى دعوة إلى النائب العام لتقديم الشيخ عبد الحميد كشك إلى القضاء بتهمة التحريض على قتل نجيب محفوظ فى الكتاب الذى أصدره الشيخ كشك أخيراً عن رواية "أولاد حارتنا" .... وقد كان من الأفضل مناقشة الشيخ كشك ومحاورته بدلاً من الدعوة إلى محاكمته ..

عبد السميع رجب راضى
أسيوط

• تعليق الهلال :

ـ الشيخ كشك أدار كتابه كله حول الاتهام بالردة ، أى التحريض على القتل ، بلا إحساس منه بالمسئولية ، وكأنه لا رقيب على أعماله وأقواله ولا حسيب ، وهذه جريمة كبيرة تقع تحت طائلة القانون ، ولا صلة لها بالفكر من قريب ولا من بعيد ...... ولم يقدم الشيخ كشك فى تخابطه المسهب فى كتابه أية فكرة تصلح لحوار أو مناقشة ، فهو مندفع بلا بصيرة ولا فهم للتحريض فقط ، والفكرة الوحيدة التى تسلطت عليه كالوسواس القهرى هى التحريض ، وليس لعلاج مثل هذه الحالة إلا الوقوف فى القفص أمام العدالة لتقول كلمتها .....

• الفيلم الوهمى لأولاد حارتنا •

• ساءنى ما طالعته اليوم على صفحات مجلتكم ـ والتى كم كنت أود عرض مقالى بها ـ دونما أى تجريح لى ـ ولمؤهلى الدراسى ـ ودراساتى الراقية فى مجال مجيد وأفكار إسلامية بحتة ـ بحثا عن المزيد لاضافته

أنت والهلال

لثقافتنا الاسلامية التى ستسود العالم يوما ما . فتقضى على كل الأفكار التقدمية المستهجنة والممقوتة والملحدة .

لقد بدأت المجلة تعليقها بالتركيز على اصطلاحات جوفاء لاتجدى . الا وهى تعريب كلمة دكتوراه وملجيستير الخ . وأما بخصوص هذا التعريب . أو الفرنجه لمعنى كلمة دكتوراه فهى ليست محور حديثنا . لكن المقصود من ردى هذا أن أوضح وجهة نظرى الحقيقية .

إن حديثى لم اكن أقصد به الكاتب نجيب محفوظ ولاغيره . ولكن مايهمنى كانت الكتابة نفسها سواء أكان الكاتب محفوظ أو غيره . إن الكتابة نفسها تؤرخ للعصر . وواجب على الكاتب أن يكتب فى حيز محدد لايحيد عنه . ولا يتعداه الى امتدادات أخرى خارجة عن حدود مجتمعنا .

لقد رأيت بعين راسى رواية (أولاد حارتنا) وهى للكاتب نجيب محفوظ وآه ياسيدى لو شاهدت هذه الرواية . وعايشت الكم الكبير الذى جاء فيها من الحديث الخبيث والمناظر الخليعة والرقصات الماجنة . والعرى . والخمر . الخ هذه الموبقات التى نهى الله عنها ورسوله . إنها دعوى للدعارة بصريح العبارة وامتهان لحرية الأديان . وإفساد لعقول الشباب . وأود أن أسألكم سؤالا واحدا هو :

– هل إستخدم العقاد مثل هذه الأساليب فى رواياته . وكتاباته ؟ والاجابة واضحة جلية : ـ كتب العقاد رواياته بعيدا عن الاسفاف . والرذيلة . حتى حب العقاد لسارة كان عفيفا بريئا بعيدا عن مثل هذه التفاهات كتب العقاد عبقرياته العديدة . عبقرية محمد وخالد وعمر والصديق . يومها لم تستطع الأقلام الموجودة إلا أن تثنى عليه وتشكره . رغم أنه كان غير محتاج لأقلامهم للشهرة . فهو معروف عنه كتاباته المتألقة والتى تسود العالم الاسلامى كله .

أليس هنالك فرق بين العقاد وبين صاحب نوبل ؟

كان هذا مثلا واحدا للمقارنة السريعة بين محفوظ الرامز إلى ..... وبين العقاد صاحب العبقريات . وليس إنحيازى للعقاد لأنه من صعيد مصر . لا . بل من منطلق دراسة مستفيضة لكتاباته ورواياته التى تملأ مكتبتى بجوار المجلدات الفقهية والتراثية الاسلامية . علاوة على الدراسات المختلفة والتى كلها فى إطار إسلامى بحت .

أيها الاخ الكريم ـ رحمة بنا وبالمسلمين من هذا التميز للكاتب الشهير . أم أن الدنيا إنتهت إلا من وجود مثل هذه الأقلام المستوردة . وأرجوكم مراجعة موقفكم من هذه النظرة المتحيزة . والله يوفقنا جميعا لما فيه خير الاسلام والمسلمين .

الدكتور عماد الدين ناصر حسن

● تعليق الهلال :

ـ يؤسفنا أيها الدكتور عماد الدين أن تخبط هكذا خبط عشواء فتحصب بكلماتك التي تفتقر إلى الرصانة ـ حتى بمعناها اللغوى البسيط ـ كاتبا عظيما تفخر به أمتنا ، ولاتستطيع أنت ومن تنسج على منوالهم أن تفهموا عظمته ..

إن سذاجتك يادكتور عماد قد حشدت في رأسك مجموعة ألفاظ جوفاء عن الأفكار المستوردة والملحدة والاسلامية ، وعن الرذيلة والفضيلة ، وعن أشياء كثيرة أخرى جمعتها في رسالتك هذه بلا رابط بينها من فهم أو علم .. ثم ذهبت في الدعوى الباطلة إلى الزعم بأنك شاهدت بعيني رأسك رواية أولاد حارتنا ومناظرها الخليعة ورقصها الماجن وعريها وخمرها .. فأين رأيت هذه الرواية أيها الواهم الذى يتخيل مالا وجود له ؟! .. أعلى المسرح رأيتها أم في السينما أم في التليفزيون ؟! ..

إن أولاد حارتنا لم تصور في السينما ولا في التليفزيون ولا المسرح فأين رأيت مناظرها التى تتحدث عنها ؟! .. أهو التشهير بالكاتب العظيم ؟! ..

أما قولك عن العقاد وسارة فيدل على أنك لاتعرف ماتقرأ ولا تعلم عن العقاد وسارة شيئا .. وقد نشرنا لك مقارنتك بين نجيب محفوظ والعقاد ، لأنها برهان عجزك عن فهم الكاتبين الكبيرين معا ، ومع ذلك تتصدى للحكم عليهما بسذاجة منقطعة النظير .

وأنت تسأل : هل استخدم العقاد مثل أساليب نجيب محفوظ في « رواياته » ؟! .. فاعلم أيها الدكتور أن العقاد له رواية واحدة هى رواية سارة التى تزعم أنك قرأتها وفهمتها ، وليس له « روايات » كما تتصور ، وكما تصورت أنك شاهدت فيلم « أولاد حارتنا » الذى لاوجود له .

● ملاحظة لغوية ●

● أود أن أشير إلى ملاحظة لغوية وردت في بداية « الكلمة الأخيرة » التي نشرت في آخر عدد نوفمبر ٨٩ ، للأستاذ حسين أحمد أمين .

فقد ورد قوله : « حديث الكافة في مصر ... الخ » واستخدام « كافة » على هذا النحو (مضافة ومقترنة بأل) غير صحيح والدليل :

أنت والهلال

١ - ورد في القاموس المحيط مايلى : « وجاء الناس كافة اى كلهم ، ولايقال « جاءت الكافة » لانه لايدخلها أل ، ولاتضاف »

٢ - وورد في المعجم الوسيط مايلى :

(« كافة » يقال : جاء الناس كافة : جميعا وفي التنزيل العزيز : وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة ») (جزء ٢ ص ٧٩٢ . الطبعة الثانية)

محمد محمد القاضي

● من جعبة الليل ●



ليل .. قمر اخضر
ومدى تشجيه صبابات العشاق فيسهر
وبيادر شوق تتماوج .. تهدر
وجه يمرح .. يسكب نشوة صحوه
سرا فوق تجاعيده
يتودد لعيون لاترحم

يوسف عبدالعزيز على
كلية الآداب بقنا

● حبيبتى ●



اقول ياحبيبتى : حبيبتى
اقولها ....
لان حبك العظيم حاكم قد استبد
اقولها ....
لانني سئمت ان اسأل نفسي دائما :
إلى متى تعيش كالنمل الذى ...
يسير بيننا ولا ......
يسمع خطوه احد ؟

عبد العزيز الشراكى - المنصورة

● ديوان الفنان عبد الوارث عسر ●

● لم اكن اعرف أن الممثل الكبير المرحوم عبد الوارث عسر كان شاعرا كبيرا حتى قرأت كتاب "شعراء وبواوين" للباحث الشاعر

الأستاذ أحمد مصطفى حافظ الذى تحدث فيه عن ثلاثين شاعراً واستشهد بنماذج من أشعارهم ، ولعل أشعار المرحوم عبد الوارث عسر الذى لم يشتهر طوال حياته بالشعر ، هى أجود ما قرأت فى هذا الكتاب من الأشعار .. ونرجو أن يتبنى الدكتور سمير سرحان رئيس هيئة الكتاب نشر ديوان عبد الوارث عسر تقديرا لذكرى هذا الفنان القدير الذى أبى تواضعه أن يظهر هذا الجانب الهام من مواهبه المتعددة فى حياته .

ثروت محمد يوسف
شارع السيدة نفيسة بالخليفة ـ القاهرة

• ثم افترقنا •

كنا وكان الهوى فردوسنا الباقى
مشتاقة ترتمى فى صدر مشتاق
الحب فى دمنا والسعد فى يدنا
والحلم يسكن فى طيات أحداق
نذوّب الوصل عطرا ثم نرشفه
سحرا تغلغل فى أعماق أعماق
الشعر قد صغته عقدا لفاتنة
من نبض قلب رقيق الحس خفاق
والأفق أودعته فى خاطرى أملا
ما كان أرحب آمالى وأشواقى
ثم افترقنا وقد دار الزمان بنا
والدمع يصبغ بالأحزان أحداقى
لو كان يرجع إلفا وجد ذى وله
لكان أرجعه وجدى وإشفاقى
لكم تعذبنى ذكرى مفارقة
فقدت فى فقدها أنسى وإشراقى
بالأمس كانت حياة فى مباهجها
واليوم صارت سطورا فوق أوراق
وكنت أحسد نفسى فى سعادتها
ثم انتهت الى هم وإطراق

خليل فواز

أنت والهلال

● الشعر والوزن ●

● ما سبب عدم نشر قصيدتى التى أرسلتها إليكم من قبل ، ولماذا تنشرون أحيانا قصائد كثيرة لشاعر واحد وتتجاهلون الآخرين ، أو تكتفون بنشر أسمائهم مسبوقة بعبارة : ونرحب دائماً بنفسات الأقلام السادة ؟ .... وما هى القنوات التى تؤدى إلى النشر ، هل هى فنية أو شخصية ؟ ... كوسة يعنى ؟

إليكم أبيات قصيدتى التى أتمنى ألا يكون مصيرها قاع سلة المهملات وعنوانها "شاعر فيلسوف" :

راسخ صامت ينظر بعين ثاقب
يخترق الحجب المحجب .....
خضما تحسبه صافيا هادئا
لكنه بجوفه بركان هائج مزبد
يحدق ويقرأ ويتأمل ...
ورأيه هو حد السيف القاطع

عاطف نجم محمد على
طالب بكلية اللغات بجامعة القاهرة

● تعليق الهلال :

١ ـ كلمة "نفثات" التى ذكرتموها نقلاً عنا ، تكتب بالثاء لا بالسين ...
٢ ـ الكوسة هى فى تصورك فقط ، والطريق إلى النشر هى جودة العمل الأدبى شعرا كان أو نثرا ... وأنت لم تبلغ بعد حتى معرفة الوزن فى الشعر .... مجرد الوزن ، وقد اكتفينا من قصيدتك الطويلة بهذه الأسطر التى هى نثر بحت لا وزن فيه ، وكذلك بقية هذه القصيدة التى لا تعثر فيها على تفعيلة واحدة موزونة .....
٣ ـ ليس عندنا شىء اسمه قنوات وكل الذين ننشر لهم فى هذا الباب لا نعرفهم شخصيا ، ونتلقى رسائلهم بالبريد ، وتستطيع أن تتصل بهم وتسألهم بنفسك ! .

● مع أصدقائنا ●

● مها الكوراى ـ مستشفى حمد العلم ـ قطر :

ـ نرجو أن نكون قد نقلنا الاسم صحيحا لأن الخط غير واضح .. وأما الاشتراك فى روايات الهلال فتجدين تفصيلاته فى الغلاف الداخلى للمجلة أو

فى صفحتها الأولى ـ ونقصد طبعا مجلة روايات الهلال ، وتستطيعين أن تكتبي مباشرة الى قسم الاشتراكات بدار الهلال كما هو مبين بالمجلة ..

● فرحان مشحن غضيان البلوى ـ تبوك ـ السعودية :

ـ نرجو أن يكون الاسم صحيحا لأن الخط غير واضح .. ولاتوجد مجلدات للهلال معروضة للبيع ، وإذا طالعت غلاف مجلة الهلال عرفت أنها تصدر منذ ٩٨ عاما ، وهى أقدم مجلة فى العالم العربى كله .

● محمد محمد البقاش ـ طنجة ـ المغرب :

ـ نرجو أن يكون الاسم صحيحا .. وأما قصائدكم فينقصها الوزن .

● مظهر العيسوى ـ سوهاج :

ـ نحن ننشر الشعر الفصيح فقط ، أما الشعر العامى أو الزجل فتستطيع أن تنشره فى مجلات وصحف أخرى غير قليلة ، ونتمنى لك حظا طيبا .

● سحر محمد فتح الله ـ محاسبة بشركة النصر للفوسفات ـ القاهرة :

ـ نشكرك كثيرا ونرجو لك التوفيق ، وأما القصيدة التى أرسلتها فهى نثر بحت ، لا وزن فيها ، ولكن رائحة الشاعرية تفوح من سطورها النثرية ! ..

● ونشكر نجزل الشكر أصدقاءنا الأساتذة : رفعت عبد الوهاب المرصفى .. محمد محمد سعد جاويش .. صفاء عجلان .. صلاح عبد الستار محمد الشهاوى .. وائل محمد جاويش .. يوسف عبد الحميد النورى .. محمد أمين عيسوى .. عبد الصبور الصادق .. وجيه عشم مترى .. رمضان عبد اللطيف حامد .. محمد أحمد الشربتلى .. أحمد رجب شلتوت .. ابراهيم سمير البسطانى .. خالد السيد على .. عاصم فريد البرقوقى .. عبد المرضى عبد المقصود السيد .. أبو بكر محمد محمد حسانين .. عبد الجواد محمد الخضرى .. محمودعبد المجيد أحمد .. سلمى على النمرسى .. فهمى عبد الجواد الزيات ..

الكلمة الأخيرة

العلم والثقافة

اكثر من تعرض للفرق بين العلم والثقافة كان الكاتب الإيرلندى المعروف "برنارد شو" وله تعريف طريف للمثقف يقول إنه "الذى يعرف شيئا ما ، عن كل شىء ، وكل شىء عن شىء ما" فقد ضاق ذرعا بمن كانوا فى زمانه يسرفون فى التخصص الدقيق دون اية نظرة الى مكانة هذا التخصص من سائر العلوم والمعارف "فهم يتجهون الى معرفة اكثر فاكثر عن اقل واقل ، إلى ان يعرفوا كل شىء عن لا شىء" كما يقول .

والعلاقة بين العلم والثقافة اليوم تتخذ مساراً هاما لا نكاد نفكر فيه . مع انهما اساس هام فى هذا العصر الذى نسميه عصر الثورة الثالثة "ثورة المعلومات" منها ما يمكن ان يبرمج على الكمبيوتر ، ومنها ما يظل من اختصاص العقل البشرى الذى لو قصدنا الى اختزان المعلومات التى يمكن للعقل البشرى ان يستوعبها فان الكمبيوتر الذى يمكننا من ذلك لابد ان يصل الى حجم الكرة الارضية .

والذى يشغل بالى كثيرا بل يقلقنى ان شيئا من هذا لا يخطر ببال اكثر من يتصدون الى وضع برامج التعليم . كم ذا يتيح البرنامج لابنائنا ان يعرفوا .. وكم ذا يساعدهم على حب الاستطلاع والرغبة فى ان يعرفوا .. وكيف يمكن لهم ان يستخدموا خزائن المعلومات من دوائر معارف الى قواميس بل الى كمبيوتر ..

هذا الجيل الذى سيواجه تغييرات ضخمة فى القرن القادم هل اعددناه علميا وثقافيا لان يبحث عن الطريق ببدايات سليمة ولا اقول حلولا ... لم تعد الثقافة مجرد اطلاع وربما تذوق ممتاز للآداب والفنون ، ولم تعد مجرد معرفة سليمة ووفيرة لمعلومات تتعلق بموضوع ما .. وانما هى اطلاع شامل واسع متشعب . والاهم انه قابل لأن يزداد اتساعا وشمولا وتعمقا .

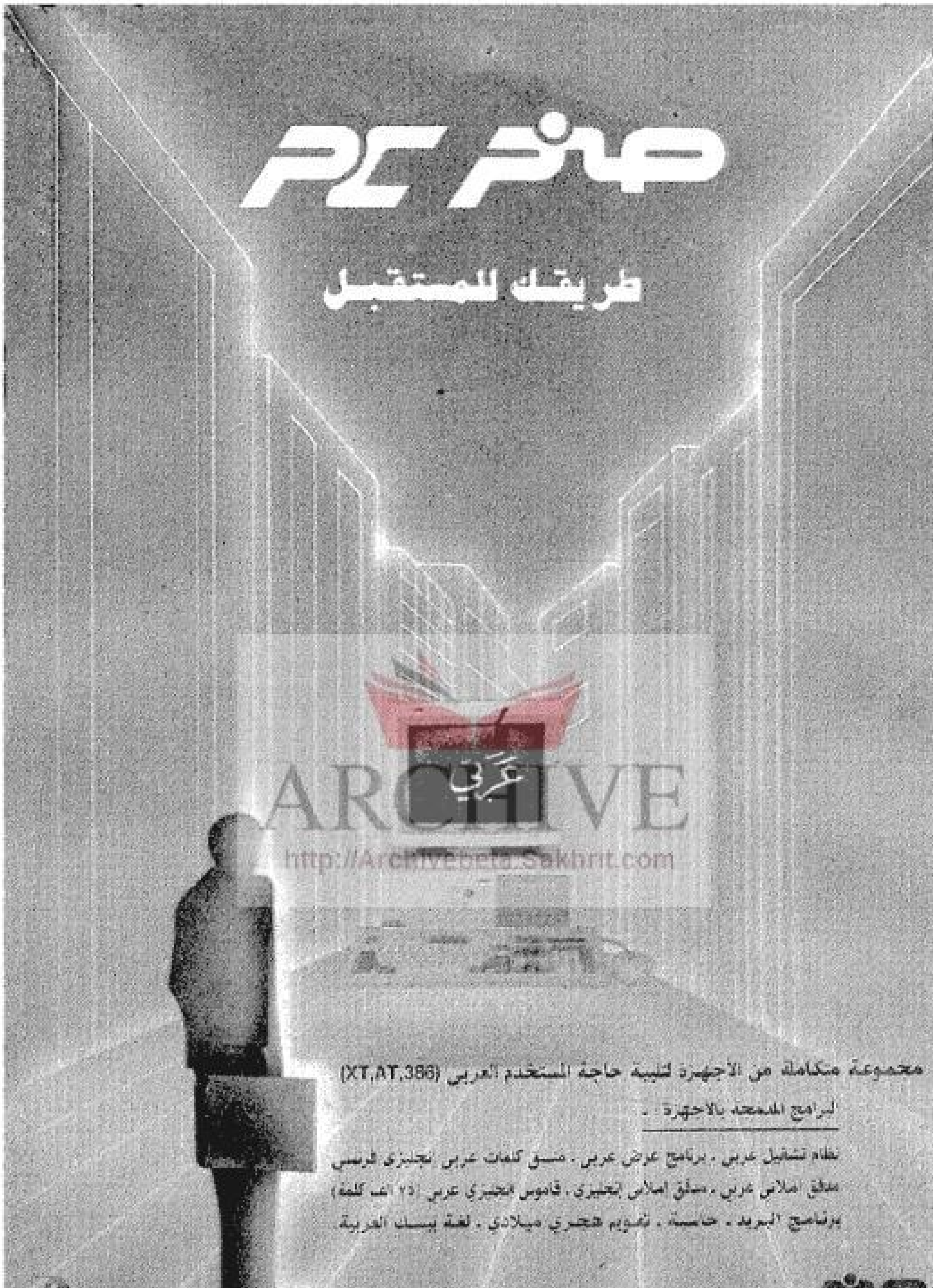
اننا لم نستوعب بعد (للأسف) "ثورة المعلومات" التى احدثت تغييرات جذرية فى كل الميادين منذ بداية تطبيقها الى اليوم .

ان العلم والثقافة لا يمكن ان يتقدم واحد منهما والجناح الاخر مهيض مهمل ... ترى ماذا نحن فاعلون ومتى ، نعم متى ، نبدأ تنفيذ اولى خطوات التحديث المعرفى الحقيقى فى برامج التعليم فى كل مراحله .





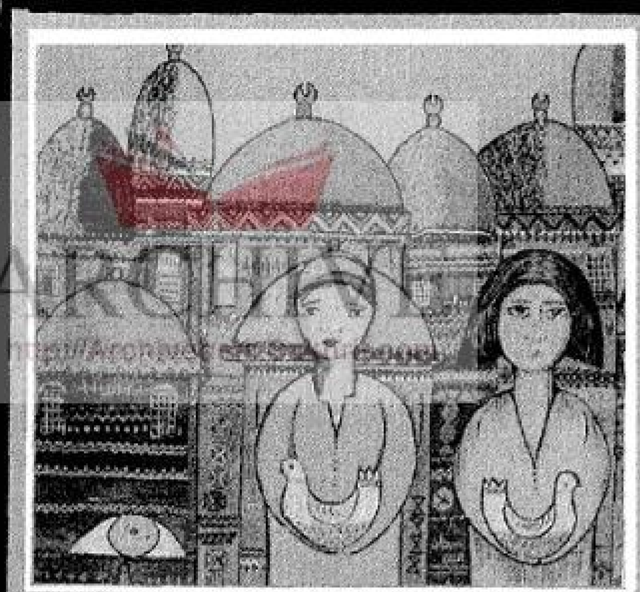

EGYPTAIR
مصر للطيران
مصر للطيران
• خدمة متميزة وكرم ضيافة
• رحلات مباشرة الى البلاد العربية،
ومعظم مدن العالم
مصر للطيران
أهلا بكم معنا


صخر PC
طريقك للمستقبل
مجموعة متكاملة من الأجهزة لتلبية حاجة المستخدم العربي (XT,AT,386)
لبرامج المدمجة بالاجهزة .
نظام تشغيل عربي . برنامج عرض عربي . منسق كلمات عربي انجليزي فرنسي
مدقق املائي عربي . مدقق املائي انجليزي . قاموس انجليزي عربي (٢٥ الف كلمة)
برنامج البريد . حاسبة . تقويم هجري ميلادي . لغة بيسك العربية
صخر
العالمية

الهلال

شهر الصيام

هل هلالك
شهر مبارك



كيف يعود إلى مصر وجهها الجميل ؟!

■ الكمبيوتر "بيتكلم" عربي (جزء خاص)



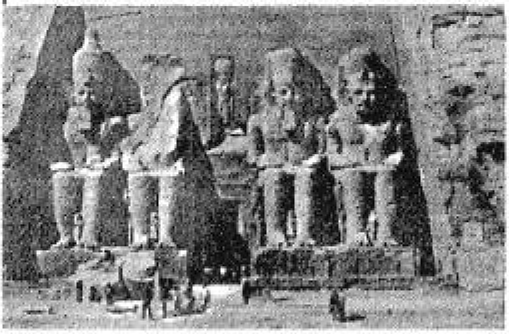


مصر للطيران

- خدمة متميزة وكرم ضيافة
- رحلات مباشرة الى البلاد العربية،
  ومعظم مدن العالم

مصر للطيران

أهلا بكم معنا





تقديم المواهب الجديدة احد أهدافنا الرئيسية ، من اجل تواصل الأجيال ، ومن اجل استمرار شعلة الابداع .

وقد شارك الفنان محمد أبو طالب ضمن لجنة تحكيم أعمال طلبة جامعة عين شمس فى الفنون التشكيلية ، وانبهر بالانتاج الفنى الواعد للطلاب الذين شاركوا فى المعرض ، وابدى سعادة غامرة بالمستوى الجيد الذى لايقل عن إبداع الفنانين المحترفين لسنوات طوال .

ومن بين الاعمال الكثيرة المتميزة اختارت "الهلال" غلاف هذا الشهر لفنان هاو هو الطالب محمد البوهي بكلية التربية جامعة عين شمس ، تشجيعا له ، ولكل الفنانين من أمثاله ، ومن منطلق تشجيع المواهب وحتى يكون هناك جيل من الفنانين المبدعين الذين يسهمون فى الحركة التشكيلية فى وطننا الحبيب .

السنة الثامنة والتسعون • ابريل ١٩٩٠ • رمضان ١٤١٠ هـ

الهلال

مجلة ثقافية شهرية
تصدرها دار الهلال
أسسها جورجي زيدان
عام ١٨٩٢ ميلادية

في هذا العدد

فكر وثقافة

صفحة



الغلاف تصميم الفنان : محمد ابو طالب

قيمة الإشتراك السنوى (١٢ عددا) فى جمهورية مصر العربية تسعة جنيهات وفى بلاد اتحادى البريد العربى والافريقى والباكستان عشرة دولارات أو مايعادلها بالبريد الجوى ، وفى سائر انحاء العالم عشرون دولارا بالبريد الجوى .

والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى ج . م . ع . نقدا أو بحوالة بريدية غير حكومية . وفى الخارج بشيك مصرفى لامر مؤسسة دار الهلال . وتضاف رسوم البريد المسجل على الاسعار موضحة بعاليه عند الطلب .

دار الهلال

١٦ شارع محمد عز العرب الرقم البريدى (١٥١١) القاهرة تليفون ٣٦٢٥٤٥٠ سبعة خطوط - مجلة الهلال ٣٦٢٥٤٨١
رقم التلكس 92703 HILAL U.N

الثمن

لبنان ٧٠٠ ليرة ، الاردن ٦٠٠ فلس ، الكويت ٥٠٠ فلس ، العراق ١٠٠٠ فلس ، السعودية ٧ ريالات ، عدن ١٢٥ سنتا ، البحرين ٨٠٠ فلس ، قطر ٧ ريالات ، الامارات العربية المتحدة ٧ دراهم ، سلطنة عمان ٧٠٠ بيسه ، تونس ١٤٠٠ مليم ، المغرب ١٥ درهما ، غزة ٧٥ سنتا ، انجلترا ١٢٥ بنسا ، ايطاليا ٢٥٠٠ ليرة ، الولايات المتحدة الامريكية ٤٠٠ سنت ، الجمهورية العربية اليمنية ٨ ريالات ، كندا ٥ دولارات .

عزيزي القارئ

شهر رمضان

ودخول العصر الجديد

منذ اكثر من الف واربعمائة سنة ، يصوم المسلمون شهر رمضان .. وقد عاد اليهم هذا الشهر الكريم في عامهم الجديد هذا ، عودته اليهم كل عام ، مبشرا بالبركة والخير ، فهل تتحقق البشرى ، ام ينقضي الشهر الكريم كما اعتاد ان ينقضي طوال العقود الاخيرة ، فيومىء إلينا بتحية الوداع ، ونومىء اليه برد التحية ، ويختفي في الموكب الابدى للشهور والسنين ، ونطوى بساطه بما فيه كانه لم يكن .. ثم نعود الى حياتنا فنُجريها محلولة العقل ، مطلقة العنان ، تذهب بنا او نذهب بها في كل اتجاه ؟ !

ومنذ ايام ـ كالعادة عند قدوم شهر رمضان من رحلته السنوية ـ اختلف المسلمون هنا وهناك في بدايته . اكانت يوم الاربعاء الموافق ٢٨ مارس سنة ١٩٩٠ ، ام انها سبقت يوم الاربعاء باربع وعشرين ساعة فجاءت يوم الثلاثاء ؟ !

اما القائلون بيوم الاربعاء فحجتهم الحسابات الفلكية الدقيقة والاجهزة العلمية الحديثة ..

واما القائلون بيوم الثلاثاء ، فحجتهم ما جاء في الأثر : صوموا لرؤيته ، وافطروا لرؤيته .

ومن الوضوح بمكان ان رؤيته المنصوص عليها في الأثر ، غير مشروطة بعدم استعمال الأجهزة العلمية . ومن البديهي ان صيامنا لا يكون باطلا اذا رأينا هلال رمضان من خلال منظار ..

هذه هي معركة كل عام ! ..

ولكنا نحمد الله تعالى ، فقد كانت هذه المعركة في الماضي تنشب كالنار الحامية ، اما الان ، فان المعركة بين فريق الحسابات الفلكية وفريق العين المجردة ، لا تنشب الا في الخفاء والصمت ومن وراء ستار فلا يشعر بها احد .. ويصوم هؤلاء القوم في هذا البلد ، قبل اولئك القوم في ذلك البلد ، حتى ينقضي شهر الصوم ، فتتكرر في عيد الفطر المبارك المشادة الهادئة الصامتة وراء الستار ، وينهض فريق من المسلمين في احد البلدان مبكرين من نومهم فيؤدون صلاة عيد الفطر ، ويلبسون ثياب العيد .. بينما ينتظر فريق اخر من المسلمين في بلد اخر ، اربعا وعشرين ساعة قبل ان يعترفوا بان الموعد الصحيح لارتداء ثياب العيد قد حان ! ..

ملاذا جرى لهذه الامة الاسلامية العظيمة فتقلصت دائرة كفاحها حول معارك صغيرة تندلع كالشرر بين اطرافها المختلفة .. ومن بينها معركة هلال الصوم وهلال العيد كل عام ؟ ! ..

عزيزى القارىء .

العالم كله يموج من حولنا بتطورات عاصفة ، تنهار فيها افكار وكيانات ويقوم على انقاضها بدائل لها ، ابتغاء الاسراع فى التقدم ، بينما نحن المسلمين نتفرج بلا مبالاة كاننا نعيش فوق كرة ارضية اخرى غير هذه الكرة التى تطلع عليها الشمس نهارا ، ويطلع عليها القمر ليلا ! ..

وكبريات الحوادث تفجؤنا فنرى انفسنا وقد تدفق علينا غزاة اوربيون صهيونيون يعدون - كجنود الحروب الصليبية - بمئات الالوف ، وربما بالملايين ، فى زمن قصير جدا لا نملك معه حتى ان نلتقط الانفاس ! ..

وربما فتحنا عيوننا غداة غد فنجد يهود الخزر ، ابناء القبيلة الثالثة عشرة ، قد احتلوا قلب الوطن العربى ، واحالوا فلسطين الى فردوس عربى مفقود آخر ، بعد الفراديس الكثيرة التى فقدها العرب على امتداد الزمان ! ..

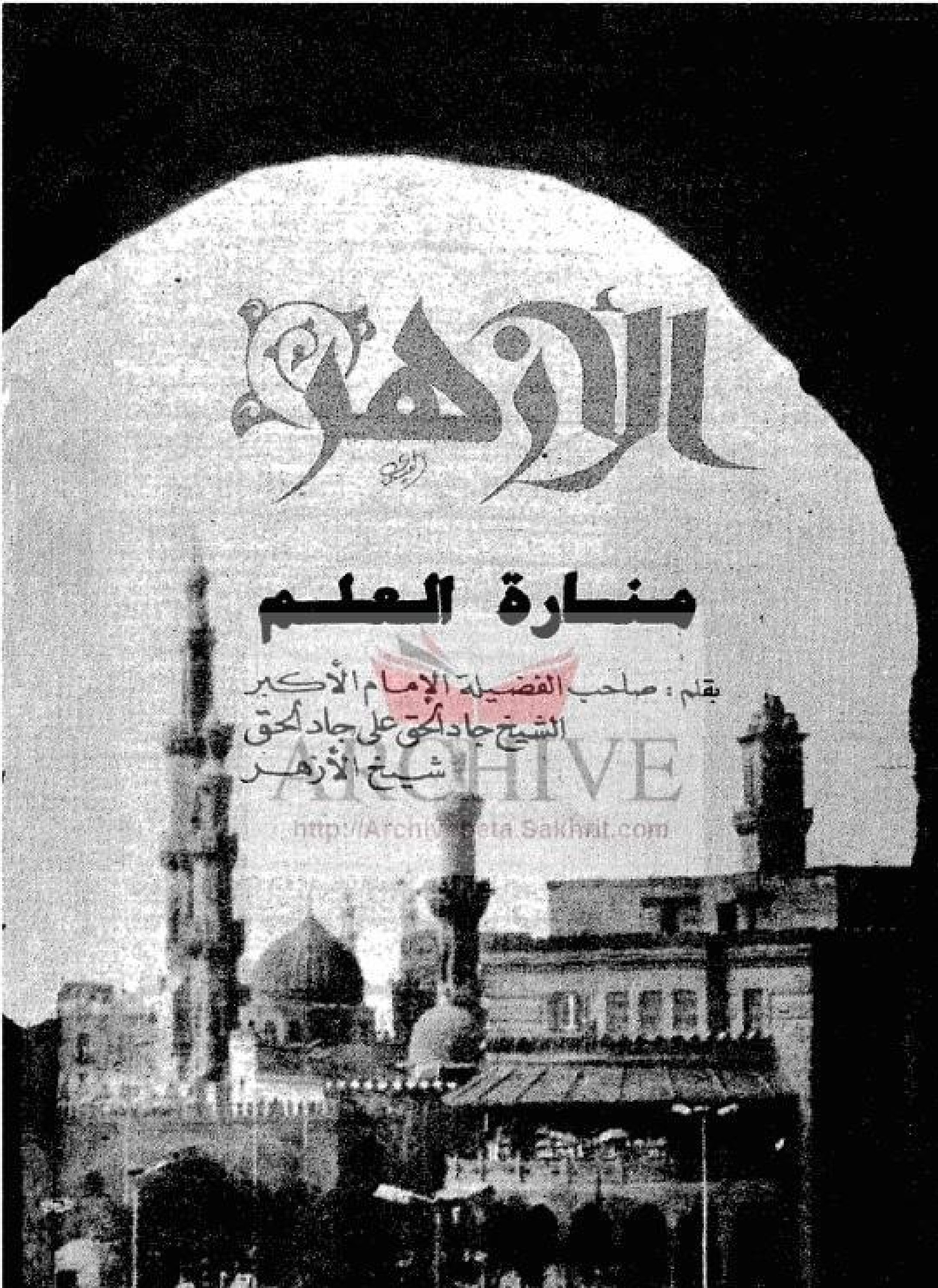
ان شهر رمضان يجىء ، بينما « جريمة العصر » - كما سماها الكاتب الكبير احمد بهاء الدين شفاه الله - قد جعلت الأرض العربية كلها مهددة بان تصبح مستوطنة مستباحة لشذاذ الافاق من متهودى القبائل الخزرية الزاحفين كاسراب الجراد من روسيا وشرقى اوربا تحت راية حقوق الانسان الامريكية الزائفة المهترئة ! ..

عزيزى القارىء .

ان شهر رمضان يجىء هذا العام موافقا بداية فصل الربيع الذى هو بداية جديدة لشباب الزمان بعد ذبوله فى الشتاء فهل نلتفت الى هذا المعنى فنجعل شهر صومنا هذا العام بداية جديدة لشباب امتنا التى ارهقها شتاؤها التاريخى الطويل ؟ ! وهل نجعل هذا الشهر بابا ندخل منه الى العصر الجديد الذى تدخل فيها الشعوب الآن ؟ !

سؤال متفائل وسط جو ملبد بغيوم سود كقطع الليل ، لاتوحى بشىء من التفاؤل ، ولكننا فى كل حال لانملك الا ان نتمسك باهداب الامل فانه بداية السير نحو طريق العمل ! .

« المحـــرر »


الأزهر
منارة العلم
بقلم : صاحب الفضيلة الإمام الأكبر
الشيخ جاد الحق على جاد الحق
شيخ الأزهر

تاريخ الأزهر هو تاريخ الثقافة الاسلامية منذ القرن الرابع الهجرى حتى الآن . وتدوين تاريخ الأزهر هو تدوين لألوان الحضارة فى مختلف العصور ، وما بلغته من نمو وازدهار او صادفته من قيود واغلال .. وتلك سنة الحياة : ذبول وانغلاق ، ثم ازدهار وانطلاق فى خدمة العلم والاسلام .



الامام الاكبر شيخ الجامع الأزهر

● و « الأزهر الشريف » : كلمة تتردد على الألسنة ، ويعمر صداها القلوب ، وتطرب لسماعها الآذان ، وتحتويها الأفئدة ، وما كان الأزهر جديرا بصفة الشرف التي لازمته إلا لسمو رسالته ، وعظمة غايته ، وامتداد عطائه ، منذ كان وعلى مدار تاريخه السديد المديد بإذن الله .

فالأزهر كعبة المعرفة ، ومعقل الثقافة الاسلامية ، وحصن اللغة العربية والعلوم الشرعية ومنارة الاسلام ، ولسان اهل السنة والجماعة .

ولقد انشىء الجامع الأزهر كغيره من المساجد لاقامة الشعائر الدينية ، واقيمت فيه اول صلاة جامعة بصلاة الجمعة فى السابع من رمضان عام واحد وستين وثلاثمائة من الهجرة ، واراد له الفاطميون أن يكون مركز اشعاع لنشر مذهبهم الشيعي ، ولكنه ما لبث أن اصبح جامعة يتلقى فيه طلاب العلم مختلف العلوم والفنون .. ففى عام ثمانية وسبعين وثلاثمائة من الهجرة اشار يعقوب بن كلس على الخليفة العزيز بالله الفاطمى بتحويل الأزهر إلى جامعة تدرس فيها العلوم الدينية والعقلية وعمل الخلفاء الفاطميون من بعده على جذب طلاب العلم إليه من كافة الأقطار الاسلامية ، وتزويده بكثير من الكتب ، حتى يتيسر للوافدين عليه الاطلاع عليها ، ولقد اقبلت وفود طلاب العلم إلى الأزهر من جميع ارجاء مصر ، ومن خارج مصر ، وكانوا يقيمون بالاروقة التى اقيمت لسكناهم منتسبة إلى دولهم كرواق المغاربة ، ورواق الشوام ، ورواق الأروام أو الاتراك ، ورواق الأكراد ، ورواق الهنود ، ورواق البرابرة ، ورواق البغدادية ، ورواق السليمانية الخاص بالطلبة الافغان وما وراء النهر ، كما كان للطلاب المصريين أروقة منتسبة إلى بلادهم : كرواق الصعايدة ، ورواق

البحاروة ، ورواق الشرقاوية ورواق الشنوانية ، ورواق الفشنية .. كما كان هناك أروقة تنتسب الى المذاهب الفقهية : كرواق الحنابلة ، ورواق الحنفية .. وهذه الأروقة تعتبر بمثابة المدن الجامعية في الاصطلاح الحديث ، حيث كان الطلاب يقيمون فيها ويأكلون ويشربون مما يصرف لهم تحت مسمى « الجراية » .. ولقد تطورت هذه الأروقة وانشئت مدينة سكنية للطلاب الوافدين لتلقى العلم فى الأزهر الشريف تعرف بمدينة البعوث الاسلامية .

ولقد انبثق عن الجامع الأزهر في مسيرته المباركة معاهد علمية أخرى !. فكان الجامع الأحمدي بطنطا مقصدا لطلاب العلم من أبناء المنطقة وما حولها .. ثم اتسع نطاق الدراسة في الأزهر ، وانشئت عدة معاهد اسست وفق نظم تتلاءم مع التطور فى تلقى العلم ، وكانت هذه المعاهد على قلتها زاخرة بالطلاب ، وتخرج فيها ائمة كبار ، وعلماء مرموقون .

ولقد بلغ عدد المعاهد التى انشئت على مستوى الجمهورية حتى فترة تولى الشيخ الظواهرى - عليه رحمة الله - مشيخة الأزهر وما بعدها سبعة معاهد موزعة على انحاء مصر .. فكان هناك المعهد الأزهرى بالقاهرة ، ومعهد الاسكندرية ، ومعهد الزقازيق ، ومعهد اسيوط ، ومعهد طنطا ، ومعهد دسوق ، ومعهد دمياط .. ولم يكن للمرحلة الجامعية فى الأزهر الا الكليات الاساسية الثلاث : كلية الشريعة ، وكلية أصول الدين ، وكلية اللغة العربية .

وبعد صدور قانون اعادة تنظيم الأزهر الصادر تحت رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١ انشئت الى جانب هذه الكليات كليات اخرى علمية ومعملية : كلية الطب ، والهندسة ، والصيدلة ، والعلوم والزراعة والتجارة ، والتربية ، واللغات والترجمة ، والدعوة ، والدراسات الاسلامية والعربية ، والدراسات الانسانية ، وهذه الكليات منها ماهو مخصص للطلبة وما هو مخصص للطالبات ، وصارت جامعة الأزهر ممتدة الأرجاء ، لها فروع فى العديد من الأقاليم وجميع المحافظات حتى بلغ عدد كليات جامعة الأزهر احدى واربعين كلية .

● نهضة شاملة ●

كما انتشرت المعاهد الأزهرية فى جميع ارجاء مصر ، ووصلت قراها ونجوعها ، حتى بلغت المعاهد الأزهرية الابتدائية الى مالا يقل عن ١١٤٨ معهدا ، والأعدادية الى ما لايقل عن ٦٩٢ معهدا ، والثانوية إلى ما لا يقل عن ٣٨٠ معهدا ، والمعلمين ١٩ معهدا ، والقراءات ٢٤ معهدا ، بالأضافة الى معهد البعوث الاسلامية ، وهو معهد خاص بالطلاب الوافدين من غير العرب .. وهناك ايضا المعاهد النموذجية الحديثة ، والتى اتجه الأزهر الشريف الى انشائها ودعمها والأهتمام بها والاكثار منها .. وتمتاز عن غيرها من المعاهد بتعليم اللغات



ظل الازهر كعبة للمعرفة ومعقل للثقافة الاسلامية مئات السنين

الأجنبية من مرحلة الحضانة . حتى يتمكن الأزهر من أداء رسالته كاملة بالنسبة للدول التى لاتتكلم العربية وذلك بعد جنى ثمار هذه النوعية من المعاهد ، وتخريج دفعات منها . وقد بلغ عدد المعاهد النموذجية التى تم انشاؤها حتى الآن ١٥ معهدا ..

وانطلاقا من عالمية رسالة الأزهر الشريف المرتكزة على رسالة الاسلام يقوم الأزهر الشريف بالأشراف على معاهد ازهرية خارج مصر . تطبق فيها مناهج الدراسة فى معاهد الازهر ، ويعمل فيها اساتذة من الازهر ويحصل طلابها على كتبهم الدراسية من الازهر .

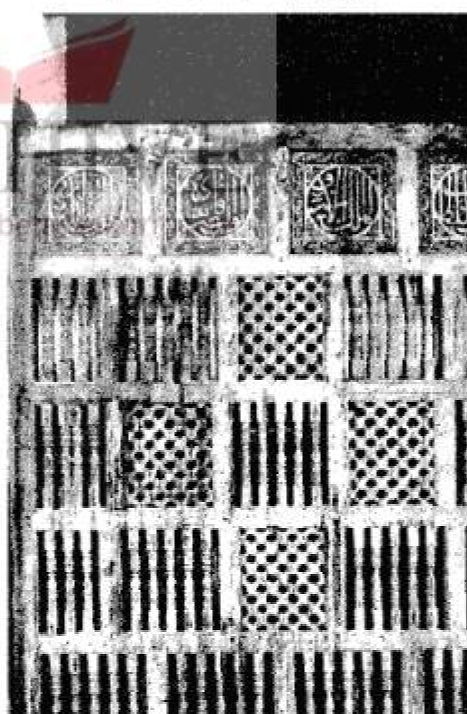
ومن ذلك مثلا .. معاهد الأزهر فى كل من : تنزانيا ، ونيجيريا ، والصومال ، وتشاد ، وغزة ، والسودان ، وازهر لبنان وغيرها ..

● أشهر مكتبات العالم ●

وللازهر مكتبة تعتبر من اشهر المكتبات فى العالم ، يعرفها اهل البصر بالكتب والباحثون من شرق وغرب ، حيث يشيرون الى ما فيها من نفائس المخطوطات فى مؤلفاتهم عن الكتب والمكتبات وقد بلغ عدد كتبها اكثر من ثمانين الف كتاب تقع فيما لايقل عن اربعة وثمانين ومائة الف مجلد هذا فيما عدا ما نهبه الفرنسيون من كتبها الثمينة عند اقتحامهم للأزهر ابان

حملتهم على مصر ، وتشغل مكتبة الأزهر الآن ستة امكنة متفرقة في داخل الجامع الأزهر وهي : المدرسة الاقبغاوية ، والمدرسة الطيبرسية ورواق الأتراك ، والرواق العباسي ، ورواق الشام ، ورواق المغاربة ، وتؤدي مكتبة الأزهر دور المكتبات العامة التي تزود راغبي الثقافات بالمواد العلمية في جميع فروعها ، غير

حفر على الخشب ، الطراز المعماري نموذج واضح في جامع الأزهر



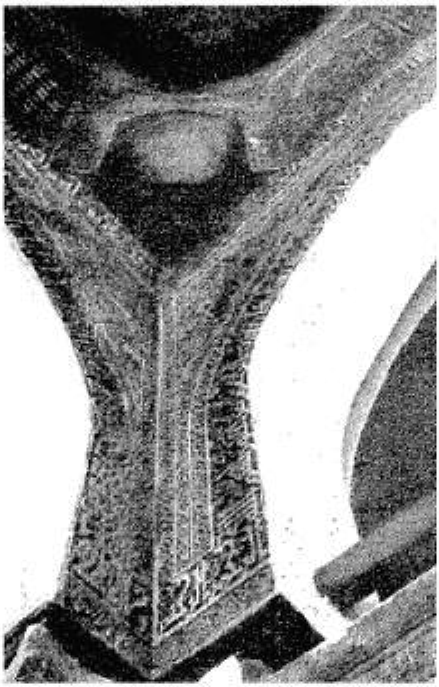
انه من الملاحظ ان اكثر روادها من الدارسين بالدراسات العليا ، والباحثين من الاساتذة ، ومن هم على مستوى كبير من الثقافة حيث يرجعون الى المصادر النادرة من المخطوطات والمطبوعات التي تضمها المكتبة والتي كثيرا مالا توجد في غيرها . وقد تم انشاء مبنى جديد لتلك المكتبة اقيم في حديقة الخالدين بالدراسة ، وتتوافر فيه مظاهر المكتبات العصرية ذات المستوى الرفيع واستعداداتها وعما قريب سيتم نقل محتويات المبنى القديم الى المبنى الحديث بإذن الله .

كما انه انطلاقا ايضا من عالمية رسالة الأزهر الشريف ، يوفد الأزهر علماءه ومعلميه من سائر التخصصات العلمية الى ارجاء العالم الاسلامي وغيره للقيام بالدعوة الاسلامية ونشر الثقافة العربية ، ويصل عدد العلماء الذين يوفدهم الأزهر كل عام الى ارجاء العالم الى اكثر من خمسة آلاف عالم .. هذا بالإضافة إلى استقباله لطلاب العلم الوافدين اليه من شتى بقاع الدنيا ، وتمكينهم من الدراسة فيه وتقديم العون والرعاية لهم ، ولقد زاد عدد المنح الدراسية التي يخصصها الأزهر كل عام لطالبي العلم فيه من غير المصريين على الف منحة دراسية ، ويهدف الأزهر الشريف من وراء ذلك إلى تثقيف هؤلاء الطلاب ، وحصولهم على اوفر قسط متاح من العلوم والمعارف ، ليعودوا بعد ذلك الى بلادهم حاملين رسالة الأزهر الى ذويهم ..

ولم يكتف الأزهر بذلك ، بل إنه يقيم دورات تدريبية تستغرق كل دورة ثلاثة

شهور للأئمة والدعاة من ابناء العالم الاسلامي ومناطق الأقليات .. حيث يستضيفهم الأزهر ، ويختار لهم نخبة ممتازة من كبار علمائه المتخصصين ، ليزودوهم بدراسات ومعارف هم فى مسيس الحاجة اليها . تؤهلهم لحسن الزود عن الاسلام ، ومواجهة التيارات المنحرفة والمضللة ، ومقاومة الغزو الفكرى الذى يشنه اعداء الاسلام ، وعرض الاسلام بصورته الوضيئة المشرقة ، والدعوة الى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ..

وعلى هذا .. فإن الدور الذى يقوم به الأزهر الشريف دور هام ورئيسى .. ليس فى تاريخ مصر فحسب .. بل فى تاريخ الأمة العربية والشعوب الاسلامية على مر العصور والأزمان .



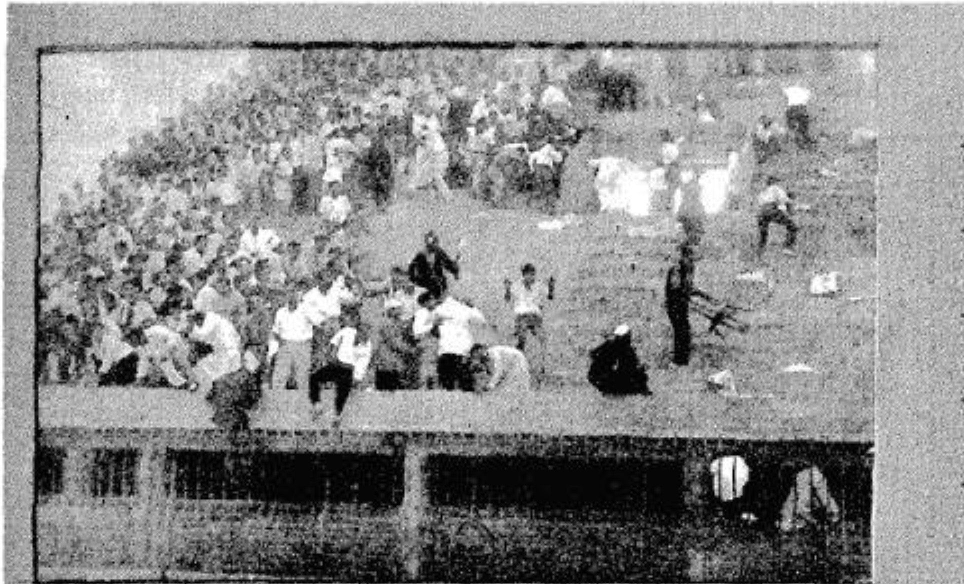
فى عمارة الأزهر ، تحول الخط العربى الى لوحات فنية فريدة

● دور بارز

والازهر الشريف فى مسيرته لأداء رسالته : كان له - ايضا - دوره السياسى البارز ودوره الروحى الخالد فى مقاومة تيارات الإلحاد والانحرافات والمذاهب الهدامة ، وحملات التنصير ودعاة الفوضى والانحلال ، كما كان الأزهر الشريف ملاذا لعامة الناس ، يهرعون اليه فى الأزمات ملتمسين من علمائه الارشاد والتوجيه ، ملقين اليهم بالقيادة الرشيدة الحكيمة ، فيجدون لديهم وعندهم مواطن امنهم ، وتفريج كرباتهم ، وحل لزماتهم ، إذ لم يكن موقف الأزهر الشريف يوما موقفا سلبيا من الحياة العامة ، بل شارك فيها بدور ايجابى وفعال على مدار العصور .

وان كان الاستعمار - مع امده الطويل واساليبه الملتوية - قد نجح فى ان يعوق حركة الأزهر فى النمو والازدهار ، لكنه فشل فى صرفه عن غايته وأهدافه التى تغياها وعمل ويعمل لاستمرارها متابعة لماضيه الذى يفخر به كل مسلم ، وحاضره الذى اخذ منه وضعه العلمى فى كل انواع المعرفة .

فتحية للأجيال الكثيرة التى اسهمت فى خدمة الأزهر بمال او بفكر ، وتحية لأولى الامر الذين خدموا الأزهر عبر التاريخ ، وخدموا الاسلام به ، وتحية لشيوخه الاجلاء الذين حفظوا تراث الاسلام وطوروا فى الدراسات الاسلامية ، وانتقلوا بالفكر الاسلامى نقيا وضاء من جيل إلى جيل .



لغة الكراسى .. والطوب .. لقطة حية

كيف يعود إلى مصر وجهها الجميل ؟!

بقلم: د. مصطفى سويف

هذا حديث قصدنا به الى تزكية المزيد من الوعى بما يكتنف حياتنا الاجتماعية من أخطار ، حتى تتضح الرؤية ، ويصح العزم على التغيير ، فنعرف من اين والى أين .

ولست اجادل فى ان مصر التى أعنيها فى عنوان هذا الحديث ، وهى مصر النصف الثانى من القرن العشرين ، طرأت على وجهها الوان من الاحداث والتغيرات تتفاوت فيما بينها حسنا وقبحا ، أو خيرا وشرا . ولكنى ازعم أن التشوهات التى تنطوى على القبح والشر اكثر عددا وأشد وطأة من نظائرها التى تُظهر الحسن وتبشر بالخير .


وسع .. الدنيا زحمة

● وقد حاولت جاهدا أن أستقصى أنواع التشوهات لا جزئياتها، فاستطعت أن أحدد منها خمسة أنواع، تندرج تحتها آلاف الأمثلة التى تفاجئنا كل صباح وكل مساء وليس هناك مايمنع من أن يضيف غيرى من الكتاب الى هذه القائمة أنواعا جديدة، فلست أدعى ولا أظن أن قائمتنا هذه تقدم حصرا شاملا بآفاتنا الكبرى.

وفيما يلى نبسط هذه الأنواع الخمسة.

١ - التسيب الشخصى :

ونقصد به هنا السلوك غير المنضبط الذى يصدر عن فرد لايلتزم بالقواعد المرسومة اجتماعيا أو قانونيا للسلوك فى مواقف بعينها، وهناك أمثلة لا آخر لها من السلوكيات التى تندرج تحت هذه الفئة. انظر مثلا فى الطريقة التى يسير بها أفراد كثيرون فى الطريق. يسير هؤلاء فى خطوط متعرجة. لا لأن الشوارع مزدحمة كما هو الحال أحيانا، ولكن حتى والشوارع خالية نسبيا من المارة. يضاف الى ذلك أنهم لايمشون بسرعة متسقة، بل نجدهم يبطئون أحيانا ويسرعون أحيانا أخرى، وقد يتوقفون فجأة، أو يستديرون فجأة ليتجهوا ذات اليمين او ذات الشمال أو الى الخلف. ويتضاعف هذا المشهد شدة وتعقدا اذا كان الشخص يسير برفقة صاحب أو أصحاب.

هذا نموذج غالب الآخر فى السير فى طرقاتنا، لافرق فيه بين صغار وكبار. ولا بين ذكور وإناث.

● سلوك غير حضارى !

وانظر كذلك الى الأسلوب الذى يقود به الكثيرون سياراتهم الخاصة (والتاكسى) : الأساس هو السير فى طريق متعرج ليسبق السيارات الأخرى،

والسير بسرعة جنونية ، والانحناءات المفاجئة ، والوقوف المفاجيء في عرض الطريق ، أو على يساره ، والسير في المساء بأضواء مطفأة ، أو بالضوء الباهر ، واستخدام البوق بإسراف وربما دون أي مبرر على الاطلاق . وربما استخدم البوق لاطلاق إيقاع لاعلاقة له بالقيادة أو بالآداب العامة .

ونلمح هذا النمط نفسه من السلوك المتسيب يصدر عن اشخاص عديدين في مواقف أخرى ، غير مواقف السير وقيادة السيارات . المؤسف حقا أن الأمر لم يعد وقفا على فئة معينة من الاشخاص دون غيرها من الفئات ، لا من حيث العمر ولا الجنس ولا المكانة الاجتماعية أو الوظيفية . ولاتزال تذكر الكتابة الصحفية التي ظلت تطالعنا بها صحيفة بالغة الاحترام كل صباح لمدة ستة عشر يوما متوالية ، حول الفتاة المغربية التي وجدت جثة عارية (مقتولة) في نهاية حفل ساهر في بيت أحد الفنانين الموسيقيين !

٢ ـ مظهريات تنم عن فساد الذوق العام :

الأصل في صفحة الوفيات في الصحف اليومية أنها لافتة للاعلام على أوسع نطاق ممكن عن وفاة فلان أو فلانة ولهذه العملية أصول أجتماعية ضاربة في أعماق التاريخ الاجتماعي للمجتمعات البشرية ، يحدثنا عنها علماء الانثروبولوجيا .

وقد اتخذت على مر التاريخ أشكالا متعددة ، كان آخرها هذا الشكل الحديث الذي يذاع في الصحف . وكان الأمر حتى عهد قريب يسير في إطار الاحترام الواجب نحو الموت وما يحيط به من معان وتداعيات . ولكن في خلال العشرين سنة الاخيرة أو نحو ذلك ، بدأت التغيرات تزحف قليلا قليلا لتشوه هذا الوجه الوقور ، حتى وصلنا الى الصورة الراهنة . وفيها نوع من البهرجة ينم عن **فساد الذوق وضحالة الوجدان** . في هذه الصورة الجديدة يبدأ العمود في صفحة الوفيات بنعي فلان أو فلانة . وبعد أن ينتهي النعي المعتاد إذا بسيل من المرثيات ، كل مرثية تستغرق سطرين أو أكثر قليلا ، تحتها تواقيع من الزوج أو الزوجة ، أو الابن او البنت أو الاحفاد ، أو الخال أو العم ، أو ابن الخال أو ابن العم ... الى آخر مايمكن أن يتصوره المرء من دوائر الأقرباء والاصحاب فإذا نظرنا في مضمون هذه المرثيات وجدناه يشف عن جهد لايتفق وحالة الحزن أو الهلع الذي تحاول أن تصوره ، ذلك انها كتبت بلغة مليئة بالمحسنات البديعية ، من سجع وجناس وطباق ، كما أن بينها تنسيقا على درجة لابأس بها من الاحكام ، لأنك تلاحظ انها تتكامل فيما بينها في تقديم صورة جامعة مانعة لمجموع الصفات الحميدة وقد اجتمعت في شخص المتوفى ، وقلما يظهر بينها تكرار أو تنافر . هذا الى انها مليئة بالفاظ اقرب الى التدليل أو الغزل !!

والتهاني في صفحة الاجتماعيات لاتقل فجاجة عن المراثي في صفحة الوفيات فتجد التهنئة موجهة الى "الدكتور فلان الفلاني" بمناسبة ترقيته الى أستاذ

مساعد .. وعقبال الاستاذية ، او تجد التهنئة موجهة الى "الاستاذ الدكتور فلان .. لنيله درجة الاستاذية ـ والتوقيع" والدك ووالدتك ، أو "خالك" او "خالتك" وتشعر فورا بأن هذه التهانى بهذه الصورة لاتليق بالمقام ، وانها تقلل من شأن من هى موجهة اليه ، وتضعه فى مستوى التلميذ الصغير الذى نفرح به ونشجعه ! وقل مثل هذا فى التهانى الموجهة الى الضابط والطبيب والقاضى .

وتنتظم تحت البند نفسه ، بند المظهريات ذات الذوق الفاسد ـ اشكال الافراح بليالى عقد القران والزفاف ، التى شاعت كذلك فى العقدين الأخيرين بصورة لم نشهدها من قبل ، بدءا من مواكب السيارات وما تحدثه من صخب مقصود بأبواقها ، وما قد يصحبها من اعداد كبيرة من الدراجات البخارية تطلق فرقعات لا اخر لقبح ضجيجها ، الى ما اولع به عديد من الأسر من ان تسير الزفة بالعريس والعروس على الأقدام وسط المدعوين بضع عشرات من الأمتار فى الطريق العام ، الى هذا اللون من الغناء الصاخب الذى لا يميز أى صوت آدمى ولا اى لحن موسيقى لكن يقرع أذنيك صوت الدف بصورة بالغة العنف .

وكذلك يندرج تحت بند المظهريات التى تنم عن فساد يشيع فى الذوق ما تراه من إصرار على استعمال مكبرات الصوت فى الحفلات الخاصة ، وفى الافراح وفى المآتم ، بل وفى أداء الشعائر الدينية ، وهناك إصرار على اطلاق هذه المكبرات الى خارج أسوار المكان الذى تدار فيه هذه الأمور ، ويترتب على ذلك احيانا ما يتعارض وأبسط قواعد احترام المقدسات ، فقد يحدث أن يتجاور سرادقان أو أكثر تدار فى كل منها مراسم المآتم بما فى ذلك قراءة آيات القرآن الكريم فى مكبرات الصوت ، فإذا بالأصوات الصادرة عن المكبرات تتداخل وتتضارب بصورة تتضارب مع كل جلال الموقف ، وتعبث بكل ما فى النفس من مشاعر الوقار والتوقير ، وقد شكا الكثيرون من هذه الظاهرة على صفحات الجرائد ، وصدرت عن الحكومة اوامر وقرارات لا آخر لها ، ولكن زادت الشكوى ، وتعددت الأوامر والقرارات الحكومية ، ازدادت جرأة مكبرات الصوت وأصحابها ، فتتوارى أصوات الشاكين ويبلعون شكاواهم ، وتسكت الحكومة عن تنفيذ قراراتها .

٣ ـ الغوغائية :

يتصف السلوك بالغوغائية كلما كان اقرب الى الهياج الانفعالى منه الى التفكير المتروى ، وأشد ميلا الى التدمير والعدوان منه الى البناء والمساندة ، وكذلك كلما اتجه صاحبه فى إدراك مواقف الحياة الى التبسيط المخل فلا يرى فيها الى الابيض والأسود ، ولا يرى فى الاشخاص الا صديقا أو عدوا ، ولا يشترط فى السلوك الغوغائى أن يصدر عن الجماعة بل قد يصدر عن فرد واحد ويكون حظه من الغوغائية كبيرا .

وقد شاعت الغوغائية فى سلوك الكثيرين جماعات وافرادا .

وربما كانت أوضح النماذج أمامنا ما يحدث فى ملاعب الكرة ونشهده على

شاشات التليفزيون ، وما يحدث كذلك فى كثير من الحفلات الغنائية العامة ، فهناك الهياج الانفعالى ، والمزايدة بين المجموعات المختلفة على الانطلاق مع هذا الهياج .

وهناك نماذج أخرى لا تقل غوغائية عن هذين النموذجين ، السيارات التى تزرع طرق المدينة ذهابا وايابا ، وقد تدلى منها علم يشير الى النادى الكروى الذى انتصر ، وشباب داخل السيارة بنصف اجسامهم . والنصف الآخر يبرز من نوافذها ، وهم يصرخون بهتافات الانتصار الساحق ، وفى الوقت نفسه ينطلق بوق السيارة ليعينهم على ضبط الايقاع .

وتفصح الغوغائية عن نفسها فى أشكال أخرى أدق وارهف مما ذكرنا ولكنها تظل غوغائية فى جوهرها .

يحتدم الجدال على صفحات الجرائد أحيانا بصورة شديدة الغوغائية ، فالاطراف المشاركة كلها فى حالة هياج انفعالى ، اتهامات متبادلة ، ويتجه كل طرف الى استعداء قوى معينة ضد الطرف الآخر .

ويمكن أن ينقضي المقال بأكمله دون أن تساق فيه معلومة واحدة يتعامل معها عقل القارىء . وفى هذا الاطار يسود التبسيط المخل فيما يتعلق بتشخيص موقف الطرف الآخر ، فإذا كان فى لهجته ما يشير الى قدر من التدين فهو غالبا من دعاة الجهاد أو التكفير والهجرة ، واذا كانت تشغله معانى العدالة الاجتماعية فهو شيوعى وغالبا ملحد وعميل ، واذا كان يرى أن نتيح للقطاع الخاص دورا فعالا فى الاقتصاد القومى فهو رأسمالى مأجور للغرب وغالبا للأمريكان ، وهكذا وهكذا ، وفى السنوات الأخيرة لم يعد هذا الاسلوب يقتصر على الكلمة المنشورة فى الصحف ، بل أصبح يتعدى ذلك الى المحاضرات العامة وما تستثيره من مناقشات وتعليقات .

وقد أصبحت البيئة المصرية شديدة الخصوبة فى توليد اشكال ومستويات جديدة من الغوغائية ما أظن أحدا كان يحلم بها منذ عقدين من الزمان ، والأمثلة على ذلك ما يحدث الآن فى نقابة المحامين ، وما حدث من قبل فى نقابة التجاريين وفيما بين الاثنين ما يقع فى مقار بعض الأحزاب .

٤ ـ الافتراء على الحق :

قد يكون الافتراء بالقول فيتخذ شكل الادعاء الكاذب ، وقد يكون بالفعل فيتخذ شكل العدوان العملى على الحقيقة وتغيير معالمها أو طمسها . وقد شاعت هذه الظاهرة ولا تزال تزداد شيوعا فى مجتمعنا

ومن أوضح الأشكال التى نشهدها منذ سنوات ما يمكن أن نسميه أحاديث المناسبات ، يقع حادث معين يلفت النظر لشذوذه عن المألوف ، وبعد يوم أو يومين تمتلىء الصحف بالمقالات والتعليقات التى يتصدى أصحابها لتفسير الحادث ، علما بأن أصحاب هذه التعليقات لم يكونوا من شهود الحادث ولا عرفوا شيئا عن ملابساته سوى المعلومات المحدودة

والمهوشة التى جاء ذكرها عرضا فى الجريدة التى روت الحادث . هكذا كان الحال بالنسبة لموضوع الشاب الذى قتل امه وأباه وموضوعات الزوجات اللاتى قتلن ازواجهن ، والشاب الذى قاد سيارته لاقتحام قصر رئاسة الجمهورية ومع عشرات من حالات أخرى من نفس الطراز ، وهكذا كان الحال أيضا مع إدمان المخدرات ، وسيل المقالات الصحفية الذى انهمر حول هذا الموضوع .

هذه أمثلة واضحة للافتراء بالقول .

اما الافتراء بالفعل أو بالعمل فهناك أمثلة اخرى تشهد بشيوعه أيضا ـ خذ ظاهرة الغش الجماعى فى امتحان المدارس والمعاهد ، ففى ممارسة هذه الظاهرة يتعاون الابناء والاباء والأقرباء والمعارف ، الكل يتعاونون فى عمل جماعى هدفه تشويه الحقيقة وطمس معالمها : الحقيقة أن هؤلاء التلاميذ لا يعرفون علومهم ، فليتعاون الكل إذن على تشويهها ، بل وطمس معالمها ، وبهذا الفعل الجماعى ، الغش والتغشيش ، يصبح التلاميذ وكأنهم يعرفون دروسهم .

ومثال صارخ اخر على الافتراء بالعمل : طلعت علينا الجرائد منذ اسابيع قليلة بتقرير عن نشاط مباحث شرطة السكك الحديدية ، وإذا التقرير يثبت أنه فى خلال أسبوعين أثنين فقط (لعلهما الأول والثانى من فبراير)تم ضبط ١٢٨ الف راكب بدون تذاكر ، و٤١ الف طرد بدون ترخيص !!

٥ ـ اللا قانونية واللا دستورية :

تختلف هذه الظاهرة عن التسيب والفوغائية ، والافتراء على الحق بأنها تصدر عن جهات محددة فى سلطة الدولة ، فى حين أن الظواهر سالفة الذكر تصدر عن المواطنين .

فحتى بضع سنوات خلت كانت سلطة الدولة تساعد ما كان يسمى بالفئات المستثناة فى الالتحاق بالجامعات ، الى أن وجد من يعترض ، ويشكو السلطة التنفيذية الى السلطة القضائية ، وإذا القضاء يحكم بعدم دستورية هذه الممارسة .

وحتى الآن يستمر العدوان على مواد القانون المنظم للجامعات ، من جوانب متعددة فى السلطة ، وحتى الآن يستمر العدوان على القانون المنظم لتشييد المبانى والعقارات ، وهو يتم باسم جوانب محددة فى السلطة ، وحتى الآن لا تزال مجموعة القوانين المعروفة باسم القوانين سيئة السمعة قائمة مع ان كثيرا من الأصوات ارتفعت تطالب بالغائها على أساس أنها معارضة للدستور .

اما بعد :

فهذه هى التشوهات الجسيمة التى طرأت على وجه مصر ، محصورة فى الفئات الخمس التى حاولنا تحديد معالمها ، وقد أوردناها هكذا مكثفة لتشغل بؤرة انتباهنا ، عسى أن يكون فى ذلك ما يحفز الهمة نحو التغيير الى الافضل .

اما عن منشأ هذه التشوهات وأسبابها ، وكيفية تفاقمها على هذا النحو ، فذلك امر له حديث آخر ، وأما عن الطريق الى التغيير فمسألة تحتاج الى أحاديث أخرى .

الابداع البشرى

دراسة فى أعماق « وعى الانسان »

بقلم : مجدى نصيف

● هؤلاء الفنانون والعلماء والعباقرة لم يستطيعوا الإجابة بأنفسهم على هذا السؤال . خاصة هؤلاء الذين ألغوا التحليل المنطقى والدراسة العلمية .

لذا يظل السؤال مطروحا ، وقد تجلى الاهتمام بهذه المسألة فى العقد الأخير ، وتجسد فى عدة ندوات لدراسة الابداع خصص مؤتمر منها عقد أخيرا ، لمناقشة «الادراك الفنى والعلمى» تعرض فيه فلاسفة وعلماء وفنانون وعلماء اجتماع بارزون لتقييم وتحليل القدرات الخلاقة للإنسان .

● جوته واينشتاين

كان جوته الشاعر الألمانى العظيم يقول دائما «أن الابداع الشعرى الحقيقى هو نتاج اللاوعى» وقال اينشتاين بأنه «لايشك للحظة فى أن تفكيرنا يسير متخطيا الرموز (أى الكلمة) كما أنه يتم بصورة لاواعية» (وهو يقصد هنا بالتفكير ، التفكير الابداعى الخلاق) .

فملكة الإدراك والتفكير هى سمة أساسية مميزة للإنسان ، تفرقه عن الحيوانات فى قمة المملكة الحيوانية ، وأى انجاز خلاق يحفظ فى «مخزن خبرات» الفرد وبالتالى فى «مخزن خبرات» البشرية جمعاء . من هنا ، فالمغزى الاجتماعى لعملية الخلق لايتحقق إلا إذا سهلت عملية التفاعل الواعى بين الإنسان والعالم من حوله .

هنا نصل إلى مسألة هامة : فالوعى يتبع فى عملية الابداع مبدأ «اللاتدخل» ، وهو يتبع هذا المنهج بتزمت كبير ، فما السبب وراء هذا ؟

يقول العالم بافل سيميونوف (مجلة «العلم والحياة» العدد ١١ ـ ١٩٨٧) : «أن مخزون البشرية من الخبرات لايحتفظ الا بما تثبت قيمته عمليا ، وما يضمن التكيف الناجح مع العالم : لذا فان وعينا لا يأخذ إلا مايمكن أن نطلق عليه «الحفاظ على

منذ ظهور الجنس البشرى على سطح كرتنا الأرضية ، كانت وراء تقدم حضارته ، وصولا إلى الثورة العلمية والتكنولوجية ، حيث يظهر كل يوم اختراع ، وكل ساعة جديد .

ومع ذلك ، ربما كان التفكير الخلاق هو اكثر الغاز النفس البشرية تعقيدا ، فلماذا يمكن لمجموعة من الناس دون غيرها أن تقدم ابداعا فنيا ، أو خلقا علميا ، أو عبقرية فكرية ؟ كيف يحقق العالم والفنان والأديب والشاعر ماعجز الكيماوى عن تحقيقه منذ القدم ؟ كيف يحقق أى من هؤلاء تحويل «معدن» الانطباعات والعادات اليومية «الرخيص» الى «ذهب» من افكار جديدة واختراع مدهش ورواية مبدعة وقصيدة شعرية ؟

ماهو قائم» ويرفض ماييدو لأول وهلة أنه «لايعتمد عليه بشكل كاف» .

●●●

كان أحد العلماء يتندر دائما بالقول بأنه حين يبدأ سائق الترام فى البحث عن قضبان جديدة للترام الذى يقوده ، فسيخرج عن طريقه المرسوم ، وسيسفر ذلك عن حادث مؤسف ، فوعينا لايترك «نفسه» ليتعرض لمثل هذه المواقف .

أن الوعى سيخلق بذلك مشاكل كبيرة إذا ما تسرب إلى «معمل» الابداع البشرى داخل النفس لحظة ولادة فكرة جديدة ، أنه سيدمر بذلك الجنين الذى قد يغذى الوعى ذاته ، ومعه الأفكار الجديدة المشوهة التى لم تكتمل . لذا فعندما تتدفق الأفكار والصور خلال نمو واتضاح الأفكار الجديدة ، فانما تتدفق بعيدا عن الفوضى حتى تصل عملية الابداع إلى مرحلة من النضج يمكن لها بها أن تتعرض لفحص العين الناقدة ، فيرفض كثيرا من هذه الأفكار ، أما مايقبل منها ، فيغوص داخل الوعى ليصبح جزءا من معرفتنا بالعالم حولنا .



جوته



اينشتاين

● وقد يكون هناك تفسير آخر لكون عملية الابداع عملية غير واعية فوعينا مرتبط ارتباطا لا انفصام فيه باللغة ، التى هى تعبير عن تقديرنا للواقع الموضوعى وقد ظهر الوعى واللغة فى مرحلة محددة من التطور الاجتماعى للبشرية ، ليتمكن بنو البشر من التواصل والاتصال ببعضهم البعض ، وبدون هذا التواصل يستحيل

تحقيق العمل الجماعي ويستحيل بالتالي تقدم البشرية إلى آفاق جديدة ، من هنا يشكل الوعي تموذجا للعالم حولنا ، تموذجا متكاملا ، واضحا لا لبس فيه ولا إبهام . فلا يستخلص من بين الثروة اللانهائية للعلاقات بين الأحداث ومظاهر العالم الخارجي سوى عدد محدود فحسب . مهمة تسهيل التواصل البشرى غير أن العالم الخارجي الحقيقي من حولنا أكثر تعقيدا بكثير من صورته في عقلنا . لما لا ينطبق مع هذه الصورة ، وما لا يمكن منطقيا إدخاله فيها ، يظل خارج إطار هذه الصور والتي يعكس تعدد أشكال العلاقات بين الظواهر وبين الأفراد . تنشأ الحاجة إلى نموذج مختلف للتفكير ، نموذج التفكير بالصور ، بدلا من نموذج التفكير بالتركيبات اللغوية والمنطقية التي تحكم التفكير الواعي .

ويشمل نمطا التفكير استخدام الكلمات والصور لكن كل نمط يستخدمها بطريقة مختلفة عن الأخرى تمام الاختلاف ، إذ ينتقي التفكير اللغوى المنطقي عددا محددا فقط من كم العلاقات بين الصور والظواهر فيحسن بالتالي إدراكها بشكل متكامل . ومن نماذج إنتاج مثل هذا التفكير : كتابة مرجع مدرسي أو مقال علمي ، حيث لا غموض في التعريفات وحيث يمكن التوصل بالمنطق إلى الاستنتاجات المعنية .

غير أن التفكير بالصور قد يحقق تأثيرا مماثلا ولنأخذ على سبيل المثال مايسمى في «التصوير السينمائي» بـ «مثال كوليشوف» وهو اعتماد التأثير الحسي عند المشاهد لتتابع الصور على المونتاج والتصور وحدها ثابت التعبير . نريد أن يخلق عند المشاهد إحساسا بالخوف ، هنا يضع المخرج صورة جنازة مثلا ونفس الوجه الثابت التعبير ، يمكن أن يوحد لدى المشاهد الإحساس بالجوع إذا تم تركيب صورة مائدة حافلة بأطايب الطعام مثلا .

ونحن نذهب إلى معرض اللوحات الفنية لأحد كبار الفنانين ، أو قد نذهب لمشاهدة أحد الأفلام الجيدة في إحدى دور السينما ، لنستمتع بالمعرض وبالفيلم . أيما استمتاع لكن إذا أردنا أن ننقل استمتاعنا هذا وإعجابنا باللوحة أو بالفيلم إلى أحد الأصدقاء سنصف ونحكى ماشاهدناه ، فإن ماسنحكيه لايترك في نفس الصديق أى انطباع بجمال اللوحة الفنية ، أو بروعة الفيلم السينمائي .

وهذا هو بالضبط مايحدث في الأعمال الفنية التي هي نتاج التفكير اللغوى المنطقي .

وهنا بينما يوجد هناك اختلاف في التفكير بالصورة ، حيث أنه تسجيل لبعض لكل العلاقات الممكنة بين الأشياء والظواهر ، وبسبب التنوع اللانهائي للظواهر في الحياة ، فإنها تكتسب صفة تعدد اللغة .

كيف يتم ذلك ؟

إن انعكاس الواقع في «النفس» انعكاس دقيق ، انعكاس لا لبس فيه ولا غموض «فالشيء ذاته» يكتسب صفات توحده فريدا ، أدق من أدق الكلمات ، لأن الكلمات خارج مضمون محدد الإطار تظل تعميما علما للغاية .

وأي صورة على نفس الوقت ، متعددة الأوجه ، بوصفها نسخة من الواقع ، والمثال الواضح على ذلك هو لوحة سيزان الشهيرة من التفاح ، أن كل تفاحة في اللوحة منفردة ، تولد انطباعا فريدا ، وإحساسا مختلفا .

وفي هذا المفهوم تدخل كل الصفات اللانهائية والأوجه المتعددة للصورة في علاقة متبادلة مع الصفات اللانهائية لإحدى الصور ، ويطرح التحليل هنا جانبا في نفس الوقت ، فمن الواضح أن كل المكونات تكتسب صفة تعدد اللغة ، وذلك على عكس المفهوم المنطقي - الرمزي .

والأحلام خير مثال طبيعي على مثل هذه الحالة فنحن عندما نحلم ، نتقمص في صورة من الأحلام وكأننا نعيشها خبرة حقيقية ، وحين نستيقظ ونحاول ربط أحداث الصورة وأجزاء الحلم بعضها ببعض ، نقلبها بأنها لا تثير أى إحساس لدينا سوى لحصاس الراوى الذى يحلم بنفسه أو لدى المستمع لرواية الحلم ، هناك عنصر مهم مفقود عند إعادة رواية الحلم ، الأكثر غرابة أننا نستمر في أن نعيش هذه التجربة ، دون أن نستطيع التعبير عنها بشكل متماسك .

السبب في ذلك أن صفة تعدد اللغة في التفكير بالصور ، لاتعوق التعبير بشكل لغوى ، منطقي منظم فحسب ، وإنما تعيق الإدراك أيضا ، وهذا أمر يبعث على الفضول حقا ، فنحن نملك معرفة لا نعلم أننا نملكها ، وبالتالي فنحن غير مدركين لها . ومع ذلك فإن القدرة على فهم الواقع في أشكاله الفنية المتعددة هو شرط أساسي لعملية الإبداع سابق عليها .





نجمة داود

رمز دينى أم دنيوى ؟

بقلم : د. عبد الوهاب المسيرى • رسم : حلمى التونى

تسمى نجمة داود بالعبرية « ماجن ديفيد » وهى عبارة عبرية معناها الحرفى « درع داود » وهو شكل مكون من مثلثين متوازيىّ الاضلاع لهما نفس المركز واحد رأسه الى أعلى والآخر رأسه الى أسفل ويكونان نجمة سداسية اى نجمة لها ست رءوس تلمس كلها محيط دائرة افتراضية ويمكن دراسة تاريخ هذا الشكل على مستويات ثلاثة .

- كشكل هندسى زخرفى
- كعلامة أو شارة زمنية على اليهود (كجماعة اثنية او عرقية أو اقتصادية)
- كرمز دينى فى اليهودية

وجدت النجمة السداسية فى النقوش المصرية القديمة والهندوكية والصينية وحضارات أمريكا الجنوبية ، وكانت ايضا رمز خصب كنعانى ، كما وجدت على ختم عبرانى يعود الى القرن السابع قبل الميلاد وعلى قبر عبرانى فى القرن الثالث وعلى معبد يهودى فى الجليل فى نفس القرن وفى مقابر اليهود بالقرب من روما وعلى حوائط القدس وفى أحجبة عربية فى القرن التاسع ونصوص سحرية بيزنطية وفى كتب سحر من العصر الوسيط وفى الفولكلور الالمانى وفى آثار فرسان المعبد (المسيحيين) وهو أيضا أحد شارات الماسونيين الاحرار ووجد على مبنى المدينة القديمة فى فيينا وعلى كثير من الكنائس فى المانيا . كما كانت النجمة توضع على الحانات فى جنوب المانيا لانه كان يقال ان اتباع فيثاغورث حينما كانوا يتسولون كانوا يستخدمون هذه النجمة السداسية لينبهوا رفاقهم انهم وجدوا فى هذا المكان اهل سخاء وكرم ولايزال الشكل يظهر كزخرفة فى بعض المبانى وان كان هذا نادرا الآن لأن الشكل الهندسى فقد براءته الزخرفية


حلمي التوني

نجمة داود

واكتسب مضمونا زمنيا أو دينيا محددا .

وغنى عن القول أن استخدام النجمة السداسية كشكل زخرفى ليس له مضمون يهودى أو غير يهودى .

● النجمة السداسية كعلامة زمنية

مما تقدم يمكن القول أن النجمة السداسية لم تكن رمزا يهوديا وإنما شكل هندسي وحسب ، ظهر أيضا على بعض المباني اليهودية دون أية دلالة رمزية وانما لأداء وظيفة زخرفية . ولكن فى القرن الرابع عشر سمح تشارلز الرابع للجماعة اليهودية في براغ أن يكون لها علمها الخاص الذى صورت عليه النجمة السداسية ومن ثم أصبحت رمزا رسميا (زمنيا) لليهود وليس بالضرورة دينيا . وقد اتخذه بعض طابعى الكتب اليهود فى براغ علامة لهم وانتشر منها الى ايطاليا وهولندا . ويلاحظ أن النجمة السداسية حتى ذلك الوقت كانت مجرد علامة لارمزا دينيا أو قوميا . وقد انتشر استخدام هذه العلامة من براغ الى الجماعات اليهودية الاخرى وقد استخدمها اعضاء الجماعة اليهودية فى فيينا فى ١٦٥٥ وحينما طردوا منها حملوها الى مورافيا ووصلت منها الى امستردام وان كان يلاحظ انها لم تنتشر فى شرق أوروبا إلا مع بدايات القرن الثامن عشر وفى هذا التاريخ بدأت النجمة السداسية تتحول الى اشارة على اليهود . ففى عام ١٧٩٩ م بدأت تظهر فى أدبيات معاداة اليهود كرمز عليهم وفى عام ١٨٢٢ تبنت أسرة روتشيلد فى النمسا النجمة رمزا لها حينما رفعهم الامبراطور الى مرتبة النبلاء واستخدمها هاينى الشاعر الالمانى المتنصر للتوقيع على خطاباته .

ولم تكن النجمة بالنسبة لكل هؤلاء تحمل أية دلالة دينية أو قومية أو اثنية (فليس لها امتدادات فى تواريخ الجماعات اليهودية) ومن ثم يمكن اعتبار انها علامة ازدادت ارتباطا ببعض الجماعات اليهودية فى الغرب ولعل اختيار روتشيلد لها هو الذى منحها مكانة وشرعية خاصة .

● النجمة السداسية كرمز دينى

ويبدو ان عبارة « درع داود » لاتستخدم للاشارة للنجمة السداسية إلا فى المصادر اليهودية اذ تستخدم المصادر غير اليهودية عبارة « ختم سليمان » ويبدو أن التسمية الأخيرة من أصل عربى إسلامى (كما أن النجمة الخماسية وهى المنافس الاكبر للنجمة السداسية كان يشاركها باعتبار أنها أيضا « ختم سليمان ») ولكن كيف ارتبطت عبارة درع داود بالنجمة السداسية ، يبدو انه فى الكتابات السحرية اليهودية فى الاحجبة والتعاويذ كانت تذكر اسماء الملائكة ومعها النجمة . وبالتدريج اسقطت الاسماء وبقيت النجمة درعا ضد الشرور واكتسبت النجمة السداسية هذه الصفة الرمزية كدرع ابتداء من القرن الثالث عشر ، ومع هذا استمر استخدام عبارتى درع داود وختم سليمان للاشارة لها بين القرنين الرابع عشر والسابع

عشر . كما كانت تستخدم عبارة درع داود للاشارة للمينوراة (أى الشمعدان) ولكن بمرور الزمن اقتصر استخدام هذه العبارة على الاشارة للنجمة السداسية وحدها . وكانت النجمة تستخدم فى علاقات الباب (الميزوزاة) فكان يكتب عليها اسماء سبعة ملائكة ويصحب اسم كل ملاك النجمة السداسية . وتتحدث القبالة (كتب التصوف اليهودى) عن العالم العلوى والسفلى المتقابلين . والمثلثان واحد راسه على أعلى والآخر الى أسفل يصبحان رمزا لهذا التقابل ولحركة الصعود والهبوط وكعلاقة عالم الظاهر بعالم الباطن . وأصبحت النجمة كذلك رمزا للتجليات الالهية التورانية العشرة (السفيروت) حينما تأخذ هيئة شجرة الحياة وهى ترمز ايضا لظهور العالم الاصغر المايكروكوزم (الانسان) من العالم الاكبر الماكروكوزم (الدنيا .

وكانت النجمة ترمز ايضا الى ظهور الماشيح (أى المسيح المخلص اليهودى) من صدر ابراهيم (ولذا كان يشار احيانا الى النجمة السداسية باعتبارها درع داود وابراهيم) فكانت



ترمز الى أيام الأسبوع الستة (الأطراف الستة) أما المركز فهو السبت وكانت النجمة أيضا رمزا ماشيحانيا تمثل برج الحوت Pisces (٢١ فبراير ـ ٢٠ مارس) الوقت الذى كان المفروض فيه أن يظهر الماشيح وأصبح درع داود هو رمز درع ابن داود أى الماشيح وقد استخدمه اتباع شبتاى تسفى (المسيح الدجال فى الدولة العثمانية) واصبح رمزا سريا للخلاص . وفى الحجاب الشهير الذى أعطاه يوناثان ايبشيوبتس (والذى اثار ضجة بين يهود شرق أوروبا فيما يسمى بالمناظرة الشبتانية الكبرى) كان مرسوما عليه النجمة السداسية وكتبت عليها الحروف الاولى لعبارة درع ابن داود .

ولعل اكتساب الرمز لبعض الايحاءات الدينية يفسر لم بدأ ينتشر كزخرف على المعابد اليهودية مع بداية القرن السادس عشر (فى ذات الوقت الذى بدأ فيه انتشار القبالة اللوريانية) .

ولكن لم تتحول النجمة السداسية الى رمز دينى يهودى الا بتأثير المسيحية وتقليدا لها (وهذه ظاهرة عامة بين اليهود ومعظم الاقليات ـ انهم يكتسبون هويتهم من خلال الحضارة التى يوجدون فيها لا بالرغم منها)

ولعل تبنى نجمة داود مثلا جيدا على ذلك ، فاليهودية كنسق دينى (على الاقل فى احدى طبقاتها الجيولوجية الهامة والرئيسية) معادية للايقونات والرموز تماما مثل الاسلام .

ولكن يهود عصر العتق فى أواخر القرن الثامن عشر أخذوا يبحثون عن رمز لليهودية يكون مقابلا لرمز المسيحية (الصليب) الذى كانوا يجدونه فى كل مكان . وحينما بدأت حركة بناء المعابد

نجمة داود

اليهودية على اسس معمارية حديثة اتبع المهندسون (الذين كانوا فى أغلب الاحيان مسيحيين) فى ذلك طرز الكنائس المعمارية ولذا كان لابد من العثور على رمز ومن هنا تبنى النجمة السداسية . وبدات تظهر النجمة على الأوانى التى تستخدم فى الاحتفالات الدينية (مثل كئوس عيد الفصح) وحيث ان النجمة السداسية كانت شائعة فى الاحجبة والتعاويذ السحرية فلم يعارض الارثوذكس فى استخدام الرمز . ومن ثم يمكن القول أن انتشار الرمز فى القرن التاسع عشر هو دليل على أن اليهودية كانت تتاكل وتفقد تماسكها الداخلى ولذا فهى كانت تبحث عن رمز حتى يمكنها أن تعيد صياغة نفسها على أسس مسيحية .

وهنا ظهرت الصهيونية اهم تعبير عن أزمة اليهودية الحاخامية وقد حاولت هذه العقيدة السياسية أن تطرح نفسها بديلا للعقيدة الدينية فتبنت النجمة السداسية رمزا لها (وظهرت على العدد الاول لمجلة "دى ولت" التى اصدرها هرتزل فى ٤ يونية ١٨٩٧ ثم اختاروها رمزا للمؤتمر الصهيونى الأول ولعلم المنظمة الصهيونية واختيار الصهاينة للنجمة السداسية كان ذكيا ويعبر عن ابهام موقف الصهيونية من اليهودية . فالصهيونية ترفض اليهودية ولكنها فى ذات الوقت تريد أن تحل محلها وأن تستولى على الجماهير اليهودية ولأنجاز هذا الهدف احتفظت الصهيونية بالخطاب الدينى والرموز الدينية بعد أن أعطتها مضمونا زمنيا قوميا . وقد احتفظت الصهيونية بفكرة القداسة الدينية ولكنها خلعتها على الدولة وعلى الشعب وعلى تاريخ الامة ـ أى أن ثمة تداخل كامل بين الزمنى والمقدس . والنجمة السداسية كانت تتسم أيضا بهذا التداخل فهو رمز كان شائعا بين اليهود ، علامة عليهم ، أى أنه « قومى » ولكنه كان قد بدأ يكتسب ايحاءات دينية دون أن يكون له مضمون دينى محدد ـ أى أنه كان يحمل قداسة ما ولكنها قداسة ارتبطت بالرمز الزمنى . وأبهام مصدر القداسة قد يكون عيبا من منظور دينى ، ولكن من منظور صهيونى فهو يشكل مصدر قوة فالصهاينة كانوا يبحثون عن رمز يجسد فكرة قداسة اليهود لا قداسة اليهودية وهذا ما انجزته نجمة داود .

وقد تبنى النازيون ايضا نجمة داود رمزا لليهود وكان على اليهود ارتداؤها رمزا للفولك أو الشعب اليهودى العضوى ولتمييزهم عن الفلك الألمانى العضوى ولذا اصبحت النجمة مرتبطة فى الوجدان اليهودى بالابادة . ويرى بعض اليهود أن العلامة التى ارتبطت فى الاذهان بذل اليهود وابادتهم لاتصلح أن تكون رمزا لهم ، بينما يرى البعض الآخر أنها لذلك أصبحت رمزا على « تاريخ الشعب » ومهما كان الامر فان الدولة الصهيونية اتخذت المينوراه شعارا لها ولا تظهر النجمة الا على العلم .

ويستخدم الاسرائيليون نجمة داود حمراء كمقابل للصليب الأحمر أو الهلال الاحمر (ويسمى بالعبرية ماجن ديفيد أدوم) وترفض منظمة الصليب الاحمر الدولى الاعتراف بالنجمة السداسية الحمراء رمزا ولذا لم تنضم اسرائيل للمنظمة الدولية .

أقوال معاصرة


حسنى مبارك

● «أبوالهول اثر عالمي وليس ملكا لنا وحدنا»

الرئيس حسنى مبارك

● «الجمود الفكرى وقسوة الخوف عنوان يستدعيان منا الانتباه الدائم»

الرئيس الفرنسى فرانسوا ميتران


فرانسوا ميتران

● «نحن فى بداية قصة حب بين اسرائيل وتشيكوسلوفاكيا» .

موشى ارنز
وزير خارجية اسرائيل

● «نحن نسعى من اجل تحقيق المانيا الاوربية ، وليس أوروبا الالمانية»

هانز ديترش جنشر
وزير خارجية المانيا الغربية

● «لن نودع القرن العشرين . الا ويكون كل بيت فى الغرب وبعض اجزاء الشرق ، وقد اصبح مركزا الكترونيا كاملا للترفيه والتعليم»

المخرج جان لوك جودار
رائد الموجة الجديدة الفرنسية

● «انا من أسرة لا مستقبل لها كالديناصور»

الدكتور لويس عوض

● «ينبغى أن نختار من البدائل الشرعية كل مايقوى فينا روح العقلانية وحرية الاختيار»


بيريز دى كويار

الدكتور حسن حنفى

● «المخدرات قنبلة موقوتة تهدد قلب حضارة العالم»

بيريز دى كويار
امين عام الأمم المتحدة

ماذا لو تصحرت أمريكا واخضرت افريقيا ؟

بقلم : عبدالرحمن شاكر

ألقى الرئيس الأمريكي جورج بوش خطابا في مؤتمر دولي بجامعة جورج تاون في العاصمة الأمريكية واشنطن ، وحضره أربعون من الخبراء العالميين في شئون البيئة والأرصاد الجوية ومنهم العالم المصـرى د / مصطفي طلبه السكرتير العام لمنظمة التنمية والبيئة ، والبروفيسير اوباشي مدير منظمة الأرصاد الجوية .

وطبقا للتقرير الذى نشرته الاهرام ، فقد اثار خطاب الرئيس الأمريكي ازعاج المؤتمر .

فبينما راح يتباهي بأنه أول رئيس امريكي يحضر مؤتمرا من هذا النوع ، ويعتمد مليار دولار لأبحاث حماية البيئة ، فانه عبر عن عناد الرأسمالية الأمريكية ، وإصرارها على التوسع الصناعي ، رغم أن مصانع الولايات المتحدة الأمريكة واستهلاكها الواسع للوقود ، في السيارات والمكيفات وما إليها ، هي المسئول الأول عن تلوث البيئة ، فضلا عن إصرار الرئيس الأمريكي في مجالات أخرى عن الاستمرار في برنامجه لحرب النجوم .

● وحديث البيئة اليوم ومشاكلها على كل لسان ، مثل تآكل طبقة الأوزون ، وإرتفاع درجة حرارة الكرة الأرضية ، وذلك بسبب زيادة نسبة غاز ثاني اكسيد الكربون في الجو ، نظرا للزيادة المستمرة في إحراق موارد الطاقة من البترول والغاز الطبيعي والفحم والخشب .. الخ . وما ينطوى عليه ذلك من أخطار ، حيث تحولت الكرة الأرضية الى ما يشبه «الصوبة» ، أو البيت الزجاجي للنبات ، فأصبحت تحتفظ بقدر أكبر من حرارة الشمس ولاتردها ، ومن شأن ذلك إذا استمر أن يؤدى الى تغيرات مناخية واسعة النطاق ، منها ذوبان الجليد في المناطق المتجمدة عند القطبين . وبالتالى ارتفاع سطح الماء في البحار والمحيطات ، مما يهدد بالغرق كثيرا من السواحل في مختلف القارات ، وما عليها من مدن ومنشآت عمرانية ، ومنها أيضا احتمال إعادة توزيع المطر على سطح



هل ينتهي التمثيل الكلوروفيلي من العالم ؟

الكرة الأرضية بحيث تتصحر مناطق كثيرة ولاتزال شديدة الخصوبة مثل السهول الأمريكية ، وبالعكس يمكن أن تخضر صحراوات قاحلة مثل الصحراء الافريقية الكبرى ، التى كانت الى سنوات قريبة تهدد ما جاورها من مناطق مزروعة فيما عرف بظاهرة التصحر فى افريقيا ، وماترتب عليها من مجاعات .

ويعتبر علماء البيئة أن الدفاع الطبيعي ضد تزايد غاز ثانى اكسيد الكربون فى الجو وهو الغابات مهدد بالدمار ، فالغابات الأوروبية كثير منها الآن عرضة للتآكل بسبب حموضة المطر المشبع بالغازات الكيماوية من عوادم المنشآت الصناعية الضخمة التى تقدم فى مختلف أرجاء القارة الأوروبية ، وغابات حوض الامازون فى امريكا اللاتينية تتآكل بفعل الانسان ،

واضطرار الدول المدينة هناك لقطع الكثير منها وبيعها أخشابا للحصول على موارد ضرورية من العملات الأجنبية لتمويل وارداتها . وكذلك الحال بالنسبة للغابات

الاستوائية فى افريقيا ، مما جعل علماء البيئة يقولون بأن الفقر والغنى كلاهما يساهم من جانبه فى تدمير البيئة ! ودفاع الغابات ضد ثانى أوكسيد الكربون هو أن الأشجار تقوم بامتصاص هذا الغاز فى عملية « التمثيل الكلوروفيلي » المعروفة وتحوله الى مواد كربوهيدراتية ، وتطلق بدلا منه غاز الاكسجين ، مما جعل بعض المعلقين يصف غابات الأمازون بأنها « رئة العالم » .

● أخطار عادم السيارات

ويقترح علماء البيئة من أجل الحفاظ عليها ضد هذا الخطر ، أن يقلل العالم الصناعى من إحراق الوقود ، سواء ما يستخدم منه فى الاغراض الصناعية أو فى أغراض الاستهلاك مثل التدفئة والتبريد والاتارة وما اليها ، بما فى ذلك ، عادم السيارات الذى له مساهمات كبرى فى تلويث البيئة خلاف إحراق الوقود وزيادة نسبة ثانى اكسيد الكربون فى الجو ، واذكر ان أول اتصال لى بقضية تلوث البيئة هذه ، كان فى هولندا فى عام ١٩٨٤ ، حيث سألت احد النشطين سياسيا ، ممن يعتبرو نفسه من « التقدميين » فى الحزب الديمقراطى المسيحى ، عمن يقصده بهؤلاء التقدميين ، وهل هم من ذوى الميول الاشتراكية فأجاب بالنفى ، وقال إن المسألة أخطر بكثير من أن تكون مجرد توزيع العائد الاجتماعى ، او الدخول ، ولكنها على حد تعبيره : « اننا نجد فاتورة التقدم الصناعى امامنا على المنضدة » ثم راح يشرح لى مايقصده بتلك العبارة ، فقال إن تلوث البيئة يمثل خطرا حقيقيا على أسس الحياة فى هولندا ، فقد ماتت كل الاحياء المائية فى أحدى بحيرات السويد بسبب المخلفات الصناعية والمطر الذى تذوب فيه الأبخرة الصناعية ، وخاصة تلك القادمة من بريطانيا العظمى عبر بحر الشمال ، فقد تحول الى مطر حمضى . وتسبب فى إهلاك مساحات هائلة من الغابات الألمانية ، وهو بالنسبة لهولندا يهدد محاصيلها الزراعية ومواشيها ، واكثر من ذلك يهدد بتآكل التربة الهولندية ذاتها . ومعروف أن هولندا هى الأراضى الوطنية التى انتزعها الهولنديون بجهودهم من البحر واقاموا عليها بلادهم ، كان ذلك هو حديث « يانس كلوسنس » الذى التقيت بها فى هولندا ، فى عام ١٩٨٤ ، وكتبت عنه للهلال فى عدد سبتمبر من نفس العام (١) ، والآن فى بداية التسعينات يمكن أن نضيف أن هولندا كلها يهددها الغرق اذا ما أدى ارتفاع درجة حرارة الأرض الى ذوبان الجليد فى المناطق القطبية !

والحل « التقدمى » عند « يانس » هو نشر الوعى بحقيقة أخطار النمو الصناعى فى هولندا وأوربا وسائر العالم الصناعى ، والتقدمى هو من يعمل من جانبه على تقليل استهلاكه من المنتجات الصناعية ، حتى لايضاعف من أخطار الصناعة على حياة بلاده ومستقبلها ـ فإذا كان فى استطاعته أن يكتفى بسيارة صغيرة فلايسعى لاقتناء واحدة أكبر ، واذا كانت الدراجة تغنيه عن السيارة فليكتف بها ، واذا كان يستطيع السير على قدميه فلا داعى لاستخدام الدراجة أيضا ، ويوفر الطاقة المحروقة والمواد المبذولة فى صناعتها .. وهكذا .

ولكن هل يمكن ان يستجيب العالم الصناعى الى دعوات كهذه من التى تصدر عن المهتمين بشئون البيئة ؟ إن أحزاب

الخضر أى الداعين الى حماية البيئة قد اصبحت الآن قوة سياسية ملحوظة فى اوربا ، وقد نجح بعض ممثليهم فى الانتخابات التى جرت خلال العام الماضى للبرلمان الأوروبى ، وقد تحالف الحزب الاشتراكى الديمقراطى فى المانيا الغربية مع حزب الخضر ، مؤملا أن يعود ثانية من خلال هذا التحالف الى الحكم فى الانتخابات النيابية المقبلة ، مستهدفا تحقيق برنامج يدعو الى عدالة اكثر فى توزيع العائد الاجتماعى من ناحية ، ويحاول الدفاع عن البيئة ضد أخطار العصر الصناعى من ناحية أخرى .

ولكن ماذا عن « ديناصورات » العصر الصناعى ، أى الشركات العابرة للقارات والتى تعتبر نفسها وارثة العالم بشقيه ، ليس العالم الرأسمالى وحده ، التى اصبحت هى الصورة الكبرى لعلاقات الانتاج فيه ، بل العالم الاشتراكى أيضا ، الذى شرع يعدل من أوضاعه السياسية والاجتماعية ، ويستدخل آليات السوق ، ويستهدف اللحاق بالثورة التكنولوجية التى تملك مفاتيحها هذه الشركات الكبرى ؟ ومن المعروف أن التكنولوجيا الأكثر حداثة وتطورا كانت ولاتزال موظفة لخدمة هذه الشركات ولصناعة السلاح فى آن معا .

● تقلص صناعة السلاح

إن صناعة السلاح يمكن أن تتقلص الآن بكل ما كانت تمثله من أخطار على الأرض برمتها ، أو استهلاكها الواسع النطاق للموارد سواء فى ذلك الطاقة أو المعادن ، وذلك بعد انتهاء الحرب الباردة بين المعسكرين حسبما أعلن جورباتشوف وبوش فى لقائهما فى أواخر العام الماضى فى مالطة ، ومعنى تقلص صناعة السلاح أن يتحول قدر كبير من رءوس الأموال الى الانتاج المدنى الذى تتصدره الشركات عابرة القارات ، ويكون فى مقدورها التوسع الكبير فيه سواء لاشباع المزيد من الطلب فى أسواقها الداخلية ، أو الاسواق الخارجية بما فيها أسواق أوربا الشرقية المتلهفة شعوبها على ما توصل اليه الغرب من تقدم صناعى ، وخاصة فى سلع الاستهلاك .

إن جرى الشركات الصناعية الكبرى وراء الربح سوف يجعلها تعرض جانبا أو تقاوم كل دعوة الى حماية البيئة عن طريق التقليل من الانتاج الصناعى واستهلاك منتجاته ، بل أن التنافس بينها سوف يزداد على الأسواق الجديدة التى سوف تنفتح أمامها بحيث تزيد من إهدار المواد الخام فى الانتاج ثم إعادة الانتاج لسلع اكثر تطورا طبقا لما تقدمه التكنولوجيا كل يوم من مبتكرات جديدة ، إلا إذا تداركتها الحكومة والهيئات الدولية بالتشريعات الملزمة بوضع سقف للنمو الصناعى واستهلاك الموارد وتدمير البيئة ، كما يدعو خبراء البيئة فى الأمم المتحدة ، وهؤلاء يطالبون بإعادة تخطيط الاقتصاد العالمى على نحو يكفل حماية البيئة من التدهور ، ويدعون الى استخدام التكنولوجيا المتطورة ، والفائض الذى سوف يتوفر منها بعد انتهاء سباق التسلح فى حماية البيئة بدلا من تدميرها ، وذلك عن طريق التقليل من استخدام الكيماويات الضارة وإيجاد بدائل نظيفة للطاقة بما فى ذلك الطاقة النووية ، التى تسبب حوادث لها مثلما وقع فى بنسلفانيا فى الولايات المتحدة الأمريكية ، وحادثة تشيرنوبيل فى الاتحاد السوفييتى فى نشوء أخطار لايدرك مداها الآن على البيئة وصحة

البيئة وعلاقاتها بالاقتصاد العالمى :

الانسان على حد سواء . كذلك يدعو خبراء البيئة الى تطوير الانتاج الزراعى فى الدولة النامية وتوجيه فائض رءوس الأموال اليها لهذا الغرض ، بل مساعدتها على تنمية صناعية معقولة من أجل صيانة مواردها البيئية وفى مقدمتها الغابات . ومن يتصفح التقرير الذى أعدته « اللجنة العالمية للبيئة والتنمية » التى شكلتها الأمم المتحدة فى عام ١٩٨٣ ، وانتهت من عملها وكتابة تقريرها عام ١٩٨٧ ، يجد الوف التفاصيل التى تدعو الى إعادة تنظيم الاقتصاد العالمى برمته ، على صورة تكاد تقارب إدارة « اشتراكية » عالمية لهذا الاقتصاد ! ويكفى أن العنوان الذى كتب تحته هو مستقبلنا المشترك OUR COMMON FUTURE «(٢).

هل ستقبل الدوائر الراسمالية الكبرى فى العالم ، هذا البرنامج « الاشتراكى » الذى وضعته لجنة كانت تراسها « جرو هارليم برنتلاند » رئيسة وزراء النرويج وزعيمة حزب العمل بها ؟ أم أن حافز الربح سوف يكون اقوى من كل دعوات العدالة الاجتماعية على المستوى العالمى والتخطيط المعقول لموارد العالم الاقتصادية من أجل مصلحته المشتركة ؟

وعلى كل فإن التوازن البيئى لابد وأن يفرض نفسه فى نهاية الأمر على صورة أو أخرى . أن معنى أن تركب الدوائر الصناعية الكبرى رءوسها وتصر على التوسع فى الانتاج والاستهلاك الصناعى بهدف الربح فحسب ، دون أية مبالاة بالاعتبارات البيئية ، قد يؤدى كما تقدم فى أول هذا المقال الى ارتفاع درجة حرارة الأرض ، بحيث تتصحر المساحات الخضراء فى الولايات المتحدة الأمريكية وهى أكبر منتج فى العالم للحبوب ، بسبب تحول المطر الى صحراوات مثل الصحراء الأفريقية الكبرى ، فتنمو فى هذه الأبخرة الغابات التى تمتص ثانى أكسيد الكربون ، وتفرز الاكسجين ، وتسمح بالتوسع الزراعى من جديد ، بعد أن كانت افريقيا لاتزال الى أيامنا هذه قارة التصحر والمجاعات « وتلك الأيام نداولها بين الناس »

(صدق الله العظيم)

● تنمية عشوائية

ولكن الأمم النامية ، ومن بينها بلادنا لاتستطيع أن ترتاح الى هذا الاحتمال وما شابهه أو تستقيم اليه ، بل عليها أن تعبىء جهودها الذاتية لاعادة تقويم اقتصادياتها على الأسس الجديدة التى تكشف عنها دراسات البيئة ، قدر ما يمكن ، فقد ورد

عندما قصوا الخضرة ..
من اجل مخلفات الطيور



ذكر مصر على سبيل المثال فى التقرير المذكور للجنة البيئة والتنمية ، باعتبارها مثلا للتنمية العشوائية للمدن على حساب الأراضى الزراعية الثمينة ، والأراضى الزراعية الثمينة ، والأراضى الزراعية ليست مجرد مصدر للمواد الغذائية وللخامات المطلوبة للأغراض الصناعية فحسب ، بل إنها أيضا مصدر الهواء النقى الذى تفسده المدن الصناعية بالابخرة الكيماوية بما فيها عوادم السيارات إن الماء والهواء - كما يقول التقرير - لم تعد سلعا مجانية فى هذا العصر الصناعى ، بل أصبحت سلعا تحتاج الى جهودات بشرية منظمة للحفاظ على نظافتها وضمان صحة الانسان ، فالماء عرضة للتلوث بمخلفات الصناعة اذا جرى تصريفها فيه . وكذلك الهواء بالأبخرة المتصاعدة من الاحراق والكيماويات ومما يوضحه التقرير ايضا أن الأسمدة الكيماوية حتى ولو كانت على المدى القصير تؤدى الى زيادة المحصول ، وبالتالى تساعد البلدان النامية على زيادة صادراتها فى ظل أوضاع المبادلات التجارية غير العادلة فى التجارة العالمية ، فإن لها آثارها الضارة على المدى الطويل ، حيث أن تشبع التربة الزراعية بالنتروجين الذى تحتويه هذه الأسمدة من شأنه أن يفسدها ويقلل قدرتها على حفظ الماء والمواد الغذائية اللازمة لنمو النبات لذلك لم يتردد تقرير لجنة التنمية فى اسداء النصيحة ، للدول النامية على وجه الخصوص ، بإعادة استخدام المخصبات الطبيعية وفى مقدمتها روث البهائم بدلا من الأسمدة الكيماوية وبالمثل الاعتماد على الوسائل التقليدية فى مكافحة الافات الزراعية بدلا من المبيدات الكيماوية السامة ، التى حرمت بعض البلدان المتقدمة بالفعل استخدامها بعد أن تبينت أضرارها على صحة الانسان والحيوان .

إن دورة الحضارة تدور ، واذا كان الانسان قد أمكنه إبداع وسائل جديدة للسيطرة على الطبيعة ، فإن هذه الطبيعة بدورها لها شروطها التى تفرضها ، واصبحت تفرضها الآن بشكل أكثر ضراوة يمكن أن يهدد كل ما بناه الانسان . والتقدم لايمكن أن يكون مطلقا فى اتجاه واحد ، لا بالتوسع الصناعى ، ولا فى إقامة المدن الكبرى التى يتكدس فيها الناس ويحتاجون الى عمائر ضخمة ومرافق شديدة الكلفة ، ومواصلات مرهقة مكلفة بدورها وعاملة على تسميم الهواء الذى يتنفسونه ، بل ذلك لم يعد تقدما بحال من الأحوال ، واسعد الناس من يتاح لهم أن يسكنوا مناطق ريفية ، تحيط بها الخضرة والهدوء حيث يتنفسون هواء نقيا على الأقل ويضمنون غذاء صحيا قريب التناول ، وهذا ماينبغى وضع خطط التنمية على اساسه قدر المستطاع ، وربما كان أكبر فائدة للتكنولوجيا فى هذا العصر هو مايمكنها أن تقدمه فى سبيل إعادة الانسان إلى حياة طبيعية هادئة فى الريف ، من وسائل رى متطورة ، ووسائل لاصلاح المزيد من الأراضى .

واستنبات سلالات جديدة أوفر محصولا .. الخ .. فالرعب الذى يحيط الآن بالمجتمعات الصناعية كفيل بأن يجعلها عبرة لمن يعتبر !

---

(١) فى مقال بعنوان « التيارات السياسية الجديدة فى اوروبا » .
(٢) ترجم إلى العربية ونشرته سلسلة « عالم المعرفة » التى تصدر فى الكويت .

بقلم: د. شكري محمد عياد

القفز على الأشواك

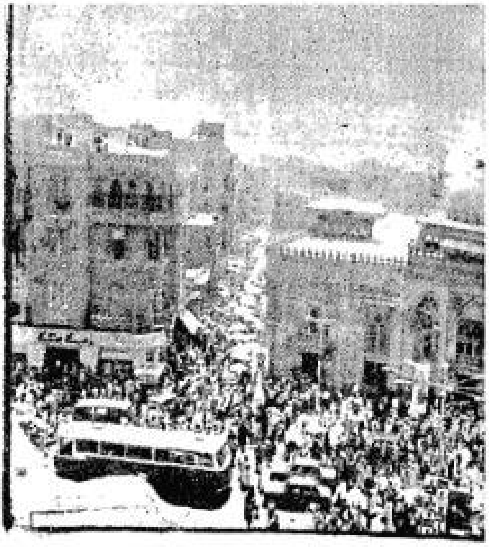
يحيى حقي

وحوار مع الحياة

يحيى حقي لا يجد الحياة المليئة الا لدى الناس البسطاء .. ربما كانت هذه الفكرة رومنسية في اصلها ، ولكنها تتجلى عنده بما يشبه اليقين العلمي ، أليس تشبث هؤلاء الصغار بالحياة ، ولو في ادنى مستوياتها ، استماتة في سبيل البقاء ، هو أوضح الدلائل على قوة الحياة ؟ يبدو ان هذه الرؤية سيطرت على يحيى حقي خلال سيرته الادبية كلها ، وفرضت عليه أن يعيد تشكيل اسلوبه مرة بعد مرة لكي يدفع بها الى أعلى مستويات التعبير الفني . واهم ما في هذه الرؤية ـ وهو ما يجعل التعبير عنها نوعا من الضرورة التي تلح على الكاتب ولا تدعه يستريح ـ انه نظر اليها دائما بدهشة تتردد بين التسليم والانكار ، وقد تخف حتى تبعث الابتسام ، وقد تعمق حتى تصل الى حد الشعور بالمأساة .

● هي اذن رؤية مركبة ، وقد تبدو ملتبسة في بعض الاحيان والالتباس ليس بعيب في الفن ، بل ربما كان مصدر قوة حين يكون اساسه المحاكاة ، فمحاكاة الواقع الخارجي او الواقع النفسي ، فالواقع الخارجي ليس له وجه واحد ، والشعور الباطني كذلك مليء بالمتناقضات . ولكن العمل الفني الذي يبنى على «مغزى» معين يصبح لذلك قريبا من النثر الفكري ، ومطالبا ـ من ثمة ـ لا بوضوح هذا المغزى وخلوه من الالتباس فحسب ، بل بأن يكون صحيحا ايضا .

ويجب أن اعترف بأن «قنديل ام هاشم» ـ تلك القصة التي يدين لها يحيى



ام هاشم .. مدد ياسيدتى



يحيى حقى

حقى بشهرته الادبية أكثر من اى عمل آخر ، وبديهى انى قرأتها بدل المرة مرات ـ توقعتى دائما فى نوع من الحيرة ، فهى من ذلك النوع من الاعمال الادبية الذى يختلط فيه المغزى الفكرى «او لنقل الموعظة» بالفن .. لهذه القصة بطلان اسماعيل ، ابن حى السيدة زينب ، الذى بعثه أبوه ـ وهو تاجر ضعيف الحال ـ لدراسة الطب فى انجلترا ، وحى السيدة زينب نفسه ، أو بمزيد من التخصيص ميدان السيدة زينب ، أو بتخصيص اكثر جامع السيدة زينب ، وقلبه النابض وهو المقام ، بقنديله الذى يضاء بالزيت ، وكلما جدد خادم المقام زيته جاءه طلاب البركة ليمدهم بشىء ، من الزيت القديم يعالجون به عيونهم المريضة . يتحدى اسماعيل ـ الذى تخصص فى طب العيون ـ هذه الخرافات ولكنه يسقط من اول معركة ، ويعود الى ابنة عمه فاطمة وبيده زجاجة من زيت القنديل ، وينادد بها قائلا : «تعالى يا فاطمة ! لا تيأسى من الشفاء ، لقد جئتك ببركة أم هاشم . ستجلى عنك الداء ، وتزيح الأذى ، وترد اليك بصرك فاذا هو حديد» .

● الموعظة بالفن

ويقول راوى القصة بعد ذلك ، وهو لسان المؤلف :

«وعاد من جديد الى علمه وطبه يسنده الايمان» .

اتساءل دائما كلما وصلت الى هذه النقطة من القصة (وليس بعدها الا النهاية التى تربنا اسماعيل بعد أن تزوج فاطمة وأولدها خمسة بنين وست بنات ، وقد اصبح أكولا نهما ، اكرش ضخم الجثة ، مصابا بالربو من الافراط فى التدخين ، يذكره اهل الحى بالخير ويتغاضون عما اشتهر به من ولع بالنساء ، اتساءل عن هذه المصالحة العجيبة التى يعقدها

الكاتب بين «العلم والايمان» ـ هذه النوع من الايمان ـ ولا سيما بعد ان اصبح «العلم والايمان» شعارا لبعض الناس : هل الشفاء ـ شفاء هذه الامة من كل امراضها ـ لا يتأتى الا اذا بقيت على ايمانها بفضائل زيت القنديل فى شفاء العيون الرمداء ، ونحو ذلك من الخرافات ؟ ولماذا يحرص الكاتب على التنبيه الى ان اسماعيل «استمسك من علمه بروحه واساسه ، وترك التدجيل والمبالغة فى «الالات والوسائل» ، ولا يشير اطلاقا الى تصحيح الايمان وتنقيته من البدع والخرافات ؟

هل كان للزمن الذى كتبت فيه هذه القصة ـ وهو على الأرجح اواسط الاربعينيات ـ اثر فى المضمون الفكرى الذى حملته ؟ لقد بدأ الشك فى قيم الحضارة الغربية منذ الثلاثينيات ، عبر عنه توفيق الحكيم تعبيرا صريحا فى «عصفور من الشرق» ، وظهر فى اتجاه الكتاب الكبار الى التراث الاسلامى يدرسونه او يستلهمونه او يسترشدون به ، وكان لسنوات الحرب العالمية الثانية تأثير ضار فى خلخلة البنيان الاجتماعى (على عكس ما حدث اثناء الحرب العالمية الاولى) بظهور طبقة «تجار الحرب» التى اثرت من تعاملها مع جيش الاحتلال ، وظهر بين طليعة المثقفين شعور جديد بأن الحركة الوطنية فقدت قوتها الدافعة عندما ابتعدت عن الطبقات الشعبية التى بقيت فى الدرك الأدنى من حيث القدرة المادية والفكرية على حد سواء . لعل يحيى حقى اراد بهذه القصة ان يؤكد القوة التى تملكها هذه الطبقات الشعبية وهى ببساطة قوة الحياة التى غالبت المحن على مدى القرون المتطاولة ، وأن ينبه الى قيمة التواصل بين الفئات المثقفة وبين الكتل الشعبية ، فهذا كله ظاهر فى القصة ، ولكنه لا يبرر الحل الساذج الذى اقترحه : جمع العلم التجريبى والايمان الخرافى فى سلة واحدة .

من حسن الحظ أن يحيى حقى لم يقع فى هذا الخطأ ـ تضمين القصة الفنية مغزى اصلاحيا ، وساذجا ايضا ـ مرة أخرى ، كما انه لم يكرر محاولته التى اقدم عليها فى «صح النوم» لترجمة فكره السياسى الى شكل قصصى . لقد كان فى اخلاصه للفن اكثر اتفاقا مع طبيعته ، واكثر عمقا فى اكتشاف الموقف الانسانى ، وهو «المضمون الفكرى» الاسمى الذى يتطلع اليه الفن .

واذا كان المضمون الانسانى فى قنديل ام هاشم ـ وهو اقتران الحياة بالايمان واقترانهما معا بالتواصل الاجتماعى ـ قد غلبت عليه فكرة اصلاحية ساذجة ، فان يحيى حقى يعبر عن هذا المضمون نفسه بصورة عكسية لكن من خلال الفن وحده ، فى قصة «الفراش الشاغر» . هنا اسرة تغازل الموت باغلاق بابها ونوافذها وسط الحى الشعبى الذى تقوم حياته على التواصل . يفر الابن الاكبر من نداء الحياة حين يستسلم للمخدر فلا يلبث ان ينفصل ماديا اذ يُحجز فى مصح عقلى ، لا يغادره الا فى زيارة خاطفة لمنزل الاسرة يجيئه اشبه بالمجنون ويغادره اشبه بالطفل بعد ان يتلقى جرعة المخدر . وتنتهى به الحال الى الموت الكامل ليترك فراشه فى المصح شاغرا .. نتوقع ان يشغله الابن الاصغر الذى عجز عن تقبل مسرات الحياة كما عجز عن النهوض

بأعبائها ولم يجد راحته أخيرا الا فى مضاجعة الموت مضحيا برجولته نفسها ..

ما ابعد يحيى حقى الآن عن النماذج الاجتماعية التى رأيناها فى قصصه الاولى : نموذج الموظف الصغير ، أو ابن الاكابر الذى لايعرف شيئا عن ممتلكاته ، او المراة التركية التى تخلفت من عهد الحريم واضطرت ان تعيش فى حى شعبى .. الخ .. هذه النماذج التى لاتنجو من العمومية الباهتة ولاتكتسب شيئا من القدرة على الاقناع إلا بفضل صفات فردية لاتغير شيئا من الخصائص الجوهرية للنموذج . الابن الأصغر فى «الفراش الشاغر» ـ على العكس ـ لا يمثل فئة اجتماعية ، إنما هو شخصية متفردة تستمد قدرتها على الاقناع ـ رغم كونها حالة متطرفة ـ من دلالتها الانسانية العامة .

● شاعرية الراوى

« الفراش الشاغر » درة يتيمة حقا ، اذ لاتعرف لها نظيرا ولا شبيهاً فى عيون الأدب العالمى . ولم يكن صاحبها ليحقق هذا التحليق لو لم تسعفه لغة قصصية خاصة جدا لها من الشعر نصيب كبير ، اذ اننا نطلع على خبايا ابطالها من خلال الراوى الذى يتمتع ببصيرة نافذة وحساسية مرهفة بالاسلوب ، تحرص على جمال الاحتشام حتى حين تتناول ابشع المعانى . هل نسمى هذه الطريقة فى القصص سردا ؟ ربما كان اصطلاح «السرد» فى أصله الاعجمى المترجم اصطلاحا محايدا ولكنه فى عرفنا الجارى يدل على طريقة بدائية فى القص : رواية

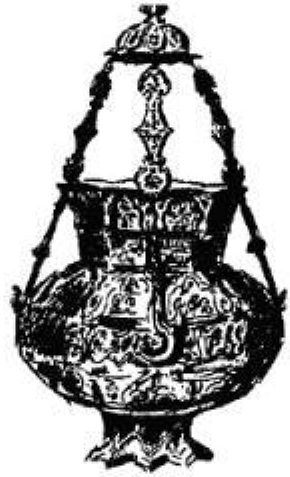


الحوادث فى تسلسلها الزمنى الجامد .

لهذا حاول يحيى حقى ان يهرب من السرد فى «عنتر وجولييت» ولكن الذى وفق اليه ، فى الحقيقة ، هو الارتفاع باسلوب السرد ، من خلال شاعرية الراوى الى مستوى عال من التعبير الفنى .

إن ما نسميه «شاعرية الراوى» هو العماد الذى تقوم عليه اعمال قصصية رومنسية رائعة مثل «آلام فرتر» و «روفائيل» و«غادة الكاميليا» ولكن هذا النوع من النثر الوجدانى اصبح مطية سهلة للمبتدئين فى كتابة القصة من جيل «يحيى حقى» وقد رأينا ان يحيى حقى حين انضم الى «المدرسة الحديثة» ـ التى كانت تدعو الى الواقعية ـ لم يفقد غرامه بتصوير الحالات الغريبة والمشاعر الدفينة وان حاول ان يتخلص من ذاتية التعبير الرومنسى . اما فى أعماله الناضجة فاننا نلاحظ نوعا من

يحيى حقي وحوار مع الحياة



الاستقطاب : فهناك الراوى من ناحية ، مهمته الاستكشاف وهناك الشخصية المستكشفة من ناحية اخرى . وكلا القطبين من خلق الفن . فلا يجب ان نعامل شخصية الراوى على انها مساوية لشخصية الكاتب دائما ، أو مساوية لها تماما ، وان كنا نرى انها مشتقة أو مستخرجة من شخصية الكاتب . هى بالأحرى شخصية الفنان المستكشف ، الذى يخوض مغامرة فى نفسية بطله تشبه مغامرة بطله فى الحياة ، وكاتبنا يحيى حقى يستخدم شخصية الراوى بطرق متعددة فاذا كان قد استقل بالقصة فى «الفراش الشاغر» فلم يترك مكانه الا لحظات معدودة لحكاية جمل حوارية قصيرة ، فانه فى «قصة فى سجن» يفسح مجالات كبيرا لبطله كى يروى قصته بنفسه ، وفى «دماء وطين» يخلق شخصية ثانية موازية لشخصية الراوى ، وهى شخصية المحقق ، الذى يتجاوز موقفه الرسمى ليكون صديقا للبطل ، يصغى فى صمت لاعترافاته .

ليس استخدام الراوى فى حد ذاته حيلة قصصية مبتكرة ، فقد استخدم موبسان كثيرا فى مقدمات اقاصيصه ممهدا للحدث بوصف المكان او التعريف بالشخصية ، وجعل له سومرست موم دورا فى الاحداث نفسها . ولكن الراوى عند يحيى حقى يقوم بوظيفة اهم : أنه يسبغ على القصة لونا شاعريا اذ نرى اشخاصها واحداثها من خلاله ، ومشاركة فى الحدث لا تقتصر على الحدث الخارجى بل تشمل المعاناة النفسية التى تلابسه وهذا هو الشيء الجديد والصعب . ولشرح هذه الصعوبة يجب ان نعود الى موقف الكاتب الى عملية الابداع ذاتها . فالكاتب يقسم نفسه (او على الاصح يقسم الحالة الابداعية) بين الراوى والبطل ، ليكون من حق الراوى ان يتغلغل فى المعاناة النفسية للبطل . واذا كان حقى قد احتفظ بالعلاقات الواقعية بين الطرفين فى معظم القصص التى اتبع فيها هذا الاسلوب فهناك قصتان تستوقفان النظر لان العلاقة بين الراوى والشخصية التى يدور حولها الحدث يصح ان توصف بانها علاقة تطابق من ناحية وتناقض من ناحية اخرى ، اى انها يمكن ان تفسر على المستوى النفسى بانقسام الشخصية .. وبما ان الكاتب يحرص ــ مع ذلك ــ على اخلاء القصة من اى علامة يمكن ان يستدل منها على ان الراوى مريض نفسيا ، فإننا نحكم بأنه يستخدم هذا الشكل الفنى ليوحى بان النزعتين المتعارضتين يمكن ان تتعايشا فى نفس واحدة ، وهو معنى اخلاقى يعلم التسامح والرحمة ، وان خلت القصة خلوا تاما من اى اشارة اخلاقية .

بين القصتين المشار اليهما هنا سبعة عشر عاما حسب تاريخ النشر ، ولكننا نكاد نجزم بان الكاتب فى القصة الثانية لا يزال يحاول شيئا بداه فى القصة الأولى

فالعلاقة بين الراوى والبطل واحدة تقريبا فى القصتين ، ولو ان الكاتب فى القصة الثانية ينسب الى ارادة الفنان ما نسبه فى القصة الاولى الى المصادفة ففى القصة الاولى «مرآة بلا زجاج» (مجموعة ام العواجز) تلقى المصادفة فى طريق الراوى بشخصية تشبهه تماما فى المنظر ـ فكأنه حين ينظر اليه انما ينظر فى مرآة بلا زجاج ـ وان كانت مناقضة له فى الجوهر . الاول انطوائى ، يتملكه احساس غامض بالذنب ، ورعب من الحياة والاحياء ؟ والثانى مقبل على الحياة بنهم لايعرف الشبع ، وارادة لا تعرف الخوف

او التردد . ويجب ان نضيف ايضا ان الراوى يتحدث عن نفسه احيانا اخرى بضمير المتكلم واحيانا بضمير الغائب ، وكأنه ضيق بنفسه ، لايريد ان يعترف بان نفسه هى نفسه ! تقوم بين الشخصيتين علاقة من نوع غريب ، اذا كان الاختلاف بينهما رغم تطابق الصورة مثار استغراب وموضوع مزاح عند الثانى ، فانه عند الاول باعث على مزيج من الاعجاب والكراهية ، وكأنه يشعر ان حياته تتسرب فى حياة الآخر ، انه اذن فى حالة دفاع عن النفس تحل له حتى القتل !

اما فى القصة الثانية «كان» (مجموعة « الفراش الشاغر ») فالراوى يجد نفسه منجذبا الى شخصية مناقضة له تماما كما فى القصة السابقة (انسان مجهول عندى يجذبنى اليه شيئا فشيئا ، حتى اذا التصق جسدى بجسده شفطنى داخله .. اصبحت انا هو ، ماضيه ماضى وبقية عمره ستكون بقية عمرى) بهذا الشعور الغريب يقترب الراوى ـ وهو كما يحدثنا عرضا عن نفسه انسان مسالم هادىء يحيا حياة عادية رتيبة ـ يقترب من الشخص الآخر ، وهو مجرم ينتظر الحكم عليه بالاعدام ولا يطمع فى رحمة او شفقة لان جرائمه البشعة المزدوجة والمتكررة تثير عليه كل فطرة سليمة يكون اللقاء بين الشخصيتين حين يجلس الراوى امام المجرم يوم محاكمته ، بينهما قضبان القفص ، ولكن العيون تشتبك فى صراع عنيد ينتهى بأن يستسلم المجرم ويهمس بقصته للراوى (كما يتخيل) .

فالشطر الاول من القصة يروى مغامرة الفنان حين يتدسس الى نفوس شخصياته ، ولايلبث ان يتقمص شخصية الآخر حتى كأنه يحيا فيها او تحيا فيه ، والشطر الثانى هو قصة نفس حساسة وديعة جنت عليها عفونة البيئة وقسوة الاهل حتى دفعت دفعا الى طريق الاجرام .

لعل هذه القصة تريد ان تقول ان رسالة الفنان هى ان يستخلص الجمال حتى من اعماق القبح ، وهى رسالة تتمم رؤية يحيى حقى للحياة والايمان والتواصل ، وتذكرنا بشخصية « عمى اسماعيل » فى « قنديل ام هاشم » .. فهذا الطبيب الذى درس فى اوربا لم يصبح لعلمه قيمة الا حين عاد الى حضن مجتمعه الجاهل المتخلف وقبل الحياة كما يقبلونها ، واحترم ايمانهم ولم يحاول حتى ان يشكك فى خرافاتهم ، وكذلك الفن عند يحيى حقى لا قيمة له ان لم يكن ايمانا وتواصلا ، يدفعان الحياة ويخلقان الجمال ، والامل حتى من اتعس الظروف ، بهذه الرؤية النبيلة شق كاتبنا طريقه العسير وصاغ اسلوبه المتميز .. فالقصة القصيرة عنده ليست صنعة بارعة ولا تسلية ظريفة .. انها رسالة انسانية وقومية .

مأدبة يحيى حقى
فى « صح النوم »

بقلم: محمد روميش

... هنا علينا ان نتقصى لم اختار يحيى حقى « صح النوم » لتكون وصيته الأدبية فى مجال الخلق الفنى.

● قرية ، بلا اسم ، تقع على الجسر ، اين هذا الجسر ، الذى تقع القرية ، الى جواره ، لاندرى . انها قرية على خريطة العالم ، على مبعدة يسيرة منها يمر خط سكة حديدية ، لو مر خط السكة الحديدية بالقرية ، لربطها بالقرى المجاورة . ويتندر ، من ذلك ، بعض من اهل القرية . الاشخاص الذين اختارهم الراوى من اهل القرية ، ليعلقوا على انحراف المهندس بخط السكة الحديدية بعيدا عن القرية ، تنطق تعليقاتهم بمصالحهم الفردية فالعمدة يرى فى ابتعاد خط السكة الحديدية عن القرية فائدة له ، فلن تزيد الحرائق ، وبالتالى لن تزيد ضريبة عزومة معاونى البوليس ، وجند المطافىء ، اذا هبطوا من المدينة .. أما سائق العربة الوحيدة بالقرية ، والتى تنقل المسافرين من القرية الى المحطة وبالعكس ، فقد ضمن رزقه ، وعلف جواده .. ان الرؤية تتعلق بالمصلحة الفردية ، ثم ان هناك معلم الرسم ، والمساح والحلاق ، وهؤلاء يختفون من باقى الرواية ، فلا نسمع عنهم ، وكأنهم افتتاحية السيمفونية ، تهيئنا ، لما يليها ، وهذا دورها وكفى :

العمدة ، تسمع انه ، بالانتخاب ، قد نحى ، ليحل ابن وجيه القرية محله ، سائق العربة الفرد ، اى ذات الحصان الواحد ، بعد ان يصل خط السكة الحديدية الى القرية ، يميل به القدر ، يموت حصانه جوعا ، وهو يلتمس موقعه الجديد الى جوار باب المسجد متسولا .

● حيلة فنية

صلب الرواية ليس أحداثا تقع وتتتابع ، تجمع الشخوص ، وتفرقهم ، أحداثا تبنيها الحركة الخارجية ، للاشخاص ، تصنع لهم أقدارهم المشتركة وتتواصل خلالها وبها ، العلاقات المتشابكة بينهم ، اننا لسنا ازاء ، الشكل التقليدى لرواية ، فبعد الافتتاحية يلجأ



الراوى الى حيلة فنية ، أن يخلق ، يبتكر « حان » ، ثم يحدثنا عن صاحب الحان وزوجه ، ويختار بعضا من أبرز رواد الحان ، ليطلعنا من خلال سبر أغوارهم الانسانية ، على بعض ملامح النفس البشرية ، فى تشابكها وتعقدها . انه يعرض ثنائيات [القصاب وزوجه ، القزم وزوجه ، العرجاء وزوجها ، تاجر الغلال وابنه الفنان]

إذا سرنا مع صفحات الرواية ، فصاحب الحان من ناحية وكل من هذه الثنائيات من ناحية أخرى له علاقته مع صحبه ، انها علاقة « مكانية » تجمع بين كل اثنين من هذه الثنائيات ، وقد صدق الراوى ، وهو يقول ، ان العلاقة بينهم ، كالعلاقة بين الصور يضمها « البوم » ومن حق القارىء ان يتساءل عن كنه وطبيعة (رواية) لاتقوم علاقة مباشرة بين شخوصها ، وان لاتنتقل هذه العلاقات قدما بتقدم صفحات الرواية ، بل من حقه ان يتوقف ، وان يراجع ماقرأه من الرواية .

صاحب الحان تستقيم حياته بين الحان ليلا ، وفى آخر الليل ، يصعد الى سكنه ، الذى يقع فوق الحان ، زوجه امرأة صالحة تؤدى فرضها ، وتقوم بواجبات سيدة البيت ويستوقفنا امران : تعليق نساء القرية ، ولعل الراوى ، قد استخدمهن لوظيفة الكورس حيث يرددن ان صاحب الحان قد التقط امرأته من بيوت البغاء فى المدينة ، وان احدا لايعرف ان كان عقد عليها ، ام يعيش معها فى الحرام .

الأمر الثانى : هذه المرأة ، كنص الرواية تؤدى فروض الصلاة . اعرف رجلا أجيرا ، من فقراء قريتى استأجره « سمسار » ليعزق له حقله ، وقد رفض الأجير أن يأكل من طعام السمسار ، لأن عمل السمسار ـ كما يراه الاجير ـ حرام ، وان طعامه حرام ، وقد ملأ السمسار القرية ، سخرية من الاجير الذى رفض لقمة طرية ، وليس فى بيته كسرة خبز فكيف يتأتى لهذه المرأة الصالحة ان تأكل من كسب بيع الخمور ، والرواية تزيد الامور ، ارباكا ، فهل تذهب فى الهواء ،

مأدبة يحيى حقى في صح النوم

اتهامات الكورس ، ان صاحب الحان لايربطه بالمرأة التي يعاشرها عقد اى ان امرأة صالحة تؤدى فروضها ، وفي نفس الوقت تعاشر رجلا في الحرام .

ان اصطفاء الكلمات ، وسلاسة اللغة ، هي في الحقيقة فخاخ حطها الراوى ، ليصرف الانتباه عن التناقض المتعايش داخل امرأة صاحب الحان ، ام ان الامر في حقيقته تناقض يؤرقنا معشر القراء العاديين من البشر ، الذين نعيش بدفع العادات الموروثة تحكمنا ، ام ان الرواية تقول ان العلاقات بين الناس بمخبرها ، لا بمظهرها ، وان هذا القول يندرج على العلاقة بين الرجل والمرأة .

زوجة القصاب : هي ابنة عمه ، مات عنها ابوها . رعاها القصاب مع امها ، وعلينا ان نحاول فهم سلوكيات هذه الفتاة من واقع النص الذى افرده لها الراوى فنعلم ان اباها مات مفلسا ، وانها نضجت في بيت ابن عمها ، ونعلم من النص ان القصاب كان يميل اليها ، الا ان الفتاة لم

حملت "مجلة الهلال" عدد فبراير الماضي ، لصاحب هذه الكلمات ، سطورا عن رواية "صح النوم" للاستاذ يحيى حقى . وفي عدد مارس من "الهلال" بدأ الاستاذ الدكتور شكرى عياد . تناول اعمال يحيى حقى القصصية ، واشار الى سبق تناول مجلة "الهلال" لرواية "صح النوم" ولم يفته ان يثبت (تقييمه) صح تقييمه للرواية .

وعودة الدكتور شكرى عياد لمباشرة دوره الريادى العظيم ، في تقييم الاعمال الادبية ، على صفحات "الهلال" هو كسب عظيم لحياتنا الثقافية ، ويكاد يكون من الطبيعي ، ان يبدأ الدكتور شكرى عياد ، اداء دوره بتناول اعمال يحيى حقى ، فالاثنان رائدان عظيمان ، ابداعا ، ونقدا .

ـ وكما هو معروف ـ ليس في النقد الادبي ، كلمة اخيرة ، فالصفحات تضيق ، لو ابتغنا حصرا ، للاعمال النقدية التي تناولت الروائي الروسي ، فيدور دستويفسكي ـ مثلا ـ وسيظل ، كتاب اندريه جيد ، عن دستويفسكي واعماله من أعمق وادق واجمل ما كتب عن هذا الروائي .

ومجلة "الهلال" إيمانا منها ، بالقيمة الادبية والفكرية والثقافية التي يمثلها الاستاذ يحيى حقى ، وايمانا منها ، بان تقدم لقارئها ، اكثر من قراءة لاعمال يحيى حقى ، فإنها تفتح صفحاتها ، وتتيح لقارئها ، ان يقف على هذا الرأى ، وذاك ، وتكون لديه فرصته ان يشكل رايه الخاص ، عبر القراءات المتعددة ومستقلا عنها ، اخر الامر .

وعلى سبيل المثال ، فإن رواية "صح النوم" التي تقدم عنها ، "الهلال" ـ في هذا العدد ـ قراءة ، ثانية ، من زاوية اخرى ، سبق ان كتب

تشاركه هذا الميل ، لقد تركته وتركت امها ، وسط هذا العالم وحيدة ، لتذهب مع بهلوان يطوف القرى ، جامعا لقمة عيش ، يموت البهلوان ، وتعود الفتاة مرغمة الى ابن عمها ، ومرغمة ايضا تتزوجه ،

ويعولها مع اولادها ، كما عالها من قبل مع امها ، وقد آن لها ان تستقر ، كباقي خلق الله ، وتطمئن الى بيت وزوج وأولاد . لكنها تلتقي بصبي طحان يقول النص انه يتيم ، و « هبو » الدقيق يغطي وجهه وملابسه ، انها هي الاخرى ، يتيمة « وهبو » الدقيق يشكله بهلوانا آخر . ومرة ثانية ، تترك ابن عمها مع صبي الطحان . اى علاقة تلك التي تربطها ، او تفصلها وتبعدها عن الرجل الذى رعاها من فقر وعوز ، والذى احبها والذى غفر لها خطيئتها الاولى ، ولعله لو امتدت بنا صفحات الرواية ، كان سيغفر لها خطيئتها الثانية ، هل كل هذه « الأفضال » التى كان من الممكن ، ان تولد عند بعض الناس الامتنان ، و « الاحساس بالجميل » تولد لدى البعض الآخر ، كراهية ونفورا ، وهل هذا يفسر المثل الشعبى الذى اكرهه كراهية شديدة

عنها د . ناجي نجيب ، دراسة قيمة ، انهاها بثبت للاقلام التي تعرضت لهذه الرواية بالنقد :

(١) طه حسين : صبح النوم "الجمهورية" ١٩٥٥/١٢/١٠ ثم فى كتاب "نقد واصلاح" .

(٢) فؤاد دواره : صبح النوم ، ١٩٥٩ ، فى "الرواية المصرية" .

(٣) لويس عوض : "الشفق حول قصة صبح النوم" جريدة الشعب (التي كانت تصدرها الثورة ثم ادمجت فى جريدة الجمهورية) فى ٥٧/٥/٥ والآن فى كتاب "دراسات فى ادبنا الحديث" ١٩٦١ .

(٤) نعمات احمد فؤاد : يحيى حقى الفنان "المجلة" عدد سبتمبر ١٩٦٠ ثم فى كتاب "قمم ادبية" ١٩٦٦ .

(٥) نبيل فرج : "صبح النوم" مجلة "الآداب" سبتمبر ٦٦ الآن "سبعون شمعة فى حياة يحيى حقى" ١٩٧٤ .

(٦) مصطفى ابراهيم : "يحيى حقى مبدعا وناقدا" القاهرة ١٩٧٠ .

(٧) عبد الحميد ابراهيم : "يحيى حقى .. وفيض الكريم" "الزهور" ابريل ٧٣ ثم "سبعون شمعة" .

(٨) فاروق عبد القادر : "عاشق مصر وصديق الفقراء" "الطليعة" فبراير ١٩٧٥ .

عن مجلة "فصول" المجلد الخامس / العدد الرابع .

والبقية تاتي ، مزيدا من الدراسات ، ومزيدا من وجهات النظر ، ومزيداً من الاستقلالية فى الفكر .. وفى الحياة .

مأدبة يحيى حقى في صحن النوم

« اتق شر من احسنت اليه » وهل رد الفعل الثانى ، اى الكراهية والنفور ، شذوذ ، كما حاول الراوى ، ان يوهمنا ، بإقراره ان نماذجه ، شاذة ، ام ان المسألة ، اعمق من ذلك ، اذ ان الاصل فى العلاقات بين البشر ، هو الندية ، والتساوى وأن من النفوس مايسؤها ان تكون فى وضع انسانى أدنى ، واذا مافرض عليها مثل هذا الوضع المشين ، فإنها « تكره » كل مايذكرها به ، وهو فى حالتنا القصاب ، وهل مثل هذا النظر ، بعيد عن النص ، على ان الراوى « يتعاطف » مع الفتاة السمراء ، فبعد ان هجت مع البهلوان ، كان يحيى حقى حريصا على أن يثبت انها عقدت على البهوان فى القرية المجاورة على سنة الله ورسوله ، بل ان البهلوان نفسه ، عزيز قوم ذل ، اى من نفس طبقة الفتاة الاجتماعية ، وبعد ان فاحت سيرتها ، مع صبى الطحان ، تعلق الرواية ان الفتاة كانت تحنو على صبى الطحان ، حنوها على صغار القطة الشاردة ، وسلوك الفتاة السمراء ، لم يكن اختيارا فلو نحينا علاقتها بالقصاب ، وهى علاقة معقدة ، لم يكن سهلا ، ان تترك امها وحدها ، فى الهروب الاول ، ولم يكن سهلا ، ان تترك أولادها ، فى الهروب الثانى ، هى اذن تستجيب لدوافع داخلية قوية ، لادخل لها بها ، دوافع طبيعية ، جبلة ، ودوافع من وراثة ، فالاب قد مات مفلسا ، والافلاس لايكون الا لتاجر ، وقد تشترك فى افلاس التاجر ، عوامل عديدة ، منها سلوك التاجر نفسه ، وتقلبات الحياة الاقتصادية .

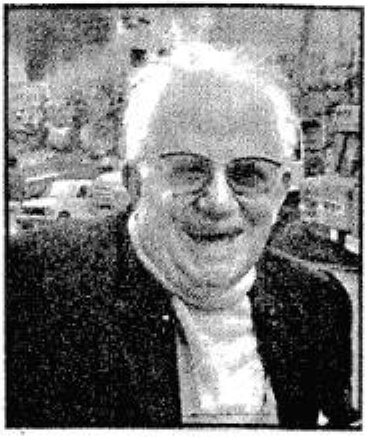
● فتاة جادة

اننا اذن لسنا ازاء فتاة هازلة ، او مستهترة ، أو طائشة او ان حبلها على غاربها ، اننا مع فتاة جادة ، اشد ماتكون الجدية ، وقد اهتم النقد الذى تعرضت له الرواية ، بالقصاب ، الذى طاق صبره ، كل مافعلته به فتاته السمراء ، والتقبل القدرى لكل مالحقه من اساءات واهانة الى كرامته ، والرواية تثبت عليه إنه أحب الفتاة ، أى أنه فقد إرادته الحرة المستقلة ، وانه تنازل مجبرا او مختارا عن حرية الاختيار فى سلوكه اى ان هذا الثنائى يطرح علينا ، ضرورة الحرية ، وفداحة الخسارة التى يدفعها الانسان اذا سمح لموروثاته او لانبعاثاته الداخلية ، ان تقود سلوكه ، وتفقده حرية الاختيار .

الرواية ، اذن ، همها ، هو ، الانسان، كيف يسلك فى هذه الحياة ، كيف يشق طريقه ، الاخطار الداهمة التى تترصده آخر الامر ، قسوة الاختيار ، ومعوقاته .

المعاناة العاتية التى يتوجب على الانسان ان يبذلها حتى يحرر إراداته ، إن حرية الانسان ليست لقية إنها استحالة عليه ان يتجاوزها .

نموذج آخر ، تقدمه الرواية ، زوج العرجاء طالب بأحد المعاهد الصناعية ، تصادف ـ ذات صباح ـ ان وجد نفسه ، فى واحدة من مظاهرات الطلبة ، يرى بعينيه ، جنديا يهوى بعصاه الغليظة ، فيقتل طالبا آخر ، يسجن يفصل من معهده ، تحرم عليه المعاهد والوظائف ، تتعطب روحه ، يفقد نفسه ، يعود الى قريته ، لا يؤدى عملا ، لم يبق امامه سوى الغيطان يهيم بين حقولها ، انه يصلح



يحيى حقى

نعشا ، ولا يصلح باب دار . اى انه انتسب الى الموت ..

زوج العرجاء ، بالصدفة وجد نفسه فى مظاهرة .. ثم تتالت عليه الاحداث الخارجية .. الاحداث التى لادخل له فيها احداث ليست من صنعه ، الا اننا وصلنا الى نفس النتيجة ، كان شلل ارادة الفتاة السمراء ، وشلل ارادة القصاب ، بأسباب ذاتية داخلية ، اما شلل ارادة زوج العرجاء ، فالاسباب خارجية ، فرضت عليه ، داهمته وفى تقصيها للاسباب التى تصيب قدرة الانسان على الاختيار ، الاسباب التى تتحكم فى مصير الانسان ، هذا الانسان الذى ألقى به فى الكون الواسع ، وعليه ان يشق طريقه ، ويصنع مستقبله ومصيره ، تقدم لنا الرواية نموذجا آخر ، ثنائى آخر ، القزم وزوجه ، الزوجة شركسية من اسرة ليست من القرية .. مااهمية ذلك .. قد تكون هذه المعلومة ذات معنى ، فى التناول الاول ، التفسير القريب للقرية ، أما حين نخطو داخل شخوص ، القرية / العالم ، فهذه معلومة بلا وظيفة ونحن نترصد خطى الانسان ، الشركسية مات عنها زوجها ، لم يتبق فى الأسرة الشركسية ، من رجال سوى قزم فقير ، تحت ضغط الثروة التى فى يد الشركسية ، يعقد عليها ، وهى تحت ضغط قبحها البارز ، وتحت ضغط حقيقة ان ليس فى الاسرة من رجال سواه ، تقبل القزم بعلا ، هل نحن ازاء حالة اخرى من حالات فقد حرية الاختيار ، هل المصلحة تعمينا عن النظرة الأرحب ، هل المصلحة غشاء شفيف أو صفيق يحجب الاختيار الصحيح .

● انعدام الحوار

إن مايساند التفسير الذى أخذنا به ، من أن الرواية تخاطب مطلق الانسان هو تعمد الرواية ، أن تسقط أى تحديد ، سواء تحديد القرية التى تقع بها الحان ، أو تحديد أسماء شخوص الرواية فالرواية خالية من اسم واحد يحدد هذا الشخص أو ذاك وتعمدت ان تعرف الاشخاص بحرفتهم

العمدة ، صاحب العربة الفرد ، صاحب الحان ، القصاب ، الفتى الفتان ، اذا ما اعتبرنا الفن حرفة ، على أن قارىء الرواية ، بعد ان يتوقف عند العلاقات الثنائية بين شخوص الرواية (صاحب الحان وزوجه .. الى آخر الثنائيات) . علاقات قائمة بذاتها ، فأهل القرية فيما أسميناه بافتتاحية السيمفونية ، لاتربطهم علاقة مشتركة ، سوى علاقة المكان ، والشخوص الثنائية فى الحان ، لاتربطهم ثمة علاقة سوى تواجدهم فى الحان . على

مأدبة يحيى حقي في صبح النوم

ان الملاحظة الأبعد ، بعد ان قلنا ان الثنائيات لايربطهم ثمة رابطة غير المكان ، سنلاحظ امرا غريبا ، هو انعدام الحوار ، داخل كل اثنين من هذه الثنائيات ، فالرواية تعرض لنا صاحب الحان وزوجه ، دون اى حوار بينهما وكأنهما سينما صامتة ، وكل الاحداث المجلجلة بين القصاب والفتاة السمراء ، تمر دون حوار .. سوى جملة واحدة « تصنع خيرا لو أتيت بالمأذون » وهى الكلمة الواحدة التى لاتعبر عن حقيقة العلاقة بينهما ، وقل الملاحظة نفسها عن باقى الثنائيات ، القزم وزوجه ، العرجاء وزوجها ، الفتى الملحن وأبيه ، ماذا يعنى هذا ؟ يعنى اننا ازاء شخصيات فردية ، شخصيات لاتقيم حوارا الا مع نفسها ، مع ذاتها ، وبالتالى فإن علاقة هذه الشخصيات ، هى فى الحقيقة ، مع ذاتها .. انها شخصيات لايربطها بالمجتمع اية وشيجة وبالتالى فإن المجتمع لايمتد داخل هذه الشخصيات وفى هذا المستوى من التفسير ، هى شخصيات معزولة ، شخصيات غير متوازنة ، وانى أخشى ان اقول انها شخصيات غير سوية ، اذا ما سمحنا للسيكولوجيا ان تطل على هذه الشخصيات . وانت تستطيع ان تتوهم انك بمعزل عن المجتمع الذى تعيش فيه ، الا ان الرواية تصحح مثل هذا الوهم فهذه الشخوص الفردية المنعزلة ، وقع لها ، مالم تتوقعه ، فقد تغير عمدة القرية والعمدة الجديد أغلق الحان ، حدث واحد أصاب الجميع ، صاحب الحان وباقى الثنائيات ، فتغيرت اقدارهم ، وتغيرت مصائرهم ، وكأني بالرواية تقول بالتشخيص ، تقول بالحدث ، ان الانسان لايصنع قدره بمعزل عن المجتمع الذى يعيش فيه ، وان للارادة الانسانية دورها فى مصير الانسان ، الا ان هذه الارادة بعيدا عن معوقاتها الذاتية والخارجية ، لاتعمل فى فراغ ، انها تتحرك فى رحم المجتمع ، فقد اغلق الحان ، وتفرقت العوالم المنعزلة ، اصحاب الحياة الباطنية ، دهمهم حدث غير مصائرهم ، الا الفتاة السمراء فهى حالة ميئوس منها ، تشق طريقها ، لاتلتفت الى احد ، او الى شىء ، لايعوقها حدث مهما جل الا ان هذا السلوك الاستثنائى لايقدح فى القاعدة الاجتماعية التى يقولها بناء الرواية من ان ابناء المجتمع ، ولو لم تربطهم علاقات مباشرة فإن حدثا مايؤثر فى مصائرهم ، وان الانسان اذا ماتوهم انه نفى نفسه داخل المجتمع ، فهو ليس بمنجاة من احداث هذا المجتمع ، وبالتالى فخير لكل ان يصنع احداث مجتمعه . وكأنى بيحيى حقى يقول هنا ، بالاداء الفنى ، فى سنة ١٩٥٤ ماسبق ان ردده سنة ١٩٣٤ وهو يقيم مسرحية أهل الكهف لتوفيق الحكيم ، ان الانعزالية والفردية لاتصلح لمجتمع كالمجتمع المصرى ، فلنخرج جميعا من جلودنا وليحمل كل منا فأسه ، يهدم صنما او يزرع نبتة .



من أين تأتى فكرة المسرحية ؟

شهادة للكاتب المسرحى أرثر ميللر

بقلم : د. عبد العظيم أنيس

تعرض فى لندن هذه الايام مسرحية الكاتب الامريكى المشهور ارثر ميللر بعنوان « الثمن » وقد كتبها عام ١٩٦٨ ، وتجرى احداثها فى غرفة علوية بمنزل فى مانهاتن بنيويورك ، وهى الغرفة التى تسمى بالانجليزية attic وتستخدم عادة فى تخزين الادوات والاثاث غير المستعمل .

● هذه الغرفة العلوية فى المسرحية مملوءة باثاث رجل افلس خلال ازمة ١٩٢٩ ، وجاء ابنه فيكتور ـ رجل شرطة متواضع الحال ضحى بتعليمه العالى لرعاية والده ـ الى الغرفة للتخلص من الاثاث المخزون ، وهو يجرى صفقة متواضعة مع تاجر اثاث خفيف الظل يدفع الفا ومائة دولار ثمنا لما فى الغرفة .

عند هذه اللحظة يصل والتر .. الجراح الناجح شقيق فيكتور الاكبر والذى لم يره منذ ستة عشر عاما ، ان والتر نقيض فيكتور ، فقد تخلى عمليا عن اسرته وادار ظهره لها فى سبيل تحقيق طموحه فى مهنة طبية مجزية ، واذ يحاول الشقيقان اقتسام صفقة بيع الاثاث يتداعى الحوار الى تجميع اجزاء ماضى الاسرة بحثا عن مسئولية كل منهما فيما وصلا اليه ، وهكذا تجرى المواجهة وتتكشف اوهام التغطية .

ويقول بعض نقاد المسرحية ان « القيمة » الاساسية لمسرحية ميللر هى نفس « تيمة » ابسن المشهورة وهى حاجتنا الى ان نخلع عن انفسنا اكاذيب الحياة وان نواجه انفسنا كى نعرف من نحن ، ثم من الممكن ان نمد هذا المعنى



ارثر ميللر

لترصد ايضا رغبة ميللر فى ان يقول ان على امريكا ان تكشف عن الاوهام والاساطير التى تعيش فيها ، وان تجد طريقا للتوحيد بين مثالية فيكتور الذى ضحى بنفسه وبين طاقات والتر ونشاطه .

بل يمضى اخرون من النقاد الى القول بان مسرحية (الثمن) قد غيرت مغزاها على مدار الزمن واكتسبت مغزى جديدا ، لقد كتب ميللر تلك المسرحية عام ١٩٦٨ لكنها لم تقدم على المسرح الا هذا العام ، واذا فان والتر بدا على خشبة المسرح وكانه تجسيد لقيم مرحلة الرئيس ريجان وتناقضاتها وعفونتها .

وتجد المسرحية اقبالا ونجاحا كبيرين فى لندن هذه الايام . وبهذه المناسبة كتب ميللر مقالا طريفا يتضمن شهادته عن الظروف والقوى التى دفعته لكتابتها وفى هذا المقال يقول ان الكاتب كثيرا ماتوجه اليه سؤال عما اذا كانت احدى شخصيات مسرحيته هى فى الاصل شخص حقيقى وجد فى الحياة ، وان ميللر غالبا ماوجد اغراء فى ان يقول ان كل شىء فى رءوسنا هو صدى لشىء خارجها . لكن السؤال الحقيقى ـ عند ميللر ـ هو ما اذا كانت هناك اية حكمة فى معرفة الاساس الحقيقى لاى عمل فنى . فهل يكون اشتقاق العمل الفنى من الواقع يجعله فنا اعظم ؟

لو كان هذا صحيحا لكانت الافلام التسجيلية هى ارقى اشكال الفن .

إن ميللر هنا يؤكد على دور التخيل البشرى فى العمل الفنى لقد مشى الانسان على سطح القمر وهناك مئات من البشر يعيشون فى اعماق البحار فى غواصات تحمل قنابل ذرية كافية لتدمير العالم . فمن اين بدأت هذه الاشياء المذهلة الا فى خيال الانسان قبل ان يستطيع صنعها بزمن طويل ؟

ومع ان ميللر لايحب ان يرد الاشياء القابلة للتفسير الى عالم الغيبيات ، فانه مع ذلك لايستطيع بامانة ان يصف كيف تأتى مسرحية مثل (الثمن) الى الوجود ، باستثناء ربما الاشارة الى الوعى الطبيعى بالعديد من القوى التى حفزته لكتابتها .

انه يستطيع مثلا ان يتذكر انه اراد ان يكتب عن شرطى معين قابله فى نيويورك قبل زمن كتابة المسرحية بعشرين عاما .. ومع ذلك فقد كان لابد ان تحدث تحولات تاريخية هامة فى المجتمع الامريكى ، قبل ان يذهب هذا الشرطى ـ فى المسرحية ـ الى الغرفة العلوية « attic » فى مانهاتن مستعدا لبيع الاثاث المكوم لعائلة بورجوازية كانت مزدهرة يوما ما قبل ان تسحقها الازمة الاقتصادية ، ولمواجهة فاصلة مع اخيه الجراح الذى لم يره منذ سنين طويلة .

شهادة للكاتب المسرحي
آرثر ميللر

ويعترف ميللر ، رغم غرابة هذا الاعتراف ، انه لو لم تقع الحرب الفيتنامية فربما لم يكن ليكتب هذه المسرحية على الاطلاق ، على الاقل في شكلها الراهن . هذا على الرغم من انه ليس هناك اي ذكر للحرب في المسرحية ، وليس هناك اي مشهد على علاقة بالاحتجاج الشعبي الذي اكتسح الولايات المتحدة خلال هذه الحرب .. ومع ذلك - يقول ميللر - فالاثنان (الحرب وحركة الاحتجاج) موجودان بشكل ماتحت السطح في المسرحية .

● احتجاج على الحرب

لقد كان ميللر على صلة وثيقة بحركة الاحتجاج على الحرب ، فقد تحدث في اجتماعات عديدة ضدها ، ووقع عرائض لانهاية لها لوقفها ، ومشى مع الالوف في مظاهرات الشوارع ، ومع ذلك اكتشف ان الشيء الأدعى للاحباط هو مابدا من ضعف حساسية الحكومة والناس لحقيقة ان التضحيات البشرية الامريكية في الحرب هي بلا فائدة على الاطلاق .

وبالتدريج وكلما مرت السنون واستمرت الحرب دون امل قريب في وضع نهاية لها اخذ ميللر ، ابل اكثر فاكثر اناسا مؤيدين للحرب .. رجالا امناء وان كانوا مضللين . لم يكن الامر ان ميللر في مواجهة مع اناس فاشيست .. كلا .. كان هناك شيء أعمق يفعل فعله بطول البلاد دون عرضها ومن اعلاها لاسفلها ، وان كان لايعرفه .

وشيئا فشيئا تمثل هذا الشيء الاعمق في ذهن ميللر بانه عملية انكار ، لقد بدأت الحرب بانكار الرئيس جونسون انها حرب .. وحتى النهاية لم تعلن امريكا الحرب رسميا على فيتنام وانكرت على جنودها حقهم في الصداقة الانسانية والشرف اللذين يقدمان عادة للجنود العائدين ، ويعترف ميللر انه عرف ضباطا من اكاديمية « وست بوينت » - التي تبعد عن نيويورك مسافة ساعة - كانوا يستبدلون بملابسهم العسكرية ملابس مدنية قبل سفرهم الى نيويورك لانهم كانوا يخجلون من الزي العسكري ، وكانوا مستعدين لانكار انهم لبسوه في فيتنام . اما الوحيدون الذين لم يكونوا قادرين على انكار مايحدث فهم الذين عادوا في صناديق من هناك !

ويؤمن ميللر ان امريكا مازالت حتى اليوم تنكر مافعلته في فيتنام ، وذلك من خلال رفض اعادة العلاقات التجارية معها او اقامة علاقات على اسس جديدة ان فيتنام ببساطة غير موجودة على خريطة العالم من وجهة النظر الرسمية الامريكية .

وهو يقول انه اتجه الى كتابة هذه المسرحية لمعالجة عملية الانكار هذه التي اخذت في ذهنه ابعادا مفزعة ، فها هنا شقيقان علجزان عن مواجهة علاقتهما الحقيقية حتى بعد ان فصلت ازمة الاسرة بينهما وارسلت كلا منهما الى مهنتين مختلفتين تماما .. رجلان تاثرت حياة كل منهما بافعال وافكار اخيه ، ومع ذلك فهما مستميتان لانكار هذا الواقع بينما يسأل كل منهما غفران اخيه وهو مالم يتحقق في نهاية الامر .



من حرب فيتنام .. استلهم ميللر وقائع مسرحية « الثمن ».

ولقد اعترف ميللر ان احد الدوافع الاكثر مباشرة لكتابة المسرحية هو رجل قابله فعلا وقضى معه اقل من ساعة قبل كتابة المسرحية بعلم .. تاجر اثاث يهودى خفيف الظل ، وقع ميللر فى غرام لغته الصريحة ، وهو يصفه بانه « وغد لمحت فى روحه بعض الامل فى وضع نهاية لغباء البشر ، رجل لاينكر اي شيء على الاطلاق واسمه فى المسرحية جريجورى سولومان .

انه تاجر الاثاث الذى جاء مع فيكتور لشراء اثاث الاسرة المكوم فى الغرفة العلوية !

هذه اللمحات الصغيرة عن « واقع » ميللر ليست غير بداية لتوضيح القوى العديدة التى دفعته لكتابة المسرحية ، وبعضها يعود الى وقت الطفولة .. زمن الانهيار الاقتصادى للبلاد عام ١٩٢٩ والدمار الذى اصاب العديد من عائلات الطبقة الوسطى ، فالمسرحية اذن هى بؤرة تجمع لعشرات من الاحداث والمشـاهـدات والمـآزق الشخصيـة والاجتماعية التى لا رابط بينها فى الظاهر

وفى الظاهر تسألنا المسرحية الى اى الشقيقين نميل ونتعرف على انفسنا فيه .. الشرطى فيكتور الذى يبرر حياته كمدافع عن القيم بفهمه العنيد للواقع وتقديره الامين لحدوده ، ام والتر الجراح الناجح الذى كشف عن قسوة فى سبيل الوصول الى وضعه الحالى ، وادت به شهوة النجاح والامتياز الى مخاطر طبية ربما هددت بعض مرضاه وان انقذت حياة البعض الاخر ، واخيرا ربما خان اخاه فى لحظة حاسمة من حياتهما .

وقد تبدو المسافة شاسعة بين فيتنام وبين هذه المواجهة فى مانهاتن بنيويورك حيث يجلس شقيقان غريبان يوزعان ممتلكات الاسرة لكن ميللر وصل الى مانهاتن من خلال فيتنام من خلال الانكار فى القلب البشرى .

ولكن هل اعتراف ميللر هذا يهم الجـالس فى المســرح يشـاهـد المسرحية ؟ انه ليس متاكدا من ذلك تماما !!

حكاية قديمة

المسحراتي

بقلم : فاروق خورشيد •

فى الحارة وفى رمضان ، كان اهم شخصية عندنا هو المسحراتي .. ولم تكن هذه الشخصية هامة عندنا من فراغ ، بل كان فى الحقيقة صلب الحياة فى رمضان بالنسبة لنا معشر صبية الحارة وشبانها .. فقد كنا رغم محاولاتنا للسهر بعد الافطار والعشاء والتراويح ، واللف على السامرين فى المقاهى والمساجد والمجالس الخاصة ، وبعد كل الزيارات الاجتماعية المتشابكة ، لابد أن ننام .. ما يأتي علينا الليل الحقيقى الا ونحن أسارى كل تعب بذلناه من المغرب الى العشاء ، ومن العشاء الى الليل ، بين مسامر السهر ، وبين مظان الأسر المجتمعة والساهرة فى حضن رمضان ، ونحن مانحن ، لايلتفت الينا أحد - آخر الأمر ننام فى صمت ، شئنا أم أبينا ، بحيث لاندرى مما حولنا ، ولا بما حولنا شيئا الى أن تمتد الينا الأيدى الحازمة تصيح بنا أن نقوم فموعد السحور قد حان ، ولابد لنا أن نقوم لنأكل طعام السحور ونشرب زادنا من ماء ولنواجه به النهار الجديد ، وأيا كان مانتعلل به من علل وأسباب ، فهى كلها لاقيمة لها عند الآباء والأمهات والخالات والعمات ..

لابد أن نقوم من نومنا ايا كانت درجات استغراقنا فيه ، لابد لنا أن نقوم من هذا النوم لنواجه وجبة السحور الجماعية التى لابد أن نشارك فيها ليصبح صيامنا فى اليوم الجديد شرعيا وسليما .. والكثيرون منا كانوا يأخذون كل هذا الاهتمام مأخذ العبث ، فهم يفطرون غدا من وراء ظهور ذويهم ، سواء فهموا أن الصيام صعب عليهم أم لم يفهموا .. المهم أنهم وهم ينوون الصيام بعد وجبة السحور كانوا يعرفون جيدا وفى أعماقهم أنهم سيتحايلون غدا على مظان الطعام والشراب ، وأنهم سيتظاهرون بالصيام الى حين ينتهى النهار ، ثم يحظون بأطايب مائدة الافطار ، وما عليها من مشهيات وطعام و (أطايب) ثم ما عليها بعد ذلك من حلوى ، ولعل اهمها عندهم جميعا الكنافة ، وصينيتها المحمرة السطح المليئة بالمكسرات والسمن والعسل ..



يقبلون عليها وكأن الصيام قد هدهم وامات كل مقاومة فى أجسادهم وكان الحل الوحيد لكى يستعيدوا طاقتهم الانسانية الصيبانية العابثة ، هو هذه الصينية المعتنى بها والتى تقدم فى الافطار كشىء رئيسى وهام ، تشغل الأم نفسها بها قبل ساعات من مدفع الافطار وتحرص على أن يتناول الجميع الصينية ساخنة بعد الافطار ، وربما قبل باقى الطعام المقدم على مائدة الافطار كله ..

وكنا نكمن الى جوار المسجد قبل الافطار بدقائق ننتظر أن يخرج المؤذن باذان المغرب ، ورغم ان كل أجهزة الراديو تملأ الحى تذيع القرآن الذى سيعقب نهايته آذان المغرب ، ولكن هذا شىء وأن نظل على انتظار دائم لمؤذن المغرب حتى نسرع صائحين الى منازلنا كأننا نحمل بشارة بأهم الاحداث ، وناقلين لأهم الأخبار وأخطرها .. وتموج الحارة بأصواتنا لدقائق ثم يهدأ كل شىء ، اذ الكل يتحلق حول الطعام فى انهماك كامل وأداء على أعلى درجة من الكفاءة .. ولن يخلو الأمر بعد دقائق من بدء عملية الافطار الجماعية هذه ، أن نسمع صراخا من شقة ، أو معركة كلامية حامية من شقة أخرى ، فلست أدرى لماذا تصبح أعصاب الصائمين على درجة مخيفة من التوتر بعد الدقائق الأولى من الافطار ، ولذلك فإن الكثير من الآباء والامهات أيضا ، كانوا يلجئون الى ترك المائدة بعد كوب العصير أو الشوربة للصلاة ، ثم يستأنفون طعامهم بعد الانتهاء من صلاة المغرب ، فقد كان هذا التقليد يبعد الفتائل عن مظان الاشتعال فى كثير من الاحيان ، ويجعل الاجساد اكثر تقبلا للطعام ، والأعصاب اهدأ كثيرا وبعيدة عن نقطة الانفجار ..

وفى الأيام الأولى من رمضان كنت أقاوم النوم بكل ما أملك من قوى لكى أظل مستيقظا حتى أسمع طبلة المسحراتى ، وصوت المعلم احمد (برمة) وهو يصيح بأسماء سكان المنزل فردا فردا ، يبدأ برب كل أسرة ثم بأولاده وبناته الصغار ، لينتقل الى اسماء الأسرة التى تليها أهمية فى هذا المنزل ، ثم يتحرك نحو المنزل الآخر ليعيد الكرة من جديدة ، وذاكرته الحديدية لاتخطىء اسما ابدا ...

وكانت أمى اذا غلبنى النوم حريصة على أن توقظنى حين تسمع صوته من أول الحارة بحيث تنهى عملية ايقاظى ـ الشاقة ، قبل ان يصل الى باب منزلنا . فقد كانت تعرف أننى أحب أن أسمعه وهو يذكر اسمى بصوته المشروخ المنغم .. وقد كانت هواية المعلم احمد (برمة) أن يعطى الألقاب لمن يحب ، وأن يمنح المهن والأوصاف لمن يريد أثناء ذكره للأسماء فى التسحير ، فهذا المعلم فلان ، وهذا الاسطى فلان ، وهذا فلان أفندى ، وكان هذا عنده هو لقب أبى ، وهذا الاستاذ فلان ، وكان هذا لقبى عنده منذ أوائل الصبا ، لست أدرى لماذا كان يصر دائما على أن يضع لقب استاذ قبل أسمى ، وكنت مازلت طالبا فى الثانوية ، ربما لأن أولاد الحارة الذين دخلوا الثانوية ، وتعدوا مرحلة التعليم الابتدائى كانوا قلة ، وكنت رغم صغرى واحدا منهم ، فقد كان الآخرون كبارا أصحاب شوارب ، وربما

اصحاب زوجات وأولاد وبيوت ، المهم أنه كان دائما يذكر لقب استاذ قبل ذكره لاسمي ، وكان هذا يفرح أمي كثيرا ، ويفرحني ايضا . وكان هذا يجعلها توقظني بكل الطرق لأسمع المسحراتي المعلم أحمد (برمة) وهو يذكر أسمى مسبوقا بهذا اللقب الشاذ - حينئذ - وسط الحارة .. فقد كانت اهم الألقاب في الحارة هي المعلم والاسطى والافندى ، أما الاستاذ فقد كان هذا لقبا جديدا لاتعرف الحارة كيف تقيمه .. ولست أظن أن المعلم (برمة) كان يعرف له تقييما صحيحا ، ولكنه كان يحبني ، وكان يحس ويجد انني امثل شيئا جديدا في الحارة ، فكان يضفي عليّ اللقب ، وينغمه كل ليلة بنغمة جديدة ، وهو يصيح به عندما يصل الى باب منزلنا ، وبعد أن يذكر اسم ولقب أبي مباشرة ، ثم يدق الصبي المرافق له الطبلة عدة مرات مؤذنا للانتقال من ذكر



أسماء شاغلي شقة ، الى ذكر اسماء شاغلي الشقة التالية فقد كان المعلم (برمة) لايحمل الطبلة ، وانما يسير متوكئا على عصاته ، وحاملا طرف جلبابه الطويل بين أصابع يده اليسرى ، ويقف ليذكر كل الأسماء وهو يدق بعصاته عند الباب ، ثم يتوقف ليدق الصبي الذي يحمل الطبلة دقاته التقليدية بين اسماء ساكني شقة ، وأسماء ساكني الشقة التالية .. ولم يكن اسم المعلم أحمد هو (برمة) .. بل كان اسمه المعلم أحمد عبد الفتاح - اما اسم (برمة) فهو اسم أطلقته الحارة عليه ، وأصبح يعرف به ، ولايكاد ينادى إلا به ، ولايكاد يعرف الاستجابة الى تسمية غيره .. ولم يكن هذا الأمر غريبا في حارتنا قاسم الكنية ، أو أسم الشهرة أو الاسم المتعارف عليه بين أبناء الحارة كان يطغى غالبا على الأسم الحقيقي الموجود في شهادة الميلاد للكثيرين من أبناء الحارة .. فكان عندنا حسن (القاهرة) ، وعلى (البرنج) ، وعباس (قوطة) ، وكمال (السريع) ، ومحمود (البرنس) ، وسيد (المشط) وسعيد (النمرة) .. وغيرهم كثيرون - المهم أن أحدا لم يكن يجد غضاضة في أن يسمى بالأسم المستعار ، أو الاسم المطلق عليه ، اما لأسباب حرفية ، أو لأسباب عائلية ، أو لأسباب تتعلق باحداث حياته هو ، ولكنه آخر الأمر يظل لاصقا بصاحبه ابدا لايجد فيه غضاضة ، ولايجد الآخرون فيه سخرية أو تقليلا من قيمة صاحبه ، وبهذا فلم يكن المعلم أحمد عبد الفتاح يضجر من مناداته باسمه الكنية ، وأن لم يبح لأحد ابدا كيف حصل عليه ، ولامتى

أطلق عليه .. وفي الحقيقة لم يكن أحد يعرف شيئا عن هذا الاسم - فقط هو المعلم أحمد برمة ، وكفى ..

وكان الصبية جميعا في الحارة ينظرون اليه في دهشة حين يرونه في الصباح ، وهو يسير يعطل في مشيته متجها الى دكان صغير عند ناصية بين حارتين ، لاتحوى سوى منضدة خشبية ومسطبة صغيرة وعدة مقاعد .. ثم مجموعة من الأكواب الزجاجية الرخيصة ، وبراد شاى كبير مملوء دائما ، فوق الموقد المشتعل باستمرار ، يملأ منه المعلم برمة لرواده الشاى ، وهم يلعبون الورق فوق المنضدة الخشبية الوحيدة في الدكان .. ولم تكن القروش القليلة التي يمكن أن يحصل عليها من هذه التجارة الكاسدة كافية لتقيم أود أحد ، ولكنه مع هذا كان مستورا . يلبس جلبابه الأبيض النظيف ومركوبه اللامع ، وفوق الرأس طاقية (مزهرة) .. وزوجته لاتقل في ثيابها عن اى واحدة من



نساء الحارة ، والمندرة التي يسكنها تخرج منها دائما رائحة الطعام الشهى . والفاكهة التي يحملها الى المندرة كثيرة ومنتقاة .. ولهذا فقد كان الهمس - ذلك الإعلامي العبقري الساحر - ينتقل عبر الحارة من الكبار الى الصغار ، ومن الصغار الى الصغار ومن الصغار الى الكبار مرة أخرى ، أن المعلم (برمة) يرتزق من مصادر أخرى ، وأن الدكان مجرد مظهر خارجي لتجارته الحقيقية ، وأن رواد الدكان لايأتون لمجرد شرب الشاى وانما هم في الحقيقة زبائن هذه اللفافات الصغيرة المفضضة التي يدسها المعلم (برمة) في أكفهم في صمت وحذر ، ويستخرجها من مخابئها في الدكاكين الأخرى المجاورة له ، دكان الجزمجي والنجار والبقال والمكوجي ، الذين لايستطيعون رفض طلبه ، وإن عاشوا على ذعر وخوف من الانكشاف ، ولكن نظرات المعلم برمة الحادة الى وجوه جيرانه كانت كفيلة بأن يلبى الكل حاجته وأن يطيعوا أوامره في صمت .. كان مرهوبا اذن ولكن كان في الوقت نفسه محبوبا . وحين تقبل (كبسة) المباحث الى الدكان لاتجد فيه الا الشاى والطاولة الوحيدة وعدة مجموعات من أوراق اللعب والموقد ، وربما بعض الحلوى للصغار .. وهو نظيف تماما من أى أثر لأى شيء ، وابتسامته عريضة ، وصوته الجهورى الذى نعرفه في ليالي السحور اكثر عرضا واستطالة ، ثم يستضيف المخبرين على اقداح شاى ، وكلمات ضاحكة ، والسلام عليكم .. وتنتهى (الكبسة) الى لاشيء ،

وتعود اللفائف المفضضة الصغيرة تنتقل من يد المعلم (برمة) الى الأيادى المرتجفة المتلهفة فى عرض النهار ، دون أن يجرؤ أحد على الافصاح أو الاحتجاج .. فقد كان الهمس أيضا ينقل بين أبناء الحارة أخبار تلك المعارك التى خاضها المعلم برمة دفاعا عن الحارة وأهلها ونسائها ، أما ضد فتوات الحارات الأخرى الذين كانوا يهاجمون تجار الحارة وأهلها لمجرد اثبات تفوقهم وجراتهم ، أو ضد الأفراد الذين يخرجون عن قواعد السلوك والعرف من أبناء الحارة أنفسهم .. أما الأولى فقد كنا فى الأربعينيات نشهد آخر التقاليد القاهرية التى تربط أهل كل حارة بعصبية حادة تشد كلا منهم الى الآخر ، وتجعل مواطنتهم فى الحارة مواطنة حقيقية تستدعى التداعى عند الأحزان والمشاركة عند الأفراح ، والتساند عند الأزمات .. كما هى تستدعى أيضا نوعا من الترابط فيما يتعلق بكرامة الحارة ككل ، وهيبتها بين باقى الحارات .. والأمر يعود الى مرحلة أعمق فى التاريخ حينما كانت حارات القاهرة تتكون أساسا على قاعدة حرفية أو تجارية أو صناعية ، فهذه حارة السباكين ، وتلك حارة سوق الليمون ، والتالية حارة الغزالين ـ وكل حارة تغلق على نفسها بابا خشبيا سميكا مطعما بالحديد ، لايدخلها غريب بعد غروب الشمس ، والغريب الذى يدخلها أما ضيف ، وأما معتد . والضيف ترحب به الحارة كلها ، وتتيح له من كرمها وأشهر مأكولاتها ومشروباتها وحلواها ، مايجعل اقامته المحددة سعيدة وآمنة ، فهى أيضا مع المطعوم والمشروب والحلوى تسبغ عليه حمايتها .. أما المعتدى فهو يقابل بما يجب من رد الاعتداء وحماية حرمة الحارة وكرامتها ، وهذا الأمر يتصدى له فتوات الحارة وشبابها المعتد بقوته ومهارته فى استعمال الشوم والعصى ، وأدوات أخرى إن لزم الأمر وكان هذا يؤدى بالضرورة الى تعصب أبناء حارة المعتدى ، أو المعتدى عليه فى هذه الحالة ، ومحاولتهم غزو الحارة انتقاما لما تم من اعتداء على ابن حارتهم ، وتاكيدا الى أن انتماءه الى حارتهم وحده لايكفى لكى يعامل معاملة الضيف لامعاملة المعتدى .. وتثور معارك .. وتهجم حارة على حارة ، فتضرب كل المقاهى وكل الدكاكين ، وكل ماهو حى فى الحارة ، والكرسى فى الكلوب (وهى عبارة بدأت من هنا) فإذا الكل ظلام ..

ويشبع فتوات الحارة المعتدية ، رجال وفتيان الحارة التى يهاجمونها ضربا حتى يهرب الكل .. ويسكتون كل صوت وحس ، ويطفئون كل ضوء ، ويقضون على كل تجمع ، ثم يعودون منتصرين وهم يحملون معهم طواقى المهزومين ، وعصيهم ، وبقايا جلساتهم فى المقاهى والدكاكين ، اثباتا لانتصاراتهم وادلالا بقوتهم وسطوتهم .. وكان لابد اذن لأولاد الحارة أن يردوا على الهجوم بهجوم مثله ، وأن يعودوا من هجومهم بالطواقى والشوم والأشياء الأخرى المختلفة التى تثبت أنهم ضربوا (الكرسى فى الكلوب) فجعلوا الحارة غريمتهم ظلاما .. وكان المعلم (برمة) هو قائد الدفاع والهجوم عن حارتنا فى زمانها السالف .. ورغم أن الزمان سلف ، وأن العمر تقدم به ، وأن الحارات رفعت الابواب عن مداخلها وأن

هذا الحديث حول هجوم الحارات والفتوات قد تقلص واوشك على الانتهاء ، فإن المعلم (برمة) ظل رمز انتصارات حارتنا - أيام زمان - على غيرها من الحارات .. وظل عند الكثيرين رمز الحارة وسيطها المدوى بين باقى الحارات فى مصر القديمة المليئة بالاسرار والتقاليد .. والهمس يقول إنه دخل السجن من أجل هذا ، أي من أجل أن يكون هذا الرمز ، فقد بقر بطن اثنين من حارة معتدية ، ودمر جمجمة ثلاثة ، وحطم معاصم وسيقان سبعة آخرين - وحكم عليه بناء على كل هذا سنوات طويلة فى سجن (قرة ميدان) ، وكانت سنوات السجن طويلة ، اكلت كل مرحلة صباه وشبابه ، ثم بدايات رجولته ، ولكنه بعد كل هذا خرج من السجن رمزا للجدعان ، رمزا للقوة والحماية والجدعنة ، ليجد أن كل هذا قد حال مع الزمن ، ولم يعد أحد يذكر عنه شيئا .. حقا السجن للجدعان ، ولكن من يعرف قدر الجدعان بعد خروجهم من السجن بعد سنوات وسنوات من العذاب يدفعونها ثمنا لهذه الجدعنة .. ؟ أيا كان الأمر فقد كان (برمة) مرهوب الجانب ، محتفظا بخوف الناس منه واحترامهم له .. ربما لذكريات قديمة ، وربما لحكايات عما فعل فى الليمان ، وكيف طوع الرجال وارغمهم على الاعتراف بزعامته حتى داخل السجن ، وربما لانه حين عاد ، كان مرفوع القامة عريض الصوت ، مرهوب الجانب ..

اما الثانية .. ونعنى بها الموقف تجاه الأفراد الذين يخرجون عن قواعد السلوك والعرف من ابناء الحاره ، فقد كان هذا هو الوقود اليومى لحياة المعلم (برمة) ، الرجل لايرفع عينيه الى امراة جاره والولد لاينظر الى بنت تعيش فى البيت الذى يحتويه . والجدعان لايغشون فى التجارة والبيع والشراء ، ولافى التصليح أو التغيير المطلوب فى بيت من البيوت . الجدع لايغش جاره ولايطلب منه أجرا ، ولكن الاصول ان الأجور لها حدود ، والا شومة المعلم (برمة) هى الفيصل . واى ولد يتبجح ويزيد عن حده ، تربيه الشومة او اليد القاسية التى تمسك بتلابيبه وترفعه عن الأرض ، ولا يعود اليها الا وهو يسلم بانه طلب اجرا أزيد من الحقيقة ، وان الجار له حق الشفعة ، وانه عيب ياجدعان أن نرهق اولاد الحارة بما هو فوق طاقتهم ، وأن الصح ان يطلب كل عامل أجره الصح فقط .

الكلمة الحلوة بين الجار والجار عدل ، والكلمة الرديئة عيب ، ولابد من مجلس رجال ، فمعظم الغلط من كلام النسوان .. فإذا ما جلس الرجال وسمعوا الحكاية من كل اطرافها-تملم . فلا خوف لان كلام الرجال دائما تمام .. ومن هنا كانت معاركه مع الشباب الذى ينسى قدر من هم أكبر سنا ، يلوى أعناقهم حتى يعرفوا من فوق ، ومن تحت .. ومن هنا ايضا كانت معاركه مع كل من يخرج عن هذه القواعد المتبعة ، والتقاليد المعتمدة .. ينتظره عند ناصية الحارة ، يتحداه . ويرمى اليه بابشع الالفاظ واقساها . ناعتا أياه



بما لمثله من انهيار وضياع .. فإن اعتذر وتواضع وعرف مكانه ، فهو امثولة الحارة لايام ، ثم تنسى الحارة خطاه وينسى هو سلوكه المشين ، ويصبح الحال عالا .. والا فهو فريسة اليدين الصخريتين ، تتناوله يد ، لتسلمه الى يد اخرى ، وهو بين اليدين مصفوع ، مصفوع ، على الوجنتين والخدين ، والجبهة ، والوجه كله ، بحيث لايعرف من اين يأتي الصفير ، من الاذنين ام من الأنف أمن من الرئة المجهدة ، التى لايستطيع أن يلاحق حركتها فى تنفسه المجهد أبدا .. ويصرخ كفى يامعلم ، كفى ، وانا غلطان ..

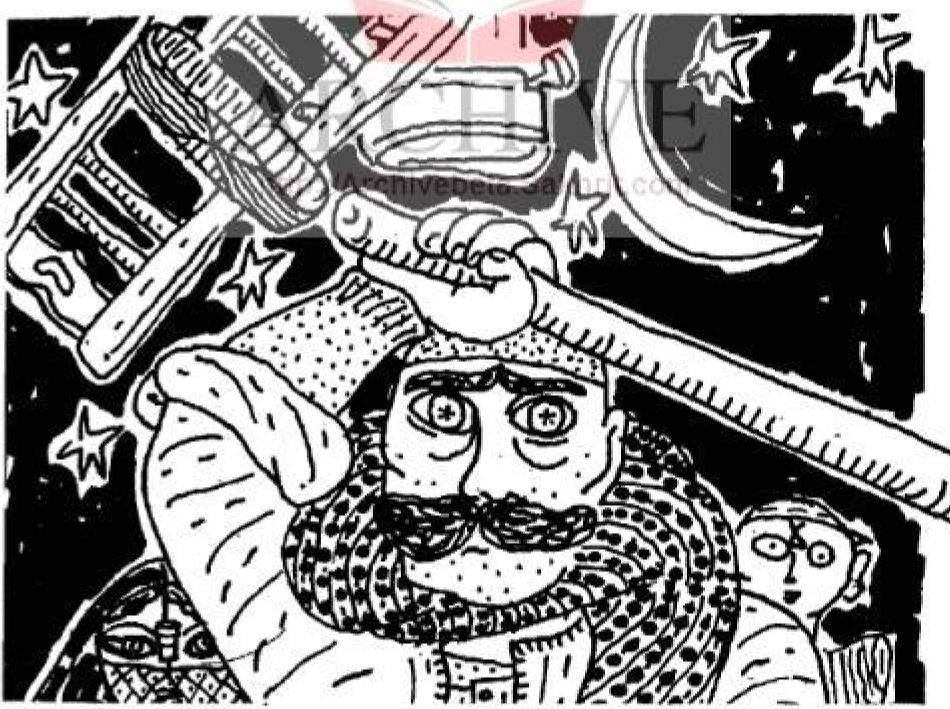
وهو يقول دائما بعد كل معركة من هذا القبيل ان الأدب فضلوه على العلم .. والادب واجب والا ضاعت هيبة الناس واقدارها .. وهذا المعنى كان يجعله يحكم الحارة كلها ، فهو موجود عند الناصية فى هذه الدكان الصغيرة المهملة ، ولكنه يسمع كل شكوى ، ويعرف كل افتراء ، ولايتردد لحظة أبدا فى أن يحمل نفسه مترنحا بحركته العاقلة ، ويده تمسك باقى جلبابه وفى يده عصاه الى حيث الشكوى ، والى حيث المعضلة .. وكلمات فيها ، والحق يوضع بوضوح امام الجميع ، فإذا الكل يسمعون ويلبون ، فالحق وراءه هذه العصا ، وهذا الرجل ..

فالمعلم (برمة) إذن كان فتوة الحارة ، وكان معنى الفتوة يمتزج بالقوة والحق ، الى جوار العمل الذى يكفل الرزق ، والعمل الذى هو خدمة لأهل الحارة .. كما كان هذا المعنى ايضا يمتزج فيه الحب والرهبة ، الى جوار الالفة والوحشية ، ويقترب الى حد الخروج على القانون ، ويعيش على هذه الشعرة الحادة الفاصلة بين ماهو شرعي وبين ماهو مخالف للشرعية ..

وكانت كل هذه المعاني تكون فى قلوبنا وعقولنا صورا مبهمة وغامضة ، كثيرا ماتختلط فى احلامنا ، فى نومنا

القلق قبل السحور ، بالقصص والحكايات التى تحكيها جداتنا حول الشاطر حسن وجميلة والوحش ، وست الحسن والغول ، قد نتخيل الشاطر حسن فى صورة المعلم برمة ، أو قد نتخيل الوحش فى هذه الصورة ، أو قد يختلط الاثنان ومعهما الغول فى صورة واحدة ، هى مزيج من احلام اليقظة ، واحلام النوم ، وتلك الاحلام التى يعمل فيها الخيال واللا شعور دورا مزدوجا ، والتى تاتى مابين لحظات اليقظة والنوم .. ثم يقطع هذا كله صوت المعلم برمة ينادى اسماءنا واحدا واحدا ، والطبلة تصاحبه بايقاع رتيب بين كل اسم واسم ..

ولكن هذا الايقاع كان ينقلب الى شىء آخر مبهج وبهيج فى الايام الأخيرة من رمضان ، أو ايام التواحيش كما كنا نسميها . فالطبلة ليست للايقاع الرتيب بين الاسماء ، وانما هى لايقاع مرح مموسق ، يصاحب الة (الاكورديون) أو موسيقى اليد كما كنا نسميها ، ومعها طبلات ودفوف اخرى ، وأصوات تغنى مودعة شهر رمضان على نغمات ملحنة ، وترديدات من مجموعات الشباب الذى يلتف حول المعلم برمة ، بعضهم يحمل عصيا مثل عصاه والاخرون يحملون (الكلوبات) المضاءة يرفعونها فوق الرءوس ، وهم يقفون على النواصى ، ليتصدر المغنى الجميع ، يردد كلمات أغنية بصوته الجميل ، والكل يردد المقاطع واللزمات وراءه ، بعضهم يصاحبهم بالرقص



بـالعصـا ، وبعضـهم يصـاحبـهم بالتصفيق المرافق للنغم ، وبعضهم يقـاطعهم بصيحـات الاستحسـان والتكبير .. ووراءهم الاطفال صبية وبنات يحملون الفوانيس الزجاجية الملونة وقد أشعلوا فيها الشموع ، يحركونها فى الهواء ، ويرددون مع المـرددين المقـاطـع واللـزمـات ، ويصيحون مع الصائحين فى فرح وبهجة . وكل النوافذ المطلة على الحارة قد فتحت ، وامتلأت بالنساء والصبيات يرقبن (الصبية) ، او هذا المـوكب الغنـائى البهيـج ، وهن يتهامسن ويتصايحن .. وقد يستخف الطرب والبهجـة احداهن فتطلق (زغرودة) فرحة ، ترد عليها واحدة باخرى من نافذة بعيدة مازالت تنتظر ان يصل الموكب البهيج اليها .. وفى وسط هذا كله يقف المعلم برمة ممسكا بعصاه فى يد ، ورافعا ذيل جلبابه الطويل فى اليد الأخرى . يرفع عصاه فيسكت كل صوت ليردد اسماء من فى المنزل الذى يواجهه ، ثم ينزل عصاه ليبدأ الغناء وتبدأ الموسيقى مرة اخرى . ويشير بيده فيتحرك الجميع لحركته المهتزة ، ثم يشير بعصاه ، فيقف الجميع ليتقدم المنشد مرة ، والمغنى مرة ، والمنولوجست مرة ، كل يقدم ماعنده فى دوره الذى يحدده له المعلم برمة باشارة من يده ، أو هزة من رأسه .. وحين يمر الموكب ، تترك النساء والصبيات النوافذ الى صالات الشقق والاحواش ، حيث يتجمعن لصنع كعك العيد ، كل نساء المنزل

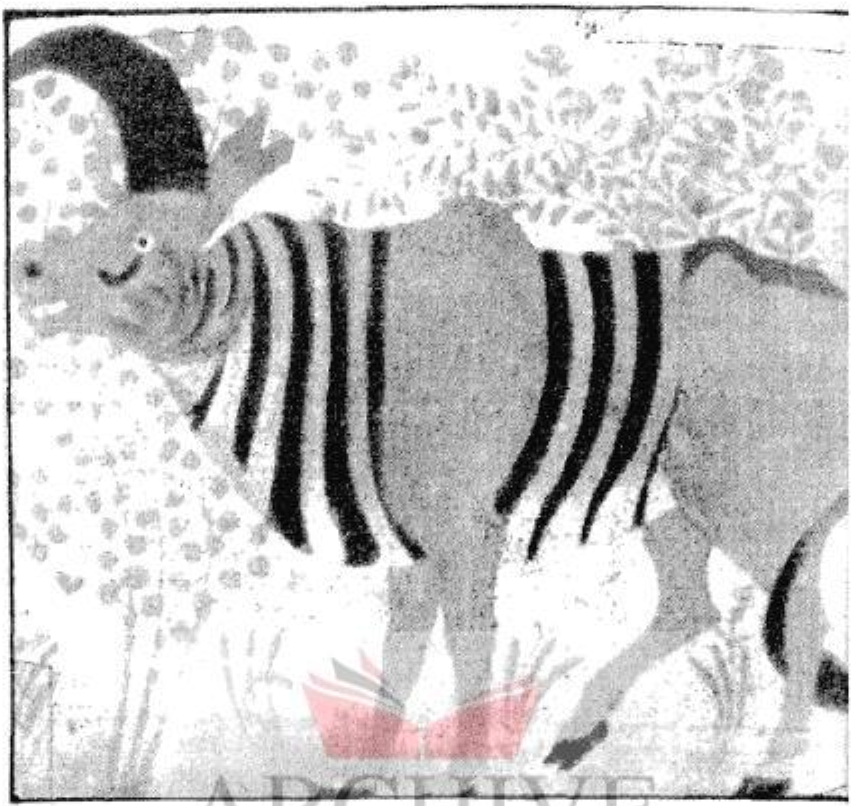
ونساء الجيران يتعاون فى العجن والنقش والحشو وهن يغنين ويحكين آخر حكايات الحارة .. وحين تنتهى مجموعة من (الصيجان) حيث تمتلىء بما رص فيها من عجينة الكعك ، تحملها الصبيات الى فرن الحارة ، أو فرن الحى .. أما الرجال والصبيان الذين يعودون من مصاحبة (الصهبة) أو المشاركة فيها ، أو من مجالسهم على المقاهى ، أو الزيارات فهم يتناولون السحور ، ثم يستعدون لصلاة الفجر التى يحرصون على ادائها فى (زاوية) الحارة او المساجد القريبة الصغيرة او فى المسـاجـد الشهيـرة القـريبـة كالشعرانى أو الحسين .. وينتشر فى الحارة همس ان كثيرا من المغنين الذين اشتهروا وكانوا فى صباهم يشاركون فى هذه (الصهبة) ، ويؤكد الهمس ان الهامسين رأوا باعينهم فلانا ، وسمعوا باذانهم فلانا الآخر ، من المغنين المنتشـرين فى الـراديـو والحفلات والملاهى ، وهم يصاحبون هذه الصهبة ، ويجـدون فى هذه الجولات نوعا من الولاء للحارة ، والمنبت القديم .. ولايعرف أحد صدق هذا الهمس ، وأن كان أمره ليس بمستبعد فأولاد الحارة دائما يحنون اليها ، ودائما يحسون بالولاء لها ، وبالرغبة العميقة الدفينة فى استمرار هذا الولاء ، فالحارة مليئة بالذكريات والاحلام والناس .. الناس الذين عاشوا الحياة بكل صدقها وبهجتها وأحزانها كذلك .. وحين ولوا تركوا خلفهم كنوزا من الذكريات . ■

سوانح صائم مع حيّ بن يقظان

الفطرة وحدها لا تهدي الى الله

بقلم: كمال النجمي

كانت الاندلس العربية قد انتقلت من ايدى «المرابطين» الذين تملكوها منذ انتصارهم على الاسبان فى معركة «الزلاقة» الشهيرة، الى ايدى «الموحدين» فى القرن الثانى عشر الميلادى .. وكان هدف الموحدين كما كان هدف المرابطين من قبلهم حماية الاندلس من السقوط فى قبضة الإسبان وفقدان هويتها الاسلامية والعربية .. ولكن هذا الطريق الذى كان مفروشا بالنيات الحسنة من المرابطين والموحدين، لم يؤد فى معترك التاريخ الا الى ضياع الاندلس وخروج العروبة والاسلام من هناك الى الابد ! ..



وحيد القرن .. كما جاء شكله فى كتاب منافع الحيوان لابى سعيد عبيد الله

● فى غمرة الصراع ضد الاعداء المتكالبين على الاندلس ، ظهر فلاسفة وفقهاء وشعراء ومغنون وملحنون وقادة حرب ، وملوك وأمراء وقضاة .

وفتحت الامارات الاندلسية ابوابها للاجئين اليها من الامارات «الشقيقة» التى كانت تتساقط فى أيدى الاسبان واحدة اثر الأخرى ، فيطرد الغزاة اهلها ويرغمونهم على الحياة لاجئين فى كنف اشقائهم العرب فى اماراتهم التى لم تسقط بعد ، وان كانت هى الأخرى مرشحة للسقوط فى دورها المحتوم ! ..

وفى هذه الظروف عاش محمد بن عبدالملك بن طفيل الفيلسوف الاندلسى ، مؤلف اول رواية فى الأدب العربى والآداب العالمية وهى رواية «حى بن يقظان» ..

ليس لهذه الرواية نظير ، ولا هى منسوجة على منوال قديم ، وهى اول وأخر رواية من نوعها ومن مستواها الفنى والفكرى فى تاريخ الأدب الاندلسى

والأدب العربي كله قديما وحديثا ، ويمكن ان يقال ان فن الرواية والقصة في الأدب العربي ، ثم في الادب الاوربي ، قد بدأ من «حي بن يقظان» .. فلولا هذه الرواية التي ترجمها الأوربيون الى لغاتهم ، لما تنبهوا الى فن الرواية والقصة ، وحسبك ان الرواية الذائعة الصيت (روبنسون كروزو) انما خرجت من معطف «حي بن يقظان» !

قد يقال ان الأدب العربي عرف لونا رائعا من الفن القصصي في «كليلة ودمنة» لابن المقفع ، ولكن كليلة ودمنة كانت مترجمة أو نصف مترجمة ، أو شبه مترجمة ، فأصلها العربي إذن غير خالص ، أما «حي بن يقظان» فهي الرواية العربية الوجه واليد واللسان ، قلبا وقالبا .

● **الف ليلة بعد حي بن يقظان**

وقد يقال ان «الف ليلة وليلة» كانت ومازالت لونا رائعا من القصص في الأدب العربي .. ولكن الف ليلة وليلة إنما جاءت بعد حي بن يقظان ، كأنما ابن طفيل هو الذي نبه اصحاب الاقلام في المشرق الى فن القصة الخيالية ، فجاءت الف ليلة وليلة بقصصها الخيالية الفذة الباقية على الزمان عجبا من العجب ! ..

كان ابن طفيل مبدعا موهوبا ولولا انه كان كذلك لاغراه فن «المقامة» بالنسج على منواله في كتابة قصة حي بن يقظان ، ولكن بصيرته النافذة هدته الى اسلوب القصة بمواصفاته الفنية الاساسية وحررت قلمه من السجع الذي كان سيد الموقف في الساحة الادبية في زمانه وبخاصة في بلاد المشرق ..

وللاندلس ـ بوجه عام ـ ميزة على المشرقيين في الأدب شعرا ونثرا ، فتجد ادباء المشرق منذ القرن الخامس الهجري ـ الحادي عشر الميلادي ـ غارقين في السجع ، ولا تجد ادباء الاندلس كذلك ، حتى أن ابن خلدون ـ واصل أسرته من اشبيلية في الاندلس ـ كتب مقدمته الشهيرة بأسلوب لا سجع فيه ، يرتقي ببلاغته ومتانة نسجه البياني الى مستوى اعظم كتاب العربية المشارقة الاولين «وبلاغة ابن خلدون لا يستطيع ان يصفها الا ابن خلدون نفسه» .. كما يقول الأمير شكيب ارسلان امير البيان في جيل ادبائنا الماضي .

وفي الشعر احتفظ الاندلسيون بديباجة القصيدة العربية صحيحة قوية حتى اخر رمق في حياة الدولة العربية ـ او بقايا هذه الدولة ـ في الاندلس المتساقطة كأوراق الخريف ..

وحسبك ان تطالع القصائد التي قيلت في القرنين الأخيرين من حياة الاندلس ، بين سقوط قرطبة وسقوط غرناطة ، لترى عبقرية الشعر الاندلسي ومقدرته الفذة على اقامة القصيدة العربية على أصولها الذهبية العريقة ، مع ان المشارقة كانوا حينذاك قد سقطوا بشعرهم ونثرهم في

لوحة رسمها الفنان نظامي عن الحروب العربية . محفوظة في مكتبة متحف لندن ◀



حضيض الركاكة المملوكية المستعجمة ..

ولك ان تقرأ القصيدة التى اولها :

ادرك بخيلك خيل الله اندلسا

ان الطريق الى منجاتها درسا

والقصيدة التى مطلعها :

ما بال دمعك لاينى مدراره

أم ما لقلبك لا يقر قراره

والقصيدة المشهورة لابى البقاء الرندى :

لكل شيء اذا ما تم نقصان

فلا يغر بطيب العيش انسان

والقصيدة التى قيلت فى سقوط مدينة «رندة» وكان سقوطها تمهيدا لسقوط غرناطة وذهاب دولة العرب :

احقا خبا من جو رندة نورها

وقد كشفت بعد الشموس بدورها

وقصائد اخرى كثيرة فى بكاء الاندلسيين على ارضهم فى القرنين الرابع عشر والخامس عشر ! ..

فهذه القصائد الاندلسية قيلت فى عصر يوافق فى مصر عصر سلاطين الجركس ، من برقوق الى المؤيد شيخ ، الى بر سباى ، الى قايتباى ، ثم الى قنصوه الغورى اخر هؤلاء السلاطين ! ..

فما اعجب ان يكون الشعر الاندلسى فى ذلك الزمن بالغا تلك الذروة الرفيعة بينما الشعر المصرى فى عهد السلاطين الجراكسة قد مات ولم تبق حتى ذكراه ، مع أن دولة الاندلس كانت قد ماتت ، ودولة مصر مازالت حية ترزق ! .

وليس هذا استطرادا بعيدا عن ابن طفيل وقصته الرائعة التى نطالعها فى سوانح الصيام ! ..

● ابن طفيل حكيم وفيلسوف

كان ابن طفيل عربى الاصل ، اجداده من قبيلة قيس بن عيلان التى انتشرت فى البلاد العربية كلها تقريبا ومن بينها مصر .. ولد فى بلدة قادس بالاندلس وعاش ثمانين عاما ، شهد خلالها سقوط بلدته فى يد الاسبان ، فظل يهاجر من بلد الى بلد فى الاندلس ، حتى استقر آخر الأمر فى مراكش بالمغرب .

وابن طفيل محب للحكمة او الفلسفة .. قرأ ابن سينا الفيلسوف المشرقى ، وابن باجة الفيلسوف الاندلسى ، وشمل بعطفه ورعايته ابن رشد اشهر فلاسفة الأندلس .. وازدحمت فى رأسه أفكار أهل السنة والمعتزلة والاشاعرة والفلاسفة الاسلاميين الذين حاولوا التوفيق بين الدين والفلسفة .

وقصة «حى بن يقظان» ليست من وحى الفلسفة اليونانية او الاساطير اليونانية ، كما يحلو لبعض المتعصبين على العرب من المستشرقين ان يزعموا ، وهو لم يأخذ من قصة «سلامان» اليونانية الا اسم صاحبها ، ثم لم يظهره على مسرح روايته الا فى المنظر الأخير من الفصل الأخير . ولم يجر على لسان «سلامان» شيئا من الخرافة اليونانية الوثنية القديمة بل اجرى على لسانه كلام اصحاب الاديان السماوية .

ولم يستوح ابن طفيل قصته من ابن سينا وان كان قد استعار منه اسم بطل القصة «حى بن يقظان» وهو اسم ورد فى

بعض ماكان يقوله ابن سينا ،ولكن قصة ابن طفيل اخذت هذا الاسم وأسندت اليه دورا جبارا لم يخطر على بال ابن سينا ، وهو دور انسان يقال انه مخلوق من الطين ، ويقال انه ابن امرأة قذفت به فى البحر ، كما قذفت ام النبى موسى به من قبل فى اليم لينجو من سيف فرعون ! ..

فابن يقظان قد يكون مثل ادم ، مخلوقا من طين ، او مثل سائر البشر مولودا من اب وام .. وهو مثل موسى بن عمران هارب من سيف السلطان ..

وللقارىء ان يتخيل هذا الانسان العجيب كما يشاء ان يتخيله ، ويختار له الثوب الروائى الذى يراه لائقا به فى خياله ! ..

وبعض النقاد يأخذون بخناق الآراء الفلسفية والعلمية التى عرضها ابن طفيل خلال قصته الرائعة .. وما نظن ذلك من العدل والاحسان الى هذا الرجل العادل المحسن ، المفكر الفنان الذى اقام فى الغابة نظاما اجتماعيا طوبويا فذاً ، جمع فيه انسانا فردا مع الحيوانات والنباتات ، وأعلن على رءوس الاشهاد فى القرن الحادى عشر الميلادى ان الارض كروية مع ان بعض فقهائنا فى سنة ١٩٩٠ مازالوا يصرون على تكفير القائلين بكروية الأرض ! ..

لقد جاء ابن طفيل من خياله الخلاق بطفل رضيع فاجتاز به مراحل النمو حتى بلغ الخمسين من عمره ، وأخذ بيده حتى اثبت وجود ذاته ، ووجود العالم خارج ذاته ، ووجود صانع هذا العالم وهذه الذات .

ولم يجلس حى بن يقظان فى الغابة يتأمل ذاته أو يتأمل الحيوان والنبات والبحر والكون كله ، تأملا مجردا بلا عمل ولا سعى هنا وهناك فى سبيل المعرفة والدربة ، بل اشتبك مع الغابة ونباتاتها وحيوانها فى صراع وعلاقات شبه انتاجية .

الا ان هذه الشخصية الخيالية الفذة البديعة التكوين المثيرة للعطف الشديد ، توحى الى من يطالعها بان المعرفة والدربة يمكن انجازهما فى غير اجتماع بشرى ، فيجلس الانسان فردا منعزلا عن الجنس البشرى كله ، ولا معرفة له ألبتة بوجود هذا الجنس البشرى .. ثم يرسل اشعة عقله المجردة فيجوب بها الغابة ، ويفحص عن امر الحيوان والطير والنبات والماء والهواء ، ويتأمل الشمس والقمر والنجوم ، ويكتسب المدركات العقلية دون ان يتحرك لسانه بلفظ واحد ، بل دون ان يشعر بحاجته الى لغة تكون وعاء لمدركات عقله ! ..

هذا مع أن مخترع صاحب هذه الشخصية الباهرة لم يقحم عليه غيبيات غير مفهومة تحركه كمعجزة خارقة ، بل جعله انسانا حقيقيا يبحث بنفسه عن كل شىء ، ويكتسب المعرفة والمهارة بالعمل والنضال والمعاناة والصراع ، لا بمجرد الاسترخاء الشاعرى تحت اشجار التفاح ! ..

ولكن المعرفة لا يمكن تحصيلها باجتهاد فرد واحد منعزل فى غابة ، يواجه الطبيعة والمجهول غير مدرك انه فرد من جنس أو جماعة .. ولا تجىء الاخلاق والخير والشر والمعرفة وغيرها الا من حياة الفرد فى جماعة ، ولا يمكن ان يكتسبها انسان فرد بوصفه ـ وحده ـ هو الجنس البشرى كله ، قائما على قدميه فى غابة تمشى كل مخلوقاتها على اربع ، حتى ليصاب بالذهول حين يرى ـ فجأة ـ



لوحة "الوداع" تعود الى القرن الثامن الميلادى

انسانا مثله يمشى على رجلين ، ولا يمشى على اربع كسائر اهل الغابة ! ..

● عمل رائع

إن لقاء ابن يقظان مع «سلامان» فى رواية ابن طفيل ، لمن اروع ما خطت الاقلام ، وبهذا اللقاء نفى ابن طفيل ان فى استطاعة فرد واحد اكتساب المعرفة الا فى حدودها الحيوانية البـدائية العجماء ! ..

فعند لقاء ابن يقظان وسلامان ، لم يستطع ابن يقظان ان يتفـاهم مع «سلامان» .. لأن سلامان ناطق ، وابن يقظان اعجم .. وقد زعم ابن طفيل ان الناطق والاعجم ، استدلا على وجود الله ، كل بطريقته .. هذا بالفطرة ، وذلـك بالتعلم ! ..

وليس ذلك بالمستطاع فيما تظنن ، فليس فى مكنة انسان اعجم متوحد فى غابة ولا يعرف فى الدنيا بشرا سواه ان يستدل على وجود الله ، لأن الاستدلال العقلى تسوقه التجربة العملية ، ولا يمكن اكتسابه من هذه التجربة الا بنظام عقلى



لوحة مستوحاة من مقامات الحريرى رسمها الفنان الوسيطى عام ١٢٣٧ ببغداد

ينمو من خلال نظام لغوى تتضبط به الافكار والمدركات ولا يمكن لجوهر الفطرة ان يظهر ويحصل عمله الصحيح الا من خلال نظام عقلى لغوى .. وهذا هوالفرق بين الانسان الناطق والحيوان الاعجم ..

وهكذا كان لابد ان يفشل الفيلسوف الشاعر الطبيب الكاتب العبقرى ابو بكر محمد بن عبدالملك بن طفيل في الهدف الذى اراده ، وهو الاستدلال على وجود الله بمجرد الفطرة العجماء التى لا تملك حتى مجرد الصوتيات اللغوية البسيطة .

الا ان ابن طفيل تدارك ذلك فجاء من ارض بعيدة بالفتى «سلامان» الذى نشأ في مجتمع انسانى واكتسب عقله نظاما لغويا وفكريا ، فجعل منه ابن طفيل رائدا ومرشدا لحى بن يقظان الاعجم المسكين ! ..

ونعود فنقول : من الظلم لهذا العمل الادبى الفلسفى الفنى الدرامى الرائع ان ننظر اليه بغير عين الفن والادب والخيال .وليكن ما احتواه من الفكر كيفما يكون ! ..

على ان فكر ابن طفيل ـ باعتبار زمانه ومكانه ـ لا يقل عظمة عن أدبه وفنه ! ..

تحدث عن عبد الرحمن بن خلدون

ابن خلدون للقارئ!

بقلم : صافي ناز كاظم

● **ولد وتوفى برمضان وبين الرمضانين ٧٦ عاما هجريا ، فقد ولد عبد الرحمن بن خلدون بتونس فى غرة رمضان سنة ٧٣٢ هـ ، الموافق للعام الميلادى ١٣٣٢ ، وتوفى بالقاهرة فى ٢٦ رمضان سنة ٨٠٨ هـ الموافق ١٦ مارس سنة ١٤٠٦ ميلاديا ـ إذ انه امضى الـ ٢٤ سنة الأخيرة من عمره بمصر تحت حكم الملك الظاهر برقوق المملوكى ـ ودفن بمقابر الصوفية خارج باب النصر فى إتجاه الريدانية او العباسية الآن .**

● هذه بيانات لم تكن واضحة لدى ولا اظن انها واضحة للكثيرين ، فكم منا و عى فى ذاكرته أن ابن خلدون من بين علماء العصور الوسطى فى ظل حكم المماليك ، تلك العصور وذلك الحكم الذى أصبح ـ بسبب فقدان الذاكرة وخلط الأمور والجهل الشديد ـ من مفردات الشتائم التى تكال حين الحاجة للاشارة إلى أحد بالتخلف أو الظلامية أو القهر أو الاستبداد ، فيقال فيما يقال : « عودة إلى ظلام العصور الوسطى وإرتداد إلى عصر الانحطاط المملوكى » غير مدركين أن تلك العصور فى دائرة التاريخ الاسلامى كانت من أنصع العصور علما وحضارة وأحد شواهدها أن ولد وتربى وتعلم وعاش وأثمر بها إبن خلدون ومعاصروه الافذاذ ، الذين وجدوا تحت حكم المماليك الاحترام والرعاية والتقدير لعلمهم وثقافتهم وتنويرهم . وكم منا يعرف أن إبن خلدون هنا بين ظهرانينا بالقاهرة فى قبر ما



مجهول الآن بالعباسية حيث أسكن ، ومن الآن فصاعدا سوف أخفف الوطء وأنا اتجول فقد أكون فى حضرة إبن خلدون من دون ان ادرى وأنا أسير بالدبيب الأعمى ! ..

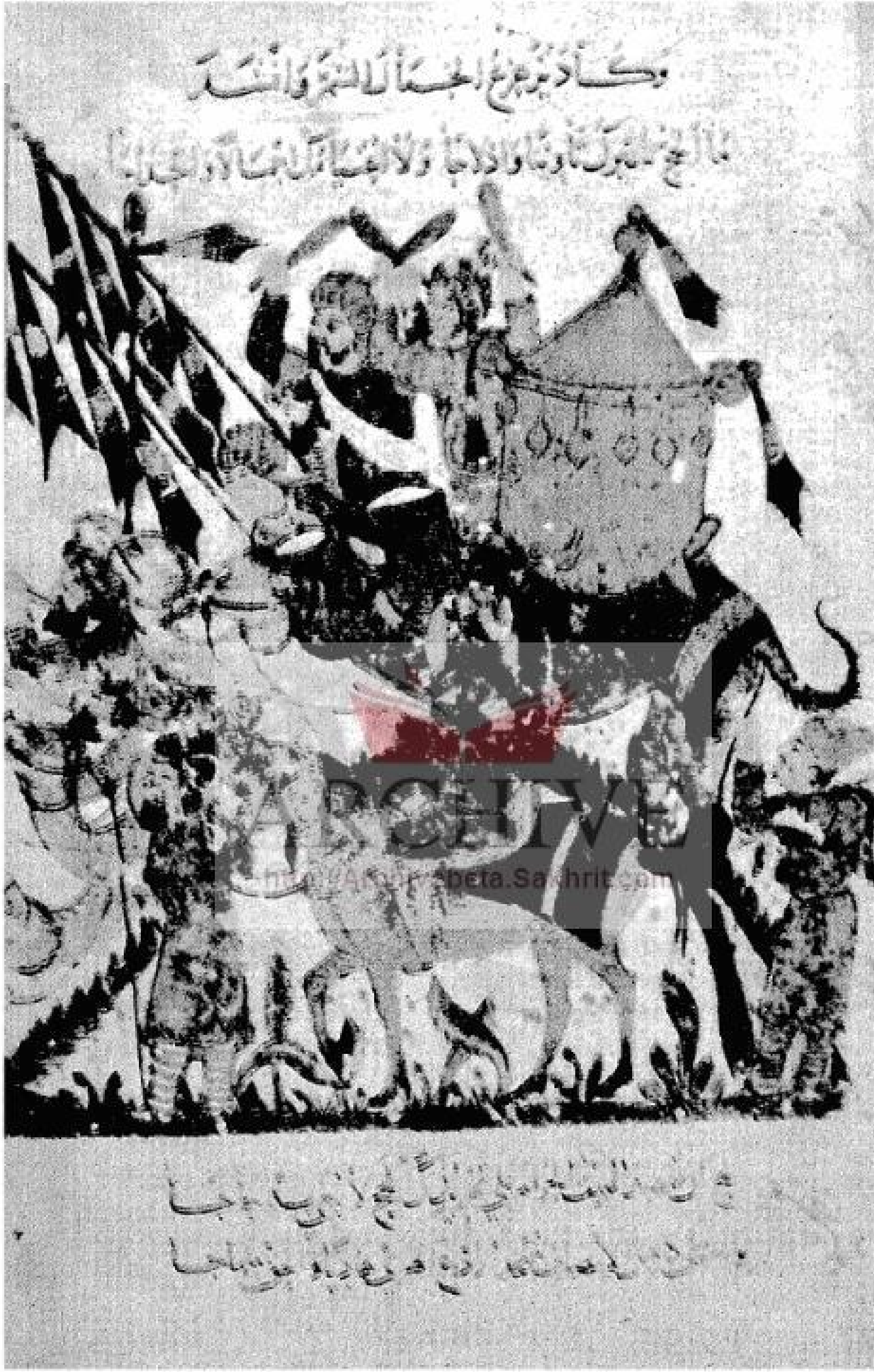
● مؤسس علم الاجتماع

باستثناء المتخصصين ، فمعظم الذين يذكرون اسم ابن خلدون لايعرفون عنه سوى معلومة يلقنها الشباب عن انه عالم من المغرب أسس علم الأجتماع وأنه صاحب مؤلف اشتهر باسم « مقدمة ابن خلدون » .

وقد وقع فى يدى كتاب ، أو بالأحرى كُتيب أصدرته منشورات المتوسط ومنشورات كتابة من سلسلة « التراث العربى » يقع فى ٨٣ صفحة بعنوان « فى المعاش والكسب والصنائع » يقدم فصولا فى الاقتصاد السياسى مقتطفة من « مقدمة » عبد الرحمن بن محمد بن خلدون لتاريخه المسمى « كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر » . هكذا جاء التنويه فى آخر صفحة فى هذا الكتيب وهو إختزال مشين لاسم الكتاب ولهذه المقدمة التى كتبها إبن خلدون فى ٦٥٠ صفحة ووصلت فى طبعة لجنة البيان ، التى إنتهى الدكتور على عبد الواحد وافى عام ١٩٦٠ من اعدادها وتحقيقها وتقديمها بدراسة شاملة ، إلى حوالى ١٢٠٠ صفحة وتقع فى ثلاثة مجلدات وتباع حاليا بمكتبة نهضة مصر . ولك أن تفهم أن ذلك الكتيب الذى وقع بيدى هو ـ على الرغم من طباعته الفاخرة ـ ليس سوى كسرة من كسرة من فرع صغير يتيم مبتور من شجرة ضخمة لايسمن ولايغنى من جوع



لوحة من الفن العربي ، مرسومة عام ١١٩٩ ، محفوظة في المتحف الوطني بباريس



لوحة مستوحاة من مقامات الحريري مرسومة في بغداد عام ١٢٣٧

عبد الرحمن بن خلدون

فهو بلا تحقيق أو تفسير أو حتى نبذة موجزة عن المؤلف وأصل الكتاب ، فهو بمثابة « نشل » للتراث يشوهه ويسيء استغلاله بغية الأثراء غير المشروع من ورائه ، يتم الاغراء به ثم لا يكون إلا كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء ، حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ، ولم يفدنى هذا الكتيب إلا فى إثارة غضبى الذى دفعنى للبحث عن الشجرة وجذب انتباهى إلى ماينقصنى من معرفة ، وكان لابد قبل الذهاب إلى الشجرة أن يحيلنى شوقى إلى دليل يأخذ بيدى ليعرفنى كيف تبدأ الرحلة ، ووجدت دليلى فى كتاب رائع لباحث عالم يتمتع ، مع صدقه ودقته وذكاء تمحيصه وجدله وسعة علمه ، بأسلوب مشرق ودود ، جاد فى بساطة وعميق فى يسر ، واعنى كتاب « عبد الرحمن بن خلدون » للأستاذ الدكتور على عبد الواحد وافى الذى أصدرته حوالى عام ١٩٦٠ الادارة العامة للثقافة بوزارة الثقافة والارشاد القومى وطبعته مكتبة مصر تحت سلسلة « أعلام العرب » ويقع فى ٣٢٦ صفحة وكان ثمنه خمسة قروش ! ولا توجد منه نسخ متوفرة فى السوق منذ أن أمد طويل ـ ولا حتى مسروقة ! لذلك اقترح أن تدرجه سلسلة كتاب الهلال فورا فى قائمة إصداراتها للتنوير الحقيقى واشاعة الفهم المطلوب لأمة العرب والمسلمين .

وأهمية هذا الكتاب أنه يجعل ابن خلدون « للقارىء » العام ، أى يحوله إلى موضوع شيق يخرج من خزائن المتخصصين المغلقة والطلاب والدارسين ، ليجتذب اهتمام القارىء الخالى الذى يود الاستمتاع بوقته إستمتاعا راقيا ناهضا ، وللدكتور على عبد الواحد وافى فى كتابه وسيلته البشوشة فى الكتابة تستقطبك إلى التنقل معه عبر حياة إبن خلدون السياسية الصاخبة ـ التى صعد فيها إلى منصب يوازى رئاسة الوزراء ثم هبط إلى السجن والنفى والتهجير والهرب ثم صعد إلى منصب قاضى قضاة عزل منه وتولاه أربع مرات فى خلال خمس سنوات بفعل الدس والمكيدة والحسد !

ثم حياته الانسانية العسيرة والعلمية الوارفة ، فى تلقائية وحب وجيشان دون أن تحس بوطأة أو ثقل أو تململ .

والكتاب ينقسم بعد « مصطلحات الاحالة » و « المقدمة » إلى بابين

١ ـ حياة ابن خلدون ، ويستغرق هذا الباب ١٣٢ صفحة ومقسم إلى أربعة فصول .

٢ ـ آثار إبن خلدون ومظاهر عظمته ، ويستغرق ١٩٣ صفحة ومقسم إلى تسعة فصول .

ويعرفنا الدكتور على عبد الواحد وافى فى البداية بأن هناك عدة طبعات لما تم التعارف عليه باسم :

« مقدمة إبن خلدون » ، اولها : : طبعة باريس التى أشرف عليها المستشرق كاترمير وظهرت سنة ١٨٥٨ م ، وثانيا : طبعة بولاق التى تم ظهورها سنة ١٢٨٤ هـ الموافقة سنة ١٨٦٨ م . وهى فى سبعة مجلدات ، المجلد الأول منها « مقدمة إبن خلدون » والستة الأخيرة لكتاب « العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر .. » وهو جسم

العمل الفذ الذى أنجزه ابن خلدون فى أربع سنوات ثم كتب له « المقدمة » المعروفة فى زمن قياسى لم يتجاوز الخمسة أشهر .

وثالثها : طبعة التقدم التى أخرجها مصطفى فهمى الكتبى سنة ١٣٢٩ هـ أى حوالى سنة ١٩١٠ م .

ورابعها : طبعة « لجنة البيان العربى » التى حققها وشرحها وعلق عليها د . على عبد الواحد وافى وأشرت اليها فى بدء كلامى . ويذكر كذلك كتاب « التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا » .. وهو الكتاب الذى ذيل به ابن خلدون عمله الضخم وأسماه أولا « التعريف بابن خلدون مؤلف هذا الكتاب » ـ قاصدا كتاب « العبر » .. ثم نقحه وأضاف اليه الكثير بعد رحيله الى مصر ودون به ترجمة حياته كلها منذ مولده إلى قبيل وفاته ببضعة أشهر . ويعد ابن خلدون بكتابه « التعريف » .. هذا اماما ومجددا فى فن « الأوتوبيوجرفى » أو « السيرة الذاتية » ويقول الدكتور على عبد الواحد وافى فى ذلك ص ٢٢٨ : « .... صحيح أنه قد سبق ابن خلدون فى هذا الفن كثير من مؤرخى العرب وأدبائهم ، كياقوت الحموى فى كتابه « معجم البلدان » ولسان الدين بن الخطيب .. معاصر ابن خلدون وصديقه فى كتابه ، (الإحاطة فى أخبار غرناطة) ، والحافظ بن حجر معاصر ابن خلدون كذلك فى كتابه (رفع الأصر عن قضاة مصر) . ولكن هؤلاء وغيرهم ممن تصدوا قبل ابن خلدون للترجمة عن أنفسهم قد قنعوا بتراجم موجزة . أما ابن خلدون فهو أول باحث عربى يكتب عن نفسه ترجمة رائعة مستفيضة يتحدث فيها عن تفاصيل ماجرى له ، وما أحاط به من حوادث ، من يوم نشأته إلى قبيل مماته ، ويتحدث عن كل ذلك بدقة المؤرخ الامين الحريص على الاستيعاب والشمول ، فلا يغادر شيئا مما عمله أو حدث له إلا سجله ، حتى الأمور التى يحرص الناس عادة على كتمانها لما تنم عليه من خلق غير كريم ، وبذلك تدخل هذه الترجمة من بعض نواحيها فى الفن التاريخى الذى اشتهر باسم الأعترافات ، كاعترافات الغزالى فى كتابه (المنقذ من الضلال) واعترافات جان جاك روسو فى كتابه « الاعترافات » .

وكتاب « التعريف » تتعدى صفحاته بقلم ابن خلدون المائتى صفحة وقد صدر عام ١٩٥١ بطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر التى حققها وعلق عليها العلامة محمد تاويت الطنجى وتتعدى الـ ٤٠٠ صفحة ـ ثم اندثرت هذه الطبعة كذلك ولم يبق متداولا فى السوق الآن إلا الطبعة اللبنانية المسروقة والمصورة من طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر المذكورة ، بعد أن حذف السارق مقدمة محمد تاويت الطنجى واسمه وبقيت هوامشه موجودة لاتستند إلى فاعل !

● ● ●

يقسم الدكتور على عبد الواحد وافى حياة ابن خلدون إلى أربع مراحل :

« المرحلة الأولى : مرحلة النشأة والتلمذة والتحصيل العلمى . وتمتد من ميلاده سنة ٧٣٢ هـ لغاية سنة ٧٥١ هـ فتستغرق زهاء عشرين عاما هجريا .. وقد قضاها كلها فى مسقط رأسه بتونس ، وقضى منها نحو خمسة عشر عاما فى حفظ القرآن وتجويده بالقراءات والتلمذة على الشيوخ وتحصيل العلوم .

المرحلة الثانية : مرحلة الوظائف

الديوانية والسياسية . وتمتد من أواخر ٧٥١ هـ إلى اواخر سنة ٧٧٦ هـ ، فتستغرق زهاء خمسة وعشرين عاما هجريا . قضاها متنقلا بين بلاد المغرب الأدنى والأوسط والاقصى - (مايسمى الآن تونس والجزائر والمغرب) - وبعض بلاد الاندلس . وقد استأثرت الوظائف الديوانية والسياسية بمعظم وقته وجهوده فى أثناء هذه المرحلة .

المرحلة الثالثة : مرحلة التفرغ للتأليف . وتمتد من أواخر سنة ٧٧٦ هـ إلى أواخر ٧٨٤ هـ ، فتستغرق نحو ثمان سنين . قضى نصفها الأول فى قلعة ابن سلامة ونصفها الأخير فى تونس ، وقد تفرغ فى هذه المرحلة تفرغا كاملا لتأليف ، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر ، فى أيام العرب والعجم والبربر ، ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر .

ويطلق الآن على القسم الأول من هذا الكتاب اسم مقدمة إبن خلدون وهو يشغل مجلدا واحدا من سبعة مجلدات يشغلها هذا الكتاب بحسب طبعة بولاق .

المرحلة الرابعة : مرحلة وظائف التدريس والقضاء وتمتد من أواخر سنة ٧٨٤ هـ إلى اواخر ٨٠٨ هـ ، فتستغرق زهاء أربع وعشرين سنة ، قضاها كلها فى مصر وقد استأثرت وظائف التدريس والقضاء بأكبر قسط من وقته وجهوده فى أثناء هذه المرحلة .

● حوادث مثيرة

وبعد هذا التقسيم يأخذنا الدكتور على عبد الواحد وافي فى رحلة تتوقف بنا عند كل مرحلة وقفة كافية لتحيطنا إحاطة شافية بأيام حياة ابن خلدون التى شالته وحطته فى حوادث مثيرة وملابسات عجيبة لعل أكثرها إثارة مقابلته فى دمشق

غزال شارد - اللوحة منقولة عن كتاب "منافع الحيوان" لأبي سعيد عبيد الله





لوحة مستوحاة من وقائع الحياة اليومية في القرن الرابع عشر محفوظة في متحف الزخرفة بباريس

عبد الرحمن بن خلدون

« لتيمورلنك » السفاح التترى المشهور وكيف كان لطيفا دمثا معه ، والكوارث التى المت به منذ مطلع حياته حين أدى الطاعون الجارف إلى قتل والديه وأصدقائه وأساتذته وهو لم يتعد الثامنة عشرة من عمره ، ثم كارثة غرق زوجته وأولاده جميعا وهم قادمون إليه فى السفينة من تونس إلى مصر عندما ضربتها الريح العنيفة عند وصولها ثغر الاسكندرية فتحطمت وماتت اسرته ومعها ضاع الكثير من ماله ومتاعه وكتبه وكان فى الخامسة والخمسين من عمره . ويقود الدكتور على عبد الواحد وافى هذه الرحلة متبينا الطريق على هدى كتاب ابن خلدون نفسه « التعريف » الذى تقرأ مقتطفات كثيرة منه أهم مالفت نظرى منها وصفه للقاهرة ـ قاهرة المماليك ! ـ حين إلتقى بها أول مرة إذ يقول إبن خلدون :

« فانتقلت إلى القاهرة أول ذى القعدة ، فرأيت حضرة الدنيا ، وبستان العالم ، ومحشر الأمم ، ومدرج الذر من البشر ، وإيوان الاسلام ، وكرسى الملك ، تلوح القصور والأواوين فى جوه ، وتزهر الخوانك والمدارس بآفاقه ، وتضىء البدور والكواكب من علمائه ، وقد مثل بشاطىء بحر النيل نهر الجنة ومدفع مياه السماء ، يسقيهم النَّهَل والعَلَلَ سيحُه ، ويجبى اليهم الثمرات والخيرات ثجه ، ومررت فى سكك المدينة تغص بزحام المارة ، وأسواقها تزخر بالنعم .

ومازلنا نحدث عن هذا البلد ، وبعد مداه فى العمران واتساع الأحوال ، ولقد اختلفت عبارات من لقيناه من شيوخنا وأصحابنا ، حاجهم وتاجرهم ، بالحديث عنه ، سألت صاحبنا قاضى الجماعة بفاس ، وكبير العلماء بالمغرب ، أبا عبد الله المقرى ..

فقلت له كيف هذه القاهرة ؟ .. فقال من لم يرها لم يعرف عز الاسلام ، وسألت شيخنا ابا العباس بن أدريس كبير العلماء ببجاية مثل ذلك فقال : كأنما انطلق أهله من الحساب ، يشير إلى كثرة أممه وأمنهم العواقب .. وحضر صاحبنا قاضى العسكر بفاس الفقيه الكاتب أبو القاسم البرجى بمجلس السلطان أبى عنان .. وسأله عن القاهرة فقال : « اقول فى العبارة عنها على سبيل الأختصار : إن الذى يتخيله الانسان فإنما يراه دون الصورة التى تخيلها ، لاتساع الخيال عن كل محسوس إلا القاهرة ، فإنها اوسع من كل مايتخيل فيها . »

وقد قال إبن خلدون هذا عن القاهرة بعد أن طاف وعاش بالمغرب والأندلس وعرف الجمال والحضارة والعلم .

ويعلق الدكتور على عبد الواحد وافى بعد مقتطف كلام إبن خلدون فيقول : « .. وكانت القاهرة يومئذ ـ (فى العصر المملوكى وفى القرن الرابع عشر !) ـ موئل التفكير الاسلامى فى المشرق والمغرب ، وكان لسلاطينها المماليك شهرة واسعة فى حماية العلوم والفنون فى المدارس العديدة التى أنشئوها ، وفى الجامع الأزهر الذى أنشىء من قبلهم فى عهد الفاطميين .. فلا جرم أن يراود إبن خلدون الأمل فى أن ينال فى هذه الديار من الرعاية والمكانة ما تستأهله كفايته ومنزلته العظيمة بين علماء عصره وخاصة

ان صيته كان قد سبقه إلى القاهرة ، وأن المجتمع المصرى كان يعرف الكثير عن شخصيته وسيرته وعن بحوثه الاجتماعية والتاريخية ، ولاسيما مقدمته الشهيرة التى أعجبت دوائر العلم والتفكير والادب فى القاهرة بطرافتها وجدتها وروعة مباحثها وما تنطوى عليه من إبتكار فى شئون الاجتماع .. ويظهر أن مثل هذه المؤلفات كانت تنسخ منها عدة نسخ وتنتشر بسرعة فى جميع بلاد العالم الاسلامى وأنه كان للوراقين (اصحاب المكتبات) نشاط كبير فى هذه الميادين .. » . ودرّس ابن خلدون فى الأزهر الحديث والفقه المالكى وشرح نظرياته الاجتماعية التى ضمنها مقدمته .

وكانت هذه فرصته ليتألق فى القاهرة المليئة بالمتألقين ، وكان من معاصريه الذين سمعوه وخالطوه واعترفوا بعظمته المؤرخ الكبير تقى الدين المقريزى والعلامة الحافظ بن حجر العسقلانى الذى إعترف بفضل ابن خلدون رغم خصومته معه .. ويقول الدكتور على عبد الواحد وافى مستطردا فى ذكر أخبار ابن خلدون بالقاهرة : « .. وكان ملك مصر فى هذا العهد الظاهر برقوق الذى ولى مصر قبل مقدم ابن خلدون بعشرة ايام (اواخر رمضان سنة ٧٨٤ هـ) . وقد عمل ابن خلدون على الاتصال به والتقرب منه ، وكانت اخباره وشهرته قد سبقت اليه ، فأكرم وفادته ، وعنى بأمره .. ثم عينه فى اوائل سنة ٧٨٦ هـ فى منصب تدريس الفقه المالكى بمدرسة « القمحية » فشهد مجلسه الأول فى ذلك المعهد جمهرة من العلماء والاكابر والأمراء أرسلهم السلطان لشهوده .. وفى هذا يقول إبن خلدون : وانفض ذلك المجلس وقد شيعتنى العيون بالتجلة والوقار وتناجت النفوس بالأهلية للمناصب » .

وعينه السلطان برقوق بعد ذلك قاضى قضاة المالكية فارتقى بذلك إلى منصب من ارقى مناصب الدولة ، وسجل المقريزى هذا الحادث فى كتابه « السلوك » .

لكن ابن خلدون لم يستقر كثيرا فى هذا المنصب فعزل منه وتولاه اكثر من مرة ..

حين يجمل الدكتور على عبد الواحد وافى آثار إبن خلدون ومظاهر عظمته يقول :

« تبدو عبقرية إبن خلدون ويبدو نبوغه فى نواح كثيرة من أهمها مايلى :

١ ـ أنه المنشىء الأول لعلم الاجتماع .

٢ ـ أنه إمام ومجدد فى علم التاريخ .

٣ ـ أنه إمام ومجدد فى فن « الاتوبيوجرافيا » اى ترجمة المؤلف لنفسه .

٤ ـ أنه إمام ومجدد فى أسلوب الكتابة العربية .

٥ ـ أنه إمام ومجدد فى بحوث التربية والتعليم وعلم النفس التربوى والتعليمى .

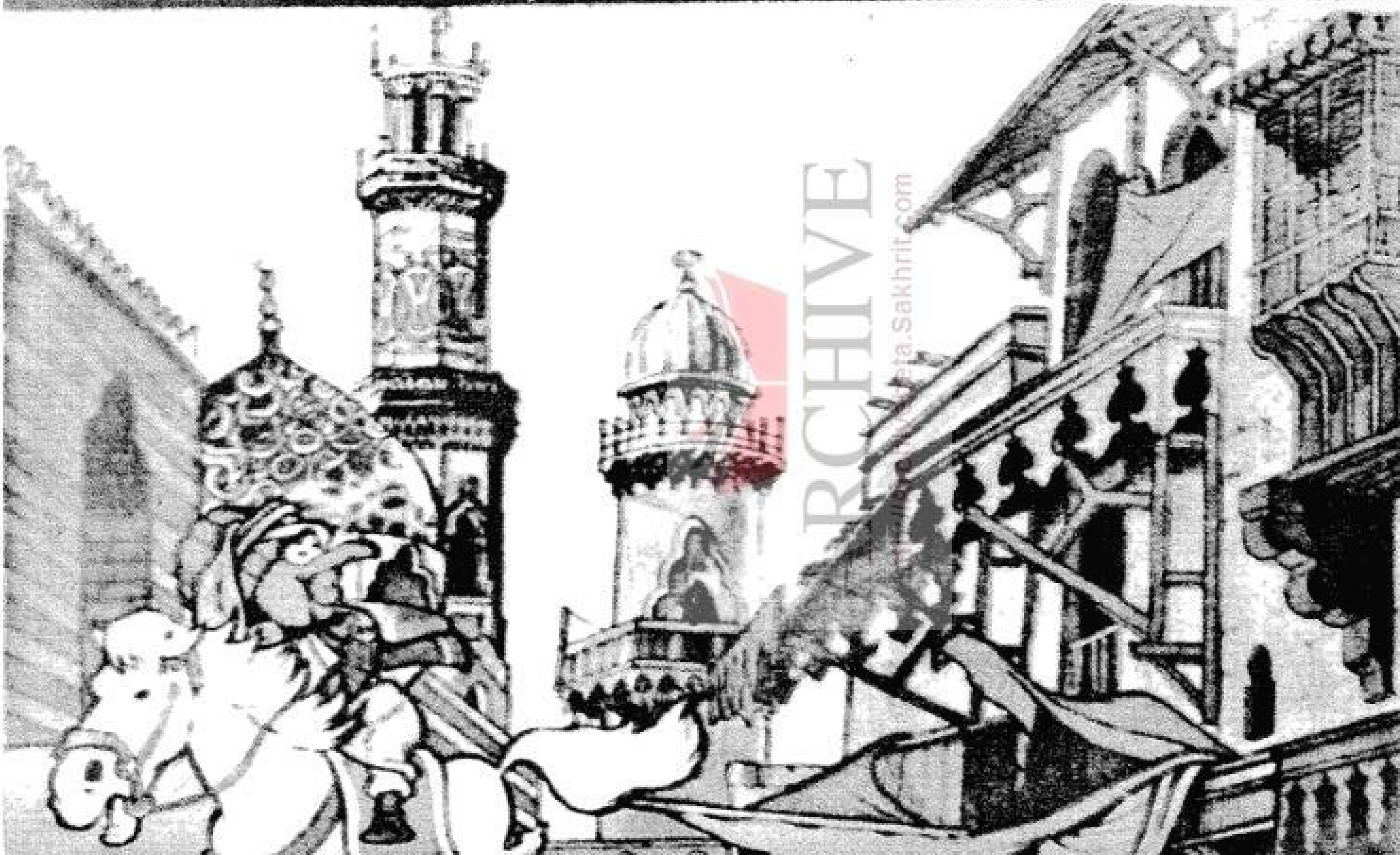
٦ ـ أنه راسخ القدم فى علوم الحديث (كتب الحديث ، مصطلح الحديث ، رجال الحديث) .

٧ ـ أنه راسخ القدم فى الفقه المالكى

٨ ـ انه لم يغادر اى فرع آخر من فروع المعرفة إلا ألم بهم »

ولكل هذه الأمور تفاصيلها وأسانيدها وما يوثقها لكن هذا ما اتركه ـ مع الكثير الذى لم استطع أن اذكره فى هذه العرض السريع ـ لك ايها القارىء عندما تختلى مع الكتاب لتقراه وحدك حين يتوفر بإعادة طبعه كما نرجو ...

رمضان زمان



شهر الصيام

هل هلالك .. شهر مبارك

إعداد : ابراهيم حلمى • ريشة الفنان : محمد أبو طالب

بالتعبير الشعبى البسيط ، الذى يحمل فى طياته جرسا موسيقيا ذا رنين روحانى خاص ينبع ويبزغ من الوجدان الجمعى للناس ، يتم استقبال شهر الأنوار القدسية (رمضان) من كل عام ، بصيحات مهللة متشوقة مرحبة بقدوم الوافد الكريم قائلة : هل هلالك شهر مبارك . وعلى الرغم من أن سائر الشهور العربية لها أهلة خاصة بها . وهذه الأهلة تحدد المواقيت للناس والأزمنة والمواسم . إلا إن هلال شهر رمضان المعظم ينفرد ويحظى بإجلال وإكبار عظيمين لدى شعوب الأمم الإسلامية كافة . سواء أكانت هذه الشعوب من قطان المشارق أو المغارب ...!

ولم لا والمسلمون يستشعرون تجاه ليلة رؤية هلال رمضان عبق السنين الضاربة بجذورها عبر الزمان أهلة الشهور العربية .

رمضان زمان

كان المسلمون فى صدر الاسلام يتأهبون كل عام للاحتفاء بمقدم بعض الشهور العربية ، نظرا لما لها من منافع خاصة بهم وبالحجيج العاكفين والطائفين والركع السجود عند الأعتاب المقدسة لبيته المحرم . طلبا للغفران .

فقد روى (الفاكهى) فى كتابه « مكة » أن (عمر بن الخطاب) - رضى الله عنه - كان يصيح فى أهل مكة قائلا : « ياأهل مكة أوقدوا ليلة هلال المحرم ، فأوضحوا فجاجكم لحجاج بيت الله ، واحرسوهم ليلة هلال المحرم حتى يصبحوا » .

وظل الأمر على ذلك بمكة فى هذه الليلة حتى كانت ولاية (عبدالله بن محمد بن داود) على مكة ، فأمر الناس أن يوقدوا ليلة هلال رجب ، فيحرسوا عمّار أهل اليمن .

ولقد انتقل هذا الاهتمام بهذه المواسم الدينية إلى مصر أيام الدولة الفاطمية ، وعرفت هذه المواسم باسم (ليالى الوقود) وهى ليالى الأول والنصف من رجب ، والأول والنصف من شعبان ، حيث تضاء بالشموع والمصابيح والقناديل الجوامع الستة : الأزهر ، والأقمر ، والأنور ، والطولونى ، والعتيق (جامع عمرو بن العاص) وجامع القرافة بالقاهرة المعزية ، فتسبح جميعها فى هالات نورانية متألقة .

ان هذا الاهتمام بالمواسم الدينية فى المدن الاسلامية ، خاصة فى أوائل شهورها المباركة له دلالة خاصة فى عقيدة المسلم المقبل على مناسك وفروض العبادة منذ أزمنة بعيدة . وكما تحوم أقدام المسلمين وأنظارهم حول بيت الله المحرم ، حامت حفاوة الانسان المسلم حول رؤية الهلال عند بيته المحرم بكل مظاهر الاحتفاء والتكريم والتبجيل .

. من ذلك مادونه الرحالة العربى (ابن جبير) فى رحلته الى بيت الله الحرام عام ٥٧٩ هجرية ، والتى صادفت وقتها أن هل هلال شهر رمضان فى سماء مكة وهو حل بها .

قال (ابن جبير) : « وكان صيام أهل مكة له [لرمضان] يوم الأحد بدعوى فى رؤية الهلال لم تصل ولكن أمضى الأمير ذلك ، ووقع الاذن بالصوم بضرب دبادبه ليلة الأحد المذكور ، لموافقته مذهبه ومذهب شيعته العلويين ومن إليهم ، لانهم يرون صيام يوم الشك فرضا حسبما يذكر ، والله أعلم بذلك » .

ويصف (ابن جبير) مظاهر هذا الاحتفال الدينى فى البيت المعمور يوم استطلاع هلال شهر رمضان قائلا : « ووقع الاحتفال فى المسجد الحرام لهذا الشهر المبارك ، وحق ذلك من تجديد الحصر وتكثير الشمع والمشاعل ، وغير ذلك من آلالات ، حتى تلألأ الحرم نورا ، وسطع ضياء » .

ونفس التعبير عن مظاهر الاحتفال فى بيت الله الحرام عند ترائى هلال شهر رمضان ، تجده عند الرحالة العربى (ابن بطوطة) بنفس الالفاظ ، على الرغم من الاختلاف الزمنى بنحو قرن ونصف من الزمان فصلت بينهما .. !

ففى عام (٧٢٧ هجرية - ١٣٢٧ ميلادية) كتب (ابن بطوطة) قائلا : « وإذا هل هلال رمضان تضرب الطبول والدبادب عند أمير مكة ، ويقع الاحتفال بالمسجد الحرام ، من تجديد الحصر وتكثير الشمع والمشاعل حتى يتلألأ الحرم نورا ، ويسطع ببهجة وإشراقا » !

كل الاختلاف فيما لاحظه (ابن جبير) و (ابن بطوطة) هو أن الأخير لاحظ فى هذه المناسبة وجود ايقاع عند أمير البلاد .

● هلال رمضان بمصر

اختلف المؤرخون فى أول من خرج لرؤية هلال رمضان من قضاة مصر ، فذكر

(السيوطى) فى كتابه « حسن المحاضرة » أن اول من خرج إلى رؤية الهلال فى مصـــر ، القاضى (غوث بن سليمان) الذى توفى سنة ثمان وستين ومائة ، وقيل : أول من خرج من الناس إلى مسجد (عبود) ـ وقيل (محمود) ـ بالقرافة لرؤية هلال رمضان ، القاضى (ابراهيم بن محمد بن عبدالله) وقيل : إن أول قاض ركب فى الشهود إلى رؤية الهلال ، هو (أبو عبدالرحمن عبدالله بن لهيعة) الذى تولى قضاء مصر سنة خمس وخمسين ومائة هجرية ، الموافق سنة احدى وسبعين وسبعمائة ميلادية .

قال (الكندى) : طلب الناس هلال شهر رمضان ـ و (ابن لهيعة) على القضاء ـ فلم يره احد ، واتى رجلان ، فزعما أنهما قد رأياه ، فبعث بهما الأمير (موسى بن رباح) إلى (ابن لهيعة) فسأل عن عدالتهما ، فلم يعرفا ، واختلف الناس ، وشكوا . فلما كان العام المقبل ، خرج (عبدالله بن لهيعة) فى نفر من اهل المسجد عرفوا بالصلاح ، فطلبوا الهلال ـ وكانوا يطلبونه بالجيزة ـ ثم تعدوا الجسر فى زمن (هشام بن ابى بكر البكرى) وطلبوا الهلال فى جنان (ابن أبى حبيش) ثم كان القضاة على ذلك ، حتى كان (ابن أبى الليث) ، فطلبه فى أصل المقطم .

وكانت قد أعدت لهم دكة خشبية ، عرفت باسم (دكة القضاة) بجبل المقطم ، وهذه الدكة كانت ترتفع عن المساجد ، من أجل الجلوس عليها عند استطلاع الأهلة .

وحدث فى العهد الفاطمى ان القائد (جوهر الصقلى) كان ينوب عن الخليفة (المعز لدين الله) أحيانا فى حكم البلاد ، وقد رأى أن العلاقات التى كانت بين أهل السنة فى كل من مصر وليبيا والمغرب وبين الشيعة فى كل من العراق والشام لم تكن على صفاء دائما ، بسبب اختلافهم على موعد ابتداء الصيام فى شهر رمضان ، فكان صيام شهر رمضان عند السنيين يبتديء بمجرد رؤية الهلال ، سواء كان شهر شعبان تسعة وعشرين يوما أم ثلاثين . لكن (جوهر الصقلى) لم يرتض السير وفق هذه الطريقة ، التى لاتتفق فى نظره مع أحوال المذهب الشيعى ، فجاء فى سنة ٣٥٨ هجرية ، وامر بابطال الصوم بعد اليوم التاسع والعشرين من رمضان ، وأقام صلاة العيد قبل رؤية هلال شوال ، فأدى ذلك إلى إثارة أهل مصر والمغرب واعتراضهم على ذلك بأن صاموا اليوم الثلاثين من رمضان حسب أصول المذهب السنى ، ثم جعلوا العيد بعد ثبوت رؤية هلال شوال ، واتبعوا فى ذلك فتوى قاضيهم المصرى (أبى الطاهر السنى) الذى بحث عن الهلال بنفسه ، جريا على هذه العادة ، من فوق الجامع العتيق (جامع عمرو ابن العاص) فلما بلغ ذلك الى (جوهر الصقلى) هدد القاضى المصرى بالعزل .

وقيل إنه فى هذا العهد أبطل الخلفاء رؤية القاضى لهلال رمضان ، وجعلوا الشهور الرمضانية شهرا تسعة وعشرين يوما ، وشهرا ثلاثين ، فاذا وقع رمضان فى أحدهما أمضوه كما هو ، واصبح ركوب الخليفة الفاطمى أول رمضان ، يقوم مقام الرؤية عند غيرهم ، على أن الخليفة (الحاكم بأمر الله) أباح صوم رمضان بالرؤية لمن يريد .

● العصر المملوكى

على الرغم من اهتمام مؤرخى العصر المملوكى بأحداثه السياسية المتقلبة فإنه قد وقف بعضهم بأقلامهم عند عدة ليال من ليالى رؤية هلال شهر رمضان ، وذلك بعدة إشارات ووقفات سريعة ، ولكنها بالرغم من ذلك فهى تعد هذه الاشارات والوقفات هامة يمكن اجمالها على النحو الآتى :

● مكان الاحتفال بليلة الرؤية

لم يكن للاحتفال بليلة رؤية هلال شهر رمضان بمصـــر مكان واحد تجرى فيه ظاهرة الاحتفال وإنما كان هناك لذلك أكثر من مكان

رمضان زمان

ولقد رصد (ابن اياس) مكان الاحتفال هذا، وحدده بالمدرسة المنصورية الكائنة في (بين القصرين) خلال الأعوام ٩٢٠ و٩٢٣ ، ومن عام ٩٢٥ حتى ٩٢٨ هجرية .

ففي عام ٩٢٠ هجرية قال (ابن اياس) « .. وأما في ليلة رؤية الهلال حضر القضاة الأربعة بالمدرسة المنصورية ، وحضر (الزيني بركات بن موسى) المحتسب ، فلما ثبتت رؤية الهلال وانفض المجلس .... »

وفي عام ٩٢٢ هجرية قال : « فلما كان ليلة الرؤية ركب الزيني بركات بن موسى المحتسب من المدرسة المنصورية ، وقدامه الفوانيس موقودة و .... »

وفي عام ٩٢٥ هجرية قال : « وفي يوم الخميس سلخ الشهر [شعبان] كانت ليلة رؤية هلال رمضان ، فتوجه قضاة القضاة إلى



المدرسة المنصورية التي بين القصرين ، وحضر القاضي عبدالعظيم المحتسب ، فلما راى الهلال وانفض المجلس »

وفي عام ٩٢٦ هجرية قال : « وفي ليلة الرؤية توجه القاضي بركات بن موسى المحتسب الى المدرسة المنصورية التي بين القصرين ، واجتمع القضاة الأربعة هناك ، فلم يثبت رؤية الهلال الا بعد العشاء » .

وقال في عام ٩٢٧ هجرية : « وفي تلك الليلة ركب القاضي بركات بن موسى من المدرسة المنصورية بعد المغرب ، وقدامه المشاعل .... »

وقال في عام ٩٢٨ هجرية : « وفي يوم الأربعاء سلخ شعبان كانت ليلة رؤية هلال شهر رمضان ، فلم يحضر من القضاة أحد الى المدرسة المنصورية على جرى العادة ، وإذا كان (ابن اياس) قد حدد المكان بالمدرسة المنصورية بمنطقة (بين القصرين) على مدى سنين غير قليلة ، فإن (المقريزي) أشار إلى مكان آخر تراءى فيه هلال شهر رمضان من قبل تلك التواريخ التي ذكرها (ابن اياس) في كتابه .

قال (المقريزي) في حوادث عام ٨٩٦ هجرية : « وفي ليلة الثلاثاء ـ الثلاثين من شعبان ـ تراءى الناس هلال رمضان ، فلم ير أحد الهلال مع كثرة عددهم ، فأصبح الناس على أنه آخر شعبان ، وأكلوا إلى الظهر ، فقدم الخبر بأن الهلال رؤي ببلبيس ، فنودي بالامساك قبيل العصر »

ويؤكد لنا ذلك ماكتبه الرحالة العربي (ابن بطوطة) فقد رصد حفلاً لليلة رؤية هلال شهر رمضان بمدينة (ابيار) والتي هي موقعها الآن على الخريطة مدينة (كفر الزيات) ففي عام ٧٢٧ هجرية قال عن احتفال هذا العام : « ولقيت بأبيار قاضيها (عز الدين المليجي) الشافعي ، وهو كريم الشمائل ، كبير القدر . حضرت عنده مرة يوم الركبة وهم يسمون ذلك يوم ارتقاب هلال رمضان » .

إننا نستطيع من غير شك من خلال ماعرضنا له من رصد تاريخي للمؤرخين (ابن اياس) و (المقريزى) والرحالة العربى (ابن بطوطة) - أن نستنتج أن رؤية هلال شهر رمضان فى العصر المملوكى فى مصر كانت تستطلع فى اكثر من مكان ، سواء أكان هذا المكان فى العاصمة أو فى غير العاصمة .

● الاحتفال بليلة الرؤية

اتخذ مسار الاحتفال فى العاصمة فى العصر المملوكى دائما نقطة بداية ثابتة ، وهى المدرسة المنصورية بمنطقة (بين القصرين) - كما اشرنا من قبل - اما نقطة نهاية الاحتفال فكانت دائما عند بيت المحتسب وهو الممثل للسلطان فى هذا الحفل الدينى .

وعندما كان يرأس الحفل المحتسب (الزينى بركات بن موسى) فقد كان المسار يبدأ من المدرسة المنصورية ببين القصرين ، ثم إلى (الامشاطين) إلى (سوق مرجوش) إلى (الخشابين) إلى (سويقة اللبن) إلى بيت المحتسب (الزينى بركات) نفسه . نستنتج ذلك من وصف (ابن اياس) لمسار احتفال عام ٩٢٠ هجرية ، والذى قال فيه : « ... ووقدوا له الشموع على الدكاكين ، وعلقوا له التنانير والاحمال الموقودة بالقناديل من الامشاطيين ، إلى سوق مرجوش ، إلى الخشابين ، إلى سويقة اللبن ، إلى عند بيته » أما عندما كان يتغير المحتسب بآخر ، فكان من الطبيعى أن ينتهى موكب ليلة رؤية هلال رمضان عند بيت هذا المحتسب الجديد .

وحينما تصدر القاضى (عبدالعظيم) المحتسب موكب رؤية هلال شهر رمضان عام ٩٢٥ هجرية تغير خط سير الاحتفال وانتهى الى بيته هو أيضا : « فلما رأى الهلال ، وانفض المجلس قام القاضى عبدالعظيم وركب من المدرسة المنصورية ... ومشت قدامه السقاءون بالقرب كما كان يصنع بركات بن موسى المحتسب فاستمر فى هذا الموكب الحفل من بين القصرين الى بيته الذى فى باب النصر .

ويختلف مكان انتهاء حفل ليلة رؤية هلال شهر رمضان فى المدن والقرى عن مثيله فى قلب العاصمة فى العصر المملوكى . ففى المدن يرأس الحفل قاضى المدينة ، حيث يبدأ من داره وينتهى بعد طوافه بداره كذلك .

قال الرحالة (ابن بطوطة) فى وصف مسار الاحتفال بليلة رؤية هلال شهر رمضان بمدينة (أبيار) - السابق الاشارة إليها ، عام ٧٢٧ هـ : « يجتمع فقهاء المدينة ووجوهها بعد العصر من اليوم التاسع والعشرين لشعبان بدار القاضى ، ويقف على الباب نقيب المتعممين ، وهو ذو شارة وهيئة حسنة ، فاذا اتى أحد الفقهاء أو الوجوه تلقاه ذلك النقيب ، ومشى بين يديه قائلا : باسم الله ، سيدنا فلان الدين (!) فيسمع القاضى ومن معه فيقومون له ، ويجلسه النقيب فى موضع يليق به ، فإذا تكاملوا هنالك ركب القاضى وركب معه أجمعون ، وتبعهم جميع من بالمدينة من الرجال والنساء والصبيان : وينتهون إلى موضع مرتفع خارج المدينة ، وهو مرتقب الهلال عندهم ، وقد فرش ذلك الموضع بالبسط والفرش ، فينزل فيه القاضى ومن معه ، فيرتقبون الهلال ، ثم يعودون إلى المدينة بعد صلاة المغرب ، وبين أيديهم الشمع والمشاعل والفوانيس ، ويوقد أهل الحوانيت بحوانيتهم الشمع ، ويصل الناس مع القاضى إلى داره ، ثم ينصرفون هكذا فعلهم فى كل سنة » .

● المشاركون فى الاحتفال

يضم الاحتفال فى العاصمة كلا من :

أ - المحتسب : وهو أعلى سلطة فى الاحتفال .

ب - القضاة الأربعة : وهم يمثلون المذاهب الاسلامية الأربعة وهى : الشافعية

والمالكية ، والحنفية ، والحنبلية .

جـ - حاملى الشموع الموقدة ، والفوانيس ، والمناجنيقات ، ومجامر البخور ، وكذلك السقاءين ، ولاعبى الأكرة أو الكرة . أما فى المدن فيضم الاحتفال كلا من :

أ - القاضى .

ب - فقهاء المدينة .

جـ - نقيب المتعممين .

د - أهالى المدينة .

كانت ليلة رؤية هلال شهر رمضان فى العصر المملوكى ينتظرها أغلب الناس شوقا إلى مجاهدة النفس مع مشاق الصيام ، على الرغم من مكابدة الجوع الذى فرضه الحكام قهرا عليهم طوال العام .

ومن تحصيل الحاصل فى ذلك العصر أن كان الشعب المصرى المغلوب على أمره لايطيق تضارب آراء من بيدهم الأمر عند تحديد بداية شهر الصيام المعظم كان يتذمر ، ويرفض ويقلب الدنيا رأسا على عقب إذا ماحدث هذا التضارب ، وكأنما كان واقفا لحكامه المماليك (ينتظر لهم السقطة واللقطة) - على حد تعبير القول الشعبى الشائع .. !

وصف (ابن اياس) ارتباكا حدث فى تحديد ليلة رؤية هلال شهر رمضان عام ٨٨٢ هجرية فقال : « ... وفى رمضان وقع بعض اضطراب ، وسبب ذلك أن مضى الثلاثون من شعبان ولم ير الهلال ، فاكل غالب الناس فى أول يوم من رمضان ، فنادى القاضى الشافعى بالامساك ، فثار عليه العوام ، وقصدوا الاحراق به ، فثبت برؤية الهلال قرب الظهر ، ولكن فطر غالب الناس فى ذلك اليوم »

ولم تكن الحادثة هى الوحيدة فى تاريخ الشعب المصرى مع حكامه المماليك فى تذمره العنيف ضد مماليكه ، فقد روى كذلك (ابن اياس) حادثة أخرى وقعت فى عام ٩٢٧ هجرية ، وجاء فيها . « وفى شهر رمضان كان مستهله يوم السبت ، وكان الهلال عسر الرؤية على خمس درج ، وقيل أربع درج فى تلك الليلة ، بحيث أن الميقاتية حكموا بأن الهلال لايرى فى تلك الليلة ، فراه بعض الناس ، وثبت ذلك على القاضى (زكريا) أحد نواب الشافعية ، فشكوا الناس فى ذلك ، وحصل لزكريا (غاية المقت) من الناس ومن ملك الأمراء . وماقاسى (زكريا) خيرا بسبب ذلك »

هذا المقت الذى حصل من الناس لزكريا ولغير زكريا من حكامه علام يدل ؟!

الا يدل ذلك على مدى حرص الشعب على صحة أداء ركن هام من أركان دينه ، وهو الصيام ، وألا يمس فى شىء من عقيدته الدينية الغراء ؟

● الاحتفال فى العصر العثمانى

وصف المهندس والجغرافى والأثرى الفرنسى (إدم فرانسوا جومار) Edme Francois Jomard عضو الحملة الفرنسية على مصر فى الفترة بين سنتى ١٧٩٩ و١٨٠١ ميلادية فى الجزء الثامن عشر من الدولة الحديثة للطبعة الفرنسية الثانية من كتاب (وصف مصر) موكب ليلة رؤية هلال شهر رمضان ، فقال : « ... ويبدأ رمضان مع ميلاد هلال هذا الشهر ، ويعلن عن ذلك موكب احتفالى يسبق بداية الشهر بيومين ، ويتكون هذا الموكب من حشد كبير من الرجال ، يحمل بعضهم المشاعل وبعضهم الآخر يحمل عصى ، يقومون بأداء حركات مختلفة بها ، ويفتتح سير الموكب الاتية [جمع الاتى] يمتطون ظهور الجمال ، يضربون كُوس معدنية ، بينما يمتطى الاتية آخرون ظهور الحمير ، ويضربون كذلك على الطبل ، أو يعزفون على بعض آلات النفخ الاكثر صخابة ، والتى يمكن أن نتصورها . ويأتى بعد ذلك

رجال يرتدون لباسا أحمر وعلى رءوسهم قلنسوات عالية ، متصل بها ثوب أبيض فضفاض يسقط على الظهر ومقدمة القلنسوة مزينة بالنحاس ، وهو لباس مشابه للباس الانكشارية ، ويختم الموكب شيوخ ممتطين صهوة خيول مجللة بفخامة »

وإذا كان هكذا وصف عين الغازى الفرنسى لمراسم الاحتفال بليلة رؤية هلال شهر رمضان فى القرن التاسع عشر ، فإن عينا أخرى انجليزية استطاعت أن ترصد نفس الظاهرة بعدها بحوالى ربع قرن من الزمان على أرض مصر ذاتها

هذه العين الانجليزية هى عين المستشرق الانجليزى (إدوار وليم لين) . E . W . Lane قال (لين) واصفا : « تسمى الليلة التى يترقب فيها هلال رمضان ليلة الرؤية ، فيذهب نفر من الناس عصر اليوم السابق ، أو قبل ذلك ، ليقضوا بضع ليال فى الصحراء ، حيث يصفو الجو خاصة لرؤية الهلال الجديد ، إذ أن الصيام يبدأ فى اليوم التالى لرؤية الهلال ، فإذا تعذرت رؤيته بسبب السحب ، بدأ الصوم عندما يتم شعبان ثلاثين يوما ، وتكفى شهادة المسلم الواحد أنه رأى الهلال لاعلان الصيام »

ويصف المستشرق الانجليزى المظاهر الاحتفالية التى كانت تواكب هذا الاحتفال الدينى الشعبى ، فيقول : « فى مساء ذلك اليوم يسير موكب المحتسب ، ومشايخ الحرف المتعددة الطحانين ، والخبازين ، والجزارين ، والقصابين ، والبدالين ، وباعة الفاكهة ، ومعهم بعض أعضاء آخرين من هذه الحرف ، وفرق من الموسيقيين ، وعدد من الفقراء يتقدمهم أو يتخللهم فرق من الجنود من القلعة إلى مجلس القاضى ، وينتظرون هناك عودة أحد المرسلين لرؤية الهلال ، أو شهادة أى مسلم آخر على أنه رآه ، وتزدحم الشوارع التى يمر بها هذا الموكب بالمشاهدين على الجانبين . وجرت العادة فى هذا الموكب على أن تقاد خيول مسرجة بأجمل السروج . غير أن الموكب المدنى والدينى استبدل بأكثره عرض عسكرى تافه ، ويتكون موكب ليلة الرؤية الآن من مشاة النظام خاصة . ويتقدم حاملو المشاعل كل فرقة من الجنود ويتبعونها ، لينيروا لهم الطريق عند العودة ، ويتلوهم شيخ حرفة ما وآخرون من اتباعه وعدة فقراء يصيحون طوال الطريق : (الصلاة الصلاة .. صلوا على النبى عليه السلام) ويفصل كل فرقتين أو ثلاث فاصل عدة دقائق . ويختم المحتسب وتابعوه الموكب . وعندما يصل خبر رؤية الهلال الى مجلس القاضى ، يقسم الجنود والمجتمعون الآخرون أنفسهم إلى عدة فرق ، تعود إحداها إلى القلعة ، ويجول الآخرون فى الأحياء المختلفة صائحين : (يا أمة خير الأنام .. صيام صيام) وعندما لايرى القمر هذه الليلة ، يخبر الشعب بهذا القول : (غدا فى شهر شعبان .. فطار فطار) ويقضى الناس على العموم شطرا كبيرا من الليل (عندما يعلن بدء الصيام فى الغد) فى الأكل والشرب والتدخين ، ويبتهجون كما يبتهجون عادة عندما يخلصون فى شقاء صيام اليوم ، ويضاء داخل المساجد هذه الليلة كما تضاء فى الليالى التالية ، وتعلق المصابيح عند مداخل المساجد وفوق شرفات المآذن »

وإذا كانت عيون الأجانب قد استطاعت أن ترصد ظاهرة الاحتفال بليلة رؤية هلال شهر رمضان بعناية واهتمام فى العصر العثمانى ، فإن عينا أخرى مصرية استطاعت بدقة ومهارة شديدتين أن ترصد هذه الظاهرة الاحتفالية مرات عدة متتالية . هذه العين المصرية هى عين (عبدالرحمن الجبرتى) الشيخ المؤرخ الشاهد على عصره .

ذكر (الجبرتى) أحداث هذه الظاهرة الاحتفالية الدينية الشعبية عند أعوام ١٢١٣ و١٢١٥ و١٢١٦ و١٢١٧ و١٢١٨ و١٢١٩ و١٢٢٠ و١٢٢٢ و١٢٣٣ و١٢٣٦ هجرية ، فقال ـ على سبيل المثال ـ فى أحداث شعبان عام ١٢١٣ هجرية الموافق فبراير ١٧٩٩ ميلادية : « ... وفى سادس عشرينه نادوا

للناس بالأمان وفتح الأسواق ليلا فى رمضان حكم المعتاد ... وفيه عرض (حسن اغا محرم) المحتسب لسارى عسكر امر ركوبه المعتاد لاثبات هلال رمضان ، فرسم له بذلك على العادة القديمة ، فاحتفل لذلك المحتسب احتفالا زائدا ، وعمل وليمة عظيمة فى بيته اربعة ايام ، أولها السبت ، وآخرها الثلاثاء ، دعا فى أول يوم العلماء والفقهاء والمشايخ والوقاجلية وغيرهم ، وفى ثانى يوم التجار والأعيان ، وكذلك ثالث يوم ، ورابع يوم دعا أيضا أكابر الفرنساوية وأصاغرهم ، وركب يوم الثلاثاء بالأبهة الكاملة زيادة عن العادة وأمامه مشايخ الحرف بطبولهم وزمورهم ، وشق القاهرة على الرسم المعتاد ، ومر على قائمقام وأمير الحاج وسارى عسكر بونابرته ، ثم رجع بعد الغروب إلى بيت القاضى ببين القصرين فاثبتوا هلال رمضان ليلة الأربعاء ، ثم ركب من هناك بالموكب وأمامه المشاعل الكثيرة والطبول والزمور والنقاقير والمناداة بالصوم وخلفه عدة خيالة عارية رءوسهم وشعورهم مرخية على أقفيتهم بشكل بشع مهول .

وفى عام ١٢١٥ هجرية لم يذكر لنا (الجبرتى) شيئا جديدا فى هذا الاحتفال سوى إنه تكلف خمسين الف درهم .

وفى العام التالى ١٢١٦ هجرية يذكر لنا (الجبرتي) انه خيف من عربدة عسكر الاحتلال فالغى من الاحتفال مراسمه الاحتفالية ، وان اقتصر على ذهاب الكتخدا ، الذى ناب عن المحتسب فى الذهاب الى المحكمة لاثبات رؤية هلال رمضان فى هذا العام ، ومن ثم المناداة بحلول شهر رمضان فى اليوم التالى .

إن القاء نظرة شاملة على ظاهرة الاحتفال بليلة رؤية هلال شهر رمضان فى العصر العثمانى ، من خلال ماسجله للتاريخ كل من الفرنسى (ادم فرانسوا جومار) والانجليزى (إدوارد وليم لين) والمصرى (عبدالرحمن الجبرتى) وبمقارنتها بمثيلتها التى سبقتها فى العصر المملوكى سيضع بين أيدينا عدة تغيرات ثقافية ألمت بالظاهرة على مدار السنين ، ومن أهم هذه التغيرات الثقافية :

١ ـ ظهور عنصر الموسيقا فى المواكب الاحتفالية فى العصر العثمانى الأمر الذى لم يكن موجودا من قبل فى العصر المملوكى .

٢ ـ مشاركة مشايخ الحرفيين فى مواكب ليلة الرؤية كل عام فى العصر العثمانى ، بشكل يشخص المهن الشعبية داخل الاحتفال ، فى حين اقتصر الأمر فى العصر المملوكى على مشاركة طوائف شعبية لها وجود لازم وحيوى فى الاحتفال ، كالمشاعلية لانارة الطريق ، والمبخرتية لاطلاق البخور على المحتفيين ، والسقاءين لإرواء ظمأ الناس المشتد عليهم عند الازدحام للفرجة والمشاركة فى طقوس الاحتفال .

٣ ـ دخول فرق نظامية عسكرية ضمن مكونات عروض الاحتفال بليلة الرؤية فى العصر العثمانى ، فى حين لم يشر إلى وجود مثل هذا التقليد مؤرخو العصر المملوكى من قبل ولا المحوا إليه من قريب أو بعيد .

٤ ـ الاحتكام إلى قواعد الحساب والقوانين الأجنبية فى استطلاع هلال شهر رمضان فى العصر العثمانى ، عندما تتعذر الرؤية وتتضارب الأقوال ، وكمثال لذلك ماذكره (الجبرتى) فى عام ١٢١٧ هجرية عندما قال : عملت الرؤية ليلة الأحد وركب المحتسب ومشايخ الحرف على العادة ، ولم ير الهلال وكان غيما مطبقا فلزم اتمام عدة شعبان ثلاثين يوما ، فانتدب جماعة ليلة الأحد وشهدوا انهم راوا هلال شعبان ليلة الجمعة ، فقبله القاضى ، وحكم به تلك الليلة على أن ليلة الجمعة التى شهدوا برؤيته فيها لم يكن للهلال

وجود البتة ، وكان الاجتماع في سادس ساعة من ليلة الجمعة المذكورة باجماع (الحساب والدساتير المصرية والرومية) على إنه لم ير الهلال ليلة السبت إلا حديد البصر في غاية العسر .

٥ ـ كان الناس يتذمرون ويثيرون القلاقل والشغب والفوضى حينما تتضارب الآراء عند عدم ثبوت رؤية هلال شهر رمضان ، ثم الرجوع عن ذلك وثبوته في العصر المملوكي . أما في العصر العثماني فلم يشر المؤرخ (عبدالرحمن الجبرتي) إلى أي تذمر من أي نوع ، تكون قد أحدثته العامة بسبب هذا التضارب ، على الرغم من حدوث هذا التضارب في عامي ١٢١٨ و١٢٢٢ هجرية كما ذكر (الجبرتي) ولكن الأمر مر بهدوء وسلام وكان شيئا لم يكن .. !

٦ ـ كان استطلاع هلال شهر رمضان بالقاهرة في العصر المملوكي يتم في المدرسة المنصورية بمنطقة (بين القصرين) كما حدد (ابن اياس) ذلك ، أما في العصر العثماني فلم يذكر أحد مكان استطلاع الهلال سوى المستشرق الانجليزي (إدوارد وليم لين) وحده دون غيره ممن تناولوا هذه الظاهرة بالعرض ، فلقد أخبرنا بأنه « يذهب نفر من الناس عصر اليوم السابق ، أو قبل ذلك ، ليقضوا بضع ليال في الصحراء) ، حيث يصفو الجو خاصة ، لرؤية الهلال الجديد »

ولم يفسر لنا المستشرق الانجليزي أو يوضح كنه هذا المكان الذي بالصحراء والذي كان يقصدونه من كانوا يقومون برؤية استطلاع هلال الشهر الفضيل .

٧ ـ انفصل مكان نقطة بداية الاحتفال بليلة الرؤية عن مكان استطلاع الهلال في العصر العثماني ، فبدلا من بدء الاحتفال من المدرسة المنصورية بمنطقة (بين القصرين) في العصر المملوكي انتقل مكان بدء الاحتفال إلى القلعة في العصر العثماني ، وقد حدث هذا التغير نتيجة اظهار أن الحفل الديني لصيق بمركز السلطة والسلطان ، فيزداد بذلك رصيد محبة أولي الأمر في قلوب رعاياهم من المسلمين ..

هذه المتغيرات الثقافية التي ألمت بظاهرة (ليلة رؤية هلال شهر رمضان) بكل أبعادها التراثية الشعبية تعد أمرا طبيعيا لمدى مجاراة الظواهر الفولكلورية أيا كانت لمتغيرات عصورها ، وسعة أفقها ، ومرونتها المتحركة في تلبية احتياجات جماعاتها الانسانية التي تتطلبها .

● الرؤية في العصر الحديث

تقلص الاحتفال الشعبي والرسمي بليلة رؤية هلال شهر رمضان رويدا رويدا ، وأصبح محدودا في صورة رسمية في ملف أرشيف المواسم الحكومية ، وظل فترة على هذا النحو إلى أن أعادته الحكومة المصرية نابضا بالحياة في أواخر شعبان سنة ١٣٧٤ هجرية ـ الموافق إبريل سنة ١٩٥٥ بموكب شعبي ورسمي .

ومع فعل عوامل التعرية الزمنية في الظواهر الفولكلورية ، ولأنها ظاهرة فولكلورية تخضع لقانون الزمن المتغير ، بقي لنا من ليلة رؤية هلال شهر رمضان موكب شعبي احتفالي يطوف مرة من كل عام بين جامع (أحمد بن طولون) ومسجد (السيدة زينب) في ليلة الجمعة الأخيرة من شعبان ، بقيت لنا كلمة فضيلة الامام المفتي عن استطلاع الهلال ، عبر سماعات الراديو وشاشات التليفزيون .. !

وأخيرا ، يبقى لنا في موروثنا الشعبي تعبير بسيط لم يمس بعد ، نردده منغم الايقاع اللفظي : « هل هلالك شهر مبارك » مع آهة حارة تندفع من الصدر وهي تتذكر موروث الأيام الخوالي !!

الشيخ محمد الغزالي

الفقيه المجدد

بقلم: د. محمد عمارة

« الأوّاب » ـ فى المصطلح القرآنى ، هو الإنسان الكثير الرجوع عن الخطأ إلى الصواب ، وعما يغضب الله إلى ما يرضيه .. أى الدائم محاسبة نفسه ، ومراجعة أعماله وأقواله ومواقفه ، ونقد الخاطىء منها ، والرجوع عنه إلى الصواب ، لا مراعاة لحقوق الناس وحدهم ، أو المصالح المجردة فقط ، وإنما ـ مع ذلك كله ـ طلبا لرضا الله سبحانه وتعالى ، واستجلابا لطاعته .. ففى هذا المعنى القرآنى ما هو أكثر من المعنى المتعارف عليه عندما نقول فى الأدب السياسى الحديث : « النقد الذاتى » و« نقد الذات » ؟ ..

ونحن نقرأ ، فى القرآن الكريم ، الثناء على الانسان اذا كان « أوابا » : [ووهبنا لداود سليمان ، نعم العبد إنه أواب] .. ونعلم أن الله ، سبحانه وتعالى ، قد صدق وعده للأوابين بجنة النعيم : [وأزلفت الجنة للمتقين . هذا ما توعدون لكل أواب حفيظ . من خشى الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب . ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلود . لهم مايشاءون فيها ولدينا مزيد] .

وحتى يكون الرجوع الى الحق ، ونقد الذات جزءا من خلق المسلم وممارساته الحياتية ، لابد من تربية اسلامية توقظ فيه « الضمير » ليبلغ فى « الحساسية » مرتبة « التقوى » .. عند ذلك يداوم الانسان على محاسبة النفس ، ملتزما التوجيه النبوى الشريف : « حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا » .. وتلك ـ لعمرى ! ـ مرتبة لايرقى الى الالتزام الدائم بتبعاتها إلا عظماء الرجال ! .. « فالنفس اللوامة » ، التى لاتدع صاحبها والغفلة عن مراجعة ممارساتها ، تبلغ فى رفعة المرتبة الى الدرجة التى أقسم بها



حسن البنا



حسن الهضيبي



أخي الأستاذ الدكتور محمد عمارة

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

والسلام عليكم ورحمة الله

محمد الغزالي

THE ISLAMIC HERITAGE REVIVAL — DEPT.

P.O. Box 403 DOHA - QATAR, — Cable: HERITAGE DOHA, — Tel. (4) LINES

الله ، سبحانه وتعالى فى كتابه عندما قال : [لا اقسم بيوم القيامة . ولا اقسم بالنفس اللوامة] ؟! ..

ذلك هو مقام وخطر هذا الخُلُق من اخلاق الاسلام .. محاسبة النفس ، والاياب الى الحق ، ونقد الذات ، رعاية لمصالح الخلق وحرمة الخالق جميعا ! ..

وحتى المعصوم ، محمد بن عبد الله ، صلى الله عليه وسلم .. فانه كان دائم المحاسبة لنفسه ، والمراجعة لعمله ، والعودة عما يثبت انه خطأ أو غير الأولى والأليق من عاداته واجتهاداته .. لقد كان معصوما فيما يبلغ عن الله ، لاينطق فيه عن الهوى ، إن هو الا وحى يوحى .. أما فيما هو من « العادات » أو من « الاجتهادات » فلقد كان بشرا يجوز عليه الخطأ والصواب .. وكان الوحى ينزل ليصوب اخطاءه حتى لايستن بها الناس .. وكان هو النموذج القدوة فى مراجعة النفس ، والاياب الى الحق والصواب ..

ونحن نقرأ فى سيرته ، صلى الله عليه وسلم ، أنه عندما مرض مرضه الأخير ، وحضر إلى بيت أم المؤمنين عائشة ، رضى الله عنها ، « أمر مناديا فنادى فى

الشيخ محمد الغزالي

المدينة : آن اجتمعوا لوصية النبي صلى الله عليه وسلم» فاجتمع كل من في المدينة ، من ذكر وأنثى ، وكبير وصغير ، وتركوا أبوابهم ودكاكينهم مفتحة ! وخرج صلى الله عليه وسلم ، وهو متوعك ، بين الفضل من بن العباس وعلى بن ابى طالب ، رضى الله عنهما ، حتى جلس على المنبر ... » .

فماذا كانت هذه الوصية التي جمع لها كل الناس ؟! .. والتي تحامل على المرض ، متوكئا على الفضل وعلى ، حتى صعد المنبر ليفضي بها الى جمهور الناس ؟! ..

لقد كانت نقدا ذاتيا علما لكل ما قد يكون قد حدث منه تجاه الناس ، وطلبا للقصاص او التبرئة .. فهو قادم الى لقاء ربه ، ويريد - وهو المعصوم - محاسبة نفسه ، قبل حساب الديان ! ..

جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، على المنبر ، فحمد الله ، ثم قال :

« ايها الناس من كنت جلدت له ظهرا فهذا ظهرى فليستقد مني ، ومن كنت شتمت له عرضا فهذا عرضي فليستقد مني ، ومن اخذت له مالا فهذا مالي فلياخذ منه ، ولايخشي الشحناء من قبلي فإنها ليست من شاني » .

ثم نزل فصلى الظهر .. ثم رجع الى المنبر فعاد الى مقالته ! .. فادعى عليه رجل بثلاثة دراهم ، فاعطاه عوضها ، ثم قال :

« الا إن فضوح الدنيا اهون من فضوح الآخرة ! » ..

ذلك هو خلق الاسلام .. وتلك هي سنة رسوله ، عليه الصلاة والسلام .. ظلت النموذج الذي يجاهد المسلمون لاحتذائه ، والنبراس الذي يستضيئون به ، والأسوة الحسنة التي يتأسون بها عبر تاريخهم الطويل ..

★ ★ ★

والأمر الذي لاشك فيه ، هو أن أهمية محاسبة النفس ، ونقد الذات ، والرجوع عن الخطأ إلى الصواب ، تتزايد شأنا وتعظم خطرا كلما تعلق الأمر بالشئون العامة ، والقضايا التي ترتبط بها مصالح الجمهور .. فمضار الأخطاء في الشئون العامة دائرتها أوسع ، وتأثيراتها أشد .. ثم هي معرضة - اذا لم تتعرض للنقد والتصحيح - لأن تكون سنة علمة - سيئة - يحتذيها الآخرون ؟! ..

ثم إن العودة عنها ، ونقد الذات حيالها ، هو من أصعب الأمور ، لانه يقتضى العلانية والاعلام ، وهو مايشق كثيرا على الكثير من النفوس - الا من رحم الله وعصم من التكبر والصلف والجمود ؟! ..

فبقدر ما تكون النفوس كبارا .. وبقدر ما تكون الارادة شامخة .. وبقدر ما تكون الخشية من الله أكبر من خشية الذات والناس .. وبقدر ما تكون رعاية الصالح العام عبادة يتقرب بها الانسان الى الله .. بقدر ما تكون الشجاعة في محاسبة النفس ، ونقد الذات ، والاياب الدائم الى الحق والصواب ..

ولقد ازدان تاريخ الأمة - رغم مافيه من صحائف سود - بالكثير من الصفحات المشرقة ، التي استضاءت بنبل العلماء والأعلام الذين غدوا معالم على هذا

الطريق .. نكتفى بالاشارة الى واحد منهم ـ هو سلطان العلماء . وشيخ الاسلام العز بن عبد السلام [٥٧٧ ـ ٦٦٠هـ ١١٨١ ـ ١٢٦٢م] ـ وذلك قبل الانتقال الى الحديث عن الرجل الأواب .. شيخنا محمد الغزالى ـ الذى عقدنا لدراسته هذه الصفحات ..

كان العز بن عبد السلام أعظم علماء عصره ـ حتى لقد انفرد بلقب سلطان العلماء ! بل لقد بلغ بالعلم ، وبالعمل به المرتبة التى غدا فيها سلطانا حتى على الملوك والأمراء والسلاطين .. تشهد على ذلك كلمات السلطان الظاهر بيبرس ـ وهو الذى قهر الصليبيين والتتار ـ ومع ذلك عاش يخشى العز بن عبد السلام .. حتى إذا ما مات العز ، ورأى الظاهر جنازته مارة بجوار القلعة .. قال ـ وهو يتنفس الصعداء ـ : « اليوم استقر أمرى فى الملك » ؟!! ..

فهذا السلطان ، الذى قدمه العلماء ، وهابته السلاطين والأمراء ، كان شديدا على نفسه فى تطبيق مقاييس الحق التى يأخذ بها الآخرين .. ولقد افتى مرة بشىء ، ثم ظهر له انه اخطأ فى فتياه ، فما كان منه الا ان خرج يطوف بشوارع مصر والقاهرة ، وهو ينادى قائلا : من افتى له العز بن عبد السلام بكذا ، فلا يعمل به ، فإنه قد أخطأ فى فتياه ؟! ..

تلك هى سنة محاسبة النفس .. وذلك هو خلق الأوابين ، كما عرفه الفكر والتاريخ فى الاسلام ..

★ ★ ★

أما شيخنا محمد الغزالى .. فانا أشهد انه واحد من الأوابين فى علماء العصر الذى نعيش فيه ! ..



إن الرجل لايفتأ يردد ـ كلما جاء الحديث عن معاركه الفكرية ـ وبصدد نقده للذات : « إننى رجل فىّ حدة ! .. » ، وهو يدعو الآخرين **إلى تجاوز « الأسلوب » إلى « لب الموضوع »** ! ..

ثم إن تاريخ الرجل ـ **وهو ملىء** بالمعارك الفكرية ـ بل هو **معركة فكرية** متعددة الحلقات ! ـ **حافل بمراجعته لفكره ، وتطويره لمواقفه ، وضبطه** لأحكامه ، ومحاسبته لنفسه ، **وإعلانه ـ** فى شجاعة عظماء العلماء **ـ الأوبة الى الحق والصواب ، اذا هو تبين غير ذلك فيما خط قلمه او نطق لسانه من آراء .. وتلك لعمرى ! واحدة من خصائص الفكر الحى للأحياء من العلماء .. فالذين لايراجعون افكارهم إما ان يكونوا أمواتا ، أو هم كالأموات ؟! ..**

ولنضرب على هذه الحقيقة من حقائق الحياة الفكرية للشيخ الغزالى بعض الأمثال :

● فى بداية حقبة الخمسينات من هذا

الشيخ محمد الغزالي

القرن العشرين ، احتدم الخلاف بين الشيخ الغزالي وبين القيادة الجديدة لجماعة الاخوان المسلمين ، وخاصة مرشدها الثاني المرحوم حسن الهضيبي .. ولقد تناول الشيخ الغزالي أحداث هذا الخلاف ، ومواقف الهضيبي منه تناولا راجع نفسه حياله بعد ذلك فرأى فيه من الخطأ والحدة مايستوجب العودة عنه الى الموضوعية في تقدير المواقف والأحداث والملابسات .. فرأيناه يكتب في الطبعة الجديدة من كتابه [من معالم الحق في كفاحنا الاسلامي الحديث] الصادرة سنة ١٩٨٤م ـ عن خلافه مع حسن الهضيبي هذه السطور :

« من حق الرجل ان اقول عنه : إنه لم يسع إلى قيادة الاخوان ولكن الاخوان هم الذين سعوا اليه ، وان من الظلم تحميله اخطاء هيئة كبيرة مليئة بشتى النزعات والأهواء .

ومن حقه ان يعرف الناس عنه انه تحمل بصلابة وبأس كل مانزل به ، فلم يضرع ولم يتراجع ، وبقي في شيخوخته المثقلة عميق الايمان واسع الأمل حتى خرج من السجن ..

الحق يقال .. إن صبره الذي اعزه الايمان ، رفعه في نفسي ، وإن المآسي التي نزلت به وبأسرته لم تفقده صدق الحكم على الأمور ، ولم تبعده عن منهج الجماعة الاسلامية منذ بدأ تاريخنا ، على حين خرج من السجن أناس لم تبق المصائب لهم عقلا ! ..

وقد ذهبت اليه بعد ذهاب محنته ، واصلحت مابيني وبينه ، ويغفر الله لنا أجمعين »

ثم يعلق الشيخ الغزالي على موقفه من أحداث هذا الخلاف ، فيقول ـ في مقام آخر :

« لقد اختلفت مع المغفور له الأستاذ حسن الهضيبي ، **وكنت حاد المشاعر في هذا الخلاف ، لأني اعتقدت أن بعض خصومي اضغنوا صدر الأستاذ حسن الهضيبي لينالوا مني .**

فلما التقيت به ـ عليه رحمة الله ـ بعد أن خرج من المعتقل ، تذاكرنا ما وقع ، وتصافينا ، وتناسينا ما كان ، واتفقت معه على خدمة الدعوة الاسلامية ، وعفا الله عما سلف .

وأرى أن الأستاذ الهضيبي ، اثبت ايام سجنه انه رجل صلب العود متين الإيمان وثيق الصلة بالله .. وقد كنت ، وأنا خارج السجن ، أنوه بثباته وتشريفه للدعوة بعدم ضعفه او استخذائه أمام من عذبوه ، بل اتسعت دائرة دفاعي حتى شملت جميع الاخوة ، برغم ما كان بيني وبينهم من خلاف ، فكنت أشد الناس حنوا عليهم ، واسراعا الى مساعدتهم ، وانتصارا ضد أعدائهم .. »

والذين يقارنون هذا الموقف ، وهذا الحديث ، بما كتب الشيخ الغزالي من قبل عن الهضيبي ، وخلافه معه .. يدركون جيدا مدى الصدق والموضوعية في قولنا عنه : إنه رجل أواب ! ..

● وفي « المؤتمر الوطني للقوى الشعبية » ـ الذي انعقد في مايو سنة ١٩٦٢م ـ كان الشيخ الغزالي واحدا من رموز النقد والمعارضة للكثير من سلبيات التجربة الناصرية .. ولقد برز في هذا



عبدالرحمن الشرقاوي   خالد محمد خالد

المؤتمر تياران .. أحدهما ـ وهو يعبر عن قمة القيادة السياسية ـ يدفع الصيغة الفكرية للتجربة الناصرية ـ عبر « الميثاق » ـ الى اليسار ، والاشتراكية العلمية ، قريبا من الماركسية ـ مع التحفظ على ماديتها الجدلية والتاريخية ..

وثانى هذين التيارين ـ وهو الذى عبر عنه « تقرير لجنة الميثاق » ـ يدفع الصيغة الفكرية لثورة يوليو ـ عبر إبراز الفروق والتناقضات مع الماركسية ، وبواسطة الضوابط الاسلامية ـ قريبا من الفكرية الاسلامية والوطنية والقومية ، وبعيدا عن الماركسية ...

● ازالة الفوارق

وكان للشيخ الغزالى فى هذا المؤتمر حديث طالب فى ختامه بلباس موحد للرجال وأخر للنساء .. طلبا للحشمة الاسلامية الشرقية ، وازالة للفوارق الصارخة ـ فى الأزياء ـ بين الناس .. ويومها تناوله ، عدد من الصحفيين الليبراليين واليساريين بالنقد والتجريح ..

بينما انتصرت له جماهير المساجد بالمظاهرات ؟!

وعندما راجع الرجل موقفه هذا ، ادرك انه وإن لم يخطىء فى الفكر والراى ، إلا انه لم يوفق فى اختيار الموضوع المناسب للمقام . فالأستاذ خالد محمد خالد ، مثلا قد دافع ـ فى هذا المؤتمر ـ عن الحريات .. فاغضب دعاة الحكم الشمولى ، لكن الصحافة واهل الفكر والثقافة ، وإن جبنوا ، فلم يدافعوا عنه الا انهم قد تعاطفوا معه ـ وان صمتوا خوفا من السلطان ؟ ـ ..

اما الشيخ الغزالى ، فلقد كان اختياره لموضوع زى المراة ـ وهو موضوع هامشى بالنسبة لاعمال مثل هذا المؤتمر ـ كان هذا الاختيار « ثغرة » انتهزها وقفز عليه منها الكارهون للاسلام .. كما كان « شبهة » ظن منها البعض عداء الرجل لحريات المراة ـ وحقيقة موقفه وفكره على العكس من ذلك تماما ..

لذلك .. وجدنا الرجل ـ عندما راجع موقفه هذا ـ يتخذ موقف العالم الأواب ، فيكتب فى كتابه [معركة المصحف فى العالم الاسلامى] يقول :

« لقد جرت على لسانى كلمة تتصل بملابس الرجال والنساء ، كان الباعث على ختم الحديث بها فى (المؤتمر الوطنى للقوى الشعبية) ما احسه ويحسه الكثيرون من أن مشكلة الأزياء فى مصر سيئة ومحرجة ، وتتطلب حلا معقولا .

ومن الواجب فى نظرى خلق لباس يرتديه الرجال عامة ، ويكون التفاوت فى ثمنه وشكله ضيقا ، بحيث لاتكون سعة الثروة سببا فى الانتفاخ ، وقلتها سببا فى

الانكماش ، وبحيث لاتكون هناك ملابس دينية وأخرى مدنية .

أما ملابس النساء ، فمن الواجب ابتكار أزياء تجمع بين الفضيلة والجمال ، وتمنع التبرج والفساد ! .. هذا ما قلته ، وما فوجئت بأنه أقام الدنيا وأقعدها . أو بتعبير دقيق : ماوجده الماكرون مجالا لنقل المعركة اليه ، واختلاق قضية اخرى يدور حولها الجدل بعنف ، وتختنق في ضوضائها قصة التشريع الإسلامي من ألفها الى يائها .

ولا أدرى كيف وقعت في هذه الحفرة ! وكيف انسقت الى هذا الموضوع الثانوى ! وسمحت لنفسي بإطالة الكلام فيه ، عندما طلبت للكلام مرة ثانية ...

ولقد كان لهذا الخطأ أثران رديئان :

الأول : انى مكنت أعداء التشريع الاسلامي من بعثرة الجهود النبيلة التي احتشدت لنصرته .

الثاني : انى لم أعط صورة كاملة لمكانة المرأة في الاسلام ، واكتفيت باستنكار الانحرافات الخلقية والاجتماعية التي عرضت لنهضتها الحديثة ، ففهم بعض الناس انى أريد العودة بالنساء الى عهود الجمود والجهالة التي عاشت فيها خلال القرون الأخيرة .... »

لقد راجع الرجل نفسه .. وأعاد النظر في موقفه .. وتدبر الأمر ، فأدرك « الخطأ » الذى جعله يقع في « حفرة » انتهزها أعداء التشريع الاسلامي ، ليصرفوا الأنظار عن جوهر القضايا الى « الهوامش » الجانبية ، وليستعدوا المرأة على موقف الشيخ من قضية الأزياء ؟! ..

ولقد كان شجاعا ، وواعيا ، في المراجعة .. والنقد .. على النحو الذى يمثل نموذجا يجب ان يحتذى ، فيتعلم منه الكثيرون ! ..

● وهو في مقدمة الطبعة السابعة لكتابه الأول [الاسلام والأوضاع الاقتصادية] - الذى طبع لأول مرة سنة ١٩٤٧م - في مقدمة الطبعة السابعة - التي كتبها سنة ١٩٨٦م - .. يراجع أفكاره وآراءه ، على ضوء ما جد وما استبان من أحداث عقود ثلاثة مضت .. ويكتب في شجاعة العالم الأواب عن تصحيح موقفه من نظم وحكام ونظريات وشعارات .. ويقول :

« .. وقد تبين لي - وانا باحث انشد الحق ولا ابتغي الا وجه ربي - ان كثيرا من مواطيء اقدامنا تحتاج الى تبيين .. وان بعض الآراء والاجتهادات ربما تحتاج الى تمحيص ، مع ما افدته من تجربة العقود الثلاثة الماضية ... ففي كتابنا هذا - خلال طبعاته السابقة - كنا قد عرضنا لبعض القضايا ... وقد جد من الحقائق مايدعونا الى أن نعود إليها بشيء من التمحيص ... فقد كان هناك شطط في المصادر التي نقلت بعض الصور - التي اعتمدنا عليها - وبالغت في تشويهها ... كانت الرؤية خاضعة لظروف وقتية ، فلما تكشفت الحقائق لزم تغيير الآراء (وهذا باب من أبواب الاجتهاد التي تتغير فيها الرؤى والأحكام) ... »

وهو ، هنا ، يضرب نموذجا آخر من نماذج الموضوعية في محاسبة النفس ،

ونقد الذات ، ومراجعة الفكر ، والعودة لما يراه حقا ... وتلك ـ لعمرى ! ـ شواهد صادقة على عظمة هذا الشيخ الأواب ! ...

● وبعد هذه الاشارات إلى هذه المواقف الشاهدة على تحلى شيخنا الغزالى بهذا الخلق الاسلامى الرفيع . خلق الأواب ... المحاسب لنفسه .. والناقد لذاته .. والمراجع لفكره .. أود أن أجعل ختام هذه الاشارات الى هذا الجانب من جوانب شخصيته ، الاشارة الى شاهد آخر من شواهده ، قد كنت شاهدا فيه وعليه ، بل وطرفا فيه ؟! ..

وانا ابادر فاقول إننى اسوقه ، فى هذا المقام ، لا لأننى كنت طرفا فيه ، وإنما لأنى قد تعلمت منه مالم اتعلم من كثير من الاعلام والشيوخ المعاصرين فى هذا المجال ، ولود أن اشرك معى فى التعلم منه كثيرين ، سواء منهم اولئك الاعلام الذين هم فى مواقع القدوة والصدارة والقيادة ، ام الشباب ، الذين هم فى حاجة الى نماذج تعيد اليهم الثقة فى الرواد والقادة والأئمة من العلماء والاعلام .. لهذه الحكمة ، ولهذا السبب ، ولهذه الغاية اسوق هذا الشاهد فى ختام هذا الحديث عن صفة الأواب فى هذا الشيخ الجليل ..

★ ★ ★

فى النصف الثانى من سنة ١٩٨٣م ، كان المرحوم الاستاذ عبد الرحمن الشرقاوى ، ينشر فى صحيفة « الأهرام » فصول « الصورة الادبية » التى كتبها عن الامام على بن أبى طالب ـ وهى التى اختار لها عنوان .. (على : إمام المتقين) .. وأخذت آراؤه وتقويماته



الشيخ محمد الغزالى

لأحداث التاريخ الاسلامى وصراعاته ، فى حقبة صدر الاسلام ، تثير الجدل فى عدد من الصحف والمجلات ، مابين ناقد ، ومحبذ ، ومعترض ، ومهاجم ..

وكان الشيخ الغزالى ، وقتئذ ، يعيش فى « قطر » استاذا فى جامعتها .. فادلى بدلوه فى هذه المعركة ، من موقع الناقد ـ بعنف ـ للمنهج اليسارى فى تفسير تاريخ الاسلام ..

وفى محاضرة عامة ، حول هذه القضية ، ألقاها فى قطر ، وجه هجومه الغاضب الى الذين يسمون أنفسهم بـ « تيار اليسار الاسلامى » .. وكانت مفاجأة لى عندما قرأت فى صحيفة « الاهرام » ـ ضمن مقال لعبد الرحمن الشرقاوى ، يرد فيه على الشيخ ـ الفقرة التى نقلها الشرقاوى عن محاضرته ، والتى جمع فيها اسماء كتاب اليسار الاسلامى ، الذين صب عليهم هجومه الغاضب ، كانت مفاجأة لى أن وجدت اسمى ضمن هذه الأسماء ؟! ..

الشيخ محمد الغزالي

لقد فوجئت ، لأن هذه ليست حقيقة موقفي الفكري .. وفوجئت لغيبة هذه الحقيقة عن الشيخ الغزالي - الذي اعتقدت - رغم اننا لم نكن قد التقينا بعد لقاء مباشرا - انه لابد وأن يكون ملما ولو بطرف قليل مما قدمته للمكتبة الاسلامية من فكر لايباعد فقط بيني وبين دعاة « اليسار الاسلامي » وإنما هو ينقض ويهدم - من الأساس - مصداقية ومشروعية وجود مثل هذا التيار ! ..

لقد فوجئت .. لكنني لم أغضب .. فضلا عن أنني طويت الأمر مع طي لصحيفة « الأهرام » ؟! ..

ثم حدث أن سألني صديق - استاذ في جامعة قطر - عن مشاعري حيال هجوم الشيخ الذي تناولني فيمن تناول ؟ .. فأجبته - صادقا - : إنني على يقين من أن الشيخ الغزالي قد تناولني وهو غاضب ، لكنني على ذات الدرجة من اليقين بأن غضبته إنما كانت لله ولدينه ، وانتصارا للحق الذي يتفياه - حتى ولو اختلفت الرؤى في الأساليب والتفاصيل .. ولذلك ، فإن حبي للشيخ ، واعتزازي بفكره وجهاده ، لم ولن يتأثر بوضعه لي - إبان غضبته المشروعة هذه - في الموقع الذي لا أحب ولا أرضى ؟! ..

ثم حدث أن بلغ رأيي هذا الى شاب مثقف - كان يتولى ادارة الشئون الثقافية بجامعة قطر - ليست بيني وبينه معرفة مباشرة - لكنه كان يقرأ لي - مع إعجاب وتقدير - وفي ذات الوقت كان من مريدي الشيخ الغزالي ومحبيه ... فعز عليه وجود هذا الخلاف المعلن بين الشيخ الغزالي وبيني ، مع يقينه - وهو الذي يتابع فكرنا معا - بأنه خلاف لامبرر لوجوده أصلا ... فتطوع وذهب الى الشيخ الغزالي ، وعرض عليه أن يقرأ عددا من المقالات القصيرة ، كنت أنشرها اسبوعيا في مجلة [الشراع] - البيروتية - في زاوية أطلقت عليها عنوان : « التراث والمستقبل » ...

حدث كل هذا المسعى الطيب دون أن أدري عنه شيئا ! ...

وما هي الا ايام ، حتى تسلمت خطابا أثار ظرفه الانتباه ! .. فعلى الظرف عبارة : « المرسل : محمد الغزالي - كلية الشريعة - جامعة قطر » - ولم اكن من قبل قد التقيت بشيخنا الجليل .. ولا تبادلنا المراسلات وأقرب العهد به هو خبر ذلك الهجوم الذي أشرت اليه ! ..

فلما فتحت الظرف ، وقرأت خطاب الشيخ الغزالي .. كانت المفاجأة التي هزت كياني من الأعماق .. لقد وجدتني أمام وثيقة لايكتبها الا واحد من عظماء الرجال ... فهذا الشيخ الجليل ، الذي يقع مني موقع الاستاذ من التلميذ .. يجلس في موقعه هذا ليراجع نفسه ، ويحاسبها ... ولينقد ذاته ، وليعلن لي عن تصحيحه لموقفه مني - لا في إطار هذه الرسالة فقط ، وإنما علنا وعلى رءوس الأشهاد ؟! .

حقا إنه رجل أواب .. واذا كانت رسالته هذه قد هزت كياني من الأعماق .. فبادرت اكتب اليه قائلا : إن امة فيها أمثالك لابد منتصرة بإذن الله ... فإن الذي تعلمته من رسالة هذا الشيخ الأواب ، أجدني مطالبا - أمام ضميري - بأن أيسر مصدره ليتعلم منه الآخرون ، وليقوم

شاهدا حيا على صدق هذا الذى أقوله عن هذا الجانب من جوانب خلق هذا الشيخ الجليل ...

لقد كتب فى رسالته يقول :

بسم الله الرحمن الرحيم

اخى الأستاذ الدكتور محمد عمارة
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

ـ وبعد ـ فإن القليل الذى قرأته لك أخيرا ردنى الى الصواب فى امرك ، وجعلنى أندم على تعجلى فى عدك من كتاب « اليسار الاسلامى » .. لقد كنت فى ضيق شديد للحرج الذى وقع الفكر الاسلامى فيه عندنا هنا ... فى الخليج الذى يمرح فيه الغزو الثقافى غير خجل ولا قلق .. وتناولت ناسا قرأت لهم مالا يسر ، ولكنى ما كنت قرأت لك وإنما حدثنى البعض أنك تصف الشريعة الاسلامية بأنها من وضع الفقهاء ، وتتبنى النظرة المادية الى الفلسفة الاسلامية ... وما كان يليق بى أن اعتمد السماع فى تقدير الرجال ، ومن ثم كنت ـ بعد وصفى لك باليسار الاسلامى ـ قلقا فى عدالة الحكم الذى صدر منى بالنسبة لكم خلصة ...

والآن ، وبعد قراءات قليلة لآثارك الأدبية ايها الأخ العزيز رجعت الى من حدثونى وقلت لهم : إن الطبيعة العقلية للدكتور محمد عمارة تتسم بعمق النظرة ودقة الحكم وسعة العلم ، والتجرد للحق ... وإذا مضى فى هذاالطريق فأحسبه سيكون نموذجا للأستاذ العقاد ، وعبقرياته الاسلامية ... معذرة عما قلته ، وعند أول فرصة لكتابة عامة سأنشر رأيى ، فهذا حقك الذى يفرضه على دينى .

والسلام عليكم ورحمة الله
٢٥ جمادى الآخرة سنة ١٤٠٤هـ
أخـوك
محمد الغزالى(١)

تلك هى « الرسالة .. الوثيقة » .. التى احتفظت بها ست سنوات ، رافضا إلحاح كثير من الأصدقاء علىّ كى انشرها ..

فلما شاء الله ، وشرعت اكتب هذه الدراسة عن هذا الشيخ الجليل ... وعَنَّ لى أن أتناول هذا الجانب من جوانب خلقه وشخصيتــه .. محــاسبــة النفس ... ومراجعة الفكر .. ونقد الذات .. آثرت أن أشرك غيرى فى أن يتعلم مما تعلمت منه ... وأحببت أن اقيم شاهدا آخر ـ قد لايعلمه الناس ـ على تحلى هذا العالم ... المجدد ... المجاهد .. بخلق المسلم الأواب ..

ومرة أخرى .. نقف أمام آيات القرآن الكريم :

[وأزلفت الجنة للمتقين . هـذا ماتوعدون لكل أواب حفيظ . من خشى الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب . ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلود . لهم مايشاءون فيها ولدينا مزيد] ... [ووهبنا لداود سليمان ، نعم العبد إنه أواب] ... صدق الله العظيم .

.... مد الله فى عمر شيخنا محمد الغزالى ... ومتعه بالصحة .. وبارك لأمته فيما قدم ويقدم لها من عطاء .

---

(١) انظر صورة هذه الرسالة ، بخط الشيخ الغزالى ، مع هذه الدراسة .

دائرة الحوار

أكثر من نقطة نظام

بقلم : د. غالى شكرى

من يملك حق الكلام ؛ الجواب من حيث المبدأ أن لكل إنسان هذا الحق . ولكن هذا الجواب يحتاج إلى تعديل إذا كان الامر يخص إحدى اللحظات الحاسمة في التاريخ خاصة إذا كان هناك فريق أو اكثر من الناس من أصحاب المواقف والتجارب ووجهات النظر التى خضعت لاختبارات الواقع فلم تثبت قدرتها على الرؤية فضلا عن الرؤية الصحيحة . حينئذ يجب أن نحتاط فى مفارق التاريخ من الرؤى غير البصيرة والرؤى الكاذبة والرؤى المضطربة ، لأنها وغيرها قد ارتبطت بمواصفات ومصالح وافكار أمداً طويلا ، ومن ثم فانها لاتملك حق الكلام الآن ، فقد سبق لها أن تكلمت ودفعت أحيانا ثمن كلامها ، ولكن ظروفها الموضوعية وربما الذاتية أيضا برهنت على فساد هذا الكلام فى الماضى . ومن الصعب ، بالتالى ، أن يصح كلامها الجديد ، حتى ولو جاء من باب النقد الذاتى ، فالتجارب القديمة التى ساهمت بشكل أو بآخر فى صياغة الجذور السلبية للأزمة الراهنة ، لاتثمر على أى نحو من الأنحاء كلاما جديدا .

● ولكن ماجرى ويجرى فى أوروبا الشرقية دفع العالم كله ـ وبلادنا جزء منه ـ إلى كلام كثير ممن يحق لهم الكلام ومن لايحق . وبينما التزمت أجهزة الإعلام فى الغرب التعبيرات الحذرة والتوصيفات المترددة والمصطلحات التى تبحث عن المعانى . فإننا من المحيط إلى الخليج قد تسرعنا وحسمنا الأمر وصفا وتحليلا وتقييما . كانت حجة الغرب فى الحذر والتردد والبحث عن المعانى ، انهم أمام ظاهرة متشعبة شديدة التعقيد لم تكتمل بعد . أما غالبيتنا فلم تلتزم الحد الأدنى من مراقبة مايجرى ومتابعة سياقه واستطلاع آلياته واستشراف نتائجه . ومن هنا اختلط الحابل بالنابل ووقعنا فى فوضى مخيفة تحتم رفع اليد بأكثر من نقطة نظام :

● **النقطة الأولى :** خاصة بالمصطلح . لقد أسرف بعضنا فى استخدام كلمة «السقوط» ونحن نعرف من التاريخ سقوط الأمبراطورية الرومانية ، وسقوط الأندلس ، وسقوط المانيا النازية ، وسقوط إيران الشاهنشاهية . هذا السقوط يعنى انتهاء صلاحية البنية الأساسية

شاه ايران .. محمد بهلوى





الثورة الايرانية من باريس الى طهران

للحكم وتلاشى قدرتها على القيام بمهام السلطة . ويحدث ذلك نتيجة هزيمة عسكرية أو هزيمة سياسية . وماجرى ويجرى فى اوروبا الشرقية ، بما فيها رومانيا ، ليس قضاء مبرما على البنية الأساسية للتحول نحو الاشتراكية . ليس صحيحا أن هناك شيوعية حتى نقول سقطت الشيوعية . لم يقل أحد أن النظام فى الاتحاد السوفييتى هو نظام شيوعى ، ولا النظام فى الصين . وقد ذكرت أكبر دولتين اشتراكيتين لأقول أن أحدا فيهما سواء من أنصار ستالين أو أنصار ماو لايقول بأن بلاده حققت النظام الشيوعى .. فالشيوعية مصطلح له مواصفاته وقد استخدمه الكثيرون فى غير سياقه ، لمجرد الهتاف بالسقوط . بل إن أغلب الدول المسماة اشتراكية لم تحقق النظام الاشتراكى ، وإنما هى فى الطريق إلى الاشتراكية ، أى أنها فى مرحلة التحول ، وفى مراحل التحول تقع أخطاء وخطايا وجرائم . ولكننا نسينا الفظائع الوحشية لمرحلة التحول إلى الرأسمالية ، وكيف كانت جيوش من الأطفال تموت من الهزال والجوع والإرهاق المضنى . لقد احتاج الأمر إلى أكثر من قرنين لتصل الرأسمالية إلى بعض القواعد واللوائح والقوانين التى تحمى بعض مصالح العمال . أما بعضنا فيتكلم عن الأربعين عاما أو حتى السبعين عاما كأنها سبعة قرون . والذين يقولون بسقوط الاشتراكية وانتصار الديموقراطية يضمرون التناقض بين العدل والحرية .. بينما الدرس الأول مما يجرى فى العالم الاشتراكى هو أن تغييب الديموقراطية من شأنه أن يضر بالأهداف الإنسانية للاشتراكية .

● الفلسفة لاتسقط

والذين يقولون بسقوط الفلسفة الماركسية لايدرون أصلا أن الفلسفة لاتسقط ، فأرسطو لم يعد فارس الفلسفة ولكنه لم يسقط ، وديكارت لم يعد فيلسوف

الرياضيات الحديثة ، لكنه لم يسقط . لامعنى لسقوط فلسفة أو فيلسوف . النازية ليست فلسفة بل نظام سياسي . والشمولية هي حكم «الدائرة المغلقة» على العرق أو الدين أو اللون ، فالدولة العنصرية أو الدولة الدينية ذات نظام شمولي ، لأن الحق الإلهي في السلطة كالعرق النقي ، كالدمج بين الدولة والفرد أو بين السلطات الثلاث أو بين الحزب والشعب والقائد ، كلها أنظمة شمولية ... فالشمولية قد تحدث في نظام راسمالي كما كان الحال في ظل النازية والفاشية والمكارثية ، وكما كان الحال في المستعمرات ، وكما هو الحال في معظم العالم الثالث . والشمولية قد تحدث ايضا في النظام الاشتراكي . ليست هناك اية علاقة حتمية بين الاشتراكية والشمولية .

ولكن بعضنا يقول بسقوط الشمولية كمرادف لما يسمونه بالسقوط الاشتراكي . منذ سقوط الدولة العباسية إلى سقوط الخلافة العثمانية لم يقل أحد أن الذى سقط هو الفلسفة الاسلامية ولا حتى الدولة الاسلامية ، فمازال هناك إلى اليوم « عالم اسلامي» و «فقه إسلامي» .

ومنذ سقوط القسطنطينية إلى نجاح الثورة الفرنسية لم يقل أحد أن الذى سقط هو المسيحية

إن التسرع فى استخدام مصطلح «السقوط» لايعني فقط الجهل بمضمونه وسياقه ، وإنما يعني كذلك التفكير بالاماني بالقفز على الوقائع وصولا إلى نتائج مرغوب فيها . والرغبة الايديولوجية أو العاطفية تفسد التحليل ولاتساند أى تخطيط موضوعي لاتخاذ الموقف الأقرب إلى الصواب انطلاقا من المصلحة الوطنية أو القومية أو العالمية . أما التفكير بالاماني فينطلق من الدائرة المغلقة على الذات ، دائرة الأوهام الشخصية والمصالح الضيقة .

الثورة السودانية اسقطت نميري



جعفر النميري .. سقوط



● النقطة الثانية : خاصة بالمكبوت أو المسكوت عنه ، فالذين انفجر خزان عواطفهم ضد الاشتراكية يتكلمون كأنهم مواطنى أوروبا الغربية أو الولايات المتحدة . وهم ليسوا كذلك ، ولكنه الانفصام الذين حل بشخصية العربى حين استعار الوجه الغربى وكأنه من انصار الديمقراطية حقا . هؤلاء اعلنوا «المكبوت» وهو إيمانهم الذى لايتزعزع بأبدية استغلال الإنسان للإنسان ، وكان ذلك هو «الطبيعة الإنسانية» . إن ماركس لم يخترع الطبقات ، وإنجلز لم يخلق بينها التناقضات ، ولم يتبئنا أحد بأن لينين هو الذى تسبب فى الاغتراب . لقد ثبت أن غياب الديموقراطية لايحقق العدل . ولم يثبت أن البشرية ستتوقف عن السعى من أجل العدل والحرية معا ، أو أن البشرية ستتوقف عن الحلم بمقاومة التشوه الإنسانى . إن الهاتفين بسقوط الأشتراكية إنما يمجدون على الوجه الآخر من الأسطوانة الظلم الاجتماعى . هؤلاء لايسمون افلاس الرأسمالية منذ ستين عاما سقوطا ، وينسون ماجرى منذ وقت قصير وقد سمى «الاثنين الاسود» .

ثالثة يغزو الفضاء . وكان النظام الاشتراكى بكل أخطائه هو صاحب هذه الانتصارات . وهذا النظام هو الذين حال دون تفرد الولايات المتحدة بحكم العالم . وهو الذى قاد حركة التغيير فى أوروبا الشرقية كلها ، وجعل من الممكن للقوى الحية فى مجتمعاتها أن تنطلق من عقالها . أن شعوب أوروبا الشرقية كانت تقاوم من أجل التغيير ، ولكن البرويسترويكا والقوة السوفياتية وشخصية جورباتشوف أتاحت لهذه المقاومة أن تنجح وحالت بينها وبين استغلالها أو الايقاع بها .. فليست مجتمعات أوروبا الشرقية رأيا واحدا أو طبقة واحدة أو ايديولوجية واحدة . ولأن علاقة الاتحاد السوفييتى برومانيا لم تكن كعلاقته ببقية حلف وارسو ، اتخذت الأحداث تلك الصورة الدموية المروعة . وأيضا لأن علاقة الاتحاد السوفييتى بالصين لم تكن كعلاقته ببقية الدول الاشتراكية فقد اتخذت المسيرة فى بكين لونها الدموى . ولكن الأمر فى الحالين لايختلف من حيث أن المواطن «الاشتراكى» قد رفع جورباتشوف راية وشعارا من بكين إلى برلين .

● النقطة الثالثة : تخص الحزب الشيوعى السوفييتى الذى أبدع البريسترويكا ، فليس جورباتشوف مستوردا ، ولا هو فرد . لم تنهزم الاقطار الاشتراكية فى حرب من أى نوع ، ولكنها استجابت لتحدياتها الداخلية ، والخارجية بثورة جديدة ، وليست ثورة مضادة . لقد انتصر الاتحاد السوفييتى على حروب التدخل التى شنتها الدول الرأسمالية بعد قليل جدا من ثورته . وانتصر مرّة أخرى فى الحرب العالمية الثانية . وانتصر مرة

● النقطة الرابعة : تخص الحضارة ، إذ لايجوز أن ننسى أن أوروبا الشرقية جزء لايتجزأ من الحضارة الغربية ، وأن الماركسية ذاتها جزء لايتجزأ من الفكر الغربى . والحضارة الواحدة لها سمات مميزة فى ظل النظامين . وقد كان من المثير أن بعضنا ـ من السلفيين والعلمانيين ـ قد راح يتكلم عن الدين فى أوروبا الشرقية ونسى مايلى : أن أوروبا كلها (حين لم يكن هناك معنى سياسى للشرق والغرب) قد عانت

الويلات من الكنيسة فى العصور الوسطى ، وانها دفعت أنهارا من الدماء من أجل التقدم العلمى والاجتماعى والثقافى والاقتصادى والسياسى على انقاض الكنيسة وايديولوجياتها التى تحالفت مع الاقطاع والنبلاء والخرافات حيث باع الباباوات والاساقفة والكهنة صكوك الغفران للفقراء لشراء قراريط فى الجنة . هذه الكنيسة التى احرقت العلماء وانكرت النظريات العلمية واقامت محاكم التفتيش لتفتح صدور الناس بحثا عن الايمان . وهى ذاتها الكنيسة التى لعبت دورا سياسيا إلى جانب فاشية الجنرال فرانكو فى اسبانيا والدكتاتور سالـزار فى البرتغال .. كيف يفرح بعضنا إذا قامت من جديد بدور سياسى هنا أو هناك فى العالم الاشتراكى ؟ كيف يفرح العلمانيون منا إذا لعب رجال الدين المسيحى دورا ساسيا فى عصرنا ؟ وكيف يفرح السلفيون الإسلاميون لذلك ، وهم يرددون ليل نهار لعناتهم على الصليبية ؟ الجواب : لأن هؤلاء السلفيين كأولئك العلمانيين ينسون مبادئهم فى غمار الوهم بالمصلحة الراسمالية التى تضمهم . ولكنهم ينسون ان الحضـارة الغـربيـة التى تضم الاشتراكيين والرأسماليين على السواء ، توحد بينهم اصلا فى الموقف من الدين ، من النهضة الأوروبية التى قامت قبل خمسة قرون ، ومن أهم مقوماتها الثورة على الكنيسة ، إلى عصر التنوير فى القرن الثامن عشر ، إلى الثورة الفرنسية التى فصلت نهائيا بين الدين والدولة

هذه امور لايختلف فيها الأوروبى الشرقى عن الأوروبى الغربى . ان ما نسميه باللغة الشعبية «الالحاد» صدر أصلا عن الفكر البرجوازى الغربى ، قبل ظهور الماركسية بعشرات السنين . وما ندعوه العلمانية صدر أصلا عن الثورة الفرنسية . وقد تبنت مجتمعات أوروبا الشرقية هذه الأفكار والفلسفات والإجراءات قبل سلوكها طريق التحول إلى الاشتراكية . لذلك لايجوز أن نبلغ إلى حد الخطأ فى متابعة العلم والتاريخ والعالم . وإنما يجب أن ندقق فى الدور السياسى الذى يمكن للكنيسة فى أوروبا الشرقية أن تلعبه قبل أن نهلل أو نرادف بينها وبين «الايمان» .

وهناك سمات اخرى تميز الحضارة الغربية ولا تفرق بين شرق اوروبا وغربها كالموقف من حرية المراة والموقف من الحرية الفردية واستقلال الشخصية والإدارة والتنظيم واحترام العقل والتزام الموضوعية . وكالموقف من فكرة الحزب سواء أكان وحيدا أو متعددا وما ينبنى عليه من فكرة البرلمان والدستور ، وغير ذلك مهما كان الخلاف فى التطبيق . وهو خلاف وقع هنا وهناك . حتى فى الولايات المتحدة كانت المكارثية مرحلة سوداء فى تاريخ الحرية الأمريكية ، وقد حورب وطورد كبار الكتاب والفنانين بحجة انتمائهم درجة أو درجات إلى اليسار . وفى أسبانيا والبرتغال كان الحكم الشمولى الدكتاتورى فى ظل الراسمالية قائما على قدم وساق تتبع خطى هتلر وموسولينى .

لايجوز أن ينسى بعضنا فى ظل الادانة المؤكدة للبنية البيروقراطية

وغياب الديموقراطية أن المقابل الرأسمالى شديد السوء والعداء لإنسانية الإنسان .. فالرأسمالية ليست فقط الديموقراطية الليبرالية ، وحتى هذا النوع من الديموقراطية ملىء بالثقوب . وإذا كانت الديموقراطية لاتعنى الليبرالية ، فان الاشتراكية لاتعنى الاستبداد . وإنما لابد من ابداع صيغة ديموقراطية جديدة من داخل النسيج الاشتراكى ذاته ، بتصفية المعوقات العملية التى كان لها انعكاسات نظرية أو لن تفرط فى اى كسب إنسانى ، ولن تتوقف عن صياغة هذا الكسب فى الإطار الديمقراطى . الحريات كالتنظيم الشمولى ليست خصيصة رأسمالية أو اشتراكية . ولكنها أقرب إلى الاشتراكية إذا لم تفرق العدالة بين الفرد والجماعة . إنها تسهم فى تحقيق الوجه الإنسانى للاشتراكية ، وتحميها ، لأنها تطلق قوى وطاقات اوسع للجماهير صاحبة المصلحة فيها . من الخطأ والخطر أن ترادف بين الحريات والرأسمالية .

● **النقطة الخامسة** : تخص ازدواجية الشخصية فى اتخاذ المواقف مما يعنى أحيانا الانتهازية السياسية ، فأكثر الذين يقولون بسقوط الشمولية لم يرفعوا الصوت عاليا فى اى وقت ضد القمع حين كان غيرهم فى غياهب السجون . لم يرفع أحدهم الصوت عاليا حين أرغم المثقفون والعمال والسياسيون من مختلف الاتجاهات على التعذيب البدنى والنفسى لدرجة الاستشهاد أحيانا . لم يرفع أحدهم الصوت عاليا حين أغلقت الصحف وحلت الأحزاب ، وحين استمر



القفز فوق السور عمل مشروع

تجريم الفكر ، أى حين كانت الشمولية قيد الانجاز ، وقد شارك الكثيرون من أصحاب «كلام اليوم» فى انجازها .

وهؤلاء أنفسهم هم الذين لايرفعون الصوت ضد الشمولية العربية التى تبدأ من الحزب القائد والحزب الواحد والزعيم الأوحد ، وتنتهى إلى تجريم الحزبية بمختلف أشكالها ودمج السلطات فى شخصية «تاريخية» واحدة . والمقصود بالصفة التاريخية هنا أحد أمرين : أما انتسابها إلى طبقة السادة من اشراف آل البيت ، وأما قيادتها للانقلاب العسكرى أى أن شرعيتها قائمة على أساس القوة الدينية أو العسكرية ، والمسلحة فى الحالين .

لذلك فنحن لم نسمع كلمة واحدة من الهاتفين بسقوط الاشتراكية عن سقوط الخمينية فى إيران و سقوط النميرية فى السودان وسقوط ضياء الحق فى باكستان وسقوط امبراطورية الريان . ولم يقل لنا أحدهم كلمة واحدة عما يربط بين كل هذا السقوط . أليست هى الدولة التى يحكم عسكريوها أو رجال الدين فيها باسم الحق

دائرة الحوار

الإلهي كما كانت تفعل الكنيسة الكاثوليكية فى العصور الوسطى ؟

وهؤلاء الذين هاجموا الدكتاتورية العسكرية فى بلادنا ، وعاشت أقلامهم منذ حوالى عشرين سنة إلى اليوم تتكلم عن الديموقراطية التى أغتالها العسكر ، لماذا يسمحون لأنفسهم الآن أن يهنئوا ويطنطنوا بأمجاد الدكتاتورية العسكرية فى بلاد غيرنا ، ولماذا يفتلون بكلماتهم الحبال لشنق الأطباء الأحرار أو الطلاب الأحرار ، لمجرد أن أصحاب المشانق من « الضباط الأحرار » ؟ .

كانت النكتة القديمة تقول أن مواطنا أمريكيا تحدى مواطنا سوفييتيا بقوله أنه يستطيع أن يهتف بسقوط الرئيس الأمريكى أمام البيت الأبيض ، فكان يرد عليه المواطن السوفييتى : وأنا أيضا أستطيع أن أهتف ضد رئيسكم أمام الكرملين . بعد الجلاسنوست (المكاشفة) تعدلت النكتة كثيرا ، فأصبح المواطن من أوروبا الشرقية يقول أنه يستطيع أن يهتف ضد الحزب الشيوعى فى بلاده ، وأصبح المثقف من البلاد التى لاتعرف الأحزاب يقول : وأنا أيضا أستطيع أن أهتف ضد هذا الحزب فى بلادى .

النكتة الجديدة ترد على أولئك الذين يجرأون على السلطة حين لاتكون فى بلادهم ، حينئذ فهم الفرسان الشجعان .

وبعضهم من أصحاب الدم الخفيف يفبركون الاحلام الكاريكاتورية من سحب الدخان الغائمة ليفرضوا على خيال الأمة أوهامهم عن ناس لم يعرفوا السلطة ، ولم تعرفهم السلطة . ولكنهم ضحوا بأغلى سنوات العمر من أجل استقلال وطنهم والديموقراطية ، بينما كان الآخرون ـ كما هم الآن ـ يسبحون بحمد كل سلطة .

و «البريسترويكيون فى كل العصور» هم الذين برروا ونظروا لكل حاكم وكل وسائل الحكم . وبين هؤلاء بعض الماركسيين الذين يتصورون أنهم كانوا من أنصار البريسترويكا قبل ربع قرن حين حلوا تنظيماتهم الحزبية بينما كانوا فى واقع الأمر من أنصار الحزب الواحد والقائد الواحد حين أعترفوا عمليا بالاتحاد الاشتراكى تنظيما سياسيا وحيدا وقبلوا أن يدخلوه كأفراد . وكرسوا بذلك غياب الديموقراطية .

كذلك ، ليس فى أدبيات الأخوان المسلمين إلى اليوم إشارة واحدة إلى التعددية الحزبية ، بل هم لا يعترفون أصلا بالحزبية . وهم حين يدخلون البرلمان أو حين يستظلون بحزب الوفد أو حزب الأحرار أو حزب العمل ، فانما يفعلون شيئا نقيضا لمبادئهم الثابتة .

□ □

هذه مجرد نقاط نظلم ، لاتعترض على «حق الكلام» لكل إنسان من حيث المبدأ ، ولكنها فى غمرة اختلاط الحابل بالنابل تطالب بالحد الأدنى من تنظيم الكلام وعلميته ومصداقته . والا فان أغلب الأصوات لاتصف بتواضع مايجرى فى بلاد غيرنا ، وإنما هى تشارك فى مظاهرة تهتف بسقوط الآخرين . وفى المظاهرات الببغائية يسقط «حق الكلام» .



الكمبيوتر بيتكلم عربى

جزء خاص



جـزء خـاص

حتى لا نرفع الراية البيضاء

بقلم :
محمد فتحي

إفتتح الدكتور عاطف عبيد مؤتمر صخر السنوى الذى عقدته الشركة العالمية فى القاهرة للمرة الاولى يوم ٤ ، ٥ مارس قائلا :

إسمحوا لى ان اؤكد على ترحيب الحكومة المصرية بكم جميعا وبرأس المال الخاص .. اهلا وسهلا به مساهما وداعما لقواعد التنمية على ارض مصر » .

وكنهج عملى لهذا الترحيب تنشر « الهلال » هذا الجزء الخاص عن الكمبيوتر والمعلومات كالتفاتة تقدير إلى قطاع الأعمال العربى الذى يعى مسئوليته الأجتماعية ، وذلك فى شخص نموذج له ، مفعم بالاحساس بالواجب تجاه قضية الثقافة والهوية العربية .. نموذج دفعه ادراكه لطبيعة العصر الى الطموح لنقل اكثر التقنيات الالكترونية حداثة إلى المجتمع العربى ، وبكفاءة تماثل تعامل المجتمعات الصناعية ، بلغاتها للوطنية مع هذه التقنية .

وبلغتنا فى هذا النموذج ما قرره الدكتور نبيل على من سعى الى حماية اللغة العربية من أن تكون لغة من الدرجة الثانية فى عصر المعلومات ، حيث تلعب اللغة دورا أساسيا كأداة للفكر ووسيلة للمعرفة ، وحيث تشكل الوعاء الذى تنتقل منه الخبرة والحكمة الانسانية إلى الأجيال القادمة ، ووسيلة يمكن من خلالها أن تغزو مصادر المعرفة لتحيلها إلى مورد يسرع بتنمية مجتمعاتنا وتحديثها .. تلك المجتمعات التى تصنفها احصائيات اليونسكو بصفتها مجتمعات جائعة الكترونيا ومعلوماتيا ، تشكو من الأنيميا الحادة فى نظم المعلومات والحاسبات .

ولعل الأهم من السعى الذى اشار اليه د . نبيل على هو النجاح فى تخليصنا من عار الاسترخاء والفوضى اللغوية التى يعيشها المجتمع العربى ، فى جهد أصيل ومخترق يتجاوز



د . اسامة الخولى



د . عاطف عبيد ومحمد الشارخ

معالجة الحرف العربي الذى وقف الباحثون عند عتباته طويلا وهو لايشكل بعدا لغويا أصيلا ، يتجاوزه الى معالجة الصرف العربي فى المحلل الصرفى المتعدد الأغراض الذى تعرض لاختبار صلاحية شاق فى برامج « القرآن الكريم » و « الحديث النبوى الشريف » ، والتى كانت إجازة الجهات الدينية لها ، اعترافا بقدرات هذا المحلل الذى يشكل إنجازا كبيرا فى حقل التعامل مع اللغة آليا .. والذى كان فاتحة لانجازات اخرى عديدة فى هذا المجال حيث استخدم فى ميكنة المعجم العربي ، الذى استخدم هو الآخر فى تطوير المدقق الاملائى للكلمات العربية ، ليكوس الباحثون جهدهم فى النهاية لصنع معالج نحوى متعدد الأغراض ، يزيل اللبس الناجم عن غياب التشكيل ، ويضع اللغة العربية بالفعل فى خضم تقنيات الذكاء الاصطناعى .

ولعل أهم مافى هذا الجهد - على عظمته - أنه بداية لطريق طويل وانه أكد على أن العربية ليست لغة ميئوس من علاجها لغويا ، وأنه يمكن تطويع الآلة لمطالبها وتطويعها لمطالب الآلة .. مما يحثنا على بذل الجهد الواجب فى هذا الصدد .

ويلفت النظر فى النموذج الراهن الذى اخترناه لقطاع يعى مسئوليته الاجتماعية ، إنخراطه فى بحوث تطبيقية تتحول فى التو واللحظة إلى منتجات حقيقية نهائية تخدم المستخدم العربي وأنه ينهج سياسة فى نشر مؤسساته تكشف عن نظرة شمولية وموضوعية للتكامل الاقتصادى العربي ، وكما أنه يسعى الى التعاون مع « ارض الكنانة » و« شعب الحضارات المثالية » كما أكد صانع استراتيجيته محمد الشارخ - فى تأسيس وادى الأهرام لتقنية المعلومات والكمبيوتر .

ولابأس أن يكون آخر ما يلفت نظرنا ان يكون نشاط النموذج الذى اخترناه مدعاة لأن يطرح د عاطف عبيد للبحث - علاوة على الترحيب - قضايا



جـزء خـاص

علمية هامة صاغها فى تساؤلات عدة .

● كيف نستخدم قواعد الصناعة الحالية كركيزة لصناعات مكملة يحتاجها عصر المعلومات ؟.

● ماهى المزايا النسبية للوطن العربى فى مجال المعلومات والكمبيوتر وماهى مجالات تعظيم عائد هذه المزايا ، لأن ذلك هو ما سيحدد موقفنا فى سوق المنافسة العالمية ؟

● ماهى اشكال الحوافز التى تتوقعها صناعات المعلومات العربية من الدولة والى اى مدى زمنى يجب أن تستمر هذه الحوافز؟

● تسليما بواجب حماية حق كل مبدع وكل مبتكر ماهى التعديلات والأضافات المطلوبة فى التشريعات لتحقيق هذه الحماية ؟

● ماهى المصادر الأجنبية التى ترغب فى التعاون معنا فى اطار مصالح مشتركة مشروعة ؟

● كيف نترجم الأمال والتطلعات الى مشروعات يلتزم القائمون عليها بالتنفيذ ؟

هذا كله اضافة إلى

حتى لا ترفع الراية البيضاء

● المعالج النحوى

فى الحديث عن كيفية إختيار مجال العمل قال محمد الشارخ أنه توخى أن يختار اكثر ما يفتقر اليه العرب ، واكثر ما يصنع سمه مميزة لعصرنا .. وانه فى هذا السبيل قابلٌ بقدر من المخاطرة فليس هناك عمل ناجح يمكن أن يخلو من المخاطرة . وهو على ثقة وهو يختار فى قدرات العرب .. وجاء مصداق لمنهج الاختيار وتقول المخاطرة ذلك الانجاز الذى أعلن عنه الرجل خلال المؤتمر .

من مصر يشرفنى أن أعلن إنجاز المعالج النحوى للغة العربية وهو المفتاح الأساسى لدخول العرب لعصر المعلومات ولا غرو ، فمصرى هو الذى قاد فريق العالمية لهذا الانجاز . ولاغرو فمصر تشرع فى تأسيس وادى الأهرام التقنى الذى تطمح العالمية لأن تكون من اول مساهميه .

ولاغرو ـ هذا جانب شخصى ـ أفليس الوفاء من شيم العرب .. الوفاء لمصر .. والمعلم المصرى الذى علمنى .

تعهد د . عاطف عبيد ببذل جهد متواصل لمساندة كل مستثمر جاد ناهيك عن رعاية كل مبدع ..

● الحلم والقدرة على الاختراق

أن نتراص ونرفع ايدينا فى مواجهة تعديات أمثال « فضة المعداوى » أمر ضرورى لكنه ضرورى بنفس الدرجة أن نحتفظ بقدرتنا على الحلم وجسارتنا على الاختراق والتجاوز فى عالم يتقدم بخطى هائلة ويحكم بالموت على من يبقى فى مكانه . لقد غنينا فى الأيام الحزينة التالية على هزيمة يونيو ١٩٦٧ و « عظم اولادنا نلمه نلمه نسنه نسنه ونعمل منه مدافع ، ومدافع وتجيب النصر هدية لمصر » .. كنا نغوص فى مستنقع الهزيمة نكاد نغرق فيه وكانت الكلمات تعبيرا عن روح رفض الهزيمة . ويومها ذهب عبد الناصر لافتتاح اولى وحدات مجمع الحديد والصلب (وحدة درفلة الشرائط) وشد على ايدى العاملين هناك وكأنه يقول لهم إننا نحتاج إلى نتاجكم حتى نسند هذه الروح بما تحتاجه من قدرات مادية . فالأفضل أن نغنى « .. وصلب بلدنا نلمه نلمه نسنه نسنه ، ونعمل منه مدافع ، ومدافع » ..

لابد لنا من فض روح الغيبوبة والانهزامية ، ولابد لنا من الحلم ، بالمستقبل ولابد لنا من الأدوات المادية التى تساعدنا على مسايرة العصر .. وادوات اليوم هى المعارف الموظفة فى خدمة الواقع ..

لهذا كله نلتفت إلى ما هو نقيض « فضة المعداوى » حتى لاتجبرنا الظروف يوما على رفع « الراية البيضاء » ..

الأرقام والمعلومات

كثيرا ما تقتصر الدوائر المعنية فى البلدان النامية بالبيانات لا بالمعلومات كان تشير الى ان منسوب مياه النيل اليوم هو ١٥٠ مترا وهذا البيان محدود القيمة بالنسبة للمعلومات التى تقدم نفس الرقم فى اطار تطورى فاعرف مستوى مياه النيل فى مثل نفس اليوم العام السابق والاسبق و واستطيع ان اخرج منها باستنتاجات مختلفة ..

وحتى ما يتوفر فى الدول النامية من بيانات وارقام لاتخرج منه بالاستنتاجات الصحيحة ـ حتى إن توفرت ارقام دقيقة ـ فمثلا عند بناء مصنع الحديد والصلب فى حلوان ارجع ارتفاع عدد الوفيات بمرض السل بصورة خاطئة الى وجود هذا المصنع ولم يلتفت المفسرون الى وجود مصح لمرضى السل فى حلوان وان جميع المرضى فى ج . ع . م انئذ كانوا يذهبون الى هذا المصح وكان يسجل فى شهادات وفياتهم ان سبب الوفاة هو مرض السل ومن هنا سبب ارتفاع الرقم الخاص بحلوان مقارنة بالمدن الأخرى .. قد يكون للمصنع تاثير ضار بالصحة لكن ليس ذلك الرقم هو المؤشر الصحيح

جزء خاص

التراث و الكمبيوتر

بقلم : د. أحمد كمال أبو المجد



لست من المتخصصين فى علوم الحاسب الآلى .. ولست ـ فوق ذلك ـ من المتخصصين فى حفظ التراث وتوثيقه ..

ولذلك سألت نفسى عن الأساس الذى يمنح حديثى شرعيته ، أو يضفى عليه مبرره .

وكان الجواب الذى وجدته ان لدىّ أمرا ما اريد ان اوصله الى جمهور المشتغلين بالثقافة الاسلامية والدعوة الاسلامية على السواء .. وهذا الأمر لا يدخل فى باب البحث التحليلى المتخصص .. ولكنه فى الحقيقة تنبيه الى شىء محدد ودعوة الى شىء آخر محدد .

● انا واحد من مئات الملايين الذين يؤمنون بالله .. ويؤمنون لذلك وتبعا له بأن هذا الكون الذى نعيش فيه والذى تحركه مشيئة الله وتوجهه حكمة الله .. ليس عالما من الفوضى تتحكم فيه المصادفة .. وانما هو محكوم بضوابط ونواميس .. يسميها العلماء قوانين العلم والحركة .. ويسميها المؤمنون منهم «سنة الله» «ولن تجد لسنة الله تبديلا» «ولن تجد لسنة الله تحويلا» .

ومن هذه السنن ان الكون محفوظ بقاعدة الهية وعلمية نستطيع ان نسميها توازن القوانين .. فأسباب الحق والنماء فى الكون تحكمها ضوابط وأسباب تكامل وتوازن . والعلماء الطبيعيون وعلماء الحياة يعرفون جيدا معنى هذا التوازن .. ووظيفته الرئيسية فى حفظ البيئة .. ولذلك يحذرون من العبث بهذه البيئة عبثا يختل به اداء تلك القوانين وضمان استمرار الحياة .. والقرآن الكريم يرشد الى

ان هذا التوازن سمة من سمات الكون الذى خلقه الله .. «انا كل شيء خلقناه بقدر» ، «وخلق كل شيء فقدره تقديرا» ، «وانبتنا فيها من كل شيء موزون» «وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها» .

والجديد الذى نريد ان نعرض له ان هذا التوازن الالهي يمتد من عالم الطبيعة الى عالم الثقافة .. ويتجلى ـ فى مقام بحثنا هنا ـ فيما يمكن ان نسميه التوازن فى آثار الثورات العلمية والتكنولوجية .

● قرية اليكترونية واحدة

فحين تعاظمت الثورات العلمية والتقنية فى مجال الحركة والانتقال ، وفى مجال نقل الصوت والصورة وسائر وسائل الاتصال .. تهاوت الحواجز وسقطت الستر بين الشعوب والحضارات .. وطوى للناس الزمان والمكان .. ومدت الثقافات المختلفة قيمها ومعارفها واساليبها فى الحياة عبر حواجز التاريخ وفواصل حدود البلدان .. وبدا الحديث عن ثقافة عالمية واحدة يلتقى حولها الناس جميعا .. وكان تحول العالم ـ كما يقولون ـ الى قرية اليكترونية واحدة .. خيرا فى جزء منه .. ونذيرا باخطار ثقافية وحضارية فى جزء آخر منه .. كان خيرا بما يوفره للناس من تنوع الرؤية واطلاع على الرأى الآخر .. والموقف الآخر .. والثقافة المغايرة .. وكان خيرا بما يؤدى اليه من تواصل وتبادل للخبرة ، وزيادة فرص الالتقاء على امور عديدة لقاء من شأنه ان ينزع روح العداوة والحرب .. وهى روح تنميها مشاعر الاحساس الزائد بالتميز والاختلاف .. ومشاعر الاحساس بالنفرة والخصومة مع الغير .. فى عالم السياسة والثقافة والاقتصاد .



ولكن هذه الحركة الثقافية الكاسحة .. من شانها ان تزيد الاقوياء قوة وان تهد الضعفاء فى صميم وجودهم .. ومن شانها كذلك ان يتحول التبادل بين ثقافات متعددة الى صيغة جديدة يؤثر فيها الطرف الاقوى تقنيا ويتأثر بها الطرف الاضعف تقنيا .. وهو ما يهدد التعددية الثقافية الحقيقية ، وينذر بتعرض ثقافات عديدة لخطر الضياع والاندثار .

ومن هنا ظهرت موجة الدفاع عن الخصوصية الثقافية فى وجه التأثير الكاسح لثقافة الدول المتقدمة تقنيا .. وترددت اصداء هذه الموجة داخل اليونسكو وغيره من المنظمات الدولية .. كما جرى التعبير عنها من خلال موجة الاعتزاز الثقافى ، والتحذير ـ داخل كل ثقافة ـ من اخطار الغزو الثقافى ..

ووسط هذه التفاعلات كلها ظهر الحاسب الآلى ، وتعاظمت اجياله وتحول



جـزء خـاص

التراث والكمبيوتر

خلال سنوات قليلة الى اداة فعالة لجمع المعارف واختزانها ، وتحليلها ثم استدعائها .. وكانما كان ظهوره على قدر ليوازن الآثار الثقافية للثورة التقنية في ادوات الاتصال ..

وتفسير ذلك ان المحافظة على الهوية الثقافية .. تقتضى اول ما تقتضى جمع مصادر المعرفة داخل ثقافة من الثقافات ، وتحقيق المصادر الاصيلة ثم اختزانها حتى لا تتعرض للتبدد والضياع ... ثم ترتيب تلك المصادر وعرضها على طالبها بطريقة فعالة وميسرة .. وهذا كله يؤديه الحاسب الآلي . وانما يبقى ان نذكر به العاملين في حقل الثقافة ، والمشتغلين بالمحافظة على التراث .

ويبقى ان نحدد بمزيد من الدقة ما نقصده بالتراث ..

وان نحدد كذلك ما ندعو الى القيام به .. مستعينين بالحاسبات الآلية – في المحافظة على هذا التراث ..

● رؤية محددة للتراث

ولابد قبل ذلك كله ان نقول كلمة نحدد بها رؤيتنا للتراث ، وموقفنا منه ، ذلك ان بعض الناس في زماننا هذا قد اباحوا لانفسهم ان يتخذوا من التراث واحدا من موقفين ، لا حجة لهم فيهما ، ولا سند يسندهم .. فمنهم من ربطوا التراث في عقلهم ووجدانهم ربطا شاملا مطلقا بالتزامهم الديني .. فنصبوا انفسهم مدافعين عن كل قديم ، متمسكين بكل كلمة قالها الاقدمون .. غير مميزين بين ما يلزم وما لا يلزم . فحصروا انفسهم – والناس – معهم – في حلبة زمانية ماضية .. وتصوروا ان حاضرهم لا يصلح الا بهذا التلبس الكامل المطلق بصيغ الماضي وأوضاعه واقوال أهله .. ومنهم من تصوروا التراث قطعة من التاريخ ، ادت وظيفتها حين كان ذلك الماضي حاضرا .. وأن لها ان تترك مكانها وان تغادر الساحة . واضافوا ان على اهل هذا الزمان ان يتخلوا نهائيا عن الاشتغال بالتراث ، وان يتوجهوا لعلوم العصر وحدها .

ولا نريد ان ننعطف بحديثنا الى مناقشة هذين الموقفين ، وانما نختصر الطريق لنقرر ملاحظات ثلاث :

الاولى : ان كثيرا من الاطراف الذين يتخذون هذه المواقف الجدية لم يمنحوا انفسهم فرصة التعرف على التراث ، ومع ذلك ابلحوا لانفسهم ان يجادلوا في شانه وان يحكموا عليه ..

الثانية : انه من غير المعقول اتخاذ موقف واحد من كل ما هو قديم ، فالبعد الزماني وحده لا يصنع الخطا والصواب ، ولا الصلاح والفساد .

والزمان القديم . شانه شان الزمان الجديد ، قد حمل الينا نتاج عقول الملايين وتجاربهم وارائهم .. وفي ركام ضخم منه الضار الظاهر الضرر .. ومنه النافع البين المنفعة .. ومنه دون ذلك .

والملاحظة التالية التي تعنينا هنا بصفة خاصة ان العقل المسلم والجهد العلمي للمسلمين قد انفقا قرونا طويلة في حفظ المرويات وتحقيقها ..



ولا يزال عمل الباحث المسلم ـ في ايامنا هذه ـ موزعا بين عمليات التحقق من النصوص .. وبين تفسيرها وتطبيقها والتحرك بها لملاقاة الظروف المتطورة للمجتمعات .. وفي كثير من الاحوال كان الجهد الموجه للرواية مستغرقا للطاقة ، وصارفا عن بذل جهد مماثل في الدراية .. اى ان هذا الوضع في مجموعه كان موجها للمحافظة على الحضارة والثقافة صارفا عن التحرك بها لخدمة المستقبل وقضاياه .

والآن .. جاءنا العلم باداة جديدة .. توفر هذا الجهد ، وتحفظ النصوص الاصيلة بتحقيقاتها المدونة في مئات الكتب او شروحها المثبتة في مئات اخرى من المدونات والحواشي .

ولنضرب بعض الامثلة .. لنصوص يحتدم حولها الجدل هذه الايام في امور تتعلق بمعاملات الناس واوضاعهم وفنونهم وادابهم ..

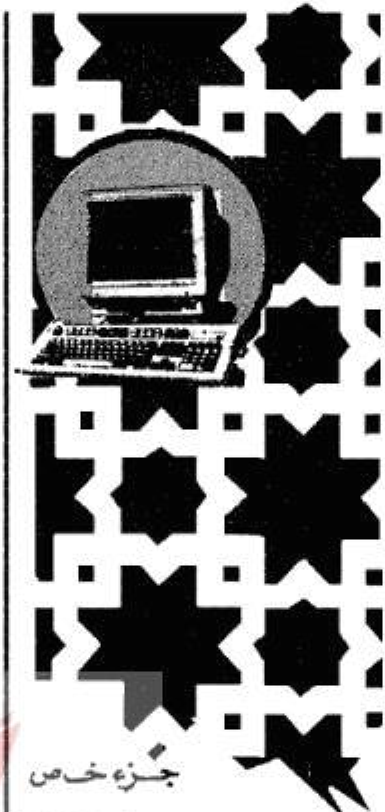
اضرب مثالا بالحديث الذي يقول : «كل قرض جر منفعة فهو ربا» .

واحاديث الموسيقى .. (ابن حزم) .

واحاديث ازياء الرجال والنساء .

والآثار الواردة في عقد الذمة ومعاملة غير المسلمين .

كل هذه النصوص كانت ولا تزال موضوع بحث طويل . والذين قبلوها واعتمدوا عليها توصلوا الى احكام واراء .. والذين ردوها لسبب او لآخر لم يعتمدوا عليها فتوصلوا الى احكام واراء تخالف ما انتهى اليه الفريق الأول .. وفي الحالتين توجه اكثر الجهد الى امور تتصل بالرواية ..



فابن حزم على سبيل المثال بدأ المناقشة فى مسالة الموسيقى والات الغناء بقوله ان المانعين تعللوا باثار اكثرها لا يصح ـ وما يصح منها فلا حجة لهم فيه .. ثم يمضى فى مناقشة طويلة لأسانيد النصوص النبوية التى استندوا اليها وتستغرق هذه المناقشة اكثر الصفحات التى خصصها لمناقشة موضوع الموسيقى والغناء .

وكذلك الشان فى حديث كل قرض جر منفعة فهو ربا .

ويحتار الباحثون المعاصرون ، فضلا عن طالب العلم فى الوصول الى راى علمى فى كثير من هذه المسائل بسبب صعوبة اقتحام ميدان الرواية وفهم اصوله وقواعده .

والآن ماذا يستطيع الحاسب الالكترونى ان يقدم فى هذا الميدان ؟ لنضرب على ذلك مثلا بالتجربة التى اطلعت عليها والتى انجزتها الشركة العالمية فى الكويت وهى جمع صحيح البخارى على تسجيل للحاسب الالكترونى ، إن هذا التسجيل يضم نصوص الاحاديث .. وقد يسر استدعاء تلك النصوص عن طريق معرفة اى لفظ من الفاظها او اسم راو من رواتها ثم هو ييسر استدعاء نصوص تلك الاحاديث ، كما وردت فى الكتب الستة .. كما يتيح تحقيق حال الرواة واحدا واحدا وفقا لما ورد فى شانهم فى كتب الرجال المعتمدة ، كما يتيح معرفة شروح المفردات .. كما يسر استدعاء شروح البخارى المعتمدة وهى شرح العينى وشرح ابن حجر .

وما تم فى شان صحيح البخارى يمكن ان يتم بالنسبة لسائر

كتب الحديث .. وتفاسير القرآن الكريم .

إن الباحث المعاصر يحقق بهذا الجهد امرين كبيرين :

اولهما : حفظ اصول الحضارة فى مصادرها الاساسية .

والثانى : تيسير البحث ونقل الاهتمام تدريجيا من الرواية الى الدراية .

انه يفتح افقا جديدا رحبا امام المفكرين العرب والمسلمين لابداع حضارى جديد لا يعوقه الاحساس المختبىء فى الصدور بالخوف على مصادر العقيدة والشريعة من التحريف والضياع .

ان الحاسب الالكترونى يختصر امام الباحث فى التراث نصف طريق البحث ويدخل على مزاجه النفسى تغييرا جوهريا يتوجه به الى اعمال عقله فى الأمور الثابتة فى مطويات الحاسب ..

وبقى ان نضيف ان الخدمة التى يؤديها الحاسب الالكترونى لا تقتصر على هذا الجانب من جوانب التراث العربي والاسلامى ..

● دور هام للحاسب الالكترونى

ان التراث الحضارى للعرب والمسلمين لا يقتصر ابدا على امور العقيدة والشريعة ، انما نحن امة اتسع عطاؤها الحضارى عبر القرون ليشمل الوانا عديدة من المعرفة .. منها ما يدخل فى علوم الطبيعة والحياة ، ومنها ما يدخل فى العلوم الانسانية .. ومنها ما يدخل فى الفنون والآداب .. ومن الخطأ الكبير حصر التراث فى دائرة التكليف الشرعى وتقرير الحلال والحرام .. ان ذلك البعد «التشريعى» ليس الا بعدا واحدا من ابعاد حضارة العرب والمسلمين .

والحاسب الالكترونى قادر على اداء خدماته فى هذه الميادين كلها .. حتى يستطيع العرب والمسلمون ان ينطلقوا مع العالم فى مسارته الجديدة ، ويسهموا ـ مع ذلك ـ بعطاء خاص يحمل سمات رؤيتهم الحضارية المتميزة .

اننى انبه الى امر لا اراه يحتمل الانتظار .. اننا نحتاج الى توجيه المزيد من شباب العرب والمسلمين وعلمائهم الى تعلم لغة الخطاب الحضارى الجديد ، وهى لغة الحاسب الالكترونى .

وتحتاج الى تخصص اعداد كبيرة من هؤلاء الشباب فى برمجة العلوم والمعارف العربية والاسلامية ..

كما ننبه الى ضرورة توجه الباحثين الى مزيد من الاعتماد على مطويات الحاسب الآلى ، كما اعتمدوا ـ قديما ـ على مرويات الكتب والمؤلفات .

ان هذا الفتح الجديد معلوم للدنيا كلها .. وبقى ان نستخدمه ونتوسع فى استخدامه غير هيابين ولا مترددين وبهذا تكتمل حلقات التوازن الثقافى الذى يسمح لنا بالسير فى موكب الثقافة العالمية التى تتقارب فيها الثقافات الخاصة .. قادرين ـ مع ذلك ـ على تقديم عطائنا المتميز لمسيرة تلك الحضارة ، وهو عطاء نعتقد ان الناس لم يكونوا ـ قط ـ محتاجين اليه ، حاجتهم اليه فى هذا الزمان .



جزء خاص

أساليب الخط العربى فى الكمبيوتر

فى بداية الاسلام كانت الكتابة تقارب شكل اسلوبين من الخط ، الاول ذو خطوط حادة وسمي فيما بعد بالكوفي ، والآخر مرن سمى بالنسخي ، وأعطى هذان الاسلوبان فيما بعد كل الاساليب الاخرى ، وتعدد ظهور الاساليب يعود الى عدة عوامل منها :

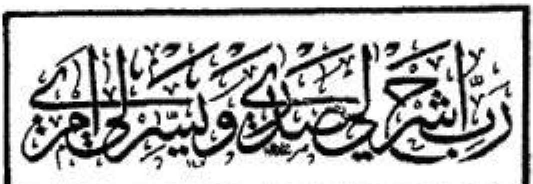
- الرغبة في المحافظة على نص القرآن بنسخه فى كل أطراف العالم الاسلامى مما اعطى أساليب مختلفة وبسبب تنوع طبيعة الشعوب الاسلامية كابتكار الخط الفارسي في ايران والخط الديواني فى تركيا ، ووجود طرق للكتابة فى بعض البلدان قبل الاسلام مما أثر تقنياً على الكتابة العربية كاستعمال الفرشاة للخط في الصين مثلا .

- تطويع الخط للمساحات والمواد المعمارية ، ساهم فيتعدد الأساليب

- التطور الحضارى الذى تطلب ابداع اساليب خاصة لبعض الحاجات المعينة كخطوط الدوائر للعامة أو خطوط الرسائل للملوك والخط المستعمل فى رسائل الحمام الزاجل ... الخ .

وان توجد اساليب كثيرة يصعب حصرها بسبب عدم وجود دراسة كاملة فإن الاساليب المنتشرة والمستعملة بكثرة فى العالم العربى الاسلامى يمكن ان تعد بعدد الاصابع وسنذكر بعضها لاحقاً .

- بالإضافة إلى خط



الكوفى ، النسخى ، الفارسى ، والديوانى السابق ذكرهم تم إبتكار بعض التأثيرات التى يمكن إضافتها إلى الخطوط مثل التظليل والتفريغ والخط المزخرف .



برنامج القرآن الكريم

إستغل "برنامج القرآن الكريم" قدرات الحاسب للتعامل مع النص القرآنى الشريف ، فى محاولة لتسخير التقنيات الحديثة لخدمة ديننا الحنيف .

ويقدم البرنامج خدمات متكاملة فى كيفية الاستفادة من النص القرآنى فهو قادر على عرضه بالرسم العثمانى ووفقا لقواعد الضبط المتعارف عليها . وذلك اضافة الى استرجاع اى سورة او اية بطرق مختلفة .

ويتوفر فى البرنامج إمكانات متطورة فى البحث على مستوى الكلمة أو على مستوى الموضوع ، حيث يمكنك الحصول على اى معلومة بسهولة ودقة . ويحتوى البرنامج على شرح موجز لغريب مفردات القرآن وذلك لتعريف المسلم بمعانى الآية القرآنية وفهم الحكمة من نزولها . كذلك هناك اقسام تقدم معلومات شاملة عن السور القرآنية وأسمائها ومكان نزولها . إضافة إلى المراجع العلمية والكتب الموثقة . كما يشتمل البرنامج على قسم خاص لتسهيل تحفيظ النص القرآنى للطلاب وعلى مستويات متدرجة ويعتبر البرنامج منهلا ومرجعاً شاملاً لتثقيف المسلم وإحاطته بما يحتاج من معرفة عن القرآن الكريم .



جزء خاص

العرب فى عصر المعلومات

بقلم : د. حازم الببلاوى

عصر المعلومات ليس اكتشافا او اختراعا جديدا ، ولكنه حصيلة التطور لتاريخ البشرية وتتويج لسيطرة الانسان على بيئته .

" فى البدء كانت الكلمة " هكذا علمتنا الاديان السماوية والتى كانت ارضنا مهبطا لها ، وكانت "اقرأ باسم ربك .." اول ما انزل على النبى من كتاب الله . فبالكلمة والقراءة يتصل حاضرنا بتراثنا . واذا كانت الكلمة مكتوبة ومقروءة ومنقولة هى جوهر المعلومات ، فإن تاريخ البشرية كله يحكى قصة الانسان مع الكلمة حتى دان لها العالم . وقد تطورت قصة الانسان مع ظهور اللغة ثم اكتشاف الكتابة الى اختراع الطباعة واخيرا وفود عصر المعلومات بروافده المتعددة فى الاتصالات ونشر الكلمة مطبوعة ومصورة وناطقة .

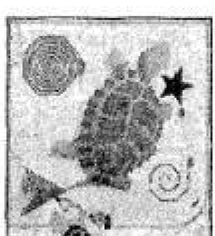
مع ظهور اللغة عرف الانسان انسانيته وظهرت الجماعات الاولى ، وكانت اللغة فى شكلها الأول ـ ورغم بدائيتها وفقرها ـ ضرورية لحياة الجماعة فى مرحلة الصيد والقنص ، ومع اكتشاف الكتابة استقرت الجماعات مع ظهور الحضارة الزراعية وبداية العمران ، وبها تضاعفت ذاكرة الجماعة وتواصلت خبراتها . ثم جاءت المطبعة لتفتح الطريق امام الثورة الصناعية بعد أن مهدت لها الثورة العلمية . وها نحن ندخل عصرا جديدا للمعلومات تكاتفت عليه التطورات العلمية والتطبيقية فى مجالات الاتصالات والالكترونيات والحواسب الالكترونية ، وبها تفتح صفحة جديدة فى تاريخ الانسان لنبدأ مرحلة ما يسمى بالثورة المعلوماتية .

وليس هنا مجال التفصيل فيما اضفته هذه الثورة الجديدة على تطور الحياة الاجتماعية والاقتصادية او التعرض لجوانب التطبيقات المتعددة لهذه الثورة فى المجالات المختلفة وخاصة فى وطننا العربي . فهذا كله ـ وان كان بعضه معروفا ـ فإن نخبة من

المحاضرين والمحدثين سوف يتعرضون له فيما يلى هذا من محاضرات او مناقشات . ولعلى اكتفى فى هذه العجالة بالاشارة الى اتجاهين عامين صاحبا ويصاحبان هذه الثورة المعلوماتية ، الاول الاتجاه الى العالمية وتخطى الحدود ، والثانى غلبة الفكر والخدمات الانسانية وتجاوز قيود المادة والطاقة . وبطبيعة الاحوال فإنه يرد على هذين الاتجاهين من الحدود والقيود ما يخفف من اطلاقهما ، ويظل مع ذلك الاتجاه العام صحيحا .

● ثورة المعلومات

واذا كان ثمة اتجاه فى تاريخ البشرية – رغم صعوبة استخلاص قوانين تاريخية – فإنه يبدو ان العالم يتجه نحو مزيد من التقارب والتداخل بين مختلف اجزاء المعمورة من ناحية ، وبين مزيد من سيطرة الانسان على الطبيعة وتلاؤمه معها من ناحية أخرى . والأمران – فيما يبدو – ليسا منفصلين ، فأحدهما يستدعي الآخر ويدعمه . وقد استمر الانسان فى صراعه مع المكان يجوب الارض وتنتقل فيه البضائع من مكان لآخر ، وهو يحقق النصر تلو الآخر فى اخضاعه لسطوة المكان والزمان حتى جاءت الثورة المعلوماتية فنقلت العالم اليه – أو صورة منه – وهو فى مكانه ، وامتد وجود الفرد – عبر وسائل الاتصالات ونقل المعلومات – ليشمل المعمورة بأكملها أو اجزاء كبيرة منها ، وهكذا كاد ان يتحقق للانسان حلمه فى اخضاع سطوة المكان ، وتوفر له – من مكانه المحدود – القدرة على مخاطبة والاستمتاع ومناقشة كافة أطراف



المعمورة ، واتسع بذلك وعى الفرد وخياله فلم يعد محدودا بحدود معنوية أو سياسية ، وانما امتد لكافة المعمورة أو معظمها . وساعدت التطورات التكنولوجية الاخرى فى هذا التطور . فالصناعة خرجت من حدودها الاقليمية ، لتصبح فى الغالب من الاحوال – صناعة عالمية تحصل على مستلزماتها الانتاجية من مختلف اجزاء المعمورة ، وتسوق على مستوى العالم أو معظمه . ولم تعد تجارة العالم مقصورة على تبادل السلع كاملة الصنع ، او مبادلة سلع كاملة بمواد اولية ، وانما اصبح الجزء الاكبر من التجارة العالمية هو لسلع نصف مصنعة أو مكونات انتاج تتداخل فى انتاج مختلف السلع على مستوى العالم . وتقاربت المواصفات الفنية العالمية . وجاءت الثورة المالية ، فتحررت النقود والاصول المالية من حدودها الوطنية الضيقة ، فتمردت النقود على طبيعتها المادية وتحررت ولم تعد اكثر من مجرد قيود للمديونية . وجاءت الثورة المعلوماتية فاعطتها قدرة هائلة على



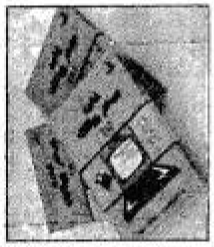
التحرك والانتقال من دولة الى اخرى ، والقفز من عملة الى عملة اخرى عن طريق مجرد اشارات الكترونية . وبالمثل فإن تطور الاسواق المالية جعل الأصول المالية من اسهم وسندات وغيرهما من الاوراق المالية رموزا تنتقل عبر الأثير من بورصة الى اخرى ، بحيث تنتقل الثروات والمدخرات من بلد الى آخر دون أن يشعر احد وبسرعة شديدة . فلم تعد الشركات الامريكية مملوكة لأمريكيين ولا الالمانية لالمان ولم يعد من السهل معرفة اين تكمن ثروات اليابانيين ، وهكذا .

● سباق في التقدم التكنولوجي

وصاحب هذا التطور الى العالمية وساعد عليه ما ارتبط بثورة المعلومات من غلبة للخدمات الانسانية وتراجع لدور الموارد المادية . ولم يقتصر الامر على مجرد تراجع دور الزراعة ثم الصناعة فى الناتج القومى ونسبة العمالة بالنسبة للخدمات ، وانما ظهر ايضا في غلبة الخدمات حتى على اعمال الزراعة والصناعة حيث ظهرت اهمية البحوث العلمية وعمليات التسويق والادارة المالية والتأمين وغير ذلك . كما أن الصناعة بدأت تتجه الى تجاوز العديد من المواد الطبيعية تستخدم بدرجة متزايدة المواد المصنعة Man-Made Materials والتى تتضمن من الفكر والعلم والمعرفة ما يجاوز بمراحل ما تتضمنه من مواد طبيعية . والثورة المعلوماتية وهى وليدة المعلومات قد ارتفعت بالمعلومات الى اعلى مراتب . الموارد الاقتصادية . حقا هناك حاجة دائمة الى تقابل المادة أو الطاقة مع المعلومات ، ولكن الجديد فى الثورة المعلوماتية هو فى الأهمية البالغة التى بدأت تحتلها المعلومات بالمقارنة بالمادة أو الطاقة . وذلك على عكس الاوضاع السابقة وحيث كانت تقدر ثروات الدول بما لديها من موارد طبيعية . والآن فإن ثروات الامم تحسب ما تملكه من قدرات بشرية مؤهلة تمكنها من حسن استخدام مواردها . ولعله ليس من الغريب أن

اكثر الدول تقدما فى العصر الحالى ، هما الولايات المتحدة الامريكية من ناحية واليابان من ناحية أخرى . الاولى تتمتع بوفرة هائلة فى الموارد الطبيعية ، والثانية تتميز بفقر شديد فى الموارد الطبيعية . وفى السباق فى التقدم التكنولوجى لا يبدو أن عجز اليابان فى الموارد الطبيعية يمثل قيدا عليها .

فى هذا العالم الذى بدأ خطواته لمجاوزة الحدود السياسية من ناحية وتخطى قيود المادة من ناحية أخرى ـ اين نقف نحن العرب ؟ هل اعددنا



انفسنا لهذا العالم الجديد الذى لم يعد تحمينا منه حدود او حواجز ، والذى يمكن ـ فى سنوات ليست بعيدة ـ ان يتجاوز مواردنا الطبيعية مالم يكن لدينا حقيقة ما تقدمه فى هذا العالم الجديد . هذا هو التحدى ، ولكنها ايضا الفرص الجديدة التى تتاح لنا .

لقد عرف العرب فى الماضى عبقرية الكلمة ، فكان اسهامهم فى الفن عن طريق الشعر بلوحات من كلمات او موسيقى اللفظ ، وجاء القرآن بمعجزة الكتاب ، وكانت اضافة علماء المسلمين لعلوم الرياضة هى وضع علم الجبر او علم الرموز . وها نحن ندخل عصر المعلومات ، عصر الكلمة والرمز ، فهل يستعيد العرب مجدهم السابق ؟ هذا هو التحدى ، وهو ايضا الأمل .

«الميكروتشيب»

للكمبيوتر القدرة على تخزين المعلومات وتصنيفها والربط بينها ، والمزاوجة بين عناصرها مهما تعددت ، والمتغيرات فيها مهما تكاثرت ، ثم استعادة هذا كله ونقله عبر المسافات دون استهلاك يذكر للزمن ، ما هو مذهل ، فى قطعة صغيرة من السبائك الرخوة تسمى « الميكروتشيب » ، وهى كلمة لم تجد لها المجاميع فى اية لغة ترجمة .

ولاتزيد مساحتها عن بضعة ملليمترات مربعة ، يمكن ان تختزن معلومات تستغرق كتابتها آلاف الكلمات والأرقام ، ناهيك عن أن هذه المعلومات قادرة على اختراق بعضها البعض واختراق ماعداها مما هو مختزن على نحو مشابه ، وعلى بعد الاف الأميال والوصول الى نتائج توفرها هى الاختراقات .

لقد اصبحت المواصلات والكمبيوتر والليزر ، هى الأكثر تاثيرا فى تشكيل المستقبل .

جزء خاص

برامج الكمبيوتر العمود الفقري لصناعات المستقبل

بقلم :
عبد الإله الديوه جي
بغداد



تقنية المعلومات « Information Technology » مصطلح حديث العهد نسبيا يشمل بمحتواه مجمل التقنيات ذات العلاقة بالمعلومات ومعالجتها وأجهزتها وترابطها الواحد بالاخر .

ولم يعد خافيا على اى مطلع ومواكب لهذه الثورة الصناعية الجديدة ان البرامج الكمبيوترية هى العنصر الرئيسى لمجموعة هذه التقنيات وهى بنية اساسية لها جميعا .

● والبرامج « Software » مصطلح يشمل مجموعة الاساليب والبرامج والحلول غير المادية التى يستخدمها الكمبيوتر والبرنامج ، الذى هو بالاساس الوحدة المفهومة للبرامج ، هو طريقة حل للمسألة او ما اصبح يطلق عليها الان خوارزم الحل « Algorithm » نسبة الى عالم الرياضيات محمد ابن موسى الخوارزمى الذى وضع الطريقة الوصفية لحل المسائل فى عصر الخليفة العباسى المأمون فى بغداد .

بالرغم من ادراك الكثير من المعنيين بالتقنيات الحديثة باهمية البرامج والبرمجة ، فإن هذا النشاط لم يحظ فى معظم الدول النامية بما يتجاوز التشجيع الكلامى من الافراد والمؤسسات والحكومات ، ويعود ذلك بدرجة رئيسية لانبهار متخذى القرارات فى هذه الدول بالاجزاء المادية الملموسة من تقنيات المعلومات (اى الاجهزة) لانها اقرب الى مفاهيم الصناعات التقليدية المتعارف عليها فى الاذهان

وقلة الاهتمام بالبرامج فى الدول النامية امر فى غاية الخطورة اذا ما استمر خلال عقد التسعينات ، اذ لاتوجد تقنية تضاهى تقنية البرامج فى الاهمية لانها ستكون معيارا لقياس درجة امتلاك الدول القيادة

والاستقلالية فى تسيير صناعاتها .

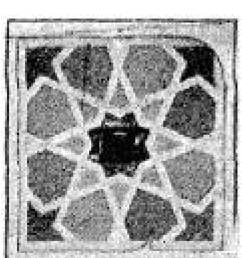
● البرمجة

البرمجة لاتزال مجموعة من المهارات التى يتلمذ عليها « المبرمج » دون التعمق الكافى فى الاسس العلمية المطلوبة لحل المسائل . « فالمبرمج » اشبه بالحرفى الذى يؤدى عمله بمهارة عفوية مكتسبة بعيدة عن النظريات العلمية . وينقص معظم العاملين فى البرمجة الخلفية الاكاديمية النظرية ، اللازمة للقيام بالبرمجة بالشكل الهندسى المقتن ، الا ان محاولات جدية بذلت خلال السنوات القليلة الماضية لاعطاء البرمجة صيغة هندسية قد تحول المهارات البرمجية الى علم برمجى هندسى ، وقد حددت البحوث الحديثة عمل البرامج بمراحل اساسية يطلق على مجملها الدورة الحياتية للبرامج « Software Lifecycle » وتتكون الدورة من :

- تحليل الاحتياجات
- تصميم النموذج الريادى السريع
- تقويم المستفيد للنموذج
- التصميم التفصيلى
- التنفيذ
- التشغيل
- الصيانة

وقد ظهرت خلال السنوات القليلة الماضية العديد من ادوات البرمجة التى تساعد المبرمج على القيام بواجبه بانتاجية اعلى ويطلق عليها « Computer Aided Software Engineering »

وتتجه البرامج حاليا نحو انظمة التشغيل القياسية المفتوحة التى لايقتصر تشغيلها على نوع محدد من الاجهزة وكذلك بالنسبة للبرمجيات التطبيقية .



● المؤشرات الاقتصادية للبرامج

وقد بينت دراسات تكلفة المعدات الالكترونية مقارنة بتكلفة البرامج فى الولايات المتحدة الامريكية للفترة ١٩٨٠ لغاية ١٩٩٠ انه من المتوقع ان تشكل تكلفة البرامج من مجمل كلف مشاريع الحواسب اكثر من ٨٥٪ من حلول عقد التسعينات .

اذ بلغ مجموع الانفاق فى مجال البرامج فى الولايات المتحدة الامريكية بكافة قطاعاتها ١٢٠ بليون دولار عام ١٩٨٠ بينما بلغ مجموع الانفاق فى نفس هذه القطاعات ٢٢٠ بليون دولار عام ١٩٨٦ وشكل هذا الرقم ٥٪ من مجموع الدخل القومى الامريكى عام ١٩٨٦ ومن المتوقع ان ترتفع هذه النسبة الى ١٠٪ خلال التسعينات .

وقد بلغ عائد البرمجيات من مجمل صادرات الهند فى الصناعة الالكترونية عام ١٩٨٢ مايعادل ١٢٪ من مجموعها البالغ ٨٩ مليون دولار . ومن المتوقع ان تبلغ عوائد البرمجة والبرمجيات مع بداية التسعينات فى الهند



مايقارب ٣٠٠ مليون دولار .

● البرامج فى البلدان العربية

لقد تخلفت معظم البلدان النامية ومن ضمنها البلدان العربية عن ركب الثورة الصناعية وتخلفت هذه الدول ايضا عن الثورة الاولى لتقنية المعلومات التى مر بها العالم المتقدم فى الستينات والسبعينات . مهدت هذه الثورة الارضية اللازمة فى العالم المتقدم لقيام الثورة الثانية لتقنية المعلومات المتمثلة بانتشار الحاسوب الشخصى وتطبيقاته فى احصائية نشرت اخيرا عن مبيعات الحاسب الشخصى تبين ان حصة كل الف نسمة من الحواسب الشخصية فى دول مثل فرنسا وبريطانيا يبلغ اكثر من ٢٠ حاسبا لكل ١٠٠٠ نسمة وفى ايطاليا اكثر من ١٥ حاسبا لكل ١٠٠٠ نسمة ، وعلى مستوى سكان العالم يبلغ عدد الحواسب الشخصية ٣ لكل ١٠٠٠ نسمة .

مثل هذه الاحصائيات غير متوفرة فى البلدان العربية ، الا ان المتفق عليه ان المملكة العربية السعودية لها الحظ الاكبر فى انتشار الحواسب الشخصية ومن المقدر ان العدد الحالى لمثل هذه الاجهزة يتراوح مابين ١٥٠٠٠ الى ٢٠٠٠٠ حاسوب فهل ياترى تصل نسبة الحواسب الشخصية فى اى بلد عربى الى ٣ لكل ١٠٠٠ نسمة ؟

ان احصائية اعداد الحواسب قد تبدو للوهلة الاولى انها مؤشر غير معبر بما فيه الكفاية عن النشاط فى مجال البرامج الا انه ليس كذلك اذا ما علمنا ان تكلفة هذه الاجهزة يجب ان يواكبها ٣ اضعافها بالنسبة للبرامج ، وان وحدات انتاجية لمثل هذه البرمجيات ليست متوفرة فى البلدان العربية بشكل واسع .

مازال نشاط البرمجة فى معظم البلدان العربية مقصورا على مراكز الحواسب التقليدية فى بعض المؤسسات الحكومية ولايوجد دور يذكر فى مجال البرامج للقطاع الخاص مثل ماموجود فى البلدان المتقدمة فالبرمجة فى

الوطن العربي لازالت حرفة علوية وليست صناعة ومازال العمل في مجالها رهنا بالشد مابين العرض والطلب وبدون شك فان الطلب في المجتمعات النامية لايمثل بالضرورة حراجة الحاجة ، ويمكن مقارنة ذلك بالمريض الذى لايعلم بمرضه او المريض الذى يرفض تناول الدواء .

● البرامج والمستقبل

لاتوجد تقنية تعتمد على البيئة الثقافية والاجتماعية قدر تقنية المعلومات عموما والبرامج على وجه الخصوص . ذلك لان البرامج تعبر عن اساليب عمل مرتبطة بكيفية قيام الوحدات الاجتماعية والاقتصادية باعمالها بأسلوب منطقي متسلسل .

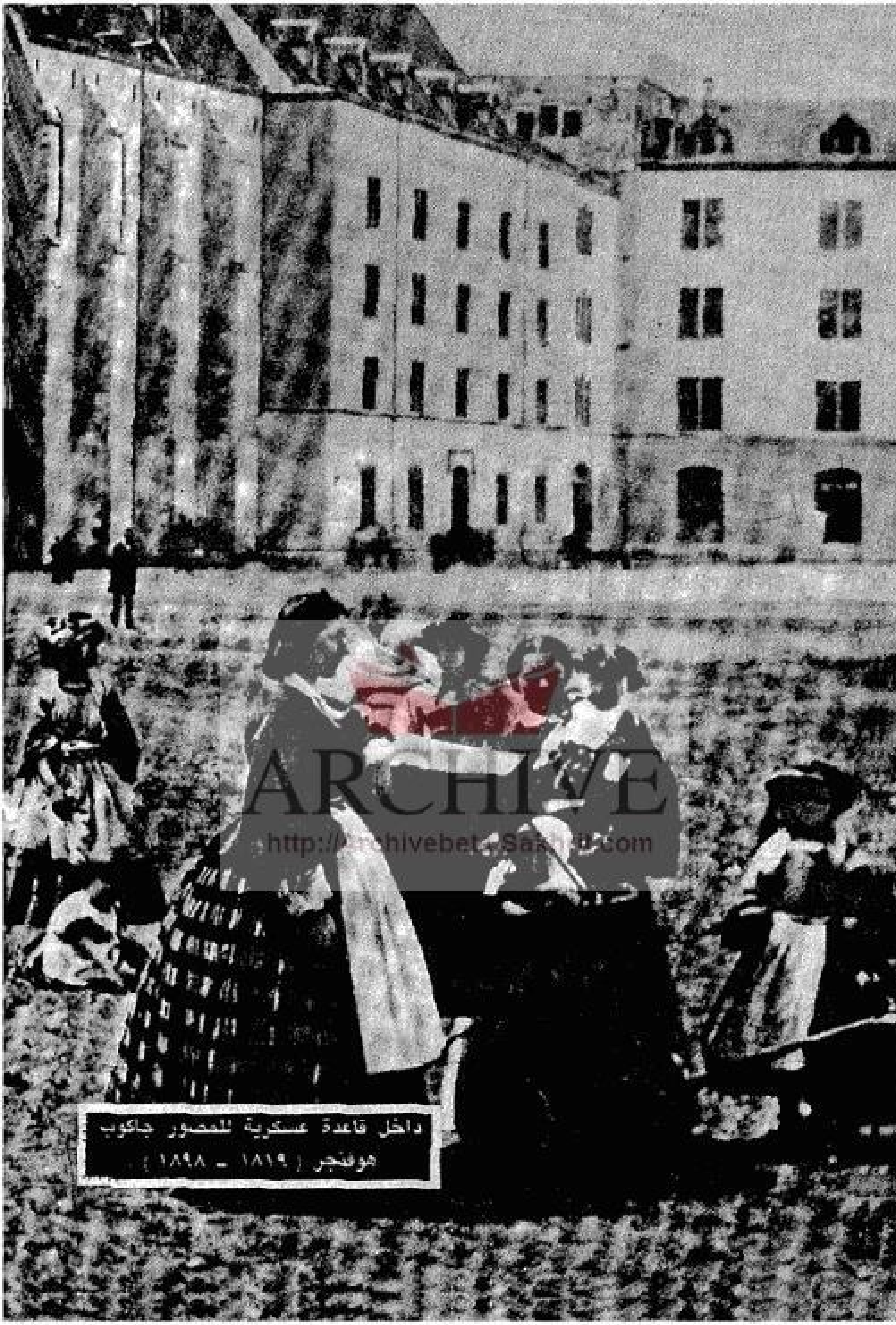
وبسبب هذا الترابط اصيبت معظم المحاولات لتوريد البرامج التطبيقية الجاهزة للنظم الادارية والحسابية وحتى الصناعية الى الدول النامية بالفشل ، اما نجاح بعض المحاولات الضيقة في تطبيق الحزم الجاهزة فقد كان على حساب التخلي عن اسس ومعايير وسلوكيات محلية وتاتى اللغة الام فى اول قائمة التضحيات .

والبرامج عموما والبرامج التطبيقية على وجه الخصوص يجب ان تولد وتترعرع ضمن المجتمعات المتجانسة حضاريا . والوطن العربي رقعة جغرافية غير صغيرة له خصوصياته اللغوية والحضارية التى تبرر قيام وحدات انتاجية فيه لصناعة البرمجيات

من العوامل الاساسية التى تعوق انتشار صناعة البرامج فى الوطن العربى غياب الترابط المصيرى مابين هذه التقنية والحاجة الاجتماعية والاقتصادية المباشرة ، فلا يكفى ان نشجع تقنية ما لانها ظاهرة حضارية سبقتنا فيها امم اخرى .. ولايكفى للحكومات ان تخصص المبالغ الضخمة فى ميزانياتها السنوية لشراء الاجهزة والمعدات دون الانتباه الى البنى الارتكازية التى تعتمد على القوى البشرية المدربة والبرامج اللازمة التى هى بالاساس النتاج الفكرى للعاملين على تصميم وبرمجة الانظمة .



والبرامج صناعة لاتحتاج الى استثمارات فى معدات واجهزة مستوردة باهظة التكاليف بل تعتمد على الموارد الفكرية البشرية وهذا الاعتماد يتطلب التحضير التربوى والتعليمى المسبق لجيل من الخريجين فى الاختصاصات العلمية ذات العلاقة يمكنهم التعامل مع اساليب لحلول المسائل وتصميم النظم تختلف الى حد كبير عن الاساليب التلقينية المتبعة حاليا فى (البلدان العربية) وعلى الحكومات العربية رعاية هذه التقنية الجديدة من خلال تشجيع انشاء مشاريع صغيرة ومتوسطة فى القطاع الخاص ومشاريع كبيرة متخصصة على مستوى مشاريع وطنية او عربية مشتركة بدون هذه الاجراءات من المؤكد ان تصاب محاولات الدول العربية بنفس الاخفاقات التى اصيبت بها مسيرة التنمية الصناعية التقليدية فى الوطن العربى فى العقود الثلاثة الماضية .



داخل قاعدة عسكرية للمصور جاكوب هونجر (١٨١٩ ـ ١٨٩٨)

جولة المعارض

بقلم: محمود بقشيش

بانوراما التصوير السويسرى

قد لانكون مبالغين إذا قلنا إن هذا الموسم هو موسم فن " التصوير الفوتوغرافى " .. فبعد ان كانت معارض هذا الفن قليلة أو نادرة ، بلغت هذا الموسم حداً لايستطيع الناقد المتابع ملاحقته ، مما يدعونا ، من جديد ، من خلال منبر " الهلال " إلى الدعوة إلى التعجيل بانشاء مجلة متخصصة لمتابعة وتقويم الأحداث التشكيلية الهامة ، وتسجيل الوقائع الفنية فى مصر والعالم .

● وفى سياق الانتفاضة " الفوتوغرافية " أقام مجمع الفنون " معرضاً لفن التصوير السويسرى منذ عام ١٨٤٠ حتى اليوم ، ضم ثلثمائة صورة فوتوغرافية ، لأكثر من ١١٧ مصوراً . ونظراً لأن اللحظات الزمنية المسجلة كانت عبر نحو قرن ونصف القرن ، فمن الطبيعى أن نلتقى بكل أساليب فن الصورة " الفوتوغرافية " ؛ نلتقى بالصورة التاريخية والعلمية ، والاجتماعية ، والصحفية ، والصورة الفنية الخالصة . إن " الكاميرا " شهوانية بطبيعتها ، لاتعترف بالمحظورات .. لكن لكونها - فى معظم الأحيان - تابعة لعين فنان ، فإنها تتبع وجهة نظره ، أو فلسفته ، أو مذهبه الفنى . لهذا نلتقى فى المعرض مع الصورة الرمزية ، والتعبيرية ، والسيريالية ، والتجريدية .. و " الصورة الطائرة " - على حد تعبير المستقبليين - ولقد أبدع عدد من فنانى السيريالية فى مجال الصورة " الفوتوغرافية " ابداعات لاتقل عن ابداعاتهم فى مجال الرسم ، منهم - على سبيل المثال - الفنان "مان راى" .

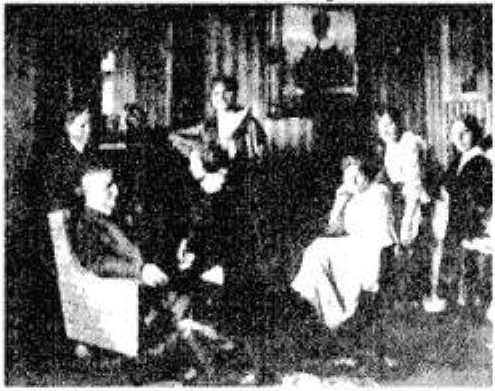
إن الصورة ، لكونها سجلاً ، لوقائع

جولة المعارض

حقيقية .. تحرك في نفس متأملها ـ خاصة إذا كانت تلك الوقائع قد صارت في ذمة التاريخ ـ تداعيات روائية ، تتجاوز حدود اللحظة الخاطفة . المسجلة .. إلى تأمل مصير الانسان . وأحب الآن أن أقدم للقارىء الكريم قراءتي لعدد من الصور ، ولم أخترها لأنها الأفضل ، بل لأنها تركت في نفسي أثراً عميقاً . أول هذه الصور للمصور " جاكوب هولفلينجر " ، وقد عاش في الفترة من " ١٨١٩ حتى ١٨٩٨ " ، والتقطت الصورة عام ١٨٦٠ ، أي في بدايات هذا الفن . وعنوان الصورة : " في فناء ثكنة عسكرية " .. وتمثل مجموعة من السيدات والاطفال يحيطون برضيع محمول في عربة صغيرة ، ويشكلون معاً كُتلة متماسكة صلبة ، يزيدها صلابة ذلك الاتساع الكبير للفناء الذي ينتهي بثكنات الجنود وجدتني أتساءل : أين غابت تلك اللحظة ؟.. أين غاب ذلك الشموخ الذي يتبدى في وجه ، ووقفة الأم ، بل أين غاب ذلك الرضيع الذي ينظر إلى " الكاميرا " ببراءة ؟!.. إن هذا الرضيع ـ أصغر الموجودين في الصورة عمراً ـ أكبر من جدّي !

الصورة بسيطة التكوين ، تنتمي إلى المحاولات الأولى ، غير أن الزمن قد أعطاها بعداً جديداً ، وعميقاً ، وحتى عندما ترتفع القيمة الفنية في الصورة ـ كما في صورة " أسرة صاحب مصرف " ـ فإن الزمن لايتخلى عن سطوته في التأثير . والصورة تمثل أسرة في جلسة دافئة ، هادئة ، كل من فيها ينطق بالصحة والجمال .. كان ذلك في اللحظة المسجلة عام ١٩١٧ للمصور " ارنست لينك " .. وتبدو آثار الاضاءة " الرمبرانتية " ـ نسبة إلى رمبراندت ـ واضحة . تساءلت معها : أين ذهبت تلك اللحظة ؟.. ما الذي حلّ بتلك الاسرة ؟!.. ماهو مصير تلك الجميلة . الصغيرة . التي تلمس يد والدها ؟!.. وينشغل المصور " ماكس ماتيس " ـ ١٩٣٢ ـ بالزمن ، وما يحدثه من تحولات ، فقدم مجموعة لحقل من الحقول ، وكما فعل الفنان التأثري " مونيه " في تعقب آثار ضوء الشمس على كومة من القش ، تابع "ماكس ماتيس " تحولات الفصول في ذلك الحقل ، وكان اللون ضرورة تعبيرية ، أتاحها ظهور الفيلم الملون ، وينقلنا الثنائي " إميل سيلتيس وإميل سبوهلر " إلى مستوى من التأمل مغاير للأجيال السابقة ، في لوحتهما المشتركة المتتابعة ، لرصد حركة الشمس عبر أربع وعشرين ساعة ، كانا يلتقطان صورة لها كل ساعة ، وأطلقا على لوحتهما المشتركة عنوان " شمس منتصف الليل " !..

جلسة عائلية للمصوّر " ارنست لينك " (١٨٧٤ ـ ١٩٦٣) م



● ديانا جانسكى .. وموسيقاها المرئية !

تتخذ الفنانة الامريكية " ديانا جانسكى " من " الاشياء " المجردة أدوات للتعبير عن مشاعر انسانية مرهفة . مموسقة . همسية . وتضع عناوين لاعمالها الفنية اقرب ما تكون إلى عناوين قصائد مثل : " طيور على جناح الجنة " ، " ذكريات عن باتريشيا " " طيارات مارجريت " .. ومفردات ذلك العالم الشعرى والموسيقى منسوجة من مقاطع خشبية مهندسة ، ومتنوعة طولاً ومساحة ، وملونة بالاصباغ ، وتشترك الكشافات الضوئية فى تشكيل مقطوعاتها الفنية المعبرة .

إن تلك المفردات ـ بطبيعتها ـ لاتستهدف إيجاد وقائع وصفية لتلك العناوين ، بل اختارت من المفردات ما اعانها على أن يبقى التعبير فى منطقة التلميح والايحاء الخفى ، بدلاً من الاعلان الايضاحى . ورغم ذلك فقد لاحظت انها عند وصفها لتكوين من تكويناتها ، استخرجت منه تداعيات روائية ، لاتبررها إيحاءات التكوين !.. وربما كان سبب الاختلاف بين المبدع والمتلقى ، هو الالتصاق الحميم للمبدع بكل مراحل وملابسات عمله الفنى ، وينسى عند الحديث عن عمله الفنى ، الخطوط الفاصلة بين ماسمح لنا بمشاهدته ـ أى عمله الفنى ـ وبين ما أخفاه فى الذاكرة من محظورات !

على الرغم من المساحات الضخمة التى احتلتها بعض تلك التكوينات ، فإنها تتسم بكثير من الاناقة الانثوية التى لاتخلو ـ بطبيعة العصر ـ من القلق والخوف والشعور بالغربة !.. ويتضح ذلك أكثر فى رسومها الملونة بالالوان الزيتية ، وخاصة بالدور المثير الذى قام به عنصر " الضوء " .. والمغاير للضوء الكشافى . الخارجى . الذى استخدم مع " المجسمات " .. فالضوء فى لوحاتها كان ضوءاً بركانياً . عاصفاً . تواجهنا تباشيره ، وآثاره .. فى الحوافى الذى تلامسه . وهى تقف بنا عند لحظة البداية ، وتترك لنا توقعات مقلقة لما ستصنعه تلك البراكين مع تلك الكثبان القاتمة ، وغير المأهولة !

إن الفنانة " ديانا جانسكى " فنانة متجولة ، ومتنوعة الثقافة ، فقد درست الموسيقى الكلاسيكية على آلة البيانو ، كما درست الفنون الجميلة ، والفنون التطبيقية ، ودرست دراسات متعمقة فى تاريخ الفن ، والطريف انها تعلمت اللغة الايطالية فى باريس .. بينما لم تتعلم اللغة الفرنسية !

● فنانة الحلى .. إحسان ندا

احتل فن الحلية ، فى السنوات الأخيرة ، وبجهود مبدعية مركزاً مرموقاً فى معارض الفن ، وإن لم يحصل بعد ، على الاعتراف الرسمى الذى يجيز اشتراكه فى المسابقات التشكيلية .. ومع ذلك ، فبعد أن كان ينظر إلى هذا " الفن " باعتباره سلعة ، مكانها الوحيد

تكوين لوبى للفنانة ديانا جهانسكر



هو " فاترينات " بائعي الجواهر .. فقد عُدَّ من الابداعات الفنية التي تستحق أن تقام لها المعارض الخاصة بقصد التذوق أولاً .. وتألقت أسماء ، وظهرت أساليب متنوعة .. من بينها الفنانة " إحسان ندا " التي أقامت معرضها الأخير بالقاعة رقم " ٤ " بمجمع الفنون . قدمت مجموعة متنوعة من الحلي والاساليب . يجمع معرضها بين جانبين : أولهما : الميل إلى الاستنساخ والدراسة ، وثانيهما : استلهام التراث الفرعوني والإسلامي والقبطي والشعبي ، واتسم كلاهما بدقة التنفيذ ، ورقة المظهر . وذكرت لي أن مستنسخاتها الفرعونية قد قوبلت بحفاوة في معارضها الخارجية مما شجعها على المزيد من المضي في هذا

الطريق . وأنا هنا ، وإن كنت أشارك متلقيها اعجابهم بتلك المستنسخات .. غير أنني أخشى أن تُستدرج الفنانة إلى دائرة الاستنساخ ، وأن ترضى بدور " الصانع الماهر " ، كما أخشى أن

هليني . الفنانة احسان ندا



جولة المعارض

تتصور أن مجرد اقتلاع وحدات زخرفية من ملابساتها التراثية ، والتاريخية ، ووضعها في سياق تزييني كفيل بأن يمنحها هويتها .. إن على الفنانة " إحسان ندا " أن تتجاوز دائرة الاستنساخ ، والتعامل " الآلى " مع التراث .. حتى لا ترجح ، لديها ، كفة " الصانع الماهر " على كفة " المبدع " الحريص على ابداع أسلوب شخصى ، متفرد ، موصول بالتراث الانسانى .

والفنانة " إحسان ندا " قد تخرجت في كلية الفنون الجميلة قسم " الديكور " عام ١٩٦٥ ، وعملت بالتليفزيون بالرسوم المتحركة ، وحالياً في منحة تفرغ من وزارة الثقافة .

● نعيمه الشيشيني .. واستلهام الحرف العربى

أقامت الفنانة " نعيمة الشيشيني " معرضاً شاملاً ضم مراحلها الفنية خلال عشرين عاماً . والفنانة من القلائل الذين أمكنهم الجمع بين فن الرسم والبحث النظرى المنهجى ، ودار بحثها في رسالة الماجستير والدكتوراه حول محور رئيسى هو الفن الإسلامى . وقد كان لتلك الدراسات أثرها على اسلوبها الفنى وهو اسلوب شخصى متميز .

على الرغم من تعدد مراحل الفنانة ، فإن مرحلتين أو ملمحين رئيسيين يمثلان ركائز اسلوبها الفنى اتسم الملمح الأول ـ الذى تمثله لوحات البداية ـ بالحركة الناعمة ، وكانت أشبه بغلالات وردية ، ذات مذاق أنثوى ، قبل أن تنقلب على نفسها ، وتستلهم الممكنات التعبيرية والجمالية للفن الإسلامى ، وقد اختارت من ايحاءات الحروف والكلمات نسيجاً يلقى في النفس مشاعر الابتهال . أما ألوانها فتتسم بالصراحة والصفاء ، وأقرب إلى صفاء الزجاج المعشق ، والمزججات وألوان الفسيفساء . يتسم أداؤها بالتلقائية المشرقة .

تقول الفنانة " نعيمة الشيشيني " عن معرضها : إنه تجربة في التركيب اللونى ، والايقاع الشرقى ، حيث يتناغم اللون في حركة دائمة ، وتتشابك العناصر وتتداخل في تفاعل داخلى ، حيث تبدو " الديناميكية " تارة و " الاستاتيكية " تارة أخرى في أرجاء العمل الفنى .

يوسف حنا

● محمد شاكر .. وفسيفساء الغد

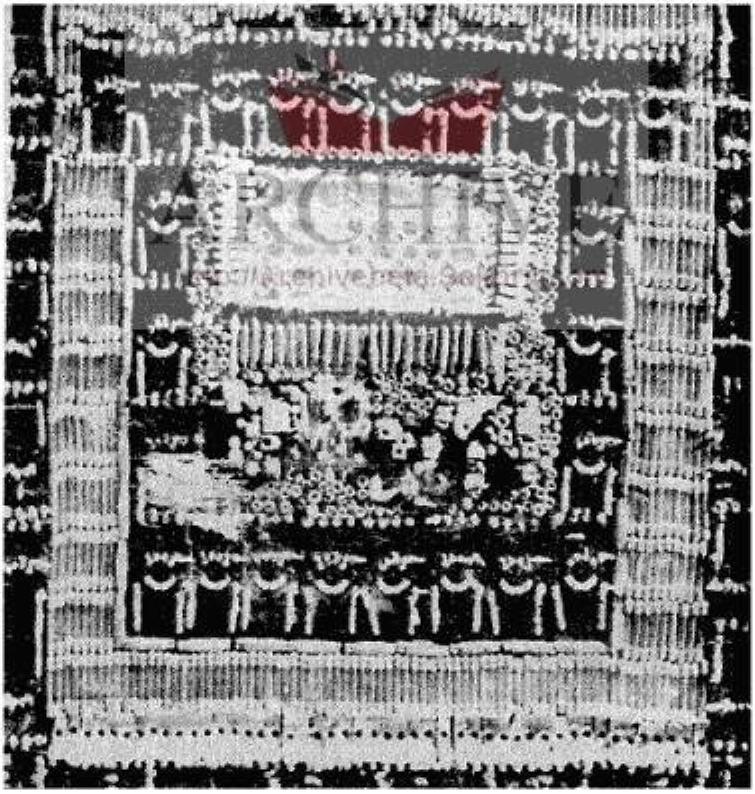
أقام الفنان السكندرى " محمد شاكر " معرضاً لاعماله في مجال " الفسيفساء " ، والمعروف ان الفنان " شاكر " من الفنانين المرموقين في فن اللوحة المرسومة ـ أو فن التصوير ـ كما يشاع خطأ ـ وأطلق على معرضه عنوان : " فسيفساء الغد " .. ولم أكن أعلم انه قد اتخذ من الفسيفساء وسيطاً جديداً إلا منذ عام تقريبا ، ونفذ ، قبل ذلك ، أعمالاً

جدارية من الفسيفساء فى عدد من المواقع السياحية . وعندما التقيت به ، فى قاعة المعرض بالمركز الثقافى الفرنسى بالمنيرة ، بادرنى بالاجابة عن سؤال لم اقله بما معناه : إن فن " اللوحة المرسومة " هو الاساس عنده ، وقد اتجه إلى هذا الوسيط لضرورة تربوية .. أى لتعليم طلبة كلية الفنون الجميلة بالاسكندرية هذا النوع الفنى .

إن خامات الفسيفساء المختلفة حجماً ، وشكلاً ، ومادة ، وملمساً .. تفرض نسقاً فى الانشاء ، والتعبير ، يتناقض مع طبيعة اللوحة الزيتية ، وعندما حاول أن يفرض عالم " اللوحة المرسومة " على عالم الفسيفساء ، فى بعض اللوحات ، جاءت النتيجة متسقة نوعاً ما على النقيض من اللوحات التى ترك فيها خلايا اللوحة ، أو وحداتها المجسمة ، تشكل نسيجها المتماسك ، مثل اللوحة التى تكونت من كسر أوانى الشاى ، بألوانها البنية والصفراء ، وخلقت تضاريس متنوعة ، وممتعة للعين ، وكذلك تلك اللوحة التى تشكلت من القواقع والأصداف والزلط والمحار ، وجذبتنا إلى حلم فى قاع البحر .. كما قدم لنا بعض اللوحات الوصفية لزخارف الملابس البدوية .

إن الفسيفساء ، ككل الابداعات التشكيلية ، لها غد .. ومن هذه الزاوية .. فإننا نؤيد الفنان فى بحثه عن ملامح هذا الغد ، ولابد من المحاولات .. حتى ولو لم تكن كافية !

بدويات للفنان محمد شاكر (الخامات المستخدمة بقايا اجهزة كهربيه وصينى)



• صلاح عناني .. والفن الجهير

أقام الفنان " صلاح عناني " معرضاً ، بقاعة أتيليه القاهرة ، لآخر أعماله . واختار لنفسه طريقاً ، وأسلوباً ، استطاع أن يعبر به أصدق تعبير عن الروح الشعبية المصرية . إن فنه ينفر من الاستعلاء ، ويحتفل بالبساطة والطرافة ، لهذا تشع بجاذبية ، وقدرة على النفاذ إلى القلوب ، بيسر شديد . إن لوحاته تدعونا دائماً إلى حب الحياة ، والتعلق بالمسرات الصغيرة . لا مكان في لوحاته إلا للبشر في أحوالهم المختلفة ؛ في الشارع والبيت . ولذا مال الفنان أكثر ، إلى تصوير الشوارع ، باعتبارها مسارح لعروض يبدعها الناس . ولقد أفرزته سنوات عمله بمؤسسة " روزاليوسف " مع كبار فناني " الكاريكاتير " ، بانتهاج أسلوب يوظف " الكاريكاتير " في التعبير التشخيصي الطريف ، للشخصيات المرسومة . إن لوحاته تكاد تطلعنا على مشاهد مسرحية ، تقدم موضوعات ، وشخصيات له رأي فيها ، وتحرك لدينا تداعيات قصصية . فلوحة " الزفة " – على سبيل المثال – تمثل زفاف واحد من أهل الحارة ، محمول مع عروسه في عربة " حنطور " ، وتحيطهما من كل جانب كل ألوان الفئات المتوالفة من سكان الحي . ولو

الزفة .. لوحة للفنان صلاح عناني



جولة المعارض ٧٢

تأملنا كل شخصية من الشخصيات المرسومة فإننا نكتشف آثار أوضاعها الاجتماعية الطاحنة تتجلى فى ملامحها ، ومظهرها ، ونكتشف أيضاً تماسكها عبر قدرتها على المشاركة فى صنع البهجة . وتشارك لمسات ، وألوان الفنان مشاركة فعالة ، ومتسقة ، فى صنع هذا الجو المشرق .. فكما ينفر عالم لوحاته من الاستعلاء والافتعال ، تنفر أيضاً لمساته من الأناقة المدرسية ، ففيها صراحة ، تشاركها فى ذلك ألوان دافئة . إن " فن " " صلاح عنانى " ينتمى إلى المدرسة المصرية ، وبالذات .. إلى عدد من أبرز مبدعى تلك المدرسة ، وأعنى بهم : محمود سعيد وراغب عياد وعبدالهادى الجزار وندا ، وإن كنت أزعم أنه أكثرهم اقتراباً من الروح المصرية ، ولم يكن من باب المصادفة أن ينتشر هذا الانتشار العريض بين متذوقى فن اللوحة ، وغير المتذوقين على السواء .

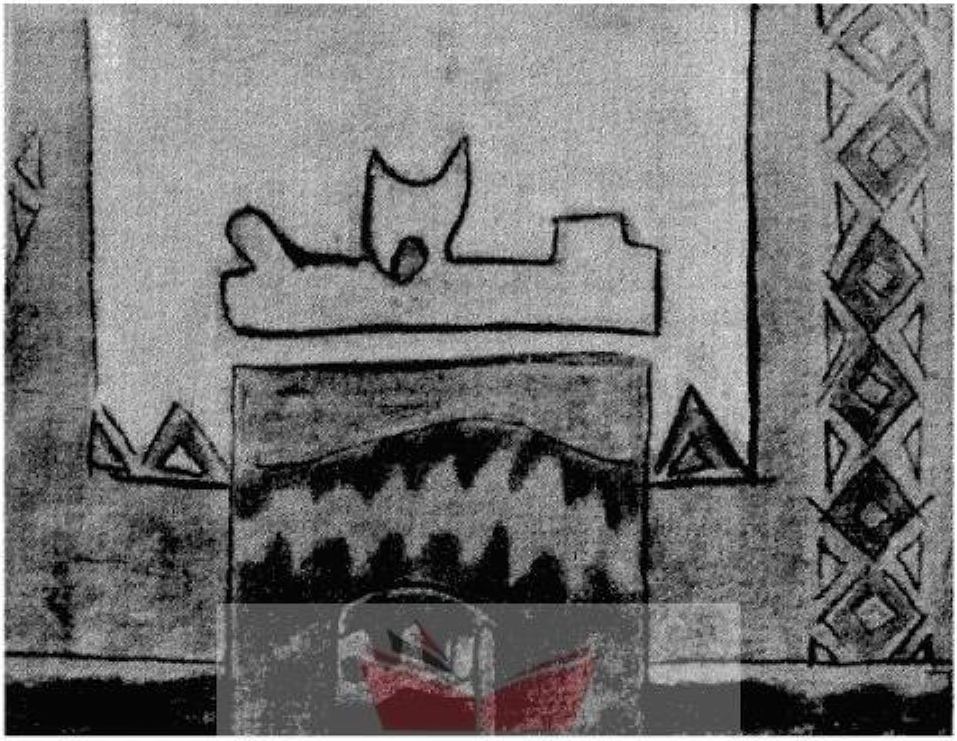
● الطحان .. ومآذنه الريفية

أقام الفنان " محمد الطحان " معرضاً لآخر أعماله بقاعة النيل الجديدة ، فى مجال الرسم الملون ، والمجسمات المعدنية . تكشف خطواته فى المشاركات الابداعية منذ عام ١٩٦٨ عن حرص إلى

تكوين
للفنان محمد الطحان



الانتماء إلى كوكبة الباحثين عن ملامح قومية ، يجسدونها فى ابداعاتهم ، كل حسب رؤيته وموهبته ، وقد اختار " الطحان " من البيئة المصرية مايتسق مع رؤيته . اختار العمارة القطرية ، وبالذات العمارة الدينية .. لهذا تحتل المآذن ، والأهلة الركائز المحورية فى مجمل أعماله . ولم يحفل بالكتلة ، بل احتفل بآثار الانسان ، والزمن على ملامس عمائره . ويلتقط من الآثار مايدل على أن قاطنيها مؤمنون . وما يدل ثانياً على أنهم قوم بسطاء ، لم يستعينوا بكبار الخطاطين والرسامين لزخرفة واجهات بيوتهم ، بل



تكوين . للفنان محمد الطحان

اعتمدوا على انفسهم وعلى ابنائهم ، ليجسدوا فى النهاية أفراحاً فطرية ، ويقوم الهلال ، من جديد ، بدور هام فى تلك الاحتفالية الزخرفية . والفنان يذوب المسافات بين ماهو أصيل فى الشكل المعمارى ، وماهو مضاف من طلاء زخرفى .. وكأنه يريد أن يؤكد لنا أننا فى نهاية الأمر امام لوحات لا امام واقع حقيقى . وإذا كان قد منح لآثار الانسان دوراً هاماً ، فقد أعطى آثار الزمن قيمة لا تقل عنها ، بل ربما زادت عليها أحياناً ، ومنحها مساحات متسعة تتجلى فيها . إن عالم لوحاته ينبذ التكلف ، ويحتفل بالبساطة ، والطفولة ، والفطرية ، الاضافة التى أضافها إلى معرضه الأخير هى المجسمات المعدنية . وقد انتقل إلى معادنه المختلفة بنفس عناصره المألوفة ، وإن تغيرت بسبب طبيعة الجسد الجديد الذى سكنته !.. وإن اشتركا معاً فى التوجه نحو هدف واحد هو : الصدق .

قصة قصيرة :

طقوس قتل غير معلن!

بقلم : خالد السروجى

ريشة الفنان : سميحه حسنين

قالت له زوجته وهي تغالب الضحك :

ـ أليس هذا هو المدير الفيلسوف الذى كان يكلمنا عن مسرحية الطباشير القوقازى .

ـ نعم .. هو رمزى بك .. لقد خرج من غرفة الانعاش وصرح بزيارته اليوم .

ـ اتذكره كلما اعددت بيضا مسلوقا .. واتذكر كاتبه « بريشت » .

ـ جميع خلق الله تدعو هذا الكاتب « بريخت » ولكنه يصمم على ان يسميه « بريشت » زيادة فى التحذلق .

سكت قليلا ثم هز رأسه بتعجب :

ـ انه لا يترك فرصة تفوته دون استعراض ثقافته حتى ضاقت به عباد الله .. انه يتفلسف حتى مع السعاة .

قام من مقعدة بتثاقل ، ورأسه تزخر بالالفاظ الغريبة :

« شكسبير .. تشيكوف .. ابسن .. برناردشو .. كامى » .

الفاظ رمزى بك تهاجم راسه فى موجات متتالية .. هادئة احيانا .. وصاخبة فى اغلب الاحيان . فى بعض الاحيان يحس ببرودتها تتسلل الى اطرافه .. وفى احيان اخرى تبدو كموجات الحمى تعصف بصفاء ذهنه .

لم يقاوم رغبته فى الاستسلام لاحلام اليقظة .

تخيل رمزى بك امامه فى مجادلة عنيفة .. يتهاوى امامه بحضور الجميع .. يظهر جهله وضحالة ثقافته امام سكرتيرته الجميلة .. يستسلم امامه وينسحب فى خزى وعار .

قالت له زوجته :

ـ احذر ان يفوتك زمن الزيارة .

« الزمن .. البحث عن الزمن المفقود .. مارسيل بروست .. « آلة الزمن » ويلز » .

خرج من الحمام .. وقف امام المرآة .. مشط



شعره . احس بارتياح عميق .

« رمزى بك اصلع .. دخلنا المصلحة معا .. كان شعره غزيرا فاحما ، وكان يقلد كلارك .. جيبيل .. شعرى كان خشنا مجعدا .. الآن هو اصلع » ..

امتدت يده الى خزانة الملابس ..

« تفوقت عليه دائما فى الاناقة .. كان يمتدح قدرتى على انتقاء رابطة العنق .. هذه السولكا الحمراء اذهلته يوم رآها اول مرة .. حمراء فريدة فى لونها ..

« حمراء .. الطاحونة

طقوس

الحمراء .. تولوز لوتريك .. فان جوخ .. بيكاسو » .

هذه البدلة لبستها اول مرة عند زيارة الوزير .. لعنة الله على الحذلقة .. الترقيات اصبحت بالحديث المنمق لا بالعمل الجاد ..

ابتسم الوزير وهو يسمع الكلمات الجوفاء : الادارة بالاهداف .. مركزية التخطيط ولا مركزية التنفيذ .. البرامج .. الانجازات .. الخطة الخمسية .. وذهبت الدرجة لرمزى .

الوزير ايضا مريض بالثقافة .

ما دخل اينشتين والنظرية النسبية فى اعمال الوزارات .

رئيس المصلحة مريض بالموسيقى .. رمزى يغذى غروره بالعلم بالموسيقى .. أيتها الموسيقى : كم من الجرائم ترتكب باسمك .. تحت ستار الموسيقى تسلل رمزى ليحصل على درجة مدير عام .. شعر بموجة عاتية تهب على رأسه فى جنون :

«موسيقى .. بتهوفن .. باخ .. سيمفونية .. كونشيرتو .. توسكانينى .. توزيع .. سيد درويش .. نهاوند .. سيكاه .

سميناه رمزى سيكا ، وسمينا رئيس المصلحة فيتوريو دى سيكا .

عاودته احلام اليقظة :

تخيل رئيس المصلحة ورمزى فى قاعة الأوبرا .. رئيس المصلحة بوجهه الشبيه بوجه الممثل الكوميدى ابراهيم سعفان يقود الأوركسترا .. الناس تتململ .. تتأفف .. تعترض .. تثور تقذف المايسترو وعازفه المخلص بالبيض الفاسد .. يشعرون بالمهانة .. سيعرفون ماهى المهانة .. أأنا ببغاء له ذاكرة حديدية .. سيعرفون من الببغاوات .



امتدت يده بطريقة لا شعورية على ملابسه .. استقرت على البدلة التويد الرمادية .. تشنجت يده عليها . احس بالذكر .. كأنه ضبط متلبسا بجريمة .

رفع يده عنها كالملسوع .. هذه البدلة المشئومة تجنب ارتداءها الا فى الجنازات .. انتابته موجة ، من الذكريات الحزينة .. فى اول يوم لبسها فيه توفيت والدته .. ولم يكتشف نحسها الابعد ما راح ضحيتها زوج اخته وصديقه محسن .

لم يلبسها يوما الا وحدثت كارثة .

رباط العنق والمربعات البيضاء والسوداء .. يشبه رقعة الشطرنج ..

«حتى الخبراء الروس تمكن رمزى من السيطرة عليهم من خلال لعبة الشطرنج .. سافر الى البعثة لانه يعرف اسماء موروفى . اليخين .. سباسكى» .

لمست يده البدلة التويد الرمادية .. تقفز الى ذهنه

حوار قديم .. لايتذكر مع من :

ـ التشاؤم والتطير خرافات وأوهام .

ـ كنت البس هذه البدلة يوم نتيجة ابنى . ورسب .

ـ مصادفات .. مجرد مصادفات .. الانسان يصنع قيوده بنفسه .. يحبس نفسه فى سجن من الأوهام .

امتدت يده الى خزانة الملابس .. تذكر قولا لنفس الشخص الذى يحاول ان يتذكره :

ـ لو كان هناك قدر مكتوب فما دخل ما نلبسه».

اخرج رابطات العنق المربعات والبدلة التويد الرمادية ، والحذاء الاسود .. تردد بعض الشيء ولكن يده امتدت الى احد الجوارب ليستكمل طاقم الجنازات .. تمهل فى ملبسه .. فكر فى ان يغير طاقم الملابس ولكنه لم يفعل .. كان يتصرف كالمسحور .. لا يعرف هل يفعل ذلك بارادته ام ان قوة خفية تسوقه الى ما يفعل تسلل من المنزل .. لم تكن زوجته موجودة .. كانت مشغولة بالمطبخ .

وصل الى المستشفى قبل نهاية موعد الزيارة بدقائق .. عوده الضيق مرة اخرى .. طوابير النفاق امام الغرفة ، والورود تملأ الردهة .. يقف امام الغرفة بهجت السكرتير الخاص لرمزى بك ، يعتبر رأس النفاق ويسميه جاسوس رمزى .. سلم على الموجودين واغلبهم من المصلحة ..

ـ كيف الحال ؟

ـ الحمد الله .

ـ صحته تحسنت ؟

ـ كتب له عمر جديد .

قال احدهم :

ـ مدير المستشفى يمر بنفسه .

وقال آخر :

ـ والوزير استفسر اليوم عن صحته .

التقت عيناه بعينى بهجت .. نظرة غريبة .. هل فهم شيئا ؟ .. كأنه يطالبه بتفسير يكاد يمنعه من دخول الغرفة .. احس بالخوف .. احس بالكراهية تجاه بهجت .. لا .. لا لن يقدم تفسير لهذا السكرتير .. انه مجرد كاتب ادارى .

كاد ان يرجع ..

ـ لن اتقل على رمزى بك .. من يحبه يعمل على راحته .. تكدس الحجرة بالزوار ضار به : خرج فؤاد ابن رمزى بك من الغرفة .

ـ اهلا عمى منير بك .. تفضل .

ـ لا داعى لازعاجه .

ـ لقد سمع صوتك ويطلب دخولك .

تدخل بهجت فى الحديث :

ـ عندما يتناقص عدد من بالغرفة سندخل .

جاء صوت رمزى ضعيفا ولكنه واضح :

ـ ادخل يا منير بك.. ادخل يارجل .. انا بخير .

شعر بالعرق يتفصد من جبينه .. تحاشى النظر الى بهجت .. دخل من الباب .

ـ اهلا يا منير بك .. اهـ .. اهـ ..

احس بشيء من الدوار .. كادت الأرض ان تميد من تحته .. بزغت فى ذهنه الحقيقة .. رمزى يعرف قصة البدلة التويد الرمادية .. قال له فى زمن الحرب : « اعطنى بدلتك هذه اقابل بها موشيه ديان » .

وقف فى منتصف الحجرة .. سلم على من بها .. كان وجه رمزى مختنقا ، وملامحة متقلصه كمن بوغت بطعنة .. فى

طقوس قتل غير معلن!

الظهر .. ارتعشت شفتاه .. عيناه مغرورقتان بالدموع .. اعترته تشنجات .. ادار ظهره لمنير .. تلاحقت انفاسه .. تحركت يده كمن يطلب النجدة .. كأنه يتلمس بعض الهواء .. سقطت يده .. اغشى عليه .

تعالت الاصوات :

ـ انبوبة الاكسجين .

ـ الطبيب النوبتجى .

ـ هذه نتيجة الانفعالات العاطفية .

ـ قلت لا يدخل . لم تسمعوا كلامى .

ـ اتصلوا بغرفة الانعاش .

ـ رؤية الاصدقاء تثير العاطفة .

ـ انها زمالة العمر كله .

صرخ بهجت :

ـ قاتل :

ضاع صوته فى زحمة الاصوات تسلل منير الى الخارج .. لقد فهم .. وبهجت ايضا فهم ..

الطريق الى المنزل تبدى له طويلا .. كأنه لن ينتهى .. احس بان زوجته قد قطعت دهرا بأكمله لتفتح له الباب .

ـ ماذا حدث .. هل حدث لرمزى بك شىء ؟

ـ انتكس .

ـ ما هذا ؟ .. ألم تجد غير هذه البدلة لتلبسها .

ـ كنت فى عجلة من امرى .

ـ شقيقتك اتصلت بك .

احس بقلبه يخفق بشدة

ـ هل حدث شىء ؟

ـ ابنتها على وشك الوضع .

تهاوى على المقعد .

ـ وجهك مصفر .

....

ـ تبدو مضطربا

ـ ... مجرد ارهاق

أفزعه صوت جرس الباب :

ـ من ؟ من ؟

ـ البواب .. انت عصبى اليوم .

الوقت يمضى بطيئا .. يجلس كأنه ينتظر الأمر بالقبض عليه .. تشاغل بالنظر الى جهاز التليفزيون .. لم يستطع ان يتابع احداث التمثيلية .. الصور تتتالى بلامعنى .. فقدت ارتباطها فى نظره .. مجرد اشخاص يتحركون على الشاشة .. جلس جامدا كأنه ينتظر المحاكمة .. دق جرس التليفون فى أحد مشاهد التمثيلية .. فانخلع له قلبه .. دق جرس التليفون .. فى منزله .. توترت اعصابه .. ماذا تحمل المكالمة ؟

قالت زوجته بضيق :

ـ من يطلبنا فى هذا الوقت المتأخر .

طلب منها ان ترد على التليفون .. اشاحت بوجهها وتابعت التمثيلية .. قام متثاقلا . ليت الرنين يتلاشى .. خيل اليه ان الرنين يزداد حدة .. يطارده بلا رحمة .. مد يده الى السماعة .. توقف الرنين .

ـ آ .. آلو ..

ـ .....

ـ ماذا ؟ ماذا ؟

التفتت اليه زوجته .. كان وجهه باهتا ..

ـ ماذا حدث ؟

ـ ....



نظرة طائرة

على الدين فى السينما

بقلم : مصطفى درويش

الفن يخرج المرء من طوره الى طور ثان ، وينتقل به من عالمه الى عالم آخر .
ولعل هذا الانتقال يرجع الى حاجة طبيعية فى المرء تلح عليه حينا بعد حين .

وهل الاديان التى تحمل الأنفس من الحياة الدنيا الى تلك الآخرة بما فيها من جنة ونار الا المظهر الاسمى لتوق النفوس وشوقها وحنينها الى صور الغيب ، وحياة كما يقول الاديب «اناتول فرانس» تصلح فيها مساوىء هذه الحياة ، ويكفر عن ذنوبها» .

وهل الاديان إلّا وسيلة هى الأخرى الى كفاية تلك الحاجة الطبيعية الدائمة فى النفس الظامئة الى الانتقال من حال الى حال :

وفى الحق ، فغاية الفن وغاية الدين كانتا ولا تزالان واحدة ، هى السمو بالناس الى منزلة لا تبلغهم اياها غرائزهم وعواطفهم الطليقة .

وليس فى الأرض من ينكر فعل الدين وتأثيره على الفن .

والا بماذا نفسر جمال وجلال مسجد قرطبة (٧٨٥) بأندلس اسبانيا ، وكيف لا يزال بأعمدته الموصولة بأقواس مغربية يشكل ليات للناظرين .

او عطر وسحر ساحة سمرقند عاصمة «تيمورلنك» التى وقف لورد كيرزون امام مدارسها ومآذنها الثلاثة خاشعا ، ليصفها بعد ذلك بأنها من انبل الميادين .

او هيبة ورهبة رسومات الخلق التى زيّن بها «مايكل انجلو» سقف مصلى كنيسة القديس بطرس بالفاتيكان والمشهور بالسيستين او قوة وعاطفة قداسات البناءات الثلاث الكبرى فى عالم الموسيقى باخ ، بيتهوفن ، براهمز ، تعيد بأنغامها الصاعدة الى السماء التوازن للسامعين .

او روعة بوابة جحيم المثل

نجوى ابراهيم وسميحة ايوب .. فى فجر الاسلام



اوجوست رودان بدقائق معانيها وتفاصيل الوانها وتركيبها التي تمثل سكان جهنم ، وما يعانونه من انواع الآلام والاوجاع .

وليست هذه الامثلة الا قليل من اعمال فنية كثيرة تاثرت بالدين ، وليس في وسعي ان اذكرها عداً وحصراً ولو بايجاز شديد .

واذا كان لا يوجد من ينكر فعل الدين وتاثيره على الفن ، فما اكثر المنكرين لفائدة تعانق فن السينما مع الدين ، لاسيما في شرقنا العربي .. لماذا ؟

يؤرخ لميلاد السينما بالثامن والعشرين من ديسمبر ، ففي ذلك اليوم الاغر من علم ١٨٩٥ ، عرض «الأخوان لوميير» لاول مرة مجموعة من الافلام القصيرة في القهوة الكبرى بباريس امام جمهور اتيحت له فرصة المشاهدة مقابل دفع مبلغ محدود من المال .

وفي البدء استمدت السينما اكثر اصولها من الفنون السابقة عليها ، واتخذت لنفسها من هذه الفنون اساسا اول الامر ثم نافستها وغالبتها بعد ذلك .

● صور وأصوات

وقد يكون من المفيد الاشارة هنا الى ان الغاية من وراء الابحاث التي ادت الى اختراع الصورة الثابتة فالحاكي "الفونوغراف" ، ومن بعدهما الصورة المتحركة ، كانت نقل الواقع كما هو صورة وصوتا على وجه كامل غير منقوص ، بمعنى اعادة خلق العالم في شكل صور واصوات وفقا لما يهوى الانسان ويشاء . او كما قال الناقد الفرنسي «اندريه بازان» اعادة بناء العالم الخارجي بالصوت واللون والتجسيد .

وكان ان اعتبر البعض ، هذا الطموح ضلالة جامحة تصل الى حد التجديف ، وبالتالي اخذ فن السينما بجريرة هذا الطموح .

وما لبث ان استعملت العدسات المكبرة في النظر الى نقائص هذا الفن الوليد تضخيما لها ، وهي نقائص لا ينفرد بها ، بل تشاركه فيها جميع الفنون الأخرى .

وفات هذا البعض المؤثم للسينما انها فن ، ومن ثم فليس مطلوبا منها بوصفها كذلك ، اعادة بناء العالم ، وانما الاتصال بالحياة الواقعة بغاية اعمال الخيال فيها ، شانها في ذلك شان اى فن اخر .

المهم انه قد نجم عن هذا التاثيم ازمة ثقة بين فن السينما وبين فئة من الساهرين على حماية الدين من عبث المتهالكين على كل شيء جديد .

● معاداة فن السينما !

ومن مشاهد ازمة الثقة هذه تزعم بعض الدوائر الكنسية في الغرب لحملة معادية لفن السينما باعتباره تهديدا للنظام العام وحسن الآداب ، وهي حملة وفقت الى فرض الرقابة على ذلك الفن بدءا من مدينة شيكاغو (١٩٠٧) ، لتاخذ العدوى في الانتشار منها الى

جميع ارجاء المعمورة انتشار النار فى الهشيم .

كانت هذه هى الحال فى اوائل هذا القرن غير انه قبل ان يتاح للرقابة فرصة التسلط على هذا الفن الذى كان لا يزال يحبو ، وهو تسلط دام زهاء نصف قرن من عمر الزمن ، قبل ذلك انتج فى فرنسا اول فيلم يعرض لآلام المسيح (١٨٩٧) .

وبالنظر الى الارباح الطائلة التى تحققت بفضله لشركة «لابون برس» المنتجة له ، مما ادى بها الى التحول بين عشية وضحاها من دار نشر دينية الى شركة لانتاج الافلام بالنظر الى ذلك ، فقد اسرع الاخوان لوميير فى نفس العام الى انتاج فيلم عن الآلام من ثلاث عشرة لوحة مدته خمس عشرة دقيقة لا تزيد .

ثم حاولا تسويقه فى امريكا عن طريق بيعه الى ريتشارد هولمان «صاحب متحف شمع عدن بنيويورك» .

واذ طلبا له ثمنا قدره عشرة الاف دولار ، فقد آثر «هولمان» ان ينتج فيلما بمعرفته عن الآلام من عشرين لوحة جرى تصويرها فوق سطوح قصر الجراند سنترال ، والشتاء آخذ فى الاقتراب .

ومن هنا وجود الثلوج تغطى ارض حديقة الزيتون فى فلسطين !!

وفى اليوم الأخير من عام ١٨٩٨ قام بعرض فيلمه داخل المتحف بمصاحبة اوركسترا وجوقة من المنشدين ومعلق على ما يجرى صامتا على الشاشة من احداث جسام . كثيرا ما كان يخر المشاهدون امامها ركعا والدموع تنهمر من العيون !!

وفيما بين عامى ١٩٠٢ و ١٩٠٦ اخرج «فرديناند زيكا» مسلسلا عن حياة وآلام المسيح ، لحساب المنتج الفرنسى «شارل باتي» قيصر السينما وقتذاك .

ويعتبرونه بحق اول مسلسل فى تاريخ السينما .

ومن بين مزاياه مسحة خفيفة جميلة من الالوان صبغت بها جميع المشاهد .

وما هى الامدة قصيرة ، حتى اشتراه «ادولف زوكور» ليقوم بعرضه موصولا فى فيلم روائى طويل ، ومصحوبا فى بعض الاحيان بعزف على الأرغن وغناء جوقة من المنشدين .

وقد دام عرض الفيلم فى نيويورك عدة شهور ، وذلك رغم ان اربعة مسارح كبرى كانت مخصصة له فى وقت واحد .

وبه خطا «زوكور» اليهودى المنحدر من اصل مجرى ، خطوته الاولى فى طريق بناء امبراطوريته المالية القائمة على صناعة الاحلام فى هوليوود .

هذا الى انه قد لعب دورا فى تبديد مخاوف قادة الكنيسة من ان دور السينما السابحة فى الظلام ليست الا اماكن سيئة السمعة لا تزار مخافة العار .

والحديث عن الافلام المستوحاة من الآلام وغيرها من الموضوعات الدينية حديث يطول . فما اكثر هذه الافلام

ولا غرابة فى هذا ، فجمهور السينما قريبا من نهاية القرن الماضى وبداية القرن الحالى ، هذا الجمهور كان من الموعزين الاميين وكان مولعا بسير الرسل والانبياء والقديسين وما يدور حولها من اساطير .

وكانت الافلام التى تعرض لحياة والام المسيح ، تعتبر وقتذاك من ارفع الاعمال السينمائية مستوى ، واعلاها شانا حتى انه كثيرا ما كان يجرى عرضها داخل الكنائس الكاثوليكية ليستمتع بها عليه القوم .

وظل الحال كذلك الى ان اصدر البابا بيوس العاشر امرا (١٩١٠) يحظر تلك العروض باعتبارها تدنيسا لاماكن مقدسة اقيمت للعبادة وليس للهو واللعب .

(ومما لوحظ على هذا الحظر ، انه جاء مواكبا لاخضاع فن السينما لرقابة تسمح وتمنع كيفما تشاء .

ومع ذلك ، فقد استمرت السينما فى ظل الرقابة تنتج افلاما عمادها الدين اذكر من بينها «القديس فرانشسكو» (١٩١١) ، «كوفاديس» (١٩١٢) «فابيولا» (١٩١٣) ، «كابيريا» و «جان دارك» (١٩١٤) .

بل وتنتج افلاما عن الآلام اذكر من بينها «من المعلف الى الصليب» (١٩١٢) الذى صوره مخرجه الامريكى «سيدنى اولكوت» فى ربوع مصر وفلسطين و «المسيح» (١٩١٤) الذى صوره مخرجه الايطالى «انتامورو» على ارض مصر مستوحيا مشاهده من روائع ما ابدعه كبار الفنانين التشكيليين ،



لقطة من فيلم « الاغراء الاخير للمسيح »

«والتعصب» (١٩١٦) لصاحبه المخرج الأمريكي «دافيد جريفيث» المسمى بأبي السينما .

وتمر عشرة اعوام دون ان ينتج اى فيلم عن المسيح الى ان يقوم «سيسل ب . دى ميل» بتكليف من شركة بارامونت لصاحبها ، «ادولف زوكور» ، باخراج «ملك الملوك» (١٩١٧) الذى القى فيه «دى ميل» بمسئولية موت المخلص على «كليفاس» بدلا من «يهوذا» مراعاة منه لشعور اليهود .

وهنا تجدر الاشارة الى انه قد سبق لدى ميل قبل ذلك باربعة اعوام ان اخرج قصة موسى فى فيلم صامت تحت اسم «الوصايا العشر» ثم عاد فاخرجها تحت نفس الاسم فى فيلم متكلم (١٩٥٦) .

● دى ميل والحيل السينمائية

وفى كلا الفيلمين صور بحر الاساطير وهو ينفلق كالطود العظيم لينجو «موسى» ومن معه اجمعين ، ثم يغرق الله فرعون ومن معه من الجنود المصريين

ومن المعروف عن «دى ميل» انه هو الذى نشر اسطورة معجزة السينما الامريكية وذلك بدوام الزهو والتباهى بالحيل السينمائية التى استعملها مرتين فى الوصايا العشر ، مرة ايام السينما الصامتة فى «جواد لوب» بولاية كاليفورنيا ، ومرة اخرى ايام السينما المتكلمة بابى رواشى بمصر مع الاصرار فى كلا المرتين على الامتناع عن افشاء سر هذه الحيل ، وكانها سر الهى لم يوح به الاله ولن يوحى به لاحد سواه .

ويخيل الىّ اننا من خلال هذا السرد السريع القائم على العودة الى بعض الحقائق الواقعة فى ماضى السينما من البدء وحتى عام ١٩٢٧ ، من خلاله ، نستطيع ان نستخلص نتيجتين .

الاولى ان الدين كان له اثر كبير فى فن السينما .

والثانية ان الافلام الدينية التى جرى انتاجها بعد فرض الرقابة وبخاصة ما عرض منها لسير الرسل والانبياء ، هذه الافلام قد استعين فى ابداعها باكثر المخرجين موهبة وقت الشروع فى انتاجها ، اذكر منهم على سبيل المثال «جريفيث» و «دى ميل» .

اما لماذا توقف السرد عند عام ١٩٢٧ ، فما ذلك الا لانه عام عرض اول فيلم روائى طويل مصرى .

الافلام الدينية تتكلف كثيرا .. وتثير الشجن



وهذا يعني اولا ان ميلاد السينما المصرية جاء متأخرا عن مثيلاتها في الغرب بزهاء ثلاثين عاما .

وثانيا ان هذا الميلاد جاء ، والسينما مكبلة في العالم اجمع باغلال الرقابة .

اى ان فن السينما عندنا ، لم يحظ ، ومنذ البداية ـ بلحظة واحدة من حرية التعبير .

ولو استعرضنا الافلام التى انتجتها تلك السينما اعتبارا من يوم ميلادها ، وحتى يوم عرض فيلم «ظهور الاسلام» (١٩٥١) . لما وجدنا بينها فيلما واحدا يعرض للدين من قريب او بعيد .

فاذا ما واصلنا هذا الاستعراض حتى يومنا هذا لاكتشفنا ان السينما المصرية لم تنتج طوال عمرها المديد سوى عشرة افلام لا تزيد من هذا النوع من الافلام .

ولاكتشفنا كذلك انها طيلة الثمانية عشر عاما الاخيرة ، لم تنتج من تلك الافلام شيئا .

ويستخلص من ذلك ان العلاقة بين السينما عندنا وبين الدين تكاد تكون مبتورة ومعدومة .

وليس من شك ان هذا الغياب للدين في حياتنا السينمائية لمن الامور التى تثير عظيم الدهشة بالنسبة لبلد هو مصدر النور بالنسبة لشرقنا العربى مهبط وحى الاديان السماوية الثلاث .

● الرقابة .. والتشدد ؟

ومما يزيد من الدهشة ان الافلام العشرة وفيما عدا «فجر الاسلام» (١٩٧١) لصاحبه «صلاح ابو سيف» من صنع مخرجين عرف عنهم الجنوح الى الاستسهال الذى يصل في معظم الاحوال الى حد الاستهتار .

وعلى كل ، فهذا الغياب فضلا عن الاستسهال له دلالة كبرى في ضوء ما قاله ، الاستاذ الامريكى «ريموند بيكر» في بحثه «مصر في الاطياف» من ان السينما في مصر تشكل مصدرا غنيا لفهم الواقع المصرى اجتماعيا ونفسيا .

وختاما فغياب الدين عن السينما المصرية ، انما يرجع في رأيى الى سببين :

اولهما الرقابة على فن السينما التى اراها تزداد مع كر الايام تشددا .

وثانيهما العقم الفنى ، فليس ثمة بين صانعى افلامنا من يعانى مرارة الحيرة بين الشك واليقين ، بين الوجود والعدم . ويريد ان يجد لنفسه منها مخرجا في ابداع سينمائى . هو في حقيقة الامر مظهرا ، من مظاهر تلك الحيرة .

ليس بينهم «شارلى شابلن» يبدع «الحاج» او «كارل دراير» يعانى «الام جان دارك» او «بيير باولو بازولينى» يستلهم آلالام من انجيل «متى» او «اندريه تاركوفسكى» يغنى في «القربان» او «مارتين سكورسيزى» يركب المخاطر من اجل «الغواية الأخيرة للمسيح» .

واغلب الظن ان هذا الحال سيبقى دون تغيير ما دامت الكلمة الاخيرة ليست لحرية التعبير ، ما دامت الرقابة تقف لفن السينما بالمرصاد .

٤ قصوصة

إحدى القضايا .. !

بقلم : عبد الحكيم قاسم



في محكمة مصر الجديدة الجزئية زحام من الخلق ، متقاضون ومحامون وشرطة وكتبة وباعة وأفراد غامضون ، مايدخل الواحد من باب على جانبيه عمودان شاهقان حتى يميل يسارا ، يتحذر في مشيته كيما يصدم الناس ، وهم يتقونه بالأكتاف ، وزعيقهم غلاب حتى مايسمع الواحد حديث رفيقه ، وروائحهم وعطورهم وعرقهم ، والتبغ سحبه تطير فوق الرءوس ، تطيرها كلمات زاعقة وضحكات متكسرة ، ونهنهات وسعال ، ولعنات .

من جدول القضايا عرفت السيدة أن دورها سيأتي عند الرقم سبعين . القاعة غاصة بالنساء مطليات الوجوه ، والرجال في ثياب خلقة ، كل زوج منهما - رجل وامرأته - يشغلهما هم خاص ونزاع ، لكن القاعة يربن عليها الصمت إلا من نحنحات وهمسات مكتومة وصوت تقليب الأوراق .

على المنصة - قاض يقلب في مستنداته بسرعةٍ وغضب ، على يساره كاتب الجلسة ، والحاجب يسند مرفقه على منصة القاضي وينادي على الأرقام . قدام هيئة المحكمة يقف المحامون والمتنازعون يكادون يحجبون الهيئة عن الجالسين . تشرد السيدة تفكر في أمرها . تتذكر وجهها في مرآة الصبح . كان وجها وسيما ، إلا تجعيدة هنا وهناك ، أفزعها ، فأصرت على الطلاق .

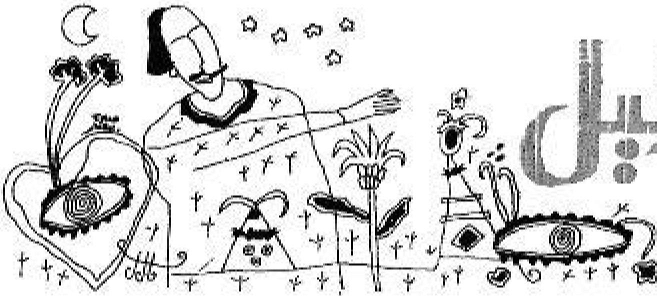
أمها وجه يغرق في التوسل إليها : « لاتطلقي زوجك يابنيتي ! » وأبوها وخالها قالا لها : « الطلاق حرام يابنيتي ! » وهي الآن سوف تتحرر منه إلى الأبد . أصرت ولازالت مصرة . شملتها الفرحة بالخلاص ، تغطى على رعدة خفيفة غرقت في تيار الفرح .

القاضي يطل من بين أجساد الواقفين قدامه ، عيناه الحولاءان لايعرف

الواحد من تصبيبهما بالنظرات . لكنه صرخ فى الحاضرين وهى لاتعرف من يقصد ، قال : « إرم السيجارة ياهذا الذى تدخن هناك !؟ » دارت بعينيها تبحث عمن يقصد ، إنه يقصد زوجها الذى ستطلق منه حالا ، وجهه إبيض من التحرج والمهانة . ياله من رجل هزل فى أيامه الأخيرة وجهه مستطيل وعيناه غارتا . ألقى سيجارته على الأرض وسحقها بقدمه ، حولت وجهها عنه والتفتت إلى الأمام ، وغرقت فى كآبة وحيرة واستعصاء الفكر ، تمنت أن تدخن سيجارة ، لكن هذا القاضى هناك .

جاء دورها هى وزوجها . وقفا قدام المنصة وبينهما المحامون . بدأ القاضى دورة غضبه يصبها على أول من يصادفه بالسؤال . سأل زوجها : « هل كنت تدخن فى قاعة الجلسة ؟ » قال الزوج وهو منهك خفيض الصوت : « إننى لم أكن أعرف أن ذلك لاينبغى ، هذه أول مرة أحضر فيها قضية ! » قبل أن يتم جملته انقض عليه القاضى بسؤاله التالى : « ما اسمك ؟ ضابط فى القوات المسلحة ، لم ترتد ثيابك الرسمية ، قدمت استقالتك ؟ » « لماذا إذن تحتفظ ببطاقتك العسكرية ؟ إننى أستطيع أن أسجنك بهذا .. ! » وإجابات الضابط تعجن فى أسئلة القاضى ، يرعد هذا بكلماته والآخر همساته غائرة تكاد تستحيل إلى لهثات ، قال : « إنما أحتفظ بالبطاقة حتى ينتهى أمرى فأسلمها ! » فصرخ به القاضى : « لست اهلا لحملها ، وهذا معاقب عليه ! »

والسيدة ترى زوجها على قدر من سوء الحال ، وحال من الهوان . قالت للقاضى : « إننا ياسيدى هنا لنناقش أمر طلاقنا ، فلماذا لاتمضى بالأمر إلى مساره ؟ » فصرخ بها : « ألا يمكن ابدا أن أتحقق من شخصية المتنازعين ؟ وأحاسب من يحمل بطاقة لايستحقها ؟ » فصرخت به تجاوبه : « ناقش طلاقى ياسيدى ولاتهدد السيد بالسجن أيا ماكانت البطاقة التى يحملها ! » لوح القاضى بيده عاليا وقال لها : « أنت تدافعين إذن عن خصمك فى القضية ياسيدتى .. !؟ » فدقت السيدة على المنضدة بقبضتها وتكلمت فى وجهه حتى لفحته أنفاسها : « لابأس علىّ إن دافعت عنه إذا كنت أنت قد آذيته ! » فضحك القاضى ضحكة مفعمة غضبا وثورانا ، وقال لها : « تعطفين على خصمك وتميلين إليه ؟ » إحمر وجه السيدة وفاضت الدموع من عينيها ، وقالت : « نعم إذا كنت تؤذيه ! » قال لها القاضى : « إذن لامحل للخصومة بينكما ؟ » ثم رفع سبابته وصوبها إلى وجه السيدة : « إننى سأشطب القضية من الجدول » فانفجر غضب السيدة وتصاعدت نهنهاتها حتى ملأت القاعة ، قالت له : « إفعل ياسيدى .. إفعل ياسيدى .. ! » مال القاضى على كاتبه وكلمه أن يشطب القضية ، ثم نظر للسيدة شمتانا : « هل رأيت .. ؟ » فقالت له : « نعم رأيت .. لقد رأيت ! » فقال لها : « خذى زوجك واذهبا .. ! » مدت السيدة يدها وقبضت على يد زوجها وقالت للقاضى : « نعم سأفعل » وطاوعها زوجها .



في الليل

شعر : محمد عبد الرحمن صبان الدين

الليل ساج والكواكب خاشعة
والكون ترهف للسكون مسامعه
تتطاير الأحلام . في سبحاتها
حول المضاجع والعيون الهاجعه
فتروع مؤتنسا وتؤنس خائفا
وتُنيل محروم المتاع مطامعه
في رهبة الصمت المطر بالدجى
والليل يودع في الحياة طبائعه
سبحت على موج الأثير وطوّفت
روحي بآفاق الوجود الشاسعه
بسط الجمال عليه من الائه
وأباح للسارى البصير منابعه
فأثرت فيه نواظري ومشاعري
وطفقت أرصد كالرقيب وقائعه
فرأيت أخيلة الظلام تجوس بيـ
ـن غياهب جيّاشة متدافعه

كل بفطرته يدير لسانه
ويروم في كنف الحياة مراتعه
وكأنما الليل البهيم نهاره
يغدو به في ضوء شمس ساطعه
ورأيت أن الكائنات جميعها
تسعى بقانون يهيمن طائعه
في الجو تحت الأرض أو من فوقها
كلٌّ يلازم دربه ومواقعه
ولكل وجه حسنه حتى الدجى
في الليل تُسدل ستره وبراقعه
فوقفت مبهور المشاعر أجتلي
في ذلك الكون العجيب بدائعه
وتداعت الأفكار تزحم خاطري
مخلوقة عبـــقرية متتابعه
أكبرت في هذا الوجود جماله
وجلاله وسجدت أعبد صانعه

كاتب ياسين
سر "نجمة" المتوحشة

بقلم : د. سهير القلماوى

● وحجة كاتب ياسين انه مادام يجاهد بقلمه فى سبيل قضية التحرير الكبرى فان اى سلاح يخدم القضية يرحب به . ويقول « حتى لو كتبت بالعربية فمنذ الذى سيقرا لى من الجزائريين ؟» وكانت الامية ابان ازدهار أدب المقاومة متفشية فى الجزائر تصل نسبتها الى ثمانين بالمائة بينما الذين سيقرءون ادبه الفرنسى من الفرنسيين والعالميين والجزائريين الذين تعلموا الفرنسية منذ طفولتهم الاف بل مئات الالاف وهذا يجعل القضية تسمع اصوات اهلها فى العالم كله .

ان ثورة الجزائر لم تكن هى التى اوجدت الوطن الجزائرى على الساحة الدولية فحسب ولكنها كانت السبب فى ترسيخ الانتماء الى الجزائر ، يعتقد كاتب ياسين ان الجزائر متعددة القوميات عربية وبربرية وفرنسية واكثر الكتاب غيره يرفضون ذلك بالرغم من ان من الفرنسيين الذين ولدوا فى الجزائر من دافعوا عن الثورة الجزائرية بل من الفرنسيين انفسهم امثال جان بول سارتر الذى الف كتابا عنوانه « عارنا فى الجزائر » وهناك قادة حرب فرنسيون انضموا اثناء المقاومة الى الجزائريين احتجاجا على العنف الوحشى الذى مارسته فرنسا لقمع الثورة ، فبمجرد ان رفضت فرنسا بعد الحرب العالمية الثانية مباشرة ، ان تفى بوعدها للجزائر انها ستعترف باستقلالها اندلعت شرارة المقاومة الجبارة الجزائرية فى الثلثى من شهر مايو سنة ١٩٤٥ وخرجت المظاهرات وقتلت فرنسا خمسة واربعين الف جزائرى فى اربع وعشرين ساعة فقط . فكانت الصحوة الجبارة مناسبة لوحشية الاعتداء .

واستمرت الصحوة الجبارة منذ عام ١٩٤٨ الى ان قامت الثورة الجزائرية

يثير ادب كاتب ياسين الشعر والمسرح والرواية مشكلة داخل مشكلة الادب الجزائرى المعبر عنه بالفرنسية ، ذلك انه إرتاح الى التعبير بغير العربية او البربرية .. بل دافع عن التعبير بالفرنسية بحجج كثيرة . لاشك انها كلها مما يمكن ان يرد عليه وقد رد عليه كثيرون من الادباء الجزائريين الذين اتخذوا مثله الفرنسية لغة للتعبير الفنى انه لم يشعر كما شعر مالك حداد الشاعر المعاصر له والذى رد على الاديب الفرنسي العظيم « اراجون » عندما امتدح ادبه بالفرنسية وتعرض الى اللغة فرد عليه مالك حداد قائلا « ليست الفرنسية لغتى للتعبير عن الحرية . فالفرنسية منفاى »



الكاتب الجزائرى كاتب ياسين

هى بداية الادب الجزائرى الحديث كان هناك قبلها شعراء مثل « محمد العيد » الذى كان يكتب شعرا محافظا يختم فيه القصيدة بالدعوة الى الدفاع او المقاومة وكان هناك كثير من الشعر العامى العربى والبربرى الذى كان يسرى فى الشعب حافظا كيانه مؤكدا على هويته العربية الاسلامية ولكن هذا الشعر ، فوق انه قليل ، كان ضعيف المستوى فى الاغلب والاعم .

وفجرت حادثة مايو سنة ١٩٤٨ قريحة الكتاب والشعراء مالك حداد ، وكاتب ياسين ومحمد ديب ، ومولود معمرى واسيا جبار وغيرهم فانطلقوا يعبرون اولا بالفرنسية ثم جاء بعدهم الجيل الذى عبر بالعربية .

ويلفت نظرنا فى ادب هؤلاء بعامة وادب كاتب ياسين بخاصة تكرار الموضوع واحيانا تكرار الشخصيات من خلال عرض احداث غامضة متشابكة متعارضة ومتصارعة . ويتجلى هذا اكثر مايتجلى عند كاتب ياسين الذى

المنظمة المسلحة سنة ١٩٥٦ ودامت سبع سنوات واستشهد فيها مليون شهيد الى ان اقتنعت فرنسا بفضل حكمة رئيس وزرائها « دوجول » بانه لا مناص من التفاوض وكان التفاوض واعلان الاستقلال سنة ١٩٦٢ .

ان ثورة الجزائر التى تنحنى لها جباه أعتى العتاة اجلالا واحتراما كانت

سر النجمة المتوحشة

احتذى موجات التجديد الفرنسية حتى المسرفة منها فيما الف ، كما احتذى اساليب كتاب عالميين مجددين امثال « فوكنر » و« همنجواى » وغيرهما من الكتاب بالانجليزية الذين شهروا لدرجة وجوب ترجمتهم الى كل اللغات تقريبا .

وفي فجر المقاومة كانت هناك جريدة تصدر بالفرنسية وتعبر عن المجاهدين من ابطال المقاومة باسم « نجمة افريقيا » مما يدلنا على ان رمز النجمة للتعبير عن بزوغ كيان الجزائر ، كان رمزا متداولا ومعروفا . لذلك تجد هذه الظاهرة المميزة قوية عند كاتب ياسين ان اول قصيدة له سنة ١٩٤٨ التي نشرت له في مجلة « مير كور دوفرانس » كان عنوانها « نجمة » وروايته التي شهر بها واوجدت له مكانة ممتازة في الادب الفرنسي . (وان كان هو لايريد ان يعد من ادباء فرنسا بالرغم من لغته الفرنسية) كانت بعنوان « نجمة » وهي البطلة التي يغنى بها في اولى قصائده وقد صدرت سنة ١٩٥٦ اما مسرحيته « الاسلاف يموتون غيظا » وقد مثلت على مسارح فرنسا وانجلترا وغيرهما ، فقد صدرت عام ١٩٦٧ وبطلتها ايضا « نجمة » بل ان الشخصيات حول نجمة يتكررون والزوج « الاخضر » الذى يُجن من عذابات السجن وتجن نجمة بدورها بسبب ذلك ويموتان اخر المسرحية يتزعم الحركة الغامضة في المسرحية ومعه عشاق نجمة رشيد ومراد ومصطفى .

ان كاتب ياسين قد عانى الضغط الاستعماري الرهيب منذ طفولته ، فقد اضطر ابوه بعد ان علمه القران الكريم واللغة العربية ان يدخله المدارس الفرنسية لان في تعلم اللغة العربية كما راى الاب اضاعة لمستقبل ابنه في بلد يحكمه المستعمر الفرنسي ، لقد كانت المدارس والمعاملات الرسمية وكل شيء في الجزائر بالفرنسية دور النشر والصحف والحديث كلها خضعت للقوانين الفرنسية التي وصلت الى ان منعت حتى الحديث بغير الفرنسية .

وكل ماحصل عليه « كاتب ياسين » من تعليم وقد ترك الدرس في سن الخامسة عشرة ، كان بالفرنسية واشترك وهو في السادسة عشرة في مظاهرات عام ١٩٤٥ فاعتقل ويقول انه وجد نفسه اثناء فترة السجن هذه واصدر مجموعته الشعرية بعد عام واحد من الافراج عنه .

ان بطلة كاتب ياسين « نجمة » تعكس كل هذا الاضطراب والغموض والبحث في الظلام عن الهوية الحقيقية للشاب الجزائرى ويزداد ضياعه وعندما يضطر وماأكثر ماكانوا يضطرون الى الهجرة الى فرنسا سعيا وراء لقمة العيش ، فقد هاجر الى باريس كاتب يسن بمجرد وفاة والده ومواجهته لدوره الجديد وهو انه مكلف وهو الفقير ان يعول اربع نسوة من الاقارب تركهم له والده ليكون هو المسئول عنهن

تعليم فرنسي واقامة في باريس والوطن يشتعل اضطرابا وفوضى ، هذا هو العالم الذى فرض نفسه على كاتب

ياسين ليصوره فنجمة لايعرف لها ابا ، لان امها الفرنسية تزوجت « قبلوت » ولكن كان لها عشاق اربعة لاتعرف هي نفسها من منهم ابو « نجمة ».. انها ضائعة بين اصول مختلفة مثل الجزائر التي لاتعرف بوضوح من اى اصل هي كما يرى كاتب ياسين فيها البربر بالعرب بالفرنسيين العولوبين على ارضها ، وكل هؤلاء يتدخلون حسبما يرى كاتب ياسين في نسيج « نجمة » او الجزائر . صحيح انه بعد ان تحررت الجزائر وانجلى الغموض او الغبار عن وجهها الاسلامي العربي عاد كاتب ياسين يتمنى ان يتقن اللغة العربية ليعبر بها لقومه عما في نفسه من حب طاغ وتعلق شاعرى بالجزائر .

و« كاتب ياسين » لانه شاعر ومسرحي وروائي نرى عنده ان تقنيات كل هذه الاشكال الادبية تختلط في تصوير « نجمة » بكل غموضها ولكن بكل سحرها ايضا ان دنيا كاتب ياسين تشرق فيها الشمس ولكن لايظهر في ضوئها الا « نجمة » وهي في وسط الدائرة

ظهرت « نجمة » في سماء الجزائر وغداة انتهاء الحرب العالمية نرى الاخضر زوج نجمة كما يصوره كاتب ياسين في روايته يحفر بالسكين على الابواب والمقاعد الخشبية هتافه « الاستقلال للجزائر »

وتزخر الرواية بصور القمع الاستعمارى الوحشى لقد جرد الجنود الاستعماريون الشعب من سلاحه فهجمت عليهم الجماهير من المساجد مسلحة بالكراسى واغصان الاشجار والزجاجات الفارغة ، وداست فرنسا على شعارها المجيد « الاخاء والحرية والمساواة » الذى تباهت به وبملزالت على شعوب العالم فقد كانت اول صيحة للحرية مدوية في العصر الحديث واثناء هذه المقاومة يتدحرج حامل القلم الجزائرى فيقطع الجيش الفرنسى الشارع الرئيسى وهو يطلق الرصاص على الاسمال البالية .. ويصطبغ كل شىء بلون الاحمر القانى لون دم الشهداء وبهذا وحده تتحقق نبوءة الغد التي لم تبرح مخيلة المجاهدين ولكن كانوا بالامس يفرون من السلاح واليوم يلتقون معه ليثأروا للاجداد ، وكل ذلك بفضل نجمة رمز البطولة في المقاومة الجزائرية التي جاءت بنصر جديد بديلا للثامن من مايو سنة ١٩٤٥ .

● نجمة .. متوحشة

اما فنية الرواية فهى عند كاتب ياسين تستحق وقفات اختلاط الزمن وتداخله وقد ترك نهائيا التتابع الساذج في « الحواديت » الى تتابع بين تداخل والتقاء وافتراق وضياع في المستقبل بل ضياع في الابدى والازلى . واما الاحداث فهى ايضا صور ومواقف تتجمع تفترق لتعبر عن القسوة ، بل عن التوحش واذا كان جيش فرنسا متوحشا فان البطلة نجمة هي ايضا متوحشة وتدور الحرب واللقاءات المتعددة غير المرسومة ولا المخططة المهم انها كلها مصبوغة بالدم والاندفاع البطولى للتضحية في سبيل نجمة اى في سبيل الجزائر .. الزمان مضغوط والمكان مضغوط ويتجمع كل شىء عند النهاية في سيمفونية رائعة موسيقاها في مغزاها وليس في انغامها المتناثرة ان المقاومة ليست في ساحات القتال وحدها وانما هي ايضا في الحقول وفي المصانع ويصبح احد المتظاهرين مثلا وسط تأزم الموقف واشتعال التوحش .

سر " نجمة " " المتوحشة "

« إلام الانتظار .. ان القرية لنا .. انتم الاغنياء تنامون على سرر الفرنسيين وتعملون في مستودعاتهم . اما نحن فعندنا اريب من الشعير ، ودوابنا ، تاكل كل شيء .. ان اخواننا قد ثاروا .

وهم كما يقول احد الثوار ليسوا مقاطعة فرنسية عليها « باى » او « سلطان » ان الجزائر التى مابرحت عرضة للغزوات فى ماضيها المستغلق لاننا لسنا امة ولم نصبح امة بعد .. ان الجزائر وطن ودين .

لقد عالج الروائى كاتب ياسين مشكلات عديدة بنظرة شاملة فكلها اخر الامر تدور فى فلك واحد هو الاستعمار : والاقتصاد حتى بعد اعلان الاستقلال يسيطر عليه الفرنسيون فهم الاقطاعيون الحقيقيون .. اما الشيوخ الذين يعملون معهم فهم جندوهم فى حرب فرنسة الجزائر .. وظل الجزائرى الى الاستقلال لايكتب فى اوراقه الرسمية (شهادة ميلاد او جواز سفر) انه جزائرى وانما يملا خانة الجنسية بكلمة مسلم حتى لايكون هناك وطن اسمه الجزائر حسبما ارادت فرنسا .

كم جاهد الجزائرى حتى قبل الثورة فى ان يلملم شعث هذه القبائل المتفرقة على امتداد الصحراء وفى اعالى الجبال المنيعة الشامخة .. حاول عبدالقادر الجزائرى ايام الدولة العثمانية ونكل به وحاول ابن باديس فى التحرك نحو الثورة الكبرى وذهب هو وانتصرت الثورة اخيرا لكن بعد حقبة طويلة دامية مريرة حتى بعد ان بلور الموقف ابن باديس فى قوله :

شعب الجزائر مسلم
والى العروبة ينتسب
من قال حاد باصله
او قال مات فقد كذب
او رام ادماجا له
رام المحال من الطلب

ولم يكن كاتب ياسين وحده فى اسلوبه الشاعرى المعقد يرمى الى تصدير الثورة لاشعار العالم كله بعظمة الشعب الجزائرى وثورته ولكن هناك الشاعر مالك حداد الذى لم يرتح للفرنسية كما ارتاح اليها كاتب يسن الذى اكتفى بلن يرفض ان يكون ادبه (وان كان بلغة فرنسية) جزءا من الادب الفرنسى ان مالك حداد يشكو شقاءه ومنفاه فى اللغة الفرنسية ويصيح فى اكثر ماكتب من روايات مرددا « انا جزائرى »

وتسير الجزائر بعد الاستقلال فى اتجاه العروبة والاسلام فقد قاد خطواتها اولا « بن بيللا » ثم « بومدين » وكلاهما خريج الازهر الشريف واصبحت الجزائر فى عهدها الحديث الان بعد بومدين لايمكن ان يكون انتماؤها للعروبة وللاسلام مجال حديث لانه لايحتاج الى اثبات .

وهكذا بزغت نجمة كاتب ياسين حتى اضاءت الليل البهيم ودلت على طريق الشمس ، شمس الحرية بل شمس عظمة الانسان الثائر الصامد فى سبيل انبل الغايات واشرفها .

قراءة في أدب المرأة :

نساء لم يعشن في الثبات والنبات

بقلم : فريدة مرعي

كان بين إعلان ليلى العامرية بطلة مسرحية " مجنون ليلى " رفضها للزواج من قيس لا لشيء سوى أن حبه قد اضر بسمعتها وكساها ثوب الفضيحة ، وبين إعلان ليلى سليمان بطلة رواية " الباب المفتوح " أن الحب عاطفة تدعو الى الفخر وتملأ الانسان بالاعتداد والفرح والرغبة فى الحياة ، كان بين الاعلانين تاريخ طويل من الكفاح والنضال من اجل ذلك الحق البديهى البسيط : ان يكون من حق المرأة ان تحب وان تُحَب دون ان تشعر بالخجل او بالعار ودون ان يفقدها هذا الحب كرامتها واحترامها بين الناس . ان يكون من حقها أن تعيش حبها فى النور تحميه وتدافع عنه وتواجه به الجميع وهى مرفوعة الراس موفورة الكرامة .



د . لطيفة الزيات



قراءة فى أدب المرأة :

● كانت ليلى العلموية رغم هزاها المتأجج لقيس تصون حرمة التقاليد وترعى الأصول . لذلك فقد كان صراعها شديدا بين حرصها على « قداسة العرض » وخوفها من فقد الحبيب . كانت ليلى تعتبر قيسا مستهتر الهوى قد صانت حبه ، ولكنه لم يصنها بل اعلن هواه وجعل اسمها على كل لسان وكانت النتيجة ان اباها لم يعد يستطيع ان يسير فى الحي مرفوع الراس او ان يعيش محترما بين القبائل ، جن قيس بليلى فسار فى الطرقات هائما بحبها ونسى فى غمرة هواه ان هناك فى البدو تقاليد وقواعد وان سنة البيد ان يحولوا بين العاشق ومعشوقته إذا شبب بها واعلن هواه ، حكمت القبيلة ان قيسا قد انتهك واستباح الحرمات ودمغ الحى بالعار الذى لا تقدر على محوه السنون .

وقد هبت القبيلة لتدافع عن كرامتها التى استباحها عاشق وتطالب بعقاب ذلك الآثم مرتكب كبيرة الكبائر وصموا الآذان عن الأصوات الشابة التى ارتفعت تدافع عن قيس « هبوه جن بليلى ، ليس الغرام بجرم » . أعلنت القبيلة ان دوام الحال من المحال وان العشق بين الحبيبين أبلغ دليل على الجرم وأصدرت الحكم القاسى : الحرمان الأبدى بين العاشقين ، وكان من سخرية الأقدار ان ليلى نفسها كانت المنفذة وعن اقتناع لهذا الحكم وقالت لمن اتاها شافعا فى قيس :

ولكن اترضى حجابى يزال
وتمشى الظنون على سدله
ويمضى ابى فيغض الجبين
وينظر فى الأرض من ذله
يدارى لاجلى فضول الشيوخ
ويقتلنى الغم من اجله
يمينا لقيت الأمرين من
حماقة قيس ومن جهله
فضحت وضحت به فى شعاب الحجاز
وفى حزن نجد وفى سهله

حكمت القبيلة بالإعدام على العاشقين ورضيت الحبيبة ان تكون أداة التنفيذ وفضلت ان يقتلها الهوى على ان يقتلها العار ، وكان هذا العار الذى لا يدانيه اى عار انها قد وقعت فى المحظور وسمحت لقلبها ان ينبض وتجاوبت مع ابن العم والحبيب الذى لم يكن يرى فى الدنيا سواها ، كان العار ان هناك من عشقها وبرح به العشق وفاض به الجوى فحدث الشمس والقمر والجبال والشجر واشهد الليل والنهار والسهول والقفار وهام فى البرارى والدروب يناجى كل الكائنات ويبوح بما فى قلبه من كروب .

وفى كل ما قاست ليلى العامرية من جزاء حرماتها من قيس وزواجها من انسان غريب عنها لا تشعر تجاهه بأية عاطفة فانها لم تشك ولم تتمرد على هذا الوضع الجائر بل انها كانت لا تكف عن اعلان إمتنانها لذلك الزوج النبيل الذى رضى بالزواج منها بعد كل ما كان ورد اليها اعتبارها الذى فقدته على ايدى حبيبها ، حتى قيس كان يؤمن ان حبه قد اساء الى سمعة ليلى ولم يكن امامه الا ان يجتر احزانه ويلوم شيطان شعره انه السبب فى كل ما يعانى :

لولاك . ما بحت بحا
خدش ليلى ويجرح

كأنه في عرضها
زيت على الثوب سرح

● خطوة صحيحة

اما اعلان ليلى سليمان فى رواية « الباب المفتوح » للدكتورة لطيفة الزيات فقد كان اول خطوة صحيحة على الطريق الطويل ذى الألف ميل ، فالحب هو جزء من كل ، حب الحبيب هو جزء من حب الوطن ، حب الحرية ، والأمل فى مستقبل افضل ، الانسان الذى لا يحب هو مخلوق بليد معدوم الحس والتفكير ، القادرون علىٰ ان يحبوا حبا كبيرا هم فقط القادرون على العطاء وعلى ان يضحوا تضحية كبيرة ، وعلى التحليق فى عالم الحق والخير والجمال . الحب الأصيل النابع من القلب هو حق للانسان والحق لا يستجدى ، لقد ارتبط نمو الحب فى قلب ليلى بنمو الوعى السياسى والدخول فى مرحلة جديدة من مراحل الكفاح الوطنى . فأحداث الرواية تدور على مدى عشر سنوات بداية بأحداث ٢١ فبراير عام ٤٦ ومرورا بنضال الفدائيين فى مدن القناة ثم حريق القاهرة وقيام الثورة وتأميم القناة ، وتنتهى بأيام العدوان الثلاثى على بورسعيد ، وطيلة السنوات العشر وليلى تجاهد من اجل ان تنمو وتتفتح ويتفجر داخلها الوعى بأنها انسان حر من حقها ان تحب وأن تشارك فى المظاهرات وأن يكون لها رأى ودور فيما تتعرض له البلاد من محن ، وتشهده من تطورات ، كانت تؤمن ايمانا كبيرا ان من حقها ان تختار شريك حياتها اختيارا حر مبنيا على الحب وليس على المادة لأنها ليست سلعة تباع وتشترى . هى ليست من فئة الحريم ، وليست مملوكة



للاب تنتقل ملكيتها للزوج بعد الزواج ولكنها كائن مستقل من حقها أن تتحكم فى مصيرها وتختار حياتها ويكفى أن « الحيوان نفسه بيختار » ، كانت ليلى تحلم بدنيا حرة « تستطيع فيها أن تحب وتحب ، بلا خوف بلا وجل ، بلا لوم بلا ندم » . دنيا تستطيع فيها أن « تعبر عن نفسها كالطير الطليق ، وهى تعرف طول الوقت انها محبوبة ، وانها مرغوبة ، وانها محترمة وأن كل تصرف لها معقول ومقبول » .

● تلخيص المأساة

اما مجتمع ليلى سليمان فقد بدأت المفاهيم فى التغير على المستوى النظرى وبدأ كثير من الشباب يؤمن بها ولكن المجتمع ككل على المستوى التطبيقى كان لايزال متحجر العقل يُحكم من حصار العادات والتقاليد حتى لا يخرج أحد من الدائرة الضيقة ، وتلخص عديلة صديقة ليلى المأساة حين تقول : « والله احنا مصيبتنا سودة ، على الأقل امهاتنا كانوا فاهمين وضعهم ، اما احنا ضايعين ، لا احنا فاهمين اذا كنا حريم واللا مش

قراءة فى أدب المرأة :

حريم ، ان كان الحب حرام واللا حلال ، أهلنا بيقولوا حرام ورادبو الحكومة طول الليل والنهار بيغنى للحب والكتب بتقول للبنت روحى انت حرة ، وأن صدقت البنت تبقى مصيبة ، تبقى سمعتها زفت وهباب .. بالذمة دا وضع ! بالذمة احنا مش غلابة ! »

وبسبب هذه الازدواجية فى شخصية مجتمع ليلى سليمان وبسبب هذا التناقض بين القول والفعل تعرضت ليلى لكثير من الهزائم على مدى السنوات العشر ، أجهضت أحلامها على يد الحبيب الأول واهدرت كرامتها وانسانيتها على يد زوج المستقبل والغى كيانها المستقل على يد الأب والأم وتقاعس الأخ ذى الافكار المتحررة عن مساندتها ، هذه الهزائم كلها كادت أن تقتل فيها كل ثقة بالنفس وبالآخرين وكل إقبال على الحياة ، جاء الوقت الذى أحست فيه بأنها مهزومة .. ان جسمها مهزوم وعقلها مهزوم وروحها مهزومة .. كادت أن تتقوقع على نفسها وترتد هى نفسها للاستسلام للعادات والتقاليد لولا بذرة التمرد والرفض التى كانت تكمن فى أعمق أعماقها . وحين التقت بالحب الحقيقى الأصيل استطاعت ان تدرك أن كل الهزائم التى منيت بها كانت لابد من أن تحدث ، إما لأنها أساءت الاختيار وإما لأنها لم يكن لديها الشجاعة الكافية لكى تدافع عما تؤمن به . ولأنها كانت فى أعماقها تؤمن بالتحرر من سطوة التقاليد الغاشمة ، بالانطلاق الى دنيا حية عريضة غنية ، بالحب الذى يضىء كالنور ، وكل ما فيه شفاف وأصيل ، بالحياة الخصبة المتجددة ، بالفناء فى المجموع ووصل كيانها بالآخرين ليزدهر كيانها وينمو ويتجدد ، لذلك كانت قادرة على النجاة فى النهاية ، نجت بحبها ونجت بآدميتها ونجت بنفسها كمواطنة تساهم بنصيبها وتؤدى واجبها الوطنى تجاه الأرض والشعب . حين ادركت أن ثقتها بالنفس وبالحياة يجب أن تنبع من داخلها وليس من الآخرين حينئذ فقط أصبح فى مقدورها أن يكون لها كيانها الخاص المستقل وشجاعة الحفاظ على هذا الكيان .. وقدرة الانسان على الحفاظ على مكاسبه كفرد تعنى بالضرورة قدرة المجتمع على حماية جميع مكاسبه الوطنية .

● حيرة المرأة

كانت هذه المقدمة ضرورية من أجل أن نتتبع تغير وضع المرأة التى لم تعد تلك الأنثى الضعيفة المستكينة المحرم عليها أن يتيض قلبها بأى أحاسيس أو مشاعر بل أصبح من حقها أن تحب وأن تجاهر بهذا الحب وتدافع عنه من أجل أن يكتمل بالزواج . تغير وضع المرأة من كائن



سلبي ، مستسلم ، خانع ، بلا ارادة ، يقرر له الآخرون ما يجب عليه أن يفعله الى مواطن ايجابي رافض ، متمرد ، ذى ارادة يعرف ما يريد ، اصبح وضوح الرؤيا هو السمة المميزة ، وكانت هذه المقدمة ضرورية ايضا من أجل ان نتتبع تطورا آخر جديرا بالتأمل الا وهو اختفاء النهايات السعيدة من ادب المرأة ، تطورت تجربة الحب وتغيرت واكتسبت ابعادا اكثر واقعية ، لم يعد الزواج هو النتيجة الحتمية والنهاية السعيدة لكل تجربة حب ، لم يعد الزواج كحلم وأمل تسعى المرأة اليه كحل وحيد ونهائي ، دخلت فى تجربة الحب اعتبارات اخرى وموانع جعلتها لا تعتبر الزواج هو الحل الأمثل ..

ونحن امام اربعة اعمال ادبية لأربع اديبات وكلهن يتناولن تجارب حب عظيمة بلغت قدرا مدهشا من القوة والعمق والقدرة على الاستمرارية ولكن لم يكتب لها الاكتمال ولم تنته بالزواج . ورغم اختلاف الأجيال بين الكاتبات فان هناك خيطا عاما يربطهن جميعا . فتجربة الحب فى كل هذه الأعمال قد بلغت حدا كبيرا من العمق والقوة والاستمرارية حتى اننا نستطيع ان نطلق عليه لقب « الحب الابدى » . إن هذا الحب الأبدى كان دائما حبا مستحيلا لا يمكن اكتماله عن طريق الزواج لأسباب تختلف باختلاف شخصية كل امرأة فى كل عمل ادبى . إن رفض الزواج كان يأتى دائما من جانب المرأة رغم تأجج عواطفها ولكنها ، فضلت التضحية بحلم الزواج من اجل ممارسة مسئولياتها الملقاة على عاتقها ، او من اجل الحفاظ على حريتها وعلى المبادىء التى اختارتها لنفسها ، ان عدم اكتمال تجربة الحب لم يمنع المرأة من ممارسة حياتها العادية فتعلمت وتوظفت وسافرت وتميزت ولكن ظل الحب طوال الوقت قابعا هناك حيا لا يموت تستمد منه الشجاعة على ممارسة الحياة وتستمد منه لحظات الفرح والامان ولكنه ابدا لم يشل ارادتها فى اخذ اى قرار .

فنبيلة بطلة رواية « اين يذهب الحب » للكاتبة مديحة عامر تحب استاذها فى الجامعة الشاعر والقصاص الذى يتحدث عنه الجميع ، كانت سعيدة ومبهورة أن تجد انسانا يفكر مثلها ويشترك معها فى احساسها امام كل الاشياء ، كانت تشعر أنها تعيش نفس مشاعره وتتأمل الكون والأشياء بنفس نظرته وتتعايش مع نفس التيار النفسى والفكرى . ورغم هذا التقارب والاقتناع الفكرى والوجدانى فانها لم تجرؤ على مصارحته واحتفظت بحبها الكبير واعتبرته ملكها وحدها وهى وحدها المسئولة عنه ، كان حبها حبا غريبا لا يتلاءم مع عصرها ، هو حب استعارته « من بنات القرون الخالية ملهمات فولتير » ، ولكن هذا الحب لم يعقها عن ممارسة حياتها الطبيعية فقد انتهت من دراستها الجامعية ومارست الصحافة بل وتزوجت وأنجبت . وحتى تعطى الفرصة كاملة لتجربة الزواج فقد بعدت عن الحبيب لتسقط احساسها به من حياتها وانتقلت الى دار صحفية اخرى حتى لا يشكل وجوده مشكلة فى حياتها ، قاطعت مقالاته وكتبه وحاربت كل ما يذكرها به ، وحين وطنت نفسها على التأقلم مع وضعها الجديد وقبول حب العشرة الذى يربطها بزوجها ، يستشهد الزوج فى حرب ١٩٦٧ ، وتمر الأيام ليطفو الحب القديم كاسحا هذه المرة حتى لا

يملك الحبيب الا ان يراه ، وحين بدت عيناه تسألان فى دهشة : أحقا كل هذا الحب ! . كانت روحها تجيب : بل أكثر مما تتصور . كان قد أبحر فى أعماقها وسبح فى دمها وحين أخذت نظرته- تفتش فى كيانها وفى روحها تبحث عن وجوده ، كانت نظرته تسأل : أين مكانى أين أنا ؟ كان كيانها كله يجيب : هنا بين الروح والدم فى القلب فى النبضات فى سرى التنفس ، فى التحام الروح بالوجود حين تكون أكون ، حين أتنفس يتوهج وجودك حين أتكلم أجيب على تساؤلاتك . لكن كل هذا الحب الذى بدأ منذ سنوات الدراسة ، واستمر كل هذه السنين لم يكن من الممكن أن يكتمل ، وحين عرض عليها الزواج ، لم يكن فى امكانها الا أن ترفض ، شعرت انه ليس من حقها أن تبدأ من جديد لأن فرحتها لن تكتمل ، كانت تخاف أن تدوس على ابنتها زهرتها الصغيرة وتقتل فرحتها ، خشيت أن « يتمزق قلب البنت إذا ضاع الحضن الأمثل ، حضن الأم » .

اما بطلة قصة « فرحتى » للكاتبة منى حلمى فهى بعد قصة حب عنيفة تقرر الانفصال عن حبيبها لأنه جرح كرامتها ، ورغم مرور خمس سنوات على هذه القطيعة فانها لم تكف عن التفكير فيه لحظة واحدة ، ورغم أن حياتها الطبيعية كانت تسير سيرا عاديا فقد كانت تأكل وتشرب وتنام و يذهب الى العمل ولكنها كانت تنزف من الداخل ، كانت حزينة دون أن ترتدى السواد فقد فقدت فرحتها الوحيدة يوم فقدت حبيبها ، كانت تظن أنها بمرور الأيام ستنسى ولكن مرور الزمن كان يقوى ذاكرتها وتتابع الايام كان يضاعف نزيفها ، كان كل عام أسوأ من الذى قبله ، وحين حلت الذكرى السنوية الخامسة لانفصالهما انهارت مقاومتها ، قررت أن تدوس على كرامتها مرة واحدة بعد أن فاض بها الشوق لرؤية الحبيب ، استأذنت نفسها ، الرقيب الوحيد عليها والذى يحاسبها على مدى ثلاثين سنة حسابا عسيرا ، استأذنتها فى اجازة ليلة واحدة لتتذوق لأول مرة طعم الحرية المطلقة ، لتتجاوز وجودها الأرضى الى وجود آخر يحلق فى السماء . وحين أخذت القرار برؤية حبيبها شعرت لأول مرة منذ خمس سنوات بالقوة والحماس ، شعرت بالشباب يتدفق فى عروقها وبالصحة تدب فى أوصالها بعد طول شكوى من الألم ، استعادت نبضات قلبها الهاربة ، استعادت احساسها الغائب أن لها جسدا ، استعادت ملامحها الخاصة المميزة وشعرت أنها فى هذه اللحظة الفريدة تملك من القوة ما يجعلها تستطيع الانتصار على العالم كله .

● سر المعاناة

لماذا إذن القطيعة بعد كل هذا الحب ! ، لأنها أدركت أن هذا الحب هو حب مستحيل ، وحين يعاتبها الحبيب على القطيعة لا تدعه يكمل كلامه ، تقول : « ارجوك لا تتحدث عن الماضى ، مازلت أحمله بمرارته ، حديثك عنه سيزيد المرارة .. لن يفيد كلامنا شيئا .. لن أتغير ولن تتغير والدنيا بيننا لن تتغير » .. هو حب مستحيل لأنها لا تستطيع أن تتغير

وهو يرفض أن يتغير والمجتمع نفسه لن يتغير ، والمتتبع لأعمال منى حلمى يستطيع أن يفهم سر معاناة البطلة ، فهى امرأة تسبح ضد التيار ، تقدس حريتها وترفض أن يمتلكها أحد ، هى تبحث عن علاقة صحية وسوية مع الرجل وليست على استعداد لأن تساوم أو تخنع أو تتنازل من أجل الابقاء على رجل ، ففى قصة أخرى « لا استطيع الليلة » تقول البطلة لحبيبها : « لا تحاول امتلاكى .. عشنى » .. ويندهش الحبيب : « كيف نستمتع بشىء دون أن تمتلكه » .. ولكنها المرأة القوية التى تثق فى عقلها وتفكر دون حواجز تجيب : « كيف تستطيع امتلاكى وانا لست شيئا .. انا حياة تتدفق امامك ، هل تستطيع امتلاك الحياة ! » .. وفى لحظة صدق مع النفس يجيب الحبيب : « كيف اعيشك وانا لا اعيش نفسى .. هل تعرفين لماذا توقفت عن محاولتى ان أعيشك ، ادركت منذ البداية ارتباطا بين أن اعيشك وبين احساسى بحريتى .. اننى لا افهم الا الامتلاك ،



لأننى ملك لهم .. قد تسألين من هم ، كثيرون باسماء مختلفة يشتركون فى ملكيتى ويوزعون عائد الملكية بينهم

هى إذن غارقة فى الحب حتى اذنيها ولكنها أبدا ليست مستعدة للتنازل ، ليست مستعدة للتغير أو لقبول ما تشعر انه يتنافى مع كرامتها وانسانيتها كانسان كامل ، اما ان يقبلها الرجل كما هى واما فلا ، ولأنها « انسانة جريئة جدا .. متمردة ، بداخلها بركان دائم التأهب للانفجار » ، ولأنها تتعامل مع الرجل بعينين مفتوحتين ، ولأنها تبحث عن علاقة يحدث فيها التوازن المفقود بحيث يتحرك كل طرف بحرية فى دائرته الخاصة ولكن تظل « الدائرتان دائما فى حالة تماس » ، ولأنها تعرف ان هذا مستحيل فى مجتمع تعود على القهر والامتلاك فقد كان يخالجها احساس قوى انها مهما احبت ستعيش « دون شريك » لأنها باختصار حب لايقدر عليه رجل شرقى .

وإذا كان الحب لم يكتمل فى رواية « اين يذهب الحب » لأن البطلة فضلت الأمومة .

وإذا كان الحب لم يكتمل فى قصة « فرحتى » ، لأن البطلة تقدس حريتها وترفض ان يمتلكها احد ، فإن الحب لم يكتمل فى قصة « بدايات » للدكتورة لطيفة الزيات لأن الحب لطول المدة « ثلاثون عاما » قد تحول الى ود . فقد التقت البطلة بحبيبها لأول مرة حين كانت فى أوائل دراستها الجامعية وهى فى الثامنة عشرة من عمرها . وكما ارتبط الشوق الى الحب بالشوق الى الحرية عند بطلة روايتها الأولى « الباب المفتوح » فقد ارتبط الشوق الى الحب بالشوق الى

قراءة فى أدب المرأة :

المغرقة فى قصتها « بدايات » ففى الوقت الذى كان قلب البطلة متلهفا على الوقوع فى حب بجناحيها كالاعصار كانت تقرأ رابعة العدوية وبودلير ، الانجيل والبيان الشيوعى فى نفس الوقت ، هبط عليها « سامى » وكأنما هبط من السماء وهى فى السنة الأولى من دراستها الجامعية ، فى الثامنة عشرة « كان سامى الحب البداية بلا نهاية ، الأرض والشمس التى تدور حولها الأرض ، وعلى مدى ثلاثة شهور أصبح سامى جزءا لا يتجزأ من حياتها ، ورغم هذا « لم تتشكل المشاعر قط فى كلمات ، ولم يبد من الضرورى أن تتشكل » .. ولم يخطر فى بالها أن تتساءل : « وماذا بعد ! استوعبتها اللحظة تحيا عليها حتى تحياها من جديد ، فلم تسأل : « حتى .. فاجأها سامى ذات يوم انه راحل الى لندن فقد تم تعيينه مراسلا للصحيفة هناك . ومن يومها وسامى لا يكف عن الترحال ، يعود ليرحل من جديد ، من يومها والعلاقة قائمة على القرب وعلى البعد على مدى ثلاثين عاما ، انتهت من دراستها الجامعية وتوظفت وتزوجت وطلقت وسامى يعود من سفرياته ليحكى لها كم يحبها ، استغرقتهما مشكلات الحياة وسرقهما الزمن وحين يتصل بها سامى يدعوها للقاء قبل أن يسافر كعادته ، يخبرها انه لن يعود وكان يكرر هذا فى كل مرة يرحل فيها ، ولكنها كانت على يقين من عودته التى كانت تمنحها دائما نوعا من الاطمئنان . ورغم مرور ثلاثين عاما على هذه العلاقة ورغم افتراقهم الذى كان يطول بالسنين فانها كانت فى كل مرة تستأنف الحديث معه وكأنها بدأته بالأمس . حين قبلت دعوة سامى اللقاء وهى فى الثامنة والأربعين هذه المرة ، كتبت فى مذكراتها : « مع سامى سأجلس فى شرفة النادى وجها لوجه ، كهل وكهلة ، يجتران ذكريات الماضى ، سأضحك وسيضحك ويقول انه مازال يحبنى كما يقول دائما ، ولن اقول أنى أحبه ، لأنى أوده ولا أحبه ، (ما أحدُ ما تتحدد مشاعرى انمو على مشاعر الحب القديمة ، اتجاوزها) .. ولن أنزعج لأن سامى يحبنى ولا لأنى أوده .. فلا هذا الحب المعين من جانبه ولا هذا الود الخاص من جانبى حال دون أن يعيش كل منا حياته مكتملة فى استقلال عن الآخر » .

● قهر المواطن

أما بطلة رواية « النار والاختيار » للكاتبة المغربية خناثة بنونة فهى بطلة تحمل على كتفيها هموم الوطن العربى كله بدءا من ضياع فلسطين ومرورا بغياب الحريات وقهر المواطن وتزييف وعيه وحتى كل الهياكل والمؤسسات المهترئة وخاصة المؤسسة التعليمية التى تساعد على تخدير المواطن وبلبلة أفكاره حتى يبقى مستعبدا ومهزوما الى الأبد ، كان يسحقها ويرج كيانها هذا الانحدار الذى يعانى منه الوطن الصغير والكبير وتجزع من كل هذه الهزائم التى منيت بها الأمة وتتساءل فى هلع بعد هزيمة ٥ يونيه عن كل الذين يأكلون ويشبعون ويرقصون ويمرحون وكأن شيئا لم يقع « كيف يملك بعضنا أن يتنعم الى هذا الحد كان زلزالا لم يقع » . ومن خلال رحلتها للبحث عن غد

افضل واكثر جمالا ، ومن أجل البحث عن بديل اكثر عدلا عما هو قائم حيث لاقهر ولاهزيمة حملت على عاتقها كشف زيف المجتمع وتعرية لا قهر ولا هزيمة الواقع عمّا هو قائم حيث كان هدفها هو خلخلة المؤسسات وتفجير كل البنى المزيفة القائمة شكلا وموضوعا ، لذلك كان العمل الجاد الهادف المخلص هو أحد الأسلحة الفعالة لخوض معركة الهدم حتى يتسنى البناء من جديد على أسس اكثر صدقا واكثر وعيا بمتطلبات المرحلة الراهنة ، لقد اخترت طريق جهادى ، لأن ظرفى التاريخى والنفسى يتطلب هذا الجهاد لأؤكد أن مرحلة البدء حانت ، وأن من لم يبدأ عليه أن يموت ، وفى وسط حيرتها بين اوجاع الأمة وأحلامها تلتقى بذلك الحبيب الذى يملك ، كل خصوبة الأرواء : فكرا وفهما ، ولكنها تقف لقلبها بالمرصاد وتتساءل : ولكن أين الممارسة ؟ .. انه أحد أعمدة بعض الأنظمة التى صنعت منا مهزومين من المحيط الى الخليج ، كانت رغم مشاعر الحب القوية تؤمن أن العاطفة العاقلة هى أحد الأسس التى يقوم عليها التغيير ، لذلك فحين عرض عليها الزواج كانت (اللا) هى الجواب . كان رفضها للزواج من الحبيب هو ، رفضا للهزيمة ولكل شرائح الهزيمة ولجميع بنيات المجتمع المهزوم ، .. كانت ترفض المثقف الذى لم يستطع أن يوجد حيث يجب أن يكون ، هناك مع القاعدة مناضلا ثوريا مساهما فى رفع الغشاوة عن العيون ، حاملا معوله ومشاركا فى عملية الهدم ولا يهدأ حتى يتم مرحلة بناء البديل الصحى ، رفضت عرض الزواج رغم ما يمثله هذا العرض من عذوبة واختارت أن تبحث لحياتها عن معنى عن طريق العمل ، اختارت مهنة التدريس لأن « التدريس سيمنح لشعورى بالمسئولية نوعا من الاطمئنان » ، فعلى الكراسى بواكر طرية يجب انقاذها من التيه الذى يعانى منه انساننا العربى .

وهكذا لم يعد الحب يفجر الشعور بالأثم ولكنه اصبح يفجر الشعور بالمسئولية ، بالصدق مع النفس ومع الآخرين ، بالامانة وبوضوح الرؤية . ولكن يحق للمرء أن يتوقف ويتساءل : ما الذى حدث ؟! .

هل ارتفاع نسبة التعليم جعل المرأة اكثر وعيا واكثر إدراكا لموقعها فى المجتمع كمواطن حر له كل الحقوق وعليه كل الواجبات ؟ **هل خروج** المرأة للعمل جعلها اكثر **احتراما لذاتها ولحريتها** واستقلالها وكرامتها **واشبع** احساسها باهمية دورها فى المجتمع ؟ **هل** حاصرت المرأة الهموم **وجثمت على** انفاسها حتى اصبح ، **ارضاء القلب ترفا** وسط انقاض الموت والدمار **فى عالم هو** عالمنا ، كما تقول **خناثة بنونة** ؟ واسأل مع السائلين : هل **تاه منا زمن البراءة وانقضى العصر الذى كنا نلتف فيه صغارا حول حواديت جدتى حين كان القلب خال والوهج فى العيون والشوق الى الحياة يزغرد بالفرح فنصفق فى نشوة حين تنتهى حكاية الشاطر حسن مع ست الحسن والجمال وحين كانت تنتهى كل الحكايات بانتصار الخير وزوال الشر وزواج الحبيبة من حبيبها ليعيشوا فى التبات والنبات ويخلفوا صبيان وبنات** ؟ ..

لويس عوض والتنوير

بقلم : د. مراد وهبة

في الاسبوع الاخير من شهر نوفمبر الماضي عقدت ندوة فلسفية في القاهرة بالتعاون مع معهد جوته والمجلس البريطاني عن (التنوير والثقافة) وكان في مقدمة الذين وجهت اليهم الدعوة هو المفكر الدكتور لويس عوض وقد قبل المشاركة ببحث ولكنه للاسف لم يتمكن من ممارسة هذه المشاركة بسبب وعكة صحية المت به قبل انعقاد الندوة بيوم واحد .

● وايا كان الامر فهذه الدعوة تعني في تقديري ، ان ثمة علاقة بين لويس عوض والتنوير . ولبيان طبيعة هذه العلاقة يلزم تحديد معنى التنوير ، وتحديد الرؤية الادبية للويس عوض .

تحديد معنى التنوير . يلزمنا بالعودة الى القرن الثامن عشر ويعرف القرن المشهور بانه قرن التنوير ، والتنوير من صنع فلاسفة اوروبيين ياتي في مقدمتهم الفيلسوف الالماني العظيم عمانويل كانط ومقاله المشهور عن التنوير بعنوان « جواب عن سؤال : ما التنوير ؟ جاء فيه ان التنوير هو هجرة الانسان من اللارشد واللارشد هو عجز الانسان عن الافادة من عقله من غير معونة الاخرين ، وعجزه عن الجراة في اعمال عقله . ومعنى ذلك في تقديري ان التنوير هو الا سلطان على العقل الا العقل نفسه ، اي هو استقلال العقل .

والسؤال اذن :

استقلال العقل مم ؟

والجواب عن هذا السؤال يستلزم قراءة متأنية لكتاب « نقد العقل الخالص » . ففي مفتتح الطبعة الاولى لهذا الكتاب يقول كانط ان للعقل خاصية تميزه وهي انه محكوم بمواجهة مسائل ليس في الامكان تفاديها . فهي مسائل مفروضة عليه بحكم طبيعته . بيد ان العقل «عاجز» عن الاجابة عنها . وهذه المسائل تدور على مفهوم « المطلق » سواء وصفته بانه الله او الدولة . ولهذا فان تاريخ الفلسفة ، عند كانط ، هو تاريخ هذا العجز . وهنا يميز كانط بين حالتين : حالة « البحث » عن اقتناص المطلق ، وحالة « اقتناص » المطلق . والامر الواقع ان ثمة محاولات عديدة مارستها البشرية في البحث عن المطلق



د . لويس عوض

ولكن تصور التناص المطلق بطريقة مطلقة · يوقع الانسان في «الدوجماطيقية» أي في توهم أنه مالك لحقيقة مطلقة وهذا هو مغزى قول كانط « لقد أيقظني هيوم من سباتي الدوجماطيقي » · وكانت هذه اليقظة بسبب رأى هيوم في مبدأ العلية القائل بأن هذا المبدأ ليس قضية تحليلية ، أي أن المعلول ليس متضمنا في العلة تضمنا ضروريا ، وأن هذه الضرورة التي تبين للعقل ليست الا عادة تسد تكونت بتكرار التجربة ، والتجربة لا تتسم بالضرورة وانما بالاحتمال · واستنادا الى استبعاد « الضرورة » عن مبدأ العلية تتهاوى الأدلة التي تستند الى مبدأ العلية في اثبات وجود الله ، ومن ثم يتشكك الانسان في امكان اقتناصه المطلق · ومعنى ذلك أن أية حقيقة هي حقيقة « نسبية » · ومع ذلك فان الحقيقة النسبية ليست بمعزل عن الحقيقة المطلقة كل ما هنالك أن اقتناص الحقيقة المطلقة ليس الا مجرد « اشتهاء » ·

هذا عن تحديد معنى التنوير فماذا عن الرؤية الأدبية للويس عوض ؟ الجواب عن هذا السؤال وارد في مؤلفاته ومقالاته على الاطلاق ، ولكنه وارد على التخصيص في كتيب بعنوان « المسرح المصري » · وانتقائي لهذا الكتيب الهام مردود الى قول لويس عوض ان مؤلفه هذا عبارة عن بحوث كان قد نشرها في جريدة «الجمهورية» في الاعداد التالية بحسب ترتيبها : ٣ يناير ١٩٥٤ ، ٤ ، ٧ ، ٨ ، ١١ ، ١٩،١٦ فبراير،٥ ، ٧ مارس ١٩٥٤ (١) واللافت للنظر هنا أن جريدة «الجمهورية» هي جريدة الثورة وكان لويس عوض أحد كتابها ، وأنه قد فصل من الجامعة في سبتمبر ١٩٥٤ بقرار من مجلس قيادة الثورة ، أي بعد الانتهاء من آخر مقال بنصف عام ، الأمر الذي من شأنه أن « يوحي » بأن هذه المقالات كانت من أسباب اتخاذ هذا القرار ·

فهل ثمة مبرر لهذا الايحاء ؟ الجواب عن هذا السؤال يستلزم تحليل مضمون هذه المقالات ، وتحليل فكر الثورة في عام ١٩٥٤

ان الفكرة المحورية لهذه المقالات تدور على تحديد العلاقة بين الفن والدين · ولويس عوض يتخذ من المسرح المصري الفرعوني أساسا لتحديد هذه العلاقة · والمقالة الأولى شاهدة على ذلك فعنوانها « مأساة الانسان بين الفن والدين » · وتكمن هذه المأساة في قول لويس عوض بأن « المسرح المصري نشأ في أحضان الدين أولا وترعرع في أحضان الدين ثانيا وشاخ في أحضان الدين ثم

(١) لويس عوض ، المسرح المصري القاهرة ، دار ايزيس ، ص ٧١ ·

مات اخيرا فى احضان الدين . ولعله فى بعض مراحله قد خرج من تصوير الحياة الدينية الى تصوير الحياة الزمنية ، ولكنه رغم ذلك لم يخرج عن دائرة الطقوس التى فرضها الدين عليه » (٢) .

تفصيل ذلك :

ولد الفن فى احضان الدين لان المأساة الكبرى التى كانت تمثلها هى مأساة الاله المعذب ، اله الخصب اوزوريس . وموجزها ان الاله اوزوريس قد قتله اخوه الاله ست . ومع ذلك فقد حملت ايزيس زوجة اوزوريس بالروح القدس دون ان يمسسها زوجها ، وقد حدث الحمل اثر طوفان ايزيس بجثة زوجها اوزوريس، وكان الاله حوريس هو اسم المولود ، وقد لقب بالمخلص لانه استطاع بقهر ست ويخلص النيل من شروره. وقد صور المصريون هذا الصراع بين الالهة على انه صراع بين اوزوريس كرمز على قوة الخير وست كرمز على قوة الشر ، وقد انتهى هذا الصراع بقهر الخير للشر .

هذه هى مأساة اوزوريس ، وهى أول مسرحية عرفها التاريخ خرجت من قلب مصر وكان مسرحها « المعبد ». وكان من الممكن ان تخرج من هذه المأساة أخلد المآسى لولا ان الكهنة حبسوها فى « اسرار المعابد » ولم يخرجوا بها الى النطاق الشعبى .

وبعد ذلك يقارن لويس عوض بين المسرح المصرى والمسرح اليونانى فيقول بأن اليونان قد اخذوا من مصر مسرحها وتعلموا منها ما لم يفعله المصريون . خرجوا بهذه الاسرار من المعابد الى الهواء الطلق وحرروا الفن من الدين فاستخرجوا من فكرة الاله المعذب فكرة البطل المعذب ، ثم انشأوا عليها مسرحا فيه من الدنيا اكثر مما فيه من الدين . (٣)

وبعد ذلك يكشف لويس عوض عن فارق آخر بين المسرح المصرى والمسرح اليونانى ، وهو أن المسرح المصرى لا يخرج منه مسرح وانما تخرج منه ملحمة كبرى تتصارع فيها قوتان واضحتان هما قوة الخير متمثلة فى الاله اوزوريس وقوة الشر متمثلة فى ست . اما المسرح الحقيقى فهو المسرح الذى يقوم على الصراع وهو صراع مركب وليس صراعا بسيطا ، هو صراع بين الخير والشر ولكن فى داخل شخص واحد وليس بين شخصين وعندئذ يكون البطل وحده هو محور ذلك الصراع فيتضارب فيه الخير والشر (٤) مثال ذلك مأساة بروميثيوس الذى انضم الى صفوف البشر حين نشب خلاف بينهم وبين كبير الالهة جوبتر فى شأن القرابين ، وغش جوبتر فى شىء من نصيبه فأمر جوبتر بحرمان البشر من النار فرفعت عنهم النار . ولكن بروميثيوس صعد الى الشمس مرة اخرى وعاد بالشعلة الى مخلوقاته فلما انتهى الى علم جوبتر أن بروميثيوس « سرق » النار الالهية وردها الى البشر غير مبال بأوامره قيده الى صخرة شاهقة

---

(٢) المرجع السابق ، ص ٣
(٣) المرجع السابق ، ص ٢٤
(٤) المرجع السابق : ص ٤٨



مسرحية ايزيس لتوفيق الحكيم ، كرم مطاوع وسهير المرشدى

وجرد عليه نسرا ضاريا ينهش كبده كل نهار . وقد تحمل بروميثيوس هذا العذاب ثلاثين الف سنة حتى فتك هرقل بالنسر وفك عن بروميثيوس احقاده . من البين هنا أن مسرح البطل ، فى الدراما ، ضرورى وقاء لخطيئة ارتكبها ، ولا سبيل الى التكفير عنها الا بدمه . والمتفرج يهتز لمسرح البطل لان مأساة البطل هى مأساة كل انسان (٥) .

● الرؤية الادبية والتنوير

ويخلص لويس عوض من هذه المقارنة بين المسرح المصرى والمسرح اليونانى الى ان المسرح المصرى هو مسرح ملحمى حيث القسمة الثنائية حاسمة بين الخير والشر او بين الله والشيطان ، وحيث الاحكام مطلقة اذ اننا لا نرى فى الناس الا بياضا ملائكيا او سوادا شيطانيا . اما ادب المسرح فالبطل فيه قلق وثائر ومضطرب لا يعرف الامان لا فى داخل نفسه ولا فى خارجها . ومن هذه الزاوية فان المسرح الملحمى ينشأ فى المجتمع الريفى حيث المطلقات سائدة ، وادب المسرح ينشأ فى المدينة او المدنية لانها خالية من المطلقات . وحيث ان مصر مازالت مجتمعا ريفيا ، فليس ثمة مسرح ولا أمل فى تأسيسه الا اذا ناضلنا من اجل تحويل المجتمع المصرى من مجتمع مدنى او بالادق تحويله من مجتمع دينى الى مجتمع علمانى حيث العلمانية تدور على النسبى وليس على المطلق .

يبين مما تقدم ان ثمة علاقة حميمة بين الرؤية الادبية للويس عوض والتنوير . واذا كان ذلك كذلك فهل قصد مجلس قيادة الثورة من قراره بفصل لويس عوض من الجامعة ادانة التنوير او بالادق ادانة « العلمانية » اساس التنوير ؟

الجواب عن هذا السؤال يستلزم تحليل فكر مجلس قيادة الثورة ، كما يستلزم مقالا اخر .

---

(٥) المرجع السابق ، ص ٥٠

كتاب قديم جديد !

رؤية وسيم خالد ... فى الستينات تتحقق فى التسعينات

بقلم : د. سلوى أبو سعده

يحدد المؤلف منذ السطور الاولى للكتابة فكرته المحورية وهى اعتقاده الراسخ بان التناقض الرئيسى فى عالمنا هو التناقض الكامن بين معدل التبادل بين المواد الخام والسلع المصنعة ، بينما ياتى التناقض بين الشيوعية والراسمالية فى مرتبة ثانوية (ص ٤)

هذا هو الخيط الذى تتبع وسيم خالد اثاره وردود افعاله اثناء زياراته العديدة لدول اوربا الشرقية مركزا على الاثار الناتجة عن ارتقاء العالم الشيوعى الى مرحلة الدول الصناعية الناضجة ليواجه ولو بدرجة من الدرجات نفس مشاكل المجتمعات الصناعية الغربية الناضجة ، او الناتجة عن اتساعه بحيث اصبح يضم دولا متباينة المستوى الاقتصادى ثم عن دخوله التجارة العالمية كمصدر للسلع المصنعة ومستوردة للمواد الخام فاصبح العالم الاشتراكي بدخوله ميدان التجارة الدولية طرفا ثالثا فى الموضوع .

لذا طرح المؤلف سؤالا جوهريا كان هاجسه فى كل حواراته ومناقشاته التى أجراها مع العديد من مسئولى الدول التى زارها . (المانيا الديمقراطية ـ تشيكوسلوفاكيا ـ رومانيا)

يقول : "إذا كانت الدول التى تبيع المواد الخام تخسر فى تجارتها مع الغرب فهى تخسر بالمثل فى تجارتها مع الشرق !

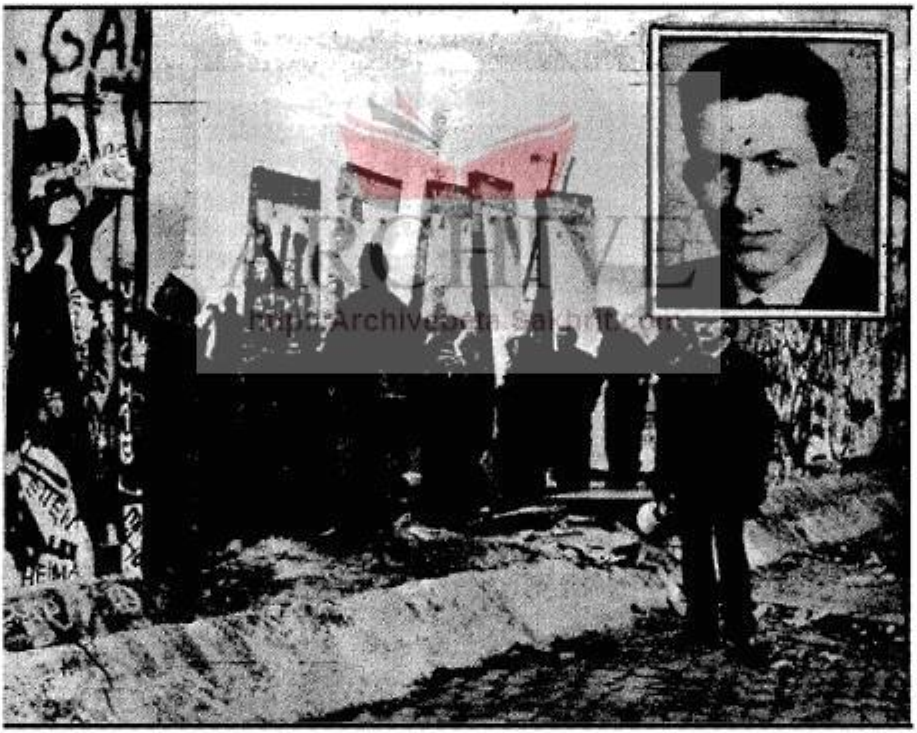
كيف يمكن ان تحل مشكلة المواد الخام عموما ؟ وما الدور الذى يستطيع ان يقوم به العالم الاشتراكى الذى يؤمن بالطبع بنظرية اشتراكية فى القيمة تقول ان العمل وحده هو أساس القيمة ؟

إذن كان وسيم خالد يعتقد ان العالم ينقسم فى شكل مادى الى عالم دول صناعية وعالم تبيع المواد الخام وبما ان الدول التى تبيع المواد الخام تواجه نفس شروط التجارة فى كلتا الحالتين فيما اذا باعت للغرب او للعالم الاشتراكى ، فالموقف يتطلب معالجة جديدة ، فاذا لم يحسم الموضوع فإنه سوف يثير اشكالات داخل العالم الاشتراكى نفسه .

أما على الجانب الآخر فيما يتعلق بدول الغرب الصناعى فقد ركز المؤلف على خطورة قيام السوق الاوروبية المشتركة واعتبر ان من اهم العوامل التى عجلت بقيامها انتصار المصريين فى بورسعيد واعتبرها "اداة تستطيع ان تعيد الى حضارة اوروبا الشائخة شبابها ، واذعن الشعور القومى داخل الدول الست المشتركة فيها (الكتاب صادر فى سنة

يطرح وسيم خالد انطباعته وتحليلاته بل ومخاوفه كواحد من ابناء الدول الفقيرة في أوائل الستينات بعد ثلاث زيارات متقاربة لبعض دول المعسكر الاشتراكي وهى تنبئوات وتوقعات تتاكد الواحدة تلو الاخرى مع بداية عقد التسعينات الجديد ، مركزين في عرضنا لها على ما جاء في فصول الكتاب الثلاثة الاول من بين الخمسة فصول التى تضمنها الكتاب .

سور برلين .. اشلاء حجرية على الجانب وسيم خالد



كتاب قديم جديد !

٦٢) ليفسح المجال لقومية اكبر هى القومية الاوروبية البيضاء الغربية نوع من الاستعمار الجماعى نوعا من المواجهة الجماعية الأوروبية لشعوب المستعمرات ... وربما لايزال علينا ـ ما لم تحدث تغيرات جذرية ـ ان تواجه ثقلها السياسى عندما يستنفد توسيع السوق إمكانياته الداخلية بالنسبة لاقتصاديات راسمالية فتعود الى المنهج التقليدى لتحاول ان تسيطر على الاسواق الخارجية وهى التى تفقدها بالتدريج لمجرد ان قيام هذه الوحدة الاوروبية يفقرها اكثر فاكثر . وباسلوب مبسط فقد تضمن قيام السوق الاوروبية بالفعل زيادة حجم التبادل بين اعضائها ولكن على حساب الدول الاسيوية الافريقية المصدرة للمواد الخام لان قواها الشرائية نقصت مع انهيار اسعار صادراتها من المواد الخام المترتب على قيام السوق الاوروبية ...

ولذلك فإن امام دول عالمنا الثالث ـ كما تصور وسيم خالد ـ « معارك مستمرة قاسية ، لان اوروبا لن تستسلم لمصيرها ابدا » .

ونفور الكاتب من الكتل الاقتصادية الكبيرة لم يقتصر على السوق الاوروبية فقط ، بل نجده يرفض ايضا « الكوميكون » فى المعسكر الاشتراكى لانه يضر حتما بمصالح الدول الصغيرة ويتوقع ايضا ان العامل القومى سيقف داخل تلك الدول حيث سيتخذ الكوميكون قرارا بايقاف اية صناعة ضد هذا التنظيم المفروض فى الخارج .

● مواجهة حركات التحرير

ورفض الكاتب الفرضية التى كان يطرحها بعض الالمان الشرقيين من ان السوق الاوروبية المشتركة ستنهار من الداخل لافتراض ان السوق المشتركة قد قامت لمواجهة الخطر الشيوعى بحيث يمكن ان تتفكك مع ارتخاء الحرب الباردة بينما السوق قد قامت ـ كما حاولت ان اوضح لهم ـ لمواجهة خطر حركات التحرير كنوع من الاستعمار الجماعى بحيث لاتتاثر بالحرب الباردة ... ومرت السنة واجتازت السوق المشتركة ازمات عديدة لتخرج منها اقوى مما كانت كأداة عدوانية فى مواجهة حركات التحرير » .

وركز المؤلف هنا على اسباب تحرك العامل القومى ضد التكتلات الاقتصادية وخاصة الكوميكون ضاربا برومانيا المثل وهى الدولة التى سبقت غيرها فى التطبيق الشيوعى فيقول فى الصفحة ٥٦ :

ـ لو كان تقسيم العمل الدولى يتيح مبادلة عادلة بين السلع المصنعة والمواد الخام لما اكترث الرومانيون بأن يقيموا صناعة ثقيلة او لا يقيموها ولكن الوضع هو ان المشكلة لم تحل بعد ...

العامل القومى هنا هل سنأخذه كعامل مادى ام معنوى ؟

انه يمثل فى الحقيقة العلاقة المتبادلة بين العاملين ، وهذا هو المهم فى الموضوع ـ دراسة التفاعل بين العوامل المادية والمعنوية مع التسليم بوجود كل منهما فى شكل مستقل ولايعنى الاعتماد على مجرد العوامل المادية فى التحليل سوى تحليل ضحل ساكن لانه يسقط العوامل الاخرى كلها من الحساب بكل بساطة . ويستطرد وسيم خالد فيقول :

« الشىء المذهل ان هذا الاحساس بالقومية وما يصاحبه او يسبقه من رغبة الاحزاب الاوروبية فى اتخاذ قراراتها وفقا لمصالح بلادها اولا ولو ضد قرارات مركزية يفترض انها تحقق مصالح الدُولية فى الاجل الطويل .. والشىء المذهل ان هذا الشعور

بالقومية تشوبه ايضا خيوط بيضاء اكيدة على الاقل وسط الناس شبه العاديين .

وهذا الشعور بالقومية كان المحور الرئيسى الثانى الذى حاول الكاتب تحليله والوقوف على ابعاده وخلفياته لتقرير مدى اصالة ـ هذه الخيوط البيضاء ـ او هذه الدرجة من الاحساس بالاوروبية التى بدات تغرب فى شرق اوروبا وتشوب هذا الاحساس المتزايد بالقومية على حساب الدولية . مستعرضا كيف نمت عقدة العظمة لدى الشعب الالمانى ، وكيف تمكنت الاحزاب الاشتراكية الاوروبية فى غرب اوروبا وكيف انه من الممكن التبشير بالاشتراكية فى قارة تعيش على الاستعمار تماما كما لايمكن القول بان اثينا مثلا كانت ديمقراطية وهى التى كانت تمتلك العبيد مما حتم هجرة الاشتراكية الى الشرق حيث كان يمكن ان تحتضنها المتناقضات الاستثمارية التى كان يعانى منها الشعب الروسى عندئذ .

ويستطرد وسيم خالد :

« وبالطبع فانا لا ادعى اننى استطيع الحكم من خلال الايام القليلة التى امضيتها فى المانيا الديمقراطية على طبيعة الجهود التى تبذلها السلطات هناك فى مجال اعادة تثقيف الشعب الالمانى الا ان الملاحظة السريعة التى خرجت بها خلال اقامتى القصيرة هى ان هذه الجهود يوجه معظمها ضد "النازميزم" ضد "الفاشيزم" ضد "المليتاريزم" ضد "الستاليتزيم" .. وهى قائمة طويلة تنتهى كلها "بالايزم" وتشمل الفاشية والنازية والعسكرية والاحتكارية والستالينية والاستعمارية ... واحس ان قائمتهم ينقصها بند آخر كان عليهم ان يحاربوه ايضا وهو الاوروبيانيزم او بقايا الجرمانيزم التى مازالت تسيطر عليهم ، اننى بطبيعة وضعى كرجل جاء من بلاد تجارب الاستعمار اميل ـ ربما دون إرادة واعية منى ـ الى تجسيم المشكلة الاستعمارية ولكننى اعتقد ان اعادة تثقيف الشعب الالمانى تتطلب معاملة الاشتراكية لا كمجرد قضية اوروبية ولكن كتراث انسانى ، تتطلب ليس مجرد شرح المتناقضات الكامنة فى النظام الراسمالى وازدياد سحق الطبقات العاملة ولكنها تتطلب ايضا شرح الاستنزاف البشع الذى تتعرض له شعوب المستعمرات والذى يجعل لفائض القيمة مدلولا ينصرف باكملها لامجرد مدلول طبقى » .

« **لقد كنت اخاف بدورى .. رغم كل شىء ـ كرجل مصرى اسمر او حنطى اللون من الوحش الابيض المتعصب الذي لمسته ينمو كالخلايا السرطانية على مر السنين داخل اوروبا الشرقية نفسها ، كنت اعى انه مهما اختلفت اشتراكيتنا عن اشتراكيتهم فان الاشتراكية وحدها ـ من اى نوع ـ هى التى تستطيع حتى مع الخيوط البيضاء التى بدات تضرب فى الاشتراكية الاوروبية الشرقية ان تهذب مشاعر التعصب البيضاء وتكبحها .. وانها برلين قلب اوروبا الغربية ويتوقف على قراراتها ربما قرارات اوروبا باسرها** » .

وينتقل المؤلف الى مسالة سور برلين وكيف انه فشل فى ان يحس بأى رهبة امام السور .. بل اكثر من ذلك « لقد فشلت فى ان احس بان القوى الحقيقية المتصارعة على جانبيه تأخذه كشىء جدى ... «الالمان الشيوعيون يأخذونه ـ يقصد السور ـ فى يساريتهم كشىء جدى ، ربما كانوا هم انفسهم اصحاب فكرته رغم معرفتهم بكل الاثار الاقتصادية المترتبة عليه وصناعاتهم تعتمد الى حد كبير على صناعات الغرب .. بل وتكاد تكون متكاملة معها لقد كانوا يعرفون مقدما ان اقتصادهم قد يواجه هزة عندما تتصلب المانيا الغربية ، تفوق ربما خسارتهم

كتاب قديم جديد !

من التهريب والمعدلات المختلفة للمارك ، ولكنهم كانوا دوما على استعداد للمضى فى اى اجراء يمكنهم من المضى فى تجربتهم »

ـ وينتقل المؤلف هنا الى تحليل المواقف التى كانت تقف وراء سياسة كل من القوتين العظميين حول مسألة سور برلين فيقول :

● تخريج ذكى

« اما القوى الحقيقية المتصارعة ذات الوزن الاثقل فلم تأخذه هذا المأخذ لقد كان السوفيت يستطيعون لو ارادوا ان يحسموا الامر ويمضوا معاهدة الصلح كما اعلنوا مرارا مع المانيا الشرقية ويجلبون على انفسهم رد الفعل الامريكى الحتمى حتى ديارهم ، ولا مجال هنا للتردد فلن يسلم احد الطرفين للآخر فى شكل مطلق فى المانيا لان المانيا تعنى اوروبا ، ولكنهم لم يعمدوا الى الحسم اكتفوا ببناء السور ، مناورة انتظارية تجبر خصمهم على التحرك ، وتقبله الامريكيون فى قرارة انفسهم كالبديل الوحيد الذى يجنبهم اللجوء الى الاشتباك المسلح لو عمد الروس الى الحل الاخر ونفس حكاية تصدى الجنود الالمان الديمقراطيين للدبابات الامريكية بصدورهم يوم اقتحمت برلين الشرقية حتى اعادوها الى الغربية او عودة الدبابات الامريكية من تلقاء نفسها ـ باى صيغة رويت ـ تقطع بان الامريكيين لم يكونوا يريدون ان يذهبوا الى اخر المدى لإحراج الروس وتحطيم السور ... كان السور فى الحقيقة تخريجا ذكياً ، .. يحمي كرامة كل من الطرفين في هذه اللعبة التى تعتمد على الهيبة ان كلاً من الطرفين فى موقف متخشب بالفعل لايسمح له بالتراجع خطوة واحدة لان الخطوة الواحدة الى الوراء قد تعنى انهيارا كاملا

وحول نفس النقطة يكمل المؤلف شرح اسباب خوفه من هذا الوحش الابيض فيقول :

« السوفيت يخافون وقوع اوروبا الشرقية والامريكان يخافون وقوع اوروبا الغربية ... ومن هنا كانت براعة فكرة السور التى جنبت الطرفين اللجوء الى ما هو امر منها والتى تسمح فى نفس الوقت بتوفير عنصر الزمن وهو الذى تحتاجه عوامل التقارب المادى بين المعسكرين الروسى والامريكى كى تزاول مفعولها !! ونظرت الى السور لا كذروة من ذروات الحرب الباردة بل كأحد ادلة تراخيها »

ـ ويصل وسيم خالد الى النقطة الجوهرية التى كانت سببا وراء كل ما يعترى الساحة الدولية ايدولوجيا وسياسيا واقتصاديا من تغيرات ونقلات جذرية مفاجئة فى سرعة رتمها فاق حد تصورات جورباتشوف واضع البريسترويكا عندما يطرح فى صفحات ٧٠ ـ ٧١ :

« .... والاتحاد السوفيتي ينتقل بعد تقدمه المادى الذى حققه خلال صراع مرير مع الغرب الصناعى والقوى الاستعمارية الى مواجهة نفس المشاكل التى يواجهها هذا الغرب الصناعى بشكل من الاشكال ويزداد حساسيته للذبذبات التى تعتريه مع زيادة تجارته الخارجية معه وينادى بالتالى بالتعايش السلمى الذى يمكن ان تقبله عناصر كثيرة فى الغرب على اساس لاسبيل الى تجاهله .. انها طبيعة المرحلة التى تفرض كل المواقف التى يتمسك بها ... انها طبيعة المرحلة التى يمر بها التركيب المادى لكل مجتمع هى التى تحدّد مواقفه .. إنه العامل القومى فضلا عن ان طبيعة المرحلة المتقدمة التى تمر بها اقتصاديات العالم الشيوعى الاوروبى تفرض نوعا من التقارب بينه وبين المشاكل التى يواجهها الغرب بل وتكاد تفرض نوعا من التقارب مع الغرب ... وتكاد تفرض شيوعية ذات قومية اوروبية .. !!

ميخائيل بولجاكوف

الروائى السوفييتى المعاصر .. حياته واعماله

بقلم الكاتبة السويسرية : ازيان رينالدى
ترجمة واعداد : عمرو كمال حموده

« هاهى أرواح الموتى تصدر صيحات مؤلمة تنغز حياة الاحياء من البشر .. تلك الحياة الممتلئة بالخطايا المروعة والأخطاء المريرة والمفارقات التاريخية .. إن تلك الصيحات تشير الى مسلسل الاوضاع اليومية الأليمة التى تقع امام بصر كل واحد منا فى كل يوم .

كنت حريصا باستمرار على ادخال عدة فقرات مثيرة ومستفزة فى كتاباتى ، على أمل أن يهاجمنى البعض ويكرهوا مافعلته ، فيصيبهم الغضب ، ومن ثم يتولد ما رجوته وهو « الحقيقة »!



ميخائيل بولجاكوف

اذا كنت قد اخترت هذه الفقرة من « رسالة الى مجهول » التى كتبها الروائى الروسى الراحل جوجول عام ١٨٤٣ لاستهل بها دراسة عن بولجاكوف .. فلانها تعبر عن الفكرة العامة والخط الرئيسى فى كتاباته وهو دفع القارىء المتلقى كى يفكر معه ، بل يتمادى الى حد استفزازه وتوجيهه لرفض الرؤية الخارجية للأشياء وللأحداث المعاشة ، والغوص فى باطنها استجلاء للحقيقة ووصولا اليها .

ميخائيل بولجاكوف

وعندما شرعت فى دراسة حياة واعمال اديبنا بولجاكوف لم افكر فى مجرد ابراز مأساة حياته الكئيبة وحزنه الشخصى بسبب الاضطهاد المستمر لكتاباته اثناء حياته . ومحاولات الطرد المستمر له من الساحة الأدبية والتى نجحت حتى وفاته .. الى ان عرف النجاح والمجد بعد ذلك عندما عادت مؤلفاته للظهور والانتشار مع بداية عام ١٩٦٢ .

كذلك لم افكر فى مجرد تقديم رصد وكشف بمجموعة مؤلفات بولجاكوف الابداعية وعلى راسها رواية « المعلم ومارجريت » الفذة والتى لم تشفع له لدى سلطات الرقابة حتى انه واجه سبابا وقذفا فى حقه ! فان بولجاكوف قد كتب نحو اربعين عملا مسرحيا لم يسمح له الا بعرض اثنين فقط ! بل ان مسرحيته الاولى التى عرضت على خشبة المسرح وهى « يوميات توربين » لم يسمح لها باستمرار العرض - ويا للمفارقة ! - الا بقرار من ستالين الذى افتى بان فوائد المسرحية اكثر من اضرارها وقال ايضا : « ان بعض الشخصيات من البشر مثل توربين يجب ان يقروا بعجزهم .. فى حين ان البولشفيك نمط لايقهر »

ومن ثم كان دافعى للكتابة والتنقيب فى حياة بولجاكوف كما ذكرت من قبل .. هو اظهار الفكرة العامة والخط الرئيسى فى ابداعاته . حيث نجد امامنا فى كل لحظة وعند كل منعطف ثنائية الوهم والحقيقة .. السخرية والحزن .. الامل واليأس من خلال كم زاخر من الشخصيات التى تتزاحم فى الروايات والمسرحيات وتختلط فيما بينها .. رغم انها تعبر عن مستويين واضحين فى حياة الناس : الظاهر والباطن .

وربما كانت مسرحية LA CABALE Des Dêvots « المؤمنون المتآمرون » والتى سنعرض لها بشىء من التفصيل فيما بعد نظرا لمحوريتها ضمن اعمال بولجاكوف الابداعية ، فان هذه المسرحية تبرز الدليل على هدفنا الاساسى من دراستنا لحياته وأعماله .. فهو هنا يقدم عالما زاخرا أشبه بدوامة من الاحلام والرؤى فنجد ممثلين هزليين وفلجعة عائلية وانبياء مزيفين وكانك امام زوايا دافقة بالحيوية ، تصيبك بالدهشة حينما يلتقى اليقين التاريخى بما هو أعلى منه : احتمالات الحياة المفتوحة والتى يصعب السيطرة عليها .

وياسخرية الاقدار .. فلقد اصاب الغم والكدر قلب بولجاكوف عندما رفضت السلطات الرقابية استمرار عرض روايته ، ولكنه خرج من تجربته تلك بفهم اوضح للامور وقال جملته المشهورة : « لايجب عليك ان تبذل جهدا كبيرا فى تسليط الاضواء على الشيطان فى حين انه موجود فى كل مكان من حولنا .. وكل الناس يعلمون ذلك »!

ولد ميخائيل بولجاكوف فى مدينة كييف عام ١٨٩١ ، ابنا لمدرس بكلية اللاهوت فيها . وأمضى بولجاكوف حياته التعليمية تلميذا فى مدرسة الليسيه الفرنسية ثم تخرج بعد ذلك فى كلية الطب عام ١٩١٦ .

وعمل بعد تخرجه كطبيب باحدى المدن الريفية بمقاطعة سمو لنسك وكانت مهنة الطب بالنسبة له مجرد مجموعةمن



الباحثة السويسرية
اريان ريمالدى



جوجول

الممارسات الحرفية التى لاتخضع لفن معين .

ولكنه أخرج عن هذه الفترة مؤلفا بث فيه خواطره ومشاهداته وجزءا من سيرته الذاتية عن تلك الفترة من حياته واسماه « اقاصيص طبيب شاب »

ثم حزم بولجاكوف امره وبدءا من عام ١٩١٩ كرس حياته تماما للادب ، واخذ فى الكتابة فى الصحف لبعض المسرحيات القصيرة والتى فقدت ولم نعد ندرى عنها شيئا . واخذ يجوب أعماق روسيا .. فزار تفليس وباتوم وفلادى كافكاز (القوقاز) ثم استقر بعد فترة وحتى وفاته فى موسكو مع بداية عام ١٩٢١ .

وبدأت ابداعاته فى الظهور مع صدور أول رواياته وهى « الحارسة البيضاء » والتى نشرها فى المجلة الروسية من خلال جزءين فقط لتوقف المجلة عن الصدور على حين ظهر الجزء الثالث عام ١٩٦٦ فى مجلة « مختارات ادبية » ولم يفطن اليها احد رغم ان الرواية قد مثلت على مسرح الفنون عام ١٩٢٦ .

ولاقت مسرحية « يوميات توربين » نجاحا ملحوظا ازعج السلطات الرقابية على الأدب لانها المرة الاولى ، وفى وقت مبكر ، تظهر مسرحية تتناول الحرب الاهلية اثناء ثورة اكتوبر الاشتراكية فى اقليم اوكرانيا بالتحديد مصورة انقسام الشعب هناك بين « البيض والحمر » اى قوى الرجعية المحافظة من جهة وقوى الثورة الجديدة من ناحية اخرى .

ولقد ولدت هذه المسرحية الشكوك والريبة فى بولجاكوف ، ومعها بدأت تنتشر وتتزايد بذور ويثور الظنون من حوله وحتى اخر يوم فى حياته . شكوك تنخر فى كل عمل من اعماله .. لماذا كتبت بهذه الطريقة ؟ وماهى مراميه الخفية وراء كل جملة أو كلمة فلسفية او هزلية كانت .

الى ان ضجت الرقابة فمنعت استمرار عرض المسرحية كذلك منعت عرض مسرحية « السباق » والتى ظهرت على خشبة المسرح فى عهد خروشوف عام ١٩٥٧ ! كما حذف من الريبرتوار « شقة زويا » ومسرحية « الجزيرة الارجوانية » الى ان صدر قرار نهائى بمنع عرض وتمثيل مسرحيات بولجاكوف وسحب كل مؤلفاته المنشورة من دور النشر اعتبارا من نهاية عام ١٩٢٨ .

كان رد فعل بولجاكوف الصمت .. الى ان تمضى العاصفة حتى لاتعصف بروحه

وحتى يستمر فى ابداعاته .

وشرع فى تأليف دراسة ادبية عن حياة واعمال موليير وهو مشروع كان يراود تفكيره باستمرار . الا انه انتج مسرحية تتحدث فى الظاهر عن حياة موليير واطلق عليها اسم « المؤمنون المتآمرون » وهى فى حقيقة الامر صيحة لرفض الصمت وللرقابة ونقد لما كان يحدث فى المجتمع السوفييتى فى تلك الفترة .

ولهذه المسرحية اهمية خاصة ضمن اعمال بولجاكوف حيث اظهر لنا السيرة الذاتية لموليير دون ان يكون هدفه تاريخ حياة موليير ، بل عرض للشخصية فى تفاعلاتها بالجو المحيط والظروف الخاصة بها اى اتاح للشخصية الظهور على المسرح بكل انسانياتها وديناميكيتها ، وخلط ذلك بالخيال والرؤى والاحلام وكأنه ساحر يبهرك حتى تفكر معه .. اين هى الحقيقة ياترى فيما تراه ام هى كامنة فيما وراء الحائط المرئى !

ومن خلال عرض حياة موليير كان تركيز بولجاكوف على اظهار معاناة الفنان او المثقف مع السلطة خاصة عندما تتصور السلطة انها تملك الحقيقة وحدها .. وتمتلك حياة ورؤى الجماهير . تبعا لذلك .. وتوارت احباطات بولجاكوف .. وراء احباطات موليير ، وتداخلت استبدادية لويس الرابع عشر مع ديكتاتورية ستالين .. وعبرت صراعات ومناورات الحاشية الملكية واجهزة الرقابة ورجال المسرح مع موليير .. عن نفس نوعية الالام وضيق الافق الذى مارسته اجهزة الرقابة والذين تصوروا انهم المخلصون للثورة البلشفية ضد بولجاكوف وكتابته بدون دراسة مستوعبة لها .

والمذهل ان البناء الفنى للرواية والتكنيك فيها كانا جديدين ، بذل بولجاكوف جهدا خارقا فى عملية الخلق وبطريقة غير مسبوقة تدل على مدى احترام الكاتب لعمله وعبقريته فى الوقت نفسه .

وتعد الفترة التالية التى اعقبت عام ١٩٢٨ من حياة بولجاكوف فترة مليئة بالغموض والالام معا . حيث واجه كمًا هائلا من المضايقات والمنغصات والملاحقات الرقابية من كل جهة سواء من لجنة الدولة للرقابة على المسارح والتى ترددت طويلا قبل سماحها بعرض مسرحيته عن موليير على مسرح لينتجراد الذى وافق على تقديم المسرحية للجمهور ثم امتنع فجأة عن ذلك . وذهبت المسرحية الى ادارة مسرح موسكو للفنون الذى وافق على عرضها فى مقابل ادخال تغييرات وتعديلات على النص عصفت به واصبحت المسرحية بعد ذلك مختلفة تماما عن النص الاصلى !

ومن ناحية اخرى فان دار نشر « جورجاز » رفضت مؤلف بولجاكوف عن موليير لان العمل فى رأيها لايعبر عن الخط السياسى العام الذى ساد المجتمع والدولة السوفييتية فى تلك الفترة .

وخلال تلك السنوات الكئيبة حدث امر غريب .. فقد انتهى اليأس ببولجاكوف الى كتابة رسالة الى ستالين عارضا عليه البت فى مصيره ككاتب وكانسان على ضوء واحد من بدائل ثلاثة :

١ ـ اما ان يسمح له ستالين بممارسة عمله كروائى ودراماتورج (كاتب

مسرحى) ، لان فى ذلك حياته الحقيقية والروحية .

٢ ـ واما ان يسمح له بالنفى خارج البلاد .

٣ ـ والبديل الثالث ان يصدر ستالين امرا برميه بالرصاص !

ومضى عام كامل دون ان يرد عليه ستالين . وفى لحظة مثل القبس ، يتلقى بولجاكوف مكالمة تليفونية على غير موعد ، فيلتقط السماعة فيسمع على الجانب الاخر ضحكة مجلجلة ثم صوت ستالين يبلغه قراره .

١ ـ ان الاضطهاد سوف يرفع عنه

٢ ـ ان مسرح الفنون فى موسكو سيمنحه عملا .

٣ ـ وان مسرحيته « يوميات توربين » سيعاد عرضها وتمثيلها من جديد وبدأت الحيوية تدب فى حياة بولجاكوف .. وتنوعت نشاطاته فى عدة مجالات فاسند اليه العمل كمستشار للنصوص الادبية فى مسرح الفنون بموسكو وكذلك مسرح البولشوى .. وكتب بعض السيناريوهات وعدة كتيبات عن اعمال اوبرالية مختلفة ، ولكن الموقف السياسى منه لم يتغير بصورة جذرية .

فكان عليه ان يستمر فى النضال والصـراع من اجل استنقـاذ عمله المسرحى عن موليير ضد جورتشاكوف مخرج المسرحية وضد ستانسيلافسكى مدير المسرح .. ولكنه لم يستطع ان يتحمل اكثر من ذلك خاصة بعد ظهور المسرحية عام ١٩٣٦ ثم سرعان ماتم سحبها وقيام جريدة البرافدا لعدة اسابيع متوالية وبدون انقطاع بإدانتها ! ولكنه استطاع انجاز عملين مسرحيين الاول عن الشاعر بوشكين والاخر عن دون كيشوت ، وبالطبع لم تعرض هاتان المسرحيتان الا بعد وفاته .. ولكن بولجاكوف قرر التوقف عن الكتابة نهائيا للمسرح بعد المنع لهذه المسرحيات الثلاث ، وعاد على عقبيه الى احضان كتابة الرواية .

وخلال السنوات الثلاث او الاربع الاخيرة من حياته انجز عملين روائيين الاول اطلق عليه « الرواية المسرحية » أو « قصة مسرحية » وعبرت عن صراعه مع ادارة مسرح الفنون فى موسكو ، اما روايته الثانية فهى رائعته الفذة « المعلم ومارجريت » والتى نشرت فى المجلة الموسكوفية عامى ١٩٦٦ و١٩٦٧ بعد حذف اجزاء كبيرة منها .

وفى خريف عام ١٩٣٦ واثناء زيارة بولجاكوف لمدينة لينتجراد داهمه المرض واصابته بولينا فى الدم فعاد الى موسكو حيث تدهورت حالته الصحية بشدة وفقد البصر الى ان توفى فى ١٠ مارس ١٩٤٠ ولم تنشر الجرائد اليومية عن هذا الاديب العظيم الذى تتخاطف الجماهير السوفييتية اليوم مؤلفاته سوى ثلاثة اسطر كتبا عن وفاته دون رثاء وعندما وضع الكفن الخشبى الذى يحمل جثمان بولجاكوف داخل المقبرة لم يكن هناك اديب واحد له قيمة حاضر مراسم الجنازة .. فى حين وقف فى خشوع امام مسرح الفنون بموسكو وامام مسرح البولشوى جمع من الممثلين الكوميديين وعمال المسرح وقليل من جمهور بولجاكوف حدادا عليه ووفاء للفن العظيم وعظمة الادب الشامخة وسط الثلوج والصقيع !

العالم في سطور

روما

روايات .. بملايين الدولارات

كان السؤال المثار حين نشر الكاتب الايطالي امبرتوايكو روايته الاولى "اسم الوردة" هو • هل يمكن لرواية واحدة فقط ان تصنع كاتبا ؟.. فقد حققت الرواية الاولى أعلى المبيعات في كل اللغات التي ترجمت إليها ، وقرأها اكثر من اربعين مليون قارىء في انحاء متفرقة من العالم . وتحولت الى فيلم اشتركت في انتاجه ست دول اوروبية .

ومن خلال هذه الرواية اصبح ايكو نجم غلاف في العديد من الصحف والمجلات . وقيل انه اكثر



امبرتو ايكو

الشخصيات الادبية التي ظهرت في وسائل الاعلام خلال عقد الثمانينات .

وكان على القراء أن ينتظروا التجربة الجديدة لايكو .. خاصة انه ظل يحصد نجاح روايته الاولى طوال ثماني سنوات . الى ان طلع اخيرا على قرائه بروايته الثانية التي تحمل عنوان "بندول فوكو" .. وتدور ايضاً في اجواء تاريخية .. والتي سرعان ما راحت تنافس سابقتها في ارقام المبيعات . وتهافت الناشرون في انحاء متفرقة من العالم على شراء حقوق ترجمتها . وباعت ، على سبيل المثال ، ثلاثمائة الف نسخة خلال ستة اسابيع في البرازيل .. اما ارباح الناشر الامريكي فقد وصلت الى اكثر من مليون دولار .. ووصل عدد اللغات التي ترجمت اليها ، في ثلاثة اشهر . الى ٢٢ لغة .

اذن فالكتاب العظماء لا يرتكنون في حيواتهم على رواية واحدة وايكو يمثل نموذجا واضحا لهؤلاء الادباء لكن عم تتحدث رواية الكاتب الاخيرة .

من المعروف ان روايته الاولى تدور في القرن الثاني عشر ، في اطار غامض . حول ما يدور في ايطاليا من انغلاق شديد ، يتزعمه بعض رجال الدين . ومن خلال جرائم ترتكب ضد المفكرين المستنيرين الذين يسعون لخلاص الدين من افكار رجاله المتزمتين .

وليس للفيلسوف الفرنسي المعاصر ميشيل فوكو اية علاقة باسم رواية ايكو الجديدة "بندول فوكو" .. الرجل المقصود هنا هو شخصية تاريخية عاشت فعلا في القرن التاسع عشر . وقد استطاع ان يصنع بندولا يبلغ وزنه ٢٨ كيلو . واستطاع ان

يجعله يقرع فى قلب مدينة باريس عام ١٨٥١ . ومن نغماته الجميلة لا يزال طلاب الموسيقى يتعلمون حتى الان .

وفى اطار بوليسى ، ومن خلال مغامرة فوكو لتعليق بندوله فى مكانها ، تدور أحداث رواية امبرتوايكو .. ويعلق على هذه الرواية فى مجلة لوبوان ـ ٥ فبراير ١٩٩٠ ـ انها نموذج لكل الصراعات التى يمكن ان يتخيلها المرء عما يدور فى العالم . قصة سرطان يحاول ان يخترق الفكر المستنير .

باريس

ايام الغضب .. فى باريس

ايام الغضب .. ليس هو عنوان الفيلم المصرى الذى اثار ضجة عندما عرض قبل شهور . ولكنه عنوان رواية صدرت اخيرا لكاتبة فرنسية تدعى سيلفى جرمان .. ويبدو ان هذا العنوان يمكن ان يوحى دائما بان خلفه عملا فنيا مميزا .. فقد حققت الكاتبة من خلال هذه الرواية شهرة واسعة رغم انها كانت مجرد كاتبة مجهولة قبل ان تنشرها :بايلم .

اختارت سيلفى جرمان ان تدور أحداث روايتها فى اطار تاريخى . يمزج بين الواقع والاسطورة . فهناك رجل يمتلك غابة . يفاجا ان شخصا آخر يقطع أشجارها واوراقها . وفى هذه الغابة يوجد رجل فقير معدم ، وهو انسان شريف يدعى كورفول . يقتل زوجته يوما بان يقطع شرايينها . وهناك فى نفس الغابة فقير . لكنه مليء بالطموح حتى النخاع يود ان يتخلص من الفقر ، صاحب الغابة . وهو مدفوع للقتل من خلال غريزة غريبة . وهي حبه الشديد للموت .. فقد سقط كورفول فى هوى الموت . وكى يتخلص من هذا الهوى الغريب . فعليه ان يحب امراة تفتح عينيه على مدى جمال الحياة . وعلى بهجة الشمس حين تسقط اشعتها فوق



سيلفى ميرمان

الغابة ، وتتسرب بين اغصانها..

ويلتقى الرجل بامراة .. كل ما عليه هو أن تبكى .. ثم تضحك .. فاذا بكت عليه ان يضحكها . اما إذا ضحكت فعليه ان يسكتها . ثم يتزوج الاثنان . وتنجب له تسعة ابناء . ولد كل واحد منهم فى الخامس عشر من اغسطس فى علم مستقل . لكن كل واحد منهم ولد فى ساعة مختلفة من ساعات النهار . فقد ولد أحدهم فى الصباح ، اما الثانى فعند الظهيرة . والثالث عند الغروب .. وهكذا .

• تشكل سيلفى جرمان نموذجا للادباء الشباب الذين يظهرون سنويا فى فرنسا ، ومن المعروف ان الكثير من هؤلاء الشباب

سرعان ما يختفون عن الساحة الادبية . وان القليل من اصحاب هذه الاسماء هم الذين يستمرون في العطاء المتميز .. وقد اثيرت التساؤلات حول مصير الكتاب الذين ظهروا في العام الماضي ، على سبيل المثال ، خاصة بعد ان اصيب القراء الفرنسيون بالاحباط عقب ظهور اسماء الفائزين بالجوائز الادبية .

أوسلو

ادباء المستقبل .. جاءوا من الماضي

الكثيرون من الكتاب ، الذين يتصورهم البعض كباراً ، يموتون عقب وفاتهم مباشرة ، وتصبح مؤلفاتهم مجرد مجلدات موجودة فوق الارفف ، لا احد ينتبه اليها ، ولا يتذكرها .

وربما ان هذا قد دفع بكاتب مثل ارنست هيمنجواي ، ان يقول ان اهم ادباء القرن العشرين غير معروفين لدى الناس .

وفي عالم الثقافة ، والآداب ، كثيرا ما يحب الناس قراءة اسماء بعينها ، والحديث عنها في الصحافة الادبية بشكل محدد .. فبالاضافة الى العديد من كتاب ما قبل القرن العشرين ، فان شخصيات مثل مارسيل بروست وكافكا ، وكامي مطروحة دائما على مائدة النقاش .. ومن هذه الشخصيات الكاتب النرويجي كنوت هامسن الحائز على جائزة نوبل في الأدب عام ١٩٢٢ .

يبرز هامسون هذه الايام بشكل مكثف ، مع صدور الطبعة الفرنسية من اخر رواياته "اغلقت الدائرة" التي كتبها عام ١٩٥١ .. اي قبل وفاته بعام واحد حيث خصصت عنه جريدة "ليبراسيون" ملفا كاملا .

ولد الكاتب في عام ١٨٥٩ في قرية نرويجية . وقد هاجر مع اسرته لبعض الوقت الى الولايات المتحدة قبل ان يعود الى بلاده مرة أخرى . من اشهر رواياته "الجوع" التي حصل من اجلها على جائزة نوبل . وهي بمثابة سيرة ذاتية



كنوت هامسون

عن الكاتب . وهناك ايضا "غوامض" ، "البهجة الاخيرة" و"فيكتوريا" ، و"روزا" .

وقد كتب هامسون الرواية ، والاقصوصة ، والمسرحية ، والمقال ، والقصيدة الشعرية .. وقد تصدى لترجمة اعماله الكثير من الادباء ، وليس المترجمون العاديون ، مثل اوكتاف ميرابو الذي ترجم روايته الجوع وهنري ميلر الذي ترجم له ايضا الى الانجليزية ، وقد كتب عنه ميرابو : "يجب أن نحب هذا الرجل ، وان نتبعه ، باعجاب عميق ، فهو فنان نادر . تشع العبقرية من

عباراته البسيطة .
اما ميللر فكتب يقول عن روايته "غوامض" : "ليس هذا اهم كتاب فى العالم ولكنه اهم كتاب قراته فى حياتى . فقد لمسنى عن قرب . فلو كان هناك كاتب علىّ ان ابحث عنه ، واذوب فى داخله .. فلا شك انه كنوت هامسن .

نيويورك

● الكتابة .. فى الضربة القاضية

يبدو ان الضربة القاضية التى سددها دوجلاس للملاكم الحديدى مايك تايسون فى الشهر الماضى قد اصابت الكاتب الامريكى المعروف نورمان مايلر بنفس الصدمة التى حدثت لكل الذين راهنوا على فوز تايسون فى هذه المباراة ..

تضاعفت الصدمة عند مايلر لانه الكاتب الوحيد الذى كتب مقالا عن تايسون ، قبل عام ونصف تحت عنوان «تايسون ،



تايسون

ملك الخوف» . راح فيه يتكلم عن القوة النادرة التى يملكها الملاكم الحديدى . سواء فى قبضته القاتلة . او فى حبه القوى تجاه زوجته روبين . وقد اشار مايلر ان الحب القوى فى حياة الانسان يمكن ان يجعل من قبضته برجا مشيدا يسرق به عضلات المنافسين وتحدث الكاتب عن قبضة محمد على كلاى الفولاذية . ثم تحدث عن علاقته القوية جدا بتايسون .

الجدير بالذكر ان لقب «الملاكم الحديدى» الذى ذاع فيما بعد يعود الى تعبير اطلقه مايلر على صديقه الملاكم ..

وفى مجلة بانوراما الايطالية ـ ٢٠ نوفمبر ١٩٨٨ ـ التى نشرت مقال مايلر جاء ان الكاتب الامريكى الاشهر ليس اول من يعشق الملاكمة ويدافع عن الملاكمين بهذه الصورة . فقد كتب جاك لندن ـ مؤلف رواية «الناب الابيض» ـ مقالا فى علم ١٩١١ حول الملاكم بيرس ايجان المعروف تحت اسم «قيصر الملتيا؟ . كما كان هناك الكثير من الادباء الذين تعصبوا كثيرا لالعاب الملاكمة وعلى راسهم دانييل - ديفو ، صاحب رواية «روبنسون كروزو» و دانييل سويفت مؤلف جاليفر ، وفيلدنج مؤلف رواية «توم جونز» .

اما اشهر الكتاب المعاصرين الذين كتبوا عن الملاكمين فهناك الكاتبة الامريكية المتميزة جويس كارول اوتس التى نشرت كتابا عن رياضة الملاكمة فى عام ١٩٨٧ . وهناك ايضا ارون شو وارنست هيمنجواى . والملاحظ ان جميعهم من الامريكيين . حيث ان الملاكمة هى الرياضة الشعبية الاولى فى الولايات المتحدة . اما الكاتبان نيلسون الجرين وليونارد هاردنر فقد كتبا رواية عن تجربتهما الخاصة تحت عنوان «المدينة المتخمة» .

رفاق الغابة

شعر : محيي الدين عطية



كان الأصيل موعدي
فجارتي مدينة
فلا الرياح حائل
ولهفتي تحثني
دلفت بين جمعهم
تسبقون ركبكم
بخفقة من الجنا
يشدو ذلك الذي
سألته عن سره
قطار غير عابيء
وعند شاطيء نأى
سألتها تضاحكت
تراك يا صغيرتي
تكبرين في الصبا
بلفحة العبير أم
لا تجفلي لسنتها
لا تفزعي فانتمي
الى رفاق كوكب
انا وانت والزرق
ومن هنا ومن بنا
وكل حبات الندى
على سفينة معا

مع ابتسامة الفجر
من الطيور والشجر
ولا هواطل المطر
كأن في دمي الحذر
سألت كل من حضر
ترى على أي الصور
ع فوق صفحة النهر
يكاد يفتن النظر
وأين خبأ الوتر
وغاب دونما أثر
رأيت طلقة الزهر
لفرخ طائر عبر
بأي هذه الدرر
ع تسجدين في السحر
ببعض حمرة الظفر
وفي أناملي حذر
سفير عالم البشر
يظلنا بلا ضجر
ع والكروم والثمر
ومن شدا ومن زأر
وكل أغصان الشجر
وكلنا على سفر

عبد المحسن بدر

النموذج والقيمة

بقلم: د. جابر عصفور

هناك نموذجان من الأساتذة تصطرع بهم جامعاتنا المصرية ويصطرعان فيها. نموذج نقلى اتباعى فى الأغلب. راوية حاكية فى الاعم. علمه بضاعة وثقافته تجارة ورأيه يتلون كمعلوماته بالوان الرغبة او الرهبة. الكم عنده له الاسبقية على الكيف. والاذعان إلى المألوف علامته وملاذه فى التعلم والتعليم ترضى عنه السلطات ويرضى عنها فى كل الاحوال والعهود. هذا النموذج نراه فى جامعاتنا. نقابله صباح مساء. ونصدره إلى انحاء الوطن العربى. فهو مصدر من مصادر علتنا الصعبة وايامنا الجامعية الصعبة. اما النموذج الثانى فهو نموذج الأستاذ المفكر. صانع المعرفة. مفجر المشكلات الذى يعصف باذهان من حوله. ويدفع العقول إلى اعادة الاكتشاف والبحث. عقلانى. متمرد فى الاغلب. متسائل دائما. يلحث عن العلة الكامنة وراء الظواهر. عاشق للاصالة التى يراها وجها آخر للمعاصرة. مؤمن بالعلاقة الجدلية بين الجامعة والمجتمع. وبين المثقف والواقع. وبين العلم والتقدم. وبين المعرفة والحرية. علمه موقف. وثقافته رؤية. ومنهجه تاصيل. وكتابته تاسيس. واستاذيته التزام. هذا النموذج قليل فى جامعاتنا التى اصابها ما اصابها فى هذا الزمان. لكنه رغم ندرته فخر جامعاتنا إذا احصينا رموز التقدم ابتداء من جيل الرواد الاول للجامعة. وانتهاء بجيل المقاتلين الذين يعيشون ويموتون دفاعا عن انبل تراث الجامعة المصرية واستشرافا لآفاق مستقبلها الواعد وراء كل ظلمات المغيب.



عبد المحسن بدر



طه حسين



عباس العقاد

وعبدالمحسن بدر واحد من هؤلاء الأساتذة النادرين صناع الجامعة وصاغة معناها وقيمة حضورها . عاش من أجل الرمز الجليل الذى تمثله الجامعة ، وظل يدافع عن معناها ويؤكده ، منذ أن دخلها طالبا (قسم اللغة العربية ـ كلية الآداب) فى أكتوبر عام ١٩٥٠ إلى أن خذله الجسد الذى لم يتحمل آلام النفس ، فاصطفاه الله إلي جوار من سبقه من أساتذته الذين تأثر بهم وأضاف إليهم ، فى تمام الساعة الثالثة والربع من بعد ظهر الأربعاء الموافق السابع من مارس ١٩٩٠ ، بعد رحلة حياة غنية بالبحث الخلاق والمواقف الشجاعة والرؤى الأصيلة والريادة الواعية ، والأستاذية الحقة والالتزام السياسى الذى لا يقل صلابة عن الالتزام الجامعى . وذلك كله فى نموذج أخلاقى فريد جعل من صاحبه قيمة يعرفها ويقدرها كل من عمل معه أو درس عليه أو قرأ له أو اتصل به طالبا أو باحثا أو زميلا أو قارئا ، داخل كلية الآداب وخارجها حيث الآفاق الممتدة للإسهام المتعدد الأبعاد أكاديميا وثقافيا وسياسيا .

ولد عبدالمحسن بدر فى الثانى والعشرين من ديسمبر عام ١٩٣٢ فى قرية السنطة من محافظة الغربية . والتحق بقسم اللغة العربية بآداب القاهرة قبل الثورة بعامين ، ومصر كلها تغلى بالولادة الجديدة للثورة . وتخرج في يونيو ١٩٥٤ بعد شهرين من بداية أزمة مارس الشهيرة ، ومع أول انكسار للديمقراطية بعد ثورة يوليو الواعدة . وقد شاهد بعينيه وسمع بأذنيه وتابع بعقله ووجدانه معارك الديمقراطية في جولتها الأولي . وبقدر ما تأثر بكتابات أنصار الديمقراطية وتعاطف معها ، لأنها كانت تستجيب إلى أحلامه الريفية الباكرة عن العدل ، وأشواقه الجامعية الأولى إلى الحرية ، فقد تأثر بطرد أنصار الديمقراطية من الجامعة عقب تخرجه ، حين أصدر مجلس قيادة الثورة قراره التاريخى الشهير فى ١٩ سبتمبر ١٩٥٤ بطرد أكثر من خمسين أستاذا من الجامعة ، وكان ضمن هؤلاء لويس عوض ومحمود العالم وعبدالعظيم أنيس وعبدالمنعم الشرقاوى وفوزى منصور وعبدالمنعم خربوش وغيرهم ممن خسرت الجامعة إسهامهم وما كان يمكن أن يقدموه لها من عطاء وقيمة . وبقدر ما كان قرار سبتمبر علامة دالة فى تاريخنا السياسى المعاصر ، وانكسارا حادا فى تطور الجامعة

عبدالمحسن بدر

المصرية في الوقت نفسه . كان يوازى هذا القرار علامات دالة اخرى اهمها ما كان يدور في الواقع الادبى من حوار محتدم بين الفصائل المتعارضة والمتصارعة .

كان الجيل القديم الذى يمثله العقاد وطه حسين يدافع عن استمرار حضوره في مواجهة الجيل الجديد الذى كان يمثله مندور ولويس عوض وغيرهما . وكان ممثلو الرومانسية الجدد (السباعى وامين يوسف غراب وباكثير) يدخلون حوارا حادا مع انصار الواقعية الجدد (لويس عوض ، مندور ، الراعى ، العالم ، الشرقاوى) وهؤلاء ـ بدورهم ـ لايقل تناقضهم مع جيل طه حسين والعقاد عن تناقضهم مع انصار النزعة الجمالية الجدد (سهير القلماوى ، رشاد رشدى) . وبين هؤلاء وهؤلاء كان يتحرك الامناء من تلامذة امين الخولى الذين اسسوا الجمعية الادبية المصرية ، مقتربين من الواقعية ومتباعدين عنها في ان ، كما لو كانوا يتعاطفون معها ويخشونها في وقت واحد ، على نحو ما تكشفت عنه كتابات عبدالرحمن فهمى واحمد كمال زكى وصلاح عبدالصبور وفاروق خورشيد الذين تخرجوا قبل عبدالمحسن بدر بسنوات قليلة . وإذا اضفنا روافد التروتسكية المتسربة على هامش الواقع الادبى والجانحة نحو الحداثة التى مثلتها كتابات بدر الديب وادوار الخراط بعد انور كامل صاحب الكتاب المنبوذ . ومن اختلط بهم او وازاهم ممن تاثروا بالفلسفة الوجودية وعلى راسهم عبدالرحمن بدوى الذى أصبح هدفا لهجوم الواقعيين ، إذا اضفنا ذلك كله استطعنا ان نتخيل مشهد الواقع الادبى واحتدامه عام ١٩٥٤ .

ولكن كان الامر يبدو كما لو كانت الواقعية هي الصوت الاعلى خارج اسوار الجامعة ، خصوصا بعد ازمة مارس التى اقتلعت اكثر الجامعيين حماسا للواقعية من الجامعة ، فلم يعد من صوت مؤثر داخلها في الدراسات الادبية سوى بقايا التيار «اللانسونى» الذى افتتحه طه حسين ومازال تلامذة تلامذته يحاكونه إلى اليوم ، وروافد نظرية التعبير التى كانت تجد ملاذها في ترجمات وملخصات كولنجوود وكروتشة ، وتجليات النقد الجديد الذى تاثر به رشاد رشدى في قسم اللغة الانجليزية وسهير القلماوى في قسم اللغة العربية . اما خارج الجامعة فكان المشهد مختلفا ، كانت الواقعية تتردد اصواتها الحماسية في كل مكان ، عبر صفحات جريدة «المصرى» قبل اغلاقها وصفحات «الجمهورية» ثم «الشعب» ، وصفحات العديد من المجلات القديمة والجديدة (الثقافة الوطنية والطريق والآداب في بيروت والتحرير والرسالة الجديدة والشرق والشهر في القاهرة) وفي كتابات الجامعيين الذين اخرجوا من الجامعة او خرجوا منها (محمد مندور ، لويس عوض ، محمود العالم ، عبدالعظيم انيس) . وكان محمود العالم على وجه الخصوص متفائلا ـ كعادته ـ وواثقا من سيطرة تيار الواقعية على المستقبل ، فلم يكن يرى سوى الواقعية في الادب والفن والسياسة والتعليم . وكان يجزم ـ قبل اشهر قليلة من فصله من الجامعة ـ «ان تيار الواقعية في الفكر المصرى قد اصبح من القوة بحيث بات شاقا على كثير من المفكرين المصريين ـ الذين يجدون في هذا النوع من التفكير خطرا على تراثهم الفكرى وانتاجهم الفنى ـ ان يهاجموه علانية» . وفي الوقت نفسه ، كان مندور الذى ترك الجامعة مختارا يتحدث عن الواقعية والادب الهادف قبل سنوات قليلة من اشرافه على مجلة الشرق


يوسف السباعى


أمين يوسف غراب


على أحمد باكثير

(١٩٥٧) التى كانت سبيلا إلى ترجمة الكثير من كتابات الواقعية الاشتراكية إلى اللغة العربية . أما لويس عوض فكان يعلن على صفحات جريدة الجمهورية (حيث كان يكتب طه حسين) افلاس الجيل القديم ، وفى الوقت نفسه آلام الولادة المصاحبة للأدب الجديد ، عند جيل جديد يصفه لويس عوض فى مقال له (بتاريخ ١٩٥٤/٧/١٣) - وقبل أشهر من فصله هو الآخر من الجامعة - على النحو التالى :

«أما أصحاب الأدب الجديد منهم لايزالون يتعذبون كأنهم شياطين تعوى فى وادى عبقر ، يفصحون ولا يفصحون ، وهم أمل مصر الحزينة ، ويابؤسنا لو خاب الأمل : محمود العالم ، ابراهيم عبدالحليم ، على الراعى ، نعمان عاشور ، أحمد بهاء الدين ، فتحى غانم ، بدر الدين الديب ، مصطفى سويف ، يوسف ادريس ، شكرى عياد ، عباس صالح ، براعم لا يسقط عليها ندى ولايرويها طل . فمتى تخرج الزهرة من البرعم . متى ؟ متى ؟ متى ؟ »

● الانتماء للواقعية

وكان عبدالمحسن بدر يتنفس هذا المناخ للواقع الأدبى والثقافى ، ويرقب اتجاهاته ، ويشعر أن عليه (بصراحته الريفية الخشنة وطبيعته الحيية كالسيف) أن ينحاز إلى اتجاه ولم يكن هناك أقرب إليه من الاتجاه الواقعى بتكوينه الطبقى وأصوله الريفية وأحلامه الثقافية وطموحاته الأدبية . وكان يعزز فى وعيه ضرورة الانتماء إلى هذا الاتجاه ماكان يقرأ لممثلى الواقعية كمحمود العالم من كتابات تلح على أن الأمل معقود على شبابنا فى أن يعوضوا النقص ، وأن ينتجوا من الآداب ما نفخر به بين الآداب العالمية الواقعية ، وكان واحدا من هؤلاء الشباب الذين استشعروا إمكان أن يعوضوا النقص ، ويقرروا النهوض بالعبء ، فكان اختيار الواقعية استجابة إلى ما أصبح تيارا عالى الصدى خارج الجامعة وليس داخلها .

ولم يخطر على بال عبدالمحسن بدر يوم أن اختار أنه هو نفسه ، وفى شهر سبتمبر نفسه ، ولكن بعد سبع وعشرين سنة (عام ١٩٨١) سيواجه قرارا سبتمبريا آخر ، ويطرد هو وأكثر من ستين أستاذا من

عبدالمحسن بدر

الجامعة ، بسبب ازمة اخرى لا تختلف كثيرا عن ازمة الديمقراطية .

إشكالى .. صاحب رؤية

وقد كان اختيار الواقعية على هذا النحو يعنى اختيار نموذج الأستاذ الجامعي الذى يريد عبدالمحسن أن يكونه ليس نموذج الأستاذ الراضي المرضي عنه وانما الاستاذ الاشكالى الملتزم صاحب الرؤية والموقف الذى هو على استعداد لتحمل تبعات هذا الموقف ومسئوليته ، وإذا كان قد وجد فى هذا النموج ما يرادف عنده القيمة فقد وجد فى الواقعية ما يحقق له المنهج . وسرعان ما اشرع قلمه وخاض معركة الواقعية بعد سنتين فحسب من تخرجه . واخذ يلفت الانظار إلى صوته النقدى المتميز ، ويطرح اسئلة اساسية فى سلسلة من المقالات الباهرة ، اهمها ما كتبه عن الشعر العربي والتجربة الانسانية (فبراير ١٩٥٦) والأدب والتجربة (ابريل ١٩٥٦) فى مجلة الآداب البيروتية . وما كتبه بعنوان نحو ادب واقعى مخلص (سبتمبر ١٩٥٨) وشعر المناسبات (ديسمبر ١٩٥٨) فى مجلة الشهر التي كان يصدرها سعدالدين وهبة ، وقد احدثت هذه المقالات تاثيرها ، واثارت ردود فعل حادة ، كشفت عن ناقد جديد ، وصوت جامعى مختلف ، يؤكد قيمة الأدب الذى يعيش ابطاله فى واقع انسانى حقيقى لافى مثالية مجردة ، ويقف فى صف قوى التقدم ويمهد لها ، ويسهم فى تطوير وعى افراد المجتمع ، وكان ذلك تحولا جديدا فى الدراسات الأدبية من داخل كلية الآداب ، وإيذانا بانتقال قسم اللغة العربية فيها إلى افاق الواقعية بمعانيها الواعدة التى تتجاوز نظرية التعبير وتتباعد عن النقد الجديد لتقترب من اطروحات اليسار العربي بوجه عام .

فى هذا المسار ، كتب عبدالمحسن بدر اطروحته لدرجة الماجستير عن «تطور الشعر العربي الحديث فى مصر» التى فرغ منها عام ١٩٥٧ بعد إندحار العدوان الثلاثى على مصر . وكتب اطروحة الدكتوراة عن «تطور الرواية العربية الحديثة» التى فرغ منها عام ١٩٦٢ بعد قرارات التاميم والتحولات الاشتراكية ، وكانه كان دائما على موعد مع التحولات البارزة فى الوطن منذ تخرجه فى اعقاب ازمة مارس . إلى اقتراب الوطن من حلمه عن العدالة الاجتماعية (١٩٦١) . لكن هذا الحلم الاجتماعي لم يفض به إلى قلب الماركسية انتماء او تنظيما . لقد ظل داخل حدود الاشتراكية الديمقراطية بمعناها الذى يرادف معنى «الجمهورية الاشتراكية» التى كتب عنها محمد مندور مقالاته الخمسة الشهيرة فى جريدة الجمهورية (٢٠ مارس – ١٠ ابريل ١٩٥٤) وفى صيغة فكرية سرعان ما استوعبت معنى المشروع القومي وانتمت اليه والتزمت به فيما يمكن لن نعده بداية لوعى

محمود أمين العالم	عبد الرحمن الشرقاوي
	

سياسى متميز اتخذ اسم الناصرية بعد سنوات لاحقة ، ومع صعود ثورة يوليو صوب آفاق التحرر الوطنى (بمعناه القومى) والتحرر الاجتماعى (بمعنى اشتراكية الدولة) وهى نفس ما كان مندور ينادى به فى مقالاته عن الجمهورية الاشتراكية .

● الالتزام بالنقد الواقعى

ومن المؤكد أن وعى عبدالمحسن بدر بتحولات المجتمع المصرى والوطن العربى منذ مطلع الخمسينيات إلى بدايات الستينيات كان يوازى تكوينه الاجتماعى والفكرى الخاص ، على نحو كان يؤكد فى داخله - كناقد أدبى - ضرورة الالتزام بموقف نقدى واقعى يواكب تحولات هذا المجتمع وذلك الوطن من ناحية ، ويحتضن توجهاته الواعدة بأحلام الحرية والعدل والتقدم من ناحية ثانية . ومن هنا كان اختيار المشروع النقدى للواقعية منهجا ورؤية أدبية واختيار المشروع القومى موقفا اجتماعيا . وكان ذلك الاختيار يقرن شمول النظرة إلى المجتمع (فى وعى المثقف الناصرى الذى كان عبدالمحسن بدر بداية تشكله) بشمول المشروع القومى الذى كان ينعكس أدبيا فى نظرة شاملة

د . لويس عوض   د . شكرى عياد



تبحث عن الرؤية الايجابية للأدب فى دلالتها الاجتماعية ولكن كان عبدالمحسن بدر فى هذا الاختيار ناصريا راديكاليا ، بدا من المنطلق القومى الذى يحتوى مفاهيم الوحدة والحرية والاشتراكية التى تعلمها من أستاذه عبدالعزيز الأهوانى صديق ميشيل عفلق وزميل الدراسة فى فرنسا . وانتهى إلى مشارف المنطلق الماركسى بآفاقه التى تكشف عن قوى المجتمع المتصارعة ولذلك اقترنت القيمة الأدبية بالواقعية فى وعيه النقدى ، واقترنت الواقعية بالكتابات الأدبية التى تقف فى صف قوى التقدم وتمهد له ، وتنظر إلى الواقع التاريخى مؤكدة الأبعاد القومية الخاصة والانسانية العامة للتجربة الأدبية . فكانت هذه الواقعية إخلاقية النزعة ، مثالية المبنى ، إنسانية النظرة ، اجتماعية الموقف . ولم يكن ذلك تلفيقا بل توفيقا تشكل به ومعه نموذج الناقد الناصرى الصاعد مع ثورة يوليو ١٩٥٢ .

وأحسب أن هذه التركيبة التوفيقية هى التى تبرز خصوصية الدلالة الفكرية التى لفتت الانتباه إليه فى انحاء الوطن العربى ، منذ المقالة الأولى عن الشهر العربى و«التجربة الانسانية» التى ترد ميزة الشاعر إلى دقة احساسه الفردى من ناحية وتنبهه إلى صراعه مع ذاته وبيئته من ناحية ثانية . وقس على ذلك مقالته الأخرى «نحو أدب واقعى مخلص» حيث تقترن الواقعية بصفة اخلاقية فردية من ناحية وبدفاع حار عن نجيب محفوظ ضد كتاب العالم وأنيس الذى وصفه بأنه كاتب البرجوازية الصغيرة الذى لا يستطيع تجاوز أفقها من ناحية ثانية - وبقدر ما كان عبدالمحسن يتباعد بهذه الصفة الأخلاقية عن مؤلفى «فى الثقافة المصرية» فإنه كان يقترب من مندور الذى لفت الأنظار إلى نبل البرجوازى الصغير (أحمد عاكف) فى التقاطه النقدى للنماذج البشرية . وبعد أن

عبدالمحسن بدر

كان قد أصدر الطبعة الثانية من كتابه «نماذج بشرية» عام ١٩٥١ بعبارة أخرى، كانت التركيبة الأدبية التوفيقية التي انطوى عليها معنى الواقعية في هذه المرحلة صيغة موازية للتركيبة السياسية التوفيقية التي انطوى عليها معنى الناصرية. وكلتاهما وجه للأخرى في عملة الناقد الناصري ووعيه على السواء

● حتمية التطور

وبقدر ما كان عبدالمحسن بدر ينطوي على نموذج هذا الناقد (الناصري) كان يعي أنه واحد من مجموعة، شابة، واعدة، طريقها وعر شاق. في ابتعادها عن الحلول الجاهزة، وبحثها عن أدب واقعي مخلص (ولنتذكر أسماء الأقران: سليمان فياض، أبو المعاطي أبو النجا، رجاء النقاش، عبدالجليل حسن)، أدب يهدف إلى تصوير نفسيات الأفراد وواقع الجماعة دون أن يفرض بطولات زائفة أو يتجاهل إنسانية الإنسان ليكون نقطة انطلاق إلى عالم أفضل ترفرف فيه رايات الوحدة والاشتراكية والحرية وأحلام التقدم والتقدمية. ومن المؤكد أن دلالة التقدم في ذهن عبدالمحسن بدر، الناقد الواعد في هذا الزمان الباكر، كانت تصل بين العدل الاجتماعي والحرية السياسية بمعناهما القومي من ناحية، وحتمية التطور والتقدم بمعناه التاريخي المادي من ناحية ثانية.

وكان لصدور أطروحة الدكتوراة عن «تطور الرواية العربية الحديثة» كتابا من دار المعارف (١٩٦٣) صدى التأسيس الجديد لهذا النوع الأدبي، ومن ثم التأصيل النقدي على مستوى الاصطلاح والاجراء والمنهج لأجيال لاحقة من الباحثين. ظلت ومازالت تقتات من ثمرات هذا الكتاب وتعيش على عطاياه.

ولكن المبادىء النقدية التي تضمنها المشروع النقدي، من حيث صلتها بالنوع الادبي، وصلة هذا النوع بالواقع، فرضت أسئلة جديدة تحولت اجاباتها في الممارسة النقدية اللاحقة إلى كتب علامات على مستوى النظر والتطبيق، فكان كتاب «الروائي والأرض» الذي صدر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب عام ١٩٧١ وكتاب «حول الأديب والواقع» الذي صدر عن دار الثقافة في العام نفسه. وإذا كانت ثوابت الواقعية الأولى قد ظلت مستمرة فإن الأسئلة الجديدة فتحت الطريق لاختبار الثوابت من خلال متغيرات الرؤى. ولكن تبقى دلالة الصدور لافته. فكلا الكتابين يظهر بعد تحول بارز في المجتمع هو وفاة عبدالناصر (١٩٧٠) ودخول مرحلة جديدة سرعان ما تكشف انفتاحها بعد سنوات قليلة. ومن المؤكد أن مرارة نكسة ١٩٦٧ التي ظلت راسخة في الذاكرة تعصف بالحلم الناصري ومشروعه القومي هي المسئولة عن حدة النبرة في هذين الكتابين، وتحول الواقعية فيهما (فيما عدا المقالات القديمة في كتاب حول الأديب والواقع) إلى واقعية أكثر راديكالية داخل الحدود الناصرية.

ولقد انفرد الكتاب الاول بعلاقة الأديب بالواقع، ولكن من خلال واقع مخصوص، هو واقع الأرض في القرية التي يعرفها الناقد ذو الأصول الريفية، والتي يوازي الوعي التجريبي بها الوعي السياسي الاجتماعي بقضيتها، وذلك من خلال منظور للقيمة يفتش عن التطور بمعناه التاريخي والفني، في الوقت الذي يحاول إعادة تأكيد أبعاد الحل بمعناه الاشتراكي على مستوى القرية بعد أن اهتز هذا المعنى مع أحداث

كمشيش . حيث المسافة ما بين زمن روايتى «الأرض» و «الفلاح» هى المسافة بين زمن «اقطاع» قديم وآخر جديد . وإذ تأتى المقدمة مدخلا تاصيليا فإن الأعمال الروائية تتعاقب على درجات سلم القيمة ، من ادنى الدرجات للرؤية الرومانسية فى رواية زينب التى كتبها محمد حسين هيكل علم ١٩١٤ إلى رواية يوميات نائب فى الارياف التى نشرها الحكيم علم ١٩٣٧ ، ونظل نرقى سلم التطور نحو رؤية واقعية فى روايتى الأرض (١٩٥٤) والفلاح (١٩٦٨) لعبدالرحمن الشرقاوى إلى ان نصل إلى الرؤية الواقعية فعلا مع جيل الستينيات الذى يمثله عبدالحكيم قاسم بروايته أيام الانسان السبعة (١٩٦٩) .

وإذا كان المنظور التطورى الباحث عن المعنى التقدمى هو الكامن وراء ترتيب فصول الروائى والأرض فان المنظور نفسه يتسرب فى الموقف القيمى الذى يكشف عن زيف صوت الواعظ فى كتابات نزار قبانى الشعرية بديكوراتها الجنسية ، وعن جدلية الانفتاح والانغلاق بين الذات والواقع فى شعر فدوى طوقان ، وذلك فى كتاب حول الاديب والواقع ولكن يلفت الانتباه فى هذا الكتاب ان عنوانه يحمل عنوان المقدمة النظرية لكتاب الروائى والأرض . وكان هذا يذكر بذلك فى دلالة متكررة الرجع . تؤكد ابعاد العلاقة بين الأديب والواقع . إنها العلاقة التى تؤكد خصوصية الأديب ولكن من حيث كونه كائنا بشريا عاديا ، يدخل طرفا فى صراع اجتماعى بالضرورة ، وداخل علاقات اجتماعية . وذلك فى نبرة لاتكف عن تكرار ان الأديب حين يحاول الكشف عن رؤيته للواقع فإنه يكشف عن موقفه منه . وسيلة الأديب فى ذلك هى التجسيد وليس التجريد ، التخصيص وليس التعميم ، وباداة تغوص فى علاقات الواقع الزمانى والمكانى ، سعيا وراء ادراك



د . سهير القلماوى



د . رشاد رشدى

القانون العام الذى يجعل من الرؤية الأدبية لونا من الوان المعرفة . ومادام العمل الأدبى قد اصبح مرتبطا بالمعرفة فإن هذا الارتباط يحدد بعده القيمى من حيث ما يخلقه فى وعى القارىء او يعكسه فى وعى الكاتب . ويفضى ذلك إلى ان كل عمل ادبى رائع يفترض ان يصدر عن رؤية متكاملة للواقع ، وان الرؤية المتكاملة هى التى تدرك ان الأديب جزء من كل لا يمكنه مواجهة مشاكله وحلها جذريا إلا بالتصدى للعوامل الاجتماعية المسئولة عن وقوعه ووقوع الآخرين فى هذه المشاكل . بهذا المعنى ، ترتبط قيمة العمل الأدبى بانحيازه إلى قوى التقدم واسهامه فى معركة مجتمعه .

● الرواية .. ورؤية الأديب

ترى هل كان عبدالمحسن بدر عندما كتب هذا الكلام عام ١٩٧١ يستشرف افق معركة قادمة فى مجتمع ما بعد الناصرية ، وأن هذه المعركة تستلزم وضوحا اكثر قطعية فى موقفه الاجتماعى ؟ هذا ما عرفته عنه ولكن ما كان يلفت انتباهى على نحو خاص هو الحاحه الدائم على الرواية . وكنت

عبد المحسن بدر

اشعر أن هذا الالحاح مرتبط بوعى متميز بمرحلة لا تنعكس تناقضاتها المتميزة إلا فى سرد قصى يقتنص ملحميتها المعقدة وكان يؤكد ذلك ما اشار اليه عبدالمحسن نفسه صراحة من ان الرواية اقدر على ابراز رؤية الاديب من ناحية ، وابراز مظاهر عدم الاكتمال فى هذه الرؤية من ناحية ثانية . وكانت هذه الاشارة ثمرة وعى نقدى أخذ فى التبلور . يحاول إعادة ترتيب العلاقة الهيراركية بين الأنواع الادبية ، على نحو يمنح الرواية مكانة متميزة بين الأنواع الادبية .

ويلفت الانتباه فى هذا المجال أن اشارات عبدالمحسن بدر إلى النماذج البارزة من الآداب العالمية التى يؤكد بها مفاهيمه النقدية كانت كلها إشارات الى فن الرواية بتياره الواقعى على وجه الخصوص ، حيث يتجاوز المواطن توم بين لهوارد فاست جنبا إلى جنب الأم لجوركى ، كنقائض موحية لروايات العبث او الرواية الجديدة . فى اشارات دالة تكشف عن ارتباط الواقعية المخلصة بنوع الرواية ابتداء . والرواية الواقعية تحديدا ، وارتباط قيمة هذا النوع ـ فى جانب منها ـ بمقولة النموذج البشرى أو النمط الذى يكشف عن أبعاد الصراع الاجتماعى داخل الفرد . ولا اظن عبدالمحسن بدر كان قد قرأ جورج لوكاش فى الخمسينيات او تعرف نظرياته ولكن الحاحة الباكر والحدسى على النموذج البشرى فى الخمسينيات قاده إلى لوكاش فى اواخر الستينيات ، وعمق فيه انحياز النقد الواقعى إلى الرواية ، وتاكيد دورها الحاسم فى الكشف عن تناقضات الصراع فى مراحل التحول الاجتماعى

ولايماثل مقولة النموذج او النمط فى ثوابت الرؤية النقدية الواقعية التى صاغها عبد المحسن لنفسه سوى مقولة التطور وحتميته على مستوى النظر الى الواقع أو النظر الى الفن . وتلك مقولة ترجع الى منتصف الخمسينيات وتتواصل لتصل مابين اطروحة الماجستير والدكتوراة فى مفتتح دلالى واحد يبدأ عنوانه بالكلمة المفتاح « تطور » الشعر فى الماجستير والرواية فى الدكتوراة حين نسمع مبدأ لايكف عن التكرار : « مادمت أؤمن بالتطور فلا يمكننى أن اغفل تاثير الزمن » ولكن تاثير الزمن يتحول الى درجات صاعدة لسلم القيمة الادبية والاجتماعية بالمعنى الذى يجعل كل لاحق متقدما حتما على كل سالف .

هذه المقولة الحتمية اخذت فى التشكل التجريبى كاطار مرجعى تستند اليه عمليات التصنيف فى اطروحتى الماجستير والدكتوراه . فهنا وهناك البحث عن تطور النوع عبر مستويات صاعدة زمنيا على درجات القيمة الاجتماعية الفنية ، ولكن تظل ثلاثية التصنيف نفسها لافتة للانتباه فى رجعها المتكرر ، منذ تطور الرواية (١٩٦٢) الى اخر الاعمال .

واذا كنا فى تطور الرواية نواجه ثلاثية الرواية التعليمية والترفيهية والواقعية فإننا فى الروائى والأرض

الهلال

مايو ١٩٩٠ • الثمن ٧٥ قرشا

يهود مصر من الاندماج إلى الهجرة

مشروع النهضة عند رشيد رضا



سنة ١٨٥٥

سنة ١٩٣٥

كتاب
الهلال
يقدم

أمريكا يا ويكا

بقلم:
محمود السعدنى

يصدر
٥ مايو ١٩٩٠

روايات الهلال
تقدم

أوّلنا ولد

بقلم:
خيرى شلبى

تصدر
١٥ مايو ١٩٩٠

الهلال

مجلة ثقافية شهرية
تصدرها دار الهلال
أسسها جورجي زيدان
عام ١٨٩٢ ميلادية

السنة السابعة والتسعون • مايو ١٩٩٠ • شوال ١٤١٠ هـ

• مهرجانات •
الامساكية الثقافية

من يرى الامساكية الثقافية التى نظمت نشاطها وزارة الثقافة يعجز عن تصديق ان يكون كل هذا النشاط قد جرى فى مصر طوال شهر رمضان . اما انه جرى فقد حدث اما كيف ؟ فهذه هى المسألة .

نشير الى ظاهرة وهى ان الدعوة قد وجهت لكل الاتجاهات دون تحيز لاتجاه دون الآخر . كما انها شملت اغلب الاعمار والاجيال والفنون هذا مما لا شك فيه . لكن الذى فيه شك كبير هو اختلاط الحابل بالنابل فى توجيه الدعوة . فالحياة الثقافية . هكذا كانت دائما يعيش فيها كثير من المدعين واذا لم تتوفر لمنظمى اى نشاط درجة كافية من الوعى بقيمة الذين تقدمهم للجماهير العطشى . هنا تصبح المخاطر اشد من المكاسب . ونحن هنا لا ندعو للحجر على احد . وانما نود ان نؤكد على ان الفن قيمة . وهذه القيمة يجب الحرص عليها والتاكيد عليها . وذلك من زاوية معينة يتم عن طريق اشراك المواهب والمتخصصين الذين يتمتعون بالقدرة على التقاط القيمة . والعدل فى توزيع الانصبة . حتى تكون هذه المهرجانات الثقافية وسيلة للارتفاع بالمستوى العام للناس بدلا من الهبوط بهم عن طريق تقديم ما هو هابط .

ظارة أخرى تتعلق باتقان التنظيم ودقته . فقد كانت دائما سمة الهرجلة احدى سمات العمل العام فى مصر . وطبيعى ان تحدث تجاوزات فى اى نشاط ـ لكن ان يصل الامر الى درجة ان يذهب المتكلمون الى ندوة فلا يجدون احدا يستمع لهم . فهذه هى احد اهم المخاطر الناتجة عن عدم دقة التنظيم .

فكر وثقافة

صفحة

دائرة حوار

فى هذا العدد



تصميم الغلاف : الفنان
محمـــود الشيـــخ

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى (١٢ عددا) فى جمهورية مصر العربية تسعة جنيهات وفى بلاد اتحادى البريد العربى والافريقى والباكستان عشرة دولارات أو ما يعادلها بالبريد الجوى ، وفى سائر انحاء العالم عشرون دولارا بالبريد الجوى .

والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى ج . م . ع . نقدا أو بحوالة بريدية غير حكومية . وفى الخارج بشيك مصرفى لأمر مؤسسة دار الهلال ، وتضاف رسوم البريد المسجل على الاسعار موضحة بعاليه عند الطلب .

الأبواب الثابتة

دار الهلال

١٦ شارع محمد عز العرب (المبتديان سابقا) (١١٥١١) القاهرة تليفون ٣٦٢٥٤٥٠ سبعة خطوط ـ مجلة الهلال ٣٦٢٥٤٨١
رقم التلكس 92703 HILAL U.N

ثمن النسخة

لبنان ٧٠٠ ليرة ، الاردن ٦٠٠ فلس ، الكويت ٥٠٠ فلس ، العراق ١٠٠٠ فلس ، السعودية ٧ ريالات ، عدن ١٢٥ سنتا ، البحرين ٨٠٠ فلس ، قطر ٧ ريالات ، الامارات العربية المتحدة ٧ دراهم ، سلطنة عمان ٧٠٠ بيسه ، تونس ١٤٠٠ مليم ، المغرب ١٥ درهما ، غزة ٧٥ سنتا ، انجلترا ١٢٥ بنسا ، ايطاليا ٢٥٠٠ ليرة ، الولايات المتحدة الامريكية ٤٠٠ سنت ، الجمهورية العربية اليمنية ٨ ريالات ، كندا ٥ دولارات .

عزيزي القارئ

سياحة

في كشاف الهلال

يصدر في هذه الايام الجزء الثاني من « كشاف الهلال » شاملا لبيانات مفصلة للمواد التي نشرتها مجلة « الهلال » في المدة من خريف سنة ١٩١٤ الى خريف سنة ١٩٣٦ ، وكان الجزء الاول من هذا الكشاف قد صدر منذ عشر سنوات تبيانا للمواد المنشورة في « الهلال » منذ العدد الاول سنة ١٨٩٢ الى صيف سنة ١٩١٤ ، وهكذا يسجل الجزءان الاول والثاني رءوس مواد الهلال بالتفصيل مع اسماء اصحابها في اربع واربعين سنة .

والكشاف سجل واف دقيق لعناوين ومحتويات الموضوعات التي نشرتها مجلة الهلال ، واسماء الكتاب والعلماء والادباء والفنانين والصحفيين واصحاب الاقلام الذين انشأوا تلك المواد .

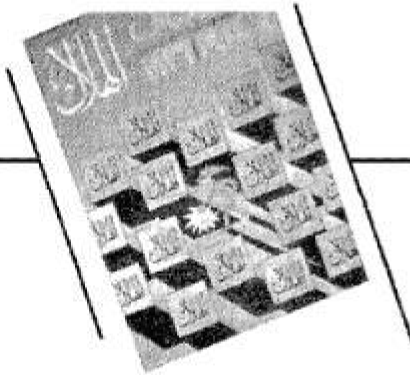
ويفتح الكشاف مغاليق مجلدات الهلال ، فهو مفتاح لهذه الفترة المديدة الحافلة (١٩١٤ - ١٩٣٦) التي كانت من اهم واخصب المراحل في حياة مصر ، فقد بدأت هذه المرحلة مع الحرب العالمية الاولى سنة ١٩١٤ وشملت ثورة ١٩١٩ الوطنية ذات الاثر الكبير ، ثم معاهدة ١٩٣٦ وحفلت بالتطورات السياسية والثقافية والعلمية والاجتماعية وعاصرت بزوغ اعظم الادباء واشهر المفكرين والزعماء والفنانين المصريين .

وعلى الصعيد العالمي شهدت هذه المرحلة التاريخية صعود نجم الامبراطورية البريطانية التي لاتغيب عنها الشمس وسقوط الامبراطورية الالمانية والامبراطورية النمسوية ، وانطواء صفحة الخلافة العثمانية ، ونشوب ثورة اكتوبر الاشتراكية في روسيا ، وانكفاء الولايات المتحدة الامريكية الى سياسة العزلة عن العالم واستيلاء الفاشية على الحكم في ايطاليا والنازية على الحكم في المانيا والطبقة العسكرية على الحكم في اليابان ، فكان ذلك تمهيدا لنشوب الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٣٩ .

وفي الفترة التي يشملها الجزء الثاني من كشاف الهلال ، حملت مجلة الهلال راية الثقافة في مصر والعالم العربي ، كما حملتها في الفترة التي يشملها الجزء الاول ، فالهلال هي المجلة المصرية العربية الوحيدة التي عاشت بلا انقطاع حتى الان ثمانية وتسعين عاما ، وستحتفل في عام ١٩٩٢ بعيدها المئوي ان شاء الله !

وكشاف الهلال ليس مجرد فهارس لرءوس الموضوعات واسماء اصحاب الاقلام فهو الى ذلك سياحة ممتعة في ثقافة امتدت عشرات السنين .

ومن الكشاف يعرف القارىء معلومات كثيرة بلا عناء ، وبلا بحث في مجلدات الهلال .



مثلا .. يعرف قارىء الكشاف ان الدكتور طه حسين لبث يكتب « مسلسل » كتابه الشهير « الايام » فى مجلة الهلال من اول يناير سنة ١٩٢٧ الى يوليو من ذلك العام .

ومن الكشاف يعرف القارىء ان القصصى المشهور محمود تيمور كتب اول قصصه فى الهلال ، فى عدد يوليو سنة ١٩١٥ ثم انقطع عن الكتابة حتى سنة ١٩٢٦ وعاد يكتب فى يونيو من تلك السنة ، الى ديسمبر سنة ١٩٣٣ فكتب خلال هذه المدة اربع عشرة قصة ثم انقطع حتى سنة ١٩٣٦ .

اما الاديبة الانسة مى ، فكتبت مقالات فى المدة من سنة ١٩٢١ الى سنة ١٩٢٤ وانقطعت فى تلك السنة ثم عادت تكتب سنة ١٩٣٤ اى انها انقطعت عشر سنوات !

وفى كشاف الهلال تطالعك اسماء كبار ادبائنا وشعرائنا الذين تركوا لنا انتاجا رائعا متنوعا امثال : امير الشعراء احمد شوقى وشاعر النيل حافظ ابراهيم وخليل مطران شاعر القطرين ، ومصطفى لطفى المنفلوطى كاتب العصر الرومانسى ، واحمد لطفى السيد « استاذ الجيل » والمؤرخ عبد الرحمن الرافعى ، وعباس العقاد وابراهيم عبد القادر المازنى ومصطفى صادق الرافعى والدكتور محمد حسين هيكل والشيخ مصطفى عبد الرازق الذى صار فيما بعد شيخا للازهر ، وزكى مبارك وفكرى اباظة وسلامة موسى وغيرهم .

ان انجاز كشاف الهلال قد اقتضى جهودا كبيرة متواصلة حتى جاء فى هذه الصورة الممتازة للتوثيق العلمى لمادة مجلة الهلال خلال عشرات السنين

عزيزى القارىء

لقد اشرف على انجاز وتحقيق وقيادة العمل فى الكشاف الاستاذ الدكتور احمد حسين الصاوى ، احد كبار اساتذة الصحافة فى مصر ، واحد الصحفيين العلماء الذين تعتمد عليهم اقسام المعلومات فى الدور الصحفية الكبيرة المصرية والعربية ..

ولقد بذلنا هذا الجهد فى انجاز كشاف الهلال لكى نهديه بعد تمامه اليك ، لانه منك واليك ، ونرجو ان يكون حافزا لنا على تصوير مجموعات مجلة الهلال خلال مائة عام على الاقلام المصغرة « الميكروفيلم » لوضع عمل الاجيال بين يديك .

ان كشاف الهلال يعزز تواصل الاجيال فى امتنا ويربط الاصالة بالمعاصرة فى الفكر والشعر والادب والعلم والفن والصحافة .

وتلك هى رسالة مجلة الهلال التى مازالت تعمل لها منذ مائة عام تقريبا وستبقى تعمل لها بعد ان تتجاوز المائة عام ان شاء الله ..

« المحرر »



الانضباط المفقود

بقلم : د. مصطفى سويف

يخيل إلينا ان التسيب اصبح محورا اساسيا بين المحاور التى لابد من اخذها فى الاعتبار عندما نتصدى لوصف الحياة الاجتماعية فى مجتمعنا المصرى فى خلال الثمانينات ، وتفرض هذه الحقيقة نفسها على رؤية كثير من كتابنا المعاصرين ، غير انهم يستخدمون اسماء مختلفة للظاهرة نفسها ، وقد اسماها كاتبنا الكبير الاستاذ احمد بهاء الدين حالة « السداح مداح » .. كما اسماها غيره حالة « الانفلات » ، إلى غير ذلك من اسماء وصفية ، ونحن نفضل كلمة « التسيب » .. فهى قريبة من لغتنا كما نتداولها فى حياتنا اليومية ، وهى مع ذلك عربية سليمة ، فقد ورد ذكر مصدرها فى لسان العرب على النحو الآتى : « سيّب الشىء .. تركه يسيب حيث يشاء .. وساب الرجل فى منطقة إذا ذهب فيه كل مذهب » .

● والذى نقصده الآن من استخدام كلمة « التسيب » وكأنها مصطلح هو الاشارة الى تحلل سلوك الفرد أو الجماعة من كل ما من شأنه أن يدخل على هذا السلوك قدرا من الضبط .. من هذا القبيل قواعد اللياقة ، أو قواعد الأخلاق ، او المنطق ، أو التقاليد المرعية .. الخ .. ومن ثم يكون الانضباط او الالتزام هو عكس التسيب ..

وما يعنينا فى هذا المقام هو أن نوضح للقارىء أن التسيب بهذا التعريف الذى حددناه أصبح سمة شائعة فى حياتنا الاجتماعية المعاصرة على المستويات الرئيسية الثلاثة لهذه الحياة ، وهى مستويات السلوك الشخصى ، وسلوك المؤسسات ، وسلوك الدولة . وقبل أن استرسل فى الحديث أود أن اوضح منذ البداية أن هذا منظور شخصى للسياق الاجتماعى الذى نعيش فيه ، وقد بلورت هذا المنظور نتيجة للمثابرة فى تجميع الخبرات ، ومداومة النظر فى فحواها ومعناها .

وقد أكون مخطئا فيما انتهيت إليه ، ولكنى اقدمه لأنه هو شهادة الحق التى املكها والحق على أى حال مرهون بحدود شاهده .

● التسيب على مستوى السلوك الشخصى

أمثلة التسيب على المستوى الشخصى لا آخر لها : فى كل خطوة ، وفى كل جلسة وفى كل مقابلة نلقاها ، على جميع مستويات السلوك الشخصى ، فى الحركة ، وفى النطق ، وفى التفكير ، وفى الاستجابات الوجدانية .

لذلك اجدنى فى غنى عن أطالة الحديث فى هذا الصدد ، بل يكفينى أن اثير انتباه القارىء الى هذا الموضوع ، واكاد اجزم بعد ذلك أنه سيجد فى مخزون خبراته من هذا النوع معينا لاينضب .

أوضح الامثلة وابسطها اوضاع الجسم التى يضع الاشخاص انفسهم فيها عند الوقوف أو الجلوس أو السير . هذه الأوضاع تأتى فى معظم الأحوال منفلتة من قيود اللياقة والآداب العامة ,والتقاليد والأعراف الخ .. ولا سبيل الى وصفها وصفا لفظيا دقيقا لأنها تحتاج الى كلام طويل وعريض حتى تستوفى حقها فتأتى الصورة اللفظية مطابقة للواقع .. وربما كان الأنسب هنا لغة الكاميرا والفيديوتيب ، فمن المحقق ان هذه اللغة ستكون ابلغ فى نقل الرسالة المرجوة .

ومن امثلة التسيب على المستوى الشخصى كذلك الطريقة التى ينطق بها كثير من الأشخاص الفاظ اللغة ، بدءا بادغام الحروف والمقاطع الصوتية وكأنها فقدت الحدود المميزة بينها ، وانتهاء بفوضى التشكيل واهدار جميع قواعد النحو والصرف فى الأحاديث والكتابات الرسمية وشبه الرسمية .

ولما كانت هذه القواعد لم تنشأ اصلا على سبيل الزخرف أو الحذلقة ولكنها نشأت مع نشأة اللغة كضوابط للمعنى فى السياق ، فقد اصبح تقويض دعائم هذه القواعد أو الاخلال بها ايذانا بتسيب الفكر عند المتحدث ، واختلاط المعنى فى الرسالة التى يحاول أن ينقلها الى المستمع ، واختلال عملية التواصل الاجتماعى بوجه عام .

وامثلة اخرى كثيرة ذاع بعضها ورسخ بين الناس على نطاق واسع ، حتى

الانضباط المفقود

اصبح ، او كاد ان يصبح هو القاعدة ، والخروج عليها شذوذ . من هذا القبيل ضبط المواعيد . وقريب من هذا ، ويزداد اقترابا يوما بعد يوم موضوع الوفاء بالوعود .. والخطير فى هذا الأمر انه يلقى ظلا كئيبا على موضوع بالغ الأهمية هو موضوع العمل والانتاج .. فالعمل كنشاط بشرى منظم يهدف الى هدف محدد هو انتاج السلعة او الخدمة لايتم فى فراغ ، بل يتم داخل سياق بشرى له حدوده وقيوده ومن أهم هذه الحدود والقيود العوامل النفسية الاجتماعية الحاكمة لسلوك الأفراد .. ومن اهم هذه العوامل الحاكمة إن لم تكن أهمها على الاطلاق منظومة القيم المتعلقة بالعمل .. وفى داخل هذه المنظومة تحتل مسألة ضبط المواعيد والوفاء بالوعود مكانة مرموقة .

ومن الحقائق الجديرة بالتأمل فى هذا الصدد ماتبين فى عدد من البحوث النفسية التى أجريت (فى الخمسينيات) على مجموعات من العمال البريطانيين المتعطلين عن العمل لمعرفة مايمكن ان تكون البطالة قد أحدثته من تغيرات فى سلوكهم . فكان من أوضح النتائج شيوع عدم التقيد بالمواعيد فيما بينهم ، بل ونسيان ساعات اليد أو فقدانها .. على هذا النحو يبدو التلازم بين العمل وضبط المواعيد ، أو بين البطالة والتسيب !! .

وشأن كل الأعراض المرضية انها اذا تركت دون علاج كان مآلها التفاقم فكذلك الحال فى موضوع التسيب ، فقد بدا ينفذ الى مجالات فى حياتنا الاجتماعية محققة الضرر فى المدى القريب والبعيد ، واضرارها لايمكن التهوين من شأنها مهما نشط فى هذا السبيل نشاط المتفائلين .. من ذلك مثلا مانلاحظه بصور متلاحقة ومتزايدة من تسيب فى اداء الأدوار الرئيسية الواجبة الأداء فى محيط الأسرة ، حتى يظل البناء متماسكا وبالتالى منجزا وظائفه المتعددة المتداخلة والبالغة الخطر .. فأدوار الأبوة والأمومة لاتؤدى فى هذه الأيام بالصورة التى تحفظ للنشء وللمجتمع قدرا معقولا من الصحة النفسية .

ومع ذلك فالحياة الاجتماعية هذا البناء الشامخ المعقد ، يقوم فى أساسه على شبكة معقدة من الأدوار الاجتماعية التى يؤديها أبناء المجتمع .. وتحتل ادوار الأبوة والأمومة فى هذه الشبكة مكانة محورية ، وبالتالى فلنا أن نتصور مايمكن ان يترتب فى المدى القريب والبعيد على التسيب فى اداء هذه الأدوار .. وعلى سبيل المثال الكاشف ابادر فاذكر بأن التفجر الحديث لموضوع تعاطى المخدرات بين الشباب يعتبر واحدا من النتائج القريبة فى هذا المضمار وسوف تليه نتائج اخرى اسوأ وأشد تدميرا للفرد والجماعة .

اذا ما استمر حال التسيب على ما هو عليه .

ثم هناك مظاهر اخرى للتسيب الشخصى لا حصر لها .. تمتد بطول الطريق بدءا مما هو شخصى جدا ، كالحياة الوجدانية للشخص، حيث نجد « اللامبالاة » التى هى مظهر التسيب على مستوى ظواهر الوجدان ، وانتهاء بالأداء

فى المواقف الاجتماعية التى تستوجب المساءلة ، كالخروج على النص ، فى المسرح ، وفى الخطاب الرسمى !

التسيب على مستوى المؤسسات الاجتماعية :

الفرق الرئيسى بين التسيب الشخصى والتسيب المؤسسى أن الأول مقرون بشخص بعينه ، أما الثانى فلا تستطيع ان تقرنه بأى شخص على وجه التحديد ، لكنه يقترن بالمؤسسة فى مجموعها . خذ مثلا ضبط مواعيد الارسال فى التليفزيون المصرى ، اكبر الظن انك لن تجد برنامجا واحدا يذاع فى موعده تماما ، واذا حدث ذلك يوما فلن يحدث فى اليوم التالى ، واذا حدث على امتداد اسبوع فلن يحدث على امتداد اسابيع تالية .

ولايوجد شخص بعينه هو المسئول عن ذلك ، ولكن المسئولية تقع على المؤسسة ككيان متكامل .

خذ مثلا آخر قطارات السكك الحديدية ، اصبح وصولها فى المواعيد المحددة لها أمرا غير وارد ، سواء إلى محطة الوصول النهائية او الى محطات الوقوف المتوسطة .

ولن تجد وراء هذا الحدث شخصا بعينه هو المتسبب فى هذا التسيب .

ومثال ثالث يتمثل فى عدم التزام اوتوبيسات النقل العام فى العاصمة بخط السير ، ولا أقول بمواعيد محددة ! فالمفروض رسميا أن تسير المركبة بين محطة البدء ومحطة الوصول فى شوارع محددة ، ولكن هذا المفروض كثيرا ما يهدر ، وتنطلق المركبة لتسير فى طرقات أخرى غير المحددة لها .

ولاداعى لالتماس العذر وراء ذلك فى زحمة بعض الطرقات وانسدادها ، فاذا صح ذلك فى حالة واحدة فهو غير صحيح فى حالات أخرى كثيرة .

ولن تجد سائقا واحدا بعينه هو المسئول عن احداث هذه الفوضى فى توقيت خطوط السير .

ومثال رابع ، ما يحدث فى جمعيات الاسكان من عدم التزام بمواعيد التسليم ، ولا بالتكاليف المالية المتفق عليها أصلا ، مع أن هذه الاتفاقات تحكمها عقود ، وقد تعلمنا من رجال القانون ان العقود ملزمة ، وأن العقد شريعة المتعاقدين .. غير أن هذا هو الواقع كما نواجهه مع هذه الجمعيات ، هناك عقود وهناك قانون ، وهناك فى الوقت نفسه تسيب مؤسسى لا حكم لهذه العقود ولا لهذا القانون عليه !

واستطيع ان اسوق للقارىء امثلة اخرى من هذا القبيل لا آخر لها .

ومع أن هذا الأمثلة التى ضربتها تمس مؤسسات على درجة عالية من الخطر فى حياة الأمة مع ذلك فإن ماخفى كان اعظم !

فهناك مؤسسات ذات خطر اكبر فى حاضر الأمة ومستقبلها .. فإذا اصابها التسيب هى الأخرى كان لذلك اسوأ العواقب علينا وعلى أجيال عديدة من بعدنا ..

اضرب المثل بمؤسستين اثنتين فى هذا الصدد ، اللجان العلمية الدائمة ، وهى المسئولة عن ترقية اعضاء هيئة التدريس فى الجامعات .

والمثل الثانى هو مجالس الكليات .. فباسم التساهل (وهو الكلمة المهذبة للتسيب التى تجعله مقبولا امام الضمير) فى تطبيق شروط الترقى على الاعضاء

الانضباط المفقود

المرشحين فى الحالة الأولى ، وباسم التساهل فى تطبيق قواعد الإعارة على طالبيها في الحالة الثانية ، أصاب هاتين المؤسستين الجليلتين كثير من أعراض التسيب كما أصاب غيرهما من المؤسسات .

● التسيب على مستوى الدولة :

يقترن التاريخ الحضارى لمصر بتاريخ السلطة المركزية فيها .. وكلنا نعرف ان الفترات التى احكمت فيها السلطة المركزية الوطنية قبضتها على البلاد واكبتها مظاهر الاستقرار والأمان واعداد العدة للتقدم . هذا على النقيض من فترات تاريخية ضعفت فيها هذه القبضة فتقطعت أوصال البلاد ، وافتقد المصريون استقرارهم وامنهم .. هذه مقدمة تاريخية لابد من الوعى بها ، والتسليم بضرورتها .

ولايعنى هذا الكلام .. بحال من الأحوال دعوة ضد التبشير باللامركزية التى تسعى كثير من المجتمعات الحديثة الى ترسيخها ، فهيبة الدولة شىء ولا مركزية ممارسات الحكم شىء آخر ، ولايجوز الخلط بين الأثنين باسم التداخلات اللفظية . كما ان قبضة الدولة شىء وديمقراطية الحكم شىء آخر .

ولايجوز أن يتساوى فى الذهن مفهوم الديمقراطية مع مفهوم التسيب .

فى ظل هذه المقدمة نضرب مثلا واحدا على التسيب كما يحدث على مستوى الدولة ، وقد اخترنا هذا المثل لأن وقع احداثه لايزال حيا فى ذاكرتنا جميعا اشير هنا إلى قرار الحكومة ، وقد فوجئنا به ذات صباح قريب ، مؤداه ـ أن يصبح يوما الخميس والجمعة هما عطلة نهاية الأسبوع بالنسبة لجميع مرافق الدولة بدلا من التوزع بينهما والجمعة والسبت من ناحية أخرى كما هو الحال السائد حتى وقت صدور هذا القرار .. وفى خلال ثمانى واربعين ساعة من صدور القرار تبين انه لايمكن العمل به لانه يلحق ضررا بالغ الشدة بأعمال لايمكن السماح بالاضرار بها (وفى مقدمتها أعمال البنوك من حيث انها مرتبطة بأسواق المال العالمية) . وتراجعت الحكومة فورا عن قرارها الذى كان قد صدر فعلا .. هذا المثال يثير سؤالا هاما ، وهو : هل هناك ضوابط موضوعية تحكم عملية صدور القرار فى الدولة ؟

ثم تتوالى اسئلة اخرى : وماهى طبيعة هذه الضوابط ؟ وكيف يتم تشغيل تلك الضوابط أو تعطيلها ؟

عرضت فى هذا الحديث لظاهرة التسيب التى شاعت فى حياتنا على جميع مستوياتها ، الشخصية والعامة ، واعترف انه حديث غير محبب الى النفس .. لكن قول الحق فيه واجب .. ولاشك انه يثير سؤالين لا سبيل الى تجاهل اى منهما : يدور احدهما حول منشا هذا التسيب .. ويدور الثانى حول العلاج .. غير ان المقام لايسمح بالمزيد ..

أقوال معاصرة


نجيب محفوظ

● « لا يمكن للفيلم وحده أن يرتقى عندنا ، بينما الكل متدهور »

الأديب نجيب محفوظ

● « التطرف يعمى صاحبه ، ويحجب عنه الحقائق الموضوعية » .

الكاتب محمد عابد الجابرى


ميشيل روكار

● « عملية السلام سراب اكثر منها مفاوضات حقيقية »

الصحفى البريطانى - باتريك سيل

● « السياسى الذى يبنى سياساته على رغباته ، لا يستمر طويلا » .

ميشيل روكار - رئيس وزراء فرنسا

● « لعبة الشطرنج هى الرياضة الأكثر عنفا ، بل ووحشية » .

جارى كاسباروف - بطل العالم فى الشطرنج

● « ليس بالقانون ، ولا بالشرطة تحمى مصر من خطر المخدرات » .

القاضى الأمريكى - مارك دولف

● « استنفد الاتحاد السوفييتى امكانياته ، ولا نستطيع أن نبقى فى حديقة أطفال إلى الأبد »

الأديب الكرغيزى - جنكيز أيتماتوف

● « الفرنسيون تخصصوا فى أمرين : الطهو والدساتير »

روبرت بادينتر
وزير العدل الفرنسى سابقا

يشار كمال


● « الخيال في لحظة ما يغير الواقع »

الأديب التركى - يشار كمال

● « لغة الشعب تكون جزءا من روحه »

موريس اليه
الحاصل على جائزة نوبل فى الاقتصاد

مذكرات الجمسي

حرب أكتوبر ١٩٧٣م

حرب الاستنزاف وآخر الحروب !

عرض وتعليق

د. أحمد عبد الرحيم مصطفى

أثارت المواجهات العربية ـ الإسرائيلية كثيرا من المؤلفات التي كتبها ساسة وعسكريون وصحفيون ومؤرخون متخصصون حيث كتبوا عن زواياها السياسية والعسكرية وارتباطاتها بالمواقف الدولية ـ وإذا كانت المواجهة الأولى (حرب فلسطين ، ١٩٤٨) قد أثارت في الجانب الإسرائيلي كثيرا من المؤلفات التي وصفتها "بحرب التحرير" واستفاضت في شرح ما اعتبر بطولات من جانب الكتاب الصهيونيين في فلسطين المحتلة وفي خارجها ، فإنها لم تثر الكثير في الجانب العربي ـ وقد قيل أن النصر له مائة أب أما الهزيمة فلا أب لها . أما حرب السويس التي لعبت إسرائيل فيها دور كلب الصيد تمهيدا للدور الرئيسي الذي كان من المتوقع أن تقوم به بريطانيا وفرنسا ، فقد حظيت بالكثير من المؤلفات التي كتبها الإنجليز الذين أصابتهم صدمة بعد فشل بريطانيا "العظمى" في وفرنسا وإسرائيل في إسقاط عبد الناصر الذي كان قد أمم قناة السويس بحيث أدركوا وأدرك معهم غيرهم أن شمس الإمبراطورية البريطانية قد غابت إلى غير رجعة .

● وبالنسبة إلى حرب يونيه ١٩٦٧ فقد لجأ الإسرائيليون إلى تضخيم الدور الذي قاموا به خلالها وصوروا أنفسهم باعتبارهم قد نجحوا وحدهم ـ هذه المرة ـ في إلحاق الهزيمة بالعرب وجاراهم في ذلك كثير من الكتاب الغربيين . وخلت المكتبة العربية ، أو كادت ، من المؤلفات الموضوعية التي تحلل ما حدث في هذه المواجهات الثلاث بحيث تكون أمام القراء العرب صورة صحيحة عن أسباب هزائمهم من شأنها أن تنير السبيل أمام الأجيال القادمة لكي تتلافى الأخطاء التي ارتكبت بالفعل ، بدلا من التفسير "التآمري" لما حدث بالفعل ، وهو تفسير قاصر لا يرقى إلى مستوى مواجهة النفس بدلا من اتهام الغير .

● المبادرة في تصوير الأحداث !

أما المواجهة الرابعة التي جرت في



أكتوبر ١٩٧٣ فقد استتبعت بعض المؤلفات من الجانب العربي ، وكثيرا من المؤلفات ـ كالعادة ـ من الجانب الاسرائيلي الذي يأخذ المبادرة باستمرار في تصوير الاحداث باللون الذي يراه قبل أن يستجمع العرب آراءهم وأفكارهم وأوراقهم لشرح وجهات نظرهم والرد على ما كتب عنهم . وقد تميز كثير مما كتب ـ من الجانب العربي ـ عن حرب اكتوبر بالتناول العاطفي والتهليل للانجازات التي حققتها القوات المسلحة المصرية التي استطاعت في بداية الحرب ان تمحو اثار الهزائم السابقة وان تثبت زيف الاتهامات التي الصقت بالمصريين وبالعرب في السابق . حقيقة لقد كتب الرئيس السادات شارحا تصرفاته خلال حرب اكتوبر ، كما كتب الفريق اول سعد الدين الشاذلي كتابة موضوعية عن هذه الحرب ولكنه ضمنها دفاعا عن ارائه وموقفه بعد ان اتهمه الرئيس السادات بالانهيار في أعقاب ثغرة الدفرسوار . وكتب الفريق اول محمد فوزي من زاوية نقدية لخطط السادات الذي كان قد تخلص منه بطريقة مزرية في مايو ١٩٧١ ، ولأنه كان قد نُحي عن مركز القيادة العامة للقوات المسلحة المصرية فانه يركز على نواحي القصور في تقويم الخطط والمواقف التي لم يشترك فيها .

● شرح الحقائق كاملة

اما المشير محمد عبدالغني الجمسي فهو من العسكريين المصريين الذين اشتركوا في كل الحروب العربية ـ الاسرائيلية باستثناء حرب ١٩٤٨ التي كان اثناءها في بعثة تدريبية خارج مصر ، وتفرغ للخدمة العسكرية وحدها ولم يتطرق الى مجالات اخرى ، وبخاصة السياسة التي من رايه انها قد تؤثر على تفرغ العسكري لمجال عمله وقد تفسده .. لأن الله ما جعل لامرىء قلبين في جوفه . وقد افاد من الاطلاع على المذكرات السياسية والعسكرية والمقالات والدراسات التي صدرت خارج مصر وفي داخلها عن حربي ١٩٦٧ و١٩٧٣ واستشف ان وجهة النظر المعادية قد اصبحت المرجع الرئيسي للكتاب والباحثين والمؤرخين ، وان بعض ما كتب في مصر وخارجها لايتسم بالموضوعية او الدقة في بعض الاحيان مما أعطى انطباعا خاطئا عما حدث في حرب اكتوبر ، ومن ثم قرر ان يدلي برايه لكي يشرح للجيل الجديد الحقائق التي من شأنها ان تنير له طريق المستقبل . وقد عول على أن تكون للجانب العسكري الاسبقية والأهمية فيما يكتب ولن يكون للجانب السياسي قدر محدد يرتبط بتأثيره على العمل العسكري الذي أسهم فيه باعتباره رئيسا لهيئة عمليات القوات المسلحة المصرية خلال حرب اكتوبر

وقد مهد الجمسي لعرضه لحرب اكتوبر بالرجوع الى حربي ١٩٥٦ و١٩٦٧ اللتين كانت القوات المسلحة المصرية خلالهما ضحية للاخطاء التي ارتكبت على المستويين السياسي والعسكري لاسيما في الهزيمة . كما





المشير عبدالغنى الجمسى

دافع بشدة عن حرب الاستنزاف التى بدأها عبد الناصر فى اعقاب الهزيمة استعدادا للحرب الثأرية على اعتبار ان «ما اخذ بالقوة لايسترد الا بالقوة» . وفى رأى الجمسى ان ابرز الاخطاء التى ارتكبت فى يونية ١٩٦٧ هى عدم وجود استراتيجية عليا للدولة تحدد الهدف السياسى المطلوب تحقيقه وعمل التوازن والتنسيق بين هذا الهدف وقدرات الدولة على تنفيذه سياسيا وعسكريا واقتصاديا واجتماعيا واشار الى عدم وجوب اضطلاع شخص واحد بشئون الدفاع عن الدولة سواء اكان قائدا عاما أو قائدا اعلى ، على اعتبار أن ذلك لن يتأتى الا باشتراك كبار القادة فى وضع الخطط واتخاذ واعداد القوات المسلحة بحيث تكون مستعدة بخططها ومستوى كفاءتها القتالية وتجهيز مسرح العمليات . وكل ذلك بحاجة الى دراسات من الأجهزة المتخصصة وقرارات متعددة لايصح ان ينفرد بها شخص واحد .

وقد بدأت عملية اعادة تنظيم القوات المسلحة على اثر عدول عبد الناصر عن قرار التنحى ، وكانت نقطة البدء هى ابعاد المشير عبد الحكيم عامر عن الموقع الذى احتله طويلا باعتباره القائد العام للقوات المسلحة ثم المضى قدما فى اعادة تسليح القوات المصرية وتدريبها وعدم استسلام الشعب ، من مدنيين وعسكريين ، لحالة اليأس التى سادت فى أعقاب الهزيمة والتصدى للقوات الاسرائيلية التى احتلت سيناء والضفة الغربية وغزة والجولان وعسكرت على الجانب الآخر من قناة السويس . وبغض النظر عن النقد الذى وجه أخيرا الى حرب الاستنزاف بسبب الخسائر البشرية والمادية التى سببتها لمصر ولقواتها المسلحة ، فان الجمسى يرى انها كانت ضرورية للقوات المصرية المسلحة وانها تمخضت عن آثار بعيدة المدى فى اسلوب الأعداد والتخطيط لحرب اكتوبر وعلى الأداء الكفء للقوات

المصرية خلال الحرب كما يشير الى ان القيام بحرب الاستنزاف كان التمهيد العملى الضرورى الذى ساعد ان يصبح قرار حرب اكتوبر ممكنا ، اذ لولاها لما استطاعت القوات المصرية ان تقفز من حالة الانهيار التام التى كانت عليها بعد حرب يونية للقيام بعملية هجومية شاملة مع اقتحام مانع مائى وهى من أعقد العمليات . ومع انتهاء حرب الاستنزاف كانت مصر قد استفادت كثيرا والمت باساليب القوات الاسرائيلية القتالية فى الوقت الذى اقتنعت فيه اسرائيل بفشلها فى اسكات شبكة الدفاع الجوى ولم يصبح فيه لسلاح الجو الاسرائيلى حرية العمل بنفس التأثير السابق وأصبحت فيه القوات المصرية تستطيع العمل بحرية تحت حماية الدفاع الجوى بالتعاون مع القوات الجوية حين يصدر قرار الهجوم .

● عقم نظرية الامن الاسرائيلى

ورغم كل ذلك بقيت اسرائيل متشبثة بالاراضى التى احتلتها فى يونية ١٩٦٧ مما أدى الى فشل مفاوضات السلام طبقا للقرار ٢٤٢ الذى صدر عن الأمم المتحدة فى اعقاب الحرب ونص على الانسحاب من هذه الأراضى كشرط اساسى من شروط التوصل الى السلام . وحينئذ اصبح لابد من ارغام اسرائيل باصطناع القوة على التخلى عن هذه الأراضى، وانهاء حالة اللاسلم واللاحرب

الجمسى فى غرفة العمليات لقاء القمة فى حرب اكتوبر



واظهار عقم نظرية الامن الاسرائيلى التى كانت تقتضى احتلال اراضى الغير . لهذا اتخذت كل الاستعدادات اللازمة وجرى تخطيط مسار الحرب الهجومية بالاتفاق مع سوريا .

وقد اختارت عمليات القوات المسلحة المصرية انسب التوقيتات للقيام بالهجوم خلال عام ١٩٧٣ على ضوء الموقف العسكرى لكل من مصر واسرائيل وفكرة العملية الهجومية المخططة والمواصفات الفنية لقناة السويس من حيث المد والجزر وسرعة التيار واتجاهه وساعات الاظلام وساعات ضوء القمر والأحوال الجوية وحالة البحرين الاحمر والمتوسط ، كما حددت الوقت التقريبى الذى يناسب تنفيذ الهجوم على الجبهتين المصرية والسورية فى وقت واحد . ورصدت ايام العطلات الرسمية فى اسرائيل حيث تكون القوات الاسرائيلية عادة اقل استعدادا للحرب . واخيرا رأت ان شهر اكتوبر هو انسب الشهور لبدء القتال واشارت الى ضرورة جعل كل الاستعدادات سرية حتى يفاجأ الاسرائيليون بالهجوم فى الوقت الذى قررت فيه القيادة تغطية الاستعداد للحرب بعمليات تمويهية القصد منها خداع العدو كتسريح عدد من المجندين والسماح لعدد غير قليل من الضباط باداء العمرة وغير ذلك .

● المباداة للمرة الأولى

وتحققت المفاجأة فى ٦ اكتوبر ١٩٧٣ وتمتع العرب بالمباداة لاول مرة فى حربهم مع اسرائيل التى حرمت لاول مرة تعبئة الاحتياطى فى وقت مبكر او توجيه ضربة وقائية ضد القوات العربية . فتم اقتحام قناة السويس وتدمير خط بارليف والهجوم فى الجولان فى ظروف افضل وباقل خسائر ممكنة . ويعزو الجمسى ثغرة الدفرسوار الى المعاونات العسكرية التى قدمتها الولايات المتحدة لاسرائيل منذ بداية الحرب بناء على تقييم الموقف العسكرى من جانب خبراء البنتاجون (وزارة الدفاع الامريكية) منذ نشوب الحرب مباشرة ، وهم الخبراء الذين اسهموا فى التخطيط العسكرى الاسرائيلى يوم ٨ اكتوبر هذا بالاضافة الى الاسلحة العاجلة التى نقلتها طائرات شركة العال الاسرائيلية حتى يوم ١٢ اكتوبر وعمليات الاستطلاع الجوى التى قامت بها الاقمار الصناعية الامريكية فى يومى ١٣ و١٥ اكتوبر والجسر الجوى الامريكى بطائرات نقل عسكرية اوصلت حاجات اسرائيل من الدبابات والطائرات والاسلحة والمعدات الفنية منذ يوم ١٤ اكتوبر وحتى نهاية الحرب .

ويشير الجمسى الى تركيز وسائل الإعلام الاسرائيلية والاجنبية على نجاح الجيش الاسرائيلى فى اقامة ثغرة الدفرسوار وذلك لابراز نجاح اسرائيل فى هذه المعركة وفى قتالها غرب قناة السويس ، وهو يرى انه كان من واجب مصر ان تقوم بحملة اعلامية مضادة توضح حقائق الموقف الاسرائيلى من ناحية وحقائق الموقف المصرى من ناحية اخرى ، ويسجل ان القيادة العامة للقوات المسلحة

المصرية لم تقم بذلك مما ادى الى ازدياد اهتمام الرأى العام خارج مصر بموضوع الثغرة وتضخيمه لخطورتها . وهو يؤكد ان النجاح التكتيكى الذى حققته اسرائيل فى معركة الدفرسوار قد خلق اوضاعا غير ملائمة للقوات الاسرائيلية كان لابد ان تؤدى الى فشل استراتيجى محقق اذا ما استؤنف القتال من جديد بعد تكوين التجميعات المصرية الملائمة . فقد تحولت القوات الاسرائيلية الموجودة غرب القناة من سلاح تضغط به اسرائيل على مصر الى رهينة تضغط بها مصر على اسرائيل ومصدر استنزاف لأرواح ومعدات واقتصاد اسرائيل . وقد نفى بهذا الصدد ما صرح به السادات من ان الثغرة ادت الى انهيار اعصاب الفريق اول سعد الدين الشاذلى الذى كان من رأيه سحب بعض القوات المصرية من مواقعها شرق قناة السويس الى الغرب لسد الثغرة ومحاصرة القوات الاسرائيلية التى تسللت عبر قناة السويس ، وكانت لدى الجمسى الشجاعة الكافية التى جعلته يقر القيام بالهجوم على القوات الاسرائيلية وهو الهجوم الذى استدعى نقل الآليات المصرية من مواقعها فى غرب القناة الى الشرق بقصد تخفيف الضغط على سوريا .

وبعد قبول مصر واسرائيل وقف اطلاق النار راس الجمسي الفريق المصرى الذى اشترك فى عملية فض اشتباك القوات المصرية والاسرائيلية وفى المفاوضات التى تلت ذلك وأبدى فى كل المراحل تمسكا بالمحافظة على أمن مصر خاصة وأنه كان يدرك ان لاسرائيل - التى كانت تلقى المساندة الكاملة من الولايات المتحدة ، اطماعا توسعية فى الأراضى العربية المجاورة تمهيدا لاقامة اسرائيل الكبرى ، مستشهدا على ذلك بما صرح به القادة الاسرائيليون الذين لم يشاءوا رسم حدود بلادهم حتى تكون قابلة للتعديل والتبديل حسب الظروف تستوعب مزيدا من المهاجرين اليهود القادمين من الخارج .. وانتهز الجمسى فرصة سفر الرئيس السادات الى الولايات المتحدة للاشتراك فى مباحثات كامب ديفد فى اواخر ١٩٧٨ لكى يقترح عليه اصطحاب احد القادة العسكريين ضمن الوفد المصرى على اساس ان الموضوعات العسكرية ستكون لها اهمية خاصة فى تحديد العلاقة بين مصر واسرائيل ولكن السادات لم يوافق على ذلك وفضل خلال المفاوضات ان ينفرد بالرأى وان يقطع بالوعود للرئيس الامريكى كارتر من وراء ظهر المفاوضين المصريين الآخرين مما ادى الى استقالة وزير الخارجية المصرى محمد ابراهيم كامل ثم عودته الى مصر[1] . وحين جرى توقيع اتفاقية السلام فى كامب ديفيد (سبتمبر ١٩٧٨) لم يرحب بها الجمسى على اعتبار انها سجلت خروج مصر من ساحة الصراع العربي - الاسرائيلى الامر الذى اتاح لاسرائيل التمتع بالموقف الاستراتيجى الأقوى فى الشرق الأوسط وحرية العمل لابتلاع ما تبقى من فلسطين

والتوسع على حساب الأراضى العربية المجاورة ـ هذا برغم ان معاهدة السلام اعادت سيناء لمصر ولكن بقيود شديدة وضعت اسرائيل فى الموقف العسكرى الاستراتيجى الأقوى خلال المرحلة الجديدة التى بدأت فى المنطقة وتغير فيها نظام الامن الذى بدأت الولايات المتحدة تلعب فيه الدور الرئيسى .

ولما كان الجمسى على اقتناع بان حرب اكتوبر ليست آخر الحروب على عكس ماصرح به السادات ، فانه لم يكن متوقعا ان يشارك فى المرحلة الجديدة التى بدأها السادات بتغيير شامل فى اجهزة الدولة بما فى ذلك الوزارة القائمة التى خرج منها الجمسى من منصب نائب رئيس مجلس الوزراء ووزير الحربية والانتاج الحربى وجرى تعيينه مستشارا عسكريا لرئيس الدولة . ثم استقال من الخدمة تاركا سجلا حافلا بالخدمة العسكرية طيلة اربعين عاما لم تجتذبه خلالها السياسة ، بل ظل يؤدى واجبه فى المواقع التى شغلها بدافع من الشعور الوطنى والتفانى فى الواجب .

وهكذا انسحب من الحياة العامة بعد توقيع اتفاقية كامب ديفيد وتفرغ لكتابة مذكراته التى نشرت . ثم ظهرت مكتملة فى الكتاب الذى نقدمه للقراء والذى بسط فيه وجهات نظره بصدق وموضوعية مع استلهام مصلحة مصر والأمة العربية . فقد تحملت مصر العبء الرئيسى فى المواجهات العربية ـ الاسرائيلية فى الوقت الذى لم توجد فيه خطط عربية مشتركة مما شغلها عن شئونها الداخلية وارهق ماليتها وجعلها تسعى الى تحقيق السلام بالوسائل الدبلوماسية ولو ان هذا السلام لايزال بعيد المنال بسبب تعنت اسرائيل واطماعها التوسعية .

ورغم قناعة الجمسى بان حرب اكتوبر لن تكون آخر الحروب فاننا نتمنى التوصل الى السلام بالشكل الذى يضمن امن الأراضى العربية ويحقق حلا للمشكلة الفلسطينية التى طال عليها الأمد وتغيرت ملامحها يوما بعد يوم



هل هى آخر الحروب ؟



الفريق سعد الدين الشاذلى

(١) انظر محمد ابراهيم كامل : السلام الضائع

بقلم: د. شكري محمد عياد

"زمردة أيوب"

الخلاص بالكتابة

« اوراق زمردة ايوب » بداية جديدة فى ادب بدر الديب . ولم يكن فى "حرف الكاف" ، ما يبشر بها ، فهذا الكتاب الأول ، الذى يحنو عليه بدر كما يحنو الأب على ولده البكر ، كان تجارب فى فن الكتابة ، ايقونات صغيرة من الألفاظ ، مصنوعة من التامل الذاتي المحض ، الذى يستحيل غالبا إلى اوهام . فليس وراءها إيمان حقيقى ، ولا همّ حقيقى ، وان ردد الكاتب ، هنا او هناك ، افكار كير كجارد عن الدين والأيمان فالذى اخذه عن كيركجارد فى هذا الكتاب لم يكن تجربة كيركجارد (هل يمكن ان يستعير الانسان تجربة آخر ؟) بل تمكسه الشديد بفرديته ، ونفوره من « الدهماء » ..

● وقد تعجب هذه التجارب بعض هواة « الفن » من المتأدبين فى هذه الأيام ، الذين قرءوا او سمعوا عن « الشكلانيين » ، واسقطوا من كلامهم عبارة « العمل الأدبى » ، وجعلوه « نصا » ، دون أن يدركوا ما فى هذه التسمية الأخيرة من تقديس مصطنع ، فى عصر فقد كل قداسة ..

وما اشك فى أن بدر الديب ، حتى فى صدر شبابه حين كتب «حرف الكاف» ، كان اصح من هؤلاء نظرا ، واعمق ثقافة ، وأنه فى تجاربه اللغوية تلك لم يكن يفكر فى « الشكل » على انه قيمة فى ذاته ، ولعله انما كان يفكر فى تعزيمات السحرة او زمزمات الكهان ، التى تستحضر من الغيب اسباب الالم والخوف والمرض وموجبات السلامة والصحة ، وإن لم تكن لديه ، هو ، مثل هذه الاسباب او الموجبات .

يكفيه ـ على كل حال ـ انه فى هذه



بدر الديب

المرحله التي يكتسب فيها الناشيء ـ عادة ـ « اسلوبا » من خلال تقليد سابقيه ، كان عاكفا على صياغة اسلوبه الخاص .

ولعل هذا الأسلوب الخاص كان الشرط الاول الذى شعر بأنه يجب عليه أن يحققه اذا اراد ، فيما بعد ، أن يقدم على « فعل » العنف الحقيقى (تسمية الفن ، فى هذا السياق ، « فعلا » هى تسمية بدر نفسه) .. ولاشك أن هذه التجارب مع الأسلوب اعانته ايضا على فهم تجارب غيره ، فكان لنا منه ذلك الناقد الذى كتب بعمق وذكاء مقدمة ديوان صلاح عبد الصبور الأول « الناس فى بلادى » . اما إبداعه هو ـ ابداعه الحقيقى ـ فقد جاء متأخرا ، جاء فى اواسط السبعينيات ، وهو يناهز الخمسين ، جاء (كما يجيء الفن عادة) كضرورة ملحة لاستعادة توازنه النفسى ..

* * *

ستراني ـ صديقي القاريء ـ استشهد بكلام بعض شخصياته القصصية على طبيعة التجربة النفسية التى كان يمر بها الكاتب نفسه ، أنا لا أجادل فى أن الشخصية القصصية تتمتع بنوع من الاستقلال عن شخصية مبدعها .. ولكن المبدع ـ كما فى الخلق الأول ـ يخلق شخصيات على صورته هو ، ومن ثم يمكننا أن نعرفه من خلال مخلوقاته ، او بالأحرى ان نعيش معه فى عملية الخلق ذاتها ، وايضا ـ ومن باب اولى ـ فى طبيعة الأزمة التى دفعته اليها .

« أوراق زمردة ايوب » لها ارهاصات ، هذه القصص الثلاث التى ضمها اليها فى مجموعته ، « حديث شخصى » .. واولاها ـ فى ترتيب النشر فى تاريخ الكتابة ايضا ـ « رشدى حمامو » .. قصة غريبة فى نسجها ، ولكن كما يكون البحث عن الحقيقة غريبا وسط كومة من الأكاذيب ، إن القصة تبدأ وتنتهى بالوقوف امام الاسم ، كان هذا الاسم رشدى حمامو ، هو كل ما يمتلكه بطل القصة الذى يرويها بنفسه ، كل ما يشعر ـ ولو شعورا غامضا ـ أنه غير كاذب ، وان وراءه دلالة ما ، دلالة على كينونة صاحبه ، أنه موجود حقا ، وان هذا الوجود يمكن أن يكون له معنى ، معنى ربما مر به ، او باطراف منه ، فى تجارب حياته العملية او الخاصة ، فى قبوله الصامت للسياسة ، وقناعته بدور المنفذ ، مع يقينه بعدم جدواه ، فى محيط من الجهل المقترن بالفساد ، وفى مصيبته بفقد ابنه الوحيد وترحيبه برحيل زوجته الى الخارج ، ولكنه كتم هذه التجارب ، وغلفها بغلاف صفيق من الكذب حتى ، ماتت واصبح يحملها معه جافة مغطاة بقشر الواقع والعادى والمألوف » ..

القفز على الأشواك

● البحث عن الكينونة

ابتداء من وقفة « رشدى حمامو » أمام اسمه ، ليبحث عن بداية لقصته ، سيظل بدر الديب يبحث عن الكينونة ، عن معنى الوجود ، مهما يكن الشكل الذى يكتب فيه ، قصة أو غير قصة ، ومهما تختلف شخصيات قصصه فى تكوينها او ظروف حياتها او طبيعة الأزمة التى تمر بها . هل هى - إذن - ازمة بدر الديب نفسه ، فى نهاية المطاف ، وهل البحث وراء الكينونة ، أو الحقيقة ، او معنى الوجود (وكلها تدل فى هذا السياق على شىء واحد) هو بحث عن كينونة بدر الديب ذاته ؟

نعم ، ولا ، فالارتفاع من الخاص الى العام بديهية من بديهيات الفن ، ولكن بدر الديب يبادرك بالدلالة العامة ، أهى حيلة قصصية لاجتذاب القارىء ام هى حقا الدافع المباشر للكتابة ، إن لم نقل ايضا انها الموضوع الجوهرى لنحاول ان نفهم :

إن رشدى حمامو يبدأ قصته او اعترافه بهذه الأسطر :

« كان اسمى الذى التصق بى طول حياتى هو رشدى حمامو وليس من شك ان قولى التصق بى قد يثير حديثا او كلاما ، او على الأقل تفكيرا ، ولكن هل يثير حقا ؟ إننا تعودنا أن نقرأ ما يقال دون اهتمام بما يقال ! لقد تعودنا ان نقرأ دائما احاديث لاتعنى شيئا ، او على الأقل لا تمس فى كثير او قليل روح من يكتبها .. ولكننى لا أعرف ذلك .. وهذا فى الحقيقة جانب من المشكلة التى اعرضها الآن » .

اما زمردة ايوب فتقول في الصفحة الثانية من أوراقها :

« عندما تبلغ المرأة الخمسين ، وبينى وبينها ايام ، تتغير المرأة كما تتغير الحياة ، وكانت الأعوام تكفينى ولكننى ارى المرض ايضا فى تلك الصحة المصقولة التى تعكس وجهى .. إن المرض لم يغير فى سمرتى التى أحببتها وافتخرت بها طول عمرى ، ولكنه جعلها كالنيل الذى لايفيض ولا غرين فيه .. لماذا فعلوا هذا بالنيل ؟ وهو لايعرف كيف يغضب أو يحقد .. هل استطاعوا ذلك لأنه لايعرف كيف يكتب أم أن هناك معنى آخر وأفقا لم يعرفه أحد فى ذلك كله .. لقد تغيرت الحضارة كما تغيرت المرأة الأنا " واصاب كليهما المرض ، وهل يلومنى أحد إذا كنت لا أرى ألا اللوكيميا فى كل ما أرى » .

إن الاشارات المتعددة إلى أحوال مصر العامة (التى ترجع مباشرة الى نظام الحكم) طوال الستينيات والسبعينيات ، ترد فى قصة رشدى حمامو كأشياء مسلم بها ، جزء من صخرة الكذب التى تتكون منها حياته كلها ، والتى تحجرت فى داخلها هياكل كثيرة كانت فى يوم من الأيام كائنات حية ، والتي لايزال يدور حولها ، من أول القصة الى آخرها ، وهو لايملك المرأة ولا القدرة على تحطيمها .. أما زمردة ايوب فهى مصممة على أن تكسر صخرة الأكاذيب ، داخل نفسها وخارجها ، لأنها فى موقف نهائى لايحتمل مراوغة ، فهى لاتنتظر إلا الموت ، ترصد حركته داخل جسمها وتعرف ايضا ان هذه الحركة ليست إلا جزءا مما يجرى

فى الخارج ، ولكنها هى وحدها التى تعرف ، وتملك الشجاعة - أو لايمكنها أن تملك غيرها - لتكتب وتعرى كل شىء ، وتنسحق بعارها قبل يوم الدينونة ، عسى أن يكون فى الاعتراف الكامل ، فى الرؤية الكاملة لخطيئتها ، تحقيق املها فى خلاص أخير :

« لا ، لن يستطيع أحد أن يجعلنى اصمت بعد الآن .. لم يعد هناك وقت للصمت ، لقد آن لنا أن نتكلم جميعا .. لست ادرى من اقصد بنحن جميعا .. ولكننى احس أنى متعددة وكثيرة وانا راقدة على هذا الفراش فى جو الغروب المقبض .. أحس انى متعددة وكثيرة وأن كل من فى مصر مثلى يحتاجون الى هذه اللحظة التى ترغمهم على الكلام وعلى الكتابة المتصلة دون توقف ، الكتابة حتى الموت » .

« إننى اعرف تماما أننى اكتب كلاما سانجا فى السياسة ولكنى لا اقصد إلا أن اكتب مايحدث فى هذه الروح التى تشرف على جسد ينهار ويتآكل من الداخل .. وأما هذا الكلام المكتوب فى الجرائد فهو كلام لمرضى مثلى ولكنهم لايعرفون انهم يموتون ولايريدون أن يعرفوا انهم يموتون بلا وعى ولا معرفة فلا يكتبون إلا هذا الموت » .. (ص ٩٤ - ٩٥) .

● كاتب وجودى ..

من الذى يتكلم هنا ؟ أهو زمردة ايوب ام بدر الديب ؟ كأننا امام مشكلة الجبر والاختيار مرة اخرى ! هل تتكلم الشخصيات الروائية وتتصرف بارادة مستقلة عن إرادة مبدعها ، أم أن ارادة الخالق لاتظهر فى حالة واحدة بل فى المجموع ، وكل حالة تتبع منطقها الخاص ولكنها لاتخرج عن ارادة المجموع ؟ وفى الكتابة الوجودية بالذات - وبدر الديب كاتب وجودى - يستكشف الكاتب نفسه - ونفوسنا معه - من خلال شخصياته ، وأقول يستكشف ولا اقول يعبر حتى لايخلط القارىء بين اسلوب وجودى واسلوب رومنسى فى الكتابة ، ولعل هذه

وظيفة الناقد - فى اعتقادى - هى ان يفسر العمل الأدبى الذى يدرسه .

لماذا - إذن - يبدو النقد احيانا وكانه « تقييم » ، بما تتضمنه كلمة « التقييم » ، عند بعض النفس ، من رفض او تحبيذ ؟

« التقييم » عندنا ليس غرضا . إنه نتيجة من نتائج النقد . فمادمنا نرى ان الابداع الادبى يصدر عن رؤية وموقف ، فلابد لنا من ان نسجل مانراه من غموض فى الرؤية ، او اهتزاز فى الموقف ، ونحن نعطى انفسنا هذا الحق باسم معايشتنا الطويلة للعمل الأدبي ، ومحاولتنا ان ننفذ إلى اعماق العملية الإبداعية ذاتها .

ليس الناقد ، فى هذه الحالة قاضيا ولا حكما .. انه ضمير الكاتب ..

ش . م . ع

الكلمة ايضا تخرجه من تبعات كثيرة !

ومع ذلك فقد لانشك فى ان بدر الديب هو الذى يتكلم بلسان رشدى حمامو حين يقول هذا : « فأنا مدفوع ومحتاج لكتابة القصة ، وعليكم ان تعرفوا باستمرار أن كل أولئك الذين يكتبون القصص هم فى الحقيقة مضطرون على نحو ما الى كتابتها ، غفر الله لهم » .. (ص ٨) .

ولماذا القصة بالذات ؟ وليس الشعر أو المسرح ايضا ؟ ترى لأن القصة هى الشكل الانسب للكتابة الوجودية ، أى لاستكشاف الذات واستكشاف العالم ، للوصول الى الوجود ، وإلى الكينونة ، على كل حال كان بدر الديب « مضطرا » الى الكينونة حقا ، ولأول مرة فى حياته كما اتصور ..

فلم يكن مضطرا الى كتابة حرف الكاف ، وإنما كان يلعب بالحروف والكلمات .. ولا اظنه كان مضطرا « الى كتابة تلك المسرحية التى سمعت أنه كتبها فى فترة مبكرة ايضا ، ولكنى لم اطلع عليها ، إنما كان همه ، لفترة طويلة من حياته ، أن يعيش وأن يقرأ وأن يستمتع ، وكانت هذه الاشياء الثلاثة كلها تمتزج عنده ، فهو ذواقة لمتع الطعام والشراب والسفر ، ذواقة للموسيقى والفن ، يقرأ بلذة ونهم سواء ، اكان ما يقرؤه كتابا فى الفلسفة ام فى الانثروبولوجيا ام التاريخ ام رواية خفيفة ، وهو يعمل بجد وإخلاص فى مهنته « التوثيق » ليوفر لنفسه هذه المتع كلها . وبأكبر قدر مستطاع .

أقول هذا بناء على معرفتى الشخصية به .. وقد توثقت صداقتنا بسرعة بعد عودته من امريكا سنة ٥٧ أو ٥٨ .. وسافر بعد ذلك بسنوات قليلة ، وسافرت ايضا ، وطالت غيبته فى بانجكوك ، حيث عمل خبيرا لليونسكو ، ثم التقينا حين عاد الى مصر فى اوائل ٦٧ .. وقد كانت هذه العودة بداية لمنعطف غريب فى حياته ، لم تكن الغرابة فى تركه وظيفة اليونسكو بمرتبها السخى ، ولا جنوب شرق آسيا الذى شغف بثقافته واسلوب حياته ، فقد كان من السهل ان يتركه كما ترك كتابا ممتعا فرغ من قراءته ، وفقد جدته عنده ، ولم يكن المال فى ذاته مغريا له ، مادامت المتع التى تعودها ميسرة على كل حال ..

ولكن الغريب انه كلف اولا بوظيفة مستشار ثقافى لدار التحرير ، واستطاع فى هذه الفترة ان يصدر طبعات شعبية (كاملة وجيدة التحقيق - على خلاف المحاولات السابقة) لعدد من أهم كتب التراث ، اذكر منها طبقات ابن سعد ، و« تاريخ المقريزى » ، و « الاعتصام » للشاطبى .. ولكن لم يلبث ان وجد نفسه ، بعد هزيمة الـ ٦٧ ، رئيسا لتحرير جريدة المساء ..

وحين لحق بى فى الرياض فى اوائل ٧٧ ، وقد عاد خبيرا لليونسكو ، اصبحنا زميلين فى السكن عدة اشهر (كتب اثناءها بعض فصول « زمردة ») لم أجد كلاما طيبا عن تلك الفترة التى اشتغل فيها بالسياسة اليومية ، كان يعدنى ساذجا حين ابدئ استغرابى لبعض آرائه « العملية » ، التى كنت اعزوها إلى اندماجه فى بيئة الصحافة « القومية » فى تلك الأيام .

وهى بيئة لاتتفق مع طبيعته غير انها حققت له ـ الى حد كبير ـ متع الحياة التى كانت عنده أشبه بالضرورات .. وكنت إذا تذكرت هذا الجانب .. من شخصيته رميته بأنه « هدونست » (اى لَذِّىّ او طالب لذة) وما أشك انها كانت تصدر منى وكأنها شتمه ، فيتلقاها باسما ..

وليغفر لى بدر أنى تركت روايته الرائعة لأسترسل فى هذه الذكريات الشخصية ـ وأنى اشتمه الآن علنا بعد أن كانت الشتمة لاتقال إلا له وحده او فى حضور قليل من الاصدقاء المقربين ، وليغفر لى القارىء الذى يمكنه ان يرانى خائنا للصداقة ، ان لم يرنى محابيا للصديق !

اما الناقد الذى يزعم أن العمل الأدبى (معذرة : أردت « النص » !) ..

كيان مستقل عن كاتبه ، فلا اطلب منه مغفرة ، لأنى لا احب أن يكون فى مكانى ، أو اكون فى مكانه .

فأنا لم استرسل فى هذه الذكريات الشخصية إلا لأنها تتضمن حقائق ضرورية لفهم «أوراق زمردة ايوب» ..

يقول امام الواقعية فلوبير عن رائعته مدام "بوفارى" "مدام بوفارى (البطلة لا الرواية) هى أنا"

واقول أنا : « زمردة ايوب هى بدر الديب » .

وما أبعد هذا عن هذه ! ولكنه ليس اشد بعدا من ذاك عن تلك !

فأين الروائى الفنان من زوجة الطبيب الريفى ، نصف « الجاهلة أو نصف المتعلمة ، الجامحة الخيال ، المغرمة بحب الظهور ؟ ولكن فلوبير ، بكل تأكيد ، يعرف وجوه الشبه بينهما اكثر مما نعرف .. أما نحن فنستطيع ان نقول إن أمام الواقعية كان يخفى فى اعماقه نزعة خيالية رومنسية استطاعت ان تظهر فى بعض اعماله ، وإنه اقام مدة طويلة فى الريف ـ مثل بطلته ، حتى اذا شعر بأنه يمكن ان يظل هناك منسيا من الادباء والنقاد قدم الى باريس طلبا للشهرة ، أما بدر الديب ـ الذى اعرفه اكثر مما اعرف فلوبير ! فقد ظل يعيش فى دائرة قراءاته وعلاقاته الخاصة الى ان نجح اصدقاؤه فى انتزاعه من جنة البراءة الى جحيم السياسة ، ولم يكن قد عاش فى مصر الثورة ، إلا سنوات قليلة بين عودته من بعثته فى امريكا وذهابه الى بانجكوك خبيرا فى اليونسكو ، وكانت مصر فى ذلك ، العهد تبدو جميلة وعظيمة لكل ابنائها فى الخارج ، ولكنه حين عاد فى مارس ٦٧ وجد شيئا آخر .. وكان بحكم منصبه الكبير فى الصحافة قريبا من السلطة الى حد ما ، ولاشك أنه اطلع على كثير من المخازى . ولكنى اصارحك ـ صديقى القارىء ـ بما لم استطع ان اصارح بدرا فى تلك الايام .. فقد شعرت بالأرتياع ، اكثر من مرة ، حين لاحظت أنه يستمرىء قربه من السلطة ، وشعوره الزائف بالأهمية ! وقد قلت لك إنه حين انضم الىّ فى الرياض كان لايزال يدافع عن اعمال لم اكن اتصور أنه يمكن ان يقبلها .

وربما حكى لى عن دناءات ـ صغيرة ولكنها مفزعة ـ بأعصاب باردة .

لذلك كانت « أوراق زمردة ايوب بالنسبة لى سعادة كبرى وستظل كذلك لكل من عرف شيئا عن تلك الأيام ، ويخاف إن تكون مُثل الخير والفضيلة قد غادرت النفوس الى غير رجعة ، وستظل مصدر ـ

سعادة لكل قارىء يحس روعة الفن ، كما سعدت بها لان تجربة بدر طوال هذه السنوات التى قاربت العشر قد اعطت معنى وقيمة للكتابة ، واخرجت الفنان الاصيل من تعقمه المذهب ..

وقد سألت نفسى : لماذا اختار بدر أن تكون بطلته امرأة ، تشابهه فى التجربة والثقافة ولكنها امرأة واستعدت فى ذاكرتى عددا من البطلات البارزات اللائى ابدعهن رجال بورشيا ، مدام بوفارى ليزا ، انا كارنينا ، وقلت لنفسى .. أليس فى اندفاع المرأة السخى فى العطاء وقسوتها حين يقابل عطاءها بالخيانة او الجحود ، وحيرتها وتمزقها اذا تعارضت المطالب على روحها وجسدها ـ أليس فى هذه الخصائص مجتمعة ما يرشحها ، اكثر من الرجل ، لأدوار البطولة ، حين تنطوى نفس المبدع على صـراع عنيف ؟ ..

وتذكرت كذلك ان لبدر قصة قصيرة بديعة « ترتيب الغرف » صور فيها نفسية المرأة المغدورة تصويرا لايقدر عليه إلا فنان عبقرى (والذين يكتبون او يتكلمون اليوم عن « قاتلات الأزواج » يمكنهم أن يقرءوها ليعرفوا انى لا ابلغ ، وعساهم ايضـا يتعلمـون شيئـا عن طبيعـة المرأة !) ..

« زمردة أيوب » امرأة ارادت ان تكون قديسة فأصبحت خاطئة ، بل تردت فى الخطيئة الى حد انها نسيت ابنها الوحيد الغائب من شدة تلهفها على عودة حبيبها الهاجر ! ولكن النفس البشرية لاتنسى ، وهذا سر عذابها ! فلا ظلم اشد من ظلم الانسان لنفسه .. وزمردة ظلمت نفسها حين تناست احلام عذريتها التى جعلتها ترى فى اقتراب زوجها منها خطيئة ، واستجابت لجوع الجسد ، راضية ان ترقد فى الخفاء لرجل تعرف ـ فى قرارة نفسها ـ أنه اغواها بمنظره وسلطانه .

فالقراءة السياسية لزمردة لاتستوعب كل معانيها .

بل إن القراءة السياسية سيعترضها ما يعترض كل عمل سياسى من « رعاية المصالح » وما أقبح رعاية المصالح فى الفن ! فى هذه الرواية صفحة او نحوها ماكان ينبغى لزمردة أن تحشرها فى اوراقها ، وهى القديسة التى اغوتها السياسة ، فما كان احراها الا تنخدع بكلام من نوع الكلام السابق ، وان قالها رجل مختلف .

وتبقى الرواية على المستوى الوجودى ـ تصويرا لعذاب الانسان فى سعيه الدائب ، والملىء بالاخطاء ، للعثور على حقيقته فى ظل الكينونة ، فى ظل المطلق الاسمى ، سعيا لاينتهى الا عندما يتعطل الفكر ، ويسقط الحساب ، ولاتبقى إلا الرؤيا الملهمة ، وليس بعدها إلا حقيقة الموت .

وتبقى استاذية الفنان الذى يصعد بك فى هذا المرقى الصعب ، مرحلة بعد مرحلة ، كشفا بعد كشف ، وانت مأخوذ بما ترى .. معلق الانفاس ترقبا لما سيأتى ، وكأنك تقرأ رواية بوليسية الم اقل لك إنها بداية جديدة (بل هى البداية الحقيقية) .. لفن بدر الديب ؟ ..

لغويات

● يخلط بعض المتأدبين بين « الحَدَثان » بفتح الحاء والدال ، وبين « الحِدْثان » بكسر الحاء وسكون الدال ..

وأحسن ما قيل في الفرق بينهما هو ما قاله الكاتب العظيم ابو حيان التوحيدي في كتابه « الامتاع والمؤانسة » .. قال : « .. اما الحدثان ـ بفتح الحاء والدال ـ فكأنه لما هو مضارع للحادث .. وأما الحِدْثان ـ بكسر الحاء وسكون الدال ـ فكأنه للزمان فقط ، لأنه يقال : كان كذا وكذا في حدثان ـ بالكسر ـ ما وَلِيَ الأمير فلان ، أي في أول زمانه ..

● وعلى هذا يدور امر الحَدَثِ والأحداث والحادثات والحوادث .. فاذا قيل لإنسان : حَدِّثْ ـ بفتح الحاء وتشديد الدال وكسرها ، وهو فعل امر ـ فكأنما قيل له : صِلْ شيئا بالزمان يكون به الحال .. اي صل كلامك بالزمان الماضي ليتمثل كأنه حاضر ! ..

● يستعملون كلمة « الآلاء » .. اي النعم التي انعم الله بها ، وهذه الكلمة « جمع » ولكنهم يستعملونها في معنى المفرد ، أو بدلا منه ، وهو خطأ .. اما مفردها فهو « إِلْيٌ » و « ألى » ولا « إِلَيٌ » .. ولكنها كلمات مهجورة ..

● من الاخطاء قولهم : خَلَد فلانٌ الى الراحة .. والصواب : أَخْلَدَ الى الراحة ، اي اطمأن اليها واستطابها ..

● الأَذانُ ، وهو إعلامٌ من فوق المئذنة .. والأَذانُ والتأذين والإيذان : لإعلام ، وأصله من الأُذُنِ .. يقال : آذنتك بالأمر ، اي أوقعته في أُذُنِكَ .. ويخطيء المذيعون والمتكلمون الان اذ يمدون الهمزة في كلمة « الأذان » فتصبح جمع « أُذُن » اي « آذان » ويضعون فتحة فوق همزة كلمة « إعلام » بدلا من الكسرة فتصبح « أعلام » اي جمع عَلَم وهو الراية ، وهكذا تختلط الكلمات وتفسد معانيها !

● يقال : « بلغ فلان أَشُدَّهُ » .. اي قوته وفتوته ، ويظن القائلون ان « أَشُدّ » لفظ مفرد ، وهو جمع ، ومفردة « شَدّ » ..

● « الاثلث » من الالفاظ التي يظن قائلوها انها مفردة ، ولكنها جمع ، ومفردها « اثلة » ..

● « اناء الليل » يستعملون « الاناء » واكنها لامفرد لها .. ومفردها « أَنْيٌ » وإِنْيٌ ، وأَنَيٌ » .

المسرح العربى يبحث عن المستقبل

بقلم : الفريد فرج

●● شهد كل مسرحي عربي ببغداد أخيرا صورة إبداعه في عيون زملائه الفنانين العرب ، وفي عيون جمهور المسرح العريض ببغداد ..

حوالى ثلاثين فرقة مسرحية من الأقطار العربية غير الفرق العراقية تنافست فوق أكثر من عشرة مسارح على اجتذاب الالتفاف والاهتمام .. وفى الصف الاول من السباق كانت "أهلا يابكوات" المسرح القومي للقاهرة ، و"ديز دمونة" الفرقة القومية للعراق ، و"العوادة" التونسية ، و"العايطة" الجزائرية .

فإذا كانت هذه المسرحيات تمثل أرفع عطاء لفناني المسرح العربي ، فإننا نستطيع من خلالها أن نرصد اقتراحات الفنانين العرب لتطوير المسرح العربى ، وصورة المستقبل لهذا الفن المهم فى إطار الحضارة العربية للحاضر والمستقبل .

سأعود معكم فى رحلة استكشاف لهذه العروض بعد أن نصف موقع التصوير للحفلة المسرحية العربية العريضة التى احتضنتها بغداد ●●

● المنظر من حولك رائع ، فهذا هو المعمار الجديد فى كل تفصيلة لعاصمة العراق الذى حارب ثمانى سنوات حرباً ضروساً ضد عدو قذف المدن بما فيها العاصمة بالصواريخ ودفع بستمائة ألف جندى فى هجوم على البصرة لم يسبق لكثافته مثيل فى التاريخ ، فامتنعت عليه البصرة ، وحققت العراق عليه بعدها نصراً فريداً من الناحية العسكرية فى الفاو ، ثم فى الشلامجة ، وفى حرب الصواريخ ، مما سيكتب فى صفحات التاريخ بحروف العجب والإعجاب .

وخلال هذه الملاحم الكبرى وفى أصعب الايام لم تتوقف عمليات التشييد والتحديث المعمارى لبغداد التى اصبحت اليوم مدينة عصرية جميلة مكتملة المرافق ، تضاهى العواصم العالمية الكبرى فى نظافتها ونظامها وبهائها ومساحات الخضرة فيها .

لقد بنيت بغداد أثناء الحرب بروح الإيمان بالنصر وبكبرياء المقاتل واعتزازه واقتداره وحبه لبلاده .

وإذا كان حديثنا اليوم عن المسرح فلابد أن نذكر فى هذه الصورة المعمارية



لقطة من مسرحية "العايطة" من مسرح القلعة الجزائري

الجديدة . المعمار الحديث والمدهش للمسرح الوطني . ومسرح الرشيد واستديوهات الرشيد السينمائية ، ومسرح المنصور وسينما المنصور ومركز صدام للفنون .. التي شيدت كلها أيضاً اثناء الحرب ، وكانت من لزوميات الاقتدار العسكري في حرب اتخذت هدفا لها الدفاع عن الحضارة العربية ضد عدوان له ادعاءات على التراب العربي ذاته لا يخفيها العدو في إعلامه المعلن .

الدفاع عن الحضارة واللسان العربي والقيم الروحية الصحيحة كان من تكاليفها إعلاء شأن الثقافة والمسرح والشعر والفنون ، فكلفت وزارة الإعلام والثقافة نفسها ، وعلى رأسها الوزير الهمام الاستاذ لطيف نصيف جاسم أن تدير الاعلام العربي اثناء الحرب إدارة تكفل ابناء الوطن للمهام القتالية ، وتدعم الجبهة الداخلية بتطوير الثقافة والحضارة العراقية والعربية عامة إلى أعلى مستوى .. فكانت الوزارة تنظم بنجاح فائق مهرجان المربد السنوي للشعر العربي ومهرجان المسرح العربي ، ضمن خمسين مهرجانا ومؤتمراً سنوياً عربياً ودولياً للعلوم والفنون وللثقافة وللسلام طوال سنوات الحرب وبعدها .

وقد قام فنانون عراقيون مبدعون ، ببناء صرح الجندي المجهول المدهش ، ومقام الشهيد الذى قل أن يوجد له نظير في العالم من حيث روعته المعمارية والفنية ومن حيث رموزه العميقة .

ولكن لماذا نصف ذلك كله قبل الحديث عن المسرح العربي وآفاقه ؟.. إننا نمهد للموضوع التمهيد الضروري . كما يكتب المؤلف المسرحي وصفاً للمنظر الذى

ستجرى عنده الاحداث المسرحية امام المشاهدين .

في هذا الاطار النفسي القوى والحديث تبارت بعض المسرحيات على قمة الاهتمام الفني والجماهيري ، تريد أن تحقق بالابداع صورة الشخصية العربية الحديثة في الموقف من العصر .

● "أهلا يابكوات"

وسأبدأ بـ"أهلاً يابكوات" لأنها كانت اكثرها جاذبية جماهيرية .

وعلى رأس فريق التمثيل الرائع للمسرح القومي أجرى لنا النجمان محمود يس وحسين فهمي مباراة ودية في العطاء والابداع فغمرا الصالة بضياء عجيب ، وتعلقت عيون الجمهور المأخوذ بهما اكثر من ثلاث ساعات في حالة استلاب تام .

وقد دعاني هذا في الندوة الصباحية التي عقدت لمناقشة المسرحية أن أجذب الانتباه أيضاً إلى فن المخرج الشاب الصاعد الى الصف الأول عصام السيد ، والمؤلف الشاب المتربع في الصف الأول لينين الرملي .

نعتقد أن أهلاً يابكوات هي من علامات المسرح اليوم في القاهرة . مسرح يزاوج بين البساطة التي تجتذب الجماهير العريضة وعمق الفكر الذى يواصل ربط المسرح بالحضارة والثقافة والفن الرفيع .

المسرحية تصور شابا شاعراً مهموماً بمستقبل الوطن في تحديات الحضارة العالمية والتكنولوجيا المتقدمة بوتائر عالية ، وشابا مهتماً بنفسه وقد اخذ من

يبحث عن المستقبل

الحضارة والتكنولوجيا نصيباً بشهادة عالية من امريكا ووظيفة ناجحة مدنية مرفهة .. ودهمت الاثنين نازلة اسقطتهما بطريقة سحرية فيما قبل مائتى سنة فى عصر المماليك ومراد بيك ، ودخلا من الباب الضيق إلى جحيم التخلف العقلى والاستبداد المقيت .. الذى أصاب من يفكر فى الوطن ومن يفكر فى شخصه لا مباليا بالآخرين ، ذات الاصابات ، ووضعهما فى ذات المصير .

فهى دعوة ضد التخلف والتطرف الدينى والاستبداد ، وضد الانانية .. وتحذير لمن يدعى أو يتصور أن الأمر لا يهمه ، وصرخة للايقاظ والتنبيه .

تبدأ المسرحية بنبرة القلق من المستقبل حيث تتغير الدنيا بسبب التطورات التكنولوجية الخطيرة وتواجهنا بتحديات مثيرة للتشاؤم . وفجأة يجد البطلان نفسيهما فى الماضى ، كأنما بفعل زلزال أو انفجار مروع .. ويعيشان تفاصيل الجحيم المملوكى حتى ليذهب بنا الظن ان المسرحية تنتمى إلى القصص العلمى والخيالى ، حتى يفاجئنا المؤلف بمطابقة ساحرة بين الماضى والحاضر ـ بين خطاب ابراهيم بك وخطاب الدكتور برهان بك فى حملته الانتخابية فى حى المخدرات .. فإذا نحن فى دهشة مما يطرحه علينا المؤلف من اننا فى الواقع نعيش الماضى فى الحاضر والحاضر فى الماضى . فإذا صاح محمود الشاعر المكتئب يحذرنا مما نحن فيه ويخيفنا من المستقبل اتهم بالجنون وقبضت عليه الشرطة

مسرحية عن الأزمنة المتداخلة فى حياتنا اخرجها عصام السيد ببساطة تنسجم مع النص ، وتوازن واعتدال فى الصورة المسرحية ، وهدوء فى السياق ، وبتشخيص جيد لشخصيات ضمن لها نجاحها فى القاهرة وتونس وبغداد .

وإذا كان بعض النقاد قد اخذوا على لينين الرملى تجاوز البساطة إلى التبسيط ، او على عصام السيد التجاوز عن تزيد او اجتهادات فريق التمثيل الزائدة فى مواقع الفكاهة بما يخل بالعطاء الفكرى للعرض واقتناصا للمتعة السهلة للجمهور .. فإنى لا اعترض على هؤلاء النقاد ، ولكنى اريد ان انظر الى نجمى العرض المسرحى مع المؤلف والمخرج وفريق التمثيل كله فى إطار محاولتهم الجادة لاسترداد النجاح الجماهيرى للمسرح القومى فى مناخ كاد ان يكتسحه بالكامل المسرح التجارى وقيم المسرح التجارى . وربما تكون حساباتهم قد جنحت الى نفاق جمهور المسرح التجارى فى رأى البعض . أو ان تكون قد جنحت الى نفاق اسم المسرح القومى فى رأى القلة ممن يتهيبون مجرد اسم الثقافة ويخشون رسمه .

ما علينا ولكننا نرصد فقط هذه المحاولة الجادة لفريق مبدع من الفنانين ونفهم اطروحتهم واقتراحهم . وسيحاكم كل من النقاد هذه الاطروحة وهذا الاقتراح فى الظروف المسرحية المعاصرة حسب تقديره لها ولما يجب ان يصنع الفنان ، إلا انى انا شخصيا سأقدر هذه الجهد الناجح باعتباره اجتهادا عمليا جادا لاعادة التوازن الى المعادلة المسرحية الصعبة فى ظروف لم يسبق ان كانت واردة إبان النهضة لمسرح الستينات التى جرى

تطوير المسرح اثناءها فى مناخ مختلف .
هذا اجتهاد له حجته ودراسة جدوى المسرح كله صاغها خبراء فى الفنون المسرحية وسنمتحنها نحن بالقياس الى اى اجتهادات اخرى ودراسات جدوى اخرى للمبدعين الراسخين فى مصر او فى اى قطر عربى آخر .
وقبل ان انتقل الى المسرحيات الأخرى يجب ان انقل صورة عرض « اهلا يابكوات » فى العراق وفى المسرح الوطنى البديع المعمار الذى يتسع لحوالى الف وخمسمائة متفرج . فبعد دخول الجمهور كان جمهور اخر حول المبنى لم يستطع الحصول على تذاكر لأى من الحفلتين فقد احاط الواجهات البللورية

المسرح العربى

للمسرح مما دعا إدارة المهرجان الى ان تفتح لهم الابواب خشية التلف والكسر من جراء الضغط ، فافترش المشاهدون جوانب المسرح وممراته بأكثر من الف متفرج فوق سعة المسرح على مدى ليلتين ممتعتين كان فيهما محمود ياسين وحسين فهمى وسائر فريق التمثيل فى قمة عطائهم .

● ديز دمونة

سألنى بعض الصحفيين اثناء المهرجان لماذا يكثر الانتاج للمسرح التجريبى فى المهرجان وخارج

لقطة من احدى مسرحيات المهرجان



يبحث عن المستقبل

المهرجان ، في العراق ومصر والمغرب العربي ؟

فقلت إن الفنان المسرحي العربي يشعر بالقلق واهتزاز الرضا ، لأن المسرح العربي اليوم يميل ميلا حرجا نحو الفكاهة السهلة والقيم التي يكرسها المسرح التجاري ، والجمهور يثقل كفة هذا اللون المسرحي السهل مما ازعج فريقا كبيرا من الفنانين المسرحيين المثقفين ، ودفعهم القلق الى ان يميلوا بدورهم للمسرح العربي ميلا حرجا يعكس الاتجاه التجاري نحو الأغراب والتغريب والتجريب والتحديث بل والتعقيد احيانا ، وتجاوز انتاجهم في هذا المجال الحجم المعقول فاصبح وكأنه صيحة احتجاج عملي على نقيضهم المسرح التجاري .. بحيث بات المسرح الرصين والحافظ للتقاليد الدائمة للمسرح « المسرح القومي في صورته الباقية » وكأنه يفقد الانصار من الفنانين إلى اليمين وإلى اليسار .

لذلك كان لمسرحية « ديزدمونة » اهميتها الخاصة ، وعلامة على طريق المحافظة على ارض الفنون المسرحية القومية ضد زحف الهامشين ـ التجارى والتجريبي ـ واقامة الصرح المكين للمسرح القومي العراقي .

« ديزدمونة » من تأليف الكاتب الشاعر يوسف الصايغ ونال عنها جائزة افضل تأليف في مهرجان قرطاج الماضي ومن اخراج الرائد الفنان ابراهيم جلال الذى كرمه المهرجان الدولي الثاني للمسرح التجريبي بالقاهرة في العام الماضي .

والمسرحية معارضة ادبية لمسرحة عطيل شكسبير . وهي تبدأ بواقعة قتل عطيل المغربي زوجته الفاتنة « ديزدمونة » .. ثم يقتحم القصر ومخدع القائد الفارس الاسود عطيل محقق ومساعدوه للتحقيق في سبب الجريمة وكيف تمت ومن شارك فيها .

ومن خلال هذا التحقيق وبين وجيم يعرض لنا المؤلف صورة اخرى للمأساة خلاف مادرج على شرحه النقاد من واقع مسرحية شكسبير الكبيرة « عطيل » .

وتعتبر مسرحية « ديزدمونة » نصا كبيرا يضاف الى رصيدنا من الأدب المسرحي العربي الباقي على الزمان كأدب توفيق الحكيم واحمد شوقي ومسرحيات الستينات الكبيرة .

واسمحوا لي أن ادخل الى مسرحيه ديزدمونة من باب اللغة ، وهو مدخل يبدو مغفولا عنه هذه الأيام .. المسرحية تدعونا للتأمل من جديد في قيمة اللغة كأداة مسرحية والشاعر يوسف الصايغ يبدى لنا هذا الحسن وهذا الجمال الذى يمكن ان تتجلى به لغة المسرح .. بالرصانة ، بالفصاحة ، بقوة التعبير ، بالقدرة على الوضوح حتى في طرح ادق المعاني واعمقها .

ولولا الاحساس العميق وقدرة التذوق اللغوى الرفيع للمخرج والممثلين ـ ماكان للعرض هذا البهاء وهذه الرصانة وهذه البلاغة في الأداء وهذا الاشباع الراقي للغة الصايغ الرفيعة .

والمسرح خطاب جماهيرى ، وبقدر ما يسمو في التعبير اللغوى يعمق تأثيره الفكرى والنفسي

مسرحية ديز دمونة تبدأ بواقعة قتل عطيل القائد المغربي الزنجي زوجته الفاتنة البيضاء ديزدمونة . وهذا عند

شكسبير هو المشهد الأخير وذروة المأساة التي دفعت اليها الغيرة العمياء .
ولكن الصايغ يبدأ مسرحيته بهذا المشهد ، وفي قمته يقتحم الابواب المحققون ليضبعوا الواقعة ويبحثوا عن دافع القتل ومن حرض عطيل عليه .
فالصايغ لايقنع بقصة شكسبير حول الغيرة النابعة من عدم التكافؤ بين الزوجين وسقوط عطيل في احابيل الشك التي نسجها حامل العلم الماكر ياجو .
ينكر الصايغ ان عطيل قتل زوجته البريئة من الغيرة عليها .
ويكشف عن حافز آخر .
وديزدمونة مسرحية من مسرحيات التحقيق .
ومسرحية التحقيق لها دائما مذاقها الخاص ، واول مسرحية تحقيق عرفها التاريخ هي « اوديب ملكا » وتتميز مسرحية التحقيق بتوقع المفاجأة والانقلاب المسرحي ثم ضبط المتهم وتصوير مصيره ومن ثم تتميز بالتشويق ، وبتداخل الشهادات ، وبتفجير الصراع الكامن بين الشخصيات وفي وجدان كل شخصية .
وديزدمونة معارضة لمسرحية شكسبير ، واكتشاف بعد شكسبير ، وملاءمة بين البناء الدرامي لمسرحية شكسبير والمعارف السيكولوجية الحديثة ، والآلام المكتشفة حديثا للمسألة الانسانية الدائرة حول الوان البشر ومآسي التمايز والتمييز العنصري .
وإذا كانت « عطيل » مسرحية غربية انسانية ، فإن ديزدمونة مسرحية شرقية انسانية .
يوسف الصايغ يقول انه طالما فكر في أن ينصف عطيل الذي ظلمه شكسبير ..

المسرح العربي

لذلك عارض « عطيل » «بديزدمونه » ..
والتمايز والتمييز في عطيل شكسبير ليس مصدره في الحقيقة اللون الظاهر لعطيل ، وإنما لون عطيل هو الذريعة التي تذرع بها شكسبير ليكتب عن التمييز واثره المزدوج على طرفي الجناية - كما فعل يوسف الصايغ نفسه .. ففي مسرحية الصايغ يعتبر الصراع بين الرجل والمرأة هو جوهر الموضوع ، القوة والضعف في الرجل يتناسبان تناسبا طرديا وعكسيا مع القوة والضعف في المرأة .
مما يثبت المأساة على فراش السعادة ، وتنمو المأساة حتى تقتل المرأة زوجها بالاحباط ، او يقتل الرجل زوجته خنقا ، لا بمجرد الغيرة او الدسيسة بحديث المنديل وانما من جراء التنافس على التفوق والسيطرة بين رجل قوي بمكانته ضعيف بحبه ، وامرأة ضعيفة بانوثتها ، قوية ومستبدة بجمالها واطراء الناس لها .
وقد وضع المخرج ابراهيم جلال المسرحية في اطار رصين ، واستحدث في الحركة معنى ملاحقة المحققين لابطال المأساة بالاسئلة . واحصارهم بالاستفسارات .. وتمرد أهل المأساة على الاسئلة وتفجوهم برفض الكشف عن ذات النفس .. كما استحدث الغاء المسرح احيانا بالأظلام التام بينما احدى الشخصيات تعترف في الفراغ وفي الضوء المعلق كأنها تعترف على حافة الهاوية .
فكان التزاوج بين الفكر والجماليات

بين جذالة اللغة ورصانة التمثيل سمة هذا العرض المسرحي المدهش ..

● العوادة

سأختار العوادة كمسرحية نموذجية ثالثة ، وهي تونسية ، تأليف واخراج مشترك قام به الفنانان الفاضل الجزيري . والفاضل الجعايبي ، ومن انتاج المسرح الوطني .

والمسرحية تدور في موقع فريد وبين فئة مبتكرة ، فهي صورة لفرقة موسيقية في صالة التدريب ، وقد مات رئيس الفرقة بطريقة غامضة ، وثار الصراع بين اطراف مختلفة على من يتولى قيادة الفرقة والمحافظة على لم شملها .

وتختلط الفكاهة في المسرحية بالمأساة ، والعدوانية بالضعف ، في وسط موسيقى يعاني البطالة وضيق بالمثل الفنية في مناخ سياحي تختلط فيه الفنون بالنزوات الجنسية للسياح ، وتختلط اهواء الجمهور بين القديم والجديد في الفن ، وبين الضمير الفني للموسيقيين والحاجة للخبز .

كما ان الفرقة تضم اجيالا مختلفة ، والكبار يعبرون عن المرارة مما يجرى في سوق الموسيقى والفن بتكرار الذكريات الحلوة ايام زمان ، والجيل الجديد من الموسيقيين الذى يعبر عن ضيقه بالتمرد والعصيان ، او بنوبات الصرع المرضية .

المناخ مبتكر ، والشخصيات من هذه المهنة المدهشة ربما ترتقي المسرح العربي لاول مرة ، والصراع على القيادة ربما يكون له بعد سياسي او اجتماعي المشاهد التونسي اقرب الى التقاطه .

ولكن المدهش في العرض ، الذى جعل لجنة التحكيم لمهرجان قرطاج تمنحه جائزة الاخراج منذ شهور وجعل المشاهدين العراقيين يهتمون به اهتماما متميزا ، المدهش في العرض انه فريد في الصورة فريد في المسمع والموسيقى ..

الحوار يتزامن في العرض مع عزف آلة موسيقية ما او غيرها ، بايقاعات هامسة او صاخبة عنيفة بما يصنع من العرض المسرحي سياقا سمعيا مدهشا .

كما أن الأحداث تجرى في مكان اقرب الى البدروم هو مكان التدريبات للفرقة فهو فراغ مسرحي رمادي وعار تماما إلا من بضع كراسي وحوامل النوت الموسيقية والممثلين الذين جرت حركتهم في الفراغ وبنظام للاضاءة بشكل خلاب جميل جدا يخدم الدراما ويؤكد عناصرها ، وهذا بالضبط هو الاطار المستثمر افضل استثمار من قبل الفنانين المخرجين اللذين ضمن لهما جائزة الاخراج في تونس وحماس الجمهور والفنانين العرب ببغداد .

فالمخرجان يقترحان نموذجا لتطوير فن الاخراج وتوظيف ادواته الاساسية : الحركة والاضاءة وموسيقية السياق الدرامي ، توظيفا جماليا وتعبيريا يتجاوز به المسرح العربي اوضاعه التقليدية الثابتة ويعطي حيوية جديدة متجددة للفن المسرحي بتطوير فن الاخراج ..

● العايطة

« العايطة » هو العرض الجزائري الذى نال جائزة افضل عرض مسرحي في

تونس ، وهز المشاهدين ببغداد هزة الدهشة والاعجاب .

الف المسرحية محمد بن قطاف واخرجها الزيانى الشريف عياد وانتجها مسرح القلعة ، وهو انشقاق متمرد من المسرح الوطنى الجزائرى ، اراد الفنانون المشاركون فيه استحداث شكل فنى مسرحى جديد ، سياسى ونقدى حديث .

والمسرحية عبارة عن تأملات نقدية لعاملين وعاملة فى مصنع للقطاع العام توقفت الاته بسبب البيروقراطية التكنوقراطية والبيروقراطية النقابية وبيروقراطية الحزب الواحد ، وبسبب الانتهازية والنزوات الشخصية للمديرين .

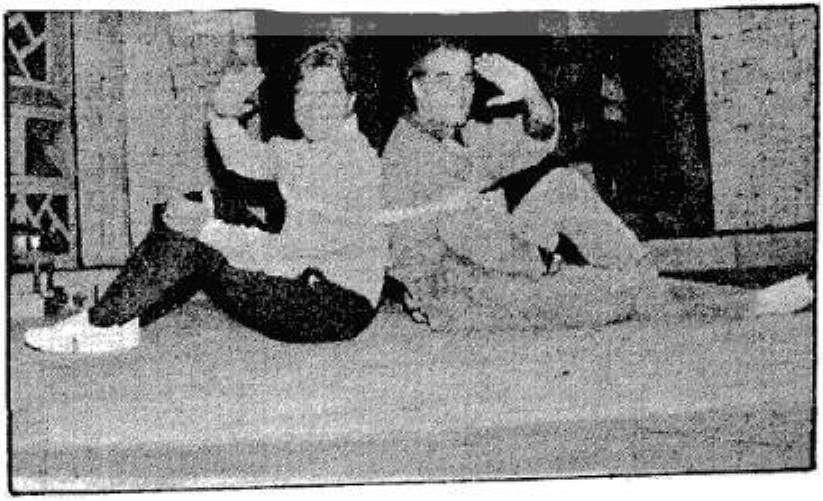
فهى من المسرح الحديث يجرى فيها التمثيل داخل التمثيل وتعتمد اولا على النقد اللاذع جدا والجارح لمجريات الأمور فى القطاع العام ، وثانيا على التكوينات الجمالية التى يتداخل فيها الاكسسوار مع الممثل ويستنفر خيال المشاهد ويفاجئه بالصدمات الدرامية بالقول والحركة والتكوين .

والمسرحية نموذج للمسرح الفقير فى ادواته الغنى بقوة تعبيره ، اقرب نقطة فى

المسرح العربى

المسرح العربى من المسرح الطليعى الأوربى المنتشر بين شباب الفنانين وشباب المشاهدين فى فرنسا وانجلترا والذى انبثق مع ثورة الطلبة فى فرنسا عام ١٩٦٨ ويوالى تطوره الى اليوم بشتى الاشكال .. واشهر الفرق الفرنسية التى طورت هذا الشكل وذاعت شهرتها فى العالم هى فرقة مسرح الشمس المستقرة فى مصنع قديم للخراطيش بفانسين ، منحته الدولة للفرقة منذ عشرين سنة .

وفرقة القلعة الجزائرية ليست مجرد انشقاق من المسرح الوطنى الجزائرى ولكنها انشقاق يثير الانتباه من المسارح القومية العربية كلها واسلوبها التقليدى الراسخ ، وهى ليست اقتراحا بتطوير المسارح القومية العربية ، ولكنها دعوة لشباب الفنانين بالخروج من الأطر التقليدية والمعمار المسرحى القومى الى ساحة التجريب المتمرد ـ ليس على الفن التقليدى وحده ـ وانما على النظام التقليدى الاجتماعى كله .



اهلا يا بكوات

يبحث عن المستقبل

وحتى ان كنت لاتقر مضمون النقد اللاذع فى المسرحية فانك لاتملك الا التحمس للأسلوب الجرىء للفرقة فى النقد الأجتماعى وفى النقد الفنى على السواء ..

وعلى اطروحة الأبداع البديل الذى تقترحه الفرقة والمسرحية .

● المسرح إلى اين ؟

نعود الى الموقع الذى استضاف المهرجان ، فإننا كمسرحيين نؤمن بالعلاقة الوثيقة بين سياق الوقائع وبين المنظر والاطار الذى تجرى فيه الوقائع .

بغداد تشملها روح النصر ، ويزينها معمار المدينة الذى خرج بها من القرون الماضية الى رأس القرن الواحد والعشرين من حيث المرافق ، والجمال ، والنظافة وشبكات الطرق الحديثة ومعالم المدنية من مبان عامة وصروح فنية .. فضلا عن احتضان دجلة لها واحتضانها له .

كيف يغيب المنظر عن فنانين عرب يبحثون فى مهنتهم وعينهم على مستقبل فنهم ومسيرته نحو الجمهور ونحو الذروة المتصورة لفنهم والنموذج الأمثل لها .

بين بغداد الجديدة المشمولة بروح المستقبل وبين تطلعات الفنانين لمستقبل المسرح اكثر من علاقة .

ومهما كان تقييم النقاد للتجارب الأربع الكبرى التى تحدثت عنها ، فإن كل مهتم بالمسرح يجب اساسا ان يرصد ما تنطوى عليه هذه التجارب من اقتراحات للسمو بالمسرح الى مستوى الواقع السياسى والاجتماعى .

ففى الواقع السياسى نحن نعمل تحت الراية العالية للنصر العسكرى العراقى ، وفى الواقع الاجتماعى يجرى التمثيل تحت المصابيح القوية للتطور التعليمى والتحديثى الكبير والذى لم يسبق له مثيل فى تاريخنا العربى الحديث مما دفع جماهير كثيفة الى الاهتمام بالثقافة والفنون والاستمتاع بالحياة .. فى العراق وفى الوطن العربى كله .

ولو كان مهرجان بغداد المسرحى يعقد مسابقة بين العروض ـ وهو لايفعل ويتميز بهذا الموقف الحيادى الذى لايتعدى التنظيم ـ اقول .. لو كان مهرجان بغداد قد عقد مسابقة بين العروض المسرحية ، لكانت النتائج كالتالى .

جائزة الجمهور للعرض المصرى « اهلا يابكوات » الذى يحل المعادلة الصعبة بين الفكر والفن وشباك التذاكر ..

جائزة النقاد للعرض العراقى ديزدمونة ، الذى يعيد للمسرح القومى رصانته الفنية وبلاغة اللغة المسرحية ..

جائزة الفنانين للعرض التونسى العوادة .. الذى يقترح تطوير جماليات العرض المسرحى وسحره الفنى بنموذج فريد .

جائزة شباب المسرحيين للعرض الجزائرى ، « العايطة » الذى يؤكد اجتماعية الفن المسرحى وضرورة الحداثة فى الشكل والجرأة فى المضمون .

ولو كنت محكما فى هذه المسابقة المفترضة لاقترحت تقسيم الجائزة على العروض الأربعة .

ثم نزلت عند رأى الأغلبية بمنح الجائزة للمسرح القومى المصرى .. واهلا يابكوات ..

طريق النهضة عند

بقلم : د. سعيد اسماعيل على

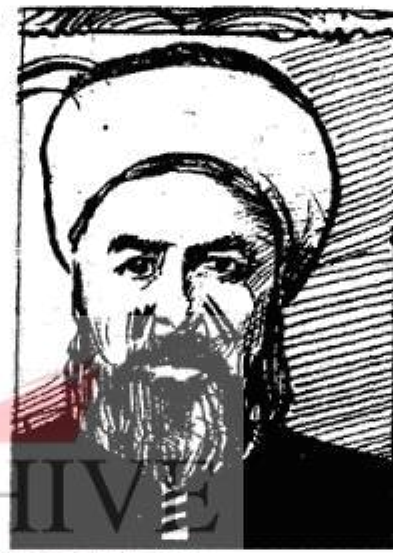
محمد رشيد رضا واحد من مفكرى الامة العربية والاسلامية الذين شغلوا بهمومها الحضارية ماضيا وحاضرا ومستقبلا مما يكسب نظراته طابعا ثقافيا وفكريا يتسم بالكلية والشمول بحيث لايتوقف امام جزئية من الجزئيات الا بقدر دلالتها على اتجاه عام وبقدر ما تشير اليه من مسارات ..

وهو واحد من بقايا عهد مضى وانقضى كان المفكر فيه منتسبا الى (الامة الاسلامية) فى عمومها ، قد يكون منتميا بحكم المولد الى بقعة جغرافية بعينها ، لكن هذا الانتماء الجغرافي ابدا لايحجب عنه الانتماء الحضارى الذى هو اعم ، وبالتالي فالحادثة في هذا البلد البعيد جغرافيا ، قد تستوقفه اكثر مما تستوقفه الحادثة التي وقعت في مسقط راسه . والمعيار هنا فى التفرقة ، هو مقدار اثر الحادثة على حاضر الامة الاسلامية ومستقبلها .

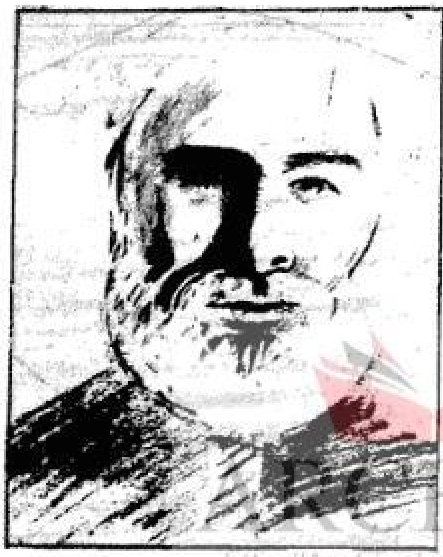
ولا نستطيع ان ننسى انه تلميذ الشيخ محمد عبده ، فهو بحكم هذه التلمذة ، سائر على طريق العمل على انهاض الامة الاسلامية لتعيد مجدها الغابر وفقا لمتغيرات العصر الآتية والمستقبلية . بمعنى ان الاحياء لايعنى عودة للقديم بحاله ، فهذا مستحيل ، وانما فى صورة منتقاة تستبقى من القديم جذوره واصوله ، وتستقبل من المعاصر احتياجاته ومتطلباته .

كذلك فإن تلمذة محمد رشيد رضا لمحمد عبده تعنى ، ضمن ماتعنى ، اعتبار قضية التعليم بصفة خاصة ، والتربية بصفة عامة ، القضية المركزية لحركة النهضة الاسلامية . انه نهج المدرسة الاصلاحية وليس نهج المدرسة الثورية كما تمثلت على يد جمال الدين الافغانى مما باعد بين الاستاذ الأول (الافغانى) الثورى وبين التلميذ الثاني (محمد عبده) الاصلاحى .. والتربية هنا تؤخذ بالمعنى

محمد رشيد رضا



الإمام محمد عبده



الشيخ محمد رشيد رضا

العام الذى يجعل منها عملية التغيير الكلية للسلوك الاجتماعى بما يتضمنه من مفاهيم وقيم ومعارف وهو مفهوم يختلف بطبيعة الحال عن حصرها فى عملية (التدريس) التى تتم داخل معاهد العلم فقط .

● ماذا نعمل ؟

والبدء بطرح هذا التساؤل ، هو الخطوة الاساسية الأولى حقا اذا اردنا الوقوف على الموقف التربوى للشيخ رشيد ، فى مقاله فى العدد ٢٨ من (المنار) فى ٢٣ سبتمبر ١٨٩٩ ، فمن خلال الاجابة عليه ، تتضح (الهوية) ، وينكشف (النهج) و (الوجهة) ، وهو لايترك الباحث يجهد عقله فى عمليات استنباط وتحليل وتخريج ، وانما يكشف الامر فى صدر المقال مؤكدا انه :

(لايعود للاسلام مجده ويرجع الى اهله عزهم الا بتعميم التعليم الصحيح والتربية العملية على ما يرشد اليه هدى الدين

الذى كان عليه السلف الصالح ، وان هذين الامرين يتوقفان على امور كثيرة منها ازالة البدع والرجوع الى كتب الائمة الأولين فى اللغة والدين ، والأخذ بكتب أهل هذا العصر فى العلوم الدنيوية)

● مشكلة الأصالة والمعاصرة

ويستوقفنا هنا تفرقته بين فئتين من المعارف والعلوم . الفئة الأولى هى علوم اللغة والدين والفئة الثانية هى ما يسميه (العلوم الدنيوية) والمقصود بها (العلوم الحديثة) من طبيعيات ورياضيات وما يقوم عليهما من علوم .. فمشكلة الاصالة والمعاصرة يحلها هنا بالرجوع الى كتب السلف فى الفئة الاولى ، والاخذ بكتب المعاصرين بالنسبة للفئة الثانية ، لكننا لانستطيع أن نغفل كذلك صياغته اللغوية للسبيلين ، فهو بالنسبة للفئة الأولى يقول (الرجوع الى كتب) .

أما بالنسبة الى الثانية فهو يقول (الأخذ بكتب) ، الصياغة الأولى لاتعنى الالتزام ، بينما الصياغة الثانية تعنيه ، ونحن لا نؤكد هذا التفسير ، فقد تكون الصياغة بهذا الاختلاف غير مقصودة ، ولكننا لانستطيع الا ان نثبت هذه الملاحظة دون أن نؤكد أو ننفي ، وان كنا اميل الى الترجيح لحكم معرفتنا وقراءتنا لكثير من اعمال الرجل فى مجال الفكر اللغوى والديني ، حيث يبدو نهجه فى الاجتهاد والتأويل واضحا مما يبين ان (الرجوع الى كتب) الأولين هو للاسترشاد بما فيها والاستفادة به ، لكن للباحث المفكر الا يلتزم به التزاما حرفيا ، وانما يعرضه على عقله ولعقله الحكم على ما اذا كان المكتوب يمكن أن يؤخذ به كما هو أو يرفض أو يعدل سواء بالزيادة أو الانقاص أو اعادة التفسير ..

● مكة .. مهبط الوحي ..

ويستوقف نظرنا هنا انه يستبعد فكرة طرحها البعض بأن يتم هذا عن طريق مؤتمر عام يعقد فى الاستانة عاصمة الدولة العثمانية ، مستندا فى ذلك الى ان احدا فى الاستانة لم يحبذ هذا الرأى عند طرحه ، وان كنا نرجح انه أراد ان يبعد عملا مثل هذا عن تأثير السلطة حتى تتاح له حرية الحركة والقول والا جاءت النتيجة مشايعة ومسايرة لهوى السلطان .. كذلك فلا نستطيع ان ننسى ان رشيد رضا بحكم مولده فى الشام ، قد خبر سيئات الحكم العثمانى حيث كان مباشرا ، ومسيئا الى (العرب) ، ومن هنا تجيء (مكة) باعتبارها مهبط الوحى (الدين) ، فضلا عن انها مركز (العرب) الاساسى فى شبه الجزيرة وبذلك تتحقق فيها تلك العروة الوثقى بين العروبة والاسلام ..

ويشير رشيد الى جمعيتين من الجمعيات المشهورة فى ذلك الوقت ، وان أكد ان هناك غيرهما لكنه لم يرد أن يشير اليها ، هاتان الجمعيتان هما : جمعية (شمس الاسلام) و (جمعية مكارم الاخلاق) . فأما جمعية شمس الاسلام ، فقد ابتدأت بالتربية الصحيحة ، والتعليم القويم فضمت اليها المدرسة التحضيرية التى أسسها احد اعضائها . كما عهدت

الى محمد رشيد رضا نفسه بقراءة درس دينى عام للاعضاء .. وأما جمعية مكارم الاخلاق فقد غلب على اسلوبها الوعظ والارشاد .. يحشر اليها الناس فى كل ليلة جمعة يسمعون الخطب التى تشرح لهم مجد الاسلام الغابر وهوان أهله الحاضر، وتزجرهم عما فشا فيهم من الفواحش والمنكرات، وتحثهم على عمل البر والمحافظة على الصلوات ..

● ضرورة النهضة الاسلامية ..

ومن اجل أن يستقيم الطريق الى التربية الصحيحة، لابد من الاستناد الى رؤية حضارية كلية ترسم الطريق وتحدد المنهج، واستلهام هذه الرؤية يحتم النظر الدقيق فى التجربة التاريخية لمعرفة كيفية نهوض الامم وسقوطها. وهنا ينبه رشيد الى ان الأمم فيما سبق كانت تتكون (بالعصبية والحرب) وتحيا بقوة افرادها البدنية وكثرة عددهم، لكن الأمر لم يعد كذلك فى العصر الراهن (فقد ارتقى النوع الانسانى عن ان تكون حياته بالقوة الحيوانية وكثرته العددية وصارت حياته بالقوتين العلمية والأدبية وما ينشأ عنها من القوة الصناعية) ويضرب مفكرنا مثالا على صحة هذه المقولة بحال اليابان وكيف كانت امة خاملة شبه ميتة، فاذا بها تنهض مما كانت عليه من تخلف بفضل ما أخذت به من معارف واخلاق.

لكن المسألة تقتضى ان يقبض الله للأمة نفرا من قادة الدعوة والفكر يكونون على مستوى عال من الحمية والعمق الفكرى والأخلاق الرفيعة يمكن لها بما تكون عليه من البصر الذكى ان تعى علل الأمة الحقيقية وسبل صحتها ونهوضها فتكرس جهدها كله للدعوة واستنهاض الهمم وتربية الجماهير. بيد اننا لاينبغى ان نتوهم أن الاستجابة الى مثل هذا النفر سوف تكون سريعة ويسيرة، ذلك أن افراد الأمة او ان مثل هذه الدعوات الكبرى التاريخية التى تشكل علامة على طريق النهضة ينقسمون الى ثلاث فئات:

١ - مقاومون معاندون ينفرون عن الدعوة الى الاصلاح.

٢ - مخضرمون يستمعون الى الدعوة لكنهم لايعقلونها كما يجب ان يكون، فيكون من اثرها فيهم نبذ القديم حسنه وقبيحه دون تمييز، والاكتفاء من التعاليم الجديدة بما لا فاعلية حقيقية له فى الاصلاح فيكونون بما استهانوا به حتى من محاسن أسلافهم، وبما عساه يوجد فيهم من المفاخر الشخصية للمعارضين المعاندين.

٣ - عقلاء فضلاء يصلون بالفعل الى درجة طيبة من الوعى بشئون الامة ويقفون على عللها وامراضها، لكن فكرهم لايستطيع ان يهزم بسرعة ما ران على عقول الجهلاء من افكار متخلفة بالسرعة المطلوبة فمن سنن الله فى خلقه ان مثل هذه الافكار لا تأخذ سبيلها الا بالتدريج.

ولا يكتفى رشيد بمثل هذا الكلام العام، وانما يوقفنا على تجربة الشيخ جمال الدين الافغانى مما ينبغى ان نتوقف عندها بعض الشيء. بلا تفاصيل، لنتفهم دلالات التجربة.

فما يستلفت نظر رشيد فى شخصية

الافغاني وأمله للقيادة الفكرية للعالم الاسلامي في أواخر القرن التاسع عشر أن (تربى .. تربية دينية فقرأ العلوم الاسلامية : وسائلها ومقاصدها ، وبرع في الفنون العقلية كالحكمة القديمة والكلام والأصول ، ثم نظر في الفنون الرياضية والفلسفية على طريقة اوربا الحديثة ، وسلك سلوك التصوف سلوكا كاملا ، وأضاف الى علمه الواسع في التاريخ الاختبار بالسياحة ، وعني اشد العناية بدراسة أحوال الاسلام وتعرف أمراض المسلمين الاجتماعية التي ارجعتهم من مقدمة الأمم الى ما وراءها ..) .

هذا التأهيل اذن من حيث أبعاده التراثية والمعاصرة ، فضلا عن الخبرة العملية والسلوك الزاهد ، وشمول مفهوم التراث بحيث لايقتصر على تراثنا الاسلامي وحده وانما يمتد الى الوعي بالتجربة الفكرية للحضارات الأخرى ، هو (النموذج) و (القدوة) لهذا النفر الذي يمكن أن يأخذ بيد الامة لتعاود نهضتها مرة أخرى .

لكن ، ماكل ما يتمناه المرء يدركه !! ذلك أن طول عهد التخلف والخمود والجمود قد ثبت مع الاسف الشديد مفاهيم التخلف وقيمه حتى لقد تبناها الناس أنفسهم فصاروا يدافعون عنها ضد كل حركة اصلاح !! واعتادت الجماهير ألا تستجيب الى اصلاح الا اذا كان صادرا من السلطة الحاكمة ، ومن هنا اختنقت حركات المقاومة لظلم المستبدين . والأدهى والامر من ذلك هو موقف علماء الدين انفسهم حيث يدعمون اركان الظلم بما يصدرونه من فتاوى تبرر الظلم القائم ، ولعل هذا هو ما جعل الأفغاني يتجه الى طريق السياسة املا ان يحقق دعوته .

ولأن مصالح العلماء المرتبطين بالسلطة الحاكمة لابد ان تضار من مثل هذه الدعوة ، كانت الحرب الشعواء عليها ، لا بالحجة العقلية والدليل المنطقي ، ولكن بالسلاح الخطير الذي يغزو عقول وقلوب عامة الناس في عهد كان الجهل فيه هو العلامة البارزة ، هذا السلاح هو الدين بحيث يظهر الداعي الى

الشيخ جمال الدين الافغاني



الاصلاح بصورة المفسد المارق فتنصرف عنه الجماهير ..

ومن الأمثلة التى تبين ما يؤدى اليه سوء الفهم من سوء التصرف بحيث تلقى ظلالا من الشك على داعية مثل الأفغانى ما رواه واحد ممن حضروا مجلسا للأفغانى ، اذ ذكر لرشيد انه لن يحضر ابدا دروس الرجل ، فلما استفسر رشيد عن السبب ، قال الرجل ، ان الأفغانى نهاهم عن الصلاة !! ولما كان هذا امرا خطيرا بطبيعة الحال ، سأله رشيد ان كان قد نهاهم عن الصلاة نهيا صريحا بأن قال لا حاجة لها ، ولا تصلوا ، أجاب الرجل بالنفى ، وانما ذكر عن الأفغانى انه تكلم عن الصلاة كلاما ابان فيه عن ان صلاتنا لايعبأ الله تعالى بها ولايقبلها بأن قال ما ملخصه ان الأعمال الظاهرة فى الصلاة كالركوع والسجود هى كأعضاء الجسم ، والانسان ليس انسانا بأعضاء جسمه وانما هو انسان بروحه ونفسه وروح الصلاة الشعور بعظمة الله تعالى وكمال سلطانه وتدبر ما يتلى من القرآن والذكر المعبر عن ذلك بالخشوع ، قال الرجل : واذا كانت صلاتنا ليست على هذا الوجه الذى لايرضى الله تعالى الا به ، فلاشك انه يعنى بأن الأولى تركها . وبالطبع فقد اوضح الشيخ رشيد للرجل ان الأفغانى لايقصد هذه النتيجة بأى حال من الأحوال مما لايتسع المقام لذكره هنا ..

● محمد عبده والامامة الفكرية .

وضرب مفكرنا مثالا آخر بالشيخ محمد عبده الذى كان ايضا ممن تتوافر فيهم شروط الزعامة الفكرية لقيادة الأمة ، لكنه ايضا تعرض للعديد من صور المقاومة التى سعى اصحابها من خلالها الى صرف طلاب العلم عنه بحجة انه فيلسوف يخشى من فلسفته على دينهم ، وكأن هؤلاء لا ثقة لهم بدينهم لأنهم ليسوا على بينه منه فيخافون من كل شبهة ان تأتى على زلزاله أو زواله (والموقن بالشيء لايتوقع ولا يتصور زواله ، ومن لا يكون موقنا لايكون مؤمنا) .

والشيخ رشيد رضا صريح فى تأكيده على ان رابطة (العقيدة) هى التى ينبغى ان تقام عليها نهضة الأمم ، ومن ثم تصبح العقيدة الاسلامية على اساس النهضة لأمتنا والأصل الذى ينبغى ان تقوم عليه تربية الناس ، ورابطة العقيدة هى المرحلة الأرقى ، فيما يرى ، بعد مرحلتين سابقتين ، الأولى ، هى مرحلة العصبية الجنسية ، والثانية هى رابطة اللغة ، وما كانت عناية الله تعالى بالانسان لتقف به عند هذا الحد (بل اعطاه سلما ليعرج عليه الى الأفق الأعلى من المدنية وسعة دائرة الاجتماع وهو المعبر عنه بناموس ارتقاء العام ، لما استعد بمقتضى هذا الناموس لامتزاج بعض اجناسه ومؤاخاة العربى للعجمى والرومى للفارسى ، منحه رابطة اعلى من جميع روابط الاجتماع - رابطة تضم متفرق العناصر واشتات الاجناس وتصوغها فتجمعها عنصرا واحدا - رابطة يمكن لكافة البشر ان يكونوا بها أمة واحدة واخوانا .. هذه الرابطة هى الديانة الاسلامية) ..

لكن مفكرنا لايلغى أية روابط اخرى

يكون لها دورها فى تجميع الناس وتكتيل جهودهم وحفزهم على التعاون المشترك من اجل خير امة ولذلك نبه الى حكمة الله حيث جعل الرابطة ذات طرفين : طرف يمكن ان يضم البشر اجمعين على اختلاف مذاهبهم وعقائدهم وهو كونهم يحكمون بشريعة واحدة عادلة تساوى بين مؤمنهم وكافرهم ومليكهم وصعلوكهم وغنيهم وفقيرهم وقويهم وضعيفهم وهذا الطرف يسميه رشيد (الجامعة الدنيوية) ، ويمكن لاهله ان يعملوا لاحراز سعادة الدنيا بالاشتراك حتى يصلوا الى الغاية التى يستطيعون الوصول اليها .. والطرف الثانى هو طرف الجامعة الدينية الأخروية وهو يؤلف بين الآخذين بهذا الدين تأليفا روحيا زائدا عن ذلك التأليف الجثمانى ، تأليفا جرثومته وحدة المعتقد والايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وغذاؤه الاخلاق الفاضلة والعبادات الكاملة ، وثمرته الاخاء الصحيح وجعل المؤمنين فى تضافرهم وتعاونهم على البر والتقوى كالبنيان يشد بعضه بعضا .

ولم تكن المناقشة التى يجريها رشيد على صفحات المنار فريدة عصرها ، فقد كانت هذه القضية مثار مناقشات مستفيضة على صفحات الجرائد والمجلات ، ولا غرو فى ذلك ، فقد كانت مصر تعيش فترة مخاض جديد ، هى من الناحية الرسمية جزء من الدولة العثمانية مما يجعلها منتمية قانونا وفكرا الى الأمة الاسلامية برابطة العقيدة ، وهى من ناحية اخرى قد احتلت من اقوى دولة غربية فى ذلك الوقت (بريطانيا) التى عملت منذ لحظات الاحتلال الأولى على (تغريب) البلاد فكرا وثقافة بشتى الطرق والوسائل ، وكانت الدولة العثمانية فى حالة ضعف وذبول واضمحين ، وكان الغرب فى قمة قوته وتألقه .

وتعددت المواقف وتباينت الاتجاهات ، وعلى سبيل المثال ، كانت جريدتا المقطم والأهرام متفقتين على ان الدعوة الى الجامعة الاسلامية باسم الدين مضرة وغير موصلة الى الغاية ، وانه لاسبيل الى نهضة الامة الاسلامية الا باتباع خطوات أوربا كما فعلت اليابان .. اما جريدة المؤيد فقد وافقت على أن مسلك الكتاب المسلمين فى الدعوة الدينية مفيد كما أن الاخذ بالفنون .. والصنائع الاوربية مفيد مع ذلك .

● كيف نربى انفسنا تربية دينية صحيحة ؟

لايؤمن مفكرنا مع الأسف الشديد بجدوى الكبار وتربيتهم ، فمثل هؤلاء قد تمكنت العادات منهم ودرجوا عليها حتى تحولت لديهم الى طبيعة ثانية ، لكن المرحلة التى تجدى فيها التربية حقا هى مرحلة الطفولة فالاطفال صفحات بيضاء خالية يستطيع المربى ان ينقش عليها مايراد تعليمهم اياه .

كذلك لايؤمن صاحبنا بجدوى مؤسسات التعليم النظامى القائمة فى مصر فى ذلك الوقت ، فبالنسبة للمدارس الحكومية يرى انها (قد نسخت الدين ونسخت التربية) اما المدارس الأهلية فهى (تحذو حذوها وتقتفى أثرها) واذا كان البحض يبادر على الفور بأن الامل اذن لابد وان يعقد على الأزهر مادامت المسألة

هى تربية دينية ، الا ان رشيدا يبادر فيؤكد ان التعليم الذى كان قائما فى الازهر (مقصور على كتب مخصوصة ، قصاراها فهم احكامها المنصوصة ، لاتجمع بين الدنيا والدين) .

ما العمل اذا ؟

لا مفر فى راى مفكرنا من الأعتماد على الجهد الخاص فى تربية لا نظامية بأن يتخذ كل منا لابنائه معلما مخصوصا يعلمهم الدين .. هذا من جهة ، ومن جهة اخرى ، فلابد من الأعتماد على تاليف الجمعيات الأهلية كما أسلفنا لتعمل على تعميم التعليم على المنهاج الدينى ، وهذا لايعنى انه يطالب بالغاء المدارس القائمة ، فهى ضرورية لاعداد القوى العاملة اللازمة لتسيير دفة العمل فى الوظائف المختلفة ، وان كان ينتقد اسلوب ومحتوى التعليم فيها ، ولذا فان هذه التربية الخاصة التى ينادى بها انما هى (تعويض) و (استكمال) لما هو ناقص فى التعليم النظامى .

والتربية المقصودة هنا هى (التربية العملية) ، اى تربية السلوك الشخصى والأجتماعى ، وان كانت مشكلته الكبرى هى فى نقص المعلمين الذين يكونون بالفعل على درجة من الوعى الدينى والسمو الخلقى ما يتيح لهم ان يقوموا بواجب التربية خير قيام .. لكن مالايدرك كله لايترك كله ، ومن هنا وجب الاعتماد على ماتوافر منهم ، أملا فى ان فعل التربية اذا تم على ايديهم وفقا لما يجب ان يكون ، يمكن ان ينتج لنا أفرادا آخرين يؤاصلون المسيرة ويشاركون فى الجهد لتحقيق نفس الغرض .

ولايمكن الاعتماد فى تحقيق التربية الدينية المطلوبة على التعليم اللفظى ، اذ انه قد يملأ رءوس الناس بالمعلومات ، لكنه ابدا لن يساعد على تغيير سلوكهم (ان التربية لاتكون بالقول بل بالمعاملة ، لو كان الانسان يتربى ببيان الرذائل له وقولنا له اتركها وسرد الفضائل له وقولنا له الزمها ، لكان الاجدر بها العقلاء الكبار دون الأطفال الصغار .. وانما التربية المثلى تكون بالمعاملة الحسنى) . وهكذا اذا اراد الواحد منا ان يربى ابنه على الصدق ، فما عليه الا ان يعامله بالصدق ، وان نحول بينه وبين معاشرة من يمارسون الكذب .. ان الكثيرين يغفلون عن هذه الحقيقة الهامة ولو انصفوا لراعوها حق قدرها .

● كيف نربى نساءنا

يظهر رشيد رضا واضحا بأهمية تعليم المرأة وتربيتها ويعتبر هذه المسألة من اجدر المسائل التى يجب النظر اليها بعين الأعتبار (لأن هناء العيش فى الحال وسعادة الوطن فى الاستقبال انما يكونان بتدبير المنزل ونظامه وبتربية الأولاد ، ومقاليد ذلك بيد النساء لان المراة هى ربة البيت المنوط بها اصلاحه ونظامه وهى التى فى الواح نفوس الأولاد المبادىء الأولى التى تكون جراثيم للخبرات او للشرور) ، المنار فى ١٨٩٩/٩/٣٠ ، العدد ٢٩ / .

والمبادىء العامة لتربية النساء لاتحتاج الى تفصيل ويكفى الاشارة الى وجوب ان نأخذهن بالرفق ونعاملهن بالحكمة واللطف ، لا بالقوة والعنف ، وان

نستعين عليهن بدقة شعورهن ، ونستميلهن الى الخير برقة عواطفهن ، ونثنيهن عن الشر بزمام حيائهن ، وقد شبههن الرسول صلى الله عليه وسلم بالقوارير ، فالضغط على الزجاج يكسره .

والمح مفكرنا الى ان المراة كانت مهضومة الحقوق يعاملها الرجال بالاستبداد فى جميع الأجيال والعصور ، حتى جاء الاسلام فسوى بين الرجل والمرأة فى جميع الحقوق والواجبات ، الا انه جعل الرجل كافلا للمراة واعطاه حق الولاية العامة لقوته وضعفها ، فقال القرآن الكريم (ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة) ، بل رفقت الشريعة الاسلامية بالمرأة فوضعت عنها بعض العبادات فى بعض الأوقات ، ومما ساوت به بينهما وجوب التعليم فجعلت طلب العلم النافع فريضة على كل مسلم ومسلمة .

ولكن المبادىء التى وضعها الاسلام للنهوض بالنساء لم يعتن بها المسلمون ـ فيما يرى رشيد العناية الواجبة مثلما عنوا بكثير من المبادىء الأخرى ، ويبدو ان الارث الاجتماعى المتراكم عبر العصور كان له اثره فى هذا ، وعلى سبيل المثال ، كما كانت نصوص الكتاب والسنة المانحة للعلم والمرغبة فيه تشمل الرجال والنساء كما هى القاعدة الاصولية فى الدين الاسلامى ، زعم بعض الفقهاء ان طلب العلم لايشمل طلب الكتابة (الخط) ولايقتضيه ، ثم اوردوا احاديث يفهم منها منع النساء من تعلم الكتابة ، ولما لم يعترف لهم المحدثون بصحة شىء منها ، رجعوا الى قياسهم فزعموا ان فى تعلمهن الكتابة مفاسد تقتضى كراهتها على الأقل .. وقد رد رشيد على ذلك بالتذكير بحديث الشفاء بنت عبد الله قالت دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا عند حفصة رضى الله عنهما فقال لى : ألا تعلمين هذه رقية النملة كما علمتها الكتابة ؟ رواه الأمام احمد والنسائى والطبرانى . المنار فى الخامس من اغسطس ١٨٩٩ ، العدد / ٢١ .

ووقف رشيد رضا موقفا مؤيدا لقاسم امين عندما اصدر كتابه الشهير (تحرير المرأة) حيث تعرض الكتاب لهجوم شديد من العديد من القوى المحافظة ، وان كان موقف التأييد هذا لم يمنعه من التحفظ على بعض الاراء الواردة بالكتاب وخاصة مايتعلق بالحجاب فقد أبدى خشيته من ان يشجع قول قاسم امين المتغربين على تعجل ما يشتهون من متابعة الافرنج فى عاداتهم ، وفيما يبدو فإن رشيد يتحفظ فقط خشية التغيير المفاجىء لكنه يقبل وجهة نظر قاسم والدليل على ذلك قوله (ما كل ما يعلم يقال وانه ينبغى لمن يكتب فى الاصلاح ان يجمل الكلام عن المسائل التى لا يطلب العمل بها فى الحال) .

كيف نربى أولادنا ؟

يسخر رشيد رضا من فريق من الناس ينظر الى تربية الأطفال بشىء من التعالى وكأن صغر السن دليل على قلة الشأن ، بينما هى فى نظر مفكرنا (المسألة الاساسية فى حياة الأمة ، فمن لايكترث لها لايكترث للأمة كلها مهما ثرثر وتشدق فى الكلام عنها) المنار فى ٢٠ / ٥ / ١٨٩٩ العدد / ١٠ .

ورشيد فى هذا الوعى يعبر عن صدق

محمد رشيد رضا

ادراكه للمهمة التى أخذها على عاتقه ، فالمفكر الذى يجعل همه الاساسى : بناء الأمة ، يدرك تمام الادراك ان هذا البناء لبناته الأولى هى تربية الأطفال ، ولعل هذا يفسر لنا كيف ولماذا جعل افلاطون عملية اعادة بناء المجتمع الأثينى كما تمناها تبدأ من الشهور الأولى فى حياة الانسان ، بل انها ـ فيما رأى ـ تبدأ قبل ذلك ببناء الاسرة بناء سليما .

من اجل هذا نجد رشيدا يبدأ حديثه فى تربية الأطفال قبل ان يولد وذلك بتوجيه الاهتمام الى اهمية العناية بالأم فى حالة الحمل على اساس (ان لأحوال الأم الجسدية والنفسية اثرا فى نمو الجنين واستعداده) المنار فى ١٨٩٩/٣/٨ ، العدد / الثانى .. ووصلت عناية رشيد بالفترة الأولى ان فصل القول تفصيلا فيما يجب عمله بعد فصل الرضيع من امه بعد الولادة وما يتعلق بذلك من عمليات تنظيف وتطهير وارضاع .

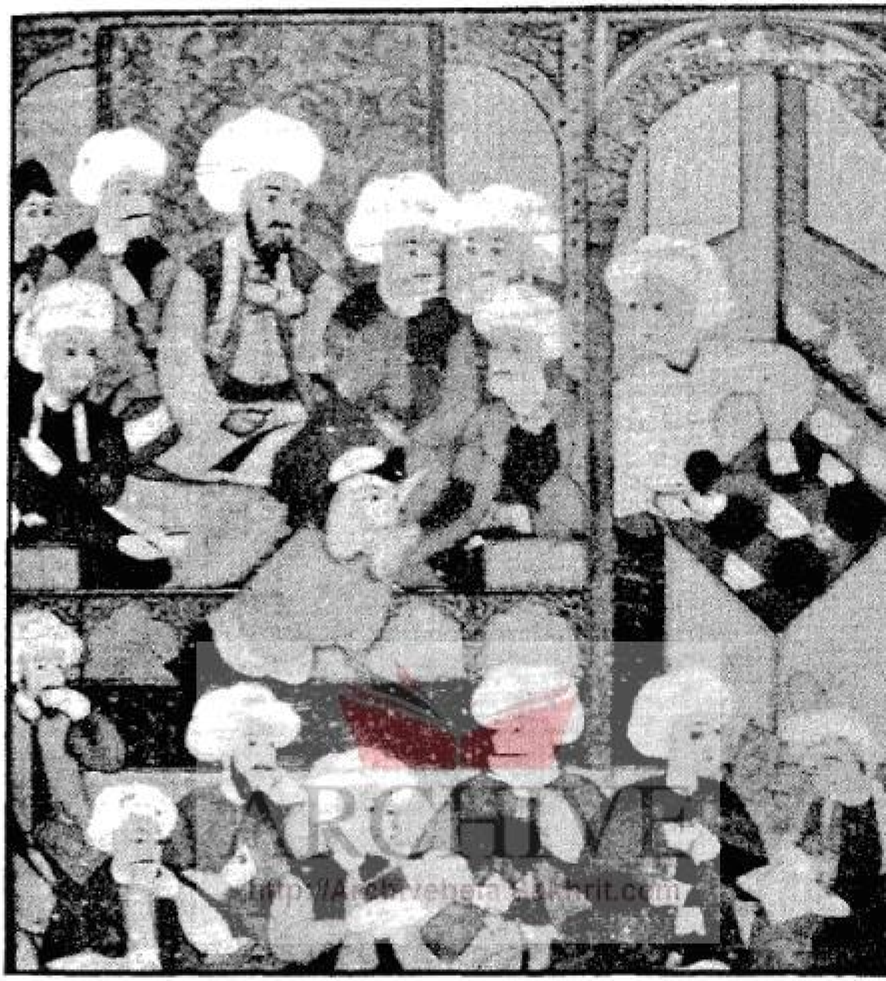
● طريقة التعليم : التعليم بالعمل .

ربما يتصور البعض اننا اذ نعنون هذا الموضوع بذلك المبدأ ، فانما نلبس القديم لباسا جديدا من صنع فكر معاصر ، والحق ان الامر ليس هكذا تماما ، فاذا كان مبدأ (التعليم بالعمل) شعارا معاصرا ، فمن العجيب اننا نجده هكذا بالنص عنوانا لمقال لمحمد رشيد رضا فى الجزء الثانى من المجلد الثانى من المنار ١٨٩٩/٣/٨ . واذا هناك من يغرم بأن يحرم مفكرينا من مظهر ابداع وابتكار ، فيلمح بترجيح ان يقول رشيد ذلك ترديدا لرأى غربى اطلع عليه فى هذه الفترة ، فاننا نقول ، ليس هدفنا هو اثبات أفضلية وأسبقية ، وانما غاية ما نريد تأكيده ان الوعى اذا كان قد توفر بمثل هذا المبدأ ، فكيف نظل حتى الآن ، وبعد انقضاء تسعين عاما دون ان تعرف مدارسنا الطريق الى تطبيقه وتنفيذه .

ونظرا لهذا الارتباط الوثيق بين العلم والعمل ، تصبح المسئولية كبيرة بالنسبة لمن يتولون امر التربية وامر التعليم ، ذلك ان العلم الصحيح والمعرفة الوعية تسهل الطريق الى سلوك الطريق العملى القويم ، ومن هنا تبرز خطورة المعلومات الناقصة والمعرفة غير الصحيحة حيث يمكن ان تؤدى بالناس الى مهاوى الانحراف (فثبت بهذا كله ان مبدأ ما حل بالشعوب الاسلامية من التأخر والانحطاط ، اهمال العلماء وتقصيرهم فى الارشاد والتهذيب ، والداء انما يشفى بازالة علته وسببه .. ولذلك جعلنا من مقاصد جريدتنا الأولية بيان تقصير العلماء وأسبابه والبحث فى العلل التى افسدت التعليم وحالت بين المتعلمين وبين غايات العلوم والفنون التى يتدارسونها ومزج هذه المباحث بلوم العلماء تارة على الاصلاح تارة اخرى) المنار فى ١٨٩٩/٣/٢٥ ، العدد /٣ .

وبعد :

فلأن المسألة التربوية تعتبر قضية مركزية فى فكر وجهود محمد رشيد رضا ، فانها تعسر على الاستغراق من خلال هذا المقال وحده ، الامر الذى نأمل معه ان نستكمله فى مناسبات اخرى .



اعترافات الإمام الغزالي

ورحلته من الشك إلى الايمان ..

هذه سيرة ذاتية من نوع خاص ..

تحكى قصة مفكر كبير يبحث عن اليقين ، ويرفض التقليد ، يغوص فى كل معارف عصره ، ويدرس كل ما خطه الفلاسفة والفقهاء ويتوه فى بحر بلا شطآن ، وتضطرب به الأمواج يبحث عن الضياء وسط ظلمة الشك الحالكة . ويقدم تجربته العقلية وتطوره الفكرى ، بعد أن خاض العديد من المخاطر الفكرية والروحية .

ولد أبو حامد الغزالى منتصف القرن الخامس الهجرى سنة ٤٥٠ هـ ـ ١٠٥٨ م فى مدينة طوس ثانى مدن خرسان ، والتى بها قبر الأمام الرضا وقبر هارون الرشيد ، ودمر المدينة جحافل المغول سنة ٦١٧ هـ ، وبقى قبر الغزالى والأمام والخليفة ، ونشأ حولها مدينة مشهد المعاصرة .

ولم يعرف عن والدته سوى انها توفيت وهو مازال طفلا ، وروى ابن النجار أن والد أبى حامد كان يغزل الصوف ويبيعه فى دكانه ، وأوصى بولديه محمد وأحمد إلى صديق له صوفى صالح ، فعلمهما الخط ، وفنى ما خلف لهما ابوهما وتعذر عليهما القوت ، فقال : ارى لكما أن تلجأ الى المدرسة ، وكأنكما طالبان للفقه ، عسى يحصل لكما قوت ..

وبدأت بذلك رحلة تعليمه ، فدرس الفقه وعلم الكلام ، ويذكر السبكى فى « طبقات الشافعية » حكاية زادته التصاقا بالعلم وحرصا على تحصيله يقول : « سافر الغزالى الى جرجان الى الامام ابى نصر الاسماعيلى ويروى الغزالى .. قطعت علينا الطريق ، واخذ العيارون جميع ما معى ومضوا ، فتبعتهم فالتفت الى مقدمهم وقال .. ارجع ويحك وإلا هلكت .. فقلت له : اسألك بالذى ترجو السلامة منه أن ترد على تعليقتى ، فما هى بشىء تنتفعون به . فقال : وماهى تعليقتك .. ؟ فقلت .. كتب فى تلك المخلاة هجرت لسماعها وكتابتها ومعرفة علمها ، فضحك ساخرا وقال .. كيف تدعى انك عرفت علمها وقد أخذناها منك ، فتجردت من معرفتها وبقيت بلا علم ؟

وسلم الىّ المخلاة .. ويعلق الغزالى على القصة قائلا .. هذا منطق انطقه الله ليرشدنى به فى أمرى ، فلما وافيت طوس ، اقبلت على الاشتغال ثلاث سنين حفظت جميع ما علقته ، وصرت بحيث لو قطع على لم اتجرد من علمى » ..

وتقول ترجمته فى كتاب نفحات الأندلس لعبد الرحمن الجاص المتوفى سنة ٨٩٨ هـ ـ ١٤٩٢ م « اجتمع بنظام الحكم » وحصل له قبول تام ، فمن كان فى صحبة نظام الملك من العلماء والفضلاء باحثوه وناظروه ، فغلب عليهم ، ففوضوا

بقلم : مصطفى نبيل

اليه تدريس النظامية ببغداد » .

ويضيف الصفدى .. « قصد مصر ، واقام بالاسكندرية مدة ، ويقال إنه عزم فيها على ركوب البحر للاجتماع بالامير يوسف بن تاشفين صاحب مراكش ، فبلغه نعيه وعاد الى طوس » ..

ويذكر عنه ابن كثير فى البداية والنهاية « .. برع الغزالى فى علوم كثيرة ، وله مصنفات منتشرة فى فنون متعددة ، وكان من اذكياء العالم فى كل مايتكلم به ، وساد فى شبيبته حتى انه درس بالنظامية ببغداد سنة ٤٨٤ هـ ، وله من العمر اربع وثلاثون سنة » .

اما ابو الفرج عبد الرحمن الجوزى فى كتابه المنتظم ، فيقول .. « ترك التدريس والرياسة ولبس الخام الغليظ ولازم الصوم ، وكان لاياكل إلا من اجرة النسخ » ..

ووصلت قيمته أن اتفق العلماء ـ فى الاثر ـ على أن مجدد المائة الأولى للاسلام هو عمر بن عبد العزيز والمائة الثانية الإمام الشافعى والثالثة الامام الاشعرى والرابعة الباقلانى ، والخامسة حجة الاسلام الغزالى ..

اما رحلة الامام ابى حامد الغزالى وسيرته الذاتية فى كتابه « المنقذ من الضلال » وفى رحلته تلك ، احتمل مالا يحتمله سواه ، واظهر مكنون ذاته ، وسطر ما تخفى نفسه ، وما يختلج فى قلبه ، وهو العالم لكل فن ، والسابح فى كل بحر ، وولج غير هياب ولا وجل بحار الفلاسفة والمتكلمين والمتصوفة .

وفى مغامرته ترك التدريس والجاه والصيت ، وفر بنفسه من بغداد عاصمة الخلافة ، واعتزل بالشام ، واختلى بصخرة بيت المقدس ، واغلق على نفسه منارة دمشق ، وحج الى الاراضى المقدسة واخرج كتابه الخالد « احياء علوم الدين » ..

وتوصل بعد هذه الرحلة الى أن الأسلام دين المنطق السليم والعقل الحر ، لا دين الرؤيا والاحلام والاوهام .

يأتى صوته صافيا من اعماق الماضى بعد تسعة وعشرين عاما على الذكرى المئوية التاسعة لميلاده ، فيخاطب هذا العصر الذى غاب فيه اليقين

ويمكن القول إن اهم ما قدمه الغزالى فى كتابه « المنقذ من الضلال » ما يشبه نظرية فى المعرفة ، يصل خلالها الى انه من الممكن بفضل المنهج الصحيح رفع الخلاف بين الخلق اذا اتبعوا المنهج الذى يرسم فى معرفة الحق ، وتقده لمناهج المعرفة القائمة فى عصره ، ويؤكد انه « فى مقدمة المقاصد لايقف على فساد علم من العلوم من لايقف على منتهى ذلك العلم حتى يساوى اعلم الناس » ..

وسلك طريقا جديدا للوصول الى الحقيقة فليس بالعقل وحده يصل الانسان الى اليقين ، فيمكن ان تلعب الاهواء والاغراض بالعقل وليس بالحواس وحدها ..

والوصول الى الحقيقة يحتاج الى مجاهدة النفس والتجرد عن الهوى والمصالح الخاصة ، ويؤمن ان الذوق يلعب دورا فى القدرة على الخروج من الحيرة والضياع ، وهو يعنى الحدس

اعترافات الإمام الغزالى

بتعبير هذه الأيام ، اى الخبرة التى تعطى القدرة على الحكم .

وخبرة الحياة وخصوبتها تلقيان الضوء على رؤية الغزالى ، عندما يلاحظ المتأمل انه عند المسائل الحيوية والاختيارات الحاسمة فى حياة الفرد ، لايكتفى بالعقل ولا بالحساب البارد حتى يستقر رايه ، وانما يتم الاختيار بما هو ابعد من العقل ، فاذا كان بالعقل وحده يتم اختيار اى وسائل المواصلات أنسب ، أو افضل الطرق لتنظيم عمله ، إلا انه يحتاج إلى ما هو ابعد ، وهو يحدد مهنته او شريكة حياته ، او هل يقيم فى مسقط رأسه او يهاجر الى ارض جديدة .

وجاء العصر الحديث بمذهب « المتأملين » الذين يتبعون التأمل كطريق للوصول الى الراحة والأيمان تأكيدا لما نادى به الامام الغزالى .



● أزمة حادة :

يبدأ الغزالى قصته .. بأن بعض اخوانه سأله ان يشرح كيف ارتفع عن حضيض التقليد الى قمم الاستبصار وتحصيل العلم اليقيني ، فاختلاف الخلق فى الأديان والملل ثم اختلاف الأئمة فى المذاهب على كثرة الفرق وتباين الطرق بحر عميق ، غرق فيه الأكثرون وما نجا منه الا الاقلون ، وكل فريق يزعم انه الناجي ، وانه منذ شبابه الى ان انافى على الخمسين ، يقتحم لجة هذا البحر العميق ، ويخوض اغواره واعماقه خوض الجسور ، لا خوض الجبان الحذور » ..

ويستعرض ازمته الحادة التى كانت تعصف به بقوله .. اقبلت بهمتى على طريق الصوفية وعلمت ان طريقتهم لا تتم الا بعلم وعمل ، اما العلم فكان ايسر من العمل » ..

اما العمل فاخص خواصهم لايمكن الوصول اليه الا بالذوق والحال وتبدل الصفات فهم يقينا ارباب احوال ورأس ذلك كله قطع علاقة القلب عن الدنيا ، بالتجافى عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود ، والاقبال بكنه الهمة على الله تعالى .. ولايتم ذلك إلا باعراضها عن الجاه والمال ، والهروب من الشواغل والعلائق ..

فهاهو بعد ان وصل الى الصيت « الجاه » ، واصبح استاذا مرموقا فى المدرسة النظامية ببغداد .. وجد نفسه قد اقبل على تدريس علوم غير مهمة ، وغير نافعة ، وغير خالصة لوجه الله ، بل باعثها

ومحركها طلب الجاه ، وانتشار الصيت .. وجميع ما اتت فيه رياء وتخييل ، ويراوده الشيطان هذه حالة عارضه ، وحذار من مطاوعتها ، فهى سريعة الزوال ، وإن اذعنت لها وتركت هذا الجاه العريض ، والشأن المنظوم الخالى عن التكدير والتنغيص ، والامر المسلم الصافى فى منازعة الخصوم .

وعاش طويلا هذه الحيرة حتى « .. جاوز الامر حد الاختيار الى الاضطرار فعقل لسانى ، حتى اعتقل فى التدريس فكنت اجاهد نفسى أن ادرس يوما واحدا ، تطيبيا لقلوب المختلفة الى ، ولكن لسانى كان لاينطلق بكلمة .. لا استطيع البته وزاد الامر ان اورثت هذه العقلة فى اللسان حزنا فى القلب ، بطل معه قوة الهضم ، ورغبة الطعام والشراب .. فكان لاتتساغ لى شربة ، ولا تتهضم لى لقمة ، فضعفت القوى ، وقطع الاطباء طمعهم فى العلاج ، وقالوا .. هذا امر نزل بالقلب ، ومنه سرى الى المزاج فلا سبيل اليه إلا بالعلاج ، الا بان يتروح السر عن الهم العلم .

ففارقت بغداد وفرقت ما كان معى من المال ، ولم ادخر إلا قدر الكفاف ، وقوت الأطفال » ..

وإذا كان الغزالى قد ترك التدريس فى اكبر معاهد العلم فى عصره ، وتخلى عن ما حققه من نجاح ، وخرج تاركا الأهل ، والولد والصحاب ، فقد فعل ذلك تحت الحاح عاطفة لاتقاوم من شوق الروح الى اليقين والسكينة والاطمئنان الى حياة وأعمال خالصة من شوائب الحياة وأهوائها .

ويروى الغزالى لابى بكر محمد بن العربى مراده من رحلته بقوله : وان القلب اذا تطهر عن علاقة البدن المحسوس وتجرد للمعقول انكشفت له الحقائق .. فالقلب جوهر صقيل مستعد لتجلى المعلومات فيه عند مقابلتها عريا عن الحجب كالمرآة ، فى تراءى المحسوسات عند زوال الحجب » ..

وبدأت رحلته الى الايمان والتى دامت عشر سنوات او تزيد .

● مع الغزالى فى رحلة ..

ولنسر مع الغزالى فى رحلته خطوة خطوة ..

يتهم البعض الغزالى ، انه قلل من شأن العقل ، وهذا ليس صحيحا ، فالعقل عنده هو « ميزان الله فى ارضه » ولكن . « يظن كل احد انه اهل لكل علم دقيق ، فما من احد إلا وهو راض عن الله سبحانه فى كمال عقله . واشدهم حماقة ، واضعفهم عقلا هو افرحهم بكمال عقله » ..

واذا كان العقل هو اداة المعرفة ، إلا أن الحواس تشوش عليه . مما دعاه الى نقد المعرفة الحسية عندما يشوش الوهم على وظيفة العقل ، وعلى طالب الحقيقة أن يحارب الوهم ، حتى يستطيع تصور الأمور المجردة والحقائق غير المحسوسة .

فالمعرفة اما أن تكون بالمحسوسات واما ان تكون بالعقليات ، والمعرفة بالمحسوسات لا أمان لها ، لانك .. « تنظر

الى الكوكب فتراه صغيراً فى مقدار دينار ، ثم تدل الادلة انه اكبر من الأرض ، بمقدار » .. وايضا المعرفة بالعقل وحده لايقين فيها ولا ثقة ، لانه يمكن ان تطرأ على الانسان حالة .. تكون نسبتها الى العقل كنسبة اليقظة الى النوم ، وكثيرا ما يكذب العقل الاحساس ، وينكر الاحساس العقل .

فإذا كان العقل قادرا على معرفة كثير من الأمور ، مثل الاستدلال على وجود الصانع ، وعلى حدوث العالم ، فإن هناك امورا ليس للعقل سبيل الى القطع بها ، مثل البعث والثواب والعقاب .. » .

ومع تسليم الغزالي بقيمة العقل ، إلا انه يميز بين ميدان العقل وميدان الدين ، فيقسم العلم فى كتابه الاحياء .. الى علوم شرعية تستفاد من الانبياء ، وعلوم غير شرعية يرشد اليها العقول والتجارب كالرياضيات والطب ..

ويؤكد على الفصل بين الذاتى والموضوعى « لايعرف الحق بالرجال بل اعرف الحق تعرف اهله » ، ويشترط الاستقلال .. « لا خلاص إلا فى الاستقلال ، فالعقل ليس مستقلا بالاحاطة بجميع المطالب ، ولا كاشفا للغطاء عن جميع المعضلات » ..

● الغزالي وديكارت ..

ويختار الغزالي « الشك » كدرب الى اليقين ، وهى فكرة قديمة عرفت عند السفسطائيين ، وما اكثر الشبه بين تجربة الفيلسوف الفرنسى ديكارت « ١٥٩٦ - ١٦٥٠ » وتجربة الغزالي .. ونقرأ ما خطه الغزالي .. « الشكوك هى الموصلة الى الحق ، فمن لم يشك لم ينظر ، ومن لم ينظر لم يبصر ، ومن لم يبصر بقى فى العمى والضلال » .

ويعرف فى كتابه المنقذ من الضلال معيار العلم ، وفى تعريفه بالعلم اليقينى وبيانه لشروط اليقين يسبق ديكارت .

فقد لاحظ ديكارت ـ فى كتابه نقد العقل المحض ـ انه تلقى مجموعة من المسلمات الخاطئة وشك فى معارفه جميعا ، حسية كانت ام عقلية ، فانتظر حتى بلغ النضج ، وحرر نفسه من الأهواء والافكار والمشاغل ، وعكف على هدم افكاره القديمة ، ووجد شيئا لايقبل الشك ، وهو حقيقة كونه يشك ، ووجد فى البداية ان معارفه تأتى عن طريق الحواس واكتشف أن الحواس يمكن ان تكون خادعة ، واستخدم ذات الحجج التى استخدمها الغزالي بشأن الأحلام واليقظة ، يذكر « انى أرى فى احلامى ما اعتقد انه الحقيقة ، وعند يقظتى اجدها وهما .. ويصل الى ضرورة الافتراض التخمينى لكى يصل الى العلم اليقينى .. » ومادمت اقوم بهذا الافتراض فأنا موجود ، وكائن ، ومادمت موجودا فأنا افكر فى اشياء لا تعرف سوى بالفكر وحده ـ لا لأنها ترى وتلمس ولكن لأنها تفهم وتدرك ، اذا فجميع الاشياء تدرك بالفكر لا بالحواس » وقدم ديكارت نظرية الشك كنظرية متماسكة الحلقات ..

أما الأمام الغزالي فميزان الحكم لديه ، هو الدين ، فالله قد اعطانا عقولا ، واودع فى نفوسنا تفكيرا منطقيا ، وطريقة للفهم

[redacted]

واسلوبا للبحث والاستقصاء .

ويذكر فى المنقذ من الضلال .. « النفس الانسانية تكون فى اول امرها خالية من كل معرفة ، ثم يدرك الانسان بوسائل الادراك وكل ادراك يطلعه على نوع من الموجودات وأول مليحصل للطفل ادراك الحواس ، حتى اذا نما الطفل ظهر فيه التمييز ، الذى يساعده على إدراك أشياء اعلى من المحسوسات ، ثم يترقى الى دور العقل ، فيدرك الاحكام العقلية ..

ووراء العقل طور أعمق تتفتح فيه معرفة الغيب ، وما سيكون فى المستقبل ، وامور اخرى ، العقل معزول عنها كعزل قوة التمييز عن إدراك المعقولات ، وكعزلة قوة الحس عن مدركات التمييز ، وكما ان المميز لو عرضت عليه مدركات العقل لرفضها ، فكذلك بعض العقلاء ، انكروا النبوة ، وذلك عين الجهل ، اذ لامستند لهم الا انه طور لم يبلغوه ويظنون انه غير موجود ..

وبرهانه على صحة مانطلق عليه « الحدس » وجود معارف عند الانسان لايمكن ان تتم إلا بهذا النوع من الادراك ، مثل الطب والفلك .. فمن يبحث عنها علم بالضرورة انها لاتدرك إلا بالهام إلهى .. ولا سبيل اليها إلا بالتجربة .. فمن الاحكام النجومية مالا يقع إلا كل الف سنه مرة ، فكيف ينال ذلك بالتجربة .. وفى الامكان وجود طريق لادراك هذه الأمور التى لا يدركها العقل » .

وتتابع امثلته .

لو قيل لأحد .. « هل يجوز ان يكون فى الدنيا شىء ، هو بمقدار حبه يوضع فى بلده ، فياكل تلك البلدة بجملتها ثم ياكل نفسه ، فلا يبقى من البلدة ومافيها ، ولا يبقى هو نفسه ، لقال : هذا محال وهو من الخرافات ، وهذه حالة النار ينكرها من لم ير النار اذا سمعها

ويصف درب الايمان بقوله « وهذه الحالة ، يتحققها بالذوق من يسلك سبيلها ، فمن لم يرزق الذوق فيتقنها بالتجربة ، والتسامع ، ان اكثر معهم الصحبة ، حتى يفهم ذلك بقرائن الأحوال يقينا ، ومن جالسهم استفاد منهم هذا الايمان ، ومن لم يرزق صحبتهم ، فليعلم إمكان ذلك يقينا بشواهد البرهان .. والتحقيق بالبرهان علم ، وملابسة عين تلك الحالة ذوق ، والقبول من التسامع والتجربة بحسن الظن ايمان » .

● تهافت الفلاسفة

راينا ان اعتكاف الغزالى كان دافعه ذلك الصراع بين ايمانه وشكه ، وهى القصة الحقيقية لمعركة عقل بحثا عن الحقيقة ، وقبل وصوله الى نظريته فى المعرفة درس ما تناولته المدارس الفكرية المختلفة فى عصره ، وخاض بحار الفلسفة بحياد كامل ، وكتب مؤلفه مقاصد الفلاسفة ، شرح خلاله الافكار الفلسفية القائمة ، وبعدها فندها فى كتاب تهافت الفلاسفة ، وسلم بقيمة الرياضة التي توصلوا اليها ورفض استمرارها ، الى الكون والحياة .

وتجد فى القران الكريم العقائد موضوع بحث وسؤال وبيان وبرهان ، والف العديد من مفكرى الاسلام مصنفات فى العقل وحقيقته ، ومن بينهم الغزالى ، الذى يقف فى تاريخ

الفكر الاسلامى عالما بالدين ومفكرا وناقدا للفلسفة وصاحب رأى متميز فى العلاقة بين الوحى ، والعقل ، ولعل ما قدمه فى هذا المجال هو سبب شهرته فى الغرب ، بعد ان ظهرت قدرته على التوفيق بين الدين والعقل .

وهناك رأى يدعى انه بكتابه تهافت الفلاسفة ، قضى على الفلسفة فى الشرق قضاء مبرما ، لم تقم لها بعده قائمة ، مع انه حارب فى كتابه ذلك الميتافيزيقيا الاغريقية التى لاتقوم على ادلة كافية ، وقد واجهها بسلاح المنطق والعقل ، وقد كان من اثار محاربة الغزالى للميتافيزيقيا الاغريقية تزايد الاهتمام بالعلم .

ويذكر الغزالى .. « شمرت عن ساعد الجد ، فى تحصيل ذلك العلم (الفلسفة) من الكتب بمجرد المطالعة ، ومن غير الاستعانة باستاذ ، فى اوقات فراغى من التصنيف والتدريس فى العلوم الشرعية .. فأطلعنى الله بمجرد المطالعة فى هذه الأوقات المختلفة على منتهى علومهم فى اقل من سنتين وظللت مواظبا على التفكير فى ذلك العلم بعد فهمه قريبا من سنة اخرى .. حتى اطلعت على ما فيه من خداع وتلبيس .. وتحقيق وتخييل » ..

ويرى ان اقوالهم فيما يتعلق بعلم الحساب والهندسة وعلم هيئة العالم ، وليس يتعلق من شىء بالأمور الدينية نفيا او اثباتا بل هى امور برهانية لا سبيل الى مجاهدتها بعد فهمها ومعرفتها .

وبعدها ناقش الامام الغزالى مذهب التعليمية ، فاليقين عند اهل هذا المذهب



هو مايقول به الامام المعصوم ، وهو مذهب باطنى شيعى ، ودارت هذه المناقشة عندما اصبحت بغداد هى العاصمة الفكرية ، يعيش فيها الخليفة العباسى ، أما السلاجقة ، فقد جعلوا عاصمتهم السياسية نيسابور ، وكانت تتلاطم فى بغداد امواج جميع الحركات الاسلامية ، وكان بها لجميع المذاهب انصار ، وكان للوزير السلجوقى نظام الملك اثر فى حياته فهو الذى اختاره للتدريس فى المدرسة النظامية .

وكان التحدى الرئيسى للسلاطين السلاجقة يأتى من المذهب الاسماعيلى ، وقد لقى كل من نظام الملك ومن بعده فخر الملك مصرعهما على ايدى اتباع هذا المذهب ، كما شهد هذا العصر ايضا انتعاش الحركة الصوفية بين العامة .

ويذكر الغزالى فى الرد عليهم .. « وكانت حينئذ قد نبغت نابغة التعليمية ، وشاع بين الخلق تحديهم بمعرفة الأمور ، من جهة الامام المعصوم ، القائم بالحق ، فعن لى أن أبحث عن مقالاتهم ، لأطلع على ما فى كتبهم » ..



محمد فريد أبو حديد

فى ذكراه الثالثة والعشرين

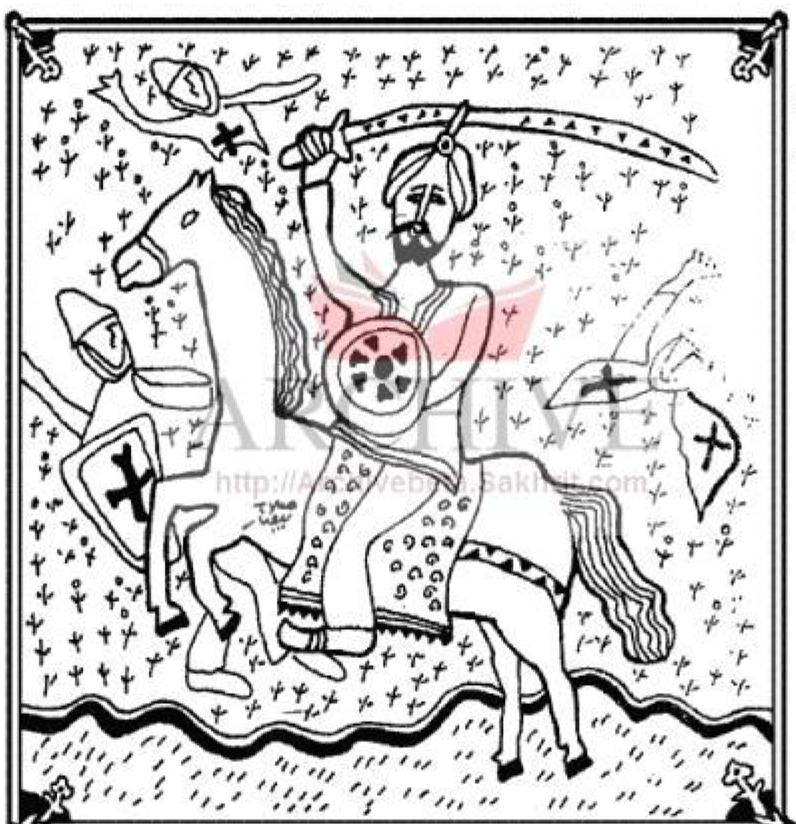
بقلم : صافى ناز كاظم

● فى يدى نسخة نادرة من دراسة تاريخية تحليلية جذابة عن « صلاح الدين الايوبى وعصره » صدرت منذ ٦٣ عاما للأديب الكبير الراحل « محمد فريد ابو حديد » اقدمها فى ذكراه الثالثة والعشرين التى تحل فى ١٨ مايو وارشحها - كما رشحت من قبل كتاب الدكتور على عبد الواحد وافى عن ابن خلدون - لكى تعيد سلسلة كتب الهلال نشرها إحياء لكتاب هام ووفاء لشامخ من شوامخنا الادبية الكثيرة والعديدة التى تتناساها بقع الضوء الاعلامى فى الصحف السيارة ، عمدا او جهلا او تقصيرا . هذا التقصير - كما قلت من قبل - هو فى حقيقته إنقاص من قدر مصر الثقافى والأدبى إذ تبدو وكأنها لا تملك فى صدارتها الثقافية والأدبية والفنية والعلمية سوى قمة أو قمتين او خمس فى حالتها القصوى . بينما تعج مكتباتنا وذخائرنا بالكنوز من الأعمال والرجال والنساء الذين قدموا عن طيب خاطر - إلى حد الاستشهاد - حبات عقولهم وقلوبهم من اجل ان يدعموا المقولة التى نرددها دائما ان مصر « ام الدنيا » وانها « قلعة الاسلام » و « صرح العلم » و « رائدة التنوير » .. الخ ..

. محمد فريد ابو حديد ، واحد من هؤلاء الشوامخ الذين تكاسلت عنهم الأبحاث فى كليات الآداب بجامعاتنا ، إذ إستسهل الدارسون الخوض فى المعروف والمطروق والذى كثرت عنه المراجع التى تمكن الناقل من النقل ، والسارق من السرقة ، والخامل من السير هادئا فى الطرق المعبدة ، والموال فى هذا الموضوع طويل ولكنى مللت الآذان ، فى مالطة ، وحسبنا الله ونعم الوكيل !

● ● ●

أصدر ، محمد فريد أبو حديد ، كتابه ، صلاح الدين الايوبى وعصره ، عام ١٩٢٧ ليكون من بدايات التزامه الذى إنتهجه على طول رحلته الأدبية التى تعدت النصف قرن : وهو الألتزام بالتعريف بأبطال الجهاد الاسلامى



بريشة صلاح بيصار

محمد فريد أبو حديد

والأمجاد العربية والعزة المصرية ، واهمية ترشيح كتاب « صلاح الدين الايوبى وعصره » للقارىء الحديث تنبت من اعتقادى ان هذه الدراسة هى خير مايمكن ان نستعيده فى ظروف المحنة المعاصرة لمدينة القدس العزيزة والذكرى المشئومة لقيام اسرائيل فى ١٥ مايو حيث نسترجع اسم البطل صلاح الدين وانتصاراته الباهرة البـاترة فى تخليص بيت المقدس من قبل من ايدى طامعين اغراب اتوا من اوروبا تحت ستار من دعوى دينية متعصبة وتسببوا فى ان تشرب منطقة « السلام » حوض دماء قرن كامل من الزمان .. وقيمة هذه الدراسة عن « صلاح الدين الايوبى » هى فى تناولها الصريح الصادق تحليل واستعراض هزائم « صلاح الدين » ومتاعبه قبل التعرض لانتصـاراته وتفوقه الذى لم يكن ليبلغه دونما خبرة من تعب ومعاناة وصد وعنت .. ولضرورة اساسية قسم « ابو حديد » دراسته الى كتابين .

الكتاب الاول : تمهيد لتاريخ صلاح الدين . ويبدأ من دعوة الإسلام وجهاده مع الامم . وعلاقته بامم اوروبا منذ القرن التاسع . ثم صراخ القسطنطينية الذى وجهه امبراطور الدولة الرومانية الشرقية الى البابا ليدعو امم الغرب من فرنجة والملن وانجليز الى مازعم انه نصرة الصليب وتخليصه من « اعدائه المسلمين » على حد تعبيرهم

● دعوة حاقدة

كانت طبيعة العصر فى القرن الحادى عشر تستدعى أن تاخذ مطامع اوروبا الدنيوية التوسعية رداء دعوة دينية تبث بها حقدها القديم على سطوع الاتساع الاسلامى وتقدمه فقامت تستثير نزعة التعصب الاسود لدى شعوبها بتلك الدعوة الوقحة : « تخليص بيـت المقـدس مـن المسلمين » ! وبدأت جموعهم تتحرك فى حرب غزو صليبية سنة ١٠٩٦ و ١٠٩٧ حتى بلغوا الشام واقاموا دولا اربع اقتطعوها من ارض الاسلام وهى : « الـرهـا » .. و « انطـاكيـة » و « طرابلس » و « بيت المقدس » .. وجعلوا السيطرة فى يد حاكم بيت المقدس . وقد غر الصليبيين هذا الانتصار الاول وحسبوا أن التصدع الظاهر فى الدولة الإسلامية يعنى انهم قد غنموا الى الابد ما طالت له ايديهم ولكن ذلك التصدع لم يكن حقيقيا ويقول ابو حديد : « إن الـدولة الإسلامية مالت أمام الموجة القوية ولم تكن هزيمتها انكسارا .. ولم يكن الناس فى شك من ان مآل تلك الموجة ، التى اتت من وراء البحر ، الى الضعف وانه لابد من الانتصار عليها وردها من حيث جاءت بعد حين . وقد ظهرت هذه العقيدة فى كثير من الوجوه فما كادت الأمة تفيق من الصدمة الاولى حتى اخذ رجالها يعملون على اظهار مكنونها وكان أول من اظهرها اتابك ـ أى الامير ـ عماد الدين زنكى صاحب الموصل الذى



استولى على إمارة الرها فى عام ١١٤٤ م - حوالى نصف قرن من بعد وقوعها فى يد الصليبيين .

ويورد لنا « الكتاب الأول » كيف ان الصليبيين دبروا بعد ذلك مكيدة لقتل « عماد الدين زنكى » لكنهم لم يفلحوا فى كسر القرية التى استقر عليها اهل المنطقة فى طرد الدخلاء الغرباء . فيظهر بعد « عماد الدين » إبنه « نور الدين » الذى حمل عزم ابيه على تحرير الارض من الغزاة .

وقد ترعرع بطلنا « صلاح الدين يوسف بن أيوب » فى جيش هذا الأمير العظيم - كانت اول معرفة « صلاح الدين » بمصر عندما ذهب اليها مع عمه « أسد الدين شيركوه » الذى كان يرأس جيشا أرسله الأمير « نور الدين » استجابة لطلب النجدة الذى بعث به الأمير « شاور » ليتغلب على منافسه فى حكم مصر الامير « ضرغام » - وكان « ضرغام » قد استعان بملك الصليبيين ضد « شاور » !

الكتاب الثانى : فى هذا القسم ينتقل بنا ابو حديد ليبلور لنا الدراسة فتنحصر فى خط تطور شخصية « صلاح الدين » منذ ان بدا جنديا شابا فى جيش بقيادة عمه « شيركوه » الى وزير يحكم مصر ولقبه « الملك الناصر » الى سلطان يوليه الخليفة العباسى على مصر والشام . الى البطل المجاهد المعروف ذكره لنا بوصفه « محرر القدس الشريفة » .

● صلاح الدين والمهمة الصعبة

إتضحت لصلاح الدين مسئوليته الحقيقية فى المنطقة منذ ان تولى حكم « مصر » وكانت « المسئولية » التى حملها ربع قرن منذ لحظة رئاسته على مصر الى نهاية حياته : هذه المسئولية هى : ان يختفى الصليبيون من المشرق الإسلامى » ويقدم لنا « ابو حديد » بالتفصيل المهمة الصعبة التى جابهت « صلاح الدين » . « فمهمة » صلاح الدين » للأسف لم تكن خالصة لمواجهة الفرنج وحدهم . بل كان عليه ان يواجه قبلها العديد من المشكلات المحلية . سواء المشكلات المثارة من جبهة القواد الحاقدين عليه فى مصر او الأمراء المسلمين او الاسماعيلية الذين دسوا وحاكوا له المؤامرات المتكررة متواطئين مع « الفرنج » وملكهم الصليبى فى بيت المقدس .. وكانت اشهر المؤامرات التى دبرتها تلك الفئات هى مؤامرة ١١٧٣ م منتهزين فرصة غياب « صلاح الدين » عن مصر لمحاولة فتح حصن « الكرك » - وكان

محمد فريد أبو حديد

امنع حصون الفرنجة فى فلسطين ـ وفرصة انشغال جزء من جيوشه فى حملة اليمن رغبة منه فى ان يملك طرف البحر الاحمر من الجنوب كما ملك ثغر ايلة على راسه من الشمال ـ وهو مكان مايسمى الآن ميناء « إيلات » ـ ليمنع الخطر الذى كان يهدد البلاد المقدسة ، إذ كان الصليبيون يفكرون فى حشد اساطيل عظيمة فى ذلك البحر للاغارة على الحجاز .. ولحسن الحظ تنبه صلاح الدين للمؤامرة قبل ان تنفذ الخطة فاحبطها وكان من زعماء المؤامرة ، عمارة اليمنى الشاعر ، الذى كان يباهى بانه هو الذى افسح السبيل للمتآمرين بان اغرى ، شمس الدولة اخو صلاح الدين ـ بالذهاب فى حملة الى اليمن ليتم ابعاد جزء كبير من الجيش عن مصر . والطريف ان « الفرنجة » لم يعلموا بخبر احباط المؤامرة فجاءوا حسب الخطة القديمة من البحر الى الاسكندرية فى يوليو ١١٧٤ م يحسبون ـ كما يقول ابو حديد « انهم سيضربون جبهة صلاح الدين يصدعونها على حين يخرج احلافهم الخونة من خلفه فيجهزون عليه ولكن خاب ما املوا » .

● ● ●

يسير بنا المؤلف بعد انقضاء المؤامرة الى حيث تتطور الحوادث بسرعة حول « صلاح الدين » حين يموت « نور الدين » فى الشام ويتنازع الأمراء دولته . كل يحاول الإستقلال بامارته استخفافا بالملك الجديد الذى كان صبيا فى الحادية عشرة من عمره وامام اختلاف الأمراء المسلمين يطمع الصليبيون فى استرداد ما اخذه منهم الملك الراحل ، ونقرا مع ابى حديد هذا الأمر « فثاروا بالشام ـ اى الفرنجة ـ وذهبوا الى قرب دمشق وكان ابناء نور الدين ووزراؤهم على غير ما عهد الفرنج من ابيهم العظيم » فظن الفرنج الذين اشتركوا فى التآمر على صلاح الدين انهم يستطيعون .. ان يضربوا ضربتهم لتكون قاتلة ، فاجتمعت لهم سفن كثيرة من الشام وصقلية بلغت عدتها نحو ٢٨٢ سفينة وجاءوا الى الاسكندرية ونصبوا المجانيق فى يوليو ١١٧٤ م « ولكن شتان بين مالقيهم به صلاح الدين ، وبين مالقيهم به وزير الملك الصالح بدمشق .. فقد



كان اهل مصر واثقين بقائدهم وحاكمهم ولهذا ابدى اهل الاسكندرية من الشجاعة ما أدهش المهاجمين .. ثم بلغ الأمر صلاح الدين فاسرع بجيش الى الاسكندرية وبالغ فى الاحتياط فارسل جيشا اخر الى دمياط .. وهزم الفرنج وغرقت لهم سفن كثيرة وفشلت حملتهم فشلا تاما » ..

● خيانة

فى تلك الفترة عرف شعب مصر أن صلاح الدين رجل لم يعهدوا مثله ، وكان من الممكن ان يخلد صلاح الدين فى هدوء الى نجاحه فى مصر متمتعا بحب شعبها واخلاصه له ، لكنه لم يكن لينسى دوره الباقى فى الخلاص من الصليبيين فإلى اى مدى يمكن ان يدوم هدوء مصر وهناك اغراب جوارها لا تهدأ مطامعهم ولا يكف عدوانهم

يستجيب صلاح الدين لدعوة دمشق ويعلن انه ذاهب لنصرة الملك الصالح ـ الصبى الصغير ـ وليمنع اعتداءات الأمراء عليه مع اعتداء الفرنج على البلاد .

ويصادف مالا يمكن ان يتصوره من خيانة هؤلاء الأمراء الانتهازيين الملتفين حول الملك الصغير ، إذ يرسلون الى « الفرنج » يطلبون مساعدتهم ضد صلاح الدين !!

بل ويرسلون الى طائفة الباطنية الاسماعيلية لكى يرسلوا ـ كما يقول ابو حديد ـ « فتاكيهم يغتالون الرجل المخيف الذى قد يعجزون هم وحلفاؤهم عن مقاومته صراحة فى ميدان النضال الشريف » .. وكانت هذه العداوة الدنسة التى اظهرها امراء الملك الصالح سببا فى أن يعلن صلاح الدين استقلال مصر ١١٧٥ م عن دولة الملك الصالح ولقبه الخليفة العباسى سلطانا لمصر .. واختار صلاح الدين ان يتفرغ ست سنوات هادئة نوعا ليقيم اصلاحاته فى داخل مصر ويصنها متنقلا بينها وبين الشام التى كانت تستلزم وجوده كلما ناوش الصليبيون جبهتها ، ولكنه لم يخض مع الصليبيين فى تلك الفترة حربا عنيفة اساسية كالتى بدأت بعد ١١٧٧ م .

بعد فترة الهدوء بدأت اول حلقة من سلسلة مواقع صلاح الدين مع الفرنج .

« ولكن صلاح الدين ابتدأ حروبه بانهزام عظيم سنة ١١٧٧ م عند الرملة وكان سببه نقص فى احتراس وتراخ فى النظام عندما كان جيشه يعبر نهرا .. وكانت كسرة الرملة ذات اثر كبير فى نفسه ..

فقد اطمعت نكسته الأعداء فساروا الى « حماه » واغاروا على « حمص » وكان صلاح الدين قد عاد الى مصر ليصلح ما افسدته الهزيمة ثم عاد بعد ذلك الى الشام وكانت عودته فى الوقت المناسب : « لأن الصليبيين كانوا يسيرون بين حلب ودمشق فى جراة لم تعهد منهم منذ نصف قرن » .. ولأن صلاح الدين كان قد تعلم من هزيمته ماكان قد اغفله رجحت كفة قواته منذ عودته الى الشام وهزم اعداءه قرب دمشق بعد عام من هزيمته فى « الرملة » وسقط للفرنج « مخاضة الأحزان » بالقرب من دمشق وكانت هذه هى بداية مواقعه الكبرى ونجاحه فى الاستيلاء على « حصن الكرك » الذى كان احد العقبات التى اعترضته ، إذ

محمد فريد ابو حديد

كان انتصاره يعنى تغلبه على البرنس ، رجنالد دى شاتيون ، اقسى امراء الفرنج واكثرهم غدرا والغريب الذى ينوه به دائما ابو حديد أن صلاح الدين فى اثناء هذه المعارك المصيرية لم يكن خالصا من متاعب بعض جيرانه المسلمين الذين لم يكفوا عن التامر ضده والتحالف مع اعدائه الصليبيين ويذكر الكتاب انه اثناء حروب صلاح الدين فى الشام كانت الاساطيل المصرية فى البحر الابيض والبحر الاحمر تحرز انتصارات باهره على الفرنج . فانتصر ، حسام الدين لؤلؤ ، القائد البحرى المصرى عند ميناء ،ايلة ، على راس خليج العقبة ثم عند ساحل الجوزاء فى شمال الحجاز على جماعة من الفرنج ارسلهم البرنس ، رجنالد دى شاتيون ، ليوقعوا بالمسلمين الذاهبين الى الحج ، ونتيجة لنشاط وبطولة الاسطول المصرى إضطر الصليبيون الى عقد هدنة مع صلاح الدين لمدة اربع سنوات .

فى كتابه هذا الشيق الذى يمتزج فيه الأدب مع البحث فى تامل جياش للتاريخ يطرح ، محمد فريد ابو حديد ، سؤالا . لعله راود الكثير ممن كانوا فى عصر صلاح الدين . فيقول وهو يعطى مع تساؤله الاجابة . . هل كان صلاح الدين ليقنع بدولة .. ويرجع الى مصر ليضع اساس ملك ثابت الأركان ؟ أم كان لابد له من الاستمرار فى الحرب الى نهايتها ؟

لا حاجة بنا لأن نقف طويلا مترددين عند هذا السؤال فقد كان صلاح الدين وارث دولة نور الدين وكان عليه عبء الإستمرار فى جهاده مع الفرنج وما كان ليقدر أن يتنحى وادعا مسالما ولايزال الخلاف بين الشرق والغرب على اشد مايكون ولم تخب ثائرته . ولو انه استطاع ذلك وقعد عن الحرب لاضطر الى الدفاع عن دولته بعد قليل لان الفرنج كانوا اذا شعروا بهدوء فى هجوم المسلمين قاموا الى تحقيق حلمهم القديم وهو تكوين دولة صليبية عظيمة فى احشاء الشرق الادنى .. إذن فقد كان من الطبيعى لرجل يرى نفسه حارسا على امانه ، اكثر منه سلطانا على بلاد ، أن يجمع قوته الهائلة ، فى توحيد ارض الشرق الاسلامى ويستعد ليقذف بها الصليبيين فيرهبهم الى ما وراء البحر الذى اتوا منه ، وكان الصليبيون من جانبهم حانقين على تلك القوة العظيمة التى بناها صلاح الدين فى مواجهتهم - واصبح الصراع واضحا : لم يعد الأمر ارساء دولة صليبية فى الشرق الاسلامى فقط بل لابد كذلك من تصديع قوة صلاح الدين والاطاحة به شخصيا كرمز لكل هذه النهضة الاسلامية الجديدة . لذلك لم يكن غريبا ان يسرع الصليبيون بخرق الهدنة قبل موعد انتهائها بعام ، فهاجموا قافلة كانت بها ابنة صلاح الدين مما ادى الى نشوب الحرب الكبرى بينهم وبين صلاح الدين ، تلك

الحرب التى بدأت ١١٨٧ واستمرت ست سنوات متصلة وانتهت بانتصار صلاح الدين الايوبى وجيشه . الذى كان قوامه من المصريين . بعد أن سلم الفرنجة بكل شروطه عند توقيع صلح الرملة فى سبتمبر ١١٩٢ - (الا يجدر بنا الاحتفال بهذه الذكرى عام ١٩٩٢) - ويفرد ابو حديد فى كتابه تفاصيل خطة موقعة « حطين » الشهيرة التى كانت اعظم انتصارات صلاح الدين والتى قيل فيها : « وكان من يرى الاسرى لكثرتهم لايظن هناك قتلى فاذا رأى القتلى حسب انه لم يكن هناك اسرى ! » .

● استعادة بيت المقدس

بعد « حطين » اندفع تيار النصر امام صلاح الدين فكسب « عكا » و « يافا » وسار الى قلب فلسطين واستعاد للاسلام كل ما كان بين « بيت المقدس » والساحل مستهدفا استرداد « بيت المقدس » الشريف من ايدى الصليبيين الذين اغتصبوه قرابة قرن كامل ! واستماتت جموع الصليبيين للاحتفاظ بالقدس غير انهم لم يستطيعوا الصمود امام حصار صلاح الدين اكثر من اسبوع وارسلوا له بشروط التسليم فتردد صلاح الدين لياخذ المدينة عنوة ليثار من الفرنج نظير ما فعلوه بالمسلمين يوم دخلوا القدس غزاة مغتصبين ، ولكن غلبت عليه اصالته الاسلامية وقبل الصلح واظهر من التسامح والكرم عند تسلمه المدينة المقدسة مالم يحفظه الصليبية عند اخذهم « عكا » بعد ذلك . فقد تسامح صلاح الدين فى تنفيذ الغرامة على نساء الفرنج وشيوخهم واطفالهم حتى انه اطلق لملكة بيت المقدس الصليبية مالها وحشمها واكرم رجال الدين من القساوسة فخرج كبيرهم مع امواله وتحف الكنائس وكنوز ذات قيمة عظيمة ، وارسل معهم من يوصلهم ويحميهم حتى مدينة « صور » ! وكان هذا تماما نقيضا لما فعله الصليبيون عند غزو بيت المقدس ونقيضا لما قاموا به بعد ذلك باربع سنوات عندما قتلوا الاسرى المسلمين ، وخرقوا معاهدة تسليمهم مدينة « عكا » !



رحلة الأنوال عبر الزمان

نجوى صالح

خيوط متشابكة في الأنوال ، تصنع النسيج ، طوله طول الزمن ، ليربط الماضي بالحاضر .. والحاضر بالمستقبل ، تتشابك الخيوط وتتغير .. الأطوال والعروض والزخارف ، هي وحدة النسيج ، ومنها يتخلق الزى ، فهى وحدة واحدة ، مرت عبر العصور المختلفة ، تعكس بصدق عصور الانهيار الاقتصادى والسياسى كما تعكس فترات الازدهار والتقدم والترف ، الذى يتأكد فى الأزياء حين تظهر فى قمة جمالها .. وسطوتها .

المنطقة العربية من أكثر المناطق حيوية من حيث تطور الأزياء فهى تموج بالحيوية والتنوع .. والأصالة والجمال حتى فى عصور التدهور الاجتماعى والسياسى .

ونجد تلك الأصالة والحس التشكيلى الواعى فى العصر القبطى . والتى تتمشى مع تلك الفترة من اضطهاد الأباطرة الرومان للمسيحية فى مصر .

والزى القبطى من الأزياء التى تأثرت بالبيئة والظروف النفسية والروحية والاجتماعية .

فقد بدأ فى شكل قميص بدائى ذى ألوان قاتمة ، وبعد انتشار المسيحية انتشرت شارة الصليب على الأقمشة والحلى الذهبية ، كما كثر استخدام مفتاح « عنخ » علامة الحياة عند الفراعنة وهو صليب ذو عروة ، ثم تطور بشكل قاطع إلى الصليب الدارج .

وقد ازدهر فى تلك الفترة نسيج الصوف فى مصر العليا .. والكتان فى الأسكندرية ويسمى نسيج « القباطى » ويعرف الآن « بالتابيسرى » ويصنع فى فرنسا .

وقد تغير شكل القميص منذ عصر الاضطهاد المسيحى من الشكل البدائى



زى من العصر العباسى وقد بلغ اوج عظمته فى مدينة بغداد وسامراء .

الخشن ، وأخذ إتساعا ، وطولا ، ثم ارتدى النساء والرجال « الكلبيوم » فوق القميص ، وهو ثوب واسع واكمامه حتى المرفق ، أما «البالا» فقد كانت النساء يتشحن بها فوق الكلبيوم ، وقد كانت هذه الملابس تتسم بالأبهة والعظمة حيث تميزت بالالوان الزاهية ، فعادة كان القميص من اللون البنفسجي المحلى بأشرطة سوداء مزخرفة برسوم الصليب أو عناقيد من العنب ثم « الكلبيوم » من اللون الاحمر ويزينه نفس الشريط الأسود ، أما بالنسبة للحلى فكانت المراة تفضل الأقراط من عناقيد العنب أو الهلال ، والأساور بعدة أدوار تزين بها أعلى الذراع وفى الحداد كانت النساء ترتدى اللون الاسود وهى عادة فرعونية ولاتتزين طوال فترة الحداد .

● من التقشف إلى الترف

وفى العصر الاسلامى فى زمن « رسول الله صلى الله عليه وسلم » نجد الزى يتغير بالبساطة فى التصميم واستخدام الألوان الطبيعية سواء فى القطن أو الصوف مثل البيج ، والبنى والاسود ، وهى الوان تتمشى مع طبيعة المناخ الصحراوى .

وأيضا فى عصر الخلفاء الراشدين .. ظل الزى على بساطته وكان زى النساء عبارة عن جلباب أو قميص طويل حتى الارض ويزم بحزام ، ثم غطاء فوق الرأس تتدلى منه طرحة تغطى المراة بها وجهها حتى العينين .. أما الرجل فكان يرتدى قميصا من اللون الأبيض مع عباءة مقلمة أو سادة من الوان الصوف الطبيعية .. وقد كانت الأزياء فى مجملها تميل إلى البساطة نظرا للتركيز على الجهاد فى سبيل الله .. فأتى الزى مناسبا لتلك المرحلة معبرا عنها .

ولقد ظل الفن الاسلامى متبعا لثقافة أوروبا لعدة قرون من الزمان ومن هذه الدول المصدرة للفن والمعرفة مصر ، وصقلية ، والهند ، والصين وغيرها .

ولقد اهتم القائمون على الحكم الاسلامى فى البلدان المختلفة بإنماء الفن وإعطائه هوية خاصة بإدخال الخط العربى كعنصر جمالى فى العمل الفنى حيث جاء مساويا لاهتمامهم بدقة الرسوم « الارابيسك » الزخرفية الموجودة فى نفس العمل ، سواء فى بناء « جامع » أو قصر من القصور ، أو فوق آنية صغيرة ، أو قطعة من النسيج .

وقد انتشر الفن الاسلامى حتى غزا ألمانيا وفرنسا وانجلترا ، وكانت أفخر ملابس ملوكهم محلاة بالآيات القرآنية من صنع مصر وصقلية والشام تحت الحكم الأموى ومنبعه مدينة « دمشق » وقد كانت عاصمة للعالم الاسلامى فى ذلك الوقت ، وكانت السيادة فى هذا العصر تنتسب إلى الفنانين السوريين ، حيث انتشر الأسلوب الأموى الناعم الرقيق فى أشغال الصدف والفسيفساء .. والحرير الدمشقى المسمى « بالدماسيه » ، وهو نوع من الحرير المزخرف بدقة بخيوط فضية وذهبية وقد ظل هذا القماش يستورد من دمشق عبر العصور الاسلامية المختلفة لعمل أزياء النساء والرجال على السواء .

● الطراز العباسي

بعد ذلك إنتقلت الخلافة إلى الدولة العباسية وكانت عاصمة الخلافة هي بغداد . فاتخذ الفن الإسلامي اتجاها جديدا حيث قام الطراز العباسي ، وبلغ أوج عظمته في مدينتي بغداد وسامراء

وكان من أزهى الفترات خلال حكم الدولة العباسية تلك الفترة التي تولى فيها العرش الخليفة هارون الرشيد .

ويحدثنا المؤرخون عن حياة الترف في هذا العصر حيث كانت تقام الحفلات في المناسبات المختلفة مع إقتناء الجواري والمغنيات والمشرفات على الخدمة ، وقد كن يتزين بأفخر الأزياء والحلي .

وتأثرت الملابس في العصر العباسي بالملابس الفارسية ، كما لبس الخلفاء العباسيون القلانس الطويلة بالاضافة الى أغطية الرأس السوداء المخروطية .

وكانت الملابس محلاة بالذهب .

ولبست المرأة في العصر العباسي الملاءة الفضفاضة ، ولبست أيضا القميص وكان مشقوقا عند الرقبة وكانت ترتدي فوق القميص رداء قصيرا .

وعند الخروج من بيتها كانت ترتدي الملاءة الطويلة التي تغطي جسمها وتلف رأسها بمنديل يربط حول الرقبة .

أما سيدات الطبقة الراقية فقد اتخذن غطاء للرأس يسمى « البرنس » وكان مرصعا بالجواهر ومحلى بسلسلة ذهبية مطعمة بالأحجار الكريمة ، أما نساء الطبقة الوسطى فكن يزين رءوسهن بحلية من الذهب يلففن حولها عصبية منظمة من اللؤلؤ والزمرد

وكان من المعتاد عند النساء كتابة الأشعار الرقيقة وتطريزها على الأقمشة والعصائب والزنانير .. والمناديل والوسائد والجوارب وكذلك على النعال والخفاف .

وكان السروال من الملابس الرئيسية في ذلك العصر مع خلاخيل للقدم تسمى « الحجل » أو « الملوى » .

● الأزياء في العصر الفاطمي

كان الفاطميون يناظرون العباسيين في أسباب الحضارة ، وكان التمدن الاسلامي قد نضج ، وفاق الفاطميون الدولة العباسية في البذخ والترف ، لاسيما في الرياش والثياب . فإن العباسيين رصعوا عصائب نسائهم وخفافهن ، لكن الفاطميين رصعوا آنية المطبخ بالجواهر ، واتخذوا كوز الزير من بللوز مرصع بالجواهر وكللوا المزيرة بحب اللؤلؤ ، وتأنقوا في المصنوعات .. وقد بدأ ظهور الحزام المرصع بالجوهر ، ويضم فوق الثوب بعقدة وينسدل من الامام

وظلت محتفظة بالسروال تحت الثوب .

● العصر الأيوبي وعصر المماليك

وجاء حكم صلاح الدين الأيوبي ، ونظرا للحروب الصليبية التي اجتاحت عصر الأيوبيين ، كان الاهتمام الأول التركيز على الحرب وملابسها ، واختفى في أزياء النساء البذخ الجنوني الذي كان في عصر الفاطميين .

واكثر الأمراء الأيوبيون من إقتناء الأرقاء البيض ، الذين عرفهم التاريخ باسم المماليك ، وكانت مماليك الصالح أيوب من التركمان ويميز كلا منهم علامات خاصة توضع على ملابسهم أو أسلحتهم فكان بعضها يمثل الورد ، وبعضها يمثل أشكال الطيور



رباط الرأس والزنار ... وهي قطعة من القماش مطرزة تلبس فوق السروال أو الجونلة «العصر المملوكي».



زي من العصر المملوكي يتسم بغنى في اللون والتطرير ، مع رباط رأس يسمى بالترنس



تطور الأزياء

واعتنى المماليك رجالا ونساء بالتأنق فى الملبس ، وكانت ملابسهم الداخلية تتكون من « التبان » وهو لستر العورة ، ويلبس فوقه السروال ، وهذا قد يصل إلى أسفل الركبة ، أو إلى نصف الساق ، وقد صنع من اقمشة الصوف او القطن ، او القنب .. واستعملت « التكة » فى العصر المملوكى لربط السراويل ، وتعتبر التكة جزءا مكملا للسروال وقد استخدم التكة الرجال والنساء على السواء وهى غالبا ماتختفى تحت القميص الذى يرتديه الرجال والنساء .

● المهلهل والمسلسل

وقد لبست المرأة المملوكية ضروبا مختلفة ـ من الثياب فى قيمتها وألوانها مما اخرجته مناسج اليمن وعمان والبحرين والشام والعراق وفارس وسواحل الهند ، ومنها ما رق نسجه ورق خيطه ، وذلك ماتسميه بالمهلهل والمسلسل والهفهاف . أما ماكثفت خيوطه وضعفت حواشيه . فذلك ماتدعوه بالصفيق ، الشبيع ، والحصيف ومنها مالم يخالط لونه لون آخر . مثل الأبيض ، والاسود ، والاحمر ، والاصفر . والاخضر ، والمدمى . وهو ذو الحمرة القانية ـ والمشرق « الروز أو البمبى » وما اجتمع فيه اللونان « المشرب » والمخطط والمسهم ، وهو شابهت خطوطه السهم والمفرق ، النميق ، أو المنمق . ـ وهو المنقوش ـ والموشى وهو ما اجتمع عليه الزخرف . والمصلب ، والمذهب ،

اما بالنسبة للملابس فيوجد الشعار ، وهو مايلى جسدها فالصدار والمجول وهما قميصان قصيران متقاربان ثم السروال والتكة .

واما دثارها ـ وهو مايلى الشعار ـ فالدرع وهو جلباب شامل يحيط بدثارها ، ثم النطاق وهو عبارة عن ثوب تشده المرأة بواسطة أزرار وترخى نصفه الأسفل فوق السروال ثم الحزام ثم الغفارة !. جمع غفائر وهو المعطف . والقباء : وهو قفطان ، وقد وصف المقريزى الأقبية فى عصر المماليك بأنها إما بيض أو مشهرة احمر وأزرق وهى ضيقة الاكمام .

قبع : وهى غطاء للرأس يشبه الطاقية ويصنع من الحرير وكان يوضع تحت القلنسوة التى تلف حول العمامة .

والقرقل : قميص للنساء او الثوب الذى لا اكمام له . والقرقل كذلك سلاح يشبه الدرع يتخذ من صفائح الحديد ويغشى بالديباج الاحمر والاصفر .

قلنسوة : وجمعها قلانس وكلوته : غطاء راس يلبس وحده او بعجامه وتسمى كلفتاه .

كمر : وجمعه كمرات معناها حزام مفرغ من وسطه لوضع النقود والاشياء الثمينة .. وكان هذا الكمر او الحزام بما انه يرتكز اسفل الوسط فقد كان يساعد الجوارى والمحظيات على إظهار حركة الرقص فى ذلك الزمان .

● العصر العثمانى .. والحبرة

وجاء العصر العثمانى .. ولقد إهتم العثمانيون بصناعة النسيج واستخدموا زهرة القرنفل وشجرة السرو وزهرة اللالاة .. والرمان فى زخارف النسيج مع الرسوم الحيوانية والادمية .. ثم الزخارف الكتابية

وتعددت ملابس النساء فى العصر

العثمانى ، منها الجبة وكانت من الملابس الرئيسية عند المرأة ، وكانت من الجوخ والمخمل ، وذلك تشبها بوقار رجال الدين ، وكانت موشاة بالذهب وطولها يلامس الأرض .

الحبرة : وهى برد موشى ، وذكر الحبرة كثير من المؤرخين والرحالة ، ففى رحلة « لويتمان » فى تركيا وسوريا ومصر يقول « ان النساء يرتدين رداء أسود واسعا يغطى تقريبا كل الجسم ويتدلى حتى العقبين » ويذكر « دورنى » أن الميسورات الحال سواء كن مسلمات أو مسيحيات - يستترن لدى خروجهن من مساكنهن برداء واسع من الحرير الأسود .

السبلة : نوع آخر من الملابس ارتدته المرأة فى هذا العصر وهو ثوب متسع هفهاف يطرح فوق ملابسها ويمكنها المكوث به فى المنزل إذا كان شفافا .. والخروج به إذا كان من الديباج وهو عادة من اللون القرنفلى .

● السروال دائما

أما السروال فكان من مميزات ملابس المرأة خلال العصور الإسلامية كلها ، ومنها العصر العثمانى والذى يفحص المخطوطات العثمانية يرى أن زى المرأة فى ذلك العصر لم يكن خاليا من السروال ، ولم يكن السروال من الملابس العربية بل استجلب من فارس منذ فجر الإسلام ، والسروال يشبه البنطلون فى وقتنا المعاصر .

ومن أكثر البلاد التى احتفظت بالسروال تونس والمرأة التونسية ترتديه ضمن أزيائها الأساسية فى الاعراس .. وفى خروجها اليومى .. ثم أنها احتفظت بالحبرة فى أزيائها الشعبية .. وهى عبارة عن قطعة من القماش المقلم وتسمى فوطة دمياطى ، وهى طبق الأصل ، الفوطة الدمياطى المصرية !

● والباقى .. هو الحزام

أما الحزام فى العصر العثمانى فكانت له مكانة كبيرة جدا بين ملابس النساء ويكاد لايخلو أى ملبس منه . وتشير كلمة حزام إلى الزنار الذى تشده النساء فوق الرداء .

وقد صنعت الأحزمة من الديباج والدمقس المطرز بخيوط الحرير والأحجار الكريمة والآلىء وقد يصل الحزام إلى أسفل الساق .

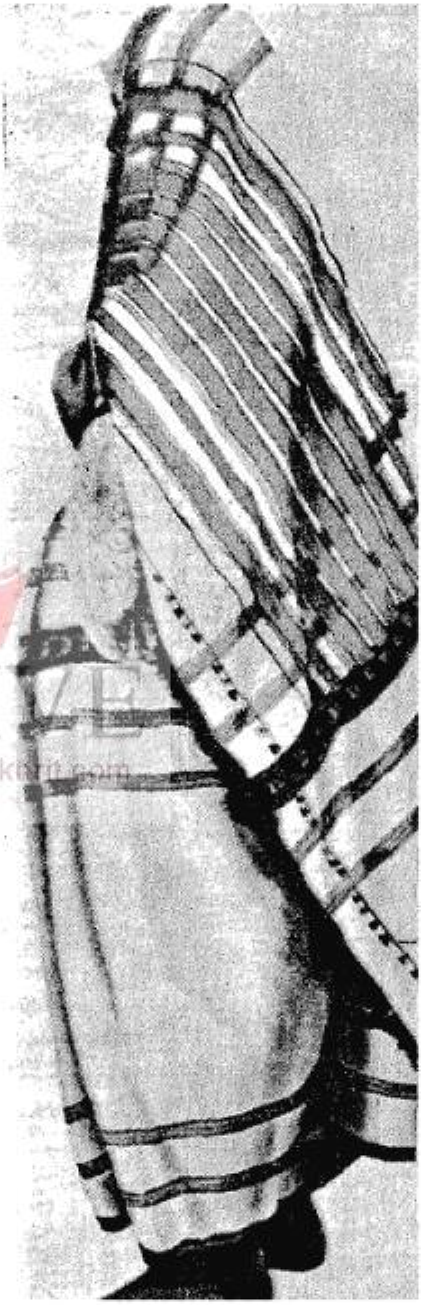
التزبيدة : هى عبارة عن ملابس الخروج مكتملة ، وكانت ترتديها النساء الكبيرات فى السن والمقام وهى عبارة عن القميص والسروال والسبلة ، والبلك ، والجبة ثم الحبرة !!

تطور الحلى فى العصر العثمانى وأصبح أكثر إتقانا ورقة ، وكثرت الآيات القرآنية والمصاحف المرصعة بالماس ، ومشابك الشعر .. والتيجان وزجاجات العطور المرصعة « بتلبيسة » من الذهب والجواهر . وقد زينت المرأة ملابسها بالعملات الذهبية والفضية .

● حتى سنة ١٩١٩

إستمرت النساء فى إرتداء الحبرة وإن تغيرت الملابس التى تحتها فقد اختفى السروال .. وظهر الفستان أكثر بساطة مع الاحتفاظ الدائم بالحزام .. ودار الزمن

هذا الزى يستخدم فى المغرب إلى يومنا هذا ، وقد اقتبس منذ الحكم العربى فى اسبانيا ونزح الى المغرب .



زى آخر نزح من مصر الى المغرب وتسمى (باللوطة الدمياطية) . وهو مستمر الى يومنا هذا فى صحراء المغرب .





رباط الرأس ، استخدم على رءوس النساء بأشكال شتى منذ بدأ الخليقة حتى يومنا هذا

دورته .. وانتهى الاشعاع الفنى والثقافى فى الدول العربية وإنتقل إلى الغرب ، بعد أن أخذ عنا ما كان الاساس فى ثقافته وعلومه وبدأ يصدر لنا نوعا جديدا من الثقافة ، وعلى أثره خلعت هدى شعراوى الحجاب ونادت المرأة بحقوقها فى جميع البلاد العربية ، وبدأت تظهر فى بعض البلاد العربية من ضمنها مصر بالملابس الافرنجية ولكنها احتفظت بشيئين ، بالحزام ، والبنطلون ، وهو مابقى من قطع الملابس القديمة ، اما بالنسبة للمرأة فى البلاد العربية فقد إحتفظت بالحبرة إلى يومنا هذا ، ماعدا المرأة التى نسجت على منوال التطور الاوربى والأمريكى .

شعر: جليلة رضا

عذوبة الأشياء المحطمة



لا . لا تقل إني خدعتك إذ طويتك من حياتي
أنا لم أحبك إنما أحببت أضداد الصفات
إني عشقتك صاخب الإحساس ثر العاطفات
وغرقت في دوامة الأوهام .. لم أشعر بذاتي

أحببت قلبا هادىء الأنفاس لم يزأر بآنه
وهويت نجما خلته سيصد عن عيني التُخُنَة
وعبرت صحراء الحياة لأجتلي أشواق جنه
واتخذت إذنا من همومي بربه .. وعلقت فتنة

أحببت ثغرا ساحر القبلات ، مسكي الشفاه
وسبحت في حمى الرغاب وفي تلافيف الحياه
ورقصت حول النار كالزنجي حافية خطاه
وفرشت قلبا مشمئنا تحت أقدام الإله ..

حتى إذا صافت غيرك خلتني كالمستفيق
ورأيت ريح الليل تصحبه والشوك الطريق
ولمحت في عينيه كنز الحزن فرسان البريق
وعذوبة الشيء المحطم تغمر القلب الرقيق

أحسست أنا توأمان على المدى لا نختلف
هو كاتب لم يجن ذنبا في الثرى .. لم يقترف
هو حالم رغم التيقظ ، مرتو .. لم يرتشف
هو خالق حتى يموت .. وراكض .. حتى يقف ..

حتى إذا لمست يدي تحت الجوانح النجمه
وحضرت عُرس خياله وسط الليالي الملهمة
ورأيت أن مشاعر الأنثى لديه مُحرَّمه
ألفيت أحيا مثله .. محرومة .. ومحطمة ..


الفنانون اليهود
من الاندماج الى الهجرة
بقلم: عرفة عبده علي

□ الباحث فى تاريخ المصريين اليهود خلال القرن العشرين ، لابد وان يقف عند ظاهرة تحتاج إلى شىء من الإيضاح والتفسير الدقيق ، ظاهرة الاندماج اليهودى » فى المجتمع المصرى ، على عكس ما يروج له الكتاب والباحثون الاسرائيليون الذين يحاولون التقليل من قيمة هذا الاندماج والنشاط ، بان اليهود فى مصر كانوا يشعرون بالغربة ويعيشون بمعزل عن المجتمع الذى يحيط بهم ، بل وينفرون من التعبير باللغة العربية !

راقية ابراهيم كوكب الربيع فى عام ١٩٥٣

كاميليا صورت اللقطة فى ٨ فبراير ١٩٤٩ .. ظهرت على غلاف العدد الاول من



الفنانون اليهود
من الاندماج إلى الهجرة

ففى الوقت الذى لاقى فيه الاوربيون اليهود كثيرا من العنت والاضطهاد، نجد أنهم كعرب يهود عاشوا فى مصر وغيرها من المجتمعات العربية - عصرا ذهبيا - حيث مارست العشرات من العائلات اليهودية البارزة نشاطا ملحوظا فى مجالات متعددة للاقتصاد المصرى، منها على سبيل المثال: عائلات «قطاوى»، «موصيرى»، «سوارس»، «منشه»، «شيكوريل»، «جرين»، «ليفى» و«رولو» ... وغيرها من العائلات التى لعبت دورا بارزا فى الاوضاع المادية والاجتماعية والسياسية والدينية والثقافية لابناء «الطائفة الإسرائيلية». كما كانوا يطلقون على انفسهم! وفى جو من الحرية التامة الى جانب رعاية السلطات الحاكمة لهم، بشكل ربما يفوق رعايتها لغيرها من الطوائف.

وبالرغم من ذلك، نجد أن معظم المصريين اليهود الذين نعموا بخيرات مصر، قد ايدوا الحركة الصهيونية وقاموا بدعمها بشتى الوسائل!

وقد امتد النشاط الثقافى للمصريين اليهود فى تاريخ مصر الحديث، متجاوزا مجالات الأدب والصحافة، إلى مجالات الفنون. خاصة السينما والمسرح والموسيقى..

وسيكتشف الباحث المدقق أن كثيرا من الشخصيات المصرية اليهودية قد ساهمت فى هذه المجالات تحت، أسماء فنية، مع ملاحظة ان هذه الأسماء لم تشغل فراغا يذكر، فى الحياة الفنية المصرية كما اشار بذلك «موريس شماس» الكاتب والصحفى والمخرج المسرحى الاسرائيلى. بالرغم من ان فنانا مسرحيا نابغا قد خرج من بين المصريين اليهود، هو «يعقوب صنوع» الشهير بابى نضاره، الذى يعتبره النقاد - واضع أسس المسرح فى مصر - واحد رواد فن "الكاريكاتير" السياسى فى الصحافة المصرية. واحد المناضلين بالكلمة الساخرة ضد الاحتلال البريطانى والأسرة الخديوية.

● عالم السينما والشهرة

ففى عالم الغناء بزغ نجم الفنانة المطربة ليلى مراد التى اشهرت إسلامها وهى فى ذروة عطائها، وكان ذلك بالتحديد فى عام ١٩٤٦، ثم أسلم شقيقها "موريس" الشهير بمنير مراد عندما اقترن بالفنانة سهير البابلى، وقد ظل على ديانته اليهودية حتى آخر يوم فى حياته، كما ثبت من اوراقه الرسمية، واقترنت الفنانة ليلى مراد بالفنان "انور وجدى".. وبعد وفاته تزوجت بالمخرج السينمائى "فطين عبد الوهاب" وانجبت ابنها "زكى" ثم تزوجت بـ "وجيه اباظة" وكان والدها "زكى مراد" من نجوم الطرب والتلحين وتلميذا للفنان المصرى اليهودى "داود حسنى". وكان مقيما فى ٢٦ ش الملك، انجب بالاضافة إلى ليلى وموريس، ملك وسميحة وابراهيم،


منير مراد


نجمة ابراهيم

وهؤلاء ظلوا على ديانتهم الأصلية .. ومازالت اغانى وافلام ليلى مراد وشقيقها منير مراد تحظى بالاستماع والاعجاب حتى يومنا هذا .

هناك ايضا ، نجمة الشاشة المعروفة "راقية ابراهيم" واسمها الحقيقى "راشيل ابراهام ليفى" ، والتى لعبت ادوار البطولة فى عدد من الافلام فى الاربعينيات والخمسينيات امام نخبة من أشهر نجوم السينما المصرية ، منها : فيلم "رصاصة فى القلب" امام الفنان محمد عبد الوهاب ، وفيلم : "اجنحة الصحراء" امام الفنان احمد سالم : وفيلم "زينب" بعد إعادة تصويره ناطقا عام ١٩٥٤ ، امام الفنان يحيى شاهين .

وكانت راقية ابراهيم قد بدات حياتها - حائكة للملابس - إلا انها اغرمت بفن التمثيل ، فالتحقت بالفرقة القومية ، وصعد نجمها كبطلة لمسرحية "سر المنتحرة" لتوفيق الحكيم ، عام ١٩٣٨ ، تزوجت بمهندس الصوت مصطفى والى ، وغادرت مصر فى عام ١٩٥٦ ، الى الولايات المتحدة ، وتعمل حاليا بقسم الاتصال والاعلام الخاص بالوفد الاسرائيلى فى هيئة الأمم المتحدة ، وقد زارت إسرائيل اكثر من مرة فى السنوات الأخيرة .

وعندما نقلب صفحات الذاكرة ، يطالعنا وجه الفنانة القديرة "نجمة ابراهيم" وهو إسمها الحقيقى ، التى برعت فى تجسيد ادوار المرأة الشريرة ، بملامحها الصارمة ونظراتها التى تثير الرعب . وصوتها القاطع الحاد ، مما جعلها تتبوأ ذروة الأداء الفنى فى فيلمى : « اليتيمتان » و« ريا وسكينة » ... ولدت فى عام ١٩٠٦ ، التحقت بالفرقة القومية منذ بدايتها عام ١٩٣٥ ، وعملت مع عمالقة المسرح جورج ابيض وعزيز عيد وفاطمة

الفنانون اليهود
من الاندماج إلى الهجرة

رشدى ، كما عملت ايضا بفرقة الريحانى ، تزوجت بالفنان "عباس يونس" الذى كان ممثلا وصاحبا لفرقة مسرحية فى الخمسينيات ، توفيت عام ١٩٦٨ .

وقد اختلط الأمر على "موريس شمـاس » فى محاضرته بالمركز الاكاديمى الاسرائيلى بالقاهرة - يونيو ١٩٨٨ - عندما ذكر ان الفنانة نجمة ابراهيم اسمها الحقيقى "سرينا ابراهيم يوسف" والصحيح أن هذا هو اسم شقيقتها ، التى قامت ببعض الأدوار الثانوية على المسرح ، ولم يكن لها حظ نجمة ابراهيم من الشهرة ،

ليفى مراد .. ابريل ١٩٥٣



وقد ولدت "سرينا" بالقاهرة عام ١٩٠٤ ، واقترنت بالثرى اليهودى "سالم مزراحى" وغادرت الاسكندرية فى ٤ نوفمبر عام ١٩٥٤ .

كذلك لمع الفنان الكوميدى "الياس مؤدب" الذى شارك فى العشرات من الافلام امام أشهر نجوم الكوميديا ، وعلى راسهم الفنان اسماعيل ياسين . وكان يسكن بشارع "سوق الفراخ" بحارة اليهود ، فى الفترة التى عمل فيها بأحد محال ـ تصليح الساعات ـ بشارع عبد العزيز امام "عمر افندى" ثم عمل منولوجست فى الافراح الخاصة ، واشتهر بتقليد ـ اللهجة الشامية ـ التى كانت مفتاحه فى ولوج عالم السينما والشهرة ، وكان من البراعة بحيث رسخ فى أذهان الكثيرين ـ إلى يومنا هذا ـ أنه لابد وأن يكون من أصل لبنانى او سورى !! ويجدر بالذكر أنه غادر مصر عام ١٩٥٦ ، وعاجلته المنية فى إسرائيل عام ١٩٥٩ .

وفى مجال الفن المسرحى ، برع العديد من الممثلات اليهوديات ، يأتى على رأسهن النجمة "نجوى سالم" واسمها الحقيقى "نينات سلام" التى لمعت فى فرقة الريحانى ، وامتد نشاطها الى العديد من الفرق المسرحية ، واقترنت لفترة بالناقد الصحفى "عبد الفتاح البارودى" وكان الرئيس الراحل أنور السادات قد منحها شهادة تقدير ومعاشا استثنائيا مدى الحياة ، وتوفيت عام ١٩٨٨ .

هناك أيضا "اميلى ديان" التى شاركت فى فرقة سلامة حجازى و"استر شطاح" و"فيكتوريا كوهين" اللتان برزتا فى فرقة يوسف وهبى "مسرح رمسيس" وفرقة جورج ابيض ، ولها عمل مسرحى شاركت به مع الفنان فؤاد المهندس والفنانة شويكار فى المسرحية الشهيرة "انا وهو وهى" عام ١٩٦٤ ثم فى مسرحية "سيدتى الجميلة" وتوفيت بالقاهرة .

نجوى سالم



داود حسنى



● صناعة السينما ●

وفى مجال صناعة السينما برز اسم

الفنانون اليهود
من الاندماج .. إلى الهجرة

"توجومزراحى" كواحد من رواد هذا الفن ، وادخل التجارة على السينما ، بمعاونة شركة "جوزى فيلم" التى كانت تمتلك وتدير عشر دور للسينما فى القاهرة والاسكندرية وبورسعيد والسويس ، وكانت نظرة توجو مزراحى فى امتلاك وادارة بعض دور السينما ، تتلخص فى ان هذا المجال هو الاكثر ضمانا للربح ، مرددا عبارته الشهيرة انه "مامن احد يستطيع ان يدخل السينما مجانا" .. !

وقد لايعرف الكثيرون ان توجو مزراحى قد زاول فن التمثيل فى افلام من إنتاجه واخراجه ، تحت اسم "احمد مشرقى" ! منها فيلم "الكوكايين" عام ١٩٣٠ وفيلم "خمسة الاف وواحد" عام ١٩٣٢ ، بالاشتراك مع عدد من الممثلين اليهود المغمورين ، مثل فنان يدعى "شالوم" وفتاة يهودية عملت معه باسم مستعار "حنان رفعت" !

ويجدر بالذكر ان توجو قد انتج واخرج عددا من افلام على الكسار وفؤاد الجزايرلى وغيرهم ، كما انتج فيلم "ليلة ممطرة" الذى كان فاتحة خير للفنان يوسف وهبى ـ بعد ان اشهر افلاسه ـ وكان ايضا اول فيلم لبس من إنتاج وإخراج وقصة وبطولة وموسيقى يوسف وهبى !

وآخر فيلم انتجه توجو كان فيلم "سلامة" عام ١٩٤٧ ، والذى عرض فى موسم امتحانات ، فتكبد خسائر فادحة ، انعكست على اتفاقه مع الموزع العراقى ـ اسماعيل شريف ـ صاحب دور سينما "الحمرا" فى بغداد والبصرة والموصل ، الذى حقق ارباحا بلغت مئات الآلاف من الدينارات فى الاسابيع الأولى ، وهو الذى اشترى حق عرض الفيلم ـ بعد مضض ـ بثمن بخس ! فاصابت توجو لوثة اودت به إلى مستشفى "بهمان" ! وغادر مصر عام ١٩٥٦ ، وتوفى فى روما عام ١٩٨٧ .

وفى مجال انتاج وتوزيع افلام السينما ، برزت بنشاطها شركة "جوزى فيلم" التى اسسها "جوزيف ـ موصيرى" عام ١٩١٥ ، التى شيدت ستوديو للانتاج السينمائى ، كما كانت تحتكر استيراد وبيع الافلام الخام ، وكان مقرها فى ١٤ ش الانتكخانة المصرية (محمود بسيونى حاليا) . واسس "إدجار موصيرى" شركة لتوزيع الافلام . وكان مقرها ١ ش الشريفين . كذلك اسس وادار "إدوارد ليفى" شركة انتاج وتوزيع الافلام السينمائية ، وكان مقرها فى ٥ ش المتحف بالاسكندرية . وتجدر الاشارة بان نحو ٩٠٪ من دور السينما فى مصر ـ آنذاك ـ كان يمتلكها اثرياء يهود !

ومن الغريب أن يشاع بان نجمة السينما فى الاربعينيات "كاميليا" كانت ـ يهودية ـ حتى رسخ فى الأذهان ذلك الاعتقاد الخاطىء لدى العامة ، بل ولدى بعض الكتاب والباحثين ، كان آخرهم د . نبيل عبد الحميد فى محاضرته عن يهود مصر فى الفترة ١٩٤٨ ـ ١٩٥٦ بالجمعية التاريخية

لمصرية . فى يوم ٢٦ يناير ١٩٩٠ ، وقد ردد هذه الشائعة وروج لها الكاتب لصحفى "مصطفى امين" وآخرون ، ما أكد لى الناقد الفنى "حسن إمام عمر" الذى شهد قداس جنازتها باحدى الكنائس يوم سقطت بها الطائرة ! وكان ذلك عام ١٩٤٩ .

والثابت أن والدتها – مسيحية – من اصل إيطالى ، كانت تمتلك "بنسيون" بالاسكندرية ، عشقها تاجر اقطان – مسيحى – إيطالى ، فحملت منه سفاحا ، وحدث ان خسر ذلك التاجر الايطالى كل مايملك فى بورصة القطن ، فغادر الاسكندرية هاربا إلى روما ولم يعد مرة اخرى ، وعندما وضعتها امها ، نسبت فى شهادة ميلادها إلى يهودى يسكن فى ذلك البنسيون ، وسميت "ليليان ليفى كوهين" !!

وفى عالم الموسيقى ، أنجب المصريون اليهود ، علما من اعلام التلحين ورائدا من رواد النغم ، هو الموسيقار "داود حسنى" واسمه الحقيقى "دافيد حاييم ليفى" .. الذى ى الموسيقى المصرية بغزارة عطائه الفنى على مدار خمسين عاما ، واستوحى من البيئة الشعبية الحانا تغنى بها الناس فى كل مكان .. منها "قمر له ليالى" ، "ليلة فى العمر" ، "يمامه حلوه" ، "عصفورى يامه" ، "صيد العصارى" ، "على خده ياناس ميت وردة" و"جنننتينى يابنت يابيضة" .. وغيرها من الادوار والطقاطيق التى مازالت حتى اليوم تتهادى بين الناس نغما عذبا شجيا يملك القلوب والاسماع .

ولم يقتصر فن داود حسنى على تلحين الأدوار والطقاطيق ، بل وجه جهوده نحو الموسيقى التعبيرية – موسيقى المسرح – حيث استطاع أن يلحن اكثر من خمس وعشرين مسرحية غنائية واوبريت ، منها "معروف الاسكافى" ، "صباح" ، "ليلة كليوباترا" التى صاغها شعرا الأديب الموسيقى د . حسين فوزى ، وعندما لمس داود حسنى إقبال الجماهير على هذا اللون من الغناء ، وتذوقها لفن الاوبريت ، قام بتلحين اول اوبرا مصرية كاملة هى اوبرا "شمشون ودليله" فكانت تطويرا وطفرة كبيرة للموسيقى العربية ، واثبتت للباحثين الغربيين فى علم الموسيقى ، أن الموسيقى الشرقية قادرة على التعبير عن كل معنى من معانى الحياة ، وأن تملأ عالما باسره بفيض من الخيال والجمال

وقد اعتادت مصر أن تحتفل بذكرى هذا الفنان المصرى ، فى العاشر من ديسمبر كل عام . حيث وافته المنية فى مثل هذا اليوم من عام ١٩٣٧ ، تقديرا لماثره فى عالم الموسيقى ، وتكريما لما قدمه من تراث فنى خالد لوطنه مصر ..

هذه لمحة عابرة عن شخصيات يهودية انجبتها مصر فى تاريخ الفن ، كما أنجبت غيرهم فى ميادين الاقتصاد والفكر ، الذين عاشوا كجزء من هذا الشعب العريق ، نهلوا من معين ثقافته ، وتطبعوا بأخلاقه وتقاليده .

ثورة المعلومات
وصراع العقل والوجدان

بقلم: د. سهير القلماوى

يموج عالمنا المعاصر بتيارات عنيفة متلاحقة فى ميادين العلم المختلفة وخاصة ميدان الالكترونيات فى وسائل الاتصال أو صنع الإنسان الآلى، ونحن نلهث وراء هذه المكتشفات المذهلة ولا ندرى أن القانون العلمى الآن يقول: إنه لا حل لمشكلة إلا بإيجاد مشكلة أخرى. وأن عملنا الآن الوصول إلى الحل، وإنما الوصول إلى حل يفضى إلى مشكلة جديدة وهكذا.

لقد قضى الإنسان قرونا لينتقل من مرحلة الرعى إلى مرحل الزراعة، ولما جاءت الثورة الصناعية ظلت مائة وخمسين سنة حتى تثبت أقدامها، أما ثورة المعرفة والمعلومات، هذه الثورة الحديثة، فقد بدأت وثبتت فى نحو عشرين سنة، وهى تتقدم بسرعة مذهلة والعلماء فى أنحاء العالم يدرسون ويجمعون المعلومات ولا يجدون حقيقة أخرى غير أننا لابد أن نسير إلى الأمام مع هذه الثورة التى غيرت جذريا فى الاقتصاد والسياسة.

● إن جمع المعلومات وتصنيفها وتبويبها وجعلها سهلة التناول للباحثين هى صناعة اليوم.. والعاملون فى هذا الميدان أصبحوا هم الأصل وسائر العاملين فروعا منهم، فأثناء السبعينيات وجدت فى أمريكا تسعة عشر مليون فرصة عمل جديدة، خمسة فى المائة منها فى ميدان الصناعة وإحدى عشرة فى إنتاج البضاعة وسبعة وثمانون فى المائة فى ميدان صناعة المعلومات، إن البضائع والمصنوعات أصبحت اليوم فى ميدان التجارة وقد تخلت عن عرشها وورثتها تجارة ثمار العقول لا الحقول ولا المصانع.

كان ٩٠٪ من القوى العاملة يعمل لينتج ١٠٪ من سلع التغذية فى أمريكا مثلا والآن يعمل منهم ٣٪ لاغير لانتاج ١٢٠٪ من السلع الغذائية يستهلك المجتمع ١٠٠٪ ويصدر الفائض أو يختزنه.. وفرة فى الانتاج تترك جيوشا للعمل فى ميدان المعلومات، وفى سنة ١٩٥٠ كان ٧٪ لاغير من القوى العاملة يعملون فى ميدان



ابراهام لنكولن .. عرفت اوروبا بمقتله بعد خمسة ايام



محاولة اغتيال ريجان شاهدها العالم على الهواء مباشرة

المعلومات والآن هم أكثر من سبعين فى المائة ، ذلك أن ميدان المعلومات اتسع ، وأصبحت الحاجة إليه ماسة والتبادل فى أمرها يسير وسريع يستفيد منه الجميع

إن نقل المعلومة من مكان إلى مكان يحدث تغيرات جذرية ، فإذا أسرع كان أثره أكبر ، يضربون المثل بثروة المليونير « روتشلد » وكيف كون ثروته بسبب معرفة معلومة قبل غيره ، فقد تلقى رسالة بالحمام الزاجل عن هزيمة نابليون فأسرع إلى بورصة لندن واشترى أسهما وسندات بأرخص الأثمان ، فلما ذاع خبر الهزيمة ارتفعت أثمان الأسهم والسندات البريطانية عشرات المرات فباع وكوّن ثروة ضخمة .

● معلومات بسرعة مذهلة

إن سرعة انتقال المعلومة بلغت ذروة قد لا ندركها لأننا نعيشها دون أن نذكر ماذا كانت عليه الحال قبل ذلك ، إن مقتل الرئيس « لنكولن » عرف فى أوربا بعد حادث إطلاق الرصاص عليه بخمسة أيام ، وفي أيامنا عندما حاول رجل قتل الرئيس « ريجان » وهو يغادر الفندق شهد العالم كله الحادث وشارك فى متابعته أولا بأول على شاشة التليفزيون ، فقد التقط تليفزيون لندن الخبر فراسل رئيس تحرير مجلة « سبكتيتور » مندوبه فى واشنطن (وكان فى المبنى المجاور للفندق) وبدأ الإرسال أولا بأول والعالم يشارك ولا ينتظر ساعة واحدة لتأتيه الأخبار .

إن تبادل المعلومات وبسرعة مذهلة قلب الموازين فى عالم الاقتصاد ، فلم يعد من المتاح لمصنع أن يحتفظ بسر اختراع ، إذ سرعان ما يعرف السر أصحاب المصانع فى أنحاء المعمورة فيدخلون ميدان المنافسة .

كذلك أصبحت المعاملات الاقتصادية والتجارية تختلف كثيرا عما كانت عليه منذ أقل من عشرين عاما .. فإن تسهيلات الدفع التى كانت بالعملة ، والعملة كما تعلم أخذت سنوات وسنوات لتقضى على أسلوب التعامل بالمقايضة (تبادل البضاعة) ، أصبحت الآن تدور

الكترونيا ، ويمكن لتاجر فى شارع من شوارع نيويورك أن يعقد صفقة سريعة مع « طوكيو » بواسطة آلة فى الشارع ، فالاتصال بالبنك يحتاج إلى دقائق والتعليمات تصل عبر الأسلاك « الالكترونية » ، وتتم الصفقة الضخمة التى كانت تحتاج إلى أشهر ، أو أسابيع ، فى خلال دقائق معدودة ، ومن هنا أصبح التنافس صعبا جدا ، وبدأ التيار نحو دمج الشركات المتماثلة الضخمة بحيث تعمل معا ، فلا مجال للتنافس إلا فى تجويد البضاعة ، وهذا يحتاج إلى كثير ، وفى سرعة إيصالها للمستهلك ، وهذا أيضا يحتاج إلى كثير ، لكن بالتعاون وإيجاد مراكز مختلفة للشركة يمكن أن يتغلب على صعاب عديدة ، ويظهر ذلك بوضوح فى مجال صناعة السيارات وتسويقها والتعاون على إيجاد مراكز تجميع فى العالم الثالث بدلا من شحن السيارة كاملة ، واندمجت تقريبا « جنرال موتورز » الأمريكية مع « تويوتا اليابانية » ، وهكذا ..

وسوق العالم الثالث مدروس ، ويتجدد الدرس فيه يوميا ، إن خطة « مارشال » التى طبقت بعد الحرب العالمية الثانية مباشرة لانعاش البلاد التى أضيرت بالحرب ، يقول عنها الخبراء اليوم أنها انعشت اقتصاد أمريكا أكثر من اقتصاد أوربا ، ولذلك ينادون الآن بأن المعونة لبلدان العالم الثالث لابد من أن ينظر إليها على أنها لو أحسن استخدامها هى فى الواقع فتح أسواق للمستثمر الذى يقدم المعونة .

وهكذا يمتد الميدان ويتسع ونأتى إلى صناعة « الروبوت » الانسان الالكترونى وقد راجت صناعته لأنه يقوم بدلا عن الانسان بأعمال كثيرة ، فإلى سنة ١٩٩٠ أنتج سبعة عشر ألف روبوت وسيد
قريبا إلى ثمانين ألف يعملون فى الـ
العاملة ، وقد حسبوا بدقة التكال
الباهظة لصنع « الروبوت » وحسبوا بد
الخدمة التى يقدمها ، حراسة المنشآ
بل فى اليابان مصنع يصنع الروبو
وه العاملون فيه كلهم روبوت » ، فوجد
انه أرخص من الصانع البشرى لأنه يعـ
ست عشرة ساعة دون انقطاع ، ومع قـ
الغيار والتصليح وغير ذلك فإن ساعة عـ
« الروبوت » تتكلف خمسة دولارات بيـ
اقل أجر العامل فى الساعة خمسة عشـ
دولارا .

أما استخدام « الالكترونيات » ، ا
المجالس التى ترسم سياسة مصنع
سياسة الدولة ، فقد وجدوا أن الاجتماع
لا ضرورة لها وأنه بواسطة الـ
الالكترونى يمكن أن تدور المناقشات وبـ
من أن يمثلنى نائب فى مجلس الشـ
مثلا استطيع وأنا فى بيتى (بالترتيب
أن أشارك فى أية مناقشة مع غيرى ؛
طريق « البث » الالكترونى .

إن التمثيل فى مجالس الشركات أ
يقلص دور المساهمين إلى حد
وصلوا إلى أن ٨٧٪ من أعضاء مجال
إدارات بعض الشركات الكبرى خبراء
يملكون سهما واحدا من أسهم الشركا
بل لا يكفى أن يمثل المجلس الخبر
وبعض المساهمين وإنما دخل مجال
الادارة أيضا « المستهلك » ، فلماذا
يتقابل المنتج مع المستهلك إلا أ
السلعة وقد تم صنعها ؟ ، لماذا لا يسـ
صوته أثناء الصنع فلعل فى ذلك فائـ
للطرفين المنتج والمستهلك معا !

والحصول على السلع أصبـ
« الكترونيا » سهلا جدا والحصول على

يملأ ساعات الفراغ من « فيديو » وأشرطة تسجيل أيضا سهل جدا ، كل ذلك أدى إلى الإحساس الشديد بالوحدة .

وبدأت دراسات حول « وجدان » الإنسان فى كل هذا ، ففى التمثيل النيابى مثلا واحلال الفردية بدلا من الحزب لوحظ انه إذا كانت السياسة تضلل الفرد فإن اجهزة الإعلام (وهى مستقلة عن الدولة فى أكثر انحاء الدنيا) تخضع بدورها لسطوة أصحاب رءوس الأموال الذين ينفقون عليها .

ولكن مع ذلك نرى الإنسان يحب أن يحضر الاجتماعات السياسية وغير السياسية لأنه يريد ان يلتقى بأخيه الانسان حتى فى الشراء ولاحظوا أن سهولة حصول الفرد على ما يريد من بضاعة وهو فى منزله لم يقلل من الاقبال على مراكز السوق المنتشرة وقد زادت عددا وازدحاما ، إن الانسان بطبعه لا يريد أن يحدد له الاختيار بهذا أو ذاك ، وإنما هو يريد طائفة من البدائل يمارس هو رغبته الشخصية فى الانتقاء من مجموعة لا من اثنين لا ثالث لهما .

والفيديو لم يغلق أبواب دور السينما إلا إذا تدخل عامل آخر كسوء العناية بدور العرض أو عرض ما هو ردىء ، إنما دور العرض السينمائى تتسع وتتفنن فى جذب المشاهدين وهم ينجذبون وهم سعداء بلقاء الأخوة والصحاب .

● الانسان وثورة المعلومات

الانسان كما يقولون اجتماعى بطبعه ، فإذا قلت له أقعد وحدك وسنوفى لك كل حاجاتك إليك دون تعب ، صرخ ولكنى أريد أن أرى الناس وأن أتحدث الى الأصدقاء وأصنع وقتى كيف شئت بل أننى أريد أن أقود سفينة التغيرات الجذرية مع اخوانى . اننا كما يقول العالم الاجتماعى المعروف « ماك لوهان » كلنا معا على سفينة الفضاء الطاقم الذى يسيرها ليس بيننا ركاب نحن كلنا عاملون عليها .

والمشكلة الكبرى هى إعداد الشباب ليعمل فى ثورة المعلومات تلك ، لأنها تحتاج إلى ملايين الأيدى ، ولكن المشكلة ليست فى العدد وحده ، إنها فى النوع ، لابد من ملايين يتعلمون الهندسة والبيولوجيا وغيرها من العلوم ويتدربون تدريبات شاقة وطويلة ليدخلوا فى كتائب العمل فى صناعة المعلومات وبرمجتها وتخزينها واتاحتها لمن يطلبها والتعامل المستمر مع مراكز تجميع المعلومات وخزائنها التى لا نعرف عنها عندنا إلا اقل القليل ، ثم إن أصغر خطأ يقود إلى كارثة والكوارث التى نعرفها كلها نتيجة خطأ او إهمال .

كم ذا نحتاج إلى ثورة فى التعليم لنبدأ أولى خطواتنا على عتبة عصر المعلومات والتعامل بالالكترونيات فلا نكتفى بكمبيوتر هنا وآخر هناك وهذا يختزن معلومات تفيد التنمية فى ميدان الزراعة ، اننا نحتاج إلى عشرين مركزا او أكثر لإعداد المعلومات المتلاحقة المتجددة فى ميدان الزراعة وحده ، إعداد سبل الاتصال الدولى الميسر نعم الدولى بالمراكز المشابهة ولا أقل من المشاركة فى مراكز متخصصة فى تقديم المعلومات التى تساعدنا على أن نتصل بمراكز المعلومات العلمية فى شتى أنحاء العالم بسرعة وبكفاءة جادة .

أعاننا الله ، ولكن البداية السليمة ستكون هى المفتاح لدخول قلعة الثورة الثالثة ثورة المعرفة والمعلومات .

أزمة الفكر المصري المعاصر

بقلم: د. محمود عبد الفضيل

يقول الشيخ محمود محمد شاكر فى مؤلفه : «رسالة فى الطريق إلى ثقافتنا» ، «أن هناك قضية مثارة محفوفة بالفاظ مبهمة هى قضية «القديم» و «الجديد» و «التجديد» و «ثقافة العصر» و «النظر فى حقيقة هذه القضية يفضى إلى شيئين ظاهرين : ميل ظاهر إلى رفض «القديم» و «الاستهانة به» ، دون أن يكون ملما إلماما مابحقيقة هذا القديم . وميل سافر إلى الغلو فى شأن «الجديد» دون ان يكون صاحبه متميزا فى نفسه تميزا صحيحا بأنه «جدد» تجديدا نابعا من نفسه ، وصادرا عن ثقافة متكاملة متماسكة . بل كان ما يميزه أن الله قد يسر له الاطلاع على آداب وفنون وافكار تعب أصحابها فى الوصول إليها من خلال ثقافتهم المتماسكة المتكاملة !!» .

ولعل الشيخ محمود شاكر هنا يلخص ـ رغم غلو نظرية السلفية ـ جانبا من الازمة التى يمر بها الفكر المصرى والعربى عموما . اذ يشير إلى اختلاف «الأطر المرجعية» و «الاحداثيات الفكرية» بين رواد التجديد والتنوير ، من ناحية ، ورواد العودة للتراث واعادة اكتشاف القديم ، من ناحية أخرى . ومن هنا فان النظر إلى ثقافة التنوير باعتبارها «ثقافة العصر» تظل مسألة خلافية وموضع صراع فكرى حاد فى مجتمعنا ، إذ أنها رغم انجازاتها الايجابية العديدة تظل وليدة ثقافة متكاملة تخضع هى الاخرى لنسبية الزمان والمكان . اذ أن مجهودات «فلاسفة التنوير» فى اوربا كانت تهدف لتمهيد الطريق أمام مفاهيم ومقولات تحليلية جديدة لتحل محل «الغيبيات» و «الحدس» ولتطرح مزاوجة جديدة بين «الزمان»



ديدرو



خالد محمد خالد



محمد عابد الجابري



الشيخ محمود شاكر

و «المكان» . فكل شيء أصبح قابلا للقياس وللتعبير الكمي أو الرمزي والاختبار المعملي تحت تأثير ديكارت ، أوجست كونت ، فرانسيس بيكون وهكذا أصبح هناك «ميزان جديد» وأطر مرجعية جديدة تقاس عليها وفي إطارها الأشياء .

بيد أن تلك الحركة التجديدية والتنويرية التي بدأت في أوربا في القرنين الخامس عشر والسادس عشر في مجالات الفنون والعلوم والآداب ، ووصلت إلى أوجها في القرن الثامن عشر ، لم تكن منقطعة الصلة بالماضي .. بل حاولت احياء التراث الأفريقي ـ الروماني في جوانبه الايجابية ، ومن هنا كان مصطلح Renaissance في الغرب والذي يعني لغويا «الميلاد الجديد» ولعل كلمة «البعث» أو «الانبعاث» ـ التي سادت في الكتابات القومية وخاصة لدى مفكري حزب البعث العربي في الخمسينات ـ هي أقرب ما يكون لهذا المفهوم ، ولكنه ظل مفهوما غامضا ، اذ لم يتحدد ما الذي ينشده العرب : هل هو مجرد «بعث للماضي التليد» ؟ أم تخليق شيء جديد وبأي مواصفات .

● خط «التنوير» وشبهة «التغريب»

أن «خط التنوير» في الفكر المصري الحديث ـ الذي يستلهم كتابات وفلاسفة التنوير في انجلترا وفرنسا ـ قد بدأ بلا شك مع رفاعة رافع الطهطاوي في «تلخيص الابريز في تاريخ باريز» ، ويبرز فيما بعد في كتابات أحمد لطفي السيد ، فتحي زغلول ، طه حسين ، وسلامة موسى

ولويس عوض ، وزكي نجيب محمود (كأهم رموزه وأعلامه) . ولعل كتابات أحمد لطفى السيد ، وفتحى زغلول ، وطه حسين تحمل تأثرا وانبهارا واضحا بكتابات «فلاسفة التنوير فى فرنسا» ، وخاصة مونتسكيو ، جان جاك روسو ، ديدرو ، ديكارت ، أوجست كونت وآخرين .

ولكن صياغة سلامة موسى للقضية فى مؤلفه الهام : ما هى النهضة ؟ ، من أوضح الصياغات القاطعة بهذا الشأن ، إذ يقول :

«لا أستطيع أن أتصور نهضة عصرية لأمة شرقية ، ما لم تقم على المبادىء الأوروبية للحرية والمساواة والدستور ومع النظرة العلمية للكون» .

بيد أن تلك الصياغة على وضوحها وجرأتها ، تشير إلى أن هناك خيطا رفيعا يفصل بين «التنوير الأوربى» ـ باعتباره الإطار المرجعى «الجديد» و «الوحيد» لكل من يسعى للنهوض والتقدم ـ وبين شبهة «التغريب ٦،٢قسفقفلاقفشفخمة ، أى شبهة الوقوع فى براثن «الاتباعية الفكرية» لمنجزات الحضارة الغربية وصراعاتها الفكرية باعتبارها المصدر الوحيد لقيم النهضة والتمدين والرقـ ٦،٢،أق شـمـع خـخمخسخـتل ـ فحلاقسس .

وتلك بلا شك شبهة لازمت خط «التنوير» فى الفكر المصرى منذ بداياته فى الثلاثينات من القرن التاسع عشر ، إذ لم يكن واضحا فى كل الأحوال فى ثنايا تلك الكتابات ، كيف أن تبلور «فكر التنوير الأوربى» ، هو مشروط بدرجة معينة من التطور التاريخى والاجتماعى فى تلك المجتمعات التى أفرزته . وأن محاولات الترويج لتشغيل «نموذج التنوير الأوربى» فى الواقع المصرى منذ أوائل القرن العشرين (على النحو الذى نشهده فى كتابات أحمد فتحى زغلول وأحمد لطفى السيد على سبيل المثال) يصطدم بالعديد من العقبات المادية والحقائق الاجتماعية والثقافية . ومن هنا جاءت أزمة «الفكر الليبرالى» فى مصر عبر مسيرته من ثورة ١٩١٩ حتى ثورة يوليو ١٩٥٢ .

كذلك جاء ما يمكن تسميته «بالفكر التقنوى» ، الذى يدعو للحداثة فى قوالب فنية مجردة ليصب جل اهتمامه فى كيفية سد «الفجوة التقانية» ، التى تفصل حاضر العرب عن حاضر الغرب ومستقبله . وهنا أيضا يظل «الغرب» ـ وفقا لهذه الرؤية ـ هو الإطار المرجعى الذى يقاس عليه فى مجال التقدم الفنى ، بغض النظر عن الظروف الاجتماعية والسياسية والفكرية التى مهدت لتلك القفزة فى التقنية .

ولعل البدايات الأولى للخطاب «التقانى والتحديثى» فى مصر المعاصرة يمكن إرجاعها لعلى باشا مبارك ، ثم نجد له أصداء واضحة فى كتابات إسماعيل صدقى ، وحافظ عفيفى .. قبل أن يتبلور فى فكر «جماعة الرواد» ، قبل قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ مع إهمال شبه متعمد للمسألة الديمقراطية والمسألة الاجتماعية .

ويوضح صبحى وحيدة فى مؤلفه الهام فى أصول المسألة المصرية (١٩٥٠) قضية اغتراب تيار الفكر الإصلاحى التكنوقراطى عن الواقع المصرى ، بقوله : «والعلة فى هذه الطريقة التى يجرى عليها

الاصلاح لدينا هى ... أن الذين يشرعون يقلدون الغرب بدلا من أن يدرسوا الحقائق الواقعة ، ويخلطون بين الأوضاع الاجتماعية والقوانين التى تنظمها ، فينقلون هذه وهم يظنون أنهم ينقلون تلك » .

□ أزمة «القطع » و «الوصل » فى الفكر المصرى المعاصر . لعل الأزمة التى مر بها الفكر المصرى منذ الربع الأخير للقرن التاسع عشر ، تكمن فى افتقاد العلاقة الجدلية بين «الفكر » و «الواقع » . فهناك أزمة حول مع أى «تراث » يجب أن نقطع ، ومع أى فكر «تنويرى » أو «نهضوى » يجب أن نصل ؟ ولعل افتقاد الميزان الصحيح فى العلاقة بين الفكر والواقع هو الذى أدى الى الغلو فى «السلفية » ، من ناحية ، والغلو فى «الجديد » الوافد ، من ناحية أخرى . وفى تقديرى ، أننا شهدنا على الساحة الفكرية نوعين من القفز فوق الواقع منذ بدايات هذا القرن : النوع الأول هو الهروب الى الخلف فى شكل محاولة لاعادة انتاج ماض لم يبق ماثلا فى الواقع المعاش .. بل يعيش فقط فى ثنايا «العقل السلفى » ، والنوع الثانى هو الهروب الى الأمام من خلال مقولات الفكر «الليبرالى » و «الماركسى » فى صياغاتها الغربية «المحضة » ودون تمحيص كاف ـ مما يجعلها «فكرا طليعيا » يسبق عصره ... وقلما يجد جذورا يستند اليها فى تربة الواقع .

وفى الحالتين ، يرى الجابرى ـ وهو محق فى ذلك ـ أن أزمة الفكر العربى المعاصر تكمن فى التفكير «خارج الواقع » ، أى من خلال «نموذج جاهز » (٧)



سعد زغلول



عبدالله النديم

ونضيف وفقا لنظام «تسليم المفتاح » .

ويرى صبحى وحيدة أن هذا الفكر «التنويرى » الذى يهب من الغرب قد يكون عنصرا هاما فى النهضة المحلية ، لكنه يبقى فى نفس الوقت «شيئا يغرض على عامة المجتمع ولا يكون ثمرة تنبت من أعماقه .. ولا يصدر من قاع الحياة الاجتماعية المحلية » ، وهذا يؤدى بدوره الى تعميق «المسافة » أو مقدار «الخلف » بين النخبة والجماهير على حد تعبير طارق البشرى .

ولعل هذا يفسر ، من ناحية أخرى ، بعض النجاح الذى صادفته بعض التيارات الفكرية التى قامت على «التأليف » و «التركيب » بين العناصر الحية فى «التراث » ، من ناحية ، وبين بعض الأفكار «التحديثية » ، «والتنويرية » القادمة من الغرب ، من ناحية أخرى ، وذلك دون افراط أو تفريط . اذ كان لتلك المحاولات صدى أكبر لدى عقل ووجدان جمهرة واسعة من عناصر الطبقة الوسطى ، والبرجوازية الصغيرة فى مصر ، وهى الفئات الأعلى صوتا والأكثر جلبة فى الحياة السياسية والفكرية والمهنية . وذلك

بالمقارنة بتيار «السلفية الضيقة» الذي يطرح نفسه باعتباره «منظومة فكرية مغلقة» غير قابلة للتطوير والتطعيم في ضوء معطيات الواقع وروح العصر، وتيارات «الليبرالية» و«الماركسية» في صياغاتها الخالصة والجامدة.

ولعل ابرز رموز وأعلام هذا التيار التاليفي والتركيبي - ولا أقول التلفيقي والتوفيقي كما قد يحلو للبعض - تيار «العروة الوثقى» بقيادة جمال الافغاني ومحمد عبده الذي تتلمذ على يديه سعد زغلول وآخرون من قيادات مصر الفكرية والعملية، عبدالله النديم صاحب ومحرر مجلة التنكيت والتبكيت، محمد طلعت حرب مؤسس بنك مصر (راجع: مجموعة خطب طلعت حرب)، خالد محمد خالد في كتاباته الأولى (وخاصة من هنا نبدأ)، اذ تحوى كتابات هؤلاء مكونا «تراثيا» هاما ينهل من الموروث التاريخي والثقافي للأمة (بما في ذلك المعتقدات الدينية) وكذلك مكونا «تنويريا» و«تحديثيا» هاما يراعي درجة تطوير الواقع الاقتصادي والاجتماعي المصري، وكذا خصوصية التكوين النفسي والوجداني للأمة وطبقاتها وطوائفها المختلفة. (يقترب رفاعة الطهطاوي وطه حسين بدرجات متفاوتة من هذا الخط «التأليفي»).

وباعتباره أحد ممثلي هذا التيار التأليفي في الفكر المصري لم يكن عبدالله النديم - غافلا عن «البعد الطبقي» في رؤيته السياسية والاجتماعية، اذ جاء في مذكرات النديم السياسية حول أسباب نكسة وهزيمة العرابيين في مصر: «ومن يرجو الظفر بالحرب بأناس أجسامهم في الشرق وارواحهم في الغرب ... ونحن (العرابيون) تحركنا والأمير مع العدو، والامراء أنفت من الدنو، والنبهاء أعضاد للأجانب، والوجهاء نائمون في جانب».

وهنا نجد ربطا واضحا بين المسألة الاجتماعية والمسألة الوطنية لدى النديم، ليس بعيدا تمام البعد عن بعض الصياغات الماركسية حول «الكومبورادور».

وهكذا تختلف «الأطر المرجعية» و «الاحداثيات الفكرية» داخل هذه الأطر المرجعية. وأحيانا قد يتطلب الأمر «تدوير تلك المحاور» و «الأطر المرجعية»، واعادة تحديد موقع «الاحداثيات الفكرية» داخلها، لكي تصبح أكثر ملاءمة لقضايا النهضة والتقدم عند كل منعطف هام في تاريخ المصري الحديث، منذ انعقاد المؤتمر الوطني الأول في هليوبوليس في ابريل - مايو ١٩١١.

● التقلبات الفكرية «الدورية»

يجب التسليم بداءة بأن الحياة الثقافية والفكرية في أي مجتمع تجتاحها موجات وصراعات لاتعتبر مجرد رد فعل ميكانيكي

لطفي السيد



على باشا مبارك



لما يحددث في البنية التحتية وعلاقات الإنتاج بل ترتبط تلك «التقلبات الفكرية» بعوامل ذاتية ونفسية على المستوى الكلي والمجتمعي . ولعل تلك «التقلبات الدورية» في الحياة الفكرية والثقافية تقترب «دون أن تناظر بالضرورة» من فكرة «التقلبات الدورية الاقتصادية» حيث تتابع فترات «الكساد والركود» وفترات «الازدهار والانتعاش» .

ولعل تلك التقلبات الفكرية التي ترتبط بشدة بما يمكن تسميته بالمزاج النفسي للأمة هي التي تفسر سقوط «جمهورية فيمار» وصعود النازية في المانيا ، وكذلك صعود «الفاشية» في إيطاليا ، وصعود «التاتشرية» مؤخرا في انجلترا . وهذا يجافي بلا شك النظرة الخطية لفكر المستمر لخط التقدم والتنوير في ضوء مايحدث من تطور لقوى الإنتاج ودرجة تقدم الفنون الإنتاجية . وتلقى كتابات «أنتونيو جرامشي» و «وولهام رايخ» بعض الضوء على بعض أسباب الانتكاس لمسيرة التقدم على صعيد الفكر والسياسة ، في إيطاليا والمانيا خلال العشرينات والثلاثينات .

ولعل ما يحدث في المجتمع المصري من تراجع «للعقلانية» وما يسمى «خط التنوير» ، وتصاعد منتظم للفكر السلفي منذ عام ١٩٦٧ وحتى الآن ، انما هو نتاج لذلك المزيج الفريد من العوامل الاقتصادية والنفسية والمزاجية للأمة .

وقد شهدنا ارهاصات مماثلة لذلك ـ وان كانت على نطاق أضيق ـ خلال حقبة الثلاثينات في مصر كرد فعل للأزمة الاقتصادية الحادة التي اجتاحت المجتمع منذ عام ١٩٢٩ ولحالة الاحباط السياسي التي سادت قطاعات هامة من الطبقة المتوسطة والشباب نتيجة سلوكيات الوفد وقيادات ثورة ١٩١٩ بعد فترة محمومة من الصعود الفكري خلال العشرينات . وقد اقترب بعض كتابنا من نظرية «الدورة الثقافية» هذه ، إذ نجد غالي شكري يقترب من هذه الفكرة في مؤلفه «النهضة والسقوط في الفكر المصري الحديث» ، حيث ارتفعت في تقديره ظاهرتا النهضة والسقوط الى مرتبة «القانون الاجتماعي»

● «الاظلام» الفكري وصعود «الثقافة البترولية»

يتساءل محمد عابد الجابري (الخطاب العربي المعاصر ، ص ٣٣) حول ما الذي يبرر الردة الفكرية التي حدثت بعد هزيمة حرب ١٩٦٧ ، «فظروف العرب الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ظلت كما هي قبل الهزيمة وبعدها . و «تلك الردة على صعيد الفكر مع بقاء الواقع المادي ثابتا . يطرح جوهر العلاقة بين الفكر والواقع .

وهذا القول غير صحيح على اطلاقه ، لأن الواقع المادي لم يبق ثابتا خلال الفترة الممتدة منذ هزيمة يونيو ١٩٦٧ حتى


طه حسين


زكي نجيب محمود

وقتنا الحاضر . اذ حدثت تحولات طبقية ومادية هامة أثرت على المواقع الطبقية وعلى الأوزان النسبية للشرائح الاجتماعية المختلفة داخل كل طبقة . تحت تأثير الهجرة والمال النفطى والانفتاح . ومن هنا كانت ملاحظة الجابرى المتعسفة بعض الشيء بأن : مقولات الخطاب العربى الحديث والمعاصر يعبر عن حالة نكستية وليس عن حقائق موضوعية . وبالتالى فهو «خطاب وجدان» وليس «خطاب عقل» .

ولعل أهم تأثيرات عمليات هجرة العمالة . على اختلاف مستويات مهاراتها . إلى البلدان النفطية . تمثلت فى بروز وصعود ما أسماه د . حسن الساعاتى الفئات المرسلة فى المجتمعات العربية المرسلة للعمالة . وعلى رأسها مصر . ويعرف د . الساعاتى الطبقة المتوسطة . مكنتها مهاراتها وفرص الهجرة للبلدان النفطية فى تحقيق مكاسب اقتصادية ومالية . جعلتها تنتمى إلى ما يسميه شريحة «الألفونيرات» . «أى الذين يملك الواحد منهم آلافا من الجنيهات أو الدنانير أو الريالات والدولارات وغيرها من العملات الحرة الأخرى . التى يستثمرونها بشتى الطرق وبخاصة كودائع فى المصارف العربية والأجنبية والوطنية .

وقد تكونت هذه الفئات أول ما تكونت من المهنيين (الأطباء . المهندسين . المحاسبين . المعلمين . أساتذة الجامعات) . الذين عملوا فى البلدان العربية النفطية خلال الخمسينات والستينات . ولكن ما أن ألغيت قيود السفر والاقامة فى الخارج . حتى انضمت إلى قوافل المهاجرين فئات جديدة من العمال المهرة ونصف المهرة والفلاحين المعدمين وذوى الحيازات القزمية .. وحتى من صفوف الفئات «البروليتارية الرثة» (كالبوابين . وخدم المنازل . والسعاة . إلخ) . وقد قام العديد من هؤلاء لدى عودتهم بتوظيف «الفوائض الادخارية» التى تم تكوينها أثناء عملية الهجرة . فى شراء قطع صغيرة من الأراضى الزراعية وأراضى البناء . وامتلاك سيارات النقل . وآلات الحرث والرى والجرارات والجرافات . فضلا عن الايداع فى المصارف . ونضيف من عندنا «شركات توظيف الأموال» التى استقطبت جانبا مهما من مدخرات صغار ومتوسطى المدخرين . معظمهم من فئة «الألفونيرات» .

ونظرا لأن هذه الفئات لاتمتلك رءوس كبيرة ولا تحوز أصولا إنتاجية على نطاق واسع . فيكون من الأصوب ـ فى تقدير د . حسن الساعاتى ـ تسميتها «بالفئات المرسلة» تمييزا لها عن الفئات

جان جاك روسو



ديكارت



الرأسمالية التى تمتلك رءوس أموال كبيرة وتدير استثمارات واسعة النطاق .

والشيء المؤكد أن هذه «الفئات المرسملة» الجديدة أخذت فى التكاثر والتوسع فى مراتبها خلال حقبة السبعينات فى عدد من المجتمعات العربية المرسلة للعمالة على نطاق كبير : مصر ، اليمن العربية ، الأردن ، السودان ، فنجد أن بعض الموظفين الحكوميين من الفئات الإدارية والكتابية يقوم لدى عودته فى تشغيل وتوظيف مدخراته فى مشروعات تجارية أو خدمية صغيرة الحجم كما يتحول بعض الحرفيين السابقين إلى «مقاولين صغار» يعملون لحسابهم الخاص ... بينما يتعيش قسم كبير من المهنيين الشقق المفروشة» و «الودائع المصرفية» وشهادات الاستثمار وشهادات الايداع بأنواعها وبالتالى نمت وتغلغلت العقلية الريعية القائمة على الكسب السريع والانفصام «الجد» والعائد» .

فلا عجب إذن ، أن تؤدى هذه التطورات الى بروز «الفئات المرسملة» بشكل واسع فى صفوفه فئات الطبقة الوسطى وعناصر البرجوازية الصغيرة .. بل الفئات العمالية . وقد نتج عن ذلك تداعيات مهمة فى أوضاع البنية الاجتماعية والطبقية فى تلك البدان ، اذ ازدادت سبل الجمع بين مصادر الدخل المختلفة (داخل الملكية وداخل العمل) . وكذلك ارتفع عدد الإجراء الذين يتحولون يوميا إلى ملاك ومستثمرين صغار أو حائزين لأصول مالية (ودائع ، أوراق مالية) دون أن يتخلوا تماما عن وظائفهم وأعمالهم الاجرية الأصلية . وكان لذلك بلا شك انعكاسات هامة على جبهة الثقافة والفكر .

أن السلوك المحموم الذى يأخذ شكل السعى للحصول على الريع بأى ثمن ومن أى مصدر ، من قبل غالبية المواطنين فى المجتمعات الريعية النفطية ، إنما يؤثر على نظرة الأفراد لآليات واسلوب اداء النظام الاقتصادى ككل . ولقد سبق أن ذكرت الأستاذة آن كروجر : انه إذا اعتبرنا توزيع الدخل فى مجتمع ماهو نتاج لعبة الحظ والمصادفة حيث ينقسم السكان إلى أفراد ناجحين أو محظوظين يحصلون على اقصى قدر من الريع النفطى ، وآخرين فاشلين لم يحالفهم الحظ أو المهارة للحصول على الريع بأشكاله المختلفة . فى مثل هذا النوع من المجتمعات ، فان آلية السوق تغدو ضربا من الوهم .

وبايجاز ، فان المحصلة النهائية لهذه العملية هى أن عقلية اللهث وراء الريع ، أيا كانت صورته ، تصبح عقلية سائدة وحاكمة لمجمل النشاط والسلوك الاقتصادى فى تلك المجتمعات ، بما لذلك من انعكاسات على تراجع «الفكر العقلانى» وصعود قيم «الشطارة» والاحتيال و «النهب» ، وفقا لشعار : «دعه ينهب» .. «دعه يمر» !

وهكذا تبلورت منذ منتصف السبعينات معادلة اقتصادية - اجتماعية - فكرية جديدة ، مضمونها كالآتى :

الهجرة + البترول + دولارات + الانفتاح = الريعية + السلفية + السطحية

وهكذا تم الترويج - فى ظل تلك الأرضية الاقتصادية والاجتماعية الجديدة..

ـ لصنوف من الفكر السلفى الضيق ، الذى تبدو بجوارها كتاب الشيخ رشيد رضا محرر المنار وكأنها كتابات موغلة فى التقدم . وتقوم هذه الكتابات على «تغييب الوعى» ونفى العقلانية . ومن ناحية أخرى ، صعدت فى الحياة الثقافية والفنية ألوان من الأعمال الهابطة والمسطحة التى تعتبر نتاجا لكل ماهو فج وذرائعى فى الثقافة الأمريكية ، التى تقوم على «تزييف الوعى» وهكذا نرى «تيار السلفية المنغلقة والضيقة» الذى يتدثر برداء الدين ، يوازيه ويقابله «تيار الثقافة الفجة والتسطيح الفكرى» الذى ينهل من معين المادية الفجة والذرائعية المبتذلة . ولا غرو فى ذلك ، اذ ان كلا التيارين وجهان لعملة واحدة وافراز لآليات الحقبة النفطية الانفتاحية .

وهكذا تتلخص أبعاد «الثقافة البترولية» ـ الطافية على السطح الآن ـ فى ثلاثة عناصر :

(أ) التسطيح الفكرى ، اى خواء الفكر وضعف العمق المعرفى .

(ب) تغليب «النظرة الغيبية» ، وتجريم اعمال العقل والذهن عموما فى قضايا المجتمع والحياة .

(جـ) «الاظلام والتعتيم الفكرى» فى مقابل «التنوير» .

ولعل من سمات تعمق الأزمة لأننا نشهد ردة واضحة فى «الفكر السلفى» ذاته ، اذ نجده يزداد انغلاقا وتزمتا عن أى وقت مضى فى تاريخ الفكر المصرى ، ويكفى أن نقارن كتابات الشيخ محمد رشيد رضا محرر مجلة المنار ، تلك المجلة المنفتحة التى كانت تهتم بشئون المجتمع والعمران فى بداية هذا القرن ، بآخر الاجتهادات التى تحفل بها الموجة الجديدة من كتابات «السلفيين المحدثين» بدءا من معالم فى الطريقة لسيد قطب فى منتصف الستينات) وانتهاء بكتابات الشيخ عمر عبدالرحمن فى الثمانينات .. فلم تعد الأزمة أزمة الفكر المصرى عموما .. بل أزمة الفكر السلفى ذاته . والتى هى ليست بدورها بعيدة عن الأزمة الاقتصادية والاجتماعية التى يمر بها المجتمع المصرى فى الآونة الراهنة .

ولا نملك فى ظل الحالة الراهنة من الاستقطاب والانشطار الفكرى الحاد ، سوى البحث عن المعادلة الصحيحة التى تقيم أوثق الروابط مع التراث ، على أساس من الاستنارة وبعيدا عن الانغلاق والتشنج ، فى الوقت الذى تنفتح فيه على افكار وتجارب الحضارات والشعوب الأخرى ، بعيدا عن شبهة النقل والاتباع . فلابد اذا من نظرة مستقبلية تستلهم التراث وتستقطره ... ولا تعيش أسيرة الماضى وقوالبه الجامدة ، لأن النهضة لن تتحقق سوى من خلال حل خلاق للعلاقة الجدلية بين ثلاثية : الماضى والحاضر والمستقبل ، دون اختزال واحد منها للآخر .

دائرة الحوار

متغيرات العالم الجديد

بقلم : د. أحمد عبد الله

ما ان تتفاعل التطورات فى البيئة الدولية بصورة مجسمة وصوت مسموع حتى يقفز بعض المراقبين الى النتائج قفزا . يفعلون ذلك احيانا فى تبسط شديد يذبح فى الطريق ضحيتين . حيث يتم اولا التضحية بالتقويم الموضوعى لعملية التراكم والاختمار التى ادت الى مانشهده من تفاعلات وتطورات ، ويتم ثانيا التضحية بحق الزمان فى ان ياخذ مجراه ليحدد فى الوقت المناسب الصورة التى ستستقر عليها مستقبلا نتائج هذه التفاعلات والتطورات . صحيح ان هاجس المستقبل إنما يفرض نفسه على الناس المتوجسين مما سياتى به . وهو مايفترض عدم اضاعة الوقت فى الوقوف امام الذى مضى . كما يفترض رسما سريعا لاستكشافات او سيناريوهات المستقبل لتحديد موضع القدم قبل الخطو . لكنه فى مثل هذا الجو ما ابسط ان يتحول تلخيص التجربة التاريخية الى مسخ غير مقروء على الورق . وما ابسط ان تتحول رؤية المستقبل الى اوهام واضغاث احلام ولنضرب مثلا لكل من الحالتين لتوضيح المقصود .

خذ مثلا ما آلت اليه التجربة التاريخية للنظام الاشتراكى على اتساع العالم وبخاصة فى مركزه السوفييتى والشرق اوربى . الحديث يدور فى بساطة حول الانحدار النهائى للاشتراكية وهزيمتها كنظام سياسى واقتصادى واجتماعى . ولا غرابة فى ان يكون هذا هو لسان حال او لسان مقال كل من افزعتهم فكرة الاشتراكية ، سواء من منافسيها الرأسمالية فى السوق أم من كارهيها الجالسين على مقاعد السلطة والذين افزعهم ارتباط فكرتى الثورة والاشتراكية ، لكن التبسط فى الحديث عن هزيمة الاشتراكية يصبح عيبا منهجيا لدى المراقبين والمدققين والمحللين الموضوعيين . فالذى نشهده اليوم هو

هـزيمة الجـانب القمعى فى النظام الاشتراكى لا هزيمة الفكرة الاشتراكية ، والاتجاه نحو الديمقراطية فى الكثير من دول العالم الثالث غير الاشتراكية يعنى أننا نشهد هزيمة الجانب القمعى فى مختلف النظم اشتراكية كانت ام غير اشتراكية . انه الاتجاه العام نحو الحرية السياسية سواء فى ظل الراسمالية او فى ظل الاشتراكية . واللبرالية السياسية كتعبير عن هذه الحرية لم تعد نظاما فى حد ذاتها ، وانما صارت اداة تنظيمية لمختلف النظم السياسية بمعنى انه ايا كان النظام الاقتصادى والاجتماعى فى اى بلد فلابد ان يكون فى هذا البلد من الناحية السياسية انتخابات حقيقية وبرلمان تمثيلى واحزاب متعددة ونقابات مستقلة واحترام لحقوق الانسان عموما . وافتراض ان هذا لايتوافر الا فى ظل الرأسمالية هو افتراض خاطىء وظالم فى نفس الوقت ، لان اغلب دول العالم الثالث هى بالفعل رأسمالية لكن لايتوافر فيها ذلك ومازالت شعوبها تكافح لكى تحصل عليه كذلك فان هناك انظمة اشتراكية تتوافر فيها المؤسسات الديمقراطية مثل دول اسكنـدينافيـا (السويـد ـ النرويـج ـ الدنمارك ـ فنلندا) التى غالبا ماتحكمها الأحـزاب الاشتراكيـة الـديمقـراطيـة فالاشتراكية الماركسية ليست هى الصورة الوحيدة للاشتراكية والارجح ان تستمر الاشتراكية الديمقراطية اقوى صورة للنظام الاشتراكى والفكرة الاشتراكية فى المستقبل والسبب فى ذلك ببساطة هو ان الفكرة الاشتراكية انما تدور حول قيمة العدل والنظام الاشتراكى هو محاولة لتجسيد هذه القيمة فى الواقع البشرى ، هذا هو منشأ الفكرة والنظام واى فشل او انحراف لايؤدى بالضرورة لفك الارتباط بين الفكرة والقيمة . وحيث ان البحث عن العدل يمثل قيمة ابدية فى حياة الانسان فاستمرار الفكرة الاشتراكية يكون مرجحا ، مع اطراد التعديلات التى يفرضها تطور الاحوال ، كما ان استمرار الاشتراكية كنظام يكون ايضا مرجحا مع شدة ارتباطها بالديمقراطية كفكرة اخرى تدور حول قيمة الحرية وهى بدورها قيمة ابدية فى حياة الانسان ، ان صياغة المعادلة الصعبة للعدل ، والحرية تظل موضع التحدى الرئيسى لكافة الافكار والنظم فى المستقبـل ، سواء الاشتـراكية ام الراسمالية ام تلك التى تتخذ لنفسها اسماء اخرى . ولا محل للجزم بالإنتصار الحاسم لأى فكرة على اتساع العالم كله وفى الزمان القادم كله ، الا اذا افترضنا انتهاء التطور او نهاية التاريخ على نحو ما يذهب نفر من المفكرين اللبراليين الذين تعنيهم قيمة الحرية فقط دون قيمة العدل .

● حصاد الهشيم

ومن المهم ان نضيف الى ذلك القول بأن تداعى النظم الاشتراكية فى اوربا الشرقية لا يسوغ الحكم على نتاج التجربة التاريخية للاشتراكية بأنه كان حصاد الهشيم . فهناك بداهة ان الاتحاد السوفييتى فى ظل الاشتراكية قد اصبح



انهيار سور برلين



جورباتشوف

القوة العظمى الثانية فى العالم ، وانه بصفته تلك قد اثر تأثيرا كبيرا فى التطورات التى شهدها المكان والزمان فى كرتنا وفى قرننا ، فخارج اوربا الشرقية التى دعم السوفييت انظمتها القمعية كان دعمهم لحركات التحرر الوطنى التى حققت الاستقلال لمعظم دول العالم الثالث ، كما كان دعمهم لتجارب التنمية الوطنية التى اعادت توزيع الثروة وصياغة المجتمعات فى هذه الدول ، واى حديث عن امور مثل منجزات العمال والفلاحين او التعليم المجانى او تقريب الفوارق الطبقية لابد وان يشمل تقديرا للدور السوفييتى فى دعم هذه التطورات . هذا بغض النظر عن مساعدة السوفييت للاطراف المتضررة فى الحروب الوطنية مثل الطرف العربى والفلسطينى فى الصراع مع اسرائيل والصهيونية : الا ان الاهم من هذا كله هو ان وجود الاشتراكية كفكر ونظام قد مثل تحديا كبيرا للراسمالية لم ينعكس فقط فى استعداداتها العسكرية لمواجهة العالم الاشتراكى فى ميدان القتال العينى ، وانما انعكس اكثر فى استعداداتها لمواجهته فى ميدان القتال الاجتماعى فوجود الاشتراكية قد فرض على الراسمالية اصلاح نفسها فكان تنبهها لاهمية قيمة العدل الاجتماعى وليس فقط حرية السوق الاقتصادية . ومن هنا كانت اجراءات اعادة توزيع الثروة ومشروعات الضمان الاجتماعى التى جعلت الاستغلال الراسمالى اقل قسوة وبالتالى الاحتياج للاشتراكية اقل حدة ، واذا كان هذا الجانب وحده هو فقط ماحققته الاشتراكية خلال القرن العشرين فانه يعد فى حد ذاته واحدا من اعظم الانجازات البشرية التى تحسب للاشتراكية على مابها من عيوب كما تحسب للاشتراكيين على مابهم من مثالب .

اما المثال الثانى لاضطراب واقتضاب الحكم على الماضى والمستقبل ونحن

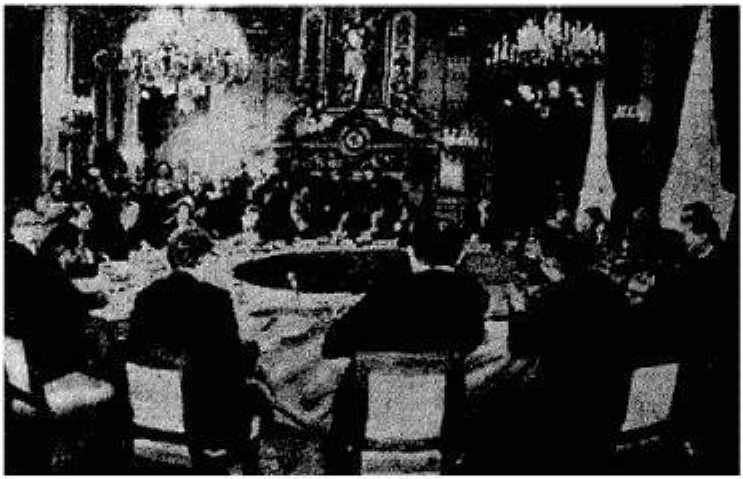
بازاء التطورات العالمية السريعة فهو ذلك الخاص بالحديث عن عالم القرن القادم باعتباره عالم الانفراج وتوازن المصالح والتهدئة فى العلاقات بين القوى التى كانت متصارعة وبخاصة القوتان العظميان

صحيح ان هناك استخداما واسعا لهذه المصطلحات . وصحيح ايضا ان تداعى الانظمة الاشتراكية فى اوربا الشرقية وسقوط سور برلين لم يثر لدى الدوائر الامريكية والاوربية الغربية مقدار شماتة الروح وفجاجة اللغة اللتين علقت بهما على هذه الاحداث بعض دوائر ابناء الهامش فى عالمنا الثالث . وصحيح ان الغرب فى مجمله يبدو راغبا فى نجاح تجربة البيرسترويكا السوفييتية ويفزع من اى خبر عن استقالة او اقالة الزعيم السوفييتى جورباتشوف . لكن الاصح من كل هذا هو ان عالم القرن القادم ليس هو عالم التهدئة وانما هو عالم المنافسة الحادة بل والمميتة . وهى منافسة ستشمل كل المجالات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية والعلمية والفنية .. إلخ ، ولأنها ستكون منافسة حادة فى كل هذه المجالات كان من الضرورى ضبط المنافسة مقدما فى المجال العسكرى .. والا تحول الامر الى مذبحة حين يشعر احد الاطراف بالهزيمة فى مجال فيستخدم القوة العسكرية لاستعادة مركزه او يضغط على الزر النووى ليدمر الاخرين وهو معهم على طريقة « علىّ وعلى أعدائى »

● اليابان .. العدو !

ونماذج حدة المنافسة معلومة . فعلى

اجتماع السوق الأوربية المشتركة تمهيدا للاعلان سنة ١٩٩٢



مستوى منافسات دول المركز هناك احتدام المنافسة بين اليابان وكل من القوتين العظميين . حتى ان بعض استطلاعات الرأى للمواطنين الامريكيين بدأت تبين انهم يرون اليابان كعدو اول . وكذلك لابد من اعتبار ان احد الضغوط الدافعة لعملية اعادة البناء فى الاتحاد السوفييتى هو خوف السوفييت من التنازل عن موقع القوة العظمى الثانية لليابان وعلى مستوى المنافسة الاقتصادية لنتخيل الحالة العصبية للشركات الاقتصادية وهى تتنافس على سوق نطاقه العالم كله . ولنتخيل كذلك شكل المنافسة العلمية مع التجدد السريع فى اجيال الكومبيوتر وغيره من المخترعات ولنتخيل شكل ومقدار المنافسة فى مجال الفنون والمعلومات فى وقت ستغطى العالم فيه شبكة تليفزيونية واحدة حين يصبح العالم قرية واحدة بالحقيقة لا بالمجاز ، زد على ذلك انه لاسبيل للقضاء على الصراعات الاقليمية الممتدة اصلا فى كل من العالم خصوصا فى هامش العالم الثالث ، وان كان هناك احتمال لتأثر شكل تسوية بعض هذه الصراعات بما تفرضه عليها دول المركز بالاضافة للتحول نحو الاشكال غير العسكرية للصراعات مع بقائها ممتدة فى هذه الاشكال . ولنتخيل حالة المنافسة التى ستواجهها دول مثل الصين وبجانبها القوة المتنامية لجارها العملاق اليابانى ، ومثل العالم العربى بازاء توحد الكتلة الاوروبية المقابلة . خصوصا وان الحديث لا يجب ان ينصب فقط على اوروبا الغربية بمشروع وحدتها عام ١٩٩٢ وانما على اوروبا كلها غربا وشرقا بسوقها الاقتصادية الموحدة التى سيطرد نموها بعد تغير الانظمة السياسية فى شرق اوروبا وان استلزم ذلك مدى زمنيا اطول لا يعفى العالم العربى من التهيؤ له من الان .

ان عالم القرن القادم هو عالم للاقوياء الذين يتنافسون دون ان يتقاتلوا . لكن قدرتهم على قتل الضعفاء لن تقل بل ستزيد وبهذا المعنى سيكونون رحماء فيما بينهم برغم كل منافساتهم ، كما سيكونون اشداء على الضعفاء برغم توسلاتهم ، وكلما ارتفع مستوى المنافسة داخل المركز كلما سقط احد اطراف الهامش الى هامش الهامش ، حقا ان عالم القرن القادم لن يكون منعدم الاخلاق تماما ، لكن قيمه الاخلاقية ستطبق فقط على المحسوبين ضمن الاحياء فيه ، اما اشباه الاموات فلن يتحمل احد تكلفة اعادتهم الى الحياة الفعلية ، اذ سيكون من الاجدى وقتئذ تركهم يموتون او التطوع برصاصة اخيرة تريحهم من الحياة ، ولمواجهة هذا الوضع الصعب لابد من استعدادات وتغييرات فى هياكل المجتمعات وفى اساليب حكمها وفى اطقم حاكميه . لقد بدأ بالفعل العد التنازلى لسباق الصعود الى عالم الاحياء او الهبوط الى هاوية الانتحار .. حسبما يكون الاختيار !

دائرة الحوار

ردا على « نظام » الدكتور غالى شكرى :

البريسترويكا .. سبقناها ولم ننتحلها !

بقلم : عبد الرحمن شاكر

كنت خليقا بان اسعد وان استمتع ، بمقال الدكتور غالى شكرى ـ وهو زميل وصديق قديم ـ فى العدد الماضى من « الهلال » لما فيه من دفاع مجيد عن الاشتراكية ، والفكر الاشتراكى ، فى مواجهة سيل الكلام من المعقبين من مختلف الاتجاهات على التحولات الأخيرة في الكتلة الاشتراكية وخاصة اولئك الذين وجدوها فرصة للتهليل لما يعتبرونه سقوطا للاشتراكية . ونصرا مؤزرا للراسمالية رغم ماضيها الاسود ، وجرائمها التى تفوق كثيرا المظالم التى استدعت التطورات الأخيرة فى الكتلة الاشتراكية ، وخاصة إزاءنا نحن شعوب العالم الثالث ، التى عانت ولاتزال تعانى من جرائم الامبريالية ، وليدة تلك الراسمالية فى بلاد الغرب المتقدم ، واتفق مع الدكتور غالى فى معظم ما ذهب اليه ، وإن كنت لا اقره على المدخل المعقد الذى لجا اليه ، متقمصا دور رجل المرور الفكرى ، لايدرى لمن يسمح بالكلام أو لا يسمح ؟

يكون « ديمقراطيا » مع من اولا يكون .. ! وفى غمرة حماسته لهذا الدور الجديد عليه بالتاكيد اختار ان « يلطشنا » بعصا مروره ، ويشير علينا بدورنا ان نسكت ، او بالأحرى ، نخرس ! سامحك الله ياغالى ! ..



ماركس . وانجلر .. حل المنظمات الماركسية السرية ..

● وبيان ذلك انه قرب نهاية مقاله ، ادرج ضمن من لايحق لهم الكلام الآن فقرة عمن يصفهم بقوله :

« البريسترويكيون فى كل العصور ، هم الذين برروا ونظروا لكل حاكم ولكل وسائل الحكم . وبين هؤلاء بعض الماركسيين الذين يتصورون انهم كانوا من انصار البريسترويكا قبل ربع قرن حين حلوا تنظيماتهم الحزبية بينما كانوا فى واقع الأمر من انصار الحزب الواحد والقائد الواحد حين اعترفوا عمليا بالاتحاد الاشتراكى تنظيما سياسيا وحيدا وقبلوا أن يدخلوه كأفراد وكرسوا بذلك غياب الديمقراطية » .. وواضح أن الدكتور غالى يقصد العبد الفقير ، كاتب هذه السطور ، بهذه الفقرة فأنا الذى كتبت فى « الهلال » (عدد سبتمبر ١٩٨٩) ردا على الدكتور فؤاد زكريا ، الذى كان يتهم اليسار المصرى بالجمود والتخلف الفكرى ، مبينا أن هذا اليسار سبق اليسار العالمى الى كل ما جاءت وتجيء به بريسترويكا جورباتشوف الآن . وذكرت فى هذا الرد اسم كتاب لى صدر عام ١٩٦١ ، بعنوان « الثورة الاشتراكية العالمية » . ثم اعدت ذكر الكتاب فى جريدة « الأهالى » بتاريخ ١٩٨٩/١١/٢٩ ، فى صدر الرد على كثير من كتاب اليمين الذى رددوا المقولة ذاتها فى تعليقاتهم على البريسترويكا وتهليلهم لها ، حيث دأبوا على انهاء تلك التعليقات بالزراية على اليسار المصرى ، واتهامه بالتخلف عن اليسار العالمى ، ومن بين ما ذكرته فى هذين المقالين . أننى اتحمل مسئولية خاصة فى الكتابة المذكور ، عن حل المنظمات الماركسية فى عهد عبد الناصر ، حيث دعوت الى ذلك فى طيات الكتاب عام ١٩٦١ ، وتحققت تلك الدعوة عام ١٩٦٤ .

ورغم ذكر الكتاب مرتين ، فلم يحاول

الدكتور غالى وهو يكتب ما كتب ، ان يعود الى نصه ، الذى يشمل الكثير جدا الى جانب مسألة حل المنظمات الماركسية فى مصر ، مما ينطوى تحت عنوانه الشامل ، كان كل علاقة ما كتبناه بالبريسترويكا المعاصرة ، هو مسألة الحل هذه كأننا نستند الى وصف تغيير اسماء الأحزاب الشيوعية[1] فى شرق اوربا الى احزاب اشتراكية ديمقراطية بأنه حل لتلك الأحزاب ، لتقول ـ زى العيال ـ : « هيه .. ما احنا حلينا قبل كده .. » وبس !

كلا ياسيدى .. لم يكن الأمر على هذا النحو ، ولا بهذه البساطة .

● لم يكن اوجه الشمولية !

لم يكن قرار حل المنظمات الماركسية عام ١٩٦٤ .. مجرد انحياز الى حاكم مستبد ، او نظام شمولى يقوم على الحزب الواحد ، كما تصوره كلمات الدكتور غالى ، ولكنه كان اعترافا من جانب الماركسيين المصريين ، بأن هذا النظام قد شرع يتحول نحو الاشتراكية ، وهو الأعتراف الذى شاركت فيه دوائر القوى الاشتراكية العالمية ، بما فيها الحزب الشيوعى السوفييتى ذاته ، بعد تردد طويل ، ولو عاد الدكتور غالى الى وثائق تلك الدوائر فى ذلك الحين لوجد هذا الاعتراف كما وصفناه ، الانحياز إذن كان الى الاشتراكية وليس الاستبداد ، أو الشمولية ، تماما كما ينحاز اليها الدكتور غالى فى مقاله الأخير رغم اعترافه بالاستبداد الذى كان يسود نظمها فى دول المعسكر الاشتراكى وشرعت تتملص منه اخيرا .. المشكلة اذن كانت تكمن فى الحكم ، على ما إذا كان نظام عبد الناصر يتحول الى الاشتراكية ام لا ؟ ذلك التحول الذى اعترف به كل من اليسار المصرى واليسار العالمى كما تقدم .

إن التردد فى هذا الأعتراف ، من جانب الفريقين ، كان مصدره أن الماركسيين فى مصر لم يكونوا على راس هذا التحول ، ولم يعلن عبد الناصر الماركسية اللينينية مذهبا رسميا للدولة ، ولا نادى بأنه يطبق نظام ديكتاتورية البروليتاريا ، ولا انه ينوى القضاء على كل اشكال الملكية الفردية لوسائل الانتاج ، وهى مواصفات الطريق التقليدى لبناء الاشتراكية ، كما اتبع فى دول المعسكر الاشتراكى ، وانما أطلق جمال عبد الناصر على النظام كلمة صفة « تحالف قوى الشعب العاملة » التى تسمح بقيام القطاع الخاص بجزء من النشاط الاقتصادى وخاصة فى الزراعة الى جانب القطاع العام ، الذى تولى مسئولية ٧٠٪ من الانتاج الصناعى ، فضلا عن التجارة الخارجية ، وجزء كبير من التجارة الداخلية ، خاصة تجارة الجملة .

بالمقارنة مع الاسلوب التقليدى الذى اتبعته الأحزاب الشيوعية فى المعسكر الاشتراكى ، كان هذا طريقا جديدا فى تطبيق الاشتراكية ، اكثر اعتدالا من الأول ، واذا كان النظام الناصرى قد كان شموليا ، مثل نظم الأحزاب الشيوعية ، فقد كان باعتداله هذا اقرب الى الديمقراطية وروح العصر من الطريق الأول ، فهو لم يحتج الى المصادمات العنيفة مع جموع الفلاحين لتطبيق نظام المزارع الجماعية ، كما حدث فى الاتحاد السوفييتى فى عهد ستالين ، وكان اساسا

لطغيان هذا الأخير ، كما ان اعتراف نظام عبد الناصر ، بدور المثقفين ، باعتبارهم واحدة من قوى الشعب العاملة ، فى التحالف الحاكم ، تسليما بالحقيقة التى يكشف عنها الاقتصاديون المعاصرون من التغير فى التركيب الطبقى للمجتمعات الصناعية حيث تزداد اهمية العلماء والفنيين والمهندسين .. الخ ودورهم فى عملية الانتاج ، وبالتالى نسبتهم العددية ، بالقياس الى « البروليتاريا » الصناعية التقليدية ، التى لم تكن تملك علما ولا تدريبا خاصا ، وإنما تملك « قوة عملها » فحسب ، على حد تعبير كارل ماركس .. من هذه الزاوية وحدها ، كانت صيغة تحالف قوى الشعب العاملة ، أكثر تقدما من صيغة « ديكتاتورية البروليتاريا » الموروثة من أيام ماركس ، والتى كانت هى حجر الزاوية فى مذهب لينين ، والنقطة التى اوجد حولها الانشقاق الكبير فى الحركة الاشتراكية العالمية ، مابين الأحزاب الاشتراكية الديمقراطية ، التى تطورت فى المغرب ، والاحزاب الشيوعية ، التى اتبعت مذهب لينين ، واسلوبه فى تحقيق الاشتراكية .

كانت المنظمات الماركسية المصرية ، قبل حلها تنتمى الى هذا المذهب الأخير ، مذهب لينين .. فماذا كان يريد لها الدكتور غالى شكرى أن تفعل خلاف حلها ؟ هل كان يريد ان تبقى على حالها ، لتحاول اقناع جماهير الشعب المصرى ، بأن لديها طرازا من الاشتراكية ، أفضل من طراز عبد الناصر ، والأتحاد الاشتراكيه ؟ هل كان يمكن للجماهير ان تقتنع بذلك ؟ أم ان حل المنظمات الماركسية السرية اتاح لاعضائها فرصة المشاركة فى انجاز التحولات الاشتراكية الجارية فعلا ، والدفاع عنها ضد خصوم الاشتراكية عموما ، ماركسية كانت او ناصرية !

علما بأن اشتراكية عبد الناصر ، كانت أقرب للواقعية وروح العصر ، لولا هزيمة يونيو ١٩٦٧ ، التى كانت وليدة مؤامرة امريكية أمبريالية ، ليس هذا مجال شرحها ، والدليل على ذلك ، انه بعد حرب ١٩٧٣ ، أمكن للنظام المصرى ، الذى أسسه عبد الناصر ان يتحول الى التعددية الحزبية رغم قصور فيها فحاول تلافيه حاليا قبل مايحدث الآن من اقرار لها فى دول المعسكر الاشتراكى ، ويصبح لليسار المصرى فى ظلها حزب رسمى معترف به ، وأن نطبق ايضا سياسة الانفتاح الاقتصادى ، رغم عيوب فادحة فيها ، على نحو ما تحاوله الآن دول شرق اوربا ، وربما كان من صالح هذه الأخيرة ان تستفيد من تجاربنا فى هذا المضمار قبل تورطها فيما هى متجهة اليه !

بهذا وحده كانت « الناصرية » سابقة على البريسترويكا وطليعة لها ، اما بالنسبة للفكر الماركسى فى عمومه فقد كانت لذلك وجوه اخرى .

● مرحلة جديدة للماركسية

وكما ذكرت فى ردى على الدكتور فؤاد زكريا ، كانت دعوتى فى الكتاب المذكور الى عودة الشيوعية الدولية الى مبدأ الديمقراطية ، والاتحاد مع الأحزاب الاشتراكية الديمقراطية على أساسها من شانها إذا ما تحققت ان ترفع منسوب الديمقراطية فى العالم كله ، بما فى ذلك المجتمعات النامية ، مثل مصر ، التى كانت محاكاتها للنظم الاشتراكية فى شموليتها ، جزءا من محاكاتها فى تطبيق الاشتراكية ، ولو بشكل مختلف ، فضلا عن اننى فى هذا الكتاب اعتبرت أن مرحلة

دائرة الحوار

الديكتاتورية الثورية فى الثورة الروسية ، التى افضت الى طغيان ستالين ، كانت ضرورية طالما كانت الثورة مهددة من الخارج بالحروب التى اشار اليها الدكتور غالى شكرى فى مقاله الأخير ، فلما وصلت الى رحلة الأمان بتحول النظام الاشتراكى الى نظام عالمى لايمكن قهره ، اصبح فى الامكان ، بل من الضرورى الاستغناء عن هذه الديكتاتورية . وما يصح على الثورة الروسية ، يصح بالضرورة على الثورة المصرية الوليدة آنذاك وخاصة بعد تحولها الى الاشتراكية .

ومع ذلك لم اتردد فى أن اكتب فى جريدة الجمهورية بتاريخ ١٩٦٤/٦/٣٠ ، بعنوان « الديمقراطية والطبقة الجديدة » محذرا من تصاعد النزعة الاستبدادية عندنا حتى لاتفضى الى نشوء طبقة جديدة ، تستأثر بثمار التطبيق الاشتراكى على نحو ما حدث فى دول المعسكر الاشتراكى ، وكانت تلك من أواخر ما كتبته لتلك الجريدة ، حيث أقصيت عنها بعد قليل !

لم نكن اذن أدعياء فى ايماننا بضرورة تحول الاشتراكيين عامة الى الديمقراطية ولاتنتفض الآن فى البريسترويكا لنرتدى مسوحها بأثر رجعى !

بل اننى لأزعم أن الاحزاب الشيوعية ، لو كان فى مقدورها أن تستجيب لما دعوتها اليه من العودة الى الديمقراطية فى عهد خروشوف ، أى منذ ربع قرن ، لكانت اوضاعها افضل بكثير مما هو الآن ، وقتها قلت أن تلك العودة سوف تكون بمثابة هزيمة شكلية للثورة الاشتراكية العالمية يتبعها مزيد من الانتصارات ..
ولكن التباطؤ فى تحقيق هذا التحول ، وخاصة بعد التدهور الاقتصادى فى عهد بريجنيف ، بسبب استمرار سباق التسلح بتكاليفه الباهظة جعل التحول الحالى الذى اقدم عليه جورباتشوف ، ومضاعفاته فى شرق أوربا ، يبدو وكأنه هزيمة مدوية امام الرأسمالية المنافسة .

لقد حاولت فى الكتاب المذكور ان اصوغ معالم مرحلة جديدة للفكر الماركسى لابد أن يتحول اليها بعد انتهاء المرحلة اللينينية ، وإذا كان البريسترويكيون المحدثون يعلنون الآن ذلك ، على نحو ما فعلت مجلة « المنار » فى عددها الصادر فى مارس عام ١٩٩٠ ، حيث كتبت على غلافها العبارة التالية « بعد تجريم الستالينية ، جورباتشوف يعلن نهاية اللينينية » .

فقد اعلنا نحن هذه النهاية فى بداية الستينيات ، وبينما نقلب صفحات الأعداد الثلاثة التى اصدرتها المجلة المذكورة التى يرأس تحريرها زميلنا القديم ايضا ، الدكتور امير اسكندر ، لانكاد نجد إلا ترديدا لما قلناه فى ذلك الوقت المبكر ، بما فى ذلك ما تضمنته المقدمة التى كتبها رئيس التحرير للعدد المذكور من المجلة ، حيث يقول : فالأسس التى نهض عليها حكم ستالين لم تكن من صنعه ، فليس هو صاحب مفهوم الحزب الطليعى الذى تحول الى مفهوم الحزب الواحد ،* ولا مبتكر مفهوم « المركزية الديمقراطية » ولا مبدع مفهوم ديكتاتورية البروليتاريا ، الى آخر مجموعة المفاهيم



د . غالى شكرى



لينين

التى شكلت الهيكل السياسى النظرى الذى انطلقت منه الأتوقراطية التى تسلطت على المجتمع السوفييتى » .. إلى ان يقول : « هذه المفاهيم كلها وضعها ، وصاغها ، واشاعها فى الفكر والممارسة : لينين .. ومن ثم فأن رفض هذه المفاهيم اليوم والرجوع عنها ، فى ظل اى تبرير ، وتحت أى شعار ، هو بكل المقاييس رفض لليتينية نفسها ورجوع عنها » .

ولكن لابد أن نضيف : أن جورباتشوف لم يكن هو الذى اعلن سابقا ولا أخيرا انتهاء اللينينة ، فجماهير المعسكر الاشتراكى هى التى تفرض ذلك الآن ، بتدميرها تماثيل لينين ، واجبارها جورباتشوف على الكف من ذكره فى بياناته ..

(١) انظر كتاب الدكتور فؤاد زكريا عن جورباتشوف ، عدد ٢٤ من كتاب الأهالى .

وبخلاف ذلك فإن كثيرا مما أوردته المجلة ، بما فيه ما كان على لسان مفكرين من الغرب يتفق مع ما قررناه منذ ربع قرن .. من ذلك الاشارة فى ص ٨٥ من العدد المذكور ، الى فشل توقعات ماركس فى أن الثورة الاشتراكية سوف تقوم فى الدول الغربية المتقدمة ، وانما على النقيض من ذلك حدثت فى البلدان المختلفة ، « وان هذا هو التناقض المركزى الذى ينبغى ان ننشغل به فى نقاشنا لقد كان هذا التناقض هو نقطة البدء فى الفصل الأول من كتابنا ، ودارت سائر دراستنا حول آثاره ..

من ذلك القبيل ايضا ما جاء فى ص ٩٦ من العدد المذكور من أنه فى فرنسا والعديد من الدول الأوربية ، وبالتالى امريكا : « تتوفر ظروف تجعلنا (المتكلم من فرنسا) اكثر قربا من المجتمع الشيوعى الذى نأمله بالمقارنة بالمجتمعات التى تعلن انها شيوعية ، فإن كلاما شبيها بذلك ورد فى كتابنا بصدد الحديث عن « الاشتراكية الأمريكية » .

بقيت نقطة واحدة رئيسية لم تحققها البريسترويكا ومضاعفاتها حتى الآن والحجنا عليها فى كتابنا المذكور ، وهى الدعوة الى الوحدة ما بين الأحزاب الشيوعية والأحزاب الاشتراكية الديمقراطية ، على اساس الالتزام بمبدأ الديمقراطية والتخلى عن مفهوم ديكتاتورية البروليتاريا ، لقد ادى التخلف عن تحقيق هذا الهدف الى انتصار اليمين فى الانتخابات التى جرت مؤخرا فى المانيا الشرقية ، بدلا من ان تتكون من الوحدة المذكورة مابين قطبى الحركة الاشتراكية غالبية تكفل لها السيطرة على المانيا الموحدة التى نادينا باعادة توحيدها على أساس الديمقراطية ، فى ذات العلم الذى كان فيه الشيوعيون يبنون سور برلين !

ومع ذلك فإن الفرصة لاتزال باقية لتحقيق الوحدة بين قطبى الحركة الاشتراكية العالمية على النحو الذى وصفناه ، مما يبرز وجود الاشتراكية من جديد كقوة سياسية رئيسية فى العالم ، ويساعد على تحويل فائض القوى الانتاجية التى كانت مهدرة ، ولاتزال فى سباق التسلح إلى مافيه خير للانسانية ، وإنقاذها من اخطار عديدة ، بما فيها تلوث البيئة فى هذا العصر الصناعى ، ولكننا بالاستطراد فى ذلك نخرج عن موضوعنا ، ولعل صديقنا الدكتور غالى لايطالبنا بعد الآن بالكف عن الكلام ، بل ربما يدعونا الى المزيد منه ! ..

---

(١) انظر كتاب الدكتور فؤاد عن جورباتشوف : عدد ٢٤ من كتاب ايهالى

الرد على أوراق العمر

الأحداث المصرية من ثورة ١٩١٩ حتى سنة ١٩٨٩

بقلم : حافظ محمود

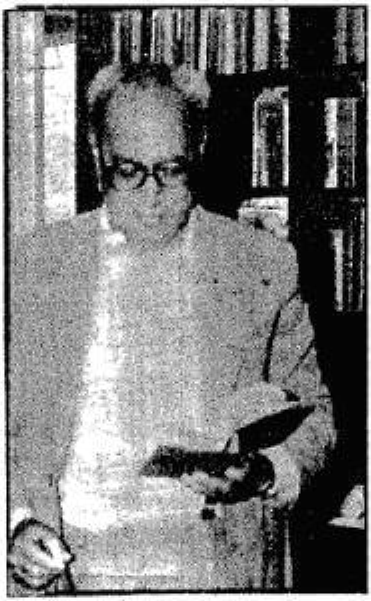
استطيع أن اقول أن كتاب « أوراق العمر » لمؤلفه الاستاذ الدكتور لويس عوض الذى ظهر فى هذا الموسم بعد ثمانية واربعين كتابا من تاليفه يعتبر من معالم الطريق فى نهضتنا الكتابية المعاصرة .. واستطيع ان اقول انه فى الجانب الذاتى منه يعتبر منافسا لكتاب « اعترافات جان جاك روسو » . قبل ظهور كتاب « اوراق العمر » لانكاد نذكر كتابا عربيا كشف مؤلفه عن ذات نفسه وعن تجربته المبكرة فى الحياة بما فيها من خطأ وصواب يتلازمان فى عهود الصبا .. ومن هنا استطيع ان اقول كذلك ان هذا الكتاب بداية تطور جديد فى فن الاعترافات .

● ان الاخ لويس عوض يحدثك فى هذا الكتاب فى اسرار صباه من اول مرة دخل فيها بيوت العاهرات سواء كان مختارا او مضطرا . عن اول مرة دخن فيها سيجارة « سادة » واخرى محشوة بالحشيش .. وكان ذلك سببا فى كراهيته لهذا التدخين . وعن اول مرة قفز فيها من نافذة المدرسة العليا للفرار منها . وادق من هذا كله انه يحدثك عن اوليات تجربته مع « الحب » دون أن يدرك أنه الحب .. وقد ذكر فى هذا المجال اسماء اللواتى أعجب بهن ببراءة دون ان يخفى اسماء أسرهن واعتقد ان هذا تزيد من الاخ لويس لايتفق مع التقاليد المرعية .. لكن المؤلف اراد ـ كما يبدو ـ ان يكون صريحا معك الى اقصى حد ممكن .

وليس من شك فى ان هذا الجانب الذاتى فى كتاب « اوراق العمر » كان شيئا لابد منه ـ مهما كان رأيك فيه ـ لينتقل بنا المؤلف من عصر الاعترافات المستورة الى عصر الاعترافات الصريحة ، وليكن رأيك فى هذا مايكون .

● ● ●

لكن الاخ لويس لم يشأ ان يقدم اليك رهو فى هذه الفترة . كشف اعترافات ذاتية فقط ، بل انه اراد ان يصور لك الاجيال التى عاشها فى الحياة العامة



د . لويس عوض

فاكسبك بذلك صور الاحداث المصرية كما راها او كما درسها او كما تصورها منذ ثورة ١٩١٩ الى سنة ١٩٨٩ اى منذ طفولته الى سن نضجه

ومع انه قال ان ثورة ١٩١٩ لم تجد لها جبرتى يؤرخها فانا اذكره بان جبرتى ثورة ١٩١٩ هو عبدالرحمن الرافعى وان الاخ لويس نفسه قد جاء بكتاب « اوراق العمر » ليكمل هذه الجبرتية . ان الذى اثار انتباهى الى هذا الجانب الموضوعى فى « اوراق العمر » هو هذه الدقة فى « التواريخ » مما يدل على ان المؤلف كان لايكتب بوحى ذاكرته بل كان يرجع الى صحف كل مرحلة ليؤكد صحة الواقعة التى يذكرها .. ولقد اعتمد كثيراً وليس دائما على مجلة « اللطائف المصورة » ويبدو انه لم يكن يعلم ان هذه المجلة كانت ابان الحرب العالمية لسانا من ألسنة الاستعمار البريطانى وهى حقيقة لم يكن اضحاب هذه المجلة يخفونها خاصة وانهم كانوا من اسرة جريدة المقطم التى عاونت السلطات البريطانية على انشائها قبل مائة عام لتكون لسانا عربيا لها . حتى أن صاحبها كان يسمى نفسه « الخواجة » وكانت هذه تسمية مكتوبة على لافتة غرفته الخاصة بدار المجلة وليس شك « علميا » ان هذا كله لايمنع من الرجوع اليها باعتبارها صورة من صور الاداء الاعلامى الى جانب غيرها من الصحف المختلفة الالوان .. والواقع اننا لانجد فى الجانب الموضوعى من كتاب « اوراق العمر » الا النذر اليسير الذى لا اهمية له ، مثل قوله ان محمود بسيونى كان من زفتى مع انه كان صعيديا قحا ، ومثل هذه الاخطاء لايمكن ان تقلل من ضخامة العمل الذى قام به مؤلف هذا الكتاب .

• • •

هنا احب ان اقول ان موضوعية لويس عوض فى كتاب « اوراق العمر » لايمكن ان تكون اداة نفى لذاتيته بالكامل .. وانا اقولها صراحة انه مامن كاتب فى الدنيا ايا كانت موضوعيته قد تخلت عنه ذاتية فيما يكتب ، بل على العكس كثيرا ماتكون هذه الذاتية عونا على الجو الذى اوحى للكاتب بما يكتب فلويس عوض فى هذه الذاتية صادق مع نفسه ومع هذا العلم الغزير الواضح فى اكثر اركان كتاب « اوراق العمر » فانا اراه بشىء من الاسف قد نسى شيئا هاما لم اكن اتوقعه من لويس عوض فاذا به يبدو احيانا

كاولئك الذين يحاولون ان يطبقوا نظريات العصر الحاضر على عصور سابقة حتى لقد تصور بعضهم ان الممكن ان يطبق هذه النظريات فى احكامه على الثورة العرابية وثورة سنة ١٩١٩ مع ان هذا ضد طبيعة الاشياء .

مثال ذلك الايماءات الى نقد اصحاب فكرة الجامعة الاسلامية وينسى اصحاب هذا النقد ان هذه الفكرة كانت في فترة ما نابعة من الشعور القومى العام ، وقد كان الزعيم مصطفى كامل حبيب الجماهير لايخفى الانتماء لدولة الخلافة ولم يكن هناك تيار مضاد كبير لمصطفى كامل بل ان احمد لطفى السيد حينما جاء بعد ابتداء حركة مصطفى كامل بسبع سنين واعلن ان مصر للمصريين لم يلق تداوه التأييد الذى كان يلقاه مصطفى كامل الا بعد قيام ثورة ١٩١٩ .

من اجل هذا ارى ان نقد الاخ لويس عوض لبعض اشعار شوقى فى هذا الاتجاه يكاد ان يكون بعيدا عن موضوعية لويس عوض نفسه .

● نقد شديد لأحمد حسين

ولعل اول او اخر ـ لست ادرى ـ مالفت نظرى فى هذا الكتاب القيم هو هذا الاهتمام الزائد بالنقد الشديد للمرحوم احمد حسين لدرجة محاسبته على بعض اعماله صبيا فى حوالى السابعة عشرة من عمره ، ومنها انه الف « جماعة الشباب الحر انصار المعاهدة » والحقيقة ان هذا التشكيل قد الفه الزميل الاكبر سنا المرحوم حسن صبحى ، وهذا واضح من خلال حلقات تاريخ حسن صبحى التى نشرها قبل عام بجريدته المحلية ، جريدة ابناء المعادى ، وقد التقى حسن بعدد من طلبة التعليم الثانوى منهم احمد حسين يتطلعون لعمل شىء فأدخلهم فى هذا التشكيل الذى وكلوا رياسته اليّ كما جاء فى الكتاب وكان اتجاهى اتئذ الدعوة الى الاندماج بين الاحزاب الذى كان سعد زغلول قد توصل اليه قبل وفاته .. وعكف حسن صبحى على اقناعنا بان محمد محمود مستعد لعمل اى شىء فى سبيل نجاح المعاهدة بما فى ذلك تخليه عن الحكم والترابط مع خصومه السياسيين واعادة الحياة النيابية . وكان محمد محمود قد قال شيئا من هذا فى خطبته التى القاها عقب عودته من لندن وكسب بذلك تأييد جميع الساسة وعلى راسهم الامير عمر طوسون ماعدا اعضاء حزب الوفد الذين كانوا يرون ان هذه فرصتهم للعودة الى الحكم ، لعلهم كانوا يعرفون ان الانجليز كانوا اكثر سخاء فى معارضة محمد محمود لكى يخرجوه من الحكم لان موقفه من اقتراحات دخول مصر الحرب التى كانت متوقعة بين سنة واخرى لم تعجبهم .

ولقد ذهبت انا بالفعل الى بيت الامة اطلب عون الشباب الوفديين على فكرة « الاندماج » لكن صديقا لى من اقطابهم وهو المرحوم عبد الحليم محمود الذى صار من زعماء الفقهاء فيما بعد قد افهمنى ان هذا مستحيل من وجهة النظر

الوفدية وتخليت عن رياسة هذه الجماعة موكلوا رياستها الى رجل كبير هو المرحوم اللواء محمد قطين باشا ، وعلى اية حال فقد كان عمر هذا التشكيل بضعة اسابيع انتهت بانتهاء الكلام فى مشروع المعاهدة عقب سقوط وزارة محمد محمود .. ولا علم لى بخطب احمد حسين فى هذه المرحلة الطفولية امام محمد محمود او غيره .

• • •

ولقد ورد فى كتاب « اوراق العمر » كلام لاحمد حسين فى جريدة الصرخة وعده المؤلف جزءا من مخططات حركة « مصر الفتاة » لكن نمى به سنة ١٩٣٠ حيث لم تكن هناك « مصر الفتاة » ولا مجرد التفكير الجاد لكنها قصة طريفة تستحق الرواية

كان لنا صديق شاب يملك ترخيصا باصدار جريدة باسم « الصرخة » هذا الشاب هو المرحوم الصحفى عبد الرحمن العيسوى وكان العيسوى يؤجر ترخيص الجريدة احيانا كما اجره للتابعى مرة ثم باعه لاخر ، كان هذا الشاب دائم الالحاح على اصحابه ومنهم احمد حسين ، ليكتبوا له مقالات طلبة بين نهاية التعليم الثانوى ومقدمات التعليم الجامعى ولست اظن ان هذه المقالات كانت تساوى شيئا حتى يهتم بها اخى لويس عوض اما « الصرخة » التي اشترك ثلاثتنا احمد حسين وفتحى رضوان وانا فيها فقد كانت فى خريف سنة ١٩٣٣ ولها قصة تبدأ بدعوة من المرحوم فتحى لكلينا ـ احمد وانا ـ للالتقاء به فى داره بمصر الجديدة التي لم يغيرها الى اخر يوم فى حياته وفى هذا اللقاء دار الحوار حول مسار كل منا واستبعدنا فكرة الوظائف ، اجتمعت كلمتنا على اصدار صحيفة نكون نحن اصحاب الشأن فيها لنعبر بها عن افكارنا الجديدة . تقدم كل منا الى ادارة المطبوعات لطلب الترخيص باصدار جريدة ورفضت الطلبات الثلاثة بحجة صغر السن ، فاستأجرنا ترخيص جريدة الصرخة واصدرناها فورا .

● مناهضة الانجليز

لقد تعجبت من تساؤل المؤلف عن تمويل هذه الجريدة كأن الاستاذ لويس عوض لايعلم ان اصدار صحيفة اسبوعية فى الثلاثينات لم يكن يعجز افقر الناس .. ومع هذا فقد كان فتحى رضوان من اسرة ميسورة الى حد ما .. ولم يكن احمد حسين بالفقر الذى تصوره المؤلف والصحيح ان اباه كان موظفا غير كبير لكنه كان يملك احدى العمائر القائمة حتى الان بحى المنيرة .



جمال عبدالناصر وحديث
مع فتحى رضوان

الرد على أوراق العمر

اما ان هذه الجريدة لم تكن تناهض الانجليز .. فردى على هذا بسيط جدا ، هو ان طوال اشتراكى فى العمل بها كان لى مقال اسبوعى ثابت تحت عنوان « الانجليز خصومنا »

وقد تعجبت ان يذكر الكتاب نبأ القبض على احمد حسين فى ١٢ نوفمبر سنة ١٩٣٢ وحده مع ان القبض كان على ثلاثتنا احمد وفتحى وانا بل انا كنت المدعى عليه الاول بوصفى رئيسا للتحرير .. وتلك رواية روايتها فى العيد الذهبى لحركة « مصر الفتاة » الذى اقيم بقاعة اللجنة المركزية فى اكتوبر سنة ١٩٨٢ ورويت فيها اننى اختلفت مع احمد حسين منذ فاتحنا فى انه سيشكل حزبا اذ كان رايى ان مهمتنا لبضع سنين .. هى بث الافكار الجديدة وقد ترتب على ذلك اعتزالى رياسة تحرير الصرخة بعد ان تحولت الى لسان لهذه الحركة .. وكان لتشكيل جمعية مصر الفتاة قصة اولها انها سميت فى البداية جمعية لاننى كنت اعارض فكرة الحزب فى ذلك الوقت المبكر .

وذات يوم وانا وفتحى نمارس عملنا بمكتب الجريدة دعى فتحى لمكالمة تليفونية من احمد .. وفى هذه المكاملة قال احمد لفتحى ان جمعية القرش فى اجتماعها اليوم قررت ان تتحول الى جمعية مصر الفتاة وان المؤسسين انتخبوا احمد رئيسا لهذه الجمعية . كما انتخبوا فتحى امينا عاما ثم تركوا لى الخيار بين ان اكون وكيلا او مستشارا للجمعية .

فلما ابلغنى فتحى بذلك رجوته ان يبلغهم اننى معتذر عن قبول اية صفة وكاد فتحى ان ينضم الى فى هذا الراى لولا اننى نبهته الى ان ذلك سيفسر تفسيرات شتى لا داعى لها الان .

● أصدقاء الى اخر العمر

هكذا انتهت علاقتى بجريدة الصرخة وبالتالى بالجمعية واستمر فتحى مشاركا لاحمد الى ان تحولت الجمعية الى حزب فآثر ان يعود الى حزبه الذى ينتمى اليه . بحكم الوراثة الاسرية وهو الحزب الوطنى .. لكننا نحن الثلاثة ظللنا اصدقاء الى اخر العمر .. وبحكم هذه الصداقة وليس الانتماء اريد ان اطرح اشياء لايستطيع احمد الآن ان يطرحها وهو بين يدى ربه وليس معنى هذا انه فوق النقد »

● ● ●

الواقع اننى كلما قرات فى الماضى وفى كتاب « اوراق العمر » كلاما عن الفاشية مرتبطا بحركة احمد حسين كنت اتعجب فالذى يدعو الى الفاشية لابد ان يكون له شأن اخر .. والمسالة كلها ان احمد مثل غيره من طلبه وخريجى الثلاثينات كان معجبا بالنهضة التى كان ينهضها هتلر فى بلده وموسولينى ، فى بلده بلا سياسة وقد ظل هذا الاعجاب قائما عند كثيرين من الناس الى ان انهزم نظاما هتلر وموسولينى .. اما حكاية القمصان الخضر فقد كان الفكرة فيها فكرة رياضية وقد بدأها الاخوان المسلمون بتنظيم فرق تلبس ملابس شبه



احمد حسين .. العودة من امريكا



عسكرية ثم شكل حزب الوفد « القمصان الزرق » فلماذا .. لماذا لاتتركز الفاشية الا في القمصان الخضر وحدها ؟

اقول هذا وانا لم اؤمن يوما بهذه القمصان لكن شبابا اكثر منا نشاطا امنوا بها حينا وفى مقدمتهم الزعيم الراحل جمال عبدالناصر فى نشأته ولو رجعت الى قسم الصور فى الجزء الاول من كتاب « سنوات ما قبل الثورة » لصبرى ابو المجد لوجدت من بينها صورة لاصحاب القمصان الخضر ومن بينهم الطالب جمال عبدالناصر .

اما ان احمد حسين كان عميلا لايطاليا كما قال ذلك رجل عظيم هو النحاس باشا وان لم يذكر اسم تلك الدولة أليس من الطبيعى ان يكون هنا سؤال : لماذا وقد كان النحاس باشا اذ ذاك الحاكم العسكرى العام - لماذا لم يتخذ اجراءات لمحاكمة هذا العميل ؟

ومن ذلك ايضا ماجاء فى الكتاب من ان احمد حسين قد احتواه صدقى باشا .. كيف هذا .. واحمد قد سجن عدة مرات فى عهد حكومة حزب اسماعيل صدقى

وكذلك كيف يعقل ان يكون احمد « عميلا » ايضا للملك فاروق وقد دبرت له قضية حريق القاهرة باذن « صاحب الجلالة » .. وانا لا اقول هذا الكلام ارتجالا .. بل لقد حدث ان كنت الشاهد الوحيد فى نفى التهمة عن احمد حسين فلما التقيت باحد المحققين قال لى همسا .. لماذا تتورط فى شهادة يعتبرها القصر ضده ؟

الرد على أوراق العمر

ان الذى اراحنى فى رواية هذه الاشياء عبر كتاب « اوراق العمر » للويس عوض انه كان يكرر فى كثير منها انه « سمع بذلك » وكنت اتعجب كيف يعتمد عالم جليل كالدكتور لويس عوض على مجرد السماع وهو مالم يفعله فى فصول الكتاب الاخرى !!

وفى ظل هذا « السمع » ظلم الاخ لويس عوض الاستاذ سلامه موسى من حيث لايدرى حين قال ان احمد حسين نادى بالاستقلال الاقتصادى مع ان هذا النداء صدر عن سلامه موسى وعن جمعية « المصرى للمصرى » التى شكلها سلامة موسى قبل مشروع احمد حسين مشروع القرش وغيره وليس صحيحا ان احمد حسين قد اتصل بسلامة موسى ثم انصرف عنه ، والصحيح ان سلامة حينما شكل جمعية « المصرى للمصرى » انتخب رئيسا وانتخبت انا سكرتيرا لها .. وكان على تشكيل لجان هذه الجمعية فوكلت الى الاخوين الطالبين فتحى رضوان واحمد حسين تشكيل لجنة كلية الحقوق

واثناء نجاحات مشروع المصرى للمصرى اصدرت دار الهلال عددا خاصا من مجلة الدنيا الجديدة كله هجوم على سلامة موسى ردا على هجومه وكانت فى هذا العدد صفحات بخط سلامة موسى بالزنكغراف ووزعت هذا العدد مجانا فى مؤتمرات جمعية المصرى للمصرى وكان له رد فعل سيىء فتداركنا الموقف بالاتفاق بينى وبين سلامة موسى ان تحدث بعض التغيرات فى مسار الجمعية ومنها تنحى سلامة عن الرياسة وتغيير اسم الجمعية من « جمعية المصرى للمصرى » الى جميعة الاستقلال الاقتصادى برياسة المرحوم عبد الله اباظة احد رجال الاقتصاد المرموقين .



سلامة موسى

● ● ●

وفى النهاية اريد ان اقول بان هذا كله لايمثل شيئا كثيرا فى الكتاب القيم الذى اصدره الدكتور لويس عوس بل اننى اظن ان هذه الهنات اقل بكثير مما يتورط فيه بعض المؤلفين .. وكل عمل ادبى او علمى لابد ان ناخذه ككل .. وفى هذه الكلية نجد اننا امام كتاب هلم به دروس كثيرة . ومعلومات غزيرة وجهود كبيرة تذكر فتحمد للمؤلف الممتاز .

الأدباء فى الخمسينات ..

حياة الرواد والمقاهى والمنتديات الأدبية

بقلم: فاروق خورشيد

لم يكن رمضان شيئا عاديا بالنسبة لنا فى الخمسينيات والستينيات وهى سنوات تجمعنا بما عرف باسم الجمعية الادبية المصرية وهو تجمع حقيقى فى صداقة اساسها وحدة الهدف ووضوح الرؤية مع حب اصيل عاش كل هذه السنوات ، وعاش احيانا بعدها ، بعض سنوات .. وبعضه اثر او تعثر وسقط ، وبعضه مازال قائما وان غدا متوترا بشيلان الخريف خوف الشيء او تقلبات الطقس والزمان .. وانتظار اللحاق بمن آثروا ان يسبقوا الجميع الى الرحاب .. وكنا جميعا فى هذه السنوات نحصل المعرفة ويؤصل كل منا طريقة نحو اسلوبه وفنه ، ويحدد كل منا منهجه فى التفكير والرؤية والسلوك معا ..

وكنا فى ذات الوقت نقف فى المنتصف بين من يوشك انْ ينهى رسالته وقد وضحت معالمها امامه واستبان الطريق وشق فيه حفرا عميقة ودك فيها الاساس المتين الذى يقف عليه شامخا .. مدلا منتجا مؤثرا ومسيطرا معا ..

وبين من لايزال فاغر الفم مشدد النظرة يسائل نفسه ، هل يسلك هذا الطريق الوعر .. لم يكتفى بالفرجة والانصات واحلام اليقظة ، او اهتلاب الفرص التى يتيحها تلقف الفتات الذى يتناثر من فوق المائدة العريضة الممتدة .. والمتلحة والثرية فى آن واحد .

لعلى لو كنت اكتب هذا الكلام فى الخمسينيات او الستينيات لاختلفت اللهجة وتغيرت نبرة الحديث ولكنى اكتبه فى التسعينات بعد ان ازاح الزمن الستار عن الكثير من احداثه . وكشف الرؤية عن الكثير من الأعماق . فكانى أركب آلة الزمن ، واعود بها لاعيش من جديد فى نفس المكان ومع نفس الشخوص . ولكنى لست غريبا عنهم ولا عن الأحداث التى فصلت بين اللحظة التى اراهم فيها بواسطة آلة الزمن .. واللحظة التى اكتب فيها محملا بكل تجربة الزمن .. ولم يكن « ويلز » مخطئا حين تصور فى رحلته الى الزمن الآتى ان البشرية تحطم نفسها .. ويتحول نفس المكان الى عالمين ، عالم من يعيشون (فوق) ، وعالم من يعيشون (تحت) ، وأن احدهما سيأكل الأخر ، وسيرعاه ويربيه ، كما ترعى وتربى الماشية .

كل ما خطأ فيه « ويلز » هو من الذى سيأكل من ؟ فى رواية « ويلز » يأكل اصحاب (تحت) ، اصحاب (فوق) .. اما فى عالمنا ، فالذى حدث هو العكس يأكل اصحاب (فوق) اصحاب (تحت) .. وان كان الامر ان هناك أكلا ومأكولا . وأن الناس فى نفس المكان قد تحولوا مع الزمن الى وحوش او إلى اغنام وما ماتت رؤية فنية .. صادقة أبدا .

كل هذا وكنا نتحدث عن رمضان... ولكن العذر بين ، فرمضان عندنا معشر المسلمين هو شهر الزهد والتقشف

احلى الذكريات الفنية .. فى مقاهى القاهرة القديمة



والرؤية الصادقة .. وكفى ان الكلمة نزلت فيه ، وكفى ان ليلة القدر تتوج لياليه .

وبنفس هذه المعاني كنا نلتقي في الجيزة في منزل استاذنا الراحل العظيم الدكتور محمد كامل حسين استاذ الأدب المصرى والباحث والمتخصص فى مجال الفاطميات والشيعة .. وكان الدكتور كامل قد احتضننا منذ اواخر الاربعينيات .. اختارنا من بين طلبته ، وفتح لنا قلبه وبيته وعلمه وصداقته جميعا .. وفى ليالى رمضان كان البيت يموج بالأنوار ، وكنا نتوافد عليه منذ العشاء ونظل نتحدث ونقرأ ونجادل ونسمع ونتعلم ونتعالم ، شأن الناشئة فى كل جيل وزمان ومكان - حتى قرب السحور .. وفى هذه الجلسات تعرفنا بجلساء قهوة الدكاترة او قهوة عبد الله بالجيزة وقد اصبحت الآن فى خبر كان .. وكانوا فى رمضان ينتقلون من القهوة إلى منزل الدكتور كامل حسين وارتبط بعضهم بنا ارتباطا كاملا حتى الآن كما ارتبط بعضهم بنا الى نهاية ايامه ، وان ظل معنا كذكرى وانتاج حى الى الآن - محمود حسن اسماعيل وزكريا الحجاوى وانور المعداوى ، ضحكات وشعر ونقدات ساخرة لاترحم ، وحب وصفو ورشفات من الخشاف الذى يقدمه الدكتور كامل حسين ، وحكايات عن ذكريات القرية والحب ، والرسالة والزيات ومندور ، وضرورة خلق صيغة جديدة للأدب وللشعر .. وابن الناس ياناس - ثم اسمعنا ياصلاح - والمعنى هنا هو الراحل صلاح عبد الصبور - ومارأيك ياعز - يعنى عز الدين اسماعيل - ثم نسمع محمود حسن اسماعيل يشدو بشعره شدوا لايقارن ولاينسى - وانحناءة رأس زكريا الحجاوى



د . محمد كامل حسين   زكريا الحجاوى

على صدره وهو يقول - ياسلام - والنظرة الساحرة المتعالية من المعداوى وهو يقول .. من يدرى ربما خرج منكم ما .. وحنو كامل حسين وهو يقول : مهلا ياجماعة انتظروا منهم ماسيقدمونه فى الغد - ومضى الجميع .. الشاعر الكبير بعد ان اثبت انه الرائد والقمة ، وان نسى نقاد العصر الحقائق .. والناقد الكبير بعد ان قال احلى الكلمات وادقها وارقها .. والاستاذ الكبير وفى قلب اولاده وتلاميذه من ذهابه غصة وحسرة لاتنقضى .. والآخرون رفقاء اليوم والغد ، الدكتور القط والدكتور محمد القصاص والأخ القصاص الفنان الحلو محمود السعدنى ، من منهم كان يتصور أن جلسات رمضان واحاديث رمضان ومكسرات رمضان فى بيت الدكتور كامل حسين فى الجيزة ستغدو مجرد ذكريات قل من يذكرها او يذكر ماتفجرت من طاقات وقوى ، وما احدثت فى الحياة الأدبية من قيم ومعان .. فى هذا البيت وفى رمضان كنا نلتقى بقادة الفكر الشيعى فى العالم الاسلامى كله ، بعضهم يأتون بملابسهم السوداء ، وبعضهم بلحاهم السوداء او البيضاء ، ولكن بسمة الصديق والأب الراحل كامل حسين كانت

تتسع لهم ولنا ، وما كنا نفهم حوارهم معه ، ولكننا كنا نزداد حبا له وللعلم واختلاف الرأى .. وان نقول فى حضرته شعرنا وقصصنا ومقالاتنا ومحاولاتنا النقدية .. وان نشهد تقديرهم له ، وحب زملاء العلم والجامعة والدراسة لهدوئه وصدره الواسع ، وتتعلق قلوبنا نحن بما يتيحه لنا من حب ومكان وكلمة .. ومضى كامل حسين ، وكل رمضان اذكره واذكر هذه الجلسات الكريمة السخية التى جمعتنى بمن لم يكن من الممكن ان اجتمع بهم لولاه ..

● تواصل الاجيال

وبعد هذا بقليل كان الاستاذ الكبير المؤرخ الروائى فريد ابو حديد يدعونا الى مائدة افطار تقام فى جمعية المعلمين فى ميدان الاوبرا ـ مرة كل اسبوع ، هو يدعو الاسبوع الأول ونحن نشترك فى الاسابيع الباقية لنقيم مادبة الافطار الاسبوعية كل ثلاثاء ـ كان ابو حديد قد التقى بنا عن طريق الدكتور كامل حسين ، وكان قد سمع لبعضنا ومن بعضنا ، وكان ايمانا منه بضرورة تواصل الاجيال يحب ان يجعل منا امتدادا شابا للجنة التاليف والترجمة والنشر .. وكان شباب اللجنة ينبغى أن يتجدد وإلا ونت اللجنة وتاكلت وذهبت قطعة قطعة كلما ذهب علم من أعلامها وهذا ماتم حدوثه بالفعل ، ورغم كل أمال ابى حديد ومحاولاته تجديد شباب اللجنة .. فقد كان اصحاب اللجنة حذرين من كل وافد جديد ـ وخاصة فى هذه الايام ـ اوائل الخمسينات ـ حيث كثر المد الشيوعى واكتسح امامه عقول وافئدة طبقات من شباب تلك الايام ولم يكن فينا من استهواه هذا التيار ، وان كنا كلنا قد قرأنا ما اتيح لنا من كتبه المتداولة ، وكان بعضنا قد درس مع غيره ما اتيح من هذا الفكر وفلسفته ، وعاد الينا بالحصيلة وطرحها علينا فى مجادلات ونقاش حاد وشيق ..

وأحسسنا ان اسئلة كثيرة يمكن ان تجد الاجابة فى هذه الفلسفة ، ولكننا أحسسنا ايضا ان الاسئلة الرئيسية التى تشغلنا لن تجد لها اجابة فى هذه الفلسفة .

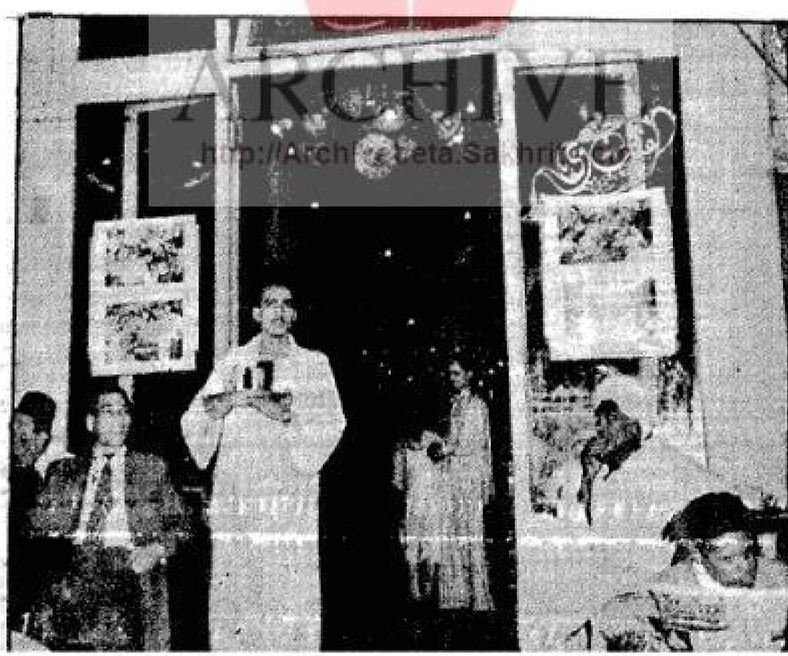
بل لقد احس الكثيرون منا ان هذه الفلسفة نفسها تطرح اسئلة جديدة اشد خطورة من تلك التى كانت مطروحة قبل ان نبدأ فى التعارف عليها ، قراءة ومناقشة وجدلا لزمن طويل ـ وكان ابو حديد يحضر هذه الجلسات والعجيب ان معظمها كان جلسات رمضانية ـ وكان يشترك فيها جدلا ومناقشة .. ولعل سر ارتباطه بهذه المجموعة من الشباب كان يكمن اساسا فى هذا الموقف الواضح الذى اتخذوه جميعا من الافكار المطروحة ـ كان الموقف رفضا مبنيا على اسس من الجدل والمناقشة والفهم ، لا رفضا قائما على الجهل او التعصب او الموقف المسبق .. ولعل ابا حديد قد ساهم كثيرا فى توجيه هذا النقاش ، وفى اثارة العديد من نقاط الجدل .. ولعله ايضا كان صاحب فضل من التوجيه المستمر نحو المعنى العربى والاسلامى فى الانتماء المصرى الأصيل .. وكان قد سبقنا فى ارتياد ارض الميثولوجيا العربية ، قراءة واطلاعا ثم استلهاما وعلاجا فى اعماله الروائية

التاريخية والتى كانت تستند اساسا الى هذه الأخبار المجموعة المتناثرة عن الشخصيات التى عالجها روائيا ، والتى تقف فى هذه المنطقة الحرجة بين التاريخ والفلوكلور ، والتى كانت الغلبة الحقيقية فيها للابداع الفلوكلورى ، قبل الحقيقة التاريخية المحققة والثابتة ..

ومن هنا كان فهمه لشوق معظمنا الجارف الى الدخول فى هذا العالم ، والتعرف عليه على اساس من البحث العلمى من ناحية وعلى اساس من الاستقاء الرمزى والايحائى من ناحية ثانية ، وعلى اساس من الاستيحاء الموضوعى والفنى من ناحية ثالثة .. ولعله ـ وفى وقت مبكر جدا أدرك ان اتجاهنا لن يجعل منا الا مجافين لهذا الاتجاه الشيوعى المطروح .. الا أن باقى أعضاء لجنة التأليف لم يكونوا على ادراك حقيقى بهذا كله ، ولهذا فقد كان موقفهم منا موقفا حذرا ومتشككا الى أقصى حد ممكن .. وحتى حين سلموا فى أواخر عام ٥٢ بأن نتولى نحن اصدار مجلة الثقافة تحت اشراف ابى حديد ، لم تكن موافقتهم خالية من الحذر والترقب . وبدأوا يتأهبون لاغلاق المجلة حتى قبل أن نصدر عددنا الأول ، وكان اغلاق المجلة بعد العدد الخامس على هذا الأساس طبيعيا ..

وفى جلسات رمضان مع أبى حديد فى جمعية المعلمين التقينا بأخوة افترقت بيننا وبينهم السبل بعد ذلك ، كان ابو حديد يشجعهم ويرقب انتاجهم بحب حقيقى ، منهم تاج السر الحسن وجيلى عبدالرحمن والفيتورى والراحل فوزى العنتيل وكمال نشأت والراحل نجيب سرور ، وغيرهم كثيرون من شباب الادب فى تلك الايام .

واحد قهوة .. على شرف ادباء مصر



حديث الرواد والمقاهي والمنتديات الأدبية

ومن خلال موائد الافطار هذه كانت تنبثق رؤى نقدية وفكرية جديدة دائما ، فقد كان أبو حديد متجددا وحيا ومتحفزا لكل جديد .. وقد ظلت هذه الموائد الرمضانية تقليدا دائما حتى بعد ان ارتبطت جهودنا بجهود الامناء .. فقد أصبحت تقليدا متبعا من تقاليد الامناء بعد هذا .. وكان الشيخ امين الخولى يحرص على حضور هذه الجلسات على مائدة الافطار المتواضعة التى كنا نتكاتف على توفيرها أكثر من مرة فى الاسبوع ، سواء فى مقرنا فى شارع قوله ، أو فى مقرنا ومقر الامناء فى شارع الجمهورية ، أو فى المقر المشترك فى شارع عرابى قبل أن يتوقف نشاط الامناء ونشاط الجمعية الأدبية على السواء ... وفى هذه الموائد التقينا بالدكتورة عائشة عبدالرحمن والدكتور شكرى عياد والدكتور عبدالله خورشيد والراحل الدكتور عبدالعزيز الاهوانى والاستاذ عبدالمنعم شميس وغيرهم من الامناء .

ايا كان الامر فقد كان هذا اللقاء على مائدة الافطار ثم مابعده من جلسة هنية مسترخية الى حين ، تليها جلسة صاخبة على منابر النقاش.. والرأى ، نسمع شعر من يقولون الشعر ، ونسمع القصة ممن يكتبون القصة ، ثم نسمع النقد على الشعر والقصة ، ثم نسمع دراسات جديدة وجادة فيما قرأ هذا او ذاك ، وفيما اكتشف هذا او ذاك ، كان كل هذا هو الزاد الحقيقى للطريق .. فما ندرى انحن مختلفون ، أم هو اتفاق بيننا ان نسمع ـ حتى للاختلاف، وأن نوقر ونحترم الاختلاف اكثر مما نوقر ونحترم الاتفاق .

ويستمر النقاش الى اخر الليل ثم نجمع بعضنا ونترك المكان ، حيث يذهب كبار السن من وسطنا الى منازلهم ، اما نحن ، فلنا فى ليالى رمضان مسارات اخرى .. نحن نلملم من بقى منا بعد المناقشات لنتجه الى حى الحسين والى مقهى الفيشاوى ..

وكان هذا الحى يحمل لنا زادا جديدا دائما ، فمع الدراويش واصحاب الصوفة ، والمتبتلين فى الذكار يرددونها ، كنا نرى صورا اخرى لمعرفة الحياة فى مصر ونحقق اقترابا اخر لرؤية الشخصية المصرية .. وكنا جميعا حريصين كل الحرص أن نتتبع هذه المظاهر ، وأن نرصدها ونفهمها قدر امكاننا ، قبل أن نحكم لها أو عليها .. وكان اكثرنا افتتانا بهذه الظاهرة واكثرنا حرصا على الاقتراب منها الى درجة الاحتراق الشاعر العبقرى الراحل صلاح عبد الصبور ، وكان احمد كمال زكى ينبهه الى خطورة هذا الاقتراب ، والى ضرورة الاحساس الحذر خوف الانزلاق الى التصوف او الضياع فى متاهات عقلية ووجدانية لا اخر لها ولا اول .. وكان يركبه بالسخر حينا ،


محمود السعدنى


صلاح عبدالصبور



الثرثرة .. اصل الابداع

وبالقسوة والمجادلة احيانا كثيرة .. ولكن صلاح كان صنوه ، كان يعرف كيف يرد على الجدل العقلى بمثله ، وعلى السخرية الصارخة بمثلها ، وكان يعرف أنه مع طريق معين من المعرفة لايجب ان يحول بينه وبين مايريد شيء ما حتى لو كان حرص احمد زكى على الاعتراض الدائم على هذا السلوك ، إلا ان الاثنين لم يكتفيا بالجدل حول جماعات الاذكار فى الحسين .. بل امتد جدلهما الى قراءاتهما فى كتب المتصوفة واشعارهم ، واخذ الجدل سمات العلم والنقد الفنى والفكر الفلسفى والدينى بعد هذا . ولم يكن يشترك معهما فى هذا الجدل منا الا دارس فلسفة وعاشق لها هو عبد الغفار مكاوى ، وكان دائما مايدخل بالسلام والحب بينهما .

ولكن هذا الجدل الصارخ بين الاثنين لم يكن يفقد رمضان معناه عندنا كمجموعة ولا كافراد ، فقد تعودنا منذ البدء ان نحترم فكر كل فرد منا ، وعلى كل فرد ان يحترم فكر المجموع .. ولعل رمضان كان يفرض علينا هذا المعنى الذى احترمناه زمنا دام طويلا ، وفهمناه وقبلناه ، لكل سلوكه ، ولكن على كل ان يحترم سلوك المجموع .. الى ان حدث ماجعل البعض من أهل فوق والبعض يصبح من اهل تحت .. وأكل ومأكول ياسيد ـ والى ان بدأ الموت يطوى صفحات بعضنا فنعتبر او لا نعتبر .

ولكن رمضان يأتى من جديد ، وكأن شيئا لم يحدث ، وكأن جيلا لم يتآكل ، وكأن عهدا لم ينقض .. وكأن الموت لم يأكل احلى ماضينا ومن فينا .. وعلى كل فمن بقى حيا ينتظر لحظة الخلاص واللقاء والحب الأخير ، ويأتى رمضان لكل عام ليذكرنا .. والعجلة تدور والموعد يقترب ..

قصة قصيرة

بقلم: بدر نشأت

ريشة الفنان: سميحه حسنين

اللحم

المعلم ابوسنة الجزار رجل عصبى .. خلقه ضيق .. متقلب المزاج .. ويعرف اهل الحى والسوق ان المعلم ابوسنة ليس له امان فالكلمة التى تبسطه ويضحك عليها فى الصباح .. قد تعكنن عليه وتقلب مزاجه فى المساء يقول بعض الناس ان الافيون اكل مخه .. ويقول البعض لا الحشيش .. وانه يصرف فى القعدة الواحدة فوق عن خمسين جنيها .. بينما جيرانه فى السكن يقولون ان الرجل غلبان لا له فى الافيون ولا الحشيش هو عصبى شوية اى نعم .. لكن السبب من امراته الجديدة بنت المعلم رجمه ام تاجر الزلط بنت بيضاء صغيرة حلوة وسايقه العوج .. وان ام العيال سحباه فى المحاكم طالبة نفقة "وعايزة" الطلاق ..

وكثيرا ما يشاهد المعلم ابوسنة وهو قاعد داخل الدكان "بالجلبية" .. البيضاء النظيفة والكرش البارز والوجه المسمسم .. "ساكت مبلم" .. نازل عليه سهم الله .. فيما يفكر؟ .. لا احد يعلم عيناه ترقبان حركة السوق والمرور والازدحام ..

ولكنه فجاة من الوقت للاخر .. يرفع صوته صاحئا:

ـ يا فرج الله ياعاطى ..

ويقوم يبخر الدكان او يشغل القران ويلعلع صوت الشيخ الطبلاوى فى المنطقة كلها من المسجل الكبير فى ركن المحل ..

واحيانا يعمل شغلته الولد زقلط صبى



الدكان .. ياواد اعصر الخيشة كويس .. الجردل مش مليان امسح الحتة دى .. ياواد اقوم لك ... نضف بيبان التلاجة .. لمع الميزان .. روح هات شيشة .. جبت الغدا .. من البيت .. خد الخرطوم رش قدام الدكان ! .

لكن المعلم ابوسنة كانت له مواقف كثيرة يقدرها له الجميع .. الصغير قبل الكبير .. حين فاتحه رجال جمعية السنة المحمدية فى موضوع الزاوية وحاجتهم الى ارض صغيرة يصلون فيها .. لم يتأخر وتحمس اعطاهم نصف قطعة الارض الصغيرة التى تجاور الدكان والتى كان يحجزها للمستقبل يمكن يحتاج اليها اذا رغب فى التوسع والتى كان فى الايام التى تسبق عيد الاضحى ينصب فيها شادرا ويركب الزينات ويعلق خرفان الضحية ..

واليوم الخميس والليلة ليلة الجمعة .. والسوق يظل عامرا بالزبائن الى وقت متأخر .. فات النهار او اوشك والمعلم قاعد ينش .. لم يعتب دكانه زبون واحد .. والذبائح الاربع معلقة فى مدخل المحل برصتها منذ الصباح غير الذى فى الثلاجة ..

لم يكن اذان المغرب قد انتهى حين دخل عليه الولد زقلط يلهث ويقول :

– الشيشة .. جاية يامعلم ..

ثم وقف يأخذ انفاسه :

– وبيقول لك المعلم سلطان الكبابجى .. جهز له خمسة كيلو كفتة مستعجل عليهم قوى . بس اتوصى باللحمة

قصة قصيرة

اللحم ..

الا الثلاثة اللي فاتوا قتوا على النار ..

سكت المعلم مدة ثم سأل فجأة :

ـ خمسة كيلو !! .. هو بنفسه اللي قال لك ..

ـ أيوه يامعلم .. عيزهم دلوقت .. قال لي هاتهم على طول احسن جاي له ضيوف بعد ساعة ..

وكان معروفا لدى السوق كله ان المعلم ابوسنة لن قام من كرسيه ليبيع او يتكلم .. فلابد ان الزبون غريب او مشطر .. او اقبل في موضوع ليست له علاقة باللحم .. فكثيرا ما يحضر للتفاهم معه في بعض المشاكل سكان عمارته الكبيرة في الميدان ..

عاد المعلم يسأل :

ـ خمسة كيلو ياواد !!

وقبل ان يرد زالط زغده المعلم في صدره :

ـ اتلحلح .. الراجل مستعجل يامغفل .. جاى السواح على العشا .. اعملك مروة !!

وكان زالط يعرف ان معلمه دائما يقول له الكلام الذي يود ان يقوله لنفسه .. فزالط لم يمسك يوما سكينا او ساطورا وممنوع عليه ان يلمس اللحم او يهوب ناحيته ..

لم يرد زالط . والمعلم فرحان يبتسم .. فالبيعة حلوة .. خمسة كيلو مفروم .. خمسة كيلو بيعة واحدة .. وبنشاط زائد قام المعلم ابوسنة يلم الشغت والدهن والجلد وبواقي تلطيع ما باعه طول الاسبوع الذي فات من لحم .. لكن الكمية التي تجمعت بجانب المفرمة .. لم تكن تزيد عن اربعة كيلو . لم يزنها المعلم لكنه عرفها بالخبرة .. قال لنفسه .. ناقصت كيلو على الاقل ..

ووقف مترددا بين ان يشفي قطعة لحم اخرى ويحصل منها على كيلو يصبح مثل الاربعة الاخرى جلد وشغت ودهن !! .. ام يتخلص

نعته شوية ويعمل بتوصية المعلم سلطان ويضيف هذه المرة كيلو من اللحم الصحيح يصعب عود الغلقة فلا تلك على النار ..

كان لديه في الثلاجة باقي فخذة كعجوز عجوز .. لونها يميل الزرق الى السواد لم يجد زبونا يضحك فيها ..

اتكل المعلم على الله واخرج الفخذة من الثلاجة .. وضعها امامه على الرخامة ومضى ينظر اليها من هنا ومن هنا .. وما هان عليه ان يقطع منها كيلو لحم حتة واحدة .. وجد نفسه يقطع من الحوالي اسوأ ما فيها .. ثم كوم الجميع بعناية وبدأ يقطع الدهن والجلد والشغت قطعا صغيرة ويخلطها ببعضها البعض حتى تتداخل وتتجانس قبل ان يفرمها ..

شخط المعلم :

ـ خد ياواد .. باقولك اتلحلح ..

اقترب الولد .. ولكن المعلم على خوانة رفع كفه المشتغلة ونزل بها على صدغ زالط .. كانت كف المعلم ثقيلة .. ونزل الكلم يرن ..

ـ يقول الله من الصبح .. الراجل مستعجل ..

جدران الدكان تتراقص في عيني زالط .. امسك في الرخامة .. نار ملتهبة تحرق جانب وجهه .. رد باكيا بمذلة :

ما انا اهوه يامعلم ..

ـ افرم الخمسة دول قوام ..

هرع زالط الى ركن المحل وادخل الفيشة في بريزة الحائط .. ثم بدأ يحشو فتحة المفرمة بقطع من اللحم حتى تمتلئ عن آخرها .. ضغط زالط على الزر الاسود بجانب المفرمة .. بدأ الموتور يعمل .. والتروس تصيح .. كان الصوت مكتوما غير معتاد .. والقطع اللحم المفروم اخذت تظهر في الفتحات من الجهة الاخرى ولا تكاد تسقط .. فكر زالط ان يمر بيده على الفتحات ويساعد اللحم على النزول ..

شخط المعلم :

ـ ياواد زق اللحمة .. مش ايدك .. خلي التروس تسحب ..

ادخل زالط يده .. زق اللحم باطراف اصابعه .. وبدأت قطع اللحم تسرع في التساقط .. لكن المعلم عاد يصرخ ..

ـ ياواد ياجبان .. زق اللحمة ياواد .. انت خايف ..

دفع زالط يده في فتحة المفرمة .. ادخل كل اصابعه زق اللحم .. زقة لاسفل بقوة .. وفجأة صرخ زالط .. صرخ بعنف .. حاول ان يخرج يده لم يستطع .. ظل يصرخ بألم ورعب .. التفت المعلم بفزع واسرع الى الفيشة .. فصل الكهرباء ..

سحب زالط يده ببطء من داخل المفرمة .. طاوعته يده هذه المرة وخرجت .. كانت اصابعه الاربعة قد اختفت .. ويده مجرد كف يسيل دما وبه اصبع واحد .. الاصبع الكبير ..



قصة قصيرة

اللحم

صاح المعلم برعب

- ايه اللى عملته ده ؟!!

زقلط يصرخ ويلتوى .. نافورة من الدم تنبعث من اماكن الاصابع الاربعة المقطوعة .. واسرع المعلم يمزق مريلة بيضاء وهو مذهول يردد :

- ياحول الله .. ياحول الله ..

وبكل قوة مضى المعلم يلف القماش حول يد زقلط ويربط بعنف ويجمع طرفى القماش حول الرصغ ويعقد بشدة ..

- خليك راجل يازقلط .. ما تعيطش زى النسوان .. تلم علينا السوق ..

زقلط يتلوى جسده ويتلقص وجهه .. ويجاهد ان يتحمل الالم ويكتم الصراخ وقد انحنى خلف البنك يرتعش .. ويستند الى الحائط مرة .. ويعض على شفتيه مرة ..

وفجاة اتى صوت المعلم سلطان الكبابجى من مدخل الدكان :

- السلام عليكم ..

رد المعلم ابوستة بسرعة وهو يتجه اليه ويخفى زقلط خلف ظهره :

- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته .

- المفروم جاهز يامعلم ؟ .. الله !! مالك يازقلط .. خير ان شاء الله !!

اسرع المعلم ابوستة يرد لينهى الموضوع :

جرح بسيط .. الساطور نزل على ايده .. ناقص علام كتير الواد ده .. ياما انكسرنا وانجرحنا .. اللحمة اهى يامعلم .. ما تقولش لعدوك عليها ..

ووضع المعلم ابوستة الخمسة كيلو فوق الميزان .. قال :

- خمسة كيلو انما ايه ..





ما فيش احلى من كده ..

وتحرك مؤشر الميزان الاحمر .. وقبل الخمسة بمائة جرام توقف المؤشر لا يريد ان يتحرك .. زق المعلم ابوسنة الميزان .. تذبذب المؤشر قليلا .. ثم عاد واستقر على الخمس كيلو الا مائة جرام ..

- الميزان ناقص يامعلم .. والورقة اللى تحت اللحمة يعنى ما شاء الله ..

تقلصت ملامح المعلم ابوسنة .. وزغد المعلم سلطان بنظرة كلها شر .. وكادت ان تدب خناقة لولا ان المعلم ابوسنة كان فى ظروف غير طبيعية .. زقلط بتلوى وكفه ينزف واقرب مستشفى يبعد نصف ساعة ..

وقف المعلم ابوسنة ينظر الى الميزان واللحم المفروم .. ثم نقل نظره الى المفرمة .. كان يفكر .. هى برهة .. اتجه بعدها راسا الى المفرمة .. مد ذراعه .. وامسك بيد المفرمة .. اغمض عينيه .. وامتعضت ملامح وجهه ومضى بسرعة هائلة يلف اليد خمس ست مرات .. فتساقطت كمية من اللحم المفروم من الثقوب .. سرعان ما جمعها المعلم ابوسنة ووضعها فوق بقية اللحم على الميزان .. قال بتاكيد :

- وادى ياعم ٢٠٠ جرام اهم ولا تزعل .. ولحمة ايه ! ما حصلتش !!

ثم التفت بسرعة الى زقلط :

- يالا يازقلط نشوف تاكسى .. الا العربية راكنة بعيد فى اخر الشارع ..

وامام باب الدكان .. ابتسم المعلم ابوسنة بطيبة متناهية :

- بسيطة يازقلط .. واسمع يابنى .. ايك تقول لحد .. بوليس دكتور جنس مخلوق ولا حتى لامك !.. أوعى تقول ان المفرمة هى اللى عملت كده . انت كنت بتكسر حتة عضمة نزل الساطور على صوابعك .. هـه .. انا عارفك راجل ..

رد زقلط من بين اسنانه .. حاول ان يتكلم وهو يرتعش كالمحموم :

حاضر يامعلم .. حاضر ..

جولة المعارض ٧٨

بقلم: محمود بقشيش

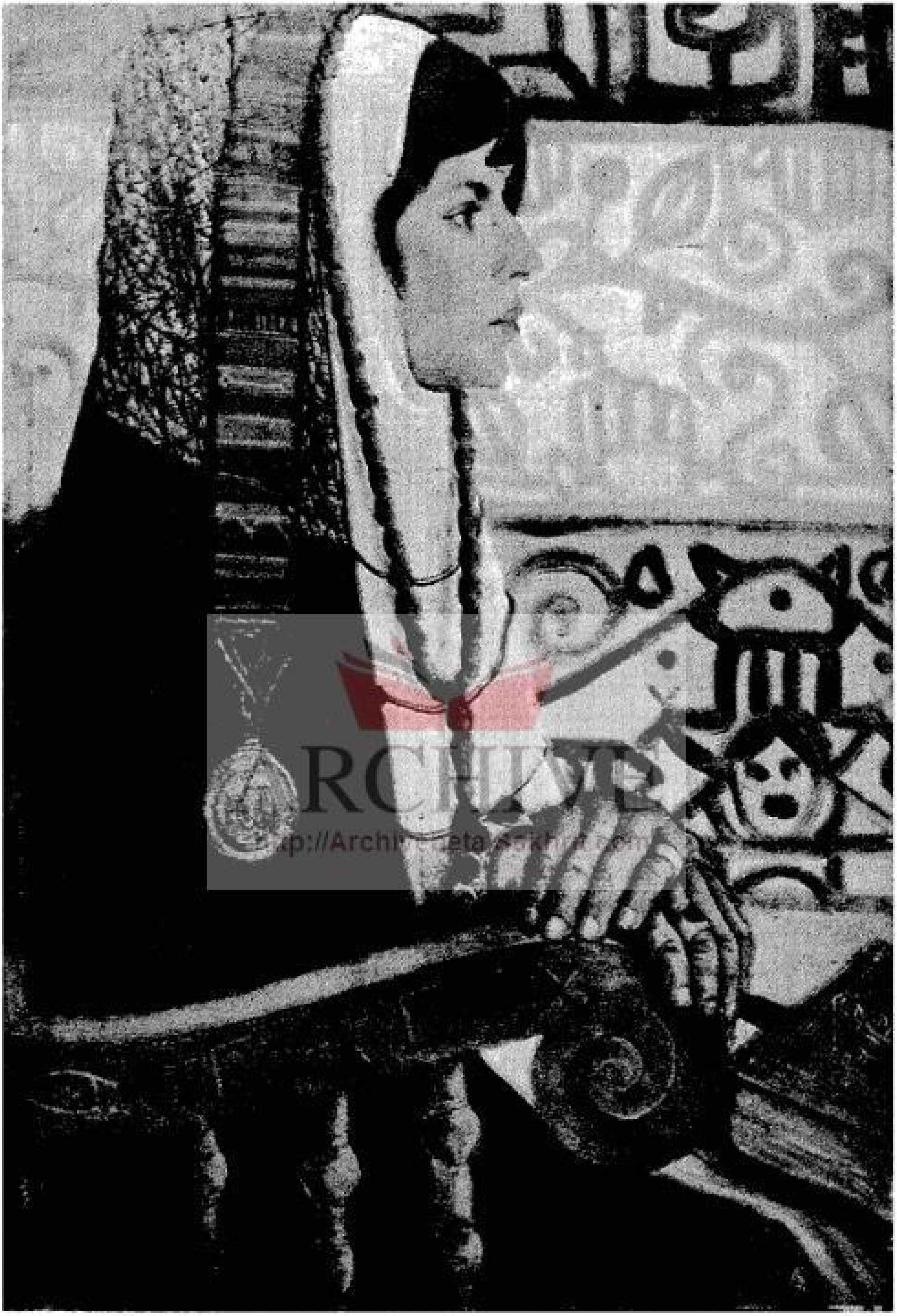
وجه الإنسان

عبر أجيال وأساليب

أقيم بالجامعة الامريكية معرض لفن الصورة الشخصية ، ضم أجيالا مختلفة من مبدعي هذا الفن ، كما ضم فنانين لا يمثل فن الصورة الشخصية ركيزة محورية في ابداعهم . وتباينت درجات شهرتهم ، وإجادتهم ، وتعددت أساليبهم الفنية ، وعلى الرغم من اختفاء بعض الاسماء الكبيرة ، وتسلل بعض الاعمال الركيكة إلى قاعة العرض ، فإنه لابد من الاشادة بالجهد الادارى الذى قام بجمع هذا الشتات . وبرغم تلك الهنة ، وغيرها من الهنات ، فإننى أعد ذلك المعرض من المعارض الهامة التى تستحق أن نتوقف عندها .

● فالمعرض أولا : يعيد الانتباه إلى موضوع ترك ، فى غمرة الانشغال ، بما يقدمه سوق «الموضة» العالمية .. من الابهار ، أو الغثاثة . ولو تأملنا الاعمال التى تمثل وجه الانسان ، منذ لوحات «الفيوم» حتى الآن ، لاكتشفنا إمكانات التجدد والتجاوز الدائمة : فقد استطاع الفنان المعاصر تجاوز دوافع النشأة الاولى لهذا الفن ، أعنى الدوافع «المعتقدية» .. ثم الدوافع «الدعائية» .. وصولا إلى دوافع جمالية وتعبيرية ، اخرى ، عبر أساليب الفن المعاصر المختلفة ..

◀ لوحة بورتريه الفروجة للفنان عبدالهادى الجزار



جولة المعارض

وستجد ، بعد قليل ، تطبيقا لهذا في لوحات المعرض .

ثانيا : إن الفن الحديث يتأرجح بين قطبين : القطب «التمثيلي» ، والقطب «الذهني» .. يتنافران أحيانا ، ويتداخلان أحيانا أخرى ، لهذا تتأرجح النظرة المعاصرة إلى فن الصورة الشخصية - باعتباره فنا تمثيليا - بين الإبقاء والتجاوز . وفي تقديري ، ونحن في عصر التكتلات الكبرى ، وفناء الفرد ، أحوج ما نكون إلى الإبقاء على وجه هذا الإنسان .. الفرد .

ثالثا : إن المتأمل لهذا المعرض يكتشف أن إشكالية استلهام الإرث المحلي والإرث العالمي قائمة ، وإن مالت الكفة لصالح «النموذج الغربي» وظهرت المحاولات الأخرى .. على استحياء .

ولنتأمل الآن عددا من أبرز لوحات الوجوه في المعرض ، للفنانين الآتية أسماؤهم :

● عبدالهادي الجزار : لا يمثل فن الصورة الشخصية لديه إلا هامشا باهتا ، وربما كانت اللوحة المعروضة هي الوحيدة بين انتاجه الغزير ، لهذا لم يستسلم إلى الوصف التسجيلي ، بل جذب الوجه الواقعي إلى عالمه الرمزي ، وخاصة .. إلى مرحلة الرسوم الرامزة إلى عالم الشعوذة ، ويبدو أنه لم يوفق في عقد صلح بين وجه واقعي ، وإغراء تداعيات أسلوبه الخاص ، فجاءت اللوحة مليئة بالمتناقضات : وجه جميل ، «مكيج» لامرأة .. تصدمنا بعينين بشعتين ، ترتدي لباسا دينيا ، يتدلى من رأسها حجاب ، وشارة ، ومسبحة .

● حسين بيكار : يأتي على النقيض الكلي من «عبدالهادي الجزار» ، فهو يعد أحد البارزين في فن الصورة الشخصية ، وهو يلتزم بأصول هذا الفن في عصر النهضة ، سواء في وضعة النموذج الرسمية ، أو الالتزام بحرفية الواقع ، شكلا ، ولونا ، وملمسا .. وإن قدم في هذا المعرض ، ما يختلف به مع ذلك الالتزام .. من حيث التكوين والجمع ، ببراعة بين أسلوبين متناقضين : التسجيل المدرسي ، والتبسيط الهندسي ، المجرد ، في قمة اللوحة ، وفي العمق ، يظهر كوكب يتألق بضوء فيروزي ، يخاطب باستدارته وجه الفنان ، المستقر أسفل اللوحة ، والشبيه بأبي الهول !

وصبري راغب ، انصرف بأسلوبه التأثري عن الرموز المكشوفة للوحة «الجزار» ، والرموز المستورة «لبيكار» ، وقدم لنا لوحة لوجهه ، أعدها من أفضل لوحاته ، فبالإضافة إلى ما تعكسه من فهم عميق للأسلوب التأثري ، تعكس أيضا براعة ، وحساسية فائقة للفنان ، تتميز لمساته بالرقة ، والرشاقة ، والإحكام ، وألوانه المخملية توبت الوجه في فضاء اللوحة .

● جمال كامل : يشارك زميله الفنان «صبري راغب» في الالتزام بالتأثرية أسلوبيا ، مع ميل خاص إلى البنائية السيزانية - نسبة إلى سيزان - وإذا كان معظم المشاركين في المعرض قد

رسموا وجوها لأقربائهم أو أصدقائهم .. فإن العمل الصحفي قد فتح أمام «جمال كامل» طريقا أوسع . لرسم وجوه شخصيات لا تربطه بها علاقة حميمة . ولا تزال تعلق بالذاكرة تلك الرسوم الاسبوعية التى كان يرسمها لشخوص تذكر بالرسوم الانتقادية للفنان الفرنسي «دومييه» .

● محمد حامد عويس : يأتي على النقيض من «صبرى راغب» . و«جمال كامل» . حيث يحتفل بالكتلة . الصريحة .. التي توحي بميل الفنان إلى استلهام النحت المصرى . وقد ألغى تفاصيل الكتلة . وحركة الظلال .. لهذا جاء وجه الفتاة الصغيرة المرسومة . أقرب إلى الوجود الاستيطاقية الفرعونية . منها إلى تسجيل لحظة عابرة .

● خواكينا شهدى : تشارك الفنانة «خواكينا» . الفنان «عبدالهادى الجزار» في الميل إلى القص . والميل إلى الرمز المكشوف . وتختلف معه . كلية . في الجو التعبيرى الذى تجسده . لوحاتها تتسم بالاشراق . والحكايات الجميلة . والألوان الصريحة . والرسم المتقن .. وهي عندما ترسم وجها . لا تريد لنا أن نعاني في الكشف عن أسراره . بل ترسم لنا أحلامه أيضا ! .. ففي لوحة «داليا» - المعروضة - لم تكتف برسم وجهها الجميل . والمعبر . بل أحاطته بأحلام الرحيل . وحب الحياة .. المتمثل في شكل حمامة طائرة . ومراكب شراعية . وأمواج تداعب الشعر . والوجه . والصدر .. بظلالات شفيفة . تاركة مساحة مرموقة لكوكب . وزهرة !



القارئة . للفنان صبرى راغب

● عباس شهدى : رسم وجهه . وأظهر نفسه على أحسن ما يحب الفنان لنفسه ! .. وجه صريح . عينان متألقتان . شفتان مطبقتان على انفعال مكتوم . وقفة صارمة .. وهالة من الشعر الأبيض الخالص .. وفي الخلفية تظهر لوحة تمثل موسيقيين . في التكوين التزام بالأصول المدرسية . مع ميل إلى التبسيط . وميل إلى الوقار الرمادى .. الذى لطف من الوقفة العسكرية !

● من مفاجآت المعرض .. اشتراك الناقد «كمال الجويلي» بلوحة رسمها

جولة المعارض

عام ١٩٥٠ لوجهه ، اتسمت لمساته بالجرأة والتمكن والاتقان والتلخيص . وتساءلت : ما الذى أوقفه عن الانتاج مع هذه القدرة الواضحة ؟ ! .. إن الساحة التشكيلية تحفل بنقاد يمارسون الرسم ، ودكاترة لهم رسائل جامعية ، لم يتوقفوا عن الانتاج .. ليته يعود ! من المفاجآت الأخرى ظهور رسام ماهر هو الفنان فاروق شحاته ، الذى لم أكن أعرف من قبل أنه ماهر لهذه الدرجة ! إن هناك أسماء أخرى لامعة قد شاركت فى هذا المعرض ، وأخرى أقل لمعانا .. أسهمت جميعا فى تقديم وجبة فنية ممتعة . أمثال : صلاح طاهر ، حسن سليمان ، زكريا الزينى ، كامل مصطفى ، عبدالعزيز درويش ، صدقى الجباخنجى ، سيف وانلى ، إيهاب شاكر ، جمال قطب ، حامد ندا ، عناية الله ابراهيم ، حسن فؤاد ، يوسف رافت ، هبة عنايت ، جورج البهجورى ، عبدالعال ، محمد الناصر ، سمير فؤاد .

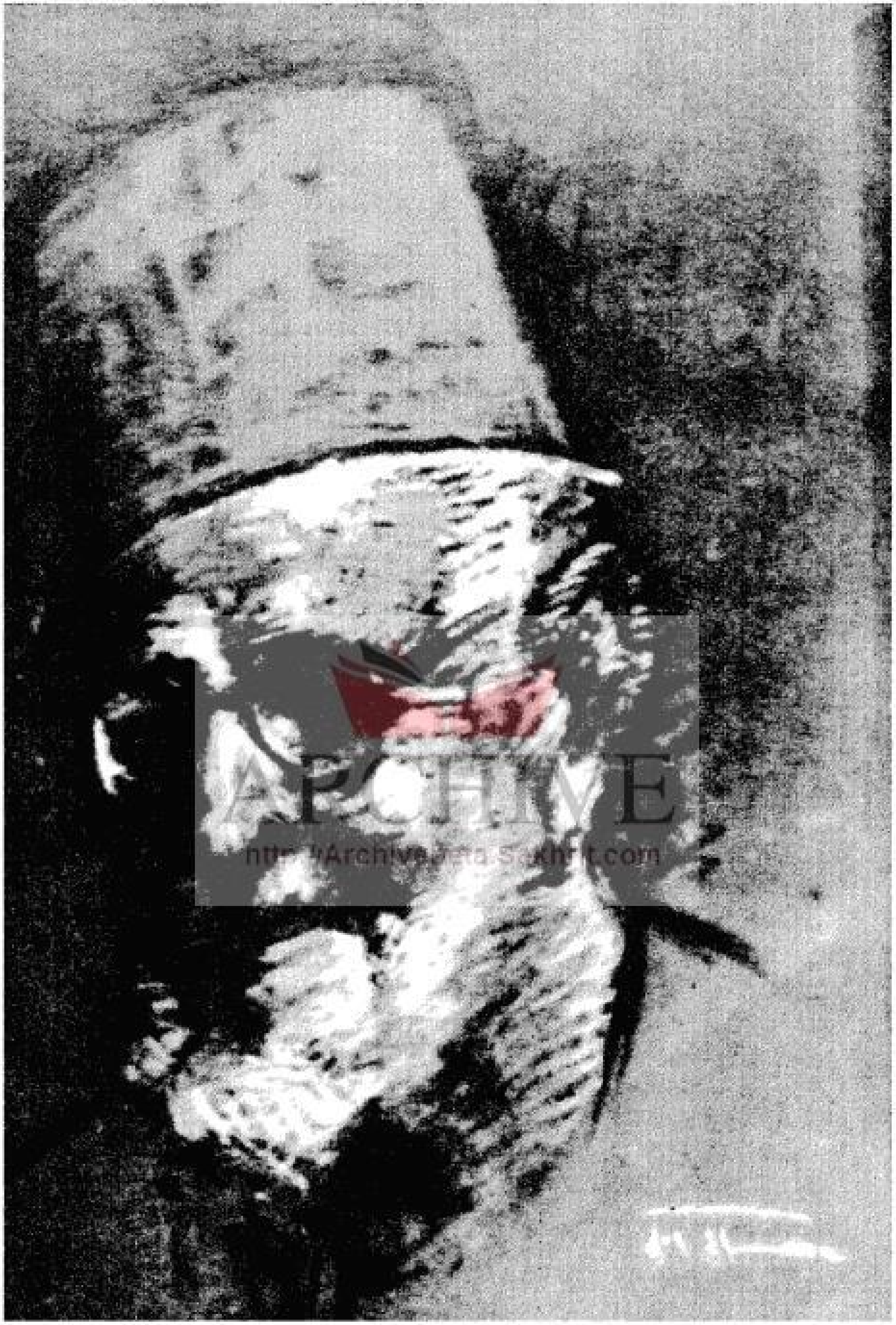
• منير الشعرانى .. وموسيقى الخط العربى •

على الرغم من أهمية الابداع فى مجال الخط العربي فقد تراجع الاهتمام به ، ولم تحفل معارضنا ، أو مسابقاتنا الفنية باستقباله . ولقد أسهمت الحروف الطباعية ، الجاهزة ، إسهاما فعالا فى انكماش هذا الفن ، وانكماش مبدعيه .. ولم نعد نشاهد - إلا نادرا - فى الصحف والمجلات ماكنا نستمتع به من قبل ، من إبداع خطى .. غير أن صمت أو تجاهل صناع القرار ، وصناع الكلمة الناقدة لهذا الفن ، لم يحل دون ظهور مبدعين على مستوى رفيع يقاتلون وحدهم : من أجل توسيع دائرة المتذوقين ، والتذكير بأن هذا الفن هو ألصق الفنون بتكويننا النفسى . إن الحرف لم يولد فقط لأن مبدعا أراد له

سيدة للفنان بيكار



ابتسامة للفنان جمال كامل ◄



أن يكون . بل لأن بيئة جغرافية ، ونفسية . هي التي مهدت لظهوره .. ولقد تطورت ـ بطبيعة الحياة الكامنة في الحرف ـ وتعددت أنماط الخطوط ، وأصبحت مرجعا إلى الخطاطين .. غير أن المتغيرات الخاطفة في قرننا قد أثرت بدورها على علاقة الخطاط بالمرجع ، أو القاعدة النمطية ، فتحرر منها .. أملا في ابتكار أسلوب شخصي يميزه عن غيره .. وفي هذا الإطار الجديد ظهر مبدعون . ويعد الفنان السورى «منير الشعرانى» واحدا منهم

أقام معرضا لآخر أعماله بقاعة أتيليه القاهرة .. وهي تكوينات خطية . لم يشغله أن تكون مقروءة بقدر ما تكون موحية .. ومن موسيقى السكون ، والحركة ، والتناغم ، والتقابل ، ينشأ إيحاء بحالة تعبيرية . إن عناصر الحروف لا تسمح بما تسمح به اللوحة المرسومة من فائض تولده المصادفة : كل عنصر ، مهما كان ضئيلا ، له دور جمالي وتعبيري فعال . وموهبة الفنان هي التي توسع من دائرة إيحاء العناصر المحدودة في فضاء اللوحة .

يعنى «منير الشعرانى» بفضاء اللوحة الخارجي والبيني ، وهذا الفضاء ليس مجرد طلاء ـ أو أرضية كما هو شائع ـ بل يقوم بدور مختار مع عناصر الكلمات التي يريد لها الفنان موقعا بؤريا .. مع الاحتفاظ بمسطحات مرموقة من هذا الفضاء . ففي لوحة «العالم في يمين الفنان» ، على سبيل المثال ـ يشق حرف الألف واللام في كلمتي «العالم والفنان» الفضاء العلوى للوحة شقا ، في حضور إيقاعي حاسم ، ويأتي رجع الصدى في إيقاع الحروف الختامية وهي : الياء والنون والضاد ، في قاع اللوحة . نحن إذن أمام كون ، من فضاء وأرض ، يحتل فيها الفنان السيادة .

... وهكذا في لوحات معرضه ، تجمع الكل في واحد : الشكل الجميل ، وموسيقى الإيقاع ، ورموز الرؤية .

● نازلي مدكور .. والعمارة الفطرية

منذ أسهمت في الحركة التشكيلية المصرية ـ أى منذ عشر سنوات تقريبا ـ وهي تطالعنا ، بتجليات مختلفة ، للعمارة الريفية . لم يشغلها من تلك العمارة إلا أن تكون مثيرا ، ومحركا ، لتداعيات بالغة . تتجسد في كل مرحلة من مراحلها ، في هيئة مختلفة . تكشف بيوتها الأولى عن ميل إلى الوصف ، والتجميل ، والترميز في نفس الوقت . ولأن الفن الحديث اختزل المسافات ، فقد وفر عليها هذا كثيرا من الجهد ، كما وفر على النقاد ، الاحتكام إلى المرجع الأكاديمي ، وطرح أسئلة من نوع : إلى أى مدى استطاعت أن تستنسخ الواقع ؟ .. وإلى أى درجة استطاعت أن تتابع حركة النور والظلال ؟ .. ولقد أتاحت لها مساحة الفن الحديث بالتطور والتقدم .. من «الوصف المختار» إلى التخفف الكلي من الأبعاد الوصفية .



تكوين خطي للفنان
منير الشعراني

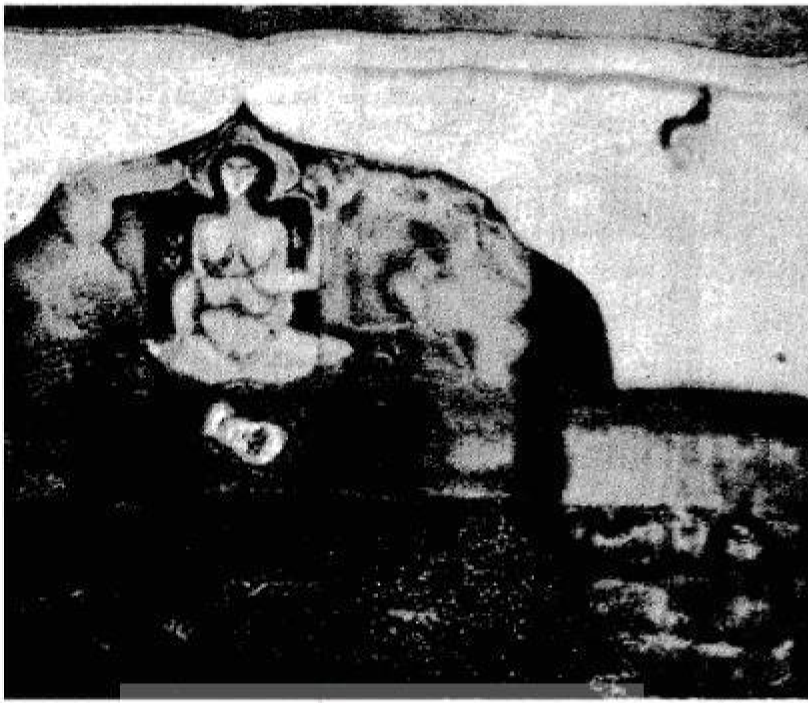
حيث تصبح اللوحة حالة شعورية تعصى على الترجمة ، وأقرب إلى حالة «الاشراق» عند المتصوفة . وقد تحققت تلك النقلة الهامة في معرضها الاخير بالقاعة رقم (١) بمجمع الفنون بالزمالك .

ابعدت الانسان بهيئته الظاهرة ، وكذلك البيوت ، واخلت الطريق إلا من ملامس الجدران ، واقنعتنا بانها كافية . جعلت من «بشرة» الجدران مسرحا لغزوات الزمن وعوامل التعرية ، ووضعتنا امام حالة شعورية ـ كثيفة ـ عصية على الترجمة كما قلت .

اما من ناحية الشكل فيمكن القول بان في هذا المعرض إعلاء لقيمة «الملمس» ، واستطاعت به ان تنسج كل مايطالعنا في اللوحة من عناصر مساعدة ، وتراجع ، بالتالي ، كل ما يرتبط بالميل إلى الوصف : مثل الرسم ، والتنظيم الجبرى للعناصر . تسطحت «بالملمس» ، وبالتلقائية .. وانشغلت بتنظيم السطح : المعجون ، والملصوق دون ان يتخلى عن مداعباتها التى اراها فى الانقطاعات المباغتة لبعض الحوافي .

اختارت من الوسائط الملمسية : العجائن الورقية ، ولحاء النخيل ، وورق البردى ، بالأضافة الى الالوان الزيتية والمائية والباستيل ، وعلى الرغم من الانتشار الواسع ، والتجارى بل والمبتذل فى استخدامات ورق البردى .. فانها قد نجحت فى توظيفه ـ إلى حد ما ـ بأن وسعت من المافه ، لتتسلل الينا ومضات من ضوء سطح اللوحة ، او يمتد كخلفية للبيوت ، فى شكل اشبه بحركة ولون الكثبان الرملية .. قام ورق البردى بدور وصفي ، فى حين كانت العجائن الورقية اوسع ايحاء ، ففيها مذاق الجدران القديمة ، وفيها مذاق الزمن ..

إن العالم الذى يطلعنا عليه هذ المعرض .. عالم درامى .. ذاتى ، مغلف برقة انثوية ، واناقة .. تنتظم انفاعلات وجدان قلق ! .



هوامش صوفية (تلصيقة) للفنان علي عاشور

ورق بردي ولحاء نخيل وعجائن للفنانة نازلي مدكور





وجه للفنانة خواكينا شهدى

• سليم .. وفينوس البدائية !

اقام المثال ، السيد عبد سليم ، معرضا لآخر انتاجه فى مجال النحت المجسم ، والطرق على النحاس ، والخزف بقاعة اتيليه القاهرة . تعكس اعماله ميلا صريحا الى استلهام الفنون الفطرية ، بما تختزنه من حكايات ، واساطير ، ورموز . وتمثل المراة الركيزة المحورية فى عالمه النحتى . وهى امراة تتفجر بالحسية .. وهى قريبة الشبه بالمنحوتات البدائية التى

جولة المعارض

اطلق عليها النقاد اسم « فينوس البدائية » .. فى خشونتها ، وما توحى به من ارتجال مبدعها . ففى مطروقة « ادم وحواء » على سبيل المثال ـ تحرر بها من وقائع النص ، وارتجل بها وقائع جديدة اوحت بانتمائها الى الريف المصرى . وانتسابها الى الطرافة « الكاريكاتيرية » وجعلنا فى شك من امر عرى « حواء وادم » . كما اهدى حواء خلخالا . وكان رفيقا بادم فغطاه بالنعيلن .

وتطالعنا حواء او فينوس البدائية فى اشكال مختلفة . وإن جمعها ـ كما اشرت ـ طابع شهوانى ـ ترقد . تارة . وقد تهيات لاستقبال طائر الحب . او تمتزج امتزاجا فى كيان اخر . وتتعدد صور البطل الثانى ـ اى الطائر ـ فهو احيانا يقوم بدور المقتحم . واحيانا اخرى يقوم بدور المبارك لعلاقات الحب إن حواء او فينوس البدائية وطائرها المقتحم يظهران فى هيئة اكثر خشونة .. وفطرية فى المطروقات النحاسية . ويتحرران من تلك الخشونة الى شىء من التهذيب . والتماسك . وقلة الثرثرة . فى المنحوتات المستديرة او المجسمة ومن بين منحوتات المعرض تعاطفت مع منحوتة بعنوان « البهلوان » . فليس بها ما يشتت الانتباه . كل عنصر من عناصرها له دور فعال مع بقية العناصر . بهلوان يحمل ثلاثة اطواق . يشكلون إيقاعا هرميا يربط اليدين والرأس . وتشارك فى تلك الحركة الفراغية . حركة عضوية تتمثل فى حركة قدمه اليمنى . ولم ينس بالطبع ان يوقع على صدر البهلوان .. بطائر الحب !

إن فن « السيد عبد سليم » يتسم بالعاطفية الجياشة . والميل الشديد الى الافضاء . وكنت اتمنى الا يستسلم

حوار للفنان السيد عبد سليم



كثيرا للتداعيات الروائية حتى لايقع فى خطر الثرثرة .

● على عاشور .. وعالمه الرمزى

اقام الفنان السكندرى « على عاشور » اول معرض له « بالقاهرة بقاعة اتيليه القاهرة . تتميز لوحاته باسلوب شخصى . وتشبه لوحاته مساحات الحلم او بمعنى ادق ـ مساحات التحولات الحلمية المتصادمة . شخوصه تتمدد . وتنبعج . وتتقلص . وتذوب . وكذلك الوانه .. تتحول من اكثر الدرجات اللونية اشتعالا إلى اكثرها برودة . عبر وسائط متدرجة من اللون . وقد تتلاشى معالم الانسان . والحيوان . والاشياء . وتختلط جميعا فى كيان متداخل . وشفاف . وينتهى ذلك الخليط بفعل « التداعيات التلقائية .. وفجاة ـ ولسبب ما ـ يضع حدودا صارمة تحد تلك التداعيات ليبدأ من جديد . فى مقطع اخر من مقاطع اللوحة . رحلة تداعيات اخرى ..

لوحاته ممتعة فى جزئياتها . مزعجة فى كلياتها . فاللوحة الواحدة تضم عديدا من المقاطع المكتملة . وكل مقطع ملىء بتداعيات قصصية كثيرة . يقسم اللوحة .. الواحدة إلى مربعات ومستطيلات .. الخ .. وكل مساحة تحتضن حلما مستقلا !

وتشترك الألوان فى تلك الإنتقالات غير المبررة فينتقل بنا من تداعيات الألوان المتطفلة إلى تداعيات الألوان المضيئة .. ولم يحرص على أن ينتظم هذا الشتات فى نسق وحدوى . فحتى اللوحة الواحدة والمشاهد ما هو فوق الطاقة !

إن المعرض يحمل من النوايا الطيبة ومن البراعة والحساسية الكثير .. ولكنه كثير مبدد ..

●

لكن ماهى دوافع هذا الفنان إلى تشكيل هذا العالم الغريب ؟

كتب الفنان فى « كتالوج » معرضه نثرا شعريا . يرد به على هذا السؤال المفترض . ولحب ان اطلع القارىء عليه . أملا فى تكوين صورة موضوعية عنه .

كتب « على عاشور » .

أحمل ما يحطمه عابرو السبيل ..

الفَجر . خلال ارتحالهم .

بضع كسر من احلام . وتمائم .

والاتنى مثلهم .

تتبدد طمأنينتى امام الواجهات المتعبة الباردة .

فقد تحترت بتساؤل خشن :

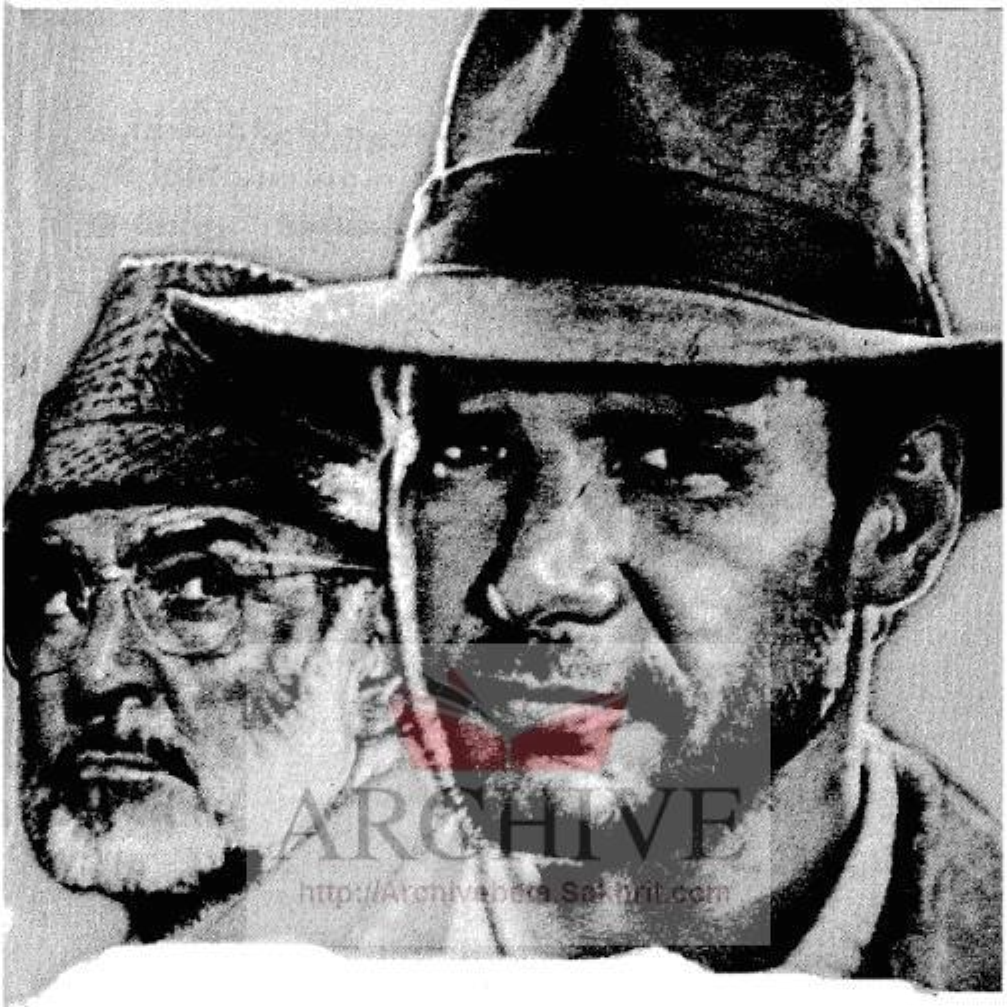
● ضد أى شىء تتصعلك ؟

● ضد أى شىء تصور ؟

تساؤل أدعى أنه مثل عصا موسى .. اداة اشتبك بالحية مفتاح للابداع الحى .. بغيفبه يقع الفن فى هوة التشيؤ . واللغو . ولان عابر السبيل عندما يتساءل .. تاتيه الأجابة كرجع الصدى .. فقد كان ؟ ..

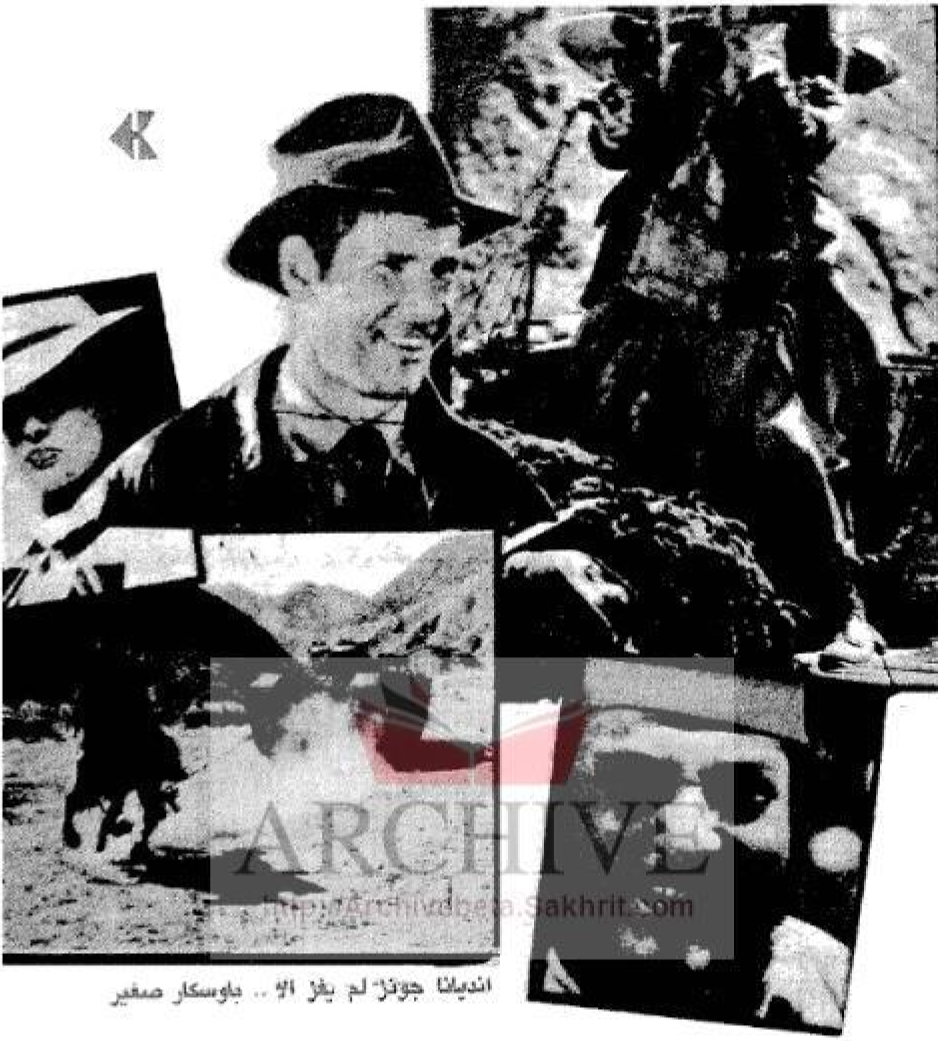
● نتصعلك ضد الأغتراب

● ضد الأغتراب نصور !



أوسكار هوليوود
تغازل اليهود والسود

بقلم: مصطفى درويش



انديانا جونز لم يفز إلا .. باوسكار صغير

ما ان يقترب العام من شهره الأخير ، حتى يسارع لولو الأمر فى هوليوود إلى اختيار افضل ما انتجه مصنع الاحلام من أفلام على مدار العام ، وذلك تمهيدا لعرضه خلال ايام ، ولو فى دار واحدة صغيرة على أرض الولايات المتحدة .

وطبعا ، لاهدف من ذلك العرض اللاهث سوى اتاحة الفرصة أمام تلك الأفلام فى ان تشارك فى مضمار أوسكار فيكون لها فى جوائزه نصيب .

أوسكار هوليوود

● وعلى كل . فقريبا من منتصف الشهر الأخير من عام ١٩٨٩ ، جرى عرض خمسة من تلك الأفلام التي يرجح ترشيحها للأوسكار : في نيويورك ولوس أنجلس وتورونتو وغيرها من كبريات مدن أمريكا الشمالية .

ولو ألقينا نظرة خاطفة على هذه الأفلام الخمسة التي جرى عرضها فجأة ، والعام على وشك الرحيل ، وهي «انتصار الروح» «صندوق الموسيقى» «أعداء .. قصة حب» «سائق السيدة ديزي» و «المجد» تبين لنا من هذه النظرة .

أولا : أنها ، وفيما عدا «المجد» قد جنحت إلى جعل اليهود واضطهادهم ، موضوعا رئيسيا لها .

ثانيا : أنها ، وباستثناء «المجد» و«سائق السيدة ديزي» ، تدور حول مذبحة أو بمعنى أدق محرقة اليهود الجماعية (هولو كوست) على أيدي النازيين إبان الحرب العالمية الثانية التي انتهت باندحار ألمانيا الهتلرية .

ثالثا : أنها جميعا ، وذلك فيما عدا «انتصار الروح» قد جرى ترشيحها لجوائز الأوسكار .

بل إن فيلما واحدا من بينها ، ألا وهو «سائق السيدة ديزي» قد انفرد بالترشيح لتسع من تلك الجوائز .

● أساطير الأولين

واستبعاد «انتصار الروح» ، إنما يرجع في تقديري ، إلى أنه فيلم سياسي مباشر .

فيما يقال عن حدوثه . وليس كل ما يقال في الدعاية لمثل هذا النوع من الأفلام قابلا للتصديق . إنها مستوحاة من سيرة ملاكم يهودي يوناني اسمه «سالاموه» ، عاش ، هو وأفراد أسرته بميناء سالونيك في أمن وأمان . إلى أن هبت عاصفة النازية المميتة على اليونان . فلم تترك أحد منهم إلا وأرسلته مشحونا كالحيوان لأرض بولندا حيث زج بهم جميعا في معتقل «أوشفتز» الذي يشيب من هول ما يحكى عنه الولدان .

ولولا أنه كان قبل اعتقاله ملاكما يشار إليه بالبنان ، لما نجا من الإبادة الجماعية ، ولكان مصيره هو نفس مصير جميع أفراد أسرته الذين بقوا في المعتقل الرهيب ، لم يخرجوا منه إلا أمواتا .

وانفراد «سالاموه» ، حسب الحدوتة ، بالبقاء على قيد الحياة حتى دخول الجيش الروسي المعتقل محررا ، إنما يرجع إلى سبب أغرب من الخيال ، هو خروجه متوجا بأكاليل الغار من جميع مباريات الملاكمة التي كان يقيمها الحراس بين المعتقلين من حين إلى حين ، بغرض الرهان كما كان الحال أيام الرومان .

فبفضل أنه كان دائما من المنتصرين ، ابتسم له الحظ ، فلم يمت ميتة المجالدين ، بل عاش مميزا على غيره من المعتقلين البائسين حتى جاءه الخلاص بالخروج من الجحيم إلى أرض إسرائيل حيث لايزال يحيا مع مرارة الذكريات .

وجدير بالذكر هنا أن «ويلم دافو» الذي أدى دور «سالاموه» في هذا الفيلم المستبعد ، هو نفس الممثل الذي سبق له أداء دور يسوع الناصرة في «الغواية الأخيرة للمسيح» .

● الجوائز اسرار

وأيا ما كان الأمر ، فالأفلام الأربعة الأخرى المرشحة للعديد من جوائز أوسكار ، لم تتح لأى منها فرصة الترشيح لأوسكار أفضل فيلم أو مخرج ، وذلك باستثناء فيلم واحد «سائق السيدة ديزى» الذى كانت أوسكار أفضل فيلم من بين الجوائز التسعة المرشح لها .

وقد يبدو غريبا الا يرشح «مستنقع الموسيقى» و «اعداء قصة حب» لأى من أوسكار أفضل فيلم ومخرج ، وكلا الفيلمين عن محرقة اليهود ، ومن صنع مخرجين كبيرين أحدهما «كوستا جافراس» صاحب «محتا .. له» والآخر «بول مازورسكى» صاحب «المرأة غير المتزوجة» .

والأكثر غرابة الا يرشح «سائق السيدة ديزى» لأوسكار أفضل مخرج ، وذلك رغم ترشيحه لأوسكار أفضل فيلم .

فهذا كان يعنى أنه فى حالة تتويجه بأوسكار أفضل فيلم – وقد توج بها بالفعل – فإن مخرجه الاسترالى «بروس بيريسفورد» لن يفوز بأوسكار أفضل مخرج لعدم ترشيحه لها أصلا .

وليس من شك أن فى ذلك خروجا على منطق الأمور فى دنيا الأفلام .

فمن : المعروف أن الفيلم ومخرجه مرتبطان على وجه لايتصور معه الفصل بينهما ، بحيث يرشح أحدهما للأوسكار دون الآخر .

هذا ولم يحدث خلال السبعة عشر عاما الماضية أن حجبت أوسكار أفضل مخرج عن فيلم فاز بأوسكار أفضل فيلم الا مرة واحدة ، وذلك عندما فاز «العربات النارية» بأوسكار أفضل فيلم دون أن يفوز بأوسكار أفضل مخرج التى ذهبت إلى «وارين بتى» مكافأة له على اخراجه لفيلم «حمر» (١٩٨١) .

وفى الحق ، فليس ثمة تفسير لهذه الظواهر الغريبة ، إلا فى أسباب تدخل هى الأخرى فى باب العجب العجاب ، من بينها أولا أن فيلم «مستنقع الموسيقى» كان مرسوما له أن يفوز بالجائزة الكبرى (الدب الذهبى) فى مهرجان برلين الأخير (١٩٩٠) ، أى فى عاصمة محرقة اليهود ، وفعلا فاز بها مناصفة مع «البلابل الصامتة» لصاحبه المخرج التشيكى «يرى مينزل» ، وهو فيلم ظل ممنوعا عرضه فى تشيكوسلوفاكيا زهاء عشرين عاما .

والآن فليترك سباق أوسكار أفضل فيلم لغيره من الأفلام ، وبالتحديد «سائق السيدة ديزى» .

ثانيا : أن فيلم «اعداء .. قصة حب» ، ولئن كان ترجمة أمينة للقصة المأخوذ عنها ، وهى للأديب الأمريكى اليهودى «اسحاق باشيفيس سنجر» الفائز بجائزة نوبل قبل اثنى عشر عاما (١٩٧٨) ، إلا أنه يؤخذ عليه التحول فى تفاصيل حياة أبطاله الناجين من معتقلات النازية ، على وجه أفقد محرقة اليهود بعض هالتها من جلال فى الخيال .

والآن فليخرج ليلة اعلان الجوائز مجردا من أى أوسكار ، حتى ولو كان صغيرا .

ثالثا : أن ترشيح «سائق السيدة ديزى» لأوسكار أفضل فيلم دون أوسكار أفضل مخرج ، مؤداه ترجيح كفته على أى فيلم مرشح لهاتين الجائزتين ، وذلك بحكم أنه ليس ثمة فيلم آخر يدانيه فى عدد الجوائز المرشح لها .

أوسكار هوليوود

هذا علاوة على أن تتويجه بأوسكار أفضل فيلم لن يكون من آثاره حرمان الفيلم التالى له مباشرة فى عدد الجوائز المرشح لها (ثمانية أوسكار) وهو «ولد فى الرابع من يولية» من أوسكار أفضل مخرج المرشح لها .

فى حين أنه لو حرم «سائق السيدة ديزى» من أوسكار أفضل فيلم ، لكن ذلك مؤداه خروجه من مولد الليلة الكبيرة دون أن يتحقق له من أهم الجوائز الشىء الكثير .

● العجوز والأسود

والآن ، ماهى حكاية السيدة ديزى هذه وسائقها ؟

ولماذا كل هذه الرعاية لفيلمها ، حتى يصل إلى بر الأمان متوجا لا بأوسكار أفضل فيلم فحسب ، وإنما كذلك بثلاث



السائق الاسود والسيدة اليهودية



"المجد" للسود يحاربون من أجل امريكا .

جوائز أخرى من بينها أوسكار أفضل ممثلة «رئيسية» «جيسيكا تاندى» وأفضل سيناريو مأخوذ عن عمل أدبى ؟

الحكاية مأخوذة عن مسرحية «سائق السيدة ديزى» للكاتب الأمريكى «ألفريد اهرى» تعرض حاليا على أحد مسارح تل أبيب وموضوعها يدور حول عجوز يهودية محافظة وعنيدة ، لها من العمر اثنان وسبعون عاما .

وفى أول مشهد يبدأ به الفيلم ، نراها ، وقد اصطدمت سيارتها «الباكارد» بسور منزل أحد الجيران ، فتحطمت بحيث لم يبق منها شىء سليم سوى «ديزى» التى تخرج من بين الحطام معافية لم يصبها أذى .

ويحاول إبنها الوحيد «دان أكرويد» دون جدوى أن يقنعها بضرورة استئجار سائق لسيارتها الجديدة ، لاسيما وأن شركات التأمين ترفض التأمين عليها لكبر سن صاحبتها .

إلا أنها على مر الأيام تزداد اصرارا على الرفض ، وبخاصة عندما تعلم أنه قد استأجر لقيادة السيارة سائقا أسود اللون «مورجان فريمان» .

ومع كر الأعوام حتى تصل فى الفيلم إلى خمسة وعشرين عاما ، وبفضل أحداث سياسية واجتماعية هزت المجتمع من بينها نسف المعبد اليهودى فى مدينة «أتلانتا» واضطهاد البيض للسود فى الجنوب ، بفضل كل ذلك ، تكتشف السيدة ديزى أن قاربا واحدا يجمعها هى وسائقها الأسود .

فتبدأ فى التعاطف معه ، تعلمه القراءة والكتابة ، تصطحبه إلى الاجتماعات المعادية للتفرقة العنصرية .

ثم يتقدم بها العمر إلى السابعة والتسعين حيث نراها فى المشهد الأخير ، وهى جالسة فى المطبخ باحدى دور المسنين .

إنها لاتستطيع أن تتناول الطعام دون مساعدة فإذا ماأطعمها السائق المخلص ، سمعناها تقول له شاكرة «انت أحسن صديق لى» .

● الصبر الجميل !

وفى اعتقادى أن اختيار «فريمان» و«تاندى» لأداء دورى السائق والسيدة ديزى ، كان اختيارا موفقا غاية التوفيق .

«ففريمان» هو أول من لعب دور السائق على خشبة المسرح فى برودواى .

أما «تاندى» فقد اعتلت خشبة المسرح منذ ستين عاما أو يزيد ولعبت دور «أوفيليا» أمام السير «جون جيلجود» وهى ماتزال فى عمر الزهور .

وخلال عام ١٩٤٧ ، اختارها المخرج «ايليا كازان» لتلعب أمام «مارلون براندو» دور بلانشى ديبوا فى مسرحية «عربة اسمها الرغبة» .

وبفضل ادائها لهذا الدور الصعب ، فازت بجائزة «تونى» التى تعتبر بحق أرفع جوائز المسرح الأمريكى شأنا .

ورغم ذلك ، فقد أرادت الحياة أن تجعل كل شىء من أمرها غريبا حقا .

فعندما انصرفت نية هوليوود إلى ترجمة تلك المسرحية إلى لغة السينما ، إذا بها تفاجأ بالتعاقد مع جميع طاقم المسرحية فيما عداها .

فقد استبدلوا بها «فيفيان لى» لا لشىء سوى أنها كانت نجمة «ذهب مع الريح» .

ومهما يكن من شىء ، فلغة سائق السيدة ديزى أقرب إلى المسرح منها إلى السينما .

أوسكار هوليوود

وعلى النقيض من ذلك تماما «ولد فى الرابع من يوليه» الفائز باوسكارى افضل مخرج «اوليفر ستون» وتوليف (مونتاج) ، فهو فيلم يقطر سينما فى كل لقطة من لقطاته على امتداد ساعتين ونصف من عمر الزمان .

● الحلم والكابوس

وولد فى الرابع من يوليه مأخوذ عن قصة حياة «رون كوبيك» التى ضمنها كتابه الذى بنفس الاسم .

وقبل حوالى اربعة أعوام ، ابدع مخرجه فيلم «بلاتون» «فصيلة» المستوحى من تجربته المريرة فى حرب فيتنام فيلم صور فيه تلك الحرب بكل بشاعاتها كما لم تصور من قبل فى اى من افلام مصنع الاحلام .

وهو فى فيلمه الجديد ، يكمل مشوار تقديم حرب فيتنام فى شكل لوحة سينمائية درامية كاملة ورائعة لمأساة الشباب الامريكى الذى القى به فى أتون حرب لاناقة له فيها ولا جمل .

ومع أن حرب فيتنام وانعكاساتها على بطل الفيلم «رون» (توم كروز) ، هى المحور الذى تدور من حوله الأحداث وجودا وعدما غير أن وقائع الفيلم التى تجرى على أرض فيتنام لايزيد عرضها عن سبع عشرة دقيقة .

أما باقى الوقائع ، فتجرى على أرض الولايات المتحدة قبل ذهاب «رون» إلى ساحة الحرب أو بعد عودته منها بقلب ملؤه الحزن وبعزيمة مشبعة بالاحتقار .

وفى الحق ، فان أكثر مناظر الفيلم اثارة للفزع ليست فى فيتنام حيث تدور رحى الحرب بكل أهوالها ، وانما داخل أحد المستشفيات بحى برونكس فى نيويورك حيث نرى «رون» على كرسى متحرك قعيدا بحكم أنه مشلول من أسفل الصدر إلى أدنى الأطراف ؛ نراه يواجه صنوف المعاملة الرديئة التى كانت من حظ المحاربين العائدين جرحى مشوهين .

وهنا فى تلك المستشفى ، لم يترك المخرج سيئة إلا واحصاها .. الجرذان ، المخدرات ، الفضلات والغانيات .

والفيلم تتتابع أحداثه بطريقة العودة إلى الماضى بدءا من الرابع من يولية ١٩٥٦ ، يوم ميلاد «رون» قبل عشرة أعوام الذى هو نفس يوم الاحتفال باعلان استقلال الولايات المتحدة قبل مائة وثمانين عاما .

ففى ذلك اليوم السعيد تقوم المدينة التى يعيش فيها الصغير «رون» باستعراض وطنيتها فى الشارع الرئيسى .

وكان من بين ما استعرضته طابور للمعوقين مكون من قدامى المحاربين .

وها هو ذا «رون» الصغير مشغولا بالصواريخ المنطلقة إلى عنان السماء احتفالا بالعيد ، عن القبلة الأولى من صديقته الصغيرة «دونا» .

إنه لايعرف الا ماتعلمه من اسرته الكاثوليكية وهو طفل فاذا ما أصبح شابلا فلا يعرف الا ماسمعته اذناه من الرئيس كيندى أثناء قيامه بالقاء أول خطاب له فى الكونجرس .

ومن الرقيب الذى كان يدربه على المصارعة فى المعهد العالى .

ومن كشاف البحرية الذى كان يبحث عن فتية أقوياء مستعدين للتطوع خدمة لارض الاباء .

هؤلاء الفتية وراء المحيط الذين كان يحلم «رون» بالانضمام إلى صفوفهم محاربا وتمر الأيام ، ويتحقق الحلم الذى سرعان مايتحول إلى كابوس مرعب على أرض فيتنام .

وهنا يتعين أن أقول أن «ولد فى الرابع من يولية» قد يكون أفضل فيلم انتجته السينما الأمريكية عن محنة المحاربين العائدين من حرب فيتنام .

● القاعدة والاستثناء

وأخيرا فمما يلاحظ كذلك على احتفال أوسكار الأخير ونتائجه .

أولا : أن أفلاما هامة مثل «حرب الورود» و «جنس ، أكاذيب وشريط فيديو» و «افعل الشيء المناسب» لم يكن لها أي نصيب في جوائزه صغرت أم كبرت .

وأغلب الظن أن ذلك انما يرجع إلى أن الأول يهين العائلة الأمريكية والثاني اكتفاء بحصوله على جائزة مهرجان كان الكبرى (١٩٨٩) ، خاصة وأن مخرجه مايزال شابا يافعا (٢٧ عاما) ، والثالث لأنه يعرض للتعصب العنصري بين البيض والسود في المجتمع الأمريكي بصورة واقعية دامية .

ثانيا : إن أفلام الانتاج الكبير لم تفز إلا بأقل الجوائز شأنا ، فمثلا «الرجل الوطواط» لم يتوج إلا بأوسكار أفضل إخراج فني (الديكور)

وانديانا جونز والحملة الصليبية الأخيرة لم ينل إلا جائزة واحدة هي أوسكار أفضل توليف للمؤثرات الصوتية !!

ثالثا : إن السباق بين المرشحين الخمسة لأوسكار أفضل ممثل رئيسي ، لم يفز فيه لا النجم «توم كروز» عن أدائه الرائع لدور «رون» في «ولد في الرابع من يوليه» ، «ولا مورجان فريمان» عن أدائه لدور «سائق السيدة ديزي» .

وإنما الفوز كان من حظ ممثل انجليزي صاعد «دانييل داي لويس» عن أدائه لدور الرسام والأديب الايرلندي المعوق «كريستي براون» الذي تعلم رغم شلله كيف يكتب ويرسم بقدمه اليسرى في الفيلم الايرلندي «قدمي اليسرى» هذا وعن أدائها لدور أمه في الفيلم الأخير ، فازت الممثلة الايرلندية «بريندا فريكو» بأوسكار أفضل ممثلة مساعدة .

يبقى أن أقول أن فيلما لم يكن أحد يتوقع له نجاحا كبيرا ، قد فاز بأكبر عدد من جوائز أوسكار بعد «سائق السيدة ديزي» .

هذا الفيلم هو «المجد» الذي سبق القول بأنه كان ضمن خمسة أفلام اختيرت للعرض والعام الماضي على وشك الرحيل .

فلقد فاز بأوسكار أفضل صوت وتصوير وممثل مساعد «دانزيل واشنطن» .

والمجد من اخراج «ادوارد زفيك» ، وهو يحكي قصة أول فرقة مكونة من جنود سود تخوض غمار الحرب الأهلية الأمريكية .

وعلى عكس أفلام مثل «مولد أمة» و«ذهب مع الريح» هو لاينحاز إلى الجنوب القديم مصورا له وكأنه مجتمع وردي رومانسي كما لاينحاز ضد السود ، فيصورهم عبيدا أذلاء أو قطاع طرق أشقياء .

لا إنه يصورهم أبطالا محاربين من أجل استرداد الحرية السليبة ؛ وآية ذلك النفر «تريب» الذي كان عبدا قبل أن يهرب ويتطوع في جيش الشمال محاربا .

فها هو ذا في أحد المشاهد الأخيرة يتقدم رافعا علم الفرقة ، مواجها رصاص العدو لايبالي حتى يسقط مخضبا على أرض المعركة ، مفارقا الحياة من أجل وطن واحد يتساوى فيه السود بالبيض .

ودلالة فوز «المجد» هو و «سائق السيدة ديزي» بسبعة جوائز أوسكار معظمها هام ؛ هي أن الدوائر التي لها القول الفصل في السينما الأمريكية ، إنما تسعى إلى الوفاق أو بمعنى أصح التحالف بين اليهود والسود بحيث تتوحد الجهود .

شهريات

رأى فى الثقافة

زاوية مظلمة من الصورة

هل لا تزال «الثقافة» سلعة بائرة تحجم الاموال العربية الضخمة التى نراها تطير امامنا ، وتعمل فى كل شىء ، النافع وغير النافع ، عن تخصيص جزء ولو ضئيل منها للعمل فى مجالها ؟

هل لا يزال المستهلك العربى يحجم عن «الثقافة» وهى الشىء الاساسى الذى به يقترب من الانسانية ؟

قد يكون غريبا ان كاتب هذه السطور يؤمن بعكس ذلك ، ويرى انه بالامكان ان تكون «الثقافة» والجاد منها ايضا ، سلعة رائجة لو وضع العاملون فى حقلها بعض الاعتبارات الاساسية التى يضعها اصحاب الاموال العاديين فى اعتبارهم ، وهم ينتجون هذه السلع ، النافعة ، وغير النافعة .

فعلى الرغم من اننا جميعا ، وحين يحين وقت الكلام ، نتكلم عن ان الثقافة العربية هى الاساس الموجود فى كل البلاد العربية ، الا ان احدا من العاملين فى حقل الثقافة لا يضع فى اعتباره هذه البديهية : فنادرا ، نادرا ما نجد دار نشر عربية تعمل اساس امتداد الوطن العربى ، اى تعمل على تواجد انتاجها فى كل البلاد العربية .

نادرا نادرا ما نجد دار نشر عربية تعمل الدعاية الكافية لانتاجها كما يفعل اصحاب السلع الذين يخصصون اموالا طائلة للدعاية لانتاجهم .

نادرا ما نجد دار نشر عربية تمد ساحة اهتمامها لتشمل ابوابا يمكن ان تهم ربه البيت ، والشباب ذوى الميول البسيطة ، والصبية والاطفال لتقدم لهم كما تفعل دور النشر العالمية انتاجا يجعلهم يعتادون القراءة ، فيقبلون على الانواع الأخرى ولو بشكل نسبى .

ونادرا ايضا ما نجد دار نشر عربية تقدم انتاجها فى ثوب جذاب وجميل ومتقن (كما يفعل منتجو العطور والاحذية والفساتين) وكما تفعل دور النشر العالمية ، فحتى السلاسل الرخيصة الشعبية المطبوعة على ورق فقير (كالنجوين مثلا) تقدم فى ثوب جميل وقشيب ومغر .

شهريات

رأى فى الثقافة

اعتقد انه لو عملت دور النشر العربية على هذه الاسس بالثقافة الى ان تكون سلعة رائجة نجدها حتى فى دكاكين البقالة كما يحدث فى بلاد الله الواسعة .

واعتقد ان هذا يجب ان نلح عليه خاصة بعد بروز الاتجاه الداعى لبيع مؤسسات النشر للقطاع الخاص والا فان هذه الدور ستتحول الى بوتيكات لبيع سلع غير مفيدة لكنها رائجة !

● عبده جبير

مجلات اسبوعية جديدة والمجلات الشهرية تتعثر فى الصدور ؟

●لم لا تثوب الهيئة المصرية العامة للكتاب الى رشدها وتعمل على العودة الى البديهيات حين تخطو خطوة للأمام او حتى خطوتين للخلف ؟

لم لا تثوب الهيئة المصرية العامة للكتاب الى رشدها وتنتبه الى شىء بسيط وبديهى وليس اختراعا جديدا مغمورا غير منتشر ، وتعمل على اساس هذا الشىء الذى هو : التخطيط .

لم تصر الهيئة على اصدار مجلات وتقول عنها «شهرية» ، وهى لا تصدر شهرية ، وتصدر عملا من عشرين جزءا ولا تصدر منه عبر عشر سنوات سوى ستة اجزاء ، وتصر على اصدار العديد من السلاسل دون ان توفى بالتخطيط لسلسلة واحدة ؟ هل هى الرغبة فى الفشل ؟

نسمع الآن ان الهيئة تنوى اصدار صحيفة ثقافية اسبوعية فى الوقت الذى نجد المجلات الشهرية القائمة فعلا غير قادرة على الصدور فى مواعيدها !

لا يستطيع احد ان ينكر ان مجلة «القاهرة» خاصة فى السنين الأخيرة قد اصبحت مجلة حية متنوعة تقدم صور الثقافة الحية فى مصر . وهى الاكثر جدوى ونشاطا من كل المجلات التى تصدرها الهيئة ، ولكن ها هى مجلة «القاهرة» تتأخر عن الصدور مرة تصدر كل شهر لعدة شهور ، ومرات تصدر كل شهرين ، ومرات اخرى كل ثلاثة شهور حتى غدا المتتبع لها زاهدا فى تتبعها ، وهذه هى اخطر حلقات قتل اية مطبوعة ، واذا سالت قالوا ازمة الورق ، ولا نعتقد ان هناك ازمة فى الورق ذاته ، انما الازمة فى انعدام التخطيط لتوفير هذا الورق فى مواعيده ، ازمة سوء تدبير ، وعدم احساس بالمسئولية ، فالهيئة اصدرت مئات الكتب الجديدة غير المخطط لها ، واهملت كتبا عديدة مضمونة على جميع المستويات فلهى خطط على مبارك ، مثلا ، صدر منها ستة اجزاء منذ سنوات ،

شهريات

اشارات ثقافية

وقف صدور بقية اجزائها على الرغم من نجاح توزيع اجزائها الاولى ، وعشرات الامثلة فى هذا المجال .

كيف لا نكمل عملا ناجحا ومضمونا ونلجأ الى اعمال غير ناجحة او مضمونة كيف ندعو لاصدار صحيفة اسبوعية غير مضمونة ونحن غير قادرين على الاستمرار فى مطبوعة نافعة ومضمونة ؟

يقول البعض ان ضرب مجلة القاهرة مخطط لصالح المطبوعة الجديدة ، لكننا بمعرفتنا بتفاصيل ما يجرى نقول ان هذا غير واقعى إنما الواقعى والصحيح ان كل شىء يتم بدون تخطيط حتى «الضرب» نفسه ، فهو ايضا يتم بطريقة كل شن كان ، الأمر الذى يدفع الى التاكيد على انه حتى الجريدة الاسبوعية القادمة ستكون غير مضمونة وحتى اشعار اخر .

جمال حمدان والعالم الاسلامى المعاصر

اوشك الدكتور جمال حمدان على الانتهاء من سفر جديد له يربو عدد صفحاته على الالف صفحة يحمل عنوان «العالم الاسلامى المعاصر» وهو تطوير بالعمق لكتابه الصغير المعنون بنفس العنوان والذى صدرت طبعته الثانية فى الشهر الماضى ، وهى طبعة محدودة لا تزيد عن الف نسخة (كانت الطبعة الاولى قد صدرت عام ١٩٧٥) .

(والمرء وهو يذكر بالاكبار هذا المجهود الكبير للمفكر الكبير لا يسعه الا ان يربط



حادثتين بعضهما بالبعض . فقد سبق ان كان كتاب «شخصية مصر» الذى صدر فى اربعة اجزاء ضخام كتابا صغيرا ، او لنقل ملخصا للفكرة الاساسية التى قام عليها السفر الكبير . وها هو جمال حمدان يفعلها مرة اخرى مع «العالم الاسلامى المعاصر» الذى وعد بتسليمه لناشره فى بداية يوليو القادم ، ليصدر خلال شهرين من استلامه كما صرح الناشر .

واننا اذا نقابل هذا الخبر بالفرحة الغامرة الا ان الحياة العامة تفتقد مساهمات كاتبنا الكبير خاصة وانها فى حاجة الى مساهماته القيمة التى نرجو ان يكون انتهاؤه من هذا السفر سببا فى مشاركته الفعالة فى حياتنا الثقافية ، وسيكون الهلال فى غاية السعادة لو قرر كاتبنا الكبير اختياره كمنبر يعبر خلاله عن ارائه فى القضايا العامة .

نحن اذن فى انتظار «العالم الاسلامى المعاصر» وسيسرنا ان نخصص له مساحة كافية لتقديمه لقرائنا مع صدوره وربما قبل صدوره .

شهريات

اشارات ثقافية

• قضيــة • الشيخ النمر وقضية هذا الكتاب

فضيلة الشيخ عبدالمنعم النمر رجل فاضل ولا نعرف السبب الحقيقى الى لجوئه لهذا الاسلوب الغريب فى التعامل مع كتاب اسلامى .. وكاتب «اسلامى» والنتيجة انه وضع نفسه فى موقف محرج لم يستفد احد منه ، لا هو على المستوى الشخصى ، ولا الاسلام



على مستوى السلوك النبيل ولا العلم الذى اراد ان يكون حارسا عليه فلخطأ السبيل .

فما ان قرأ فضيلته اخبارا تترى عن صدور كتاب الدكتور احمد صبحى منصور المسمى «مصر فى القرآن الكريم» وقد كان له به علم سابق ، وموقف رافض لاسباب لا يعلمها الا الله حتى وهو الرجل الذى لا ترفض له كلمة تنشر فى اوسع المنابر انتشارا نقول حتى بادر سيادته لا بإبداء رايه فى الكتاب وفى صاحبه علنا وبقلمه بل لجأ الى اسلوب غريب على من هم فى مثل موقع فضيلته ، اسلوب المنع من المنبع ، واستعداء المسئولين على الخصوم دون وجه حق ، فاتصل اتصالا وثيقا معترف به ممن هم شهود مباشرين هم مصادرنا الاحياء لكل هذه القصة اتصل بالاستاذ سعيد سنبل رئيس مجلس ادارة مؤسسة الاخبار ، والمسئول الاول عن اصدار سلسلة «كتاب اليوم» .. التى نشرت الخبر عن قرب اصدارها للكتاب المذكور وطالب بمنع نشر الكتاب ، الا ان الامور سارت فى اتجاهها الصحيح وطلب رئيس مجلس ادارة الاخبار تشكيل لجنة من ثلاثة من كبار علماء الأزهر وعرض عليهم الكتاب فاذا بالعلماء المسلمين الأزهريين الافاضل يقرون نشر الكتاب ولم يجدوا به ما يمنع من نشره ، ولم يجدوا به طبعا ما زعم الدكتور النمر من مساس بالقرآن وانجلت الحقيقة ، وصدر الكتاب .

اما الكتاب نفسه ولمن لم يقراه حتى الآن ، فهو يحاول ان يستخلص الموعظة والعبرة من القصص القرآنى عن مصر ، وذلك بعد ان يتتبع الاشارات القرآنية ليستضيىء بها فى رسم صورة

شهريات

اشارات ثقافية

تاريخية لأحوال مصر السياسية والاجتماعية فى عصر الهكسوس والرعامسة ، رمسيس الاول وخلفاؤه ، ومن الطبيعي ان تلك الاشارات القرانية عن الحياة المصرية القديمة لا ترسم لوحة متكاملة .

وهنا يضع الكاتب جملة اعتراضية يتساءل فيها «ولكن من قال ان كتب التاريخ وعلماء المصريات قد جاءوا لنا بتاريخ مفصل متكامل للحياة المصرية القديمة مع ان ذلك هو عملهم الاساسى وهدفهم الاصلى» ويعود الى موضوع الكتاب مضيفا : اما القران فليس كتابا فى التاريخ ملتزما بمناهج المؤرخين ، ومع ذلك فان الاشارات القرانية التى حفل بها كتاب الله منذ ١٤٠٠ عام تؤكدها اكتشافات علماء الآثار ، ثم ان هذه الحقائق التاريخية القرانية لا مجال فيها للريب او الشك ، بينما يكتشف علماء الآثار كل حين ان بعض الفراعنة قد طمس امجاد اسلافه ونسبها لنفسه فالتاريخ البشرى حتى بالهيروغليفية عرف التزييف ، اما قصص القرآن فهو كما قال تعالى : «لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الالباب ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل كل شىء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون» .

وفى موضع آخر يقول المؤلف : «وهكذا فالحقيقة التاريخية المذكورة فى القرآن ليست هدفا فى حد ذاتها . وانما هى وسيلة الى الهدف الاساسى وهو الهداية للحق . وتبعا لذلك فإن منهج القرآن فى ايراد القصص التاريخى يختلف عن المنهج التاريخى للمؤرخين ، فالمؤرخ حين يذكر حادثة تاريخية معينة لابد ان يهبط بها على ارض الواقع بان يذكر حين يذكر المكان والزمان والابطال اما القرآن فله شان مختلف فالعبرة هى الاساس من ايراد القصص القرآنى» .

هذا هو جوهر ما ذهب اليه الباحث فى كتابه الذى اقره عليه العلماء



الشيخ عبدالمنعم النمر

الافاضل فى تقرير مكتوب موقع عليه منهم ولا نعرف ما الذى اغضب الشيخ النمر فى هذا القول ، ولنا الآن نتساءل : أليس فى هذا القول الذى جاء تحديده على هذا النحو ، وفى هذا السياق اضافة جديدة لدراسة القصص القرآنى من زاوية عبرته ؟

اليس هذا اجتهاد يغنى ثقافة المسلم ويوقظ عقله من الركود والضمور والموات ؟

ثم اخيرا اليس هذا الكتاب إضافة لمكتبة الدرس القرآني وهل من اللائق ان يعاقب من يساهم بمثل هذا الدرس ام ان الأجدى والأنفع ان يناقش وان يتحاور معه بدلا من اللجوء الى اساليب «وراثية» لمنعه من حقه في ابداء ما انتهى اليه درسه ؟

اسئلة نعرف الاجابة عنها ولعلها تجد إجابة هادئة من فضيلة الشيخ النمر .

الأوبرا ونهاية رائعة

انتهى موسم الأوبرا لعام ٨٩ / ٩٠ بمفاجاتين الاولى قيام اوركسترا وكورال اوبرا فارنا بالتعاون مع فرقة اوبرا القاهرة بتقديم عروض لثلاث روائع اوبرالية على خشبة المسرح الكبير هي «لاترافياتا» (غادة الكاميليا) والتروبادور (المغنى المتجول) لفيردى ، والبوهيمية لبوتشيني .

ومما لوحظ على اداء المغنيات السوبرانو المصريات انه كان معادلا في اكثر الاحيان لمستوى زميلاتهن البلغاريات اللائي تناوبن معهن ادوار فيوليت وليونورا وميمى في تلك الاوبرات .

اما «جيفكا ماركوفا» المغنية البلغارية الميتزوسوبرانو فلم يستطع احد ان يصل الى مستواها في الاداء لدور الغجرية «ايزوتشينا» في «التروبادور» .

حقا لقد كانت وحيدة نوعها ، لا تقارن ، فما كادت تظهر في معسكر الغجر بدءا من المشهد الاول من الفصل الثاني ، حتى فار المسرح بانفعالاتها .

واذا بنا ، نحن المتفرجين اسراها لا نستطيع من سحر ادائها فكاكا . ونبقى هكذا الى ان تنتهي الاحداث بانتقامها من رب القصر لمقتل امها وابنها .. ويا له من انتقام !! اما المفاجاة الثانية فمسرحية «الباخوسيات» «كاهنات الرب باخوس» للاديب اليوناني «اور بيديس» الذى ابدعها قبل الفين واربعمائة عام ..

وما شاهدناه منها انما كان في ثوب جديد من اعداد الفنان الاسباني «سلفادور تابورا» الذى تحول بها الى عرض غنائي راقص على طريقة الفلامنكو .

ولو قابلنا بين المسرحية والعرض ، لادهشتنا حرية تعامل «تابورا» مع النص الاصلى .

فهو والحق يقال ، لم يبق من كلماته شيء ، مؤثرا اللعب بالضوء والضوضاء والالوان بل والرائحة كذلك رائحة البخور ينتشر شذاه في ارجاء المسرح الكبير ، مع عودة الام «أجافى» الى طيبة تحمل راس ابنها وقد توهمت انها راس اسد قتلته .

ومع ذلك فتابورا في عرضه لمسرحية

شهريات

اشارات ثقافية

اوربيديس، كان اقرب الى روحها واكثر حرصا عليها من كل هؤلاء الذين غالوا فى الحفاظ على الاطار التقليدى لها حتى انتهى بهم الامر الى الجدب والعقم والاعدام .

ولم اعرض شيئا من تفصيل موضوعها الذى مداره الصراع بين «ديونيسوس» او «باخوس» رب الخمر والاستمتاع وبين الملك المتزمت «بنثيو» ذلك الصراع الذى ينتهى بموت الاخير ميتة بشعة بايدى الباخوسيات - بما فيهن امه - اللاتى كن قد فقدن الصواب ، فتوحشن ، بفعل الاسراف فى العربدة والشراب .

كما لم اعرض شيئا من تفصيل الديكور البسيط الاخاذ الذى لم يتغير طوال العرض لأنه كان من فصل واحد او انشاء الجوقة او رقصات الباخوسيات الطليقات ، وغير ذلك كثير .

ولو قد عرضت تفصيلها لتنقلت من شيء رائع الى شيء اكثر روعة .

ولا اظن اننى مسرف فى الثناء اذا ما جنحت الى القول بان «الباخوسيات» حسب رؤية «تابورا» لها ، هى من الاعمال الفنية النادرة التى يتمنى المرء ان يراها بدل المرة مرات .

• مكتبة الهلال •

الكتاب : حرق الدم

تاليف : محمد مستجاب

الناشر : مكتبة مدبولى - القاهرة

ضمن كتابه الذى تضمن العديد من كتاباته تناول محمد مستجاب كاتبنا الكبير احمد بهاء الدين - شفاه الله - بعبارات اخاذة هى جزء من تكوينه وابداعه الذى تعودناه منه على مدى اربعين عاما .

يقول عن احمد بهاء الدين :

هذا الرجل .. كالنخلة بصلابة جذعها وشموخ طولها وسامق جريدها وواخز اشواكها ، وحلو رطبها ، يقاوم الاعاصير

واضطراب الجو ونسيج العناكب ، مرتبط بايقاع الزمن ودورة المناخ فلا يثمر الا فى الوقت

مكتبة الهلال

المتسق مع اثمار النخيل وثماره هي البلح العربي بكل انواعه واصنافه يبل الريق ويكرم الصائم ويعالج المريض ، لا يتحول الى جميز او تين او دوم ، لأن ذا سطوة



جرى ريقه على الجميز او التين او الدوم ، صادق اينما تمت شتلاته : فى البصرة او فى المدينة او فى الطائف او فى البدرشين او فى وادى حلفا او فى سيناء أو فى أكادير ، تمنع عنه الماء فيثمر وتزيده فيثمر الثمر نفسه ، لا يتاثر بالسماد السطحى لان جذوره تمتد الى اعمق الاعماق ، ولا يقع ضحية ثعالب الحقول المفسدة للكروم ، ولا للصدا المتلف للقمح ، ولا لدوس الاقدام التى تهشم الاعشاب ، ولا لعبث القطط التى تفسد العجين ، يسمو فوق الخبص واللمز والغمز والنم والدس والشك والتربص وقطع العيش ، يمكنه -بتعاليه الراقى- ان يربط بين حركة الغيوم واضطراب النمل فى الشقوق ، وروح عبدالله النديم ودورة القمر المنير لعتمة البيوت ، وشق المحراث للأرض واشعار بيرم ، لا يستجيب للمطامع والنزوات التى تدمر الكتابة والزراعة والثمر .

هكذا يكون احمد بهاء الدين : شفاه الله وعافاه .

الكتاب : البئر الأولى
تأليف : جبرا ابراهيم جبرا
الناشر : رياض الريس للكتب والنشر لندن
١٩٦ ص ٧ دولارات او ما يعادلها

هاهو جبرا ابراهيم جبرا يدخل مجالا آخر للكتابة ، فبعد الرواية والقصة والنقد الإدبي ، والترجمة ، وبعد النقد التشكيلي والشعر يبدأ

جبرا إبراهيم جبرا

البئر الأولى

فصول من سيرة ذاتية

رحلته مع «السيرة الذاتية» بكتاب اول عن «البئر الاولى» التى هى طفولته فى فلسطين المحتلة ، والتى قضاها فى مدينة القدس على وجه التحديد يذكر لنا جبرا انه اراد فى البداية ان يكتب سيرة ذاتية كاملة ، خاصة وانه كان من المطالبين للادباء بكتابة مذكراتهم التى يسجلون خلالها تجربة تغيرهم ونموهم وصراعهم التى تجعل لحياتهم وحياة كل منا - كما يقول - بل للحياة فى عصرنا كله مذاقها وبعض معناها ولكنه

يدرك انه اذا اراد الدقة فلابد له من التفصيل ومراجعة مئات الرسائل والمدونات يقول : «فقررت ان اكتب عن السنين الاولى فقط من حياتي : ابتداء من طفولتي ، بابعد ما تسعفني الذاكرة منها ، الى ان انتهيت من دراستي في انجلترا وعدت الى القدس مليئا بالافكار ومحموما بها ، وممزقا بين ضروب متناقضة من الوعي ، في مطلع سنتي الرابعة والعشرين ، ثم شعرت ان سنوات دراستي في إكستر ، وكمبردج (وبعض الوقت في اكسفورد) تحتاج وحدها الى مجلد خاص ، ان اردت الصدق مع نفسي والتعمق في تجربتي فقلت : اذن اكتب اولا عن حياتي حتى سن التاسعة عشرة وهي السن التي حالما تخطيتها» .

«ورغم ان احداث المرحلة التالية اغنى جدا بالضرورة ، واشد تعقيدا وتشعبا وهي ايضا تطالب المرء بان يأسر احداثها في شباك من الكلمات لعل معالمها تتحدد بصيغة مفهومة فان الطفولة تبقى مبحث سحر يستديم فعله الغامض ، ومصدر وهج يعجز عنه التفسير ، وكلا السحر والوهج يغرينا دوما بالشخوص اليه والاندهاش به مجددا ، محققا للنفس انتعاشا هي بحاجة اليه كلما راكمت عليها الايام احداثها ، وحطت السنون عليها اعباءها» .

انها سيرة ذاتية ممتعة حقا ، خطتها يدا فنان حقيقي وصادق استطاع بجدارة ان يعود الى طفولته ليشكل من ذكرياتها عالما مصورا بحيوية فائقة حتى وكانك تعيش مع كاتبها في المكان (القدس الشريف) وترى الاشياء والطبيعة والناس يتحركون امامك ومعك لتجد نفسك في عالم حميمي وانساني .

انها واحدة من اجمل السير التي قراناها لا لكاتب عربي بل يمكن وضعها بجوار السير الذاتية الكبيرة لفناني البشرية الذين يتجاوزون بها المكان الصغير الى العالم الواسع الرحيب .

الكتاب : الراسمالية تجدد نفسها
تاليف : د . فؤاد مرسى
الناشر : عالم المعرفة ـ الكويت
٤٩٦ ص . ق . م



● هذا كتاب جديد هام للدكتور فؤاد مرسى هو الاول من نوعه في موضوعه الذى هو تحليل عميق وعلمي لظاهرة تجاوز الراسمالية لمشاكلها وتجديد نفسها . كيف ؟ يقول الدكتور مرسى انه اذا كانت قاعدة الراسمالية

شهريات

مكتبة الهلال

قد تقلصت جغرافيا خلال القرن الحالى فإنها قد اثبتت مع ذلك انها اكثر قدرة على الحياة مما كان يتصور خصومها ، لقد تغلبت على اخطر التناقضات في اللحظة المناسبة ، وهكذا نواجه الان راسمالية معاصرة تتميز بالاستجابة الحيوية لمقتضيات العصر ، استطاعت ان تجدد قواها الانتاجية وان تعيد تنظيم علاقاتها الانتاجية حتى لاتفلت من سيطرتها ، كما استطاعت ان تستعيد اكثر مستعمراتها القديمة لتظل رغم استقلالها اطرافا لمراكز الراسمالية الرئيسية .

لذلك يبين المؤلف كيف ان الراسمالية المعاصرة اختلفت اختلافا بينا عما كانت عليه في مطلع القرن الحالى وفي اواسطه ولقد حدث هذا التطور الخطير بتاثير الثورة العلمية والتكنولوجية اساسا . من ثم جرى تصحيح مسار الراسمالية في ظروف احتدام المواجهة مع الاشتراكية وفقدان المستعمرات السابقة ولقد جرى بالفعل تحديثها بصورة مذهلة وقامت راسمالية ما بعد الصناعة حيث يصبح العلم نفسه قوة انتاجية خلاقة وحيث تنفتح مجالات جديدة ، غير معروفة من قبل للانتاج وتكرار الانتاج ولتوسيع السوق وزيادة الاستهلاك وفي الوقت نفسه تتغير الطبقة العاملة ، وتتغير علاقة الانسان بالالة وتتولد مشاكل جديدة في علاقة راس المال بالعمل ، وتظهر الى الوجود اساليب جديدة لحلها .

هكذا وعلى هذا النحو يمضي الدكتور فؤاد مرسي في تحليله العميق لظاهرة الراسمالية الجديدة مفتتحا فصلا جديدا في التحليل العلمي للظواهر المعاصرة ، مما يدفع الى القول ، ان كتابه هذا سيثير الكثير من ردود الفعل خاصة من قبل الذين لا يزالون واقفين امام التحليلات القديمة التي تجاوزتها الايام - لذلك ندعو لقراءة هذا الكتاب بتمعن وحرص يليقان به وبكاتبه .

الكتاب : تهويد عقل مصر
تاليف : عرفه عبده على
الناشر : سينا للنشر



يعرض هذا الكتاب لتنسيق صورة عن استراتيجية الغزو الفكرى الصهيوني ، التي تستهدف عقل الشعب العربي في مصر واعادة صياغته بما يسمح لخلق حالة من القبول النفسي

شهريات

مكتبة الهلال

والتاريخي للكيان الصهيوني .. وتبديل المفاهيم الكامنة في عقول المصريين حول الصراع العربي - الاسرائيلي ، والتعرف على الادوات العلمية والثقافية لهذه الاستراتيجية .. تلك الادوات التي تستخدمها الولايات المتحدة للجمع بين علماء وباحثين ومفكرين مصريين واسرائيليين تحت لافتات مختلفة - كما يتضمن الكتاب دراسة موجزة عن نشاط المركز الاكاديمي الاسرائيلي بالقاهرة وجانبا من المحاضرات التي قام بتنظيمها .. وزيارات اساتذة الجامعات الاسرائيليين ، ثم محاور الاستراتيجية الأمريكية تجاه مصر ، وسياسة البحوث المشتركة التي تقوم بتمويلها وكالة الاستخبارات المركزية الامريكية من خلال معاهد ومراكز ومؤسسات علمية «مشبوهة» وفي إطار اخطر عملية رصد حضاري شكلت نتائجها مخزونا هائلا من المعرفة في بنوك المعلومات الاليكترونية بامريكا ..

الكتاب : المسار الاقتصادي في مصر وسياسات الاصلاح
تأليف : د . ابراهيم عيسوي
الناشر : مركز البحوث العربية
١٩٦ ص .



يقول الدكتور ابراهيم عيسوي في مفتتح كتابه : مازالت الازمة الاقتصادية تلقي بظلها الكئيب على المجتمع المصري ، وتضع على كاهل قطاعات واسعة من الشعب المصري اعباء ثقيلة ومع استمرار الازمة يبقى باب الاجتهاد في فهم قضاياها وفي تلمس سبل الخروج منها مفتوحا ، ويضم هذا الكتاب محاولة من جانب مؤلفه للاجتهاد في فهم الازمة ، والوقوف على مختلف مظاهرها ، والتعرف على اسبابها الجوهرية ، والكشف عما تحمله من اخطار وما تنطوي عليه من فرص ومناقشة الخيارات المطروحة للتغلب عليها وانقاذ المجتمع المصري من براثنها

ويبدأ الكتاب بقسم اول يتناول المسار الاقتصادي المصري من الستينيات وحتى الثمانينيات وذلك انطلاقا من الاعتقاد بان فهم المشكلات الراهنة للاقتصاد المصري لا يتيسر الا بالرجوع الى الماضي وقراءة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي .

شهريات

مكتبة الهلال

لمصر .

وتناول القسم الثانى قضية القطاع العام المصرى ، فمع بروز الدعوة الى التحول للقطاع الخاص .. يصبح من الواجب مراجعة الاسباب التى دعت لقيام القطاع العام فى السابق ، والنظر فيما اذا كانت تلك الاسباب لازالت قائمة ام لا خاصة فى ضوء التغيرات الحديثة فى مفهوم التنمية .

اما القسم الثالث والأخير فيتضمن معالجات لعدد من القضايا الجزئية التى ينطوى عليها الاصلاح الاقتصادى .

اسم الكتاب : مدخل الى سيميائية الفيلم
تأليف : يورى لوتمان
ترجمة : نبيل الدبس
الناشر : نادى السينما ـ دمشق



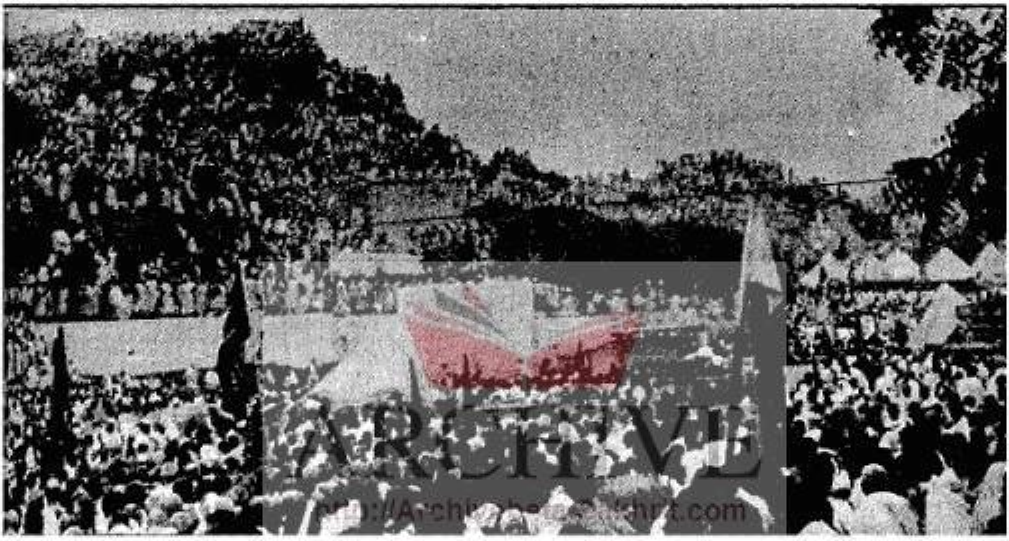
لأول مرة يقدم ناقد سينمائى مثل هذا الموضوع ايمانا منه بان السينما تخاطبنا باصوات متعددة تشكل طباقيات بالغة التعقيد ولانه فى الفن تختلف العلاقة بين لغة الرسائل المنقولة ومضمونها عما هى عليه فى الانظمة السيمائية الأخرى فاللغة على سبيل المثال نظام سينمائى متسق .

وقد حاول الكتاب ربط السينمائية او اللسانيات حسب ترجمتها الى اللغة العربية بفن السينما باعتباره يرتكز على اللسانيات فاللغة هنا تغدو مضمونا بل وتتحول احيانا لتصبح موضوع الرسالة فاللغة السينمائية قد وجدت لغايات فنية وايدولوجية محددة وهى تخدم هذه الغايات وتتحد بها .. ايمانا بان فهم لغة الفيلم هو خطوة اساسية نحو فهم الوظيفة الفنية والانسانية للسينما .

والى جانب هذا المدخل نحو سيميائية الفيلم قدم الكاتب دراسات مبشرة عن اسلوب السرد السينمائى والمونتاج والبنية الدرامية للقصة . والصراع مع الزمن والمكان فى العمل السينمائى وذلك من خلال اعمال جورج ميليه وايزنشتين وفايرا والان رينيه وغيرهم .

على ربى عرفات

للشاعر الراحل : عبد الوارث عسر



يقبع ديوان الفنان الشاعر الكبير الفحل المجود الأستاذ عبدالوارث عسر ـ رحمه الله ـ في مجاهل هيئة الكتاب منذ ثلاث سنوات تحت أيدى موظفين لا يعرفون الفرق بين الشعر والنثر ، ولكنهم مع ذلك يتحكمون فى نشر ديوان شاعر عظيم مثل عبدالوارث عسر .

و« الهلال » ينشر هذه القصيدة الرائعة من ذلك الديوان الأسير بين أيدى من لا يعرفون أهميته وقدره الجليل ، ويناشد رئيس الهيئة أن ينقذ آثار الكبار من عبث الصغار ! !

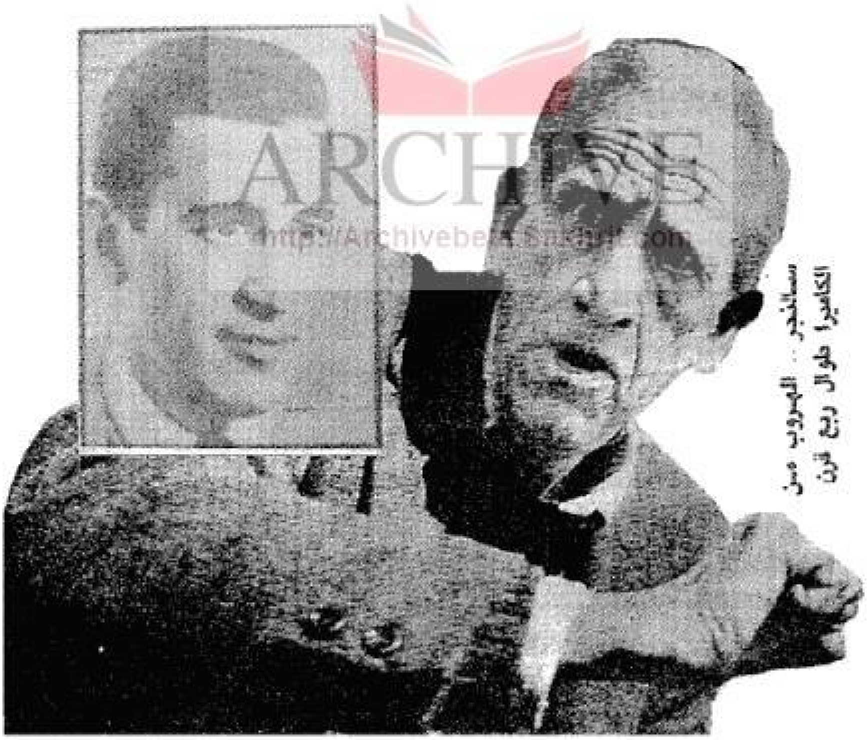
أشعث أغبر يعفر خديه ... ذليلا على ربى عرفات
خاطىء جاء تائبا يسلم ... الوجه لمن لا يضن بالرحمات
غافر الذنب قابل التوب ... البيت وصليت رب فاقبل صلاتى
رب سبحانك استويت على العر ... ش وكرسيك احتوى الكائنات
وأمرت السماء والأرض إذا قلـ ... ـت ائتيا فاستجابتا طائعات
وخلقت الزمان رب تنزهـ ... ـت عن الأوليات والأخريات
وخلقت المكان سبحانك اللـ ... ـه عن القاصيات والدانيات
وخلقت الأبصار كيف تدركك الـ ... أبصار ... يا خالق المدى والجهات
أنا مثقال ذرة من تراب ... أنا لولاك لست أدرك ذاتى
أنا لولا هداك عظم ولحم ... ودماء تفور بالنزوات
عذت بالنور، نور وجهك أن ... تذهب فى كل مذهب أمنياتى
ضاربا فى الحياة الهث منسا ... قا وراء كل ما فى الحياة
هب لى الرفق والقناعة الا ... طمعا فى تزود الباقيات
عملا صالحا به يصعد الكلم ... الطيب فى ظله من الطيبات
رب هذا (فنى) ألقاه من ... عندك طهره من قذى الترهات
رب هذا علمى ولا علم إلا ... بك بدد بنوره ظلماتى
رب هذا رزقى ورزقى من ... جودك فابسطه مريعا للعفاة
وابعث النور من هداك ومن ... علمك يجلو الغياهب الحالكات
شرعة الحق والهدى شرعة الـ ... اسلام لى عصمة من العثرات
والسراج المنير خاتم رسل اللـ ... ـه حسبى من الهداة الثقات
وإمامى القرآن علم ونور ... وغناء عن اليمنيات واليسريات
ربى الله لست أدعو سواه ... هو أهل الحنان أهل الزكاة
وعبوديتى له أعتقتنى ... وسمت بى على الغلاظ الجفاة
رب أنت الودود أنت الرحيم ... البر أنت المرجو فى الغاشيات
أنا مهما أسرفت لست يئوسا ... أن رب الهداة رب الخطاة
بيد أنى أخاف عدلك فى الـ ... ـميزان يهوى بكفة السيئات
فاكفنى العدل يا رحيم وزن لى ... بموازين عفوك الراجحات
واعطنى الصبر والحضور ونورا ... يغمر القلب ساعة السكرات
واعطنى يوم يحشر الناس ضاحيـ ... ـن حمى فى ظلالك الوارفات

أدباء غيروا الأطوار

الكتاب .. نافذة وحيدة على العالم !

يفخر الكاتب دوما بانه يستقى مايبدعه من تجربته الحياتية اليومية التى يحياها بين الاخرين ، وفى كل يوم جديد يروح ينغمس وسط البشر .. وينهل من التجارب الجديدة والمخزونة وكانها الزاد السرمدى الذى يعطيه الطاقة الابداعية لاعمال جديدة .

بقلم : محمود قاسم



سالنجر .. الهروب من الكاميرا طوال ربع قرن

● ولاشك ان أعظم الكتاب الذين عرفتهم البشرية قد زخموا كتاباتهم ، دائما بما عاشوه من تجارب خاصة وعامة ، وعلى سبيل المثال فان الادباء الذين عملوا فوق السفن ، كبحارة ، وملاحين قد امكن لهم الاختلاط بالعديد من الاجناس البشرية والانماط الانسانية واصبحوا مزيجا بشريا من التجارب التى عليهم ان يعبروا عن اصالتها وصدقها ومعانيها يوما وراء اخر . ووجدوا فى الابداع الادبى ارضا وارفة الخضرة لقص هذه التجارب على الناس . ومن هذه النماذج هناك جوزيف كونراد وجاك لندن وهرمان ملفيل واخرون .

لكن هل يمكن ان يكون هناك كاتب معزول عن البشر بارادته ، وتكون لمؤلفاته جودة واهمية !

قد يبدو السؤال غريبا . فكيف يمكن لكاتب ان يؤلف ادبا عظيما وهو فى « حالة » عزلة عن الناس . ونقصد بالعزلة هنا المنفى الكامل عن البشر الذين هم فى اغلب الاحيان مادته الادبية ، وخامته الاولى فى الكتابة .. حتى وان كان هذا المنفى اختياريا وقد تكون عزلة الكاتب فى بعض الاحيان مؤقته . وذات درجات متباينة . لكن النموذجين اللذين اخترناهما قد اختارا العزلة الكاملة عن البشر لسنوات طويلة جدا .. فاصبحا يخافا الاقتراب من البشر ومع هذا فان شيطان الابداع يوسوس لاحدهما فلا يتوقف عن الكتابة للناس .. وعن الناس

والغريب ان هذين الكاتبين يعيشان فى الولايات المتحدة الامريكية .

تلك البلاد المفتوحة ولايشكلان حالة خاصة او فريدة فى المجتمع الامريكى . فالى جانب توماس بينشون و . ج . و . سالنجر ، اللذين اخترناهما للحديث هناك اسماء عديدة منها جون كوبر بويز . وهنرى دافيد ثورب .. واخرون .

يعيش بينشون وسالنجر منذ نيف وربع قرن فى اماكن مغلقة يهربان من المصورين بشكل يثير العجب . لدرجة ان الناس لم تعد تعرف ملامحهما الحقيقية .. ولولا صورة واحدة لكل منهما نشرتا قبل خمسة وثلاثين عاما لكل منهما لما امكن لاحد ان يعرف حتى ملامحهما . ولتصور البعض ان الكاتبين مجرد اسماء وهمية .

● ثلاثية الفندق المجنون

فالصورة الوحيدة التى تنشرها الصحف لبينشون يرجع تاريخها الى عام ١٩٥٠ . اى منذ اربعين عاما . وهى تصور غلاما فى الثالثة عشر من عمره يبدو شاردا ومصابا بالدهشة . فبينشون مولود فى نيويورك فى الثامن من مايو عام ١٩٣٧ . درس فى جامعة كورنل . ثم التحق بالبحرية الامريكية ابان فترة تجنيده . واختار ان يبتعد عن الناس فى منتصف الخمسينات اى وهو فى سن الثامنة عشر بشكل يدعو للاستغراب . بدأ حياته الادبية فى عام ١٩٦٣ . اى بعد ان اعتزل الناس . فنشر روايته « خمسة » التى اعتبرها النقاد ، انذاك . عملا عبقريا وباعت فى طبعتها الاولى مليون نسخة .

الغريب انه رغم عزلة الكاتب ، فانه لم يكتب عن الوحدة قط . ولم يكن غزير الابداع . كما لم يشأ ان يسد الفتحة الاخيرة بينه وبين العالم . الا وهى الكتابة نشر حتى الان مجموعة قليلة من الكتب منها رواية « بيع الشحنة ٤٩ بالمزاد » عام ١٩٦٦ ، « قوس قزح الحفر » ١٩٧٣ . ومجموعة قصصية تحمل عنوان « الرجل

الذى كان يتكلم ببطء ، عام ١٩٨٥ ثم رواية « فيلاند » التى صدرت مع بداية عام ١٩٩٠ .

فى روايته بيع الشحنة ٤٩ بالمزاد اطلق على بطلته اسم « اوديبة » تأنيث اوديب وهى امرأة جميلة تعمل فى مجال التحليل النفسى تجد ان عليها ان تصبح جلادة لحبيبها السابق فوكالة الاستخبارات الامريكية تدفعها الى العثور على هذا الرجل والتخلص منه . انها فى الثامنة والعشرين وقد عانت من فشل فى زواجها .. وتجد نفسها فى فندق صغير فيما يسمى بوادى السيلكون الواقع بين سان فرانسيسكو ولوس انجلوس . وفى هذا الفندق تلتقى بنماذج متعددة من البشر ذوى الاشكال الغريبة فهناك رجل اقرب فى ملامحه الى الضفدعة . وهناك ناس يتلذذون بالتهام العظام واخرون يعشقون الجنس الملتهب . وأوديبة هنا امرأة قدرية عليها ان تتخلص من حبيبها . وكأن اوامر الاستخبارات هى القدر الحديث وهى تلجأ الى جنون العظمة كمهرب وحيد من قسوة هذا القدر .

وفى روايته « قوس قزح الخطر » يرى بينشون ان الحياة ليست سوى نوع من «النقش» من خلال الطرق استمدها من قوس قزح . فمن هذا القوس استمد الانسان كلماته والوانه ورغباته فى الابداع وبطل الرواية روجر مكسيكو يجد نفسه محاطا بمهام سرية عليه ان يؤديها مثلما حدث مع اوديبه وفى مكان شبه مغلق يكتشف ان كل الناس موكلون بالقيام باعمال خاصة وهم دائما مهمومون بالحيوانية سواء فى ممارسة الحب اوفى التهام الطعام .

اما روايته الاخيرة « فيلاند » فتدور احداثها عام ١٩٨٤ وهو اسم مدينة تقع فى شمال كاليفورنيا وهو العام الذى تنبأ عنه جورج اورويل بان الشمولية ستسود العالم . هنا الاب زويد وابنته الجميلة برابرى . اما زوجته فرنزى فتشكل جزءا من مملكة الشيطان والشر . وهذه الاسرة تملك فندقا صغيرا فى المدينة يؤمه اناس عديدون ، والفتاة برابرى مصابة بالوسوسة عقب اختفاء امها فى ظروف غامضة خاصة ان عشيق امها يحاول ان يرمى شباكه حولها .

والرواية مثل بقية اعمال الكاتب ، مليئة بالشخصيات الذين حبسوا انفسهم فى فندق صغير .. ويمكن ان نطلق على هذه الروايات بثلاثية الفندق . فالناس متشابهون فى سلوكهم وهم فى شبه عزلة بعيدا عن العالم . وفى هذه العزلة لابد ان يكونوا متوحشين وشبقين بشكل واضح للغاية .

● جريتا جاربو .. فى الادب الامريكى

فى عام ١٩٦٥ قرر كاتب امريكى موهوب ان يعلن اعتزاله الكتابة والناس انه جيروم دافيد سالنجر وقد اثار هذا السلوك المفاجىء للكاتب دهشة الناس . لكن المتابعين لدقائق حياته لم يفاجئهم هذا القرار . فقد عرفوا ان سالنجر قد عكف فى السنوات الاخيرة ، قبل عزلته . على دراسة الديانة البوذية . وابدى اعجابه بالحكيم بوذا ولذا فلم تكن عزلته سوى نوع من التقليد لما فعله بوذا قبل الاف السنوات .

وسالنجر من اسرة يهودية هاجرت من اوربا ولد فى اول يناير عام ١٩١٩ عاش



تومس بيرنشون

حياة يكتنفها الغموض . وقد جاءت شهرة سالنجر الادبية من خلال مجموعاته القصصية المتميزة التى نشرها فى سبعة كتب . ولم ينشر سوى رواية واحدة لا اكثر وقد حاول الباحث البريطانى ايان هاملتون ان يتتبع سيرة حياة الكاتب فى دراسة هامة تحمل عنوان « البحث عن سالنجر » نشرها فى عام ١٩٨٨ لكنه لم ينجح فى الوصول الى الكثير من المعلومات عن حياته سواء قبل زمن العزلة او بعده .

نشر سالنجر روايته الاولى « الحارس فى منطقة الشوفان » فى عام ١٩٥١ ثم نشر سبع مجموعات قصصية منها « فرانى وزوى » عام ١٩٦١ و« ارفعوا اعمدة السقف » عام ١٩٦٣ والطريف ان الملحق الادبى لجريدة الصانداى تايمز قد اطلق على سالنجر اسم « جريتاجاربو » الادب الامريكى عندما عرض لكتاب هاملتون باعتبار ان السيدة جاربو شكلت ظاهرة خاصة حين اعتزلت الفن والناس وهى فى قمة عطائها وصنعت من نفسها أسطورة لم تجد لنفسها حلا حتى الان .

الجدير بالذكر ان العديد من اعمال سالنجر قد ترجمت الى اللغة العربية فى بيروت وعمان ويقول الباحث الفلسطينى احمد عمر شاهين فى مقال عن ابداع سالنجر ان معظم اقاصيصه التى كتبها فى الاربعينات ، تدور حول افراد من عائلة يهودية هى عائلة جلاس . وان رواياته الاربع الاخيرة التى نسميها روايات مجازا ليست سوى اقاصيص طويلة تدور حول افراد من العائلة نفسها ، والكتابة عن هذه العائلة هى هاجس سالنجر منذ ان مسك القلم ليكتب ويقول عن ذلك طالما راودتنى فكرة كتابة سلسلة من الروايات القصيرة عن عائلة يهودية تعيش فى نيويورك فى النصف الثانى من القرن العشرين انه مشروع طويل الامد وطموح . تكتنفه صعاب كثيرة . وافترض عاجلا ام اجلا اننى لن استطيع ان اتقدم فيه وعلى العموم فكلى امل فلقد انتظرت معظم حياتى ان احقق هذا المشروع .

الغريب ان سالنجر هو الذى اخفق هذا المشروع بنفسه فهو يختلف عن تومس بينشون فاذا كان هذا الاخير قد اعلن عزلته للناس فهو لم يعتزل الكتابة الا ان سالنجر قد اعلن للناس انه اعتزل الاثنين معا .. وبعد ربع قرن من عزلته لم يطلع على العالم بكلمة جديدة بل الغريب انه راح يقاوم احد المصورين بعنف حين ترصده هذا الاخير والتقط له مجموعة من الصور بدا كانه خائف من التصوير بشكل يدعو للغرابة فعلا .. ولانعرف ماذا يمكن ان يجد الباحثون فى جعبة سالنجر وايضا بينشون فى السنوات القادمة ؟

العالم في سطور

• نيويورك •

● كاتب .. عبر الاثير

هناك بعض الكتاب الذين يتمتعون بجاذبية خاصة لدى الناس ، ليس فقط من خلال كتاباتهم الابداعية .. ولكن من خلال ما اثير عن حيواتهم الخاصة .. من هؤلاء الكتاب على سبيل المثال "سكوت فيتزجيرالد" و "ترومان كابوت" .. وكثيرا ما تكون الاحاديث حول هؤلاء الكتاب اكثر من ادبهم وابداعهم ..

وحول الكاتب الامريكى ترومان كابوت صدر فى الشهر الماضى كتابان الاول من اعداد الباحث جيرلاد كلارك .. والثانى يضم مجموعة من القصص والروايات التى كتبها كابوت بالاضافة الى عشرات الصور النادرة



ترومان كابوت

والطريفة .. والكتابان يحملان اسم "ترومان كابوت" وقد وصلت عدد صفحاتهما معا الى الفى صفحة كاملة .

يقول الكتاب ان شهرة كابوت ، على المستوى الاجتماعى والعام فى الولايات المتحدة قد جاءت من ايمانه بانه من الصعب على المحرر ان يكون كاتبا وشخصا لطيفا .. واذا فقد اختار كابوت (١٩٢٤ ـ ١٩٨٤) ان يكون شخصا متوحشا .. يعيش على السجية .. ويكتب ما يشاء .. ويصادق من يريد ..

ويقول جيرلاد فى كتابه ان العالم لم يعرف كاتبا له نفس النمط الحياتى الذى عاشه كابوت .. فقد كان يتنزه فى الغابة وهو فى سن الخامسة حاملا معه قاتوسا ومجموعة من الاوراق يدون فيها خواطره .. وفى سن العاشرة اكد لمن حوله انه سيكون كاتبا متميزا .. وفى سن العشرين زار العديد من البلاد وفى عام ١٩٤٥ كانت قصصه القصيرة ، حديث الناس .. وفى الستينات كان كتابه "مع سبق الاصرار والترصد" صدمة لكل العالم .. وهو تحقيق روائى حول رجلين قتلا اسرة بأكملها بلا سبب ظاهر ..

وقد ظل ترومان كابوت فى منظور الناس الرجل الغريب .. فهو قصير القامة بشكل لافت للنظر ، كما ان صوته ظل دوما اشبه باصوات المراهقين .. وكان يقول دوما عن نفسه .. "انا رجل مدمن .. وشاذ ، واشرب الخمر .. لكنني عبقرى" .. وقد شاركت كل هذه الاشياء معا : الادمان ، والشذوذ ـ الخمر والعبقرية فى قتله فى عام ١٩٨٤ وهو يردد "لا اريد ان آنام ولا اريد ان اموت ، ولكن ان اسافر عبر الاثير" ..

• لندن •

قلبي على ولدي

« الطفل الخامس »
عنوان الرواية التي صدرت اخيرا للكاتبة البريطانية المعروفة .. دوريس ليسنج .. وفيها تتحدث عن زوجين يحلمان بانشاء بيت كبير ، يضم العديد من الاطفال والابناء ، يملأونه بالصراخ والضحكات والكلمات الطفولية الجميلة .. ورغم اعباء الحياة .. الا انهما رزقا بخمسة ابناء .. تبدا الرواية والاسرة تحتفل بوقود الطفل الخامس ..

علق بعض النقاد بان بطلة هذه الرواية هي دوريس ليسنج ، ليس من خلال ومضة الرواية .. ولكن من خلال ما عرف عن حياة الكاتبة التي انجبت ثلاثة اطفال من زيجتين .. وكانت تعتبر ان الرجلين اللذين تزوجتهما تباعا بمثابة ابناء .. ولذا فقد انجبت ، في منظورها خمسة اطفال .. ومع هذا فقد راح الزوجان .. وسافر الابناء .. كل الى مشرقه او مغربه الخاص .. لدرجة ان السيدة ليسنج قد وجدت نفسها تحتفل بعيد ميلادها السبعين ، في الشهور الماضية ، وهي وحدها في بيت واسع ، لاتزال اصداء صراخاتهم وزقزقتهم تتردد في الجنبات .. او كما جاء على لسان هارييت بطلة الرواية .. مازلت ارى اشباحهم تاتيني كل ليلة .. رغم انهم لا يفكرون كثيرا



دوريس ليسنج

في الحضور ..

والرواية هي حالة اجترار حنيني لعلاقة هارييت بابنائها الخمسة .. تتذكر كيف ولدتهم وارضعتهم .. وكيف لقنت كل منهم الخطوات الاولى في كل شيء .. حتى صاروا جزءها الذي يتحرك في كل الدنيا ..

دوريس ليسنج هي احدى الكاتبات اللاتي ينتظرن الحصول على جائزة نوبل منذ سنوات طويلة .. عرفت حياتها العديد من التحولات .. فانتقلت بين الشمولية والصوفية .. وناضلت ضد التفرقة العنصرية في جنوب افريقيا .. حيث عاشت هناك ثلاثين عاما .. من اهم رواياتها "الحشائش تغني" ترجمت الى اللغة العربية في روايات الهلال ، و "ابناء العنف" و "البطاقة الذهبية" وعشرون كتابا اخرى .

• باريس •

ابي لا يركض في الشارع

"الرجال القساة يركضون في الشوارع .. عنوان غريب لرواية جديدة قدمتها الروائية الشابة كثرين بانكول .. والتي استمدت وقائعها من تجربة خاصة .. وتقول الكاتبة ان الممثلة الامريكية لويزبروك قد حدثتها يوما انها تحب دائما الرجال القساة .. لان الرجال اللطفاء فيبدون

حزانى .. ولذا فاننا لا نحبهم كثيرا .. هل تعرفين ان هناك امرأة فقدت رأسها بسبب طفل لطيف .. انا شخصيا لم اعرف فالرجل القاسى خفيف ، وثرى .. وملىء بالغموض .. وهو يجعلك تصابين باللهاث .. وقد يدفعك ان تثقى به .. وربما ان هذا يدفع النساء ان يعشقن الرجال الذين يتسمون بقسوة خاصة ..

وتقول كاترين بانكول انها ردت على مقولة لويزبروك التى عاشت حياة مليئة بالغموض قائلة فى روايتها :

"لا ياسيدتى .. فانا لا احب الرجال القساة لانهم لايركضون فى الشوارع مثلما يفعل الاخرون ... وذلك بدافع القسوة .. ففى الشوارع .. كثيرا ما ترى الرجال يركضون اما لممارسة الرياضة .. او للحاق بامر عاجل .. لكن الرجال المتعجرفين لا يفعلون ذلك .. خوفا من ان يفقدهم ذلك هيبتهم .. فهم يتوقعون من الاخرين دائما ان يقوموا بخدمتهم وان ينتظروهم وان يحكوا لهم جلودهم .

وحول احد هؤلاء الرجال القساة تتكلم كاترين بانكول فى روايتها .. لم يكن هذا الرجل سوى أبيها .. رجل لايشبه بقية الرجال .. لانه كان يبتسم بحساب .. ويضحك أيضا بحساب .. و يتصرف مع



كاترين بانكول

الاخرين بحذر شديد وكأنهم سيضعون له السم فى الشراب ... وقد خصصت كاترين كل صفحات روايتها - ٣٥٠ صفحة - من اجل الحديث فقط عن رجل واحد .. هو ابوها ..

هذه هى الرواية الرابعة للكاتبة كاترين بانكول .. والتى رشحتها الدوائر الامريكية للحصول على جائزة فيمينا الادبية .. لكن الجائزة كانت من نصيب سيلفى جرمان عن روايتها "ايام الغضب" التى قدمتها "العالم فى سطور » فى العدد الماضى ..

من بين روايات كاترين الاخرى .. "انا ، اولا" و "الهمجية وسكارليت" ثم "بقدر الامكان" .

● باريس ●

جنس واكاذيب وبيروسترويكا

امريكا بلد العجائب ما فى ذلك من شك .. ومن بين عجائبها مجلة انيقة شعارها رأس ارنب لا اعرف لماذا .. واسمها "بلاى بوى" "الفتى اللعوب" ، واغلب الظن انه مستوحى من "فتى الغرب اللعوب" المسرحية التى ابدعها الاديب الايرلندى جون ميلينجتون سينج قبل خمسة وثمانين عاما .

والمجلة تتاجر بالسياسة وبالجنس وبالذات عرى بنات حواء .

وعلى صفحاتها كلام كثير عن الجمال والحب .

والجمال الذى تقصده ليس الجمال بما يوحيه الى النفس من معانى السمو ..

الجمال بلطفه وانوثته ونعومته .

اما الحب بما يبعثه من متعة ونعيم لا يحدّان، الحب بذله وكبره ، بضعفه وقوته ، بقلقه وطمأنينته ، هذا الحب لن تجد منه على صفحات "البلاى بوى" شيئا .

وللمجلة الواسعة الانتشار ، المطبوعة بعدة لغات ، العديد من النجاحات والفتوحات ، من بينها انها استطاعت بفضل سياسة المكاشفة واعادة البناء "بيروسترويكا" ان تخترق قلعة الاتحاد السوفييتى .

واول بوادر هذا الفتح المبين ، هو انفرادها بنشر صور بطلة الفيلم السوفييتى "فيرا الصغيرة" ، وقد كشفت عن مفاتن جسدها بغير ساتر حتى من ورقة توت .

فلما استنكروا منها هذا الفعل الفاضح .. القمت المستنكرين حجرا ، وهى تقول دفاعا عن تصرفها المشين ، ان المبلغ الذى حصلت عليه ثمنا لتعرية جسدها من اجل عيون قراء البلاى بوى يزيد عن اجرها مقابل تمثيل "فيرا الصغيرة" عشرة اضعاف .

هذا ، و قد اكملت "البلاى بوى" فتوحاتها بان كرست عدد مارس الماضى من طبعتها الفرنسية لوطن الاشتراكية فى ظل المصارحة واعادة



البناء ولو اطلعنا على العدد لتبين لنا ان له غلافا يزينه شعار المطرقة والمنجل بلون الدماء . وعلى المنجل جلست فتاة روسية شقراء ، عارية الساقين والنهدين .

وفى داخله حديث هام اجرته المجلة مع بطل العالم فى الشطرنج "جارى كاسباروف" وهو يهودى ارمنى - مداره الجنس وفشل الشيوعية ، والشطرنج والكافيار .

اما الصفحات التالية مباشرة للحديث المذكور ، فهى مغطاة اما بالكرملين وقبابه ترفرف عليها الاعلام الحمراء ، واما باجساد حسناوات روسيات جرى تصويرهن اما فى موسكو او منتجع سوتش على شاطىء البحر الاسود فى اوضاع مخلة بالحياء .

وفيما بين هذه التصاوير التى اتخذت اعدادا من جريدة البرافدا خلفية لها ، مقال "لجف كوهين" مدير التصوير الامريكى بالمجلة يحكى فيها مغامراته فى ربوع روسيا ، كيف اجتاز الستار الحديدى بالممنوعات ذهابا وايابا .

ثم كيف نجح بمعاونة المصور الروسى "الكسندر بورودين" فى ان يغرى فاتنات عاصمة امبراطورية الشر على الوقوف امام العدسات وهن عاريات .

وطبعا لما يأت ، فيما جاء على لسانه من حواديث ، ذكر لما دفعه ثمنا لما اشترى من اجساد ..

استراتيجية الردع والتوسع تعنى الدمار لا السلام!

بقلم: محمد فتحى

تطرقنا على صفحات «الهلال» من قبل مرارا الى الأوضاع النووية فى منطقة الشرق الأوسط، وفصلنا فى الحديث عن استراتيجية اسرائيل النووية (نوفمبر ٨٧) ..

وإن كانت هذه الاستراتيجية ثابتة فإن هناك تغيرا فى السياسات المتبعة بصددها، بالذات فيما يخص «موقف العلانية» من امتلاك اسرائيل الاسلحة النووية وحرمان العرب من اى قدرات فى هذا المجال .. الامر الذى يدفعنا الى التطرق لهذا الموضوع، بالذات والسياسات الاسرائيلية الجديدة تتماشى مع استراتيجية الردع والتوسع التى يمكن أن تقود المنطقة الى الدمار وليس الى السلام ..

● خلال مهرجان كان السينمائى عام ١٩٧٨ فوجىء الحضور بحملة اعلانية مكثفة، شغلت مساحات كبيرة من صحف ومجلات المهرجان، دارت حول واقعة مثيرة: «اختفت فى عرض البحر سفينة تحمل شحنة يورانيوم تكفى لصنع ٣٠ قنبلة ذرية .. فهل تعرف أين ذهبت؟ ومن هم وراء العملية؟» ..

كان الاعلان يروج لفيلم جديد من أفلام المخرج الاسرائيلى مناحم جولان الذى كان قد أخرج قبلها «عملية رجال الصاعقة»، عن حادث الطائرة الاسرائيلية المختطفة الى مطار عنتيبى .. وكان الفيلم الجديد: «مؤامرة اليورانيوم» يجيب باقتخار يزهو عن السؤال الذى روجت له الحملة الاعلانية، واجابة لاتنطوى على مواربة تتباهى بأبطال الموساد الاسرائيليين، الذين قاموا بالعملية عبر ست دول أوربية وأفريقية ..

وقد تناول الفيلم واقعة حقيقية جرى فيها تحويل مسار السفينة «شيرزبرج» التى تحمل شحنة اليورانيوم الى اسرائيل، وطبعا ليس من دون مباركة بعض القوى الكبرى ..

● القنبلة فى القبو

والفيلم على هذا النحو جاء تعبيرا

مفاعل ديمونة ..
بروفيل داخلى ..



مثاليا عن جانب من جوانب السياسة الاسرائيلية حيال السلاح النووى .. فرغما عن الصيغة الغامضة : « إن اسرائيل لن تكون البادئة بادخال أسلحة نووية فى الصراع العربى الاسرائيلى» التى كان الرسميون الاسرائيليون يرددونها دوما ، فإن القاموس النووى عرف مصطلح «قنبلة القبو أو البدروم» ، الذى شاع استخدامه فيما يخص منطقة الشرق الأوسط ، الذى كان يعنى أن ثمة أسلحة نووية ، أو مكونات قوة نووية يمكن لاسرائيل تجميعها بسرعة ، وإن جرى ذلك دون إعلان ، التزاما بسياسة «الغموض المتعمد» التى اتبعتها اسرائيل ، منذ كتب الأستاذ محمد حسنين هيكل (جريدة الاهرام) فى اغسطس ١٩٦٥ أن اسرائيل على مشارف تفجير نووى ، وأنها ستكون قادرة خلال عامين أو ثلاثة أعوام على انتاج أسلحة نووية ، وتعليق شيمون بيريز (فى جيروزاليم بوست) على ذلك غير ناف لشكوك «هيكل» ، ومؤكدا على إيمانه بأثر «العامل النفسى فى الردع ضد العرب» .

وقد ظلت سياسة «الغموض المتعمد» حول القدرات النووية تحظى

استراتيجية الردع والتوسع

بقصب السبق في اسرائيل فترة طويلة لكنها تعرضت للاخذ والرد منذ منتصف السبعينيات ، يوم دعا موشي ديان الى ضرورة «الخروج على الملأ» بقدرات اسرائيل النووية ، وضرورة استعراضها استعراضا علنيا (جيروزاليم بوست - ١٨ فبراير ١٩٧٦) وعضده في ذلك بعض المحللين والاكاديميين ، لاسيما شاى فيلدمان من معهد الدراسات الاستراتيجية بجامعة تل ابيب ، بينما عارضه سياسيون اخرون مثل رابين (رئيس الوزراء) وموردخاى جو (رئيس الاركان) وايجال الون (وزير الخارجية) مؤكدين استمرار تاييدهم لسياسة «الغموض المتعمد» تجنبا للضغوط السياسية العربية ، بالذات على الولايات المتحدة ، حتى تستمر مبررات حصول اسرائيل من الاخيرة على سيول الاسلحة التقليدية المعقدة ..

وفى إطار سياسة «الغموض المتعمد» هذه أسفر الخلاف في وجهات النظر عن اضافة شطر ثان للموقف الرسمى الاسرائيلى ليصبح : « إن اسرائيل لن تكون البادئة بادخال اسلحة نووية فى الصراع العربى الاسرائيلى ، لكنها لن تكون الدولة الثانية بحال» . وقد أضفى هذا الشطر الجديد غموضا على غموض ، لكنه أعطى مؤشرا عن وجهة حركة السياسات الاسرائيلية فى هذا الصدد ..

لقد أصبح معروفا للعالم كله ومنذ نشرت نيويورك تايمز (٢٧ يناير ١٩٧٨) نبأ وثيقة سرية لوكالة المخابرات المركزية ، ترجع الى ٤ سبتمبر ١٩٧٤ ، تؤكد أن إسرائيل قد قامت بانتاج اسلحة نووية ..

● مغزى رواية فانونو

لكن المعركة حول «سياسة العلنية الاسرائيلية» في هذا الصدد ظلت قائمة الى ان حسمت بطريقة مبتدعة ، فى ٥ اكتوبر ١٩٨٦ ، من خلال رواية فانونو فى «صنداى تايمز» التى لم تنطو على جديد - من حيث المبدأ - سوى درجتى الاعلان والتوثيق .

وبدون الخوض فى «هوية فانونو» فالمرجح أن السلطات الاسرائيلية كانت تعرف روايته مسبقا وأنها سمحت - بما هو اكثر من الصمت - بنشرها ، ذلك أنه بات ثابتا اليوم ان فانونو كان يدلل على هذه الرواية بين الصحفيين ، باحثا عمن يشتريها .. وكان قد عرضها قبل «صنداى تايمز» مثلا على الصحفى الكولمبى اوسكار جويريرو ، والامريكى كارل روبنسون ممثل نيوزويك (وفق رواية نيوزويك نفسها - ١٠ نوفمبر ١٩٨٦) ..

ولايمكن أن يكون ذلك قد جرى بعيدا عن انف الاسرائيليين ، اضافة إلى أن رواية فانونو جاءت مدعمة بخرائط وصور دقيقة لايتأتى الحصول عليها سوى لرجل نجح طويلا فى اخفاء واستخدام الة تصوير سرية .. وهناك تناقض مفضوح بين ذلك وبين ما جاء فى رواية فانونو نفسه عن التعتيم الاسرائيلى الذى لايسمح لأحد بمعرفة ما يفعله زملاؤه ..



موشى ديان



مناحم بيجين



اسحاق رابين

وإذا تصورنا أن فانو يمكن أن يكون الشخص الذى أنجز «مغامرته» من خلال الوعى بظروف مثل هذه الألعاب الخطرة والاحتياط لها ، طوال سنوات ، فماذا جرى له ياترى عشية نشر «صنداى تايمز» لروايته ، وكيف قبل أن يتعرف على فتاة (سيندى) فى ميدان عام بقلب لندن السيلحى ، وكيف قبل أن يذهب معها الى روما ، .

ولعل السؤال الأوقع هنا لماذا ارجأت الموساد «اختطاف» فانونو ، إن كان لها كل هذه السطوة ، إلى ما بعد نشر «صنداى تايمز» لما نشرته ؟

إذا أخذنا بعين الاعتبار أن رواية فانونو لم تضف من حيث المبدأ الا تحولا فى درجتى الاعلان والتوثيق فيما يخص الخيار النووى الاسرائيلى فإن اجابة السؤال تكون ان اسرائيل والولايات المتحدة الامريكية لم تعودا تعبأن بالضغوط العربية أو العالمية ، وان اسرائيل باتت ترى الا بأس من الكشف عن بعض وجهها الحقيقى .. ولكن قبل قراءة هذا الوجه لابأس من مشهد آخر يكشف شقا نقيضا أو مقابلا فى سياسة اسرائيل ، ولابأس أن يكون مشهدنا هذا من بيت مناحم بيجن .

● من بيت بيجن

فى عصر الأحد ٧ يونيو ١٩٨١ استدعى رئيس الوزراء الاسرائيلى سكرتيره وأمره بابلاغ اعضاء الوزارة ، كل على انفراد ، بالحضور الى بيته فى الساعة الخامسة .

واعتقد كل وزير انه المدعو الوحيد للحديث مع الرئيس فخف وهو يحس ببعض الزهو ، لكن كل واحد منهم فوجىء عند وصوله بوجود الوزراء الآخرين .. وفى الساعة الخامسة والربع اطل بيجن على وجوه الوزراء المستطلعة وقال : «حسنا . إن ستا من طائراتنا فى طريقها الآن لقصف هدف هام فى العراق .. وأمل فى نجاح المهمة »

ولف الحضور صمت عميق برهة ، همس أحد الوزراء بعدها ، وقد راح ذهنه الى المواجهة المتفجرة ــ ساعتها ــ حول

استراتيجية الردع والتوسع

نشر سوريا صواريخ «سام - ٦» فى الاراضى اللبنانية ، «تقصدون سوريا ياسيادة الرئيس» ..

لكن لسان بيجن لم يكن قد زل . كان يقصد بالتحديد مفاعل تموز النووى العراقى وكلنا يعرف بقية القصة المؤسية لتدمير مفاعل «أوزيراك» النووى العراقى وذلك رغم توقيع العراق على اتفاقية حظر انتشار الأسلحة النووية ، وقبوله التفتيش الدولى على منشاته ، الأمر الذى ترفضه اسرائيل رفضا باتا ..

وقد اخترنا هذا المشهد لأنه يكشف ليس فقط عن الشق الآخر للاستراتيجية النووية الاسرائيلية ، الساعية الى حرمان الدول العربية من مقومات اى برنامج نووى مستقل ، وإنما لأنه يبين أيضا تطورا فى درجة «الاعلان والتوثيق» - يقابل التطور بصدد قدرات اسرائيل النووية - وإن كان - فيما يخص موقف حرمان العرب من أى قدرات نووية ... تطور يمكن أن نستشفه إذا عرفنا أن تدمير نفس المفاعل (أوزيراك) وهو مازال فى ميناء طولون الفرنسى كان قد جرى قبل سنوات على أنه عمل من أعمال جماعة من «جماعات حماية البيئة» فى فرنسا !! ، ومن أن «الجانى» الذى إغتال العالم العربى يحيى المشد فى باريس ، إجتهد فى أن يترك وراءه متعمدا منشفة لوثت بمساحيق تجميل نسائية ، مما دفع بالتحقيق فى الحادث بعيدا عن وجهته الطبيعية ، بالذات مع واقعة العاهرة التى طاردت المشد يومها حتى باب حجرته ..

وقد بلغت سياسة «الاعلان والتوثيق» مداها فى هذا الصدد قبل أيام مع التصريحات التى أدلى بها جيرالد ستاينبرج ، الذى كان يعمل فى السابق بوكالة الفضاء الأمريكية ، والاستاذ حاليا بجامعة بار - ايلات فى تل أبيب ، وذلك خلال المؤتمر الصحفى الذى عقده بترتيب من الحكومة الاسرائيلية ، إذ قال : «إن اسرائيل مازالت تجرى مناقشات حول الرد الذى تتخذه تجاه العراق لوقف برنامجه الكيماوى والصاروخى والنووى ، وإنها ستحدد المستوى الذى لايمكن أن تتحمله من تطوير هذا البرنامج .. وستكون هناك «خطوط حمراء» تقرر عندها اسرائيل ان تطوير البرنامج العراقى يتطلب عملا عسكريا من نوع ما» .

موردخاى فانونو .. بطرس العسكرى



مجمل القول أن إسرائيل التى كانت تحلم يوما بمجرد الوجود في المنطقة ، والتى ادعت فى مرحلة لاحقة بأنها تتمنى أن تحظى بالاعتراف ، باتت اليوم تسعى إلى أن تحدد حدود دول المنطقة ، وماذا يمكن أن تملك هذه الدول و ....

وليس غريبا أن يفعل الاسرائيليون ذلك على طريقة جربوها عام ١٩٦٧ : انظروا إنهم يهددون بالقائنا فى البحر ، وإنما الغريب انهم يجدون بين القوى الكبرى ، المدركة لخبايا الأمور ، من يصدق ويؤمن على اكاذيبهم ..

وينبغى الا نترك المجال هنا دون إشارة الى ما كتبه افنر كوهين محاضر الفلسفة بجامعة تل ابيب وأحد مؤلفى كتاب «الأسلحة النووية ومستقبل البشرية» (١٩٨٥) .

كتب كوهين : إن العبور إلى المرحلة النووية يعنى دخول عالم المجهول .. فالحرب النووية لاتنطبق عليها تعريفات الحرب السابقة ولاتحكمها قواعدها .. ومما يجعل مثل هذه الحرب عديمة الجدوى ينبغى ان نضع فى الاعتبار النقاط الآتية التى ولابد ان تصاحبها :

١ ـ اعتماد بشكل لم يسبق له مثيل على عناصر غير انسانية ، على درجة كبيرة من التقدم (الكمبيوتر واجهزة الاستشعار و ..) للقيادة والمراقبة والاتصال والمعلومات على مختلف مستويات القيادة .

٢ ـ ضغط ملح وسريع حاسم لمستويات صنع القرار السياسى والعسكرى ..

٣ ـ ضغوط لم يسبق لها مثيل من قبل المؤسسات لاستخدام الاسلحة النووية بسرعة .

٤ ـ استحالة اختبار الأداء السليم للنظام بأكمله قبل الاستخدام الفعلى له .

وباختصار فإننا لانعرف تصورا حقيقيا بعد ، عن حرب نووية كواقع ملموس .

وينبغى أن نضيف الى كلام كوهين أنه من السابق لأوانه ادعاء نجاح استراتيجية الردع النووى على المثال السوفييتى الأمريكى .. فنحن هنا أمام حالة شبيهة بحالة مدخن استمر فى عادته السقيمة ربع قرن دون اكتشاف ضرر ما لكنه توفى بعد ذلك نتيجة اصابته بسرطان الرئة .. وتاخر الوفاة الى هذا الحد لايعنى أن التجربة كانت إيجابية طوال الفترة التى مارس التدخين خلالها ..

إن التجربة تعلمنا انه لايمكن لطرف فى صراع أن يستأثر بوسائل تدمير شاملة دون أن يدفع الطرف الآخر الى البحث عن مخرج كما تعلمنا أن اسلحة معقدة مثل الاسلحة النووية لابد أن تسفر عن أنيابها حتى بطريق الخطأ (البشرى أو التقنى طالما وجدت) ..

وذلك كله يبين أهمية امتلاك العرب لقدرات نووية خاصة ، واهمية العمل على إخضاع كل المفاعلات النووية بالمنطقة الى رقابة نووية فعالة ، واهمية العمل على انشاء منطقة منزوعة السلاح النووى فى الشرق الاوسط وافريقيا ، لأن البديل لذلك لن كون الا الدمار ..

العالم غداً

• العلاج بإنقاص الاكسجين

توصل الأطباء والعلماء إلى طريقة علاجية جديدة تعتمد على خفض نسب الاكسجين في الهواء الذي يتنفسه الانسان بصورة صناعية ومتدرجة ، مما يؤدي الى إنخفاض نسبة الاكسجين في انسجة الجسم . وقد إتضح أن الجسم يواجه مثل هذا الموقف بمجموعة كامل من ردود الأفعال ، التي تساعده على التصدي للتاثيرات غير المواتية ..

وأشار البروفيسور يوري كراشي ، احد الذين توصلوا الى هذه الطريقة ، إلى انها توقظ قدرات للجسم البشري كانت قد تشكلت خلال مسيرته التطورية ، وتحفز ردود الفعل الوقائيةوالتكيفية .. فمثلا سجلت ذاكرة المورثات (الجينات) قدر الكائن الحي على العيش وسط انخفاض نسبة الاكسجين ، ذلك أن هذه النسب كانت تشكل في المحيط الجوي للكرة الارضية ٥ر١ ٪ فقط قبل حوالي ٤٥٠ مليون سنة .. وعند التاثير على الكائن الحي بدورات متقطعة من تقليل نسبة الاكسجين موقظ الذاكر الوراثية للانسان ، لتعمل اليات البقاء على قيد الحياه التي كان قد شكلها في مرحلة من مراحل تطوره ، ثم هجعت وتنحت مع تغير الظروف .. وبما أن العملية تجرى في كل خلايا الجسم فإن اجهزته واعضاءه جميعا تكتسب قوة مطردة على الصمود ، ومناعة طبيعية ضد عوادي الزمن .

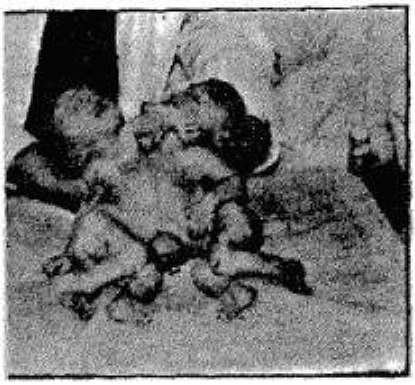
وقد اعطت الطريقة العلاجية الجديدة نتاج جيدة في علاج عدد من الأمراض منها امراض القلب (وبالذات تلك المتصلة بالقصور في الدورة الدموية الموضعية ، وارتفاع ضغط الدم والربو والسكر وأمراض النساء والعقم .. كما ثبتت فائدة علاج الجسم بتخفيض نسبة الاكسجين قبل الاقدام على اعمال تتطلب بذل جهود جسمية كبيرة وقبيل التواجد الطويل الأمد في ظروف قاسية

توأم مصري ملتصق

قبل ايام قام فريق طبي برئاسة د . مصطفى أبو العيون ، في مستشفى بولاق الدكرور العام بإجراء عملية قيصرية للسيدة المصرية زينب عطية لاخراج التوأمين الملتصقين اللذين تم اكتشاف حملها بهما في مرحلة سابقة ،



الفريق الطبى الذى اشرف على الجراحة



سبحان الله

بواسطة الاشعة فوق الصوتية .. وقد صرح د . ابو العيون أن هذه الحال هي احدى تشوهات الأجنة الخلقية التي لوحظ زيادة نسبتها اخيرا ..

وفيما يخص السبب فى تشوه الجنين قال الطبيب ان العامل الايجابى الوحيد الذى تأكد للاطباء هو حمل هذه السيد على لولب نحاسى ، وربما تسربت جزئيات من النحاس الى الجنين ، يمكن ان تكون سببا او مبررا لهذا التشوه .. وبعض المدارس تحتم إجهاض الحامل على اللولب النحاسى الذى الغى استعماله .. لكثرة مشاكله ـ بعكس حالات الحمل على لوب البلاستيك الذى لا تسبب مادته الخاملة ضررا ..

وعما اذا كان لوسائل منع الحمل دور فى تزايد التشوهات قال د . ابو العيون اذا تناولت السيدة عقاقير منع الحمل وهى حامل فيمكن أن تكون هذه العقاقير سببا للتشوه مثلها مثل اية ادوية اخرى ، هذا كما يمكن أن يكون اللولب سببا فى عدد من حالات الحمل خارج الرحم ..

وكانت المشكلة فيما يخص حالة السيد زينب عطية هى .

كبر حجم التوام الملتصق ، الامر الذى اضفى اهمية خاصة على عملية الولادة لكنها تمت بيسر شديد خلال ما يقرب من نصف ساعة .. اما التوام الملتصق فسرعان ما توفى بعد الولادة ليحفظ فى وعاء زجاجى كواحد من الحالات التعليمية النادرة ..



الجراح
د . مصطفى
ابوالعيون

العالم غدا

وفاة نصف مليار مدخن



ذكرت دراسة لمنظمة الصحة العالمية ان ٥٠٠ مليون شخص سوف يلقون حتفهم بسبب التدخين خلال ربع القرن القادم ! ! والجدير بالذكر أن معظم هؤلاء سيكونون من ابناء العالم الثالث ..

ومن الأمور ذات الدلالة التى جاءت بالدراسة التى اجراها باحثان استراليان ، فى جامعة اكسفورد البريطانية ، ان التدخين قد اخذ يفقد جاذبيته فى اوربا الغربية والولايات المتحدة الأمريكية ، اذا انخفض عدد المدخنين فى هذه البلدان بنسب وصلت الى ٣٠ ٪ (فى بريطانيا مثلا) خلال العشرين سنة الماضية ، وذلك إدراكا من الناس لمخاطر التدخين على صحتهم واحتمال اصابتهم بسرطان الرئ وامراض القلب وغير ذلك من الامراض الخطرة ..

وقد حرمت هذه البلدان الاعلان عن السجائر فى التلفاز وغيره من وسائل الاعلام وفى المحافل الرياضية .. هذا كما ادرجت فى برامج المدارس محاضرات تبين للتلاميذ مضار التدخين وتحثهم على الابتعاد عنه .. وقد بات التدخين فى كثير من هذه البلدان محرما فى الأماكن العامة ووسائل النقل كما عمدت بعض الحكومات الى رفع ثمن السجائر بصورة كبيرة .

لكن الشركات التى تضررت ماديا من جراء الإجراءات السابقة لجأت إلى دول العالم الثالث لتعويض خسائرها المادية مستغلة قلة دراية سكان هذه البلدان ومعرفتهم بمخاطر التدخين .. وكثفت الشركات من انشطتها وحمايتها فى العالم الثالث حتى شهد عدد من المدخنين ارتفاعا كبيرا وصل الى ١٠ ٪ سنويا فى بعض البلدان ..

وتشير منظمة الصحة العالمية إلى أن ما يبعث على القلق هو أن اكثرية المدخنين فى العالم الثالث هم من الشباب وأن الأسواق فيه واسعة جدا وتنطوى على امكانات ربح هائلة وان من السهل على شركات السجائر الكبرى أن تؤثر عليها .

كاربون يهزم الكمبيوتر

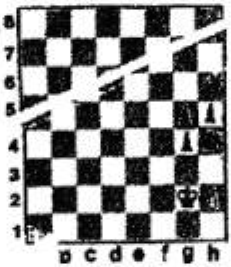
خلال شهر اكتوبر الماضي هزم جارى كاسباروف بطل العالم فى الشطرنج الكمبيوتر المسمى «الفكر العميق» والذ يعلب الشطرنج وفق برنامج وضعته جامعة هارفارد الأمريكية .

ولما كان هذا البرنامج من النوع الذكى ، الذى يستفيد من خبرات اللعب مع المنافسين ، فقد استطاع الكمبيوتر بعد تطوير البرنامج الفوز على عدد من اساتذة الشطرنج الكبار مثل دافيد ليفى واملكسى دلوجى وتون مايلز ..

لكن انا تولى كاربوف المصنف الثانى فى عالم الشطرنج تمكن بعد ذلك على الرغم من كل الخبرات والتطويرات التى اكتسبها الكمبيوتر تمكن من ان يوقع به هزيمة جديدة مخيبا امال دينى اولمان رئيس نادى الشطرنج فى جامعة هارفارد . التى عبر عنها حين قال قبل المباراة «ان الكمبيوتر متعطش الى الفوز على كاربوف ثأرا من هزيمته أمام كاسباروف ..

لقاح ضد السرطان !

أعلن فى جلاسجو اخيرا ان العلماء قد حققوا تقدما كبيا فى بحثهم عن علاج لوقاية النساء من سرطان عنق الرحم الذى ارتفعت نسبة إصابة الشابات به



ارتفاعا مريعا خلال العقدين الأخيرين ، والذى يتسبب فى وفاة الكثير من النسوة .. ذلك على الرغم من شيوع المشاريع الطبية التى تستهدف الكشف عنه فى مراحله المبكرة ، وعلاجه قبل ان تستفحل اضراره .

وقد اكتشف الأطباء دلائل تبين علاقة سرطان عنق الرحم بفيروس «اتش . بى . فى» الواسع الانتشار ، والذى ينتقل بالجماع . وتمكن العلماء خلال تجاربهم على الابقار من عزل جزء من هذا الفيروس ، يقوم بتحفيز الجهاز المناعى ليقوم برفض الفيروس ، وقاموا باستخدامه فى تحضير لقاح لمكافحة الفيروس ..

واذا نجح العلماء فى نقل نتائج تجاربهم الى البشر فسوف يصبح بالامكان تطعيم النساء وتحصينهن ضد الاصابة بفيروس «اتش. بى . فى» وهكذا يجرى القضاء على حلقة هامة من سلسلة المتغيرات التى تؤدى الى الاصابة بسرطان عنق الرحم .

المائة الأعظم

بقلم: حسين أحمد امين

الخليل بن أحمد

توفى عام ٧٩١ م

إمام نحاة البصرة فى القياس والتعليل النحوى ، وأول من ضبط اللغة العربية ، ومبتدع علم العروض الذى حصر اقسامه فى خمس دوائر استخرج منها خمسة عشر بحرا ، زاد عليها الاخفش واحدا ، وهو أول من ألف معجما عربيا شاملا على الحروف ..

كان من تلامذة ابى عمرو بن العلاء وعنه أخذ سيبويه .. ومعظم مايرويه سيبويه فى كتابه هو عن الخليل بن احمد فإن قال سيبويه : « سألته » او « قال » من غير أن يذكر القائل فهو يعنى الخليل ..

اهم كتبه كتاب العين الذى كان فيه أسبق العرب إلى تدوين اللغة وترتيب الفاظها على الحروف ، وقد رتب الحروف حسب مخارجها من الحلق فاللسان فالأسنان فالشفتين ، فبدأ بحرف العين ، جاعلا حروف العلة فى آخر الكتاب :

ع ح هـ خ غ ق ك ش ص ض س ر ط د ت ظ ذ ث ز ل ن ف ب م و ا ى .

فكانه بذلك حذا حذو الهنود فى ترتيب حروف لغتهم السنسكريتية . وكان من عادة العرب أن يسموا الكتاب بأول لفظ من الفاظه

ومن ابحاث كتاب العين احصاء الفاظ اللغة فى ايامه . فقد نقل عنه السيوطى انه احصى فيه عدد ابنية كلام العرب المستعمل والمهمل ، فبلغ ١٢،٣٠٥،٤١٢ كلمة ، ولعله قصد مايمكن تكوينه بتركيب احرف الهجاء على كل شكل من الثنائى والثلاثى والرباعى والخماسى ، دون أن يذكر عدد الكلمات المستخدمة . غير أن ابا بكر الزّبيدى الذى اختصر كتاب العين ، خرج من دراسته للكتاب بأن عدد الألفاظ العربية هو ٦،٦٩٩،٤٠٠ لفظ ، لايستعمل منها إلا ٥٦٢٠ لفظا والباقى وهو ٦،٦٩٣،٧٨٠ الفاظ مهملة ..

في التاريخ الإسلامي



ولم يصل إلينا من كتاب العين إلا قطع قليلة ، وإلا ما نقل عنه فى كتب اللغة ، كالمزهر للسيوطى وكتاب النحو لسيبويه .. وربما كان طول الكتاب وتفضيل الناس لمختصر الزبيدى ، هما السبب فى قلة العناية بنسخه وهو الذى يقع فى ثمانية واربعين جزءا وفق رواية ابن النديم فى « الفهرست » ومع ذلك فقد قيل إنه لم ينبغ نحوى ولا لغوى اديب فى عصر الخليل وما يليه إلا استفاد من كتابه .

فإن كان البعض قد شكك فى حقيقة نسبة كتاب العين إلى الخليل ، (وحجتهم فى ذلك ان اكثر ما جاء فى الكتاب من قواعد النحو هو على مذهب الكوفيين مع ان الخليل بصرى) ، فما من احد ينكر انه اول من ضبط اوزان الشعر ووقعها على المقاطع والحركات . وقد استغرق الخليل فى درس ذلك حتى كان يقضى الساعات الطوال فى حجرية وهو يوقع باصابعه ويحركها . ويقال إن ابنه دخل عليه مرة وهو على هذه الحال ، فظن ان اباه قد جن .. فقال له الخليل :

لكن كنت تعلم ما اقول عذرتنى او كنت تعلم ماتقول عزلتكا
لكن جهلت مقالتى فعزلتنى
وعلمت انك جاهل فعذرتكا

وقد عاش الخليل حياته فى فاقة وزهد لايبالى بالدنيا .. ويروى أن أحد كبار رجال الدولة وجه إليه رسولا يطلب اليه ان يدرس لابنه . فأخرج الخليل إلى الرسول خبزا يابسا وقال : « ماعندى غير هذا الخبز اليابس . غير انى مادمت اجده فلا حاجة لى إليكم » ! ..

جلال الدين السيوطى

١٤٤٥ - ١٥٠٥ م

آخر من ظهر بمصر فى العصر الوسيط من كبار العلماء . وهو مع ذلك أعظمهم همة . وأوسعهم علما . واكثرهم آثارا . شرع فى التاليف فى مختلف العلوم وهو فى السابعة عشرة من العمر . وترك وقت وفاته فى سن الستين اكثر من ثلاثمائة كتاب ورسالة . منها ٢٣ مؤلفا فى التفسير . و ٩٥ فى الحديث . و ٢١ فى اللغة . و ٣٥ فى العلوم العربية . و ٢١ فى البيان والتصوف . وخمسين كتابا فى التاريخ والأدب . وغير ذلك . واكثر مؤلفاته هذه باق إلى يومنا هذا . وبذا يكون السيوطى من أخصب الكتاب الموسوعيين الذين عرفتهم البشرية .

وبالرغم من انه لم يتخصص فى فرع بعينه من فروع المعرفة . وبالرغم من أن الكثير من كتبه ليس له فيها إلا الجمع والترتيب . والنقل عمن سلفه . عدا بعض الأفكار والآراء . وفقرات قد يقدم بها بين يدى الباب او يختتمه . فإن عددا من كتبه يعتبر من افضل (وأحيانا افضل) ما كتب فى الموضوع الذى تناوله .

من هذه الكتب :

● المزهر فى علوم اللغة : وهو أهم كتبه اللغوية . فريد فى بابه . فإن اقتصر غالبا على ايراد اقوال السابقين . فهو يتضمن حقائق ومعلومات هامة نقلها عن ثقات ضاعت مؤلفاتهم . وفيه يبحث السيوطى فى الفاظ اللغة . اصلها وصحيحها ومتواترها . ومعرفة الفصيح والضعيف والمنكر . والغريب والنادر . والمستعمل والمهمل . والمعرب والمولد . وخصائص اللغة واشتقاقها . والحقيقة والمجاز . وأوزان الكلام وأبنية الأفعال . وعلاقة العربية باللغات السامية الأخرى . إلى غير ذلك من عشرات الموضوعات .



● الاتقان فى علوم القرآن : وهو احسن كتب الدراسات القرآنية تصنيفا ، واكثرها استيعابا وشمولا ، جمع فيه من منثور المسائل ما لم يجتمع فى كتاب قط ، واعتمد فى تاليفه على مئات الكتب التي أورد أسماءها فى مقدمته ، وقد بدأ الكتاب بالكلام عن المدنى والمكى ، ثم الناسخ والمنسوخ ، وأسباب النزول ، وأنواع القراءات ، وآداب حمل القرآن وحفظه ، ومفردات القرآن والأمثال فيه ، ومعرفة المفسرين وتدوين القرآن ، وتسمية السور ، وترتيب السور والآيات ، إلى غير ذلك من ابوابه التى تزيد على المائة .

● حسن المحاضرة في اخبار مصر والقاهرة : ويشتمل على اخبار مصر من زمن الفراعنة إلى زمن السيوطى ، بدأه بذكر ما ورد فى شأن مصر من الآيات القرآنية والحديث ، ثم التاريخ الفرعونى على حسب ما وقع لديه من معارف وكان شائعا فى عصره ، ثم الفتح العربى وامتزاج المصريين بالعرب تحت راية الاسلام ، ذاكرا الوافدين على مصر ، ومن نبغ فيها من أصحاب المذاهب والمؤرخين والقراء والشعراء والأطباء وغيرهم ، موردا النبذ عن حياتهم ، والحكومات التى قامت بمصر ، وعادات المصريين ومواسمهم وأعيادهم .. إلى آخره ..

وقد اتهمه البعض ، كالسخاوى المؤرخ ، بالسطو على كتب المكتبة المحمودية وادعائها لنفسه بعد أن غير فيها وبدل .. إلا أن سمعته لم تتأثر بهذا الهجوم ، وظل الناس يحمدون له إلى يومنا هذا انه حفظ لنا من منقول الكتب من أقوال العلماء قبله ما لم يصل إلينا إلا عن طريق كتبه هو .

أنت والهلال

● السرقات الأدبية ●

● قرأت في هلال مارس الماضي كلمة عن الكاتب نبيل سليم الذي يستولى على مقالات الادباء وينشرها باسمه في الصحف العربية . وقد استشهدتم في الكلمة برسالة كنت قد بعثتها الى مجلة "الدوحة" القطرية ونشرتها في فبراير ١٩٨٥ حول سرقة نبيل سليم لمقالة لي نشرتها مجلة "الأسبوع الثقافي" الليبية عن ذكرى الدكتور طه حسين رحمه الله .

والذي اود توضيحه بهذه المناسبة أن نبيل سليم له رسائله الخطيرة في سرقة ما كتب الآخرون ، كما انه يتمتع بقدرة غريبة على الادعاء والزعم بأنه لم ينقل عن سواه ، وان الذين يتهمونه بالسرقة لايريدون له أن يأخذ مكانته او ان يؤدى رسالته في نشر العلم والثقافة ، فهم يحاربون النبوغ والعبقرية .

إن نبيل سليم لم ينقل ما كتبته في ذكرى طه حسين عن الصحيفة الليبية وإنما الذي حدث اني كتبت كلمة في شهر اكتوبر سنة ١٩٨٤ تحية في ذكرى وفاته ، وكنت في صيف هذا العام قد عدت الى القاهرة بعد انتهاء عملي بجامعة الفاتح ، وحملت معي كل ما نشر لي في الصحف والمجلات التي كانت تصدر في طرابلس .

وكانت المفاجأة المذهلة أن عدد ديسمبر من مجلة "الدوحة" صدر وبه نص ما كتبته باسم نبيل سليم ، وادركت أن مقالتي الخطية التي قدمتها لتنشر في الهلال قد سرقت ، وأن لنبيل سليم اعوانا يمدونه بما يمكن أن تصل إليه أيديهم من مقالات خطية وإنما يضيف الى هذا السطو على المقالات المخطوطة لأن اتهامه بالنقل في هذه الحالة لادليل عليه ، ولكن خاب ظن "الدكتور سليم" فمقالتي لها أصل مطبوع تحت يدي ، وقد صورته وبعثت به الى مجلة الدوحة ، وتلقيت من رئيس تحريرها الأستاذ رجاء النقاش برقية اعتذار . ونشرت الدوحة في عدد فبراير سنة ١٩٨٥ صورة المقالة ورسالة مني ، وكتبت تعليقا كشفت فيه عن ذلك التصرف الذي لايجدر بمثقف عادي فضلا عن "دكتور" يزعم أنه عضو هيئة تدريس بجامعة الاسكندرية .

وكانت المفاجأة المذهلة الأخرى أن نبيل سليم كتب رسالة الى وزير الاعلام القطري يشكو فيها المسئولين في مجلة الدوحة ، ويتهمهم بأنهم يحاربون عبقريته ونشاطه الفكري ، وقدم في رسالته تبريرا غريبا عما حدث ، فقد ذكر أن الموظف الذي عهد اليه بطبع مقالته على الآلة الكاتبة قد اخطأ ونقل مقالة ليست له ، وأنه لم يراجع ما كتبه الطابع ووقع عليه ثم بعث به الى مجلة الدوحة ، فهو لهذا لم ينقل عن غيره ، وليس مسئولا عما حدث .

وقد اطلعت على هذه الرسالة ، وعجبت لهذا التصرف الذي يدل على سذاجة في التصور ، فكيف يصدق انسان ذلك التبرير ، وينفي تهمة السرقة عن نبيل سليم ، بيد انى تذكرت القول المأثور :

"إذا لم تستح فاصنع ماشئت" !..

وبعد فهذا ما رغبت فى توضيحه عن ظاهرة الانتحال الفكرى بالنسبة لما كان من نبيل سليم حول سرقة مقالتى الخطية ونشرها باسمه ، وهو يؤكد أنه دعىّ خطير ، وأن ماينشره منكر ثقافى لاينبغى الصمت إزاءه ، ويجب تغييره بكل الوسائل ، ولا يجوز أن يكون ما يكتب عن هذه الظاهرة كصرخة فى واد .

دكتور محمد الدسوقى
أستاذ بكلية الشريعة : جامعة قطر

شخص مجهول يمنع نشر ديوان عبد الوارث عسر

● قرأت الكلمة المخلصة التى نشرتموها فى باب (أنت والهلال) عدد مارس الماضى عن ديوان الفنان الكبير الشاعر الفحل عبد الوارث عسر رحمه الله ، وأسعدنى هذا الاهتمام المشكور بالتراث الأدبى لهذا الفنان الذى سعدنا بالاستماع الى قصيدته عن الحج التى أنشدها فى التليفزيون منذ سنوات ، الا اننى أحب أن أوضح حقيقة مؤلمة فإن ديوان عبد الوارث عسر سبق ايداعه بالادارة العامة للنشر بهيئة الكتاب منذ أكثر من ثلاث سنوات وقام أحد الشعراء بالهيئة وهو الأستاذ شوقى على هيكل بقراءة الديوان وكتب تقريرا أوصى فيه بنشره الا أن التقرير لم يعمل به بعد تغيير المختصين بالنشر ، وعرض الديوان مرة أخرى على شويعر مجهول يتعاطى "الشعر الحر" فكتب تقريرا مضادا رفض فيه نشر الديوان ، جهلا بقيمته ، وعجزا عن تقديره .

وكم نتمنى عليكم اعطاء اهتمام اكبر بهذا الموضوع حتى نرى ديوان عبد الوارث عسر بين أيدينا قريبا .

« أحد العاملين بهيئة الكتاب"

● عبد الوارث عسر والصاوى شعلان ●

قرأت بعدد مارس سنة ١٩٩٠ الكلمة التى نشرت ببريد الهلال حول ديوان صديقى الفنان الكبير الراحل عبد الوارث عسر وأضم صوتى للزميل الفاضل ثروت محمد يوسف للاهابة بهيئة الكتاب لطبع ديوان عبد الوارث عسر الذى عبث به بعض الصغار فى هيئة الكتاب ..

وأنتهز هذه الفرصة ـ للأدب والتاريخ ـ لاحاطتكم علما بأننى قد قمت بتجميع باقى نتاج شاعر آخر هو الصاوى شعلان وأودعته بالادارة العامة للنشر بالهيئة منذ ثلاث سنوات تقريبا وهو حاليا طرف السيدة اعتدال عثمان بادارة النشر بعنوان من (وحى الايمان) ولم ينشر ..

محمد اللبنى على محمد
٩٤ شارع متحف المنيل ـ القاهرة

انت والهلال

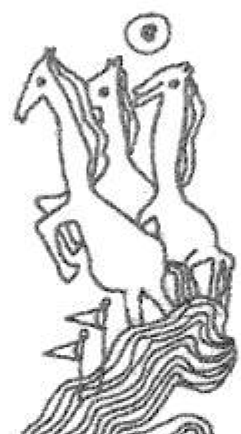
● عبد الوارث عسر مرة أخرى ●

● قرأنا الكلمة التى تفضلتم بنشرها فى باب انت والهلال (مارس ١٩٩٠) للاستاذ (ثروت محمد يوسف) وكم تمنينا لو ذكر لنا جهة نشر كتاب : (شعراء ودواوين) للباحث الأستاذ احمد مصطفى حافظ ، لنتمكن من اقتناء نسخة من هذا الكتاب .

وفيما اشار اليه عن الشاعر الراحل الفنان العظيم ، عبد الوارث عسر ، فنحن للاسف الشديد علمنا أن ديوانه سبق أن وافقت على نشره هيئة الكتاب ثم تغيرت الحال ، فكتب أحد صغار الشعراء بالهيئة تقريرا ضد هذا الديوان الرائع الحافل بالشعر الرصين ، فتعذر نشر الديوان . وهكذا يتحكم الصغار فى مصير العظماء البلغاء .. وإننا لنرجو الدكتور سمير سرحان رئيس الهيئة انقاذ ديوان عبد الوارث عسر من أيدى الصغار العابثين ! ..

على ابراهيم سعد
"اديب مخضـرم"

● أوراق النهر المنسية ●

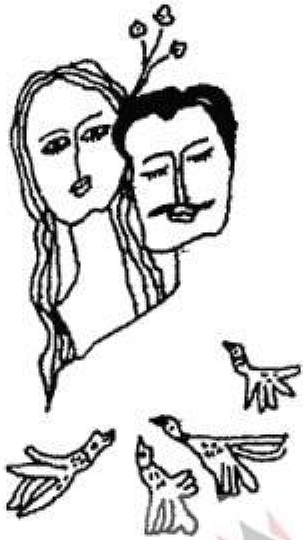


طفل معصوب ، أذكره الآن
وحيدا يغرف من ماء النهر فيرتد بصيرا
تستقبله عند المسجد نسمة صبح
يتوحد فى المحراب الوجد وماء النهر .. يسافر
إن الله يبشرك بعام فيه يغاث الناس
تحمله أجنحة الشوق فيغفو
يتشكل فى رحم علمه الزمن الحكمة ...
لايستر عورته بالصمت ، ولا بالنسيان
ويسافر فى الأوراق المنسية :
سأفك طلاسمها
وسأنفض عنها زيف السحرة
والانفاس المنتحرة
حين يفيض النهر أعيد كتابتها
أنشرها فى الوديان خيولا عبسية
ويصدر النهر بيارق .

محمود عبد الحفيظ عبد العزيز ـ كفر صقر

● رؤيا ●

لاتقصص رؤياك ... يغار الحكام
الحلم السنوى ينام
ذلك انى ... يافاتنتى
أسلم جنبى ، فأرى وجهى
طيفا يأتى .. يأمرنى ..
أسلم رأسك .. لكنى
فى وسط الحلم
تظهر صورة .. فأرى فيها :
أنا نلعب أو نركض أو نمرح
نقفز فوق اللامحسوس
كنا نحلم ملء العين
احلم أنى الأوحد ...
والأقرب ..
لكنا ...
والحلم برىء مثل الطفل
رأينا العصافير تسقط
بكينا معا



السيد ابراهيم عطية
كفر صقر - شرقية

● من القائل وما المناسبة ؟ ●

● سمعت من إذاعة لندن العربية حديثا للأستاذ حسن الكرمى عنوانه "من القائل وما المناسبة" .. وقد جاء فيه هذا البيت :

لــولا سجـاياه وأخـلاقــه
لكـان كالمعـدوم فى وجده

وأعترف بأننى لم أستطع ان افهم هذا البيت .. فما هو معناه ؟!

حسن محمد ابوصبرة
الاسكندرية

● تعليق الهلال :

- نشكرك لأنك وضعت علامات الشكل على كلمة "وجده" كما سمعتها من إذاعة

لندن .. ومن هذا الشكل تبين لنا أن الاستاذ الكرمى نطق الكلمة خطأ ، والصواب ضم الواو ، وليس فتحها كما سمعتموه .. و "الوجد" بضم الواو هو المال أو الثراء أو مايجرى فى هذا المعنى .. وقد أضيف الى هذا الخطأ ، خطأ الأستاذ الكرمى فى نطق كلمة "المعدوم" .. وصوابها "المعدم" بضم الميم وسكون العين وكسر الدال ، ومعناها الفقير الذى لايجد القوت ! .. وهكذا يتضح أن معنى البيت : "لولا أخلاق الرجل ، لكان مثل المعدم الذى لا وُجد له ـ بضم الواو ـ أى الذى لايملك شيئا " .. والبيت لأبى العلاء المعرى ..

بقى أن نقول إن الكرمى لايخطىء فى العادة ، ولاندرى هل أخطأ فعلا فى نطق هاتين الكلمتين ، أم انك سمعتهما دون أن تتثبت منهما ، فيكون الرجل قد نطق صوابا ، وسمعت أنت خطأ ! ..

نشكرك على أية حال ! ..

• تاريخ ثورة يوليو •

فى تقديمه وعرضه لكتاب "فن الثورة والدبلوماسية" للسيد جمال منصور فى عدد مارس الماضى من الهلال ، أثار الاستاذ مصطفى نبيل قضية كتابة تاريخ ثورة ٢٣ يوليو بين مذكرات وذكريات من شاركوا فيها وعاصروها من ناحية ، والحقائق التاريخية من ناحية أخرى ، وينتهى فى مقاله الى انتظار من يعرض القصة الكاملة لثورة يوليو .

أن تاريخ مصر المعاصر وهو تاريخ ثورة يوليو لن يكتب بصورة علمية وموضوعية ، الا اذا توافرت الوثائق التى تكشف عن حقيقة الأحداث التاريخية ، ظروفها وملابساتها ، وهذه الوثائق موزعة بين الدار القومية للوثائق ورئاسة الجمهورية والوزارات وأجهزة الأمن المختلفة ورئاسة مجلس الوزراء ، ومن ثم يتعين جمعها وتمكين الباحثين والمؤرخين من الاطلاع عليها كمادة لكتابة التاريخ ، وألا يكون ثمة حجر على الاطلاع عليها ، وقد أحسنت وزارة الدفاع صنعا بأن أفرجت أخيرا عن وثائق العدوان الثلاثى على مصر سنة ١٩٥٦ ويجب أن يفرج عن الوثائق السابقة على هذا التاريخ وفى ضوء هذه الوثائق يمكن حصر الخلاف الواسع بين الروايات التاريخية للشخصيات حول الحدث الواحد .

وفى تاريخ ثورة يوليو صفحات ينبغى أن تكتب مرة أخرى ، فمثلا حقيقة دور المخابرات الأمريكية فى قيام الثورة والاتصالات بين جمال عبد الناصر وكل من مايلز كوبلاند وكيرميت روزفلت وهما من كبار رجال المخابرات الامريكية فى منطقة الشرق الأوسط فى الخمسينات .. وأيضا حقيقة ما حدث فى هزيمة يونيو سنة ١٩٦٧ ، حيث شكلت فى عهد الرئيس الراحل انور السادات لجنة لتقصى الحقائق واسباب هزيمة سنة ١٩٦٧ ، الا أن اعمال هذه اللجنة ومحاضرها وتحقيقاتها ذهبت مع الريح ، واغلق الملف وقيدت القضية ضد مجهول ، وبنفس الطريقة لقيت لجنة كتابة التاريخ

نفس المصير ، وأنهت اعمالها ولم يسمع أحد بما أنجزته .

وبعد ان تكشفت تجاوزات الثورة وسلبياتها لم يجرؤ مؤرخ مصرى واحد على كتابة تاريخ بلده كتابة صحيحة تصريحا أو تلميحا من ازمة مارس سنة ١٩٥٤ الى حرب يونيو سنة ١٩٦٧ مرورا بتجربة الوحدة مع سوريا الى حرب اليمن ، وفى نفس الفترة قام المؤرخون المصريون وأساتذة التاريخ الحديث فى الجامعات المصرية بكتابة تاريخ ثورة يوليو بوحى من الزعيم الملهم والقائد المعلم وفى رحاب المعبد وكهنة الناصرية ومن خلال المقررات القومية كانت تدرس مادة ثورة ٢٣ يوليو ، وفى اطارها قرأنا تاريخ مصر فى الخمسينات والستينات من اساتذة متخصصين فى التاريخ الحديث ، واساتذة قانون فى كليات الحقوق ، تصور ثورة يوليو بلا سلبيات أو تجاوزات وكأنها من صنع الملائكة .

ولم يسلم المرحوم الاستاذ عبد الرحمن الرافعى فى كتابة ثورة ٢٣ يوليو ٥٢ ـ ١٩٥٩ ، مما أصاب القوم فى نظرتهم الى الثورة ، فكتب ما كتب كأنما الثورة مبرأة من كل خطأ ، مطهرة من كل دنس لقد أشفقت على الاستاذ مصطفى نبيل وهو يقدم لكتاب "فى الثورة والدبلوماسية" للسفير جمال منصور وهو يخوض فى بحر لجى بحثا عن حقيقة التنظيمات السرية فى صفوف الجيش والتى قامت على اكتافها ثورة ٢٣ يوليو .

ويبقى أن نذكر أن هناك رجلا حاول أن يكتب صفحات من تاريخ ثورة ٢٣ يوليو ، وهو اللواء جمال حماد فى كتابه "٢٣ يوليو أطول يوم فى التاريخ" إلا أنه ضيق من نطاق الذات الى ابعد الحدود ، ووسع من نطاق الموضوع فى تناوله لأخطر قضايا التاريخ فى مصر والعالم العربى .

عمرو عبد المنعم حمودة

● رأى العقاد فى نجيب محفوظ ●

● كثر التطاول على كل ذى عظمة انسانية حتى أوشك التوقير لمن يستحق التوقير أن يعاب ، ففى بداية الستينات حصل الأديب الأمريكى " جون شتاينبك " على جائزة نوبل فى الأدب .

وفى تلك الأونة قال العقاد رحمه الله :

" لماذا لم يقع الاختيار على " نجيب محفوظ " ؟ أن نجيب محفوظ لايقل قدرا عنه فكلاهما قصصى ، وأن شتاينبك يكتب عن الأزقة والحوارى والشعب وأبطال قصصه كلهم واقعيون أرضيون ، تتساوى عنايته بهم على اختلاف الطبقات ، وهنا هو الموضوع الذى يكتب فيه نجيب محفوظ ، فهو يضارع شتاينبك ، وقد يفوقه فى تصوير شخصياته من أولاد البلد السذج والبدائيين المصريين ولذلك فهو أحق منه بالجائزة" .

هذا هو رأى العقاد فى نجيب محفوظ وعبقريته ، تسوقه الى السذج والبسطاء

الذين يتمسحون بالعقاد عندما يحلو لهم ان يهاجموا نجيب محفوظ بعد فوزه بجائزة نوبل العالمية التى يستحقها عن جدارة ، لابشهادة أدباء ونقاد لجنة نوبل فقط ، بل وكذلك بشهادة اديبنا وناقدنا الكبير الاستاذ العقاد !

احمد خضر
جمعية أصدقاء العقاد بفوة

• قرار •

لا تسألى ماذا دهانى اننى
آثرت ان ابقى وحيدا ها هنا
آثرت ان اطوى الغرام جميعه
وافر من طيف العبيد اذا دنا
فاذا استطعت بأن ابدد رجفتى
واصون قلبى دون وجد أو ضنى
فانا وشيك ان أحقق عزتى
وبأن أعود الى الحياة كما أنا

محمد سعد جاويش
كلية التجارة الخارجية بالزمالك

• قانون تملك الأجانب للأرض الزراعية •

● فى عدد مارس ١٩٩٠ قرأت فى باب انت والهلال مقالا بعنوان "حقائق عن عبد الرحمن الرافعى" بتوقيع السيد رشاد جاب الله على ، وقد ورد فيه مانصه : انه من اعمال الرافعى ايام كان عضوا بمجلس الشيوخ تقديم مشروع قانون منع تملك الاجانب للأراضى الزراعية والأراضى البور والصحراوية والعقارات المبنية والاراضى الفضاء سواء على الافراد والشركات الاجنبية وبأثر رجعي وللأسف الشديد عارض هذا المشروع الحكومة ومن يؤيدها من اعضاء المجلس

وقد يفهم من هذه العبارة الأخيرة ان هذا القانون لم يصدر بسبب معارضة الحكومة ومن يؤيدها ، ولكن الحقيقة ان المشروع صدر به فى ذاك الوقت القانون رقم ٣٧ لسنة ١٩٥١ تحت عنوان "منع غير المصريين من تملك الأراضى الزراعية" على ان يسرى على المستقبل وظل هذا القانون سارى المفعول ومعمولا به منذ نشره بالوقائع المصرية (الجريدة الرسمية حاليا) الى ان حل محله ـ وبعد ١٢ عاما القانون رقم ١٥ لسنة ١٩٦٣ تحت عنوان "حظر تملك الاجانب للأراضى الزراعية" وهو يسرى بأثر رجعى .

نرجو التفضل مشكورين الى التنويه عن ذلك .

« قارىء »

• إلى أصدقائنا •

● رمضان الهجرسى المحامى - السنبلاوين :

- استمتعنا برسالتك المسهبة ، ولو ذهبنا ننفذ كل اقتراحاتك لاقتضى الأمر صدور الهلال شهريا فى الف صفحة تقريبا ، وهو كما تعلم عبء علينا وعلى القارىء ، ولاتوجد مجلة شهرية فى العالم تستطيع ان تشمل كل شىء ، ولهذا تختار كل مجلة جوانب معينة لموضوعاتها .

● عزت فتحى سعد الدين - كفر ربيع - تلا - منوفية :

- رأينا فى شعرك انه موزون ، وأن لك موهبة ، ولكن هذه الموهبة من حقها عليك أن تنضجها على نار هادئة !

● حسين البسومى المحامى :

- قصيدتك تبدأ بغلطة نحوية ، ففى الشطر الثانى من البيت الاول تقول مخاطبا المحبوبة : « وفيم تلوعى قلبى هياما » والصواب « تلوعين » .. ولاتبيح ضرورة الشعر مثل هذا الخطأ .. اما بقية القصيدة فهى موزونة ، ونهنئك على صحة اوزانك ونرجو لك المزيد من التقدم .

● عبد الله سالم باوزير - عدن - جمهورية اليمن الديمقراطية :

- نشكرك على حسن ظنك بنا ، ونرجو أن تتاح لنا ذات يوم فرصة لنشر بعض انتاجك ..

● السادة : محمد عبد اللطيف .. أشرف ابو الحمد الخطيب .. عادل لشيخ .. فؤاد سليمان مغنم .. مظهر العسيرى ... رمضان عبد اللطيف حامد .. محمد مصطفى حسين بكرى .. عاطف عبد الكريم احمد .

- نهنئكم على محاولاتكم فى الشعر العمودى والشعر التفعيلى ، ونرجو ان تبلغوا بالمران والدراسة درجة الاتقان التام للأوزان سواء كانت اشعاركم نقفاة او تفعيلية ، فالأوزان مهمة فى الحالتين .

● ونشكر لأصدقائنا الاعزاء : وائل محمد جلويش .. محمد حسن على البوهى .. عاصم فريد البرقوقى .. محمد على معالى .. خليل ابراهيم القشوطى .. رضا ابراهيم عبد المعطى الوصيف ... لطفى فؤاد .. عبد العزيز الشراكى .. ثروت محمد يوسف ... سحر محمد فتح الله .. مظهر العسيوى .. سعاد احمد محمد الصلوى .. اشرف ابو الحمد الخطيب .. محمد عبد الباسط زيدان .. منى عبد الله .. رشاد جاب الله على .. يوسف عبد العزيز على .. حسام ابو سعدة محمد سعد جلويش .. محمد امين عيسوى .. رمضان ابو غالية .. عبد الله عبد الوهاب فهيم .. سعد الدين رجب ..

الكلمة الأخيرة

أنا والهلال

كنت قارئا من صغرى ، وكان فى دوارنا صندوق حافل بالمتع ، كلما نقبت فيها تكشفت لى عن اسرارها ، دفاتر مناقب الصالحين والف ليلة وليلة واجزاء عشرة من سيرة عنترة . احبس نفسى فى الغرفة النهار ، يدور بى حتى المغرب ، اخرج من الغرفة ذابل العينين متخدر العضل ، ارى الدنيا كانما هى دنيا اخرى ، فانني ات لها من عالم مرقش بالجان والمردة ، والناس الصالحين .

ثم انى ذهب بى الى بيت جدى فى ميت غمر منقولا من قريتى البندرة فى قاع الغربية ، هكذا عبرت النهر الى عالم ملون بالاحمر والاسود ، اقصد بذلك الوان الصفحات وبدع الحكايات وفتنة الاخبار فى الجريدة اليومية ، يرسلنى جدى اشترى له الجريدة وبين ان واخر اشترى له مسامرات الجيب والاثنين والدنيا والمصور ، اه ياسلام من مكالمات فكرى اباظة هكذا دخلت الدنيا .

الان صرت ولدا كبيرا يستحى من طوله ومن لحية بدات تعلن عن نفسها ، وكنت اقضى اجازة الصيف عند خالى فى المنصورة ، احبس نفسى ، فى غرفة قصية يالها من غرفة مليئة بالهلال مجلدا تجليدا فاخرا ، والمقالات بقلم عبد الرزاق السنهورى باشا ، ومحمد عوض بك ، ومحمود تيمور بك ، والسيدة عائشة عبد الرحمن وعبد الرحمن بك والدكتور احمد زكى بك والدكتور امير بقطر وانا ماخوذ باقلامهم ، هذا عالم ليس مرقشا بالمردة والجان والناس الصالحين انه عالم موسوم بعقول جبارة .

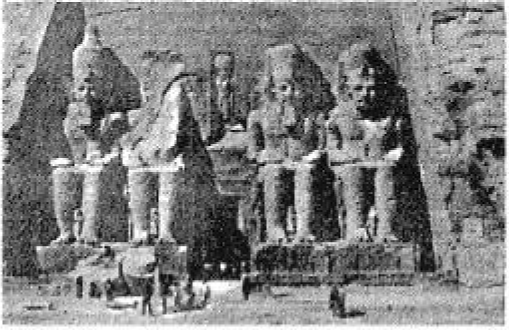
واظل اقرا للاستاذ عباس محمود العقاد ، والاستاذ فتحى رضوان والاستاذ احمد امين بك ، الدكتور طه حسين بك ، ثم سافرت للقاهرة وحدى . الان امشى فى سكك غير الذى اخذنى فيها ابى ، لم ازر الشيوخ ، انما زرت الهلال ، مررت به من على الرصيف الاخر ، مبنى جليل مغروس امامه الشجيرات حتى كبرت وتجاوزت الخمسين واذن لى ان انحشر فى الزمرة الجليلة ، ان اكتب الاقصوصة كل شهر ، افرح كلما ظهر اسمى فى ثبت الهلال ، وابتئس غاية البؤس اذا سقط اسمى

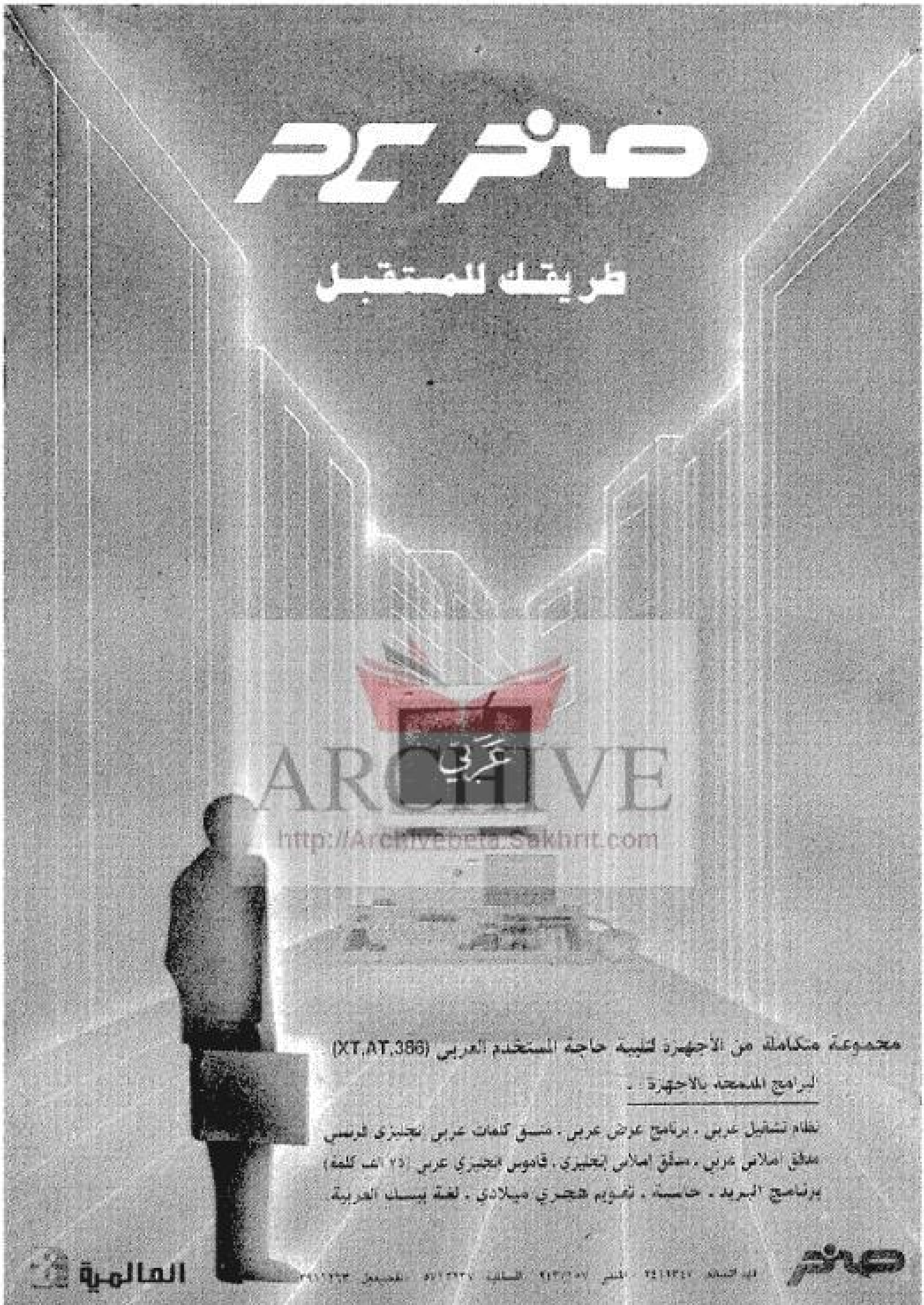





EGYPTAIR
مصر للطيران






صخر PC
طريقك للمستقبل
مجموعة متكاملة من الاجهزة لتلبية حاجة المستخدم العربي (XT,AT,386)
البرامج المدمجة بالاجهزة .
نظام تشغيل عربي . برنامج عرض عربي . منسق كلمات عربي انجليزي فرنسي
مدقق املائي عربي . مدقق املائي انجليزي . قاموس انجليزي عربي (٢٥ الف كلمة)
برنامج البريد . حاسبة . تقويم هجري ميلادي . لغة بيسك العربية
صخر
العالمية

الهلال

يونيه ١٩٩٠ • الثمن ٧٥ قرشا

العالم يطالب بإنقاذ آثارنا



القطاع العام القطاع الخاص مرة أخرى

الهلال

مجلة ثقافية شهرية
تصدرها دار الهلال
أسسها جورجي زيدان
عام ١٨٩٢ ميلادية

السنة السابعة والتسعون - يونيو ١٩٩٠ - ذي القعدة ١٤١٠ هـ

رئيس مجلس الإدارة
مكرم محمد أحمد

رئيس التحرير
مصطفى نبيل

المستشار الفني
محمد أبو طالب

مدير التحرير
عاطف مصطفى

المشرف الفني
محمود الشيخ

سكرتير التحرير التنفيذي
عيسى دياب

رسائل من اليونسكو للبحث عن انقاذ آثارنا

الآثار في مصر تحتاج إلى وقفة طويلة ، نناقش خلالها الأسباب الحقيقية وراء تدهورها ، وانهيار الكثير منها ، بل وضياع اندرها سواء من خلال تهريبها إلى الخارج . او تخزينها بشكل سيىء في مخازن الآثار لسنوات قد تطول .

وربما نكون قد لاحظنا في فترات اهتماما غير عادى بمناقشة هذه القضية ، حتى نكاد نصدق بان هذه الكنوز المنتشرة في كثير من محافظات الصعيد ، وفي القاهرة المعزية سوف تمتد إليها الرعاية والعناية الخاصة بها ، ولكن عادة لايطول الوقت على هذه الفورة ، ويعود كل شيء إلى السكون من جديد !

الغريب في الامر ان يعود الكثير من محبى آثارنا الإسلامية والفرعونية إلى اوطانهم بعد ان شاهدوا ماوصلت إليه من إهمال ، ليكتبوا رسائل إلى اليونسكو ، لكى تقوم بدورها بحث المسئولين عن الآثار في مصر ، عن ضياع كنوز ليس لها نظير في العالم ، ولينبهوا إلى الاخطار التى تحيق بآثارنا الاسلامية والقبطية والفرعونية ...

هل تجد هذه الاستغاثة اذانا صاغية ؟!

نرجو ذلك ! ..

إقرا تحقيقا عن الآثار ص ٧٦

في هذا العدد



تصميم الغلاف

الفنان

محمد ابو طالب

فكر وثقافة

صفحة

قيمة الإشتراك السنوى (١٢ عددا) فى جمهورية مصر العربية تسعة جنيهات وفى بلاد اتحادى البريد العربى والافريقى والباكستان عشرة دولارات او مايعادلها بالبريد الجوى . وفى سائر انحاء العالم عشرون دولارا بالبريد الجوى .

والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى ج . م . ع . نقدا او بحوالة بريدية غير حكومية . وفى الخارج بشيك مصرفى لامر مؤسسة دار الهلال . وتضاف رسوم البريد المسجل على الاسعار موضحة بعاليه عند الطلب .

رسائل صحفية

دائرة حوار

فنون

قصة وشعر

الأبواب الثابتة

دار الهلال

١٦ شارع محمد عز العرب الرقم البريدى (١٥١١) القاهرة تليفون ٣٦٢٥٤٥٠ سبعة خطوط ـ مجلة الهلال ٣٦٢٥٤٨١

رقم التلكس 92703 HILAL U.N

الثمن

لبنان ٧٠٠ ليرة ، الاردن ٦٠٠ فلس ، الكويت ٥٠٠ فلس ، العراق ١٠٠٠ فلس ، السعودية ٧ ريالات ، عدن ١٢٥ سنتا ، البحرين ٨٠٠ فلس ، قطر ٧ ريالات ، الامارات العربية المتحدة ٧ دراهم ، سلطنة عمان ٧٠٠ بيسه ، تونس ١٤٠٠ مليم ، المغرب ١٥ درهما ، غزة ٧٥ سنتا ، انجلترا ١٢٥ بنسا ، ايطاليا ٢٥٠٠ ليرة ، الولايات المتحدة الامريكية ٤٠٠ سنت ، الجمهورية العربية اليمنية ٨ ريالات ، كندا ٥ دولارات .

الصيف وايقاع الحياة ..

فى الصيف من كل عام يتغير ايقاع الحياة الأدبية والفنية والثقافية والصحفية فى مصر ، بل وفى العالم كله ..

وفى يونيو يبدأ الصيف ، مع أن ابريل ومايو يشهدان من ارتفاع درجة الحرارة فى بلادنا ما قد يجاوز الأربعين بدرجتين او ثلاث احيانا ، وهى اعلى من درجات الحرارة فى صميم الصيف المصرى ! ..

ولكن .. هل يعنى اخلاد اهل الفكر والأدب والصحافة إلى الايقاع البطىء ، او الى الكسل فى الصيف ، أن العالم كله يخلد الى بطء الإيقاع ، ويجنح الى الكسل ، وينسى هموم الحياة على رمال الشواطىء ، او على قمم الجبال المكللة بالثلوج تحت شمس الصيف ؟ !

الحقيقة أن فصل الصيف يوشك أن يتخذ معنى جديدا فى عقد التسعينات الذى تودّع به البشرية القرن العشرين ، فلا وقت لالتقاط الأنفاس ، ولا وقت عند العقول التى كانت تستريح الى الدعة والراحة فى الصيوف الماضية ، فإن العقول لا تتوقف الآن عن الهجرة من النصف الجنوبى للكرة الأرضية . فرارا من العالم الثالث الذى يئد العقول إلى العالم الأول الذى يستثمر هذه العقول ويبذل لها أعلى مستويات الحياة ، مع الكرامة والاحترام .

إن هجرة العقول هى الهجرة الدائمة التى لا تنقطع شتاء ولا صيفا ، فهى هجرة الشتاء والصيف فى زماننا هذا الذى اوشك أن يتغير فيه حتى معنى الوطن ، وباتت عقول العلماء والخبراء تابعة للشركات العابرة للقارات التى تهيمن على مصير العالم وهى قابعة فى مراكزها الحصينة وراء البحار ..

فى الماضى كان المصريون يترقبون حرارة الصيف لتنضج لهم محصول القمح ثم محصول القطن ، وكانا عماد ثروتهم ، ومصدر عملتهم الصعبة ، وسبب ازدهار اقتصادهم ، وكان القطن والقمح ينضجان تحت عيونهم الفرحة التى تلاحظ نضجهما وتتابعه يوما بعد يوم حتى موعد الجنى أو موعد الحصاد ..

الآن .. لم يعد أحد يتذكر العلاقة بين الصيف والقطن والقمح وأى محصول آخر .. ! لقد تغيرت موارد البلاد .. « تغيرت الديار ومن عليها » .. كما يقول شطر من الشعر المنسوب الى سيدنا آدم عليه السلام فى كتب التاريخ العربية القديمة ! ..

وهكذا يجيء الصيف فى زماننا فيبدو ايقاع الحياة كأنه يتخذ شكلا جديدا ، ولكن الناس فى الحقيقة منهمكون فى هموم الحياة بلا فارق بين ما يجيء به الخريف والشتاء والربيع ، وما يجيء به الصيف .. فالأيام تمشى وئيدا على وتيرة واحدة ، والأرض تدور ولكنها من جمود الأحوال تبدو كأنها ثابتة فى مكانها بلا حراك !

وما أكثر ما يأتى به شهر يونيو بالذات كل عام من ذكريات .. هزيمة ٥ يونية ١٩٦٧ أوشكت أن تختبيء فى صفحات التاريخ ، ولكن آثارها ماثلة بحذافيرها فوق الأرض العربية ، وفى داخل نفس الانسان العربى .. فالانتفاضة فى فلسطين هى بنت الهزيمة التى صنعها العجز والفساد منذ ثلاثة وعشرين عاما .. ولولا انكسار السلاح العربى فى تلك الهزيمة لما احتاج الانسان العربى أن يواجه القنبلة النووية والقنبلة الكيماوية والقنبلة الجرثومية اليهودية الصهيونية ، بمجرد قطع من الحجارة فى يده ، أو حفنة من التراب يقذفها فى وجه الغزاة البرابرة !

نعم .. يتغير ايقاع الحياة فى الصيف ، ولكن حياتنا فقدت - مع الأسف - ايقاعها فى الصيف وفى كل فصول العام !

« المحرر »

القطاع العام والقطاع الخاص

فى الخمسمائة سنة الاخيرة

بقلم: د. جلال أمين

ليس للناس كلام فى مصر الا عن بيع القطاع العام. وهكذا اصبح ما كان محظورا حظرا تاما، يطرح على الناس وكانه بديهية من البديهيات. مر علينا وقت خلال الستينات كان فيه الحديث كله عن "حتمية الحل الاشتراكى" وكان من يعارض التاميم فيه ينظر اليه وكانه اما خائن او مخبول. والان انقلب الامر راسا على عقب، واصبح كل من يعارض القطاع العام يصور على انه إما شخص يعمل ضد مصلحة الوطن او شخص سيطرت عليه الايديولوجية لدرجة الخبل.

والمدهش ان الظاهرة ليست مقصورة على مصر وان كانت درجة الحماس لبيع القطاع العام تختلف من بلد لآخر. فالاقتصاديون فى الشرق والغرب لا هم لهم الان الا الحديث عن ضرورة انسحاب الدولة، اكثر فاكثر من النشاط الاقتصادى او تقليص دورها فيه الى اقل درجة ممكنة، فاذا سئلوا عن اسباب متاعبهم الاقتصادية كانت اجابتهم الجاهزة دائما: القطاع العام هو المسئول، الدولة تتدخل اكثر من اللازم.

واريد ان اصارح القارىء القول بانى اشعر فى كل مرة يثار فيها هذا الموضوع، موضوع القطاع العام والقطاع الخاص، والدور الامثل للحكومة فى النشاط الاقتصادى وما اذا كان من الافضل توسيعه او تضييقه اشعر بان على الاقتصاديين ان يشعروا بالخجل من انفسهم. فهذه هى ثالث مرة على الاقل يغير فيها الاقتصاديون رأيهم فى هذا الموضوع تغييرا يكاد يصل الى درجة التحول من الشيء إلى نقيضه.

ففى البدايات الاولى لعلم الاقتصاد قال لنا الاقتصاديون المسمون باسم "التجاريين" (١٤٥٠ - ١٧٥٠) ان على الدولة ان تتدخل تدخلا حاسما وشاملا فى



ادم سميث كينز

النشاط الاقتصادى .

ثم جاء الطبيعيون (١٧٦٠ ـ ١٧٨٠) والاقتصاديون التقليديون او الكلاسيك (١٧٧٦ ـ ١٨٧٠) وليقولوا لنا ان على الدولة أن تنسحب انسحابا تاما من النشاط الاقتصادى وان هذا هو الوضع "الطبيعى" للامور . ثم جاء كينز (١٩٣٦) ليقول لنا من جديد ان على الدولة ان تقوم بدور فعال فى الاقتصاد والاحداث مالا تحمد عقباه ، وان الازمة الاقتصادية هى نتيجة مباشرة لامتناع الدولة عن التدخل ثم جاء النقديون (١٩٧٠ ـ ···) ليقولوا لنا مرة اخرى ان على الدولة ان تنسحب انسحابا تاما من الاقتصاد بما فى ذلك حتى خدمات المطافىء والبريد ، وان السبب الوحيد للمشاكل الاقتصادية ايا كان نوعها هو تدخل الدولة .

● الاعتراف بالرأى الصحيح !

قد تقولون انه ليس من العار ان يغير المرء رأيه ، ولو عدة مرات ، من رأى الى نقيض ، مع تغير الظروف والاحوال . ولكن الا تلاحظون انه فى كل مرة لايريد الاقتصادى ان يعترف بان الرأى الذى يقول به يصلح فقط فى ظروف معينة ، ولايصلح لغيرها ؟ ففى كل مرة يزعم الاقتصادى ان الرأى الذى يقول به الرأى الصحيح فى كل زمان ومكان . فالتجاريون لم يقولوا لنا ، كما كان يجب ان يقولوا ان رأيهم بضرورة تدخل الدولة لايصح اذا انتهت المراحل الاولى للنمو الصناعى ووقفت الصناعة الوطنية على قدميها والاقتصاديون التقليديون او الكلاسيك لم يقولوا كما كان يجب ان يقولوا ان رأيهم يصلح لانجلترا فقط ، ولايصلح لالمانيا او الولايات المتحدة .

وكينز سمى نظريته "النظرية العامة" ولم يسمها ، كما كان يجب ان يسميها "السياسة الاقتصادية الصالحة للغرب فى الثلاثينيات" .

وميلتون فريدمان والنقديون ذهبوا الى ان رأيهم يصلح لشيلى بنفس الدرجة التى يصلح بها للولايات المتحدة ، ويصلح لعصور الرأسمالية الاولى كما يصلح لرأسمالية النصف الثانى من القرن العشرين .

وفى كل مرة اذن لايخجل الاقتصادى من ان يقول انه يغير رأيه لانه قد اكتشف الحق وعاد الى الصواب بدلا من ان يقول انه غير رأيه لان الظروف قد تغيرت . ادم سميث يسخر من التجاريين لانهم لم يروا الحقيقة بينما رآها هو ، وكينز يسخر من الكلاسيك لانهم لم يروا الحقيقة بينما رآها هو ، وميلتون فريدمان يسخر من كنيز لانه لم ير الحقيقة بينما رآها هو ، بينما كل منهم يعبر عن مصالح "دولة" او طبقة معينة فى فترة معينة .

التجاريون يعبرون عن مصالح التجار والصناع قبيل الثورة الصناعية ، والكلاسيك يعبرون عن مصالح الرأسمالية

الانجليزية فى عصر المنافسة الحرة ، وكينز يعبر عن مصالح الرأسمالية فى عصر المنافسة غير الكاملة وميلتون فريدمان يعبر عن مصالح الرأسمالية فى عصر الشركات متعددة الجنسيات .

الادهى من ذلك ان الاقتصاديين فى كل مرة يغيرون فيها رأيهم يكررون بدرجة مذهلة حججا سبق قولها ، ويتظاهرون بأنهم يقولونها لاول مرة وكأنهم اكتشفوا شيئا لم يسبق لاحد اكتشافه . الاقتصاديون الان يتكلمون عن مزايا الحرية الاقتصادية واضرار تدخل الدولة وكأنهم يقولون هذا الكلام لاول مرة ، وهم فى الواقع لايكادون يضيفون حرفا واحدا الى ما قاله الاقتصاديون التقليديون (الكلاسيك) والتقليديون الجدد (النيو كلاسيك) .

فاذا انتقلنا الى الاقتصاديين المصريين بالذات نجد ان عليهم ايضا ان يشعروا بالخجل من انفسهم لنفس الاسباب فهم ايضا غيروا رأيهم اكثر من مرة فى موضوع دور الحكومة فى النشاط الاقتصادى ومزايا القطاع العام او القطاع الخاص ، ولايقولون ان هذا نتيجة تغير الظروف بل يقولون ان السبب هو اكتشافهم للصواب بعد ان كانوا على خطأ . فاغلبية الاقتصاديين المصريين الذين يؤيدون بيع القطاع العام اليوم كانوا يتغنون فى اوائل الستينات بمزايا الاشتراكية ويعددون الاسباب التى تحتم تدخل الحكومة فى دولة نامية مثل مصر وكانوا ايضا يتغنون بنظام التخطيط الشامل ويؤلفون فيه الكتب ، ويدرسونه للطلبة بنفس الحماس الذى كانوا يبدونه عندما كانوا يتكلمون عن العدو الاسرائيلى اما الان فهم يقولون ان كل هذا كان خطأ لمجرد ان الدولة لم تعد تتكلم عن الاشتراكية ولان البنك الدولى وصندوق النقد الدولى لم يعودا يتحملان تدخل الدولة والتخطيط كما كانا يتحملانه فى الخمسينات والستينات .

والاقتصاديون المصريون ، شأنهم شأن الاقتصاديين فى كل مكان عندما يدافعون الآن عن الحرية الاقتصادية لايضيفون جديدا الى ما كان يقوله النيو كلاسيك منذ قرن من الزمان ، فليس لديهم ما يقولونه اكثر من الكلام عن سوء استخدام الموارد الذى يترتب على التدخل فى قوى السوق وكأن ظروف المنافسة الكاملة التى كانت موجودة منذ مائة عام بدرجة أو بأخرى ، مازالت هى الموجودة الان ويتجاهلون سوء توزيع الدخل نفس التجاهل الذى ابداه النيو كلاسيك ، ولا يقدمون حجة واحدة جديدة ومقبولة للدفاع عن هذا التجاهل .

غالبية الاقتصاديين المصريين اليوم يقولون ان متاعبنا الاقتصادية كلها سببها اتساع دور الحكومة فى النشاط الاقتصادى وهم بهذا يكررون نفس كلام ميلتون فريدمان واتباعه ونفس كلام صندوق النقد والبنك الدولى كلما سئلوا عن تفسير اية مشكلة اقتصادية دون اى اعتبار لحقيقة الامور . فهؤلاء كلما رأوا الاداء الاقتصادى فى دولة افضل منه فى اخرى فالسبب فى نظرهم هو ان الحكومة تتدخل فى الاولى بدرجة اقل من تدخلها فى الثانية ضاربين عرض الحائط بكل الظروف والملابسات التى تم الاداء الاقتصادى فى ظلها فى هذه الدولة او تلك .

انى اقول انه ليس هناك اى اساس علمى او منطقى للقول بان متاعب مصر الاقتصادية الحالية سببها اتساع دور

الحكومة فى الاقتصاد ، كما اقول انه اذا ثار التساؤل عما هو الدور الامثل للحكومة فى الاقتصاد فى مصر فان من اسخف الامور ان نتكلم كلاما عاما عن دور الحكومة بصفة عامة عن مزايا الحرية الاقتصادية بصفة عامة . وانما علينا ان نتكلم عن كل صناعة على حدة وعن كل اداة اقتصادية على حدة ففى كل صناعة يجب ان نميز بين المشروعات الجديدة والمشروعات القائمة وفيما يتعلق بمشروعات القطاع العام القائمة بالفعل يجب ان نميز بين المشروعات الرابحة والخاسرة وفى المشروعات الخاسرة يجب ان نميز بين تلك التى تخسر بسبب سوء الادارة او نظام الحوافز او سياسة التسعير والعمالة او بسبب عدم توفر العملات الاجنبية او بسبب المنافسة التى تتعرض لها من الواردات . وفيما يتعلق بالمشروعات القائمة التى تعانى من منافسة الواردات علينا ان نميز بين ما يتوفر لها من فرص النجاح فى المستقبل وما لاتتوفر لها هذه الفرص .... الخ

فما يصلح من علاج لكل من هذه المشروعات قد لايصلح لغيرها . وانى اشك جدا فى ان يكون سبب الفشل فى كثير من هذه الصناعات هو نظام ملكية الدولة .

فى سنة ١٩٧٥ نشر الاستاذ بنت هانسن ، الاقتصادى السويدى المعروف ، والمعروف جيدا على الاخص للاقتصاديين المصريين بسبب كتاباته الممتازة عن الاقتصاد المصرى ، نشر مقالا فى مجلة التنمية فى العالم Warld Development عدد ابريل بعنوان "الاشتراكية العربية فى مصر" Arab Socialism in Eggpt وذلك قبل ان تشيع موضة التخصصية Privatira-tion فى هذا المقال يقول هانسن بالنص :

"لو كان نظام من الاشتراكية التى تعتمد على مؤشرات السوق قد اعطى فرصة للتجربة فى مصر لكان من الممكن فى رأيى تلافى العيوب المتعلقة بانخفاض الكفاءة الاقتصادية دون المساس بنظام الملكية العامة (ص ٢١١)

ولكننا نعرف بالطبع ان هذا النظام الاشتراكى المعتمد على مؤشرات السوق لم يعط فرصته للتجربة فى مصر بسبب حرب ١٩٦٧ وما يترتب عليها رغم أن هناك من الدلائل ما يشير الى ان الحكومة قبيل ١٩٦٧ كانت قد شرعت بالفعل فى تجربة هذا النظام ، ولم يمنعها من الاستمرار فيه الا قيام الحرب .

وانا لا اجد سببا وجيها يمنعنا عن تطبيقه الان لو كنا نختار من النظم والسياسات الاقتصادية ما يناسبنا حقا وبمطلق الحرية .

فلتتنازل الحكومة عن ملكية المشروعات التى كان من الخطأ تأميمها كالفنادق ودور السينما او المحلات التجارية التى تبيع سلعا كمالية ولتتخل عن الادارة فى مشروعات اخرى ولتستبق الملكية والادارة فى بعضها الاخر وتتبنى نظاما جديدا للحوافز او فلتطلق حريتها فى التسعير والعمالة او فلتحكم نظام الحماية المفروضة لبعضها .... الخ ، ولكن فلنكف عن الكلام عن مساوىء القطاع العام "بصفة عامة" ومزايا القطاع الخاص "بصفة عامة" .

بقلم : د. شكري محمد عياد

تجارب مع المستحيل

حين كتب بدر الديب "أوراق زمردة أيوب" بعد القصص القصيرة الثلاث التى ضمها اليها فى مجموعة "حديث شخصى" ، كان كمن حفر بئره ، أخيرا ، حيث مكمن الماء ، أو مكمن البترول ، فتدفقت الثروة التى ادخرتها الطبيعة ، وفاضت النفس بمكنوناتها ، فهو الان ، وقد جاوز الستين ، فى قمة عطائه الذى ندعو الله ان يمتد لسنوات كثيرة .

وقد عرف بدر الديب ، حتى أوائل السبعينيات ، قارئا ممتازا وناقدا ممتازا ، ولكن خلصاءه فقط هم الذين يعرفون كيف يقرأ بدر ، وقليل منهم الذين رأوه ، فى يومه العادى ، وهو يقرأ ، وقد تخفف من قيود العمل ، وفروض الحياة (ما يسميه بدر "الصفعة") ، مثلما رأيته أنا ، حين ابتلى بصحبتى ، شبه الدائمة ، لمدة أشهر .

حين أفكر فى بدر القارىء تحضرنى صورة واحدة ، صورته ممسكا بكتاب جديد (والكتب تتعاقب فى حياته بسرعة غير عادية) ، قريبا من صدره ، وكأنه يحتضنه . القراءة عند بدر عشق ، وبما أنه لا يستطيع الفصل بين القراءة والعشق ، فهو لا يفصل أيضا بين العشق والقراءة !

يقول بدر : "حبيبتى موسومة بالشكل والتركيب" ! (إقرأ القصيدة المعنونة بهذا العنوان فى ديوانه "تلال من غروب") .

لقد اهتدى بدر إلى جوهر كيانه حين ادرك المفارقة التى يعيشها بين حياته العملية وحياته قارئا وعاشقا . صدمه هذا الشعور صدمة حادة بعد تجربته فى الصحافة ، فكانت "أوراق زمردة أيوب" اعترافا مؤلما أعاد إليه توازنه . وعلى أثر انتهائه منها شرع فى كتابة روايته الثانية ، "إجازة تفرغ" ، التى لم يفرغ منها إلا حديثا جدا ، ولم تنتقل من يده إلى المطبعة بعد ، ولكن الذى أعرفه عنها - وقد سمعت منها الفصل الأول فحسب - أنها عن رسام اجتذبته الصحافة زمنا - ربما لكسب القوت أو لتوهم أنه يمكنه أن ينجز من خلالها شيئا عظيما كما توهم بدر - ولكننا نراه وقد فر بجلده فى ظل "إجازة تفرغ" وشرع فى رحلة طويلة لاكتشاف ذاته . ويبدو لى أن بدرا انتقل من "الخلاص بالكتابة" ، وهو ما حاولته زمردة إلى شيء أكثر إيجابية ، وهو تحقيق الوجود الحقيقى من خلال الفن . كانت التجربة عسيرة ولكنها كانت تعنى الشيء



بدر الديب



ادوار الخراط

الكثير لبدر ، ولذلك صبر عليها اكثر من عشر سنين . وفى خلال هذه السنوات تبلورت لديه مجموعة من القصائد جمعها فى ديوانين : "تلال من غروب" و"السين والطلسم" وقد ظهرا متتابعين فى يناير ومارس ١٩٨٨ ، واخيرا ثلاثية "المستحيل والقيمة" .

● عمل فريد

وقبل أن اتحدث عن هذه الثلاثية - وهى عمل فريد فى جمعه بين الفلسفة والشعر والقصص - أجد من الضرورى ان الم إلمامة سريعة بالديوانين السابقين . فهما ايضا مرحلة فى سيرة بدر الفنية . وقد لا يسعد بدرا واصدقاءه ما اقوله عن الديوان الأول على الخصوص . ولكن ما حيلتى وقد عايشت بدرا فى تجاربه الفنية على اختلاف مستوياتها ، وانتدبت لتفسيرها للقراء . وهى جميعا تؤلف وحدة متكاملة لا يسعنى إسقاط شىء منها ، مادام متاحا للدراسة وإبداء الرأى ؟

إذا كان "تلال من غروب" - من حيث الشكل - عودة إلى النمط الشعرى الذى بداه بدر فى "حرف الـ ح" ، فانه من حيث المادة والنسج مختلف جدا . لقد جعل له بدر عنوانا إضافيا : "مقطوعات فى الدين والحب والسياسة" . وهذا اعلان لانه لم يعد منفردا بحرفه ، بل اخذه فى يده وخاض به فى دنيا الناس . ولكنه يشعر ان ثمة عدوين يحولان بينهما وبين الناس : اما العدو الأول فهو القصيدة التقليدية بعروضها وقافيتها ، واما العدو الثانى فهو هذه التفكيكية التى يلهج بها دعاة الحداثة . اما القصيدة فأمرها معروف ، هى فى نظر الحداثيين ثوب بال يجب ان ينزع عن الشعر العربى كى يظهر جماله الحقيقى . وأما التفكيكية فليس من

المتوقع أن يضيق بها بدر ، ولكن الحقيقة هي أنه بقى مدة مزورا عنها ، ولعله لم يكن مطمئنا إلى الحكمة القائلة إن عدو عدوى هو صديقى ، وإلا فلماذا ينفر من التفكيكية وهى نقض للبنيوية ، التى هى نقض للوجودية ، والنزعة الوجودية متأصلة عند بدر ؟ ولكنه يكتب قصيدة "ما وراء البنيان" ساخرا من "أصحاب النظرية" . (و"ما وراء البنيان" هى ترجمته للتفكيكية Deconstruction ـ وهى ترجمة خاطئة بلا ريب) ويجعل هذا العنوان علما على مجموعة من القصائد تؤلف القسم الثالث من "تلال من غروب" ، وليس بينها ارتباط واضح ، ولا تمايز عن القسمين الأولين . وأما القصيدة ذات الوزن والقافية فيستهزىء بها بدر فى احدى قصائد القسم الأول وعنوانها "حى على القصيد" .

ويهاجمها كذلك فى مقدمة الديوان ويؤازره صديقه إدوار الخراط فى مقدمة ثانية يضمها إلى مقدمة بدر . فقيم هذا العناء كله ؟ ألان بدرا كتب فى ذلك القسم الأول قصائد في السياسة ، وكان أمامه تراث ضخم من القصائد السياسية أعجزه أن يباريه ، فعدل الى مهاجمته ؟ ولماذا يكلف نفسه أن يكتب فى السياسة كما كان يكتب المتنبى ؟ إنه لا يملك مثل حنجرة المتنبى ، فاذا أراد أن يصرخ ، مثلا ، "ياأمة ضحكت من جهلها الأمم" تسلخ صوته .

نغتفر لبدر هذه الهجمات الرعناء ، فهو شاعر اصيل ! وكل شعر اصيل إضافة نعتز بها إلى ادبنا ، واهم من الاعتزاز ـ فلسنا فى مجال مفاخرة ـ انها تحيى المشاعر وتخصب النفوس ، وفى ديوانه هذا قصائد جميلة ، لا احصيها ، ولكنى اختار من قصائد القسم الأول قصيدة "الشجرة" ، ومن قصائد القسم الثالث قصيدة "الطقس المرير" . وهى قصائد لا يعيبها انها لا تلتزم عروضا ولا قافية (كما ان القصائد التى تلتزم العروض والقافية لاتعاب بذلك ، وهذا بديهى الىّ فشعر بدر له ايقاعه الخاص ، الذى يتميز تميزا واضحا عن ايقاعه النثرى .

● تدريبات لقصيدة رائعة

هى اذن معارك دون كيشوتية لم يكن لبدر أن يتورط فيها ، ولكننا نغتفرها له ايضا (كما نغتفر له هفواته اللغوية) لأنه فى عودته الى كتابة الشعر كان محتاجا الى اى كلام يرفع به معنوياته !

أما ديوانه الثانى "السين والطلسم" فقد سلم من هذه الأصوات الطفيلية ، كما سلم القسم الثانى من "تلال من غروب" وقد جعل عنوانه "تدريبات فى الحب" ، والواقع أن هذا القسم ، مع جماله ، يمكن أن يعد "تدريبات" ممهدة لقصيدته الطويلة الرائعة "السين والطلسم" ، وهى جديرة بالدراسة المتأنية لبيان تكاملها الفنى ، أما فى هذه المقالة التى لا ترمى إلى أكثر من تقديم بعض المفاتيح التى يمكن أن تساعد القارىء على الولوج الى عالم بدر الديب ، فيكفى أن نقول إن "السين والطلسم" تبلور الوجه الايجابى فى رؤية بدر للمصير الانسانى ، وهى رؤية

تقوم على أقانيم ثلاثة : "الوجود ، الحب الفن" ، وتنتشر فى جميع أعماله التى نشرت بعد "حديث شخصى" ، وان كانت فى هذه القصيدة بالذات تنعكس انعكاسا مأساويا على الخلفية الوجودية المعروفة : "الزمن ـ العدم" .

* * *

لولا سارتر لما اهتم الناس بالوجودية ، فسارتر عبر عن الفكر الوجودى من خلال رواياته ومسرحياته وبواسطة شخصياته المنتشبة فى حبائل الوضع الانسانى ـ ما نسميه القدر ـ والمحكوم عليها بالاختيار ، ومن خلال مواقفه الشخصية من قضايا عصره ، وايمانه بـ "الفعل" الانسانى خالقا لكيان الانسان . أما الفلاسفة الوجوديون الذين سبقوه ـ كير كجارد وهيدجر وياسيرز ، فلم يستهووا جمهور القراء بلغتهم الموغلة فى التجريد ، واسلوبهم الذى غلب عليه الغموض ، إما لكزازته (عند الأول) وإما لتدفقه وانتشاره (عند الأخيرين) . وقد وجد بدر ضالته ـ حين كان يطلب الفلسفة ـ فى الفكر الوجودى ، الذى يبدأ من التأمل الذاتى (الأنا) لينطلق نحو الخارج فى اتصال شخصى حميم (الأنت) . والانسان فى الفكر الوجودى معرض للسقوط فى كل لحظة ، قادر على التجاوز والتسامى فى كل لحظة ايضا ، وعليه أن يختار !

وقد صور بدر فى رائعته "أوراق زمردة أيوب" سقوط الانسان ، ومحاولته ، وهو فى أشد المواقف الحدية ارهاقا للشعور موقف الموت ـ النهوض من سقوطه ، الى درجة الاشتياق للقاء الموجود الاسمى . فهى فى قراءتى لها رواية "متفائلة" ، اذا أخذت فى التفاؤل والتشاؤم بمعناهما الأخلاقى ، وأخذت الأخلاق أيضا بمعناها المطلق ، المثالى ، غير النفعى ، إنها صورة للمطهر الذى تكتوى فيه الروح بالنار لتسترد جوهرها الصافى . ولكن بدرا حين تجاوز المحنة التى ولدت "أوراق زمردة أيوب" ، أراد أن يفلسف تجربة حياته كلها ، بايجابياتها وسلبياتها ، ولعله كان أميل الى الجانب الايجابى المشرق ، فوجد فى هذين الاقنومين : الحب والفن (والجمال متولد بينهما) سبيله الى الاقنوم الثالث : الوجود ، الوجود الحقيقى ، التحقق الكامل للذات ، الذى يصلها بالكون كله ، وكأنها مالكته .

غير أن النفس لم تسترح ، والفكر لم يستقر ، فهذا التحقق الكامل شىء عزيز جدا ، بل هو "المستحيل" بعينه ! وهو "القيمة" أيضا ، لأنه الشىء الذى تعرف النفس بفطرتها أنه موجود ، بل أنه الموجود الأسمى ، والوجود الأسمى ، وأنه فوق الزمان والمكان ، فوق الانسان ومواقفه ، بل واختياراته أيضا ، وفى هذا محنته !

من هنا كانت فكرة "المستحيل والقيمة : تجربة فى الديالكتيك" . يقول بدر فى مقدمة هذا الكتاب :

"لقد بحثت طويلا عن المستحيل والقيمة واظنني لم اسع الا لذلك فى حياتى كلها ، ولكننى فى كل الزمن الذى مر لم احصل عليهما . لقد بحثت عن المستحيل فى التاريخ وفى الايمان وفى مراتب الوجود المتعددة ، وكان دائما

الوعى ينفى المستحيل، وكان المستحيل يستحيل الى ذكرى.. ولكننى ادركت قبسا من المستحيل والا لما كتبت هذا الكتاب وقد تبين لى بعد ان كتبته المعنى الحقيقى للمستحيل، ومن خلاله ادركت كيف توضع القيمة. ولست أدرى اذا كان من الممكن ان احكى حكاية هذا اللقاء مع المستحيل وموقع هذا اللقاء مع القيمة. فمع مجرد القص يتحدد الوعى ويتحقق التذكر، وينتفى كل منهما" ا. هـ. والمراد بضمير الاثنين هنا هو المستحيل والقيمة.

وانت ترى من هذه الجملة الأخيرة خاصة شدة المعاناة التى يجدها الكاتب الفنان حين يحاول أن يترجم ومضة المستحيل (ما اسميه انا "اللحظة الجمالية") الى كلام يشترك القارىء فى صنع معناه. وللقارىء الذى لم يألف هذا النوع من الكتابة الفلسفية أضع، فى

مقابلة هذه الفقرة التى نقلتها عن بدر، كلاما كنت كتبته قبل اثنى عشر عاما فى مقدمة كتابى "الرؤيا المقيدة"، وهو أشبه بترجمة حرة لما يقوله بدر:

"اديب هذا العصر يعلم ان شخصيته نتاج مجتمعه، وان كل ما يتلقاه من افكار ومشاعر هو من صنع هذا المجتمع، حتى فنه هو أيضا صورة لمجتمعه، ولكن الفن يختلف عن غيره من ضروب النشاط البشرى فى انه لا يتوقف أبدا، ولا يسلم أبدا بما هو موجود، بل يحاول دائما ان يقفز من الآنى الى الدائم، ومن الجزئى الى الكلى، أن يتجاوز حدود الزمان والمكان ليصل الى المطلق. هذه هى رؤيا الكاتب الفنان، ورؤياه هى سر عذابه، وسر القداسة التى تحيط بهذا العذاب. فان كان هناك مطلق فان هذا المطلق موجود متعال عن الانسان. قوم يسمونه الله، وقوم يسمونه الكمال، وقوم يسمونه الفن (اضف هذا الهامش الصغير، وبدر الديب يسميه المستحيل). ولكن هؤلاء وهؤلاء وهؤلاء موقنون انهم لا يستطيعون بلوغه، وانما يستطيعون، بالعرق والدموع واحتراق الأعصاب، أن يقتربوا منه قليلا او كثيرا".

فاذا كنت مثلى ممن يخافون فتنة الألفاظ فقد تقنع بمثل هذه الترجمة، فللألفاظ فتنة لا تقتصر على الخطباء والشعراء بل تتعداهم الى الفلاسفة، وفتنتهم بالالفاظ تتنوع، من جرى وراء اشتقاقاتها، كما يفعل هيدجرت إلى اصطناع مفهوم متميز لكل لفظ من الألفاظ المتعددة التى تتعاور على المعنى الواحد، ثم البحث عن العلاقة بين هذه المفاهيم المفترضة كما يفعل بدر مثلا فى بحث العلاقة بين "المستحيل" و"القيمة"، غير مبال بما يسببه له هذا البحث من ارباك، وللقارىء من حيرة.

ولكن بدرا لن يطيل عليك فى هذا الطرح الفلسفى، فبدر ليس فيلسوفا رغم تربيته الفلسفية، ولكنه فنان بكل "رذائل" الفنانين! واولى هذه الرذائل، والزمها لعملهم، انهم لا يسمحون لاية منظومة فلسفية او ايديولوجية ان تتحكم فى ابداعهم. وابداعهم مرتبط بتجاربهم الشخصية، وهكذا يبحث بدر عن

"المستحيل المتحقق" فى الحب ، وتلهج بذلك معظم قصائد هذا الديوان ، ان لم تكن جميعها ، ولكنك تدرك ولاشك ما فى هذه العبارة "تحقق المستحيل" من

تناقض ، فالمستحيل ـ اى الكمال المطلق ـ مفهوم وجودى لابد لنا من تصوره وقبوله اذا اعترفنا بحركة الوجود (الطبيعى) وأردنا الا نسقط فى العدمية ولكنه "منفى كحقيقة" بنص كلام بدر . واذن فكيف يمكن أن يتحقق الا "افتعالا" و"وهما" (وهما كلمتان يستخدمهما بدر نفسه فى هذا السياق) ، ولكن متى كانت الفلسفة افتعالا وتوهما ؟ أليس الافتعال والوهم قريبين جدا من الرذيلة الكبرى عند الوجوديين : خداع النفس ؟ .

● بين العاطفة والفكر العميق

اما فى الفن فكل شىء مقبول حتى الاوهام ، وقديما قالوا : أعذب الشعر أكذبه ! ومع ذلك فان الوهم الذى يزور الشاعر تلقائيا ودون قصد منه أقرب الى النفس من التوهم الذى يصنعه الشاعر بارادته ، وهذا هو النقد الذى وجهه درايدن قديما الى الشعراء الميتافيزيقيين وهم أساتذة بدر فى هذا الباب ، فهم ملوك "الاستعارة البعيدة" كما كان أبو تمام فى شعرنا العربى . وتسميتهم بالميتافيزيقيين لا تعنى أنهم كانوا أقرب إلى الفلسفة من بدر ، بل العكس هو الصحيح . ولكنهم قوم مزجوا مزجا باهرا بين العاطفة الجياشة والفكر العميق ، ولاسيما فى شعرهم الغزلى . ومن ثم كان احياء مذهبهم ، فى هذا العصر الذى ابتعد عن سذاجة الشعور ، سمة من سمات الحداثة .



جان بول سارتر



مارتن هايدجر

لعل الميتافيزيقيين كانوا أول من ربط بين سكرة الاتصال الجسدى وسكرة الموت ، فكأن الروح ـ فى هذه اللحظة الخاطفة ـ تنفصل عن الجسد ، وكأنها لمحة من الخلود ، أو من المستحيل الذى يتحدث عنه بدر ، ومع أن بدرا يبدو نظريا ، غير مطمئن الى هذا الحل لمأزق

"تحقيق المستحيل" ، وينفى بشدة أن يكون هذا قصده ، فان قصائد هذا الديوان كلها غناء جميل للجسد ، تقوم فيه الاستعارة بدور مهم فى رفع التجربة المحسوسة الى افق يتجاوز الزمان والمكان .

ولكن الصدع يظل قائما بين المستحيل المطلق ، وبين هذا المستحيل الذى يصنعه الحب ، مهما اجهد بدر نفسه فى ترديد كلمة المستحيل فى قصائده ، بل ان الاسراف فى ذلك يزيد بعض القصائد بعدا عن المستحيل الوجودى ، ويجعل الوصف الأليق بها انها "ابيقورية مستقلة" .

هل كان الكتابان الآخران فى هذه الثلاثية : "اقسام وعزائم" و"اعادة حكاية حاسب كريم الدين وملكة الحيات" محاولة للمصالحة أو رأب الصدع ؟ ان بدر الديب يعطيهما عنوانا واحدا : "وراء الكينونة" ، والوراء هنا لا يقصد به الوضع المكانى بل السعى لبلوغ الشيء ، و"الكينونة" و"الوجود" مفهومان متجاوران فى الفكر الوجودى ، واغلب الظن ان بدرا يريد بالكينونة ما يريده هيدجر بالـ Dasein وهو الوجود المتحقق بالصفة ، فى حين ان الوجود المطلق Existeng لا يوصف بشيء . اذن فقد ابتعدنا بعض الشيء عن "المستحيل" الذى هو كمال مطلق ولا يمكن وصفه باكثر من هذا ، واقتربنا من الوجود الفعلى المتحقق ، الذى يمكن أن تكون له صلة من خلال الصفة ، بالكمال المطلق .

اما مقدمة بدر للقسم الأول "اقسام وعزائم" التى يتحدث فيها عن "تجربته" السابقة فى "المستحيل والقيمة" والتجربة الجديدة التى يريد أن يخضع لها مفهوم المستحيل ويستخدمه "كما تستخدم الظروف المعملية ، التى يتحكم فيها الباحث لاجراء التجربة" ، فلا آخذها مأخذ الجد ، بل أمر عليها مرور الكرام كما مررت على عنوانه السابق "تجربة فى الديالكتيك" وان لم أنكر على بدر رغبته فى ان يعامل المفاهيم الفلسفية معاملة المواد أو الظروف – سيان – التى يستخدمها العالم فى مختبره ، فنحن فى عصر العلوم الطبيعية والتكنولوجيا ، واذا كان زولا قد توهم قبل أكثر من قرن أنه يصنع رواية "تجريبية" فلا بأس على بدر اذا توهم ايضا انه يصنع ، بقصصه وشعره ، "فلسفة تجريبية" ، ولكننى أرجوك أن تقرأ معى هذه القصيدة الجميلة التى افتتح بها "اقسام وعزائم" .

"ليس من صنع العينين"

ما نفع ان تهوى بمعنى أن تقع
أو ان تحب فى اتجاه السقوط
اذا كان كل ما فى الدنيا من جمال
من صنع عينيك
بالامس ، بالليل ، ادركت نورا لم ادركه من قبل
فى البدن الذى كان غافيا
فى جوارى .
كان له زمن ، وكان فى مكان ،
ولكن الذى رأيت ، كان نورا
بعدهما .

اى بعد هذا الذى أريد
واى ضوء هذا الذى أرى
فانه على اليقين
لم يكن من صنع عيني"

إذن فالنور، اذن فالجمال المطلق، اذن فالمستحيل، ليس "من صنع العينين"، ليس وهما نصنعه نحن. وهناك جسر بين المادة والروح.

* * *

أما القسم الثاني، "اعادة حكاية حاسب كريم الدين" فهى، مرة اخرى، حكاية بدر! على انه لا يحاول ان يخفى ذلك هذه المرة، بل انه يقدم الرواية على انها "مذكرات شخصية"، كالمذكرات الكثيرة التى تكتب وتنشر فى بلادنا العربية هذه الأيام. ومع أنه يقدم نفسه على أنه "حاسب كريم الدين" ذاته، فانه لا يلبث أن يقول: "وقد حضرت انا فى حاضر العصر والاوان لاعيد كتابة هذه المذكرات".

واذا كان "حاسب كريم الدين" هو بدر الدين، فليس هذا بالمعنى الشخصى، الفردى بل بالانسان فيهما. فهو، اوهما، أيضا بلوقيا، وعفان، وجانشاه، هما الانسان باحثا عن المعرفة، وطامعا فى السلطان، طامحا الى الخلود، وأخيرا هما الانسان مسلما كل كيانه للحب "الذى لا ينتهى ولا حتى بالموت". لكل من هذه الطرق هتاف غامض يدعو إليه الانسان، فيحسب ان فيه كينونته، وجوده الحقيقى المنشود، ولكن الكينونة ليست شيئا، انما هى حالة، والذى وراء الكينونة هو الحب، وهو سياحة مستمرة.

حاسب كريم الدين يصل الى المعرفة الكاملة، ولكنه لا يصل اليها الا بقتلها،

أما جانشاه، الصورة الاخرى من نفسه، "أنا الاخر" كما يقول، فيمضى به الزمن باحثا عن المحبوبة، التى ليست من هذه الارض، ولا يكاد ينعم بها حتى يفقدها، تموت العذراء الأبدية ويبقى العاشق الابدى الى جوار قبرها، ينتظر الموت الذى لا يجيء.

يجمل بدر تجربته "وراء الكينونة"، فى مقدمة الكتاب الاول، على النحو الآتى: "فاننى قد توصلت الى ان السعى وراء الكينونة الذى يجب أن ينتهى الى اكتشاف الذات يؤدى الى قيمة التفرقة التى استخدمتها الف ليلة وليلة بين الصفة والصنعة. فالمرء بالصفة يوجد وبالصنعة يحارس الوجود، والسعى وراء واحدة منهما غير مجد لأنه لا يولد القيمة ... اما اذا اجتمع للمرء الصفة المقترنة بالمستحيل والصنعة المتولدة عن تجربته فقد يجد الكينونة".

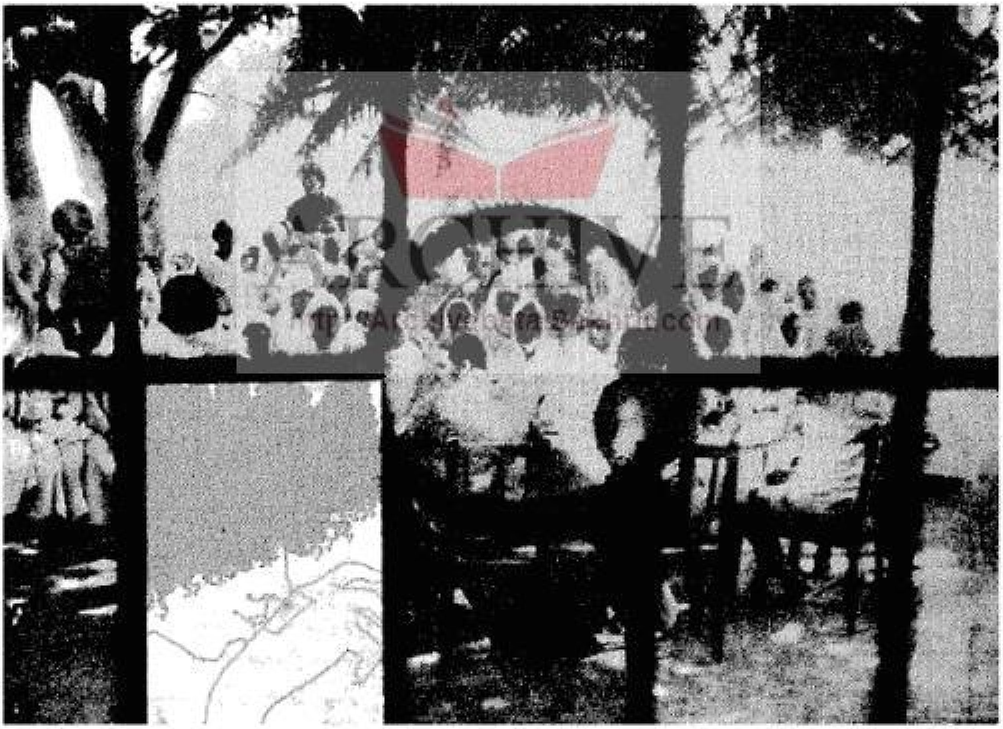
دعك من هذا الوصف المبهم، ولا تطمع ان تحصل منه على شيء، اكثر من ان "الكينونة" اصبحت ممكنة التحقيق، وبغير طريق الحب الجسدى الذى يصنع المستحيل. ولكنك فى منطق الرواية نفسه تجد الفجوة ازدادت سعة بين "الوجود المطلق" المستحيل، الذى لم يعد من الممكن تحقيقه، حتى ولا بالحب ــ فقد اصبح الحب المتحقق، المستحيل، لحظات تفر من اليد، تاركة العاشق فى سياحة مستمرة، أو فى انتظار دائم ــ وبين "الكينونة الممكنة"، كينونة المعرفة التى فقدت الحب، وفقدت الروح.

وفى ظنى ان هذه الفجوة ستظل تقلق بدرا، الى ان يبحث عن تجربة جديدة مع "المستحيل"

الانضباط

أسباب الفقدان وطريق الاستعادة

بقلم: د. مصطفى سويف



لايكتفى العلماء المتخصصون فى دراسة الأمراض العصبية والنفسية بدراسة هذه الامراض عن طريق المشاهدة الاكلينيكية لمرضاهم فى العيادات والمستشفيات . بل يلجئون كذلك إلى ما يعرف بطرق الدراسة التجريبية المعملية فى هذا الصدد . والشىء الجوهرى فى هذه الطرق أن الباحث يستحدث فى معمله ، بطرق فنية معقدة ، نموذجا متكاملا لمجموعة الأعراض والعلامات التى يتشكل منها هذا المرض أو ذاك ، تحت شروط تجريبية معلومة ، ومحكومة ، فإذا تحقق له ذلك تدخل فى النموذج بمعالجات مختلفة لزيادة هذا العنصر على حساب ذاك ، وانقاص ذاك لحساب هذا .

كل خطوة مصحوبة بحسابات معقدة ، وبتسجيل دقيق للمقدمات والنتائج ، ويخرج من هذا كله بإلقاء مزيد من الضوء على حقيقة العلاقات الثابتة والمتغيرة بين عناصر النموذج بعضها البعض ، وكذلك بين النموذج فى جملته وعناصر محددة فى البيئة المحيطة به ، ويعود من هذه الجولة بالقدر من العلم الذى تجمع لديه فى المعمل ، يعود إلى مرضاه فى العيادة والمستشفى ليراجع ويضاهى ، فيجد ما تثبت صحته ويعين على مزيد من كفاءة الفهم والتشخيص والعلاج . ويجد كذلك ما يحتاج إلى مراجعة وتصويب ، فيعود به إلى المعمل مرة اخرى لزيادة التحقق والتعميق ، وهكذا دواليك . على هذا النحو درس العلماء كثيرا من أمراض مرضاهم ، وفى مقدمتها القلق ، والاكتئاب ، والفصام .

اما كيف يتسنى لهؤلاء العلماء ان يستحدثوا نماذجهم المعملية فمن اهم طرقهم فى ذلك استخدام بعض العقاقير المؤثرة فى الجهاز العصبى ، يعطونها لبعض المتطوعين الاصحاء ، فتنشأ لديهم ظواهر شبيهة بظواهر المرض ، ولكن بأقدار محدودة ، وتحت شروط محكومة ، وبصورة قابلة للتراجع والزوال بعد بضع ساعات . ثم إن لهم طرقهم الفنية المختلفة فى الملاحظة والتسجيل . ومن بين العقاقير التى استخدمت فى هذا الصدد عقار المسكالين ، وعقار حامض الليسيرجيك ، وغيرهما .

● اسباب تاريخية للتسيب :

والشيء المهم الذى من أجله سقنا هذه المقدمة ، هو أن « التسيب » الشخصى يمكن دراسته باتباع النهج نفسه .

اما العقار الذى يمكن استخدامه لاستثارة مجموعة السلوكيات المشابهة لما يندرج تحت التسيب فهو القنب او الحشيش . ولايجوز أن يتبادر إلى ذهن القارىء أننى بهذا القول ألجأ إلى المبالغة

او التشبيه او المجاز . إنما هذا القول وصف دقيق لما يترتب من تغيرات فى سلوك الحركة والتفكير والوجدان عند متعاطى الحشيش فى بلادنا ، وفى بلاد العالم أجمع . وقد أوضحت ذلك دراساتنا الميدانية على الاف المتعاطين المصريين ، وبوجه خاص على الآثار طويلة المدى للحشيش الذى ظلوا يتعاطونه لسنوات عدة ؛ كما أوضحته عشرات الدراسات التجريبية المعملية التى اجريت فى أوروبا وأمريكا على الآثار المباشرة او قصيرة المدى للتعاطى . وتشير نتائج هذه البحوث المتفرقة ، ومعها عدد من التقارير الفنية الصادرة من هيئة الصحة العالمية إلى أن المتعاطين المنتظمين فى تعاطيهم لمدد طويلة يفضلون ما يسمى «بالاسلوب المتسيب للحياة» وهى الترجمة العربية للعبارة الانجليزية Loose syle of Life. وانهم بمواظبتهم على التعاطى إنما يسعون إلى دعم هذا الأسلوب فى نفوسهم .

ولايعنى ذلك طبعا الايحاء او التلميح بان كل الأشخاص المتسيبين باى قدر من التسيب فى حياتهم الخاصة والعامة إنما اصيبوا به لأنهم يتعاطون الحشيش ، فهذا كلام واستنتاج لامعنى ولا قيمة له . ولكن كل ما نعنيه هو ان هناك تشابها شديدا بين التسيب السائد لدى الكثرة وبين نمط التغيرات السلوكية التى يحدثها تعاطى الحشيش .. ونعنى كذلك ان هذا التشابه من الدقة بحيث يسمح بدراسة الكثير من جوانب التسيب الشائع وذلك من خلال دراسة أعراض التعاطى طويل المدى للحشيش . ونعنى بعد كل هذا وذاك ان هذا التشابه يطرح سؤالا هاما على النحو الآتى : هل تكون وراء التسيب المستحدث اجتماعيا والتسيب المستحدث كيميائيا (أى عن طريق السعى إلى التعاطى) عوامل نفسية وإجتماعية او بالاحرى عوامل حياتية مشتركة ؟ بعبارة أخرى ، ماذا فى مناخنا الاجتماعى والسياسى والاقتصادى يجعل رد الفعل الشائع عند النسبة الغالبة من المواطنين هو التسيب ، أى التخلى عن الانضباط ، ويجعل مخدرا مثل الحشيش يمكث فى مصر منذ جلب اليها فى منتصف القرن الثانى عشر الميلادى ، ويقاوم عديدا من المحاولات الجادة التى بذلت من جانب الحكام للقضاء عليه ، بل ويصبح ، ويظل حتى الآن ، هو اكثر المخدرات انتشارا بين المتعاطين المصريين ، كما تدل على ذلك أحجام المضبوطات من المواد المخدرة ، ونتائج الدراسات الميدانية المتعددة ؟ . هذا سؤال نثيره للتأمل ، وهو مطروح على كل من يهمه الأمر ، وعلى علماء الاجتماع والتاريخ والساسة بوجه خاص .

● الأسباب القريبة للتسيب .

نترك البحث عن العلل الضاربة فى أعماق التاريخ ، لننظر فى الأسباب القريبة .

جوهر التسيب الشخصى إنما يتمثل فى إسقاط الالتزامات .

وكلما كان الاسقاط شاملا كان التسيب المترتب عليه متكاملا . وأقصر الطرق إلى تحقيق هذا المستوى من التسيب إنما يكون بقطع روابط الشخص بالماضى وبالمستقبل . وفى هذا الإطار تتلاشى تلقائيا وظيفة الحاضر الأساسية ، التى

هى تنظيم العلاقة بين الماضى والمستقبل .

بعبارة أخرى إن أهم مصادر الانضباط الشخصى تغمرنا من منبعين رئيسيين ، هما الماضى والحاضر . فماضى الشخص قيد عليه ، سواء تنبهنا لهذه الحقيقة أم لم ننتبه . وهذا المصدر نفسه ينقسم بدوره إلى مصدرين فرعيين ، أحدهما يحمله الواحد منا فى نفسه ، ومحوره الذاكرة الشخصية ومن حولها راقات متتالية من العادات والقيم والآمال الصغيرة والكبيرة . والآخر يتألف من أصداء أفعالنا لدى الآخرين ، أو ما يمكن أن يسمى ذاكرة الجماعة نحونا ، أو صورتنا كما تتمثلها الجماعة المحيطة بنا . هذا عن الماضى كقيد علينا .

ثم هناك المصدر الرئيسى الآخر ، القيود المفروضة على الشخص من مستقبله ، كما يصوغه هو نفسه فى شكل خطط بسيطة وقصيرة المدى ، أو خطط مركبة وبعيدة المدى ، خطط « يختار » الشخص نفسه أن يلتزم بها ، يختار ذلك فى اللحظات الأولى من صياغتها ، ولكنه لايلبث أن يفقد حرية رفضها أو الحيد عنها كلما تقدم فى تنفيذ مقتضياتها ، فإذا بها تستحيل إلى ماض ذاتى واجتماعى .

هذا سياق نفسى اجتماعى بالغ التعقيد ، وبالغ الأهمية أيضا ، لأنه هو السياق الذى يكشف عن جوهر الالتزام أو الانضباط . من حيث هو حقيقة واقعة (ثقل الماضى) ، ومن حيث هو حقيقة مبتغاة (ثقل المستقبل) . وهو بذلك أحد السياقات النفسية الاجتماعية التى توصف عن جدارة بأنها محورية فى صياغة إنسانية الانسان (أى تحقيق مجموع الصفات المميزة له عن الحيوان) ، وفى التمكين لهذه الخصال الانسانية .

وبقدر ما لهذا السياق من أهمية ، وما يكتنفه من تعقد فى البناء والوظيفة فإنه مرهف ، أى شديد القابلية للتأثر بعوامل الفساد والافساد ، شأنه فى ذلك شأن جميع الأجهزة النفسية الاجتماعية (بل والعصبية) .

كلما ازداد تعقدها البنائى وارتفعت قيمتها الارتقائية فى تحقيق انسانية الانسان ازدادت حاجتها الى الصيانة الراقية ، وازدادت هشاشتها أمام عوامل الفساد والافساد .

وقد تكون هذه العوامل محدودة بالظروف الحياتية للشخص ، كأن يصاب (لأسباب متعددة) بإصابات معينة فى المناطق المنوطة بالوظائف العليا فى الدماغ ، وخاصة فى الفص الجبهى من فصوص المخ (حسبما تشير البحوث النفسية العصبية الحديثة) . غير أن هذا النوع من الظروف لايعنينا فى هذا المقام .

إنما الذى يعنينا هو نوع آخر من الظروف ، عوامل اجتماعية وسياسية وتربوية تتكاتف معا على معاكسة الطريق إلى دعم آليات الربط بين الشخص من ناحية وماضيه ومستقبله من ناحية أخرى . وقد حدث فى تاريخ مصر المعاصر أن تكاتفت هذه العوامل أو الظروف معا تكاتفا شديد التعقيد وشديد الوطأة معا فى السبيل الى معاكسة آليات الربط التى توفر الأساس الطبيعى للالتزام والانضباط .

لننظر ونتأمل فى أحوال مجتمعنا طوال العقود الثلاثة أو الأربعة الماضية ، من بين المعالم الرئيسية المميزة لحياتنا

الاجتماعية طوال هذه الفترة معالم ثلاثة ، نذكرها فيما يلى :

أ ـ التغيرات العنيفة المتلاحقة فى رموز السلطة ، ومطالب الولاء .

ب ـ الالحاح المتصل على تسييس نشاطات المجتمع جميعا .

جـ ـ تعاظم نفوذ أجهزة الاعلام ، وشدة تركزها فى يد الدولة .

هذه هى المعالم الرئيسية التى تعنينا كدارسين للآثار النفسية المترتبة على الحياة الاجتماعية السياسية كما جرت فى مصر طوال النصف الثانى من هذا القرن العشرين . ويستطيع القارىء بشىء من الرياضة الذهنية البسيطة أن يتخيل كيف يكون فعل محصلة القوى الناجمة عن تفاعل هذه المعالم معا فى اقرار مناخ اجتماعى يفعل فعله المتكامل فى تشكيل نفوس المواطنين ، وفى تكريس قيم معينة تدعم نوعا بعينه من السلوكيات ، وتجهض انواعا أخرى . فقد كانت هذه المحصلة فعالة كأقوى ما تكون الفاعلية فى ضرب الجذر النفسى الاجتماعى الذى تقوم عليه روابط المواطن بالماضى والمستقبل (وللامانة فإنها مازالت ، ولكن بصورة أخف وطأة) . وقد ساعدت على ذلك مجموع ملامح اضافية . يأتى فى مقدمتها اهتزاز صورة الدولة بين تعاظم قدرتها على البطش وتضاؤل قدرتها على الرعاية (فى الانتاج والخدمات والدفاع) ، واختلال العلاقة بين العمل والجزاء (ثوابا كان أو عقابا) .

هذا على وجه الترجيح هو ما حدث فى الماضى القريب ، مما أدى إلى إحداث عطب شديد فى الأسس النفسية الاجتماعية للالتزام والانضباط . وقد حرصنا على تقديم الصورة مجملة على هذا النحو حتى لا يتشتت انتباه القارىء فى أمور تفصيلية لا آخر لها ، هى قائمة مافى ذلك شك ، لكن قيمتها محدودة .

● الطريق إلى العلاج :

إذا صح هذا التحليل ، وهو ما نرجحه ، فالطريق واضح إلى استئصال التسيب ، وإستعادة الانضباط ، ونحن نعنى هنا الحد الأدنى لمعنى الطريق ، أى الاتجاه والهدف : لابد من وضع برنامج متكامل لتغيير المناخ الاجتماعى السياسى السائد فى البلاد ، ولا يكون ذلك الا بإعادة النظر فى المعالم الثلاثة الكبرى التى ذكرناها ، وفى اتجاه بعينه : فقد آن الأوان اولا لتحديد الثوابت والمتغيرات فى حياة الأمة ، بحيث تستمد رموز السلطة ثباتها من التصاقها بالثوابت ، ولا يكون الولاء لها إلا بقدر ما يتوفر حولها من دلائل هذا الالتصاق . وآن الأوان ثانيا لتقليص شحنة التسييس التى تسلط على كل نشاط تقوم به لمواصلة حياتنا .

وآن الأوان ثالثا لتخفيف قبضة الدولة على أجهزة الاعلام . وآن الأوان رابعا وأخيرا لان نتنبه إلى أننا (فى المقام الراهن) لسنا بصدد عيوب فردية المنشأ ، رغم أنها تفصح عن نفسها من خلال سلوكيات الافراد . إنما نحن بصدد عيوب اجتماعية المنشأ ، ولن يتيسر إصلاحها إلا بمعالجة أصولها الاجتماعية .

وفى السبيل إلى تحقيق ذلك فإن باب الاجتهاد مفتوح لوضع العديد من الحلول وبدائلها .

أقوال معاصرة


حسنى مبارك

■ « الوحدة الوطنية هى التى جعلت مصر مقبرة للغزاة »

الرئيس حسنى مبارك


نجيب محفوظ

■ « التخطيط لحل مشكلة الديون يجب الا يكون على حساب الفن ، والا اصبحنا مدينين وهمجا فى نفس الوقت »

الأديب نجيب محفوظ

■ « الجماعات المتطرفة قاصرة العقل ، ضحلة المعرفة »

الشيخ محمد الغزالى

■ « الويل لنا اذا كبر الطفل فى داخلنا »

الشاعر الفلسطينى طه محمد على

■ « الاطفال اكثر من الكبار ذكاء وحكمة »

المفكر الامريكى ريتشارد بوسطن

■ « موسيقانا ليست متخلفة ، نحن متخلفون »

الموسيقار اللبنانى سليم سحاب

■ « مارجريت تاتشر هى الرجل الوحيد بين قادة اوروبا »

جاك سوستيل

وزير فرنسى سابق

■ « قضيتنا هى الوحدة الوطنية ، وليست الفتنة الطائفية »

الدكتور قدرى حفنى

استاذ علم النفس

د. عبدالعزيز القوصى



■ « الاحساس بالأمن ينحسر فى مجتمع الزحام والسباق المحموم »

الدكتور عبد العزيز القوصى

■ « الانسان حينما تقوده اهواؤه وغرائزه ، فعليه قبول العيش فى اية غابة من الغابات » ..

الدكتور رشدى فكار

الحب
بعد فوات الشباب

بقلم : د. محمد رجب البيومى

ليس للحب سن يقف لديها ، فالطفل والصبى والشاب والكهل والشيخ ، كل أولئك يحبون ، دون أن يفترق الحب لديهم فى جوهره ، وإنما اشتهر عهد الشباب بالحب ، لأنه عهد الأمل المورق ، والرجاء الواعد ، كما أنه عهد الثورة المتطلعة ، والعزيمة المتقدة ، وللشباب صراحة تعلن المستتر ، وتكشف المكنون ، أما بعد الشباب فإن الهدوء يسيطر لا ليخفى الحب ، بل ليناى به تحت أطباق متراكمة ، فإذا استطاع دخانه أن يتغلب على ما فوقه من رماد ، فإنه ينبعث فى الجو رقيقا متقطعا ، وكأنه يمشى على استحياء وينبعث متمهلا ، لا يرسل الخاطر العابر دون فلسفة شارحة ، ولا يبعث الدمعة المترقرقة دون اعتذار.

والفرق بين حديث الشاب وحديث الشيخ فرق ما بين الرجاء واليأس ، لأن الشيخ لاينسى فى هول مأساته أنه يسبح فى وجه التيار ، وأنه فى أطوائه لايجد العذر الصريح لنفسه ، فكيف يقتنع سواه بمسلكه ! بل إنه ليطيل النظر إلى من يخطرون فى ميعة الشباب متسائلا كيف عجلت به الأيام دون أن تنتظر ، وإذا كان من الطبيعى أن تعجل به ، فكيف لم تعصف بعواطفه المتطلعة ، وهواتفه الظامئة . ولعل شوقى قد صدق فى تصوير إحساس الشيخ ، حين قال على لسان من أحب فى شيخوخة دون أن يملك رصيد الحب ، فانقلب هواه إلى حسد مرير ، وشك قاتل . يقول شوقى فى مسرحية

كليوباترة ، على لسان الشيخ اللهيف :

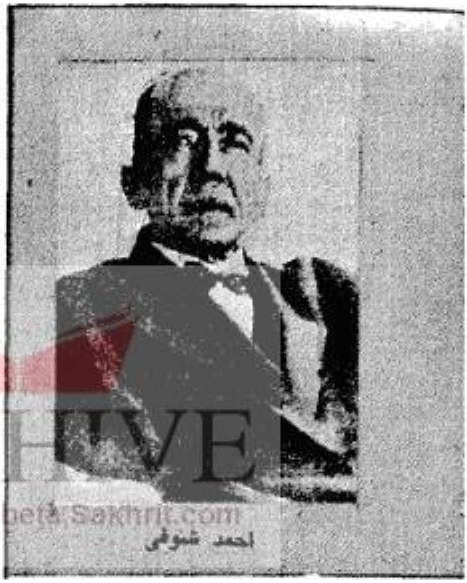
ويحى اين بعد السنين
وقد مررن بلا عدد
تجنى الحسان على ما
لم تجن قبل على احد !
لم الق راسا فاحما
إلا حملت له الحسد !
ووجدت لافح غيرة
بين الجوانح يتقد
فكان ظلمة شعره

فى مقلتىّ هى الرمد
وكانما سرقت ذوا
ئبه الشباب المفتقد
ولو أن لى ولدا فما
ت لما بكيت على الولد
حذرا وخوفا ان يكو
ن بهما تعلق او وجد
شك يعذب مهجتى
إن المشكّك فى كبد

والقلوب الكهلة اعمق من أن يسبر غورها متأمل ، لأن تجاريب الحياة قد احسنت مراسها على الكتمان ، واتقنت مرانها على الصبر ، فمهما تحدث الكهل او الشيخ عن لواعجه فهو يخفى اضعاف ما يعلن ، ولا كذلك الشاب حين يندفع فيصف ما كان ، بل ربما دفعته أحلام اليقظة إلى أن يخلط بين الواقع والخيال ، فيتحدث عما تخيل وكانه واقع «لاشك فيه» ، ودواوين الشعراء تمتلىء بصبوات ذوى الوجوه النضرة والشعر الأسود ، فإذا تغضنت الوجوه ، وابيض الشعر فإن الغزل الأمل ينقلب الى حنين يائس وهذا الحنين يجد مكانه فى النفوس ، لأنه يحمل عنصر الصدق الخالص ، ولذع


اسماعيل صبرى باشا


الآنسة مى


احمد شوقى


شبلى شميل


عباس العقاد

الألم الواخز. وسنحاول أن نلم بأحاديث نفر من الصابرين كابدوا الحب في الغروب، بعد أن نعموا به في الشروق، فلم يعتصموا بالسكوت، وكيف؟! والبوح تنفيس، والكتمان دمار

● اسماعيل صبري

كان أستاذ الشعراء اسماعيل صبري باشا رجل مروءة وتصون، وقد عبر فترات الصبا والشباب دون أن يعرف برح الحب، حتى إذا جاوز الخمسين وصار محافظا للاسكندرية لفت نظره ما للأميرة السكندرة من صيت مدوّ، في عوالم الجمال والجاه والثقافة، فهي وريثة مجد استقراطي هيأها لأن تحوز لقب الامارة، وهي صاحبة ثقافة المعية تعددت روافدها من الفرنسية والايطالية والعربية، ثم هي تدير مجلتين ذائعتين تصدر إحداهما بالفرنسية والأخرى بالعربية، ولها صالون أدبي يزخر بأعيان الفكر والسياسة والثروة، ولها رحلات في الشتاء والصيف إلى أنبه العواصم شرقا وغربا. وقد رأى الشاعر المحافظ أن يكتب في مجلة (أنيس الجليس) التي تصدرها، كما أجبر كبرياءه على أن يتعهدها بالزيارة المتصلة على غير عادته مع الناس!

وإذا كان أصحاب ندوتها من العلية يشاركون في توديعها حين تهم بالسفر، فإن الاكتفاء بالتوديع الصامت لا يشفي غلما يقبلح في نفسه، فلابد وهو الشاعر العاطفي أن يترجم إحساسه مهما وشي بسريرته، وماذا يصنع والحب كالزهر من شأنه أن يفوح، وكالنجم من شأنه أن يومض! وصبري في فنه الشعري لاينضّد القصائد إلا في الأغراض العامة، أما أحاسيسه الذاتية، فيوجزها في مقطوعات لا يتكلف معانيها، ولكنه ينال عن خاطره المباشر، إنه ليخشى أن يتضح وجده ساعة الوداع حين يخذله قلبه فيهوى غير متماسك. ومن هو؟ إنه اسماعيل صبري الذي رفض في إباء مصافحة العميد البريطاني صاحب الحكم في مصر حينئذ، ولكنه لا يرفض أن يسأل قلبه حائرا خائرا.

أترى أنت خاذلي ساعة التو
ديع يا قلب في غد أم نصيري
ويك قل لي: متى أراك بجنبي
راضيا عن مكانك المهجور
لست بعض الحداة بل أنت بعضي
قف قليلا، فلست بالمأجور
ساعة البين قطعة أنت قُدّت
للمحبين من عذاب السعير
لا تحيني روحي الفداء لما حيك
غدا من صحيفة المقدور

ويتوالى الرحيل والاياب، فيكرر الشاعر هتافه الوجداني، وقد منعه توقّره أن يسف، بل حافظ على كرامته، مستشعرا عدم الجدوى من حب غير متكافيء. وقد رحمه القدر حين انتقل من الاسكندرية الى وكالة الحقانية بالقاهرة، رحمه ردحا ما، قدر ما يكلف

اهانته ، ويجفف دموعه ، ولم يدر ان قلب الشاعر اخضر انضر مهما تقدم به

الزمن . واذا كانت الثقافة والشباب والجمال اكثر ما جذبه الى الاميرة السكندرة ، فقد هيأت له الاقدار معشوقة اخرى ، انضر شبابا ، والمع ثقافة من اختها ، وان لم تصل الى محتدها الارستقراطى ، هيأت له الاقدار ان يعشق الآنسة مى ، وهو فى سن الستين ، وهى فى الخامسة والعشرين ، وكانت زينة المحافل الادبية فى زمنها ، يتهافت على ندوتها الشيوخ والشباب معا ، فمن الشيوخ نجد احمد لطفى السيد وشبلى شمّيل ويعقوب صروف ، ومن الشباب نجد عباس العقاد ومصطفى عبدالرازق وانطوان الجميل ومنصور فهمى ! لقد حاول شيخ الشعراء ان يسكت خوالجه فما استطاع .

كما حاول ان يكتفى بالحب الصامت كما فعل يعقوب صروف وشبلى شميل وغيرهما ، ولكن الفرق واضح بين شاعر وعالم فالعالم يملك من وجدانه مالا يملكه فنان تتردد انفاسه بشعره ، وإن لم ينطق . لقد لحظت الآنسة مى مواجده فكانت تخصه بلقاء خاص مجاملة لسنه ومكانته ، اما هو فكان يترقب يوم الثلاثاء ترقب الظامىء للماء العذب ، وهو لا يقدر ان يحبس اشواقه بل يصيح مصرحا غير مجمجم .

روحى على دور بعض الحى هائمة
كظامىء الطير توّاقا إلى الماء
ان لم امتّع بمىّ ناظرىَّ غدا
انكرت صبحك ياليوم الثلاثاء

وفى مى قال اسماعيل صبرى اجمل



مصطفى عبدالرازق   انطون الجميل

ما قال من الشعر ، لأن الغزل الوجدانى كان فنه الاول فى محراب القريض ، وكانت مقطوعات مى فى حرارتها اللافحة ، وبأسها المرير ، ووصفها الدقيق اجمل ما جرى به قلم شيخ الشعراء ، وطبيعى انه لم يكن لينسى انه شيخ وان فاتنته الادبية الرائعة لاتفتأ تذكّره الشباب فيذكره آسيا ، وقد سجّل ذلك حين قال :

تمسى تذكرنا الشباب وعهده
حسناء مرهفة القوام فنذكر
تثب القلوب من الصدور إذا بدت
وتظل من حنق العيون وتنظر
وتبيت تكفر بالنحور قلائد
فإذا دنت من نحرها تستغفر

ومن إكبار إسماعيل فى ملئه ، أن اصدقاءه وتلاميذه جميعا كانوا يعرفون مكمن لوعته ، ثم لا يجرءون على مواساته تهيبا ، حتى اذا انتقل الى جوار ربه اتسع المجال لحافظ ابراهيم كى يقول :

فيلويح قلبك ماذا الح عليه
من الداء حتى انفطر

الحب

ايخفق تحت الدجى وحده
لذكرى اليف سلا أو هجر
فكم لك شكوى هوى أو أسى
لها نفثات تذيب الحجر
هتفت بها مرة في الهجير
فكاد يدب اليك الشجر



حافظ ابراهيم

محمود سامي البارودي

يعقوب صروف

● عباس محمود العقاد

ووقع الشاعر العملاق عباس محمود العقاد في الشرك، لقد ذاق حلاوة الحب في شبابه، وكتب عنه اروع قصائده، ثم تقلبت به شجون السياسة فانتحى معتزلا فترة من الزمن، واذ ذاك هبط عليه الحب بعد الخمسين ليعوضه من لجب المخاصمة، وعراك السياسة ما ينعش الجديب في صمته الراكد، لقد أحب ممثلة حسناء في مقتبل الشباب، وأوحت له من الخواطر ما سجله في بادىء أمره معتزا فخورا ولكن الأمور لا تدوم على حال، فبقدر ما هلل للوافد الجديد، وبقدر ما بذل من شعوره وأعصابه وكرمه سعيدا محبورا كان وقع الصدود على قلبه موقع الحجر الثقيل من رأس عصفور صغير، لقد بكى العملاق وصرخ، وإن شقاء ان يبكى العملاق

على أن الرجل الكبير لم يشأ ان يجعل حبه الغريب موضع سخرية بين المتندرين، فانطلق يكتب بقلم الباحث المحلل، والناقد المفكر، عن دواعي الحب في سن الكهولة، موضحا انه مما لا غبار عليه، بل هو شيء طبيعي لمن جاوز مرحلة الصخب والضجيج، وانتهى الى مرحلة التأمل العاقل، والبحث الوئيد، وقد أسعفه اطلاعه المديد على تواريخ الاشباه من رجال الفكر في الشرق والغرب، فاستشهد

بتوماس هاردي، وجيته الألماني، إذ وقع كلاهما في شرك الصبابة بعد الثمانين، وكلمة الثمانين في هذا المجال مهولة مرعبة، ولكنها كانت عكاز العقاد الذى اعتمد عليه في تبرير

الصبابة لاعند الكهول فحسب بل عند الشيوخ ، وهو يعلم تماما قول من يقول .

ولا كهوى الشيوخ إذا احبوا
وليس وراء غيرتهم بلاء

إن العقاد ينقل عن توماس هاردى قوله «انظر الى المراة فارى هذه البشرة الذابلة تنقبض ، فاتوجه إلى الله مبتهلا إليه : اسالك يارب إلا ما جعلت لى قلبا يذبل مثل هذا الذبول »

فماذا يوحى قول توماس ، إنه يوحى بفزعه المرعب من حب غير متكافىء ، واقول غير متكافىء لان الحب لم يهبط على شيخ فيسوقه إلى عجوز مثله ابدا ، ولكنه يسوقه إلى ذوات النضارة ممن يمشين حالمات فى برد الشباب ! وهنا تقع المأساة ، لان الشابة الحسناء اذا استجابت إلى صبابة شيخ فإنها حين تستجيب تعطف ولا تحب ، وإذا كان الحب عطفا فلن يدوم ، لانه صدقة تمنح ، ولا يعيش إنسان محترم على الصدقات !

اما جيته فقد سلقه العقاد بلسان الملام حين كتب عنه وهو فى سن الأربعين ، يلومه أن عشق فى سن الشيخوخة ، وقد مرت الاعوام على العقاد لتنذره بماساة كماساة جيته ، بل لتجعله يقدم العذر للشيخ الكبير ، على ما افرط من ملام لا مبرر له فيقول :

ياصديقى القديم جيتى اعتذارا
لك من سوء ظنتى وملامى
كنت انعى عليك حبك فى الستين
بنت العشرين فاغفر ملامى
إن عشقنا كما عشقت واوفينا
عليها ، انتقمت خير انتقام !

واعجب ما اضطر اليه العقاد فى بلواه هذه انه اضطر الى ان يتنازل عن حقوقه كعاشق ، فقد كان فى زهو الشباب يحاسب صاحبته اشد الحساب دون ان تذنب شيئا ، وهو الآن يرى الذنب الواضح فيضطر الى التغاضى عنه دون حساب ، بل هو يضطر إلى قبول الخيانه فيقول .

أعفيك من حلية الوفاء
إنك احلى من الوفاء
خونى ، فما اسهل التقصى
عندى ، وما أسهل الجزاء
وليس بالسهل فى حسابى
فقدك بازينة النساء

وإخال العقاد يقول امثال هذه الخواطر فى ساعات الضيق الكارب ، حين تنسد أمامه الأبواب ويقف حائرا لا يعرف كيف يجتاز طريقه إلى الفضاء الفسيح ، لأن مثله فى شموخه وكبريائه فدعانى إعصارا رهيبا ضغط عليه ، حتى هون عليه أن يكتفى بما لا يكتفى به المحب الغيور ، هذا الاعصار الرهيب أحسه العقاد ، وشكا أمره إلى الناس حين قال :

تحديت الحياة فهل جزتنى
بهذا الحب عن هذا التحدى
أعود إلى الحياة لكى الاقى
هموم المستعيد المستعدّ !

● أحمد محرم

أحمد محرم كان الثانى بعد شوقى لدى كثير من النقاد ، لانه يفوق حافظ ابراهيم مبنى ومعنى ، وقد عاش عمره الطويل محروما من الجاه والمنصب ، وإن رزق من الشهرة فى جيله حظا طار به إلى آفاق العالم العربى ، واعجب ما

نراه فى سيرته انه لم يشتغل بغير القضايا الاسلامية والوطنية والاجتماعية فى اغراضه الشعرية اما الغزل فلم يعرف غير نمطه التقليدى يسوقه فى افتتاح القصائد جريا على سنة الأقدمين ، واحتذاء لأستاذ مدرسة البعث محمود سامى البارودى ، حتى رمى فى سن الستين بحب عاصف لاحيلة له فيه ، إذ هام بمدرسة شابة بإحدى مدارس دمنهور ، وهو هيام «يائس عصف بشيخ يائس ، لايملك قوت يومه إلا بجهد جاهد ، وقد كشف الدكتور محمد ابراهيم الجيوشى عن ماساة هذا الغرام فى كتابه عن محرم ، كما حدثنى الأستاذ عبدالمعطى المسيرى صاحب القهوة الأدبية بدمنهور التى كانت لعهده ندوة الأدباء ، ان غرام الشاعر قد ظل شغل الندوة الشاغل ، لأن الشاعر كان يترفع عن مجالسة كثير من المنتسبين للأدب ادّعاء ، فانتهزوا محنة قلبه ليجعلوه موضع التهكم ، إذ يحكون عن الشاعر انه كان ينتظر صاحبته ليحمل حقيبتها مودعا إياها ، حين تسافر ، ومستقبلا ، حين تعود ، وقد سافر إلى بلدتها (ميت غمر) فى الاجازة الصيفية ليحظى برؤيتها من بعد ، وكان يرحل من دمنهور حين تتأزم مشاعره فرارا من تجواله الاضطرارى حول مدرستها دون موجب ، وكانه سجل ذلك حين قال :

عصف الهوى بجوانح المشتاق
وهفا الحنين بقلبه الخفاق
ما يفعل القلب الطروب إذا الهوى
بلغ القرار وجال فى الاعماق
ياصاحبى فيم المقام على الاذى
سر فالبلاد فسيحة الآفاق
ما كنت اوثر ان افارق موضعى
لولا القضاء وحكمة الخلّاق

وقد اشتعلت الحرب العالمية الثانية اثناء صبابته الدامية ، فلم يخصها بقصائد ثائرة كما فعل عند اشتعال الحرب العالمية الاولى ، ولكنه اتخذ شبوب هذه الحرب بابا للحديث عن حرب هواه ، فهى اعظم هولا ، واسوء عاقبة ، فقال .

النار نار الحب لا نار الوغى
لكن من جهل الهوى لا يعلم
كم من دم يجرى بمعترك الهوى
ما مثله فى ساحة الهيجا دم
ما القتل عند ذوى المعارف والنهى
إلا حبيب من حبيب يحرم
يارب كن لاحبتى و (لرفقتى)
فالعيش إن وقع الفراق محرم

هؤلاء ثلاثة من اعلام الشعر لم نشا ان نتجاوزهم إلى شيوخ اخر من غير الشعراء ، كابدوا فى ثلوج الشيخوخة برح الهوى ، ثم كانت العاقبة ان اثاروا الثائرة عليهم دون ان ينالوا بعض ما يرتجون ! ولعل العقاد كان اشد وجيعة حين نقل للقراء قول توماس هاردى إذ رأى غضون وجهه الجهم وبياض راسه الابيض : اسالك يارب ان تجعل لى قلبا يذبل ، كما ذبل وجهى)

وهيهات ! فليست الوجوه كالقلوب .

في البوح

شعر:
حسين علي محمد

مضى النهار
وهاأنا .. وريقة مذعوره
القوا بها للنار
اتى النهار
واقبلت سوسنة صغيره
من يكتب الاشعار
فى جداول الضفيره
وتلكم الوريقة المذعوره
القوا بها للنار!



(٢)

هذى الريح
اناملها السحرية تفجؤنى
وتطاردنى .. كل مساء
اشكو ضعفى
قلة حيلة شعرى
للانواء
اشعلت المصباح بجرحى
بابى مفتوح
للشعر
وللنجم الساطع
والارزاء!

الثقافة بين القراءة والدراسة

الدرس الأول

بقلم: د. أحمد أبو زيد

فى أواخر الاربعينيات جاء الى مصر رادكليف براون وعمل استاذا بجامعة الاسكندرية وانشا فيها معهد العلوم الاجتماعية .

كان رادكليف براون استاذا للانثربولوجيا بجامعة اكسفورد وكان اثناء حياته يعتبر عميدا للانثربولوجيين البريطانيين . وكان مجيئه الى مصر نقطة تحول فى مسار العلوم الاجتماعية حيث عرفت جامعتنا لاول مرة الانثربولوجيا (علم الانسان) كتخصص مستقل له مجالاته ومناهجه ونظرياته . وافلحت الانثربولوجيا فى ان تفرض نفسها فرضا فى وجه المقاومة العنيفة التى كان يبديها علماء الاجتماع والان بعد اربعين سنة تقريبا وبعد ان اصبح لها قسم مستقل وقائم بذاته بجامعة الاسكندرية وبعد ان عرفت الانثربولوجيا طريقها الى بقية الجامعات المصرية والجامعات العربية اخذ الكثيرون ممن لم يتخصصوا فيها اصلا يتمسحون بها ولا يمنعهم حياء او قيم من ان يتولوا تدريسها فى جامعاتنا وان "يؤلفوا" فيها دون ان يكونوا من الانثربولوجيا فى شىء .

كانت الجامعات المصرية فى تلك الحين تعنى عناية فائقة بالمحافظة على مستوى التعليم فيها وتحرص على الاتصال بالعالم الخارجي وارسال البعوث الى اكبر الجامعات فى الخارج واعرقها ودعوة كبار الاساتذة الاجانب فى مختلف التخصصات وفروع المعرفة للتدريس بها والقاء محاضراتهم بالانجليزية والفرنسية الى جانب ما يقوم به الاساتذة والعلماء المصريون انفسهم من تدريس ومحاضرة بلغة عربية سليمة وراقية .. ولم تكن هناك مذكرات تكتب خصيصا للطلاب لانه لم يكن من شأن الاستاذ ان يكتب مذكرات وملخصات سهلة وميسورة لكى يحشو بها الطلاب أدمغتهم ثم يفرغونها بعد ذلك فى كراسات الامتحان وينسون بذلك ما قدم لهم من معلومات سريعة وضحلة ، لا تملأ سوى صفحات قليلة وضعت بين دفتى كتاب .. وكانت مجالس الاقسام والكليات والجامعات تهتم بشئون وهموم اعلى واسمى واكرم من الانشغال بمسألة الكتب المقررة واحجامها واسعارها وما يجب أن

يمتحن الطلاب فيه من هذه الكتب المقررة ، ولم يكن الطلاب انفسهم يتجاسرون على رفع اصواتهم بالشكوى من عدم القدرة على تتبع الدروس والمحاضرات بلغات غير اللغة العربية او من عدم توفر المذكرات والكتب المقررة ، لقد كانوا يدركون انهم طلاب علم وان عليهم ان "يطلبوا" العلم بالفعل بكل ما يتطلبه طلب العلم من بذل الجهد وتحمل المشاق فى التحصيل والفهم والاستيعاب وان ثمة مراجع ومصادر لابد من الرجوع اليها والاستعانة بها وقراءتها ودراستها حتى تصبح المادة العلمية التى يحصلون عليها بهذه الطريقة جزءا من تكوينهم العقلى .

ولقد تتلمذت على رادكليف براون وقمت باعداد رسالتى للماجستير تحت اشرافه . كانت الرسالة عن "الموت والشعائر الجنائزية عند المسلمين فى مصر" ، وذهبت للقائه فى مسكنه الذى يطل على البحر ، واستمع الىّ وانا اعرض عليه تصورى للفكرة والموضوع والمنهج . ثم سألنى اذا ما كنت اعرف الفرنسية ، فلما اجبته بالايجاب اشار الى مقال حول الموضوع فى احد اعداد المجلة السنوية العلم والاجتماع L' Annee Sociologique وهى المجلة التى كان قد اسسها عالم الاجتماع الفرنسى الشهير اميل دوركايم فى اواخر القرن الماضى والتى لعبت دورا هاما فى نشر تعاليم المدرسة الفرنسية فى علم الاجتماع بحيث اصبحت تلك المدرسة وعلماؤها واتباعها يعرفون باسم المجلة ذاتها . وقال لى رادكليف براون : "اذهب اذن وادرس ذلك المقال" . ولما كنت قد اطلعت على المقال من قبل واستعنت به فى الاعداد لموضوع الرسالة قلت له فى



تشارلز داروين



جورج اليوت

شىء من الزهو : "لقد قرأت المقال بالفعل" ونظر الىّ الاستاذ ثم قال فى حزم وصرامة لا يخلوان مع ذلك من رقة وحنو : "لقد قلت لك «ادرس» المقال ولم اقل «اقرأ» المقال" .. وانصرفت وقد فقدت توازنى تماما .. وكان ذلك هو الدرس الاول الذى ظل يلازمنى طيلة السنوات الاربعين الماضية .

ولم تكن المسألة مسألة استبدال كلمة باخرى .. فالكلمة علامة .. والعلامة دال ، ولكل دال مدلول معين ، وانه لابد من مراعاة الدقة فى اختيار الالفاظ تبعا لمدلولاتها .. فالقراءة انواع واشكال ومستويات .. فقد نقرأ للتسلية وتمضية وقت الفراغ او نقرأ للمتعة الحسية او الذهنية ، ولكننا قد نقرأ للفهم والتأمل فى طبائع الاشياء كما هو الحال حين "نقرأ" الطبيعة ونتأمل اسرار الكون والقانون الابدى الذى يحكم عناصره ومكوناته .. اما "الدراسة" فانها تقتضى دائما بالضرورة تسخير القوى الذهنية للتحصيل والاستيعاب . وبذل كل الجهد للتعمق والغوص وراء ظواهر الاشياء وجمع

الدرس الأول

المعلومات الدقيقة الصحيحة فى صبر ومثابرة واناة بحيث تصبح هذه المعارف جزءا من التكوين العقلى للشخص ، وأحد مقومات فكره وشخصيته ومهمة الباحث الاكاديمى هى فى المحل الاول الدراسة الجادة العميقة والصارمة التى لا تقنع بالقراءة السريعة الخاطفة حتى للكتابات التى يطلق عليها احيانا اسم الكتابات الخفيفة . فالقراءة بالنسبة له هى دراسة تستهدف الكشف عن الافكار الراقية العميقة التى قد تختفى وراء اشد الكتابات سطحية وضحولة كما يقول الفيلسوف الاجتماعى هربرت سبنسر . والقراءة بهذا المعنى تصبح قراءة واعية تقوم على الاختيار والانتقاء دون ان تخضع فى الوقت ذاته لكثير من القيود الشديدة الصارمة ولكنها تسمح للمرء بان يرتاد مختلف مجالات المعرفة وينتقى منها حسب معايير دقيقة ويخضع ما يختاره للدراسة العميقة ويتتبع الموضوع الواحد فى كل ابعاده المختلفة بحيث تمتزج هذه المعارف المتنوعة بعضها ببعض وتؤلف وحدة متكاملة تكون هى اساس ثقافته الشخصية .

وتتأثر هذه الاختيارات والانتقاءات بغير شك بالمزاج الشخصى والميول الخاصة والمقدسات والامكانات الذاتية وبالبيئة العامة التى يتحرك فيها الشخص وبكثير من المؤثرات الخارجية وبمجال تخصصه وغير ذلك من العوامل والمؤثرات ، ولكن المهم هو ان يعرف الشخص ماذا يختار وكيف يختار ولماذا يفعل بما يختار لاثراء تجربته الذهنية الخاصة وتوسيع مجالات ثقافته وتنويعها دون ان تفقد خاصة الوحدة والتكامل والعمق .

وارجو ان يُسمح لى بالرجوع الى تجربتى الخاصة المستمرة من مجال تخصصى لتوضيح ما اريد ان اقول .. وهى تجربة تأثرت بغير شك بذلك الدرس الاول الذى تلقيته من الاستاذ فى اول اجتماع لى به وبالانسان هو دائما سجين تجربته الى حد كبير كما ان ثقافته الشخصية هى فى اخر الامر حصيلة خبرته الخاصة فى الحياة .

* * *

كان تخصصى الدقيق ولا يزال هو الانثربولوجيا الاجتماعية التى وضع الانثربولوجيون البريطانيون اسسها ومناهجها وقاموا باهم البحوث الميدانية والدراسات النظرية فيها ولاتزال ترتبط بهم وبتلاميذهم فى كل انحاء العالم . فالمدرسة البريطانية تتبع فى دراستها المدخل البنائى الوظيفى الذى ينظر إلى الانسان ككل من حيث هو كائن عضوى

دور كايم



هربرت سبنسر



حى "انثربولوجيا فيزيقية" يعيش فى مجتمع له نظمه وانساقه الاجتماعية الخاصة "انثربولوجيا اجتماعية" كما ان له تاريخه وثقافته التى تتمثل فى الابداع الادبى والفنى والفكرى الذى يميزه عن غيره من المجتمعات "انثربولوجيا ثقافية" وقبل ان يتخصص الباحث فى اى فرع من هذه الفروع الثلاثة الكبرى التى تنقسم اليها الانثربولوجيا "علم الانسان او دراسة الانسان" ، فلابد له من ان يحيط بها كلها احاطة لا تخلو من تعمق . كما ان دراسة ظاهرة اجتماعية او اى نظام او نسق اجتماعى "وهو المجال الذى تركز عليه الانثربولوجيا الاجتماعية" تتطلب بمقتضى المدخل البنائى الوظيفى دراسته فى كل ابعاده ، اذ مهما يبلغ النظام او حتى الظاهرة من بساطة فان لها ابعادها وجوانبها السياسية والاقتصادية والقانونية والدينية فضلا عن الابعاد الجغرافية والتاريخية وما اليها .. وكل هذه الابعاد تحتاج الى فهم وتحليل وتفسير ولن يتيسر ذلك الا اذا درس الباحث دراسة واعية ومتعمقة اهم الكتابات والنظريات فى التخصصات المختلفة التى سوف تساعد على القاء بعض الاضواء على النظام او الظاهرة موضوع الدراسة ، ومن هنا يجد الباحث نفسه وجها لوجه امام "ضرورة الاختيار" - رغم ما قد يبدو من تناقض بين هاتين الكلمتين - من بين الكتابات ، والنظريات العديدة فى فروع السياسة والاقتصاد والقانون والاديان والكتابات التاريخية والجغرافية بل والادبية والفنية ما يساعده على الفهم والتحليل وهذا الاختيار الواعى والقراءة المتعمقة فى مختلف فروع المعرفة تتجاوز بغير شك المجال الوظيفى او النفعى البحت الذى يقتصر على الافادة منها فى البحث العلمى الدقيق وتؤلف جانبا هاما من التكوين الفكرى والعقلى والوجدانى اى انها تؤلف جزءا اساسيا من ثقافة الشخص الذاتية .

الداروينية والاعمال الادبية

بل ان هذا نفسه ما حدث بالنسبة لفروع الانثربولوجيا الاخرى التى تخرج عن مجال التخصص الدقيق فالانثربولوجيا الفيزيقية هى ابعد الفروع الاساسية - او الفرعية - عن الانثربولوجيا الاجتماعية ولها مجالها الخاص المتميز الذى يدور حول العلاقة بين الانسان من حيث هو كائن عضوى حى ببقية الكائنات العضوية الحية وما يتصل بذلك من نظريات عن التطور وتفرعات الادميات والقرديات والسلالات البشرية والخصائص التشريحية للانسان والحيوانات وبالذات القردة العليا وغير ذلك من موضوعات اقرب الى العلوم الطبيعية منها الى الدراسات الانسانية والاجتماعية . ونقطة الانطلاق فى ذلك هى دائما نظرية داروين عن التطور . ولكن فهم هذه النظرية فهما صحيحا ودقيقا خليق بان يدفع المرء الى دراسة الظروف والاوضاع العامة التى كانت تسود اوربا فى القرن التاسع عشر والتى وجهت داروين بغير شك بطريق مباشر او غير مباشر الى وضع نظريته عن اصل الانواع كما وجهت غيره من الباحثين والمفكرين فى مختلف فروع المعرفة الى انتهاء المنهج التطورى فى دراساتهم المختلفة التى كانت تهتم بالبحث عن اصل اللغة او اصل الدين او اصل الحضارة او اصل

الدرس الأول

القانون والاخلاق وتطورها بل وانتقال ما يعرف باسم "الحبكة" الداروينية الى الاعمال الروائية فى القرن التاسع عشر مثل اعمال الروائية البريطانية الشهيرة جورج اليوت التى لا يعرفها الكثيرون فى مصر والعالم العربى وما يثيره ذلك من رغبة فى قراءة هذه الاعمال تلك القراءة المتأنية المتعمقة التى هى اقرب الى الدراسة منها الى قراءة المتعة الحسية والفنية والجمالية وما يستتبع ذلك من اهتمام بدراسة بعض الكتابات الاخرى التى ظهرت عن جورج إليوت واعمالها ورسائلها وحياتها الموزعة بين زوجها وصديقها على اساس ان كل هذه الكتابات تكشف عن عمق العلاقة بين العلم والادب وهى النظرة ذاتها التى يمكن ان ننظر بها الى حياة داروين نفسه وعلاقاته الخاصة الحميمة ومذكراته ومراسلاته التى تكشف عن بعض جوانب الضعف الانسانى منه والتى ظهرت فى طبعة جديدة وكاملة منذ خمس سنوات فحسب . فمثل هذه القراءات الواسعة المتعمقة هى التى ترتفع بنظرية داروين من مستوى الاستعمال الوظيفى المتقعى البحت الى مستوى الثقافة الراقية التى تقوم على الدراسة والفهم والاستيعاب والتمثيل والتى تزول فيها الحواجز بين العلوم الطبيعية والدراسات الانسانية وتكشف عن التكامل بين ما يسميه C. P. Snow بالثقافتين .

● التكوينان الفكرى والثقافى

كان الفكر السوسيولوجى السائد فى الاوساط الجامعية فى مصر فى أواخر الاربعينيات والخمسينيات هو فكر المدرسة الفرنسية وكانت المجلة السنوية لعلم الاجتماع التى اسسها دوركايم هى الاداة الرئيسية لنشر اعمال علماء هذه المدرسة على ما ذكرنا .. ولكن اهمية هذه المجلة كانت تقوم ليس حول الدراسات العميقة الاصيلة التى كان ينشرها هؤلاء الاساتذة العلماء والتى لم تكن تزيد فى معظم الاحيان عن مقالين او ثلاث بقدر ما كانت ترجع الى باب عرض الكتب الذى كان يشغل القسم الاكبر من المجلة على اى حال وكان يعرض بالدراسة والتحليل او التلخيص الوافى الدقيق لعدد كبير جدا من الكتب والبحوث التى صدرت خلال العام باللغات الاوربية المختلفة والتى تتناول كل فروع علم الاجتماع من اقتصادية وسياسية وقرابية ولغوية وجمالية ودينية الى جانب النظريات الاجتماعية وتيارات الفكر السائدة فى العالم ، وكان يتولى تحليل هذه الاعمال وعرضها كبار الاساتذة فى فرنسا وخارج فرنسا مما كان يتيح لقارىء المجلة فرصة متابعة ما يجرى فى مجال العلوم الاجتماعية من اسهامات واضافات جديدة .

وكانت المدرسة الفرنسية تعتبر السوسيولوجيا "علما" بالمعنى الدقيق للكلمة وتنادى بضرورة تطبيق المنهج العلمى فى مجال البحوث السوسيولوجية وفى كتابه الشهير "قواعد المنهج فى علم الاجتماع" الذى نقله الى العربية الاستاذ المرحوم محمود قاسم العميد الاسبق لكلية دار العلوم وراجع الترجمة الاستاذ الدكتور السيد محمد بدوى استاذ علم

الاجتماع بجامعة الاسكندرية وضع دوركايم قاعدته المنهجية الاولى التى تنص على انه "يجب ان ننظر الى الظواهر الاجتماعية كما لو كانت اشياء" اى انه يجب ان ننظر الى الظواهر الاجتماعية بنفس النظرة التى ننظر بها الى الاشياء المادية المحسوسة او المشخصة العيانية التى هى موضوع العلم الطبيعى وان تستخدم فى دراسة تلك الظواهر مناهج العلوم الطبيعية . ولكن هذا الاتجاه كان يقابله اتجاه اخر معارض تمثل بوجه خاص فى ظهور كتاب لعالم فرنسى هو جول مونرو وكان يحمل عنوانا طريفا هو "الظواهر الاجتماعية ليست اشياء" وفيها يتبع الكاتب المنهج الفنومنولوجى لدراسة السلوك الاجتماعى بحيث يغوص الباحث او الدارس الى ماوراء المظاهر الخارجية الملموسة ، وكان لابد للباحث الجاد من ان يدرس الاتجاهين معا وان يتعرف الاصول الفلسفية لكل منهما بصرف النظر عن المدخل الذى يتبعه فى بحوثه الخاصة . وكانت هذه الدراسات المتعمقة تدخل فى اخر الامر فى التكوين الفكرى والثقافى للباحث فى العلوم او الدراسات الاجتماعية ويتجاوز مجال التخصص الضيق الدقيق وان لم يتعارض معه وقد ظلت مشكلة العلاقة بين مناهج العلوم الطبيعية والدراسات الانسانية تشغل بال الباحثين فى العلوم الاجتماعية لسنوات طويلة ولا تزال تعتبر حتى الان من اهم القضايا التى تستنفد كثيرا من الوقت والجهد .

● رياح التغيير

وفى اوائل الخمسينيات ارسل الاستاذ تلميذة الى اكسفورد بعد ان تبين له انه استوعب الدرس الاول . ومع ان اكسفورد كانت فى ذلك الحين قلعة الانثربولوجيا الاجتماعية فى بريطانيا والعالم اجمع وكان اساتذة المادة وطلابها يتبعون بدقة والتزام شديدين مبادىء وقواعد المدخل البنائى الوظيفى فان بعض رياح التغيير والتجديد كانت تهب عليها من القارة الاوربية وبوجه خاص من المانيا ، وكان الاهتمام بكتابات المفكرين الاجتماعيين الالمان يتزايد باستمرار وكان فى مقدمة هؤلاء المفكرين العالم الاجتماعى الفيلسوف المؤرخ .. فيلهلم ديلتاى Wilhelb Dilthey ، ففى عام ١٩٥٢ اصدر الاستاذ هودجز كتابا عن "فلسفة فيلهلم ديلتاى" اثار اهتمام المشتغلين بالعلوم الاجتماعية بوجه عام وكان قد صدر له قبل ذلك ، وفى ١٩٤٤ ، كتاب اخر عن هذا الفيلسوف الاجتماعى الالمانى نفسه كان بمثابة مقدمة لاعماله وتفكيره ، ولم يكن ديلتاى من المفكرين الكتاب الذين يسهل "قراءة" اعمالهم نظرا لتشعب الموضوعات التى تناولها وصعوبة اسلوبه حتى فى الترجمة الانجليزية انه كان ينظر الى العالم نظرة شاملة كلية انعكست فى القضايا التى كان يثيرها فى كتاباته .

وكان ديلتاى يميز بين نوعين من المعرفة او من "العلم" بالمعنى الواسع للكلمة وهما العلم بالمعنى الدقيق الذى يبحث عن القوانين ، والعلم الذى يهتم بما هو فردى ويتبع منهجا وصفيا بحتا ويقوم فى اساسه على "الفهم" . فالعلم الطبيعى يدرس ظواهر الاشياء دون ان يهتم بداخلها لانه ليس للاشياء الطبيعية داخل او باطن وذلك بعكس

الانسان الذى هو موضوع العلم الانسانى .. ومن هنا كان ديلتاى يرى ان العلم الطبيعى لا يفعل شيئا سوى انه يشرح الظواهر والاحداث عن طريق ربطها بغيرها من الظواهر التى تتلاءم مع القوانين العامة التى لا تكشف شيئا عن الطبيعة الداخلية لتلك الاشياء او الظواهر والاحداث التى تدرسها ، بينما تتطلب دراسة الانسان الغوص تحت الافعال الظاهرية التى تخضع للملاحظة ، وذلك بقصد تعرف العناصر الداخلية .. ففهم افعال الانسان تتطلب معرفة افكاره ومشاعره ووجداناته ورغباتـه وميولـه واحكامه التقويمية والاغراض التى توجهه وتملى عليه تلك الافعال . ولن يتيسر للباحث الوصول الى هذا الفهم اذا هو اكتفى بملاحظة اى حادث مفرد او وصف اى فعل فردى ، وانما يتيسر له ذلك اذا هو درس ذلك الحادث ضمن السياق العام الشامل . وديلتاى له عبارة مأثورة تكشف عن اتساع النظرة وشمولها اذ يقول : "ليس هناك تاريخ قومى وانما هناك تاريخ اوربى ، وليس هناك تاريخ اوربى وانما هناك تاريخ للعالم كله" ومعرفة ذلك التاريخ تتطلب دراسة عدد من العلوم المختلفة التى تتراوح من علم النفس الى التاريخ الى الانثروبولوجيا الى الفقه الى النظرية السياسية الى النقد الادبى وغيرها فهنا فقط تسقط الحواجز المفتعلة التى تؤدى الى التخصص الضيق - دون أن تتعارض مع ذلك مع قيام التخصصات المختلفة ذاتها ولكنها تؤدى الى ظهور ذلك التكوين الفكرى الشامل الذى تسميه الثقافة والتى تحتاج الى قراءات واعية ودراسة تفصيلية حتى تصبح جزءا من كيان الشخص ذاته .

ولم تكن اعمال ديلتاى نقلت كلها الى الانجليزية او الفرنسية فى ذلك الحين ، ولذا فقد انقضت سنوات طويلة قبل ان تتاح قراءة بعضها فى هاتين اللغتين ولكن الاهتمام بهذه النظرة الشاملة الى المعرفة الانسانية ومحاولة تخطى الحواجز كانت تظهر لدى عدد من المفكرين الفلاسفة المعاصرين الذين اثاروا بكتاباتهم اهتمام الكثيرين من الدارسين الجادين المؤمنين بوحدة المعرفة وبضرورة الجمع بين "الثقافتين" فى تكوينهم الفكرى .. واحد هؤلاء المفكرين الفلاسفـة كان هـو الفيلسـوف البريطـانى روبين جورج كولنجوود الذى لم يلق ما يستحقه من اهتمام وعناية اثناء حياته وان كان بدأ الاقبال على اعماله يزداد فى السنوات الاخيرة بحيث اصبحت افكاره واراؤه ونظرته الشاملة المتكاملة الى المعرفة تؤلف اساسا ثقافيا صلبا لدى الكثيرين فى الخارج ، وثمة ما يدل على ان هذه الافكار بدأت تجد طريقها فى دأب واطراد الى عدد من المثقفين فى مصر وان كانت بعض اعماله الرئيسية نقلت بالفعل الى اللغة العربية منذ سنين مثل كتابه "فكرة التاريخ" .

وعلى الرغم من ان كولنجوود امضى حياته فى اكسفورد منذ كان طالبا حتى مات عام ١٩٤٣ وهو استاذ للميتافيزيقا هناك فان علاقاته السيئة بزملائـه وسخريته اللاذعة من اعمالهم واهتماماتهم وقفت حجر عثرة دون انتشار افكاره على الاقل بين الفلاسفة ودارسى الفلسفة وان وجدت اهتماما لدى بعض المشتغلين

بالعلوم الاجتماعية من ذوى النظرة العامة الشاملة .. فلقد كان كولنجوود يرى ان كل تاريخ هو فى اخر الامر تاريخ للفكر وانه لن يصبح معروفا الا من استثارة ذهن المؤرخ الذى عنى بدراسة ذلك التاريخ ، وقد كان الموضوع الذى شغل ذهن كولنجوود طيلة حياته هو البحث فى العلاقات - وفى اوجه الشبه او الاختلاف بين الفن والدين ، والعلم والتاريخ والفلسفة التى كان يعتبرها احيانا اسلوبا وطريقة للحياة واحيانا اخرى انواعا او نماذج من التجربة واحيانا ثالثة الوانا وحالات من المعرفة ، وكان يجاهد فى كل كتاباته لوضع "دستور" لمملكة المعرفة .. يصلح اساسا للتمييز بين التاريخ والعلم على ما فعل ديلتاى وكذلك التمييز بين الفلسفة والدين وتوضيح ما بينهما من علاقات رغم كل الاختلافات التى تقوم بينهما وعبر عن ذلك فى كتاب له يحمل عنوانا له مغزاه وهو "خريطة المعرفة" حيث يعالج فيه عددا من المشكلات فى وقت واحد ، وكلها مشكلات تنجم عن التفكير والتامل فى كل مجال التجربة الواسع العريض المتنوع ودراسة تلك الاعمال التى تركها كولنجوود وقراءتها قراءة واعية متعمقة تقوم على التركيز الشديد والعمل الذهنى الشاق تكشف عن طبيعة الثقافة الجادة العميقة العريضة وتفتح مجالات ثقافية واسعة امام الفكر والوجدان .

● تنوع الثقافة

بيد ان المفكر العالم الذى الح اكثر من غيره فى الكشف عن اتساع افاق الثقافة وتنوعها وتكاملها وفتح ابواب هذه الثقافة العريضة على مصاريعها على



د . محمود قاسم عميد
كلية دار العلوم الاسبق

الاقل امام المشتغلين بالانثربولوجيا وخرج بهم من نطاق التخصص الدقيق الضيق الى مجالات الحضارات الانسانية المختلفة فى مختلف عهودها وصورها كان هو عالم الانثربولوجيا البريطانى الكبير سير جيمس فريزر الذى يعرفه العالم العربى بكتابه الشهير "الغصن الذهبى" وان كانت له كتب ومقالات ودراسات اخرى عديدة ومتنوعة تملأ عناوينها اربعين صفحة كاملة ، وكثير من تلك الكتب يقع فى عدة مجلدات ، وكتاب الغصن الذهبى نفسه يقع فى اثنى عشر مجلدا .. ويدور هذا الكتاب الضخم حول اسطورة واحدة قديمة عن كاهن احدى الالهات الذى يتعين عليه لكى يصل الى ذلك المنصب السامى ان يقتل الكاهن المقدس الذي يحتل ذلك المنصب بالفعل ويستولى منه عنوة على السلطة بنوعيها .. السلطة الزمنية والسلطة الدينية . ومن هذه البداية البسيطة يتتبع فريزر الاسطورة فى كل اشكالها وصورها فى مختلف العصور والثقافات القديمة والبدائية مع تحليلها تحليلا دقيقا وتفصيليا بحيث يحيط بكثير من جوانب

الدرس الأول

الحضارات الانسانية بمختلف نظمها الاجتماعية والقانونية والدينية والاخلاقية مما يحمل القارىء الدارس الجاد الى الرجوع ليس فقط الى اعمال فريزر اخرى بل وايضا الى اعمال وكتابات اخرى كثيرة فى الانثربولوجيا والاداب الكلاسيكية وتاريخ الاديان وتطور الفكر الانسانى وتاريخ الحضارات وتاريخ القانون واللغة وغيرها مما يكشف فى اخر الامر عن وحدة المعرفة الانسانية وتكامل الثقافات بل ووحدة الانسانية ككل . وهو المبدأ الذى يميز الفكر الاوربى فى عصر التنوير .

وكتابات سير جيمس فريزر تعكس تجربته هو نفسه وثقافته العريضة الواسعة العميقة المتنوعة وتكشف عن شمول نظرته الى العالم والى الكون والى الانسان والمجتمع والحضارة الانسانية فقد تأثر بعلماء ومفكرين افذاذ من امثال جورج جيلبرت رامساى استاذ الكلاسيكية فى جامعة جلاسجو والذى غرس فيه حب الاداب الكلاسيكية القديمة ، وجون فايتش استاذ المنطق والميتافيزيقا وتعلم منه كيف يعرض افكاره فى تسلسل ووضوح مهما بلغت تلك الافكار من تشعب وتعقد ، كما تأثر بالاستاذ اللورد كلفن عالم الفيزياء التى كانت تعرف باسم الفلسفة الطبيعية وعرف منه ان ثمة نظاما عقليا دقيقا يحكم الطبيعة ويسيطر على احداثها وان الكون يخضع لمجموعة من القوانين الثابتة التى يمكن التعبير عنها فى صيغ ومعادلات رياضية دقيقة ومضبوطة .

ونتيجة لكل هذه التأثيرات وامثالها امتزج فى ذهنه الفيزياء والبيولوجيا بالادب بالفلسفة بالمنطق باللغات القديمة دفعه ذلك كله الى محاولات تعرف طبيعة النفس البشرية ، والتغلغل الى اعماقها لكشف عن مكنون اسرارها وكانت وسيلته الى ذلك دراسة ثقافات الشعوب من خلال الاساطير والاداب الشعبية والمعتقدات وهو يظهر بوضوح فى اعماله الموسوعية وبخاصة فى كتابه "الغصن الذهبى" . والقراءة الواعية لهذه الكتب تحمل القارىء الدارس الجاد الى ارتياد بعض هذه المجالات حتى يمكن فهم اعمالها واستيعابها بحيث تصبح جزءا من ثقافته الشخصية . وثمة كتابات واعمال كثيرة تمهد الطريق وتهيىء الدارس للغوص فى اعمال فريزر مثل كتاب بلفنش عن عصر الخرافات الذى يعرض فيه باسلوب ادبى راق طائفة من الاساطير اليونانية الرومانية التى اوحت لكثير من الشعراء بموضوعات قصائدهم مع ذكر نماذج مختارة من هذه القصائد التى تعتبر قمة الشعر الانجليزى فى مختلف العصور ، او كتابات واعمال الاستاذ جلبرت مرى احد كبار اساتذة الكلاسيكيات وبخاصة كتاباته عن الدين ومراحله عند اليونان وكتاباته عن الملاحم وخصائص الشعر الملحمى وكلها اعمال تحتاج الى الصبر والمثابرة فى دراستها وفهمها والانفعال بها وتمثلها .

* * *

وربما كان اهم مايميز الانسان عن سائر الكائنات والمخلوقات هو البحث عن معنى الاشياء واثارة التساؤلات ومحاولة الوصول الى اجابات لهذه التساؤلات . كما انه هو الكائن الوحيد الذى استطاع ان ينتج ما نسميه بالثقافة بكل مظاهرها ومكوناتها المادية وغير المادية وان يدرك اثناء ذلك مدى

اتساع وتنوع مجالات المعرفة وان امكانات البحث فيها لا تكاد تتوقف او تنتهي عند حد وان العقل الانساني لا يتوقف ابدا عن ملاحقة ومتابعة تلك المجالات المتشعبة المتشابكة بكل ما تتطلبه تلك الملاحقة والمتابعة من جهد ووقت وصبر ومثابرة . وطريق الثقافة طويل تكتنفه المشاهد والصعوبات ، وان كان كثير من هذه الصعوبات هي من خلق الانسان نفسه لانه هو الذى كثيرا ما يفرض على نفسه القيود والحدود التى تمنعه من الانطلاق فى شتى المجالات والانحصار فى حدود تخصصه الدقيق مما قد يؤدى به الى العزلة عن التيارات الفكرية والاتجاهات الادبية والفنية المختلفة . والى العجز عن الاحاطة الشاملة باى مشكلة من المشكلات التى تعرض له .

ولقد شغلت مشكلة العلاقة بين مختلف العلوم والدراسات كثيرا من العلماء الذين حاولوا تجاوز الصراع التقليدى بين العلم والانسانيات والعمل على التقريب بين "الثقافتين" وبالتالى اخراج اصحاب التخصصات المختلفة من القوالب الجامدة التى فرضوها على انفسهم .. وهذا يصدق على مصر والعالم العربى مثلما يصدق على بقية انحاء العالم .. وربما كانت كلمة "ثقافة" تصدق على الانسانيات وعلى العلوم الاجتماعية اكثر مما تصدق على العلوم الطبيعية على الاقل فى نظر الكثيرين ممن يشتغلون بتصنيف العلوم والمعارف - وان التخصص فى فرع من فروع الانسانيات كثيرا ما يحتاج الى معرفة واسعة ببقية الفروع بل والى اطلاع واسع على منجزات بعض العلوم الطبيعية كما رأينا من الامثلة السابقة ، ولكن ليس ثمة ما يمنع اطلاقا من تخطى الحواجز التى تفصل بين تلك التخصصات الدقيقة المختلفة والعمل على ازالتها او التقليل من ارتفاعها وسمكها واقامة قنوات الاتصال بين مختلف فروع المعرفة دون ان يتعارض ذلك مع التخصص الذى هو بلا جدال سمة العصر .

والوسيلة الوحيدة لذلك هى القراءة المتعمقة المتأنية الواعية التى قد تنطلق اساسا من مجال التخصص الدقيق ولكنها تحاول ارتياد افاق المعرفة المختلفة التى تتصل بذلك التخصص اتصالا مباشرا او غير مباشر لكى نتعرف على الطرق والاساليب والمناهج التى يطبقها اصحاب التخصصات الاخرى فى تفكيرهم ودراساتهم والوصول الى احكامهم والمنطق الذى يعتمدون عليه فى تبرير تلك الاحكام فالمهم هو فهم العمليات الذهنية التى يعتمد عليها اصحاب التخصصات المختلفة حتى يمكن اقامة جسور قوية ومتينة بينهما . وصحيح ان ذلك لن يتيسر الا من خلال التربية الطويلة التى تبدأ منذ الطفولة ، ولكن القراءة الواعية او الدراسة المتأنية المتنوعة التى تستمر طيلة الحياة هى التى تساعد المرء فى النهاية على الاستيعاب وعلى تمثيل المعلومات والمعارف بحيث لا تكون مجرد نوع من "حشو الدماغ" بمعلومات كثيرة متنوعة ومتنافرة ولا معنى لها ، بل تتحول الى ثقافة متكاملة تساعد الانسان على ان يتخذ موقفا معينا من الحياة . ومن العالم الذى يعيش فيه وتدفعه دائما فى الوقت ذاته الى ارتياد افاق ومجالات جديدة من المعرفة .



مكرم عبيد

بقلم: كمال النجمي

السياسي الكبير المرحوم مكرم عبيد باشا . صدر أخيرا كتاب عن حياته وجهاده ومكانته السياسية والادبية في عصره ، ومابقي منه للجيل الحاضر والاجيال القادمة ..

مؤلفة الكتاب هي السيدة منى مكرم عبيد ابنة شقيق هذا السياسي الكبير الذي ترك دويا في عصره مازال يتردد صداه في الاسماع ..

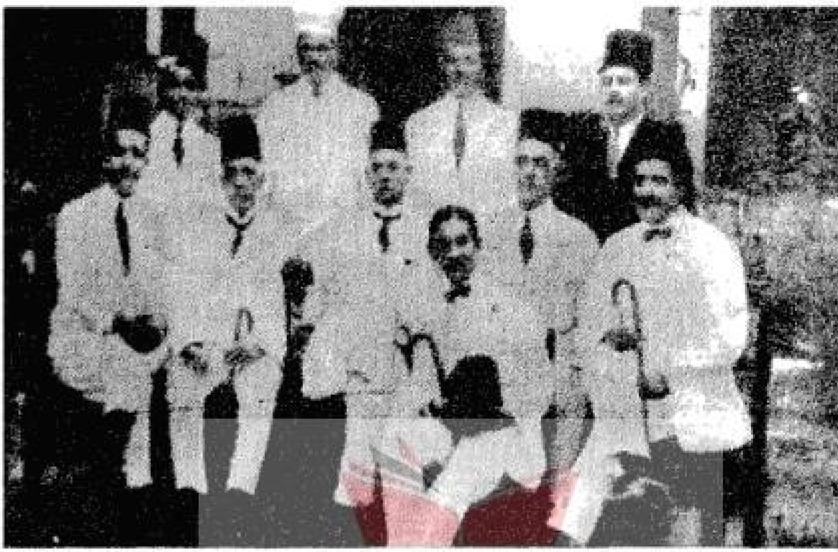
يتضمن الكتاب مقالات لبعض المشاهير من السياسيين والادباء والصحفيين كتبوها قديما او حديثا عن حياة مكرم عبيد وعمله الوطني والسياسي ، ومكانته في الخطابة والكتابة ، وأثره في الوحدة الوطنية المصرية ، وفي الاتجاهات العروبية في مصر والبلاد العربية ..

من أبرع مقالات هؤلاء الكتاب ، مقالة للأستاذ عباس محمود العقاد ـ رحمه الله ـ تضيء ناحية لم يتطرق اليها أحد ممن كتبوا عن مكرم عبيد باشا في حياته وبعد مماته ، وهي ناحية تكوينه الثقافي والأدبي الذاتي الذي جعل منه خطيبا مصقعا ، وكاتبا بليغا ، مع أنه لم يدرس الأدب العربي دراسة منتظمة ، لا في الأزهر بطبيعة الحال ، ولا في دار العلوم ولا في مدرسة المعلمين العليا ، بل لم يتح له أن يتلقى دراسته العالية باللغة العربية ، لأنه تخرج في جامعة اكسفورد الانجليزية سنة ١٩٠٨ ، ثم في جامعة ليون الفرنسية سنة ١٩١٢ ، وعين سنة ١٩١٥ سكرتيرا للمستشار القانوني الانجليزي في الحكومة المصرية ، فلبث لايتكلم ولايكتب الا بالانجليزية الى سنة ١٩١٩ إذ حفزته الثورة الوطنية الى ترك هذا العمل الذي كان يعيش فيه مغتربا عن لغة بلاده ، بل لغة أهله وقرابته الأدنين في مسقط رأسه "قنا" بالصعيد الأعلى ..

● خطيب مفوه

وفي سنة ١٩٢٠ ضمه سعد زغلول

خريج المدرسة الفنانية



مكرم عبيد مع سعد زغلول ومصطفى النحاس وعاطف بركات وسينوت حنا

باشا "الى "الوفد المصرى" الذى وكلته الأمة المصرية للمطالبة بحقها فى الحرية والاستقلال بزعامة سعد ، فبزغ مكرم عبيد - فجأة - خطيبا عربيا فصيحا ، وكاتبا أديبا مبينا ، وهو الذى عاش مغتربا عن لسانه العربى طوال دراسته فى انجلترا وفرنسا ، ثم خلال عمله مستشارا لكبار الموظفين الانجليز فى الحكومة المصرية حتى ظن من عرفوه فى تلك الفترة أنه قطع ما بينه وبين لغة أهله وعشيرته الى الأبد ..

فكيف لم تتمخض هذه الغربة الطويلة عن رجل متفرنج أو مستعجم معوجّ اللسان عاجز عن البيان بلغة العرب ، وكيف انجلى غبار تلك السنين الطوال عن خطيب من أخطب الخطباء ، وأديب من أبين الأدباء ؟! .

● ما تفسير ذلك ؟! ..

لقد استوفى الأستاذ العقاد جواب هذا السؤال فى مقالته البارعة عن مكرم عبيد التى حرصت السيدة منى عبيد على نشرها فى كتابها القيم .. وكانت هذه



المقالة قد نشرت منذ ستة وأربعين عاما فى كتاب "المكرميات" الذى جمع فيه الصحفى الكبير المرحوم أحمد قاسم جودة طائفة من خطب مكرم عبيد وأقواله ... وجاءت السيدة منى عبيد فضمت هذه المقالة الهامة الى كتابها الذى كأنه جزء ثان من "المكرميات" بعد الجزء الأول الذى أصدره المرحوم أحمد قاسم جودة ..

قال العقاد عن سر الفصاحة والبيان فى خطابة مكرم عبيد وكتابته :

".. فصاحب المكرميات بحق ، وليد مدرسة عريقة فى قديمها وحديثها .. ومن عرف هذه الحقيقة ، عرف لماذا يعنى صاحب المكرميات بجمع هذه المحسنات فى نثره ، فلا تخلو خطبه أو فصوله من سجع تتلوه تورية ، ويمتزج بها جناس هنا وطباق هناك ، ولايزال موفقا فى اختيارها كل التوفيق حيثما ذهب طوع السليقة فى هذه الخطب والفصول .. فلا يسع القارىء الذى يتابعها إلا أن يرى فيها الأسلوب الطبيعى المعقول لمن ورث ذخائر المدرسة القنائية من يوم إحتفظت بروح النثر والشعر كما صاغها البهاء زهير وابن مطروح والقاضى الفاضل والعماد" ..

هكذا تحدث العقاد عن مكرم عبيد ابن مدينة قنا وابن المدرسة القنائية فى الأدب والشعر .. فما هى هذه المدرسة القنائية ؟! ..

يقول العقاد :

"كان أول اشتغالى بوظائف الحكومة فى إقليم قنا ، وهو أقرب الاقاليم الى بلدتى أسوان ، فرأيت فى قنا عجبا بين البلاد المصرية فى ذلك الحين ، وأعنى به تلك الحركة الأدبية التى تعد تالية لحركة القاهرة نفسها فى أوائل القرن العشرين ، لأننا لم نعرف مدينة بين مدن هذا القطر جمعت من الأدباء والشعراء من يضارعون أدباء قنا وشعراءها فى الكثرة والجودة فلم يكن عددهم فيها يقل عن عشرين ، ولم يكن لمجالسها حديث فيما هو أفضل عند أهلها من النظم الرائق والنثر البليغ" ..

لم يستطرد العقاد فى بيان سبب ذلك ، فنستطرد نيابة عنه قائلين إن السبب هو أن مدينة قنا هى عاصمة الاقليم العريق الذى كان يلى إقليم القاهرة وإقليم دمياط فى الأهمية طوال القرون الوسطى..

وهذا الاقليم اشتهرت فيه مدينته الكبرى "قوص" التى كانت فى القرون الوسطى أكبر المدن المصرية بعد القاهرة ودمياط ، وربما كانت أكبر من دمياط .. وقد أحصت كتب الأدب والتاريخ مئات الشعراء والأدباء والعلماء ، انتسبوا الى قوص أو الى الكور المزدهرة القريبة منها ، ثم انتقلت حكومة الاقليم من قوص الى قنا بعد أن انقطع طريق الحج القديم بين قوص وعيذاب التى كانت ميناء على البحر الأحمر تواجه ميناء جدة على ساحل الحجاز ..

● نعود الى العقاد .. يقول :

".. بقى للأدب منزلته فى ذلك الاقليم زمنا طويلا حتى جاء العصر الحديث فوصل ما انقطع منه باجتماع عشرات من.


سعد زغلول


منى مكرم عبيد



الدارسين والمتعلمين فى عاصمة الاقليم الحديثة ، وهى قنا ، بلدة صاحب "المكرميات" فكانت مثابة القضاة والمحامين والمعلمين والمهندسين والفضلاء من كل فن ومشرب ، ولم يكن لهم شاغل يشغلهم باللهو والسمر فى غير الأدب وأحاديثه ، والكتب وطرائفها .. فلاعجب أن تكون بقديمها وجديدها صاحبة الحركة الادبية الثانية بعد حركة القاهرة فى أوائل القرن العشرين" ..

".. وصاحب المكرميات بحق هو وليد تلك المدرسة العريقة فى قديمها وحديثها ، فلا يسع القارىء الذى يتابع المكرميات إلا أن يرى فيها ذخائر المدرسة القنائية فى النثر والشعر" ..

● سر فصاحة مكرم عبيد

قلت : لم يستطع أحد أن يتكلم عن سر فصاحة مكرم عبيد وبلاغته بمثل هذا الذى تكلم العقاد به ، فالعقاد نفسه ، من أبناء المدرسة القنائية التى كانت ظلالها تمتد الى ما وراء حدود "مديرية قنا" حتى تبلغ ادفو واسوان جنوبا ، وجرجا وطهطا شمالا ..

والى عقد العشرينات من هذا القرن كان الادباء الموظفون الذين ينقلون من القاهرة الى قنا ، يجدون فى قنا بيئة أدبية حية واسعة ، لاتقل حيوية واتساعا عن البيئة الأدبية فى القاهرة ، وقد اعترف بذلك عدد من كبار هؤلاء الأدباء ومنهم الشاعر اللغوى الفقيه العلامة حفنى ناصف ـ رحمه الله ـ وله قصيدة مشهورة فى الشكوى من حرارة جو قنا صيفا ، كانت مقررة على تلاميذ المدارس ، وكنا نحفظها فى صبانا ..

ومن مشاهير الموظفين الشعراء الذين نقلوا من القاهرة الى قنا الشاعر عبد الحليم المصرى الذى كان ينافس شوقى وحافظ منذ ثمانين عاما ، وله مساجلات مع شعراء قنا ..

وآخر موظف مشهور نقل من القاهرة الى قنا ورأيناه هناك ولاقيناه كثيرا ، كان



المرحوم الشيخ حسن البنا .. نقلته وزارة المعارف سنة ١٩٤١ مدرسا بمدرسة قنا الابتدائية ابعادا له عن القاهرة بايعاز من السلطات البريطانية ، وكانت الحرب العالمية الثانية محتدمة حينذاك ..

ولو ذهبنا نحصى العلماء والأدباء والشعراء والزجالين الموظفين القاهريين الذى أقاموا فى قنا زمنا وعاشوا بين ظهرانى زملائهم الأدباء القنائيين ، لما اتسع لنا المجال ، وأذكر أننى جلست مرة مع صديقنا الزجال الكبير محمد عبد المنعم "أبو بثينة" وكان هو نفسه أحد أدباء القاهرة الذين أقاموا مدة فى قنا ، فقمنا من جلستنا هذه بأسماء سبعين أو ثمانين أديبا قاهريا عاشوا فى قنا بين أوائل القرن العشرين وأربعيناته ..

هؤلاء جميعا وردوا ماء المدرسة القنائية ، وهى ليست مدرسة مشيدة بالحجر أو الآجر ، ولكنها اسم مستعار للحركة الأدبية والفكرية الزاخرة التى كانت تسود اقليم قنا وما يلى هذا الاقليم جنوبا وشمالا ..

فى هذا الجو الفكرى والأدبى الذى ورثته مدينة قنا من مدينة قوص العظيمة ، نشأ مكرم عبيد وعاش الى سن العشرين تقريبا ، فكان غذاء عقله ووجدانه ولسانه من هذه المدرسة الفذة التى كانت حصنا للأدب العربى وعلوم الدين الاسلامى والتاريخ والفن ، على أعلى مستوى عرفته مصر والبلاد العربية منذ أواخر دولة المماليك البرجية الى أوائل القرن العشرين ..

وتخرج مكرم عبيد فى هذه المدرسة العريقة كما يتخرج فيها كل من خالط أساطينها وأساتذتها وتلاميذها ومريديها ، بلا تفرقة بين مسلم ومسيحى .. فكان مكرم عبيد من أثقف أبنائها فكرا ، وأبصرهم بالبيان العربى كتابة وخطابة ..

ولم يكن مكرم عبيد فى ذلك بدعا بين المسيحيين القنائيين فى هذا المجال ، فإن بعض ذوى قرباه ساروا على هذا النهج ، مثل الأستاذ اسحاق عبيد الذى كنت أحفظ فى صباى أبياتا فى امتداحه نظمها والدى ـ رحمه الله ـ وكان له صديقا :

قلت للفضل : كيف آل عبيد

قال : قوم زكت لهم أعراق

حببتهم الى النفوس نفوس

زينتها الآداب والأخلاق

مكرم ومنى عبيد مشروع قبلة



وفاء للمجد ماخاس فيه
موعد منهم ولاميثاق
هم رجال الاخلاص فى القوم إما
زين الغدر للرجال النفاق
مبدأ ثابت يخفض الطرف "م"
حياء حياله · الانشقاق
وجهاد يفت فى عضد الخصم "م"
ويقوى فى نوره الاتفاق
قلت : ماهذه الدعابة فيهم ؟!
قال : ظرف تسيغه الأذواق
قلت : صفهم ولاتطل ، قال : حبا
هم غصون زهت لها أوراق
ونجوم يكشف الخطب منها
إن تداعت ظلماؤه إشراق
قلت : هل "وليم" المجاهد منهم
قال : منهم .. ومنهم اسحاق

هذه الأبيات قيلت سنة ١٩٣٤ وكان والدى قد سافر من بلدتنا نجع حمادى الى قنا ليلقى قصيدة رثاء فى حفل تأبين للشاعر الفقيه المتصوف المرحوم حسين محمد الحكيم ، فنزل الوالد فى ضيافة صديقه اسحاق عبيد كما اعتاد أن يفعل كلما زار قنا ، ثم حضرا معا حفل تأبين شيخ الصوفية والقى فيه والدى قصيدته ، كما القى أحد الأدباء قصيدة بعث بها العقاد من القاهرة ، وكان العقاد صديقا للمرحوم حسين الحكيم ، جمعهما العمل الحكومى فى قنا أيام الصبا والشباب ، والى ذلك يشير العقاد فى مطلع قصيدته مخاطبا صديقه الفقيد :

رفيق الصبا المعسول أبكيك والصبا
وما كان أغلى ما بكيت وأطيبا

ولاتجد شاعرية العقاد ظاهرة فى شىء من شعره ظهورها فى هذه القصيدة الفياضة بالمشاعر الصادقة ! ..

أما أبيات الوالد - رحمه الله - فى تحية اسحاق عبيد فقد لفت نظرى فيها حين طالعتها فى حينها اسم "وليم" لأنى لم اكن سمعت به ، فأخبرنى الوالد أنه فاتحة الاسم الثلاثى لمكرم عبيد ، وأنه تعمد أن يذكره فى هذه الأبيات لأنه يمتدح بها جميع آل عبيد ، وفيهم إخوة لمكرم ولهم أسماء أيضا ، فلابد من تمييزه .

وإذا كان اسم "وليم" قد ورد هنا فى معرض المدح فإن بعض الكتابات قد أوردته فى معرض آخر عند اشتداد لجاجة الخصومة السياسية بين الأحزاب ، وانشقاق الحركة الوطنية ، وتناوب الطائفية فى بداية يقظتها بعد الحرب العالمية الثانية .

● روح الود والاخاء


احمد شوقى


حافظ ابراهيم

أما قبل ذلك ، فكما ترى فى هذه الأبيات ، كان الشاعر المسلم يصف أصدقاءه المسيحيين بزكاء الأعراق أو الأصول ، وينسبهم الى المجد والاخلاص ، والثبات على المبدأ ، والجهاد ، ولم ينس روح الدعابة وخفة الظل فيهم ، وهى الروح التى كانت واضحة فى رجلهم الكبير وليم مكرم عبيد ..





ملك حفنى ناصف



الشاعر ابو بثينة

وقد رأيت مكرم عبيد فى صباى منذ خمسين عاما تقريبا خلال مناسبتين زار فيهما قنا ، فاحتشد طلبة المدرسة الثانوية ، وكنت فيهم ، لتحيته وسماع كلامه .

ولم اسمعه خطيبا الا مرة واحدة فى "سراى" الشيخ أبى الوفاء الشرقاوى شيخ الصوفية فى إقليم قنا وفى الصعيد الأعلى كله ، ومن أساطين المدرسة القنائية فى الفقه والتفسير والحديث والشعر والأدب ..



مكرم عبيد . طفل فى الثامنة

وكانت "سراى" الشيخ الشرقاوى فى نجع حمادى – وهى من أكبر مدن إقليم قنا – مثابة للعلماء والأدباء من جميع انحاء مصر .. وكان الشيخ الشرقاوى ومكرم عبيد يتبادلان المودة والاعجاب ، فقد كان كلاهما علما خفاقا من أعلام قنا والمدرسة القنائية ..

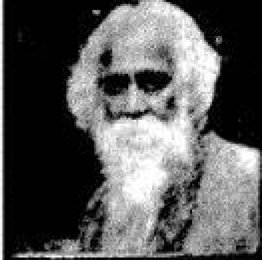
ويرحم الله مكرم عبيد .. قد كان رمزا لوحدة الوطن قبل ان يعبث الزمن بحرمة الرموز وما أجدر ابناء الوطن أن يستأنفوا النضال من أجل أن تبقى رموز وحدتهم مرفوعة ، دليلا على بقاء وجودهم ذاته ، فأن فناء الأمم يجىء فى أعقاب أندثار اعلامها ورموزها ..

وقد كان مكرم عبيد رمزا للوحدة لايتمارى فيه أحد ، ولكنه فى آخريات أيامه كان يقول وهو بين اليأس والرجاء : "أننا فى معاركنا الداخلية أشبه بالسمك يرتطم فى شباك صياد فيحسب نفسه فى عراك ! .. فإذا كان هذا هو الجهاد ، أو ما أنتهى اليه فى نظرنا هدف الجهاد ، فهنيئا بالصيد للصياد" !..

وأننا لنرجو الا نصبح سمكا فى شباك الصياد ، وان كانت امورنا قد هزلت حتى ثقلت على النفوس ، أو كما قال مكرم عبيد فى كلمته التى جمعت البلاغة من اطرافها :

– "لقد هزلت ، حتى ثقلت" ! ..

الديمُقراطية.. ديمقراطيات


طاغور

بقلم: د. سهير القلماوى

يكثر الحديث هذه الايام فى موضوع الديمقراطية وخاصة فى مناسبة تحوّل كثير من بلاد أوربا الشرقية من الحكم الشمولى أو الشيوعى الى الديمقراطية . ولعل السؤال الأول ماذا نعنى بالديمقراطية واذا كانت القولة انها حكم الشعب بالشعب ومن الشعب والى الشعب لأن الكلمة اليونانية القديمة هى من "ديمو" الشعب و"قراطية" وهى الحكم فإن هذا التعريف عام الى حد لايمكن أن يتفق فيه اثنان عند التنفيذ .

لقد شعر المؤمنون بحكم الشعب أنهم مطالبون بتعريف واضح محدد منذ ظهرت الشيوعية نظرية عقائدية محددة ، ومعالمها واضحة ، وهى قابلة لأن تعم بلاداً كثيرة ، ولكن الديمقراطية لا تتمتع بهذا الوضوح وليست لها نظرية وهدفها عام وهو خير الانسانية لا خير طبقة بعينها ، والأهم انها كما يقول رئيس جمهورية فرنسا فى كتابه العظيم "الديمقراطية الفرنسية" غير قابلة للتصدير . فلا هى نظرية واضحة ولا أهدافها محددة ولا يمكن ان تصدّر .

والأساس هو أن الديمقراطية ليست قبة برلمان ونواب ومعارضة انها أهم من ذلك بكثير . ولا تكفى هذه المظاهر أبداً . لأن نصف مجتمعنا تتوفر فيه قبة ونواب ومعارضة وربما حرية رأى أيضا لنقول ان هذا المجتمع ديمقراطى .

الديمقراطية فى الواقع سلوك . تبدأ بفرد حرّ يعترف بآفاق لحريته ، ويؤمن بوطن ويؤمن انه وطن متفرد وانه ساهم فى صنع تفرده وهو مستعد أن يضحى فى سبيل ان يظل هذا الوطن متفـرداً بخصوصياته التى من أهم مميزاتها أنها تستطيع ان تتعاون لا أن تندمج فى خصوصيات أوطان أخرى فى سبيل السير بالعالم الى الأمام نحو سعادة المجموع ورفاهية الشعوب .

وأمام إفلاس الشيوعية والليبرالية معاً فى ابعاد البشر لابد من أسلوب جديد

نسميه تجاوزا ديمقراطية . ويحتاج فى كل وقت الى تحديد يلائم هذا الوطن فالديمقراطية لا يمكن أن تصدر ولا أن تستجلب .

● الديمقراطية والحرية

لابد من ان تتلاءم الديمقراطية مع طبيعة الشعب ومع تراثه الحضارى والتاريخى ، ومع آماله التى تتفق مع آمال سائر الشعوب والتى يسعى نحوها كل شعب بطريقته وحسب ظروفه البيئية والانسانية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية الخ .

وعنصر الحرية وهو اساس فى مفهوم الديمقراطية تختلف تطبيقاته من بلد لآخر . ففى امريكا مثلا يمكن لزائر هام ان يسب رئيس الجمهورية وان تستضيف الجامعات اساتذة شيوعيين وان يتطاول فرد على تمزيق العلم الامريكى لكن كل هذا بشرط ان تكون وراءه جماعة من الشعب الامريكى ، او تنظيم او هيئة تؤمن بما يؤمن به ، وترى أن هذا التصرف يمكن ان يتسامح فيه أمام معتقدات الشعب بعامة لأن هذه الجماعة امريكية ، تؤمن على طريقتها وبأسلوبها بالوطن الامريكى بينما هذه الامور لا يمكن ان تقبل فى اى مجتمع آخر مهما يكن لها من سند من بعض شعب هذا البلد .

وعندما كتب "روسو" كتابه "العقد الاجتماعى" وهو مرجع من أهم المراجع الحديثة فى فهم حرية الفرد ، والحرية بعامة ، جاء رسول من بولندا وآخر من كورسيكا يستفتيانه فى بعض ما أشكل عليهم أمره عند التطبيق ، فكتب لهما رسالتين للأسف لا تذكران ولا تدرسان مع كتابه الاصلى "العقد الاجتماعى" مع ان فيهما تعديلات جوهرية حول المفاهيم العامة عن الحرية التى ضمنها كتابه . ذلك أن هناك تعارضا واضحا بين ماهو مطلوب من الحكومة ان توفره للفرد وبين الحرية الفردية ولا تكفى القولة المشهورة ان حريتى تتحدد بحرية الغير . ذلك انه فى مجتمع حر بلا قيود تكون الحكومة لا تحكم ولكن لابد من المساواة ولكى يتم العدل وتتحقق المساواة (كلنا امام القانون سواء ولكن لا حرية بلا ضمانات) لابد من ان يضمن لى المجتمع فرصة العمل (لا العمل نفسه كما هو عندنا) وفرص الحياة الكريمة عندما اعجز عن العمل بسبب الطفولة أو المرض أو الإعاقة او الشيخوخة وهكذا . ولضمان كل هذا لابد ان تحكم الحكومة وان تنظم .

● مثل أعلى للديمقراطية

ان الجمهورية الاثينية القديمة كانت مثلا أعلى للديمقراطية لأنها كانت محددة بالمدينة جغرافيا (مدينة اثينا) ومحددة بشعب قليل العدد هم سكان "اثينا" يعرف كل منهم كل الآخرين . ولكن هذا لا يتوفر اليوم . والوطن يمتد على جملة مدن والسكان يتعدى تعدادها الملايين . اذن لابد من تنظيم ولابد من قوم يسهرون على هذا التنظيم ويعملون وفق قواعد بعينها . قواعد يشترط فى الديمقراطية ان تكون بموافقة الشعب وان يشارك الشعب مع الاجهزة الرسمية فى التنفيذ .



روبسبير — جان جاك روسو — محمد على باشا

لا يمكن ان نصف مجتمعاً بانه ديمقراطى لمجرد انه يبيح للمعارضة ان تتصايح وتتحاور لابد فى كل قرار اشارك فى تنفيذه ان اكون قد شاركت بشكل او باخر فى اتخاذه . القرار من صنع المنفذين لا من صنع المختصين وحدهم الذين هم مطالبون بان يقدموا تخصصاتهم للذين سينفذون ليتخذوا القرار الصحيح الذى سيشاركون فى تنفيذه . اما ان يباح لهم ان يعترضوا فهذا ليس الاساس فى الديمقراطية لمبدأ وجود معارضة . فالمعارضة ليست صخبا وصراخا وانما المعارضة رأى يسمع ويدرس على قدم المساواة وبكل الامانة والعدالة فى عرضه ويدخل بشكل او باخر فى تسيج القرار النهائى الذى يطالب الشعب بتنفيذه

ولابـد من سماع الشكـاوى من المتضررين من اى قرار . ولكنها الشكوى المبنية على الدراسة والعلم . ذلك أن المـريض كلما شـرح للطبيب آلامه واستطاع ان يحددها كان ذلك ادعى لان يعالجه الطبيب العلاج السليم .

ولا يمكن أبدا أن يتحول مجتمع الى الديمقراطية فى عصرنا هذا دفعة واحدة . صحيح ان اكثر الديمقراطيات ولدت بعد ثورات ولكن بعضها وخاصة فى أول عهدها إرتدت مرة أخرى الى النظام السابق ملكية أو غيرها . حدث هذا فى انجلترا بعد ثورة كرومويل وفى فرنسا بعد الثورة وبعد تعاليم "روبسبير" الديمقراطية . لذلك نـرى اليوم ان البـلاد التى تختار الديمقراطية نظاما فتتريث كثيراً ، مثل اليابان التى تتحول الى الديمقراطية من النظـام الامبـراطـورى وقـد تحتفظ بالامبراطور كما احتفظت انجلترا الى اليوم بالملك والملكة . ولا تصل الى اسس الديمقراطية إلا بعد سنوات وسنوات .

● مشاركة فعلية للشعب

والتريث هام جداً لانه لابد من أن يكون شكل الديمقراطية الذى يختاره شعب ما متلائماً مع عقيدته التى قادت او لاتزال

تقود مسيرته ومتلائما مع طبيعة البيئة ، ومع درجة الحضارة التى وصل اليها وتوعها ، وكل هذا لا يحتاج الى دراسات متخصصين فحسب وانما هو يطلب (وهذا هو الصعب) ان تقوم التجارب بشرط ان تقوّم التجارب تقويما علميا . وأهم شرط فى العملية هنا ان تكون الحقائق موثوقا بها معروضة لكل اطرافها واشكالها . والاهم ان اى تجربة جديدة لابد ان يشارك الشعب مشاركة فعلية فى درسها لانه هو الذى سيقوم بالتنفيذ الجديد .

ونظرا لاتساع الرقعة رؤى ان الوحدات المستقلة التى تتبع الحكومة الفيدرالية او المركزية هى اهم البؤر التى يحسن ان يبدأ التطبيق بها .

اما نحن فكم ذا نحتاج الى تعديلات جوهرية فى مفهومنا للديمقراطية . هل هناك دراسة علمية لنظم الحكم لا اقول منذ الفراعنة وانما منذ محمد على اى منذ قرنين او حتى قرن واحد . كيف كانت تحكم مصر لا من خلال اشخاص اريد ان اعرف عنهم ما خفى علىَّ من تصرفاتهم ولكن من خلال النظام وتفاصيله .

كيف نشأت الملكية الخاصة وماذا كانت وكم ذا من الارض او العقارات كانت تدار باسلوب عشوائى بدائى شخصى . ثم كيف تدرجت . والعقبة الكاداء هى غياب المعلومات السليمة . الى اليوم .

اتحدى العلماء المختصين ان يدلونى على الرقم الصحيح للأميين فى مصر مثلا . اولا نحن لم نتفق بعد على من هو الأمى . وهل الذى يرسم صورة حروف او صور فى بطاقة الانتخاب مثلا يعتبر متعلما واخرجه من تعداد الاميين وهو فى الواقع امى ، ولاشك ان الأمّى فى العرف الدولى هو من لا يستطيع ان يستخدم القراءة والكتابة فى مهنته . فهل اذا طبقنا هذا التعريف تكون الامية عندنا هى هذه الارقام التى تذاع على اختلاف فيما بينها وعلى ما فيها من خطأ واضح .

ننادى ببناء المدارس ونصمم ان العقبة هى المبانى . لكن العقبة الاساسية هى المعلم اننا يمكن ان نستخدم الجوامع وفى القاهرة وحدها نحو ألفى جامع ومثلها كنائس فهل فى غير مواعيد الصلاة لا يصلح الجامع للتعليم والجوامع الشهيرة فى التاريخ كانت ومازالت مدارس . الأزهر بنى مدرسة لبث مذهب والدراسة فيه كانت حول الاعمدة والدرس يدور حول كتاب يقرؤه التلاميذ مع الاستاذ وكذلك كان جامع امية فى الشام والنظامية فى بغداد والزيتونة فى تونس الخ .

ان طاغور شاعر الهند الاعظم أسس اكاديمية فنون تحت ظل شجرة باسقة والطقس فى ثلاثة ارباع العام يتيح التدريس فى الهواء الطلق .

باختصار لابد من نظرة جادة الى مشاكلنا فى سبيل ان نحكم حكما

ديمقراطيا . والا فلا ديمقراطية مع الامية .

وتأتي مشكلة مركزية الاعلام التى تعانى منها كل الديمقراطيات ونحن نعانيها دون ان نحس اننا نعانيها . فالاعلام يسيطر عليه اما الحكومات أو الشركات العملاقة وهى أسوأ من الحكومات . فماذا نحن فاعلون وهل نعرف كيف يحاول غيرنا ان يحل هذه المشكلة . كل ما نطالب به ان يتاح للمعارضة نصيب ، أى نصيب هو طبعا ما ترضى عنه الحكومة . وماذا يبقى فى المعارضة بعد ان تتكيف لتطابق متطلبات الحكومة ولو الى حد ما .

ونأتى الى المشكلة الاعظم الايديولوجية التى نبنى عليها ديمقراطيتنا . مازلنا نتخبط فى امرها "الدين" اولا اين هو من نصوص دستورنا نحن نكتفى بانه لا تعارض والديمقراطية الحقة تقول بل الدين هو الاصل الذى تستخرج منه النصوص لكن كيف وهذا هو الهام بل الهام جداً .

والدستور نفسه له اوضاع ، ان فرنسا تقدس الدستور ، وانجلترا لا تحكم بدستور وانما بسجل الاحكام القضائية وقرارات مجلس العموم على مدى السنين مضافة الى « المجنا كارتا » Magna Charta وهى وثيقة الحرية الأولى عند الانجليز والفرنسيين وغيرهم . لذلك نجد الانجليزى يحترم احكام القضاء الى حد المبالغة . يروى ان الجيش البريطانى دفاعا عن لندن التى كانت تتلقى قنابل الالمان بشراسة بنى محطة صواريخ



ونستون تشرشل

مضادة للطائرات على أرض فلاح فى اطراف المدينة . فاشتكى الفلاح لانه يريد ارضه وسلاح الصواريخ عارضه فرفع امره للقضاء وكسب القضية . وامتنع السلاح من تنفيذ حكم القضاء فاشتكى الفلاح الى رئيس الوزراء "تشرشل" ابان الحرب فامر "تشرشل" قائد السلاح ان يدمر المحطة وقال قولته المعروفة "ان تخسر انجلترا الحرب عندى اهون من ان تمتنع انجلترا عن تنفيذ حكم القضاء" .

هذه الطبيعة الانجليزية هى التى انعكست على تطبيق الديمقراطية عندهم .

وعندنا كم ذا يمكن ان نتفوق فى ديمقراطيتنا لو ارتضيناها من منابع عقيدتنا ومن دروس ممارساتنا السابقة . ولكن لكل هذا على جلاله حديث آخر .

دائرة الحوار

العرب والديمقراطية المصرية

بقلم: د. أحمد عبد الله

وبهذا المعنى النسبى يكون الحديث عن الديمقراطية المصرية فى علاقتها بالجيران وبالذات بالأشقاء العرب الذين بينهم وبين مصر علاقة تأثر وتأثير لا تحتمل المجاملة. وإن لم تخل من مكابرة البعض إزاء وزن مصر ومكانتها فى العالم العربى. وهى مسألة تفترض من المصريين مروءة رياضية، لا روحاً استعلائية إزاء الأشقاء العرب، باعتبار أن مصر هى «الشقيقة الكبرى» وأكبر الأشقاء فى أية أسرة يكون بينه وبين بقية الأشقاء ما صنع الحداد وما تدع البستانى فى نفس الوقت. ويبقى جوهر الأمر هو الاعتراف بعلاقة «التأثر والتأثير» البحث فيما تعنيه بخصوص النظم السياسية هنا وهناك.

● الديمقراطية والنظم العربية

إن أول ما تعنيه هذه العلاقة هو أن الديمقراطية المصرية لابد وأن يكون لها تأثيرها على النظم السياسية العربية، مثلما أن هذه النظم سيكون لها هذا التأثير أو ذاك على تفاعلات العملية السياسية المحلية فى مصر والمفترض أن تتم فى إطار أكثر ديمقراطية من الذى تعرفه أغلب هذه النظم. ولهذا السبب كان الكثيرون من السياسيين المعارضين فى مختلف البلدان العربية هم أول المرحبين بالتطورات الديمقراطية فى مصر على أمل أن تنعكس فى بلادهم.

وهذه عملية مركبة وغير بسيطة، وبالتالى لايجوز أن نواجهها بالشعارات الكلاسيكية حول «عدم التدخل فى الشئون الداخلية» للآخرين. لأن هذا الشعار أصبح تعريفه ضيقا جدا بالنظر للتطورات العصرية التى سمحت بانسياب الأفكار والمؤثرات من خلال السفر والهجرة والمصاهرة وكل أشكال الاختلاط البشرى المباشر، جنبا الى جنب مع تأثير وسائل الاعلام التى اخترقت كل الحدود. حيث أصبح التدخل المدان هو فقط ذلك الذى

تتردد في مصر كثيرا كلمة «الديمقراطية» ، سواء من جانب أنصار الحكم الذين يصفونه بهذه الصفة ، أو من جانب معارضيه الذين ينعون عليه عدم تجسيد ما يرفعه من شعارات .

وهناك بالطبع خطر أن تفقد الكلمة معناها وتثير لدى الناس الملل من كثرة ترديدها ، مثلما كان الحال بالنسبة لكلمة «الاشتراكية» ، من قبل . والنظام السياسي المصري يقف في حقيقة الأمر في منتصف الطريق . لكنه بالمقارنة بأنظمة بعض الجيران يصبح «ديمقراطيا» ، بالمعنى النسبي للكلمة . وربما بدا ديمقراطيا «جدا» ، إذا كانت المقارنة مع بعض ما يعرف بعض الجيران من ممارسات سياسية هي أقرب للهمجية التي تشمل القتل . دون محاكمة والامتهان لكرامة الانسان من خلال التعذيب .

يتخذ شكل الغزو العسكري أو تآمر الأجهزة الأمنية أو شراء الذمم بل أحيانا ما يكون التدخل العسكري «مبلورا» ، إذا جاء لاسقاط نظام محلي جاوز الحدود في قمعه لشعبه (مثل تدخل تنزانيا لاسقاط عيدي أمين في أوغندا ، وتدخل فيتنام لاسقاط الخمير الحمر في كمبوديا) . وليس هناك من ينكر أن الحضور المؤثر للغرب في أوربا الشرقية هو أحد أسباب التغيرات السياسية الكبيرة التي تشهدها والتي تشمل تحول من كانوا متهمين بالعمالة للغرب والرأسمالية الى جزء أساسي من النظم السياسية الاشتراكية .

واختراق الحدود بالمعنى الفكري والسياسي الواسع وفي الاطار السلمي هو مسألة أكثر منطقية بالنسبة لمجموعة بلدان تجمعها ثقافة واحدة مثلما هو الحال بالنسبة للعالم العربي . صحيح أن هذا العالم ينقسم الى عدد من الدول العربية المستقلة ذات السيادة - بل وذات الخوف لى هذه السيادة - إلا أنه لابد وأن يعرف بحكم الثقافة المشتركة على الأقل ظاهرة اختراق الحدود بواسطة مختلف المؤثرات . وهي الظاهرة التي يسميها الكاتب الاستاذ جميل مطر باسم «التفلاذية» .

ويعني هذا أنه لا تجب المبالغة في شعار «عدم التدخل» الذي لا محل له من الاعراب في السياق العربي . هذا مع بقاء الرفض المبدئي للتدخل في صوره الفجة والقهرية .

● الخروج عن الحدود المألوفة !

والحاصل عليا بشأن تأثير الديمقراطية المصرية على العالم العربي هو أن هذا التأثير إنما يتخذ شكلا أقرب لما يسميه الاقتصاديون «أثر التساقط» ، أى التأثير التدريجي البطيء المتساقط كحبات المطر الخفيف المتكون من بخار هذه الديمقراطية المصرية فلم يعد للمصريين وجود مكثف في العملية السياسية المحلية للدول العربية . وحتى

دائرة الحوار

فى حالة السودان يرفض بعض السياسيين والمثقفين المصريين شكل الوجود المصرى بها رغم علاقة الماء الحقيقى لا المجازى فيما بين البلدين . ولا تألو السلطات المصرية جهدا فى إثبات عدم رغبتها فى التدخل فى شئون الأشقاء كما لو كانت ترفع على المستوى العربى شعار «لا مساس» الذى ترفعه إزاء بعض القضايا المحلية . بل ذهبت هذه السلطات - ومعها أحيانا قوى معارضة - إلى حد غض النظر الكامل عن مذابح ترتكبها أنظمة عربية ضد شعوبها فلم يظهر لها اثر فى صحيفة أو نشرة أخبار مصرية .

فإذا كانت مصر لا « تلعب » كثيرا فى السياسة المحلية لمختلف الانظمة العربية ، فإن البعض من هذه الانظمة «يلعب كثيرا» داخل مصر . وليست المشكلة فى فقدان التوازن بين اللاعبين ، ولا حتى فى مبدأ اللعب نفسه فى الحدود المشار اليها سلفا . ولكن المشكلة تكمن فى خروج بعض الأطراف العربية عن الحدود المقبولة للتأثير المتبادل .

فأصحاب الانظمة القمعية ليس لديهم قدرة كبيرة على الاقتناع الفكرى بنماذج نظمهم السياسية . وأصحاب الافكار والشعارات «القومية» و «المعادية للاستعمار والصهيونية والرجعية» تراجع نفوذهم العقلى والعاطفى بعدما انكشف نوع النظم القومية التى يبنونها وبعدما اتضح مقدار استعدادهم الحقيقى لمواجهة الأعداء . فلم يعد أمام هؤلاء من أسلحة للعب فى السياسة المصرية سوى الأسلحة الفاسدة .

وتتمثل هذه الأسلحة فى استغلال ضائقة الاقتصاد المصرى المدين واحتياجه لكل اشكال العون العربى . وهو ما ينعكس سياسيا فى صورة تربيت الحكومة المصرية على كتف الحكومات العربية ، ومجاملتها فى كل كبيرة وصغيرة ، بما يشمل غض النظر عن قيام هذه الحكومات بانتهاك حقوق الانسان فى بلادها وعدم الاشارة الى ذلك من قريب أو بعيد فى وسائل الاعلام التى تسيطر عليها الحكومة فى مصر . والأدهى أن يشمل ذلك «بلع» ما تقوم به أنظمة عربية معينة من نشاط سياسى تحت الارض داخل مصر ، نشاط يتجاوز حدود الدعاية الفكرية المعلنة . وما من شك فى أن واجب الحكومة هو الحفاظ على مواطنيها فى الخارج من التعرض لأية صورة من صور الأذى . لكن انعكاس هذا على الحياة السياسية داخل مصر من خلال منع نقد أنظمة الدول التى يوجد بها المصريون معناه إضعاف الأعمدة الديمقراطية لنظام يتباهى أساسا بهذه الديمقراطية كملكية عزيزة برغم العوز الاقتصادى .

● المسئولية ودرجات الوعى

ولا تقل مسئولية قوى المعارضة عن مسئولية الحكومة فى هذا الصدد . لان السلاح الثانى الذى تستخدمه بعض الأنظمة العربية للعب فى الحياة السياسية المصرية هو ذلك السلاح الذى تحمله نيابة عنها قوى المعارضة . فجميع قوى المعارضة المصرية تتلقى دعما ماديا من

خارج الحدود المصرية وبالأخص من أطراف عربية معلومة . وبعض الأطراف «أكرم» من غيره ، ولذلك فهو يحصد أكثر من غيره . فقد يكون الأكثر قمعا للديمقراطية داخل بلاده لكنه الأكثر قربا من دوائر المعارضة المدافعة عن

الديمقراطية داخل مصر . ولذلك فهو يحظى بتأييدها «وتطنيشها» عن معايبه وجرائمه . ولئن مثلت هذه الحالة «عيبا» لابد أن تبرأ منه قوى المعارضة المصرية بصفتها الجماعية والحزبية ، فإن الأمر يصبح «مرضا» ؟ أو «ورما خبيثا» لابد من استئصاله بالنسبة للأفراد . فكم من السياسيين والمثقفين الأفراد في مصر يقفون موقف «المرتزق» من نظم عربية بعينها .

والمشكلة هنا ليست هى مقدار الانتفاع المادى لهؤلاء - والمتراوح بين البسيط والهائل - وإنما فى نشوة ولاء هؤلاء . حتى انه أصبح معروفا فى دوائر السياسة والصحافة أن لكل نظام عربى من الانظمة التى تلعب بنشاط داخل مصر جماعة المصلحة (اللوبى) الخاصة به فى هذا البلد .

إن بعض الكارهين للديمقراطية يحزنهم أن يروا فى مصر تجربة ديمقراطية مهما كانت صغيرة ولأن هؤلاء يدافعون عن انظمة قمعية غير مقدر لها أن تعيش طويلا فى عصر انتصار الديمقراطية ، فهم يعتبرون الهجوم خير وسائل الدفاع ويصوبون سهامهم نحو مصر . وقد سبق لهؤلاء أن ساهموا فى تدمير تجربة الديمقراطية السودانية باللعب غير النظيف وشراء العملاء داخلها . لكن المشكلة فى الحالتين هى وجود قوى محلية تستجيب لذلك سواء اتقاء لأذى أو اجتلابا لمنفعة . وليس للمصريين أن يقعوا فى هذا الشرك بأية ذريعة كانت ، سواء فى ذلك الحكومة التى يجب أن تميز بين الحرص على مصالحها فى العالم العربى والحرص على تطوير الديمقراطية داخل بلد كمصر هو فى مسيس الحاجة إليها بقدر احتياجه للقمة العيش ، أم قوى المعارضة المفترض أن تكون أكثر قدرة على الاستقلال بنشاطها ليس فقط إزاء الحكومة المحلية وإنما أيضا إزاء الحكومات والانظمة وسائر الأطراف على الصعيد العربى فمن غير المعقول أن يكون بمقدور المصريين انتقاد الولايات المتحدة على أوسع نطاق وهى الحليف الرئيسى ومصدر المعونات الاقتصادية الأول ، بينما لايكون بمقدورهم انتقاد الدول العربية التى ترتبط مصر معها بمصالح طبيعية لا تبرر مجاملتها على حساب المبادىء الديمقراطية وحقوق الانسان المصرى والعربى معا . ومن غير المعقول أكثر أن يكون العالم العربى قادرا على التعلم من «البيروقراطية» المصرية التى بنت إدارات حكومية عربية كاملة على شاكلتها ، بينما لا يستطيع التعلم من «الديمقراطية» المصرية أو على الاقل تركها وشأنها لتنمو فى تربة شعب يحتاجها

نقطة نظام حول مشروع النهضة

النهضة لا شرقاً ولا غرباً

بقلم: جمال سلطان

احياناً يكون من الصعب على الإنسان مواجهة الحقيقة، ولا سيما إذا كانت شديدة المرارة، وبنفس القدر يكون من الصعب على الانسان ان يكتشف زيف الحلم الكبير او ضياعه، ومن الوجهة الانسانية المحضة، يكون على اصحاب الطريق ان يعذر بعضهم بعضاً، ويقدروا التموجات النفسية التي تعتري مخالفيهم في الرؤية والفكر، طالما احسن بعضنا الظن ببعض، وطالما امنا بالحقيقة الفطرية والموضوعية القائلة بان العصمة لم توهب لبشر قط لا يأتيه الوحي بخبر السماء.

ولكن البصر النافذ إلى حجم الخطر الذي تمر به الأمة، والآفاق ذات الرؤى البعيدة للتحديات التي يتوجب على الأمة مجابهتها، والتأمل العقلي الصريح في رقعة الأزمة الحضارية التي تعيشها بجذورها وظواهرها، جوهرها وتجلياتها، كل اولئك يجعلنا ندعو الفرقاء جميعاً إلى إعادة النظر في الجذور، وربما؛ في المسلمات النهضوية الحديثة التي صاغت اصلا احلامنا وأملنا المشروعة في التقدم.

هذه التقدمة، التي لا تخلو سطورها من توتر ملحوظ، يلهبه القلق المستبد على مستقبل الأمة، قصدت من خلالها الى النفاذ في صميم الجدل الدائر اليوم حول حقبة النهضة الحديثة، او ما نصطلح - احياناً - على وصفه "بحركة التنوير".

فالملاحظ من خطوط الحوار حول هذه







قاسم امين   د . محمد حسين هيكل   رفاعة الطهطاوى

المهالة ، أن ثمة نزوعاً قوياً إلى اضفاء هالات القداسة والعصمة على رموز هذه الحقبة ، إلى الحد الذى يهب نتاجاتهم الفكرية النهضوية . وضعية "الحاكمية" العليا والهيمنة التقييمية على أى جهد فكرى لاحق ، وربما : سابق ! . فكلما اقترب الفكر الجديد أو القديم من معطيات "حركة التنوير" كلما حمل من صفات "التجديد" و"الاستنارة" و"العقلانية" و"المعاصرة" ، ما يمنحه مشروعية الوجود ، وبراءة الزلة ، واخشى أن اقول : ويمنحه غفران لجميع ما تقدم من ذنبه وما تأخر !

وعلى الخط الآخر ، نجد نزوعاً قوياً إلى "تدمير" هذه الرموز الفكرية ، وإثارة الاتهامات الخطيرة فى نشاطاتهم ومجهوداتهم ، فهذا ماسونى ، وذاك عميل ، وذلك متآمر ، وغير ذلك من اتهامات بعضها يذهب إلى الطعن فى الدين ، والضمير ، وما لا يعلمه إلا الله فينا .

هذه النزعات الفكرية ـ بلا شك ـ تؤكد أن "الماضى" مازال يعمينا عن الحاضر والمستقبل ، وتؤكد على أن خواء ابداعياً مشيناً يسود مناخنا الثقافى والفكرى العلم ، بما يستدعى ستر عوازه ، بنقل ـ أو انتحال ـ معاركنا ، حول حقبة النهضة الحديثة .

وما نستطيع قوله ـ بحياد تام ـ أن مشروع النهضة الحديثة أعلن فشله على صعيد الواقع الاجتماعى الجديد ، وأن حركة التنوير ، ثبت ـ ببرهان الواقع والتاريخ الحى ـ انعدام فاعليتها فى تحريك الضمير الاجتماعى للإنسان المصرى ، والعربى بعامة ، وثبت أن ما تولد عنها من مناهج ومذهبيات ونظريات وخطط نهضوية ، لم يكن يتلاءم مع البناء النفسى والاجتماعى المصرى ، وبالتالى عجزت هذه النتاجات عن أن تشبع العقل المصرى العام ، أو أن تبنى بناء شامخاً متيناً تطمئن إليه الأمة ، ويصبح فى ذاكرتها الجمعية مرجعاً لا يقبل النقض .

ودستوراً لا يحتمل التعديل .

● قضايا الدين والدولة

إن النشاط الفكرى الواسع النطاق الذى يشهده المجتمع العربى الجديد ، لم يعد وقفاً على "جزئيات" فكرية ، أو ظواهر فنية أو أدبية ، وإنما يتجه ذلك النشاط إلى أساسات الوعى الحضارى ، وأبجديات فقه النهضة .

إن الجدل يعود اليوم ـ وبقوة ـ ليتناول قضايا "الدين والدولة" ، وما نقبل وما ندع من الحضارة المعاصرة ، ووضعية المرأة فى الجماعة الوطنية ، وما يجوز لها ويجب عليها وما لا يجوز ولا يجب ، وأسس صيانة الوحدة الوطنية ، وقواعد التوفيق بين الوحدة الوطنية والجامعة العربية والجامعة الإسلامية ، والنظرية الاقتصادية / الاجتماعية التى تحفظ السلام الاجتماعى وتنهض بمقدرات الامة ، وغير ذلك من أسئلة كنا نظن ـ دهراً ـ أننا قد فرغنا منها وانتهينا من وعى الاجابة عليها . ماذا يعنى تجدد مثل هذه الأسئلة ؟ وهذه القوة والجدية والخطورة ، التى تصل إلى تحريك قواعد المجتمع ذاتها ، واستقطابها إلى هذه القضايا ؟ أليس يعنى ذلك أن المشروع النهضوى الأول أعلن افلاسه ـ على الصعيد الاجتماعى ـ وأن "الأمة" لم تعد تنظر إليه نظرة القداسة والتعظيم ، وأنها لم تقتنع بإجاباته النهضوية على أسئلتها المحورية ، مما استدعى استئناف النظر والبحث عن مشروع جديد للنهوض ، يحمل قدراً أكثر رشداً واستنارة من سابقه ؟

انني ـ في الحقيقة ـ لا اكاد استوعب أو افهم ذلك الدفاع المستميت من جانب قطاع من مفكرينا المعاصرين عن "تراث" حقبة النهضة الحديثة ، واكاد اجزم بان احداً ممن يتناول هذه الحقبة اليوم ، لم يعد يتناولها على سبيل النقد والفرز ، وإنما على سبيل التقديس أو إعادة سرد مقولاتها .


احمد لطفى السيد


سلامة موسى

بوصفها الاطار المرجعي النهضوي ، الذي لا يجوز لأحد تجاوزه او تبديله او حتى تعديله .

لماذا لا نعترف بأن مشروع النهضة الأول ، لم يعد صالحاً للبناء عليه ؟ ولم يعد نافذاً فى ضمير المجتمع وعقل الأمة الجمعى ، رغم صراحة الواقع فى البوح بهذه الحقيقة ؟ ولماذا نتهم التاريخ والـواقع والأمـة والبترول والـدولار والامبريالية والصهيونية والسلفية .. إلى آخر القائمة ، بانها تآمرت على مشروع النهضة ، دون أن نحاول مرّة ـ مرّة واحدة ـ أن ننسب القصور أو الخلل إلى مجهودات النهضة ذاتها ، رغم انها صادرة عن بشر ، يعتريهم ما يعترى البشر من تعرض لموجبات الصواب والخطأ ، والهدى والضلال ، والرشاد والتيه ، والصدق والتقرض ؟ لماذا لا نمارس نوعاً من النقد الموضوعى الرزين لتراث حقبة النهضة ، ونتأمل فى تحولاتها الفكرية ، ونتفهم البناء النفسى ذاته عند تلك الرموز ، وطبيعة علاقتهم النفسية والفكرية بالآخر الغرب ، وبالذات ، التراث ، وبالواقع ، فعلنا نقف على وجوه من الخلل أو الزلل أو القصور في الرؤية ، ادى إلى فساد فى الناتج الفكرى ، وشطط فى مشروع النهضة ، رغم حسن النوايا ، وصدق الرغبة فى انهاض الأمة من كبوتها التاريخية ؟ لماذا نصور نسبة الخطأ او الفشل إلى مجهودات "حركة التنوير" على أنه نوع من الاتهام والتجريح وانتقاص الشأن وهدم الرموز ؟ ناهيك عن أن نصـور هذه الممـارسة النقـدية لمجهودات "بشرية" على أنها "ردة حضارية" و"اظلام فكرى" و"رجعية قروسطية" ، وغير ذلك من سهام الرد الجاهز والسيوف المسلطة على رقاب كل من تسول له نفسه نقد تراث ذلك الجيل ؟

لماذا لا نفتح ملف ذلك الجيل الرائد والمجاهد ، جيل الصدمة الأولى ، ولماذا لا نتواضع على أسس معقولة من الضوابط الاخلاقية ـ فى المقام الأول ـ التى تتيح لنا نوعاً من الممـارسة الديمقراطية الإيجابية فى حوارنا الفكرى حول تراث حقبة النهضة ؟ ولماذا نصر على "حوار الطرشان" الذى يعزز من ضمـور الأفق المستقبلى فى رؤانا النهضوية ، بدلاً من حوار العقل ، وجدل الحريصين على مستقبل أكثر اشراقاً ، وليس على ماض تتهدد صورته فى مخيلتنا ؟

● غياب الفعل الابداعى

أخشى أن أقول : بأننا اليوم ، مازلنا نمارس الخطأ الاكبر الذى وقعت فيه حركة التنوير العربية ، أعنى ذلك الاستقطاب الفكرى الحاد نحو "المحورية الفكرية الاوربية" ، وذلك أن سبب فشل مشروع النهضة الأول ـ فى تقديرى ـ هو ذلك الانجذاب الكامل نحو الفكرة الأوربية ، سواء بالسلب او بالايجاب ، أعنى أنه سواء من رفض الفكرة الغربية فى هذا الجانب أو ذاك من جوانب النشاط الإنسانى العام ، أو من قبلها وآمن بمصداقيتها ، أو من تحفظ عليها ، فالجميع ـ فى الواقع ـ كانوا يعيشون فى شرك "الاستقطاب" ، وهذا ما غيب الأصالة الابداعية عن جهد النهضة ، إذ أن الصورة الاجمالية لذلك النشاط الفكرى فى نهضتنا الحديثة ، كانت تمثل نوعاً من "التذييل" على "ابداعات الآخرين" ،

ونوعاً من كتابة الحواشى والتعليقات على "المتن الأوربى" ، فغاب الفعل الابداعى الأصيل الذى يتعاطى مع واقعنا الاجتماعى الحقيقى ، لا مع الواقع الأوربى ، ومع تاريخنا الحقيقى لا مع التاريخ الأوربى ، ومع خصوصيتنا الحضارية ، لا مع النمط الحضارى الأوربى ، ويمكن للقارىء البسيط ، ناهيك عن الباحث المدقق أن يرى هذه الحقيقة رأى العين فى كتابات رموز جيل النهضة ، يلحظها فى حديث "قاسم امين" ، وكيف أنه لا يتصور أن الرجل الأوربى الذى اكتشف البكتريا الدقيقة يمكن ان يخطىء فى اكتشاف الاخلاق الملائمة للمرأة والمجتمع ، كما نص على ذلك فى كتاب "تحرير المرأة" ، ونلحظها فى اعترافات محمد حسين هيكل الصريحة حول معركة "طواحين الهواء" التى خاضوها ـ على حد تعبير هيكل رحمه الله ـ ونلحظها فى الخط العام الذى انتظم رفاعة الطهطاوى وجهده فى "تخليص الابريز" والذى تمحور حول : ما نأخذ وما ندع من حضارة أوربا ، رغم براءة ذلك الأزهرى الفذ ، وصموده العجيب أمام الصدمة الحضارية الكبرى فى عاصمة التنوير !

ونلحظها فى الوجهة التى اتجه اليها "أحمد لطفى السيد" و"فتحى زغلول" من الدعوة إلى تأسيس نهضتنا على "الترجمة" قبل أى شىء آخر ، ونلحظها فى عصبية "سلامة موسى" وتوتره الشديد فى الدعوة إلى اتباع خطا الحضارة الأوربية ، والانفلات من إسار "الحضارة الأسيوية" !، وغير ذلك الكثير المستفيض مما لا يحتمله هذا المقام ولا يتسع له .

لقد كان الحس العام فى هذا الجيل ، أن النهضة ستشرق من الغرب ، ويبقى النزاع فى الكيفية والكمية ، لا فى الأصل العام ولا المبدأ ، وهذا ـ فى تقديرى ـ الخطأ الجوهرى الذى أفسد على النهضة مسارها ، وفرغها من الجهد الابداعى الأصيل ، وجعلها تنزلق على مزالق التقليد ، واستجلاب النماذج الجاهزة .

وهانحن اليوم نمارس الشىء ذاته ، ولكن ، لا مع المحورية الأوربية ، بل نحن مستقطبون إلى محورية تراث حقبة النهضة ، فإذا حاكمنا فكرة أو مذهب جديدين ، قسناهما على "تراث حقبة النهضة" ، وإذا رغبنا فى البحث عن مخرج لأزمتنا الفكرية إلتمسناه فى تراث حقبة النهضة ، مما أصابنا بما يشبه الفراغ الأبداعى ، وأباح لنا ستر خوائنا وعجزنا وشللنا النهضوى ، بالضجيج المفتعل بدفاعنا عن ذلك الجيل الذى افضى لما قدم ، وذهب إلى ذمة غير ذمتنا ،وأعدل من ذمتنا !

أيها السادة : إن النهضة ـ أبداً ـ لا تشرق غرباً على ديار العروبة والإسلام ، فدعونا نعترف ـ مرّة ـ بأن النهضة العربية الحقيقية لم تولد بعد ، وأن خيل التنوير مازالت رابضة فى حنايا هذه الأمة ، تنتظر فرسانها ، فهل من فارس ؟!

« عجـــائب المخلوقات » كتبــه الابشيهى ابن الفيوم منذ خمسة قرون

كشـــف عــن الحيــوانات جلــودها

.. وعـــن البشــر طبــاعهم !

بقلم: د. محمد المنسى قنديل

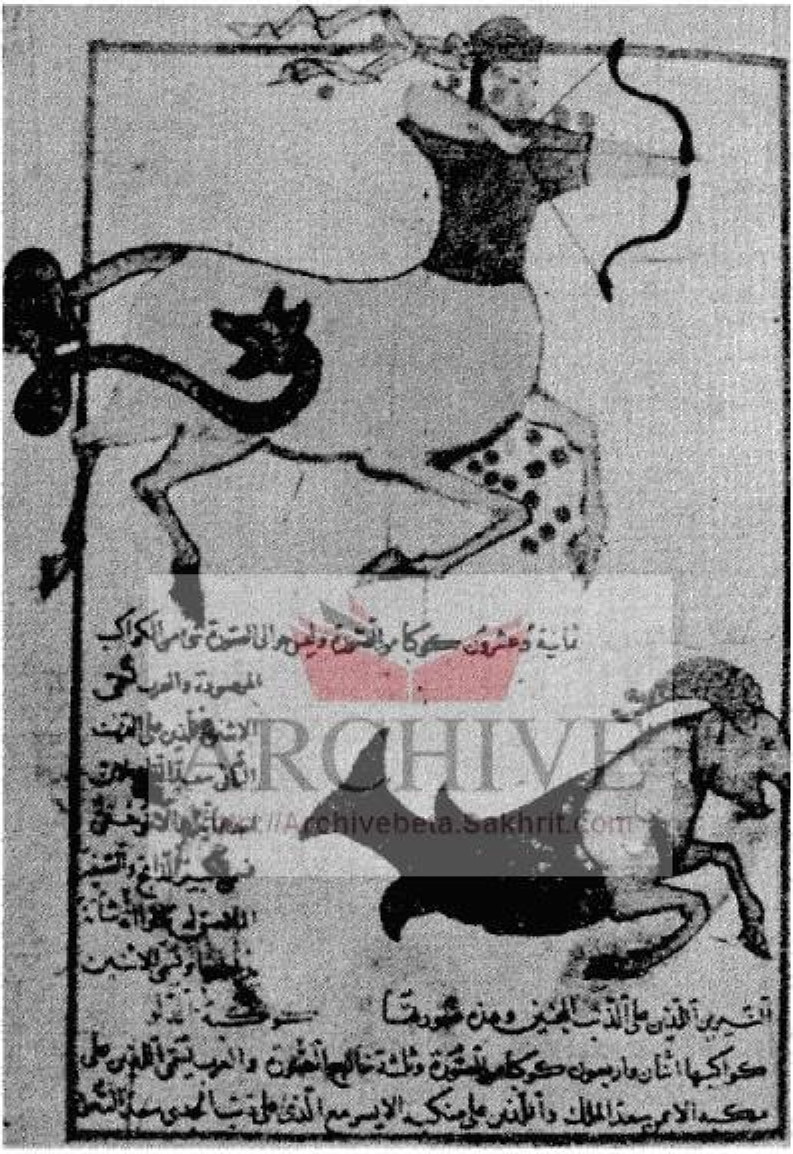
الانسان حيوان . كل مافى الأمر انه لم يجر تصنيفه بعد .

الحيوانات لاتفعل اكثر من انها تلبس اقنعة . وتعلق بعض الشوارب والذيول . وتتظاهر بعدم الكلام ولكنها فى لحظات الرغبة والغضب تنزع كل هذه الاقنعة وتتحول الى اناس حقيقيين بكل مافيهم من وحشية وضراوة . فهى تتظاهر بالوداعة احيانا . وبالرقة فى احيان اخرى . ولكن الانسان الرابض فى اعماقها لايهدأ ولايستكين ابدا .

اللعبة مكشوفة اذن . كل الذين يضعون كتابا عن اصناف الحيوانات وعن عجائب المخلوقات انما يكتبون عن ذواتهم الخفية وعن كل الذين احبوهم بوله . وكرهوهم بعنف .

من اجل هذا لم تخل على لعبة الشيخ محمد بن احمد الابشيهى الذى الف كتاب « فى عجائب المخلوقات » كنت اعرف جيدا انه لايتحدث عن الحيوانات بقدر مايتحدث عن نفسه وعنى وعنك . عن كل الذين اكلوا طعامنا وشربوا رحيق قلوبنا ثم اكتشفنا انهم اناس بالغو الشراسة .

ولكن دعنا نتحدث عن الكتاب دعنا نستنطق كلمات هذا الشيخ القديم الذى



لوحة مستوحاة من إحدى مخطوطات «عجائب المخلوقات» مرسومة في العراق في أواخر القرن الثامن

كتبه فى بلدة ابشواى فى مصر المحروسة . منذ حوالى ٥٠٠ عام كى يخرج كتابا بالغ الطرافة عميق الدلالة . ورغم ان الحيوان قد اخذ الجانب الاكبر منه فإنه لم ينس ان يغوص تحت مياه البحار ويصعد إلى أعالى الجبال بل ويخترق الحجب الى عالم الجان ، لقد شرح لنا عالما مألوفا بطريقة مدهشة . كأنه كان نائما لسنوات طويلة واستيقظ فجأة او ربما كان اعمى واسترد بصره . فقد اعاد النظر فى تفاصيل العالم الذى نعرفه ووضع عليه شيئا من ذات نفسه فاصبحنا نراه معا كأنها المرة الاولى ايضا . ان عدوى فرحة الاكتشاف الصغيرة قد انتقلت الينا

وليس الشيخ الابشيهى اول من فعلها .. فقد فعلها الدميرى .. والجاحظ والقزوينى . بعضهم ذهب الى هذا العالم هروبا من ملل عالم البشر .. وبعضهم وجد فيه مهربا من عسف السلطان وغضب ذوى الجاة .. والبعض الاخير وجد ان السنة الحيوان الاعجم اشد فصاحة من لسان الانسان فوضع عليه كل الحكم والمواعظ .. ولكن الشيخ الابشيهى اضافة الى هذا كله قد انساق وراء هذا العالم بدرجة نادرة من البراعة فكشف عن الحيوانات جلودها وعن البشر طباعهم .. وسبحان الذى يغير ولا يتغير .

● حيوانات نبيلة .. واخرى وضيعة

« الضب والخنزير لايلقيان شيئا من اسنانهما ابدا . كل حيوان يعوم بالطبع الا الانسان والقرد . وكل ذى عين فان اهداب عينه فى الجهة العليا فقط الا الانسان فانه من الجهتين والفرس لاطحال له . والبعير لامرارة له . والحيات لا ألسنة لها والسمكة لارئة لها لانها تتنفس من كبدها ، وكل حيوان لا حافر له فله قرن ومالا قرن له فله حافر . والحيوانات المتهمة باللواط القرد والخنزير والحمار والسنور . والعيون التى تضىء بالليل عين الاسد والنمر والافعى والسنور . والذى يدخر القوت من الحيوان والانسان الفأر والغراب والنحل والنمل . والذى يحيض من الحيوان والانسان الفرس والكلب والارنب والضبع والخفاش فتبارك الله احسن الخالقين »

هذه ملاحظة الشيخ القادم من ابشواى ولا ندرى اهى ملاحظاته عن الحيوانات البعيدة عنه ام الناس الذين يعيش فى وسطهم . انه يصف عالما غريبا تتداخل فيه صفات النبل والوضاعة . ولعلنا نضىء جانبا خفيا من جوانب هذا الانسان اللغز عندما نتعرض لبعض من هذه الحيوانات .

يقول الابشيهى « ماخلق الله شيئا من الدواب خيرا من الابل . ان حملت اثقلت وان سارت ابعدت . وان حلبت ردت . وان نحرت اشبعت »

وهذا التحيز للابل ليس غريبا . اننا نجده ايضا عند « الجبرتى » وهو يتحدث عن البقر قائلا انها « عماد العالم » وهو يستقى هنا خبرته كفلاح مصرى يعيش على ضفة النيل مثلما يستقى الابشيهى خبرته الشفوية من تراث البدوى الاول فى الصحراء . والجمل حيوان يكون فى الغالب طائعا مستسلما لكل مايفعله به الانسان . ويقول ان قافلة من الجمال كانت

مربوطة الى بعضها بواسطة احد الحبال وجاء احد الفئران وجذب الحبل فسارت القافلة كلها وراءه ولكن على مقدار هذا الصبر وهذه الطاعة فليس لشيء من الفحول مثل ما للجمل عند هياجه .. وهو من الاحرار لايعاشر امه ولا اخته . وقد قيل ان بعض العرب ستر ناقته بثوبه ثم ارسل عليها ولدها . فلما عرف ذلك ثار غاضبا فأكل حليله ثم حقد على صاحبه حتى قتله .

والخيل ايضا من الحيوانات النبيلة .. وسميت بذلك لانها تختال فى مشيتها . وهى حيوان مشرف . خلق بشكل خاص فى لحظة خاصة فالحديث الشريف يقول ان ظهورها عز . وبطونها كنز . والخير معقود بنواصيها الى يوم القيامة . وعندما اراد الله ان يخلق الخيل جمع الريح واخذ منها قبضة وقال له . خلقتك عربيا وفضلتك على سائر البهائم . فالرزق بناصيتك . والغنائم تقاد على ظهرك . وبصهيلك ارهب المشركين واعز المؤمنين . وذكر الخيل اقوى من الانثى وكانت غلطة فرعون حين طارد موسى انه كان يركب فرسا انثى . وسار جبريل امامه راكبا ذكرا فتبعته خيول فرعون حتى غرقت جميعا .

هل يمكن ان نعتبر الاسد حيوانا نبيلا ؟ انه يجمع فى داخله العديد من المتناقضات . من شجاعة وجبن . ومن تهور وفرار . فهو شريف النفس لايعاود فريسته ولا ياكل من فريسة غيره ولايشرب من ماء ولغ فيه كلب . ولا يقرب المراة خاصة اذا كانت حائضا ولكنه يجبن احيانا فيفر من صوت الديك او هسيس الفار . وعندما صنع سيدنا نوح فلكه الشهير واختار من كل زوج اثنين هتفت الحيوانات فى جزع .. كيف نطمئن ومعنا الاسد . فسلط الله عليه الحمى وهى اول حمى نزلت على الارض ولم يبرأ الاسد من مرضه الا بعد ان غاض الفيضان وانصرف كل حيوان الى حال سبيله .

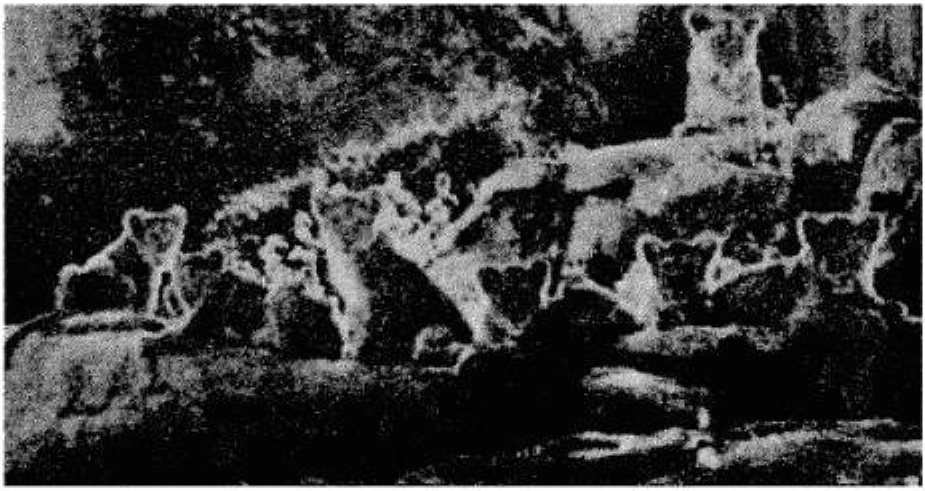
ولكن الحيوانات كلها ليست بمثل هذه الدرجة من النبل طبعا.. النبل نادر بينها .. وبيننا ايضا ولعل اشهر الحيوانات الوضيعة هى « الافعى » انثى الحيات .. الانثى دائما . سمها بالغ الضراوة حتى انها نهشت ناقة وابنها يرضع منها فمات الرضيع قبل ان تموت الام . وهى اعدى عدو للانسان . اذا قطع ذنبها عاد كما كان . واذا قلع نابها نبت بدلا منه . تكره الماء وتعشق الخمر . وهى مثل اى انسان اهوج تشرب .. وتسكر .. وتعرض نفسها بذلك للقتل . وهى انثى غريبة تهرب من الرجل العريان وترقص للنار ويقال ان دمها يجلو البصر . واذا علق قلبها على انسان لايؤثر فيه السحر .. من اكل لحمها فقد أمن من الامراض العصبية

وربما كان البعوض يشابه الافعى فى درجة الوضاعة . ومن المدهش ان البعوض على خلقة الفيل . بل انه اكثر اعضاء منه . واشد ايذاء منه ايضا .. ولعل كل من تعرض للدغ البعوض والبرغوث قد سأل نفسه هذا السؤال الابدى .. لماذا خلقهما الله ؟ ويجيب احد المشايخ ببساطة .. حتى يوقظا النائم للصلاة . وحتى الان لا توجد اجابة اخرى

وهناك حيوان اخر حلت عليه اللعنة رغم قوته ومنفعته انه البغل المسكين وهو مركب من الفرس والحمار لذلك له صلابة

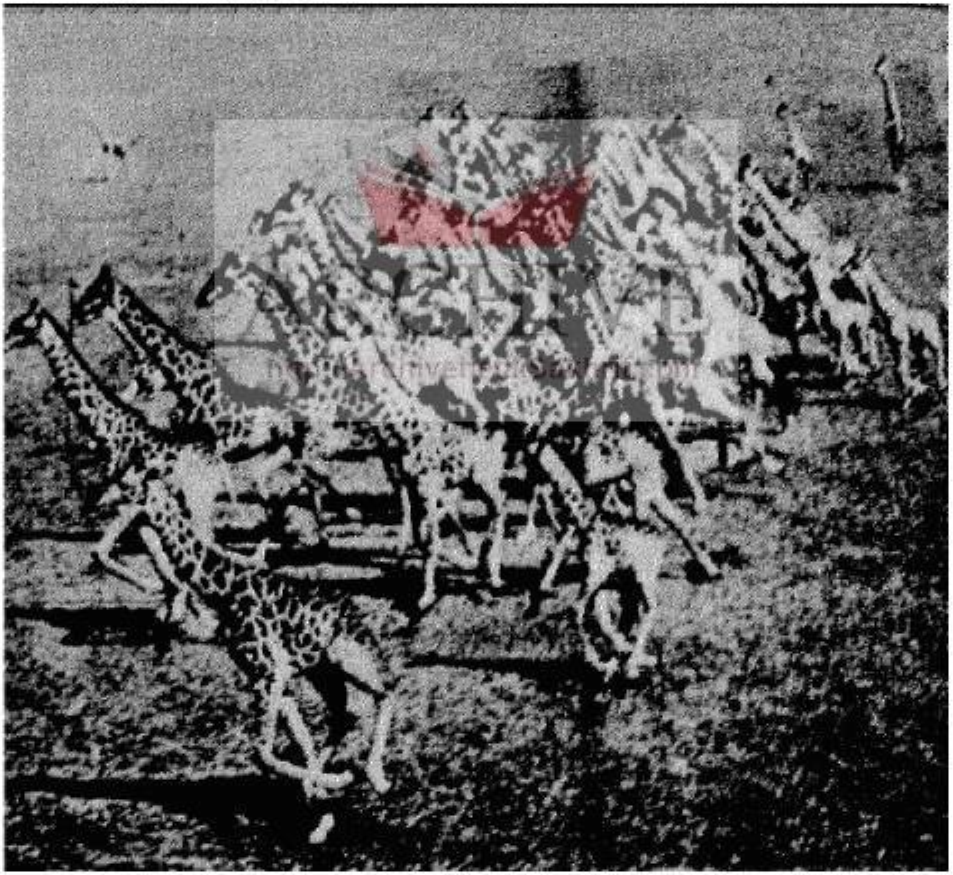
لوحة اخرى من « عجائب المخلوقات »
محفوظة في متحف فريرجا ليرى بواشنطن





هل الاسد حيوان اليف؟

الحيوانات كلها ليست
بنفس درجة النبـــل



الحمار وعظم الخيل . ولكنه عقيم لانسل له . وسبب ذلك هو دعاء سيدنا ابراهيم عليه السلام فعندما وضعوه فى النار كان البغل هو اسرع الحيوانات فى نقل الحطب اليه . مازال نسله مقطوعا حتى الان . ويحمل البغل اشر الطباع لان فى داخله اجتمعت كل الاخلاق المختلفة والعناصر المتباعدة .

● حيوانات متنكرة

ومازال الشيخ الابشيهى يرى العالم بنفس درجة الدهشة ..

فالارنب ينام وعيناه مفتوحتان ويأتى الصياد فيظنه مستيقظا ، واذا ملك زوجته فإنها تجرى به وهو راكب عليها ويجرى معها . والصقر هو اشد الحيوانات تكبرا واضيقها خلقا . ومن اكل لسان الببغاء صار فصيحا . واذا جفف ثمه ووضع بين صديقين صارت بينهما خصومة وكل حيوان اناثه ارقى صوتا من ذكوره الا البقر . وهى تعاشر الذكر مرة واحدة كل عام ، واذا اشتد شبقها تركت المرعى وذهبت . أما البومة فهى مثل الخفاش عدوة كل الطيور لذلك يضعها الصيادون فى شباكهم حتى يقع عليها كل الطير المحب للانتقام . ولا تخرج البومة فى النهار ابدا لانها تعتقد أنه لا مثيل لها فى الحسن وتخاف من الحسد . اما التمساح فيرسل له طائرا يسمى «القطقاط» يدخل فمه وينظف اسنانه وعندما يرتاح التمساح يطبق فمه عليه ليأكله ولكن الطائر يضربه بريشة حادة فى جناحه فيضطر التمساح الجحود لفتح فمه ، والرزق مقسم ابدان مسلطة على ابدان الذئب يصيد الثعلب ليأكله . والثعلب يصيد القنفذ . والقنفذ يصيد الافعى والأفعى تصيد العصفور والعصفور يصيد الجراد والجراد يصيد الزنابير والزنابير تصيد النمل ، والنمل يأكل كل مايتسر من صغير وكبير فتبارك الله الذى اتقن ماصنع .

والجراد حشرة ضعيفة ولكن فى خلقتها عشرة من الجبابرة وجه فرس وعينا فيل وعنق ثور ، وقرنا ايل وصدر اسد وبطن عقرب وجناحا نسر وفخذ جمل ورجلا نعامة وذنب حية اما الجرو او الكلب الصغير فله مشكلة خاصة فالوحى لا يأتى ابدا فى حضوره . أما الحداة فهى اخس الطيور ، لا تصيد الا خطفا . وهى طرشاء عسراء لا تخطف الا من الجهة اليمنى والحرباء تسعى دائما فى طلب الشمس . لذا يقال انها مجوسية وكلما غنى لها الاطفال تلونت بكل الالوان والحمار يسمى ابو محمود . وهو بئس المطية أن اوقفته ادلى . وان تركته ولى كثير الروث قليل الغوث سريع الى القرارة بطىء فى الغارة لا توفى به الدماء وتمهر به النساء . ولا يحلب فى الاناء . والحمام الرقيق الذى يهوى الملاعبة والتقبيل فهو يشغل الغاوى عن الصلاة .. ومن لعب بالحمام لم يمت حتى يذوق الم الفقر ويعانى الخنزير من شدة الشبق فهو يجامع اناثه وهى سائرة فيرى فى مشيتها ستة أرجل ونابه امضى من السيوف ويأكل الحيات ولا يؤثر فيه سمها . واسم الدلال للدجاجة هو أم ناصر الدين وهى تخاف الليل لذا لا تنام الا

بقدر ما تتنفس . وللذباب فائدة رغم كل شيء فهو يحرق ويخلط بالكحل واذا اكتحلت به المرأة كانت عيناها كأحسن ما تكون . ويتصرف طير الشاهين بحماقة شديدة فهو ينقض على الطير بشدة وربما يخطئه فيضرب نفسه في الأرض فيموت . وحيوان الضب اشد حماقة فهو يخرج من جحره ولا يستطيع العودة اليه . ولا يحب الضبع شيئا بقدر حبه للحم الادمى حتى انه يحفر قبور الموتى . وليس هناك من هو اكثر ذكرا لله من الضفدع فهو لايكف عن التسبيح . ومن عجيب أمر الغزال الرقيق انه يأكل الحنظل بشهيه ويحب من الماء المالح . ويسمى العجل عجلا لان بنى اسرائيل استعجلت فى عبادته . ويستطيع العقرب الصغير ان يلسع التنين الهائل فيقتله . ويعشق ابن عرس الذهب ويتخصص في سرقة الدنانير الذهبية ولا يجتمع الغراب مع زوجته الا كالانسان خفية عن الاعين ويسمى الفأر ام خراب . ويقال انه من بقايا الممسوخين الذين كانوا يهودا . ومن اراد ان يعلم ذلك فليضع لها لبن ناقة فى اناء فان لم تشربه فهى منهم ولا تضع انثى الفيل وليدها الا فى النهر لانها لا تستطيع ان تثنى رجليها والفيل اكبر المخلوقات لكنه املح واظرف من كل نحيف الجسم رشيق وهو يمر دون ان يسمع احد صوت اقدامه . وشهرة القرد هى ابو خالد وهو قبيح وذكى وعنده لواط حتى أنه يعدو خلف المليح من شدة المحبة والكركى هو طير الملوك المحبب لانه شديد الادب فى حضرتهم واذا سار وطىء الارض بإحدى رجليه وبالاخرى قليلا خوفا من ان يحس به احد ولا يوازيه فى الادب الا مالك الحزين وقد سمى بذلك لانه لا يشرب من الماء حتى يروى خوفا من ان ينقص الماء واذا جف الماء حزن لانه لا يستطيع العوم . و يطرب النمل للاصوات العذبة . وتنام النعام على بيض غيرها وتترك بيضها .

هكذا تتجمع الصفات وتتداخل .. ونكتشف انه يتحدث عن اناس مثلى ومثلك استبدلوا بثيابهم التقليدية الفراء والجلد الملون . ولكنهم اذا ابتسموا لك رأيت انيابهم واذا صافحوك انغرست اظافرهم فى كفك .

● الجن وعوالم اخرى

لم يبق اذن الا ان نهرب الى عالم الجان ..

سكنوا الارض قبل ان نسكنها وكرروا نفس الاخطاء التى نرتكبها كانوا امما وقبائل ثم تحاسدوا على الملك واغاروا على بعضهم البعض ولم تخمد نيران حروبهم وارسل الله عليهم ملائكته فهزموهم ونفوهم الى اقاصى المعمورة .. ويعيش ابليس زعيم الجان فى البحر المحيط .. لا يلد ولكنه يلقح كالطيور ويبيض ويفرخ ويخرج من كل بيض ستون الف شيطان يسلطهم على الخلق واقرب هؤلاء الشياطين واحبهم الى قلبه اكثرهم ايذاء للخلق .

والشياطين انواع الولهان الذى يسكن فى جزائر البحر ويتخصص فى اغراق السفن والسعلاة الذى يتزين بازياء النساء حتى يفتن الرجال حتى انه

القرد لا يعرف السباحة
ولكنه حيوان مسانس





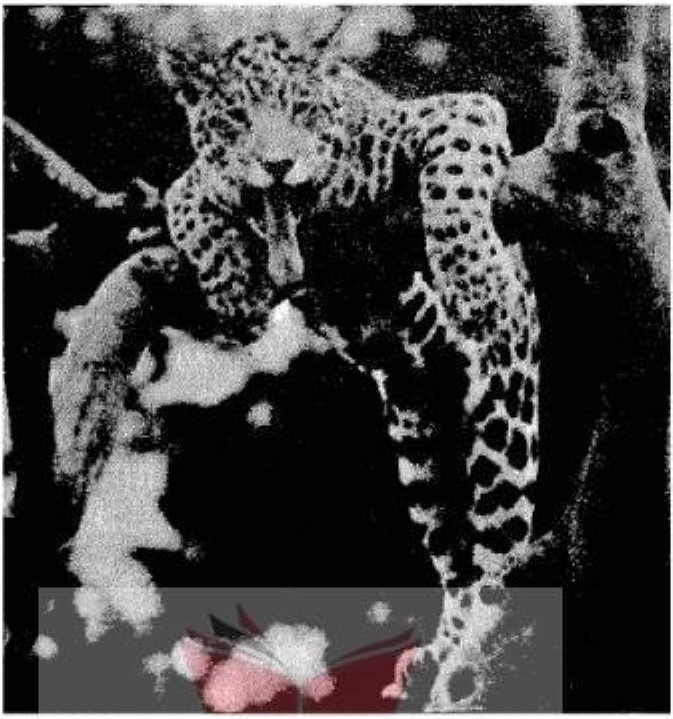
صفحة قديمة من كتاب «عجائب المخلوقات» تبين تميز الفنان العربي الصورة .. والرسم التوضيحي

يتزوجهم احيانا ومنها المذهب الذى يفتن العباد ولايقيم الا بالقرب من صوامع العبادة . والعفريت الذى يخطف النساء وهو دائم الشكوى لان مهمته اصعب من باقى الشياطين .

ولم يخدع الشيخ الابشيهى نفسه فلم يذكر اى نوع من انواع الجن الطيب . ولايقف على البر ساكنا ايضا ولكنه يخلع ملابسه ويغوص الى اعماق البحار .

ما أعزب لحظة خلق الماء وما اشد شاعريتها فعندما اراد الله أن يخلقه خلق ياقوتة خضراء لا يعلم طولها وعرضها الا هو ، ثم نظر اليها بعين الهيبة فذابت وصارت ماء . واضطرب الماء فخلق الريح .

ولاحصر لمخلوقات البحر . منها سمك المنشار الذى يقسم السفينة الى نصفين وسمكة المنارة التى لا تترك المسافرين الا بعد أن يطبلوا لها ويغنوا بصوت عال . وحية البحر التي تصدر صوتا كالنساء يجذب اليها البحارة السذج والدرفين الذى ينجى الغريق بقدرة الله كذلك ينطوى



الأفواه مفتوحة لكل الحيوانات والرزق مقسوم

بطن البحر على المدن الغارقة . اثار القوم الذين بادوا .. يظهرون احيانا مثل ذكرى عابرة امام مسافر مشدوه ثم تختفي سريعا .

وتبدأ كل الانهار من الجبال وتنتهي في البحار .. واحلى هذه الانهار هو النيل المبارك . وهو اشهر انهار الجنة . ويقال ان كل انهار الجنة تخرج من اصل واحد من تحت قبة ارض الذهب ثم تشق طريقها عبر البحر المحيط ولولا ذلك لكانت احلى من العسل واطيب من رائحة الكافور ونهر الفرات اقل حلاوة من النيل ، ويفيض دجلة حتى يخشى على بغداد من الغرق ويقال ان الله امر النبي دانيال ان يحفر لعباده ما يستقون منه وينتفعون به فكان كلما مر بأرض ناشده اهلها ان يحفر عندهم حتى حفر دجلة والفرات .

ولا تنتهي عجائب الشيخ الابشيهي ولا تنتهي عجائب الزمان . فسبحان الذي سوى كل شيء وجعل اعجوبته الكبرى هي الانسان .

آثارنا

بين البقاء والفناء

بقلم : د. جمال مختار

<u>Islamic Cairo</u>

During a brief stop-over in Cairo recently, I was ...dly shocked to see the state of deterioration into which ...of the most important Islamic monuments of the old city have ...llen. Specifically:

- Sultan al Ghoury mosque/mausoleum/madrassa complex, which has lost a dome and whose floor has recently caved in, apparently as a result of recent road-works, and

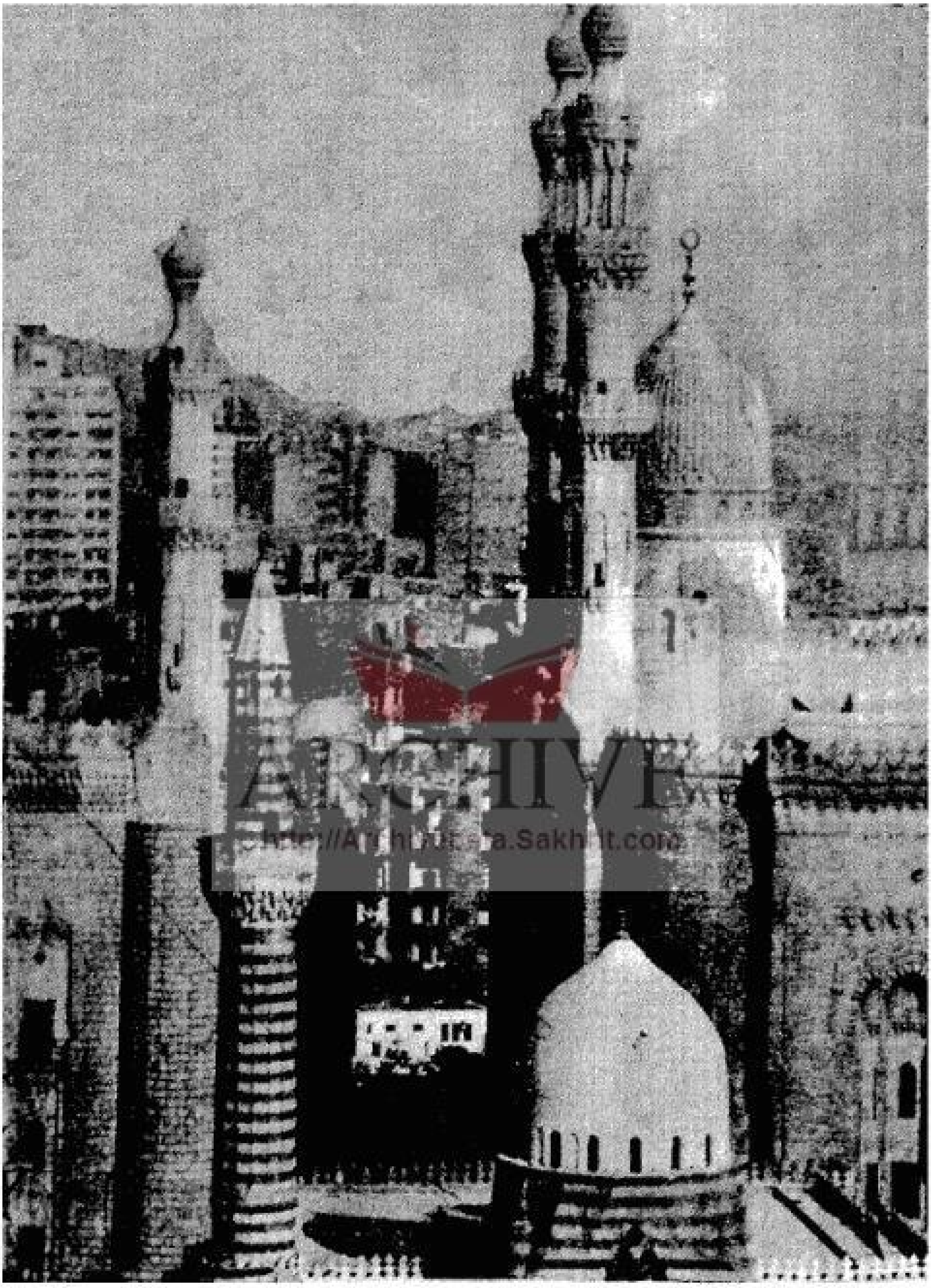
- Beit Seheimy, one of the finest Ottoman palaces of ...iro, now closed and shored up with wooden props, which is also ...ently in danger of collapse.

I was informed by friends that restoration works ... ...th monuments, but it is my impression that in view ... advanced state of deterioration, urgent action ... to save these (and possibly other) important

رسائل لليونسكو تبرز الاهمال الجسيم الذى يهدد آثارنا بالدمار !

آثارنا مهددة بالفناء ، وهناك عوامل كثيرة تسببت فيما آلت إليه هذه الآثار ، سواء الفرعونية او الاسلامية وغيرهما ، ووراء ضياع اعظم الثروات فى العالم كله واغناها .

وفى كثير من الأحيان لا نتحرك لمواجهة الخطر فى الوقت الذى نجد فيه بعض الأقلام تتناول آثارنا بالكتابة عنها والتنويه بالخطر ، حتى أن اليونسكو اضطرت اخيرا الى ارسال خطابات بهذا المعنى للتنبيه عما سوف يحدث من جراء الاهمال الجسيم ، وهو ضياع هذه الآثار ودمارها ! !



اثارنا

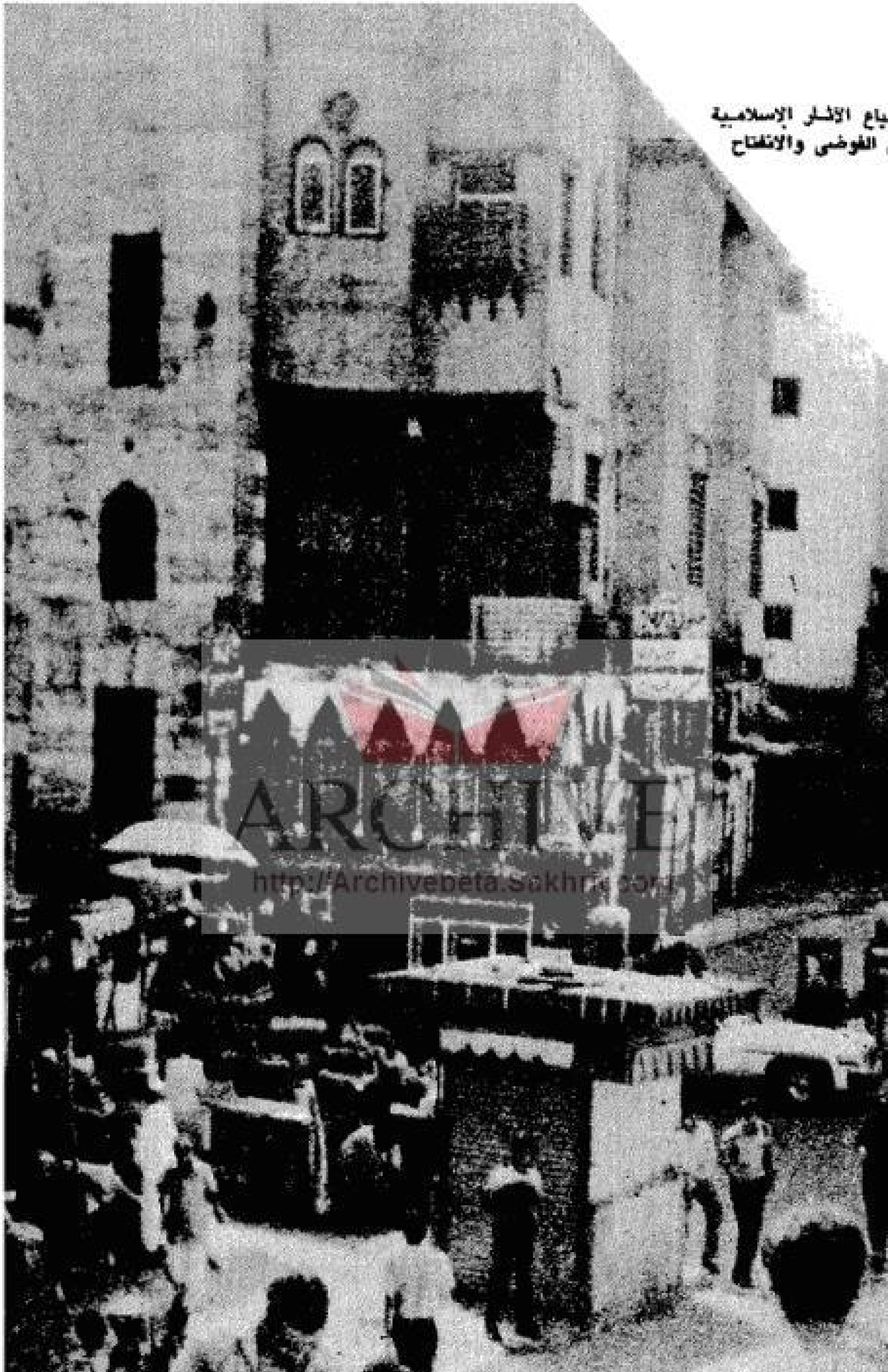
● **اليونسكو وحملات مكثفة**

وليس من شك فى أن اثار العالم تجتاز الآن مرحلة خطيرة ودقيقة ، تؤكدها عشرات الحملات الدولية التى يقوم بها اليونسكو فى سبيل إنقاذها ، كحملات إنقاذ اثار النوبة بمصر وحملة اثار فينيسيا (البندقية) وفلورنسا بايطاليا ، والاكروبول باليونان ، وقرطاجنة بتونس ، وفاس بالمغرب وحى القصبة بمدينة الجزائر وغيرها فى كثير من البقاع والمناطق الأثرية المنتشرة فى العالم .

أما فى مصر فالخطر اكبر والمشكلة اعقد ، فهناك مخاطر طبيعية وبشرية عديدة تهدد اثارنا ، وهى ناتج عوامل بعضها قديم ارتبط بالزمن ، والبعض الآخر حديث فرضته ظروف الحياة المعاصرة ، وتكمن الأهمية الزائدة لهذا الموضوع فى أن مصر من أكثر بلاد العالم اثارا ، ففيها مئات المواقع الأثرية الفرعونية التى تضم بعضها آلاف المقابر والمعابد ، ومختلف الأبنية الأثرية والتى مضى على بعضها قرابة الخمسة الاف

لو كان الحجر ينطق .. لصرخ





ضياع الآثار الإسلامية
بين الفوضى والانفتاح

آثارنا

عام ، ولدينا آثار يونانية ورومانية وقبطية وبيزنطية فى انحاء الوطن كافة ، وتحتاج الى ترميم وصيانة دورية .

● مرارة الاستغاثة

أما الآثار الاسلامية ، فيكفى فى الحديث عنها تناول مدينة القاهرة التى تضم العديد من الآثار الاسلامية ، يتجاوز عددها الخمسمائة أثر ، وتمثل فترات التاريخ الاسلامى التى مرت على مصر منذ الفتح الاسلامى ، وتعد بعض المناطق مثل الجمالية والدرب الأحمر والخليفة وباب الشعرية ومصر القديمة من المناطق المزدحمة بتلك الآثار التى يمثل بعضها آثارا دينية كالجوامع والمدارس والخنقانات وبعضها آثار حربية كالقلاع والحصون والأسوار والأبراج والبوابات ، وبعضها آثار حديثة مثل الأسبلة والحمامات والمدارس والكتاتيب والوكالات والبيوت ، فضلا عن الآثار الحديثة والمتاحف التى تضم آلاف القطع النادرة .

وهذه الآثار تحتاج إلى انقاذ وترميم واصلاح وعلاج وتقوية وصيانة وحماية ووقاية ، وإعادة بناء وتنظيف وتجميل والواقع أن ذلك الخطر على الآثار يرجع الى عوامل طبيعية أو بيئية وأخرى بشرية من قبل الانسان .

● العوامل الطبيعية : وتجرى مواجهتها بالترميم والصيانة والتقوية والانقاذ ، وتستعين الهيئة المختصة فى سبيل ذلك بأحدث الطرق العلمية والتكنولوجية .

● العوامل البشرية : وفى مقدمتها التوسع الزراعى ، وما يتبعه من مشروعات الرى و الصرف ، مما يزيد فى نسبة الرطوبة الجوية وفى ارتفاع مستوى المياه الجوفية ، كما تؤدى بعض مشروعات الرى الى غرق الآثار تماما ، كما يؤدى الصرف الصحى وشبكات المجارى فى كثير من الاحيان إلى رفع منسوب المياه الجوفية ومن ثم إلى ظاهرة الطفح التى تضر بكثير من الآثار .

● المنشآت السياحية وغيرها : وقد أدى تزايد الحركة السياحية إلى اقامة بعض المشروعات السياحية داخل مناطق الآثار ، ومن أمثلة ذلك ، المقاصف ، والأسواق والاستراحات .

● كما أن بعض المشروعات الصناعية والترفيهية والتجارية وبعض المنشآت العسكرية ، تهدد بعض الآثار تهديدا مباشرا .

● وإلى جانب ذلك فإن حركة المواصلات ومشروعاتها من برية وجوية ومائية ، تؤثر فى قلقلة الآثار واهتزازها فى بعض المناطق

● التعدى على التلال الأثرية : تتوزع هذه التلال على مختلف أنحاء البلاد ، داخل نطاقات المزارع والمدن والقرى ، وتشغل مساحات تزيد على ٢٥٤ الف فدان ، وتتعرض لكثير من مظاهر التعدى ، سواء بالنهب أو التجريف ، مع أن الدراسات الأثرية والعلمية تؤكد احتمال ضمها للآثار ، كمبان أثرية ، أو بقايا

مستوطنات ومراكز سكنية ، او اطلال مدن وبلدان قديمة ، أو غير ذلك من المعالم الأثرية .

ومن أجل ذلك تحاول الهيئة المختصه منـع استغلالهـا ، وتتحمل مسئـولية حراستها حتى يتم جس أرضها والتنقيب عنها واستنقاذ مايحتمل ان يوجد بها من قطع اثرية ، فاذا ثبت عدم وجود آثار أو بقايا اثرية بها ، تم تسليمها للدولة لاستغلالها على النحو الملائم زراعيا او عمرانيا ، مما يحتاج إلى اعتمادات كبيرة وجهود شاقة ، تستدعى دعما كافيا ومستمرا حتى يمكن تصفية اوضاعها .

القرى والمستوطنات السكنية داخل المناطق الأثرية : تنتشر داخل بعض المناطق الأثرية أو على جوانبها بعض القرى والمستوطنات السكنية ، مما يعرض الآثار للسرقة والنهب ، أو التعدى بالتشويه وسوء الاستخدام ، بل والسكنى احيانا بالمبانى الأثرية ، الى جانب مايسببه بعض السكان من مضايقات ومتاعب للسائحين والزائرين ، ولرجال الآثار انفسهم .

ومن امثلة هذه القرى والمستوطنات :

● قرية « نزلة السمان » الملاصقة لمنطقة اهرامات الجيزة ، والتى بنيت فوق معبد الوادى للملك خوفو .

● قرية « ميت رهينة » المبنية بين اطلال مدينة « منف » القديمة .

● المساكن المتاخمة والمتداخلة مع معبد « الكرنك » فى الاقصر الشرقية .

● قرية « القرنة » المقامة داخل جبانة « طيبة » بالاقصر الغربية .

● قـرى أخـرى عـديـدة منهـا « الطارف » و « ذراع ابو النجا » .

الايواء فى المبانى الأثرية : ويتم ايواء



اليونسكو القاهرة الإسلامية

خلال وقفة قصيرة في القاهرة أخيرا صدمت لرؤية حالة التدهور التي أدت الى انهيار بعض أهم الآثار الإسلامية للمدينة القديمة وعلى وجه التحديد جامع السلطان الغوري / الضريح / مجمع المدارس الذي فقد قبته وانهارت أرضيته أخيرا كنتيجة لأعمال الطرق كما هو واضح

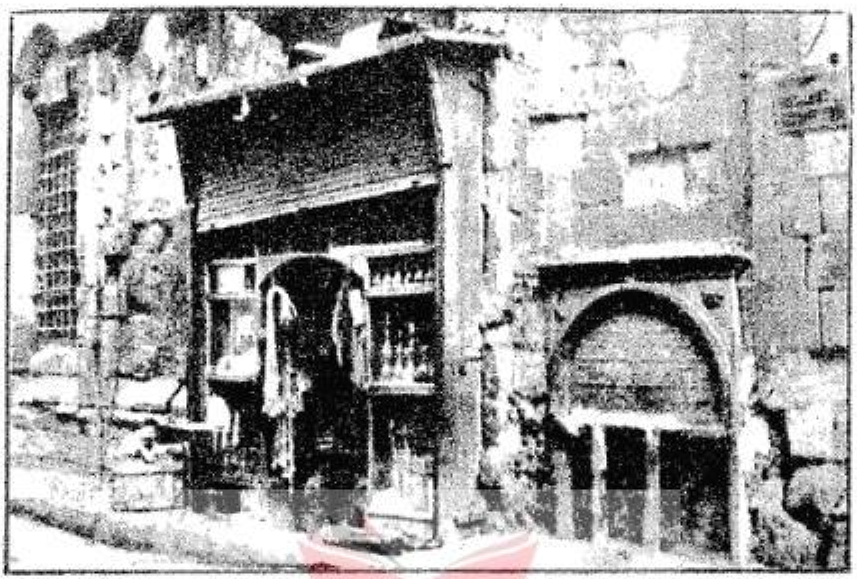
- بيت السحيمي أحد أجمل القصور العثمانية في القاهرة مغلق الآن ومحاط بالأعمدة الخشبية مما يدل على أنه معرض لخطر الانهيار

- لقد علمت من أصدقاء أن هناك خطة لأعمال الترميم لكلا الأثرين ولكن من وجهة نظري أن الحالة المتأخرة بالفعل لهذا التدهور تحتم القيام بحملة إجراءات سريعة لإنقاذ هذه الآثار الهامة

● رسالة من اليونسكو تبين مدى اهتمام زوار آثارنا الإسلامية ، ومدى خوفهم على انهيارها ودمارها

آثارنا

البوتيكات في
المباني والاثرية



محلات الانفتاح على ابواب المساجد



بعض الذين تهدمت مساكنهم فى بعض المبانى الأثرية لانقاذ عاجل حتى يتم توفير البدائل الممكنة ، مما يؤثر على سلامة هذه المبانى وتشويهها .

وعندما تتدخل الهيئة المسئولة لحماية تلك المناطق والمبانى الاثرية ، تنشب كثير من المشكلات المعقدة مع السكان الاخذين فى الازدياد ومن ثم تزداد حاجتهم الى المساكن والمرافق .

ولن يحل هذه المشكلة سوى اتخاذ سياسة واقعية تهدف الى نقل هؤلاء السكان من حرم الآثار الى اماكن جديدة بعيدة الى حد مناسب من مناطق الآثار والمبانى الأثرية .

● عدم التنسيق بين الأجهزة المعنية :

من المسلم به أن الهدف من قيام هيئة او مؤسسة على المستوى المركزى او المحلى ، هو خدمة الأهداف العامة للبلاد بالاساليب التى يحددها دستور الدولة وقوانينها وتشريعاتها ، وقد يحدث عندما تقوم جهة من هذه الجهات بعمل أو بتنفيذ مشروع معين ، أن تراه جهة أخرى ، من وجهة نظرها ، متعارضا مع مصلحة او منفعة عامة ، وفى مثل تلك الحالات ، لايجب أن يعزى هذا إلى سوء القصد ، بل إلى التباس الامر او عدم وضوح الصورة ، او إلى الحماس لتحقيق هدف مقصود .

ويجب أن يؤخذ هذا المبدأ العام فى الحسبان عند رسم السياسة التى تحدد العلاقة بين الجهة المسئولة عن حماية التراث الاثرى ، وبين الجهات الأخرى المسئولة فى الدولة ، لاسيما اجهزة الحكم المحلى وبعض الوزارات المعنية ، وذلك لاعتبارات عديدة من بينها :

● ضخامة المسئولية عن الآثار وتشعبها وأهميتها على المستويين المحلى والعالمى .

● تعرض التراث الأثرى للتصدى من جهات كثيرة مختلفة ، فى ظل ذرائع متعددة منها :

التوسع الزراعى ، او النشاط العمرانى ، او الأمن الغذائى ، او الرواج السياحى .

ومما يلقى مزيدا من الضوء على جوانب هذه المشكلة

● أن الادارة المسئولة عن التراث الاثرى وإن كانت مركزية ، فإن مسئوليتها تمتد الى كل مكان توجد به آثار .

● أن توزع المواقع الاثرية على مختلف المحافظات يجعلها تحت السيطرة غير المباشرة لأجهزة الحكم المحلى .

● ان بعض المشروعات التى يرى الحكم المحلى ـ او بعض الاجهزة الاخرى المسئولة انها ضرورية واساسية ، يحقق تنفيذها فعلا اهدافا قومية ، ولكن تنفيذها كثيرا ما يصطدم بحماية التراث الاثرى .

ومن مشاكلنا الكبرى فى هذا المجال ضعف الوعى القومى بتراثنا الخالد ، سواء من جانب الشعب ، وخاصة الأهالى فى المناطق المليئة باثار ، فهم كثيرا ما يعتدون على المناطق الاثرية ، او يساهمون فى سرقتها ونهبها ، أو من جانب الأجهزة الحكومية التى لا تكترث بقوانين الآثار ، او تؤمن بقدسية التراث .

وعلى صعيد آخر نجد أن العالم كله يحرص على المساهمة فى انقاذ آثارنا وترميمها والحفاظ عليها ، وقد كانت حملة انقاذ آثار النوبة ومساهمة مايقرب من نصف الدول الأعضاء فى اليونسكو مساهمة مادية او علمية او فنية خير شاهد

آثارنا

على ذلك ، كما رحبت فرنسا بانشاء المركز المصرى الفرنسى لترميم الكرنك وكذا هولندا قامت بانشاء المركز المصرى الهولندى لترميم معبد حتشبسوت بالدير البحرى بالضفة الغربية للاقصر ، وساهمت ،ايطاليا فى ترميم مسرح الدراويش بالقاهرة ، وبولندا فى ترميم وتطوير منطقة آثار كوم الدكة والمسرح الرومانى بالاسكندرية ..

● الوعى العالمى والوعى القومى

بل نرى مدى الوعى العالمى والحماس الكبير لتراث مصر الخالد فيما ينشر فى صحف العالم متعلقا بآثار مصر وضرورة حمايتها وعلاجها فهذا مقال نشر منذ فترة قصيرة فى جريدة نيويورك تايمز الواسعة الانتشار عن المياه الجوفية ومدى خطورتها على آثار مصر ..

ذكر مراكبى مصرى يدعى محمد أن النهر حياته كما كان بالنسبة لوالده من قبله وسيكون لابنه من بعده - والنهر لايهجر ابناءه .. ومع ذلك فعلى طول ضفاف النهر حيث تزايدت التجمعات البشرية خلال الألف عام واعترض المهتمون بتضاؤل قدرة مصر القديمة على الصمود امام تحديات الجديد !

فالآثار التى تحملت آلاف السنين وعاشت حتى فى الهواء الملوث وتدفق السائحين تواجه الآن خطرا جديدا نتيجة زيادة المياه الجوفية والتلوث الذى يهدد حتى الآثار التى لم يتم اكتشافها والتى كان يعتقد أن الرمال التى تغطيها تحميها .

« كنا نعتقد أن الآثار التى لم يتم استخراجها من التراب بمأمن لكننا وجدنا البيئة الأصلية لها غير صالحة فحتى المواقع التى لم يتم حفرها تعانى من هذه القوى الهدامة وذلك من وجهة نظر « كينت ويكس » الأمـريكى المتخصص فى المصريات فى الجامعة الأمريكية بالقاهرة ومنذ سنوات طويلة اعترف المتخصصون فى المصريات بالخطر الذى يهدد التحف التى لم يتم اكتشافها .. ولكنهم ظلوا على اعتقادهم انه يمكن بقاء الآثار فى باطن الأرض بمأمن لاكتشاف الأجيال القادمة لها فى المستقبل واعطاء الفرصة حاليا للعلماء للتركيز على الآثار التى تم اكتشافها بالفعل ..

ولكن تبعا للعديد من الخبراء فهناك دلائل من الاكتشافات الجديدة تبين الأضرار وقد تولد الشعور بضرورة القيام بالأعمال العاجلة منذ بناء السوفييت للسد العالى فى اسوان - أعلى النهر فى مصر - والذى ادى الى حدوث تغيير أساسى للبيئة فى وادى النيل - الشريط الرفيع الخصب الذى يغطى نحو ٣٪ من مساحة مصر ويعيش فيه معظم الشعب المصرى البالغ عدده ٥٥ مليون نسمة ..

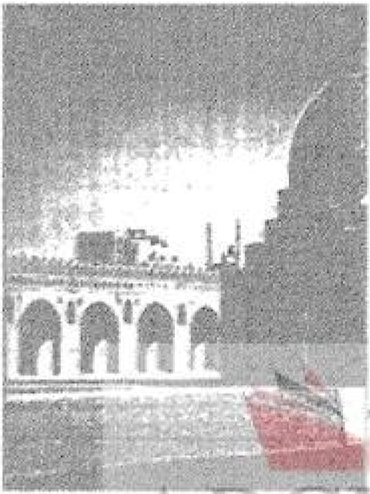
وعندما عمل السد فى الستينات احتجزت مياه الفيضان واستخدمت فى مواسم التحاريق وبذلك تمكن المزارعون من زراعة الأرض مرتين فى العام وامتلأت قنوات الرى على مدار العام .. ومن قبل كان فيضان النيل يقتضى زراعة محصول واحد فى السنة مع انحسار مياه الفيضان .. فى نفس الوقت الذى ازدادت فيه فرص الحصول على الغذاء وتقدمت الرعاية الصحية واصبح هناك وقاية من الفيضان والجفاف ازداد عدد سكان

مصر.. ومع عام ٢٠٠٠ وتبعا للتقديرات المصرية والغربية سيزداد عدد السكان الى اكثر من ٧٠ مليون نسمة فى الوقت الذى تعجز فيه الأرض المتاحة للزراعة التقليدية والاسكان عن التوسع لمواجهة هذا النمو ..

وبالنسبة للثروات الأثرية العظيمة التى اكتشفت فى مصر والتى تعد أكبر اكتشافات فى العالم أدت هذه التغييرات الى كارثة بدأ من أبى الهول فى الشمال الى معبد الاقصر ..

وقد ارتفعت نسبة المياه الجوفية وازداد الجو رطوبة بسبب امتلاء قنوات الرى باستمرار كما سرت أملاح التربة فى الأبنية القديمة وفصلتها عن الصخرة المقامة عليها كما لوثت مياه الصرف التربة ومع ازدحام الزائرين وزيارتهم للأماكن فى مدينة الأحياء ومدينة الموتى على كل ضفة للنيل تهتز اوتوبيسات الرحلة فوق القبور ويملأ العرق غرف المقابر التى كانت فى عزلة من قبل .

ويقول بعض المتخصصين أن العرق داخل مقبرة توت عنخ آمون يوميا يعادل ٦ جالونات من السائل الذى يتسرب الى الاكفان ويضر بألوان الحائط .



القاهرة ـ ٢٠ ديسمبر ١٩٨٩ .
جامع ابن طولون (٨٧٦)

انه تراث عالمى للفن الاسلامى فى القاهرة : "تراث البحر الأبيض المتوسط لـ ١٠٠ موقع اثرى ـ ايضا ـ وهناك ارتفاع لعمارة سكنية امام الجامع نفسه "انظر الصورة" على الرصيف المقابل امام باب الدخول . الارتفاع يزيد ٣ او ٤ ادوار من اجل نصف دستة شقق سكنية كان العمل يجرى بها" . فى ٢٠ ديسمبر .. وهكذا فإن المنظر على سماء نقية وكاملة والتى كان المرء يراها من ساحة هذا الجامع الكبير .. سوف يتم شرخها بهذه الحماقة ـ وهناك شك ان يكون البناء قد حصل اصلا على تصريح .. واذا لم يكن الأمر كذلك فإنه لاتوجد اذن اية دائرة محمية حول الجامع (أو حرم خارجى للجامع) .

● ورسالة أخرى من اليونسكو تبين التعديات التى تمت حول الاثار الاسلامية واضاعت معالمها تماما .. فهل ننتبه الى ذلك ؟!! ..

آثارنا

وتشد بعض اعمدة معبد الاقصر الى سقالات خشبية بسبب تحركها فى البيئة المتغيرة .

ومنذ عامين سقط أحد الاحجار الجيرية لابى الهول وهو مايعطي مؤشرا لانهيار الاثر الذى يقدر بنحو ٧٠٠ رطل ..

وقد اكتشف الباحثون الامريكيون العاملون فى معبد الكرنك مؤخرا كمية كبيرة من الرمال المحيرة أثناء عمليات الاكتشاف وانتهوا الى انها كانت من قبل احجارا رملية تحللت فى باطن الأرض من خلال تغيير التربة حولها .

وفى أوائل عام ١٩٨٨ افتتح قبر جديد لاول مرة فى وادى الملوك إلا أن تسرب مياه الصرف من الانابيب المكسورة كان ضخما لدرجة حالت دون القيام بأى عمل لمدة ستة اشهر ..

وقد ذكر عالم امريكى آخر فى المصريات انه لايوجد مكان واحد فى مصر يخلو من التهديد ..

وأثناء مناقشتهم للقضايا التى تؤثر على مستقبل بعض العلامات الكبرى فى تاريخ البشرية .. اتفق العلماء المصريون والأجانب بأن هناك حاجة ملحة للجهود الدولية للحفاظ على الآثار .

وقد ذكر أحد المتخصصين الغربيين أن أنواعا معينة من الآثار تحلل أمام أعيننا ولكن عملية التجديد بطيئة وستأخذ المزيد من الوقت فى أبى سمبل مشيرا إلى أن الجهد الرئيسي ذهب لاعادة تركيب أبى سمبل بعد ارتفاع الماء خلف سد أسوان .

ويكشف السائحون عن مصدر النقاش بين العديد من البيروقراطيات المصرية المتصارعة التى كان لها الكلمة فى كيفية الحفاظ على الآثار المصرية وتطويرها .

وذكر أحد الخبراء الغربيين أن هناك نزاعا مستمرا بين وزارة السياحة التى تحاول تشجيع صناعة نشطة ووزارة الثقافة التى تحاول حماية الآثار التى لاتقدر بثمن .

وأساس النقاش هو الملاحظة المعروفة لكل من المصريين والأجانب أنه لم يتعامل أحد مع مشكلة بهذا الحجم .

وفى السنوات الأخيرة على سبيل المثال ـ مر المواطنون بتجربة أساليب حماية معبد الكرنك الذى يرجع تاريخه الى ٤ الاف عام من ارتفاع منسوب المياه الجوفية عن طريق حفر خندق حولها لتجفيف المياه الزائدة .. ولكن امتلا الخندق نفسه بالمياه وضاعف من حجم المشكلة .. وقد أغلقت بعض المقابر ببساطة لايقاف تدهورها .

وقد ذكر احد المتخصصين الأمريكيين ان ضخامة المشكلة هى احد الأعتبارات الرئيسية والاعتبار الثانى هو أننا لانعرف ماذا نفعل لأنه لم يقم اى أحد بهذا من قبل ..

× × ×

ومن بين الاهتمام العالمي بآثارنا تلك الخطابات التى وصلت عن طريق اليونسكو من العديد من المهتمين بالآثار المصرية فى كافة انحاء العالم ، يستفسرون فيها عن اشاعات أو اخبار تثير القلق منها خطاب يتساءل عما يتخذ من اجراءات

لانقاذ مجموعة جامع السلطان الغورى الأثرية ، وعن بيت السحيمى وهما من الآثار الاسلامية بمدينة القاهرة ، وعن الخطوات التى اتخذت لترميمهما .

وايضا خطاب يسأل صاحبه عن مدى صحة الاشاعة التى تردد الموافقة على انشاء طريق يستخدم التلفريك للصعود الى جبل موسى بسيناء ، مما سيؤثر على قدسية المنطقة ..

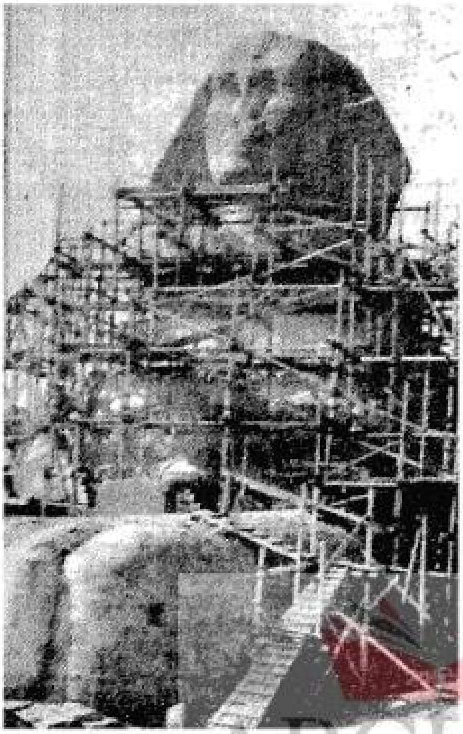
وآخر يتحدث صاحبه عن بعض العمائر الحديثة التى اقيمت بالقرب من جامع ابن طولون ، وذلك شوه روعة الأثر ، وما اكثر الآثار الاسلامية التى زحفت عليها المدنية واثرت على جمالها .

● التوعية بالآثار

ومما سبق يتضح بجانب قيام الدولة بدورها تجاه اثارنا حتمية جديتها فى هذا المجال .. وتعاون جميع الأجهزة الحكومية فى تنفيذ ذلك .

فإنه من الضرورى الاهتمام بالتوعية بالآثار . حيث لن تكفى الجهود الرسمية مهما تكثفت ، ولا اهتمامات المثقفين مهما اخلصت لحماية التراث الاثرى والحفاظ عليه ، وذلك لطبيعة الآثار ذاتها ولتوزيعها على امتداد القطر المصرى بأكمله فى واديه ودلتاه .

إن الحفاظ على هذا التراث يلزم أن تتسع دائرته لتشمل الشعب المصرى بمجموعه وعلى اختلاف طبقاته ، أى يتحول الاهتمام بالآثار والحفاظ عليها من مجرد امر يهم فئة من المجتمع الى قضية عامة ، بحيث تصير محط اهتمام المجتمع برمته ، بل لابد أن تكون محط اهتمام رجل الشارع ايضا .



جبيرة .. فى صدر ابى الهول

والرسالة التى يجب ابلاغها إلى فئات المجتمع ، ينبغى أن تكون واضحة وبسيطة ، وتخاطب فى الانسان المصرى عقله وعاطفته فى آن واحد ، وتسير فى خطوط متوازية مبنية على الحقائق التالية .

أولا : أن التراث الأثرى ليس مجرد احجار خرساء أو أطلال دارسة او بقايا ابدع اجدادنا فى صنعها وتشكيلها ، وانما هو التجسيد المادى لتراث روحى وفكرى وفنى اصيل ، ونحن نتاج له ، ولن يمكننا أن نفهم انفسنا أو نقدر الطاقات الكامنة

آثارنا

فى أعماقنا الا إذا اكتشفنا هذا التراث وفهمناه ، وقدرناه حق قدره ، وبما أننا أبناء له ، فلا مجال للتضاد بيننا وبينه ، واحترامنا له إنما هو فى الواقع احترام لذواتنا .

ثانيا : ـ ان حبنا لوطننا واحساسنا بالانتماء اليه ليس مجرد شعارات ترفع او اغان تردد ، وأنما يقتضينا ان نقدر قيمة كل ماهو مصرى ونحترمه ونعكف على دراسته ونستخلص معانيه ونستلهم مثله العليا وبذلك تكون الآثار من اهم الوسائل التي تساعد على تعميق الشعور بالانتماء القومى الى تراب مصر والاعتزاز بكل ما هو مصرى .

ثالثا : ان تتبع مسيرة الحضارة المصرية بانجازاتها وكبواتها على مدى الاف مؤلفة من السنين لجدير بأن يزرع الثقة فى نفس المصرى ويقوى ايمانه بقدرته على مغالبة الصعاب وتخطى النكسات ، لأن النظرة الى ماضينا ستثبت له حقيقة واحدة هى استمرارية الوجود المصرى ، وان الكبوات ماهي الا ظواهر طارئة وقعت وتقع ، ولكن مصر قادرة دائما على النهوض منها لتمضى فى مسيرتها الى ما شاء الله .

رابعا : ان الآثار تلعب دورا حيويا فى بناء ودعم الاقتصاد المصرى وامكانياتها الهائلة فى هذا المجال لم تستثمر حتى

سانت كاترين ـ سيناء
٢٠ ديسمبر ١٩٨٩

إن الدير فى حاجة الى السلام والهدوء والاحترام ـ ولكن السيارات تصعد حتى الابواب هذا رغم وجود حاجز من السلاسل ولكنه سهل الاختراق ـ والاكثر أن هناك حديثا عن مشروع اقترحه رجل اعمال سويسرى : تلفريك للسياح (ويقال من اجل تبرير المشروع ان ذلك سوف يخدم ايضا القساوسة كبار السن) من اجل تأمل الدير من فوق جبل موسى ومن اجل ايجاد مدخل لهذا الكنز الذى تملكه البشرية ولاذا كان المكان ليس بعد تراثا عالميا الا انه اعتبر منطقة محمية (او محمية) بقرار من رئيس الجمهورية .

الا يعلم الرئيس مبارك انه عندما يعطى الضوء الاخضر لمشاريع سياحية من هذا النوع (الذى يسبب صدمة) سوف يحول هذا المكان المقدس ، والذى يستحق ان يصعد اليه المرء بلا مجهود ، سوف يحوله الى مكان للاحتجاج اليومى تجاه وزير الثقافة وايضا مثار حملة لاستنكار هذا الاعتداء على مقدسات ثلاثة اديان .

إن السياحة لاتتطلب مثل هذا المشروع وإذا كان الصعود يعتبر حادا للغاية (او مرهقا للغاية) فلماذا لايتم انشاء مشروع لتشغيل مجموعة من الحمير من اجل ذلك وهو امر سيؤدى الى إتاحة فرص عمل اكثر عما انه سيكون مقبولا .

● ورسالة ثالثة عن طريق اليونسكو تحذر من اخطار ماقيل حول مشروع للتلفريك اقترحه رجل أعمال سويسرى بدير سانت كاترين

الآن .. الاستثمار الأمثل .

حقا ان جانبا من الدخل السياحى ، لايرتبط اساسا بالآثار ، ولكن علينا ان نعترف بأن معظم زوار مصر لايفدون اليها لمشاهدة معالمها الحديثة وانما يجذبهم اليها فى المجال الأول تراثنا الاثرى على اختلاف عصوره باعتباره تراثا متصلا وابداعيا وفريدا وذا أصل خلاق تمتد جذوره فى اعماق التاريخ .

خامسا : أن التاريخ والآثار وتعميق المعرفة بهما يمثلان جانبا هاما من المعرفة الاساسية للشعوب ، اذ من خلال الوعى التاريخى والاثرى تكتمل الثقافة القومية وتبرز الشخصية الوطنية ويحدث التكامل بين الماضى والحاضر والمستقبل ، كما أن الوعى بهما لامر اساسى فى التكوين الثقافى المعاصر ، وركن ضرورى فى التطوير السياسى والاقتصادى والأجتماعى والتعليمى ، ووسيلة فعالة لتقوية الروح القومية وبلورة الشخصية المصرية ، وحافز هام فى سبيل بناء مستقبل مشرق زاهر ، ووسيلة لعبور جسور الأغتراب الثقافى بين الانسان المصرى المعاصر وبين تراثه وآثاره .

سادسا : ان المجتمع المصرى بوجه عام غير متجانس ثقافيا ولايزال يمر بمرحلة التقارب بين فئاته من الناحية الثقافية ، ولذا ينبغى الأهتمام بعنصر مشترك بين كافة افراد المجتمع الا وهو التراث الحضارى والتاريخى وتنمية الوعى به بحيث يدرك كل فرد من المجتمع - رغم الاختلاف فى الامكانيات الثقافية والذهنية والمصالح الاقتصادية ان له صلة حتمية وعلاقة روحية وفكرية ومادية بذلك التراث فيهتم به ويحافظ عليه .

سابعا : انه يمكن من خلال الامثلة التاريخية والشواهد الاثرية معالجة بعض مظاهر السلوكيات السلبية واللامبالاه ، بالدعوة الى التمثل بالاجداد الذين بنوا هذا الوطن وحضروه ورفعوا ذكره ، مع التاكيد بأنه واجب حتمى على كل مصرى ، يفرضه العدل والحق وحتمية الوفاء ان يجلو حقائق ذلك التاريخ ويكشف عن عظمته وعن روعة وأصالة وعراقة حضارته ..

انه لامر حتمى على الشعوب الناهضة ان تستوعب تاريخها وامجادها السالفة لتكون اساسا لنهضتها الفكرية والروحية ، فقد علمنا التاريخ انه لابد وان تبدأ النهضة الثقافية بالبحث عن الجذور والأعماق ، كما حدث فى عصر النهضة ابان الاسرة السادسة والعشرين الذى اطلق عليه « عودة الروح » او فى النهضة الأوربية حين امتزجت بحركة الولادة الجديدة (رنسيسانس) او ما حدث فى اليابان فى القرن الماضى .. وعلى هذا فمستقبل الأمة المصرية لابد أن يقوم اساسا على تراثه الماضى وكيان بلورة الانسان المصرى للمستقبل لابد أن يمتد الى الماضى وان يعتمد على تعميق الوعى بتاريخه وتراثه وحضارته ..

ولذا فمن الضرورى وضع خطة توعية ذكية تقوم بشرح هذه المفاهيم وتخاطب كافة فئات المجتمع وتوجه الى قطاعات الشعب المختلفة : الاطفال - التلاميذ والطلاب الشباب والشيوخ - المسئولين ، كل من الزاوية التى تعنيه وتؤثر عليه تأثيرا مباشرا ، كما تستخدم كافة وسائل الاعلام والثقافة (الصحافة ، الاذاعة - التليفزيون ، الكتب والنشرات المسرح والسينما والمحاضرات والندوات)



رئيسة جورباتشوف

هل أسهمت في التمهيد للبريسترويكا ؟

بقلم : عبد الرحمن شاكر

هل هي محاولة من كاتب « البحث عن البروسترويكا» مصطفى الحسيني لاثبات المثل الشهير الذي يقول : إن وراء كل عظيم امرأة أم أنه محاولة منه لإغاظة المسز تاتشر ، التي تتباهى دائما أمام دوائر الغرب بأنها هي التي اكتشفت جورباتشوف ، حينما زار لندن والتقى بها قبل صعوده إلى منصب الأمين العام للحزب الشيوعي السوفييتي ، فيما بدا نجمه يلمع كمرشح أول لخلافة زعيمه المحتضر اندروبوف ، ولاحظت فيه نمطا مختلفا عن سائر من التقت بهم من الزعماء السوفييت ، وأنه كان يبدو بالقياس اليهم رجلا «متحضرا» ، متفتح الذهن ، مستعدا لتقبل الأفكار الجديدة ، بل المعارضة ، بصبر وهدوء وتسامح ؟!

هامش ● البحث عن البروسترويكا .. كتاب تحت الطبع

المهم أن هذا الكاتب فى كتابه المسمى «البحث عن البريسترويكا» ، قدم امرأتين ، وليس واحدة ، أسهمتا بجهودهما العلمية فى التمهيد لسياسة البريسترويكا ، التى أصبحت على حد تعبيره ، هى كلمة العصر ، الأولى منهما هى رئيسة جوربانشوف ، زوجة الرئيس السوفييتى ، فقد ذكر عنها تحت عنوان «امراة من ستافروبول» ، أنها فى عام ١٩٦٧ ، وهى فى الرابعة والثلاثين من عمرها ، حصلت على اجازة الدكتوراة من معهد فلاديمير اليتش لنين لعلوم التربية فى موسكو ، وكان موضوع رسالتها هو : ظهور معالم جديدة فى الحياة اليومية للفلاحين (مبنية على تحقيق اجتماعى فى منطقة ستافروبول) .

وقد يبدو عنوان الموضوع عاديا ، ولكنه بمقاييس الدراسات الاجتماعية فى الاتحاد السوفييتى ، كان جديدا ، بل مثيرا للقلق ! فالدراسات الاجتماعية ، التى تنسب إلى الماركسية ، كانت ـ على حد تعبير الكاتب ـ تبدأ من النظرية لتدخل الواقع فى أطرها ، وتبدأ بالتصنيفات لكى تحشر داخلها الظواهر ، وتعتمد من المصادر ، ماهو «رسمى» و «معتمد» !

ولكن رئيسة ، بتشجيع من الأستاذ الذى أشرف عليها «ج . أوسيبوف» فعلت شيئا آخر ، غير مسبوق فى بلادها ، حيث ادرجت فى مصادر بحثها ، مصادر وأساليب ، ليست رسمية ولا معتمدة ، وعقدت المقارنات بين الصنفين . فبالاضافة إلى الإحصاءات الرسمية ، والتقارير ، والتحليلات الصادرة عن الهيئات الحزبية والإدارية فى المنطقة محل البحث ، قامت بتحقيقها الاجتماعى الخاص ، فى خمس مزارع جماعية فى مناطق مختلفة ، و ذكرت أن أسلوبها فى التحقيق كان «المشاركة ، والملاحظة» ، والمقابلات الشخصية والأحاديث ، ووزعت «استبيانا» قامت باعداده وتنفيذه ، ثم عادت إلى مصادر تقليدية من نوع آخر ، هى وثائق فى دور المحفوظات ، والمنشورات العلمية ، لتخرج عن التقليد مرة أخرى ، وتستمع إلى روايات المسنين فى المنطقة حول العادات والتقاليد والمواصفات الاجتماعية .

بذلك استخدمت رئيسة مالم يكن مألوفا من مناهج ووسائل ، وذلك عن طريق التحقيق الاختبارى التجريبى ، والروايات الشفوية فى الماضى ، ونتيجة لذلك ، جاء محور دراستها ليتحدث عن «مصاعب وتناقضات» ، فى المستجدات من ملامح الحياة الريفية ، وأثبتت مالاتقوله المصادر الرسمية : أن المساكن كلها تقريبا تفتقر إلى التدفئة (لاحظ أن الكلام عن روسيا !)

● رئيسة قامت بدور بارز فى القاء الضوء على المستجدات فى الريف المعاصر

● الطبقة الجديدة حولت انتصارات الاشتراكية إلى هزائم !

والصرف الصحي والمياه الجارية !!
وعارضت بالأرقام ، ماهو منشور فى البيانات الرسمية عن الانقسامات الاجتماعية فى المجتمع الزراعى ، فأوردت أن أجر العامل غير الماهر فى المزرعة الجماعية يتراوح بين ٣٣ و ٥٠ روبل فى الشهر ، بينما يتراوح أجر العامل الماهر ، كالحلاب أو الراعى مابين ٨٣ ، ١١٧ روبلا ، أما المهندس الزراعى فيبلغ أجره ١٢٥ روبلا ، وأهمية هذه المقارنات أنها تنفى «النظرية» التى كانت سائدة ، والتى تقول إن التفاوت الاجتماعى الذى تعبر عنه الأجور فى الاتحاد السوفييتى ، هو فحسب ، مابين عمال الصناعة وعمال الزراعة ، فالأرقام التى أوردتها رئيسة ، تثبت أن التفاوت أشد داخل القطاع الزراعى ذاته ، مما جعلها تستخدم تعبيرا غير مألوف فى وصفها ، حيث وصفتها بأنها «فوارق طبيعية» !!

● سؤال غير واقعى !

وعلاوة على ذلك أتى استبيانها بنتائج غير مألوفة ولامعترف بها عن الحالة الثقافية للفلاحين ، فالسؤال عن التردد على المكتبات أو دور السينما أظهر لها أنه سؤال غير واقعى ! فإذا كان صحيحا أن كل أسرة ريفية تضم فردا واحدا على الأقل يعرف القراءة والكتابة ، فقد كان معظم المسنين أميين (بعد ٥٠ عاما من الثورة الاشتراكية) ، وانتهت رئيسة إلى نتيجة حاسمة وهى أن «ظروف الحياة اليومية للفلاحين فى المزارع الجماعية لم يسبق أن درست على الاطلاق» !

ويتساءل الكاتب : ما الذى جعل هذه الباحثة تتجه هذه الوجه ! ومن الذى أمدها بهذه الجراة ؟ أما عن الجهة فلأنها أولا «امرأة من استافروبول» ، تلك منطقتها وتعرفها عن قريب ، أما عن الجراة فمصدرها أن زوجها ميخائيل جورباتشوف ، كان يشغل فى ذلك الحين مركز «المسئول التنظيمى عن إدارة الإنتاج الاقليمى فى جميع المزارع التعاونية ومزارع الدولة فى منطقة «استافروبول !» ولكن أسرة جورباتشوف لم تكن وحدها فى ميدان البحث عن الحقيقة ، فالكاتب يشهد لجيل بأكمله من هؤلاء «الشباب» (فى ذلك الحين) من بينهم فاحصو رسالة رئيسة والمحكمون فيها ونقاد أطروحتها ، وهم ثمرة انشاء قسم «علم الاجتماع» لأول مرة فى أكاديمية العلوم السوفييتية عام ١٩٦٠ ، ومعهدى «علوم الإنسان» و «الرأى العام» اللذين أضيف إلى جامعة موسكو .

● امرأة أخرى من سيبيريا !

ويورد الكاتب ضمن الجهود العلمية التى مهدت للبريسترويكا ، ورقة أخرى اكثر نضجا وتأخرا من الناحية الزمنية عن ورقة رئيسة . وهى المعروفة باسم «ورقة نوفوسيبرسك» ، التى نشرت عام ١٩٨٣ فى عهد أندروبوف ، وهى تكاد تتوازى مع خطوط الإصلاح الاقتصادى الذى أقره الحزب البلشفى أخيرا ، وقد صدرت هذه الدراسة عن معهد نوفوسيبرسك للاقتصادى الذى يتبع أكاديمية العلوم

السوفييتية فى سيبريا ، وكاتبتها تدعى «تانيا تازاسلافيسكايا» ، التى أصبحت الآن عميدة معهد علوم الإنسان فى جامعة موسكو . وموضوع رسالتها هو : «التفتت الإدارى للإدارة الاقتصادية وانعدام التوازن فى تطور الاقتصاد» ، وفيها تقرر أن نظام الإدارة القائم متخلف كثيرا وراء الإنتاج ، وأن الإدارة فى المستوى الأوسط ، أى الوزارات والسلطات الإدارية ، شديدة التعقيد والتركيب ، بينما المستويان الآخران ، من فوق هذا الهيكل البيروقراطى ومن تحته ، يخرجان تدريجيا وباطراد من الهيكل التنظيمى ، وهما مستوى التخطيط والإدارة المركزية ، ومستوى المنتجين المباشرين ، وأنتهت إلى توصية رئيسية ، هى التى يسترشد بها الحزب الآن وهى : «التحول إلى الأساليب التى تغلب فيها النزعة الإدارية إلى الأساليب التى تغلب عليها المقاييس الاقتصادية» ، وأن هذا بدوره يتطلب نظاما جديدا لتوزيع النفوذ مابين القوى الاجتماعية ، بل وقالت بشجاعة : إن هذا لا يمكن أن يتحقق بدون صراع !

وقد أصبح مدير معهد نوفو سيبيرسك ، واسمه «أغانبغيان» من أقرب المستشارين الاقتصاديين إلى جورباتشوف ، وقد انتقل فى عهده إلى موسكو ليرأس لجنة دراسة القوى المنتجة فى رئاسة أكاديمية العلوم السوفييتية ، وينافس فى مكانته لديه الاقتصادى المعروف ليونيد أبالكين (الذى عين نائبا لرئيس الوزراء للشئون الاقتصادية) .

ويشرح أغانبغيان الأسباب التى جعلت «مستوى معيشتنا (أى فى الإتحاد السوفييتى) لايتناسب مع قوتنا الصناعية ، ولا مع تقدمنا العلمى ، ولامع



جورباتشوف ورئيسة .. ايام الشباب

المستوى التعليمى للشعب ، الذى يستحق أكثر من هذا بكثير ، يقول :

فى البداية كانت الأسباب مفهومة ، لقد تحددت الأولويات على نحو يضع فى المقدمة بناء الصناعة الثقيلة ، وكان هذا ضروريا ، وتوفير دفاع فعال عن البلاد ، وهو ضرورى أيضا ، ثم استجدت أولوية جديدة بعد الحرب ، وهى إعادة بناء الاقتصاد الذى دمره النازى ، ولم يكن هناك مفر من ذلك ، ولكن هذه الأولويات الصحيحة ، لم تفسح مكانا لغيرها بعد أن وصلت إلى المستوى الضرورى والآمن ، كما كان يجب أن يحدث ، وإنما اكتسبت قوة دفعها الذاتى ، وتحولت إلى نوع من الايديولوجيا ! وفى منتصف الخمسينات بدأنا ندرك ذلك ، بدأنا ندرك أن هذه الأولويات يجب أن تتراجع قليلا لحساب غيرها ، واستمر هذا الاتجاه الصحيح إلى نهاية الستينات ، كانت الخطة الخمسية

الثانية هى نهاية الإدراك الصحيح ، لأن النمو بعدها أخذ يتباطأ ، فقد لجأت القيادة السابقة إلى زيادة توجيه الموارد إلى الأهداف التقليدية ، وبالطبع كانت هذه الزيادة على حساب الموارد التى يجب أن تتوفر للاحتياجات الاجتماعية ، أى احتياجات الاستهلاك ، والاسكان والتعليم والصحة والتأمينات الاجتماعية والثقافية والترفيه . بل لقد اتبع التخطيط فى هذه الفترة التى استغرقت خططا خمسية ثلاثا ، سنة نعرفها باسم «قاعدة مايتبقى» ، أى ان احتياجات الناس تحصل على مواردها مما يتبقى بعد أن تستوفى خطط الصناعة الثقيلة والدفاع والاستثمار فى الزراعة احتياجاتها .

ويضيف أغانبغيان : إذا تجولت فى متاجر موسكو مثلا ، ستجد الظاهرة التى يتحدث عنها الجميع : الرفوف الخالية ، لكنك ستجد أيضا ظاهرة أخرى ، أن هناك اقساما مكتظة بالبضائع ولايقترب منها أحد إن صناعاتنا الخفيفة تنتج أنواعا عديدة من السلع الاستهلاكية ، ولكنها لاتشبع احتياجات المستهلك بسبب رداءة نوعيتها ، والنتيجة : اننا نضطر إلى استيراد مثلها ! »

وبالطبع : إن هذا الحل السهل ، الذى لجأت إليه الطبقة البيروقراطية الجامدة فى الاتحاد السوفييتى وسائر المعسكر الاشتراكى وهو الاستيراد ، لسلع يمكن إنتاجها محليا لو أديرت اقتصادياتها إدارة حسنة ، هو الذى أغرق الاتحاد السوفييتى وسائر الدول الاشتراكية فى الديون ، حتى قرر صندوق النقد الدولى أخيرا إدراج الاتحاد السوفييتى ، وهو احدى القوتين العظميين ، من ضمن الدول النامية (!!) من اعضاء الصندوق !

لذلك إذا كان الحل الاقتصادى كما يراه اغانبغيان هو : أن المستهلك هو الذى يصحح السوق ، ولكنه لكى يفعل ذلك لابد أن تكون له حرية الاختيار من خلال المنافسة ، فإن حصيلة الاستطلاع الذى أجراه معهد جامعة موسكو ، وصحيفة انباء موسكو حول أهم ثلاث مسائل يجب أن يتوجه إليها البرلمان السوفييتى كانت كالتالى :

مرجريت تاتشر



(١) توفير المواد الغذائية (٤١ ٪)
(٢) وقف التضخم وارتفاع الأسعار (٢٢ ٪)
(٣) معالجة نقص السلع (٢١ ٪)
(٤) حل مشكلة الأسكان (١٩ ٪)
(٥) رفع مستوى الضمان الاجتماعي خاصة للمتقاعدين (١٢ ٪)

ويأتي بالاضافة إلى ذلك :

(٦) علاج التوزيع غير العادل للدخل القومي وإلغاء امتيازات الإدارة العليا للحزب والحكومة (٢٨ ٪)
(٧) مكافحة تلوث البيئة (١٨ ٪)

أما بالنسبة للثورة العلمية والتكنولوجية ، فيقرر اغانبغيان أنه : مطبقا لاحصاءات عام ١٩٨٥ ، فإن ٧٠ ٪ من الآلات والمعدات التي ينتجها الاتحاد السوفييتي حاليا لاتفي بالمواصفات المعاصرة ، وبالتالي يجب التوقف عن انتاجها ، أي أن الاقتصاد السوفيتي ، يحتاج إلى تحديث سريع في هذا المجال ، فإذا كان معدل الاستبدال (الاحلال والتجديد) في الصناعة السوفييتية حتى ذلك التاريخ ٣ ٪ سنويا ، فالمطلوب الآن أن يتحقق هذا التحديث بمعدل ١٣ ٪ سنويا ، وأن تعمل الآلات الجديدة بمعدل دورتين أو ثلاث دورات يوميا .

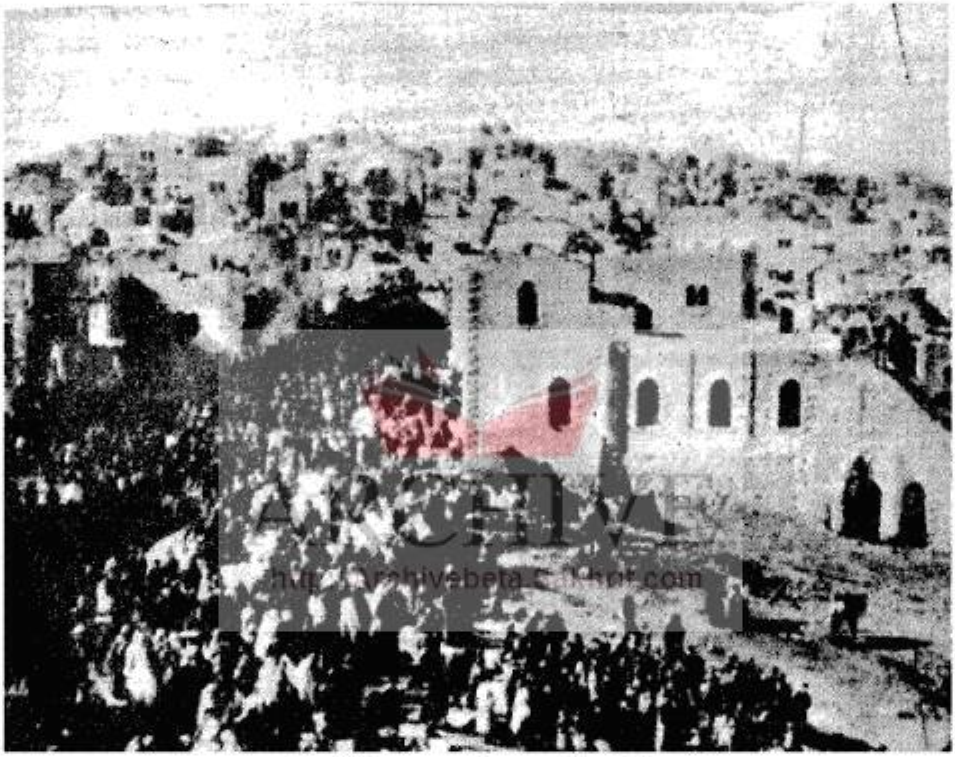
تلك هي بعض ملامح الاصلاح الاقتصادي كما يراها جيل جورباتشوف في عهد البريسترويكا ، والتي اقتضت اصلاحا سياسيا مماثلا يتجسد أساسا في الديموقراطية لاتاحة الصراع الفعال ضد البيروقراطية في الحزب والحكومة ، والتي اتخذت أشكالا عنيفة في بعض دول أوربا الشرقية ولاسيما رومانيا .

رئيسة وجوربي .. أيام السلطة



قد يقال إن هذه الأخيرة لم تكن تعاني من مشكلة الديون الخارجية ، حيث لم تغرق الطبقة الجديدة دولها في الاستدانة على نحو ماحدث في سائر دول المعسكر الاشتراكي ، ولكن ثمن ذلك كان مزيدا من الحرمان لشعوبها من ناحية ، ومن ناحية أخرى كان شاوشيسكو وأفراد أسرته ، كما يدل تقرير نشر أخيرا في «الأهرام» يحلول مشكلتهم الشخصية ، عن طريق بيع الأسرار العسكرية لحلف وارسو إلى المخابرات المركزية الأمريكية ، لقاء ملايين الدولارات توضع بأسمهم في البنوك الخارجية ، ولكن شعبهم لم يتركهم طويلا ليستمتعوا بها !

الماضى .. أبدا لا يموت



الحج الى بيت لحم صورة قديمة

« بيت لحم » فى بئر جبرا ابراهيم جبرا العميق !



جبرا ابراهيم جبرا



الحنين ...

كلمة قليلة الحروف .. كثيرة المعاني .. متشابكة في جذورها وافرعها .. يخفق القلب لها كلما رددت في اروقة الانسان .. وجوانبه .. وفي اغلب الأحيان فان الحنين مرتبط لدى الانسان بحالة من الحزن والشجن فهو توق الى زمن لا يمكن العودة اليه . والى مكان باعدت به المسافات ..

لذا فان لكل انسان حنينه الخاص يقرر له معانيه المميزة .. حنين الى اشخاص باعينهم عاشوا في "مكان" له مكانته في زمن كان صاحب الحنين مشاركا فيه بوجدانه ومشاعره .

واكثر الكتابات صدقا هي المرتبطة بحنين خاص .. وبمكان له سماته المميزة .. وبكاتب له جذوره التى تشعبت في ارض المكان فلا يمكن استئصالها مهما حاولت الأزمنة المتعاقبة ان تمحو بعضا مما في الذاكرة .. بل كثيرا مما في هذه الذاكرة التى اصبحت مع مرور الزمن الى مستودع ذكريات .. او كما اسماها صاحبها بالبئر الأولى ..

الحنين هنا يتجه نحو مكان مقدس .. وعزيز على كل عربى .. وهو العين الثالثة الثاقبة لجبرا ابراهيم جبرا .. ولذا فان ما كتبه المؤلف عن المدينة التى عاش بها وتربى لسنوات طويلة لا يمكن ان تطاله كتابات أخرى عن "بيت لحم" .. فالكلمات تقطر شوقا جارفا الى الماضى بأزمنته وامكنته .. مدركة تماما مدى وعى الكاتب الذى حرمته كل الظروف اللاحقة ان يطأ بقدميه فوق أديمه الانسانى .. وبين أروقة المدينة العتيقة التى شهدت أقدس لحظات البشرية .. وظلت شاهد عيان على تحولات عديدة

نساء بيت لحم .. جلسة زجلية



فأصبحت أحد أضخم كتب التاريخ .. ومن ابرز المراجع المكانية لتاريخ الاديان والانسان ..

وبيت لحم تقع على جبل يرتفع قرابة ٨٧٠ مترا عن سطح البحر فى الجزء الجنوبى من سلسلة جبل القدس . وعلى مسافة تزيد قليلا على عشرة كيلو مترات جنوبى مدينة القدس .

وتشكل مدينة بيت لحم مع مدينتى بيت جالا وبيت ساحور تجمعا عمرانيا ثلاثيا ، فالواحدة لا تبعد عن الاخرى سوى كيلو مترين على الأقل .

وكما جاء فى الموسوعة الفلسطينية فان عدد سكان المدينة حسب احصاء عام ١٩٧٨ ـ يقدر بنحو ٣٤ الفا فيهم قرابة ٩ الاف نسمة من اللاجئين الفلسطينيين .

وبيت لحم مدينة قديمة ، سكنت حوالى سنة الفين قبل الميلاد ، وكانت مسكونة من البشر منذ أربعة قرون كاملة وقد غزت القبائل اليهودية هذه المدينة الكنعانية واستقرت فيها بعد ان سكنها الكنعانيون .. ويروى ان النبى يعقوب عليه السلام جاء الى المدينة من بيت أيل وهو فى طريقه الى الخليل ، وقد اضطر للتوقف فيها لأن زوجته راحيل جاءها المخاض عندها فماتت ودفنها فى مكان قريب من بيت لحم يعرف اليوم بقبة راحيل ..

وفى بيت لحم ولد الانبياء .. كان أولهم النبى داوود عليه السلام . ثم ولد السيد المسيح . ويروى انجيل لوقا ان "مريم ويوسف النجار ذهبا الى بيت لحم ليسجلا اسميهما فى الاكتتاب العام بناء على أمر

اغسطس قيصر . وقد ولدت مريم السيد المسيح وهى هناك .

وعندما فتح المسلمون القدس عام ١٥ هجرية اظهروا الاحترام لمهد عيسى عليه السلام - كما جاء فى الموسوعة الفلسطينية - ويذكر المؤرخون ان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب زار بيت لحم سنة الفتح وأعطى أمانا لأهلها وحضرته الصلاة وهو فى كنيسة المهد فصلى داخل الكنيسة .

وقد دخل الصليبيون بيت لحم فى عام ٤٩٢ هجرية وأعادوا تعميرها بعد ان حولوها الى ابرشية .. ثم عادت المدينة المقدسة الى حكم أهل البلاد عقب انتصار صلاح الدين الأيوبى . وفى عام ٩٢٣ هجرية استولى العثمانيون على بيت لحم وبقى المسيحيون فيها يتمتعون بحريتهم الدينية . إلا أن المدينة ، وفلسطين كلها ، دخلت تحت الانتداب البريطانى فى عام ١٩١٧ واستمر الانتداب حتى عام ١٩٤٨ .. وهى الفترة التى خصها الكاتب جبرا ابراهيم جبرا بالحديث التفصيلى فى مذكراته المعنونة "البئر الأولى" .

وفى بيت لحم ، كما يقول جبرا ابراهيم جبرا - أديرة كثيرة ، وهو أمر متوقع فى مكان ولد فيه السيد المسيح عليه السلام . والأديرة هذه تنتمى الى طوائف مذهبية شتى . وتعكس بعض التنوع الذى عرفته المؤسسات الدينية فى الأقطار الأوربية منذ أن جعل الامبراطور قسطنطين النصرانية دين الدولة والناس فى القرن الرابع للميلاد . وهى فى تواريخها تعكس كذلك الصراعات الطويلة التى عرفتها

موسم الحج الى بيت لحم ..



المذاهب المسيحية فيما بينها عبر القرون ـ صراعات كانت العوامل القومية فيها لا تقل فاعلية عن العوامل العقائدية . هذا فضلا عن الصراع القديم بين الشرق والغرب . وبخاصة بين العرب وأوربا لفترة طويلة من الزمن . وهى فترة تدخل فيها غلبة العرب على البيزنطيين . وإخراجهم من فلسطين وسوريا ولبنان ومصر وشمال افريقيا ، كما تدخل فيها الحروب الصليبية بعد ذلك بحوالى قرون ثلاثة ، وهى التى انتهت بخروج القوى الأوربية من فلسطين وسوريا لحوالى سبعمائة سنة ، قبل ان تعود مجددا فى صيغة أخرى ، صيغة الانتدابين البريطانى والفرنسى فى نهاية الحرب العالمية الاولى عام ١٩١٨ .

● شخصية المدينة .. فى مبانيها

"غير ان الصلة الدينية مع الارض المقدسة .. بقيت قائمة ، بشكل او بآخر ، ورتبت فى انساق متباينة عبر القرون الأربعة التى حكم فيها العثمانيون فلسطين ، وهى انساق كانت فيها القوى الكبرى اطرافا دائمة ، من روسيا القيصرية التى اعتبرت نفسها خليفة بيزنطية فى الاستمرار بالامبراطورية الرومانية المقدسة" ، الى انجلترا وفرنسا وايطاليا والمانيا "ولكل منها مؤسساتها الدينية" والسلطنة العثمانية نفسها ، التى

صورة قديمة لتلميذات مدرسة البنات المسيحية



كانت تقر بهذه الانساق على نحو تتجنب به اندلاع الصراع المسلح حول هذه المؤسسات . غير ان اندلاع هذا الصراع ، خارج فلسطين ، بقى أمرا واردا بين حين واخر ، وظهر على اشده مع تعقيدات سياسية كثيرة لم تكن المسألة الدينية الا عنصرا واحداً من عناصرها فى حرب القرم فى منتصف القرن التاسع عشر وعندما جاء الانجليز الى فلسطين باسم الانتداب ، تمسكوا بمبدأ "القديم على قدمه" ولكن فيما يخص المؤسسات الدينية فقط ، لسوء الحظ ولسوء النية معا .

وفى أوائل العشرينات من هذا القرن ، كانت الأديرة المهمة التى تعطى بيت لحم الكثير من شخصيتها العمرانية والاجتماعية هى أديرة الروم الأورثوذكس ، المتمثلة بشكل رئيسى فى القسم الأصلى من كنيسة المهد التى شيدها الامبراطور قسطنطين عام ٣٢٦ ميلادية فوق المغارة التى ولد فيها السيد المسيح عليه السلام ، وأديرة الفرانسيسكان ، المتمثلة فى دير نجمة الشرق ، وهو كنيسة القديسة كاترين .. اللاصقة بكنيسة المهد . وفيها المغارة التى عاش فيها القديس جيروم حين اكب على ترجمة الكتاب المقدس الى اللاتينية فى أواخر القرن الرابع للميلاد . وأديرة السالزيان ، واكبرها دير بُنى فى القرن التاسع عشر على مرتفع يبعد قليلا عن كنيسة المهد . يدعى دير دون بوسكو . ولكن الأهلين يعرفونه باسم "دير ابونا انطون" .

وفى بيت لحم العتيقة يرى الناس ان أجمل ما هناك هو مدارس البنات الابتدائية حيث الطالبات يرتدين الزى الموحد الأنيق . وهو فى الأغلب مزيج من الأسود والأبيض . مما يكسب شوارع المدينة المقدسة بهجة خاصة كلما انتشر فيها ساعة الغذاء أو ساعة انتهاء الدوام المدرسى عصرا ، أو كلما انتظمن صفوفا متجهة الى احدى الكنائس أيام الآحاد والأعياد .

● تميز فريد

وقد اعطى مركز بيت لحم كمسقط رأس السيد المسيح عليه السلام للمدينة تميزا من نوع فريد . وهيأ لعدد كبير من أهلها موردا سياحيا من الصناعات اليدوية المقرونة بمقدسات المسيحيين والمسلمين . فكانت تستورد كميات كبيرة من الأصداف الخام ، لتحولها فى عشرات من "الورش الصغيرة ، المنبثة فى الشوارع الرئيسية ، الى مسابح وصلبان ومصغرات لكنيسة المهد وقبة الصخرة ، إضافة الى العلب والاطر النفيسة التى كانت ترصع بالصدف . ويقبل على شرائها الزوار الأجانب ، ولكن لم "يكن" فى هذه البلدة كلها فندق واحد لقربها من مدينة القدس ، واذا اضطر الأجانب الى الاقامة ليلتين أو ثلاثا فيها ، حلوا فى نُزُول خاص بهذا الدير أو ذاك ويبقى الأمر كذلك حتى أواخر الخمسينات .

وبقلمه الذى يقطر بالحنين ، والتدفق الهائل نحو الماضى . فان جبرا ابراهيم

جبرا تعمد ان يستخدم الفعل الناقص "كان" بكثافة لثناء حديثه عن مهده الأول .. ذلك المهد الذى ولد فيه قبل قرابة الفى عام السيد المسيح .. ويشكل "كان" حاجزا رهيبا للكاتب للعبور به مرة أخرى عبر المكان والزمان والأشخاص .. ولا يستطيع ان يفعل شيئا سوى ان يطلق لذاكرته العنان لتتسال منها كل الوقائع والذكريات التى نسجت شخصه ووجدانه .

فهو يرى هذا الماضى ماثلا أمامه ربما اكثر من الحاضر . ويتحدث عنه بتفصيل دقيق كأنه لم يبرحه دقيقة واحدة .. فسوق السبت مثلا هو مركز من المراكز القديمة جدا للبيع والشراء وتبادل السلع لمنطقة كبيرة جنوبى القدس . اذ يجتمع الاف القرويين والبدو كل يوم سبت ـ بدءا بساعات الفجر ـ فى سوقها المشهور ، التى كانت تسمى ، لسبب ما ، بسوق البلّاعة ، ثم سميت رسميا بعد اعادة تنظيمها بسوق البلدية . "كان" يوم السبت أشبه بالمهرجان ، تمتلىء فيه طرقات البلدة بالوافدين ، من باعة ومشترين ، أما السوق فيختلط ـ مثل كل الأسواق فى القرى العربية الصغيرة وخاصة فى الريف المصرى ـ البشر فيها بالأغنام والماعز . والخيل والحمير والجمال . بكثافة تكاد تجعل السير من خلالها مستحيلا . وتختلط سلال البيض والدجاج بسلال الخضار واكياس القمح والشعير والذرة والتين ، وتنكات الدبس والعجوة ، و"الكسبة" والزيت والسمن والسيرج .. والكثير من الباعة والمشترين من النساء بفساتينهن الزرقاء والخضراء والحمراء الفضفاضة ، وتطريزاتها الزاهية المتنوعة ، وهن يملأن الجو بالصيحات والضحكات التى تضيف وهجا خاصا الى هذا المهرجان الأسبوعى .

● يوم السوق

وفى يوم السوق ببيت لحم ، يرى الجميع انه يوم المكسب فهو يوم البقال والحلاق والمبيض ، والسمكرى وبائع الحلاوة الطحينية وصانع الجلود ، وغيرهم ..

واشهر ما فى بيت لحم هو دير "ابونا انطوان" وهو ملجأ كبير للأيتام ، يتعلمون فيه الدروس الدينية والحرف الأساسية ، وغالبا ما يهتم الرهبان المشرفون على شئون الدير بتنشئة تلاميذهم على حب فنون الموسيقى والتمثيل المسرحى . ويختارون ذوى الأصوات الجميلة لكورس . ويعلمونهم اصول النغم . ويجعلونهم ينشدون باللاتينية أناشيد متعددة الأصوات تعود الى عصر النهضة الايطالية والعهد الباروكى .

وللدير "ملعب خارجى" مفتوح لمن يريد أن يؤمه من صبية البلد ، على اختلاف طوائفهم ونزعاتهم ، وهذا الملعب مفتوح يومى الجمعة والأحد من الصباح حتى المساء .

بيت لحم .. فى قلبى
ولحمى .. ودمى



وقد ارتبط الناس فى بيت لحم بالدير ارتباطا قويا . فالصغار يتعلمون فيه . أو ينضمون الى فريق الكشافة . أو يأتون مع الكبار فى الأعياد . "اذا جاء العيد . فلابد من شىء من اللحم ، والحليب والجبن . تكسر به الصيام بعد حضورة صلاة منتصف الليل . اى اذا جاء العيد ، لابد من بضعة قروش مهياة للصرف ، وأمى تحسب لكل يوم حسابه ، اكثر من أبى . فقد كان أبى يعمل فى تلك الأيام فاعلا فى البناء . يحمل الحضارة على ظهره مقابل خمسة أو ستة قروش فى اليوم .. ويعطى ما يجنيه أسبوعيا لامى ، لتتصرف به هى بحكمتها ودرايتها . ومهما تكن حكيمة ودارية فى انفاقها ، فهى تعلم ان عليها ، بعد ان تتكفل باطعامنا ، ان تخيط ثيابنا بيديها ، وترقعها ، وتدبر أمرها من قطع القماش القليلة الميسرة"

● فى بيتنا .. جدران

لاشك أن الأماكن لا تكتسب أهمية الا بمدى ارتباط الانسان بها وجدانيا وعاطفيا . وذلك من خلال علاقاته بالبشر الاخرين فى هذه الأمكنة .. والا اصبحت بمثابة مجموعة من الكتل الحجرية المتراصة هيكليا ولا تعني شيئا كثيرا .. ولذا فان رؤية الشخص الذى عاش ردحا طويلا من الزمن فى هذا المكان يرتشف من ألبانه ويمتص من رحيق وروده وأزهاره كالنحل ، ويتجرع من مياهه ، لاشك انه سوف يجتر خليطا ذا تركيبة خاصة .. وفى مذكراته عن طفولته وصباه فى بيت لحم استطاع الكاتب جبرا ابراهيم جبرا ان يعطى لكل شىء معناه . فجعل من احجار البيوت والأديرة والأبنية بمثابة كائنات حية لعلها تشعر بنفس الحنين الى ابنائها الذين دفعتهم قوى القهر الى الهجرة قسرا عن بيت لحم . فلو أن الحجر كتب عن بئر الأولى . لأبدع ما لم يمكن ابداعه .. لكن هيهات ..

فعن بيته العتيق تحدث الكاتب قائلا "انتبهت الى ان اهلى يسمون المكان الذى تسكنه بالخان . ثم انتبهت الى ان من يأتى عندنا يصفنا بساكنى الخان ، وهو لا ريب قد كان خانا فى يوم مضى غرفة فسيحة ، عميقة ، فى الطابق الأرضى من مبنى عتيق على الشارع العام ، خلف الجامع ، وعلى مقربة منه دكاكين كثيرة من كل نوع . من البقال الى صانع الأحزمة وبراذع الحمير . وليس للغرفة نافذة . ليس لها الا باب حديدى كبير ، كأبواب المخازن . اكاد اعجز عن زحزحته ، لثقله ، وقرب الباب مرحاض صغير ، اضيف حتى بعد الفراغ من بناء الدار فى يوم من أيام العهد العثمانى .

و "بين بابنا والشارع بوابة خشبية اصغر منه ، جعلت مدخلا للبناية ، وهى أيضا اضافة لاحقة ، لعزل المبنى قليلا عن الشارع . فحالما تتخطى عتبتها العالية ، يواجهنا باب الخان على مسافة ست خطوات أو سبع . والى اليسار ، فى الفضاء ، درج حجرى مكشوف يصعد الى الطابق الأعلى الذى كانت فيه غرفة طلى



مجموعة من القرويين الذين يعيشون فى بيت لحم جنوب القدس



مدخل احدى الكنائس القديمة ..

بابها بالأخضر . أجده على الاكثر مفتوحا كلما صعدت الى فوق . حيث يقيم رجل ذو لحية قصيرة يلبس السواد دائما . ولا أراه الا وهو جالس الى طاولته . يفكك ويركب آلات صغيرة بين يديه ـ ويقولون انه الراهب يوسف . وهو خبير فى تصليح الساعات والأجهزة الالية . ومن جانب غرفته يصعد الدرج المكشوف الى طابق كانت فيه "العلية" .

والعلية كما يصف الكاتب هى غرفة مستطيلة كبيرة ، يؤمها صباح الاحد الكثير من الرجال والنساء وبعض الصبية .. انها بيت الله ..

حكايات قديمة

شخصية وظلال

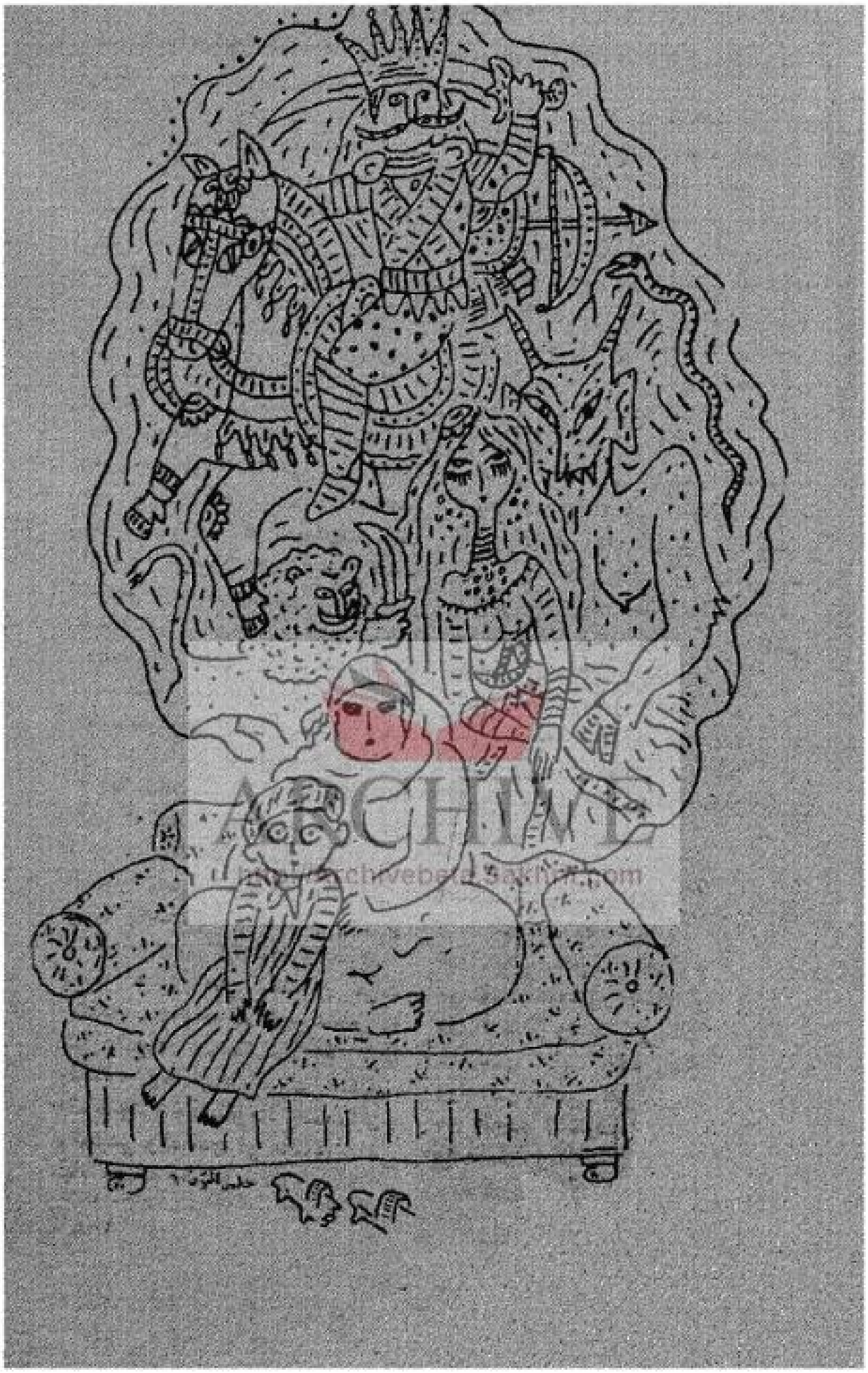
بقلم: فاروق خورشيد — ريشة الفنان: حلمى التونى

لايسلم إنسان منا من اثر شخصية او اخرى على حياته وفكره ووجوده الحياتى أو العاطفى او الفكرى ابدا .. فما نحن الا حصيلة وقع خطوات هذه الشخصيات فوق وجودنا وعمرنا وحياتنا كلها ، عبر ايامنا ولياليبنا او عبر تجاربنا وقراءاتنا على السواء ...

الام اولا بكل حنانها وحفاظها وعطائها ، ثم بكل ثقافتها وفكرها إن كان لها ثقافة وفكر ، ومأساة عمرى كله ، ان امى كان لها ثقافة وفكر - وانها عاشت حياتها بين الكتب لانها لم يكن لها حياة بين الناس ، فنقلت كل هذا الى اعماق طفلها الأول - الذى هو انا والذى كان عليه ان يسمع منها وان تقرأ له ، وان تملأ وجدانه وعقله بما يملأ عالمها المحدود المتسع من تجارب مع الناس ، وبما يملأ قلبها من تجارب مع الكتاب كبيرة وعتيقة ودائمة ..

كانت وحيدة فى بلدة غريبة ، زوجها يخرج فى الصباح إلى مدرسته ، ولايعود إلا مع اقتراب المغرب ، وابنها ، اعنى انا ، يخرج الى مدرسته ويعود مع الضحى ، فهو معها طوال النهار حتى يعود الزوج ، وفى فترة غيابهما تنهى هى عمل المنزل ، ثم بعد ان يعود طفلها ، تلمه حولها وتقرأ له بعد ان تلخص ماسبق وقرأته ، حتى يستمر فى استيعاب ماتقرا من جديد معه ، ويعود الزوج ، وتعد له طعامه ، وبعد قليل يخرج الى اصحابه ، وهى تعود وتلملم طفلها حولها ، لتقرأ له من جديد .. حتى لاتحس الخوف من البيت الموحش ، والارض القفر حولها ،

وخواء البيت من الزوج الذى لايعود الا عند إيغال الليل فى وحشته وظلامه وقسوته ، ومن هنا ينقطع عالمى عنها - ولكن من هنا فى فراشى الصغير بعيدا فى حجرة باردة لاشىء فيها الا سريرى ومكتب صغير ، ومجموعات كتب لا اعرف ماذا تحوى ، كنت اعيش من جديد ماقراته لى وماحكته ، ثم ماقرأناه معا ..



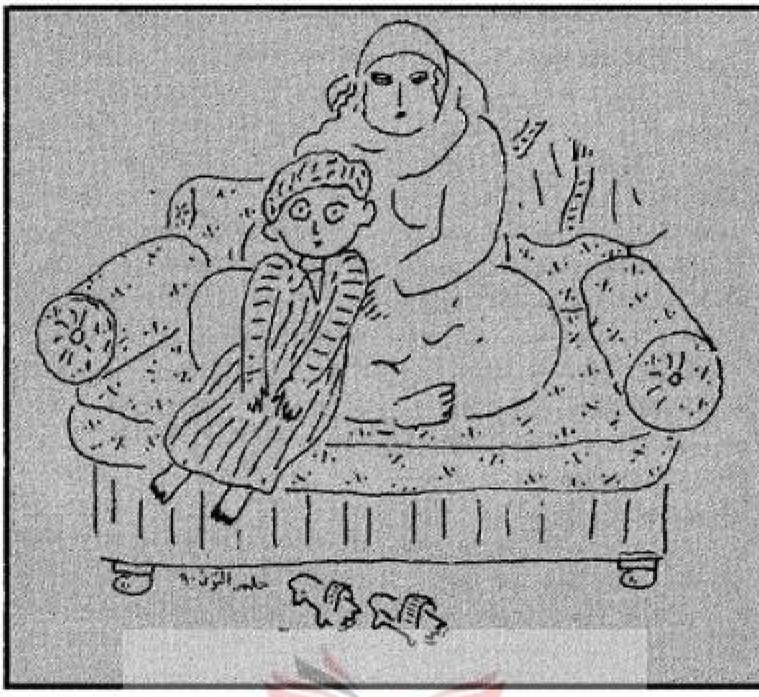
وظللت انتظر هذا منها كل يوم ، ولكنها حين اصبحت تشغلها البنتان الجديدتان لم تكن تجد عندها نفس الوقت المتاح الذى كانت تعطيه لى ، فقد كانت الصغيرتان ، واحدة اثر الاخرى ، تاخذان من اهتمامها الكثير ، وشيئا فشيئا احسست اننى لا اجد عندها نفس الاهتمام القديم ، ولانفس الحكايات القديمة ، ولانفس القراءات السابقة .

وبدأت ادور وحدى بحثا عن مصادر جديدة لحكايات جديدة ، ودخول الى دنيا الرواية والكتابة ، اما الكتاب فقد تاخر زمنه طويلا ، اما الرواية والحكاية فقد وجدت مصادر جديدة متاحة وقريبة ، واحدة من جيرانها ، كانت تحبنى ، او كانت كما يقولون حينئذ تتوحم على ولد يشبهنى ، اشبعتنى حكايات ، وقبل وحنان وحلوى ـ وكان الأهم عندى وقتها هو الحكايات .. ثم جدة عجوز عمة امى ـ كما عرفت بعد ذلك بكثير وكان اسمها ام حسن ، حكت لى ستى هذه كل الحكايات التى لم اكن اعرفها ، كانت امى تقرا لى من كتب ، اما ستى ام حسن فقد كانت تحكى من ذاكرتها ، حكايات عديدة وكثيرة عن الشاطر حسن ، وجميلة والوحش ، وجحا والسلطان ، والحشاش والوزير والحلاق والامير ، والصياد والعفريت ، ودنيا غريبة ، هى بعد ان عرفت الاشياء ـ جماع حكايات شعبية متوارثة الى حكايات مترسبة من الف ليلة وليلة ، وحكايات جحا واشعب وقراقوش وسيبويه المصرى ، والمقاهى والنوادى فى عصرها ، وفى ايام سبقت عصرها ايضا .

● حكايات الخوارق والجان

ولكن امى كانت تخاف من هذه الحكايات دائما ، ولهذا كانت تلمنى بعد كل رحلاتى الى القاهرة ، تلمنى الى قلبها لتسالنى ماذا حكت لى ستى ام حسن ، وببراءة العمر الغض كنت احكى لها كل ماوعته حافظتى مما حكته ستى العجوز ، وتروح هى باصرار غريب تصحح لى ماسمعت من ستى العجوز ، على كامل من البعد عن القاهرة انا اسيرها تؤكد لى ان « شواهى » ذات « الدواهى » التى حكت لى عنها ستى ام حسن العجوز ، ليست حقيقية وانما حقيقتها ملجاء بسيرة الظاهر وعلى الزيبق ، وتستعيد بسيطرتها على عقلى ووجدانى بما حفلت من سير مصر الشعبية فى مدوناتها المطبوعة ـ وتعود تصحح لى مارسب فى عقلى الطفل من حكايات العفاريت والخوارق والجان ، واولياء الله الصالحين ـ وتؤكد لى ان المزيرة التى تخطف الاطفال من عند زير الشراب ، هى نفسها ام عاقصة فى سيف بن ذى يزن .

وانها تخطفهم ان خطفتهم لصالحهم ، وصالح تكوينهم وثقافتهم ومعرفتهم بالحياة ، وان المسالة ليس فيها غيلان ياكلون الاطفال ، وانما جان مؤمنون يساعدون الاطفال ويحبونهم كل الحب .. وظلت امى على المدى ـ حارستى دون الانحراف بذهنى ووجدانى وعقلى ، الى حكايات العجائز عن العالم المخوف الملىء بالعقارب والحيتان والثعابين الشريرة التى اصلها جان ..



ولست اذكر كيف انقضت هذه الفترة ، ولكن الذى اذكره اننى حين تخلصت من كل هذا كنت غارقا فى الروايات المترجمة فى طبعاتها الشعبية الميسرة .. كما كنت غارقا فى مكتبة امى . كانت امى تحتفظ بكتبها فى صندوق خشبى من تلك الصناديق المزينة التى كانت ضمن جهاز العروسة عند الفلاحين ولكنها ابدا لم تكن جهاز - امى .. فلانحن ، فلاحون ولا - جهاز العروسة يرتبط عندنا بالصندوق .. ولكن الصندوق كان موجودا فى بيتنا رغم عدم ارتباطه بجهاز العروسة ، او باثاث بيتها ، انما كان شيئا موجودا ومقدسا لايقربه الا هى ، وهى وحدها ، وحين كبرت عرفت انه كان وديعة خالى عندها ، ولم يكن لى خال ، وانما هو كان ابن خالتها الذى كان بمنزلة الاخ لها ، وفى حفاظها على الصندوق كان حفاظها عليه وعلى اسراره - وما كانت اسراره الا هذه الصفحات الصفراء التى حوت كل السير الشعبية العربية واولها سيرة سيف بن ذى يزن - ثم بعض كتب الادعية ودلائل الخيرات ، ثم بعض الكتب الجنسية المحرمة فى هذا العصر ، والتى تحوى من الدلائل الشعبية والفولكلورية مالا تحوى كل كتب العصر ..

ولكنها كانت تمنع عنى كل الكتب المحرمة بما فيها الف ليلة وليلة وتبيح

لى كل الكتب المباحة عندها بما فيها العرائس وقصص الاشياء ـ ومن هنا ، بدات تعرفى بعالم الخيال والفن ، الى جوار احتكاكى المباشر بالترجمة فيما لم تعرفه هى ، والمؤلف فيما قراته متفرقا بعض حين ، ومجمعا فى حين متاخر ، حين تعاطفت مع الرافعى والمنفلوطى والزيات .. ولكنه كان تعاطفا حرا .. مر فى عمر الانسان كما يمر الزمان ، بلاحاسب ولارقيب تجاه كل شىء عبر ومر ـ وحين التفتت هى الى اننى اقرا ماجدولين والام فيرتر ، كنت قد عبرتها تماما وسبقتها فى دنيا القراءة والمعرفة ، ودنيا الاتصال بهذا العالم السحرى العجيب .. وحاولت ان تعيدنى الى الدنيا السحرية ، فى عالم الظاهر بيبرس وعلى الزيبق ، ولكنى كنت قد حلقت ، وبعدت ، وكانت الترجمات الرخيصة والمتاحة قد عرفتنى بدنيا بارداليان وفوستا ، وفرسان المائدة المستديرة وبالملك ارثر ، وعالم الفرسان الثلاثة دارتينان وبرتوس داراميس واتوس ، وخدمهم المدهشون فى اعمال اسكندر ديماس .. ثم اعمال ديكنز وروفائيل سباتينى ، وهوجو ، ووايلد وانافت عيارى ولو ان كل هذا لايعجب نقاد العصر الحديث الذين لايريدون للنشء ان يقرءوا اعمال هؤلاء العظام ، ولا ان يحلموا بالزهرة القرمزية ، او ارسين لوبين ، او شرلوك هولمز ، او فانتوماس العجيب ـ ولكن رغم انف كل الاشياء عرفت عالمهم العجيب وعشته كاملا ، حتى لو احتجت امى ، وحاولت ان تعيدنى الى حضن الاسطورة العربية القديمة ، ولم اكن فى الحقيقة اجد فارقا كبيرا بين العالمين ، بين عالم روكامبول وشيرى بيبسى وكابتن بلود ، وبين عالم دليلة المحتالة وجوان والبرتقش ، وشواهى ذات الدواهى وعقبة شيخ الضلال ، وارتفق العالمان عندى منذ البدء .

امى وحكاياتها وحافظتها من ناحية ، وهذا الصندوق المليء بالكتب والروايات والترجمات الذى اخذته من ابن خالتها من ناحية اخرى .

وحين ظهر حافظ نجيب ليزور الحكايات باسمه ، كنت فى نفس الوقت اتعرف الى عالم جحا واشعب وحكايات السيرة الهلالية وفتوح اليمن وبطولات على بن ابى طالب ..

ولكن امى كانت ترفض باصرار ان اتعرف على الاصول الاسطورية التى عرفتها وحفظتها من زمن .. وقضت الليالى تحكى لى واسمع وتفسر لى وافهم .

● هدية امى

وحين كان لى ان ابدع كان كتابى الاول سيف بن ذى يزن هدية لها ..

ولكنى اعرف انها صنعت فى داخلى ماهو اعمق من سيرة سيف ، ومن غيرها من السير . صنعت فى حب هذا الفن ، واحساسى بمعاناة الدارس ، والاسطورى والماساوى ، فقد كانت هى وحدها معلمى الاول ، وستظل معلمتى الدائمة حين تضطرب امامى الرؤية اعود الى حكمتها القديمة حصيلة حافظتها من سيرنا وحكاياتنا الشعبية العربية القديمة .

سيرة ذات ثقافية

بقلم: صافي ناز كاظم


صافى ناز كاظم

عام ١٩٥٤ إلتحقت بكلية الآداب جامعة القاهرة بقسم الصحافة الذى كان قد انشىء لأول مرة فى ذلك العام . وكنا دفعة جامحة من الطلبة والطالبات وقرر معظمنا أن الدراسة النظرية بالقسم لن تعلمنا الصحافة كما نريدها وانقسمنا مجموعتين رئيسيتين : واحدة اختارت التدريب فى مدرسة روزاليوسف ، والأخرى اختارت مدرسة أخبار اليوم ، وكنت واحدة من المجموعة التى إلتحقت بمدرسة أخبار اليوم عام ١٩٥٥ ، ولم يكن الاختيار على أساس سياسى بل على أساس مهنى محض اذ كان المهم فى ذلك الوقت ، هو كيف نتعلم صنعة الصحافة ونكون لأنفسنا أسلوبا فى التحـريـر الصحفى . وظللت مع مجموعتى نعمل بأخبار اليوم عامين مجانا ونحمد الله أن أصحاب الدار قد أعفونا من مصروفات الدراسة إلى أن تم تعييننا عام ١٩٥٧ بمرتب قدره خمسة جنيهات شهريا ، وأصبحت الدراسة بالجامعة فى قسم الصحافة ، بالنسبة إلينا ، ثانوية إلى جوار خبرتنا فى الممارسة الفعلية للعمل الصحفى .

ومنحنى تخرجى فى الجامعة عام ١٩٥٩ شهادة ليسانس فى الصحافة لم تقنعنى ـ وكان عملى الصحفى فى تلك الفترة قد تكشف لى كذلك وبدا ضحلا ومزيف البريق ، لذلك ألحت على فكرة الرحيل فى الدنيا الواسعة للدراسة وإمتحان النفس . وشجعنى قبولى للدراسة فى جامعة كانسساس الأمريكية على السفر إلى الولايات المتحدة عام ١٩٦٠ وكان قد تم قبولى لدراسة الماجستير فى الصحافة لكننى راجعت نفسى وقلت : "مصر بحاجة إلى ناقد مسرحى ، كل الذين يكتبون

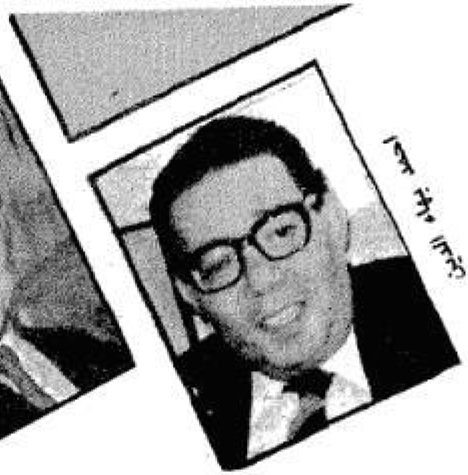
النقد المسرحي في مصر غير متخصصين ، سأصنع من نفسي ناقدة مسرحية لمصر" ! - وأرجو من القارىء الا يبتسم فهكذا كان جيلنا يتكلم عندما كان يريد أن يحدد مستقبله : كانت مصر في تلك السنوات العشر الأولى لما أردناها ثورة ١٩٥٢ : كانت مصر إبنتنا العروس البهية التي نريد أن نجلب لها - لو شاءت - حليب العصفور : كنا نريد أن نزوقها ونجملها ونجهزها بكل ما ينقصها . وكانت مصر ينقصها الناقد المسرحي المؤهل حقا لحمل مسئولية دفع النهضة المسرحية المرجوة لبناء وقيادة ما أردناه ليكون المجتمع الثوري الجديد . كان النقاد الفنيون صنفين :

١ - صنف كان - ولايزال - يستند إلى معايير إعتباطية في قوله أو رفضه للعمل الفني ، مستخدما خفة دمه - إن توفرت لديه - في تمرير وتبرير مغالطاته ولا يتورع وهو في حالة حماسه - وقد أخذته العزة بالاثم أن يستخدم أفحش القول والارهاب - اذا إقتضى الأمر - ومثل هذا الصنف من النقاد كان - ولايزال - شديد الثقة بنفسه لا يحجم عن ابداء رأيه دائما ومن فوره وفي كل شيء !

٢ - أما الصنف الثاني فكان النقيض : كان يلبس أكاديميته ويحكم ربطها جيدا حول عنقه حتى تخرج أفكاره وآراؤه مشنوقة تماما بالمصطلحات . وكلما خلت كلماته من الروح كان اغتباط الناقد بمقدرته كبيرا ، على أساس الاعتقاد السائد أن الروح والحيوية وخفة الظل تتنافى مع الأكاديمية : فالجهامة - كما يعتقدون - والجفاف أليق بالأكاديمي . والعجيب الذي كان يسترعي إنتباهي أنه رغم هذا "التأكدم" الشكلي الذي كان يحرص عليه هؤلاء النقاد - ولايزالون - كانوا يقعون في خطأ علمي رهيب وهو : خلطهم بين "الأدب" و"المسرح" هذا الخطأ الذي كان يجرهم دائما إلى التمركز عند خط دفاعهم الأول والأخير وهو : "النص" المدون لفرض العرض المسرحي ، ولو كان "النص" في عرف البداهة المسرحية مجرد عنصر غير جوهري في الكيان المسرحي .

ما علينا : قررت أن أعد نفسي لأكون "الناقد المسرحي" كما يجب أن يكون ولو لمرحلة ما يطورها من بعدي جيل آت ثم جيل آت بعد الاتي ، يكون إعداد الناقد المسرحي خلال السنوات قد تم بشكل سليم . وكان عليّ أن أحصل في جامعة كانساس على معادلة ليسانس في الفنون المسرحية قبل أن يتم قبولي لدراسة الماجستير في النقد المسرحي . وهكذا أنفقت العامين ١٩٦٠ - ١٩٦٢


يوسف السباعي


أحمد بهاء الدين

في دراسة أساسية وتحضيرية كانت أغلبها دراسة عملية في "الورشة" لكيفية صناعة العرض المسرحي وإقامته كائنا حيا يقف على خشبة المسرح لا كلمات مدونة بين صفحات كتاب ، بعدها صرت مؤهلة لمتابعة الدراسة العليا نحو التخصص في ممارسة النقد المسرحي لكنني لم أستطع أن أتابع الدراسة من فوري . كان عليّ أن أتفرغ للعمل عاما كاملا حتى يمكنني سداد ديون دراستي في كانساس فقضيت عام ١٩٦٢ ـ ١٩٦٣ أعمل بمدينة شيكاجو واقرأ واسمع واشاهد بنهم كل ما كان عليّ أن اعرفه في الفن والثقافة : من الجديد الذي كان عليّ أن أواكبه إلى القديم الذي كان عليّ أن أعرفه . ثم رحلت إلى مدينة نيويورك (١٩٦٣ ـ ١٩٦٦) ـ حين تم قبولي بقسم الدراسات العليا للفنون المسرحية بجامعة نيويورك . إستغرقت دراستي عامين كنت اجمع فيهما بين عملي الصباحي الذي كان يستنزق مني ثماني ساعات يوميا ودراستي المسائية بالجامعة التي انتهت بحصولي على ماجستير في نقد المسرح صيف ١٩٦٦

في ذلك الصيف وبعد ست سنوات كاملة من الغربة والكدح والعمل والتأمل والدراسة شعرت أنني نضجت ثقافيا بما يكفي لأعود إلى مصر وأهديها نفسي وأقول لها : "كل هذا التعب كان لك ومن أجلك" .

● البحث عن أرض جديدة

كان الأستاذ أحمد بهاء الدين قد تسلم حديثا مسئولية إحياء عظام مجلة "المصور" ـ بإذن الله ـ وهي رميم . وقبل عودتي إلى القاهرة كان إنفصالي العقلي والنفسي والثقافي والروحي من مدرسة "أخبار اليوم" . وكنت أبحث عن أرض جديدة أبدأ عليها مسئوليتي النقدية المختلفة عن السائد والمصطلح عليه . وكان منطقيا أن أتوجه للعمل تحت رئاسة الأستاذ

سيرة ذاتية ثقافية

أحمد بهاء الدين في مجلة المصور - (١٩٦٦ - ١٩٧١) - وكانت مجلة المصور تحت رئاسته قد تحولت - صحفيا - من جثة ميتة إلى "كبرى المجلات المصورة" - وكما كان هو يحاول إحياء جثة "المصور" كنت أحاول أن أقدم رؤيتي لما يجب أن يكون عليه الناقد والنقد المسرحي . وكان جهدي يتمركز في التأكيد على البديهية أن "المســرح" ليس "الأدب" . وأنه ليس هناك كاتب مسرحية Play writer بل صانع مسرحية play wright : الذي يصنع أو يبني أو ينشيء معتمدا على تركيب وتجميع عناصر متعددة مثل صانع السفينة وكنت أدعو أن يجعلنا هذا التصور نعيد النظر في كثير من الاصطلاحات والمقولات التي يتم تداولها . فكثيرا ما نسمع من يقول : "لقد قرأت المسرحية الفلانية" أو "قرأت مسرح فلان" وهذا قول غريب وطاريء على مفهوم المسرح ، لأنك لا يمكن أن تقرأ مسرحية : هل تستطيع أن تقول لقد قرأت سيمفونيات لبيتهوفن أو لغيره رغم أنها كلها مدونة على ورق ؟ لا يمكن أن تقول : إستمعت إلى سيمفونيات وتعرف أنها دونت ليقرأها قائد الفرقة السيمفونية ومن ثم لتوزع على العازفين لكي تصل اليك معزوفة ومؤداة على مسرح أو من خلال أسطوانة أو شريط مسجل ، وهكذا يكون إلتقاؤك بالعمل الموسيقي كذلك المسرح ، إنك عندما تكتفي بقراءة مسرحية تكون قد أجهضت جنينا من رحمه : لن يكون بأية حال مخلوقا بين يديك بل دما مسفوحا لمشروع مخلوق . فقراءة ما دونه المؤلف المسرحي لا تعطينا الصلاحية لفهمه أو الحكم عليه اذ تظل العملية المسرحية ناقصة ولا يمكننا الحكم عليها ما لم نضعها - كالسفينة - في بحرها ونراها كيف تسير وهل تآلفت مع الماء أم أنها لم تطف وغرقت ؟ وكنت أتشبث بتعريف المسرح كما حدده أحد ثوار المسرح وهو المخرج الانجليزي بيتر بروك الذي يرى أن المسرح يعني بكل تبسيط : خشبة مسرح : مساحة فارغة : أي مساحة فارغة يمكن أن تتيح لنا مكانا يقف عليه مؤد ويكون هناك جهود ويكون هناك محور لمضمون يهم هؤلاء الناس فيتم من خلاله التواصل بين المؤدي والمتفرج . وهذا التعريف لبيتر بروك يتلاقى كذلك مع رجل المسرح العالمي

جروتوفسكي حين استخدم منهاجه الـ « Via pegativa » ، وهـو الحذف أو الالغاء ، معلنا أننا بحاجة ملحة إلى تخليص المسرح من أثقاله الدخيلة عليه وطرح الأسئلة :

- هل يمكن أن يكون هناك مسرح

بدون متفرج ؟
الاجابة : لا .
- مسرح بدون ممثل ؟
الاجابة : لا .
- مسرح بدون نص مسرحي ؟
الاجابة : نعم !
- بدون ديكور ؟ بدون إضاءة ؟ بدون موسيقى ؟
الاجابة : نعم ، نعم ، نعم .

إذن كل شيء تقريبا مما نعرفه عن المسرح الان يمكن حذفه أو إلغاؤه الا الممثل والمساحة الفارغة والمتفرج والمضمون الذى يتمحور حوله هذا اللقاء بين المؤدى والجمهور .

لم يكن تشبثى بهذا التعريف للمسرح يدفعنى إلى اهمال النص كلية لكنه كان يدعمنى فى رفع راية : أن المخرج هو مؤلف العرض المسرحى الذى يكون النص جزءا من تكوينه وأن للمخرج الصلاحية الكاملة فى التصرف مع النص بما يراه ضرورة لمصلحة العرض مسرحيا . وكان هذا التعريف يدعمنى كذلك فى الدعوة إلى إستقلال الناقد المسرحى عن الناقد الفنى العام والنقد الأدبى المشغول بالكلمة المكتوبة للقراءة والمعنى بتوجه كامل مقصور على الكاتب أو المؤلف فقط ، وكنت اتمنى أن تستخرج حركة إستقلال "الناقد المسرحى" جنودها من مسرحيين عملوا بالاخراج وشاركوا فى صناعة العرض المسرحى مستنبتين من أرضيتهم المسرحية لغتهم الواعية والمدركة للعملية المسرحية رافعين الشعار : "دعوا المسرح يتحدث بلغته" : فعبر نقاد كهؤلاء فقط يمكن لحركة مسرحية فى بلادنا أن تنبثق متفجرة بالخصوبة والوعى والابتكار ، قادرة على حفر مجرى لمسرح يخصنا : نتأصل به ويتأصل بنا ويتصاعد فى تطور لإثراء التعبير عن الحق والخير والجمال .

● حصار وغربة !

وكان من المنطقى - وقد اتخذت هذا الموقف المبدئى مسرحيا - أن تتوحد لغتى مع المخرج المسرحى صاحب العرض المسرحى اكثر من توحدها مع الكاتب المسرحى الذى كان ولايزال يعد نفسه أديبا بالدرجة الأولى . وكان من النتائج المنطقية والحال هكذا أن يكون النقاد بصفتيهم : "الاكاديميون" و"المتأكرمون" الذين يسمحون لانفسهم بالاعتداء على المسرح بالنقد والتقييم : كان من الطبيعى أن يكونوا بأكملهم فى ناحية وأكون وحدى فى الناحية النقيض : أنا والمسرحيين والوعى المسرحى وجنود الحلم الثورى : غرباء محاصرون لا يحمينا سوى العناد وقوة المبدأ ، ورغم صعوبة موقفى هذا فإننى كنت سعيدة غاية السعادة أننى مع كونى اقلية كنت قادرة على الاستمرار فى المواجهة وخوض المعركة وازعاج الخصوم . وكنت أسمى نفسى "الناقدة المحاربة" وأحيانا "مقاتلة فى

الأحراش والغابات" وفي كل الأحوال كنت واحدة من جنود الحلم الثوري أخوض معركة الشكل المسرحي واللغة المسرحية وتصحيح المغالطات والمفاهيم المليئة بالخزعبلات عن المسرح كإطار مستقل للتعبير الانساني . وكنت خلال المعركة قد حددت انحيازي الكامل ـ انطلاقا من اسلامي ـ للفكر الثوري والمضمون الثوري والرسالة الثورية لصالح المستضعفين ضد كل قوى وأشكال الاستكبار والمستكبرين : المفسدين في الارض . وكانت سنوات الستينات ـ تلك الشهيرة بكونها ، فترة الانتعاش للمسرح المصري ـ هي في الواقع سنوات الصراع الذي خاضه جنود الحلم الثوري لجمع لطع دودة الثورة ، حيث كانت الدودة هي : الانتهازية والزيف والكذب والدجل والسياحة السياسية والسياسة والسرابية التي أنتجت الهوة المخيفة بين القول والفعل والانفصام بين الشعار المعلن والتطبيق الواقع ثم كانت الدودة هي : المنهج الاجرامي الذي تبلور وشاع وناء بكلكله على صدر الانسان المصري الباسل الوديع : منهج القمع والارهاب : منهج قطع الألسنة وجدع الأنوف وسحق الكرامة الحرام للمواطن : منهج السجن والاعتقال والتعذب للشبهة وللفتة ولرفة الرمش في العين .

نعم : كانت الستينات فترة انتعاش للمسرح المصري ، وهذا يعني : أن هناك كانت تجري ـ رغم كل شيء ـ حياة نابضة تحركها دماء ثوريين أصلاء : ثم بدأ المسرح يذوي وينزوي مع مرور السبعينات وكان هذا دليل : أن الموات خيم وانتصرت جناحاه القاتمتان .

والحياة النابضة لا تعني أن كل شيء على مايرام لكنها تعني أن المعركة مستمرة وأن جنود الثورة من اجل اعلاء الحق والخير والجمال لايزالون في الساحة ـ وان سقط منهم الشهداء ـ وأنهم مسيطرون في مواقع صراعهم لتسود رؤيتهم الانسانية لصالح الانسان ضد تخلف ورجعية قوى الاستكبار ورؤيتها الكافرة لغير صالح الانسان خليفة الله على الأرض .

● الشطر الأكبر

كان نبض الصراع يدور في مصر في سنوات الستينات كان جنود الحكم الثوري الباقون في الساحة رغم أنف الارهاب يحاولون جهد طاقتهم لكي يجذبوا صكوك المكتسبات الشعبية لتحويلها من عملة ورقية بلا قيمة الى واقع يقف على الأرض ، على طين تنزرع فيه المكتسبات فتضرب جذورها في الاعماق ، وتتلاقح مع النيل والهواء

وعرق عباد الله ، فتنمو وتشتد وتعلو باسقة كالشجر الطيب ، يضيء زيته ولو لم تمسسه نار ، كان جنود الحلم الثورى مستميتين لترسيخ واقع يتوازن ولو قليلا مع "الطقطقات" و"الشقشقات" ، الثورية لفظا والفاسدة اثرا ، لأنهم كانوا يعرفون منذ الأمس ـ ما تأكد اليوم ـ أن قصور الرمال لا تقاوم صفع الموج ولا عواصف التراب لكنه الشجر ـ وحده ـ الذى يقاوم الرياح ويصد الموج .

وكان جنود الحلم الثورى يرون أن اعداء الحلم من الرجعية والاقطاع ليسوا هم الخطر الأكبر فالخطر الأكبر يكمن دائما فى سارقى الحلم من أبنائه وحفظته المخلصين ، يكمن فى المنافقين ، فى الانتهازيين الذين يهددون حصاد ومحصول كل ثورة ، إذ باجادتهم رطانة اللغة الثورية مع براعة تمييعها لتناسب كل الاهواء ينجحون فى تعطيل الابناء المخلصين وفى نخر الثورة من قلبها إلى أن ينهار كل شيء ويصبح كالعصف المأكول ـ (قال صلى الله عليه وسلم : لست أخشى على امتى من مؤمن أو مشرك ، فأما المؤمن فيحجزه إيمانه وأما المشرك فيقمعه كفره ولكننى اتخوف عليكم من منافق عالم اللسان ، يقول ما تحبون ويعمل ما تنكرون . صدق رسول الله) .

وشهدت سنوات الستينات أعنف المعارك التى خاضها جنود الحلم الثورى لجمع لطع دودة الثورة ووقوفهم ببسالة ضد تلك اللطع التى صارت بالنهاية أخطبوطا هائلا من الانتهازية استطاع أن يفرش نفسه طولا وعرضا وسماء وأرضا ويتمكن تماما من ضعضعة الحلم الثورى ـ المخطوف من أبنائه ـ ومن تحويل المكتسبات الشعبية ـ الورقية ـ الى مسلسلات اذاعية وتليفزيونية وزفة سياحية وألاعيب حواه وأفاعى سحرة يكتبون فى الصحف والمجلات .

وبرغم ضخامة الأخطبوط وشراسته وخسته فى الدفاع عن منافعه الشخصية ، لم يفقد جنود الحلم الثورى ـ ضمير مصر ونبضها ـ عنادهم الذى إستمر معهم مارا بهم من هلاك إلى هلاك .

كان جنود الحلم الثورى ـ ضمير مصر ونبضها ـ يعرفون أنهم اقلية وعزل أمام الأخطبوط الذى تملك سلطة الدولة بأكملها . وكان هذا الأخطبوط يتكون ويتجمع من فصائل ثوريين سابقين فقدوا ثوريتهم ومن مثقفين عدميين ومن فصيلة انتهازيين اصلاء ، يعتنقون الانتهازية اعتناقا مبدئيا سلوكيا كاملا ومع كل هؤلاء طبعا فئة من الخدم والعبيد وعبدة للأوثان .

اخطبوط رهيب مدعم بكل شيء تقريبا : لكن جنود الحلم الثورى ـ بعنادهم وحلمهم ـ كانوا يعرفون ان الحشد الهائل من لحم مصر من المستضعفين كانوا معهم ، كانوا يعرفون ان الجياع : معهم ، المرضى

البلهاريسيون : معهم ، الشهداء الذين ذبحهم الأخطبوط غيلة فى سيناء : معهم ، الصم والبكم والعمى : معهم من دون أن يعرفوا أو يدركوا أنهم مع أحد على الاطلاق ، كانت مصر كلها بتاريخها ومواقع مقاومتها كذلك معهم . واستمر جنود الحلم الثورى رغم تشتتهم – حين وحيث لا يكاد الأخ منهم يعرف أخاه – كانوا مصرين على الاستمرار فى الصراع ضد الأخطبوط حتى لو صاروا خمسة أو ثلاثة أو واحدا – (ولقد إنقسم هذا الأخطبوط على نفسه فى ١٩٧١/٥/١٥ وأكل ذيله رأسه وتغير لونه تماما : من أخطبوط يقتل ويخنق ويأكل السحت تحت علم إدعاء الثورة والاشتراكية والتقدمية إلى أخطبوط يأتى الجرائم نفسها ولكن تحت علم آخر أكثر إضحاكا وإن لم يكن أقل إبكاء وهو علم ادعاء الديمقراطية والتحضر والسلام الاجتماعى ! لكن حتى بعد هذا التغيير فى الشعارات ظلت هناك سمة مشتركة بين أخطبوط ما قبل ١٩٧١/٥/١٥ وأخطبوط الطبعة الجديدة المنقحة بعد ١٩٧١/٥/١٥ . وهذه السمة المشتركة هى : أنهما أخطبوط يجبن ويهادن فى كل شىء إلا فى منفعته الشخصية التى يكون فى دفاعه عنها غاية فى الشراسة والخسة) .

وكان لابد لمسرح الستينات أن يرصد هذا الصراع بين النقاء والعفن وأن يلتقطه ويعبر عنه بجهود جنود الحكم الثورى الذين كانوا لايزالون يملكون بعض مواقع مشعة فى النقد والاخراج والتمثيل والتأليف . وكانوا يحاولون أن يستدلوا إلى بعضهم البعض من خلال كلمة أو موقف أو عمل أو صمت : فيتعارفوا فورا ويتساندوا سويا فى معركتهم غير المتكافئة مع الأخطبوط والتى كانوا يعرفون أنهم يخسرونها حتما .

● إلتزام الصمت

كانت مهمتى النقدية تدفعنى إلى موقفين ازاء كل عمل استشعر من ورائه أنفاسا ونبض جنود للحلم الثورى مخلصين : موقف ألتزم فيه الصمت خوفا من اعلان الفرح فيتنبه الأخطبوط ويكسر مصابيح الفرح التى تلألأت فى غفلة منه ، والموقف الثانى يدفعنى إلى الكتابة عن العمل فى عملية مرهقة ومحفوفة بالمحاذير ، لأننى أكون قد أردت أن أوصل العمل المسرحى للقراء بقوة إشاراته الواضحة ضد الأخطبوط ويكون علىّ بذات الوقت أن أكتب بهدوء كاف حتى لا تلتفت عين من عيون الأخطبوط – الكثيرة – ضدى أو ضد المسرحية ، وكان من حسن حظى أننى كنت أعمل فى مجلة المصور تحت رئاسة أحمد بهاء الدين وكانت رئاسته نظيفة وراقية مما أتاح لى قدرا كبيرا من التعبير عن رأيى النقدى بحرية شبه كاملة إلى أن داهمنا قرار نقله من مؤسسة دار

الهلال إلى مؤسسة الأهرام في ٨ / ١٩٧١ .

جاء بديلا عن أحمد بهاء الدين آخر من يمكن أن يكون بديلا عن الرقى والتحضر (جاء "إيان سميث" او "مكارثى" الثقافة المصرية الأستاذ "يوسف السباعى" !) .

قبل أن يرتشف يوسف السباعى أول فنجان قهوة على مكتبه الجديد كرئيس مجلس ادارة دار الهلال ورئيس تحرير المصور استدعانى وقال لى - وكان بيده مقال نقدى لى عن العرض المسرحى "ملك الشحاتين" لنجيب سرور وجلال الشرقاوى - قال لى وهو يرشق عينه الزرقاء القاسية بمنتصف جبينى :

- "يكون فى علمك إحنا مش عاوزين نشوف اسم صافى ناز كاظم ده منشور أبدا" !

وهكذا إنحسر اسمى من النشر فى السبعينات فمنذ ٨ / ١٩٧١ حتى ١٩٨٣/٣/٢٥ تحقق قرار السباعى بحذافيره فلم ينشر اسمى ابدا فى صحف مصر الا ضمن قوائم المعتقلين أو المتحفظ عليهم أو المقدمين لمحاكم أمن الدولة .

لماذا ... ؟

لا أدرى إلا أننى حاولت دائما أن أكون ناقدة مسرح كما يجب وكما وعدت مصر الحبيبة الطيبة .

اجبرت على البقاء فى بيتى لا أملك سوى أن أنظر من شباكى أرقب فى أسى العاصفة الترابية التى هيجها الأخطبوط فى ردائه الجديد بعد ١٩٧١/٥/١٥ . كانت العاصفة تطيح بزهور المسرح اليانعة والأخطبوط يدوس معها بأقدامه وأذرعه الثعبانية كل النبتات الصغيرة اللينة الواعدة ويعتصر الأغصان . وبعد المذبحة وقف الأخطبوط ينظر الى جزع شجرة المسرح الناتىء : أجرد مبتورا وبدأ يلصق عليه كل ورقة ذابلة وكل ثمرة فجة وكل ما لا يمكن أن ينتمى أو ينمو على الشجرة .

وظل هناك الاصرار على اقامة مسرح مع الاصرار الكامل على اقامته بدون مسرحيين ، مع الاصرار الكامل على استئصال أصل وجود المسرح وهو : الصراع ! والمدهش أننى رأيت المسرحيين لا يتدخلون فى معترك الحرب التى دارت لطحنهم ، بل على العكس كانوا يبدون طواعيتهم الكاملة للانسحاق التام ويشكرون كذلك الاجراءات الرخيمة التى - على الأقل - كانت لاتزال تعطيهم فرص الانسحاق . وأصبح المسرحيون يتبنون مغالطات وخلط غير المسرحيين !

والآن وبعد مرور السبعينيات والثمانينات يحلو للبعض عقد المقارنة بين مسرح الستينات ومسرح السبعينات والثمانينات وهى مقارنة ظالمة ، فالمقارنة لا تتم الا بين موجودين فأين مسرح السبعينات والثمانينات المصرى لنقارنه بمسرح الستينات ؟

ورود سامة لصقر

إبداع روائى جديد

بقلم : د. سيد البحراوى

مع بدايات عقد الستينيات اخذت حركة جديدة فى القص المصرى تبدى تميزا واضحا عن القص السائد وقتها والذى كان يميل إلى نمط الكتابة الواقعية . كان نموذجه الاعلى يوسف ادريس فى القصة القصيرة ، وعبدالرحمن الشرقاوى فى الرواية . غير ان هذه الحركة الجديدة ، والتى قدمت انجازات هامة فى أسلوب القص ورؤية العالم ، ركزت على القصة القصيرة دون الرواية . ففى الوقت الذى امتلأت فيه الصحف والمجلات بمئات القصص القصيرة الجديدة والتى يكتبها شباب ، وظهرت عشرات المجموعات القصصية خلال ذلك العقد (الستينيات) ، لوحظ ندرة الروايات ، حيث يمكن حصر الروايات التى نشرت لأبناء هذا الجيل الجديد خلال العقد المذكور فى عدد أصابع اليد الواحدة .

● وفيما بعد ، حاولنا(١) ان نفسر هذه الظاهرة التى حاول البعض وقتها تفسيرها على اساس الزعم بأن هؤلاء الكتاب الشبان لايمتلكون «النفس الطويل» الذى يسمح لهم بكتابة الرواية . كانت محاولتنا هى إدراك الخصائص الفارقة للنوع الادبى المسمى بالقصة القصيرة عن النوع الآخر المسمى بالرواية ، وإدراك علاقة هذه الخصائص بالظروف الاجتماعية والنفسية التى توفرت فى ذلك الوقت . وانطلقنا من ان العقد كان عقد أزمة ناتجة عن الالتباس الذى سببته فى نفوس هذا الجيل المفارقة بين الشعار المعلن والتطبيق المنفذ ، وهو إلتباس تبدى فى علاقة الحب / الكره التى حملها أبناء الجيل لعبدالناصر ونظامه . ومثل هذه الأزمة / الالتباس ربما كانت أصلح

١ ـ راجع دراستنا عن «يحيى الطاهر عبدالله كاتب القصة القصيرة» فى كتاب «دراسات فى القصة العربية» ، مؤسسة الأبحاث العربية بيروت ١٩٨٦ ـ صـ ١٩٦ ـ ٢٠٠

المواقف النفسية لكتابة القصة القصيرة ، وخاصة بملامحها التى أعطاها إياها هؤلاء الكتاب . فى حين أن الرواية تحتاج إلى نوع من الامتداد أو الانفتاح الرؤيوى النفسى الذى يسمح للكاتب بأن يدرك صيرورة البشر والاشياء وحركتها المكتملة بغض النظر عن كيفية الاكتمال تقليديا كان (أى فى إطار البناء الهرمى : البداية ـ الوسط ـ النهاية) أو غير تقليدى (السرد المتقطع الى مالا نهاية أو الشكل الدائرى للبناء) . ومثل هذا الانفتاح أو الامتداد لم يتح لأبناء الجيل إلا بعد زوال الالتباس ومبرراته ، وأصبح النظام السياسى ـ فى السبعينيات أكثر وضوحا فى توجهاته ، بحيث لم تعد علاقة الحب / الكره هى السائدة ، بل علاقة نفور يصل أحيانا إلى حد العداء . ومنذ تلك اللحظة كثرت الروايات ـ الجديدة ـ بل زادت الى حد كبير ـ فيما بعد أى طوال عقد الثمانينيات .


يوسف ابو رية — عبدالرحمن الشرقاوى — عبده جبير — محمد المنسى قنديل

● ندرة الروايات

وفى هذه الأثناء كان كتاب جدد ينبتون ثم يزدهرون مكررين نفس الظاهرة : تركيز واضح على القصة القصيرة ذات الملامح المختلفة أو المتميزة ، وندرة واضحة أيضا فى ميدان الرواية . ولكن هذه الظاهرة التى انتهت بعد عقد واحد فى الحالة الأولى ، نراها تمتد إلى العقدين ـ وربما زادت ـ فى حالتنا الثانية الراهنة .

ففى الوقت الذى ظهرت فيه مجموعات شبه متكاملة من كتاب القصة القصيرة فى السبعينيات وفى الثمانينيات ، وظهرت عشرات المجموعات القصصية لا نجد سوى عدد محدود من الروايات ، سواء فى السبعينات أو فى الثمانينات من انتاج الكتاب الجدد . قليس ـ ثم ـ سوى ابراهيم عبدالمجيد عبده جبير ومحمود الورداني والمنسى قنديل من السبعينيين . وليس ـ ثم ـ سوى فتحى امبابى ، ويوسف أبورية وأحمد زغلول الشيطى من الثمانينيين (وهذا تصنيف أولى نأمل أن يدقق فيما بعد حين يتوالى الانتاج) .

وفى الوقت الذى حققت فيه القصة القصيرة عند هؤلاء الكتاب تميزا واضحا عن سابقيهم ، لانجد الروايات القليلة تحقق هذا التميز البارز اللهم إلا إبداعية كتابها الفردية ، دون خصائص عامة مشتركة جديدة . وربما تكون قلة الروايات

ورود سامة لصقر

وعدم التواصل وقلة كتاب الرواية وأزمة النشر هي أسباب عدم وضوح هذا التميز. وقد لا تكون الفترة - متجادلة مع التكوين النفسي لهؤلاء الكتاب ضنينة بالرواية. ولكن هذا الحكم مازال مبكرا، لا نستطيع أن نطرحه قبل أن نقرأ إنتاجا أكثر لهؤلاء الكتاب الجدد أو غيرهم من مجايليهم. غير أن هذا لايمنعنا من أن نحاول أن نتلمس بعض خصائص هذا الانتاج الجديد، وإن حملناها على الخصوصية الفردية لصاحب الانتاج نفسه، أكثر من اعتبارها خصائص جيل من الكتاب. وسوف نقف هنا عند رواية واحدة قصيرة هي رواية أحمد زغلول الشيطي «ورود سامة لصقر» التي كتبت سنة ١٩٨٦، ولم تنشر سوى هذا العام(٢).

★ ★ ★

ثلاثون صفحة من القطع المتوسط هي حجم الرواية. وهذه الصفحات مكرسة جميعها لتقدم حدثا واحدا مفردا هو موت صقر عبدالواحد، الذي وقع مساء الثامن من اغسطس سنة ١٩٨٤ أو صباح التاسع منه. في هذا الصباح فتحت أمه وأخته باب حجرته فوجدوه ميتا «كان أزرق وصلبا ورغوة تسيل من فمه، وفوق صدره باقة ورود، انطبقت عليها يداه، وفوق المخدة أوراق متناثرة» صـ ٦٠ كتب عليها «أن الحب مستحيل، وأنه متروك للأيدي الخشبية، متروك لقناع الخزف والورود السامة» صـ ٨٧.

تتكون الرواية من ست فقرات. فقرة البداية وفقرة النهاية تحكيان وقائع الموت وما قبله وما بعده عبر ضمير الراوي (الغائب). والفقرات الأربع الوسيطة تقدم الحدث وصاحبه من خلال أربع وجهات نظر هي وجهات نظر الشخصيات الرئيسية في الرواية: يحيى خلف صديق صقر، وصقر نفسه ثم أخته تحية وأخيرا حبيبته ناهد (ولنا أن نذكر هنا أن الكاتب قد تجاهل شخصية الأم ولم يعطها حق الكلام في فقرة مستقلة دون مبرر واضح!)

منذ بداية الرواية وحتى نهايتها، يظل موت صقر حدثا ملغزا. هل مات ميتة طبيعية؟ هل انتحر؟ هل قتل؟ ومع ذلك فليس سوى يحيى الذي يثير هذه القضية. أحيانا يعبر عن يقينه أن ناهد بدر هي قاتلته (صـ٦٦) وأنه «لم ينتحر، صقر قتل في أغسطس .. و. أن قتلته جميعا على قيد الحياة. زاولوا قتله على امتداد عمره الصغير، في بيتهم، في الورشة والجامع والشارع والجامعة» صـ ٦٦ وأحيانا يشك يحيى أن القتل كان متعمدا، وأن الورود التي وجدت بين يدي صقر وهو ميت كانت مسمومة «لم يثر أي أحد شكا حول طبيعة هذه الزهور، اللهم إلا صديقه يحيى خلف الذي أكد أول الأمر

٢ - نشرت الرواية في العدد رقم ٥٤ (يناير فبراير ١٩٩٠) من مجلة أدب ونقد. القاهرة على صفحات ٥٩ - ٨٨. وسترد أرقام الصفحات في متن الدراسة بين قوسين.

ان هذه الورود سامة ، وأنها دست لصقر ، و(لكن) يبدو أنه تنازل عن هذا الاعتقاد فيما بعد » (صـــ ٨٨) الفقرة الأخيرة) .

بهذا التنازل – الذى يرد ذكره على لسان الراوى – لم يعد هناك من يثير اى مشكلة حول كيفية موت صقر ، او يتهم احدا بقتله فيزول هذا الاهتمام الذى شغل القارىء طوال الرواية ، والذى قدمه الكاتب بذكاء ليجذب القارىء ، دون أن يمالئه ، فها هو فى النهاية يعلن أن هذه ليست هى المشكلة ، والمشكلة شىء آخر . الرواية لا تكمن أهميتها فى الحبكة والحدث ، وإنما فى شىء آخر . ماهو ؟

المشكلة التى تعالجها الرواية بنجاح ، وهذا هو مصدر أهميتها ، هو التكوين النفسى الاجتماعى الذى ادى بصقر إلى الموت . هذا التكوين الفريد والنمطى فى آن واحد . وهذا التكوين يتشكل معنا خطوة خطوة منذ بداية الرواية وعبر اساليب فنية متعددة .

فى البداية يمر الحنطور فى المدينة يعلن على الناس موت صقر ،وكانت الوجوه تطل من جانبى الحنطور ، تتساءل عمن


يوسف ادريس

مات . وكان الرجل يذيع أسماء أقارب صقر ومهنهم .. حسن محمود عبدالواحد جزمجى ، شفيق عوض عبدالواحد نجار ، مرزوق عوض عبدالواحد موظف بهيئة النقل العام . لواء شرطة متقاعد ابراهيم عمارة .. انقبض قلب يحيى ، صرخ .

– لواء ؟ .. مافيش فى عيلة صقر ولا حتى صول .

– ياسيدى .. حد هيدور ورانا . » صـــ ٦٠

وفى الفقرة التالية مباشرة حوار تليفونى نفهم منه أن ثمة علاقة بين هذا الجو الفقير وامرأة اسمها ناهد تقيم فى مصيف «رأس البر » بما يوحى أنها ثرية . ولا يتركنا الكاتب كثيرا فى ظنوننا فيقدم لنا ناهد بتفصيل أكثر دلالة ودخولا فى الحدث ، قبل أن تنتهى الفقرة الأولى :

« كانت ناهد جاءت . وقف يحيى أمامها . نظرت اليه متوسلة . كان الشيخ يقرأ سورة الرحمن . كانت ترتدى طقما أسود أحدث موديل ، ضيقا ومشقوقا من أسفل ، وكان برفانها يفوح على البعد . جذبها يحيى من ذراعها خلف الشادر ، كان قلبه ارتج . لحظة فكر أن هذه البنت ، القحبة بنت القحبة ؟ هى قاتلة صقر ، وأنها ما جاءت الا لتعرض فستانها على هؤلاء الغلابة لتنتزع من عيونهم المريضة الاعجاب » صـــ ٦١ .

من هذه البداية التناقضية نفهم سر الأزمة الأساسية التى عاشها صقر عبدالواحد الفقير المدقع والذى يصر على الا يحب الا البرجوازيات كما يرد على لسان يحيى فيما بعد . غير أن حبه هذا ينتهى دون أن يحياه ، بل دون أن يحيا

على الاطلاق . وهو الأمر الذى يلخصه صقر نفسه بإيجاز فى أول جملة من الفقرة الثانية : «قال صقر : إننا نبكى من الموت لأننا لم نحى كما ينبغى . أمه قالت لى : صقر مات لأن الدنيا لم تعجبه ... الآن اتساءل : لماذا مات صقر؟ صقر لايموت إلا اذا كان الموت هو الطريق الأوحد» صـــ ٦١

هذا التناقض الطبقى هو أساس أزمة صقر ، ولكنه ليس كل شىء بل إن كل شىء يبدأ بعد ذلك ، لأن هذا التناقض الطبقى ، لا يؤدى وحده الى الموت ، والا لمات يحيى ولماتت تحية . الكيفية التى يشعر بها صقر ويعيش هذا التناقض ، هى السبب ، وهى المهمة فى الرواية التى تخلق شخصية متفردة ونمطية : شخصية صقر كما رآها من حوله وكما رآها هو نفسه .

يحيى خلف .. أول من تحدث عن صقر فهو أكثر الناس معرفة به . فى المدرسة ، فى الورشة ، فى الجامعة ، فى المسكن ، فى الحلم ، فى الاحساس بالظلم ، وان اختلفت طرقهما فى الخروج من المأزق . صقر يموت ويحيى يحصل على عقد عمل فى قطر ويسافر . صقر متمرد منذ البداية يهرب من الورشة مرات ويذهب الى رأس البر – ويهرب من الغرفة التى يقيمان فيها بدار السلام – ويهرب من منزلهم بدمياط ، ولكنه لا يفعل شيئا بهروبه ، ويقول عنه يحيى «كان الليل إذ يتسرب الى قلبه ، يولد من جديد ، صقر آخر ، صقر حالم او نبى . كنت معه ، فى ليله الطويل ، من طفولتنا المطلة على البحر والورش ، إلى أرض حلمنا .

حملنا حقيبة واحدة بملابسنا وكتب الشعر ، لأن صقر لا يعرف إلا ان يكون شاعرا او سلة مهملات» .

ويحيى هو الذى ينقل الينا معرفته بالهواجس التى كانت تراود صقر باستمرار :

«يوم ترك بيتهم دون أن يعلم أحد ، وهرب فى قطار إلى القاهرة ، وعندما وصل القطار الى محطة المنصورة ، أرعب صقر الضوء والزحمة والليل ، شعر بصغر سنه فى الليل الشاسع . نزل فى المحطة . بدلا من أن يعود الى دمياط ، عاد الى رأس البر ، ذلك الماخور الموسمى كما اسماه فيما بعد ، وهناك ، قابلها ، «ناهد بدر» بعد يومين من النوم فى الجامع وفوق الرصيف . قال لى مرارا ان الرجل ظهر له لأول مرة فى شارع جانبى على النيل ، رجل ذو قناع من الخزف ، والبحر يزمجر ، وعيناه زجاجيتان ، والحائط خلفى ، وجبل الملح يضغطنى ، وبيده الخشبية يحمل باقة ورود غريبة ، راح يقدمها له ، بعد الذبح ، بعد أن امتدت ذراع مشوية بالشمس ، لا لتقبل .. ولا لتحتضن . امتدت ذراع بلون الرنجة . جزت رقبتى ..» صـــ ٦٦

وفيما بعد ، وفى الفقرة الثالثة ، يحدثنا صقر بتفصيل أكثر عن هذا الحلم الكابوسى المقترن طوال الوقت بتعرفه على ناهد بدر وعلى علاقته كما يقول : «أتيت لأرى البحر .. أغير حياتى ..

كأننى كنت أبحث عنك .. كنت مختفية خلف الستائر فى الفيلات القائمة على رصيف الزهور ، ألم ترى رجلا اسمه صقر فى حلمك ، اننى صقر .. من المدينة القريبة المطلة على البحر ، أكتب الشعر . رأيتك تشترين عطورا باريسية من المحل

الذى أعمل به ، ذوقك رائع ، يومها ، رأيت ذراعا مشويا بالشمس يرتفع ، هو ذراعك ، ويدلا من تعانق ، برزت سكين فى قبضة اليد ، وأنا مستسلم ، حززت النصل على رقبتى انجزت ، سقطت رأسى ، عيناى تجمدتا ، كعينى سمكة فى الثلج .. ورأيته أول مرة فى الشارع المظلم على النيل كان كيس الملح تضخم فوق كتفى . صار جبلا . كنت أتساءل تحت مصابيح مطفأة ، رأيته آتيا والبحر خلفه ، وجهه قناع من خزف أصفر . يداه خشبيتان ، بينهما باقة ورود غريبة . ورود متوحشة . كان الجدار خلفى والبحر رابض ، وكيس الملح يتضخم . امتدت يداه الخشبيتان . نادانى باسمى .. خذ ورودك ياصقر . كان جسمى يتداعى ورائحة زنخة تفوح من يديه قلت : لا . اقترب منى . ورود لك ياصقر لك وحدك . قلت لا . كان الجدار صلبا ، وكيس الملح جبلا فوق كتفى .. صرخت لا .. لا .. ألقيت كيس الملح فى وجهه : سمعت ضحكته .. ورودك ياصقر . » صـ٧٢

★ ★ ★

ويوضح صقر أيضا ، فى حديثه مع تحية فى الفقرة الرابعة « أن كل الورود سامة .. وكل الحب مستحيل » فيتأكد هذا التلازم بين الحب المستحيل لناهد والمقتل . ولأن تحية لا تحتمل شخصيتها البسيطة الحلم الكابوسى ، فإن حديث صقر الأخير اليها لا يحمل سوى الرموز . الوردة دائما ما ترد فى حديثه وهو يحكى لها أن كل شيء قد انتهى . وهى لم تفهم أن علاقته بناهد قد انتهت أو أن ناهد قد أنهت علاقتها به بعد عشق مشبوب

مستحيل ، كما أوضح حديث صقر ، وكما يوضح حديث ناهد نفسها - فى الفقرة الخامسة - بتفصيل أكثر منطقية .

فى الوقت الذى يكمل فيه حديث تحية عبدالواحد صورة صقر كما يقدمها يحيى وصقر نفسه . مع لمسات خاصة بشخصية تحية الأخت التى ترى فيه نموذج الرجل دون أن تعرف لماذا ، نجد أن حديث ناهد بدر يقدم وجها آخر للصورة وإن لم يكن نقيضا . هنا تصور ناهد كم العذاب الذى كان يعانيه هذا البرجوازى الصغير الذى أحبها ولم تحبه ، فى الوقت الذى تعبر فيه عن شغفها به وبصفة خاصة بجسمه الطويل العريض . « سألت نفسى . هل أحب صقر؟ لا . لا أحب صقر ولا أكرهه . إذا لماذا علاقتى به . لماذا تورانى الخصوم حوله . كأنه إله وثنى أعبده . إله ذو أرجل وأصابع وشعر . أن جسمى يتهاوى أمامه ، يتهاوى وينفتح ، دون خجل بل وبرغبة معلنه » صـ ٨٥ ولكن هذا الشغف انتهى حين غاب وذهبت تبحث عنه فوجدته صريع المرض دفعت الباب بقدمى - هربت من قبره .. كان صقر مات .. كان انتهى فوق سريره .. محموما أصفر يهذى .. صقر الذى أعرفه يدهس ، ويدوس ويشعل الحرائق ، يثير الفتن والاضطرابات اينما ارتحل ، ويعتصر نهود البنات بأصابعه

الصخرية لآخر قطرة . سألني : انتهى ؟ قلت : نعم من قبل أن نبدأ . قال : يولد الانسان ومعه أسباب موته .

قلت انتهى . كنا لآخر مرة فى ريش ، يكاد يقبل قدمى والمصاصة التى يكرهها فى فمى .. لم يعد يكرهها ، فقد كل أسلحته .. كل سحره سألنى : انتهى ؟ قلت : انتهى . جاءنى عريس سعيد ويعمل فى شركة سيلحة .. رجل أعمال صغير قال : أريدك . قلت .. انتهى .. كان يبكى ويشعل السجائر . قال جئت لنصفى خلافاتنا . قال : أحبك يا ناهد . قلت : انتهى . كان صقر انتهى .. وكنت تحررت منه .. خرجت من دوامته » ص ٨٦ .

● سرد تقليدى

صوت ناهد هو الصوت الوحيد الصافى ، أو لنقل الأحادى فى الرواية . والكاتب يعتمد فى رواية هذا الصوت على الأسلوب التقليدى فى القص : سرد يتخلله حوار ، وهو سرد تقليدى أيضا فى تتابعه الزمنى . لا تقاطعات ولا تعاريج . تنطلق ناهد بسيارتها - مع أخيها - وفى نيتها الذهاب الى بيت صقر بعد موته بعشرة أيام ، لكن رحلتها على الطريق الزراعى تعيد إليها كل علاقتها بصقر مرتبة كما حدثت ومن خلال استعراض هذه العلاقة تصل الى قرار :

«كأننى كنت منومة كل هذا الوقت .

قلت لسلمى . سنرجع رأس البر . أوقف العربة » ص ٨٦ .

ناهد اذن هى الشخصية الوحيدة التى تعرف ماذا تريد ، وتحقق بالفعل ماتريد دون تعاريج أو منحنيات ، ولذلك كان

طبيعيا أن يقدمها الكاتب عبر هذا الأسلوب ، فى حين قدم الشخصيات الثلاثة الأخرى بأسلوب قصصى مختلف تماما أكثر عمقا وثراء والتواء فى ذات الوقت ، مستخدما فيه مجموعة من وسائل التدخل بين السرد والحوار والمونولوج الداخلى عبر تقنية تيار الوعى أساسا . هنا نلاحظ أن صوت صقر كان أكثر الأصوات استخداما لهذه التقنية ، يليه صوت يحيى وأخيرا صوت تحية . وهذا الترتيب يكشف بذاته مدى معرفة الكاتب العميقة بمستوى وعى كل من الشخصيات ففى الوقت الذى تتداخل فيه العوالم والأزمنة فى ذهن شاعر يموت - مثل صقر ، نجد أن تداخل العوالم بالنسبة لتحية هو خارجى أكثر مما تحتمله درجة وعيها وثقافتها ، وبينهما يقف يحيى الذى يحاول أن يدرك هذا التداخل بمنطقه هو المتزن والمنظم الى حد ما .

كذلك نلاحظ أن مستويات التداخل اللغوى فى ملفوظ هذه الشخصيات أعلى بكثير من المستوى اللغوى الأحادى البسيط الذى تتحدث به ناهد بدر .. فهذه الشخصيات الثلاث تستخدم لغة يتداخل فيها مستوى لغة المثقفين مع اللغة العامية . مع العلمية المأثورة (كما فى استخدام الأمثال الشعبية على سبيل المثال) والعامية الدارجة .. الخ .

ولاشك أن هذا التمايز الفنى فى تقديم ناهد من ناحية والفريق الآخر من ناحية ، يعكس موقف الكاتب فى إدانة ناهد والتضامن مع فريق صقر . ومع ادراكنا أن الكاتب لم يستطع أن يغوص فى شخصية ناهد بعمق مثلما فعل مع الآخرين ، فجاءت شخصيته مسطحة إلى حد كبير ، فإننا ندرك ؟ أيضا ؟ انه ربما كان هذا التقديم مقصودا لاحداث التوتر الأساسى فى الرواية ولكشف الأزمة الحقيقية فيها . ففى الوقت الذى يعانى فيه الفقراء صراعا داخليا رهيبا ، ناتجا عن الحياة القاسية التى يعيشونها ، نجد أن ناهد لا تعانى بنفس الدرجة من العمق ، لأن أمورها واضحة وطريقها محدد سلفا .. من أب مستشار وتاجر .. إلى معيد ويعمل بالسياحة .. وفى الوقت الذى تحقق فيه ناهد ما تريد عن اقتناع وصدق ، يموت صقر ، ويحيى يسافر فى إعارة (هذا الذى كان نموذجا للنضال والصلابة) ، ومن ثم تفقد تحية أملها فى حبيبها (يحيى) الذى كان قد وعدها بأن يرتب معها أوراق صقر .. فتغلق الرواية بأنها قد حفظت أوراق صقر فى حقيبة وأغلقتها ودستها تحت السرير » (صـ ٨٨)


فتحى غانم — نجيب محفوظ

● **شكل جديد**

وهكذا .. فى زمن تصبح فيه كل الأشياء ليست حقيقية ، وكل الكائنات مسوخ .. زمن تكون فيه كل الورود سامة ، وكل الحب مستحيل (صـ٧٧) لا يستطيع الكاتب الا أن يبين الشكل التقليدى من الرواية ، هذا الذى يبسط الأمور أكثر مما تحتمل ، ويلجأ إلى شكل جديد يسمح بتعدد الأصوات وتعقدها محققا بهذا الشكل الجديد تجاوزا حقيقيا واضحا للانجاز الروائى السابق الذى استخدم أسلوب وجهات النظر المتعددة (فتحى غانم ونجيب محفوظ) ، لأنه جعل من هذا الأسلوب وسيلة لتحقيق توتر فنى ودلالى عالى المستوى ، وقادر على أن يجسد أزمتنا التى نعيشها جميعا وأن كانت الأجيال الأحدث أكثر معاناة لها ، وأكثر قدرة على تقديمها فنيا .

ملحوظة :

احمد زغلول الشيطى محام يعيش فى دمياط ، يدور عمره حول الثلاثين ، له مجموعة قصصية تصدر قريبا فى مختارات فصول بعنوان «شتاء داخلى» .

رسالة باريس

الكتاب العربي والأوروبي ..

أول لقاء

أصبح من المسلمات التى لا سبيل إلى دفعها ان مرتبة الحيوان كائنا ما كان رهن بحالة جهازه العصبى .

وانه كلما ارتقى اكتسب ذلك الجهاز منزلة جليلة تبعا لهذا الرقى . والجماعات كالأفراد فى نشوئها وارتقائها ، فكلما زادت حياتها تعقيدا صار الفكر فيها مثل منزلة الجهاز العصبى فى الفرد .

وصار الكتاب الحافظ لفكرها عنوانا دقيقا على هذا النشوء والارتقاء ومن أجل ذلك ، فالكتاب فى الجماعات المتخلفة ، يكاد الا يكون له اية منزلة ، بل قل كيان .

والحال على العكس من ذلك تماما فى الجماعات التى بلغت فى التحضر شأوا كبيرا ، الكتاب فيها كائن نام ، متفرع ، مورق الافنان

ومن هنا ، ذلك الاحتفال المتزايد به ، كلما اقربنا من نهاية القرن العشرين ، قرن غزو الفضاء .

وتلك المعارض الكثيرة التى تقام خصيصا له على امتداد العالم الفسيح .

ومن هنا كذلك طرح معهد العالم العربى بباريس ، بالاشتراك مع دار سندباد التى كرست اغلب انتاجها للحضارة العربية وما اينعت من ثمار ، طرحهما معا لفكرة اقامة معرض اوروبى - عربى للكتاب بمبنى المعهد ذى الطراز العربى والمطل شامخا على نهر السين .

وعلى كل ، فقد كتب لتلك الفكرة ان تخرج إلى حيز الوجود ، مساء الثلاثاء الموافق الخامس عشر من مايو الماضى ، وذلك بحضور كوكبة من المثقفين العرب والفرنسيين ، حفل افتتاح الصالون او المعرض الاوروبى - العربى الاول للكتاب .

وبداهة ، فقد كان المتوقع لهذا الحدث الفريد بوصفه الاول من نوعه ، او بوصفه جسرا ثقافيا بين الشعب العربى ، والشعوب الاخرى المطلة على ضفاف البحر المتوسط ، ذلك البحر الذى يعتبر بحق مهد حضارة الانسان .

كان المتوقع له ان يكون منظما على مستوى المسئولية الكبرى الملقاة على عاتقه ، وأن تشترك فيه جميع الدول العربية بلا استثناء ، وان تتوافر للكتب المطلوب عرضها الحماية اللازمة من سيف الرقابة .

ولكن شيئا من هذا لم يتحقق .

فالمعرض لم تفتح ابوابه للجمهور فى تمام الساعة العاشرة من صباح يوم الاربعاء ، وفقا للبيان المطبوع فى الاعلانات ، وانما فى وقت متاخر عن ذلك بساعة او يزيد .

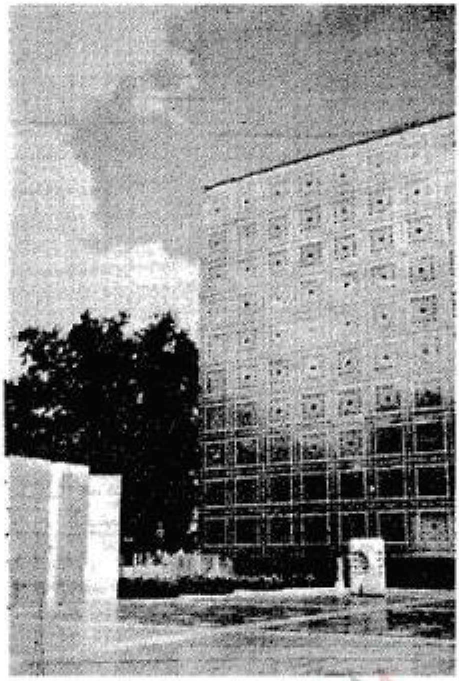
واكثر من ثلث المساحة المخصصة للمعرض كان ، لحفلة الافتتاح ، خاليا من الكتب التى كانت لاتزال على ارض المطار ، تنتظر من ينتقل بها الى مكانها المختار .

وجميع دول الخليج تغيبت ، ولا اقول امتنعت عن المشاركة رغم كل ثرائها .

والأغرب من هذا كله ، ان احدا من كبار ادباء الوطن العربى ، باستثناء الشاعر «ادونيس» ، لم يدع للمشاركة فى ندوات المعرض ، ولو بكلمة تنقل على شريط تسجيل .

والأكثر غرابة ، ما حدث لكتب مؤسسة الدراسات الفلسطينية فى مطار بلد الحرية والمساواة والاخاء ، حيث ظلت محتجزة لا يفرج عنها بحجة معاداتها للسامية الى أن وعد وزير الثقافة الفرنسية ليلة الافتتاح بالشفاعة لها لدى زميله وزير الداخلية .

هذا ، ولم يقتصر النشاط على عرض الكتب وبيعها ، بل اشتمل على اوجه اخرى من النشاط ، من بينها تقديم بعض الأفلام المأخوذة عن اعمال



معهد العالم العربى ـ باريس

روائية عربية كألف ليلة وليلة ، واليوم السادس لاديبة المهجر «رينيه شديد» .

ومما لوحظ على ما عرض من تلك الافلام خلال ايام المعرض الخمسة ، انه ليس من بينها اى فيلم مستوحى من ادب نجيب محفوظ ، وذلك رغم كثرة الافلام المستوحاة منه ، فضلا عن انه الاديب العربى الوحيد الحاصل على جائزة نوبل .

يبقى أن اقول انه كان من بين كتب المعرض كتاب يوسف الصديق الصادر عن دار الف ، والذى يحكى فيه بالرسوم المسترسلة اخبار الانبياء فى القرآن الكريم .

ولقد مرّ عرضه بسلام ، دون صخب وضوضاء ، ودون تكفير ووعيد .

جولة المعارض

بقلم: محمود بقشيش

نزهة في أجواء مخملية

اعتصم الفنان « صبرى راغب » باسلوب فني واحد ، منذ اتيح له ان يشارك في الحركة التشكيلية المصرية ، حتى اليوم ، لم تحركه عواصف التغيير في الفن ، والسياسة ، ظل قانعاً بالعزلة ، منصرفاً عن المسابقات والعروض الرسمية ، غير حافل باهمال صناع القرار لاعماله .. وعلى الرغم من النقص الطبيعي الكامن في كل اسلوب فني ، على حدة ، كان يؤمن بكمال اختياراته ... ساعده على ذلك تأييد من غير المتخصصين ، وبعض النخبة .. ومنذ سنوات اجرت هيئة « اليونسكو » مسابقة دولية لاستطلاع الرأى في اساليب الفن الحديث ، وكانت النتيجة لصالح الاساليب الوصفية بشكل عام ، والاسلوب التأثرى ، بشكل خاص .. وربما كان هذا سبباً آخر من اسباب اعتصامه ، ولابد من الاعتراف بان لكل المنحازين للتأثرية ـ سواء على المستوى الشعبي او مستوى النخبة ـ عذرهم ، فهو فن مشرق ، ودعوة إلى الاستمتاع بمباهج الحياة ، والبساطة .

ثائرة حالمة للفنان صبرى راغب

على الرغم من التزامه بالموضوعات المدرسية المألوفة مثل « وجه الفرد » و « الطبيعة الصامتة، والحية » فإن له اسلوباً شخصياً تستطيع تمييزه من بين عشرات الفنانين ، وهو ليس « تأثرياً » بالمعنى الدقيق للمصطلح ، فقد انتخب من « التأثرية » مايتسق مع طبيعته ،



اخذ منها المنظور الهوائى ، وطزاجة اللمسة . غير ان الوانه تتسم بشيء من الوقار ، وتحتل الدرجات الرمادية موقعاً مرموقاً فى نظامه اللونى .. ولست ادرى إن كان سر تلك الرماديات هو طبيعية الانعزالية ، ام بسبب الالتزام بغرفة المرسم ، وايا كانت الاسباب فالمؤكد ان تلك الالوان المحايدة تتناقض مع النظام اللونى للاسلوب التاثرى .

احتل وجه الفرد ، وبالذات المراة ، الركيزة المحورية فى انتاجه ، والوجه صفحة تسجل بواطن صاحبها ، بدرجات متفاوتة ، من شخص الى شخص اخر ، ولم تتح قواعد الاسلوب « التاثيرى » الغوص فى جوانيات النموذج لهذا كان الاسلوب « الرومانسى » اقرب إلى ريشته ووجدانه ، وكان من الطبيعى ايضاً ان ينحاز إلى الجانب العاطفى ، المخملى .. تاركاً التجليات العاطفية العنيفة التى تتبدى فى لوحات « ديلاكروا » على سبيل المثال .. ومثلما نبذ العنف ، انصرف ايضاً عن الموضوعات المشمسة .. مثل المناظر الطبيعية ، واكتفى بما تتيحه الغرف المغلقة من موضوعات !

● الفرشاة .. آلة العزف

إن معرضه الاخير بقاعة الدبلوماسيين الاجانب ، وكذلك معارضه السابقة ، تكشف عن درجة عالية من البراعة ، وتقوم الفرشاة بادوار مختلفة ومتكاملة ، فهى تقوم بدور آلة العزف الوحيدة ، واداة الكشف عن المجهول ، واداة البوح ، لمساته تتسم بالرشاقة والاحكام ، تشارك بفعالية فى تحليل الكتل ، وتشفيفها ، بحيث تكاد تذوب فى فضاء اللوحة ، تستطيع ان تكتشف عبر عشرات اللمسات ، واضحة الحركة ، حالة التفاعل الحى بين الفنان والنموذج ، لقد اكتسب من « التاثرية » روح الصائد ، وهو صياد ماهر للضوء .. حتى لو كان الضوء نقطة ، فانه يضعها فى موضعها الصحيح ، فبتلك النقطة الدقيقة ، المحكمة ، يمنح « عين » النموذج تالقاً ، ومع حرصه على كشف مواطن الفتنة فى المراة ، عبر ومضة فى العين ، او إضاءة على الصدر ، او استرخاء لذيذ ، فإنه يحرص ايضاً على لمسة الوقار والتعفف ، وهذا الاتزان الاخلاقى يتسق مع اتزانه اللونى .. وهو يقوم بتذويب الفوارق بين الطبقات ـ وهو ما لم تستطعه السياسة حتى الآن ـ وسواء كان الوجه لريفية او حضرية ، خادمة او سيدة ، فهو ينقلهن جميعاً الى حيث الدفء ، والاسترخاء المخملى .

إن الغرف الواقعية لم تعد حائلاً ضد الخوف ، والقلق ، والاقتحام ، ولكنه يحول ضد هذا الاقتحام ، بلحاطة شخوص لوحاته بالامان ، والمداعبة الرقيقة .. لكن ..!

يبدو ان القلق بدا يتسلل برفق الى لوحاته ، فقد ظهر فيها شيء من

الحجاب على الرءوس ، كما ظهر مايغطي بعض العاريات بما يريب !

وتسلل الحزن إليهن .. كما في لوحة « لحظة ألم » – وهو عنوان وصفي – يمثل واحدة من مجموعته عن العاريات ، أو نصف العاريات . وقد استجاب في تلك المجموعة الى اغراء التعبير القصصي ، وخص كل واحدة بموقف من المواقف ، واللوحة المشار إليها تمثل سيدة تجلس حزينة ، وربما يائسة على مقعد .. عارية إلا من قميص النوم ، ويستطيع المشاهد ان يكتشف بيسر تداعيات تلك اللحظة النفسية والواقعية ، وهي اقرب في تكوينها الى اللقطة السينمائية الروائية ، ومع ذلك فقد تألقت باللمسات البارعة ، في بحثها عن درجات النور والظلال ، وباستثناء عارض الاحباط الذى التقينا به في بعض عارياته فإن الحزن يتراجع في الوجوه الغربية ، تاركاً لها التأمل الحالم .. المحاط بالزهور والفراء "

● ديتر يونج ...
والتشكيل بالضوء

اقيم بمجمع الفنون بالزمالك معرض للفنان الالماني « ديتريونج » في مجال « الهولو جرام » او التشكيل بالضوء ، إن المبدعين بهذا الوسيط التشكيلي الجديد اقلية في العالم ، لانه يستلزم من الفنان ان يتمتع بمهارات لاتتاح لفنان اللوحة التقليدية ، فعليه ان يكون محيطاً بكيمياء الضوء ، وان يكون على دراية بعلمَيْ : الرياضة والهندسة ، وفن « الجرافيك ».. ولا باس من ان يكون نحاتاً او معمارياً .. او كليهما معاً ! وعليه ، فوق ذلك ، ان يعبر تلك الدروب المعقدة ليقدم لنا شكلا ، يكشف لنا به عن طريقه المختار من بين الطرق الثلاثة التى يتألق فيها هذا الوسيط وهى .

١ – الفن الخالص ، او الشعر البصرى – إن صح التعبير

٢ – الاعــلان .

٣ – ان يكون اداة للتعليم ، واختار « يونج الطريق الأول .. طريق الفن الخالص .

يتسم التشكيل الضوئي (الهولوجرام) في حالاته الثلاث بالحركة ، والتجسيم ، وهى حركة ترتبط ارتباطا سببياً بحركة المشاهد ، اما الاجسام فعلى الرغم من كونها مجسمة ، وتكشف عن زواياها المتعددة ، فهى اجسام شعاعية ، لايمكن الامساك بها .. ويقدم (الهولوجرام) مايتكامل به مع اسلوب الـ « كنيتيك ارت » او الفن الحركى من حيث ان الحركة ، في الأخير تصدر من العمل الفنى ذاته .. كما تحتل الاشكال حيزاً واقعياً يمكن رؤيته ، ولمسه ، وتعديله احياناً .. اما « الهولوجرام » فإنه لايسمح إلا بالفرجة ، والاحلام .. ولقد اتيح لجمهور المعارض في القاهرة والاسكندرية هذان النوعان من الابداع التشكيلي خلال السنوات الأخيرة .. كان لهما اثر على بعض الفنانين المصريين ..

إن الاطلاع على بطاقة التعريف بالفنان تؤكد مايكشف لنا معرضه عن

جدية الباحث ، وعمق الفنان ، درس فى شبابه « اللاهوت » غير انه غير مسار دراسته ، فانتقل الى مدرسة الدولة للفنون .. وفى ظنى ان دراسة « اللاهوت » قد تركت آثارها فى رؤيته ، وعلى الرغم من اختفاء البعد الوصفى فى لوحاته المرسومة وتشكيلاته الضوئية ، وانتمائه الى التجريد المطلق ، فهو يحرص على وضع عناوين لها ، أقرب إلى عناوين قصائد شعرية مثل : « قوس قزح - ظلال ريشة - فضاء الزمن الحاضر - الخ »

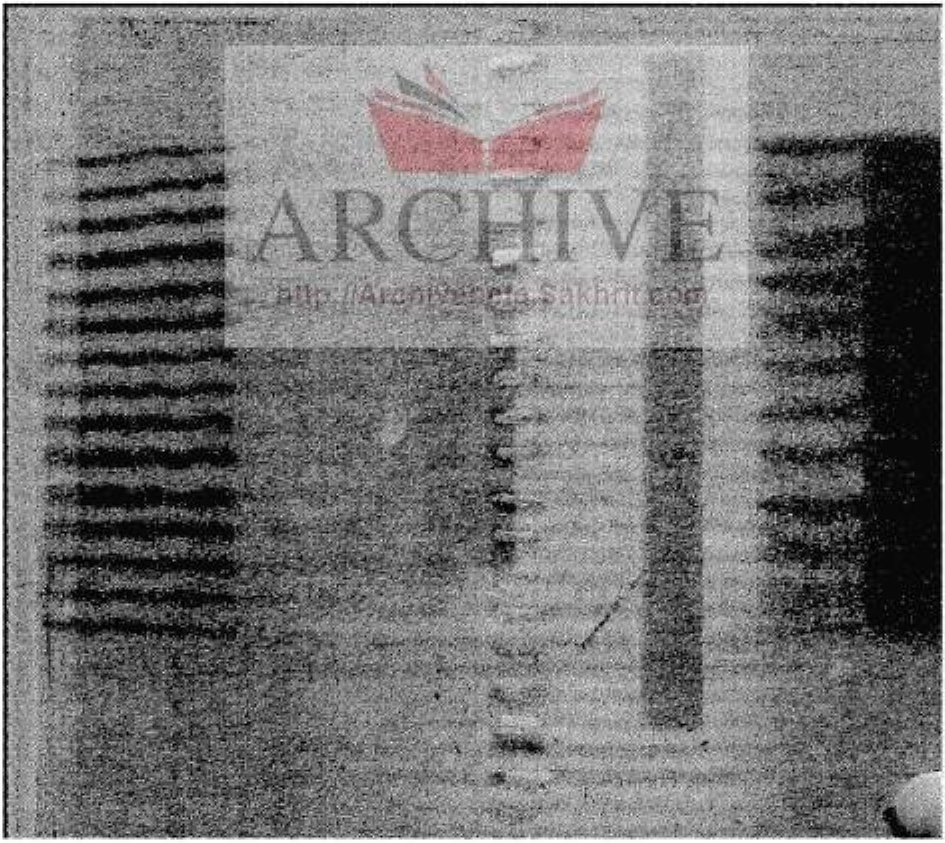
ولعل ادراكه لاختفاء الفواصل بين الفنون جعله يقيم معرضاً مشتركاً مع المؤلف الموسيقى « لن ملكميلان » بنيويورك .. كما اوحى ابداعه للشاعر « انز نز برجر » بقصيدة عبر فيها عن عالمه الفنى .

تتميز رسومه بالاكليريك ، وبالاقلام الملونة - بشكل خاص - بالدقة ، والاحكام ، والرقة ، وتتسم الوانه بالشفافية .. على النقيض من الابهارات الضوئية - بحكم طبيعة الوسيط - وتحسب رسومه ، لدقتها ، وهندسيتها ، انها منفذة بواسطة « كمبيوتر » !

قوس قزح

للفنان ديتر يونج ←

فضاء مختلف لديتر يونج

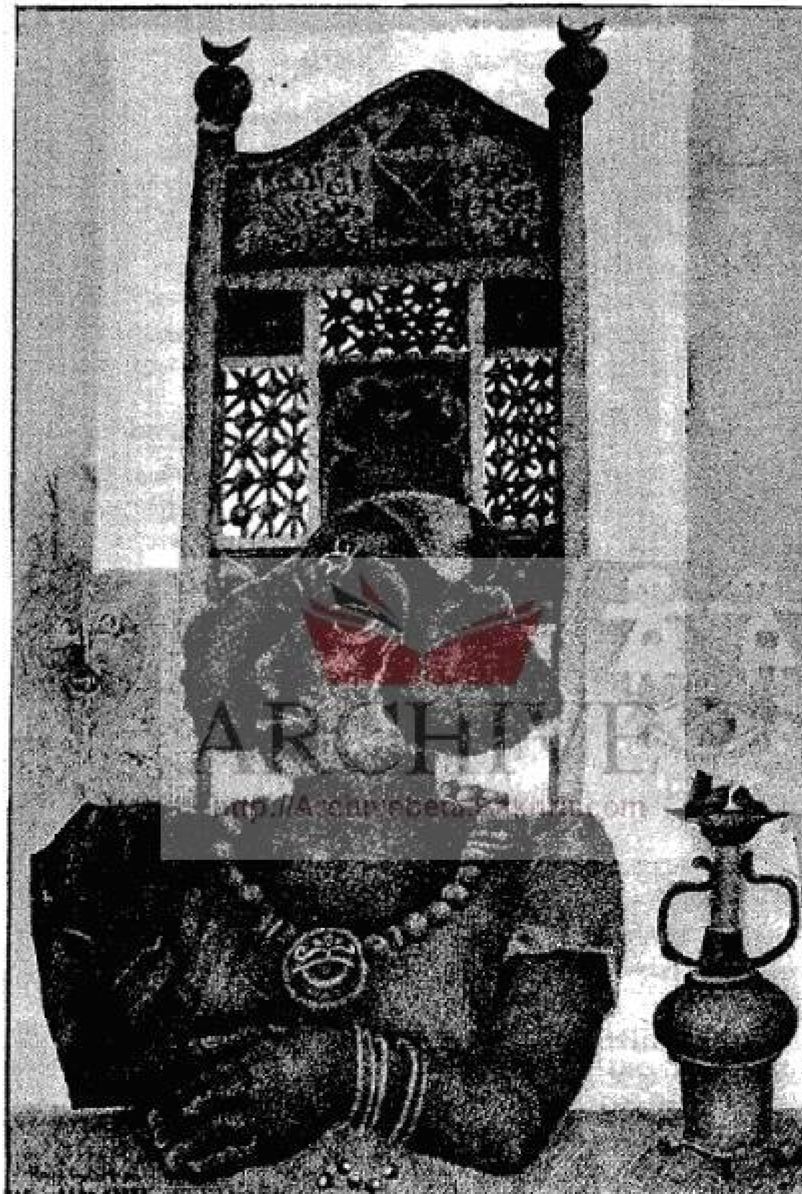


جولة المعارض

• رءوف رأفت .. وعودة بعد غياب !

بعد غياب عن الساحة التشكيلية ، عاد الفنان « رءوف رأفت » بمعرض أقامه بمجمع الفنون بالزمالك ، وبه ينضم إلى زمرة الفنانين الذين اختاروا « الرسم » مجالاً للتعبير .. هم قلة في مصر ، غير انهم استطاعوا ان يعيدوا الاحترام لهذا الفن ، وكان ينظر له فيما سبق ، باعتباره الفن الاقل شأناً الذى ليس من حقه ان يتجاوز تبعيته للنصوص المكتوبة او ان يتمرد على دائرة « التحضير » للاعمال الفنية ، وكان هواة التقسيم الطبقي للخامات يدرجون خامات : القلم الرصاص ، والحبر الجاف ، والحبر الصيني في طبقة الخامات الفقيرة ، ويتوجون خامة الالوان الزيتية في عرش الخامات الفنية !.. وعلى الرغم من ان الامر كله لم يكن في حاجة إلا الى نظرة سريعة الى انجازات الفنان المسلم في مجال فن الرسم ، للتاكد من ان هذا فن رفيع ، فقد كانت الذاكرة الفنية المصرية في حاجة الى كفاح أجيال ، ابتداء من الفنان المعلم « حامد سعيد » حتى جيل الشباب الآن ، لاثبات بدهية ، ان الفقر والغنى ليس في « الاداة » بل في درجة عمق أو سطحية رؤية الفنان ، وأن الخامات ليست مجرد أدوات خارجية إلا بالنسبة للمبتدىء .

اختار « رءوف رأفت » خامة الحبر الصيني الاسود والملون ، كما استخدم بدرجة اقل ، كما وكيفاً ، خامة الجواش ، اتسمت رسومه بالدقة ، والبراعة ، وحبكة الدرجات الضوئية ، وكما حاول بالخامة ان ينتمي إلى زمرة المبدعين في مجال الرسم ، فقد حاول ـ على مستوى الاسلوب الفني ـ ان ينتمي إلى الرمزيين المصريين ، وبالذات « عبد الهادى الجزار » الذى نلحظ بعض آثاره في طريقة تشكيل الشخوص ذات الملامح « الكاريكاتيرية » وان اختلف ـ الى حد كبير ـ في التوجه مع « الجزار » الذى انسحب بشخوصه الى سراديب الخرافة ، بينما تضمنت رمزية « يوسف رأفت » نظرة ناقدة ومحتجة ، تضمنت اللوحات درجات من الاحتجاج .. من الايحاء إلى التصريح ، والمباشرة ، كما في لوحة تحمل عنوان : « الاساتذة ، الاطباء .. رحمة بالانسان » ويقترب احياناً من روح الرسم الصحفي فيصطنع موقفاً قصصياً ـ كما في لوحة « العزاء » ولوحة « الحسد » ليقدم خلفية زخرفية ، تحتل الموقع البطولي في اللوحة ، ومن لوحاته اللافتة للنظر لوحة بعنوان « خيال المآتة » وهي لوحة للانقلابات التي يقدر عليها الفن وحده ، فالمعروف ان « خيال المآتة » يستعمل لاخافة الطيور ، وابعادها ، بينما في اللوحة يتبادل الانسان والطائر المواقع ، يظهر الطائر منقضاً بجسارة على « خيال المآتة » بينما يتقلص الانسان خائفاً اسفل اللوحة .



الحسد .. رسم حبيني للفنان رءوف رافت

وهو يطالع صورة شبحية لهيكل عظمي على غطاء الفزاعة ، وهو يتخلى عن المكاشفة ، والمباشرة في قليل من لوحاته ، اهمها لوحة بعنوان : « الحركة الأخيرة » .

إن معظم شخوصه تبدو مكفنة بلفائف المومياوات المصرية القديمة ، وجوهها خرساء ، وأجسادها مشلولة .. وهو لايتعاطف مع هذا النفي ، بل ـ كما قلت ـ يكشفه ، ويعترض عليه ، ويقدمه في صورة تجعل من لوحاته كوابيس جميلة !

• معلقات .. عصمت داوستاشي ؟

هناك نوعان من الفنانين المصريين .. النوع الاول تخلى طائعاً ، او مجبراً ، عن دور الفنان المبدع ، وقنع بدور الصانع الماهر الذي ينشغل باعادة انتاجه او استنساخه ، تلبية لشروط الفن في مصر .

اما النوع الآخر ، ويمثله القلة ، فقد اختاروا لانفسهم الطريق الملغوم .

طريق الصدق ، والبحث الجاد عن جديد واصيل في ذات الوقت ، من بين هؤلاء الفنان « عصمت داوستاشي » الذي اقام معرضاً لآخر انتاجه في قاعة « زاد الرحال » بالزمالك تحت عنوان : « « معلقات » .

إن ذكر اسم « عصمت داوستاشي » يعني ذكر اسم مجموعة من الفنانين ، فهو مثال ، ومصور ، ورسام .. ومبدع دائم التجدد ، وإن جمع هذا التنوع توجهاً جمالياً وتعبيرياً واحداً ، واعني به .. الحرص على ان تجسد ابداعاته المتنوعة تلك .. ملامح قومية ، يستلهم لها الزخارف والرسوم الشعبية ، لهذا تحفل اعماله بالطرافة والاشراق .. اجتمعت في معلقاته المعروضة مجموعة من المشهيات البصرية التي تجعل من زيارة المعرض نزهة ممتعة ، ففي اللوحات طرافة الرسوم الشبيهة برسوم الوشم الشعبية ، والملصقات المجسمة والرسوم المسطحة ، وبريق الالوان والق مربعات المرايا العاكسة ، وفي اللوحة المنشورة ـ على سبيل المثال ـ وهي لوحة ثلاثية تشكل في مجملها اسرة وتحتل صورة الأب ، وصورة الأم قمة لوحتين مستقلتين ، واسفل كل منهما ثلاثة اطفال ، تحيط براس كل طفل هالة القداسة ، ويخفون جميعاً بايديهم مناطق العفة !.. وربما اراد الفنان ان يحتفي الرقم « ٣ » ـ باعتباره رقماً مقدساً ـ فعدد الأطفال تحت كل من صورة الأب ، وصورة الأم .. ثلاثة والفاصل التزييني بين اللوحتين .. تخرج منه ثلاث شرائح طولية .. وعلى وجهي الابوين ، وعلى صدر كل منهما ثلاث مرايا صغيرة مربعة ، ويمكن للمشاهد ان يكتشف ماتركته من ثلاثيات !

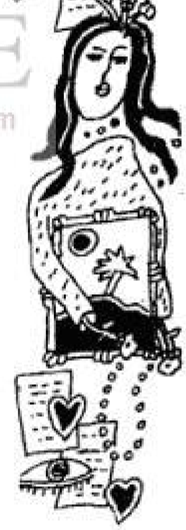
معلقات للفنان ➤
عصمت دوستاشي



الضحايا

شعر: جليلة رضا





انتهينا ! صدئت كل حليى فى الصوان
وغدا السيجار نصفا بعد أن ذاق الهوان
والمكاتيب سطورا زاحفات كالأفاعى
وزوايا الصورة الصفراء فى لون الضياع
وبقايا روبك الأزرق ابلاها الزمان

• • •

هذه الاشياء كانت لى عبيدا فى حياتى
سئموا الرق وملوا ان يظلوا ذكرياتى
كم تنفست شذاها كلما شط خيالى
وغزوت السطر تلو السطر فى حرب الليالى



ولبست الروب استجليك في مراة ذاتي ..

● ● ●

اين اخفى ذلك المسخ الذى نام واطرق
كان فوق الثغر مبهورا بانفاسك يشرق
انه يقبع فوق الرف كالروح السجينة
اين بعد اليوم اخفيه عن العين الحزينة
اين اخفى جثة المنديل .. والروب الممزق

● ● ●

أين اخفيها وقد امست بمحرابى خطايا
إنها اشلاء آمالي وعمرى .. وهوايا
اترى للشمس اهديها كاسنان الطفولة
أم ترى للنار قربانا لأعوام جميلة
أم لدهرى وهو قد اودى باحبائى ضحايا .. ؟

قصة قصيرة

قبل أن يذوي صفوة



الشموع

بقلم : ميرفت أحمد السنوسى

بريشة الفنانة : سميحة حسين

كانت تنظر بانبهار الى خشبة المسرح الذى كان كل شىء فيه قد أعد لإستقبال إحدى فرق الباليه ..

نظرت لما يدور حولها بلا مبالاة .. فقد كان البعض يحدثون بعض الجلبة وهم فى طريقهم الى أماكنهم ..

عادت تصوب نظراتها نحو المسرح حين التقطت مسامعها تلك الدقات الثلاث الخالدة .. سكتت حولها كل الأصوات .. لم يكن هناك أى مجال لأى حوار أو ثرثرة .. لاصوت سوى للخطوات الراقصة ..

كانت ترصد خطوات الباليرينا التى كانت تنتقل بخفة ونشاط ورشاقة .. محلقة بيديها فى الهواء كفراشة تداعبها الأحلام ..

يندفع نحوها بطل العرض تفاجأ به .. تبتسم .. تبتعد عنه بخطواتها الرشيقة .. تنظر اليه نظرات مرحة لعوب .. يدعوها اليه .. ولكنها لاتتوقف عن التحليق .. يداها تحلقان كأنهما تراقصان الهواء ..

يطير هو فى الهواء محلقا نحوها .. يعترض طريقه أحد الذين ينازعونه الوصول الى قلب محبوبته .. تقوم بينهما معركة يتبادلان خلالها القفز والتحليق برشاقة وقوة .. يسرع الآخر بالفرار .. يسرع هو اليها مذهولا .. تخطو نحوه .. يمد اليها يديه .. تتشابك أيديهما .. يحلقان معا تغمرهما نشوة اللقاء .. يحيط خصرها بذراعيه ويدور بها .. يشاركهما من حولهما التحليق والرغبة فى ضم الهواء ..

وهى .. من نفس مكانها غمرها الاحساس بأن المسرح أمامها قد تحول الى شبه سماء قد إمتلات بتلك الفراشات الحالمة الناعمة ولكن انفاسها ظلت كما هى تلهث خلف خطى الباليرينا دون غيرها .. تتبعها أينما تذهب .. نظراتها تتجه معها صوب إتجاه خطواتها ..

ولكنها .. فجأة نظرت الى البطل بإشفاق ..

فقد توقف ينظر مذهولا بعد أن رواغته الحبيبة .. تخلصت من بين ذراعيه وأسرعت تبتعد عنه بخطوات سريعة عاد يسرع نحوها ولكنها ظلت تراوغه بمهارة .. تقترب

الشموع

منه ثم تسرع بالابتعاد .. حتى بدا الأمر له وكأنها تتحداه ..

كانت خطواته تصرخ بألف سؤال .. لماذا .. لماذا .. لماذا ؟

ولم يجد تفسيرا لهذا التحول من محبوبته .. بينما هى كانت لاتزال تخطو بعيدا متجاهلة تساؤله الحائر ..

ظلت نظراتها معلقة ببطل العرض .. الذى كان مطرقا لاينظر حتى نحو محبوبته الى أن يتنبه ان خصومه الذين ينازعونه قلب الحبيبة .. يطلقون حولها تنظر اليه .. تمد يديها مشيرة اليه أن يقترب .. تردد قليلا .. خشى أن تعود الحبيبة تخذله .. ولكنها اسرعت اليه تجذبه اليها فى رشاقة وابتعدت به .. إستسلم هو لخطواتها .. لايكاد يصدق انها قد عادت تحلق بين ذراعيه .. بل .. إنها هى التى سعت اليه كانت خطواته تعانق الهواء بينما كان هناك من لايزال يتربص به .. حاولت تنبيهه .. ولكنه لم ينتبه انها تنظر اليه بفزع توقفت عن مشاركته التحليق وأخذت تدور حوله بعنف .. خطواتها صراخ .. و .. واجهه الخطر مواجهة عنيفة فوجىء بها .. أبطأت الحيرة خطى الباليرينا .. ظلت نظراتها معلقة الى ما يدور هناك .. فوق خشبة المسرح .. تلاشت من

حولها ظلال الاشياء .. لايطرق مسامعها ونبضها سوى حديث الخطوات .. اصبحت بانفاسها المبهورة اللاهثة ترصد كل الخطوات .. نظراتها تتبع تشابك السيقان المرنة .. والباليرينا التى مازالت تحلق حائرة .. اصبحت خطواتها رجاء حائر .. فكيف تنقذ حبيبها .. لاتعرف ماذا سيكون مصيره فالمعركة مازالت قائمة .. والبطل العاشق مازال يقاوم الحصار الذى يشتد حوله ..

أحست أن قلب الباليرينا هو الذى اصبحت تخطو خفقاته .. حزينة .. حائرة .. وأن قلبها هى كذلك يردد نفس خفقات قلب الباليرينا ..

تلاشى كل شىء أمام عينيها لم يبق هناك سوى تلك الخفقات يتردد صداها الصاخب بأعماقها .. توارت حتى خطوات الباليرينا ..

التحم كيانها بكل ماينبض فقط فوق خشبة المسرح .. تحول نبضها كشمعة قد احترقت .. او .. قد قاربت شعلتها على الانزواء .. ذلك الانزواء الذى تسبقه ذروة التوهج .. ثم تسرع خطى الانزواء .. وهنا .. إندفعت لتصعد فوق خشبة المسرح .. إرتطم جسدها بالأرض .

تحولت كل الانظار تتجه نحوها .. توقف العرض .. تسمر الراقصون فى اماكنهم .. نظراتهم مصوبة نحوها . إلى أن افاقت ..

وجدتهم وقد اعادوها ثانية الى مقعدها ذى العجلات !!!

لغويات

● تقول العامة : فلان يخش من الباب .. واذا سمعوا طرقا على ابوابهم صاحوا بالطارق : خُش ـ فعل امر بضم الخاء المعجمة ـ وخش يخش ، معناهما : دخل يدخل .. قال الشاعر البحترى :

تحجه الأركب مخشوشة
ركبانها من كل فج عميق

والباب المخشوش الذى يقصده البحترى هنا هو باب البيت الحرام بمكة

● الأديب يقول : يجيئنى الزائر .. أما العامى فيقول : يجينى الزائر .. والكلمة الثانية «يجينى» صحيحة مثل الكلمة الأولى «يجيئنى» .. قال البحترى :

إنى لأرضى بخط سطر
أو أن يجينى له رسول

وقد زعم ابو العلاء المعرى فى تعليقه على شعر البحترى فى كتاب «عبث الوليد» .. أن قوله «يجينى» لغة رديئة ، ولكنه لم يقل إنها غير صحيحة .. ونظن نحن أن البحترى اراد التظرف بلغة اهل بغداد ، وكانت لغة صحيحة فى عصرها وقبل عصرها .

● الرفاهية ـ والرفاهة والرفه .. هى الحياة الناعمة الطيبة ، واصل الكلمة قول العرب القدماء فى البادية .. رفهت الأبل ، اى وردت الماء متى شاءت ، فهذا دليل على كثرة الماء ، وكثرته تأتى بالرى والشبع للحيوان والنبات والانسان وتلك هى الحياة الطيبة .

● فى كتاب للغة العربية مقرر على الثانوية العامة يزعم مؤلفوه أن استعمال الشاعر محمود سامى البارودى كلمة «الحشا» فى بيت للغزل خطأ لأن الحشا هى الامعاء ، والأمعاء ليست مكان الشعور .. وهذا جهل من مؤلفى الكتاب لايقع فيه إلا من يجهل الشعر العربى واللغة العربية .. فإن الحشا تعنى ماضمه الصدر كالقلب والضمير والاحساس قال البحترى :

لا تكذبن فأنت ألطف فى الحشا
عهدا ، واحسن فى الضمير وأجمل

والاحشاء مثل الحشا ، قال البحترى ايضا

وعندى احشاء تشاق صبابة
اليها وقلب من هوى غيرها غفل

● ومن عجب أن يتصدى لتعليم الشعر العربى ونقده من يجهلون لغة العرب وأساليب الشعر العربى



أحمد الحفناوى



اخر العباقرة فى أوركسترا أم كلثــوم

كانوا أربعة من العازفين وراء كوكب الشرق أم كلثوم في جميع حفلاتها منذ أوائل الثلاثينات .. كان هؤلاء الأربعة هم أعظم عباقرة العازفين المصريين على العود والقانون والكمان وآلة الايقاع «الرق» أو الدف ..

محمد القصبجي، أعظم عازف للعود، كان يجلس إلى يسار أم كلثوم وعلى مقربة منه ابراهيم عفيفي أعظم ضابط للايقاع عرفه الغناء العربي في تاريخه المعاصر، بل أعظم ضابط للايقاع في العالم كله.

وإلى يمين أم كلثوم كان يجلس محمد عبده صالح عبقري «القانون» في الشرق كله. وفارابي العصر الحديث .. وإلى جواره أحمد الحفناوى، عازف الكمان الذى لم تعرف آلة الكمان عازفا في مقدرته بعد أميرها سامي الشوا ..

رحل العباقرة الاربعة واحدا إثر الاخر، حتى جاء دور الحفناوى أخيرا، في الشهر الماضي .. وانطوت برحيله اخر صفحات العازفين الأفراد العباقرة في الموسيقى العربية الحديثة الذين وضعوا أسس فن العزف، وبينوا طرائق التدريبات العلمية ..

قديما قال العقاد في وداع سيد درويش: إن موت موسيقار نابغة خسارة تشعر الأمة بفداحتها إذا كانت الأمة حية المشاعر ..

ونقول اليوم: إن أمتنا قد شعرت بفداحة خسارتها في أحمد الحفناوى، ساحر الكمان وراء أم كلثوم، وآخر العباقرة الاربعة الذين صاحبوها وهى تبني صرح الغناء العربي الحديث!

رسالة الكويت

أزمة ثقافة

أزمة ثقافية أم أزمة المجلات الثقافية .. ؟!

بقلم : مصطفى نبيل

عقدت في الكويت ندوة موضوعها «الدوريات الثقافية وآفاق المستقبل» شاركت «الهلال» في هذه الندوة التي حضرها نخبة من المهتمين بالمجلات الثقافية . وقد دعا اليها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب .

وتناولت الندوة قضايا هامة مثل أزمة المجلات الثقافية والقيود والحدود المفروضة على إنتقالها من قطر عربي إلى آخر ، وما تعانيه من الرقابة أحيانًا وتحويل النقد أحيانا أخرى ..

ودار حوار خلاق بين التجارب والأفكار المتعددة .

● وجنحت هذه الندوة - مثل غيرها - إلى التعميم ، والعودة إلى التجارب التاريخية القديمة بدلا من الخوض فيما هو قائم ، مما يحتاج إلى الدقة والجسارة ، ولتكن في تجارب الماضي فرصة للبحث والمناقشة ، وهي مرحلة حان الوقت لتجاوزها ، والانتقال منها إلى الحاضر كمدخل طبيعي نحو المستقبل ، وينتقل الحقل العربي للبحث في العمق ، وفي التفاصيل بدلا من الكليات ، وعن المصاعب القائمة بدلا من الوقوف عند التجارب التي بدأت وانتهت ، مما يعكس نزوعا طبيعيا نحو الماضي الذي يضفي عليه الخيال سحرا خاصا .

واستبعدت الندوة التقنيات

الصحفية ، وقضايا الطباعة والتوزيع باعتبارها موضوعات فنية تخرج عن مجال إهتمامها ، واكتفت بمناقشة البديهيات والمسلمات المعروفة ، وكانت المناقشات في بعض جوانبها إرسالا من جانب واحد ، يلقى ما سبق إعداده أو ما قرر قوله ، بصرف النظر عن المناقشات التي اثيرت ، فجاء البعض ولديه ما يقوله ، لا ما يستمع إليه .

صحيح طرحت خلال الحوار بعض القضايا الهامة ، ولكنها جاءت عرضا ولم تلق العناية التي تستحقها ، فلم تكن ضمن الأوراق المقدمة ، ولم تكن على جدول اعمال الندوة ..

فمثلا .. اليس من الأجدى مناقشة تجربة مجلة الهلال ، وخاصة ان عددا قليلا من المجلات الثقافية لا تكاد تعد على اصابع اليد الواحدة في العالم كله ، نجحت في ان تجذب اليها القراء وتثير إهتمامهم طوال ما يقرب من قرن من الزمان ، وتتناول الندوة بالبحث والدراسة ، مراحل الهبوط والصعود ومدى إرتباط ذلك بالمناخ العام من حولها . وهي تقدم فرصة للبحث والتامل ، فلا يوجد في الوطن العربي سواها مجلة عربية تحتفل بعد اقل من عامين بعيدها المئوي .

وهي ظاهرة خاصة تستحق المناقشة والتقييم ، في ظل عالم يتغير ، عاشت خلاله افكار القرن العشرين التي حلت محل افكار القرن التاسع عشر ، وماضيها هو ماضي الثقافة العربية وسجلها بغير جدال .

وهي تكشف أن المجلة مثل الكائن الحي ، تولد وتنمو ، وتكتسب عافيتها وعنفوانها من تحقيق شروط الاستمرار بعد تحقيق شروط الوجود ، والاستمرار يحتاج إلى التجدد ومواكبة ما حولها من متغيرات ، وسرها الخاص في قدرتها على تبني الحلم العام ، وقدرتها على ان تقدم مادة طازجة وشيقة ، تحمل بين دفتيها ما تزخر به الحياة من دراما إنسانية .

أو .. فلتناقش الندوة تجربة مجلة العربي التي تصدر في الكويت ، وخاصة انها مع مجلة «الهلال» حققت إنتشارا عربيا ، وتمكنت من ان تكون مجلة للقاريء العربي العام ، تساهم في وحدة الفكر العربي .

● العقل والخيال

على اية حال .. اكد الجميع على اهمية المجلات الثقافية ، فمجالها العقل والخيال ، والتحول يبدأ بتغيير العقول قبل تغيير الواقع والسياسات ، وتعبر الأفكار الجديدة ، والمدارس الحديثة عن ذاتها من خلال المجلات الثقافية . منذ «روضة المدارس» أول مجلة ثقافية يصدرها رفاعة رافع الطهطاوي الذي حمل شعلة النهضة وحتى رسالة أحمد حسن الزيات ، وتوالت على السنة المتحدثين الأمثلة التي تدلل على خطر المجلات الثقافية واهميتها .

● ظهرت بعد الحرب العالمية الثانية مجلات تصدرها مباشرة قوى تتطلع إلى التاثير على عقل العرب ،

فظهرت مجلة «المختار» الترجمة العربية لمجلة «ريدرز دايجست» وصاحبتها حملة دعائية ضخمة، وجذبت اقلاما عربية مشهورة، وصدرت بالألوان الزاهية والورق المصقول، وإبتدعت لجذب القارىء المسابقات والجوائز.

واخذت تروج للقيم الأمريكية، وبلاد الفرص الجديدة، وآفاق الربح الوفير، وتقدم البطل ذلك العصامى الذى اصبح يملك الملايين. وتبعها مجالات اخرى لقوى وايديولوجيات متعددة.

وهنا يجدر التنبيه إلى الحد الفاصل بين التغلغل الثقافى وبين التفاعل بين الثقافات الضرورى للتقدم والتطور.

● اما ما كشف عنه اخيرا من إنفاق المخابرات الأمريكية على مجلة «انكونتر» الثقافية، ومجلة «حواء» التى كانت تصدر فى بيروت، وتبين ان تمويلهما ياتى عن طريق منظمة حرية الثقافة العالمية التى تمولها المخابرات الأمريكية .. والتفسير الواضح هو ان المجلة الثقافية .. اداة فكرية بالغة القيمة والأهمية والتاثير!

● قامت الاحزاب السياسية فى مصر فى النصف الأول من القرن العشرين بإنشاء مجلات ثقافية مؤثرة، اشهرها «البلاغ الأسبوعى» التى كان يصدرها حزب الوفد و «السياسة الاسبوعية» التى كان يصدرها حزب الاحرار الدستوريين، وتهدف كل منهما إلى التاثير على العقل والاتجاهات الفكرية المختلفة فى الراى العام المصرى.

● الأزمة

وبعدها انتقل الحوار إلى ازمة المجلات الثقافية. وتساءل البعض حول المعيار لمعرفة حجم الأزمة، او مدى تاثير المجلات الثقافية على القارىء، وهل يكفى رقم الطبع والتوزيع، وخاصة ان المجلة الثقافية حتى إن كانت محدودة التوزيع نسبيا فإنها عظيمة التاثير فعليا..

والعمل فى الثقافة اشبه ما يكون بمن يبذر الحب او يزرع نبتة، مما يحتاج إلى وقت حتى تزدهر وتثمر. ونعى البعض غياب دراسات اصيلة ومرتبطة بالواقع، وهى مهمة المجلات الثقافية كما ان دورها هو النقد والمراجعة، وهى وعاء لكل حركة فكرية جديدة، ومنبر للدعوات واداة لتوحيد الفكر العربى..

ويرجع البعض ازمة المجلات الثقافية إلى انها احدى نتائج الأزمة الاقتصادية التى تعانى منها الدول غير النفطية، بعد ان اختل التوازن بين تكلفة العمل الثقافى الرفيع وعائده، واصبحنا امام إرتفاع تكلفة العمل الثقافى وعجز القارىء على تحمل اعبائه.

ويرى البعض الاخر، انها ازمة الثقافة وليست ازمة المجلات الثقافية، فيصعب فصل ازمة الثقافة عن ازمة

المثقفين . فكلاهما وجها عملة واحدة ، فأزمة الثقافة ترتبط بوضع المثقف فى المجتمع ، ومدى نجاح المجتمع فى استيعاب ونشر جهد مفكريه ، ومعاناة المثقفين من دورهم الهامشى ، يثير لديهم الشعور بالسخط والاحباط . وخاصة بعد أن تعرضت ،الكلمة المكتوبة ، إلى تحدى وسائل الاتصال الحديثة من اذاعة وتليفزيون ، وفيديو وحاسب آلى ، وبعد وصول محطات التليفزيون العالمية إلى غرفة نوم القارىء .

مما يؤدى إلى تقليص دور المجلة الثقافية والتى تعنى فى النهاية تكوين نظام عقلى يعتمد فى المقام الاول على غرس الروح العلمية ، فلم نر مجتمعا يرتفع مستوى الفكر والثقافة بين افراده ويعجز عن المبادرة والابتكار فى مواجهة التحديات والمعضلات .

وتعانى الثقافة واوعيتها المختلفة من كتب ومطبوعات ودوريات من ازمة خانقة ، بعد ان اخذ التغير يطول كل شىء حتى عادات الانسان التى استقرت مع الزمن ، ومنها عادة القراءة ، وظهر تاثير هذه الظاهرة السلبى على الكتب وعلى القـراءة ، واصبحت ذاكـرة الكمبيوتر ـ عند البعض ـ بديلا عن المـوسوعـات والكتب المعـروفـة ، واستبدلت الأجيال الجديدة بالكتب اشرطة التسجيل وافلام الفيديو ، وحل الصخب محل السكون الذى يخلق عادة القراءة ويحافظ عليها ..

وخيم على الحضور الشعور العميق بما يتهدد الكلمة المكتوبة ، وتاثيرها على بناء ثقافة القارىء ، فهى اساس الثقافة فى مواجهة تحديات العصر وبناء المستقبل .

ويـرجـع البعض الآخـر اسبـاب الأزمة ، إلى غياب الحرية فى العديد من الأقطـار العربيـة ، وهى العـامـل الضرورى لازدهار الفكر والفن ، فى ظل مرحلة بالغة الدقة ، ومع التغيرات السريعة وعدم اليقين وحالة السيولة العالمية التى يمر بها عصرنا الراهن .

ومن الملاحظات الهامة ما ظهر خلال هذه الندوة ، من اختلاف منظور كل طرف عربى للأزمة ، نتيجة تباين الظروف بين البلدان العربية ، فيطالب البعض مثلا برفع سيطرة الدولة عن الحياة الثقافية ، ويطالب البعض الآخر الـدولة بتقـديم الدعم والمسـاندة للثقافة ، ويرى البعض ان الأزمة تكمن فى ضالة مساحة الحرية المتاحة ، ويرى البعض الاخر ان الحرية تنتزع ولا تمنح وهى ليست قضية معزولة تهم المثقفين وحدهم ، وليست تخص قضية فكرية ، بل هى تعبير عن مدى نمو المؤسسـات وإيمان المجتمـع بها ورسوخ تقاليده فى ظلها ، وان يرسخ فى المجتمع الايمان بالتعددية الفكرية والسماحة مع الراى الاخر .. .

وإذا كان توفر الحرية سببا فى إزدهار الفكر ، فغيابها يقتضى عملا نضاليا تقوم به النخبة ، فإذا كانت ترتبط بالسلطة ، فهى ترتبط ايضا بنمو المؤسسات الديمقراطية ، وكثيرا ما يأتى التهديد من سيادة التعصب

والارهاب الفكرى الذى يسلط على المفكرين ، والذى يضع قيدا ثقيلا على الأفكار الجديدة وعلى حركة الاستنارة فى المجتمع ، مما يقتل المبادرات ويجف معه الخيال .

● حكومي وأهلي .

وظهر فى مناقشات الندوة تيار قوى ، حول ناشر المجلة الثقافية ، وهل هو حكومى أم أهلى ، كمعيار لمدى ما تتمتع به المجلة الثقافية ، من حرية ، ومدى قدرة المجلة على معالجة التسلؤلات الفكرية القائمة ، وبالتالى قدرتها على جذب القارىء ، فكثيرا ما تجنح المجلات الثقافية الحكومية إلى ربط الثقافة بالاعلام ، وخلط القضايا الفكرية بتلك القضايا السياسية الآنية . حتى وصل الحال إلى فصل رئيس تحرير مجلة المعرفة السورية عندما نشرت فى إفتتاحيتها أجزاء من كتاب «طبائع الاستبداد» للكواكبى ..

وهنا يقع العقل العربى من جديد أسير الأزدواجية ، فالمسألة ليست فى كون المجلة الثقافية حكومية أم أهلية ، انما فى نمو المؤسسات الديمقراطية وقدرتها على حماية حرية التعبير ، وحرية المؤسسات على نشر افكارها ، وهو ما يرتبط بتحويل المبادرات الفردية إلى مؤسسات ثقافية قادرة على الاستمرار وتحقيق التوازن الاقتصادى .

وقد مرت المجلات الثقافية بالتجربتين معا فى مصر ..

فمجلة الهلال ، تحولت من مشروع فردى إلى مؤسسة نشر كبيرة استطاعت ان تصدر مجلتها وأن تجدد فكرها ، بينما ارتبطت مجلة الرسالة بمشروع فردى لم يتجاوز عمره عمر صاحبها ..

وشهدت مصر عام ١٩٧٠ القضاء على سبع مجلات حكومية دفعة واحدة هى مجلة القصة - الفكر المعاصر - المجلة - الفنون الشعبية - الكتاب العربى - السينما - المسرح ، وبعد خمس سنوات أخرى قضى على اثنتين أخريين هما الكاتب والطليعة .

وتكشف هذه التجربة اهمية المناخين السياسى والثقافى العامين ، كما تكشف ضرورة ان تتحول هذه المجلات إلى مؤسسات ذات شخصية إعتبارية ووضع قانونى يحميها من العواصف والاهواء .

وفى الثمانينات ظهرت مجلات ثقافية جديدة ، واتاح المناخ السائد لبعض الهيئات والمؤسسات الأهلية والحكومية إصدار مجلات جديدة وصلت إلى ١٧ مجلة ثقافية .

ولاشك أن أكبر المخاطر على المجلات الثقافية يتمثل فى الرقابة ، التى تحجب حركة المجلات الثقافية بين العواصم العربية المختلفة ، والتى تحول دون إجتياز المجلة لكل الحدود العربية ، كما تعانى المجلات من قيود تحويل العملة مما يتعذر معه فى بعض الأحيان استرداد أثمان بيعها .

ورغم أن المجلة الثقافية العربية هى

الوسيلة الهامة للتواصل العربي الثقافي ، وهي المؤهلة لطرح المنطلقات والمبادىء الأساسية كحركة النهضة العربية ، فإنه لا يكاد ينشب خلاف سياسي حتى تغلق الحدود بين الدول ، وتكاد تتوقف الدورة الدموية الثقافية العربية !

وترتبط بقضية الحرية ظاهرة هجرة بعض المجلات الثقافية ، وسعيها إلى أجواء أكثر حرية ، وأثبتت هذه التجربة أن هذه المجلات المهاجرة إما أن تكون إستمرارا لنظام عربي ما ، أو هجرة لأفراد أو مؤسسات مالية كبرى لها أغراض بعيدة عن الفكر والثقافة .

وقد ظهرت ١٦ مجلة ثقافية عربية في كل من لندن وباريس ونيقوسيا وفينا ، ولم تنجح في الوصول إلى القارىء العربي على اتساع الأرض العربية ، ولم يبق منها سوى ست مجلات ، انتقلت اثنتان منها إلى القاهرة هما الفكر والمنار عام ١٩٨٩ ، ولم تنجح أي منهما في إقامة جسر ثقافي بين مهجرها ووطنها .

وليست هذه المجلات مثل «العروة الوثقى» ، التي كان يصدرها الأفغاني ومحمد عبده في باريس ، لتكون منبرا حرا لكل صاحب رأي ، ولكي تقاوم الغزاة الأجانب ، بعد الكوارث والهزائم التي لحقت بالثورة العرابية ..

ووصف تأثيرها السيد رشيد رضا بقوله .. «كان كل عدد منها مثل سلك من - الكهرباء اتصل بي فأحدث في نفسي هزة من الانفعال والحرارة والاشتعال .. »

هذه هي بعض القضايا التي وضعت على مائدة البحث في ندوة المجلات الثقافية ، وبقيت بعض القضايا التي تناولها الحضور تناولا سريعا ..

مثل ضعف الدوريات الجامعية ، التي تنشر مادتها لا لكي تخاطب القارىء بل لكي تتيح الترقي لبعض الأساتذة ، حتى وصل الأمر ببعض هذه الدوريات أن تتقاضى ثمنا من الكاتب بدلا من أن تدفع له ، نظير الموافقة على نشر بحثه ، حتى تساعده على الترقي .. !

وملاحظة أخيرة ..

هي ظاهرة الازدحام الشكلي للمجلات والتي صدرت في الآونة الأخيرة .. مما لا يتيح فرصة لمتابعتها ، والتي لا تغطي الكثير منها حاجة ملحة ، أو تتوجه لقارىء بعينه ، وجاء ذلك نتيجة تصور خاطىء لبعض النظم العربية ، أن عليها أن تصدر مجلة ثقافية مثل ما عليها أن يكون لديها العلم والنشيد ، وزادت المجلات ذات الورق المصقول والصور الملونة ، والتي خلت من قضايا العصر .. والتي تعطي شعورا كاذبا بانتعاش الثقافة ، وإن كانت تحول دون طرح القضايا الهامة ..

ويكفي الندوة ما طرحته من أسئلة هامة ، وأنها أوصت بتشكيل رابطة للمجلات الثقافية تساهم في وضع خطط النشر الثقافي . وتنسق بين المجلات الثقافية لتحقيق التكامل والتفاعل بينها ..

وهي خطوة هامة إن تحققت .

النشر للمرة الأخيرة

فى حوار مع أحد المبدعين الأصدقاء تكشفت لنا مأساة حقيقية لم ينج منها إلا القليل من الكتاب . هذه المأساة تتلخص فى ان هناك تقليدا غريبا يسود عملية النشر فى بلادنا ، فالكاتب ينشر عمله فى الغالب بمجهوده الشخصى ، وعلاقاته ، ووجوده اثناء حياته ، وما أن تغمض عيناه ويرحل للدار الآخرة ، حتى يزهد الجميع فى اعماله ، وحتى الناجح منها .

كان امامنا مثال لنتاج يحيى الطاهر عبدالله وغالب هلسا ، وعباس احمد ، ومحمد قاسم جودة ، والدكتور مصطفى مشرفة صاحب الرائعة «قنطرة الذى كفر» ، وغيرهم من المبدعين فى مجالات اخرى ، كسليم حسن ومصطفى عبدالرازق وحسين فوزى وغنيمى هلال وعبداللطيف حمزة وغيرهم ممن يعدون بالمئات ، ولاسباب من انه لا ورثة يرعون نشر اعمالهم ، المطلوبة والمرغوبة والتى يفتقدها قراؤهم ، فإن جهة ما لم تفكر فى إعادة طبع اعمالهم ، لتمضى السنين وتندر هذه الأعمال حتى تختفى ، وبالتالى يختفى هؤلاء جميعا من قائمة المبدعين .

وقال صاحبى : والغريب الغريب ان البعض منا ممن يزهد فى الجرى وراء إعادة طبع أعماله بعد ان تقدم به العمر وهدأت حركته ، واصبح مجهوده كله منصبا على نشر جديده ، يحدث له ذلك وهو حى يرزق .

والغريب ان تكون هذه الأعمال ، مطلوبة ومرغوبة ، ويبحث الناس عنها بشق الانفس ، اى انها على المستوى الاقتصادى أعمال « مربحة » لن تبور لأن لها مستهلكين ؟ !

هل هذا ناشىء من اننا نفتقد الناشر الحقيقى المثقف المتابع والواعى حتى يسوق النشر ، أم لأن التخلف الذى نعيشه قد اصابنا بامراض اصبح نسيان مبدعينا واحدا منها ، أم اننا مصابون فى اعماقنا برغبة حقيقية فى التخلص من ابداعاتنا حتى اصبحنا نقول : يا أخى مات وخلصنا منه ؟ أسئلة ستظل معلقة فى الفضاء كخيال المآتة . فهل من مجيب ؟

● عبده جبير

شهريات

رأى فى الثقافة

الحقيقة الضائعة فى موضوع توقف مجلات وزارة الثقافة



د . سمير سرحان



د . محمد عنانى

المسئولون فى هيئة الكتاب اصابونا بالحيرة فى موضوع توقف المجلات الثقافية الصادرة عن الهيئة حتى لم نعد نعرف من نصدق ومن نكذب .

البعض قالوا بأن توقف المجلات ناتج عن عدم توافر الورق ، وان الهيئة كلها تعانى من هذه المشكلة ، حتى انها لم تصدر كتبا منذ فترة ، وانه حين تحل مشكلة الورق ، فإن هذه المجلات ستعاود الصدور .

والدكتور سمير سرحان رئيس الهيئة يصرح تصريحا غامضا لجريدة الاهالى (عدد ٢ مايو الماضى) عن توقف إصدار هذه المجلات .

ويأتى بعده الدكتور محمد عنانى رئيس قطاع النشر ليشن هجوما ساحقا ، على هذه المجلات ويعتبر انها قد صدرت ، لا بغرض ثقافى ، وإنما لمجرد تلميع بعض من زملائه ، ولأغراض خاصة برئيس الهيئة السابق الدكتور عز الدين إسماعيل (عدد الأهالى ٩ مايو ١٩٩٠) ، وهو بذلك يتهم الدكتور عز الدين اسماعيل بتهمة خطيرة وهو الرجل الفاضل المعروف عنه مشاركته الايجابية فى حياتنا الثقافية . والغريب أن الدكتور عنانى نفسه كتب وكتب الكثير فى مجلة فصول التى يصب الآن غضبه عليها .

المسألة إذن ان المسئولين الكبار فى الهيئة يعمدون لاغلاق هذه المجلات دون أن يكون للمثقفين رأى فى الموضوع ودون تحسب للمخاطر التى ستنتج عن هذا الاغلاق .

ومسألة إصدار جريدة إسبوعية ثقافية تصدر عن وزارة الثقافة ، ويرأس تحريرها الصحفى الكبير صلاح حافظ هى مسألة لايمكن الا أن نرحب بها ، خاصة بعد أن تأكد إختيار صلاح حافظ لرئاسة تحريرها ، فهو صحفى ناجح وقادر على قيادة صحيفة ، لكن نظن ان مجلات مثل فصول وإبداع والتراث الشعبى وعالم الكتاب والقاهرة والمسرح وعلم النفس هى مجلات متخصصة تتوجه لنوعية أخرى من القراء ، وهى ومهما كانت الملاحظات

شهريات

رأى فى الثقافة

عليها فإن إصدار صحيفة أسبوعية ستكون بحكم توجه رئيس تحريرها الجديد جريدة متابعات وموضوعات ساخنة لايمكن ان تكون بديلا عن هذه المجلات المتخصصة .

فالنتيجة التى لا مناص منها إذا إختفت هذه المجلات أن تهاجر الاقلام المصرية مرة اخرى للخارج ، كما حدث فى السبعينيات إثر إغلاق المجلات السابقة : الكاتب ، الفكر المعاصر ، تراث الانسانية ، فهل وضع المسئولون عن هيئة الكتاب هذه الحقيقة فى إعتبارهم وهم يتخذون هذا القرار الخطير ، وهل هناك امل فى أن يعاد النظر فى هذا القرار الخاطىء ؟

إن صحيفة ثقافية براس تحريرها صلاح حافظ لا يمكن إلا أن تكون موضوع ترحيب من المهتمين بالثقافة ، كما أنه لن يدعى ولو للحظة واحدة أن يكون بإمكان صحيفة اسبوعية شعبية أن تنشر شعرا تجريبيا ، أو ابحاثا مثقلة بالمصطلحات والمراجع ، فهذا مالا طاقة لمثل هذه الصحيفة بتحمله .

داخل عقل فان جوخ

فنسنت فان جوخ اشتهر بين الناس بانه الفنان الذى قطع اذنه فى لحظة جنون .



فان جوخ

وبعد أيام (يولية) سيجرى الاحتفال فى امستردام بمرور مائة عام على وفاته .

ومنذ الآن ، وبمناسبة ذكرى ميلاده فى ٣٠ من مارس ١٨٥٣ يتوافد السائحون على وطنه هولاندا من اجل القاء نظرة على لوحاته فى متحفى «فان جوخ» و «كرولر موللر» ، وكلاهما يقع فى امستردام .

ورغم كل هذا الاهتمام ، فإن احدا لم ينجح حتى الان فى اجلاء ما يكتنف شخصية «فان جوخ» من غموض ، وما تثيره من تساؤلات كثيرة من بينها ما الذى حدا به الى التعامل باسلوب يتسم بالجنون مع الاصدقاء ، الاسرة ، المدرسين ، رجال الدين ، المومسات ، الاطباء والزملاء الفنانين ؟

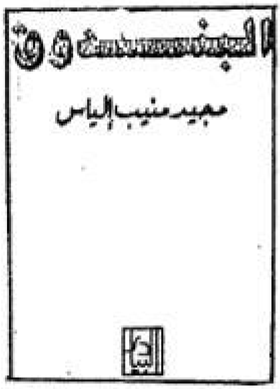
شهريات

اشارات ثقافية

هل حقا اعتبر نفسه المسيح ؟ هل كان ثمة علاقة شاذة بينه وبين الرسام جوجان ؟ لماذا قطع اذنه ؟ هل كان سعيدا بوجوده فى مستشفيات المجاذيب ؟ وهل كان يحلو له فى بعض الاحيان أن يظهر بمظهر الرجل الذى فقد عقله ؟ ولماذا انتحر باطلاق الرصاص على صدره فى وقت كان قد وجد فيه المأوى الامن لدى طبيب مولع بجمع اللوحات الفنية ؟ وهل فكر حقا فى قتل ذلك الطبيب «جاشيه» ، أم انه عندما صوب الغدارة ، انما صوبها نحو قلبه هو ، ذلك القلب الذى كان يعرف أن رسوماته ليس لها كبير قيمة ؟

ومهما تكن الاجابة على هذه الاسئلة فالقدر المتيقن ان اضطراب حالة «فان جوخ» انما ترجع - حسب التشخيص الطبى السائد حاليا - الى نوع من انواع مرض الصرع .

ولعل ثمة علاقة بين هذا المرض وبين تسلط الميلاد والموت والمقابر على رسوماته ، فضلا عن خلوها تماما من اى جسد عار لرجل او امراة .



حول ظاهرة «أدب الانتفاضة»

(ظاهرة جديدة جديرة بالتامل والتناول الجاد الذى ندعو نقادنا للقيام به) هى ما يمكن تسميته «أدب الانتفاضة» ، وهى إضافة جديدة لما سمى من قبل «أدب الاحتلال» الذى كانت أعمال اميل حبيبى ، وفدوى طوقان ، ومحمود درويش (الداخل) وسميح القاسم وغيرهم تشكل روافده التى إنتهت الى الاصطلاح عليها بادب المقاومة .

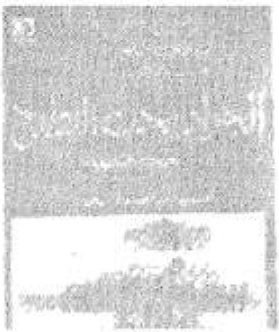
أدب الانتفاضة إذن يقف بجوار «أدب الاحتلال» وأدب المهجر الفلسطيني ليشكلوا معا هذه الظاهرة الثقافية العربية الفلسطينية التى يمكن ان تجمع تحت عنوان أدب المقاومة الذى اثار، ويثير الكثير من الأسئلة التى ليس أقلها : ماهو الخط الفاصل بين الوثيقة التاريخية الآتية ، وبين العمل الفنى ، وماهو المدخل الصحيح للتعامل مع أدب ينتجه أدباء يعيشون واقع الاحتلال . فى الداخل والخارج ، ولايجدون ، هم وبحريتهم الكاملة ،

شهريات

اشارات ثقافية







اشد من هذا الواقع ليكون موضوعا لعملهم .

الحقيقة أن القضية ومن أجل صالح الأدب الفلسطيني نفسه يجب ان تؤخذ بالجدية المطلوبة . ومنذ زمن كان محمود درويش بذكائه المميز قد تنبه إلى هذه القضية وهو يطلق صيحته الشهيرة . إحمونا من هذا الحب القاسي . وكان يقصد أن الحب العاطفي وحده ليس كافيا . إنما التناول الجاد للأدب الفلسطيني هو المطلوب .

على أي حال هذه هي مئات القصائد تكتب في ظل الانتفاضة . وهذه هي عشرات القصص . لكن الرواية أيضا تجد مكانا لها في أعمال عديدة نسمع بها . ولم يصلنا منها سوى ستة كتب هي :

● « زغاريد المقاهي » لأحمد وقد : يصور فيها ويبرز حياة عائلة ام العبد في حي «خربة الزبداوي» الشعبي . وامتداد هذه العائلة في الخارج من خلال الابن المسافر الى اسبانيا للدراسة .

● « الطريق الى بيرزيت » لادمون شحادة وتدور احداثها حول حياة استاذ في جامعة بيرزيت وجماعة من الطلبة المتحمسين لافكاره . إسمه الدكتور باسل . وهو كان قد كتب رواية بعنوان الطريق إلى بيرزيت . وسلمها الى طالبة . احبها . وحين اعتقاله تقوم هذه الطالبة بالزواج من زميل لها . وحين يخرج يجد امامه مشكلة أن روايته قد صدرت وصادرتها السلطات التي تقوم باعتقاله لهذا السبب .

● « أحمد محمود والأخرون » لزكي درويش . وهي تدور حول حياة احمد الابن المسافر الى الخليج . ينتظر رسائل أمه في الأرض المحتلة . ومحمود الابن الأصغر الذي يحاول اكمال تعليمه لكن السلطات تغلق المدارس . وهناك الأم والأخت « ديمة » التي تكتب لها الرسائل . هي إذن رواية

شهريات

اشارات ثقافية

عن شريحة ممثلة للشعب الفلسطيني البسيط في الداخل . تشكل الانتفاضة خلفيتها من خلال الاشارة تلو الاشارة لها طوال النص .

● « البندوق » لمجيد منيب الياس ، وتدور حول حياة «يوسف» بطلها الذي يحكي لنا حياة اسرة مسيحية في الأرض المحتلة ، وتشكل الانتفاضة، مثل سابقتها خلفية لها كحدث يومي يعيشه الناس بينما هم يقضون حوائجهم .

● « الجراد يحب البطيخ » لراضي شحادة ، الذي ذيل العنوان بوصف الرواية «تغريبة فلسطينية» ، وقد صدرت في القاهرة بتقديم للناقد ابراهيم فتحي الذي كتب : إن هذه السيرة الفلسطينية لا تنزلق في نزعة خطابية اعلامية .. وسطورها الحية تتدفق في هديرها على لسان الراوي كما عرفناه وكما شكله تراثنا القصصي العربي وكما شكل وعينا ووجداننا .. اننا أمام رواية معاصرة تنبثق منها ملامح السيرة الملحمية ، وفيها تتحول الشخصيات الفردية الواقعية الى اسطورة يحياها الناس .

● « هواجس فلسطينية في ظل الانتفاضة » لعلي حسين قليبو ، وهي مجموعة اعمال يمكن القول مع بعض التجاوز انها تشكل عملا روائيا مشكل من مجموعة دوائر قصصية ، وإن كان المؤلف قد وصفها بانها من الادب الانساني ، وهي اكثر الأعمال السالفة مباشرة وإن كانت تتمتع بصدق فني واضح .

الكتاب : مذكرات حكمت فهمي
إعداد : حسين عيد
الناشر : كتاب الحرية
٢١٦ ص ـ ٥ ج م .



نجد في هذا الكتاب مجهودا جديرا بالتسجيل لمعده الذي بذل الكثير ليأتي النص الذي قدمه لنا وافيا بالغرض منه ، فهو وبأمانة كاملة يصرح بأنه قد جمع مادة هذا الكتاب من المراجع التي تعرضت

شهريات

مكتبة الهلال

لحياة حكمت فهمى ، والكلام الذى نقلته عنها هذه المراجع بالاضافة إلى تقصى الوقائع من أحداث الفترة التى عاشتها .

والكتاب يحكى بضمير المتكلم قصة لقاء الراقصة المصرية بالجاسوسين الألمانيين هانز إبلر الذى عرف باسم حسين جعفر نسبة إلى زوج أمه الألمانية صالح جعفر ، وساندى ستيت وكلاهما أرسلتهما المخابرات الألمانية ليجمعا المعلومات التى تريدها السلطات الألمانية عن القوات الانجليزية فى مصر .

كما تحكى كيف جند الجاسوسان الراقصة المصرية التى تؤكد المذكرات أنها كانت تعرفت بأحدهما (إبلر) فى ألمانيا أثناء كانت تعمل راقصة فى أحد الملاهى هناك ، ولأن حكمت فهمى كانت تعمل فى أحد الفنادق الكبرى التى يتردد عليها المسئولون الانجليز ودبلوماسيون وجنرالات وضباط فى الجيش ، فقد وجد فيها الجاسوسان أفضل من يأتيهما بالمعلومات المطلوبة خاصة وأنها كانت على علاقة شخصية بهم ، تتردد على غرفهم فى الفنادق وشققهم فى البيوت ، وكانت حكمت فهمى ، كغيرها من المصريين تكره الانجليز وتتمنى الخلاص منهم ، لذلك قبلت المهمة وهى تجد فى ذلك عملا وطنيا .

كما تحكى المذكرات كيف إلتقت حكمت فهمى بأنور السادات ، الذى كان هو نفسه على علاقة بالجاسوسين لنفس الغرض ، كما رأت عزيز المصرى فى المعتقل .

ورغم أن معد المذكرات لم يذكر لنا صراحة ما إذا كان لقاؤه بصاحبتها عام ١٩٧٠ كان للحصول منها على مادة حية هى التى أعتمد عليها فى كتابته للمذكرات ، فإنه نجح بشكل مدهش ، ونتيجة لتحقيقه للوقائع بشكل دقيق ، وقدرته على التقمص الذى وفرته له تجاربه القصصية السابقة ، بأن يضع أمامنا نصا كاملا غير منقوص نهنئه عليه .

الكتاب : ليالى ونزوات فاروق
تأليف سيد صديق عبدالفتاح
الناشر : مكتبة مدبولى الصغير



يحدثنا هذا الكتاب عن حياة الملك فاروق الخاصة مركزا على الحياة التى عاشها يلهث وراء النساء من مختلف الطبقات ، خارج مصر وداخلها ،

ويحكى من خلال إعتماده على الكتب التى سبق وتناولت حياة ملك مصر السابق الخفايا والأسرار التى كانت تجرى خلف جدران القصر الملكى بين «فؤاد» وإحدى الوصيفات، وبين نازلى وأحد الكبار، وعن إنحرافات بعض رؤساء الوزارات فى ذلك الوقت، والدور الكبير الذى لعبه مساعد الملك بولى ورئيس الديوان حسين سرى فى تسهيل إندفاعه نحو إشباع غرائزه.

الكتاب : حالات واقعية من العيادة النفسية
تأليف : جمال ماضى أبو العزايم
الناشر : الدار العربية - القاهرة
٢٤٨ ص، ٨ ج م.

أعد هذا الكتاب الكاتب الصحفى عادل حمودة الذى قام بدور المحرر



فصاغ تجربة الدكتور جمال ماضى أبو العزايم فى التعامل مع المرضى النفسيين - والدكتور أبو العزايم عالم بارز فى ميدان الطب النفسى ورئيس الاتحاد العالمى للصحة النفسية وخبير بمنظمة الصحة العالمية، ولأن تخصصه هو طب النفس، فإن عالمه ملىء بأسرار النفس الانسانية والضعف البشرى، صفحات الكتاب تحمل مزيجا من الواقعية والغرابة فهو شهادة على المجتمع لايمكن دحضها، فكل تفاصيله واقع حدث ويحدث، وبالرغم من ذلك فإنها قد تكون غريبة على اغلب القراء، وإذا كان من الممكن وصف موضوع هذا الكتاب بكلمتين فهما: «التسلية المريرة».

الكتاب إذن سيرة لحياة الدكتور أبو العزايم اثناء عمله فى معالجة المرضى النفسيين بطريقته التى ترى أن للمرضى النفسيين حقوقا هى حقوق انسانية، وهى ترى أن المريض النفسى ليس قاتلا او مجرما لكى تكبح حريته ويوضع خلف الأسوار، ويحكم عليه بالاحكام العرفية، فهو يرى ضرورة إزالة أسوار مستشفى الأمراض العقلية، وأن يتم العلاج بالرسم والموسيقى وفتح ورش لعمل المرضى والخروج بهم فى رحلات ترفيهية حتى لا يزدادوا مرضا واكتئابا، أى فكرة المستشفى المفتوح التى تعطى لمرضاها حرية التنقل دون قيود، وتعتبر المستشفى مفتوحة إذا كانت أبوابها غير موصدة على الاقل ٨ ساعات فى اليوم.

إنه كتاب ممتع فعلا، يضع يده على حقيقة

شهريات

مكتبة الهلال

المرض النفسي ، ويجعلنا في حالة تعاطف مع المرضى ، يقتربون منا بدلا من أن نطردهم خارج حياتنا .

الكتاب : رواية التجسس والصراع العربي الاسرائيلي
تأليف : محمود قاسم
الناشر : نهضة مصر
٢٢٤ ص ، ٣٠ ج . م



يقول مؤلف الكتاب أنه : إذا كان الهوى هو أقدم المهن في التاريخ فإن التجسس على الآخرين ومراقبتهم هو المهنة الثانية التي تجيء بعد الهوى قدما في أعماق تاريخ البشرية ، وغرابة هاتين المهنتين تجيء من أن كلا منهما تمارس في سرية ، ولها طقوسها الخاصة التي قد تبدو علنية ومعروفة إلا أن النواميس والغموض والأسرار تحكم هذه المهنة المسماة بالجاسوسية .

يستعرض الكاتب تاريخ رواية التجسس وأشهر أعمالها ومؤلفيها كما يقدم عرضا مفصلا للسمات العامة لرواية التجسس ، مؤكدا على أنها صناعة بريطانية ، فأبرز كتابها من البريطانيين ، ليس في حقبة معينة من القرن العشرين بل في كل القرن العشرين ، فهو يقول : وسنرى على الصفحات التالية كيف أن البريطانيين قد تسيدوا هذا النوع من الروايات ، وقدموا رواياتهم في عالم التجسس ليس فقط عن الاستخبارات البريطانية ، بل عن عملاء من أنحاء متفرقة من العالم ، ومن أبرز هؤلاء البريطانيين سومرست موم ، جراهام جرين ، واديك أملبر ، ثم جون لوكاريه .

كما يخصص الكاتب فصلا كاملا عن جيمس بوند ، لكنه يخصص الجزء الاكبر من الكتاب لموضوع رواية التجسس والصراع العربي الاسرائيلي ، وفيه يستعرض الأعمال العالمية التي جعلت من هذا الصراع موضوعا لها من زاوية التجسس ثم يعرض للأعمال التي كتبها العرب مثل أحمد عمر شاهين (الكاتب الفلسطيني) وصالح مرسي الذي عرف بأعماله الشهيرة الحفار ورأفت الهجان وسامية فهمي ، وغيرها .

إنه كتاب مثير في قراءته ليس فقط بطريقة تناوله بل لأنه أيضا يتناول موضوعا مثيرا في حد ذاته يجب على القراء أن يلتهموه بشغف .



مصالحة

شعر: محيي الدين عطيه

لئن دق الصباح عليك بابا ... ورق له فؤادك واستجابا
قفزت إلى صلاة الفجر تسعى ... لتنهل من سكينتها رضابا
وصافحت النسائم طاهرات ... وبالعينين قبلت السحابا
وعانقت الحياة بكل حب ... وصادقت الحقيقة والصوابا
وقدمت الحساب بلا نفاق ... وأخلصت الملامة والعتابا
وخاصمت الهوى وأدرت ظهرا ... لداعية ، وأسدلت الحجابا
وفتشت الضلوع لعل فيها ... ضغائن تكتسي ظفرا ونابا
لتنزع سمها شيئا فشيئا ... وتطرحها كمن خلع الثيابا
لئن أحسنت بالأيام ظنا ... وقمت ترد شيبتها شبابا
لقد صالحت نفسك في هداها ... وطبت بصلحها والعيش طابا



جاربو قبل امريكا



فى امريكا

جاربو إمبراطورة النجوم

بقلم : مصطفى درويش

ما أن طيرت وكالات الانباء خبر موتها فجر أحد عيد الفصح الماضى (١٦ ابريل) باحدى مستشفيات نيويورك ، حتى اهتم العالم واهتز للخبر المفجع .

فكان أن اسرعت امهات الصحف والمجلات على امتداد العالم الفسيح الى نشر الخبر مع سيرتها وصور من افلامها وحياتها على اعمدة احتلت فى البعض منها الصفحات تلو الصفحات .

وكان ان بادرت المكتبة الملكية بالسويد الى الاعلان عن محتويات رسالة اقرب الى الاستغاثة من هوليوود الى الأهل فى استكهولم ، كتبت بخط يد النجمة التى اسلمت الروح قبل قليل .

● ومن بين ما افصحت عنه تلك الرسالة التى يرتد تحريرها الى منتصف العشرينات (١٩٢٦) ، ان النجمة المتوفاة كانت تعانى ـ ومنذ البداية ـ من وحدة قاتلة فى غابة النجوم المسماة هوليوود «اعيش فى وحدة موحشة ، فى مكان تركت فيه بلا انيس ، اخرج احيانا بمفردى لاسير ، ارنو الى السماء والماء واكلم نفسى » .

تلك النجمة التى اهتم العالم واهتز لسماع خبر اختفاء ضوئها ، والتى عاشت منزوية ، عزولة عن الناس ، مستغرقة فى وحدتها القاسية ، تلك النجمة هى مجريتا جاربو » .

ومن عجب ان يكون لها كل هذا الصيت ، رغم انها وقت الرحيل عن دنيانا كانت قد بلغت من الكبر عتيا (٨٥ عاما)

ورغم انها كانت قد اثرت الا تظهر على شاشة كبيرة او صغيرة منذ نصف قرن من عمر الزمان .

ورغم أنها كانت قد اختارت ، مكانا قصيا ، تعيش فيه بعيدا عن الضوضاء وصخب الاضواء .

ورغم أن عشاق جمالها ، ومن خفقت قلوبهم بحبها ، قد اصبح معظمهم فى خبر كان .

والسؤال الآن ، لماذا آثرت جاربو العزلة والصمت فى مجتمع قوامه تعرية الذات ، وفضح كل ما هو خاص بالقيل والقال .

لماذا اختارت اعتزال السينما ولما يكن لها من العمر وقت انتهائها من تمثيل آخر افلامها «المراة ذات الوجهين » سوى خمسة وثلاثين عاما .

ولماذا كتب لها ـ وبالتحدى لكل هذا ـ ان تبقى على شاشة ذاكرة الايام ، وكانها اسطورة من اساطير الاولين .

اسئلة كثير تبحث عن اجابة دون جدوى

فما اكثر الذين حاولوا التعمق فى تفسير تلك الظاهرة الفريدة التى ليس لها مثيل .

واذا بمحاولاتهم ـ ورغم كل ما تكلفوه من مشقة وعناء ـ تبوء بالفشل الذريع ، او فى احسن الاحوال لا تعدو أن تكون مجرد اجتهادات لا تشفى الغليل .

● الصبر والصمت

وعلى كل ، فجاربو عملت طيلة حياتها على أن تبقى سرا غامضا صامتا ، حتى انهم لقبوها بابى هول السويد ..

ومع ذلك ، فهى بامتناعها عن اعطاء اية تفصيلة ، ولو صغيرة ، من التفاصيل المتصلة بذاتها ، قد اعطت ما هو اهم واكثر نفعا .. اعطت اسطورتها .

جاربو النجمة من اختراع موريتز شيتلر ، ذلك المخرج المنحدر من اصل روسى فنلندى .

وما ان اكتشفها طالبة بضة خجولة فى عمر الزهور (١٧ عاما) تدرس الدراما ، حتى بدأ يشكلها وفقا للصورة التى كان يريدها لها .. امراة الشاشة التى يضرب بها المثال فى الجمال .

ومن هنا جنوحه الى اجبارها على أن تخفض وزنها حتى تصبح فى رشاقة غصن البان .

وان تتعاطى دروسا فى الملبس الانيق والتفكير العميق حتى تصبح امراة ليست كغيرها من النساء .

وان تستبدل باسم عائلتها «جوستافسن» اسما آخر اصبح لا يدانيه فى الشهرة سوى «شابلن» ، ذلك الاسم هو «جاربو» ويعنى فى لغة اهل السويد «الطيف» .

بعد كل هذا الاعداد اعطاها دورا هاما فى فيلمه «ملحمة جوستا بيرلنج» (١٩٢٤)

هذا ولم ينقض على ظهورها فى الفيلم المذكور سوى عام وبعض عام ، الا وكانت برفقة مكتشفها ومعلمها تحت سماء هوليوود .

والغريب فى الامر انها لم تشد الرحال الى عاصمة السينما لانها كانت مرغوبة ، وانما لانها كانت مجرد مخلوقة تدور فى فلك «شتيللر» ، الذى ابدعها كما ابدع «بيجماليون» مخلوقته «جالاتيا» فى سالف الزمان .

ولانها كانت من ثم من بين شروط مبدعها لقبول العمل مخرجا لحساب شركة مترو جلدوين ماير .

● شجرة البؤس

وما كاد يستقر بها المقام ، حتى وجدت اولى الامر فى تلك الشركة يمعنون فى اذلال مكتشفها ومعلمها برفته من العمل قبل ان يكمل اخراج «المغرية» (١٩٢٦) ثانى افلامها ، مستبدلين به المخرج «فريد نيبلو» ، لا لشىء سوى انه اكثر خضوعا والتزاما باصول وقواعد العمل فى مصنع الاحلام .

وليس من شك فى أنها قد حزنت لذلك حزنا عميقا ، وهو حزن اضيف الى حزنها لبرقية جاءتها من «استكهولم» تخبرها بوفاة شقيقتها الصغرى «الفا» التى اخذها داء السل من كل وجه حتى لم تستطع له علاجا .

كل ذلك حفظته فى اعماق نفسها ، ولم تظهر منه للناس شيئا .

انما كتبت الى صديقة لها فى السويد تنبئها بكارثة رفت مكتشفها ومعلمها «ما حدث لموبى» ــ هكذا كانت تسمى «شتيللر» اربكنى الى حد اننى ظننت ان ايامنا السعيدة قد ولت بغير رجعة » .

وعندما اتيحت لها بعد ذلك بعشرة اعوام فرصة اداء دور «مارجريت جوتييه»

حجاب الوهم





الغريب



فتاة غامضة



الممثلة



آخر فيلم

فى فيلم «غادة الكاميليا» ، استعانت بما احتفظت به فى اعماق نفسها من احزان وآلام ، استعانت به فى تقمص شخصية هذه الغادة ، وهى تعانى من داء السل الذى اخذ يقطع كل سبب بينها وبين الحياة ، وهى تصارع الموت بين احضان حبيبها «ارمان دوفال» لتبقى مستمتعة بحرارة الاتصال ، ولو للحظات ، حتى اذا ما اخذت مقاومتها فى الانهيار ، فتحت عينيها فى استعطاف واستسلام ، فاذا بنا نكاد نرى فيهما عذاب الروح ، وهى تصعد متحررة الى السماء .

وذات يوم ، وبعد ثلاثة اعوام من عودة مكتشفها ومعلمها بمفرده الى السويد مهزوما ملوما محسورا ، علمت بخبر موته وفى يمينه اول صورة التقطها لها «ارنولد جنتى» ، المصور المنحدر من اصل نمساوى ، وهى لا تزال فى نيويورك قبل

أن تستقل القطار الى المجد فى هوليوود ؛ تلك الصورة التى كشفت عن اسرار جمالها ونبهت اليها الاذهان .

● الوجود والعدم

وكان وقع فقد الرجل الوحيد الذى كان يؤثرها بالحب والمودة والعطف ، ان ازدادت جنوحا الى الانطواء والتحصن فى قوقعة الذات ، وهربا من هوليوود بمساحات قتالها ، وعجائب مخاليقها ، وخرائب اخلاقها ، وخواء افكارها ، هوليوود تلك التى ذهبت اليها الاديبة الشهيرة «جرترود شتاين» - فى نفس فترة صعود نجم جاربو - وكلها امل فى ان تنهض بفن كتابة السيناريو ، فاذا بها تعجل بالعودة الى نيويورك ، وهى تجر اذيال خيبة املها .

فلما استفسر منها اصدقاؤها عما رأت هناك فى هوليوود .

اجابت باسلوبها السيريالى الساخر «ليس هناك هناك» ! !

ومما يجعل كل شىء من امر «جاربو» غريبا حقا ، ذلك الاستقلال المحسوب منها لسلبية تعلقها بالوحدة وولعها بالانعزال عن الناس .

ولقد كتب عن ذلك مترجمها الخاص «سفن هيجو بورج» فى بعض ما تذكره عنها .

«يوما ما ، وبينما نحن على شاطىء سانتا مونيكا ، قلت لها «انا اعرف انك بعيدة عن افتعال الانعزال عن الناس .

وعلى كل ، فاذا كان من جوانب شخصيتك ان تكونى غامضة وكتومة ، فلما لا تستفيدين من ذلك ، ولما لا تتقمصين هذا الجانب من شخصيتك .

وبذلك تستمرين فى المحافظة على حياتك الخاصة مع اثارة الكلام حولها .

واجابت جاربو فى رقة «اتظن يا بورج .. حقا انها لفكرة تستحق النظر» .

● سوء الحسابات

وهكذا انقسمت نفس جاربو على نفسها ، وانساقت متعطشة الى التفات الناس .

وكلما انفتح فى وجهها باب ادى بها الى آخر من حلقات الشهرة والمجد والمال ، حتى ارتفع اجرها عن الفيلم الواحد خلال عام ١٩٣٣ الى ربع مليون دولار ، وهو اجر مذهل اذا ما اخذ فى الاعتبار ارتفاع قيمة الدولار فى ذاك الزمان .

واصبح من حقها ان تختار من الموضوعات ومن المخرجين ومن الممثلين لافلامها من تشاء .

واعجب العجب فى هذا الخصوص اعتراضها على قيام «لورنس اوليفييه» بتمثيل دور سفير اسبانيا امامها فى فيلم «الملكة كريستينا» (١٩٣٣) ؛ مفضلة عليه «جون جلبرت» الذى كان نجمه فى افول ، لا لشىء سوى انه سبق له أن مثل امامها - وهو فى اوج مجده - فى «الجسد والشيطان» (١٩٢٦) «والحب» (١٩٢٧) وهما الفيلمان اللذان بفضلهما تربعت جاربو على عرش هوليوود .

وما احب أن افصل حياتها مع الافلام ، فذلك شىء لا يتسع له هذا الحديث .

ولكنى الاحظ انها لم تمثل الا اربعة عشر فيلما متكلما ليس بينها فيلم واحد بالالوان ، وليس بينها رائعة سينمائية واحدة سوى «نينوتشكا» (١٩٣٩) للمخرج «ارنست لوبتش» ؛ ذلك الفيلم المعادى للشيوعية السوفيتية ، والذى صاحبته دعاية ضخمة تقول لعشاقها على سبيل التنبيه أن «جاربو تضحك» ، لاول مرة فى تاريخها مع الاطياف .

● سر البقاء

كما الاحظ انه كان من حسن حظها .

اولا : انها بدات الظهور فى افلام هوليوود ، فى وقت كان فيه فن التصوير السينمائى على مشارف قفزة كبرى نحو الكمال .

ثانيا : انها وقفت امام عدسة المصور «وليم دانييلز» ، فى تسعة عشر فيلما من بين الافلام التى مثلتها فى هوليوود ، وهى لا تزيد على اربعة وعشرين فيلما ما بين صامت ومتكلم .

وفى الحق ، فقد استطاع هذا المصور العبقرى المولع بها ان يجعلها تعبر بفضل الاضاءة ، بما يعجز عنه الحوار فى كثير من الاحيان .

ومما ساعد على ذلك ولاشك هو وقوع الكاميرا فى حب جسمها الريان ، وقسامة ووسامة وجهها الفتان .

اجل ، كانت جميلة ، وكانت جميع حسناوات هوليوود ، وما اكثرهن ، دونها فتنة .



فى البداية

فلقد كانت العيون تغرق من جمالها فى لجة من الحسن الغامض ما لها قرار . وكان غموض حسنها هو سر عشق الناس وافتتانهم بها ، وانصرافهم اليها عن غيرها من ربات الجمال .

يبقى أن اقول أن جاربو بجمالها الاسطورى هى الانموذج المطلق لظاهرة النجم ، تلك الظاهرة الاجتماعية المدهشة التى عرفها الاديب الفرنسى «اندريه مالرو» ، قائلا «النجم شخص ذو وجه يعبر ، يرمز ، يجسد غريزة جماعية» .

وهذا التعريف قد يلقى بعضا من الضوء على ظاهرة بقاء جاربو على شاشة ذاكرة الايام .

حرب الأيام

هل هى وليدة تدبير مسبق أم أنها نتجت عن تسلسل الأحداث ؟

بقلم : د. أحمد عبد الرحيم مصطفى

قيل عن هذه الحرب انها لم تندلع نتيجة لتخطيط مسبق بل انها نتجت عن تصاعد الاحداث التى لم تمكن السيطرة عليها . ذلك ان اسرائيل كانت قد حصلت على حق المرور فى خليج العقبة نتيجة لاشتراكها فى العدوان الثلاثى على مصر فى عام ١٩٥٦ ثم اعلنت مرارا وتكرارا ان إغلاق الخليج فى وجه ملاحتها معناه قيام حالة الحرب بينها وبين مصر . الا ان سوء العلاقات بين جمال عبد الناصر وبين بعض الأطراف العربية هو الذى فجر المشكلة : فقد

ذهبت هذه الأطراف الى انه استكان الى وجود قوة الطوارىء الدولية على حدود مصر الشرقية بحيث لم يحرك ساكنا ازاء الاعمال العسكرية التى قامت بها اسرائيل داخل الأراضى الاردنية وعلى حدود سوريا وفى اجوائها واستجاب عبد الناصر لهذه الاتهامات بأن حشد القوات المصرية داخل شبه جزيرة سيناء وصعد الموقف بعد ذلك باغلاق مضايق تيران فى وجه الملاحة الأسرائيلية ، وحينئذ وجدت اسرائيل فرصتها لكى تصفى حسابها مع عبد الناصر بشن هجوم جوى شامل على المطارات المصرية ، وكان التدريب على هذه الخطة ـ حسب قول الفريق اول محمد فوزى ـ قد استنفد عشر سنوات .

الستة يونيو "١٩٦٧"



جمال عبدالناصر



عبدالحكيم عامر



الملك حسين

والحق أن عبد الناصر لم يكن يتوقع أن يؤدى حشد القوات المصرية فى سيناء واغلاق خليج العقبة الى تفجير الموقف خاصة وأنه سبق له أن قام بذلك ولكن دون الضجة التى صحبت هذه المرة الأخيرة . ومما أدى الى تصعيد الموقف فى عام ١٩٦٧ وجود استقطاب بين المعسكرين الاشتراكى والغربى : فقد ساند الاتحاد السوفييتى الحكومات العربية "الثورية" فى حين التزمت الولايات المتحدة وحلفاؤها بمساندة اسرائيل ، خاصة وأن المعسكر الغربى كان يبدى تخوفه من تغلغل النفوذ السوفييتى فى مصر وغيرها من الأقطار العربية . هناك عامل آخر أضيف الى هذه المواقف وهو أن بعض القادة الفلسطينيين كانوا ـ على حد قول أحمد الشقيرى أول زعيم لمنظمة التحرير الفلسطينية ـ يسعون الى توريط الدول العربية وجرها الى الحرب مع اسرائيل اعتقادا منهم بأن القضية الفلسطينية آخذة بالذوبان مع الزمن بحكم أن الحكومات العربية لم تكن تريد أن تحارب أو تستعد للحرب ، وبالتالى فأن ضرب الفلسطينيين لاسرائيل وضرب اسرائيل للدول العربية هو الحافز الوحيد لاستعداد الجيوش العربية . وكان هؤلاء القادة الفلسطينيون يعتقدون أن اسرائيل لن تتعدى ردود فعلها القيام بغارات انتقامية دون أن يصل الامر الى حد الحرب الشاملة . ومن المؤكد أن عبد الناصر هو الآخر لم يكن يسعى فى عام ١٩٦٧ الى خوض الحرب خاصة وأن نسبة كبيرة من القوات المصرية كانت موجودة فى اليمن وأن علاقاته ببعض الدول العربية ـ ومنها المملكة العربية السعودية والمملكة الأردنية الهاشمية والجمهورية التونسية لم تكن على مايرام وأن مصر وسائر الدول العربية

لم تكن قد استكملت استعداداتها لمواجهة شاملة مع اسرائيل .

● البداية .. تهديدات لسوريا

وبدأت سلسلة الأحداث التى أدت الى الحرب حين اسقطت المقاتلات الأسرائيلية فى ١٧ ابريل ١٩٦٧ عددا من الطائرات السورية ، ثم سرت الشائعات بأن اسرائيل تستعد لمهاجمة سوريا التى كانت قد عقدت مع مصر معاهدة للدفاع المشترك فى عام ١٩٦٦ ، وفى مايو ١٩٦٧ سافر الفريق محمد فوزى رئيس أركان القوات المسلحة المصرية الى دمشق للتأكد من صحة المعلومات الخاصة بالحشد الأسرائيلى على حدود سوريا ولكنه لم يحصل على دليل مادى على هذه الحشود . ورغم ذلك فقد جرى الاعتقاد بنية اسرائيل على مهاجمة سوريا ، ويقال إن الاتحاد السوفييتى طلب من مصر حينئذ أن تشد أزر سوريا ، ووجد عبد الناصر الفرصة سانحة للقيام بعمل يساعده على استرجاع هيبته التى نالت منها حملة اليمن والدعايات العربية المعادية والحق أنه هو والمشير عبد الحكيم عامر القائد العام للقوات المصرية المسلحة كانا يريدان انتهاز أى ظرف دولى أو اقليمى لازالة قوات الطوارىء الدولية ــ وحانت هذه الفرصة حين أعلنت مصر أنها على استعداد لدخول المعركة ضد اسرائيل اذا تعرضت سوريا للعدوان خاصة وأن رئيس وزراء اسرائيل ليفى أشكول ووزير خارجيتها أبا ايبان ورئيس أركان قواتها اسحق رابين قد وجهوا التهديد تلو التهديد الى سوريا ، وبناء على تكليف من المشير عامر أرسل الفريق محمد فوزى فى ١٦/٥/٦٧ خطابا الى الجنرال ريكى قائد قوات الطوارىء الدولية يحيطه علما بصدور التعليمات الى القوات المسلحة المصرية لكى تتصدى لاسرائيل اذا ما اعتدت على أية دولة عربية وان القوات المصرية قد تجمعت فى سيناء على الحدود الشرقية لمصر وأن الأمر يتطلب سحب القوات الدولية فورا . واستشار ريكى يوثانت ــ الأمين العام للأمم المتحدة ــ فيما يجب عمله وكان رد يوثانت أن القرار يشمل جميع قوات الطوارىء الدولية المتمركزة على حدود مصر الشرقية بما فى ذلك قوات طوارىء شرم الشيخ وغزة ــ وبالتالى غادرت كل قوات الطوارىء الدولية مصر فى الوقت الذى كانت قد صدرت فيه (١٤/٥) توجيهات القيادة العليا بتعبئة القوات المسلحة المقرر حشدها فى سيناء ــ وبذلك اصبحت المواجهة العسكرية تمتد من رفح شمالا الى شرم الشيخ


الفريق محمد فوزى


ليفى اشكول

جنوبا . وفى ٥/١٧ صدر القرار بغلق خليج العقبة ونفذ اعتبارا من ٥/٢٣ ، وحينئذ تحول الصراع من تهديد سوريا الى قفل خليج العقبة فى وجه الملاحة الاسرائيلية مما هيأ لاسرائيل مبررات اتخاذ قرار الحرب .

● حتمية الحرب

ويذكر موشى ديان وزير الدفاع الاسرائيلى خلال حرب الأيام الستة أن الحرب أصبحت حينئذ حتمية على اعتبار أن الجهود الدبلوماسية فى المحافل الدولية انما هى مضيعة للوقت . ففى رأيه أن إغلاق مضايق تيران لم تكمن خطورته فى الحصار ذاته بل فى محاولة عبد الناصر ابراز عجز اسرائيل عن مواجهة العرب مما ادى الى تزايد تدهورها وبالتالى كان على اسرائيل أن تبدأ الحرب وتحطم القوة العسكرية المصرية فى أسرع وقت وذلك على اعتبار أن الاسرائيليين سيتعرضون لكارثة اذا ما دب الخوف فى قلوبهم واستجدوا الدول العظمى طلبا للمساعدة مما قد يستتبع شروطا فى الوقت الذى كان بامكانهم أن

موشى ديان



احمد الشقيرى



يهزموا مصر وحدهم وبالتالى كان من الأفضل أن يثبتوا للرأى العام العالمى أن ما اقدم عليه عبد الناصر قد ارغمهم على توجيه الضربة الأولى دون تأخير ـ فإذا لم تبادر اسرائيل الى الهجوم فسيمضى الوقت الى أن تقدم مصر على بدء الحرب . ووافق رابين على هذا الرأى بشرط أن تجرى اسرائيل اتصالات بالولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا ويذكر الفريق محمد فوزى أن مصر كانت تزمع توجيه ضربة جوية الى اسرائيل يوم ٥/٢٧ وأن التعليمات التفصيلية الخاصة بذلك وصلت الى القواعد الجوية الأمامية بمطارى العريش والسر . كما يذكر أن هذه المعلومات قد تسربت وادت الى تحركات دولية تحذر كلا من مصر واسرائيل من إطلاق الرصاصة الأولى ، وإزاء ذلك رأى الاسرائيليون أن التباطؤ سيؤدى الى إضاعة الوقت وتهديد أمن بلادهم ، وبالتالى فقد قرروا بدء الحرب وإنهاءها بأقصى سرعة بعد توجيه ضربة جوية ساحقة الى كل المطارات المصرية **قبل أن يتحرك المجتمع الدولى ولم يكن عبد الناصر يقدر أن باستطاعة الطيران الاسرائيلى أن يحطم القوة الجوية العربية بالسرعة التى نفذها ولهذا فإنه فضل تلقى الضربة الأولى التى قرر قائد الطيران المصرى أن خسائرها لاتتعدى ٢٠٪ من القوات الجوية المصرية ، على أن تقوم مصر بالهجوم المضاد بما تبقى لها من طائرات الى أن تتدخل الدول الكبرى وتوقف الحرب .**

أما إسرائيل فقد خدعت المخابرات

المصرية وجعلت القيادة المصرية تعدل خطتها الهجومية التى توصلت الدوائر الاسرائيلية الى توقيت تنفيذها كما قامت هى والدوائر الصهيونية فى الولايات المتحدة واوربا بدعايات واسعة النطاق مفادها ان اسرائيل مهددة بحرب ابادة على النمط الهتلرى وفى نفس الوقت كانت القيادة المصرية لاتتوقـع ان تبادر اسرائيل بالهجوم وتمنى النفس بمبادرة الاتحاد السوفييتى الى مساعدة مصر بكل الوسائل وذلك ارتكانا الى فهم خاطىء لما ادلى به المسئولون السوفييت فى موسكو لوزير الحربية المصرية شمس بدران الذى وصل به الامر الى القول بانه بإمكان القوات الجوية والبحرية المصرية ان تدمر اكبر حاملة طائرات امريكية بل والاسطول السادس فى البحر المتوسط !!

وحسمت اسرائيل الحرب فى صبيحة ١٩٦٧/٦/٥ حين دمرت معظم الطائرات المصرية وهى قابعة فى ارض المطارات التى هوجمت جميعا فى وقت واحد . ثم التحمت القوات المصرية فى سيناء مع القوات الاسرائيلية التى كانت تعززها


ابا ايبان


اسحاق رابين

المظلة الجوية الاسرائيلية التى سيطرت على الجو بعد تحطيم الطيران المصرى . ولم يمض وقت طويل حتى صدرت الاوامر للقوات المصرية بالانسحاب من سيناء بالكيفية التى جعلتها لقمة سائغة للطيران والقوات البرية الاسرائيلية التى وصلت إلى قناة السويس بعد ايام قلائل منذ بداية الحرب . وبعد خروج مصر عمليا من الحرب تحولت اسرائيل الى الجبهة الاردنية ـ وكانت قد بلغت الحكومة الاردنية بانها ستحترم اتفاقيات الهدنة ، إلا ان الملك حسين ـ الذى كان قد وصل الى القاهرة فى زيارة مفاجئة قبل نشوب الحرب ـ فضل الانضمام الى مصر اما لانه كان مقتنعا بأن مصر قد احرزت انتصارات عدة اعتمادا على مابثته اجهزة راديو القاهرة بعد نشوب الحرب ، او لانه وجد الا خيار امامه سوى القتال حرصا منه على تلافى غضبة شعبه والفلسطينيين سكان الضفة الغربية . وتحطم الطيران الاردنى منذ البداية واحتلت اسرائيل القدس الشرقية والضفة الغربية قبل ان تتحول الى الجبهة السورية وتحتل مرتفعات الجولان . ثم اعلن الملك حسين ما اتفق عليه مع عبد الناصر الذى اقنعه بان الطيرانين الامريكى والبريطانى قد اشتركا فى مهاجمة مصر . ويعزو رابين اعلان ذلك الى ان عبد الناصر لم يمكنه تصديق ان بامكان الطيران الاسرائيلى الذى كان هو يعرف حجمه ان يقوم بالنشاط الذى انتهى

الحرب في كل الجبهات بسرعة قياسية .

ويذهب الفريق محمد فوزى الى ان الضربة الجوية الحاسمة التى نفذتها اسرائيل قد تمت فى الوقت الذى كانت فيه مظلة جوية أمريكية من طائرات الاسطول السادس الأمريكى تقوم بمهمة الدفاع الجوى عن قلب اسرائيل . كما يضيف أن السفينة الأمريكية ليبرتى قد قامت بدور فعال فى توجيه الهجوم الجوى الأسرائيلى وانها كانت مجهزة بأجهزة الكترونية حديثة لالتقاط الاشارات اللاسلكية وفك شفراتها والقيام بالتشويش وأنها حددت قبل بدء العمليات أماكن تمركز جميع القيادات الميدانية الكبيرة أو المؤثرة وأنها بالتالى كانت سبب فشل توجيه الطائرات المصرية فى الجو ـ وتعليقنا على ذلك أن الطائرات المصرية التى دمرت لم يكن معظمها فى الجو حين بدأ الهجوم بل كانت قابعة على الأرض وأن المخابرات الاسرائيلية كانت قد حصلت على أدق المعلومات عن القوات المصرية وعن خطط ادارة المعركة . أما الجانب الاسرائيلى فقد ذكر أن مهمة السفينة ليبرتى كانت القيام بالتقاط شبكة الاشارات لتتبع التطورات العسكرية فى الجبهة عن طريق رصد الاتصالات بين مختلف القيادات

وبعد القاء بعض الضوء على أهم النقاط الخاصة بحرب الأيام الستة لنا أن نطرح بضعة أسئلة :

ـ هل كانت هذه الحرب تنفيذا لمخطط غربي يستهدف تصفية الانظمة "الثورية" فى الوطن العربى



شمس بدران



يوثانت

وضعضعة النفوذ السوفييتى فى الشرق الأوسط ؟

ـ هل كان الاتحاد السوفييتى هو الآخر يسعى الى توريط العرب فى الحرب وهو يعلم انهم غير مستعدين لخوضها مما يؤدى الى هزيمتهم والتمهيد لقيام انظمة اكثر يسارية وخضوعا لموسكو ؟

ـ أم أن القيادة المصرية قد تمادت فى شن الحرب النفسية ضد اسرائيل بحيث تسترجع نفوذها ، فى الوطن العربى بالرد على شتى الدعايات الى وجهت ضدها دون ان تتوقع نشوب الحرب ؟

الحق أن كل هذه التساؤلات التى اجاب عليها بعض الكتاب جزئيا تبعا لأهدافهم ومعتقداتهم لن تلقى الاجابة الشافية الى ان تظهر الوثائق الموجودة لدى جميع الأطراف وهو ما أظن انه لن يتم قبل مرور وقت غير قصير .



جان فوتران



سيلفى جرمان

حصاد موسم الجوائز الادبية

الكعك .. بعد العيد

بقلم : محمود قاسم

ترى ، ما هو حصاد موسم الجوائز الادبية لعام ١٩٨٩ ؟ لقد اعتاد الصحفيون والنقاد والكتاب متابعة مواسم الجوائز الادبية مباشرة عقب إعلان اسماء الفائزين بهذه الجوائز فتروح الصحف تسهب في الاحاديث عن الجائزة والحاصل عليها سواء كان كاتبا او كتابا او ناشرا .. وفى موسم ، او لعله مهرجان ، هذه الجوائز تصبح متابعة وقائعها بمثابة تقليعة ادبية جميلة ما تلبث شعلتها أن تخبو يوما وراء يوم واسبوعا بعد اسبوع .

● لكن أحدا لم يفكر في تقديم موسم الجوائز الأدبية بعد انتهائه بسبعة اشهر ، على سبيل المثال ، حيث يكون الانجاب الساخن قد اصبح باردا فاترا . وحيث يروح اهتمام القراء الى الكتب الجديدة التى يتطلعون ان تفوز مع الموسم الجديد بالجوائز .

وليسمح لنا القارىء ان نستخدم تعبيرا

خاصا بهذه الجوائز وهي ان نطلق عليها "لعبة" ففي الجوائز الادبية كله شيء يتعلق بالالعاب التى تقوم على اساس مباراة بين اطراف .. ففي هذه المباريات يكسب الجميع . اما الذى يدفع ويتمتع فهو الجمهور .. يكسب الناشر . والمؤلف والصحف . ويدفع القارىء ..

ولان الامر يتعلق بالمكسب والتوزيع .. فيجب ان تتم اللعبة وفق قواعد محددة .. فالرابح فى اغلب هذه الجوائز هو الناشر .. لانه يضمن ان كتابه سيلقى رواجا كبيرا فى حالة فوزه بالجائزة .. وبالتالى فهو يراهن على الشباب والمبدعين الجدد الذين امامهم الفرص للمكسب اكثر من العواجيز الذين غالبا ما تكون الفرصة قد افلتت من بين اناملهم ..

والان . وبعد سبعة أشهر من إعلان الجوائز الادبية فى أوربا . فاننا نؤكد ان الموسم قد "نفق" . وهوى . وأن الاكاديميات التى منحت الجوائز فى عام ١٩٨٩ لم تستطع أن تصنع من الكاتب الفائز إسما مرموقا مثل أغلب الأسماء التى فى الساحة .. ومثل الكثير من الأسماء التى سبق لها الفوز بالجوائز فى أعوام سابقة .. واستطاعت أن ترتفع بالجائزة وترفعها معها مثل باتريك موديانو ومرجريت دوراس والطاهر بن جلون واخرين

أما الكتاب الذين حصلوا على الجوائز الأخيرة فليسوا فقط صاحبى أسماء مغمورة . بل انهم راحوا يستخدمون لغة ادبية بالغة التعقيد والذاتية امعانا فى اغترابهم الأدبى . ورغم ان بعض هذه الروايات قد صعدت الى أعلى سلم المبيعات عقب فوزها بالجائزة ، مثلما يحدث كل عام ، فانها سرعان ما ابتعدت عن هذا السلم ، وكان من المفروض ان تبقى شهورا طويلة فى درجات هذا السلم صعودا وهبوطا .

كان حظ الروائى جان فوتران كبيرا حينما دخلت روايته الأخيرة "خطوة واسعة نحو الله" التصفيات الأخيرة فى اكاديمية جونكور بعد ان خلت التصفيات من وجود رواية ذات اهمية وتميز لدرجة ان روايته قد حصلت على ثمانية أصوات من عشرة أعضاء . اما الصوتان الاخيران فقد منحا للكاتب باسكال كوينار عن روايته "سلالم شامبور" .

وقد اعترفت الكثير من الصحف الادبية ان فوتران لم يكن يمكنه أن يحصل على جائزة جونكور لو لم يقم بتغيير الناشر الذى ينشر كتبه . مما يدل أن الجائزة قد منحت لدار نشر جراسين وليست لفوتران . فقد ظل الكاتب يعمل بشكل مغمور قرابة خمسة عشر عاما دون أن يحس أحد به . فهو روائى وكاتب سيناريو . والى جانب تعدد أنشطته فهو غزير الانتاج . نشر العديد من أعماله تحت اسم مستعار هو جان هيرمان . كما اخرج مجموعة من الافلام القصيرة .

وتدور احداث روايته "خطوة واسعة نحو الله" فى القرن التاسع عشر ، فى ولاية لويزانا . وهى المنطقة التى وقعت تحت التأثير الفرنسى . هناك شاب يدعى ازلين يلتقى بمجموعة من قطاع الطرق ويصادقهم . ثم يعمل كصائد حيتان . ولانه مغامر بطبعه فعليه ان يغير من اسمه وهويته اكثر من مرة فى حياته .

ولان منطقة لويزانا الأمريكية واقعة تحت التأثير الفرنسى . فلاشك ان للغة التى يستخدمها الناس هناك سمة خاصة تنتمى الى هذه المنطقة .. ومن هنا جاءت

غرابة اللغة التى استخدمها الكاتب فى روايته .. فهو يتلاعب بالمعطيات اللغوية من أجل إيجاد مصطلحاته الروائية .. وفى اعتقادنا أن هذا هو السبب الأول الذى جعل هذه الرواية تبتعد ، بشكل مفاجىء عن سلم المبيعات . ففضلا عن غرابة اللغة وصعوبة متابعتها . فان ايقاع الأحداث بالغ البطء . أى أنها رواية بعيدة عن اهتمام الناس ولم تستطع ان تجذب النقاد إليها كثيرا .. ولذا فما كاد أن يمر شهرا واحد من تاريخ اعلان الجائزة حتى نساها الناس تماما . وسقطت الرواية تماما فى سعة تاريخ الروايات بعد سبعة أشهر كاملة من حصولها على اكبر جائزة ادبية فى غرب أوربا .

اذن فرغم وجود ناشر كبير يقف الى جانب روايته ورغم وجود جائزة هامة . إلا أن هذا لم يمنع نزول "خطوة واسعة" الى دائرة الظل ..

● جسر عند حدود المغرب

نفس اللعنة التى أصابت رواية جان فوتران لمست كل من الروائى فيليب دومنك . وسيرج دوبرفسكى الحاصلين على جائزتى رينودو وميدسيس الادبيتين . يهمنا ان نذكر أن الكتاب الثلاثة الذين حصلوا على الجائزة قد تجاوزا الخامسة والخمسين بأعوام . ورغم سنوات العمل الطويلة فى مجال الكلمة والابداع . إلا أن ذلك لم يشفع لهم بالتواجد والشهرة ، من جانب ، كما لم تشفع لهم بالجوائز من جانب آخر .

ولد دومنك ، صاحب رواية "جائزة الجنوب" الفائزة بجائزة رينودو فى باريس عام ١٩٢٤ وقد نشر العديد من القصص القصيرة فى الصحف والمجلات . وقد قام بإرسال نسخة من مسودة كتابه بالبريد الى الناشر "سوى" الذى مالبث ان نشرها ودفع بها الى اكاديمية رينودو فمنحها الجائزة . وقد استقى الكاتب احداث روايته من تجربته الخاصة حين كان يعمل بحارا فى الاسطول الفرنسى ابان حرب الجزائر . وبطل الرواية هو ذلك الجسر الذى اقامته القوات الفرنسية عند حدود المغرب . وتدور الاحداث فى الاسبوع الاخير من الاحتلال الفرنسى للجزائر .. وكان على البحار أن يعود إلى بلاده وان يسلم الجسر للمحاربين الجزائريين الشباب ..

اما سيرج دوبروفسكى فقد نال جائزة ميديسيس عن روايته "الكتاب المحطم" وهى تجربة روائية مليئة بالغرائبية . فهى بمثابة رسالة كتبها المؤلف الى زوجته التى تصور انها قد ماتت يحدثها فيها عن علاقتهما معا طوال سنوات والحنين إلى هذه الاعوام التى عاشا فيها معا .. إلا أنه يتراجع عن كل ما كتبه حين يعلم أن زوجته لا تزال على قيد الحياة ..

والعجيب فعلا فى موسم الجوائز الادبية لهذا العام ان احدا لم يذكر كل من دومنك ، ودوبروفسكى عند فوزهما بالجائزة سوى مجموعة من الاخبار المبتسرة التى نشرتها الصحف السيارة ..

● ايام الغضب .. مجنونة !

أما الكتاب الذى نال تقريظا ملحوظا فهو رواية "ايام الغضب" للكاتبة سيلفى جرمان .. وهى الكاتبة الشابة الوحيدة التى فازت بجائزة هذا العام .. وإذا كان فتران قد حصل على أعلى الاصوات عن روايته .. فإن اعضاء جائزة فيمينا قد عقدوا اربع دورات لاختيار الرواية الفائزة

وفى النهاية فازت سيلفى بفارق صوت واحد عن رواية "فى انتظار الحرب" للكاتب كلود دولارى .

ومن المعروف أن جائـزة فيمينا مخصصة منذ قرابة ستين عاما لتشجيع الابداع النسائى ، أو الادب الذى يناصر قضايا المرأة ، مهما كانت هوية المبدع وجنسه .

وتدور احداث رواية "ايام الغضب" .. فى اطار تاريخى بالغ الخصـوصية والتعقيد .. منذ أختارت الكاتبة ايضا لغتها الخاصة لتبعد عما دار فى الزمن القديم فى ارض المورفان . وفى هذه الارض هناك اشخاص يمتلكون الغابة .. وآخرون يقطعون اشجار البلوط والزان . وهناك البعض الذين يجدفون بقواربهم فوق نهرى السين واليون .

كل هؤلاء يعلنون نهاية عصر الخشب . فذات يوم يقتل رجل يدعى كورفول زوجته . والرجل معروف لدى الناس بأنه ثرى ، وامين ، لكنه يقوم بقطع شريان زوجته والقاء جثتها فى النهر . وهناك يلتقى برجل فقير مملوء بالطموح له اسم غريب هو "موبرتيوس" . ويبدأ هذا الفقير فى ابتزاز الثرى كى يدفع له اكثر حتى لا يفشى سره . ويجد كورفول نفسه عاشقا لهوى غريب .. هو الموت .. ويرى أن الموت هو الشفاء الاكيد لكل الاحياء .. سواء الذين تصيبهم الشيخوخة او الاحباط .. وحب الموت هنا لا يعنى محاولة الانتحار . بل إن الموت يظل ماثلا امام عينيه فلا يخشى الفقر او المرض .

وسط هذا العالم الغريب تولد كاترين التى تقام لها مراسم خاصة فى تلك القرية الصغيرة والتى تتزوج من افرايم ـ ابن موبرتيوس ـ ولانها مولودة فى عالم غريب فإنها تلد ايضا بطريقة غريبة . فقد كان عليها أن تلد طفلا جديدا فى الخامس عشر لمدة تسع سنوات متتالية وذلك من على مشرف السيدة العذراء .

وكما نرى فإننا امام رواية غريبة للغاية ، ليس فقط فى اللغة "الخاصة" التى اختارتها الكاتبة ولكن فى موضوعها ، ويهمنا ان نذكر أن سيلفى جرمان فى السابعة والثلاثين من عمرها . وهى تكتب الاوبـرا . والروايـة وهى تعيش فى تشيكوسلوفاكيا منذ سنوات .

وفى النهاية علينا أن نتساءل عن هذا الحصاد . فلا شك أن عدم وجود روايات متميزة فى سوق الجوائز الادبية قد دفع بأعضاء الاكاديميات ، وهم من الادباء الذين ينشرون اعمـالهم لدى كبـار الناشرين ، ان يختاروا احسن السيئات .. ليس من اجل عيون الكتاب بالطبع . ولكن من اجل عيون الناشرين .. فمن المعروف أن الجوائز المالية الممنوحة للادباء تكاد تكون معدومة .. وكل ما يمكن للكاتب أن يحصل عليه هو أن يبقى فى دائرة الاضواء لبضعة اسابيع .. وعلى سبيل المثال . فإن الفائز بجائزة رينودو عليه أن يحظى بشرف حضور حفل عشاء يحضره الصحفيون الذين يمنحون هذه الجائزة سنويا .. وهذا العشاء هو قيمة الجائزة الفعلية والوحيدة للكاتب .. اما الناشر فإن عليه أن يحصد الكثير من الشيكات والايرادات مقابل هذه الجائزة وغيرها ..

إن النظر الى موسم الجوائز الادبية الان اشبه بصناعة لكل العيد فى شهر شوال . فشهية الناس لقراءة مثل هذه الروايات اشبه بشهية الصائمين للتحلى بالكعك عقب العيد بأسابيع !!

المائة الأعظم

بقلم: حسين أحمد أمين

البوزجاني

٩٤٠ - ٩٩٨ م

من اكبر علماء الرياضة عند العرب إذ كان له فضل حاسم في تقدم علم حساب المثلثات. ففي حساب المثلثات الكرية استعاض عن المثلث القائم الزاوية من الرباعي التام، بنظرية منلاوس، مستعينا في ذلك بما يسمى «قاعدة المقادير الأربعة». (جا أ : جا جـ = جا ا : ا). ونظرية الظل (ظا أ : ا ظا ا = جا بَ : ا). واستخرج من هاتين القاعدتين كذلك: جتا جـ = جتا أ × جتا بَ. ومن الجائز انه في المثلث الكرى ذى الزاوية غير القائمة اوجد اولا نظرية الجيب. كما ندين له بطريقة حساب جيب ٣٠ حيث تتفق نتائجه فيها إلى ثمانية ارقام عشرية مع القيمة الحقيقية لذلك الجيب. وثمة اهمية كبرى لطرائق العمل التي اتبعها في الهندسة والتي تعتمد إلى حد ما على الطرق الهندية.

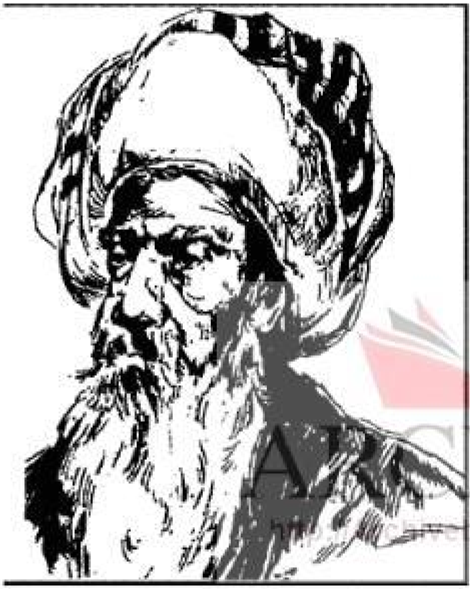
وهناك خلاف بين العلماء اليوم حول ما إذا كنا ندين للبوزجاني بالفضل في إدخال الظل وظل التمام والقاطع وقاطع التمام في حساب المثلثات الكرية. فالبعض ينسبه اليه، والبعض ينسبه إلى أحمد بن عبدالله المعروف بحبش الحاسب.

وتنقسم مؤلفات البوزجاني إلى اقسام ثلاثة

الاول: شروحه على اعمال إقليدس وأبرخس وديوفانتوس والخوارزمي، مثل تفسير ديوفانتوس في الجبر، وتفسير ابرخس في الجبر، وتفسير الخوارزمي في الجبر والمقابلة، والبراهين التي استعملها ديوفانتوس في كتابه.. الخ. ومن المؤسف أن كافة هذه الشروح قد فقدت.

والثاني: (وهو القسم الخالد من

فى التاريخ الإسلامى



مؤلفاته) كتبه فى الرياضة ، واهمها : كتاب فيما يحتاج إليه الصناع من أعمال الهندسة ، وقد الف البوزجانى هذا الكتاب فى أواخر حياته بأمر من بهاء الدولة ليكون تحت تصرف المختصين والفنيين فى الأعمال الهندسية الذين يهمهم طرق الرسم دون البراهين الرياضية ـ كتاب استخراج ضلع المربع ، وفيه حل البوزجانى بعض معادلات الدرجة الرابعة ـ كتاب فى عمل المسطرة والبركار والكونيا (المثلث القائم الزاوية) ، وقد كان هذا الكتاب اساسا فى دفع عجلة الهندسة خطوات واسعة ، إذ يشمل وسائل مبتكرة وأساليب جديدة لرسم الدوائر والأشكال كثيرة الأضلاع ، المختلفة والمنتظمة .

وبعض تلك الطرق هى نفس الأساليب الحديثة فى علم الهندسة ـ كتاب فيما يحتاج اليه الكتاب والعمال من علم الحساب ، تناول فيه قواعد الحساب والمساحات والخراج ومعاملات التجار .

والثالث : كتبه فى علم الفلك مثل : كتاب المجسطى ، وهو دائرة معارف فلكية على نمط كتاب بطلميوس ـ كتاب الزيج الشامل ، ويحوى الجداول الفلكية التى يعتمد عليها العلماء فى أرصادهم ـ كتاب الكامل فى حركات الكواكب والتغيرات التى تطرأ عليها .

وقد كان البوزجانى عالما فلكيا بارزا ، اختاره شرف الدولة بين نخبة من كبار علماء الفلك للعمل فى المرصد الذى بناه فى بستان دار المملكة ببغداد .

وبلغ من دقة أرصاده أن استشهد بها علماء بعده ، كالبيرونى ، فى مناقشة بعض المسائل الفلكية لتعيين لحظة حلول الشمس فى الاعتدالين ، والمنقلبين ،

وقياس أطوال الفصول ، وانحراف محور الأرض عن العمودي على مسارها .

وهنا أيضا ثار خلاف طويل بين علماء القرن التاسع عشر حول ما إذا كان الفضل يرجع إلى البوزجاني في اكتشاف أوجه القمر وحركته أم إلى عالم الفلك الدنماركي تيخوبراهي ، إلى أن اثبت كارا دي فو عام ١٨٩٢ أن هذا الاكتشاف هو للعالم الدنماركي .

مسكويه

توفي عام ١٠٣٠م

من صفوة المؤرخين المسلمين ، ومن اشهر (ومن اول من كتب من علماء الاسلام في فلسفة الأخلاق .

فكل من يتبع دراسته لتاريخ الطبرى بدراسة تاريخ مسكويه الشهير المعروف باسم «تجارب الأمم» ، يتبين ان مؤهلات الثلثي لكتابة التاريخ اعظم من مؤهلات سلفه . كان مسكويه قد عمل مدة طويلة في خدمة ركن الدولة وعضد الدولة ، اضحت لديه ميزة كبيرة وفرتها معرفته الشخصية بمشاهير رجال عصره ، وقدرته على الحصول على المعلومات من مصادرها الأصلية . اضف إلى ذلك انه كان ملما بمناهج الادارة وأساليب الحرب مما يسر له وصف الأحداث وصف عارف ، والحكم على التصرفات والسياسات حكم واقف على دقائقها . وبينما نجد الطبرى مقلا في ذكر اقتصاديات الدولة ، نجد مسكويه يفيض ويدقق ويوضح ذلك الجانب الحيوى من التاريخ السياسي .

وهو أمين وموضوعي في أحكامه فبالرغم من خدمته البويهيين ، لا يخفي جرائمهم ، بل يقسو أحيانا في أحكامه عليهم . وكان بخلاف الطبرى الذي كان مفسرا للقرآن وفقيها مرموقا – قليل الاهتمام بالأمور الدينية ، ومن الممكن أن يقرأ المرء مجلدات «تجارب الأمم» دون أن يخمن – سوى من فقرة واحدة – أن مؤلفه مسلم . وهو يكشف بالأخص عن مقدرة كبيرة على تصوير الشخصيات ، وبيان مفاسد العصر ، ورواية المناظر المفزعة التي لا يسهل نسيانها متى ما قرئت مرة واحدة ، مثل محاكمة الحلاج وصلبه ، ووفاة ابن الفرات ، واعتقال الوزير ابن مقلة .

كذلك كان لمسكويه فضل عظيم في فلسفة الأخلاق ، وهو الذي تبحر منذ حداثته في دراسة الأخلاق الفارسية واليونانية ، واكسبه انغماسه في الحياة السياسية والاجتماعية تجارب شخصية

خصبة ، وعنى بمعرفة النفس وأحوالها ودرسها دراسة وافية . ثم شرع يؤلف فى هذا العلم كتبا كثيرة أهمها «تهذيب الأخلاق» و «الفوز الأصغر» ، وكتاب الفارسية هو «جاويدان خرد» أى «العقل الخالد» .

وعنده أن النفس جوهر بسيط غير محسوس لحاسة من الحواس ، تدرك وجود ذاتها بذاتها ، وتعلم أنها تعلم وأنها تعمل وهى ليست جسما بدليل أنها تقبل صور الأشياء المتضادة ، كمعنى الشجاعة والجبن . وهى بطبيعتها تواقة إلى المعرفة ، كما أنها وحدة يكون فيها العقل والعاقل والمعقول شيئا واحدا . ويعرّف مسكويه الخير بأنه مابه يبلغ الانسان غاية وجوده ، ويحقق ذاته .

والناس مختلفون فى الاستعداد للأخلاق ؛ فمنهم من هم خيار بطبعهم ، وهم قليل ، ومنهم من هم شرار بطبعهم ، وهم كثير ، ثم قوم لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ، مستعدون لأن ينتقلوا إلى الخير أو إلى الشر بالتربية . أما الله فهو الخير المطلق ، والأخيار جميعا يسعون فى الوصول إليه . وهو يفرق بين الخير والسعادة ، فالخير هو ما يقصده الناس من حيث هم ناس ، أما السعادة فهى للفرد ، ولايكون الفرد سعيدا إلا بتحقيق مقتضيات طبيعته .

أما أساس الفضائل عند مسكويه فهى محبة الانسان للناس كافة . وبدون هذه المحبة لا تقوم جماعة قط . كما ان الانسان لا يحقق ذاته إلا بالعيش مع أبناء جنسه بمعونتهم .. وهذه المحبة لا تظهر آثارها إلا فى جماعة أو مدينة ، فإذا كان



الرجل انطوائيا منعزلا أو راهبا ناسكا ، فلا يمكن الحكم على أعماله بالخير أو الشر .

لقد كتب في الأخلاق قبل مسكويه أدباء كابن المقفع والجاحظ . غير أن كتاباتهم فيها كانت مجرد حكم أو نتف صيغت صياغة رشيقة ، ولكن دون تبويب أو ترتيب . أما مسكويه وأبو بكر الرازى فقد وضعا للأخلاق نظاما شاملا وفلسفة كلية ، وجعلا منها علما على غرار علم الأخلاق عند أرسطو وغيره من الأغريق .

أبو بكر الرازى

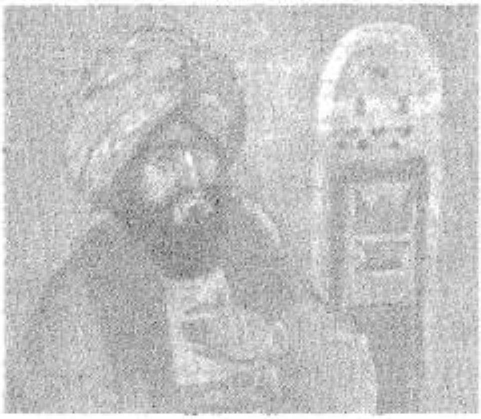
٨٦٥ - ٩٢٥ م

من اعظم الأطباء والفلاسفة المسلمين . خلّف كتابات جمة فى كل الموضوعات العلمية والفلسفية التى كانت تدرس فى زمنه ، ولايزال بين ايدينا اكثر من خمسين مؤلفا له ، من افضلها رسالة فى الجدرى والحصبة ، ترجمت الى اللاتينية واليونانية والفرنسية والانجليزية . واعظم كتبه هو «الحاوى» الذى كان بمثابة موسوعة لكل المعارف الطبية حتى زمنه . وقد عرض بصدد كل مرض آراء المؤلفين اليونانيين والشاميين والهنود والفرس والعرب ، مضيفا ملاحظاته من خلال تجاربه العملية ، ومعبرا فى الختام عن وجهة نظره . وله مؤلفات قصيرة تتناول العنصر الانسانى من الطب ، مثل : عجز الأطباء - حتى امهرهم - عن مداواة كل الأمراض ، لماذا يفضل الناس المشعوذين والدجالين على الأطباء المهرة ؛ لماذا يصادف جهلة الأطباء والعامة والنساء من النجاح مالا يصادفه العلماء من الأطباء ..الخ .

أما فى مجال الفلسفة فقد كان الرازى من العقليين الذين يؤمنون بالله وينكرون النبوة . وإذ كانت أبحاثه عقلية محضة ، وأبحاث المعتزلة عقلية دينية ، فقد تقدمهم الرازى كثيرا ، كما لم يرض عن إخوان الصفا لأنهم فلاسفة دينيون . وقد تأثر بأقواله فى النبوة القرامطة من المسلمين والملاحدة من النصارى . وقيل إنه ألف كتابا أسمه نقض النبوة ، ذكر فيه أن النبوات أضرت بالناس ، وتسببت فى كسلهم وتواكلهم وضيق عقولهم ، كما تسببت فى إثارة العداوة والحروب بينهم . وقال إنه من أجل ذلك كان المتدينون أعداء للفلسفة ، وأن أمثال أفلاطون وأرسطو أفادوا الانسانية أكثر مما أفادها الأنبياء .

وللرازى فى علم الأخلاق مساهمة جليلة لا تقل قدرا عن مساهمة مسكويه .

وقد سبق بنثام وجون ستيوارت ميل بمئات السنين فى تأسيس مذهب المنفعة على اللذة والألم اللذين رآهما أساس الفضائل



والرذائل . فعنده أن الفضيلة إنما عدت فضيلة لرجحان منافعها على مضارها ، أو بعبارة أخرى ، رجحان ما ينتج عنها من اللذة على ما ينتج عنها من الألم . والرذيلة بالعكس . وفضيلة تفضل فضيلة لكثرة لذائذها ، وعمل يفضل عملا بما ينتج عنه من لذائذ . ويرى الرازى أنه ليست للفضيلة ولا للرذيلة قيمة ذاتية . كما يرى أنه ليس هناك لذة إيجابية ، وإنما اللذة عدم الألم . فالأكل لذيذ لأنه يضيع ألم الجوع . وإذا نحن حللنا كل لذة وجدناها عبارة عن دفع الألم .

وهو يعيب العشق والمبالغة فيه ، ويذهب إلى أنه لايغرق فيه إلا المخنثون من الرجال والمترفون ، لاسيما إن أكثروا من قراءة القصص الغرامية ، ورواية الرقيق من شعر الغزل ، وسماع الأغاني . واللذة التي يتصورها العشاق وسائر من كلف بشيء ، كعشاق الرئاسة والتملك ، هي أن ينالوا المطلوب ، مع أنهم لو فكروا في وعورة الطريق ومهاويه ومهالكه ، لبدا مرا ما حلا ، وصغيرا ما بدا لهم بسبب الشهوة عظيما . والعشاق يجارون البهائم في عدم ضبط النفس .

وأما احتجاجهم بكثرة من عشق مع الأدباء والشعراء ، فحجة داهية ، لأن الشعر والفصاحة والأدب أمور لا تحتاج إلى كمال العقل والحكمة ، وقد تكون مع نقصهما .

وأما قولهم إن العشق يدعو إلى النظافة واللباقة والهيئة والزينة ، فما يسمح بجمال الجسد مع قبح النفس . ويتحدث عن الاتصال الجنسى فيرى أنه يضعف البصر ويهد البدن ويقلقه ، ويسرع بالشيخوخة ، والهرم ، ويضر بالأعصاب ، وأن الإقلال منه يحفظ على الجسم رطوبته فتطول مدة النشوء والنماء ، وتبطيء الشيخوخة والجفاف .

وكان الرازى مديرا لكبرى مستشفيات بغداد ، وشهد الناس له بأنه أعظم أطباء عصره . ويقال إنه اشتغل فى حداثته بالكيمياء حتى أثرت العقاقير فى عينيه فقصد طبيبا ليعالجهما . فلما طلب الطبيب خمسمائة دينار أجرا للعلاج ، أدرك ما فى الطب من مكسب ، وقال : هذه هى المهنة لا ماكنت فيه ! ثم درس الطب . غير أنه كان كريما إلى أقصى حد ، بارا بالفقراء ، يعالجهم فى مستشفاه دون أجر ، ويجرى عليهم الجرايات الواسعة .

أنت والهلال

• حول السرقات الأدبية •

• اطلعت في عدد ابريل ١٩٩٠ ، من "الهلال" ، تحت عنوان "حول السرقات الأدبية" على قضية السيد/نبيل سليم بالاسكندرية ، وقد رأيت ان من واجبي أن أدلي بأقوالي في هذه القضية ، خاصة أن لدي "مستندات" يمكن أن تضم إلى ملف القضية ، بل إن لدي ما أطلق عليه "ملف نبيل سليم ، ومن هم على شاكلته" .. ويضم هذا الملف أكثر من عشرين مقالا من نوع السرقات الأدبية .

١ ـ تساءلت مجلة "الهلال" عن حقيقة نقل السيد/نبيل سليم ، لمقال نشر في مجلة ليبية .. وأود ان أؤكد أن السيد/نبيل سليم ، قام بالفعل بنقل مقال الدكتور/محمد الدسوقي ونشره في صحيفة الأسبوع الثقافي الليبية عام ١٩٧٥ ، وكان مقال الدكتور الدسوقي تحت عنوان "طه حسين كما عرفته" ، وقد قام السيد سليم بتغيير اسم المقال الى "طه حسين ـ الانسان والشاعر" ، ونشره في مجلة "الدوحة" في ديسمبر ١٩٨٤ . وعلى اثر ذلك بعث الدكتور الدسوقي برسالة الى مجلة الدوحة ، نشرت في عدد فبراير ١٩٨٥ ، كشف فيها هذا الزيف ، كما ارسل للمجلة صورة زنكوغرافية للمقال الأصلي وبهذه المناسبة ، فان لدى المقال الأصلي ، وكذا مقال السيد نبيل سليم ، لمن يريد الاطلاع عليهما .

٢ ـ تساءلت مجلة "الهلال" عن حقيقة نقل السيد/نبيل سليم ، لمقال علمي من احدى المجلات ، ونشره في مجلة العربي .. والحقيقة أن نبيل سليم قد قام فعلا بنقل مقال علمي من مجلة "طبيبك" التي كان يرأس تحريرها المرحوم الدكتور صبري القباني ، وكانت المجلة قد نشرت في العدد ١٦٣ الصادر في مارس ١٩٧٠ ، مقالا تحت عنوان "ان لجلدك عليك حقا" ، فاخذ نبيل سليم هذا المقال ونشره في مجلة العربي في العدد ٣٣١ ـ يونيو ١٩٨٦ ، وتحت عنوان "جلدك هو كنزك" . وعلى اثر ذلك تلقت العربي عدة خطابات من القراء ، لتفضح هذه السرقة ، وازاء ذلك توقفت العربي عن نشر اى مقالات للسيد نبيل سيلم . وبهذه المناسبة ، فان لدى المقالات موضع الشكوى ، لمن يريد الاطلاع عليها .

٣ ـ الجديد الذى لم تذكره مجلة "الهلال" :

أ ـ قام نبيل سليم ، بنقل مقال الكاتبة "بيدار مذكور" ، المنشور في مجلة "الشباب وعلوم المستقبل" تحت عنوان "مادة من البنسلين لا تسبب الحساسية" وهذا المقال منقول حرفيا في مجلة الدوحة ـ عدد اغسطس ١٩٨٤ ـ تحت عنوان : "علاج جديد يمنع الاصابة بالحساسية" باسم نبيل سليم .

ملحوظة : لدى المقال الاصلي ، والمقال المنسوخ .

ب ـ قام نبيل سليم ، بنقل مقال الكاتبة "نائلة محمد ابراهيم" ، المنشور فى مجلة الشباب وعلوم المستقبل ـ تحت عنوان "الاندروفينات" ـ الأمل المرتقب لعلاج الاضطرابات العقلية" والجدير بالذكر ان السيد نبيل سليم ، قام بنقل هذا حرفيا ، ثم أعاد نشره فى مجلة الدوحة ـ العدد ١٠٣ ـ يوليو ١٩٨٤ ـ تحت عنوان "هل الفنون جنون ؟ فن التصوير يكشف عن علاج جديد لأمراض العقل !" وللمرة الرابعة ، أؤكد اننى على استعداد لارسال المقالين لكل من يطلبهما ..

جـ ـ نقل نبيل سليم حرفيا مقال "بالعقل الاليكترونى تصل الى الرشاقة" المنشور فى مجلة الشباب وعلوم المستقبل ، بقلم : وجدى رياض .. مع قليل من الزيادات ، فى مقال تحت عنوان "كل قليلا واضحك كثيرا هذه روشتة السلامة" وذلك فى مجلة الدوحة ـ عدد يناير ١٩٨٥ وللمرة الخامسة ، أؤكد أن المقالين فى حوزتى ، لمن يريد الاطلاع عليهما .

د ـ نقل نبيل سليم حرفيا مقال "أصماغ مختلفة داخل اجسامنا لها علاقة بامراض كثيرة" ، المنشور فى مجلة الشباب وعلوم المستقبل ، بقلم "نائلة محمد ابراهيم" .. مع تغيير المقدمة فقط ، فى مقال تحت عنوان "سر المواد اللاصقة والأمراض القاتلة" ، وذلك فى مجلة "بلسم" التى تصدرها جمعية الهلال الأحمر الفلسطينى ـ فى قبرص وذلك فى العدد ١٤٣ ـ مايو ١٩٨٧ . وكما أكدت انفا ، فالمقالات جميعا لدى .. الأصل والصورة .. أرسلها لمن يريد .

هـ ـ قام نبيل سليم ، بنقل مقال "مواد فعالة لعلاج الأورام" ، المنشور فى مجلة الشباب وعلوم المستقبل ـ العدد ٨ ـ السنة الرابعة مارس ١٩٨١ ، بقلم الدكتورة / فاطمة عبدالقادر . قام بنقله حرفيا "ثلاث صفحات كاملة بالقطع الكبير" ، ثم أضاف للمقال خاتمة ، وقام بنشره تحت عنوان "القضاء على السرطان" فى مجلة الوعى الاسلامى ـ العدد ٢٧٨ ـ صفر ١٤٠٨ هـ الصادرة عن وزارة الأوقاف الكويتية . ولدى المقالات .

ولعلى اكتفى بهذه المقالات كنماذج ، لما يحدث على الساحة الثقافية من تجاوزات أليمة ومحزنة .

وبهذه المناسبة ، فان ملف "السرقات الأدبية" الذى اعكف على تجميعه منذ سنوات طويلة ، يحتوى على مقالات اخرى لكتاب اخرين ، بعضهم من ذوى الأسماء الرنانة على الساحة الثقافية العربية .. واذا كانت قضية السرقات الأدبية ، من شواغل مجلة "الهلال" ، فاننى على استعداد لتزويدكم بكل ما لدى من نصوص ، تخدم القضية .

فوزى عبدالقادر الفيشاوى

مدرس علوم وتكنولوجيا الأغذية المساعد ـ كلية الزراعة ـ جامعة أسيوط

● تعليق الهلال .

ـ ان هذه الرسالة التى تلقيناها من الأستاذ فوزى عبدالقادر الفيشاوى ،

واضحة الدلالة فى اثبات السرقات الأدبية المتكررة التى زاولها السيد نبيل بجراة غريبة تدعو الى الدهشة ، وإننا ندعوه أن يتوقف عن السير فى هذا الطريق ، وأن يترك الكتابة تماما اذا كان لا يستطيعها الا بسرقة أعمال سواه من الكتاب ..

وننشر فيما يلى ردا وافانا به نبيل سليم ، يدل على انه لا يملك ما ينفى به الأدلة الدامغة التى تثبت سرقاته الأدبية .. وهذه هى رسالته :

• دفاع عن السرقات الأدبية •

● قرأت فى هلال ابريل ٩٠ ، وفى زاوية "أنت والهلال" تعقيبا على ردى على مقال محمود قاسم ، وفى اتصال هاتفى سابق أجريته معكم فى أوائل مارس الماضى ، وعدتم بنشر ردى كاملا ، ولم تفوا بوعدكم ، وتعللتم بان مقالى "كان شديد الطول ، ولا يرد ردا شافيا على الأسئلة التى اثارها محمود قاسم فى مقاله" ؟! ورغم أن مقال محمود قاسم نفسه كان شديد الطول ، فمن الطبيعى أن يكون ردى طويل ، لانى قمت بالرد على كل ما اثاره ، وبالترتيب الذى أورده فى مقاله ، وهو فى جملته "حملة شعواء" ثم لخصتم مقال محمود قاسم فى ثلاثة أسئلة بخمسة أسطر فقط ، فلماذا لم تنشروا هذا الملخص بدلا من مقاله ؟

وسؤالكم عن مقال الدوحة يؤكد أنكم لم تقرأوا ردى الذى ذكرت فيه ملابسات هذه الواقعة ، ورغم ذلك أقول لكم ثانية ان المقال كان تاريخيا عن د . طه حسين .

وأن أى كاتب عندما يؤرخ لابد له من مصادر يعتمد عليها وبالذات اذا كان من سيؤرخ عنه ليس من جيله كما أنه رحل عن الدنيا ، وقد استعنت بمقال الجريدة (وليس المجلة) الليبية ، لكن سقط اسم المصدر من مقالى .

والدليل الثانى : انكم اثرتم سؤالا غريبا ، لا يثيره الا من لم يقرأ ردى ، فقد نسبتم لى قولا لم اقله إذ تقولون بالنص "تقول انك مدرس بقسم العظام والجامعة تنفى ذلك" فلا أدرى من أين أتيتم لى بهذه الوظيفة الجديدة ؟ .. فانا أعمل استاذا مساعدا "وليس مدرسا" للجراحة العامة وليس للعظام .

أما الدليل الثالث : فهو سؤالكم عن نقل مقال علمى لمجلة "العربى" .. فرغم أنى ذكرت الرأى القاطع فى مجال النشر العلمى ، وذلك فى ردى السابق ، وهو أن العلم مشاع ، لأننا نستقى علومنا من الطبيعة ، وقد اعترفت "العربى" بذلك ، وارسلت نص اعترافهم فى مجلتهم مع ردى السابق ، إلا أنى اقول لكم ايضا مرة ثانية ، وكما ورد فى ردى فى المجلة العربية والذى سبق وأرسلت لكم نسخة منه ايضا ، بأن المقال العلمى هذا

كان منشورا فى مجلة "كولز" العلمية ، واعيد نشره مترجما فى مجلة "طبيبك" وقد اخذت من الترجمة ما يتفق مع النص الأصلى واضفت اليه ما حققه البحث العلمى من جديد ، وهذا هو أسلوب البحث العلمى ، إذ لا يمكن لأى باحث علمى ان يبدأ من فراغ دون أصل ثابت امامه ، من هنا كان مقالى دراسة مجمعة لم أقم على تاليفها أو ابتكارها ، فحق التاليف يتحقق فقط فى الفنون الابداعية كالأدب والموسيقى وغيرها كما جاء فى الموسوعة العربية الميسرة ص ٧٢٧ .

الدكتور نبيل سليم

● تعليق الهلال :

ـ واضح من رد السيد نبيل سليم انه مصمم على المضى فى طريق السرقات الأدبية بدعوى أن حق التاليف يتحقق فقط فى الفنون الابداعية . كما جاء فى الموسوعة العربية الميسرة ، وهو يرى ان الموسوعة العربية تفتح له الطريق للاستيلاء على ثمرات جهود الاخرين ووضع اسمه عليها وقبض الأجر بالعملة الصعبة عن نشرها ! .. ونحن ندعوه مرة خرى الى التوبة الى الله عن السطو على ثمرات أقلام الاخرين ..

● ديوان عبدالوارث عسر ●

● لم اكن اعرف أن الفنان المرحوم عبدالوارث عسر كان شاعرا من الطبقة الأولى حتى قرأت قصيدته التى نشرتموها فى عدد مايو الماضى ، فهى من أجود الشعر حقا ، ولا تقل عن شعر كبار الشعراء المجودين ، وقد كنتم على حق إذ وصفتموه بأنه شاعر فحل مجود ، لأن من يستطيع تجويد شعره حتى يبلغ به هذا المستوى يستحق هذا الوصف حقا ..

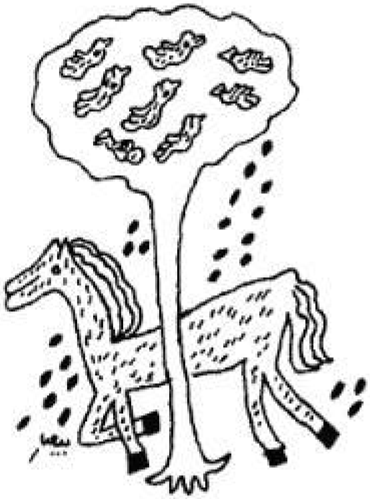
بقى أن اضم صوتى الى الأصوات التى تستصرخ السيد الأستاذ الدكتور سمير سرحان رئيس هيئة الكتاب أن يستخلص ديوان عبدالوارث عسر من براثن صغار أو كبار الموظفين الذين يعجزهم جهلهم بالشعر عن معرفة القيمة العظيمة للشاعر عبدالوارث عسر ! .

محمد عبدرب النبى الشافعى
أسيوط

● تعليق الهلال :

ـ تلقينا عشرات من رسائل القراء تعقيبا على ما نشرناه حول مأساة ديوان الشاعر الكبير الفنان عبدالوارث عسر الذى احتبسه بعض الموظفين بهيئة الكتاب فى أدراجهم ، وقد اخترنا هذا التعليق الذى يراه القارىء كنموذج للتعليقات الكثيرة التى تلقيناها ويضيق المقام عن نشرها مع الأسف ! ..

• أغدودتان للحزن الأخضر •



١ ـ ودمعة ..
دفنتها فى جبهة النهار
سقيتها من دمى المنهار ..
تباسقت غصونها ..
فظللت طيورها الأشجار !
. . . .
وبسمة ....
سكبتها فى بهجة المساء
فاينع الخواء ..
بنفسى الجرداء !
وبددت سيماءها الأنواء !
. . . .
٢ ـ ألا انتظر .. ؟
فإن مهرة الأحزان
تسبق الدموع ان لكزتها ..
ومهمة الاوهام فيه متسع ..
لحوقة الغربان .. حيث باقة الصبار
سلة المنى القفار !؟

يوسف عبدالعزيز على
كلية الآداب بقنا

• الشاعر عبدالرحمن شكرى •

تعلمنى الاقدار ان أرحم الودى
فقلبى لكل العالمين رحيم
وانظر فى نفسى واعرف عذرهم
على شرهم ، داء النفوس قديم
وان جميع الناس اهل واخوتى
وان كان فيهم جادم وذمي م

ولد الشاعر عبدالرحمن شكرى فى بورسعيد فى ١٢ اكتوب علم ١٨٨٦ ودرس بأحد الكتاتيب عندما كان عمره ثمانى سنوات وفى سن التاسعة درس بمدرسة الجامع التوفيقى الابتدائية ، ومنها حصل على الشهادة الابتدائية

عام ١٩٠٠ وانتقل الى مدرسة ثانوية بالاسكندرية ودرس فى مدرسة رأس التين الثانوية وحصل على البكالوريوس عام ١٩٠٤ والتحق فى نفس العلم بالقاهرة بمدرسة الحقوق ودرس القانون لمدة علم واحد . ففى عام ١٩٠٥ ـ ١٩٠٦ فصل من مدرسة الحقوق لاشتراكه فى المظاهرات ضد الاستعمار الانجليزى وفى عام ١٩٠٦ التحق شكرى بمدرسة المعلمين العليا تخرج فيها عام ١٩٠٩ ، وكان متفوقا مجيدا للغة الانجليزية وارسل فى بعثة تعليمية الى جامعة شيفيلد بانجلترا ومكث هناك ثلاث سنوات درس خلالها التاريخ الأوربى والانجليزى والاقتصاد والاجتماع والفلسفة والسياسة الى جانب اللغة الانجليزية وادابها وفى عام ١٩١٢ حصل على درجة البكالوريوس من الجامعة ، اتيحت له خلال البعثة الاطلاع على الطبيعة والادب الانجليزى .

ومؤلفات الشاعر عبدالرحمن شكرى ٩ دواوين "اضواء الفجر ، لآلىء الأفكار ١٩١٣ ، اناشيد الصبا ١٩١٥ ، زهر الربيع ١٩١٦ ، الخطوات ١٩١٦ ، الافنان ١٩١٨ ، ازهار الخريف ١٩١٩ ، شعر عبدالرحمن شكرى ١٩١٩ .

مختاراته الشعرية فى مجلدين مخطوطين .

ومن كتبه النثرية الاعترافات ١٩١٦ ، الثمرات ١٩١٦ ، حديث ابليس ١٩١٦ ، الصحائف ١٩١٨ ، الحلاق المجنون ١٩١٩ .

مقالاته : ١ ـ دراسات ادبية ونقدية نشرت فى مجلة الرسالة والمقتطف بين ١٩٣٥ ـ ١٩٣٩ .

٢ ـ دراسات اخلاقية .

٣ ـ تاملات كبار الكتاب والادباء والمفكرين الاوربيين .

٤ ـ موضوعات اسلامية .

٥ ـ ذكرياته .

٦ ـ وسائل شخصية لم تنشر .

ففى الديوان الاول اضواء الفجر عام ١٩٠٩ ، مدح ورثاء لبعض الأصدقاء والزعماء المصلحين امثال مصطفى كامل ، محمد عبده ، قاسم امين .

اتجه الشاعر الى التامل الوجدانى فى المعانى التى تكمن وراء الاحداث والاشخاص وفى القوانين التى تحكم سير الحياة الانسانية واتجه الى القضايا الكبرى التى تواجه ضمير المفكر المعاصر ولاسيما قضية الافلاس الخلقى والروحى التى تعانيه البشرية فى القرن العشرين ووصف الحالات النفسية المختلفة لصاحبها ووصف الامه وامله والتعبير عن اشواقه الروحية التى تطمح الى حياة اكمل واجمل من حياتنا هذه .

الفساد الخلقى : نشأ شكرى وعاش فى عصر حافل بالاضطرابات والأحداث الجسام فى تاريخ مصر وتاريخ العالم .

ففي الديوان الأول عام ١٩٠٩ شكوى من ينعى قومه وفيها ينعى على المصريين خمولهم وجمودهم .

قد اداروا من الخمول عقارا
واستباحوا من الذهول وقارا

واستكانوا فانفذ الدهر فيهم
حكمه واستقر وحاقد اعادا

سلك العجز فيهم مسلك العز
م فظلوا يدون في المجد عسارا

رجب عبدالحكيم بيومى الخولى
ليسانس لغة عربية القاهرة

• الفقيه المجدد الشيخ الغزالى •

تابعت سلسلة مقالات الدكتور محمد عمارة بمجلة الهلال عن الفقيه المجدد الشيخ محمد الغزالى ، فانا من الذين قرأوا معظم اثار وانتاج الشيخ ، وقد كنت اتمنى ان ينال الشيخ حقله من التركيز فى وسائل الاعلام المسموعة والمرئية وخاصة ان انتاجه الغزير يؤهله ويزكيه ، خاصة وان الرجل "اطال الله فى عمره مواليد ١٩١٧ م" مازال يثير جدلا فكريا كبيرا حتى اليوم واقرب مثال ما احدثه كتابه من ضجة "السنة بين اهل الفقه واهل الحديث" ولكننا نشكر للدكتور عمارة انه فتح الباب للباحثين ودلهم على بعض علامات الطريق .

عبدالعزيز النجار
مدرس علوم - فوه - كفر الشيخ

• امنية النفس •

سمعت القلب يذكرها ∴ وكيف القلب ينساها
برغم الهجر يذكرها ∴ ورغم السهد يهواها
فكم في الصحو حدثها ∴ وكم في النوم نلجاها
ففي الأكوان صورتها ∴ وفي الأحلام عيناها
وهذا الزهر بسمتها ∴ وهذا الورد خداها
وهذا البدر طلعتها ∴ إذا ما الليل جلاها

عزت فتحى سعد الدين
كفر ربيع - منوفية

• إلى أصدقائنا •

امنية تتحقق

عزيزى الأديب الأستاذ رئيس تحرير الهلال .

اشتركت بإحدى قصصى فى مسابقة الهلال للقصة القصيرة ، كنت فى بداية الأمر شديدة التشاؤم من ان تحوز قصتى على اى اهتمام ، ووسط دوامة الظروف النفسية التى تحيط بى لم اعبأ بمتابعة نتيجة المسابقة ، ولا حتى الحصول على اعداد المجلة ذاتها ، ولكننى فوجئت بان صديقا يخبرنى بفوز قصتى "قبل ان يزول ضوء الشموع" قد حصلت على المركز الرابع فى مسابقتكم .. وكانت مفاجاة سارة بالنسبة لى ، هذه المفاجاة اطاحت بكل الصور المعتمة التى يفرضها علىّ واقعى لتشرق فى سماء نبضى من جديد شمس الأمل !

لقد استعدت الثقة فى كل شىء وفى البشر والحياة .

ميرفت السنوسى

● الهلال :

ـ قصتك الفائزة بالمركز الرابع فى مسابقة الهلال ، تجدينها منشورة داخل هذا العدد ، ونشكرك على رسالتك الرقيقة ونرجو الا تدعى لليأس سبيلا الى نفسك ، وان تواصلى كتابة القصة ، فان لك موهبة واضحة ..

● محمد محمد عبدالعال :

ـ نشكر لكم اهتمامكم بديوان الشاعر الكبير المرحوم عبدالوارث عسر الذى وقع بين مخالب بعض الشعارين فى هيئة الكتاب .. اما مقالة صديقنا الأستاذ احمد مصطفى حافظ عن الشاعر عبدالوارث عسر والمرفقة برسالتكم ، فقد سبق نشرها فى كتاب متداول ، ولهذا لا نستطيع نشرها ، ونرحب بمقالة جديدة له فى هذا الموضوع ..

● دكتور محيى الدين الباز ـ مدير ادارة تعليمية بمحافظة الشرقية :

ـ مقالتكم عن مجانية التعليم طويلة جدا بحيث تحتاج الى اكثر من عشرين صفحة من الهلال ، ولهذا نعتذر اليك من عدم نشرها ..

● خالد السيد على محمد رسلان ـ جامعة عين شمس :

ـ حاول تجويد كتابتك لقصصك قبل ان تفكر فى نشرها ، وانت مازلت فى اول الطريق ، والمستقبل مديد ان شاء الله .. اما اقتراحك فتح باب لعناوين الأدباء الشبان بالذات ، فلم نفهم معناه مع الأسف ! ..

تجاوز حدود الاعتدال

اريد ان اعرض لجانب واحد محدد ، فى مواجهة ماسمى بالفتنة الطائفية ، والتى تتمثل ـ دع عنك الانفجارات المفاجئة ـ فى الجفوة المتبادلة ، والجهل المشترك ، من كل طائفة بحقيقة عقيدة الطائفة الاخرى ، فإن كان الدستور ينص على ان الدين الرسمي للدولة هو الاسلام ، فانني ارى ، ان الدولة المصرية الرسمية ، ليست مسلمة فقط ، بل هي مسلمة قبطية ، لان شعب هذه الدولة ، ببساطة شديدة ، ليس مسلما فقط ، بل هو شعب من مسلمين واقباط ، ولعل الرئيس جمال عبد الناصر ، كان يشير الى شيء من ذلك ، عندما كان يصرح انه رئيس "اى مسئول" عن "كل" المصريين .

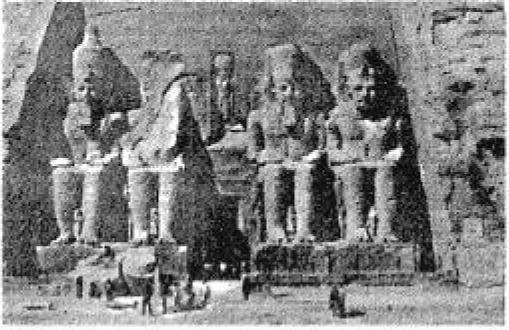
هذه الحقيقة ، على المجتمع ان يستوعبها بامانة ويترتب عليها كل نتائجها ، فى وسائل الاعلام ، وتقلد الوظائف ، لا ان تدخل الدولة فى منافسة ضارة وخطيرة وخاسرة مع التطرف الديني . ومانعدو الدول اليه ليس جديدا ، فقد مارسته مصر بعد ثورة ١٩١٩ وحتى الفترة الاولى من ثورة ١٩٥٢ . ومانعدو الدولة اليه لايتفق مع سماحها لمسلم ان يسيء لعقيدة الاقباط ، أو العكس . هذه واحدة ، اما الاخرى ، فان واجب الدولة ـ ايضا ـ ان تزيل ، غشاوة الجهل ، عن قلوب ابنائها فهذه الالاف التى تتخرج فى المدارس والمعاهد والجامعات ، من مسلمين واقباط ، لايعرف المسلم عن الارثوذكسية شيئا ، ولايعرف القبطى عن الاسلام شيئا ، ارض صالحة للجفوة والتعصب . والاقتراح ، ان تضع وزارة التربية والتعليم ، كتابا واحدا ، بواسطة راشدين من الديانتين ، يتدرج فى مستواه ، حسب مراحل التعليم ، يدرسه ابناء الوطن الواحد جميعا ، يرسب فى اعماقهم ، قبول مبدأ الاختلاف العقيدى ، وقبول مبدأ الاحترام المتبادل ويحد من تجاوز حدود الاعتدال العقيدى ، وللاستاذ العقاد كتاب "الله" . وهو بحث فى نشأة العقيدة الالهية ، وعرض موسوعى ، للاديان السماوية جميعا ، كل دين من مصادره التى اعتمدها اهله . مما يصلح ان ننسج على منواله . بما يحقق الاهداف الوطنية بعيدة المدى ... للدولة ، وللمواطنين .

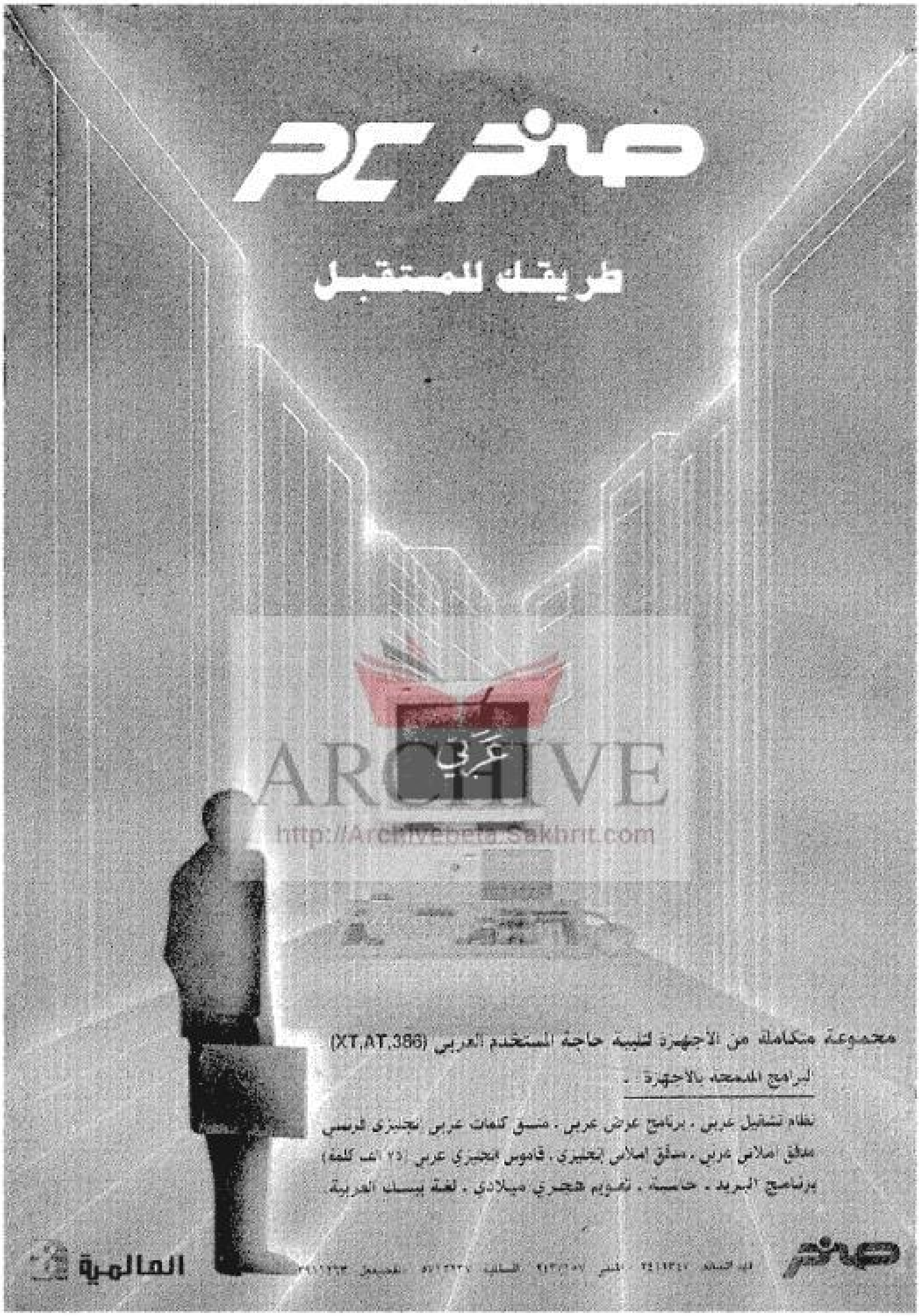





EGYPTAIR
مصر للطيران






صخر PC
طريقك للمستقبل
مجموعة متكاملة من الأجهزة لتلبية حاجة المستخدم العربي (XT,AT,386)
البرامج المدمجة بالأجهزة :
نظام تشغيل عربي . برنامج عرض عربي . منسق كلمات عربي انجليزي فرنسي
مدقق املائي عربي . مدقق املائي انجليزي . قاموس انجليزي عربي (٢٥ ألف كلمة)
برنامج البريد . حاسبة . تقويم هجري ميلادي . لغة بيسك العربية
صخر
العالمية

الهلال

يوليو ١٩٩٠ • الثمن ٧٥ قرشا

ما تبقى من ثورة يوليو ومحاولة رد اعتبار الملك !!

المثقفون والكأس



الهلال

مجلة ثقافية شهرية
تصدرها دار الهلال
أسسها جورجي زيدان
عام ١٨٩٢ ميلادية

رئيس مجلس الإدارة
مكرم محمد أحمد

نائب رئيس مجلس الإدارة
عبد الحميد حمروش

رئيس التحرير
مصطفى نبيل

المستشار الفني
محمد أبو طالب

مدير التحرير
عاطف مصطفى

المشرف الفني
محمود الشيخ

سكرتير التحرير التنفيذي
عيسى دياب

السنة السابعة والتسعون • يوليو ١٩٩٠ • ذي الحجة ١٤١٠ هـ

مذكرات د . ابراهيم مدكور فى « الهلال »

صمت د . ابراهيم بيومى مدكور ، هذا المثقف النابه الكبير ورئيس المجمع اللغوى طويلا ، وكثيرا ما حولنا ان نستكتبه فى « الهلال » ، لنتعرف على فكره الثاقب . ورؤيته على مدى خمسين عاما ، شهدت فيها مصر الكثير فى كل المجالات وابتداء من هذا العدد وحتى عدد اكتوبر ننشر مقتطفات من مذكرات د . مدكور والتى تصدر بعد ذلك فى كتاب الهلال ، وبعد طول انتظار .

ويناقش د . مدكور فى هذا العدد ، ومن خلال مذكراته قضية هامة ، تتناول وسائل الاعلام ، خاصة وان الصحافة فى مصر ذات تاريخ طويل يرجع الى اخريات القرن الثامن عشر ويحكى مفكرنا الكبير كيف عرضت عليه رياسة تحرير "الاهرام" بعد وفاة انطون الجميل ، وكيف ابت السراى الا ان تحول دون ذلك .

ويتناول قضية هامة هى مناقشة بعض المجلات والصحف التى طغت على صحافتنا الاسبوعية والشهرية مطالبا بضرورة أن نستعيد قيادتنا الصحفية لقراء العربية جميعا .

وتناول بحديثه العذب الاذاعة المسموعة التى اجتمع على مائدتها الجاهل والمتعلم والقارىء والأمى . كما تناول ايضا الاذاعة المرئية ودورها فيما تضيفه من توجيه واصلاح او نقد وتعليق ، وتوجيهاته حول عدم إلتزامها فيما لو طغى الكم على الكيف .

اقرأ المقال ص ٨٤

في هذا العدد

فكر وثقافة

صفحة



تصميم الغلاف
الفنان
محمد ابو طالب

قيمة الاشتراك السنوى (١٢ عددا) في جمهورية مصر العربية تسعة جنيهات وفي بلاد اتحادى البريد العربي والافريقي والباكستان عشرة دولارات او مايعادلها بالبريد الجوى . وفي سائر انحاء العالم عشرون دولارا بالبريد الجوى

والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال في ج . م . ع نقدا او بحوالة بريدية غير حكومية . وفي الخارج بشيك مصرفي لأمر مؤسسة دار الهلال . وتضاف رسوم البريد المسجل على الاسعار الموضحة بعاليه عند الطلب

دار الهلال

١٦ شارع محمد عز العرب الرقم البريدى (١٥١١) القاهرة تليفون ٣٦٢٥٤٥٠ سبعة خطوط - مجلة الهلال ٣٦٢٥٤٨١
رقم التلكس 92703 HILAL U.N

لبنان ٧٠٠ ليرة - الأردن ٦٠٠ فلس - الكويت ٥٠٠ فلس - العراق ١٠٠٠ فلس - السعودية ٧ ريالات - عدن ١٢٥ سنتا - البحرين ٨٠٠ فلس - قطر ٧ ريالات - الامارات العربية المتحدة ٧ دراهم - سلطنة عمان ٧٠٠ بيسه - تونس ١٤٠٠ مليم - المغرب ١٥ درهما - غزة ٧٥ سنتا - انجلترا ١٢٥ بنسا - ايطاليا ٢٧٠٠ ليرة - الولايات المتحدة الامريكية ٤٠٠ سنت - الجمهورية العربية اليمنية ٤ ريالات - كندا ٥ دولارات .

صيف الانسان العربى

يوليو هو بداية الصيف عند الفلكيين او الجغرافيين ، لأن الربيع عندهم يمتد الى اواخر يونيو ، مع أن أعلى درجات الحرارة إنما تجىء فى يونيو ، وقد تجىء قبل ذلك فى مايو وابريل ..

وقبل بضعة واربعين عاما كان يوليو شهر الاسترخاء والاستجمام والكسل ، ثم صار منذ صيف ١٩٤٨ الذى اشعلت فيه الصهيونية الحرب فى فلسطين العربية ، شهرا للحديد والنار .. وها هو ذا يعود إلينا بعد اكثر من اربعين عاما من حرب ١٩٤٨ منذرا بحرب جديدة تشعلها الصهيونية تحت راية : من الفرات الى النيل ، او من النيل الى الفرات !..

فى عام ١٩٤٧ ، اى قبل ان تشن الصهيونية اول حروبها التوسعية بعام واحد ، كانت مجلة الهلال كسائر المجلات والصحف العربية الغارقة فى السلام والمسالمة ، تستقبل الصيف مع قرائها بابتسامة الراغب فى الراحة والسلوى والاستمتاع بعد العناء طول العام ..

وفى اعداد الهلال خلال صيف سنة ١٩٤٧ ـ قبل عام واحد من بداية حروب الصهيونية ـ تتجلى الصورة المرحة الرافهة للصحفى والأديب والقارىء ، فهذا رئيس تحرير الهلال حينذاك ـ الدكتور احمد زكى ـ يتحدث عن الصيف فيقول إنه ينضج القطن وينضج الانسان ايضا ، فالطبيعة عادلة فيما تعطيه للنبات ، وما تعطيه للانسان !

ثم يتحدث عن إجازة الصيف ، فيقول إن الاجازة فن ، وهى تتوقف على ما يطلبه المرء منها ، وعلى كيف ينفعل بها .. وإنه لم يجد اشفى لنفسه فى الاجازة من دورة يدورها خلال الأحياء الشعبية القاهرية كالحسينية والجمالية والنحاسين والصاغة والعقادين والخيمية والسكرية والسيدة زينب ، حنينا الى العهد القديم ، وأسى له ، على السواء !..

اما الأستاذ عباس محمود العقاد ، فيكتب مقالا عنوانه : «دفاع عن الكسل» ... وهو مقال آية فى خفة الظل والرصانة والمنطق فى وقت معا .. يلبس فيه العقاد رداء المحامى ليدافع عن «الكسل» فى الصيف !..

فكل شىء فى الصيف ـ كما يراه العقاد ـ يجنح الى الكسل .. حتى الشمس ـ الشمس بجلالة قدرها ـ تكسل فى الصيف فتغيب بعد الأوان بساعتين ، فكيف لايكون للانسان فى الصيف حق فى الكسل والاسترخاء ؟! ..



المازنى



العقاد



● أحمد زكى

اما الأستاذ ابراهيم عبد القادر المازنى فيتحدث عن «الفشر» .. أى عن ذلك النوع من الأحاديث التى يبالغ فيها صاحبها مبالغة زائدة مدعيا لنفسه الادعاءات العريضة ..

ويبدو ان المازنى كان يرى ان الصيف ابعث على «الفشر» من الشتاء وسائر الفصول .. « وليس فى الدنيا إنسان لايفشر أحيانا .. ومن زعم غير ذلك فهو فشار ، بل من افشر الفشارين » .. هكذا قال المازنى ، وقد كان ـ رحمه الله ـ يفشر أحيانا ، خصوصا فى الصيف ، ويزعم لنفسه المزاعم التى يصعب تصديقها ، مع انه كان شديد التواضع ، لايفخر بنفسه ، ولايعتز بعمل يعمله !..

لقد كان العقاد والمازنى وأحمد زكى ومعاصروهم ، يتخففون من وقار اقلامهم عندما يكتبون لقراء «الهلال» فى الصيف ، فقد كان الصيف فصلا للمرح والانطلاق ، وكان شاعر الجندول أو الملاح التائه على محمود طه يسميه «الصيف الوسيم» .. لان وسامة البحر والشاطىء والانسان والسماء ، وكل الوجود ، تتجلى صيفا فى أبهى صورها ، وتبدو أحلام الانسان كأنها تستحم فى سحابة تتهادى فوق البحر ! ..

ولو ذهبنا نتحدث عن الصيف قبل أربعين عاما ، لانسانا الحديث عنه الصيوف التى جاءت تترى بعد ذلك مثقلة بالعرق والدم والدموع منذ سنة ١٩٤٨ حتى أول شعاع من اشعة صيف سنة ١٩٩٠ .

ولسنا نبدى حنيننا الى الماضى ، الى صيف الكسل ، او صيف الفشر ، او صيف الدوران المسترخى فى الأحياء الشعبية الذى كان كبار كتابنا يتحدثون عنه قبل اربعين عاما ، فقد ذهبت تلك الأيام ، واقبلت السنون العجاف بتبعاتها الثقال التى يرزح تحتها كل انسان يقرأ او يكتب حرفا عربيا !.

والصيف الذى صار محفورا فى ذاكرة الانسان العربى هو موسم اللبن المسكوب ، والأحلام الضائعة ، والهزائم الجارحة .. وهو ايضا فصل الآمال الكبار ، والآفاق الواسعة ، وحرارة القلوب المتوهجة كحرارة شمس الصيف !..

وياعزيزى القارىء ..

بدلا من الاستطراد فى الذكريات .. نقول لك : استمتع بإجازة صيفك هذا ، وكل صيف وانت بخير !..

«المحرر»

يوليو ١٩٥٢ - يوليو ١٩٩٠

عبد الناصر

والاختيارات التاريخية

بقلم : د. يونان لبيب رزق

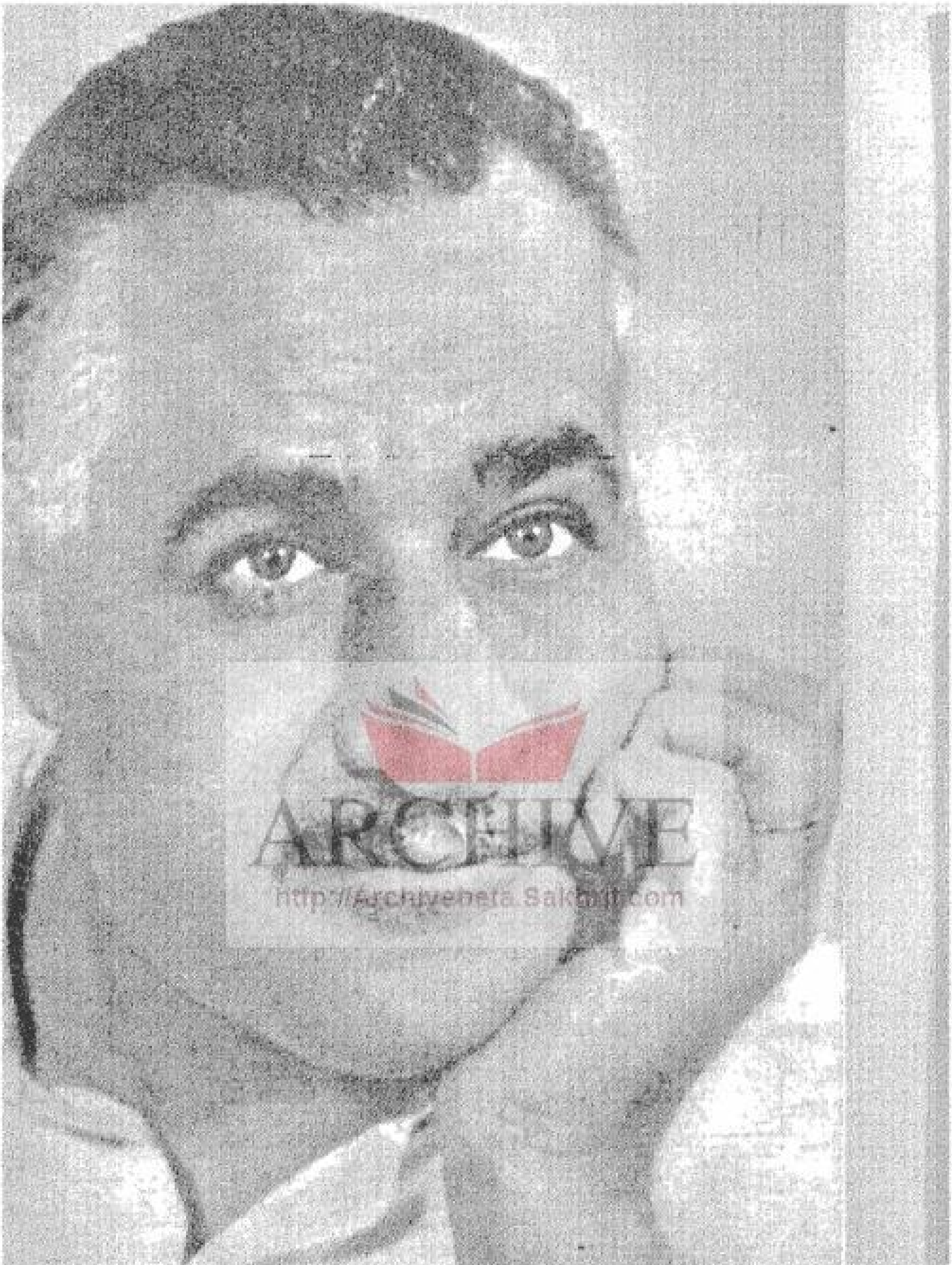
الفيصل فى اى حدث تاريخى يترتب عليه تغيير شخوص القائمين على السلطة ليس فيما يجرى يوم هذا التغيير مهما اتسمت احداثه بالدرامية . وهو الامر الذى قد يشد انتباه الكثيرين ويغريهم على متابعته .. الفيصل ، فى رأينا ، هو قدرة الزعامة الجديدة على ادراك حقائق المرحلة التاريخية ، ومايترتب على هذا الادراك من انحياز لحركة التاريخ التى تقررها هذه الحقائق او عجز فى مواجهتها ، الأمر الذى تحتل معه قضية « الاختيارات التاريخية » مكانتها الأساسية فى أعقاب التغيير وليس معه !



موضوع الغلاف

وعلى اساس هذا الفيصل الذى يصلح معيارا لاصدار « حكم تاريخى » على حقبة بذاتها او زعامة بعينها فانه يمكن وضع التغيير الذى جرى خلال الخمسينات والستينات ، وفى الفترة الناصرية على وجه التحديد ، تحت الاستقصاء .. وهو استقصاء يصعب من مهمته ذلك الصخب الذى يحدث بشكل منتظم تقريبا منذ منتصف السبعينات ، والذى يقوم صانعوه بعزف نشيدى « هزيمة يونيه » و« سجون عبد الناصر » بصوت شديد الارتفاع مما يخلق جوا ضبابيا حول الحقيقة التاريخية !

غير انه قبل استقصاء طبيعة


ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عبد الناصر

التغيير ومدى اتفاقه مع حركة التاريخ او معاداته لها ، فانه يتوجب التذكير ببديهية تاريخية وهى ان الصعوبة امام اية زعامة سياسية لا تكون فى مسايرة الاوضاع القائمة ، بل تكون فى العادة فى العمل على تغيير هذه الاوضاع مسايرة لحركة التاريخ ، وهو مانظن ان الزعامة الناصرية قد صنعته ادراكا منها بطبيعة هذه الحركة ، وهو ماتدفع ثمنه الان تلطيخا وتشويها من اولئك الذين تضرروا من حجم هذا التغيير ، وان كان لاينبغى التعجل فى اصدار الاحكام قبل اجراء عملية الاستقصاء ..

لقد كان امام « زعامة يوليو » خلال العامين الاولين من تغيير شخوص السلطة مسالك عديدة ، وكان عليها أن تختار !

كان امامها اولا الاستمرار فى « التبعية للغرب » وهى تبعية صنعها احتلال بريطانى لمصر استمر ما يناهز ثلاثة ارباع القرن ، بكل ماترتب على هذا الاحتلال من صنع هياكل سياسية واجتماعية واقتصادية وثقافية تابعة .. كان امامها الاستمرار فى هذه التبعية او اختيار طريق اخر !

ولم يكن احد يتصور خلال النصف الأول من الخمسينات ان « الزعامة الجديدة » قادرة مهما بلغت طموحاتها على تحدى هذا الواقع ، كل ما امكن تصوره خلال تلك السنوات ان تلك الزعامة سوف تغير اتجاه التبعية ، من بريطانيا القوة الغربية الهامدة الى الولايات المتحدة الامريكية القوة الغربية الصاعدة .

وكان هناك مايبرر معقولية هذا التصور ، سواء بناء على سوابق تغيير شخوص السلطة فى عدد من الدول حديثة الاستقلال فى عالم مابعد الحرب الثانية ، او على ضوء الاتصالات التى جرت بين الامريكيين والزعامة السياسية الجديدة فى اعقاب اسقاط النظام القديم .

بيد ان هذا التصور لم يتحقق ، ورفضت « الزعامة الناصرية » ان يتفق اختيارها التاريخى مع ما هو قائم ، واتجهت الى اختيار اخر !

● الخصومة والاختيار

ويختلف خصوم عبد الناصر واصدقاؤه حول طبيعة هذا الاختيار ..

الخصوم يرون انه قد تحول من تبعية « للغرب » الى تبعية « للشرق » ويدللون على ذلك بما جرى من عقد صلات وثيقة مع الاتحاد السوفييتى ودول الكتلة الشرقية ، خاصة فى الميدانين العسكرى والاقتصادى ، ومن القيام بتطبيقات اشتراكية فى الداخل ، ويصل بعض هؤلاء الخصوم فى هذا الاتجاه الى حد اتهام الرجل



● عبدالناصر وفيصل فى مؤتمر القمة بالخرطوم .

« بالالحاد » لانه تعاون مع المعسكر الشيوعى الملحد ، وكان الايمان لايتأتى الا باستمرار التبعية للغرب ، الامر الذى يكشف حجم المخاطرة بالتغيير !

الانصار يرفضون هذه المقولة ويرون ان اختيار الزعامة السياسية الجديدة لمصر كان فى اتجاه التحول من « التبعية للغرب » الى « استقلال الارادة الوطنية » .

يدلل هؤلاء على صحة مقولتهم من متابعة تاريخ الزعامة السياسية الجديدة ، والتى لم تتردد فى مناسبات عديدة من اتباع سياسات لايرضى عنها الاتحاد السوفييتى ، بل قد تتناقض مع سياساته ، ويقدم الموقفان المتناقضان من احداث العراق عام ١٩٥٨ ـ ١٩٥٩ النموذج الامثل لذلك .

ونعتقد ان التشخيص الصحيح لعلاقة مصر بالاتحاد السوفييتى فى الحقبة الناصرية بانها كانت علاقة « التقاء المصالح » وهى علاقة مشروعة فى غابة السياسات الدولية المتشابكة ولا تعنى بحال اى شكل من اشكال التبعية .

ويمكن التدليل على هذا الاعتقاد بأمرين ..

اولهما : شخصية عبد الناصر

نفسه ، وكانت شخصية شديدة الحساسية لما يعتقد انه لون من الوان الوصاية على سياساته فى الداخل او فى الخارج ، ومتابعة تاريخ الرجل تؤكد انه لم يكن يتورع عن الخروج عن كل الاعراف الدبلوماسية فى مقابلاته لشخصيات سياسية كبيرة من دول كبرى اذا ما استشعر بان تلك الشخصيات قد جاءت لتملى سياسات معينة عليه !

ثانيهما : لا نظن ان سياسيا مهما بلغت درجة سذاجته ، ولا نعتقد ان عبد الناصر كان ساذجا ، عندما يبدل اختياراته بغير التبعية للغرب الاقوى والاغنى بالشرق الاقل قوة والاضعف قدرة على تقديم المعونات ، ناهيك عما قد يسببه هذا التغيير من تعرض لمخاطر كان هو فى غنى عنها اذا كانت المسألة مجرد تبديل لموقع التبعية !

كان هذا الاختيار رقم (١) للزعامة السياسية الجديدة ، الانتقال من التبعية الى استقلال الارادة الوطنية ، ولا نظن ان كثيرين يمارون انه كان اختيارا فى الطريق التاريخى الصحيح .

● عبدالناصر فى جبهة قناة السويس سنة ١٩٦٨



جاء الاختيار رقم (٢) متسقا مع سابقه ومتصلا به فى الوقت نفسه .
كان هذا الاختيار متصلا بحقائق التاريخ والجغرافيا والامكانات البشرية ، وهى حقائق موجودة طول الوقت وكانت تؤهل مصر للقيام بدور زعامى سواء على المستوى العربى او على مستوى عالم الدول الصغيرة حديثة الاستقلال الذى برز الى الوجود فى سنوات مابعد الحرب الثانية .

● مخاطرة تاريخية

ولما كان القيام بهذا الدور غير مسموح به من القوى الكبرى ذات المصالح فى المنطقة خاصة اذا كان هذا القيام يعرض تلك المصالح للخطر
اللهم الا اذا كان هذا القيام يحقق تلك المصالح من خلال اقامة منظمات اقليمية خاضعة لنفوذ تلك القوى او عقد محالفات تحت رعايتها ، ان لم يكن بمشاركتها .. نقول لما كان هذا القيام غير مسموح به من خلال ارادة وطنية مستقلة ، فقد كان سلوك هذا الأختيار بمثابة مخاطرة تاريخية جديدة رغم صحته ، ومع ذلك فقد سلكته الزعامة الناصرية .

ونعود مرة اخرى للخصوم

● عبدالناصر وموكب شعبى حافل بالحب والفرحة



عبد الناصر

والأنصار ..

يرى الخصوم ان هذا الاختيار لم يكن مقصودا به تحقيق وحدة عربية او استقلال لشعوب العالم الثالث التى كانت لاتزال ترزح تحت الهيمنة الاستعمارية وانما كان مقصودا به تحقيق احلام الزعامة الفردية للدكتاتور المصرى ، على حد ماصوروه . وقد اتفق فى هذه المقولة خصوم الزعامة الناصرية من المصريين او من الانظمة العربية المحافظة او القوى الغربية التى استمر تعطيل هذا الدور يمثل ركنا هاما من سياساتها فى المنطقة ، ولايزال !

يرون ايضا ان هذا الاختيار على المستوى العربى لم يحقق وحدة الامة بقدر ما ادى الى تفتتها فيما جرى من تقسيم الدول العربية الى دول تقدمية ودول محافظة احتدم الصراع فيما بينها !

ويرون اخيرا ان اختيار مصر القيام بدورها الذى تمليه حقائق التاريخ والجغرافيا والاوضاع البشرية انما كان على حساب الشعب المصرى الذى افقره هذا الاختيار ، ويتندر هؤلاء فى كتاباتهم ومجالسهم الخاصة من الدور الذى قامت به القاهرة الخمسينات والستينات فى اقاصى العالم العربى فى اليمن وفى اقاصى افريقيا ، فى الكنغو ، وان اموالا طائلة قد انفقت هنا وهناك فى مناطق ليس لمصر مصلحة مباشرة فيها .

على الجانب الاخر هناك الانصار .

يدافع هؤلاء اولا بمقولة بسيطة ومحددة وهى أن مصر « دور » وان حجمها السياسى فى المنطقة او فى العالم مرهون بقيامها بهذا الدور ، وانه كلما تحررت ارادتها الوطنية زادت قدرتها على هذا القيام ، والعكس صحيح .

ويربط انصار الحقبة الناصرية بالتالى بين نجاح زعامتها فى تحقيق استقلال الارادة الوطنية وقيامها بدورها التاريخى العربى والعالمى . ويعربون عن دهشتهم من خصوم زعامة عبد الناصر من تجاهلهم لهذه البديهية وغمطهم لهذه الحقائق عداء لهذه الزعامة !

يتساءل انصار هذا الاختيار ايضا عما كان يمكن ان يترتب على نكوص مصر عن القيام بهذا الدور خلال الخمسينات والستينات من نتائج ، ويرونها وخيمة !

يستدلون على ذلك مما جرى بعد حرب اكتوبر عام ١٩٧٣ ، فبالرغم من النصر العسكرى فقد نجح خصوم الدور المصرى ، على المستوى العالمى ممثلا فى الولايات المتحدة الامريكية ، او على المستوى الاقليمى ممثلا فى اسرائيل .. نجحوا فى تعطيل هذا الدور ، بل وفى شله .

ويستطرد هؤلاء فى تقديم رؤيتهم

لهذه الحقيقة فيلاحظون ان اسوأ الحقب التى تمكن خلالها خصوم الامة العربية من رقبتها كانت حقبة اواخر السبعينات والثمانينات حين لم تعد مصر تقوم على المستوى العربى باى دور سياسي ، وطبعا التمكن من الرقبة هنا تضمن من بين ماتضمن رقبة مصر !

ويخرج انصار الزعامة الناصرية ، ونحن ايضا من ان الاختيار رقم (٢) كان اختيارا صحيحا فى جملته ، بل نزعم اكثر من ذلك ان هذا الاختيار قد عرض تلك الزعامة لمخاطر عديدة كان اسوأها واكثرها حسما حرب يونيه عام ١٩٦٧ وهى الحرب التى لم يكن مقصود بها عبد الناصر لشخصه ، فيما تصوره البعض الذى ركع يصلى حمدا على ما اصاب الرجل ، وانما كان مقصودا به تعطيل الدور المصرى او تجميده ، وهو ماحدث بالفعل !

● الحزب الواحد

جاء الاختيار رقم (٢) متصلا بسياسات الزعامة الناصرية الداخلية ، وهى سياسات تلقى كثيرا من اسباب الاختلاف ، ويصل الاختلاف فيها الى حد المعارك السياسية التى اشتعلت منذ منتصف السبعينات ، والتى نظن انها سوف تبقى مشتعلة لفترة غير قصيرة .



● أعضاء مجلس قيادة الثورة

على المستوى السياسى يلقى الاختيار الناصرى بالغاء التعددية الحزبية والحكم من خلال التنظيم الواحد اشد الانتقادات من خصوم التجربة .

وتتعدد مصادر ادانة هؤلاء لهذا الاختيار

جانب من هذه الادانة يتصل بما يرونه من ان هذا العمل قد ادى الى اجهاض التطور الطبيعى للتجربة الديمقراطية المصرية ، وهى تجربة كانت قد بدات قبل قرن من الزمان عندما نشأ فى مصر مجلس شورى

عبد الناصر

النواب عام ١٨٦٦ على عهد الخديو اسماعيل

جانب اخر متصل بالسياسات التى اتبعت لترسيخ هذا الاختيار من مصادرة حرية المعارضين وتعقبهم وما صاحب ذلك من نمو الاجهزة الامنية على نحو سرطانى مما اكسب النظام سمعة سيئة .. مخابرات ومباحث وسجون ، وتقارير تدفع الابرياء الى غياهب المعتقلات .

جانب ثالث متعلق « بشكلية التنظيم الواحد » وانه تحت اى مسمى لم يكن ذا مدلول شعبي بقدر ما كان اداة من ادوات التمكين للحكم الفردى ، ويستدلون على ذلك من طبيعة المنضوين تحت لواء هذا التنظيم ، والذين كانوا فى العادة من الممالئين لكل سلطة ، او بشروط وجود نسبة كبيرة من العمال والفلاحين بداخله غير المؤهلين بحكم ثقافتهم السياسية ان يمارسوا اى لون من الديمقراطية .

جانب اخير يتعلق بصنوف الرقابة المشددة التى عرفتها اجهزة التعبير خلال تلك الحقبة ، صحافة .. اذاعة .. مؤلفات ، وان هذه الرقابة قد وضعت المصريين فى حالة من الاظلام المعرفى .. الا فيما يريد النظام ان يفرج عنه من معلومات .

على المستوى الاجتماعى الاقتصادى يرى خصوم الاختيار الناصرى فى السياسات الداخلية ان « الاشتراكية المدعاة » قد سعت قبل تحقيق العدالة الاجتماعية الى نهب الطبقة القديمة من الارستقراطية المصرية لحساب ابناء الطبقة الجديدة ممن لاينحدرون من اصول اجتماعية معروفة ، وهى التى وصفها احدهم « بالسوبر باشوات » وذلك من خلال مجموعة من الاجراءات والقوانين التصفوية

اما بالنسبة للاقتصاد فيرى هؤلاء ، من بين مايرونه ان سياسات تحجيم القطاع الخاص لحساب القطاع العام ، بالاضافة الى ماتمثله من مظالم وقعت على رواد هذا القطاع من المصريين فقد ادت الى استشراء امراض البيروقراطية المعرفية فى اجهزة الانتاج ، محسوبية وعدم كفاءة وتضخم وظيفى .

وينبرى الانصار للدفاع عن الاختيار الناصرى فى السياسات الداخلية .

فهو وان كانوا يعلنون عن عدم موافقتهم على بعض ما اتبع من سياسات ، خاصة فيما يتصل بمصادرة حريات الخصوم السياسيين الا انهم يرون ان المرحلة التاريخية .

التى اتبعت فيها هذه السياسات قد جعلت لها مايبررها .

المرحلة ، فى رأيهم كانت مرحلة « صناعة الثورة » بكل مايترتب على هذه الصناعة من تفاقم خطر الخصوم في الداخل واحداق القوى المعادية من الخارج ، واحتمالات التحالف بين الطرفين ، مما يدعم ما اسماه هؤلاء « بالثورة المضادة » .

ويدلل هؤلاء على صحة هذه المقولة مما جرى ويجرى على ساحة السياسة المصرية منذ منتصف السبعينات وحتى يومنا هذا من سعى حثيث لتصفية كل المكتسبات التى احرزتها الحقبة الناصرية للانسان المصرى ، بدءا بمكانة مصر الدولية وانتهاء بالقطاع العام من خلال تحالف وثيق بين قوى داخلية وخارجية .

ويضيف هؤلاء قولهم بان سياسات عبد الناصر الاجتماعية والاقتصادية كانت تستهدف طول الوقت ان يكون خير مصر لكل المصريين وليس لفئة محدودة منهم ، او مجتمع الـ ١ فى المائة ، على حد تعبيرهم .

ويتساءل انصار الاختيار الناصرى فى الداخل عما كان سيصبح عليه وضع مصر امام سنوات الجفاف التسع لو لم يكن قد تم بناء السد العالى ، وعما كانت ستواجهه من مشاكل اقتصادية لو لم تكن تحصل مع كل صباح على اكثر من مليون دولار من دخل القناة التى جاء تأميمها كثمرة من ثمار هذا الاختيار !

ومع القبول بوجاهة كل هذه الدفاعات فانه يبقى القول ان « كعب أخيل » فى الاختيار الناصرى فى الداخل انه كان ذا طبيعة مبالغة فى الابوية وان هذه النزعة البطريركية لم تدع لاولئك الذين استفادوا من ذلك الاختيار الفرصة للنضج وتنظيم الصفوف الى حد يصبحون معه قادرين على الدفاع عن مكتسباتهم !

وليس من شك ان هذا الخطأ الظاهر الذى وقعت فيه سياسات عبد الناصر الداخلية هو الذى مكن خصومه من ضرب اغلب جوانب هذا الاختيار ، بل ووضع القوى الاجتماعية المستفيدة منه فى موقع التغرير بها ، وجعل عديدين من هؤلاء يرددون بشكل ببغاوى كل مايراد به تحطيم ثمار هذا الاختيار دون وعى بمدى تأثير هذا التحطيم فى صوالحهم او وضعيتهم الاجتماعية !

على اى الاحوال ، وبغض النظر عن حجم الاختلاف والاتفاق بين خصوم عبد الناصر وانصاره فيبقى للرجل فضل الاقدام على تبديل الاختيارات الوطنية ، ويبقى علينا ايضا واجب الاعتراف ان هذه الاختيارات كانت فى مجملها فى الاتجاه التاريخى الصحيح !

هل هى محاولة لرد اعتبار فاروق أحمد فؤاد ؟

بقلم : صبرى أبو المجد

● أحد أقاربه وغانية إيطالية يتسولان الدفاع عنه



موضوع الغلاف

فجاة وبدون توقع من كثيرين ظهر كتاب عن الملك فاروق الذى غدر به الجميع ، وفجاة ايضا اصبحت الغانية اللعوب ايرما تتصدر صفحات كثير من الصحف هى وصورها مع فاروق واسرف الاخ الصديق الاستاذ احمد الجار الله فى نشر ذكرياتها وصورها على نحو لم يحدث بالنسبة للعديد من الشخصيات التاريخية الهامة ، وفى خارج مصر ، والبلدان العربية ايضا ظهرت مقالات وتحقيقات عن فاروق وابنه احمد فؤاد ، والعمود الفقرى فى كل مانشر ان فاروقا كان ضحية من حوله ، وانه كان شحاذا لم يهرب اموال الشعب وان شخصية من الشرق الاوسط كانت تنفق عليه وانه باع - فى اخر ايامه - مجوهراته ليعيش وان فاروقا لم يشرب الخمر ، فى حياته والكاس الوحيد الذى كان يضعه امامه هو كاس الماء ، وان ماحمله معه يوم ان اجبر على مغادرة البلاد فى الحقائب الكثيرة لم يكن الا ملابسه فقط ، ومجوهرات اولاده . وانه لم يقبل ايرما ، بل داعب خصلات شعرها ومن يومها دخلت نادى الصداقة مع جميع ابنائه ، وانه لم يخلع عن العرش بل تنازل عنه بارادته لتجنب نشوب قتال بين الجيش والشعب .



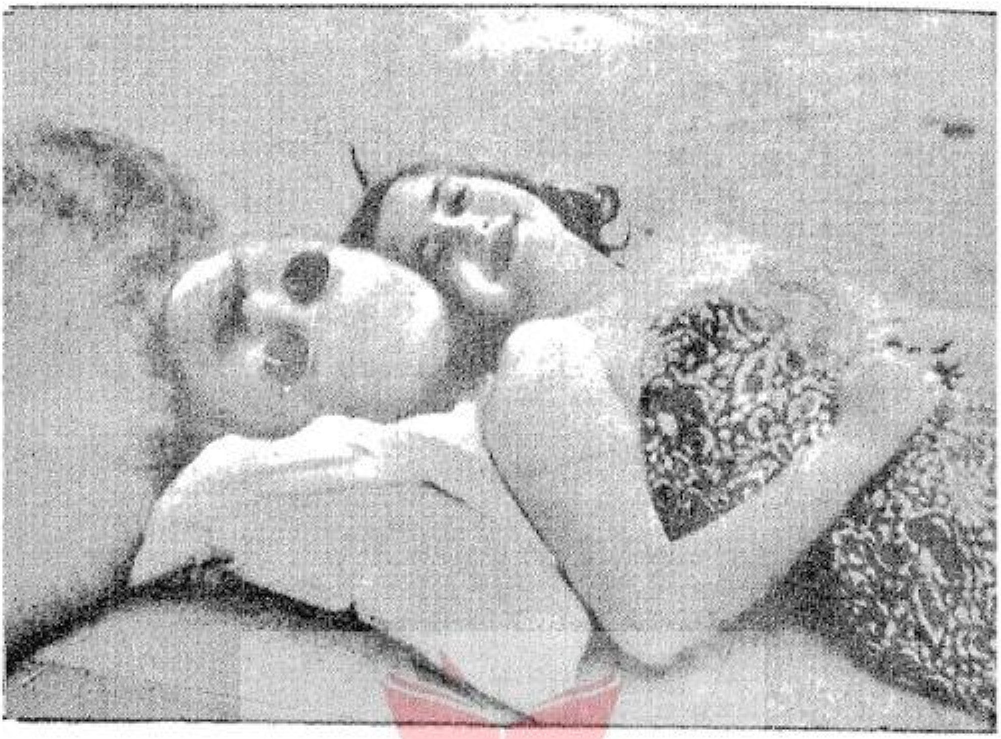
فاروق وقبل ان يعزله الشعب يرتدى - فى احدى الحفلات التنكرية - طرطورا لماذا اختار فاروق ان يرتدى طرطورا ؟ مجرد سؤال لمن يحاولون اليوم الدفاع عنه

هل هي محاولة لرد اعتبار

واشياء كثيرة وردت فى كل ماكتب عن فاروق وعن سيرته الشخصية البريئة الطاهرة وعن سلوكه الانسانى الرفيع ، ولقد تساءلت فى المصور فى كلمات موجزة : ماذا يعنى ذلك كله ، أهى محاولة للدفاع عن فاروق واثبات براءته من كل مانسب إليه واظهاره أمام الأجيال الشابة أنه لم يكن مجرما فى حق شعبه وامته ، وانما كان ضحية ؟ ولقد تلقيت العديد من الخطابات ومعظمها لشباب وشابات ، كما تلقيت مكالمات كثيرة بعضها هادىء وبعضها صاخب ، وهذه المكالمات والخطابات اكدت ظنونى وتوجساتى فى أخطار ذلك الذى نشر على الشباب الذين لم يعيشوا ايام فاروق ولم يعرفوا ماحدث من جرائم منه ومن حاشيته وخاصة فى السنوات الاخيرة من حكمه ، وابادر فأقول اننى واحد من الشبان المصريين الذين احبوا فاروقا الى أبعد درجات الحب وخاصة عندما عادى الاحتلال البريطانى فى اعقاب حصار الانجليز لقصر عابدين بالدبابات وفرضهم بالقوة مصطفى النحاس باشا رئيس حزب الوفد المصرى رئيسا لوزارة وفدية وان هذا الحب قد تضاعف ونما فى ١٥ نوفمبر ١٩٤٣ عندما وقع للملك فاروق الحادث اياه فى القصاصين وعندما تصورنا بغبائنا وجهلنا ان الانجليز ارادوا التخلص منه عن طريق تصادم سيارة من سيارات الجيش البريطانى بسيارته وهو فى الطريق الى الاسماعيليه واننى جمعت عن اثر هذا الحادث بعض مقالات لكتاب مصريين عديدين : احسان عبد القدوس ، محمد حسنين هيكل ، روزاليوسف ، حافظ محمود ، محمد خالد . وغيرهم وغيرهم فى كتيب نشرته على حسابى من مصروفى الخاص .

ولم تمض سوى بضعة اشهر حتى اقال الملك وزارة مصطفى النحاس وولى الحكم من بعده د . احمد ماهر الذى اغتيل فى ٢٤ فبراير ١٩٤٥ وكنت ابرز المتهمين بالقتل بل اننى لم اخرج من السجن حتى بعد ان اعدم القاتل ـ محمود عيسوى عوض الله ـ

• الوثائق التاريخية السابقة تدمغ الملك السابق بما يلى :
• كان يتقبل الوزارات لقاء مبلغ من المال يتناوله شخصيا



معا على البلاج في كابري ـ ناريمان وفاروق . قبل الطلاق

ركنا قد عرفنا بعد زوال الحرب وتخفيف قيود الاحكام العرفية الكثير الكثير من مساوىء فاروق الشخصية والمتصلة بقضايا الشعب على حد سواء .

● ● ●

احزنني فيما تلقيت من رسائل ومكالمات بل وزيارات شخصية فيما بعد ان العديد من الشباب قد تأثروا الى حد كبير بما نشر ، وان البعض من انصار عودة الماضي البعيد اتخذوها فرصة لتدعيم قلق الشباب وحيرته واذكر ـ والحزن يملأ جوانحي ـ ان احدهم ولم يجد لديه ـ بكل اسف الجراة ـ ليكتب اسمه ، قال في رسالة لي بالحرف الواحد : تكلمت في العدد الاخير من المصور عن الملك فاروق ولكن الست معي في ان فاروقا بكل مساوئه وفساده افضل من جمال عبد الناصر ؟ على الاقل لم يعط سيناء والجولان ، والضفة الغربية لاسرائيل ؟ ولم يكن في عصره سجن حربي يمتهن فيه الانسان . صدقني لست باشا ولا بك ولا انا من الأسرة

هل هى محاولة لــرد اعتبــار

المالكة ولكنى مواطن بسيط جدا وكنت احب عبد الناصر ولكنه كان فى الحقيقة نكبة على مصر وستظل مصر تعانى مائة سنة على الاقل من آثاره المدمرة . وقد حرصت ـ وانا حزين الى ابعد حدود الحزن ـ على نشر الرسالة بالكامل حتى لانكون مثل النعامة ـ نعالج اخطاءنا وخطايانا بدون صراحة ووضوح ونحن مختفون وراء رمال الخوف من الاثارة . وأخطر من تلك الرسالة تليفون تلقيته من ابنة تدرس الحقوق وقد اوشكت ان تحصل على الليسانس فيه . وكانت تعقب على الكلمات التى نشرتها فى المصور : « واذا كان فاروق بتلك الصورة التى صورها به عادل ثابت وايرما الغانية الايطالية اللعوب فلماذا كانت الثورة عليه ؟ ولماذا كان اجباره على التنازل عن العرش » وبالرغم من ايمانى الوثيق بان مانشر عن الملك فاروق قد جانبه الصواب تاريخيا فاننى لن اتولى هنا الرد عليه فالرد الموضوعى الشافى الوافى ، على مانشر فى كتاب وسلسلة تحقيقات ومقالات وأحاديث صحفية طويلة ، عريضة ظهرت فجأة كما يظهر النبات الشيطانى يحتاج الى عشرات من الصفحات : فقط اتناول هنا ـ فى الهلال ـ الحديث فى موضوع اراه على جانب هام من جوانب حياة الملك فاروق واعنى به الجانب السياسى لا الجانب الشخصى رغم ايمانى الوثيق بأن هناك صلة وثيقة بين الجانب الشخصى والجانب السياسى بالنسبة للشخص العام ، فاروق الاول ملك مصر والسودان لم يكن ملكا فاسدا على المستوى الشخصى وحسب وانما كان ملكا فاسدا فى كثير من سنى حكمه وخاصة السنوات الاخيرة منها .

ولم يكن فاروق فاسدا فقط ، وانما كان يزرع الفساد ، يرعاه ويحميه كما كان يحيط نفسه بكثير من عتاة وغلاة الفاسدين والمفسدين فى الأرض : مثل صغير « عادى » عرفناه جميعا وقت حدوثه ولم يستطع أحد من حاشية الملك ان ينفيه أو حتى يشكك فيه : ايدته كل الوثائق والاعترافات الشخصية لكثير من السياسيين الذين كانوا شهداء عليه .

• • •

كان أحمد عبود باشا واحدا من الذين تعاونوا تعاونا دائما مع سلطات

• كانت ثروته ـ وهى من مال الشعب ـ تتجاوز مليارا ونصف مليار دولار

الاحتلال البريطانى فى مصر ، وأدى هذا التعاون الى ظهور احمد عبود بمظهر الاقتصادى الناجح الذى يملك شركات كثيرة وقيل ان ثروته قبل ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ قد نمت حتى زادت على مائة مليون جنيه وهو رقم عال جدا ، وقتذاك وكانت شركات أحمد عبود رغم ماتدره كل عام من ارباح خيالية « حماية » فوق القانون فمن الذى - مثلا - يستطيع ان يطالب احمد عبود باشا بالضرائب المستحقة على شركاته الناجحة ؟ رئيس وزراء وجد لديه الجرأة والشجاعة للتفتيش فى شركات احمد عبود وللتنقيب فيها ،

وكانت النتيجة - نتيجة التفتيش والتنقيب ان شركات احمد عبود (الحماية البريطانية) مدينة للدولة بخمسة ملايين من الجنيهات كضرائب ثابتة ، مستحقة الأداء ؟ وقام الهلالى باشا - رئيس الوزراء - الذى تناول العديد من أقراص الشجاعة ، مهاجما - وحده - الأسد فى عرينه !! على عبود باشا ان يدفع الضرائب المتأخرة ،

والا اتخذت اجراءات الحجز عليه وعلى شركاته فورا : هكذا قال نجيب الهلالى باشا وأصر على ماقاله وفكر احمد عبود باشا وهو الرجل الاقتصادى الماكر فى حيلة يتخلص بها من دفع الضرائب : اذا كان المسئول الاول عن مطالبته بالضرائب هو نجيب الهلالى باشا ، فلماذا لايحاول ابعاد الهلالى باشا عن منصبه ؟ هذا هو أسلم الحلول وايسرها ، واسرعها ايضا : انه لو لجأ الى اصدقائه الانجليز يمكن ان يطلبوا منه - مثلا - تقسيط الضرائب ، او يمكن ان يتدخلوا - فعلا - لتخفيضها مليونا او مليونين من الجنيهات وهو مالا يريده احمد عبود الذى لايريد ان يدفع مليما واحدا لخزانة الدولة لانه - او هكذا كان يرى نفسه - فوق الدولة : اتجه عبود الى واحد من حاشية الملك ، وكان هذا الواحد : اجهل من بقرة ابو اليزيد - كما نقول فى قريتنا - فى الاقتصاد وفى السياسة : لم يكن قد حصل على الابتدائية الا بعد جهد جهيد ولكن كان لديه قدرة فائقة فى التسلل الى ذوى السلطة والحظوة . وقد وصلته تلك القدرة الى بلاط الملك فاروق ثم تدرج حتى اصبح من حاشيته المقربين ثم ترقى فأصبح واحدا من الذين يشرفون بان يكونوا مع الملك على مائدة القمار وبدأ يتعمد الخسارة امام الملك ، وبدأ الملك يعجب بهذا الذى يخسر امامه كل ليلة الوف الجنيهات وكان ان عينه الملك فاروق - نعم : عين ذاك الذى لايملك الا الابتدائية - مستشارا اقتصاديا له وانعم عليه الملك فاروق برتبة الباشوية ولن نطيل فى الحديث عن تلك النقطة ولجأ احمد عبود باشا الى الباش اندراوس باشا : روى عبود لاندراوس رغبته فى اقالة وزارة الهلالى باى ثمن وبعد عملية مساومة سريعة انتهى الاتفاق بين عبود واندراوس على ان ثمن وزارة الهلالى باشا مائة الف جنيه ومائة الف جنيه وقتذاك تعادل اليوم

هل هى محاولة لـرد اعتبار

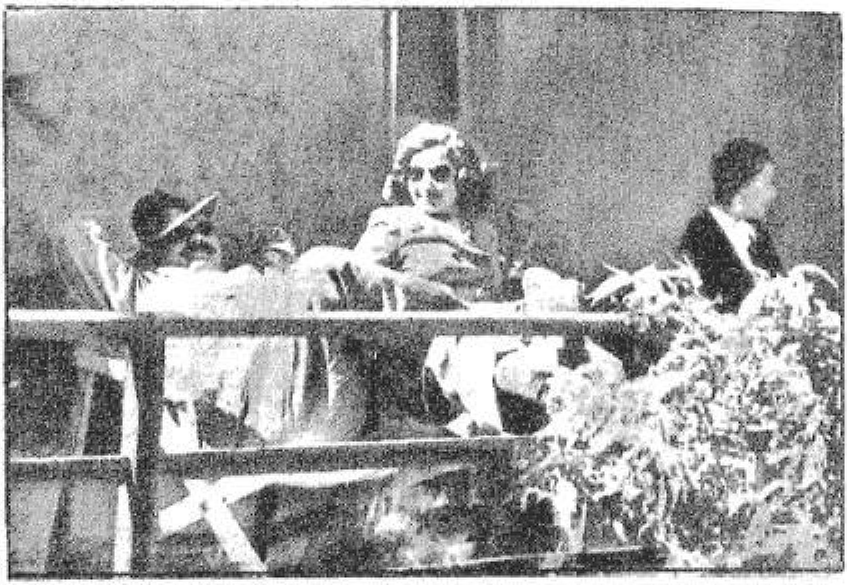
مليونى جنيه واسرع الياس اندراوس الى الملك ، يعرض عليه امر الصفقة الجديدة ، واختار الياس ان يكون عرض الصفقة والملك جالس على مائدة القمار ، وعرض الملك فاروق ملك البلاد بازين !! ان يتضاعف الثمن : يعنى ٢٠٠ الف جنيه ، ووافق عبود ، فى البداية قيل للهلالى اسقط هذه الضرائب عن عبود قال : لا : قيل له :

اذن قسطها ـ فحرام ان تدفع مرة واحدة قال الرجل : لا .. واجبر الهلالى على الاستقالة ولم يدفع احمد عبود باشا الضرائب اى ان ملك البلاد حرم البلاد من خمسة ملايين من الجنيهات ضرائب مستحقة : اى ان الملك ـ ملك البلاد ـ كان يتاجر فى الوزارات وهذا فى رأيى قمة الفساد : الفساد السياسى والفساد الشخصى فى وقت واحد

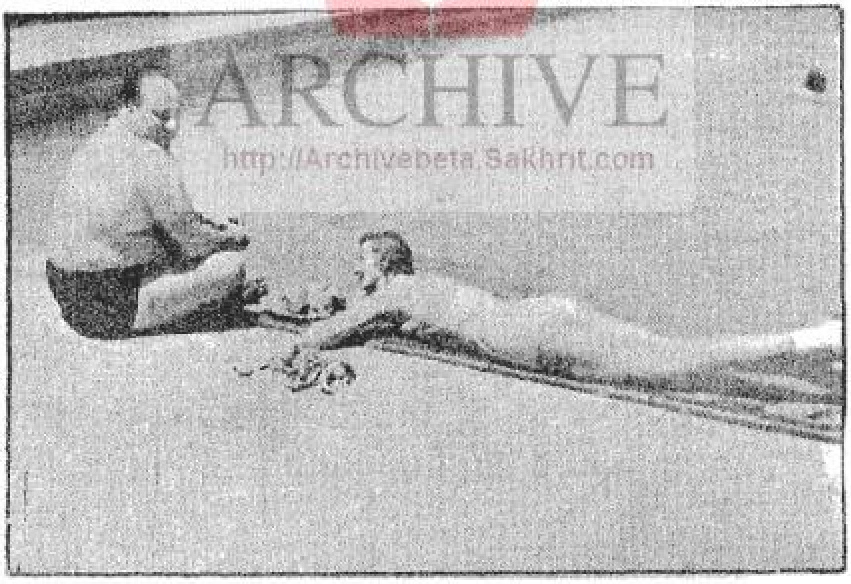
● ● ●

جانب آخر من الصفقة يرويه د . محمد حسين هيكل باشا وهو رجل صادق وأمين فى كل ماقاله وماكتبه يرويه على النحو التالى « فى الايام الاخيرة من شهر يونيو (١٩٥١) بعث نجيب الهلالى باشا رئيس الوزارة من اخبرنى انه يـريـد ان يـرانى بالاسكندرية وذهبت اليه يوم الخميس ٢٦ يونيو فتحدث الى فى شئون شتى كان اهمها ان لديه معلومات وثيقة عن ان كريم ثابت باشا المستشـار الصحفى للملك واحمد عبود باشا وانطـون بوللى سكـرتير الشئـون الخصوصية للملك اجتمعوا بباريس وان مليونا من الجنيهات او من الفرنكات السويسرية دفع من جانب احمد عبود باشا للتخلص من وزارة نجيب الهلالى : رجوت ـ هيكل ـ لرئيس الوزارة ان يتغلب على المؤامرة التى يحدثنى عنها وعدت الى القاهرة فى اليوم نفسه ، وبعد اربع وعشرين ساعة من عودتى الى القاهرة انتشر النبأ بان الهلالى باشا يستقيل وتأكد هذا النبأ ضحى السبت ٢٨ يونيو » ورواية هيكل باشا تؤكد الصفقة وان كانت قد ذكرت ان اطرافها كانوا عبود وكريم ثابت وبوللى وان كانت رواية هيكل باشا لاتمنع القول بان عبود بعد ان اتصل بكريم ثابت وبوللى اتصل بالياس اندراوس بوصفه المستشار الاقتصـادى للملـك ـ المستشـار الاقتصادى فى بيع الوزارات ـ او انه

● اشترك فى شراء اسلحة فاسدة ورثت للجيش المصرى



كانت حياته في الاعوام الاخيرة وقبل عزله حياة لهو ، ولعب ، وقمار وبلاجات . وكان لايحلو له الذهاب إلى [illegible] الا في شهر رمضان



هل هي محاولة لـــرد اعتبـــار

اتصل بالياس وبعده بكريم وبوللي

● ● ●

فى كتابه « الرئيس » تناول روبرت سان جول الحديث عن الاحوال السياسية فى مصر قبل ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ كما تناول بعض الجوانب الشخصية والسياسية فى الملك فاروق ، وروبرت سان جول لم يكن ناصريا ، ولم يكن عميلا لثورة ٢٣ يوليو ، كما انه لم يكن ابدا معاديا للملك فاروق ولم يكن عبد الناصر رحمه الله راضيا عن كتاب روبرت وقد أصدر قرارا بعدم دخول الكتاب مصر ولعل القرار لايزال ساريا حتى اليوم بدليل اننا لم نر ترجمة عربية لكتاب روبرت سان جول فكلام روبرت عن الملك فاروق وعن الاحوال السياسية فى مصر كلام يتسم الى حد ما بالحيدة ! وبعدم الانحياز لاى طرف من الاطراف واختار من كلمات روبرت عينات فقط للتدليل على ان كل ماقيل وكل مانشر فى الفترة الاخيرة جانبه الصواب او بمعنى اكثر دقة كان من طرف واحد ، أو من اطراف متشابهة ومتماثلة فى اهوائها واتجاهاتها .

● غالبا ماكانت تقدر ثروة فاروق بـ ٥٨٠ مليون دولار غير متضمنة الاستثمارات الاجنبية التى تفوق هذا المبلغ بمرات كثيرة .

● فى مناسبة زواجه الثانى اخبرت سكرتارية الملك الرؤساء والامراء ورجال البترول وغيرهم ان جلالته فى هذه المرة يقبل فقط هدايا الزواج المصنوعة كلية من الذهب

● كان الحراس والخدم والضيوف يشاهدون مغامرات الملك الليلية ثم ينقلونها للآخرين

● اقتصر اهتمام الملك على الميسر والعربات الفاخرة والنساء الفاتنات ولكن عملاءه الصحفيين فخموا من اهتمامه بتوزيع مزيد من الارض للمعدمين واتاحة تعليم افضل للشبان

● امتد فساد فاروق من قصوره فى الاسكندرية الى حدود السودان فى الجنوب وكان محصلو الضرائب يحصلون على رشاوى من جميع الاقطاعيين الكبار وكان اكبر محصلى الرشاوى فى القصر الملكى .

● اشترك الملك فاروق اشتراكا فعليا فى عمليات تزويد الجيش

● زج بجيش مصر فى حرب ضروس بدون علم مجلس البرلمان ومجلس الوزراء ، ومجلس الدفاع الأعلى

المصرى بمعدات امريكية ليس لها قطع غيار وبمدافع هاون انجليزية لم يكن بها قنابل مناسبة الحجم وقنابل يدوية انفجرت فى وجوه الجنود ، وأسلحة اسبانية صنعت فى عام ١٩١٢ وقد تأكد - روبرت سان جول - من ان اكثر من ثلاثة من معاونى الملك اشتركوا فى ارباح عملية التجارة فى الاسلحة الفاسدة التى كانت تتم بعلم وحماية فاروق .

وفى رأيى انه يكفى لادانة فاروق سياسيا ووطنيا واخلاقيا موقفه من الزج بجيش مصر فى معركة فلسطين قبل ان يتخذ الجيش اهبته ، لخوض غمارها ! نحن نؤمن وبدرجة كبيرة بان قضية فلسطين هى قضية مصر وان الدفاع عن فلسطين هو - فى الوقت نفسه - دفاع عن مصر والعكس ايضا صحيح - ومما يضاعف من مسئولية الملك فاروق عن هزيمتنا وهزيمة العرب فى معركة فلسطين عام ١٩٤٨ ان الملك فاروق عندما زج بالجيش الى ميادين الحرب كان يعرف اكثر من غيره بان الجيش لايملك اسلحة كافية بل ان مايملكه من سلاح مشكوك فى صلاحيته وان الملك فاروق عندما اصدر قراره الى الجيش بدخول الحرب ، لم يأخذ رأى الحكومة ولا البرلمان بل ان رئيس ديوانه - وهو اهم مستشاريه - لم يعلم بدخول مصر الحرب الا بعد ان دخلت مصر فعلا ، واكثر من ذلك خطورة ان الملك كان يتصل بالقادة فى ميدان القتال فيأمرهم - مثلا - بالهجوم على ارض معينة قبل ان يستكملوا او يؤمنوا ما بايديهم ! واكبر من ذلك كله ان رئيس الوزارة المصرية الذى يتولى الحكم باسم الشعب ومسئوليته امام مجلسى البرلمان كاملة يطلب ان يزور جبهة القتال ليتعرف على احوال الجيش ويستمع الى قادته فقد يستطيع اجابتهم الى مايريدونه من دعم فى التسليح او فى المؤن الخ ، رئيس الوزارة هذا يمنع بامر من الملك من التوجه الى ميدان القتال ويكفى هنا ان اشير الى تقرير اللواء احمد على المواوى قائد الجيش المصرى فى فلسطين : لم تكن - مثلا - فى العريش اسلحة صالحة على الاطلاق ، قلت - المواوى - لرئيس الوزراء : الجيش لا يصلح مطلقا للدخول فى اية معركة مهما كانت حالتها ومهما قيل عن ضعف اليهود فان جيشنا تنقصه كافة المعدات وأهمها الاسلحة التى يستعملها الجنود فى المعركة فالبنادق بحالة سيئة لقدمها ، وانثناء البعض وتلف الششخنة والرشاشات الخفيفة لاتقل عنها تلفا ، اما الاسلحة المضادة للدبابات والهاون والجرارات فهى غير ميسورة واما الذخائر فتكاد تكون معدومة ونقص الذخيرة من الطبنجة حرم الضباط من التدريب عليها اطلاقا : لاتوجد لدينا وحدات نقل لتحريك نصف كتيبة اما عن مستشفى الميدان فلم يكن فى معداته وتحركاته قادرا على شيء بالمرة فسياراته تالفة

موضوع الغلاف

هل هى محاولة لـرد اعتبار

وقد شاهدها رئيس الاركان والوزير فى العريش بنفسه وبنقص المستشفى المعدات الطبية والعساكر المدربين من التمرجية والضباط الاطباء وعموما فسيارات الجيش بالوحدات لم تصل فى صلاحيتها الى اكثر من ١٠٪ او ١٥٪ و .. و ... ومع ذلك اصر فاروق - وبأمر منه ودون استشارة احد - على الزج بالجيش إلى ميدان القتال فهل كان ذلك غباء منه او عمالة للغير ؟ ولست من جانبي ارى فى ذلك الا الخيانة بكل ابعادها ومعانيها

وهناك زاوية اخرى ركز عليها بعض من كتبوا عن فاروق وهى تحتل أهمية بالغة عندى ، لما لها من دلالات خطيرة : تلك الزاوية هى ان فاروقا آثر ان يتنازل عن عرشه حتى يجنب البلاد مذبحة دموية يكون ضحاياها الجيش ، والشعب والحقيقة - وباختصار شديد - ان فاروقا كان بطبيعته جبانا لايحب المواجهة وانه كان وقبل ان تقوم الثورة بيومين او ثلاثة كان قد عرف مصيره وراح يتأهب له ، وقد كان دائما يقول انه لن يبقى فى العالم من ملوك سوى ملك بريطانيا وملوك الكوتشينة ثم ان الملك فاروق قد حاول الاستعانة عن طريق السفارة البريطانية بالجيش البريطاني ولكن السفارة البريطانية ، وكانت قد ضاقت ذرعا بألاعيب فاروق ،

عرف عن فاروق منذ منتصف الاربعينات انه غاوى "خطف النساء المتزوجات . لا لشيء الا ليقول عنه الناس انه "زير النساء"

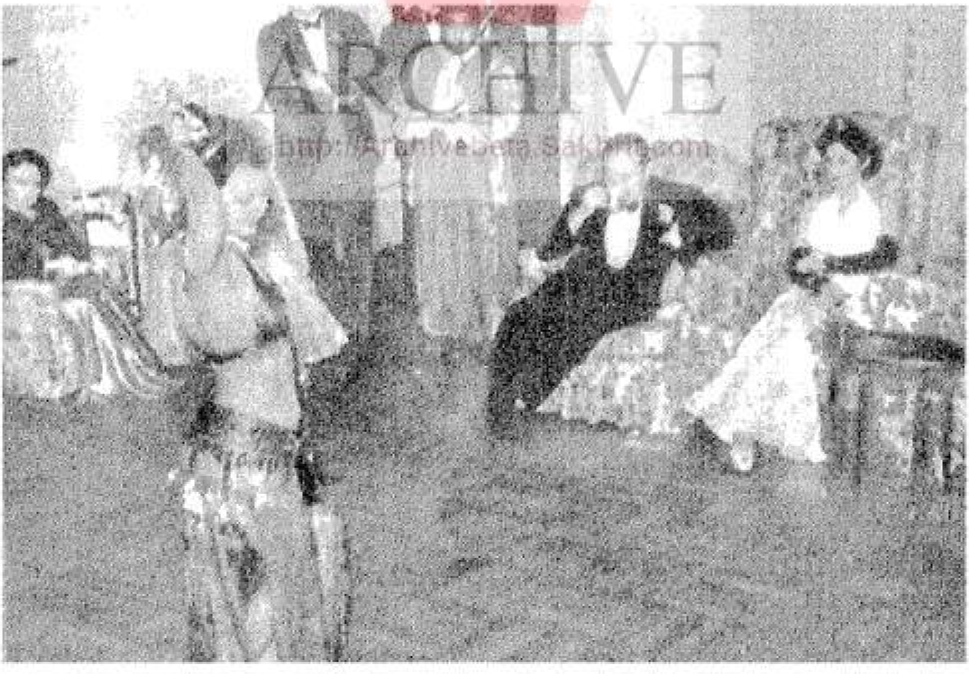


رفضت التدخل المسلح لصالحه فقد كانت ظروف بريطانيا الداخلية وظروف العالم وظروف مصر تختلف تماما فى عام ١٩٥٢ عنها فى عام ١٨٨٢ عندما دخلت القوات البريطانية ارض مصر للدفاع عن توفيق باشا خديو مصر ، وقد حاول الملك فاروق الاستعانة بكافرى سفير الولايات المتحدة فى مصر ، وصديق فاروق فى وقت المحنة ، غير أن كافري وكذلك على ماهر الذى كان فاروق يرى فيه صورة أبيه ـ نصحاه بمغادرة مصر ، بالاضافة الى ان الحرس الملكي لم يكن مضمونا بالنسبة للملك وكذلك البحرية وكل ماقيل عن هذه القوى التى كان يمكن ان تناصر الملك فاروق فى وجه الحركة الجديدة التى قام بها الجيش كلام عار من الصحة ، لا اساس له على الاطلاق

ونعود مرة اخرى الى كتاب روبرت سان جول حول اللحظات الاخيرة لفاروق فى الاسكندرية : فى يوم الخميس سمع ناصر اشاعات تقول ان فاروقا يعد ثورة مضادة فقرر ان يعمل بسرعة ضده فأمر طابورين مسلحين بالتوجه الى الاسكندرية فى المساء واحد عن طريق الصحراء والآخر عن طريق الدلتا والتقى الطابور الذى سار عبر الصحراء مصادفة باللواء سرى عامر وهو يهرب فاعتقل وارسل الى القاهرة فى حراسة شديدة : فى مكالمة تلقاها ناصر من الاسكندرية جاء فيها : احد جواسيس القصر يؤكد

عندما كان يسافر الى الخارج على اليخت المحروسة كان يحرص على أن يصحب معه ، بعض راقصاته المفضلات

لقد انعكست جوانبه الشخصية على سلوكه العام مثل ما كان فى ٢٦ يوليو ١٩٥٢



هل هي محاولة لــرد اعتبــار

ان فاروقا يتحدث مع البريطانيين ويطلب مساعدة عسكرية منهم : فاروق ذهب الى قصر التين في الطرف الاخر من المدينة ليهرب عن طريق البحر : الرد على المكالمة الثانية : لابد من حصار قصر المنتزة ورأس التين : مكالمة ثالثة من الاسكندرية لناصر : اطلق النار على رجالنا من برج رأس التين ورد على النار بالمثل وقد توقف القتــال الان . وبعد فتــرة تقول الاسكندرية لناصر ، بدأ اطلاق النيران من الجانبين وفجأة تقول الاسكندرية لناصر : توقف اطلاق النار استسلم الحرس الملكي وجرح منه اشخاص : تجــرى اتصــالات ســريعــة من الاسكندرية ـ حيث يوجد فاروق ـ مع ناصر على النحو التالي :

اسكندرية : وافق فاروق على النزول عن العرش بسبعة شروط

ناصر : ما هي ؟

اسكندرية : ان يتم النزول عن العرش بطريقة تحفظ كرامته

ناصر : ليس هناك من سبب يحول دون ذلك

اسكندرية : ان يسمح له بالذهاب الى نـابولى على اليخت الملكي (المحروسة)

ناصر : هذا اليخت مملوك للشعب ويستطيع ان يبحر عليه فاروق ولكن لابد من عودته بعد توصيله فاروقا الى شاطىء نابولى

اسكندرية : ان تطلق المدفعية ٢١ طلقة تحية له .

ناصر : هذه التحية لامانع منها

اسكندرية : ان يحضر نجيب رحيله حتى يضمن سلامته حتى اخر دقيقة !

ناصر : لا مانع

اسكندرية : ان يسمح لبوللى ومحمد حسن بمرافقته

ناصر : هذا الطلب مرفوض

اسكندرية : ان يسمح له بأخذ مجموعات الطوابع والعملات النادرة

ناصر : هو اشتراها بامــوال الشعب ، وهى ملك للشعب : الطلب مرفوض

اسكندرية : رغبته الاخيرة ان تدار ثرواته وثروات اخواته في داخل مصر لحسابهم

ناصر : لانستطيع ان نعد بذلك ويرحل فاروق وتكون اخر كلماته لمحمد نجيب : ان مافعلته بى كنت سافعله بك ، مهمتك ليست سهلة ليس من السهل حكم مصر .

وبعد أهذا يكفي للتدليل على ان فاروقا لم يكن يستطيع ان يفعل ، اكثر مما فعل وانه لو كان يستطيع ان يضمن نتائج المقاومة لما تأخر في ان يقاوم ؟

من حسن حظ شعب مصر ان من يتولون الدفاع عن فاروق ، شخص لايعيش في مصر من فترة طويلة ، وهو قريب له وشهادة الاقرباء لايوثق بها ، وغانية لعوب اسمها ايرما وكلام الغواني عادة لايوثق فمن باعت جسدها لاتصعب عليها ان تبيع اى كلام يجرى على لسانها .

أقوال معاصرة



محمد عابد الجابري

● . اختزال الاسلام كله فى الحجاب وقطع يد السارق وما اشبه هروب او عجز عن طرح القضايا السياسية الحقيقية .

المفكر العربى
محمد عابد الجابرى



د . سعد الدين ابراهيم

● . اذا استمرت اوضاع التعليم المتردية ، فان على الامة العربية أن تتوقع ٨٥ مليون مشكلة فى مطلع القرن القادم . .

الدكتور سعد الدين ابراهيم
امين عام منتدى الفكر العربى

● . تحويل المبدأ الى شعار لايعنى اكثر من وسيلة للتظاهر والكسب غير الحلال .

الاديب الجزائرى
محمد بن قطاف

● . الفنان لا وطن له سوى العالم ! !

جاك لانج
وزير الثقافة الفرنسي

● . ليس هناك فروق مقدسة وثابتة بين النظامين الاشتراكى والرأسمالى .

ابيل اغبنيان
المستشار الاقتصادى لجورباتشوف



فيلليني

● . السينما حلم لأن لغتها لا تختلف فى قليل او كثير عن لغة الاحلام . .

المخرج الايطالى فيديريكو فيلليني

الرياضة والثقافة

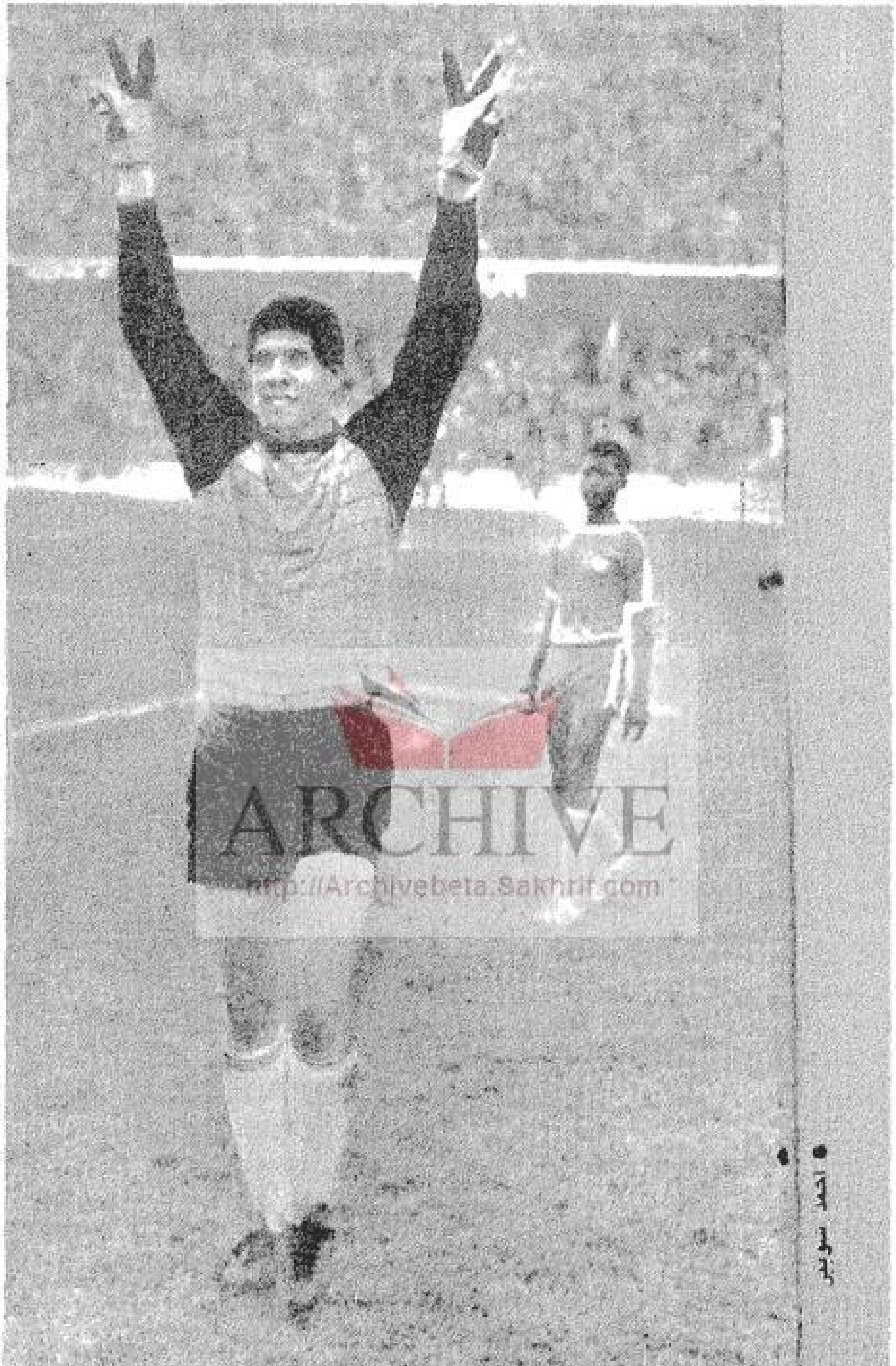
بقلم :
نجيب المستكاوى

لم تكن مصر القديمة مهد الحضارة والثقافة فقط بل كانت مهد الرياضة ايضا . وقد عنى الفراعنة باثبات أن الرياضة كانت جزءا من « الحياة اليومية » للمواطنين . كأساس من اسس التكوين الحضارى والثقافة للشعب . وهذه البراهين والادلة موجودة فى شكل نقوش رائعة على جدران المعابد والمقابر واهمها فى مقابر « بتاح حتب . وميروروكا » . وامراء اقدم الأسر فى منطقة سقارة . حوالى ٢٥٠٠ قبل الميلاد . ومن عهد الملك زوسر بانى الهرم . الذى يحتوى معبده على اول « منحنى » فى تاريخ المعمار - وهو ربط آخر بين الرياضة والثقافة - لكى يتم انشاء مضمار للجرى حول المعبد . ولكى يثبت الفرعون فى عيد ملكه الثلاثينى انه مازال فى عنفوان صحته . قادرا على تحمل أعباء الملك

وهناك آثار رياضية اخرى فى معبد حتشبسوت الوردى بالكرنك . وفى مدينة هابو بالأقصر لممارسة الملاكمة والمبارزة بالسلاح والمصارعة مع التحكيم الدولى . ثم « الكنز » الرياضى المنقوش على جدران مقابر بنى حسن الشروق فى المنيا - ١٥٨٠ قبل الميلاد - لاسيما مقابر الامير خيتى ، وامنمحات وباكيت . الذى يضم زهاء ١٣ لعبة رياضية منها المصارعة والملاكمة والهوكى ورفع الاثقال والسباحة والعاب القوى وغيرها . ولعل خير مثبتة القاب امنمحات على شاهد قبره . انه « وزير المالية فى منطقة الوعل - المنيا وبنى سويف - ومفتش علم » الملاعب الرياضية » . دليل على اهمية الرياضة وشعبيتها وانها منظمة من اجل تربية الشباب

● وكرة القدم ايضا !

ومعلوم ايضا أن هيرودوت المؤرخ البيزنطى المعروف وصاحب العبارة التاريخية « مصر هبة النيل » . قال



الرياضة والثقافة





● باجيو .. صفقة العمر

عندما زار مصر عام ٤٥٠ قبل الميلاد ، إنه شاهد المصريين يلعبون بكرة مصنوعة من القماش أو جلد الماعز المحشو بالقش ، بين فريقين يتبادلانها حتى اذا تجاوزت خط المرمى بعرض الملعب اصبحت هدفا !.. وبذلك تضاف كرة القدم ايضا إلى اللعبات التى نشأت بمصر .

وعندما حدث الاتصال بين مصر وبلاد الاغريق عن طريق كريت تبودلت البعوث الرياضية ، وبدأ المصريون يشاركون فى الألعاب الاوليمبية الاغريقية ، بعد أن تعلموا من حكماء مصر أن قصر الألعاب الاوليمبية على الاغريق هو نوع من العنصرية ، كما ان العدالة تقتضى أن يكون هناك حكام دوليون منعا للتحيز !

● الفلاسفة والرياضة

ولعل الحكيم سولون والفيلسوف افلاطون وهما من طلاب الحكمة فى العاصمة الفرعونية أون - هليوبوليس - كان لهما شأن ايضا فى الربط بين مصر وأثينا ، وبين الرياضة والموسيقى والفن والثقافة بصفة عامة .

وحتى الألعاب الأوليمبية القديمة التى بدأها الاغريق عام ٧٧٦ قبل الميلاد كانت مصحوبة بمساجلات شعرية وعروض فنية وحفلات دينية وكلها من عناصر الثقافة ، لأن أثينا لم تعن بالرياضة على حساب الفكر الذى ازدهر فيها ، على عكس أسبرطة التى عنيت بالرياضة فقط واهتمت بالبدن



لعبه الضامه .

دون الفكر فراحت فى غياهب التخلف والنسيان .

ومعلوم ان الالعاب الاوليمبية القديمة ظلت قائمة ومنتظمة ـ كل ٤ سنوات ـ إلى ان الغاها الامبراطور تيوديسيوس عام ٣٩٤ بعد الميلاد لانها تطرقت اليها عوامل الانحلال والفساد ، بتسرب الانحراف والرشوة مع دخول الاحتراف الذى قلب المعبد الى سيرك .

● الهوايـة تربيـة والاحتراف تسلية !

والمعبد إشارة إلى الهواية لانها تربية ودراسة للقوانين وطاعة للحكام وتدريب على ضبط النفس واللياقة البدنية وأداء الواجب . ومن ثم فإن الهواية هى الأساس وهى القاعدة العـريضة بين الشبـاب والطـلاب والجنود . اما السيرك فإشارة الى الاحتراف . الى التسلية بعرض ذروة الفن بعد سنوات الهواية الطويلة وكسب الخبرات ، والتحول الى جعل الرياضة وسيلة لكسب العيش ، وهذه الاتجاهات تحرمها الهواية تحريما قاطعا .

● تحريم الكرة فى انجلترا

وبخصوص كرة القدم ، والى جانب إشارة «هيرودوت» إلى ممارسة قدماء المصـريين للعبة ، فإن هوميروس اشـار فى «الاوديسـا» ـ الكتـاب السادس ـ الى أن الفراعنة والبابليين مارسوا اللعبة ، وكذلك الاغريق تحت اسم « الهارياستون » ، وهى قريبة الشبه بالرجبى المعاصر ، كما أن المفكر المصـرى جوليوس بوليوس

وصف اللعبة في كتبه في القرن الثاني بعد الميلاد . وقد انتقلت الى الرومان تحت اسم « الكالتشيو » ـ ومازال هو اسمها في ايطاليا ـ ثم انتقلت مع الرومان الى بلاد الانجلوسكسون في الشمال . وانتشرت كرة القدم في انجلترا وجن بها الشباب . لكن الملك ادوارد الثاني قرر تحريم لعبها عام ١٣١٤ بعد شكوى التجار من تحطيم نوافذ الحوانيت ، وشكوى أولياء الأمور من كثرة اصابات أبنائهم في اللعب . وبعد أن اعادها الملوك الذين احبوها ، أصدر جيمس الثاني قرارا بتحريمها مرة اخرى ، لانها تلهى الشباب عن واجباته الأساسية في تعلم اللعبات التي تفيده في الحرب ! .



صبيان يتصارعان .

● الألعاب الأوليمبية الحديثة

وفي عام ١٨٩٦ قام البارون دي كوترمان الفرنسي بتكوين اللجنة الأوليمبية الدولية وتنظيم الدورة الأوليمبية الحديثة الأولى في أثينا ، على أن تقام الدورات بعدها بانتظام كل اربع سنوات حيث كانت توقف الحروب زمانا ويسود السلام والتفاهم بين الشباب ، ليجتمعوا في حلبات اللعب ، وفي حلقات الشعر والدراسة والحوار والدين والفن ، وهو ما أصر عليه كوترمان في عهدها الحديث . وبهذا الشكل تكون الرياضة توأما للثقافة .

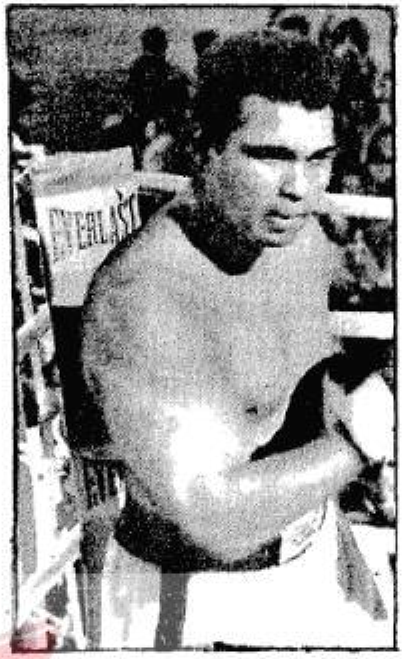
● سر الحملة على كاس العالم

ومنذ أيام حمل الأديب العالمي الايطالي المعروف البرتومورافيا ومعه ١٠٠ من اهل الفكر والفن وجمعيات حماية المستهلكين ، ورعاية الخضرة والهدوء ، ومكافحة الازعاج والتلوث والضجيج حملة شعواء على كاس العالم لكرة القدم التي بدأت في ١٢ مدينة ايطالية يوم ٨ يونيو ١٩٩٠ ، بل رفعوا دعوى لاثبات اضرار هذا الاحتفال الرياضي على المجتمع الايطالي بل العالمي !

واود ان أوضح أن سر الدعوى والشكوى ليس الرياضة وليس كرة القدم بالذات ، وإنما هو الهوس او الجنون الكروي ، وهو ظاهرة مرضية من ظواهر هذا العصر ، فالملايين يحضرون المباريات في ايطاليا ، و ١٥ مليار نسمة يشاهدون اذاعة المباريات بالتليفزيون في مختلف انحاء العالم ،



الملاكمة عند الفراعنة



محمد على كلاى

والاعصاب متوترة ، واحداث الشغب متوقعة عن مهاويس انجلترا وهولاندا وايرلندا ، والزحام على اشده ، والضجيج يورث الصداع والامراض ، والمسارح والمعارض والمكتبات ودور السينما والملاهى والأوبرا لايغشاها الناس . والخشونة والعنف طابع المباريات ، وحيل والاعيب الاحتراف وغشه وانحرافاته وروحه التجارية والاعلانية وعقاقيره المنشطة الضارة بالصحة ، وكل ذلك ليس من الثقافة والتربية فى شىء .

● الألعاب فى خطر !

وهذه - عندى - نظرة صحيحة وسليمة ! بل إن كل هذه العيوب تشوب الالعاب الاوليمبية الحديثة الآن ، فى عهد رئاسة السنيور سمرانش الاسبانى للجنة الأوليمبية الدولية . ولاشك ان استشراء العقاقير المنشطة وهى غش وتزوير من أجل الفوز دون وجه حق ، واستفحال الروح التجارية والاعلانية والجوائز المالية للمتحرفين الذين أبيح لهم الاشتراك فى « المعبد » التى دنسه لاعبو « السيرك » ، من شانه ان يؤدى الى تدهور الحركة الأوليمبية العظيمة ، أعظم الحركات السلمية والثقافية الشبابية ، بحيث يخشى الآن ان يلغيها « تيوديسيوس » جديد ، فى المستقبل القريب !

القفز على الأشواك

بقلم : د. شكري محمد عياد

الصعود من بئر النسيان

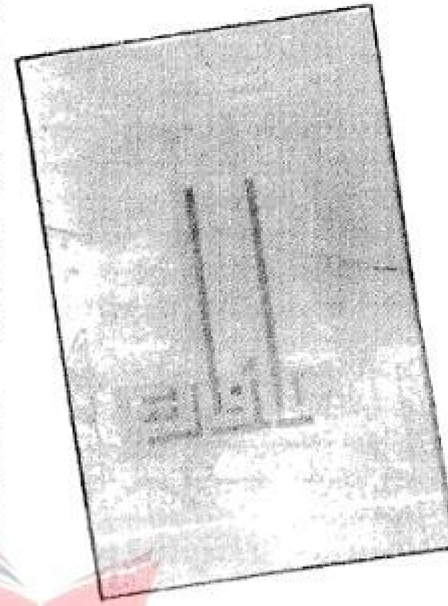
كانت رواية «في الصيف السابع والستين» هي أول ما قرأت للكاتب ابراهيم عبدالمجيد . بدهتني ـ منذ القراءة الأولى ـ بالجهد الصادق والعنيد للسيطرة على الزلزال النفسي الذي أصاب العالم العربي كله بعد تلك الصدمة .. النكسة كما يقال . هذا هو معيار الفن الأصيل عندي : لا ينشأ من فراغ ، ولا ينسى واقعه وإلا كان ضربا من العادة السرية المرذولة . ولكنه ايضا لا يصرخ ، الما أو غضبا أو سخطا ، بل «يسيطر» : يستوعب ويفهم ويتعلم ويبقى جذوة الشعور موقدة ، وبذلك فقط يحدث «التطهير» ويتمالك الانسان العربي وعيه وإرادته .

والكاتب العربي محاصر بنيران ثلاثة :

نار الشك السياسي . وزوال الرقابة المباشرة في بعض اقطار العالم العربي ، أو معظمها ، لا أدرى ، لايعني زوال هذا الشك ، الذي يمكن أن يفسد على الكاتب حياته واستقراره ، بحيث لا يستطيع أن يعكف عكوفا متصلا على عمله الابداعي .

ونار الانتماء السياسي ايضا والكاتب بطبيعته إنسان رافض ، أو على الأقل مخالف ، فإذا كان مخالفا في نظر السلطة فلا أقل من أن تكون له جماعة يأوى إليها ، تحتضنه ويمكن أن تدافع عنه ، وأن تذيع أدبه .

ونار النقاد الأذكياء ، الذين أصبحوا ، وخصوصا في أيامنا هذه ، أسرى لفكرة مجنونة اسمها العالمية ، فهم يقبلون على التيارات العالمية في النقد بلهفة الظمآن ، وقد نجحت القوى العالمية المحافظة ـ التي تحاول السيطرة على الثقافة كما تسيطر على



السياسة والاقتصاد - نجحت في «تحييد» الأدب، باسم القيم الفنية، واستقلالية الأدب، وهي تحاول الآن طمس المعالم القوية والوطنية في آداب العالم الثالث، باسم انسانية الأدب، وعالمية الثقافة، مستغلة كل ما جاء به التفسير النفسي، والتفسير الاسطوري، والتحليل الشكلي للاعمال الادبية من نتائج قيمة، لم يلتفت اليها النقاد الاجتماعيون الالتفات الكافي، مع الأسف الشديد.

وقبل ذلك كله، وفوقه، ووراءه، وحوله، افحش الخطايا التي صدرها العالم المتقدم للعالم المتخلف، خطيئة «تهميش الثقافة» التي جعلت «الكتاب» ينزوي امام وسائط الاعلام المرئية والمسموعة، والأدب الجاد ينزوي اكثر أمام الأدب الرخيص، أدب التسلية المحضة، الذي يستغل الجنس، والمغامرات، وما يسمونه الخيال العلمي، اسوأ استغلال. وويل للادب إذا سيطرت عليه «اقتصاديات السوق»!

هل أطمع اليوم أن اثير اهتمام جمهور اكبر من القراء بهذه الرواية التي صدرت منذ أكثر من عشر سنوات، وباخوات لها آثرت اختيار الطريق الاصعب، طريق ايقاظ الوعي بوسيلة الفن؟

● تراجيديا الاحباط

قرأت لابراهيم عبدالمجيد، بعد «الصيف السابع والستين» ثلاث روايات اخرى، احسبها كل ما ظهر له من اعمال روائية خلال هذه السنوات العشر «المسافات» و«الصياد واليمام»، و«بيت الياسمين». الكاتب ينوع منظوره: بين الواقعي والأسطوري، وينوع نغمته: بين السخرية الخفية والفكاهة الناعمة والعاطفية المحكومة والكوميديا السوداء. قد يختل منه الميزان احيانا ولكن حسه اللغوي المرهف يقيه دائما من الانزلاق الخطر. وربما كان الشعور الواحد المسيطر على هذه الاعمال

جميعا هو ما يمكنني ان أسميه «تراجيديا الاحباط» - وكلمة «تراجيديا» هنا غير دقيقة ، لأن الاحباط لا يضع تراجيديا لا يصنع سقوطا ، ولو انه يصنع موتا ! ولذلك يمكن أن يرى كاتبنا الجانب الكوميدى من الاحباط ، كما في «بيت الياسمين» . فالاحباط له جانبه الكوميدى ايضا ، ومعظم النكت المصرية مصدرها الاحباط لا يكتفى الكاتب بمحاولة السيطرة على هذا الاحباط بالنظر إلى ما يجرى والى موقعه من الكون الفسيح بحكمة المتامل وحساسية الشاعر ، بل يحاول ايضا ان يخترقه بشعاع كاشف ، ببارقة أمل (كالبرق الذى هو تيمة أسطورية مهمة عند ابراهيم عبدالمجيد) . مثل «على» الذى يحاول ، في آخر «المسافات» ان يحيى «سعاد» من العدم ، او «شجرة» الذى يضع بذرته المخصبة في أرض رفيقة حانية ، وإن كانت رياح الخماسين تعصف من حوله ، ويتطلع إلى اجيال ثلاثة ، على الأقل ، من شجرته (بيت الياسمين) .

والفن معادلة صعبة ، واعتقادى أن اعظم توفيق وصل اليه ابراهيم عبدالمجيد في صياغة هذه المعادلة كان روايته «الصياد واليمام» .

يميل ابراهيم عبدالمجيد ، عادة ، إلى ان يأخذ شخصياته الرئيسية من مستوى دون العادى . اشخاص «اقل منا» بالتعبير المأثور عن ارسطو .. ربما كانت هذه سمة من سمات «الحداثة» بوجه عام ، اذا كنت تعنى بالحداثة شخصيات مثل شخصيات دستويفسكى ، أو كافكا ، أو حتى جويس . قد تكون الشخصية «ذكية» ، «مثقفة» ، ولكنها عاجزة عن التعامل مع البيئة المحيطة بها ، بل عاجزة عن فهمها ، ولكننى أجد في شخصيات ابراهيم عبدالمجيد شيئا مميزا : أجد إصرارا على محاولة الفهم ، والارتفاع فوق الظروف . هذه هي عملية التوازن الحقيقية التي يصنعها الفن ، بعد تجربة الفشل والاحباط . يصنعها دون أن تحس انه يفرض شيئا على الأحداث أو الشخصيات . بدلا من البرق الذى يخترق الظلام هناك نور الفجر الذى يتسلل رويدا رويدا . نحن لا نراه في كل بهائه ولكننا نعلم انه آت لا محالة .

● رؤية مقنعة

وقد لا يكون وراء إبداع ابراهيم عبدالمجيد الروائى فلسفة اجتماعية متبلورة وواضحة ، ولكن هذا الابداع يحمل في ثناياه - بطريقة لا شعورية على الأرجح - فلسفة من هذا النوع . وهذا الخفاء نفسه هو الذى يجعل الرؤية مؤثرة ومقنعة . إن اطلاع «على» ما يجرى بين مجموعة المثقفين الثوريين وسعيه المتعمد لمعاودة

الاتصال بصفاء لايقنعنا كما يقنعنا تفتح وعى على نفسه على ما يجرى حوله في عالم «المدينة» الذى كان يكتشفه لأول مرة . ولا اعنى بالاقناع هنا ما يسمى فى النقد الكلاسيكى «مشابهة الواقع» فليس فى التقاء الفتى القادم من قرية ، أو «عزبة» على شمال السما بجماعة من الشباب الثوريين ، فى تلك السنوات المضطربة الى حد الغليان ، شىء يرفضه العقل ، ولكن الفن ، فى النهاية ، لعبة ، بين قارىء وكاتب ، وهذه ، الحركة المكشوفة ، من الكاتب تستحق ما يتلقاها به الطرف الآخر من استهزاء . لقد كان نقاد الواقعية الاشتراكية (هذه نار أخرى كان على جيل ابراهيم عبدالمجيد أن يتجنبوا الوقوع فيها) يمجدون رواية «الام» لمكسيم جوركى ، باعتبارها قمة «الأدب البروليتارى» لأنها تصور بالضبط هذا اللقاء بين العامل غير الواعى وبين الثقافة الثورية . ولكنهم كانوا مخطئين لأن للفن طريقا الى الوعى غير طريق الدعاية المسكوبة فى قالب رواية أو قصة أو شعر ، ولاشك أن لجوركى روايات تنتمى الى الفن الصحيح

وتسلك الى الوعى طريق الفن الصحيح ، روايات مثل : «الثلاثة» ، أو «فوما جورديف» ، أو «اعتراف» وإن لم تنل مثل حظ «الأم» لدى النقاد الواقعيين الاشتراكيين .

«الصياد واليمام» لم تنحرف عن طريق الفن فى اى لحظة . أكثر من ذلك أنها تستدرج القارىء ببراعة وذكاء ليسكن فى وعى صياد اليمام ، متجاوزا هذا الوعى بمسافة قليلة ، وهو يتقدم ببطء لاكتشاف الحقيقة . بل إن الرواية تبدأ بداية توشك أن تكون تقليدية وتستخدم الأسلوب التقليدى فى التشويق أيضا : التلويح بمعلومة مبهمة ، يتوقع القارىء أن تتضح فيما بعد

الاسكندرية مدينة تقع على الساحل الشمالى لمصر . بناها الاسكندر المقدونى واعطاها اسمه ، وهى بموقعها الجميل ، مصيف كبير .

لم يفكر أن بالاسكندرية أرصفة وقطارات ، وفى أيام بؤسه التالية ، كثيرا ما كان يضحك حين يتذكر كيف سأل تلميذ المدرس : أين كان يصطاف الناس لو لم يبن الاسكندر الاسكندرية ؟

وتمضى القصة من خلال وعى الشخصية الرئيسية (لم يعد من المناسب أن تسمى البطل) ولكنها تروى دائما بضمير الغائب ، هذا الأسلوب الذى يسمى فى حرفية القصة «الاسلوب غير المباشر الحر» ، اى أن الشخصية لا تتكلم بنفسها ، ولكن شخصا ما يروى كلامها ، أو على الأصح يروى كلامها لنفسها ، لأن الرواية فيها أيضا حوار كثير ، حوار بين صياد اليمام وزوجته ، بين صياد اليمام وجرسون البار وزبائنه ، بينه وبين حارس رصيف البضائع حيث تعود صياد اليمام أن يمارس هوايته التى أصبحت حرفته ، بينه وبين الشيخ العامل الذى تعود أن يلتقى به

القفز على الاشواك

تحت شجرة التوت ، بينه وبين «قمر» صاحبة كشك الشاى التى تعود أن ينظر اليها كما تنظر اليه بشوق مبهم ، دون أن يتفقا على شىء ، والتى يقال ايضا ان الشيخ والشرطى كليهما يحلمان بالزواج منها ، بينه وبين هند الفتاة الصغيرة التى تتعيش هى وامها من جمع الحبوب المتناثرة تلتقطها من بين الارصفة ، والتى يتعود أن يلتقى بها لقاء جنسيا (مبعثه الضياع والعجز عن فهم أى شىء) بينما تكون أمها مشغولة مع شرطى الرصيف .

نحن مع صياد اليمام دائما فى حالة من الوعى لا نتجاوز «ما تحت الوعى» الى «الوعى» او الى «اللاوعى» بعبارة أخرى هو يستقبل إحساسات ، ويحاول أن يترجمها الى مدركات . ولكنه لا يستطيع أن يستمر فى الشوط الى نهايته . ومشكلته الأساسية هى أن الذاكرة لا تسعفه . كلما حاول أن يتذكر وجد نفسه أمام جدار عال ، أو فى أعماق بئر لا يستطيع الخروج منها ، ومنذ خمس سنوات لم يعد يجد يماما ليصطاده ، ولكنه لم يستطع أن يتحول عن المنطقة التى تعود أن يصطاد فيها . فالارادة أيضا تستلزم درجة من الوعى :

«اى سؤال سمعه أمس وما معناه ؟ وما معنى أن يختفى الشرطى وقمر والكشكان فى لحظات ؟ و ـ بغيظ لا مثيل له ـ هل يصبح غير معنى بشىء ؟ ويقترب من (رصيف القصب) . يصعد فوقه ويقف مترددا . كان هناك شىء يفعله قبل أن يصعد هذا الرصيف . ماذا كان يفعل ؟ لا يذكر . رأى منذ قليل شيئا غير الذى كان يراه كل يوم . ماذا رأى ولماذا اختفى أيضا غير قمر والشرطى ؟ هل يعود الى البيت الآن ؟ الرصيف الطويل يبدو مثل كفن ، وخال تماما من القصب . ليس فوقه الا قصاصات قديمة ادهشه انها كثيرة لدرجة جعلته يتخيل أن جمعا من الملائكة او الجن هم الذين امتصوا القصب كله بالليل . واذا لم يكن هناك جن أو ملائكة فلابد ان أهل المدينة كلهم اجتمعوا الليلة الماضية فوق الرصيف يمصون القصب . يقف فجأة ويستدير جاعلا بقية الرصيف خلفه وينظر إلى المنطقة كأنه يقف فوق جبل هذه المنطقة هى التى يأتى اليها دائما وليست غيرها . لابد ان يدرك ذلك جيدا والا إلتاث . لن يترك شيئا يفعل به ذلك . يشمخ فى وقفته كجندى يعلن عن وجوده .

الفضاء الرحب يمتد أمامه مكللا بالسحب . البرد صار ينعشه ولا يرعشه . وعليه أن ينظر جيدا . سوف يرى ما لم يره . سيذكر ما نسيه لايمكن أن يختفى كل شىء مرة واحدة حتى اليمام سيظهر بعد قليل . وتطول وقفته .

الاصرار العنيد على الاستمرار .

التشبث بالحاضر، عندما يصبح الماضى بئرا سحيقة، والمستقبل خواء مظلما، هذا ما يبقى صياد اليمام حيا.

ويتحول اليمام وصيده، فى وعيه ووعينا، شيئا فشيئا إلى رمز - اسطورة وهى ككل الأساطير مغمورة فى سر الموت.

وعندما تفور الذاكرة كالبركان ويتجسم سر الأسطورة لصياد اليمام وهو يموت، تكون الرواية قد انتهت. انتهت بهزيمة او بنصر؟ هذا يتوقف على رؤيتك انت للأشياء. ولكنها على كل حال نهاية لها معنى. ليست «نصف نصف»، كما كان يقول معلمه القديم، الذى قتل وهو يحارب فى صفوف المقاومة الشعبية فى بورسعيد.

● هزيمة الخوف!

فالرواية ليست خالية تماما من السياسة، وان بدت كذلك للوهلة الأولى. ولكن السياسة تراجعت الى المؤخرة، او بالأحرى هبطت الى أعماق البئر، علينا ان نفتش عنها، وان نعيها، كما يفتش صياد اليمام فى بئر الذاكرة. وعندما نعيها جيدا نكون قد ارتفعنا فوق سنوات الجدب التى هى افظع من الهزيمة، ويكون الموت نفسه شيئا هينا، لأننا نكون قد هزمنا الخوف الذى يدفعنا الى النسيان.

لكى يصنع صاحب «الصياد واليمام» هذا، لم يكن أمامه الا ان يلغى التتابع الزمنى، وأن يلغى المسافة بين الحقيقة والوهم.

فبعد الصفحات الأولى، التى توهمك انك امام رواية تسير وفق البناء التقليدى الذى ألفته، تجد الأزمنة قد اختلطت أمامك، ولكن دون أن يصدمك الكاتب بالخروج على المألوف، فانت تجد نفسك، دون أن تشعر، قد سكنت وعى صياد اليمام، وبدأت تشعر بمعاناته. وقبل ان تبلغ ثلث الرواية، يلوح لك السر الذى يخفيه الصياد عن نفسه، يلوح لك من خلال حديث شرطى الرصيف معه. ولكنك مازلت تسمع الحديث من خلال صياد اليمام، تسمعه بأذنيه أن صح التعبير، ولذلك يبدو لك مغلفا بالغموض، معلقا بين الصدق والكذب، بين الحقيقة والوهم. إلا انك - على كل حال - تملك البعد الكافى الذى يجعلك الآن فى موقف المراقب لجهاد صياد اليمام، المستميت مع ذاكرته - هذا البعد الذى يجعلك فى عالم الفن مطلعا على الواقع غير منغمس فيه.

اظن كاتبنا تأثر فى هذا التشكيل الفنى باعمال مثل «رجال وفيران» لشتاينبك، و «الرجل والجسر»، و «ثلاثة افيال صغيرة» لارنست همنجواى، وربما بكتاب آخرين ايضا، اكثر «حداثة». ولكنها حداثة «معربة»، وليست حداثة شكل فحسب.

ردا على القفز على الأشواك :

شكري « الخلاص بالكتابة »

بقلم: بدر الديب

لا استطيع ان اقول اننى تألمت من مقال الدكتور شكرى عياد الذى نشر بالهلال فى أول مايو الماضى وكان عنوانه : "الخلاص بالكتابة" . ولم استطع الحصول على نسخة من المقال الا فى اوائل يونية بعد ان حرص الكثير من الاصدقاء والمعارف على اخفائه عنى وعدم تصويره لى او ارساله الىّ فى قدر من الخشية على مشاعرى او توقعا لانه سيؤلمنى . ولكننى ـ وليس هناك ما يدعو للكذب او الافتعال ـ لم اتالم من المقال بل لم يثر فى الا رغبة متصلة فى الضحك والاستغراب وبعض الحرص على ان اخط هذه الكلمات حول المقال متسائلا حول معنى المقال او ضرورته .

فلقد ضحكت ومازلت ، اضحك من الصورة الكاريكاتيرية التى رسمها الناقد الكبير لشخصى المتواضع وقدم بها لنقده او تفسيره او تحليله لرواية اوراق زمردة ايوب . ولما كان لم يقل لنا ما صلة هذه الصورة ، صادقة ام كاذبة ، عن المؤلف بكلامه النقدى سواء كان تفسيرا او تقويما او تقييما كما يريد ، او حتى لو كان مجرد كلام صادر عما يسميه ضمير الكاتب فلا اقل من ان اتساءل عن هذا . فما اظن ان الصورة الكاريكاتيرية البشعة التى رسمها بغير وضوح وصراحة بل بكثير من اللمز والتلميح الكاريكاتيرى قد القت شيئا من الضوء على داخل الكاتب وروحه او على همومه وايمانه بالقضايا او المعانى التى عالجها ، كما لا اظن انها تحمل فى ذاتها اى حكم

تقويمى او تفسيرى على العمل واظن انه من البديهى ان اى تفسير فيه قدر كبير من التقويم وان اى تقويم لا يمكن ان يقوم على قدر من التفسير . ولكن الصورة ، وها انا احاول ان اعيدها للقارىء ، تأكيدا على انها لم تؤلمنى بل اضحكتنى ، هى صورة رجل او صديق للناقد "لاهم له ولا ايمان" ولكن يسعى فقط الى التمتع بالشراب والطعام ولم يذكر غير ذلك من الملذات الا القراءة والتمتع بالفن ، وتشير الصورة الى انه يتمتع بذلك وينعم به فى "اعصاب باردة رغم الدناءات الصغيرة" التى يتحملها من اجل ذلك ، كما انه "يستمرىء قربه من السلطة وشعوره الزائف بالاهمية" ليحصل على ذلك .

واذا كنت مطمئنا فى نفسى وفيما يعرفه الناس عنى سواء كانوا اصدقاء ام معارف ، الى ان الصورة غريبة عنى غربة كاملة ولا تمسك بشىء من عيوبى الحقيقية ومن مناقصى التى ولاشك انها كثيرة ، فاننى لم املك امامها الا ان اضحك وان اتعجب متسائلا عما "اضطر" الناقد الكبير الى رسم هذه الصورة وما هو مكسبه الحقيقى الخفى عنى او المجهول له من رسمها وتقديمها للقراء على انها صورة امينة لشخص عرفه وصادقه سنوات طويلة وانا أراها كذلك .. ولابد لى ان اتصور



بدر الديب



د . شكرى عياد

انه قد حدث لنفس الناقد الكبير شىء مع تقدم ايام هذه الصداقة او قدمها ، او لابد انه كان قادرا على اخفاء هذه الصورة خلال الاوقات الطويلة التى تبادلنا فيها الكلام والنقاش فى النفس والسياسة او فى الفكر والمرأة او فى غير ذلك من موضوعات الحياة والصداقة . ان غربة الصورة اذن قد دفعتنى الى التفكير فى تسبيب الكبار او سذاجة الصغار بما بلغته من تحريف وتهويل وحمتنى تماما من ان تؤلمنى وبعثت فىّ استغرابا طويلا من قصور معرفة الاخرين وان اقتربوا ، من نفس المرء ومن داخلها .

ولكننى لا اريد فى الحقيقة ، ان اكتب مقالا شخصيا كالمقال الذى كتبه الناقد الكبير وليس للقراء مصلحة حقيقية فى ذلك باى معنى من معانى ضمير الكاتب . فضمير الكاتب يجب ان يدفعه اولا وقبل كل شىء الى عناء التفكير وجهد الفهم وضبط الافكار وترتيبها قبل كتابتها لتخرج منها صورة

رداً على القفز على الاشواك :

تفيد فى التقويم او التفسير او تكشف على الاقل عن سلامة الضمير

ومقال الكاتب الكبير مليىء باخطاء اخرى فى المعرفة والفهم لما يقرأ اكثر خطراً ووضوحاً من خطأ الصورة الكاريكاتيرية التى رسمها .. فهو يقول مثلا ان لى كتاباً اسمه حرف الكاف ، وليس لى كتاب بهذا الاسم وارجوه الا يعتبر هذا خطأ مطبعيا . فليس هذا عذرا مقبولا فى مقال يفرد سطورا عديدة كلها احكام تقويمية مستعجلة عن كتاب حرف الحاء "ح" . ثم انني لم اعامل الكتاب مثل ابن احنو عليه كما يقول الصديق الذى يعرف ـ فيما اعتقد ـ انني حبسته اربعين سنة حتى اصر الاصدقاء على اصداره .. فالمهم ان الناقد الكبير يقول ان الكتاب قد خلا من الايمان الحقيقى او الهم الحقيقى . ولست ادرى ولا اظنه يدرى ماذا يعنى بكلمة حقيقى هذه ومن الذى اعطاه حق هذا التقويم . ولكنى اريد ان احيله فقط الى قراءة المقدمة التى كتبتها للكتاب بعد اربعين سنة وحاولت فيها ان استخلص الهموم والمعتقد الفنى الذى صدر عنه .. واذا كان الكتاب ولاشك كتابا تجريبيا ، الا ان كلمات الناقد الكبير عن الشكلانيين وعن كير كجورد وعن تعزيمات السحرة او زمزمات الكهان تنبىء كلها عن عجز غريب غير متوقع من الناقد الكبير عن فهم مصادر واصول الادب الحديث او الشكلانية التى يحشرها حشرا فى جملته . اما الاشارة الى كير كجورد فقد حيرتنى تماما . فقد يكون فى الكتاب تأثير من الشعراء الفرنسيين من رامبو حتى لوتريامون الذى تأثر به اليوت ايضا ، او قد يكون فيه تأثير من السريالية الحديثة عند ميشو أو رنيه شار ، وقد يكون فيه تأثير لأفلاطون من بين الفلاسفة ، اما كير كجورد وتجربته الايمانية فهذا خطأ او حكم لا اعرف كيف وصل اليه الناقد الكبير وتأثير كير كجورد علىّ قد يكون وشاحا فى زمردة ايوب ، اما فى حرف الـ "ح" فلا . وقد يكون على الناقد الكبير ان يقرأ الكتاب او ان يقرأ كير كجورد ليتأكد من ذلك ، واخيرا فلست ادرى بالضبط ما الذى ازعج الناقد من تعزيمات السحرة او زمزمات الكهان اذا اخرجت له معرفة بالنفس وبالكينونة او اذا استخلصت تمزقات المجتمع وآثارها على الروح او حتى اذا ادت الى مجرد "التوازن النفسى"

ان الناقد غير واضح او متسق فى نظراته واحكامه كأنه يخفى مشكلة نفسية او تضطرب فى ذهنه معان لا يريد الكشف عنها . فهو يريد

الاستشهاد بكلام بعض شخصيات المؤلف على "طبيعة التجربة التى كان يمر بها الكاتب نفسه" ولكنه لا يصل الى اى تحديد لهذه التجربة وان كان انشغاله بالبحث عن نفس الكاتب قد حجب عنه العمل تماما فلم يفهمه ولم يستطع ان يدرك باقل الادراك ماتثيره قصة رشدى حمامو عن البداية والنهاية وعن تركيب العمل الفنى وعن مواجهة النفس للموت عندما تتفرد بالامساك بهويتها او كينونتها وغير ذلك من قضايا العمل القصصى وشكل الحكاية التى حجبها عنه حرصه على صناعة الصورة الوهمية التى صنعها للكاتب .

ولست اريد بالطبع ان اكتب مقالا نقديا لشرح قصص كتاب "حديث شخصى او رواية زمردة ايوب" فما زلت افضل ان يقدم القارىء على ذلك بنفسه وان يتوصل من ذلك الى ما يريد او ما يستطيع . واذا كان الناقد قد وصل بقراءته الى "غموض فى الرؤية واهتزاز فى الموقف فاظن ان الضمير - ضمير الناقد - يملى عليه ان يتساءل اولا عن سلامة رؤيته وفهمه وعن ادوات هذه الرؤية وهذا الفهم التى هى أدوات التحليل النقدى .

لقد اخفى الناقد الكبير ادواته تماما واكتفى بالاستشهاد والاقتطاع للجمل مثبتا فى بعض ما استشهد به انه لم يحسن قراءته وان المعنى قد فاته تماما فى بعضها الاخر . ودون الدخول فى تفاصيل النصوص التى استشهد بها فاننى اوصيه فقط بقراءة تلك الصفحة التى يرى انها ماكان ينبغى لزمردة ان تحشرها فى اوراقها ، فالصفحة غير محشورة بل مقصودة وتحمل نوعا من التهكم المرير على ما مر بنا من واقع سياسى جعل المسئول الاول ينفى عن واقعنا انه واقع وعن نظامنا انه نظام . وقد تحكم بما تريد على من يقول هذا الكلام ولكن يجب اولا ان تفهم ما هو المقصود من الاقتباس واين موضع التهكم المرير . وهذا الحكم المتسرع خطأ وقع فيه بعض الصغار ووجهوا مثل هذا النقد للرواية ولكنى اربأ بالكبار عن الوقوع فيه .

ويبقى لى ان اشكر الناقد الكبير على جهده ما دام قد اصدر الحكم العام على الرواية بانها "تصوير" لعذاب الانسان فى سعيه الدائب والملىء بالاخطاء للعثور على حقيقته فى ظل الكينونة وفى ظل المطلق الاسمى ، سعيا لا ينتهى الا عندما يتعطل الفكر ويسقط الحساب ولاتبقى الا الرؤيا الملهمة ، وليس بعدها الا حقيقة "الموت" فاذا كان هذا الكلام يعنى ان كاتب الرواية هو كاتب وجودى فاظن ان كل كاتب يطمح لان يكون

كذلك ان لم يكن كذلك بالفعل ، الا اذا كان معنى كلمة "وجودى" عند الناقد الكبير معنى خاص نعجز عن ادراكه حتى يتقدم بتحليله لرفع الغموض فى الرؤية والاهتزاز فى الموقف اللذين كانا الطابع العام لمقال الناقد الكبير .

صح اسوا ما توقعته ان حقل النقد ملىء بالاشواك ، وهذا صديق عزيز ، وقريب الى نفسي جدا ، اوشك ان افقده !

إن كان قد نفس عن نفسه بعض الغضب بهذا المقال ، فليسمع منى كلمات قليلة

مفهومي للنقد يتضمن بالضرورة قدرا من الخطا ! واذا كان اصدقاؤه المقربون قد اخفوا عنه مقال ، زمردة ، فعلهم يمدونه بالمقال الذى افتتحت به هذه السلسلة وعنوانه ، عودة الى النقد ، وقد تنبات فيه بكل هذا الذى يحدث !

ولكن الخطا لايعنى الجهل ، وبدر يعرف انى قرات نصوصا غير قليلة من الفكر الوجودى والادب الوجودى واننى - انا ايضا - اوصف احيانا بانى وجودى فلا اغضب ولكنه - فى سورة غضبه - ربما مال الى اتهام من هم اكثر منى علما وفضلا بانهم جهلاء .

وهذه سمة اخرى من سمات شخصيته . سينكرها بالطبع لانه لايحب ان اذكر عنه سوى سماته الجميلة ، ولست منافقا .

اما ، حرف الكاف ، فسهو من الكاتب وليس خطا مطبعيا ، ولكنه من نوع ، الخطا السيكولوجي ، المعروف و، القصيدة كاف ، ديوان جميل للشاعر اللبنانى توفيق صايغ وما كنت لانسب لصديقى بدر الا كل جميل ان استطعت !

شكرى محمد عياد

الضيف الدائم



ياضيفى القابع فى بيتى يترصد جهما حركاتى
يا أول من يطرق بابى .. يا آخر من يهجر ذاتى
يا أعدى أعداء وجودى وصديقى ورفيق حياتى
اثقلت بانفاسك صدرى ، طوقت باغلالك عنقى ..

● ● ●

آه لو ترحل آونة .. ابغضت الاحساس الثائر
انا فوق المقعد لكنى .. فى التيه المجهول اسافر
وبكل مكان اتمنى ان اغدو فى ركن آخر
انا بين يديك كعصفور منفض الريش ومختنق .

● ● ●

اتركنى احتل كيانى ، اغزو روحى ، اقطن نفسى
دعنى انبثق من الظلمة واشق الأعماق بفاسى
دع عودى الاخضر يتلوى ، يحترق بالسنة الشمس
دع تلك الآلة تتحرك وتدور وتلهث بالعرق

● ● ●

آه لو ترحل آونة .. لأروض نفسى الوحشية
كى انعم ببساطة عيشى واحل رموزى الابدية
كى اضحك .. اضحك من قلبى ضحكة عذراء ريفية
آه لو ترحل آونة .. ياضيفى الدائم .. ياقلقى !

شعر : جليلة رضا

لماذا يضع الغرب العراقيل أمام وصول « تكنولوجيا الدفاع » الى البلدان العربية ؟ !

بقلم : د. صلاح خليل - الدنمارك



الصاروخ العراقي الحسين

ولست من انصار صراع القوميات او إثارة العصبيات ، ولكن جذورنا لابد وأن تشدنا فى اتجاهها ، خصوصا إذا ماحاول الآخرون اقتلاعها او نبذها ومحاولة واد نموها وازدهارها ، والحديث عن الوطن عادة مايدور كمنولوج داخلى مستمر ولكنه يعلو ويخفت حسب ما تثيره الاحداث العالمية من اسقاطات مباشرة او غير مباشرة على ما يجرى فى بلادى

ولقد ساهمت العديد من الاحداث فى الفترة الماضية فى إثارة بعض الشجون المخزونة ، ودفعت الى سطح الذاكرة بأحداث أخرى ، حدثت فى فترات زمنية سابقة ـ مختلفة التباعد ، وبدت هذه الاحداث وتلك ـ وإن اختلفت فى ظاهرها وتناثرت فى المكان والزمان ـ كأجزاء متجانسة تنتمى الى كيان واحد وكأنها مؤشرات لتوجه معين أخطر ما فيه الاصرار والذهاب الى آخر المدى :

والحديث هنا يدور حول نظرة الدول الكبرى ، ومعها اسرائيل وردود افعالها

●● يصعب على كل من يعمل فكرا او يحمل قلما مهما كان موقفه ان يتجاهل رؤى تطارده متسائلة عن مستقبل هذا الوطن في خضم تلك الأحداث العاتية التي نشهدها، والتي بلغت في عنفها شدة الطوفان العظيم الذي اجتاح العالم في الماضي البعيد ●●

بالنسبة لاي تقدم تحرزه اية دولة عربية في مجال التصنيع العربي والتكنولوجيا النووية.

وإذا كان هذا هو صلب الحديث، فهو جزء منه، وقد يكون من حسن الطالع ان تتوالى الأحداث مؤكدة توجهها، حتى نستوعب الدرس بوضوح كاف لا لبس فيه ويكون علينا بعد ذلك استخلاص النتائج والبدء في تجميع الاشتات وشحذ الهمم قبل فوات الاوان.

وقبل ان نستطرد في سرد الاحداث فربما يكون مفيدا ان نستدرك، ان نظرتنا الى التصنيع الحربي والتقدم في تكنولوجيا الدفاع، إنما ينبع من إدراك لواقع الامور، وانه مهما علت طبول السلام، والدعوة الى نزع السلاح، فالضمان الوحيد للسلام بين البشر هو القدرة على رد الاعتداء بالمثل ـ إذا دعت الضرورة الى ذلك. والقارىء للتاريخ ـ في جميع مراحله لابد وأن يدرك هذه الحقيقة البسيطة، عن النفس البشرية دون إستخدام تعبيرات معقدة مثل مبدأ القدرة على التدمير المتبادل المؤكد او (MAD) mutual Assured Destruchm وهو المبدأ الذي يستخدمه علماء الاستراتيجية، ويرجع اليه ـ عدم قيام حرب عالمية ثالثة حتى الآن.

فالدعوى الى القوة، إنما هي دعوة الى امتلاك القدرة على الدفاع عن النفس، ثم ان التقدم في تكنولوجيا الدفاع، يجب أن يكون جزءا من التقدم الحضاري ككل، وأن ينعكس على النواحي الحضارية الأخرى من تعليم وصناعة ورفاهية الشعوب، كما يجب أن يكون مصحوبا بضمانات لعدم تحوله الى آلة للحرب والدمار، تدمر صانعيها اول ما تدمر وتشيع الخراب في كل مكان تدور فيه.

وبعد هذا الاستدراك .. استاذنكم في البدء في سرد الاحداث.

● سرد الاحداث

ركزت وسائل الاعلام الغربية في الآونة الأخيرة، على العراق وما احرزه من تقدم في تكنولوجيا الدفاع، وخصوصا في صناعة الصواريخ والأسلحة الكيماوية،

وتزايدت هذه الحملة الاعلامية شراسة ، عند اعدام العراق للجاسوس الأيرانى الاصل البريطانى الجنسية "فارزاد بازوفت" فتبع ذلك مباشرة الاعلان عن ضبط صفقة معدات الكترونية "مكثفات كهربية ذات خصائص معينة ومفاتيح الكترونية Kryterms" قيل إنها تستخدم فى صناعة اجهزة تفجير الرءوس الذرية .

[من الطريف أن مجلة النيوزويك الامريكية (العدد ١٥ - ابريل ١٩٩٠) ذكرت نقلا عن تصريحات لمسئولين عراقيين أن اسرائيل قد ضبطت فى محاولة مماثلة منذ ٥ سنوات فأرغمت على رد الشحنة] .

وقد تبع ذلك قيام السلطات البريطانية - ايضا - لضبط انابيب عملاقة مصنعة فى بريطانيا لحساب العراق ، وذُكر أن هذه الانابيب قد تكون جزءا من مدفع ضخم أو أن يمكن استخدامها فى اطلاق اقمار صناعية استطلاعية وقد تواترت انباء عن ضبط اجزاء من هذه الشحنة فى تركيا واليونان - فى طريقها الى العراق ، كان قد سبق شحنها من بريطانيا ، والجدير بالذكر ايضا ، أن رئيس الشركة التى قامت بدور الوسيط فى بيع هذه الانابيب قد قُتل فى بلجيكا فى ظروف غامضة فى اوائل هذا العام (١٩٩٠) .

وفى إطار هذه الحملة الاعلامية ، نشرت مجلة النيوزويك الامريكية تحقيقا كبيرا عن العراق وإمكانياته العسكرية وجاء هذا التحقيق فى ٨ صفحات مشفوعة بالصور والجداول والمعلومات "النيوزويك - العدد ١٥ - ١٩٩٠"

وقد سبق الضجة القائمة ضد العراق ضجة أخرى حول منشآت صناعية كيميائية فى ليبيا ، قالت وسائل الاعلام الغربية انها مخصصة لانتاج بعض الاسلحة الكيميائية كغاز الموستارد السام « Mustard Gas » وغاز الاعصاب القاتل والمعروف بإسم سارين « Sarin » . وقد انتهت هذه الضجة بحريق هائل فى هذه المنشآت يشك انه من تدبير مخابرات المانيا الغربية ، علما بأن المانيا الغربية تعتبر مسئولة عن توريد معدات هذا المصنع .

وفى نفس هذا الوقت تقريبا - واستكمالا للصورة بكل تناقضاتها وابعادها ، فقد اطلقت اسرائيل قمرها الصناعى الثانى "اوفيك" ٢» ، وهو قمر تجسس ولم يصاحب ذلك ضجة اعلامية مماثلة من وسائل الاعلام الغربية ، وكأن من الطبيعى ان تمتلك اسرائيل الصواريخ والاقمار الصناعية والاسلحة الكيماوية والنووية ، والويل والثبور وعظائم الامور ، لأية دولة عربية أخرى أن تفعل ذلك علما بأن اسرائيل كانت قد اطلقت قمرها الصناعى الاول "اوفيك ١" فى ١٩ سبتمبر ١٩٨٩ مستخدمة فى ذلك صاروخا من صنعها ايضا وهو الصاروخ "شافيت" ، ولم تقم قائمة اوروبا وامريكا ايضا فى هذا الوقت .

هذه باختصار - الأحداث الآخيرة - والتى دفعت الى الذاكرة بأحداث أخرى حدثت فى فترات زمنية سابقة .. ولنستمر فى السرد .

فى عام ١٩٨١ . هاجمت الطائرات الاسرائيلية المفاعل النووى العراقى قرب بغداد - فدمرته عن آخره - علما بأن العراق من ضمن الدول الموقعة على اتفاقية الحد من إنتشار الاسلحة النووية ، وبالتالى فإن هذا المفاعل كان معرضا

للتفتيش من قبل الوكالة الدولية للطاقة الذرية ، "إستكمالا مرة أخرى لتناقضات الصورة فأن اسرائيل لم توقع على هذه الاتفاقية ولا توجد أية سلطة دولية تملك الحق للتفتيش على مفاعلها فى ديمونة" .

ولا يمر هذا الحدث إلا بإضافة الرواية التى ذكرتها مجلة النيوزويك الامريكية فى هذا الوقت - إن الطائرات الاسرائيلية التى قامت بقذف المفاعل العراقى ، قد اخترقت وهى فى طريقها الى بغداد - جزءا من الفضاء الجوى السعودى ، والذى كانت تقوم بحراسته فى ذلك الوقت طائرات الرادار الامريكية المعروفة بإسم « Awacs » وبالتالى من الصعب قبول اى زعم بأن الولايات المتحدة الامريكية لم تكن تعلم مسبقا بالغارة الاسرائيلية على العراق .

ولا تمر حادثة قذف المفاعل النووى العراقى عام ١٩٨١ ، إلا بإضافة حادث مقتل الدكتور "المشد" رحمه الله فى فندقه فى باريس فى هذه الفترة ، والدكتور "المشد" عالم مصرى فى الهندسة النووية ، وكان يشغل منصب عضو هيئة تدريس لقسم الهندسة النووية بكلية الهندسة جامعة الاسكندرية ، وكان فى ذلك الوقت ضمن العاملين بالمفاعل النووى العراقى الذى دمرته الطائرات الاسرائيلية

ويستمر شريط الاحداث .. ونعود بالذاكرة الى فترة ابعد قليلا . تحقيقا لمبدأ القدرة على الردع او لمبدأ القدرة المؤكدة على التدمير المتبادل السابق ذكرها ، فقد بدأت مصر فى اوائل الستينات ببرنامج طموح لصناعة الصواريخ - وذلك مواجهة لما كانت تقوم به اسرائيل من محاولات لبناء



احد العناصر الالكترونية التى إدعت وسائل الاعلام الغربية انها يمكن استخدامها لمفجرات المسخنات النووية (مجلة نيوزويك ١٩ ابريل ١٩٩٠)

اسلحتها النووية والصاروخية - وقد استعانت مصر فى برنامجها لتطوير الصواريخ - بمجموعة من العلماء الالمان - إلا أن العمل قد توقف فى هذا المشروع لاسباب عديدة - منها عمليات الارهاب التى تعرض لها العلماء الالمان العاملين فى هذا المشروع من قبل المخابرات الاسرائيلية ، ثم جاءت النكسة وما تبعها من محاولات لاجهاض الصناعات الحربية الوطنية المصرية .

إلا أن بطل هذا المشهد لم يكن من الغرب هذه المرة ، فهناك تكهنات عن دور الاتحاد السوفييتى فى وأد هذه الصناعات متمثلة فى الدور الذى لعبه السوفييت فى تحطيم الرجل المسئول عن هذه المشروعات فى ذلك الوقت - المرحوم عصام الدين خليل .

ولا يفوتنا .. قبل الانتهاء من سرد

الأحداث ، إضافة مقتل الدكتورة سميرة موسى – عاملة الذرة المصرية – في الولايات المتحدة الامريكية في الخمسينات ، وتقتضى امانة السرد هنا – ذكر أنه لا يوجد دليل قاطع على وجود علاقة بين مقتل العالمة المصرية الشابة في حادث سيارة ، واحتمال ارتباط ذلك ، بتوصلها إلى معلومات قد تكون ذات فائدة في الاضافة الى امكانيات وطنها – مصر – في صناعة القنبلة الذرية ، وعدم رضاء احد الاطراف المعنية عن هذا الوضع .

وإلى هنا ينتهى سرد الاحداث .. فهل ستنتهى الاحداث نفسها ؟ .. هذه هى الأحداث التى اردت سردها .. أحداث متناثرة فى المكان والزمان ، بعضها واضح شديد الوضوح ، والآخر معتم يحوطه الغموض ، ولكن .. الا تشير هذه الاحداث الى توجه معين ؟ .. بل وتصميم على هذا التوجه واصرار عليه .. ام تُرى أنها مجرد احداث عشوائية وأى ربط بينها يعتبر ضربا من جنون الاضطهاد والوسواس القهرى والمخاوف التى لا تستند الى أسس ؟ ..

● قوة العرب .وقوة اسرائيل

ربما يكون من قبيل الموضوعية أجراء مقارنة بسيطة بين ما يملكه العرب جميعا من اسلحة صاروخية وكيماوية ونووية ، وما تملكه اسرائيل من هذه الاسلحة ، حيث انه من المعروف ان اسرائيل تمتلك صواريخ – تقوم هى بطبيعة الحال بتصنيعها بالكامل ، منذ وقت غير قصير ، وهذه الصواريخ هى الصواريخ « Jericho Is , IIs , IIIs » او اريحا – ١ واريحا – ٢ واريحا –٣ ، ويبلغ مدى هذه الصواريخ على التوالى ٣٠٠ ميل ، و٩٠٠ ميل ، بينما يُعتقد ان الطراز الثالث – والذى يجرى تطويره حاليا ، سيصل مداه الى ٤٠٠٠ ميل ، إذن فصواريخ اسرائيل ، يمتد مداها ليتجاوز حدود الدول المتماسة مع اسرائيل أما قوة اسرائيل النووية ، فقد كان لهرب المهندس الأسرائيلى "فانونو" من اسرائيل منذ سنتين الى خارج اسرائيل ، وتسريبه بعض المعلومات عن مفاعل "ديمونة" فى النقب ، وكشفه لبعض امكانيات اسرائيل النووية ، اكبر الأثر فى تحديد هذه الامكانيات بصورة اكثر دقة عن ذى قبل ، رغم ما كان معروفا قبل ذلك من تركيز اسرائيل ومجهوداتها المكثفة فى هذا الاتجاه ، وتقدر قدرة اسرائيل النووية بحوالى مائة قنبلة ذرية فى حجم قنبلة هيروشيما ، وحوالى ١٢ قنبلة نووية ، وغنى عن القول ، إن اسرائيل تقوم بتصنيع الأسلحة الكيماوية ، ثم انه غنى عن القول ايضا ، أن صواريخها قادرة على حمل الرءوس الذرية "وربما النووية" والكيماوية الى أى مكان فى العالم العربى .

أما بالنسبة للعرب ، فهناك العديد من الدول العربية تمتلك اسلحة صاروخية ، كان أخرها المملكة العربية السعودية ، وقد حصلت على صواريخها من الصين فى العام الماضى ، واثارت وقتها اسرائيل "كالعادة" عاصفة إعلامية هوجاء "؟!!" .

وتعتبر العراق – إحدى اهم الدول العربية المصنعة للصواريخ والاسلحة الكيماوية – وذلك طبقا لتقديرات الصحف الغربية ، ومن هذه الصواريخ ، الصاروخ

"الحسين" ويبلغ مداه ٤٠٠ ميل "والعباس"، ومداه ٥٦٠ ميلا، وهى بصدد انتاج صاروخ ثالث اختلفت المصادر في تسميته فهناك اعتقاد بأن اسمه "بدر" ٢٠٠٠، ومداه ١٢٠٠ ميل او الصاروخ "تموز" ويبلغ مداه ١٢٥٠ ميلا، وهذه الصواريخ، بالطبع قادرة على حمل شحنات كيماوية، والتى تقوم العراق - طبقا للمصادر الغربية - بتصنيعها محليا على نطاق واسع.

أما بالنسبة للسلاح النووى، وطبقا لما هو منشور ايضا، فلا توجد لدى آية دولة عربية قنبلة ذرية، إلا أن الخبراء العسكريين الغربيين - يقدرون ان هناك بعض الدول العربية - تملك القدرة على صناعة القنبلة الذرية ان ارادت قياداتها ذلك، ويُعتقد ان العراق، قد يصبح قادرا على امتلاك هذا السلاح في غضون ٥ سنوات، وهناك تقديرات أخرى، بأن العراق قد يستطيع ذلك فى مدى ٣ سنوات فقط.

من هذه المقارنة السريعة، يتضح ان اسرائيل، لا زالت تتفوق على العرب فى مجال الصواريخ والاسلحة النووية إلا أنه من الواضح ايضا، ان الفجوة بين العرب واسرائيل بدأت تضيق فعلا، بامتلاك العراق للصواريخ القادرة على حمل رءوس كيماوية، ويبدو انها سلاح ردع مناسب، سوف يجعل الاسرائيليين يفكرون جيدا هذه المرة قبل محاولة اجهاض البرنامج النووى العراقى مرة أخرى، وبعد .. فمبدأ القدرة على الردع يعمل فى هدوء - ولولا قدرة العراق الحالية على ذلك، لهاجمتها طائرات اسرائيل مرة أخرى، وربما يبدو مفيدا ذكر ما يدور حاليا فى صحف اوربا، عن قوة الردع التى تمتلكها



د . يحيى المشد د . سميرة موسى

العراق، وان اسرائيل .. ويا للأسف . قد فقدت اليد العليا والطولى فى المنطقة .

● ماذا نفعل ؟ ..

ليس من السهل الاجابة على مثل هذا السؤال؛ ولكن لنا الاجتهاد، فإن اصبنا فبها ونعمت، وإن أخطأنا فلنا اجر الاجتهاد . والمبدأ الأول فى متظورنا المتواضع . هو الايمان بأنه لا حياة ولا كرامة لنا إلا بإمتلاك القدرة على الردع، هذا هو قدرنا لا فكاك منه ولا مناص، والمبدأ الثانى - والذى اعتقد أننا لن نختلف عليه، هو أنه من الصعوبة بمكان، وضع رؤية مستقبلية لمصرنا الحبيبة، بدون التطرق الى ربط هذه الرؤية بمستقبل الدول العربية الأخرى، والعكس صحيح ايضا، اذن فلابد من التسليم ان الرؤية المستقبلية لابد وأن تكون فى إطار "كيان عربى موحد" لا يأخذ بالضرورة شكل الوحدة العربية التى شغلت بال بعض الزعماء العرب فى الماضى، ولكن وحدة عربية على غرار الوحدة الاوروبية فى غرب اوروبا فما يحدث فى أوربا الغربية الآن .. جدير بالنظر والدراسة . فدول السوق الاوربية المشتركة، قد قطعت شوطا كبيرا فى

التوحيد فيما بينها ، دون المساس بنظم الحكم الداخلية فيها ، فهى تضم دولا ذات انظمة جمهورية ودولا يحكمها ملوك . إلخ وقد ادركت هذه الدول ـ والتى تتميز بعراقة الديمقراطية والتقدم التكنولوجى ، ادركت أن مستقبل بقائها يحتم تكتلها فى كيان موحد ـ ولم يمنع اختلاف اللغات والخلفيات الحضارية لهذه الدول ـ من الاندماج فى هذا الكيان الموحد ـ إذن ، فأن الوحدة بين الدول العربية ـ فى كيان عربى واحد ـ شبيه بالكيان الأوروبى ـ هو السبيل الى بقائها وصمودها فى ايام الطوفان القادمة ، ورغم بساطة هذا المبدأ ، وانبثاقه من حقائق بدائية نعلمها جميعا عن الوحدة والقوة ، فلا زال هناك من يضع العراقيل امام هذا المبدأ .

بعد التسليم بهذين المبدأين ـ مبدأ ضرورة امتلاك القدرة على الردع ، وضرورة الايمان "بالكيان" العربى الموحد" . دعونا نطبق ذلك على الاوضاع الحالية فى محاولة لاختبار الرؤية السابقة ومدى قابليتها للتطبيق فى مجال تكنولوجيا الدفاع على سبيل المثال .

يبين الجدول الآتى حجم الانفاق على التسليح لبعض الدول العربية واسرائيل فى الفترة ما بين عامى ١٩٨١ ـ ١٩٨٨ ، والجدول مأخوذ من المعلومات المنشورة بمجلة IEEESPECTRUNعدد نوفمبر ١٩٨٩ ، ص ٥٩ وقد اخذت هذه المعلومات بدورها من الكتاب الصادر عن معهد استكهولم الدولى لبحوث السلام .

STOSRHALM International Peace Heaearch Institute السلام والمعروف باسم STPRI

اسم المرجع باللغة الانجليزية : SIRRI Yearbook 1989 : World Armament and Disarmament

الناشر : [(Oxford University Press Oxford 1989)]

حجم الانفاق العسكرى الدولة	١٩٨١	١٩٨٢	١٩٨٣	١٩٨٤	١٩٨٥	١٩٨٦	١٩٨٧	١٩٨٨
			الوحدة بليون دولار					
المملكة العربية السعودية	١٨,٧	٢١,٨	٢١,١	١٩,٧	١٨,٩	١٦,٩	١٦,٦	١٥
العراق	٩,٨	١٥,٤	٢٠,ـ	٢٢,١	١٦,٥	١١,٦	غير معروف	
سوريا	٥,٢	٥,ـ	٥,ـ	٥,١	٤,٥	٣,٥	٢,٨	٢,٥
ليبيا	٨,٤	٧,٧	٥,٢	٤,٧	غير معروف	٢,٧	غير معروف	غير معروف
إسرائيل	٥,٨	٥,٦	٦,٣	٦,٩	٤,٦	٤,٦	٤,١	غير معروف

وما يهمنا من الجدول السابق أمران الأول أن انفاق إسرائيل على التسليح يبلغ حوالى ٢٥٪ من صافى الانتاج الوطنى، وهى نسبة هائلة، لها مغزاها، وللتدليل على ذلك، فإن الولايات المتحدة الامريكية - وهى أكبر دولة فى المعسكر الغربى تنفق على التسليح - تبلغ نسبة انفاقها على التسليح ٦٪ تقريبا من صافى الانتاج الوطنى.

الأمر الثانى: إن الدول العربية تنفق حوالى ٤٠ بليون دولار سنويا على (التسليح، حتى عام ١٩٨٦ طبقا للجدول السابق وحتى عام ١٩٨٩ طبقا لمصادر أخرى)، إذن، فالدول العربية، رغم حاجة بعضها الى الانفاق على التنمية، تنفق مبلغا ضخما على ميزانية الدفاع، وذلك نابع بالطبع - من ادراك قادتها لأهمية المحافظة على قدراتها العسكرية وهو لاشك امر هام للحفاظ على التوازن فى المنطقة.

ويثور لدينا تساؤل هنا وهو اذا كان العرب ينفقون على التسليح هذا الكم الضخم من الاموال، فلماذا لا يُستفاد - ولو بجزء من هذه الاموال - داخل "الكيان العربي الموحد"؟!. وبتوضيح اكثر.. فمن المعروف ان هناك دولتين عربيتين - هما مصر والعراق، تعتبران اكثر الدول العربية قدرة على انتاج السلاح وتطويره، وذلك بما لهما من خبرة، وخلفيات تكنولوجية لا يمكن انكارها. وفى منظورنا، وهى ايضا ليست فكرة جديدة على اى حال، إن قيام احدى هاتين الدولتين، أو كلتيهما لتصنيع وتوريد معدات الدفاع - او جزء منها - إلى الدول العربية الأخرى، يمثل عاملا هاما من عوامل قوة "الكيان العربي الموحد" فأن اتباع هذا الطريق، له العديد من المميزات، اولها الحفاظ على جزء لايستهان به من الثروات العربية داخل المنطقة العربية، إلى جانب ما يضيفه للعرب من استقلالية وتحرر من تحكم الاخرين وحماية لهم من أى حظر على السلاح يفرض عليهم، فلقد تردد أخيرا - على سبيل المثال.. ان الولايات المتحدة قد طلبت الى الصين وقف شحنات الصواريخ ارض / ارض الى دول الشرق الاوسط.

والعامل الآخر - الذى يعود بالفائدة على العرب من محاولة تقوية تكنولوجيا الدفاع على المستوى العربى - وهو عامل لا يقل اهمية عن العامل الاول - هو إدراك أن ازدهار وتقدم تكنولوجيا الدفاع - إنما يمثل قوة دفع هامة للتكنولوجيا المدنية ذاتها، بل وللبحث العلمى فى الدول المالكة لهذه التكنولوجيا وبالتالى للدول العربية ككل، فمن المعروف أن تكنولوجيا الدفاع - عادة ما تسبق التكنولوجيات المدنية بسنين، وبالتالى - فإن الاهتمام بتقوية ودفع هذا النوع من الصناعات، إنما يضمن للعرب البقاء على مستوى عال من التكنولوجيا عموما - ويقضى بذلك على إحدى مخاوفنا وهمومنا الكبرى وهو التخلف التكنولوجى، فتكنولوجيا "الدفاع" تعتبر نافذة على أخر ما تحققه الاكتشافات العلمية وتطورات التكنولوجيا العصرية، وهى بطبيعتها لا تسمح بالتخلف، ثم ان هناك وسائل يمكن التوصل اليها - ان اردنا - للربط بين تكنولوجيا الدفاع وتكنولوجيات المدنية، وذلك بهدف التقليل من الاثر السلبى لتكنولوجيا الدفاع على الاقتصاد القومى،

وجدير بالذكر ، انه قد عقدت في بريطانيا عام ١٩٨٧ ندوة ، اشترك فيها خبراء ذوو خلفيات مختلفة من ٨ دول اوروبية غربية والولايات المتحدة الامريكية وكان عنوان هذه الندوة هو : "العلاقة بين تكنولوجيا الدفاع والتكنولوجيات المدنية" .. وقد نوقش في هذه الندوة ـ ضمن ما نوقش ـ كيفية الربط بين تكنولوجيا الدفاع ـ وهي تكنولوجيا متقدمة ذات تكاليف باهظة ـ والتكنولوجيات المدنية وكيفية الاستفادة من الأولى ـ في دفع التقدم في التكنولوجيا المدنية ، ولهذا حديث آخر .. قد نعود اليه قريبا .

● حضارتنا وحضارتهم :

شيء مثير للغضب حينا وللعجب احيانا ، ان نسمع ما يتردد في الغرب من خوفهم من امتلاك "هؤلاء العرب" لاسلحة الدمار الشامل بمختلف انواعها ، فهم إما يخشون ان تجد احدى دول اوربا صاروخا طائشا في سمائها او قنبلة ذرية "ضالة" متجهة الى احدى مدنهم ، وإما يتباكون على "اسرائيل" من وقوعها فريسة بين انياب العرب الذين يمثلون تهديدا بتدمير الحضارة الانسانية عشية حصولهم على تكنولوجيا الدفاع .

إنهم ينظرون الينا ـ كما لو كنا بلغنا درجة من التخلف "الحضاري" بحيث نحتاج الى وصايتهم علينا ، وولايتهم لنا ، حتى لانسيء استخدام هذه الاسلحة "الخطيرة" والتي يعلمون هم ـ اكثر من غيرهم ـ بخطرها على بني البشر .

وربما . يجدر بنا ان نتساءل . ترى من كان اسبق الدول الى استخدام القنبلة الذرية ضد مدن اليابان المزدحمة بالسكان ؟ اثبتت بعض المعلومات التي نشرتها البحرية الامريكية عن الحرب العالمية الثانية ان اليابان كان سقوطها محققا لحصارها بالالغام البحرية الامريكية فيما يعرف بعملية storration او التجويع" اذن فلم تكن هناك ضرورة لاستخدام القنبلة الذرية ، لتحقيق استسلام اليابان .

ثم . فلنتساءل مرة أخرى .. من استخدم الاسلحة الكيماوية والبيولوجية في فيتنام وافغانستان .. والاجابة معروفة ولا تحتاج الى الرجوع الى اي مراجع لاثباتها .

ثم لماذا الخوف على اسرائيل من قوة العرب ؟ إن الغريب ـ والغريب حقا ان ينسى ويتناسى الجميع ـ بما فيهم الاسرائيليون ـ وهم قوم يعرفون تاريخهم جيدا القول ـ ان يتناسى الجميع ان قيام دولة اسرائيل ذاتها ـ قد جاء نتيجة إضطهاد الاوروبيين لليهود وليس نتيجة اضطهاد العرب لهم ، ولم تكن المانيا النازية إلا إحدى حلقات هذه الظاهرة ـ ظاهرة اضطهاد اليهود في اوروبا ولن تكون الحلقة الاخيرة ، فما يحدث في اوروبا الشرقية الان وفي فرنسا ـ ضد اليهود ـ ليس إلا تذكرة لهم ـ لمن يتذكر فتنفعه الذكرى .

فقد اضطهد اليهود في اوروبا الشرقية ـ بل وفي فرنسا ذاتها من قبل ، بل ان حرقهم احياء ـ هم والمسلمين سواء بسواء على ايدي الاوروبيين في اسبانيا ـ بعد سقوط الاندلس ـ يعتبر من الصفحات السوداء في تاريخ الاوروبيين ، والذي كتب بايدي مؤرخين اوروبيين(ها) ، بعد ان عاش اليهود في الاندلس ـ جنبا الى جنب مع

العرب وتحت حكم المسلمين العرب في الاندلس في سلام وامان ، والغريب ان هذه الصورة ـ تكررت في عصور واماكن مختلفة ، ودعوني انقل لكم سطورا ، من كتاب exodus(او خروج اليهود) ، وهو كتاب معروف جيدا في الغرب ، والكتاب عموما ، لا ينصف العرب ولا يعطيهم حقهم ، وقد كتبه كاتب صهيوني "هوليون اوريس" ، ويركز الكتاب على ما اصاب اليهود على ايدى العديد من القوميات الاخرى ، وفي مقدمتهم الاوربيون . يقول كاتب الكتاب مقارنا بما لاقاه اليهود في روسيا على ايدى الحكام الروس ، وما لاقاه اليهود هناك ، على ايدى الحكام العرب المسلمين الذين حكموا اجزاء من جنوب روسيا في فترة ازدهار الامبراطورية الاسلامية ، يقول الكتاب بالحرف الواحد .. ص ١٩٥ وبحلول القرن العاشر الميلادى وصل الروس في الشمال الى السلطة وهاجموا دولة اليهود في "القرم" والتي كانت معروفة بـاسـم الـ « KHAZARS » وفرقوهم شر مفرق وبدأوا سجلا دنيئا ضد اليهود منذ ذلك الحين . ثم يستطرد الكاتب وبعد ظهور الاسلام .. جاء سيف الاسلام المشتعل من الجنوب ، وفي خلال الحكم الاسلامي للأجزاء الجنوبية من روسيا ، عرف اليهود اعظم عصورهم من السلام والازدهار .. ويستمر نفس الكاتب فيقول : وبإنهزام المسامين لهم بعد ذلك وانحسار امبراطوريتهم ، آلت السيطرة الى قياصرة روسيا ، وفي تلك العهود ـ كان اليهود يحرقون احياء بالمئات في العصور الوسطى ». انتهى كلام الكاتب الصهيوني ، ولا اريد ان استطرد كثيرا في الكتابة عن هذا الكتاب ، ولكن السطور السابقة ـ وهي مترجمة "حرفيا" من هذا الكتاب لهى شهادة للعرب ، وشهد شاهد من اهلهم ـ من كاتب يهودى صهيوني ـ يكره العرب ـ ولكنه لم يستطع انكار بعض الحقائق ، ربما لشدة نصاعتها وصعوبة انكارها ، وهناك امثلة عديدة أخرى ـ لا يتسع المجال لذكرها ، تشهد بالتحضر الحقيقي للعرب المسلمين ، وهم في اوج مجدهم ، فقد كان العرب ـ من اكرم شعوب العالم معاملة لليهود ، وقد عاش اليهود بينهم بلا اضطهاد عنصرى على مر العصور ، وحتى عندما حارب العرب اليهود ، فقد حاربوهم حربا شريفة ، دون حرقهم احياء او قتلهم في غرف الغاز ، او الالقاء بهم في الافران كما فعلت بهم بعض الامم الاوروبية ومن نسى فليعيد قراءة التاريخ .

لماذا الخوف إذن من امتلاك العرب لتكنولوجيا الدفاع ؟ ولماذا هذا التهيب من قوة العرب وامتلاكهم لناحية التكنولوجيا على وجه العموم ؟ .. إن العرب امة متحضرة بكل المقاييس ، وقد اضافوا الكثير الى الحضارة البشرية لماذا الخوف إذن على الحضارة من اهل الحضارة ؟

هذا سؤال اتركه لاهل الاختصاص ، فمن المؤكد ان صانعي القرار في الغرب ، قارئون للتاريخ ويعون دروسه جيدا .. وما ذكر في هذا المقام معروف عندهم ومدروس .. وربما كانت الاجابة في هذه المعرفة . وبسببها ..

للمؤرخ الفرنسى *L'inquisition Espognde Bennosson,B.
وكتاب ohe spanish Inquisition By: Henry Kamen, 1965

المخدرات

فى مصر

بقلم : د. مصطفى سويف

فى الشهور القليلة الماضية هدأت العاصفة التى كانت قد اثيرت حول موضوع تعاطى المخدرات فى مصر . وكلنا نعلم ان هذا الهدوء لا يعنى ان المشكلة قد انتهت فعلا ، ولكنه يعنى معانى اخرى متعددة ومتداخلة : منها الاطمئنان مؤقتا الى الحل القانونى الذى لجأت اليه الدولة ، ومنها ازدحام الساحة بمشكلات اجتماعية واقتصادية وسياسية اخرى لاتحتمل الارجاء ، ومنها مجرد الشعور بالملل والتعب من كثرة الكلام بنغمة انفعالية عالية فى موضوع واحد لمدة طويلة ، وربما كانت هناك معان اخرى وراء غير هذه وتلك .

ولما كان هذا الهدوء نفسه يكشف عن ان المواطنين الذين اهتموا بالاطلاع على ماتنشره الصحافة المصرية فى هذا الصدد قد استراحوا بعض الشىء ، وزال عنهم الانفعال المتفجر بما كان يحمل من مخاطر تجعل التفكير المتأنى والتدبير القائم على اعادة النظر فى خبراتنا والافادة من خبرات الغير امرا داخلا ، ولما كانت المشكلة نفسها لا تزال قائمة تلح فى طلب المزيد من الحلول بالاضافة الى الحل القانونى ، فقد آن الاوان للعودة الى الحديث فى الموضوع وآن حديث الفهم والدراسة تمهيدا للتدبير والتخطيط لملاقاة هذا الشطر بما هو جدير به من تفكير عملى متكامل .

من المشكلات الاجتماعية ما هو وافد ومنها ما هو متوطن . ولابد من التفرقة بين هاتين الفئتين لان كل فئة لها ما يناسبها من اجراءات الاحتواء والعلاج ، وبعض هذه الاجراءات قد يناسب فئة ولا يناسب الاخرى .

ومشكلة تعاطى المخدرات فى مصر مشكلة متوطنة اى انها قديمة ترجع الى قرون مضت ، وانها فى صميم البنيتين الثقافية والاقتصادية للبلاد ما بينهما .

وتذخر الساحة الآن بانواع عديدة من المخدرات ، لكن الحشيش والافيون هما المخدران الرئيسيان ، من حيث عمق الجذور التاريخية لكل منهما ، واحجام المضبوطات السنوية كما ترد فى تقارير الادارة العامة لمكافحة المخدرات ربما تعنيه هذه المضبوطات من ضخامة احجام الكميات المهربة الى الداخل غير المضبوط .

وقد عرف المصريون القدماء نبات الخشخاش الذى يستخرج منه الافيون . ولكنا لا نعرف على وجه اليقين اذا كانوا قد عرفوا خواصه التخديرية ام لا ، فضلا عن استخدام هذه الخواص لاغراض ترويحية . ولكن من المؤكد ان المصريين المحدثين عرفوا طريقهم الى هذا الاستعمال



المهربون ... المطاردة فوق الصحراء

المخدرات

خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، وهو ما وصفه الرحالة الانجليزى ادوارد لين فى كتابه «طبائع المصريين المحدثين وعاداتهم» . أما الحشيش المستخلص من نبات القنب الهندى فقد عرفه المصريون منذ منتصف القرن الثانى عشر الميلادى حين ادخل الى البلاد فى اعقاب جيوش صلاح الدين الايوبى ومنذ ذلك الحين استخدمه المصريون ولا يزالون يستخدمونه لأغراض ترويحية فى معظم الاحيان وشبه طبية فى احايين قليلة .

وفى اثناء الحرب العالمية الاولى بدا الكوكايين يظهر فى مصر . وهو مخدر يصنع من نبات الكوكا الذى ينتشر بصورة خاصة على سفوح جبال الانديز فى امريكا الجنوبية ويبدو ان الشحنات الاولى التى وردت الى مصر حوالى سنة ١٩١٦ جاءت على سبيل التسرب من المعامل الأوروبية وكان من اهم العوامل المساعدة على ذلك وجود جيوش الاحتلال فى مصر وظروف الحرب .. وبعد سنتين او ثلاث من ظهور الكوكايين ظهر الهيروين فى الاسواق ، وهو مخدر يستخلص من المورفين الذى يستخلص بدوره من الافيون ، وعرف الكوكايين والهيروين طريقهما الى شباب الطبقات الميسورة وبعض المشتغلين بالفن . غير ان انتشار هذين المخدرين فى هذه الفترة المبكرة من القرن بدأ فى الانحسار مع اواخر العشرينات وانتهى مع منتصف الثلاثينيات . وتزامن هذا الانتهاء مع عدد من العوامل العالمية والمحلية اهمها استفحال الازمة الاقتصادية العالمية وما صحبها من كساد فى مصر وانتشار للبطالة مما ترتب عليه انخفاض القدرة الشرائية للسوق المصرية وبالتالى العجز عن شراء هذه المخدرات غالية الثمن وقد واكب هذه الازمة اشتداد الحملة الداخلية ضد المخدرات وتمثل ذلك فى انشاء المكتب المركزى لمكافحة المخدرات سنة ١٩٢٨ (وهو الآن الادارة العامة لمكافحة المخدرات) ، وصدور اول قانون متكامل للمكافحة وذلك سنة ١٩٢٨ ، وتضافر الجهود الدولية فى هذا الاتجاه من خلال عصبة الأمم .

وفى اوائل الستينيات ظهر عقار الماكستون فورت فى صعيد مصر .

وفى اوائل السبعينيات بدا عدد الادوية المؤثرة فى الاعصاب يظهر فى سوق المخدرات ، اى بدأت هذه الادوية يجرى تداولها خارج القنوات الطبية المشروعة وبدأت تستخدم لأغراض ترويحية كأن تمزج ببعض المشروبات الكحولية لزيادة فاعلية هذه المشروبات او لتلطيف اثارها وجاء ذلك متزامنا مع قلة المعروض فى السوق غير المشروعة من الحشيش والافيون نتيجة للظروف العسكرية على حدودنا الشرقية ، مما جعل التهريب عبر هذه الحدود بالغ الصعوبة واضطر

المهربون الى ولوج طريق شديد التعقيد وبالتالى عالى التكلفة ، ومن ثم فقد ارتفعت اثمان القليل المعروض فى السوق الى مستويات تفوق القدرة الشرائية لغالبية المتعاطين المصثرين انذاك .

ومع هذه العوامل جاء عامل اخر ، هو تعاطى الأدوية النفسية لاغراض ترويحية كان قد انتشر فى اوروبا وامريكا انتشارا وبائيا فى النصف الثانى من الستينيات وبالتالى فقد توفر فى الغرب نموذج معين للتعاطى وبدأ تصديره الينا عبر السياح والمسافرين عموما والمنبهرين من ابنائنا باضواء الغرب ايا كان لونها . وتضافرت هذه الجهود جميعا لتؤدى الى ظهور الأدوية النفسية والسوق المصرية غير المشروعة فى اوائل السبعينيات .

وفى السنوات الاولى من الثمانينيات عاد الكوكايين والهيروين الى الظهور فى السوق المصرية وجاء ذلك معاصرا لحدثين هامين : أحدهما محلى يتمثل فى رسوخ فترة الانفتاح الاقتصادى (فى نهاية العقد الذى بدأ بصدور قانون ٤٣ لسنة ١٩٧٤) . والآخر عالمى ويتلخص فى زيادة نشاط مراكز تصنيع الهيروين فى الشرق الاقصى واحتياج المهربين الى طرق للتهريب عبر الشرق الأوسط والقارة الافريقية لكى تصل المخدرات المصنعة الى امريكا واوروبا . حيث السوق الرئيسية المقصودة بالاضافة الى احتياج مراكز تصنيع الكوكايين وهى اساسا فى امريكا الجنوبية الى طرق عبر القارة الافريقية لتحمل تجارتها الى اوروبا .

يتضح من اللمحة التاريخية ان الافيون والحشيش لم يمكن القضاء عليهما كمادتين للتعاطى منذ عرفا فى مصر . وان الهيروين والكوكايين ظهرا عندنا فى اوائل القرن الحالى ثم اختفيا فيما لا يزيد على عشرين سنة .

وقد عادا الى الظهور مرة ثانية بعد حوالى خمسين سنة من الاختفاء وان ظهور الأدوية النفسية فى عالم التهريب والتخدير بدأ فى العشرين سنة الأخيرة ولا يزال قائما . ويتضح كذلك فى هذه اللمحة انه فى جميع احوال الظهور والاختفاء انما جاء ذلك نتيجة لتضافر عدد من العوامل المحلية والعالمية ويتضح ذلك بصورة خاصة فى حالات الهيروين والكوكايين والأدوية النفسية .

● القانون والمخدرات

جدير بالذكر ان مصر تعتبر من الدول الرائدة فى مقاومة تعاطى الحشيش على المستوى الرسمى فقد بدأ الحكام مقاومتهم لهذه الممارسات منذ القرن الثانى عشر نفسه ، وهو الوقت الذى قدم فيه الحشيش للمصريين اذ يروى لنا المؤرخون كيف ان اشجار الحشيش كانت تزرع فى بستان الكافورى (وهو مكان حديقة الأزبكية الآن) فكان عساكر الحاكم يهبطون على البستان من حين لآخر يقتلعون الشجيرات ويحرقونها

ويضربون اهل المساخر ويعنفونهم . وفى فترة الاحتلال الفرنسى لمصر انزعج قادة جيش نابليون لانتشار تعاطى الحشيش بين الجنود الفرنسيين واصدرت القيادة فى اكتوبر سنة ١٨٠٠ قانونا بتحريم تعاطى الحشيش فى البلاد ، وغلق محال تعاطيه وجمع الموجود منه وحرقه وفى سنة ١٨٧٧ صدر امر عال فى الاستانة يقضى بمصادرة ما يصل الى مصر من الحشيش وإعدامه .

غير ان المحاولات النظامية فى هذا المضمار بدأت سنة ١٨٧٩ بصدور امر خديوى بتحريم استيراد القنب او زراعته وتلا ذلك صدور اوامر وقرارات وقوانين متعددة على مر السنوات ١٨٨٤ و ١٨٩١ و ١٨٩٥ و ١٩٠٤ و ١٩٢٢ و ١٩٢٥ ، تمثل فى مجموعها مزيدا من تضييق الخناق على جلب المخدرات وزراعتها وتداولها ، وهو تصعيد فى التشدد يوازى ما كان يلاحظ على مر الاعوام من ازدياد فى تفاقم المشكلة .

وفى سنة ١٩٢٨ وقع حدثان فى مصر يعتبران من معالم التاريخ الرسمي للمشكلة فى مصر : اولهما تأسيس المكتب المركزى لمكافحة المخدرات ؛ والثاني صدور اول قانون متكامل لمواجهة المشكلة على جميع جبهاتها بما فى ذلك الجلب والاتجار والتداول والإحراز ، والتعاطى . وفى سنة ١٩٥٢ صدر قانون جديد ، ثم تلاه القانون المعروف بقانون ١٨٢ لسنة ١٩٦٠ . ثم تلا ذلك ادخال تعديلات جذرية فى سنة ١٩٦٦ واخيرا صدر القانون ٢٢ لسنة ١٩٨٩ . ومرة اخرى فان هذه القوانين فى مجموعها تمثل مزيدا من التشدد ، وما يسميه القانونيون بتغليظ العقوبة .

فى هذا الموضع لابد من التوقف قليلا لاستخلاص نقطتين رئيسيتين :

الاولى انه من الواضح ان الدولة لم تقصر فى استخدام القانون كأداة للردع . وجدير بالذكر انه الى جانب هذه الجهود المحلية التى ذكرناها كانت هناك الجهود التى بذلتها الحكومات المصرية المتعاقبة على المستوى الدولى بدءا من العشرينيات فى إطار عصبة الأمم ، وانتهاء بالأوضاع الراهنة فى إطار الامم المتحدة ومنظمة الصحة العالمية .

والثانية انه فى خط مواز لخط تصاعد الأوامر والقرارات والقوانين نحو مزيد من التشدد ظلت المشكلة هى الأخرى تتصاعد فتزداد حجما وتعقدا .

وجدير بالذكر انه فى كل مرة دعا الداعون الى تغيير الاوامر والقوانين اتجاها الى مزيد من التشدد كانت الحجة فى جوهرها واحدة ، وهى ان هذا التشدد هو السبيل الأوحد الى القضاء على المشكلة وكان الاغراء الذى يقدمونه للمجتمع لكي يقبل التشريع الجديد هو ان هذا التشريع

هو الذى سيقضى على المشكلة فى غضون فترة زمنية وجيزة . الى درجة ان واحداً من كبار رجل السلطة حدد هذه المدة بانها ستكون حوالى تسعة شهور ، وكان ذلك سنة ١٩٥٩ ونحن الآن فى سنة ١٩٩٠ ، وقد غلظت العقوبات فى هذه الفترة ثلاث مرات ومع ذلك فالاغراء لم يتحقق ومازالت المشكلة تزداد تفاقما .

● العلم والمخدرات

فيما عدا الجهود المحدودة التى بذلها عدد قليل من الباحثين لا يبلغون عدد اصابع اليد الواحدة فقد خلت الساحة المصرية حتى اواخر الخمسينيات خلوا تاما من المشروعات البحثية الكبيرة والمتكاملة التى تتناول جوانب مشكلة المخدرات بما هى جديرة به من عناية . ومع اواخر الخمسينيات واوائل الستينيات بدأت الخطوات الاولى فى اجراء هذه البحوث المتكاملة واستمرت المسيرة حتى وقتنا الراهن وذلك تحت الرعايتين الأدبية والمالية من المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية . وهو المركز الذى صدر القانون بانشائه فى سنة ١٩٥٥ ثم عدل هذا القانون فى سنة ١٩٥٩ بالتوسع فى اختصاصاته .

فى إطار هذا المركز قامت المشروعات البحثية الكبيرة تتناول مشكلة المخدرات . وقد سارت هذه المشروعات فى طريقين .

احدهما طريق البحوث الكيميائية والفارماكولوجية ، يقوم به فريق من الباحثين بالوحدة البيولوجية بالمركز يقودهم الاستاذ الدكتور زين مبارك .

والثانى طريق البحوث النفسية والنفسية الاجتماعية وقد قامت به "لجنة بحث تعاطى الحشيش" واستمرت فى عملها حتى نهاية سنة ١٩٧٤ ، ثم حل محلها "البرنامج الدائم لبحوث تعاطى المخدرات" مع بداية سنة ١٩٧٥ ، ولا يزال يواصل عمله بوساطة فريق اخر من الباحثين تحت اشراف كاتب هذه السطور . وجدير بالذكر ان هذه جميعا بحوث على درجة عالية من الجدارة العلمية وقد نشر معظمها فى دوريات التخصص فى اوروبا وامريكا بالاضافة الى النشر المحلى باللغة العربية وهى زاخرة بالحقائق التى لها معناها ومغزاها بالنسبة لمشكلة المخدرات كما نعيشها فى مصر .

هنا تبرز اسئلة هامة . نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر ما يأتى : من خلال هذه البحوث المشار اليها ما هو المنظور العلمى للمشكلة فى مصر ؟ وهل توحى هذه البحوث بطرق يمكن الاسهام بها جنبا الى جنب مع الحلول القانونية فى التغلب على المشكلة ؟ وهل استفادت الدولة فعلا من تطبيقات بعض نتائج هذه البحوث ؟ فإذا كنت استفادت فكيف ؟ واذا لم تكن فلماذا ؟ وكيف السبيل الى الافادة المنشودة ؟ وهذه غيرها اسئلة تستحق ان تفرد لها حديثا او احاديث اخرى .

رحلة الحج

شحنة روحية ألهمت الفنان المسلم فنا رفيعا

بقلم : عبد المنعم الجداوى

- لوحات حج من الخزف ، والخشب ، والزجاج والقماش ..
- الفنان الفلاح المصرى سجلها على واجهات البيوت

كان لابد للفنان المسلم من أن ينفعل بدراما تفجر ذاتيته الفنية ، وتتكافأ مع ايمانه الراسخ ، وشعوره الفياض بالدين الذى لا يحمله بين جنبيه ، وانما يشعر انه داخله كوعاء يحيا به .. فهو وجوده ، وحضوره ، وايامه ولياليه ، ودنياه ، والاهم من ذلك كله آخرته .. من كل هذه المنطلقات كان الفنان المسلم يقترب من الرموز الدينية فى خشوع سجله على الخزف ، وعلى الخشب ، وعلى الجدران ، وكانت فريضة الحج من الفرائض التى بهرت اعماقه ، فمارسها الفنان المسلم فى كل بقعة من ارض الله يذكر فيها اسم الله .. وخلط معها ذاتيته كفنان ، واخلاصه كمسلم ، ومكوناته كانسان !!



●● وفريضة الحج فجرت ينابيع الفن في الفنان المسلم ، لأنها الفريضة التي تحتوي على قصة كاملة .. يكتنفها الصراع ، وتحف بها المكافحة والمجالدة .. فهو اي المسلم لابد ان يترك ما يحب الى ما يحب .. انه يفارق ، ويسافر ، ويغادر ليطفئ نار الشوق .. ليبدأ في أشواق جديدة .. يبدأ رحلة الى مكان تهوى اليه الأفئدة جميعا ، ولا يكاد يؤديها حتى يغالبه شوق قد يكون اقل حجما . لكنه في النهاية شوق الى الكيان ، والمكان ، والوطن ، والذات .. وخلال كل ذلك .. اقترب مضطرا ، واقتحم الكثير من المحاذير ليرسم "الكعبة" ذلك البناء المربع الذي يملأ وجدان كل مسلم فطن الى ذلك أو لم يفطن ، وعى هذا أو لم يعه .. فالشكل الذي يقترب من التربيع .. يهيمن عليه يقظا أو نائما ، ويصبغ كل ما يرسمه الفنان المسلم في الشئون الدينية بهذا التربيع .. حتى اشكال الناس حول "الكعبة" يوشك ان يرسمهم في تربيعات متعادلة .. !

● الحرف .. والرسم ..

والحج رغم انه مرة كل عام ، فإن الفنان المسلم ينفعل به كل يوم على مدى العام كله ، وقد ظلت الريشة في يده أكثر من قرنين متهيبة الاقدام على رسم البيت الحرام ، فهو يدرك أن هذا بيت الله ، وعلى قدر اشواقه ، وتقديسه للبيت تاتي مهابته .. ولعل هذا ما جعل رسم "الكعبة" يتاخر كثيرا .. بينما ازدهر الخط العربي ، وبرع الفنان في كتابة الآيات الكريمة ، ولم يخرج عن زخرفتها ، والابداع في اخراجها ، واساليب تسطيرها .. ذلك لان كتابة القران الكريم اجازها الخلفاء يوم أن كتب "عثمان رضى الله عنه" مصحفه الجامع ليكون الامام لكل المصاحف في جميع الأمصار .. لكن الرسم ، ورسم الحج ، ومراحله .. وصورة "الكعبة"!.. تاخر ذلك حتى دخلت بلاد العجم في الاسلام ، وشاع الدين الجديد في ربوعها البعيدة ، والقريبة ، وانفعلوا به ، وهم قوم كانوا يمارسون الفنون بكافة اشكالها قبل الاسلام .. واقتربوا من الاسلام ، وشغفوا به ، وكان لابد ان ينتجوا فنا يعكس ما تزدحم به جوانحهم فانطلقوا يرسمون "الكعبة" ، وبعض شعائر الحج ، ومواقف من الرحلة الالهية على الخشب ، والزجاج ، والبلاط ، والقماش ، وكتبوا الكثير من ايات القرآن الكريم على البلاط الذي يكون اجزاء من جدران المساجد المشهورة في تلك البقاع .. وكان القرن الحادي عشر الهجري من أزهى عصور الرسم على الرخام ، والبلاط ، ويغلب على الوانها الأزرق ، والأسود ، والذهبي .. ذلك لان كساء الكعبة دائما كان باللون الأسود ، والحزام الذي يزينه باللون الذهبي ، وقد عثر على بلاطة في متاحف تركيا تشتمل على مخطط للحرم الشريف والكعبة ، وهي في الأصل

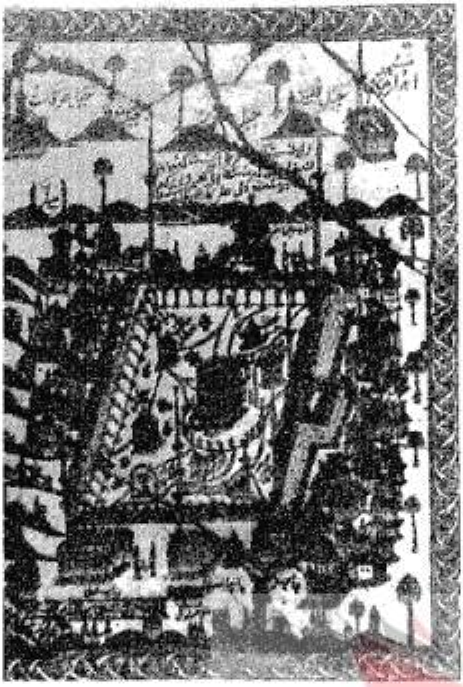
عجينة مركبة . رسمت زخارفها بمحلول الطين الأسود والأزرق الكوبالتي ، والأخضر ، والأحمر الطماطمي طولها ٥٩ سم ، وعرضها ٣٥ سم ، ويتحدد في بنيانها أسماء الأماكن المقدسة ..

واشتهرت "ازتك" احدى مدن العجم خلال هذه الفترة بانتاج عدد كبير من البلاطات التى تشتمل عادة على مخطط يمثل المواقع الهامة في الحرم الشريف والكعبة ، وتتالف الكتابات هنا من بعض الايات القرآنية ، وأسماء أبواب المسجد الحرام ، ويعلو كل رسم بعض الآيات الكريمة من سورة الحج .

● الفن . والمحاذير . والجرأة ..

والذى لاشك فيه ان الفنان الأعجمى ، كان بجراته على رسم "الكعبة" مدفوعا باحاسيسه الفياضة نحو هذا الدين ، وهذه العبادة التى تبدا من بيت الله ، وتنتهى عنده ، ويتجه اليها المسلم خمس مرات كل يوم ، واينما كان فعليه ان يتحرى الدقة في استقبال القبلة ، وهو يشوقه هذا كمسلم ، ويروعه كفنان فيرسم رغم المحاذير التى لا تصده ، ولا تقف امامه كالفنان العربى الذى اكتفى بان يزخرف الحرف العربى دون ان يقترب من رسم الأماكن المقدسة ..

فالكتابة قد اجازها الحرص على القرآن الكريم ، واستغنى فنانو القرنين الأول ، والثانى أيضا بزخرفة الحرف العربى ، ورسمه ، وانشاء الزخارف حوله اذا ارهبهم ان يزخرفوا الحرف نفسه أو يجعلوه موضوع زخرفتهم فان



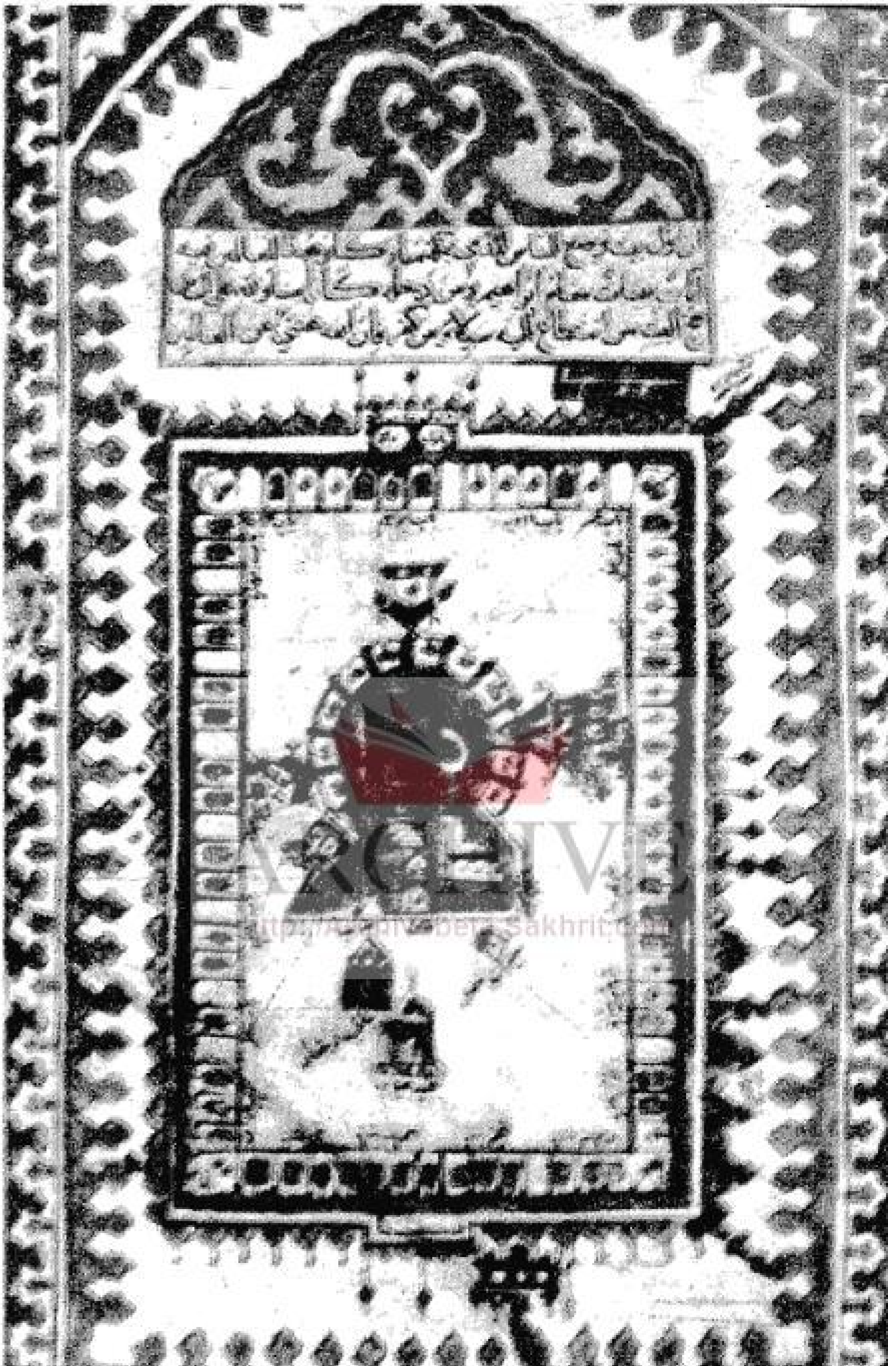
رسم على السيراميك الخزفى فى مربع الشكل يصور مكة من مصر بين القرنين الثامن عشر والتاسع عشر

بداية سور القرآن الكريم بحروف معينة .. جعلت الفنان العربى ، والخطاط أيضا لا يجد الجرأة على الزخرفة بالحرف ، واذا وجدها تفادى ان تكون من الحروف التى بدات بها السور في القرآن الكريم .. وذلك يرجع إلى فهم وادراك الكاتب العربى المسلم قدر القرآن أولا ، والحرف ثانيا .. أما الفنان المسلم الأعجمى .. فقد كانت الصراعات فى وجدانه تتصارع بلا

محكثير . ومن هنا كان اكثر حركة من الفنان العربى الذى وقف عند كتابة الخط . فلم يتورع عن رسم مناسك الحج ، والبيت الحرام .. ولرخ بهذه الرسوم للرحلة المقدسة . لمن قام بها والزمه بنقش ذلك على واجهة بيته .. ولكن واجهة المنزل ظلت مصرية لحما ودما .. !

● الكعبة المشرفة كما صورها الفنان العربى





● لوحات للأماكن المقدسة ..

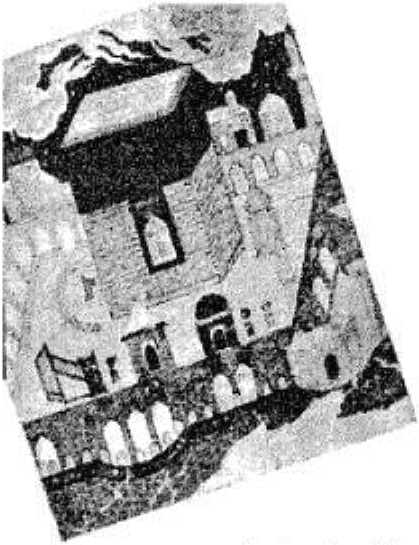
ففي بلاد فارس "ايران" وهي التي افشت الرسومات الدينية ، وغير الدينية .. كان الفنان المسلم يكتفي بان يؤرخ للرحلة المقدسة على لوحة من القماش او الخشب او الزجاج او الخزف . وكانت اللوحات احيانا على بلاطات من الخزف .. وبعضها يحمل شكل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة المنورة .. ويعرضها البائع في مواسم الحج ، ويسارع من حج ، ومن لم يحج الى شرائها لاقتنائها . وكان ذلك يملأ اسواق الشام ، وتركيا ، وتوابعها ، وافريقيا ، وبالتالي مصر .. لكنها كانت مرتفعة الثمن نظرا للتكاليف الباهظة التي تنفق في النقل ، والصيانة الى اخره ، وما كادت تستقر الدولة الفاطمية في "مصر" .. حتى انتشر هذه اللوحات . لوحات الحج بالذات كنوع من ترف المترفين . ولكن ذلك لم يقف عثرة في طريق الحجاج الفلاحين من المسلمين المصريين . وانبرى الصانع المصرى الذى كان جده ينقش على الحجارة . فصول حياته .. ولما كان يريد ان يفرز فنا يعتز به ، ويقبض عليه آجرا ، وفي ذات الوقت ينفس عما يجيش في صدره . فقد رأى ان يرسم على واجهة منزل الحاج بعض فصول الرحلة . قوافل الجمال ، والطواف حول "الكعبة" ، والوقوف بعرفات ، ولكي يضفي على الرسوم ذاتية الحاج كان لابد أن يكتب اسم الحاج ، والتاريخ الهجرى والميلادى ، وهي الرغبة القديمة التي كانت تناوش الفراعنة قديما ، ووجدت هذه العملية رواجا جعلها مع الزمان تتطور لتصبح جزءا من مراسم الحج التي لا يغفل عنها الحاج أو اقاربه بمعنى اوضح فهي تتم في حالة استقباله . ولم يذكر التاريخ

اسم ذلك الفنان الفلاح الذي كان اول من رسم رحلة الحج على واجهات الدور ، وان كانت بعض الكتب تجمع على ان ظهورها واكب بدايات الدولة الفاطمية .. مع كثير من البدع التي فرضوها على مسلمي مصر ..

● الصوفية .. قبل الجمالية ..

ولا نستطيع ان نقول ان هذه الرسوم تحتوى على قدر من الجماليات ، فالواقع ان الفنان كان يرمي الى التسجيل اضعاف ما يرمي الى الأهداف الجمالية . ولا يعني ذلك انه لم تكن تعبر عن الصوفية التي يحيا فيها الفنان ، واصحاب الديار . فضلا عن الحاج الذى كثيرا ما كان الموضوع نفسه يغطي عليه .. فالحج لا الحاج هو الذى يرسم على واجهات البيوت متجردا من اية شوائب اخرى ..

ولم يغفل الفنان الفلاح القروى



● المحمل يتوارى .. !

وقد ظل المحمل بشكله المعهود يرسم مع رسوم الحج على الجدران ، والجمل الذى يحمله ، والشيخ الجليل الذى يمسك بزمام الجمل حتى أوائل الحرب العالمية الثانية فى أواخر الثلاثينيات من هذا القرن .. ثم بدأ يختفى تدريجيا بعد أن الغى رسميا ، ولم تعد البلاد تحتفل بخروجه .. ولعله غاب عن ذهن الفنان الفلاح الذى لم يشهده بحكم عمره ، ولم يعد فى اذهان الشيوخ منهم سوى ذكريات .. وسوف تبقى رحلة الحج المقدسة فى ذهن الفنان العربى المسلم .. طاقة الهام ، وشحنة روحية تمده بالفن والخيال ، والحنين الى الأماكن المقدسة .. ترقى به فى معارج ومدارج لم يكن ليصل إليها . لولا هذه الأشواق الجياشة التى تجدد خلاياه كلما حال الحول ، واطلت أيام الحج كل عام مضيئة على الشهر الأخير من كل سنة هجرية .. شهر ذى الحجة !!



● جدارية على حائط سبيل كتخدا تصور مكة المكرمة

البسيط عن التطور فى رسوم الحج ، وبعد أن كان يرسم قافلة الجمال والمركب النيلى شيئا فشيئا أصبح يرسم قوافل السيارات ، وأحيانا عربات قطارات السكة الحديد ، وصورة للسفن الكبيرة التى كان يطلق عليها اسم "الغليون" ، ولكن الذى لم يتطور هو رسم الكعبة ، والحزام الذى يتوسطها . وبعضهم يرسم لها بابا ، وبعضهم يتناسى ذلك الباب ، وهو غالبا ما يستعمل اللون الأزرق على ارضية الجدار المطلية بالجص الأبيض ، وغالبا ما تكون مسالة اللون عنده اضطرارية لأنه لا يجد سوى الزهرة الزرقاء فيستعملها فى خطوطه .. !

الفن

رسالة الكويت

الفن رسول حضارة وسفير حكمة



سوار مغولي من الذهب المطعم ق ١٤ م

يطل على الخليج العربي مبنى بطراز متميز ، هو « دار الآثار الاسلامية » يعرض علاوة على مقتنياته ، كنوز متحف الارميتاج - في رحلة هي الاولى من نوعها ، عندما خرجت هذه المقتنيات - وعبرت المحطيات - من لينينجراد الى الكويت .

تضم المجموعة قطعا فنية بديعة بروعة تنطق بدعوة الحضارة الاسلامية ، وتصور ازدهارها في القرون الوسطى ، مما اتاح فرصة علمية وفنية نادرة فلئن كانت المقتنيات الاسلامية في المتاحف الغربية محل دراسة كل مهتم بالفن الاسلامي ، فهذه المجموعة لم تكن محل دراسة الا في نطاق ضيق . رغم تميزها بالثراء والتنوع ، والتي تضم الكثير من القطع التي عثر عليها في المناطق الاسلامية من الاتحاد السوفييتي .



دورق من ابداع مصر الفاطمية
مطعم بالذهب والاحجار الكريمة

وياتى هذا العرض فى ظل ظروف جديدة ، منها اعطاء المزيد من الحريات للاديان والقوميات المختلفة فى الاتحاد السوفييتي ، وبعد ماثبت انه لايمكن منع الاديان والقوميات من التعبير عن هويتها ، ففى الوقت الذى يتحول فيه العالم الى قرية صغيرة بفضل أجهزة الاتصال العالمية يظهر اتجاه معاكس وهو تاكيد الخصوصية الدينية والقومية .

وبعد اتجاه كل دول العالم الى التفاعل الخلاق بين الشعوب ، فمضى عصر انقسام العالم الى كتلتين متصارعتين وهو يتجه الى تكافؤ المصالح ، مما يجعل وجود ٨٠ مليون مسلم فى الاتحاد السوفييتي سواء فى جمهورياته الاسلامية الجنوبية او فى روسيا ذاتها ، اساس علاقات جديدة بين السوفييت والعالم الاسلامى ، وقد حان الوقت لتنقل العلاقات السوفييتية العربية من مجرد علاقات سياسية الى علاقات ثقافية تمتد الى تبادل الثقافة والحضارة الاسلامية مع الصقالبة (الروس)

تواردت هذه الافكار ، عندما تجولت بين القطع الفنية الموزعة بجمال واضح فى القاعة التى تضم مجموعة « الارميتاج » وهى قطع فنية تعبر عن وحدة الحضارة الاسلامية وتنطق بوحدة الوجدان ووحدة الرموز الاسلامية وهى وثائق فنية تاريخية ، وفى مجموعها تحيى المشاعر وتخصب النفوس وتخلق المتعة الفنية الجمالية ، وهى تحتوى على ١٢٠ قطعة من كنوز الفن الاسلامى اختيرت بعناية وتميزت بتوثيق دقيق لتاريخ الصنع ومكان واسم الصانع ومن صنعت له القطعة ؛ وهى متنوعة تضم التصوير والنحت ، وتشمل الخزف والزجاج والنسيج والسجاد ، وفيها يستخرج الفنان الشرقى الجمال من كل ماحوله ، وتكشف قدرته الفذة على الخلق والابداع ، تقودك الى ذلك الحرفى الفنان الذى ابدعها ذوقه واحساسه بالجمال والكون من وحوله ، فى لمسات تعبر عن حضارة الاسلام بقيمه ورموزه وتكشف عن مستوى حياة اولئك الذين يستخدمون هذه الادوات انها الفنون المتصلة بالحياة اليومية ، وتظهر طبيعة المجتمع ، ودرجة ثرائه ،

● ذكريات الشرق ، انية ونسيج وخزف ومباخر ..



بلاطة ايرانية قيمة الشكل ق ١٣



طبق ايرانى من الفضة ، عليه صورة سلطان يعتلى العرش ق ١١ م

وجوانب مختلفة من الحياة الاجتماعية فى الشرق ، فلم تقتصر كل من الانية او المخطوط او الحسام عن القيام بوظيفة بل ابى الفنان الا ان ينشر الذوق والجمال فى كل مايحيطه .

لقد استعمل المسكن او الاثاث او الاوانى ثم تركها خلفه تنطق بمستوى الفن والذوق ، واليوم يحتفى بها ، كجزء من ذكريات الشرق ، نسيج وخزف ومخطوطات ومباخر وادوات الحياة اليومية ، مع ولع بالتفاصيل بالكلمة والجملة والصوت والتزويق وولع باللون والاشكال فى النقوش والزخارف والصور فى كل ماحوله حتى نقش جدران القاعات والحمامات والملابس والحلى ..

انها حضارة تزخرف التفاصيل الصغيرة بعناية فائقة وتخلد ذكرى صانعيها وتؤكد وحدة الرؤيا ووحده الوجدان فى العالم الاسلامى كله ، فى منطقة تمتد من الشرق الى الغرب ، من اندونيسيا الى المغرب ، ومن الشمال الى الجنوب ، من تركستان الى دول وسط افريقيا ، من سهوب آسيا حتى جبال البرانس ، فى ثقافة وحضارة واحدة ومساحة زمنية تمتد من القرن السادس الميلادى حتى العصر الحديث .

● طائر العقاب

وابرز ماتضمه المعروضات تمثال طائر العقاب ، المصنوع على شكل اناء لحفظ الماء وهو من البرونز المكفت بالفضة والنحاس ، صنعه سليان سنة ١٨٠ هـ ـ ٧٩٦ م . ومن بينها دلو من البرنز صنعه محمد بن عبد الواحد وسعود بن احمد النقاش

من هراة في شهر محرم سنة ٥٥٩ هـ ديسمبر ١١٦٣ م . والتي ملأت جوانبه بالحروف العربي في كتابات زخرفية جميلة .

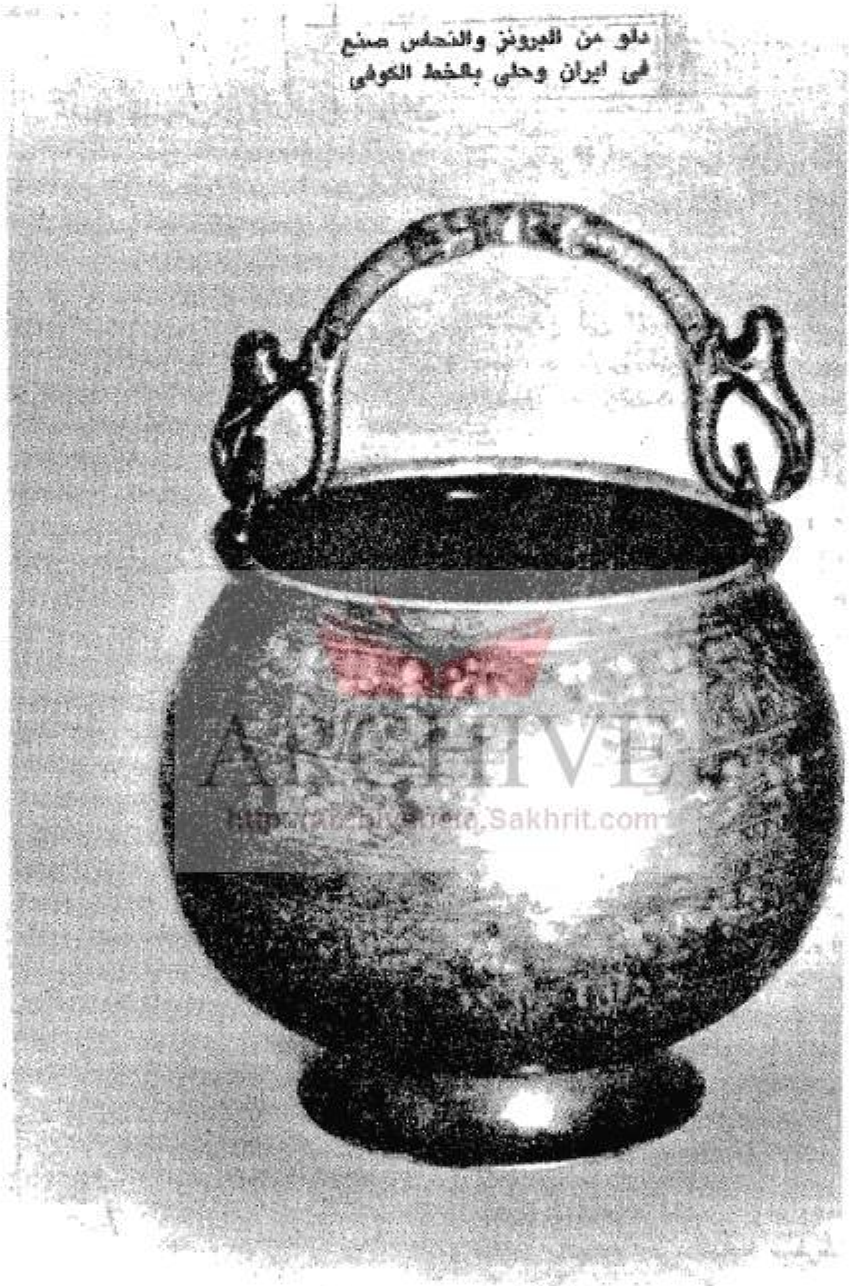
وتشمل المعروضات بلاطات زخرفية نادرة ترجع الى القرن الثالث عشر الميلادي وهي لوحات بديعة استخدمت الوان الميناء لتنفيذها وسجل عليها اسم صانعها وهو عمر بن الفضل بن يوسف البناء في ٢٠ ذي القعدة سنة ٥٤٢ هـ ، ٢ ابريل ١١٤٨ م .

ويندر ان تعثر على تحف مماثلة فقد عثر على الكثير منها في الأراضي الواقعة شمال نهر سيحون في موطنها الاصلي ، مع تحف اخرى من كل من مصر الفاطمية والمملوكية ، وسوريا والعراق وتركيا وايران وصقلية .

ويقول د . اناتولي إيفانوف امين



ابرز المعروضات طائر العقاب على شكل دورق .
تشرح اهمية مدير الاثار الاسلامية لوزير الاعلام

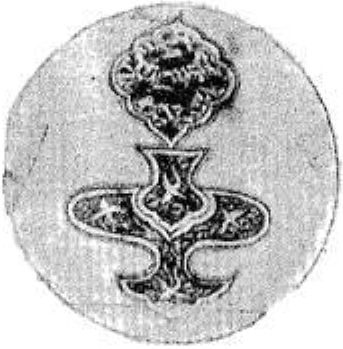


دلو من البرونز والنحاس صنع
في ايران وحلي بالخط الكوفي

القسم الشرقي في الارميتاج ، والذى صاحب مقتنيات الارميتاج الى الكويت .. « ان التحف الايرانية من الخزف والنحاس هى عماد هذه المجموعة »

ويعود فضل اقامة هذا المعرض ، الى سيدة عربية هى الشيخة حصة الصباح ، والتى يصل اهتمامها بكنوز الفن الاسلامى الى درجة الرسالة الثقافية التى تهدف الى رفع مستوى الذوق العربى العام ، وان يتحول من النظرة الاحادية الجانب الى كل ماينتج فى اوربا ، الى ذلك التراث الذى يبحث عن الذى يزيل عنه ركام الايام .. وقد قامت بدور بارز سواء فى الاتفاق مع متحف الارميتاج او اقامة دار الاثار الاسلامية التى بدأت بمجموعتها

طبق ايرانى من
الخزف ق ١٦



الخاصة ، وهى بهذا تضع الاموال فيما يستحق ان تنفق فيه .

● ابريق من مصر

والذى توقفت عنده طويلا هو ابريق من البللور صنع فى مصر الفاطمية على شكل الكمثرى وفيه يظهر مدى الامتزاج بين الانسان ومايصنعه انه عمل حضارى قام به فريق يضم العجان والخزاف الذى يقوم بالتشكيل ثم من يتولى الحرق ، ومن يتولى الزخرفة او الرسم وقد يشترك فى الطلاء عدد من المزخرفين ، يصنع اولهم رسما او يصنع طلاء ، ثم ينقله لمن يضيف اليه ولابد للمشاهد من الاعجاب بهذا الابداع ، وبخطوط هذا العمل ، لقد صنع لاسرة تتطلع الى المتعة ، والى اى مدى كان يجنح صاحبه الى التألق فى العيش ، فقد بلغت بيوت القاهرة حدا من النماء ، جعل المستخدم فيها قطع فنية عالية من الابداع .

واشهر مناطق الزجاج والخزف كانت الفسطاط والقاهرة والفيوم فى مصر ، وبغداد وسامرا والموصل فى العراق والرى وقاشان والسوس فى ايران .

وقد عرفت مصر صناعة الاوانى الزجاجية من قبل الاسلام ، ووصلت الى ذروتها فى العصر الفاطمى فى القرن العاشر الميلادى ، وقد وصفها ناصر خسرو فى كتابه سفرخانه

وعلق على دقة المصريين فى هذه الصناعة . واشاد بما ابدعوه من تحف جميلة رآها فى سوق القناديل بالقرب من جامع عمرو بن العاص .

وتميزت زخرفة الزجاج فى مصر برسوم تعطى بريق المعدن والمينا مع استخدام الوان متعددة مثل الذهبى والفضى والنحاسى ، وقد وجد عدد من هذه القطع موقعة باسم الخزاف سعد . وعثر على عدد منها وقد سجل عليه اسماء بعض الخلفاء الفاطميين ، مما سهل معرفة تاريخ صناعتها مثل ابريق باسم الخليفة الفاطمى العزيز ، مزخرف برسم اسدين وبينهما شجرة الحياة والقائم حاليا فى كاتدرائية سان ماركو ، واستمرار وجود هذه الانية الزجاجية ، يؤكد حرص المصريين ، جيلا وراء جيل ، على الحفاظ على هذه التحف الفنية القابلة للكسر .

كما توجد مجموعة من الاقداح عرفت باسم القديسة هيرفيج والتى حصلت عليها عند حجها الى الاماكن المقدسة ، وهذه المجموعة موزعة على المتاحف الاوربية

ويوجد فى متحف الفن الاسلامى فى القاهرة مجموعة من التحف البللورية الصغيرة يمكن نسبتها الى مصر قبل العصر الفاطمى ، والتى تشمل مقتنيات صغيرة وتماثيل لحيوانات وطيور واسماك وقطع شطرنج جيدة الصنعة ، ومازال هذا المتحف ينتظر اعادة تنظيمه وكشف كنوزه ومخطوطاته ، وعندها سيصبح اهم مصدر ثقافى لعشاق الفن الاسلامى .

● فن التجميل

واذا كان فن العمارة يتوزع على العواصم الاسلامية ، من جوامع وقصور وحصون وقلاع ومدارس وأسبلة ، فالفنون التشكيلية يمكن ان تضمها قاعة متحف واحد ، يضم النماذج التى حفظها لنا الزمن ، ومنها نتبين كيف استطاع الشرقيون ان يجسدوا قيمهم الروحية وحاجاتهم المادية فى اعمال تتصف بالرمزية والجمال ، بعد ان اضفى العالم الاسلامى على فن التجميل مكانة رفيعة ، عندما يحول الحياة والاعمال اليومية مثل الاكل والشرب وتقديم الماء او الطعام ، الى اعمال تدخل البهجة على الحياة اليومية .

وقد عرف الشرق قديما قيمة هذه المقتنيات وحفظها ، وكانت دور وقصور الامويين والعباسيين والفاطميين والاندلسيين ، ودور الامراء والوزراء والقادة تزخر بالتحف الفنية النادرة .

اما كيف توزعت هذه التحف على المتاحف الغربية ؟ فقد حدث ذلك فى عصر النهضة فى اوربا حينما ظهرت العناية بجمع التحف والمقتنيات وبدأت تنتقل من الشرق الى القصور فى العواصم الاوربية وتحولت بعض هذه القصور الى متاحف مثل متحف الارميتاج فى لينتجراد ومتحف اللوفر فى باريس .

وكان متحف الارميتاج قصرا للقيصر يسمى باللغة الفرنسية ، مكان الخلوة ، وتحول الى متحف سنة ١٧٦٤م ، وكان قيصر روسيا يقضى فيه اوقات خلوته . وكان بطرس الاكبر يسعى الى ان تصبح ـ بطرسبرج التى اصبحت لينينجراد ـ صورة مصغرة من باريس مدينة النور .

ويجمع الارميتاج الاعمال الفنية منذ ٢٢٠ عاما ، منذ كان يحكم روسيا القياصرة وقد بدأ القسم الخاص بالشرق الاوسط عام ١٩٢٠ ، وضم المتحف قطعا نادرة بعضها هدايا نادرة من شاه ايران الى قيصر روسيا ، كما عمل المتحف على التنقيب على الاثار وجمع المقتنيات من الجمهوريات الاسلامية فى الاتحاد السوفييتى ابتداء من منتصف القرن التاسع عشر

مع التطور فى علم الاثار الذى يستخلص الاثر بطريقة علمية ، ويسجل وصفه بالنسبة لغيره ، يرمم

طبق تركى وحسام صنعه سلطان على مصرى من الذهب الخالص ومحلى بالاحجار الكريمة وطبق تركى من فضة ق ١٦م ولوحة ايرانية من اربع بلاطات جدارية



التالف واخيرا يلقى الاضواء عليه وعلى مكانه من التطور الحضارى للانسانية

وقد خصصت للمقتنيات الاسلامية اقسام فى العديد من متاحف العالم مثل المتحف البريطاني ومتحف بناكر فى اثينا والمتحف الاهل فى برلين ومتحف المتروبوليتان فى نيويورك .

وفى هذا السياق يفرض السؤال التالي نفسه .. كيف تزدحم المتاحف الاوربية بتلك الاثار وماتحويه من تحف نادرة تزيد فى بعض الاحيان عن القائمة فى بعض البلدان الاسلامية باستثناء كل من طوب قابى سراى فى اسطنبول ومتحف الفن الاسلامي فى القاهرة الذى ينقصه حسن العرض الذى يكشف كنوزه وبدائعه ؟

ومهما كانت وسيلة انتقال هذه المقتنيات الى العواصم الغربية ، فهى تدل على تخلف الشرق ، وعدم عنايته بكنوزه ، وعدم اهتمامه بما ابدعت يداه ، خلال فترة اختلال التوازن بين الغرب والشرق لصالح الغرب فى مرحلة النهضة الاوربية ، التى اعقبتها مرحلة المد الاستعمارى والتى تمت خلاله نقل الكنوز الشرقية الى الغرب ..

اما فى الماضى .. فان ظهور ولع الشرق بتحفه يبدو من اهتمام الرحالة بوصف الاثار التى صادفوها كما كتب ابن جبير وابن بطوطة بل وابتدع المقريزى علما جديدا اطلق عليه « المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار » وتتبع فى دقة علمية كل اثر للقدماء

وقد وصلت القطع الفنية والمخطوطات الى متاحف العالم بوسائل شتى ، ويحكي كريستين نيبور كيف كان اليهود فى ميناء الاسكندرية فى القرن الثامن عشر ، يقومون بتهريب الاثار المصرية ، كما اخذ يجمع هذه الاثار الرحالة الذين جابوا دول الشرق ، ولعلها وصلت ايضا من القسطنطينية عند نهبها سنة ١٢٠٤ م ، ومن قبل خلال الحروب الصليبية او يكون قد اهدى بعضها الى بعض الامراء والقادة ، او تكون من كنوز الفاطميين التى نهبت مرتين أحدهما عند الشدة المستنصرية التى قدم وصفا شيقا لها المقريزى ، عندما بيعت الكثير من التحف مقابل كسرة خبز او عندما قامت ثورة نهبت القصور فى القرن الحادى عشر .

وعلينا اليوم ان نتطلع الى المستقبل .. وان نهتم بما هو تحت ايدينا من هذه الكنوز وان نحسن عرضها ووصفها ، وما اجمل ان تجمع بعض هذه المقتنيات فى عرض واحد ينتقل الى كل عواصم العالم ، فى عالم اصبح فيه الفن والثقافة اهم من كل ماعداهما فى التقريب بين الشعوب .

● **مصطفى نبيل**



من
مذكرات
د. ابراهيم
بيومى
مدكور

كيف حالت السراى دون أن أتولى رئاسة تحرير الأهرام ؟

يكتب د . ابراهيم بيومى مدكور رئيس المجمع اللغوى اخيرا عن رحلة خصبة تربو على الخمسين عاما ، يحكى فيها ذكرياته مع احداث سياسية وثقافية هامة ، هى بمثابة نبض هذا الوطن ..
تنشر له الهلال عدة حلقات مما سينشر فى كتاب الهلال الذى يصدر فى ١٥ اكتوبر ، متضمنا مذكرات الاستاذ الكبير .

« الهلال »

نمت فى قرننا هذا نمواً عظيماً .. وتطورت تطورا كبيرا .. ففى ثلثه الأول كانت موقوفة على الصحافة اليومية أو الأسبوعية أو الشهرية . ثم أخذت الإذاعة طريقها إلى الظهور .. ونمت وتنوعت فى الثلثين الأخيرين فبدأت مسموعة ثم انضمت إليها الإذاعة المرئية . وتربطنا وسائل الإعلام جميعها بوطننا وعصرنا وعالمنا ، وجاءت الأقمار الصناعية أخيرا فمكنتنا من الوقوف على أحداث الدنيا شرقا وغربا بعد وقوعها بساعات . وبدا العالم صغيرا متصلا اتصالا وثيقا ففى الصحافة والإذاعة معا ثقافة وعلم ومعرفة إلى جانب الخبر والحدث والاختراع والابتكار وبفضلها يعيش ابن القرن العشرين فى عصره تمام العيش ، ويتابع أحداثه كل المتابعة .

وللصحافة فى بلدنا تاريخ طويل يرجع إلى أخريات القرن الثامن عشر حين بدأ «نابليون بونابرت» يوزع منشوراته التى كانت أشبه ماتكون بالصحافة اليومية . وتعهدها محمد على فى أوائل القرن التاسع عشر ، وإن تلكأت حركتها على ايدى من جاءوا بعده من ابنائه ، وقد بدأت بدءاً حقيقيا فى أخريات القرن الماضى ، وعلى أيدى القطاع الخاص ، ثم سارت الهوينى فى العقدين الأولين من هذا القرن . وجاءت الحركات السياسية

والحزبية فغذتها و نوعتها . ويعنينا من الصحافة فى بحثنا هذا جانبها الثقافى . ولاشك فى أن الأقلام التى تواردت عليها كان لها أثرها فى حركتنا الأدبية والفكرية . وإذا كان قراء الأمس محدودين ومعدودين فقد أصبحوا اليوم آلافا مؤلفة . ومن صحفنا اليومية ماناهز توزيعه مليون نسخة وقد يجاوزه أحيانا ولها قراؤها فى مصر وخارجها . وإذا تركنا جانبا القضايا السياسية ومشكلاتها فإنا نعتقد أن من بين صحفنا مايرتبط ارتباطا وثيقا بحياتنا الفكرية والثقافية . وللأهرام فى هذا الميدان شأن ... وفى أعدادها صفحات تصور الواقع تصويرا صادقا دقيقا . ومن عصورها الذهبية الفترة التى تولى فيها المرحوم «أنطون الجميل» إدارتها . وقد كان صديقا وزميلا فى مجلس الشيوخ ومجمع اللغة العربية . وكم كانت تروقنى كلماته القصيرة الدالة . فقد كان يؤمن أن القارىء اليوم يكاد يزدحم بقراءات كثيرة . ومن العون له أن يحدد الهدف . وأن تؤدى المعلومات بلغة واضحة ناطقة . وبرغم أن صحيفته كانت ملكاً لأسرة خاصة فإنها اكتسبت بطابع قومى واضح . ولعل صلتى بأنطون الجميل هى التى وجهت الأنظار نحوى ـ بعد وفاته ـ لكى أقود صحيفته الخالدة . وعرضت علىّ رياسة تحريرها . ولم أتردد فى قبولها إيمانا بأنها تؤدى خدمة ثقافية وإعلامية



أحمد حسن الزيات



أنطون الجميل

لها شأنها فيما نرجو وماندعو إليه من نهوض وإصلاح . ولكن أبت السراى إلا أن تدخل إصبعها حتى فى هذه الشئون الفرعية . وكأنما ظننت أنه سيتخذ من الأهرام سلاح للهجوم والنقد لما يمكن أن يحدث من تصرفات غير سليمة . ومهما يكن من أمر فان حرصى على مصلحة أصحاب هذه الصحيفة دفعنى إلى أن أحميهم من خصومة ماكان أغناهم عنها . وللسراى معى مواقف أخرى مشابهه .

وإذا كنت قد نوهت بالأهرام فماذاك إلا لأنها ترتبط ارتباطا طويلا بحركتنا السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية . وهناك صحف أخرى لم يقدر لها أن تعمر طويلا . كالسياسة اليومية والأسبوعية .. وللسياسة الاسبوعية بوجه خاص قدم صدق فى نهضتنا الفكرية والأدبية .

• على الإذاعة المرئية والمسموعة أن تتجنب الغث وتهتم بالكيف بدلا من الكم .



وقد قامت هذه الصحيفة إلى جانب الهلال والمقتطف ، وصحيفتين أخريين كانت لى بهما صلات أوثق وأدوم وهما الرسالة والثقافة . وكم راقنى من الرسالة أنها كانت تحمل حقا مدلولها فكانت لسان إصلاح ونهوض ينشد الإصلاح لذاته . ويرى كل مفكر أن يسهم فيه وأن يضع لبنة فى بنيانه دون نظر إلى مطمع أو مغنم

وقدر لهذه الصحيفة نجاح كبير ، بدأت تحت كنف «لجنة التأليف والترجمة والنشر» ثم استقل بها المرحوم أحمد حسن الزيات وكم كان مؤمنا بها ومخلصا لها .. وقد تابعتها منذ عام خمسة وثلاثين بعد عودتى من بعثتى ... وأسهمت فيها مااستطعت حتى عام واحد وخمسين ، وفى عام اثنين وخمسين قدر لها أن تتوقف عن الظهور لأسباب مالية ... وكم أسف القراء والمثقفون لهذا التوقف . وأذكر أنى زرت الخرطوم عام ثلاثة وخمسين ، وكان من الأسئلة البارزة التى وجهت إلىّ : أين صحيفة الرسالة ؟ .

ولم يختلف شأن مجلة الثقافة عن الرسالة كثيرا فقد عمرت زمنا ، وقامت إلى جانب الرسالة تحت إشراف لجنة التأليف والترجمة والنشر ولكنها بدورها عدت عليها العوادى ... وأريد أخيرا أن تبعث من مرقدها ، ولكنها مالبثت أن اختفت بعد أن ظهرت زمنا .

والواقع أن صحافتنا الأدبية والثقافية إسبوعية كانت أو شهرية لم يقدر لها نجاح كبير فى ربع القرن الأخير وتنافستها صحف أخرى شهرية أو نصف شهرية فى المشرق والمغرب تغذت بكثير من الأقلام المصرية ، وظهرت فى أثواب جديدة أخاذة ، وطغت على صحافتنا الإسبوعية والشهرية ، وما أحوجنا أن نعيد النظر فى هذا ، ونستعيد قيادتنا الصحفية لقراء العربية جميعا . ويخيل إلىّ أن الأمر يتطلب هواية ورغبة لاسبيل لنجاح صحيفة بدونها .

ثم جاءت الإذاعة المسموعة فى أوائل الثلاثينات ، فصادفت هوى .. وخاطبت جمهورا أوسع وأشمل ... واجتمع على مائدتها الجاهل والمتعلم ... القارىء والأمى . وقد عددتها بحق مدرسة الشعب المفتوحة للجميع . ولها دون نزاع أثر فى تقويم لغة التخاطب ، وفى تزويد العامة بمعلومات ماكانوا يستطيعون الوصول إليها . وقد خضعت فى البداية لسلطان السياسة والحاكم بخاصة ، ولكنها تحررت فى العقود الثلاثة الأخيرة ، وأفسح مجال الحديث فيها لمن لهم رأى سواء أكانوا مؤيدين أو معارضين . بل راقنى منها أنها اتخذت من تسجيلاتها سبيلا للتظلم والشكوى .. وهى شكوى فى الغالب موجهة نحو المسئولين والمقصرين ممن يتولون أمر شئون العامة إن فى الإدارة الحكومية أو فى القطاع العام . ومن المطمئن حقا أن تجىء ردود هذه الشكاوى مقنعة ومطمئنة .. وفيها اعتراف

بالخطأ أو بالقصور أحيانا وفيها أساسا تسليم بالحق متى بدا واضحا . وكم يذكرني هذا بموقف قديم في العهد الملكي فقد كان لي حديث إصلاحي واجتماعي خالص شئت أن أذيعه ، ولكن أحد رجال الرأي وهو كريم ثابت رغب في أن يطلع على الحديث قبل إلقائه ، وكان طبيعيا أن أرفض ذلك ، وأن امتنع عن التحدث إلى الجماهير .

وفي حياتنا الاجتماعية والاقتصادية جوانب في وسع المثقفين والمفكرين أن يواجهوها ، وأن يدلوا برأيهم فيها ويسعدني اليوم أن الحديث في إذاعاتنا لايقف عند من له صلة وثيقة بالأدب وصناعة الكلام ، وقد أسهم في ذلك الأطباء والمهندسون والعلماء والفنانون وادلى كل منهم بدلوه واشهد أن إذاعاتنا وسعت برامجها ونوعتها وعودت الجماهير عليها بحيث لاتستطيع أن تضغطها أو تقف إرسالها على أوقات معينة وهذه نقطة كثيرا ماطال فيها الأخذ والرد ... فأشير إلى الوقت الضائع وبخاصة من الشباب الذين يجلسون إلى الإذاعة ساعات وساعات ... واشير ايضا إلى أن الإذاعة صرفتنا عن القراءة نوعا ما وكل تلك ملاحظات لاتخلو من صدق وصحة ، وسبق لي أن تناولت هذا الموضوع في حديث خاص مع بعض السادة وزراء الإعلام ، وكنت اميل إلى أن تحدد أوقات إذاعتنا أسوة بما يجرى في بعض البلاد الراقية ، وكانت معارضته الأساسية مبنية على العادة ، عادة الجماهير ، وكيف نتخلص منها ؟ وكم من عادات سيئة يدفعنا الواجب إلى أن تبرأ الناس منها وأسعد



نابليون



محمد على

مجمع اللغة العربيه ـ مع هذا ـ ان أسهم في الاحتفال بالعيد الخمسيني لإذاعتنا المسموعة ، وافسح لها داره وشهدنا مع الشاهدين ماأدت من خدمات .

واستمتعنا ايضا بالإذاعة المرئية . وهي ولاشك اشد وضوحا واكثر حيوية تمثل الواقع ... وتقدمه للنظارة حيا ملموسا .. وأضافت إلى الإذاعة المسموعة ماأضافت من توجيه وإصلاح أو نقد وتعليق ... وأشادت بذكر بعض كبار القادة والمصلحين ممن أدوا رسالتهم ولاقوا ربهم ... ونظمت ضروبا من الحوار والمحادثة واجهت بها بعض عيوب الماضي ، ودعت إلى تداركها وإصلاحها .

ومن حسن الحظ أنها محدودة الزمن ، وارجو الا تزيد في وقتها المقرر خشية أن يختلط فيها الغث بالسمين . وتلك مشكلة الإذاعة بوجه عام مسموعة كانت أو مرئية فقد يطغى فيها الكم على الكيف ، وماأحوجنا إلى اختيار دقيق يبعد بنا عن العبث والإسفاف ، فيقوم ويصلح ، متحاشيا أن يهدم ويفسد .



هل ينضم السوفيت الى حلف الاطلنطى

بقلم: عبدالرحمن شاكر

بعد انتهاء لقاء القمة الأمريكى السوفييتى الأخير (فى اوائل يونيو الماضى) أعلن جيمس بيكر وزير الخارجية الامريكى فى احدى محطات التليفزيون ان الاتحاد السوفييتى قد أعرب عن رغبته فى الانضمام الى حلف الاطلنطى اذا تخلى الحلف عن اتجاهه العدوانى وتهديداته للسوفييت . وذلك خلال اجتماعات وزراء خارجية الدول الأربع الكبرى أمريكا وانجلترا وفرنسا والاتحاد السوفييتى مع وزيرى خارجية الدولتين الألمانيتين وهى الاجتماعات المعروفة باسم (٤ + ٢) .

ومن المعروف ان النقطة الشائكة فى تلك المباحثات وفى مسألة الوحدة الألمانية عموما هى رفض السوفيت حتى الآن إنضمام المانيا الموحدة الى حلف الاطلنطى ، وهى النقطة التى تعذر الاتفاق عليها بين الرئيس الأمريكى بوش والرئيس السوفيتى جورباتشوف فى لقائهما الأخير فى واشنطن رغم اعلانهما ان ذلك اللقاء كان أهم اجتماع قمة سوفيتى امريكى وأنه قد وضع نهاية للحرب الباردة بين الدولتين العظميين ، والى هذه النقطة بالذات كانت اشارة جورباتشوف لدى وصوله الى واشنطن ، حينما صرح للصحفيين بأنه لايقبل أن يملى أحد إرادته عليه وكانت حولها أيضا مجاملة الرئيس الأمريكى له بقوله انهم أى الأمريكيين لاينوون أملاء ارادتهم عليه .

ومعنى أن يقترح السوفيت انضمامهم هم الى حلف الاطلنطى بدلا من المانيا الموحدة أو بالاحرى مع المانيا الموحدة ان انتهاء الحرب الباردة لايعنى انتهاء الاعتبارات الاستراتيجية لدى الدول الكبـرى ، فهى تقـوم على اسس «جيوبوليتيكية» ، وتتعلق بها هيبة تلك الدول أكثر من كل مسائل إيديولوجية . ولاشك أن جورباتشوف يحسب حساب الجنرالات السوفيت الذين لن يقبلوا منه تنازلا استراتيجيا من نوع اهداء المانيا الشرقية الى حلف الاطلنطى كغنيمة بلا ثمن ، مهما تكن ارادة الشعب الألمانى فى



جورباتشوف



جورج بوش

الوحدة ، ومهما اتخذت هذه الوحدة عمليا شكل الحاق المانيا الشرقية بألمانيا الغربية . فمن حق الأمين العام للحزب البلشفى (اى جورباتشوف) أن يصبح ديمقراطيا على المستويين المحلى والدولى كما يشاء ، ومن حق الشعب فى المانيا الشرقية ان يتخلى عن نظامه الاشتراكى ليلحق بأبناء بلدته فى الغرب ولايتدخل هؤلاء الجنرالات لمنعه من ذلك مادام جورباتشوف لم يطلب منهم التدخل ، ولكن ليس من حقه ولا من حقهم أن تضاف المانيا الشرقية الى حوزة حلف الاطلنطى ، مادام هو الحلف العسكرى المواجه للدولة السوفيتية التى يتحملون اى الجنرالات مسئولية الدفاع عنها وكان سقوط شرق المانيا تحت سطوتهم الاستراتيجية هو الثمن العادل للغزو النازى للاتحاد السوفيتى خلال الحرب العالمية الثانية ، ذلك الغزو الذى كلف بلاده سبعة وعشرين مليونا من البشر واقتصادا كاملا حرثته الطائرات والدبابات الالمانية قبل أن يتم دحرها .

إن الاقتراح السوفيتى بأن ينضموا الى حلف الاطلنطى معناه أن ينتهى هذا الحلف باعتباره حلفا عسكريا معاديا للسوفيت ، ولكن التبدل فى طبيعة الحلف على هذا النحو لايقتصر على ذلك الجانب السلبى فحسب ، بل انه يمثل ايضا عرضا سوفيتيا على الأمريكان بأن يبقوا معهم فى أوروبا ، مماثلا لمطالبة الالمان لهم بهذا البقاء . السوفيت بهذا يظهرون استعدادهم لتوسيع مفهوم البيت الأوروبى المشترك ، الذى طرحه جورباتشوف منذ ظهور كتابه عن البيريسترويكا ، منذ خمس سنوات ، ليشمل هذا البيت ليس مجرد الدول الأوروبية . من الأورال الى الاطلنطى بل ايضا الجنس الاوروبى على جانبى الأطلنطى فى كل من القارة الأوروبية وأمريكا الشمالية على الأقل

● وجنرالات بوش ايضا

ولكن جورباتشوف ليس وحده الذى لديه جنرالات يعمل حسابا لهم ولحساباتهم الاستراتيجية . فالرئيس الأمريكى بوش له ايضا جنرالاته ، وهؤلاء ليست لديهم اعتبارات استراتيجية فحسب ، ويمنون انفسهم «بلهف» المانيا الشرقية وضمها الى حلفهم العسكرى فحسب ، بل تقف وراءهم كبرى المصالح الاقتصادية فى الولايات المتحدة الامريكية ، وهى مصانع السلاح وما يتبعها من صناعات مدنية ضخمة تعمل فى خدمتها ومدها بما تحتاجه ، وهؤلاء جميعا يحرصون على بقاء الطبيعة العسكرية للحلف ، حتى ولو أعوزهم لبعض الوقت العدو الذى يتجون السلاح لمحاربته ! إنهم يتمسكون بالقشة التى القتها اليهم المانيا الغربية برغبتها فى بقاء الأمريكيين فى القارة الأوروبية ، ومفهوم طبعا أن الألمان يريدون بذلك أن يتجنبوا مطالبتهم

بأن يحلوا هم محل الأمريكان فى الانفاق على متطلبات الدفاع عن بلادهم !.. أقول : يتمسك جنرالات الصناعة العسكرية الأمريكية بهذه القشة للمحافظة على الطبيعة العسكرية للحلف ، لكى يستمروا فى بيع منتجاتهم للحكومة الأمريكية ، ولعا يتيسر من الحكومات الأوروبية ، ولو كان الاتحاد السوفيتى قادرا على الدفع لرحبوا بانضمامه الى الحلف لكى يبيعوا له هو الآخر ولكن الاتحاد السوفيتى لم يلجئه الى انهاء الحرب الباردة ، بما فى ذلك اقتراح الإنضمام الى حلف الاطلنطى الا أزمته الاقتصادية الطاحنة ، التى سببها انهاك اقتصاده فى سباق التسلح .

لذلك كان اول ما فعله جورباتشوف بعد عودته هو القاء دش بارد جديد على دعاة الاستمرار فى انتاج السلاح ، وبالتالى المحافظة على الطبيعة العسكرية لحلف الاطلنطى ، وذلك بإعلانه من جانب منفرد التخلص من الوف الصواريخ النووية السوفيتية فى اوروبا . ولم ينس قبل أن يغادر الولايات المتحدة الأمريكية أن يجتمع بعدد آخر من رجال الأعمال الامريكيين ، من غير منتجى السلاح بالطبع ، ويحاول اقناعهم باستثمار أموالهم فى الاتحاد السوفيتى ، ويحذرهم من أن تفوتهم الفرصة فى ذلك ، فلديه «زبائن» آخرون على استعداد لاستثمار اموالهم وتكنولوجياتهم المتطورة فى الاتحاد السوفيتى وخاصة من اليابانيين والالمان ، بل إن بعض رجاله يغازلون الأموال العربية أيضا ، ويقولون للعرب لو أردتم أن يتخذ الاتحاد السوفيتى مواقف حازمة لعرقلة هجرة يهوده الى الأراضى العربية المحتلة ، فعليكم أن توجهوا جزءا من عائدات النفط العربية الضخمة الى السوق السوفيتية بدلا من أن تذهب كلها الى الغرب ، ويعود قسط كبير منها فى شكل معونات ضخمة عسكرية واقتصادية للدولة الصهيونية تساعدها على مزيد من القمع للشعب الفلسطينى ، والتهديد للدول العربية الأخرى ، وأيضا توطين المهاجرين اليهود السوفيت فى الأراضى العربية المحتلة .

وهذا العرض السوفيتى ، وإن كان يحمل رائحة المساومة على المبادىء ، إلا انه جدير بأن تدرسه الدوائر العربية بعناية ، خاصة وأن الاتحاد السوفييتى يضم جمهوريات اسلامية ، تعتبر هى الاشد فقرا وتخلفا فشعوبها هى الأكثر معاناة فى ظروف الأزمة الاقتصادية السوفيتية الحالية والمساهمة من جانب رءوس الأموال العربية فى انعاش اقتصاد تلك المناطق ، وهو فى التحليل الأخير انعاش لجزء من العالم الاسلامى ، تدل ظواهر الأمور فى ظل سياسة البيريسترويكا والجلاسنوست التى يتبعها جورباتشوف على أنه فى طريقه الى التمتع بمزيد من الحريات الثقافية والدينية ، وبالتالى فإن توطيد علاقاته بسائر العالم العربى والاسلامى هو احتمال غير بعيد .

● أمم متحدة جديدة

ولم يعد جورباتشوف خالى الوفاض من حديثه مع رجال الاعمال الأمريكيين واغرائه لهم بالاستثمار فى بلاده ، فقد وافقت احدى شركات البترول على اقامة مشروع ضخم للتنقيب عنه فى بحر قزوين ، أما حكاية انضمام الاتحاد السوفيتى الى حلف الاطلنطى فذلك أمر

يدرك مقترحوه قبل معارضيه مدى سخافته وعدم واقعيته . وواضح أنه طرح فقد لمجرد «الفلوشة» على الاتجاه الذى يتخذه الأمريكان لضم المانيا الموحدة كلها الى الحلف ، ولامعنى أيضا لكل الاقتراحات السخية الأخرى بتحويل حلفى وارسو والاطلنطى الى مؤسسات سياسية تتعاون دولها فيما بينها ، فهذه الأحلاف هى أحلاف عسكرية بطبيعتها تمت الى عهد الحرب الباردة ، والمنطقى - بعد اعلان زعيمى هذين الحلفين انتهاء الحرب الباردة - هو حل هذين الحلفين ، بل الاحلاف المماثلة أيضا ، وأن يعود أمر المحافظة على أمن هذا العالم ودوله الى الأمم المتحدة بشكل جدى ، بحيث يعاد تنظيمها وتوسيع سلطاتها واختصاصاتها ، فمن حق المانيا بعد توحيدها واليابان أن يطالبا بوزن فى هذه المنظمة الدولية لايقل عن وزن انجلترا وفرنسا على الأقل ، فإذا كانت الدول الخمس الكبرى التى كسبت الحرب العالمية الثانية قد جعلت نفسها قيمة على السلام العالمى عن طريق الاحتفاظ بعضوية دائمة فى مجلس الأمن والتمتع بحق الفيتو على قراراته ، فإن الذى كسب الحرب الباردة فى واقع الأمر هما المانيا واليابان ، حيث أصبحت قوتهما الاقتصادية الحالية اهم بكثير من القوى العسكرية الغاربة شمسها ، وبتعديل أوضاع الأمم المتحدة وزيادة قدرتها على معالجة المشاكل الجدية للعالم المعاصر ، الذى تبينت مختلف اجزائه استحالة حل هذه المشاكل عن طريق الحرب ، كان أولى بأن يكون على رأس ما تناقشه القمة الامريكية السوفيتية ، وبدلا من أن يترك جورباتشوف صاحب البيريسترويكا والذى سيدخل التاريخ باعتباره منهى الحرب الباردة أقول : بدلا من أن يدع رجاله يثرثرون بكلام فارغ عن انضمام بلاده الى حلف الاطلنطى ، كان أولى به أن ينبه رصيفه الأمريكى الى مدى سماجة موقفه حينما رفض ان تذهب قوات من الأمم المتحدة الى أرض فلسطين المحتلة لحماية شعبها من الممارسات الصهيونية الاجرامية ، ولكن يبدو أن وضع حد لتلك الممارسات سوف يبقى منوطا بقدرتنا نحن ابناء الأمة العربية على فرض ذلك ، بدلا من أن ننتظر من أحد فى العالم أن يقوم به نيابة عنا !

على أن تطورين هامين بالنسبة لما تقدم قد وقعا أخيرا :

أولهما : أن الدوائر المالية العربية قد تحركت بالفعل ، بقيادة رجل الاتحاد السعودى الدكتور طارق بن لادن الذى توجه الى موسكو للتباحث حول انشاء بنك عربى سوفيتى تستثمر عن طريقه رءوس الأموال العربية فى الاتحاد السوفيتى .

والثانى : أن السوفيت فى مباحثات (٢ + ٤) قد عرضا الموافقة على انضمام المانيا الموحدة الى حلف الأطلنطى ، اذا ما قدمت لهم معونة مالية مقدار ٢٠٠ مليار دولار لاقالة الاقتصاد السوفيتى من عثرته !

وأن الدوائر الألمانية الغربية تبحث هذا الموضوع بشكل جدى .

وهكذا فليست مسألة الهجرة اليهودية وحدها هى موضوع المساومة المالية ، بل ان مقايضة السياسة بالاقتصاد يمكن أن تشمل كل شىء .. طبقا للمثل السائر عندنا : «اللى تكسبه العب به» !!





البيريسترويكا

ليست روبابيكيا

بقلم: د. غالى شكرى

فوجئت بالتعليق الكريم الذى تفضل به صديقى القديم المتجدد الأستاذ عبدالرحمن شاكر، على مقالى «أكثر من نقطة نظام»

ومصدر المفاجأة ان الرجل وكتابه المعروف «الثورة الاشتراكية العالمية» لم يخطر على بالى قط وانا افكر فى ردود الفعل السلبية على احداث اوروبا الشرقية . وربما العكس تماما ، فقد كانت مقالات الزميل من اكثر الكتابات توازنا وبعدا عن روح «التشفى» التى تقمصت البعض وهم يدبجون مقالاتهم بسقوط الاشتراكية

والمصدر الثاني للمفاجأة هو تصور الكاتب الزميل وخشيته من ان اكون قد تحولت إلى «رجل مرور» فكرى اسمح للبعض وأمنع البعض من حق الكلام فلقد كنت واضحا غاية الوضوح فى التاكيد على ان من لايتمتعون بالحد الادنى من المصداقية ليس من حقهم الافتاء فى شئون لايصلحون للافتاء فيها بحكم تاريخهم وحاضرهم وحصيلة مواقفهم ، وكنت اقصد تحديدا اولئك الذين لم يرفعوا الصوت احتجاجا على معاناة وعذابات المشتغلين بالفكر او العمل السياسى فى

ظل الناصرية أو فى عهد السادات . وهم الان يرفعون عقيرتهم بالغناء للديمقراطية التى تترعرع فى بلاد غيرنا لالشىء الا للهجوم على اليسار والاشتراكية والا فأين هؤلاء - كما تساءلت - من الاوضاع غير الديمقراطية سواء فى ماضينا القريب أو فى أقطار عربية شقيقة ، واحيانا متاخمة لحدودنا ؟ انهم يهاجمون الناصرية الان ويباركون فى الوقت نفسه عسكريات اخرى لمجرد تمسحها بالدين ، امثال هؤلاء ليس من حقهم الافتاء فى شئون الديمقراطية لقد عاش بعضهم فى ظل عبد الناصر والسادات ومازالوا يعيشون الى الان وكانوا فى ارفع مستويات السلطة الاعلامية والثقافية حين كان زملاؤهم فى السجون والمعتقلات والمنافى . ان لدينا اتحادا للكتاب لم يرفع صوته مرة واحدة من اجل حرية كاتب او كتاب . ولدينا المجلس الاعلى للثقافة لم يرفع الصوت مرة واحدة لمناصرة حرية الراى والفكر والتعبير . هل يحق لقيادات هذه المؤسسات « الديمقراطية » ان ترفع صوتها الان للتبريك لشعوب اوربا الشرقية « بسقوط » الاشتراكية وارتفاع رايات الديمقراطية ·

وهناك فريق اخر من الذين يصنفون عادة فى خانة المعارضة واحيانا المعارضة اليسارية ولكنهم فى الحقيقة التاريخية والراهنة على السواء ، كانوا المبررين الكبار لاخطاء وخطايا الانظمة المختلفة والعهود المتتالية . وبعضهم يسمى الان هذه التبريرات بانها كانت من جذور البريسترويكا المصرية الرائدة

فهل هذا صحيح ؟ ان تأييد الاصلاح الزراعى او السد العالى او مجانية التعليم





جمال عبد الناصر عبد الرحمن شاكر

وتأميم السويس ليس من البريسترويكا فى شىء فكلها شعارات الحركة الوطنية قبل ثورة يوليو بزمن طويل . كذلك التعددية الحزبية فهى ليست اختراعا ساداتيا ، ولكنها من التقاليد السياسية المصرية السابقة ايضا على الثورة . ليست هذه او غيرها من البريسترويكا فى شىء .

وقد تكلمت عن قرار حل التنظيمات الشيوعية فى هذا الاطار . اى انه لم يخطر لى فى الحقيقة ان اخص هذا القرار برأى مفصل او تحليل مستفيض . وانما كان يعنيني انعكاسه على مسألة الديمقراطية ومازلت اعتقد انه كان انعكاسا سلبيا فهو تسليم ضمني بنظام الحزب الواحد (الاتحاد الاشتراكية) ومشاركة ضمنية فى ادانة اى فريق اخر يفكر فى الاختلاف والتعددية والمنبر المستقل ، ويقينى بان السلطة الناصرية حققت او بسبيل تحقيق الاشتراكية وقد استمر مفعول هذا القرار او شرعيته فى العهود التالية لانتهاء التجربة الناصرية . ولم يعد ثمة وهم فى اى تحول نحو الاشتراكية يبرر قرار الحل . ومع ذلك فهناك من يتخذ من هذا القرار فكرا سياسيا مستمرا وقائما ، فليس القرار

وحده هو الذى « كان » صحيحا ولكنه مازال صحيحا إلى الآن بمعنيين : الاول ان الظروف التى احاطت به تبرره والثانى انه قابل للتطبيق حتى فى غياب هذه الظروف اى انه اصبح فى مستوى « المبادىء » وهو فكر لا علاقة له بالديمقراطية فى الماضى والتى شبهت لنا فى الحاضر .

ومن ثم فاذا كانت بعض ابواق الاعلام قد فقدت مصداقيتها وبالتالى حقها فى الكلام الديمقراطى لانها ايدت دائما كل سلطة مهما شابت ديمقراطيتها من شوائب فان بعض قيادات اليسار فقدت ايضا هذا الحق بسبب تاريخها المستمر ضد الديمقراطية والذى تتوهم انه من جذور البرويسترويكا .

● امتناع حق الكلام :

ان هؤلاء واولئك يتسببون فى بلبلة تثير الأسى والاحباط عند الاجيال الشابة التى تملك وحدها رؤى المستقبل .

لست أناقش الآن حق الجميع فى الكلام . ولكن الانصات نصف الفكر . والفكر الذى يفقد الاستقبال يجب أن يفتش فى اسباب العطل . هذا العطل هو الذى أسميه امتناع حق الكلام لأن الكلام بلا آذان صاغية فضلا عن القلوب المليبة والعقول المستجيبة . ليست فكرا . انه مجرد كلام . وهذا هو موقف الذين يشمتون فى الاشتراكية باسم دفاعهم عن الديمقراطية ، وهم كانوا اساتذة التبرير للاستبداد بالقول أو بالفعل أو بهما معا فى مرحلة أو أخرى أو فى كل المراحل . وهو ايضا موقف الذين حولوا اليسار أو الاشتراكية او الماركسية إلى مجرد لافتة تخفى التنظير للحزب الواحد ورأسمالية الدولة أو مجرد يافطة تغطى على تأصيل الانفتاح باسم التعددية المشروطة التى انتهت باعتقال مصر كلها فى سبتمبر ١٩٨١ .

ولست فى جميع الأحوال أسبغ صفة البرويسترويكا على ثلاثة افرّق بينهم واميز : الفريق الأول يعادى الاشتراكية من حيث المبدأ فى الماضى والحاضر والمستقبل بعض هؤلاء يظنون أن اطروحاتهم الرأسمالية هى التى انتصرت فى الصراع الايديولوجى العالمى ، وبالتالى فهم قد سبقوا البريسترويكا بزمن طويل .

والفريق الثانى كان – وربما مازال بعضه – يرى أن هناك اشتراكيات متعددة ، وان الاشتراكية الديمقراطية فى الغرب هى التى انتصرت اخيرا ، لأنها لم تفرط فى الديمقراطية باسم الاشتراكية ، ولم تفرط فى الاشتراكية باسم الديموقراطية .

هتلر



السادات



والفريق الثالث من العالم الثالث ممن عاشوا أو راهنوا بين الخمسينات والستينات على أن استعادة الثروة الوطنية من أيدى الاحتكارات الأجنبية وإعادة توزيع هذه الثروة بقدر أكبر من «العدالة» على مختلف الطبقات الاجتماعية هو نوع من التحول نحو الاشتراكية التى قد لاتتسع للتعددية الحزبية ، ولكنها تستوعب الخصائص القومية والدينية للأمة . وهى بالتالى اقدم من البريسترويكا فى الارتباط بالجذور عبر الاصالة والانفتاح على التجارب الإنسانية الأخرى عبر المعاصرة .

اقول اننى لست اسبغ صفة البريسترويكا على هذه الأنماط الثلاثة لانها تخلو من «الأساس» أو «الأساسات» التى تقوم عليها عملية اعادة البناء ، وهى البريسترويكا .. فمن حق الراسمالية ومن واجبها أن تدافع عن نفسها وأن تبرر ذاتها ، بل وأن تعيد بناء مقومات وجودها . ولا علاقة لذلك كله بمصطلح ولد وينمو على اساس مغاير تماما ، هو النقيض الاشتراكى إن البريسترويكا ليست مجرد إعادة بناء ولكنها اعادة بناء البيت الاشتراكى . وأيا كانت الملاحظات التى قد تصل لدى البعض إلى درجة التحفظات على أسلوب البريسترويكا السوفييتية الراهنة ، الا أن احدا لاينكر البنية الاقتصادية الاجتماعية التى ولدت المصطلح هى البنية الاشتراكية ومن ثم فالاطروحة الراسمالية ليست «بريسترويكا» سابقة على مايجرى الآن فى بعض اجزاء من العالم الاشتراكى . وانما هى اختيار مضاد وتجربة قديمة ، وليست البريسترويكا الاشتراكية عودة إليها مهما تعاملت مع آليات السوق والتعددية السياسية ومهما كفلت من حريات قومية أو دينية . ولعله من الأخطاء النظرية والتطبيقية معا أننا لانبصر أحيانا العام فى قلب الخاص ولا الطابع المؤقت فيما يبدو أنه الدائم . أن تصور الثورة الفرنسية ، مثلا على انها ثورة البرجوازية وكفى هو تبسيط مخل اخلالا جسيما ، لأن الفصل بين السلطات وحقوق الإنسان من المنجزات البشرية العامة ، وليست مجرد الوجه الآخر للبرجوازية . انها مكاسب إنسانية وليست مجرد صيغ طفيفة . ومن هنا فالخطأ الايديولوجى والتطبيقى فى أبنية التحول الاشتراكى أنها رأت فى بعض مكاسب الثورات البرجوازية شرورا ينبغى تجنبها ولم تلتفت إلى أن بعض هذه المكاسب مما يستوجب «التعميم» انه «خاص» حقا ، ولكنه الخاص الذى يقبل التعميم . وبالعكس ، فقد تصور البعض أن افكار أو إجراءات البلاشفة فى بناء الحزب أو فى علاقته بالدولة هى افكار عامة وإجراءات قابلة للتطبيق فى كل زمان ومكان . كان الحماس للثورة الاشتراكية الأولى ، من أسباب هذه الرؤية القاصرة او العاجزة عن اكتشاف الخصوصية الوطنية وعن تلبية متطلباتها لا من نصوص لينين بل من ابداعات المواهب الخلاقة فى الواقع الوطنى . وقد وصلت الامور احيانا الى درجة تبنى الخلافات والاشكالات الفلسفية او السياسية التى لا علاقة لها بسياقنا الفكرى لمجرد ان هذا او ذاك من اباء الماركسية او ابناء الثورة السوفييتية قد انحاز هنا او هناك . ولا فرق فى ذلك بين هؤلاء وبين بعض السلفيين الدينيين الذين يقتتلون فى معارك انتهت منذ مئات

السنين ويتحمسون لرموز طواها الزمن .

● التعددية والمصلحة القومية

هذه الاخطاء وامثالها هى التى يعاد النظر فيها . ومن ثم فاعادة البناء لاعلاقة لها بالرأسمالية ، ليست مرادفا لها وليست شبيها من قريب او بعيد .

والعكس ايضا صحيح ، فتأميم بعض المؤسسات الحيوية للدولة الفرنسية او زيادة الضرائب التصاعدية على اثرياء السويد او توسيع رقعة التأمينات الاجتماعية فى اسبانيا والبرتغال لا علاقة له بالاشتراكية مهما كانت التسميات . هذه الاحزاب الاشتراكية الديمقراطية فى غرب اوربا هى احزاب رأسمالية لاغش فيها ، ولان الرأسمالية فى بريطانيا كشأنها فى فرنسا وإيطاليا وبلجيكا وهولندا وغيرها تتكون من شرائح كبرى وفئات متوسطة واخرى صغيرة فان الاحزاب التى تعبر عن طموحات هذه الطبقات تتباين افكارها ووسائلها من حزب المحافظين الى حزب العمال ومن التجمع الديجولى الى الحزب الاشتراكى وهكذا ولكنهم جميعا بناة رأسمالية واحدة لاسبيل امامها سوى التعدد الحزبى . وهو ليس تعددا شكليا لان الطبقات التى يعبر عنها ليست ديكورا انها قوى بشرية وادوات انتاج ومصالح مختلفة . ولكن المصلحة القومية العليا هى المصلحة الرأسمالية وحين اراد هتلر ان يعبر عن هذه المصلحة بتأميم الانتاج واحتكار العمل السياسى وارتفاع راية العرق الآرى حاربه الجميع من الرأسماليين انفسهم وليس من الشيوعيين فقط ، لان المصلحة الرأسمالية واحدة ، ولكن الرأسمالية ذاتها ليست واحدة ولا حياة لها ، بغير التعددية السياسية وتبادل السلطة وليست اللافتات فى هذه الحال اكثر من علامات مميزة بين اجنحة الرأسمالية المختلفة والدليل البسيط غاية البساطة على أن الحزب الاشتراكى فى فرنسا او فى اسبانيا او فى البرتغال هو حزب رأسمالى اولا واخيرا هو « السوق الاوربية المشتركة » التى تضم جميع اللافتات بألوانها المتعددة ماعدا البلاد التى كانت تحكمها احزاب شيوعية . ان الوحدة الاوربية عام ١٩٩٢ هى حاصل جمع الاقطار ذات الاقتصاد الرأسمالى الصريح ، ايا كان الحزب القائم فى السلطة محافظا او عماليا او اشتراكيا او ديجوليا .

لقد ولدت الاحزاب الاشتراكية الديمقراطية بمواجهة الماركسية بافكارها واحزابها ولم يكن الخلاف بين هذه وتلك حول التعددية الحزبية فقط ، وانما كان فى المقام الاول حول الاشتراكية ذاتها من حيث المبدأ والجوهر ، وقد اثبتت الايام والتجارب ان هذه الاحزاب الاشتراكية الديمقراطية قادت عمليات النمو الرأسمالى فى اوروبا الغربية وفى عصر الثورة التكنولوجية بكفاءة على حساب الطبقات الشعبية فى بلادها ونهب العالم الثالث وقد كان ميتران نفسه وزير المستعمرات فى الحكومة الاشتراكية التى قادت العدوان الثلاثى على مصر . وكانت حكومات حزب العمال البريطانى بل ورئيس الوزراء المفكر الاشتراكى فرى مكدونالد نفسه فى مقدمة العوائق التى

حالت دون استقلال مصر والهند عدة مرات .

لا علاقة اذن لهذه الاشتراكيات المزورة بالبريسترويكا من ناحية ، وليست هى التى انتصرت على غيرها الا باعتبارها جزءا لايتجزأ من الرأسمالية العالمية التى ترى انها انتصرت على الاشتراكية فى العالم انتصارا شاملا ونهائيا .

تبقى « اشتراكية العالم الثالث » وهى لاتزيد عن كونها جزءا ضعيفا فقيرا من الرأسمالية التى تنشد الوقوف على قدمها دون تبعية للاجنبى اى انها سياسيا كانت حركة تحرر وطنى . وقد استوجب هذا التحرر بعض الاجراءات الاقتصادية كتاميم قناة السويس او النفط اى استرداد الثروة الوطنية من الاحتكارات الاجنبية وايضا اعادة صياغة الخريطة الاجتماعية بتاميم بعض الشركات المحلية الكبرى والاصلاح الزراعي . هذه الاجراءات من شانها ان تصون الاستقلال وان تحمى الارادة الوطنية فى التنمية ولكنها ليست اشتراكية ولا تحولا نحوها وليست هذا عيبا . أما العيب الحقيقى فهو تغييب اية صيغة ديموقراطية وهو الامر الذى اسهم مباشرة فى تقويض الاستقلال واستلاب الارادة الوطنية . واذا تكلمنا عن مصر نقول ان الناصرية ـ هذه النهضة الثانية بعد نهضة محمد على ـ قد حققت باجراءاتها الاجتماعية قلعة تنموية لحماية الاستقلال الوطنى . ولكن عجزها عن ابداع الصيغة الديمقراطية هو الذى اتاح للرياح العاتية ان تعصف بالقلعة مرتين : اولاها بالهزيمة العسكرية عام ١٩٦٧ والاخرى بانقلاب عام ١٩٧١ .



لينين

ومن ثم فأى تبرير او تنظير لتلك التجربة لا علاقة له بالبريسترويكا من قريب او بعيد .

هذه اذن ثلاثة انماط لا اسبغ عليها صفة البريسترويكا بما فيها النمط الذى ارى الاستاذ عبد الرحمن شاكر قريبا إليه . فمسألة حل التنظيمات الشيوعية فى منتصف الستينات ليست بحد ذاتها ، موضع البحث من جانبى فهى اكثر تعقيدا من اختزالها فى خانة الصواب او الخطأ ، الادانة او التبرئة . وانما اتخذت منها مثالا فقط على من يرون انهم ـ بقرار الحل ـ كانوا روادا للبريسترويكا . بينما هم على العكس من ذلك تماما ، قد شاركوا بهذا الحل نظريا وعمليا فى تغييب الديمقراطية ، والديمقراطية هى الركن الاهم فى اية بريسترويكا .

وقد رأيت من واجبى تقديم هذا الايضاح لان بلبلة واسعة تضطرب لها افئدة وعقول الاجيال الجديدة ، قد تسببت فيها ادعاءات من يحق لهم الكلام ومن لايحق . واننى اشكر عبد الرحمن شاكر و« الهلال » على انهما اتاحا لى فرصة تقديم هذا الايضاح البريسترويكا ليست روبابيكيا اعيد طلاؤها للبيع فى المزاد العلنى !!

محاكمة قضائية لشاعر معاصر

بقلم: د. محمد رجب البيومي

قدم الأستاذ الكبير كمال النجمي حديثا رائعا ممتازا عن المدرسة الغنائية بالعدد الاخير من مجلة الهلال .. وقد اشار فيه الى الشاعر الوطني المعاصر عبد الحليم المصرى، إذ اقام بقنا فترة من حياته، وهي إشارة ذكرتني بهذا الشاعر المطبوع الذى جهله الكثيرون من ابناء هذا الجيل، وقد كان في مطلع هذا القرن نابه الأسم، معروف المكانة، وقد انتقل إلى (قنا) مغضوبا عليه إثر محاكمة قضائية ظل دويها يتردد في المجتمع المصرى قرابة عامين، وكان من قضاتها ومحاميها وشهودها فئة ممتازة من اعلام مصر، ولولا ان الشهرة الأدبية حظ مقدور، لتناقلت الكتب الادبية ما كان من امر هذه المحاكمة، فاضافت صفحات من السياسة والتاريخ والادب والقانون جديرة ان تكون موضع الإلتفات، ولا ادرى لماذا تذكرت هذه القضية حين قرات مقال الأستاذ النجمي، الأنه ذكر انتقاله إلى هذا البلد الكريم، فتداعت المعاني لدى لاتذكر باعث هذا الإنتقال، بل لاعجب كيف تناساه الرواة، ولا اعلم احدا سجله بامانة وتدقيق كما سجله الشاعر الكبير الأستاذ محمد مصطفى الماحي في دراسته الأدبية عن الشاعر، وقد كان زميله في عمله الرسمي، وصاحب سره في موقفه الحرج، فهو امين مامون.


الشاعر عبد الحليم المصرى

اجتمعا فى محفل واحد فنال من التصفيق قدر مانال شاعر النيل ، وقد ظهر حافظ على شوقى فى المحافل بجودة إلقائه ، وهاهو ذا عبد الحليم لايقل عنه براعة تأدية ، وعذوبة ترنيم ، وليس المهم لدى الشاعرين معا أن يبلغا رضا الشعب وحده فقد بلغاه عن موهبة واقتدار ، ولكن طيف القصر قد ملك عليهما السبيل ، وفى اعتقادهما أن شوقيا لم يأخذ مكانة الريادة الا بانتمائه لعباس حلمى ، وكيف السبيل الى الخديوى ، ومن دونه شوقى !! لاحل إلا أن يكون التزلف لشوقى اقرب باب للوصال ! فهل سينفرج الطريق عن وثبات سريعة تفضى إلى الأمل ! أو أن من يجعل الضرغام بابا لصيده تصيده الضرغام !

● (عبدالحليم المصرى)

تشابهت نشأة عبد الحليم المصرى بنشأة حافظ ابراهيم ، إذ عشق الشعر صغيرا ، والتحق بالمدرسة الحربية ، وسافر الى السودان ضابطا ثم أعيد مغضوبا عليه ، وكل ذلك قد تم على وجه المطابقة الكاملة لحافظ ابراهيم من قبل ، واذا كان حافظ قد بلغ أوج الشهرة بما قال من الشعر ، فلم يكن عبد الحليم عند نفسه بأقل من حافظ ، وقد خلب شاعر النيل الباب قارئيه بما نظم فى السياسة ، وسامعيه بما جوّد فى الالقاء ، فأحرى بعبد الحليم أن يسلك مسلكه ، وقد اجتهد واحتفل ، فسار له اسم وسارعت صحف مصر الى تزكيته ، فكانت قصائده تنشر فى صدور المؤيد واللواء والأهرام ! وكان يفوق حافظا بشبابه الفارع ، ووسامته البارعة ، وربما

● ثلاثة شعراء

خطر لحافظ وعبد الحليم أن يبلغا باب القصر عن طريق شوقى ، على حين شاء أحمد الكاشف أن يصل الى الباب دون واسطة ، إذ كانت لديه عزة شامخة ترتفع به عن أن يتزلف الى زميل ، ولم يتحقق للثلاثة ما يرتجون ، اما حافظ فقد مدح الخديوى بعدة قصائد ضمنها الثناء على شوقى ، ليستلين منه قناة صلبية ، ولكنه بعد أن كرر الزلفى تأكد أن مجهوده ضائع ، فأتى بمدحة جديدة يهاجم فيها شوقيا علنا ويرميه بالحسد والضغينة فى قوله :

ياعيد ليت الذى أولاك نعمته
بقرب صاحب مصر كان اولانى
شكا عمان وضج الغائصون به
على اللآئى ، وهاج الحاسد الشانى

محاكمة شاملة لشاعر معاصر

كم رام شاوى فلم يدرك سوى صدف
ساصحت فيه لتقلم ووَزّان

واما الكاشف فقد اكثر من مدائح العباس حتى كاد يقصر فنه عليه وعلى مديح السلطان ، ثم انفجر موقفه صارخا حين تقدم فى مناسبة عيد الجلوس بقصيدة يتساءل فيها عما يسره فى هذا العيد ، وهذا هو الخديوى لايقرب إلا شاعرا واحدا ، ولايلتفت إلى الانداد ، وقد صبر الكاشف مُبِرًا شكايته الكظيمة حتى لم يجد بدأ من ان يتحول السر إلى رعد قاصف ، إنها لحمية رائعة تتجلى فى قوله :

عيد وماذا سرنى فاندى
ذهب الرجاء فى الحبيس الصادى
مالى إذا لم الق عندك موضعا
ولهذه الأعلام والاجناد
قربت شاعرك الجليل لما اقتدى
بك واحد ، من أهل هذا الوادى
مازلت للاشعار تكرمه وما
لك غير ملتفت إلى الانداد
لم يغن أسرارى اليك شكايتى
وقد انتهيت بها إلى الارعاد

ومثل الكاشف حين يعلن هذه الاحتجاجات الدامغة ، لايرقب أملا بعد ، ولعله وجد اليأس إحدى الراحتين ، أما عبد الحليم فكان حريصا على مواصلة الطرق الملح على باب شوقى ، يطرق ويطرق دون يأس ، وقد خصّه بمدائح مستقلة لم تجىء عرضا فى سياق المدائح الخديوية كما فعل حافظ ، بل جعل مديحه مستقلا يعترف فيه بأستاذيته وبأن البلاغة العربية تفخر بالشوقيات كما يفخر رسول الله بتزول القرآن عليه ! ويالها من مبالغة !! ـ ثم يصعد ، الخيال فيتوهم أن شوقيا وهو ملك البيان قد استوزره واكبر منزلته حين أصغى الى شعره ، وأنه يتغاضى عن هناته الشعرية حنانا وعطفا يتوجهان من أستاذ الى تلميذ ، بل من اب يرعى البنوة ويكلؤها بجناحه ، لقد استكثر الشاعر من شوقى أن يصغى لمديح قيل فيه ، وعد ذلك حنانيا ابويا ! ومن أدراه أن شوقيا كان يصغى عاطفا حانيا ، لامجاملا متحملا !

افكان ينتظر منه أن يقول له : لن اسمع مديحا وجهته إلىّ ! ليعرف أنه قد أشاح بوجهه ! وكيف يشيح شوقى عمن يقول فيه :

حافظ ابراهيم



ذللت آبية البلاغة فاغتدت
تمشي بطرسك مشية المتدلل
فلاذا فخرت بها فإن محمدا
قد كان يفخر بالكتاب المنزل
قربتني حتى إذا استوزرتني
أكبرت منزلتي بصدر المحفل
ولبثت تجرى في سماعي صافيا
من عذب شعرك كالرحيق السلسل
حتى إذا اسكرتني استنشدتني
ما سطرته في مديحك انتعلى
فتغض طرفك تارة عن عثرتي
وتقيلها طورا بغير تدلل
فلاذا تبينت امرا فاتا الذي
يرعى الابوة في الزمان الحوّل

ويضيق المجال عن تسجيل ماتزلف به عبدالحليم ، اذ كرر الزلفى خالصة حينا ، وحاملة مرارة العتاب والالم حينا آخر ، حتى إذا جبهه اليأس القاتل لم يجد بدا

الشيخ محمد عبده



من الانفجار الارعن ، ونقول الأرعن لأنه لم ينفجر بحممه النارية فوق شوقي فحسب ! بل فوق أمير البلاد ، وحاكم مصر ، انفجارا قدمه الى القضاء العاجل ، وطرده من وظيفته ومنع الأصدقاء أن يلوذ بهم فاعرضوا متباعدين .

● قصيدة الهجاء

يخيل اليّ أن الشاعر الناقم لبث وقتا طويلا يفكر في حيلة دقيقة تمكنه من أن ينشر هجاءه الصارخ في جريدة الأهرام الذائعة دون اعتراض فهو يعرف جيدا أن لاسبيل الى نشر الهجاء الصريح في أية صحيفة مهما كانت تشيح عن سياسة القصر الخديوي ، لأن للأصول المرعية ، وللمساءلة القانونية تقديرهما الذي لايغيب عن رؤساء التحرير ، لابد إذن من التلميح دون التصريح ـ ولن يكون التلميح إلا بالتستر وراء أشخاص يختارهم الشاعر من سجل التاريخ ولن يعجزه أن يجد في صفحاته أمير المؤمنين وحاكم الولاية وشاعر الأمير ، فاذا كان خليفة المسلمين في تركيا هو أمير المؤمنين ، وعباس حلمي الثاني هو حاكم مصر في ظله ، وأحمد شوقي هو شاعر الأمير ، فما أسهل أن يأتي الشبه القريب من التاريخ العباسي الزاهر ، حيث يكون هارون الرشيد أمير المؤمنين ، ويكون أحمد بن الخصيب والي مصر ، ويكون ابن هانيء (ابو نواس) شاعر الخصيب ، وقد زار ابونواس فعلا مصر ومدح الخصيب بقصيدة قال فيها :

إذا لم تزر ارض الخصيب ركابنا .. !
فاي فتى بعد الخصيب تزور

محاكمة قضائية لشاعر معاصر

هذا ما اهتدى إليه عبد الحليم المصرى ، إذ نظم قصيدة طويلة بلغت ثمانين بيتا من جيد الشعر قدمها بديباجة قال فيها إنه راى فى منامه رجلا طويلا حسن الوجه ، يوقظه من نومه ، ويقدم له هذه القصيدة راجيا أن ينشرها بعد اليقظة فى جريدة الأهرام ، وابتدأت القصيدة بالغزل التقليدى على النهج العباسى المشتهر ، ثم انتقلت الى هجاء الخصيب وهجاء شاعره !! والسؤال المحير حقا هو هذا ؟ كيف غفل رئيس تحرير الاهرام الاديب البارع الأستاذ داود بركات عن المغزى المراد ، وهو من الوضوح بحيث لايحتمل الالتباس ، إننا نعرف أن الاستاذ داود بركات مع ضلاعته الكتابية فى افانين السياسة ، والتعقيب على المشكلات العالمية فى عصره ، كان ذا حس أدبى ناقد ، وله فصول ادبية عن شوقى وحافظ ومطران واحمد محرم وولى الدين يكن والانسة مى وأمين الحداد وجبران خليل جبران ، ومصطفى لطفى المنفلوطى افيمكن ان يقرأ القصيدة دون أن تلتفت إلى ماوراء الستار ؟ اكبر الظن ان ثقته فى ادب عبد الحليم المصرى قد دفعته الى نشر القصيدة دون أن يستمر فى قراءتها ، لاسيما انها بتقديمها المموة تنتقل الى عصر بعيد ، فهى إذن ضرب من الشعر التاريخى الذى اخذ يجد طريقه فى الظهور ، وهذا ما اكدته جريدة الأهرام حين داهمها الخطر بعد توزيع الجريدة وحملة جريدة المؤيد عليها ، إذ أعلنت انها تبرأ مما تطوى فى لفائفها من رموز تنكر مدلولها كل الانكار ، وترى الشاعر يستاهل التاديب اذا صح انه يقصد ماكانت تجهله الجريدة حين سمحت بنشر هذا الافتراء لقد أصبحت الأهرام فى موقف لاتحسد عليه ، واضطرت الى تاكيد براءتها المرة بعد المرة لتسكت السنة من اخذوا يتهمونها بنبذ الولاء ، أما الشاعر نفسه . فقد رمى الخديوى بالجشع ، والطمع ، وسلب الأوقاف ، واصطياد الثراء من شتى الوجوه ، كما جعله نظيرا لفرعون أخيه حين تجبر واستبد وقال ما علمت لكم من إله غيرى ، فالأرض ارضى – وهذه الأنهار تجرى من تحتى ، يقول عبد الحليم المصرى :

قل للخصيب اذا ما جئت سدته ... عليك بالدين فالدنيا لميقات
ياحاملا نشب الدنيا على كتف ... انت المسافر فانعت لى النهايات
تمضى عجولا بما جمعته طمعا ... فى غيره ، فاسترح بين المسافات
إن قيل منجم تبر فى الهواء رمت ... بك الامانى اوهام اللبانات
فاجلس على عرش فرعون اخيك وقل ... انا الإله ولى حق العبادات
النيل من فضتى . والارض من ذهبى ... والشمس دارى والافاق داراتى
نعم الامين على مصر وساكنها ... لو يؤمن الذئب فى المرعى على الشاة

هذا بعض ماقيل فى عباس ! اما شاعر الامير .. الذى غالى به الخصيب مغالاة لاتجد المبرر من عاقل ، إذ منحه من

الاحسان ما افسده حين مد له اسباب الغواية ! هذا الشاعر المدلل قد اضر به الجاه ، وأتلفه العز ، إذ أن ارومته سيئة لاتصلح بغير الاذلال والمهانة ، ولكنه وحده يشرب ماء النيل عذبا صافيا دون الخلق ، على حين يقف أنداده ظامئين لاتروى حلوقهم قطرة من ماء ! وقد بطر واستعلى حتى جاز له أن يدعى الملك مادام مشمولا بعطف الخصيب ورضاه !

يقول المصرى :

ما للخصيب يغالي بابن هانئة
ما اعرف العين إلا في المغالاة
يد بعارفة الاحسان يصرفها
اليه كانت سبيلا للغوايات
قد يفسد الغر من ساءت ارومته
ويصلح الذل ارباب الاساءات
اشاعر النيل دون الخلق يشربه
بينا يشق الصدى منا المرارات
ليدع الملك إن يرض الخصيب فما
يبقى عليه سواه في اللذاذات

مهما يكن من شيء ، فقد احدثت القصيدة دويا رنانا ، دفع ذوى الأمر الى محاكمة الشاعر الجرىء على الفور فعقدت المحكمة في جو عاصف ، وصار أحب الناس للشاعر لايملك أن يدفع عنه حق الاتهام حيث تطوع بعض من أتمنهم عبد الحليم على سره بالشهادة ضده ، فذكروا انه اعترف لهم صراحة بسوء قصده ، وصال رئيس النيابة مقررا فداحة الجرم ، واستأنست المحكمة بشهادة كبار الأدباء والشعراء فلم ينكروا أن الخديوى هو المقصود بالذات وقد اعتذر المتهم عن الحضور لمرض طارىء تزكيه شهادة الطبيب ، وترافع الدفاع طويلا دون جدوى ، حيث صدر الحكم غيابيا بحبس



جمال الدين الافغاني

الشاعر ثلاثة أشهر ، فعارض في الحكم الجنائي الغيابي مستأنفا ، وحددت الجلسة على وجه سريع .

● فرقعة الهلباوى

اى بطل مغوار كان الهلباوى !! لقد جنت عليه مأساة دنشواى جناية طمست بريقه الساطع عن العيون ، وهو بعد مدرة القانون الجرىء الذى واجه المحكمة مواجهة مسرحية ، حيث تقدم زميله الاستاذ الكبير وهيب دوس بالدفاع القانونى مستندا الى نقاط تحتمل الأخذ والرد ، أما الهلباوى تلميذ جمال الدين وزميل محمد عبده وسعد زغلول ، فقد واجه المحكمة بما لم يخطر لها على بال ، حيث اكد أن القصيدة ليست نصا في هجاء عباس ، وأن رئيس التحرير ، وهو الاديب الالمعى الاستاذ داود بركات لم يفطن الى ما

محاكمة قصيدة لشاعر معاصر

استنتجه المستنتجون ، وقد اعترف المتهم بأنه لم يقصد الخديوى بهجائه ، وأنه يتحدث عن واقع تاريخى ، فاذا رأت المحكمة أن تلزمه بمالم يعترف به ، فكأنها تقرر أن الهجاء صحيح ، وأن سمو الخديوى تلوح صورته من خلاله ، وما اظن وطنيا مخلصا فضلا عن قاض عادل يتلمس الهجاء تلمسا ليلصقه بأعلى رأس فى البلاد ! إننا نعرف بعد الخديوى عما جاء فى القصيدة من هموم ، وأن الشاعر قد اقسم أنه لايقصده ، فهل تريد المحكمة أن تقول له إن قولك ينطبق على سيد البلاد ! أم أن الاكرم للمحكمة أن تقرر أن الخديوى أسمى من أن يهجى هذا الهجاء الشنيع ! إن عهد الخديوى أرفع من أن يثبت فى سجل تاريخه هذا الحدث الشائن الذى أنكره من نسب اليه ، فلتحكم المحكمة بالبراءة فهذا أجمل بها

كمال النجمى



لطفى المنفلوطى



وبصاحب الأمر ، وبقانون مصر وبالشاعر المتهم ! وكانت النتيجة أن صدر الحكم بالبراءة دون إبطاء .

على أن ديوان الأوقاف قد فصل الشاعر فصلا تأديبيا ، لما جاء فى قصيدته فاستأنف الشاعر مستظهرا بحكم المحكمة ، فقضى المجلس بتعديل الحكم ، وبنقله الى قنا ، ورأى الشاعر ان يهادن فاستأنف المدائح الصادقة ، ثم جاءت الريح بما يحب فذهب عهد ، وجاء عهد ، واقيم السلطان حسين كامل سلطانا على مصر فأرجعه إلى القاهرة ، وأتاح له أن يتصل بالقصر بعد رحيل شوقى الى منفاه بالأندلس وأخذ عبد الحليم مكانته بين كبار الشعراء ، وقد اقيمت احتفالات شعرية ، بقصائد تخلد ابطال الاسلام ، وتلقى بقاعة الجامعة المصرية ، فأنشد حافظ ابراهيم قصيدة (العمرية) عن الفاروق عمر ، وجاء دور عبد الحليم المصرى ، فأنشد قصيدة ، (البكرّية) عن الصديق بعد وقت قريب ، ثم أنشد محمد عبد المطلب (علوّيته) عن على كرم الله وجهه ، فى وقت تال ، ولم يكن احد يتوقع أن الموت سيهاجم عبد الحليم فى عنفوان شبابه ، فمات فجاة فى سن الخامسة والثلاثين وبكاه عارفو فضله من الكتاب والشعراء ، ورحل عن الدنيا تاركا اثاره الادبية ، وأظهرها ديوانه الشعرى فى ثلاثة اجزاء .. واذا جهله الكثيرون من أبناء هذا الجيل فما أحرى الدارسين بالرجوع الى اثاره الفكرية محللين ناقدين ، ليأخذ مكانه المستريح فى سجل الأدب الحديث ..

لغويات

● في قولهم : «جاءت الأنباء تترى» أو : «توالت الوفود تترى» يظن بعضهم أن «تترى» فعل مضارع بمعنى «تتوالى» .. وهذا خطأ فاحش ، لأن لفظ «تترى» ليس فعلا ولكنه اسم ممنوع من الصرف ، على وزن « فعلى » بفتح الفاء وسكون العين ، ومعناه المتابعة وترا .. وترا - بكسر الواو - وفي القرآن الكريم : ثم أرسلنا رسلنا تترى .. اى «ارسلناها متتابعة» ...

● يسمي بعض الناس ابناءهم الآن باسم «مودى» على سبيل «الدلع» .. والمودى هو الذى أودى ، أى هلك ومات .. فهل يعلم من يطلقون هذا الأسم على ابنائهم معناه ؟!..

● من مشاهير الاقباط في الجيل الماضي : توفيق دوس باشا السياسي ، ووهيب دوس بك المحامي .. ويظن البعض أن اسم « دوس » اسم مصرى قديم أو رومي ، والحقيقة انه اسم عربي صميم كانت تعرف به قبيلة عربية ينتمي اليها الصحابي الكبير صاحب الاحاديث : « ابو هريرة» .. فهو ابو هريرة الدوسي !..

● الرجل الضخم الجثة يصفه العوام بانه مثل «الهجمة» .. واصل «الهجمة» القطعة الضخمة من الابل ، تملأ المكان وتزحمه ، فاستعارها العامة للرجل الضخم الذى يسد الباب بجثته !.. والعامة يحركون الجيم في هذه الكلمة ، واصلها في النطق الفصيح السكون ..

● يستخدم الأدباء كلمة «السمات» ومفردها «سمة» في معنى العلاقات والخصائص المميزة لأسلوب هذا الكاتب أو ذاك ، والسمات هي ما كان يوسم به البعير من الصور والعلامات ليعرف بها عند العرب ، وكانت الوسيلة هي الكي بالنار ! ..

● توصف الأشعار المشهورة والحكم - جمع حكمة - الذائعة بانها قصائد شوارد ، وحكم شوارد أى شاردة في البلاد كما يشرد البعير فيذهب بعيداً .

العقاد وتشرشل اللبناني

بقلم: محمد محمود عبد الرازق

الدكتور شاكر بك الخورى من الطلاب اللبنانيين الذين درسوا الطب بمدرسة قصر العينى برعاية الخديو اسماعيل . ولما حضرت السيدة حسن جيهان قرينة الامير بشير قاسم الشهابى الى مصر كان هو الطبيب الذى اختاره الامير لمعالجتها . ثم ندب للسفر معها عند عودتها . كما وقع عليه الاختيار لمصاحبة اسرة روزفلت فى رحلتها النيلية . وعلى راسها السيدة روزفلت الام ومعها ولداها كرنيليوس وفرانكلين الذى تولى رئاسة الجمهورية فيما بعد .

وكان الطبيب شاعرا ايضا . وكتب مذكراته وطبعت فى بيروت بمطبعة الاجتهاد سنة ١٩٠٨ . وبمناسبة رثائه للأمير فؤاد بن الامير سليم شهاب من السيدة جلنار ابنة تشرشل بك الانجليزى كتب يقول إنه «كان شابا وحيدا بلغ السابعة عشرة وتعلم بمدرسة الآباء اليسوعيين فمرض بداء الجنب وتوفى وله سبع شقيقات وهو وحيد بينهن . وقد حزن لفقده كل من عرفه وقد نظموا له بعدة «مراثى» وكنت من جملة من رثوه .. اما والدته فهى ابنة تشرشل بك الانجليزى الذى كان قائم مقام فى الجند الانجليزية وهو من اسرة عريقة فى الشرف لم تزل الى اليوم»

كما قال ايضا : «تشرشل هو من اعرق الاسر الانجليزية شرفا ولم تزل اسرته من اللوردات فى انجلترا حضر الى سوريا مأمورا عسكريا سنة ١٨٤٦ وبقى فيها ولم يرجع الى انجلترا وتزوج من النساء



عباس العقاد



تشرشل

الشرقيات وهو سياسى محنك خبير رزق ابنتان وغلام (هكذا) سماه ونستن عرفته جيدا ، وتزوجت بنتاه ، الواحدة بالامير شهاب ، والثانية بالأمير سليم منصور شهاب والدة فؤاد ، وكان لتشرشل بك اخت فى انجلترا اوصت بقسم من املاكها او قيمة اربعة الاف ليرة انجليزية لاولاد اخيها .

وبعد وفاتها دخلوا بالدعاوى واخيرا اقتسموا المال حسب الوصية ونالت زوجة الأمير عبدالله حصتها من الارث . اما ولده فتزوج فتاة فرنسية اتى بها الى سوريا ثم انفصل عنها وتوجهت لبلادها غير انه تبعها اخيرا ولا اعلم ماذا صار به بعد ذلك . إنما بلغنى انه توفى بلا عقب ..»

وعند قراءة الاستاذ العقاد لهذه المذكرات توقف عند هاتين الفقرتين متسائلا : «فها هنا اسم «تشرشل» واسم «ونستون» ولقب اللوردية والعمل فى الجندية ، فمن يكون هذا الضيف الشرق او المستشرق من تلك الاسرة التى لا تذكره ولا تذكر الشرق كله بخير ؟ .

من يكون تشرشل بك هذا من اسلاف السير وابناء الدوق ؟ ومن فى لبنان اليوم من ذرية بناته او من ذريته هو بعد زواجه من احدى السيدات اللبنانيات ؟ وكيف يكون الاتصال بين تشرشل اللبنانى وتشرشل الانجليزى اذا تعارفا اليوم معرفة الاقارب والاصهار ؟ ان وجد فى لبنان من يذكر هذا النسب فخير ما تصنعه لبنان ان تجنده لمفاوضة قريبه نصير الصهيونية فى مشكلة اسرائيل ، او تجنده لإقناعه بحق الشرق وحق بنيه ومنهم عمومة له واخوال !

● ايام لها تاريخ

وبعد إثارة هذه التساؤلات بصحيفة واخبار اليوم (٢٢ / ٥ / ١٩٥٤) التقى به

العقاد وتشرشل اللبناني

حبيب جاماتي الصحفي بدار الهلال الذي كان يشتهر وقتها بمقالاته في «المصور» تحت عنوان «تاريخ ما أهمله التاريخ» وذكر له ان الرجل قريب حميم لرئيس الوزارة البريطانية - في ذلك الوقت - ونستون تشرشل . وله ذرية في لبنان ومعارف واصحاب ، وهم يذكرونه باسم شرشر بك . فقد عربوا اسمه كما عربوا كثيرا من اخباره وأطواره وهو من الشخصيات التي تحيط بها الاخبار والذكريات .

وفي نفس اليوم وصل الى دار «اخبار

روزفلت



اليوم» كتاب من المؤرخ اللبناني الاستاذ صموئيل عطية ، وبه بيان موجز عن تشرشل بك اللبناني وسبب مقامه في لبنان وانقطاعه فيه عن اسرته الانجليزية : «ان انجلترا ارسلت في اوائل القرن التاسع عشر اسطولها الى المياه السورية لمساعدة الدولة العلية ووقف الزحف الذي قامت به جيوش ابراهيم باشا وان الاسطول القى مراسيه بميناء بيروت لكي يخير الأمير بشير الشهابي حليف ابراهيم باشا بين استسلامه لاميرال الاسطول او نفيه الى الاستانة .. وكان على ظهر البارجة التي تقل الأميرال بعثة انجليزية سياسية احد اعضائها الكولونيل تشرشل من عائلة تشرشل المشهورة ، ففي احدى الحفلات التي اقيمت لتكريم هذه اللجنة تعرف الكولونيل بسيدة من العائلة الشهابية فهام بها وقرر ان يتزوجها ، ولما عارضته عائلته استعفى من الجيش البريطاني غير عابيء بتهديد العائلة» .

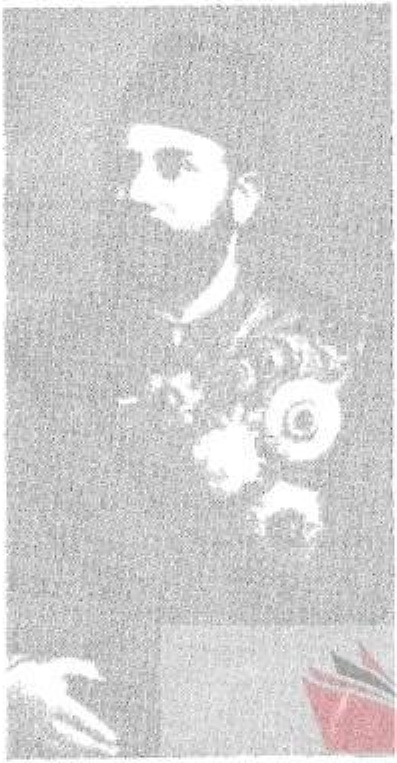
ويفهم من بيان عطية - كما يقول العقاد ان تشرشل بك هذا كان كاتبا مشغولا بالتاريخ وانه الف كتابا اهداه الى صديقه الدوق ولنجتون المشهور ، عني فيه خاصة بعقائد الطائفة الدرزية بل يفهم من اخباره انه اراد ان يحيط نفسه بالجو الشرقي كله وهو ذلك الجو الذي يعتقد المسحورون بالشرق من الغربيين انه لايخلو يوما من شعر يقال في جميع المناسبات فاشترى قرية صغيرة من قرى لبنان تقع بين بلدتي عالية وبحمدون وبنى فيها قصرا وساعده

على زراعتها كثرة الينابيع ، ولا تزال على جسر بناه فوق احد الافنية لوحة رخامية منقوش عليها :

لقد انشاه تشرشل بك جسرا
تمر الناس فيه بالامان
شرى هذا المكان وكان ارضا
معطلة فصار من الجنان
شريف قد تسلسل من شريف
وزير الانجليز عظيم شأن
نسيب مؤيد جنرال حرب
بمارلبروك يدعى فى الزمان

والقرية اسمها «بجواره» يملكها الآن المليونير اللبناني جورج شقير ، ويزرع بها اجود التفاح والكمترى والخوخ ، وكانت مبانى قصر تشرشل قائمة حتى بداية الخمسينيات . ويضيف عطية صموئيل : أن اسرة شرشل بك قاطعته مقاطعة تامة ، ولكن عمته عادت فاعترفت بابنه الذى كان يحمل اسم ونستون تشرشل وهو اللقب او الاسم الذى يتخذه افراد الاسرة وكان الاعتراف بالابن بعد وفاة والده .

اما اسم «مارلبروك» الذى ورد بالابيات السابقة ، فهو الاسم الحقيقي للأسرة . إذ انها تنتمى الى اسرة الدوق مارلبروك . وقد اضيف اسم تشرشل الى اعلام الأسرة بعد موته بغير عقب مباشر . وهى اسرة عبقرية ولكن العبقرية لا تخلو من الجنون ويقول التاريخ ان جذور الجنون كانت كامنة فى الآباء والامهات . فالدوق مارلبروك الكبير قضى السنوات الأخيرة فى حياته ذاهب اللب من اثر الصدمة التى منى بها لاهماله بعد الاقبال عليه . والجده سارة قيل عن كوارثها البيتية انها اصابت



الخديو اسماعيل

راسها كما اصابت قلبها . والجد الأمريكى القريب - جد ونستون تشرشل لامه - كان معروفا باغرب الغرائب فى طموحه ومغامراته . ونستطيع ان نضيف الى ذلك قسوة ونستون تشرشل ، التى تنقلب - فى كثير من الأحيان - إلى وحشية غير مبررة منذ أن كان ضابطا صغيرا . ودوره فى حرب البوير مازال شاهدا على شذوذه .

وكما ان العبقرية لا تسلم من الجنون ، فانها لا تسلم ايضا من الرومانسية وقصة تشرشل بك اللبنانى خير شاهد على تلك الرومانسية الحالمة

شهريات

اشارات ثقافية

مصيبة الذين يكتبون

لنتفق على ان « الكلمة » حين تفقد مصداقيتها في مجتمع ما ، فإن هذا يعني ان مثقفي هذا المجتمع يرتكبون اخطر جرائم العصر ، لان معنى هذا ان الطريق إلى التقدم قد احتوى على هوة عميقة ، وجرح غائر .

ومصداقية الكلمة هو الامر الاول الذى يهم بداعة جمهور المتلقين .

وبالتالي فإننا حين نرى ظواهر تترى بين من يحملون الاقلام وعلى رأسها : نشر معلومات مغلوطة ، أو « مفبركة » أو « تشويه » الوقائع ، والتمويه عليها ، فإن هذا يصيب مصداقية الكلمة في الصميم .

نرى هذه الايام ظاهرة الكاتب « ابو شنطة » التى يحملها في الصباح ، وقد اكتظت بالمقالات في كل فنون الكتابة : نقد مسرحي ، نقد سينمائي ، شعر وقصة ، تحقيقات ثقافية واخرى اجتماعية وفنية ، ومقابلات من كل نوع ، كتبها في الليلة الماضية ، وبناء على إشاعات سمعها عصر نفس اليوم ، او طلبها بالتليفون وهو على عجلة من امره ، جمعها باسرع ما امكنه ، وكتبها باسرع مما جمعها به ، وبالتالي ، لم يدقق معلوماته ، ولم ير مصادره ويناقشهم ، ولم يقرأ اساسا المادة قراءة كافية ، لان همه الوحيد ان يكتب اكبر عدد من الكلمات يبيع بها اكبر عدد من المقالات التي يشحن بها حقيبته ، ويخرج في الصباح ليوزعها على الصحف والمجلات ، ذات اليمين وذات اليسار ، ويمطر بها مكاتب تمثيل الصحف والمجلات ، ليجمع اكبر قدر من الدولارات .

والنتيجة : مقالات مزيفة ، عن اشياء مزيفة ، ومعلومات مغلوطة او مختلقة مشحونة بالادعاء ، والضحية : جمهور القراء .

ما الحل في هذه القضية ؟

الحل هو ان توضع مقاليد الصحافة العربية في يد من يعرفون ، ويعون ، ويدركون أن جملة واحدة كافية لتغيير حياة انسان ، وان عاما من الكتابة الجادة الشريفة قادر على تغيير حياة أمة كاملة .

عبده جبير

جائزة باسم احسان عبد القدوس للقصة والرواية

قررت اسرة الراحل الكبير احسان عبد القدوس انشاء جائزة جديدة تحمل اسمه بداية من هذا العلم ، وخصصت للجائزة مبلغ ٥ آلاف جنيه وتتم في فرعين : القصة القصيرة ، والرواية الطويلة .

الجائزة تحمل اسم احسان عبد القدوس وقد قبل الكاتب الكبير نجيب محفوظ الرئاسة الشرفية للجنة الاشراف على الجائزة التي تضم في عضويتها كلا من انيس منصور ، وفتحي غانم ، ومفيد فوزي وجمال الغيطاني والدكتور محمد شفيع السيد ، والزميل عبده جبير وابن الراحل الكبير الصحفي محمد عبد القدوس كمنسق عام للجنة .

وقد طلبت اسرة احسان عبد القدوس من « الهلال » توجيه الدعوة للمتقدمين للجائزة على صفحاته ، على ان ترسل النصوص في ثلاث نسخ مكتوبة على الآلة الكاتبة الى عنوان مؤسسة روز اليوسف ٨٩ ـ ١ شارع القصر العيني بداية من وجود هذا العدد بين ايدي القراء وحتى الأول من فبراير القادم .

الفائز الأول في الرواية سيحصل على مبلغ ١٥٠٠ جنيه والثاني على ١٠٠٠ جنيه والثالث على ٥٠٠ جنيه اما الفائز الأول في القصة القصيرة فسيحصل على ١٠٠٠ جنيه والثاني ٦٠٠ جنيه والثالث ٤٠٠ جنيه .



احسان عبد القدوس



نجيب محفوظ

حفل توزيع الجوائز سيقام في ابريل من العام القادم في ذكرى وفاة الكاتب الكبير في قاعة احسان عبد القدوس بمبنى مؤسسة روز اليوسف ويقوم بتسليمها الكاتب الكبير نجيب محفوظ واسرة الراحل الكبير .

و .. حجازي وأبو سنة يفوزان بجائزة كافافيس الأولى في الشعر

فاز الشاعران احمد عبد المعطي حجازي ، ومحمد ابراهيم ابو سنة بجائزة الشاعر اليوناني الذي عاش حياته كلها في مدينة الاسكندرية « كافافيس » مناصفة بينهما (٢٥٠٠ جنيه لكل منهما) وذلك في اول مرة تقام فيها الجائزة التي تنظمها كل من :

- جمعية الصداقة المصرية اليونانية .
- الجمعية المصرية للدراسات اليونانية والرومانية (كلية الآداب ـ جامعة القاهرة)
- المستشارية الثقافية لسفارة اليونان بالقاهرة .

شهريات

شذرات ثقافية

لجنة تحكيم الجائزة برئاسة الدكتور ثروت عكاشة وعضوية كل من الدكتور احمد عتمان رئيس قسم الدراسات اليونانية بجامعة القاهرة ، والدكتور نعيم عطية الكاتب والمترجم (عن اليونانية) ، والاستاذ حسن كامل رئيس جمعية الصداقة المصرية اليونانية ، والسيد « ى » موسكوف المستشار الثقافي للسفارة اليونانية بالقاهرة .

تمنح الجائزة ابتداء من هذا العام كل سنة لافضل مجموعتي شعر صدرتا في نفس العام وقد فاز احمد حجازى بمجموعته « اشجار الاسمنت » ، وابو سنة بمجموعته « رماد الاسئلة الخضراء » .

وقد اقيم مهرجان شعرى بهذه المناسبة حيث حضر الى مصر اربعة من الشعراء الشباب اليونانيين والقوا اشعارهم التى ترجمت للعربية وقرئت على الجمهور وكان بينهم واحد من اهم الشعراء المعاصرين اليونان هو « جورجي كاكوليحس » ، كما ترجمت اشعار اربعة من شعراء المصريين الشباب هم وليد منير ، مهدى مصطفى ، بهاء جاهين ، احمد الشهاوى وقرات باليونانية على الجمهور .

القيت في المهرجان ايضا محاضرات عن كافافيس احدها عن فكرة « المكان والعلاقة الجدلية بين الداخل والخارج



عبد المعطى حجازى



محمد ابو سنة

في اشعار كافافيس للدكتور « بيك ام » من جامعة لندن ، واخرى بعنوان « كليوباترا » والاسكندرية في اشعار كافافيس للدكتور احمد عتمان الذى اكتشف ان ٨٠٪ من اشعار كافافيس ذكر فيها الاسكندرية بطريقة او باخرى .

وقد اعلن في المهرجان الذى اقيم على مرحلتين في كل من القاهرة والاسكندرية ان العام القادم سيضاف الى بنود المهرجان منح جائزة موازية لافضل دراسة او ترجمة او اى عمل ادبى يستوحى الثقافة المصرية اليونانية سواء عن كتاب يونانيين او مصريين وسيترجم وينشر باللغتين .

برنارد شو والاسلام

كتاب يثير قضية هامة

أصدر الاستاذ محمود على مراد كتابا في سلسلة الهلال بعنوان « برناردشو والاسلام » .. والمؤلف غير مجهول لدى



محمود علي مراد

القراء فى العالم العربى فهو استاذ الترجمة وتحليل الأسلوب بجامعة جنيف ومن اشد المعجبين بالكاتب الايرلندى الشهير المتوافرين على دراسة اعماله ومسرحياته .

وكتاب « برنارد شو والاسلام » الذى بين ايدينا يثير قضية هامة جديرة بالبحث والتأمل تتلخص فى ان النبى محمدا صلى الله عليه وسلم موجود فى كل مكان فى عالم برنارد شو ، موجود فى الظاهر وفى الخلفية .

ويؤيد الاستاذ محمود مراد نظريته هذه بالأدلة والقرائن الآتية :

أن شو اهتم كثيرا بالاسلام وبشخصية النبى بصفة خاصة ، وكان فى بداية حياته مفتونا بهذه الشخصية وظل مفتونا بها الى أواخر عمره الطويل لم يتغير شعوره نحوها بل ازداد اجلالا واعجابا بها ، ومن اقواله فى مقدمة احدى مسرحياته إن محمدا واحد من اعظم الانبياء .

* أن شو قرن اسم النبى بأسماء عدد من الشخصيات العظيمة سواء اكانت شخصيات تاريخية أو معاصرة .

* أن شو أورد فى كتاباته غير المسرحية وفى بعض المسرحيات عبارات قصيرة ومتفرقة تحدث فيها عن النبى حديث المعجب الصديق ، وان هذه العبارات تدل على ان شو قد فهم روح الاسلام كدين اصلاحى عالمى فهما سليما وانه يكن لشخصية الرسول الكريم تقديرا عظيما .

* أن شو فكر فى كتابة مسرحية عن النبى محمد عليه الصلاة والسلام ولكنه عدل عن تنفيذ هذه الفكرة حين قيل له إن ذلك قد يغضب تركيا وأن الرقيب سيمنع عرض المسرحية إن هو عرضها .

ويعتقد الاستاذ محمود مراد ان شو حين فكر فى تاليف هذه المسرحية انما كان يريد ان يتخذ منها وسيلة لتصحيح افكار الغربيين الخاطئة عن الاسلام ونبيه .

* أن شو كتب لسيدة من معارفه سنة ١٩٠٩ خطابا قال فيه إنه كان فى تلك الأيام يقرأ القرآن يوميا وانه نجح بعد سنوات من الجهد فى إقناع دار نشر إفرى مان باصدار ترجمة « رودويل » للقرآن الكريم ، فقد وجد شو فى القرآن شيئا ثمينا رأى من الخير ان يصل الى اكبر عدد من الناس .

وقد طبق المؤلف هذه النظرية على مسرحية قيصر وكليوباترة التى وضعها شو سنة ١٨٩٨ ، وخلص من ذلك الى ان غرض شو من كتابة هذه المسرحية لم يكن وصف قيصر كما هو معروف فى التاريخ وإنما هى شخصية رمز بها لشخصية النبى محمد عليه الصلاة والسلام ، وأن هذا الأسلوب الذى انتهجه شو هو من قبيل الرمزية فى الكتابة التى يرمز فيها الكاتب بشخصية معينة لشخصية اخرى .

وإذا كان لنا أن نعقب على هذه النظرية التى يعرضها المؤلف فى هذا الكتاب فإننا نطرح السؤال التالى : هل حقا أن برنارد شو قد رمز بشخصيات

بعض مسرحياته وما كانوا عليه من صفات واخلاق الى النبى محمد أم أن ذلك التشابه الذى لاحظه المؤلف بين بعض هذه الشخصيات وبين شخصية الرسول الكريم إنما يرجع فى الاساس الى ان الابطال والعظماء والقادة فى كل زمان ومكان قد يشتركون فى بعض الصفات والاخلاق التى تكاد واحدة بينهم ، خاصة وان محمدا عليه الصلاة والسلام - بجانب انه نبى مرسل وموحى اليه من الله سبحانه وتعالى - كان - كبشر - بطلا من أعظم الابطال وقائدا من القادة الافذاذ . فاذا كان قيصر فى مسرحية شو يطلق سراح الأسرى من الجنود ولايقتلهم حتى لايعودوا من جديد للقتال ، فهل معنى ذلك ان شو يرمز بقيصر الى النبى محمد الذى أطلق ايضا اسراه ولم يقتلهم وقبل اخذ الفدية منهم وقال بعد فتح مكة قولته المشهورة « اذهبوا فانتم الطلقاء » ؟ ..

على كل حال فإن كتاب الاستاذ محمود على مراد « برنارد شو والاسلام » ، يدعو الى اعادة قراءة مسرحيات شو برؤية جديدة .

رابح لطفى جمعة

• • •

حول رواية « أولنا ولد » لخيرى شلبى

تناولي لهذه الرواية لا علاقة له بالنقد بأى حال ، فإنما هو تناول مبدع لمبدع وكانما اشاركه حوارا روائيا نتفق فيه ونختلف بكل مالدينا من حرية متبادلة فى الابداع والتناول .. هذه الرواية تحرك فى النفس سواكن كثيرة وتثير بالفكر اكثر من زوبعة وبالعاطفة مزيدا من الاشجان .. والا فما معنى الفن وما لزومه وضرورته مالم يؤد بمتلقيه الى العديد من التساؤلات الدافعة الى اعادة النظر فى الحياة والكون والانسان والطبيعة ؟ !

واول ما أود اثارته فى هذا الشان هو قضية العامية والفصحى واللغة الثالثة . فكاتبنا لاجدال حول خبرته اللغوية وحنكته الفنية بحيث لايشك قارىء فى قدرته الفائقة على أن يصيغ روايته كاملة بحرفيته المعهودة دون أن تحتوى على لفظة عامية واحدة .. إذن فهناك اكثر من دافع جوهرى لصياغة هذه الرواية الممتعة بالعامية - سردا وحوارا - وبلهجة اهل قبلى المألوفة للجميع .. وايا كانت تلك الدوافع فانا كقارىء أحببت تلك الصياغة بشدة لما انطوت عليه من صدق شديد وصراحة

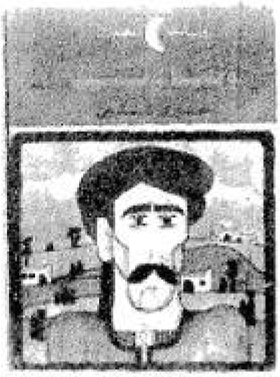
فائقة وتلقائية جميلة وجراة باللغة وخفة ظل قلما نصادفها فى الرواية المصرية . رغم أنني كروائي ارفض تماما أن تصاغ رواية كاملة باللغة العامية .

ولكني أشعر بحيرة حين اقرا على سبيل المثال جملة مثل « عسكر من وبتاع من يابو العم » ص ١٢٠ فهى لاطالت الفصحى ولاطالت العامية ولا حتى اللغة الثالثة وأتساءل مادامت العامية هى أساس الرواية فلماذا لم تكن الجملة :

« عسكر مين وبتاع مين يابو العم ؟ » .. ولو استعرضنا بعضا من الكلمات العامية الواردة بالرواية لوجدنا انه يستحيل ايجاد بديل لمعظمها بالفصحى بحيث يعطي نفس الاحساس بطعم الكلمة الحقيقي مثل

« كلشنكان » أشمط ثلاثة ارغفة . بتاع الناس ياأولاد الكلب . سيجارتين مكن . سالخير يالخالتى . راضع من بز أمه . البراريض . دلع الفقارة . حتتك بتتك » ومن هنا لم يكن أمام كاتبنا الإطريقان :

أما ألا يخضع للاغراء فيتنازل عن حبه الشديد لاستخدام تلك الكلمات ذات الأيماء الخاص والمتفرد بحكم خصوصية وتفرد البيئة التى تتداولها فى حياة اصحابها اليومية على أن يستبدل بها أقرب لفظة فصحى تؤدى المعنى المقصود ، وهذا مالم يفعله الكاتب .. وإما أن يستسلم لغواية الكلمة فيأخذها ويضعها كما هى دون أن يفقدها حلاوتها أو يغير من طبيعتها بإدخال كلمات فصحى دخيلة عليها تدمر تجانسها الفطرى ، وهذا مافعله الكاتب فى معظم الأحيان فكان منطقيا مع اختياره ، ثم لم يفعله فى بعض الأحيان



فكان ما كان وهو حر بالتأكيد فيما فعل وفيما لم يفعل .

« أولنا ولد » .. عنوان غريب للرواية التى تدور احداثها بصعيد مصر احيانا وبالقاهرة ـ مدينة القهر كما يقول حسن ـ احيانا اخرى .. وقصص هجرة الأفراد من الأقاليم الى العواصم لاحصر لها ، وغالبا مايهدف كاتبها الى القول بأن حياة العاصمة أكثر زيفا ووحشية واقل صدقا وبساطة من حياة الأقاليم والقرى الوديعة ، ولكن مهاجرنا فى هذه الرواية حسن ابو على يتنقل بنا فى كل لحظة من وحشية اهل الصعيد حيث الجثث والأمخاخ المتناثرة وجرائم الثار والخطف والسرقة الى وحشية أهل القاهرة .

حسن ابو ضب شخصية مصرية صميمة حافلة مكوناتها بالتناقضات الأزلية التى تاصلت فى كيانها عبر التاريخ فهى شخصية يتجسد فيها الوعى ـ بغض النظر عن مستوى التعليم ـ والفطنة والشهامة والرجولة والغيرية وحسن التصرف وسرعة البديهة وخفة الظل والايمان بالغيب وحب الأرض والأهل وكراهية التعصب والخيانة .. غير ان دور حسن ومن هم على شاكلته فى المساهمة فى صياغة

شهريات

اشارات تحت فيه

الحياة المصرية يكاد يكون منعدما وهم الذين لم يعلموا بالثورة إلا بعد وقوعها بعدة اسابيع ، وكذلك بحروب ١٩٥٦ ، ١٩٦٧ المتعاقبة ، ورغم ذلك فهو على وعى بانه « فى هذه البلاد شىء كبير غلط لا احد يدرى ماهو لكننى اقول انه ندرة الرجال » وهى وجهة نظر جديرة بالتامل ولابد انها تحوى قدرا كبيرا من الحقيقة !

إننا اذا تعاطفنا - احيانا - مع حسن فى بعض مواقفه المنحرفة - منذ طفولته وحتى النهاية - فتلك مسئولية الكاتب وليست مسئوليتنا لأنه اذاقه من صنوف العذاب والالم والاستغلال ما جعلنا نقبل منه كل ما يفعله فى سبيل الخلاص .. وكم كان خيرى شلبى بخيلا على حسن - لست ادرى لماذا - ولو بتجربة عاطفية واحدة ناجحة

إنه يضن عليه بالمال والحرية والكرامة والطمانينة .. وحتى بالحب

إذ لايجده إلا على صدر امه حين لايكف عن البكاء كلما ارتمى عليه براسه المنهك المكدود .

ورغم ارتكاب حسن لكل ماينافى الحق والعدل لاجل الحصول على قوت اسرته - التى كان وفيا بها حتى النهاية - فانه كان يشعر بإفتقاد الحق والعدل من حوله اينما حطت قدماه ، ولكنه كان على ثقة من تحقيقهما يوم القيامة ..

كان ينتظر الى هذا اليوم بفرحة وامل لانه يرى فيه اليوم الذى « سوف يتنفس به الخلق الذين طال انكتام انفاسهم وليجرب الآخرون انكتام الانفاس » .. الخلاص عنده فى الاخرة ولكنه لايعدم وسائل الدنيا مشروعة وغير مشروعة ليعيش ..

هو لص ظريف لايتردد فى سرقة رجل طيب يحبه ويحترمه مادام قد تعرض هو نفسه لسرقة ملابسه وبقائه شبه عار ، وهو عبقرى فى التحايل على الحياة حتى داخل السجن ولننظر ماذا فعل مع المعلم (طريشه) الذى قرر الانتفاع ببراعة اختراعه المزاجى الجهنمى .. وهو فاقد الثقة دوما بحكوماته المتعاقبة ابتداء بالباشوات وانتهاء بالضباط إذ يقول « قادر ربنا ان يخرسنى لو كنت كذابا .. كانت هذه اول مرة اشعر فيها أن الحكومة يمكن ان يكون لها قلب . وهذا لم يكن يدور لى بخلد على الاطلاق يابو العم » .

مسكين يابو على .. لاطلت البنت (حنة) بنت (ابو سكين) ولا ارملة (ام حنفى) ولاحتى خيال المراة الذى توهمته خلف الشبكة السلكية لغرفة الحجز التابعة لقسم الشرطة فاكلت علقة لاتنسى ! .. ورغم ذلك فانت شديد البراعة فى تذوق جمال المراة « ويظهر جسما مخروطا على قالب ملىء بالابراج العالية والقباب تطير عليه كل ابراج الدماغ قبل الحمام .. واه ياخال .. حافية القدمين بكعبين كريالين من الفضة وسمانتى قدمين كشهدتين

طائشتين ممتطة الجذع بارتفاع صدرها الناهد مع ذراعيها وكتفيها .. ص

« أولنا ولد » .. تدفق روائي جامح ، حافل بالمتعة الفنية وخفة الظل المصرية الصميمة ، وهو عمل ذو خصوصية وتميز ، كلما غصت في أعماقه فكأنك تغترف من طمي نيل مصر الخصب وتهيم في سحره لتنكشف لك مغاليق أسراره الخالدة .

● سعيد سالم

النبـــوءة والسيـاسـة الانجيليـــون العسكريون فــى الطريـق الـــى الحـــرب النوويـــة

في وقت مبكر من عام ١٩٨٦ ، أصبحت « ليبيا » العدو الدولي رقم واحد للرئيس الامريكي السابق « رونالد ريجان » . فهل يعود ذلك إلى نبوءة توراتية ؟

السؤال غريب ومثير ، ولكن الأكثر اثارة حقيقة ، هو تأكيد المستر ، جايمس ، الرئيس السابق لمجلس الشيوخ في ولاية كاليفورنيا ، بان « ريجان » كره ، « ليبيا » لأنه راى ان ليبيا هي واحدة من أعداء اسرائيل الذين ذكرتهم النبوءات وبالتالي فانها عدو لله !

وفي عددها الصادر في شهر اغسطس ١٩٨٥ ، ذكرت مجلة « سان دييغو » أن « ريجان » قد ذكر في حفل عشاء في مدينة « سكرمنتو » بولايه « كاليفورنيا » في تأكيد حازم :

« أنه في الفصل ٣٨ من إصحاح حزقيال هناك نص يقول : « أن ارض اسرائيل سوف تتعرض الى هجوم تشنه عليها جيوش تابعة الى دول لاتؤمن بالله ، وتقول « إن ليبيا ستكون من بينهم » هل تفهم ماذا يعني ذلك ؟ لقد أصبحت « ليبيا » الآن شيوعية ، وهذا مؤشر الى ان يوم « هر مجدون » ليس ببعيد .

وتضيف الباحثة الأمريكية « غريس هالسل » في كتابها هذا الذى ترجمه محمد السماك ان السجلات تشير الى ان (ريجان) وعلى مدى سنوات عديدة ، اطلق تصريحات مماثلة بشأن مجابهته لقوى شيطانية نووية في (هرمجدون) ويؤكد الباحثان (لارى جوز) من نيويورك ، و (اندرو لانغ) من المعهد المسيحي الانجيلي في مدينة واشنطن ، ان دراساتهما تقنعهما بان (ريجان) قبل في الماضي تفسيرا توراتيا لنبوءة تقول : بان هر مجدون نووية هي أمر لايمكن تجنبه ، وانه حتى عام ١٩٨٦ ربما يكون (ريجان) قد استمر على هذا الاعتقاد .

الموضوع مثير للغاية ، ولاسباب عديدة ، لعل في مقدمتها تاتي مسالة نفاذ الاشارات الغيبية للنصوص التوراتية الى عقل الرئيس الامريكي ذاته ، الأمر الذى قد يعكس نفسه بالضرورة على عدد من المواقف السياسية الدولية ، منها مايخصنا - نحن العرب - في الصميم .

الامر الثاني : هو تلك الاشارات المتكررة والتي يؤمن بها حسب

احصائيات ذكرها الكتاب اكثر من ثمانين مليون امريكي ، الى معركة « هرمجدون » التى اشارت اليها فى دعواهم ، نصوص التوراة وهى معركة تقع فى « فلسطين » بين قوى الشر وقوى الخير . وهى معركة فاصلة فى مسار الانسانية . وقد يهلك فيها (٢٠٠) مليون انسان ، حتى تصل الدماء الى لجام الخيل ، على مسافة مائتى ميل ، الامر الذى دعا المؤمنين بهذه النبوءة والمروجين لها على السواء ، ليؤمنوا بحتمية نشوب حرب نووية مركزها الشرق الاوسط ، تكون مقدمة لظهور المسيح عليه السلام من جديد ، وهو الأمر الذى تستثمره الدعاية الصهيونية اوسع استثمار وابشعه ، فى تحصيل الدعم العسكرى و« النووى » لاسرائيل من الولايات المتحدة الامريكية ، حيث يقنعون الملايين من الامريكيين بأن تضخم الآلة العسكرية الاسرائيلية هى ضرورة ايمانية ، تقرب من ظهور المسيح ، والخلاص الابدى ، أن من يعترض على المعونة التى تقدم لاسرائيل عسكرية أو غير عسكرية فهو معوق لاقتراب الخلاص ، وهو - من ثم - عدو لله !

الأمر الثالث : الذى يضفى اهمية بالغة على موضوع الكتاب ، هو تلك الظاهرة التى تنامت منذ السبعينات فى المجتمع الأمريكى ، من ظهور اتجاه جديد فى اليمين يطلق عليه وصف « الصهيونية المسيحية » ، حيث تدعو هذه الحركة الى دعم اسرائيل من اجل تحقيق مشروع اسرائيل الكبرى من الفرات الى النيل ، كما تدعو الى تمكين الصهاينة من السيطرة الثالثة على القدس لتكون عاصمة لاسرائيل ، وتدعو ايضا الى ضرورة هدم المسجد الاقصى وقبة الصخرة واعادة بناء هيكل سليمان مكان المسجد الاقصى ، لان ذلك شرط - فى اعتقادهم - لعودة السيد المسيح ، وهذه الحركة الصهيونية الجديدة ، تدعى تمثيلها لاكثر من أربعين مليونا من الامريكيين .

وفى الحادى عشر من نوفمبر سنة ١٩٨٢ قدمت الحركة مذكرة الى الرئيس (ريجان) تقول : « ان الله أعطى ارض اسرائيل للشعب اليهودى وان الكتاب المقدس يرسم حدود دولة اسرائيل وهى تتجاوز حدود الدولة الحاضرة ، وان حق اسرائيل من يهود السامر ، الضفة والقطاع ، يستند الى التاريخ الكتابى والمعاصر على حد سواء » .

وكان طبيعيا ان ينشأ تحالف قوى بين الحركة الصهيونية وجماعات الضغط اليهودية فى امريكا وبين حركة الصهيونية المسيحية الجديدة ، وهو الحلف الذى تتبعت المؤلفة ظاهراته وتجلياته عبر نشاطات متعددة تقوم بها الحركة ، يأتى فى مقدمتها الرحلات

السياحية المنظمة الى اسرائيل حيث تتم عمليات غسيل المخ على اوسع نطاق للشعب الامريكي .

ان هذه الحركة تتلخص عقدتها في : ان تاييد اسرائيل ليس اختياريا للمواطن الأمريكي ، بل هو تضاد إلهي لا مهرب منه ، وان الوقوف ضد اسرائيل هو وقوف ضد الرب يستدعي غضبه ونقمته على من يقترفه . ولعل اخطر معتقدات هذه الحركة تتمثل من ايمانها بانه مالم تقم حرب نووية في « هرمجدون » بفلسطين بين قوى الخير ممثلة في الولايات المتحدة وحلفائها وقوى الشر ، فلن يعود المسيح ، ولن يكون هناك سلام على الأرض .

والخطير في الأمر ان وعاظ الابادة ، من قيادات هذه الحركة ، ينطلقون من نصوص توراتية وانجيلية رمزية ، يؤولونها على هواهم ، ويضللون بها عامة الناس ، الذين لا يسمعون عادة الى مايختار لهم من نصوص مقدسة وتفسيرات في قداس الأحد ، أو غير وسائل الاعلام التي يسيطر عليها دعاة مشوهو الثقافة على هذه الشاكلة ، وهي وسائل تشمل شبكات التليفزيون التي تصل في مجموعها الى مايقرب من سبعين مليون مشاهد امريكي .

ولاشك ان الدائرة قد تتسع لتشمل صناعة وتجارة السلام التي تبحث عن « أسواقها » الجديدة التي تباركها النبوءات » ..

كتاب « غريس هالسل » هذا يتميز باحصائياته الوفيرة والمتنوعة ، والتي تكشف عن جهد دءوب لصاحبته ، استطاعت ان تقوم بتنسيقه وبدرجة عالية من الاحتراف المهني ، وهو ـ بلاشك ـ يمثل اضافة جديدة ، لنا ـ نحن المثقفين العرب ـ تكشف لنا عن زوايا كانت معتمة في خلفية الصراع العربي الصهيوني ..

● جمال سلطان



الكتاب : حوارات حول الشريعة

تاليف : احمد جودة

الناشر : سينا للنشر

١١٦ ص ، ٤ ج م

يضم هذا الكتاب مجموعة من الحوارات الساخنة التي اجراها مؤلفه في الفترة السابقة مع أبرز الكتاب والمفكرين وأصحاب الرأي الذين كانت لهم آراء خاصة في مسالة تطبيق الشريعة الاسلامية في مصر وعلى راسهم الدكتور فرج فودة الذي اكد على رفضه لتطبيق الشريعة لانها في رأيه تقود للدولة الدينية ، والشيخ صلاح ابو اسماعيل (الذي رحل

شهريات

مكتبة الهلال

عنا منذ اسابيع قليلة وبعد صدور الكتاب) . واكد فى حواره على ضرورة ان ينزل الاقباط على حكم الاغلبية ويرضوا بتطبيق شرع الله .

كما قال بانه كان قد ايد عبد الناصر من قبل تحت حكم العسر والاكراه ! ، اما الشيخ عمر التلمسانى (رحمه الله) فقد جاء فى رايه ان التطورات الحديثة يجب أن تنزل عند حكم الأسلام ، وان الأخوان لم يقدموا مشروعا حضاريا اسلاميا وإنما عادوا الى النبع الاسلامى الصافى ، لكن الدكتور محمد البلتاجى رئيس قسم الشريعة الاسلامية بكلية دار العلوم وعميدها الحالى قرر بان بعض الذين يفتون فى الشريعة لايفهمون مايفتون فيه ، وانه لايمكن تطبيق الحدود إلا إذا تحقق مبدأ ، الكفاية والعدل ، فى المجتمع الأسلامى . الانبا جريجوريوس ، الرجل الثانى فى الكنيسة القبطية قال : انا غير خائف من تطبيق الشريعة وان المسيحيين يستطيعون العيش تحت اى نظام ، لكن ، عند تطبيق الشريعة فلن توجد مساواة بين المسلم والمسيحى .

ميلاد حنا قال فى حواره ان الاسلام السياسى يضع الوحدة الوطنية فى مهب الخطر ، وانه صناعة امريكية لمقاومة الاشتراكية فى الشرق الاوسط ..

اما الراحل وحيد رافت بدوره فاكد على ان الذين يطالبون بتطبيق الشريعة فورا مثلهم مثل ، آل البوربون ، لم ينسوا شيئا ولم يتعلموا شيئا ، .

الدكتور محمد عمارة قال بان على المسلمين ترك ، ضيق الافق ، وان يفرقوا بين من يحارب الأمبريالية معنا ، ومن يعطى الخبز والسلاح للصهيونية .

وفى حواره قال الشيخ خليل عبد الكريم انه مطلوب من المنادين بتطبيق الشريعة تحديد علمى ودقيق للمصطلح . وأن الاشتراكية العلمية هى التطبيق المعاصر للشريعة الأسلامية .

د . سعد الدين ابراهيم قال إن التنفيس الديمقراطى هو ضرورة تاريخية لكى لايسقط النظام وان التيار الدينى قد اثبت على الدوام انه مخلب المعارضة المصرية

د . رفعت السعيد اكد على انه لايوجد دين سياسى وانه يرفض ان ترتدى المقولة السياسية زيا كهنوتيا .

صلاح عيسى قال بانه هناك مبالغة فى قوة التيار الدينى فى مصر ، وان السلطة تحس بالخطر وتخشى مناقشة التيار الدينى معها .

أما عادل حسين فقد اكد فى الكتاب على ضرورة اكتشاف ، تاريخنا ، بعيدا عن التبعية للغرب وان فض

الخلاف بين السلف والخلف ضرورة لتقدمنا



الكتاب : ماهية الحروب الصليبية

تأليف : د . قاسم عبده قاسم

الناشر : عالم المعرفة - الكويت

٢٥٦ ص ، ١٥٠ ق . م

هذا الكتاب يحاول رسم صورة شاملة لحقيقة الحركة الصليبية التى يصفها بانها حركة استعمارية استيطانية تمثل السابقة الأوربية الاولى لمحاولة ، استعمار العالم العربى وضرب الاسلام تحت راية الدين المسيحى وتحت شعار الصليب ، وتذكرنا عند دراستها فى اطوارها ودوافعها ونتائجها بالحركة الاستيطانية الصهيونية التى تتخذ من الدعاوى التاريخية الدينية مبررا لاغتصاب فلسطين .

وبالتفصيل يدرس المؤرخ والمحلل النابه الايديولوجية التى افرزت الحركة الصهيونية ، والدوافع التى حركتها ، وصولا الى تأثيراتها السلبية فى العالم لعربى ، وفى الحضارة العربية الاسلامية بوجه عام ، ولايحفل الباحث كثيرا بالتفاصيل والأحداث الجزئية ، وانما يقدم رؤية متكاملة عن هذه الظاهرة التاريخية وما نتج عنها من استجابات ، مؤكدا على أن الحركة الصليبية لاتزال تجد صدى لها فى توجهات رجال السياسة والمفكرين فى العالم الأوربى والأمريكى فى تعاملهم مع العرب والمسلمين حتى اليوم .



الكتاب : شفرات النص

تأليف : د . صلاح فضل

الناشر : الفكر للدراسات والنشر - القاهرة

٢٣٦ ص ، ٥ ج م

يضم هذا الكتاب مجموعة من البحوث فى شعرية القصة من منطلق المنهج السيميولوجى الذى يدرس الظواهر الأدبية والثقافية وفك شفراتها واكتشاف شعريتها الذى

يرى انه - أى هذا المنهج - قد حظى ببعض التأسيس النظرى فى لغتنا العربية ، لكنه نفى استكمل اختباره ببحوث تطبيقية تستكشف امكاناته وتجرب مختلف مستوياته .

لذلك فإن المؤلف بعد ان يعرض فى مدخله النظرى لجوهر هذا المنهج بتطبيقه فى دراسات تفصيلية

شهريات

مكتبة الهلال

فيكتب في باب شعرية القصيدة عند كل من الشعراء عبد الوهاب البياتي ، وصلاح عبد الصبور ، وعلى الشرقاوى ، وحسن طلبه ، كما يكتب في باب شعرية القص عند كل من نجيب محفوظ ، وطه حسين ، ود . يوسف ادريس ، وابراهيم عبد المجيد ، بالاضافة الى بحثين هما : « شعرية القص وملامح الحداثة في ادب الامارات ، و « لغة الدراما ودراما اللغة » .



الكتاب : الدين والاقتصاد
تحرير : د . مراد وهبة
الناشر : سينا للنشر
١٤٤ ص .

يضم هذا الكتاب مجموعة من البحوث التى عرضت في ندوة علمية عقدها الدكتور مراد وهبة في مقر الجمعية الفلسفية المصرية بالقاهرة عام ١٩٨٥ ، وقام بتحريرها ونشرها نظرا لأهميتها العلمية واهمية المشاركين فيها .

يقول محرر الكتاب ان دافعه لاختيار هذه القضية لادارة الندوة حولها دافعان ، احدهما ذاتى والآخر موضوعى ، العامل الذاتى يتمثل في مطالعته لكتابين هما : « الاخلاق البروتستانتية وروح الراسمالية » للمفكر الغربى ماركس فيبر ، والثانى هو كتاب سيد قطب : « المستقبل لهذا الدين » الذى اعلن فيه ان عصر الاحياء (البروتستانتية) وعصر التنوير وعصر النهضة الصناعية (الراسمالية) قد صرفت أوروبا عن منهج الله .

اما العامل الموضوعى فيتمثل في تتبعه لظاهرة الحركات الدينية التى بزغت في القرن العشرين داعية الى تاسيس مجتمعات دينية تصطبغ بصبغتها جميع مجالات الحياة الاجتماعية ، وحيث ان المجال الاقتصادى هو المجال الذى يتجسد فيه النظام الاجتماعى فهو إذن المجال الذى لابد وان تتخذ منه هذه الحركات الدينية موقفا محددا .

تناولت ابحاث الكتاب القضايا التالية : « الاقتصاد والدين .. لماذا » للدكتور مراد وهبة « النظام الاقتصادى الاسلامى » للدكتور محمد احمد خلف الله ، جوهر النظام الاقتصادى الاسلامى » للدكتور عبد الحميد الغزالى ، وبعض المفاهيم والمبادىء في الاقتصاد الاسلامى والمالية للدكتور شوقى اسماعيل شحاته ، و « الاسلام والنظم الاقتصادية المعاصرة » للدكتور صلاح قنصوه ، و « الانظمة الاقتصادية الاشتراكية والراسمالية والاسلامية .. حوار حول وجود أو عدم

شهريات

مكتبة الهلال

وجود نظام اسلامي للدكتور ابراهيم سعد الدين . و « الفئات المرسلة في مصر المعاصرة » للدكتور حسن الساعاتي » و « بين التنمية والتراث » للواحل احمد صادق سعد » و « الثقافة والشخصية : اطار نظري » للدكتور مصطفى سويف .



الكتاب : بهجر في المهجر
تأليف : جورج البهجوري
الناشر : رياض الريس للكتب والنشر - لندن
٢٢٤ ص .

قد يكون هذا الكتاب الاول من نوعه في إنه يضم بين دفتيه رسوما ومذكرات شخصية للرسام والفنان العربي المعروف جورج البهجوري عن حياته في باريس منذ وطاتها قدماه ، فنجده يقول :

« شرقي انا . حالم . هائم . في بلاد الغربة وسط اهل الفرنجة ، ابحث عن عمل ومسكن وخبز وحب .

اسير بطيئا وهم مسرعون . افكر اكثر منهم اتامل كثيرا . انبهر احيانا بالحضارة الجديدة ، ثم اتقزز حتى الغثيان احيانا اخرى . في بعض الاوقات اشعر كاني إولد من جديد ، لكن غالبا ما اسير وكاني ممثل ناشيء في فيلم سخيف شرقي انا من صعيد مصر . صبغتني الشمس البرتقالية فاصبحت لمحيا اميل الى لون البرونز . شعري اسود كثيف اشعث وابدو كشجرة متوحشة مخصبة بالفروع والاوراق ، اتلعثم عندما اتحدث لغة اهل الفرنجة هنا ، فهي ليست لغتي وقد اخذتها عنهم بطريقتي » .. وكما ترى فان جورج البهجوري يرسم بقلمه مشاهد شخصية للحياة التي رآها وخبرها بنفسه في باريس ، وبعد استثناء بعض الاخطاء اللغوية ، يتدفق قلم الرسام ليصور بدقة وشاعرية وذكاء نافذ احيانا المشهد الباريسي الأمر الذي يذكرنا برفاعة الطهطاوي في عمله الخالد « تخليص الابريز في تلخيص باريز » ، لكن الطهطاوي وقد اهتم بالدعوة التعليمية منطلقا من تبيان ما وصلت اليه مدينة الغربة ، وهو يبدو مندهشا بها الى اقصى حد ، نجد جورج البهجوري يكتب انطباعاته التي تنفذ الى الانسان قبل المدن ، لذلك نجده يمسك بجوهرة الانسان في قلب الشرقي مؤكدا على انها لاتزال متقدة ، وانها قد خبت او تكاد في قلب الأوربي ..

وعلى رغم اعترافه المثير بانه لايقرأ الكتب على الأطلاق وإن ثقافته ثقافة سماعية من اصدقائه المثقفين (وهو الأمر الذي لايعترف به الكثيرون من امثاله في هذه الناحية) إلا اننا نجد في كتابته هنا صفة تلقائية عالية قادرة ومؤثرة حتى لانجد مفرا من القول : إنه نص كتابي جميل ومشوق .

عالــم السياسة وسياسة العوالـم

بقلم : مصطفى درويش

بدأ الاديب الراحل "احسان عبد القدوس" مشواره مع السينما بـ "الله معنا" عام ١٩٥٥ ، تلك القصة التي كتبها خصيصا لفيلم بهذا الاسم يحكي وقائع صفقة الاسلحة الفاسدة في اواخر ايام فاروق ، بكل تداعياتها حتى قيام ثورة الضباط الأحرار التي انتقلت بمصر من حال الى حال .

ومن عجب انه لم يمر عام على بدء المشوار بفضل "الله معنا" ، إلا وكانت السينما المصرية مفتونة بكل ما يكتب "احسان" ، مقبلة عليه لتنهل منه وتقر عينا .

وفي الحق ، فقد سدت كتاباته الادبية بعض اوجه النقص في تلك السينما ، وملأت بعض الفراغ .

● وليس أعجب ولا ابلغ دلالة على ما بين أدبه والسينما من صلة متينة ، انه لايكاد يمر عام ، منذ منتصف الخمسينات ، الا ويكون ثمة فيلم مأخوذ عن احدى قصصه ، بل احيانا فيلمان او ثلاثة ، يستوى في ذلك أن تكون القصة طويلة او قصيرة من صفحات معدودات ، بحيث وصل عدد الافلام عند نهاية رحلة العمر الى حوالى سبعة واربعين فيلما مستوحى من خمسين قصة أو يزيد .

ولعلي لست بعيدا عن الصواب اذا ما جنحت الى القول بأن أحدا من ادبائنا على امتداد الوطن العربي ليس له مثل هذا الرصيد الهائل من القصص المترجم الى لغة السينما .

والاكيد أن هذا الافتتان من جانب السينما بأدب "احسان" إنما يشكل "ظاهرة فريدة" تستوجب الكثير من التأمل والتفكير .

وجدير بالذكر هنا انه لايوجد نجم من كبار نجومنا - ربما باستثناء "نادية الجندي" الا وشارك بدور كبير أو صغير في فيلم أو اكثر من تلك الافلام .

وعلى كل ، ففي البدء كانت "فاتن حمامة" هي النجمة المفضلة ميلودراميا لأداء الأدوار النسائية



الراقصة والسياسي

الرئيسية فى قصصه

ومن هنا وقوع الاختيار عليها لبطولة ستة افلام اولها "لا انام" (١٩٥٧) للمخرج "صلاح ابو سيف" وذلك اذا ما اخرجنا من الحساب "الله معنا" وآخرها "امبراطورية ميم" (١٩٧٢) للمخرج "حسين كمال"

ومع التحولات الكبرى التى طرأت على المجتمع ابان عقد السبعينات بدأت نجوم فى الأفول ، وأخرى فى السطوع . وكان من بين النجوم الصاعدة الساطعة فى



نبيلة عبيد ..

عالم السياسة
وسياسة العوالم

سماء السينما "نبيلة عبيد" التي سرعان ما تبوأت مكان الصدارة في الافلام المستوحاة من قصص "احسان" ، حتى انها ، وفي اقل من اربعة عشر عاما ، نجحت في الانفراد ببطولة تسعة من تلك الافلام بدءا من "وسقطت في بحر من العسل" (١٩٧٦) للمخرج "صلاح ابو سيف" وانتهاء "بالراقصة والسياسي" الذي جرى عرضه بعد رحيل إحسان (١٩٩٠) .

● النجاح والفشل

ولو اطلعنا على افلام "نبيلة عبيد" إبان تلك الحقبة من عمر الزمان لاستبان لنا أن ما كان منها مأخوذا عن قصص للأديب الراحل هو الأرفع مستوى عامة .

ويكفي هنا أن نقارن بين فيلمين من آخر افلامها وهما "اغتيال مدرسة" و "التحدى" .

فهي في كليهما قد تقمصت شخصية أم تتعرض لمحنة مدمرة تهدّ حياتها هدّا ..

والفيلمان في العرض لمحنتها هذه ، أنما يفضحان ظروف الحياة التي تحيط بها وبأمثالها من الاخيار سواء أكانوا من جنس النساء أو الرجال . يصوران كيف أن هذه الظروف ليست الا شرا ونكرا بما يجثم عليها من فساد وضلال وانحلال .

وكيف أن ثمة قوة قاهرة ماكرة تضلل الفضيلة كثيرا ، وتعبث بها دائما .

وكيف ان هذه القوة تسبغ على المجتمع ظلمة قاتمة ، وظلاما مخيفا .

ورغم أن كاتب سيناريو الفيلمين واحد ، وهو "مصطفى محرم" فأن "نبيلة عبيد" بقدر ماكانت في "اغتيال مدرسة" المستوحى من قصة "لاحسان" شائقة رائقة ، بقدر ما كانت في "التحدى" غير مقنعة بأى حال من الاحوال .

والآن الى فيلمها الاخير "الراقصة والسياسي" حيث تلعب دور راقصة ، وهو دور محبب الى نفسها لا اعرف لماذا لقد سبق لها ان ادت دورا مماثلا أمام احمد زكي في فيلم "الراقصة والطبال" عن قصة لاحسان ، وفشل الفيلم فشلا ذريعا ! ..

ومهما يكن من الأمر ، فلقد كان المتوقع ان يكون اداؤها لدور الراقصة مرة أخرى اكثر اقناعا ، لاسيما ان سيناريو الفيلم من اعداد "وحيد حامد" مبدع "البريء" فضلا عن أن اخراجه كان من نصيب "سمير سيف" احد القلائل المتمكنين من لغة الفن السابع .

ولكن حدث مليس في الحسبان ، وجاء الفيلم في كل شيء مخيبا للآمال .. لماذا ؟

● الكلاب الساخنة

بداءة القصة المأخوذ عنها الفيلم من القصص القصير . وهي لاتعدو أن تكون حوارا شيقا يدور داخل أحد المقاهي بين الراقصة "دلال المصرية" التي غير



نبيلة عبيد وفاروق الفيشاوى ... لقطة من فيلم «التحدى»

اسمها فى الفيلم لسبب لا اعرفه ألى "سونيا سليم" وبين السياسى "عبد الحميد بك" المنتمى للحزب الحاكم .

ومن هذا الحوار نعرف ان هذا السياسى كان قد وعدها قبل سنوات بانشاء مطعم كافيار وفودكا ، ثم عدل عن المشروع وولى هاربا .

وعندما التقى بها ، قبل ايام ، عرض عليها مشروع افتتاح مطعم باسمها يقوم هو بتمويله .. مطعم الكلاب الساخنة "الهوت دوجز" ومرة ثانية حاول أن يخل بوعده .

غير أنه ما أن تبين له من مجىء امين عام الحزب "عبد الله بك" الى المقهى ومجالسته "دلال" أن ثمة علاقة حميمة بينهما تخلو من الحياء ، حتى تحمس لمشروع "الكلاب الساخنة" .

لما حذرته "دلال" عن مغبة العدول عن المشروع ، رد مؤكدا "ابدا وحياتك لن اعدل ابدا .. المستقبل كله كلاب ساخنة"

وتنتهى القصة بزبائن المقهى ، شهود الاجتماع الثلاثى بين الراقصة وقطبى الحزب ، وهم يهزون رءوسهم أسفا على حال البلد .

نحن اذن إزاء قصة تعقد مقارنة بين

عالم السياسة وسياسة العوالم

عالم السياسة وسياسة العوالم ، فى محاولة من صاحبها لاستنكار تدهور الأوضاع الى حد أوصل المجتمع الى ساحة قتال النصر فيها لطريقة الحياة الأمريكية بكلابها الساخنة ، وما الى ذلك من ماكل وشراب ولهو ومتاع .

قصة قصيرة جدا قوامها الحوار الذهنى بين شخصيات ثلاث لاتزيد : وقائعها منحصرة بين جدران مكان واحد لاتخرج منه ابدا .

رقصة هذا هو شأنها من الصعوبة بمكان تصور ترجمتها الى عمل سينمائى .

● التغيير والتبديل

والسؤال هو ماذا فعل الفيلم بها ؟

أول ما فعله هو أنه انطلق ببطليه "الراقصة والسياسى" الى العالم الفسيح ، الى الكاباريهات والافراح والليالى الملاح والوسائد الدافئة ، وما الى ذلك من الاماكن المتصلة بحياة الغانيات .

والاحداث التى افتعلها سيناريو الفيلم انما تتتابع فى البداية بطريقة العودة الى الماضى بدءا من ذهاب السياسى "عبد الحميد رأفت" تحت اسم مستعار "خالد مدكور" (صلاح قابيل) الى ملهى ليلى حيث ترقص "سونيا" (نبيلة عبيد) طالبا اليها إحياء حفل خاص لسياسى افريقى من كبار ضيوف مصر ..

وبعد أن تتفق معه على اجرها ، وتطمئن الى أن الحفل مقتصر على الرقص دون غيره من متع ولذات ، تتوجه معه الى حيث يقيم الضيف الكريم والوفد المرافق له .

واثر انتهاء الحفل بخير ، تراوده عن نفسه الى مخدعها حيث يتبادلان الحب الوانا !

وما أن يخرج من شقتها فى الصباح مودعا بالقبلات ، حتى تكتشف اختلاسه مايعادل ثلث اجرها أو بمعنى أصح عرق جبينها ، وحتى تكتشف كذلك أن "خالد مدكور" ليس الا اسما وهميا .

وبينما هى امام التليفزيون بعد ذلك بعشرة اعوام ، إذا به فى لقاء مع مذيعة على الشاشة الصغيرة ، مرددا شعارات زائفة عن الديمقراطية تحت اسم "عبد الحميد رأفت" عضو مجلس الشعب .

● الانتقام والابتزاز

وطبعا أهاج ظهوره باسمه الحقيقى الذكريات ، فكان أن عقدت العزم على الانتقام .

وليس مناسبا هنا أن اعرض تفصيل كيف خدعت مرءوسيه ، حتى نجحت فى الاتصال به محددة معه موعداً فى فراشها الدافىء الوثير .

ولاكيف انتقم منها بالايعاز الى شرطة الاداب بأن تلقى القبض عليها بحجة ارتدائها إثناء الرقص ملابس خليعة تحض على الفسق والفجور .

ولاكيف اعادت فى لحظة من لحظات

الحقيقة حساباتها فقررت ، وهى طريحة فراش المرض ـ إقامة ملجأ للأيتام .

ولا كيف انتهى كل هذا العبث العابث الى انتصارها بفضل اغراء الرءوس الكبيرة ، على كل من :

اولا : وزارة الشئون الاجتماعية الرافضة ابتداء الترخيص لها باقامة الملجأ من حر مالها لا لشيء سوى انها راقصة ومن ثم امرأة سيئة السمعة لا تؤتمن على الصغار .

وثانيا : السياسى "عبد الحميد بك" الممتنع عن مد يد العون لها ، تحسبا للانتخابات النيابية التى على الأبواب فإذا بالاثنين فى نهاية الفيلم مستسلمين استسلاما تاما ، الوزارة بالاستجابة الى جميع طلباتها ، فى شأن الملجأ الموعود .

وعبد الحميد بك بالمشاركة فى زفة وضع حجر الاساس كل هذا لا ارى من المناسب الدخول فى تفاصيله . وانما المناسب الذى اريد أن اقوله هو ان الفيلم قد تحول بحكاية الملجأ هذه من استنكار القصة لزحف طريقة الحياة الأمريكية واستبداد الغانيات بمقدرات البلاد الى اغفال ذكر هذا الزحف ، والى التغنى بفضائل الغانيات ، وبما يبذلن من تضحيات .

● الاقنعة الستة

وغنى عن البيان أن كل هذا الهراء كان لابد وأن ينحدر بأداء نبيلة عبيد الى مجرد هز وسط وارداف ، وأن يتحول بغيرها من ممثلى الفيلم الى مجرد كومبارس مكمل للست ولرقصاتها الست التى ادتها كاملة غير منقوصة .

يبقى أن أقول أن الفيلم استحدث شخصية مختلقة لم يرد لها ذكر فى القصة ، هى شخصية وكيل اعمال الراقصة (فاروق فلوكس) .

وبدلا من ان تظهر تلك الشخصية الدخيلة التى رسمت على وجه شديد الرخص والسوقية فى لقطة او لقطتين على الأكثر ، اذا بها اكثر فى الظهور من شخصية السياسى .

ولايعنينى من الاشارة الى تلك الشخصية سوى التنبيه الى ان حشرها قد هبط "بالراقصة والسياسى" الى مستوى يحق لنا معه ان نعتبره اكثر الافلام المستوحاة من قصص الاديب الراحل ابتذالا .



الرقص فوق سياسة ساخنة

جولة المعارض

بقلم: محمود بقشيش

سيريالية "ندا" وسيريالية الموت!

فجأة .. وبلامقدمات .. مات « حامد ندا » !

تلقينا الخبر ذاهلين .. فلم يكن « ندا » فناناً عادياً ، ولم يكن موته عادياً ايضاً . سقط . لم يسقط من عل .. بل سقط من فوق الارض على الأرض !

لم يفق بعدها - إفاقة الموت - إلا فى غرفة الانعاش !

كان فى طريقه إلى الانصراف من وكالة الغورى ، حيث مرسمه ، وخطر له ان يذهب إلى غرفة التليفون بالدور الأرضى ، والمدهش انه لايتعامل مع هذا الجهاز بسبب صمم الم به .. وعندما باغته الظلام الذى فاجأ مصر كلها ترك الغرفة .. غير ان قدمه تعثرت بشىء ، فسقط ، وارتطمت راسه بحافة العتبة الحجرية .. وفى لحظات كان غارقاً فى بركة من الدماء !

اليس فى ذلك الذى حدث شىء من « السيريالية » التى تتبدى فى لوحاته ؟ !

كثيراً ما تساءلت عن سر جاذبية لوحاته : اهى الوانه الصريحة المرحة ؟ شفافية المستويات النسيجية ؟ .. البراعة فى تحليل مستويات اللوحة وبصورة خاصة خلفيتها ؟ .. الاشكال المبتكرة لكائناته الانسانية والحيوانية ؟ .. أم تلك المفارقات المضحكة التى تشاهدها عند رسامى الكاريكاتير .. خاصة الهيئة التى يظهر بها الرجل ، وقطته الطريفة ، وديكه الذى يفاجئنا به



فى مواضع غير متوقعة ؟ .. هل يكمن هذا السر فى التداعيات الحرة التى يشكل بها عالم اللوحة ؟ .. أم فى جرأته فى البوح .. والتصريح بما تحرص على إخفائه ، حفاظا على مظهرية زائفة ؟

.. ربما لكل هذه الأسباب ، وغيرها ، انجذب إلى لوحاته .

* * *

ان لكل فنان « أسرة » من المفردات الخاصة به ، تصاحبه فى معظم او كل رحلته الفنية ، وإن تلونت بطبيعة ملابسات تطور الفنان وموقفه من محيطه الاجتماعى ومحيطه السياسى ، واسرة « حامد ندا » تتكون من :

المراة والرجل ـ الترتيب مقصود ـ ثم القط ، والديك ، وياتى فى المرتبة الثانية : العنقاء ، والثور ، والسمكة .

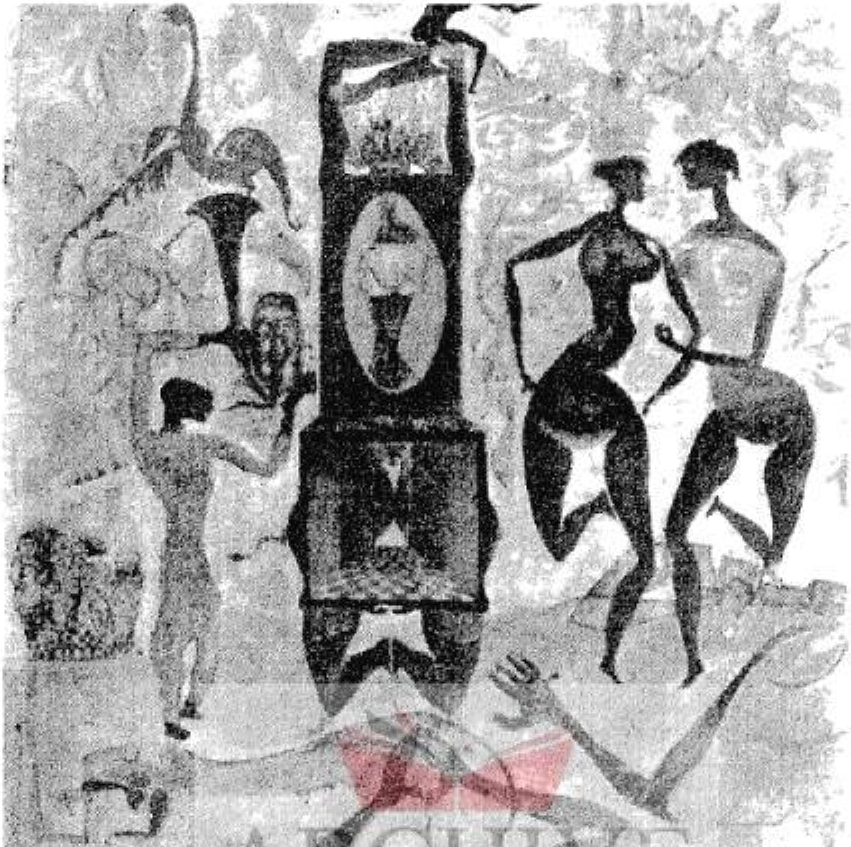
تلونت «اسرته » عبر رحلته الفنية بتغير الموضوعات ، فقد شغله كما شغل بعض ابناء جيله عديد من القضايا الاجتماعية ، بل انه دخل الساحة التشكيلية المصرية عبر موضوعات قاع المدينة : « المشعوذون ثم العمال» .. غير أنه لم يتناول تلك الموضوعات من موقف سياسى معين ، بل من موقف انسانى خالص ، وعلى الرغم من تنوع موضوعاته ، فقد ظلت الملامح الجوهرية لاسرته ثابتة ، فلا فرق فى ملامح امراة امام « طشت الغسيل ، وأخرى تلهو بالرقص او الغناء .. إن « القط » الذى كان يقف فوق قمة صناديق النفايات ، ولايزال يقف نفس الوقفة ، وأن تحسن وضعه « الطبقى ! » .. فبدلا من التشرد بين صناديق النفايات فأنه يتلاعب ـ حديثا ـ فوق صندوق « البيانولا » ! .

اما الرجل فهو مضطهد فى عالم « حامد ندا » .

يبدأ مسخا كاريكاتيريا ، وهو يختلف فى هذا عن مسوخ الفنان الغربى الصادمة ، فمسوخ « ندا » .. تدعونا إلى الابتسام وربما الى الضحك .. فهى لاتحتج ، ولا تثور على شىء ، بل ترضى بأن تكون تابعا لايخلو من خفة الظل ، والتبعية المقصودة هنا هى التبعية للمراة العملاقة التى يترك لها الفنان المواقع المحورية فى اللوحة ، ولايسمح للرجل الا بالهامش !

ولانه يهمل تعبير الوجه فانه يعرضه بتعبير الحركة الخطية للاجساد ، وخطوطه تتسم بالليونة ، ويندر أن تلتقى بخط مستقيم عنده .. يستخدم الخط اللين ببراعة فى تشكيل جسد وأعضاء المراة ، كالعازف البارع فى تلوين درجات الصوت يبالغ فى التلاعب بالتكوين التشريحى للجسد الانسانى ، ويجعل من الصعود إلى الراس والهبوط إلى القدمين رحلة ممتعة ، وغنية بالانتقالات من الرشاقة الى الانبعاج والعكس ، مصحوبة بالرموز الملونة ، والمبهمة .

إن المتامل للخطوط المؤطرة للاشكال يكتشف ملمحين : الملمح الاول هو الاستمرارية ، استمرارية تؤطر « الوحدة المرسومة » ، واستمرارية تجمع بين « الوحدات » المختارة للتكوين ، اما الملمح الثانى فهو ما تمنحه تلك الخطوط من إيحاءات مجردة تشبه الحروف العربية ، بالاضافة إلى الايحاء المباشر باستلهام الرسوم البدائية ..



غير انه نجح فى ابتكار سبيكة مستقلة . إن مفردة المرأة - على سبيل المثال - لاتشبه إمرأة أخرى فى الواقع ، أو فى تاريخ الفن ، وإن لم تفقد الصلة بها بطبيعة الحال ، فهى تجمع بين ملامح الانسان والطائر ، ويجمع الطائر بدوره بين الصفتين ايضا ، والأسماك والثيران لها عيون انسانية وتتخلل الاجساد اشكال اقرب إلى الوشم المضىء ، بل إن الاجساد نفسها تبدو زجاجية . شفافة . هشة .

فى معرضه الاخير صاحبتى للتجول بين لوحاته ، وكان يقدم لى افراد اسرته الفنية كما لو كانت أسرة واقعية ، فكان يقول : انظر إلى تمثال الثور المرسوم . انه وقح ! .. انظر إلى هذه الفتاة .. انها طيبة ، وهذا الرجل كم هو شعبى .. انظر الى هذا الغلام إنه شقى جدا !!

ان عالم الفنان ، حامد ندا ، يدعو الى البهجة ، والمودة والابتسام والجنون ايضا ! ولهذا فهو فريد فى الحركة التشكيلية المصرية !

جولة المعارض
٧٧

الكناس
للفنان محمد مصطفى



واختطف الموت فنانا آخر ؟

مات المثال « محمد مصطفى » - ٦٧ سنة - قبل أسابيع قليلة من رحيل الفنان « حامد ندا » . عاش ومات فى هدوء .. كان عفيفا ؛ ورقيقا ، وبسيطا .

كان حرصه على الانتاج أهم من حرصه على الأضواء . لهذا ظل طوال حياته فى منطقة الضوء الخافت .. لم يجر وراء النقاد أو صناع الأخبار ، ولم يحرص على أن يكون عضوا فى « شلة » .

كنت أزوره أحيانا فى مرسمه : غرفة شديدة الضيق ، معتمة ، منزوية فى جانب من مدخل « المركز القومى للفنون » .. وبقدر ما كان يسعده زيارة ضيف فإنه كان يقع فى حيرة من إيجاد مكان مناسب له فى تلك الغرفة العجيبة .

كنت أداعبه أحيانا وأقول : إن غرفتك تحتاج إلى حاو بدلا من مثال حتى يستطيع أن ينتج فنا !



الكبش للفنان محمد مصطفى

وكان يرد بابتسام قائلا : الحمد لله : كل ما اتمناه ان ينسى المسئولون هذه الغرفة ، ويتركونى فى حالى .. فليس لدى مكان آخر اضع فيه التماثيل .

اما عن فنه .. فقد اختار اسلوبا التزم به طوال حياته ، وهو الاسلوب الواقعى ، ومنحوتاته تمثل مسرحا لشرائح الطبقات الدنيا ، ولم يكن تعاطفه تعاطف المبالغ الذى يلبس الواقع البسيط اقنعة دعائية ، او « ميلودرامية » . كان تعاطفه تعاطف الكاشف عن مواطن القوة والانسانية فى الموقف الانسانى البسيط ، مثال ذلك الصورة المنشورة والتى تمثل عامل نظافة يهم باشعال سيجارة فى لحظات راحته .

لو تأملنا هذه المنحوتة ، فاننا نكتشف ـ بالاضافة الى المهارة فى نقل النسب التشريحية الواقعية ـ ان المنحوتة تعكس وعى الفنان بأساليب الفن المعاصر ، وميله الواضح إلى الكلاسيكية الفرعونية .. يتبدى ذلك فى وضع وبناء الساقين ، والمكنسة وتحليل الوجه ، وفى هذا العمل وغيره من الاعمال يميل الفنان فى التركيب ، والتحليل إلى وحدة المسطح الفرعونى (المسطح العريض) مثلما يظهر فى الساق ورأس المكنسة ، ويميل إلى المسطحات القصيرة التى « تقترب » من التحليل التكعيبى فى حدة زواياه ، مثلما يظهر فى وجه العامل ، وأن حرص فى تحليله وتركيبه الا يتجاوز النسب الواقعية ، ونجح الفنان فى العمل الذى نراه فى توحيد كل العناصر وبالذات : العامل وأداة عمله ، فى كيان نحتى واحد

ومتماسك . وشكّل من الفراغات البينية ، والخارجية حوارا ذكيا

لقد كان الفنان ، محمد مصطفى ، دقيقا فى عمله .. يتأمل ويفكر فيما ينتجه كثيرا ، ويخطط له ولأن انسانه المنحوت يشبهه ، فهو لايحب له أن ينحنى ، وعندما اضطر فى تلك المنحوتة أن يحنى رأس العامل حتى يشعل سيجارته ، حاول أن يلطف من هذا الانحناء بأن أطال كتلة عصا المكنسة فى الفراغ ، وأكد استقامتها ، وحضورها النحتى المؤثر .. بمعنى أن اختفاءها كان كفيلا بزلزلة الكتلة .. وهو لايفرض رموزا على العمل فرضا بل يولد طبيعيا .. فالمكنسة تشبه ، فى مجملها ، بندقية او سلاحا ضروريا لصاحبه ، يحتضنه فى غير افتعال .

إن الفنان ، محمد مصطفى ، يختلف مع ، حامد ندا ، فى المنهج ، ويتماثل معه فى السن ، والصدق .. غير ان الموت لايهتم .. فهو لايفرق بين الأساليب الفنية !

مهرجان .. بالمصادفة .. لفن الرسم !

اتيح ، لجمهور الفن ، بالقاهرة ـ ونأمل ان يكون التعبير صحيحا ! ـ مشاهدة ثلاثة معارض لفن الرسم بالحبر الصينى واقلام الفلوماستر .

● قدمت قاعة ، مشربية ، معرضا لثلاثين فنانا ، ينتمون لأجيال وأساليب مختلفة .. وكان لعامل السرعة فى الاعداد اثره على مستوى المعرض ، وأتاح هذا لبعض الأعمال الركيكة أن تشارك فى العرض ، كما اتاح لبعض الاعمال الجيدة من فن ، التصوير ، أن توجد كضيف لامكان له ! .. وقدم بعض الفنانين الذين فوجئوا بالمعرض بعض العجالات الصحفية ، وقدمت بعض الاسماء اللامعة لوحات ، اقنعت المشاهد بأن أصحابها قد افلسوا .. ورغم ذلك فإن مجرد اختيار هذا الفن ـ فن الرسم ـ ليعيد الاضواء الى قاعة ظلت مغلقة موسما كاملا .. أمر يستحق الاشادة .. ويستحق المشاركون ـ رغم التحفظات السابقة ـ ان نذكر اسماءهم للقارىء المتابع الذى سيتمثل ، على الفور ، أساليبهم الفنية ، وربما تذكر آراءنا المنشورة فى الهلال ، فى اعداد سابقة ، حول انتاج بعضهم ، والفنانون هم : أحمد نصير ، ابراهيم الطنبولى . اسماعيل عبد الله ، السيد القماش .. ايهاب شاكر .. ثروت البحر ، جميل شفيق حامد الشيخ . حامد ندا . حسن سليمان . حسن عبد الفتاح . حسن مختار . رأفت صبرى . رضا عبد السلام . زكريا الزينى . طارق زبادى . طه حسين . عادل



الخصوبة للفنان جميل شفيق

السيوى . عصمت داوستاشى . عفت ناجى . على عاشور . عمرو هيبة . فاروق بسيونى . فاطمة عرارجى . فرغلى عبد الحفيظ . محمد سالم . محمد شاكر . محمد عبلة . محمود بقشيش . محمود عبد الله . منير كنعان . نبيل تاج .

واقيم بقاعة الدبلوماسيين معرض للفنان « حمدى أحمد » الاستاذ بمعهد التربية الفنية . ضم معرضه عشرات الرسوم بالحبر الصينى والجاف ، الاسود والملون ، ومساحاته لاتزيد كثيرا على مساحة كف اليد ، ورغم ذلك فقد اثقلها بأجواء كابوسية ، ورموز ذاتية ، وتداعيات روائية . الفنان ، بالطبع ، حر فيما يفعل ، وحر فى أن « يدعو » جمهور معرضه ، وكتاب الأخبار المطولة بالجرائد - مثلما فعل - إلى قراءة لوحاته باعتبارها مؤلفات فلسفية . لابأس من ذلك . لكن عليه قبل كل شىء أن « يقنعنا » باجادته لفن الرسم - وهو مالم يفعله !

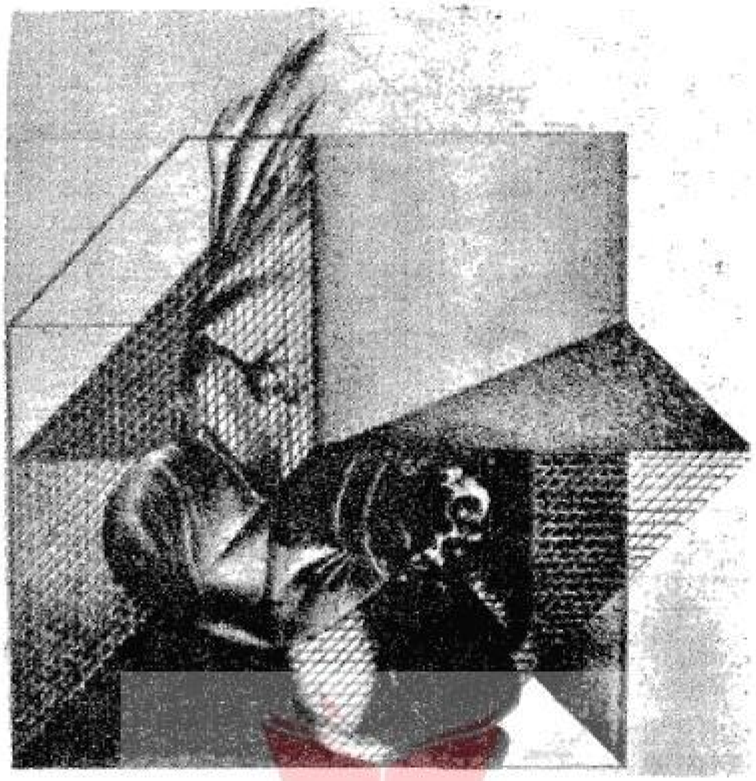
● **أما المعرض الثالث والأهم فهو معرض الفنان « احمد نوار » الذى اقيم بقاعة المركز الثقافى الفرنسى بالمنيره ، تكشف رسوم معرضه عن براعة - ربما لانظير لها فى مصر - وتكشف ثانيا عن حرص على إضافة رؤية جديدة إلى الساحة التشكيلية المصرية ، كما تكشف ثالثا عن ارتباط الفنان بقضايا عصره ، فعلى مستوى**



"بائع المصابيح" للفنان حسن سليمان

"الزار" للفنان زكريا الزيني





من رباعية أنقذوا السلام - ألوان مائية للفنان أحمد نوار

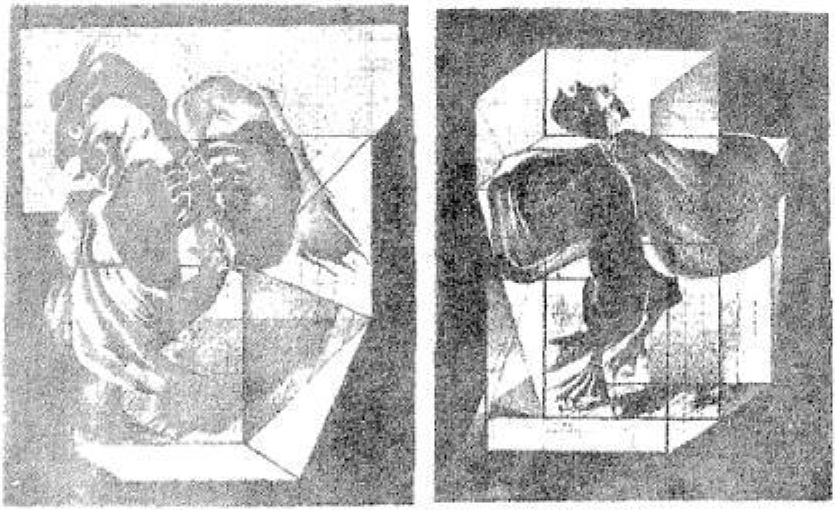
الصنعة التي يتقنها كل الإتقان ، يدرك أن لون الحبر الاسود ليس طلاء تطلى به مساحة الورق الابيض ، بل تكمن فيه مساحة عريضة من الدرجات . لايكتشفها ، ولايجيد العزف بها إلا العازف الماهر ، لهذا تجد في لوحاته كل الدرجات : من أكثرها كثافة في السواد .. إلى أكثرها خفة .. صعودا الى الضوء الابيض .. إن سن « الرابيدو جراف » يقوم عنده بأدوار مختلفة ، يرسم الخطوط ، ويشكل المساحات ، انه تشكيل المساحات عن طريق الالوف وربما الملايين من لمسات السن ، والمحافظة على درجة ضوئية ثابتة ، أو متغيرة عند الحوافي أمر بالغ الصعوبة ، لايحتاج فقط إلى مهارة بل إلى أن يكتم الفنان أنفاسه حتى لايهتز إيقاع القلم ، فتسقط نقطة من الحبر أو

جولة المعارض

تتسع المساحة بين عدد من الخطوط ، فإذا حاول الفنان ملأها فلجاته بدرجة تفسد عليه ما اراده لهذا السطح من ملمس حريرى . وتكشف اعماله عن صبر يشبه صبر الكلاسيكيين .. لهذا

طبيعة صامتة للفنان حامد الشيخ





عن رباعية "انقذوا السلام" للفنان احمد نوار «جبرشيني»

تتميز اعماله بالدقة ، والأناقة ، ووضع كل شيء في مكانه .. حتى توقيعه .. فإنه يختار له مكانا مناسبا .

اما عالم لوحاته فانه يقوم على ثنائيات دراميــة ، تجعل السطح المرسوم سطحا غنيا :

١ ـ « دراما » الشكل العضوى ، والشكل الهندسي .

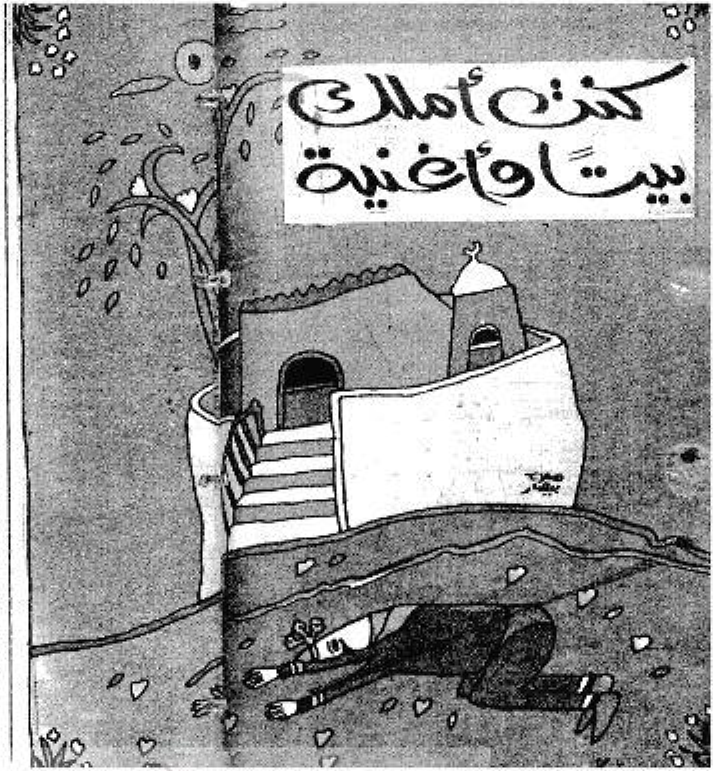
٢ ـ « دراما » الضوء الكثيف .. المباغت .. والعتمة الممتدة .

٣ ـ حوار إطار اللوحة المربع والاطار الداخلي المتغير ..

إن كل هذه العناصر ابطال تتباين ادوارهـا ، ويحتـل الاشتبــاك بين العنــاصر العضــويــة والعنــاصـر الهندسية البطولة الاولى ، إن تلك الملامح الاسلوبية تشكل قالبا ثابتا يمتلىء في كل مرحلة بمستجدات ، فإذا كانت الاشكال البالونية في مرحلة من المراحل ، تشكل العنصر العضوى ، ففي هذا المعرض تشكل « الحمامة » ، البطولة ... لكن اى حمامة تلك التى شاهدناها في معرضه ! .. انها كيان شبانه .. معذب .. في مأزق لامفر منه . اسود اللون بعد أن فقد سلام الواقع الذى معناه .. اما الطرف الآخر من « الدراما » وهو البناء الهندسي ، فدوره الوحيد هو القمع المتعدد الطرق ، فهو تارة مصيدة ، وتارة شبكة ، وتارة اشبه باداة سحق .. الخ .. وعلى الرغم من شراسة القمع ، وتمزق الحمامة ، فإنها تظل تقاوم ..

إن اعمال الفنان « أحمد نوار » تتسم بــالتــوازن الــدقيــق بين الشكــل والمحتوى ، فلا يترك نفسه تستدرج إلى انفعالات قد تشوه مايعشقه من دقة واناقة ، وفي ذات الوقت لاتغريه الأناقة بقتل الشحنة التعبيرية ..

كنت أملك بيتاً وأغنية



شعر : محمود عبدالحفيظ

مزقتني المواعيد ما بينها
وانا مشته منتهي
غارق في البدايات . لا اعرف المنتهي
رغم كل الجميلات في مأتمي ..
لم يجد خاتمي من بعد البدا
والمدى يرتمي .. يرتمي .. يرتمي
ليس يفضي لغير المدى
ابتاضل يوم اهتدي
أينا حلّ فيه المدى والمدائح
يوم اغتدى فارتدى ..
وجه من لا نحب ..
وعاد بنا صافرين الى المبتدا !!!
كنت أملك بيتا واغنية
كنت املك ارضا ونهرا
وفي كل زاوية مسجد
كان لي وطن ما انحنى راكعا
فانحنيت له ساجدا
كنت ياسيدي .. سيدا
وانا الآن اطفيء كل المصابيح
اطفئها جيدا
اوصد كل النوافذ ..
احمل اسئلتي والمواعيد . اهبط
حيث الجميلات - كل الجميلات
يرمين لي خاتمي
والمدى يرتمي .. يرتمي .. يرتمي
ليس يفضي لغير المدى ..

رسالة بغداد

الناس .. والكتب في شارع الرشيد

بقلم : محمود قاسم

في هذا الشارع ظاهرة لايمكن للزائر ان يراها سوى في مدن اوربا .. فهناك زخم من المكتبات المتلاصقة التي تبيع كتبا تنتمي الى مختلف الثقافات . وتتنافس فيما بينها في استيراد الكتب .. ويؤمها جمهور عريض من القراء لاتجذبهم الاسماء التافهة والعناوين الاستفزازية .

ولان هناك مثل هذا الجمهور من القراء .. فلابد للمطابع ان تصدر الجديد لاشباع شهوة قراءة كل ماهو جيد .. خاصة المترجم منه .

المتردد على مكتبات شارع الرشيد لاشك انه سيتأكد ان حركة الترجمة قد انتقلت من مصر الى منطقة شمال الجزيرة العربية تلك المنطقة التي تشمل كلا من الكويت والعراق وسوريا ولبنان .. ليس فقط لان هناك مؤسسات ودور نشر متخصصة في ترجمة الابداع العالمي الحديث في مختلف الانشطة العلمية والادبية . بل لان في هذه البلدان الاربعة تصدر مجلات متخصصة فقط في ترجمة الاداب والعلوم الحديثة وتصدر بصفة منتظمة . مثل مجلتي الثقافة العالمية و« العلوم » في الكويت و« الثقافة الاجنبية » في العراق و« الآداب الاجنبية » في سوريا .. ثم « كتابات معاصرة » اللبنانية .

هناك اذن ظاهرة يجب الالتفات اليها في ترجمة الثقافات العالمية المعاصرة . ومحاولات جادة للاتصال بالابداع الحديث .. وهناك حركة متلاحقة للنشر .. فليست المجهودات الموجودة حاليا مجرد حالات عابرة . او قليلة . بل هناك خطط مرصودة الهدف منها اغراق السوق بكافة انواع الكتب المترجمة في الاداب والفنون والعلوم وكتب الاطفال . والموسوعات العامة والمتخصصة .

وايمانا بانه من الواجب اعطاء كل ذي حق حقه .. فبعد موجة الانتقادات التي وجهت الى قصور حركة الترجمة فان السنوات الخمس الاخيرة قد شهدت ازدهارا خاصا من الواجب متابعته ، والقاء الاضواء عليه وقد اخترنا في هذا المقال ان نرصد حركة الترجمة في العراق ، على ان نرصد هذه الظاهرة في بلدان عربية اخرى في مرات قادمة .

ففي بغداد هناك اكثر من مؤسسة

في شارع الرشيد عشرات من وقائع الحكايات والروايات .. ولو قدر للمرء ان يتجول بعض الوقت في شارع الرشيد ببغداد .. فسوف يشعر بوقفة الزمن [illegible] يتجول في فترة الاربعينات والخمسينات و[illegible] تلك الفترة التي كان فيها الكتاب المترجم منتشرا [illegible] الصحف والمجلات .. [illegible] القارىء بالامس ويستعيد صورة .. [illegible] تجاعيده في ساعات [illegible]

رسمية وغير رسمية تهتم بالترجمة بصورة مكثفة . حيث تصدر دار آفاق عربية سلسلة المائة كتاب .. وتصدر وزارة الاعلام دائرة الاطفال سلسلة كبيرة من كتب الشباب المترجمة . فضلا عن النشاط الملحوظ لدار المأمون التى اصدرت فى أربع سنوات مالايقل عن ستين كتابا من ابرز الكتب العالمية التى صدرت خلال السنوات الاخيرة .

● مسافر فى كل الدنيا


د . هـ لورانس (الثعلب)

ولانه لايمكن رصد كل الكتب المترجمة فى بغداد وحدها خلال السنوات الاخيرة .. فليسمح لنا القارىء ان نقدم تجربة دار المأمون التى أنشئت ، كما هو واضح من اجل ترجمة الابداع العالمى . اما المؤسسات الاخرى العامة والخاصة ، فان الترجمة تدخل ضمن خطط النشر العام .. اى الترجمة جزء من كل منشور ويدخل فى اطار ترجمة هذه المؤسسات الكثير من الكتب غير الادبية مثل الدراسات التاريخية والنفسية والعلمية وما الى ذلك .

وبالنظر الى عناوين الكتب التى اصدرتها دار المأمون منذ عام ١٩٨٦ سنجد انها محاولة لرصد ابرز الانتاج الادبى العالمى فى اماكن متفرقة من الكرة الارضية كما سوف نرى .

ودار المأمون قد بدأت نشاطها مع عام ١٩٨١ . بكتاب واحد يحمل عنوان « دليل مترجم المؤتمرات » من تأليف جان هيربرت .. وهو كتاب كما يبدو متخصص ويبدو انه لم يكن يدخل فى اطار خطط النشر للدار .. فقد توقفت الدار عن اصدار كتب اخرى لمدة اربع سنوات الى

ان صدر في عام ١٩٨٥ كتاب عن « رباعية الحرب » من تأليف البريطاني جورج ماكيث .. وليس من المعروف سبب وقوف الدار عن الاصدارات طوال هذه السنوات . اذ لانعتقد ان الحرب كانت سببا .. فمن المعروف ان حركة النشر في بغداد واثناء الحرب كانت مزدهرة بشكل يثير الاعجاب .

وعلى ذلك فانه يمكن اعتبار ان نشاط النشر الحقيقي للدار كان في عام ١٩٨٦ وفي خلال سنوات قليلة للغاية قدمت مجموعة من الكتب يمكن ان يقال فيها انها :

□ محاولة لرصد الاداب العالمية الحديثة التي صدرت في القرن العشرين . وبشكل خاص في السنوات الاخيرة ، وبعض هذه الكتب حصل على جوائز ادبية . كما ان اغلب المؤلفين غير معروفين للقارىء العربي .. ليس لانهم اقل اهمية.. بل لان ضيق حركة النشر باعدت فيما بين القارىء العربي الحديث وبين هذه الاسماء ..

□ انها محاولة لاختيار اداب من اغلب دول العالم دون التركيز على دولة دون اخرى .. فرغم ان الدار قد قدمت الكثير من المؤلفات البريطانية .. فإن هناك ايضا كتبا من اليابان والاتحاد السوفييتي والمانيا وافريقيا واسبانيا .. وامريكا اللاتينية والهند وايضا الولايات المتحدة وفرنسا ..

□ قام بترجمة اغلب هذه الاعمال مترجمون عرفوا بمكانتهم المرموقة في عالم الترجمة وعلى راسهم المفكر والاديب جبرا ابراهيم جبرا الذي صدرت له الكثير من الاعمال الشكسبيرية . كما شارك في اعمال الترجمة كل من سامي محمد وياسين طه حافظ وعباس خلف وآخرين .

● ثعلب .. ونساء عاشقات

ويهمنا الان ان نقدم قراءة لبعض هذه الاعمال من خلال خريطة الاصدار .. فالى جانب رواية « بلاد الثلوج » لليابانى كاواباتا ـ جائزة نوبل ١٩٦٨ ـ هناك رواية « النفق » للارجنتيني ارنستو ساباتو وهو واحد من اهم الكتاب المعاصرين ليس فقط في بلاده .. بل في الادب الحديث . وفي هذه الرواية طرح الكاتب مسألة عدم امكانية وصول الانسان الى الحب السرمدي المطلق .. وذلك من خلال شخصية كاستل الذي آمن ان المحاولة يمكن ان تخضع للتجربة منطلقا من احداث تقوم على التخمين المحض .. فهو يؤمن على سبيل المثال ، ان المراة التي توقفت لتنظر ى النافذة الصغيرة في لوحته كانت تمس الوعي الداخلي الذي يدفعه الى الاتصال بالاخرين .

ومن نفس جيل ساباتو هناك رواية « الخطوات الضائعة » للكاتب الكوبي الياهو كاربنتير ، والخطى الضائعة عند الكاتب هي تلك التي خطاها بطل روايته من اجل البحث عن الجذور التي يجدها في الهروب من عالم متطور تقنيا ، الى عالم اخر يتسم ببدائية شديدة في احدى غابات الامازون .. وهي رحلة نحو خلاص خاص

لايحسه سوى من عاش التجربة نفسها .

ومن بين الكتب التى تترجم لاول مرة الى اللغة العربية روايتان للكاتب البريطانى د . هـ . لورانس هما : « الثعلب و نساء عاشقات » ولعل المهتمين بالسينما يذكرون كيف تحولت هاتان الروايتان الى فيلمين بالغى الاهمية عرضا فى اواخر الستينات وفى هاتين الروايتين وضع الكاتب بعض افكاره حول العلاقة الابدية بين الرجل والمرأة .. وهى الافكار التى غيرت من مفاهيم انسان القرن العشرين للجنس والمرأة بشكل واضح . فالثعلب هو الشخص الذى تدخل بين امرأتين تربطهما صداقة عميقة كى يستطيع ان يمزق كل احبال المحبة فيما بينهما من خلال قدرته على امتاع كل منهما وهناك ثعلبه فى رواية « نساء عاشقات » تتمثل فى امرأة تتنقل بين الرجال وكأنها ملكة النحل التى عليها ان تمتص من الزهور ولا يهمها ان تذبل ، عقب الامتصاص ، او تستمر فى الحياة .

وفى هذه الرواية سألت امرأة زوجها عن سبب حسرته الشديدة عقب انتحار صديقه الا اكفيك .. فيرد ببساطة العلاقة بينى وبينك شىء وبينى وبينه شىء اخر .. انهما علاقتان متكاملتان .

● ادب للمجانين والمدمنين

الجدير بالذكر ان اغلب اعمال لورانس الهامة قد صدرت فى القاهرة مثل « ابناء وعشاق » و« عشيق الليدى تشاترلى » كما



فرجينيا وولف (السيدة دالاوى)

صدرت ايضا بعض اعمال فرجينيا وولف ، فى القاهرة مثل « الامواج » و« المنار » ومن ادب السيدة وولف المتميز ترجمت دار المأمون رواية « السيدة دالاوى » وهى رواية ينحصر زمنها الدرامى ، مثل كل اعمال الكاتبة ، فى يوم واحد فقط ، وفى هذا اليوم علينا ان نعيش كل عالم السيدة دالاوى .. الزوجة العصرية لاحد اعضاء البرلمان لكنه زمن يتشعب الى ايام ماضية تتدفق فيها الذكريات وبهذا قطعت فرجينيا وولف صلتها بالشكل التقليدى لكتابة الرواية الحديثة ، اذ اخذ يجرى عرض الاحداث ورسم الشخوص لا بطريقة التصوير المباشر ، بل عن طريق الانطباعات التى تحدث والذكريات التى

تمر فى عقل الشخصية الاساسية فى الرواية . وفى عقول بقية الشخصيات

وفى الاداب الاخرى تم على سبيل المثال اختيار روايتين تنتميان الى الرواية الجديدة فى فرنسا الاولى هى « جن » من تأليف الان روب جرييه . والثانية « طريق الفلاندر » لكلود سيمون وهى من الروايات البالغة الصعوبة سواء عند قراءتها بلغاتها الاساسية او بعد ترجمتها الى اللغة العربية .. فهى تنتمى الى ادب خصوصى .. له قارئه المحدود ليس فقط فى العالم العربى . بل فى كل لغات العالم بما فيها اللغة الفرنسية .

واهم اصدارات هذه الدار هى رواية « العرس الوحشى » للكاتب الشاب يان كيفيلك التى حصلت على جائزة جونكور فى عام ١٩٨٥ . وكيفيلك كاتب قليل الانتاج .. استطاع من خلال رواية واحدة ان يدخل فى زمرة كبار المبدعين . وقد جاء فى مقدمة ترجمة الرواية ان كيفيلك يتميز باهتمامه بالمرضى النفسيين وبالمجانين والمدمنين على الكحول والمخدرات وبالاطفال والعجزة والمعوقين مما جعل بعضهم يطلق عليه لقب « فوكنر الفرنسى » فهو يبدع فى وصفهم .. والاهم من ذلك انه يبدع فى ابراز اختلاقهم . والاختلاق هنا هو كلمة السر . اذ نرى العالم يسير فى اتجاه بينما يسير بطل روايته . او ابطال رواياته فى اتجاه معاكس .

ومن الادب الالمانى المعاصر هناك رواية « الازرق الازرق » للكاتبة انا سيجرز من المانيا الشرقية ـ سابقا ـ التى توفيت قبل سنوات . وهى احدى الكاتبات المتميزات فى الادب المكتوب بالالمانية يتميز اسلوبها بنبذ التراثية المفرطة فى اعمالها الادبية وبسعيها الدءوب الى استلهام موضوعها . وخلق ابطال قصصها وشخوصها من طين الواقع .. من المجتمع بنقائضه وصوره المختلفة .. وقد استلهمت احداث هذه الرواية من تجربتها الخاصة حين عاشت فى المكسيك بضع سنوات كامرأة منفية عليها ان تبحث عن العلاقة بين المفيد النافع والجمال . بين الفن والعمل ، فوجدت ذلك لدى صناع الخزف فى المكسيك الذين تحولوا من اشباح فى الحياة الى ابطال فى الرواية .

تلك محاولة لقراءة بعض عناوين الكتب المترجمة فى شارع الرشيد ببغداد .. وهى عناوين قليلة قياسا الى مثيلتها القادمة من عواصم عربية اخرى من بيروت والقاهرة والرباط .. ومثل هذه العناوين تثير دائما شهية القارىء المتعطش للابداع العالمى المعاصر .. وهو ابداع كثير الانجاب كالارانب .. ويحاول ان تكون لارانبه الجديدة قيمة خاصة لاتقل عما كان يتمتع به الاجداد والاباء .. ويؤكد ان الابداع فى حالة حمل وانجاب مستمر .. وانه ليس صحيحا بالمرة ان عصر الاسماء الكبيرة قد انتهى .. فكما رأينا فكثير من ابناء الجيل الجديد . يولدون كبارا ولايمرون قط بمرحلة الطفولة والمراهقة .. مثلما حدث مع يان كيفيلك ..

التشاؤم والقدرية

فى أعمال توماس هاردى

في الذكرى المائة والخمسين على مولده (١٨٤٠ - ١٩٢٨)

بقلم: د. رشيد العنانى - لندن

كان هاردى ملحدا متشائما .. أما إلحاده فلم يكن شيئا غريبا على عصره . فالمناخ الفكرى السائد فى القرن التاسع عشر كان يهيمن عليه اكتشافات داروين وتوماس هكسلى فى أصل الانسان وتطوره البيولوجى . وهى الاكتشافات التى جاءت مناقضة للقصة التوراتية المعروفة عن أصل خلق الانسان .. هذا الى جانب الفلسفة العلمية لجون ستيوارت ميل Mill وهربرت سبنسر . فالأول ارتبط اسمه بالأمبريقية وهى المذهب الذى يرد المعرفة كلها إلى الخبرة العملية ، والثانى أسس مذهب الفلسفة الارتقائية ناقلا الداروينية من عالم البيولوجيا إلى عالم المعرفة والأخلاق .

● ولعل تشاؤم هاردى لم يكن منقطع الصلة بالحاده وكأنه حين فقد ايمانه بالعناية الالهية أصبح يرى العالم مرتعا لقانون الصدفة تعيث فسادا فى حياة الانسان الذى تتحول حياته إلى سلسلة من الآلام لامبرر مفهوما لها ولا مهرب منها ولا تعويض عنها فى عالم ات .. كانت مشكلة هاردى انه لم يستطع

التشاؤم والقدرية

ان يوفق بين مكرة الايمان بالعناية الالهية وبين وجود الشر والألم فى العالم . وبالنسبة لهاردى لم تكن هذه مجرد فلسفة يعتنقها نظريا ، ولكنها كانت ايضا تلتقى مع تيار حزين نابع من أعماق ذاته ، ومن هنا أصبحت الحياة عنده ماساة شخصية وقد كتب إلى أحد اصدقائه ذات يوم يقول انه كثيرا ما كانت تمر عليه ليال يأوى فيها إلى فراشه وهو يتمنى ألا يشهد النهار التالى .. ومن المفارقات التى تثير فى النفس مزيجا من الدهشة والتامل وتبين كيف كان التشاؤم ورفض الحياة جزءا من النسيج الوجدانى والحياتى لتوماس هاردى انه كتب رسالة لصديقه الكاتب رايدر هجارد يعزيه فى وفاة ابنه الصغير ، فلم يملك بعد ان فرغ من عبارات التعزية المالوفة ان استطرد قائلا إن الصبى الذى فارق الحياة لم يفته شىء يأسف عليه.. إلى هذا الحد سيطرت على هاردى نظرته القاتمة إلى الحياة فلم تدعه يفلت من زمامها حتى فى تاديته لواجب اجتماعى لايليق ان يقرنه بمثل هذه النغمة وكانه يهنىء الرجل لايعزيه .

من كان هذا قدر الحياة عنده ، لاعجب أن يكون مشغولا بالموت .. وهو مانجد مصداقه فى شعر هاردى الذى كثيرا مايتخذ مسرحا له بين اطلال الموت وشواهد القبور .. لم يكن هاردى ينسى الموت حتى وهو يتأمل الطبيعة ولنصغ إليه يقول فى مقطع من قصيدته « تحولات »

بضعة من هذه الشجرة
رجل كان جدى يعرفه
يرقد هنا اسفل جذعها
وهذا الغصن قد يكون زوجه ،
حياة كان يجرى فيها الدم أحمر
الآن أضحت فرعا اخضر

ليس من السهل أن نحدد هوية إلحاد هاردى ، هل كان يعتقد أنه ليس ثمة من إله فى الكون على الاطلاق ؟ أم أنه كان يؤمن بوجود إله منصرف عن البشر لايعنيه مايحل بهم فى شىء ؟ فى قصيدة له عنوانها « سؤال الى الطبيعة »

يتساءل .

او خرجنا نحن إلى هذا العالم
من بطن آلة ذاتية الحركة
لاتحس بآلامنا ؟
أم نحن البقايا الحية
لإله يموت تدريجا
قد ذهب عنه فعلا
المخ والعينان ؟
أم هناك خطة عليا
لم يكشف عنها بعد النقاب
تقضى أن يعصف الخير بالشر
ونحن الأمل الضائع
يخطو فوقه المنتصر ؟
هكذا الأشياء حولى
وليس الجواب عندى

ونجد فى شعر هاردى مانجده فى عامة شعر الرومانسيين من أسف على الزمان الذى لايتوقف عند اللحظة السعيدة بل يمضى دوما فى طريقه حارما إيانا من أوقات الفرح فى حياتنا ، جالبا الأحزان والآلام ، ونجد فى شعره أيضا أصداء من تغنى « وردزورث » بالطبيعة والطفولة . فهاهو يقول فى قصيدة يصور نفسه فيها طفلا راقدا فى احضان الطبيعة :

قلت . « بامكانى أن أعيش هنا حتى الممات »

وسألت نفسى بينما أنا جالس وسط الضياء الأخضر :

« لماذا حتم علىّ أن أكبر وأغدو رجلا يجول على غير هدى فى ذلك العالم الصاخب البعيد ؟ » .

وتتلون الطبيعة فى شعر هاردى بلون داخلى صرف ، فالشتاء الثلجى تراه العين الفرحانة ربيعا ، بينما ترى العين الأسيانة الربيع الطلق شتاء جهما . يقول هاردى فى قصيدة « فصول سنة من عمرها » .

(١)

نشر الشتاء ثلوجه على العشب والاشجار

والطيور قد ولّت الأدبار

لكن شحارير الصيف تصدح من أجلى

والأفنان تنمو وتزدهر

لأن حلمى الذى كننته فى صدرى

قد باحت به شفتاه .

(٢)

هاهو نهار صحو من أيام آيار

وقد تفتحت الأزهار .

لكن يومى مطير عصوف

وأطيارى تنوح

لأن حبيبى الذى عاهدنى الوفاء

مضى وتركنى للشقاء

وحيدة ، وحيدة .

آمن هاردى بأن حياة الانسان رهينة بالصدفة والقدر الأعمى ، وأن حادثا تافها يقع اتفاقا يمكن أن يحطم حياة البشر فرادى وجماعات تحطيما لا قيام لهم بعده .. وهو يفصح عن ايمانه هذا فى العبارة التالية التى توردها فلورنس هاردى فى كتابها عن حياته « ليس التاريخ أشبه



داروين



توماس هاردى

بشجرة بل بتيار مائى سار .. ذلك أن التاريخ ليس عضويا ولا يتطور وفقا لنظام معين .. إنما ينساب كجدول تجمع على جانب الطريق من الامطار المتساقطة .. فإذا ما اعترضت طريقه قشة هنا أو كثيب هناك ، حاد عن طريقه . إن قرارا مرتجلا يصدر عن رجل ذى عقلية مبتذلة يحتل منصبا يمكن فى لحظة حرجة أن يؤثر فى مجرى الأحداث لمائة عام تالية » ..

يظهر انشغال هاردى بفعل المصادفة فى حياة الانسان(وهى ما نسميه بالقدر احيانا) فى اشعاره مثلما يهيمن على رواياته جميعا .. وفى الابيات التالية من قصيدته « حادث مؤسف » يبين كيف تجمع الصدفة المحض بين الناس على الرغم من إرادتهم ، وبالتالى كيف تفرق بين من يسعون للالتقاء .

اندفعنا الواحد نحو الآخر تحت ضوء كاب .

تعانقنا وأوشكت الشفاة أن تتماس ،

لكنها لم تكن المرأة التى واعدتها اللقاء

فوق ذاك الجسر والضباب آخذ فى الجلاء ،

ولا كنت أنا من بين الرجال

من قصدته بذاك الانتظار

وفى المقطوعة التالية يصور القدر

وعبثه بمصائر البشر.. وهو عبث لايملكون له ردا أو دفعا فى رأيه :

لاغناء فى أمل او يأس
ثمة قوة تجذبنى من علٍ أو اسفل
مثل دمية : أنا لا أملك أن أعرف
أى شىء ستجدنى اللحظة القادمة
افعل

غير أن أشهر الدمى التى عبث بها القدر فى روايات هاردى هى ولاشك « تِس ».. بطلة روايته المعروفة « تس سليلة آل دربر فيل » والتى يعدها النقاد اعظم اعماله قاطبة .. يستعير هاردى فى تقديمه للرواية ببيتين من مسرحية « الملك لير » لشكسبير يلخص بهما فلسفته فى العلاقة بين القدر والبشر : « مثلما يصنع الصبية العابثون بالذباب / كذا تصنع بنا الآلهة . تتلهى بقتلنا ».. وهذا على التحديد ماتصنعه الآلهة ، أو بعبارة أخرى الأقدار بتس .. ولايبى هاردى يلجأ فى تلافيف الرواية الى الصور الشعرية التى

شكسبير



تربط بين تس وبين الذباب .. هاهو يصورها تحاول أن تبدأ حياتها المحطمة من جديد بعد أن مات طفلها غير الشرعى من « أليك دربرفيل ».

والمشهد يصور تس لدى وصولها إلى المزرعة التى ستشتغل فيها :

« وقفت تس حائرة لاتدرى إلى اين تتجه ، ومن حولها تنبسط الأرض الخضراء فى كل اتجاه .. كانت تشبه ذبابة تقف على كساء لطاولة بلياردو مترامية الأطراف ، ولم يكن يبدو أن الاشياء المحيطة بها تعيرها من الاهتمام أكثر مما تعير طاولة البلياردو الذبابة الواقفة عليها ».

وفى موضع آخر من الرواية يصف هاردى الأرض والسماء فى انصرافهما الابدى عما يحدث للبشر ، ومرة اخرى يلجأ لصوّرة الذباب ..

« كان الحقل وقد تعرى من خضاره قد استحال رقعة سمراء مقفرة مثل وجه بلا ملامح ، وجه مسخ فيما بين الذقن والجبين فأصبح مجرد سطح جلدى .. اما السماء فكانت تتبدى فى نفس الهيئة ولكن فى لون مختلف : وجه ابيض بلا قسمات .. وهكذا يظل هذان الوجهان العلوى والسفلى ، يواجهان احدهما الآخر طوال النهار .. الوجه الابيض ينحدر ببصره تجاه الوجه الاسمر ، والوجه الاسمر يصعد ببصره تجاه الوجه الابيض ، ولاشىء يتوسط بينهما سوى تلك الفتاتين (تس وزميلة لها) تدبّان على سطح الوجه الاسمر مثل ذبابتين »..

وفى ثنايا الرواية يفصح هاردى عن

رأيه فى القوة المتحكمة فى مصائر البشر حين يطلب « اليك » من « تس » ان تصلى من أجله فتجيبه قائلة :

« كيف أصلى من أجلك وأنا اعرف أن القوة العظمى التى تحرك العالم لن تغير من تدابيرها من أجل خاطرى ؟ » ..

«فى النهاية حين تقتل تس الرجل الذى حطم حياتها ويحكم عليها بالموت ، يصف هاردى مشهد الاسود الذى يرتفع فوق السجن معلنا حلول ساعة الاعدام قائلا :

« الآن قد أخذت « العدالة » مجراها وفرغ رب الارباب من لهوه بتس » ..

وفى رواية « عودة ابن البلدة » وهى ايضا من رواياته الذائعة الصيت يعالج هاردى موقفا آخر من تلك المواقف المأساوية التى يشبك فيها القدر خيوطا ما كان يجب أن تتشابك .. وهذه الرواية ايضا هى مأساة فتاة كما كانت الرواية السابقة ، والفتـاة المعنية هنـا هى « يوستاشيا فاى » .. وهى فتاة ذات طبع رومانسى ، ملآنة بحب الحياة ، وفى صدرها يختلج طموح الى حياة اجتماعية براقة بعيدا عن الحياة الخاملة فى القرية التى نشأت فيها .. إلا أن الاقدار تسوق لها زوجا هو مدرس بسيط ، قليل الطموح ، قانع بالعيش فى قريته .

وكأن هذا لم يكن كافيا ، لايلبث زوجها ان يفقد بصره ويتحول الى واعظ مصلح ..

وتنساق يوستاشيا فى علاقة مع حبيب يستطيع أن يقدم لها ماتريد ولكنه بتدبير الأقدار المعادى لايظهر فى حياتها إلا بعد فوات الأوان .. فى النهاية تقرر الفتاة فى يأسها أن تهرب مع ذلك الحبيب ، وفى الطريق اليه تغرق – أو ربما أنها تنتحر



تس دربرنيل كما صورتها السينما

غرقا – وقبل موتها بلحظات تشهد يوستاشيا فى الطبيعة رؤية من رؤى الخلاص ، ويستخدم هـاردى وصفه الشعرى للطبيعة وما تنطوى عليه من معان رمزية ليعبر عن حلم بطلته بالحرية ؛ ذلك الحلم الذى حالت الاقدار بينه وبين أن يصبح حقيقة :

« بينما كانت يوستاشيا تتطلع الى السماء ، ارتفع طائر من طيور البلشون وحلّق عاليا ووجهه صوب الشمس .. وبينما كان يحلق ، كانت حواف جناحيه ، وباطنهما ، وفخذاه ، وصدره كلها مغمورة فى نور الشمس الوضّاء ، حتى انه كان يبدو وكأنه قُدَّ من فضة لامعة .. كانت الأعالى التى يحلق فيها تلوح مكانا تقطن فيه الحرية والسعادة مكانا لاصلة تربطه بالارض المكبلة فى الاغلال . وتمنت يوستاشيا لو كان بمقدورها أن ترتفع بجناحين غير متكسرين وتحلق حيث يحلق ! » ..

إلا أنه فى عالم توماس هاردى لا أحد يقدر على التحليق . فالأقدار المعاندة للبشر تتكفل دوما بتكسير أجنحة البشر ..

العالم في سطور

بوجوتا

زمن الاجسام المكعبة

تجيء اهمية فنان ما من خلال تميزه في رؤية الاشياء والتعبير عنها بمنظوره الخاص رغم ان لكل فنان بصمته الخاصة التي يطبعها فوق لوحاته

والفنان الكولومبي فرناندو بوتيرو يتسم بتميز خاص في لوحاته التكعيبية . وتجيء اهمية هذا الفنان في انه احد المعاصرين الذين ظهروا بعد مرحلة رواد الفن السريالي والتكعيبي الحديث فهو من مواليد عام ١٩٣٢ اي في ذلك العام الذي كان فيه السرياليون والتكعيبيون في قمة سطوتهم ففي هذا العام



اخرج لوي بونويل فيلمه "الكلب الاندلسي" وسافر دالي الى الولايات المتحدة ، وانشق روجيه بيسيه على زملائه ، وتجاوز بيكاسو المرحلة الزرقاء بسنوات طويلة .

كما تجيء اهمية بوتيرو في انه لم يغوص داخل الزمن المرن الذي عشقه التكعيبيون السرياليون خاصة بريتون ودالي بيكاسو وبراك . بل انه اخذ يغوص داخل اشكال غير مالوفة من التكوين الانساني .. فللبشر في لوحاته مكانة رئيسية للغاية . وهم يتسمون ببدانة واضحة في وجوههم واجسامهم وهم مكتظون بشكل لافت للنظر لدرجة ان الرءوس البدينة تكاد تبدو فوق الاجسام التي تبدو كانها بلا اعناق ولشخصياته احجام غريبة خاصة عند منطقة الجذع ورغم بدانة هؤلاء الاشخاص فانهم لا يكفون عن الحركة فالكثير من لوحات بوتيرو حول اشخاص يرقصون .. يدورون في الحلبة بخفة ورشاقة تزيد عما يفعله الاشخاص العاديون ..

هذا الاسبوع يقام في مدينة بوجوتا معرض للفنان بمناسبة بلوغه الثامنة والخمسين وبهذه المناسبة كتب الناقد جان بيرار قائلا ان لبوتيرو عالم حسي خاص يمكن لمن يشاهد لوحاته ان يرفع الستار الرقيق الذي يعري النفوس والاجساد البشرية . اما بوتيرو فيردد انه اراد ان يصور الناس بظلالها في لوحة واحدة .. فرغم بدانة كل شخوص لوحاته فان مساحة الظل التي تنعكس منهم تبدو ضئيلة للغاية

الجدير بالذكر ان بوتيرو مولود في نفس البلد الذي يولد بها جارثيا ماركيز واليهوكاربنتير وقد كتب عن الكاتب البيروني المعروف ماريوفار جاس يوسا انه صنع للفن هوية خاصة من الجمال . كما اطلق عليه البعض بانه ملك الاجساد الكثيفة الوجود

باريس

رحلة زفاف .. قديمة

مثل الساعة الموقوتة ، أصبح الكاتب الفرنسي المعروف باتريك موديانو يطلع على قرائه ، مع بداية كل ربيع ، برواية جديدة .. الرواية الأخيرة التي صدرت للكاتب قبل شهر هي "رحلة زفاف" .. ويؤكد الكاتب انه لا يميل ان يعيش في سنوات الحاضر ، بل يهرب مع ابطاله ، كالعادة ، الى سنوات الأربعينات والخمسينات .. وهي الفترة الزمنية التي تدور فيها احداث رواياته العديدة .

فهذه السنوات ، حسب رؤية الكاتب ، هي الهوية الحقيقية التي عاش فيها بشر حقيقيون لهم احلامهم الخاصة ودوافعهم من أجل الاستمرار ... وكالعادة اختار الكاتب مجموعة من المستويات والنماذج الانسانية في روايته الأخيرة ، فهناك رجل يبحث عن ابنته المفقودة ، وهناك راوية ينتظر عودة زوجته التي هجرته بلا سبب . وهناك زوجان



باتريك موديانو

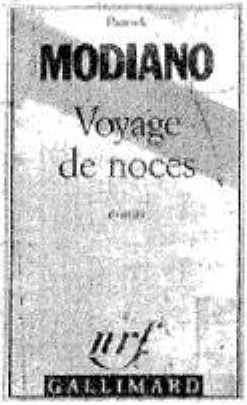
يختفيان في منزل صغير بمدينة هامشية .

ووسط كل هذه الشحنة المكثفة من الانتظارات المركبة فان الاحلام تتبخر ، فلا يجد الاب ابنته ، ولا تعود الزوجة الخائنة ولا يجد الزوجان مكانا اكثر امنا يخرجان منه . هناك دائما اشياء صغيرة تربط كل هؤلاء بماضي ذي نكهة خاصة . مثل وسادة المخدع . وبعض التماثيل الصغيرة المتناثرة في دولاب صغير . ورائحة خاصة لا يمكنها ان تبرح المكان مهما فتحت النوافذ

يحتفل ما تريك موديانو هذا العام بعيد ميلاده الخاص والأربعين ومن المعروف انه بدأ حياته الأدبية عام ١٩٦٨ بنشر مجموعة هامة من الروايات من ابرزها "ميدان النجم" ، و"مكتب العائلة" ، و"مستودع الذكريات" ، وقد فاز في عام ١٩٧٨ بجائزة جونكور في الرواية عن روايته "شارع الحوانيت المعتمة" وهي الرواية الوحيدة التي ترجمت للكاتب الى اللغة العربية (نشرت في روايات الهلال العام الماضي) .

وتجيء أهمية موديانو انه أحد الكتاب الذين ولدوا بعد الحرب العالمية الثانية . ورغم ذلك فقد كتب اغلب رواياته عن باريس في اثناء الحرب وما بعدها .. ويقول الناقد جان بيراميت انه رغم ان موديانو قد بلغ الخامسة والأربعين الا انه لايزال

رحلة زفاف



ذلك المراهق الذى عليه ان يذهب بين وقت وآخر لتادية امتحان نهاية العام الدراسي . لذا هو فى حالة قلق دائم ويبدو وجهه وكانه مندى بالعرق ؛ اما عيناه فتبدوان وكانهما غائرتان نحو الماضى . لذا فهو اشبه بطفل تركه اهله ليعيش فى الظلام بعد ان اعتادت عيناه على ضوء الشمس

هونج كونج

وداعا .. للكاراتيه !!

بعد سبعة أعوام وشهر واحد سوف تخلع هونج كونج للأبد التاج البريطاني من فوق راسها لترتدى قبعة القش الصينية المشهورة .. وخلال هذه السنوات السبع يستعد الفنانون والأدباء للدخول فى هوية جديدة بحزيرتهم ، وخاصة هؤلاء الذين اغرقوا العالم بآلاف الأفلام عن رياضة الكاراتيه

وحول مستقبل السينما فى هونج كونج نشرت مجلة لودوفيل او بسرفاتور مقالا . تقول فيه انه منذ عام ١٩٤٩ والسينما فى



هونج كونج تصطبغ بطابع خاص . فموضوعات افلامها لا تتغير . وقد سعت افلام هونج كونج لان تمثل ثلاثة اجيال من المهاجرين . هؤلاء الذين جاءوا من اليابان الى شنغهاوى ثم هونج كونج فى عام ١٩٣٦ وهؤلاء متأثرون بالسينما الهوليودية . كما ان هناك المهاجرين القادمين من كانتون عاصمة الجنوب . وايضا هؤلاء المقيمون فى الجزيرة بشكل دائم ..

وتقول المجلة ان السينمائيين فى هونج كونج لم يهتموا قط بالصراع بين الشموليين والقوميين رغم ان الذين صنعوها هم افراد هذه التيارات .

وقد جاءت افلام الكاراتيه كرد فعل للأفلام الصينية الدعائية التى انتشرت ابان الثورة الثقافية فى الستينات . واصبحت هونج كونج . تلك المستعمرة الصغيرة ، احد اكبر عواصم صناعة السينما فى العالم . فجاءت مرتبة الجزيرة . الثالثة فى الانتاج السينمائى بعد الهند والولايات المتحدة .

ونجحت هونج كونج ان تصدر افلامها الى عواصم العالم المتعددة حول الكنغ فو والكاراتيه . واصبح نجومها من الابطال المحبوبين فى شتى انحاء الدنيا مثل بروس لى وجاكى شان .

فى بداية ظهور هذه الاقلام كان على المنتجين الاعتماد على السوق المحلية . لكن افلاما مثل "قلب النساء القدريات" و"سفينة الشعب" استطاعت ان تنقل هذه الافلام الى اسواق جديدة خاصة فى دول العالم الثالث . فى الوقت الذى انحسرت فيه عروض افلام العديد من الدول خارج حدود بلادها مثل الافلام الفرنسية والايطالية والالمانية .

من المعروف ان هوليود قد استطاعت جذب العديد من نجوم ومخرجى هذه

الاقلام لكن هذا لم يمنع هونج كونج من صناعة نجومها الجدد .

وتقول المجلة انه مع نهاية عام ١٩٨٩ ، ومع قرب الانتظار اصبح على الجزيرة ان تنتظر وهى التى اعتبرت بمثابة وعاء العسل للراسمالية .. وبدا صناع السينما فى اخراج افلام مصنوعة على المنوال الامريكى مثل افلام الخيال العلمى وعلى هؤلاء السينمائيين ان يقدموا افكارهم حول هذا المستقبل القريب الذى سوف ياتى بالكثير من التغير للجزيرة فترى كيف ستكون حدود هذا التغير

لندن

للجرائم طقوس خاصة بالحركة والاهمال ..

عنوان الرواية الجديدة للكاتبة البريطانية فيليس دروثى جيمس التى يطلق عليها النقاد انها ملكة رواية الجريمة الجديدة فهى كاتبة تعشق الموت والقتل ومن حكايات الجثث تنسج خيوط رواياتها الجديدة وغالبا ما تكون ضخمة الحجم نسبيا للروايات البوليسية .

الرواية الجديدة للكاتبة تتناول شخصية رجل معقد ، يميل دائما ان يرتكب جرائمه لقتل النساء وهو يرتدى ازياء المراة وغالبا ما يصحب معه كلب حين يرتكب جرائمه . كما انه يترك علامة خاصة مشكلة من حروف اللام فوق جبهات النساء المقتولات

والجانب المهم فى هذه الرواية هو ان الكاتبة تبحث دائما عن الدافع الى ذلك ، فلماذا يلجا هذا القاتل الى صناعة كل هذه الطقوس عندما يرتكب جرائمه .. وهذا الرجل لاسف يعيش فى ظروف غريبة ويسعى الى الخروج منها من اجل ان يتخلص النساء الاخريات من متاعب يتصور انهن يعانين منها .

يقول ب . د . جيمس انى فى كل مرة اجد نفسى محبوسة مع ابطالى فى فضاء مغلق وعلى



الموت من يسعى الى هذا المكان بشكل طبيعى ، وحول هذا الموت قدمت الكاتبة ست روايات منها "تذوق خاص للموت" ، "جزيرة الموت" ، "موت خبير" ، وتعلق حول هذه النقطة قائلة : بالعكس . فانا لا اكتب عن الموت ، بل اكتب عن الحياة ونقيضها . فجريمة القتل اشبه بانفجار داخل الاطار الاجتماعى ، فهى تزعج كل الناس الذين يحيطون بالجريمة ..

تمثل ب . د . جيمس نموذجا للعديد من الادباء البريطانيين الذين لمعوا فى كتابة الرواية البوليسية ورواية التجسس ، بل ومجموعة الكاتبات ، بصفة خاصة . البريطانيات اللاتى تميزن فى كتابة هذا النوع من الادب وبرعن فى كتابته اكثر من الرجال مثل اجاثا كريستى وروث راندل وايضا باترشيا هايسميث التى تعيش فى الولايات المتحدة .

والغريب ان جميع هؤلاء النسوة قد بلغن سن الشيخوخة . ورغم ذلك فان ب . د . جيمس ليست كاتبة غزيرة الانتاج مثل غيرها من كتاب الرواية البوليسية

من هنا تبدأ الدول النامية

أزمة الأزمات .. تدهور الثروة الانسانية

بقلم: د. عصام الدين جلال

لأزمة الدول النامية مظاهر صارخة تأخذ بخناق الحكومات والشعوب فتعميها عن جذور الأزمة واثارها المدمرة البعيدة المدى .

● فاذا كان نصيب الفرد من الدخل القومى فى افريقيا والدول الاكثر فقرا قد تدهور، بحيث اصبح لا يتعدى فى السنة ما يساوى نصيب الفرد من الدخل القومى فى اسبوعين فقط فى الدول الصناعية . اذا كانت ازمة الديون للدول النامية والتى تعدت التريليون اى الف مليون دولار ، بالاضافة الى تدهور الميزان التجارى بحيث تدهورت اثمان صادرات الدول النامية من المواد الاولية فى السوق العالمية بشكل مستمر على مدى سنوات ، فيقل دخلها بعشرات الملايين من الدولارات سنويا رغم زيادة حجم صادراتها فان النتيجة الحتمية هى انه رغم الحديث الخادع عن القروض والمعونات وجدولة الديون والاتفاقات الثنائية والتسهيلات فان الحقيقة القاسية هى ان الدول النامية هى التى تمول الدول الصناعية وتدعم تقدمها فقد بلغت الحصيلة النهائية للتمويلات بين الدول الغنية والدول النامية خلال ١٩٨٩ ـ ٦٠ بليون دولار لصالح خزائن الدول الغنية من دم وعرق وجوع الدول النامية ، ورغم تضاعف ديون الدول النامية الدائنة الحقيقية ويتأكد استمرار استنزاف ما بقى من دمائها بتحول اموالها الى جيوب الدول الغنية

● الدوران فى المتاهة

والمأساة ان الفقر والتخلف لا يفرضان الا فقرا وتخلفا . فان ازمة الاقتصاد النامى لا تعكس نقص الموارد فقط ولكنها تعكس ايضا العجز عن استثمار الموارد المتاحة وقصور البنية الاقتصادية والسياسية عن استيعاب واستغلال الاموال المتاحة وهذا العجز هو الذى افرز المفارقة الغريبة ان جملة الاموال العربية المستثمرة فى اليابان بلغت خمسين بليون دولار وقد زادت اخيرا الاستثمارات العربية فى الدول الصناعية ٥٠٠ بليون دولار او عشرات وعشرات اضعاف استثمارات



التجريف

الدول الصناعية فى العالم العربي وليس يعد هذا تاكيد وتامين لاستمرار تقدم وسيادة وتفوق هذه الدول على العرب والدول النامية الأخرى وتاكيد او ضمان ان يتابد تاخر وتبعية الدول النامية

ومظاهر هذه الازمات تعذب شعوب الدول النامية فى كل ابعاد حياتها كما نحس نحن ايضا فى مصر من تهديد متصاعد لعجز اساسيات الحياة من غذاء ودواء ومسكن وكساء الى تهديد مستمر للأمن والسلام القومى ، واعتداء متواصل على الأرض والاهل الى حصار للاقتصاد والارادة لمزيد من الاستنزاف للموارد لتسديد ديون لا يزيدها الخدمة الا تصاعدا وتضخما ولا يكفيها الخصم من الضرورات الاساسية كما اتضح خلال السنوات الماضية الا تضاعف الالتزامات والمطلوبات فى السنين التالية مع الأصرار الذى اتضح فى المؤتمر الأخير فى الأمم المتحدة فى الشهر الماضى على استمرار الاحوال والاوضاع على ما هى عليه

● حلم يصعب تحقيقه

ولا شك ان الآثار الطويلة لهذه الاوضاع متوقعة من توقف النمو الصناعى والزراعى والاجتماعى وتضاعف البطالة كنتيجة حتمية لرفع النمو والتوسع الاقتصادى وانعدام الموارد اللازمة لتغطية احتياجات الزيادة فى عدد السكان من طعام ومسكن وطرق ومواصلات واتصال . ومصادر للطاقة وخدمة صحية .. ومن ثم يصبح التطلع لارتفاع مستوى المعيشة حلما يصعب تحقيقه فى عالم ينطلق فيه القادرون والاغنياء نحو تقدم لا حدود له ولا انقطاع .

ومع كل هذا فازمة الازمات هى ما تتعرض له الثروة الانسانية من تدهور وتبديد ففى النهاية فاننا جزء من عالم القرن الواحد والعشرين الذى يرتكز

من هنا تبدأ الدول النامية

انتاجه وتجارته وأمنه على العلم والثقافة والادارة والتخطيط والتنظيم والمهارة . وبانعدام هذه القدرات لن تتضاعف معاناة الضعفاء فقط وتقل مواردهم ولكن لابد وان يهمشوا خارج اطار بناء الاقتصاد والتقدم والأمن العالمي ، ويتقلص وزنهم وتأثيرهم في تحديد توجهاتهم كما تتقلص قدراتهم على الاستجابة لمتغيراته .

وهذا الخطر تتراكم غيومه بسرعة مخيفة ولا يبدو ان اغلبية العالم الثالث تعي خطورة هذا التراكم ولعل ابرز مظاهر هذا الخطر الداهم هي :

١ ـ تدهور مستوى التعليم وعجزه المتزايد على المواكبة للانطلاق الصاروخي للعصر .

٢ ـ تقلص فرص تنمية الخبرة والمواهب والمهارات من خلال الممارسة والعمل المتحضر والمتقدم .

٣ ـ تفشي وتصاعد سوء الادارة للموارد الشحيحة والفرص النادرة المتاحة للتعليم واكتساب الخبرة والمهارة .

والمشكلة الاساسية في تدهور العملية التعليمية هو . عدم كفاية الموارد . ففي مصر مثلا ليس الفرجنة هي نظام الامتحان او البرامج او الدروس الخصوصية او الغش ، فكلنا يعلم ان كل هذه ليست الا مظاهر لداء لا نخلص منه الا بعلاج الداء ، والداء هو ان العملية التعليمية اصبحت عملية مظهرية وصورية فقط فالنمط السائد هوانه ليس هناك تربية ولا تعليم لان غالبية المنشآت التعليمية لم



المجاعة في افريقيا



البطالة في العالم

تعد منشآت لا بمعيار صلاحيتها ولا سمعتها ولا تجهيزها ولا تصميمها ولا إدارتها ولا خدماتها ولا صيانتها ، وغالبية المشتغلين بالعملية التعليمية بمعايير العصر يفتقرون الى فرص التأهيل المناسبة وفرص التمرس والخبرة والتنظيم والادارة والرقابة والتقييم والتدريب والتثقيف وقيادات التعليم فى العالم الثالث تلعب خارج الملعب لانها لا تملك ان تجابه الداء الاساسى وهو ان الموارد اللازمة لا تقل عن عشرة اضعاف الموارد المتاحة ومن هنا تهرب هذه القيادة من مجابهة الحقيقة ان المكان والمعلم والامكانيات والنظام والادارة لا تسمح للعملية التعليمية ان تتم لا تربية ولا حتى تلقينا .

والحقيقة ان الموارد المنفقة على التعليم فى مصر تزيد اضعافا على الرسمية المخصصة لان فشل العملية التعليمية الرسمية مثل فشل السوق لابد وان يخلق سوقا سوداء توفر الاحتياج الناقص ولكنها مثل كل سوق سوداء لابد وان توفره باضعاف ثمنه الحقيقى وبسلع أسوأ بكثير من السلعة النمطية تحت الظروف الطبيعية .

وفى مثل هذه البيئة تتضاعف حوافز وفرص سوء التخطيط والادارة ويعم التسيب ويتفشى الانحراف وينعدم الانضباط .

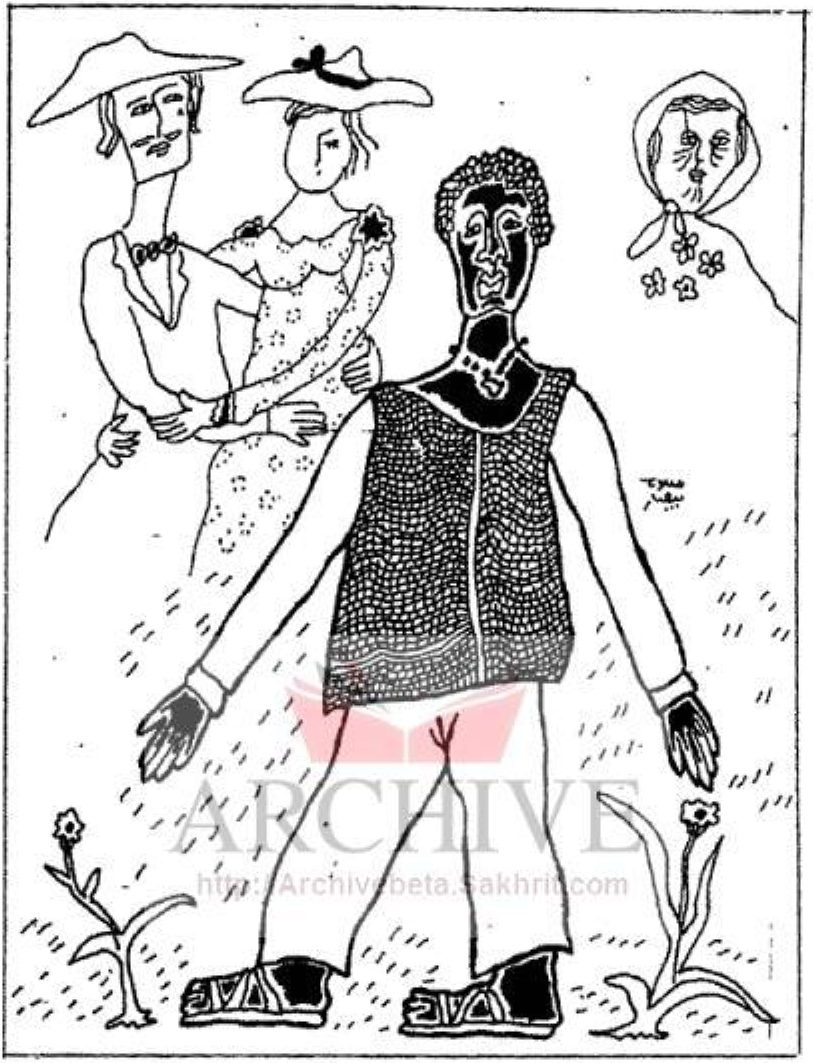
واذا كانت هذه النقائص متفشية فى كثير من نواحى حياة شعوب الدول النامية فان تفشيها فى التعليم والتربية له خطورة مضاعفة بحكم امتداد اثاره على مدى الاحقاب وشمولها لكل ابعاد الحياة القومية .

● جريمة فى حق المستقبل

ومما يضاعف خطورة هذا التدهور المفزع فى اعداد وتعبئة الثروة القومية فى دول العالم الثالث فى افريقيا وأمريكا اللاتينية وآسيا ، ان التعليم ليس الا بداية اعداد وتأهيل الثروة الانسانية وما لم تستكمل فى عمل متقدم وممارسة ومعاصره فلابد ان تقصر عن ان تنمو وتتكامل الى غايتها المثمرة .

ومأساة الدول النامية ان النذر اليسير الذى يصل الى غالبية ابنائها تؤده البطالة او العمالة غير الماهرة او الافتقار الى الادارة الكفء او التنظيم المجدى او قنوات المعلومات الفعالة ومع تقلص النمو وتوقف التوسع فلا شك ان فرص اكتساب المعرفة والخبرة من خلال العمل والممارسة ستتقلص ايضا ومن ثم لم تنحصر اثار الازمة فى مدتها ولكنها ستمتد بعدها لتزيد عدم الكفاءة والقدرة التى لابد وان يمهدا الطريق لأزمات جديدة متتالية .

كيفما كانت ضغوط الازمات وكيفما كانت انعكاساتها السلبية على مستوى المعيشة ومستوى كفالة ضرورات ومطالب الحياة وكيفما كانت اثارها السلبية على نظمنا وممارساتنا فهى جريمة فى حق مستقبلنا ان نسمح لهذه السلبيات ان تطعنًا فى صميم مستقبلنا وامالنا ، تطعنًا فى ثروتنا الانسانية للمستقبل . من هنا تبدأ الدول النامية ومن هنا تبدأ مصر فمن هنا بدأت الدول الاوروبية منذ قرون ومن هنا بدأت اليابان وكوريا فى العصر الحديث .



قصة

يرتكب خطيئة فى مدينة أورينسى

إن السينما والتليفزيون . برغبتهما الحارة فى تثقيف الاسبان تقدمان لنا دروسا . يوما بعد يوم .

حول أساليب إجرامية خاصة او عامة متعددة جدا ونظيفة : مثل اسلوب الجريمة المكتملة او على الاقل ،

المحتملة واسلوب القتل الجماعى المكتمل ، او على الأقل ، الذى ينطوى على فائدة ، وأسلوب "النشل" المكتمل ، او على الأقل المدر للدخل ، واسلوب السرقة بدرجة مكتملة ، او على الاقل مقبولة ، الخ وإنه ليسعدنا ان نرى شباب البلد مستغرقا امام دروس الشاشة - الكبيرة أو الصغيرة - يسجل ملاحظات من كل ما يرى ويحلم باليوم الذى يتاهل فيه ويحصل على الليسانس حتى يمكنه ان يمارس فى الحياة - والدم الحار يغلى فى عروقه - الفنون التى تعلمها - وشاهدها تطبق بمهارة

ويبدو ان افضل اسلوب للنشل يتطلب من النشال ان يمتلك - او يتبنى - مجموعة الفضائل المميزة والمحاذير التالية

الا يكون قزما او عملاقا . والا يكون بدينا او هزيلا . والا يكون لونه مختلفا عن اللون المعتاد بين الناس . والا يكون صبيا او جدا ، وان يتكلم قليلا . بوضوح وتحمس وفى لكنته غير اجنبية ، والا يرتدى لبس صعلوك او نبيل : وان يكون وجهه مستورا او غير واضح المعالم وان يختار ضحيته ببرود شديد ويتاكد من ثراء متاعها ، وان يدرس بوعى افعال وعادات الشخصية المستهدفة ، وان يحدد بدقة شديدة مواعيد العمل ، ولا ينسى طرق الانسحاب ومراحله . وفى هذه الحالة فإن الاحتمال الغالب - إذا لم يحدث خلل فى اداء التعليمات المذكورة - ان تحقق الضربة قدرا كبيرا من النجاح . وينطلق الدعاء : اللهم اجعل الحظ فى جانبنا ، واجعلنا من المعترفين بالذنب على بابك ، امين ، اما التكتيك الآخر فيتطلب الا يتشاجر مع شريكه وان يصرف الأموال على مهل وفى مكان بعيد ، ولكن هذه يمكن ان تكون مسالة اخرى .

وبالنسبة لحرب مليلة فمازالت تردد الى الذاكرة . لأول وهلة صورة ثلاثة مغاربة تطغى شهرتهم على كل المغاربة الآخرين وهم : الريسونى ، وعبد الكريم وعبد القادر . وقد مات الثلاثة متوجين باكاليل

الكاتب الأسبانى : كاميلو خوسيه ثيلا
ترجمة : د. حامد أبو أحمد

الخيال والأسطورة لكن مازالت تتردد في الريف اصداء عدو الفرسان قوية وعنيفة . واصداء انطلاق النار من بنادقهم . واولئك المغاربة الثلاثة كانوا من ذوي البشرة البيضاء (وإن لم يكونوا شعيدي البياض) ومن البربر (وهم غير العرب) لكنهم كانوا برابرة وفرسانا . ولم ينسوا ابدا اخر قاعدة من قواعد الفروسية ولعلها لا تتفق كل الاتفاق مع القاعدة المعروفة عن الفارس المسيحي . لكنها مع ذلك مؤكدة وجلية

وهكذا تمضي السنوات حتى نجد شخصا اخر اسمه عبد القادر والشخص المعني نيجيري مسلم اسود ـ هو السيد /حبيب م . عبد القادر . يقع في ايدي رجال الحرس المدني بمدينة اوربنسي لانه في عملية «القتل» التي اتهم بها (والسيد القلقي وصاحب الكلمة الأخيرة) وفي الخطوات التي اتبعها لم يلتزم بالقواعد الاساسية في هذا الشأن . ومعروف ان السيد / حبيب ليس من الحريصين على مشاهدة التليفزيون او ان ذاكرته ليست قوية .

لقد ارتكب السيد / حبيب م . عبد القادر مجموعة اخطاء خطيرة في عمله . نعرضها هنا بإيجاز وربما بصورة جزئية في النقاط التالية .

١ ـ على مدينة اوربنسي ، وهي من بلاد البيض ، ليس من المناسب ان يخرج شخص اسود عن حدوده ويلفت النظر اليه اكثر مما هو مطلوب .

٢ ـ إن القتل على الاقل في الغرب الاوربي ، لا ينطبق عليه في العادة ما نسميه بالصناعة الاسرية أن يترك الانسان حلبة الرقص مع زوجتين حتى ولو كانتا تحملان اسمين في غاية الجمال مثل جاربجين ومايسا ، او مع اكثر من ستة اطفال عمر كل منهم اقل من اثني عشر عاما . وكل هذا يظل مجرد هراء سخيف .

٣ ـ والعادة هي ان يسطو الناس على بنك حيث تخزن النقود . لا على محل بقالة . وهي مبيعة متواضعة . إن وجدت لكنها فقيرة

٤ ـ وعندما تكون هناك امرأة من اهل البلد ممن يقال عنها انها ترعى السيدة ريمبديوس . فان ما ينصح به في هذه الحالة هو الا يلجأ المرء الى مضايقتها . وان يمضي بعيدا عنها .

٥ ـ ثم إن هيربن هي مدينة الباحثين عن المياه المعدنية للعلاج ، وليست ملاذا للهاربين ، وعندما هرب عبدالقادر من طريق هيربن فانه قد وقع بذلك عقوبة الحرية .

٦ ـ وعندما يكون السطو في جماعة ، ويكون الكلام بالاشارة فإن هذا يعطي مزايا كثيرة لرجال البوليس .

٧ ـ كما ان ارتداء صديري خشن ينم عن ذوق سيء ويؤدي الى قشع جروح الانسان وتواضعه : والقاتل لا ينبغي ان يكون مجروحا او متواضعا مثل الشحاذين في القرية . وإنما يجب عليه ان يكون سخيا ومتكبرا مثل

لويس هنديلاس

ونحن من هنا ننصح السيد / عبد القادر واسرته أن يصدقوا . وتعلمهم كما اصطنعوا بالفعل بقاص رؤوف رحيم وقارىء لاعمال دون ميجيل دي سرفانتيس . وإلا فإن السيد / عبد القادر واسرته . السياح النيجيريين . سوف يقعون في ورطة بسبب جنايته القديمة .

والسيد / حبيب . القاتل او قل إنه الذي يختار بين شيئين الثمن البخس ويتكرر ان السيد القاضي وصاحب الكلمة هنا ينبغي عليه ان يتعلم الكثير من السيدة / تيلينا فيرميرين ، وهي امرأة بلجيكية عجوز زبونة عند ثمانية من رجال البوليس (البوليس في بلدها ، وفي بريطانيا ، وفرنسا ، ولو كسمبرج ، وسويسرا ، والمانيا ، وايطاليا ، والانتربول) ، صدرت عنها كلمات درامية ، وكانها صادرة عن شكسبير في اخر مرة وضعت فيها في السجن ، حيث قالت : لقد صرت عجوزا ، وفقدت مهاراتي .

إن السيد / حبيب والسيدة / تيلين هما الممثلان لهذه المهنة الخطيرة ، القديمة قدم العالم ، مهنة كاكو بن فولكان واخر كلفا سارق الابقار من هرقل ، الذي قتله ضربا بالدبوس تكالا له والسيد / حبيب حسن الظاهر ، يحس الجيب بحس ، بينما السيدة/تيلين ، طبقا لما يرى ، لقد اصابعها



وكأنها تضرب على البيانو موسيقى الفالس او البولونيز .

وعندما يفرج عن السيد/ حبيب ويأخذ زوجتيه والدستة الذين معه من ذوى البشرة السمراء ، سوف يعود الى بلده نيجيريا ، ويتوقف مع ضميره ثم يفكر ، فى اغلب الظن ، فى عدم كفاية فنونه الخشنة الافريقية فى المجال الأوربى . ونحن الأوربيين لسنا افضل من الافارقة ، ولكن لعلنا بالفعل لصوص اكثر مهارة منهم .. ان خطأ الافارقة يكمن فى كونهم يريدون ان ينافسونا فى الشر ، وهو هدف يتنكبون الطريق نحوه ، ويعطون الفرصة لتدخل الحرس المدنى .

اما عبد القادر الأول ، المنسوب الى منطقة الريف ، فسوف يحس بالخجل فى قبره او جنته من تخبط سمي عبد القادر الثانى النيجيرى الذى اراد ان يكون لصا ولم يعرف ففى رواية «عثمان الفرارجى» ★ يقال عن احدى القرى ان فى كل بيت لصا اما فى بيت العمدة فالجميع لصوص . واغلب الظن ان قرية عبدالقادر الثانى فيها قليل من اللصوص ، وهذا شىء يشرفه ، ولعلهم اقل مهارة وحذقا من لصوص القرية التى يحكى عنا ماتيو اليمان ★ لأن شعرهم لا يكاد يهتز من نقص استعدادهم فى هذا الفن .

كلا ، إن السرقه بحذق ليست من مؤهلات الشعوب الشابة ، غير المتحضرة ، العاطفية ، فمطاردة دجاجة بالعصا او خطف زوج من الجوارب من محل فى السوق ليست اكثر من تمارين اولية فى هذه المهنة . فمملكة الجحيم العميقة المظلمة مليئة بالمهرة البارزين والمغاوير الاشاوس .

وينبغى على السينما والتليفزيون فى إطار مهمتهما الطيبة لتثقيف البلد ان يعرضا على شاشتيهما حكاية السيد/ حبيب م . عبد القادر ، الذى انطلق الى العالم



بلــون ، و«غشمــة» ، وزوجتيه و «اورطة» اولاده مستعدا للعيش على الارض دون أن يعى جيدا ما هو المطلوب منه بالتحديد لممارسة فنون القرصنة ثلاثة من السود رجل وامراتان - وثلاثة عشـر من الصـغـار اليانعين من الجنسين يجلسون في دهليز مقر قشلاق الحرس المدنى ينتظرون احداثا سوف تتم بلغة لا يفهمونا فى قليـل او كثير ، انهم الصـورة الحقيقيـة للخذلان والتصوير الحى للفاقة فى تلافيف الشعور المتطاولة .

ولعل السيدة تيلين ، فى موقف كهذا ، تلقى على الصـول بنظرات التهكم . بينما تشع من نظرتها معانى الكبرياء الوقح الأوربى اما عن عبد القـادر الثـانى . ولنمنح انفسنا الجراة على التخيل ، فقد ظل ينظر الى الأرض (ربما ظل ينظر الى الأرض لا الى الحـارس) . نظرة يستلها منكسة ، خجولة وافريقية ، تلتمـع فى عينيـه الكبيـرتيـن المثبتتيـن فـى راس مضطهدة متوسلة كلا · ان الرغبة لا تكفى وانما لابد من الأهلية لقد ترك Propercio فى مرثياته هذا القول · كل مؤهل لما خلق له . وهذا معناه فى اللاتينية ان كل انسان ، فى هذه الحياة ، ينبغى عليه ان يتعلم السير فى الطريق الذى يمكن ان يناسبه اكثر .

اما عبد القادر الثانى فقد تنكب الطريق وهو الآن يدفع ثمن ذلـك غاليا ، بلحمه وشحمه الاسود سجينا فى بلد البيض . وليس هـذا بالأمر السيىء على اية حال . فلو ان الكوكلوكس كلان اخذوه لأراشـوا جناحه ، ولو ان تاخّبى المستـر والاس عثروا عليه لعاقبوا فى غيبة القانون ، ولو امسكوا به فى جنـوب افـريقيـا لسجنوا مدى الحياة . وبذلك كان من حسن حظ عبد القادر الثانى ان يرتكب خطيئة فى مدينة اوربنسـى المعـروفـة بالرافة تجاه الاجنبى .

هـوامـش

★ مليلة بلد فى المغرب على شاطىء البحر المتوسط مازالت تحتلها اسبانيا بالاضافة الى المدينة المغربية الأخرى سبتة .

★ صاحب الرواية الشهيرة «دون كيخوته» المترجم .

★ تعد هذه الرواية «عثمان الفرارجي» النموذج الامثل لقصص الصعاليك فى إسبانيا . وهى قصص انتشرت فى القرن السادس عشر الميلادى . المترجم .

★ ماتيو اليمان هو مؤلف رواية «عثمان الفرارجي» المترجم

حزب التحرير الاسلامي

بقلم: د. أحمد عبدالرحيم مصطفى

نحرص في « الهلال » على تقديم الفكر النابه والدراسات الجادة والمتعمقة . وهذه واحدة من الدراسات الهامة التي يقوم بها سعيد الحسن لنيل درجة الماجستير من الجامعة الامريكية ، نلقي عليها الضوء نظرا لأسلوبها العلمي المتميز . وعلى ان نوالي نشر هذه الدراسات الهامة .

بعد أن بدأ احتكاك العرب باوروبا منذ اواخر القرن الثامن عشر تعرضوا للفكر الغربي والنظم الغربية خاصة وان بعض الحكام ـ من أمثال محمد على وحفيده الخديو اسماعيل في مصر ـ سعوا الى فرض بعض منجزات الحياة الغربية على شعوبهم التي انبهر بعض مفكريها بالحضارة الغربية واعتبروا الاخذ عنها دليلا على العصرية والتقدم ، فاوروبا الغربية قد اقرت الدساتير التي حددت سلطات الحكام واقامت العدالة وقضت على حرية كل من الفرد والمجموع وطورت نظمها التعليمية والاجتماعية واحرزت تقدما ضخما في المجالات الاقتصادية والعلمية ورغم اعجاب الصفوة بالمنجزات الغربية فقد تشبثت اغلبية العرب بالقيم والمعتقدات والثقافات الموروثة المستندة الى اسس اسلامية بحيث لم تعد المؤثرات الغربية أن تكون قشرة هشة غريبة على الكتل الجماهيرية التي ظلت تدير ظهرها لمعظم ما يرد من "دار الكفر" التي كانت في صراع دائم مع العالم الاسلامي الذي حافظ على معظم التراث والتقاليد الموروثة

● ومالبث الوطن العربي ان تعرض للضغوط والسيطرة الامبريالية الغربية التي عمدت الى فرض ثقافتها وقوانينها وقيمها على العرب الذين اتجه بعض حكامهم الى اقتباس بعض مظاهر الحضارة الغربية التي كان الكثير منها لا يتمشى مع الانماط الموروثة .. ومما زاد في أزمة البلدان العربية حدوث تغيرات مادية وثقافية مستوردة لعبت دورها في تمزيق القوالب الراسخة منذ عدة قرون وهي قوالب كانت تستند الى مجموعة من الولاءات والمسئوليات التي كانت تربط مختلف الجماعات والطبقات





محمد علي

الخديو اسماعيل

الاجتماعية بعضها بالبعض الاخر وترتب على النظم والمعتقدات المستوردة شعور بعدم المسئولية أمعن فى تحطيم البنيان الاساسى والاجتماعى للعالم العربى فكانت الازمة التى لم تحسم حتى الان خاصة ان اوربا المستعمرة فى ثقتها غير المحدودة بنفسها وما ترتب على ذلك من نزعات عدوانية واستعلائية قد وجهت حملاتها الى الدين الاسلامى باعتباره عقيدة وأسلوب حياة ، ومما لاشك فيه ان الغزو الامبريالى الغربى للوطن العربي قد اقترن بمس من اثار الحروب الصليبية القديمة مما يفسر الوانا لا حصر لها من التحامل والضغينة والكراهية . وهكذا امتزج الاعجاب ببعض المنجزات الغربية بالاشفاق والخوف والتربص وتوقع الكوارث بل نهاية العالم على اعتبار ان المسلمين لا يسلمون بالخضوع لحاكم ليس منهم ولا يدين بدينهم . وهكذا كان لابد من ظهور رد فعل ضد السيطرة الغربية كان يقترن بحركات مقاومة الاستعمار فى الوطن العربى من اقصاه الى اقصاه : يصدق هذا على مصر والجزائر والمغرب ثم الشام والعراق والسودان . وخلال ذلك عزا الكثيرون سقوط بلادهم فى يد السيطرة الغربية الى التخلى عن القيم الاسلامية وبالتالى رأوا ان النهضة لا تقوم الا على اساس الرجوع الى المنابع الاصلية للمعتقدات والممارسات الموروثة .

● كارثة فلسطين !

وكانت كارثة فلسطين نذيرا بما يبيته الغرب للعرب من مصير لا يختلف عما تعرض له الهنود الحمر الذين ابادهم الاوربيون واحتلوا اراضيهم ،

ففي وعد بلفور الصادر في نوفمبر ١٩١٧ وعدت بريطانيا بقيام وطن قومي لليهود في فلسطين ، وكان من المفهوم حين صدور الوعد ان الامر سيفضي الى قيام دولة يهودية في فلسطين التي ركزت عليها الحركة الصهيونية منذ ظهورها في القرن التاسع عشر باعتبارها بقعة جمع الشتات ، وبعد زوال الدولة العثمانية قُسّم المشرق العربي بين بريطانيا وفرنسا وخضعت فلسطين للانتداب البريطاني الذي فتح ابوابها امام الهجرة اليهودية ، حقيقة ان عرب فلسطين قاموا بالثورة تلو الثورة ولكن هذا لم يزعزع السياسة البريطانية عن ممالأة الاهداف الصهيونية ، وحين تحول الصهيونيون نحو الولايات المتحدة منذ اوائل الحرب العالمية الثانية وانقلبوا على بريطانيا بعد ان مكنتهم في فلسطين قررت هذه الانسحاب من فلسطين بعد ان اوصت الجمعية العامة للامم المتحدة بتقسيم فلسطين الى دولتين احداهما عربية والاخرى يهودية وبتدويل القدس . وفي ١٤ مايو اعلن قيام دولة اسرائيل على اثر انسحاب بريطانيا من فلسطين وامتشق العرب الحسام لاجهاض الدولة الجديدة ، ولكنهم مالبثوا ان هزموا واستولت اسرائيل على مزيد من اراضي فلسطين وضم الاردن الضفة الغربية وتحول مئات الالوف من الفلسطينيين الى لاجئين .

وكان ضياع فلسطين واستقرار الصهيونيين فيها واحلامهم الخاصة بقيام اسرائيل الكبرى على حساب الاراضي العربية المجاورة مثارا لجزع العرب وانتفاضات الفلسطينيين الذين تشردوا بعد ان طردوا من ديارهم مما ادى الى ازدياد السخط على الغرب الذي ساند قيام الدولة الصهيونية ودعمها بالمال والسلاح .. وفي هذا الاطار قام حزب التحرير الاسلامي في عام ١٩٥٣ على اسس سلفية شأنه في ذلك شأن حركات اخرى قامت في العالم العربي كرد فعل للامبريالية وتغلغل المؤثرات الغربية التي ارجع اليها الضعف والهزائم وكان الخلاص منها في رأى الكثيرين يقتضي الرجوع الى الممارسات والعقائد الاسلامية التي كانت في رأيهم سببا في تقدم العرب وانتصاراتهم قبل عهود الاضمحلال .

وربما كان الغموض الذي أحاط بقيام حزب التحرير ونشاطه السياسي هو الذي حال دون دراسة فكره ونشاطاته .. فسرية نشاط الحزب جعلت اطلاع الباحثين على مطبوعاته امرا صعبا وكذلك الحال بالنسبة الى تتبع نشاطاته - وبالتالي فان ما صدر عنه من مؤلفات او من ممارسات لم

يحظ بالاهتمام الاكاديمي ولهذا فإن سعيد الحسن الذى تقدم الى الجامعة الامريكية بالقاهرة فى عام ١٩٨٩ ببحث للحصول على درجة الماجستير فى العلوم السياسية عنوانه "مفهوم قوانين النظام العام فى الفكر السياسى لحزب التحرير" يعتبر اول من تطرق للكتابة عن هذا الحزب .. ونظرا لطبيعة الحزب السرية اضطر المؤلف الى الاعتماد علي مصادر خاصة للحصول على مطبوعاته وعلى المعلومات الخاصة بتشكيله وذلك عن طريق الاتصال الشخصى بمن كانوا على صلة بقيام حزب التحرير خلال الخمسينيات .

وقد ولد معظم مؤسسى الحزب فى فلسطين التى عاشوا فيها حتى قيام اسرائيل فى عام ١٩٤٨ ـ وعلى رأس هؤلاء الشخصيات الثلاث الكبرى الذين شكلوا نواة الحزب وهم : الشيخ تقى الدين النبهانى والشيخ داود الحمدان والاستاذ نمر المصرى ، وبعد عام ١٩٤٨ أصبح هؤلاء الثلاثة لاجئين فقد توجه تقى الدين الى بيروت واستقر الاثنان الاخران فى دمشق .. وتردد تقى على دمشق للالتقاء بزميليه خاصة ان العاصمة السورية اصبحت مقرا لاكثر من ٨٥,٠٠٠ فلسطينى ممن تشردوا ، وفيها ناقش الثلاثة مع اصدقائهم ما حدث فى عامى ١٩٤٨ ـ ١٩٤٩ ولماذا حدث ، كما ناقشوا طبيعة الهزيمة المرة فى فلسطين وفكروا فى الانتقال الى واقع جديد ينهى نظام اسرائيل ويمكن عربها من العودة الى وطنهم .. وتصدى الشيخ تقى لتاليف كتاب يجيب عن هذه التساؤلات تحت عنوان "انقاذ فلسطين" .. ثم ناقش مسودات فصوله مع زملائه قبل أن يعيد كتاباتها . وفى تلك الاثناء بدأ الاصدقاء الثلاثة يكتبون فى الصحف العربية ويستعرضون الاحوال المعيشية السيئة التى كان يعانى منها الشعب العربى الذى رزح تحت الفقر والجهل والمرض فى الوقت الذى خضعت فيه الامة للسيطرة الاستعمارية ووقعت فيه فلسطين فى براثن الصهيونية . وبالاضافة الى هذا فقد سعوا الى ايقاظ الامة واثارة مشاعرها وتوجيهها الى الفهم الحقيقى للاسلام ونظامه الذى رأوا انه يوفر العلاج لمشاكل العرب بوجه عام والفلسطينيين بوجه خاص . وتمهيدا لقيام حزب التحرير تشكل حلقات للمناقشة لا يزيد عدد كل منها عن ستة اشخاص تتوخى العناية فى انتقائهم وذلك حرصا على تجنب تعرض السلطات للتنظيم فى ظروف فرضت خلالها القيود على الحريات السياسية خاصة ان معظم اعضاء الحلقات كانوا

من الفلسطينيين الذين اخرجوا من ديارهم ولم يكونوا يتمتعون بجنسية معينة كسائر المواطنين العرب ، وان هزيمة ١٩٤٨ ـ ٩ قد اثارت السخط فى البلدان العربية وجعلت الانظمة تشك فى كل اشكال النشاط السياسي والثقافى بل حتى فى تأسيس اندية رياضية .. واخيرا تشكل الحزب فى عام ١٩٥٢ وباشر نشاطه العملى واقام مكتبا فى القدس . وما ان تم ذلك حتى قبض على أربعة من مؤسسيه ونزعت لافتات مقره .

وقد استهدف حزب التحرير بعث الحياة الاسلامية كما كانت عليه فى صدر الاسلام واقامة نظام اسلامى بعد الاستيلاء على الحكم لا عن طريق الاشتراك فى اجهزة الحكم القائم ولو انه لم يمانع فى الانخراط فى المؤسسات البرلمانية بهدف نشر افكاره وقد ندد الحزب بشرعية الانظمة القائمة وسياساتها الخارجية ـ فهذه الانظمة العربية ـ لا تتفق و "مبدأ" الامة "قيمها وتاريخها" ، بل هى فى نظر الحزب لا تعدو ان تكون ديمقراطيات صناعية فرضها الاستعمار على الامة وبالتالى فانها لم تضع نصب اعينها المصلحة العامة خاصة ان سياساتها لم تمانع فى الصلح مع اسرائيل او فى الدخول فى احلاف عسكرية مع الدول الاستعمارية .. وكانت النتيجة هى ملاحقة اعضاء حزب التحرير وزجهم فى السجون فى اكثر من بلد عربي مما ادى الى ضعف الحزب بعد ان احرز قدرا من النجاح خلال السنوات التى تلت قيامه .

● مفهوم الدولة الاسلامية

وبالاضافة الى تنديد الحزب بالديمقراطية على النمط الغربى فانه رفض المبادىء والممارسات الماركسية فانتقد بالمادية الجدلية وتطبيق النظرية الماركسية فى مجالات الانتاج وتوزيع الثروة فى المجتمع معززا وجهات نظره بنماذج فشل تطبيق الماركسية .. وبدلا من ذلك فانه بنى دستوره على القرآن والسنة وممارسات الرسول ﷺ والصحابة وبالتالى فان فحوى كثير من مواد الدستور الذى طرحه حزب التحرير يتضمن بعثا لمفهومه الخاص بالدولة الاسلامية كما كانت عليه فى صدر الاسلام حين كانت الشريعة تطبق فى جميع مناحى الحياة .. ومن حيث نظام الحكم رأى حزب التحرير ضرورة استناده الى اربعة اسس وسبعة اركان .. فالسيادة للشريعة لا

للشعب . والسلطة "السلطان" فى يد الامة ، وتعيين رئيس واحد للدول فرض على المسلمين بحيث يتمتع وحده بحق اصدار الدستور والقوانين وبالتالى فان الامة لا تعتبره موظفا "اجيرا" يضطلع بتلبية مطالب الامة وفق ما يحدث فى النظم الديمقراطية ، بل تكلفه بتطبيق الشريعة التى لها وحدها السيادة .

ولما كانت السلطة فى نظر حزب التحرير من اختصاصات الامة فلكل المواطنين ، بمن فيهم غير المسلمين ، الحق فى الاعتراض على ظلم الحكام وسوء تطبيقهم للاسلام ، ومحاسبة الحكام على اعتبار ان ذلك واجب اسلامى يخطئون اذا لم يمارسوه كما ان من حق المواطنين ان ينشئوا احزابا سياسية بشرط ان تلتزم بمبادىء الدين الاسلامى وشرائعه ودون ذلك تجب مصادرتها هى وأى نشاط اخر معاد للاسلام .

وعلى اى حال فان ظهور حزب التحرير الاسلامى يرتبط بالاوضاع العامة التى احاطت بالوطن العربى فى التاريخ المعاصر ، فقد زالت دولة الخلافة العثمانية وظهرت دول جديدة لم تستطع ان تقضى على النفوذ الاستعمارى الغربى، او تحل كثيراً من



بلفور

المشاكل التى واجهتها بحيث ان النكوص الى ماضى العرب المشرق فى صدر الاسلام كان بمثابة علاج سيكولوجى للتناقضات المخيمة على الافق .. وبالنسبة الى فلسطين كانت كارثتها محركا للضمائر ولحلول من هنا ومن هناك لم يستطع احدها ان يشفى غليلا ، بل ان المشكلة الفلسطينية تزداد تعقيدا يوما بعد يوم خاصة ان الدولة الصهيونية تلقى الدعم المنتظم من الغرب بحيث يصعب على العرب أن يصلوا الى حل لها بوسائلهم الخاصة ، وقد اضاف السيد/ سعيد الحسن جديداً حين تصدى للكتابة عن حزب التحرير الاسلامى باسلوب علمي وفى رسالة جامعية نرجو ان تنشر قريبا باللغة العربية .

المائة الأعظم

بقلم: حسين أحمد أمين

ابن قتيبة

٨٢٨ - ٨٨٩ م

عالم وأديب ومؤرخ من أصل فارسي ، ذو مؤلفات غزيرة متعددة الجوانب تكاد تستوعب كل معارف عصره

كان معاصرا للجاحظ وكان يكرهه ، فقد اتهمه في كتابه «تأويل مختلف الحديث» بأنه يذكر حجج النصارى على المسلمين بأقوى مما يذكر الرد عليهم ، وبأن كتبه ملئت بالهزل والعبث يريد بهما استمالة الشباب وشراب الخمر ، وبأنه يستهزئ بالحديث وينصر الباطل . ويبدو أن سبب النزاع اختلاف الطبيعتين .. فالجاحظ مزاح خفيف الروح واسع العقل متصرف متحرر ، وابن قتيبة قاض وقور جاد ليس فيه شيء من خفة الروح وكان ابن قتيبة من أهل السنة في حين كان الجاحظ معتزليا من المتكلمين ، وبينما كان الجاحظ ذا شخصية قوية لايخرج ما علم الا مهضوما قد أسبغ عليه من نفسه وفكره ، نجد ابن قتيبة مع سعة اطلاعه وعلمه وكثرة مؤلفاته في اللغة والنحو والأدب والحديث والفقه والتاريخ والمذاهب الدينية ، لايفعل اكثر من أن يجمع ويختار من كتب المؤلفين السابقين ، دون أن تبدو له شخصية فيما يؤلفه .

من اهم كتبه "عيون الأخبار" الذى هو عبارة عن مختارات من الأدب ، قسمه إلى أبواب ، فى السلطان والحرب والسؤدد ، والطبائع والأخلاق المذمومة ، والعلم والبيان ، والزهد والأخوان ، والحوائج ، والطعام ، والنساء ، إلخ . والواقع أن هذا الكتاب نقل التأليف فى الأدب نقلة جديدة من حيث الترتيب وقلة الاستطراد والمزج بين الثقافات ، فهو يضم الشيء الى مثيله ، ويضم ثقافة أمة فى باب معين الى ثقافة الأمم الأخرى فيه يقول فى الكتاب : قرنت الباب بشكله ، والخبر بمثله والكلمة بأختها ليسهل على المتعلم علمه ، وعلى الدارس حفظها وهو يكثر النقل عن الفرس والهند ، وعن اليهودية والنصرانية وعن الثقافة اليونانية ، إكثاره فى النقل عن العرب وأحكام الاسلام . والواقع أن ابن قتيبة كان ذا ثقافة دينية واسعة لم تقتصر على الاسلام . فقد قرأ التوراة والانجيل ، وينقل الكثير من اخبار الرهبان والقديسين ، وأدعية للمسيح وداود ويوسف . وفقرات كاملة من الكتاب المقدس ، وهو مايجعل ابن قتيبة واحدا من بين أبرز الادباء تعبيرا عن امتزاج الثقافات والديانات فى زمنه .

ومع وقار ابن قتيبة وجده ، حذا فى "عيون الأخبار" حذو الجاحظ فى الاتيان بما يضحك خوف الملل . كتب يقول . "ولم أخل الكتاب مع ذلك من نادرة طريفة ، وفطنة لطيفة ، وكلمة معجبة ، واخرى

في التاريخ الإسلامي



مضحكة ، لأروح بذلك عن القارىء من كد الجد ، واتعاب الحق فإن الأذن مجاجة ، وللنفس حمضة" لكنه يشعر بشيء من تأنيب الضمير فيعتذر للقارىء بأن الفكاهة حلال ، كما يعتذر عن أن الكتاب ليس دراسة في القرآن ولا في السنة ولا في شرائع الدين ، فيقول انه وإن تكلم في الدنيا وشئونها ففيه ايضا محاسن كلام الزهاد في الدنيا ، وذكر لفجائعها وزوالها ، وكل ماهو مرشد لكريم الاخلاق ، ودال على معالي الامور !

ومع كل هذه التقوى من جانبه ، فلم يعدم ابن قتيبة من اتهمه في دينه ورماه بالتشبيه والراجح ان اكثر ما اثار هؤلاء عليه قوله في كتابه "مشكل القرآن" وكان اصحاب رسول الله ، وهم مصابيح الأرض وقادة الانام ، ومنتهى العلم ، إنما يقرأ الرجل منهم السورتين والثلاث والاربع ، والبعض والشطر من القرآن ، ولم يختمه احد من الخلفاء (الراشدين) غير عثمان ..

عمر الخيام

١٠٣٨ - ١١٢٣ م

بالرغم من أنه أحد كبار الرياضيين فى العصر الوسيط ، وصاحب الفضل فى تطوير جبر الخوارزمى الى جبر العصر الحديث ، فإن شهرته تعتمد أساسا على شعره . وبالرغم من أنه ليس أحد أعظم شعراء الفرس الثلاثة (الفردوسى ـ حافظ ـ سعدى) ، فهو أول شاعر قد يخطر بالذهن فى الشرق والغرب عندما يذكر الشعر الفارسى .

فأما فى مجال الرياضيات ، فإن كتابه فى الجبر يمثل خطوة هائلة الى الأمام ، لا بالنسبة الى منجزات الاغريق فحسب ، بل بالنسبة الى منجزات اسلافه من العلماء المسلمين ايضا . ففى اصطناعه طريق الهندسة التحليلية سبق ديكارت فى نواح كثيرة . وقد كان طيلة حياته مشغولا بنقد إقليدس ، وحل المعادلات من الدرجة الثالثة ، ودراسة الفلك والفلسفة ، وهما ما شهد له القفطى بأنه "لامثيل له فيهما" . ولم تكن كتابة الرباعيات فى أوقات فراغه لتلعب الا دورا صغيرا جدا فى حياته الطويلة . وقد كان الفرس دائما أكثر اهتماما بمؤلفاته الرياضية منهم بأشعاره التى يصفونها بأنها "لهو عالم" ، ولا اعترفوا له بالموهبة الشعرية حتى ذاع صيته فى الأدب العالمى كله فى القرن التاسع عشر بفضل الترجمة الانجليزية للرباعيات التى دبجها إدوارد فيتزجيرالد .

وينسب الى الخيام أكثر من ألف رباعية غير أن البحوث الكثيرة التى قام بها المتخصصون ، والرجوع الى المخطوطات الكثيرة للرباعيات ، والقرائن التاريخية ، اوضحت أن ست وستين رباعية هى من نظم الخيام على سبيل القطع ، وأن مائة وثمانى عشرة رباعية أخرى هى له على سبيل الاحتمال لا اليقين ، وأن الباقى منحول منسوب اليه ، كتب بعضه ابن سينا الفيلسوف ، وبعضها امير شاعر يدعى ابو سعد ، وكثيرون غيرهما . أما موضوع الرباعيات فهو زيف هذا العالم ، وأس المفكر ، والسخط والضيق بالمنافقين ، والوصوليين والانتهازيين وأدعياء الدين ، ومحاولة سبر اغوار سر الحياة ، والاشادة بالخمر والحب ، والدعوة الى هجر الجدال الفلسفى والاستمتاع بالمباهج ، وقد هاجمه الكثيرون من المتدينين بسبب ميتافيزيقته :

قد كان يدرى الله كل فعالنا
من يوم صور طيننا وبرانا
لم نرتكب ذنبا بدون قضائه
فإذن لماذا ندخل النيرانا

غير أن الصوفيين رأوا فى شعره رموزا صوفية ، وأنه أبعد الناس عن أن يكون فيلسوفا زنديقا ، بل



ووصفوه بأنه اعظم مفكر فى عصره ، وقالوا إنه من السطحية أن نكتفى من قراءة شعره بالطابع الابيقورى له دون ان نغوص الى عميق مراده ومراميه ، وأن النشوة التى يتحدث عنها فى الرباعية إثر الرباعية ليست النشوة الخمرية التى يبعثها الشراب ، وإنما النشوة الروحية التى يتمخض عنها الحب الالهى .

وقد بعثرت الأيام مؤلفاته الفلسفية والرياضية فلم يتمكن الباحثون إلا من أن يعيدوا تكوينها إلا جزئيا . اما الرباعيات فقد ترجمت الى كل اللغات تقريبا ، ونال مؤلفها الحظوة لدى الشعوب كافة ، بل واصبح اسمه (هو العلم الرياضى الفلكى الذى لم يول شعره اهتماما كبيرا) يكاد يكون مرادفا للغارق فى الملذات الحسية ، غير المبالى لا بالمسائل التى تشغل بال المفكرين والفلاسفة ، ولا بما سيأتى به الغد .

جابر بن حيان

٧٢١ - ٨١٥ م

اشهر علم من أعلام الكيمياء في الإسلام . ومع ذلك فإن قلة مانعرفه عن حياته جعل البعض يشك فى أنه شخصية تاريخية . اضف إلى ذلك أن هناك مؤلفات كثيرة تحمل اسمه ، وظل الناس على مدى قرون طويلة يظنونه كاتبها .

ثبت الآن أنها لايمكن بحال من الأحوال أن تكون من نتائج قلمه . غير أن ثمة آثارا أخرى نكاد نوقن أنها له . وهى تتضمن آراء واكتشافات سليمة وتقدميه إلى حد رائع فى حقل البحث الكيميائى .

تدين له الكيمياء بأول تحضير معروف لبعض المواد مثل الزرنيخ ، والأثمد (حجر الكحل) ، وبنظرية مقبولة بشأن تشكل المعادن الجيولوجى ، وبمايسمى نظرية المعادن الكبريتية الزئبقية . وكان من إنجازاته تحضير الفولاذ ، واستعمال ثانى أوكسيد المنجنيز فى صنع الزجاج ، وغير ذلك مما كان الأساس الذى بنى عليه العلماء فى أوروبا فى العصر الوسيط اكتشافاتهم الكيميائية . كما أننا تلقينا من مؤلفاته - ولأول مرة مصطلحات مثل ملح النشادر ، والقلويات ، والأمبيق ، والأثمد ، إلى آخره ، مما ورد فى كتابيه الشهيرين : « كتاب صناعة الكيمياء » ، و « كتاب السبعين » .

ومع ذلك فإن الجانب الأعظم من اهتمامات جابر بن حيان ينسب إلى الخيمياء لا الكيمياء . وتعنى الخيمياء محاولات اكتشاف حجر الفلاسفة Elixir الذى يمكن من تحويل المعادن الخسيسة إلى معادن نفيسة كالذهب وغيره . وقد كان للكثرة من علماء دولة الإسلام (وغيرها) عناية كبيرة بهذا العلم الذى نشأ فى مصر ، والذى باء فى نهاية الأمر ، وبعد جهود جهيدة وإضاعة للوقت والمال ، إلى الخزى والعار . غير أن هذه الجهود التى بذلها الخيميائيون المسلمون كانت علمية إلى حد ما ، ومكنتهم فى بعض الأحيان - كما فى حالة جابر بن حيان بالأخص - من القيام بعدد من الإكتشافات الكيميائية الهامة التى لم تكن مقصودة فى حد ذاتها . ومن بين هذه الاكتشافات الخصائص التى تتميز بها بعض العناصر والمواد التى اشتغلوا عليها ، وهى خصائص كانت مجهولة قبلهم . وعلى أى حال فإنه فى عصرنا هذا - وهو عصر الالكترونيات - يبدو تحويل عنصر ما إلى عنصر آخر أمرا أقل إيغالا فى الوهم والخيال



مما بدا لرجال الأجيال السابقة الذين نددوا بالخيمياء الإسلامية وطعنوا عليها . كذلك فإن سعي العلماء المسلمين إلى تنقية المعادن الخسيسة والعناصر من أجل تحويلها إلى ذهب وغيره ، أوحى إليهم وإلى غيرهم بفكرة السعي إلى تطهير النفس والباطن وإلى تهذيب الملكات الروحية .

وإلى جانب مؤلفات جابر بن حيان الكثيرة في الكيمياء والموازين ، تنسب إليه كتابات ورسائل وفيرة في الفلسفة وعلم الهيئة والتنجيم والرياضيات والموسيقى والطب والسحر والدين . ومن المؤكد أن كل هذه المجموعة الضخمة لايمكن أن يكون من نتاج قلم واحد . كما أن هناك في بعض المؤلفات نفسها مايدل على كذب نسبته إلى جابر ، كتلك الإشارة الواردة في أكثر من كتاب إلى القرامطة الذين لم يظهروا إلا بعد نحو تسعين عاما من وفاة ابن حيان .

عباس بن فرناس

توفي عام ٨٨٧ م

يلقب بحكيم الأندلس ، ربما لاشتغاله ، من بين ما اشتغل به ، بالكيمياء . غير أنه كان أيضا عالما شغوفا بالبحث العلمي في حد ذاته ، وبالمخاطرة في سبيله إلى أبعد حدود المخاطرة . وكان أول من حاول الطيران في التاريخ .

● عاصر ثلاثة من أمراء الأندلس من الأمويين : الحكم الأول ، وابنه عبدالرحمن الثاني ، وحفيده محمد الأول واتصل بهم جميعا وحسنت مكانته عندهم وقد اشتد إقبال المسلمين في ذلك العصر على علوم اليونان إلى درجة لم تعهد من قبل ولا من بعد فنقلت إلى اللغة العربية أمهات كتب الإغريق في الفلسفة والطب والرياضيات والطبيعيات ، وكان المأمون زعيم أنصار هذه الحركة في المشرق ، ومحمد الأول زعيمهم في الأندلس . وقد نشأ ابن فرناس في جو مشبع بالروح الإغريقية . وسرعان ماهضم كل ماوصل إلى يده من تآليف الإغريق على كثرته ، ثم شرع بعد ذلك في التأليف والبحث والتجربة .

وترتكز مكانة ابن فرناس العلمية على تمكنه من علوم الحكمة الرياضية والطبيعية . ومن أدلة براعته في هذه العلوم أنه صنع في بيته قبة كهيئة السماء ، ومثل فيها أفلاكها ، وأقام فيها آلات تخيل إلى الناظر فيها أنها نجوم وغيوم ، وبروق ورعود ، فذاع ذكرها في الناس وكثر حديثهم عنها . ثم طلب إليه الأمير عبدالرحمن بن الحكم عمل آلة لرصد حركات الكواكب والنجوم ، فصنعها عباس في هيئة سبع حلقات معدنية متحركة متداخلة ، يقاس بها مايقاس بالاسطرلاب المسطح .. وكلفه بعد ذلك الأمير محمد بن عبدالرحمن بعمل آلة لمعرفة الوقت فصنع آلة تعرف بالمنقالة تعرف بها الأوقات بالليل والنهار بغير رسم ولامثال . كما كان عباس ابن فرناس أول من استخرج الزجاج من الحجر بالأندلس ، وأول من صنع الكريستال . غير أن أهم ماشتهر به ابن فرناس هو محاولته الطيران . فقد كسا جسمه بريش النسور

على ثوب من حرير ، وجعل لنفسه جناحين على وزن وتقدير قدّره ، وقفز من أعلى هوة سحيقة ، محلقا في الهواء لبضع ثوان قبل أن يسقط على الأرض ناجيا من الموت بأعجوبة .

وقد أدت هذه المحاولة منه وسائر ابتداعاته إلى اتهام العامة له بالزندقة والسحر ، وكتب بعضهم وثيقة بزندقته رفعوها إلى قاضي الجماعة بقرطبة ، وأتوا أمامه بالشهود . غير أن القاضي - بعد استشارة فقهاء قرطبة في الأمر - برأ ابن فرناس من التهمة وأخلى سبيله .

وقد عرف عباس بأنه رجل ذو شخصية قوية للغاية ، وذو عقل شكاك نفاذ ، حريص على الوصول إلى أسرار الوجود وقوانينه ، وفهم قوى الطبيعة وتسخيرها لمصلحة الإنسان . وهي نفس الخصائص العقلية التي كانت للإغريق القدماء ، والتي بلغوا بما مابلغوا من تقدم في مختلف فروع المعرفة .

أبوحنيفة

٦٩٩ - ٧٦٧ م

راس المذهب الحنفي ، احد المذاهب السنية الأربعة واكثرها أخذا بالاجتهاد وإعمال العقل ، لايعرف عنه انه وضع تصنيفا في الفقه . ولكنه ناقش تلاميذه وأملى عليهم آراءه ، فاضحت مؤلفات هؤلاء التلاميذ الأصول المعتمدة للمذهب .

اما عن مسلك أبي حنيفة في القرآن فمسلك كل الأئمة : إن اختلفوا في شيء فيه فاختلاف في فهم مدلوله وطرق الاستنباط منه . اما في الحديث فكان يتشدد في قبوله ، ويتحرى عنه وعن رجاله حتى تثبت له صحته . وكان لايقبل الخبر عن رسول الله إلا إذا رواه جماعة عن جماعة ، أو كان خبرا اتفق فقهاء الأنصار على العمل به . قال يحيى بن نصر : « سمعت اباحنيفة يقول : عندي صناديق من الحديث ماأخرجت منها إلا اليسير الذي ينتفع به » مالم يكن فيه اثر كتاب ولا أثر حديث صحيح ، فليس فيه أمام المجتهد إلا القياس والاستحسان .

وكان يرى اعمال العقل فيما إذا روى في المسألة قولان أو أكثر للصحابة ، فنختار أعدلها وأقربها إلى الأصول العامة ، وعدم الإعتداد بأقوال التابعين إلا أن اتفقت مع العقل قال : « إني آخذ بكتاب الله إذا وجدته ، فما لم اجده فيه أخذت بسنة رسول الله والآثار الصحاح عنه التي فشت في أيدي الثقات ، فإذا لم اجد في كتاب الله ولاسنة رسوله اخذت بقول أصحابه من شئت ، وادع قول من شئت ، ثم لا أخرج من قولهم إلى قول غيرهم ، فلي أن أجتهد كما اجتهدوا .

وقد أدى به هذا التشدد في قبول الحديث ، وهذه الحرية في وزن أقوال الصحابة والتابعين إلى جعله القياس اساسا هاما من أسس التشريع في فقهه ، وكذا كثرة استعمال الرأي ومن الطبيعي ان كان اكثر من عاداه من اصحاب الحديث الذين اغضبهم استعماله للقياس مع



وجود الحديث في نظرهم ، مع أن الحديث لم يصح عنده فتركه إلى القياس والرأى . وكان كثيرا مايرد على من يروى عنده حديثا منسوبا إلى رسول الله ، بقوله « دعنا من هذا » ، أو « هذا حديث خرافة » ، أو « هذا هذيان » لهذا اشنع المحدثون عليه ، وقالوا إنه ينكر قول الرسول ويقدم عليه رأيه ، ومارأينا أجرا على الله منه . وقد أحصوا عليه أنه أفتى بنحو مائتى مسألة خالف فيها الحديث . منها : قال رسول الله « للفرس سهمان وللرجل سهم » ، فقال أبوحنيفة : أنا لا أجعل سهم بهيمة أكثر من سهم مؤمن » . وكان النبى يقرع بين نسائه إذا أراد أن يخرج فى سفر ، وقال أبوحنيفة : « القرعة قمار » . إلى آخره .

ودافع أنصاره عنه إذ وصفه المحدثون بأتباع الهوى فقالوا : ثمة فرق كبير بين اتباع الهوى واستعمال الرأى بعد بذل الجهد . فاتباع الهوى هو الميل إلى الرأى لتحصيل مصلحة خاصة من مال أو جاه ، أما الرأى بمعنى بذل الجهد ثم الوصول بعد ذلك إلى مايعتقده الحق فليس من الهوى فى شيء . كذلك هاجمه البعض بسبب لجوئه إلى الحيل الشرعية من أجل الهروب من بعض الالتزامات الشرعية وإسقاط حد السرقة وغير ذلك ، مما رأوا فيه فتحا للطريق إلى المفاسد التى سعى الشارع إلى سد الطريق إليها . فدافع أنصاره عنه بأن أبا حنيفة نفسه لم يتوسع فى الحيل توسع من بعده من أتباع مذهبه ، ولم يستجز منها إلا ضروبا محدودة ، كباب الايمان والطلاق ، بالنظر إلى أن سكان العراق فى عصره كانوا يفرطون ويتفننون فيهما ، فكان أبوحنيفة يقول بفتاويه وحيله ، لا فى سبيل إبطال الحق ، وإنما بقصد الخروج من مأزق ، أو صيانة للروابط العائلية ، وحماية للمرأة وأولادها ، مع عدم التعدى على أحد فى ماله أو نفسه .

وعلى أى حال فإنه مما لاشك فيه أن الحركة القومية التى شنها أبوحنيفة ، كان لها أعظم الأثر فى الارتقاء بالفقه فى ذلك العصر ، وفى تفتيق الأذهان عن أحكام ونظريات هى من افضل نتائج التاريخ الإسلامى .

● جوائز الدولة التقديرية ●

● إنني أديب ناشيء ، لا أمل لي في جائزة الدولة التقديرية ، الآن على الاقل ، ولكن يدهشني ان هذه الجائزة التي تحمل اسم "الدولة المصرية" مازالت واقفة عند حد خمسة آلاف جنيه فقط ، اى اقل من الفي دولار ، فهل تكون جائزة الدولة المصرية للادباء المصريين اقل من الفي دولار ، بينما تبلغ جوائز بعض الدول العربية الاخرى مائة الف دولار ، بل ان احد الاثرياء العرب خصص جائزة قدرها خمسون الف دولار ، ولا نتحدث عن جائزة نوبل التي تبلغ اربعمائة الف دولار .. أليست اهانة للاديب الكبير في مصر ان يكافأ في شيخوخته بمبلغ الف وثمانمائة دولار فقط ؟!

على أبو الخشب محمود
دمنهور

● تعليق الهلال :

● وليت هذه الألف والثمانمائة دولار تصل إلى مستحقيها بسهولة ،. إن دونها من الدهاليز والسراديب ما يشيب لهوله الولدان ـ بكسر الواو ـ فيصبحون اقرب الى الشيخوخة من كبار الادباء الذين "تتوجهم" الدولة بالالف والثمانمائة دولار ! ..

● عدد السكان ●

● نفتقر نحن المصريين الى احصاءات رسمية توضح لنا زيادة عدد السكان من عهد محمد علي باشا الكبير الى ايامنا هذه ، وفي العالم المتمدن توجد احصاءات تحتفظ بها الحكومات لعدد سكان بلادها خلال مائتي سنة واكثر ، فلماذا لايكون عندنا مثل هذه الاحصاءات ، لنحاول ان نعرف هل نزيد في عدد السكان فقط ، أم نزيد ايضا في الانتاج والتقدم ؟!

محمد عبدالغني عبدالسلام
الاسكندرية

● تعليق الهلال :

● الاحصاءات الرسمية موجودة من عهد محمد علي باشا ، وقد كان عدد السكان في مصر في عهده ثلاثة ملايين ، وبعد اربعين عاما من حكمه بلغوا اربعة ملايين ونصف المليون تقريبا ، وبلغوا في اواخر عهد الخديو اسماعيل اكثر من ستة ملايين .. ونحن الان اكثر من خمسة وخمسين مليونا كما تعلم ، والعبرة ليست بالكثرة ولا القلة ، ولكن كما تقول بالانتاج والتقدم ! ..

● بصراحة شديدة لا يعجبني تناول "كثير" من الكتاب لما يسمى بقضية "التطرف الديني" !! انني احس انهم ينطلقون في تناولهم لهذه الظاهرة من احكام مسبقة لديهم لا تحتمل النقض أو الابرام !! ودعوني اتجاسر واقول ان ما يكتبونه لا يعالج الجرح بقدر ما يصب الزيت على النار !! ان هناك تيارا اسلاميا معتدلا ، وحجم المتطرفين لا يقارن بحجم تيار الأغلبية المعتدلة وكم كنت اتمنى ان يكتبوا عن قضايا اكثر إلحاحا ، والا فخبروني لماذا لم نقرأ لهم عن سقوط الشيوعية والأنظمة الشمولية وهجرة اليهود السوفييت الى اسرائيل واعتراف الكونجرس الأمريكي بمجلسيه باعتبار القدس عاصمة لاسرائيل والبطالة والأمية وبيع القطاع العام الخاسر اين اصواتكم لا أسكت الله لكم قلما ولا صوتا ؟!!! انني اتمزق حين ارى ايات الله يعبث بها عن عمد وفي غير موضع الاستدلال الصحيح ولكن لمجرد نفع رخيص وشهرة فانية لن تدوم !! ولقد اصاب المستشار طارق البشرى كبد الحقيقة عندما قال "بعض هذه الاقلام لم يعرف من الناحية الفقهية الدينية ان يميز بين الثابت والمتغير ولا بين الاصول والفروع فاوغل فيما يمس اصلا وثوابت وهذا ترتب عليه ان الفرقة اشتدت عمقا بين فصائل المتحاورين ان الترويج الصحفي الواسع لهذه الاقلام اوجد شعورا بالاستنفار لدى من يحرصون على استقرار تلك الثوابت والأصول واوجد لدى المغالين دليلا أنضاف لديهم الى ما يعزز الشعور بالغربة وافتقاد الأمن المتعلق بالهوية والعقيدة : ولكن هذا لا يمنع ان هنك كتابا يفرقون بين مهاجمة المتطرفين والطعن في الاسلام !! فهل نطمع ان نحتكم الى صوت العقل في تناول هذه الظاهرة بدلا من الصخب والضجيج وعدم الحياد والتعميم ؟!! نرجو ذلك .

عبدالعزيز النجار
مدرس علوم اعدادى
فوة ـ كفر الشيخ

● تعليق الهلال :

● انت مشغول الفكر بمسالة التطرف الديني ، ولذلك تتصور ان الكتاب لم يكتبوا شيئا عن الشيوعية والشمولية والقطاع العام واليهود السوفييت والكونجرس الامريكي والبطالة والأمـية . الخ ..

ان الصحف قد كتبت ومازالت تكتب عن هذه الأمور اكثر مما كتبت أو تكتب عن مسالة التطرف ! . ولم نفهم معنى قولك انك تتمزق عندما ترى ايات الله يعبث بها عن عمد .. الى اخر كلامك .. فمن الذى يعبث بايات الله

ويفسرها على غير وجهها ؟! .. ان المتطرفين الجهلاء هم الذين يفعلون ذلك ، فهلا وجهت كلامك الى هؤلاء المتطرفين الجهلاء ! ..

● مذهب فى الحب ●

مثلما صاغتك اشعارى فكونى
زهرة أو بسمة ملء العيون
سائلى عينىّ ما معنى الهوى
والمسى دفتر قلبى واقرئينى
ان فتحت الصفحة الأولى ترى
مذهبى فى الحب واسمى واسم دينى
ما كتابى غير اخلاقى التى
انفت ما ليس من طبعى الرزين
انا ما غنيت يوما كالألى
عبدوا الخمر وصلوا للمجون
فلحملى الأوراق بيضا كالضحى
واملأى الكاسات حبا واتبعينى

السيد عثمان اللقّى
منشاة برديس بحرى ـ سوهاج

● الصحف البترولية والأدب ●

● تقوم المجلات التى تصدر فى البلاد البترولية بدور خطير الآن ، فهى تنشر كل ما يصل إليها فى البريد من الأدباء والشعراء وأدعياء الأدب والشعر ، وبهذا يتوهم من ينشرون فيها انتاجهم الردىء وغير الناضج انهم قد بلغوا درجة النضج التى تؤهلهم للنشر فى المجلات الأدبية العريقة فى البلاد غير البترولية .. وتزداد شراهتهم عندما يتلقى هؤلاء الادعياء من منتحلى الأدب والشعر ، مكافآت مالية من تلك المجلات التى اصبح دورها فى الأدب دورا هداما بعد أن كان لبعضها دور طيب ، اذ كانت تصدر بعض المجلات الرصينة ولكنهم حجبوها بسبب رصانتها وجديتها وفائدتها للأدب ، وحلت محلها مجلات اختلط فيها الحابل بالنابل ، وصارت مسرحا للمئات من ادعياء الشعر والنثر وسارقى انتاج الاخرين ! .. فهل لكم على ذلك من تعليق ؟! ..

عبدالوارث حسن فخرى
اسيوط

● تعليق الهلال :

ـ علقنا على هذا الأمر الخطير تعليقات كثيرة من قبل ، ولا تعليق لنا بعد ! ..

● يا وطنى ●

ياوطني .. يانخلة الروح التي تسامقت في جبهة الشمس مدى
ياسفرا مخضوضرا .. مكتسيا بالنبض ، مغروسا بآهات الندى ..
ياوطني .. ياقطعة من السما نلبسها في شهقتين من صدى ..
كيف نحبك ؟ وكيف تختبى بدمنا ـ يوما ـ مآذن الهدى ؟
كيف ندس النيل طرحة لعرس فاطمي .. بالوصال قد بدا ؟
ونقوش الأهداف في شطيه شعرا ، والقلوب وردة ومسجدا
كيف نغمس الشرايين بمائه الشهي .. نصطفيه موعدا ؟
كيف نحبك بهذا الوقت ؟ كيف نستفيق م الردى ؟
فناؤنا ما عاد يجدينا .. بكاؤنا عصي ، والشروق ما بدا
قلناك في المديح والهجاء والصراخ والجراح منذ المبتدى
فاغفر بوصلي واحتمل .. حنيننا ، لولاك ما كنا بعشق .. او .. حدا ..
ياوطني .. خذ كل شعر وانتصر تحت دمانا كن إلينا منشدا .

عبدالله السمطى
المطرية ـ القاهرة

● ميكافيللى والطغيان ●

● يقترن اسم السياسى الايطالى ميكافيللى بالطغيان والطغاة ، ولكن المعلومات عنه قليلة نرجو أن تبينوا لنا : هل صحيح أن طغيان الديكتاتوريات فى عصرنا أساسها نظرية ميكافيللى ؟! .

رجب احمد شعبان
محمد توفيق مصطفى
سوهاج ـ جرجا

● تعليق الهلال :

● نيكولو ميكافيللى من أبناء مقاطعة فلورنسا التى كانت فى عهده امارة مستقلة ، اذ لم يكن قد تم توحيد ايطاليا بعد .. ولد ميكافيللى سنة ١٤٦٩ ويعد من ساسة القرنين الخامس عشر والسادس عشر فى أوربا .. عمل وزيرا فى إمارة فلورنسا وذاق السجن بعد ذلك ، وافرج عنه ، وتجول فى

اوربا ، ثم تفرغ للكتابة .. اشهر كتبه ، كتاب "الأمير" الذى الفه سنة ١٥١٣ وشرح فيه آراءه فى الحكم وعلاقة الحاكم بالمحكومين ، مؤيدا الحكم المطلق ، اى الديكتاتورية ، مهما كان هذا الحكم متعارضا مع الأخلاق او الدين او مصالح الشعب ! ..

• مناجاة •

يا روضة بالحب ارويها وتسقينى العناء
يافتنة بالسهد اشقتنى .. وانواع البلاء
ها باتت الأشواق بالهفى .. تقاسى بين انياب المساء
وجحافل الاحزان تغشانى ، ويحصدنى الجفاء
وتمزق الاهات عهدا كان يغمره الضياء
فالقلب مكلوم وبى سقم .. وكان الود داء

زارع عبدالراضى رضوان
نجع حمادى

• القدس •

يازهرة المدائن .... ووردة البيوت
اموت فى هواك .... حبيبتى اموت
فكيف تبعدين .... عن عاشق حزين ؟!
فى قلبه ياحياتى .... لا يعرف الخفوت
تراك ياحياتى .... سئمت امنياتى
سئمت أن حبى .... يعانق السكوت
إذن غدا لسانى .... يقول ما اعانى
فلن اقل عمرى .... العاشق الصموت
ولو يحول بينى .... وبين نور عينى
موت فإن عمرى .... يجب أن اموت
ستدخلين بيتى .... كما الحياة تاتى
من بعد طول موت .... وحزننا مفوت
كما السرور يمضى .... فالحزن سوف يمضى
وترجعين ارضى .... ياوردة البيوت

عبدالعزيز الشراكى
المنصورة

رائدات التكوين



سهير القلماوي

الريادة فى الأدب

كنت أتطلع إلى أن أكون طبيبة فوالدى كان جراحا وككل بنت كنت مفتونة به وكنت أساعده . وأنا مازلت فى المرحلة الثانوية . فى عيادته (اسم المريض والمرض ونتيجة السكر والزلال . بالاختبارات البسيطة المعروفة

وصدمت . بأن لم يكن من مفر لى إلا الدخول فى قسم اللغة العربية بالجامعة المصرية وكانت اسمها هكذا لأنها الجامعة الوحيدة فى مصر انذاك



● ولما كان تعليمي قبل الجامعة كله في كلية البنات الأمريكية (رمسيس الآن) فقد كنت لا استطيع ان انطق بكلمة عربية منذ دخولي المدرسة في الصباح إلى الإنصراف حوالي الرابعة بعد الظهر . لذلك أتقنت الإنجليزية واطلعت على كثير من كتبها بسهولة بسبب هذا .

ولما كانت المدرسة تبشيرية ولم يكن للحكومة أنذاك اية سيطرة على مثل هذه المدارس . حتى أن ابي طلب الا أصلي معهم في الكنيسة فرفض طلبه واستمررت لقرب المدرسة من سكني بالرغم من أن سيارة المدرسة هي التي توصلني فكان أبي حريصا جدا على أن اقرأ معه كثيرا في القرآن الكريم وفي التفاسير خاصة وكان هناك تفسير جيد مختصر لمحمد فريد وجدى وأخر للزمخشري وكانا هذان التفسيران عند والدى فكنت اقرأ معه فيهما على صعوبة ذلك ونناقش الكثير من المسائل .

وفي هذه الفترة وطوال أحد عشر عاما كان علينا في السنوات الست الأخيرة في المدرسة أن نقرأ كل عام في اجازة الصيف رائعتين زادتا إلى خمس روائع من الأدب .. ونمتحن فيها اول العام

● د. سهير القلماوى وحديث عن المرأة والإسلام





محمد فريد وجدى



عبد الحميد العبادى
ـ عميد كلية الآداب سابقا

الدراسي وكان النجاح شرط للالتحاق بالفرقة الأعلى . لذلك قرأت روائع الأدب الإنجليزى والأمريكي والفرنسي وماترجم إليهما من روائع الأدب الروسى خاصة والأسبانى والإيطالى . وكانت القراءة قراءة من سيمتحن فيما قد قرأ . لذلك هويت القراءة منذ سن مبكرة

واستكملت النقص أو بعض النقص فى العربية حتى ووجهت بضرورة التبحر فيها لأنجح فى قسم اللغة العربية ، الذى استسلمت للالتحاق به وفى تقديرى إنه مجرد قضاء أربع سنوات لأتم الحادية والعشرين التى اشترط والدى أن أكون قد بلغتها قبل أن أسافر (كما كنت أقدر) لأدرس الطب فى انجلترا وأحقق أحلامى .

وهذا أول وأضخم درس تعلمته . كيف لا أيأس ، وكيف أتأقلم مع ماقد فرض علىّ ومما ليس منه بد . والخيرة ـ كما يقولون ـ فيما أختاره الله . المهم أننى لم أكن أرضى إلا أن أكون الأولى على الفرقة أو على أسوأ تقدير الثانية . وساعدنى أساتذتى طه حسين وأحمد أمين وعبدالحميد العبادى وعبدالوهاب عزام وغيرهم ممن أفخر إلى اليوم بأنى تتلمذت عليهم وكنت فى غرفة الأساتذة فى القسم أتلقى منهم مايمكن أن أسميه اليوم دروسا خصوصية لأنهم جميعا آمنوا بجديتى وباتساع أفقى ووجدوا فىّ «خامة» طيبة

وتخرجت من قسم اللغة العربية الأولى وآخر ماكنت أفكر فيه هو التدريس . ونزلت إلى ميدان الصحافة وهذه عطفة أخرى فى حياتى .

وكنت وأنا مازلت طالبة فى السنتين الأخيرتين قد نشروا لى مقالات فى بعض المجلات «اللطائف» المصورة «العروسة» وأثناء عملى بالصحافة كتبت فى الهلال وفى مجلة «أبولو» للشعر ومجلة الرسالة وأشرفت على صفحة كاملة نسائية فى جريدة «البلاغ» مرة وجريدة «كوكب



الشرق» مرة أخرى ولما اشترى استاذى طه حسين ترخيص جريدة الوادى رابطنا كلنا ، تلاميذه ، فى الجريدة . وإلى جانب الصفحة النسائية كنت مسئولة عن صفحة الأدب التى شاركنى فيها بعض الزملاء .

وكل ذلك لم أكن أتقاضى عنه مليما واحدا ولما عرض علىّ استاذى أحمد أمين خمسة جنيهات فى مقابل ثلاث مقالات فى مجلة الرسالة رفضت لأنى لا اريد أن اكتب بأجر إلا قيما بعد . وكنت أحس أن أكثر الإقبال على طلب أن أكتب فى هذه الصحيفة أو المجلة كان بسبب أننى امرأة ومع ذلك اقبلت على الكتابة .

وفى هذه الفترة أيضا اشرفت على صحيفة «الجامعة المصرية» التى كان رئيس تحريرها طه حسين . ولكن التجربة الحقيقية كانت عند افتتاح محطة الإذاعة سنة ١٩٣٤ وقد اختارونى (الذين جاءوا للاعداد لها) بعد امتحان فى الأصوات أن أذيع حديثا . وكنت الآنسة الوحيدة ولم يكن هناك صوت نسائى آخر إلا صوت مذيعة واحدة (عفاف الرشيدى) . وكانت الإذاعة البريطانية قد افتتحت محطة القاهرة وأخرى فى «أوال» فى البحرين استعدادا للحرب ولبث الأخبار والسيطرة على الإعلام فى العالم العربى .

وكان لمحطة الإذاعة مجلة «الراديو» التى تنشر البرامج وبعض المقالات المتعلقة بها وتتلقى طلبات المستمعين



احمد امين

وتنظر فى مشاكلهم وقد اسندوا إلىّ الجزء العربى (بضع صفحات) من هذه المجلة . وكان آجرى عليها وعلى أحاديث الثلاثاء (كل يوم ثلاثاء الثامنة مساء) هو أول أجر أتلقاه على تأليف أدبى أو صحفى . وكان مائة وخمسين قرشا .

كل هذه التجارب تدل على ضرورة انفتاح المؤلف فى بداية رحلته على أنواع كثيرة من التأليف وأن يجرب ويجرب . جربت الشعر الحر ترجمة وانشاء فى الرسالة منذ الثلاثينيات وكذلك فى مجلة «ابولو» ولكنى لم اتخصص فى الشعر وإنما كلها تجارب نافعة وأراها جيدة إلى الآن .

وخاصة أن النقاش والنقد كان كثيرا وميسورا ، وهو مايفتقده شباب اليوم لكثرة المنافذ الثقافية ووسائل الالتقاء بالمتلقى عبر المؤلف الفنى .

● هؤلاء علمونى

وجاء المنعطف الثانى الهام فى حياتى وهو التحول من الكتابة فى الصحف



عبد الوهاب عزام

والمجلات وهو إغراء بعثة إلى باريس فريدة فى نوعها . فقد كانت تنص على أن ليس المطلوب منى أداء أى امتحان طوال أربع سنوات ، وأن لى حرية السفر على نفقة البعثة إلى انجلترا والمانيا للاطلاع ، كل ذلك للتحضير لدرجة الدكتوراة على أن أعود للإمتحان فى القاهرة .

وهنا كانت الفائدة الأعظم تعلمت الكثير على طريق البحث والتأليف «الأكاديمى» ورأيت أساتذة تركوا فى نفسى أروع الآثار . أذكر على سبيل المثال «كاريه» الذى أكرر قولته لى إلى اليوم لطلابى «لست حريصا على أن تعطينى إجابة صحيحة على السؤال ، وإنما حرصى كل الحرص أن تسألى السؤال الصحيح» .

كم ذا يحتاج الجيل الجديد أن يتعلم كيف يسأل ، وعن ماذا يسأل قبل أن يحرص على الرد الصحيح على سؤال مطروح !

وتأثرت كثيرا بأستاذى وأبى الروحى طه حسين ولكنى لم أقلد أسلوبه وكذلك أحمد أمين . ذلك انى نشأت على التلقائية وأن أعبر كيفما أشاء ثم أعود إلى التعبير مرات لأصحح فيه . فإذا كتبت مثلا عناصر موضوع ثم عالجتها فقد تبين لى أنى تركت نقاطا فاذا كانت هامة أعدت الكتابة وادخلتها أما إذا لم تكن فإنى أترك ماكتبت على ماهو عليه حتى لايفقد ميزة تلقائيته .

لم أمر بفترة أن أكتب ويصلح لى أستاذ ما أكتب ذلك أن هذه المرحلة قضيتها فى مدرسة لغات . والانجليزية لغة أدبية أسهل كثيرا وأوضح ومحدودة إذا قيست بلغة يبلغ عمرها أربعة بل خمسة أضعاف عمر الإنجليزية أو أى لغة أوربية أخرى .

تعليم العربية وتعلمها والضغط على مميزاتها وقدراتها الهائلة على دقة التعبير وعمقه من أهم مايلزم الأديب العربى . ودراسة القرآن الكريم تعين على كثير من هذا . وقد درس القرآن الكريم وتمثلوا باياته كثيرون من غير المسلمين وليس مثل «مكرم عبيد» ببعيد ففى خطبه القاظ بل احيانا أيات اسلامية فى حين انه مسيحى لأنه ادرك مايمكن ان يصقل موهبته ولان الأخوة بين المصريين كانت دائما تتجلى فى كل مناسبة

●●●

ليس عندى للكتابة مواعيد وإنما الكتابة ساعة الصباح أفضل قبل أن أشعر بالتعب العضوى وأنا أكتب دائما على مكتبى ولا أستطيع أن أستمر فى الكتابة طويلا إلا وأنا جالسة على هذا الكرسى ، وأهم ما أحرص عليه ، بعد استجماع الأفكار وبلورة الإحساسات ، هى محاولة إيجاد نقطة «إرتكاز» كما أسميها يدور فى فلكها كل شىء آخر . وماديا لابد لى من ورق



مصقول وعلم جيد أو ممتاز وثلاثة أو أربعة أقلام إلى جانبي حتى لا أترك الكتابة واشغل بتعبئة القلم حبرا أو نحو ذلك . قطع الفكرة عندي لايشكل عادة مشكلة ولكني اتجنبها مخافة أن تحدث المشكلة التي لم أصادفها إلا قليلا جدا .

ووسيلتي أن أترك الكتابة كلية لفترة ثم أعود إليها من جديد منذ البداية حتى لا أفتقد الإتصال واستمرارية الفكر .

مجالي الأساسي التأليف والاكاديمي» ولكن مساهماتي في القصة القصيرة كثيرة جمعت بعضها والأكثرية الغالبة مازالت مبعثرة في مجلات تلك الفترة . لي على الأقل ٣٠٠ قصة .

كنت قد كتبت في جريدة الوادي عام ١٩٣٥ قصة أدبية عن «أمة كريمة والحمام» فيها ذكريات أيام جدي ولما توفي والذي نصحني استاذي طه حسين أن ادفن أحزاني في الكتابة . وقال لماذا لاتؤلفين قصصا أخرى مثل «أمة كريمة» وتنشرينها كتابا . وكان هذا كتاب «أحاديث جدتي» يعبر عن عمق الفجوة بين جيلي ومن سبقه من أجيال .

طبعت الكتاب على حسابي الخاص في لجنة التأليف والترجمة والنشر وطبعت أربعة آلاف نسخة قال استاذي أنت مجنونة أنا طه حسين اطبع ثلاثة آلاف . قلت وانا في غاية الغرور (ياليت شبابنا اليوم عندهم قدر «صحي» من الغرور) أنت مقروء لأنك أديب ممتاز وانا اديبة ممتازة زائد اني امرأة وهذا في حد ذاته طرافة تجذب القارىء . ولم يبع من الكتاب «أحاديث جدتي» إلا تسعمائة نسخة وقامت الحرب فاختفى من المخزن لأن غلافه كان هاما لصناع البلكونات فهذا الورق المقوى لم يكن متوفرا في السوق وكان هو غلاف كتابي الأنيق .

ومع ذلك لم أيأس . اقول لطلابي دائما اياكم أن تيأسوا فالفشل مرحلة من مراحل الوصول إلى النجاح تقبلوا الفشل بهذا المنطق وذاك الاحساس فتنجحون .

قراءاتي متسعة جدا ولغاتي الأجنبية فتحت عليّ أبواب الثقافة العالمية على مصراعيها . لذلك عجبي بل أعجب وأحزن أن ننادي باهمال تعلم اللغة الأجنبية . ولا ادري كيف سيكون تعامل هذا الشباب في عصر الإتصالات الإلكترونية دون لغة أجنبية وما الضرر في هذا فهذه الثقافة أغذي بها ثقافتي القومية وانعشها لتتفتح على الآفاق البعيدة .



د . طه حسين



د . سهير المدرسة بكلية الآداب .



د . سهير امام ركن من اركان مكتبتها .

المجلات الأدبية الغربية اقرأ أكثرها منذ ايام الرسالة إلى اليوم . واشترك فى مجلات عالمية لاتشترك فيها مكتبة الجامعة للأسف مثل مجلة «العالمين» الفرنسية ومجلة «كنيون» الأمريكية ومجلة «علم الجمال والنقد» و« النقد الأدبى » . وكلها مجلات علمية جافة وهناك المجلات التى تجد فيها إلى جانب السياسة الدولية بعض الأخبار الهامة فى الفنون مثل «نيوزويك» و«تايم» ولعل أهم مافيها فتح الآفاق بأخبار منجزات العلم الخرافية فى هذا العصر . وهناك مجلة «ديالوج» (الحوار) الفصلية تنشر مقالات هامة جدا فى كل ماهو جديد . وفى كل عدد موضوع يعالج بمقالات المختصين معالجة مستفيضة وعلمية موثوق بما فيها من معلومات حديثة .

الحياة بكل مافيها من عوائق الروتين والبيروقراطية قدر فرض علينا فى هذا العصر ، وخاصة فى مصر فى غياب حكم ديمقراطى سليم مبنى على فرد حر مؤهل لأن يختار وينفذ ويساهم فعلا فى تطور المجتمع . ولا حيلة فى نظرى إلا بالتكيف على نطاق الفرد والمساهمة الواجبة والفعالة والمستمرة نحو التغيير المطلوب ليصبح مجتمعنا مجتمعا سويا يبعزق طاقاته الضخمة الفريدة فى هذا العبث أو الهراء الذى نُدفع إليه دفعا .

كل فرد مسئول عن نفسه بل عن التغيير يجمع مع من حوله مجموعة ويجاهد فى سبيل التغيير . وهذا التغيير لن يكون للأسف كما تدل مخترعات العصر الا تغييرا على مراحل . المهم البداية السليمة . التغيير بالطفرة انتهى زمانه . التغيير لايأتى من فوق ولا بالأوامر ولافرض ايديولوجيات . اهم ما أنصح به الشباب الأدباء : أولا شطب كلمة يأس من قاموس حياتهم مهما كان الوضع . ثم العمل المستمر المؤمن . والقراءة ثم القراءة والتليفزيون ليس بديلا ولن يكون بديلا عن القراءة وإنما هو تحوير للاهتمامات . وأنظروا لماذا تنتعش دور النشر وصناعة الكتاب فى البلاد التى فيها تليفزيون راق ومجموعة قنوات وهو متاح لأكبر عدد من المواطنين لاختلاف الكتاب ضرورة . ولكنه لايمكن أن يستغنى عنه المثقف .

الكلمة الأخيرة

●● عندما تولى الصديق مصطفى نبيل رئاسة تحرير ثلاثي دار الهلال الثقافي : مجلة الهلال ، وكتاب الهلال ، ورواية الهلال ، سألني توفيق الحكيم عما يكتب من ابداعات .. رواية أو قصة او شعر .. ويبدو ان رئيس تحرير الهلال فى ذهن الحكيم لابد وان يكون مبدعاً ، مع ان هذا الشرط لم يتحقق سوى فى القليل النادر من الذين تولوا هذا العمل .

وقد تحققت حالة من النجاح الهادىء بعيدا عن الصخب والضجيج ، وبدون إثارة وعناوين ضخمة .. ولكن بهدوء وبدون انفعال يمكن قول المطلوب كله .

وانا لست من انصار الهدوء .... ولا اقف فى صفه .. خصوصا ونحن نعيش زمنا مصريا أهم سماته ان الكل يصرخ والجميع يصيح ، لدرجة ان محاولة الاستماع لبعض مايقال ، او قراءة بعض مايكتب تصبح مسالة غاية فى الصعوبة فى بعض الاحيان .

فى فترته اصبحت هناك مسافة بين صفحة المجلة ، ومكتب المسئول ، وبالتالى لم يعد دور المجلة الأول هو تبرير كل قرار يصدر عن هذا المسئول ، وعندما ندرك ان المسئول فى حالة مجلة « الهلال » هم المسئولون عن الثقافة الرسمية فى مصر الآن ، سندرك ان حجم وجودهم على صفحات المجلة هو شهادة لإدراك دور المجلة الحقيقى .

لا أعرف لماذا تصدر الهلال فى اليوم الأول من كل شهر ، وكتاب الهلال فى اليوم الخامس ، ورواية الهلال فى اليوم الخامس عشر ؟ ان كتاب الهلال بذلك يزاحم المجلة فى رزقها .. والرواية تصدر والحالة فى جيوب الناس جيم .

ما المانع مثلا من صدور المجلة فى اليوم الاول ، والكتاب فى اليوم العاشر .. والرواية فى اليوم العشرين من الشهر .. وبذلك يبقى معنا ثلاثى الهلال الثقافى كل ايام الشهر .

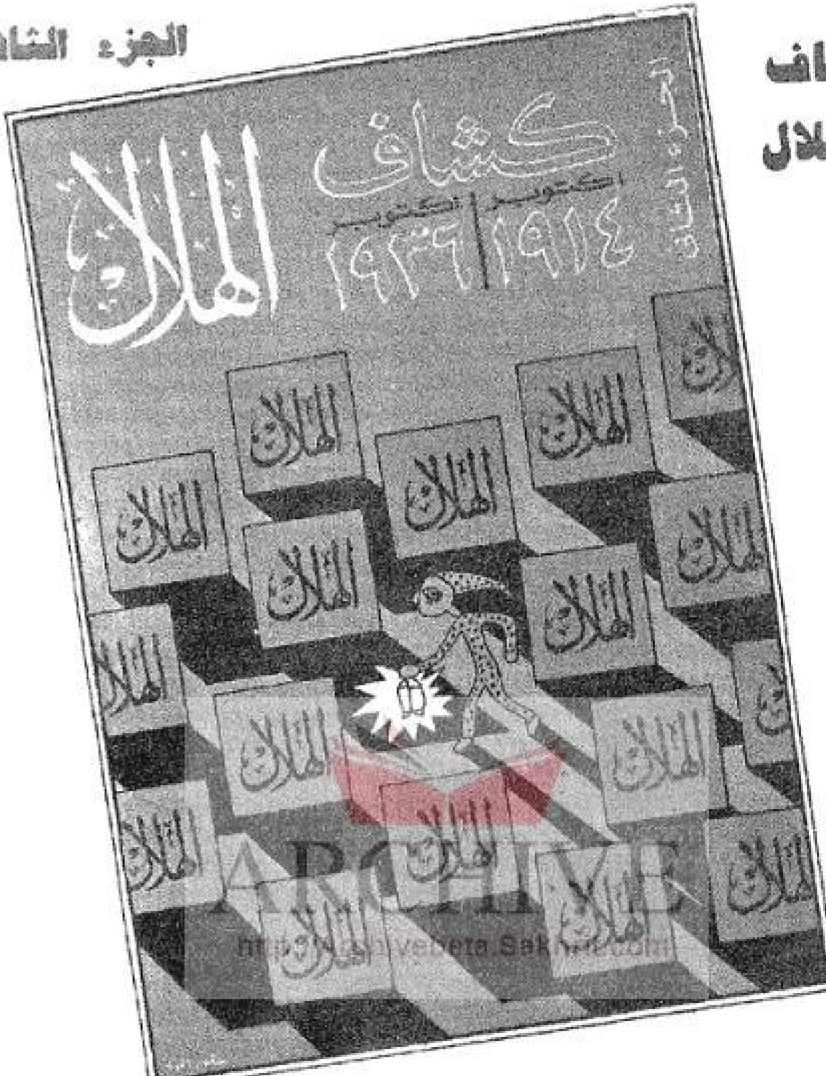
ولا مفر من كلمة عن تراجع المترجمات سواء فى الكتاب او الرواية ، مهما كانت الصعوبات لابد من مترجمات بنسبة مقبولة ..





الجزء الثانى

كشاف الهلال



الثمن : ١٠ جنيهات

● إنجاز علمي دقيق ..

● يتناول تبويبا شاملاً للموضوعات والمقالات التى صدرت بالهلال من أكتوبر ١٩١٤ الى ١٩٣٦ باشراف نخبة من الأساتذة المتخصصين فى مجال التصنيف والفهرسة .

إعداد وتحقيق :

د . أحمد حسين الصاوى


صخر PC
طريقك للمستقبل
مجموعة متكاملة من الأجهزة لتلبية حاجة المستخدم العربي (XT,AT,386) .
البرامج المدمجة بالأجهزة .
نظام تشغيل عربي . برنامج عرض عربي . منسق كلمات عربي انجليزي فرنسي
مدقق املائي عربي . مدقق املائي انجليزي . قاموس انجليزي عربي ٧٥ الف كلمة
برنامج البريد . حاسبة . تقويم هجري ميلادي . لغة بيسك العربية
صخر
العالمية

أغسطس ١٩٩٠ • الثمن ٧٥ قرشاً

الهلال

دراما الإنسان والبحر

في روما : ملوك بلا عروش



الهلال

مجلة ثقافية شهرية
تصدرها دار الهلال
أسسها جورجي زيدان
عام ١٨٩٢ ميلادية

يسافر الكتاب والادباء فى فصل الصيف الى عدد من عواصم العالم .. وعدد "الهلال" هذا الشهر حافل باكثر من رسالة ، من اوروبا .

فنقدم كتاب الشهر ضمن رسالة المانيا عن تخطيط القاهرة وعمارتها منذ الاحتلال الاوروبى ، صدر الكتاب باللغة الالمانية فى ١٠٠٠ صفحة لمؤلفه الدكتور محمد شرابى الاستاذ بجامعة دارمشتاد بالمانيا الغربية .

الكتاب عمل علمى ضخم ، يضفى اهمية خاصة للقاهرة التى بدأ علماء البيئة فى العالم يتحركون بسرعة لانقاذها من التلوث الذى يهددها حاليا

تتضمن الرسالة الثانية وهى من روما الحديث عن الملوك الذين عاشوا فى الظل وكيف واجهوا الهوان بعد حياة حافلة فى ظل ملكهم السابق !

ومن باريس وافانا الكاتب مصطفى درويش عن آخر أخبار عاصمة النور ويشير الى الحركة الدائبة التى نشهدها فى شارع الشانزليزيه وكيف ان فيلما بعنوان : الى منابع النيل .. هو اكثر ما يجذبك ، ثم يربط ما بين فيلم ينابيع الشمس الذى اخرجه جون فينى سنة ١٩٦٩ وبين فيلم جبال القمر الذى اخرجته السينما الامريكية أخيرا .

في هذا العدد

فكر وثقافة

جزء خاص عن البحر



الغلاف تصميم الفنان محمد ابوطالب

قيمة الاشتراك السنوى (١٢ عددا) فى جمهورية مصر العربية تسعة جنيهات وفى بلاد اتحاد البريد العربى والافريقى والباكستان عشرة دولارات او مايعادلها بالبريد الجوى . وفى سائر انحاء العالم عشرون دولارا بالبريد الجوى
والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى ج . م . ع نقدا او بحوالة بريدية غير حكومية . وفى الخارج بشيك مصرفى لامر مؤسسة دار الهلال . وتضاف رسوم البريد المسجل على الاسعار الموضحة بعاليه عند الطلب

دائرة الحوار

رسائل صحفية ●

فنون

قصة وشعر

الأبواب الثابتة

دار الهلال

١٦ شارع محمد عز العرب الرقم البريدى (١١٥١١) القاهرة تليفون ٣٦٢٥٤٥٠ سبعة خطوط - مجلة الهلال ٣٦٢٥٤٧١

رقم التلكس ١ 92703 HILAL U.N

ثمن النسخة

لبنان ٧٠٠ ليرة - الاردن ٦٠٠ فلس - الكويت ٥٠٠ فلس - العراق ١٠٠٠ فلس - السعودية ٧ ريالات - عدن ١٢٥ سنتا - البحرين ٨٠٠ فلس - قطر ٧ ريالات - الامارات العربية المتحدة ٧ دراهم - سلطنه عمان ٧٠٠ بيسه - تونس ١٤٠٠ مليم - المغرب ١٥ درهما - غزة ٧٥ سنتا - انجلترا ١٢٥ بنسا - ايطاليا ٢٧٠٠ ليرة - الولايات المتحدة الامريكيه ٤٠٠ سنت - الجمهورية العربيه اليمنيه ١٠ ريالات - كندا ٥ دولارات

عزيزي القارئ

البحر .. وعراس الأقلام

الانتاج الادبي والفني في بلادنا خلال هذا الصيف ، والصيف الماضي ، والصيف القادم .. يجيب لنا بكل وضوح عن هذا السؤال : هل تقدمنا فى طريق حرية الادب والفن والفكر ، او تأخرنا ؟!

لقد اختفى الشعراء والكتاب والفنانون الذين كانت قرائحهم تتجاوب مع بحر الاسكندرية ، وتغرد فوق شواطئه ، وتناجي حوريات البحر او جنياته الخياليات السابحات عند افقه البعيد ، في شروق الشمس او في غروبها !

نعم .. ازدحم كورنيش الاسكندرية بملايين الناس ، ولكنه خلا من عشاق البحر الاصلاء الذين كان الصيف وحى الهامهم ، ومبعث خيالهم ، ومحرك قرائحهم واحلامهم ، وخالق عرائس اقلامهم !

وبدا « الكورنيش » فى خلوه من هؤلاء المبدعين الملهمين ، اشد وحشة - رغم اكتظاظه الرهيب - مما كان فى اوائل الثلاثينات عقب فراغ حكومة اسماعيل صدقى باشا من انشائه مباشرة !

لقد كانت لبحر الثلاثينات ايحاءات فنية وادبية بالغة الجمال والرقة والعمق ، فامتلأت افلام السينما المصرية فى الثلاثينات بالوقفات الرومانتيكية والاغانى العاطفية ، والكلمات المرهفة ، يتبادلها نجوم الافلام على مرأى من البحر ، كأنهم يشهدونه عليها ، ويشركونه في عواطفهم ، ويعطونه جزءا من ذكرياتهم العابرة ، ويأخذون جزءا من ذكرياته الممتدة بين الازل والابد !

كانت مصر تتعثر حينذاك فى ازمات الحرية والديمقراطية ولكنها كانت برغم ذلك تتقدم الى قلب النصف الاول من القرن العشرين .

وكل شيء فى مصر منذ منتصف الثلاثينات كان يبشر بانسان مصرى حر سعيد ، ظافر بحريته الفكرية فى اوسع مداها .

كانت الابصار ترنو الى المستقبل لا الى الماضى ، وكان الادباء والشعراء والفنانون يتحركون بلا تعقيدات ولا مخاوف لاحساسهم بان الحرية لايمكن انتزاعها منهم ، ولم يكن ثمة احد يرمى احدا بالخروج عن سواء السبيل بسبب كلمة يقولها او رأى يبديه ، مهما يكن رأيه مخالفا لما درج عليه العوام من الاوهام .

وحسبك شاهدا على ذلك ان كاتبا كبيرا هو مصطفى صادق الرافعي - رحمه الله - قد شغل قراء مجلة « الرسالة » وارق ليالى صيفهم سنة ١٩٢٥ بقصصه الفذة التى لبث بضعة اسابيع يبعثها من مصيفه الى مجلة الرسالة حول راقصة باحد ملاهى الاسكندرية كان قد وقع فى حبها !

كان الرافعى من حماة اللغة والدين ، بل كان فى طليعة اولئك الحماة ، ولكن لم يخطر على باله وهو يعيش فى جو الحرية الفكرية والعقلانية ان مكانته من اللغة والدين تمنعه ان يكتب عن الحب وبخاصة اذا كان حب راقصة !

كان للرافعى موقفان على شاطىء البحر : موقف المتفرج الرافض للحوم البحر العارية ، رفض المتأمل الشاعرى الاحساس لا رفض المتشنج القاذف بقنبلة الاتهام الملتهبة فى الوجوه !

اما موقفه الاخر ، فكان موقف الفنان المفكر الحر التفكير ..

وكان جو الحرية الفكرية يلهم الرافعى وحى عرائس قلمه الكثيرات ، ولا يلقى ادنى ظل من الاتهامات المتشنجة عليه .. وقد كتب عن الحب اكثر مما كتب جميع ادباء عصره ، وعاش - دائما - رجل اللغة والدين ، ومؤلف كتاب « اعجاز القرآن » .

وياما كان ابلغه وارقه واعمقه ادبا وفنا وفكرا وتحررا ، وهو يقول عن راقصته تلك التى ألهمته مقالات « الجمال البائس » التى هزت الصيف ، واستوقفت امواج البحر ! قال :

« اما انى احب فنعم وَنِعمًا .. بل اراه حبا فالقا كبدى ، وليس يخلو فؤادى ابدا من سوالف حب مضى ، واما انى استرذل فى الحب ، وامتهن فضيلتى وانزل بها ، فلا .. وابدا » !

لم يكن الرافعى يخاف ان يرميه المتنطعون باية تهمة ، لان جو الحرية الفكرية فى الادب والفن كان يجعل من البديهى عند الرافعى ان يستخدم حريته فى التعبير عن وجدانه ، وان يكون انسانا ، حقيقيا لازيف فيه ، يكتب عن قلبه ، ويعرض فكره ، ويحب حبا فالقا كبده ولكنه لايسترخص فيه !

نستطيع الان ان نجيب عن السؤال الذى طرحناه فى اول الكلام : هل تقدمنا .. او تأخرنا فى حرية الفكر والضمير ؟ هل يستطيع كاتب من « حماة اللغة والدين » ان يكتب فى صيف ١٩٩٠ - وهو آمن على نفسه - بعض ماكان الرافعى يكتبه فى صيف ١٩٢٥ ؟!

« المحرر »

بقلم : د. شكري محمد عياد

لماذا الكتابة ؟

كنت اتهيا للكتابة عن رواية فاروق خورشيد "الزمن الميت" عندما طالعت ، أو طالعني ، رد ، بدر الديب على مقالي "الخلاص بالكتابة" ، ليست هذه الصفحات ، صديقي القارىء ، ردا على الرد ، فقد علقت على ما يستحق التعليق من مقال بدر الديب في الكلمة القصيرة التي ذيلت بها ذلك المقال ، ولكنني اريد ان اقف معك لنتامل معا ما احاول ان اصنعه في هذه المحاولات النقدية ، منذ ورطني فيها رئيس التحرير ، سامحه الله ، زاعما ان اكثر ما يعرفه الناس عني اني ناقد ادبي ، وان المبدعين ، ولاسيما الجيل الأوسط وجيل الشباب ، يشكون من اهمال النقاد لأعمالهم .

كانت امامي محاذير كثيرة ، عبرت عن بعضها حين افتتحت هذه المقالات ، وكان اهم هذه المحاذير فيما بدا لي وقتها ـ ان الناقد لابد له ، ان اراد ان يكون امينا مع قارئه ، من ترجمة العمل الأدبي الى افكار ومواقف ، قد لا تكون هي افكار صاحب العمل ومواقفه ، ولكنه ، على الأقل ، شعر بها واداها ، ومن ثم اصبح مسئولا عن اظهارها . مثل هذه المسئولية ، في مجتمع يعرف وظيفة الفن ويقدرها ، لا تعرضه لشيء من الأذى ، ولكنه في مجتمعاتنا العربية حريص على ان يتنصل منها ، حريص حتى وهو يكتبها ، ومن ثم فهو يدور ، ويراوغ ، وربما افتعل صراعا مع مجتمعه ، او مع الافكار السائدة في هذا المجتمع ، لا علاقة له بما يفكر فيه حقا . ولكنه يمكن ان يصرف النظر عن محظور اكبر ، ولو بتوجيهه الى محظور اقل خطرا . (هذا ، في تقديري ، هو ما يدفع بكثير من الكتاب الجدد إلى



بدر الديب



تولستوي



فرويد

التصريح بمسائل الجنس . وسأعود إلى هذا الموضوع بعد قليل) .

تخيل إذن عناء الناقد ، وهو يدور مع صاحبه في هذه الدهاليز المظلمة ، يبحث عن فكر يهم بأن يظهر ، ولكنه لا يظهر ، كفرخ يهم بالطيران ، ولكنه لا يطير ، وربما كان الفكر في ذاته خطيرا ، كما يكون جناحا الفرخ ضعيفين ، فماذا يصنع الناقد ، وهو - اصلا - لم يفتح مدرسة لتعليم الكتابة ، ولكنه يتناول العمل بكل احترام ، ولا يريد الا ان يفسره ، ليقيم جسرا بينه وبين القارىء الذى لم يقراه بعد ، او ليقيم حوارا حوله مع القارىء الذى قراه

● الكاتب الجائع وهموم الشهرة

فمسئولية الناقد تبدأ وتنتهى عند قارئه . والعمل الأدبى بالنسبة اليه ليس الا موضوعا كاى موضوع يكتب فيه كاتب ، وهذه الحقيقة ، التى نراها انا وانت أيها القارىء بديهية لا تحتمل خلافا ، يعمى عنها صاحب العمل الأدبى المنقود أو يراها بمنظار شديد الانحراف ، هذه الرؤية المنحرفة هى التى جعلت بدر الديب يتساءل فى مقدمة "رده" على "الخلاص بالكتابة" عن "معنى المقال او ضرورته" . بين ما يقرب من ثلاثين عنوانا ، بين مقالة وتحقيق وقصة وشعر ، ينشرها "الهلال" فى كل عدد ، تساءل بدر الديب فقط عن "المعنى والضرورة" فى المقال الذى تناول كتابا له . ولم يخطر بباله ان مجلة مثل "الهلال" تحاول ان تجعل الأدب شيئا مهما فى حياة كل قارىء ، وان هذه المحاولة ليس لها الا طريق واحد وهو ان تحدث هذا القارىء عن بعض الأعمال حديثا يمكن ان يثير اهتمامه . والحديث الذى يمكن ان يثير الاهتمام هو - فقط - الحديث الأمين الصادق . ولنفرض ان بدرا أو غيره عجز عن رؤية هذه الحقيقة ، فهل يستكثر ان يكون كتاب ما موضوعا لمقال ما بين مقالات كثيرة تنشرها مجلة ما ، ولا يلتزم كتابها بشىء اكثر من الرغبة فى امتاع القارىء أو إفادته ؟

وهل يستطيع الكاتب المنقود أن يزعم أن المقال الذى تناول كتابه قد خلا من اية متعة او فائدة ، حتى ولو كانت هذه الفائدة هى الاعلام بان هناك كاتبا اسمه فلان وان لهذا الكاتب كتابا عنوانه كذا ؟

المسألة هى - ببساطة - أن الذى يكتب رواية أو مجموعة قصص او ديوان شعر ، وينجح فى دفعها الى المطبعة بين زحام النصوص فى هيئة الكتاب مثلا ، او يقتطع من ميزانيته - وهى عملية فدائية بدون شك - نفقات الطبع ، يسخط ان لم يكتب عنه النقاد ، ولا يقنع بذلك التعريف الموجز الذى يمكن ان تجود به علبة صحيفة يومية ، ولكنه لا يرضى باى نقد ، بل يجب ان يكون "النقد" مديحا خالصا ، واطراء صرفا ، وتبشيرا بعبقريته التى ظهرت فجاة كالنجم الساطع فى سماء الأدب

الكاتب الجائع للشهرة - سواء اكان شابا أم شيخا أم متوسط السن - لا يتوقع من الناقد إلا ان يقوم بتسويق أعماله . والكاتب الجائع للشهرة لا يعرف معنى النقد ، ومن ثم فهو لا يكن له فى الحقيقة اى احترام ، مهما حاول ان يتملق الناقد وأن يغريه بالكتابة عنه . مثل هذا الكاتب يكون اكثر صدقا مع نفسه عندما يردد هذه الجملة التى لا معنى لها : "ان الناقد كاتب فاشل" .

فهل يضير الطبيب - مثلا - ان يقال عنه انه مهندس فاشل ؟ العملان مختلفان باسادة ، وكما ان بعضكم قد يكتب شيئا من الشعر ولكنه لا يحسن أن يكتب قصة ، او العكس ، فكذلك القاص او الشاعر قد لا يحسنان النقد ، والعكس صحيح ايضا ، لأن النقد عمل فكرى اكثر من الشعر والقصة كليهما ، والناقد الجاد يكتب من خلال منظور شامل للثقافة ، ولا غنى له عن سعة الأفق ورحابة النفس ومرونة العقل كى يستجيب لمختلف الاتجاهات ويتفهم مختلف التجارب ولا غنى له مع ذلك عن موقف فكرى واضح مرتبط بعصرة وثقافة امته ، اذا اراد ان يؤثر فى الادب من خلال تاثيره فى قراء الأدب . والناقد الأصيل لا يمارس النقد الا من أجل هذا ، فهو مدفوع الى النقد بطاقة ابداعية خاصة ، كالطاقة التى تدفع الشاعر الى نظم الشعر ، والروائى الى كتابة الرواية ، ولكنها متميزة عن كل طاقة ابداعية اخرى ، فى الفن او فى العلم .

وقد وجدت نفسى ، منذ شرعت فى هذه المقالات النقدية ، مضطرا الى التعامل مع تيار الحداثة الذى انتقل فى عالمنا العربى من دور التجريب الى دور البدعة . على انه ، ككل تيار ، فيه الماء الصافى وفيه الزبد الفارغ اما اكثره فغثاء ، واكثر ما يشكو منه القراء انه غير مفهوم وغير مستساغ ، وأنهم اذا شرعوا فى قراءة رواية من هذا النوع لم يلبثوا ان ينصرفوا عنها زاهدين ، ولا ادرى هل يقرأ هؤلاء الكتاب بعضهم لبعض ، ام يتظاهرون بذلك فقط حين يتلاقون ، او يفعلونه

بصورة جزئية وعشوائية ومتعجلة حين يضطر احدهم للكتابة عن عمل الاخر او الحديث عنه في ندوة ، يثير معركة موهومة ضد الجامدين والمتحجرين ؟ واكثر ما يشكو منه الناشرون ورؤساء تحرير المجلات الثقافية أن هذا الأدب "الحداثي" يقحم الجنس في كل شيء بفظاظة والحاح وغلّ . واذا اقترح رئيس التحرير المسكين حذف جملة أو كلمة قال اصحابنا انه يصادر الابداع ، وانه جاهل ومتخلف . ورئيس التحرير يعلم انه مسئول امام آلاف القراء قبل ان يكون مسئولا امام الكاتب الطموح . قال لي مرة احد رؤساء التحرير : ماذا اصنع اذا كنت انا نفسي لا استطيع ان احمل هذه الرواية الى بيتي ؟

● رغبة محمومة

ومسالة الجنس ليست الا مظهرا واحدا لرغبة محمومة في تقليد الآداب الغربية ، مع ان اكثر هؤلاء الحداثيين لا يحسن قراءة صفحة واحدة بلغة أجنبية ، ولكنه يستمد تملاجه من ترجمات ، اغلبها مشوه ، او من شيوخ الحداثيين الذين لا يماريء احد في سعة ثقافتهم ، ولكنهم يلبسون اقنعة اجنبية ، ويكتبون بالعربية وفي اذهانهم جمهور قارىء أجنبي ، وعندي انهم ان كانوا يحسنون الانجليزية او الفرنسية الى درجة كافية فالاحرى بهم ان يكتبوا باحدى هاتين اللغتين كما يفعل رفاق لهم في شمال الصحراء الافريقية وجنوبها انهم يكونون بذلك اكثر منطقية مع انفسهم ، واقرب الى ذلك الجمهور الذى يعيشون بافكارهم



برنارد شو

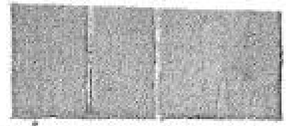


جيمس جويس

وأحلامهم معه ، وربما استطاعوا ان يؤدوا دورا في تواصل الثقافات افضل من الدور الذى يؤدونه الان .

والافراط في الجنس امر حادث في الآداب الغربية ، وقد بدا القوم ــ على عادتهم في تغير الموضات والموديلات ــ يزهدونه ويضيقون به ــ واعني بكونه حادثا انه لم يظهر هذا الظهور الفاضح الا منذ الخمسينيات ، ولعله بدا برواية "لوليتا" للكاتب الأمريكي الروسي الأصل فلاديمير نابوكوف ، الذى لم يستطع طبع روايته في امريكا او انجلترا فطبعها في فرنسا ، ولكنها تعد رواية مؤدبة جدا بمقاييس هذه الايام . وقبل ذلك عرفنا الجنس في روايات كوليت الفرنسية ، اناقة ورشاقة ودفئا ونعومة ، وفي روايات لورنس الانجليزى واشعاره ، نشوة تقرب من العبادة ، ومن ثم فلها طقوس تنفي الغلظة والفظاظة ، وكانه كان مبشرا بدين جديد ، دين "الليبيدو" الذى اكتشفه فرويد .

ولكن القوم يغيرون آلهتهم كل حين . ومن ثم فقد اخذوا يعرضون عن دين الليبيدو ويضجرون من سدنته ، كنت أستمع منذ وقت قريب الى برنامج ادبي



القفــز عبر الأشــواك

في الاذاعة البريطانية ، وسألت صاحبة البرنامج كاتبا روائيا ، لا يحضرني اسمه الآن ، لماذا يكثر الجنس في رواياتك ؟ فلم يجد الروائي سوى هذا الحجة ، التي لا يمكن ان تكون خافية على صاحبة السؤال ، ولكنها - فيما يبدو - لم تعد مقتنعة بها : احسب أن فكرة الجنس في رواياتي تشغل نفس المكانة التي يمكن ان تشغلها فكرة الله عند كاتب من العصور الوسطى ، فانا ادفع بالجنس الى مرتبة التقديس .. ما راى كتابنا الأفاضل ؟

● الرفض الأعمى

اما انا فاحسب أن الجنس عندهم ليس الا نوعا من الرفض لقيم مجتمعهم ، ولكنه رفض اعمى ورفض بالجملة . فمهمة الكاتب الأولى هي حقا ان يرفض ، ولكن من واجبه ان يتبين أى القيم هي الأحق بالرفض ، ورفض الكاتب ليس هدما مجردا ، فهو رفض يتضمن الايحاء بقيم افضل ، او بضرورة البحث عن مثل هذه القيم ، هذه هي مسئولية الكاتب والمفكر والفنان في عالمنا العربي المعاصر ، ومسئوليته هي أمام نفسه وليست أمام أية سلطة أخرى ، لذلك قلت أن الناقد هو ضمير الكاتب .

والكاتب حر والناقد حر في ارتياد هذا الطريق الصعب ، كلاهما يجدد فكره ويجدد ادواته ويجدد لغته ، ولكنه يضع ذلك كله في اطار رؤية شاملة ، وتتجدد الرؤية وتعمق وتتطور مع تجدد الفكر والأدوات واللغة ، ويبقى الثابت الوحيد انه يحاول ان يبصر ما لا يبصره الاخرون في مجتمعه ، وان يوجه انظارهم اليه ، والكاتب حر والناقد حر في أن يتعلما من الثقافات الاخرى ، ولكن التقليد الأعمى لن يفيد ايا منهما ، ولن يكون اصيلا في فكره وفنه ان لم يرتكز على ثقافة لغته التي يفكر بها ويكتب بها ، واذا اراد بعد ذلك ان يسمى نفسه حداثيا فهو حر في ذلك ايضا ، لان حداثته سيكون لها مفهومها الواضح ، ولن تكون صورة ممسوخة من حداثة الغرب .

● نبت غريب

ولكن الذى اراه الان هو ان فريقا كبيرا من الكتاب والنقاد يختارون الطريق الأسهل ، ويحرمون انفسهم من حقها الطبيعي في التفكير المستقل والابداع المستقل : ويتنافسون في اقتناء الأحدث فالأحدث مما يأتي به الغرب ، وربما كان بعض القديم - قديم الغرب نفسه - اجدى عليهم من كثير من الحديث ، وخطؤهم الأكبر - بل خطيئتهم الكبرى - هي انهم ينعزلون عن مجتمعهم ، فالحداثة كما جاءونا بها نبت غريب لا تسيغه حلوقنا ولا معداتنا ، وما اظنهم هم انفسهم

يسيغونه أو يهضمونه ، ولكنهم يجعلونه زيا لهم وشارة يعرف بها بعضهم بعضا ، ويتميزون بها عن غيرهم ، وقد نجحوا في ذلك حقا ، الى حد ان القارىء العربي الذكي اصبح سيىء الظن بالأدب كله وبالنقد كله ، والقراء الأذكياء في عالمنا العربي الذى تغلب عليه الأمية ، قلة تحترم عقولهم وانواقهم . فهم نواة اية ثقافة حقيقية او حضارة حقيقية فى هذه الأمة ، ولذلك نحرص على أن يظل الأدب شيئا مهما في حياتهم . فلا ثقافة أصيلة ولا حضارة اصيلة بدون ادب اصيل ، ومحترف الأدب - كاتبا أو ناقدا أو استاذا في الجامعة ، يمكن ان ينافق ، ويمكن أن يكون حرصه على أن يبهر قراءه أو طلابه اكثر من حرصه على تنمية أذواقهم ومداركهم ، ولكن القارىء الذكي لا ينافق . فالأدب عنده حاجة طبيعية يبحث عما يشبعها . واذا امتلأت السوق حوله بهذه المعلبات المستوردة ، واكثرها تالف ، وصعب عليه أن يلتقط من بين هذا الركام ضالته الحقيقة غير المزيفة ، فلا تلوموه اذا انصرف هو ايضا بكل اهتمامه الى مباريات الكرة ، أو جلس مهدودا ، شاردا ، مغلوبا على أمره ، أمام جهاز التليفزيون .

لهذا القارىء وحده اكتب : وفي سبيل ابداع حقيقي اكتب ، لا لأسر كاتد ما ، ولو كان هذا الكاتب أعز صديق ولا أريد أن اثير معركة مع أحد فمعركتي الوحيدة - كما قلت في مناسبات كثيرة - هي الفهم ، وانا اعلم ان بعض القراء يمكن ان تجتذبهم المعارك الادبية ، التى يخرج فيها الأدباء عن وقارهم ، فتمزق ثياب ، وتخمش وجوه ، فلهؤلاء القراء اقول : اسف ، ليس عندى ! فانا تكفيني معركة الفهم ، وما اقساها !

إنها معركة لا يخوضها اعظم النقاد الا وعليهم دروع ثقيلة يستعيرونها من مخزن التاريخ !

اعظم النقاد في العصر الحديث ، سنت بيف ، كتب عن الأدباء السابقين ، ابتداء من عصر النهضة الأوربية ، اكثر كثيرا مما كتب عن معاصريه ، ولا عجب ، فالكتابة عن المعاصرين مغامرة في الفهم لا يستعين فيها الناقد بالتاريخ ، بل يجلس التاريخ نفسه بين المتفرجين ، يسجل عليه أخطاءه .

وقد غلط سنت بيف غلطة مشهورة سجلها التاريخ عليه ، وذلك حين عجز عن فهم اعظم معاصريه ، بلزاك ، ومن ثم عجز عن وضعه في مكانه الصحيح ، الذى اثبته التاريخ ، بين سابقيه ولاحقيه .

● الكاتب وعالمه

من مثل هذه الغلطات أخاف ، ولا أخاف من غضب فلان أو فلان .

وقد تبينت ، بعد أن تورطت وانتهى الأمر ، فداحة المهمة التى ألقاها على عاتقي رئيس التحرير .

فأن تكتب نقدا حقيقيا عن معاصرين ، كثيرون منهم لا يزالون في اول الشوط او منتصفه ، نقدا حقيقيا لا مجرد تعريف ، أو انطباعات ، أو مجاملات ، تجربة تقرب من حدود

"المستحيل" الذي يتحدث عنه صديقي بدر الديب !

وقد كنت قدمت الى قراء العربية منذ نحو ثلاثين سنة مجموعة مقالات نقدية لواحد من المع النقاد الذين كتبوا للصحافة في عصرنا ، وهو تشارلس مورجان ، الذي ظل محررا ادبيا لجريدة التيمس اللندنية الوقورة المشهورة اكثر من عشرين سنة . أخترت هذه المجموعة من اربعة كتب له ، واعطيتها عنوانا اخر تلك الكتب "الكاتب وعالمه" . ولم اتنبه وقتها الى ان هذه المقالات كلها ليس فيها مقال واحد عن كاتب معاصر لمورجان . لا من الكبار ولا من الصغار ! هناك مقالات عن تورجنيف وتولستوى واميلي برونتي .



فاروق خورشيد

ولكن لا مقالة واحدة عن ولز او جالسورذى أو موم او برنارد شو . دع عنك لورنس او جويس . اقرب من كتب عنهم من الادباء الى زمنه هو ، الروائي توماس هاردي ، الذى يعد من الجيل السابق له ، وكان قد انصرف ، في الحقبة الأخيرة من حياته ، عن كتابة الرواية الى نظم الشعر .

لم اتنبه الى هذا في وقته ، ونسيته طول هذه المدة . فلما عرض على ان اكتب هذه المقالات النقدية ، تسرعت فوافقت ، والله غالب على أمره ، ولا ينجى حذر من قدر .

كم ياترى سارتكب من أخطاء الفهم ؟ وكم سارمى بخيانة الأصدقاء ، وكل الادباء ، في دائرتنا المغلقة ، أصدقاء فعليون او محتملون ؟

هل يسعدك هذا يارئيس التحرير ؟

وانت ياأخى فاروق ، هل يمكنك ان تنسى ، مؤقتا ، اننا صديقان ، وان تتذكر فقط انك ستتحول في يدى ، انت وادبك ، الى موضوع ، اجاهد بكل ما اوتيت من قدرة ، لافهمه وافسره للنفس ؟

إعلم انك قد تعد ـ كما وعد غيرك ! ـ ولكن هل تستطيع ؟

اقول : لعلك ـ انت الذى قاسيت ما قاسيت على أيدى الأعداء والأصدقاء ! ـ لعلك وقد توجت جائزة الدولة كفاحك الطويل العنيد ، تفكر في حسن نيتي ، ووعورة طريقى ، فتغفر لى بعض الاخطاء التى اعلم ـ مقدما ـ انتى سارتكبها في حقك وحق ادبك .. والى لقاء !

أقوال معاصرة


محمد سيد طنطاوى

- "فقهاء الاسلام اجازوا تنظيم الاسرة لحل مشكلة الاسكان"
الدكتور محمد سيد طنطاوى
مفتى الديار المصرية

- "الحياة فن يجب تعلمه"
الدكتور كمال الابراشي


د. على الراعى

- "السوق ظهرت مع فجر الحضارة، ليست اختراعا راسماليا"
ميخائيل جورباتشوف
رئيس الاتحاد السوفييتى

- "الحجاب تظاهر لا علاقة له بالدين او اليقين".
الدكتور ابراهيم بيومى مدكور

- "لقد راوغنا فيروس الايدز كثيرا، ولكنه لن يراوغنا طويلا"
يونس سلك
مكتشف مصل شلل الاطفال

- "حركة الترجمة تواجه ركودا مخيفا يهددنا بتبعية أخطر من التبعية السياسية"
الدكتور محمود مكى

- "المرأة عند نجيب محفوظ وليمة"
الدكتور على الراعى

جوليو اندريوتى


- "ابتداء من عام ١٩٩٣ - عام تحقيق الوحدة الاوربية - سنصبح نحن الايطاليين جميعا من اهل الجنوب "الصعايدة"
جوليو اندريوتى
رئيس وزراء ايطاليا

قصة الدكاترة زكى مُبارك

بقلم: كمال النجمى



تصدر سلسلة «كتاب الهلال» فى الشهر الحالى كتاب «اللغة والدين والعادات .. باعتبارها من مقومات الاستقلال» وهو بحث كتبه الأديب الكبير المرحوم الدكتور زكى مبارك منذ أكثر من خمسين عاما .. وفيما يلى المقدمة الجديدة لهذا الكتاب الذى مازال يحتفظ بطابع الحداثة ومسايرة العصر، رغم مرور نصف قرن على تأليفه ..

فى مثل هذا الشهر منذ تسعة وتسعين عاما ولد مؤلف هذا الكتاب ، الدكتور زكى مبارك رحمه الله ..

وكتابه هذا يصدر فى ٥ أغسطس أى فى اليوم الذى ولد فيه زكى مبارك سنة ١٨٩١ ، بعد ميلاد طه حسين وعباس محمود العقاد بسنتين فقط ، فهو أديب كبير من جيل كبار الأدباء فى مصر والعالم العربى الذين برزوا منذ العقد الثانى من القرن العشرين ، ومازال أثرهم باقيا ، ولن يزال ..

وهذا الكتاب «اللغة والدين والعادات» أنشأه زكى مبارك فى ظروف لم يتعرض لمثلها طه حسين ولا العقاد ولا أحمد أمين وأمثالهم من أدباء ذلك الجيل فهؤلاء كانوا فى غنى عن التقدم بكتبهم إلى «المسابقات الأدبية» طلبا لقليل أو كثير من المال يستعينون به على الحياة ، أما زكى مبارك فإن الحياة دفعته إلى التقدم بهذا الكتاب إلى مسابقة أدبية أقامتها الحكومة المصرية فى أوائل عام ١٩٣٦ وحددت لها بحوثا يكتب فيها المتسابقون ، كان من بينها بحث فى «اللغة والدين والعادات» باعتبارها من مقومات الاستقلال» .. وقد جذب هذا البحث بخصوصه أقلام عدد من نبهاء الأدباء ، من بينهم زكى مبارك .

● ملك الشعراء

كانت هذه المسابقة الأدبية التى سميت فى وقتها «المباراة الكبرى» تشمل الشعر والنثر ، واختار زكى مبارك ميدان «النثر» وترك ميدان الشعر ، مع أنه ـ رحمه الله ـ كان يسمى نفسه «ملك الشعراء» .. وإنه ابتعد عن الشعر فى تلك المباراة لأن الشعر فيها كان مقصورا على نظم «نشيد قومى» للعهد الجديد الذى أظل البلاد بتوقيع معاهدة سنة ١٩٣٦ ، ودخول مصر من باب الاستقلال التام فيما زعم دعاة تلك المعاهدة حينذاك ..

كان زكى مبارك منذ نشأته نصيرا لحزب مصطفى كامل ومحمد فريد (الحزب الوطنى) الذى جعل رأس مبادئه : لامفاوضة إلا بعد الجلاء ، ولهذا ابتعد عن الشعر لكيلا ينظم نشيدا للعهد الذى جاءت به معاهدة ١٩٣٦ ، تلك المعاهدة التى تمخضت عنها «المفاوضات» ولم تنص بنودها على الجلاء ! ..

وكانت جائزة كل موضوع من الموضوعات التى طرحتها الحكومة فى مباراتها الكبرى ، مائة جنيه ، وهى مبلغ جسيم من المال فى سنة ١٩٣٦ إذ كان الجنيه المصرى أقوى عملة فى «كتلة الاسترلينى» وكانت هذه الكتلة تهيمن على أسواق المال فى العالم .

ولعل زكى مبارك ـ بصراحته التامة المعهودة ـ هو الكاتب الوحيد الذى قدم بحثه إلى المباراة ، معترفا بأنه لو ظفر بالجائزة لعادت عليه بأجزل النفع فى ضائقته التى ضاق بها ذرعا لطول أخذها بخناقة ، وملازمتها له ملازمة المحب لحبيبه ! ..

وكان من عادة بعض أدباء ذلك العصر أن ينشروا موضوعاتهم أو قصائدهم قبل أن تنظر فيها لجان التحكيم ، وكانت الفترة الممتدة من أول العشرينات إلى آخر الثلاثينات أحفل الفترات بالمباريات الأدبية ، وامتد أثر هذه الفترة إلى ماتلاها من السنين حتى أوائل الخمسينات وكانت لجان التحكيم معروفة بالكفاءة والأمانة فى أغلب الأحوال ، ولكن كبار الأدباء والشعراء كانوا يستنكفون من دخول هذه

قصـــة
الدكاترة زكي مبارك

المباريات إلا إذا ضمنوا نتائجها ، كما حدث عندما تقدم أمير الشعراء أحمد شوقي إلى إحدى مباريات العشرينات بنشيده الوطني الذي بدايته : «بني مصر مكانكم تهيأ» .. فقد تعهدت لجنة المباريات بفوز النشيد لكيلا يحجم أمير الشعراء عن دخول المباراة .. وفاز النشيد بطبيعة الحال .

الا أن الفقراء من كبار الادباء والشعراء أمثال زكي مبارك ومصطفى صادق الرافعي كانوا يتحاملون على كبريائهم ويدخلون هذه المباريات معرضين أنفسهم للوقوف في صفوف عامة أهل الادب ، عسى أن يظفروا بشيء من المال يسد خلة في حياتهم لايسدها أدبهم ولا علمهم ...

ولكن كيف عاش زكي مبارك لايجد كفاية العيش من عمله في التأليف والصحافة والتدريس بينما استطاع أنداده أن يلتحقوا بطبقة المياسير مع انه لم يكن يقل عنهم غزارة إنتاج ولا استفاضة شهرة ولا تزودا بالشهادات الجامعية العليا ؟ ! ..

عاش زكي مبارك قرابة ستين عاما وتوفي قبل إحالته إلى التقاعد بأشهر قلائل سنة ١٩٥٢

وحياته بدأت في سنتريس من قرى محافظة المنوفية وعرف في صباه العمل في الحقل بعد فراغه من دروس « الكتاب » .. وكان والده الشيخ عبد السلام مبارك محبوبا في القرية مشهودا له بالصلاح والتقوى مواظبا على واجباته في الطريقة الصوفية التي ينتسب اليها ..

● السير في طريق التصوف

ومن كُتّاب القرية انتقل الطفل محمد زكي عبد السلام مبارك إلى القاهرة والتحق بالازهر وهو فوق الخامسة عشرة من عمره وترانيم مجالس الصوفية التي حضرها مع والده ترن في سمعه وفي خلده وتدعوه إلى مواصلة السير في طريق التصوف في القاهرة مقتديا بهذا الشيخ المتصوف أو ذاك من شيوخ الأزهر ..

يقول زكي مبارك :

"في سنة ١٩١٢ وأنا طالب بالأزهر رغبت في صحبة الصوفية فأخذت انتقل من ناد إلى ناد حتى تعرفت إلى رجل فاضل من أساتذة الازهر كان يومئذ من كبار الصوفية فأخذت عليه العهد وبدأت اقوم بالأوراد على طريقة الشاذلية .. وفي سنة ١٩١٥ رآني ذلك الشيخ صالحا للأستاذية في الطريق فأضاف اسمي إلى قائمة الخلفاء وصار لي في سنتريس وفي غيرها مريدون وأتباع" .

هكذا صار الطالب الأزهري زكي مبارك من خلفاء الطريقة الشاذلية وسار في ركابه المريدون والاتباع .. وعاش متصوفا مخلصا حتى تشب بينه وبين شيخه الكبير خلاف حاد اذ اتهمه الشيخ بالخروج عن تعاليم الطريقة ! ..

ولا ندري هل أقصاه الشيخ عن حلقات الطريقة ومجالسها أم انصرف هو عنها زاهدا فيها ولكن من الواضح أنه مضى عن الطريقة ساخطا عليها وافرغ سخطه

فى كتاب شرع يؤلفه منذ ذلك الحين عن "الاخلاق عند الغزالى" ..

وللغزالى عند المتصوفة مقام عظيم اغرى زكى مبارك بأن يجعله هدفا لسهامه فتجنى عليه كل التجنى ولم يراع ان المتصوفة وسائر المتدينين يسمونه "حجة الاسلام" ويبجلونه كل التبجيل فكان ذلك سببا لحملة كثير من الازهريين على زكى مبارك واتهامهم له بالمروق عن سواء السبيل .

● احلام وجهاد مع العلم

انصرف زكى مبارك عن التصوف والصوفية ، وتفرغ لدراسة الادب والشعر فى حلقة العالم الازهرى الاديب الشيخ سيد المرصفى ، الذى بفضله عرف زكى مبارك الادب والشعر ، وقرر ان يكون شاعرا واديبا ، وسلك بالفعل طريق الادباء والشعراء .

يقول زكى مبارك عن شيخه سيد المرصفى :

"كان الشيخ خافت الصوت ، فكنت ابكر الى درسه لاقترب منه ، وكنت اكتب كل ما ينطق به ، حتى جمعت من دروسه ثلاثين كراسة ، هى اليوم انفس ما املك من ذكريات الازهر الشريف ! .. فان كان من بين آلاف القراء قارىء واحد استطاب ما اكتب ، فليذكر ان الفضل فى ذلك يرجع الى تشجيع الشيخ سيد المرصفى طيب الله ثراه" ..

واتسعت احلام زكى مبارك ، وصار حلمه الاكبر ان يصبح مفتيا للديار المصرية ، ولكنه وجد نفسه مسجلا فى الازهر مع اصحاب المذهب الشافعى ، فنقل نفسه الى المذهب الحنفى ، لان مفتى الديار المصرية لا يكون الى على



زكى مبارك

المذهب الحنفى ، مذهب الدولة العثمانية والحكومة المصرية ! ..

ولكن زكى مبارك بدأ يتخلى عن حلمه فى مشيخة الافتاء عندما فتحت الجامعة المصرية "الاهلية" ابوابها قبل الحرب العالمية الاولى ، ورأى زكى مبارك زميله الازهرى طه حسين يلتحق بهذه الجامعة ويحصل منها على شهادة اسمها "الليسانس" وقد استغنى بها عن شهادة "العالمية" التى فاته الحصول عليها من الازهر ، ثم رآه يفوز بشهادة اسمها الدكتوراه يهز اسمها برنينه الاسماع والقلوب !

لم يلتحق زكى مبارك بالجامعة الا سنة ١٩١٦ ، وترك الازهر قبل ان يحصل على "العالمية" وهو يومئذ فى الخامسة والعشرين من عمره ، موزع الفكر والفؤاد بين الصحافة والشعر والادب والجامعة وشهاداتها ذات الاسماء الرنانة .

قصة
الدكاترة زكي مبارك

وحين تقدم زكى مبارك لامتحان الليسانس فى الجامعة اسقطه الدكتور طه حسين ، فتقدم مرة ثانية فاسقطه ايضا .. ثم نجح في الثالثة واخذ يتم ابحاثه التى كان قد بدأها منذ سنوات حول "الاخلاق عند الغزالي"

وتبدت تباشير ثورة ١٩١٩ فسارع اليها زكى مبارك تحت راية "الحزب الوطنى" .. ثم تحت راية "الوفد المصرى" بزعامة سعد زغلول ، وعرف طريقه الى منبر الازهر ، فكان من خطباء الثورة ، ثم كان من نزلاء المعتقل الذى اقامه البريطانيون للنشطاء من مؤيدى الثورة

وفى سنة ١٩٢٤ ظفر بدرجة الدكتوراه من الجامعة عن كتابه فى "الاخلاق عند الغزالى" .

والظاهر ان زكى مبارك كان له مثل اعلى هو "استاذه" الدكتور طه حسين .. وقد رآه يبنى مجده على شهادة الدكتوراه التى نالها من باريس ، فقرر ان ينال من باريس هذه الشهادة ! ..

ترك زكى مبارك زوجته وبنيه فى مصر وسافر الى فرنسا فى مارس سنة ١٩٢٧ وليس فى جيبه الا قليل من المال ، ووعد من صاحب جريدة "البلاغ" - عبدالقادر حمزة - بان يرسل اليه كل شهر بعض النقود ، لقاء مقالات يبعثها اليه من باريس لتنشر فى الجريدة ..

مكث زكى مبارك فى باريس خمس سنوات عجاف يناضل فى سبيل "الدكتوراه" التى ناضل فى سبيلها طه حسين من قبل ، الا ان طه حسين كان يتلقى راتبا من الجامعة ، اما زكى مبارك فلا يتلقى إلا ما تجود به جريدة "البلاغ" وهو اقل من القليل فى باريس ، مدينة النور ! ..

ولولا ان زكى مبارك كان يعود الى مصر فى الاجازة الصيفية كل عام ، لما استطاع ان يواصل حربه "المقدسة" فى سبيل الدكتوراه من باريس ..

لقد شقى زكى مبارك فى سبيل هذه الدكتوراه الباريسية ، ولولا صدق عزيمته لفر هاربا من تكاليفها الباهظة ، ومن قسوة البؤس الذى انزلته به ، وقد كنا نحفظ فى صبانا مقطوعة له قالها يخاطب باريس فى تلك المحنة ، وهى من احسن شعره :

يا جنة الخلد كيف يشقى
فى فلك النازح الغريب
النفس فى لهوهم نشاوى
ودمعه دافق صبيب
يقتات اشجانه وحيدا
فلا صديق ولا قريب
اقصى امانيه حين يُمسى
ان يهجع الخفق والوجيب

هذه الابيات حفظناها من "مجلة الهلال" التى نشرتها بعد عودة زكى مبارك ببضع سنوات ، وكنا نتناقلها اعجابا برقتها وشجنها ! ..

كانت دكتوراه باريس هى الدكتوراه الثانية فى حقيبة زكى مبارك بعد الدكتوراه الاولى التى حازها من الجامعة المصرية القديمة .



زكي مبارك وحوله مجموعة من الاساتذة منهم محمود شعبان عبد الرحمن الخطيب، اسماعيل طه ، طه سرور واحمد رامى

ولكن زكى مبارك لم يكف عن طلب شهادات الدكتوراه بعد عودته من باريس فى مارس سنة ١٩٣١ ظافرا بدكتوراه السربون ..

وشرع من فوره يعد رسالة الدكتوراه الثالثة ، ليأخذها فى هذه المرة من الجامعة المصرية الجديدة التى شيدت مبانيها فى الجيزة ..

وكما كانت رسالته ايام الجامعة القديمة عن التصوف او الاخلاق عند الغزالى ، كانت رسالته الثانية عن التصوف ايضا ، واهتبلها فرصة لتعديل اراثه القديمة عن الغزالى ، تلك الاراء التى اثارت عليه المتصوفة ومريديهم ! .

وفى سنة ١٩٣٧ عاد زكى مبارك الى الجامعة طالب علم وباحثا مجتهدا يسأل الاساتذة ان يمنحوه الدكتوراه ، فلم يبخلوا عليه بها ، واجتمعت فى حقيبته ثلاث من هذه "الدكتوراه" وحق له عندئذ ان يسمى نفسه "الدكاتره زكى مبارك" .. فقد كان وحيد عصره بين اقرانه قلما يحمل من اوراق هذه الشهادة الساحرة !..

كيف جرت المقادير بعد ذلك بهذا الرجل الذى جعل شعاره ان يطلب العلم من المهد الى اللحد ، وان يحتفظ بروح "التلميذ" الخالد ، وان بلغ درجة الاستاذية الكبرى ؟! ..

قصــــة
الدكاترة زكى مُبارك

كان زكي مبارك وعارفو فضله يأملون ان تفتح له الجامعة المصرية ابوابها مرحبة به استاذا بين اساتذتها . ولكن الجامعة لم تطق صبرا على هذا الدكتور العنيف الذى ينطبق عليه قول الحكيم العربى القديم "ان قول الحق لم يدع لى صديقا" ..

فهو دائم التحفز للمعارك الادبية ، ومقالاته فى "البلاغ" وغيرها من الصحف ، لا تحابى صديقا ، ولا تخشى عدوا ، كانما هو سيف مُصْلَتٌ على الرقاب بلا حساب ! ..

ووجد زكى مبارك نفسه متوحدا يحارب من اجل مكان له تحت الشمس ، ولكن اصدقاءه واعداءه جميعا يتهمونه بالعنف وبداوة الطبع ، ولا يمدون يدا لمناصرته فيما يطلب من حقه .. فرد عليهم يقول : "ان بداوة الطبع التى كثر الكلام فى ذمها وتجريحها لم تكن من المثالب الا فى كلام الشعوبية ، وهم قوم ارادوا الغض من الشمائل العربية ، فكيف ينكر على رجل مثلى ان يظل بدوى الطبع فى زمن توارت فيه الصراحة وكثر تنميق الاحاديث ؟!"

ودخل زكى مبارك معارك ادبية ملتهبة مع جميع ادباء عصره المعدودين ، واولهم الدكتور طه حسين الذى اعتبره زكى مبارك عدوه الاكبر لانه حارب حقه فى الجامعة واخرجه منها وطارده حتى فى عمله المتواضع بالتدريس فى المعاهد الفرنسية بمصر ، وتستطيع ان تضم الى اسم طه حسين اسماء مشاهير الادباء جميعا فى عصر زكى مبارك ، فليس فيهم من لم يهجم عليه زكى مبارك اعنف هجوم ، ومن بين هؤلاء العقاد والمازنى ومصطفى صادق الرافعى واحمد زكى باشا واحمد امين وسلامة موسى وعبدالعزيز البشرى وغيرهم ..

كانت مشكلة زكى مبارك ان الجامعة ، ووزارة المعارف قد اهدرتا حقه فى كرسى الاستاذية بالجامعة ، واضطره ذلك الى الالتحاق بوظائف فى وزارة المعارف لا تناسب مكانته العلمية التى تعززها ثلاث شهادات للدكتوراه من الجامعة المصرية والسربون .

وفى هذه الظروف المضطربة ، جاءت المباراة الادبية الكبرى فتقدم اليها املا فى جائزتها ، وطبع على نفقته كتابه هذا قبل ان تنظر فيه لجنة التحكيم ، وانتظر ان تقدره هذه اللجنة حق قدره بعد ان يئس من تقدير الجامعة والحكومة وتقدير معاصريه من كبار الادباء ..

وكانت نتيجة التحكيم مفاجأة له ، فان اللجنة قسمت الجائزة بينه وبين ادباء اخرين ، فلم ينل من المائة جنيه ما يساوى نفقات طباعة كتابه ، وهكذا خسر هذه المعركة ايضا !

ولكن كتبه كانت تلقى رواجا عند القراء ، فلعله استرد من "توزيع" هذا الكتاب ما غطى نفقاته بعد تلك الخسارة .. وقد كان من عادته ان يطبع كتبه على نفقته ، ولا ندرى كيف استطاع ان يطبع اكثر من اربعين كتابا بهذه الطريقة ، من بينها كتبه المشهورة "عبقرية الشريف الرضي" و

"ليلى المريضة فى العراق" .. و"التصوف الاسلامى" .. و"النثر الفنى" .. و"مدامع العشاق" .. و"الاسمار والاحاديث" .. و"حب ابن ابى ربيعة" ، وغيرها .

وفى سنة ١٩٣٨ سافر زكى مبارك الى بغداد ليعمل بالتدريس فى دار المعلمين العليا هناك ، وترك وظيفته فى القاهرة غير أسف عليها فقد كان يعمل فيها بعقد مؤقت ، وامضى فى بغداد سنة واحدة كانت خيرا وبركة عليه وعلى الادب ، ولكنه حين عاد الى مصر قبيل الحرب العالمية الثانية وجد نفسه ينغمس من جديد فى معركته الطاحنة التى فرضها عليه الناس او فرضتها عليه الايام ..

● صرخات بلا مجيب !

ومرة اخرى اخذ يتطلع الى حقه السليب فى الجامعة ، ويثور على وظيفته المؤقتة فى تفتيش المدارس الفرنسية بمصر .. وكانت صراحته تقطع رزقه ـ على حد قوله ـ ولم ينتفع بشىء من نضاله المستميت ، ولبث منذ عودته من بغداد الى يوم وفاته يرسل صرخاته فى واد سحيق بلا سميع ولا مجيب ! ..

وتملك الاسى والخوف من الحياة هذا الرجل الذى كان لا ياسى على شىء ولا يخاف من شىء ، وصار كل شىء عنده ككل شىء ، وصفرت كفاه من الثمرات التى ظن انه سيظفر بها حين كان يملؤه الامل الكبير فى شبابه وفى ايام نضاله بين سنتريس والقاهرة وباريس وبغداد ..

وفى السنوات الثلاث الاخيرة من حياته ـ رحمه الله ـ كنت اراه ليلا او نهارا جالسا الى مائدة مستديرة خشبية فى مقهى بميدان التوفيقية على مقربة من نزل "بنسيون" كنت اقيم فيه حينذاك بشارع سليمان باشا بالقاهرة ..

كان الشراب سلواه فى ذلك المأزق الضنك الذى وجد نفسه فيه ، وقد قارب سن الستين ، فلزم مقهاه او مشربه لا يريم ، كأنه حصنه الحصين ! ..

ولما توفى فى ٢٣ يناير ١٩٥٢ نشرت الصحف نبأ وفاته فى اسطر قلائل ، واندلع حريق القاهرة فى ٢٦ يناير ١٩٥٢ فابتلع النبأ ، وانقضى الحديث عن زكى مبارك قبل ان يبدأ ، ولقى الرجل العظيم فى مماته من سوء الحظ ما لقى فى حياته !

وبعد ..

فليست هذه الا ومضة خاطفة من الضوء الوهاج الذى كان يحيط باسم زكى مبارك فى ايام مجده وسعده وليس كتاب "اللغة والدين والعادات" ـ على اهميته وطلاوته ـ الا نفحة واحدة من نفحاته التى تستحق ان تملأ الدنيا وتشغل الناس ، لو انصفها الزمان ، ولم يتنكر لها كما تنكر لصاحبها طوال حياته ..

وليس القارىء بحاجة الى دليل يقوده بين سطور كتاب "اللغة والدين والعادات" فانه من البساطة بحيث يتنقل فيه سالكه بغير دليل ، ولكننا ـ فى هذه المقدمة ـ انما اردنا ان نقول كلمات نحيى بها ذكرى هذا الكاتب الكبير ! ..

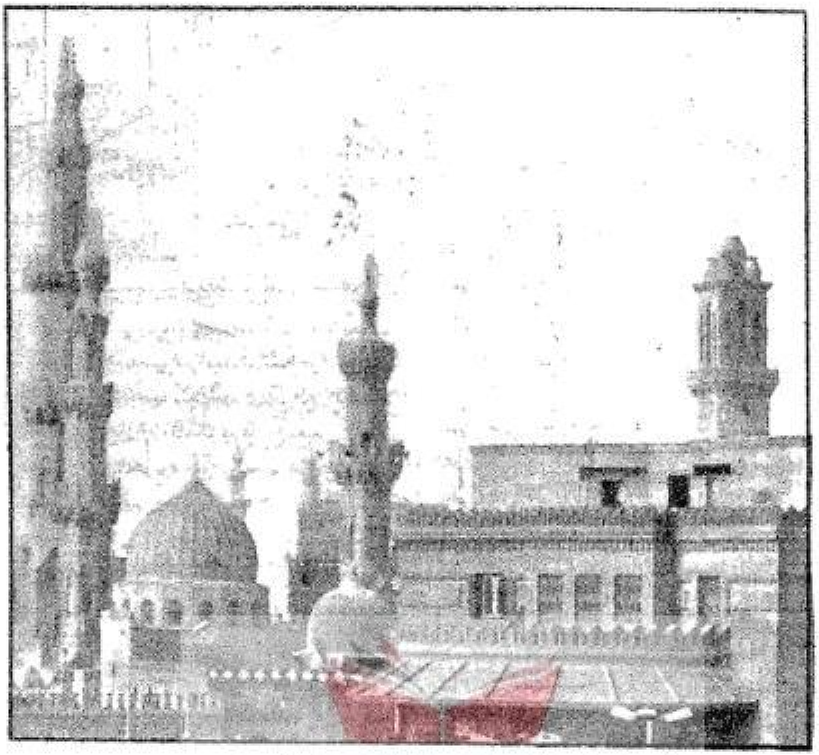


المعاهد الدينية

● من مذكرات الدكتور
ابراهيم بيومي مدكور

يواصل الدكتور ابراهيم مدكور رواية تجربته وتسجيل مذكراته حول الحياة الثقافية ، ويستعرض في هذه الحلقة دور الأزهر الشريف في حياتنا الفكرية ، وإنشاء دار العلوم ومدرسة القضاء الشرعي ، ويحذر من ثنائية التعليم ، بين تعليم ديني وتعليم مدني ، والتي تحولت هذه الأيام إلى ثلاثية جديدة بعد إضافة مدارس اللغات .
ويطالب بأن تنتهي من حياتنا الفكرية الطائفية الثقافية .

انشيء الأزهر في منتصف القرن الرابع الهجري ، وأريد به أساسا أن يكون مدرسة مذهبية تعنى بتكوين الدعاة والمرشدين ، الذين يوجهون إلى مختلف الأقطار . وقد نجح الفاطميون في شيء . من ذلك . وتوسع الأزهر حينذاك في دراسته الدينية واللغوية ، واضاف إليها قدرا من الدراسات العلمية والفلسفية ، وما أن استولى صلاح الدين على مصر حتى أخذ الدرس الأزهري ينحو نحوا آخر . وقام بخاصة على دراسة الفقه والتوحيد وعلوم النحو والصرف ، وافسح المجال لشيء من دروس الفلسفة والمنطق ، وكانت دعامته الأولى المذهب السني ، لم يقف في الفقه عند مدرسة بعينها ، بل كان فيه درس الفقه الشافعي ، وآخر للفقه المالكي ، وثالث للفقه الحنفي ، الى جانب الفقه الحنبلي .



الأزهر أولاً مدرسة مذهبية

ما أخشاه أن ينتهي بنا الحال إلى طائفية ثقافية !

يقول أرسطو : يجب أن نعيش قبل أن نتفلسف !

من مذكرات د . ابراهيم بيومي مدكور



● واتسمت دراساته الكلامية بالعناية بالمذهب الأشعرى ، مع التعرض لقدر من آراء الماتريديه وبعض الفرق الكلامية الأخرى ، وفى ذلك مافتح أبوابه لطلاب العلم من المصريين والاجانب الوافدين من الأقطار العربية والاسلامية ، وبخاصة من يستمسكون بالمذهب السنى . وأعدت مساكن وأروقة لهؤلاء الطلاب الوافدين من شاميين وعراقيين أو مغاربة بين تونسيين وجزائريين ، وبعض أبناء المغرب الاقصى . فكان يسهم مع جامع الزيتونة فى تونس والقرويين بفاس فى نشر التعاليم السنية ، وكانت له ، دون نزاع ، قيادة بين هذه المعاهد الكبرى ونستطيع أن نقول أنه احتفظ بهذه التعاليم ، وكان سندا للحكم العثمانى .

وقام منهجه فى الدرس على أساس من نصوص متفاوتة فى حجمها وأسلوبها ، فكان أصغرها يسمى متنا ، يحاول المعلقون والمفسرون أن يوضحوه ، وكثيرا ما حظى المتن الواحد بعدة شروح من معلقين فى عصور متلاحقة . ولم يقف الأمر عند المتون والشروح ، بل امتد فى الحواشى والتقارير ، فكان هناك شيوخ تبحروا فى العلم والمعرفة ، اطلعوا على الشروح المختلفة واستخرجوا منها جميعا تعليقات سموها "حواشى" وتجىء بعد هذا مرتبة أخرى ، هى مرتبة التقارير .

وإذا تتبعنا تاريخ الدرس الأزهرى وجدنا أن هناك أناسا وقفوا عند المتون والنصوص الأولى ، وآخرين جاوزوا هذا وعنوا بالشرح والتعليق فى صورهما المختلفة التى أشرنا اليها . ومن بين هذه النصوص ، ماجاء نثرا ومنها ما جاء نظما ، رغبة فى تيسير حفظه ، وقد يصل الأمر فى النصوص النثرية الى ضغط وتركيز يجعل منها رموزا وأساليب معقدة ، لا يمكن الوصول الى مغزاها الا بالوقوف على شرح موضح لها ، أخذ الأزهر بهذا المنهج منذ القرن السادس للهجرة ، ونما على مر الزمن .

● العناية بالشكل

وواضح أن هذا المنهج من التعليم والتدريس يقوم على الأخذ والرد . وتحليل الالفاظ والعبارات (وتشقيق الكلام) كما يقولون . وقد سمى أسلوب : (فإن قلت قلت) وهو بهذا يعنى بالشكل أكثر مما يعنى بالموضوع ، ويقف عند المنطوق أكثر من وقوفه عند المفهوم ، وفيه مافيه من تكرار وضياع للوقت ، وإن لاءم الماضى فإنه لايلائم الحاضر . وقد كان طلاب الأمس يعدونه عبادة ، ولا يترددون فى أن يقفوا حياتهم عليه أما أبناء القرن العشرين فوقتهم أضيق . وأهدافهم أفسح ، وهناك علوم ودراسات نشعر بالحاجة الماسة إليها ، ولم يمنحها الدرس الأزهرى فى القرون الأخيرة ما تستحق من عناية كالتاريخ والجغرافيا بين العلوم الانسانية ، أو كالكيمياء والصيدلة والطب بين العلوم الطبيعية ، أو كالجبر والهندسة بين العلوم الرياضية .

وكان لابد أن يتطور التعليم الأزهرى تطورا يتمشى مع روح العصر ، وقد سلك فيه مسلكان ، أولهما : جوهرى يعنى بالمنهج والطريقة ، وينحو فيهما منحى حديثا ، ويجارى العلم فى نموه وتطوره ، وانشىء لذلك معهدان منفصلان مستقلان تقريبا عن الأزهر وادارته ، وهما مدرسة دار العلوم فى أخريات القرن الماضى ، ومدرسة القضاء الشرعى فى أوائل هذا القرن ، وكان الاستاذ الامام من دعاة هذين المعهدين ومن مؤيديهما وسنعرض لهما فى تفصيل .

ويبدو أن رجال الأزهر لم يطمئنوا إلى هذا التطوير ، ولم يرحبوا به ، وكأنما عدوه إنكارا لطريقتهم ، وانتزاعا لشىء يدخل فى حوزتهم ، ولهذا نحو تطوير آخر اقرب إلى الشكل منه الى الموضوع ، وذهبوا إلى فكرة المعاهد الدينية . وتقوم على أساسين هامين اولهما : تقسيم التعليم الأزهرى إلى مراحل متلاحقة ، يخطو فيها طالب العلم خطوات تمهد كل واحدة منها للتى تليها .

وثانيهما : وضع نظام ثابت للقبول فى هذه المراحل ، ونشأ عن ذلك ما سمى "الأقسام النظامية" وفى ذلك إشارة الى الدرس الحر الطليق الذى كان يقوم به شيوخ مختلفون لكل واحد منهم حلقته التى يقصدها طلابه والراغبون فيه دون تقيد بإثبات حضور أو غياب ودون خضوع لامتحان معين عاما بعد عام ، وإنما كان يتم هذا الامتحان فى آخر المطاف للحصول على ما كان يسمى (شهادة العالمية الأزهرية) .

وبعد أن أنشئت المعاهد الدينية ،



الشيخ المراغى



الشيخ محمد عبده

أصبحت هناك أقسام أولية وأخرى ثانوية وثالثة عالية ، ولكل قسم امتحاناته وشهاداته ، وكانت هذه المعاهد أيضا موزعة بين المساجد المختلفة ، ولكل مسجد طلابه والمقيدون فيه .

وقدر لى فى أوائل العقد الثانى من هذا القرن أن التحق بهذه المعاهد ، فمررت بمسجد ابراهيم أغا الذى خصص لطلاب السنة الأولى ، ثم أنتقلت الى مسجد السيدة "فاطمة النبوية" لطلاب السنة الثانية ، وانتهيت أخيرا الى جامع "المارداني" لطلاب السنة الثالثة ، ثلاث سنوات كاملة ، حرصت عليها ، وتابعت فيها الدرس ما استطعت ، وكانت تقوم أساسا على الاستماع . واستطيع أن أقرر أنها تركت فى نفسى بصمات ملحوظة فى تفهم التعابير ، واستخلاص ما يمكن استخلاصه منها . ولكن الحصيلة الفكرية والثقافية كانت أقل من الزمن الذى ننفق فيها .

● دعوة للبحث

ومهما يكن من امر ، فإنه أريد بهذه المعاهد أن تعد للدرس الأزهرى العالى إعدادا منسقا يعود طلابه على النظام ، ويفتح أمامهم آفاق البحث والدرس .



وقصرت هذه المعاهد في البداية على القاهرة حيث يوجد المركز الرئيسي للتعليم الأزهرى فعدت بذلك حلقة لازمة من حلقات التعليم. ولكن لم يلبث الزمن أن خرج بها عن هدفها الاول. وأصبحت أشبه ما تكون بمعاهد تعليم عامة تنشأ فى المدن الكبرى والصغرى على السواء ونمت على مر الزمن حتى جاوزت المئات واسهمت فيها الجهود الذاتية ما وسعها وقادتنا الى ثنائية فى التعليم سبق ان لاحظتها وبينت انه لايمكن ان يقوم التعليم العام فى بلد على ثنائية من هذا النحو، ذلك لاننا نريد أن ننشىء وحدة ثقافية وفكرية لدى أبناء الوطن جميعا، ونربى المواطنين تربية واحدة دينيا وعلميا، فكريا وثقافيا، منعا للبلبلة والطائفية الثقافية.

ولم يفتنى أن اعرض المشكلة على الاستاذ الاكبر المرحوم الشيخ (محمد مصطفى المراغى) ويقتضينى الانصاف أن أقرر انه اتفق معى كل الاتفاق وإن لم يطل به الأجل ليحقق هذه الوحدة. وقد وضعت أمامه القضية على الأساس الآتى، وهو: أن الناشىء المصرى يجب أن يثقف ثقافة دينية، الى جانب ثقافته العصرية في نواحى المعرفة المختلفة وعلى هذا فالرسالة الدينية مطلوبة في المدرسة الابتدائية والثانوية بقدر ماهى مطلوبة فى المعاهد الدينية، ولا محل لأن يكون بيننا تعليم ديني وآخر مدني، ولم تعرف هذه الثنائية فى التعليم الاسلامي من قديم. واذكر أن فرنسا عانت حتى أوائل هذا القرن من خصومة بين التعليم الديني والمدنى، وانتهى أحد وزرائها -(بريان) الى هذا التوحيد الذى يعتبر دعامة أساسية فى كيان الأمة.

ثنائية التعليم

عقدت منذ أربعين سنة ندوة فى الجمعية الجغرافية لمعالجة هذا الموضوع، وتولى المرحوم لطفى السيد رياستها، وأشترك فيها المرحوم الاستاذ/ اسماعيل القبانى، أحد كبار رجال التعليم حينذاك، ودار النقاش حول التقابل بين التعليم المدنى والديني، وانتهى الرأى الى اننا في حاجة ماسة الى ان نجمع بين هذين الطرفين.

ولكننا - مع الأسف الشديد - وقعنا تحت ضغط الاقبال على التعليم - فى الاسراف فى هذه الثنائية، وتنافس الأفراد والهيئات فى إنشاء معاهد دينية الى جانب المدرسة الأميرية المجاورة فى القرية والمدينة على السواء. وكم يذكرنى هذا التنافس بتنافس آخر عرفته (لبنان) منذ نصف قرن أو يزيد فى التقابل بين ما سمى "الجامعة الأمريكية" و "الجامعة اليسوعية" فحين ينشأ فرع لاحداهما لاتتردد الأخرى فى إنشاء فرع مقابل فى المكان نفسه.

وأعتقد انه آن الأوان، لأن ننظر فى

هذه المشكلة نظرة جادة ، ونهيىء للنشء المصرى تعليما عاما واحدا وشاملا ، اما التخصص فلكل أن ينهج فيه النهج الذى يرغبه ، وأنا لا أقبل من ناشىء مصرى أن يجهل أصول دينه ، كما لا أرضى منه أن يغفل عن متطلبات العلم والحضارة المعاصرة .

ولايفوتنى أن أشير الى أن هناك ـ الى جانب هذه الثنائية "المدارس الخاصة ، من انجليزية وفرنسية والمانية ، وانضمت اليها أخيرا مدارس اللغات ، وما أجدرنا أن يطبع هذا كله بطابع قومى ووطنى واحد ، فهل نجد الشجاعة الكافية للأخذ بهذا التوحيد ليكون نشء الوطن على أساس من ثقافة واحدة وفكر متسق ؟

● الكليات الأزهرية

قام الدرس الأزهرى – حتى أوائل القرن الحالى – على الحرية المطلقة والاختيار التام ، حرية الشيخ فى تحديد موضوعه ، ومكان درسه وزمانه ، وتعددت الكراسى والحلقات تبعا لتعدد الشيوخ ، اما الاختيار فكان تاما بالنسبة لطلاب العلم ، يتجهون نحو الحلقة التى يريدونها دون فرض أو توجيه ، ودون حساب على غياب أو حضور ، فكانت الرغبة هى الباعث الحقيقى لمتابعة الدرس والافادة منه ويقدر ما اتسعت حلقات ، ضاقت حلقات أخرى ، والتاريخ يذكر حلقة الاستاذ الامام او الشيخ "محمد بخيت" فى الرواق العباسى . ولم يكن ثمة امتحان نقل ولا امتحان شهادة ، اللهم إلا الشهادة العالمية التى ماكان يجرؤ طالب على أن يتقدم لها الا بعد مضى خمس عشرة سنة ، وبين الطلاب الأجانب والمصريين عدد غير قليل كان يكفيه أن يحصل على قدر من الدرس والتعلم ، دون أن يطمع فى الحصول على الشهادة النهائية ، ولم يحرمه هذا من أن يباهى بأنه من طلاب الأزهر وعلمائه .

وقد قام هذا الدرس أساسا على النصوص وتحليلها ومناقشتها ، مختصرة تارة فى صورة متون ، أو مفصلة تارة أخرى فى صورة شروح ، أو حواشى ، أو تقارير .

● العناية بالمضمون

ولم يكن بد من أن نعيش فى القرن العشرين ، وأن نعالج الأمور فى تفتح وإدراك أدق وأعمق ، وبدا أنه لابد من النظر فى شئون التعليم بذلك المعهد العتيق ذى التاريخ الطويل ، والذى خرج رجالا كان لهم بصمات فى حياتنا الفكرية والثقافية ، وإن فاته أن يعد جماهير المتعلمين لحياة العصر الحديث ، ويظهر أن الامام "محمد عبده" كان يرى معالجة الموقف من طريق محاذ للطريق المألوف ، وأراد به أن يغذى من طلاب الأزهر على أن يعرض عليهم الدرس والبحث فى صورة أكثر طلاقة وأدق تنظيما وأوسع أفقا ، فناصر فكرة انشاء "مدرسة دار العلوم" فى أخريات القرن الماضى ، واتجه فى اوائل هذا القرن نحو فكرة "مدرسة القضاء الشرعى" وما هاتان المدرستان إلا امتداد للتعليم الأزهرى على أن ينقح ويهذب ، ويعرض بلغة العصر وروحه ، وعلى أن تضاف اليه مستحدثات العلم الحديث .

- وسارت المدرستان فى طريقهما ، وقدر

من مذكرات
د . ابراهيم بيومي مدكور



لدار العلوم حياة طويلة مستمرة ، واحتفل بعيدها المئوى منذ سنين ، وعدلت مناهجها وموادها غير مرة ، وهى اليوم كلية من كليات جامعة القاهرة . أما مدرسة القضاء فلم تعمر إلا نحو عشرين عاما ، وقد أشرنا من قبل الى شىء من تاريخها .

وحاول آخرون أن يواجهوا الموقف من داخل الأزهر نفسه ، وفى مقدمتهم المرحوم الشيخ "محمد شاكر" الذى يرجع اليه الفضل فى إنشاء الاقسام النظامية بالأزهر : لم يغلق باب الدرس الحر الطليق فى داخل الأزهر ، ولكنه انشأ إلى جانبه درسا منظما فى المعاهد الدينية يختار طلابه ويحاسبون على حضورهم وغيابهم ، ويمتحنون فى آخر العام ، رجاء أن ينقلوا الى السنة التالية ، وكان لهذه المعاهد مراحل ابتدائية ، وثانوية ، وعالية لكل مرحلة شهادتها فالابتدائية الأزهرية تقابل الابتدائية المدرسية . والثانوية الأزهرية تقابل شهادة التعليم الثانوى ، والشهادة العالية فى نهاية القسم العالى .

وسارت المعاهد الدينية فى طريقها ، وأضافت بعض العلوم الحديثة الى المواد التقليدية من علوم نقلية : كالفقه والتفسير والحديث . أو علوم لغوية : كـالنحو والصرف والبلاغة . أو علوم عقلية : كالتوحيد والمنطق . وانصبت العلوم الحديثة على التاريخ والجغرافيا والكيمياء والحساب والجبر والهندسة .. ونمت المعاهد الدينية وامتدت الى كثير من مدننا الكبرى .. ولم يبق مجال فسيح للدرس الأزهرى الحر القديم الذى انصرف عنه طلابه الى المعاهد النظامية .

● التحرر والرغبة فى التخصص

وأحس المرحوم الاستاذ (المراغى) أنا بعدنا عن الثقافة القديمة المتعمقة ، ورأى أن يعالج هذا عن طريق تخصصات فى كليات تغذى من المعاهد الدينية ، وبدأ فيها بكلية الشريعة التى تعنى بدراسة الفقه والتفسير والحديث .. وكانت معهدا لتخريج القضاة الشرعيين والمحدثين والمفسرين ، والتحق بها من حصلوا على الشهادة الثانوية من المعاهد الدينية ، ليكملوا دراستهم اربع سنوات ، يحصلون بها على شهادة العالمية ، وقد عنيت هذه الكلية بعلوم المنقول .

وأسست كلية أخرى تعالج علوم المعقول ، وهى كلية "أصول الدين" فكان فيها توحيد وفلسفة ومنطق ، واختير لرياستها شيخ جليل ، هو المرحوم الاستاذ إبراهيم اللبان ، وقد كان للبان رحمه الله بسمته الرقيقة ، وعباراته المحببة ، التى كثيرا ما حملت محدثيه على الاستجابة لمطالبه وشاء أن أسهم فى بعض تخصصات كلية أصول "الدين" ولم أتردد فى أن ألبى رغبته ، وقدر لى أن أقضى عدة سنوات فى قسم الفلسفة والتوحيد مما كان يسمى "تخصص المادة" والصلة بين التوحيد والفلسفة وثيقة وإن حاول المتأخرون أن يقطعوها ، وأن يقصروا الدرس النظرى على ما

سجلوا من متون وشروح وحواش فى علم الكلام .

وكم وددت ان يلم طلاب قسم التوحيد والفلسفة بلغة اجنبية ، كى تفتح امامهم الآفاق فيستطيعوا ان يقفوا على آراء مفكرى الغرب مباشرة وبدون واسطة .

● أعلام النهضة

واذا كانت كلية أصول الدين لم تفسح صدرها للغة أجنبية ، فإنها عالجت هذا النقص من جوانب أخرى ، وحرص المرحوم المراغى على أن يربط القديم بالحديث ، فبعث بعوثا الى أوربا لكى يستكملوا الدرس الفلسفى ، كان من بينهم رجال اسهموا فى هذا التطوير الجديد ، ووضعوا لبنات فى تاريخ الفكر المصرى المعاصر امثال الدكتور حسب الله والدكتور محمد البهى ، والدكتور محمد ماضى ، والدكتور على عبد القادر ، ولايفوتنى أن اذكر إسمين آخرين هما المرحوم "غرابة" الذى عجل بالرحيل عن دنيانا ، وكنت ألمح فيه ذهنا وقادا ، وفكرا متعمقا ، وأبنى عليه آمالا كبيرة فى عرض الفكر الاسلامى عرضا منطقيا سهلا يستعيد مجده ومنزلته . وأما الآخر فهو المرحوم الدكتور "بيصار" الذى اتجه نحو فلسفة "ابن رشد" واثبت أن الفيلسوف القرطبى مفترى عليه ، وأن فلسفته لاتتعارض مع تعاليم دينه . وتشاء الظروف – بعد محاربة الفلسفة فى معاهدنا الكبرى القديمة – أن يصبح الدكتور "بيصار" الفيلسوف شيخا للأزهر وأسعدنى أن زاملت بعض هؤلاء الشيوخ الأعلام ، وكنت أعتقد أن فى وسع كلية "أصول الدين" أن تمد العالم الاسلامى بعلماء ومفكرين يستطيعون أن يواجهوا متطلبات العصر وحاجاته .

وعرفت الاستاذ ابراهيم حمروش فى كلية اللغة العربية ، قبل أن ازامله فى "مجمع اللغة العربية" . فقد طلب الىّ هو الآخر أن القى بعض دروس فى الأخلاق للمتخصصين من طلبة كليته – وكان نابههم أسن منى – ومن أسفى الشديد لم نستمتع بهذه الصحبة زمنا طويلا ، وقد ذكرنى بها أخيرا المفتى الأسبق الشيخ "محمد خاطر" الذى كان يباهى بأنه كان أحد تلاميذى ، واعجبنى من الشيخ "حمروش" صراحته ، ونقده اللاذع ، وعلمه الوثيق بأصول العربية وقواعدها ، ومن حسن حظى انى زاملته فى "مجمع اللغة العربية" منذ عام ست وأربعين الى ان لقى ربه ، وكان أحد شيوخ ثلاثة من مؤسسى هذا المجمع ، وزميلاه هما : الشيخ "محمد الخضر حسين" والشيخ "حسين والى" وللشيخ "حمروش" تاريخ حافل فى "مجمع اللغة العربية" ويكفيه أنه تعهد "معجم ألفاظ القرآن عدة سنين ، وأشرف على أجزائه الثلاثة الأولى" .

واشتركت زمنا فى كلية "اللغة العربية" وعنيت فيها بجانب المعقول ، فعرضت لبعض الدراسات الاخلاقية ، تنويها بكبار الاخلاقيين من المسلمين ، وكبار الاخلاقيين فى الفكر الانسانى قديمه ومتوسطه وحديثه ، وحرصت فى صلتى بهؤلاء الطلاب الرجال على أن أفتح امامهم أبواب البحث ، وأن ادع لهم أن يسلكوا الطريق ، وناشدتهم أن يقرءوا ، وأن يناقشوا وأن يعلقوا ويحكموا على ما انتهى إليه درسهم وبحثهم . لم أفكر قط فى أن أقدم لهم مذكرة معينة ، وإنما كنت اشرح الدرس أوحيل على مراجعه الميسرة لهم – وما كان أقلها – وكم وددت



من مذكرات
د. ابراهيم
بيومي مذكور

أن لو عرفوا لغة أجنبية تكمل درسهم وبحثهم العربى ، ومن بينهم من أتيحت له فرصة بعثه الى العالم الخارجي ، فتمكن من الانجليزية أو الفرنسية ، واكتسب منهجا ونظرة جديدة .

● ثمار جهود العلماء

ولسوء الحظ أنه لم يقدر لهذه الكليات الثلاث أن تعمر طويلا فى وضعها الخاص ، كما قال ارسطو : يجب أن نعيش قبل أن نتفلسف" ، ولو فتحت أبواب الحياة فى يسر أمام خريجيها مافكر أحد فى تحويل التعليم الأزهرى العالى الى الشكل الجامعى . ولفظ الجامعة بريق ، وفى شهاداتها ما ييسر سبل العيش ، ويفى بمقتضيات الحياة ، فتحولت الكليات الأزهرية الى "الجامعة الأزهرية" التى تنمو وتتسع على مر الزمن ، وتحاول أن تستكمل التخصصات العلمية جميعها ، وهى ثمرة من ثمار العهد الحاضر ، ففيها المسميات القديمة التى تغير مدلولها ، ككلية اللغة العربية ، وكلية الشريعة ، وفيها كليات حديثة : ككلية الطب ، وكلية العلوم ، وكما حدث بالنسبة للمعاهد الدينية ، لم تقف الجامعة الأزهرية عند العاصمة الكبرى ، بل بدأت تنشىء فروعا لها فى المدن الأخرى ، وفى تعدد سبل العلم خير وبركة ، ولكننى أتساءل : هل لاحظنا فى الجامعة الأزهرية الحديثة الربط الوثيق بين القديم والحديث ، على النحو الذى قامت عليه فكرة تطوير التعليم الأزهرى فى الستين سنة الأولى من هذا القرن ؟ وأظننا نتفق جميعا على ضرورة هذا الربط ، وفى وسعنا أن نحققه ، وبخاصة فى الكليات التى تتصل اتصالا وثيقا بالثقافة الاسلامية .

● جامعة الأزهر

خاتمة مطاف طويل لتطوير التعليم الأزهرى ، بدأ فى أوائل هذا القرن ، ومر بعدة مراحل أولها إنشاء المعاهد الدينية التي تقوم على ثلاث مراحل ابتدائية وثانوية وعالية ومدة كل واحدة منها اربع سنوات ، وتختم بعد ثلاث عشرة سنة بالشهادة العالية ، ثم تلتها فى الثلاثينيات مرحلة ثانية ، إشتملت على ثلاث كليات متخصصة : هى أصول الدين والشريعة ، واللغة العربية ، ويلحق بها الحاصلون على الثانوية الأزهرية ، ومدة الدراسة فى كل كلية أربع سنوات ، يحصل الطالب بعدها على الشهادة العالمية ، وله أن يتابع الدرس بعد هذا لكى يحصل على درجة الدكتوراه .

ومن خريجي هذه الكليات من أوفد الى الخارج ، لاستكمال درسه وبحثه ، ودراسة لغة أجنبية تفتح أمامه آفاق البحث العالمى .

ثم أستمر الأمر على هذا الشأن زمنا ، وعدت الكليات الثلاث ممثلة للتعليم الأزهرى التقليدى فى أرقى صوره ، وكان يمكن أن تسمى جامعة ، وفى الستينيات

اثير الموضوع مرة أخرى ، وأريد بالجامعة مدلولها الحديث ، فشملت الدراسات الطبية والهندسية ، والزراعية ، والتجارية ، والاقتصادية ، وأنشئت جامعة الأزهر على إساس اوسع كثيرا مما أريد

فى النصف الأول من هذا القرن ، وضمت جامعة رابعة الى جامعات القاهرة الثلاث . وقصد بها أساسا أن تتغذى بخريجى المعاهد الدينية ، وهم فى كثرة متزايدة عاما بعد عام ، نظرا للتوسع المطرد فى إنشاء هذه المعاهد . وفى هذا مايزيد مشكلة الثنائية فى التعليم العام تعقيدا . ولابد لنا أن نتخلص منها ، لاسيما وأن المعاهد الدينية اخذت تدنو ما استطاعت من نظم التعليم فى المدارس الأميرية والأهلية ، أو الخاصة كما تسمى الآن .

ولاننكر مطلقا أن يدرس الطب فى جامعة الأزهر ، كما يدرس فى جامعة القاهرة ، إن توافرت له معامله ومستشفياته ، وكل جوانبه التطبيقية والعملية ، ولكن نتساءل حقا : هل تكفى اللغة الوطنية وحدها فى الدرس المتخصص فى عالمنا الحاضر ؟ والبحث فيه على قدم وساق شرقا وغربا ، والابتكار والاختراع متلاحق ولانريد لشبابنا مطلقا أن يكون فيهم أطباء من الدرجة الثانية وآخرون من الدرجة الأولى . وفى قيام جامعة الأزهر ما يلح على ضرورة الفصل فى سياسة توحيد التعليم العام ، ولابد للناشىء المصرى أن يربط حاضره بماضيه ، وأن يعد إعدادا كاملا للعيش فى عصره .

وقد لوحظ أخيرا أن عددا غير قليل من طلاب وطالبات بعض الكليات النظرية فى الجامعة الازهرية ، يتسابقون الى كلية دار العلوم التى فتحت أبوابها لعدد منهم .

ولو اتيح هذا التحويل لكليات أخرى لتسابق عليها كثيرون ، ولو وحد التعليم العام منذ البداية ، لسلك كل شاب وشابة الطريق الذى يلائمه ، وباختصار ، فى نظمنا التعليمية ثغرات نغفلها أو نتغافلها ، وندعها تكبر وتتسع ، بحيث تصبح وقد إتسع فيها الخرق على الراقع . والادارة القوية والرأى الواضح كفيلان بأن يعالجا كل نقص .

ويزيد الأمر دقة أن جامعة الأزهر تتوسع فى إنشاء كلياتها فى العواصم والمدن الكبرى ولم تقف عند القاهرة ، وتزداد هذه الكليات عاما بعد عام وأظن أنها وصلت اليوم الى مايزيد عن سبعين كلية وهنا نتساءل : هل يراد لكل مجموعة من هذه الكليات ان تكون نواة لجامعة أزهرية الى جانب جامعة أسيوط أو الزقازيق ؟ وكأنا بهذا نمد مشكلة الثنائية فى التعليم العام الى التعليم العالى . وأخشى ما أخشاه أن ينتهى بنا هذا الى طائفية ثقافية ونحن نعيش فى عصر يمقت الطائفية على إختلاف صورها .

ومن أغرب مايلاحظ أن جامعاتنا الأميرية كلها تخضع للدولة ، وتتغذى من ميزانيتها العامة ، وجامعة الأزهر فى مقرها الرئيسى وفى فروعها المنتشرة فى الأقاليم تتغذى هى الأخرى من المنبع نفسه . وكم شكونا فى الربع الأول من هذا القرن ، من طائفية لوحظت بين أبناء دار العلوم وخريجى مدرسة المعلمين العليا ، وفى هذا الماضى القريب مايدعونا لأن نقف وقفة حاسمة إزاء ثنائية التعليم فى مراحله المختلفة .

نحو سياسة رشيدة لعلاج
مشكلة المخدرات

بقلم : د. مصطفى سويف

ولما كانت ظاهرة المخدرات تقوم فى معظمها على سلوك مجرّم قانونا، ومستهجن من فئات عريضة من المواطنين، فقد وجب ان نلجا فى تقدير الحجم ورسم البروفيل الى طرق واساليب غير مباشرة للالتفاف حول اجراءات الاخفاء والتخفى التى يلجا اليها التاجر والمتعاطى وكل من ساهم بنصيب فى ترسيخ كيان هذه الظاهرة ومادام الطريق الى هذا التقدير غير مباشر فلابد من التسليم مقدما بأنه سوف ينطوى على بعض الخطأ، ولايمكن لنا أن نامل فى ان يكون صوابا تماما، والواقع ان الطرق العلمية الحديثة فى تناول هذا الموضوع لاتجادل فى احتمالات تسرب الخطأ الى حسابات الباحث، وتعتبر أن الحلم بالصواب التام ضرب من السذاجة فى التفكير، لكن الجدل كل الجدل يدور حول اسلم السبل الى تقليل حجم الخطأ المحتمل.

● أبعاد المشكلة

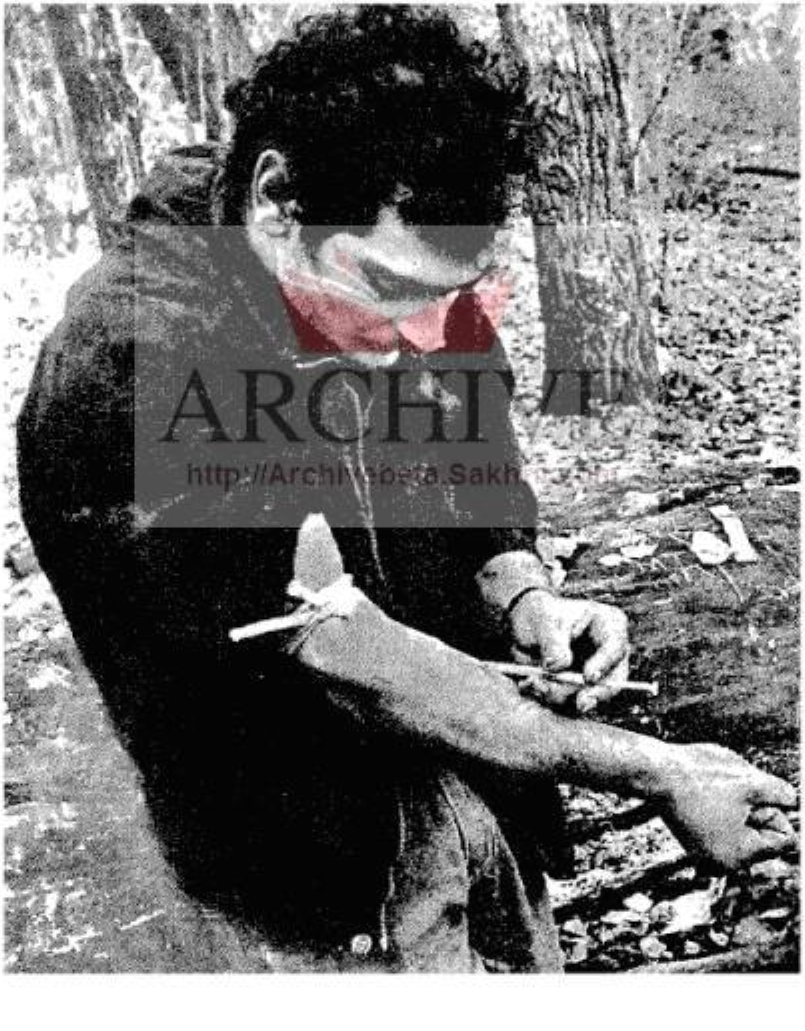
لتقدير حجم اية مشكلة لابد من التنبه اولا الى أن لها ابعادا رئيسية لايجوز الجهل بها او تجاهلها. وفيما يتعلق بالمخدرات فالأبعاد ثلاثة، هى : العرض، والطلب، والنتائج او المترتبات، والمقصود بالعرض السوق غير المشروعة، وكمياتها.

والمقصود بالطلب هو حصر اعداد المتعاطين وتقدير مايستهلكونه من المخدرات فى الشهر او فى السنة، أما النتائج فتشير الى الاضطرابات الصحية والاجتماعية التى ترتبط بالتعاطى وتترتب عليه. ويتضح من هذه النظرة التحليلية ان الأمر هنا بالغ التعقيد، ولكن لامفر من مواجهته على هذا النحو اذا اريد لخطوة تقدير الحجم، ان تكون هى الخطوة الأولى على الطريق نحو رسم السياسة الرشيدة لعلاج المشكلة.

● حجم العرض

افضل السبل الى تقدير العرض انما يكون بالرجوع الى التقارير السنوية التى تنشرها الادارة العامة لمكافحة

لايمكن التصدى للمشكلات الاجتماعية بهدف احتوائها أو التغلب عليها دون معرفة دقيقة بحجمها ، وتوزيعها بين الشرائح أو القطاعات الاجتماعية المختلفة ، هذا هو الشرط الأول للتصدى بقدر معقول من الكفاءة ، وهناك شروط اخرى إضافية اذا أردنا رفع مستوى هذه الكفاءة ، لكنها جميعا شروط ثانوية لاترقى الى مرتبة الشرط الأول ، شرط المعرفة بالحجم والتوزيع ، لذلك اصبح لزاما على من يعنيهم الأمر ان يعرفوا طريقهم الى تقدير حجم مشكلة المخدرات فى مصر ، وما يمكن ان نسميه البروفيل الاجتماعي لهذه المشكلة .



مشكلة المخدرات ..

المخدرات . وذلك للوقوف على احجام المضبوطات من كل نوع من انواع المواد المخدرة ، ثم اتخاذ الاحجام ركيزة لحساب الكميات التي تسربت من هذه المواد الى داخل البلاد دون ان يتم ضبطها ، وفي هذا الشان يقول خبراء المكافحة ان مايتسرب الى داخل البلاد يفوق كثيرا مايضبط ، بحيث يتراوح عادة بين خمسة وعشرة امثال الكميات المضبوطة ، وعلى هذا النحو يمكننا ان ننظر في اخر تقرير صدر عن الادارة العامة لمكافحة المخدرات وهو تقرير سنة ١٩٨٨ ونقرر ان المواد المخدرة التي دخلت البلاد هي الحشيش والافيون ، والهيروين ، والكوكايين وعدد من المواد الدوائية المستخدمة كمواد مخدرة ، ونستطيع بالنظر في الكميات المضبوطة ان نقدر حجم ماتسرب الى داخل البلاد . من هذه المواد جميعا ، وعلى سبيل المثال فقد تم ضبط حوالي خمسة عشر طنا من الحشيش ، ومعنى ذلك ان ماتسرب الى الداخل يتراوح بين خمسة وسبعين طنا ومائة وخمسين طنا من هذا المخدر . وهكذا يكون تقدير الكميات التي تسربت من المواد المخدرة الاخرى ، فما تسرب من الافيون يتراوح بين عشرين طنا واربعين طنا ، ومن الهيروين يتراوح بين طنين وثلاثة اطنان ونصف الطن . ومن الكوكايين بين كيلو جرام ونصف وخمسة كيلو جرامات ، اضف الى ذلك عدد من اللترات من مادة الماكستون فورت ، والهيروين السائل ، وزيت الحشيش . ثم ينبغي ان نضيف كذلك حوالي خمسة عشر مليونا من شجيرات الخشخاش (النبات الذي يستخلص منه الافيون) . ومايقرب من خمسة واربعين الف شجيرة حشيش .

● حجم الطلب

هنا نجد ظواهر الأمور مماثلة لما هو حادث في حالة الاهتمام بتقدير العرض ، فهناك جزء ظاهر ولكن ماخفي كان أعظم ، ويتمثل الجزء الظاهر في اعداد المقبوض عليهم او المحكوم عليهم بتهمة التعاطي ، ونـزلاء المستشفيات ممن يعانون من بعض عواقب الادمان ، وبعض ضحـايا حوادث المرور ممن تتعلق متاعبهم الاساسية بالاثار المترتبة على تناول هذا المخدر ، او ذاك . وبالتالي فبالرجوع الى سجلات السجون وملفات المرضى ، ومحاضر الشرطة يمكن حصر الاعداد المتورطة في تعاطي المخدرات ، غير أن هذا العدد يكون دائما اقل بكثير جدا من حقيقة حجم التعاطي في المجتمع ، لسبب بسيط هو انه ليس كل من يتعاطى مخدرا يتم القبض عليه ، او ينتهي امره الى احدى المصحات أو الى التورط في احدى حوادث المرور ، لذلك كانت هناك اعداد كبيرة تتعاطى المخدرات دون ان تصل الى الوقوع في هذه المتاعب الخطيرة .

والى هنا وينتهى التماثل الظاهر بين مشكلة تقدير الطلب وتقدير العرض . فليس امامنا في مشكلة تحديد الطلب اى اساس منطقى يسمح بالانتقال المباشر من تقدير الحجم الظاهر الى تقدير الحجم الخفى او الحقيقى عن طريق الضرب فى ٥ او فى ١٠ ، او فى اى عدد اخر كما نفعل فى حالة العرض . ثم ان هناك جزئية اخرى فى تقدير الطلب تستعصى على هذه الأساليب البسيطة وهى الخاصة بتقدير الجرعة التى يتناولها الفرد الواحد من هذا المخدر او ذاك ، ثم تجميع مقادير الجرعات التى يتناولها فى الشهر او فى السنة ثم ضرب حاصل الجمع فى عدد المتعاطين . والا فكيف نتحدث عن حجم الطلب حديثا جادا

فى هذه الحالة يتفق اهل الاختصاص على ان اسلم الطرق الى تحديد الحجم الحقيقى للطلب انما يكون باجراء البحوث الميدانية ، او مايسمى بلغة التخصص ، البحوث الوبائية ، وهذا بالفعل ماتصدى للقيام به الجهاز المعروف باسم ، البرنامج الدائم لبحوث تعاطى المخدرات ، بالمركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية . وقد بدا عمله منذ يناير سنة ١٩٧٥ ، وبدات تقاريره تتوالى فى النشر منذ سنة ١٩٨٠ . وصدر اخرها فى شهر يونيو من العام الحالى ، وهى تقارير بالغة الدقة العلمية ، وشديدة الوضوح فيما تقول .

والى القارىء بعض الحقائق التى وردت فى هذه التقارير نذكرها على سبيل المثال لا الحصر ، ففى قطاع تلاميذ المدارس الثانوية البنين يبلغ عدد التلاميذ الذين تعاطوا مانسميه ، المخدرات الطبيعية ، (اى الحشيش والأفيون) حسب احدث التقارير ٢١٣٠٠ تلميذ ، وهو مايساوى نسبة ٦٪ تقريبا من بين مجموع تلاميذ الثانوى العام فى جميع انحاء الجمهورية ، ويضم هذا العدد كل من تعاطى هذه المواد اى عدد من المرات ، وباى صورة من الصور . اما الذين يصدق عليهم وصف الاعتماد او الادمان فهم لايزيدون على ١٥٪ من العدد المذكور ، اى حوالى ٣٢٠٠ تلميذ . وفى هذا القطاع نفسه اقدم على تعاطى الحبوب المخدرة (الدوائية ولكن لاسباب لا علاقة لها بالطب والتطبيب) حوالى ١٧٨٠٠ تلميذ ، اى مايعادل ٥٪ من مجموع التلاميذ ، ومن بين هؤلاء لايصدق وصف الاستمرار والادمان الا على ٢١٪ اى مايقرب من ٣٧٥٠ تلميذا .

فاذا تركنا هذا القطاع واتجهنا الى طلاب الجامعات الذكور وجدنا ان نسبة الذين تعاطوا المخدرات الطبيعية كانوا قرابة ٤٥ الف طالب ، اى حوالى ٩٪ من مجموع الطلاب الجامعيين فى جميع انحاء الجمهورية . ولايصدق وصف الاستمرار والادمان الا على حوالى ٨٤٠٠ طالب اى ١٩٪ من بينهم . كذلك اقدم على تعاطى الحبوب المخدرة مايقرب من ٥٠ الف طالب اى حوالى ١٠٪ من المجموع ، واستمر منهم فى التعاطى فاصبح فى حكم المدمن حوالى ستة الاف طالب .

ومن القطاعات الاجتماعية التى اهتم البرنامج الدائم ببحث احوالها كذلك قطاع الصناعات التحويلية (بالقطاع

مشكلة المخدرات ..

العام) وقد تبين ان نسبة متعاطى المخدرات الطبيعية بينهم حوالى ١٣٪ ، يدخل فى نطاق الادمان منهم حوالى الربع ، وهى نسب تفوق نظائرها فى الطلاب . ولكن اللافت للنظر ان الاقبال على تعاطى الحبوب المخدرة بينهم محدود جدا اذ لايزيد متعاطو هذه الحبوب بينهم على حوالى ٢٪ من المجموع بعكس الطلاب . وهى نتيجة تعطينا درسا هاما فى كيف انه فى هذه الأمور لايجوز الاكتفاء بالظنون او الشائعات ولكن لابد من استقصاء الواقع .

ولانريد ان نثقل على القارىء بذكر المزيد من الأرقام ، لا ارقام المتعاطين او المدمنين ، ولا ارقام متوسطات الجرعات ومجموع المتوسطات ذلك اننا لم نقصد فى هذا المقال الى تقديم بيان مفصل بحجم التعاطى وتوزيعه بين جميع قطاعات المجتمع المصرى ، ولكننا قصدنا الى تقديم عدد محدود من الأمثلة على ان هذا المطلب يمكن ان يتحقق باتباع الاساليب العلمية الحديثة .

● تقدير المشكلات الصحية والاجتماعية

تكشف البحوث الميدانية عن وجود علاقة وثيقة بين تعاطى المخدرات والمرض الجسمى ، وكذلك بينها وبين المرض النفسى ، وهى علاقة ثابتة تظهر فى جميع بحوثنا المحلية على اختلاف الشرائح الاجتماعية التى تتناولها ، كما تظهر فى البحوث الاجنبية التى تجرى فى بلدان اخرى ولاتعنى هذه العلاقات ان كل من يتعاطى مخدرا لابد من ان يمرض ، ولكن تعنى ان احتمالات الاصابة بالمرض الجسمى او النفسى ترتفع ارتفاعا جوهريا مع التعاطى ، فالمسالة هنا مسالة احتمالات ترجيحية ، كما تشير هذه العلاقات الى ان احتمالات المرض الجسمى والنفسى تزداد ارتفاعا بازدياد عدد المواد المخدرة التى يتعاطاها الفرد الواحد ، فمن بين كل اربعة متعاطين لمخدر واحد يمرض متعاط واحد ، وترتفع هذه النسبة الى واحد من كل ثلاثة اشخاص فى حالة المتعاطين لاكثر من مخدر .

وتكشف الدراسات الميدانية كذلك عن العلاقة بين التعاطى والمشكلات الاجتماعية ، بدءا من انواع السلوك المنحرف التى تورط الشباب فى كثير من المتاعب المدرسية والعائلية ، وانتهاء بالاصطدام مع القوانين ومايترتب على ذلك من تكلفة مالية وبشرية متعددة الاشكال والاحجام .

ويعتبر هذا البند الاخير ، بند العلاقة بين التعاطى والمشكلات الصحية والاجتماعية من اهم البنود



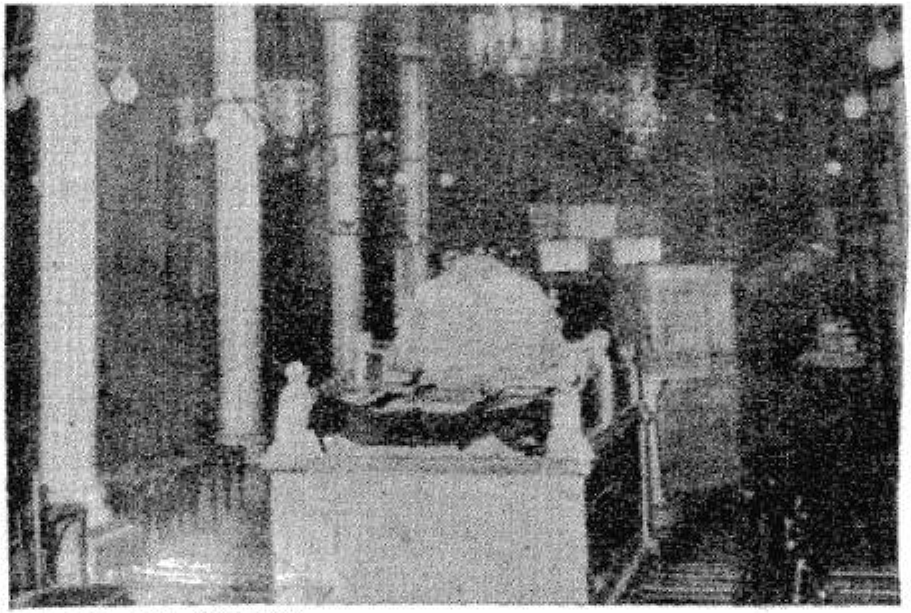
ماذا لو تسربت هذه الاكياس فى البلاد ؟

التي تنصرف اليها عناية الباحثين ، ويرحب بها صانعو القرارات وواضعو السياسات ، لانها تساعدهم بشكل مباشر على ترجمة مسئولياتهم الى قرارات محددة ، وخطة عمل مرسومة من حيث حجم الانفاق المطلوب ووجوه هذا الانفاق .

● ختام

والسؤال الوارد الآن هو : اين نحن من هذا كله فى مصر ؟

والإجابة الصادقة الامينة هى : لدينا قدر كبير من المعلومات العلميـة المحققة فى هذه المجالات التي اشرنا اليها جميعا ، توصل اليها علماء امناء يقدرون مسئوليتهم الاجتماعية ، ويبـى بعد ذلك ان تصل هذه المعلومات الى صانعي القرارات من اعضاء المجلس القومي لمكافحة وعلاج الادمان ، اما مسئولية عملية التوصيل هذه فستكون هى المهمة الملقاة على عاتق لجنة المستشارين العلميين التي صدر قرار تشكيلها منذ اسابيع قليلة وتتكون من افاضل العلماء فى معظم التخصصات التي تمس المشكلة . وهدفها بكل وضوح هو تقديم المشورة العلمية للمجلس . ولايعنى ذلك ضرورة ان ياخذ المجلس بكل ماتشير به اللجنة ، ولكن يعنى ان يدخل المجلس هذه المشورة ضمن المكونات المتعددة التي يستند اليها عند اصدار قراراته



قاعة الهيكل بمعهد ابن عزرا

«حكاية وثائق جنيزة القاهرة .. وأهميتها التاريخية»

بقلم : عرفه عبده على

الدراسة التاريخية أو الاجتماعية أو اللغوية لعصر ما ، لابد أن تعتمد على المخطوطات والوثائق ، فهي أصدق تعبير عن العصر الذي كتبت فيه ، ولذا فالي جانب الأهمية البالغة لوثائق الجنيزة بالنسبة لتاريخ يهود العالم العربي ، فانها تشكل مصدرا هاما أيضا في دراسة التاريخ الإسلامي عامة ، وفي مصر بشكل خاص .

والجنيزة مصطلح حديث اطلق على الوثائق والمخطوطات التي كنزها اليهود في العصور الوسطى بمعبد «بن عزرا» بالفسطاط الخاص بطائفة اليهود الربانيين ، ومقابر اليهود بحي البساتين ... ولهذا اطلق على هذه المجموعة اسم : «جنيزة القاهرة» .

وتعنى الجنيزة لغويا : المخبأ أو مكان الدفن ، فهى قريبة من الكلمة العربية التى تعنى الموكب المشيع للميت ، أما فى تقاليد اليهودية فيطلق اسم الجنيزة على مستودع الأوراق البالية من الكتابات اليهودية المقدسة التى لايجوز ابادتها حتى وإن لم تعد تستعمل وذلك لما يفترض من ورود اسم الله فى ثناياها ، وعليه فقد جرت العادة على خزن هذه الكتب البالية وقصاصات الورق - مؤقتا - فى مكان محدد فى المعبد ، ثم يتم من حين لآخر تفريغ هذا المكان من محتوياته لتنقل عادة إلى المقبرة حيث تدفن نهائيا . ويطلق اسم «غرفة الجنيزة» على المستودع المؤقت فى المعبد ، وكذلك على المدفن الدائم فى المقبرة .

ومعبد «بن عزراء» الذى اكتشفت به مخطوطات الجنيزة ، كان يعرف باسم معبد الياهو ويعرف أيضا بقصر الشمع ، وتزعم بعض الروايات اليهودية أن النبى الياهو «ايليا» قد تجلى ذات مرة للمتعبدين هناك ، ويعتبر اليهود المصريون موقع ذلك المعبد مكانا مقدسا ، حيث يزعمون أن النبى موسى صلى لله فى هذا المكان ودعاه أن يرفع عن الأهالى الطاعون الذى ابتلوا به

وتعتبر محتويات غرفة الجنيزة بمعبد بن عزرا ، أخطر وأهم مخطوطات الجنيزة على الاطلاق ، وهى ملحقة بأعلى المعبد - فى نهاية بهو السماء - وتبلغ قياستها ٥ × ٢ × ٢,٥ م ، وليس لها مدخل سوى نافذة عالية يمكن الوصول إليها على السلم فقط ، حيث كان على يهود ذلك العصر ، الصعود لالقاء أوراقهم من تلك النافذة إلى داخل الغرفة .

● احدى وثائق الجنيزة التى يعود تاريخها الى عام ١٠١٠ م وكانت ردا على رسالة بعث بها يهود المغرب (من مجموعة جامعة كمبردج)



وأول من علم بوجود الجنيزة فى الفسطاط ، كان الرحالة اليهودى ، «سيمون فون جلورن» الذى زار المعبد (وكان مازال يدعى كنيس أو معبد الياهو) فى سنة ١٧٥٢ وألقى نظرة على الجنيزة كما ذكر فى يومياته .

ثم تمكن «إبراهام فيركوفتيش» اليهودى الروسى (١٧٨٦ ـ ١٨٧٤) من الحصول على بضعة آلاف من تلك المخطوطات ، التى استقرت فى المكتبة العامة فى سانت بطرسبرج ، لينتجراد اليوم .

● هم مجموعة جنيزة

وفى عام ١٨٨٨ قام اليهودى البريطانى «الكان أولر» بزيارة المعبد ولكنه لم يتمكن من اكتشاف حجرة الجنيزة ... غير أنه عاد مرة أخرى فى عام ١٨٩٦ ، حيث قادة الحاخام الأكبر للقاهرة إلى حجرة الجنيزة ذاتها ، فكان أول أوربى يمنح هذا الامتياز ، حيث سمح له بالدخول عبر النافذة ، ليقضى نحو أربع ساعات داخل الحجرة ثم يخرج ببضعة آلاف أخرى من وثائق الجنيزة ، لتكون مجموعات تحمل اسمه فى مكتبة السمنار الثيولوجى اليهودى فى نيويورك .

بعد أشهر قليلة من زيارة أدلر الثانية والناجحة ، عرضت على « سالومون شختر » استاذ العلوم اليهودية بجامعة كمبريدج ، بعض المخطوطات العبرية ، التى حصلت عليها شقيقتان مسيحيتان من اسكتلندا ، ابتاعاها من تاجر عاديات بالقاهرة ، وسرعان ما اكتشف شيختر ان تلك المخطوطات تحتوى على جزء من النسخة الاصلية لكتاب « حكمة ابن سيرا » الذى يضم شروحا للتوراة ، وكان معروفا من خلال ترجمته اليونانية فقط ، فقرر الرحيل الى القاهرة فى ديسمبر ١٨٩٦ ، مزودا بالدعم المالى من صديقه « تشارلز تايلور » مدير كلية القديس جون فى كمبريدج وبرسائل توصية الى زعماء الطائفة اليهودية فى القاهرة من الحاخام الاكبر فى انجلترا ، وتمكن شختر من استخلاص مائة واربعين الف ورقة ، وضعت فى صناديق وارسلت الى بريطانيا لتكون اكبر واهم مجموعة جنيزة فى العالم ، تحت اسم « Taylor — Schechter » بمكتبة جامعة كمبريدج ، وباقى مجموعات وثائق الجنيزة موزع على مكتبات : نيويورك ، واشنطن ، فيلادلفيا اكسفورد ، لندن ، مانشستر ، باريس ، ميونيخ ، فيينا ، بودابست ، لننجراد والقدس .

وفى مقابر البساتين ، اكتشفت مجموعة أخرى بلغت نحو أربعة آلاف مخطوطة ، عام ١٩١١ ـ ١٩١٢ ، بفضل جهود اليهودى المصرى : «جاك موصيرى» ودعمه لبعض الباحثين الأوروبيين ، وهى مستقرة الآن بالجامعة العبرية بالقدس تحت اسم : «مجموعة موصيرى» .

ومما لاشك فيه أن دراسة التاريخ اليهودى قد افادت كثيرا من وثائق الجنيزة ، والتى ترجع إلى الفترة الممتدة من عصر الدولة الفاطمية حتى عصر الدولة الأيوبية ، أى من نهايات القرن العاشر الميلادى حتى أواسط القرن الثالث عشر ، كما توجد وثائق أيضا فى العصرين المملوكي والعثمانى ، بل أن هناك أيضا بعض الرسائل والوثائق يرجع تاريخها إلى منتصف القرن التاسع عشر .

وتؤكد وثائق الجنيزة على أن اليهود لم يختلفوا كثيرا فى مصر والدول المجاورة لها . فى العصور الوسطى ـ عن المسلمين فى انشطتهم الاقتصادية ، وعاداتهم الاجتماعية ، ولذا فهى تعد مصدرا ممتازا لتاريخ العالم الإسلامى الاقتصادى والاجتماعى فى تلك الحقبة ، حيث نتعرف منها على نظم التجارة وأحوالها بين دول البحر المتوسط الإسلامية والهند ، بجانب الموارد المالية والصناعية والبضائع والأسعار والرحلات البحرية

وتنقسم وثائق الجنيزة إلى ثلاثة اقسام لغوية : الأول بالعبرية ، الثانى باللغة العربية المكتوبة بالعبرية ، والثالث بالأرامية . وتنقسم من حيث الموضوعات إلى نوعين : المصادر الادبية والمصادر الوثائقية ، والمصادر الأدبية تشكل الجزء الأكبر من هذه المخطوطات وتشمل : الصلوات والشعر الدينى وصفحات من التوراة على لفائف الرق أو البردى ، وترجمات للتوراة إلى اليونانية ، وقصص نثرية والمشناة والتلمود ومؤلفات فى التنجيم والفلسفة والطب وتعاويز ونصوص سحرية ورسائل اخوانية اما النوع الثانى ـ الوثائق ـ فقد توسع يهود مصر كثيرا فى تفسيرهم لتحريم إبادة الأوراق المكتوبة ، حيث اختزنوا أوراقا



باحث اسرائيلى يدلف من الكوة الى داخل غرفة الجنيزة الشهيرة بمعبد ابن عزرا . ويشاهد السلم المتنقل الى يمين الصورة

كثيرة لاتحمل شيئا من التقديس ، فتضمنت مذكرات للمفكرين والتجار اليهود حوت معلومات عن عقود الزواج ، ووثائق الطلاق ، والوصايا ، صفقات بيع وشراء وفواتير حساب وعهدات عتق عبيد واماء وابراء وخطابات رسمية إلى السلطات وتقارير وشكاوى والتماسات ورسائل خاصة بجمع تبرعات من اليهود لأعمال الخير كعتق جارية يهودية أو تقديم فدية ليهود تعرضوا للأسر أثناء السفر بالبحر ...

● إرهاصات العدوان

وتشمل «جنيزة القاهرة» ايضا مايسمى بـ «البيوط» ويعني هذا المصطلح : الشعر الديني او تلاوة التوراة بأسلوب شعرى ... وقد ارتبط هذا الشعر او البيوط بيوم التاسع من آب ، الذى يصوم فيه اليهود ، وتتحدث هذه الاشعار الدينية عن كائنات تشبه الملائكة تتدخل وتشن حربا شعواء لاتبقي ولاتذر احدا من اعداء الرب ، وهذه الملائكة تظهر حينما يعلن «شالتئيل» عن قدرته على تحقيق الخلاص واعادة بناء الهيكل فيثيرون القلاقل في جميع الأمم وتحل المجاعات وتهب العواصف والأعاصير ويسيل دم الأعداء كجداول الانهار ويلقى الآلاف حتفهم فقط من هول نايرون .

هذه المخططات او التصورات اليهودية القديمة ليوم الخلاص وتدخل الرب وملائكته ضد الأمم المجاورة من اعداء الرب واعاد بناء هيكل سليمان وقيام مملكة لليهود ... كل ذلك يعطينا تصورا وتحليلا لما تقوم به حاليا الدولة الصهيونية وماتنوى القيام به ضد الشعوب العربية .. !

وترجع أهمية هذه المخطوطات إلى أمرين أساسيين :ـ

● الأول : تلك السماحة الإسلامية العديمة التى تمتع بها اليهود فى العالم الإسلامى ، الامر الذى فتح لهم الابواب للاشتغال بالأعمال الثقافية والمهن العلمية كالطب والصيدلة ، والاقتراب عن طريق ذلك من دوائر الحكام على غرار الحاخام موسى بن ميمون ، الذى كان طبيبا ومستشارا خاصا لصلاح الدين الايوبى إبان الحروب الصليبية ـ مما يعنى انه قد شاهد امورا كثيرة تتصل بتاريخ تلك الحروب من داخل خيمة البطل الإسلامى صلاح الدين . ومن هنا تبدو أهمية المخطوطات فى الكشف عن التاريخ الاجتماعى والسياسى للعالم العربى والإسلامى . فقد عثر فى جنيزة القاهرة على أوراق عديدة بقلم موسى ابن ميمون ، نشر بعضها ، ومازال البعض الآخر طى الكتمان حتى الآن فى جامعة كمبريدج .

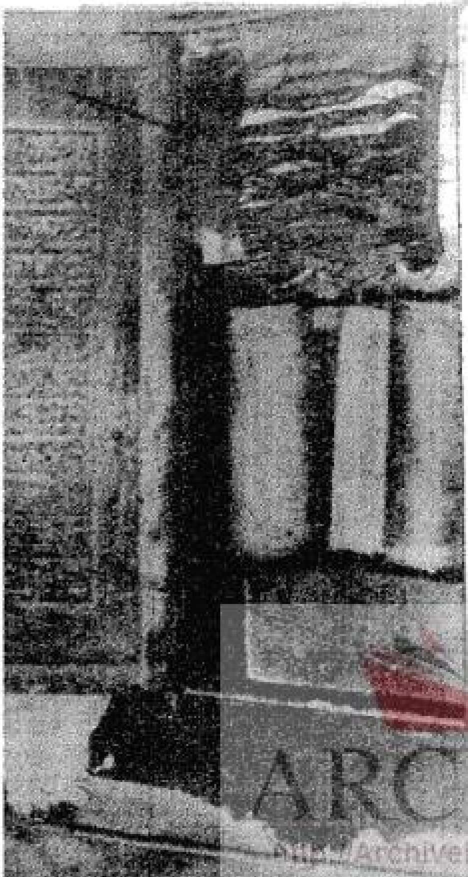
الثانى : الذى يجعل لهذه الوثائق أهمية تاريخية ، هو أن طريق التجارة عبر شبه الجزيرة العربية إلى الهند ، سواء بالبحر او بالبر ، كان هو الطريق الذى يسلكه تجار اليهود ضمن قوافل التجارة الكبيرة ، ومن هنا فان سجلاتهم التجارية ، ومذكراتهم حول مشاهداتهم عن حياة شبه الجزيرة ومنطقة الخليج ، تمثل سجلا تاريخيا تلقائيا للأوضاع العامة فى تلك المناطق ، وإذا أضفنا إلى ذلك أن هؤلاء التجار ـ حين عودتهم إلى مصر ـ يقومون بنقل البضائع إلى المغرب وفى نطاق حوض البحر المتوسط فانه يمكننا أن

نتصور المدى الجغرافى الذى تغطيه هذه الوثائق وتكشف عن طبيعة الحياة فيه .

كما أن هذه الوثائق تكشف عن جوانب التأثير التى احدثها الفقه الإسلامى والفكر الإسلامى فى الديانة اليهودية ، إلى حد ظهور فرقة يهودية جديدة تحمل اسم «اليهود القرائين تأثرت فى نشأتها وأفكارها بفكر المعتزلة ، بدأت فى العراق ثم انتقل مركزها إلى مصر .

ونظرا لأهمية هذه الوثائق ، فقد أولاها العلماء اليهود اهتماما خاصا ، وكان على رأسهم العالم الأمريكى «صاموئيل د . جويتين - S.GOITEIN الذى كتب سلسلة طويلة من الدراسات الخاصة بتلك الوثائق ، ضمها مؤلف ضخم تحت عنوان «مجتمع البحر المتوسط - الطوائف اليهودية كما تبدو من خلال وثائق جنيزة القاهرة» .

وقد سبقتها الدراسة التى أعدها «يعقوب مان J.MANN» تحت عنوان : «اليهود فى مصر وفلسطين تحت حكم الخلفاء الفاطميين» ثم دراستين لموشى جيل - M.GILعن : الأوقاف اليهودية والمؤسسات الخيرية اليهودية ودراسة حاييم شاكد H.SHAKED تحت عنوان : بيلوجرافية مقترحة عن وثائق الجنيزة كما قدم العالم اليهودى الأمريكى مارك كوهين M.COHEN محاضرة بالمركز الأكاديمى الإسرائيلى بالقاهرة



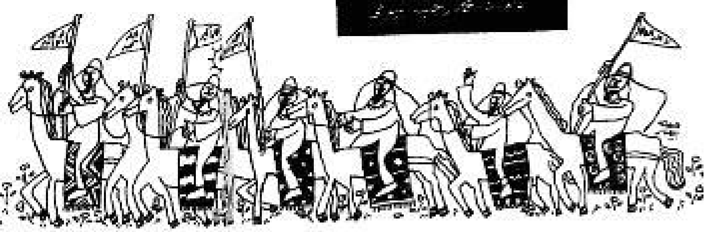
احد اسفار التوراة التى وجدت ضمن مخطوطات الجنيزة محفوظ بخزانة خاصة بمعبد ابن عزرا

عام ١٩٨٢ بعنوان : «وثائق جنيزة القاهرة مصدرا للتاريخ المصرى» وقد نشرت فى مجلته الدورية .

الهجرة النبوية والشيخ النجدي



توفيق الحكيم — على الجارم



منذ قررت مصر الاحتفال رسميا بعيد الهجرة المحمدية في أول المحرم من كل عام ، والصحف اليومية ، والمجلات الدورية تمنح هذه المناسبة الكريمة قسطها الأوفى من التحليل والتفسير بحيث لو جمع ما كتب في الصحف لكان مكتبة مستقلة ، ولا اكتم القارىء ان أدباء الجيل الماضي كانوا اكثر اهتماما بهذه المناسبة من أبناء اليوم ، إذ كانت لدينا حينئذ مجلات أدبية كالرسالة والثقافة تصدر كل عام عددا مستقلا بذكريات الهجرة وما يجري مجراها من أمجاد الاسلام على مد عصوره المتلاحقة ، ويظل عدد نوابغ الفكر العربي من كبار الأدباء يسطون ويحللون ، ويبدعون مما يجعل المناسبة الكريمة ذات صدى فكري يتجاوب في ارقى ... ، فيحيي الشعور ، ويفسح طريق الامل ، ويزيد المؤمنين يقينا واعتصاما ، ولا انكر ان الاذاعات المختلفة تتجاوب بهذه الذكرى محتفلة محتشدة ، ولكن الثمرة غير الثمرة ، والأريج دون الأريج ، لقد كان من عجائب الصدف اني في بعض هذه المناسبات ، قد استمعت الى حديث تقليدي عن الهجرة في اذاعة ما ، ثم اديرت المفتاح لاستمع الى حديث مماثل في اذاعة ثانية وثالثة ورابعة ، وكانت النتيجة ان المتحدثين جميعا يتشابهون ويتماثلون ، فما فتح الله على احد بطريف يدل على شخصيته ! وكان الموقف لا يتطلب إلا السرد التاريخي محوطا ببعض الآيات والأحاديث ، مما يعرفه طلبة المدارس في الصفوف الأولى ! أين هذا كله من عدد ممتاز من مجلة شهيرة كالرسالة ، تسطع على القراء بما يخلب ويروع .

وقد رأيت أن أتحدث هذا العلم عن بعض مواقف الهجرة التي تداولتها المصادر المتعددة في القديم ، والمراجع المتداولة في الحديث . هذا الموقف هو موقف الشيخ النجدى في دار الندوة حين اجتمع المشركون للتآمر على حياة رسول الله . بعد أن انتقل المهاجرون من المسلمين الى المدينة المنورة ، فاستعاضوا أهلا بأهل ، والتف حول الاسلام من تعهدوا على نصرته ليلة العقبة مسترخصين دماءهم في ذات الله ! وسيلحق رسول الله بهم فيصبح ذا شوكة حربية تقف للمشركين بالمرصاد ، وإذن فلا مفر من مواجهة الموقف في اجتماع دار الندوة ، لتجتمع الكلمة المشركة على أمر حاسم يدفع النذر الغاشية ! وهو ما سجله الله في كتابه حين قال (وإذ يمكر بك الذين كفروا ، ليثبتوك أو ليقتلوك أو يخرجوك ، ويمكرون ويمكر الله ، والله خير الماكرين)

قلنا إن حديث الندوة ذائع مشتهر ، ومع ذيوعه المدوى ، نجده يحتاج الى تعقيب مفيد ، يبدد ما غشيه من ضباب ساعدت الكتب المتعاقبة على انتشاره . فكيف روى هذا الحديث في أوائل مصادره من كتب التراث .

إننا نرجع الى ابن اسحاق في سيرته فنجده يقول ببعض التصرف :

«إن قريشا اجتمعت في دار الندوة يتشاورون فيما يصنعون من أمر النبي صلى الله عليه وسلم حين خافوه . فغدوا في اليوم الذي اتعدوا له ، وكان يسمى يوم الزحمة ، فاعترضهم ابليس على هيئة شيخ جليل ، فوقف على باب الدار ، فقالوا : من الشيخ ؟ قال : شيخ من أهل نجد ، سمع بالذي اتعدتم له ، فحضر معكم ليسمع ما تقولون ، وعسى الا يعدمكم منه رأى ونصح . قالوا : أجل فادخل ، فدخل معهم ، وقد اجتمع فيها أشراف قريش من كل قبيلة من بني عبد شمس شيبة وعتبة وأبوسفيان ، ومن بني نوفل طعيمة بن عدى ، وجبير بن مطعم ، والحارث بن عامر ، ومن بني عبد الدار النضر بن الحارث ومن بني أسد البحترى بن هشام وزمعة بن الأسود ، وحكيم بن حزام ، ومن بني مخزوم أبوجهل ومن بطون أخرين كلها من قريش !

فقال بعضهم ، ان هذا الرجل قد كان أمره ما كان ، وما رأيتم ، وما نأمنه أن يثب علينا بمن اتبعه من غيرنا ، فاجمعوا فيه رأيا ، قال : فتشاوروا ، فمن قائل : احبسوه في الحديد ، وأغلقوا عليه بابا ، ثم تربصوا به ما أصاب أشباهه !

فقال الشيخ النجدى ، لا والله ما هذا برأى ، فلو حبستموه لخرج أمره من وراء الباب الذي أغلقتموه دونه الى أصحابه فلأوشكوا أن يثبتوا عليكم فينزعوه من أيديكم .

ثم تشاوروا ، فقال قائل نخرجه من بين أظهرنا فننفيه من بلدنا ، فإذا خرج عنا ، فلا والله ما نبالي أين ذهب ، ولا حيث وقع !

فقال الشيخ النجدي ، لا والله ما هذا برأى ، أما رأيتم حسن حديثه ، وحلاوة

منطقه ، وغلبته على قلوب الرجال ، ولا نامن ان يحل على حي من العرب فيغلب عليهم ، ثم يسير بهم اليهم ، حتى يطاكم بهم .

فقال ابوجهل : والله إن لي فيه لرايا ، هو ان تاخذوا من كل قبيلة ، فتى شابا جلدا ، نسيبا وسيطا ، ومع كل فتى سيف ، ثم يعمدون إليه فيضربونه ضربة رجل واحدا فيقتلونه فنستريح ويتفرق دمه في القبائل كلها ، فلا يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعا ...

فقال الشيخ النجدي : القول ما قاله الرجل ، ولا راى غيره ، فتفرقوا وهم مجمعون على ذلك ، هذا ما جاء في المصدر الاول ، وما رددته الكتب الى يومنا هذا ، ونحن لا ننكر الاجتماع ، فقد ثبت بنص القرآن الكريم ، ولا ننكر انهم انتهوا الى وجوب اغتيال رسول الله ! وقد مكروا ومكر الله ، والله خير الماكرين ! ولكننا نتساءل عن إبليس ، وعن الشيخ النجدي الذى تراءى في صورته ، وهل كان ما جاء في الرواية بشانه ، مما يعقل ان يتردد دون تعقيب .

● مؤرخ وناقد

كان المؤرخ الاسلامي الكبير الاستاذ عبد الوهاب النجار ذا فكر سوّال دءوب فهو يقف امام كثير من المسلمات ليعصف بقرارها المطمئن ، عن براهين دامغة ، وقد وقف الاستاذ النجار امام حديث الشيخ النجدي موقف المرتاب ، فذكر في بحث ضاف نشره مسلسلا بمجلة الاسلام سنة ١٣٥٧ هـ انه يستريب في هذا الأمر ، اذ لا يعقل ان تدخل قريش في امرها إنسانا لا تعلم عنه شيئا إلا انه نجدي ، ولم لا يكون هذا النجدى عينا للمسلمين ما داموا لم يعرفوا شيئا من امره فكيف اجازوا له التصدر دون احتياط ، ثم إذا كان إبليس قد تزيا بزى الشيخ النجدى ، فمن انبا القوم انه إبليس ، ولم لا يكون ادميا حقا ، مع ان رؤية إبليس مستبعدة ، لأن الله عز وجل يقول عنه (إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم) ثم إن الله عز وجل قد سمى مؤامرة المشركين مكرا ، والمكر هو التدبير في الخفاء ، فهل يكون منه ان يجتمع ممثلو القبائل جميعا ما عدا بني عبد مناف ، وفيهم اصهارهم واصدقاؤهم الذين يسارعون في نقل ما ائتمروا به ، فيفسد المراد .

هذا لباب ما قاله الأستاذ النجار ، وأنا أضيف اليه ، ان الثابت ان الاجتماع كان في دار الندوة ، وهي المنتدى العام الذى انشاه قصي بن كلاب تجاه البيت الحرام ، لترسم فيها خطط قريش التجارية ، وما يكون من عقود الزواج ، أو إعلان الحرب ، أو عقد التحالف ، وكان من شروط روادها ان يتجاوز الواحد منهم من الشباب الى الكهولة ، بحيث لا يحضر غير المجربين من ذوى الحنكة والدهاء ، فهل يعقل ان تشترط الشروط الدقيقة في اصحاب الندوة ، ثم يطرقها شيخ لا يعرف من اين جاء ليتصدر المجتمعين ، وليكون صاحب الترجيح فيما يقال ، فهو يعترض على الراى الاول ، ويخالف الراى الثاني ، ويختار رأى ابوجهل ، فيكون اختياره موضع الحسم الصريح ، وهو بعدغريب دخيل !!

إن حديث الشيخ النجدي لا يثبت لنقاش . واذكر ان الاستاذ محمد لطفي جمعه قد قال متهكما بصدده في كتابه (ثورة الاسلام) : يظهر ان حضور الندوة كان مباحا للانس والجن حتى غشها إبليس نفسه . وإذا كان شعراء أوربا قد أشخصوا إبليس في قصة فلوست لجيته ، وهاملت لشكسبير بعد المسيح بسبعة عشر قرنا ، فلا عجب إذا سبقهم العرب الى ذلك ، وفي اعتقادنا انها خرافة تدل على ان زعيم القوم كان شيطانا .

ومن الحق ان نقول إن تعقيب الأستاذ النجار ، قد استغله كاتب لاحق ، دون ان يشير اليه ، وكانه قد اهتدى اليه من ذات نفسه ! وهذا مما يجب ان يكون موضع المؤاخذة إذ يلزم اللاحق ان يعترف بما نقل عن السابق ، وهو اعتراف يصفه بالدقة والأمانة اللتين ترفعان من قدره ، اكثر مما يرفعه اختلاس مشبوه .

● في القصة

لا حرج أن يظهر إبليس في قصة تتحدث عن النبي ، فقارئ القصة يعلم انها تحتاج إلى خيال يجسم الحقيقة ويظهرها في اجمل مظهر ، كما يعلم ان القاص ليس محققا يفحص الوقائع مؤيدا او معارضا ، ولكنه يختار من الوقائع ما يضيء الجوانب المظلمة ، ومن وسائل هذه الاضاءة ما يرفده به الخيال من تصوير جميل ، وقد اعترف الدكتور طه حسين في مقدمة على هامش السيرة انه لا يكتب للعلماء والمؤرخين ، لانه لا يريد بما يكتب جانب العلم والتاريخ ، وهو لا يتحدث الى العقل حديث الحقائق التي يقرها العلم ، ولكنه يتحدث الى القلب والشعور ليثير العواطف ، ويزكي الأحاسيس ! وفي ضوء هذه المقررات فتح الدكتور طه مكانا كبيرا لابليس في الجزء الثالث من كتابه ، فهو لم يقف به عند دار الندوة ليلة الهجرة ، بل سبق به البعثة المحمدية ، ورسمه شيخا جميل المنظر (كذا) في زى اعرابي يعترض ابا جهل ليسقيه شراب البغض لمن يسمى محمدا ، وليقول له فيما يقول إنه سيجعل الناس سواسية لا فرق بين حر وعبد ، وانه سيدعو إلى عبادة الله ويحطم الاصنام ، وقد سماه الدكتور طه (ابا مرة) وجعل يعدد مقابلاته الكثيرة لأبي جهل ، ليملأ قلبه سعيرا ملتهبا ، ويصور له نفسه وقد ضئولت وتلاشت جوار ما ينتظر محمدا من مجد ! ثم يصرح له بانه ابن النار منها خرج ، وإليها سيعود ، لا يعرف غير النار ابا او اما .

فإذا جاء الحديث عن مؤامرة دار الندوة فإن صاحب على هامش السيرة لا يزيد شيئا عن الواقع المتعارف ، وقد كان في وسعه ان يمتد بابي مرة حيث يجعله صاحب السيطرة الكبرى وذا الراى الناجع الذى تضافرت على تاييده البراهين ، ولكنه يكتفي بان يقول :

«وهذا ابو جهل بذل اقصى جهده ، وغاية ما يمتلك من قوة ، وآزره حليفه ابو مرة ، فاحسن مؤازرته ، واجتمعت قريش في دار ندوتها تتشاور في امر محمد ، وحضر اجتماعهم ابو مرة ظاهرا لهم في زيه ذاك ، الذى كان يراه فيه ابو جهل

(وحده) فلما جعل القوم يديرون رايهم بينهم اخذ ابو مرة يرد على كل متكلم كلامه ، حتى قال ابو جهل مقالته . فايدها ابو مرة كل التاييد . ولم لا ؟ لقد كانت مقالة ابو جهل تبلغه الغاية التي يسعى اليها . راى ابو جهل ان ينتدب لقتل محمد فتى "جلد" من كل قبيلة من قبائل قريش . حتى إذا اجتمع هؤلاء الفتيان عدوا على محمد ، فضربوه بسيوفهم ضربة رجل واحد ، فإذا فعلوا ذلك ذهب دمه بين القبائل . ولم يعرف بنو عبد مناف عند من يطلبون دمه.

يخيل اليّ ان الدكتور طه كان مجهدا حين بلغ بحديثه مؤامرة دار الندوة . والا فكيف اتسع خياله ليتحدث عن ابليس صفحات وصفحات كي يصور نفسية ابي جهل من خلال حديثه عن ملهمه وصاحب وحيه الشيطان . حتى اذا انتهى الى الموقف الذى ظهر فيه ابليس حيا متكلما فى صحف السيرة ، لم يشا ان ياخذ من حديثه المدون ، ما يمتد به الى تحليل تصويرى . يرسم المكونات الخافية ، ويفضح الخوالج الكظيمة . كما يفعل كبار القصاص ، حين يتعمدون تشريح الأهواء المتضاربة ! اتراه قد اكتفى بما اسلف . فاثر الايجاز .

● فى المسرحية

الف الأستلا توفيق الحكم مسرحية محمد ، لينقل مشاهد من السيرة النبوية فى قالبها الحوارى دون تعديل يمس الجوهر . وقد احتاط فلم يجر على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم غير ما قال ، كما لم يات الا بما روته كتب السيرة دون تزيد . وإذا كانت كتب السيرة قد روت حديث إبليس . ومجيئه في صورة الشيخ النجدى ، فإن الحكيم قد روى حديثا لابليس مع الحية ليلة الهجرة ! ولا ادرى إلى أى مرجع قد اتجه حين جعل الحية ذات موضوع فى هذا المجال ، فقد جاء المشهد السادس من مشاهد الهجرة على هذا النحو .

الحية (تصيح) إبليس في لبوس شيخ من نجد !
إبليس : لا تصيحى ايتها الضئيلة
الحية : ماذا جئت تصنع الليلة في دار الندوة ؟
إبليس : اريد محمدا
الحية : تريد به الهلاك !
إبليس : أريد لنفسى الحياة
الحية : ماذا صنع بك ؟
إبليس : يريد ان يغير وجه الأرض
الحية : كيف ؟
إبليس : نور يخرج من قلبه يضيىء الأرض
الحية : وما يضيرك في هذا ؟
إبليس : يعمى بصرى هذا النور
الحية : اطفئه من قلبه

إبليس : لا سلطان لي على مثل هذه القلوب

ولا أدرى ما دور الحية فى دار الندوة ؟ إذ أن دورها الذى ذكرته بعض الكتب كان فى غار ثور ، حين لدغت رجل أبى بكر ، فتساقطت دموعه . والطريف أن على باشا مبارك ، ذكر فى ترجمة السيد على البكرى فى الخطط التوفيقية وهو من أسرة الصديق ، ذكر أن أثر اللدغة التى علناها أبو بكر يوم الغار قد ظهر فى قدم السيد البكرى قبل أن يرحل ، كما هى العادة فى أبناء أبى بكر ، إذ كلهم يجدون هذا الأثر عند الاحتضار ! هكذا قال رجل التربية والتعليم فى مصر ، وهل يجسر مثلى على الاعتراض !

● فى الشعر

رحم الله صديقنا واستاذنا الشاعر الكبير محمد عبد الغنى حسن ، لقد ذكر خواطره النبيلة عن الهجرة النبوية فى قصائد كثيرة تتعدد بمرور الأعوام ، ومما كتبه فى هذا المجال مسرحية شعرية ذات فصل واحد عن مؤامرة دار الندوة ، إذ سجل شعرا ما دار من الحوار بين أبى جهل وأبى سفيان وامية بن خلف ، ويعنينا هنا ما ذكره الأستاذ عبد الغنى على لسان الشيطان ، حيث قال مبتهجا حين شهد حماسة المتآمرين :

هذا مجال الدس والتفريق بين الصديق الحر والصديق
لا كنت من نار ومن حريق إن لم أسر فيهم على طريقى

ثم قال محمد عبد الغنى حسن على لسان إبليس إذ يرد على من أمر بتركه محمد وشأنه

إنى أرى صحابة من حوله وعددا
فإن تركتم أمره اليوم فقد يعلو غدا
ناشدتكم أصنامكم أن تعملوا فيه المدى
وأن تريحوا العصر منه والمدى والأبدا

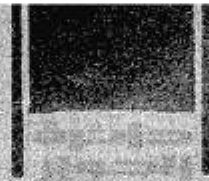
وهنا قال أبو جهل

ما كنت ياشيطان إلا رجع نفسى والصدى
لم تعد ما فى من الرغبة وقيت الهدى
قصدت بالأمس الفتى وكان يغشى المسجدا
أردت فضخ رأسه بحجر فمابدا ... !

ولعلنا نلحظ أن الشيطان هنا قد اقترح القتل ، وفى الرواية التاريخية أن أبا جهل هو الذى اقترح وإبليس سارع بالتأييد ، ولا خلاف يتضح ، لأن أبا جهل اذا كان هو المقترح فقد استجاب الى وحى الشيطان الرجيم !

هذه خطوات سريعة عن مؤامرة الندوة ، نكتبها فى مناسبة الهجرة ، ولو اتسع المجال لاستشهدت ببعض ما يدور فى هذا الفلك ، وقد يكون فيما ذكر بعض الغناء عما ضاق عنه النطاق .

● ● ●



[illegible] روبابيكيا
الدكتور غالي شكري!

بقلم: عبد الرحمن شاكر

لم أكن أود أن يطول الجدال بيني وبين الصديق الدكتور غالي شكري حول البريسترويكا، وخاصة بعد الكلمات الرقيقة التي طوق بها عنقي في مقاله الأخير بالهلال (عدد يونيو ١٩٩٠) بعنوان «البريسترويكا ليست روبابيكيا»! وهو عنوان غريب، مدهش ولكنني وجدت أغرب منه حرص الدكتور غالي على نفي أية صلة بين البريسترويكا والظواهر السياسية الأخرى، ففي اعتقادي أن مهمة الباحثين، هي البحث عن العلاقات بين مختلف الظواهر، واكتشافها، وليس طمسها وإنكارها وخاصة إذا ما كانت ظاهرة واضحة للعيان

إن الدكتور غالي في مقاله المذكور ينفي أية صلة للبريسترويكا، بما يسميه ثلاثة فرق، هي الرأسمالية والأحزاب الاشتراكية الديموقراطية، والتجارب السياسية والاقتصادية في العالم الثالث، وذلك لأنها «إعادة بناء البيت الاشتراكي»، وإذا كان ذلك صحيحا في حد ذاته، وهي أنها إعادة بناء البيت الاشتراكي، فهذا البيت يشمل الفكر الاشتراكي أيضا. لذلك صك جورباتشوف على كتابه «البريسترويكا؟ عبارة التفكر الجديد لبلادنا وللعالم». فاذا لم يكن إدخال آليات السوق الى المجتمع الاشتراكي عودة كاملة الى الرأسمالية، ونرجو ألا تكون كذلك، فإنها تعني اكتسابا على الأقل لبعض ملامحها، واضعين في اعتبارنا أن الرأسمالية ذاتها في العالم قد تطورت. وتعترف البريسترويكا بهذا التطور، وبأنها أصبحت تمتلك تكنولوجيا متقدمة جدا تسعى البريسترويكا الى اكتسابها، ولو عن طريق تقديم بعض التنازلات والمخاطرات الاجتماعية عن طريق إدخال آليات السوق من ناحية، «السماح بانشاء شركات استثمارية

اجنبية من جهة أخرى فى الاتحاد السوفييتى ، كل هذه حقائق معروفة تفيض بها يوميا أنهار الصحف .

ولكن أغرب ما فى مقال الدكتور غالى شكرى بحق ، هو إنكاره للعلاقة بين البريسترويكا والاحزاب الاشتراكية الديموقراطية فى الغرب ، وقد يكون ما كتبه فى هذا الصدد ردا على ما كتبته اخذا على البريسترويكا انها لم تحقق حتى الآن الوحدة ما بين الأحزاب الشيوعية والأحزاب الاشتراكية الديموقراطية ، بعد ان عادت معظم الأحزاب الشيوعية الى الديموقراطية ، وفى مقدمتها الحزب الشيوعى السوفييتى .

إننى لا أختلف مع الدكتور غالى شكرى فى أن الأحزاب الاشتراكية الديموقراطية فى الغرب كان لها ماض استعمارى ، عانينا منه نحن شعوب العالم الثالث ، ولكنها بالنسبة لبلادها ـ أوربا الغربية بصفة خاصة ـ قد حققت الكثير فى مجال الاصلاح الاجتماعى ، كما أن موقفها من الاستعمار قد تطور بانتصار حركات التحرير فى معظم المستعمرات الأوربية السابقة ، وإذا كانت « الظاهرة الاستعمارية » الأساسية حاليا هى مسألة ديون العالم الثالث المتراكمة ، فإن لهذه الأحزاب موقفا أكثر تقدما من سواها ، وتطالب بالتنازل عن جزء كبير منها ، وذلك لوعيها بأن استمرار عبء هذه الديون ، سوف يجعل دول العالم الثالث عاجزة عن الاستمرار فى استيراد منتجات الدول الصناعية المتقدمة ، مما يعني مزيدا من البطالة لعمالها ، وهم القاعدة الاجتماعية لتلك الأحزاب ، وهكذا تتبدل المواقف السياسية طبقا للمتغيرات المختلفة ، ونشوء مصالح جديدة قد تتناقض مع سابقاتها .

اما الاحكام العشوائية التى يصدرها الدكتور غالى شكرى على هذه الأحزاب من نوع انها «أحزاب راسمالية لا غش فيها» ، فذلك لا ينتمى بدوره « للتفكير الجديد لبلادنا وللعالم » كما يدعو جورباتشوف ، الدكتور غالى يقول إن البريسترويكا ليست روبابيكيا ، ولكنه فى الواقع يهيل عليها من «كراكيب» الافكار التقليدية المنبوذة للأحزاب الشيوعية ما يجعلها كذلك ! على أن جورباتشوف قد اراحنا من هذه القضية ونرجو أن يريح الدكتور غالى أيضا ! وذلك أنه أنشأ مقالا فى العدد الأول من مجلة جديدة اسمها «اشتراكية المستقبل» تصدر فى باريس ، ويصدرها عدد من كبار المفكرين والكتاب من مدارس اشتراكية مختلفة على حد تعبير جريدة الاهالى ، التى نشرت ترجمة للمقال فى عددين منها بتاريخ ١٢ ، ٢٠ يونيو ١٩٩٠ ، بقلم الاستاذ محمد مستجير مصطفى .

ماذا يقول جورباتشوف ؟

يقول جورباتشوف فى مقاله المذكور :
«تضع الاشتراكية هدفا لها تحرير الانسان من كل أشكال الاستغلال والقهر ،



د. غالى شكرى



جورباتشوف



ماركس

وترمى الى توفير الظروف الاجتماعية التى تكفل الازدهار الحر لأكبر عدد ممكن من البشر، ومن هنا تأتى تلك الصيغة الشهيرة «القائلة» إن الازدهار الحر لكل فرد هو شرط الازدهار الحر للجميع» - وهى صيغة مشتركة من حيث المبدأ بين انصار مختلف تفسيرات الاشتراكية، سواء كانوا اشتراكيين، أو اشتراكيين ديموقراطيين، أو شيوعيين» ثم يمضى قائلا :

«ومن الناحية التاريخية ظهرت وجهتا نظر أساسيتان فى صفوف الحركة الاشتراكية، إحداهما تتصور الاشتراكية عملية اصلاح تدريجى، تدخل الاشتراكية فى المجتمع القائم، والأخرى ترى الاشتراكية نظاما يحل فى وثبة جدلية محل الرأسمالية التى استنفذت إمكاناتها التاريخية، ويجد كل من هذين المفهومين أصله لدى ماركس، ولكل منهما : التطورى (الاصلاحى) أو الثورى أساس موضوعى» .

أين هذا مما يذهب اليه الدكتور غالى فى قوله «لقد ولدت الأحزاب الاشتراكية الديموقراطية، بمواجهة الماركسية بأفكارها وأحزابها» ؟ ! ومن المعروف تاريخيا أن الاحزاب الشيوعية قد نشأت بعد الثورة البلشفية حينما دعا لينين إلى الانشقاق عن أحزاب الدولية الثانية الاشتراكية الديموقراطية، وتأسيس دولية جديدة عرفت باسم الكومنترن ! فالدكتور غالى يقلب الحقيقة التاريخية رأسا على عقب، ويسمى ذلك «توضيحا» للبريسترويكا ونفيا للبلبلة ! !

ونعود الى كلام جورباتشوف، يقول :

«وقد تبنت ثورة ١٩١٧ فى روسيا اندفاعة الثورة الفرنسية الى الحرية والمساواة والاخاء، وقامت برهانا جريئا لوضع هذه المثل العليا الكبرى موضع التطبيق، ولعبت هاتان الثورتان العظميان فى الأزمنة الحديثة دورا محركا هائلا فى تقدم البشرية، وإذا كان التقدم الكبير نحو المستقبل لم يعط الشعوب فى هذه الحالة أو تلك كل ما وعدت به فإن افكار الحرية والديموقراطية والعدالة قد انغرست فى عقول الأجيال المتتابعة

ووجدت فيها تربة صالحة وألهمت شعوبا أخرى »

« وكانت ثورة أكتوبر حدثا كبيرا فى التاريخ العالمى فى القرن العشرين ، فقد قلبت منظورات القوى الاجتماعية والسياسية فى العالم ، بل غيرت صورتها العامة كذلك وأعطت دفعة قوية لحركات التحرر المناهضة للأستعمار والامبريالية ، والحركات الاشتراكية الديموقراطية ، بل نستطيع فى النهاية أن نقول انه كانت من نتائجها المباشرة نوعية جديدة لنضال عمال البلدان الراسمالية دفاعا عن مصالحهم وحقوقهم ، والتحويل الديموقراطى للمجتمعات البرجوازية اذ حفرت داخلها تحسين الرفاهية العامة والحماية الاجتماعية »

وبعد أن يذكر جورباتشوف متاعب بناء الاشتراكية فى الاتحاد السوفييتى يقول :

« وقد واجه الاشتراكيون الاصلاحيون بدورهم عثرات وإن كانت من طبيعة أخرى ، فقد اصطحب تكوين دولة الرفاهية ظواهر أثارت سخط السكان ، واستغلتها الأحزاب البرجوازية وظهرت المشكلات المرتبطة بالثورة التكنولوجية الجديدة ، وبالتغيرات العميقة التى طرأت على هيكل المجتمع ، وطبيعة العمل ، ونمط معيشة الناس ، وعقلياتهم وأمانيهم ، وحاجاتهم ومسالكهم ، وقد تأخرت الحركة الاشتراكية فى صياغة البرامج البديلة ، ولكن فى الوقت ذاته فإن حيوية المثل الاشتراكى قد تعززت ـ وهذا ما أود تأكيده بصفة خاصة ، فقد أضيفت الى المشكلات الاجتماعية القديمة ـ التى حلت جزئيا وخفت جزئيا ، ولكنها كذلك تفاقمت فى كثير من الأماكن مشكلات جديدة ، وواجهت البشرية للمرة الأولى مشكلة بقائها ، وأصبح تدويل وجهات النظر لحل تناقضات العالم ضرورة مطلقة ، سواء بالنسبة للقضاء على خط الحرب النووية أو غيره من المشكلات العامة ، الاقتصادية والايكولوجية والاعلامية والديموجرافية والموارد الخ »

« من هنا تنبع الحاجة الى فهم جديد للاشتراكية على ضوء الخبرة التاريخية والواقع الجديد ، فلم يعد تأسيس الاشتراكية كضرورة اقتصادية وكنتيجة حتمية لتطور الراسمالية كافيا .. الى أن يقول : وتطرح نفسها بطريقة جديدة كذلك مسألة (فاعل) الحركة الاشتراكية ، ففى أيام الثورة الصناعية والتصنيع كانت الاشتراكية تتطابق فى المقام الأول مع الطبقة العاملة ولكن الثورة التكنولوجية المعاصرة تؤدى الى انخفاض عدد أفراد الطبقة العاملة التقليدية وتتزايد أهمية دور المثقفين وغيرهم من المجموعات والفئات الاجتماعية الاخرى » .

وعند هذه النقطة من كلام جورباتشوف أرجو من الدكتور غالى أن يراجع ما قلته فى مقالى السابق بالهلال عدد مايو ١٩٩٠ ، فى الرد عليه بعنوان « البريسترويكا سبقناها ولم ننتحلها » ، ما قلته من أن صيغة تحالف قوى الشعب العاملة التى اختارها جمال عبدالناصر كانت أكثر تقدما من صيغة ديكتاتورية البروليتاريا ، وأن قبول الماركسيين



جمال عبد الناصر

المصريين لهذه الصيغة وحل منظماتهم السرية ، كان سابقا على البريسترويكا وطليعة لها ، ودلالة على أن تجارب العالم الثالث لم تكن بعيدة عن مجرى التطور العالمى والتأثر به والتأثير فيه بدورها فضلا عن أن تحليل جورباتشوف للعلاقة الجدلية ما بين الشقين الثورى والاصلاحى للحركة ، الاشتراكية . لا يختلف فى شىء عما ذكرته فى كتابى الذى يصفه الدكتور غالى مشكورا ، بأنه معروف !

وأخيرا انقل عن جورباتشوف ترداده للدعوة التى دعوت إليها فى كتابى المذكور الى أنهاء الانقسام فى الحركة الاشتراكية العالمية حيث يقول فى المقال المشار اليه :

« وقد تطورت فى السنوات الأخيرة اتصالات جادة ومفيدة بين الأحزاب الشيوعية والأحزاب الاشتراكية الديموقراطية ، وهو أمر يسعدنى ، فللمرة الأولى منذ عام ١٩٦٤ تنطلق عملية جديدة وقد رحبت بذلك إذ سيكون للتغلب على الانقسام التاريخى للحركة العالمية دلالة هائلة فى التغيرات الراهنة فى العالم » ، ويمضى قائلا : « واليوم لم تعد هناك بين الاشتراكيين والشيوعيين الهوة التى كانت تفصل بينهم ، وقد أخضع الشيوعيون أوجه ضعفهم وأخطاءهم لنقد قاس ، وعملية التجديد فى البلدان الاشتراكية تخلق ظروف تفاهم وارتباط متجدد بأفضل افكار أكتوبر الباهرة ، وكذلك بالحركة الشيوعية التى ولدتها » ، ثم يمضى قائلا :

«وتثبت الوثائق النظرية التى اقرها مؤتمر الدولية الاشتراكية الثامن عشر أن هناك نقاطا مشتركة كثيرة فى نظرتنا إلى العالم الحديث وفهمنا للمهام المطروحة أمام كل القوى التقدمية ، وعلى منطق تطور العالم الحديث والوضع العالمى والخبرة التاريخية تقاربا لا فى المواقف السياسية فقط بل كذلك فى وجهات النظر بشأن قاعدة القيم الانسانية والديموقراطية ، وكل هذا يجرى العمل فيه الآن ويكتسب أهمية هائلة بالنسبة لمنظورات الاشتراكية والحركة العمالية وللعالم بأسره » .

إننى لا أستطيع أن أمضى فى نقل كل نصوص جورباتشوف الأخيرة ، ولكن بوسع الدكتور غالى شكرى العودة اليها ، وإلى كتابى القديم أيضا ، ليعلم أن دعاوانا لم تصدر من فراغ ، وأن اليسار المصرى كان له اجتهاده المثمر فى ظروف صعبة ، ولا يستحق أن يحمل عليه غالى شكرى ، مثله مثل كتاب اليمين سواء بسواء !

تعالوا : نزرع البحر !

بقلم : محمد فتحي

يتزايد على نحو سريع عدد سكان كوكب الارض ، وتتزايد معهم احتياجات الغذاء والمياه والطاقة والمواد الأولية ، و .. الأمر الذى دفع الانسان الى الاعتماد المتزايد على ثروات « البحر » ، الذى يعد كنزا وقف الانسان طويلا عاجزا عن النهل منه ، ثم راحت مكامنه ـ مع التطور العاصف للعلم والتقنية ـ تتفتح امام البشر ، وباتوا يكسبون من « مناطقه الساحلية » (الافريز او الجرف القارى) مايقدر سنويا بمئات المليارات من الدولارات ، كما راحت الدول الأقوى ، تنصب شباكها ، فى احكام حول ثرواته فى ظل واقع يتيح لها ان تحول مناطقه ـ البحر ـ مهما بعدت الى امتداد لها !!

وقد تعودنا ان نرسم حدود عالمنا العربى اعتمادا على البحر : « من المحيط الى الخليج » .. واذا اضفنا الى المحيط والخليج ـ ومابينهما من « بحار » ـ مشاكل النقص الفادح فى الغذاء ، والقصور المطرد فى الموارد المائية ، وضرورة البحث عما « يقيم اود الأمة » مع التناقص المستمر فى مواردها الطبيعية ، وحتى ضرورة حماية « البحر العربى » من الموت تحت سطوة التلوث ، ناهيك عن النهب » . واذا وعينا كل ذلك ادركنا اهمية البحر فيما يخص حاضر ومستقبل الأمة ، واهمية تحويل شعار تعالوا نعمر البحر الى عمل وواقع !



حلم العودة الى البحر يداعب الانسان من قديم الزمان . والانسان لم يكتف يوما بالحلم ، لكن قضية تعمير الغلاف المائى تدخل هذه الايام مرحلة جديدة تماما ، بعد ان اثبت العالم الفرنسى جاك إيف كوستو ان بمقدور الانسان العيش والعمل تحت الماء كما هى الحال فى عيشه وعمله فوقها تماما .. وبعد ان راح معماريو اليابان وانجلترا يعملون على قدم وساق ، فى تصميم مدن من الزجاج والخرسانة مجهزة بكل المرافق والخدمات ، يعيش فيها الناس تحت سطح الماء ، وتتسع الواحدة منها لثلاثين الف ساكن !!

والدافع الى تعمير الغلاف المائى او القارة السادسة ان اليابسة لم تعد تكفى الانسان سكنى وعيشا وموارداً ، .. وليس غريبا ان يلجأ الانسان الى البحر بحثا عن حلول لمشاكله ، بعد ان انهمك فى فعل ذلك حتى وسط الظروف

تعالوا نعمر البحر !



الشرسة للفضاء الكوني ، بالذات والغلاف المائي يعطي مايقرب من ثلاثة ارباع مسطح كوكبنا ، وهو مستودع احتياطيات هائلة وغير محدودة . ولم تستغل على النحو الامثل يوما ، ناهيك عن ان كثيرا منها معرض للضياع .

ولما كان العيش في البحر وتعميره افقا وواقعا مازال بعيدا جدا عنا ، نحن العرب ، فلا باس من النكوص للتو الى سبل اقرب او مظاهر جزئية في استثمار وزراعة وتعمير البحر .

ولعل اقدم سبل استثمار الانسان للبحر هي الاستفادة من اسماكه وثرواته الحيوانية عامة .. وهناك تناقض شديد بين سعة مساحة المحيط المائي (٧٠٪ من مساحة الكوكب) وقلة النسب التي يقدمها من غذاء الانسان ، التي لاتزيد على واحد في المائة ، ومما يزيد العجب بصدد هذا التباين ان الاسماك ذات قيمة غذائية

مرتفعة جدا ، اذ تحتوى على المركبات الاساسية التى يحتاج اليها جسم الانسان بما يجعلها علاجا ليس فقط لمشكلة سوء التغذية الناشئة عن نقص البروتين الحيوانى ، بل ولأمراض النقص فى الاملاح المعدنية وبعض انواع الفيتامينات .

فلسفة الصيد

بيد انه تظهر هنا مسالة معاكسة فليس سرا ان الصيد يجرى فى كل مكان تقريبا . وفق قانون ، صد حيثما يكثر السمك ، وكثيرا ماتصاب اسراب بعض انواع الاسماك باضرار بالغة نتيجة هذا الصيد غير المتوازن ذلك بينما يتوجب من وجهة النظر العلمية ، دراسة اسرة الاحياء البحرية فى المكان المعنى وعلاقات التفاعل بين مختلف اعضائها ومستوياتها ، حتى نقرر الأماكن (والانواع) التى يمكن زيادة الصيد فيها (ومنها) دون الاضرار بالدورة المتكاملة للحياة .. وذلك بالاضافة الى ضرورة اتخاذ الانسان موقفا تنمويا ايجابيا يتعدى « فلسفة الصيد » وكما تطور الامر فيما يخص اللحوم العادية التى راح الانسان يدجن ويربى حيواناتها - بعد ان كان يقتصر يوما على صيدها - فان عليه ان يسعى الى التوسع فى انشاء مزارع الاسماك والاحياء البحرية فى مناطق السواحل ذات المياه الضحلة . وان يعمل جديا فى زرع البحار .

ويحتاج ذلك الى دراسة مستفيضة لمياه البحر وماتموج به من احياء ولاسيما الاسماك ذات القيمة الاقتصادية . كما يحتاج الى دراسة سلوك وبيولوجيا الاسماك ، وتاريخ حياتها ، ومواطن تكاثرها ، وعاداتها ، والعوامل التى تؤثر على هجراتها ، ونوع الغذاء الذى تقتات به و .. حتى يمكن زيادة المحصول السمكى دون الاخلال بالتوازنين الحيوى والبيئى .

ومن جانب اخر يحتاج الامر الى دراسة قاع البحر فى مناطق حقول الصيد الرئيسية بالذات فى الجرف القارى ، الذى ينحدر انحدارا تدريجيا حتى يصل الى ٢٠٠ متر تقريبا لتبين مدى صلاحية هذا القاع لعمليات الصيد وافضل الوسائل التى يمكن استخدامها فى ذلك

وكل هذه الاجراءات تحول عملية صيد وزراعة الاسماك الى نطاق يختلف تماما عن النطاق الشائع فى عالمنا العربى اليوم ، يحتاج الى تكاليف وتوظيفات اكبر بما لايقاس . وفيما يخص الدراسات وتطوير وسائل الصيد والنقل ، وإنشاء خطوط الانتاج القادرة على معالجة محصول الصيد الكبير ، وهذه تكاليف وتوظيفات ضرورية اذا تخلينا عن الاسترشاد بالمعايير الربحية ضيقة الافق ، وكنا جادين فى العمل على انقاذ الغلاف المائى من الهدر والموت ، والانسان من الجوع والتبعية .

ومع ذلك تبقى درجة التعمير التى يحتاج اليها استغلال الاحياء المائية

بسيطة للغاية مقارنة بمجالات استفادة تحتاج الى امكانات اكبر بكثير .

فالبحر مصدر اساسي للحصول على المواد الأولية والاملاح المعدنية ويشهد عالم اليوم تصاعدا مستمرا في كمية النفط المستخرجة من البحار ، وذلك علاوة على الكثير من الاملاح المفيدة الغنية بكل العناصر الكيميائية بما في ذلك اليورانيوم والذهب والبروم والمغنسيوم واليود و.....

● عالم هائل الثروات

وبالفعل تستخرج من رواسب الاعماق حاليا كميات كبيرة من القصدير والذهب وغيرهما من المعادن الثمينة ، وقريبا سيتسع نطاق استثمار الثروات الطبيعية الكامنة في الجرف القارى (على عمق ٢٠٠ - ٣٠٠ متر) بل والقاع في عرض المحيط (اكثر من ٢٠٠٠ متر) حيث توجد مناجم هائلة من خامات الحديد والمنجنيز الغنية بالنيكل والكوبالت والنحاس .. وقد تجمعت خبرات غنية في التنقيب عن الثروات الكامنة في قاع البحر وتوفرت الامكانات التقنية لاستثمارها ، لكن الصراع الذى كان قائما بين الاغنياء حول هذه الثروات وحول التشريعات التي تحكم الاستفادة منها ، عوقا النشاط في هذا المجال طويلا ، لكن الظروف التي جدت على الساحة الدولية اخيرا ، تسهل مهمة نهب الاغنياء لهذه الثروات ، دون ادنى مشاركة من جانب الفقراء .

هذا ويشكل الغلاف المائى في حد ذاته ثروة حقيقية اذ يضم ٩٧٪ من المياه الموجودة في كرتنا الارضية ، (٢٪ متجمدة في المناطق القطبية ، ولاتتعدى نسبة المياه العذبة ١٪) ونظرا لتعاظم حاجة البشرية للمياه العذبة بدأت عمليات تحلية مياه البحر تلعب دورا متزايدا في المناطق التى تفتقر الى المياه ، وتستخدم في ذلك طرق عدة تتراوح بين استخدام الطاقة الشمسية وبين استخدام الطاقة الذرية .

ودور « البحر » في حياة البشر يتعدى كونه خزانا ومزرعة للاحياء المائية ، او مصدرا للثروات المختلفة ، فهو واحد من اهم سبل النقل ففوق مياهه سارت السفن بالشراع ثم بالبخار ، واخيرا بالطاقة الذرية . وحتى ناخذ فكرة عن ابعاد حركة النقل التى تقوم بها البشرية في المحيط العالمي نذكر ان قيمتها تضاهي ضعف قيمة مايدره المحيط من غذاء ، وزهاء اربعة اضعاف قيمة الثروات الطبيعية المستخرجة ، والتطور المعاصر يبين ان هذا الحجم في تزايد مستمر ، وبالذات في البحار التى تحف بالعالم العربي .

هذا وينطوى البحر على احتياطيات هائلة من الطاقة الحرارية والميكانيكية التى يتبادلها جزئيا مع الجو .. ولذا تلعب العمليات التى تجرى في المحيط والجو فوق سطحه الدور الرئيسي في حالة الطقس التى تسود اليابسة ، بل

وفي نطاق انتشار الحياة عليها .. ذلك ان البحر يشكل رئة لليابسة تنتج نصف كميـة الاوكسجين الموجـودة على الأرض ، (من خلال عملية التمثيل الضوئي التي تقوم بها الاحياء الدقيقة الموجودة في الطبقات العليا من البحر) .

وان كان دور البحر في تهيئة ظروف الحياة يبين علاقة ماسبق بقضية تنميته الا انه ينبغي التاكيد على عامل سلبي في هذا الصدد ، ذلك ان البحر قد تحول ، للاسف الشديد ، الى « صندوق قمامة » تلقى فيه البشرية مباشرة ، وعبر الانهار ، ومن خلال حركة النقل المتزايدة كميات ضخمة من النفايات الصناعية والمعيشية ، حتى ان مياه البحار المتاخمة لعدد من البلدان اصبحت ملوثة (لمئات الكيلو مترات) بـالـزئبق والرصـاص والمبيـدات ومشتقات النفط ، بكثافة تتجاوز كثيرا الحدود المسموح بها ، توقع اضرارا بالغة بـالاحياء .. واستمرار طرح النفايات بالمعدلات الحالية ، اضافة إلى كثافة حركة النقل البحرى وماينتج عنها من اضرار ، يمكن ان يؤدى الى تغيرات لارجعة فيها تحول المحيط الى جثة هامدة ، مما يخل بالتوازن المناخي الذي يسود اليابسة ، ويزيد من مشاكل الانسان .

ووعيا بكل هذه الافاق والمخاطر تقوم هيئات مختلفة في عدد من البلدان بعمل نماذج حرارية وهيـدروليكية ديناميكية للمحيط المائي تسمح بدراسة التحولات المستمرة الجارية فيه ، وفهم ميكانيكية هذه التحولات والعمل على التنبؤ بها .

وتنطوى مثل هذه النماذج على فوائد كبيرة للاخصائيين في كل فروع علوم البحار وذلك انها تسهم في تحديد مسارات الاحياء البحرية والمـواد الأولية والبنية الجيولوجيـة و .. ناهيك عن الشـوائب التي تسبب التلوث .

وهناك حاجة ملحة لاستكمال هذه النماذج بنماذج سمعية وبصريـة ونماذج موحدة لدورة المحيط والجو مع اخذ التفاعل بينهما بعين الاعتبار ، فذلك هو السبيل الوحيد لوضع تنبؤات طويلة الأجل عن حالة الطقس في مناطق عالمنا ، وهو امر ضروري لتعمير البحر واليابسة ناهيك عن حمايتها من الكوارث الطبيعية .

وعند هذا الحد ينبغى العودة الى ماذكرناه عند الحديث عن استغلال الاحياء البحرية من تكاليف باهظة ذلك ان دراسة المحيط يحتاج الى تجارب هائلة وباهظة التكاليف لايستطيع ان يتحملها بلد واحد بمفرده ، ومن هنا الحاجة الى التاكيد من جانب على ضرورة الجهد العربى المشترك ، ومن جانب اخر على ضرورة السعى الى المشاركة في تاسيس اجهزة دولية قادرة تضطلع بمثل هذه المهام حتى لاينحسر دورنا ، مع دور امثالنا من الفقراء ، الى انتظار مايمكن ان يقرره الاغنياء الأقوياء بصدد مصائرهم .

مصر .. هبة البحر

بقلم : محمود قاسم

لو ان هيرودوت زار بلادنا في زمن المواصلات السريعة لقال بلا تردد .. « ومصر هبة البحر ايضا » ..
ذلك لان هيرودوت قد شاء ان يرتبط بالنيل ، ولم تتح له الفرصة كي يتجول فوق ذلك الشريط البحرى الطويل الذى يمتد من برنيس عند البحر الاحمر جنوبا وحتى السلوم فى اقصى الشمال ..
ولو قام الرجل برحلته صباح اليوم على سبيل المثال سيرى ان امورا كثيرة قد تغيرت فوق ضفتي النيل ، واشياء كثيرة لم تتغير عند الشريط البحرى الطويل الذى يحف بلادنا ..

ارتبط المصريون طويلا بالنيل قبل ارتباطهم بالبحر .. حتى رحلاتهم البحرية كانت اغلبها فوق صفحة النهر لكن الاشياء تغيرت كثيرا بعد ان ارتبط المصريون بالبحر .. خاصة ان الذين اهتموا ببناء المدن الكبرى النائمة فى احضان البحر قد جاءوا من بلاد يعرفون قيمة البحار ، ويؤمنون ان من يملك البحر يملك العالم ..

فعندما جاء الاسكندر الاكبر عام ٣٣٢ قبل الميلاد الى جزيرة فاروس ، تطلع الى الافق العريض امامه . وجذبه خرير البحر فأمر بانشاء مدينة تحمل اسمه .. وعندما جاء عمرو بن العاص الى نفس المدينة فى عام ٢٤ هجرية تطلع الى البحر وامر ان يبنى مسجد حمل اسمه فيما بعد .. ثم عندما جاء السلطان قايتباى امر ان تبنى قلعة فوق اطلال منارة الاسكندرية القديمة ، ولاتزال القلعة تحمل اسم قايتباى حتى اليوم .

والمدن المصرية النائمة فى حضن البحر اغلبها مدن طولية .. يمتد

العمران بها بطول ساحل البحر .. حتى ان بعض الناس الذين يسكنون بعيدا عن المياه الزرقاء لايعتبرون انفسهم من ابناء المدينة الا اذا اتيح لهم هذا الامل .

وهذه المدن دائما ذات شريط ضيق .. تحفها الصحراء من الخلف مثل الاسكندرية ومرسى مطروح والعريش والغردقة وغيرها .. وقد اخترنا ان نتحدث هنا عن ثلاث مدن لايمكن ان تكتسب لنفسها حرية اذا اقيمت بعيدا عن البحر .. هى الاسكندرية والعريش .. ومدن القناة الثلاث .

● السمان والبحر

الاسكندرية مدينة طولية .. حتى فى اتساعها الاخير فى السنوات الماضية .. هو اتساع نحو الغرب والى جوار الشاطىء .. ولم تعرف المدينة اى اتساع نحو الصحراء او فوق البحيرة .. وقد تناثرت معالم المدينة وحضارتها على امتداد الطريق البحرى تجاوره كى تسمع خريره كأنها لاتريد الابتعاد عن زرقته الصافية .. ولا عن الدفء الذى يشع فى المدينة حتى فى اشد الليالى برودة .. ارتبط الناس بالبحر فى ارزاقهم وحيواتهم .. من صيد الاسماك الى السياحة .. حتى الاماكن الدينية المشهورة مثل مسجد أبى العباس تطل على البحر .

ورغم ان الامواج قد تهب عالية قريبة من المدينة فانها لم تطأها ابدا ولم تتطاول عليها فكأن البحر هو الام الحنون الذى يضم بين دفتيه ابنته التى لايمكن أن تكون جميلة وبارقة بدونه .. يغذيها بروح الحياة .. وبدفء خاص .. ويحتفظ بأسرارها وكنوزها . ويأتى اليها بالحضارات الاخرى وابنائها

ولذا فان للمدينة جاذبية خاصة على الفنانين والادباء الذين كتبوا عنها وعلى رأسهم نجيب محفوظ الذى كتب عن « السمان والخريف » و« ميرامار » كما قدم لورنس داريل رباعية الاسكندرية وخماسية افينيون . اما الكاتب اليونانى ستراتيس سيزكاس فقد كتب اجمل الروايات والقصص القصيرة وشرب من امواجها الشاعر كفافيس فابدع مايسمى بخلاصة الابداع .

والى المدينة جاء السينمائيون العرب والعالميون ليصوروا افلامهم عن « كليوباترا » و« بحار من جبل طارق » و« طريق الاسكندرية » كما صورها يوسف شاهين فى ثلاثية فيلمية كان اخرها اسكندرية كمان وكمان .

● عروس البحر .. حمراء

يمكن ان نقول نفس الكلمات عن منطقة قناة السويس .. فقبل ان يتم

حفر القناة ، قبل مائة عام ونيف ، لم تكن هناك اية منطقة معمرة فى شرق مصر . تلك المنطقة المزخومة الان بالمدن والناس جاءوا اليها منذ فترة قصيرة زمنيا فى عمر البشرية ، يقيمون صناعات جديدة ويمتهنون مهنا لم يعرفوها من قبل . ويشيدون البنايات العالية يصعد بعضهم الى السفن العملاقة لعقد صداقات عابرة مع ركاب السفن ، او ينزل البعض الاخر الى المياه فى مراكب صيد صغيرة للبحث عما يجود به البحر من خيرات يتاجرون تارة .. يقاومون العدوان القادم من الشمال الشرقى تارة اخرى . يهاجرون عن المدن عندما يحيق الخطر .. ثم يعودون مرة أخرى عندما يزول هذا الخطر .

وهكذا يمكن للبحر ان يترك بصماته الواضحة على الناس ، منذ صنعت قناة السويس من المدن التى تنام على ضفتيها فى الشرق والغرب فتيات حلوات ذوات حسب ونسب يتزاحم على ابوابهن الخطاب يطلبون الود والمصاهرة والرضا بعد ان كانت قبل اعوام قليلة بعيدة عن اى مسار من التاريخ الا من حديث عنها كمعابر مؤقتة شهدت عبور السيدة العذراء حاملة ابنها بين ذراعيها . ومطاردة فرعون لنبى الله موسى وهو فى طريقه نحو سيناء .

ومدن القناة الحديثة لم تعرف للاسوار شكلا ، تحفها الخضرة من الغرب وساحل سيناء من الشرق .. يشقها البحر ويحفها سواء فى الناحية الشمالية منها او فى الجنوب .. وقد استطاع الانسان ان يمزج ثلاثة الوان معا : خضرة المزروعات .. وصفرة الصحراء .. وزرقة البحر .. كل هذا مرسوم فى لوحة افقية يمكن للعين ان ترى الافق للابد .. ولمسافات طويلة .

مدينة بورسعيد مثلا لم يكن لها وجود على الخريطة قبل عام ١٨٦٠ الا انه عندما بدأت عمليات الحفر كان لابد من جذب مجتمع بشرى يتولى خدمة القناة .. فتم تأسيس المدينة التى تحمل اسم الرجل الذى امر بانشائها وكان صاحب الموافقة على شق القناة الخديو سعيد . كانت المياه المالحة تحيط بها من كل جانب مما جعلها منذ قدم التاريخ عبارة عن جزيرة تعانى عجزا شديدا فى الأراضى اللازمة لمواجهة احتياجات بناء المساكن او المصانع .

وقد ظلت المدينة حتى عام ١٩٥٤ عبارة عن مجموعة من الاكشاك الخشبية المتراصة وقد تحولت الى انقاض اثناء حرب السويس . ثم مالبث العمران ان مسها .. وتغير وجهها تماما عندما تحولت الى مدينة مفتوحة فى منتصف السبعينات .

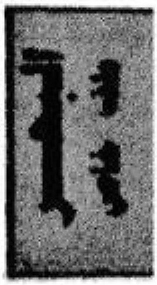
اما الاسماعيلية فهى باريس الصغرى مثلما اطلق عليها الاجانب الذين اقاموا بها ، انها ترقد بين البحيرة والقناة وتمتد المدينة بطولها ، الى جوار شريط القناة ، او البحر كما

مصر هبة البحر

يسميه الناس ، ولذا فان البلاجات العامة والخاصة تنتشر على شواطئها مثل بلاج الشعب .. ومصيف التعاون وجزيرة الفرسان التى تضم الاف الاشجار ، وتعد اجمل مناطق المدينة ، وقد اقامتها شركة قناة السويس القديمة لتكون مقرا للشركة الفرنسية

وفى الجنوب تقع مدينة « عروس البحر الاحمر » وهى التسمية التى اطلقها نابليون على مدينة السويس وهى اقدم المدن فى المنطقة حيث تم انشاؤها قبل الف عام لتكون ميناء يربط بين اهل الحجاز والهند وفارس والحبشة . الا انها ظلت بلدا مغمورا لا شأن كبيرا له . حتى تم شق القناة . ففى عام ١٨٢٣ كان عدد سكانها ١٥٠٠ نسمة وفى عام ١٨٥٨ مد الخط الحديدى بينها وبين القاهرة فارتفع السكان إلى اربعة الاف نسمة .. وقد ارتفع هذا العدد الى مليون نسمة فى السنوات الاخيرة .

● **مفاتيح اسرار المدينة**

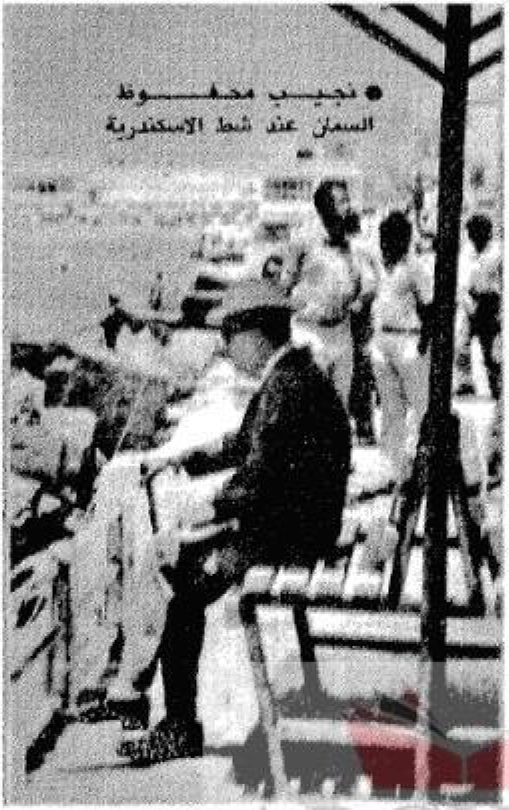


والصيد هو اهم مافى المدن الثلاث بعد التجارة .. وظهرت مهن لم تعرفها المدن المصرية الاخرى مثل « البمبوطية » وهم بعض السكان الذين يصعدون الى المراكب الراسية فى القناة او العابرة كى يبيعون للركاب ، وكل حسب شطارته بضائعهم المختلفة .. ويعودون بالعملة الصعبة او ببضائع اجنبية كالسجائر والمعلبات والروائح او بعض الملابس التى يبيعونها خارج اسوار المدينة وقد تحولت البمبوطية الى شخصية فولكلورية فى الفن المصرى يتغنى بها . وموجودة فى الاعمال الفنية التى تتناول حياة سكان هذه المنطقة .

ورغم وجه المدن المتغير فإن البمبوطية موجودون طالما وجدت السفن العابرة فهؤلاء الناس يعيشون حياتهم فى البحر رغم انهم ليسوا بالبحارة ولم يرحل اغلبهم خارج بلدته .

مدينة العريش هى ايضا احدى المدن المصرية التى تنام فى احضان البحر منذ ملايين السنين لقد سلمت المدينة لبحرها سرها ومفاتيحها وامنت بما يمكن ان يجلبه لها من هدوء وطمأنينة وامن خاص ، كانهما عشيقان لايعرف مابينهما سواهما هى مدينة لاتزال تحتفظ ببكارة خاصة .. لايزال النخل العالى سيدا وحارسا ابديا .

والعريش مدينة ايضا تمتد بطول البحر . كأنها مخلوق طولى على البحر ان يهدهده اذا نام فوق البساط الاصفر المرصع بالنخيل وتبرز عذرية المدينة فى كل مايمكن للمرء ان يراه هناك .. البحر الازرق . النخيل الاخضر والصحراء الصفراء والعريش مدينة شاهدة على التاريخ فهى بوابة مصر الشمالية من ناحية الشرق عرفت



فى عصر الفراعنة باسم رنيكلورا . واكتسبت اهمية خاصة على مدى العصور . حيث تشرف على طريق الحرب والتجارة الشمالى الذى عرف باسم حورس .

ولذا كانت العريش المصدر الاول لكل الغزوات التى تعرضت لها مصر فى حروبها عبر التاريخ منذ ان غزا الهكسوس وادى النيل ، وحين جاء الصليبيون ثم التتار . واخيرا الصهاينة .

وتنقسم المدينة كبيئة اجتماعية ـ الى قسمين اساسيين ـ الاول هو البيئة البدوية ، حيث يعيش البدو فى أماكن متفرقة حول المدينة ويترددون عليها من وقت لاخر ويحيا هؤلاء البدو فى مساكن تتوائم مع طبيعة الترحال .. وعدم الاستقرار اما المزارعون فقد آثروا الاستقرار واعتمدوا فى حيواتهم على الزراعة .

اما القسم الثانى فهو المدينة التى يمارس سكانها اعمال التجارة والصيد وايضا بعض اعمال السياحة وقد اختار الكثير من ابناء المدينة ان يقيموا على مقربة من بحيرة البردويل التى تبتعد نحو الجنوب بخمسين كيلو مترا .

وفى شوارع المدينة ـ يمكنك ان تجد اشهى الاسماك معروضة بارخص الاثمان . وكثيرا مايردد الصيادون ان البحر لايجلب السائحين فقط ، بل والاسماك التى يصدرون اغلبها الى اوربا والدول العربية .

نفس هذا العالم موجود فى كل المدن الصغيرة والكبيرة المطلة على شاطىء البحرين الابيض والاحمر . وماقلناه عن العريش مثلا يمكن ان يقال عن مطروح والغردقة .. الشىء الوحيد الذى يختلف هو بعض المبانى السياحية كالفنادق مثلا التى استحدث انشائها فى السنوات الاخيرة .. فالناس لهم نفس الوجوه والملامح والسلوك .. وايضا نفس اللهجة تقريبا .. ولذا فان انماط الحياة متقاربة .. واغلب ابناء هذه المناطق يميلون الى البقاء ساكنين يمارسون حيواتهم مثلما كان يفعل الاجداد .. وكأن عجلة الزمن لاتدور .

البحر فى التصوير المصرى المعاصر

بقلم : د. نعيم عطيه

فى لوحات الفنان المصرى خالد الذكر محمود سعيد (١٨٩٧ - ١٩٦٤) تتهادى بنت تجرى على شاطىء الاسكندرية فى رقة وغموض ودلال محبب الى النفس والعين .. وتبدو فى لوحاته رؤى اخرى للبحر ، بعضها مباشرة والاخرى توغل بعيدا فى « المثالية » والتعبير « الرمزى » الرصين . ولم يكن البحر عند محمود سعيد مجرد موضوع ، بل كان وجودا متكاملا حافلا بالمضامين .

واذا ذكر البحر فى التصوير المصرى الحديث ، فليس من هو احق بالكلام عن عطائه فى هذا المقام بعد محمود سعيد اكثر من سيف وانلى (١٩٠٦ - ١٩٧٨) الذى لم يكتف بان يستعير فى الوانه الصفاء والشفافية من بحر الاسكندرية ، بل كان ايضا مثل منارها وسفنها الغادية الرائحة ، فاستحق عن جدارة لقب « فنان الاسكندرية » ، وعندما نصفه بذلك نكون قد لمسنا ركنا جوهريا فى شخصيته ، وفهمنا علة ذلك التجدد والتنوع فى انتاجه ، وانلى كالاسكندرية .. بلده المنفتح على حضارات العالم . كل النسمات والرياح تهب على الاسكندرية ، جو الاسكندرية ذاته مشبع فى شكل اسطورى بتنوع فكرى متميز .. لو كان وانلى فنانا يعيش فى مدينة اخرى من مدن مصر لما بدأ فنه فى هذه الصورة التى بدأ عليها ، فقد تجاوبت لا محلية الاسكندرية جغرافيا وتاريخيا بمزاج وانلى الذى ما كان يهدأ له قرار .

وددت اذن ان افتتح هذه المقالة بالحديث عن محمود سعيد وسيف وانلى ، ولكننى اشفقت على غيرهما من المصورين اللاحقين عليهما الا ينوبهم من الكلام الا النذر اليسير ، بينما ان هذين الرائدين سعيد ووانلى يمكن ان يفرد لهما ، او لكل منهما حديث خاص .

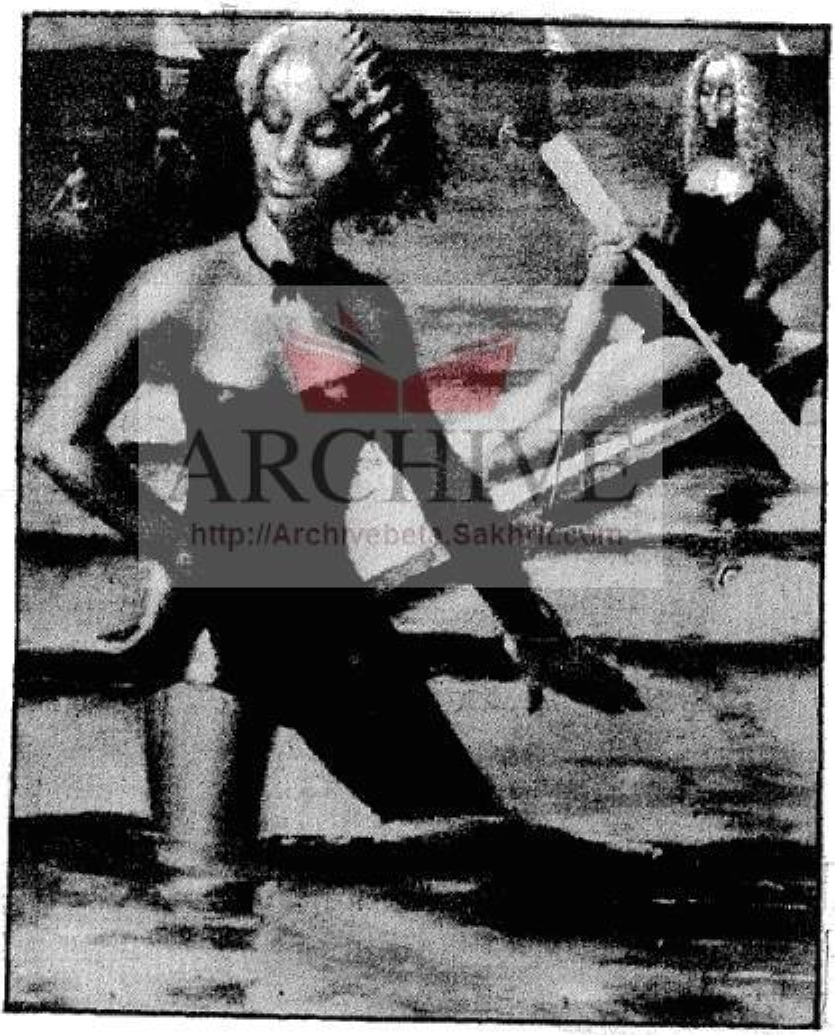
● ان تعيش البحر الوانا :

يصل الفنان بالنسبة لبعض الاشياء ، او لبعض الظواهر فى بعض الاحيان ، لا الى ان يرسمها من الخارج ، وهو شان الاغلب الاعم من

« فلأقف هنا ، ولأرى انا ايضا الطبيعة مليا . شاطىء بحر رائع ، أزرق اصفر ، فى صباح ، سماؤه صافية ، كل شيء جميل مفعم بالضياء ، فلأقف هنا ولأخدع نفسي بأنى ارى هذه حقا ولا ارى خيالاتى ومتعا وهمية » .

(كافافيس - البحر فى الصباح)

احدى نساء محمود سعيد على البحر

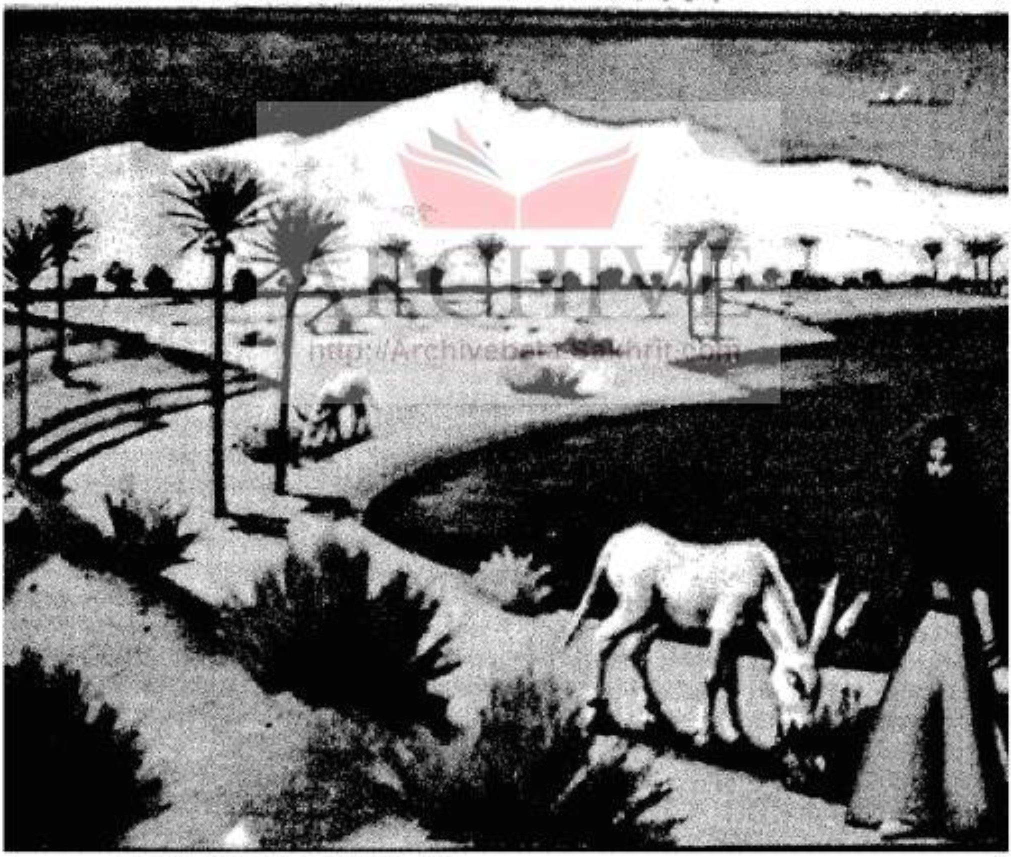


ممسكي القلم والفرشاة ، بل الى ان يحيا هذه الاشياء والظواهر . او بعبارة اعم ان يحيا الطبيعة .

وهذا ما حدث بالنسبة لازميرالدا حداد . انها لاترسم البحر . بل هي تعيش البحر . انها لاتروض البحر بعينيها بل تنبض بامواجه وعواصفه وشواطئه السلجية احيانا في دفء اصبحة الصيف . انها تتنفس البحر باشرعته واسماكه وطحالبه وطيوره المهاجرة . ويتاكد هذا اذا نظرنا الى لوحتها رقصة الاشرعة ، فهي ليست منظرا طبيعيا فحسب ، بل هي نبضات زرقاء لازوردية ، هي التجسيم التشكيلي لروح البحر . وكي نتاكد ايضا من تمكن ازميرالدا من موضوعها الذى عاشته بكل اعصابها وحواسها وفكرها ، نقف مليا عند تلك اللوحات التي تحررت من الالوان ، من الوان البحر التى هى اول ما يلصق بعين المصور التسجيلى ، فنجد ان الخيش قد نبض بحرا ونطق بحرا ، وتغنى باغنية البحر .

ولالتهاب (ازميرالدا التكوين .. تقذف الالوان على سطح لوحتها ، وتحرك فرشاتها بطلاقة وحيوية . وحتى لو كان اللون احمر ، او اى لون مهما بعد عن الوان البحر المعروفة ، فهو عن البحر يعبر ، وبقوة .

بحر رشيد خلف قريحة الفنان محمود سعيد



هذه القوة في التعبير ، مصحوبة بطلاوة الموج الذي يغسل ويطهر . والهواء البحري المحمل برذاذ الزبد المتطاير . تنتشل لوحات ازميرالدا من فتور المنتظر المعاد .. فهي عندما تعود الى موضوعها الاثير تكرره بايمان عميق حتى لتلمس علاقة عشق روحي بين الفنانة والبحر ، بكل فتوته وعنفوانه وبراءته . فازميرالدا من الفنانات اللاتي ما ان تذكر موضوعا حتى يرد الى الذهن توا اسمهن . ومن فرط حبها للبحر ، ترشق وتلصق وتطعم سطوح لوحاتها ببعض من مخلفاته ، من رمل ، وطحالب وقواقع ، ومراكب صغيرة خشبية .

وعلى الرغم من انها بهذه المعالجات لسطوح لوحاتها تتجاوز الاطر التقليدية لفن التصوير ، فانها تبقي على كثير من مذاق البحر في لوحاتها فالشاطيء حبات رمل ملصق ، والمراكب غالبا ما لا تكون مرسومة ، بل ماكينات خشبية صغيرة تثبت ببراعة ، على سطح اللوحة . وهكذا تقترب بعض الشيء من فنون الكولاج والريليف .. ولكن لم لا ، والفنانة تتوصل من ذلك الى اعطاء تأثيرات اشد وقعا في نفس المتفرج ؟

وتختار ازميرالدا لتصوير البحر مناظر جديرة بالتأمل ، ففي بعض

سيف وانلي في حالة رسم لاحدى لوحاته عن البحر



البحر فى التصوير المصـرى المعاصر

الأحيان تصور البحر من حالق . وكان الفنانة طائر نورس يرفرف فى السماء ويطل على البحر من عليائه .. وفى بعض الاحيان لانتبين نقطة ارتكاز للفنانة . عندما تصدت لتصوير منظرها . وغالبا ما يكون تصويرها لمنظر البحر في هذه الأحوال من نافذة فى مبنى بأعلى جبل أو على سفحه ، ترنو منه الى البحر وتدخل معه فى حوارها الدائم .

وبالذلك البحر ، الذي ملك حبه قلب ازميرالدا ، فقد حولته رمزا ، رمزا للحيـاة وللموت ، واضحت بعض مراكبها تمخر عباب هذا البحر صغيرة متضـائلة فى رحلـة الى الخلـود والأبدية .

● الطائر والمراكب .

وفى مجال موضوع البحر يجدر ان نذكر كل من المصورين السكندريين عادل المصرى واحمد عزمى . والأول صاحب دراميات تعبيرية داكنة اللون .

ولا انسى لوحته عن طائر البحر الصغير النهم الذى حط على حافلة قارب من قوارب الصيادين مترقبا ان يظفر بشيء مما اتت بها شباكهم . وايا ما كان اسهام عادل المصرى فى موضوعات اخرى غير البحر . الا انه لايبدو اصيلا وجديدا بقدر ما يبدو عندما يختار موضوعا من صميم حياة أهل البحر ليستخلص منه أعمالا فنية



جديرة بالأحترام . ان عادل المصرى كفنان سكندرى يتجلى على الاخص فى موضوع الصيادين ، وهو يعالجه بنزعته الصوفية والماسلوية ، فيحدثنا من خلال الوان داكنة ضبابية ، الى حد ما ، عن التصاق الصياد بقاربه ، وحياته فيه ، بحيث ينغلق العالم عليه وتصير هذه الأخشاب النخرة السوداء هى عالمه كله . وفى النهاية يكون فى هذا القارب هلاكه ، بل وقبره ايضا .

● عالم الاحلام والاساطير

ومع لوحـات احمد عـزمى فى الستينات ندخل الى عالم الاحلام والاساطير .

ويبدو الحلم على الأخص فى المعالجة اللونية .. فكل اللوحـات تعطى ايقاعا وذبذبة ، وتذكرنا حركة اللون بقماش الشوادر الشعبى كما يبدو فى الغاء القوانين الطبيعية ، فيصبح المخلوق الذى يصنعه الفنان أثيريا ينفتح على العناصر الاخرى فى الوجود الذى يتحرك فيه ، فلا يحول الجسد من ان تبدو البيوت والتلال والشجر من خلفه وذلك بفضل شفافية ذلك الجسم الذى يبدو بللوريا الى حد كبير ، ورافضا لقـانون الجـاذبية الأرضية ، فيكون مع ما حوله نوعا من الترابط والحركة . ويتحقق ذلك جزئيا ايضا بالشكل الدائرى غير الكامل المتمثل فى الأقواس وعلاقاتها بعضها ببعض .. وتتداخل عناصر المنظور فى سيمفونية من التلاقى بين الجو والطائر والمخلوق الانسانى والبيوت والجواد والشجر مما يجعل الابعاد الواقعية قليلة القيمة .

كما يصبح البعد الزمنى على الاخص غير موجود .

استخدم احمد عزمى خطوطا مرنة غير متصارعه اساسا ، وليس فى أجسامه زوايا حادة على الاطلاق ، وليس للتحديد الخارجى للشكل قيمة عنده فى حين تبدو حركة الخط مهمة ، فاليد قد تبدأ بسمك وتنتهى بسمك آخر . ويستفيد المصور الفنان فى بناء اسلوبه بتتابع الوحدات الزخرفية التى عرفها الفن الاسلامى ، كما يستفيد بالنسيج القبطى على الاخص فى الغاء البعد الثالث والاتكان الى اسلوب التسطيح ، مما يوصل الى الايحاء بان اللوحة انما هى نسج سجاد ، كما فى لوحته « صندوق الدنيا » (١٩٦٩)

والبعد الثالث فى رأى احمد عزمى يضعف من التصميم المطلوب ، لأن التصميم الذى يريده هو "تصميم بنائى " وليس للاشكال من قيمة جمالية الا فى خدمة التصميم فحسب . فالباب الذى فى لوحة « صندوق الدنيا » لايمثل دخولا الى المشهد او خروجا منه ، ولايحقق بعدا ثالثا بل هو فى التحامه بالمقدمة يحقق التناسق للمجموع .

تلاشى الواقع فى لوحات احمد عزمى مع بقائه غلالة رقيقة تتشح بها الاساطير ، وهى اساطير تحكى عن الرجل والمرأة ، عن الصد والود ، التمنع والاقبال ، عن العاشق الجسور يخطف فتاة الاحلام ، عن « الصياد وعروس البحر » ، عن « الفارس والجواد » ، عن « الفتاة والطائر » و « غزالات القمر » ، عن « السانتور » ذلك الحيوان الخرافى الذى نصفه انسان ، يخرج من البحر يسبى حسان الشاطىء بقوة عضلاته وفورة رجولته ، فى لوحة « الصياد وعروس البحر » . يتمثل التكوين فى شكل انسانى طولى هو الصياد فى قاربه ، وشكل انسانى عرضى هو عروس البحر فى أسفل القارب ، وهى تدعو الصياد الى ان ينضم اليها ويلحق بها ، وهو يتردد بين اغراء المرأة الساحرة وبين عياله وزوجه ، فيبدو الكرب والصراع فى نظرته ، وهو يجذب شبكته فى حين يهمس فى اذنه الصوت الفضى ، صوت الجنية ، خانقة البحارة والصيادين ، ممزقة الشباك محطمة القوارب والآمال ، الباكية عند الصخور ، تنشد الحب وحرارة القبل ، ويعلو غناؤها الشجى فى الليالى المقمرة ، وتلمع جدائلها الذهبية فى ضوء النجوم .

وصورة المرأة عند احمد عزمى مستمدة من حصيلة ذكريات ، فهى ليست امرأة واقعية من لحم ودم ، مثل عاريات محمود سعيد ، بل ان فى الشكل تحويرا واضحا يقصى كل خليقة جنسية أو حسية ، ولايستبقى الا ايحاء بالليونة والخفة برغم الامتلاء الظاهر ، وفى الوجوه مسحة من الفن القبطى . واذا قيل انها وجوه رومانية وبطلسية عرفتها الاسكندرية عبر تاريخها ، فيجب الا ننسى ان الفنين الرومانى والبطلسى فى مصر تأثرا وتشربا بالفن القبطى كثيرا .

يقول الفنان احمد عزمى فى صدد معالجته للأسطورة انه يحاول ان يجعل منها تشكيلا وليس ادبا حتى لايخرج عن مجاله كمصور ، لغته الخطوط والألوان ، وليس العبارات والكلمات ،

البحر فى التصوير المصرى المعاصر

بنات بحرى .. جئن من الانفوشى الى القاهرة .. من لوحات محمود سعيد

ألا ان انسيابية اللحن وانتظام الايقاع الشعرى وطلاوة الاحدوثة ، هى امور تلمسها بيسر خلف اللغة التشكيلية لهذا المصور السكندرى .

● عالم النقاء والرطوبة والأصالة

وازاء لوحات فنانى الاسكندرية عفل المصرى واحمد عزمى البالكرة نحس بأن ثمة عالما نقيا رطبا اصيلا قد هبت نسائمه علينا . ان اعمال الفنان احمد عزمى بأثيريتها والوانها المشربة بروح البحر تجعلنا نحيا لحظات فى الاسكندرية ، وكذلك عندما يعرض علينا الفنان عفل المصرى ، جوانب من حياة الصيادين ، وعلى الاخص مراكبهم واسماكهم وما يحط على قواربهم من طيور نهمة صغيرة ، نحس بأن الاسكندرية ليست مجرد مدينة ، بل هى عالم كبير متكامل البنيان .

وعبر ليونة فى الخطوط وتكوينات

البحر كما رسمه الفنان الفرنسى كلود مونيه ١٨٦٧





البحر فى التصوير المصرى المعاصر

اثيرية امكن لأحمد عزمى فى بداياته الأولى عبر الستينات ، ان ينقلنا الى عالم الحلم الرقراق ، حيث تنساب الصور مثل انغام موسيقية تحملها نسمات فى سكينة الليل .

وبالمثل فان احمد عزمى وقد كان اختار عالم الاساطير والاحلام مادة لفنه ، فانه كان يستطيع ان يثبت وجوده ، ويكتسب طابعا مميزا ، اذا عكف على استجلاء ، الاساطير السكندرية على الاخص ، فيقدم تراثا فنيا جديرا بالاعتبار ، وما احوج الفنان فى هذا السيل المنهمر من الاعمال الفنية التى تطالع العالم كل يوم ، بل كل لحظة ، ما احوج الفنان فى ان ينتسب الى موضوع مميز يلتصق به ، ويكرس فرشاته له . ولكن مرة أخرى ، ليس كل ما يتمناه النقد يدركه تاتى الرياح بما لاتشتهى السفن .

واذا كان للناقد راى ، فللفنان حرية الاختيار وفاعليته .

● البحر والتراث .



ثمة فنانة سكندرية تشبع عطاؤها بعبق البحر ، بملحه بطحالبه بصخوره التى مضت الأمواج ليل نهار وهى تغمرها بالقبلات تنخر فى اعماقها سرا . هذه الفنانة هى نعيمة الشيشينى التى ترجمت باصالة فى لوحاتها تاثير الزمن ، ليس فحسب من خلال التراث ، بل ايضا وعلى الاخص من خلال بصماته المنطبعة على بيئتها السكندرية ، وهى بيئة بحرية فى المقام الأول ..

فنجد ان للفنانة رافدين : رافد يوضح البيئة السكندرية التى تعيش فيها ، فنجد انها تاثرت بالبحر والنباتات البحرية ، والمرجانيات ، واللون الأزرق والزمردى ، الذى ياخذنا فى نفس الوقت ايضا الى عصر الفراعنة . والرافد الثانى ، وخلفيتها فى ذلك دراستها للفن الاسلامى وخاصة المخطوطات الاسلامية القديمة .

فاعمال نعيمة الشيشينى خلطة متقنة بين الحس الاسلامى الصوفى والبيئة السكندرية وذلك يعتبر شيئا خاصا تتفرد به الفنانة . وهو انها ليست فنانة تراثية ، وهذا هو سبب اصالتها الفنية . فاعمالها نموذج ممتاز فى استخدام التراث فى تقديم صورة معاصرة تنتمى للقرن العشرين ، ومفعمة بالروح والحس القومى المصرى .

ولم يستطع نقاد كبار من امثال حسين بيكار (الاخبار - ١٩٧٣) وكمال الجويلى (المساء - ١٩٧٣) ان يتفادوا فى غمرة انشغالهم بتراثية نعيمة الشيشينى وتجريديتها ، وشرقيتها المتصوفة ، استخدام كلمات تومىء الى البحر ، مثل قول بيكار « .. تسمع هديرها بعينيك لا باذنيك » ، وقول الجويلى « .. موجة تصد موجة ، او تحتويها .. كل شىء منساب ، ضبابى ، هادر فى هدوء » ..

ويمكنني ان أجمل ما تقدم في انك اذا ما تأملت البحر وتغلغل بصرك الى اعماقه ، فسوف ترى لوحات او شذرات من لوحات نعيمة الشيشيني ..

واذا استغرقت في النظر الى كثير من لوحات نعيمه الشيشيني فسوف يتماوج البحر امامك ، وتفد الى اسماعك هدير امواجه في اوقات الصخب .. وهسيسها على الشطئان الساجية في ليالي القمر ، وربما ايضا احسست على شفتيك بمذاق الملح تطاير اليك من ارتطامة موجة بصخرة عاتية .

● البحر الكامن في الأعماق

يقول الاستاذ الدكتور محمد حامد عويس في مقدمته لمعرض الفنانة السكندرية ملك ابو النصر الذي اقيم بقاعة اخناتون بالزمالك في ديسمبر ١٩٨٥ ان العناصر المكونة لاعمالها تبدو « وكانها صخور هبت عليها ريح عاتية او ارتطمت بها امواج مجنونة ، اثرت فيها ، وشكلتها على النحو الذي تظهر به في الصورة ، ثم يستطرد الدكتور محمد حامد عويس الى ان « اللون عند الفنانة ملك ابو النصر بعيد عن الابهار ، وذلك لانها تعتمد في قوة التعبير على التدرج اللوني لاعلى التناقض السافر ، فنرى بوضوح في صورها درجات من الالوان الساخنة من الأحمر والأصفر تتعانق وتتجانس مع درجات من الألوان الباردة كالأزرق والاخضر » ..

وسواء أكان البحر الذي تصور الفنانة ملك ابو النصر تلاطم امواجه هو البحر الذي تصحو الاسكندرية كل صباح وتنام كل مساء على شاطئه او كان بحرا بداخل كل منا ، فهي تصوره بقوة لافتة للانظار . تطرد من تذوقنا كل دعة وسكينة وتستنفرنا للصعود في مدارج الموسيقى الكلاسيكية ، الى اعمال مثل اعمال الرومانتيكيين الكبار فاجنر وشتراوس وبرليوز ، لتفجر بداخلنا الطاقات الانسانية الجبارة نحو أعمال الخير والجمال والعدل الكبيرة ، من أجل بناء حضارة العصر .

وليس في اتجاه ملك ابو النصر من خلال تأثرها بالبحر الخضم ، المتلاطم الأمواج ، سواء بداخلها او خارجها ، نحو فن تجريدي عالمي ، ما يدعو للدهشة بالنسبة لفنانة تطل على اوروبا عبر البحر الابيض المتوسط ، الذي ارجح ان يكون هو الذي اهاج بداخلها لواعج البحر الكامن في الأعماق .

قد يقال عن ملك ابو النصر انها تحيا بحر الاسكندرية الذي صار لملامستها اليومية له ، قابلا للاستيعاب الى حد بعيد عقلا وفكرا ، واما عن فؤاد كامل الرائد الاكثر تهورا وجراة بالمعنى الفني ، فليس ثمة اصدق من ان يقال ان البحر ان كان امام ناظري ملك ابو النصر ، فهو بالنسبة لفؤاد كامل داخل كيانه كله . (عن فؤاد كامل راجع مزيدا من التفاصيل بكتابي « العين العاشقة » - طبعة ١٩٧١) .

فقط علينا ان نفتح عيوننا ، لا مرة واحدة ، وانما كل الوقت .

دراما الانسان والبحر

بقلم : عبدالعزيز مصطفى

الكتابة لدى الأدباء الذين عشقوا مياه البحر الزرقاء .. أشبه بالغوص في الاعماق من اجل اكتشاف اسرار الكون السفلية ..

والكاتب الامريكي بيتر بينشلي هو احد الذين كتبوا رواياتهم بماء البحر . فراح يسبح فوق السطح تارة وفي الاعماق مرات ومرات ..

واستطاع بينشلي ان يتميز في رواياته العديدة عن البحر . بميزات خاصة قل ان تواجدت في كتابات العديد من الذين عشقوا الكتابة عن البحر .



مع انتصاف القرن العشرين . توالت الاكتشافات الجديدة وانفتحت آفاق لم تطرق من قبل . فانطلق العلم يغزو الفضاء ويغوص في اعماق البحار . واكتسبت المعرفة البشرية كما هائلا من مستجدات لم يكن لها من رصيد . نقلت العدسات صورا غريبة على العين الانسانية لكواكب ونجوم بعيدة وسلطة البعد . تضاريس ومعالم ومسطحات رآها الانسان للمرة الاولى في تاريخه . كما نقلت مشاهد من عالم الاعماق . وما يضم من حيوان ونبات والوان . الهبت تلك المعارف الوافدة خيالا جامحا . واستثارت فضولا جارفا . وانطلق التعطش الصادق يبحث عن مزيد .

ولئن ظل عالم الفضاء سرا مغلقا بسبب الأبعاد السحيقة لأجرامه . والمتطلبات الهائلة التي تلزم لرحلات الاستكشاف . فان البحر باح بالكثير من مكوناته وخفاياه . ولأنه جزء من حياة الانسان اليومية . فقد فتح ابوابه على مصاريعها للجميع ينهلون من اسراره ويستكثرون من خباياه . وساهم الهواة في الجهد المبذول . فقامت نوادي الغوص في انحاء العالم . وانتشرت رياضات الابحار في قوارب المتعة واليخوت . ونظمت مسابقات الصيد . في تلك الفترة الزمنية . ظهر الكاتب « بيتر بينشلي » .

كان طبيعيا ان يتناول الادب تلك الفتوحات في اعماله . بصفتها انشطة امتدت اليها يد البشرية . وبقدر ما استطاع الانسان التغلغل في استكشافاته . بقدر ما انعكست صورتها في ادبه . والقصة على وجه التحديد . لذا نرى قصص الفضاء تنحو الى الخيال العلمي لتعوض قصر جهد العلم عن امانيه . بينما تنقل روايات البحر صورا اقرب الى الواقع . والتقاط نماذج لمخلوقات حقيقية تعيش في

دراما الانسان والبحر

عالم الاعماق . فتتناول عاداتها الاقليمية وهجراتها ونزاعاتها وسلاسلها الغذائية وصراعاتها من اجل البقاء .

ربما اضاف الكاتب لمسة تضفي على عمله الاثارة والتشويق . وربما زعم لتلك الحيوانات ما ليس لها ، وادعى لها شكلا من أشكال المشاعر . بيد أن ذلك كان دائما حال القصة ، ومنحى من تناولوا البحر بأقلامهم ، وظهر حتى في كلاسيكيات الأدب ولعل قصة « موبي ديك » مثال واضح على ذلك ، فبناء القصة يقوم على ملجاء بالكتب المقدسة من حق الانسان في الصيد دون أن يحمل ضغينة لصيده . لكننا نلمس الحقد المسموم الذي يبادله الحوت للكابتن « اهاب » دون أن يقلل ذلك من روعة العمل الأدبي .

● الزمن والموهبة

ومن هنا كان النجاح الباهر لبيتر بينشلي ، الذي يعد من ألمع الكتاب المعاصرين . ولد بينشلي في عائلة من الكتاب . اشتهر أبوه « ناثانيال » بالقصص القصيرة الرائعة التي نشرتها له جريدة النيويوركر . وكان جده روبرت أحد عباقرة القصص الفكاهي في العشرينات من هذا القرن . لذا لم يكن غريبا أن يلتقط الحفيد القلم ، ويمضي في نفس الطريق الذي سلكه من كان لهم الأثر في حياته . غير أن



بيتر بنتشلي

الشاب الذي تخرج من « هارفارد » وسافر حول العالم لمدة سنة ، عاد من رحلته الطويلة بكتابه الاول « الزمن وتذكرة السفر » كتاب تسجيلي نشر عام ١٩٦٤ ، ولا يوحي بموهبة قصصية عمل بعدها مراسلا « للواشنطن بوست » ثم محررا في « النيوزويك » ـ باب الاذاعة والتليفزيون . ثم عين كاتبا للخطب في إدارة الرئيس « جونسون » تحول بعدها الى صحفي حر ـ بالقطعة ـ وكلف بمهام متنوعة ، منها التعليق التليفزيوني بشبكة « نيوزويك » وغيرها .

وفي أوائل السبعينات ـ فجأة ـ خرج على العالم بقصته « الفكان » والتي عرفت باسم « الفك المفترس » ولم تمض شهور قليلة على ظهورها حتى تجسدت الى فيلم سينمائي لاقى نجاحا مدويا .

يقول « بينشلي » انه استقى معلوماته عن القرش خلال فترات الصيف التي قضاها في صباه بشاطيء « ناناكيت » حيث تكثر القروش .

نجح الرجل فى اقتحام مجال لم يسبقه اليه احد .. فالذين تناولوا البحر باقلامهم فعلوا ذلك مرورا عابرا او خيالا جامحا ، دون الغوص فى اعماقه . صوروا البحر اعماقا من آلاف الفراسخ او مقرا لوحوش خرافية . او عالما قاسيا رهيبا يزيده المجهول غموضا ، حتى من نحا منهم منحى واقعيا اقتصرت رؤيتهم على لآلئه واسماكه واسفنجه . وجاءت الكتابات انسجة من الخيال باكثر منها صورا للحقيقة . وحتى « هيمنجواى » ذهب فى رحلته الى البحر ، ليغوص فى اعماق الصياد العجوز الذى صبر طويلا على حلمه مع البحر . ولم يمس البحر الا بخدش بسيط .

فى « الفكان » صور « بينشلى » القرش الذى وجد فى احد شواطىء الاستحمام موطنا لغذائه وافترض ـ هو ايضا ـ ان وحوش البحر قادرة على حمل الضغينة للانسان . ولعل الفكرة لا تبعد عن الواقع ، فالكثير من حيوانات البر والبحر ـ تحت ظروف عديدة ـ تخشى الانسان وتمقته وتهاجمه . وبعضها يجد فيه طعاما سائغا . ولا ريب ان القارىء يذكر مانشر من سنوات عن هجوم القروش للشواطىء الاسترالية ، والتهام رئيس وزرائها . بل وصور التليفزيون الاسترالى مغامرة بعض الشبان بالغوص فى قفص حديدى ، فى منطقة لاتبعد عن الشاطىء . هاجمت القروش الشاب الذى غادر القفص ومزقت ساقه . ثم استدارت تهاجم من بالقفص وقد عرض التليفزيون المصرى ذلك الفيلم من فترة .

وفى مناطق الكاريبى والساحل الجنوبى الشرقى للولايات المتحدة ، توجد فصائل القرش المعروفة بعدوانيتها وعدائها للبشر . وانها تقتل للقتل ، دون ماحاجة للطعام ، بعض الفصائل الاخرى من فصائل القرش ، والتى تبلغ الثلاثمائة ، تتصف بالسلبية تجاه الانسان . الا انها تتحول الى الضراوة عند الاحساس بالخطر ، او عند استشعار رائحة الدم . وثمة واقعة معروفة حدثت فى احدى مسابقات الصيد بالغردقة . التقطت احدى اسماك القرش الطعم من سنارة متسابق وعجزت عن التخلص منها . فاستدارت تهاجم القارب الآلى الكبير بضراوة ، وكادت تغرقه واضطر المتسابقون الى الخروج على قواعد المسابقة ، فالقوا بعبوات متفجرة على السمكة وقتلوها . ثم عادوا بها الى قاعدة المسابقة . تبين ان سمكة القرش كانت انثى على وشك وضع صغارها . واذكر ان الصيادين على الشاطىء اخرجوا من جوفها مايزيد على الثلاثين من الصغار .

اذن ـ كان « لبينشلى » اساس واقعى لقصته . كان الكتاب فتحا روائيا مثيرا ، على حد تعبير الناقد الادبى « جون باركهام » وقصة مذهلة كما وصفتها « شيكاغو تريبيون »

● القراصنة وكنوز البحر

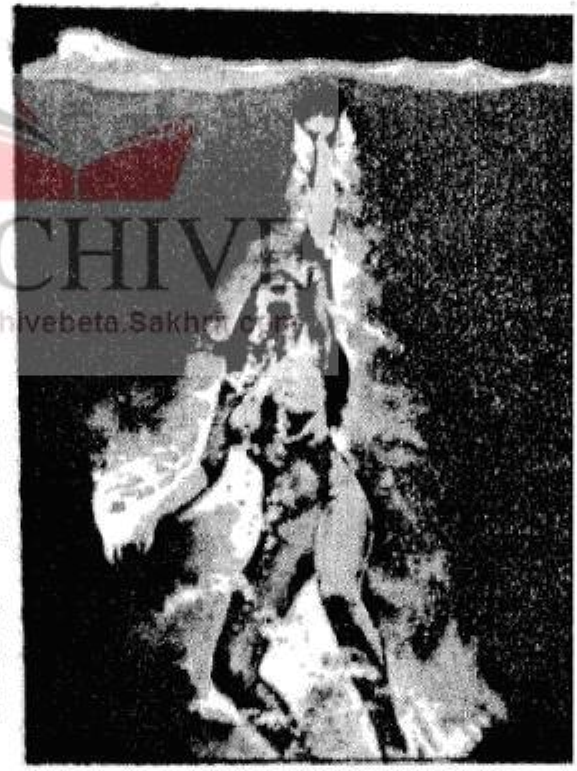
خلال فترة السيادة الاسبانية على البحار، شهدت القارة الامريكية عددا لايحصى من المعارك البحرية على السواحل الشرقية لامريكا الوسطى والجنوبية. دارت تلك المعارك بين القراصنة وبين السفن التجارية المسلحة. والتى تنقل الركاب والبضائع. كذلك دارت بين السفن الحربية لدول عديدة وبين القراصنة. ثم بين السفن الحربية التابعة لدولة ما. وتلك التابعة لاخرى معادية والنتيجة غرق عدد لايحصى من تلك السفن، بحمولاتها من البضائع والكنوز والتحف والنفائس. فتبعثرت اشلاء تلك السفن على امتداد السواحل الشرقية للامريكتين.

وفى الزمن الحديث، شاعت عمليات الغوص بحثا عن الاشياء الثمينة والتاريخية من بين انقاض تلك السفن. وساهم الهواة فى تلك العمليات، وانتشلوا الكثير من العملات والتحف والاوانى والمتعلقات الشخصية. ورغم أن الدول التى تقع تلك الحطامات فى مياهها الاقليمية تحظر الخروج بتلك النفائس الا ان الغواص الذى عثر عليها ينال نسبة مجزية من قيمتها ومازال الامل يراود الكثيرين فى العثور على ثروة او كنز مدفون فى اعماق يمكن ادراكها. وكثيرا ما اثبتت الاشياء المنتشلة قيما تاريخية لاتقدر بمال، واحيانا ما ساعدت فى تصحيح مسار التاريخ نفسه.

قادت تلك الفكرة «بينشلى» الى قصته التالية ـ «الاعماق».

تناولت القصة البحر من تلك الزاوية، وابتعدت ـ الى حد ما ـ عن حيواناته. وحتى لا يكرر «بينشلى» افكار كنوز ماتحت الماء، كما صورتها اقلام من سبقوه. فقد اعطى الكنز

لقطة من فيلم الأعماق
المأخوذ عن بيتربينشلى



مفهوما آخرا ، مفهوما يحمل آلام الزمن الحاضر ومفاسده وأمراضه . جعل الكنز هذه المرة شحنة طبية غرقت في سفينتها خلال الحرب العالمية الثانية ومن بينها عشرات الآلاف من « امبولات المورفين » المخدر واصبح الصراع هذه المرة على كنز دنس ، يمكن تحويله الى ما قيمته الملايين من المواد المخدرة ، لتباع في ازقة نيويورك ومواخيرها .

بيد ان بينشلي ماكان ليدع الفرصة تمر دون تقديم أحد ابطاله .

كان البطل هذه المرة ثعبان البحر « الموريتا » الضخم القابع في هيكل السفينة الغارقة .

ثم اختار بينشلي لقصته الجديدة بطلا جديدا ، بمواصفات جديدة .

وقبل ان يفتح الستار ، تجدر الاشارة الى ظاهرة تفسر فكرة بينشلي .

منذ نيف وعشرين سنة حدثت واقعة اظن ابطالها مازالوا احياء يرزقون .

أحد المهندسين العاملين في البحر الاحمر سقط في مياه خليج السويس ، والبحر الاحمر غني عن التعريف ، يعج بالقروش البحرية من كل الفصائل ، بمياهه الدافئة ، ونسبة ملوحته العالية ، والشعاب المرجانية التي تشغل اكثر من اربعين بالمائة من مساحته ، كلها تشكل بيئة مثالية تتحدد فيها حركة الملاحة الى اقل حد ، بل وتنعدم في اجزاء كثيرة .

إذن فقد سقط الرجل في الماء ، وادرك انه هالك لامحالة ، خصوصا وهو لايعرف السباحة وفوجىء الرجل باسماك الدرفيل تتجمع حوله ، وتحمله الى الشاطىء حيث تركته .

الواقعة نشرتها الصحف في حينها ، وقدمت الاذاعة المهندس المذكور وزملاءه .

البشر لهم مفهوم للخير ، واحساس به ، وتعبير عنه .

ماذا نسمي ماحدث من حيوان لايفهم ولا يشعر ولايعبر ؟

ماذا نسمي ماحدث في الهند عندما تبنت الذئاب طفلا وليدا ، وارضعته ، وعاش بينها ؟ الخير له اشكال عديدة غير الشكل البشرى . ذلك واضح في حوادث عديدة . ولست اظن الاسماك قد ارتقت لتاتي بافعال تتفق مع مفاهيم البشر .

غير انه هنك وموجود بالدليل تلك مقدمة لازمة قبل الحديث عن « فتاة بحر كورتيز » .

غاص بينشلي بفكره في اعماق بحر « كورتيز » ورشح لبطولة قصته « المانتا » او حداة البحر .

واختار لخلفية قصته سلالة مسالمة من القروش - رأس المطرقة وحشد عددا ضخما من الكائنات البحرية - « كمبارس » ابتداء من الكائنات الدقيقة (البلانكتون) حتى الوحوش الضخمة الجبارة .

اسبغ « بينشلي » على بطلته « حداة البحر » صفة الوفاء والعرفان .

ونظم رائعته التالية على ذلك النسيج وكاد القارىء ان يمس الخير فيما أتت

به الحداة بأكثر مما رآه بين البشر .

كذلك درس « بينشلي » جيولوجية الاعماق فرسم صورة دقيقة لنشأة بحر « كورتيز » .

ولعلها معلومة جديدة للقارىء غير المتخصص ان بحر كورتيز هو المعروف حاليا باسم خليج كاليفورنيا ونشأ عن تصدع في الارض الام على ساحل كاليفورنيا . وتمزقت الارض عن شق هائل اتصل بالمحيط الهادى ليتكون الخليج الضخم .

وهو نفس مايقوله العلماء عن تكون خليج العقبة .

وفي قصة « الجزيرة » سلك اتجاها جديدا . بعد فيه عن الاعماق .

لقد زار مناطق الكاريبي ومجموعة الجزر المتناثرة في مواجهة السواحل الجنوبية للولايات المتحدة . التقى بالكثيرين من اهالي الجزر الذين اكدوا انهم من سلالات القراصنة . وتردد الزعم كثيرا ، حتى اشار الى ظروف استيطان تلك الجزر .



في اواخر القرن الثامن عشر ، التقت افكار الاوربيين على تجريم انشطة القراصنة ، وضرورة القضاء عليهم قضاء مبرما . فهم سلالة من البشر فقدت انتماءاتها ، ولم تعد لها اوطان .

ومن ثم اصبح ولاؤها ليومها وراية تحمل الجمجمة والعظمتين ، ولاتفرق في غاراتها بين سفينة واخرى . كل السفن بالنسبة لها تمثل نهبا مباحا .

وخرجت اساطيل السفن على اختلاف جنسياتها تطارد القراصنة في كل بحار العالم .

انتهى عصر القراصنة الذهبي ، ولم تعد الدول تخطب ودهم . ونفذت احكام الاعدام فيمن لم يغرق منهم مع سفينته . ولم يعد لهم سوى هجر سفنهم ، والاستيطان باليابسة حيث تحولوا الى صيد الابقار البرية ، والحياة على شواء لحمها . وهكذا اكتسبوا اسمهم الجديد « البوكانير » .

والجدير بالقول ان روايته صدرت مدعمة بآراء تاريخية لكتاب ثقات ، حتى لتبدو قطعة من التاريخ وارتبطت احداثها ارتباطا وثيقا بالتسلسل الطبيعي لما تحولت اليه تلك الفئة .

رسم بينشلي الشخصيات بدقة متناهية حتى لتكاد تبرز من صفحات الكتاب الى البعد الثالث للحياة . ولم يدع تفصيلا مهما دق ، حتى يوشك المرء ان يلمس شخوصها ويكون شاهدا على احداثها .

وكعادته قدم مخلوقا آخر من الاحياء البحرية ، قنديل البحر المحارب . وهو لايختلف عن القنديل الذى رآه القارىء على شواطىء البحر طافيا قرب سطح الماء . سوى ان القنديل المحارب تصل مساحة انتشاره الى المتر المربع . واطرافه التى تفرز مادة لاسعة كاوية تسبب التهابات اليمة . وهو سبب اطلاق اسم المحارب عليه . والواقع ان الترجمة الصحيحة لاسمه هو السفينة الحربية .

لغويات

● يكثر قولهم في الاذاعات ، وكتابتهم في الصحف : فلان اعتذر عن حضور الحفل .. يريدون انه لم يحضر الحفل واعتذر من عدم حضوره .. ولكنهم يخطئون في قولهم : اعتذر عن الحضور ، والصواب : اعتذر من عدم الحضور ..

● الصحف تخطىء الآن ـ وكذلك الاذاعات ـ في وصفها للطفلين المولودين من بطن واحد بأنهما : طفلان او شقيقان توأم .. والصواب : طفلان توأمان ، لان كلا منهما « توأم » بمفرده ، فاذا كانا اثنين فهما توأمان .. والجمع توائم !.

● كلمة « اشك في كذا » انقلب معناها عند عامة المتكلمين والكاتبين ، فاذا كتب احدهم او قال « اشك في ان فلانا يعمل كذا او كذا » .. فهو يقصد انه يظن انه يعمل كذا او كذا .. وهذا خطأ وقلب لمعنى الفعل « شك .. يشك » لان من يشك في الشيء هو الذي لايرجحه .. فاذا سئلت ـ مثلا ـ هذا السؤال : هل ترى الحرب قريبة الوقوع ؟ فالجواب الصحيح هو : اشك في ذلك .. اي لا ارى الحرب قريبة ! وهذا الجواب الصحيح يقلبه المتكلمون والكاتبون الان فيقول احدهم :اشك ان الحرب قريبة .. وهو يقصد انه يرجح ان الحرب قريبة ! والتعبير خطأ ..

● الديدبان اي الحارس يستعمله بعض الكتاب بوصفه جمعا لامفردا .. والصواب انه مفرد والجمع : ديادبة !

● في قصة ادهم الشرقاوي المشهورة يقول مؤلف ازجالها التي يغنيها المطربون : « منين اجيب ناس لمعناة الكلام » .. و« معناة الكلام » تعبير فصيح مثل « معنى الكلام ».

● كلمة « الغيار » يطلقونها على الملابس التي تغسل وتستبدل وبعضهم يراها غير فصيحة ، ولكنها فصيحة كقول الشاعر القديم :

هل الدهر الا ليلة ونهارها والا طلوع الشمس ثم غيارها

وغيار الشمس هو تغييرها بين الطلوع والمغيب والمرأة العامية تقول عن غريمتها : انها غارت في داهية .. اي وقعت فيها وغابت واحتجبت وتغيرت من حال الى حال !

روح الاسكندرية
بين فورستر ودريل

د . ماهر شفيق فريد

ادبيان من بريطانيا عاشا فى مدينة الاسكندرية فترة تطول او تقصر ، ولكنهما يشتركان فى انجذابهما اليها ، وفى كتابتهما بعضا من اجمل ما كتب عن مدينة تجمع بين عمق تاريخي ، وحاضر ملىء بالمتناقضات ، ومستقبل يحده - كالماضى - البحر من ناحية والصحراء من ناحية أخرى .

هذان الاديبان هما إدوارد مورجان فورستر (١٨٧٩ - ١٩٧٠) ولورنس دريل (المولود فى ١٩١٢)



اما فورستر فهو - على قلة انتاجه نسبيا - من اكبر ادباء بريطانيا فى النصف الاول من هذا القرن واحظاهم بإحترام النقاد ومحبة القراء على السواء . إنه روائى ، وكاتب قصة قصيرة ، وناقد ، وقد دخل تاريخ الادب بروايته "رحلة الى الهند" (١٩٢٤) وعنوانها مأخوذ من قصيدة للشاعر الامريكى ولت وتمان وفيها يصور صراع الثقافات - الغربية والاسلامية والهندوكية - فى الهند اثناء الاحتلال البريطانى ، وما ينجم عن ذلك من صعوبات التواصل الانسانى وانكسار احلام التلاقى والاخاء .

وقبل أن يكتب فورستر هذه الرواية اشتغل مع هيئة الصليب الاحمر فى الاسكندرية ابان الحرب العالمية الاولى ، وعلى وجه الدقة فى الفترة ما بين نوفمبر ١٩١٥ ويناير ١٩١٩ . وقد اثمرت هذه التجربة كتابين هما : "الاسكندرية : تاريخ ودليل" (١٩٢٢ ، واعيد طبعه فى



محطة الرمل .. فى زمن لورانس دريل

١٩٦١) و"فاروس وفاريلون" (١٩٢٢) الكتاب الاول يكشف عن نزعة مؤلفه الهلينية - بل الوثنية الصراح - ونفوره من المسيحية الانجلو سكسونية ، ومن مواضعات الاخلاق المتزمتة التى ورثها عن اجداده من ابناء العصر الفيكتورى ، والكتاب الثانى مجموعة مقالات تاريخية محورها هذه المدينة الكوزمو بوليتانية ، ملتقى الاجناس المختلفة ومسرح العقائد المتصارعة والآراء المتنافرة واساليب الحياة التى تمتد من زهد الزاهدين الى مجون القانيات والتى شهدت - عبر التاريخ - فلسفة افلوطين ، وهى مزاج من فلسفة الاغريق الوثنية وكتابات المتصوفة ، وآباء الكنيسة ، وامجاد مكتبة الاسكندرية ، وملحمة كليوباترا وانطونيوس .

كان انجذاب فورستر الى حضارة حوض البحر المتوسط انجذابا الى قيم الصحة والجمال والانطلاق . فهذه

روح الاسكندرية
بين فورستر ودريل

الحضارة الوسيطة تخلو من ناحية ـ من تزمت الطبقة المتوسطة الانجليزية ، وتبرأ ـ من ناحية أخرى ـ من تعقيدات الديانة الهندوكية وازدحامها بالآلهة ـ الخير منها والشرير والذى بين بين ـ ومتاهات الميتافيزيقا الهندية التى نشأت على احواض الانهار الكبيرة ، وفى اعماق الغابات وفورستر هنا يشبه اديبا آخر من عصرنا هو البير كامو : عاشق الريح والبحر والشمس الذى كتب عن تيبازا الجزائرية فى كتابه "اعراس" ـ سطورا لا تنسى وتنبض بحبه لهذا الجو الهيليني ـ أو الادق ان نقول : الهيلنستي لأنه خليط من ثقافة الاغريق وعقائد الشرق .

ولا يقتصر اثر الاسكندرية فى فورستر على هذين الكتابين ، وإنما نحن نجد لمحة منه ايضا فى روايته "رحلة الى الهند" . ففي الفصل الثاني والثلاثين يصف رحلة بطله فيلدنج ـ وهو اقرب شخصيات الرواية الى المؤلف ذاته ـ من الهند الى ايطاليا مرورا بمدينة الاسكندرية ، فيقول :

"كانت مصر رائعة ، فهناك شريط من البساط الأخضر يتجول فوقه اربعة انواع من الحيوان ، ونوع واحد من الانسان ، وقد اقام فيلدنج هناك بضعة ايام بسبب عمله ، واستأنف إبحاره من الاسكندرية ، حيث السماء الزرقاء الصافية ، والرياح الدائمة ، وشريط الساحل المنخفض النظيف. مقابل تعقيدات بومباى . ثم استقبلته جزيرة كريت بعد ذلك بحلقة جبالها الثلجية الممتدة . وبعد ذلك وصل البندقية . وعندما نزل الى الرحبة الصغيرة ارتفع الى شفتيه قدح من الجمال فشربه وقد غلبه شعوره بالخيانة . فإذا بنايات البندقية ، كجبال كريت وحقول مصر ، قد اتخذت اماكنها الصحيحة فى حين أن كل شيء فى الهند المسكينة كان فى غير موضعه . لقد نسى جمال الصورة بين معابد الاصنام وكتل التلال .



لورانس دريل

إلى أن يقول :

"رغم أن البندقية لم تكن هى اوربا الا انها تمثل جانبا من انسجام البحر المتوسط . إن البحر المتوسط هو المعيار البشرى . وعندما يترك الناس هذه البحيرة الرائعة ، سواء من طريق البسفور او طريق صخرتي هرقل عند مضيق جبل طارق ، فإنهم يخرجون الى التجارب البشعة الغريبة . اما المخرج الجنوبى فيه فيؤدى الى الغرب التجارب على الاطلاق . وحين لولاها

ظهره للمرة الثانية ، اخذ القطار صوب الشمال" .
(ترجمة د . عز الدين اسماعيل)

ان مفتاح هذا الفصل هو عبارة "إن البحر المتوسط هو المعيار البشرى" - إنه بعبارة أخرى - محك السواء والاستقامة والصحة ، فهو - على النقيض من بوغاز باب المندب - يمثل الطريق الى السعادة ، على الاقل بقدر معقول ، اما المخرج الجنوبى - اى الطريق المؤدى الى الهند - فيفضى الى الخلط والعناء والعماء . ذلك انه بوابة تنفتح على صراع المعهد الهندوكى ، والمسجد الاسلامى والكنيسة المسيحية وما يستتبعه كل منها من قيم .

ويدع فورستر الى لورنس دريل الذى ولد فى الهند ، وتلقى دراسته فى كانتربرى ببريطانيا ثم عاش مع اسرته زمنا على جزيرة كورفو اليونانية . واشتغل - فيما بعد - مديرا للمجلس البريطانى بأثينا والارجنتين . ودريل شاعر الى جانب كونه روائيا ، بل ربما كان شاعرا حتى فى قصصه ، وهو راجل واسع الاسفار ، خصب الخيال ، ثائر - كأستاذه الامريكى هنرى ميلر - على المواضعات الاخلاقية التقليدية . وله فى ادب الرحلات : "تأملات حول فينوس بحرية" (١٩٥٣) عن جزيرة رودس ، و"ليمونات مرة" (١٩٥٧) عن جزيرة قبرص ، و"زنزانة بروسبرو" عن جزيرة كورفو . ولكنه معروف فى المحل الاول - برباعية الاسكندرية التى تتكون من : "جوستين" (١٩٥٧)، و"بالتازار" (١٩٥٨) و"ماونت اوليف" (١٩٥٨) و"كليا" (١٩٦٠) وهى معالجة - حسية



ا . م . فورستر

كثيفة - لخيوط الزمن ، ومعنى الخبرة ، والحب العصرى ، وتعدد اوجه الحقيقة بتعدد الناظرين اليها ، كما كتب فيما بعد "خماسية افينيون" التى تشير الى الاسكندرية فى مواضع متفرقة .

وفى رواية "جوستين" - وهى اهم اجزاء الرباعية - نرى الاحداث من خلال عينى روائى انجليزى ، عاش زمنا بالاسكندرية ، يدعى دارلى ، ويخيم على الرواية شبح الشاعر اليونانى العجوز كافافى ، بل يورد الكاتب ابياتا من شعره هنا وهناك . وعند دريل أن "الانسان ليس إلا امتدادا لروح المكان" . وماذا يكون المكان فى الاسكندرية إن لم يكن هذين القطبين المتقابلين: البحر والصحراء ؟

● زمن الامسيات الشتوية ●

فعن البحر المتوسط يقول :
"البحر هو المقياس الوحيد للزمن فى تلك الامسيات الشتوية بسكونها الشامل ان ايقاعه الواهن فى الذهن هو اللحن

روح الاسكندرية
بين فورستر ودريل

الذى كتبت على نغمه تلك الكتابات ، الايقاعات الخاوية لمياه البحر تلعق جراحها ، تهدر على طول منافذ الدلتا ، تغور فوق تلك الشطآن المهجورة الجرداء ، جرداء الى الأبد ، تحت طيور النورس : بلونها الرمادى الذى يتخلله الابيض ، والتى تمضغها السحب . لو حدث وكانت هناك أية سفينة شراعية ، لتحطمت قبل أن يظللها الشاطىء ، وغسل حطامها فوق نتوءات الجزر ، حيث ينتهى فى جوف المياه الأزرق آخر جزء فيها وقد اكلته عوامل التعرية ثم ينتهى" .

وعلى الوجه المقابل هناك رياح الخماسين التى تهب على الاسكندرية من أعماق الصحراء ، ويصورها دريل تصويرا شعريا بارعا فى مطلع الجزء الثالث من "جوستين" .

(ترجمة فخرى لبيب)

ويوجه الشاعر والناقد البريطانى المعاصر هيلارى كورك "انظر مقالته المسماة :" (رواية حية) مجلة "اصوات ، لندن ، العدد الاول ١٩٦١ ، انظارنا الى قطعة من رواية "كليا" يصف فيها الكاتب عودة دارلى الى الاسكندرية عند بداية الحرب العالمية الثانية بعد غياب سنين طويلة . وتصادف لحظة عودته وقوع غارة جوية على المدينة . يقول دريل :



"وتحكم فى الكون ظلام طمس كل شىء .. وفى مكان ما امامنا امتد غير مرئى ساحل افريقيا .. كنت أعى وجود ابراج المدينة ومآذنها . فما كان اشق على نفسى الا ارغمها على الظهور . ولم يكن فى الامكان حتى ان ارى اصابعى امامى ، وصار البحر وكأنه مدخل عريض خال . او فقاعة خاوية من السواد والعتمة .

وفجأة هبت نسمة مفاجئة ، هفة من نسمة كأنما هى ريح مرت عبر جمرات . وتوهجت فى البعد جمرة وردية كأنها محارات واصداف ثم ابتدأت الجمرة بالتدرج تذكو الى أن صارت وردية غنية فى حمرتها . وعبر الماء اقبلت نحونا أنات خافتة مريعة ، نابضة كضربات جناح طائر من الطيور المفزعة من عصور ما قبل التاريخ ـ صفارات إنذار كانت تصيح وتمور كما لابد يمور الملعونون فى مداخل الجحيم . وكانت اعصابنا تهتز كما تهتز اغصان الشجر . وبدأت ، كأنما هى رد على تلك الاصوات ، تنبثق انوار مبعثرة فى البداية ثم اصبحت اشرطة ثم صارت عصباتا ثم امتدت فصارت مربعات بلورية .

وفجأة بانت معالم الميناء واضحة على صفحات السماء الداكنة . بينما بدات اصابع نور طويلة بيضاء فى بياض مسحوق البودرة تخطط السماء فى ارتباك وبلا نظام ، كأنها سيقان حشرة بليدة تجاهد كى تجد موطئا على ذلك السواد الزلق ، ثم بدأ تيار صاخب من الصواريخ الملونة يصعد من الضباب المكثف للبوارج الحربية ، ثم يفرغ فى السماء فى اسراف عجيب عناقيد براقة من النجوم

وهذا نموذج للتحليق الشعرى الرفيع الذى يقدر عليه دريل فى لحظات الهامه . ومن المفارقات ان يجمع بين هذه الشاعرية الرهيفة ونزعة طبيعية غليظة ترى اسوأ ما فى الكائن الانسانى من شهوة وقسوة وخداع .. فدريل ممن يتلذذون بعرض المخازى وألوان السخر والتشويه التى تحفل بها المدن التى يزورها : اوربية كانت أو شرقية أو امريكية أو لاتينية . والاسكندرية التى يصورها ليست مكانا واقعيا وانما هى من خلق خيال مُغرب "جروتسك" لا يخجل من الانحدار احيانا الى درك الميلودراما والفارص والنزعة القوطية . ولكنه يرتفع ايضا فى بعض اللحظات إلى افق التراجيديا الرفيعة ، والى كوميديا السلوك الراقية .

● هذه الشواطىء وقلبى ●

ولو اننا اردنا - فى الختام - ان نوازن بين تناول فورستر ودريل لمدينة الاسكندرية لامكننا ان نقول : إن فورستر هو اكثر الرجلين انسانية ، وسماحة فكرية ، واستعدادا لتقبل ثقافة غريبة عليه ، فهو - بحكم نزعته اللبرالية - يحاول جاهدا أن يبرىء نظرته من شبهة التفوق العنصرى ، وليس هذا - علم الله - بالأمر اليسير على بريطانى فح مثله فى وقت كانت بريطانيا مازالت فيه سيدة البحار ، وكان علمها الاحمر يرفرف على اركان كثيرة من خارطة الدنيا ، ويبذل فورستر جهدا صادقا من اجل رؤية الامور بعينى عزيز - الطبيب الهندى المتعلم فى رواية "رحلة الى الهند" ، أو على الأقل بعينى فيلدنج ممثل اللبرالية المستنيرة التى تطمح الى الغاء ميراث الماضى المرير واحلال التفاهم والمودة محل الصراع العرقى والشقاق بين القوميات .

ولكى نرى الاسكندرية بأعيننا نحن ، لا بأعين هذا ولا ذاك ، نؤثر أن نستعير نظرة الشاعر المصرى المعاصر محمد ابراهيم ابو سنة الذى يراها مسرحا لصراع المدنية والهمجية . فى قصيد درامى لأبو سنة عنوانه "الاسكندرية" - من ديوانه "مرايا الزمان البعيد" (١٩٨٧) - يقول على لسان الاسكندر الاكبر بانى الامبراطوريات الذى ينتهى فى آخر المطاف - الى نتيجة مؤداها ان كل مجد عسكرى لا يعدو ان يكون بناء هشا ، مبنيا على رمال ، إن لم ترفده القيم الحضارية والانسانية والثقافية .

هذا هو البحر وسط الضباب
يطالعه ممسكا بالبشارة
أيها الجند ..
هذه حدائق روحى
وهذى مشيئتى الجبارة
تلد الآن توأما خالدا
من ركام الحجارة
فارفعوا فوق ....
.. هذه الشواطىء قلبى
واجعلوه مدينة للحضارة
ها هنا ستسكن روحى
ها هنا تقوم منارة .

البحر والشعر

في الشعر العربي القديم ، الجاهلي والاموى والعباسي ، حتى الاندلسي ، لايكاد القارىء يجد « البحر » الا في الاوزان التى تتألف منها ابيات الشعر العربي ، فالبحر هو اساس الاوزان ، ولكل بحر اسم خاص ، والبحور ستة عشر بحرا ، ومع ذلك لايعثر قارىء الشعر العربي القديم على اى بحر فيه ، مادام المقصود بالبحر الاخدود الجيولوجي الطويل الممتلىء بالماء الملح الاجاج !

إن الماء العذب الفرات في الانهار والينابيع - وفي الابار ايضا - هو الذى كان يستهوى شعراءنا الاقدمين ، اما البحر ، المالح » فلم يهز اوتار شاعريتهم المتقلبة ، سواء في ذلك البحر الاحمر الذى تطل عليه جزيرة العرب غربا ، او الخليج العربي الذى تطل عليه شرقا ، او المحيط الهندى الذى تطل عليه جنوبا .. ولن تجد « البحر » مذكورا في الشعر القديم الا بالكلمة او الكلمتين او الكلمات القلائل ، ولا ضرورة للبحر الا عند تشبيه « الممدوح » به في الكرم والثراء !

وفي الشعر المصرى المعاصر احتل البحر مكانة عالية ، فوقف الشعراء المعاصرون على شواطئه ، ويصفونه واحبوه ، وتحدثوا عن مشاعرهم حياله ، وعن ذكرياتهم في الحب والهجر التى كان مسرحها البحر وامواجه ورماله والسحب المحلقة في سمائه !

وامير الشعراء احمد شوقي كان في مقدمة « اصدقاء البحر » .. بحر الاسكندرية ، وبحر استامبول ، وكل البحار التى شاهدها من نوافذ السفن في اسفاره الكثيرة .. ولعل اقدم قصائده في البحر هي التى قالها في صيف سنة ١٨٩٤ وهو مسافر بالباخرة الى اوربا :


خليل مطران


احمد شوقى


العقاد

همت الفلك واحتواها الماء
وحداها بمن تقل الرجاء
ضرب البحر ذو العباب حواليها «م»
سماء قد اكبرتها السماء
لجة عند لجة عند اخرى
كهضاب ماجت بها البيداء
رب ان شئت بالفضاء مضيق
واذا شئت فالمضيق فضاء
فاجعل البحر عصمة وابعث الرحمة «م»
فيها الرياح والانواء !
يتولى البحار مهما ادلهمت
منك فى كل جانب لالاء

وخاطب شوقى البحر مباشرة فى ابيات عنوانها «البحر الابيض المتوسط» .. قال يذكر مجدنا «البحرى» القديم :

اى الممالك .. ايها
فى الدهر مارفعت شراعك
ابدا تذكرنا الذين «م»
جلوا على الدنيا شعاعك
وبنوا منارك عاليا
متالقا وبنوا قلاعك
وتحكموا بك فى الوجود «م»
تحكما كان ابتداعك

ويدخل شعر شوقى عن «البحر» فى باب الوصف اكثر مما يدخل فى باب الذكرى والحب ، ومن ابرع قصائده فى هذا المجال قصيدته

فى وصف « البسفور » على شاطىء استامبول .. يقول فيها :

على اى الجنان بنا تمر
وفى اى الحدائق تستقر
رويدك ايها الفلك الأبر
بلغت بنا الربوع فانت حر
وددنا لو مشيت بنا الهوينا
واين لنا الخلود لديك اينا
لنبهج خاطرا ونقر عينا

بأحسن مارأى فى البحر سفر
جهات ام عذارى حاليات
وماء ام سماء ام نبات
وتلك جزائر ام نيرات
وكيف طلوعها والوقت ظهر

وقبل وفاته بعام واحد ، اصطاف شوقى فى الاسكندرية فنظم قصيدة قال فيها :

امن البحر صائغ عبقرى
بالرمال النواعم البيض مغرى
طاف تحت الضحى عليهن والجوهر « م »
فى سوقه يباع ويشرى
جئنه فى معاصم ونحور
فصا معصما واخر عرى
وترى الغيد لؤلؤا ثم رطبا
وجمانا حوالى الماء نثرا
شاطىء مثل رقعة الخلد حسنا
واديم الشباب طيبا ونشرا
كلما جئته تهلل بشرا
من جميع الجهات وافتر ثغرا

● خليل مطران والبحر

أما شاعر القطرين خليل مطران ، فيقف على ساحل البحر قائلا :

انى اقمت على التعلة بالمنى
في غربة قالوا تكون دوائى،
متفرد بصبابتى . متفرد
بكابتى ، متفرد بعنائى
شاك الى البحر اضطراب خواطرى
فيجيبنى برياحه الهوجاء
ثاو على صخر اصم وليت لى
قلبا كهذى الصخرة الصماء
ينتابها موج كموج مكارهى
ويفتها كالسقم فى اعضائى
والبحر خفاق الجوانب ضائق
كمدا كصدرى ساعة الامساء

• العقاد والبحر

وفى ديوان الاستاذ عباس محمود العقاد شعر غير قليل يتصل بالبحر من قريب او بعيد ، وهو ليس من شعر الوصف المعتاد ، ولكنه وصف للمشاعر حيال البحر .. يقول العقاد فى ابيات عنوانها « الليل والبحر » .. يتحدث فيها عن ليلة اشتد ظلامها على شاطىء البحر :

غرب البدر ام دفين بقبر
وهوى النجم ام اوى خلف ستر
ضل هادى العيون واحلو لك الليل « م »
فلا فرق بين اعمى .. وهر
ماج حتى كأنما صدم البحر
بموج من بحره مسبكر
وترى البحر تحسب الماء حبرا
وكأن السماء اعمق بحر
ظلمات تحيط بالطرف انى امتد « م »
لم يعد مده قيد شبر
ها هنا اطلق العنان لاشجانى
وابكى نفسى وانشد شعرى

وله من ابيات عنوانها « على شاطىء البحر » :

نفض النسيم عن النفوس رمادها
فاعاد للسالى قديم هواه

البحر والشعر

والبحر تطرد الخواطر عنده
مثل اطراد اللج حين تراه
وكان متن الماء فى شمس الضحى
فيروزج - قدح الضياء سناه
البحر اقدم والنفوس قديمة
فالنفس تألفه ولاتنساه

وقال العقاد من قصيدة عنوانها « البحر والحياة » :

لبيك يابحر من داع نطوف به
ظماى فتروى ولم تعذب مساقيه
تنضو الحياة على شطيك مالبست
فى ساحة العيش من غش وتمويه
يابحر اذكرتنى بحر الحياة وما
يجيش مابين ماضيه وآتيه
لبيك يابحر من وهاب أعطية
الدر ابخس ماتهدى اياديه

● خليل شيبوب والبحر

والشاعر المجدد خليل شيبوب عاش على شاطىء بحر الاسكندرية منذ هاجر اليها من سوريا سنة ١٩٠٨ .. وقد ولد خليل شيبوب فى ثغر اللاذقية السورى ، ثم عاش حياته فى ثغر الاسكندرية المصرى وتغنى به فى شعره غناء جميلا .. ويذكر الدكتور عبد الله سرور عبد الله فى كتابه القيم عنه ، قطعا من شعره فى بحر الاسكندرية ، منها قوله :

خطاب حسنك ياسكندرية ما
زالوا ومابرحوا يوم الحفاظ هم
توحدوا فيك حبا .. ان طابعهم
اسكندرى فلاعرب ولا عجم
والحسن مازال فردا فيك جوهره
وجوهر الحسن فرد ليس ينقسم



ويخاطب البحر قائلا :

ايها البحر رجع الأحلاما
مثل ترجيع موجك الانغاما

في ظلام الدجى تبث شكاواك « م »
الحزينات . وتستثير الظلاما
غير ان النيام لم يسمعوها
إيه .. ليت النيام ظلوا نياما
ليس فيهم سوى الاذى لمحب
موجع القلب لايطيق مناما

● علي محمود طه والبحر

اما اقرب الشعراء الى البحر فهو علي محمود طه شاعر الجندول او الملاح التائه .. فقد عشق الصيف واعتاد ان يقضيه مسافرا على ثبج البحر ، او متنزها على شواطئه في مصر او في لبنان او في اوربا ..

واشهر قصائده هي « الجندول » التي يتغنى فيها بمدينة فينيسيا او البندقية الايطالية ، وقد غنى المطرب محمد عبد الوهاب هذه القصيدة الجميلة منذ خمسين عاما . ومازال الناس يسمعون هذه القصيدة بصوته حتى اليوم .. ومن ابياتها :

اين من عيني هاتيك المجالي
ياعروس البحر ياحلم الخيال
اين عشاقك سمار الليالي
اين من واديك يامهد الجمال
موكب الغيد وعيد الكرنفال
وسرى الجندول في عرض القنال

وفي قصيدته الوجدانية « على الصخرة البيضاء » يتحدث عن وقوفه حزينا على شاطيء البحر بعد غروب الشمس :

على الصخرة البيضاء كالثلج الدجى
اسر الى الوادي بخية شاعر
سمعت هدير البحر حولي فهاج بي
خوالج قلب مزبد اللج هادر
وقفت اشيع الفكر فيها كانما
الى الشاطيء المجهول يسبح خاطري
الا مالهذا البحر غضبان مثلما
تنفس فيه الريح عن صدر ثائر

وله في ديوان الملاح التائه قصيدة بديعة عنوانها « الشاطيء المهجور » وقصيدة عنوانها « الى البحر »

البحر والشعر

وانفرد على محمود طه من بين شعراء عصرنا بوصف معركة بحرية من معارك الحرب العالمية الثانية دارت فوق مياه المحيط الاطلسى ، ونظم فيها قصيدته التى عنوانها « مصرع الربان »

وفى قصيدة « الشواطىء المصرية » تغنى على محمود طه بكل شواطىء مصر ، وقال :

حياك ارضا وازدهاك سماء
بحر شدا صخرا وصفق ماء
يحبو شعابك فى الضحى قبلاته
ويرف انفاسا بهن مساء
متجدد الصبوات اودع حبه
شتى الاشعة فيك والانداء
ولع بتخطيط الرمال كانه
عرافة تستطلع الانباء
نسق الشواطىء زينة وادقها
صورا بريا صفحتيه تراءى
يجلو بريشته السماء ، وانما
زادت بريشته السماء جلاء
لا الصبح اوضح من مطالعه بها
شمسا ولا ازهى سنا وضياء
صور فواتن ياشواطىء صاغها .
لك ذلك البحر الصناع رواء
ايه شواطىء مصر والدنيا منى
تهفو اليك بنا صباح مساء
ناجيت احلام الربيع فاقبلت
واثرت للصيف الوسيم فجاء



و القصيدة كلها على هذا النسق الموسيقى الراقص العذب السهل لممتنع الذى يبدو فيه تاثر على محمود طه باستاذيه فى الديباجة الشعرية : احمد شوقى واحمد محرم .. ويتحدث على محمود طه عن يلة من ليالى كليوباترا على شاطىء عاصمتها « الاسكندرية »:

كليوباترا .. اى حلم من لياليك الحسان
طاف بالموج فغنى ، وتغنى الشاطئان
وهنا كل فؤاد وشدا كل لسان
هذه فاتنة الدنيا وحسناء الزمان



على محمود طه — عبد الوهاب — خليل شيبوب

بعثت فى زورق مستلهم من كل فن
مرح المجداف يختال بحوراء تغنى
ياحبيبى هذه ليلة حبى
اه لو شاركتنى افراح قلبى

وقد دخلت هذه القصيدة مثل اختها قصيدة الجندول تاريخ الغناء المصرى المعاصر حين لحنها محمد عبد الوهاب وغناها سنة ١٩٤٥ .

ولعلى محمود طه قصيدة بارعة عنوانها : « البحر والقمر » نظمها عن ذكرياته فى مدينة « كان » بالريفييرا الفرنسية على شاطىء البحر الابيض المتوسط ، يقول فيها :

تساءل الماء فيك والشجر
من اين يا« كان » هذه الصور ؟
البحر والحور فيه سابحة
رؤى بها بات يحلم القمر
اطل والضوء راقص غزل
دعاه قلب ، وشاقه بصر
يقفز من لجة الى حجر
كانما مس روحه الضجر

لقد كان على محمود طه صاحب اكبر اهتمام شعرى بالبحر وله فيه من القصائد مايزيد على مانظمه عدد كبير من شعراء عصرنا كله ..

ويطول بنا الحديث عن الشعر والبحر اذا مضينا نتتبع كل مانظمه الشعراء المعاصرون فى البحر او فى خواطرهم التى اثارها البحر فرحا او حزنا ونرجو ان يكون فيما اجتزاناه لك فى هذه العجالة من ابداع الشعراء عن البحر ، مقنع لنا ولك من شعر البحر ، وان كان قليلا من كثير !

الأمواج فوق لحن صاخب

بقلم : فرج العنترى

اذا اتفقنا على ان الموسيقى لغة من شعر النغم . ولعواطف الانسان ، وهى كذلك حقا ، فان علينا ان نصادق بغير تردد على ان امكانات تعابيرها سوف تتسع على يد المؤلفين الملهمين لتناول كل ما اتسعت له ابداعيات الآداب وأعمال الفن التشكيلى ان لم تتفوق ! وبذلك . فإن لنا أن نتيقن من ان موضوع البحر ومشتقاته من الأنهار والجداول ، كان وسيظل من مختارات الابداع الموسيقى لصياغات فولكورية ، او من الفن الغنائى او بالتصوير الاوركسترالى من الوان اللحن والهارمونية والايقاع وحسب .

ونحن اذا ما ابتدانا بالنظر فى محلياتنا الموسيقية ، وجدنا إصرارا من أدابنا الشعبية على تسمية النيل بالبحر حتى ولو كان موضوع القول ترعة او مجرى من فروعه ، وتاكدنا بالتالى من ان ماثوراتنا الفولكلورية لا تزال تردد لنا حتى اليوم نفس ما كان ينشده للآباء والجدود «دويتو» المنادى التقليدى وصبيه كلما هلت تباشير الفيضان المبارك فى "البحر" سنويا ، وبهذه الأهازيج :

المنادى ـ "البحر" فاض وزاد
الصبى ـ اوفا الله
المنادى ـ ودار النحاس امتلا
الصبى ـ اوفا الله
المنادى ـ وده شيىء م السنة للسنة

الصبى ـ اوفا الله ... الخ .

فإذا ما راق لنا ان ننتقل الى اى موقع ما على الشواطىء . بالدلتا او بالصعيد ، تاكدنا ايضا من حفاوة التسمية ببحر النيل لا من مجرد الفاظ الكلام ، وانما فى صياغات تحفل ببدائع النغم والغناء ، منها ـ مثلا ـ ما سجله لنا ماسبير فى موال من موقع المنيا يندر فى سواه ان تتعانق خفة دم التعبير مع رومانسية هذا الغزل :



المؤلف على أصداف البحر

البحر والنغم

ع "البحر" جمالات بيملوا في دوارجهم[1] .
عليل وعطشان ووصفوا لي دوا ، ريجهم[2] .
يرج[3] جلبي لزغروطة اباريجهم[4] .
جالوا[5] منين الفتى ، انا جلت[6] منيلوى .
مولود معاهم ، وموش جادر افارجهم[7] !! .

ولعلنا لا ننسى ان نضع في بالنا ان الجماعة من صبايا الريف قد تعودن بالتواتر على ان يملأن جرارهن في شكل "كورال" له انشودة فتانة تفتح شهية المداعبة بما يلي من التعابير :

"البحر" يضحك ليه وانا نازلة ادلع املا القلل ؟
طلعت فوق الصجراية[8]
اسد ونمر جروا وريا
ياريت حبيبي كان ويايا
وانا نازله ادلع املا القلل !!

كما اننا لا نزال نستمتع بالأغنية التريدية التي لحنها الشيخ زكريا احمد لغناء ام كلثوم في فيلم وداد سنة ١٩٣٥ ، ولكي يتغنى بها ايضا كل مغترب بعدت به الشقة وفاضت منه اشواق العودة الى الأهل والأحبة في أرض بحر النيل :

على بلد المحبوب وديني
زاد وجدي والبعد كاويني
يا مسافر على "بحر" النيل
انا ليه في مصر خليل
من بعده مابانام الليل
على بلد المحبوب وديني !



ولنا بعد ضمن كل متذوقي الحان السنباطي في اداء الحنجرة الأمينة لأم كلثوم ان ننتشي من تصورات لوحة "شمس الأصيل" التي ذهبت خوص النخيل . فهي فعلا تحفة تالقت على صفحة النهر ومن شانها ان تدفع اي زامر للناي ان ينطلق في عزفه لتميل معه القدود فتتراقص على ايقاع النسيم !

واما اذا ما تخيرنا لنزهتنا الصيفية ثغر الاسكندرية وشاطيء بحرها الأبيض المتوسط لوجب ان نتزود معنا للهوى والليالي بما اجاد الرحبانية نظمه ولحنه وتغنت لنا به حنجرة فيروز الالاهية عن دنيا الشط ، وريحه ، وهواه ، وحيث تقول :

شط اسكندرية
يا شط الهوى
رحنا اسكندرية
ورمانا الهوى
يا دنيا هنيه
وليالي رضيه
أحملها ب عنيه
شط اسكندرية

●●●

البحر وريحه
والفلك الغريب
تحملها جراحه
من خلف المغيب
يتمهل شويه
يتودع شويه
وتعانق الميه
شط اسكندرية !

ليالي مشيتك
ياشط الغرام
وان انا نسيتك
ينساني المنام
والشاهد عليه
غنوه قمريه
والنسمه البحريه
شط اسكندريه ...

وتبارك الله فيما استلهمه الرحبانية وتغنت به فيروز !

●●●

هذا عن محلياتنا عن البحر والنغم ، واما في العالم الأوركسترالي الآخر فلسوف نجد من بين القديم والحديث اعمالا عن البحر والنهر لمؤلفين ممتازين ، تعاملوا مع الألحان والهارمونيات والايقاعيات ابتغاء تقريب المعنى الانطباعي وابتعدوا تماما عن حرفية المحاكاة . ولنا ان نضع في الصدارة منهم موسيقارنا الفرنسي كلود ديبوسي في مقطوعته "عن البحر" باقسامها الثلاثة هذه :

- على الشاطيء من مطلع الفجر حتى شمس الظهيرة
- تلاعب الأمواج
- حوار بين الهواء والبحر

ومن المفيد لنا وللسامعين ان نتزود بشيء من آراء هذا المؤلف عن تقديسه للبحر لنكون جميعا اقرب إلى تفهم الحانه . ذلك انه كتب يوما الى أحد أصدقائه وقال :

"... هاأنذا للمرة الثانية اجد نفسي برفقة صديقي البحر . فمعه وحده ، ودون سواه»

«من كل موجودات الطبيعة ، يتأتى للمرء ان يستمتع بكامل الصفاء وكرم الاسترواح»

«رغم اننا ما حفظنا له حقه ولا أوليناه حسن الرعاية . فها نحن نسمح بأن تندس»

«في مياهه اجسام تلوثت بنفايات العمل اليومي ، ونسمح لكل السيقان والاذرع»

«المشوهة بأن تتحرك فيه على ايقاع يدعو إلى السخرية وتتبلكى من سخفه»

«الأسماك ، والاحرى الا ينبغى السماح لغير الحوريات ابدا بالنزول في مياهه !!!»

وهكذا كتب ديبوسي مقطوعته عن البحر للاوركسترا السيمفوني سنة ١٩٠٥ فجاءت اقرب ما تكون الى الاحلام ، أو من فيض المشاعر الميتافيزيقية لفنان يرى الموجودات بعدسة قلبه ، وتعسر بالتالى هضم مذاقها من أول استماع للناقد بييرلالو الذي قال :

«اراني ما سمعت ولا رأيت ولا حتى شعرت باى شيء بحرى !!» وتزيد الناقد الامريكي الشهير هنرى إيكريهبيل ثم اندفع يقول «... استمعنا بالأمس الى مقطوعة من شلفطات تاثيرية وتخليطات نغمية فجة تجاهلت كل مقومات للشكل والمحتوى ، وظهر ان كل جهد للمؤلف فيها قد انصب على مجرد رص الركامات الصوتية حتى جعل من البحر الذي تصوره لنا مستنقع ضفادع ، ومن ادائها الأوركسترالي "سعالا" اصابت غصته كل حلوق آلات النحاس ...» قال هذا

فعلا لكنه تراجع بعد ذلك بمدة فكتب يمدح المقطوعة ويقول "انها عمل شاعرى لمؤلف تمكنت عبقريته من تصوير ايقاعيات الموج . ومن التجلى فى استخدام الوان البحر، واجمع الكثيرون على انها من اعظم اعمال ديبوسى وبان فيها تكرارات من ذرى التعبير الاوركسترالى تناظر جبال الموج الشامخات فى متسع المحيط الهائج !!

واذ لا يكتمل اى حديث عن موسيقى البحر بغير الاشارة الى حكاية نغم السندباد البحرى فى متتالية شهر زاد الرائعة فقد لزمنا اولا ان نقدم عظيم التجلة والاحترام لمؤلفها الروسى الموسيقار رمسكى كورساكوف باعتباره واحداً من "الخمسة الكبار" فى بنيان المذهب القومى الموسيقى . وثانى اثنين فى علم التوزيع الاوركسترالى بكل تاريخ العلوم الموسيقية . وبعد هذا . فالثابت ان هذا الاستاذ الموسيقار كان قد شغل فى فترة من عمره المهنى وظيفة المفتش العسكرى العام لموسيقات البحرية الروسية . وتمتع فى وظيفته ورحلاتها بمذاق الشرق وسحره . وانه ايضا كان قد طالع كتاب الف ليلة فى ترجمة اوروبية واستحوذت عليه الاعاجيب فيها والغرائب حتى قرر تصوير الموضوع سيمفونيا لكن فى حيز مختار من اربعة حكايات وحسب هى : البحر وسفينة السندباد . والأمير المتصعلك . والشقيقين : الأمير الفتى واخته الاميرة ابناء القمر . وأخيرا مناظر مهرجان بغداد وحادثة غرق سفينة السندباد

ولقد عمد كورساكوف فى ربط الحركات الاربعة لمتتاليته الى تخصيص فقرة من اداء الكمان الانفرادى نظيرا لعبارة شهر زاد التقليدية "كان يا ما مكان" فى بداية كل قصة . واتخذ لتشخيص السلطان الدموى شهريار فقرة نحاسية منفوخة العضل وراعى ان يجعلها فى اول الامر غليظة ومتبججة . ثم خففها بعد ذلك تدريجيا طوال المتتالية حتى انتهى بها فى حركة الختام الرابعة . وفى مقابل فقرة كمان شهر زاد الحيوية وزخرفها . الى تهذيب نغمى خالص وتادب كامل يدل على تطويع سلوك السلطان وصرفه تماما عن شهوة الدم :

واستماع نغم رحلة السندباد وغرق سفينته يجىء فى صلب كل من الحركتين الاولى والرابعة . وفيهما تقوم آلات التشللو بمهمة تموج المياه تحت سطح اللحن النشط . مع ما يحدث من انخفاض مستوى حركة التموج للدلالة على غمر غاطس السفينة . وهكذا نظل نستمع حتى تفاجأ باصطفاق شديد من الكاسات النحاسية . وبان يندمج رنين اصطفاقها فى متهابطات من النغم الانزلاقى وهو يتجه الى عمق القرارات فتتاكد من وقوع حادثة اصطدام السفينة بصخرة تمثال الفارس البرونزى وغرقها . وبعد ذلك تتولى آلات النفخ الخشبى مهمة تهدئة العاصفة كى تمهد السمع لاستقبال لحن شهر زاد فى عبارة "كان ياما كان" لآخر مرة لنستنتج انها قد انتصرت نهائيا .

وننتقل الآن الى صورة البحر فى اوبرا الهولاندى الطائر للموسيقار الألمانى ريتشارد فاجنر ، وهى الأوبرا التى يعتبرها المؤرخون والنقاد أول تطبيق عملى لمؤلفها فى تطوير التقاليد الأوبرالية الى مستوى الدراما الموسيقية ويحدث ان تحمل أحيانا تسمية «السفينة الشبح» اشارة الى أصلها الاسطورى فى متداولات بحار الشمال . ولقد يأخذنا العجب فى ان فاجنر هو الذى اختار نظم موضوعها وتلحينها بسبب التشابه فى حوادثها البحرية المفزعة مع حوادث تشرده هو وزوجته وابحارهما من ميناء ريجا الروسى الى مدينة لندن فى قارب شراعى هزيل وعبر بحر البلطيق الهائج ووصولهما بمعجزة ليخيب سعيهما فى العثور على مصدر لقمة العيش !!

وأصل الهولاندى الطائر فى الأسطورة حكاية عن بحار قاد سفينته وفشل فى اجتياز منطقة راس الرجاء الصالح لوعورتها فاعماه الغضب ، وادى به الى ان يقسم بكل الشياطين عمدا ان يجتاز هذه المنطقة مرتين لا مرة واحدة ولو اقتضته المحاولات كل سنوات عمره ، وبسبب هذا التجديف كتب الله عليه لعنة التشرد البحرى الدائم فى سفينته لا يستريح ولا يقرب اليابسه الا بعد ان يعثر بين النساء على من تحبه وتقبله زوجا بل وتستعد للتضحية بعمرها من أجله ! ويمضى هذا الملعون فى تنفيذ العقوبة نحوا من سبع سنوات يعثر بعدها على نرويجية تدعى سنتا وتبادله الحب ويتفقان على الزواج بعد أن تفسخ خطبتها من آخر . ولسوف تمضى امور التجهيز على ما يرام لولا ان يرى البحار الهولاندى سنتا هذه وهى تحادث خطيبها السابق فيشتاط غيظه ، ويتهمها بالخيانة ، وينطلق وحده الى البحر من جديد ، وتنتحر سنتا من اجله فيتحقق له شرط رفع اللعنة ، لكنه لا يلبث ان يغرق بسفينته ومن ثم يتداركهما الله برحمته فيرفع روحاهما الى سموات الرضوان !!

كتب فاجنر هذه الاوبرا من ثلاثة فصول ، واتخذ لها افتتاحية مشهورة تضمنت تلخيصا دقيقا وأمينا لكل الحوادث والمواقف . فهى تقوم على لحنين اساسيين يتعارضان فى السياق ويتداخلان . أولهما تؤديه آلات الكورنو والبلصونات من طابع معتم يتكثف ويتزوبع ليسمعنا صورة عواصف البحر وعنف أمواجه الباطشة . والثانى لحن اوركسترالى ودود تتغنى وداعته بحب سنتا وبراعتها وتضحيتها وصعود روحها أخيرا برفقة روح حبيبها إلى رضوان الله .

وعند فليكس مندلسون ـ وهو أيضا موسيقار ألمانى ـ نجد مجموعة شيقة من الافتتاحيات التى تتحدث عن البحر وأساطيره ورحلاته بعناوين :

كهف فنجال ـ أو كهف هبرايز ـ الرحلة الموفقة فى البحر الهادىء ميلوزينا الحسناء .

ويقال عن تاليف مندلسون لموسيقى كهف فنجال أن مطلعها الذى يشغل نحوا من عشر مازورات قد راوده اثناء نزهته المشهورة فى هضاب اسكوتلاندا الجبلية وعند لحظة توقفه امام موقع

البحر والنغم

لشاطىء المحيط اجتذبته فيه روعة منظر المياه وهى تدور لتتدفق فى فم الكهف . وانه بعد أن استكمل صياغتها وتم تقديمها انهالت عليه أيات الثناء

سندباد البحرى



وكتب الناقد الموسوعى والمؤلف الموسيقى هوجو لايختنتريت تقريظا وصفيا بان هذه الافتتاحية لا تلبث ان تعطى للسامع كامل انطباعه بحيوية البحر وعنفوانه . وتمده بصورة سمعية عن تتابع طوابير الموج وهى تسعى لترتطم بصخر الكهف ثم ترتد . وحتى ايضا عن تشبع جو المكان بروائح ملوحة الماء وأعشاب البحر . وما هنا لك من صراخ طيور النورس فى برارى الشمال ...

واما عن موسيقى افتتاحية "الرحلة فى البحر الهادىء" فهى ترجمة فى الحان متيلسون لاشعار جيته عن ذات الموضوع . وهذا غير ان النقاد والمؤرخين لا يتفقون على تاريخ ومبعث تاليفها . فمنهم من يقول بانه قد تم صياغتها فى سنة ١٨٢٨ ثم عدلها بمراجعة نهائية فى سنة ١٨٣٤ . ومنهم يربط تاريخ تاليفها بزيارة المؤلف المؤثرة لشواطىء بحر البلطيق فى سنة ١٩٢٤ . ويتبقى لدينا بعض الحديث عن افتتاحية ميلوزينا الحسناء فى انها وصف موسيقى لاحوال ومواقف احدى عرائس البحر اللاتى تورطن يوما فى مشكلة الزواج من آدمى !!

ونذهب لننظر الآن فى الصور النغمية لأشهر انهار اوروبا باعتبارها اولا : من مشتقات البحر . ولان الموسيقى بالتالى جعلت للدانوب ـ مثلا ـ شهرة تفوق حجم الاطلنطى بكثير !! واول ما نجده من روائع هذه الصور هو ما نسمعه فى القصيد السيمفونى عن نهر الفالتافا للموسيقار القومى بدريش سميتانا .

وكان هذا الفنان التشيكي قد كتب في تمجيد بلاده من ماضيها الى حاضرها مجموعة من ستة قصائد سيمفونية بعنوان بلادى واتخذ لمفرداتها اسماء الاعلام والآثار الآتية :

١ - فيشي هراد : وهي قلعة تشيكوسلوفاكية بقيت أثرا من حصون الحكام الوطنيين القدامى .

٢ - نهر الفالتافا : في وصف مجراه من المنبع الى المصب مع ما تحف به شواطئه من مناظر اخاذة واقاليم مختلفة واثار تاريخية .

٣ - الملكة شاركا : في تمجيد البطلة التاريخية التي حملت السلاح يوما وانتقمت من خطيبها كنراد .

٤ - مراعي وغابات بوهيميا : في وصف المساحات التسعة لمفاتن الروابي الخضر . والغابات الثرية . ولنمط الحياة السعيدة في القرى وآهاليها .

٥ - حصن تابور : المستقر التاريخي لقبر الشهيد الوطني جون هيس الذي أعدمه الطغاة حرقا سنة ١٤١٥ ويزوره الاتباع "جند الله" ليرتلوا على مسامعه اناشيد البذل والفداء ..

٦ - جبل بلانك : الموطن الاخروى لأرواح الشهداء من اتباع جون هيس وهم دائما في انتظار البعث والنشور يوم تستنفرهم حوادث الوطن فيهرعون من مقابرهم شاكي السلاح !!

ويهمنا من كل هذه القصائد نهر الفالتافا باعتباره اجملها واكملها بمعايير الفن والوطنيه ولسوف نسترشد في تذوق محتواه بما اثبته المؤلف على التدوين الموسيقى من الدلالات الآتية :

أولا - ها نحن في البداية عند المنبع وأمامنا رافدان صغيران احدهما ساخن دافق . والثاني هادىء بارد وكل منهما يتخذ مساره نحو غابات بوهيميا (الاسم القديم لتشيكوسلوفاكيا) .

ثانيا - تجرى مياه الرافدين فوق الارض الصخرية حتى يلتقيا في شكل نهر تلمع على صفحته شمس الصباح . وبعد ذلك يمضي مجراه فيخترق كثافة الغابات التي تتردد نداءات أبواق الصيد في جنباتها . ثم يخرج الى متسع من السهول الخضر التي تناثرت في انحائها قرى الفلاحين ومالهم من اعراس راقصة ممراحة . .

ثالثا - يبسط الليل الوقور رداءه فيتجلى في السماء ضوء القمر وتتراسل اشعته الفضية على سطح الماء الجارى ومن ثم . يخلو الجو لملاعبات عرائس النهر وحوريات الغابة لفترة ويتحرك المسار فيمر بالعديد من الحصون والقلاع التاريخية التي تقف شاهدا على ما مضى من فروسية التشيك .

رابعا - يصل التيار الى منطقة القديس جوهان فتزداد سرعته ويلتوى مجراه ليصطدم ببعض الشلالات الصخرية غير انه يتجاوزها بكل الثقة والعنفوان ويمضي فيهبط بعدها الى هوة عميقة ويخرج منها حيويا قويا الى متسع رحيب تستقبله فيه قلعة فيشي هراد التاريخية وترحب بمقدمه فيلوح لها التيار برد التحية ثم يمضي قدما ليندمج مع التيار الاكبر لنهر الإلب ... وهذه هي مراحل موسيقى الصورة . وهذه هي العينة النموذجية لمقطوعات

البحر والنغم

القومية الموسيقية لكل من شاء يسمع بالفعل .

ونختتم العرض فيما يلي بصورة لنهر الدانوب من ابداع جوهان شتراوس . وجوهان شتراوس هذا هو ملك الفالس دون منازع . وهو الذى اطلق بهجة الحانه المزدهرة بدءا من منتصف القرن التاسع عشر واسترقص عليها شتى عواصم الدنيا فرقصت كلها ولا تزال . وهو العبقرى الذى تعهد صيغة الفالس بالتنظيف والتهذيب . وخلصها من مجرد الاعتماد الغشيم على دقات الايقاع الثلاثى وثرثرة الالحان الشعبية . واستبدلها فى بنائها باللائق واللازم من جماليات الالحان والهارمونيات وحسن التوقيع فى سبك ماهر وتخصص باهر .

وفتح لها ابواب صالات الكونسير على الواسع . وجعلها قسما مشتركا فى ارقى البرامج والاذاعات والتسجيلات والاحتفالات وذلك هو دور الرجل . واما عن تاثيره فنحن جميعا مدينون له بالمذاق السعيد لطائفة من الفالسات مثل : حياة فنان . وحكايات من فيينا . والدم الفينلوى . والنساء والأغانى والنبيذ . والامبراطور . واصوات الربيع . والدانوب الجميل وكلها انتاج لفترة خصبة بدأت من سنة ١٨٦٢ ويحب المؤرخون أن يربطوها بزواج شتراوس من حبيبته هنريتا تريفز.

والدانوب او بالأحرى فالس الدانوب الأزرق - او الجميل - يعتبر من انتاج عام ١٨٦٧ . وهو من أشهر أعمال شتراوس واكثرها تداولا بالحق وبالباطل حتى ليكاد التباهى بمعرفة اسمه أن يكون لدى البعض علامة على التمدن وعنوانا لحى السكنى !! والمعروف أن شتراوس كتبه فى أول الأمر لكورال الرجال والأوركسترا على اشعار هزيلة كانت قد كلفته بتلحينها جمعية كورال الرجال بفيينا واضطر المؤلف الى حذف الغناء منه فحاز الاعجاب والشهرة للنهر وللتذوق الجمالى .

وإذا كان سماع المعيدى خير من رؤيته فان خبرة كاتب هذه السطور مع تكرار عزف واستماع الدانوب هى التى دفعتنى إلى التعرف على الدانوب الجغرافى عند التقائه بنهر السافا قرب مدينة زغرب اليوغوسلافيه سنة ١٩٦٢ . وما أن رأيته حتى خابت كل ظنونى فيه وعدت اكتفى منه بموسيقى شتراوس واكرر اغتسال روحى بالحانها لازالة كل الشناعة والبشاعة التى علقت بذهنى من رؤيته الجغرافيه تلك . واراني مازلت اعزفه واشغف بسماعه وتذوقه واترحم فى كل مرة على جوهان شتراوس الذى منح جغرافية الدانوب زرقة وجمالا وصيتا يتطلول الى السماء !!



(١) الدوارق
(٢) ريق الافواه
(٣) برق قلبي
(٤) الاباريق
(٥) قالوا
(٦) قلت
(٧) الفرقهن
(٨) الشجيرة

ثقافة

والكرسى واللمبة والكف

بقلم : فاروق خورشيد

جمعنا استاذنا الكبير محمد فريد ابو حديد فى نادى جمعية المعلمين بالأوبرا حيث كنا نقضى اوقاتنا بعد فراغنا من العمل فى مدارسنا نلعب البلياردو او كرة الطاولة او الشطرنج .. وقال بعد ان تحلقنا حوله فى غرفة المكتبة

- عندى خبر سار

وانار وجهه التأسيس فينا . يتأملنا واحدا واحدا فى صمت من يحاول ان يجعل لكلامه وقعه الهام . ثم قال

- وافقت لجنة التأليف والترجمة والنشر على ان تتولوا اصدار مجلة الثقافة من اول الشهر القادم .

وكانت قنبلة تفجرت وسطنا فجأة فاصابتنا بالذهول والجمت السنتنا فلم نتكلم للحظات . ثم اندفع كل منا فجأة يسابق زميله الى الكلام عن معنى هذا الوضع الجديد . وما يحمله من امل وما يجسده من احلام . وما يحققه من طموحات

● كنا كلنا فى اوائل العشرينات من العمر . وقد تحكم فينا زخم النشاط ، وتحديات الحماسات الرائعة ، التى نريد ان نسقط حكما ملكيا فاسدا ، ونريد ان نقضى على تحكم اقطاعى مريض ، ونريد ان نريح استعمارا جثم فوق صدر الامة عشرات الاعوام ، ونريد ان نبدأ حياة جديدة مليئة بالامل . لكم حرموا تماما من الامل . ونريد .. ونريد .. ونريد

وسيصبح لنا منبر بارز ومميز .. الثقافة
- تخيل ؟

قال صلاح عبد الصبور :

- تعني أنه سيكون لنا سلطة مطلقة على تحرير المجلة ؟

ابتسم أبو حديد ، ابتسامة الطيبة الجميلة ، وقال :

هذه ثقتي فيكم ، وقد تحدث أعضاء اللجنة جميعا ، وقلت انكم قادرون على انقاذ المجلة من محنتها ... وتحملت المسئولية كاملة ..

قلت :

- لم ؟ - المجلة ضائعة ومخفقة ، وقد اغلقت رسالة الزيات أبوابها ... والطريق مسدود تماما امام أية محاولة .

عادت الابتسامة تشرق على وجه أبي حديد وهو يقول :

- أنا دائما اقول إن الدم الجديد يبعث حياة جديدة ومتجددة في عروق أي جسم ميت - فلنحاول أن تتدفق دماؤكم الحارة هذه في شرايين الثقافة ، ثم لنحاول أن نرصد النتيجة ، وندرسها ونعرف مقوماتها واسبابها .

وتحولت المحاولة الى اجتماعات متتالية ، ووزعنا مسئولية العمل علينا ، ثم وضعنا تصورا للمجلة بابوابها وترتيبها ، واتصلنا بالاساتذة الذين علمونا ، فقد كنا حديثي التخرج من الجامعة ، واستجاب الاساتذة معنا ، وشاركوا في اجتماعاتنا ، بل تحملوا عنا بعض المسئوليات الهامة .

وانتقلت الاجتماعات والجلسات الى مطبعة لجنة التأليف في حارة الكرداسة في حي عابدين لتبدأ بروفات العدد صفر وسط حماس العمال ورجال المطبعة من اداريين وفنيين ، وهم يحسون أن شيئا جديدا سيحدث للمجلة المحتضرة ..

ولكن رغم كل الافكار المطروحة كنا نحس أن شيئا ما ينقص كل هذا الجهد .

فالسؤال هو لماذا هذه المجلة ، هل عندنا ماهو جديد يبرر هذا العناء والجهد .

وتحددت الاجابة في عنصرين اساسيين : -

الأول هو أن المطروح على القارىء المصرى بخاصة والعربي بعامة ، تمثل اعمال صحفية تجرفه في تيار من الاخبار والتحقيقات والاهتمامات المسطحة دون أن تربطه برسالة فكرية أو ثقافية ترفعه الى مرتبة الانسان المشارك والمؤثر وأما دوريات تخصصية اقرب الى المطبوعات الاكاديمية التي لاتهم سوى أصحاب التخصص ، والتي تتيح لهم المتابعة المستمرة للجديد في مجالات تخصصاتهم - ولهذا فالهدف الذي يجب أن تحققه من هذه التجربة هو خلق المجلة التي تسد الثغرة بين الاثنين ، أي أن تصبح المجلة للمثقف العادي ، وأن تربط هذا المثقف بالهموم الفكرية والوجدانية التي تشغل الأمة ، بحيث يشارك في مواجهتها ، ويملك ارادة القرار الواعي ، وهذا يعني الدراسة والعمل النقدي كما يعني الابداع الفني الحي في وقت واحد .

والعنصر الثاني :

هو أننا لم نكن راضين عن الواقع الأول في عصرنا ، وكان لدينا احساس ملح وغريب بأن ما درسناه لايمثل ماضينا الثقافي على أية حال ، وأن ابداعات جيل العمالقة من كتاب العصر لاتمثل طموحات انسان العصر وطحنه وآلامه .. هي ثورة



آخر صورة للفنان حامد ندا



عبيد الأسى .. للفنان حامد ندا

لذن على المسلمات القديمة ، وعلى الإبداع المعاصر معا ..

وفجأة وفى وسط حديثنا الصاخب ، وجدلنا المستمر ، صاح أحمد كمال زكى :

- وجدتها .. بالفعل وجدتها ..

وحملقنا فيه وقد صمت كل حوار وجدل ، وعاد يقول :

- الشكل .. نحن فى كل حديثنا نتناول لموضوع الشعر فى ثورته ، والقصة فى تمردها ، والبحث فى رفضه ، والمقال فى ثورته ، والنقد فى ارتباطه بالاتجاهات النقدية المعاصرة .. ولكن اين الشكل .. هذه مجلة ، يراها القارىء قبل أن يقراها .

● ثورة الفن التشكيلى

قال أحمد :

- أنا اتحدث عن حركة ثورية فى الفنون التشكيلية لاتقل جدية والتزاما عن حركتنا الأدبية هذه ، أتحدث عن حركة مجموعة التشكيليين الذين يقاربوننا سنا ، والذين يعاصرون افكارنا واحلامنا ، والذين يريدون أن يحققوا فى الفن التشكيلى مثلما نحاول أن نحقق فى الفن الأدبى..

قلت وأنا أضحك :

- أن الثورة تمتد الى كل شىء فى حياة مصر ، انهم الفقراء الذين تعلموا ، والذين وصلوا الى درجة الانفجار بعد قهر الاف السنين ، فى الحلم والثقافة والأدب والفن على السواء . كلنا يريد أن يبحث عن وجه مصر الحقيقى الذى تراكمت عليه نفايات الوافدين من مماليك وعثمانيين وفرنسيين وانجليز وأتراك .

قال أحمد زكى :

- لو رأيت لوحاته لعرفت أنك صدقت كل الصدق من حيث لاتدرى .

قال صلاح :

- ماذا ننتظر هيا بنا نرى صديقك هذا .

قال احمد :

- حامد ندا فى بيته فى السيدة الآن .

قلت :

- ومن هنا الى السيدة خطوات هيا بنا ..

وخرجنا جميعا معا ، يلفظنا زقاق الكرداسة الضيق الى حارة اوسع الى شارع ارحب ، ومن شارع الى شارع ، وروائح القاهرة تملأ صدورنا .. التراب المكتوم تحت الماء المرشوش ، والتبغ المحترق من مدخل قهوة الى رائحة شواء من دكان كبابجى الى رائحة بخار الفول من مطعم صغير ، الى رائحة بن محترق من دكان بنان يقود بنه المحمص امام دكانه على أجولة ليبرد .. واصوات القاهرة تتعقبنا ونحن نقترب من الحى العتيد ، صليل الترامات وابواق السيارات ، واجراس العجلات وصهيل حصان .

وتداخلت الشوارع واحمد يقودنا ونحن نتحدث فلا ننتبه للطريق حتى وقف امام باب لمنزل قديم وقال :

- هنا ، انتظرونى لحظة .

ودفع الباب ودخل ، ووقفنا ننتظر وكل منا قد استدعى الى خياله منظر باب بيته الذى يسكن فيه فى احد شوارع القاهرة أو الاسكندرية أو الزقازيق ، أو فى أحد أزقة قرية مصرية يعيش .. نفس التداعى والقدم ، ونفس الروائح ، ونفس الفقر الفصيح الذى يحكى عن نفسه دون كلام ..

وتوقف تداعى الصور فى رأسى وابتسمت ، فقد وقعت عينى على (السقاطة) ، الكف المضمومة على كرة حديدية ترفعه وتنزل به فتضرب الكرة قطعة حديد بارزة تحتها تماما .. هذه (السقاطة) علامة مميزة على بيتنا فى باب الشعرية ، وها هى أمامى على "ضلفة" الباب المنفرج فى بيت السيدة زينب وهذا الكف كانت دائما سرا مغلقا بالنسبة لى .. لم أكن أمسك بها ، حتى أحس بملمسها البارد يهز ذراعى كله ، ثم أضرب بها وبالكرة فيها الجزء الحديدى الذى ينتظر دائما هذه الضربة ، فيمتد خيط ما من اعلى يشد رتاج الباب فإذا هو يفتح لى دون كلمات ، كانت امى غالبا هى التى تنظر من الشباك ، أو من الترسينة التى تواجه الباب ، لتعرف من الذى طرق (السقاطة) ، ثم تشد خيطا يفتح المزالج ، فأدخل فى صمت وأغلق خلفى الباب ليحتوى المسكن كله صمت كريم ، أصعد فيه الى غرفتى دون أن يعترضنى أحد .

وأفقت مرة أخرى من تأملاتى على أحمد زكى يخرج الينا من فرجة الباب ، وفى صحبته شاب نحيل قميصه ابيض ، وبنطلونه ابيض ، وفى ابتسامته تساؤل ، وفى عينيه عذاب ، يعبث فى شعره الاسود الكث بأصابع طويلة معروقة وهو يقول :

- اهلا بكم ، ادخلوا ، لماذا وقفتم بالباب ؟ لماذا لم تدخلوا مع أحمد ؟

قال عبد الغفار :

- ربما كنت تعمل .. اعنى .

صاح والغريب ان صوته فى الصياح لم يكن الا نغما مترددا .. متعثرا ، كأنما لم يتحدث الى أحد من زمن طويل فأخطأ طريقه الى الحديث الجهير الواضح .. وقال :

ـ لا ادخلوا .. اهلا وسهلا ـ حدثني عنكم احمد كثيرا ..
ومضى يربت على كتف واحد واحد منا حتى دخلنا ، ليقابلنا عتم كامل فى مدخل الدار ، ولكنه قادنا الى غرفة مغلقة ، ما ان فتحها حتى انبعثت منها انوار مبهرة ، غشت اعيننا للحظات ، ودخلت الغرفة وانا اقول كما تعودت من زمن السلام عليكم يا اهل الدار .
وانبعثت حولى ضحكات ساخرة من كل الداخلين معى ، ولكن حامد ، كان يقف امامى فى صلابة ، على وجهه الابتسامة الساخرة العتيقة ، وفى عينيه التحدى القاسى ، وفى وجهه معالم حب واشفاق وقال :
ـ عامر المكان يرحب بك أنت من اولاد هذا المكان .
ضحكت وانا اتمالك نفسى وقلت :
ـ انا ضعيف غريب ، فاغفرلى .
قال وهو يسوقنى الى غرفته المضيئة الملآنة بالضوء الكهربائى المبهر .
ـ بل هذا بيتك .. تعال .
وكان الجميع قد سبقنى الى الحجرة الصغيرة المضاءة .. (مندرة) البيت كما قدرت والكنبة البلدى فى ركن .. وشلت هنا وهناك وعلى كل حائط لوحات ، ووسط الغرفة حوامل تسند لوحات ، ولا مكان للجلوس الا على الكنبة البلدية أو الأرض .
وجلست على الأرض وقال :

● اعضاء الجمعية الأدبية

ـ أسمع عنكم من احمد كمال زكى من مدة طويلة ، ولكنى لم اعرفكم عن قرب ابدا ، وكم كنت اشتاق أن احضر جلساتكم عند استاذكم الدكتور كامل حسين فى الجيزة ولكن احدا لم يدعونى ، كما أن مجالى غريب عليكم ، ولهذا فلم أشاهدكم الآن .
وضحك وهو يشير الى أحمد زكى بأصابعه الرفيعة المعروقة التى تهتز مع حركة كفه :
ـ هؤلاء اذن يا أحمد اعضاء الجمعية الأدبية المصرية ؟ ياسلام ، كم شوقتنى الى أن القاهم ، وهاهم أمامى الآن ، مجموعة من الشباب .. اسمح لى أن أصفهم بأنهم شباب ضائع ... لم يصل الى قرار بعد ..
قال صلاح عبد الصبور :


لوحات حامد ندا .. تمسح بالثورية في الفن التشكيلي

- نحن فعلا نبحث عن الطريق ، ولم نفكر فى القرار ابدا .

وقال احمد كمال زكي :

- ياسيدى نحن ضيوفك ، فكف عن العبث ، وقدم لنا شيئا ..

عبث حامد ندا فى شعره ، وتلفت حوله فى حيرة وقال فى صوته الجهير

- لا ، لاشيء عندى الآن .. اعزمكم على الفيشاوى ، نشرب الشاى والشيشة ، ما رأيكم ؟

وكانوا يتجادلون حين نظرت حولى ، فى القاعة الشديدة الاضاءة ، ولست ادرى كم كان يحرص على شدة الاضاءة والكف امامى ما وجدت فى كل لوحة علقت على الجدران او استندت الى استاند ، او استندت الى الارض ، الكف يحاصرنى فى كل رسم - اما هى كف تواجهك لتمنع الحسد ، وعلى الساعد الذى يحمل الكف وشم كالكتابة ، او كالرسم المبهم ، او هو كف يخفى وجها ، يخفى جسدا ، يخفى وجودا عن العالم كله - الكف اول مالفتنى الى لوحات حامد ندا المتناثرة فى (المندرة) حولنا هى مرة حامية ، وهى مرة تميمة ، وهى مرة مجموعة كفوف تتضام فى التحام رافض ، تريد الوقاية من كل العالم الخارجى .

الكف عند حامد هنا شيء مخيف ومهم ، الكف رمز رئيسى .. لايمكن أن نفهمه الا اذا فهمنا معنى الكف عنده ، وقبل أن أفتح فمى للسؤال ، كان صلاح عبد الصبور يقول له :

- هذه اللوحات .. فى عالمك الآن .

ضحك حامد وقال :

- كنت فى فرنسا ، وعرضت لوحاتى هناك ، وهم أحبونى وقدروا لوحاتى .. وقالوا أنه عالم غريب عليهم .

ويبرز امامى الكرسى البلدى الذى تجده فى المقاهى الشعبية المصرية ، كرسى خشبى قائم فى حدة ، والقاعدة مكونة من جدائل من الخوص .. والكرسى كان امامنا ولا أحد يجلس عليه ، ولكنه كان مرسوما فى كل لوحة ، مرة صغيرا حتى الاختفاء ، ومرة كبيرا حتى الاحتواء ، وقال صلاح :

- ياحامد يا أخى ، واسمح لى أن تكون أخا بعد ترحيبك بنا .. كيف يشغلك هذا الكرسى حتى يتكرر بصورة واضحة فى كل هذه اللوحات .

قال حامد وهو ينظر الى لوحاته كأنما يراها لاول مرة :

- لا أعرف ولكنى ارسم ما احس .

ضحكت وأنا أسأل :

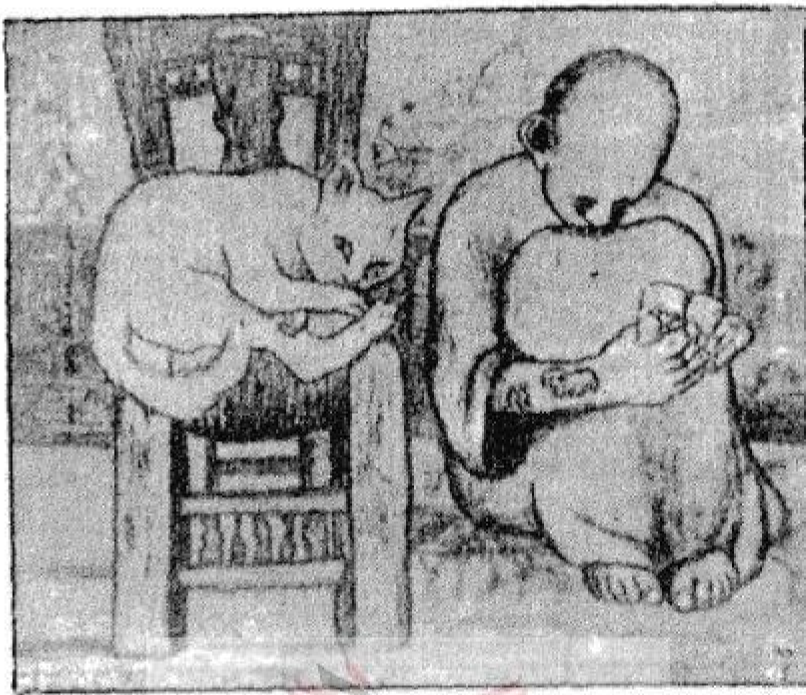
- واللمبة والسحلية .. وهذه الاجسام المكورة التى لاملامح لها ؟

قال :

- قبل هذه الاضاءة وطوال طفولتى فى حى القلعة كنت أعيش على لمبة الجاز ، هى أمامى دائما تحدد لى دوائر الضوء ونقط العتمة فى مجال الرؤية ، وفى بيتنا القديم فى القلعة ما اكثر السحالى التى تسير بحرية فوق الجدران ، وفوق الكتب ، وتحت الكراسى ..

قال عبد الغفار مكاوى على استحياء :

- هذه الابداعات قد لاتعجب اصحاب الذوق الرفيع ، من السادة الذين يشترون اللوحات للزينة ، ولكنها تعجبنى أنا ، فهى تتحدث عنى ومن داخلى ، ومن محيط رؤيتى فى بيتنا الريفى القديم ، وهى



القط .. للفنان حامد ندا

تذكرني بعم مصطفى فى شعر صلاح عبد الصبور وحسين افندى فى قصة فاروق ، وبقصتى "الفرن" التى كتبتها من منطلق الاحساس بنفس الجو .

قال حامد :

- اننا نتشابه فى الاتجاه .

سألته :

- أنتم ، من أنتم ياحامد ؟

قال :

- نسمى أنفسنا جماعة الفن المعاصر ولنا استاذ نتحلق حوله كأستاذكم هو الاستاذ حسين يوسف أمين ، أما من نحن فسرعان ما ستعرفون من خلالى عبد الهادى الجزار ، وجاذبية سرى ، ويوسف سيدة ، وفريد كامل وأخرين .

قال أحمد كامل زكى :

- لهذا جئت بهم اليك ، فنحن بصدد التصدى لاصدار مجلة الثقافة لتكون تعبيرا عن هذا الذى تقوله ، اذن هو نفس ماتؤمن به . فماذا فى أن تشاركونا المسئولية .

قال حامد ندا :

- هذه فرصة هائلة فالمعارض وحدها لاتكفى لابراز رسالة ثائرة كرسالتنا .. طبعا اوافق واعتقد أن الأخرين سيرحبون مثلى ..

قال عبد الرحمن فهمى وهو يفرك كفيه فى ارتياح :

- هذا ما كنت أبحث عنه ، فالآن سيكون للمجلة وجهها الجديد ، ويكون لها

ايضا محتواها الجديد . ومن ساعتها اصبح حامد ندا وفريد كامل يمثلان الاشراف الفنى على المجلة وانضم إليها فنان تشكيلى ثالث هو الاستاذ انور حمدى . وواضح اننا جميعا لم نكن نتقاضى اى اجر من اية جهة .

وعلى الرغم من أن العدد الأول لنا وهو رقم ٧٢٧ والصادر يوم الاثنين ١ ديسمبر عام ١٩٥٢ لم يقدم على الغلاف اى رسم ، وانما اكتفى بالفهرست مع خلفية ملونة الا أن بابا جديدا ظهر فيه اسمه (نحو فن جديد) كان يحوى لوحة لحامد ندا . وهو امر تكرر فى كل الاعداد . ففى العدد الأول كانت اللوحة باسم (اللعنة) وكتب تحتها عرضت فى فينيسيا وهى تمثل طفلا يتربع الى جوار الكرسى الخشبى الذى جلست عليه قطة .. والاثنان فى حالة انفعالة مطمئنة ، وجه الطفل يختفى بين ركبتيه ورأسه بيضاوية وعلى ذراعه وشم وفى كفه المصدوحة عدة أوراق لعب . ونشر هذا الباب فى ص ٩ من هذا العدد . وفى العدد الثانى نشر هذا الباب فى ص ٢٤ وكان اسم اللوحة المعروضة فيه (عبيد الاسى) وكتب حامد تحتها (عرضت بمعرض مصر فرنسا) وهى تمثل موضوعا جدليا بين جسدين متضامين يتهالك أحدهما على الآخر فى المقدمة . وفى الخلفية والى اليسار يقف جسد متهالك آخر وحيدا .. والشخوص كلها تخفى وجوهها وراء اكفها فالصورة مليئة بالأكف . والملامح كلها غير واضحة تبرز عين هنا أو هناك . وعلى الجدار فى خلفية الصورة ثلاثة عصافير تقف فوق ثلاثة اغصان وكأنها من رسوم الاطفال ... أما فى العدد الثالث فقد نشر الباب فى ص ٢١ وكان اسم اللوحة المنشورة فيه (انسان) وكانت تمثل رجلا مضغوطا قصير القامة متكور الجسم يقف الى يسار اللوحة ووجه جامد ، وملامحه جامدة ، وقد برز كفاه بشكل واضح ، أمامه على الأرض رسم بدائى لانسان كما يرسم طفل . وخلفه على الجدار شقوق وقطع ملاط مبعثرة ووسطها السحلية العتيدة .

وفى العدد الرابع ظهر الباب ص ٢١ وكان يحوى لوحة اسمها (طريق) ، رسم فيها حامد ندا طريقا صخريا ، متعرجا يضيق كلما صعد وفى اخره انفراجه ضوء ويحوطه جدار ينفرج عند مقدمة اللوحة ، وعلى يسار الطريق ، وفوق جدار مظلم لمبة غازية كبيرة مطفأة تجثم فوقها سحلية ضخمة .

وفى العدد الخامس اختفى الباب ولن نشرت بدلا منه لوحة للفنان كامل يوسف داخل برواز فى ص ١٧ ، وقد تكررت نفس الظاهرة فى العدد السادس اذ نشرت لوحتان داخل بروازين من معرض الفنان يوسف سيد . كما نشرت لوحة داخل برواز باسم غروب للفنان انور حمدى .

وفى العدد الأخير وعلى ظهر الغلاف نشرت أسماء هيئة الرسم كما حددتها من قبل .

وان غلاف العدد الأول قد ظهر عاريا من أى رسم الا أن المجلة منذ عددها الثانى ولثلاثة اعداد متتالية ظهرت وعلى غلافها خلفية لرسم يمثل شارعا قاهريا مملوكيا بمشربيات بيوته ومئذنة تبدو من بعيد . يختلف لون الخلفية فى كل عدد

وينزل اسم المجلة وفهرسها فوقه .

منذ العدد الأول بدأت رسوم حامد ندا وزملائه تواكب الاعمال الابداعية المنشورة تأخذ منها وتضيف اليها فرسم حامد ندا فى العدد الأول لوحة لقصة سلم العبيد لعبد الرحمن فهمى وفى العدد الثانى رسم لوحة لقصتى "يابدر" برزت فيها الحارة والكرسى والجوزة والكف ، والعصافير المعلقة ، والاجسام المكورة ، وفانوسان واحد هو فانوس الحارة المعلق ، وآخر فانوس صغير فى يد طفلة فى صدر اللوحة ، وفى العدد الثالث رسم حامد ندا لوحة وموتيفة صغيرة لقصة "صديق" لاحمد كمال زكى .. وفى هذا العدد ظهر باب جديد لأول مرة باسم جولة الرسام كتبه حامد ندا بتوقيعه عن معرض الفنان يوسف سيدة ، والمقال رغم أنه يشرح اتجاه يوسف سيدة ورؤيته الفنية الا أنه يكاد يتحدث عن حامد ندا ومتابعه الثقافية ، ورؤيته للفن كحركة جدلية دائبة

وفى العدد الرابع يرسم حامد ندا لوحة مصاحبة لقصة الشمعة لصلاح عبد الصبور وحمل العدد الخامس والأخير مفاجأة كبيرة اذ كان الغلاف عبارة عن لوحة لحامد ندا يحتل الوجه والظهر معا ، وربما كانت هذه هى أول مرة تصدر مجلة أدبية بلوحة من هذا الاتجاه الجديد والذى لم يكن يرضى احدا فى ذلك الحين ، تملا كل مساحة غلافها وجها وظهرا معا : واللوحة كبيرة ، تمثل امرأة حزينة الوجه تجلس على كرسى حامد ندا التقليدى منحنية وقد برز ذراعاها المتضخمان وكفاها فى ضمة هامة ، وامامها يقعى رجل مصمت الوجه وقد مد كفيه امامه ، بينما يضع رجل ثالث يده على رأسه وقد وقف خلفه وغطى وجهه بكفه الآخر ويعض



انسان فى منظور حامد ندا

اوراق تبرز من بين أصابعه .. وكانت اللوحة أصلا قد رسمت لقصة لى نشرت فى نفس العدد باسم (الست بهية) ، ولكنى لم أجد فى نفسى القدرة على اخفائها داخل العدد ، فبرزت على الغلاف واحدثت ضجة هائلة داخل لجنة التأليف والترجمة والنشر ، التى اعتبرت هذا الغلاف تحديا ساخرا أمام كل ملحوظاتها السابقة على اعداد المجلة التى لم تعد تمثل فكرها ولا اتجاهات افرادها ، والتى انذرت من قبل بغير لين . فاتخذت قرارها بعد هذا العدد بوقف اصدار المجلة أصلا ..

ولست أزعم أن هذا الغلاف كان هو السبب فى توقف صدور الثقافة ، ولكنى أقول أنه كان القشة التى قصمت ظهر البعير .. فقد كانت المواد المنشورة وخاصة التى نكتبها نحن مرفوضة من أعضاء اللجنة وخاصة الشعر والقصة ، وقد طلب منى هذا العدد الخامس بعد ذلك

من جهات علمية وبحثية عديدة حتى نفدت كل نسخه التى كنت احتفظ بها . ولم يتبق الا نسخة واحدة مهلهلة من كثرة العودة اليها . على اية حال فى هذا العدد رافقت لوحة لانور حمدى مقالا لاستاذنا فريد ابو حديد ورسم فريد كامل لوحة مصاحبة لقصيدة صلاح عبد الصبور (ابى) ورسم حامد ندا رسما مصاحبا لمقال استاذتنا الدكتورة سهير القلماوى ، كما رسم ايضا لوحة مصاحبة لقصة ، (كريم) لاحمد كمال زكى . ورسم لوحتين صاحبتا قصة يوميات امورييس لعبد الرحمن فهمى ، بينما رسم فريد كامل لوحة مصاحبة لقصة القرن لعبد الغفار مكاوى ، كما رسم فريد كامل لوحة مصاحبة لقصة بغدة للاستاذ عطية حسين عطية .

وظهر فى هذا العدد باب جولة الرسام اشترك فى كتابته فريد كامل بتعقيب على معرض اساتذة المعهد العالى للمعلمين وحامد ندا بمقال قصير حول اعمال كمال يوسف تحت عنوان (ديك كمال يوسف) والمقال مركز جدا ولكنه ايضا رؤى هامة لعملية الابداع

● فنان شعبى

كنا اثناء اشتراكنا فى اصدار الثقافة ، حين ينتهى العمل ، ويسرف الليل فى تقدمه نتجه الى قهوة الفيشاوى فى الحسين نجلس لنتحدث فى اى شىء بعيدا عن موضوعات المجلة وابوابها واحلامنا لها .. وكان حامد ندا يدخن الشيشة ويطلق نكاته ، ويضحك بصوت عال ضحكا يهز جسده النحيل كله .. ولكن كلمات النكتة كانت تخرج متعثرة من فمه يركب بعضها بعضا . وكنت فى اول الأمر احسب هذا من فعل انقطاعه لساعات طويلة وحيدا أمام لوحاته التى يرسمها .. ولكنى اعرف مصورين كثيرين لاتحدث هذه الوحدة فى نطقهم مثل هذه الظاهرة ، إلى أن التفت الى انه يفتح كفه على أخرها ويحيط بها أذنه وينحنى الى أمام اذا اراد متابعة الحديث الدائر حوله .. كان الصمم قد بدأت يلعب دوره الخطير فى حياته . اذ كلما ازداد احتجاب الصوت فى عالمه ، كلما اقتربت لوحاته من الايضاح الصارخ . وكف حامد ندا على اذنه تلفت النظر فأصابعه طويلة جدا ، وهو يلوح بها كالمروحة امام نار الشيشة فتلتهب الجمرات ، وتطربنا هذه المهارات الغريبة . ثم تفرق بيننا الايام تدريجيا ، وتعصف بنا دوامات الحياة ، ولكنها ابدا لاتفرقنا فنحن نلتقى بين الحين والحين ، وكان حامد ندا حريصا دائما على ان يلتقى بنا كلما كان فى القاهرة ، كما كان حريصا على ان يدعونا الى رؤية معارضه ومعارض مجموعته اللصيقة .. وبدا اسم حامد يملأ المساحات المخصصة للفنون التشكيلية فى وسائل الاعلام ، وكتب عنه النقاد فى الخارج وهنا ، وذهبوا فى اتجاهه مذاهب فهو عند مجموعة تجريدى ، وهو عند اخرين سريالى ، وهو عند البعض تسطيحى ، ثم هو عند البعض الآخر تصفيفى ، ويتذكر الاستاذ مختار العطار التصفيف فيعرفه اثناء حديثه عن حامد ندا بأنه (نوع من الحلول الشكلية ، وصل اليه الفنان فى مصر القديمة والاسلامية) .

وايا كان الأمر فأحسب أن حامد ندا كان فنانا شعبيا بكل مافى هذه الكلمة من معنى ، ويكفى اولا أن نعود الى الثقافة لنجد أن زائر الشباب فيها كان الاستاذ الكبير محمد فريد ابو حديد صاحب زنوبيا وعنترة وجحا ، والذى دخل باب الشعبيات من باب التاريخ ، ونجد أن الدكتور عبد الحميد يونس رائد الدراسات الشعبية فى مصر ارتبط بكل اعداد الثقافة فى هذه الفترة ، كما سنجد كتابات للدكتورة سهير القلماوى صاحبة الدراسة الرائدة فى ألف ليلة وليلة ، وبعد حين من زمن تفرغت أنا لدراسة السير الشعبية واستحياثها فى أعمال روائية وقصصية ومسرحية واذاعية ، بينما امتلات قصصى بهذا

العطر الشعبى من ناحية ، وبهذا التمزيق الشكلى من ناحية اخرى ، وكذا الامر فى قصص عبد الرحمن فهمى وشعر صلاح عبد الصبور ، ودرس احمد كمال زكى الاساطير واصدر عنها كتابا ، ودرس عز الدين اسماعيل الشعر الشعبى فى السودان ، وجمع مواد شعبية عديدة اخضعها للدراسة الفولكلورية .. وارتبط بنا بعد حين الدكتور شكرى عياد صاحب كتاب (البطل فى الادب والاساطير) والدكتور محمود ذهنى صاحب الدراسات العديدة عن سيرة عنترة وعن الفولكلور ، كما تفرغ عبد الغفار مكاوى لدراسة الاساطير البابلية .

هى موجة اذن كانت تتحرك معا ، ولم نكن فى اول الأمر ندرك حقيقة اتجاهنا ، ولا أنه اتجاه موحد نحو اكتشاف وجودنا المصرى ، وتأصيل هذا الوجود تاريخيا وحضاريا وشعبيا .. وأن وسيلتنا كانت الغوص فى اعماق النفس المصرية فى بساطتها وعفويتها لنقترب بعض الشيء من روح مصر الحقيقية .. وكان الفن والابداع الادبي والدراسة العلمية كانت كلها وسيلتنا للتعرف على أنفسنا وعلى مصر ـ فالاتجاه الشعبى هو الاسم الأقرب تعبيرا عن روح حركة ابناء الخمسينيات هذه ادبا وفنا على السواء .

ومنذ عدة أشهر طرق بابى الفنان الصديق فتحى أحمد ، وحين فتحت الباب وقف يخفي وراءه انسان بحيث يحجبه عنى ، ثم ابتسم وقال :

ـ مفاجأة ..

وتنحى ليدخل حامد ندا مادا ذراعيه ليحتضنني واحتضنته في شوق حقيقي .. كانت قد مرت سنوات منذ آخر مرة التقينا فيها ، وكان شعره قد اقترب من لون الفضة ، وقد ضعف سمعه الى حد انه خيل الىّ انه يقرأ الحديث من حركة الشفاة ، واخذ يسألني عن الاصدقاء واحدا واحدا ، يترحم على من مضى ، ويرثى لمن خان وتفرق ويحيى من ظل على العهد حبا وصداقة وانتاجا ايضا .. ودعانى الى زيارته فى مرسمه فى وكالة الغورى ، ووعدته ، وقال لى الصديق فتحى ، نحدد يوما ، واصحبك معى لتزور حامد فى مرسمه وترى مرسمى ايضا .

ولكن الايام عادت تفرق من جديد .. فصاحب (اللعبة) ، عابد النور الضى عليه ظلام القاهرة ، كانما احسه انه من الممكن ان يصل العبث باصحاب العبث بحيث اذا اصيب مكان واحد بعطل غرقت مصر كلها فى الظلام ، مصر رع بلاد الشمس المشرقة ، والنور الدائم .. فتركها مودعا ليترك فى قلوبنا وقلوب محبى الفن فى العالم كله لوعة لاتنطفىء ..

شهريات

رأى في الثقافة

خطاب مفتوح إلى

محمود درويش وكتاب فلسطين

صديقي واخي الشاعر الفلسطيني العربي .

اتوجه اليك بهذه الرسالة المفتوحة وانت رئيس اتحاد كتاب وصحفيي فلسطين . عن موضوع . اضمر . الان عناصره قبل التصريح بها . يخص هذه الحملة الشرسة التى تشنها احدى صحفكم اليومية الصادرة من لندن ضد الكتاب المصريين العرب . كبيرهم وصغيرهم . قاصيهم ودانيهم . عبر احاديث ملفقة .

لقد تابعت هذه الحملة المغرضة طوال عدة اشهر محاولا العثور على . قيمة ادبية . تجعل منها . معركة ثقافية جادة . حول . قضايا حقيقية . ومن . منطلقات موضوعية . وباسلوب يليق . بقيم الادب الرفيعة . وعبر مناهج محترمة . لكنني للاسف لم اعثر على شيء من هذا كله . وكل ما وجدته هو شتائم مجانية . وباساليب خبيثة مقصود بها الايقاع بين ابناء الوطن الواحد . لاتعرف لم . الا اشاعة الفرقة واشعال الفتن . واثارة الضغائن .

واسالك الان . وانا اضمر الاسماء في هذه المرة قبل التصريح . لاجئا الى التلميح هذا السؤال المباشر : في صالح من تشن صحيفتكم الموقرة وخلال شهر واحد حملة شعواء ضد كل من : يوسف ادريس . لويس عوض . جمال الغيطاني . محمد ابراهيم مبروك . عبد الحكيم قاسم . صنع الله ابراهيم . زكي نجيب محمود . يوسف القعيد . وغيرهم من الاسماء علاوة على اتهام كل نقاد مصر وكتابها المعروفين بانهم . لاقيمة لهم . واستكمالا لمنظومة الشتائم تتجه الحملة ضد . علاوة على المجلات والصحف الحكومية جميعا . مجلات وصحف : الاهالي . ادب ونقد . والشعب . والوفد . وكل المنابر . يمينا ويسارا . شمالا وجنوبا .



زكي نجيب محمود



د . لويس عوض



محمود درويش

في ارض الكنانة ؟

اسالك بحكم مابيننا من وشائج في صالح من تشن هذه الحملة والى اين تتجه ؟

انت تعرف ياصديقي اننا نرحب باي نقد موضوعي وجاد ، ونحن افضل من يتعلم ممن لديه علم ، لاننا على قدر من الذكاء ، لكن ان نرى مثل هذه الحملة ، وعلى كتاب انت قبل غيرك اعرف بقيمتهم ، ودون هدف هكذا ، وبالمجان فان هذا اذا سكتنا عليه مرة ، فاننا لن نسكت المرة التالية .

ان بعض الاخوة من صغار النفوس ، يبدو انهم بداوا يضيقون ذرعا بما حققه البعض من كتابنا ، والاخطر مهم ان يروا ان هذا في النهاية يصب في خانة خدمة قضية الادب العربي كله ، خاصة بعد فوز اديبنا الكبير نجيب محفوظ بجائزة نوبل ، واتساع دائرة الاهتمام بادبنا العربي في مصر ، على مستوى العالم ، نقول يبدو ان هؤلاء الصغار قد ضاقوا بهذه النتيجة فبداوا في شن حملة مضللة اظن انهم مع توفر حسن النية لايعرفون نتائجها التي تصب في نفس اتجاه مايطمح اليه الاعداء الذين يعملون ليل نهار على وأد النتائج التي يحققها ادبنا اليوم على مستوى العالم .

اننا هذه المرة نقصر ولا نصرح وخير اهمس به في اذن من يقف وراء هذه الحملة بخصوص لويس عوض (الذى اطالب نقاد عمله لاكيل الشتائم المجانية له)

● عبده جبير

الثقافة الجديدة وأدباء الصعيد

منذ عدة اشهر ومجلة ، الثقافة الجديدة ، التى تصدرها الهيئة العامة للثقافة الجماهيرية تصدر بانتظام بعد ان تحسن شكلها .. الى الافضل كثيرا ، كما تحسنت موادها المنشورة الى حد كبير ، مما يجعلها واحدة من المجلات الثقافية الناشطة والتى لن يمر عليها تاريخ المجلات الثقافية فى مصر مرور الكرام .

وضمن مايميز المجلة ايضا ملفها الشهرى الذى تخصصه لواحد من الموضوعات الهامة ، فكان ملف العدد الماضى (يوليو ١٩٩٠) مخصص لأمل دنقل ، والذى قبله خصص ليحيى الطاهر عبد الله وهما بالقطع فنانان يستحقان الكثير من الوقفات ولاشك .

لكن وبحكم اننا نحاول تحسس الطرق التى تؤدى الى استقامة الامور ، ونفكر بصوت مرتفع مع هيئة تحريرها المخلصة : حسين مهران وعلى ابو شادى ، وسيد عواد ومحمد كشيك واحمد الحوتى ومحمد بغدادى نقول انه فى تقديرنا وهى المجلة التى تصدر عن الثقافة الجماهيرية ، نود ان تعود الى شعار اخر ، بدلا من شعارها



الذى ترفعه باعتبارها مجلة كل المثقفين ، وتتحول كما كان مزمعا لها ان تكون الى ورشة ثقافية لتخريج واكتشاف المواهب الجديدة خاصة اولئك الذين يعانون وهم يعيشون فى الاقاليم بعيدا عن العاصمة ، ورشة تقدم فيها اعمال المواهب الجديدة مع مناقشات لها ، ودراسات عنها ، تنقدها ذلك النقد البناء الذى يسعى الى اكتشاف الميزات قبل العيوب ، الى اكتشاف مناطق القوة وشرح مناطق الضعف ووضع اليد عليها ، كما كانت الصفحة الادبية فى جريدة المساء ايام كان يشرف عليها الاستاذ عبد الفتاح الجمل ، لكن مع منحى يسعى الى التركيز على من يسمون بادباء الاقاليم .

وهنا اعرج على موضوعين :

الاول : يخص كتاب « الصعيد » فقد لاحظت اثناء جولة ثقافية فى كل من المنيا واسيوط نوعا من المرارة التى يعانيها الادباء الذين رمت بهم الاقدار للعيش فى الصعيد ، اما بحكم كونهم ينتمون للجامعات هناك ، او بحكم ارتباطهم باوطانهم المحلية او بحكم عملهم ، وصدقونى لو قلت لكم اننى وجدت هناك نتاجا ناضجا ويستحق ان يصل للناس ، مئات القصص والقصائد التى سمعتها خلال ايام قلائل ، تنم عن مواهب وامكانات هامة .

الموضوع الثانى : يخص ملف يحيى الطاهر عبد الله الذى نشرته المجلة ففيه « نغمة » اخشى ان تسود وتعمم وتتكرر حتى تصبح هى الاصل ، فيما يخص « موضوع يحيى الطاهر » اعنى نغمة التعامل معه باعتباره شخصا غرائبيا اشبه بالمهرج القلبان او الشخص المضطهد المظلوم الذى يستحق العطف والشفقة لاباعتباره كاتبا. مهما يحتاج الى النظر بعين جادة .

وهذا مانبه اليه الشاعر وصديق حياة يحيى ، عبد الرحمن الابنودى ووضع اليد عليه . لذلك لابد ان يقف المرء باحترام امام دراسة الناقد المعروف « ابراهيم فتحى » الذى درس جانبا هاما من جوانب ادب يحيى الطاهر وتغنى اللغة القصصية بتتبع ناقذ الى صلب هذه اللغة وكذلك دراسة الدكتور حامد ابواحمد عن رواية الطوق والاسورة .

اننى لا انكر الحب الذى كتب به الاصدقاء الاعزاء محمد كشيك وسمير غريب ، ويوسف ابورية شهاداتهم ، لكننى اشير فقط الى ماقد تشى به عبارات واردة هنا او هناك فى هذه الشهادات هم جديرون بملاحظته حتى دون هذه الاشارة

● و .. مجلة جديدة من المنيا



فى المنيا حيث يعانى مثقفونا من صغار النفوس الذين يشكلون مجموعات مكارثية تحاول نشر الظلام واشاعة الرعب فى كل قلب هناك لايزال عدد من المثقفين والمبدعين من يعملون ويقروشهم القليلة على الصمود الذى لابد من تحيته ، وهو صمود عملى له نتائج محسوسة فى نتاج منشور عبر سلاسل من الكتب الرخيصة التى تضم دواوين شعر

ومجموعات قصص وروايات بالاضافة الى عدة مجلات ثقافية جادة ونابهة .

من هذه المجلات صدر اخيرا عددان من مجلة جديدة تسمى « بداية » تقول فى افتتاحيتها :

«ان تكن « بداية » محاولة لان نفتح قلوبنا بالحب ونجعل من هذا الحب جسرا رقيقا يقيم التواصل بيننا وبين القراء ، فنحن سعداء .

فالثقافة فيما نزعم « بداية - رحم » بين المثقفين .. واللحظة التى يتم فيها التكاشف بيننا نعتبرها اعظم لحظات الصدق لماذا ؟ لان فى هذا التكاشف وعيا ، نحن جميعا فى حاجة اليه ، الوعى الحضارى بالزمان وبالمكان ، فاذا كان لدى الفرد الانسان منا وعى بالزمان ادرك ان اللحظة الحضارية يمكن ان تفر من بين اصابعه كما انه يمكن ايضا - فى المقابل - ان تتجمع ابعاد وروافد هذه اللحظة الحضارية لتصنع حضارة وتحيد تاريخا .

ان تكن بداية للوقوف مع النفس ، ومنقذا للعطاء الثقافى المتبادل بيننا جميعا فهذا يكفى» .

يشرف على اصدار المجلة الجديدة الدكتور احمد السعدنى ويشاركه عدد كبير من الادباء ضمنهم مصطفى بيومى ، منير فوزى ، ود . محيى الدين محسب واخرين .

ماذا يجرى فى المسرح المصرى !

كان كاتب هذه السطور فى زيارة لصديق مخرج « جمد » نشاطه الوضع القائم فى المسرح المصرى وهم بمعاتبته على كسله وتوقفه وعدم انتاجه ، مما انعكس على نفسيته بما يشبه الاكتئاب فما كان من هذا المخرج الا ان قال : سأرد عليك بشكل عملى عبر جولة نقضيها الليلة معا ، وبعدها سأرد على هذا الكلام .

وبالفعل كانت جولة على ستة مسارح دخلناها واحدا بعد الاخر ، وبحكم ان الجميع يعرفونه لم ندفع مليما واحدا فى هذه الجولة ، والحقيقة اننا كنا نقضى فى كل عرض لحظات ، نجلس فى اخر صف ، وكنت انا الذى اطلب منه ترك المكان لان مايقدم لايحتمل .

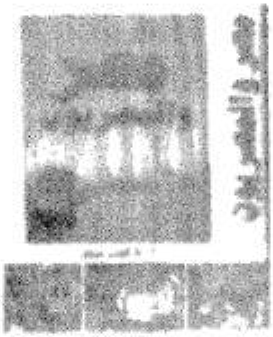
لايحتمل من ابتذاله ومن قصده الى مخاطبة غرائز الذين يجلسون سكارى او شبه سكارى ، وهم يحملقون فى السيقان والصدور والاذرع العارية .. والى اخره مما يعف القلم عن كتابته .

ممثلون وممثلات موهوبون حقا .. والبعض منهم رأينا لهم ، اعمالا جادة والبعض كان يبشر بعطاء كثير غرقوا فى هذا المستنقع العجيب ، المستنقع

الذي دفعني الى ان اشد على يد المخرج العاطل ، قائلا : الصمت فى هذه الحالة يقول الكثير .

وودعته فى نهاية الليل وانا اتساءل الى اين يتجه المسرح المصرى ؟ الى اين ياترى ؟

مكتبة الهلال



الكتاب . مصر والمصريون
تأليف : اليكس فاسيلييف
الناشر : التقدم ـ موسكو ٦٦٨ص

مؤلف هذا الكتاب ـ مستشرق معروف وكاتب مهتم بقضايا الشرق الاوسط والادنى ، قضى فى مصر خمس سنوات حيث درس بها لمدة عام . ثم عمل مراسلا للبرافدا اربع سنوات اخرى . وله العديد من المقالات والكتب عن العالم العربى منها « الوهابية والدولة السعودية الاولى فى الجزيرة العربية » و« ببلوجرافيا العربية السعودية » و« مشاعل الخليج » و« النفط والاحتكارات والشعوب » و« الخليج فى قلب العاصفة » و« رحلة الى الجزيرة العربية السعيدة » « جسر عبر البسفور » اما كتابه « تاريخ العربية السعودية » فيعد من اهم هذه المؤلفات .

وفى هذا الكتاب « مصر والمصريون » يستعرض تطور المجتمع المصرى منذ اقدم العصور حتى الوقت الحاضر خاصة التطورات السياسية والاقتصادية والاجتماعية الجديدة

من هنا تبدو افتتاحية كتابه على مشهد « محمود مختار » وهو يعمل فى تمثاله الشهير « نهضة مصر » ذا دلالة خاصة فيقول :

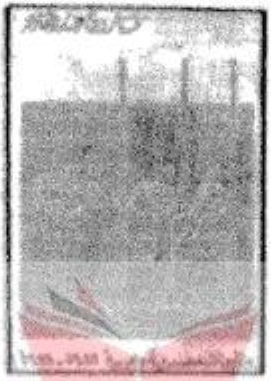
وعدت افكر فى بطولة مختار الابداعية ، ولكن بصورة اخرى ، مغايرة لما كنت افكر به فى ايام شبابى . ان المأساة التى حلت بالمثال العظيم بعد وفاته تكمن فى ان « نهضة مصر » اصبح رمزا لوطنه بالنسبة للاجانب ، وللمثقفين المصريين ذوى الثقافة الغربية وليس بالنسبة للجماهير المصرية التى تعيش حسب نظام القيم والصور الفنية الاسلامية ان الشعب الذى وهبه مختار حياته لم يتعرف على نفسه فى هذا التمثال

مكتبة الهلال

ولم يعترف بمختار معبرا عن طموحاته ومثله ؟

والمؤلف على كل حال حاول ان يرسم صورة بانورامية لشخصية مصر ، وما الذى يمكن ان يعتبر مكونا لها ، ومن هو المعبر عنها والمفسر لها ، وهو دور مصر فى العالم والى اى حضارة تنتمى .

ويقول : ومن خلف هذه المجالات التى قد تبدو مجردة تحتدم الاهواء السياسية الحية ويجرى البحث عن طرق البناء الاجتماعى والاقتصادى لمصر ، وفى ايامنا هذه يزداد المرء قناعة بانه لايمكن فهم مصر المعاصرة بدون العودة الى العشرينيات والثلاثينيات بدون الغوص فى بئر تاريخ الاف السنين ، بدون التوجه الى نيلها وصحاريها .. وهو ما حاوله المؤلف بامتياز .



الكتاب : اوراق اخرى من الرماد والجمر
تاليف : فاروق عبد القادر
الناشر : دار العروبة - القاهرة ٢٥٦ ص

يضم هذا الكتاب عددا من « المتابعات المصرية والعربية » التى كتبها الناقد المعروف « فاروق عبد القادر » عبر السنوات مابين عامى ١٩٨٦ و١٩٨٩ ، وتعد مجموعة مكملة لما نشره من مختاراته فى كتاب اخر له (سبق ونشره الهلال ديسمبر ١٩٨٨) وهذه المجموعة تضم ماراه المؤلف « جديرا باعادة النشر (فى كتاب) فلعل هذه المتابعات حين تجتمع معا ان تكتسب معنى قد يتجاوز مايمكن ان تؤدى اليه قراءتها متباعدة متناثرة مابين هنا وهناك قد تتكامل مفردات الجملة فيتضح معناها » .

والناقد فاروق عبد القادر يرى ان كلمة النقد .. قد اصبحت فى واقعنا الثقافى هذا المتردى كلمة ملتبسة المعنى او سيئة السمعة اختلط بسواه وماعت الحدود : الاخبار المصورة اصبحت نقدا

ومحرروا الصفحات الفنية اصبحوا نقادا ، وكل صاحب دكتوراه -

فى اى فرع من فروع المعارف الابداعية ـ قد اصبح ، استاذا ناقدا » واصبحنا نقرأ فى نقد هذه السنوات الاخيرة عجبا . وهو يرى النقد عملا لايتم فى فراغ لكنه يتم فى سياق بعينه ، وفكرة السياق هذه رئيسية فى النقد كما هى فى علوم المجتمع والنفس والانسان ، ويشمل هنا مجمل اعمال صاحب العمل ، ومدى تجاوزه لاعمال سابقيه ، وتميزه بين اعمال معاصريه ، وبمن تاثر من كتاب ومبدعين كما يشمل كذلك ـ وبالضرورة ـ الجمهور الذى يتوجه اليه العمل (قارئين او مشاهدين) والتاثير المحتمل له عند متلقيه .

ويدرس الناقد العديد من الاعمال الروائية والمسرحية كما يكتب عن العديد من القضايا الثقافية مما يحتاج الى تفصيل لا تحتمله هذه العجالة فما هى الا اشارة .



الكتاب : رأيت النخل
تاليف : رضوى عاشور
الناشر : مختارات فصول ١٠٤ ص

يضم هذا الكتاب ثمانى قصص قصيرة مع مجموعة من اللقطات القصيرة جدا جمعتها الكاتبة تحت عنوان قصص قصيرة جدا ، واغلبها تدور حول حياة بطلة فيها الشىء الكثير من الكاتبة ، او من نماذج دائما تتعاطف معهم ومع آلامهم من منطلق موقفها الانسانى والاجتماعى .

والقصص تتشكل من الحقائق الموضوعية المنظور المحتوية على سر تركيب الواقع الفعلى بناسه وعلاقاته واماكنه واجوائه ، واصله الى تشكيل المعانى المتجسدة فى صور الخيال ، دون ان تفقد قدرتها على احتواء نفس سر الواقع الحميم ، فبين قلق الجد على حفيدته ابنة الشهيد ، فى عالم لايعرف الجد مدى خطورته ولامدى تعقده وغواياته وحتى خلق العاشقة المحصور فى لقطات قريبة مركزة ، بينهما يمتد خط احساس رهيف مجدول من ثقافية المأساة ومن احتدام الفرح بمواجهتها لا الغرق فيها .

شعر :

ويرحل العصفور

سالم حقى

لابد يوما يرحل العصفور ∴ ويفك قيد إساره .. ويطير !
لا تعذلوه إذا يحطم قيده ∴ وإذا استباه فى السماء النور !
كم كابد العصفور فوق ترابنا ! ∴ طوبى له .. كم كابد العصفور !
ولقد ذكرتك والصبا متوهج ∴ تغزو رؤاه .. أحرف وسطور
والحرف .. دنيا الحالمين وعشقهم ∴ والحرف للنشء الجديد .. مصير
أصلت فينا كل معنى شامخ ∴ فله بأعماق النفوس .. جذور
كانت رسالتك الحياة كريمة ∴ العدل فيها .. شرعة .. وضمير
إنسانها الانسان يملك أمره ∴ ويذود عن حق له .. ويثور !
والرأى عندك أول ومبرأ ∴ وهو النواة . وما عداه .. أخير !
لم تمتشق غير اليراع مهندا ∴ وسبيلك الاحياء والتنوير
لم تحن رأسك والرعود قواصف ∴ فعصيك ثابتة .. وأنت جسور
أبدعت "أهل الكهف" وهى تيمة ∴ دوى لها فى المشرقين .. نفير !
عرف البيان اليعربى .. جديده ∴ منذ ازدهى ألقابها .. التعبير
المسرح العربى .. أنت أساسه ∴ وسواه أنت .. وقوله المأثور
أنشأته فى عنفوان شبابه ! ∴ فترعرعت .. براعم .. وزهور
يا فارس القلم الأبى .. يهابه ∴ ويخاف ومع ضيائه الديجور
لم تتخذ إلا ... رغم عنائه ∴ درباً ! ودرب الكاتبين عسير !
ولقد ذكرتك .. واللقاء يضمنا(٢) ∴ والثغر .. يبسم شطه المسحور !
فى ركنك المعهود .. وهو علامة ∴ تزهى بها بعد العصور .. عصور !
يسعى إليك شيوخنا وشبابنا ∴ كالطير للروض الجنى .. يطير !
متحلقين .. وأنت كوكب عقدنا ∴ بحر بجانبنا .. وأنت بحور !

---

(١) توفى الحكيم الى رحمة الله فى ٧/٢٦ سنة ١٩٨٧ بالقاهرة ودفن فى الاسكندرية

(٢) كنا نلتقى مع الحكيم فى ندوته الشهيرة بكازينو "بترو" على شاطىء الاسكندرية .

(٣) كان الحكيم مشهورا بحرصه الشديد على المال !

(٤) نقل جثمان الحكيم فى طائرة خاصة ليدفن فى الاسكندرية طبقا لما جاء فى وصيته

نضفي لصوتك هـابراء ومحلقا ∴ يزجيه روح في المشيب هصور !
حتى اذا جـاء "الحســاب" [3] خذلتنا ∴ فالقرش عندك .. امره مشهور !!
اسكندرية حين غبت تساءلت ! ∴ وهفا اليك الشاطىء المهجور !
اتراه اولع في الغرام بغيرنـا ∴ والقيد ترتع ههنا .. والحور ؟ !
نالت بنت "السين" بعد تمنع ∴ فمضى يعب سلافها العصفور !!
قـالوا : عـدو للنسـاء ! وقلبـه ∴ منذ الصبا في فلكهن .. يدور !!
إسكندرية ! كم ظلمت .. وفي الهوى ∴ الظلم ذنب عنـدنـا .. مغفور !
هذا فتاك الشيخ .. عاد [4] مجنحا ! ∴ يحدوه ركب في السماء .. جهير !
عاد الفتى .. والشوق ملء اهابه ∴ لثراك .. وهو مضمخ وطهور !!
لابد يومـا يرحـل العصفـور ! ∴ دنيـاه روض اخضـر وزهـور !
لا تعـذلـوه إذا يحطم قيـده ∴ ويطيـر حيث المنتهى والنور !
فهنـاك يعتنق الحيـاة مخلـدا ∴ يبقى .. وتفنى اعصـر ودهور .



جولة المعارض

٢٢

بقلم: محمود بقشيش

من معارض الصيف

قبل ان يرحل موسم المعارض قدم المركز المصرى للتعاون الثقافي الدولي معرضين متتاليين : اولهما للفنان "حمدى احمد" والثاني لجماعة "فجر" .. وقد اخترت هذين المعرضين ليس فقط لكونهما كانا تحت سقف واحد ولكن لما بينهما من صفات مشتركة.

وبالمناسبة .. سقط هذا السقف .. غير ان جماعة "فجر" قد افلتت من مأساة حقيقية !

الجماعة ومرضها

إن تاريخ الفن الحديث هو تاريخ الجماعات . والتجمعات التشكيلية . فبظهور جماعة جديدة تولد اسئلة جديدة ، تفتح افاقا لاضافات اسلوبية او فكرية .. وحتى عندما لا يتاح لها تقديم تلك الاضافة تكون على الاقل قد حركت بعض الركود . يبرز الجماعة دور تقوم به ، ويخفيها ادوار لجماعات اخرى . ولا باس من هذا الوجود المؤقت مادامت شعلة سباق الفن دائمة التالق عبر الاجيال .



اللقاء للفنان
علي حبيش

جولة المعارض

ظهرت الجماعات فى مصر على نحوين مختلفين : اولهما .. "الجماعات الحرة" التى تألقت فى الأربعينات . وثانيهما : "الجماعات الاكـاديمية" التى ارتبط ظهورها بظهور دور فعال للدولة فى مجال الفنون بعد ثورة يوليو . كان ابطال الجماعات الاكاديمية ولايزالون .. من اساتذة الكليات الفنية . ومن أبرز تلك الجماعات : جماعة "التجريبيين" جماعة "المحور" .. وأخيرا جماعة "فجر" وتضم من الفنانين : جمال عبد الحليم . على حبيش . محسن حمزه . محمد أبو القاسم . محمد العلاوى . محمود أبو العزم .

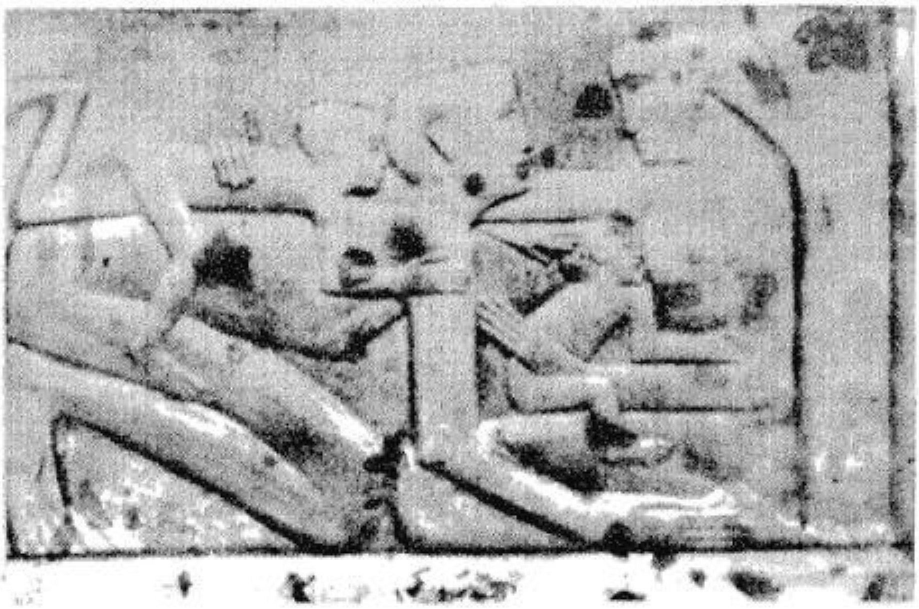
وهذا هو معرضها الثانى . ولم تقدم فى أيهما اى بيان يفسر الاساس النظرى الذى تتحرك الجماعة فى إطاره . أو على الأقل . لماذا اختارت رمز "الفجر" وصفا لدورها . ولعلها الجماعة الوحيدة فى مصر وربما فى العالم التى التزمت الصمت الكامل فى تفسير وتبرير وجودها .. اللهم إلا إهداء من سطر واحد فى صدر "الكتالوج" يقول : "إلى مصر الحبيبة وطنا للحرية والاشتراكية والوحـدة" وعرفت من بعض أعضائها ان هذا الشعار الحزبى قد تعجل بكتابته واحد منهم ، واتهم أنبوه تأنيبا بلغ درجة الطرد !

وإذا كانت تريد بموقفها الغامض ان تثير تساؤلات ، فلا مانع من توجيه التساؤلات والاسئلة . وربما كان اكثرها الحاحا هو تعبير "الفجر" ذاته : ماذا تريد الجماعة بهذا الرمز ؟ .. أهو دعوة الى تأمل نقطة البداية .. عندما دعا "مختار" ، فى فجر الحركة التشكيلية المعـاصرة ، إلى ضـرورة اكتشاف خصوصية لفن مصرى معاصر ؟ .. هل تتصور ، مثلما تصورت كل الجماعات السابقة ، انها نقطة البدء وفجر الميلاد ؟!

.. هل ترى ان طبيعة البيان هو التحديد القطعى لمواصفات من يريد الاسهام فى تشكيل الجماعة .. وانها تريد ان يكون الباب مفتوحا للجميع و(اقصد بالجميع : هيئة تدريس كليـة الفنون الجميلـة بالقاهرة) !

قد لا أبالغ إن قلت إن كل الجماعات التشكيلية المصرية ، رغم ما بينها من اختلافات بَيْنَيّة ، فإن شعارا واحدا يجمعها .. يمكن تفسيره بتلك الصيغة الاستفهامية : كيف يكون لمصر فن له ملامحه المحلية وأن يكون قادرا ، فى نفس الوقت ، على الاسهام فى الحيوية التشكيلية العالمية ؟ .. فهل ينطبق هذا على جماعتنا الصامتة ؟ .. ربما ! .. لنتجه إذن إلى اللغة التى يجيدون التعبير بها .. أى ابداعاتهم فى النحت والتصوير .. لعلنا نجد الاجابات !

● **جمال عبد الحليم** : نحات . يميل الى التجريد المعمارى . يستلهم من المنحوتات المصرية القديمة : احترامها للكتـل النقية ، وتحليلها بواسطـة المسطحات الواضـحة . الصريحة . وميلها الى الطابع الصرحى . من بين منحوتاته جدارية من النحت البارز تدور حول موضوع الاسرة ــ وهو المـوضوع المحورى فى منحوتاته .. وتختلف تلك الجدارية مع بقية معروضاته من حيث اقترابها من الطابع الوصفى ، واقترابها من روح التصوير المصرى القديم .. من



الأسرة ـ نحت جدارى للفنان جمال عبدالحليم

حيث احترام القيمة الخطية .. فالخط فى الرسوم العصرية يقوم بأكثر من دور : دور وصفى ودور إيقاعى ، وفى جداريته يقوم هذان الدوران بعمل شبكة من الخطوط المستمرة والمتقاطعة ، تتكون بواسطتها علاقة تربط أطراف الاسرة ، على أشد ما تكون من التماسك .

● **محمد العلاوى** : تظهر فى منحوتاته بعض آثار المنحوته الفرعونية ، ملونة بروح حزينة . تحتل ثنائيته الرمزية . "الانسان والحاجز" الركيزة المحورية لمعظم انتاجه النحتى . تخلو منحوتاته من اية تفصيلات .. للدرجة التى تمحى فيها المعالم التى تدل على فرد بعينه ، أو طبقة بعينها .. وكأنه يريد أن يكون إنسانه إنسانا لكل البشر ، ولكل الأزمنة .. يشبه "سيزيف" بطل الجهد الضائع ، وهو يقاوم حواجز معمارية . صلبة . بلا جدوى . لا يملك من أمر نفسه إلا فعل المقاومة ، والشعور بورطة أن يكون الانسان موجودا !

إن إلحاح الفنان على "فكرة" بعينها ، قد لا تصيب متابعها بالملل ، على النقيض من الالحاح على نظام جامد ينتظم عناصره الشكلية ، وبالنسبة "للعلاوى" فليس لديه من المفردات المحورية غير

جولة المعارض

ثنائية : الشكل الانساني المبهم + الحواجز المعمارية الصريحة . ارى ان ذلك الالحاح الشكلي يوقع الفنان في دائرة "الصانع الماهر" ويبعده عن دائرة الفنان المبدع . المغامر الكاشف عن الجديد .

● علي حبيش : تعددت مصادر ابداعه . وارتبط ذلك التعدد بالمراحل البحثية الاكاديمية : فعندما اختار لرسالة "الماجستير" موضوع "المنحوتة الافريقية" اختار لانتاجه النحتي نفس الموضوع . وكذلك فعل مع رسالة "الدكتوراه" .. عندما اختار لها موضوع "العمارة الريفية" وكان لنشاطه ، وانتقالاته الحزبية المتنوعة . اثارها في اختيار موضوعات اتسم بعضها بالخطابية .. دون ان يسقط من حسابه ما استفاده من الفن الافريقي والعمارة الريفية المصرية . تتسم اعماله بلمسة ريفية خشنة ، وانصراف عن تصنع الاناقة .

ومثلما نوع من مصادر استلهاماته ، فقد نوع ايضا في الخامات . ومن بين منحوتاته التعاطف مع النحت الخشبي .

ومن افضل اعماله منحوتة بعنوان :

البشر والحواجز .. للفنان محمود ابو العزم



"اللقاء" ، وتظهر فيه الاستعارة الافريقية واضحة . يتخلق من عمود خشبي كيان إنساني . والعمود رغم بساطته يشكل رحلة ممتعة للعين ، تحفل بكل أنواع النحت : البارز ، والغائر ، والفراغات البينية . وعلى الرغم من ان تلك المرتفعات والمنخفضات تصف أعضاء ذلك الكيان الانسانى . القطرى .. فإن المشاهد لا يفطن إليها للوهلة الأولى .. وليته لا يفطن إليها ، ويتوقف عند قدرة الفنان فى توليد شكل بالغ البساطة : "عمود" .. كل تلك التداعيات !

● محمد ابو القاسم : إذا كان كل من الفنانين السابقين قد أثروا جانبا من جوانب التراث الفنى المصرى ، وتعدد أحدهم الى القارة الافريقية ، فإن شيئا من هذا لا نلمحه فى أعمال الفنان "محمد ابو القاسم" . ما نلمحه هو الآثار المدرسية أو الاكاديمية ، ومحاولات التمرد عليها .. حتى موضوعه المفضل : "العارى" يعد من الموضوعات المدرسية . إن نموذجه الانثوى - لأسباب اجتماعية - ليس عاريا بالمعنى الدقيق للكلمة ، وليس متدثرا بشيء من الثياب . ولكنه يقف عند منطقة المراوغة ، كما سنوضح فى السياق ! .. قد يضع النموذج فى بحث شكلى خالص كما فى عمل اسماه : "حوار مع مستطيل" أو يضعه فى سياق رمزى كما فى اللوحة المنشورة المسماة بـ "امراة السلام" . وربما جاءت المشابهة عفو الخاطر مع منحوتة الفنان "محمود رحمى" المسماة بـ "رجل السلام" . المرأة هنا تجعل من ذراعيها قاعدة راسخة للطائر المسالم المستكين ، وهو يتهامس مع وجهها ذى الملامح الغائبة ، وتفصل ذراعا المرأة المشدودتين



امرأة السلام للفنان محمد ابو القاسم



موقف للفنان محمد العلاوى

جولة الفنان

بين عالمين متناقضين : عالم الرمز ، ويتجلى فى حديث الطائر والمرأة ، وعالم الاعتياد فى كل ما يقع تحت الذراعين من أعضاء ، زادته اعتيادا وقفة عابرة للساقين ! ..

إن الثياب التى أراد لها الفنان ـ لأسباب غير فنية ـ أن تغطى جسد المرأة ، كشفت أكثر مما غطت ، عن قسمات جسد يصرخ بأنوثته . وفى حين كان يتعامل مع الثوب والجسد باعتبارهما كتلة نحتية واحدة ، فاجأته كتلتا نهاية الفستان وبداية ظهور الساق بمشكلة لم يفلح فى علاجها ، وجاء طرف الفستان عبئا ثقيلا على استرسال الخط الخارجي للمنحوتة .

● **محمود أبو العزم** : لم يخرج على الأسلوب الرمزى الذى اختاره منذ اسهاماته الأولى فى الحركة التشكيلية ، وهو قريب الشبه بزميله النحات "محمد العلاوى" وخاصة فى ثنائية : الانسان والحاجز المعمارى . انسانهما يحمل نفس التوترات الوجودية . ويشتركان أيضا فى الميل إلى التنظيم الهندسى للعناصر .. غير إن شخوص "أبو العزم" تتسم بالهشاشة ، والشفافية . لا تقاوم حواجزها بل تستسلم لها استسلاما كليا . ومثلما يشارك بقية زملائه فى الأخذ بالأسلوب الرمزى يشاركهم أيضا الميل إلى استلهام الفطرية فى تشكيل الشخوص ، دون أن يسمح لنفسه بأن يستدرج لما تستلزمه تلك الفطرية من تلقائية وحرية ، بل يحرص على حبكة التصميم التى تستلزم اليقظة والخبرة ، وعلى الرغم من شيوع روح حزينة فى مجمل لوحاته فإن عذوبة ألوانه تغرينا بتبنى العالم الذى نرفضه فكريا !

● **محسن حمزة** : يختار طريقا مغايرا لكل زملائه فى المجموعة ، فقد اختار منذ معرضه الأول بأتيليه القاهرة عام ١٩٧٩ "الارتجال" طريقا للابداع . اللوحة مغامرة .. منذ البداية حتى لحظة الختام . قد تكون البداية نقطة أو خطا أو مساحة .. تأتى بعدها التداعيات ، والتحولات الحلمية . فى مثل هذا النهج تكون للمصادفة البطولة ، ويكون للمحلل النفسى الاسبقية على الناقد الفنى . وبالنسبة لى فأنا أتعاطف مع طريقته فى تناول "البورتريه" ، وأرى أن قدراته الحقيقية وبراعته لا تتألق إلا فى هذا الموضوع . فى "البورتريه" يظهر شيئا من الالتزام بتقاليد هذا الفن ، لا يترك الطريق مفتوحا إلى التداعيات الحرة الا فى الخلفية .. أو فى مواضع غير مؤثرة فى "قرار" التصميم . فى "البورتريه" يظهر ميله إلى التجسيم المدرسى ، والميل إلى التلاعب المؤثر بالضوء .. ففى اللوحة المنشورة نجد الاضاءة الكشافية الساقطة على الوجه محسوبة ، كاشفة عن حالة تعبيرية خاصة تحتاج إلى المحلل النفسى ، متعاونا هذه المرة مع الناقد الفنى !

إن وجوهه غنية بالتفاصيل ، ورغم ذلك فإن النموذج المرسوم لا ينتمى إلى بيئة بعينها أو زمن بعينه .. على الرغم من تلك القلادة الفرعونية التى فرضها الفنان فرضا على صدر نموذجه !

●

وأخيرا .. هل وجدت أيها القارىء الكريم إجابات على التساؤلات ؟ لم مازلت مثلى حائرا ؟!

ينابيع الشمس أم جبال القمر

بقلم : مصطفى درويش

لو ابتسم لك الحظ ، فوجدت نفسك متسكعا فى ميادين وشوارع وحوارى مدينة النور .

ولو كنت من الفئة القليلة المولعة لاتزال بالذهاب الى السينما ، لاكتشفت ان امامك وليمة مابعدها وليمة من ثلاثمائة فيلم او يزيد ، عليك ان تختار من بينها مايحلو لك ويطيب .

فاذا كنت من ابناء النيل ، واستهللت التسكع بالشانزليزية ، ذلك الشارع الذى يجمع بين الجمال والجلال لاسترعى انتباهك وانت على الرصيف الايمن ، متجها رأسا الى ميدان الاتوال حيث قوس النصر ان من بين افلام الوليمة فيلم تحت اسم فرنسى « الى منابع النيل » يعرض فى احدى دور سينما « الارميتاج » .

واذا ما امعنت النظر فى ملصق هذا الفيلم لوجدته مكتوبا باللغة الانجليزية ، ولتبين لك انه من انتاج مصنع الاحلام فى هوليوود ، وان ثمة اسما آخر له اكثر شاعرية مستوحى من الغموض الذى كان يحيط بمنابع النيل ، وماصاحبه بحكم اللزوم من اساطير .

فمنذ قديم كان السؤال : من أين ينبع النيل ؟ من الجنة ام من جبال القمر ؟ من سحابة معلقة فى ارض الاحباش ام يتدفق من ينابيع الشمس .

ومن هنا اسم « جبال القمر » الذى اطلقه على الفيلم صاحبه المخرج الامريكى « بوب رافلسن »

رسالة باريس

ولو عدنا بفضل شريط الذكريات الى الماضى القريب ، لتبين لنا اولا ان ثمة فيلما تسجيليا مصريا عن النيل من منبعه الى مصبه استغرق اعداده خمسة اعوام كاملة (من ١٩٦٢ الى ١٩٦٧) كما استغرق تصويره ستة شهور . واقتضى من صاحبه المخرج « جون باتريك فينى » (نيوزيلندى الاصل) السفر الى اوغندا والحبشة والسودان فضلا عن الصعود الى اعالى جبال القمر للاطلال على ارض الكونغو .

ولقد اختار له صاحبه اسم « ينابيع الشمس » وطبعا لم يقصد « فينى » بفيلمه هذا تقديم وثيقة تاريخية يذكر فيها كل الجهود التى بذلت للكشف عن منابع النيل بل اكتفى بذكر اسمين لا ثالث لهما هما « هنرى ستانلى » الذى اقتاده طفل افريقى الى شواطىء البحيرة التى ينبع منها النيل الابيض . والاسم الاخر للمستكشف « دافيد ليفنجستون » .

ولتبين لنا كذلك ان « رافلسن » قد قام بعد انتهائه من اعداد فيلمه « جبال القمر » بزيارة القاهرة تلبية لدعوة من مهرجانها السينمائى الاخير . وذلك بمناسبة تكريمه بعرض ثلاثة من افلامه كان من بينها « ساعى البريد يدق دائما الجرس مرتين » .

وفى حضوره . بمناسبة مناقشة الفيلم الاخير . انصرف بعض الحديث الى « جبال القمر » الذى لم يكن قد جرى عرضه بعد فى اى مكان ـ فكان ان قال عنه ضمن ماقال ـ انه تكلف اكثر من احد عشر مليون دولار (فيلم

جبال القمر



فيني تكلف حوالي مائة الف جنيه)
وانه يدور وجودا وعدما حول السير « ريتشارد فرانسس بيرتون » والكابتن « جون هانينج سبيكي » اللذين قاما ابان العصر الفيكتوري باختراق شرق افريقيا بغرض اكتشاف منابع النيل ، فضلا عن ان تصويره قد استغرق احد عشر اسبوعا ، اى اقل من نصف المدة التي استغرقها تصوير فيلم « ينابيع الشمس »

وعندما سئل « رافلسن » عن الفيلم الاخير ، وهل سبق له مشاهدته قبل الشروع في ابداع « جبال القمر » جاءت اجابته قاطعة بالنفي لما قال انه لم يسمع به حتى لحظة السؤال .

وكان من اثر تلك الاجابة ، ان تخلفت في القلب حسرة بسبب بقاء « ينابيع الشمس » ـ وهو كنز من الفن ومن الربح المادي ايضا ـ بقائه مخبوءا ، معطلا ، مهملا ، مواتا ، بعيدا عن سمع وبصر حتى مبدع « جبال القمر »



اعالي النيل في « ينابيع الشمس »

● الحقيقة والوهم

ومما يلاحظ من مشاهدة الفيلمين ان النيل وواديه لهما وجود في كل لقطة من لقطات « ينابيع الشمس » في حين ان جميع لقطات « جبال القمر » تخلو منهما تماما .

بل حتى البحيرة التي ما ان وصل « سبيكي » الى احدى شطآنها قريبا من نهاية رحلة الاستكشاف في الفيلم حتى قرر دون دليل انها البحيرة التي ينبع منها النيل ، واطلق عليها اسم فيكتوريا تيمنا باسم ملكة الامبراطورية التي لاتغرب عنها الشمس ، ثم تأكد فيما بعد وفاته باتجلترا منتحرا ، انها احدى منابع النيل ، تلك البحيرة الفيلمية مبتة الصلة بفكتوريا ولاتعدو ان تكون في حقيقة الامر ، مجرد مسطح مائي جرى تصويره في اى مكان بغرض الايهام .

وهذا الاختلاف البين بين فيلمي « ينابيع الشمس » و« جبال القمر »

رسالة باريس

انما يرجع الى اختلاف خصائص الفيلم التسجيلى عن خصائص الفيلم الروائى .

ففى حين ان الصدق فى الاول امر لازم ، ويتعين ان يمتد الى ادق التفاصيل ، فانه فى الفيلم الروائى امر غير لازم فى بعض الاحيان

فمثلا البحر فى فيلم « والسفينة تبحر » (١٩٨٢) لصاحبه المخرج الايطالى فيديريكو فيلليني ، ليس بحرا حقيقيا ، بل بحرا زائفا اصطنعه الانسان ، امواجه تتحرك داخل استديوهات مدينة السينما فى روما بارادة المخرج وقتما يشاء

أما البحر فى فيلم « موونا » (١٩٢٥) لصاحبه المخرج الامريكى التسجيلى الذائع الصيت « روبرت فلاهرتى » فبحر طبيعى او بمعنى اصح المحيط الهادى الذى يعيش فى مروج جزره البركانية شعب السيموا وذلك دون اية محاولة من المخرج للافتعال والادعاء .

● مفترس أم أليف

ومثلا سمكة القرش فى « الفك المفترس » الكل يعرف انها سمكة صناعية تخلقت بفضل نفقات ارتفعت الى نصف مليون دولار . وهى الان احدى عجائب مدينة يونيفرسال بهوليوود يحج اليها الملايين .

واغلب الظن ان سمكة القرش فى « جحيم تحت الماء » بجزئيه لسمير صبرى و« جزيرة الشيطان » لعادل امام هى من ذلك الصنف الصناعى الزائف .

فاذا لم تكن كذلك ، فهى من صنف أليف لايملك ضررا بل على العكس يملك بالايهام النفع الكثير لاصحاب تلك الافلام

وقد يكون من المفيد هنا ان اقف قليلا عند « روجر وانا » اول فيلم تسجيلى تشترى حق توزيعه عالميا احدى الشركات السبع الكبرى فى هوليوود « وارنر » وتدفع ثمنا لذلك ثلاثة ملايين دولار ، مما كان سببا فى عرضه باكثر من دار سينما بباريس ومخرجه « مايكل مور » من مواليد مدينة فلنت من اعمال ولاية ميشيجان حيث كان يوجد الكثير من المصانع التى تنتج سيارات شركة جنرال موتورز

ولقد آلمته كثيرا الكارثة الاقتصادية التى حاقت بمدينته نتيجة قرار تلك الشركة بغلق معظم مصانعها والانتقال برأسمالها الى المكسيك حيث الايدى العاملة رخيصة وبلا حماية .

● بداية ونهاية

فكان ان قرر ابداع فيلم يدور حول

« فلنت » قبل الكارثة وبعدها ، مسلطا الاضواء على « روجر سميث » رئيس مجلس ادارة جنرال موتورز باعتباره المسئول الاول والاخير عن تحول « فلنت » من مدينة صناعية صاخبة الى مدينة شبح وعاصمة للبطالة فى الولايات المتحدة .

ومن هنا تسمية الفيلم « روجر وانا »

وطبعا « روجر » هو ذلك الرئيس المسئول عن الكارثة، أما « أنا » فهو المخرج الذى ظل طوال الفيلم يطارد « روجر » سعيا للالتقاء به ، فى محاولة للاستفسار منه صحفيا عن اسباب الكارثة ، دون ان يتحقق له ذلك الا قريبا من نهاية الفيلم وذلك اثناء حفل عام بمناسبة عيد الميلاد المجيد ولمدة ثوان لاتزيد .

ورغم صدق الفيلم في جميع تفاصيل الوقائع التى عرض لها ، فانه ما ان مرت مدة قصيرة على نجاحه ، حتى عابت جرائد ميشيجان على صاحبه « مور » تلاعبه بترتيب تواريخ الوقائع مما اضعف من مصداقية الفيلم .

فمثلا الفيلم يوحى ان « رونالد ريجان » قام بزيارة « فلنت » عقب اغلاق المصانع (٨٦ / ١٩٨٧) فى حين أن زيارته لها سابقة على الاغلاق بسبعة أعوام (١٩٨٠) وكذلك الحال بالنسبة لمشروعات تحويل « فلنت » الى مدينة سياحية ، كمعرض عالم السيارات وفندق هايات .

فأغلبها ولد وعاش ثم مات قبل لابعد اغلاق المصانع .

والآن عود الى « جبال القمر»

هذا فيلم هام ولاشك ، لا لان مخرجه من المبدعين القلائل الذين يشار اليهم بالبنان ، وانما لانه يعرض لاكتشاف منابع النيل قريبا من نهاية خمسينات القرن الماضى ، ذلك الاكتشاف الذى مهد الطريق لاستعمار القارة السوداء واحتلال بريطانيا لمصر فى بداية عقد الثمانينات

كما يعرض لبعض من سيرة السير ريتشارد بيرتون ، ذلك الرحالة الشهير ، والذى يعتبر بحق احد اساطين الاستكشاف

وهنا قد يكون من المناسب التنبيه الى أنه ، وعلى بعد خطوات من سينما الارميتاج حيث « جبال القمر » كان ثمة فيلم اخر صورت احداثه فى افريقيا وبالتحديد فى « اوغندا » وهو « صائد ابيض ، قلب اسود »

والفيلم من اخراج وتمثيل « كلنت ايستوود » وهو فنان محدود المواهب

اما موضوعه فعن مخرج ذهب الى افريقيا ليصور فيلما ، فاذا به يجد نفسه اسير هوى اصطياد فيل انساه كل شىء حتى الفيلم المكلف باخراجه .

ويقال عن ذلك الموضوع انه مستوحى من حياة المخرج الراحل « جون هوستون » اثناء وجوده فى ادغال الكونغو من اجل تصوير فيلمه الشهير « الملكة الافريقية »

رسالة باريس

ومن ضمن تفاهات « القلب الاسود » مشهد مفتعل يتغنى فيه البطل دون اى مبرر درامى بفضائل اليهود على مر العصور

ولعل هذا المشهد الدخيل هو السبب فى اختياره ضمن افلام المسابقة الرسمية فى مهرجان كان الاخير .

والغريب ان امهات جرائدنا قد اولته اهتماما كبيرا والاكثر غرابة ان ايا منها لم يشر الى « جبال القمر » ولو اشارة عابرة .

● الرجل الخفى

ومرة ثانية اعود للفيلم الاخير لاقول انه مأخوذ عن قصة استوحاها الكاتب « وليم هاريسون » من سيرة السير « بيرتون »

وهى سيرة لو جرت مقارنة بينها وبين سيرة لورنس الجزيرة العربية لخرج منها الاخير سائحا هاويا .

فمن المعروف عن « بيرتون » انه كان مستشرقا مستكشفا حازما عازما شديد المضاء ، رائدا فى علم الانسان ، ملما بخمس وعشرين لغة ، مؤلفا لاكثر من خمسين كتابا مترجما الى الانجليزية للكاما سوترا والحديقة المعطرة والف ليلة وليلة .

وفوق كل هذا خبيرا بالسيف ، حسيا ، حلو الحديث ، راجح العقل ، حسن المحضر ، لطيف المدخل .

جاءته الشهرة اول ماجاءت بفضل مغامرة الذهاب الى المدينة ومكة متخفيا فى ثياب حاج (١٨٥٣)

وعن هذه المغامرة المدهشة اصدر كتابا « الحج الى المدينة ومكة » (١٨٥٥) اعجب به المختصون فى الجمعية الجغرافية الملكية وفتن به المثقفون عامة .

● الاصدقاء الاعداء

والفيلم لايعرض الا لفترة قصيرة من تلك السيرة المثيرة ، فترة التقائه بسبيكى فى الصومال وذهابهما معا فى رحلة استكشاف لشرق افريقيا (١٨٥٤) تحت رعاية الحكومة الهندية ثم فى حملة بحث عن منابع النيل (١٨٥٦) بتوجيه من الجمعية الجغرافية الملكية وتأييد من الحكومة البريطانية .

واثناء تلك الحملة اكتشفا معا بحيرة تنجانيقا (فبراير ١٨٥٨) حتى اذا ما اقعد المرض بيرتون ، واصل « سبيكى » بمفرده حملة البحث الى ان عثر على بحيرة اعلن انها احد منابع النيل .



كلينت استوود قلب اسود



صورة بيرتون الحقيقية

وكان من اثار ذلك الاعلان المنفرد نشوب صراع مرير بين الاثنين في لندن حيث تبادلا الاتهامات وحيث انكر « بيرتون » على « سبيكى » حق ادعاء الوصول الى احد منابع النيل دون اقامة اى دليل .

ومن حسنات « جبال القمر » اختيار صاحبه لممثلين انجليزيين غير معروفين لاداء دورى « بيرتون » و« سبيكى » وهما « باتريك برجن » و« ايين جلن »

يبقى ان اقول ان المخرج ـ وهو في الوقت نفسه كاتب السيناريو بالاشتراك مع مؤلف القصة ـ قد رسم شخصية « بيرتون » على وجه يبدو معه وكأنه كان انسانا ليبراليا ولو كان قد امتد به العمر حتى يومنا هذا ، لكان من انصار المؤتمر الوطنى الافريقى .

واكبر الظن انه رسم خاطىء لشخصية بيرتون التى لم تكن رغم كل خصوبتها وحيويتها ، سوى اداة عمياء في يد تاريخ طاغ اسلم افريقيا باكملها .لاستعمار قاس لايرحم .

كتاب الشهر

القاهرة

تخطيطها وعمارتها

منذ الاحتلال الاوربى وحتى الآن

كانت القاهرة دوما ، ورغم تقلب الازمنة الطالعة والنازلة عليها مدينة لها سحرها الخاص ، وجاذبيتها التى (وان كانت الايام تتهددها) الا انها دفعت الكثيرين من الكتاب لتصنيف المئات من الكتب التى تناولت شتى جوانبها المعمارية والتخطيطية وحياة اهلها فى معيشتهم ، وحتى فى موتهم .

عشرات الكتب ان لم نقل مئاتها تترى كل يوم ، وما نقدمه هنا هو واحد من هذه الكتب ، وان كان مؤلفه الدكتور محمد شرابى قد اتجه به الى ان يكون مرجعا علميا رصينا حدد موضوعه حول تخطيطها وعمارتها منذ الاحتلال الاوربى وحتى وقتنا الراهن حيث توقف الباحث عند العام ١٩٨٥ .

وقبل الدخول فى عرض تفاصيل الكتاب نقول بانه صادر بالالمانية عن احدى دور النشر فى مدينة « توبنجن » عام ١٩٨٩ ، وتبلغ صفحاته اكثر من الف يبلغ عدد متنه المكتوب ٣٧٢ صفحة بالاضافة الى ٢٤٥ خريطة (مساقط) و٣٠ خريطة للمدينة فى عصورها المختلفة وخمس خرائط مطبقة وكذلك ٥٢٨ صورة فوتوغرافية نادرة .

علينا ان نعرف ايضا ان الباحث

القاهرة مثال عمارة طراز الارت نوفو ـ شارع القلعة ➤



أنباء النشر

الدكتور محمد شرابي هو استاذ بجامعة «دار مشتات» (المانيا الغربية) لنظريات العمارة الحديثة ومبادىء التصميم، ولد بالقاهرة عام ١٩٣٨، ويعيش في المانيا منذ عام ١٩٥٧، درس العمارة في برلين الغربية، وحصل على البكالوريوس والدكتوراه من هناك، بالاضافة الى انه درس الأدب والفلسفة ويصمم ويبني في المانيا والشرق الاوسط ايضا.

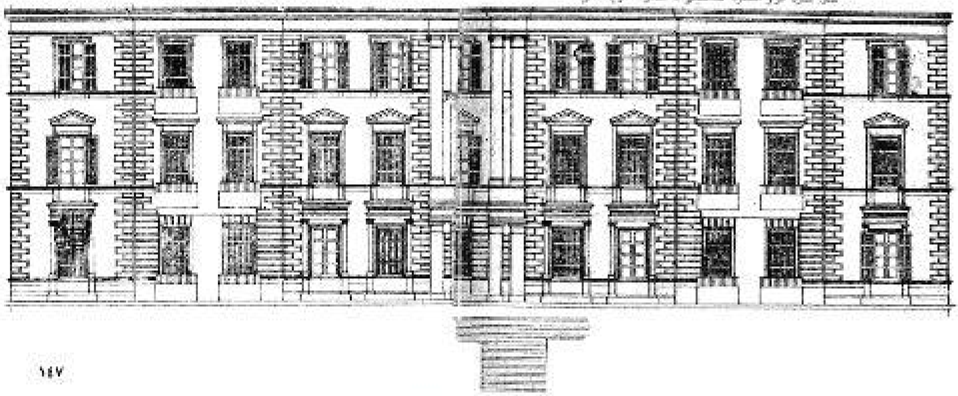
استغرق عمله في هذا الكتاب سبع سنوات كاملة تفرغ فيها تماما بمنحة ساهمت فيها الجامعة التي يعمل بها، وكذلك مركز الابحاث الوطني الالماني بلغت حوالي مليون فرنك الماني، وقضى جزءا من هذه الفترة في القاهرة مع اثنين (مساعدين) مهندسين المانيين في فترة العمل الحقلي التي جمع خلالها مادته العلمية.



غلاف الكتاب

يقول الباحث ان مادفعه للقيام بهذا الجهد هو تلك العبارة التي ردّدها محمد بك الالفي (عن الجبرتي) قبل موته بساعات (٢٨ ـ ٢ ـ ١٨٠٧) وجاء فيها: .. يامصر .. انظري الى اولادك، وهم حولك مشتتين، متباعدين مشردين واستوطنك اجلاف الاتراك، واليهود، واراذل الارنؤود، وصاروا يقبضون خراجك، ويحاربون اولادك، ويقاتلون ابطالك، ويقاومون فرسانك، ويهدمون دورك، ويسكنون قصورك ويفسقون بولدانك وحورك، ويطمسون بهجتك ونورك.

يقول الكاتب ان هذه العبارة شحذت



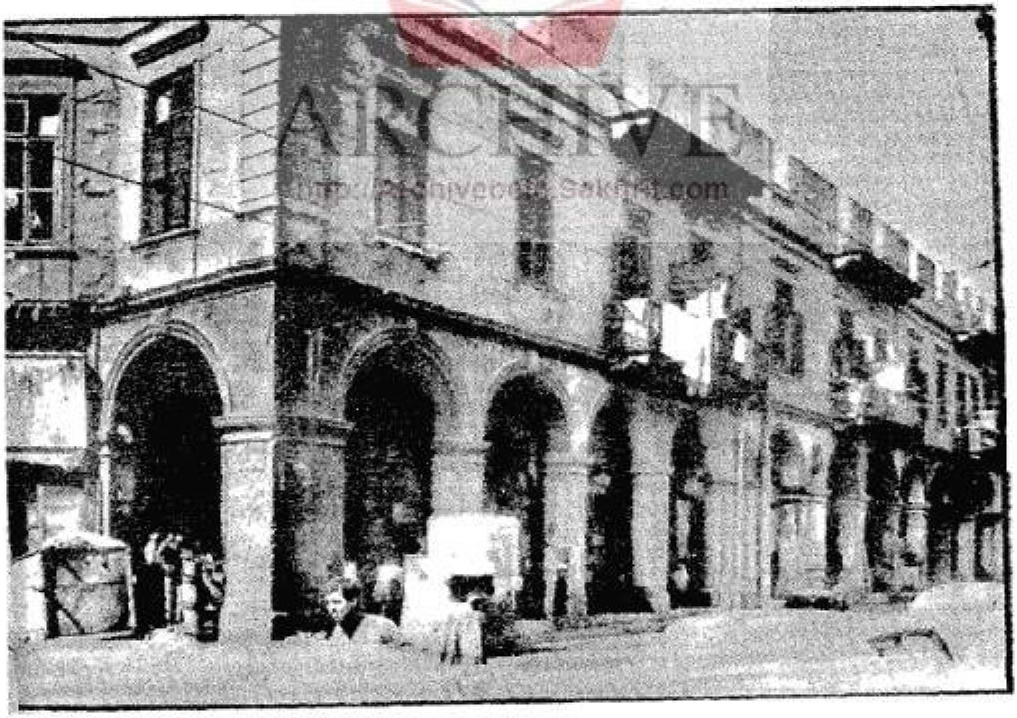
كتاب الشهر

عواطفه ، واستفزت عقله ، فاتخذ قراره بعمل كتاب يبين كيف استعمرت المدينة التي ولد بها وماكانت عواقب هذا الاستعمار الذى طبع اغلب مناطقها بطابعه الخاص ، مما يترتب عليه المسلس بالقاهـرة الشرقيـة القديمة وحياة اهلها وطرقهم فى العيش والحياة .

● تخطيط اوربى

يقول الكاتب هذا ويقول ايضا انه وحتى عام ١٨٦٠ كانت القاهرة مازالت محتفظة بطابعها الشرقى الخاص ، لكن بدأت تتكون بجانبها فى الناحية الغربية ، وبشكل بطىء ، قاهرة اخرى ، تخطيطها اوربى ، وسكانها لم يكونوا مصريين ، عمارتها اوربية ومجتمعها ان لم يكن اوربيا فهو متحالف مع كل ماهو غربى .

هذه القاهرة الجديدة (مع استبعاد هليوبوليس ـ مصر الجديدة ـ لانها نشأت بعد ذلك) اخذت هيكلها الذى



نعرفه الان ، في اواخر القرن الماضي واوائل القرن الحالي .

عمارة القاهرة الغربية هذه بناها غالبا مهندسون اوربيون ، او ، محليون ، درسوا في اوربا ، وهم قد جعلوا فاصلا بين المدينتين الشرقية والغربية حدده الباحث بشارع ابراهيم (الجمهورية الان) لكن الاهم كما يتصور الكاتب ان هذا قد اثر على سكان القاهرة جميعا فرغم ان معيشة اهل القاهرة المعزية ظلت في كثير من مناحيها عيشة شرقية ، فإن ماتأثرت به من الغربيين كان اكثر مما هو شائع ، ومما هو متصور ، الامر الذى ادى الى شيء خطير يصفه الباحث بأن ، المجتمع قد فقد ثقته في نفسه ، فالتغير الذى حدث في القاهرة التقليدية كان جذريا وكان قويا ، فمنذ الحملة الفرنسية على مصر بدأ نظام الحارات ينهار بالتدريج لقد كان هذا النظام يعتبر ، بؤرة تجمعات بشرية تنظم نفسها بنفسها ، فراحت القاهرة ، الغربية ، تزحف وتتقدم ، بينما القاهرة - التاريخ راحت تتساقط وتنهار ، ومع هذاالانهيار راح الاستعمار

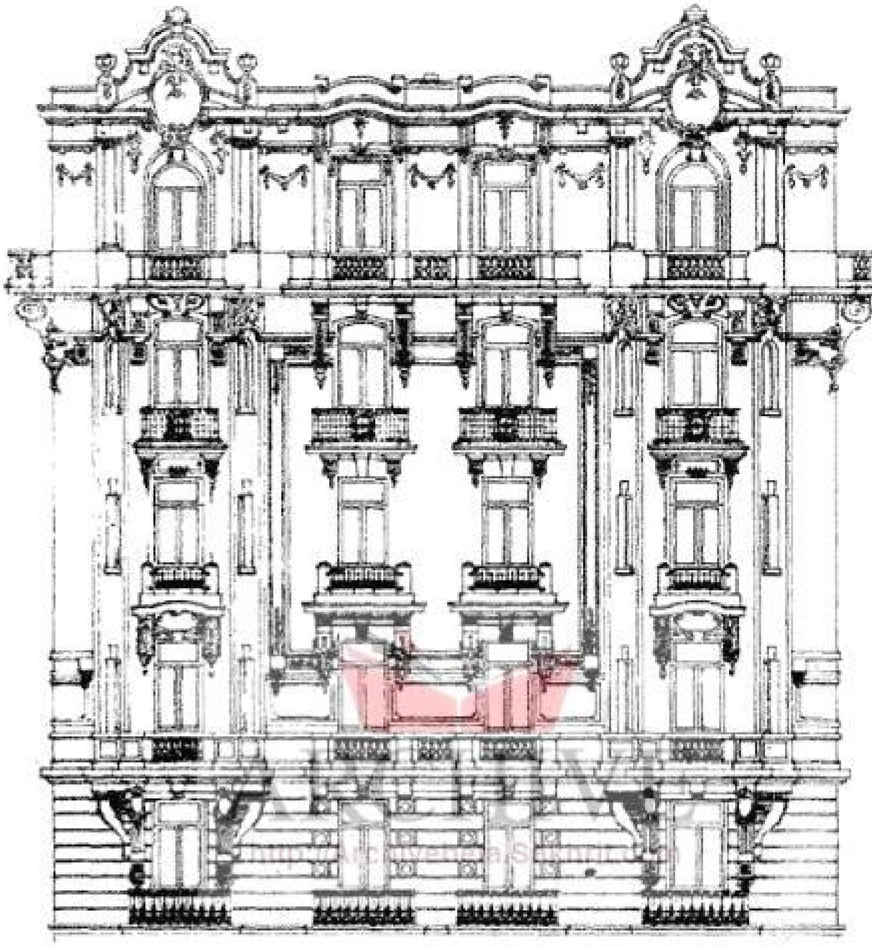
القاهرة بعض مباني التوفيقية




القاهرة - فندق ناشيونال ويرى عليه اثار التهدم المتدرج

يشجع اهلها على التقليد والانسياق وراء النموذج الغربى .

يسجل الباحث اذن بالمعلومة والصورة والتحليل السياسى الاجتماعي لخلفيات انشاء القاهره الغربية قاهرة الاستعمار ويبين طرزها المعمارية وتخطيطها الذى يعكس وجهة نظر الغرب فى الحياة



مثال عمارة طراز الباروك الجديد ـ القاهرة شارع قصر النيل

، لكنه يؤكد ايضا على ان هذه القاهرة الغربية ايضا بدأت الان فى الانهيار لتتحول القاهرة معماريا على الاقل ، الى خليط عجيب من المبانى والطرق والمنشآت حتى لتصبح صورتها العامة اشبه بما تحمله الذاكرة الشعبية عن سرك غجرى مجنون .

رسالة روما!

من فريد كامل

« ملوك بلا عروش »


جورباتشوف

يستطيع ميخائيل جورباتشوف رئيس الدولة السوفييتية . ان ينام قرير العين اذن . فقد قرر فلاديمير رومانوف ، ٧٢ سنة ، مربي العجول بمقاطعة نورماندى بفرنسا ، ان لا يطالب بوش روسيا ، وان كان حريصا على الاحتفاظ بلقبه الرسمي الذى ورثه من اسرته "قيصر كل روسيا ، وامبراطور موسكو وكييف وجورجيا واستراخان وسيبريا" .

والواقع ان قليلين هم الملوك المعزولون وورثائهم فى اوربا الذين لا يأملون فى العودة الى عروش بلادهم . بل ان "السلطان اورهان" سليل السلاطين العثمانيين ، يقول انه لا يريد ان يرى ! اسطنبول حتى من الجو (هو طيار سابق يعمل حاليا كبواب لفندق فى مدينة نيس بفرنسا) .

اما اوتو ، سليل اسرة الهابسبورج ، اباطرة النمسا الشهيرين (وهو عضو بالبرلمان الاوربى عن الحزب الديمقراطى المسيحى بالمانيا الغربية) فقد عاد إلى بودابست بفيزا سياحية منذ بضع سنوات ، ويقول انه اعلن عن شخصيته لسائق التاكسى الذى اصطحبه من المطار الى فندقه ، فرفض ان يأخذ اجرا منه ، ثم اكتشفت السلطات المجرية وجوده فاقتاده مكرما الى المطار بعد بضعة ايام .. وفى يناير العام الماضى ماتت ، عن ٩٧ عاما ، أمه الملكة زيتا اخر امبراطورات النمسا ، وقد "حكمت" لعامين فقط (١٩١٦ - ١٩١٨) وكانت قد طلبت ان تدفن فى بودابست ، ووافقت حكومة المجر "الشيوعية الملتزمة" حينئذ . واشترك فى تشييع جنازتها فى كنيسة القديس متى ببودابست مع ابنها المطالب بالعرش ، أربعمائة الف من رعاياها السابقين .

اليزابيث الثانية



فالملكية لم تنته فى اوربا بعد .. بل ان نصف الدول الاثنتى عشرة اعضاء منظمة الوحدة الأوربية ، ملكيات (انجلترا وملكتها اليزابيث الثانية ، اسبانيا وملكها خوان كارلوس ، بلجيكا وملكها بالدوين ، لوكسمبرج وملكها جاك سانتر ، وهولندا وملكتها بياتريس ، والدانمارك وملكتها مارجريت الثانية) وقد اجرى استفتاء بين الدانماركيين عن نظام الحكم فى العام الماضى ففازت الملكية باكثر من ٩٥٪ من الاصوات . لذا

يوجد من يطمع فى أن يعود بالملكية الى بلاده ، كما عاد خوان كارلوس بعد الديكتاتورية الفاشية الى أسبانيا .. مثلا "الملك ميشيل" ممثل شركة قطع غيار طائرات فى جنيف" ، الذى يطالب بعرش رومانيا ويعلن أن عودة الملكية هى طريق الخلاص الوحيد لبلاده التى دمرها حكم "شاوشسكو" و"الملك الكسندر" الذى أرسل من ملجئه بلندن رسالة تحية الى "شعبه اليوغوسلافى" (نشرتها صحف بلجراد) و"الملك ليكا الاول" ابن زوغو ملك ألبانيا الذى لجأ الى الاسكندرية وعاش الى ان مات ودفن بها ، وهو ، حسب "دليل نبلاء أوربا" مسلم سنى امه كاثوليكية وزوجته مسيحية انجليكية ، تاريخه مليء بالفجوات والقفزات الغريبة ، يعيش الان كلاجيء سياسى فى بريتوريا بجنوب افريقيا ، ويطالب بعرش ألبانيا .. كما يطالب "الملك سيمون الثانى" - المحامى بمدريد بعرش بلغاريا والكونت دى اورلينز بعرش فرنسا !!



شاوشسكو



خوان كارلوس

ويوجد أيضا بخلاف هؤلاء وهؤلاء اولئك الذين لا يطالبون (علنا ، على الأقل) بعروشهم ، ولكنهم لن يرفضوها اذا اعيدت لهم ، وضمن هؤلاء قسطنطين ملك اليونان وفيتوريو ايمانيولى دى سافويا (حفيد فيتوريو ايمانيولى الثالث ، ملك ايطاليا الذى لجا - هو أيضا - الى الاسكندرية وعاش حتى مات ودفن بها) .. وظاهر شاه (٧٦ سنة) - ملك الافغانستان المقيم بروما ، الذى حمل له وزير الخارجية السوفييتية رسالة من جورباتشوف وقت احتدام ازمة افغانستان ، قيل وقتها ان الرئيس السوفييتى عرض فيها عليه العودة الى عرش كابول كخطوة أولى نحو فك الالتزام السوفييتى هناك ، وحل المشكلة الافغانية .

« أهـلا بالكهربائية »

تستطيع أن تحجز الان ، ياسيد ، سيارة تسير بالكهرباء ، وتتسلمها خلال ثلاثة شهور تقريبا .. السيارة تصنعها شركة "فيات" وهى من طراز "باندا" واسمها "إليكترا" وثمنها ٢١,٠٠٠ دولار (اى ثلاثة اضعاف ثمن سيارة تسير بالبنزين ..) .

شركة فيات اذن (متسلحة بالفهلوة التقليدية الايطالية) هى اول شركة تطرح السيارة الكهربائية للبيع فى السوق ، ولو انها ليست اول من انتجها .. والواقع أن المحرك الكهربائى (كالمستعمل فى هذه السيارة ، مثلا) كان قد اخترع فى سنة ١٨٣٤ ـ اى منذ عشرين عاما قبل مولد محرك الاحتراق الداخلى الذى يسير جميع سيارات اليوم .. لكن المحرك الكهربائى واجه مشاكل عويصة لصعوبة استعماله عمليا ، بعكس محرك الاحتراق الداخلى (الذى ولد عملاقا) مما ادى الى اهمال الأول ، الى ان اضطرت شركات انتاج السيارات العالمية أخيرا ، لما تواجهه اليوم من تنديد واستنكار لمسئوليتها فى تلويث جو المدن بأدخنة عادم السيارات السامة ، اضطرت ان تنفض عنه التراب فى بحثها عن طاقات بديلة ونظيفة لتحريك سياراتها (اى لاستمرارها فى الانتاج) .. واتجه بحثها هذا نحو الطاقتين الكهربائية والشمسية ـ ورغم ان الثانية ابعد منالا من الأولى ـ لاحتياجها لألواح كبيرة المسلحة لاستقبال وتجميع أشعة الشمس والى وسيلة فعالة لتخزينها (لأن الشمس تغيب ليلا ويشح وجودها نهارا فى الشتاء وفى الشمال) الا ان شركتى سيارات يابانيتين (دايهاتسو وهوندا) طورتا معا محرك السيارة الشمسى التجريبى "سى آر إكس" ، فى الوقت نفسه بدأت شركات عديدة فى انتاج نماذج تجريبية لسيارات كهربائية . فطورت ثلاثة شركات تهتم بانتاج سيارات كبيرة الحجم وثقيلة (الألمانيتان بى إم فود أودى والأمريكية جنرال موتورز) طورت معا المحرك "إيمباكت" الذى يجمع معا محركين كهربائيين : يحرك كل منهما أحد محورى عجلات السيارة .. (واكتشاف طاقة بديلة مسالة حياة او موت بالنسبة لصناعة سيارات الولايات المتحدة خاصة بعد ان اعلنت ولاية كاليفورنيا ، اثرى الولايات الأمريكية واكثرها سكانا ، انها ستمنع تدريجيا محرك الاشعال الداخلى لما يسببه من تلوث) .. وفى فرنسا انتجت شركة بيجو المحرك الكهربائى "٢٥٠ بات" (بطارية) .. لكن كل هذه كانت نماذج لولى تجريبية ، ليست للبيع او الاستعمال العام ، لأنها لم تنجح بعد فى حل المشاكل التقنية المتعلقة بعملية تشغيل هذه السلالة الجديدة من السيارات ..

فى الوقت نفسه كانت صناعة السيارات الايطالية ايضا قد

بدأت تجرب المحركات الكهربائية ، وكان أولها محرك صنعه قبل ست سنوات أحد هواة ميكانيكا السيارات بمدينة برجامو وركبه على سيارة "سيات - ماربيلا" - واختارت شركة فيات احدى أصغر سياراتها حجما وأقلها وزنا - الباندا - لتضع بها محركها الكهربائي ، وتطرحها للبيع في السوق .

وللسيارة الكهربائية مميزات ، كما ان لها نقائص ، فضيلتاها الأساسيتان هما انها لا تحدث تلوثا للبيئة ، ولا ضجيجا - اضف الى هذه سهولة انتاج وصيانة محركها لبساطته الشديدة ولأنه ليس به مغير للسرعات ولأنه اقل حجما من المحرك التقليدى ويحتل مكانا أصغر .. اما سيئاتها الأساسية فثلاث : اولاها ضخامة بطاريتها وكبر الحيز الذى تحتاج اليه ، مما يلغى تماما ميزة صغر حجم المحرك الكهربائي - والواقع انه في سيارة إليكترا تشغل البطاريات كل الحيز خلف المقعد الامامى ، فتتسع السيارة لراكب واحد فقط الى جانب السائق .. وثاني عيوب السيارة الكهربائية هو ان استغلالها قصير ومحدود ، فتحتاج بطارياتها الى الشحن كل ساعة من السير تقريبا (وهى تسير مسافة ٧٠ كيلو مترا بسرعة قصوى ٧٠ كيلو مترا فى الساعة !) . وثالثها ان شحن بطارياتها يستغرق وقتا طويلا ، ثمانية ساعات ، استعدادا لأن تسير ساعة اخرى واحدة .. (بالمناسبة : تستخدم إليكترا بطاريات السيارات المعتادة - ١٢ فولتا - ولكن من الممكن ان تحل محلها - بتكلفة إضافية بالطبع - بطاريات النيكل ، التى يمكن ان تسير بها السيارة مسافة اطول (١٨٠ كيلو مترا) قبل الحاجة لاعادة الشحن ، ولكن بسرعة قل (٥٠ كيلو مترا فى الساعة) .

وتؤكد شركة فيات ان إليكترا هذه "سيارة حقيقية ، لا مجرد نزوة او لعبة او طراز نطرحه فقط لنسبق المنافسين او نستطلع رد فعل السوق" .. وتود ان تنتج منها سنويا من ٥٠٠ الى ٣,٠٠٠ وحدة ، حسب الطلب عليها ، فى نفس الوقت تستمر الشركة فى اضافة كاتم الصوت المصفى للزيوت (الشكمان الكاتاليكى) لسياراتها عند الطلب - وهى اضافة اختيارية تزيد من ثمن السيارة ، ويبدو ان الاقبال قليل على هذه القطعة التى تحد من خطر التلوث بالعادم (والتى ستصبح اجبارية ابتداء من ١٩٩٣) اذ تبيع الفيات منها حوالى ٩٠٠ من ٥٥,٠٠٠ سيارة من ٢٤ طرازا مختلفا ، تبيعها شهريا فى ايطاليا ..

• قصة قصيرة •

تعالج هذه القصة العلاقة بين الام وابنها الذى يذهب الى الحرب . وعندما عرضناها على الفنان حلمي التوني . ليضع لها رسما كالمعتاد . إختار . بدلا من ذلك . ان يقدم أحد تماثيل الامومة للفنان العالمي هنري مور لتصاحب هذه القصة ..

السعادة تأتي متأخرة دائما

• حسب الله يحيى - بغداد •

هو وجه واحد ليس لها أحد سواه .

وجه تعرف ملامحه جيدا، تعرف فيه الحزن والغضب والفرحة والمرض والترقب ملامح ليست فى سمرة أحد وليست فى شقرة أحد ..

فيها من السمرة تحديها . وفيها من الشقرة السماحة والنقاء والهدوء .

وجه .. هو الدنيا بكاملها . زمانها كله . وعالمها الكلى .

وليس لها شاغل سوى ترقب لحظات التباهى به .. والجلوس متأملة به هنا معا كله .. وسعادتها فى آخر العمر .

تعلمت معه حروف الهجاء والأرقام .. ورسمت معه الخرائط وحفظت سورة الفاتحة ، وعرفت شعراء المعلقات .. والحروف الانجليزية . نشأت به ومعه ومن خلاله ..

صارت فرعا من شجرة زرعتها بنفسها .. خيطا من نور أشعلته ، وقتا من ساعة تضعها امامها .

كان شاغلها فى الحلم واليقظة .. وفى الضوء والعتمة .. تباهى نفسها به ، وتزهو فى اكتماله امام الجيران ..

كانت تكبر به وتشع فرحا وحزنا والقا وانطفاء من خلاله وحين اكتمل به الشباب .. صارت قلقة .

قلقة من نظرة إليه تأخذ منها شبابه . قلقة على سمرته المتحدية .. وخافت أن تقطفه الحرب .. حين ذهب اليها جنديا ..

خوف مشروع . قال فى نفسه . وهو يحدق فى عينيها الكئيبتين

خوف صار يمتد كالليل .. يملأ المكان ، كالمحيطات .. يغرق كل يابسة .. كالصحراء تمتد الى مالا نهاية .. عبر مد البصر .

الحرب .. الحرب ..

الطبول والبارود والعفن والسكاكين والدماء



والدمار .. الخوف والترقب والقلق والمرارة .. الدموع والأسى والأوجاع ..

كل هذه المشاهد وقعت كلية أمام ذاكرتها .. فأحست بالاختناق وأن الهواء قد إنصرف عن المكان .. عندئذ استعصى عليها الصراخ واستسلمت لحزن عميق .. عميق ..

خطواته .. حذاؤه الخشن وملابسه الكاكية التى حاول مخترعو اللون الاخضر فيها .. بعث الحياة فى من يرتديها .. شبابه .. وهو يزهو بالرجولة ويدق أبواب المستقبل السعيد ، بزوجة يحلم بها وطفل يلاعب فيه حركاته وضحكاته .

الخطوات والملامح والشباب .. اجتمعت كلها فى تلك اللحظة التى دق بها الباب ، وأصوات هامسة ، لاهثة ... كانت تحسها هناك .. خارج الباب .

كان النهار فى آخر رحلته .. حين إمتد اليه وشاح العتمة .. وبدا الضوء الشاحب يسعى للتسلل الى عمق الليل الذى راح يتسرب ويأخذ مداه .. فى ذلك الوقت ، بدا صرير الباب مسموعا حين فتحته ... كان أشبه بالدوى البعيد واقرب الى ان يكون انينا موجعا .

طغى الهمس .. ووصل اليها مفجوعا ، محتقنا ، خائفا ، فقطع فيها كل حواسها .. عطلها عن الحركة ، وتيبست فى عينيها دموع أرادت أن تواسى بها نفسها ..

دخلت .. الملامح والخطى والشباب الى فسحة الدار دفعة واحدة ..

قالت ..

ـ ارجوكم دعوه يقرأ .. فى الأسبوع القادم



ستكون امتحاناته .. دعوه يعرف الخرائط .. ويفرق الضاد عن سواها من الحروف .. ويجمع الأرقام ويبارك نفسه بالطهر .. أرجوكم .

سكن الجميع أمام المرأة وهى تقول قولا حسنا وتباهى نفسها بالقادم الذى احترمت حضوره ، واستعدت لإسعاده ..

مضت دقائق .. والأم ساكنة ..

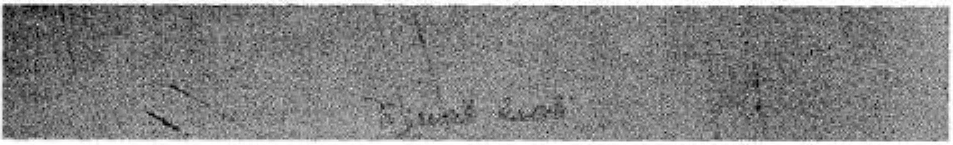
قالت .. ارجوكم اضيئوا كل المصابيح .. أضاف على عينيه من التعب والاجهاد ، فقد سهر ليلة امس وظل يقرأ حتى أذان الفجر ...

سكتت .. وعادت تقول :

ـ ولكن .. يابنى ، نم ، نم قليلا ، حتى تذهب الى قاعة الامتحان بنشاط ويقظة وتجيب على الاسئلة اجابات صحيحة .

خيم صمت ثقيل ، قطعه صوتها :

ـ ها .. تخاف أن يأخذك النوم ولا تستيقظ .. ها ، اطمئن .. لقد تعلمت قراءة أرقام الساعة ،



سأيقظك فى السادسة ..
نم يا ولدى .. نم قليلا ..

وفى ترقب العيون حولها ، نهضت بنشاط غير مألوف ، وراحت تطفىء المصابيح واحدا .. واحدا .. وراحت تخاطب من حولها .

ـ معذرة معذرة ، ولدى اعتاد أن يطفىء الضوء حين يريد أن ينام .. وراحت تتحدث بهدوء :

ـ مرة سألته : لماذا تطفىء الضياء ؟

وقد أجابنى قائلا :

ـ حتى أحلم .. الحلم يضىء ..

ومنذ سمعت قولة هذا .. اعتدت أنا أيضا أن أطفىء الضوء عندما أريد أن أنام .. حتى أحلم مثله ، وأجعل أحلامى تضىء ..

إستعد أحد الحاضرين لأن يسألها :

ـ وهل كانت أحلامك مضيئة حقا .. ؟

غير أنه كتم سؤاله ، حين وجد الأم تطفىء المصابيح .. وتستلقى لتنام قريبا من ابنها الراقد ..

همس خافت ملأ مساحة الدار .. ومعه نهضت الأم ... قال أحد الحاضرين :

ـ يا أمنا .. ساعدينا على أن نجعله ينام ..

ـ ووقت الامتحان ... ؟

ـ راحته أهم .. قال أحدهم .. وأعقبه آخر :

ـ والامتحان قد أجل موعده ..

ـ حسنا .. حسنا .

وراحوا يحملون اللحد .. وهى تحدق فيهم

ـ أرجوكم .. لاتقلقوا راحته ، لاتتحدثوا كثيرا إبنى يستيقظ بسرعة .

أرجوكم .. لاتشعلوا ضوءا .. لئلا يستيقظ .

ومضت تسير معهم وهم يبتعدون باللحد ..



وكعادتها .. ظلت تحترم مواعيد يقظته ..

وتتبارك فى صورته ... وسمرته المتحدية . وشقرته السمحة .. وتعد له طعامه وشرابه ، وتجلس مع صورته ... وتشتهى أن تأكل بلذة حتى إذا دق الباب ذات مساء آخر .. بعد عام أو أكثر ..

تنامى إلى سمعها الهمس نفسه ، همس صاخب .. وباب يبعث صريره ، صوت أنين ...

و .. شىء يدخل .. لحد آخر يستقر فى فسحة الدار

عجبت الأم ، وراحت تحدق فى وجوههم .. دون أن تجد إجابة من أحد .

ـ ولدى نائم .. نائم منذ وقت طويل ، فلقد أجلت الامتحانات .. وهو يحلم .. الآن يحلم ، وأحلامه تضىء .. فلماذا تضيئون الدار .. لماذا تضيئون غرفة نومه ؟

إنه ليس هنا .. هذه المرة اختار أن ينام فى الفضاء أو يتغطى بالعشب : لاتنتظروه من فضلكم .

قال احد الذين أحضروا اللحد :

ـ لقد أوصانا ان نوصله اليك .

ـ أوصاكم .. ؟!

ـ نعم .. نعم .. أوصانا .

ـ ولدى أوصاكم ؟!

ـ نعم .. أوصانا .. ألست أمه ، لقد وجدنا فى جيبه عنوانك ؟

ـ ولدى حضر بنفسه منذ عام .. واختار ان ينام ويتغطى بالعشب .. ولدى وحيد وليس لى ولد سواه ! ..

أصر الآخر .. وبرقة قال :

ـ أنه ابنك ياأمنا .. هذا اسمه وعنوانه .. الا تعرفين ابنك الوحيد .. ؟

ـ ياولدى .. ملامح ابنى سمراء متحدية وشقراء سمحة ..

ـ أنه بعينه ..

ـ مادامت هذه ملامحه ، وهذه رغبته فى أن يزور أمه بعد عام من النوم بعيداً عنى تحت غطاء العشب .. فأهلا به .. لقد جاء نائما كمجيئه الاول .. ارجوكم دعوه يأخذ راحته .. دعوه يحلم .. اطفئوا المصابيح .. ودعوه لأحلامه التى تضىء ..

ورقدت .. قريبة منه ، مستسلمة لأحلامه وأحلامها معا لكى يضيئا المكان ثم استيقظت على همس محموم .. وجمع يستأذنها فى حمل اللحد ..

وراحت تجر خطاها الى جانب الرجال الذين حملوا اللحد ، والنسوة اللواتى يحطن الأم .. التى هتفت :

ـ أرجوكم لاتخطئوا سريره .



واستدركت قائلة ..

ـ ولكن أرجوكم يا اولادى .. دعوه هذه المرة ينام على سريرى ... سرير ولدى الوحيد مشغول بالاحلام المضيئة .. والعشب المندى ... وسريرى شاغر .. وغدا سيأتى الربيع ويتغطى ولدى بالعشب .

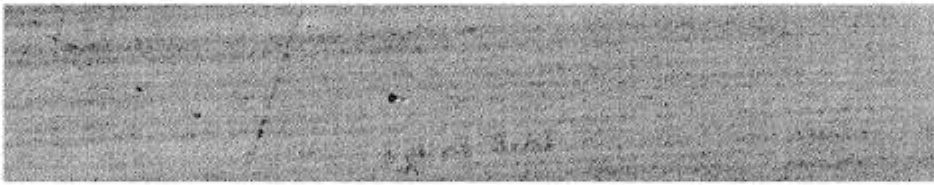
★ ★ ★

هاجس محموم راح يتقاسمها هذه المرة هاجس يسألها ويحاورها .

ـ من هو النائم هناك تحت العشب .. القادم الأول ، أم الثانى .. ؟

وظل السؤال يضرب جذوره فى ذاكرتها وقلبها واحساسها المشحون بالكبرياء والاحلام والرؤى .. والدفاتر والحبر والامتحان والحذاء الخشن والملابس الكاكية بلون العشب ..

وراحت تستجيب الى احلامها المضيئة .. ولد وحيد .. وفى الحلم آخر .. اثنان .. فليكن .. الحلم يتسع للأبناء ، والعشب



يتسع للنوم ولليقظة وللاحلام .

ودق الباب ذات ظهيرة .. والشمس قد جعلت من كل الاشياء تشع .. وحين فتحته هذه المرة ، انتابها إحساس غريب .. إن حركة الباب تتسع لاكثر من المساحة التى حددتها .. الباب يندفع قبل أن تحركه بيديها ، وأن رجلا يدخل مرحبا .. ويأخذها بالاحضان !!

دفعت الرجل .. وانتابها شعور بالخجل والغرابة والدهشة ..

وهتف بها :

ـ أمى ... أمى .

حدقت فى عينيه ، حدقت فى ملامحه .. هذه السمرة المتحدية تعرفها وهذه الشقرة السمحة تعرفها ...

واقتربت منه .. سألته :

ـ هل انت متعب يا ...

ـ أماه ..

ـ إخلع قميصك .. لابد انه مبلل بعرق الظهيرة .

سريعا خلع الشاب قميصه .. واخذته الام ووضعته على انفها ..

ـ أنت .. متى أستيقظت .. من أيقظك .. من اطفأ أحلامك المضيئة .. ؟

ـ نم .. نم ياولدى .. أعشاب الصيف تجف .. لكنها ستنبت ثانية .. صدقنى ..

نم .. لاتخش شيئا ، الامتحان أجل .. هكذا علمت ..

وظل الأبن يحدق فى عينى أمه .. قال :

ـ أمى .. انا لم اكن نائما .. لقد جئت من الامتحان الصعب الآن ..

ـ وهل كانت اجاباتك صحيحة .. ؟



ـ بالتأكيد ..

ـ ومن أيقظك .. ؟

ـ أمى العزيزة .. ألا تعلمين اننى لا انام فى الأيام الصعبة .. ألا تعلمين كم يأخذ الامتحان منى .. من طاقة وجهد !

ـ ولكن لماذا تأخرت كل هذه المدة الطويلة .. ؟

ـ كنت منشغلا باليقظة .. لم أكن أحلم .. كنت فى امتحان شاق ..

ـ وهل أنت سعيد الآن .. ؟

ـ سعيد .. سعيد جدا ..

سحبت الام أنفاسها وقالت :

ـ آه يا ولدى .. لماذا تأتى السعادة متأخرة دائما ؟

واحتضنته ، تشممت عرقه ، وحدقت بعمق فى سمرة متحدية ، وشقرة سمحة ..

قالت :

ـ لقد صار لى ثلاثة ابناء : إثنان تضىء احلامهما ، وثالث يضىء بيقظته .

العالم في سطور

لندن

● امرأة في عصر الجنون

لم تثر كاتبة في القرن العشرين مخيلة الكتاب مثلما فعلت الاديبة البريطانية فرجينيا وولف التي عاشت في الفترة بين عامي ١٨٨١ و ١٩٤٢ حيث انتحرت في ظروف غامضة .

فرجينيا وولف عاشت حياة غريبة بين اخوة يشتهونها وهي لا تزال صبية ثم بين نساء يتمتعن معها ومنهن كاتبات مشهورات مثل كاترين منسفيلد . اخر اخبار السيدة وولف التي رحلت قبل خمسين عاما تقريبا هو العثور على مجموعة من المقالات والقصص القصيرة التي لم تنشر من قبل .. وقد صدرت هذه النصوص اخيرا تحت عنوان «سحر المستنقع» .

ويضم الكتاب خمسا وعشرين اقصوصة لكاتبة لم يعرف عنها من قبل انها ابدعت في القصة القصيرة حيث اشتهرت فرجينيا وولف كروائية وناقدة . وفي مقدمة الكتاب اكدت الباحثة سوزان ويك ان كل هذه القصص مكتوبة في عام ١٩٠٦ اي انها كتبتها قبل ان تنشر ايا من مقالاتها في المجلات البريطانية وبالطبع قبل ان تتزوج من زوجها توماس وولف الذي حملت اسمه .. وبالطبع ايضا قبل ان تؤلف رواية واحدة من رواياتها المشهورة مثل « الفنار » و« السيدة دلاواي » و« الامواج » . وهي روايات مترجمة الى اللغة العربية رغم صعوبتها .

في الاقاصيص الجديدة القديمة لم تهتم فرجينيا وولف بالتجريب الذي عرف عنها فيما بعد فهي اعمال تتسم ببساطة خاصة وهي



تنتمي الى الادب الكلاسيكي المكتوب في القرن التاسع عشر منه الى ادب القرن العشرين والذي صبغته الكاتبة بصبغتها وطابعها .

وحسب سيرة وحياة الكاتبة فإنها في عام ١٩٠٦ الذي كتبت فيه هذه القصص كانت قد قامت برحلة الى اليونان وفقدت اخوها الذي مات بحمى التيفويد وكانت في تلك السنوات قد اقامت مزارا استقبلت فيه مجموعة من الادباء الشباب والذين اصبحوا لامعين فيما بعد ومنهم اليوت ، وفورستر والفنان التشكيلي دنكان جرانت .

طوكيو

● ادفع .. لايهم الثمن

عيون العالم الآن على اليابان .

والجميع يتفق الان ان العملاق الاصفر سيكون سيد العالم فى المستقبل وانه بعد ان خرج الاتحاد السوفييتى من المنافسة مع الغرب .. فان وجه اليابان سوف يسود فى السنوات القادمة ليس فقط فيما يتعلق بالمخترعات الحديثة المتقدمة ولا بالتقدم الاقتصادى .. وانما ايضا فى مجالات الفنون والابداع ..

وحول هذا الموضوع خصصت مجلة لوبوان ملفا خاصاً عن ثقافة اليابان المعاصرة فى عددها الصادر فى ٩ يوليو الماضى .. جاء فيه انه بينما تحاول بعض الفنون اليابانية الحديثة الاحتفاظ بالهوية الاصيلة لليابان .. فان الكثيرين من اليابانيين يضعون اعينهم على الغرب مثل صناع الرسوم المتحركة ومثل السينمائيين الذين اشتروا على سبيل المثال شركة كولومبيا بمبلغ ٢,٦ مليار دولار تلك الشركة التى فى حوزتها ٢٧٠٠ فيلم و ٢٣ الف



ساعة من البرامج التلفازية وقد علق توجو اوشيرا الذى اشترى كولومبيا قائلا : «علينا الان ان نغير كل شيء» .. لكنه لم يكشف كيف يتم هذا التغيير .

وفى مجال الفن التشكيلى يميل اليابانيون إلى شراء لوحات مانيه وفان جوخ والانطباعيين من الفنانين الفرنسيين ويعلق روى سايتو رئيس نقابة الفنانين التشكيليين - شرفيا - قائلا : عليّ ان اشترى ما يعجبنى دون ان انظر الى الثمن .. وبمجرد ان تطرح اللوحة التى احبها للبيع فاننى اشتريها على الفور .

ورغم اعجاب اليابانيين بالمدارس التشكيلية التى ظهرت فى القرن العشرين مرورا بالتكعيبية والسريالية الا انهم يميلون الى ما يسمى بالفنون البلاستيكية التى يرونها رمزا لفنون العصر .

وتقول المجلة ان معارض الفن التشكيلى فى اليابان تشهد اقبالا كبيرا من المهتمين ومن الفنانين اليابانيين المعاصرين الذين يتمتعون بشعبية كبيرة فى اليابان هناك الفنانة شيزوكو وطمارى والتى تتلمذت على اندريه وايل اشهر فنانى البلاستيك المعاصرين .

وبينما شهدت العمارة اليابانية تميزا سواء فى العمارة الخارجية او الداخلية فان القارىء الياباني اصبح متعطشا إلى الابداعات العالمية الحديثة . وتؤكد مجلة لوبوان ان ١١٦ رواية فرنسية قد تمت ترجمتها الى اللغة اليابانية فى عام ١٩٨٩ . وان القارىء هناك معجب بادب الخيال العلمى والروايات العاطفية .. وان بعض الكتب قد تبيع ما يزيد على المائة الف نسخة وهذا رقم قياسى فى التوزيع فى اليابان .

باريس

• باى باى .. عظماء العالم

هل انتهى عصر العظماء في العالم ؟

حول هذا الموضوع اجرت مجلة الاكسبريس تحقيقا طريفا في عددها الصادر في ١٣ يوليو الماضي استنادا الى بحث بالغ الاهمية اجراه معهد لويس هاريس في الفترة بين ٨ و ٩ يونيو ١٩٩٠ على الف شخص تزيد اعمارهم على الثانية عشرة عاما .

قام المعهد بطرح مجموعة من الاسئلة في استمارة الاستفتاء التي على الشخص ان يكتب فيها رايه في بعض الشخصيات العالمية .. وتباينت اراء الاشخاص حول العظماء في العصر الحديث .. فبينما اتضح ان كل المشتركين قد اتفقوا ان الجنرال شارل ديجول هو شخص عظيم فان الرئيس الأمريكي الراحل جون كيندى قد جاء في المرتبة الثالثة بعد الام تيريزا التي نالت جائزة نوبل للسلام قبل ثلاثة اعوام .. ثم جاء في المرتبة التالية كل من ونستون تشرشل والبابا يوحنا الثاني . وميخائيل جورباتشوف - حسب الترتيب - ثم ليش فالسيا ومارتن لوثركنج وابنشتاين . ونيلسون مانديلا ثم سخاروف وبيكاسو وميتران وسارتر ثم المستشار الالماني السابق اديناور الذى لا يعرفه ٢٤٪ من المشتركين في الاستفتاء .

وقد اكد ٥٩٪ من المشتركين ان الرئيس انور السادات يعتبر عظيما ١٤٪ من المشتركين لا يعرفونه وجاء بعده خوان كارلوس ملك اسبانيا وكورى اكينو ثم الممثلة برجيت باردو والزعيم الهندى نهرو .. وماوتسي تونج .

وقد جاء في ذيل القائمة ادولف هتلر والامام الخوميني حيث راى ١٣٪ من المشتركين انهما من عظماء الرجال .

ومن الملاحظ ان هذا الاستفتاء قد اكد في المقام الاول ان عظماء العالم هم من رؤساء الدول والملوك ولم تضم من الفنانين والادباء سوى عدد قليل للغاية مثل بيكاسو وسارتر وبرجيت باردو لا غير من بين اثنتين وثلاثين شخصية كما ان اغلب الشخصيات التي حظت باعلى التقديرات قد رحلت عن عالمنا عدا جورباتشوف الذى حصل على المركز السادس ثم ليش فاليسا في المركز الذى يليه .

واتضح من الاستفتاء ايضا انه قد ضم شخصيات عالمية عديدة فمن تونس هناك الحبيب بورقيبة ومن كوبا هناك شي جيفارا ، ومن الهند نهرو وهناك مانديلا من جنوب افريقيا وهناك سلفادور اللندى من شيلي ومن الاتحاد السوفييتي هناك ستالين وسخاروف اما رجال الفن فجميعهم قد رحل عن عالمنا او توقف عن العطاء .



وهران

• أشعار من بحار العالم

رغم ان الكاتب ايمانويل روبليس يحمل جذورا عربية ورغم انه مؤلف المسرحية الشهيرة ثمن الحرية .. التي كانت حديث المثقفين العرب في الستينات الا ان احدا لايذكره قط الآن

وروبليس كاتب متعدد النشاطات ففي شهر واحد صدرت له ثلاثة كتب عن دار سوى

الاول عبارة عن مجموعة من المقالات يحمل عنوان «ضفتي النهر الأزرق» والنهر الازرق عند الكاتب هو الثقافة في العالم الثالث .. تلك الثقافة التي افرزت ثوريا مثل جيفارا وكاتبا مثل البيركامي الذي ولد وتربى في الجزائر مثل روبليس نفسه ـ ومثل الثقافات المعاصرة في الصين والجزائر وجواتيمالا .

اما الكتاب الثاني فهو عبارة عن ديواني شعر



الاول تحت عنوان «بلورات النهار» والثاني «وردة اللغز» وكان قد سبق للكاتب ان اصدر مجموعة من الدواوين اغلبها يتناول معاناة الشاعر مع الوحدة والتحول، والحنين والنساء والسعادة المفقودة والمشاعر التائهة بين الاشياء .

وعلاقة روبليس بالشاعر عميقة ومتاصلة فهو ليس فقط شاعرا بل قدم العديد من الدراسات حول الشعر المعاصر منها دراسته المشهورة عن الشعر في القرن العشرين .

ولم يعن ان روبليس ناقدا مميزا ان يكون شاعرا اقل جودة .. فقد اكد احد النقاد ان ثقافته قد ساعدته ان يكون شاعرا متعمقا حيث جلب قصائد من كل اطراف الكون وبلل دواوينه من بحار العالم . ولكن هذه القصائد لم تبتعد قط عن روح البحر المتوسط .

الكتاب الثالث لروبليس هو «ربيع في ايطاليا» وهو عبارة عن رواية شبهها النقاد برواية «وداعا للسلاح» لارنست هيمنجواي .

روبليس اذن كاتب غزير الانتاج ومتعدد الابداعات فهو روائي وشاعر وكاتب مسرحيات وباحث وناقد .. ولد في مدينة وهران الجزائرية عام ١٩١٤ وحصل على جائزة فيمينا عام ١٩٤٨ عن روايته «اعالي المدينة» وقد تحولت مسرحيته في ثمن الحرية الى فيلم مصري اخرجه نور الدمرداش عام ١٩٦٤ وهو الان عضو اكاديمية جونكور ومن اهم كتبه اسمها «الفجر» و «فينيسيا في الشتاء» و «فيضان النهر»

بون

اخناتون .. مرة اخرى

بدا الموسيقار فيليب جلاس "

ثلاثيته الاوبرالية " باينشتين على الشاطىء " (١٩٧٦) وهى اوبرا مدتها اربع ساعات ونصف ، وكان " روبرت ويلسن " هو اول مخرج ينهض بعبء اخراجها وقتذاك .

ونظرا الى انها كانت اوبرا متسمة بالغرابة فى كل شىء ، وذلك بحكم ان قوامها نص مكون من ارقام ومقاطع دو ، رى ، مى .

وموسيقى جملها بسيطة ، دائمة التكرار ، فقد انقسم جمهور المتفرجين الى فئتين :

احداهما مسرفة فى الحماس والتاييد ، والاخرى مسرفة فى العداء والتنديد ..

ومع ذلك ، فقد كان ثمة اجماع على اعتبارها ايذانا بميلاد حركة جديدة فى دنيا الاوبرا ..

وعلى كل ، فما ان مرت اربعة اعوام ، الا وكان ، جلاس ، قد ابدع اوبرا ثانية " ساتيا جراها " عن غاندى ، اتبعها - بعد اربعة اعوام اخرى بخاتمة الثلاثية ، اخناتون ، (١٩٨٤)

وقبل ايام - وعلى مسرح الدولة بشتوتجارت - جرى عرض الثلاثية بالكامل لاول مرة على امتداد ثلاث ليال .

ولقد اعتبر عرض الثلاثية على هذا الوجه بمثابة تكريم لجلاس ووداع لاسلوب انتقل بالاوبرا الحديثة من حال الى حال ..

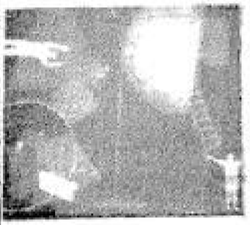
وطبعا .. هذا لايعنى ان تلك الليالى الثلاثة كانت بمثابة نعى للحركة المينامالية (التعبير باقل القليل من الوسائل والادوات) .

فمعيار النجاح الحقيقى بالنسبة لاية حركة فنية ليس بطول مدة الاستمرار ، وانما بما تخلفه من اثار .

والاكيد ان ثلاثية " جلاس " ستبقى على شاشة الذاكرة جزءا من تراث الاوبرا على مر العصور

واهم ما استرعى الانتباه فى العرض ، الملابس والديكورات التى صممها المخرج الالمانى " اخنم فريير " .

ورؤيته لعالم الاوبرات الثلاثة ، وهى



رؤية تتسم بالقتامة ، فمثلا رجال القصر الاشرار الذين انقلبوا على " اخناتون " قد البسهم المخرج اردية تظهرهم وكانهم ابالسة وسفلحون متوحشون .

قبل ستة اعوام .. وبعد انتهاء عرض " اخناتون " ليلة الافتتاح طغت صرخات الاستهجان على صيحات الاستحسان .

اما هذه المرة ، فقد كان التصفيق للاوبرات الثلاثة طويلا .

ازمة السويس .. خفايا واسرار

فى ٢٦ يولية ١٩٥٦ امم الرئيس جمال عبدالناصر شركة قناة

السويس .. وبدءا من ذلك التاريخ خيمت على العالم سحابة ازمة دامت ستة شهور .. كان من اثارها تمزيق جبهة الديموقراطيات المطلة على الاطلسي والتعجيل بتحطيم بريطانيا وفرنسا بوصفهما قوتين عظميين ، هذا الى الزج بالولايات المتحدة فى سياسات الشرق الأوسط على وجه غير مسبوق .

وما كتب عن ازمة السويس بدءا من مذكرات " انطونى ايدن " (١٩٦٠) ، هاهى وزارة الخارجية الأمريكية تنشر السجلات الرسمية للأزمة فى مجلد من الف وثلاثمائة وسبع وثمانين صفحة تحت عنوان « ازمة السويس ٢٦ يوليه – ٣١ ديسمبر ١٩٥٦ » .

وهو مجلد لازم لكل شخص يولى التاريخ المعاصر اهتماما جادا ، ومن بين ماجاء فيه منسوبا الى " جون فوستر دالاس " وزير خارجية الولايات المتحدة انه ارسل الى « دوجلاس ديللون » سفير الولايات المتحدة فى باريس برقية مؤرخة ٤ من اكتوبر جاء فيها « نحن



دالاس

لانعرف الموقف البريطانى والفرنسى ولا احد يستشيرنا .. نحن لانعرف ، ولا نستطيع ان نتبين ما اذا كانا يريدان الحرب ام السلام .

ومع ذلك فالمجلد يؤكد ان واشنطن كانت على علم تام بالاتصالات السلكية الفرنسية الاسرائيلية المتزايدة .

ولعل اغرب الوقائع الواردة فى المجلد هى واقعة انفجار ايزنهاور غاضبا اثناء اجتماع مجلس الأمن القومى فى اول نوفمبر وقوله « انه لخطأ جسيم ان يستمر هذا البلد فى مد يد العون الى اسرائيل – وقد اعتدت – بأية مساعدة » ثم استدراكه متسائلا : على كل فاسرائيل لم تدمغ بالعدوان .. اليس كذلك ؟

ومما جاء فى هذا المجلد القيم قول " فوستر دالاس ، لجولدا مائير " اثناء حديث جرى بينهما فى السابع من نوفمبر ١٩٥٦ بمبنى وزارة الخارجية الامريكية .

اذا استمرت اسرائيل محاصرة بالعداء ، فلا توجد اية قوة عسكرية تستطيع حمايتها .. اذا كانت هناك اية محاولات اسرائيلية للفوز بصداقة العرب ، فقد باءت جميعها بالفشل .

ان اسرائيل فى احتياج الى علاقات طيبة مع العرب حتى تضمن مستقبلها .

« وهو لايستطيع ان يرى فى مسلك اسرائيل الحالى مايشجع على حل مشاكلها » .

وختاما .. فالى اى جانب كان « فوستر دالاس » فى قرارة نفسه منحازا اثناء ازمة السويس ؟

لعل ما قاله لايزنهاور فى ١٢ نوفمبر فيه خير اجابة على هذا السؤال .. « لقد كان على البريطانيين وقد دخلوا ، الا يتوقفوا حتى اسقاط ناصر » .

على صفحات أسطورة ملكية

بقلم : حمدى أبو كيلة

هامش المشتاهى : أسطورة من نوع خاص

ترجع بعض الأساطير المصرية القديمة في نشأتها الأولى إلى أحداث تاريخية هامة وقعت في عصور سابقة على معرفة المصريين بالكتابة .. وقد تناقلتها الأجيال وتوارثتها وتناولتها باستمرار بالتعديل والتغيير وأضافت عليها كثيرا من الخيال وطعمتها بالوقائع الخارقة والأحداث غير المألوفة .



كما ترجع في أحيان أخرى إلى منهج فكري استخدمه المصري القديم ليعبر من خلاله عن رؤيته لنظام الكون وتفسيره لظواهره وتصوره لكيفية خلق الكون والبشر وتصويره للصراع الأزلي بين الإنسان والطبيعة وبين الخير والشر .. إلى أن القاسم المشترك بين هذه الأساطير عموما هو أنها نشأت نشأة عفوية عبر أزمان متعاقبة متخذة دائما الزوايا متجددة الأشكال والألوان . بحيث لانستطيع أن نضع يدنا بشكل يقيني على تاريخ مولدها أو على الأسباب المباشرة والمحددة لانبثاقها في أذهان البشر على هذه الصورة المعينة أو تلك وبهؤلاء الأبطال أو أولئك وبهذا المدلول أو ذاك . وعلى الرغم من ذلك ، واستثناء من تلك القاعدة العامة فإننا أحيانا نجد أنفسنا - وكما هو الحال الآن - أمام أسطورة من نوع خاص ، نستطيع أن نحدد زمان نشأتها والأسباب التي أدت إلى موضوعها بل و «الأهداف» التي رمى إلى تحقيقها من نسجوا خيوط تلك الأسطورة بحذق وإتقان .

وهو ما يعطيها القدرة على حمل خصائص عصرها وأصدق تعبيرا عنه دون أن يشوبها ما يشوب غيرها من تضارب واختلاط نتيجة الكثرة ما أضفته عليها الأجيال من خيالها من أفكار وصور جديدة وتحويلات عبر توالي الحقب وتبدل الظروف .. بل وأحيانا تعدد المواطن والأقاليم .

● **هامش رقم (١) سياسة وكهانة**

وصل ملوك الأسرة الخامسة إلى عرش مصر بعد منافسة أو منازعة بين فرعون من الأسرة الرابعة : أسرة خوفو ، وخفرع ، ومنكاورع .

وقد انتسب أوائل ملوك الأسرة الخامسة إلى السلالة الملكية عن طريق أمهم سليلة أسرة خوفو بينما كان أبوهم مجرد كاهن من كهنة اله الشمس رع وأن كان ينحدر من فرع ثانوى من نفس الأسرة .. وقد شهد عهد الأسرة الخامسة (٢٥٦٠ - ٢٤٢٠ ق . م) بداية عصر سيادة العقيدة الشمسية حينما صعد المعبود رع إلى مكانة الإله الأعظم وسيد جميع الآلهة الأخرى .

حيث أصبح اسمه يقرن بأسماء الآلهة المحلية فى الأقاليم المختلفة من الوجهين البحرى والقبلى او قل انه أصبح بمثابة الإله الرسمى للدولة الذى تتبنى الأسرة الحاكمة عقيدته وتقيم له المعابد الفسيحة المكشوفة لضوء الشمس - رمز ذلك الآله - فى رحلتها اليومية عبر السماء من شرقها إلى غربها .

ولكن يبدو أن ملوك الأسرة الخامسة لم يقنعوا بانتسابهم المنقوص إلى السلالة الملكية (عن طريق الام فقط) فأرادوا أن يعضدوا من شرعية حكمهم ويضيفوا جديدا إلى أسباب جلاله .. كما أرادوا أن يسجلوا لأنفسهم فى وعى الشعب وذاكرة التاريخ بضعة سطور تثبت تفوقهم على ملوك الأسرة الرابعة الذين تركوا وراءهم من دلائل العظمة مايصعب مطاولته أو الاتيان بما يماثله لمن أراد أن ينافسهم فى نفس المجال ونعنى بذلك اهرام الجيزة الشامخة وخاصة هرم خوفو الأكبر .

تلك إذن كانت الدوافع التى جعلت ملوك الأسرة الخامسة يوعزون لكهنة إلههم بوضع هذه الأسطورة التى تجعل من ثلاثة منهم أبناء مباشرين للآله «رع» .

ولم يخل الأمر من فائدة لكبار كهنة الآله «رع» أنفسهم فان أسداء هذا الجميل للأسرة الحاكمة يعزز من مكانتهم ويقوى من نفوذهم لدى ملوك تلك الأسرة .. كما أن انتساب ملوك الأسرة للآله «رع» بالذات وارتباطهم بهذا الآله يمنح كهنته مزيدا من التميز والقدرة على التأثير فى مجريات الأمور .. وهو مايذكر التاريخ انه قد حدث فعلا وابتداء من الأسرة الخامسة فصاعدا .

● **هامش رقم (٢) الوثيقة**

وقد عثر على نص تلك الأسطورة ضمن بردية كتبها أديب من عصر الدولة الوسطى (٢١٣٤ - ١٧٨٦ ق . م) اشتهرت باسم «بردية وستكار» وان كان المفهوم انها نسخت عن أصل قديم يرجع تاريخ كتابته إلى زمن الأسرة الخامسة نفسها .

● **المتن**

والآن فلنترك هوامشنا مؤقتا على وعد باللقاء بعد أن نلقى نظرة على المتن :

● النبوءة : استدعى الملك خوفو إلى بلاطه وبناء على نصيحة أحد ابنائه حكيما عجوزا يدعى «ددى» اشتهر عنه معرفته الواسعة بأعمال السحر والمعجزات ، وطلب منه أن يأتيه بخزائن الأسرار المقدسة لاله الحكمة «تحوتى» فاعتذر الحكيم عن تلبية طلب الملك وأخبره بأن الوصول إلى هذه الذخائر المقدسة لن يتيسر إلا لواحد من ثلاثة أبناء لأمرأة تدعى «رد ددت» وأن هؤلاء الأبناء الثلاثة سيكونون من سلالة الآله «رع» وسوف يتولون عرش مصر - متعاقبين وسيتمكن ،

اولهم من الوصول إلى ذخائر الحكمة المقدسة .

استشعر خوفو بالقلق والتوجس من هذه النبوءة التى لو تحققت لكانت اكبر تهديد لمستقبل عرشه وأسرته ولكن الحكيم طمأنه بأن ابطالها لن يظهروا ويحتلوا العرش إلا بعد عهده وعهد ولده وعهد حفيده (اى بعد أن يتولى العرش كل من خفرع ومنكاورع) .

● آلهات فى مهمة بشرية :

وتمضى الاسطورة فتخبرنا بأن النبوءة قد تحققت بحذافيرها فى موعدها المضروب ، حيث كانت المرأة المدعوة «رد ددت» تعانى آلام المخاض وليس معها من يعينها سوى زوجها «وسر رع» الكاهن فى معبد الآله «رع» .

ولما كان هذا الحمل قد نبت فى رحمها بأمر الآله «رع» وينفثه من روحه فقد ارسل اليها كتيبة نجدة ممثلة فى أربع ربات يأتمرن بأمره مجسدات فى هيئة البشر على رأسهن الآلهة «ايزيس» (واهبة الأسماء) والتى ستباشر مهمة القابلة ومساعداتها الآلهة «حقت» (التى تساعد كل امرأة على الولادة وتهب طفلها هيئة جميلة «والآلهة مسخنت» (الهة الحظ والمصير) والآلهة «نبت حت» ويتبعهن الآله «خنوم» صانع الفخار الذى يقوم بتشكيل البشر فى احسن صورة ـ كما أعتاد أن يشكل أوانى الفخار على عجلته ويمنح كل مولود أعضاء قوية ، وقد جاء على هيئة تابع عجوز يحمل كرسى الداية وأدواتها .

ولما كانت الأم وزوجها لايعلمان شيئا عن المهمة المقدسة للآلهات الموفدات من قبل كبيرهن فكان لابد من حيلة يبررن بها حضورهم المفاجىء للمساعدة دون سابق دعوة أو طلب ، فوقفت الآلهات بجوار المنزل يغنين ويضربن بالدفوف حتى خرج الأب «وسر رع» ملتمسا اليهن أن ينصرفن أو يلزمن الهدوء لأن امرأته التى ترقد بالداخل تعانى الام المخاض بلا مساعد أو معين .

وهكذا أتت الحيلة بثمرتها المرجوة ولم تضيع الآلهات الفرصة فاقترحن عليه المساعدة بعد أن أفهمنه بأنهن خبيرات بتلك الشئون وبالطبع رحب الأب بتلك النجدة التى جاءته على غير توقع أو انتظار .

وبعد وصف تفصيلى لعملية الولادة تخبرنا الأسورة بأن الأم وضعت ثلاثة توائم يبلغ طول الواحد منهم ذراعا كاملا ، متين العظام ، نقشت القابه فوق جسده بماء الذهب وكللت هامته بـاللازورد الخالص . وقد بشرتهم الدايات بحظ سعيد وتنبأت لكل منهم بأن يصبح «ملكا يتولى الحكم فى هذه الأرض جميعا» وأطلقت عليهم ايزيس الأسماء الملكية «وسركاف» ، و «ساحو رع» ، و «نفرا ير كا رع» (وهى أسماء أول ثلاثة ملوك تولوا العرش من الأسرة الخامسة) .

واستأنفت الربات مهمتهن البشرية التى انتدبن من أجلها فقطعن لكل مولود حبله السرى وارقدنه فوق مهد صغير متواضع ولففنه بغطاء بسيط من الكتان .

ولم يشأ العجوز «خنوم» أن يقتصر دوره على مهمة التابع أو الحمال فدخل

إلى الأم وأخذ يطمئنها على سلامة ابنائها الثلاثة ، وراح يمسح على أبدانهم الغضة ببطن كفه المبروكة ليزودوهم بالقوة والعافية .

وخرجت الدايات إلى الزوج الذى كان من فرط جزعه على زوجته لم يلتفت إلى انه يرتدى ثوبه مقلوبا ، فهنأنه على مارزق به من البنين وعلى سلامة زوجته حتى انزاح عنه قلقه ، واراد أن يكافىء القابلات المتطوعات فلم يجد بالدار سوى بعض من الشعير الذى ادخرته زوجته فقدمه لهن وهكذا انصرفن مأجورات مشكورات .

بعد أن غادرت الربات الدار تشاورن فى الأمر وقررن أن يعدن الشعير إلى الأم رقيقة الحال فلاشك أن حاجتها إليه الآن قد أصبحت أكثر من ذى قبل ، ولينتهزن الفرصة أيضا فيدسسن فى الشعير التيجان الثلاثة المقدسة التى أرسلها الاله هدية وبشيرا إلى أبنائه المباركين .. وفكرن فى حيلة يرجعن بها إلى المنزل ويعدن الشعير إلى اهله بعد أن خبأن فيه التيجان

وكما لم تعزهن الحيلة من قبل لتدبير الدخول إلى المنزل فقد ابتكرن هذه المرة ايضا حيلة جديدة للعودة اليه .

فباسم الآله «رع» أوعزن للعاصفة فثارت وإلى المطر فانهمر ، وعندها رجعن إلى الدار متعللات بالمطر وطلبن من الزوج أن يحفظ لديه الشعير خوفا من أن يطاله البلل على أن يعدن فى وقت مناسب لاسترداده فأخذه الرجل وحفظه فى مخزن الدار

● الاكتشاف ..

وبعد أربعة عشر يوما ـ كما تقول الأسطورة ـ تطهرت النفساء وشرعت فى أعداد مأدبة متواضعة للمهنئين وتشكرا لمعبودها على السلامة والبنين ، ولكنها لم تجد بدارها من الزاد سوى ذلك الشعير الذى أودعته لديها القابلات إلى حين ، فرأت أن تلتمس قدرا منه مؤقتا على أن تعوضهن عنه خيرا عندما يعدن لاسترداده ، فلما ذهبت خادمتها لتأتيها بالشعير التقطت اذناها انغاما عذبة رقيقة تنبعث من المخزن فحملت النبأ إلى الأم التى أسرعت لتتأكد بنفسها من أن تلك الموسيقى الخفية تنبعث من قلب الشعير الذى استقرت بداخله ثلاثة تيجان ملكية يخطف بريق لألئها الأبصار .. وعندما أدركت أن ربها قد أكرمها وأكرم مواليدها وأرسل هذه الأنغام وتلك التيجان تحية مباركة لهم لأنه قد اختارهم ليهبهم عرش البلاد .

ولم ينتقص من سعادة الأم سوى خوفها من انتقام الحكام القائمين لو علموا بأمر ابنائهم ومستقبلهم الموعود ، فاتفقت من خادمتها على كتمان الأمر ، ولكن الأخيرة لما اختلفت معها بعد حين تركت الدار عازمة على افشاء السر الخطير ، وبدأت بنقل الأمر إلى أخيها الذى نهرها وضربها ونهاها عن مشروع خيانتها ، ولكنها لم ترتدع ومضت مضمرة الاستمرار فى غيها ، وفى سبيلها ، مالت على حافة النهر لتغتسل وتروى ظمأها فهجم عليها تمساح وافترسها ، وهكذا قدر للسر أن يظل دفينا

هوامش على صفحات أسطورة ملكية

فى صدور أصحابه إلى أن تحقق القدر الموعود وتولى الأبناء الثلاثة عرش مصر متعاقبين .

اما الآن وقد استعرضنا المتن سويا فلنستأنف ماانقطع من حديث على الهوامش .

● هوامش رقم (٣) : جذور

حتى اليوم إذا تصادف أن ارتدى الرجل فى ريف مصر جلبابه مقلوبا على سبيل السهو ، يسأله من يراه على تلك الحال ـ من باب المداعبة ـ إذا ماكانت زوجته في تلك اللحظة تعانى آلام الولادة .

● هامش رقم (٤) الاستثناء والقاعدة

شاع أن الفراعنة كانوا يحكمون بموجب «الحق الالهى» وأن الشعب كان يعبد الفرعون باعتباره «الملك الإله» الذى يملك ويتحكم فى الأرض وماعليها، فعلام ابتداع الأسطورة اذن وفيم التفوق والامتياز ؟

لقد حيكت الأسطورة لكى تخلق استثناء من القاعدة قائلة أن ملوكنا هؤلاء وحدهم هم أبناء الآلهة فهذا اذن استثناء .. أما غيرهم من الملوك فبشر أبناء بشر ، ولاشك فى أن تلك كانت القاعدة .

● هامش رقم (٥) استطرد

إلتماسا لأسباب التفوق على ملوك الأسرة الرابعة ، ادعى ملوك الأسرة الخامسة أنهم أبناء الآله «رع» ولكنهم لم يجدوا غضاضة فى أن ينتحلوا لأنفسهم .. اما من عامة الشعب ليس بدارها من الزاد إلا بعض الشعير لتحل ـ فى الأسطورة ـ محل أم حقيقية تنحدر من سلالة ملكية ـ فان كان الانتساب للآلهة يرفع صاحبه فى سلم أمجاد الملكية درجات .. فان الانتماء إلى أم من عامة الشعب لاينقص من قدره شيئا .. فالبشر جميعا ـ ازاء الآلهة ـ من طينة واحدة ولو كان من بينهم الملوك .

● هامش رقم (٦) : بروتوكول

خرجت الربات ـ القابلات ـ بما كوفئن به من الشعير .. ثم قررن أن يعدنه إلى صاحب الدار اشفاقا عليه وعلى زوجته ، فماذا لو قرعن الباب وقلن له : هاك شعيرك يارجل فأنت اليه أحوج ؟ لقد وجدن فى ذلك فظاظة لاتليق ، فلتهب العواصف ولتهطل الأمطار من أجل لمحة من الذوق .

● هامش ختامى : اقتباس

يقول سير الن جاردنر فى كتابه : مصر الفراعنة ..

«باقتراب الأسرة الخامسة نجد فى الوثائق التصويرية والمكتوبة دلالة على الايمان بأن فرعون رغم دعواه من ناحية الالوهية ، كان فى الواقع رجلا لايعلو كثيرا ـ من ناحية التمجيد ـ على رءوس نبلائه .

المائة الأعظم

بقلم: حسين أحمد أمين

محمد بن المقدسي

٩٤٨ - ١٠٠٠ م

جغرافي عربي ، يعتبره المستشرق شبرنجر "اكبر جغرافي عرفته البشرية قاطبة" غير انه وصف يشوبه بعض المبالغة ، ربما لان شبرنجر هو الذى اكتشف اول مخطوطة لكتاب المقدسي "احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم" غير اننا نتفق مع رأى المستشرق كرامرز في ان المقدسي "اكثر الجغرافيين العرب اصالة ، وان كتابه (احسن التقاسيم) من اكثر المصنفات الجغرافية في الأدب العربي قيمة" ، وعلى اى حال فالراجح انه لم يسبق المقدسي شخص في اتساع مجال اسفاره ، وعمق ملاحظاته ، وإخضاعه المادة التي جمعها لصياغة منظمة .

قام فى شبابه برحلات شملت جميع انحاء العالم الاسلامى باستثناء الاندلس والسند وربما سجستان ايضا ، ثم تفرغ فى سن الأربعين لتأليف كتابه "احسن التقاسيم" الذى وصف فيه جزيرة العرب ، فالعراق ، فالشام ، فمصر ، فالمغرب ، فخراسان ، فارمينيا وأذربيجان وخوزستان ، ففارس ، وكرمان ، وهو قلما يولى اهتمامه للجغرافيا الطبيعية كالجبال والأنهار الخ . ولكنه فى مقابل ذلك يقدم لنا لأول مرة مجموعة هائلة من المعلومات عن التجارة والمعتقدات والعادات والطوائف واللغة وأخلاق السكان فى الاقطار التى زارها ، بالاضافة الى المناخ والزرع والاوزان والنقود والمعادن والاماكن المقدسة فيها ، مظهرا فى كل ما يكتبه قدرا

فى التاريخ الإسلامى



عظيما من التمحيص والتدقيق فى المنهج ، والحيوية فى العرض ، وقوة الملاحظة ، والاصالة والطرافة ، والفهم والذكاء .

ولايعيب الكتاب فى رأينا غير أمرين :

الأول : اعتداد المؤلف الشديد بنفسه مما قد يسبب للقارىء أحيانا بعض الضيق ، ووقوفه موقف الناقد المتعسف من الجغرافيين السابقين له ، وتأكيده أكثر

من مرة فضل كتابه على كتب الآخرين .. كتب في مقدمته يقول :

"إعلم أنني أسست هذا الكتاب على قواعد محكمة ، وأسندته بدعائم قوية .. وكل من سبقنا الى هذا العلم لم يسلك الطريق التى قصدتها ، ولا طلب الفوائد التى أردتها .. وقد اجتهدنا في أن لانذكر شيئا قد سطروه ، ولا نشرح أمرا قد أوردوه ، إلا عند الضرورة ، لئلا نسرق من تصانيفهم ، مع أنه لايعرف فضل كتابنا هذا إلا من نظر في كتبهم .. فإذا نظرت في كتابنا هذا وجدته نسيج وحده ، يتيما في تظمه !

كذلك فهو يبرر اقتصاره على وصف العالم الاسلامي دون المسيحى بقوله :

"ولم نذكر إلا مملكة الاسلام ، ولم نتكلم عن ممالك الكفار ، لأننا لم ندخلها ، ولم نر فائدة في ذكرها" !

والعيب الثاني : صعوبة لغة كتابه . فأسلوبه هو أعسر أساليب الجغرافيين العرب طرا . فإن الاصطخرى يتبع أسلوبا مبسطا فى كتابه ويمكن تفسير بعض الوعورة فيه بأن اللغة العربية لم تكن لغته الأصلية ، وإن كان أسلوب ابن حوقل لايخلو من آثار الصنعة والميل الى السجع ، فإن المقدسي قد أوفى على الغاية فى هذا الباب . إذ بالرغم من تملكه لناصية اللغة العربية ، نراه يلجأ الى الصنعة المرهقة ، فيفسح المجال للسجع لا في مقدمة الكتاب وخاتمته فحسب كما كان يفعل غيره ، بل وفى صلبه ايضا ، لداع أو لغير داع ، ويحفل متن ، "أحسن التقاسيم" بالألفاظ الصعبة المهجورة أو القليلة الاستعمال ، لأن المؤلف يميل الى غريب اللغة . والواضح أن صعوبة لغة المقدسي هى التى حالت دون ترجمة الكتاب الى لغات أخرى ، والمحاولة الوحيدة التى بذلت لترجمته الى الانجليزية توقفت بعد الخمس الأول منه .

سعدي الشيرازي

توفي عام ١٢٩١م

أحد ثلاثة يُطلق عليهم كبار شعراء الفرس : سعدي وفردوسي وحافظ . اشتهر بمنظومته الحكمية "بُستان" وكتاب هو مزج من الشعر والنثر "جلستان" (أي حديقة الورد) وديوان يحوى قصائد باللغتين الفارسية والعربية ، الى جانب آثار نثرية هي : "المجالس الخمسة" و "نصيحة الملوك" و "رسالة العقل والعشق"



أول ما يلحظه القارىء فى شعره هو لهجة الفرح بالحياة التى جعلت اسمه مقرونا بهذه الخاصة فالأسم "سعدى" هو نسبة الى السعد . فطبيعة الفرح متأصلة فيه ، وتتمثل فى المناعة ضد الالم ، والقدرة على طرح الكآبة بسهولة ، وعلى تذوق مباهج الحياة ، مع إيمان بأن القوى الخيرة هى التى تهيمن على العالم . وهو فى هذا على طرف نقيض من الشاعر الانجليزى بايرون .

كذلك كان لأسفاره الطويلة ، وأشتراكه فى الحرب ضد الصليبيين ، أثر فى إزالة الطابع الاقليمى من كتاباته ، وتعدى هذه الكتابات للأشكال ، والالوان المحلية الى الطابع العالمى ، وذلك بالرغم من انه طالما تغنى بمفاتن مدينته شيراز ، أجمل مدن فارس . بل لقد تعدى شعوره حدود مملكة الانسان ، موليا أهتمامه ورعايته للبنات والحيوان والحشرات والطير :

لاتدس على تلك النملة التى تخزن الحبوب الذهبية .
فهى تعيش سعيدة ، فلا تمتها بالألم .
تعلّم منها ، بدلا من أن تقضى
على سعيها الصابر وعنائها المثابر

(البستان)

وقد كان لسعدى فضل عظيم على الأدب الفارسى . فقد كان الغزل قبله يلعب دورا

ثانويا فى نظم الشعراء ، ومن الفنون الشعرية المهملة نسبيا .

فاهتم سعدى به بعد فراغه من كتابة البستان والجلستان . غير أن شعره فى الغزل ذو معان يمكن أن تؤخذ على ظاهرها أو على دلالاتها الصوفية . وقد سبق سعدى في ذلك شعراء مثل ابن الفارض وابن عربى . غير أن نجاح سعدى فى هذا الضرب من الشعر هو الذى مهد الطريق لتثبيت هذا التقليد فى الشعر الفارسى بصورة دائمة ، ومهد الطريق لشاعر أعظم منه ، هو حافظ الشيرازى .

وقد شهد سعدى الذى يقال إنه عاش لأكثر من قرن ، أحداثا جساما فى الأمة الاسلامية ، كالحروب الصليبية ، وزحف جحافل المغول وتدمير بغداد عاصمة الخلافة . وبالرغم من انه شارك فى الحروب الأولى ووقع فى أسر الصليبيين حتى افتداه أحد رؤساء حلب ، فقد آثر فى النهاية ان يعتزل العالم ، وأن يبنى لنفسه دارا صغيرة داخل بستان جميل يطل على نهر ركن آباد ، يمارس فيها رياضته الصوفية . وقد زاره هناك الرحالة ابن بطوطة الذى كتب يقول :

"صنع الشيخ هنالك أحواضا صغارا من المرمر لغسل الثياب . فيخرج الناس من المدينة لزيارته ، ويأكلون من سماطه ، ويغسلون ثيابهم وينصرفون . وكذلك فعلت عنده رحمه الله" .

وقد كان سعدى سنيا ، وهو ما دفع أحد متعصبى الشيعة فى شيراز بعد وفاته الى كسر شاهد ضريحه الذى ظل مهملا مئات السنين ، حتى جاء جيل أقل تعصبا وأكثر توقيرا للشعراء ، فبنى له نصبا جميلا لايزال قائما الى اليوم يزوره الايرانيون والسائحون الأجانب معا .

موسى بن نصير

٦٤٠ - ٧١٥م

فاتح المغرب والاندلس ، وناشر الاسلام واللغة العربية فيهما ، والممهد لقيام الحضارة الاسلامية فى هذين القطرين .

عاصر فى صباه أحداثا جساما ، منها مقتل عثمان ، والحرب بين علىّ ومعاوية . وكان فيه طموح وتطلع إلى المجد شديد ، فلم يجر على سنة أبيه من البعد عن السياسة ، بل خاض غمارها ، فأخذ جانب عبد الله بن الزبير ، واشترك فى وقعة المرج بالشام التى انتهت بهزيمة أنصار ابن الزبير وانتصار مروان بن الحكم الأموى .



وقد أراد مروان ضرب عنق موسى . غير أنه استجار بعبد العزيز بن مروان ، فشفع فيه لدى أبيه ، وأصبح موسى منذ ذلك الحين حتى آخر حياته من أشد انصار الأمويين اخلاصا لهم ولدولتهم .

وفى أواخر العقد الثامن من القرن الأول الهجرى ، اضطربت أحوال المغرب وثارت قبائل البربر على الحكم العربى ، فعهد عبد العزيز بن مروان ، والى مصر والمغرب ، الى موسى بن نصير بمهمة قمع ثورة البربر وولاه على المغرب. وقام موسى بإخماد الفتنة فى شىء من الشدة والعنف ، ثم استمالهم بعد ذلك الى

الاسلام ، بل وتمكن من الاستعانة بهم فى فتح المغرب الاقصى الذى لم يكن العرب قد فتحوه من قبل . وقد انتهج موسى من وقتها سياسة حكيمة ، هى خلط البربر بالعرب ، ومعاملتهم جميعا معاملة واحدة . بحيث أضحت تحت يده قوة عظيمة تدين له بالاخلاص والولاء ، جعلته يمد عينيه الى اسبانيا عبر البحر غير انه رأى أن وقت فتح اسبانيا لم يحن بعد ، فأجل الشروع فيه وعاد الى مقر إمارته بالقيروان ، تاركا مولاه طارق بن زياد فى طنجة يراقب تطور الأمور .

وإذ لجأ بعض الأسبان من معارضى الملك الى موسى بن نصير يلتمسون منه النصرة ويهونون عليه فتح بلادهم ، كتب موسى الى الخليفة الوليد بن عبد الملك يستأذنه فى غزوها فأذن له . فأمر موسى طارق بن زياد بالسير اليها في جيش قوى ، أكثره من البربر وأقله من العرب ، فانتصر على الجيش الأسبانى انتصارا حاسما ، وزحف نحو العاصمة طليطلة (توليدو) ودخلها عنوة .. عندئذ رأى موسى أن الأوان قد آن ليتم بنفسه فتوحات طارق وليتفادى ماعسى أن يحل بطارق وجيشه بعد أن أوغل فى أرض العدو . فتوجه الى الاندلس سالكا فيها طريقا غير الطريق التى سلكها طارق ، وفتح مدنا كبيرة لم تكن قد انتزعت بعد من أيدى الاسبان ، حتى إذا ما التقى وطارق فى طليطلة ، سارا معا لفتح الاقاليم الشمالية الشرقية الى ان بلغا جبال البرانس بين إسبانيا وفرنسا .

وهمّ موسى بن نصير وكان وقتها قد أربى على السبعين ، بأن يعبر الجبال الى فرنسا ، ويسير شرقا فى أوروبا حتى يستولى على القسطنطينية فيتوجه منها الى عاصمة الخلافة ، فى دمشق . غير أن الخليفة رأى فى مطامحه أسرافا وتغريرا فاستدعاه الى الشام ، فخرج من الاندلس قاصدا دمشق ومعه من الغنائم والسبى والأسرى مالم يسمع بمثله فى تاريخ الفتوح العربية .

فلما بلغ فلسطين ، كان الوليد مريضا مرض الموت . وكتب ولى العهد سليمان بن عبد الملك الى موسى يطلب اليه الانتظار فى فلسطين حتى يتوفى الخليفة حتى تصير اليه هو الأموال التى مع موسى . غير انه لم يفعل ، وقدم على الوليد قبل وفاته بثلاثة أيام . فلما تولى سليمان الخلافة ، أراد الانتقام من موسى لعصيانه أمره . فأقبل يحاسبه حسابا عسيرا وطلبه بأموال جسام عجز موسى عن أدائها فجعل يعذبه حتى افتدى موسى نفسه بمبلغ عظيم يؤديه ماعاش ، وظل بقية عمره يستعين بقومه ومعارفه على أداء ما التزم به ، حتى أدركه الموت عام ٧١٥ م .

ويجمع المؤرخون على وصف موسى بن نصير بالعقل والشجاعة والتقوى وبلاغة العبارة ، وبالاخلاص والحرص على القيام بواجبه . والاحاطة بالمعارف السلطانية من حرب وإدارة وسياسة . وقد ادى فتحه للمغرب الاقصى واسبانيا ، دون أن يهزم له جيش فى اية موقعة خاضها الى اعتباره واحدا من أعظم القادة العسكريين فى تاريخ الاسلام

أنت والهلال

• جائزة الدولة التقديرية •

• قرأت ما نشرتموه في هذا الباب في عدد يوليو الماضي عن جائزة الدولة التقديرية والمبلغ الضئيل المخصص لها في ميزانية الثقافة المصرية . ولما كان متعذرا في الوقت الراهن أن تصبح هذه الجائزة مائة ألف دولار أو خمسين ألفا أو حتى خمسة آلاف دولار ، فإنني أقترح أن يتم في كل علم اكتتاب شعبي بمبلغ معين لهذه الجائزة ، فتصبح الجائزة مهداة من الشعب لامن الحكومة ، ولا تتقيد بمبلغ معين بل تكون بحسب المبلغ الذى يتيسر جمعه كل علم ! ..

عبدالراضي احمد عبدالسلام
اسيوط

• تعليق الهلال :

ـ .. ولكن هذه ستكون جائزة الشعب لا جائزة الدولة ، ويلزم أن تدير شئونها هيئة شعبية لا حكومية ، وستكون مشاكلها كثيرة ، والفكرة طريفة حقا ، لكنها غير عملية فيما يبدو لنا في الظروف الراهنة التي يشكو فيها الشعب الغلاء وقلة الأجور . فلا يصح أن يتحمل أيضا جائزة تقديرية لهذا الأديب أو ذاك . وربما أيضا لهذا الممثل أو ذاك الموسيقار أو الرسام الخ .

• شوقي واللغات •

• من أسباب نبوغ شوقي أمير الشعراء في الشعر وكثرة تجديداته فيه ، أنه كان يجيد لغات أجنبية كثيرة مثل الفرنسية والأسبانية والانجليزية والإيطالية والتركية واليونانية لأن جده وجدته من أصل تركي ويوناني . والملاحظ الآن أن الشعراء الشبان لا يعرفون اللغات الأجنبية إلا قليلا ..

حسان أبو بكر الدرويش
الإسكندرية

• تعليق الهلال :

ـ أمير الشعراء شوقي كان يجيد التركية والفرنسية فقط ، ولم يكن له

علم باليونانية ولا الايطالية ، ومحصوله من الانجليزية كان قليلا ، ولم يتح له أن يعرف الاسبانية معرفة واسعة ايام كان منفيا فى اسبانيا .. ومع ذلك فإن ملاحظتكم حول اهمية معرفة الأديب والشاعر العربى للغات الحية ، تبقى ملاحظة صحيحة ! ..

● أحلى مساء ●

مر بى حلم جميل

أسمر ذات مساء

مزج الفتنة والعطر

وافراح اللقــاء

يهب الشاعر فنا

وجمالا فى نقاء

عندما كلمنى قلت

أصوت العندليب ؟ !

وضحكنا وتحدثنا

حبيبا لحبيب

محمد جاسم حسين الشبوط ـ واسط ـ العراق

● ديوان عبدالوارث عسر ●

● فوجئت مثل الكثيرين غيرى بما نشرتموه عن ديوان الممثل الكبير الفنان عبدالوارث عسر رحمه الله ، فلم اكن أعرف عنه انه شاعر لا ممثل فقط ، ولم اتصور أن يكون شعره من هذه الطبقة العالية .. وقد اكتفيتم بنشر قصيدة واحدة من شعره ، فهلا نشرتم قصائد اخرى من ديوانه الذى وأده بعض موظفى النشر فى وزارة الثقافة ؟ !

عبدالعزيز الشرقى محمود

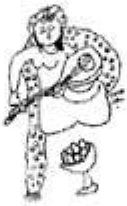
المنيا

● تعليق الهلال :

ـ نرجو أن نتمكن من نشر قصائد اخرى للشاعر الكبير المرحوم عبدالوارث عسر ، ولكن المهم إنقاذ ديوانه من براثن اناس صغار يتحكمون فى أقدار الكبار ! ..

● ياليل الصب ●

ياليل الصب لقد أسدلت الظلمة .. ياليل .
لكنك جئت لنا بالنور الساطع .. ياليل ..
ياليل الصب طويل انت ..
لا ادرى هل ياتى غدك المجهول
لكنى ياليل الصب ..
محبور فى ديجورك مسرور
اتطلع للانجم فى مثل سرور الاطفال
لا ادرى الغد ..
لا علم ايان يجىء حبيبى .. ياليل
لا ادرى الغيب المخبوء وراء الايام
لا افهم معنى هذا اللون الأسود .. ياليل
فى جبهتك البيضاء ..
ياليل الصب ..



محمد مصطفى كمال
شارع متحف المنيل ـ القاهرة

● المدرسة القنائية ●

● فى مقالته عن المدرسة القنائية فى الشعر والأدب نسى الأستاذ كمال النجمى أن يشير الى الزجال العظيم ابن عروس الذى ولد سنة ١٧٨٠ ، م ، فى محافظة قنا ، أى فى الوقت الذى كانت فيه المدرسة القنائية بالغة أوجها فى الانتاج وبخاصة فى فن الزجل وهو الشعر الشعبى .. وكان ابن عروس يشبه الشعراء الصعاليك فى الجاهلية لأنه كان مثلهم قاطعا للطريق ومن حوله عصابة برأسها ..

أحمد حسن فراج
قنا

● تعليق الهلال :

ـ لم يكن المقصود من مقالة «مكرم عبيد خريج المدرسة القنائية» المنشورة فى عدد يونيو الماضى استعراض أسماء المشاهير جميعا فى

هذه المدرسة على مدار تاريخها الحافل ، وقد فاتك انت ايضا ان تذكر ان ابن عروس قد تاب في شيخوخته عن قطع الطريق ، وصار من كبار العابدين والزاهدين ، ووزع ما كان قد نهبه في قطع الطريق ، وتفرغ للعبادة في الجبل الذي كان يأوى اليه عندما كان يقطع هو وعصابته الطريق ، وقصة ابن عروس طويلة وشائقة ، فلماذا لا تزور انت الجبل الذى كان يعيش فيه ابن عروس وتبدأ كتابة قصته من هناك ! ..

● اشتباه فى الأسماء ●

● تشتبه عندي اسماء بعض الأدباء العرب وبخاصة الشعراء ، مثل الشاعر بشارة الخورى ، وشعراء آخرين يحملون لقب « الخورى » .. ولا ادرى هل «الشاعر القروى» المشهور بهذا اللقب هو رشيد سليم الخورى ام وديع رشيد الخورى . فهلا ذكرتم لنا صحة هذه الأسماء ؟ !

ابو اليزيد حمد السهمى
الحوامدية - الجيزة

● تعليق الهلال

- اسم «الخورى» - كما تعلم - واسع الانتشار فى لبنان وسوريا ويحمل اصحاب هذا الاسم فى العادة لقب «الشيخ» وقد كان يحمله الشيخ بشارة الخورى رئيس جمهورية لبنان الاسبق . وهو غير الشاعر بشارة الخورى ، واسمه بالكامل بشارة عبدالله الخورى .. اما الشاعر القروى فهو الشاعر رشيد سليم الخورى ..

● مع أصدقائنا ●

● السيد الهبيان - الاسكندرية :

- لا نريد فتح مسالة «السرقات الادبية» من جديد بعد ان اكتفينا بما نشرناه عنها .. ولا يخلو عصر من مثل هذه السرقات ، ولكن بعضها سرقات خفية ، وبعضها اشبه بالسطو المسلح العلنى ! ..

● خضر عباس الفضل - محلة الرشيد - زقاق رقم ١٧ - بغداد :

- تألمنا كثيرا للقصة التى ذكرتموها عن ديوان شعركم الذى لا تجدون له ناشرا . ولكن كيف حدث ذلك مع كثرة هيئات النشر الحكومية وغير الحكومية عندكم ؟ !

اما دار الهلال فليس فيها قسم لنشر دواوين الشعر مع الأسف ! ..

● عبدالرزاق صلاح - العقبة - الأردن :

- استطعنا بصعوبة ان نتفهم ما تريدون قوله من بين ركام الأغلاط النحوية واللغوية .. فانت تهاجم نجيب محفوظ وتتوعده بجهنم يوم القيامة ! .. هذا ما فهمناه من كلامك ، والسبب روايته «اولاد حارتنا» التي هاجمها مرشدك الروحي الشيخ كشك ! ..
.. هل هنك شيء آخر تريد أن تقوله أيها المتدين الذي تمسك بيديك ميزان الجنة والنار ؟ ! ..

● هزاع محمد بلقاسم الشهراني - جدة السعودية :

- لا توجد عندنا مع الأسف مجموعة الكتب الأربعة التي تطلبها عن اللغة الهيروغليفية وقاموسها ، والتي تقول ان المرحوم الصحفي كمال الملاخ كان قد وعدك بها ..

● درهم جباري - سان فرانسسكو - الولايات المتحده :

- فيما يخص اشتراككم في الهلال ، سنحيل رسالتكم الى قسم الاشتراكات .. اما قصيدتكم فتدل على شاعريتكم بالرغم من الهنات النحوية واللغوية والعروضية غير القليلة في هذه القصيدة .. نشكركم ، ونرجو لكم حظا حسنا في غربتكم مع الشعر ومع غير الشعر ..

● عبدالمنعم محمد جاسم - الشطرة - ذي قار - العراق :

- الأغلاط التي ذكرتموها في قصيدة ، على ربى عرفات ، للشاعر المرحوم عبدالوارث عسر ، والتي نشرت في الهلال منذ بضعة اشهر .. هذه الاغلاط سببها المطبعة .. وقد كثرت الأغلاط المطبعية فيما تنشره صحف العالم العربي كله في الآونة الأخيرة .. اما رأيكم في شعر المرحوم عبدالوارث عسر وميلكم الى الانتقاص منه ، فهذا رأيك وانت حر فيه ، ولكن الحقيقة تبقى دائما فوق الآراء غير الصحيحة ! .

مصر فى الأدب العالمى :

الكتابة عن مصر ..
بعيون ماجنة

بقلم : أسماء البكري

تعتبر الرواية التاريخية نوعا ادبيا قديما ، لكنه شهد ازدهارا مع مطلع القرن التاسع عشر ، وبلغ قمة ازدهاره مع نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين . ولا يزال هذا النوع الادبى يجد قراءه وجمهوره فى انحاء متفرقة من العالم ..

ففى كل مكان وزمان عبر التاريخ ، اهتم الانسان بقصص هؤلاء الذين اتوا من قبله ثم مضوا . وما المسرح اليونانى القديم إلا قصصا ملولة حول اناس عاشوا قرونا قبل ان يحيوا مرة آخرى تحت اقلام العباقرة والمفكرين فى القرن الخامس قبل الميلاد . حيث اراد كل من اسخيلوس وسوفوكليس ويوريبيدس وآخرين ان يعرضوا للقصص صراعات الانسان مع القداره التى تحوطه . فاستنجدوا بوقائع اسطورية ، وحقيقية ، يقصها بنى الانسان على بعضهم البعض على مر الاجيال

وهكذا فعل الرومانيون حيث ساعدوا على انتشار المسرح فى كل مدن الشرق الاوسط وجنوب اوروبا . خاصة الدول الواقعة حول حوض البحر الابيض المتوسط . حيث أن المنطقة بأكملها قد وقعت تحت الاحتلال الرومانى لفترات طويلة .. من جنوب فرنسا وايطاليا واسبانيا وجزر البحر المتوسط ومصر وليبيا وسوريا والاردن .. وهى مزخومة بآثار عبارة عن اطلال مسارح بنيت فى العصور الرومانية يتسع بعضها لخمسة عشر ألف من المتفرجين .

وفى العصور الوسطى ، راح الكتاب يدونون قصصا توارث الى مسامعهم من الاباء والاجداد . وانتشرت هذه الظاهرة ايضا فى الشرق الأوسط . فقد استمد الفنان المصرى عشرات القصص من حياة الظاهر بيبرس سلطان مصر . وراح يروى هذه الحكايات فى مقاهى حلب ودمشق والقاهرة وبغداد حتى فترة



بولين جدج نسيت الامجاد وتذكرت التأوهات

الثلاثينات من القرن العشرين . ثم اختفى هذا التقليد حين انتشرت الاذاعات ثم التليفزيون . وقد قامت دار نشر سندباد الفرنسية أخيرا بجمع هذه القصص ونشرها تحت عنوان "مجموعة بيبرس" وتضم قرابة ثلاثين كتابا لم ينشر منها حتى الآن سوى خمسة كتب . وستصدر الاجزاء الباقية على مدى ربع قرن قادم .

● اديب .. موسوعة

اشرنا الى أن الرواية التاريخية عرفت عصرها الذهبي في القرن الماضي . وبرع في كتابتها ادباء عمالقة مثل الفرنسي جوستاف فلوبير "سلامبو" . والبريطاني والتر سكوت (ايفانهو - ريتشارد قلب الاسد) . وهي روايات تدور احداثها كلها في العصور الوسطى . كما برع في كتابة هذه الروايات الايطالي السندرو مانزوني (١٧٨٥ - ١٨٧٣) في روايته "الفرسان"

ولا يكتمل الحديث عن الرواية التاريخية دون ذكر الكسندر ديماس الآن

مصر فى الأدب العالمى :

الذى يعتبر عملاق هذا النوع من الرواية . والذى تحدث الى الامبراطور نابليون الثالث قائلا انه كتب ما يزيد عن ١٢٠٠ قصة تاريخية بالاضافة الى خمسمائة رواية تاريخية ..

كاتب عظيم ذو ثقافة عالمية موسوعية اهتم فى كتابته بالتاريخ والعلوم والفنون التى كانت تسود عصره . فعند قراءة روايته "الطبيب الغامض" نكتشف كيف كان الطب فى ذلك الوقت (١٧٩٠) وكيف استخدمت العلوم فى الطب مثل الكهرباء فى علاج الامراض العقلية .

● اساطير لعنة الفراعنة

لكن اين مصر فى نصيب الرواية التاريخية ؟

فى عام ١٧٩٨ جاءت الحملة الفرنسية الى مصر بقيادة نابليون بونابرت .. وكانت من النتائج الايجابية لهذه الحملة انها فتحت مجالا لعلم جديد هو علم "المصريات" واخذت مصر القديمة مكانها فى جميع مجالات الفنون . وايضا فى الرواية التاريخية . تم ذلك بحذر شديد فى البداية . وبرع فى تلك الفترة كاتب مثل تيوفيل جوتييه (١٨١١ ـ ١٨٧٢) صاحب رواية "المومياء" التى تدور احداثها فى مصر القديمة .

اما كتاب القرن العشرين فقد اهتم بعضهم بمصر المعاصرة مثل رواية "جريمة على النيل" لاجاثا كريستى الا أن اكتشاف مقبرة توت عنخ آمون عام ١٩٢٣ كان ذا اثر هام فى الابداع الروائى . حيث قدم المبدعون خيالاتهم من اجل كتابة روايات "حول لعنة الفراعنة" لدرجة جعلت الكثير من الخرافات تلتصق بالروايات التاريخية المكتوبة عن مصر ..

وفى اواخر الاربعينات ظهرت رواية فنلندية باللغة الاهمية للكاتب ميكافالتارى حول "سنوحى المصرى" وقد نالت هذه الرواية نجاحا ساحقا . وترجمت الى اكثر من ثلاثين لغة منها اللغة العربية . وباعت ملايين النسخ . وصورت فى فيلم سينمائى رصدت له هوليوود ملايين الدولارات . وتحول الى ظاهرة سينمائية طوال فترة الخمسينات .

● المنظر الماجن

ولدت بولين فى كندا عام ١٩٤٥ . وحصلت روايتها "سيدة النيل" على جائزة ادبية هامة فى كندا تحمل اسم "جائزة البرتا" وقد ترجمت الرواية الى لغات عديدة . كما اشترت شركة فوكس السينمائية حقوق تحويلها الى فيلم سينمائى .. لكنه لم ير النور حتى الآن .

والفترة الزمنية التى تدور فيها احداث رواية "ابناء الشمس" تمتد من أواخر عهد الملك امنحات الثالث ثم عهد امنحات الرابع واخناتون وتبدأ الرواية ذات ليلة عندما تذهب الملكة "تى" لزيارة زوجها امنحات الثالث فى غرفة نومه . ترى الملك يتألم . إلا انها تفاجأ ان صبيا ينام بجانب الملك وهكذا تصدمنا الكاتبة حين توحى بأن هناك علاقة بين الملك والصبى .. وهى مخالطة تاريخية معروفة . فمن اين اتت بهذه المعلومة . لست ادرى ..

ومن الواضح ان الكاتبة بولين جدج تحدث اسقاطا بين اسطورة اوديب وبين حقائق تاريخية معروفة . وبعد مناقشة

دامت ست عشرة صفحة في الرواية "تي" تقوم الملكة من الفراش وترتدى ملابسها وتتصرف كأنها امرأة داعرة .. وفي طريق الخروج تلتقى بـابنتها سيتامون . وتخبرها ان الملك ليس فى حاجة الى خدماتها اليوم ..

من الواضح اذن أن المؤلفة قد نظرت الى التاريخ الفرعونى منظورا حسيا . فرغم أن الملك على رأس الموت . فهو فى منظورها رجل قوى . يمكنه أن يضاجع الصبية والزوجة .. وايضا "الابنة" . وهو كما نلاحظ ، منظور ضيق للغاية ..

وفي الرواية ترسل الملكة ابنها امنمحات الى طيبة تحت رعاية "حور محب" - قائد الجيوش - وتطلب منه ان يمدها يوميا بتقارير عما يفعله الابن فى طيبة . فها هو حور محب قد اصبح جاسوسا للملكة . وعقب وفاة الاب . يعود الابن ويتزوج من نفرتيتى ويحتل العرش .

● اخناتون - التاريخ ..

على الجانب الآخر ، فإن نفرتيتى تعانى الكثير من المتاعب مع زوجها لذا تطلب من جنودها أن يتخلصوا من غريمتها .

والرواية مزخومة بالشخصيات . خاصة النسائية منها . فهناك اخت نفرتيتى المسماه "موت نوجم" التى تعيش فى بيوت الهوى بطيبة .. والملكة "تى" تود أن تزوج هذه الفتاة لحور محب ..

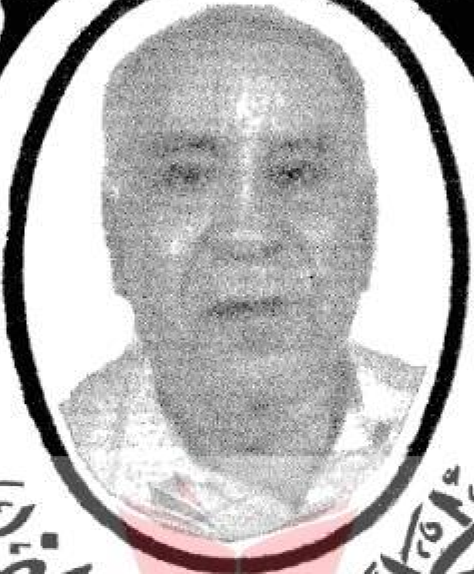
وهكذا فإن الكاتبة بولين جدج تنظر الى قصر الملك كمعان للمعدات والشهوة . وتبلغ الرؤية قمتها فى الاباحية عندما يأمر فرعون امنمحات الرابع امه الملكة "تى" بالاقتران به . وترى فى ابنها زوجها المحبوب .. ثم تعترف أن ابنها هو افضل بكثير من ابيه .

الغريب أن الكاتبة قد الصقت هذه الصفات الحسية بملك عرف عنه السلوك الصوفى وهو "امنمحات الرابع" أو اخناتون .. وتبدو بولين جدج وكأنها تتلذذ بكل هذه الحسية التى صنعتها فى خيالاتها . وهى لا تفعل ذلك لأن هذا حدث فى التاريخ . فبالطبع هو لم يحدث بالشكل أو بآخر .. ولكن لأن القارىء الغربى يجب أن يقرأ مثل هذه الحواديت الماضية .

فى الجزء الأخير من الرواية اهتمت بولين جدج بموت الملك اخناتون . والصراع على السلطة من بعد وفاته . فحور محب يتخلص من سمنقرع - شقيق الملك الراحل - بأن يخنقه اثناء نومه . وفى نفس الوقت تتصل الملكة نفرتيتى سرية . بملك الحيثيين وهم اعداء مصر ، وتطلب أن تقترن بابنه كى يصبح ملكا لمصر .. إلا أن حور محب يتدخل ويتمكن من قتل ابن الملك الحيثى ..

لاشك أن هذه المحاولة الروائية تثير الكثير من النقاش حول منظور الكتاب المحدثين لتاريخ مصر . فكما اشرنا فإن كتابها ليسوا بذوى اهمية فى عالم الادب .. ورغم الجائزة التى حصلت عليها بولين على احدى رواياتها . إلا انه من الواضح أن الكاتبة قد حبست نفسها داخل اطار ضيق للغاية .. هو الجنس ولم تر من هذا التاريخ العريق . خاصة ما يتعلق منه بالديانات سوى الجانب الحسي فقط . وهو كما اشرنا ، من صنع خيالات مريضة .. وغير عالمة .. والغريب ان القراء كثيرا ما يصدقون هذه الحكايات ..

التكوين



بدءا فإنني لا أميل إلى التكلم عن الذات خاصة ولا أختلف كثيرا عن أبناء جيلي الذين لم تتح للكثيرين منهم الفرصة لاستكمال التعليم لسبب أو لآخر فتخلفوا عن الركب وانضموا إلى الأغلبية الساحقة من صغار الموظفين . على أنني منذ أن انخرطت فى سلك التعليم النظامى رافقنى التفوق مما أدى إلى اهتمام المعلمين بأمرى سواء فى المرحلة الأولية أم الابتدائية أم الثانوية . وكان معلمو جيلنا على مستوى مخالف للمستوى الحالى فقد كانوا يتبوءون في المجتمع مكانة مرموقة كما كانوا يؤدون واجبهم التربوى على أحسن وجه فيهتمون بالتلاميذ البارزين بوجه خاص ويشجعونهم على الاطلاع ويناقشونهم فيما يقرءون .

ومما كان يساعد على ذلك قلة عدد التلاميذ ورخص تكاليف الحياة ، ومن ثم فإنهم كانوا يؤدون واجبهم بإخلاص دون حاجة الى اللجوء إلى مايلجا اليه المعلمون فى الوقت الحاضر للحصول على المال مما ادى إلى تدهور العملية التعليمية .

وأولعت منذ نعومة أظفارى بالقصص التى كانت تحكيها لنا جدتى وبتلك التى كانت تتداول بأثمان قليلة ـ والقصص التى قد لاتخلو من الخيال هى المقدمة التى لاغنى عنها للميل إلى التاريخ مع إختلاف طبيعة كل منهما . ولعل ماحفزنى على التوجه نحو التاريخ نشوب الحرب العالمية الثانية التى شملت العالم كله وكانت تطوراتها مثارا للاهتمام اليومى ـ فكنا نطالع الصحف التى كانت بدورها تختلف عن صحافة الخبر التى برزت فى مصر خلال نصف القرن الماضى واهتمت بالاثارة وأسرفت فى الاثارة ونشر الاعلانات ونعى الموتى ـ فالصحافة المصرية لدى تفتح أذهاننا كانت مدرسة تعليمية تثير قضايا عامة ويكتب فيها المرموقون من اقطاب الفكر من أمثال عباس العقاد والمازنى وسلامة موسى وتوفيق الحكيم وغيرهم كثيرون . وهناك رافد آخر لثقافتنا هو المدرسة ـ ففى مدرسة سوهاج الثانوية كانت توجد مكتبة غنية بالكتب التى التهمت الكثير منها وبخاصة المكتوب منها بلغة مبسطة تناسب مدارك التلاميذ : فقرات قصص شكسبير المبسطة قبل أن تترجم كما قرأت غيرها من أمهات الأدب العالمى والانجليزى بوجه خاص . وكان يشجعنى على هذا مدرس اللغة الانجليزية الذى أصبح فيما بعد رئيسا لقسم اللغة الانجليزية بكلية البنات بجامعة عين شمس (الدكتور أمين أبو العينين) الذى شكل جمعية للغة الانجليزية كنت رئيسا لها حتى نقله إلى القاهرة ، وكان يشجعنا على الكتابة الحرة ، وعلى مراسلة شباب الانجليز وعلى شراء المجلات التى تناسب سننا .

وفى الناحية المقابلة كان معلمو اللغة العربية يهتمون بالاعراب ، ويولعون بالتركيب اللغوى الممل ويفرضون علينا ـ أو تفرض علينا « وزارة المعارف العمومية » ـ نصوصا لانلمس فيها الجمال الذى يقال إنها تحتوى عليه ـ فمالنا ومال التشبيهات المستقاة من البادية التى تزخر بها أشعار امرؤ القيس أو قصائد المديح التى كان كبار الشعراء ينشدونها لتملق ذوى النفوذ والحصول على المال وهى قصائد كتبت بلغة صعبة أحيانا ، لاتتمشى مع مداركنا وكذلك الحال بالنسبة إلى الفخر والهجاء .. و « أعذب الشعر اكذبه » !

وكنت لا أميل الى المواد العلمية او الرياضية . وبالتالى كان لابد لى من الالتحاق بالقسم الأدبى فى أواخر المرحلة الثانوية وكان كتابا التاريخ المقرران فى السنتين الرابعة والخامسة وأحدهما من تأليف المؤرخ محمد رفعت شيقين بحيث حددا مسار اختيارى لتخصصى الدقيق فى الجامعة . وكان من الطبيعى أن التحق بكلية الآداب ـ قسم التاريخ ـ وفى خلال المرحلة الجامعية أعجبت بوجه خاص بكاتبين عظيمين أحدهما الدكتور محمد حسين هيكل الذى أسهم كتابه « حياة محمد » فى تشكيل تفكيرى لأنه كتب بطريقة علمية لاتأخذ بالخرافات التى وردت فى كثير من المؤلفات التاريخية



التقليدية . كما أولعت فترة بتفكير وكتابات محمد شفيق غربال الذى لم ادرس عليه سوى فترة قصيرة حين كان مشرفا على دراساتى الخاصة بمواد الامتياز (منذ السنة الثالثة) وحينئذ ظهر كتابه « محمد على الكبير » الذى كتبه بمنهج يختلف عن السرد الذى تميزت به كثير من كتابات مؤرخى العصر . فهو متمكن فى أساليب اللغة العربية ومتبحر فى التراث العربى يعمد الى التحليل والمقارنة والاستنباط ويستشهد بآراء الكتاب اللامعين فى الشرق والغرب - ولاغرو فى ذلك إذ أنه تلميذ أرنولد توينبى . وأسلوبه فى هذا الكتاب يتميز بسلاسة العرض وبالتركيز غير المخل وإن اختلفت معه فى بعض استنتاجاته ، إذ انه عمد إلى المبالغة فى



توفيق الحكيم



شكسبير

تمجيد محمد على الذى هو غني عن ذلك بإنجازاته الضخمة التى حولت مجرى التاريخ مصر الحديث .

● روافد ثقافية

وكانت فترة دراستى بالجامعة من أخصب فترات تكوينى الخاصة وأن مكتبة جامعة القاهرة غنية بالمؤلفات التاريخية . وغير التاريخية التى اطلعت على مئات منها وساعدنى على ذلك تمكنى من اللغة الانجليزية التى كتبت بها أمهات المؤلفات التاريخية العالمية . ولكن إسرافى فى قراءة المؤلفات التاريخية أورثنى نوعا من الملل خاصة وأن التاريخ يختلف عن القصص التى كنت مولعا بها فى فترة دراستى السابقة : فهو يتناول حقائق قد نختلف فى تفسيرها ولكننا لانستطيع ان نتلاعب فى تغيير معالمها . مما جعلنى أوازن هذا الملل بالقراءات الأدبية : فاطلعت على كثير من مؤلفات طه حسين وعباس العقاد والدكتور هيكل ثم اولعت بوجه خاص بكتابات توفيق الحكيم التى التهمتها جميعا . ثم اتصلت به حين كان مديرا لدار الكتب التى كنت اتردد عليها هى الأخرى ، وكنا نقضى ساعات يعرض خلالها أفكاره ردا على تساؤلاتى ، مما جعلنى أكرس مؤلفاتى لعرض إنتاجه واسلوبه ولو اننى لم أكن قد تبحرت حينئذ فى قراءة المؤلفات النقدية . وقد شجعنى على ذلك على أساس ان التاريخ للاحتراف والأدب للهواية ! وحين تقرر سفرى إلى انجلترا لاستكمال تعليمى نصحنى بأن أوسع أفق قراءاتى والا





سلامة موسى　　عبد القادر المازني

اقتصر على التاريخ ، بل لابد أن أطلع على أهم التيارات الفكرية وأن احتك بالحياة الغربية احتكاكه بها أثناء إقامته في باريس .

وعشت في لندن وباريس حياة بوهيمية شبيهة بحياة الحكيم في باريس جريا وراء نصيحته بأن « أعيش » حتى أختزن تجاربي للكتابة في المستقبل في مجال الأدب والقصة . وقرأت كثيرا في الآداب والتاريخ وترددت على دور المسرح والموسيقى وكنت أغشى قاعات البحث التاريخية والمحاضرات العامة بجامعة لندن وترددت أحيانا على « المسرح الشعبي » في باريس وزرت المعالم التي تكلم عنها الحكيم في مؤلفاته : مثل مونمارتر واللوفر وسان جرمان والحي اللاتيني الذي أقمت فيه بالقرب من السوربون خلال إقامتي في « عاصمة النور » .

وحين عدت إلى مصر قررت أن الله لم يجعل لامرىء من قلبين في جوفه . واقتصرت على حقل التاريخ مع القراءة في غيره ولكن اختلاف الحياة هنا عنها في الغرب قد أورثني في بداية الامر نوعا من الشلل الفكرى خاصة وأن القيود المفروضة على الفكر وعلى الحياة لدى عودتي كانت لاتسمح بالانطلاق وأن استاذى الدكتور أحمد عزت عبدالكريم كان يمنعني من الكتابة في التاريخ الحديث من قبيل الخوف من أن يأخذني « زوار الليل » إلى « المجهول » ! فقد عن لي أن انتقد ما كنت أطلع عليه أحيانا من كتابات تعدل الأحداث التاريخية وتزيفها ممالأة للحكام ولما كان أستاذى حريصا على الاطلاع على ما اكتب ولما كان مشفقا عليّ من تعرضي لما تعرض له الكثيرون فإنه كان يقول لي باستمرار : « هذا مقال جيد ... ولكنه لايصلح للنشر الآن . احتفظ به وسيأتي يوم يمكنك فيه أن تنشره » ! وضقت ذرعا بكل هذا وقررت الامتناع عن الكتابة إلا في أضيق نطاق وفي الموضوعات التي لاخطر من ورائها . وأشفقت على نفسي فطلبت منه وهو عميد لكلية الآداب ـ جامعة عين شمس أن يساعدني على السفر من جديد إلى الغرب حتى « أشحن » ذهني وقد لبى طلبي فأمضيت إجازة دراسية طويلة في لندن (١٩٦٤ ـ ١٩٦٥) اشتركت أثناءها في مؤتمر « تاريخ مصر الحديث » الذى دعت إليه كلية الدراسات الشرقية والافريقية بجامعة لندن التي حصلت فيها على درجة الدكتوراة من قبل .

ومن ذلك الوقت لم أتوقف عن القراءة والتأليف والترجمة وتعهد الشباب النابهين ولو أن الصورة تختلف في تفاصيلها عما كان عليه الحال في الماضي بسبب التغييرات الكمية والكيفية التي ألمت بالحياة المصرية في السنوات الأربعين الماضية .

الكلمة الأخيرة

قبل ضياع الفرصة

فى رحلة سريعة قمت بها أخيراً لكل من موسكو وروما ، لايسعك الا أن تلمس التغير الذى يسود العالم بوتيرة سريعة ، يختفى العالم القديم ، ويقوم بدلاً منه عالم جديد بقيمه وافكاره ومصالحه ، ففى هذه الأيام فقط ، انتهت الحرب العالمية الثانية واختفت اثارها ، تتوحد المانيا ، وتشهد دول اوروبا الشرقية تغيرات كبيرة ، ويتلاشى الانقسام بين الشرق والغرب ، ويبحث حلف الاطلنطى عن دور جديد يتواءم مع مايجرى من تغيرات .

ومع هذه التغيرات المتلاحقة التى تسبق اى توقع وتفوق الخيال تبحث دول العالم الثالث المثقلة بالازمات والديون عن مكان لها .

ويبقى امام العالم العربى فرصاً متاحة يمكن استغلالها :

● ففى الوقت الذى تتصاعد فيه صيحات الديمقراطية وحقوق الانسان ، وتفعل فعلها فى العالم ، يتطلع العالم العربى الى الديمقراطية كالية للتصحيح والتطور ، بعد أن اصبحت تمثل تيارا مؤثرا ، واخذت تنتقل من قطر عربى الى اخر ، حتى اصبحت قوة تغيير ايجابية .

وبقى ان تستكمل حلقاتها ، وتتجاوب مع مايجرى فى بقية انحاء العالم .

● كما عادت افكار الوحدة العربية لكى تصبح اكثر الحاحاً ، والتى تتفاوت بين الوحدة السياسية والتعاون الاقتصادى ، ويظهر من جديد نظرة نقديه لتحارب الماضى ، بعد ان ادرك الجميع عجز اى دولة عربية بمفردها على مواجهة العالم المتغير ..

واخيراً .. ظهر فى كل من روما وموسكو الترحيب الواسع بالدور المصرى كقوة توازن واستقرار فى الشرق الاوسط ، والذى يترجم فى العاصمتين الى صور شتى من التعاون الاقتصادى والتنسيق السياسى .

فمازال امام العرب فرص واسعة ، اذا ادركوا طبيعة المرحلة التاريخية ، وماسيكون عليه عالم الغد ، واذا دخلوا الى العالم الجديد بافكار ومبادرات جديدة .

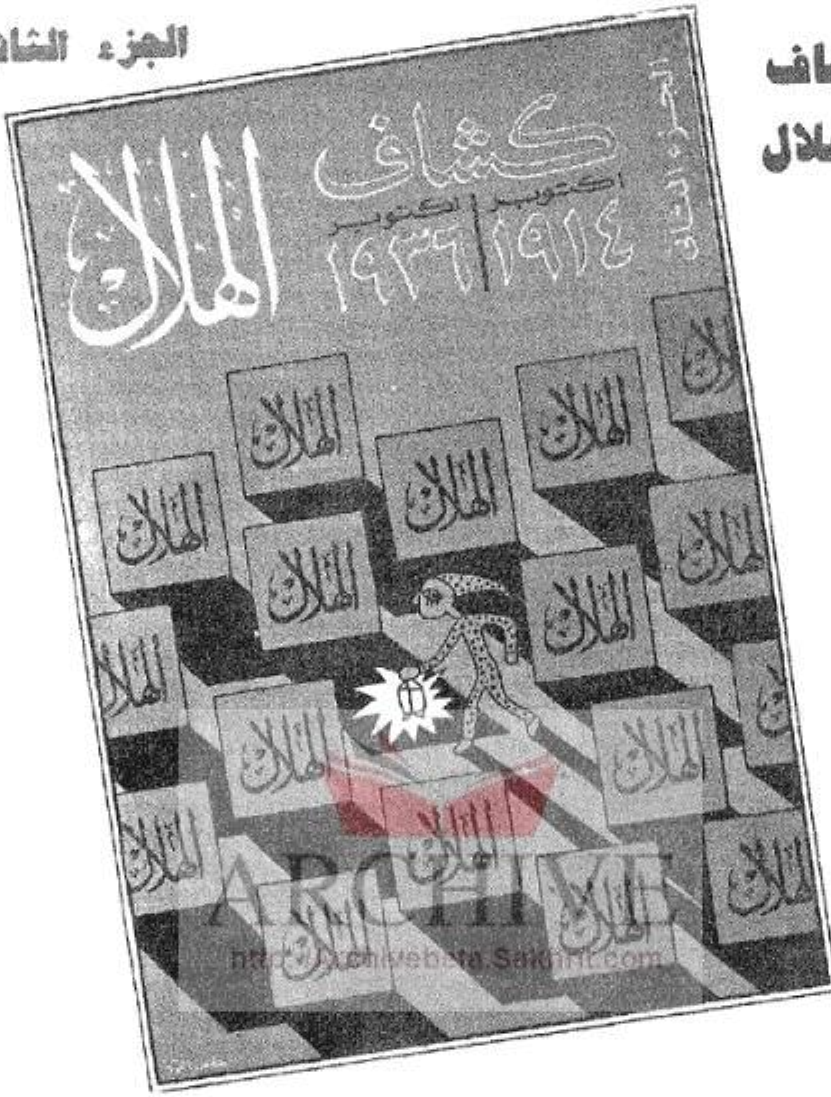
وبشرط أن يكون ذلك اليوم وليس غدا



مصطفى نبيل

الجزء الثانى

كشاف الهلال



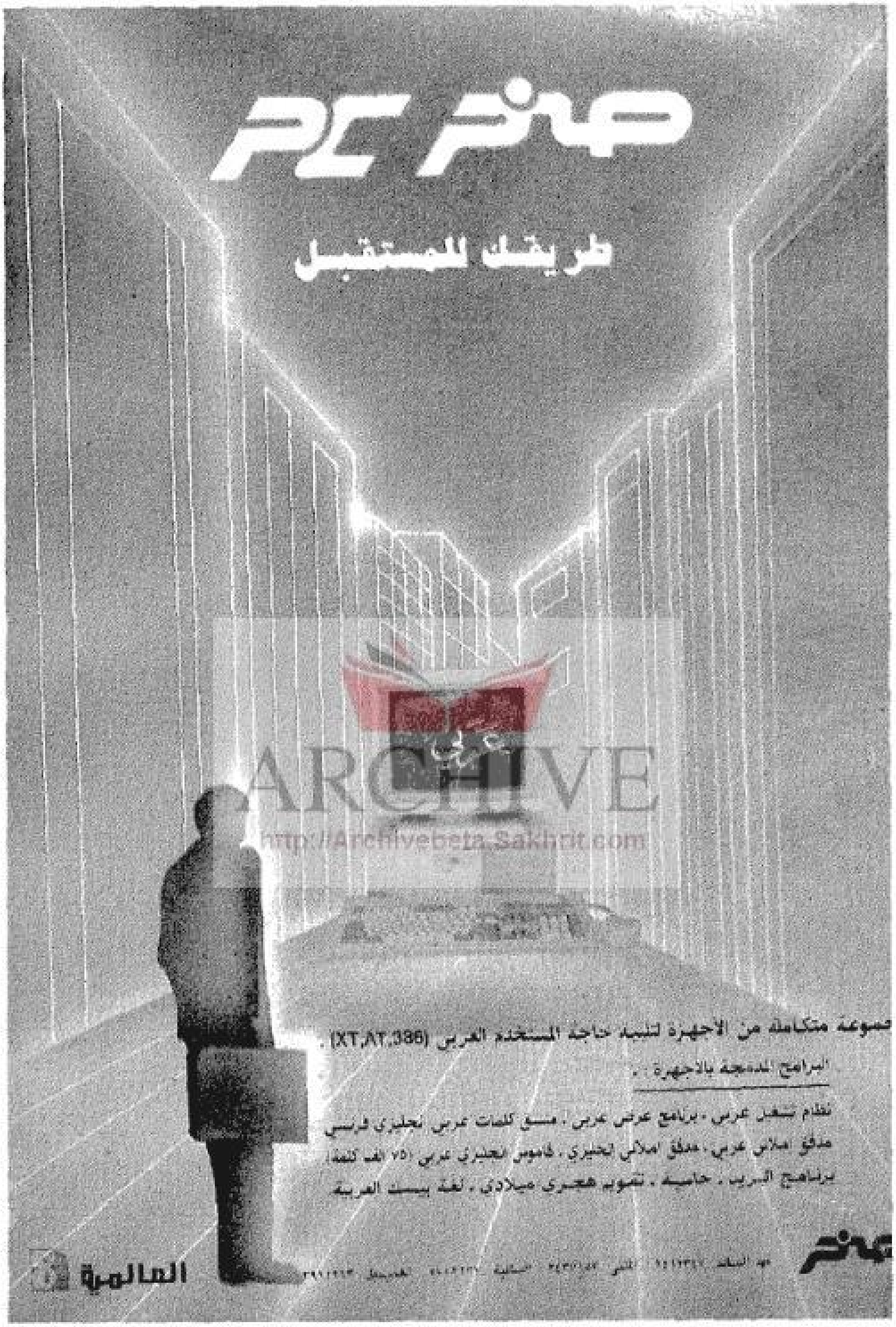
الثمن : ١٠ جنيهات

● إنجاز علمى دقيق ..

● يتناول تبويبا شاملاً للموضوعات والمقالات التى صدرت بالهلال من أكتوبر ١٩١٤ الى ١٩٣٦ باشراف نخبة من الأساتذة المتخصصين فى مجال التصنيف والفهرسة .

إعداد وتحقيق :

د . أحمد حسين الصاوى


صخر PC
طريقك للمستقبل
متكاملة من الأجهزة لتلبية حاجة المستخدم العربي (XT,AT,386).
البرامج المدمجة بالأجهزة :
نظام تشغيل عربي . برامج عرض عربي . منسق كلمات عربي انجليزي فرنسي
مدقق املائي عربي . مدقق املائي انجليزي . قاموس انجليزي عربي (٧٥ الف كلمة)
برنامج الترتيب . حاسبة . تحويل هجري ميلادي . لغة بيسك العربية
صخر
العالمية

الهلال

سبتمبر ١٩٩٠ ● الثمن ٧٥ قرشا

الغزو العراقى

وانهيار ـن العربى



الغرب والمشروع القومى

اكتشاف تمثال كليوباتره فى ايطاليا !

كتاب الهلال
يقدم

نحن والغرب

بقلم:
د. شكري محمد عياد

يصدر
٥ سبتمبر ١٩٩٠

روايات الهلال
تقدم

البيضاء

بقلم:
د. يوسف ادريس

تصدر
١٥ سبتمبر ١٩٩٠

الهلال

مجلة ثقافية شهرية
تصدرها دار الهلال
أسسها جورجي زيدان
عام ١٨٩٢ ميلادية

السنة الثامنة والتسعون • سبتمبر ١٩٩٠ - صفر ١٤١١ هـ

الغزو العراقي للكويت فجر العديد من القضايا التي ظلت عشرات السنين، ونحن نبتعد عن إثارتها، او حتى مجرد الحديث عنها! قضية الحدود بين الدول العربية وما اكثرها، وقضية الأمن في دول الخليج والنظرة الاقتصادية لما ينبغي ان تفعله الدول النفطية الخليجية تجاه شقيقاتها من الدول العربية غير النفطية.

كل ذلك يحتاج منا مستقبلا إلى المعارضة وأسلوب الحسم الذى غاب عنا، بل قل أسلوب الموضوعية في إنهاء الخلافات، مثلنا مثل بقية شعوب العالم، وحتى لاتقف هذا الموقف أمام العالم، ففى الوقت الذى تنادى فيه بالوحدة والوقوف صفا واحدا في مواجهة الخطر، تغزو دولة عربية جارتها، تضمها إليها!

ورأت «الهلال» أن تقدم «ملفا» يناقش هذه القضايا، ويفتح الباب لمفكرينا ومثقفينا لرسم صورة المستقبل العربي، خاصة واننا نعيش في منطقة تحيط بها الأخطار، ليس لوجود منابع البترول بها، ولكن لاستراتيجيتها وحيويتها، التى جعلتها مطمعا على مر العصور!

فى هذا العدد

فكر وثقافة

دائرة الحوار



الغلاف تصميم الفنان محمد أبو طالب

قيمة الاشتراك السنوى (١٢ عددا) فى جمهورية مصر العربية تسعة جنيهات وفى بلاد اتحاد البريد العربى والافريقى والباكستان عشرة دولارات أو مايعادلها بالبريد الجوى . وفى سائر انحاء العالم عشرون دولارا بالبريد الجوى .

والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى ج . م . ع . نقدا أو بحوالة بريدية غير حكومية . وفى الخارج بشيك مصرفى لأمر مؤسسة دار الهلال . وتضاف رسوم البريد المسجل على الأسعار الموضحة بعاليه عند الطلب .

رسائل صحفية ●

الأبواب الثابتة

فنون

قصة وشعر

دار الهلال

١٠ شارع محمد عز العرب الرقم البريدى (١١٥١١) القاهرة تليفون ٣٦٢٥٤٥٠ سبعة خطوط - مجلة الهلال ٣٦٢٥٤١٠
رقم التلكس 92703 HILAL U.N

فاكس : ٣٦٢٥٤٦٩

ثمن النسخة
لبنان ٧٠٠ ليرة - الاردن ٦٠٠ فلس - الكويت ٥٠٠ فلس - العراق ١٠٠٠ فلس - السعودية ٧ ريالات - عدن ١٢٥ سنتا - البحرين ٨٠٠ فلس - قطر ٧ ريالات - الامارات العربية المتحدة ٧ دراهم - سلطنة عمان ٧٠٠ بيسه - تونس ١٤٠٠ مليم - المغرب ١٥ درهما - غزة ٧٥ سنتا - انجلترا ١٢٥ بنسا - ايطاليا ٢٧٠٠ ليرة - الولايات المتحدة الامريكية ٤٠٠ سنت - الجمهورية العربية اليمنية ١٠ ريالات - كندا ٥ دولارات .

عزيزي القارئ

مَصابيحُ الثقافة العربيّة

من مزايا الحقبة البترولية ـ كما يسمونها ـ انها ساعدت باموالها على إنشاء مراكز كثيرة للثقافة في العالم العربي ، تمثلت في الجامعات والصحف ودور الطباعة ومراكز البحوث وغيرها ..

فلم تكن الحقبة البترولية ـ في الحقيقة ـ مجرد فيض زاخر من الأموال نقل بلدان الخليج العربي من ضيق ذات اليد إلى السعة المفرطة التي صارت مضرب الأمثال في العالم المعاصر كله ! ..

إن الحقبة البترولية عرفت بطبيعة الحال الوانا من الإنفاق الواسع البلاغ ، ولكن الأموال التي تدفقت منها على مراكز الثقافة الجديدة ، احدثت في العالم العرب واقعا ثقافيا جديدا مفيدا للشعوب العربية ، فقد جعلت للثقافة مراكز متعددة في العالم العربي من المحيط إلى الخليج ، بعد ان كان لها مركز واحد في القاهرة منذ بداية عصر النهضة الحديثة على يد محمد على باشا الكبير الى اوائل الخمسينات من القرن العشرين ..

وفي الصحافة الأدبية والثقافية توالدت اخوات كثيرات للمجلات الأدبية والثقافية المصرية العريقة ، وكنا نحن في "الهلال" نغتبط كلما رأينا مجلة عربية جديدة تنسج على منوالنا ، وتحاول أن تحمل مشعلا جديدا بنفس الطريقة التي يحمل بها "الهلال" مشعله العريق ..

وكانت "القاهرة" دائما تؤثر إخوتها العرب على نفسها ولو كان بها

خصاصة ، فكانت تنقل خبرتها كاملة فى جميع فروع الثقافة إلى كل ركن فى الوطن العربى الكبير ، وبخاصة البلدان البترولية التى حباها الله ثروة هائلة لم تتبدد سدى لحسن الحظ ، ولم يستأثر بها الحكام كلها ، بل أكلوا منها بالمعروف ، على حسب التعبير القرآنى ، وبسطوا أيديهم فى المجالات الثقافية إلى الحد الذى صارت معه مراكز الثقافة ـ كما أسلفنا ـ متعددة متنافسة ومتعاونة أيضا فى تقديم الخدمات الثقافية المتنوعة للإنسان العربى فى كل مكان ..

عزيزى القارىء .

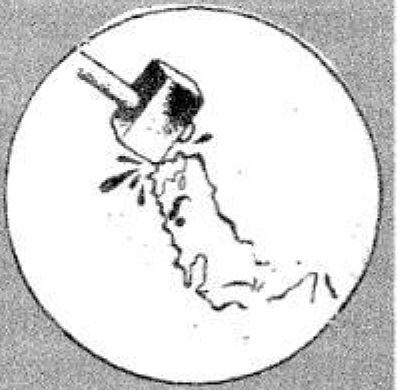
إن تعدد مراكز الإشعاع الثقافى فى الوطن العربى ، هو الصيغة المناسبة واللازمة للإنسان العربى فى المرحلة الراهنة ، وفى العقد الأخير من القرن العشرين .. وقد انقضى فى العالم كله عصر تفوق مركز الاشعاع الأوحد ، وانفراد هذا المركز الأوحد بارسال أشعته الى كل مكان بلا شريك ولا منافس ..

وكم يحز فى النفس أن تختفى مجلات وصحف ومراكز للإشعاع فى هذا البلد العربى أو ذاك ، وليس أقسى على النفس من أن نلتفت إلى مراكز الاشعاع الجديدة فإذا بها قد اختلت بين عشية وضحاها ، وتكسرت مصابيحها التى كانت تتوهج بالنور ..

عزيزى القارىء .

ارفع يديك معنا بالدعاء إلى الله أن يلهمنا الرشاد والسداد ، ويبدد عنا ظلمة الاختلاف والشقاق ، ويعيد الشعوب العربية الى طريقها الصحيح ، طريق الأخوة والمحبة والوحدة الصحيحة والتقدم الى الأمام ، بلا خطوتين أو خطوة إلى الوراء ! ...

"المحــرر"



نحن والغرب والمشروع القومى

بقلم:
د. شكري محمد عياد

فوجئنا فى هذا الشهر ، بأحداث لم تكن فى حسبان احد ، وبين كتابة هذه الكلمات وقراءتها ستمضى الاحداث فى اندفاعها المخيف . لعل احدا فى العالم عدا صناع الحدث انفسهم ، لم يكن يتوقع ان يجرى ما جرى ، اما الآن فحتى صناع الحدث لا يستطيعون التنبؤ بما سيجرى . وفى مثل هذه الاوقات العصيبة لايكون التنبؤ سوى مشغلة سخيفة ، او تنفيس عن اعصاب مضطربة ، ويصبح الموقف الوحيد الذى يليق بالانسان هو التامل فيما جرى ، وربطه بجذوره العميقة ، والخروج بدليل عمل لما يجب عليه القيام به ، هنا والآن ، هذا اذا لم يرد ان يقع صريعا تحت عجلة الاحداث ، وعندما اتكلم فى هذا الموقف عن الانسان فانا اعنى كل انسان عربى بمفرده واعنى العرب مجتمعين ، فهذه لحظة من اللحظات التاريخية النادرة التى توقد شعلة فى الضمائر الحية تقول : انه لا حياة للفرد بدون الجماعة ولا حياة للجماعة بدون الفرد .



الانتفاضة .. الشعوب ابدا لاتموت رغم الرصاص

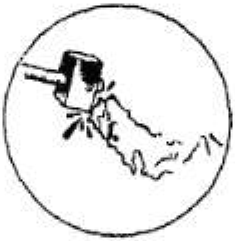
● هذه الشعلة اراها الآن – تحت مظاهر الخلاف – تتوهج في النفوس العربية من المحيط الى الخليج ، لا فريق بين فقير وغني ، أو حاكم ومحكوم فليس ما يجرى الآن في العالم العربي انتكاسة أو انهيارا انه على العكس تطور حاسم وسريع وعظيم ، فقط نحتاج الى ان نفهم معناه .

المظاهرات التي خرجت تؤيد هذا الفريق او ذاك ، انما تطالبه في الحقيقة بشيء واحد ، وتقرر حقيقة واحدة .

أما الحقيقة فهي ان العرب امة واحدة ، أوما المطلب فهو ان يكون لهذه الامة كيانها المستقل عن كيان الغرب ، وسياستها المستقلة عن سياسة الغرب ، وارادتها المستقلة عن ارادة الغرب .

هذه الشعوب التي زعموها ماتت ، تنتفض اليوم اشد ما تكون حياة والاتصالات المستمرة بين الحكام ، اتفقوا ام اختلفوا ، تعني شعور الجميع بضرورة الوحدة .

اما الصدع فهو ان طريق الوحدة لم ينضج بعد عند الجميع ، فهو عند احد الفريقين مبني على وهم ، وعند الفريق الآخر محجوب وراء صخور الماضي ، مغلف بضباب الخوف على مصالح



شخصية هى بطبيعتها غير مضمونة .

● البطل المنقذ .. والحكم

فأما الوهم ـ وهذا أوان المصارحة ولو كانت مرة ـ فهو ان السواد الأعظم من الشعوب العربية مازالت تحلم بالبطل المنقذ ، القائد الملهم الذى يعيد اليها حقوقها المغصوبة ، ويشهر سيفه العربى فى وجه الغرب المعتدى ، ومازالت اسطورة صلاح الدين ، التى تغنى بها الف شاعر وناثر ، تلهب خيال الجماهير ، وتلقى على ابصارهم غشاوة ان يبصروا عالم اليوم ، ولعلهم ايضا لا يفهمون معنى بطولة صلاح الدين فى عصر صلاح الدين . وهم معذورون لأن الحكام المحافظين لايقدمون اليهم طريقا آخر للحرية والوحدة ولأن المثقفين الذين يعدون انفسهم ثوريين أغرقوهم فى سيل من الكلام ، وشغلوهم بخلافات غامضة وقضايا بعيدة عن واقعهم ، فأصبحت اشد الشعارات بساطة هى اقدرها على التأثير فيهم ، لأنها تخاطب فيهم العاطفة ولا تخاطب الفكر .

وأما الطريق الآخر ، الطريق الرسمى ، فيريد وحدة لا تمس الكيانات القائمة ، ولا تتناول نظام الحكم ، ولا تطرح اهدافا قومية ، ولا خططا مشتركة فهى وحدة اسمية ، تمثلت فى واجهات ليس وراءها عمل ابتداء من الجامعة العربية الى الاتحادات الاقليمية المعروفة ولعلنا لانبالغ اذا قلنا ان من مزايا الازمة الحالية انها احرقت هذا الزيف كله ، فاما وحدة واما لا وحدة ولتدخر كل حكومة من الحكومات العربية المشتركة فى هذه اللعبة ، رجالها وأموالها لما هو انفع .

ولكن هل ثمة ما هو انفع من وحدة عربية شاملة تضمن لكل شعب عربى ولكل فرد عربى امنه وسلامته ، لقد اثبتت الاحداث حتى من قبل الازمة العراقية الكويتية الأخيرة ان الأمن والرفاهية لايتحققان بالمقدرة المالية وحدها . فدول الخليج العربى الصغيرة الغنية تبدو وفريسة سهلة بقدر ما هى غنية لكل طامع والطامع الاكبر هو الغرب بدون شك ومن ثم فقد يبدو حكام هذه الدول امام الشعوب العربية حتى شعوبهم هم انفسهم مفرطين بل خائنين اذا هم ظلوا مترددين فى تنفيذ هذه الوحدة التى هى السبيل الذى لاسبيل غيره للتخلص من سيطرة الغرب ، وهى اذن وحدة طوعية يمكنهم ان يقدموا عليها مطمئنين مرضيين من ربهم ومن شعوبهم وشعوب الأمة العربية كافة ، بل هى الضمان الصحيح لبقائهم وبقاء عروشهم وامتيازاتهم ، وقد عرفوا ، من تجارب سابقة قريبة من ابوابهم ، ان الغرب صديق لا يؤتمن !

وبما ان الوحدة هى اساسا مطلب شعبى فيجب ان توضع دولة الوحدة فى يد شعوب الأمة العربية بعبارة أخرى يجب ان يكون لهذه الدولة الموحدة نظام سياسى واحد ، وهو النظام الديمقراطى والنظام الديمقراطى مطلب لا يقل اهمية لدى القيادات الشعبية الرشيدة - فى

مختلف اقطار العالم العربي عن مطلب الوحدة ، بل لعله اهم ، ولعله قد وضح الان لهذه القيادات ان الوحدة سند ضروري للديموقراطية كما ان الديمقراطية شرط لازم للوحدة .

● الكويت والديمقراطية

ولعل الاحداث الاخيرة المتلاحقة لم تمح من ذاكرتنا ان الكويت شهدت قبلها بقليل ، معركة طويلة في سبيل الديمقراطية ولعلنا نذكر ايضا ان المعارضة الديمقراطية وقفت موقفا نبيلا حين غزيت الكويت ، ورفضت ان تتعاون مع الغازي وان كان جارا وشقيقا عربيا لطريق الديمقراطية غير طريق العنف ، وقد تعلم الديمقراطيون من تجارب الماضي الغربية ان الانقلاب الشامل المفاجيء الذي يمكن ان تقوم به فئة قليلة او يعتمد على شخصية زعيم أوحد ، لايلبث ان يتطرق اليه الفساد والانحلال ، وان التطور النشيط السريع الامين في ظل الشرعية الديمقراطية أسلم عاقبة وابقى اثرا ولعل الحكام التقليديين ـ من جهتهم ـ قد ثبت لديهم أن الخطر لا يأتيهم من قبل الطلائع الديمقراطية الواعية في بلادهم التي يعدونها بـ «الشورى» منذ سنين كثيرة ويؤجلون تنفيذ هذا الوعد لاسباب مختلفة ، بل من قبل اجنبي طامع ، أو انقلابي طامح ، او من قبل «جهيمان» وامثال جهيمان .

وقد تعمدت أن اتكلم عن الديمقراطية واضعا «الشورى» بين اقواس فالشورى مبدأ اسلامي ، والديمقراطية نظام سياسي . والفرق بين المبدأ والنظام لايخفى على احد . فالمبدأ ثابت باق ولهذا فهو صالح لان يفسر تفسيرات كثيرة ويترجم بنظم مختلفة . والديموقراطية هي اصح هذه التفاسير واقوم هذه النظم حتى الآن ، وأن لم تكن خالية من العيوب ، ولكن هذه العيوب لا تدعو الى نبذها ، واللجوء الى كلام عام مبهم عن الشورى .

اقول هذا وامامي واقع العالم العربي يقول بافصح بيان ان الوحدة المطلوبة لايكفي ان تكون ديمقراطية فحسب ، بل يجب ان تكون اسلامية ايضا . ولعل هذا الوصف الاخير يثير اكبر قدر من الشك فقد اقترن ـ بفضل نشاط فئات متطرفة هنا وهناك ـ بفكرة الارهاب ، والخوف من تسلط فئة جاهلة متعصبة على كل صغيرة وكبيرة في حياة ملايين البشر العاديين في مختلف الاقطار العربية ومعظم سكانها مسلمون وفيها ايضا طوائف دينية لايستهان بعددها ولا بقدراتها .

● الفكرة الاسلامية

ولكن هذه الاقلية الجاهلة المتعصبة لاتمثل الفكرة الاسلامية في جوهرها فمعظم المسلمين في الاقطار العربية وغير العربية يجدون في الاسلام طبا لارواحهم وقيما على سلوكهم وقد كان اسلافنا يقولون ، ان الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقران . ولكن اى انسان ذلك الذي لايفعل شيئا ولا يدع فعل شيء ، الا طمعا في مكافأة أو خوفا من عقوبة ؟ ان اى نظام ـ ولو كان النظام الديمقراطي ـ لايستغنى عن ركيزة روحية يقوم عليها كيان الفرد ، وتمتد منها وشائج التعاون والمحبة بين الافراد .



وبهذا الفهم الغريزى للاسلام تتوجه نحوه قلوب الملايين من الشعوب العربية املا فى حياة افضل وما اظن الا ان اكثرهم يفهمون «الحكومة الاسلامية» بهذا المعنى . وانما الخوف من وقوع بعضهم تحت سيطرة الجهلاء الذين يدعون العلم بالدين وتتملكهم شهوة السيطرة والتحكم فى عباد الله ، ان لم تكن فيهم نزعات اجرامية تتخذ شكل الدين كما يمكن ان تتخذ اى شكل اخر . فالاخذ على ايدى هذه الفئة الباغية ـ ان لم يمكن علاجها بالرفق ـ ينبغى الا يكون سببا فى حرمان اكثرية المؤمنين من صفة يرونها جوهر وجودهم الاجتماعى وهى كونهم مواطنين فى دولة اسلامية .

ولمن يسمون انفسهم بالعلمانيين اقول : لا بأس عليكم فأنتم ايضا اسلاميون ، وحجتكم البالغة هى قول نبى الاسلام صلى الله عليه وسلم : «انتم اعلم بامور دنياكم» .

ولمن يخافون من تطبيق الحدود اقول : لا بأس عليكم ايضا ، فالحدود فى الاسلام اختيارية ، وقد كان من اهل الصدر الاول من لم يتشدد فى تطبيق الحدود ، والذين يحتجون لعكس ذلك بقوله تعالى : «ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الظالمون» عليهم ان يقرءوا الآية من اولها ، حيث ورد ، بعد ذكر القصاص : «فمن تصدق ـ فهو كفارة له ، ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الظالمون (المائدة / ٤٥) .

وليس هذا مقام نقاش فى هذه القضايا الكبيرة الشائكة ولكننا نرجو فقط ان يسلم بمبدأ النقاش ، والا يسرع صاحب راى الى السلاح يفرض به رأية وان يتذكر المبدأ القويم الرحيم ! «ادرءوا الحدود بالشبهات» .

★ ★ ★

ولابد أن يقوم سؤال : هل يسكت علينا الغرب حتى نقيم هذه الوحدة ؟

وهو سؤال وجيه . فسجل الغرب ، ولاسيما الولايات المتحدة ، فى تشجيع دولة اسرائيل على سياستها العدوانية المستمرة او السكوت على هذه السياسة أو فى احسن الاحوال تأنيبها برفق ، تأنيبا لا يرد عدوانها ، وانما يقصد به تطييب خاطر الاصدقاء العرب ، سجل اسود .

ولكن الانتفاضة الفلسطينية ابرزت حقيقة جديدة ، كما ان الاجتياح العراقى للكويت ابرز حقيقة جديدة اخرى .

فأما الانتفاضة فقد هزت ضمائر الشعوب فى الغرب . وللشعوب فى دول الغرب الديمقراطية تأثير قوى فى توجيه حكوماتها ، ومن هنا كانت قرارات تلك الحكومات بتشجيع المعاملات التجارية مع الضفة والقطاع بمعزل عن الهيمنة الاسرائيلية ، وقراراتها برصد مبالغ قيمة

للمعونات الانسانية للفلسطينيين وهكذا بدا وجه اسرائيل القبيح يظهر للعالم . وكانت هذه هي البداية الصحيحة لحصول الشعب الفلسطيني على حقوقه كاملة . وما حديث نلسون مانديلا والمؤتمر الافريقي عنك ببعيد .

وأما الاجتياح العراقي فقد اظهر لأول مرة ان الحكومة العالمية بدأت بالفعل ، فقد اتخذت ثلاثة قرارات بالادانة ومعاقبة المعتدى لم يعارضها احد ، ومع ان الولايات المتحدة الأمريكية بدأت متحمسة اكثر مما ينبغي لوضع هذه القرارات موضع التنفيذ فان حرصها على تأمين موافقة دولية على الخطوات التي اتخذتها دليل على انها ، مهما بلغ من قوتها وسلطانها ليست الأمر الناهي في مصائر شعوب العالم . وهذه عبرة يستخلصها الأحرار في كل مكان ، ويستشفون منها صورة المستقبل .

ويظهر ايضا ان التناقض بين الدولتين العظميين قد زال او هو في طريق الزوال ومن ثم لم يعد ممكنا ان تلعب الدول الصغرى على هذا التناقض ، واصبح من الضروري ان يطرح العرب مشروعهم القومي بطريقة مختلفة .

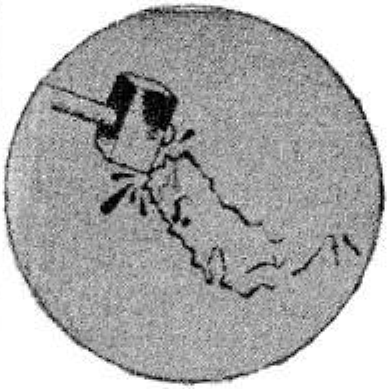
فالعرب الذين يجلسون على مفترق طرق العالم القديم وفوق اضخم مخازن الطاقة في العالم كله ، لا يمكنهم ان يخوضوا صراعا مسلحا ضد الغرب وسيضطرون اذا اختاروا طريق الصراع - أن يلجئوا الى الأرهاب واحتجاز الرهائن .. وسيكون لدى الغرب ما يرد به على هذه الوسائل ولو عن طريق دولة اسرائيل ، وسينظر الى العرب على انهم اشرار العالم ، وبدلا من عزل الصهيونية تمهيدا لتصفيتها سيكون كل ما تقوم به اسرائيل لدحر العرب واذلالهم مقبولا ومباركا من معظم دول العالم وشعوبه ايضا .

ليس هذا هو الدور الذي يليق بتاريخ العرب الحضاري ولكن دولة واحدة للعرب جميعا تقوم على العدالة والديمقراطية واحترام حقوق الانسان ، وتنادي بالسلام والاخاء بين جميع شعوب العالم (بما فيها شعب اسرائيل) لن توضع في طريقها عقبات يصعب اجتيازها وسيكون في استطاعتها بقليل من الصبر ، ان تهزم الصهيونية الباغية في معركة السلام ، وان تعيد الى شعب فلسطين حقوقه الطبيعية كاملة .

قد يبدو هذا اشبه بالحلم ولكنه حلم قريب المنال جدا «انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا» .

حقا ان صورة العالم الجديد لن تكتمل الا بعد سنين وربما بعد اجيال ولكن مكاننا يجب ان يتحدد في خلال اسابيع او ايام واذا وضحت الرؤية فقد يمكن وضع دستور دولة الوحدة في اربع وعشرين ساعة ، والاستفتاء عليه في اسبوع !

فلنكف عن التباكي على ما فات ، ولننظر الى ما يمكننا ان نفعله هنا والآن ، ولا تكن الحوادث اسرع من استجاباتنا ، فتقذف كلنا ، بقضنا وقضيضنا في مزبلة التاريخ !



نظام عربى .. أم لا نظام ؟!

بقلم :
د . فؤاد زكريا

يتحدث الجميع عن النظام العربى فى هذه الأيام . وهم يؤكدون ان هذا النظام قد لحقته أضرار بالغة من جراء الغزو العراقى للكويت ، الذى هدم كثيرا من ثوابته المستقرة .

وهم يرون ان إطار العلاقات العربية ، كما يحدده ميثاق الجامعة العربية ـ التى هى المظلة الكبرى والشاملة للعرب ـ وكما تحدده مواثيق المجالس العربية الثلاثة المنبثقة عن الرابطة الكبرى : أعنى مجلس التعاون العربى ، ومجلس التعاون الخليجى ، ومجلس التعاون المغاربى (الخاص بالمغرب العربى) هذا الاطار قد أصابه شرخ كبير يصعب إصلاحه ، من جراء عدوان بلد عربى كالعراق على بلد عربى آخر هو الكويت ، الذى هو جاره ، وسنده فى الحرب الايرانية ، وأقرب الشعوب العربية إليه .

إن المسألة تُعرض وكأن هناك بالفعل نظاما عربيا ، وهذا النظام قد تصدع ، كليا أو جزئيا ، بعد الغزو العراقى للكويت ، والجميع يسلمون بوجود هذا الشيء المسمى بالنظام العربى ، مع اعترافهم بأنه قد أصيب فى الآونة الأخيرة بمرض خطير .

فهل هذه القضية التى يسلم بها الجميع صحيحة ، وهل هناك بالفعل شيء اسمه النظام العربى ؟

إن من واجبنا ، لكى نجيب عن هذا السؤال ، أن نسأل أنفسنا : هل يتحدد وجود النظام أو عدم وجوده بتلك الهياكل القانونية التى تشكلت خلال العقود الماضية ، منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية ، مثل بنود ميثاق جامعة الدول العربية ، وبنود المواثيق الأخرى ، أم أن مايحدد وجود نظام معين هو التزام أعضائه بجوهر المبادىء المنصوص عليها فى المواثيق ، بحيث يتكون بالتدريج تراث متراكم من الممارسات التى تدعم هذا النظام وترسخه وتجعله حقيقة متجسدة ؟ إن السؤال هنا أشبه مايكون بالسؤال الموازى له ، على صعيد البناء الداخلى للمجتمع هل مايجعل بلدا ما مجتمعا ديمقراطيا هو المواد والبنود الديمقراطية التى يشتمل عليها دستوره ، أم ذلك التراث من الممارسات التى تخلق تقاليد ديمقراطية راسخة ، وتجعل من هذه المواد الدستورية حقيقة حية معاشة ؟ إن انجلترا تعد تقليديا أقدم بلد ديمقراطى فى العالم ، ومع ذلك لايوجد فيها دستور مكتوب ، وكأن أساس ديمقراطيتها هو الممارسات المستمرة والمتسقة ، التى تتحول مع الزمن إلى تراث يستحيل الخروج عنه .

فإذا اختبرنا مايطلق عليه اسم « النظام العربى » بهذا المقياس ، فما النتائج التى سنتوصل إليها ؟

إن أى نظام بين مجموعة من الدول ، يراد له أن يستمر ، وأن تكون له أرضية صلبة يرتكز عليها ، لابد أن يبنى على أسس لاشخصية : أعنى أن يرتكز على حقائق موضوعية متعلقة بطبيعة المنطقة والعلاقات بين شعوبها وحقائق الجغرافيا والتاريخ . ولابد أن تؤسس ممارساته كلها على هذه الحقائق الموضوعية حتى تتوطد دعائمها ، أو تكون تحولاتها وتقلباتها مفهومة ومقنعة إذا طرأت عليها تغييرات . هذا هو الحد الأدنى الذى ينبغى توافره فى أى نظام تقيمه مجموعة من الدول المتحضرة غير أن مايطرأ على النظام العربى من تحولات ، ومايتحكم فى استمرار عناصر معينة منه أو تغييرها ، هو فى أغلب الأحيان عوامل شخصية خالصة . ولسنا فى حاجة إلى الاشارة إلى تلك الحالات المتكررة التى تشتعل فيها المنازعات بين دولة عربية وأخرى ، دون أن يعرف الناس سببا حقيقيا للنزاع سوى الخلاف بين شخصى الحاكمين فى هذا البلد وذاك . وتتجلى المهزلة على حقيقتها



حينما تتطور الأمور ويقتنع الحاكمان بضرورة التلاقى فتذوب كل الخلافات بين أحضانهما وفى حرارة قبلاتهما . ويظل الشعبان حائرين : لماذا كان الخلاف فى البداية ، ولماذا انتهى الآن ؟

● الحاكم والنظام العربى

إن وجود حاكم معين بذاته وشخصه ، على رأس بلد عربى معين ، هو الذى يحدد موقف بلده من النظام العربى ككل ، وعلاقاته بالبلاد العربية الأخرى ، وليس على الاطلاق وجود حقائق موضوعية لا علاقة لها بالأشخاص . ولكى تتضح لنا أهمية هذه النقطة ، دعونا نقارن دور أشخاص الحكام فى تحديد العلاقات بين بلدان السوق الأوروبية المشتركة . صحيح أن وجود المحافظين فى الحكم فى بريطانيا ، مثلا ، يحدد عناصر معينة فى هذه العلاقات ، وقد يختلف موقف بريطانيا من هذه العناصر لو جاء العمال إلى الحكم . ولكن حتى هذا الأختلاف لا يرجع إلى « شخص » مارجريت تاتشر أو « شخص » نيل كينوك ، وإنما يرجع إلى « سياسة » المحافظين أو العمال ومبادئهم المعروفة . وفيما عدا هذا النوع من الاختلافات فإن العلاقات بين الدول التى تكون هذا الشكل من أشكال « النظام الأوروبى الغربى » تظل علاقات موضوعية خالصة ، لايؤثر فيها على الاطلاق شخص الحاكم فى أى بلد بعينه .

ولكى تكون ممارسات النظام العربى مفهومة ومتسقة ، فلابد من أن تُبنى على أسس عقلانية ، لا على خطوات ارتجالية يستحيل أن تجد طريقها إلى فهم أى إنسان يعرف كيف يستخدم عقله . والأمثلة على ذلك لاحصر لها ولا عدد ، ولكن يكفينا أن نشير إلى ظهور مايسمى بمجلس التعاون العربى منذ حوالى عاملين : فإذا قلت إن هذا تجمع من الدول العربية الفقيرة لمواجهة المجموعة الغنية فى مجلس التعاون الخليجى ، كان ذلك غير صحيح لأن العراق دولة بترولية غنية (وإن كانت قد بددت مواردها وأصبحت فى عداد الفقراء بسبب المغامرات الطائشة التى يقحمها فيها حاكمها) . وإن قلت إن المجلس قد تكون على أساس التقارب الجغرافى ، صدمتك حقيقة التباعد الهائل لليمن عن بقية بلدان المجموعة . وإن قلت إنه يجمع بلادا جمهورية فى مواجهة الملكيات والامارات الوراثية فى الخليج ، واجهتك حقيقة وجود النظام الملكى فى الأردن ـ فضلا عن أن

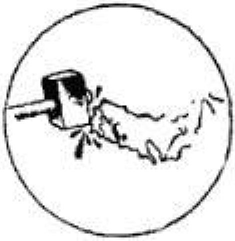
معظم جمهوريات الدول العربية تكاد تكون وراثية ! وربما كانت هناك أسس أخرى : كالقول مثلا إن هذه المجموعة من الدول هي « ماليس كذلك » أعنى أنها هي المجموعة الباقية بعد تجمعين إقليميين لهما أساس موضوعي : هما مجلس التعاون الخليجي من جهة ومجلس التعاون المغاربي (في مجموعة دول شمال أفريقيا) من جهة أخرى . ولكن حتى هذا الأساس ، الذي هو بطبيعته سلبي لايصلح لاقامة نظام عربي فرعي عليه ، لايفيد في تفسير هذا التجمع ، لأنه لو كان الأمر كذلك لوجب أن تنضم سوريا إليه . وعلى أية حال فإن هذه الحالة الأخيرة تستحق أن تكون نموذجا آخر التقلبات غير الموضوعية في النظام العربي : فبعد وحدة وثيقة بين مصر وسوريا في الخمسينات ، يأتي انفصال وتباعد حاد في الستينات ، ثم تقارب وتضامن عسكري ناجح في السبعينات ، ثم قطيعة تامة في أواخرها ، دامت طوال الثمانينات ، ثم يعود التقارب في أوائل التسعينات ، وتصبح سوريا ، بعد أحداث العراق الأخيرة ، أقرب إلينا بكثير من بقية دول مجلس التعاون العربي ، الذي هو الحلقة الوسطى في النظام العربي الموقر !

● إنعدام الديمقراطية !

ولو شئنا أن نحدد أهم العناصر التي تجعل من الصعب الحديث عن « نظام » عربي بالمعنى الصحيح للكلمة ، لقلنا إنه انعدام الديمقراطية في مختلف أرجاء العالم العربي . فالديمقراطية تمنح النظام ثباتا ، واستقرارا ، وأساسا عقلانيا متينا ، وتحميه من أهواء الحكام وتقلباتهم وانفعالاتهم الشخصية . وربما كان الأهم من ذلك كله أن الديمقراطية تحقق للشعوب مشاركة حقيقية في تشكيل معالم ذلك النظام والمحافظة عليه . أما الأوضاع الراهنة للنظام العربي ، سواء في هيكله العام المتمثل في جامعة الدول العربية أم في تجمعاته الاقليمية المختلفة ، فتقيم حاجزا كثيفا بين الشعوب العربية كلها وبين مايدور في أروقة الاجتماعات التي تحدد مصير هذا النظام .

فقد اكتشفنا في الشهور الأخير ، مثلا ، أنه كان هناك نزاع عميق بين العراق والكويت ، وأن هذا النزاع كان بعيد الأمد . وصحيح أن العالمين ببواطن الأمور كانوا يتحدثون في جلساتهم الخاصة عن تفاصيل دقيقة لهذا النزاع ويتابعون تطوراته بدقة كاملة ، غير أن الكتلة الرئيسية للشعب العربي ، وضمنها شعبا البلدين المتنازعين ، لم تكن تعرف عن الموضوع شيئا ، أو لاتعرف عنه الا القشور ، إذ كان قادة البلدين يجتمعون ويتبادلون الاحضان أمام أجهزة الاعلام ، ثم تصدر في النهاية بيانات تؤكد قوة الروابط بين « الأشقاء » إلخ ... على حين أن ماكان يدور في الجلسات ذاتها كان

والحمى ، وغير ذلك من القوالب اللفظية التى تقيم حاجزا كثيفا بين الشعوب وبين الجوهر الحقيقى لهذا « النظام » وتحول بينهم وبين المشاركة فيه بفهم ووعى ، وتمنعهم من الاسهام فى تذليل العقبات التى تعترض مساره .



وهكذا أخذت الشعوب العربية فكرة كونها « أشقاء » قضية مسلما بها ، ولكنها كانت تُصدم وتقف عاجزة عن الفهم حين تجد العداء بين هؤلاء « الأشقاء » يفوق فى ضراوته ، أحيانا عداءهم جميعا لخصومهم التاريخيين : كما حدث فى مجازر صبرا وشاتيلا ، وفى مذابح المخيمات الفلسطينية فى الاردن عام ١٩٧٠ ، وفى الغزو العراقى الاخير للكويت ، بكل مافيه من همجية لا إنسانية .

وفى مثل هذه الحالات ، لاتقتصر المشكلة على عدم توافر الحد الادنى من العلنية الذى يسمح للجماهير بمتابعة العلاقات العربية بصورة واعية ، بل تصبح عدم توافر الحد الأدنى من التحضر ، الذى يسمح بإقامة نظام من العلاقات بين الدول على اسس معقولة ومفهومة .

ولعل قدرا كبيرا من التعاطف الدولى مع إسرائيل ، والتنافر مع العرب ، يرجع إلى هذا العامل الأخير بالذات ، فالمجتمع الدولى يفترض فى إسرائيل سلوكا متحضرا ، بنفس المقاييس التى يضعها العالم للتحضر ، وقدرات إسرائيل فى

أمرا مختلفا كل الاختلاف . وقد استمعنا فى الآونة الأخيرة إلى الرئيس حسنى مبارك وهو يتحدث عن اجتماعات الرؤساء العرب التى يقومون فيها « بتمزيق » بعضهم البعض وكان مبعث الغرابة فى ذلك هو أن الشعوب العربية لم تكن ترى من هذه الاجتماعات سوى الوجه الباسم للزعماء ، ولم تكن تسمع إلا العبارات الانشائية الرنانة عن التضامن والاخاء بين الأشقاء إلخ ... واقصى مايمكن أن توصف به أبشع الأحداث العربية هو أنها « سحابة صيف » لابد أن تنقشع .

وهكذا فإن « روح » النظام العربى ، بغض النظر عن بنائه الشكلى ، كانت خاوية ، متقلبة ، هشة ، ومضمونها الحقيقى كان مجهولا لكل الشعوب العربية ، وكان الأساس العلنى المعروف على السطح الظاهرى لهذا البنيان بأكمله ، هو مجموعة من العبيرات البلاغية التى لاتكشف للناس شيئا عن حقائق الأمور ، كالقول « إن الامة العربية كلها جسد واحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر

السيطرة على مصادر الاعلام العالمية تخفى إلى حد بعيد ممارساتها غير المتحضرة في الأراضى المحتلة . أما البلاد العربية فإن العالم ينظر إليها كما لو كان سلوكها يخرج أصلا عن مجال التحضر ، ونحن بغير شك نقدم الأسباب التى يرتكز عليها العالم فى هذا الحكم القاطع ، متمثلة فى تلك المذابح التى تتوالى داخل بلادنا بلا رحمة ، وفى ممارسات شائنة كان آخرها قيام النظام العراقى باتخاذ المدنيين العاملين فى بلاده رهائن يحمى بهم مواقعه الاستراتيجية ، وهو ما يعادل (بمقاييس السلوك المتحضر) قيام لص البنك باختطاف السكرتيرة ومحاولته الخروج بغنيمته سالما بعد اتخاذ جسدها سترا واقيا له ، وفى مثل هذه الحالات يصبح من الصعب أن يتعامل العالم الخارجى مع مجموعة الدول العربية باعتبارها « نظاما » له أسس معينة ومبادىء يمكن فهمها وإقامة هذه المعاملات على أساسها .

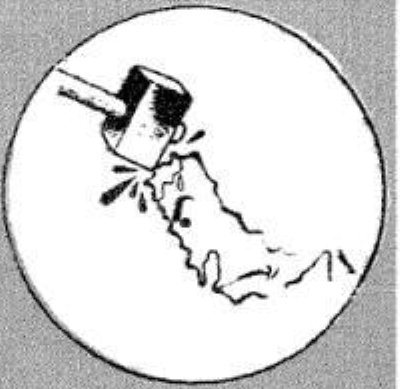
● حقيقة اللانظام !

ولنقارن التحولات التى تطرأ على « نظامنا » العربى ، بتلك الأسباب العميقة التى أدت إلى التغيير الحاسم فى النظام العالمى خلال مرحلة الانتقال الكبرى فى عامى ١٩٨٩ و١٩٩٠ . سنجد عندئذ أن جميع التحولات لها أسباب موضوعية ، تنتمى إلى صميم التطورات العلمية والتكنولوجية والاجتماعية التى طرأت على العالم فى العقود الأخيرة ، والتى تحتم بناء العلاقات الدولية على أسس جديدة .

مثل هذه المقارنة كفيلة بأن تقنعنا بأن العفوية والعشوائية والمزاجية والانفعالية التى تتم بها التطورات فى علاقاتنا يستحيل معها القول بوجود « نظام » بأى معنى علمى وعقلانى لهذه الكلمة .

على أية حال ، يبدو أن العدوان العراقى الأخير على الكويت ، برغم بشاعته ، قد كشف حقيقة « اللانظام » العربى بكل وضوح ، وربما كانت هذه هى الفائدة الوحيدة التى ستجنيها الشعوب العربية من هذه الكارثة . فقد انهار قناع البلاغة والفصاحة والعبارات الانشائية ، الذى كان يخفى عنا حقيقة البناء الداخلى ، وظهرت على السطح كراهية الفقراء للأغنياء وسعادتهم بمحنتهم ، ووحشية العرب إزاء العرب ، وتشوهات العقول العربية التى تلوى الحقائق وتجد أعجب المبررات لما يستحيل تبريره .

هذه كلها أمور كان لابد ان تنكشف ، وكل ما أمله أن يكون انكشافها نهاية لمرحلة « اللانظام » التى ظللنا نخدع انفسنا بتسميتها تسمية عكسية ، وبداية لمرحلة نحاول فيها بناء « نظام » على اسس عقلانية موضوعية ديمقراطية تسمح بان يكون لنا مكان على خريطة العالم فى القرن الحادى والعشرين .



هل نستطيع أن نمد أبصارنا إلى ما بعد نهاية أزمة الخليج .؟ ففي تصورنا فشل الغزو العراقي للكويت . ويبقى علينا أن نتصور مستقبل الخليج في ظل عالم يتغير الملامح .

مستقبل الخليج

بقلم : مصطفى الحسيني

منذ أن بدأت صلة الغرب بمنطقة الخليج ، تعامل معها باعتبارها مرفقا من المرافق فهي في طور من هذه الصلة طريق الامبراطورية الى الهند ، فتجب السيطرة عليه وتامينه وهي في طور آخر بئر النفط الوفير ، مصدر الطاقة الرخيصة حتى الآن ، ومهما ارتفع سعره ، وجب ضمان استمرار تدفقه .

وعندما استقرت السياسة البريطانية على الانسحاب من شرق السويس ، وهو القرار الذي ترتب على الهزيمة السياسية التي لحقت بها في حرب العدوان الثلاثي على مصر في ١٩٥٦ ، تحولت الامارات والمشيخات التي كانت قائمة في المنطقة إلى دول مستقلة !

واستمرت باعتبارها من مرافق المصالح الغربية الكبرى !

وعندما أدت الحرب العربية - الاسرائيلية فى ١٩٧٣ الى ارتفاع فلكى فى أسعار النفط ، أدركت هذه الدول شيئا من أهميتها بالنسبة للغرب ولاقتصاد العالم فيها عموما ، لكن هذا الادراك بقى محصورا فى قاعدة المرفق .

ومنذ ذلك الحين ، أخذت هذه الدول بتحديد لهويتها مستمد من الموقع ، اى الخليج ، ومن المصادفة الجيولوجية ، أى النفط ، فأصبحت تسمى نفسها دولا خليجية نفطية ، وهو تحديد يتضمن عنصرين : انسلاخا مفهوميا عن المجال الحيوى المحيط بها ، وهو المجال العربى الذى تقع ضمنه ، وانسلاخا عن العنصر البشرى الذى هو المحدد الاصلى لهوية شعوبها .

وفى هذا التحديد للهوية تجاهل غير معلق لكون هذه الدول مدينة باستقلالها وبالتالى دخولها اعضاء فى مجتمع الدول ، الى الهزيمة السياسية التى الحقتها مصر ببريطانيا فى ١٩٥٦ وأنها مدينة بتعظيم ثروتها الى تصميم مصر وسوريا على تصحيح الموازين التى اخلت بها الهزيمة العربية فى ١٩٧٣ .

واذا كان الغزو العراقى للكويت ، عملا لايمكن تبريره فضلا عن الدفاع عنه ، فإن هذا التحديد "للهوية الخليجية" يقع فى أساس هذا الذى جرى ، وما جره وسوف يجره على مستقبل هذه المنطقة وعلى مستقبل العرب عموما من مترتبات .

بل إنه يمكن القول وفى أمان من الخطأ أن ما ساقته الحكومة العراقية من مبررات لغزو الكويت ، هو فى اغلبه "حق يراد به باطل" والباطل هنا هو سعى العراق الى زيادة نصيبه من الثروة النفطية التى يملك منها فى الأصل قدرا غير قليل ، وهو سعى لايرمى الى تحقيق شىء من العدل الاجتماعى العربى الذى تتحدث عنه الحكومة العراقية . فللعراق ، وفى ظل هذا الحكم القائم سوابق "سلوك خليجى" ان جاز التعبير ، فيما يتصل بتعامله مع ثروته النفطية : استأثارا بها دون الاشقاء العرب" بل وتبذيرا واسرافا ، بل واهدارا فى حرب دروس دامت سنوات ثمان ، وفى العام الثانى لتوقف نيرانها ، والعاشر لاشتعال حزامها ، يتخلى الحكم العراقى عن الأهداف التى كان قد أعلنها لتلك الحرب !

أما الحق الذى أرادت به السياسة العراقية باطلا ، فهو أن الدول الخليجية ، منذ أن حصلت على استقلالها ، وعلى نحو أشد ، منذ أن ارتفعت أسعار النفط فتضاعفت عائداتها منه ، قد اتبعت سياسات خاصة ، وحتى نتجنب جدلا عقيما محوره اللوم على الماضى ، من شأن غزو العراق للكويت أن يفتحها للمراجعة وإعادة النظر .

بل بالاحرى فتحت باب البحث فى مستقبل الخليج .



وليس موضوع "مستقبل الخليج" جديداً على التفكير والتمحيص ، إنما ماجرى حتى الآن فى هذا السياق ، قد اقتصر على البحث فى هذا المستقبل "بعد نضوب النفط" اى بعد قرن من الزمان أو أكثر بالنسبة للدول ذات الاحتياطى النفطى الوفير .

اما ماهو جدير بالبحث الآن فهو مستقبل الخليج قبل ان ينضت النفط او طالما بقى النفط .

– ١ –

أدت تطورات الأزمة التى ترتبت على غزو الكويت الى الكشف عن مايبدو فى الظاهر "وحدة وطنية كويتية" أساسها التمسك باستقلال الكويت ، وهو موقف جمع القوى السياسية الكويتية كلها ، حكما ومعارضة ، رغم ما كان ناشبا بين الطرفين من أزمة حادة حول الحياة البرلمانية .

وفى ظاهر هذه الوحدة الوطنية الكويتية ، بدا نظام الحكم الكويتى متمتعا بشرعية داخلية تفوق حتى ماكان يتصوره أنصاره .

لكننا إذا عدنا الى ماقبل أزمة الغزو ، أو اذا نظرنا الى ما بعد حلها ، بافتراض أنه ستحل على أساس استعادة الكويت استقلاله من العراق ، فسنجد أن الغزو لم يستأصل الازمة التى كانت ناشبة هناك بين الحكم والمعارضة ، لأن أساسها الذى جعلها مستمرة ، تختفى لتعود من جديد منذ حل البرلمان الكويتى الأول فى ١٩٧٦ ، هو أن ثمة قوى اجتماعية ذات تعبير سياسى واضح ، تطلب حقها فى المشاركة فى الحكم .

ويمكن وصف هذه القوى اجمالا بأنها "القوى الحديثة فى المجتمع الكويتى" قوى التجار الذين اثروا من تدوير مخصصات الاستهلاك المحلى – الحكومى والأهلى – من عائدات النفط ، وقوى فئة المتعلمين والمثقفين ، الذين تزايدت أعدادهم وتتزايد بحكم قدر من الاستثمار الصحيح لتلك العائدات .

وليس من العسير استنتاج ان مطلب المشاركة هذا يمتد الى غير الكويت من دول الخليج جميعا ، فإنه اذا كان صحيحا أن العائلات الحاكمة فى هذه الدول ، كانت هى ذاتها العائلات الحاكمة قبل الاستقلال ، فإنه صحيح ايضا ، أن التركيب الاجتماعى قد تغير ، وأن تقدير المواطنين لأنفسهم وأوضاعهم ومراكزهم الاجتماعية قد ارتفع ، وأن توقعاتهم وامتدادا لها طموحاتهم قد أصبحت تختلف .

بل إن مد النظر الى ما وراء الموقف الجارى لقوى المعارضة

الكويتية - مثلا - وهو موقف متضامن مع الحكم ، فسوف نرى فى أساسه أن "من يشارك فى الدفاع عن الاستقلال يشارك فى الحكم بعد استعادة الاستقلال" .

- ٢ -

اذا كانت هذه المسألة الأولى : مسألة المشاركة وما تنطوى عليه من جدل حول شرعية منظومة الدولة القائمة فى هذه الدويلات تتضمن تسليمات ببقاء كياناتها السياسية المستقلة - أو المنفصلة على ماهى عليه ، فإن التفكير فى المستقبل يتضمن أعادة النظر فى شرعية بقاء هذه الدول فى كيانات منفصلة ، أى شرعية تقسيم ساحل الخليج الى ٥ دول ، احداها اتحاد فيدرالى بين امارات ست .

ففى أساس هذا التقسيم عنصران :

١ - الموازين القبلية والتوازنات بينها

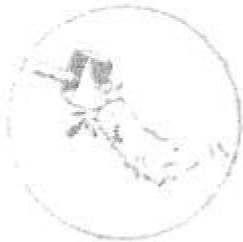
٢ - حرص الدول الاستعمارية التى كانت مهيمنة فى الماضى - أى بريطانيا - على الا يقع الطريق الى الهند تحت سيطرة واحدة ، ثم حرص القوى الكبرى المستهلكة للنفط على الا يقع هذا المصدر للطاقة الرخيصة تحت سيطرة واحدة .

وغنى عن القول أن الموازين القبلية وتوازناتها ، تفقد ، أو فقدت بالفعل، الكثير من اهميتها النسبية فى أوساط مواطنى هذه الدول ، وأن ماهو مشترك بين "القوى الحديثة" فى كل منها ، أكثر غلبة على الموازين القبلية وتوازناتها من أنقسام . وأن نموذج الفيدرالية الذى تعبر عنه دولة الامارات ، أقرب الى مطامح هذه القوى الحديثة ، وإن كان يقصر كثيرا عن الاستجابة لها .

وقد تكفى هنا هذه الاشارة .

ولعله غنى عن القول أيضا إنه إذا كانت مصلحة الدول المستهلكة للنفط ألا تضع الآبار كلها فى سلة واحدة ، فإن هذا بالقطع ليس من مصلحة منتجيه ، خصوصا اذا كانت تجمع بينهم وحدة الجغرافيا وأواصر القربى القومية .

ولايحتج فى هذا المجال بوجود منظمة الاقطار العربية المصدرة للنفط (أوابك) ولا يوجد منظمة الدول المصدرة للنفط (أوبك) فهذه منظمات تجارية تقتصر ولايتها على تنظيم الانتاج لتحقيق حد من التحكم فى الأسعار ، بينما ما يفيد هنا هو تحويل الوزن النفطى المتمثل فى الاحتياطى الضخم الى قوة سياسية ، كما لايحتج فى هذا المجال أيضا بتجربة الحظر النفطى الذى صاحب الحرب العربية - الاسرائيلية فى ١٩٧٣ ، فرغم الدور الذى لعبه ذلك الحظر ، فقد بقى دورا محدودا لاسباب عديدة ، اهمها أن بقية دول الأوبك غير العربية لم تشارك فيه ، وأن الدول العربية التى فرضت الحظر لم يكن بوسعها أن تتحكم فى وجهة الناقلات بعد أن تغادر الموانىء ، ومن بينها قدرة الدول



المستهلكة على تغيير وجهة الشحنات ، كان توجه شحنة ايرانية ـ مثلا ـ الى بلد لايشمله الحظر الى بلد يشمله الحظر ، وتحل محلها الى البلد الأولى شحنة عربية ، وهكذا .

هذا الى أن ما اتخذ بعد ذلك الحظر من تدابير من جانب الدول المستهلكة قد اضعف من تاثير اى حظر يأتى بعد ذلك ، من ترشيد استخدام الطاقة الى تقليل الاعتماد على النفط كمصدر لها ، الى مفارقة أن الدول المستهلكة هى التى شجعت الدول التى طبقت الحظر على تأميم شركات النفط الأجنبية ، حتى تعانى من عبء الحظر إن هى عادت اليه .

كما لايحتج أيضا فى هذا المجال ، وفى ماهو أكبر منه ، بوجود مجلس التعاون الخليجى ، ويكفى هنا انه فى الأزمة التى نشبت بسبب غزو العراق للكويت لم تثبت له اى فعالية !

ـ ٣ ـ

ويحتاج مجلس التعاون الخليجى الى قدر أوفى من المناقشة لأنه اذا كان هذا المجلس عندما اقيم قد حدد على رأس أهدافه أن يكون "أمن الخليج مسئولية دول الخليج" فإن الأزمة الراهنة قد اثبتت أن هذا الهدف لايعدو أن يكون كلاما من الكلام . فعندما جد الجد ، استغاثت دول المجلس بالعالم كله ، واستنجدت بالبعيد قبل القريب !

فطالما أن هذه الدول قد ارتضت أن تكون مرفقا من مرافق الغرب أو العالم الصناعى ، ارتضت أن يغلب على نظرة العالم اليها نظرته الى بئر النفط ، فقد أصبح أمن البئر يقع فى اهتمام من يستهلك النفط وضمن مسئوليته .

يضاف الى ذلك الى أن المجلس بتكوينه القائم اسم يقصر عن المسمى ، فإنه اذا كان المقصود مجلسا للدول الخليجية ، فقد استبعدت منه دولتان هما اهم وأقوى مايطل على الخليج من دول ، ايران والعراق ، واذا كان المقصود مجلسا للدول العربية المطلة على الخليج ، فقد استبعدت منه العراق .

وخطر هذا الاستبعاد ، بأى من مستوييه ، أن المجلس بدلا من أن يوفر الأمن للدول الأعضاء فيه ، فإنه اضاف الى الاخطار المحتملة التى قد تهددها ، خطرا آخر وأكثر قربا . فالاستبعاد يؤدى الى الريبة .

أو بعبارات أخرى : اذا كان هناك مفهوم جغرافى ـ سياسى ، أسمه الخليج فإن أمنه لايتجزأ ، واذا كان هناك مفهوم جغرافى ـ سياسى قومى

اسمه الخليج العربى ، فإن أمنه أيضا لايتجزأ ، لا من داخله باستبعاد العراق ، ولا من جواره بالتكتل على نحو يوحى لايران بالمواجهة ولامن محيطه بانفصاله عن الأمن العربى .

وللمستقبل ، فإن التفكير فى "أمن الخليج" لامفر له من أن يراعى هذه الاعتبارات جميعا ، أى أنه لايتحقق الا فى نطاق علاقة تحالف أو تآلف بين منظومه أمنية عربية وبين ايران ، مع امكان أن يقوم داخل هذه المنظومة الأمنية العربية نسق فرعى يعنى بأمن الدول العربية المطلة على الخليج ، انما مرة أخرى فى نطاق تآلف أو تحالف مع ايران .

وعندما يتحقق ذلك ، أن تحقق يمكن حقيقة الحديث عن أمن الخليج ، باعتباره مسئولية خليجية ضمن مسئولية عربية اشمل ، ضمن وفاق اقليمى أشمل .

عندما ميزت دول الخليج - كما نعرفها الآن - هويتها بأنها خليجية نفطية واستدرجت مواطنيها الى الاقتناع بذلك أو القبول به ، عن طريق اشراكهم فى الاستمتاع بعوائد النفط الباهظة بالقياس الى تعدادهم ، واشراكهم فى الاستئثار بها ، دون بقية العرب الذين يعود اليهم فضل استقلالها وفضل ضخامة عائداتها النفطية ، عندما فعلت ذلك ، فإنها فى الوقت نفسه أودعت أمنها ومستقبلها خارج أياديها .

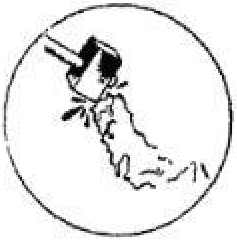
أما ايداع أمنها خارج أياديها فهو ما نشهده الآن ، ولايحتاج الى مزيد من الكلام .

أما ايداع مستقبلها خارج أياديها ، فيبدأ من الحديث عن "فوائض عائدات النفط" .

والحقيقة التى يجب أن تراعى فى المستقبل ، هى أنه بأى حساب اقتصادى صحيح وسليم لايجوز أن توجد فوائض نفطية شخصية ذلك أن مصدر الفوائض هو استئثار تلك الدول القليلة السكان بتلك العوائد الضخمة ، وهذا الاستئثار يعنى التمسك بأن تكون الثروة - بمعناها النقدى - مبنية على المصادفة الجيولوجية .

وحتى لاينزعج أحد من أهل الخليج - حكاما ومحكومين - لايستهدف الكلام دعوة الى اقتسام العائدات النفطية بين العرب أجمعين ، نفطيين وغير نفطيين ، وليس الناتئ عن هذه الدعوة أيضا تعففا عن الاقتسام . وإنما أساسها أن الاقتسام لن يفيد أحدا لا النفطيين ولاغير النفطيين من العرب .

والحساب الذى يدلل على ذلك بسيط فالعرب - كما هم اليوم ليسو اثرياء ، ذلك أنه لو أضيفت عوائد النفط على ضخامتها الظاهرية الى مجمل الناتج القومى للبلدان العربية جميعا ، وجرى تقسيم الحصيلة على



العرب جميعا ، خرجنا بمعدل لنصيب الفرد من الناتج القومى العربى الاجمالى لايصل الى ألفى دولار سنويا

وهو مستوى من مستويات الفقر بمقاييس عالم اليوم . إنما بحساب آخر ، لو أن تلك المبالغ أو الأرقام التى تسمى الآن "فوائض" استثمرت فى البلدان العربية التى تتضور جوعا الى استثمار ثرواتها المتجددة ، وليست الناضبة كالنفط ، وإنما من ضمنها الناضبة كالنفط ، والتى يشقى ابناؤها بما فيهم حملة الخبرات والمواهب منهم بحثا عن فرصة عمل ، لو استثمرت هذه "الفوائض" (هل نقول الوهمية ؟) فى البلدان العربية جميعا ، لتحولت المصادفة الجيولوجية الى ثروة مكتسبة ومتجددة ، ولعم خيرها العرب جميعا ، نفطيين وغير نفطيين .

وقد تكون "الفوائض" التى تراكمت حتى الآن قد خرجت من أيدى أصحابها النفطيين بدرجة أو بأخرى ، كما يشهد على ذلك ما رافق "أزمة الخليج" الراهنة من تجميد للأرصدة ، لكن هذا الحديث يتعلق بالمستقبل اى بما هو آت من الآن الى قابل السنوات من عائدات يجب ألا تبقى عنها فوائض .

وقد لاتحتاج إلى أن تتصور مشهدا من مشاهد الشؤم ، قد يأتى بعد قرن من الزمان أن جرت الأمور مجراها السابق والراهن . عندما يكون النفط قد نضب ، وتكون "الفوائض" مودعة فى الخارج مستثمرة أو غير مستثمرة .

هل يخلو الخليج أيضا من سكانه ، ومن منهم الذى سيلحق بالفوائض الى الخارج .

وفى مشهد الشؤم هذا ، الذى نتمنى ألا يأتى وألا يكون ، فإن للطرق المعبدة والممتدة والموانىء المجهزة والمهيأة لاستقبال أضخم الناقلات ، غير ذلك مما جرى بناؤه والانفاق عليه من مشروعات "البنية الاساسية" لن تكون لها قيمة ولا فائدة .

ذلك انها مرافق من المرافق ، كانت تخدم ثروة ونضبت .

ولعل بينها وبين منطقة الخليج كلها شيئا من التشابهة ، طالما ارتضت المنطقة لنفسها أن تكون مرفقا من مرافق ثروات بلدان اخرى .

■ ■ ■

أقوال معاصرة

لا أومن بخلود الفن
نجيب محفوظ


نجيب محفوظ

الأمن الثقافى لا يقل أهمية عن الأمن العسكرى
الدكتور احمد ابراهيم الفقيه


لويس عوض

انكسار الشعر يعنى موت روح الامة
الدكتور لويس عوض

الصمت أكثر المواقف عقلانية لحظة الضجيج
الشاعر الداغستانى رسول حمزاتوف

لا يوجد إبداع فلسفى فى مصر
دكتور زكى نجيب محمود

لا خوف على هويتنا الثقافية ، فجذورها اقوى من اى غزو
الدكتور سعد الدين ابراهيم

الرجل ليس رجلا إلا اذا استطاع احترام نفسه
المخرج البرازيلى هيكتور بابنكو

البلهاء وحدهم هم الذين يؤمنون الآن بالماركسية
الكسندر تزيبكو
الفيلسوف ومستشار اللجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفييتى سابقا

ميلينا ميركورى


أومن بالسوق الحرة مكيفة باشتراكية ذات وجه انسانى
ميلينا ميركورى
الممثلة ووزيرة ثقافة اليونان سابقا



مشكلة الحدود الكويتية العراقية والجزء المتنازع عليه بينهما في الوثائق البريطانية

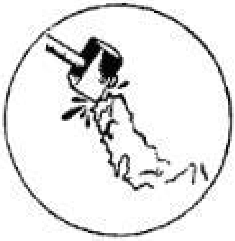
بقلم :
د. أحمد عبد الرحيم مصطفى

ترتبط مشكلة الحدود بين الكويت والعراق بعوامل تاريخية واقتصادية وجيوبوليتيكية متداخلة ادت في مجموعها - مع عوامل اخرى - الى الأزمة الراهنة وما يرتبط بها من مخاطر على الأوضاع العربية وربما على السلام العالمي .. ذلك ان الوضع الدولي للكويت لم يتقرر في اوائل القرن العشرين حين كان العراق لا يزال تحت السيطرة العثمانية وحين كانت الكويت تحت الحماية البريطانية منذ عام ١٨٩٩ في الوقت الذي كانت تتمتع فيه باستقلال واقعي تحت حكم اسرة الصباح وتعترف بالسيادة الاسمية للدولة العثمانية التي كانت تحكم العراق والشام وتدعي بالسيادة على بقاع عربية في شبه الجزيرة ليس في معظمها جندي عثماني او ادارة عثمانية بل مجموعات عشائرية تنعم باستقلال واقعي في ظل عصبيات قبلية لم تلبث بمرور الزمن ان شكلت اسرات حاكمة فرضت عليها بريطانيا هيمنتها وربطتها بسلسلة من معاهدات الحماية واخضعتها للسلام البريطاني، المستند الى القوات البحرية .



الحدود العراقية الكويتية

● وبعد انهيار الامبراطورية العثمانية فى اعقاب الحرب العالمية الاولى جرى تقسيم المشرق العربى بين بريطانيا وفرنسا فوضع العراق تحت الانتداب البريطانى ونصب عليه فيصل بن الحسين ملكا ثم لم تلبث العراق فى اوائل الثلاثينات ان اصبحت مستقلة استقلالا منقوصا فى نطاق مناطق النفوذ البريطانية اما الكويت فقد وقع حاكمها مبارك الصباح فى يناير ١٨٩٩ معاهدة حماية مع بريطانيا التى سيطرت على الشئون الخارجية للمشيخة وحرمت عليها الاتصال باى دولة استعمارية منافسة - وكان عقد هذه المعاهدة ناتجا الى حد كبير عن مهارة مبارك فى ضرب بريطانيا بالدولة العثمانية خلال السنوات الخمس السابقة . وكان مبارك قد قام فى عام ١٨٩٦ بقتل اخيه مما ادى الى شغله لوظيفة قائمقام (حاكم) الكويت . وفى ذلك الوقت كانت الكويت تشكل جزءا من ولاية البصرة العثمانية ورغم أن العلم العثمانى كان يرفرف عليها فلم تكن لها علاقات



بالدولة العثمانية تستند الى معاهدة مكتوبة وحين ازداد الضغط العثمانى على الكويت طالب مبارك بريطانيا فرض حمايتها على الكويت .. وذهبت وزارة الخارجية البريطانية الى انه رغم عدم اعتراف بريطانيا على الاطلاق بكون الكويت تحت الحماية العثمانية فانها لم تكن تستطيع انكار نفوذ الدولة العثمانية القوى فى المنطقة ولو ان انشغال كلا الدولتين بمشاكل اخرى حال دون متابعة اهتمام كل منهما بهذه المسألة . وهناك عوامل خارجية شجعت بريطانيا على فرض الحماية على الكويت ـ اذ ان روسيا العدو اللدود لبريطانيا خلال القرن التاسع عشر كانت ترغب فى مد خط حديدى عثمانى الى الخليج لهذا بقيت معاهدة الحماية فى طى الكتمان حتى لا ينال غضب الدولة العثمانية أو أى دولة استعمارية اخرى معادية لها اطماع فى منطقة الخليج : وهكذا اصبحت الكويت محمية بريطانية كما اصبحت المناطق الشمالية للخليج منطقة حيوية بالنسبة الى النفوذ البريطانى وفى تلك الاثناء كانت المانيا المنافس الاستعمارى لبريطانيا قد تغلغلت فى الدولة العثمانية على امل استثمار مواردها والوصول الى منطقة الخليج فتفتق ذهن ساستها عن مشروع مد سكة حديدية من برلين الى الخليج ، وعرف هذا المشروع باسم سكة حديد برلين ـ بغداد التى كان من المتوخى ان تصل الى مياه الخليج فى اراضى الكويت وبعد ان توصلت بريطانيا الى توقيع معاهدة الحماية مع مبارك الصباح باشرت الضغط على الكويت لكى تطالب بجزيرتى وربة وبوبيان ولم توافق الدولة العثمانية على ملكية الكويت للجزيرتين الا بعد ان تأكد ذلك فى الاتفاق الانجليزى ـ التركى الموقع فى يولية ١٩١٣ والذى اعترفت بريطانيا بمقتضاه بالسيادة الاسمية العثمانية على الكويت فى الوقت الذى وافقت فيه الدولة العثمانية على احترام الاستقلال الذاتى للمشيخة وحينئذ جرى تحديد المساحة الاقليمية لمشيخة مبارك بشكل فضفاض فنص الاتفاق الانجليزى ـ التركى على وجود خط اخضر يشكل الحدود الشرقية لسنجق نجد الذى كان يحكمه عبدالعزيز آل سعود الذى كان يعترف بالسيادة الاسمية للدولة العثمانية ولم يلبث ان عقد فى عام ١٩١٥ معاهدة حماية مع بريطانيا ورغم ان الاتفاق الانجليزى ـ العثمانى لم يبرم فان الحكومة العثمانية وافقت على شروطه بصورة واضحة . وفى نوفمبر ١٩١٤ وعدت بريطانيا الكويت بالحصول على الاستقلال تحت الحماية البريطانية فى

...of this territory, his Gover...

...demarcation of the Iraqi-Kuwaiti frontier. Th...

...for which, as you will be aware, we have long been pressing

...t is a decision which the Iraq Government have always sought to

evade; possibly, although not certainly, because they entertain a

idea of profiting by a propitio... moment to absorb the principality

of Kuwait into Iraq. An acknowledged demarcation of the fro...

might therefore be construed ... measure of renunciation...

pretensions.

In paragraph 3 of my ...

Kuwait-Iraq, 1939-1957

مقابل ان يساعدها مبارك فى احتلال العراق بعد ان انضمت الدولة العثمانية الى المانيا وحلفائها ضد بريطانيا وحلفائها بعد نشوب الحرب العالمية الاولى وبعد انتصار بريطانيا وحلفائها حصلت فى مؤتمر سان ريمو (١٩٢٠) على انتداب على العراق وسعت الى رسم حدود المناطق التى آلت اليها وفى ابريل ١٩٢٣ تقررت الحدود بين الكويت والعراق فى تبادل للرسائل بين الوكيل السياسى البريطانى فى الكويت (الميجر مور) وبين السير بيرسى كوكس المندوب السامى البريطانى فى العراق .. وكانت هذه الحدود كالآتى .

من نقطة على خط ١٩١٣ الاخضر المشار اليه فى الاتفاق الانجليزى ـ التركى الذى يلتقى عنده وادى العوجة بالباطن ثم يتبع الخط الاخضر المذكور على طول الباطن حتى نهايته عند مدخل خور الزبير الى الجنوب مباشرة من جبل سنام وصفوان وام قصر تاركا هذه الاماكن للعراق .

وقد تأكدت ملكية الكويت لوربة وبوبيان واعيد تأكيد رسم الحدود فى المراسلات التى اجرت فى يولية ـ سبتمبر ١٩٣٢ بين رئيس الوزراء العراقى نورى السعيد والشيخ احمد الجابر الصباح حاكم الكويت وخلال ربع القرن التالى حاولت بريطانيا عبثا التوصل الى اتفاق بين العراق والكويت على اساس تبادل الرسائل الذى جرى فى عام ١٩٣٢ وكان الفشل فى التوصل الى ذلك راجعا الى عدم



وضوح الملامح الطبيعية التى تشكل الحدود وفى اواسط الثلاثينات كان على بريطانيا ان تتدخل لتقرر ان قسم الحدود الذى يشكله وادى الباطن يتبع اكثر الخطوط انخفاضا (الثالوك) فى هذا المنخفض الداخلى الجاف . كما فسر كل طرف الفقرة الواردة فى تعريف كوكس الذى ادلى به فى عام ١٩٣٢ والتى نصت على ان الحدود تمتد «الى الجنوب مباشرة» من صفوان تفسيرا مخالفا لتفسير الطرف الآخر .. وقد ذهبت بريطانيا باستمرار الى ان الحدود كانت تمتد على بعد ميل الى الجنوب من اقصى نخلة الى الجنوب من صفوان ـ ولكن بحلول عام ١٩٤٠ كانت المشكلة قد ازدادت تعقيدا بعد ان زرع العراقيون عددا

عبدالعزيز آل سعود

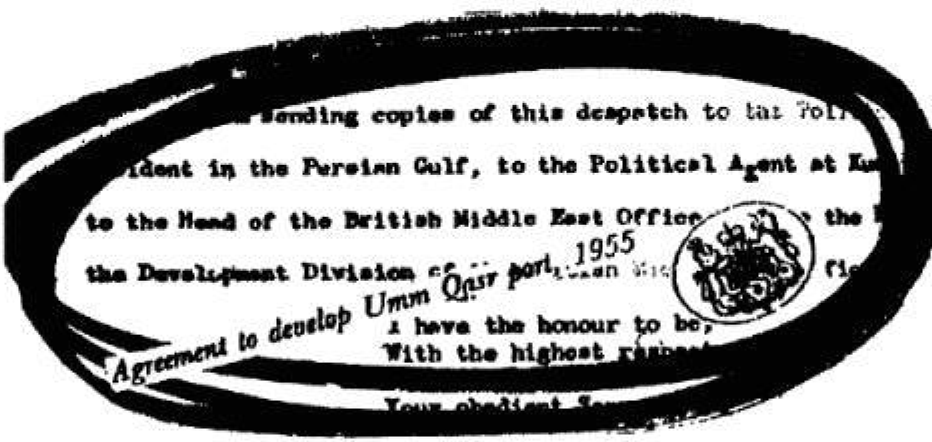


نورى السعيد



كبيرا من النخيل فى المنطقة وازالت دورياتهم اللوحة التى وضعها الوكيل السياسى البريطانى فى الكويت اللفتانت كولونل ديكون للاشارة الى الحدود عند صفوان .وقد فشلت مختلف الجهود التى بذلت لاكتشاف موضعها الاصلى فى اواخر الاربعينات واوائل الخمسينات .

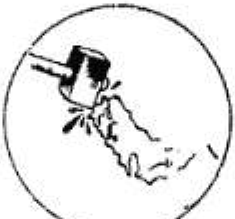
وبالاضافة الى ذلك فقد ازداد تشكيك العراق منذ اواخر الثلاثينات فى فعالية تبادل الرسائل الذى تم فى عامى ١٩٢٣ و ١٩٣٢ وأشار الى حدودها مع الكويت فقد ذهبت الى ان خطاب نورى السعيد الذى كتب فى يولية ١٩٣٢ واعاد تاكيد رسم الحدود الذى تقرر فى عام ١٩٢٣ قد صيغ قبل حصول العراق على الاستقلال وانضمامه الى عصبة الامم ونددت الدعايات العراقية بالشيخ احمد الجابر وطالبت صراحة بضم الكويت التى اشير اليها باعتبارها جزءا لا يتجزأ من المملكة الهاشمية فى العراق فقد طالبت العراق بضم الكويت على اعتبار انه جرى تعريفها فى الاتفاق الانجليزى ـ التركى الموقع فى عام ١٩١٣ بانها مقاطعة تتمتع بالاستقلال الذاتى فى نطاق الامبراطورية العثمانية . وردت بريطانيا على ذلك مذكرة العراق بان معاهدة سيفر الموقعة فى عام ١٩٢٠ ومعاهدة لوزان الموقعة فى عام ١٩٢٣ قد نصتا على تنازل تركيا عن كل ادعاءاتها فى الكويت .


...Sending copies of this despatch to the Pol...
...ident in the Persian Gulf, to the Political Agent at Ku...
to the Head of the British Middle East Office ... the ...
the Development Division of ...
I have the honour to be,
With the highest respect
Your obedient Se...

صورة من الوثائق البريطانية العراقية لعام ١٩٥٥ حول الحدود العراقية الكويتية

● حتى لا تسيل الدماء :

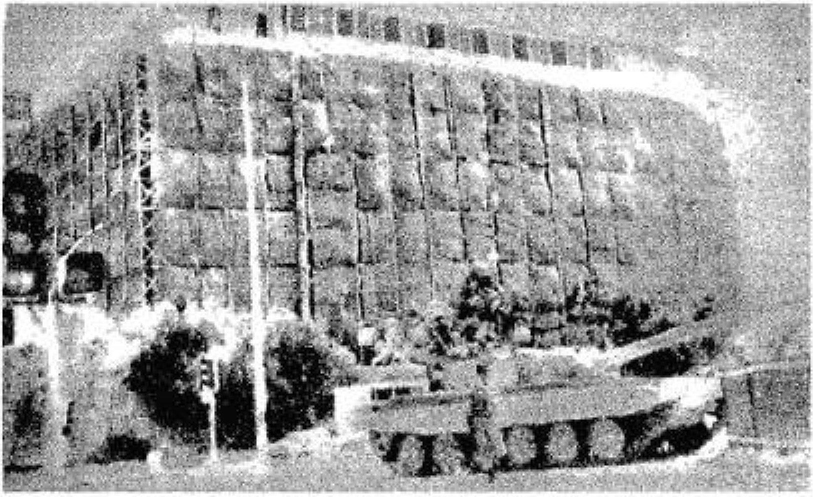
على انه كانت توجد شكاوى حقيقية مرتبطة بمطالبة العراق باعادة النظر فى الحدود التى تقررت فى عام ١٩٣٢ فالمنازعات بين العراق وايران حول الوضع فى شط العرب الذى يفصل العراق عن ايران ادت الى تفتق ذهن العراقيين عن فكرة تطوير ميناء شحن جاف بديل للبصرة وبالتالى ازدادت رغبة العراقيين فى التوصل الى مدخل ثان الى البحر المكشوف . وفى عام ١٩٣٨ ابدت العراق اهتماما بتشييد هذا الميناء البديل فى خليج الكويت ولكنها قررت فى النهاية الاستجابة الى اقتراح بريطانى باختيار موقع فى ام قصر الواقعة على خور الزبير وكانت المشكلة الرئيسية بالنسبة الى الموقع الذى تقرر اختياره ان على الكويت ان تقدم نوعا من التنازل عن جزيرتى وربة وبوبيان اذا ماكان من المتوخى ان يسيطر العراق سيطرة تامة على الممرات المفضية الى ام قصر . الا ان الكويت لم تبد أى استعداد للتنازل عن الجزيرتين فى الوقت الذى ثبت فيه ان الموضع الحقيقى للميناء المقترح فى ام قصر محفوف بالمشاكل وفى اواخر الثلاثينات جرى اقتراح باختيار موقع الى الجنوب مباشرة من لسان المياه المفضى إلى ام قصر ولكن لم يتضح مكان هذا الموقع وفى ارض من . وفى خلال الحرب العالمية الثانية طورت بريطانيا الموقع المتنازع عليه وبنت رصيفا للتفريغ والشحن بامكانة ان يوفر قاعدة لتموين الاتحاد السوفييتى الذى تعرض للهجوم النازى فى عام ١٩٤١ . وبعد انتهاء الحرب ازالت بريطانيا الميناء بسبب موقعه الحساس ولو ان العراق لم يتخل عن السعى الى تطوير ام قصر . وفى عام ١٩٤٩ ابدت شركة نفط العراق التى كانت تسيطر عليها بريطانيا ـ برغم اشتراك فرنسيين وامريكان وهولنديين



فى ملكية آسهمها ـ رغبتها فى تطوير مخرج للنفط فى نفس الموقع ، الا ان الكويت رفضت بشدة من جديد مطالبة وزارة الخارجية العراقية بجزيرتى وربه وبوبيان وبغض النظر عن الفائدة التجارية المترتبة على قبول مطالب العراق الاقليمية فى الجزيرتين فان بريطانيا لم تبد استعدادها للتخلى عن التزاماتها التعاقدية مع الكويت .

وفى اواسط الخمسينات بدأ امكان توصل العراق والكويت الى تسوية نهائية لمسألة الحدود مع امداد الكويت بمياه عذبة من شط العرب .. فقد جرى اقتراح بان تؤجر الكويت للعراق لمدة ٩٩ سنة الأطراف الشمالية من اراضيها وجزيرة وربة ذات الاهمية الاستراتيجية بما يسمح بتطوير ميناء ام قصر فى مقابل ان توصل العراق الى الكويت المياه العذبة لمدة مماثلة ولكن التسوية لم تتم فى اللحظة الاخيرة فلم توقع الكويت المعاهدة المقترحة التى جاهدت بريطانيا كثيرا للتوصل اليها .. والسبب فى ذلك هو ان الكويت كانت تخشى ان يضغط عليها العراق باستعمال مياه شط العرب كأداة سياسية ، ومن ثم تفضيلها الحصول على مياهها العذبة بتقطير مياه الخليج وفى عام ١٩٦١ طالب عبدالكريم قاسم بضم الكويت على اعتبار انها كانت فى العصر العثمانى تشكل قضاء تابعا للواء البصرة ولكن بريطانيا ابدت استعدادها لقصف القوات العراقية جوا من قواعدها فى البحرين اذا ما تقدمت صوب الكويت وانزلت قوات للدفاع عنها واخيرا امكن التغلب على الازمة حين ارسلت الجامعة العربية قوات الى الكويت وهى القوات التى مالبثت ان سحبت بعد انتهاء الأزمة والأعتراف .. بالكويت دولة مستقلة مالبثت ان انضمت الى الجامعة العربية وهيئة الامم المتحدة وبعد انسحاب بريطانيا من الكويت طورت العراق ام قصر نهائيا رغم الاعتراضات القوية التى ابدتها الكويت ولم تعترف العراق باستقلال الكويت إلا فى عام ١٩٦٣ بعد سقوط حكم عبدالكريم قاسم ولو انها لم تتخل عن المطالبة بجزيرتى وربة وبوبيان فى الوقت الذى سعت فيه الكويت مرارا وتكرارا الى التوصل الى رسم الحدود وبخاصة بعد العثور على النفط فى شمال الكويت وجنوبى العراق مما زاد المسألة تعقيدا .

وما حدث اخيرا حين غزت العراق الكويت بعد ان وجهت اليها الاتهامات يلقى ظلالا كثيفة على خطورة مشاكل الحدود التى تفصل الدول العربية



الدبابات سرقت المدينة ليلا .

حديثة الاستقلال بعضها عن البعض الآخر فايا كانت الخلفيات التاريخية لحدود مختلف الدول العربية فلابد من التوصل الى تسويات اتفاقيات شاملة على غرار اتفاقية هلسنكى التى جمدت الحدود الأوروبية التى لعبت دورها فى اشعال الحرب العالمية الثانية لانها تركت اقليات فى بعض الدول حديثة التكوين مثل تشيكوسلوفاكيا وبولندة وفى بعض الدول الأخرى التى عدلت حدودها مع جيرانها بما يتوافق مع موقفها خلال الحرب العالمية الأولى . وكثير من القوميين العرب واصحاب الاطماع يشككون فى الحدود القائمة التى يقال ان «الاستعمار» هو الذى فرضها طبقا لمصالحه الخاصة ، بل ان البعض يذهبون الى ضرورة ازالة هذه الحدود تحقيقا للوحدة العربية ومثل هذه الاقوال من شانها ان تثير الفوضى وتؤذن بالتدخل الخارجى فى الشئون العربية . ان الوحدة لايجوز ان تفرض بالقوة المسلحة بل لابد ان تتحقق بارادة الشعوب وبرضاها حتى لاتكون ستارا للاطماع الاقليمية التى تراود بعض الحكام فى عالم تحكمه مواثيق ومبادىء دولية لابد من مراعاتها حتى لا تسيل الدماء وتتبدد الموارد المالية والاقتصادية فى مغامرات غير مامونة العواقب !

حرية التعبير

كيف ؟!

بقلم : د. سهير القلماوى

●● أصدرت المنظمة المصرية لحقوق الانسان حديثا تقريرا عن حرية الراى والتعبير فى مصر ولعل اهم ما يلفت النظر فى هذا التقرير هو اختلاف مواد القانون احيانا مع النص الواضح فى الدستور وان غلف هذا الاختلاف بغلالات متفاوتة كثافة او شفافية . يقول التقرير إن الدستور المصرى ينص على كفالة حرية التعبير والرأى والنشر والبحث العلمى والابداع الفنى والثقافى وتنص المواد ٤٧ ، ٤٨ منه على حظر الرقابة على الصحف ●●

ولكن القانون يشمل مواد كثيرة تجعل مواد الدستور هذه غير ذات فعالية . ولا تقف بقوانين الصحافة والمجلس الاعلى الخاضع لمجلس الشورى ومكتب الصحافة فى وزارة الاعلام وقانون الطوارىء وغير ذلك مما نعرفه جميعا ولكن هذا التقرير اثار فى ذاكرتى محاكمة طريفة جرت فى المحكمة الفيدرالية العليا فى الولايات المتحدة قرأت وقائعها فى مجلة هاربر الصادرة فى يونيو ١٩٨٩ . بشأن قضية حرق العلم الامريكى فى ميدان عام .

ذلك ان المواطن الامريكى "جونسون" من دالاس اثناء المعركة الانتخابية بين الجمهوريين والديمقراطيين سنة ١٩٨٤ احرق العلم الامريكى فى ميدان عام . فحكمت محكمة الولاية عليه بالسجن عاما وبغرامة الفى دولار . فاستأنف الحكم فى ولايته فأيدت محكمة الولاية الحكم فاستأنفه امام المحكمة الجنائية العليا فى تكساس فحكمت بعدم دستورية الحكم فاستأنفت محكمة دالاس الحكم امام المحكمة الفيدرالية العليا الكبرى لكل الولايات . وكانت الجلسات التى استمرت اربعة اشهر جلسات مفتوحة .



كعادة المحكمة . بل انها لاهتمام الرأى العام بها ، سمحت للتليفزيون بنقل الجلسات على شاشته ليستطيع اكبر عدد من المهتمين بمتابعة مرافعة المحامين عن المتهم من ناحية والمحامين عن محكمة تكساس الاولى من ناحية اخرى .

والذى حدث فى هذه المرافعات هو التطرق إلى ملاحظات وافكار وحقائق ووقائع غاية فى الطرافة والدقة . تدلنا الى اى مدى يمكن أن تشارك الجماهير فعلا فى إصدار القانون . وكان المطلوب من المدافعين عن "جونسون" لا مجرد اصدار قانون او إضافة إلى قانون قائم ولكن المطالبة كانت اضافة إلى المادة الاولى فى الدستور الامريكى لتحمى حارق العلم الذى اختار هذه الطريقة للتعبير عن معارضته .

تقول المادة الاولى من الدستور الامريكى :

"لن يصدر الكونجرس قانونا يحدد حق اقامة اى دين (امر مفروغ منه) او للحد من ممارسة هذا الدين أو الحد من حرية التعبير او الصحافة او حق الجمهور فى ان يجتمع فى تسلم "سلامة" وان يراجع الحكومة فى اى اجراء إيذائى" .

ولكى يحدث اى تعديل فى مواد الدستور بالاضافة او حتى بالحذف لابد من موافقة ثلثى اعضاء الكونجرس (مجلس النواب والشيوخ) وموافقة ثمانى وثلاثين من ولايات الولايات المتحدة .

العلم الامريكى احرقوه يوما اثناء الانتخابات

● معارضة السلطة

وهذه هى المرة السابعة عشرة خلال ازيد من مائتى عام اى منذ إعلان الدستور الامريكى سنة ١٧٨٩ مضافا إليه مواد حقوق الانسان التى ينظر فيها فى تعديل الدستور .

ويتركز النقاش او الاختلاف فى موضوع حرية التعبير على قطبين هامين والتعبير عن معارضة السلطة أو مهاجمتها اذا لزم الامر وهذا ما بدىء به وظل لفترة طويلة هو المحور اما القطب الثانى وهو الاكثر صعوبة فهو التعبير عن معارضة الرأى العام او إيذاء الرأى العام فيما يعتقد او يقدس ويعارضه الفرد فيه .

وفى كل هذا وضع استثناء لحالة

حرية التعبير كـيــف ؟!

الحرب التي يمكن ان تتعارض وحرية التعبير أثناءها مع مصالح الوطن الكبرى . ولعل الاختلاف هنا يكاد يكون محسوما لولا بعض ملاحظات حول مشروعية هذه الحرب وهل هي تهديد للوطن أم هي تورط السياسة العليا فيما تراه مصلحة الوطن مثل تورط امريكا في حرب "فيتنام" التي اثارت في الشعب غير قليل من السخط وعبر عن هذا السخط بشتى الوسائل مما كان من الصعب ادخاله في باب حرية التعبير .

واستمرت المرافعات في قضية حرق العلم ثلاثة أشهر تدور علانية . وحسم الأمر بالتصويت فكانت النتيجة ان خمسة اجازت حرق العلم باعتبار العملية حرية تعبير عن الرأى المعارض ورفض أربعة أعضاء مؤيدين الحكم بمحكمة "دالاس" الاولى . وهو إدانة حرق العلم . اما اضافة مادة الى الدستور فقد توقفت واكتفى باصدار قانون ، يتميز بأن رئيس الجمهورية "بوش" امتنع عن توقيع هذا القانون لانه - اى ان الموضوع - أعقد من ان يحسم بسهولة . وصدر القانون بعدم تجريم حرق العلم الامريكي ، واعتبار الحارق حرا في التعبير عن معارضته .

ولم تكن هذه اول مرة تنظر فيها المحاكم قضية حرق العلم الامريكي . ففى عام ١٩٦٩ أعدم زعيم من زعماء الرأى اسمه "مريديث" فحرق احد اتباعه العلم قائلا "اذا كانوا قد فعلوا ذلك لمريديث فاننا لا نحتاج الى علم امريكي ولكن الرجل حوكم وادين على اقواله لا على حرق العلم . كذلك حوكم من رفع العلم من نافذة بيته وقد شوهه بعلامات سوداء تعبيرا ساخرا عن النصر ونحو ذلك من قضايا فرعية . ولكننا في حالة "جونسون" أمام حرق العلم للتعبير عن معارضة سياسية فهو عضو في الحزب المعارض والحرق تم أثناء الحملة الانتخابية .

ولعل اول قضية هامة أثيرت هو هذا النوع من التعبير الرمزى هي علاقة الرمزية بالعلم . فهو رمز لتاريخ امة عمره قرنان من الزمان وهو بخطوطه الثلاثة عشرة يمثل الولايات الاولى التي كونت التجمع الفيدرالى (١٣ ولاية) وأما النجوم فهي رمز للولايات كانت ٤٨ واصبحت ٥٠ ولذلك أثار المدافعون عن جونسون السؤال اى علم هذا الذى احرقه . هو ليس علم تكساس فلكل ولاية علم خاص . هو علم كل امريكا . لكن ماذا هو هذا العلم وكم ولاية ولو أن العلم المحروق ثبت بشكل أو باخر انه كان يحمل ستا واربعين نجمة فقط فهو اذن ليس علم امريكا .

إنه رمز والرمز كما لاحظ محامو الطرفين اقوى تعبيـرا من الكلام المباشر ، ولكن هل حرق العلم هو حرق للرمز أن الرمز لايزال سليما صحيحا لم يحرق الذى حرق تعبير ما عن هذا الرمز .

واثيرت موضوعات طريفة . ماذا لو كان العلم قذرا واراد الحارق التخلص

منه ، او كان ممزقا او غير ذلك من الحالات التى تستوجب التخلص منه .

كذلك اشير إلى استعمالات العلم الكثيرة . ووضعه على الماكولات فى الحفلات "وإن كان ذلك منع حديثا" فقد كان يلقى به فى صندوق النفايات بعد الحفلات . كذلك يستعمل العلم فى تزيين بعض أدوات الكتابة والملبوسات . بل ان السيدة حرم الرئيس بوش تستعمل "شالا" عليه رسم العلم الامريكى فما حكم التخلص من هذه الأشياء هل هو اهانة للرمز .

ثم جاءت مناقشة الرمز نفسه هل هو اغلى من رمز "الصليب" وهل إذا احرق مواطن الصليب يعتبر ذلك إهانة لمعتقدات الراى العام . وقد رُد على ذلك بأن كل امريكى يرى أن العلم يمثله ، ولكن فى امريكا ديانات متعددة منها مالا يوقر الصليب او يقدسه .

إن الدستور ينص على تجريم تشويه مبنى علم او تمثال عظيم لأن هذا فعلا ملك للشعب كله ، ولكن إذا كان رسم العلم على مقتنيات شخصية او جماعية دون أخرى فإن العلم عام وهو العلم على كل حال .

واهم مدار حوله المناقشات فى هذا الموضوع هو ماذا نقصد بمقدسات الشعب ، ومن هو الشعب فى هذه الحالة ، والأهم هل هذا المعترض على حق فى تعبيره هذا وان مايهاجم به المجموعة التى تتخذ لنفسها هذا الرمز دليلا عليها هو امر حقيقى وصحيح سليم واول من اثار اهمية صحة المعارضة فى مجال مناقشتها كان الصحفى "بيتر زنجر" صاحب جريدة نيويورك الاسبوعيه ففى اثناء محاكمته اثار صحة ما يدعيه ضد الحكومة وان هذه الصحة لابد ان تدخل مجال التفكير قبل اصدار الحكم وكان ذلك منذ سنة ١٧٣٥ وفى دفاع محاميه عنه قال ان اعلان صحة ماقاله موكله قد تزيد الأمر سوءا ولكن لابد ان يقدر القضاة ان الحكم بالعقاب على من صدق القول لايليق بالقضاة . وبرا القضاة الصحفى ودخل موضوع صدق اقوال المعارضة فى اعتبار من شرعوا لحرية التعبير عن معارضتهم .

إن كل الحريات الانسانية مجال للمناقشة ، ولكن حرية التعبير وهى على رأسها ، تفتح المجال الى حوارات ممتعة حول وسائل التعبير والراى العام او الشعور الوطنى او دلالة رموز الوطن فى وجدان المواطنين .

ترى هل تاملنا قليلا سرعة تغيير علمنا منذ الثورة الى اليوم "اربع مرات" وسرعة اصدار القوانين التى يتعارض مع روح اهم بنود الدستور دون مراجعات او تعديلات . ان حالة واحدة لأنها تمس الرمز الوطنى "العلم" وتتعلق بحرية التعبير أخذت أربعة اشهر مرافعات فى المحكمة الفيدرالية العليا فوق أربع سنين بين محاكم الولايات ومحاكم أخرى لتقدير خطورة كبت حرية القول من جهة وصالح الوطن وخاصة ابان الحرب من جهة أخرى .

ترى هل نبدا نفكر فى موضوع "حرية التعبير فى مصر" وندرس ونناقش .. إلخ .

صيحة من اجل

اللغة العربية

هل يتحول التراث العربى الى ألغاز وطلاسم ؟ !

بقلم : د. محمود الطناحى

وها هى نذر الفتنة قد اطلت براسها ، فلن يستطيع احد مهما غلا فى تقدير كليته او معهده ان يزعم ان طالبا متخرجا فى هذا المعهد او تلك الكلية يستطيع الآن ان يقرأ سطرا من كتاب سيبويه ، فضلا عن ان يفهمه او يحل رموزه ، واذا لم يستطع خريج كلية تعنى باللغة العربية وآدابها ان يقرأ سيبويه فمن ذا الذى يقرؤه ؟ واذا لم يقرأه فى سنى دراسته فمتى يقرؤه ؟

ان الاخطاء اللغوية والنحوية صارت تأخذ علينا الطرق وتأتينا من كل مكان ، وهى اخطاء بشعة مفزعة ، تشمل كل شىء : الاخطار فى ابنية الاسماء وابنية الافعال ، ومخارج الحروف وصفاتها ، واسماء الاعلام والكنى والالقاب والانساب ، ولا تسأل عن غياب العلامة الاعرابية أو التخليط فيها . وقد كنت عنيت يوما برصد هذه الاخطاء وتحليلها ولكنى رأيت الامر قد اتسع اتساعا عظيما ، وتشعب تشعبا مفزعا ، واصبحت انا وهذه الاخطاء كالذى قاله الأول :

تكاثرت الظباء على خراش
فما يدرى خراش ما يصيد

وان ابناءنا وبناتنا فى معاهد العلم ليأتوننا كل يوم بكل غريبة وعجيبة من معلمهم ومعلماتهم . وكلما رتقت فتقا تخرق عليك آخر ، وكلما سددت ثلمة انفتحت امامك اخوات لها اوسع وابشع ، والسوأة السوآء فى تلاوة القرآن العزيز ، فقد استعجم كلام ربنا عز وجل على السنة معلمى المدارس ، وصاروا يتلونه على تلاميذهم محرفا ومزالا عن جهته ، ثم اصبحت تسمعه من بعض المذيعين والمذيعات كذلك مغلوطا ملحونا . وهذه هى المصيبة التى تتضاءل دونها كل مصيبة وهذا هو الخطر الماحق الذى يجب ان نقف جميعا امامه ندرأه وندفعه ، فان القضية بهذه المثابة قد صارت دينا يغتال وشريعة تنتهك ، ولابد ان يقول فيها كل غيور على دين الله كلمته لا يتتعتع ولا يتلجلج ، لا يفزعه سخط الساخط ، ولا

لم يعد خافيا على احد ذلك التدنى الذى وصل اليه خريجو اقسام اللغة العربية فى جامعاتنا خلال العقود الاخيرة وهؤلاء الخريجون هم الذين يتولون تعليم اولادنا فى المدارس ، وهم ايضا الذين يسمعوننا الكلمة العربية من خلال الاذاعة والتليفزيون ولو ترك الامر على ما هو عليه الآن فالله وحده هو الذى يعلم ابعاد الكارثة التى ستطبق على هذه الامة ، ونخشى ان تغشانا طوارقها ذات يوم وقد استحال تراثنا الذى ضنى به الاوائل خلال اربعة عشر قرنا من الزمان : الغازا وطلسمات ، كالذى تراه على جدران المقابر والمعابد ولفائف البردى ، رموزا قديمة تخفى على جمهرة الناس ، ولا يعقلها الا العالمون . ويومها سنقول :

استعجمت دار مى ما تكلمنا
والدار لو كلمتنا ذات اخبار



د . زكى نجيب محمود

يخيفه سلطان هؤلاء الذين يظنون ان بيدهم أغلاق الابواب وفتحها ، وقد قال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : «الا لا يمنعن رجلا هيبة الناس أن يقول بحق اذا علمه» .

● عود على بدء

ولقد تابعت هذه القضية منذ زمان بعيد ، ورأيت اهل العلم يردونها الى اسباب كثيرة ، على انى لم ار من وضع يده على اصل البلاء ومكمن الداء الا قارئا كريما هو الاستاذ طارق البوهى - بكفر الشيخ - وقد علمت فيما بعد انه من رجال التربية وقد جاء رأيه هذا فى سطر واحد منشور فى باب (مجرد رأى) بجريدة الاهرام . قال : «لا يجب ان نقسو كثيرا على الشباب ، فهم نتاج البذور التى القيت والتعليم الذى اعطى لهم ومجالات الثقافة التى تلقوها» . هذا رجل صادق ، عرف الحق فقاله ، ولم يضيع نفسه ويضيعنا فى متاهات التفلسف والتنظير واللف والدوران .

ثم انه احسن الله اليه قد وضع القضية فى حاق موضعها : ماذا يتلقى طالب العربية الآن فى كليات اللغة العربية واقسامها بالجامعات ؟ امشاج من قواعد النحو والصرف مطروحة فى مذكرات يمليها الاساتذة املاء ، او يطبعونها

طبعات تزيد عاما وتنقص عاما . واختفى الكتاب القديم لتحل محله هذه المذاكرات والمختصرات ، ودفع الطلاب دفعا الى الملل من قراءة الكتب ، والملل من كواذب الاخلاق كما قال عمرو بن العاص رضى الله عنه .

أن هجر الكتاب القديم ـ وهو وعاء العلم ومستودع التراث ـ والاستعاضة عنه بالمذكرات والمختصرات ، قد حجب عن هذا الجيل كوى النور ، وجلاهم عن موارد العلم .. وكان من اخطر الامور رد ذلك الى التيسير والتسهيل والتخفيف على الناشئة ، ولقد مضينا فى التيسير والتسهيل خطوات وخطوات حتى انتهينا الى هذا الذى نشكو منه ونضيق به ، ونسأل الله السلامة منه . على ان تيسير النحو قد سلك دروبا مظلمة ، فليس من التسهيل والتيسير ان تدع «زيدا وعمرا» فى التمثيل لتقول : «سمير واشرف» وليس من التسهيل والتيسير ان تترك التمثيل على القاعدة النحوية بالشاهد القرآنى والحديثى واشعار العرب وامثالها لتكتب قصة متكلفة عن نزهة فى القناطر الخيرية ، أو زيارة الى اهرامات الجيزة ، او حكاية عن الفلاح فى الحقل ، لتستخرج من كل ذلك شواهدك على القاعدة النحوية والصرفية . وليس يشك عاقل فى ان التمثيل لتقدم المفعول على الفاعل بمثل : «قطف الوردة طفل» ليس فى قوة الاستشهاد بقوله تعالى : «واذا ابتلى ابراهيمَ رَبُّهُ» وقوله : «اذ حضر يعقوبَ الموتُ» وقوله : «ان يمسسكم قرح فقد مس القومَ قرحٌ مثله» وقوله « لن ينال اللهَ لحومها ولا دماؤها» . وقوله «انما يخشى اللهَ من عباده العلماء» ، وقوله صلى الله عليه وسلم فى الحديث السابق : «الا لايمنعن رجلا هيبة الناس ان يقول بحق اذا علمه» . وقول جرير :

جاء الخلافة او كانت له قدرا
كما اتى ربَّهُ موسى على قدر

فانت مع المثال الأول امام تركيب تمثلت فيه القاعدة النحوية ، لكنه كالتمثال الأصم ، فاز من الوسامة والقسامة باوفر الحظ والنصيب ، ولكنه تمثال جامد فاقد الحركة والنطق . أما مع الامثلة القرآنية والحديثية والشعرية فانت امام نماذج تنتفش بالحياة وتمور بالحركة ، مع ماتعطيه من انس وخبرة بالابنية والتراكيب العربية . ومن هنا احتلت الشواهد التراثية فى تقعيد النحو مكانة عالية .

على انه ينبغى ان يكون واضحا ان فكرة التيسير على الناشئة كانت ظاهرة بينة فى فكر النحاة الاوائل رضوان الله عليهم : فابن السراج المتوفى ٣١٦ هـ يؤلف كتابا كبيرا فى النحو هو «الاصول» ثم يضع الى جانبه مؤلفا صغيرا جدا هو «الموجز» وابو على الفارسى ٣٧٧ هـ يؤلف «الايضاح» وهو متن صغير سهل العبارة الى جانب كتبه الكبار : التذكرة والشعر والحجة والشيرازيات .. وغلامة ابن جنى العظيم ـ كما كان يصفه استاذنا الطيب الدكتور كمال بشر اطال الله فى النعمة بقاءه ـ يؤلف بجانب الخصائص والمنصف وسر صناعة الاعراب والمحتسب رسائل موجزة فى النحو والصرف ، مثل اللمع والملوكى فى التصريف . وأبو القاسم الزجاجى ٣٤٠ هـ يصنف كتابا فى الفكر النحوى هو «الايضاح فى علل النحو» ثم يؤلف للناشئة كتابه الشهير «الجمل» وهو كتاب سهل رهو وقد جاء عنوانه فى الاصل المخطوط

هكذا : «كتاب الجمل في النحو .. اختصار ابى القاسم عبدالرحمن بن اسحاق الزجاجى) أرايت الى كلمة «اختصارى» ؟ وقد وقفت عند كتاب غريب اراه صورة واضحة الدلالة على ان علماءنا الأوائل كانوا مشغولين حقا بتربية الناشئة والتيسير عليهم والتدرج معهم في تعليم النحو. وذلك هو كتاب «اعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم» لابى عبدالله الحسين بن احمد المعروف بابن خالوية المتوفى سنة ٣٧٠ هـ . لقد كان المألوف في زمان ابن خالوية والأزمان التي سبقته والتي جاءت بعده ان يتصدى العلماء لاعراب القرآن الكريم كله ولكن الذى صنعه ابن خالوية شيء عجب : لقد وضع كتابه لاعراب ثلاثين سورة فقط ، مبتدئا بسورة الطارق ، ومنتهيا بسورة الناس ، ثم افتتح كتابه هذا باعراب الاستعاذة والبسملة ، وفاتحة الكتاب .. ولا تفسير لصنيع ابو خالوية هذا وايثاره لاعراب قصار السور هذه الا انه وضع الناشئة امامه ، لأن هذه السور من اوائل ، ما يحفظه الصبيان من الكتاب العزيز ، وأنها كثيرة الدوران على ألسنتهم ، وان عرض قواعد النحو والصرف من خلال هذه السور القصار مما يثبتها ويمكنها في النفوس .

فتعليم النحو من خلال هذه الكتب القديمة الموجزة فيه تثبيت للعربية وتمكين لها في النفوس ، مع التقاط معارف اخرى تأتى من خلال الشواهد والنصوص ، وينبغى ان نحسن الظن بناشئتنا ولانخشى عليهم من التعامل مع الكتاب القديم فان فيهم خيرا كثيرا .. ولقد كانت لى تجربة جيدة هذا العام ، حين دعيت الى تدريس النحو لطالبات السنة الاولى بكلية البنات بجامعة عين شمس ، وقد قرأت معهن شيئا من كتاب شذور الذهب على خوف منى ووجل ، لكنى صبرت نفسى معهن واحتشدت لهن احتشادا ، وكانت تجربة ناجحة جدا ، وتلقت الطالبات كلام ابن هشام بقبول حسن ، وقد رأيت من هؤلاء الطالبات نماذج مبشرة بخير كثير .

والغريب حقا ان زملاءنا الاكرمين بالجامعات المصرية ينفرون من تدريس الكتاب القديم ، وحين يخرجون الى جامعات دول الخليج يحملون حملا على تدريسه ، وهناك يؤدونه بكفاءة عالية جدا ، لأنهم بلا ريب اهل فقه وبصيرة ، ولأنهم ايضا ينتمون الى جيل المتون الذى سأحدثك عنه .

● جيل المتون

على ان اخطر ما في هذه القضية ان يقترن تعليم النحو من خلال المذكرات والمختصرات بالطعن على ائمة النحاة والازراء بتصانيفهم وغياب المنهجية في تآليفهم ومحاكمتهم الى مناهج غربية ظهرت بعدهم بقرون . ومما لا شك فيه ان اساتذتنا الافاضل وزملاءنا الأكرمين الذين يدورون في هذا الفلك انما ينتمون جميعا الى الجيل العظيم : جيل المتون والحواشى ، نعم كلهم من جيل الحفظة .. حفظة القرآن الكريم والمتون والمنظومات

. وهذا شيء أعرفه تماما ، وبخاصة عند ابناء كليتى : دار العلوم ، من الجيل الذى سبقنى والذى زاملنى والذى جاء بعدى بقليل ، فهؤلاء جميعا قد تعلموا النحو من خلال الكتاب القديم ، على هذا السياق وبذلك الترتيب : التحفة السنية بشرح المقدمة الأجرومية ـ تنقيح الأزهرية للشيخ خالد الأزهرى ـ قطر الندى وبل الصدى ـ شذور الذهب في معرفة كلام

العرب ، كلاهما لابن هشام – شرح ابن عقيل على الفية ابن مالك – اوضح المسالك على الفية ابن مالك لابن هشام – شرح الاشمونى على الفية ابن مالك مع حاشية الصبان عليه . وبهذه المسيرة الاصيلة الضخمة استطاع اساتذتنا وزملاؤنا ان يفقهوا النحو ويبرعوا فيه ثم يكتبوا مذكراتهم ومختصراتهم ، وايضا تقدمهم للفكر النحوى . ولو انهم تربوا من اول امرهم على المذكرات وتعلموا من المختصرات لما فقهوا ولما برعوا ، ولما كتبوا منحوهم الكافى والشافى والصافى والوافى» .

ثم أن الخطر كل الخطر : ان يصدر التشكيك فى النحو ومصطلحاته من اساتذة كبار لهم فى النفوس مكان ومكانة ، ولكلامهم فى القلوب وقع وتاثير . ومن ذلك ما وقع فى يدى ذات يوم ، من كلمة للاستاذ الكبير الدكتور زكى نجيب محمود – متعه الله بالصحة والعافية – بجريدة الاهرام بتاريخ ١٩٨٨/٦/٢٨ بعنوان «العربى بين حاضره وماضيه» ، ضمن سلسلة مقالاته التى اختار لها عنوان «عربى بين ثقافتين» وقد ادار كلمته هذه حول تقييم الموروث الذى انتهى الينا من ماضينا ، وانه ينبغى علينا ان ننتقى ونختار ، وان ننظر «الى نوع الحصيلة التى اخترناها لتكون هى ماضينا المبثوث فينا ، وذلك لاننا قد نسيء الاختيار – وكثيرا جدا ما نفعل – فنبث عوامل الضعف والشلل من حيث اردنا القوة وانطلاقة الحياة» . ثم دلل على سوء الاختيار هذا بنموذج من تجربته الشخصية مع مدرس اللغة العربية الذى التقى به فى السنة الثالثة الابتدائية ، وذلك ما املاه عليهم عن «اذا» و «انها ظرف لما يستقبل من الزمان خافض لشرطه منصوب بجوابه» . ثم تساءل الدكتور الفاضل عن جدوى تلك العبارة لاسيما والمتلقى طفل فى الحادية عشرة من عمره ؟ وعقب فقال : «وانى لادعو القارىء الى استعادة ما اسلفناه ، وهو ان العربى اذ يحيا حياته حاملا فى رأسه هذا الذى قيل له عن كلمة «اذا» وما تؤديه ، فانما هو يحيا حاملا معه نتفة من الماضى ، لكنها نتفة عسيرة الهضم ، قد تصيب المعدة بالاذى ، واما اليقين عنها فهو انها لن تنفع حاملها غذاء يقتات منه ليكون عربيا موصول الهوية بماضيه ، فاذا تصورنا ان مئات الالوف ممن يعدون بين حملة العلم فى بلادنا يحيون وهم يحملون فى رؤسهم اخلاطا من امثال هذه «المعرفة» التى ان صلحت فى الاركان الاكاديمية المعزولة عن الهواء الطلق فهى لا تصلح لحياتنا الناهضة وسيلة حفز ، ودفع وتحريك» هذا كلام الدكتور الفاضل ، وفيه من سلطان الذكاء وقوة المعارضة ومن بريق العذوبة والحلاوة ما ترى ! ولكنه عند التحقيق منقوض ومردود عليه . والاستاذ الدكتور زكى نجيب محمود رمز من رموز فكرنا المعاصر ، وهو ايضا واحد من هذا النفر الكريم الذين اسهموا اسهاما واضحا فى نشاط لجنة التاليف والترجمة والنشر هذه القلعة الضخمة من قلاع الفكر العربى .

فاقول : ان هذا المثال الذى ذكره الدكتور ، ورأى فيه اساس الداء ومدخل البلاء فى تعلم العربية : «اذا .. ظرف لما يستقبل من الزمان خافض لشرطه منصوب بجوابه» .. هذا المثال يستدعى – بلا ريب – عند بعض القراء امثلة اخرى من بابه ، ضاقوا بها اشد الضيق حين تلقوها اول مرة ، وبخاصة اذا لم يشتغلوا بالعربية



د . عبد الحميد العبادى



على الجارم

وقضاياها فيما استقبلوا من ايام وما صرفوا من اهتمامات ، لكنه فى الوقت ذاته وبالقدر نفسه عند من اشتغلوا بالعربية ، وجعلوها ميدانا لدراساتهم وابحاثهم فيما بعد : يذكر بايام زاهية جادة صارمة وضع فيها الاساس متينا صلبا، فقام البناء عاليا شامخا «وانما يمدح السوق من ربح» كما تقول العرب فى امثالها .

● الضوابط الراسخة

وإنى سائل الدكتور الفاضل : اى بأس فى ذكر هذا الضابط النحوى ؟ واى ضرر فى ان يتلقاه الصغار فيما يتلقون فى النشأة الاولى ؟ والدكتور يعلم ان طبيعة تعلم العربية تقتضى حفظ كثير من النصوص والضوابط لترسيخ القاعدة ، ولذلك لجأ المصنفون قديما الى المنظومات العلمية لضبط القواعد وتثبيتها ، ثم كان من ذلك ايضا تلك الضوابط النثرية لبعض القواعد ، مثل «سألتمونيها» لحصر حروف الزيادة فى الصرف ، و«سكت فحثه شخص» لضبط الحروف المهموسة ، و«لم ار على ظهر جبل سمكة» لبيان الاسباب والاوتاد والفاصلة فى العروض . ومن اطرف ماحفظناه من مشايخنا فى الصغر قولهم «صن شمله» رموزا لاسماء الانبياء المصروفة ، اى المنونة : فالصاد لصالح ، والنون لنوح ، والشين لشعيب ، والميم لمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ واللام للوط ، والهاء لهود ، عليهم السلام أجمعين . فهذه الاسماء الستة تنون وما عداها من اسماء الانبياء يمنع من التنوين . وكانوا يقولون لنا ايضا : «لا تكسر الصحاح ولا تفتح الخزانة» يريدون «الصحاح» للجوهرى وانه بفتح الصاد ، وخزانة الادب للبغدادى وانها بكسر الخاء . وقالوا : «من حفظ المتون حاز الفنون» ولا شك ان الاستاذ الكبير يعرف فى جيله هذه المجموعة التى طبعت باسم «مجموع مهمات المتون» ، يشتمل على ستة وستين متنا فى مختلف العلوم والفنون ، وتاريخ الطبعة الرابعة منه ١٣٦٩ هـ = ١٩٤٩ م . ولا ينبغى ان يلتفت الى ما يقال من ان هذا عيب فى اللغة العربية . ان تعتمد على الحفظ الاصمّ الاعمى ، فهذا امر معروف فى سائر اللغات . يقول العالم الاديب الدكتور عبدالله الطيب ، فى دفع تلك الفرية : «ومساكين اللغة العربية ينفرون من الحفظ ليكونوا متمدينين» . ثم يقول : «واشهد على نفسى انى عندما كنت ادرس فى الخارج (لندن) كنا ندرس بعض القطع المسرحية لشكسبير ، فكان التلاميذ يسمّع بعضهم لبعض القطع عن ظهر قلب ، حتى امثال «يدخل يطارده القتلة» او «يخرج يطارده سبع» وكانت لهذه المسرحيات القديمة شروح ، وقد تكون الابيات أربعة اسطر فى اعلى الصحيفة ، بخط كبير ، وسائر الصحيفة بخط دقيق ، شرح لما فوق ، ويقبل التلاميذ على ذلك ولا ينفرون ، فإذا قدم لهم شىء يشبه ذلك بالعربية نفروا منه نفورا شديدا . ومن عجيب الأمر ان الكتب التى كنا ندرسها

بالانجليزية كان ورقها اصفر ، والورق الأصفر لعله الين على عين القارىء من الورق الناصع الابيض» .

ملحق التراث بجريدة المدينة المنورة بالسعودية ـ ٢١ من ربيع الأول ١٤٠٨ هـ = ١٢ من نوفمبر ١٩٨٧ م .

فهذا الذى يراه الدكتور زكى نجيب محمود «نتفة من الماضى عسيرة الهضم قد تصيب المعدة بالأذى» هو عند النظر والتحقيق اساس العلم ومدخله ، بل هو الغذاء الذى تصح به المعدة ، وتتكون عليه الانسجة والخلايا ، وما دخل علينا البلاء ، واستبد بنا الضعف الا يوم أن هجرنا هذه الضوابط الكلية ، ونفرنا من الحفظ ، واجتوينا النصوص ، ثم غرقنا فى البحث النظرى الذى اسلمنا الى التجريد والمطلق .

اما إشفاق الدكتور الفاضل على الصبى الذى هو فى الحادية عشرة ، أن يؤخذ الى هذه التراكيب والمصطلحات المعقدة التى تصيب المعدة بالاذى فان الدكتور الكريم يعلم علما ليس بالظن ان من اصحاب هذه السن فى جيله من اتم حفظ القرآن الكريم ، وحفظ الى جانبه شيئا من المتون ، مثل (متن نور الايضاح) فى فقه الحنفية ، أو «متن العشماوية» . فى فقه المالكية ، او (متن ابى شجاع) فى فقه الشافعية ، او (متن زاد المستقنع) فى فقه الحنابلة ، الى جانب (متن الآجرومية) الشهير .. وانى اعيد هنا ما ذكرته من قبل : ان اساتذتنا الذين كتبوا فى الدراسات اللغوية والنحوية الحديثة وشرقت كتبهم وغربت ، ينتمون جميعا الى جيل الحفظة : حفظة القرآن والمتون والحواشى والمصطلحات وما كان لهؤلاء الاساتذة أن يكتبوا ما كتبوا لو لم يحفظوا منذ الصغر : «اذا .. ظرف لما يستقبل من الزمان خافض لشرطه منصوب بجوابه» واخواتها مثل : «لا يجمع بين العوض والمعوض عنه» و «اجتمعت الياء والواو وسبقت احداهما بالسكون فقلبت الواو ياء وادغمت فى الياء . وذلك فى مثل سيد» .

ولازلنا نحن ابناء الجيل التالى الذى تستطيع ان تشم فيه رائحة العلم ، لاننا وردنا الماء صافيا قبل ان تكدره الدلاء ، ولاننا ادركنا معاهد العلم قبل ان يدهمها السيل اقول : لازلنا نذكر هذه المشاكل النحوية التى التقينا بها فى طراءة الصبا وريق الشباب ، مثل اعراب قوله تعالى : (ان هذان لساحران) وكيف رفع (هذان) وهو اسم (أن) وتوجيه الرفع فى قوله تعالى (الصابئون) فى الآية الكريمة (ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى) واختلاف المعنى باختلاف حركة الاعراب على الراء فى قوله تعالى : (ولا تمنن تستكثر) وعود الضمير على غير مذكور فى قوله تعالى : (حتى توارت بالحجاب) اى الشمس ، والمصدر المتصيد فى مثل قوله تعالى : (وان تشكروا يرضه لكم) اى الشكر ، وقوله : (ونخوفهم فما يزيدهم الا طغيانا) اى التخويف . وقوله : (ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرا لهم) اى الايمان ثم فى مثل قول الشاعر :

اذا نُهى السفيه جَرى اليه
وخالف والسفيه الى خلاف

اى جرى الى السفه .. كل هذا كنا نستظهره وندير على السنتنا فى سهولة ويسر ، كانت اسناننا فى تلك الايام لاتتجاوز الخامسة عشرة .. نعم كل هذا

عرفناه وخبرناه ، وجرى منا مجرى المحفوظات والمأثورات ، فأورث ملكة فى النحو ، واكسب احساسا بالعربية فى ابنيتها وتراكيبها ، حتى اذا غبى علينا شيء من هذه الابنية والتراكيب فزعنا الى ذلك المذخور من ايام الصبا ، فاسفر وجهه ، ودان عصيه .. فهل عند ابناء اليوم من ذلك شيء ؟

ولا يصح ان يقال : ان هذا الذى ذكرته كان سمة التعليم الدينى او التعليم الذى تغلب عليه العربية ، كالذى فى الأزهر الشريف ودار العلوم ، فان الدكتور الفاضل يعلم علم اليقين مواد العربية التى كانت تقدم لتلاميذ المدارس فى التعليم العام ، او الأميرى .

وامامى الآن طبعة ثانية من «معجم المصباح المنير» للفيومى المتوفى سنة ٧٧٠ هـ ، وتاريخ هذه الطبعة ١٩٠٩ م ، وكتب على صدرها «قررت نظارة المعارف العمومية طبع هذا الكتاب على نفقتها واستعماله بالمدارس الأميرية» ، وكذلك يعلم الدكتور كتب التراث التى كانت مقررة على طلبة المدارس الثانوية ، مثل «البخلاء» للجاحظ ، الذى نشره احمد العوامرى بك ، وعلى الجارم بك سنة ١٣٥٦ هـ = ١٩٣٨ م ، و«نقد النثر» المنسوب الى قدامة بن جعفر ـ وثبت فيما بعد انه البرهان فى وجوه البيان لابن وهب ـ الذى نشره الدكتور طه حسين ، والاستاذ عبدالحميد العبادى سنة ١٣٥٦ هـ = ١٩٣٧ م ، وقد قررته وزارة المعارف لطلاب السنة الخامسة التوجيهية الى طائفة اخرى من الكتب المشحونة بالنصوص ، مثل «مجموعة النظم والنثر» لعبد الله باشا فكرى والمنتخب من ادب العرب .

هذا الى ان الأزهر الشريف كان موجها لتعليم النحو فى المدارس ومهيمنا عليه ، فهذا الكتاب الشهير «الدروس النحوية» الذى الفه حفنى بك ناصف مع محمد افندى دياب والشيخ مصطفى طموم ومحمد افندى صالح : قررت نظارة المعارف العمومية سنة ١٣٠٤ هـ طبعه على نفقتها بعد تصديق شيخ الجامع الأزهر . وهكذا كان تعليم النحو والعربية فى مصر ايام عزها ومجدها من خلال الكتاب القديم او الكتاب الحديث المؤسس على القديم والماضى فى طريقه .

فهذه العبارة النحوية التى نقلها الدكتور زكى نجيب محمود عن شيخه ينبغى ان تؤخذ فى إطار الجد والصرامة الذى كان يشمل تدريس سائر العلوم فى ذلك الزمان . وما اخذت مصر مكانتها التى تزهو بها فى العالمين فى مختلف العلوم والفنون الا بذلك الجيل الذى اخذ بالجد فى كل اموره منذ النشأة الاولى والناس بأزمانهم اشبه منهم بآبائهم .

ولا سبيل لنا اذا اردنا صلاح الحال واصلاح الالسنة الا احياء جيل المتون والحفظة . وذلك لن يكون الا بالعودة فى تدريس النحو الى الكتاب القديم والنص التراثى ، فان اخر هذه الامة لن يصلح الا بما صلح به اولها .

مشكلة المخدرات
في مصر

بقلم :
د. مصطفى سويف

مضمون السياسة الرشيدة

تسود الدعوة في عالمنا الحديث إلى أن تقيم الدول سياستها على أسس من التحليل والحسب العلمي الرشيد . وفي موضوع التصدى لمشكلة تعاطى المخدرات يجتمع رأى العلماء والخبراء على أن التقدير الدقيق لحجم المشكلة يعتبر من أهم الدعائم التى يستند اليها ترشيد سياسة الدولة . ويقوم تقدير الحجم على ثلاثة عناصر ، هى : تقدير العرض ، وتقدير الطلب ، ثم تقدير النتائج الصحية والاجتماعية المترتبة على المشكلة . وتكون سياسة الدولة فى هذا المجال سياسة رشيدة بقدر ماتحقق التوازن فى تعاملها مع هذه المحاور الثلاثة ، وفى مقالنا هذا سوف نبين كيف تتوزع جهود الدولة بين هذه الجبهات

التصدى على محور العرض

ترسم الدولة سياستها حول هذا المحور على عدة أسس ، أهمها :
التشريعات المحلية التى تصدرها ، والتشريعات أو الاتفاقيات الثنائية والاقليمية التى قد تكون طرفا فيها ، والمواثيق أو المعاهدات الدولية التى تعتمدها ، وتهدف هذه التشريعات والاتفاقيات والمواثيق والمعاهدات جميعا الى مكافحة التهريب والاتجار والتعامل بكافة صوره غير المشروعة فى الجواهر المخدرة ، وتكرس التعاون الاقليمى والدولى بكافة السبل والأجهزة المتاحة نحو هذا الهدف ، ويتحدد حجم الجهد والانفاق الذى تبذله الدولة فى هذا الصدد ، بناء على عوامل متعددة ، يدخل فى عدادها حجم العرض كما تقدره الدولة



بوسائلها الخاصة ، ومن خلال قنواتها فى شبكة التعاون الدولى بين الهيئات والاجهزة المعنية .

وفى مصر تعتمد جهود الدولة فى هذا الصدد على القانون المصرى للمكافحة (فى احدث تعديل له وقد صدر به قانون ١٢٢ لسنة ١٩٨٩) ، وعلى القانون العربى الموحد الصادر عن مجلس وزراء الداخلية العرب فى سنة ١٩٨٦ ، على الاتفاقية الوحيدة الصادرة عن الأمم المتحدة فى سنة ١٩٦١ ، وعلى اتفاقية فيينا للعقاقير النفسية الصادرة فى سنة ١٩٧١ ، وتقوم فلسفة العمل حول هذا المحور على اساس العقاب ، يوقع على الجناة من المهربين والتجار والمروجين .. الخ . والهدف القريب هو منع وقوع الجريمة ، او الحد من حجمها والهدف البعيد هو الردع .

التصدى على محورى الطلب والنتائج

حتى وقت قريب لم يكن التصدى لهذين الجانبين من مشكلة المخدرات يكون جزءا رسميا له وزن معقول فى السياسة التى تعتمدها الدولة المصرية لمواجهة المشكلة ، فكان جل اهتمام الدولة ينصرف الى مكافحة العرض . اما الجزء الذى يوجه الى مقاومة الطلب فكان يتخذ اساسا شكل القبض على المتعاطين (مع قيام عنبر وحيد للعلاج فى مستشفى الخانكة للامراض العقلية هو اقرب الى اسلوب ذر الرماد فى العيون) ، وظلت الفلسفة المسيطرة على المجال هى فلسفة الردع . وكان ينص على ذلك صراحة فى المذكرات الايضاحية للقوانين الصادرة فى هذا الصدد . وللحقيقة والتاريخ لم يكن الوضع افضل من ذلك فى كثير من دول العالم ، ولكن للحقيقة والتاريخ ايضا يجب ان نذكر ان عددا من الافراد ممن يعنيهم الامر لم يكونوا راضين عن هذا الوضع ، لا فى مصر ولا فى الخارج . الا انه فى مثل هذه الأمور يعجز الافراد عن ان يفعلوا شيئا ذا بال ، ولابد من الانتظار حتى تأخذ عمليات نضج الوعى الاجتماعى وقتها الكافى ، وكل مايستطيع الافراد ان يفعلوه حينئذ هو الدأب على تنشيط عمليات نضج الوعى الاجتماعى المشار اليها وتغذيتها بكل مايصلح لها من روافد .

واخيرا آن الاوان لان تبلغ هذه العمليات مستوى النضج اللازم لتتحرك باسمها اجهزة ومؤسسات قومية ودولية ، وفى سنة ١٩٨٧ انعقد (المؤتمر الدولى للمخدرات) فى فيينا ، وقد شهده ممثلون عن ١٢٨ دولة ، ومن بينها جمهورية مصر العربية ، وجاء فى الاعلان الصادر باجماع الاصوات مانصه : **« وفى سبيل المعالجة الشاملة للمشكلات التى يثيرها التعاطى والاتجار غير المشروع فى المخدرات ، لابد من الاتجاه الى خفض كل من العرض والطلب للمخدرات » . وكانت هذه هى المرة الأولى التى يتبلور فيها موضوع التصدى على جبهتى العرض والطلب معا على هذا النحو من الوضوح ، ويتحدد كخط استراتيجى على هذا المستوى من الاجماع العالمى .**

هنا يلزمنا ان نتوقف قليلا للنظر فيما يترتب على هذا الاعلان الدولى وعلى التزام مصر بما ورد فيه باعتبارها عضوا مشاركا فى اصداره . فقد اصبحت الحكومة المصرية ملتزمة الان (امام الشعب وامام المجتمع الدولى) بان توزع جهودها فى مقاومة المشكلة توزيعا معقولا بين جهود للتغلب على

مايدور فى جبهة العرض ، وجهود للتغلب على ماتحقل به جبهة الطلب ، ومايترتب على الطلب من نتائج صحية واجتماعية ، وفى هذا المضمار فان التصدى لجبهة الطلب ومايترتب عليها يعنى الجهود قصيرة المدى وطويلة المدى لخفض الطلب على المخدرات جميعا ، وتدور هذه الجهود حول دعامتين اساسيتين : الأولى هى الوقاية ، والثانية هى العلاج والرعاية اللاحقة .

الخطط والاجراءات الوقائية

مفهوم الوقاية مفهوم واسع بدرجة قد تكون خادعة ، وهو يستخدم فى أمور الصحة العامة وفى القانون ، وعندما نأتى الى مشكلة المدخرات نجد انه اصبح فى السنوات الأخيرة ، وبفضل جهود عشرات الباحثين المتخصصين فى أنحاء العالم المختلفة ، مصطلحا له ابعاد محددة ، فهناك الوقاية فى المستوى الأول ويقصد بها منع وقوع التعاطى اصلا . وهناك الوقاية فى المستوى الثانى ويقصد بها احتواء الاصابة المبكرة وماقد يترتب عليها وانهاء هذه النتائج باقل الاضرار الممكنة ثم هناك الوقاية فى المستوى الثالث ويتجهون بها الى احتواء الاصابات المتفاقمة ومنع المزيد من تفاقمها ولكن دون الامل فى انهائها تماما . ولكل من هذه المستويات الثلاثة من الوقاية اساليب قصيرة المدى لاعطاء عائد سريع وهو غالبا مايكون مؤقتا واساليب طويلة المدى تعطى عائدا بطيئا لكنه فى اغلب الاحوال ذو اثر باق وراسخ .

وبالاضافة الى مسالة المستويات المختلفة للوقاية يشير الباحثون الخبراء فى هذا الميدان الى ضرورة تحرى جانب الحذر فى تحديد الجمهور الذى توجه اليه الاجراءات الوقائية بنوعياتها المختلفة ، لان هذه الاجراءات يمكن ان يكون لها آثار جانبية ، اى تأثيرات غير مرغوب فيها ، ويظهر ذلك بوضوح اذا وجهت هذه الاجراءات الى غير الجمهور المحتاج اليها ومن ثم فشرط الاجراءات الوقائية الناجعة أن توجه الى الجمهور المناسب لها وبالتالى فلابد للاجراءات الوقائية الرشيدة من ان تؤسس على نتائج بحوث ميدانية قد سبق القيام بها داخل البلد المعنى وامكن من خلالها تحديد من يسمون بالجماعات الهشة او الجماعات الضعيفة ، اى الجماعات المعرضة للانخراط فى سلك التعاطى تحت تاثير ابسط ترغيب او استثارة . فاذا تم تحديد هذه الجماعات بالطرق العلمية الدقيقة كانت الخطوة التالية هى وضع البرامج الوقائية المناسبة لها (اى المناسبة لخبراتها الحياتية ، ومستوى التعليم فيها ، ومع مراعاة مستوى

الوقاية المقصود .. الخ) ثم تطبق هذه البرامج على هذه الجماعات فى اماكن تجمعها (اذا كانوا طلابا ، او عمالا ، او جنودا ، او سجناء .. الخ) وتستخدم فى هذا التطبيق وسائل متعددة يأتى فى مقدمتها استخدام الدوائر التليفزيونية المغلقة بهدف محدد، هو تغيير الاتجاهات النفسية لافراد هذا الجمهور نحو مخدر بعينه او فئة بعينها من المخدرات .

واخيرا وليس اخرا فى بند الوقاية يتحدث الباحثون الخبراء عن الكيفية التى تصمم بها البرامج الموجهة على هذا النحو ، فهى تصمم حسب قواعد معينة ، اهم مافيها هو انها تقوم على اساس مايسمى « تحليل الطلب » والمقصود بهذا المصطلح ان يستند تصميم هذه البرامج الى تحليل واقعى لعملية الطلب كما يتجه بها المتعاطون الى مخدراتهم المفضلة ، والتى يشيع الحديث عنها فى المجتمع ، وفى هذا الصدد يجب الفصل بين شكل الطلب ووظيفته ، والمقصود بشكل الطلب الطريقة التى يفضل المتعاطى ان يتناول المخدر بها ، فكثيرا مايكون للمخدر الواحد عدة طرق للتعاطى وبالتالى فلا بد من معرفة الشائع من هذه الطرق ونوعيات المتعاطين الذين يفضلون كل طريقة على حدة ، والمقصود بوظيفة الطلب هو الدوافع والاغراض والتصورات التى يتصور المتعاطون او يتوهمون انهم يتعاطون هذا المخدر او ذاك تحقيقا واشباعا لها . هذا هو تحليل الطلب فى كلمة موجزة ، وهو من اهم الاعتبارات التى لابد لمصممى البرامج الوقائية من ادخالها فى حسابهم . وغنى عن البيان ان المسألة هنا تحتاج كذلك الى دراسات ميدانية واكلينيكية موسعة ومتعمقة للكشف الحقيقى عن الواقع النفسى الاجتماعى القائم وراء الطلب على المخدرات على حقيقة وليس كما يتصوره الاباء الساخطون على ابنائهم ، او المربون الغاضبون على اجيال لايسلكون سبل الرشاد .

خلاصة القول فى موضوع الوقاية عندما تتبناه الدولة كجزء من سياستها فى التصدى لمحور الطلب انه موضوع شديد التركيب ، فهو يقتضى اولا ان يكون هناك تصور واضح للمستويات الثلاثة لهذه الوقاية ، وان تكون المسألة واضحة امامنا ، اى مستوى هو الذى نقصده ، فنضع له التدابير ونتبع الاجراءات المناسبة له ، ويقتضى ثانيا تحديد الجماعات الهشة او الضعيفة التى ستوجه اليها البرامج الوقائية المختلفة ، ويقتضى ثالثا ، ان توضع هذه البرامج على اساس تحليل علمى واقعى للحقيقة النفسية الاجتماعية للطلب على المخدرات كما هو قائم فعلا فى المجتمع ، ومعنى ذلك فى نهاية الامر ان السياسات والبرامج الوقائية كما هو متعارف عليها الان بين الخبراء شىء والوعظ والارشاد

والنصح والكلام الكبير الذى تمتلىء به وسائل الاعلام لدينا شيء اخر تماما ، ويقتضينا أمانة الكلمة ان ننبه فى هذا الموضع الى ان المادة التى تمتلىء بها وسائل الاعلام لدينا ، مع هذا الاستخدام المكثف الذى نشهده ونعنى بوجه خاص الاعلام المرئى ، لم يعد يقتصر امرها على كونها بعيدة كل البعد عن الاجراءات الوقائية بالمعنى العلمى الذى شرحناه بل تعدى ذلك الى كونها اصبحت ذات اثار معاكسة تماما للمقصود منها ، وأن هذه الاثار الضارة تزداد مع الايام كما وكيفا .

العلاج والرعاية اللاحقة

العلاج من الادمان جزء لايتجزا من السياسة التى يجب ان تعتمدها الدولة فى تصديها لمواجهة مشكلة المخدرات ، وهذا ماتلتزم به الدولة المصرية فعلا ، بمقتضى نصوص قانون المكافحة فى أحدث تعديلاته (المواد ٣٧ ، و٣٧ مكرر و٣٧ مكرر ا ، ب ، ج ، د) ، وبمقتضى المواثيق الدولية التى شاركت فيها الدولة واعتمدت موادها وتوصياتها ، وقد ورد فى التوصية رقم ٣٩٦ من الاعلان الصادر عن المؤتمر الدولى للمخدرات المنعقد فى فيينا سنة ١٩٨٧ ، مانصه : « بناء على كذا وكذا .. يجب على الدول الاعضاء ان تأخذ بعين الاعتبار ان توفر لمتعاطى المخدرات ، مايكفل لهم التقدم للعلاج ، وتلقى خدمات التربية واعادة التأهيل والاستيعاب الاجتماعى ، سواء أكان ذلك بديلا من الحكم والعقوبة او بالاضافة اليهما » هذا هو الموقف الرسمى الذى تلتزم به الدولة ، امام المواطنين وامام الرأى العام العالمى ، ويقتضى هذا الموقف الرسمى ان تتخذ الدولة الخطوات الفعلية لوضع هذا الالتزام موضع التنفيذ ، واحقاقا للحق فقد بدأت الدولة تخطو هذه الخطوات فعلا ، ولكن يؤخذ عليها البطء الملحوظ فى هذا الصدد . غير انها على كل حال ماضية فى سبيل التنفيذ ، هذا على الصعيد الرسمى الا ان قصة الاخذ بسياسة العلاج لاتنتهى عند هذا الموضع انما تاتى البقية على الصعيد غير الرسمى .

فى خضم التزاحم على الكتابة فى الموضوع فى منتصف العام الماضى ، وعلى وجه التحديد قبيل وبعيد شهر يوليو سنة ١٩٨٩ ، وهو الشهر الذى صدر فيه القانون الجديد ، تطوع عدد من الكتاب بالادلاء بارائهم فى موضوع العلاج ، وأخذت المسألة عند البعض شكل مزايدة فى اتجاه مضاد ، فشهد بعضهم بأن العلاج مشكوك فى قيمته وجزم البعض الاخر بأنه لافائدة منه . وزايد البعض الثالث بتحريض الدولة على الا تستمع لاى نصح فى اتجاه البحث العلمى وانشاء المصحات ، ثم كان ماهو اكثر من ذلك ، فقد انقسمت

اراء المزايدين بين فريق يدعو الى حشد المدمنين فى معسكرات تختفى عن الانظار هى ومن فيها فى الصحراء ، وفريق اشد جسارة وصل به الامر الى التحريض على اعدام المدمنين ، ثم كان هناك من زادوا على ذلك بالدعوة الى ان يكون الاعدام فى الميادين العامة !! هكذا كان الموقف غير الرسمى ، واقل مايقال فى هذه الكتابات انها صدرت عن غير علم بالدراسات الحديثة فى علاج المدمنين وانها لاتتسق مع المواثيق الدولية التى ارتبطت بها الدولة ، وانها فى نهاية الامر لاتتفق مع مزاج هذه الأمة ، وماهو مترسب فى اعماقها من مقومات التحضر والتمدين التى تحترم انسانية الانسان بما هو انسان .

مكمن الخطأ والتشويش فى هذا الموضوع يتمثل اساسا فى استخدام مفهوم العلاج ، وذلك نتيجة للخلط بين المعنى الصريح المباشر لهذا المصطلح كما يتداول فى الدوائر الطبية ، وتصورات معينة ليست جزءا من صميم المعنى ولكنها لصيقة به لاسباب تاريخية لامحل للدخول فى مناقشتها فى هذا المقام ، فاما عن المعنى الصريح فهو تطبيق عدد من الاجراءات من شأنها شفاء المريض من مرضه ، وهذا أمر لاغبار عليه ، واما عن النموذج المسيطر على كثير من الاذهان فهو نموذج مستعار من مجال الطب الباطنى ، وطب الجراحات حيث يتناول المريض دواء بعينه ، او تجرى عليه جراحة ما ، وتنقضى مدة المرض والنقاهة فى خلال ايام او اسابيع يعود بعدها الشخص الى مزاولة حياته بصورة مماثلة لما كان الامر عليه او مايقرب من ذلك . والجديد الذى يجب ان نتنبه اليه هنا هو ان هذا مجرد نموذج واحد من بين نماذج اخرى متعددة بدأت ترتبط بمفهوم العلاج على مر العقود الاخيرة ، ومن بين هذه النماذج المتعددة نموذج العلاج فى حالة الامراض العصبية والنفسية ومنذ اوائل الاربعينيات تبلورت عناية العلماء فى محاولات لوضع التحديد المناسب لهذا النموذج ، ولاتزال تعقد المؤتمرات العلمية الدولية طلبا لمزيد من الدقة فى صياغة النموذج ، بل وفى فتح الباب امام امكان قيام نماذج اخرى ، ولما كان موضوع التعاطى والادمان اقرب الى اضطرابات السلوك والامراض النفسية منه الى الأمراض الباطنة والجراحات فقد وجب عند الحديث عن العلاج فى هذا المجال ان نتنبه الى اننا هنا لايناسبنا النموذج المستمد من الطب الباطنى وطب الجراحات .

يبدأ العلاج بتخليص الجسم من سموم المخدر ، وهى خطوة معروفة

ومحددة الى حد كبير ، وهى لاتكاد تبدأ حتى تتبعها خطوات نحو العلاج النفسى الذى قد يكون فرديا او جماعيا ، حسبما يرى المعالج وتقتضى سياسة المؤسسة التى يتم فيها العلاج ، ولايكاد يبدأ العلاج النفسى حتى يتخذ الاخصائيون خطواتهم التالية نحو مايسمى اعادة تأهيل المريض ، وهنا تتركز الجهود فى محاولة اعادة المريض الى مجال العمل المنتج واكسابه مهارات الانتاج بالصورة التى كانت لديه (أو مايقرب منها) قبل تدهور احواله من خلال الادمان . وقد يلزم توجيهه الى عمل جديد ، فاذا استقرت احوال المريض فى مرحلة اعادة التأهيل هذه بدأ الاخصائيون خطواتهم نحو المرحلة الاخيرة المسماة بمرحلة الاستيعاب الاجتماعى ، وذلك باعداد الشخص وارشاده وتدريبه على العودة الى حياته العائلية بالصورة التى كانت عليها او مايقرب منها ، وفى هذه المرحلة لايقتصر جهد الاخصائيين على تناول المريض وحده ، بل يمتد ليشمل العائلة ايضا بالارشاد والتدريب اللازمين .

من ذلك يتضح ان علاج المدمنين عملية معقدة ومتعددة المراحل . وقد تحدثنا فى بعض تفصيلاتها لكن هناك تفصيلات اخرى كثيرة لوصف كل مرحلة من المراحل التى ذكرناها وبيان خصائصها غير ان المقام هنا لايسمح باكثر مما ذكرنا ، فاذا اراد بعض القراء الاستزادة ففى المكتبة العربية مايسمح بذلك .

واضح طبعا ان هذه العملية ، عملية العلاج ليست من الأمور التى يجوز الكلام فيها باستخفاف ، وواضح ايضا انها مكلفة فى الجهد والمال اللازمين للاعداد لها على الوجه الصحيح ، ولكن ليس لهذه الحقائق جميعا من معنى سوى ان نجتهد لنلاحق منجزات العلم الحديث وذلك بتدريب الاخصائيين وايفاد البعوث العلمية ، وبتدبير الانفاق فى الحدود المتاحة لنا على المستوى الرسمى وغير الرسمى .

وليس معنى ذلك ابدا اننا ننكر على المجتمع حقه فى تأثيم المتعاطى المدمن ، اذ يبدو ان هذا الأمر لايزال محل نظر وحيرة فى الضمير العام ، محليا وعالميا ، ولكن الأمر الهام هنا هو ان القانون باعتباره (الى حد كبير) مرآة للضمير العام اقر النظرة المزدوجة الى المدمن ، وارتأى تشجيعه على التقدم الى العلاج ، وتعهدت الدولة بمساعدته على ذلك ، وبالتالى فقد اصبح لزاما على الجميع ، اهل الاختصاص اولا ، ومن يحملون مسئولية الكلمة العامة ثانية ، ان يتحملوا الجهد اللازم فى هذا السبيل ، بما فى ذلك جهد الاطلاع على الجديد واعطائه الفرصة ليوضع موضع الاختبار الحقيقى .

قراءة آخر الصيف

بقلم: كمال النجمي

سوانح وطرائف من القديم والجديد

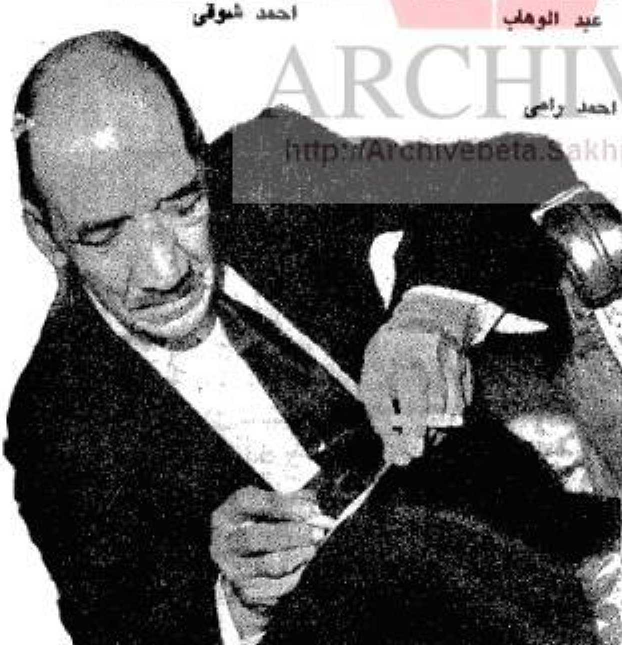
هذا الصيف الذى سينتهى قريبا ، لم انتفع فيه ببحر أسبح فى مائه ، ولابجبل ابترد بهوائه ، فقنعت من مباهج الصيف بقراءات متقطعة خرجت منها بهذه الكلمات :



احمد شوقى



عبد الوهاب



احمد رامى

■ أردت أن أعرف ماهذا الذى انشغل الدكتور شكرى عياد بالكتابة عنه فى «الهلال» طوال هذا الصيف ، فدفعت خمسين قرشا فى الكتاب المسمى «المستحيل والقيمة» من تأليف الأستاذ بدر الديب ، وقرأت فيه ما استطعت الى قراءته سبيلا مع المشقة والأذى والألم ، فعجبت كيف يمكن لكاتب أريب مثل بدر الديب أن يكتب هذه الصفحات الطوال من النثر يزعمها شعرا ، بل شعرا حديثا بالغ الحداثة ، متطورا أقصى درجات التطور ، حتى ليمحو نوره ظلام الشعر الذى تراكم طوال ألف وخمسمائة سنة ، من الجاهلية الأولى حتى يومنا هذا الميمون الذى صدر فيه ديوان النثر المسمى «المستحيل والقيمة» !


ام كلثوم

والعجب الأكبر من أديب ناقد ثاقب البصيرة ، نافذ الفهم ـ الدكتور شكرى عياد ـ يشغل وقته بالكتابة المطولة عن شعر وهمى يزعمه لأنفسهم ناثرون أمثال الأستاذ الديب ، وهو كاتب فاضل كنا نرجو له الستر !

أعترف اننى لم أفهم لا كلام بدر الديب ولا كلام شكرى عياد ، ففيم يتحدث هذان الفاضلان ؟! .. وهلا نزلا الينا لنفهم عنهما او نحاول أن نفهم ؟!..

هل هزل أمر الشعر وأمر النثر حتى يختلط هذا بذاك ، ويجىء من يتبجبح «بالباء والحاء المهملة .. وهى كلمة أخرى غير كلمة يتبجح ، بالباء والجيم المعجمة » .. نعم يجىء من يتبجبح بين الشعراء بنثره الذى لا هو نثر بليغ فنرفع قدر كاتبه ، ولاهو شعر ولو من رابع درجات الشعر فنكل صاحبه الى قول القائل : «الشعراء ، فاعلمن أربعة» .. الى آخر ما قال ..

اتهمت نفسى وقلت لها : لامراء فى أن لهذا الكلام معنى ومغزى ومضمونا وهدفا وسبحا طويلا ، والا لما شغل الدكتور شكرى عياد نفسه به وكتب عنه فى «الهلال» تلك الكتابات الكثيرة التى لم افهمها ولا اظن كثيرين غيرى فهموها ..

قراءة آخر الصيف



د . شكرى عياد



بدر الديب

● مع البحترى وشوقى ●

● لجأت الى أصدقائي المخلصين شعراء العربية الأقدمين الذين أطفأ شعارير التفعيلة الجدد مصابيحهم القديمة ، ثم جاء شعارير القصيدة النثرية فحطموا هذه المصابيح تحطيما ، فلم يبق أثر للشعر العربى الذى صنعه شعراء العربية فى خمسة عشر قرنا من الزمان . وانفرد بالساحة شعارير التفعيلة وشعارير الجملة المنثورة ، وأعلنوا أن الشعر العربى قد مات ! ..

ولم يمت الشعر العربى ولاشعراء العربية ، ولكن مات الأدعياء المشعوذون من تفعيليين ونثريين على اختلاف فرقهم ومذاهبهم وراياتهم وزعمائهم من أدونيس الى إدوارد ورمسيس وأبيس !

لجأت الى صديقى الشاعر البحترى ، ورحت أتصفح ديوانه بلا ترتيب .. صفحة من هذا الجزء ، وصفحة من ذاك !.. بيت من هنا وبين من هناك ! ... وقفة للتأمل ، وأخرى للاعجاب والتُطَرُبُ ..

عشت هكذا ساعة ! .. قراءة مثقلة بالضجر من الحياة ، لكنها منبسطة للشعر ، يحاول الضجر أن يصرفها عن المضى الى النهاية مع أية قصيدة ، لكن الرغبة تمضى مشتدة الى النهاية !..

ومازلت من قديم أتتبع أثر البحترى

فى شاعر عصرنا أحمد شوقى .. أقرأ كلام شوقى لأعرف أصله فى كلام البحترى ، ولا أرى أن «شوقى» قد سرق شيئا من البحترى ، لأنى أؤمن بتوارد خواطر الشعراء ، وأعرف أن من حق المتأخر أن يتأثر بالمتقدم وينسج على منواله أحيانا ، وربما أخذ من ألفاظه ومعانيه ، فلا يعد سارقا الا أن يأخذها كلها فلا يغادر منها معنى ولامبنى !.. »

وشوقى والبحترى سليلا أسرة واحدة ، إذا قرأتهما واحدا بعد الآخر ، قلت : ذرية بعضها من بعض ! ..

وكنت ـ ومازلت ـ شديد الاعجاب بقصيدة شوقى التى قالها سنة ١٩٢٥ فى مأساة دمشق عندما ضربها الجيش الفرنسى بالقنابل ، وكان يحتلها حينذاك كما كان الجيش البريطانى يحتل القاهرة !..

ومطلع تلك القصيدة :

سلام من صبا بردى أرق
ودمع لايكفكف يادمشق

وهى من بدائع شوقى ، وقد غنى الموسيقار محمد عبدالوهاب أبياتا منها سنة ١٩٤٣ باقتراح من مصطفى النحاس باشا رئيس الوزراء أيامئذ ، عندما عاد جيش «فرنسا الحرة» ـ جيش الجنرال ديجول فى الحرب العالمية الثانية ـ الى ضرب دمشق بعد أن جلا عنها جيش «حكومة فيشى» الفرنسية التى كانت تابعة لهتلر فى معمعة الحرب العالمية الثانية .

فى هذه الشوقية الدمشقية الفذة ، يصف شوقى جبل الدروز الثائر على الفرنسيين بقوله :

كان من السموأل فيه شيئا
فكل جهاته شرف وخلق

فمن أين استوحى شوقى الكلام عن السموال وشرفه وأخلاقه ؟! ..

استوحاه شوقى من صديقه البحترى على مبعدة ألف ومائة سنة تفصل بينهما ، إذ قال البحترى فى مدح أحد كبراء زمانه :

فلا تكذبن عن فضله ووفائه
فما هو فى هاتين الا السموال

إن السموال مشهور بجميل خصاله ، وتاريخه لايجهله شوقى ، ومع ذلك لانظن أنه كان يتحدث عنه لو لم يتحدث عنه البحترى ..

● قصيدة لأم كلثوم ●

● وفى القصيدة الرائعة الجديدة على الشعر العربى ، قصيدة «أبى الهول» يخاطبه شوقى قائلا :

فدع كل طاغية للزمان
فإن الزمان يقيم الصعر

والصعر ـ بفتح وتشديد الصاد وفتح العين ـ امالة الخد تكبرا وتيها .. فمن أين جاء شوقى بهذا البيت الحكيم ؟! ..


مصطفى النحاس


الشاعر ادونيس

جاء به من قول البحترى :

بحزم يجلى الدجى والعمى
وعزم يقيم الصفا والصعر

كلا البيتين من بحر المتقارب ، ومن قافية الراء ، وأكاد أقطع بأن شوقى أخذ المعنى والقافية ـ بعد اللفظ ـ من صديقه البحترى !..

وفى مسرحية «كليوباترا» وضع شوقى على لسان كليوباترا فى آخر ساعة من عمرها ، قصيدة رائعة مطلعها :

اليوم أقصر باطلى وضلالى
وخلت كأحلام الكرى آمالى

وإنما جاء شوقى بلباب هذا البيت من قول البحترى :

فاليوم أقصر باطلى وتراجعت
نفسى بحسن تصبر وتجلد

البيتان من بحر «الكامل» ولولا الروى أو القافية لصلح بيت البحترى بمبناه ومعناه ليكون على لسان كليوباترا مع أبيات شوقى ..

وفى سنة ١٩٥٤ عقدت حكومة الرئيس جمال عبدالناصر مع الانجليز «معاهدة الجلاء» ، فبحثت أم كلثوم عن قصيدة تصلح لهذه المناسبة فلم تجد عند شاعرها أحمد رامى شيئا ، فطلبت إليه أن يختار لها أبياتا من شعر شوقى ، فأختار أبياتا من القصيدة التى أولها :

بأبى وروحى الناعمات الغيدا
الباسمات عن اليتيم نضيدا

كان شوقى قد نظم هذه القصيدة

مديحا لسعد زغلول باشا عند توليه رياسة أول حكومة مصرية شعبية سنة ١٩٢٤ .. وفى هذه القصيدة يقول شوقى متغزلا :

حوت الجمال فلو ذهبت تزيدها
فى الوهم حسنا ما استطعت مزيدا

كتب النقاد فى تقريظ هذا البيت كلاما كثيرا ، وحلله مصطفى صادق الرافعى - وهو من هو - تحليلا بليغا يفيض إعجابا ، كأنما لم يلتفت الرافعى ولا غيره الى أن أصل هذا البيت قول البحترى .

ذات حسن لو استزادت من الحس «م»
إليه لما اصابت مزيدا

لايزيد بيت شوقى على بيت البحترى الا قوله «فى الوهم» وهى زيادة بليغة ، ولكن البحترى يزيد عليه كثيرا فى قوله · لو استزادت من الحسن إليه » .. ويبقى بعد ذلك وقبله أن شوقى قد أغار على بيت البحترى لفظا ومعنى ..

ولدينا أبيات كثيرة أخرى قالها شوقى ناظرا الى البحترى ، فأفاض عليها نورا جديدا وأفرغها فى قالبه الطروب الذى خلب الباب معاصريه ..

ولم يكن شوقى ينظر الى البحترى وحده فى شعره ، بل كان ينظر الى أبى نواس وأبى تمام والمتنبى وابن زيدون وغيرهم ، ولا بدع فى ذلك فهذا شأن جميع الشعراء فى جميع العصور

● نحاول أن نفهم ●

● وها نحن هؤلاء نرى شعارير التفعيلة والجملة النثرية يأخذ بعضهم من بعض ، على نضوب ينبوعهم ، وخراب أرضهم ، وتحجر كلامهم ، حتى صاروا هزأة السامعين والقارئين .. مع أنهم لو عقلوا لكان فى شعرهم ما تلذه النفوس ، مصداقا لقول شوقى : «والشعر فى حيث النفوس تلذه » . أى أن الشعر الحق ليس مذهبا واحدا ، ولكنه فى كل مذهب تجد فيه النفس لذة ..

وتمام هذا الشعر

والشعر فى حيث النفوس تلذه
لا فى الجديد ولاالقديم العادى

و «العادى» هنا نسبة الى · قوم «عاد» الموغلين فى القدم ، وليس نسبة الى «العادة» .. و ان كان ممكنا أن ينسب اليها بمعنى من المعانى !..

● ثم نرجع الى سياقة الخبر الذى أوردناه فى أول حديثنا ..

- فهل صار كاتب الشعر النثرى المجدد المثقف يكتب لمعنى يقرقر به بطنه ، أم يرى أن لقارئه عليه حقا ؟! ..

فإن كان للقارىء حق الفهم - على الأقل - ودعك من التذوق والتلذذ والاعجاب ، فهل لصديقنا الأستاذ العلامة الدكتور شكرى عياد أن يقول لنا ما هذا الذى لبث الشهر الصيف يتحدث عنه ، وقد اظلتنا غيوم الخريف ولم نستطع بعد أن نفهم شيئا ؟!

الابداع والنقد

بقلم : الفريد فرج

ليس هذا الحديث مجرد حلقة من حلقات إثارة التناقض بين الابداع الادبي والنقد الاكاديمي ، ولا هو مجرد انحياز مهني ضد اهل النقد .

ولكن مبدعي جيلنا ، واكثرهم يؤثرون التحفظ في هذه القضية ، لهم ملاحظات نقدية على حركة النقد الادبي .

ويذكر اصحاب الابداع دائما ان نجيب محفوظ لم يقدره النقد العربي التقدير التحليلي الكافي ولم تر المؤسسة الاكاديمية المصرية بكل فروعها ، في ادب نجيب محفوظ ما يؤهله لتقوم هذه المؤسسة بترشيحة لجائزة نوبل ، فرشحته مؤسسات اكاديمية غربية لنيل الجائزة .

ويذكر اصحاب الابداع ايضا ان المؤسسة الاكاديمية بجامعاتها الكثيرة لم تلحظ في الأدب العربي المعاصر كله ما يؤهله للبحث والدراسة في الجامعات المصرية ، ولم يغرها باعادة النظر في هذا الحال ان الجامعات الاجنبية لا تشاركها هذا الاهمال او هذا التقييم السلبي ، وتعتبر هذه الجامعات ان ادب الثلاثينات الى ادب السبعينات في مصر وغيرها من الاقطار العربية هو من المواد الرئيسية في الدراسات الانسانية للعالم العربي الحديث .

ويذكر ايضا اصحاب الابداع ان وزارة التربية لم تضف الى مادة المطالعة الحرة أو النصوص الادبية شيئا منذ الاربعنيات ، وللمؤسسة الاكاديمية النقدية السلطة والمرجعية في هذا الشأن .

ويجمل اصحاب الابداع وجهة نظرهم



نجيب محفوظ



بنات محفوظ فى الاكاديمية الملكية بستكهولم

بتأكيد سوء التقدير للابداع الادبى المعاصر الذى يعانيه ذلك الابداع من معظم الفروع المؤثرة للنقد الادبى .

وقد كان لسوء التقدير هذا تداعياته السلبية فى التليفزيون وفى الصحافة مما يؤثر على توزيع الكتاب الادبى بوجه عام ويضع امام القراء دائما علامات استفهام حول كل ما يقرأونه من قصص ومسرحيات وشعر معاصر .

● الترفع والتعالى !

كما ان اصحاب الابداع يتهمون اهل النقد والدراسات الادبية بالترفع والتعالى الذى ينفى الموضوعية ويؤدى الى الميل عن تناول ثمرات الابداع الادبى بالدراسة ، او ينفى الموضوعية حتى فى حالة تناول ثمرات الابداع بالدراسة .

ولأن الابداع الادبى بوجه عام هو لون من الوان التمرد والثورة على الاشكال والاطر التقليدية للأدب ، وذلك اصل حيوية المسيرة الابداعية وتطور مراحلها ولأن المؤسسات الاكاديمية بطبيعتها تميل الى تثبيت المعايير النقدية وتأكيد صلاحيتها وجدواها الراسخة ، فذلك التناقض بين رؤيا المبدع وأدوات النقد هو شىء متواتر ودارج . لا ينفذ من حائطها الاصم الى ملكية نقدية مبدعة بدورها وقادرة على التلاؤم مع التطور الطبيعى لحركة الابداع الادبى

وهذه الملكة النقدية قد لا تنشأ فى الجامعة او غيرها من المؤسسات ، وهذا يذكرنا بمبادرة الناقد الكبير مارتن ايسلن الذى كان موظفا باحد البنوك ومجرد متذوق مسرحى ولكنه كان اول من كتب عن مسرح العبث كتابة نقدية تحليلية ووضعه فى مكانته وفى مكانه الحقيقى ولفت النظر الى جمالياته وقوانينه وفلسفته حتى سماه النقاد فيما بعد ارسطو مسرح العبث ، لتشبيه دوره بدور ارسطو مع المسرح اليونانى بوضع كتاب «الشعر» .

الإبداع والنقد

إن الابداع العربي المعاصر يريد ويظن انه يستحق ان يدخل المدارس من ابوابها ، وأن يدخل الجامعات من ابوابها وان يكون الشاغل الاساسي لصفحات النقد في المجلات المتخصصة والصحف وان يكون من الشواغل والاهتمامات الاساسية للاذاعة والتليفزيون .

ويذكر جيلنا على سبيل المثال ان الاذاعة في الاربعينات كانت تخصص حصة اسبوعية في ذروة البرنامج المسائي لاحاديث كل من طه حسين والعقاد ، كما كانت تخصص حصة اسبوعية مسائية لقراءات من الشعر المعاصر يلقيها اساطين الرعيل الاول من الاذاعين على خلفية موسيقية مناسبة .

يذكر جيلنا ذلك واثره في تربية التذوق الادبي ، ويقارنون ذلك باختيارات التليفزيون اليوم من الانتاج المسرحي ، وتباعده في برامج الانتاج للمسلسلات والقصص عن الابداع الادبي الحقيقي دون ان تلاحظ ذلك او تلفت النظر اليه مؤسساتنا النقدية المسئولة او تحاول تصحيحه ومناقشته .



د . طه حسين



عباس العقاد

كل ذلك يكرس العزلة التي تعاني منها شجرة الابداع العربي القصصي والمسرحي والشعرى ، عن جمهورها الطبيعي ، كما تكرس عزلة الجمهور الواسع عن تيار الابداع الادبي الذي يعبر عنها وتستحقه وتحتاجه في تكوين الذوق العام والفكر العلم والانتماء الوطني وحب الحياة .

الأدب كما يقولون هو خميرة المجتمع ، فهو ذلك الجسم الصغير الذي يصنع الحيوية في الجسم الكبير .

ولكن بشرط ان تضع الخميرة في العجين وهذا اساسا هو عمل الجامعة والنقاد .. فاذا لم تقم الجامعة ولم يقم النقد بواجبهما فالابداع يعاني والمجتمع لا ينتفع بهدية الله للعقول المبدعة والهامهم وانتاجهم وثمرة مواهبهم .

وهذه هي خلاصة الاتهام الذي يوجهه اصحاب الابداع الادبي لاهل النقد والتقييم والدراسات التحليلية وهو اتهام قائم ، لم يبادر الى نفيه الى الان احد .

وارجو ان يجعل الله كلامي خفيفا على النقاد وان يلهمهم القيام برسالتهم على اكمل وجه .

عصفور الجنة

المسافة خضراء بينى ، وبينك ..
لاتركض الآن ..
قبل الحصيد ..
فتدهس أقدامنا سنبلا للنبوءة ..
أسبل فى سنوات المطر ..

★ ★ ★

سوف ننتظر العمر
حتى يمر الشتاء ، ويأتى الربيع ..
بروض "البنفسج" ..
.. عصفور جنتنا يطلق الطيب أجنحة
تتراقص . ينشد أنشودة الخصب ..
.. فى وطن الحب ..
يبعث فى حقلنا الأمل المنتحر ...

★ ★ ★

بعدما ينتهى موسم الحصد ..
نجمع أعوادنا
يوقد الشوق صيفا
يحرك نبض البلاد التى باعدتنا ..
لتقطن فى ناطحات الجليد ..
فنحرق كل الوريقات
.. ما يحتويه جوال الشتين التى
يصق الليل يوما على وجهها

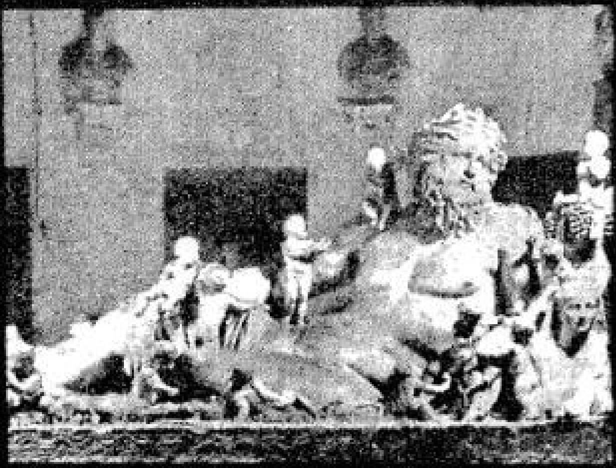
★ ★ ★

نرتدى حلة البدر ..
هذا هو الحلم إذ يتجلا على راسك التاج ..
.. تبقين انت الأميرة ياشهرزاد ..
وحولك دفء الطبول ..
ورقص الخيول ..
تعود الفراشات من غربة القحط ..
تحفل فى مهرجان الحصاد ..
وفى الفجر غرد عصفور جنتنا
فوق شبك قريتنا
ليصور عرس الوطن ....



شعر :
عباس محمود عامر

رسالة
إيطاليا
من



تمثال في الفاتيكان يرمز لفيضان النيل و الخير

مصطفى نبيل

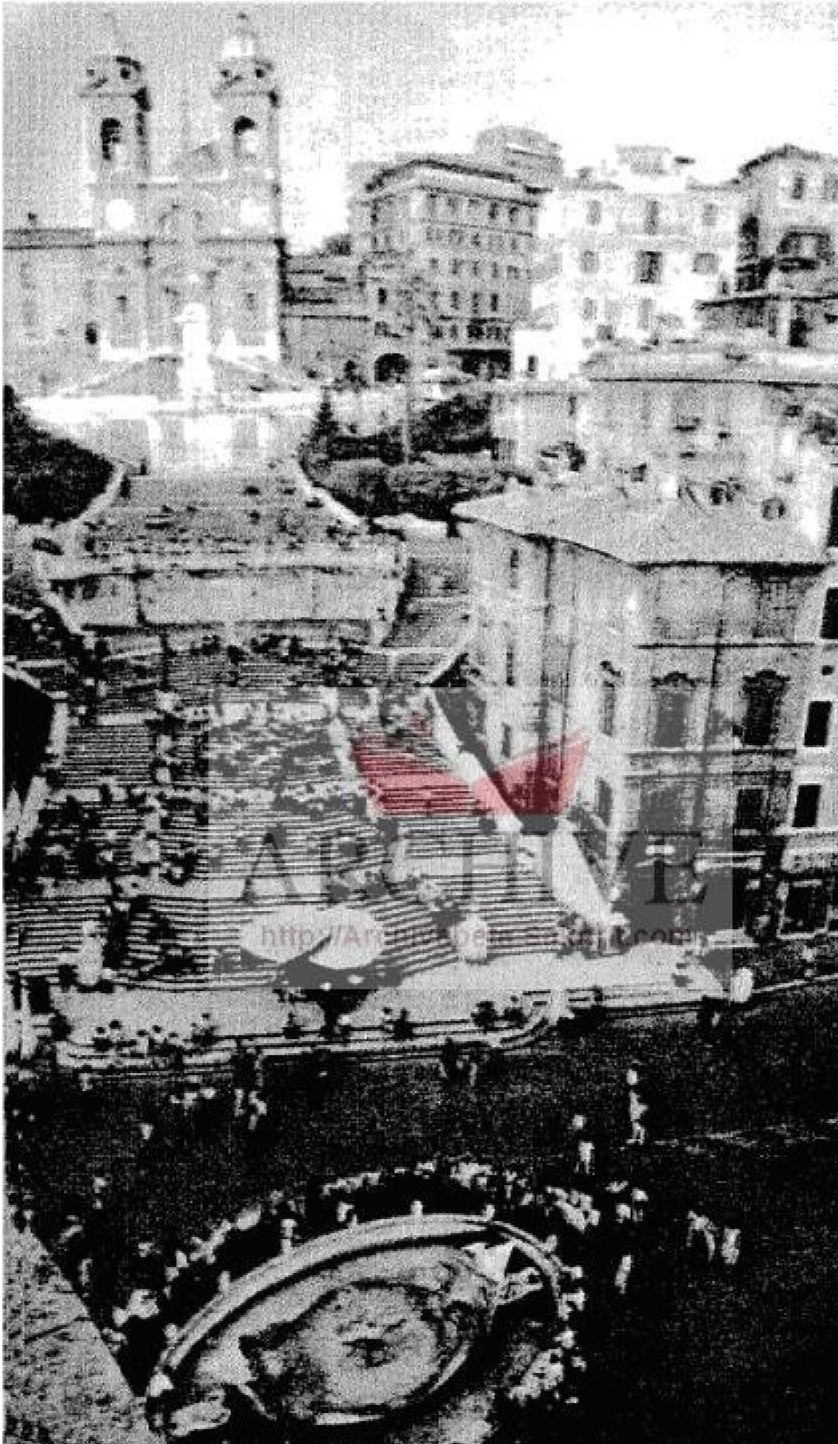
سحر إيطاليا

بين القيصر والغانية والبابا !

كلما اقتربت .. وأوشكت على إمساك بعض ملامح الفن والجمال في إيطاليا . سرعان ماكانت تفلت مني .

وسمحت الظروف كثيرا أن أحوم حولها . فمكثت مرارا في مطار ليوناردودافنشي . ودخلت روما ترانزيت . ولم تستغرق أى من هذه الزيارات أكثر من ٢٤ ساعة . بل وزرت كلا من جنوه ونابولي وبقيت في كل منهما حوالى عشر ساعات خلال رحلة بالباخرة من مرسيليا إلى الاسكندرية ..

وهذا جعل زيارتي الطويلة لها هذه المرة حافلة بالاثارة والكثير من المفاجآت ..



ميدان اسبانيا أجمل ميادين روما . الكنيسة والمسلة والدرج والنافورة

رسالة ايطاليا

وإذا كان للسفر سبع فوائد ، فرؤية الفن والجمال تقف على رأسها ، فروما اغنى عواصم العالم بـالفنـون التى تـزين الشـوارع والميادين ، فى يومى الأول شعرت بالانطلاق ، وسعيت أن استكشف روما ، فمضيت بغير دليل أبحث عن الاماكن التى سبق وقرأت عنها ، إنها زاخرة بالمتاحف والآثار الرومانية القديمة . وأبدع مافيها تلك الروائع المعمارية واللوحات والتماثيل التى خلفها عصر النهضة ، إنها أرض الفكر والفن تحس بالانتعاش بين أهلها وبين مناظرها الخلابة ، والاستعداد لتلقى الفن ودروس التاريخ .

لقد عبر عن هذا الشعور الكاتب الألمانى هنريخ هاين بعد عبوره جبال الألب بقوله .. « إن الحياة فى إيطاليا سحر لانظير له ، تعطى من يعيشها شعورا عميقا بالانطلاق والتحرر .. » تضم كل ميادينها نافورة محلاة بـالتماثيـل ومسلة وأحـد المبانى التاريخية الشهيرة ، والفن هنا غامض أحيانا وصاخب أحيانا أخرى ، تشعر أن الفن والفنانون هم سادة روما بلا منازع ، ومازال الفنانون يحجون إليها من كل مكان يحملون أعمالهم ، ويعرضوتها وخاصة فى ميدان نافونا الرائع ، الذى يتوسطه تمثال يرمز للأنهار الأربعة الكبرى فى العالم ، ونهر النيل واحد منها .

إن كل عمل فنى نراه يستحق أن نتوقف أمامه طويلا ، ولانملك سوى أن نقوم بجولة نأخذ من كل بستان زهرة ، ولعلنا نتذوق سويا بعض رحيق الجمال .. قادتنى قدماى إلى بعض أزقة الفن الجانبية ، نشاهد ورش الفن المختلفة ، صناع الفخار يشكلون الطين ويلونونه فى أشكال مبتكرة ، والصياغ يشكلون الذهب والماس يصنعون الحلى الذى يصدر إلى كل أرجاء العالم ، ونرى ماتبقى من النجارين الذين يصنعـون الأثاث ومازالوا ينحتون الخشب بأناملهم الماهرة ، بدلا من الآلات الحديثة ، ويجد هذا الأثاث طلبا له فى قصور الأغنياء ، ويجذبـك أولئك الـذين يرسمون على الجلد أو ينحتون العاج فى أشكال مبتكرة ..

وأكثر ما استوقفنى فى شوارع روما العتيقة ، والتى تشبه أزقة حى الجمالية بالقاهرة ، والذى يمنع دخول السيارات إليها ، بعض اللمسات البسيطة التى تنم عن طبيعة شعب إيطاليا الفنان ، فيلفت انتباهك فى أحد الأزقة شرفة مثل أحد مقصورات المسارح تضفى على المكان جمالا خاصا ، أو ترى تمثالا فى مدخل أحد هذه البيوت ، أو نباتا يتدلى من أحد النوافذ فيحول المنظر إلى لوحة فنية .

● **ميدان للانطلاق !**

أحكم تنظيم بـرنـامجى حتى

لايفوتنى مشاهدة أى جزء من معالم روما أو المدن التاريخية وأسلم بأن ما لايدرك كله لايترك كله ..

اقف فى ميدان أسبانيا الشهير ، الميدان الذى يجذب المتمردين من كل مكان ، وهو ميدان ساحر ينتهى على قمة أحد تلال روما السبعة ، وفى الميدان حركة غير عادية فيشهد أحد عروض الأزياء الذى تصوره احدى قنوات التليفزيون الايطالى ، ويستغل العرض سحر المكان ، وهو مثل كل الميادين تميزه المسلة المصرية ، وكنيسة ترينيتادى مونتى ، ويميزه درج يمتد من قمة التل حتى النافورة ، أما لماذا يجذب هذا الميدان المتمردين من كل مكان ، فقد كان لهذا الميدان إمتياز قديم فقد كان محظورا على رجال الشرطة (البابوية) أن يتعرضوا فيه لأحد من الخارجين على القانون ، حتى لو كان من القتلة أو اللصوص ، وترى فيه - اليوم - الفنانين الذين جاءوا من كل أرجاء الدنيا ، يبحثون عن شىء ضائع ، أو فرصة عمل ، وتميزهم ملابسهم المهملة ، ووجوههم الشابة ، وكأنهم فروا من بلادهم يلتمسون ملاذا جديدا أو معنى جديدا لحياتهم ، يتوزعون على الحاجز الحجرى القديم الممتد على جانبى الدرج ، وكل فتى يجلس إلى فتاته يتناجيان ويصعد درج ميدان أسبانيا كل راغب فى الوصول إلى متحف شيلى وكيتس ، وتطالع قصيدة كيتس التى خطها بيده ... « الأشياء الجميلة وجدت لتبقى » ..

والمسلات المصرية تظل العلامات المحددة لشوارع روما ، قبل ارتفاع المبانى بها ، وخططت شوارعها فى تماثل ، تطوق المبانى التاريخية أول الطريق العريض بأشجاره على الجانبين ، وتتقابل شوارع شتى على نفس المسلة فى ميدان ، ولكى لاتكون المسلة تعبيرا عن رمز وثنى ، امر احد البابوات بضرورة وضع الصليب فوقها ، وعلى طرفى الشارع الرئيسى الطويل تقوم نافورتان .

● الكلاب العطشى !

وجذبنى شارع فينيتو الشهير ، الذى تنتشر فيه المقاهى على الأرصفة ، يأتى إليه السياح ليتذوقوا طعم الحياة الايطالية ، التى تمثل لدى الكثيرين خدعة حاذقة ، أو إرتجالا بارعا ، أو أداء رائعا ، تتسم كلها بالبهجة .

وهو نموذج له شبيه شارع رئيسى فى كل مدينة إيطالية ، وتزدحم المقاهى بمن يحملقون فى الفتيات ، والكل يرتدى أزياء مبتكرة ، وتتجمع فى هذا الشارع الشخصيات المميزة والطموحة ، الشبان والفتيات ، الممثلات الناشئات يأملن اللقاء بأحد المخرجين الذين يأخذون بأيديهن نحو المجد ، وهو اغلى شوارع روما ويزدحم بالنوادى الليلية .

ويلفت إهتمام الشرقى فى هذا الشارع العلاقة بين الرجل والمرأة ، وتناولها كل من زار عاصمة أوربية من

رسالة ايطاليا

جانب من ميدان فينيسيا وذكرى توحيد ايطاليا

رفاعة الطهطاوى حتى توفيق الحكيم ، وتكثر فى هذا الشارع فتيات الليل ، يقطعن شارع فينيتو ذهابا وإيابا ، وتزدحم الأرصفة بمجلات الجنس وأشرطة الفيديو ، تخاطب كل النوازع والشذوذ والأمراض وربما كلها تتحدث عن الغانية ليونا ستامر التى نجحت فى إنتخابات البرلمان الايطالى ، والتى تمتهن مشاهد العرى وأفلام الجنس ، واسمها الفنى تشيشولينا ، وحصلت على أغلبية الأصوات ، ولم تخف مهنتها ، وكان شعارها « إصنعوا الحب » و « العرى ليس عيبا وإنما العنف هو العيب »

ولعل الناخب اعطاها صوته احتجاجا على مليدور على المسرح السياسى ، أو انها صريحة وعارية ، وهى افضل من الذى يمارس كل الرذائل فى الخفاء !!

ولم يعد القانون يعاقب على العلاقة بين الراشد والقاصر ، واشترط الا تتجاوز العلاقة بينهما خمس سنوات ،

جزء من حديقة بورجيز الغنية بالزهور والتماثيل





رسالة ايطاليا

ونظم المعاشرة بين المراة .والرجل بدون زواج ، وأصبح مألوفا مشاهدة حفلات الزواج التى يحضرها الابناء !

وإذا كان الانحراف لايخلو منه مجتمع ، فإن قيمة الشرف واحدة فى كل مكان ..

وتجد المراة طوال ساعات الليل والنهار فى كل مكان ، وفى كل الأعمال ، وتبدو إيطاليا امة قلقة وحائرة بين الأرض والسماء بين الواقعية والخيال ، واصبح الفن يقدر لذاته ومن اجل تمجيد المراة والرجل والجمال وكل متع الحياة ..

ربما استطردنا طويلا فى التأملات ، ونحن نقطع شارع فينيتو الذى يبدأ من حدائق بورجيزى وينتهى عند السفارة الأمريكية ، وأهم ما أثار دهشتى ذلك السبيل المنحوت من الرخام.أمام السفارة ، والذى أقيم من أجل الكلاب العطشى ، والذى يعطى هذا الجزء من الشارع مسحة من الغرابة والجمال .

● لقاء مع بايرون !

ومن شارع فينيتو إلى حدائق بورجيزى ، الحافلة بالجمال والأزهار ، وهى مثل غابات بولونيا فى باريس ، والهايدبارك فى لندن ، تتميز بتماثيلها ونافوراتها وسط أشجارها البازغة ، وتظهر هذه التماثيل مدى احتفاء إيطاليا بالفن والفنانين ، كما يتوسطها متحف بورجيزى .

والتقيت على غير موعد بتمثال الشاعر البريطانى بايرون ، وتضم الحديقة الأكاديمية المصرية وتمثال الشاعر أحمد شوقى ، ان هذه المكانة العالية للفن تعطى الحق لأحد الكتاب الايطاليين أن يذكر بكثير من الفخر والاعتزاز .. « مازالت إيطاليا رائدة الفنون ، ويتفوق الايطاليون فى فنون ومهارات شتى ، والعالم مازال يتعلم منهم فن نحت الرخام ، وتدريب خيل السباق على القفز ، وفن سباق السيارات ، وتقديم الأفلام الواقعية ، وهم أصحاب اليد الطولى فى تصميم أشكال السيارات الأنيقة ، وتصميم الأزياء الحديثة التى سرعان ماتنتقل إلى كل من باريس ولندن ونيويورك ، ومازالت إيطاليا رائدة الفن المعمارى المتميز ، وديكورات البيوت والمكاتب » ..

وهى لذلك تفتح ذراعيها لطلاب الفن من كل مكان ، ويوجد إلى جانب الأكاديمية المصرية عدد من الأكاديميات الأجنبية الأخرى ، مثل الأكاديمية الأمريكية القائمة فوق تل جانبكيلو ، والأكاديمية الفرنسية فى قصر مديتشى المطل على ميدان اسبانيا ، وأيضا اكاديمية أخرى بلجيكية والمانية ، وأسبانية ودنماركية ..

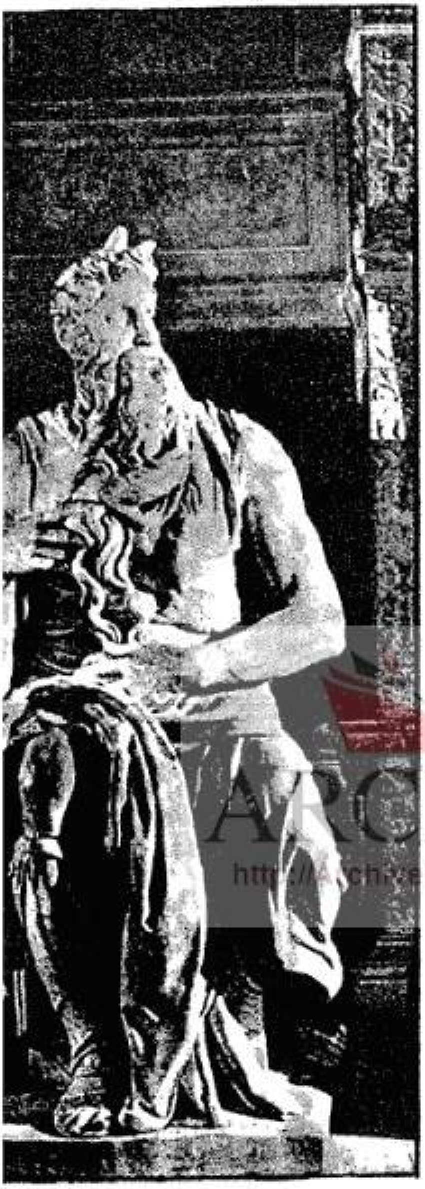
● روما الغازية

مازلنا نتجول بين أحياء روما ،

ونصل إلى ميدان فينسيا الذى يشبه صورة مكبرة للفخامة والجلال ، والذى اقيم إحياء لذكرى فكتور إيمانويل الذى وحد إيطاليا ، وهو المبنى الذى يزدحم بالتماثيل ، وشيد على الطراز الامبراطورى الرومانى القديم ، وأقيم فى قلب روما القديمة وعلى أقدس تلالها السبعة ، والذى يحرص السائح على التقاط صورته بين تماثيله ..

وتذكرت قول أحد الكتاب البريطانيين .. « إن إيطاليا هى اكثر بلاد العالم زخرفة بالفنون ، وتكاد بمناظرها أن تكون بين كل بلاد العالم اقلها إحتياجا إليها »

وقادنا الجلال الامبراطورى القديم إلى طريق أبيا أنتيكا ، وهو طريق ضيق تحف به القصور القديمة من الجانبين ، والتى تكاد لاتراها بين الاشجار والأسوار ، فمن شروط البناء ، أنه لايجوز أن يتجاوز إرتفاع القصور إرتفاع الأشجار ، والعديد من نجوم هوليوود لهم قصور فيه ، ويحلم الأثرياء فى كل أرجاء العالم بشراء أحد قصور هذا الشارع ، ويبعث هذا الشارع فى الغربى تاريخه ، ويهز هذا المكان روحه ووجدانه ، أو عندما يقف أمام الكوليزيوم ، أو يدلف إلى سراديب الكاتاكومب ، ويخفق قلبه لذكرى أجداده وما لاقوه من خطوب ، فهو هنا خاشع متبهر ، وعلى هذا الطريق الضيق سارت جحافل روما القديمة عندما خرجت لغزو العالم ، وتحقيق السلام الرومانى .



ترى عروق التمثال الذى ابدعه مايكل انجلو

رسالة ايطاليا

أحد المناظر في حديقة متحف الفاتيكان

ومن الطبيعي أن يختار الكثيرون إيطاليا مكانا لاقامتهم من أولئك الذين أخذوا بالحياة والطبيعة والفن والتاريخ في إيطاليا ، وهم من أجناس كثيرة ، الأثرياء من العالم الثالث الذين يفرون من تقلبات الزمان وتغير الأحوال السياسية ، والفنانون وهواة الفن وعشاق الجمال ، ويفضل بعضهم قصور طريق أبيا انتيكا أو بعض المدن التاريخية الأخرى القائمة على قمم الجبال وموانيء الصيد المنتشرة على طول الساحل الايطالي ، والجزر وسط مياه البحر ..

دعيت يوما للعشاء في أحد القصور الرومانية القديمة ، بطرازه القديم وسراديبه تحت الأرض ، والذي تحول إلى مطعم يقصده السياح في نشوة تاريخية وكأنهم يسعون فيه إلى عودة الزمن القديم ، ويأتي إليه منشدو الأغاني بالأزياء الرومانية القديمة ويقدمون فنهم ، ويكسبون مايقدم إليهم من نقود ، وإذا لم يتميزو بحلاوة الصوت فإنهم يقدمون أغانيهم وموسيقاهم بحيوية بالغة وعاطفة حارة ، ويختارون لكل مائدة الأغنية المناسبة ، ألحان راقصة للشباب ، وأغاني الحب للعشاق ، والاغاني القديمة التي تتحسر على الزمان الضائع للمسنين ، وكل ذلك في مرح ملحوظ ..

وتشعر كأنك تعيش في متحف كبير حي ، ويتحول ليل روما إلى جمال خاص ، ويختفي القبح ويصبح كل شيء براقا .

● فتنة إيطاليا

هل هذا هو سحر إيطاليا الذي جذب إليها عددا كبيرا من الفنانين والكتاب والمفكرين الذين فتنوا بإيطاليا ، ومنهم من عاش ومات فيها ، وهي قائمة طويلة منها شاتوبريان واناتول فرانس ، وشيلي ، وبايرون ، وجيته ، وترك لنا كل منهم مايسجل أثر إيطاليا - البشر والمكان - في أعماله ، ومغزى الانتقال من الشمال البارد إلى الجنوب الساطع الدافيء .

كتب الشاعر الألماني جيته .. «يقينا ليس لدى أولئك الذين يعيشون بعيدا عن روما أية فكرة عن الطرق التي يتعلم بها المرء هنا ، فهنا يولد المرء من جديد ، أنه يتعلم ويلقي نظرة على افكاره القديمة ، وكأنه ينظر إلى شاطيء الطفولة البعيد» .

ويذكر المؤرخ البريطاني جيبون كيف كتب سفره الهام قيام وانهيار الامبراطورية الرومانية ... «عندما كنت جالسا أتأمل أطلال روما القديمة



رسالة ايطاليا

عام ١٧٦٤ ، خطرت على ذهنى لأول مرة فكرة الكتابة عن قيام الامبراطوريات وسقوطها » ..

يقول شيلى بعد أن عبر جبال الألب .. « ما أن وصلنا إلى إيطاليا حتى كان لجمال الطبيعة وصفاء السماء أكبر الأثر فى تبدل شعورى ، ويؤكد فى مقدمة مسرحيته برميثوس .. لقد كانت هذه الدراما من وحى سماء روما الزرقاء وربيعها الخصب ، ووسط جوها البالغ الروعة ، والحياة الجديدة التى تسكر الروح حتى الثمالة » ..

فى الفاتيكان . أحد أحياء روما الذى تحول إلى دولة ذات سيادة ، يحكم منها البابا رعاياه أبناء الكنيسة الكاثوليكية ، وهى دولة لها علمها وسفاراتها وحرسها ، عندما تقترب منها ترى مشهدا مهيبا يمتزج فيه الفن بالجلال ، وتمتلىء النفس بشعور عميق بالطمأنينة والسلام .

الميدان احدى ايات الفن ، يتوسط الميدان احدى المسلات المصرية ، تحيطها المبانى التاريخية التى تضم كنيسة القديس بطرس ومتحف الفاتيكان والمقر البابوى وكلها مبان عتيقة أصبحت على صورتها الحالية من القرن السابع عشر ، وتبدو جديدة نتيجة استمرار ترميم المبانى وصيانتها ، ومركز الصورة التى أمامها كنيسة القديس بطرس بقبابها المميزة ، وترى من مسافة بعيدة .. صممها مايكل أنجلو ، وتماثيل عظماء الكنيسة يطلون على الميدان من شرفة دائرية اقيمت على أعمدة رومانية . وخطط هذا الميدان الفنان برنين ـ الذى تزين تماثيله أغلب ميادين روما ـ والذى جعل الكنيسة والمسلة ، والنافورة يضمها خيط جمالى واحد .

وقد ظلت الكنيسة زمنا طويلا أكبر نصير للفنون ، وكان أهم أغراض الفن هو نقل قصة المسيحية إلى البسطاء من غير المتعلمين وتجميل الكنائس ، ولاتختلف روعة اللوحات فى كنيسة القديس بطرس عن تلك القائمة فى متحف الفاتيكان ، وماشاهدته من لوحات وتماثيل وفن المعمار يحتاج إلى صفحات طويلة ، والمتحف غنى بمقتنياته ومخطوطاته ، ويكفى أن تتأمل نغم وظلال قصة الخليقة فى لوحات آدم وحواء . فقد وجد الرسام أنه يتحدث إلى الناس بلغة اقرب إلى أذهانهم من لغة النحت ، فلغة الألوان والظلال تجذب العين وتؤثر فى الوجدان .

والقسم المصرى غنى بالآثار ، ولم يحدث لبلد ماحدث لمصر من إمعان الأجانب فى ضخ آثاره وتوزيعها فى كل العواصم ، وإن كانت تتلقاها بحفاوة بالغة ، وتفسح لها مكانا هاما ، وتصبح محل دراسة لاتنقطع .

وكانت المفاجأة الكبرى ماشاهدته فى القسم اليونانى عندما وجدت نفسى وجها لوجه مع كليوباترا ، أحد حكام مصر الاقدمين التى أثارت خيال الفنانين والشعراء ، والتى عثر على تمثالها فى إحدى الحفريات ، والذى ينم تمثالها عن بقايا جمال ، بعد أن عبث به الزمان ، وأطاح بأنفها الذى تغنى به كتاب سيرتها وأخذت التقط لها الصور بكل ماتستحقه من التكريم والتقدير .

أما قصة قيام دولة الفاتيكان ، فقد جاءت بعد صراع طويل بين البابا والقيصر أى بين السلطة الدينية والزمنية ، يحتدم الصراع ويخفت حتى عقد موسيلنى سنة ١٩٢٩ إتفاقية اللاتيران ، التى أعترفت بالفاتيكان كدولة تقوم فى أحد أحياء إيطاليا ، وحل أخيرا الوئام بين الكنيسة والدولة ، مع وجود التأثير المتبادل بينهما ، ومازالت الكنيسة تمارس تأثيرها من خلال الحزب الديمقراطى المسيحى الذى يشارك فى حكم إيطاليا منذ نهاية الحرب العالمية الثانية .

● القاهرة وروما

وننتقل من علياء الفن إلى أرض الواقع ، ونشاهد فى واجهات المحال أرقى الأزياء وأغلى الأسعار ، ويجعلك هذا الارتفاع الرهيب فى الأسعار تشعر بزيادة الفجوة بين دول الشمال وبين دول الجنوب ، مما يحول البحر المتوسط إلى حاجز وعازل بين دول أوروبا وأفريقيا .

رغم وجود درجة من التشابه بين دول حوض البحر المتوسط ، ودرجة من التأثير المتبادل طوال التاريخ ، فمن يقلب صفحات التاريخ ، يجد علاقات قديمة بين مصر الفاطمية والمملوكية والعديد من المدن الايطالية ، وتبادل الافكار والمنتجات بينهما ، وكانت مصر جاذبة لأعداد كبيرة من الايطاليين ، أقام الكثير منهم فى الاسكندرية ، وعملوا حرفيين وعمالا مهرة ، أو معماريين ومصممى ديكور ، كما جذبت إيطاليا الكثير من الشباب فى الستينات والسبعينات .

وطوال زيارتى لايطاليا ، كنت ألمح عناصر التشابه ، من ملامح الوجوه فى جنوب ايطاليا إلى عادات أهلها والتشابه كبير بين مدينة نابولى والاسكندرية خاصة عندما ترى « الغسيل » المنشور بين بيوتها ، وتسمع التعبير بالصوت العالى ، والجو من حولك مملوء بالصخب والضوضاء ، وعندما ترى الكل يتكلم فى وقت واحد وبصوت مرتفع ، عندما يجعلون من أصابعهم شفاها يحركونها ، ويلوحون بأيديهم ويهزون قبضاتهم فى وجه محدثهم ..

ويصل التشابه إلى أن تدلى النساء من نوافذ الطوابق العليا السلال ، لكى يضع فيها البقال وساعى البريد إحتياجاتهن ، مثلما ترى فى الأحياء القديمة فى القاهرة ، بل والكلمات التى تصل إلى آذانك شائعة فى مصر مثل

رسالة ايطاليا

مشهد لاجمل كنائس روما . كنيسة القديس بطرس فى الفاتيكان

الجيلاتى والكاساتا والتلغراف .

وعلاوة على غنى كل من مصر وايطاليا بالآثار والتاريخ ، تلاحظ حب المصريين والايطاليين للبهجة والحياة والمرح ، وتعلقهم بالفن بصوره المتعددة ، وتمضى صور التشابه ، فتجد فى كلا البلدين رسوخ النظام الأسرى ، ورغم كل التغيرات الاجتماعية فمازالت الأسرة فى إيطاليا هى المؤسسة الرئيسية فى البلاد ، ويجد منها الفرد المعونة والنصيحة والشركاء ، وهى الملاذ النهائى ، ومثل مصر يتوزع أفراد الاسرة على الأحزاب السياسية أحدهما فى حزب الحكومة والآخر فى حزب المعارضة .

وفى إيطاليا فروق واضحة بين الشمال والجنوب مثل الوجه البحرى والصعيد ويتمسك أهل الجنوب بالتقاليد والعادات ، والدين فى كلا البلدين يمثل ركيزة رئيسية فى وجدان كل منهما ، ولعل أبرز نقاط التشابه ، أن كلا البلدين عانى طويلا من الفجوة القائمة بين واقعها ودورها التاريخى ، وكانت روما يوما عاصمة العالم ، وسمت العاطفة بايطاليا حتى انهكت قواها ، وهو حال مصر بتاريخها القديم ودورها التقليدى .. يقول أحد الدبلوماسيين فى روما .. إن إيطاليا على نقيض روسيا ، مثلا ، ففى موسكو لايعرف المرء شيئا عما يدور فى كواليس السياسة (قبل المكاشفة الجلاسنوست) وكل شيء واضح جلى ، أما فى روما فكل شيء علنى وليس فيها أسرار ، ومع ذلك يعجز الدبلوماسى عن التنبؤ .. ولاتعرف وانت تقرأ هذا الكلام هل يتحدث عن القاهرة أم روما ..

ولعل هذه الفجوة بين القدرة والرغبة هى السبب فى عدم الاكتراث بالنظم والقوانين ، ويشكو الكثيرون من معاناة ايطاليا من ضعف الأمن والحكومة ، ولدى الايطاليين كل القوانين والطوابير عوائق بغيضة لابد من التغلب عليها ، مما جعل افضل القوانين عديمة الجدوى ، وافتراض أن أى سلطة محلية قابلة للرشوة ، مما يدفع حتى أصحاب الضمير الى الانحراف ، وكثيرا ما يكرر الايطالى .. ان المغفل هو الذى يطيع القوانين ، ويسدد ما عليه من الضرائب ، ويصدق ما يقرؤه فى الصحف ، ويفى بوعوده ، ويؤدى واجبه » .

أليس هذا ما يمكن أن تسمعه فى المقاهى والصالونات فى القاهرة !

ورغم كل هذا يكمن سحر مصر وايطاليا فى عادات أهلها ورقتهم ،



رسالة ايطاليا

ومزاولة فن الحياة مهما كانت الصعوبات .

● فيض النهضة

لقد اثارت الجولة أمامي سؤالا ، أخذت أبحث عن إجابته خلال جولتي فى المدن الايطالية .. إذا كانت النهضة قد بدأت فى ايطاليا ، وفاضت منها على الدول الاوربية جميعها ، فلماذا كانت ايطاليا هى اقل الدول تمتعا بثمارها ؟!

ويشير الكاتب الايطالى بارزينى الى هذه المسألة بقوله .. «ملأ الايطاليون وبهروا اوروبا والعالم ، وانتشرت فنونهم واعمال كبار كتابهم وفنانيهم فى العالم ، شاعرية دانتى ، وخبرة وكياسة مكيافيللى وموسيقى فردى ومسرح براندللو ، وفيض اللوحات التى رسمها المصورون وتتوزع على كل متاحف العالم .

بل وشيد معماريون ايطاليون جزءا من مبنى الكرملين فى موسكو ، والارميتاج فى لينينجراد ، وزخرف الايطاليون مبنى الكابيتول فى واشنطن ، بل وظهر أثرهم فى العمارة فى كل عواصم العالم ، وكان لايطاليا الفضل فى العديد من المنتجات الحديثة ، ولولا مدينة بستويا ما كان هناك مسدسات ، ولولا مدينة ميلانو ما كانت هناك قبعات للسيدات ، ولولا مدينة جنوه ما ظهرت ملابس الجينس ، ولولا نابولى ما كان هناك الآيس كريم ..

واكتشف الايطاليون امريكا للأمريكيين عندما وصلها كولمبس الايطالى ، وعلموا الانجليز الشعر والسياسة وامساك الدفاتر ، وعلموا الألمان فن الحرب ، والفرنسيين فن الطهو ، والروس فن التمثيل ورقص الباليه ، وهم أصحاب فن الأوبرا ..» .

وبدءوا ثورة قدر لها أن تغير أوروبا ، وشملت الحركة الانسانية ، التى قامت فى مواجهة فكر القرون الوسطى ، بالاعتراف بقدرات الانسان على الخير والشر معا ، وتم اكتشاف اختراعات جديدة وكشوف واساليب علمية ، وساعدت الاكتشافات الجغرافية والتجارب العلمية والمؤسسات المصرفية على مضاعفة الثروة ..

فكيف يتحقق التقدم فى كل المجالات ويتسرب من ايطاليا الى غيرها ؟ ..

ربما كان ذلك بسبب الصراع الطويل الحاد ، بين الأفكار الجديدة التى دعى اليها المفكرون وقيم العصور الوسطى الراسخة ، وعلى عكس ما يتصور الكثيرون ، قامت النهضة على بعث التراث الرومانى والاغريقى فى مواجهة هيمنة الكنيسة ، وقامت على شعار «سيعود الزمان» وكان دور روادها احياء التراث الرومانى والاغريقى ، وبعث كل من اللغتين اللاتينية واليونانية ، وأصبحت اللاتينية من جديد لغة ذات جلال وعنفوان ، وساهمت على اكتشاف الأجيال الجديدة لايطاليا ذاتها .

ويعود ذلك إلى أن ايطاليا لم تكن موحدة ، ولم توجد سوى اللغة الايطاليا ،



تمثال راس كليوباتره . الذى وجد فى احد الحفريات اخيرا

لم تتحقق وحدتها سوى فى القرن التاسع عشر ، وكان النزاع بين سلطة الكنيسة والسلطة الزمنية ينهك قواها ، واستبسلت الكنيسة فى منع قيام سلطة موحدة تمتد من جبال الالب حتى صقلية لما فى ذلك من مساس بسلطات البابا الرئيس الروحى لأوروبا ..

ويشرح ميكيافيللى هذه العقبة التى عانى منها التاريخ الايطالى بقوله : «ليس ثمة بلد يزدهر الا إذا كان خاضعا لسلطة واحدة ، وهذا ماتحقق فى فرنسا أو أسبانيا ، وليست ايطاليا كذلك بسبب الكنيسة ، التى لم تصل الى القوة لكى تبسط سلطانها على البلاد كلها ، وليست ضعيفة الى حد العجز عن استدعاء طرف أجنبى يحقق التوازن الذى تريد !!»

ووضع التجزئة الذى كان وراء تخلف ايطاليا هو ذاته الذى يقف كأحد اسباب تخلف بلاد العرب ، رغم أن ايطاليا كانت اسعد حظا ، عندما تنافس اكثر من عشرة حكام فى البحث عن الموهوبين من المعماريين والمثالين والرسامين ليزينوا عواصمهم ، مما أشعل المنافسة بين الحكام والمدن لرعاية الفنون والعلوم ، واستمرت ايطاليا مستودع روائع الفن القديم والحديث رغم الانقسام .

كما ادى الأنقسام الى ضعف قدرة ايطاليا على صد غارات الغزاه ، والذى حطم تفوق ايطاليا فى الحرب والسياسة ، وتوحدت فى هذا الوقت سائر الدول الأوربيـة . واستنفد تحقيق الـوحدة الايطالية من القرن الرابع عشر حتى القرن التاسع عشر سنة ١٨٦١ استنفد ثلاثة أجيال من الوطنيين والمفكرين والحالمين والجنود والشعراء ورجال الدولة ، فى صراع مرير ومأساة متجددة ، وكان توحيدها مثل خروج العنقاء من بين الرماد ، وبعد ان ظهر لها ثلاثة زعماء ، انجزوا حلمها الصعب ، وهم ماتزينى المفكر ، وكافور السياسى ، وغاريبالدى العسكرى ..

وطويت احدى صفحات التاريخ ، وبدأت ايطاليا من جديد وخاصة بعد الحرب العالمية الثانية ، تضيق الفجوة بين دورها وقدرتها ، ونجحت فى أن تصبح احدى الدول الصناعية السبع ، وتتقدم، لتكون حلقة الوصل بين الشمال والجنوب ، وهى تساهم فى بناء أوروبا الموحدة .

هل غير د. طه حسين آراءه

فى الشعر الجاهلى ومستقبل الثقافة ؟

بقلم: د. محمد الدسوقى

يعد ماكتبه العميد الراحل فى الشعر الجاهلى ومستقبل الثقافة فى مصر من اهم مؤلفاته التى اثارت قضايا فكرية شغلت الراى العام، وكتب فى مناقشتها والرد عليها عدة دراسات، واتخذ منها بعض الباحثين حجة فى اتهام طه حسين بعدائه السافر للاسلام، وتبعيته للفكر الاستشراقى.

وماكتبه العميد فى الشعر الجاهلى لايخرج عن دائرة الحكم على هذا الشعر بالوضع، فهو منحول غير صحيح النسبة إلى عصر ماقبل الإسلام، ومن ثم لاسبيل للتعويل عليه فى دراسة هذا العصر، والوقوف على ابعاده الثقافية والاجتماعية والسياسية، والقرآن الكريم هو وحده الذى يقدم لنا الصورة الصحيحة للعصر الجاهلى.

ولست فى هذه الكلمة بصدد المناقشة العلمية لفكرة كتاب الشعر الجاهلى، أو الأدب الجاهلى وماتمخض عنها من آراء وإنما أردت بكلمتى الإشارة إلى أن طه حسين ظل على موقفه من ذلك الشعر بوجه علم حتى توفاه الله، فلم يعدل عن رأيه فى أن الشعر الجاهلى موضوع، خلافا لما ذهب إليه بعض الباحثين من أن طه حسين عدل عن رأيه، فقد كتب الاستاذ سعيد الأفغانى فى عدد يناير ١٩٧٧ من مجلة العربى كلمة تحت عنوان «انصافا لطه حسين» حاول فيها أن يثبت أن العميد رجع عن رأيه

فى الشعر الجاهلى ، فلم يعد لديه منحولا ، وكانت الحجة التى أعتمد عليها الأستاذ الافغانى رواية نقلها عن استاذنا الدكتور أحمد الحوفى رحمه الله ، وهذا عزاها إلى الأستاذ ابراهيم مصطفى صاحب كتاب « أحياء النحو » وعضو المجمع اللغوى - رحمه الله . فقد قال إنه سمع من العميد سنة ١٩٥٠ أنه رجع عن رأيه فى الشعر الجاهلى ، وأن العميد قال هذا بعد أن أهديت إليه بعض مؤلفات الدكتور الحوفى عن « الحياة العربية من الشعر الجاهلى » و « الغزل فى الشعر الجاهلى » و « المرأة فى الشعر الجاهلى » وأن الاستاذ ابراهيم مصطفى طلب من العميد أن يعلن رجوعه عن رأيه فابتسم وقال : لا ، لا ، لا :

هذه الرواية - ولا مطعن فى صحتها - يتخذها الاستاذ الافغانى حجته فى رجوع العميد عن رأيه ، وعلل رفضه لاعلان رجوعه بأنه كان يأمل الاعلان عنه بعد تراخى الزمن ، ونفاد الطبعة ، رحمة بالناشر ، وكأن العميد بهذا التعليل يخاف شيئا مايحول بينه وبين الجهر بما انتهى إليه فى قضية الشعر الجاهلى ، وماكان العميد فى القضايا العلمية وغيرها يعرف الخوف أو الغمغمة ، وإنما كان يعرف الشجاعة والصراحة والوضوح .

لقد رافقت العميد فى العقد الأخير من عمره وقرأت له كثيرا من المؤلفات العربية القديمة والحديثة ، وجاء ذكر الشعر الجاهلى أكثر من مرة ، فما سمعت منه إلا شكه فى هذا الشعر وطعنه فى صحته .



هل غير
د . طه حسين آراءه

وأما الكلمة التى نقلها الأستاذ ابراهيم مصطفى عن العميد فهى لاتعدو أن تكون كلمة مجاملة وتحية وشكر، وكان الدكتور الحوفى يراها شهادة علمية يعتز بها لما كتبه فى الشعر الجاهلى، ورددها فى أكثر من مناسبة وسمعتها منه أكثر من مرة، ولهذا لايمكن الجزم بأن طه حسين عدل عن رأيه إعتمادا على كلمة قالها فى مناسبة اهداء بعض المؤلفات إليه، ثم يلزم الصمت اكثر من عشرين عاما دون أن يكتب عن رأيه الجديد.

وإذا كان ماكتبه العميد فى حديث الأربعاء عن الشعر الجاهلى يشير إلى أنه غير من رأيه فى هذا الشعر فإن ماجاء فى هذا الكتاب يؤخذ منه أن


عبد الخالق ثروت


الملك فؤاد

هناك تطويرا فى موقف العميد من شعر ماقبل الإسلام، وأنه اعترف ببعض هذا الشعر، ولكنه لايدل بحال على أن هناك عدولا مطلقا عما أعلنه فى الادب الجاهلى وتدور الفكرة الأساسية لكتاب مستقبل الثقافة فى مصر حول وجوب أن تسلك مصر سبيل الحضارة الأوربية برمتها، حتى تستطيع أن تجتاز مرحلة التخلف وتلحق بركب التقدم، ومن العبارات الشهيرة التى وردت فى هذا الكتاب: إن سبيل النهضة واضحة بينة مستقيمة ليس فيها عوج ولا التواء، وهى أن نسير سيرة الأوربيين، ونسلك طريقهم لنكون لهم اندادا، ولنكون لهم شركاء فى الحضارة خيرها وشرها حلوها ومرها، ومايحب منها ومايكره، ومايحمد منها ومايعاب .. ومن زعم لنا غير ذلك فهو مخادع أو مخدوع.

ولا مراء فى أن كل ماجاء فى كتاب مستقبل الثقافة فى مصر لايمكن الأخذ به أو موافقة المؤلف عليه، وأن تطبيقه حرفيا يعزل مصر إسلاميا وعربيا، ولايكفل لها تقدما حقيقيا، ومع هذا لم يكن له من رد الفعل مثل ماكان لكتاب فى الشعر الجاهلى، ويبدو أن السياسة لعبت دورا كبيرا فى شغل الرأى العام والحكومة بهذا الكتاب، فالملك فؤاد كان يكره العميد وبخاصة بعد أن نادى بالدستور وتحدث عن الديمقراطية وهو الذى حرض الأزهر ضده، وقد اعترف بهذا

الشيخ أبوالفضل الجيزاوى شيخ الأزهر ، حين سأله عبدالخالق ثروت عن الحملة التى يقوم بها الأزهر ضد طه حسين فقال الشيخ : الأزهر غير مسئول عن هذه الحملة ، فقال عبدالخالق : ومن المسئول ؟ ورد الشيخ : الملك فؤاد .

وإذا كان طه حسين لم يعدل عن رأيه فى الشعر الجاهلى بوجه عام فإنه قد عدل عن طرف مما ذهب إليه من آراء فى كتاب مستقبل الثقافة فى مصر ، فقد قال لى يوما : إنه لايعيد النظر فى مؤلفاته عند إعادة طبعها ، غير أنه اضاف إلى هذا : إن هناك كتابا واحدا أريد أن أغير فيه بعض الآراء ، وهو مستقبل الثقافة فى مصر ، فقد انتشر التعليم واصبح مجانا فى جميع مراحله ، كما قويت الصلات العلمية والأدبية بين البلاد العربية على الرغم من الخلافات السياسية بين بعض حكامها .

ولكن العميد لم يحدثنى عما يجب أن يغيره من آراء وردت فى ذلك الكتاب ، وأغلب الظن أنه عدل عما ذهب إليه من أن مصر تنتمى إلى الدول الأوربية التى تطل على البحر المتوسط أكثر من انتمائها إلى الدول الأفريقية والأسيوية ، وأن العقلية المصرية تأثرت قديما وحديثا بالثقافة الغربية أكثر من تأثرها بالثقافة الإسلامية ، وذلك لأنه أومأ إلى مجانية التعليم وإلى قوة الصلات العلمية والأدبية بين البلاد العربية ، فمصر



الشيخ إبو الفضل الجيزاوى

من ثم جزء من هذه البلاد تؤثر فيها وتتأثر بها ، وهذا يعنى أنها تنتمى إلى العالم العربى ، وأنها إذا كانت قد أخذت فى الماضى والحاضر من الثقافة الغربية فإن هذا لأيدل علي إنها ثقافيا دولة أوربية ، فالأحتكاك بين الحضارات والثقافات لايلغى الشخصية الذاتية للأمم والشعوب .

ويبدو أن طه حسنين كان وهو يؤلف كتابه مستقبل الثقافة متأثرا بالواقع الذى كان يعيش فى ظله العالم العربى ، واقع التخلف والضعف والاحتلال والاستقلال ، وكانت أوربا لديه هى النموذج الذى يجب أن يحتذى ، فهى تمثل القوة الحربية والعلمية ، وقد أتاح لها هذا أن تسيطر على البلاد العربية ، وتفرض عليها قوانينها وثقافتها ، ولاسبيل للخلاص من احتلال أوربا لنا إلا بالأخذ بوسائل القوة التى أخذت بها ، حتى نكون لها أندادا فى كل المجالات ، وبذلك نستطيع أن نقهرها ونحيا فى بلادنا أحرارا كراما .

هل غير د . طه حسين آراءه

وسواء اكان هذا التعليل صحيحا او غير صحيح فإن ماذهب إليه طه حسين فى كتابيه فى الشعر الجاهلى ، ومستقبل الثقافة لون من الاجتهاد بالرأى ، وكل إنسان يخطىء ويصيب ، ويؤخذ من قوله ويرد عليه ، فلا ينبغى أن يتحول الخطأ إلى خطيئة ، ولا ينبغى حين يخطىء إنسان ان نسرف فى التعليل والتحليل والاستنتاج والا نقضى بحكم يفتقر إلى الأدلة الصريحة التى لاتحتمل خلافا ، فالذين اتهموا طه حسين بانه بما كتب فى الشعر الجاهلى قد ردد مقالة « مرجليوث » ، وحاول الطعن فى صدق ماأخبر به القرآن الكريم قد أسرفوا على انفسهم ، ودفعهم الحماس العاطفى إلى مجافاة اصول البحث العلمى ، وكذلك الذين حملوا على العميد بسبب كتاب مستقبل الثقافة وقالوا بانه يريد من وراء هذا الكتاب التمكين للثقافة الأجنبية وطمس معالم الشخصية الذاتية للشعب المصرى قد تجاوزوا حدود الموضوعية فى الجدل والحوار ، واخذوا يتلمسون كل مايطعن فى وطنية العميد او عقيدته ، وهم بذلك يسيئون اكثر مما يحسنون ، ولايخدمون بما يقولون دينهم وامتهم وإن ظنوا غير ذلك .

● سر بيني وبينك ●

قال الاصمعى : خرج الحجاج متصيدا فوقف على أعرابى يرعى إبلا وقد انقطع عن اصحابه ، فقال : يا اعرابى كيف سيرة أميركم الحجاج ؟

فقال الاعرابى : غشوم ظلوم لاحياه الله ولابياه قال الحجاج : فلو شكوتموه الى امير المؤمنين ؟

قال الاعرابى : هو أظلم منه واغشم ، عليه لعنة الله !

فقال ، فبينما هو ذلك اذ احاطت به جنوده فأومأ الى الاعرابى فأخذ وحمل ، فلما صار معهم قال من هذا ؟

قالوا : الامير الحجاج فعلم انه قد أحيط به ، فحرك دابته حتى صار بالقرب منه فناداه .. ايها الامير ..

قال : ماتشاء ياأعرابى

قال : أحب ان يكون السر الذى بينى وبينك مكتوما فضحك الحجاج وأخلى سبيله !

هل حان الوقت لتجديد هيئاتنا الثقافية الكبرى ؟!



• من مذكرات الدكتور
ابراهيم بيومي مدكور

تنوعت هذه الهيئات وتعددت على مر القرن العشرين ، وتخصصت في بعض الجوانب ، او فتحت باب الثقافة على مصراعيه ، فمنها ما عنى بالأدب والفن ، ومنها ما وقف نفسه على الاقتصاد والقانون أو العلم والفلسفة ، وسميت باسماء مختلفة من لجان وجمعيات ، واندية ومجالس ، او مجامع واتحادات . قدر لبعضها أن يعمر وان يتابع السير ، وتوقف بعض آخر في الطريق او سمى باسماء جديدة وليس من بينها مايرجع الى القرن الماضي إلا هيئة واحدة . ويعنيني أن اقف عند عدد منها كانت لى به صلة ، وحاولت أن أسهم فيه ما استطعت وساعرض لها على حسب تاريخها الزمني واقدمها :

• المجمع المصرى :

ثمرة من ثمار الحملة الفرنسية ، وكأنما شاء "نابليون" أن ينحو بحملته منحنى ثقافيا ودراسيا الى جانب أهدافه العسكرية والسياسية ، فأحضر معه أربعين عالما من كبار العلماء الفرنسيين المعاصرين ، واسس باسمهم هذا المجمع الذى حرص على أن يكون هو نفسه رئيسا له ، وطلب الى هؤلاء العلماء أن يدرسوا مصر في سهلها وجبلها ، في معادنها وكنوزها ، في حيوانها وطيورها ، في نباتها وزرعها . وأخرجت



من مذكرات
الدكتور ابراهيم
بيومي مدكور

هذه الهيئة المختارة كتابها المشهور وصف مصر، ولاشك فى أن هذا الكتاب يعد أثرا ثقافيا ربما كان من أهم الآثار التى خلفتها الحملة الفرنسية الى جانب حل رموز "حجر رشيد".

وقد بقى هذا المجمع يتابع عمله الى اليوم وأن عاش فى الظل مااستطاع، وعنى بخاصة فى الخمسين سنة الأخيرة بالناحية الأثرية. ومن مميزاته الواضحة أنه كان صورة من صور التعاون بين المصريين والاجانب فى ميدان البحث والدرس، ومما يؤسف له ان هذه الصورة أخذت فى التضاؤل عاما بعد عام. وليت هذا المجمع يستعيد سيرته الأولى، ولو على صورة لقاءات دورية، أو بحوث موزعة بين أطراف مختلفة تعقد من أجلها ندوات سنوية، واجتماع دورى كل عام.

وقد اتصلت بهذا المجمع منذ عشرين سنة مضت، وآسف أن ظروفى لم تسمح لى بالاسهام فى نشاطه فى جد وعناية أتم. وفيه مكتبة تشتمل على قدر من الدوريات القديمة التى قد لاتجدها فى مكتبة مصرية أخرى، ومجموعة مؤلفات جديرة بالحفظ والصيانة. ولعلنا باسم التاريخ وتقديس الماضى نستطيع أن ننشىء لهذا المجمع قسما خاصا مجددا فى المنطقة التى نشأ فيها، ويسعدنى أن بين أعضائه من يضطلع بالعبء، ويؤدى الأمانة، وهو جدير بأن يحتفظ بالشعلة ويغذيها الغذاء الدائم.

● الجمعية المصرية للاقتصاد والقانون:

ويلى المجمع السابق تاريخيا "الجمعية المصرية للاقتصاد والقانون" وأظنها بلغت الثمانين من عمرها او كادت. وأذكر أنى أسهمت فى عيدها الذهبى منذ ثلاثين عاما تقريبا، وقد أحتفل به على صورة لائقة. وهى واحدة من تلك الهيئات المشتركة التى جمعت بين المصريين والأجانب، وكان للفرنسيين بوجه خاص فيها إسهام واضح، ولها صحيفة تحرص على أن تظهر بالعربية ولغة أجنبية، ويشترك فى تحريرها علماء مصريون وأجانب. وكان لبعض الاساتذة الأجانب الذين قاموا بالتدريس فى كلياتنا الجامعية شأن فى هذا التعاون. الا أنه - بدوره - فى تضاؤل مستمر، وبرغم أن صلتى بهذه الجمعية قد انقطعت منذ بضع سنين فانى أرجو لها أن تستعيد شيئا من تقاليدها السابقة، وما أحوجنا فى ميدان العلم والثقافة أن نتعاون ونتبادل البحث والدرس مع الهيئات

العلمية المختلفة . وأذكر أنه تولى رياستها فى وقت ما بعض شيوخنا فى القانون والاقتصاد ، وفى مقدمتهم المرحوم "عبد الحميد بدوى" الذى ابى إلا ان يكل الى أمر سكرتاريتها الدائمة زمنا ، وفى هذه الفترة أقيم العيد الخمسينى الذى أشرت اليه وكان لهذه الجمعية انشطة متنوعة اخصها محاضرات متخصصة للباحثين والدارسين باللغة العربية أو بلغات أجنبية . وفيها قاعة للمحاضرات تلائم هذا النوع من الدرس ، ولها مجلة خاصة بها ، وهى من اقدم المجلات الاقتصادية والقانونية . وتجمع بين العربية ولغة أخرى أجنبية كالفرنسية والانجليزية .

هذا ماض عزيز ، وله وزنه ، وله دار خاصة به ، والفقهاء والاقتصاديون اولى الناس بتعهد هذه الدار التى أريد انتزاعها يوما لعمل آخر ، واستطعت ان أقنع المسئولين بأنها تؤدى رسالة يجب تقديسها .

• لجنة التأليف والترجمة والنشر :

قدر لى فى الثلاثينات أن أشترك فى لجنة مصرية خالصة أعدها لبنة فى بنياننا الثقافى المعاصر ، وهى "لجنة التأليف والترجمة والنشر" وما كان أجمل ما اشتملت عليه من زمرة ، جمعت بين العلم والعمل واتسمت



احمد امين



احمد لطفى السيد

بحسن التخطيط وصدق العزيمة ، حمل رايتها المرحوم "أحمد أمين" وضم اليه كل من اطمأن اليهم من الزملاء والاصدقاء!، ووهبها من وقته وجهده ، ما استطاع ، وقضت نحو ربع قرن فى درس "متصل ونشر متلاحق ، جمعت بين العلم والأدب والفن والفلسفة ، تعاون حر طليق ، وأنتاج مبعثه إيمان بالرسالة الثقافية وتدعيم لها بشتى الوسائل ، فألفت هذه اللجنة ، وترجمت ، وحققت ونشرت لطلاب العلم عامة ولبعض المتخصصين ، وكان يعنيها أن تغذى شباب الدارسين بغذاء سليم وجذاب . وقدر لى أن أسهم مع زميل لى هو الاستاذ/ "يوسف كرم" فى إخراج كتاب مدرسى فى تاريخ الفلسفة لتلاميذ المرحلة الثانوية ، وكان ذلك أول خطوة لادخال تاريخ الفلسفة فى منهج التعليم العام . وضمت الجمعية الى التأليف والترجمة صحيفة تحمل اسمها وهى صحيفة "الرسالة" التى كان لهما من اسمها نصيب كبير ،



من مذكرات الدكتور ابراهيم بيومى مدكور

وأسعدنى أن أسهمت فى أعداد كثيرة من هذه المجلة التى توقفت عن الصدور عام اثنين وخمسين ، وقدر لى أن أزور الخرطوم فى ذلك التاريخ وكان أول سؤال وجهه الى المثقفون السودانيون : هو أين الرسالة ؟ وقد بقيت هذه الصحيفة زمنا فى أيدى لجنة التأليف ثم أختص بها المرحوم "أحمد حسن الزيات" الذى قواها وعززها ، ومع هذا لم تستطع أن تقاوم عدوان الزمن ، وأخرجت اللجنة صحيفة أخرى هى "الثقافة" ، وعنوانها هى الأخرى دليل عليها . وقد عمرت ما استطاع خدام الثقافة وعشاقها أن يغذوها ثم توقفت بدورها .



نابليون



احمد حسن الزيات

ويسوءنى أن هذه اللجنة أصبحت اليوم أثرا بعد عين ، وتمت تصفيتها النهائية فعلا ، والأمثلة التى قدمتها ثمار واضحة لجهود الأفراد ، وإسهام الدولة فيها محدود . وأعتقد أن "لجنة التأليف والترجمة والنشر" لم تحظ بإعانة مالية من هيئة عامة أو خاصة ، وقامت جهودها كلها على سواعد من أضطلعوا بها . وما أشبه هذه اللجنة بوزارة ثقافة أهلية . أحس أعضاؤها بالحاجة الى غذاء وأضواء كاشفة فى ميدان العلم والمعرفة ، وقد آمنوا بهذا الميدان الايمان كله ، ولا أظن أن واحدا منهم سعى الى رزق عن طريق انضمامه إلى هذه اللجنة . ومن محاسن الصدف أنها انتهت الى تحقيق ربح سنوى كان يوزع على الأعضاء المؤسسين والمساهمين ، وكانت عملية وواقعية فى بدئها . فاختارت مكانا متواضعا فى شارع "الكرداسى" بحى "عابدين" لم تكن تكاليفه مرهقة ، واتخذت لنفسها مطبعة خاصة لم تكن على المستوى الحديث ولكنها أعانت اللجنة كثيرا على أداء رسالتها بأقل التكاليف . ويخيل الى أن فكرة التأميم ، ومحاولة الدولة ابتداء من عام ١٩٥٢ أن تضع يدها على كل شىء قد سدت الطريق أمام هذه الاعمال العامة وما أشبهها من هيئات لم يكن قصدها الأول تحقيق ربح أو مغنم ، إنما كان هدفها خدمة الوطن وأداء الواجب ، ومن العبث أن يظن أن الدولة كفيلة بأن تتحمل كل

العبء . ومن حسن الحظ أنا بدأنا نحس بالحاجة الماسة الى الجهود الفردية والجماعية التى تتجه نحو الصالح العام برغبة صادقة ، وعزيمة قوية ، فهل من سبيل لأن نستعيد أمثال هذه الهيئات ؟ وأن تتكون جمعيات ثقافية وعلمية الى جانب الأجهزة الحكومية ؟ وواجب الدولة أن تعزز هذه الهيئات ، وأن تأخذ بيدها

● المجلس الأعلى لرعاية الفنون والاداب :

فى الخمسينيات بدأت الدولة تفكر فى إنشاء هيئات حكومية تضطلع بأعباء الثقافة ورسالتها وفى مقدمتها مجلسان هما "المجلس الأعلى للعلوم" و "المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية ، وكانت صلتى بالمجلس الثانى وثيقة ، حظيت بعضويته منذ إنشائه ، وبقيت فيه الى أن حل محله ما يسمى "المجلس الأعلى للثقافة" ولمجلس رعاية الفنون والآداب تاريخ ما أحوجه أن يسجل على حقيقته ، فقد أختير لعضويته رجال يعد كل واحد منهم رئيس مدرسة فى ميدانه ، رأوا جميعا أن عملهم الأول هو الاسهام فى لجان المجلس إسهاما حقيقيا ، وتغذيتها تغذية كاملة ، وعلى أيدى هذه اللجان أنتج وأثمر ، ومما يؤسف له أن من بين هذا الانتاج مالم يجد سبيله الى النور لقصور فى الميزانية أو الاهمال من جانب المشرفين على التنفيذ ، واحب أن أقف قليلا عند لجنة كانت لى بها صلة طويلة ووثيقة وهى لجنة "الفلسفة والاجتماع وعلم النفس" . وقد رأت هذه اللجنة فى البداية أن اللغة الفلسفية فى حاجة الى معجم جديد يحصر مصطلحاتها ، وأخرجت لذلك مشروعا مبدئيا كان نقطة بدء للمعجم الفلسفى الذى أخرجه "مجمع اللغة العربية" فى الستينيات والى جانب هذا اتجهت هذه اللجنة نحو إحياء التراث الفلسفى فعمدت الى بعض كبار رجاله لتحيى ذكراهم ، وتنشرماينبغى نشره من مؤلفاتهم ، وقد سبقت الادارة ـ الثقافية بالجامعة العربية وعلى رأسها المرحوم "أحمد أمين" الى احياء ذكرى ابن سينا ، وأقيم لهذه الذكرى مهرجانات فى بغداد وطهران وباريس ، وهى الذكرى الألفية لفيلسوف إسلامى كبير ، حاولت أن تسهم فيها بلاد أخرى ومن بينها إيران وتركيا ، وقد عنيت مصر بخاصة ـ إلى جانب المهرجان ـ بأن تخرج أكبر موسوعة فلسفية عربية وهى "كتاب الشفاء" لابن سيناء ، وقد تابعت لجنة الفلسفة والاجتماع وعلم النفس بالمجلس الأعلى هذه المهمة ، أخرجت أجزاء "الشفاء" جزءا جزءا ، وأسهم فى تحقيقها باحثون مصريون وعرب ، وتقع فى نحو اثنين وعشرين مجلدا ، وكان آخرها كتاب "السماع الطبيعى" الذى ظهر منذ عامين . ولم تقف اللجنة عند "ابن سيناء" بل



من مذكرات الدكتور ابراهيم بيومى مدكور

تابعت مفكرين إسلاميين آخرين على رأسهم "الغزالى" الذى اقيم له مهرجان كبير فى دمشق ، ووضع فيه كتاب شامل لمؤلفاته ، وأخرجت بعض رسائله . وكم وددنا أن نكون مجموعات كاملة لكل مفكر من هؤلاء المفكرين . وبدأت اللجنة عملا آخر بمناسبة ذكرى مئوية لصوفى كبير هو "ابن عربى" صاحب "الفتوحات المكية" . ويقع كتابه هذا فى نحو عشرين جزءا . وقد أخرج منها أحد عشر جزءا نفذ بعضها بعد ظهوره بسنوات . ولم تكن صلتى "بالفتوحات المكية" أقل من صلتى بكتاب الشفاء" وسعدت بأن انجز كتاب الشفاء فى جملته ، وما أحوجه أن يعاد طبعه مرة أخرى . أما كتاب الفتوحات المكية فحبل العبادة فيه طويل ، ويطمئننى أن منهج نشره قد وضع وطبق وما على الباحثين إلا أن يتابعوا السير .

وكان للجنة الفلسفة حظ أنها رشحت أستاذ الجيل "أحمد لطفى السيد" لأول جائزة من جوائز الدولة التقديرية التى منحها المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب وتم هـذا الترشيح فى فترة الوحدة بين مصر وسوريا . ولم يتردد إخواننا السوريين فى إقراره وإن أبدوا ملاحظات على نزعته المصرية القوية ، ولست فى حاجة أن أقول أن حب الوطن لايتعارض بحال مع الدعوات القومية . والقوميات الناجحة هى تلك التى تقوم على وحدات اجتماعية لكل منها شأنه وكيانه .

واستنت هذه اللجنة أيضا سنة إحياء ذكرى كبار المفكرين والباحثين وما أجدرنا أن نتابع هذه السنن لكى نربط فيها الماضى بالحاضر والقديم بالمعاصر وإذا لم نحى نحن أعلامنا فمن ذا الذى يقوم بهذا الاحياء ؟ وهذا مثل من أمثلة ثمار "المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب" وله ثمار أخرى فى لجانه المختلفة .

● المجلس الأعلى للثقافة :

أريد أخيرا أن يحمل المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب اسم "المجلس الأعلى للثقافة" . ولم يكن بد من أن أشترك فى هذه الهيئة الجديدة ، وهى وريثة المجلس الأعلى لـرعايـة الفنون والآداب والعلـوم الاجتماعية ، ولكنها حتى الآن لم تأخذ تماما بتقاليد المجلس السابق ، ولم تتابع السير على نهجه ، حقا إن لكل شعبة من شعب هذا المجلس لجانا متخصصة ولكنها ـ مع الأسف ـ

لاتعمل بالقدر الذى ننشده ، وحياة الهيئات العلمية إنما تتركز فى أعمال هذه اللجان ، ووظائف المجلس الأعلى للثقافة متعددة ومتنوعة ، واهدافه هى اهداف المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب ففيه شعبة للفنون ، ولها لجانها المختلفة ، وشعبة أخرى للغة والآداب ، وثالثة للعلوم الاجتماعية ويكاد ينحصر عمل المجلس الأعلى للثقافة الآن فيما يمنح من جوائز تشجيعية كانت أو تقديرية ، وليست فكرة الجوائز مستحدثة فى هذا المجلس فقد سبقه اليها "المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب" وكانت تعد مهمة لها شأنها الى جانب رسالة المجلس الأصلية ، وكم أود أن يستعيد المجلس الأعلى للثقافة تقاليد لجان البحث والترجمة والتأليف والنشر والتحقيق ، وبذلك تستطيع هذه الهيئات العامة أن تضطلع بما لايقوى الأفراد على أدائه . وأخشى ما أخشاه أن يحول نقص الاعتمادات المالية دون اداء هذا المجلس لرسالته العلمية والثقافية ، وفيه رجال جديرون برفع راية العلم والمعرفة ، وتحقيق قيادة فكرية لها وزنها .

وكثيرا ماتحدثنا عن موسوعة عربية ، وشكلنا لذلك لجانا لكنا لم نضع الفكرة حتى الآن موضع التنفيذ الجاد ، وكان فى وسع المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب متعاونا مع المجلس الأعلى للعلوم أن يرسم خطة هذه الموسوعة ، وأن يخطو فى سبيلها الخطوات الأولى . ولايزال الأمر صادقا بالنسبة للمجلس الأعلى للثقافة واكاديمية البحث العلمى . وقد حاولت لجنة "الفلسفة والاجتماع وعلم النفس" أن تضرب فى هذا الميدان مثلا ، فاتجهت نحو إخراج "معجم اعلام الفكر الانسانى" بصرف النظر عن أوطانهم وجنسياتهم . وقد أخرج من هذا المعجم جزؤه الأول . وكنت حريصا على إخراجه لكى يمهد الطريق للأجزاء التالية ، ولست أدرى مامصيره اليوم ، ومن حسن الحظ أننا عدنا أخيرا الى فكرة الموسوعة العربية ، وعسانا نخطو فيها خطوات سريعة وإيجابية .

هذه هى هيئاتنا العلمية ، التى كانت لى بها صلة ، والتى أسهمت دون نزاع فى حياتنا الثقافية طوال القرن العشرين ، وانضمت اليها هيئة أخرى أكبر وأوسع وهى ، "المجالس القومية المتخصصة" كالمجلس الأعلى للانتاج ، والمجلس الأعلى للخدمات ، والمجلس الأعلى للتعليم والمجلس الأعلى للثقافة ، وهدفها جميعا أن ترسم الخطوط الكبرى لسياستنا الاقتصادية والتعليمية والثقافية ، وهى باختصار هيئات استشارية لرسم سياسة الدولة . وجمعت هذه المجالس زمرة من كبار القادة والمفكرين ، وفى وسع الأجهزة التنفيذية أن تفيد من بحثها ودرسها ، ولكن الصلة بين الطرفين لم تتضح بعد ، وما أجدرها أن توثق وتؤكد .

دائرة الحوار

الحوار بين

الإسلاميين والعلمانيين

بقلم: د. محمد عمارة

« الاسلاميون » .... و « العلمانيون » .... مصطلحان شاع استخدامهما في كثير من الأدبيات الفكرية والسياسية المعاصرة، المتخصصة منها والصحفية على السواء..

أما مصطلح « الاسلاميون » ـ ومن العلمانيين من ينكر ويستنكر استخدامه كوصف لقطاع من المسلمين دون غيرهم ـ فهو مصطلح قديم الاستخدام في ادبيات الفكر الاسلامي القديم.. وشهير ذلك الكتاب الذي كتبه إمام الأشعرية، ابو الحسن الأشعري (٢٦٠ ـ ٣٢٤ هـ ٨٧٤ ـ ٩٣٦ م) تحت عنوان (مقالات الاسلاميين).. بل إن هناك كتابا آخر، يحمل نفس العنوان، كتبه واحد من ائمة المعتزلة، كان معاصرا للأشعري، وهو ابو القاسم البلخي (٣١٩ هـ ـ ٩٣١ م).. إذن، فمصطلح « الاسلاميين » قديم، وليس من مخترعات الصحوة الاسلامية المعاصرة، كما يحسب بعض الناس

وهذا المصطلح لايستخدم ـ قديما ولاحديثا ـ باعتباره مرادفا لمصطلح: « المسلمين »..

« فالمسلمون » هم كل من يتدين بدين الاسلام.. أما « الاسلاميون » فإنهم طلائع الفكر والعمل الاسلامي، المشتغلون بصناعة الفكر، والذين يقودون العمل لوضع هذا الفكر في الممارسة والتطبيق.. فكل « إسلامي » هو مسلم، وليس العكس دائما بصحيح!..

والذين ينظرون في كتاب الأشعري (مقالات الاسلاميين) او فيما بقي من كتاب البلخي، لايجدون حديثا عن جمهور المسلمين وعامتهم، وإنما عن الفرق الاسلامية والجماعات التي تمثل تيار الفكر الاسلامي والتي تعمل بصناعة الفكر، وتجاهد من اجل وضعه في الواقع لينمو ويزدهر ويسود..

وبهذا المعنى المحدد لهذا المصطلح ـ « الاسلاميون » ـ شاع ويشيع استخدامه في الأدبيات الحديثة، عنوانا على طلائع وتنظيمات ومؤسسات وعلماء ومفكري



محمد عبده



د. محمد حسين هيكل

الصحوة الاسلامية ، اولئك الذين يجتهدون ويجاهدون لقيادة الامة كى تنهض فتغير الكثير من الأفكار السائدة وتستبدل الكثير من معالم الواقع السائد ، وفق مناهج الاسلام ـ كما يتصورها كل فصل من فصائل هذه الطلائع والتنظيمات والمؤسسات والعلماء والمفكرين ـ فإذا قلنا : التنظيمات الاسلامية أو المفكرون الاسلاميون ، أو المؤسسات الاسلامية ، فلا يعنى ذلك نفى الاسلام ولانفى التدين به عن غيرهم ممن هم مسلمون ، يؤمنون بالاسلام ويتدينون به ، لكنهم لم يختاروا لأنفسهم مواقع الطلائع المجاهدة ـ على مختلف جبهات الجهاد ـ فى سبيل إعادة الصبغة الاسلامية والمعايير الاسلامية لتحكم تصورات الفكر وحركة الواقع فى حياة المسلمين ..

هذا عن مصطلح « الاسلاميين » ...

اما مصطلح « العلمانيون » ... فإنه ، فى نشأته الغربية قد عنى ويعنى أولئك الذين رفضوا تدخل الكنيسة أو سيطرتها وتدخل اللاهوت المسيحى ومعاييره فى شئون الدولة ومؤسساتها وفكرها الدنيوى .. وجعلوا العالم والواقع والدنيا المنطلق الوحيد والمصدر الأوحد للفكر وللممارسات الدنيوية فى السياسة والاجتماع والاقتصاد والعلم والتعليم والاعلام ... إنهم الطلائع الغربية التى قادت النهضة الحديثة فى الغرب فى مواجهة الكنيسة ولاهوتها وسلطتها الدينية ، فاستخلصت الدولة والمجتمع ـ او حاولت ذلك ـ من قالب قدسية التصورات الكنسية ، التى فرضت عليهما الجمود والتخلف لعدة قرون ....

اما عن الاستخدام العربى والاسلامى لهذا المصطلح ـ « العلمانيون » ـ فلقد جاء ثمرة من ثمرات الفكر الغربى على الواقع الاسلامى ، بعد عموم هيمنة الغزوة الاستعمارية الحديثة على ديار الاسلام .. وأول من أدخل هذه الكلمة ـ وكتبها هكذا : عالمانى ـ وعالمانية ـ نسبة إلى العالم ـ كمقابل لله والدين والمقدس ـ هو احد المترجمين عن الفرنسية ـ إلياس بقطر المصرى ـ والذى عمل مترجما للحملة الفرنسية على مصر ـ (١٧٩٨ ـ ١٨٠١ م) والذى رحل إلى فرنسا ، حيث

دائرة الحوار

عمل مدرسا للعربية العلمية بمدرسة اللغات الحية بباريس ـ كان إلياس بقطر هو أول من ترجم هذا المصطلح عن الفرنسية ، عندما ترجم المعجم الفرنسى إلى العربية سنة ١٨٢٨ م (انظر : د . السيد أحمد فرج « علمانى وعلمانية .. تأصيل معجمى » مجلة « الحوار » العدد ٢ ـ السنة الأولى ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦ م) .

ثم .. وبالتدريج ، شاع استخدام مصطلح العلمانى والعلمانيون على شريحة من المفكرين المثقفين الذين تبنوا موقف الحضارة الغربية الحديثة فى ضرورة فصل الدين عن الدولة لأنهم رأوا الاسلام ـ كما رأت أوربا المسيحية ـ دينا لا دولة ، ومن ثم فلقد رأوا ضرورة أن تكون نهضتنا ـ كما كانت نهضة الغرب ـ علمانية ، تفصل الدين عن الدولة ، وتدع ما لقيصر لقيصر وما لله لله ..

هذا عن ضبط المصطلحات ـ « الاسلاميون » .. و « العلمانيون » ـ وعن مضامينها ..

★ ★ ★

أما عن ماتطرحه هذه الصفحات من ضرورة وأهمية الحوار بين الاسلاميين والعلمانيين فى بلادنا الاسلامية ، وفى الحركة الفكرية على امتداد ديار الاسلام .. فإننا نقدم أفكارنا حوله فى عدد من النقاط الموجزة ، طلبا للحوار حولها ، كتمهيد يضمن النجاح لهذا الحوار .. وفى هذا المقام فإن هناك :

● أولا : دواعى الحوار بين الاسلاميين والعلمانيين :

إن كاتب هذه الصفحات يؤمن بأن « التناقض الرئيسى والحاد والملح » فى ظروف الصراع الذى تعيشه أمتنا ، والتحديات التى تواجه نهضتها ليس هو التناقض بين الاسلاميين والعلمانيين من أبنائها .. وإنما هو الصراع بين الأمة ، بتياراتها المختلفة والمتعددة وبين الهيمنة الغربية ، بصورها المتعددة : الحضارية ، والسياسية ، والاقتصادية ، والعسكرية .. الخ .. الخ .. فتيارات الأمة المختلفة ـ ومنها الاسلاميون والعلمانيون ـ عندما تواجه هيمنة الغرب وتحدياته ، لابد وأن تكتشف هذه التيارات أن مابينها من نقاط التقاء أو تقارب فى المواقف ، يرجح مابينهم جميعا وبين الهيمنة الغربية من فواصل وتناقضات ...

وهنا قد يتساءل البعض ـ وله كل الحق فى هذا التساؤل ـ إذا كانت العلمانية خيارا غربيا ـ وهى كذلك فى رأينا ـ وإذا كان العلمانيون فى بلادنا ـ رغم الجنسية واللغة والمواطنة والدين ـ هم رافد متغرب ، يمثل امتدادا للفكر الغربى فى عقل الأمة ووجدانها .. ألا يكون الأوفق والأدق أن نعتبرهم مع الغرب فى سلة واحدة ومعسكر واحد ، فنرى ـ نحن الاسلاميين ـ أن مابيننا وبينهم من تناقضات هى ذات مابيننا وبين الغرب ـ مصدر النسق الفكرى الذى به يؤمنون وإليه يدعون ـ من تناقضات ؟ .. وألا يكون ـ والحال هذه ـ التناقض القائم بين الاسلاميين والعلمانيين تناقضا رئيسيا وعدائيا ، يجعل الحوار معهم عبثا .. لأن

الواجب معهم هو « الصراع » وليس « الحوار » ؟؟

هذا هو التساؤل المشروع ، والوجيه ، الذى لابد من الاجابة عنه ، قبل المضى فى تعداد الأفكار التى نقترحها حول هذا الحوار ...

وبادىء ذى بدء فإننا ممن يؤمنون بالعلاقة القائمة بين « الحوار » وبين « الصراع » ! ! .. ففى كل « صراع » « حوار » – حتى وإن تعددت الأساليب ! وفى كل « حوار » « صراع » يتخذ الشكل المناسب للموضوع ولدرجات التوافق والتقارب والاختلاف بين فرقاء « الحوار » ! .. فليس هناك سور صينى يعزل « الحوار » عن « الصراع » ! ..

ثم ... وهذا هام فى قضيتنا – إننا يجب أن نميز فى تيار العلمانيين ببلادنا الاسلامية بين شرائح وفصائل ثلاث :

أ – العلمانيون الثوريون : الذين هم الامتداد للعلمانية الثورية الغربية ، تلك التى لم تقف من الدين عند حدود طلب الفصل بينه وبين الدولة ، وإنما أرادت – لفلسفتها المادية الخالصة ولنزعتها الالحادية المعلنة ولموقفها الثورى – أرادت وطمحت وعملت على اقتلاع الدين والتدين من المجتمع بأسره ... يجب أن نميز هذه الشريحة من شرائح العلمانيين فى بلادنا – وهى محدودة العدد والتأثير ، والحمد لله – لأن الخلاف معها هو فى « الأصول » وليس فى « الفروع » وهى فى تقديرنا ، غير مؤهلة – طالما بقيت فى مواقعها الفكرية هذه – لأن تكون طرفا فى حوار فكرى مع الاسلاميين .. قد تكون طرفا فى عمل مشترك حول نقاط متفق عليها فى برامج تطبيقية أما فى حوار فكرى حول معالم مشروع حضارى لاستقلال الأمة ونهضتها ، فإن مثل هذه الشريحة هى فى واقع الأمر جزء من الامتداد السرطانى الغربى ، يصعب ، إن لم يكن مستحيلا صلاحها لتكون طرفا فى هذا الحوار ! ..

ب – الداعون – بوعى – لتبعيتنا للغرب : وهذه الشريحة من شرائح التيار العلمانى فى بلادنا ، وإن رفع أصحابها شعارات الدعوة إلى الاستقلال الوطنى ، إلا أنهم يقفون به عند حدود الاستقلال السياسى ، وقد يدعون – أو يدعو بعضهم – إلى قدر من الاستقلال الاقتصادى .. لكنهم يعادون مانسميه « الاستقلال الحضارى » استقلال الهوية المتميزة عن هوية الغرب .. ولذلك فإن « الاستقلال » الذى يدعون اليه فى أوطانهم هو فى حقيقته – وعلى الجبهة الحضارية .. التى هى جوهر أى استقلال .. إن هذا « الاستقلال » الذى إليه يدعون هو فى حقيقته استقلال « الوطن – الاقليم » عن ماضيه وتراثه ومكوناته الاسلامية وعن محيطه الاسلامى .. وهم عندما يدعون هذا الوطن الذى يعزله هذا « الاستقلال » عن هويته الاسلامية ، وعن أمته الاسلامية ، عندما يدعونه إلى تبنى « الخيار الحضارى الغربى » فإنهم إنما يدعونه إلى الالتحاق والالحاق الحضارى بالمركز الغربى ... فهى حقيقة – والحال هذه – دعوة للتبعية وليس للاستقلال .. ودعاتها هم « عملاء » لحضارة الغرب حتى وإن رفعوا شعارات « الاستقلال » عن الاستعمار السياسى الغربى لأوطانهم ؟! ..

ولقد يتساءل البعض : هل هناك وجود حقيقى لمثل هذه الشريحة فى التيار العلمانى ببلادنا ؟! ..

ونحن نقول : نعم ، إنهم ـ رغم قلتهم ـ والحمد لله ـ موجودن ـ ولقد تخلق موقفهم هذا في واقعنا الفكرى والعملى منذ الحملة الفرنسية على مصر ، وتبلورت دعوتهم في صورة استبدال الرابطة الحضارية الغربية برابطة الجامعة الاسلامية .. ولقد كانوا ـ ولاتزال بقاياهم ـ على وعى بأبعاد موقف التبعية التى إليها يدعون وبها يبشرون ، ذلك أن الرباط الجامع لأبناء هذه الشريحة من العلمانيين كان عداء للاسلام كدين ، ولرابطة الجامعة الاسلامية كرمز لوحدة أمة وديار الاسلام .. وكانوا في الأساس ، من غير المسلمين ـ من الأقباط الذين قادهم الجنرال يعقوب (١٧٤٥ ـ ١٨٠١ م) في خدمة الحملة الفرنسية على مصر ـ وكبعض المثقفين الموارنة ـ الذين لم يجدوا في مسيحيتهم بديلا سياسيا لدولة الاسلام وحضارته فكان تبشيرهم بالخيار الغربى ونموذج الحضارة الغربية السبيل لتحقيق هدفهم في إزاحة الاسلام عن أن يكون صبغة الدولة والنهضة والحضارة في ديار المسلمين ! ..

فهذه الشريحة من شرائح العلمانيين ببلادنا موجودة ـ وإن قل عددها ، وافتضح أمرها ـ وهى ـ لأنها شريحة « عملاء ـ حضارة » ليست صالحة ولامؤهلة لأن تكون طرفا في هذا الحوار الذى تتحدث عنه هذه الصفحات ..

جـ ـ دعاة فصل الدين عن الدولة من العلمانيين الوطنيين والقوميين :

وهؤلاء هم الذين نعنيهم عندما نتحدث عن الطرف العلمانى في الحوار مع الاسلاميين .. ذلك أن هذا الفصيل من فصائل العلمانيين ـ وهو الأكثر عددا والأقوى نفوذا في مراكز التوجيه السياسى والثقافى والاعلامى في الأنظمة والمؤسسات الوطنية والقومية ـ إن هذه الشريحة من شرائح التيار العلمانى ، هم في جملتهم ، مسلمون يتدينون بعقائد الاسلام .. فالخلاف بينهم وبين الاسلاميين ليس خلافا في « الأصول » الاعتقادية وإنما هو خلاف في « الدولة » هل تكون « إسلامية » بالمعنى الذى تعنيه هذه « الاسلامية » لدى الاسلاميين ؟ .. أم تكون مجرد دولة « مسلمة » تتبنى الاسلام « الدين » وتحافظ على قيمه وشعائره دون أن تتبنى « دولة » الاسلام .. وموقفهم هذا من « دولة » الاسلام ليس ـ كما يحسب بعض الاسلاميين ـ « جحودا » للشريعة ، يرشحهم للدخول في إطار « الكافرين » وإنما مبعث هذا الموقف لهؤلاء العلمانيين ، من « دولة » الاسلام هو الاعتقاد الذى كونه لديهم الفكر الغربى بأن الاسلام لايرفض العلمانية لأنه ـ كالمسيحية ـ دين لا دولة ، يدع مالقيصر لقيصر وماالله لله .. إذن فموقفهم الفكرى هذا هو ثمرة من ثمرات هيمنة النسق الفكرى الغربى على مؤسساتنا الفكرية والعلمية والتعليمية والاعلامية ، وهى المؤسسات التى تعلم وتثقف وتكون فيها هؤلاء العلمانيون ..

لقد فهموا إسلامنا على النحو الذى فهم به الغرب المسيحية .. ولقد تطلعوا إلى نهضة أمتنا على النحو العلمانى الذى



د . منصور فهمى باشا



جمال الدين الافغانى

تمت عليه نهضة الغرب .. ولقد قرأوا تاريخنا الحضارى بمناهج الاستشراق فراوه بعيون غربية .. فلما اجتهدوا فى تصورهم لعلمانية الدولة المسلمة كان موقفهم ـ إذا شئنا الانصاف ـ لونا من خطأ المجتهدين ، وليس جحودا للشريعة يدخلون به فى عداد الكفار .. إذن ، فالخلاف معهم هو فى إطار « الفروع » ـ ره الدولة » بإجماع تيارات الفكر السنى هى من « الفروع » ـ كما ان تبنى هذا الفريق العلمانى لما يتبنون من سمات وقسمات ومكونات الخيار الحضارى الغربى ، ليس تبنى « العملاء » الذين يدعون بوعى إلى إلحاق أمتهم وأوطانهم بالمركز الغربى ، وإنما هو الآخر خطأ فى الاجتهاد الذى اجتهدوه ، عندما حسبوا ان السبيل إلى الاستقلال عن الغرب وإلى التحرر من استعماره وهيمنته هو فى تبنى انماط من نموذجه الحضارى .. فهو خطأ فى اختيار « أسلحة معركة الاستقلال عن الغرب » وليس دعوة واعية للتبعية لهذا الغرب كما هو حال فريق « العملاء » من العلمانيين ..

● الانبهار بالخيار الغربى

ثم .. إننا يجب ان نقدر ـ كى نكون منصفين ـ موقف هذه الشريحة من مفكرينا ومثقفينا ، عندما نظروا وقارنوا بين « الخيار الحضارى الغربى » بتقدمه العلمى ، وازدهاره الفكرى والأدبى والفنى ، وبالتطبيقات العملاقة التى انجزها هذا الخيار فى ميادين التقدم المادى ... قارنوا بين ذلك وبين « الخيار الاسلامى » فى صورته « المملوكية ـ العثمانية » ـ وهو الذى حسبوه الخيار الاسلامى الحقيقى والوحيد ـ فكان ان انبهروا بالخيار الغربى فتبنوه وأداروا ظهرهم للخيار الاسلامى ، كاجتهاد خاطىء ظنوه مزيدا من الحرص على ضمان النهضة للمسلمين ؟! ..

كما يجب ان نعى دلالات « العودة » إلى تبنى « الخيار الاسلامى » ـ بدرجات متفاوتة ـ من قبل عدد متزايد من أعلام وعلماء ومفكرى هذا التيار ونقد بعضهم « لموقف الانبهار » بالغرب ، ولدعوى مماثلة الاسلام للمسيحية إزاء الدولة

والقانون .. فمنذ الدكتور محمد حسين هيكل باشا (١٣٠٥ - ١٣٧٥ هـ ١٨٨٨ - ١٩٥٦ م) والدكتور منصور فهمي باشا (١٣٠٣ - ١٣٧٨ هـ ١٨٨٦ - ١٩٥٩ م) وموكب العودة هذا يؤكد تميز موقف هذا الفريق من تيار العلمانيين - تميزا أساسيا وحقيقيا - عن موقف الشريحتين اللتين سبقت اشارتنا إليهما .. وفى ذلك مايشهد على ضرورة واهمية ومنطقية الحوار بين الاسلاميين وبين هؤلاء العلمانيين ..

كما يجب ان لايؤثر فى اقتناعنا بهذه الحقيقة ماتراه فى السنوات الأخيرة من حدة فى اللغة التى يتناول بها نفر من هؤلاء العلمانيين « الخيار الاسلامى » ذلك ان مقولات الغلو ومظاهر الجمود التى برزت فى السنوات الأخيرة لدى بعض فصائل الاسلاميين هى مما قد يستفز حكماء الاسلاميين ! فهل نستغرب أو نتعجب إذا هى أخافت نفرا من العلمانيين فاستفزتهم ليستخدموا لغة عنيفة وخشنة وغير لائقة فى الحديث عن هذه الغلو وهذا الجمود الذى حسبوه « الخيار الاسلامى الغالب » كما حسب سلفهم النسق الفكرى للمماليك والعثمانيين « الخيار الاسلامى الوحيد » ؟!..

إننا يجب أن نقدر هذه العوامل وهذه الملابسات ، حتى لاتدفعنا الغفلة عن تأثيرها بعيدا عن التقييم الدقيق للموقع الفكرى الذى يقف فيه هذا الفريق من العلمانيين .

لقد ظل أسلافهم يميزون فى النظرة والتقييم والتقدير ، بين مدرسة التجديد والاحياء التى تبلورت من حول جمال الدين الأفغانى (١٢٥٤ - ١٣١٤ هـ ١٨٣٨ - ١٨٩٧ م) والامام محمد عبده (١٢٦٦ - ١٣٢٣ هـ ١٨٤٩ - ١٩٠٥ م) وبين فصائل الجمود فى المؤسسات الاسلامية التقليدية ، وبدوائر الخرافة والشعوذة فى الطرق الصوفية ... ولعل فى تبلور ووضوح تيار الاجتهاد والتجديد فى الصحوة الاسلامية المعاصرة مايعين هذا النفر من العلمانيين على تبين خطأ الموقف الذى لايرى من الاسلام وخياره الحضارى إلا سمات الغلو ومقولات أهل الجمود ! ..

* * *

واخيرا - وفيما يتعلق بدواعي الحوار بين الاسلاميين والعلمانيين - فإن هناك حقيقية واقعة يؤمن بها كاتب هذه الصفحات .. فحواها : أن النهضة الاسلامية المنشودة لأمة الاسلام وديارها والمشروع الحضارى الذى يجتهد المجددون الاسلاميون لصياغته دليل عمل ينير الطريق أمام طلائع الساعين إلى هذه النهضة الاسلامية .. إن هذا العمل الكبير والمتشعب والمتنوع ، لايملك الاسلاميون وحدهم كل حقائقه وعلومه وفنونه وخبراته ومهاراته .. فهى لاتقف عند علوم الشريعة ، التى هى أغلب بضاعة أغلبيتهم ، كما أن شروط هذه النهضة وعلومها وموادها ليست كلها دينا خالصا .. ومن هنا يأتى الدور على ضرورة إسهام القطاع العلمانى فى هذا المشروع .. وأيضا - وهو غنى عن التأكيد والتفصيل - فإن أى مشروع لنهضة المسلمين لايمكن أن يتصور بعيدا عن

الاسلام ، وبالتالى دون الاسهام الأول والأكبر للاسلاميين .. الأمر الذى يستوجب ضرورة هذا الحوار ، الذى نتحدث عنه بين الاسلاميين والعلمانيين ..

هذا عن دواعي هذا الحوار .

وإذا كنا قد ميزنا ـ فى الحديث عن التيار العلمانى ـ بين فصائله الثلاثة وحددنا الفصيل الصالح والمؤهل ليكون طرفا فى هذا الحوار .. فإن تفصيلا شبيها بهذا يجب القيام به ونحن نتحدث عن الطرف الاسلامي فى هذا الحوار ... ذلك أننا ممن يؤمن أن تيار الصحوة الاسلامية المعاصرة هو تيار عريض ومتعدد الفصائل والسمات والمواقف والمواقع إلى الحد الذى يستحيل معه اختزاله فى جماعة واحدة ، أو فصيل بعينه ، دون غيرهما من الفصائل والجماعات .. فهناك :

أ ـ النصوصيون : الذين يتعاملون مع « التراث » بالقدسية التى يتعاملون بها مع « الوحى الالهى » و « السنة النبوية الثابتة » وهؤلاء يعيشون فى الماضى أكثر مما يعيشون فى العصر .. ويهملون نعمة العقل أو يغضون من شأنها ، حتى ليسوى نفر منهم بينها وبين « الهوى » ! .. ويضفون قدسية الدين على تجارب السلف فيتوهمون ـ متجاهلين سنن الله فى التطور والتغير ـ امكانية صب الحاضر والمستقبل فى « تجارب » السلف صالحا كان أو طالحا هذا السلف ! .. إنهم لايرون أبعد من ظواهر النصوص وحرفيتها ، ولا يبصرون النجاة إلا لذاتهم ، فلا يعترفون « بالآخر » حتى من الاسلاميين ، فضلا عن أن يكون هذا « الآخر » علمانيا .. ولذلك فلا سبيل إلى حساب هؤلاء النصوصيين كطرف من أطراف هذا الحوار ..

ب ـ وفصيل الغلو : وهو ذلك التيار الذى علا صوته بحركة الصحوة الاسلامية فى العقود الأخيرة فرفع شعارات من مثل « التكفير » و « الجاهلية » وحكم بهما على الأمة الاسلامية أو على دولها ونظمها ومجتمعاتها .. وهذا الفصيل ، الذى يمثل رد الفعل المجتمع والغاضب على شيوع التحلل من منهج الاسلام ـ الذى أحدثه التغريب ـ هو ـ بحكم الغلو والغضب ـ عاجز عن تقديم البديل العملى للنموذج الغربى وعاجز عن صياغة المعالم الحقيقية لخلاص الأمة من المأزق الذى يأخذ منها بالخناق .. فضلا عن أنه لغلوه وغضبه لايعترف « بالآخر » حتى من فصائل الاسلاميين .. ولذلك كان طبيعيا استبعاد هذا الفصيل ـ فصيل الغلو ـ من بين أطراف هذا الحوار ..

جـ ـ الحركات الاسلامية الكبرى :

وإذا كانت الحركات الاسلامية الكبرى ، هى ـ فى أغلبها ـ حركات اعتدال ، تقترب فى أغلب مواقفها من موقع الوسطية الاسلامية ـ التى تمثل ـ منهج الاسلام ـ وإذا كانت ـ لذلك ـ صاحبة مصلحة أكيدة فى الحوار مع العلمانيين .. فإن هناك محاذير تدعونا إلى التنبيه على ضرورة أن لا « يبدأ » هذا الحوار من جانب الاسلاميين بممثلين يمثلون هذه الحركات .. لا لفقر فى الفكر لدى كثير من قيادات هذه الحركات .. ولا لثارات سياسية بين عدد من هذه الحركات وكثير من العلمانيين تسمم جو الحوار ... لا لهذه الأسباب وحدها ـ لأننا سنجد فى بعض هذه الحركات مفكرين لامعين ومتميزين هم فى طليعة علماء الاسلاميين المؤهلين لتمثيل الطرف الاسلامى فى هذا

الحوار .... ولكننا نرى فى « الالتزام التنظيمى » لأعضاء هذه الحركات الاسلامية عائقا دون توافر المرونة اللازمة على الأقل للمراحل الأولى فى هذا الحوار .. ولذلك فإننا لانحبذ بدء هذا الحوار وممثلو الطرف الاسلامى فيه أعضاء ملتزمون بحكم عضويتهم فى هذه الحركات .. وهو نفس الشرط وذات المطلب الذى نحبذه فيمن يمثل الطرف العلمانى فى بدايات هذا الحوار .. إن الالتزام الحزبى ، إسلاميا كان أو علمانيا هذا الحزب ، لابد وأن يمثل قيدا على « المرونة » التى ربما كانت ضرورية لحرية المتحاورين ، ولآفاق اجتهاداتهم وخاصة فى المراحل الأولى ، التى لابد وأن تقام فيها الأطر والقواعد لحوار الاسلاميين والعلمانيين ..

د ـ فصيل : الاجتهاد والتجديد لحضارة الاسلام : وهذا الفصيل من فصائل الصحوة الاسلامية ـ على الرغم من أن الكثيرين يحجبون عنه الأضواء ، ولايعترفون بدوره وحجمه وأهميته ـ هو الذى نراه أكثر فصائل الصحوة الاسلامية قدرة وجدارة وصلاحية لتبدأ به وعلى يديه المراحل الأولى من هذا الحوار .. إن المكتبة الاسلامية قد استقبلت وتستقبل فى العقود الأخيرة من سنوات هذا القرن العديد من الأعمال الفكرية الجادة التى تمثل إبداع وتجديد واجتهاد هذا الفصيل فى ميدان تجديد الفكر الاسلامى ، ومحاولة صياغة الاسلام نموذجا حضاريا وخيارا حضاريا بديلا للنموذج الغربى ... وهذا الفصيل ، وإن لم يتبلور كتيار واحد أو متحد ، إلا أن له من الأعلام والعلماء والمفكرين بل وبعض المؤسسات ، مايرشحه ليكون الداعى والبادىء لهذا الحوار بين الاسلاميين والعلمانيين .

● ثانيا : أهداف الحوار :

كثيرة هى الأهداف المرجوة من وراء هذا الحوار .. ولعل فى مقدمة هذه الأهداف :

أ ـ اكتشاف العلمانيين للوجه الحقيقى للاسلام ، ولطاقات مشروعه الحضارى وإمكاناته فى تحقيق انتماء جماهير الأمة ، وتحريكها نحو أهداف التحرر والتقدم والقوة والانعتاق من أسر التخلف الموروث والاستلاب الحضارى .. وكذلك اكتشاف العلمانيين للوجه المشرق للصحوة الاسلامية كتيار بعث وإحياء واجتهاد وتجديد ، وتبديد الصورة الظالمة التى تصورها جميعها كرجعية وجمود وغلو وغضب واحتجاج .. وأيضا اكتشاف الاسلاميين حقيقة موقف هذا الفصيل العلمانى ، وكيف أن علمانيته ليست كما يتوهم بعض الاسلاميين ـ مرادفة للعمالة والكفر والالحاد ... والكشف عن مالدى هؤلاء العلمانيين من علوم وخبرات ومهارات وإمكانات من الأهمية بمكان توظيفها فى خدمة المشروع الحضارى الاسلامى ..

والأمر الذى لاشك فيه أن اكتشاف كل من طرفى الحوار لحقيقة الآخر سيفضى ـ عبر الحوار ومراحله ـ إلى تحديد نقاط الاتفاق والمواقف المتقاربة ، وكذلك



نابليون

تحديد نقاط الخلاف ، كمقدمة ضرورية لتعميق الأولى وتنميتها ، ولتقليص الثانية وتحجيمها ومحاصرة آثارها ، وذلك بمنهج وروح تحديد أى هذه النقاط والقضايا والمشكلات يدخل فى إطار « الخلاف الطبيعى » بين تيارات الفكر المتعددة فى المشروع الحضارى للأمة الواحدة ؟ .. وأيها لايدخل فى هذا الاطار ... فليس مطلوبا ولامتصورا فى المدى القريب والمنظور ، أن يفضى هذا الحوار إلى إنهاء كل صور الخلاف ونقاط الاختلاف بين الاسلاميين والعلمانيين فهذا الحلم المثالى غير متصور حتى داخل اطار الفصائل الاسلامية المتعددة .. وإنما الهدف المرجو من هذا الحوار ، بالدرجة الأولى هو تحقيق الاتفاق على الأصول ، وتقريب المواقف حول نقاط الخلاف ، عن طريق الفهم المشترك للمواقف مواطن الخلاف ، وذلك حتى تنحصر نقاط الخلاف ـ كما أشرنا ـ فى نطاق ماهو خلاف طبيعى بين فرقاء تجمعهم الوحدة على أصول المشروع الحضارى ، مع التمايز والاختلاف فى الفروع والسبل والوسائل والرؤى التى يحبذها كل فريق لتحقيق هذه الأصول ..

ب ـ وثانى أهداف هذا الحوار ـ وهو ثمرة للهدف الأول عندما يتحقق ـ هو رأب الصدع القائم فى عقل الأمة وقدراتها وطاقات أبنائها ، ذلك الصدع الذى حدث منذ أن نجح الاستعمار فى جعل التغريب خيارا تتبناه « الصفوة » و « النخبة » التى انبهرت بالنموذج الغربى فى التقدم .

وإذا كان صراع الاسلاميين والعلمانيين ـ كما هو حادث الآن فى واقعنا ـ يستنفد أغلب طاقات الفريقين ويبددها ليس فقط فى استهلاك الوقت والجهد فى معارك كثيرة غير مثمرة وإنما ايضا ، فى هدم كل فريق لما يبنى الآخر ، الأمر الذى يجعل حصيلة كل فريق من الجهود التى يبذلها محدودة وضئيلة ولاتتناسب بينها وبين هذه الجهود .. إن هذا الصراع يكاد أن يجعل الفريقين كمن يلعبون « لعبة شد الحبل » دون أن يكون فيهما غالب أو مغلوب تتقف طاقاتهما عند « الصفر » لاتتعداه ؟! وذلك هو منتهى مايتمناه عدو هذه الأمة لطاقات ابنائها إسلاميين وعلمانيين ..

فعودة الوحدة إلى « عقل الأمة » ـ فى الأصول ـ مع حصر الخلاف والتمايز فيما هو من الفروع ، يعود بعقل الأمة الى الوضع الطبيعى .. الوضع الذى يكون فيه الخلاف مصدر ثراء فكرى وغنى فى الخبرات .. لا كما هو الحال عليه الآن : مصدر هدر لأغلب إمكانات مختلف الفرقاء ! ..

هذا عن أهم أهداف الحوار ..

● ثالثا : قواعد وضوابط الحوار :

إن التخطيط الجيد والمدروس لمراحل الحوار الأولى ، سينهض بدور رئيسى فى نجاح هذا الحوار .. وإن توفير الحد الأقصى من ضمانات النجاح فيه سيكون معينا على الوصول إلى أعظم النتائج فى اقرب الأوقات ، وباقل قدر من الخسائر والجراح ... وعلى سبيل المثال – لا الحصر – فإن من الأهمية بمكان أن تتوفر لبدايات هذا الحوار مثل هذه القواعد والضوابط والضمانات :

أ – أن تتكون للاعداد له « لجنة تحضيرية » مشتركة تضم عددا متساويا من فريقي الاسلاميين والعلمانيين .

ب – أن يراعى فى اختيار أعضاء « اللجنة التحضيرية » وكذلك فى اختيار من سينضمون إليهم فى مراحل الحوار الأولى ، علاوة على التحرر من الالتزام الحزبى – الذى سبقت إشارتنا إليه – أن يراعى فيهم توفر الحد الأقصى الممكن من الصفات العلمية والخلقية التى تضمن الحد الأقصى من النجاح لهذا الحوار ... إنه « حوار حكماء » وليس مناظرة إعلامية يتسابق أطرافها على اكتساب تصفيق العامة والجمهور ..

ويجب أن يبدأ هذا الحوار بإسلاميين ذوى دراية بالفكر العلمانى ، وبعلمانيين ذوى دراية بالفكر الاسلامى ، وذلك حتى لايكون شبيها « بحوار الطرشان » ؟! ذلك أن الفهم المشترك ، واللغة المشتركة ، والاحترام المتبادل هى من أهم مقومات البداية الناجحة لهذا الحوار ..

جـ – أن يكون حوارا مغلقا ، بلا جمهور .. وأن تحجب مداولاته عن أجهزة الاعلام .. حتى إذا بلغت نتائجه تحقيق خطوات إيجابية على درب الاتفاق أو التقارب ، كان بالامكان صياغة هذه النتائج لتنشر فى شكل وثائق أو دراسات لتكون مادة يدور حولها الحوار فى دوائر أوسع من الاسلاميين والعلمانيين ..

د – أن يكون حوارا متعدد المراحل .. تخطط لجنته التحضيرية لمراحله ، ولجدول أعمال القضايا والمشكلات المناسبة لكل مرحلة من مراحله ، وذلك حتى يكون التدرج على درب هذه المراحل معينا على نجاحه ، وعاصما من القفز قبل الأوان ، فوق الأشواك والألغام التى تجهض الحوار وتقتلعه من الأساس ! ..

هذا عن بعض الأمثلة لما يلزم لهذا الحوار من قواعد وضوابط تضمن له النجاح ..

● رابعا : قضايا مرشحة كموضوعات « لأوراق عمل » فى هذا الحوار :

بالطبع فإن حصر القضايا والمشكلات المرشحة لتكون جدول أعمال لهذا الحوار بين الاسلاميين والعلمانيين .. وإن تحديد ترتيب أولويات هذه القضايا .. هما من مهام « اللجنة التحضرية » لهذا الحوار .. كما أنه أمر خاضع للتغيير والتبديل ، وفق مصلحة الحوار ، التى يتفق عليها المتحاورون ..

وإذا كان لهذه الصفحات أن ترشح عددا من القضايا المثارة ، والتى تستحق

أن تكون موضوعات لـ « أوراق عمل » يكتب فيها الفرقاء المتحاورون تصورات كل فريق لكل قضية قبل أن يبدأ حولها الحوار .... إذا كان ذلك مناسبا ... فإن من هذه القضايا والمشكلات :

١ ـ ظاهرة الانقسام فى « عقل الأمة » الاسلامية ، منذ الغزوة الاستعمارية الحديثة لديار الاسلام ـ اسبابها ـ مظاهرها ـ سبل التقارب والوحدة بين اطرافها ..

٢ ـ الموقف من الموروث الفكرى ـ علاقة الماضى بالحاضر والمستقبل ـ الثوابت والمتغيرات ـ الالهى الملزم ، والبشرى المرشد فى هذا الموروث ..

٣ ـ الموقف من الحضارات الأخرى ، ومن الوافد الفكرى للحضارة الغربية على وجه الخصوص ـ هل عالمنا وطن حضارى واحد لحضارة عالمية واحدة ؟ .. أم أن هناك تعددية حضارية فيه ؟ .. والتفاعل الحضارى .. والتبعية الحضارية .. والانغلاق والقطيعة الحضارية .. والخصوصية الحضارية .. والمشترك الانسانى العام فى الفكر .

٤ ـ الدولة الاسلامية والنظام الاسلامى .. دولة دينية ؟ .. أم مدنية ؟ .. أم إسلامية مدنية ؟ ..

٥ ـ التراث الاسلامى فى القانون ـ فقه المعاملات ـ والشريعة الاسلامية .. حدود الثابت .. وافاق التطور ..

٦ ـ الاجتهاد .. والتجديد .. والابداع .. فى ميادين : معرفة الذات والآخر .. وللاسهام فى الفكر العالمى من جديد ..

٧ ـ الأقليات الدينية :

أ ـ الاسلامية فى الديار غير الاسلامية .

ب ـ وغير المسلمة فى ديار الاسلام ..

٨ ـ دوائر الانتماء : الوطنى .. والقومى .. والاسلامى ـ التعدد .. والعلاقة .. والتناقضات ..

٩ ـ الدعوات والحركات الاسلامية الحديثة والمعاصرة ـ الايجابيات ـ والسلبيات ـ وظاهرة الغلو : حجمها ، وأسبابها ، وعلاجها ..

١٠ ـ الدعوات الفكرية والأحزاب العلمانية ـ وطنية وقومية ـ منابعها الفكرية ـ نجاحاتها ـ إخفاقاتها ـ مستقبلها ..

تلك مجرد أمثلة لقضايا كثيرة مثارة فى الجدل الدائر بين الاسلاميين والعلمانيين والحوار حولها ، وحول غيرها مما يماثلها ، لايستهدف الوقوف عندها بقدر مايستهدف تحقيق الوحدة أو التقارب حول جزئيات يمكن ويجب أن تكون فى النهاية ملامح سمات وقسمات المشروع الحضارى الاسلامى ، الذى لاغنى عن صياغته دليل عمل لكل العاملين فى حقل النهضة الاسلامية ، على اختلاف الاهتمامات والميادين والتخصصات ..

إن الحوار مطلق الحوار بين العقلاء الذين يمتلكون عطاء فكريا صالحا ونافعا ، هو فى حد ذاته ، وبصرف النظر عن انتماءاتهم الفكرية والمذهبية والاعتقادية فضيلة من الفضائل ..

وإذا كانت فصائل الاسلاميين فى أمس الحاجة إلى الحوار فيما بينها .... فإن هناك أيضا ، حاجة ماسة إلى الحوار بين الاسلاميين والعلمانيين .... وهو مانرجو أن تكون هذه الصفحات فاتحة لصفحات كتابه ، إذا استوقفت أفكارها ومقترحاتها عقلاء الفريقين ، فلم يمروا عليها مرور الكرام ، القانع كل منهم بما لديه .. فكان كل حزب بما لديهم فرحون ! ..

حفيدة الاماراتيين

« مدام دى سان بوا »

تناصر المرأة الشرقية

بقلم : د. محمد رجب البيومى

تذكر كثيرا من كاتبات الغرب ، ونتباهى بهنّ إذ زُرْنَ مصر أو العراق أو المغرب ، وكتبنُ بعض الملاحظات المسمومة عن المرأة الشرقية ، وليس المهمّ لدينا ان يكتبن الزّور والافك عن عالَمٍ لم يعْرِفنه ، فهذا ما نتقبله بالترحيب والابتهاج ، جريًا على سنن من قال .

لئن ساءنى ان نلتنى بمساءة
لقد سرنى انى خطرت ببالكِ .

ولذلك نكثر من الحديث عنهن ، وتظهر الصحف والمجلات حافلة باخبارهن ، وصورهن ، ومآدبهن واحاديثهن ، حتى ينقضى الموسم وتعود الزائرة مودعة بأسمى مظاهر الاحتفاء ، وكأن زيارتها كانت وساما يلمع على صدر ، او اكليلا يضىء فوق جبين !

ولكن ! نرى فى الجهة المقابلة ، اديبة كبيرة ، ذات الهام جاذب فى افاق الشعر والرسم والادب ، تفد الى مصر معجبة بروح الشرق ، فتنشىء مجلة راقية تشيد بعظمة المرأة العربية ، وتفتح منزلها الرحب لاستقبال الزائرين والزائرات من بنى جنسها لتطلعهم على ما يجهلون من شيم العرب ، وتقاليد المسلمين ، ثم لا ينقضى يوم من ايامها الحافلة دون ان تشغله بقصيدة عامرة ، او لوحة مصورة ، او تاريخ صادق ، او تحليل اجتماعى لبعض الظواهر التى تجتذب الانتباه ، وهى تصدر المجلة على



سعد زغلول





مدام دي سان بوا حفيدة الشاعر لامارتين

نفقتها ، وتستقبل الزائرين بأريحيتها وتواسي الراجين بمالها ، ثم تنقضي الاعوام ، وترحل الى ديارها فلا تجد من يذكر جهادها الحافل ، ومآثرها البيض ! لان مجلتها كانت عربية الروح ، فرنسية الحروف ، ولو كتبت بحروف عربية لظنها القارىء صادرة عن جمعية اسلامية ، او كلية ازهرية ! وهذا وحده هو الذي جعل ذكرها مندثرا ، وتاريخها مهملا ، أفلو كانت مجلتها تسير على النقيض المعارض ، افيمحو النسيان اثرها لدى النقاد في الشرق والغرب ! اننا حينئذ نؤخذ بدوى الرعد ، وقرع الطبول !

● حفيدة لامارتين

لم يكن لامارتين من شعراء فرنسا فحسب ، بل كان من شعراء العالم ، لانه رزق من رفاهة الحس وقوة الشعور ما استطاع به ان يرسم الطبيعة في لوحات شعرية لا توجد عند سواه ، كما تغلغل بهذا الحس المرهف الى ادق

حفيدة لامارتين

الخلجات المستترة فى اعمق الاعماق ليجعلها سافرة الملامح وضيئة القسمات ، وقد فتن بالشرق ، وهام بربوعه فانطلق عدة مرات الى لبنان وسوريا ، ونزل فى ضيافة الامير اللبنانى بشير مكرما مبجلا ، واقطعه السلطان عبدالمجيد ارضا بالاناضول ، وقد اعترف بانه من اصل عربى اذا ان اجداده من عرب الاندلس الذين نزلوا جنوب فرنسا ، واقاموا بها ، ثم اختلطوا فيما بعد بمن جاءوا من اسرى العرب فى الحروب الصليبية ، فبنوا لآل لامارتين قصرا على الطراز العربى ، وكل ذلك عرفته حفيدته "مدام دى سان بوا" التى عشقت الشرق ، وفتنت بتقاليد العرب ، وقد هبطت الى شتى الربوع العربية زائرة متطلعة ، وهامت باثار العرب فى الاندلس ، فرسمت مشاهدتها فى لوحاتها وترجمت عن عواطفها الصادقة فى شعرها ، ثم رأت ان تستقر بمصر ، لانها فى رأيها اول قطر يمثل الروح العربية المتوثبة ، واتخذت من حلوان مقرا دائما حيث نزلت فى قصر محمد بك انسى بشارع سيد احمد باشا ، وجعلت منه سفارة ادبية للتعارف الاخوى بين مثقفى فرنسا وادباء مصر ، وقد نزل ضيفا عليها الدكتور "ماردريس" المستشرق الفرنسى الذى نقل "الف ليلة وليلة" الى الفرنسية فقرأ فصولا كثيرة من ترجمته عليها ، واستمع الى ملاحظاتها فى اعجاب وهى بعد زوجة وزير مرموق من اشهر وزراء فرنسا واثريائها ، وقد اتيح لها من الثروة ما اقدمت به على اصدار مجلة شهرية فى مصر تسمى "فيكس" لتكون دفاعا مخلصا عن حقوق الشرق المهضوم ، ومجابهة سافرة للاستعماريين الانجليزى والفرنسى ، اللذين كانا يحتلان ربوع الشرق العربى فى عدوان لا مبرر له ولولا تدهور الحالة الاقتصادية بفرنسا الذى ضاءل من محصولها المادى هناك لاستمرت المجلة فى تأدية رسالتها ، وقد عطفت على كثير من ادباء مصر الذين ينظمون الشعر بالفرنسية ويكتبون القصة كذلك ، فقدمتهم الى دور النشر الفرنسية ، ومن اظهر هؤلاء الشاعر فولاذ يكن نجل الشاعر الكبير ولى الدين يكن ، حيث زكته لدى القائمين على النشر بباريس . فنشر ديوانه "اغاريد شاب شرقى" وكتبت عنه الصحف المتخصصة مشجعة ، وقال عنه الكاتب الفرنسى "بول ريبو" انه نظير بيرون ، كما نشر فولاذ بوساطة "مدام دى سان بوا" كتابا عن سعد زغلول والد الشعب" حين انتقل الزعيم الخالد الى جوار ربه سنة ١٩٢٧ ، وكل ذلك يتضاءل جوار كلماتها القوية عن

المرأة المسلمة وموازناتها الناقدة بينها وبين المرأة الغربية التى اندفعت الى التيار الصاخب ، حيث حملها الموج الهادر بعيدا عن الاستقرار العائلى ، وتوشك المرأة المصرية ان تفعل ذلك !! هذا ما قالته الكاتبة سنة ١٩٢٧ وكررته على مدى اعوام ، حيث سجلت اخر صيحاتها الناقدة بمجلة المعرفة سنة ١٩٣٣ ، اما ان المرأة المصرية توشك ان تفعل ذلك فما اسرع ما فعلت ، بل ما اكثر ماباهت بما فعلت ، ولعل القارىء فى شوق الى بعض اراء هذه الكاتبة ذات النظر الانسانى البعيد .

● بين الشعر والنثر

تفرق جيدا "مدام دى سان بوا" بين اتجاهيها الادبيين ، نثرا وشعرا ، فهى فى قصائد الشعر تميل الى الرمزية الغامضة ، وتغلف افكارها بضباب يحجب كثيرا من المعانى ، وقد ذكر ناقدوها ان هذا الغموض وليد اتجاه صوفى يجعل الرمز دليلا يُومىء الى ما يتعذر كشفه من الافكار البعيدة ، لذلك لم يجد ديوانها الشعرى ذيوعا على المستوى العام ، اذ اقتصر تداوله على مجموعة خاصة ترى ان الشعر لايسفر عن وجهه ، بل تومض معانيه بين الآونة والآونة ، كما يلتمع البرق الخاطف وسط غيم متكاثف ، والشعر فى هذا الاتجاه ينقلب الى احجية ، ومعلوم اننا نقرأ الشعر



احمد حسن الزيات

لنستمتع لا لنفك الالغاز ، ونستوضح الاحاجى ! اما اسلوبها الكتابى فقد آثر الوضوح الساطع ، لانها فى مقالاتها الصحفية كانت مصلحة هادية ، ومناقشة بارعة ، ولن تبرز وجهات الاصلاح اجتماعيا وسياسيا الا فى ضوء المنطق الصريح ، والحجة الكاشفة ، فمدام دى سان بوا ، تتحدث مثلا عن حرية المرأة فى الاسلام فتجابه الموضوع فى لبابه الصريح ، اذ تبدأ بتحليل المراد من كلمة "الحرية" التى خدعت الابصار بلفظها المعسول ، حتى اذا ذهب الخداع فى ضوء التمحيص الهادف ، رأينا الكلمة الخادعة قد فقدت مدلولها ، اذ انبعثت كلمة الحرية فى الغرب ليرتكب تحت ستارها من ابشع

صفية الماراشين

المظالم المروعة وافدح الاخطاء المهولة ماتقشعر له الابدان ، والغرب هو الذى نقل هذا الزيف الخادع الى الشرق ، فانطلق الاغزار من بنيه يحاربون تقاليده الاصيلة باسم هذه الحرية ! وكانت النتيجة ان اندفعت المراة المسلمة الى محاكاة الازياء الخليعة فى الملبس ، والمبالغة فى ارتياد اماكن اللهو ، واقامة موائد الاسراف التى لا تخلو من تبذل ، مع ان المرأة الفرنسية الصحيحة لا تذهب الى هذه الاماكن الا فى مناسبات محدودة ، تذهب مع اسرتها للترويح ، لا للهو العابث واثارة البطالات !

تقول الكاتبة الفرنسية : ان مسالة السفور ليست بذات قيمة فى نفسها ، اما الشيء الاكثر أهمية فهو روح التعليم التى تأمر بارتداء الملابس المحتشمـة ، وتلك هى النقطـة الجوهرية ، فقد تكون هيئة المرأة ، ومشيتها الخليعة ، ونظرتها المثيرة ، اكثر اهمية من الملبس المثير ، وهذا مايشاهد كثيرا ..

لقد افتتنت المرأة المسلمة بمظهر الحرية الكاذب ، ولو حاولت ان تفكر جديا ، لعلمت انها تملك قسطا وافرا من الكرامه لم تبلغه المرأة الغربية فهى بفضل تعاليم الاسلام اصبحت بعيدة عن متاعب الحياة ومقاصد الرجل العابث !

يقولون إن المرأة الغربية لها الحرية الخالصة فى اختيار زوجها ، وهذا امر يحتاج الى وقفة متأملة ، لان هذه الحرية فى الغرب لا تقع الا فى النادر ! اذ ان امر الزواج فى العائلات الاوربية تحكمه العلاقات الاسرية والثروة المادية ، والمركز الاجتماعى ، وفى ضوء ذلك يتم الاختيار ، اذن فالغربية محكومة بالاوضاع الملزمة فى اختيار الزوج " او ما يتم عقده سريعا فى عقلية الاسرة لا ينتهى الى سعادة ، بل ينتهى الى تأزم مثير ، لان الزواج فى الغرب رابطة مقدسة ، والطلاق متعسر ، فكيف يتم الهناء مع الشقاق !

اما تعدد الزوجات ، فليس الاصل فى الاسلام ، ولكنه الملجأ عند الضرورة ، واذا لم تعرف المجتمعات الاوربيـة هذا التعـدد بطـريقتـه المشروعة ، فانها للأسف قد عرفت ما هو اشد الما وأنكى عاقبة ، لان العلاقات غير الشرعية بين الرجل والمرأة فى اوربا شائعة ، يراها المجتمع ذات حق فى الوجود ، حتى ان رجال الاخلاق هناك لا ينكرونها ، بل يعتبرونها حقا مشروعا للمرأة ، وبناء على ذلك فالاطفال غير الشرعيين يعتبرون من ابناء الاسرة ، اذن فايهما اكرم ! ان نعترف بالتعدد ، او ان نلجأ الى الخليلات !



لامارتين

● عمل المرأة

ومن حق الكاتبة الاجتماعية ان توضح أراءها ، وان وجدت مجالا للخلاف فى بعض اتجاهاتها ، فلا يمنع اختلاف وجهات النظر ان تسجل لكل ذى رأى رأيه كما قرره وكرّره ، وقد اكدت "مدام دى سان بوا" ان عادات الشعب الامريكى قد تغلغلت فى اوربا ، لان الفرق كان ضئيلا جدا بين المرأة الغربية والمرأة المسلمة قبل الحرب العالمية الاولى ، اذ لم تكن المغالاة فى الاعمال المهنية من طبيعة المرأة الاوربية حين ذاك ، كما لم يكن انتشار صالات الموسيقى والسينما والرقص ، والملابس القصيرة الفاضحة كما هو الان فى زيادة نموه ، وسعة اطرادة ، وكل ذلك ترف مادى لا ينتمى الى الجمال الروحى فى شىء ، ولاشك ان جشع النفس ورغبتها الشديدة فى المال هما اللذان دفعا المرأة المعاصرة الى العمل خارج البيت ، ففرت من قيود ثقيلة يحكمها صاحب المصنع ، ورئيس العمل إحكاما لا انفلات منه ، ولأجل ان يستر المجتمع هذا الرق الجديد اخترع ما أسماه "شرف العمل" واى شرف فى الانكباب على الالات الحديدية فى المصانع فى حذر تام ، خيفة ان يقع التقصير ، فتعانى المرأة من التقريع مالا يمكن ان تراه مع الزوج مهما احتد واشتط ، علي ما فى ذلك من اجهاد للقوى الجسمية للمرأة ، وهى بطبيعتها غير مهيأة للنهوض بهذه الاثقال ، ثم عليها بعد ذلك كله ان ترجع فى المساء الى المنزل لتبدأ عملها كزوجة فى اعداد الطعام ، وتنظيف الملابس ، وغسل الاطباق ، لقد كانت القسمة طبيعية بين المرأة والرجل ، حين وكل اليه ان يكسب خارج المنزل ، ووكل اليها ان تعمل داخله ، اما الان فمن الذى كسب ؟ الزوج ام الزوجة !! وحتى لو لجأت المرأة الى الاعمال الخفيفة نسبيا مثل الكتابة على الالة الكاتبة ، اما تشعر بالسأم المفرط فى الانزواء ساعات متوالية فى مكتب ضيق لتكرر عملا لا لذة فيه ، لقاء اجر يضيع اكثره فى ضروريات هذا العمل نفسه !! والصداق ! الصداق الذى تأخذه المرأة عند زواجها ! قد عده كتاب الغرب ثمنا مشترا لها ، فهى اذن

تشترى به ، وكأنها سلعة تجارية ! وهذه مغالطة اذ لو جاز لنا ان نعتبر الصداق ثمنا تجاريا ، بالنسبة للزوجة ، لطبقنا الامر على المرأة الغربية حين تقدم "الدوطة" للرجل عند الزواج ، فكأنها بهذا المنطق تشتريه وتعتبره سلعة ايضا ، والحق ان كلا الامرين باطل ! والرجل هو المؤهل للكسب المادى فمن الطبيعى ان يقدم الصداق دون اعتراض ! واذا كانت المرأة الغربية تقدم الدوطة على ان تكون ملكا لها اذا تم الفراق ، فهذا الشرط غير متحقق ، لان الزوج يدعى انه بذله فى حاجات الزوجة ، وهو غير ملزم ، بان يشرح فى اى شىء بذل هذا الصداق ! ولكن المرأة المسلمة تبقى فى ذمة الزوج ما يسمى بمؤخر الزواج ، وهو ملزم بالوفاء ، ويحاكم اذا تأخر على وجه السرعة ، فكيف تجوز المقارنة بين المسلمة والغربية فى هذا المجال ؟

وتنصح الكاتبة المرأة المسلمة فتقول :

"على النساء الشرقيات ان يدرسن علم التاريخ بتوسع ، وحينئذ يعرفن تمام المعرفة ان الشعب الذى كان له هذه العظمة ، وذلك التاريخ المجيد ، يجب الا يجعل نفسه مطية لمدنية اخرى اقل من مدنيته ، او يقتفى اثر حضارة فقدت مثلها الاعلى منذ آخر العصور الوسطى ، وصارت متميزة بتغلب الروح الفردية الشريرة ، التى نشأت من انتشار العلوم التجريبية المادية ، فكانت اقرب الى ان تكون معول هدم" .

● وراثة الميول

كانت مدام "دى سان بوا" تصف نفسها بانها حفيدة الشاعر لامارتين ، مع اعترافها بانها ابنة ابنة اخته ، وليست ابنة ابنته ، اذ ترى ان درجة القرابة واحدة بين بنت البنت ، وبنت الاخت ، على انها وحدها دون ذوات الدرجة المتفقة ، هى التى ورثت طباع الشاعر وميوله ، فقد هامت بالشرق كما هام ، واذا كان الشاعر الكبير قد تنقل فى بادية الشام ، وعاشر العرب والاعراب ، مصطحبا كلبه الوفى ، فان مدام "دى سان بوا" حين سكنت حلوان ، سرها ان ترى خيام الاعراب فى العشرينيات منتشرة فى البراح الممتد حول الضاحية ، فسارعت الى التعرف بهم ، وحملت من الملابس والحلوى ما جلعها محببة الى الرجال

والنساء والاطفال جميعا ، وكانت تركب الدواب ، ويسير وراءها اعرابى ممز تغمرهم بسخائها ، ولا تكاد تنقطع عز زيارة الخيام اسبوعيا ، اذ ترى مز البساطة فى التعامل واليسر فى المعيشة ، والسذاجة فى التفكير مايدفعها الى حنين متصل الى دنيا البراءة التى لا يغمرها جدول الغرب بارقامه الحسابية ، واسهمه المالية ، وقد اهداها شيخ العرب كلبا نظيفا ، فأثرته بالرعاية ، واتخذته حارس المنزل ، حتى اذا تركت حلوان عز عليها ان تهجره ، فحملته الى الفندق صديقا وفيا ، وحارسا شجاعا ، اتراها تذكرت كلب لامارتين الذى يقعى تحت رجليه فى تمثاله البرنزى الناهض باحد ميادين باريس ! وما اختار المثال هذا المشهد الا ليصور اعجاب الشاعر بالحيوان الوفى الامين .

وناحية جديرة بالتامل فى اراء الاديبة الكبيرة ، فقد علمت ان قصة روفائيل التى ابدعها لامارتين قد انتشرت طبعاتها فى البلاد العربية منذ ترجمها الاديب البليغ الاستاذ احمد حسن الزيات ، فلاقت من السيرورة والذيوع مالاقته قصص المنفلوطى عن مجدولين والشاعر والفضيلة وغيرها ، وكان المنتظر ان تبتهج بما تركته القصة من اثر كبير ، ولكنها قالت ان روفائيل لا تمثل لامارتين فى نضوجه الفكرى وعمقه النفسى لانها تحفل باحاسيس شاب متسرع لم تصقله التجربة ، وكان الاولى بالزيات ان يختار اثرا اخر من اثار الشاعر الكبير ، وتلك صراحة محببة من الحفيدة ، ولكننا نذكر تعقيبا على رأيها ان فى قصة روفائيل من الابداع الفنى مايرتفع بها الى مستوى الاعمال الخالدة ، وحسبها انها حببت الطبيعة الى الاف القراء ، لان الحاح روفائيل فى تصوير مشاهد الغروب والشروق ، ومسارح البحيرات والانهار ، وروائع المروج والغابات ، وقمم الهضاب والجبال ، قد جعل من الطبيعة الصامتة صديقا لمن فقد الصديق ! وحسب القارىء المنفرد ان يرى الأنس فى لوحات الطبيعة ، فيتخذها صديق وحدته ، وانيس وحشته ! وهو مكسب عزيز ، هذا الى التحليل الدقيق لارق المشاعر ، والطف الاحاسيس " مع الفطنة اللطيفة للمعانى الصامتة ، الناطقة فى الاشارة الخاطفة ، والنظرة الشاردة ، والالتفاتة العجلى ، لقد عاشت الكاتبة الشاعرة فى مصر لتؤدى رسالة الحق والخير والجمال فبلغت ما ارادت ، واوجبت علينا ان نذكر نضالها الادبى باوفر معانى التجلة والاكبار ..

رسالة أوروبا

من فريد كامل

• تقرير ديبلوماسي سري للغاية •

اكثر الكتب رواجا هذا اليوم كتب من اكثر من مائة عام ، ولم يكتب لينشر .. كانت "حرب الافيون" (١٨٣٩ - ١٨٤٢) قد انتهت بهزيمة الامبراطورية الصينية على يد الجيش البريطاني (الذي احتاج حتى نهاية القرن ليثبت السيادة العسكرية البريطانية على الصين) فامتلأ الامبراطور - سليل اسرة مانشو العظيمة - بالعجب ، واراد ان يعرف كيف امكن ان يهزم الصين العريقة "برابرة اوروبيون" فأرسل ستة مبعوثين الى اوروبا "في الفترة من ١٨٥٨ - الى ١٨٦٥" ليبلغوه عما حدث من تغيير في القارة العجوز وترجمت خبيرة باللغات اهم هذه التقارير وجمعتها في الكتاب الرائج اليوم الذي اطلقت عليه اسم "المحيط في قوقعة محارة" .. وفيما يلي امثلة لبعض ما ورد في هذه التقارير الديبلوماسية السرية المرسلة للامبراطور عن اوروبا وعن الاوروبيين .

".. مدنهم نظيفة ، اكثر مبانيها حجرية كبيرة ، تبلغ احيانا خمسة طوابق ، واعمدتها من الحديد .. وتوجد بها كثير من الحدائق والمسارح ، طرقها معبدة بقطع من الحجر ومخصصة للعربات ، وعلى كلا جانبي الطريق سلمة من الحجر ارتفاعها خمسة عشر سنتيمترا ، مغطاة بالاسفلت والرمل الابيض ، بها اشجار نامية ، على مسافة كل ثلاثة منها توجد دكك مدهونة باللون الاخضر ومصابيح ارتفاعها متران ونصف ، وتوجد بها ايضا صنابير من البرونز متصلة بماء ، يثبت بها بعد الظهر رجال متخصصون خراطيمهم ويديرون مقابضها فيخرج منها ماء ويغسلون به الطرق ويسيل الماء بجوار السلمة المرتفعة عائدا الى النهر ..

"ويستخدم البعض في الطرقات كعربة عجلتين يصلهما محور قصير يجلس الشخص فوقه ويحرك بقدميه رافعتين متبادلتين تسببان حركة العجلتين ، ويسير هذا الجهاز بسرعة تفوق سرعة حصان يعدو .. ولتحاشي تعب صعود السلالم .. توجد في بعض المنازل غرفة صغيرة تتسع لخمسة او ستة اشخاص ، بنظام دقيق يحرك عجلات خاصة بها ، يمكنها ان تصعد الى السطوح .. ويوجد بغرف بعض المنازل واش كهربائي ، يضغطه الشخص فيعرف البواب اى ساكن يناديه .. وقبل أن يأكلوا ، في منازلهم أو خارجها ، يفرشون على المائدة قماشا ابيض ، ويعطى كل شخص سكينا وأداة للوخز وطبقا وملعقة وفوطة وثلاثة اكواب من الزجاج .. وطعامهم لا طعم له ، من

الصعب ابتلاعه ولا يمكن التعود عليه ، ومشروبهم ايضا كذلك ..

وتوجد بمنازلهم ايضا غرفة صغيرة بداخلها وعاء يرفع الشخص غطاءه ليظهر تحته حوض من الخزف بأسفله ثقب يدور به الماء ، وليمين الوعاء ويساره حلقتان من النحاس ، بعد أن يقضى الانسان حاجته فى الحوض يشد الحلقة اليسرى فيرتفع الماء اوتوماتيكيا ليغسل الحوض ، ثم يشد الحلقة اليمنى فينصرف الماء بما يحمله من وسخ ..

"وعندهم سفينة لتدور عجلتها يسخنون الماء بالنار حتى يغلى فتدير حركته لأعلى ولأسفل العجلة وتسير السفينة وحدها ـ لذا ينبعث من سفنهم عند اقلاعها دخان اسود وتسمع دبدبة مستمرة ليل نهار طوال ايام رحلاتها .. وهم يستعملون لنقل الرسائل سلكا متصلا من الحديد ترفعه اعمدة من الخشب "وحينما يلتقى بالبحر يغوص فيه" هذا السلك يصل الى كل مكان فى المدن الكبيرة والصغيرة والقرى ، ويوجد موظفون مختصون يبعثون الرسائل لحساب كاتبيها بتسجيل حروفها فى طرف السلك الحديدى ، وفى الطرف الآخر منه ، على بعد آلاف الكيلو مترات ، تكتب الحروف من جديد فى اقل من ربع الساعة ..

"وبمدنهم محال كثيرة تبرق اضواؤها ليلا كملايين النجوم ، والليل ذو القمر كامل الاستدارة لا يبلغ مثل هذه الاضاءة .. ومحالهم بلا لافتات ، بضائعها كلها معروضة فى نوافذها ويمكن رؤية داخلها من الخارج ، واصحابها ذوو ذقون .. اما البائعات بها فنساء جميلات فى العادة . فإذا لم توجد هؤلاء يكتشف اصحاب المحال فى نهاية العام انهم لم يبيعوا شيئا ـ فى محل القفازات مثلا ـ يجب أن تكون البائعة امرأة ، وان تبتسم دائما وان تتوجه الى الزبون بلقب "مسيو" وان تلبسه بيدها القفاز ليتأكد من مقاسه ، وعند الشراء لا يجرؤ الزبون على مناقشة السعر ، بل يدفع ثمنا مرتفعا ، وتكون البائعة فى تلك اللحظة بشوشة للغاية ، تشكره وترجو منه ان يتردد على المحل ، والزبون الحصيف يمكنه أن يدعو اجمل البائعات للنزهة يوم الاحد ، وربما ينجح فى أن يقيم معها علاقة اكثر خصوصية .

"ويوجد هنا اكبر عدد من المومسات فى العالم ، واكبر عدد من زبائنهن . الرجال يبحثون عن هؤلاء النساء بلا خجل ، وهن يذهبن معهم بلا خجل ، وهنا يمكن لرجل ان يذهب مع نساء متعددات ، ويمكن ايضا العكس ، دون ان يسبب هذا اية مشاكل أو مشاجرات .. !" .

● مانيكان ولى العهد

الأمير تشارلز ، ولى عهد بريطانيا ، ليس عضوا تقليديا للأسرة المالكة البريطانية ، فالمعروف عنه انه يزور احياء الفقراء ، ويتحاور ويتجادل مع المهاجرين الى انجلترا من مختلف جنسيات والوان دول الكومنولث ، وانه يعمل حملات لمساعدة الشبان الذين تنقصهم وسائل استكمال التعليم ، وانه زوج الاميرة ديانا ، وانه نشر كتابا للأطفال "عجوز

رسالة أوروبا



الامير تشارلز يمارس هوايته الرسم بالالوان المائية

البحيرة" لاقى نجاحا كبيرا .. وانه لا يحجم عن ان ينتقد اشياء كثيرة فى بلاده .

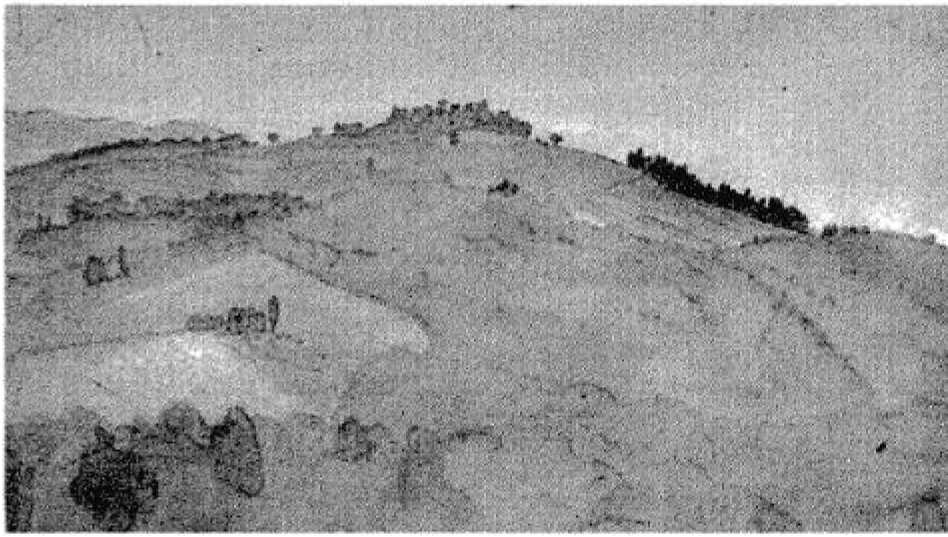
واحدث ماصرح به فى هذا المجال ، فى الاسبوع الماضى ، هو أن المهندسين المعماريين البريطانيين عملوا من الخراب فى لندن منذ نهاية الحرب العالمية الثانية اكثر مما عملته بها غارات طيران النازى خلال الحرب كلها !!

ولكن غير معروف عن ملك انجلترا المقبل ان هوايته رسم المناظر الطبيعية بالألوان المائية وانه يجيد هذه الهواية .

وترتبط هواية الامير تشارلز هذه بإيطاليا التى زارها لأول مرة "عن كبر" بعد زواجه "فى ابريل ١٩٨٥" ، مع ملاحظة انه ولد فى نوفمبر ١٩٤٨" وشغفته مقاطعة توسكانا ، و"عاصمتها فلورنسة" اثرى المقاطعات الايطالية طبيعة وتحفا فنية ـ وعلى الأخص مدينة اوربينو العتيقة بها ـ وتكررت زياراته لايطاليا للاقامة بمدينة اوربينو ودراسة بعض التقنيات الفنية فى اكاديمية فنونها ، ولرسم مناظرها الطبيعية .. وحينما اقترحت جامعة اوربينو عليه أن يقيم بها اول معرض عام للوحاته الفنية ، وافق على عرض خمسين من مناظر توسكانا واسكتلنده من أعماله فى الشهر القادم ، على أن يخصص دخل التذاكر وبيع الكتالوجات ـ فاللوحات ليست للبيع بالطبع ـ لمساعدة طلبة بريطانيا الذين يدرسون ـ مثله احيانا ـ الفن فى توسكانا .

• دوائر فى حقول القمح

دوائر غريبة تظهر على الأرض ، فى انجلترا أساسا لايعرف أحد حتى اليوم من يحدثها ، وكيف ، ولماذا .. وكالعادة بالنسبة لأية ظواهر تفتقر إلى تعليل منطقى واضح بالنسبة لما عندنا اليوم من معارف ـ كالأطباق الطائرة مثلا ـ أسدل ستار من السرية على هذه الظاهرة أيضا .. حتى صدر كتابان عنها أخيرا ، الواحد بعد الآخر ، عرف منهما ـ لأول مرة



منظر طبيعي من توسكانا من معرض لوحات ولي العهد

ـ أن عدد الدوائر الغريبة هذه التى لوحظت ودرست خلال الأعوام العشرة الاخيرة زاد على الستمائة ، منها ٢٤٢ خلال الصيف الماضى فقط !! (أى اكثر من واحدة يوميا !!) .. هذه الدوائر ليست مصادفات فردية متفرقة إذن بل « وباء » منتشرا ! ..

لكن ، ماهى قصة هذه الدوائر بالضبط ؟

كان ريتشارد كروك ينزه كلبه فى صباح احد أيام الصيف الماضى بجوار حقل قمح فى منطقة أمسبيرى بإنجلترا ، فلاحظ فى الحقل منطقة دائرية الشكل قطرها عشرة أمتار رسمها دقيق وحدودها واضحة كأنها قد رسمت بفرجار هندسى ، قد إنضغط قمحها إلى الارض فى إتجاه دائرى من المركز باتجاه عقارب الساعة ، كأن جسما ثقيلا للغاية قد إرتكز عليه ..

ولاحظ ريتشارد هذا عدم وجود أية آثار فى حقل القمح تقود الى هذه الدائرة او منها .. وعندما حاول أن يخترق الحقل إلى هذه المنطقة أحجم كلبه ، الذى كان قد بدأ يعوى بشدة ، عن ان يقترب نحو الدائرة .. وابلغ ريتشارد البوليس وأجهزة الاعلام ، بما حدث ..

واتضح أن هذه الظاهرة ليست بجديدة ، ولا نادرة ، وقد درست فى إنجلترا منذ ١٩٧٦ حينما سجلت لأول مرة فى اقليم هامبشاير ، وأن دوائر مشابهة قد ظهرت فى دول أخرى ، ومنها كندا والولايات المتحدة والبرازيل وفرنسا والاتحاد السوفييتى واستراليا ونيوزيلاندة .. ولكن تكرر حدوثها كثيرا فى انجلترا وخاصة فى منطقتى هامبشاير وولتشاير ، غير بعيد عن مجموعة الاحجار الضخمة المقامة فى دائرة ، المعروفة

باسم « ستون هنج » - وهى أيضا غير معروفة الأصل !!

وجاء فى التقارير (السرية إلى حين صدور الكتابين الجديدين) أن هذه الدوائر تتراوح فى القطر مابين عشرة وثمانين مترا ، وأنها آثار ضغط شديد على زراعات ونباتات يؤدى إلى إنثنائها منبسطة على الأرض ، فى إتجاه دائرى مع عقارب الساعة عادة إلا أن هذا لا يسبب ضررا لهذه النباتات التى تستمر فى نموها الطبيعى ، وتحصد عادة ضمن مايحيط بها من زراعات (وقد وجدت فى بعض الأدغال آثار تحطيم فروع الاشجار فى دوائر هندسية أيضا .. وتضيف التقارير أنها تحدث دائما فى الليل ، فى ليال معتدلة الجو عادة - حتى وإن كانت ممطرة - فى الشهور من مايو إلى سبتمبر ، وفى فترات قصيرة ، تصل احيانا إلى خمس ثوان ، ولا يصحب ظهورها أصوات أو أضواء أو مظاهر خاصة أخرى ..

ويفند العالمان الطبيعيان بات ولجادو وكولين اندروز فى كتابهما « الدليل الدائرى » تبريرات المسئولين والعلماء الآخرين المختلفة لهذه الظاهرة فيقولان انها : ليست خدعة أو مسحة لأن عمل خدعة بهذا الحجم يحتاج إلى الات وإلى

دائرة فى حقل ذرة بمنطقة ستون هنج (صيف ١٩٨٦)



اثار اقدام ، على الأقل ، إلى مواقعها .. وليست برقا لأن البرق يضرب عادة الأشياء المرتفعة ويحرقها .. ولا دوامة هواء ، لأن هذه لا ترسم دائرة دقيقة هكذا او تمر ولايشعر احد بها .. ولا تأثير الطاقة الشمسية لأن هذه لاتوجد فى الليل .. ولا الطاقة الاستاتيكية ، لانها حدثت أحيانا فى ليال ممطرة .. ولاهى مغناطيسية ارضية ، لانها فجائية ولها شكل هندسى ، ولا هى مرض تصاب به النباتات فتنحنى ويستمر نموها الطبيعى ... يفند المؤلفان هذه التبريرات ولكنهما لا يقدمان تعليلهما للظاهرة .. أما تيرانس ميدن فيؤكد فى كتابه « الأثر الدائرى وأسراره » أن هذه اثار هبوط الأطباق الطائرة .. وهو من كبار المؤمنين بها .. بينما يؤكد آرشي روى ، رئيس قسم الدراسات الفلكية بجامعة جلاسجو ، أن « هذه الظاهرة منتشرة على نطاق واسع . ويوجد شيء واحد نستطيع أن نؤكده بخصوص هذه الدوائر وهو أن ليس لانسان يد فى عملها .. » ؟!

• السيد كلاشينكوف

العالم كله يعرف إسمه ، ولكن وجهه من يعرفه ؟؟ .. لا أحد ..

هاهو إذن السيد كلاشينكوف ، مخترع « ك - ٤٧ » أكثر البنادق إستعمالا فى العالم : السلاح المفضل لغالبية الجيوش النظامية وحركات التحرير الوطنية والجماعات الارهابية .. يعيش على المعاش ، فى فيللا بمدينة توليياتى جراد ، ويبدو للوهلة الأولى انه شخص غير إجتماعى ، ولكن هذا قناع حياته ، فاصدقاؤه فى مدينته لاحدود لهم وهو دائما مستعد أن يساعد باصلاح أى شيء من توصيلة كهربائية إلى محرك جرار ، لأن له كما يقولون أصابع ذهبية .

ولد ميخائيل تروفيمو فتش كلاشينكوف فى سنة ١٩٠٩ وقطعت الحرب تعليمه ليصبح جنديا ميكانيكا بالمدرعات حيث لاحظ وهو فى سن ٢٣ ، أن الجنود عندما يقفزون من المدرعات فى ساحات القتال ، يعطلهم ثقل سلاحهم عن الاشتراك فى المعارك مباشرة مما يسبب خسائر بينهم وفكر أنهم فى حاجة إلى سلاح اخف وزنا واكثر تركيزا .. بندقية رشاشة ، ربما اقل قوة أو دقة ، ولكن لها فاعلية كاملة فى المسافات القصيرة ولفتت اراؤه هذه رؤساءه الذين ارسلوه إلى اكاديمية المدفعية حيث صمم ونفذ بندقيته الجديدة فى سنة ١٩٤٥ .. ولكن البيروقراطية عطلت إنتاجها الفورى بل انه قبض عليه بينما كان يحملها لانها سلاح غير مرخص ، وسجن .. ولكنه سرعان ماخرج من السجن ، وبدأ إنتاج بندقيته على نطاق واسع ، وإنتشر استعمالها فى الحرب ، وبعدها .. وذاع صيتها فى العالم كله (وقلدها الأمريكيون ببندقيتهم م - ١٦) .. واصبح اسم كلاشينكوف مألوفا حتى لدى الأطفال فى فيتنام ولبنان وكوبا وانجولا .. إلخ ..

ولكن وجهه من يعرفه ؟؟ .. لا أحد .

وقائع أوروبا



ميخائيل كلاشنيكوف مع ابنته الينا وحفيدة ايجور فى حديقة منزله

● « أخبار قصيرة »

● "فليت ستريت" شارع الصحافة البريطانية الشهير لأكثر من قرن من الزمان ، قد انتهى بعد أن طبعت آخر اعدادها فى فليت ستريت آخر الصحف التى كانت باقية فيه ـ الصنداى اكسبريس ـ قبل أن تنتقل عبر نهر التيمز الى منطقة الصحافة الجديدة "دوكلاندز" متبعة في ذلك مثال صحف التايمز والدايلى تلجراف والفينانشيال تايمز ، وباقى الصحف اليومية الهامة .. وكانت منطقة "دوكلاندز" اصلا مخازن ميناء لندن ، ثم حولت الى منطقة جديدة واقامت بها الصحف اللندنية مبانى جديدة فخمة بأحدث المطابع تقنيا .. ولكن فليت ستريت قد بدأ تاريخه كشارع الصحافة منذ خمسة قرون تقريبا حينما اقام به وينكن دى ورد اول مطبعة بالحروف المنفصلة ، وبالتدريج تجمعت به الصحف

البريطانية .. وبنهاية شارع فليت ستريت ينتهي عصر طباعة الصحف البريطانية بالرصاص "باللينوتيب" ..

● تفتح في سنة ١٩٩٢ بمدينة تاراجونا على البحر المتوسط بأسبانيا اكبر حديقة ملاهي في اوروبا "على الاقل الى أن يتم بناء "ديزني لاند" مدينة باريس" - وقد خصصت اسبانيا ٨٢٥ هكتارا من الارض لمدينة ملاهيها وملحقاتها - وضمنها فندق كبير وملاعب جولف وحدائق ومطاعم وحمامات سباحة .. الخ" .. وستعمل المدينة مائتي يوم في السنة فقط ، يتوقع ان يزورها خلالها ثلاثة ملايين من السياح ..

● قالت الناشيونال جيوجرافيك الامريكية ان استفتاء اجرته بين مليون طالب وطالبة ما بين ١٨ و٢٤ سنة يدرسون في ١٥ الف مدرسة امريكية اظهر "ضمن مظاهر أخرى لقلة معلوماتهم" ان ١٤,٥ بالمائة منهم لم يستطع ان يجد الولايات المتحدة في خريطة العالم" ..

● تتوقع منظمة السياحة العالمية أن يزيد عدد السياح خلال السنوات العشر القادمة على الستة مليارات .. وتضيف انها تتوقع أن تحظى إيطاليا بحصة هامة من هذه السياحة ، خاصة كنتيجة لـ « سياحة الكرة » التي تصاحب دورة بطولة العالم لكرة القدم التي تجرى بها حاليا .. وأن تكون حصة أسبانيا أيضا كبيرة ، خاصة إبتداء عن ١٩٩٢ ، بمناسبة عام الاحتفالات بال « كولومبياد » مرور ٥٠٠ عام على إكتشاف كريستوفر كولمبوس لأمريكا ..

● توجد بين ٢٠ و٣٠ لوحة مزيفة للفنان فان جوخ في متاحف العالم والمجموعات الخاصة اليابانية أساسا .. هذا مايقوله رولاند دورن مدير متحف إسين بالمانيا الغربية وأحد أهم خبراء اللوحات الزيتية في العالم .. ومن المعروف أن لوحات الفنان الهولندي الشهير بأنه قطع أذنه ليهديها لامرأة قد ضربت أرقاما قياسية في أثمانها في الأعوام الأخيرة (وهو ما لايمكن أن يخفى على المزيفين) فقد بيعت لوحة « وعاء به زهور عباد الشمس » في سنة ١٩٨٧ بمبلغ ٢٣ مليون جنيه استرليني ، وبيعت « أزهار السوسن » في العام الماضي بمبلغ ٣٠ مليون جنيه استرليني وآخر لوحاته « صورة الدكتور جاشيه » قبل أسابيع قليلة بأكثر من ٤٥ مليون جنيه استرليني - وإشترى هذه الثلاثة أثرياء يابانيون .. ولايدعي دورن أن هذه اللوحات مغشوشة ولكنه يقول أن بين المزيفات « صورة ذاتية للفنان » بمتحف المتروبوليتان بنيويورك ، و« حصاد القمح » بالمتحف الوطني بستوكهولم ، مثلا ..

● تستعد إيطاليا لدورة رئاستها لمنظمة الوحدة الأوروبية (بين يوليو وديسمبر هذا العام) حينما ينتقل مركز نشاط المنظمة من بروكسل إلى روما .. وستبدأ إيطاليا دورتها باجتماع هام لرؤساء الاثنى عشر دولة أعضاء المنظمة يعقد في قصر الحضارة والعمل بحي روما الجديد الذي بناه موسوليني ..

● أقوال غير مأثورة

« أمنيتي للمدى القريب هي أن أنجب طفلا رابعا » - كارولين أميرة موناكو .

محرقة اليهود في الأفلام

بقلم: مصطفى درويش

كلمة « هولوكوست » من الكلمات التى لها تاريخ يرتد إلى ايام الرومان ، فهى لاتينية الأصل ، تعنى الإبادة الكاملة ، لاسيما بالاحراق .

ولم يكن للابادة بذلك المعنى علاقة باليهود لا من قريب ولا من بعيد .

وظل الحال كذلك إلى ان بدأت محاكمات مجرمى الحرب فى نورمبرج عقب انتهاء الحرب العالمية الثانية باندحار المانيا الهتلرية .

فبفضل تلك المحاكمات تكشف للعالم ان من بين جرائم النازية - وهى كثير - تبنى سياسة تقوم على أساس تقسيم الشعوب عنصريا إلى شعوب راقية تتحكم وتسود ، وأخرى منحطة لاتستحق البقاء .

● **العاصفة المميتة**

وكان من مقتضى تلك السياسة المسرفة فى عنصريتها حشد الأفراد المنتمين إلى تلك الشعوب المقول بانحطاطها ، حشدها فى معسكرات اعتقال ، تمهيدا للإلقاء بهم فى افران أعدت خصيصا لقتلهم جماعيا بغازات سريعة المفعول ، حتى إذا ماجاءهم الموت بغتة ، تم حرقهم بنيران حامية لاتبقى من جثثهم شيئا .

وما أن ذاع أمر هذه الجريمة البشعة ، حتى تطلعت على الإنسانية كلمة «هولوكوست» يعبر بها عن أهوال الاصطلاء بنيران تلك الأفران .

فإذا بها تعطى الأثر المراد من استعمالها لا أقل ولا أكثر وإذا بها منصرفة منذ البداية إلى جميع ضحايا المحرقة سواء أكانوا من الروس أو البولنديين أو الغجر أو اليهود أو غير ذلك من الشعوب التى اصطلت بتلك النيران .

وجملة القول أنها كانت كلمة مناسبة تماما للمقام .

● تحريف التاريخ

ثم تتقدم الاعوام ، وإذا باخبار كابوس المحرقة ينتشر رويدا على وجه يوحى باقتصار المحنة الكبرى على اليهود دون غيرهم من الشعوب .

وإذا بالكلمة تتعرض لتشويه أحالها إلى لفظة لاتعنى كلما قيلت سوى شيئ واحد! .. محرقة اليهود .

ونتيجة لذلك كاد جميع ضحايا تلك المحنة ، فيما عدا اليهود ، أن يختفوا من على شاشة الذاكرة .

وهكذا كتب على ضحايا المحرقة - باستثناء اليهود - الإبادة مرتين الأولى بواسطة هتلر وجلاديه والثانية بواسطة محرفى التاريخ .

والآن ، وبمناسبة ذكرى مرور نصف قرن من عمر الزمن ، على نشوب الحرب العالمية الثانية وخمسة وأربعين عاما على انتهائها ، خرجت علينا مطابع دور النشر فى الغرب بكتب عديدة عن المحرقة من بينها «الكل أو لاشـىء : المحـور والمحـرقـة

الزوجة الأولى الناجية من المحرقة



محرقة اليهود

(هولوكوست) لصاحبه «جوناثان شتا ينبرج» ، «لماذا لم تظلم السماوات - الحل النهائي» لصاحبه «ارنومايير» و «نهاية المحرقة .. تحرير المعسكرات» لصاحبه «يون بريد جمان» و «الشرطي ابتسم» لصاحبه «باري تيرنر» و «ظلال لاتتمحي .. الفيلم والمحرقة» لصاحبه الدكتورة «انيت انسدورف» «الطبعة الثانية) .

وهذه الكتب - جميعها وبلا استثناء - تتناول مأساة المحرقة من منطلق أن اليهود وحدهم هم الضحايا .

وأسجل ، منذ الآن ، انى لن اعرض من بين الكتب سالفة الذكر ، إلا للكتاب الأخير ، لا لشيء سوى انه الكتاب الوحيد الذي تناول محرقة اليهود في السينما ، فضلا عن أن تناوله لها قد اتسم بالامعان والتعمق .

وما أزعم لهذه المحاولة احاطة وشمولا فهي لاتعدو أن تكون تمهيدا للكلام عن أهم افلام امريكية تناولت محرقة اليهود مما جرى عرضها خلال الأشهر الأخيرة .

وهي افلام ثلاثة لاتزيد ، أحدها «انتصار الروح» سبق وأن عرضت له باستفاضه هنا في مجلة الهلال (مايو ١٩٩٠)

أما الفيلمان الآخران «اعداء .. قصة حب» و «صندوق الموسيقى» ، فقد اتيحت لي فرصة مشاهدتهما أثناء زيارة أخيرة لباريس .

القديسون الجدد

وقبل الكلام عنهما أعود إلى كتاب «ظلال لا تتمحى» ، فأقول إن صاحبته تنحدر من أسرة يهودية تعرضت للاضطهاد ابان فترة خضوع أوروبا للنير الهتلري ، حتى أن والديها قد زج بهما في غيابات معسكرات الاعتقال حيث أوشكا على الهلاك في محارق الافران .

وثمة مقدمة لكتابها في طبعته الثانية بقلم «ايلي فيسيل» الحاصل على جائزة نوبل للسلام ، وهو بدوره من المنتمين لشعب الله المختار ، ومن الذين عانوا عذابات معسكرات الاعتقال ، إلى ان هيأت له السماء مع فئة قليلة معجزة النجاة من موت أكيد .

وفي وصف من بقي من تلك الفئة على قيد الحياة ، قال أحد أبطال فيلم «صندوق الموسيقى» انهم بمثابة قديسين ابرار !!

وعلى كل ، «ففيسيل» في مقدمته تلك يقول أن عالم معكسرات الاعتقال «أوشفتز» و «تربلينكا» ، يتحدى التعبير بالكلمات .

ويتساءل ، هل توجد وسيلة أخرى ، لغة أخرى يمكن التعبير بها عن ذلك العالم .

وبعد أن يطرح الصورة وسيلة بديلة للتعبير ، يعود فيقول أنها بدورها تثير مخاوفه ، بل أن تخوفه منها اكثر بكثير .. لماذا ؟

لان موضوع الإبادة الجماعية لليهود تنفيذا لمخطط الحل النهائى ، هو فى حقيقة الأمر موضوع مقدس ، وأى تناول له بواسطة وسائل الاعلام الجماهيرية ، وبخاصة الافلام ، انما يحمل فى طياته خطر التدنيس لتلك القدسية .

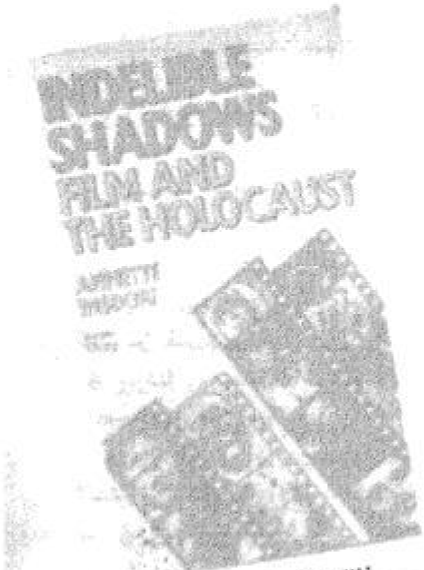
غير انه سرعان مايستدرك قائلا أن ثمة افلاما عن المحرقة تذهل بمصداقيتها ، وأخرى تصدم بسوقيتها

وفى رأيه أن من بين أفلام النوع الأول «الليل والضباب» للمخرج الفرنسى «آلان رينيه» صاحب «هيروشيما حبى» و «حديقة فينزى كونتينى» للمخرج الايطالى «فيتوريو دى سيكا» و «قيثرات الحقل» للمخرج الفرنسى «ميشيل دراش» و «الحانوت فى الشارع الرئيسى» للمخرجين التشيكيين «يان كادار» و «المار كلوس» .

● عش الغراب

أما بالنسبة للأفلام الموصومة بالسوقية ، فلم يتوقف «فيسبيل» إلا عند المسلسل الأمريكى الشهير «المحرقة» قائلا أن عرض أهوال المحرقة فى صورة مغامرة رومانسية ، لأمر مهين للموتى ، جارح للاحساس .

وفى مقدمة أخرى ، ولكنها لصاحبة الكتاب ، جاء على لسانها ما مفاده ، انه رغم أن ماشاهدته من افلام عن



غلاف كتاب الفيلم المحرقة

المحرقة حتى عام ١٩٨٠ ، قد بلغ عدده ستين فيلما على الأقل ، إلا انها ماكادت تنتهى من وضع اللمسات الأخيرة على الطبعة الأولى لكتابها (١٩٨٢) ، حتى كان قد تم طرح عشرين فيلما جديدا عن المحرقة ثم تكاثر عدد الأفلام التى من هذا القبيل على وجه يشبه تكاثر عش الغراب ، حتى وصل الأمر قريبا من نهاية عام ١٩٨٨ إلى أن ثمة حوالى مائة فيلم جديد مابين روائى (٤٠ فيلما) وتسجيلى (٦٠ فيلما) .

وهى جميعا ليس بينها فيلم و احد لايستحق أن يشار إليه فى الكتاب ، ولو ببضع كلمات ..

هذا ولو كان قد كتب للطبعة الثانية من كتابها أن يتأخر ظهورها وقتا

محرقة اليهود

قصيرا ، لوجدت نفسها أمام عدد غير قليل من افلام جديدة تعرض للمحرقة من بينها «اعداء .. قصة حب» و «صندوق الموسيقى» .

واغلب الظن أنها ، ومهما اصطنعت الحذر والاحتياط ، فما كانت لتطمئن لهذين الفيلمين ، وما كانت لتتحمس لهما لا لسبب سوى أن الأول مسرف

الزوجة الثانية فى اعداء .. قصة حب



فى السوقية ، والثانى مفرط فى الفاشية .. كيف ؟

● تعدد الزوجات

«هرمان برودر» (رون سيلفر) بطل «اعداء .. قصة حب» الفيلم المأخوذ عن رواية للاديب الأمريكى اليهودى «اسحاق سنجر» ؛ ذلك البطل أحد الناجين من النار .. نار الأفران .

والفيلم يبدأ به مختبئا فى جرن ، وكلاب النازى من حول المكان تنبح مسعورة .

انه فى كابوس ، يشقى به اثناء اليقظة ، وأثناء النوم وها هو ذا ، يهب مفزوعا ، لنكتشف انه ليس فى أوروبا أيام النازية ، وإنما فى أمريكا ، وبالتحديد «كونى ايلاند» بنيويورك .

ولنكتشف ، بعد ذلك ، انه يعيش مع «يادويجا» (مارجريت سوفى شتاين) ، وهى فلاحة كانت تعمل خادمة فى بيت عائلته اليهودية ببولندا ، وكان لها فضل انقاذه من المحرقة بتوفير مكان أمين له فى الريف حيث ظل مختبئا زهاء ثلاثة أعوام إلى أن كتب له النجاة

ورغم زواجه منها عرفانا منه لجميلها عليه ، إلا أن هذا لم يحل بينه وبين اقامة علاقة غرامية عاصفة مع «ماشا» (لينا اولين) ، وهى امرأة يهودية ألمت بها خطوب العذاب الذى لايشبهه عذاب فى معسكرات الاعتقال النازية والسوفييتية .

ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد ، بل

انتهى ، ازاء الحاح «ماشا» ، إلى عقد قران بينهما جرى وفقا للطقوس اليهودية .

كل ذلك ، والزوجة «يادويجا» لاتعلم من امر تلك الخيانة شيئا .

وتمضى الايام ، وإذا بهرمان يلتقى نجاة فى وسط نيويورك «بتامارا» (انجيليكا هوستون) ، وهى امرأة يهودية كان قد تزوجها فى بولندا قبل نشوب الحرب .

وكان من المفترض انها وأولادها منه قد ماتوا جميعا مقتولين برصاص الألمان .

وهكذا نجد «هرمان» ، وقد عبثت به الاقدار فإذا به صاحب ثلاث زوجات فى آن واحد وهو نتيجة لذلك فى حيرة مهلكة ، لايعرف لنفسه غاية يقف عندها ، ولا يعرف كيف يصل إلى قرار

ولعل خير وصف لحيرته تلك احد مشاهد الفيلم حيث نراه داخل إحدى محطات مترو الأنفاق مترددا بين القطارات ايها يستقل .. قطار «كونى ايلاند» حيث «يادويجا» أم قطار «برونكس» حيث «ماشا» أم قطار وسط نيويورك حيث «تامارا» .

● الجنس اللذيذ

وفيلم له موضوع كهذا ، ومن انتاج هوليوود واخراج «بول مازورسكى» ، لابد وان يكون زاخرا بمواقف لاتخلو من فكاهة ، ومشاهد لاتخلو من جنس فاضح ، وآية ذلك المشاهد التى تصور علاقة هرمان بماشا .

فهى تصور حبهما الجامح المندفع كالسيل من خلال لقطات لهما ، وهما عاريان يتصببان عرقا .

وفى ظنى أن تلك المشاهد هى التى حدت «بفارايتى» اقدم مجلات السينما واوسعها انتشارا إلى وصف الفيلم .. وهى فى مجال الثناء عليه ـ بانه جنسى لذيذ .

وليس من شك أن الفيلم بتلك المشاهد التى آراها تجارية شديدة الابتذال ، قد اساء إلى قداسة المحرقة القائل بها «فيسيل» فى مقدمته سالفة الذكر .

فاذا ماانتقلنا إلى «صندوق الموسيقى» ، لوجدنا انفسنا أمام فيلم قال عنه صاحبه المخرج «كوستا جافراس» فى حديث له مع مجلة «سينياست» الامريكية (العدد الثالث ١٩٩٠) ، انه اراد باخراجه اعادة المحرقة إلى الذاكرة ، وبخاصة ذاكرة الشباب .

● الماضى المجهول

والمحور الذى يدور حوله الفيلم وجودا وعدما هو العلاقة بين «مايك لازلو» الذى قام باداء دوره الممثل الألمانى الكبير «ارمين موِيلر شتال» وابنته «آن تالبوت» ، وقد قامت باداء دورها النجمة الذائعة الصيت «جيسيكا لانج» و «لازلو» حسب سيناريو الفيلم الذى ابدعه

«جواشترهاس» ، مجرى ترك وطنه مهاجرا إلى الولايات المتحدة عقب انتهاء الحرب العالمية بثلاثة اعوام .

وبعد أن مضت الأيام حتى أصبحت أربعين عاما ، جاءه كتاب من وزارة العدل الأمريكية مفاده انه متهم باخفاء حقيقة مهنته فى طلبه الذى منح بموجبه الجنسية الأمريكية .

وانه فى حالة ثبوت تلك التهمة ، فلابد من ترحيله إلى المجر حيث تتجه

جيسيكا لانج محامية تدافع عن ابيها



النية إلى محاكمته عن جرائم بشعة اقترفها فى حق اليهود .

وطبعا ينكر «لازلو» الاتهامات الموجهة إليه ، مصرا على انه كان فلاحا بسيطا ، وليس حارسا فى فرق التعذيب والابادة .

● الولاء لمن ؟

وتنبرى ابنته «آن» - وهى محامية ماهرة - إلى الدفاع عنه ، وذلك لانها كانت تؤمن ببراءته مما يصفون .

وما أن تنتهى القضية بصدور حكم ببراءته ، حتى يتضح لها ، بفضل صور ثابتة لابيها لاتقبل الشك ، انه من عتاة مجرمى الحرب .

وهنا يتنازعها ولاءان أحدهما الولاء للاسرة ، والآخر الولاء للمجتمع .

وبعد تردد لم يدم طويلا ، تغلبت مسئوليتها نحو المجتمع على ولائها نحو اسرتها .

وها هى ذى تتصل بمكتب الادعاء طالبة اليه اعادة إقامة الدعوى العمومية ضد ابيها على اساس الصور الثابته التى فى حوزتها .

والفيلم بتلك النهاية ، انما يريد أن يقول أن على الابناء أن يشوا بالاباء إذا كان فى ذلك تحقيق للصالح العام .

ومثل هذا القول لايختلف فى جوهره عما كان يدعو إليه انصار النازية فى سالف الزمان .

كان دون كيشوت يتعبد فى

الزيتونة

شعر:
محمد متولى



"١"
دولسينة
زيتونة عشق
يدعوها الحب لأن ترحل فى ذاكرة العشب
ترقب موهوما من بعض صهيل
سيشكل كونا كعروس الطمى
"٢"
أغصانك مبتدأ الكون
والساق تمد الجذر الى روح الرب
وتتغنين :
دون كيشوت
هيت لك
وأمامك دانية فاكهة القلب
لكن الفارس يرحل صوب الرعد
بالسيف المصنوع والمهر الخشبى
يشرب فى حانات الغفوة نخبك فى خوذة بللور
يهذى بين شقائق الخمر .
"غمست السيف ببئر نزيف القلب
وانقش وجهك فوق جبين الأرض"
"٣"
دولسينه تاج معقود بالقمح
ينتظر الرأس
لكن الواهم يبنى المحراب الأجوف .. يتعبد فيها .. بالشعر

كاندنسكي

مبدع وهب نفسه للفن

بقلم: محمود بقشيش

"كاندنسكي" واحد من أكبر المبدعين في مجال الفنون التشكيلية في هذا القرن . ومن أكبر المساهمين في الانقلابات التي حدثت في هذا الفن ، وأبرزها ـ في تقديري الانقلاب ضد "اللوحة المسرحية" ، أو اللوحة ذات الطابع التمثيلي ، الوصفي ، الرمزي ، الموصولة ـ بدرجات متفاوتة ـ مع الواقع المرئي . ونبّه الى أن الريشة الماهرة التي تستطيع تصوير المرئي والمحسوس ، تستطيع أيضا أن تكون أداة مرهفة للتعبير عما هو روحي ، وداخلي ومجرد . وأن تجسد ما أميل الى تسميته بـ "اللوحة الحالة"

شاهدت لهذا الرائد معرضا شاملا له بمركز "بومبيدو" في باريس في يناير ١٩٨٥ ، وأدهشني ماهو طبيعي ومنطقي في الاحتفاء بهذا الفنان ـ ربما بسبب الحرمان ـ فقد طبعت من أجله الكتب الفاخرة ، والتي كان بعضها في متناول أيدي الفقراء ، وكانت من حيث المستوى تتسع للمتخصص وغير المتخصص . وضمت المظاهرة الدخلية ـ أعني داخل المركز الثقافي ـ بالاضافة الى ماسبق : نشرات ، وشرائح ملونة ، ومستنسخات . وأحب أن أشرك القارىء الكريم في قراءة إحدى المقالات التي أخترتها للناقد "جيلبير لاسكو" والتي شارك بها في تلك المظاهرة الفنية ، دارت حول عمل فني واحد ، من مرحلة "اللوحة/المسرح" وعنوانها : "بقرة" ومقاسها : ٩٥,٥ × ١٠٥سم ، وهي لوحة زيتية انجزها عام ١٩١٠ ، وعنوان المقالة : "حول بقرة كاندنسكي" .

قبل أن أقدم المقالة أحب أن أقدم بطاقة تعريف بكاندنسكي :



من المرحلة التشخيصية للفنان كاندنسكي

ولد فى "موسكو" فى ديسمبر عام ١٨٦٦ ، وتوفى فى نفس الشهر عام ١٩٤٤ فى "نيللى" . عاشت الأسرة فى الأوديسا قبل أن تتفكك بانفصال الأبوين عام ١٨٧١ . ومثل كثيرين من نجوم هذا الفن درس الحقوق كما درس الاقتصاد ، واشتغل بمجالات تبدو للوهلة الأولى بعيدة الصلة عن الفن ، مثل : علم الانسان (الانثربولوجيا) . وكتب مقالتين عام ١٨٨٩ تدوران حول شكل الطقوس الدينية فى البيئات الفطرية تزوج ابنة عمه عام ١٨٩٢ وانفصل عنها بعد ذلك ، وتزوج عام ١٩١١ مرة أخرى ، زواجا أثمر طفلا أسماه "فولوديا" لم يعش أكثر من عامين .

كاندنسكى

كان "كاندنسكى" شاعرا أيضا له ديوان بعنوان "أشعار بلا كلمات" "وكان مفكرا" له كتاب هام بعنوان : "روحانية الفن" .. كما نشر كتابا ضم منتخبات من رسومه أسماه : "العوالم الصغيرة" ونشر كتابا باللغة الروسية بعنوان "نظرة الى الماضى" وترجمه بنفسه الى الالمانية . وشارك فى مجلة "كراسات فنية" .

إن تأمل سيرته الذاتية يجعلك توقن بأنه منح نفسه كاملة للفن ، ولم يسمح لشىء آخر مهما بلغت درجة أهميته ، أن يؤثر فى هذه الصلة . ولفت نظرى - كفنان مصرى سجين المكان الواحد - قدرته الهائلة على الحركة والاتصال وتجاوز العوائق الشخصية والعامة ، فلم توقفه حربه الشخصية مع زوجته الأولى ، او الحرب العالمية الأولى عن إقامة المعارض والاسهام فى تكوين الجماعات الفنية ، والمؤسسات الاكاديمية والثقافية !

على الرغم من أنه قد أتيح له منصب بجامعة "دوربا" فقد قرر التخلى عنه والاستقرار فى "ميونخ" لدراسة الفن ، والتحق بمدرسة "أنطون آزب" للفن ، ومن الطريف أنه رسب عند التحاقه بأكاديمية "ميونخ" ، وقرر أن يمارس الفن بمفرده ، غير أنه ادرك حاجته الى دراسة منهجية ، فتتلمذ على أحد أساتذة أكاديمية "ميونخ" هو الاستاذ "ستيك" لمدة عام تقريبا . أدرك أثناءها أو فى نهايتها انه قادر على تكوين جماعة فنية ، والمدهش أنه تمكن من تكوين مدرسة لتعليم الرسم والتصوير !

كان عام ١٩٠٢ هو البداية الحقيقية لعروضه الفنية ، فأقام معرضا فى برلين كما قام بعدد من الرحلات الى فينسيا وأوديسا وموسكو .. ثم توسع فى نشاطه الفنى عام ١٩٠٤ ، حيث اشترك فى المعرض الأول الذى نظمه "تجمع" "الاتجاهات الحديثة" فى باريس . وفى نفس العام طبع ديوانه سابق الذكر ، واشترك فى صالون الخريف فى باريس .

كان دائم التجوال ، ولم يكتف باوربا أومريكا بل كان يحلم بالعالم ، وبالمناسبة فقد زار مصر وسوريا وتونس . العجيب انه لم يرسم فى وطنه شيئا يذكر فلم يرسم عام ١٩١٥ - وكان وقتها فى موسكو - لوحة واحدة ، وفى العام التالى لم يرسم غير ثمانى لوحات فقط ، ورغم ذلك الصمت الابداعى فقد كان حريصا على إقامة المعارض بها ، وشارك فى تأسيس أكاديمية الدراسات الفنية ، وتولى بنفسه إدارة معهد الثقافة الفنية بموسكو . من الجماعات التى شارك

فى تكوينها : جماعة "الفارس الأزرق" وجماعة "الباوهاوس" وكان تأثير الجماعة الثانية أوسع ، فلم تكن مجرد جماعة بل مؤسسة فنية ، تقوم بالتعليم والكشف عن المواهب .. غير أن غيوم مقدمات الحرب العالمية الثانية أجهزت عليها ، ورسم "كاندنسكى" آخر لوحة له فى المانيا عام ١٩٣٣ .. ليبدأ من جديد رحلة تألق فى الولايات المتحدة الأمريكية ، وفتحت أبواب "الباوهاوس" من جديد عام ١٩٣٧ ، ولم تختتم تلك الحياة الحافلة إلا الختام الذى يليق بها ، فقد مات عام ١٩٤٤ أثناء آخر معرض له بقاعة عرض "اسكيس" بباريس .. فى ١٢ ديسمبر .

● حول بقرة كندنسكى !

نشاهد فى مقدمة اللوحة فلاحة أشبه بالجالسة ، تبدو كما لو أنها مشغولة بحلب بقرة . هذه هى المعلومة البسيطة .. لكن .. لو أنك سألت نفسك : أين موقع الفلاحة وموقع البقرة .. فلن تجد إجابة لذلك ! .. كلاهما ذائب فى الآخر للدرجة التى لاتعرف معها من أمام أو خلف من ؟! .. لسنا بالطبع أمام لوحة "كلاسيكية" ذات أبعاد ثلاثة منفصلة ، بل أمام لوحة عصرية ذات ثلاثة أبعاد متداخلة ! .. ورغم ذلك فإن بقرة "كاندنسكى" تشبه اللوحة "الكلاسيكية" من حيث هى مشهد مسرحى . رمزى . كل عنصر له دوره المرسوم ، وتشترك تلك الادوار فى ايقاظ ذكريات عن الوطن ، وإثارة تداعيات روائية ، أو حكايات من القصص الشعبى .

إن العنصر الواحد قد تتعدد ظلاله ، كما تتباين مستوياته الدرامية ، بتباين موقعه من بطولة المشهد المسرحى . فإذا كان مبنى "الكرملين" الذى يظهر فى أعلى اللوحة صغيرا ، يستدعى الى الذاكرة مايوحى بالحنين الى الوطن ـ فإن البقرة ـ المحور الرئيسى فى العمل ـ ترحل بالذاكرة الى ماهو اكثر من حدودها الوصفية المألوفة ، الى رموزها فى المعتقد الشعبى ، وفى الابداع الشعرى والتصويرى . تتحدث عنها الاساطير الهندية باعتبارها رمزا للسماء والأرض ، تكمن فيها إرادة الله وقداسته . وهى عند السومريين "القمر الممتلىء" تحدث عنها "ميجو" فى ديوانه "الصوت الداخلى" باعتبارها الأم الكونية فهى : "خلابة . مديدة . حمراء اللون . مزخرفة باللمسات البيضاء ، والناس يستظلون بها ، وهم يتناولون لبن الحياة من ضرعها المقدس" .

كتب عنها الفنان "دى بوفيه" : "بفضل ذلك الأشعاع المنبعث من سكونها وصفائها منحت قوة لاتتبدد" . وظهرت البقرة فى مواضع

تكوين مجرد
سنة ١٩١٤ للفنان كاندنسكي



مرموقة من الرسوم الشعبية الروسية .. كما يجدر الاشارة الى تلك الحيوانات الوديعة فى التصوير الهولندى ، والموجود بعضها فى متحف "القصر الصغير" بباريس . لست انوى بالطبع ، ان أسرد تاريخ

رسم الحيوانات ذات القرون ، بل أهدف الى ذكر حقيقة بدهية هى : أنه مهما كانت دوافع الفنان الى رسم ذلك

الحيوان فلا شك أنه يعرف ـ بدرجة من الدرجات ـ بأن ذلك الحيوان مرتبط

بقرة للفنان كاندنسكي انجزها عام ١٩١٠



برموز خاصة . وإذا كان قد أتيح للبقرة فى الماضى أن تحتل موقعا مرموقا فى المعتقد الشعبى ، فربما تحتل موقعا لايقل أهمية فى أساطير المستقبل ! ..

رسم "كاندنسكى" عددا من لوحات الابقار ، منها اللوحة التى نحن بصددها والتى انجزها عام ١٩١٠ ، وقد تحدث عن إحدى بقرات (لوحاته) فى كتابه "روحانية الفن" بقوله : "انها تشدد خوارها تشديدا تعيسا ، وقاطعا ، كما لو كانت قد فقدت وليدها" ومن لوحاته الشهيرة لوحة

بعنوان "بقرة فى موسكو" انجزها عام ١٩١٢ ، تظهر البقرة وهى فى طريقها الى دخول المدينة وتخور أمام معبد الأعمدة .

إن بقرة "كاندنسكى" ذات عينين ناعسين وقرن هلالى أزرق . تقف فى سلام . تحتفى بها الهضاب ، ومبنى الكرملين ، فى أصداء قوسية ، تحاكى شكل ظهرها . وتبدو على البعد أبقار صغيرة ، كما لو كانت تتناسل من رأسها ! .. نبذ "كاندنسكى" ـ فى هذه اللوحة ـ الخطوط الرأسية والأفقية ذات الطابع الهندسى ، وانحاز للأقواس الرقيقة ، والحدود الناعمة ، الغائمة .. التى ترسم حدود البقرة والسيدة والهضبة الأولى . على الرغم من أن "كاندنسكى" قد انقلب على نفسه بعد ذلك ، وصولا الى التجريد المطلق ، فإنه لم يعاد ـ بصورة قطعية ـ اللوحة ذات الطابع الوصفى . ولم يخف أعجابه بالفنان "جيوفانى سيجانتينى (١٨٥٨ ـ ١٨٩٩) وكتب عنه ذات مرة ، مقارنا بينه وبين فنانين آخرين :

"إن "سيجانتينى" يبدو للوهلة الأولى أكثر مادية من هذين الفنانين ، فهو يلتقط من الطبيعة أشياء تبدو جاهزة ، وينقلها بتفاصيلها الدقيقة ، وعلى الرغم من دقتها الواقعية تلك ، فإن روحا شفافة تسرى فى جنبات لوحاته . وقد رد على "كريستيان زيرفو" فى مجلة "كراسات الفن" علم ١٩٣٥ قائلا : "إنى مصور تجريدى . أصرخ : يحيا الديك ! .. أما الخصوم فانهم يصرخون : ليمت المثلث !

وبهذا التعبير الطريف يثبت لخصومه أنه أكثر رحابة منهم ، ففى الوقت الذى أراد للشكل الهندسى ـ المثلث ـ الحياة ، أراد أيضا للشكل العضوى ـ الديك ـ الحياة ، فتلك ثنائية أزلية ، وحقيقة بدهية لايتنصل منها غير الذين يطمسون عقولهم !

إن "لمسة" الفرشاة الحية . المحملة بالألوان الجهيرة ليست سمة هذه اللوحة ، بل تلك المرحلة من فنه .. لكن .. قبل أن نستطرد يحسن أن نتوقف قليلا عند تعريف معنى كلمة "لمسة" فى قاموس "دى ليتريه" . المثير للانتباه أن القاموس لم ير فيها غير الجانب السلبى ، فاللمسة عبارة عن : "كتلة من الألوان لا روابط بينها ولاتناغم ، بينما جاء قاموس "روبير" أكثر حيادا ، فقد حدد اللمسة باعتبارها مساحة صغيرة من شكل ما أو لاشكل ، والمدهش أن "كاندنسكى" فى كل ما كتب لم يذكر شيئا بالاتفاق أو الاختلاف أو حتى ذكر للفظة "لمسة" على النقيض من عناوين كثير من ولحاته . منها على سبيل المثال : اللمسة السوداء



ارتجال رقم ٣٠ المدفع للفنان كاندنسكى

١٩١٢ . منظر ريفى باللمسات الحمراء ، واللمسة الحمراء ١٩١٣ . اللوحة ذات اللمسة الحمراء ، تصوير بثلاث لمسات ١٩١٤ . اللمسة ١٩٢٥ . الدائرة واللمسة ١٩٢٩ .. الخ .

عند هذه النقطة نستطيع أن نقول إننا بدأنا الآن رحلتنا فى لوحة "بقرة" .. فلنتقدم ، فما نزال بعيدين عن اكتشاف كل أسرارها !!

تعليق

ذكرتنى مقالة "جيلبير لاسكو" الأصلية بلوحات "كاندنسكى" المرتجلة التى أنجزها بين الاعوام ١٩١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، من حيث عفوية البناء ، والانتقال الخاطف ، غير المتوقع ، من فكرة الى أخرى . وتعد فى نهاية الأمر تخطيطا لمقال عن عمل فنى ، لواحد من أكبر مفكرى الفن فى هذا القرن .

إذن ما الذى دعانى الى تقديمها للقارىء ؟

– الذى دعانى الى ذلك ، ببساطة ، هو الاعتراف بالخطأ !

عندما التقيت باللوحة أخطأت الطريق الصحيح الى التوغل فى عالمها ، ونبهتنى المقالة الى ذلك . كنت قد توقفت عند موسيقى الشكل فنسيت فض أسرار الرموز !

الزميل

قصة قصيرة

بقلم:
سعيد سالم

بريشة الفنانة: سميحة حسين



نفذت في عينيه إلى عمق بعيد فلم تستجب خلجاتي لابتسامته العريضة، وانتابتني قشعريرة بالخلية

ضاعفت من شعوري بالانزعاج. فكان ذهنه يعمل بسرعة فائقة لايخطر ببالك أبدا أنني لرصدها في التو واللحظة. هناك سر غامض عجيب يكمن بداخلي في منطقة مجهولة، شبيه فعله بفعل جهاز السنسور والسنسور هذا جهاز شديد الحساسية شأنه أن يستقبل حركة أو ذبذبة ميكانيكية أو

تغيرا فيزيائيا أو كيميائيا لينقله بدوره إلى أجهزة أخرى تتحكم تبعا لذلك في بقية العمليات المتصلة به عن بعد. قال لي السر إن ابتسامة زميلي هذا زائفة لاتنبع من القلب. ورغم أن كلماته تبدو تلقائية ودودة الا أنني أرى وراء كل كلمة هدفا ووراء كل هدف محاولة مستميتة لتحقيقه ولو تم ذلك على حساب البشرية بأكملها. صافحني بحرارة فقال



الزميل

قصة
قصيرة

لى السر . إنه لايحبك وقلت للسر اننى أعرف ذلك . اعرف ايضا انه نجح بمهارة فى استغفال معظم الزملاء وخداعهم بتواضعه المتقن وأحاديثه المرحة حتى اكتسب احترامهم ـ وهذا مايسعده إلى حد الجنون ـ كما اكتسب محبتهم وان كانت لاتهمه كثيرا فالحب عند مثله من البشر عسير الإدراك ، وربما كان ترفا لاحاجة عنده إليه

اراه يضع « البايب » فى فمه ويتحدث بعظمة فارغة محاكيا أحد عظماء مصر الراحلين فلا استطيع الضحك منه كما لااشعر بالاشفاق عليه او الرثاء لحاله ، فجهازى السرى الحساس يلح على دائما بانه رجل غير حقيقى منفوخ بهواء فاسد .. هكذا كان حالى دائما مع هذا الزميل حتى اننى غدوت دائم التوجس من نظراته وأفعاله وافكاره ، سىء الظن به وبامثاله ممن توقع بهم الظروف فى مجال الرصد امام سرى العجيب .

منذ ايام قلائل اشتكى إلى من الفجوة « الصارخة » بين عقليته وعقلية زوجته ؛ ومن إهمالها لشئون بيتها . جاملته بحذر قائلا ان كثيرا من النساء فى هذه الأمور سواء . نسى انه كان فى الماضى القريب يعبر لى عن سعادته الشديدة بذكاء زوجته وبحياته الزوجية الخالية من الأطفال

قال لى السر انه يتمنى ولو طفلا واحدا ، لاحبا فى الطفولة او الأبوة ، وإنما تجنبا للشعور بالدونية امام بقية الرجال . ولما رزق بثلاث بنات صار يمتدح خلقة الإناث ويطرى فى محاسنهن ويصفهن بالرقة والحنان ، ناقما على خلقة البنين مستنكرا انانيتهم وجحودهم حينما يكبرون . ابرق لى السر بثغرة عاجلة تفيد بانه يتمنى الولد بحكم تكوينه الريفى من جهة ، ولانه دائم المقارنة بين ما لديه ومالدى غيره من جهة أخرى .

كنت الوحيد من بين الزملاء الذى لم تنطل عليه حيلة انانيته فى



اخفاء ماتعتمل به نفسه من متناقضات فى كل مايفعل ويقول . الفضل ازعمه لذلك السر الغامض الذى لاناقة لى فيه ولاجمل - هو شيء ولدت به فيما اظن وفطرت عليه ، وسواء اكان منحة من الخالق او عقابا منه فهو قدر ليس باستطاعتى أن اجابهه بالعناد او ان اتباهى بنسبة فضله إلى نفسى

★★★



قررت يوما أن ابحث عن حقيقة هذا السر حين شعرت انه ارهقنى وباعد بينى وبين الكثير من الزملاء . خيل إلى أنه مستتر وراء ماحدث بينى وبين البعض من قطيعة ، وأنه حائل عنيد بينى وبين حبى لهم وحبهم لى . ولقد تطور بى الأمر حتى اتهمت نفسى بشدة الغرور وسوء الظن بالآخرين . حينئذ قررت أن أتمرد عليه ، وان اتخلص من اثاره المدمرة على حياتى ، ولو اقتضى الأمر ان الغيه تماما من حياتى فلن اتردد . سوف اتعامل مع الكون باكمله متجاهلا ذلك السر الوحشى القابع : بشكه ومكره فى منطقة مجهولة من كيانى الإنسانى .

★★★

طالعنى الزميل بنفس ابتسامته العريضة فرأيت فى عينيه سعادة حقيقية ، ولمست فى مصافحته ودا إنسانيا صادقا ووجدت نفسى منساقا إلى الحديث معه بلاتحفظ فبثثت حياة تخلو من الود والمحبة ، قلت له إننى سكندرى الأب والجد وان لى من الأولاد ثلاثة ومن البنات واحدة . شكوت له من ضيق ذات اليد وضآلة الراتب الشهرى الذى لاحيلة لى سواه . حدثته عن منزلى الأنيق المرتب الذى تجتهد زوجتى - على قدر إمكاناتنا المتواضعة - فى جعله جنة تتهاوى السعادة بين اعطافها . رويت له قصة حبى لزوجتى قبل أن يجمع بيننا بيت الزوجية . أسمعته اشعارا مما حفظت وعلمته كيف يحرك مؤشر الراديو إلى محطة البرنامج الموسيقى ليستمع إلى « الكلاسيكيات الموسيقية الخفيفة » ، لم اجد صعوبة فى أن انقل إليه مشاعرى الصادقة تجاه الحياة

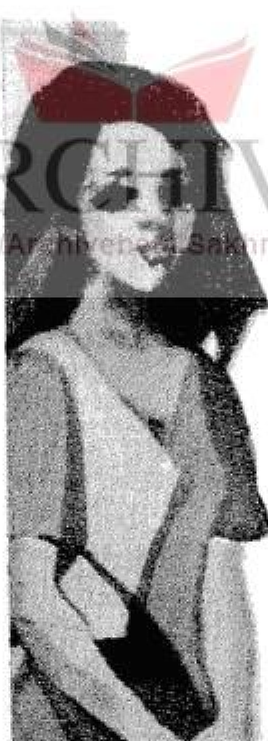
الزميل

قصة قصيرة

بوجه علم - مهما بلغت مصاعبها - فقلت له انها فترة جديرة بأن تعاش .

ويبدو انني في غمرة اندماجي معه غفلت عن متابعة اثر حديثي على عينيه ، لا لأنني تخليت عن سرى الشيطاني الخبيث ، ولكن لأنني لم اكن في الحقيقة مندمجا معه ، وإنما كنت مندمجا مع نفسي . كنت سعيدا بحالي ، تلك السعادة التي لايعرف احد لها سببا حين تاتي . حكيت له عن زياراتي للعديد من الدول الأوربية ، وعن حرصي على مراسلة الأصدقاء - رغم انشغالاتي الكثيرة - من جميع انحاء العالم . تشعبت الأحاديث وتفرعت فعرف انني من قراء التراث العربي والرواية العالمية ، وانني في لحظات الملل من الحياة اعزف على العود وفي لحظات الخوف منها الجأ إلى كتاب الله .

فجأة نظرت إلى عينيه فاصابتني رعشة من الخوف ارتجفت لها اوصالي . الخوف مماذا ؟ لم اعرف - فكرت في استلهام السر من جهازي الغامض . منقذي ولعنتي في ان



واحد . غصت بخوفي إلى اعماق سريرتي وقد استبدت بي رغبة عارمة في العدول عن قراري ، ولكنني لم البث ان طفوت إلى وعيي من جديد . تخلصت من قلقي او تخلص القلق مني دون ان اعرف كيف ، وعاودت الحوار مع الزميل .

حدثني عن الأراضي الزراعية التي ورثها عن ابيه ، وعن فقراء قريته الذين يفدون إلى منزله بالاسكندرية من حين لحين فيقدم لهم العون بصوره المختلفة ليعودوا إلى قريتهم راضين . قال انه متمسك بوظيفته في المؤسسة التي نعمل بها كشكل اجتماعي فحسب ، لكنه ليس بحاجة على الاطلاق إلى جنيه واحد من راتبه لم استطع ان احجب عن ذاكرتي عدة مواقف سابقة اوحت لي من قبل انه يهتم بكل قرش يصرفه من خزانة المؤسسة ، وانه يحفظ عن ظهر قلب كل بنود

الخصم من الراتب الأساسي بنسبها المئوية الثابتة والمتغيرة .

تصدع جدار الطمأنينة وأصبح وشيكا أن يتهاوى أمام عيني . فرض السر نفسه على من جديد . لعنت نفسي وقلت إن هذا الزميل أفاق كبير . بالسر وبدونه أفاق ، ولن أسمح لنفسي أن تستخف بعقلي أو تحط من شأنه مرة أخرى .



فى نهاية اللقاء فجئت به يربت على كتفى فى حنان أخوى بالغ أصابني بشعور عميق بالذنب ، لأنني ظننت به السوء فربما يكون المسكين بريئا من غرور سرى القابع فى عمق المجهول .

تأرجحت بى الظنون فى لحظة من لحظاتى الصفرية بين ما أضمرته نواياى الطيبة ، وبين نبضات السر المنتثرة بجهلي وانسياقى وراء عواطفى . رأيت الا مبرر لما أعانى من عذاب التردد الذى لم يسفر يوما عن الرسو على بر . وقلت إن طمأنينتى لن تتألق قبل أن أضع سرى موضع الاختبار العملى ولو لمرة واحدة . وليكن هذا على ضوء آخر ما صرح به الزميل من قول . سوف أبذل المستحيل حتى أعرف الحقيقة . أينا على صواب : أنا أم جهازي السرى الغامض . كان محتما أن أبدد الأوهام وأمحق الشك والظنون فى تواصلى مع الناس . وكان طبيعيا أن أتحرى عن حياة هذا الزميل بكل وسيلة متاحة . لم أشعر أننى أتجسس على شريك لى فى الإنسانية ، وإنما كنت واثقا أننى مسخر بقوة هائلة لتأدية مهمة تخلو من دوافع الشر تماما . إنها مهمة حب بالدرجة الأولى ، من دونها لايحلو طعم للحياة .

★★★

قال البعض أن أباه كان يعمل خفيرا لدى أحد الأغنياء وأنه داوم على سرقته عاما بعد عام وقال آخرون أنه ورث بالفعل ممتلكات عديدة عن هذا الخفير . لم يكن يعنيني فى المقام الأول مدى شرعية ميراثه ، وإنما كان يعنيني أن أعرف هل هو ميسور الحال أم أنه فقير مثلي ولكنه يتباهى بما لدى غيره كما تتباهى الصلعاء بشعر بنت أختها توصلت فى النهاية إلى أنه يعيش حقا فى

الزميل

قصة قصيرة

بحبوحة وإن كانت مجهولة الشرعية وإن كان حجمها اقل نسبيا مما ادعي . على اى حال فالرجل صادق إلى حد كبير ، اما الكاذب فهو ذلك السر اللعين الذى اسلمت له مقاديرى فاصابني بالانتفاخ والغرور والادعاء بالنفاذية إلى سرائر الغير .

لم اكتف هذه المرة بمصافحته عندما



طالعني بابتسامته المعهودة ، وإنما اندفعت نحوه فقبلته ، واللعنة على تلك الهواجس الكريهة التى تنتهي بالمرء إلى عزلة عن الحياة باردة اشبه بالموت . عندما كنت اتحدث معه من قبل عن سفاراتي إلى الخارج كانت نظرات عينيه مختلفة تماما عن اليوم . اليوم قررت أن هذا الزميل يحبني بصدق . سالني ببراءة عن التناقض بين إمكاناتي المالية وتلك السفارات المتعددة . اجبته بنفس النبرة التى اجبت بها اخى من قبل قائلا إنني بعد انصرافي من المؤسسة اعمل بمكتب فني يديره مهندس شهير ـ وانت تعلم ياأخي ان راتب الحكومة لايكفي وان الله امرنا ان نتحدث دوما بنعمته . لقد اصطحبني هذا المهندس معه في رحلاته الاوربية كمستشار فني له والا ماتحقق هذا الحلم يوما في حياتي . ولقد ايقنت شدة براءته حين سالني بابتسامة رائعة عن سر التفاف نساء المؤسسة من حولي وعن شدة ثقتهم بارائي ورغبتهم الدائمة في الافضاء إلى باسرارهن . قلت له لاتظن بي السوء ياأخي فإني اخاف الله واحب زوجتي ، وإنما المسالة انى انفذ بيسر إلى قلوبهن واحس بوجيعتهن ولا افتقد رايا سديدا أسديه إلى اى منهن حين تطرح على خصوصية من خصوصيات حياتها في ثقة وامان . ولاشك ان تاريخي بالمؤسسة يخلو من مجرد إشاعة عن علاقة خاصة ربطت بيني وبين احداهن في يوم من الايام .

خلال حوارنا قدم خبير كندي ممن يعملون معنا بالمشروع الجديد

للمؤسسة فتبادلت معه حوارا عاجلا حول سيرة العمل . حين انصرف الخبير كان زميلي عاجزا تماما عن إخفاء ذهول غريب اكتست به معالم وجهه المستطيل ونطقت به عيناه الغائرتان في إلحاح يصعب قمعه . والحقيقة أنني لم اكتشف لهذا الذهول سببا .. ولولا انهيار ثقتي بالسر وسحب اعترافي به لأرجعت ذهول الزميل إلى مفاجآته بمهارتي الشديدة في التحاور بالانجليزية التي يعجز هو عن التحدث بها دون تعثر او أخطاء .

★ ★ ★

غير أن مرور الأيام وتتابع الأحداث والمواقف لم تأت جميعا إلى بيقين - فلتذهب تحرياتي إلى الجحيم . منذ متى اخضعت أسرار الحياة إلى حكمة العقل ونتيجة التجربة فقط ؟! .. قرون استشعاري تؤكد لي صدق سري وحساسية جهازي العجيب . لو اشرقت الشمس من الغرب فلن تهتز ثقتي بكذب الزميل وصدق السر . صحيح انه لم يتعمد أيذائي يوما ، لكنه - يقينا - قد فكر في ذلك أو حاول . صحيح انه حاول مساعدتي اكثر من مرة في أكثر من مناسبة ، لكن نية المساعدة لم تكن كريمة البواعث .. كيف عرفت هذا لست ادري وكيف اوقنه لست ادري . ويوما جاءني الزميل متهللا وجهه بالفرحة حين قال لي في هيستيرية مزعجة

- ألا تهنئني .. لقد انجبت ولدا .

ويوما آخر علمت من احد الزملاء انه التحق سرا بأحد معاهد اللغة الإنجليزية ، كنت قد نصحته قديما بالالتحاق به لتحسين لغته لكنه تجاهل النصيحة وانحرف بالحديث إلى موقع آخر .. ورغم إدراكي انه غير ملزم بإطلاعي على شئونه الخاصة ، ورغم احترامي لحرية كل إنسان في اختيار كيفية حركته في الحياة ، إلا انني توقفت طويلا امام تلك الواقعة وكأنني قطعت على نفسي عهدا بألا استريح قبل ان اكتشف الحقيقة .

تعددت بعد ذلك أسفار الزميل إلى نفس البلاد التي زرتها من قبل مع المهندس الشهير ، ولما تعجبت من غرابة الحال قال لي إنها مجرد مصادفة .. غير أن مصادفات مماثلة اخذت تترى الواحدة وراء الأخرى حتى جاء يوم جمع فيه بيننا مجلس مع بقية الزملاء نظرت كعادتي إلى عينيه والحيرة تعتصر قلبي . شعرت انني على وشك الإمساك بالحقيقة بين يدي .. لقد تلاشت ابتسامته العريضة !

★ ★ ★



محمود الشريف

فنان الأغنية الشعبية

مات الملحن الكبير محمود الشريف في الشهر الماضي وهو لا يملك شيئا .. حتى الجائزة التقديرية التي لا تسمن ولا تغني من جوع لم يقبض منها مليما واحدا .. وهذه إحدى مفارقات هذا الزمن الذي صار فيه ملحنو التفاهات التي تباع في أشرطة الكاسيت ، يكسبون عشرات الألوف ، ويجمعون هم والغربان الذين يرددون ألحانهم ملايين الجنيهات ..

كان محمود الشريف أحد ملحني الرعيل الأول الذين نهض على أيديهم الغناء العربي المتقن في الخمسين عاما الماضية ، وبرز هو من بينهم بالتفوق في تلحين الأغنية الشعبية المتطورة ، متقدما خطوة بعد الخطوة التي تمت على يد سيد درويش ومعاصريه ..

وامتازت الأغنية الشعبية التي صنعها محمود الشريف ، بجمعها بين المعاني الشعبية والحرارة العاطفية ، وتنسيقها بين التعبير والتطريب ، إذ لا تعارض بينهما في الغناء العربي الحقيقي ، ومن أوتار عود محمود الشريف خرجت الأغاني الشعبية التي أطربت الجماهير ، بأصوات محمد عبدالمطلب وعبدالغني السيد وابراهيم حمودة وشادية وصباح وغيرهم ..

إن الغناء الشعبي هو فرع أصيل من الغناء العربي المتقن ، وليس في تراث كبار الملحنين أثر للتفرقة بين ما أنتجوه من ألحان القصائد والموشحات والأدوار ، وبين ما أنتجوه من الأغاني الشعبية ، فإن الينبوع الذي يستقي منه الملحن العربي هذين اللونين ، ينبوع واحد ، والمستمع العربي يتلقى اللونين معا ويحتفي بهما جميعا .

وقد كان محمود الشريف أحد الملحنين المطبوعين الكبار الذين جمعوا المقدرة التامة على تلحين الأدوار والموشحات والقصائد ، والمقدرة التامة كذلك على تلحين الأغاني الشعبية .. وعاش مخلصا لفن الغناء العربي المتقن ، ومات في عصر انهيار هذا الفن الجميل العريق ! ..

شهريات

أى فن الثقافة

الوجود الثقافى المصرى فى العالم الخارجى

قد يكون الاستاذ «محمد غنيم» وكيل وزارة الثقافة للعلاقات الخارجية الجديد أعلم منا جميعا بمعنى «الثقافة» ، وقد يكون اكثر الاداريين الذين تكتظ بهم مكاتب وزارة الثقافة قدرة على الحركة وله دراية كبيرة بالعلاقات الخارجية الثقافية بين مصر وبلاد الدنيا لم تتوفر لاحد قبله .

وقد يكون هذا صحيحا ، وقد تكون البيانات المتوفرة لديه عن بؤر النشاط المهتم بثقافتنا فى دول العالم ، وهى اخر البيانات واكثرها دقة ، لكن هناك عدة ملاحظات نؤكد عليها من سياق تصريحاته واحاديثه المتتالية منذ يوليو الماضى ، ومن سياق حركته فى الداخل ، ولنبدا اولا بهذه .

فمنذ توليه مهمام منصبه لم نسمع انه اتصل باى من المثقفين المصريين الذين لهم خبرات واسعة فى مجال النشاط الثقافى المصرى فى الخارج ، خاصة من المبدعين الذين زاروا بلاد العالم ، إما بدعوات خاصة ، او بدعوات عامة سابقة ، فلابد ان لديهم ما يقولونه له : عن الاخطاء ، والمزايا ، والامكانيات المهدرة ، وتلك التى تحققت طوال السنين الماضية (والعبد لله ليس واحدا من هؤلاء حتى نكفى على الخبر ماجور) .

ونعتقد ان هؤلاء هم الاعلم بما تحتاجه ثقافتنا لكى توجد بشكل ملحوظ فى الخارج ثم انهم هم اصحاب المصلحة الاولى والأخيرة فى هذا المجال .

الملاحظة الثانية تنصب حول تصريحه فى الأهرام (١٢ ـ ٨ ـ ١٩٩٠) والذى جاء فيه : «العلاقات الثقافية الخارجية بدات مع ميزانية الدولة الجديدة فى اول يوليو الماضى .. وقد طرا عليها تغييرات جوهرية من جهة الملامح الاساسية التى تختلف هذا العام عن اية سنة ماضية ،، والمخيف فى هذا الكلام هو انه على الرغم من ان يوليو لم يكن قد مر عليه اكثر من نصف شهر الا ان التغيير «جوهرى» .. و«مختلف» عن اية سنة ماضية ، وهى لهجة تجعل اى مثقف نابه يرتاب فى هذا «التغيير الجوهرى» لأنه اذا كان «تغييرا» و«جوهريا» فلابد ان تسبقه فترة كافية من الدراسة ، والتحصيل ، واستطلاع آراء الآخرين ، ثم التنفيذ الذى لابد فى حاجة الى وقت حتى تظهر نتائجه .

شهريات

اشارات ثقافية

لكن وكيل وزارة الثقافة يعترف ، وهذه ملاحظة ثالثة ، بأن «الحدث العظيم بحصول نجيب محفوظ على جائزة نوبل لم يستثمر الاستثمار الواجب ، وان كان هناك بعض الاحتفالات وحفلات التكريم التى اقيمت داخل وخارج الوطن» .

وهذا الكلام ايضا يصب فى نفس المعنى : ان كل ما حدث قبلى هو لاشىء ، وما اقوم به هو «الجوهرى» وهو «التغيير الحقيقى ، وعلى اى حال فنحن اذ نحذر من هذه اللهجة ، فاننا نتوقف امام هذه التصريحات التى يحمل الاستاذ محمد غنيم نفسه بها مسئولية من نوع خاص ، مسئولية التغيير الحقيقى والجوهرى كما اسماه هو بنفسه ، فهل سيتحقق من هذا التغيير الجوهرى شىء فى نهاية السنة المالية فى نهاية يونيو القادم ، كما قال هو ، باعتبار ان الادارى الحصين لا تطرف له عين عن السنة المالية ؟

فلننتظر ونرى .

● عبده جبير

● مسرح ●

عرض حكايات حارتنا عن مجموعة نجيب محفوظ



حكايات حارتنا

يقوم هذا العرض الذى يقدمه المسرح الحديث على مسرح محمد فريد الشتوى على مجموعة «حكايات حارتنا» لنجيب محفوظ ، وهى حكايات بسيطة وقوية يسهل على القارىء فهمها رغم عمق مضمونها . فهل استطاع الفنان (كمال الدين حسين) معد ومخرج هذا العرض المأخوذ عن هذه الحكايات أن ينقل هذه السمات التى يتميز بها النص الأصلى ؟

يقدم المعد المخرج عرضه فى إطار ديكور قدمته مهيرة درار حارة تاريخية بها المقهى التقليدى «مقهى الحياة الجميلة» ، ومن خلال فرقة شعبية من أبناء الحارة .

شهريات

اشارات ثقافية

ونتعرف أولا على شخصيات الفرقة وهم : الغازية والمغنية جليلة محمود والريس - صاحب الجوقة ، والبهلول ، ومحروس مغنى الفرقة (على حميدة) ، والمدام (زينب يونس) مغنية الفرقة ، و(المايسترو زعبوالله) . تقف الفرقة ويقدمون أنفسهم .. فالفرقة جاهزة لتقديم حكايات الحارة - حارة أولاد البلد الجدعان وأحلى التقليعات .

يتخذ العرض شكل الفرجة الشعبية ويتفقون على أن يستشيروا المشاهدين إذا اختلفوا .. لكن لا تتم المشاركة بين خشبة المسرح وجمهور الصالة !! إذ نجد أن المعد المخرج قد دمج قصص (حكايات حارتنا) الثماني عشرة فى عشر حكايات قسمها فى جزءين ، ينقسم اليهما العرض .. كل جزء خمس حكايات او كما يسميهم المعد (خمس تقليعات) ، ويبدأ محروس (على حميدة) فى العزف على العود ، وتستمع الصالة إلى فاصل طرب فردى واغنية (محتارة أوصف فيكى يامصر محتارة) ثم يقدمون (تقليعة التكية) فى حى الجمالية التى يحوطها سر كبير . فسكان التكية احباب الله وملعون من يحاول أن يعرف سرهم ، ويدخل البهلول التكية ، وكذلك يحاول الفلاحون دخولها ليصبحوا سكانها .

وينتقل العرض إلى تقليعة ابراهيم القرد وهو شحاذ فتوة مكفوف ، ويقوم بدوره الفنان (محمود العراقى) - (الممثلون فى هذا العرض يقومون باكثر من دور ونرى (ابراهيم القرد) يفرض جبروته على متسولى الحارة ، ويحصل على الصدقة قسرا ، ويأتى متسول آخر فيضربه ابراهيم القرد ، ويغازل زينب بنت عيوشه (جليلة محمود) ، وننتقل إلى (تقليعة عن النسوان - وهى تقليعة توحيدة بنت أم على بنت عم رجب) التى اشتغلت فى الديوان وأصبحت تعمل فى الحكومة وتجالس الرجال ، وينعى أفراد الفرقة حظ الحارة التى انقلب حالها وأصبحت البنت مثل الافندية .. وفى نفس الوقت نجد الزوجة المصرية (زينب يونس) التى سافر زوجها إلى الخارج فتزوج أجنبية ، ويتم (دور ردح) بين الزوجة المصرية والاجنبية يتلوه استعراض لرقصة أجنبيـة .. والتقليعة الرابعة هى تقليعة (انيسة بنت امينة الغسالة) وهى غازية فى فرقة محبظاتيه قرر (المعلم) أن يتزوجها ويجعلها تتوب عن الرقص ، بينما انيسة مازالت لعوبا ، وينتهى الجزء الأول بتقليعة عن اعظم قصة حب (سنية وادريس) ، وفى هذه التقليعة يستخدم المخرج (الاراجوز) و (الخليوص) ، وتدور القصة حول (ادريس) الذى يحب (سنية) ويريد أن يتزوجها فيرفض أبوه أن يزوجها له ، ويرحلان عن الحارة ، وتمر السنين ، ويعود إدريس شيخا يبحث عن حبيبته فيجدها مازالت بانتظاره وفية على عهدها ولم تتزوج طوال هذه السنين ، وتقيم لهما الحارة حفل زفاف ، ويتخلل ذلك اغنية لمحروس (على حميدة) ، واستخدام للاراجوز وخيال الظل ..

ويبدأ الجزء الثانى بتقليعة (الدنانيرى)

فتوة الحارة ، وتشرح فرقة الحارة الفرق بين الحكومة المكونة من ملك ووزير ووزارة فى حضن الخواجات ويجمعون (المكوس) ، وبين (حكومة الفتوات) التى لها قوانينها فى فرض الإتاوات ويحكمون الحارة بالحديد والنار .. ومن خلال (الدنانيرى) نتعرف على تقليعة (زيان ابن حميدة الدلالة) الذى يريد أن يقابل الفتوة الدنانيرى ليكون من بين خدمه ورجاله فيطلب منه الدنانيرى أن يقتل حبيبته بنت ام على الداية فيرفض ، وكذلك نتعرف على تقليعة (زواج هنية) من حبيبها (حمام) ضد إرادة الفتوة (الدنانيرى) .. ويسخر الدنانيرى فى فصل من فصول تقاليعه من ناظر المدرسة (عبدالحى عزب) ومن العلم والتعليم .. وتقدم الغزية (جليلة محمود) تقليعة عن الحكومة والناس الذين من حول الحكومة عن (أبورابية) وهى تقليعة الحكومة الشعبية ـ حكومة الفتوات ـ إذ يتفق مجموعة من الشبان العاطلين معا ان يعاكسوا بنت الحارة (عنباية) على أن يتصدى لهم (سلامة الجحش) ويضربهم فيصبح بعد أن يضربهم علقة ساخنة ـ فتوة الحارة وحاميها وتكتشف أنهم أتفقوا على هذا الملعوب لأن (الجحش) رفاقه عاطلون يبحثون عن وسيلة لكسب العيش وذلك عندما يدخل فتوة حى آخر هو (فتوة العطوف) وتتكشف لعبتهم المزيفة .. وأخيرا يقدمون تقليعة (ثورة سنة ١٩) بعنوان (ثورة فى الحارة) وتقدم لنا هذه التقليعة كيف يفقد أب بسيط ابنه فى المظاهرات ضد الإنجليز حين يشتعل حماس الوطنية والفداء فى الحارة وينشدون أغنية وطنية ، وتطرح الفرقة قضية "فكما أن بالحارة جوانب سلبية



زينب يونس وجليلة محمود
"حميدة" فى حكايات حارتنا

تحب الشر ، وتغلب وجود الشر أكثر من الخير يمثله بعض أعضاء الفرقة ، ففيها جوانب إيجابية ، تغلب وجود الخير على الشر .." ويغنى محروس (على حميدة) أغنية وطنية هزيلة أقرب إلى أغانى الديسكو والكاباريهات .. بالإضافة إلى أن صوته أضعف من أن يؤدى أداء قويا .

ويتحمل المخرج والمعد ، وهو أيضا مصمم الرقصات والملابس مسئولية تقديم هذا العرض بهذه الصورة الهزيلة .. فالإعداد لم يركز فى قصة أو قصتين أو حتى ثلاث ، فكل حكاية من حكايات حارتنا تصلح لعمل عرض مسرحى ـ لكن تناول عشر موضوعات أو تقليعات بسرعة وبشكل سطحى وعابر واكتفى بالزخرفة الشكلية باستخدامه لعناصر الفرجة الشعبية من أراجوز وخيال الظل وسامر ومحبظاتية وبهلول وكسر لحائط الايهام ..

أما الإخراج ، ونتيجة لازدحام العرض بالشخصيات والأحداث وألوان الفرجة الشعبية ، فقد بدا مكتظا ومترهلا مما أثر كثيرا على إيقاعه ، وبدت الحركة مرتبكة وقلقة وكيفما اتفق ، وتفتقد كذلك للتناغم .. ويبدو هذا فى مجموعة

اشارات ثقافية

الرقصات التي صممها المعد المخرج فقد بدت منفصلة وتقليدية ، ومستقلة في حد ذاتها ولا وظيفة لها ، وكذلك الأغاني والألحان (اشعار : سمير الطائر ـ الحان : علي حميدة) .

ويبدا هذا الانفصال في عنصر التمثيل الذي لجأ فيه الممثلون إلى الحديث مع الجمهور عن شخصياتهم الحقيقية ، واستغلال شخصياتهم الحقيقية كسماء ونجوم في استجلاب الضحكات والقفشات ، وان برز في الأداء الفنان محمود العراقي ، وفي الغناء الفنانة (زينب يونس) ، ولم تؤد عناصر الفرجة الشعبية من (اراجوز وخيال ظل) وخلافه ـ وظيفتها لأنها جاءت مقحمة وليست في المكان المناسب ، وكان من الممكن الاستغناء عنها .. واستبدالها بالأسلوب الذي ساد العرض كله .

إن كان ثمة اسلوب في العرض ـ فعناصره جميعا منفصلة عن بعضها ولاتخلق التناغم والاتساق المطلوب ـ وذلك لكي يبدو العرض اكثر اتساقا وتماسكا ..

● عبدالغني داوود

تأجيل مهرجاني «المسرح التجريبي» والاسكندرية السينمائي

نرجو أن تعيد وزارة الثقافة المصرية النظر في مسالة تأجيل مهرجان المسرح التجريبي إلى أجل غير مسمى ، وأمامها فرصة لتعديل الموعد الذي نرجو أن يكون في القريب العاجل ، فالأزمة الراهنة وإن كانت ستؤثر على بعض فعاليات هذا المهرجان ، إلا أنها تقتضي أن تساهم الثقافة بدورها في هذه الأزمة عن طريق التأكيد على دور مصر الحضاري الذي نعتقد أنه يجب في الأزمات أن يقوى ويشتد ، بدلا من أن يتقلص ويتلاشى ، وإلا فإن معنى هذا أننا نعتقد في الثقافة . بأنها مجرد ترفيه عن مواطنين كسالى يحتاجون للتسلية في ظروف استرخائهم ، وليست عاملا أساسيا لدفعهم للمشاركة والنهوض وممارسة النشاط الذهني .

فالنشاط الجاد هو المطلوب الآن ، وكان اولى بالوزارة أن تقلص حجم هذا التهريج المسرحي الذي تضج به خشبات المسرح الآن في هذا الصيف الساخن ، ولمسارحها قدر لابأس به من النشاط غير الجاد .

كذلك كان من الخطأ أن يؤجل مهرجان الاسكندرية السينمائي لنفس الأسباب السابقة ، والله أعلم .

● غناء ●

« أنت عمري » بين وديع الصافي وأم كلثوم

لاشك أن "وديع الصافي" فنان كبير ومتميز الاداء ، هو مدرسة لها طعمها وملامحها الخاصة ، لذلك فإن اي "خطأ" يقع فيه هو موضع نظر اشد ، لانه موضع انتظار جاد وكبير .



ام كلثوم



وديع الصافى

وما يدعونا لقول هذا هو ماقام به الفنان الكبير من اعادة لأداء اغنية ام كلثوم الشهيرة "انت عمرى" بصوته ، فقد وضع "وديع الصافى" نفسه فى موقف محرج للغاية ، فلا كلمات الاغنية التى تنوء ببوح "حبيبة" فى شوق جارف لحبيبها كانت مناسبة لرجل صاحب صوت عميق مجروح ، ولا ان تنهدات ام كلثوم الساحرة يمكن التعبير عنها بهذا الصوت العميق ، لذا فقد جاء اداؤه مفتعلا ، وتنهداته متقطعة ، حتى ان المرء ليندفع فى حالة من الضحك ، ثم مايلبث ان يرثى لهذا الصوت العميق غير المناسب لهذا اللحن الساخن الذى وضعه محمد عبدالوهاب على قدر صوت ام كلثوم وقدراتها الفريدة فى الاداء . ومن يسمع الاغنية من وديع الصافى يبدو له وكانها صادرة عن اسطوانة مشروخة ، وصوت متعب ، ينزف ، وكانه فى الرمق الأخير من الحياة ، فى الوقت الذى لاشك ان وديع الصافى فنان عظيم .

لقد تساءل كل الذين سمعوا هذه الاغنية لهذا الأداء وكلهم حب لوديع الصافى . لم يسىء الرجل الى نفسه ؟

• مجـلات •

الصحفيون ثلاثة أعداد فى عدد واحد



لاشك انها واحدة من افضل المجلات العربية ، على الرغم من انها جاءت لتغطى احوال "صاحبة الجلالة الصحافة" ، لكنها استطاعت وخلال خمسة اعداد فقط ان تثبت ان الصحفيين المصريين قادرون وحتى باقل الامكانيات ، اذا ما توفرت لهم اجواء اتقان العمل ، على انتاج منابر تليق بهم وبالتاريخ الواقف خلفهم .

وفى هذا العدد الجديد الذى ضم ثلاثة اعداد فى واحد ، نقرأ :

"الصحفيون يعانون من السباق المخيف بين الأجور والأسعار ، تحقيق منى التاجى ، وتطالع وثيقة عن استقالة احسان عبدالقدوس من مجلة الزمان ، وصحف المعارضة المصرية باللغة الروسية لناهد عز العرب ، ولقاء مطول على المصطبة مع منصور حسن اجراه صلاح عيسى وسعد ابو النصر .

ودراسة لويس جريس عن دنشواى والوجه الآخر للصحافة المصرية ، و"هل تفسد الصحافة الأدب" تحقيق بهيجة حسن ، وفصل من السيرة الذاتية لمحمد العزب موسى ، وعرض لرسالة جامعية عن صورة الاسلام فى الصحافة الامريكية ، وغيرهما من الأبواب الثابتة ، وكل مانرجوه ان تعود "الصحفيون" للصدور شهرية مرة أخرى .

على الراعى تكريم من « أدب ونقد »

العدد الستون من مجلة "أدب ونقد" التى يصدرها حزب التجمع برئاسة تحرير الناقدة المعروفة "فريدة النقاش" تضمن ملفا خصصته المجلة للاحتفاء بعيد ميلاد ناقدنا الكبير الدكتور "على الراعى" السبعين ، وقد جاء فى مقدمة الملف :

تود أدب ونقد ان تعبر عن تقديرها وحبها البالغين لهذا الرجل الفريد : الناقد الذى إغنى حياتنا الفكرية والمسرحية بإسهامات تظل احد اعمدة التاسيس فى حركتنا الثقافية حتى الآن ، المثقف الملتزم الذى رافق وساهم فى ـ الحيوية الثقافية والمسرحية فى الخمسينات والستينات ـ بفكره ورايه وإدارته ونقده وتوجيهاته وتاصيلاته النظرية .

كما يضم الملف نص الكلمة التى كان الدكتور الراعى قد القاها فى حفل تكريم



د . على الراعى

المسرحيين المصريين "يوليو الماضى" بمناسبة يوم المسرح المصرى ، وقد تم تكريمه مع لويس عوض ، وفؤاد دوارة ، بالاضافة الى دراسة عن كتاب الدكتور على الراعى "المسرح فى الوطن العربى" الذى كان قد نشر منذ وقت فى سلسلة "عالم المعرفة" الكويتية ، وهى الدراسة التى كانت قد نشرها فاروق عبدالقادر فى مجلة "شئون عربية" اللبنانية عام ١٩٨١ .

مكتبة الهلال



الكتاب : كليوباترا وانطونيوس
تاليف : د . احمد عتمان
الناشر : دار ايجيبتوس - مصر
٥٢٦ ص ، ١٥ ج م .

هذا كتاب فيه جهد كبير على كل المستويات ، فعلاوة على ان مؤلفه الدكتور احمد عتمان استاذ ورئيس قسم الدراسات اليونانية واللاتينية بكلية الآداب (جامعة القاهرة) قد بذل في كتابته واعداده للنشر خمس سنوات كاملة ، فهو ايضا قد ضمنه عددا كبيرا من اللوحات والرسومات والصور التي جسدت وسجلت كل ما ورد به ، سواء بالنسبة لكليوباترا او انطونيوس او الاشخاص الآخرين المهمين في الموضوع ، صور اثرية واخرى ماخوذة عن افلام او مسرحيات ، وثالثة ماخوذة عن لوحات فنية عالمية او محلية .

ورغم ان هذه الطبعة التي نعرض لها هنا هي الثانية للكتاب ، الا ان الاولى التي ظلت قابعة في المطبعة اربعة اعوام جاءت في صورة مزرية ، فبعض الصفحات بيضاء لا تقرا ، وصفحات اخرى مقلوبة او معوجة السطور ، وبعض الفقرات سقطت سهوا لذلك فان المؤلف يعتبر ان هذه هي الطبعة الحقيقية الاولى ، وهي فعلا كذلك فقد جاءت خالية من العيوب .

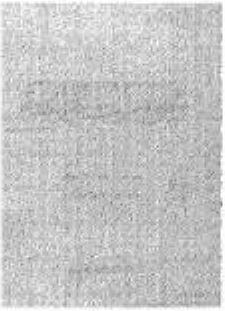
على اى حال فان الكاتب يهدف بدراسته الى «تبيان ما يمكن ان تحدثه الثقافة الكلاسيكية (اليونانية واللاتينية) في عالم التاليف المسرحي العربي ، واخترنا موضوع كليوباترا بالذات لانه تاريخيا يشكل جزءا من تراثنا القومي ، والغريب انه في حين كان هذا الموضوع ولا يزال مفضلا في عالم الادب والكتابة الدرامية في اوربا فانه لم يحظ حتى الآن عندنا بالرعاية والعناية اللائقتين لدى كتابنا وادبائنا الى درجة ان «مصرع كليوباترا» لاحمد شوقي تقف وحيدة بلا منازع ، وكان من المفروض ان تكون واحدة من بين اوراق شجرة كبيرة كثيرة الاغصان .

من اجل هذا اعتمد المؤلف على نص سيرة بلوتارخوس لانطونيوس وتعرض فيها لكليوباترا ، وهو من خلاله حاول ان يرسم صورة مفصلة للاحداث التاريخية والخلفية النفسية لقصة كليوباترا وانطونيوس ، ونص بلوتارخوس هذا هو الذي شكل المادة الخام الذي صاغ شكسبير منها مسرحية «انطونيو وكليوباترا» ، كما سبقه في ذلك ولحقه مؤلفون كثيرون منذ عصر النهضة وحتى الآن .

يعرض الكتاب اذن لفن بلوتارخوس وشكسبير واحمد شوقي في اعمالهم التي استلهمت حكاية كليوباترا وانطونيوس في دراسة مقارنة من الناحيتين الفنية والتاريخية .

شهريات

مكتبة الهلال



الكتاب : مجوهرات الفراعنة
ترجمة وتحقيق : مختار السويفي
مراجعة وتقديم : الدكتور احمد قدري
الناشر : الدار الشرقية – مصر
٣٤٢ ص ، ١٥ ج م .

يقول الدكتور احمد قدري في تقديمه للكاتب والكتاب :

«عرف الاستاذ مختار السويفي بالعديد من مؤلفاته ومترجماته في علم المصريات ، وهو يقدم لنا اليوم ترجمة وتحقيقا لكتاب جديد يتضمن موضوعا بالغ الاثارة في مضامينه التاريخية والاثرية والفنية على حد سواء وهو كتاب لعالم المصريات البريطاني المعروف «سيريل الدريد» الذي توالت مؤلفاته في علم المصريات ، وهي مؤلفات عديدة ودقيقة اصبحت تشكل ركنا هاما في ادب المصريات خلال العشرين عاما الماضية ، واثرت واقع هذا الادب .

يتضمن الكتاب اذن .. عرضا شاملا لمادة مشوقة ، فضلا عن الدقة العلمية والاكاديمية التي تناول فيها المؤلف والمترجم – بالهوامش الغزيرة التي اضافها – ذلك الفرع الجذاب من الفن المصري القديم ، وهو الحلي والمجوهرات في مصر القديمة ، وهو موضوع جدير بالاهتمام ، يعكس اصالة الحضارة المصرية القديمة باعتباره نبتا اصيلا في التربة المصرية .

والكتاب يعد نادرا في بابه فهذا الموضوع لم تتوفر له مؤلفات يستحقها ، اللهم كما يقول المحقق الا بعض المعلومات المختصرة في بعض كتب التاريخ المصري القديم ، بعض الموسوعات والكتالوجات ويقول المترجم :

وقد التزمت بمنهجي الخاص في جعل الترجمة اقرب ما تكون الى التحقيق حيث اقدم للقارىء متن الكتاب الاصلي مع اضافة هوامش توضيحية كثيرة لشرح المعلومات او المصطلحات التي ترد بالنص الاصلي كاسماء الاعلام والشخصيات والاحداث والمواقع الاثرية وغير ذلك من البيانات .

جدير بالذكر ان الكتاب يضم ١٧٣ صورة منها ١٠٩ صور ملونة .

●●



الكتاب : تحولات الرواية العربية
تأليف : عبد الرحمن ابو عوف
الناشر : دار الغد ـ القاهرة .
١٤٥ ص ، ٣٠ ج م

بعد كتابه الهام (البحث عن طريق جديد للقصة القصيرة المصرية) يضيف الناقد المعروف عبد الرحمن ابو عوف هذا المؤلف الجدير بالتقدير والاعتبار وهو يواصل فيه نتاج كتاب جيل الستينيات الروائي بعد ان كان قد تناول في مؤلفه الاول نتاجهم في مجال القصة القصيرة ، وذلك من منطلق دور ومسئولية المتابعة والدرس والتحليل والتقييم الدءوب .

فنجده هنا يكتب عن اشكالية بعدى الواقع والاسطورة في ادب الطيب صالح ثم يقف وقفة متانية امام موضوع هو من اكثر الموضوعات التباسا في الراوية العربية المعاصرة ونعنى به موضوع غربة الثورى العربى فى الرواية العربية عند كل من جبرا ابراهيم جبرا ، وحنا مينا ، وغسان كنفاني ، وغالب هلسا ومالك حداد .

بعد ذلك نجده يتناول روايتي سليمان فياض «اصوات» و «القرين» من زاوية ابعاد الحلم والواقع ، كما يعرض لمصداقية الرؤية في العالم الروائي لبهاء طاهر ، وتبدلات الواقع المصرى في القرية والمدينة في روايات محمود دياب ، ثم تجليات جمال الغيطاني ورؤيته الصوفية ، كما يعرض لموضوع انشودة الموت في رواية «طرف من خبر الآخرة» لعبد الحكيم قاسم .

وفي الفصل الاخير من كتابه يعرض الناقد للقضايا النظرية في الرواية العربية ، كما يكتب عن التجريب في الرواية المعاصرة .

ان عبد الرحمن ابو عوف في هذا الكتاب الفريد من نوعه يهتم كثيرا ويضع يده على حقائق جوهرية من ناحية الانجاز الجمالي والبنائي للرواية العربية المعاصرة .



الكتاب : نوبة رجوع
تأليف : محمود الورداني
الناشر : هيئة الكتاب ـ مصر
٢٠٨ ص ، ٢٥٠ ق م .

هذه هي الرواية الأولى لمحمود الورداني بعد مجموعتيه القصصيتين ، السير في الحديقة ليلا ، والنجوم

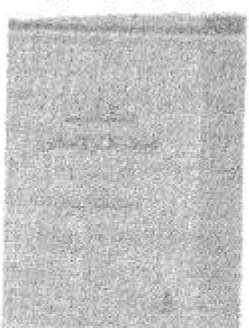
شهريات

مكتبة الهلال

العالية ، وهو بهذا يرسخ بقدمين ثابتتين بين كتاب القصة المصرية الجديدة ، مشاركا في الزخم الذي تبني لبناته التي ترتفع يوما عن الآخر اقلام الادباء الجادين ليس في مصر وحدها ، بل في العالم العربي من المحيط الى الخليج ، حيث نشاهد الان هؤلاء الادباء وبدافع بطولي يقدمون لنا كل يوم عملا جديدا جديرا بالملاحظة والتوقف امامه .

ولان هذه الرواية من ضمن النتاج الذي يحاول ان يقدم العمل الفني في بناء متكامل فانه من الصعوبة بمكان تلخيصها وسرد حكايتها كما هو ممكن بالنسبة للاعمال التقليدية لكنه يمكن القول انها تقدم لنا رؤية الكاتب حول الاحداث التي عايشها بالفعل ، ومن خلال التفاصيل الدقيقة التي يراها من خلال عيني بطله الذي كان قد شارك في حرب اكتوبر وقلم بمهمة غاية في القسوة هي مهمة رجوع الشهداء واحدا بعد الآخر الى الارض الطيبة التي اتت بهم لذا دلالة عنوان الرواية التي تعكس جوا عايشه كل من شارك في القتال ، هو ايضا ، اي العنوان ، له دلالة اكثر عمقا هي دلالة الرجوع الى الأرض ، بما يعنيه ذلك من معنى .

يهتم الورداني بالجو العام كما يهتم بالتفاصيل الصغيرة ، وذلك ايضا من خلال اهتمامه بالبناء المعماري للعمل الفني ، كما نجده يختار كلماته بعناية ، الأمر الذي يجعل من صفحات عديدة في هذا النص الجديد شواهد على قدرة الكاتب المميزة بين ابناء جيله



الكتاب : كتب غيرت الفكر الانساني
تاليف : أحمد محمد الشنواني
الناشر : هيئة الكتاب ـ مصر
٢٨٠ ص ، ٤٧٥ ق م

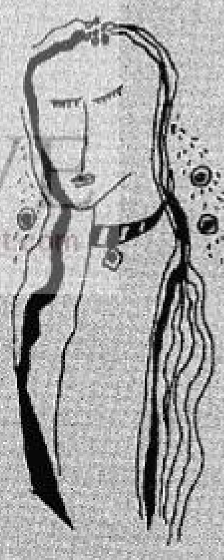
يقول الأستاذ صبري أبو المجد في تقديمه للكتاب : هذه مناقشة فاحصة لثلاثة عشر كتابا من أهم المؤلفات في جميع العصور ، كان لها تاثير عظيم على الفكر الانساني من اقدم العصور الى يومنا هذا .

اما الكتب الثلاثة عشر المقصودة هنا فهي «الكتب الخمسة» لكونفوشيوس ، «الجمهورية» لافلاطون ، «أصول الهندسة» لاقليدس ، «القانون» لابن سينا ، «المقدمة» لابن خلدون «الأمير» لميكافيلي ، «التأملات» لديكارت ، «المبادئ» لنيوتن ، «روح القوانين» لمونتسكيو ، «ثروت الامم» لآدم سميث ، «أصل الانواع» لداروين ، «رأس المال» لماركس، «النظرية النسبية» لأينشتين .

تساؤل ؟!



شعر : جليله رضا



مضى عام وجاء الصيف فى أعقابه يجرى
وها أنا جئت فى الميعاد .. انشد خلوة البحر
ترى يابحر هل بقيت على جفنى أضواء ؟
وهل بينى وبين هديرك المنغوم اصداء ..
ام انى صرت لا أجلو سوى الظلمات فى ذاتى
ولا أصغى لأصداء سوى أصداء أناتى ..
أجل .. مازلت أستوحى من الأمواج والرمل
جمال الكون والدنيا وسحر النور والأمل
أسير طليقة نشوى .. بضوء الفجر والانسام
وامرح فى الضحى وحدى مع .. الأمواج والانغام
ويأتى الليل منتشرا على الآفاق والبشر
فاقضى الوقت فى كوخ من الأخشاب والمدد
وما برحت على كتل الرمال الصفر أحلامى
اجمعها وأبنيها .. وأهدمها بأقدامى
ولى فى الفجر إنشاد يفوق البلبل الشادى
فتجرى الريح ناقلة .. أهازيجى الى الوادى
أجل . مازلت كالأمس أهيم كطفلة نشوى
ولكن .. هذه النظرات .. ؟ تلك الدمعة الحيرى .. ؟
أجل مازلت كالأمس .. ولكن فى دجى صمتى
أحس الطوق فى عنقى .. تراها قبضة الموت .. ؟!

العالم في سطور

روما

« انشا الله » بعد « إنسان »

"انشا الله" ..

رواية ايطالية صدرت هذا الشهر بحروف لاتينية لنفس الجملة "انشاالله" للكاتبة الايطالية المعروفة أوريانا فالاتشي ..

تحقق هذه الرواية أعلى المبيعات بين الكتب الايطالية الصادرة في الأسابيع الأخيرة، وتدور أحداثها بين منطقة الشرق الأوسط والعديد من دول العالم الثالث.

هذه هي الرواية الثانية للكاتبة أوريانا فالاتشي التي دخلت عالم الابداع عن طريق المصادفة في عام ١٩٨٣، حين نشرت روايتها "انسان" حول صديقها الثائر دايوناتي باناجوليس الذي حاول أغتيال رئيس الوزراء بابادوبلس في عام ١٩٧٧ .. وقد جاءت روايتها "انسان" بمثابة تسجيل حي وصادق لمعاناة المناضل في سجون الدكتاتورية، ومدى ما لحق به من اهانة على كافة المستويات، لكن هذا لم ينل قط من رجولته والانسان في داخله ..

وقد حققت هذه الرواية أعلى المبيعات، وقيل ان ذلك يرجع للصدق المتدفق البادي في الرواية، ولأن كل الشخصيات التي وردت اسمائها قد تبضت الدماء في شرايينها، وان بعضها لايزال على قيد الحياة ..

وعندما توقفت الكاتبة عن الكتابة، قيل انها قالت ما عندها، وانها لن تعبر مرة أخرى بنفس الصدق والحمية، لكن يبدو أن ذكاء الكاتبة قد دفعها الى استثمار رحلاتها العديدة الى أماكن متفرقة من بلدان العالم، التقت فيها بكل زعماء العالم ورجال السياسة والثقافة مثل شاه ايران، ودنج سياو بنج واية الله الخميني، وانور السادات، وانديرا غاندى، ثم ريجان وجورباتشوف ..



اوريانا فالاتشي

ويبدو أنها راحت تخمر هذه اللقاءات والتجارب .. وطلعت أخيرا بروايتها "انشاالله" التي من المنتظر أن تترجم خلال أشهر الى لغات متعددة .. وينتظر ان تحقق نجاحا يفوق، أو على الأقل يماثل، روايتها السابقة "انسان" التي صدرت هذه الأيام لأول مرة في طبعة كاملة من روايات الهلال

برلين

جراس : نحن في عصر الشيوعية الجديدة

ينظر الكثير من المهتمين بالأدب والسياسة

الى التحولات التى يشهدها العالم الشرقى على انها ثورة ثقافية حقيقية . وان الأدباء والمثقفين قد لعبوا دورا حاسما فى تنبيه الناس الى اهمية التغيير والاصلاح .. ليس فقط لأن بعض هؤلاء الأدباء قد أعتلوا المناصب السياسية العليا مثلما حدث مع فاتسلاف هافيل فى تشيكوسلوفاكيا .. ولكن لان هم الكتاب كان دائما هو المناداة بالتغيير ، ونبذ الصراعات الباردة والمسلحة ..

من هؤلاء الكتاب جونتر جراس ، المانيا الغربية ، الذى مارس العديد من الأنشطة السياسية طوال حياته ، وهو صديق للعديد من السياسيين البارزين ، مثل فيلى برانت ، كما كتب رواية "الطبلة" التى تعد ملحمة سياسية وتاريخية عن المانيا المعاصرة منذ عام ١٩٢٧ وطوال ثلاثين عاما ..

وحول هذه التغيرات أجرت مجلة "السيرسو" الايطالية حوارا مع جراس قال فيه انه قد اشترك قبل اشهر فى مظاهرة تنادى بوحدة الألمانيتين .. ذلك قبل فتح ابواب السور بين شطرى برلين وانه قد نادى بالديمقراطية .



جونتر جراس

واكد جراس ان اول شىء فعله بعد فتح أبواب السور ان قام بجولة فى المانية الشرقية مع الموسيقار جونتر سور الذى وضع الموسيقى لفيلم "الطبلة الصفيح" ، وكان يقضى اوقاتا طويلة مع الناس يعرف افكارهم ، ويناقشهم فيما يمكن ان يأتى به الغد ..

ويقول جراس ان ما اتسمت به الحياة فى المانيا الشرقية هو ان الحياة فيها كانت بطيئة الايقاع ، غير لاهثة ، وقد انعكس هذا على ايقاع الأدب والفنون ، فى الرواية والسينما والموسيقى ، وان هذا ليس سيئا بالمرة .. بل ربما افضل بكثير من الحياة اللاهثة فى الغرب ..

ويقول جراس ان كارل ماركس سيظل بالنسبة للكثيرين أحد ابرز رجال القرن التاسع عشر الذين اثروا فى القرن العشرين فى كل الأبعاد والمجالات .. وان ما حدث أخيرا لا يعنى انتهاء عصر الشيوعية ، لكن سوف تظهر ما اسماه بالشيوعية الجديدة . خاصة ان لهذا المذهب انصارا ومنظرين وعلى راسهم الفليسوف جيسى وهاش مودرو ..

لندن

الحياة فى سوريا .. مع اجاثا كريستى

"قل لى كيف تعيش" . عنوان أحدث كتاب ترجم الى الايطالية للكاتبة البريطانية اجاثا كريستى .. الكتاب ليس رواية بوليسية ، ولكنه ينتمى فى المقام الاول الى أدب الرحلات ، وقد خصصت الكاتبة هذا الكتاب لتتحدث عن رحلتها الى سوريا التى قامت بها مع زوجها الباحث الاثرى ماكس مالوان فى ثلاثينات القرن العشرين .

من المعروف ان اجاثا

كريستى قد عاشت بين مصر والعراق وسوريا فى الثلاثينات حين صحبت زوجها مالوان الذى جاء ليعيش فى تلك البلاد من جل أعمال البحث والتنقيب الاثرى . وقد استلهمت الكاتبة الكثير من احداث رواياتها من هذه المناطق مثل "جريمة على النيل" و"جريمة فى بغداد" و"اخناتون" وغيرها ..

تقول اجاثا كريستى فى كتابها ان زواجها بمالوان قد جعلها فى حالة سفر دائم ، وان ذلك ساعدها ان تعرف على الكثير من البشر وآثارها على المستوى الانسانى والأدبى .

لم يكن كتابها من الناس يقدر ما هو عن الاثار ، والتاريخ ، وبدا كأنه بمثابة يوميات يكتبه احد الاثريين الذين يعيشون فى حالة بحث عن احجار وتواريخ مجهولة ، مدفونة وسط الرمال .

نشرت اجاثا كريستى هذا الكتاب لأول مرة عام ١٩٤٦ بعد عودتها من منطقة الشرق الأوسط بسنوات قليلة مؤكدة ان هذه السنوات بالنسبة لها كانت "سنوات سلام" ،



اجاثا كريستى
وزوجها ماكس مالوان

وقالت انها عشقت مدينة سامرا العراقية ، وسعت لتدوين مذكراتها بنفس الشكل التى دونت التواريخ فوق جدران المعابد وعلى الأعمدة .

ويقول الناقد الايطالى روبرتو ماريولينى ان اسلوب السيدة كريستى الذى يتمتع بجاذبية خاصة فى الرواية البوليسية قد تغير كثيرا فى هذا الكتاب .. مما أكد ان الكاتبة يمكنها ان تختار للكتاب الذى تقدمه الأسلوب الأدبى الأنسب .. فهى تعرف ان قارىء رواياتها المثيرة ، قد لا يجد ما يجذب انتباهه فى أدب الرحلات .. ولذا فعليها ان توجه كتابها الى نوع أخر من القراء ..

هوليوود

ديك تراس .. ليس بريئا ..

أهم ما يميز ظاهرة تحويل قصص الحكايات المرسومة فى الفترة الأخيرة الى افلام ، هو ان ميزانية ضخمة ترصد لانتاج هذه الأفلام ، ويقوم باخراجها وبطولتها سينمائيون مشهورون مثل مارلون براندو وجين هاكمان وجاك نيكولسون ثم وارن بيتى . كما انها تصدرت قوائم الايرادات فى كل أنحاء العالم ..

مثل هذه السمات لم تتضح فى مثل هذا النوع من الأفلام الذى ظهر لأول مرة فى الثلاثينات حول سوبرمان ، وفلاشمان وفلاش جوردن وغيرهم .. حيث اعتبرت فى تاريخ السينما افلاما من الدرجة العاشرة .. لكن لا يمكن الجزم بأن افلام التسعينات قد تخطت هذه الدرجة طويلا ، لكنها ستبقى لفترة أطول فى اذهان الناس ..

أحدث هذه الافلام هو "ديك تراسي" من بطولة



مغونا مع وارن بيتي

واخراج الممثل المعروف وارن بيتي واشتركت في بطولته المطربة والممثلة مادونا ، والذى يحقق أعلى الايرادات الان فى كل المدن التى يعرض بها ..

الجديد فى هذا الفيلم انه ليس بريئا تماما مثل الأفلام السابقة فى هذا النوع .. فهو ليس مصنوعا للأطفال والكبار معا .. ولكنه فيلم يكشف الجانب الحسى لشخصية ديك تراسى .. ولذا فلم يتم اختيار مادونا اعتباطا .. فهى المرأة التى تتلوى بشكل ايحائى وهى ترقص امام الاف الجماهير لذا عليها ان تفعل نفس الشىء مع ديك تراسى .. وهذا هو المثير والجديد فى الفيلم ..

فمن المعروف ان الحكايات الحسية المثيرة قد دخلت الى القصص المرسومة فى السنوات الأخيرة بشكل مكثف ، واصبح على السينما التى تعجب بمثل هذه الحكايات ان تنقلها فورا الى الشاشة ..

تدور أحداث الفيلم من خلال جو العصابات الأمريكية فى فترة الكساد الاقتصادى عام ١٩٣١ . فى زمن آل كابونى وبونى وكلايد . وديك تراسى هو أحد رجال الشرطة ، توكل له مهمة البحث عن بعض المجرمين ، وفى مهمته يلتقى بالكثير من الأشخاص .

باريس

الحاسوب .. محلل نفسى

لا تجىء أهمية الكاتب الفرنسى رينيه بلتو انه فاز فقط بجائزة فيمينا عام ١٩٨٥ عن روايته "الجحيم" ولكن لأنه أحد الذين استخدموا الحكايات البوليسية فى روايات بالغة الأهمية ، فاستطاع بذلك ان يكسر الحاجز الزجاجى الذى يفصل بين قراء الروايات الهامة ، وبين الروايات البوليسية .

فى الأسبوع الماضى صورت أحدث رواية للكاتب تحمل عنوان "الاله" التى تدور أحداثها من خلال سبعة أيام تعيشها أسرة الدكتور لاكروا فى رعب شديد من تهديد اجرامى .. ولأن لاكروا متخصص فى علوم النفس فقد وجد ان أنسب شىء هو أن يخترع حاسوبا نفسيا يسمح له ان يحلل نفسية المجرمين دون الاعتماد كثيرا على الحدث .. ويمكنه ان يكشف عما بنفس المجرم ومعالجته بدلا من القبض عليه ..

ولا يصبح الخطر الماثل على أسرة لاكروا قادما من المجرمين . بل ان هناك خطرا آخر يظهر حين تجريب هذا الجاسوب مع أحد زملائه النفسانيين الذين يمتلكون نفسا شريرا .. فلاكروا يخاف أن يستغل زميله الحاسوب فى اعمال الشر .. ولذا فان اللحظة الحاسمة تظهر حين يقف الاثنان امام الحاسوب . وبالفعل فان الاخر ينجح فى ان يستخدم الاله لحسابه . بل انه يتنكر فى زى الدكتور لاكروا .. وينتحل شخصيته .. ويقرر مطاردة أسرته ..

المائة الأعظم

بقلم: حسين أحمد أمين

ابراهيم النظام

توفي عام ٨٣٦ م

رأس من رءوس المعتزلة ، ومن أبرز المفكرين المسلمين القائلين بسلطان العقل .

كان ذا عقلية قوية فذة سابقة لزمنها ، فيها ركنان اساسيان من اركان النهضة الحديثة في اوروبا ، وهما الشك والتجربة ، فأما التجربة فقد استخدمها كما يستخدمها الطبيعي او الكيميائي اليوم في معمله .. وأما الشك فقد كان يعتبره اساسا للبحث ، ويقول : «لم يكن يقين قط حتى صار فيه شك » .. وقد كان من اثر إيمانه بسلطان العقل ، جرأته على المحدثين ، وجرأته على نقد الصحابة وآرائهم ، لايؤمن بأصل إلا القرآن والعقل ، ويفسر القرآن حسب ما يؤديه اليه فكره ، ويخضع كل شيء لحكم المنطق .

وهو مع ذلك ذو مواقف مشهورة في الدفاع عن الاسلام ، وفي الرد على الدهريين والملحدين ، وفي نصرة التوحيد الذي هو عنده أساس الدين .

كان قليل الايمان بصحة الحديث ، قليل التصديق بما يرويه المفسرون حول الآيات من أخبار يحكم العقل في الأحاديث ، فإن لم يقر عقله الحقيقة التي رواها الحديث أنكر الحديث في شدة . وله كتاب اسمه «كتاب النكت» أنكر فيه الأجماع : وقال انه غير ممكن والعلماء متفرقون في الامصار ، وحتى ان امكن اجتماعهم فمن الجائز أن تجتمع الأمة كلها على الضلال من جهة الرأي والقياس .. وقد ساق في ذلك الكتاب عيوب الصحابة ، فذكر لكل منهم عيبا ومطعنا فهو يسخر من علي بن أبي طالب اذ هو يوم النهروان يرفع راسه الى



السماء تارة وتارة يطرق إلى الارض ليوهم اصحابه انه يوحى إليه وينقد ابا بكر في قوله حين سئل عن اية من كتاب الله : « اى سماء تظلني ، وأى ارض تقلني ، اذا انا قلت فى اية من كتاب الله برايي » . ويهزأ بزعم عبد الله بن مسعود انه رأى القمر وهو ينشق ، فيقول : وهذا من الكذب الذى لاخفاء فيه ، لان الله لايشق القمر له وحده ولا لآخر معه ، وإلا فكيف لم تعرف بذلك العامة ، ولم يؤرخ الناس بذلك العام ، ولم يذكره شاعر ، ولم يسلم عنده كافر ، ولم يحتج به مسلم على ملحد ؟ ! ..

ويفسر النظام اعجاز القرآن بما فيه من اخبار عن عالم الغيب واحداث مستقبلة ، كالقول بأن الروم بعد هزيمتهم سينالون النصر فى بضع سنين : « اما التأليف والنظم والأسلوب فقد كان يجوز أن يقدر عليه العباد لولا أن الله صرفهم عن الاتيان بمثله » .

وهو يحارب أوهام العوام وخرافاتهم ولايرضى عن الفقهاء فى كثير من اقوالهم ، ويخالف جماعة من المعتزلة فى بعض آرائهم ، ويخطىء ارسطو وغيره من الفلاسفة ، ولايعترف بسلطان غير المنطق .

ولم تصلنا من كتب النظام غير فقرات منها اوردتها كتب الجاحظ والأشعرى وابن الخياط وغيرهم ، وله كتاب سماه « الجزء » اقام فيه البراهين على امكان تقسيم الذرة : « فلا جزء إلا وله جزء ، ولا بعض إلا وله بعض ، ولا نصف إلا وله نصف ، والجزء جائز تجزئته أبدا ، ولا غاية له فى باب التجزؤ » .

وقد كان النظام آية فى حدة الذهن ، وصفاء القريحة ، واستقلال الرأى ، وسعة الأطلاع ، والغوص على المعانى الدقيقة وكان يحفظ الكثير من الاشعار والأخبار ، وذا معرفة فقهية واسعة فى الأحكام والفتيا ، الى جانب ثقافة فلسفية عالية ، ودراية متخصصة بالقرآن والتوراة والانجيل . وقد روى عن الجاحظ انه قال :

« كان الأوائل يقولون إنه يظهر فى كل الف سنة رجل لانظير له .. فأن كان ذلك صحيحا فهو النظام » .

زياد ابن أبيه

٦٢٠ - ٦٧٣ م

من أهم الولاة واعظم الاداريين في تاريخ الاسلام . بدأ اسمه يلمع اثناء خلافة على بن ابى طالب ، اذا استخلفه عبد الله بن عباس على البصرة لما خرج الى علىّ بالكوفة ، فاخمد زياد الثورة التى قامت بها تميم بايعاز من معاوية وإذ تبين علىّ إخلاصه ومواهبه ، بعثه الى فارس التى كانت قد تمردت عليه ليلزمها حدود الطاعة والنظام ، فقام بما كلف به خير قيام ، متبعا سياسة المداراة ، واللين حينا ، والدهاء وضرب اعدائه بعضهم ببعض حينا آخر ، حتى صفت له فارس من غير حرب وحتى قال الفرس : ما رأينا سيرة اشبه بسيرة كسرى أنو شروان من سيرة هذا العربى فى اللين والمداراة .

وبعد مقتل علىّ ، تحصن زياد فى قلعة قريبة من مدينة اصطخر ، استعدادا لمواجهة الخليفة الأموى الجديد معاوية ، وحض رجاله على أن يثبتوا اطول مايمكن فى المواجهة غير ان معاوية اتبع سياسة غير سياسة العنف معه . فقد أوفد المغيرة بن شعبة الى زياد ليقنعه بمصالحته ، ثم الحق زياد بأبيه ابى



سفيان (وكان زياد مجهول النسب) ، ليربطه بنفسه وبأسرته ربطا تاما ، فأصبح يعرف بزياد بن ابى سفيان . واتبع معاوية ذلك بأن ولى زيادا على البصرة والولايات التابعة لها ، وهى خرسان وسجستان والهند والبحرين وعمان .

قدم زياد البصرة وقد تفشى فيها الفسق والاضطراب السياسى ، فأعلن عن سياسته ونواياه صراحة فى خطبة ذائعة الصيت القاها من على المنبر ، ولم يبدأها بالحمد والتسليم بل تكلم فيما اراد ان يتكلم فيه مباشرة ، فسميت لذلك بالخطبة « البتراء » وقد مكن بعد ذلك هيبته فى النفوس بأن ضرب امثلة من الشدة التى لاتعرف الهوادة ، فأفلح فى أن يقر الأمن فى نصابه ، لا فى البصرة وحدها ، بل فى الولايات الفارسية ايضا ، وحتى فى الصحراء العربية ، على نحو لم يعهده الناس من قبل .

ولما مات المغيرة بن شعبة ، خلفه زياد على ولاية الكوفة ، فصارت الكوفة والبصرة معا ، وهو أول من جمعتا له ، وكان يقيم فى كل منهما ستة اشهر ، وقد تمكن زياد من التغلب على المتمردين من الخوارج فى البصرة ، والمتمردين من الشيعة فى الكوفة ، دون كبير مشقة ، وكان من أهم الاجراءات الادارية التى اتخذها فى المدينتين تقسيمه جند الشرطة إلى اقسام تتمثل فيها القبائل المختلفة من غير أن يكون على رأسهم رئيس القبيلة ، بل رئيس تعينه الحكومة ، حتى يقضى تدريجا على الصبغة القبلية ..

ولم يكن زياد واليا غشوما مستبدا إلا بالمعنى الذى يفهمه العرب .. فالعرب كانوا يرون أن كل حكم قوى هو من قبيل الاستبداد ، خاصة إن احتاج الحاكم

إلى السيف فى قمع الثائرين ومثيرى الفتن .. غير أن زياد كثيرا ما استطاع فى العراق كما استطاع فى فارس ان يقضى على الثورات دون الالتجاء الى العنف مستغلا ما كان بين القبائل من تنافس فى ضرب بعضها ببعض ، وبالتهديد بمنع الارزاق والأعطية من بيت المال الذى يسيطر عليه . ولم تكن الشرطة تحت يده اكثر عددا منها فى عهد اسلافه ، ولا كان يملك من الوسائل إلا ما كان يملكه غيره من عمال الدولة .

غير انه عرف كيف يستعمل هذه الوسائل خيرا مما استعملوها .. وهو لم يفشل فى امر قام به .. وكان المسجد الذى تجتمع فيه عامة المسلمين ، هو مكان عمله ومكان نجاحه ، يعلن فيه للناس عما يريد أن يتخذه من اجراءات ، فلا يشكون فى انه سيكون عند قوله ، ومن ثم فقد استطاع ان يحكم الناس بالكلام لا بالسيف ، وبالاقناع والترغيب والترهيب وإثارة احترام الرعية له ، بل واعجابهم بتفوقه العقلى ، وفراسته الدقيقة ، وخبرته بقومه العرب ، وسلوكه الحازم الحاسم .

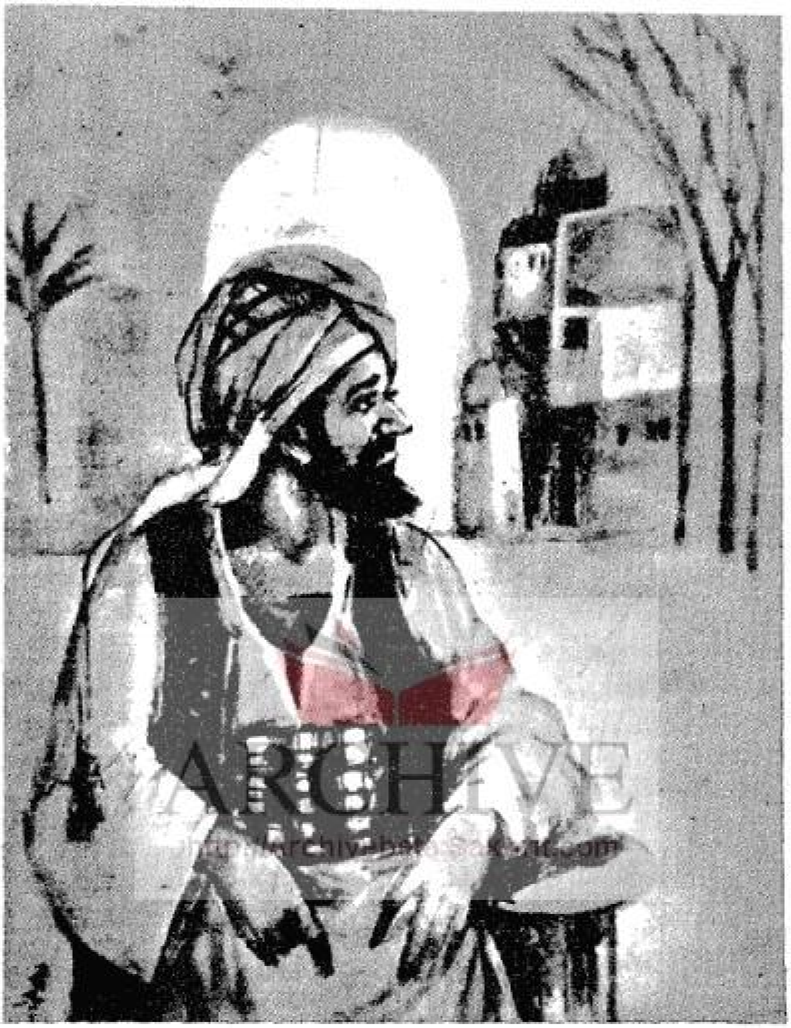
وقد كان الواجب الأول امامه فى البصرة والكوفة ، هو تثبيت سلطان الدولة . فكان لابد فى البصرة من كسر شوكة القبائل التى كان مبدؤها الوقوف الى جانب افرادها حتى المجرمين منهم وحتى فى وجه سلطان الدولة . اما فى الكوفة فقد حكم الأمويين .. ولم يكن زياد يفرق بين الصبغة القبلية والصبغة الدينية للمعارضة .. فهو بعد أن صالح الأمويين ، لم يعترف بسيادة غير سيادة الخليفة الأموى فى دمشق ، وعلى هذا الاساس نهض لاقامة ودعم النظام فى الجماعة الاسلامية ، والزام الناس بواجب الطاعة المفروض عليهم كمواطنين ، وسعى سعيا جادا الى توفير الرخاء والأمن من اجل اشعارهم بمزايا الاستقرار السياسى .

وقد كان جادا كل الجد فى ادائه لواجبه ، غير مبال بالعافية لنفسه ، ولا هو استعمل سلطانه وسيلة فى استغلال الولايات التى عهدت اليه ادارتها استغلالا يحقق له اغراضه الخاصة ، وكان يتخذ موقفا فوق الأحزاب وفوق القبائل ، فكسب بذلك احترام الجميع ، وقد عرفت له الدولة الأموية إخلاصه وتفانيه فتعهدت ابناءه من بعده بالرعاية وكان لابنه عبيد الله فيما بعد شأن لايقل عن شأن ابيه ..

أبـو الحسن الأشعرى

٨٧٣ - ٩٣٥ م

احد ائمة المتكلمين ، ومؤسس علم الكلام السنى فى الاسلام .. انتشر مذهبه انتشارا واسعا فى العالم الاسلامى بفضل انتصار الكثيرين من كبار العلماء له ، مثل الغزالى والباقلانى والقشيرى والجوينى وابن تومرت ، بحيث اصبح هذا المذهب بمضى الأيام المذهب السائد فى مدارس أهل السنة .



بدأ حياته معتزليا ، وكان من انكى تلامذة الجبائى رأس المعتزلة بالبصرة ، الذى كان يتوقع له ان يخلفه .. غير انه ترك الاعتزال فجأة ، بعد ان رأى النبى فى منامه ثلاث مرات يأمر بالتمسك بالسنة ، ويعده بالتأييد والنصر ، وقد قضى بقية عمره فى جدال ضد نظريات المعتزلة ، مدافعا عن خطه الجديد الذى استخدم فيه نفس سلاح المعتزلة من التدليل العقلى ، وهو ما انكره عليه الحنابلة

والواقع انه سلك مسلكا وسطا بين المغالين في الركون إلى العقل كالمعتزلة ، والمغالين في رفض الحجج العقلية كأتباع ابن حنبل .. ومع ذلك فقد كان الاشعرى يرى نفسه حنبليا ، وكتب يقول : « قولنا الذى نقول به ، وديانتنا التى ندين بها ، التمسك بكتاب الله وسنة نبيه ، وما روى عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث ، ونحن بذلك معتصمون ، وبما كان عليه احمد بن حنبل ، نضر الله وجهه ورفع درجته واجزل مثوبته ، قائلون ولمن خالف قوله مجانبون ، لأنه الامام الفاضل والرئيس الكامل الذى ابان الله به الحق عند ظهور الضلال » ..

وأهم ما يتألف منه مذهب الاشعرى المسائل التالية :

● يسلم بما ذهب اليه المعتزلة من أن ما جاء في القرآن مثل « يد الله » ووجه الله » لاينبغى أن يؤخذ مأخذا تشبيهيا .. أو تجسيديا . فهو يتفق معهم فى تنزيه الذات الألهية عن كل مايتعلق بالجسم وبالانسان .. غير أنه فى حين فسرت المعتزلة اليد والوجه باللطف والذات ، ذهب الاشعرى إلى أن الصفات حقيقية ، يرى أن الانسان ، إذ يستحيل عليه معرفة طبيعتها بدقة ، عليه أن يتجنب التأويل ، وأن يقبلها بلا كيف ، وقد عارض المعتزلة فى قولهم إن الله لايمكن ان تدركه الابصار لأن فى ذلك تشبيها يقتضى أن يكون له جسم وحيز ، وذهب الى ان رؤية الله ممكنة فى الآخرة ، وإن كنا لانعلم كيف يكون ذلك .

● خالف المعتزلة فى قولهم إن القرآن مخلوق . غير أنه فرق بين كلام الله القائم بذاته وهو عنده قديم غير مخلوق ، وبين الكتاب الذى انزل فى زمن معين ، وهو فى رأيه محدث .

● كما عارض رأيهم فى أن الانسان حر فى اختيار افعاله ، وهو بالتالى مسئول عنها فيكون من العدل ثوابه وعقابه .. فعند الاشعرى ان كل خير أو شر معلق بمشيئة الله الذى يخلق افعال العباد ثم ينسبها العباد الى انفسهم ويزعمون أنها من كسبهم .

● وخالفهم فى قولهم إن المسلم مرتكب الكبيرة لايعد مؤمنا ولاكافرا وأنما هو فى منزلة بين منزلتين . فقال إن مرتكب الكبيرة من المسلمين يظل مؤمنا ولكنه معرض للعذاب فى النار .

● وليس للعقل لدى الاشعرى ما له من شأن عند المعتزلة الذين يقولون بقدرته على التمييز بين الخير والشر ، والحسن والقبيح ، دون ما حاجة الى وحى . فالوحى عند الاشعرى هو الأصل الوحيد لمعرفة الله وشرعه ، وليس العقل إلا اداة للادراك فقط وإن كان بامكانه ايضا إدراك الله .

وقد اضطهد الاشاعرة فى زمن البويهيين المناصرين للمعتزلة والشيعة . غير أنه بقدوم السلاجقة ، صادف مذهبهم تأييدا قويا من سلاطينهم ، ومن وزيرهم الأشهر نظام الملك ، بحيث أصبحت الاشعرية من وقتها والى قرننا هذا تكاد تكون هى مذهب أهل السنة .

لغويات

● يشيع فى بعض كتابات المعاصرين وصف المرأة بأنها "هلوك" إذا كانت فاسدة سيئة السمعة .. وهذا استعمال لكلمة "هلوك" فى غير موضعها الدقيق ، لأن المرأة الهلوك هى التى تمشى مشية مثيرة ، كمشية مارلين مونرو - مثلا - ولا تكون بالضرورة امرأة فاسدة ! ..

● كلمة "الصفر" تعنى فى الحساب والرياضيات : لاشىء .. واصل الصفر : الخلو من كل شىء .. واليد الصفر ، هى يد المفلس الذى لا يملك مالاً ، والبطن الصفر ، هو بطن الجائع ، خلا من كل طعام .. قال الشاعر القديم :

ولا تظهرن للناس إلا تجملا
وإن بت صفر الكف والبطن طاويا

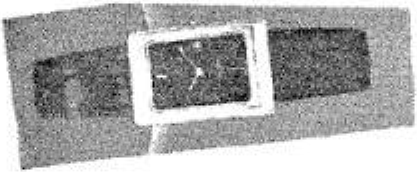
● البطن : مذكر ، ويستعمل الكاتبون الآن هذه الكلمة مؤنثة ، وهذا خطأ .. اما "الكرش" فيستعملونها مذكرة ، وصوابها التأنيث ! .. تقول : بطن كبير ، وكرش عظيمة ! ..

● يستعمل الأدباء كلمة "غائم" فيقولون : الجو غائم ، والسماء غائمة .. أما العامة فيقولون : الجو مغيوم .. ويظن المتأدبون أن العامة يخطئون فى قولهم : مغيوم .. والحقيقة أنهم على صواب ، فيقال : هذا يوم مغيوم ، كما يقال : هذا يوم غيم ، وغائم .. قال الشاعر الجاهلى :

حتى تذكر بيضات وهيجه
يوم رذاذ عليه الريح مغيوم

● يخطئ الأدباء فى جمع أسماء الأيام ، وصواب جمعها كالآتى : "السبت" : سبوت وأسبات وأسبت .. "الاحد" : أحدان - بضم الهمزة - وآحاد .. "الاثنين" : أثانين وأثاني .. "الثلاثاء" : ثلاثوات وأثلثة .. "الأربعاء" : أربعاوات وأرابيع .. "الخميس" : خميساوات وأخمسة .. "الجمعة جمعات وجمع ! ..

العالم غدا



● ساعة تحدد نوع الجنين !

نشرت المجلة البريطانية التى يصدرها مركز جامعة كمبردج ، ولأول مرة فى تاريخ الصحافة ، نداء من احد مستوصفات علاج العقم يحث فيه النساء السليمات اللاتى لم يبلغ عمرهن ٤٠ سنة ، على التبرع ببعض بويضاتهن للنساء العقيمات اللاتى يفتقرن إلى البويضات ..

وكانت الممارسات فى هذا المجال قد اقتصرت من قبل على الحيوانات المنوية الذكرية ، التى تستخدم فى تلقيح المرأة صناعيا ، فى حالة عقم الرجل .. لكن إبتكار اساليب التلقيح خارج الجسم هيأ الفرصة لاستخدام بويضات النساء الغريبات فى التلقيح ، ثم غرسها فى رحم المرأة العقيم ..

وقد صرح توم ماثيوس المدير الطبى للمستوصف بـ «أن الاستجابة للاعلان كانت جيدة .. ورغم أن المستوصف يدفع جميع نفقات السيدة المتبرعة ، علاوة على مبلغ زهيد للمصاريف الشخصية ، فإن معظم النسوة يأتين بدافع إنسانى لمساعدة أخواتهن الراغبات فى الانجاب ..

وعلى صعيد اخر فى إطار تكنولوجيا الانجاب وافق مجلس العموم البريطانى باغلبية ٣٦٤ عضوا على السماح بالاستمرار فى اجراء الأبحاث على الأجنة التى يزيد عمرها على ١٤ يوما (كما كان مقررا سابقا) لاعتقادهم أن هذه الأبحاث ضرورية لعلاج العقم والأمراض الوراثية .. ذلك بينما اكد ١٩٣ عضوا عارضوا هذه الأبحاث على انها مجرد عبث وتدمير للحياة ..

هذا وقد نجح صانع ساعات سويسرى فى انتاج ساعة يد تحدد الوقت المناسب للحمل الذى ينجب فيه الزوجات ولدا او بنتا وتعتمد نظرية عمل الساعة على تزويدها بدائرة يدوية يتم ضبطها مع الدورة الشهرية للزوجة حتى تبين وقت التبويض بدقة والمعروف أن الابحاث كانت قد كشفت أن الزوجة تحمل فى ذكر إذا تم اللقاء مع زوجها يوم التبويض لأن الحيوان المنوى الحامل لعنصر الذكورة يتحرك اسرع من الحيوان المنوى الحامل لعنصر الأنوثة .. ذلك بينما تحمل الزوجة فى انثى إذا تم الجماع قبل موعد التبويض بيومين (٤٨ ساعة) ذلك لأن الحيوان المنوى الحامل لعنصر الأنوثة اكثر تحملا واطول عمرا ..

والجدير بالذكر أن هذه الساعة تعرض فى الأسواق السويسرية حاليا !!

● مفاوضات مرض الهستيريا !

لمرض الهستيريا أعراض معروفة مثل التقلب العاطفى ، وفقدان الاحساس فى

بعض أجزاء الجسم ، والإصابة بالتشنجات والشلل و .. ومرض الهستيريا يصنف اليوم ضمن الاضطرابات العصبية لكن تاريخه منذ أن كان يعزى الى تلبس الشيطان لعقل وحواس المرأة ينطوي على مفارقات بليغة الدلالة كما كشفت الندوة التى عقدها معهد «ويلكوم» البريطانى حول هذا الموضوع ..

وتعود تسمية هذا المرض إلى كلمة «هستيرا» اليونانية التى تعنى الرحم .. وتعكس التسمية الاعتقاد السائد منذ أمد بعيد بأن النساء أكثر ميلا للإصابة بالمرض وأن الجهاز التناسلى للمرأة له علاقة ما بالمرض .. ورغم التسمية لم يكن الاغريق هم الذين بلوروا المفاهيم التى ارتبطت طويلا بهذا المرض ذلك أنهم كانوا ينسبون كثيرا من الأمراض ، وليس الهستيريا وحدها ، إلى رحم المرأة .. لكن المفاهيم الخاصة بمرض الهستيريا تبلورت حوالى القرن السادس عشر أو السابع عشر فى دوائر السحر والساحرات قبل أن تجيء دراسة سجموند فرويد البارزة عن الهستيريا ، بما فتحته من آفاق أمام دراسة العمليات الذهنية اللاشعورية ..

وقد كشفت دراسات الندوة أن المفاهيم التى ارتبطت بمرض الهستيريا كانت اشارة إلى انتقال الحرب بين الجنسين إلى ميدان الطب وأن أطباء مختلفين - بينهم الانجليزى روبرت كارتر - قد سبقوا فرويد إلى نظريته الخاصة بالهستيريا عندما قرروا أن النساء يخضعن لضغوط اجتماعية شديدة تمنعهن من البوح بمشاعرهن العاطفية الأمر الذى يؤدى إلى كبتها حتى تصل إلى درجة الانفجار ..



وقد استمرأت المرأة تدريجيا السلطة التى اكتسبتها من هذا الطريق - الانفجار - على عائلتها واطبائها فاستخدمتها اراديا فى التنفيث عن مشاعرها والتحكم فى عواطف من يحطن بها .. وقد كان العلاج الذى اقترحه هؤلاء الأطباء بعد استبعاد الإجراءات الطبية التى كانت سائدة آنئذ (مثل استئصال رحم المرأة (!!) التى تعانى من الهستيريا) هو العمل على تحطيم إرادة المرأة بحبسها وإخضاعها لنظام صارم ، حتى تنصاع لأوامر طبيبها .. وهو علاج لايفترق كثيرا عن آراء فرويد .. رغم أنه لم يذهب يوما إلى التفكير فى حبس مرضاه .

المهم أن الدراسات الحديثة أكدت على أن الهستيريا انعكاس للأوضاع الاجتماعية التى عانتها المرأة على مر العصور ..

ومن المفارقات الهامة التى كشفت عنها الندوة أنه بعد أن توصل الطب إلى فهم حالات الهستيريا وعلاجها لم تعد هناك هستيريا تتطلب العلاج !! ..

التكوين



عبد الغفار مكاوي

من الصعب، إن لم يكن من المستحيل، أن يتحدث إنسان عن تكوينه. فهو - إذا جاز استخدام لغة الفلسفة - عملية جدلية متصلة، تتصارع فيها قوى البناء مع قوى الهدم، وعوامل التكوين مع عوامل التدمير. ولو سألت البذرة عن عناصر التربة والغذاء التى دخلت فى تكوينها حتى أصبحت شجرة ثم أنضجت ثمرة لقالت لك: هى الآف العناصر بل ملايينها.. فما بالك بإنسان يحيا لكى يكتب، ويعيش ويتنفس - لعزائه أو بلائه! - لكى يدون على الورق تجربته مع نفسه وعصره وواقعه.

هي إذن عملية بدأت في مهد الوعي عندما أخذ يفتح عينيه ويتعلم الفن الأول والأهم لكل كاتب يستحق هذا الأسم ، وهو فن الرؤية ، ولن تنتهي إلا في لحد التلاشي والانطفاء ، أي مع اكتمال التكوين بالموت ، ولما كانت رحمة الله قد شاءت أن تمد في خيط العمر الواهي المحدود ، وأن تحفظه وتجدده في كل لحظة وحتى هذه اللحظة ، فمن الصعب أيضا أن

أتحدث عن تكوين لم يزل عرضة للنمو والذبول ، والتطور والتراجع ، والتفتح على مفاجآت كل جديد يهزه ويزلزله ، أو الانكسار والمرارة والاحباط مع كل مؤلم وموجع يدميه ويقتلعه من جذوره . أضف الى هذه الصعوبة أن الذي يكتب هذه الكلمات لم يكتف بالكتابة ، أو بالاحرى لم تقدر له نعمة التفرغ والتفاني لها ، إذا اقتسمت حياته ، ومزقتها أيضا ، مهنة تعليم الفلسفة التي اقتضتها لقمة العيش (ونعلم اليوم اكثر من اي يوم مضى كم هي مرة وقاسية) لأكثر من ربع قرن أكتظ بالغصص والمنغصات التي حاول أن يتجاوزها ويسيطر عليها في محاولات أدبية وفكرية مختلفة مازالت مستمرة وهو يقول تعليم الفلسفة لا الفلسفة نفسها ، إذ أصبح التعليم - في جامعات لم تعد تحمل من معنى الجامعة ورسالتها أكثر من الأسم - عملية تعذيب هائلة وعقيمة . أما الفلسفة نفسها فبقيت هي العشق والسند ، ومن حكمتها وشمولها ودقة مناهجها في التحليل والتفسير والتغيير والتنوير انعكس ما انعكس على أعماله (أو هذا على الأقل ما يرجوه ويتمناه !)

وأخيرا تأتي آخر الصعوبات : فالكتابة عن التكوين تنطوي بالضرورة على الكتابة عن المسيرة أو السيرة الذاتية ، مع مافي الكلام عن الذات من خطر الوقوع في مهاوي التضخم والتورم وامراضها التي تفشت كالأوبئة في السنوات الأخيرة بين اكثر كتابنا ومثقفينا


المازني — نجيب محفوظ — صلاح عبد الصبور



العرب لاسيما بعد الهزيمة التى سميناها نكسة ، ومع غياب الحريات الحقيقية وتزايد الاختلال فى علاقة الأنا بالآخر . ولذلك لابد من الاستغفار لله ، وطلب العفو من القارىء عن كل حديث عن الذات تهدده على الدوام مصيبة السقوط فى تلك المهاوى ، والأمراض ، خاصة حين تدفع للدفاع عن "ذاتها" من عوامل التدمير والاحباط التى تحاصرها ، ومن كوارث الانتحار الحضارى التى انخرطت فيها الذات الجماعية ولقد لمست أطرافا من سيرتى فى "بكائيات" صدرت قبل سنوات قليلة ، وفى أكثر ما كتبت من قصص ومسرحيات ومقالات ، بل وفى معظم ما وضعت من بحوث ونقلت من ترجمات ينطبق عليها مايمكن أن يوصف بأنه اعتراف طويل ، ويصدق عليها ماسماه الناقد المبدع الكبير "شكرى محمد عياد" فى عدد قريب من أعداد هذه المجلة "بالخلاص بالكتابة" .

ولما كنت أنوى أن أستكمل البكائيات بمشيئة الله وعونه ، فلا أملك فى هذا المجال المحدود إلا أن أذكر بعض "الثوابت" التى أتصور أنها قد ساهمت فى تكوين لايزال متجددا كما قلت ومهددا فى آن واحد ..

● التخلى عن العرش

أول هذه الثوابت هو ما أحب أن أسميه "التخلى عن العرش" .. لا ادرى أين ولا متى قرأت أن الكتابة نوع من التخلى عن كل العروش ، ولا أعرف إن كان هذا مجرد اعتقاد نبع من طبيعتى ولازم تكوينى . والتخلى هنا يوحى على الفور بحقيقة التصوف التى حددها أوائل الزهاد والصوفية المسلمين عندما قالوا أنه هو "ترك كل العلائق والتمسك بالحقائق" ، كما يذكرنا بالكلمة نفسها التى تدور حولها أعمق التأملات والشطحات الروحية للمتصوف الألمانى "إكهارت" من القرن الثالث عشر (١٢٦٠ - ١٣٢٧) ، وتتصل فى لغته بكلمة أخرى تعنى الرضا والسكينة والطمأنينة . ولا أقصد بالتخلى معناه الظاهرى أو السطحى ، من البعد عن السلطة ، والمنصب والشهرة والمال ، والأضواء والمنافع والمصالح ، إذ ربما يكون هذا البعد - أو الابتعاد - تعبيرا عن فشل برر نفسه بحكمة عاجزة .. إنما أقصد التخلى بمعناه الدينى الأصيل ، من الفناء والعبادة الخالصة ، وبمعناه الفلسفى ، من الاكتفاء والاستغناء الذى كان المثل الأعلى للفيلسوف والعالم القديم ، ومايزال فى رأيى جديرا بأن يكون المثل والقيمة العليا لكل كاتب حقيقى . لهذا لاينقضى عجبى من تهالك بعض من يسمون أنفسهم كتابا أو مفكرين

على الشهرة والوصول والضجيج والفرقعة والظهور فى الصورة وفى اجهزة الاعلام ، وحرصهم على أن تكون لهم "جوقات" - أو لنكن اكثر صراحة من واقع ما يجرى حولنا فنقول "شلل" و "عصابات" تدق لهم الطبول - وتدوى بالثناء والتهليل ، وتبذل الجهود المستميتة فى التقديم والتفسير والتحليل ، لأعمال يشك فى أن اكثرها يرقى أصلا الى مستوى الفن أو الفكر أو ينطوى على اية قيمة جمالية أو انسانية حقيقية . وتظلم الاصالة كما تظلم الحداثة ، وتكثر الثرثرة والهلوسة ، ويجنى جناية لاتغتفر على قديم مازلنا نجهله وجديد لم نحسن استيعابه ، وتنضج أوعية السياسة الفاسدة سيول الاستبداد والتسلط والجهل والتخبط على بساتين الأدب والفن والابداع الموحشة - إلا من بعض الأشجار النادرة والزهرات الوحيدة - وتزحف عليها مواكب غير مقدسة من جراد الجهال والادعياء والانتهازيين والشطار والسماسرة والمتعهدين وركاب كل الأمواج .. ويضيع الحقيقى فى غمرة المزيف ، ويغرق القيم فى طوفان المطبوع والمنشور الذى لايكاد يجد الناقد العالم والمنصف الذى يميز غثه من سمينه . ولو صحت عين النقد - العالم والمنصف والمبدع كما قلت - لأمكن طرد الجراد المتطفل ، وتطهير البستان الذى أوشك أن يصبح جبانة كبيرة نصبت فوقها عروش كاذبة لملوك كذابين ، ولأدرك الجميع أن حصان



توفيق الحكيم

المجد هو الذى يسعى الى فارسه الذى يستحقه ، فيحنى له رأسه الجميل ، ويقدم له سرجه الذهبى .. ولا داعى لذكر أمثله من ثقافات وآداب أخرى ، إذ يكفى أن نذكر فى أيامنا هذه إسم زكى نجيب محمود ونجيب محفوظ بين أسماء أخرى ربما لايزيد عددها على أصابع اليدين أو اليد الواحدة .

واسترد الخيوط بعد هذا الاستطراد فأقول أننى أومن بالعمل الصامت والصادق فى الظل .. وسواء جاء شىء من التقدير فى حياتى أو بعد موتى أو لم يجىء على الاطلاق ، فيكفينى أننى تخليت وعكفت وأخلصت على قدر طاقتى المحدودة . أقولها وليس فى جدول النفس قطرة مرارة واحدة ، فالتخلى قانون حياة ومبدأ تكوين ، وليس أبدا - ولن يكون - علامة عجز أو مكر أو تواضع مغرور .. ويبقى شعار حياتى - إن كان لابد من شعار - هو أن



أحيا فى هدوء ، وأعمل فى صمت وأموت فى صمت .. لكم يسعدنى حصار التجاهل المضروب من حولى ، يوفر لى الحرية الضرورية ، والحرية هى قضيتى الأولى والأخيرة .

يرتبط التخلى عن كل العروش بشعور مزمن بالذنب ، يجعلنى أحاسب نفسى مع كل شهيق : هل أستحق الهواء الذى أتنفسه ، ومع كل إغماضة جفن : هل فعلت اليوم ما يسوغ لى أن أنام مرتاح الضمير ؟ صحيح أننى أبيت كل ليلة وفى سمعى عبارة كانت ترددها أمى رحمها الله : "يابخت من بات مظلوم ولا بات ظالم" كما نطق بها سقراط فى دفاعه الشهير عندما أكد أنه يفضل أن يتحمل الظلم على أن يوقعه على غيره . لكن من منا الظالم ومن المظلوم ؟ وأين الحدود الفاصلة بين الذنب والبراءة ؟ لاشك أن الشاعر بالذنب قد ارتكب ذنوبا أخرى فى حق غيره ، لكن ربما يشفع له أنه لم يتعمد الظلم ولم يقصد إليه وربما يسمح له القول بأن شعوره بالذنب ـ ومن ثم تعذيبه الدائم لنفسه ! له أصل "بيولوجى" .. فقد ولدت ثالث ثلاثة .

وآثر ضلعا المثلث أن يتركا أضعفهما وأكثرهما هزالا بعد الشهر الثانى من ولادتهما . ولقد طاردنى الشعور بالذنب نحو الشقيقين الغائبين ، أو العاقلين ، منذ أن سمعت القصة من فم أمى وشقيقتى الكبرى ، وعرف عنى التجول الرومانسى فى صباى بين قبور جبانة البلدة بحثا عن قبرى الصغيرين المسكينين ، وعن الشبر الباقى الذى أعده جارنا المقرىء واللحاد ليسع جسد الثالث النحيل ، فشاء حظه أو مكره ـ لسبب لايفهمه ولا يستحقه ـ أن يبقى بعد المقرىء والأم والأب وشقيقين عزيزين أكبر منه ، ولكم عوقب وضرب بسبب هذه الجولات الوحيدة ، وكم تذكرها عندما كبرت به السن وألف قراءة شعر المقابر وأدبه القاتم الحزين ، ونشأ الصبى المدلل ـ الذى ارتبط مولده بمعجزة أو مفارقة ساخرة ـ فى بيت ريفى رباه على قيم ازداد تحسره عليها بعد إقامته فى المدن المعقدة الماكرة ، وبعد الهجمات الشرسة "للا قيم" على واقعنا ومجتمعنا وعلمنا وأدبنا وضمائرنا ، إذا جاز الظن المتفائل بأن فينا اليوم من يتذكر الضمير . وبين أب تقى صارم ، قاس على نفسه فى التزامه بالاستقامة والواجب المطلق ـ وكأنه فيما عرفت بعد ذلك كانطى ريفى وإن لم يسمع عن كانط ! ، وأم طيبة حنون ، تشقى من قبل طلوع الفجر الى مغالبة النوم مع صلاة العشاء ، وتملك قدرة نادرة على الحب والعطاء بغير حدود ـ حتى لتستخسر فى



سارتر



عبد الرحمن الرافعى

نفسها اللقمة والهدمة - وعلى الدعابة والمرح وحكاية الأمثلة والحكايات ومحاكاة الآخرين - بينهما وبين أخوين يساعدان الأب - المتفرغ للعبادة وقراءة "الكتاب" الوحيد الذى قراه فى حياته - فى تجارته البسيطة، وأخوين آخرين يدرسان فى المدن الساحرة والبعيدة والمخيفة، ولايظهران إلا فى إجازة الصيف - بينهم تكوّن الحالم والمذنب الصغير، وبدأت تجاربه مع الشعر الذى افلس منه تماما فى العشرين وإن ظل وفيا للشاعرية فيما سود بعد ذلك من الاف الصفحات عن الشعر نفسه، وفيما حاول من قصص ومسرحيات لايزال مصرا على ارتكاب ذنوبه فيها، بل فيما قدم من دراسات فى الأدب العالمى والغربى وفى الفلسفة الشرقية والغربية، مما جعل احد النقاد الصغار يجرب فيه ذكاءه ويصفه بالوصف المشهور عن "التوحيدى" اديب الفلاسفة وفيلسوف الادباء، أى لاشىء على الاطلاق ! ..

● البعد والخروج

اذا كانت اول عبارة فى سفر التكوين هى "فى البدء كان الكلمة"، وكان أول كلمة معبرة عن حياة جوته - سيد شعراء الالمان - الذى سأتكلم عنه بعد قليل - هى "فى البدء كان الفعل"، فيبدو أن الكلمة التى تصدق علما هى "فى البدء كان التعذيب" ! ترسب فى وجدانى منذ السنوات المبكرة اننى أختنق فى عالم خانق هو الجحيم، واستقر فيه ضرورة الخروج من هذا الجحيم والوفاء له فى الوقت نفسه والاكتواء بناره .. خرجت منه كثيرا الى بلاد وعوالم أخرى، لكننى كنت احمله معى وفىّ أينما ذهبت، وعشت فيه وتلظيت بنيرانه وزبانيته معظم حياتى، لكننى لم أتوقف عن محاولة الخروج منه ورفضه والاحتجاج عليه وسلبه وأنا فيه، ربما كان اغترابا دائم البحث عن الانتماء، أو انتماء لا يجد نفسه الا فى الاغتراب، مهما يكن الأمر فقد سعيت باستمرار الى افاق وشواطىء أخرى، وتطلعت على الدوام الى معرفة لغات واداب وحضارات اخرى "حتى سمانى صديق عمرى صلاح عبدالصبور بالطلعة" أكثر مما تطلعت لتثبيت قدمى على أرضى وتعمق لغتى وتراثى، غربت وشرقت بقدر ما اسعفنى قاربى الوحيد وجناحاى الضعيفان، لكى اثوب فى العقد السادس من عمرى الى حقيقة اصارح بها شباب الادباء والعلماء : لن يعرف الانسان تراث الاخرين اذا ظل يجهل تراثه، ولن يتقن لغات الغير حتى يتقن لغته ...

ربما بدأت الرغبة فى البعد والخروج فى الثالثة أو الرابعة عشرة



من عمرى بعد قراءة قادة الفكر لطه حسين وزهرة العمر للحكيم . لكنها يقينا قد رسخت جذورها فى تربتى عندما قرأت "الام فرتر" فى ترجمة الزيات رحمه الله عن الفرنسية ، كنت أيامها ـ مثل كل صبى مصرى ـ لا أزال أعبر جسر الدموع المنفلوطية .. وشاءت المصادفة أن أقع على هذا الكتاب الفريد الذى أصبح أول نص أدبى أعكف عليه بعد أن بدأت بعد ذلك بداية جادة فى تعلم الالمانية ، كما قدر لصاحبه أن يصبح كوكبا هاديا لتفكيرى وحياتى طوال ثلاثين سنة أو يزيد ، وأن أعرف بأدبه وشعره وأترجم له وأدرسه فى ثلاثة كتب على الأقل . كنت فى تلك المرحلة مفتونا ببلاغة الرافعى والزيات ، متأثرا فى ذلك بشقيقى الأزهرى وزملائه الذين عودونى ضبط ساعتى البيولوجية الأسبوعية على يوم الثلاثاء الذى كانت تظهر فيه "الرسالة" فيما أذكر . وخرجت من الفتنة والافتتان بهما وبجيلهما من البلغاء ـ الذين مازلت أحاول الخلاص من بلاغتهم الى اليوم ! ـ لأقع فى سحر "جبران" الذى لف شبكته حولى حتى حصولى على التوجيهية . ومد لى الحكيم طوق النجاة فنقلنى فكره المثالى وحواره الدقيق من البلاغة الى الفن ، وفى الجامعة عاودتنى الرغبة فى البعد والخروج ، ومع الاصرار على اجادة الانجليزية والفرنسية ، وبرعاية كريمة من بدر الديب ومحمود أمين العالم ويوسف الشارونى الذين تعهدونى بحبهم وتوجيههم فى سنواتى الأولى بالجامعة ، اطلعت على ما أمكننى الاطلاع عليه من مسرحيات "ميترلينك" وقصص "كافكا" ـ الذى لم تفارقنى كوابيسه الى اليوم ! ـ وأشعار "رلكة" و"إليوت" ، وشذرات متفرقة مما كان يكتب أو يترجم عن فلاسفة الوجود وأدبائه الذين بدأت أصواتهم تتردد بين المثقفين عامة ، ودارسى الفلسفة خاصة ، مثل كامى وسارتر ومارسيل وهيدجر وياسبرز . من الأول تشربت النزعة التراجيدية أو المأسوية ، والعطش المتجدد للطبيعة والنور والحياة ، ثم لازمتنى عاطفة الحب له والارتباط بتشاؤمه وبراءته وأمانته وتمرده حتى اعداد رسالتى عن فكره الفلسفى بعد ذلك بأكثر من عشر سنوات . أما الخامس "وهو هيدجر" فقد سيطر سيطرة المستبد على عقلى ، وأغرانى سحره الوهمى وأرهقنى فكره العسير وأسلوبه المعقد الركيك طوال السنوات التى قضيتها فى جامعة المانية خضع معظم اساتذتها وطلابها لطغيانه ، وتمخض ذلك الانشغال الطويل عن كتاب اظنه من اردأ كتبى وان لم يكن أقلها فائدة ،

وهو "نداء الحقيقة" ، ولابد من القول هنا بأن الانجذاب للفكر والأدب الالمانى قد بدأ منذ سنى التحصيل فى الجامعة ، وبتأثير الرجل الذى ظل منذ ذلك العهد هو قدوتى فى الدأب والجدية ، وفى التوحد والانفراد ، من هذا الرجل العظيم ـ عبدالرحمن بدوى ـ سمعت أسماء لزمت أصحابها بعد ذلك ـ مثل شوبنهاور ونيتشه وكيركجور وهيدجر الذى سبق ذكره ، وبه اقتديت فى حب لغات عديدة حديثة وقديمة وان لم أبلغ بالطبع مبلغه ، وبفضله اتجهت للاهتمام الأساسى بالفكر والشعر والمسرح الالمانى ، وان قصرت فى متابعته على طريق بحثه وعلمه الواسع بالتراث الفلسفى والصوفى الاسلامى .

واذا كنت أختلف عنه فى مناحى تفكيرى وتعبيرى اختلافا بعيدا ، فان اعترافى بفضله وعرفانى لشخصه وعلمه يسرى فى دمى ، ويكفيه فضلا علىّ وعلى غيرى انه سيبقى المثل العالى الذى نهتدى به فى الخروج والتحدى ...

هذه الرغبة فى الخروج من الجحيم الى افاق وشواطىء اخرى ، مع الاصرار كما قلت على الانتماء له والاكتواء بنار عشقه وعشق ضحاياه ـ قد انعكس فيما أعتقد ـ على تفكيرى الفلسفى وانتاجى الأدبى . فمنذ سنوات غير قليلة طغى علىّ الاحساس بمحنة الوجود العربى التى لم تعد خافية على أحد ، وبدأت التخلص من



محمود امين العالم

تأثير فلسفة الوجود والانتقال الى نقد الواقع القائم وسلبه ورفض "لا قيمه" التى أشرت اليها من قبل تحت تأثير فلاسفة الرفض والنفى من أصحاب النظرية النقدية الاجتماعية المعروفين باسم فلاسفة فرانكفورت . واذا كان هذا النقد قد ظهر بصورة أولية فى كتابى المتواضع "لم الفلسفة ؟" ولم يكتمل مشروعه بعد ، فقد تجلى من الناحية الأدبية فى "بكائياتى" وفى عدد غير قليل من مسرحياتى "كالبطل ودموع أوديب وبشر الحافى يخرج من الجحيم والقيصر الأصفر" ، كما تجسد قبل ذلك فى أغلب شخصيات قصصى التى انتزعت من "الجحيم المحبوب" الذى صنعناه لأنفسنا ، وتعددت صورها وانماطها من الدراويش والممثلين الفاشلين والشحاذين والمجانين والنسّاك والمعلمين المجحودين والثوار



المحبطين .. الخ . أى من مساكين و"ناس فى الظل" يعترفون بفضل أقرب أدبائنا الكبار الى قلبى ، وهو شيخنا الرقيق الجليل صاحب العصا والقنديل ...

● **الأموات - الأحياء والمعلمين الأصدقاء**

ربما ارتبط كل ما سبق "بثابتين" اخرين لا أظن ان المقام سيسمح بالتوسع فى الحديث عنهما : الأموات من الاباء الذين تعلمت منهم وعشت معهم أكثر مما عشت مع الأحياء ، وأصدقاء العمر الذين صحبتهم وصحبونى أكثر من أربعين سنة ، وكانوا ومايزالون هم الأحباء والمعلمين ..

أما الأموات فأخطىء لو سميتهم الأموات ، ان عيونهم ترمقنى وتطل علىَّ - وربما ترثى لى ! - من طيات الكتب التى تحيط بى وتحاصرنى أنا وزوجتى وطفلى من كل ناحية ، وهم يشجعوننى ويردون على أسئلتى ، ويقدمون لى الحب والوفاء والأمان كلما بخل علىَّ بها أقرب الناس فى هذا الزمان . والأهم من ذلك أنهم وحدهم يقفون بجانبى فى هذا الوقت الذى اشتد على فيه الشعور بالمحنة والأزمة "أزمة وطنى وتاريخى وحضارتى لا أزمة شخصى العرضى الزائل لا محالة" ، وهم فى الأغلب فلاسفة شعراء وشعراء فلاسفة ألجأ اليهم دائما وأنهل من منابعهم كلما جعت وعطشت للحكمة والسلوى والحب ، وكلما ضعت فى متاهة الواقع والتمست الخيط الهادى للخروج .

يخجلنى أن أذكر أسماءهم أو أحدث القارىء عن تجاربى معهم ، لاسيما وأن هذه التجارب مازالت قليلة الشان ومتواضعة الحال .. والأهم من ذلك أن لقائى بهم نابع من الأزمة ، وأننى أزداد مع الأيام يقينا بأن التحولات والانجازات والابداعات الكبرى فى "الفلسفة والأدب والفن والعلم" وراءها أزمات تاريخية واجتماعية ووعى أكبر بهذه الأزمات ، وليتنا اليوم ، ونحن فى زمن المحنة ، نتعمق هذه الفكرة ونستمد منها الوقود الضرورى للابداع على كل المستويات . وليتها تعلمنا ان نراجع كل شىء ونبدأ كل شىء من الصفر ...

أما أصدقائى الذين كانوا ومازالوا أساتذتى فيخجلنى كذلك أن أتحدث عنهم بالتفصيل وأنا واحد منهم . وماذا أقول عن أصدقاء "الجمعية الأدبية المصرية" الذين شرفونى

بالانتماء اليهم ، وسكت النقد حتى الان عن دراسة دورهم فى حياتنا الأدبية دراسة جادة منصفة "ربما لانهم غير أيديولوجيين ـ وان لم يتغلقوا دون الأيديولوجيات ـ او لان الغالبية الغالبة منهم قد تخلت كما قلت عن كل العروش ؟" ومع ذلك لن استطيع أن أمنع قلمى من تسجيل افضـالهم عليه وعلىَّ : صـلاح عبدالصبور الذى جرى شعره مجرى الدم ، وفتح القلب والعين على الزمن الجريح وعلى رماح الاستبداد وفرسانه المهزومين ، وفاروق خورشيد الذى علمنـى حـب الأدب الشـعبـى واستلهامه ، كما لقنتنى شجاعته وكبرياؤه فى مواجهة محنته دروسا فى الصمود حتى تجلى الحق وتوج بالتقدير ، وعبدالرحمن فهمى الذى نهلت من نبعه حكمة لم أجدها فى كتب الحكمة ولا عند أحد من ادعيائها الرسميين ، وشكرى محمد عياد وأحمد كمال زكى وعز الدين اسماعيل الذين جسدوا المركب النقدى النادر من العلم والابداع ، وغيرهم من الزملاء والأصدقاء الذين لن يجحدهم غبار المعاصرة والمعاصـرين ما يستحقـونـه فـى ميـزان العلم والانصاف ...

وتبقى "البومة الحكيمة" ـ كما وصفت نفسها فى مكان اخر ! ـ


نيتشه


هايدجر

شاهدة على خرائب العصر ومحتجة عليها ، محاولة ان تقوم بدور النذير والبشير الذى قام به "المتنبى" و"المنقذ" والشهيد من "إيب اور" الى صلاح عبدالصبور ، محذرة من "رعب اكبر من هذا سوف يجىء" ، وواعدة بالنموذج الضد والبديل ، لها فى "يوتوبيات" حالمة ومستحيلة ـ كثر عددها وخاب طموحها من افلاطون والفارابى وعصر النهضة الى ارنست بلوخ فى ايامنا ـ بل فى "يوتوبيا" ممكنة ومعقولة ، لا يزيد منتهى طموحها عن الحلم بمجتمع سوى يسترد وجهه الأصيل ممن شوهوه ، وينتشل قيمه من مستنقع اللاقيم الذى فرض عليه التردى فيه ، مجتمع يحيا فيه ويعمل ويأمل ويبدع انسان سوى يجد القدر المعقول من الحرية والعدل ، ويؤمن بأن القانون هو السيد ـ كما قال أرسطو ـ وليس هو الغدر والتسلط والفوضى والجهل والهوان ...

أنت والهلال

• الأدباء العرب •

• إن الأدباء الكبار فى البلاد العربية الشقيقة لايكاد القارىء المصرى يعرف عنهم شيئا . فالقارىء المصرى لايعرف الأديب السورى حنامينا أو الأديب السعودى عبدالرحمن منيف صاحب الرواية الضخمة « مدن الملح » ...

إن وزارة الثقافة وخاصة الهيئة المصرية العامة للكتاب تصدر سلسلة تسمى « الرواية العربية » وهى فى الواقع يجب أن تسمى « الرواية المصرية » فهى لم تنشر لأى أديب عربى فيها . ونحن نهيب بالدكتور سمير سرحان أن يسارع بإصلاح هذا الخطأ الكبير . وقد تابعنا دور موسسة دار الهلال فى هذا المجال فقد نشرت للكثيرين من الأدباء العرب فى الفترة الأخيرة مثل الطاهرة وطار (الجزائر) ورجاء نعمة (لبنان) وأميل حبيبى (فلسطين) وغيرهم .. لقد كانت دار الهلال دائما السباقة فى هذا المضمار ونتمنى أن تواصل مسيرتها فى نشر ثقافة وأدب الأقطار العربية .

فرج مجاهد عبدالوهاب
شربين ـ دقهلية

• الساحل •

ياضالعا بالظلم هذا الهوى
حطمت فى اضلعه اضلعا

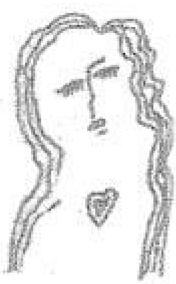
اسهرتنى ليلى زمان الصبا
لابد للسهران ان يهجعا

ذكرتنى فيما مضى بالذى
غاب ومن غاب فلن يطلعا

ياصانعا للهجر اسبابه
ملكان فى ظنى ان تصنعا

محمد جاسم حسين الشبوط ـ واسط ـ العراق

● قلب ينتظر ●



ياصاحبة الفستان الأخضر
والروح الخضراء
فأنا للعلم بسيط
أبسط مما تعتقدين
فلدى شهادات الكلية
فى الغرفة مازالت صماء
وبطاقات
لدخول الفزعة فى استثمار المال
وأنا عندى ..
فى شرفة بيتى زهرة عباد الشمس الصفراء
ووعود من شتى وزراء حكومتنا
ليست روتينية
أن نسكن فى الصحراء
ونجاور غربة عروة والمتنبى والخنساء
أما حزنى ياصاحبتى ..
حزنى غطى سهرى كله ..
والنيل الأزرق والبيداء
بقوافل قلبى المضطربة
حزنى لايعرف أن يتألم ، كالهر ، كلون الماء
فلماذا لا تأتين
وتلبين الدعوة .

ماهر محروس محمد حسن
طنطا ـ كفر العجيزى

● الثقافة للحاضر لا للماضى

● الثقافة ليست كلها محاولات لفهم الماضى .. إن فهم الحاضر ومحاولة استشراف المستقبل لايقلان أهمية لتكوين المثقف ، ولكنى ارى أن مجلة الهلال لاتهتم ـ تقريبا ـ إلا بالعنصر الأول ، ولنضرب مثلا بعدد يوليو سنة ١٩٩٠ ، فمقالات مثل :

عبدالناصر والاختيارات التاريخية ـ رد اعتبار الملك فاروق .
مذكرات ابراهيم مدكور ـ محاكمة قضائية لعبد الحليم المصرى ـ العقاد وتشرشل .
التشاؤم عند توماس هاردى ـ المائة الأعظم فى الاسلام ـ مذكرات سهير القلماوى ... الخ كلها كلام عن الماضى لاينفعنا الآن ، وحتى مقالات مثل : الرياضة والثقافة ـ حزب التحرير الاسلامى .
المخدرات فى مصر ـ عزيزى القارىء ـ ... الخ . الكلام عن الماضى فيها هو الغالب .
إن تغليبكم نشر الكتابات عن الماضى يجعل القارىء العربى غائبا عما يحدث فى العالم ، جاهلا بالمتغيرات المعاصرة الهامة جدا وبالتالى يشجع على استمرار الخلافات المذهبية والصراعات الفكرية فى الوطن العربى ، بدلا من محاولة فهم الحاضر والمستقبل .

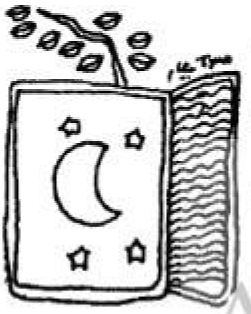
فهمى الناظر
العجوزة ـ القاهرة

● تعليق الهلال :
ـ إنك ـ مع الأسف ـ لم تدقق فى تفهم ماقرأته من هذه المقالات التى تذكرها فهى توظف عبرة الماضى لخدمة الحاضر والمستقبل ، ولايعرف شيئا من لايعرف العلاقة الوثيقة بين الماضى والحاضر والمستقبل ، وقد تكون بعض المقالات التى تتحدث عن الماضى أوثق صلة بالحاضر والمستقبل ومن مقالات تتحدث عن اللحظة الراهنة أو عن المستقبليات .
والهلال هو المجلة التى حملت خلال مائة سنه رسالة التبشير بالتقدم والتطور وعلوم المستقبل ، واذا راجعت عدد يوليو الماضى الذى تتهمه بالعكوف على أطلال الماضى ، فسترى فيه مقالات تخص الحاضر والمستقبل مباشرة ، مثل :
ـ محاولة (تحدث فى هذه الأيام) لرد اعتبار الملك فاروق ص ١٨
ـ يوليو ١٩٥٠ ـ يوليو ١٩٩٠ ص ٨
ـ الرياضة والثقافة ـ لمناسبة كاس العالم فى كرة القدم ص ٢٢
تكنولوجيا الدفاع ص ٥٠
ـ المخدرات فى مصر ص ٦٠
ـ رحلة الحج ص ٦٦
ـ من هنا تبدأ الدولة الثامنة ص ١٥٨

- هل ينضم السوفييت إلى حلف الاطلنطى ؟ ص ٨٨
- البرسترويكا ليست روبابيكيا ص ٩٢
- عالم السياسة وسياسة العوالم ص ١٢٤
- جولة المعارض ص ١٢٠
- شهريات .. أقوال معاصرة .. العالم فى سطور ..

وهكذا ترى أنك حكمت بلا تدقيق ، ونظرت إلى مواد عدد يوليو الماضى من الهلال نظرة متسرعة ! ..

• يقين •



لست أدرى ماذا يكون القصيد
لست أدرى أنَّى يكون الوجود
بادى الصحو فجرنا غير طلّ
شاعرى تلقفته الورود
أم جرى الغيم مسرعا دون شمس
ناشر البرق تقتفيه الرعود !
ذكريات تموج فى ذكريات
وجبال بما أشيل تميد !!
أصبح المرج مزهوا أم تلاشى
وانتهى القرب أم تدانى البعيد
بيد أنى على يقين ستبقى
كل حبى ، فذاك شىء أكيد

مصطفى مهدى حسين - جامعة البصرة

جاءنا من الأستاذ الدكتور/ محمد عبد الفتاح الجندى عميد كلية الطب جامعة الاسكندرية بانه ليس هناك بين اعضاء هيئة التدريس بالكلية .
دكتور باسم نبيل سليم
وهذا هو نص الرسالة

تفيد سيادتكم علما بانه لايوجد بين اعضاء هيئة التدريس والمدرسين المساعدين والمعيدين من هو باسم/نبيل سليم على أمير .. على مستوى جميع اقسام الكلية المختلفة وهذا للعلم .

أنت والهلال

● أغلاط لغوية ●

● لم أستطع فهم عنوان الصفحة ١٤٢ من هلال يونيه : « قبل أن « يزوى » ضوء الشموع ، وقد راجعت مادة « زوى » فى « المعجم الوسيط » لمجمع اللغة العربية . فلم يشرح لى كيف « يزوى » ضوء الشموع .. فهل هناك سر مقفل على افهامنا المسكينة ؟!

أم ان « الهلال » أصبح ملتقى كتاب لايميزون الذال من الزاى ، ويتفيهقون باستعمال التسعينيات بدل التسعينات ؟

كان الله فى عونكم وفى عون اللغة العربية .

اغناطيوس سركيس النجار
السكرتير العام لمجلس الأساقفة الكاثوليك بمصر

● تعليق الهلال :

ـ واضح أن الكلمة الصحيحة هى « يذوى » بالذال ، وأن « يزوى » بالزاى خطأ مطبعى ، ومن حقك أن تثور لهذا الخطأ ، فنحن أيضا نثور عليه وعلى الأغلاط الأخرى .. أما قولك إن بعض كتابنا يستعملون ياء النسبة فى الأرقام مثل التسعينيات ، فليس هذا خطأ بل هو الأصح ، ولكن مجمع اللغة العربية أقر مثل هذه الكلمة بدون ياء النسبة بعد أن شاع استعمالها .. وليس استعمال « التسعينيات » « تفيهقا » كما تتصور ولكنه حرص على استعمال الأصح ، ومع ذلك فنحن لانستعمل ياء النسبة فيها إلا نادرا ، ولاداعى لقولك إن الهلال أصبح ملتقى كتاب لايعرفون الفرق بين الذال والزاى ، فهذا القول فيه مبالغة شديدة جدا .. كنا نرجو الا تقع فيها ، فلاشك أن فيهم من يعرف الذال والزاى كما تعرفهما أنت على الأقل ..

● الفرار ●

● اقصوصة فى كلمات :

● سعيدا للغاية يجلس بجوار عروسه ....
يفاجأ بزوجته الأولى تتقدم نحوهما ....
ينهض مذهولا ..
ثم ... لايجد أمامه سوى أن يسرع بالفرار ....

تهرول خلفه العروس
ومن خلفهما الزوجة الأولى
لم يفهم أحد من الحاضرين ماهذا الذي يحدث !!!!
ولكنهم أحسوا بضرورة عمل شيء ..
أي شيء ..
و.. لحظات .. يسرع بعدها المدعوون متدافعين خلف موكب الفرار

مرفت السنوسي
١٨ شارع روض الفرج ـ القاهرة

• سنوات المدرسة •

كنا معا في المدرسة
وعلى حوائطها رسمنا
بالطباشير الصغيرة بعضنا
وبيوتنا وغصون توت
في الفصل وقت الأسئلة
في التو ترفع اصبعا
فارفع اصبعين
فاقوم انسى الأسئلة
وتجيب بعدى توأمى
كبرت وقالت من انا ؟
وتكاملت جسدا وروحا في العيون
وقالت من انا ؟!
ورأت صديقات جدد
وتانقت بملابس مستوردة
بعطور أوربا على خصلاتها المتمردة
ونست طريق المزرعة
ونست عيوني الصامتة
ونست ربابِ المدرسة

ماهر محروس محمد ـ طنطا

● ملامح صورة قديمة ●

● من خلال متابعتي لمجلتي « الهلال » أدركت أنها لاتدخر جهدا في متابعة وتبني وتشجيع الأقلام الجديدة اذا ما استشعرت فيما يكتبونه شيئا من الجدية .

شجعني ذلك ودفعني إلى أن أكتب إليكم بانتاجي الشعري راجيا أن يأخذ مكانه على صفحات مجلتكم إذا ماشعرتم أن به أملا واعدا .. وسيكون ذلك شرفا كبيرا لي .

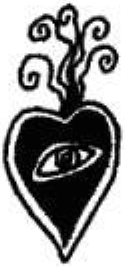
مازال حلم الخروج يراود
كل مسامي
ولازلت أعشق تلك النوافذ
حين تفوت عليها شجون القمر
ولازلت أرنو لوهم التغير
ولازلت أسبر صدر البدايات
غور النهايات
بسهم القدر
وأشعر أني عجوز
يعاني ارتعاش الليالي
ويصبو إلى حجرة من السهد
والاحتراق الجميل
وأنظر حيث الحياة موات
وكل الحراك ثبات
ومقعد درس قديم
بحجرة درس قديمة
علاه الغبار القبيح
وقد كان حلم السحاب
وقد كان يوما حديث المطر
ويخرس صوت المكان
كأن المكان يود يسائل :
ماذا جرى لمن صبر ؟!
ماذا جرى .. وما الخبر ؟!



عادل عبدالظاهر أحمد

مرشد سياحي - ليسانس الألسن - لغة ألمانية سنديون - قليوب

• اعتراف •



ماكان لقلبي أن يكشف عن مطلق روعتها
الا حين انهالت من نافذة الغرفة ..
تسالنى العاطفة الأولى
والشجن الأزلى المثقل
ماكان لقلبي كي تشعل ميعاد جنونى
الا حين اراها
فتفلجئنى عيناها بالترحال ...
وتصمت ثم تثور
فاسالها عن شيء حيث يكون بخارطة الوجد
يسمى الوطن بقايا
ويسميني المنفى
فتصمت ثم تثور
فاسالها عن شيء
حين تداركناه وسميناه البحر ..
تعلمنا كيف نحب العالم
لكان العالم يا (.....)
مختبيء فى اروقة العشاق ..
فتصمت ثم تثور فاسالها
هل كان لديك سؤال حين سالتك ؟!!
قالت : لا ..
والآن أراها تغلق عينيها
وتفجر فيّ سؤال الوقت ..
وتصمت !!



جمال عطا احمد ـ اسيوط

• الحب الثانى •

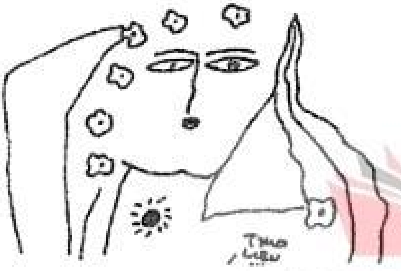
ياحبى الثانى ..
انى مشتاق أن القاك
وانا لا اطلب أن تهوانى

ياحبى الثانى .. يا أشواقا فاقت وصف الكلمات ..
أرجو أن تسرع ياحبى ..
فأنا أخشى أن يتجمد قلبى تحت برودة عشق مات
ياحبى الثانى .. إنى مشتاق أن تهتز الروح بجسمى بعد ركود

عبدالعزيز الشراكى - المنصورة

• كونى •

كونى أزهارا اقطفها
من أجمل بستان
كونى انهارا تروينى
من فيض حنان
كونى أوتارا تعزف لى
عذب الألحان
كونى إصرار يخضع لى
زمن الحيتان
كونى أشعارا يعشقها
قلب الإنسان



حسن شراقى - السباعية غرب - أسوان

• إلى أصدقائنا •

● سامي حنا - الفيوم :
- قصة « العقد » التى ترجمتموها عن جى دى موباسان هى أشهر قصصه عند القارىء العربى لأنها ترجمت مرارا خلال خمسين سنة، فلماذا عدتم إلى ترجمتها مرة أخرى ؟! ..
● رمضان عبداللطيف حامد - قوص :
- قصيدتكم « نهر السحر » صحيحة الأوزان، ولكن الديباجة

ينقصها الكثير ، وكذلك المعاني .

● سلام بولص حنا الصحران ـ بغداد الجديدة ـ بغداد ـ العراق

ـ كان سلامة موسى يشرف على « الهلال » في بعض السنين ، قبل ستين عاما تقريبا ، وأما الأسئلة الثمانية التي تطلبون إجابة عنها وكلها تتعلق بسلامة موسى ، فنستطيع تلخيص الاجابة عنها فيما يلي :

ـ كان متزوجا ، وله أولاد ، وله أشقاء وشقيقات ، ولم يلتق ببرنارد شو ولا فرويد إلا في صفحات كتبهما ، وليس هناك احتفال سنوى دائم بذكراه ، وهذا شأن جميع الأدباء المصريين ، وقد قدمت الاذاعة المصرية عنه كلمات في مناسبات مختلفة ، وكان قبل وفاته مريضا ولما توفى رثاه عباس محمود العقاد وكثير من الأدباء ، وكان لشبلي شميل وفلسفته المادية تأثير في سلامة موسى ..

● صلاح الشهاوى ـ دمشيت ـ طنطا .

ـ المائة الأعظم اختارهم الأستاذ حسين أمين لأنه لايستطيع أن يختار بضعة ألوف وليس هدفه سرد تاريخ هؤلاء العظماء ونسبهم بإسهاب ، بل تقديمهم بإيجاز ، وجميع ماذكرتموه عن الشيخ جلال الدين السيوطى يعرفه حسين أمين ولكنه لم يجد داعيا لسرده على القارىء .

● محمد عباس على ـ ٦٣ شارع مصطفى أبو هيف ـ الاسكندرية .

ـ قصتكم تدل على موهبتكم ، ولكن مازال أمامكم شوط غير قصير للتمرس بهذا الفن الذى يبدو سهلا لكنه صعب ! ..

● ونشكر لأصدقائنا السادة : محمود عبدالمجيد أحمد .. المتولى الصباحى المتولى .. عاطف عبدالكريم أحمد . حسن احمد سمارة عبدالرحيم الماسخ .. محمد أمين العيسوى .. حسام الدين ياسين علوان عاصم فريد البرقوقى .. رشاد جاب الله على .. محمد محمد نعمان على .. ابو الحسن ابراهيم البدوى السيد عصر .. حمدى محمد عبدالموجود رضا ابراهيم عبدالمعطى .. سعاد أحمد الصاوى . أحمد بشار بركات . طارق محمد صادق احمد .. خالد السيد على محمد . حسن على محمد جابر . سعيد محمود .. وجيه عشم .. حنان حسن محمد عبدالعال . عادل عبدالظاهر احمد . جمال عطا أحمد .

الكلمة الأخيرة

كلمات فى الحب والأسى

يامن كنتم احبتي كيف تركتموني حين بحثت عنكم .. وحدى ..

واتكر ساعة الضياع وساعة التعاسة انكم كنت يوما حولي ، كنتم يوما احبتي وصحبتي ، كنتم يوما وجودى ودنياى .. كيف .. يامن كنتم احبتي .. كيف اتفض السامر لحظة الحزن والتعاسة فلا اجدكم حولي ..

ياحبتي انا من كنت ، انا من احبيتكم .. لم يتغير شيء سوى انني اريدكم ، ابحث عنكم .. فلا اجدكم .. الا تجذبكم الا رائحة السعادة ومعنى الرضا فان عبس الوجود ، وانهزم الرضا ، عبستم وانهزمتم ..

ما اضيع الحب وما اتعس ان نفرط حبات قلوبنا حصى ورملا تحت اقدام من نحب ان لم نجد قلوبهم رفرفة اجنحة حنان حول قلوبنا التعسة حين نتعس ونضيق ونتالم ..

والقلب المحب وحده لا يصنع شيئا .. انما هو وجود يرتبط بوجود كل قلب جاوب خفقاته ، واهتز لسعاداته ، وتعس لآلامه ، ونبض معه صدق الحس ، ومعنى رقة الشعور .. فان غدا وحده ، كف عن النبض واحتضر ومات ..

ادور حولي وادور ، وتدور بي الحياة كلها ، فاذا انا نبت منفرد يرتبط بالارض بساقه العجفاء تتحول مع الريح ولا تقوى على الحركة ، واذا كل ذكرياتي عن الحب ان نسمة جمعت رائحة زهرى الى روائح الزهور حولي ، ان نحلة مرت فرفت بي ومكثت ثم رفت بزهرة مونعة الى جوارى ورفت ، ثم انتقلت الى زهرة اخرى الى جانبي فانبعث رحيقها ، ثم رفت ..

وانا وحدى وسط كل الزهور ، ذكريات مرت ، وساق عجفاء ترتبط بالارض وحدها وكل نبت جنبي يرتبط وحده بالارض بمثل ساقى العجفاء الوحيدة المستسلمة الساكنة ..

الف حلم لم يكتمل ، والف جملة وقفت عند كلماتها الناقصة فلا تفيد ..

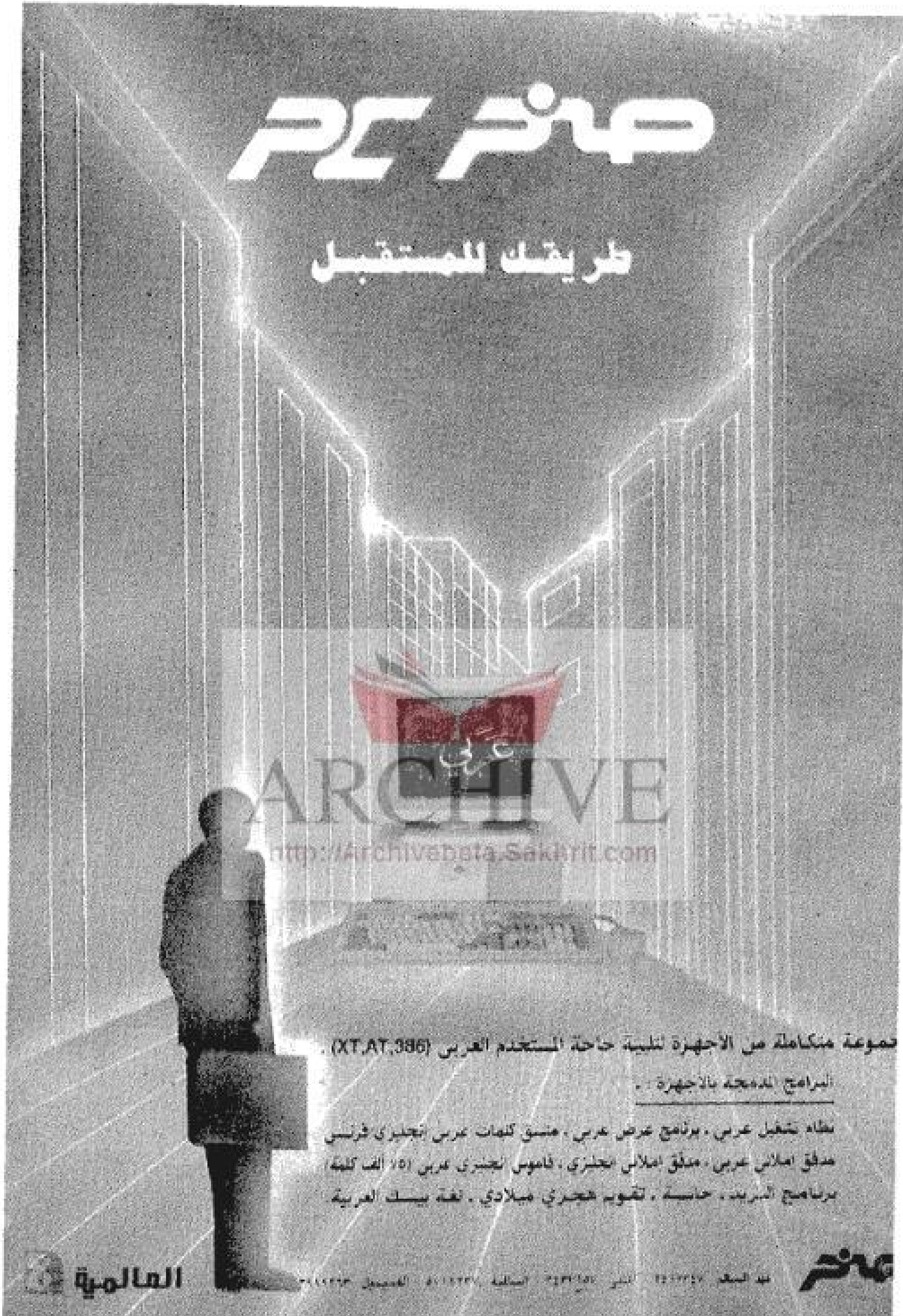
وضاع العمر ذكريات عطاء ، وهمس حب ، ومتعة نحل وافد لا يستقر ولا يكتفى .. والساق عجفاء ، عجفاء من كل جماله اكتملت بالحب ساقه منذ حين فجنب المرارة والوحدة والتعاسة .. ولم يسال ابدا مثل سؤالي ..

يامن كنتم احبتي كيف تركتموني حين بحثت عنكم .. وحدى .. نعم كيف .. كيف ؟ .. كيف ؟ ..

فاروق جويدة






صخر PC
طريقك للمستقبل
مجموعة متكاملة من الأجهزة لتلبية حاجة المستخدم العربي (XT,AT,386)
البرامج المدمجة بالأجهزة :
نظام تشغيل عربي ، برنامج عرض عربي ، منسق كلمات عربي انجليزي فرنسي
مدقق املائي عربي ، مدقق املائي انجليزي ، قاموس انجليزي عربي (٥١ الف كلمة)
برنامج البريد ، حاسبة ، تقويم هجري ميلادي ، لغة بيسك العربية
صخر
العالمية

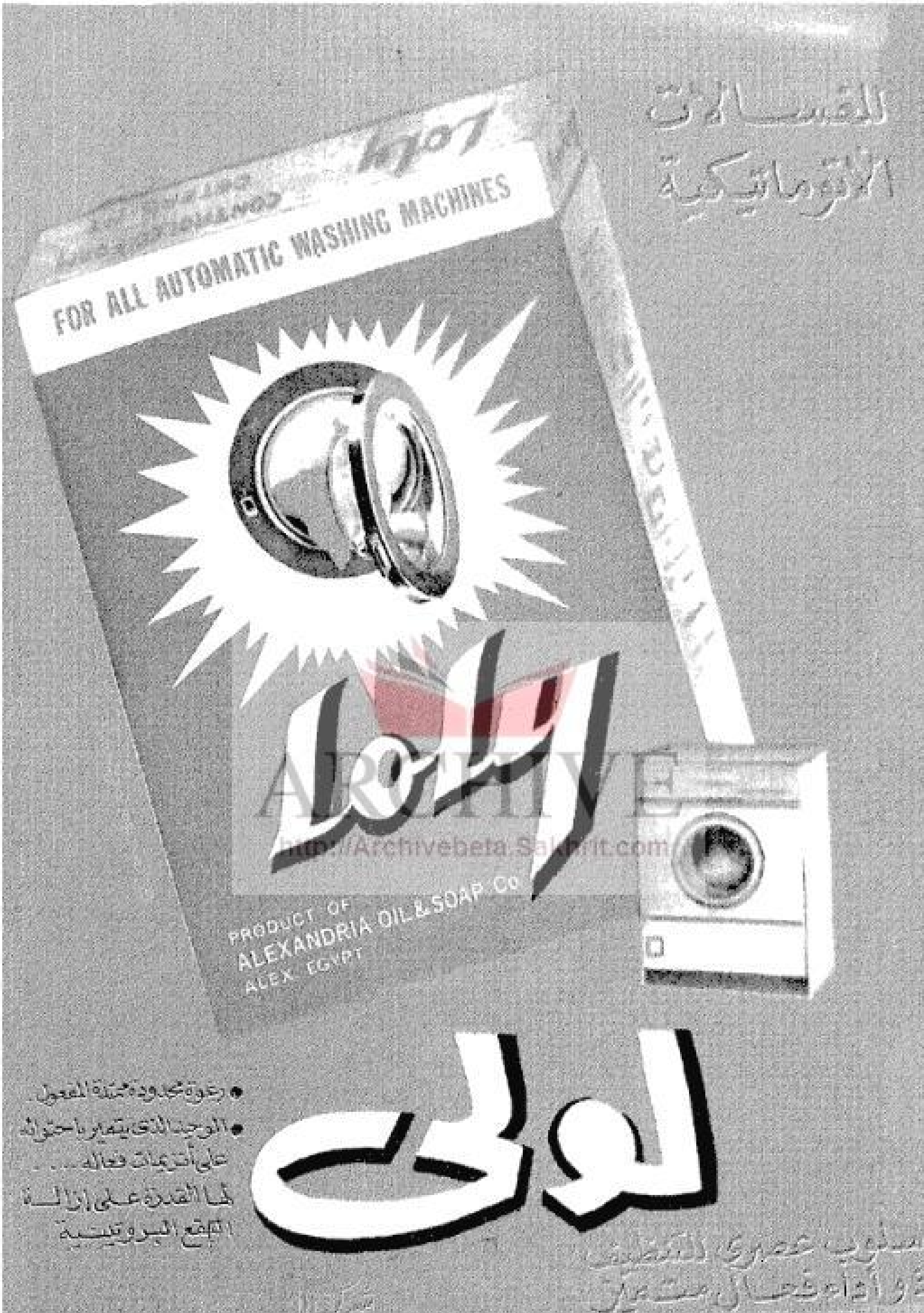
اكتوبر ١٩٩٠ • الثمن ٧٥ قرشا

الهلال

ناصر وهزيمة يونيو .. صدام وأزمة الخليج

«دموع بهية» على مر العصور




للغسالات
الأتوماتيكية
FOR ALL AUTOMATIC WASHING MACHINES
PRODUCT OF
ALEXANDRIA OIL & SOAP Co
ALEX. EGYPT
• رغوة محدودة ممتازة المفعول
• الوحيد الذي يتميز باحتوائه
على أنزيمات فعالة ....
لها القدرة على إزالة
البقع البروتينية
أسلوب عصري للتنظيف
وأداء فعال متميز

الهلال

مجلة ثقافية شهرية
تصدرها دار الهلال
أسسها جورجي زيدان
عام ١٨٩٢ ميلادية

السنة الثامنة والتسعون • أكتوبر ١٩٩٠ - ربيع أول ١٤١١ هـ

تحتفل الامة الاسلامية فى مشارق الارض ومغاربها بذكرى ميلاد محمد ابن عبدالله ﷺ الرسول الأعظم ، الذى اضاءت الدنيا بنوره يوم مولده ، وكان بعثه لهداية العصاة ورحمة للانسانية ونورا يشع فى ارجاء الأرض من مشرقها الى مغربها .

جاء الرسول باعظم رسالة عرفتها البشرية فهو الرحمة المهداة من رب العالمين وهو الذى بُعث رسولا للسلام والاخاء والعدل ونبذ الفرقة بين ابناء الدين الواحد .

وشهد العرب خاصة على يديه الاخاء والحب والتراحم ، وعاشوا يتمسكون بسنته وهديه فى ظل وحدة اسلامية رائعة ، وتحابوا على درب دين سمح يبغض التقاتل والتشاحن ، وكانوا فى فترات طويلة رمزا للرسالة المحمدية وما نادت به .

واليوم .. هل نعود الى سنة نبينا ، نرتضى ما جاءت به ، نطبقها فى حياتنا وفى حل نزاعاتنا ومشكلاتنا ونحتكم قبل ذلك الى كتاب الله دستورا لنا ؟

اذا فعلنا ذلك ما عصفت بنا العواصف وتمزقت وحدة المسلمين .. تلك الوحدة التى كنا نباهى بها الامم !!

فكر وثقافة

● جـزء خـاص عن الدكتور لويس عوض

في هذا العدد



الغلاف بريشة الفنان : حلمى التونى

قيمة الاشتراك السنوى تسعة جنيهات فى ج . م . ع . تدفع مقدما نقدا او بحوالة بريدية غير حكومية ، وعشرة دولارات فى البلاد العربية ، وعشرون دولارا لباقى دول العالم ، والقيمة تسدد مقدما بشيك مصرفى لامر مؤسسة دار الهلال ، ويرجى عدم ارسال عملات نقدية بالبريد .

دائرة الحوار

فنون

رسائل صحفية

قصة وشعر

الأبواب الثابتة

دار الهلال

القاهرة ـ ١٦ شارع محمد عز العرب بك (المبتديان سابقا) ت : ٣٦٢٥٤٥٠ (٧ خطوط)
المكاتبات : ص . ب . ٦١ العتبة ـ القاهرة ـ الرقم البريدى ١١٥١١ ـ تلغرافيا : المصور ـ القاهرة ج . م . ع .
تلكس : TELEX : 92703
HILAL U N
فاكس : FAX : 3625469

ثمن النسخة
لبنان ٧٠٠ ليرة ، الأردن ٦٠٠ فلس ، الكويت ٥٠٠ فلس ، العراق ١٠٠٠ فلس ، السعودية ٧ ريالات ، الجمهورية اليمنية . ٥٠٠ فلس / ١٠ ريالات ، البحرين ٨٠٠ فلس ، قطر : ٧ ريالات ، الامارات العربية المتحدة ٧ دراهم ، سلطنة عمان : ٧٠٠ بيسه ، تونس ١٤٠٠ مليم ، المغرب ١٥٠ درهما ، غزة والضفة : ٧٥ سنتا ، انجلترا ١٢٥ بنسا ، ايطاليا ٢٧٠٠ ليرة ، الولايات المتحدة الامريكية ٤٠٠ سنت ، كندا ٥ دولارات

عزيزى القارئ

الأمة العربية فى ذكرى شاعرها

فى ١٤ اكتوبر الحالى تمر الذكرى الثامنة والخمسون لرحيل أمير الشعراء احمد شوقى ، فلعل ذكراه لاتمر بنا دون أن يلحظها احد منا ، ولعلها لاتضيع فى عصف الرياح التى تزار الآن فى البلاد العربية شرقا وغربا ، بل فى العالم كله من اقصاه إلى اقصاه ..

لكن الحقيقة أن ذكرى أحمد شوقى الذى كان شاعر الأمة العربية ، لايمكن ان تلقى الآن الحفاوة الجديرة بها ، لأن شوقى كان شاعر الأمة العربية عندما كانت على قلب رجل واحد ، فكان شوقى يعزف بقيثارته الملهمة ويغنى الأمة العربية الحانه الرائعة فى ظل بنيان مرصوص من مشاعرها يشد بعضه بعضا :

كان شعرى الغناء فى فرح الشرق ... وكان العزاء فى احزانه

والعجب كل العجب أن « الشرق » الذى يذكره شوقى ، ومعناه فى لغة عصره « الوطن العربى والاسلامى » .. كان من وحدة المشاعر بحيث استطاع شاعر واحد أن يكون هو المغنى الذى يلتف حول جميع أبناء ذلك الوطن الشرقى المتحد الوجدان وإن كان فى ذلك العهد ممزق الكيان ، مهدوم البنيان ..

كانت البلاد العربية عهدئذ محتلة بالعسكر الأوربى من اقصى المغرب إلى اقصى المشرق ، ولم تكن بين الدول الاحدى والعشرين اعضاء جامعة الدول العربية الآن ، دولة واحدة مستقلة ، ولكن الجرح الذى كان يصيب الانسان العربى فى مصر او سوريا او العراق كان يحس به الانسان العربى فى كل بلد عربى :

كلما أنَّ بالعراق جريح ... لمس الشرق جنبه فى عمانه

وهذه الوحدة كانت مع ذلك وحدة أناس مكبلين باغلال الحديد :

وعلينا كما عليكم حديد ... تتنزى الليوث فى قضبانه

هكذا كان شوقى يقول فى تلك الايام ، وكانت أمة العرب المقهورة تحت نير الاحتلال والاستيطان والابادة ، تسمع إلى شاعرها هذا الذى تتمثل فيه مشاعرها المتحدة والذى غنى للشرق كله ، اى للبلاد العربية والاسلامية كلها باعتبارها هما واحدا ، وحزنا مشتركا ، ومصيرا مأمولا مرتقبا برغم الهموم والأحزان !

نصحت ونحن مختلفون دارا ... ولكن كلنا فى الهم شرق

فكيف حدث أن شوقى كان صوت الأمة العربية والاسلامية كلها فى زمن لم يكن لهذه الأمة

كيان سياسي ، ولم يكن لها فيه ولو دولة واحدة صغيرة ذات استقلال حقيقي ؟! ..

لقد حدث ذلك تحت راية المشاعر الأخوية التي وحدها الأمل والعمل من أجل الهدف الواحد والمصير الذي يشمل الجميع .. وكان ذلك ممكنا في ذلك العهد الذي كان فيه العرب والمسلمون يكابدون مؤامرات الابادة ويواجهون أسباب الانقراض والزوال ، ويرون رأي العين كلمة « النهاية » ماثلة أمامهم ! ..

والآن ، بعد سنوات طويلة من التحرر والاستقلال ، تذهب كل قطعة من الأرض العربية والاسلامية برايتها ونشيدها ، وتنقطع الأخوة والوحدة ، فلا يمكن إلا أن ينقطع احتشاد الامة حول شاعر واحد يتغنى لها بشعره ! ..

إن عبقرية شوقي لم تكن وحدها صاحبة الفضل في اجتماع الأمة حول صوته الشعري الفذ ، ولكن الفضل الأكبر كان للمشاعر المتحدة لتلك الأمة التي كانت في فجر يقظتها ، وفي أولى خطواتها ، وفي باكورة إحساسها بوجودها ، ولم يكن قد داخل بنيها طمع من الأطماع ! ..

ولو أن الأمة مضت في يقظتها ووحدة إحساسها ، لكان ممكنا أن تجتمع حول صوت شاعر واحد ، أو أصوات شعراء كثيرين يتغنون بحلمها الواحد ، ويعبرون عن وجدانها الذي لايمكن أن ينقسم ..

إلا أن الأمة لم تمض في الطريق ، فلم يظهر فيها شوقي مرة أخرى ، ولايمكن أن يظهر ، ولو أن شوقي عاد إليها من جديد لوأدته بيديها ودسّته في التراب ! ..

إن التاريخ يحتفظ بمشهد رائع ، إذ اجتمع شعراء العالم العربي لمبايعة شوقي بإمارة الشعراء في ربيع سنة ١٩٢٧ وكان على رأس ذلك المشهد التاريخي سعد زغلول باشا قائد ثورة ١٩١٩ ورائد شعوب الشرق ..

فهل يمكن أن يتكرر هذا المشهد في أيامنا ؟! ..

كلا بطبيعة الحال ، لأن ذلك المشهد إنما رسمته وحدة التعلق بأمل مشترك ، ووحدة الجرح الباحث عن دواء للجسد الواحد المثخن بالجراح ..

ومن عجب أن هذه الأمة حين عالجت جراحها القديمة ولم يبق إلا أقلها ، انفرط عقدها ، وتفرق أمرها ، ووثب بعضها يحارب بعضا ، ويقتل الأخ أخاه ! ..

إن أحمد شوقي كان آخر شاعر للوجدان العربي ، لأنه كان يخاطب وجدانا لم تمزقه الشقاقات .. ولو ظهر في وقتنا الراهن من هو أشعر من شوقي لما استطاع أن يصنع كما صنع شوقي لأن الظروف التي دبرها التاريخ وحشدها بين يدي شوقي ، وأعانه بها ، وشد أزر موهبته .. لم يعد لها الآن وجود ..

فليت شعري .. أتتقدم الأمة العربية أم تتقهقر وتتدهور ؟! .. وهل كان تحررها من الأجنبي إيذانا باشتجار الرماح بين أبنائها ؟! .

سؤال يؤلم كل عربي ، وستكون إجابة التاريخ عنه بالغة الصرامة ، وسيتحمل المسئول مسئوليته كاملة .. ولكن هل تقرأ الأمة العربية حينئذ مايكتبه التاريخ أم يكون وجودها ذاته قد صار في ذمة التاريخ ؟! ..

« المحرر »

هل توجد فى مصر مدارس علمية ؟

بقلم : د. مصطفى سويف

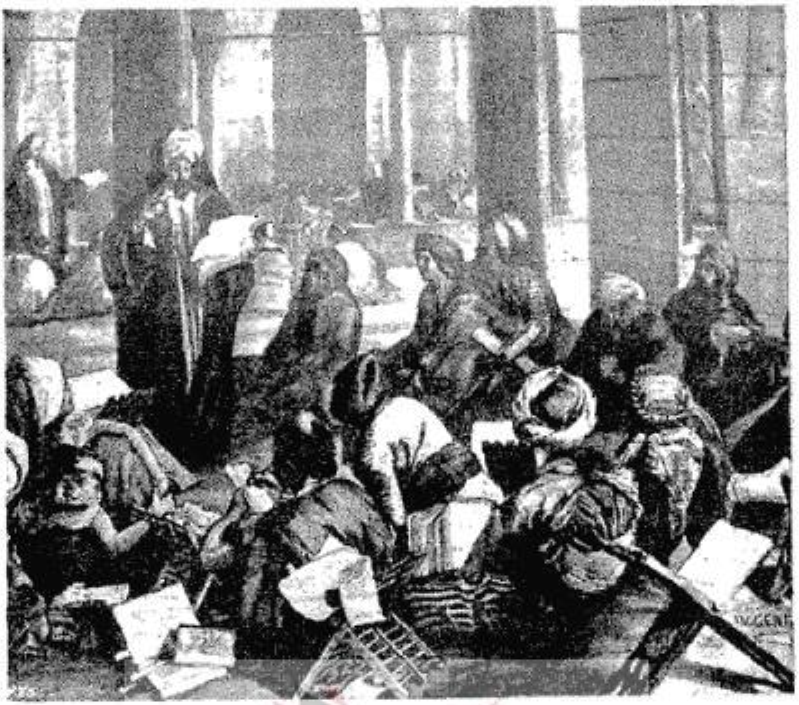
سئلت اكثر من مرة . هل توجد في مصر مدارس علمية ؟ واكبر الظن ان هذا السؤال قد وجّه الى كثيرين غيرى ممن يعملون فى سلك التدريس الجامعي او فى مراكز البحوث ، وبغض النظر عما نلمحه احيانا من ان السائل يضمر اجابة بعينها وكانما هو يبحث عما قد يزيده يقينا من صدق مايضمره ، او ما نلحظه احيانا اخرى من انه يستفسر فعلا دون ان يرتبط برأى مسبق ، فلا جدال ان السؤال هام ولا يجوز تجاهله او الزوغان من مواجهته ، بل ان اهميته لتتعدى اسوار الجامعة ومراكز البحوث ، وذلك من منطلق ان للعلم وظيفته القومية ، الى جانب وظائفه الأخرى التى يسهم بها فى تقدم البشرية عامة .

ومن هنا كان من حق المثقفين عامة ، وكل من يهمه حاضر البلاد ومستقبلها ان يثير هذا التساؤل وماينداعى عنه ، ومن حقه ان يتوقع إجابة شافية على سؤاله .

غير ان الاجابة المفيدة والامينة تقتضى اولا ان نتفق على المسميات حتى لايصبح الحديث لغوا او ماهو اسوأ من اللغو ، فماهو المقصود بالمدرسة العلمية فى هذا المقام ؟ هذا هو ما افردنا له هذا الحديث ، فاذا ما اوضحنا ذلك بما لايدع مجالا للخلط والالتباس كان لنا حديث اخر عن الكيفية التى تتكون بها والاساليب التى تعمل من خلالها تلك المدارس ، فاذا فرغنا من ذلك ايضا امكن التقدم نحو الأجابة الشافية عن وجود المدارس العلمية فى مصر او غيبتها عنها .

● ماهى المدارس العلمية

يشير مفهوم المدرسة العلمية فى ابسط معانيه الى تجمع عدد من الباحثين حول استاذ يعتبرونه قيادة فكرية فى ميدان معين من ميادين التخصص ، وقد يكون لهذا التجمع مقر معين كأن يكون قسما من الاقسام العلمية فى احدى الجامعات او فى احد مراكز البحوث ، وقد لايكون له مقر اذ يتم التتلمذ على الاستاذ عن بعد ، والغالب ان تكون المسألة وسطا بين هذين الطرفين ، فتكون للمدرسة نواة مستقرة حول الاستاذ فى مكان بعينه ، ولكنها



درس في الأزهر .. صورة تاريخية

مجرد نواة ، في حين أن بقية الباحثين الذين يعملون بوحي من أفكار هذا الأستاذ وأساليبه ينتشرون في معاهد أو بلاد أو قارات أخرى . ومن هنا كان الاهتمام الفائق بدعم طرق الاتصال بين الباحثين ، يدخل تحت هذا البند الأسفار والندوات المحدودة والمؤتمرات والنشرات الدورية وغير الدورية . فلولاها لما أمكن أن تمتد الرقعة المكانية للمدرسة العلمية أحيانا عبر الأوطان والقارات .

من هذا الوصف نستطيع أن نستنتج أن الأركان الأساسية للمدرسة العلمية أربعة . هي : الأستاذ كقيادة فكرية ، والباحثون العاملون مع هذا الأستاذ وتحت قيادته ، ثم مجال التخصص وأخيرا أدوات الاتصال .

وبدون تكامل هذه الأركان الأربعة لا تقوم مدرسة علمية . وبعبارة أخرى فإن كلا من الأركان الأربعة يعتبر شرطا ضروريا لقيام المدرسة ، لكنه وحده ليس شرطا كافيا . غير أن معنى المدرسة العلمية ككيان حي ، لن يتضح في ذهن القارىء إذا نحن اقتصرنا على التعريف الذي أوردناه ، والأركان الأربعة التي أرسيناها . ولابد لاكتمال الوضوح من إلقاء مزيد من الضوء على الدور أو الأدوار

هل توجد فى مصر مدارس علمية

التى يقوم بها الاستاذ بين تلامذته ومريديه .

● الأدوار المتعددة للاستاذ

يحدثنا التاريخ عن المدارس العلمية كجزء لايتجزأ من تاريخ العلم نفسه ، فالظاهرة قديمة قدم الاشتغال بالبحث العلمى ، والرحلة فى هذا التاريخ مهمة ممتعة ومعلّمة فى آن معا ، لكننا لن نفتح باب الحديث فى هذا الموضوع الآن ، وكل مايهمنا فى مقالنا الراهن هو الاشارة الى حقيقتين هامتين تصدقان على مر التاريخ ، وهما تتعلقان بدور الاستاذ فى المدرسة : الأولى ان هذا الدور تراوح بين قطبين متباعدين ، فهو اما دور بارز لدرجة تقرب من التفرد وكأن الاستاذ هو الذى يفكر فى كل كبيرة وصغيرة ، وهو الذى يخطط للمهام العاجلة والآجلة ، ولا يترك للتلاميذ سوى تبعية التنفيذ ، هذا قطب . والقطب الآخر على الضد من ذلك ، حيث نجد دور الاستاذ يذوب بين جهود تلاميذه لدرجة يكاد يتعذر معها اكتشاف اين تنتهى تعاليم الاستاذ واين تبدأ اسهامات التلاميذ ، وبين هذين القطبين توجد درجات لا حصر لها من التمايز او التداخل ، هذا عن الحقيقة الأولى .

أما الحقيقة الثانية فتتمثل فى تعدد جوانب الدور او فى تعدد المهام التى يقوم بها الاستاذ فى مدرسته .

ولما كانت بعض هذه المهام قد اختفت بانتهاء عصور معينة أو نتيجة لتحولات جذرية فى الاطر الحضارية التى كانت تحتويها بينما بقيت بعض المهام الأخرى ، فقد رأينا ان ينصب حديثنا الراهن فيما تبقى منه ، على هذه المهام التى احتفظت بهويتها عبر الأطر الحضارية المختلفة والأزمنة المتتابعة ، وفى رأينا ان هذه المهام خمس وهى :

● الاستاذ كمعلم : من المحقق ان هذه المهمة تأتى فى المقام الأول بين مهام الاستاذ ، فلولا ان لديه معلومة جديدة يعلمها لتلاميذه ، او مهارة جديدة ، للتدريب عليها ، لما تبوأ مكانة الاستاذ اصلا ، وكان « الفرد كنزى » رائد دراسات السلوك الجنسى فى اواسط

الأربعينيات يفاجىء تلاميذه ومساعديه بكثير من المعلومات الجديدة عليهم ، وكان يصر منذ الخطوات الأولى فى انتظامهم فى سلك التلمذة على ان يتعلموا مهارة استجواب المتطوعين من الرجال والنساء بالطريقة المنهجية السليمة ، وكان يشارك بنفسه فى تدريبهم على كيفية اجراء هذا الاستجواب . والقاعدة العامة التى تصدق على « كنزى » ومدرسته كما تصدق على غيره من الاساتذة والتلاميذ انه مع مرور

الأيام والأعوام على استمرار تماسك المدرسة ومواصلتها النشاط بتغير مضمون التعليم وأسلوبه . فبعد ان كان المضمون يتألف من معلومات تفصيلية بعينها اذا به يقترب شيئا فشيئا من التصورات العامة واستراتيجيات الفكر ، وبعد ان كان الاسلوب اقرب الى التلقين الصريح يتحول بالتدريج ليصبح اقرب الى التلميح والايحاء . وفى ذلك يقول « جيمس فان إلن » احد رواد علوم الفضاء : ما انا الا حادى الطريق ، والشباب من حولى يؤدون كل العمل ، وانا احب العمل مع الشبان اللامعين الذين يهتمون بزيادة معلوماتهم وتنمية مواهبهم وقدراتهم ، واعتبر ان افضل جزء فى حياة العالم هو عمله مع الطلاب الشبان .. كم يسعدنى ان اجد طالبا يحب الاشياء التى احبها انا ، ثم نبدأ مشروعا بحثيا مشتركا واحاول من جانبى ان اقود خطواته واوجهه يوما بيوم » .

ولا تقتصر هذه المهمة على الشكل الايجابى باعطاء المعلومة او تقديم التصور ولكنها تمتد ايضا لتتخذ لنفسها مايمكن تسميته بالشكل السلبى وتكون اوضح صور هذا الشكل عندما يكشف الاستاذ لتلاميذه عما يعتور معلوماتهم من ثغرات يلزم سدها . وكان « كلايدكلوكهون » وهو واحد من كبار



د . عبد العزيز الاهوانى

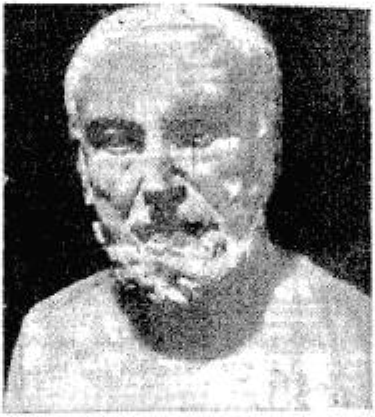
العلماء فى علم الحضارات ، يحرص على ان يفعل ذلك مع تلاميذه فى المواقف الحاسمة فى تاريخ تقدمهم العلمى ، كأن يكونوا قد فرغوا لتوهم من مناقشة رسالة الدكتوراه ، او يكونوا على مفرق الطريق بين منصب علمى سابق ومنصب علمى لاحق ، وجدير بالذكر ان ايقاع هذه المهمة يتجه الى مزيد من التمهل والبطء ، كما أن كثافتها تتجه نحو مزيد من التخفف ، فاذا توقفت تماما كان ذلك ايذانا بقرب افول المدرسة وانفضاض التلاميذ ..

● الاستاذ كقدوة : يثير الاستاذ كثيرا من التساؤلات فى نفوس تلاميذه

ومريديه ، بعضها يتعلق بالعلم الذى يتلقونه منه ويشاركونه فى صنعه والبعض الاخر يتعلق بشخصه ، وأيا ما كان محتوى هذه الاسئلة الأخيرة ، ومستوى صراحتها فلاشك ان الجذر الكامن وراءها جميعا هو ان هذا الاستاذ يقوم امامهم كقدوة ، فهم عندما يقبلون ألتتلمذ عليه لايرتبطون بعلمه فقط ، ولكن يرتبطون بشخصه كذلك ، يحدث هذا سواء كانوا على وعى به او لم يكونوا ، ومن هنا تنفذ اليهم بعض جوانب شخصيته ممثلة فى عاداته العلمية والحياتية ، وفى قيمه وتشكل سلوكهم فى تجاه يقرب بينه وبين النموذج الذى يشهدونه فى سلوك الاستاذ ، وفى سير حياة بعض العلماء مايلقى الضوء الكاشف على هذا الجانب من جوانب استاذيتهم ، فقد كان بومروى وزملاؤه من تلاميذ كنزى ومساعديه معجبين اشد الأعجاب بقدرة الاستاذ على تكريس كل دقيقة فى حياته لخدمة مشروعاته البحثية الكبيرة وما يصنيه نتيجة لذلك من عناء يتحمله بنفس راضية ، وكان « نوليس » (وهو متخصص فى علم النفس) واحدا ممن تتلمذوا على هذا الاستاذ لفترة محدودة ثم ادرك انه لايريد ان يقضى عمره فى خدمة التخصص الذى يهواه الاستاذ ، فاعتذر عن الاستمرار فى الارتباط به ، لكنه ظل لفترة طويلة يحمل للاستاذ مشاعر الاعجاب والولاء التى تبطن الاقتداء باستاذيته شكلا لا موضوعا . وانعكس ذلك بوضوح فيما كتبه من خطابات الى « كنزى » وجدير بالذكر ان بعض الاساتذة يكونون على درجة عالية من الوعى بهذا الجانب من مهمتهم فيبذلوا جهدا اضافيا لدعمه وترسيخ مقتضياته .. ويعتبر « أبقراط » وهو الجد الاكبر للطب الحديث واحدا من اولئك الاساتذة الذين تمثل عندهم هذا الوعى بدرجة ممتازة ، فكانت سيرته فى المهنة ومايحيط بها مثلا يحتذى ، واضاف الى ذلك مجموعة من الرسائل المشهورة موجهة الى تلاميذه فى كيف يصوغون سلوكهم نحو المهنة وحولها .

● الاستاذ كملجأ او ملاذ :

يتعرض الاستاذ احيانا لان يلجأ اليه بعض تلاميذه كملاذ لهم يطلبون مساعدته فى امر من امورهم الحياتية ، التى ليس لها صلة مباشرة بممارستهم العلمية ، ويبدو أن هذا التصرف يأتى من جانبهم كامتداد طبيعى لسياق الاعتماد العلمى على الاستاذ وربما كان هذا الجانب من مهام الاستاذية من اشد الجوانب تأثرا بالأطار الحضارى الذى يضم الاستاذ والتلميذ فحيث السلطة الأبوية لاتزال قوية نسبيا والعلاقة الانسانية مكثفة يزيد ظهور هذا الجانب ويكتسب وزنا كبيرا والعكس



الفيلسوف ابو قراط

صحيح حيث تضعف السلطة الأبوية وتنخفض العلاقات الانسانية .

ففى بلد كمصر او الهند يمكن ان يلجا التلميذ الى الاستاذ فى بعض اموره الحياتية اكثر مما يفعل نظيره فى انجلترا او الولايات المتحدة الامريكية لكن الظاهرة فى جوهرها لم تندثر ، ولا نظن انها ستختفى تماما فى اى مجتمع من المجتمعات التى تقوم فيها حياة علمية بل أن الوجه الاخر لهذه الظاهرة نفسها وهو تطوع الاستاذ بتقديم المساعدة الحياتية لتلميذه قبل ان يطلبها التلميذ بنفسه لاتزال أمر واردا فى جميع المجتمعات ، وكان ، « الفرد كنزى » يقلق على صحة تلاميذه اذا اعتلت ، وكان يتطوع بتقديم النصح لهم احيانا وكان يغضب كما يغضب الأب اذا لم يأخذوا ارشاداته ، ويعرف كاتب هذه السطور امثله كثيرة لوجهى الظاهرة ، الاعتماد من جانب التلميذ ، والتطوع من جانب الأستاذ ، حدثت مع اساتذة اجلاء من امثال عبد العزيز الأهوانى فى مصر وه ادوار تولمان ، استاذ علم النفس فى جامعة كاليفورنيا ببيركلى ، ومونتجومرى شابيرو فى جامعة لندن ، وهانز برنجلمان فى معهد ماكس بلانك للطب النفسى فى ميونخ .

● الاستاذ كصديق من الفضل التعريضات للصداقة انها علاقة انسانية تقوم بين شخصين ينجذب كل منهما نحو الآخر تلقائيا ، اى دون ضغط ، من ضرورات العمل او الاحتياجات المادية .. الخ .. وفى سياق التجمع الانسانى للذى تمثله المدرسة العلمية تنشأ مشاعر الصداقة كنبت طبيعى ، والغالب ان جميع الأطراف يرحبون بها ، التلاميذ فى مواجهة الاستاذ ، وفى مواجهة بعضهم البعض ، والاستاذ فى مواجهتهم . ويصف « بومروى » السياق الذى ضم الفرد كنزى ومريديه من هذه الزاوية فيقول « كانت هذه مجموعة صغيرة مشدودة الوثاق الى بعضها البعض .. ومع

هل توجد في مصر مدارس علمية

اننا جميعا كانت لنا صداقاتنا في الجامعة وخارج الجامعة فقد كان يجمع بيننا شيء اكثر من التكريس لعملنا الذي يستغرقنا تماما ، هذا الشيء الاضافي كان هو الاستاذ نفسه : فقد كان القوة الدافعة في حياتنا ، القوة التي يدور حولها كل شيء آخر وكان هانز ايزنك استاذ علم النفس في جامعة لندن يقضي كثيرا من اوقات متعته مع مريديه يلعب التنس مع رسل ويليت ويستمتع بالاحاديث الحرة مع راكمان وسيريل فرانكس ويشجع اقامة حفلات محدودة النطاق في كثير من المناسبات داخل قسم علم النفس بمعهد الطب النفسي حيث يعمل الجميع ، ويتضح من كثير من وثائق السيرة والسيرة الذاتية التي تؤرخ للعلماء ان هذه الصداقات لم تكن تنال من مكانتهم الاكاديمية في نفوس تلاميذهم بل العكس هو الصحيح ، فكانت الصداقات تدعم المكانة العلمية لانها لم تكن تمس جوهر الاحترام فيها ، ولكنها كانت تضيف الى الاحترام عنصر الدفء العاطفي ليحل محل البرودة والجفاف وامثالهما مما قد يترتب على اعتياد الحياد الوجداني ازاء موضوعات الدراسة العلمية ، ومن المحقق ان قيام علاقة انسانية على الاحترام مضافا اليه دفء الصحبة ، خير للعمل وللعاملين معا من قيام

قاعة الدرس في الأزهر .. صورة من منتصف القرن العشرين



الاحترام او التوقير مقرونا بالبرودة والجفاف .

● الاستاذ كمصدر للفخر او التفاخر :

جرى العرف فى ميدان الحياة الاكاديمية فى جميع المجتمعات والأزمنة التى شاع فيها نور المعرفة العلمية على ان يقدم الشخص منسوبا الى الاستاذ الذى درس عليه ، وعلى هذا النحو قدم راكمان استاذ العلاج السلوكى الذى ذاعت شهرته فى السبعينات والثمانينات قدم نفسه للعاملين فى معهد الطب النفسى بلندن عندما وفد عليهم لاول مرة حوالى سنة ١٩٦٠ قدم نفسه على انه تلميذ جوزيف ولبه ، وعندما سألت فى شبابى احد اساتذة كلية الطب بجامعة القاهرة قائلا من هو الدكتور « انرب » ؟

اجاب بانه تلميذ بافلوف وعندما قابلت اوفسيانكينا سنة ١٩٦٩ فى معهد الماكس بلانك للطب النفسى فى ميونيخ قدمت نفسها الىّ على انها تلميذة كورت ليفين .. الخ .. ولهذا التنسيب اهمية خاصة فى تتبع نشوء النظريات والتقنيات وتطورها بالنسبة لدارسى تاريخ العلم ، فشجرة الانساب العلمية هى افضل خريطة لمتابعة مسـار هذا التـاريخ ، ولكن بالاضافة الى هذه الوظيفة هناك مهمة اخرى يقوم بها هذا التنسيب وهى مهمة تمس العلاقات الانسانية اكثر مما تمس كيان العلم ، ومع ذلك فهى لاتقل وزنا عن سابقتها هذه المهمة هى شعور التلميذ بالفخر او بعلو المنزلة نتيجة للانتساب لهذا الاستاذ او ذاك ،

وكذلك شعور من يقدمونه على هذا النحو بأنهم يمنحونه التشريف الذى يستحقه نتيجة لهذا الانتساب ولكى نقدر هذا العنصر حق قدره ينبغى لنا ان نذكر انفسنا ببعض البديهات :

فالعلم لاينمو فى فراغ ، لكنه ينمو فى وسط انسانى له ظروفه وملابساته وتقتضى النظرة الواقعية الناضجة ان ندخل هذه الامور فى حسابنا عندما نقصد الى رعاية هذا النمو والتمكين له .

* * *

بهذا العرض للمهام الرئيسية التى يقوم بها الاستاذ بين تلامذته ومريديه بالاضافة الى تعريف المدرسة العلمية وتحديد الاركان الرئيسية التى تقوم عليها ، تكتمل للقارىء مجموعة العناصر التى من شأنها ان تعينه على ادراك معنى المدرسة العلمية ككيان حى . اما كيف تتكون المدارس وكيف تعمل فلذلك حديث آخر .

بقلم: د. على شلش

إيهاب حسن احد الطيور المهاجرة ، ترك مصر في سن الحادية والعشرين عام ١٩٤٦ لاستكمال دراسته في الولايات المتحدة ، وإعداد دكتوراه في الهندسة الكهربائية .

وما لبث أن غير إتجاهه وترك الهندسة والالكترونيات ، ودرس الأدب ، وحصل على الدكتوراه واصبح أستاذا للأدب بجامعة وسكنش ، كما اصبح من أبرز المشتغلين بالأدب المقارن ، وفيلسوفا لما اطلق عليه «ما بعد الحداثة» . .

ومنذ هاجر إيهاب حسن إلى امريكا لم يعد إلى مصر ، ولكن مؤلفاته العديدة تثير الكثير من القضايا .

وهذا عرض لأحد كتبه .

● تقطيع اوصال اورفيوس

لو لم يكن إيهاب حسن استاذا جامعيا يرعى حق العلم بمناهجه الصارمة لكان كاتبا مبدعا ، لا يقيم وزنا إلا للفكرة الملحة وتوصيلها إلى القارىء في اكثر الصور جاذبية . ولو لم يكن باحثا يعذبه السعي إلى معرفة الحقيقة لكان عازفا



هيمنجواى



صمويل بيكيت



د . ايهاب حسن

موسيقيا على البيانو بصفة خاصة ، لانه لا يكل ولا يمل من تكرار فكرته الملحة ، ولا يتوقف عن التنويع فى نغمات الفكرة عاليها وواطيها . وهو ـ إلى النهاية ـ فنان مبدع يستخدم الكلمات مقابل الانغام ، وكاتب ذو رؤية فكرية وفنية تتكشف من خلال تجربة الكتابة . وهو ـ على الاقل ـ كاتب فنان ضل طريقه إلى البحث العلمى والنقد ، او هو ناقد جرىء يريد ان يضع النقد داخل ساحة التجربة الابداعية ، وان يجعل منه فنا جميلا . وهو ـ فى الحقيقة ـ كل هؤلاء مجتمعين . فله أسلوبه الخاص فى عرض أفكاره ، ولغته جميلة تميل إلى النحت والتوليد فى المفردات والتراكيب ، اخذ من دراسته الاولى لهندسة الكهرباء طاقة الشحن ، وشرارة الاحتكاك بين السالب والموجب من الافكار

ومن أهم كتبه ، وأكثرها تعبيرا عن هذه الخواص السابقة ، كتابان لا يمكن تجاهلهما ، اولهما بعنوان « تقطيع اوصال اورفيوس » ، والآخر بعنوان «الوان من النقد الآخر» . وبين الاثنين نحو اربع سنوات فقط . فقد ظهر الأول عام ١٩٧١ ، وظهر الآخر عام ١٩٧٥ . ولكن يربط بين الاثنين خيط واحد لا يخطئه القارىء ، وهو خيط نسجه عقل مبدع دائم التساؤل ، شديد الاستقلال ، يدعو قارئه إلى اليقظة ، ويتطلب منه خلفية ثقافية غنية وواسعة ، فور أن تقع عيناه على عنوان الكتاب ، أو عنوان كل فصل من الكتاب .

● اسطورة اورفيوس

فى كتابه « تقطيع اوصال اورفيوس » يدعونا منذ اللحظة الأولى التى تقع فيها عيوننا على العنوان ـ كما ذكرت ـ إلى اليقظة والتاهب . ثم يتلو هذا

العنوان بآخر فرعي هو « نحو أدب لما بعد الحداثية » . وبذلك يثير فينا تساؤلا فوريا إذا لم تكن عندنا خبرة بالأساطير الاغريقية : من يكون اورفيوس الذي قطعت أوصاله ؟ ما دلالته هنا ؟ لنؤجل الجواب قليلا حتى نلم بقائمة محتوياته . وهذه تتكون من افتتاحية (يستخدم هنا مصطلحا شائعا في الموسيقى الغربية بمعنى الفاصل الافتتاحي) وعنوانه «قيثار بلا أوتار» ، ويلي ذلك الفصل الأول بعنوان « صاد : سجن الوعي » ، ثم فصل إضافي (يستخدم هنا مصطلحا موسيقيا آخر بمعنى الفاصل الاضافي) وعنوانه « من البتافيزيقا إلى السيريالية » ، يليه الفصل الثالث بعنوان «هيمنجواي : الشجاعة ضد الخواء » ، فالرابع بعنوان « كافكا : قوة الغموض » ثم فصل إضافي مرة أخرى بعنوان « من الوجودية إلى اللا أدب » ، يليه الفصل السادس بعنوان «جينيه : شعائر الموت » ، فالفصل السابع بعنوان «بيكيت : نهاية الخيال » ، وأخيرا يأتي فصل ختامي (يستخدم هنا مصطلحا موسيقيا ثالثا بمعنى الفاصل الأخير او الختامي) بعنوان « الشكل المتخفي »

ومن الواضح أن قائمة المحتويات بصورتها هذه تضيف الى لغز عنوان الكتاب ألغازا أخرى لابد من حلها قبل حل لغز العنوان الأساسي . فصاد هنا هو المركيز (كونت) ألفونس دونلسيين دى صاد (١٧٤٠ ـ ١٨١٤) ، وهو قصاص وروائي إباحي فرنسي ، عمل ضابطا بسلاح الفرسان ولكنه طرد من الخدمة بسبب اضطراب حياته وسوء سلوكه ، ثم انتهى أمره إلى السجن مددا طويلة ، فكتب عددا من الروايات المكشوفة ذات النزعة العدمية التي سبق بها كثيرا من الفكر نيتشه وفرويد والوجوديين وأنصار المذاهب الحداثية في الفن والأدب .

أما «البتافيزيقا» فهي مصطلح ابتكره الكاتب المسرحي ألفرد جارى (١٨٧٣ ـ ١٩٠٧) الذي عاش حياته صعلوكا في باريس بعد أن فشل في إكمال تعليمه ، ومات مشلولا من الفقر والعجز ، وترك بضع مسرحيات ذات نزعة عدمية رافضة للحياة والفن على السواء ، وكان يعد الكتابة « زلة لسان » . ويسمى مذهبه الفني «البتافيزيقا» ، ويفسره بأنه «علم المملكة التي وراء الميتافيزيقا .. سوف يدرس القوانين التي تحكم الاستثناءات ، وتفسر الكون المكمل لهذا الكون» ، أو هو «علم الحلول الخيالية التي تصف الأشياء من واقع حقيقتها وتنسب خصائص هذه الأشياء ـ بطريقة رمزية ـ الى سماتها المميزة» ، وهذا تعبير غامض عن معنى أكثر غموضا ، وتمحك بالعلم . وأما السيريالية فأمرها معروف ، وكذلك الروائي الأمريكي هيمنجواي (١٨٩٩ ـ ١٩٦١) وزميله التشيكي فرانز كافكا (١٨٨٣ ـ ١٩٢٤) والوجودية ، والروائي الفرنسي جان جينيه (١٩١٠ ـ) وزميله الايرلندى صامويل بيكيت (١٩٠٦ ـ ١٩٨٩) .

عند هذا الحد ننتقل الى اورفيوس ، وهو شخصية أساسية عند الاغريق في الأساطير الاغريقية ، يقال إنه ابن ملك ، وإن ابوللو إله الفنون عند الاغريق وهبه قيثارا ، وعهد الى عرائس الفنون بتعليمه العزف . فلما أجاده استطاع أن



جان جينيه



فرجينيا وولف

يسبي بعزفه الوحوش والأشجار والصخور . ثم تزوج محبوبته إيروديس ، ولكنها ماتت بعضة ثعبان ، فتبعها الى العالم السفلي وهو يعزف على قيثاره ، واستطاع أن يسحر بعزفه هاديس حارس ذلك العالم ، فسمح له باسترداد زوجته شريطة أن تسير وراءه دون أن ينظر اليها حتى يدرك ضوء النهار . ولكن الشوق دفعه - دون أن يدرى - إلى مخالفة الشرط . فعند عتبة العالم الأرضي لم يستطع أن يغالب شوقه ، فنظر وراءه ، فكانت الطامة الكبرى ، واختفت إيروديس بغير رجعة ، وعاد اورفيوس حزينا مغموما يتغنى بحزنه . ثم حدث أن اختلف بعد عودته الخائبة مع عابدات إله الطرب ديونيسيوس ، خصم ابو للو ، بسبب اعتراضه على مجونهن . وكان أن هاجمته العابدات ، وتغلبن عليه ، وقطعنه إربا ، وفصلن رأسه عن جسده ، وألقين الرأس والقيثار في نهر هيبروس . ثم قامت عرائس الفن بجمع الأشلاء ودفنها عند سفح جبل الأولمب . وراح رأسه يسبح مع التيار في النهر وهو مازال يدندن بالغناء متجها نحو البحر . ولكن أبو ابوللو رفع قيثاره ، ووضعه بين النجوم .

وهذه الأسطورة تعزز مكانة اورفيوس عند الاغريق . فهم يعدونه اكبر شاعر ظهر قبل هوميروس . بل إن الأخير نسب اليه بعض أجزاء من شعر الالياذة . كما نسب اليه قومه عقيدة الأورفية التى انتشرت في زمانه قبل القرن الخامس ق . م . وقد الحث على فكرة الخطيئة والحاجة إلى الكفارة والاعتقاد في فناء الجسد ، والطهارة الروحية والبدنية وتقديم القرابين . ومع ذلك فهذه أمور لا تعني إيهاب حسن ، وإنما تعنيه الأسطورة الأصلية . بل يعنيه جانب واحد من هذه الأسطورة ، هو تقطيع أوصال أورفيوس ، وتمزيق أوتار قيثاره ، واستمرار شفتيه في الغناء . ولكن الغناء لم يعد يشجي أحدا ، لأنه غناء غير مسموع ، أو هو غناء صامت ، والقيثار ، لم يعد ذا أوتار .

هذا ما يوضحه إيهاب حسن على أى حال . فهو يشير في مقدمته القصيرة للكتاب إلى أن حياتنا تستغرقها الأسئلة الجوهرية ذات البراءة المتطرفة . وأن هذه الأسئلة شغلته حتى استجاب لها في الكتاب . فهو - كما يقول - يكتب عن

ادباء معينين اخلدوا إلى الصمت . لأن أورفيوس الحديث يغنى على قيثار بلا أوتار ، وهو راض عن تقطيع أوصاله . وهذا هو المعنى الحقيقى للطليعة والطليعى . فالأدب الحديث يكتب مستقبل البشرية بيد خفية . ثم يضيف أنه يطور فى هذا الكتاب فكرة كتاب سابق له (هو « أدب الصمت » الصادر عام ١٩٦٧) ويبدأ بالمركيز دى صاد لأنه يلقى ظله على دربنا ، ولأننا نفتقر إلى طليعيته . ثم يتلوه بهيمنجواى وكافكا وجينيه وبيكيت الذين يمثلون سيادة الخواء بشكل يائس ، منظم تنظيما واضحا . أما الفصلان الاعتراضيان ، أو الفاصلان الاضافيان ، فيتناولان السيريالية والوجودية أساسا اللتين جعلتا الطاقة التدميرية للطليعية طاقة منقذة فى النهاية . وأما الفصل الختامى ، أو المقطوعة الختامية ، فيسعى إلى التعرف على مصطلحى الوجود والعدم فى حياتنا ، لأن العصر الحديث يكتشف ما بعد الحديث فى قلبه ومركزه على حد تعبيره . ثم يختتم المقدمة بقوله : « إننا نتغير كى نحيا ، والحياة لا تكف عن التغير . وأغلب الظن أن بعض الصعوبة فى هذا الكتاب قد تفصح عن طريقة لا أعيها طريقتى بعد الآن . فلست أجرؤ على الكتابة إلا فى الحاضر » .

ونظرا لأن هذه المقدمة لا تفصح عن موقف واضح محدد فقد سندها -رمزيا- بفقرتين صدر بهما الكتاب ، ربما ليوضح مراده . فالفقرة الأولى مقتبسة من الشاعر الرومانى القديم أوفيد المتوفى عام ١٨ ، والأخرى مقتبسة من قصة قصيرة لكافكا بعنوان « استعدادات الزفاف فى الريف » .

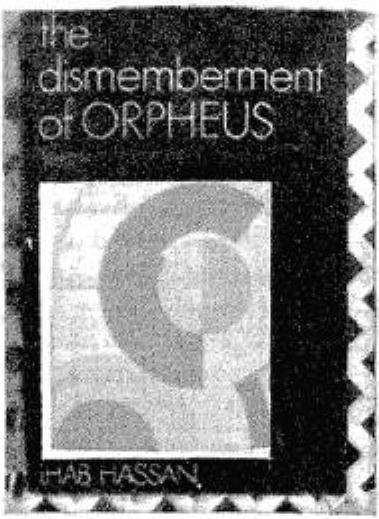
يقول أوفيد الذى كان معروفا بأنه شاعر الغزل عند الرومان :

« ... ثم هرعت النسوة عائدات ليقتلن أورفيوس الذى مد يديه فى ضراعة . ولكن لأول مرة لا يحرك صوته أحدا . ثم ألقته أرضا . ومن بين تلكم الشفتين اللتين كانتا تصغى لهما الصخور ، وتتجاوب معهما قلوب الحيوانات المفترسة تسربت روحه وانسابت فى الريح والهواء .. واستقلت أطراف الشاعر مبعثرة حيث ألقى بها فى قسوة أو جنون . ولكن نهر هبروس كان من نصيبه الرأس والقيثار . فلما طفوا على الجدول الرقيق أخذ القيثار يصدر أصواتا نائحة ، وأخذ اللسان يدندن بلحن حزين » .

ويقول كافكا فى قصته القصيرة التى أصبحت مرجعا للحديث عن الحداثية عند كثيرين :

« اللحظة الفاصلة فى حياة البشر لا تنتهى . وهذا سر صواب اللحظات الروحية الثورية التى تعلن تفاهة كل الأشياء السابقة عليها ، لأنه لا يوجد شىء قد حدث بعد » .

وبهذه وتلك يضعنا إيهاب حسن فى قلب أسطورة أورفيوس مرة أخرى . ويخصص لها الفاصل الافتتاحى بعنوان « قيثار بلا أوتار » ، ثم يضع الأسطورة ذاتها فى قلب أسطورة أخرى حديثة ، هى أسطورة الحداثية ، أو « الحداثة » كما هو شائع خطأ عندنا . فما صلة أورفيوس بهؤلاء الحداثيين الأوربيين





نيتشه



عزرا باوند

الذين ضم اليهم المؤلف حداثيا أمريكيا هو إرنست هيمنجواى ؟

● عشرة معان للصمت

لنعد إلى الفصل ، أو الفاصل ، الافتتاحي للكتاب ، وهو من أهم فصوله واعمقها . وفيه يرجع الى كتاب «قلعة اكسل» الذى الفه الناقد الأمريكى ادموند ويلسون ، وقال فيه « إن تاريخ عصرنا الادبي هو - الى حد كبير - تاريخ تطور المذهب الرمزى واندماجه فى المذهب الطبيعى او صراعه معه » ويشير حسن إلى أن عبارة ويلسون السابقة تعبر عن الاعتقاد السائد فى النقد الأدبى الغربى بأن الأدب الحديث نشأ مع الحركة الرمزية فى القرن الماضى مثلما نشأت هذه الحركة ذاتها داخل الحركة الرومانتية . ولكن هناك اعتقادات أخرى شائعة ، غير هذا ، ومنها التفسير القديم لأسطورة أورفيوس . ونحن إذا قرأنا هذه الأسطورة بشكل مجرد - كما يقول - فربما فسرناها على أنها صراع بين ابوللو وديونيسوس ، أى بين الفن والطبيعة ، أو الشكل والطاقة .

ومهما كانت خطيئة اورفيوس - أى استباحته النظر إلى زوجته - وأثرها فى العقيدة المسيحية كما أشار فرويد فاسطورة اورفيوس تضم فى ثناياها اللغة والشكل . فهو يغنى ، واغانيه تحرك الحجر والاشجار والوحوش . والسبب فى ذلك بسيط ، هو أن الغناء يتيح له العودة الى الطبيعة والتحرك مع سر حياة الأشياء . وقيثاره يحمل موسيقى الانسجام فى الكون والاستجابة الخالدة بل

إنه لم يعد ينطق بصوته بعد أن فقد امتلاكه لذاته ، وذاب فى إلهه . ولكنه حين يختفي يترك وراءه قيثارا بلا أوتار .

ويأتي المحدثون فيرثون هذه القيثار . وتستجيب أغنية الصمت التي يغنونها لجملة إنسانية ذات نزعة متسامية . فإذا أخذنا الرومانتيين لوجدنا «لغتهم تختلط بتدفق الواقع الفوضوى وتتطلع الى كل شيء » ولكن اللغة عند بيكيت تلغى الواقع ، وتركزه فى نظلم عدى خالص ، وتتطلع الى لا شيء . ومع ذلك فاللغتان تمزجان بين الكلمة والجسد عند اورفيوس وتخفيانهما . وهكذا انفصلت الكلمة عن الجسد عندما قتل أورفيوس ، وصار أدب الصمت يضم صمت الامتلاء وصمت الخواء . بل صارت أشكال الصمت تترابط ، وصار الصمت ذاته يتحول الى كلام . فأساس ثورة الحداثيين هو اللغة . وهجومهم على الاشكال الفنية ، ليس له في كل الاهتمامات نظير دقيق في تاريخ الأدب . فهو هجوم اكثر تعددا في واقعه . وأكثر تحطيما والتباسا ومراوغة من أى هجوم سابق ، لأنه يتحدى فكرة الشكل ذاتها ، ويحل اشكالية هذا التحدى بفرض مطالب جديدة على كل وسيلة فنية ، بل إن الأشكال الفنية عندهم تعرف بغيابها ومظاهر حذفها المحسوسة ولكن يجب أن نفرق بين ألوان الحداثية الباكرة والمتأخرة ، بين الدادوية DadA والدادوية الجديدة ، بين المذهب التعبيرىEXPRESSIONISM ومسرح العبث . وإذا كانت المسافة الجمالية بين مسرح سترندبيرج ومسرح بيراندللو متناقصة فالتوتر بين المسرح والجمهور نقص في أوائل هذا القرن .. وهكذا اصبحت الثورة مستمرة فى الوقت الحالي . وهذا مايعبر عنه الناقد الامريكي فرانك كيرمود بقوله : « إن الأسس النظرية للحداثية الجديدة ليست ثورية فيما يتصل بعلاقاتها بالمسابقة والفكاهة . وما هي إلا تطورات هامشية للحداثية القديمة »

غير أن بعض دارسي الحداثية والطليعية يرون انهما يتضمنان طاقة تخريبية وعدمية . وتظهر هذه الطاقة بوضوح في مذاهب مثل التكعيبية والمستقبلية والدادوية والسيريالية ، وهي مذاهب ، يمكن تلخيصها في صيغة مركزية واحدة هي «الاغتراب » Alienation . فالفنان في هذه المذاهب ـ كما يقول ريناتو بوجيولي ـ يصوب أسلحة العداء والعدمية نحو نفسه بعد أن كان يصوبها نحو المجتمع والعالم الخارجي . ومن هذه الطاقة المرتدة ، وهذا الإنكفاء للارادة المغتربة ـ كما يقول حسن ـ تخرج فنون الصمت والخواء والموت ، كما تخرج لغات الحذف والغموض والألعاب والأعداد . فالطليعة لا تغزو الثقافة الا لكي تقضي عليها ، ولا تبدع الفن المضاد الا لتقيم ـ على الرغم منها ـ مبادىء فن آخر . وهذا ما يسميه هارولد روزنبرج « تقاليد الجديد » . ولكن ايهاب حسن يرى أن هذه التقاليد تكمن في أعماقها طاقة ـ لا يمكن تقديرها ـ من السلب والنفى . ومن السلب والنفي يتشكل الصمت . وهذا الصمت هو ما يأخذه حسن على سبيل الاستعارة اللغوية للتعبير عن النبرة الغالبة في الفن



فرويد



ادموندويلسون

والثقافة والوعي . فلغة الصمت توحد ما بين الحاجة الى التدمير الذاتي والتسامى الذاتي في آن واحد . ثم يطرح عشرة معان لاستعارة الصمت هذه ، بعضها جديد وبعضها الآخر قديم . فالصمت في رأيه :

١ ـ يشير الى تقليد طليعي في الأدب ، يمتد من دى صاد الى ما بعد بيكيت ، ويمكن تسميته باللا ادب ، أو الأدب المضادANTILITRATURe .

٢ ـ يتضمن الاغتراب عن العقل والمجتمع والتاريخ ، وتقليل جميع الارتباطات بالعالم الذى صنعه البشر ، وربما يتضمن أيضا إلغاء أى مظهر للوجود المشترك . وتجريبيته المتطرفة تقاوم النظم البشرية بل تعطلها ، وتثير في كلمات الحياة اليومية الجمجمة غير المفهومة .

٣ ـ يكشف الانفصال عن الطبيعة ، وهذا انحراف يتضمن عمليات حيوية وشهوانية . وتتراوح أعراضه بين كره النساء واشتهاء الموتى منهن . فالرجل يرفض الأرض ويشمئز من المرأة . وينفصل نفسه عن الجسد .

٤ ـ يتطلب من الفن التنكر لذاته الذى يتطلع الى الحدث أو الحلم أو الهراء أو العدم . فالفن يتوحد مع المادة البهيمية . ثم يدعى أنه يصبح فنا مضادا . وبين هذين الطرفين المتطرفين يكتشف ألوانا ماكرة من الغموض والالتباس .

٥ ـ يتطلب الهدم الدورى للأشكال الفنية . وأحيانا تلفق الأشكال المضادة الناتجة عن هذا الهدم نوعا من الانعدام في الشكل بحيث لايمكن لأى شيء يصنعه الانسان أو يعيه أن يصل اليه . ومع ذلك تأبى الأشكال المضادة التوجيه والتحديد والركود والهدف والنمط التاريخي .

٦ ـ يخلق لغات مضادة ، بعضها معتم تماما وبعضها شفاف كلية . وهي تحيل حضور الألفاظ الى غياب دلالى ، أى غياب دلالات هذه الألفاظ ، وتفكك النحو الخاص بالوعي بل هي تتهم الكلام العادى .

٧ ـ يملأ الحالات المتطرفة للذهن ـ الخواء والجنون والهياج والنشوة والوجد الصوفي ـ حين يتوقف الخطاب العادى عن حمل عبء المعنى .

٨ ـ يبعد عن إدراك العالم . ويشجع مسخ المظهر الخارجي والواقع ،

والانصهار الدائم ، واختلاط الهويات ، الى درجة عدم بقاء اى شيء ، او هكذا يبدو .

٩ ـ يستعدى الوعي على نفسه ، فيغير طرق إدراكه ، او يحكم على العقل بتكرارات تمثل الدراما الأنانية للذات والذات المضادة . ومن ثمة يلي ذلك إعادة تقييم القيم او تخفيضها خفضا كاملا .

١٠ ـ يفترض مقدما ـ احيانا ـ الفناء ، وانحلال العالم المعروف وتاريخه واستمراره ، ويتخذ رؤية سحيقة فى القدم تخلع الكمال عن البشر . وهكذا قد يؤدى الالتهام الشامل للحياة الى عكسه ، ويغمر فيض الوجود الهاوية .

هذه النقاط العشر التى يعنيها الصمت السلبى قد تنطبق ايضا ـ كما يقول المؤلف ـ على الصمت الايجابى فيما عدا النقاط التى تتناقض فيها مزاعم الامتلاء والاكتمال ، وهى ٣ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ . ويضيف ان «المجموعة الحاسمة فى ملخص الصمت هذا تشير الى وعى فنى ، بالغ الضخامة فى انعزاله ، شديد التوق الى الخواء . كما تشير الى لغة متماثلة ماكرة فى فنون الالغاء الذاتى ، وتراجع شهوانى عن الوجود وجسم الواقع . وهذه صلاة للتسامى الى اسفل . فالكلمات التى تتدفق على اللسان تشمل الفن المضاد واللغة المضادة والوعى المضاد . وربما يبدو هذا من سوء الحظ . فمن الواضح اننا يجب الا نعتمد الصفة ، المضاد والمضادة ، فى سبيل توليد استعارة او حتى فكرة ، والا نتوقع ان توسع عشرة تعريفات غير مترابطة للصمت معرفتنا بكل اديب نقرا له . اما اهمية الاستعارة فتكمن فى كونها عاملا مساعدا متعاونا ، اى فى مقدرتها على إيجاد حيوى داخل العناصر المتفاوتة فى الواقع الحديث ، ثم يضيف مرة اخرى ان هذه السلبية التى تعمل داخل الفن واللغة والوعى تشكل الحالة التى يسميها «الصمت» ، وان هذا الصمت له مكانه فى فكر عصرنا ، ولاسيما عند الوجوديين من امثال هوسرل وهايدجر وميرلو بونتى وسارتر الذين يعدونه من مبادىء الذات والذاتية . وله مكانة ايضا عند مفكرين اخرين مثل فيتجنشتاين الذى يرى فيه حالة من استحالة التفاهم الكامنة تحت قواعد اللغة ، وليفى شتراوس الذى يعده اسطورة البنى والمفهوم المحرك للعلاقات المتحكمة فى جميع الوان السلوك الملفوظ عند البشر .

ومهما تباين فهم هؤلاء المفكرين وغيرهم للصمت فهو يظل عتبة الادراك ، وبابا من ابواب الذكاء فى القرن العشرين ، ولاسيما فيما يتصل بخيال طليعته . وقد جعله احد الموسيقيين الطليعيين فى امريكا عنوانا لاحد مؤلفاته ، وفيه قال «إن ما نحتاجه هو الصمت ، ولكن ما يحتاجه الصمت هو ان استمر فى الكلام» .

يمضى إيهاب حسن فى متابعته الدءوب لفكرة الصمت فى الادب واللغة والنقد خلال هذا القرن . ويقتبس من الكاتب الفرنسى موريس بلانشو قوله عن إيروديس ـ زوجة اورفيوس ـ إنها تمثل الصمت الذى كان يجب ان يتحلى به

اورفيوس ، ولكنه لم يستطع . ولأن الصمت مرتبط بالموت فهو يغرى الاديب ، ويحثه على إعدام جميع أشكال الفن . بل إن بلانشو يتنبأ بعصر يخلو من الألفاظ ويعج باصوات جديدة . ثم ياتي الكاتب الفرنسي - ايضا - رولان بارت فيضع للحداثية بداية ، وتحدد البداية بالسعى وراء « ادب مستحيل » ، لأن الكتابة عنده لم تحقق درجة الصفر على الاطلاق . ويعرض لافكار بارت في كتابه الصغير « النقد والحقيقة » مثل تاكيده على ان النقد الحقيقى يؤدى في النهاية الى الصمت او بديله ، وهو الثرثرة ، وانه لا يستطيع الوصول الى قرار الأدب ، لأن هذا القرار دائم الغياب . ومرة أخرى يقتبس حسن من المؤرخ الانجليزى كارلايل قوله إن « الكلام يتعلق بالزمن ، ولكن الصمت يتعلق بالخلود » . وينتهي الى ان اللغة اصبحت تسكن الفضاء ، وتلفت انتباهنا الى الصمت .

ومع ذلك يرى حسن أن تاملات النقاد لا يمكن - في النهاية - ان تثبت مفهوما خاصا للصمت ، ولكن الصمت - كفكرة او استعارة - يملا مكاننا ، ولا يمكن ان تدوم المقاومة التي يبديها نحوه بعض الأكاديميين . فهو يشكل قوة تجرى في الأدب من عصره الحديث الى ما بعده . وعند هذا الحد يصل الى الأدباء الذين تناولهم في فصول كتابه . فدى صاد عنده محديث ، لأنه يناصر الحرية المطلقة والابداع الذاتي ويحميهما من الواقع . بل إن لغته ترجع صدى الصمت الفارغ عن طريق الاسترسال في الخيال . وصوته يائس ولكنه يمثل صوت الصمت الآخر . واذا كان هيمنجواى بعيدا عن هذا الاطار فهو يعكس قبضة الصمت عليه في كل فعل يستخدمه في الكتابة . ويواجه الخواء بالشجاعة ، وينتهي الى التعبير عن فكرة : لا شيء افضل من العدم . اما كافكا فيتجاوزه ، ولكنهما معا ينقلان اللغة الى حدود العبث . وأما سارتر فمازالت الانسانية كفلسفة تقوم عنده على حافة العقل ، في حين ان نزعة الآن روب جرييه الشيئية تنكر نسبية العقل وتخمد الصوت العادى . ولكن جينيه وبيكيت يتجاوزان هذا كله ، فالأول يكشف الواقع في لغة المرايا الميتة ، والآخر يصغى بلا توقف الى دندنة انسانية مطلقة . وتظهر الكلمات على صفحات كتب الاثنين لتعلن عجزها . وبذلك يمضى أدب ما بعد الحداثية .

هكذا ينتهي هذا الفصل او الفاصل الافتتاحى في كتاب ايهاب حسن . وهكذا ايضا يضعنا في قلب الحركة الحداثية وما بعدها في أوربا وامريكا ، بالرغم من انه عزل - لسبب غير مفهوم - مجموعة الحداثيين الانجلو امريكيين ، وعلى راسهم عزرا باوند واليوت وجيمس جويس وفرجينيا وولف ، مثلما عزل حداثيا مهما هو مارسيل بروست . ولكن الأمر ليس في تعيين هذا وعزل ذاك ، وإنما في امتحان الفكرة التي الح عليها كثيرا - كما رأينا - في هذا الفصل ، وهي فكرة الصمت . ومع أنه عزل هذه الفكرة ايضا عن إطارها الاجتماعي الذى افرزها فلم يعزلها عن اطارها الثقافي . ولننتظر قليلا لنرى كيف طبقها على الأدباء الطليعيين الحداثيين الذين ساعدته لغته الفرنسية الجيدة على هضم اعمالهم الصعبة وفهمها . وهو ما سنعالجه في العدد القادم .

السنة النبوية

مصدر للمعرفة بين منهجين

بقلم: د. محمد عمارة

وبسبب من سيادة هذه النزعة « الدنيوية - العلمانية » ، لم تعتمد مناهج الفكر الوضعي هذه سوى « الدنيا - العالم - المحسوس » مصدرا وحيدا للمعرفة الحقيقية والعلم الصحيح ، كما وقفت في ادوات المعرفة عند الحواس دون سواها ، وقطعت ، فيما يشبه الاطلاق والتعميم ، بان ماسوى المادة والمحسوس وماسوى الحواس - والعقل قوة من قواها - لايمكن ان يثمر معرفة صادقة ولاعلما يقينيا ، والصحي ماينتجه هو انتاج « الخيال » و« الميتافيزيقا » التي ان اشبعت « الوجدان » ، فانها لا ترقى الى ماتطمئن اليه « العقول » .

ولذلك المنطلق والموقف في المذهبية الغربية كان انفراد « المنهج التجريبي » لديها كالمنهج الوحيد القادر والصالح لان يثمر المعارف اليقينية التي تستحق احترام المفكرين والعلماء .. فلان اصحاب هذه النزعة قد اختزلوا عالم الانسان الى « عالم الشهادة » كان اختزالهم مصادر المعرفة الصحيحة الى الظواهر المادية دون غيرها ، ومن ثم اختزالهم ادوات المعرفة الى الحواس .

تلك هي النزعة السائدة والمؤثرة في مناهج الفكر الغربي .. النزعة الوضعية لاصحاب المنهج التجريبي .

اما المذهبية الاسلامية ، ذات السيادة والتاثير في مناهج الفكر بالحضارة الاسلامية ، فان لها في هذه القضية موقفا اخر مغايرا .

فالانسان في المنظور الاسلامي ، ليس دنيويا فقط ، لانه مخلوق لله الواحد ، سبحانه وتعالى ، وهو في هذه الدنيا ليس موكولا الى واقعه المحسوس والى حواسه وحدهما ، لانه فيها خليفة عن الله سبحانه ، مكلف باعمارها ، وفق بنود عهد وعقد الاستخلاف ، وهذه الامانة التي حملها هي الابتلاء الذى سيحاسب عليه ، بعد البعث ، في يوم الدين .

فى مناهج الفكر ، السائدة والمؤثرة فى الحضارة الغربية الحديثة والمعاصرة ـ بشقيها الليبرالى والشمولى ـ وبسبب من النزعة المادية فى دراسة الواقع والتاريخ وتفسيرهما ، كانت السيادة للمناهج الوضعية التجريبية اكثر من غيرها بل ودون غيرها فى اغلب الميادين .

فالانسان بنظر هذه الحضارة هو الانسان الدنيوى ، انسان عالم الشهادة .. انسان [ماهى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا ومايهلكنا الا الدهر] وحتى عندما يتدين ، فان تدينه يقف عند الطقوس ، فلا يعرف طريقه الى تشكيل واقعه ونظرته للدنيا ومناهجه فى التفكير .

اذن ، ففى المنظور الاسلامى ، ليست هذه الدنيا ، وليس عالم الشهادة هذا هو العالم الوحيد الذى يؤمن بوجوده هذا الانسان المسلم ، فقبله كان عالم البدء .. وبعده يأتى عالم المصير .. فليست المادة والمحسوسات ، هى وحدها مصدر المعرفة ، لان عالمها ليس هو العالم الوحيد فى هذا الكون وهذا الوجود .

ولان الانسان هو واحد من مخلوقات الله ، التى تجل عن عد وحصر هذا الانسان ، وبسبب من مكانته الخاصة ، المميزة والمتميزة بين سائر المخلوقات كانت رعاية الله سبحانه وتعالى لهذا الانسان ، وهى التى تتخذ العديد من الصور ، وتسلك الكثير من الطرق ، والاساليب ولما كان مصدر هذه الرعاية الله سبحانه وتعالى ليس مادة فلقد جعل لهذه الرعاية بما تتضمن من فكر وتوجيه وعلم وتعليم ، مصادر ووسائل غير تلك المادة المحسوسة التى تدركها حواس الانسان .. وهنا يأتى دور الرسالات السماوية ، فى مصادر المعرفة لدى المؤمنين بهذه الرسالات .. فالوحى الالهى ـ عبر الرسالات والرسل ـ هو مصدر ـ غير مادى ـ للمعرفة والعلم والفكر والتوجيه .

فعالم الشهادة هو احد عوالم هذا الكون ، وليس العالم الوحيد فيه .. والحواس التى يدرك بها الانسان معارف عالم الشهادة ، هى حواس انسان مخلوق فهى اذن محدودة القدرات والافاق ، اذا ماقيست بالقدرة المطلقة والعلم الكلى والمحيط عن خلق هذا الانسان ورعاه .. فاذا استقلت هذه القدرات الانسانية بادراك امر فانها لاتستقل بادراك امور ، ولذلك فقد من الله ، سبحانه وتعالى ، على هذا الانسان ، كمظهر من مظاهر رعايته له ، وبسبب من مكانته الخاصة بين المخلوقات ـ اذ هو الذى نفخ الله فى طينته من روحه ، وحمل ،

دونها ، امانة ، الاختيار والمسئولية والتكليف - منّ الله على هذا الانسان بان يسر له مصادر للمعرفة وسبلا لتحصيلها تتيح له علم ما لاتعلمه اياه ظواهر المادة في عالم الشهادة المحسوس .

ان الله لم يكله - في المعرفة - الى حواسه وحدها والى قدراته بمفردها ، فكانت رسالات السماء مصادر للمعرفة ، لاتلغى المعارف المحسوسة المشاهدة ، ولاتقلل من شان ادوات ادراكها وانما تضيف الى المعرفة الانسانية معارف يقينية لاتثمرها المادة وتستقل بادراكها الحواس ، لانها معارف عوالم غير مادية ، وانباء عن مقادير من علم هذه العوالم ، تفضل بها على هذا الانسان عالم الغيب والشهادة ، وذلك حتى لايظل هذا الانسان - المكون من الروح والجسد - بمعزل عن غذاء الروح وحبيسا للمعارف المادية دون سواها .

كانت معارف هذه الرسالات السماوية :

● تاكيدا للمعارف العقلية الصادقة ، يطمئن الانسان العاقل على صدق ماوصل اليه بعقله الانساني ، عندما وصل ذاتيا الى تحسين الحسن وتقبيح القبيح .

● وتصحيحا لاحكام وتصورات الحواس - ومنها العقل الانساني - التي لم تصادف الحق والصواب ، لنسبية قدرات هذه الحواس ومحدودية نطاقها .

● واعانة لهذا الانسان على معرفة وادراك المقادير الضرورية لترشيد مسيرته من المعارف والعلوم التي لايستطيع عقله ان يستقل بادراكها .

● ودعوة له كي يلوض فيما لاتدركه حواسه ، مما سكتت هذه الرسالات عن تفصيل خبرة من المغيبات ، ومن الاحكام التعبدية .

فهي ، اذن ، عوالم وميادين ومصادر للمعرفة ، وهي ايضا ، سبل متعددة لتحصيل المعارف اليقينية يؤمن بها الانسان المسلم ، بحكم ايمانه الديني ، وليس فقط عالم الشهادة ، ولا الحواس الانسانية هي مصادر وادوات المعرفة الحقة - كما في « الوضعية - المادية » عند المفكرين الغربيين .

ان الانسان المسلم ، بحكم ايمانه بتعدد عوالم هذا الكون وهذا الوجود ، وبحكم ايمانه بالكثرة والتعددية ، التي لاتستطيع كبشر حصرها - في امم المخلوقات وجماعاتها في هذا الوجود .. وبحكم ايمانه بالتكليف والمسئولية التي ترتبت على حمله الامانة - كخليفة عن الله - الامر الذي يقتضي حسابا وجزاء ، تنتفي بهما « العبثية » عن هذا الوجود ، ان هذا الانسان - بحكم ذلك الايمان - لايقف بتطلعاته المعرفية عند عالم الشهادة هذا ، وانما يتطلع ايضا الى ماوراء هذا العالم ، ويتلمس معارف لاتحتملها حواسه وحدها ولاتستقل بادراك حقائقها ، وهو يشعر بسبب من تجاوزه اطار الدنيوية المحدود ، بان سعادته - الدنيوية والاخروية - مرهونة بتكامل معارفه - ولو على نحو ما - عن الكثير من ميادين المعرفة ومصادرها .. وهنا تاتي الرسالات السماوية بما تقدم من مصادر للمعرفة غير مادية لتلبي تطلعات هذا الانسان .

تلك هي المنطلقات الإيمانية ، التي جعلت للمذهبية الاسلامية ، في مصادر المعرفة ، منهجا متميزا عن ذلك الذي ساد لدى المفكرين الوضعيين الغربيين

ولذلك ، وجدنا هذه المذهبية الإسلامية ، لا تقف بمصادر المعرفة عند "المنهج التجريبي" وحده . إنها لم تهمله ، ولم تغض من شأنه ولا من شأن ثمراته المعرفية ، بل إنه احد إبداعات حضارتها الاسلامية ، فيها تبلور ، واعطى ثمراته ، قبل ان ينتقل ويتطور لدى الغربيين .. إنها لا تهمله ، ولكنها لا تقول بوحدانيته كسبيل للمعارف الإنسانية اليقينية . وإنما هي تعتمد معه

ا ـ المنهج الاستنباطي ذلك الذي يستنبط به الانسان من الجزئيات المادية معارف تقطع بضرورة وجود غير مادى

إن العقل المسلم عندما ينظر في آيات الكون ، وظواهره المادية ، والنظام المحكم الذي يحكم كل من وما فيه ، لا تقف معارفه المستنبطة عند ماهو مادى منها ، تستقل حواسه بإدراكها ، وإنما هو يدرك ، يقينا ، ضرورة وجود غير مادى ، مفارق لهذا العالم المادى ، هو الذى منحه الوجود والنظام والانتظام

ب ـ والمنهج التاريخي الذى يستدل به الانسان ، بواسطة التواتر النقلي ، على وجود مادى تاريخى لم تشهده حواسه ، ومع ذلك فإن هذه الحواس تبلغ في التصديق بوجوده مرتبة اليقين ..

جـ ـ والمنهج السمعي ذلك الذى يكون الوحي الالهى ـ البلاغ القرآنى ـ والسنة النبوية ـ البيان النبوى لهذا البلاغ القرآنى ـ مصدر علومه ومعارفه .. فبهذا المنهج السمعي يدرك الانسان المعارف المتلحة عن عالم الغيب ، غير المادى ، والذى يستحيل إدراكه بالأدوات المادية للإدراك كما يدرك المعارف التى تعين العقل على إدراك ما لا يستقل بإدراكه ، وتساعد الحواس على وعى مالا تنفرد بوعيه

وليس أمر هذه المعارف ـ التي تتحصل للإنسان بالمنهج السمعي ـ ليس امرها في الصدق واليقين باقل مما يكون الحال عليه في معارف المنهج التجريبي ، كما حسب ويحسب ذلك الغربيون ، الذين رأوها "خيالا ـ وميتافيزيقا" لا ترقى إلى مرتبة اليقين ليس امر هذه المعارف وحظها من اليقين على هذا النحو من التواضع والتدنى . بل إن الأمر ربما كان على النقيض من تصور الغربيين لهذا الموضوع . موضوع يقينية المعارف المتحصلة بواسطة المنهج السمعي

فالمنهج السمعي ، إذا اكتملت مقومات الثقة بمصادر معارفه ، واجتمعت شروط الصحة لمأثوراته ، رواية ودراية ، كان اطمئنان العقل المؤمن للمعارف

المتحصلة بواسطته اكبر من تلك المتحصلة بحواس الإنسان .. إذ فارق عظيم واكيد بين خبر مصدره صاحب العلم المطلق والمحيط وبين خبر مصدره علم العالم المحدود القدرة والإمكانات .. وفارق عظيم بين خبر المعصوم وخبر الخطاء ! ..

ولقد يتساءل الذين يتشككون فى هذه الحقيقة :

إنىّ للإنسان الذى يدرك بالحواس المادية ، ويعقل بعقله ، أن يتيقن بمعارف مصادرها غير مادية ، ولا تستطيع الأدوات المادية للإنسان أن تختبر صدقها وتتحقق من درجة يقينها ؟؟ .. وإلا يكون تكليف الانسان - وهذا حاله - بالتصديق اليقين بمعارف لا تستطيع أدواته المادية اختبارها ، لونا من الوان "التكليف بما لا يطاق" ؟! ..

قد يتساءل الذين يتشككون فى هذه الحقيقة هذا التساؤل ، الذى يبدو مستكملا "الشكل المنطقى" ! .. ولكننا ننبه على أن المعرفة بالمنطلقات الإيمانية الاسلامية تنفى وجود الحاجة لهذا التساؤل من الأسس ..

ذلك أن المسلم يدرك حقيقة وجود إله .. غير مادى - خالق لهذا العالم ، وقائم على رعايته .. يدرك ذلك بالعقل الناظر فى "الصنعة" و "المصنوع" وفى آيات الوجود وكتاب الكون المادى المفتوح .. فبالاستنباط العقلى يؤمن المسلم بالله المستجمع للكمالات المطلقة والقدرات المطلقة .. وبما أن رعاية الخالق لمخلوقاته هى بعض من كمالات هذا الخالق ، كان اللطف الإلهى ، المتمثل فى الرسل والرسالات السماوية ، هداية للإنسان ، وتصويبا لخطاه على درب الخلافة ، وإعانة لعقله وحواسه على إدراك الضرورى من المعارف التى لا تستقل قدراته بإدراكها ولا ينفرد عقله بعقلها .. إذن .. فمصدر هذه المعارف السمعية ، التى نتلقاها بالمنهج السمعى ، لا يقل فى المعقولية عن المصادر المادية للمعارف المستفادة بالمنهج التجريبى ، لأن هذه المصادر الغيبية هى مصادر معقولة ، عقلها الإنسان العاقل بالمنهج الاستنباطى ، فليست هى من "الميتافيزيقا" "والخيال" ، الغريبين عن العقل ويقينه ، كما يحسب الوضعيون الغربيون .. فإذا توفرت للأخبار السمعية شروط الصدق ، رواية ودراية ، بعد أن رأينا توفر معقولية مصادرها ، رغم لاماديتها ورغم غيبيتها ، فإنها تكون قد استجمعت وامتلكت كل شروط اليقين الذى يتطلع إليه العقل الإنسانى ويتطلبه فى المعارف اليقينية ..

تلك هى منطلقات المذهبية الإسلامية فى النظر الى مناهج المعرفة ، وذلك هو طريقها المتميز فى اعتماد المنهج السمعى واحدا من المناهج التى تثمر المعارض الصادقة واليقينية فى النسق الفكرى الذى ساد فى حضارة الاسلام .. وبهذا المنهج غدت السنة النبوية - ومن قبلها القرآن الكريم - مصادر للمعرفة ، والمعرفة اليقينية ، فى مذهبية الإسلام ..

أقوال معاصرة


حسنى مبارك

● « كلمة واحدة من صدام توقف الكارثة الانسحاب »
الرئيس حسنى مبارك

● « أنا اشارك ، اذن فانا موجود »
فيديريكو مايور
مدير عام اليونسكو

● « أرتكاب خطيئة لايبرر ارتكاب خطيئة اخرى »
بيريز دى كويلر
امين عام الأمم المتحدة

● « المعتدى ليست له اى حقوق »
جورباتشوف
الرئيس السوفييتى


د. فؤاد زكريا

● « بقدر ماكشفت كارثة الغزو العراقى للكويت عن اختلال فى البناء السياسى العربى ، فقد كشفت بالمثل عن اختلال لايقل فداحة فى الوعى العربى »
الدكتور فؤاد زكريا

● « العلم قد نجح فى العبور نحو أفاق جديدة ، وليس امامنا الا أن نعبر معه ، ونستفيد »
المخرج السويسرى
جان لوك جودار


صلاح ابو سيف

● « لايوجد عمل فنى بدون مغامرة »
المخرج صلاح ابو سيف

في ذكرى المولد النبوي

محمد المثل الكامل

بقلم : د. محمد رجب البيومي

« لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ، وذكر الله كثيرا »

"قرآن كريم"

نعم إن الرسول صلى الله عليه وسلم اسوة حسنة ، وقد تكون الأسوة مطمحا محدودا يستطاع الوصول اليه اذا اتجهت الى عظماء الرجال من غير الأنبياء ، ولكنها بالنسبة الى الأنبياء بعامة مطمح بعيد المدى ، وبالنسبة الى محمد صلى الله عليه وسلم أشد بعدا ، ولا تسوقني الى هذا القول عاطفة دينية لا تجد سندها من البرهان الواضح ، ولكنني أؤكده عن يقين ، حين أعرض من حياة رسول الله بعض المواقف التي تفجأ القارىء بغرابتها ، فيظل حائرا يلتمس أسباب التعليل ، فلا يجد ، ويعيد الفكرة مرة ثانية وثالثة لينتهي الى ان رسول الله فذ في بابه ، فقد صنعه الله على عينه ، والله اعلم حيث يجعل رسالته .

إن الرسول انسان تزحمه الحياة ببلائها ، فيكابد من الصعاب المرهقة مالا يستطيع تحمله إلا بعون الله وتأييده ، ومن هذه الصعاب ما يرجع إلى الأمور العامة في صراع الخير والشر واصطدام الهدى بالضلال ، وقد يكون العبء فيه مشتركا بين الرسول ومن حوله من أتباعه المخلصين ، وهنا يتوزع الخطب فلا يرمي بثقله فوق كاهل واحد ، كما قد يكون العبء خاصا بمحمد صلى الله عليه وسلم وحده ، إذ يتغلغل الى أعمق الأعماق من مشاعره حين يصاب في فلذة من أفلاذ

كبده ، فيحس ما يحسه الأب الشفيق من قارص الألم ، ومرير الشجو ، ويخيل لصاحب النظر العادى أن نبى الاسلام فى هول خطبه سيثأر لنفسه بالانتقام اذا قدر ، وله الحق أن ينتقم ممن بغى دون حق ، ثم تكون العاقبة أن يجد الأثم الصفح والعفو والمغفرة ! وممن ؟ ممن وتره فى اعز انسان لديه ! أليست الأسوة فى هذا المجال مطمحا بعيدا !!! بل أقول إنه مطمح عسير ، الا على من اختاره الله لهداية الناس وقال فى شأنه « وإنك لعلى خلق عظيم » .

● العفو .. العفو

العفو فضيلة تقتعد الذروة الرفيعة بين الفضائل الانسانية ، لأن صاحبها ينتصر على غرائز الانتقام حين يسكت ألسنة الحفيظة ، ويصمت عن هواتف الثار ، وينظر الى واتره الأثيم ، نظرة المشفق الرحيم ، حيث توحى الدلائل بأنه سيكون بين شقى الرحى جزاء لما اقترفت يداه ، ولن يكون العفو فضيلة خلقية رفيعة إلا اذا كان صاحبه ذا قدرة مهيمنة يستطيع أن يبطش بها دون تردد ، فمن يعفو عن واتره دون اقتدار عليه ، فهو متهم فى صفحه ، كذلك لا يكون العفو فضيلة خلقية رفيعة الا اذا شمل العدو الخصيم ، فالأب الذى يعفو عن جرم ولده ، والصديق الذى يغضى عن زلة صديقه ، والزوج الذى يتسامح عن هنات زوجه ، وأمثال هؤلاء جميعا لن يكونوا من كبار العافين عن الناس ، اذ يبسطون سماحتهم على من يستشعرون نحوهم حنان القربى ، وزلفى المودة ، لأن لديهم من الدواعى النفسية ما يرجح جانبا على جانب ، اما العفو العظيم فهو من تصيبه فى أعز الناس لديه دون أن يسلف ما يستحق به النكال ، اذ يكون اعتداؤك بغيا صريحا ، ثم تقع فى قبضته وقد دارت الأرض بك دوران المغشى عليه من الفزع ، فلا تجد غير التسامح العاطف ، والصفح الغفور ، هنا يكون العطف ذروة عالية لا يلقاها إلا ذو حظ عظيم ، فاذا أردت المثال لبعض ما نعنيه فلتسمع !

كانت السيدة "زينب" اولى بنات رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ملامح تقترب كثيرا من ملامح أمها السيدة خديجة بنت خويلد أم المؤمنين ، وهى بعد ذات حنو على أخواتها باعتبارها الفتاة الكبرى ، فكان والدها العظيم يخصها لذلك بحب يلمس تأثيره فى نفسه ، وحين ارتحلت أم المؤمنين الى عالم الغيب ، قامت الفتاة الكبرى مقام أمها ، رغم زواجها من ابن خالتها ابى العاص بن الربيع ، اذ كانت تكثر زيارة المنزل الأول ، وقد أسلمت ، منذ جهر والدها بالدعوة ، لأنها تعلم من صدقه وايمانه ما رأت شواهده رأى العين فما كان لها أن تتلكأ ، وان تلكأ زوجها بعض الوقت لأشياء يميل اليها ، فهى ذات رأى لا يمس ، على أن الزوج رحّب باسلام زوجته ، تاركا لها حرية الاعتقاد ، كما تركت له أن يبطىء حتى يطمئن ، ثم هاجر محمد عليه السلام الى المدينة ولم تستطع زينب أن تترك منزلها وولديها بمكة ! فكانت تجد من الشوق لوالدها والحنين اليه مثل ما يجد ، واشتد كربها حين أعلنت قريش الحرب على رسول الله فى الموقعة الأولى ببدر ، ونفر المكيون ـ وفيهم زوجها

ابو العاص – الى المدينة لاستئصال المسلمين ، ولا تسل عن لوعة السيدة المؤمنة زينب بنت محمد حين جعلت تفكر فى مصير المعركة ؟ أفينتصر المسلمون ويقتل زوجها ابو العاص أم ينتصر الشرك ويقضى على والدها الحبيب ! لقد اتجهت الى الله تصلى فى خشوع دامع راجف ، وهى تقول : اللهم انصر ابى ، واردد علىّ زوجى سليما !! وياله من دعاء يحمل من دقيق المعانى ما يعجز القلم عن الافصاح !

ثم دارت الدائرة على المشركين ، ووقع ابو العاص بن الربيع اسيرا ، وانطلق ذوو المنهزمين فى مكة ، يرسلون الفداء المالى ، اذ لكل أسير فداؤه ، وجاء النبأ الى الزوجة الوفية ، فعرفت ان الله قد استجاب دعاءها ، ولم تشأ أن تجعل الفداء مالا من خالص الذهب والفضة ، كما فعل سواها ، وهى بعد ذات ثراء وافر فأبو العاص تاجر مشتهر الغنى ، ولكنها نزعت قلادتها التى أهدتها لها امها ليلة الزفاف ، وبعثت بها الى ابيها !! وفوجىء رسول الله بقلادة السيدة خديجة التى يعرفها جيدا توضع بين يديه ، قال أصحاب السيرة : "فأخذته رقة شديدة ، وقال فى تأثر عميق ، وفى نبرات حزينة ، "اذا رأيتم أن تردوا لها قلادتها ، وتعفوا عن أسيرها فافعلوا" ثم نادى أبا العاص وقال له : أحمل القلادة الى صاحبتها على شرط أن تبعث بزينب الىّ ! هذا عهد بينى وبينك ! أفسلم أنت ؟ قال : نعم ، وستجىء إليك متى ذهبت !

كان الزوج وفيا بعهده ، فسرعان ما أبلغ زينب رغبة أبيها ، فما وجدت بدا من الاستجابة ، ولم يطق أن يتحمل ساعات الوداع ، فأمر أخاه "كنانة بن الربيع" ، أن يصحبها الى المدينة ، وكان كنانة شجاعا راميا للنبل ، حاميا للظعينة اذا جد الجد ، ولكن الريح لم تسر رخاء ، اذ تشزن هبّار بن الأسود ناقما غاضبا ، يريد أن يفجع رسول الله فى فلذة كبده ، فاعترض الراحلة مخترطا سيفه ، ونخس البعير نخسة قاسية ، فسقطت زينب وصادف سقوطها صخرة صلدة ، وكانت ذات حمل ، فأسقطت جنينها ، وجرى دمها يسيل ، وهال كنانة ما وقع ، ففوق النبل الى هبار وجماعته ، ورأوا منه ذا حمية وانتقام ، ففروا هاربين ! ولكن زينب ادركها الضعف ، فخارت قوتها ، وذوت بشاشتها ، وقدمت الى المدينة ودمها يسيل !

حزن رسول الله لما شاهد ! لقد كان يتوقع أن يرى ابنته سعيدة نضرة ، تقبل عليه فى بهجة وعناق ، ولكنه وجد الصفرة الكابية ، والألم الصارخ ، والصمت الحزين ، ولا تسل عن مشاعره الغاضبة التى ارسلت نقمته على هبار بن الاسود المعتدى ، فأعلن أنه هدر دمه ! وهو اعلان مشتهر بين الناس ، يوقع جزاء لمن اعتدى عن بغى !! وليت شعرى ما خطب هذا المعتدى ؟! أيريد أن يثأر لقتلى بدر ؟ وممن ؟ من سيدة لم تشترك فى حرب !! أتلك هى الرجولة فى منطقه ! وهبْه انتهى الى ما أراد ؟ أفيحرز مجدا ؟ وقومه يعرفون أنه انتصر على سيدة عزلاء !! ذات حمل ثقيل !

لم تكن أيام زينب بالمدينة ناعمة راضية اذ كانت تمتلكها عقابيل تلك السقطة الأليمة ، ووالدها يراها تشحب وتهزل ، فيعتصم بالصبر ، ويعلم الله أى ألم كان

يعتصر فؤاده الشفيق ، وأى غضب كان يعصف بمشاعره ، ولكن الأمور تجرى كما أراد خالق الكون أن تسير ، ولابد من الاذعان للمكروه ، وقد حل فعلا بزينب حيث ارتحلت الى ربها ، ويقول مؤرخو سيرتها العاطرة ، ان عواقب السقطة الدامية كانت فاتحة مرضها الطويل حتى جاءها اليقين !

ودارت الأيام ففتحت مكة ، وأصبح رسول الله سيد النهى فيها والأمر ، وأيقن هبار بن الأسود ان ساعة الانتقام قد أزفت ، لأن دمه مهدور من يوم زينب فحاول الفرار فى كل متجه ولكنه أيقن ان الغلبة للاسلام ، وأن جنود محمد صلى الله عليه وسلم تلاحقه انىّ سار !! فلم يجد بدا من أن يهجم على عرين الأسد ، أيا كانت العاقبة ، فوقوع البلاء خير من انتظاره ، فتقدم الى سيد المرسلين يقول له فى انكسار : "يانبى الله ، لقد هربت منك فى البلاد ، وأردت اللحاق بالأعاجم ، ثم ذكرت عائدتك وصلتك ، وصفحك عمن جهل عليك ، فاصفح عن جهلى ، فانى مقر بسوء فعلى ، معترف بذنبى !!" .

لاشك ان رسول الله تذكر مأساة زينب حين واجه هبارا ، ولاشك ان الحزن قد عاوده ساعتئذ على ما أصابها ! وهو الان فى موقع القدرة من عدوه الجانى ! وأى أب سواه لم يكن ليصفح هكذا دون انتظار ! واذا صفح فبعد تأنيب زاجر ، وإيجاع ناقم ، ولكن نبى الله يرتفع عن مؤثرات الموقف ، فيقول فى تؤدة : أذهب ياهبار فقد عفوت عنك ، قالها والصحابة دهشون ، إذ كانوا لا يتوقعون !

● المال .. المال

حين قال الامام البوصيرى فى بردته :

وراودته الجبال الشمّ من ذهب ... وفضّة فأراها أيما شمم

لم يقصد المعنى الحرفى للبيت ، لأن الجبال فى مكة والمدينة لم تكن من ذهب وفضة ، ولكنه فكر فى زهد الرسول عن الطيبات وهى ملء يده ، زهده فيما اجتمع له ذات غزوة من ثراء فياض ملأ الوادى الفسيح بشعابه الممتدة ثم لم يأخذ منه شيئا ! والبرهان ساطع لا مجال فيه لأدنى شبهة ، ففى غزوة حنين شاء قائدها المشرك مالك ابن عوف أن يسوق مع المحاربين نساءهم وأطفالهم وأموالهم وما يملكون من انعام ليكون ذلك أدعى الى حماسة قومه فلا يفرون عن الميدان ساعة الهول ويتركون الأطفال والنساء والأموال ، لذلك سال الوادى بشعابه زاخرا بالمال العينى من ذهب وفضة ، والمال الحى من رقيق وحيوان ، وهى غلطة حربية شنيعة لأن المنهزم اذا فر لا يفكر الا فى نفسه ، أولا ، ثم دارت الدائرة على المشركين بعد جهاد مرير ذاق فيه المسلمون اشد البلاء بدءا ثم قطفوا النصر خاتمة ، والأمور بعواقبها المنتهية لا بشائرها المبتدئة ، وقد وقع فى أيدى المنتصرين ماساق المشركون من مال وعتاد ، وهو شيء لا نظير له فى زمنه ، اذ ترك الفارون أربعة وعشرين ألفا من الابل ، وأربعين ألفا من الغنم ، وأربعة الاف أوقية من الفضة وستة الاف من النساء

والبنين ! لفيدرى القارىء ما أخذ الرسول من هذا الفيضان الزاخر ؟ لم يأخذ درهما واحدا ! وخص به جميعه المؤلفة قلوبهم من أعداء الأمس ، وفيهم من شمت بالمسلمين فى الجولة الأولى فقال : الان بطل السحر ، لن تقوم لمحمد قائمة بعد اليوم !! وان عجيبا أعجب العجب أن يحوز هؤلاء كل ما غنم ، حتى غضبت بعض الأنصار ، وهم زادة الاسلام وحماته ، وعرف رسول الله ما أثارهم من غضب ، فترضاهم بما شفى الصدور ..

جاء فى كتاب (الامتاع) للمقريزى : أن أبا سفيان ـ وهو زعيم المؤلفة قلوبهم ـ رأى من الغنائم ما بهره ، فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : أصبحت اكثر قريش مالا ! أعطنى مما غنمت يارسول الله ! فقال صلى الله عليه وسلم : يابلال ، زنو لأبى سفيان اربعين أوقية ، وأعطوه مائة من الابل ، فقال ابو سفيان ابنى يزيد ، فقال زنو ليزيد أربعين أوقية واعطوه مائة من الابل ، فقال ابو سفيان ابنى معاوية يارسول الله ، فقال زن له يابلال أربعين أوقية ، وأعطه مائة من الابل ، فقال ابو سفيان ، انك لكريم ، فداك أبى وأمى ، والله لقد حاربتك فنعم المحارب ، كنت ، ثم سالمتك فنعم المسالم أنت !

وجاء صفوان بن امية ، فأعطاه الرسول مائة من الابل ثم مائة ثم مائة ، ثم رآه يرمق شعبا مملوء نعما وشاء ، فقال له : اأعجبك هذا الشعب ياابا وهب ؟ فقال نعم : قال : هو لك بما فيه ، فقال صفوان : ان الملوك لا تطيب نفوسها بمثل هذا ، ما طابت نفس أحد بمثل هذا الا نبى !

هذا المال الزاخر لم يرجع منه رسول الله لنفسه ولا لأهله بشىء ! وكان يقنع الناس جميعا ، أن يجود بالنصف ، ويحتفظ بالنصف ! بل كان المنتظر أن يشبع السابقين الأولين من المهاجرين ، والذين آثروا وآووا ونصروا من الانصار ، ثم يرضى المؤلفة قلوبهم ببعض ما أخذوه ، والبعض من هذا الفيضان كثير كثير ، ولكنه رجع خالى اليد ، عامر القلب ، وقد هجم عليه بعض الأعراب ساخطا ، وانتزع رداءه الشريف من فوق جسمه ، وطالبه ببعض المال بعد أن وزعه ، فقال الرسول : ادوا الى ردائى أيها الناس ! فوالله لو كان لى عدد شجر تهامة نعم لقسمتها عليكم ، ثم لا تجدوننى بخيلا ولا جبانا ولا كذابا" .

ثم نسأل ، ما صنع الرسول ، وهو رئيس المنتصرين ، وسيد الجزيرة العربية بمن قد تهجم عليه فى غلظة ، ونزع رداءه من جسمه دون مراعاة لأدنى لياقة أو أدب ! أما كان فى استطاعته أن يأخذه بالشدة بعد أن تجاوز كل حد ، والكلمة كلمته ، والمسلمون رهن اشارته ! انه لم ينظر للأمر من وجهة بشرية تعاقب المسىء بمثل ما يعاقب من أجرم وتهور ! ولكنه علم ما يجره الضعف الانسانى على الناس من اندفاع ، وانه أولى بأن يقدر هذا الضعف حق قدره ، فيغفر للمسىء ، كى يراجع نفسه دون تأنيب ! أليس هو المثل الكامل !

ان الشعاب الممتلئة بالغنائم يوم حنين ، هى التى عناها البوصيرى فى بيته

السالف ، حين صور الحقيقة فى ثوب خيالى زادها اشراقا ولألأة ! وأى شمم أعلى ذروة ، من شمم نبى ، يترك الفيضان الزاخر ، ويرجع الى بيته وليس عليه غير ثوبه ، فيحاول أن يغتصبه منه أعرابى عجول ، ثم لا يسمع غير العتاب الرقيق ! ولا يرى غير النظر الشفيق !

● الخبرة النفسية

هذه الخبرة النفسية بضعف أولى الضعف ، جعلت رسول الله ينتظر الشر من الأشرار ، ولا يستبعد وقوعه ، وحتمت عليه اذا وقع الشر أن يعفو ويصفح الا فى حد من حدود الله متى شاع الجرم واشتهر ، وكانت مواقفه ترجمة صادقة عن شعور العفو الصادق ، والعفو الصادق صفة كلية تجمع صفات جزئية كثيرة ، فصاحب العفو حليم رحيم حصيف ، أما انه حليم فلأنه كظم غيظه أمام السيئة الواضحة ، وأما انه رحيم فلأنه قد تغمد الاساءة بعطفه وحنانه ، وأما انه حصيف فلأنه وقف على الاعماق المستترة فى النفوس ، فرأى ما يمتزج بها من الهدى والضلال ، وتوقع السقوط فى الأثم تارة كما توقع النجاة منه تارة أخرى ، وهكذا كان العفو معنى كليا ، وشجرة ذات فروع وأغصان .

ورسول الله حريص على أن يوضح العفو بالفعل والقول ، أما الفعل فقد عرفنا من وقائعه ما سطرناه فى هذا المقال ، وهو مثال من عشرات ، وأما القول فما أكثر ما تحدث محمد على العفو ، وما أكثر ماتلا من آيات الكتاب فى التسامح والغفران ، بل ما أجمل ما أبرز مزايا العفو فى حوار قصصى يأخذ باللب كأن يقول فيما رواه البخارى رضى الله عنه :

"قال رجل ، لأتصدقن بصدقة ، فخرج بصدقته فوضعها فى يد سارق ، فأصبحوا يتحدثون : تصدق الليلة على سارق " فقال اللهم لك الحمد !! لأتصدقن بصدقة ، فخرج بصدقته فوضعها فى يد زانية فأصبحوا يتحدثون : تصدق الليلة على زانية ، فقال : اللهم لك الحمد على زانية ، لأتصدقن بصدقة ، فخرج بصدقته فوضعها فى يد غنى ، فأصبحوا يتحدثون : تصدّق الليلة على غنى ، فقال الحمد لله على سارق وعلى زانية وعلى غنى ، فأتى ، فقيل له ، أما صدقتك على سارق فلعله أن يستعف عن سرقته ، وما الزانية فلعلها أن تتوب فتعف عن زناها ، وأما الغنى فلعله يعتبر فيتصدق" .

فالرسول فى هذا النمط القصصى البديع يفتح باب العفو عن السارق والزانية ، ويقاس بهما أشباههما ، بل يفتح باب الأمل على من وقف السد الهائل فى طريقه فعاقه أن يسير ، والمثل الكامل للانسانية مبشر قبل أن يكون منذرا ، وغارس للأمل فى أرض يتعهدها بالرى والتسميد حتى تؤتى أكلها الطيب ! ولنا نحن المسلمين فى سلوكه المثالى أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الاخر ، فهل نستطيع ؟

وبعد ، فللمغفور له الأستاذ محمد أحمد جاد المولى كتاب قيم تحت عنوان (محمد المثل الكامل) وقد استعرت العنوان منه فقط ، لأذكّر به ، والذكرى وفاء .



لويس عوض والأدب الاشتراكي

بقلم: د. شكري محمد عياد

على كثرة ماكتب لويس عوض من النقد التطبيقي، معرفاً ومحللاً ومفسراً لأعمال أدبية عربية وعالمية، قديمة ومعاصرة، لا أعرف له بحثاً نظرياً في الأدب، ماهو وما غايته وما وظيفته، سوى هذه المقالات السبع التي نشرها في جريدة الجمهورية في سنة ١٩٦١، وجمعها، مع عدد من المقالات التالية التي كانت أشبه بامتداد وتوضيح للمقالات السبع الأولى، في كتاب عنوانه "الاشتراكية والأدب" نشر في سلسلة "كتاب الهلال" في مايو ١٩٦٨، ولا أعلم أنه أعيد طبعه بعد ذلك، مع أنه جدير بإعادة الطبع مرة ومرات.

لقد تعرض لويس عوض لكثير من النقد ـ وبعضه جارح ومجرح ـ بسبب دراساته في تاريخ الفكر المصري الحديث، ودراساته في اللغة العربية والأدب العربي القديم، ولكنه في هذه الدراسات الأخيرة لم يكن منظراً بل حاول أن يكون مؤرخا، ولكل مؤرخ وجهة نظره التي تسيطر على اختياره للأحداث وتفسيره لها، ولويس عوض ـ كما قلت في مناسبات سابقة ـ رجل عالمي النزعة في فكره وشخصيته وأسلوب حياته، وقد التقى إيمانه بشخصية مصر ودورها الحضاري بنزعته العالمية فكان منهما مزيج حدد وجهة نظره وأوقعه في بعض



مكسيم جوركى



غلاف كتاب الاشتراكية والأدب

الأخطاء التاريخية . فإن هذا المزيج ـ على قيمته ـ كان ينقصه عنصر مهم ، وهو المعرفة الوثيقة بالتراث العربى الإسلامى ، الذى ظل لويس ينظر اليه نظرة الهاوى ، رغم محاولاته المستمرة لاستيعابه .

مثل تلك الأخطاء لا ينبغى أن تكون سببا لتجريح الرجل . والآن وقد انطوت صفحة حياته ، وبقيت لنا أعماله ، فيجب أن نتمثل بقول شاعرنا :

لا تظلموا الموتى وإن طال المدى
إنى أخاف عليكمو أن تلتقوا

وأهم ماخلفه لنا لويس عوض هو مقالاته ودراساته فى النقد الأدبى ، وإذا كانت مقالاته النظرية دليلاً وبيانا لمنهجه فى النقد التطبيقي فما أحرانا أن نجد فيها خلاصة لإضافاته الفكرية الإساسية ونحن نتحدث دائما عن الأعمال ، ولا نسأل عن النيات أو ما تخفيه الضمائر . فالحوار الفكرى لا يعرف محاكم التفتيش ، والرجل الذى واتته الشجاعة ليصرح بآراء أنكرها عليه الكثيرون ، لا ينتظر منه أن يرائى فى مسائل كانت سغله الأكبر طول حياته .

● إضافة للفكر العربى

تنظير لويس عوض للأدب الاشتراكى إضافة مهمة للفكر العربي الحديث ، وككل إضافة مهمة لهذا الفكر ، لن ترى فيها إلا الصفاء والوضوح ، ولن ترى فيها إلا نتاجاً لحضارة أصيلة واحدة منسجمة ، وإن اسهمت فيها عناصر مختلفة دينا أو وطنا أو تعليما ولن أسبقك بالحكم ، صديقى القارىء ، ولكن تعال نتتبع معا الخط الأساسي لهذه المقالات النظرية :

ويلاحظ أولاً أن مقالات لويس عوض عن "الاشتراكية والأدب" كانت تواكب تحولا متسارعا للنظام الاقتصادى ـ عن طريق التأميم ـ نحو الاشتراكية ، وصراعاً

لويس عوض والأدب الاشتراكي

فكريا بين الماركسية – التي تسمت دائما باسم الاشتراكية العلمية – وبين الاتجاه الذي كان يرى في الأخذ بالماركسية اللينينية نوعاً من التبعية ، وينادي بشعار "لا شرقية ولا غربية" أو بما سمى أحيانا اشتركية عربية .. وفي مجال النقد والإبداع كان الاتجاه الأول يعبر عن نفسه في شكل من أشكال الواقعية الاشتراكية ، بينما كان الاتجاه الثاني ومعه جميع التيارات التحتية التي تميل الى المحافظة أو تنفر من التغيير السريع – يشجع النزعات التقليدية والرومنسية والنظريات النقدية التي تذهب إلى قنية الأدب واستقلاله عن مجريات الحياة الاجتماعية

كان كل شيء ممكنا في ذلك المناخ المضطرب . كل عمل في مجال العمل ، وكل فكر في مجال الفكر . ومع ذلك لم تكن المغامرة محمودة العواقب . وكان على المفكر الامين والكاتب أن ينأى بنفسه عن الصراعات الظاهرة والمكتمة ، وأن يتعامل مع النماذج الأصيلة لهذه النظريات في الفكر الغربي محاولاً أن يخرج منها بأصلح العناصر لبناء فكر اجتماعي وأدبي يكون أصدق تعبيراً عن طبيعتنا وأسلوب حياتنا . وقد كان لويس عوض مفكراً امينا وكاتبا أمينا . وكان إلى جانب ذلك ، وثيق الصلة بتلك النماذج الأصيلة في الفكر الغربي والأدب الغربي . ومن ثم استطاع أن يعرض الاتجاهات العالمية المتصارعة في الأدب والنقد الأدبي عرضا موضوعياً واضحاً ، وأن ينقدها من وجهة نظره ، التي يجب أن نتوقع أن لا تكون معبرة عن مزاجه الشخصي بقدر ماهي معبرة عن الطابع المميز لثقافتنا . (وإلا فلن تكون لها قيمة لدى قرائه) .

ومع أن الأسئلة المطروحة في صدر المقالة الأولى هي : "ما مقام الأدب في المجتمع الاشتراكي ، وما وظيفته في هذا المجتمع ، وما غايته وما علاقاته بالحياة وأهدافها ، ثم .. ما مقوماته ومبادئه وعناصره ، وكيف نصون الأدب الاشتراكي من اعدائه ومن أصدقائه على حد سواء ، فقد يكون الصديق الجاهل اكثر خطراً من العدو العاقل" .

● الاشتركية عند لويس عوض

مع ذلك فإن كلمة "المجتمع" تستبدل بها على الفور كلمة "الحياة" ولابد من تبرير لذلك ، وهل يكون هذا التبرير الا بتفسير للاشتراكية يجعل عبارة المجتمع الاشتراكي" مساوية ، ولو في ظروف تاريخية معينة ، لكلمة "الحياة" ؟ وهكذا يفعل لويس عوض . فهو لا يقدم اى تعريف اقتصادى أو سياسي للاشتراكية أو المجتمع الاشتراكي ، ولكنه يتطرق الى شرح معنى "الاشتراكية" او "اشتراكيتنا" بالذات ، من شرح المعنى الأشمل ، وهو "الحياة" فالحياة تشمل المجتمع والفرد ، والحياة تعني الكينونة كلها بما فيها من جسد وروح ومن مادة وفكر بينما المجتمع كيان مادي محسوس وعلاقات مادية محسوسة ، والحياة بناء مستمر يدخل فيه الماضي والحاضر

والمستقبل ، ويشمل هذا المجتمع وذاك المجتمع وكل مجتمع ، بينما المجتمع يفهم عادة على انه مجتمع بعينه محدود بحدود الزمان والمكان . وبهذا تكون دعوة الأدب للحياة دعوة قومية ودعوة إنسانية معا ، ودعوة مادية ودعوة روحية معا ، ودعوة اجتماعية ودعوة فردية معا . من هذا التفسير لمعنى "الحياة" ينبع التفسير المقترح لمعنى الاشتراكية أو المجتمع الاشتراكى كما يجب أن يكون . ويحسن بك ان تنتبه لكلمة ""يجب" هنا فالوجوب هنا مبنى على قيم مطلقة ، قيم "الحياة" كما شرحها لويس عوض ، وهو مخالف ، بل مناقض ، للحتمية التاريخية التى تتحدث عنها الاشتراكية العلمية . الوجوب عند لويس عوض وجوب مثالى ، والحتمية عند الماركسيين ضرورة تنشئهاعوامل تاريخية مادية . من معنى "الحياة" يبدأ النقاش :

"وهذا فى يقينى هو جوهر اشتراكيتنا التى تتسع ويجب أن تتسع لكل هذه المعانى والوجوه . فلو كانت اشتراكيتنا مجرد اشتراكية قومية خلت من المقومات الانسانية لكانت نازية أو فاشية ، وحاشا لها ان تكون كذلك . ولو كانت اشتراكيتنا مجرد اشتراكية عالمية خلت من المقومات القومية لكانت وهما من تلك الاوهام الفوضوية التى نبغ فيها مفكرو اليهود وربما اصطنعوها اصطناعاً ليقضوا على القوميات . ولو كانت اشتراكيتنا مادية الوسائل والغايات خالية من الفكر وروح المثالية فلن يخرج من مجتمعنا إلا مسخ شائه ، ولو كانت اشتراكيتنا محض رؤية روحانية لا تجابه مقومات الحياة المادية لكانت قصراً باذخاً يشيد علي الرمال . كذلك لو كانت اشتراكيتنا نظاماً اجتماعيا شموليا حديديا لا يفكر الا فى الجماعة ويسحق شخصية الفرد بكلكله لعدنا الى مجتمع النمل والنحل وقطعان الجراد ، ولو كانت اشتراكيتنا حبرا على ورق ومجرد شعار أجوف يخدر الجماهير ثم يترك للفرد أن يعربد فى كل مكان بلا قيود ولا حدود لكان من المحال أن يتسع بيننا القطاع العام بالملكية العامة والخدمات العامة ليحول مستقبلا دون عودة الاستغلال الفردى الى الظهور" .

ويخلص إلى أن :

"الاشتراكية إذن كما نفهمها مذهب إنسانى .

"والادب الاشتراكى كما نفهمه ادب انسانى . ويستوى أن تقول : "الأدب للحياة" أو (الأدب للانسانية) .

ولن يعجب احد إذا راح لويس عوض فى المقالات التاليـة يستعرض اهم المدارس الادبية والفنية التى يعتبرها معادية للاشتراكية او منافية لها لانها اى تلك المدارس تصدر عن فلسفة مثالية مدرسة الفن للفن والمدرسة الإنسانية الجديدة والمدرسة العقلانية الجديدة او الكلاسيكية الجديدة ومدارس اللاوعى على اختلافها ومنها السيريالية . فهذه المذاهب معادية للاشتراكية لانها تبتعد عن واقع المجتمع المعاصر (أى عن الحاضر والمستقبل) وترتكز إما على القيم الفردية وإما على قيم الماضى . ولكن الكثيرين سيعجبون بدون شك لأن لويس عوض يعد "المدارس المادية التى يمكن ان تعد خطراً على الاشتراكية بمعناها الانسانى الحقيقى" فإذا هى : (١) مدرسة الاشتراكية الثورية ، و (٢) مدرسة الواقعية الاشتراكية ، و (٣) مدرسة الادب الهادف ، و (٤) مدرسة

لويس عوض والأدب الاشتراكى

الحتمية الاقتصادية أو الجبر التاريخى .

ومصدر العجب أن هذه "المدارس" كلها ليست الا صوراً متعددة من النقد الأدبى الماركسى ، والماركسية ، كما يرى انصارها ، هى "الاشتراكية العلمية" ، وهى فى الخمسينيات والستينيات ، وفى رأى انصارها وأعدائها على السواء ، اقوى مذهب فكرى على ظهر الكرة الأرضية ولكن هذه المدارس فى نظر لويس عوض منافية للاشتراكية الحقيقية ، الاشتراكية بالمعنى الانسانى الذى اختاره ، وذلك لأنها تطرفت نحو الفلسفة المادية ، كما تطرفت سابقتها نحو الفلسفة المثالية ، ولأنها أنكرت الماضى ، وكل ما يتصل به من أدب وثقافة ، بحجة انه

لويس عوض فى مكتبه



ينتمى الى عصور عبودية أو اقطاعية أو بورجوازية ، واتجهت باهتمامها كله الى الحاضر والمستقبل ، كما اتجهت المذاهب المثالية الى الماضى .

● وحدة الفكر الانسانى

وطبيعى أن يأتى بعد نقد المدارس المتطرفة نحو المثالية أو نحو المادية تقرير لسمات الأدب الاشتراكى الصحيح كما يراه لويس عوض وهذا هو مايخصص له المقال السابع والأخير من مقالاته عن الاشتراكية والأدب . وهو يلخص هذه السمات فى سبع أيضا ، وان كان مردها جميعا الى الوحدة أو "الوحدانية" كما يعبر لويس عوض ، إلى وحدة الفكر الانسانى والتراث الأدبى الإنسانى فى كل زمان ومكان ، والى وحدة الذات والموضوع ووحدة الصورة والمادة أو الشكل والمضمون . والوحدة تعنى "الاعتراف الأعظم" بدلاً من "الإنكار الأعظم" فكل مذهب من المذاهب المثالية أو المادية التى عرضها تصور جانباً من الحقيقة ، وإنما يأتيها الخطأ أو "النقص" أو "الشر" من إنكارها للجوانب الأخرى ، "وما (الشر) وما (النقص) إلا كلمة ابتكرها الإنسان ليعبر عن وجود هذا الصدع بين الذات والموضوع ، وما (الموت) الا حالة الانفصام التام الذى لا رجعة فيه بين الروح والمادة" .

ولكن هذا "الاعتراف" ، الذى يشبه الاعتراف بين الدول ، لا يعنى "القبول" : "وإذا كانت الاشتراكية السليمة تقوم على الاعتراف الأعظم بالتراث الانسانى كله فليس معنى هذا قبولها للتراث كله فهى تعلم ان كثيرا من مذاهب الفكر والفن والأدب فكر متأزم وفن متأزم وأدب متأزم ،

فهو يرى نفسه ولا يرى إلا نفسه ، وهو يبنى نفسه ويحطم كل ما عداه .. الاشتراكية السليمة تعترف بكل هذه المدارس من حيث هي نقد للحياة ، ولكنها ترفضها ولا تقبلها بالضرورة من حيث هي منهج للحياة" .

وأهم من هذا أن "الاعتراف الأعظم" والوحدة الإنسانية الشاملة لا ينفيان بالضرورة خصوصية الفكر الاشتراكى والأدب الاشتراكى فإن "الاشتراكية من حيث هي مذهب اجتماعى محدد المعالم مولود فى إطار محدد من الزمان والمكان قد تعمد الى تبنى بعض الاتجاهات الفكرية او الفنية أو الأدبية التى قد تخدم ظروفها المباشرة وهدفها المباشر . وبهذا المعنى قد يظهر الى الوجود فكر اشتراكى وفن اشتراكى وأدب اشتراكى ولكن الاشتراكية من حيث هى فكرة إنسانية تعرف مكمن الخطر فى المذهبية الضيقة او هذا الذى سميناه (الانكار الأعظم) ، وتعرف أن فكرها وفنها وأدبها ، من حيث هو جزئى ومن حيث هو نابع من نقائض الحياة ، مرهون بتحققها وانتصارها ، فبعد أن تتحقق الاشتراكية وتنتصر ستقترب بفضلها الانسانية من حالة الوحدة والانسجام هذه ، وعندئذ لن يبقى من الفكر أو الفن أو الأدب ماهو ارستقراطى أو بورجوازى او بروليتارى ولكن يبقى شىء واحد وهو ماهو إنسانى .

قد يشعر القارىء امام هذه الافكار بنوع من الدهشة . فهى من ناحية تثير مناقشات كادت تنسى ، فى الجو الحاضر من طغيان الاتجاهات الشكلية على النقد الأدبى كله . ومن هنا فقد يدهش القارىء لانه يجد نفسه أمام مناقشات قديمة ، عفى عليها الزمن ، وهى من ناحية أخرى تحضر الى ذهنه التحولات السياسية العنيفة فى المذهب الاشتراكى فى هذه السنوات الأخيرة ، وما صاحبها ولا يزال يصاحبها من تحولات فكرية عميقة ، واتجاهات ، لا تزال غامضة ، نحو اشتراكية اكثر إنسانية . ومن هنا تبدو افكار لويس عوض عن الاشتراكية والأدب الاشتراكى متقدمة عن زمنها جدا (وإن كان من الحق أن يقال إن البحث عن اشتراكية اكثر إنسانية ، بل عن ماركسية اكثر إنسانية ، قد ظهر منذ اواخر الخمسينات ، وعبرت عنه ثورة المجر سنة ١٩٥٦ بوضوح تام) .

ولكن الفكر الأصيل لا يتبع الزمن ، بل ربما حرّك الزمن ! وقد كانت افكار لويس عوض التى عرضها فى هذه المقالات جديرة بان تثير مناقشات طويلة جادة ، يمكن ان تجعل للنقد الأدبى العربى المعاصر طابعاً مميزاً . غير اننا لا نعثر على مثل هذه المناقشات ، إلا ماكتبه الناقد اللبنانى حسين مروة من وجهة نظر ماركسية خالصة . اما إذا اردنا أن نضع آراء لويس عوض فى سياق الفكر العربى فأول مايخطر ببالنا هو قربها الواضح من "تعادلية" توفيق الحكيم ، بل من تلك "الوسطية" أو "التوفيقية" التى يراها الكثيرون سمة مميزة ، إن لم تكن السمة الأساسية ، للفكر العربى الإسلامى .

ولسنا نتوقع من هؤلاء ان يعدوا لويس عوض بين المفكرين الإسلاميين (ولو انها فى نظرنا قضية معقولة جدا) ، ولكننا نطلب منهم فقط أن ينصفوا الرجل ، وأن يقروا بأن أعماله النقدية تقع فى منطقة القلب من ثقافتنا العربية الواحدة ، ولهم ان يصفوا هذه الثقافة بما يشاءون من الصفات .

سوانح وطرائف



لويس عوض في الشعر والموسيقى

بقلم: كمال النجمي

كان الكاتب الكبير المرحوم سلامة موسى لا يعرف اللغة العربية معرفة واسعة، فرأيناهم في الصحف التي كان يشارك في تحريرها، يدفعون بمقالاته إلى من يراجع لغتها نحوا وصرفا وبيانا، ولكنه - مع ذلك - كان دقيقا مبينا عن معانيه، متفوقا في الدقة والإبانة على بعض العارفين باللغة ..

وكان - في عموم فكره ورأيه وموقفه - لا يحب اللغة العربية، ولا الشعر العربي، ولا الأمة العربية، ماضيا وحاضراً، ولا يحب حتى مجرد استعمال الحروف العربية في الكتابة، وحلمه الذهبي أن تحل العامية في الثقافة محل العربية ..

□ □ □

ولكن سلامة موسى كتب مرة سطرا واحدا عن الشعر العربي لم يكتب مثله بعض أهل هذا الشعر، الغيورين عليه، العالمين بأسراره .. قال: "الشرط الأول لكل فن هو الطرب، وبلا طرب يفقد الفن فنيته، وأقصد بالطرب ارتفاع الإحساس، وقد سماه أبو تمام الحماسة .." ..

● سلامة موسى ونقد الشعر

هذا السطر لسلامة موسى عن

الشعر العربي ، والشعر بوجه عام ، عربيا كان أو غير عربي ، يكاد يغفر له ماوجهه بعد ذلك وقبل ذلك الى الشعر العربي القديم والحديث من نقد باطل ! ..

فقد شهد سلامة موسى فى كلماته هذه للشعر العربي بأن فيه من الفنية وارتفاع الإحساس بقدر ماجمع منه ابوتمام فى ديوان الحماسة على الأقل ، فإن لغير أبى تمام "حماسات" أخرى ، بل إن لبعض من غلا من معاصرينا فى "التجديد" شيئا من هذا القبيل ، حتى لقد جمع "ادونيس" ديوانا على غرار "الحماسة" .. وناهيك بأدونيس عدواً للشعر العربي ولكل ما يضطغن عليه ضميره وقلبه من شئون "الصحراء" العربية وشجونها ..

والفنية وارتفاع الإحساس ، هما ماينفيه أعداء الشعر العربي عنه ، ويضيفون الى نفيهما عنه مثالب يخترعونها ويلبسونه إياها ، كقولهم إنه شعر عقل لا شعر نفس ووجدان ، وإنه تقريرى لا تصويرى ، محكوم بالقافية والروى ، سجين فى الأوزان ، غارق فى المديح والهجاء ، بل إن بعض أعدائه يأخذون عليه مزية من مزاياه سجلها أبو تمام فى قوله :

ولولا خلال سنها الشعر مادرى
بغاة العلا من اين تؤتى المكارم

ففى رأيهم أن مهمة الشعر ليست سن الخلال الحميدة لبغاة العلا والمكارم ، مع أن هؤلاء النقاد ينادون - أو كانوا ينادون أيام الحماسة الأيديولوجية - بأن مهمة الشعر فى عصرنا حث الناس على العمل من أجل



د . لويس عوض

لويس عوض في الشعر والموسيقى

التقدم وتجميل الحياة والثورة على الظلم ، وما إلى ذلك من أهداف أجتماعية وسياسية وأخلاقية .

وهذه الأهداف كان القدماء يعبرون عنها بكلمة "العلا" وكلمة "المكارم" وكلمات أخرى ، على حسب مابلغه المجتمع القديم من تقدم وما كان ينطوى عليه من علاقات بين فئاته وطبقاته ..

ولكن النقاد الذين يرون ـ أو كانوا يرون أيام الحماسة الايديولوجية ـ أن مهمة الشعر التغنى بالاشتراكية ، يرون ـ إلى الآن ـ أن الشعر العربى لم يكن ينبغى له أن يسن للملوك والأمراء ما يتحلون به من خصال العلا والمكارم ، لأن الأمراء والملوك أعداء التقدم ! .

● رحيل حزين !

ولا أستطرد وراء هذه السوانح ، لأنى إنما أردت أن أذكر فقيد الأدب والفن الدكتور لويس عوض بكلمة فى رحيله هذا الفاجع الحزين ! ..

لقد استوفى الفقيد حق الرثاء والوداع والتكريم من زملائه وتلاميذه .. وهو جدير بما استوفاه من هذا الحق كفاء ما قدم للأدب والفن طوال خمسين عاما عاشها متفردا ، لا مستعظما غير نفسه ـ على حد تعبير المتنبى ـ ولا تتراءى له فى صحوه ونومه إلا الأحلام المستحيلة ! ..

وسياق كلامنا آنفا عن سلامة موسى والشعر العربى ، يصلنا بتلميذه هذا ، بل أنجب تلاميذه لويس عوض ، الذى جعل نصب عينيه طوال حياته أن يشن على الشعر العربى حربا لا تضع أوزارها أو يصبح الشعر العربى جثة بلا حراك ! ..

لقد كان سلامة موسى يقنع من حربه للشعر العربى بدون قتله ومواراته التراب ، فقد كان رجلا حكيما واقعيا لا تخدعه الاحلام المستحيلة ، اما لويس عوض فكان يرى أن الوجه الاصيل لمصر العظيمة لا يشرق إلا بإزاحة التراث العربى واللغة العربية والشعر العربى والموسيقى العربي ! .

كان ذلك هو حلمه العجيب المستحيل الذى تشبث به حتى النهاية ..

إن تفاصيل هذا الحلم واسعة متشعبة ، وإنما نحن هنا بصدد موقفه من الشعر العربى والموسيقى العربية فحسب ، ونجتزىء منه بشذرات لا نزيد عليها الآن شيئا ..

فمن ذلك أن المرحوم لويس عوض كان يكثر فى معرض حربه للشعر العربى ، من القول بأن الشعر التفعيلى يشبه البناء

الموسيقى المتعدد الأصوات ، شعر البحور المتكاملة هو الألحان الساذجة البدائية ذات الصوت الواحد

وهذا الراى يحاول ان يجعل من الشروط الفنية والعلمية التى تتحكم فى التاليف الموسيقى ، شروطا فنية وعلمية تتحكم فى تاليف الشعر ، وهى محاولة لا جدوى منها ، فالشعر والموسيقى ، ثمرتان مختلفتان فى الأصل والتكوين وإن تجاورتا فى بستان الفن ..

● تعدد الأصوات .. فى الشعر

ولعله كان يقصد بما يسميه "تعدد الاصوات" فى الشعر الجديد ، تركيب الاصوات وتكثيفها على هيئة الموسيقى البوليفونية التى تتألف من اصوات متعددة ، على الأسس التى يسميها الموسيقيون الهارموني والكونتر بوينت ، وفى لغة أقرب على النطق العربى : الكونترابنط ..

وإنما أقول : "لعله كان يقصد ذلك" لأن معانى هذه الكلمات تبدو مشوشة مبهمة فى ذهنه ، ولا ندرى على وجه الدقة ماذا يريد بقوله إن الشعر التفعيلى هو الهارمونى والكونترابنط .. وإن الشعر الموزون هو الميلودى ..

إن كان قد أراد التكلم بالمجاز والاستعارة والتشبيه ، فلا غبار عليه ، أما إن كان يريد الإيهام برأى علمى ، فليس فى الشعر بجميع ألوانه ، فى جميع لغاته ، فى جميع العصور وجميع الأمم ، شىء اسمه الميلودى والهارمونى والكنترابنط ، لأن هذه مصطلحات علوم الموسيقى التى لا يمكن إقحامها على الشعر ، ولأن الموسيقى نفسها قد تخلو من الهارمونى والكونترابنط ولا تشتمل إلا على الميلودى ، وتسمى مع ذلك موسيقى ! ..

● ماهى العلاقة إذن بين الشعر التفعيلى وبين التاليف الموسيقى البوليفونى أو المتعدد الأصوات ؟! ..

قد يقال إن العلاقة تتمثل فى استعمال الشعر التفعيلى ومشتقاته تفعيلات مختلفة الأوزان فى القصيدة الواحدة فتختفى عندئذ الإيقاعات والنقرات المتشابهة المطردة فى البحر الموزون ، وتظهر بدلا منها إيقاعات متعددة أو متضادة أو متوافقة ، على حسب المطلوب ، كما يحدث فى الموسيقى المتعددة الأصوات ..

وهذا غير صحيح ، فالتفعيلة الواحدة فى بحر الشعر العربى قائمة



سلامة موسى



الشاعر ادونيس

لويس عوض في الشعر والموسيقى

على إيقاعات خفيفة أو ثقيلة ، سريعة أو بطيئة ، متعلقة بكسور الصوت العربي .. ويتم التصوير اللحني والايقاعي للبحر على نغمته الموسيقية المعلومة ، ولكن بغير طريقة تصوير اللحن الغنائي أو الموسيقى البحت من طبقة الى أخرى ، ارتفاعا وانخفاضا طبقا للمسافات المقررة في الغناء والموسيقى ، فإن للموسيقى علومها الخاصة ، ولا يخلط علوم الموسيقى بعلوم الشعر إلا لاعب بعقول الناس ! ..

وليس في الشعر موسيقى لحنية وترية ، وموسيقاه كلها إيقاع ، أي نقر بالدف أو بأدوات أخرى ، وعند أداء نقرات الشعر بالدف أو غيره ، ينكشف لنا - وإن كان مكشوفا سلفا - أصلها الميلودي الصميم الذي لافكاك لها منه إلا إذا خرجت تماما من الأوزان العروضية العربية القائمة على توزينات اللغة العربية وغيرها من اللغات ..

● ضوابط عقلية

ومعنى ذلك أن اللفظة العربية المفردة هي إيقاع ميلودي كإيقاع التفعيلة المؤلفة من كلمات ، ومهما وضعت من تفعيلات مختلفة متنافرة ، تنقص في سطر وتزيد في آخر ، فلن تحصل من الناحية الموسيقية إلا على إيقاع ميلودي بحت ، لأن الألفاظ ، لا يمكن أن تدخل تحت رحى الهارموني والكنترابنط ، فهي ضوابط عقلية صارمة مهما دخلت فيها أساليب المجاز والاستعارة عند استعمالها في الشعر ..

هكذا إذن لا يمكن بحال "هرمنة" الشعر عن طريق النظم بتفعيلات من بحور مختلفة غير منتظمة السطور ، لا تربطها القوافي ..

وليس لأحد أن يفكر جديا في "هرمنة" التوزينات العروضية واللغوية ، لأن هذه "الهرمنة" لم تحدث في أية لغة من لغات العالم ، ولن تحدث إلا إذا تغيرت الأرض غير الأرض ، وانهارت الأسس العلمية للموسيقى والشعر ، بل لجميع العلوم البشرية ! ..

إن الحلم المستحيل بطرد الشعر العربي من وطنه استتار كلمات ضخمة كثيرة لا تحمل ذرة من الدقة العلمية ، وكذلك الحلم المستحيل بطرد الموسيقى العربية ، وتوطين الموسيقى الأوربية بدلا منها في الأرض العربية ! ..

والحقيقة أن الدكتور لويس عوض لم يكن وحده داعية توطين الموسيقى الأوربية في وطن الموسيقي العربية ..

● حرب على الموسيقى

لقد سبقه وتلاه غير واحد ممن درسوا الموسيقى الأوربية ، بلا موهبة

ولا فهم صحيح ، فنشـوا على الموسيقى العربية حرب حياة أو موت ، وأمسى حلمهم الذى يضىء لياليهم أن يستيقظوا من سكرتهم العميقة ذات صباح سعيد فإذا الموسيقى العربية قد أصبحت أثرا بعد عين ، وإذا مقامات الراست والبياتى والصبا والحجاز قد ذهبت مع الريح ، فإذا خطر ببالهم وقد أذهلتهم هذه المفاجأة السعيدة ، أن يسألوا عما جرى للموسيقى العربية فى ليلة واحدة هكذا ، قيل لهم وقد رقصت قلوبهم وأسماعهم نشوة وطربا جاء الشيطان فأخذها وذهب بها إلى الجحيم ! ..

كانت كراهية الموسيقى العربية والدعوة لتحطيمها جزءا من الكراهية الشاملة التى يكنها الدكتور لويس عوض للتراث العربى واللغة العربية والأدب العربى والشعر العربى ، لأن الموسيقى العربية والغناء العربى عضو لا ينفصم من هذا الجسد الذى يراه خصومه مفرغا فى كماله وجماله بلا انقسام فيحاولون تمزيقه عضوا عضوا ، ولكن هيهات ! ..

والموسيقى العربية تحاول الآن أن تشق طريقها الخاص المستقل على أسسها الذاتية ، فى التأليف المتعدد الأصوات ، بحيث لا تتخلى عن غزارتها اللحنية والإيقاعية التى هى كنزها وذخرها ..

وليس حتما أن تأخذ الموسيقى العربية بأساليب الموسيقى الأوربية فتتخلى عن غزارتها اللحنية جريا وراء سراب الهارمونى والكنترابنط فى المقامين الصغير والكبير اليتيمين فى الموسيقى الأوربية ..

كذلك لا يمكن تجريد الشعر العربى من غزارته اللحنية وانسجامه الإيقاعى الذى لا مثيل له فى أشعار الأمم كلها ، ولا يمكن أن يخدعنا أحد بمزاعم "الهرمنة" التفعيلية التى هى من وجهة النظر الموسيقية وهم ودخان فى الهواء ..

وبعد ..

فإن التحزن والتألم لفقد الدكتور لويس عوض الذى كان نَسِيجَ وَحْدِهِ فى الأدب المعاصر ، لايمنعان أن نقول بعض ماعليه ، بعد أن قال عارفو فضله ماله ، وهو كثير ، لا يقلله مايمكن أن يعد عليه من هنات ..

غير أن هنات الدكتور لويس عوض ، كحسناته ، كانت جسيمة ، فلا يصح أن نسحب عليها ذيل النسيان ، وقد اجتزأنا هنا منها بالقليل ، وبقى الكثير الذى كنا نرجو أن يراجع فيه الدكتور لويس عوض نفسه ، ولكنه كان رجلا وحيدا يفكر لنفسه ويجعل من اخيلته واحلامه عرائس واقع يراه قريبا وهو سراب لبث يزحف إليه بإصرار خمسة وسبعين عاما ، فخسر الأدب العربى هذا النابغة ، ولا يدرى أحد هل كان الأدب العربى هو المسئول عن خسارته ، أم كان هذا النابغة الحرون هو المسئول أولا وأخرا .



د . لويس عوض ناقدا

من محمد مندور الى لويس عوض

بقلم :
د. جابر عصفور

منذ اكثر من ثلاثين عاما كنت قارئا نهما لمجلة «المجلة» التي تعاقب على تحريرها نخبة من كبار مثقفينا، هم، على التعاقب - محمد عوض محمد وحسين فوزى وعلى الراعي ويحيى حقى وعبدالقادر القط. وكنت اترقب المجلة كل شهر منذ ان عرفني عليها زميل كان يسبقني في المرحلة الثانوية، واطالعها كما يفعل التلميذ المجتهد الحريص على التعلم والافادة. ولفت نظري سلسلة جديدة من المقالات بدأها المرحوم محمد مندور الذى كان يكتب - بانتظام - فى المجلة منذ عددها الأول الذى صدر مع مطلع عام ١٩٥٧. وكانت هذه السلسلة عن النقد والنقاد المعاصرين، اصبحت بعد ذلك كتابا منشورا بالعنوان نفسه عام ١٩٦٤. وكان اول ما نشر من هذه السلسلة فى العدد الثامن والعشرين من المجلة (ابريل ١٩٥٩) عن ميخائيل نعيمة والغربال - وتتابعت المقالات تترى عن عبدالرحمن شكرى وعباس العقاد وابراهيم المازني وكنت اعرف هؤلاء جميعا. ولكن جاء العدد السابع والخمسون الذى صدر فى اكتوبر ١٩٦١ (اشتريته وانا فى طريقى الى الجامعة طالبا فى مفتتح عامى الدراسى الاول) وهو يحمل مقالا فى نفس السلسلة عن ناقد لم اكن اعرفه بعد، وكان المقال بعنوان «لويس عوض ناقدا». ولاني كنت - ولازلت - اوثر مندورا بمكانة خاصة فى عقلي وقلبي فقد قلت لنفسى: ها انذا اتعرف ناقدا يقف الى جنب العقاد وطه حسين ومندور الذى كنت اتلهف على كتاباته.

ولفت نظرى فى هذا المقال - لويس عوض ناقدا - تقسيم مندور للحركة النقدية فى مصر الثورة، فى مطلع الستينيات، الى ثلاث مدارس نقدية كبيرة، تمثل كل واحدة منها احد الاتجاهات الثلاثة فى النقد، وهى: مدرسة النقد التفسيرى، والنقد التقييمى، والنقد التوجيهى. وقال مندور إن هذا التقسيم الثلاثى لا يستوعب المرحلة القائمة اليوم فى بلادنا وحدها بل فى العالم اجمع، لأن هذا التقسيم هو الذى تستوجبه مذاهب الفكر والأدب والفن التى تتصارع اليوم فى العالم كله.

وما فهمته عن النقد التقييمى أنه النقد الذى يحدد القيم الجمالية الخالصة للأعمال الأدبية. وذلك فى مقابل النقد التوجيهى الذى يقود الأدب والفن إلى الحياة والمجتمع، وبخاصة على أساس التفكير الاشتراكى، وينادى بفكرة الأدب الايجابى الهادف الملتزم الذى يوحى بوسائله الفنية بالرأى أو الاتجاه الذى يرتضيه كاتبه فيما يعرض من تجارب الحياة ومشاكلها ومشاكل شعبه ومجتمعه. أما النقد التفسيرى فهو النقد الذى يقوم على الفهم والمعرفة واعادة النظر فى الأعمال القديمة لاعادة توليد معانيها فى ضوء ثقافة متجددة.

وكان مندور داعية للنقد التوجيهى الذى اطلق عليه فى اواخر كتاباته اسم «النقد الايديولوجى». اما لويس عوض فقد وضعه مندور فى مدرسة النقد التفسيرى فى الوقت الذى لم يحدد تحديدا واضحا من يضعه بين نقاد المدرسة التقييمية. كل ما فهمته



يحيى حقى



محمد مندور

آنذاك أن النقد التقييمى نقيض النقد التوجيهى، على نحو ما يتناقض محمد مندور ورشاد رشدى على صفحات الجرائد والمجلات فى هذا الوقت. وكنا نحن ابناء ثورة يوليو، أولاد الفقراء الذين دخلوا الجامعة بالمجان، وتصاعدت احلامهم مع عبدالناصر ودعوته الى الاشتراكية، كنا مع محمد مندور رئيس تحرير مجلة الشرق التى بدأت فى الظهور منذ عام ١٩٥٧ والذى حدثنا عن جولته فى العالم الاشتراكى الذى فتح عبدالناصر لنا ابوابه المغلقة. وكنا مع مندور لأنه كان يتحدث عن مجتمعنا الواعد، وعن النقد الذى لابد أن يساعد الأديب على أن يفهم وضعه الحقيقى فى المجتمع ويدرك مسئوليته، وينهض بالدور القيادى الحر الذى يعزز مكانة الأديب والفنان، ويرتفع بها الى مستوى الايجابية الفعالة التى يعتبر الاحتفاظ بالقيم الفنية والجمالية أهم وسيلة لتحقيقها.

وبقدر ما كان محمد مندور يغذى خيالنا المتوثب بدعوته الى الالتزام بالمجتمع الجديد، والاسهام فى صنع مستقبله المشرق، كان نقيضه رشاد

د. لويس عوض ناقـــد!

رشدى يبدو لنا قاصرا ، غامضا ، ملتبسا ، سواء بدعوته الى المعادل الموضوعى ، او تنظيراته التى تذهب الى أن النظريات السياسية والمذاهب الاجتماعية التى تسيطر على تفكير الناس بشكل لم يسبق له نظير فى التاريخ تهدد كيان الأدب وتستلزم الدفاع عنه ، او التى ترى أن العمل الادبى لا يمكن أن يكون الا صورة لنفسه فقط ، وانه لايمكن أن يزودنا بشىء خارج نطاقه . فالاحساس الذى يخلقه العمل الفنى لا علاقة لـه بالاحساسات التى تزودنا بها الحياة ، ولا علاقة له باى شىء خارج العمل الفنى . وكانت هذه التنظيرات شيئا غامضا ملتبسا يثير الريبة فى هذا الوقت الذى لم نكن نعرف فيه ـ نحن الطلاب البسطاء الفقراء ـ مصادر رشاد رشدى بعد ، وما كان يعنينا ان نعرفها . فمن ذا الذى يجرؤ على أن يفصم فى اذهاننا الصلة بين الأدب والحياة ونحن جئنا الى الجامعة نفسها باحلام «الأيام» لطه حسين ؟ ومن ذا الذى كان يمكن أن يتـرك رايـات الحـريـة والاشتراكية والوحدة الخفاقة ـ رغم الانفصال ـ ورايات الأدب الهادف ويقترب من افكار رشاد رشدى الذى كنا نراه فى الكلية ـ دائما ـ معطرا متأنقا محاطا ببنات الارستقراطية وابناء البرجوازية الصغيرة الطامحين الى الارستقراطية على نحو ما صورت لنا خيالاتنا المستوفزة المتطلعة الى الأدب الذى يؤسس معنى الحرية والعدل لا الأدب الذى لا يكون له معنى خارج نفسه . وبقدر ما أخذنا ننفر من ايليوت الرجعى (ولم نكن قد قرأناه بعد) الذى تشير اليه كتابات رشاد رشدى ، كانه الحكم الترضى حكومته ، اخذنا نصل بين رشاد رشدى والنماذج التى كانت تشير اليها اغنية صلاح جاهين وعبدالحليم حافظ عندما تحدثت ـ فيما بعد ـ عن المسئولية وعن «عديم الاشتراكية» !

● لويس والنقد التفسيرى

وكان هذا التقابل الحاد بين محمد مندور ورشاد رشدى يلخص الاتجاهين المتناقضين اللذين ظلا يتصارعان طوال الستينيات . ويأتى لويس عوض بنقده التفسيرى الذى عرفنى به مندور ، فى هذا المقال ، لا لكى يتوسط بين النقيضين ولكن لكى يقف فى دائرة قطب مندور ، خصوصا حين يشير الأخير الى المقدمة الكبيرة التى كتبها لويس عوض للترجمة التى قام بها للقصيدة من مطولات الشعر الانجليزى الرومانسى ، وهى « بروميثيوس طليقا » التى نشرها عام ١٩٤٦ ، وهى المقدمة التى يظهر فيها الاتجاه التفسيرى فى دراسات لويس عوض ونقده أوضح ما يكون فيما يقول مندور ، بل يتسم هذا الاتجـاه التفسيرى بسمـة الاتجاه الفكرى العلم فى فهم الأدب ومذاهبه واتصالهما بالحياة العامة واتجاهاتها وتطورها الاقتصـادى والاجتماعى ، حيث نـراه يربط ظهور المذهب الرومـانسى بـالتطـور الاقتصـادى والصناعى والاجتماعى الذى حدث فى


رشاد رشدى


عبدالعظيم انيس

القرن التاسع عشر فى أوربا ، وأدى إلى ظهور الطبقة البرجوازية الصناعية والتجارية ومشاكلها الخاصة ، وضياع طبقة المثقفين ، والأدباء والشعراء فيها مما دعاهم إلى العزلة والانطواء جبنا ، والهرب من واقع الحياة المريرة والتحليق فى عالم الخيال أو رحاب الطبيعة حينا آخر ، بكل ما يصحب هذا الوضع القلق من أنين وشكوى وثورة وتمرد

تلك كانت كلمات مندور بنصها تقريبا . وهى كلمات كانت تصل نقده بنقد لويس عوض بمعنى من المعانى الحاسمة ، ذلك لأن الذى يحاول البحث عن الكيفية التى يتولد بها الأدب كى يفسر الوضع الذى هو عليه ، والخصائص التى تميز اتجاهه ، لا يتباعد كثيرا عن الذى يربط بين الأدب والحياة ، أو بين الأدب وأشكال الصراع الاجتماعى الاقتصادى ، الربط الذى يلزم عنه توجيه الأدب الى الالتزام بالقوى الصاعدة فى المجتمع حتى يغدو أدبا هادفا ، قائدا ، رائدا الى آخر النعوت التى كان مندور مغرى بها . بهذا المعنى ، كان ما افتتح به لويس عوض تقديمه «بروميثيوس طليقا» بمثابة اللزوم المنطقى - والعكس صحيح بالقدر نفسه - لدعوة الأدب الهادف ، أو النقد التوجيهى ، خصوصا حين يقول ما نصه :

«لا سبيل الى فهم المدارس المختلفة فى الفكر والفن إلا اذا درسنا الحالة الاقتصادية فى المجتمع الذى انجب هذه المدارس ولا سبيل الى فهم المدرسة الرومانسية التى انتمى اليها شلى على وجه التخصيص إلا إذا درسنا حالة انجلترا فى عصر الانقلاب الصناعى» .

هذا ما فهمته بعد سنوات عديدة بالطبع . ولكن ما أذكره من عام ١٩٦١ ، فى عنفوان المراهقة الفكرية ، هو منطوقها الساذج الذى يقول . مندور قريب الى عقلى وأحلام وعيى ، ولويس عوض قريب الى مندور فكريا ، فهو رفيق صباه وصديقه الذى يألفه ، وإذن فلويس عوض قريب الى نفسى . ومن هنا ، بدأت أقرأ للويس عوض ، وأتابع مقالاته وكتبه ، وكلما تابعته وقرأت له أدركت قربه من المنحى النقدى عند مندور وقرب مندور من المنحى النقدى عنده وبقدر ما كان الاثنان يتجاوران فى ذهنى كنت أتساءل ببراءة الطالب الذى يتعثر خطوه فى قسم اللغة العربية بآداب القاهرة ، حيث كان عبدالعزيز الأهوانى وشكرى عياد وسهير القلماوى وعبدالحميد يونس يواصلون رسالة طه حسين الذى لم أقابله قط ، وغير بعيد عن قسم اللغة الانجليزية الذى كان رئيسه رشاد رشدى ، كنت أتساءل لماذا لا يكون محمد مندور - تلميذ طه حسين - أستاذا لنا فى قسم اللغة العربية ، وهو الذى

د. لويس عوض ناقــــدا

نقرا كتبه عن النقد العربي القديم وعن الشعر المصري بعد شوقي وعن المذاهب الأدبية أكثر مما نقرا كتب أساتذتنا الذين كانوا يدرسون لنا، والذين كان بعضهم ـ للأسف ـ لا يفعل شيئا سوى الاملاء . وكان يغيظني هذا المنطق الظالم الذي يحرم قسم اللغة الانجليزية من استاذ مثل لويس عوض الذي بدأت أتعرف ترجماته ومؤلفاته، ويأخذني الدوار من ثقافته الموسوعية المذهلة، وبراعته النقدية، والآفاق الجديدة التي اخذت تفتحها مقالاته التي بدأت تتوالى في «الأهرام» منذ عام ١٩٦٢ .

● مدرسة رشاد رشدي !

وكنت كلما اقتربت من الاجابة عن أسئلتي اقترب أكثر من الدائرة التي تصل محمد مندور بلويس عوض، وتباعد بينهما ورشاد رشدي . فالأخير كان يعزل الأدب في «ثلاجة» معقمة لا علاقة لها بالواقع أو المجتمع أو السلطان، وكان ينزه الأدب والفن عن كل شيء التنزيه الذي ينتهي الى «التعطيل» إذا استخدمنا لغة «علماء الكلام» القدماء . فالأدب والفن ـ عنده ـ كالمطلق عند المعتزلة، لا يوصف بالأيسية لأنه يوصف بالليسية، ولا علاقة له بما هو خارجه، على نحو يغدو معه النقد الأدبي لعبة شكلية، طريقا هينا لينا، ترضى عنه السلطات في كل الأحوال، ولا يؤرق احدا بحال من الأحوال، فمن ذا الذي يشغل نفسه بالأعمال الأدبية التي لا معنى لها سوى نفسها والتي لا تتأمل سوى محياها الجمالي، كأنها اعمال طقسية في عبادة نرجسية أو هيدونية . شعارها ما قاله أوسكار وايلد « الفن كله لا نفع له » .. ولهذا ظلت مدرسة رشاد رشدي، أو النزعة الشكلانية الأدبية، في منأى عن المشاكل مع السلطان، تتسع قاعدتها في الجامعة، وتنفتح امامها أبواب الرضا أو الرضوان .

اما المدرسة الأخرى التي تؤرق نفسها بأحلام المجتمع، وقدرة الأديب على تثوير وعي الأفراد، والتي تؤمن بأن معنى الأدب لا يكتمل الا خارجه، وأن قيمته رهينة تأثيره في الواقع . فتلك مدرسة على شفا جرف هار، سرعان ما تصطدم بالسلطان أو يصطدم بها السلطان، فيخرج أعلامها من الجامعة، تماما كما حدث لمندور ولويس عوض، إذ سبق الأول الثاني في الخروج من الجامعة، ونال الثاني من الاضطهاد أكثر مما وقع على الأول . فكلاهما يؤمن بالاشتراكية، وكلاهما يصل الأدب بالمجتمع وكلاهما يعرف معنى رفض السلطان، وكلاهما يرد على رشاد رشدي ـ نقيضهما ـ قوله « ومن العبث أن تبحث عن المعنى العام للقصة من القصص أو أن تتطلب من كاتبها فلسفة معينة أو أن تلومه لأنه لم يحل مشاكل اجتماعية ما » وكلاهما يؤكد أن الكاتب الحق صانع أعمال فنية، وأن اهتمامه بالقيمة الجمالية نابع من نظرته الخاصة إلى الحياة والى الحقائق التي يعتقد أنها جوهر الحياة، وأن مسئوليته عن تجديد

تقنية فنه هى الوجه الآخر لمسئوليته عن تنوير وعى قرائه بالمجتمع الذى يعيشون فيه .

ولكن بقدر ما كانت هذه المدرسة النقدية تنطوى علاقتها بالسلطة على اشكاليات لم تخمد قط فإن افكارها لم تكن - فى التحليل النهائى - فى تناقض مع الوجه الايجابى لهذه السلطة ، بعيدا عن رذيلة الدكتاتورية التى لم تفارقها قط وفى الوقت نفسه كانت هذه المدرسة تتوافق مع المناخ الصاعد لمطالع الستينيات ، فى سنوات العمر الجميل ، حيث انطلاقة المشروع القومى ورايات الاشتراكية الخفاقة (التى ظلت مجرد حلم لم يتحقق) واحلام الحرية والوحدة ، والاصداء التى كانت ترددها كلمات احمد عبدالمعطى حجازى :

فلتكتبوا يا شعراء اننى هنا
اشاهد الزعيم يجمع العرب
ويهتف الحرية العدالة .. السلام
فتلمع الدموع فى مقاطع الكلام
وتختفى وراء الحوائط الحجر
ليظهر الانسان فوق قمة المكان
ويفتح الكوى لصحبنا

هذا «الزعيم» الذى كان يفتح الكوى لصحبنا هو نفسه «الطبيب الحاذق» الذى يسر مولد المجتمع الجديد » والذى تحدث عنه لويس عوض على هذا النحو ، فى مقال له يعنوان «المجتمع الجديد فى التاميمات » فى جريدة الجمهورية (٣١ يوليو ١٩٦١) حيث يشير الى الفلسفة الاشتراكية الديمقراطية التعاونية التى وضع جمال عبدالناصر اسسها العملية فى ٢٣ يوليو ١٩٦١ ، ويقول عن عبدالناصر - الطبيب الحاذق - بالحرف الواحد :

« فى عيد الثورة التاسع خرج علينا بالمعادلة الاخيرة قائلا خذوا هذا مفتاح المجتمع الجديد . قدم لنا آيته وسنتبعه الى آخر الطريق . وعرفنا انه طيلة هذا الوقت كان يصوغ مفتاح الحياة الجديدة . الآن نستطيع ان نقول إننا نعيش فى مجتمع اشتراكى ديمقراطى تعاونى .. قولوا معى لقد ولد المجتمع الجديد .

هل كانت هذه النبوءة صادقة ؟ وهل ولد المجتمع الجديد حقا ام وئد قبل مولده ؟ فلنجب عن السؤال بالسؤال ، ولنقل - مع احمد حجازى فى مرثية للعمر الجميل - :

كيف اعرف ان الذى بايعته المدينة
ليس الذى وعدتنا السماء ؟ !

لقد كتب لويس عوض كلماته فى جريدة الجمهورية قبل شهرين فحسب من حديث مندور عنه فى مجلة المجلة ولم اكن قد قرات كلمات لويس عوض فى حينها ، ولكن السياق الفكرى العام الذى كان يصله بمندور ، والتقارب الذى كان يجمع بين كتاباتهما وكتابات المدرسة الواقعية الاشتراكية التى أسسها كتاب محمود العالم وعبدالعظيم انيس فى الثقافة المصرية » (١٩٥٥) وتقاليد النقد الواقعى منذ كتابات سلامة موسى فى العشرينيات واسهام رئيف خورى وحسين مروة ومحمد دكروب من الشام ، وكتابات على الراعى المتميزة التى بلورتها اطروحته عن برنارد شو التى فرغ من اعدادها عام ١٩٥٥ ، كل تلك الكتابات والاسهامات واشباهها كانت تشكل المجال الدلالى الذى يدور

د / لويس عوض ناقدا !

فيه معنى النقد التفسيرى وصلته بالنقد التوجيهى .

● صدام مع الثورة !

وقد عرفت ـ فيما بعد ـ أن محمد مندور كتب ما كتب عن لويس عوض الناقد بعد خمسة عشر شهرا تقريبا من الافراج عنه ، وأن كلمات لويس عوض عن «الطبيب الحانق» كانت بعد مرور عام بالضبط على خروجه من معتقلات هذا الطبيب الحانق التى دخلها مع الشيوعيين فى الثامن والعشرين من مارس ١٩٥٩ وفارقها فى الرابع والعشرين من يوليو ١٩٦٠ . وكان ذلك هو الصدام الثانى مع ثورة يوليو ، بعد الصدام الأول الذى طرد فيه من الجامعة ـ مع نحو خمسين أستاذا ومدرسا ـ عام ١٩٥٤ . ولكن لويس عوض رغم طرده من الجامعة واعتقاله ،

ابراهيم المازنى



صلاح جاهين



ورغم نفوره من ديكتاتورية عبدالناصر ، ظل معجبا به ، لما كان يمثله من قضاء على الاستعمار والاقطاع ، ولما كان يسعى الى تحقيقه من بناء مجتمع اشتراكى تعاونى . وبقدر ما كان لويس عوض يأمل أن يكتمل هذا البناء بالديمقراطية ، كان يحاول صياغة تصور جديد لعلاقة الاشتراكية بالأدب ، على نحو يتناسب والمجتمع الجديد . وفى الوقت نفسه ، يكشف عن زيف النظريات التى تنفى الصلة بين الأدب والمجتمع . وقد تجلى ذلك كله فى سلسلة مقالاته التى نشرها ـ بعد ذلك ـ مجموعة فى كتاب بعنوان « الاشتراكية والأدب » (١٩٦٤)

هذه الصلة التى كانت تضع لويس عوض فى دائرة محمد مندور تجعلنا نعيد النظر ـ اليوم ـ فى تفرقة مندور بين النقد التفسيرى والنقد التوجيهى ، والنقد التقييمى ، وننظر اليها من منظور مختلف ، يسقط النقد التقييمى على النقد التوجيهى ، ويجعلهما نقدا واحدا هو النقد التقييمى الذى يتمايز ـ بدوره ـ عن النقد التفسيرى . وفى الوقت نفسه يرتبط كلا النقدين معا ، بوصفهما وجهين لعملية عقلية واحدة ، وجهها الأول يركز ـ بلغة الفلسفة ـ على علاقة النتيجة بالسبب ، ووجهها الثانى يركز على علاقة النتيجة بما يتولد عنها من نتائج ، مما يجعلنا ـ فى النهاية ـ فى حضرة نوع واحد من النقد ولا أنواعا ثلاثة .

هذا التكييف الجديد للموقف يجعلنا ننظر الى العلاقة بين نتاج مندور ولويس عوض من منظور جديد .

صحيح أن محمد مندور يشير - في حديثه عن لويس عوض الناقد - انه يختلف عنه بسبب المعارك التي خاضها ودعوته فيها إلى القيم والمفاهيم التي تحمس لها ضميره الانساني او الفني، بينما يؤثر لويس عوض نشر المعرفة والتفسير والفهم دون حاجة الى قتال صريح في سبيل قيم او مفاهيم معينة. وصحيح ان لويس عوض ظل ينظر الى محمد مندور - بوصفه اصلاحيا (كتب عن مندور مقالا بعد وفاته بعنوان «الاصلاحي الكبير» منشور في «الثورة والأدب» ١٩٦٧) بينما ظل ينظر الى نفسه بوصفه راديكاليا. وصحيح - اخيرا - ان بعضنا يردد ان لويس عوض بدأ راديكاليا وانتهى اصلاحيا على عكس مندور الذي بدأ اصلاحيا وانتهى راديكاليا.

● بين الأدب والمجتمع

ولكن الحق ان الفارق بين محمد مندور ولويس عوض فارق كمي تماما، فكلاهما لم يكن ماركسيا بالمعنى الدقيق (او العلمي ؟) في اي مرحلة من مراحل كتاباته، وكلاهما كان راديكاليا بالمعنى الذي لا يتطابق مع الماركسية بالضرورة. وكلاهما كان - وظل - يحسب نفسه على «اليسار» بمعناه الذي تلخصه تركيبة «الديمقراطية الاجتماعية» التي لم يتخل عنها مندور جذريا منذ بداية كتاباته عام ١٩٣٩ إلى ان توفي في مايو ١٩٦٥، والذي تلخصه تركيبة «الاشتراكية الديمقراطية» التي ظل لويس عوض يصوغ تنويعاتها الفكرية منذ عودته من انجلترا ١٩٤٠ الى آخر كتاباته عام ١٩٩٠. وكلاهما ظل مؤمنا بالصلة بين الأدب والمجتمع، حتى عندما كان لويس عوض يلح - في الاشتراكية والأدب - على ان يستبدل بالمجتمع الحياة، بدعوى ان الحياة شيء اعم من المجتمع وشامل له، وذلك فهم ما كان ينكره مندور.

وإذا كان اول كتاب نشره لويس عوض تاليفا، وهو في «الأدب الانجليزي» (١٩٥٠) يعلن تاثره الشديد بافكار الناقد الماركسي الانجليزي كريستوفر كودويل بكتابيه «الوهم والواقع» و «دراسات في ثقافة تحتضر» فإن هذا التاثر باكثر النقاد الماركسيين الانجليز مثالية ورومانسية له دلالته الواضحة، فضلا عن انه يظل في منطقة التاثر التي لا تجعل من كتابات لويس عوض نقدا ماركسيا. واهم من ذلك ان اي متابع مدقق لن يجد - في التحليل النهائي - فارقا جذريا بين المقولات النظرية التي انبنى عليها كتاب «في الأدب الانجليزي» في منتصف الاربعينيات وكتاب «الاشتراكية والأدب» في منتصف الستينيات، فذلك الكتاب الذي عده بعض النقاد الماركسيين تراجعا (راجع حسين مروة - مثلا - في كتابه «دراسات نقدية في ضوء المنهج الواقعي») لم يكن في حقيقة الأمر - سوى استمرار متصل لمقولات «الانسانية الجديدة» التي كانت موجودة منذ البداية) والتي صاغها لويس عوض صياغة حاسمة في مطالع الخمسينيات، في مبادىء تؤكد ان الانسانية الجديدة تحرر الفن من المذهبية الضيقة، وانها تؤمن بجوهر واحد هو الحب، وان ليس في الفن

د. لويس عوض ناقـــدا

مادة وصورة ولكن فيه ما في طبيعة الحياة والاحياء .

وقل الأمر نفسه عن محمد مندور الذى يقال إنه بدا جماليا وانتهى ايديولوجيا ، وكان رحمه الله حريصا على اشاعة ذلك عن نفسه (راجع « عشرة ادباء يتحدثون » لفؤاد دوارة) . إن الذى يقرأ كتابه «النقد المنهجي عند العرب» يجده دائرا في تلك المقولات المحركة لكتاب «في الادب الانجليزي» في التحليل الاخير . فالمجتمع هو العلة التي يرتد الى تغيرها تغير الظاهرة الادبية او الفكر النقدى ، في كلا الكتابين اللذين كتبا في منتصف الاربعينيات . والصراع بين القدماء والمحدثين الذى يرتد الى اسباب اجتماعية ـ في «النقد المنهجي» ـ يخلق النقد العربى القديم بمعنى لا يختلف كثيرا عن التكييف السببي الذى يتم به تفسير الأدب الانجليزي في كتاب لويس عوض . والثورية الرومانسية المتفجرة عاطفة التي تتبدى اعجابا بشيللي ـ «بروميثيوس طليقا» ـ عند لويس عوض هي نفسها التي ظهرت ـ في مجلى مختلف ـ نفورا من النقد المنطقي الارسطى في كتاب محمد مندور .

هذا التناظر يجعل من نقد لويس عوض ومحمد مندور نقدا تفسيريا في آخر المطاف ، بالمعنى الذى يغدو به هذا النقد عملية تحليلية بالدرجة الأولى .

هذه العملية عملية مزدوجة ، وجهها الاول يهتم بالتولد ، ومن ثم يرد النتيجة (العمل الادبى) الى السبب (المجتمع ـ الحياة) كي يفسر تكونه او تولده . ووجهها الثاني يهتم بالتوليد ، ومن ثم يجعل من النتيجة (العمل الادبى) سببا في توليد نتيجة على مستوى القراء . وإذا كان الوجه الاول يبرر قيمة العمل الادبى بربطه بعلته فإن الوجه الثاني يبرر القيمة نفسها بربط العمل باثاره ولكن لا يختلف الوجه الأول عن الثاني في الآلية الذهنية التي تحكمه إن كليهما مقلوب الآخر او معكوسه في مرآة ذهن الناقد الذى يظل تفسيريا تحليليا في حالتي مندور ولويس عوض .

بهذا الفهم ، صرت انظر إلى لويس عوض ومحمد مندور كما لو كنت انظر الى وجهين لعملية واحدة ، او موقف نقدى واحد . وإذا كان محمد مندور قد اتاح لى ان اتعرف كتابات لويس عوض في مطلع الصبا فإن كتابات لويس عوض جعلتني أعاود النظر في كتابات محمد مندور بوعي مختلف وظل كلاهما يردني الى الآخر دون انقطاع . فكلاهما يتكامل مع قرينه على نحو لافت ـ وكلاهما تعلمت منه الكثير . وكلاهما ظل ملازما للآخر ملازمة لجاكس لصديقه اخيل الذى سبقه الى الموت فظل يذكره بالوفاء والعرفان الى ان لحق به بعد ربع قرن . فلنقل للصديق اللاحق وداعا ايها الصديق الشبيه ، سنظل نذكرك كما ظللت تذكر صديقك الذى ارتحل قبلك ، ونضع كليكما في مكانة خاصة ، جديرة بما انجزه كلاكما من جهد خلاق ، وما تركه كلاكما من اثر عظيم .

صورة شخصية للدكتور لويس عوض



بقلم : الفريد فرج

في دنيا حافلة بالمناورات والمجاملات كان الدكتور لويس عوض شخصية فريدة . في صراحته ، في صرامته ، في استقامته .

وكان سلوكه يثير احيانا الاعجاب ، واحيانا يثير الكثير من الحرج ، واحيانا يثير الفكاهة .

والدكتور لويس عوض كان غالبا حاد الذكاء عزيز المعارف ، استاذا وحجة في العلوم الانسانية .. ومع ذلك كانت تعليقاته احيانا تثير الابتسام وظاهرها السذاجة والبراءة .

يوم ادلهمت الامور ووجدت نفسي داخلا المعتقل ، وامامي الدكتور لويس عوض والكاتب الساخر محمود السعدني ، والفنان الرائع حسن فؤاد .. شغلنا عن انفسنا حديث السعدني الساخر المر وثرثرته المحببة ، وكان يقول : لماذا يعتقلوننا ؟ ! ما هي التهمة ؟ ! ماذا كتبنا ؟ ! ماذا فعلنا ؟ ! ...

فقاطعه الدكتور لويس بنبرته الواثقة الهادئة : غدا سنعلم جميعا ما هي التهمة .

فحملقنا فيه بعجب حتى السعدني كف عن السؤال والكلام ونظر اليه بدهشة وساله : هل علمت شيئا ؟ ! هل اخبرك احد بشيء ؟ !

وقال الدكتور : لم يخبرني احد بشيء ؟

ولكني اعلم ان كل الدساتير والقوانين في العالم يضبطها مبدا «هابيوس كوربوس» ومعناه «ابرز الجسد» اى ان رجال الضبط لا يملكون اخفاء المتهم للتحقيق او غيره اكثر من اربع وعشرين ساعة ، ولابد من عرضه

صورة شخصية

بعد اربع وعشرين ساعة على الاكثر على النيابة وتوجيه اتهام محدد له او اطلاق سراحه - وبلهجة المعلم الواثق اضاف وهو مبدأ يرجع إلى وثيقة الملجنا كارتا التى اصدرها الملك جون عام ١٢١٥ وادخلته الثورة الفرنسية فى صلب الدستور الفرنسى ، وادخلته لجنة دستور ١٩٢٣ فى الدستور المصرى واصبح مادة اساسية وجوهرية في قانون الاجراءات منذ ذلك الحين .

افواه حوله فاغرة وعيون مفتوحة ، واسئلة تدور في الرءوس : هل الدكتور لويس عوض بهذه السذاجة ام هل هى نكتة ويريدنا ان نضحك ، ام انه يفترض فينا السذاجة ويولعنا في اول امتحان للذكاء في المعتقل ؟ !

وكان السعدنى اسبقنا الى التعليق حيث صاح به : على الأقل انا اعرف تهمتك يادكتور لويس . انت متهم بالجنون ، وانا اشهد وكل الحاضرين هنا مستعدون للشهادة انك مجنون والتهمة ثابتة عليك .

ثم انفجرت عاصفة الضحك !

واشهد ان الدكتور لويس عوض قضى اربعة عشر شهرا فى المعتقل دون ان يستفيد من مبدأ هابيوس كوربوس .. اما انا فقضيت شهورا اكثر



توفيق الحكيم

مما قضى ولم استفد من قانون الملجنا كارتا . وكان المناخ القانونى فى البلاد لا يسمح الا بنفاذ قانون صدر وخول للرئيس ضبط واحتجاز الشيوعيين و« المشتبه فيهم » دون تحديد اى مدة .

وليت الدكتور لويس عوض دخل في يوم من ايامه المجلس التشريعي او تولى اى مسئولية تشريعية . لكان قد حاول توفير مناخ ليبرالى افضل ورفع عن المواطنين عناء كثيرا .

● لويس عوض وسيف الاستقامة !

واستقامة رأى الدكتور لويس عوض لم تكن محل شك من احد .. الذين اوجعهم نقده والذين شجعهم نقده ولكنه استخدم سيف الاستقامة حتى على نفسه .

● شموخ نادر الوجود !

مرة اتصل بي اخي وقال لي ان صديقا له عنده كتاب مخطوط من تاليف



محمود محمد شاكر



د. محمد حسين هيكل

الدكتور لويس عوض عنوانه «مذكرات طالب بعثة» ، وهو مخطوط ضائع فيما يبدو من الدكتور لويس نفسه لان الكتاب قديم ولم ينشر بعد .

اتصلت بالدكتور لويس ففرح فرحا شديدا بالعثور على الكتاب الضائع ، وروى لى انه مكتوب على الآلة الكاتبة من اربع نسخ احداها كانت عند ناشر افلس والثلاث ضاعوا فى الرقابة فى الاربعينات

ثم علمت من اخى ان صديقه كان موظفا منتدبا فى الرقابة آنذاك ولما انتهى انتدابه احتفظ بنسخة الكتاب إعجابا به ويريد أن يرده الى الدكتور لويس لو كان لا يملك نسخة اخرى .

ورافقت الدكتور لويس الى الاسكندرية وزرنا الرجل فى بيته وشربنا الشاى واسر لى اخى فى اذنى أن الرجل يريد ان يحصل على مكافأة خمسين جنيها مقابل رد النسخة .

فلما قلت ذلك للدكتور لويس ثار وصاح ورفض تماما ، فسحبته من ذراعه الى المقهى حيث قال لى : انه لا يستجيب للابتزاز حتى لو ادى ذلك لضياع النسخة الاخيرة من كتابه ، وان الرجل يريد ان يبيع مالا تملك لمالك مستغلا حاجته ، ولكنه قرر لن يلقنه درسا بليغا وذلك بالتضحية بالكتاب ورفض الابتزاز .

يادكتور يهديك يرضيك ، سادفع المبلغ عنك ، دعنى استرضيه وناخذه بلا مقابل .. ابدا .. لم تلن قناة لويس عوض ولم يقبل اى حل دون اعادة الكتاب لصاحبه مع الاعتذار للدكتور لويس وترضيته .

واحمد الله انى استطعت خلال ايام ثلاثة من المفاوضات لن اعيد الكتاب للدكتور لويس عوض ، لانه من امتع كتبه واكثرها مرحا ودقة ملاحظة ، وهو عندى من روائع كتب المذكرات فى ادبنا العربى الحافل بالمذكرات . وحكاية الكتاب نفسه من اغرب حكاياتى مع الدكتور لويس .

وخلال اقامتى بلندن كان الدكتور

صور شخصية

لويس يمتعني بصحبته في زياراته السنوية للندن وباريس ، ندخل المسارح معا ، نرتاد المكتبات معا ، نتسامر في المقاهي معا ..

كان يشير عليّ بالعودة للقاهرة ، ونتحدث عن الأحوال ونتذكر قرارات الفصل والاعتقال التي عانينا منها .

وقد فصل الدكتور لويس عوض من الجامعة وكان رئيسا لقسم الأدب الانجليزي عام ١٩٥٤ بسبب التوقيع مع أساتذة آخرين على بيان يطالب بعودة الديمقراطية .

وفصل من رئاسة القسم الأدبي لجريدة الجمهورية في نفس السنة .

ونقل من جريدة الأهرام الى مصلحة الاستعلامات عام ١٩٧٣ بسبب توقيعه على بيان توفيق الحكيم .

وبسبب تأجيل نشر كتابه عن الأفغاني في جريدة الأهرام قدم



محمود السعدني



حسن فؤاد

استقالته وقبلت عام ١٩٨٥ .

وقد رأت الأهرام وقتها أن كتابه قد يثير ثائرة بعض الجماعات الاسلامية ، ولكنه فسر لي استقالته بأنها الاجراء الطبيعي الذي يجب أن يقدم عليه المستشار الأدبي لجريدة الأهرام في حالته حيث أن تأجيل الكتاب لا يعتبر أقل من سحب الثقة به ككاتب ومفكر . كما أنه اجراء من الأهرام لايساوى أقل من الاستجابة لضغوط غير مبررة .

واستقالته تعتبر في نظري رد فعل متشدد على الأهرام وعلى النفس ، وخاصة في جيلنا الذي ألف حذف الرقيب لأجزاء من مقالاتنا ، أو حذف مقالاتنا كلها أحيانا ..

ولكن الدكتور لويس كان يفاجئنا دائما باتخاذه الموقف السليم حتى لو كان هذا الموقف لا ينسجم أو يتشابه مع السياق العام لمجريات الأمور وسلوكيات الكتاب والناشرين في جيلنا المضطرب .

ولذلك كانت الصورة الشائعة في أذهان كثيرة للدكتور لويس عوض هي صورة العالم والفيلسوف المذهول أو كثير النسيان .

ولكن واقع الأمر أن الدكتور لويس لم يكن من سكان الأبراج العاجية أو من معاشري الكآبة الذاتية أو من محبي العزلة ، وانما كان دائم النظر من حوله بفضول مدقق وكان ثمرة هذا النظر المحيط من حوله كتابه «المحاورات الجديدة» الذي حفل بصور كاريكاتيرية مرحة لمعاصريه من الكتاب والمثقفين .

● لويس عوض مشاغبا !

وكان الدكتور لويس كاتبا مشاغبا ـ وهذا بحد ذاته ينفي حب العزلة ـ وكان يهوى المعارك الأدبية ، ولم يكن يزعجه في الواقع تنديد الاستاذ محمود شاكر أو غيره من الكتاب به .. كان في ظني يتظاهر فقط بالضيق والانزعاج ليدفع غيره من الكتاب الى خوض المعركة وتوسيع نطاقها ، وهو في حقيقة الأمر يعتز بلهيبها ، فقد كان يعتقد مع الكثيرين أن المساجلات الادبية والمعارك القلمية تبث الحياة في الحركة الفكرية وتلفت النظر الى آرائه الجريئة وتضع تلك الآراء في قمة الاهتمام العام .

حين كان يكتب سلسلة مقالاته الأخيرة الرائعة عن الثورة الفرنسية لمناسبة مرور مائتي عام عليها سألته : لماذا تذهب بعيدا يادكتور لويس لتكتب عن السياسة المصرية ؟ .. فقال لي : انني في هذه المقالات أقرب ما أكون للسياسة المصرية

والواقع أن جيل الدكتور لويس وهم التلامذة المباشرون لطه حسين والعقاد ومحمد حسين هيكل والحكيم وحسين فوزي كانوا يعتقدون أن الثورة الفرنسية هي الاب الروحي لكل النظم الديموقراطية العصرية في العالم ، وأن التجربة والخطا والجدل العنيف الذي اثارته الثورة الفرنسية هي اسس الاستقرار والمبادىء للديموقراطية الحديثة وحقوق الانسان والتنظيم الاجتماعي .. وكان الدكتور لويس يريد أن يذكرنا من جديد بالمنابع الاصلية للديموقراطية ويحثنا على اعادة قراءتها .

وكان الدكتور لويس يعتقد أن الثقافة الانسانية وحدة واحدة ، وانه يجب تطبيق قواعد النقد الغربية على مسرحنا العربي بكل صرامة ، وأن دعاوى استناد مسرحنا على قواعد فولكلورية هو هراء سخيف .. وكان كثير الاهتمام بالثقافة الاغريقية ـ لا لمجرد انها أساس للثقافة الانسانية بالمعيار الغربي ـ ولكن لانه كان يعتقد انها الحلقة المكملة للثقافة المصرية القديمة ، والجسر الذي عبرت عليه ثقافتنا المصرية القديمة الى العصور الوسطى ، ومن اهم مساهماته في هذه الفكرة كتابه الرائع «أوريست والأساطير العربية» .

وبهذه الفكرة كان الدكتور لويس يسعى الى أن ترتبط في اذهاننا الثقافة الانسانية كلها باعتبارنا قد ساهمنا في بنائها ونعد اليوم بالمساهمة في تكملة بنيانها .

لم يكن شيللي وسوفوكليس وتوفيق الحكيم ونجيب محفوظ ، ولم تكن أساطير ايزيس وهيلين طروادة والزير سالم الا حلقات متكاملة ونسيجا واحدا .. وهو منهج للتفكير لم يحظ باهتمامنا بالقدر الكافي بعد .

■ ■ ■





الثمار

شعر :

حسين علي محمد

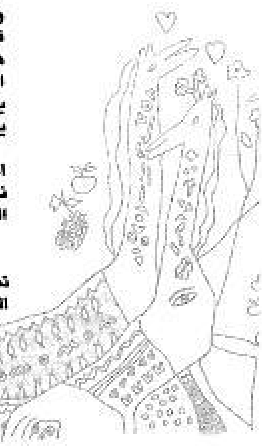
ولمّا قطفت الثمار الغريبة
كنت هنا تركضين
وفي عينيك البوح
في لفظك الجرح
هذا الجواد الجموح يجوب
الشوارع
يبحث عن مهرة الماء
يركض في ملكوت الصهيل

●

اغطي جراحك بالغيم
تهوى إلى الأرض تحت
السنابك روحين
طفلين
كاسين
تصرخ اشلاء روحي !
الى أول العهد حين اقرء إلى
ظلك الخصب
التل
تشعل فيّ الحرائق
والصحب يصطخبون بهذا
المساء الجميل ؟

●

هبطنا الى البر
يضحك دجلة
اطلق من قفص الصدر عصفورة
للبراري
لماذا ترى تصمتين ؟
وهذا الغناء الموشىّ بماء
القلوب
يجف
وتسقط هذي الثمار الحبيبة
إذ يعتريها الذبول ؟







زلزال في الخليج العربى

مصطفى نبيل

● جولة من الكويت حتى مسقط

● فيض المال وقلة السكان

● مستقبل مجلس التعاون !

إذا كان من الضرورى استشراف المستقبل فمدخل ذلك الحقائق والوقائع الراهنة .

فبعد غزو العراق للكويت واندلاع ازمة الخليج تتركز انظار العالم على دول الخليج العربى ، ويترقب الجميع التحركات العسكرية والنشاط السياسى ، ويضع الكل يده على قلبه وعيونه مشدودة الى بؤرة الصراع بكل



تداخلاتها المحلية والاقليمية والعالمية ، ويتساءلون هل مانشاهده هو بداية الحرب العالمية الثالثة ؟

فما كاد العالم يتنفس الصعداء بعد انتهاء الحرب الباردة ، ودخول عصر الوفاق الدولى ، واعادة ترتيب البيت الأوربى ، حتى وقع الغزو العراقى ، وكأنه دعوة مفتوحة لكل دولة قادرة للاستيلاء على جارتها الصغيرة

ومع الاهتمام بالاحداث الرئيسية يغيب الاهتمام بالمعلومات الأولية التى بدونها لايمكن فهم إتجاه الاحداث .

ومن أوراق رحلة قديمة قمت بها بالسيارة من الكويت حتى مسقط ، قطعت خلالها الساحل المطل على الخليج والذى يضم معظم الثروة البترولية ، والذى يشهد التحركات العسكرية والسياسية الراهنة ، نتبين من أوراق الرحلة ، وحدة التركيب السكانى لدول المنطقة ، والتى جاء أهلها من عمان فى الجنوب وفاضوا من منطقة الاحساء فى الشمال ، كما أن أغلب الأسر الحاكمة تعود الى قبائل نجد .

وتعانى معظم هذه الدول من ندرة السكان وفيض الثروة .

وبعد خروج القوات البريطانية من منطقة الخليج ، توحدت كل من ابوظبى والشارقة ودبى ورأس الخيمة والفجيرة ، وعجمان فى دولة الامارات العربية ، واستقلت البحرين وقطر ، ثم قام مجلس التعاون الخليجى الذى يضم السعودية والكويت والامارات العربية وقطر والبحرين وعمان خلال الحرب العراقية الايرانية .

ونصحب القارىء فى جولة سريعة . نتوقف خلالها عند بعض المحطات ذات الأهمية الخاصة .

مضيق هرمز وبوابة الخطر من الجو



طريق واحد ، هذا الذى قطعناه بالسيارة من الكويت حتى مسقط ، فى جولة للتعرف على بر الخليج ، ذلك الساحل الذى يضم ثروة النفط ، والذى يقطع دول مجلس التعاون الخليجى ، يبدأ بالكويت ، ثم المنطقة الشرقية فى السعودية ، وقطر والبحرين ودولة الامارات العربية وعمان .

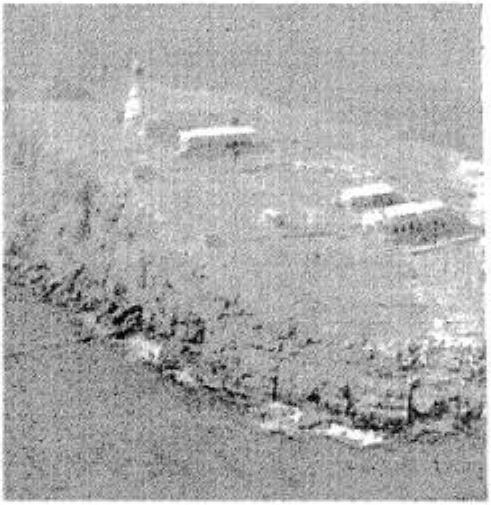
وإذا كانت البحرين جزيرة يحيطها الماء ، فجسر البحرين يصلها بذات الطريق .

طوال الطريق تشعر أنك تمضى فى ذات البيئة وذات التركيب السكانى ونفس التقاليد والعادات ، وذات الظروف الاقتصادية والسياسية ، وإذا وجد قدر من التنوع ففى ذات الاطار ولا يمس الجوهر .

اول نقطة قابلتنا تبعد عن مدينة الكويت أقل من ساعة ، وهى نقطة حدود « النواصيب » ، وبعد عبورنا نقطة حدود النواصيب وصلنا منطقة الخفجى ، وهى المنطقة المقسومة بين الكويت والسعودية ، والتى تم الاتفاق بين البلدين ، على أن تستخرج شركة جيتى اليابانية ، وشركة الزيت العربية ، النفط ، وتقسم دخله بين البلدين بعد الانفاق على الخدمات فى المنطقة ، وسرعان ما قابلتنا نقطة الحدود السعودية التى تقترب كثيرا من النواصيب والتى تسمى رأس المشعاب .

وهذه النقطة التى يسكنها البدو ، والتى تزدحم بالدروب ، هى التى تركت منفذا للفارين من الكويت بعد الغزو العراقى .

وصلنا إلى المنطقة الشرقية فى السعودية ، أو منطقة الاحساء ، التى يقطنها العرب الشيعة ، لا يكف الطريق



لقطة من الجو لجزيرة سلامه التى تسيطر على حركة الملاحة فى المضيق

عن التحدث الى المسافرين من خلال اللافتات التى تبين موقعك ، والتى تسجل المسافة بينك وبين المدينة القادمة ، تنتقل سريعا من أرض رملية الى أخرى صخرية ، ومن اللون الأصفر الى اللون الرمادى ، وتصادفنا على طول الطريق بؤر متناثرة من اللون الأخضر مثل الشامات على وجه الصحراء .

والطريق الذى نسلكه يحازى الضفة الغربية لساحل الخليج وهذه المنطقة تتمتع منذ القدم بوفرة مياهها الجوفية ، التى قامت حولها التجمعات السكانية والبساتين ، وأهمها واحتا القطيف والاحساء ، ولذا ظلت تستقبل موجات البشر من الصحراء داخل الجزيرة العربية ومن البحر . مما أعطى هذا الساحل طابعه الخاص ، وتجاوزه للعلاقات

زلزال
فى الخليج العربى

القبلية الحالة ، يمتزج القادمون اليه فى تسيج سكانه ، ويحقق هذا الجزء توازنا دقيقا بين الواحة والصحراء ، وانفتح على البحر وعلى العالم ، ويحترف اهله الزراعة والتجارة وصيد السمك واللؤلؤ .

وشهد احداثا تاريخية عاصفة ، وشهدت القطيف ثورة الزنج ، واقام القرامطة دولتهم فى الهفوف ، وتوج هذا التاريخ تدفق النفط من اعماقه وما أحدثه من آثار .

واطلق على الساحل كله فى السابق بلاد البحرين ، وكان وحدة سياسية واحدة يحكمه أحد الولاة فى العصر العباسى .

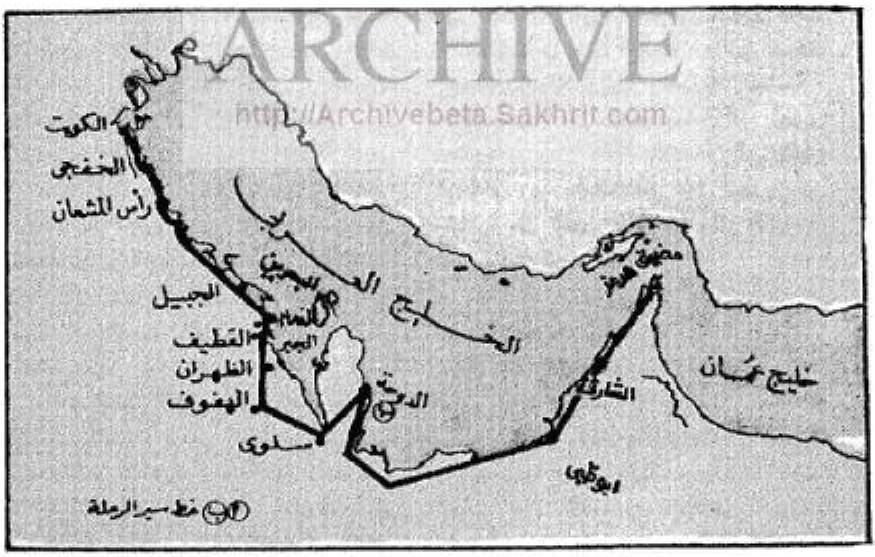
كلما توغل بنا الطريق فى القفار ابتعد عن العالم ، ويعيدنى إليه اقتراب الطريق من البحر .

نصادف ميناء « رأس المشعاب » المجهز بأحدث المعدات ، والقادر على استقبال الحاويات ، نقترب من مثلث الأمن السعودى .

تشير علامات الطريق الى مدينة « جبيل » ، إحدى المدن السعودية الحديثة التى تطل على الخليج ، وبعد جبيل تظهر بشائر الواحة ونقترب من المركز التاريخى للمنطقة ونمر ببساتين النخيل والعيون .

ونصل الى مدينة « حفر الباطن » التى تبعد عن الحدود الكويتية مائة كيلومتر ، انها حصن وسط الصحراء ، يضم مدينة

خريطة تبين مسار الجولة من الكويت حتى مسندم





لقطة لابار النفط في
الاحساء في المنطقة الشرقية

زلزال
فى الخليج العربى

بكل مرافقها تقع شمال شرق السعودية ، على طريق الكويت الرياض ، أي على درب زبيدة ، وهو درب الحج التاريخي ، وهي ثالث مدينة عسكرية كبيرة فى الجزيرة العربية ، بعد أن اقيمت المدينة العسكرية الأولى فى تبوك والثانية فى خميس مشيط ، وتكوّن المدن الثلاث مثلثا للأمن والدفاع .

ونصل الى « الدمام » المدخل لعقد من المدن بعضها قديم وبعضها الآخر حديث ، الدمام يلفها البحر من الشرق ومن الشمال ، وتزحف على الصحراء التى تحيط بها ، كانت فى القرن الماضي قرية صغيرة ثم خربت ، وأعاد بناءها من جديد لجوء الدواسر اليها عام ١٩٢٢ ، واقاموا بعض الاكواخ بمساعدة اهالى القطيف ، وتحولت مع الايام من قرية صغيرة الى مدينة كبيرة ، واصبحت بحق البوابة الشرقية للسعودية ، والمدخل لنجد والرياض ، بعد ربطها بشبكة السكك الحديدية .

وأمام العدد الكبير من البواخر ، تذكرت ما نقله أمين الريحانى عند زيارة ذات المكان .. « إنى أود أن تكون القطيف ميناء كبيرا لنجد ، ترسو فيه البواخر ، وتتحول اليه التجارة من البحرين الى الكويت » ، وبالفعل تحولت الدمام من قرية صغيرة تابعة للقطيف الى حاضرة المنطقة الشرقية كلها .

ويروى أحد شيوخ قبيلة الدواسر الذي يبلغ من العمر ثلاثة وثمانين عاما ، قصة اعادة بناء الدمام ... « جاءت الدواسر من البحرين عام ١٣٤٢ هـ ، ولم يكن فى الدمام سوى قصر الدمام وأمامه عين عذبة تخرج المياه بصوت رتيب ، فسمى القصر الذى أمامها بقصير الدمام ، وقدم الدواسر من حى البديع فى البحرين ، ولم يكن فى البر كله سوى جماعات قليلة متفرقة من البدو ، وأقمنا بيوتنا من سعف النخيل ، وعندما زار الملك عبدالعزيز القطيف ونزل ضيفا فى بيت شيخ دارين محمد بن عبدالوهاب ، أذن للدواسر الانتقال من البحرين ، وقال .. انتم اخوالي وأمامكم من بليبول حتى سلوى ....

وكانت محطتنا الثانية بعد الدمام ، مدينة « الخبر » ، المدينة التوام لكل من الدمام والظهران ، فمازلنا نتجول فى عقد مدن النفط الجديدة المتقاربة ، ولم تكن « الخبر » قبل النفط سوى قرية صيد صغيرة ، وتحولت بعده الى مدينة يصل تعدادها الى ما يزيد على ١٠٠ الف نسمة ، واحد أسباب ازدهارها قربها من البحرين ، واقامة جسر البحرين الذى يصل الأراضى السعودية بها ، التقيت بالسيد محمد المانع صاحب كتاب توحيد المملكة السعودية ، وروى بعض ذكرياته قائلا ... « سأختار من حديث الذكريات روايتين تتعلقان بتاريخ الاحساء ، قرر ابن سعود عام ١٩١٣ م أن الوقت قد حان لطرد الأتراك من الاحساء ، وفى الثامن من شهر مايو قاد جيشه الذى يضم الاخوان فى هجوم ليلى مباغت على مدينة الهفوف ، وكنت أصحب ابن سعود ،

وكانت المدينة تضم حامية تركية مكونة من حوالى ألف ومائتى رجل ، وانتصر ابن سعود وضم منطقة واسعة الى حكمه ، ووجد مدخلا الى الخليج العربى يبدأ من جنوب الكويت حتى شمال قطر » ..

● الجديد والقديم

بعد أن تجولنا فى المدن الحديثة مثل « الجبيل » و« الدمام » و« الخبر » و« الظهران » التى تكاد تكوّن مدينة غربية بالكامل ، تجولنا فى المدن التاريخية القديمة القطيف والهفوف ، وهى التى تحتضن القيم والتقاليد القديمة ، وتعيش على الزراعة والحرف القديمة ، ولا تزال آثار حى القلعة باقية بأبنيتها المتلاصقة ، ولا تزال تحيط بالمدينة غابة كثيفة من أجود أنواع النخيل .

وتقع واحة القطيف فى زاوية الساحل الطويل الأجرد ، وكان الخليج قديما يسمى بحر القطيف وخليج القطيف .

وكانت الهفوف آخر المدن السعودية التى زرناها ، وهى تبعد عن آخر مدينة سعودية فى الطريق الى قطر وهى سلوى ١٤٥ كيلومترا ، وهى مثل القطيف فى دورها التاريخى ، فكانت القطيف مركز الزنج وكانت الهفوف مركز القرامطة .

وتصل جولتنا فى المنطقة الشرقية عندما أخذنى مرافقى إلى بقعة لم أكن أتخيلها ، نقطة تلتقى عندها بساتين النخيل الممتدة مع جبال القارة الشاهقة ، فيمتزج الجبل والصحراء والزراعة فى منظر واحد بديع ، فأنت في أرض التنوع الجغرافى ، فهنا طرف من الربع الخالى ، وحزام من رمال الدهناء ، مع الواحة الخضراء ، وجبال القارة لها ملامح قاسية ، وبه شقوق حادة ، وكهوف تدخل أولها ولا تصل إلى آخرها .

● دولة الامارات العربية

نصل الى « أبو ظبى » عاصمة دولة الامارات العربية ، بعد رحلة شاقة ، وفى الطريق اليها تلحظ البداوة وندرة السكان ، لقد كانت جزءا من عمان التاريخ ، وكان اسمها « ساحل عمان المتصالح » .

وصلت « أبو ظبى » قبل الفجر ، ولاحظت حركة بناء واسعة ، عمارات من كل طراز ، احداها كل واجهتها من الزجاج ، واخرى على نسق عمارة ووترجيت الامريكية ، أين هذه المدينة المتلألئة بالانوار التى أراها ، من تلك التى وصفها أحد زوارها منذ عشر سنوات فقال : « ليس فى « أبو ظبى » طريق مرصوف سوى طريق المطار ، والمدينة عبارة عن خلاء صحراوى رمال ملحية ترى فيها مجموعات العشش متناثرة مع قليل جدا من المبانى ذات الطابق الواحد » .

فبعد « أن كانت على هامش الدنيا فى أرض لاينبت فيها شيء » ، وجدت نفسها تملك أكبر ثروة يملكها تجمع فى حجم مجتمعها !

إنها دولة حديثة حصلت على استقلالها واتحادها على مشارف السبعينيات وهى أطراف محصورة بين البحر والصحراء ، وهى الجدار الشرقى للوطن العربى الغنى بالثغور ، واحد الثغور التى طالما تعرضت لهجوم القوى الغازية ، فهى عند آخر نقطة وصلتها القبائل العربية الى الشرق ، وكانت نقطة فاصلة بين الانقسامات والمنافسات السياسية والدينية واللغوية !

زلزال

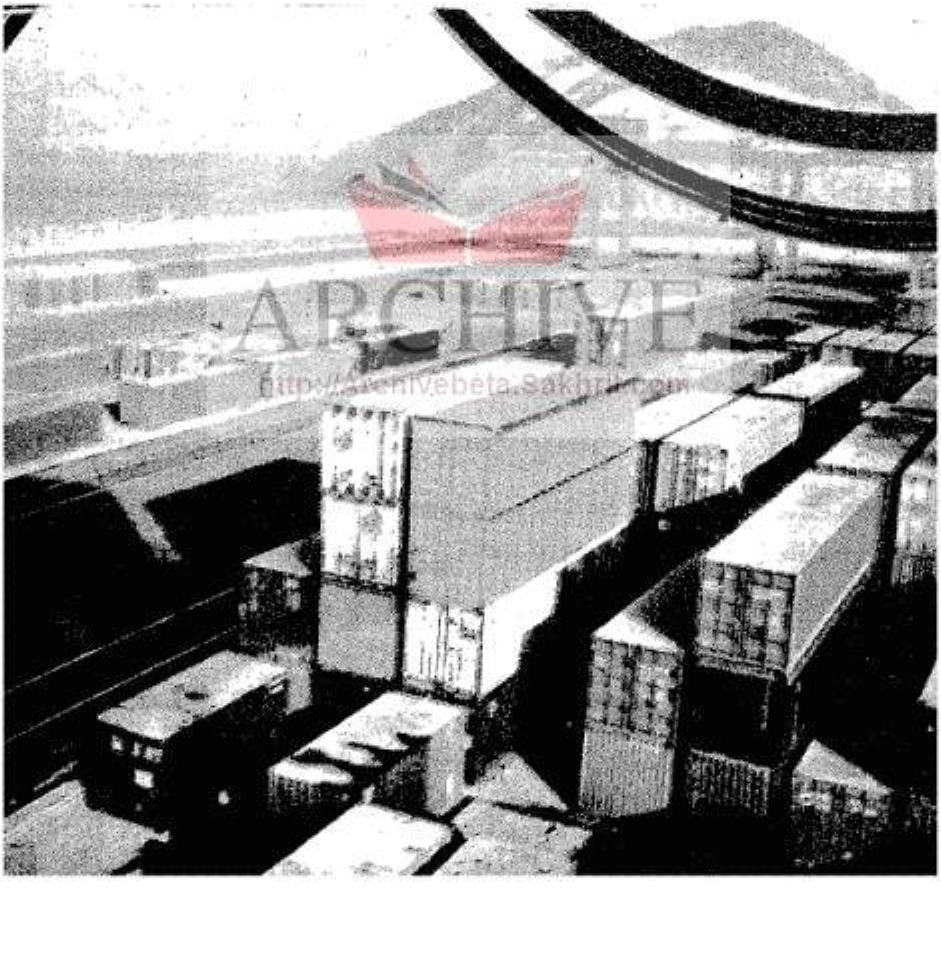
في الخليج العربي

● أطلال التجزئة

كان لابد من اغلاق نافذة السيارة ، اتقاء هواء الصحراء الحارق ، خلال الطريق الذي قطعته متجولا بين الامارات ، وصادفت على الطريق بين ابوظبي والشارقة نقطة الحدود بين امارتين تحولت الى اطلال ، انتقل من الواحات الى الجزر الى الصحارى ، وبين الجبال الشاهقة والسهول الممتدة .

ورغم الاتحاد تستمر منازعات الحدود عندما تتداخل حدود كل من « الفجيرة والشارقة » وتتوزع منطقة « دبا »

ميناء جبل علي . الذي يشتمل على ٦٧ رصيفا مؤجرة للامريكيين والانجليز





الشوارع والمباني العصرية
في دولة الامارات

زلزال
في الخليج العربي

الصغيرة على كل من الشارقة والفجير وعجمان ، ورغم الوحدة تقيم كل امارة مطارا وميناء خاصا بها . لفت انتباهي ظاهرة خطيرة داخل مدينة « دبي » نتجت من الهجرات الكبيرة اليها ، مناطق يتزوج سكانها ويموتون وينجبون دون أوراق رسمية ، باكستانيون وهنود وبنغال وايرانيون ، حتى تكون حي يطلق عليه « فريج » الكرتون يبلغ عدد سكانه اكثر من ٢٠ الفا من هؤلاء الوافدين .

كما لفت نظري المنافسة الحادة بين الامارات على التشييد والبناء ، ليس النوع الخلاق من المنافسة ، انما تلك المدمرة ، وهناك نزاع على الحدود بين الشارقة ودبي ، وآخر بين الشارقة والفجيرة ، وتدفع هذه المناطق المتنازع عليها ثمنا غاليا عندما تتوقف فيها المشروعات ، حتى لقد نشب صراع مسلح بين الشارقة والفجيرة عام ١٩٧٢ ، وتمتد جذور هذه المشكلات الى الماضي البعيد ، عندما كان الرعاة والقبائل يتحركون بلا قيود ، بحثا عن الماء والامن والكلا ، لايوقفهم سوى حاجز طبيعي ، الصحراء امامهم مثل البحار ، بلا معالم ولاعلامات ، لم تثر في عصر ما قبل النفط اين تبدأ « الديرة » واين تنتهي لكل قبيلة ؟ فالقبائل جاءت من مخزن بشري واحد هو شرق الجزيرة العربية ولكن بعد أن اصبح كسب شريط من الارض او خسارته يعني الفرق بين « الثراء » و« العوز » بدأت المشكلات في الظهور

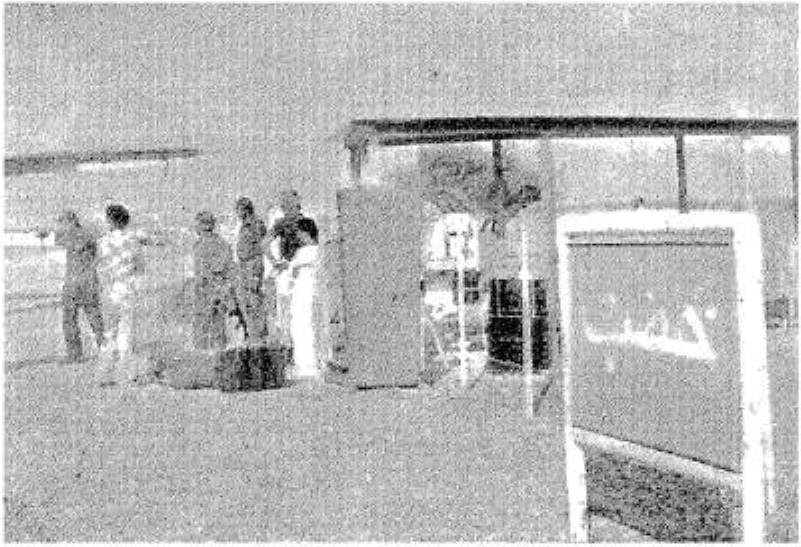
ورغم مضي سنوات طويلة على قيام الاتحاد ، فمازال علم دولة الاتحاد يرفع جنبا الى جنب مع علم الامارة ، وحتى اليوم هناك محطتان للتليفزيون بسياستين مختلفتين احداهما في « ابو ظبي » العاصمة والأخرى من « دبي » .

ولم يعد مقبولا بعد الاستقلال في نهاية عام ١٩٧١ ، قيام تلك الكيانات السياسية بالغة الصغر ، ولم يكن مألوفا تلك الظاهرة ، التي لامثيل لها في الجغرافيا السياسية ، الا وهي تناثر اجزاء كل امارة كالشظايا ، فتتالف كل من ابوظبي ودبي ورأس الخيمة من قسمين منفصلين ، وتتألف عجمان من ثلاثة اجزاء ، والشارقة من خمسة ـ كما سبق ان ذكرت .

انتقلنا الى الشارقة التي لها حدود مع كافة الامارات ، وهي ذات ارتباط فهي تطل على الخليج العربي وعلى خليج عمان الممتد الى المحيط الهندي وتتوزع اجزاؤها على خمسة اجزاء ، واذا كانت ابو ظبي هي العاصمة السياسية للاتحاد ، ودبي هي مركزه المالي فان الشارقة هي عاصمته السياسية .

وكلما تجولت في هذه الامارات ، ظهر تداخل الاجناس واللغات نتيجة الهجرة لتعويض النقص الفادح في السكان ، فهذه الامارات تعيش متاخمة لمنطقة من اكثف المناطق سكانا في العالم ، وفرص العمالة بها عالية ، وهي قضية لها بعدها الاجتماعي والامني .

وساحل الخليج الذي يقوم على اعظم بحيرة للنفط في العالم ، يزدحم بخلافات الحدود ، التي يطلق على بعضها « الحقوق التاريخية » ، وهناك خلافات حدود وحقوق تاريخية لسلطنة عمان في دولة الامارات



خصب عاصمة راس مسندم فى عمان

العربية ، وخلافات حدود بين عمان والسعودية ، وأخرى بين قطر والبحرين، وادعاءات ايرانية فى البحرين ... وهكذا .

واذا تعاملنا مع فكرة « الحقوق التاريخية » على طريقة الرئيس العراقى ، فستنهار دول الخليج جميعها ، ويتهدد امن المنطقة والعالم .

ونلمس فى دولة الامارات مسائل تبحث عن حل .

● كيف يمكن مع التدفق الهائل للثروة ، الحفاظ على التوازن النفسى والحضارى ؟ وكيف يمكن الوصول الى جدول صحيح للأولويات ؟ حتى لايكسب المواطن الثروة والمسكن ويخسر نفسه !

وهذا ماينطبق على مشاكل الحدود بين الامارات داخل الدولة الواحدة وتلك القائمة بين دولة الامارات وجاراتها

ومساحة دولة الامارات العربية تبلغ نحو ٣٢ الف ميل مربع ، وهى مساحة تزيد على بلاد مثل سويسرا وبلجيكا وهولندا ، ولاتقل عن مساحة النمسا أو المجر .

● الجزر

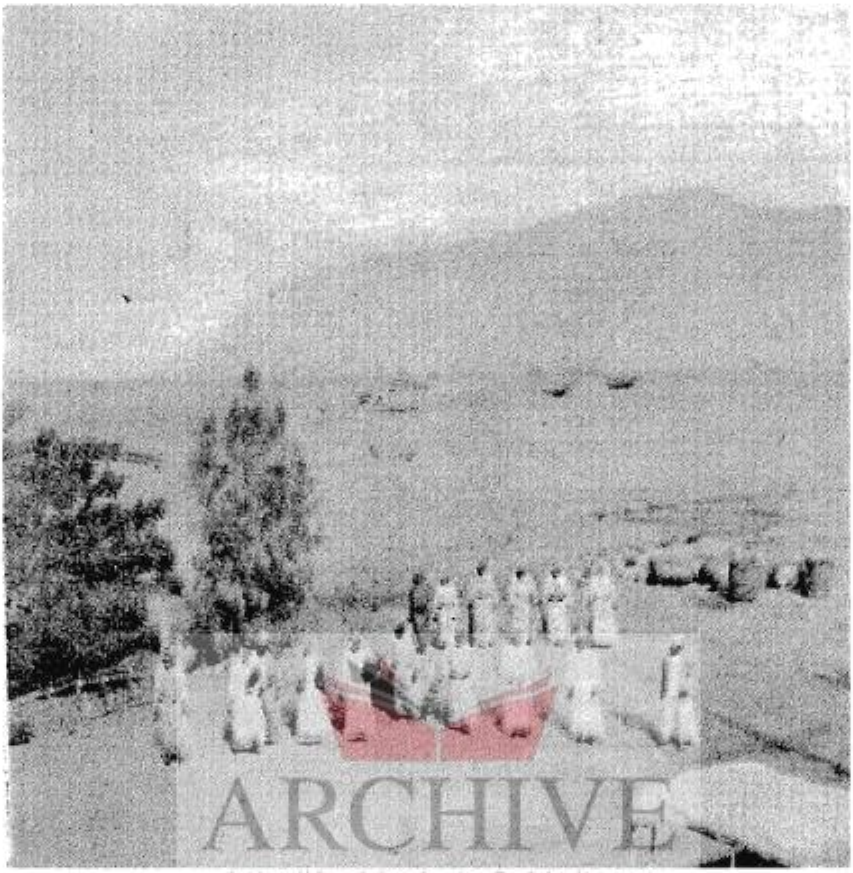
وكان لابد من الانتقال بالطائرة لكى نكمل جولتنا فى الجزر . وعندما ارتفعت الطائرة وكادت تقارب السحاب ظهر الساحل العربى من جانب والساحل الايرانى من جانب اخر وبينما مجموعة من الجزر الصخرية ، ومن اعلى تشاهد الصورة الشاملة ، وتظهر الكليات وتختفى التفاصيل ، وتكاد تفلت من الزمان والمكان ، وتصبح الثوابت سواء

زلزال
فى الخليج العربى

الجغرافية او التاريخية هى التى تتحدث .
وترى من اعلى كيف تركزت عيون العالم على هذه المناطق الساخنة المشحونة بالتوتر ، وخاصة بعد غزو العراق للكويت وانتقال التوتر على طول الخليج الذى يمتد ٥٥٠ ميلا من راس الخليج وحتى مضيق هرمز .
وكانت وقفتنا الاخيرة فى ميناء جبل على التابع لدبى ، احدث واضخم الموانىء فى العالم ، واقربها الى مضيق هرمز ، ويضم احدث التجهيزات ونظم الاتصال ، ويمتد الميناء مسافة ١٧ كيلو مترا ، وبه مخازن تصل مساحتها الى ٤٤ الفا و١٠٠ متر مربع ، ويضم ٧٧ رصيفا وبه اضخم حوض جلف لاصلاح السفن ، والميناء كله منطقة حرة ، تعاقدت دبى مع شركة بريطانية على ادارته وتعاقدت الشركة البريطانية بدورها مع شركة امريكية لاستخدامه .

● البحرين

وصلنا الى البحرين عبر الجسر ، الذى اعاد البحرين الى الارض الأم ، ويستغرق الوصول اليها اقل من عشرين دقيقة ، والتى كانت تستغرق بالعبارة مايزيد على الساعتين .
وقمت بجولة سريعة فى شوارع المنامة واسواقها وحدائقها ، واخذت استمع الى ارائهم وتصوراتهم ، ابحث عن سر هذه الجزيرة الوادعة ، فما اضيق الجزيرة ، وما اوسع قلبها اقتفى اثر مذاقها الخاص ، وسبب الرصيد من المحبة الذى يتمتع به اهلها .
استجمع معلوماتى حولها ، فهى تتكون من ٣٣ جزيرة بعضها غير مسكون ، وتقع فى الوسط بين الساحل الشرقى للسعودية والساحل الغربى لقطر . كان اسمها يطلق قديما على المنطقة التى تمتد من الكويت حتى عمان ، ومع الأيام اقتصر الاسم على جزر البحرين وحدها .
يجلس على المقهى المنتشرة على الساحل البحارة والصيادون ، الى جوارهم مراكبهم الخشبية وجذبتنى البيوت العتيقة بطرازها القديم والتى مازالت قائمة فى العديد من ازقة المحرق ـ العاصمة القديمة ـ ولابد لزائر البحرين ان يتوقف عند اللون الاخضر الذى تتوسطه العيون ، مثل عين عزارى التى اصبحت مكانا للترويح عن الاهالى المكدودين .
وفى العاصمة وحدها يعيش مايزيد على نصف سكان البحرين ، ورغم ذلك لاتشعر بالزحام الذى تلحظه فى اغلب العواصم العربية .
ويحتار الزائر ، هل معالم العتاقة والقدم ، ومناظر البساتين والعيون هى التى تضفى على البحرين طابعها الخاص ؟ ام ماتبقى من تجارة اللؤلؤ وصناعة الواحة .. ام هى طبيعة اهلها وماورثوه عن ابائهم الذين انطلقوا يتاجرون مع الجزيرة العربية ، يوم كانت بلادهم معبرا الى الاحساء ونجد ، ومع كل من الهند وايران ؟
ومن اللافت ان المستقبل هو الشغل الشاغل لاهلها ، فكيف يمكن ان تحافظ البحرين على امنها مع الأطماع الايرانية وهى الجزيرة الصغيرة التى تعيش فى عالم من الحيتان ، وكيف تحافظ على دور



موقع عسكرى عمانى يطل على الخليج

مميز فى عالم عاصف تتلاطم فيه الأمواج ؟

يبدأ الجميع تصورهم من عبقرية موقعها واستراتيجية موضعها ، وكيف يصبح اضافة لاهلها ، فما لم تملأ هذا الموقع هدده الغير ، وان لم يعادله دور يحميه فهو مصدر الخطر .

لقد كانت البحرين من أوائل الدول التى تم فيها اكتشاف النفط ولكن الاحتياطات ضئيلة ، والانتاج لايزيد على خمسة الاف برميل يوميا ، وعليها أن تعتمد على قدرات اهلها فى اشتغالهم بالزراعة والتجارة وصيد اللؤلؤ كما تعالت المطالب بالعودة للاهتمام بالحرف القديمة .

كما بقى للبحرين دورها كأحد مراكز اعادة التصدير ودورها كمركز مالى عالمى ، وامامها نماذج هنج كونج ، وسنغافورة ، بعد ان اصبحت منطقة الخليج من اهم المراكز المالية ، وتسعى الى ان تصبح مركزا للخدمات ذات

زلزال
فى الخليج العربى

المستوى الرفيع التى يقوم بها العلماء والفنيون والمهندسون .

● **قطر**

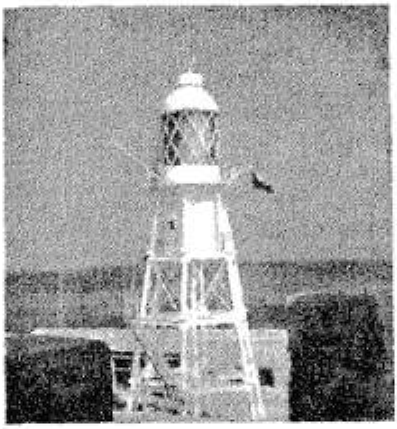
نعود من البحرين الى السعودية فى الطريق الى قطر ، والتى تقع فى منتصف الطريق بين الكويت ومسقط .

بدأت رحلتنا من منطقة الهفوف بالسعودية ، وقطعنا ذات الطريق الذى كانت تقطعه القوافل والذى يطلق عليه « درب الساعى » ويمضى بنا الطريق حتى مدينة « سلوى » ومنها الى اول نقطة حدود قطرية والمسافة بين سلوى وه ابو سمرة » القطرية اربعة كيلو مترات ثلاثة فى الأراضى السعودية .

ويمضى بنا الطريق ويحدثنا حديثا عبثيا ، فها هى لوحة تحذير من خطر الرمال المتحركة ، واخرى بعدها تعلن عن اضخم مشروع للميكروويف وتحذيرا من الجمال التى تظهر فجأة على الطريق ، بعد أن كاد ينعدم ظهورها !

والاجزاء المعمورة عبارة عن شريط متقطع بين البحر والصحراء ، لقد كان هذا الساحل قديما من افقر مناطق الجزيرة العربية وتحول الى اغناها بعد اكتشاف النفط والغاز ، وشهد اكبر الانقلابات العمرانية ، ولم يعد مجرد مجموعة مخلخلة ضعيفة من المدن ، وانقلبت فيه الحياة من الترحال الى الاستقرار بلا تدرج .

وقطر تشبه اللسان او النتوء الذى يمتد



الفنار الذى ينظم الملاحة فى الخليـج فوق جزيرة سلامـه

داخل مياه الخليج ، وتحيط بها المياه ، من كل جانب سوى حدودها مع السعودية ودولة الامارات العربية ، وكانت متصلا تاريخيا بين منطقتى النفوذ التركى والاستعمار البريطانى .

ويمكن استخــلاص بعض صــور الماضى مما اورده الجغرافيون والرحالة ، وهى تبدو حياة شاقة ويسكنها البدو الرحل فى الصحراء ، والتجارة والصيد فى المدن ، ويتكون سكانها من موجات جاءت من نجد واخرى جاءت من البحر .

ويغلب على اهلها ذات المذهب الوهابى القائم فى السعودية نقطع الطريق متجهين الى الدوحة ، فى ارض صحراوية صخرية خالية مما يثير الاهتمام ويتغير الحال كلما اقتربنا من الدوحة ، حتى نصل اخيرا الى مشارفها عندما تلوح المنطقة الصناعية ، والتى اقيمت خارج العاصمة لتحمى اهلها من الضجيج والتلوث .

وقطعت « الدوحة » شوطا واسعا مثل

غيرها من عواصم الخليج ، شوطا واسعا في البناء ، ولم تكن الدوحة في الماضي سوى مدينة للصيد داخل سور من طين ، يعيش ثمانية الاف من ابنائها في البحر بصورة دائمة

واليوم اصبحت الدوحة مدينة عصرية يتعايش فيها القديم والحديث ولايفوتك ملاحظة التشابه الذي يصل الى حد التماثل في العديد من ملامح الحياة بين عواصم الخليج ، ولايكاد يقوم مشروع ناجح أو فكرة جديدة الا وينتقل الى المدن والعواصم الخليجية الاخرى .

ولعل مايميز قطر بشكل خاص ، العزلة التي فرضها عليها موقعها الجغرافي كشبه جزيرة معزولة نسبيا ، مما ساهم في قيام حالة من التوجس تجاه الاجانب ، رغم ان الكثير من ملامح الحياة الاجتماعية قد تغير خلال العقدين الاخيرين ، والذي صاحب استقبال قطر للعمالة الاجنبية ، ولم يعد الرقص الشعبي مشتركا كما كان في الماضي ، واختفت المرأة منه بعد قدوم الغرباء

ومازالت المجالس أو الدواوين قائمة ، فيها يلتقي المعارف والاصدقاء ، يتسامرون ويتبادلون الراي

واصبح في قطر اجيال متمايزة ، جيل ماقبل النفط الذي عاش الحياة الشاقة ، ثم عاصر مرحلة النمو وتفجر الثورة ومظاهر الرفاهية ، اعقبه جيل لم ير المعاناة

اما اهم المصاعب التي تواجه الدوحة ، فهي التكدس داخل العاصمة وتقول الارقام ، اذا كان عدد سكان قطر يبلغ ٢٠٠ الف نسمة فان ٨٠٪ منهم يعيشون في الدوحة وحدها ، مما يهدد الدولة المتسعة الارجاء بأن تتحول الى مجرد « الدولة المدينة » !

● مضيق هرمز

نمضي معا الى نهاية جولتنا نقطة استراتيجية بالغة الاهمية ، تشابكت عندها المصالح ، وتركزت فيها الاستراتيجيات الاقليمية والدولية ، انها مضيق هرمز بوابة الخليج العربي ، بل بوابة الحرب العالمية الثالثة اذا قدر لهذه الحرب ان تندلع ، ومنفذ النفط الى العالم ، وطريقه الى كل موانىء العالم ، وعنق الزجاجة في طريق الملاحة البحرية لكل الدول المطلة عليه ، ويمر به مايزيد على نصف احتياجات اوروبا الغربية من النفط الخام

حلقت بنا طائرة هليوكوبتر فوق المضيق ، وعلى شواطئه ، ثم فوق الساحل الممتد من المضيق حتى ميناء « جبل علي » في دولة الامارات .

نقطة البداية في رحلتنا هي مسقط عاصمة عمان ، حيث استوقفتني شذرات من الفن العربي ، وعلامات على تاريخ حافل ، ونقش اهل عمان كل شيء ، الجبل وواجهات البيوت ، بل الابواب والنوافذ ، وحتى الخناجر والأساور والمكاحل

وكلما تجولت في مسقط ترى النقوش الاحادة التي تصنع من الجبل ومياه البحر صورة حية ، تدرك من خلالها انك في بلد له جذور ضاربة في اعماق التاريخ ، وتفوح منه رائحة الأصالة .

وعمان مؤهلة للقيام بدور بارز في منطقة الخليج ، فقد كانت اخر القلاع التي يتشبث بها الاستعمار ، وعاشت عزلة كاملة بعد ضرب قوتها البحرية ، حدودها المفتوحة هي البحر ، من الغرب اعظم صحراء رملية في العالم وهي « الربع الخالي » ومن الشرق خليج عمان ، وفي

زلزال
فى الخليج العربى

الشمال الخليج العربى وفى الجنوب بحر العرب والمحيط الهندى ، وتحتل المساحة الواقعة بين اليمن ودول الخليج العربى .

توجهنا الى مطار « السيب » الحربى قاصدين مضيق هرمز ، يصحبنا مرافق من القوات البرية واخر من القوات البحرية العمانية ، واخذنا طائرة الى مطار « خصب » عاصمة راس مسندم ، المنظر من الجو درس ناقع فى الطبوغرافيا ، وتدرك مغزى قول الدكتور جمال حمدان « ان الجزيرة العربية مثل خرقة بالية حواشيها من الذهب ، يتوزع العمران على الهوامش والسواحل تاركا القلب الجغرافى ، وكل من المحاور تغلقه شرنقة سميكة من الصحارى ، اتخذت الطائرة مسارها على ساحل خليج عمان ، تشاهد خطا متقطعا من الواحات الساحلية تصل الصحراء فيها بيتها وتنتهى الى سيف البحر ، وهى اقرب الى موانىء الصيد منها موانىء المدن ، ولاتلبث ان ترى امارة « الفجيرة » من دولة الامارات العربية ، وبعدها تظهر « خورفكان » والميناء الذى تخرج منه الحاويات والبواخر الى البحار المفتوحة ، وترى كيف تفصل دولة الامارات العربية عمان وتقسمها الى جزءين مما يزيد من عزلة شبه جزيرة مسندم التى عاشت طويلا معزولة عن العالم وخارج العصر ، فلا يمكن الوصول اليها سوى بالجو او البحر او عبر دولة اخرى !

نصل الى مطار خصب الذى يقع بين جبلين ، والمهبط فى اتجاه البحر ، ليكون المطار على راس مثلث قاعدته الساحل وهو موضع حصين تغلقه ـ دون ان تخنقه ـ الجبال .

● سلامه وبناتها

جاءت اللحظة الحاسمة عندما حلقنا بطائرة هليكوبتر فوق المضيق والجزر المتناثرة والقرى على سفوح الجبال ، وتقوم هذه الطائرة باعمال الدورية فوق الساحل ، وتقوم بتزويد مراكز المراقبة المعزولة على قمم التلال بما تحتاج اليه من امدادات .

المنظر خلاب فوق المضيق ، والطبيعة قاسية ، سلسلة جبال عالية زرقاء جوانبها شديدة الانحدار ، فى نهاية شبه جزيرة مسندم ، جرف مرتفع هو راس مسندم ، وتظهر فيه الازقة البحرية التى تكتنفها الصخور والمداخل الملتوية ، وتظهر سلسلة « حجر » التى تمتد من راس مسندم الى راس الحد فى شكل قوس كبير يتجه من الشمال الى الجنوب ، واطلق عليه اسم مسندم من السندان ، لكثرة ماتتعرض له صخوره من طرقات الامواج الضخمة وتلاطمها فوقها .

تظهر جبال عمان ، وكأنها امتداد لجبال زاجروس الايرانية على الشاطىء الاخر بعد ذلك تتجه الطائرة الى مجموعة من

الجزر الصخرية التى تقع شمال راس مسندم ، والتى اطلق عليها العرب تسمية ذات مغزى خاص لها تعبير له معنى الرجاء ، وهو « سلامه » واطلقوا على جزيرتين اصغر منها « بنات سلامه » .

اما تسميتها الأوربية فهى كوين آيلاند او ملكة الجزر . وشاهدنا من اعلى ناقلات النفط العملاقة تمتد حتى الافق فى الاتجاهين وتبدو كل ناقلة وكأنها طابع بريد او صورة الصمت فوق الماء .

وهبطت الطائرة فوق جزيرة سلامه ، وهى كتلة صخرية وسط المياه ، كأنها مستطيل قطع بميل عرضى ليصبح منشورا صخريا ، يقوم على اعلى نقطة الفنار الذى ينظم حركة الملاحة فى عنق الزجاجة ، فكل ٨ دقائق تبحر ناقلة من والى الخليج ، وعبر منه حوالى ٩٠٪ من احتياجات اليابان النفطية ، ومايزيد على نصف احتياجات اوروبا الغربية ، وبين ١٩ مليون برميل من نفط الخليج يذهب مليونان منه الى الولايات المتحدة .

ويقود هذا الممر ذو الحساسية والاهمية الاستراتيجية الكبيرة الى ثمانى دول هى السعودية والكويت والعراق ودولة الامارات وقطر والبحرين وايران وعمان ، ويكاد يكون المنفذ الوحيد للدول العربية المطلة عليه عدا السعودية التى لديها موانىء على البحر الأحمر .

وهو مفتاح الذراع البحرى للمحيط الهندى ، والذى لايوجد بحر داخلى يضاهيه فى الاهمية والذى يبلغ طوله ٦٠٠ ميل وعرضه ٢٣٠ ميلا ، بينما يصل اقصى عمق له ٣٠٠ قدم .

يعمل عمال الفنار فى شركة بريطانية دولية هى ميناس MENAS تشرف على ارشاد السفن ، ومقر الشركة فى البحرين .

المضيق عرضه ٣٠ ميلا بحريا عند اضيق نقطة فيه ، ويصل عمق المياه الى ٢٥٠ قدما ، وهو اوسع من أن تسده ناقلة ، وتم الاتفاق بين كل من عمان وايران حول المضيق والجرف القارى ، وقسم الاتفاق الممر المائى على اساس خط النصف للمياه بين سواحل الجزر العمانية والجزر الايرانية ، وكانت سلامه نقطة الارتكاز العمانية وجزيرة قشم نقطة الارتكاز الايرانية .

وننتقل بالطائرة الى جزيرة الغنايم او ام الغنم ، القاعدة العسكرية لحماية المضيق ، وتبدو وكأنها لسان داخل المضيق او سيف يمتد الى قلب مياهه الداكنة وكانت تتمتع على الدوام بقيمة استراتيجية عالية لقيمتها كحصن لحماية المضيق ، واستخدمت خلال الحربين العالميتين من قبل القوات البريطانية ، وفوقها تصبح امام نقطة رصد تشرف على اخر زاوية عربية والزاوية الجنوبية الشرقية للجزيرة العربية ، وعند اخر طرف الجدار العربى .

وليس مانشاهده وحده ، هو الذى يكشف ترتيبات أمن المضيق .

ففيما وراء الأفق ، تقوم التسهيلات العسكرية الأمريكية التى تمتد من دييجو جارسيا وحتى جزيرة مصيرة فى عمان والبحرين وسط الخليج .

* * *

هذا بعض مارصدته فى جولتى فى دول الخليج العربى ، مع التسليم انه من العسير الالمام بكل القضايا المتشابكة ..

ويكفى اننا رسمنا بعض ملامح الصورة .

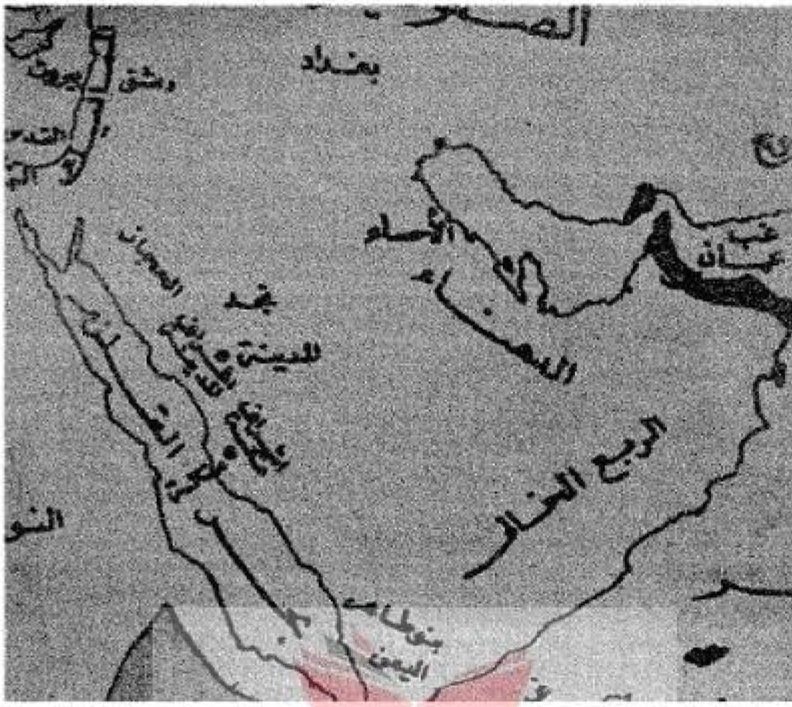
نحو نظام أمن عربى

كيف وقعت الحروب العربية / العربية فى القرن العشرين .. ولماذا ؟!

بقلم : د. صلاح العقاد

●● هناك موضوعات تنطوى على حساسيات تحمل الكتّاب عادة على تجنب الخوض فيها وقد يكون لهم بعض الحق لأنها تؤثر تأثيرا سلبيا على الرأى العام لدى الجماهير العريضة .. غير ان التاريخ الموضوعى حينما يتوجه بتحليل هذه الاحداث فهو لا يقصد سوى التعمق فى معرفة الماضى واستخلاص العبر منه ويمكن اعتبار الموضوع الذى نتصدى له فى هذه الصفحات صورة من صور تاريخ العرب الحديث ●●

ونستطيع التمييز بين ثلاثة انواع من الحروب العربية العربية ، النوع الاول يتمثل فى تلك الحروب الناجمة عن تشكل دول جديدة فى مناطق خارجة عن السيطرة الاجنبية المباشرة وهذا النوع ينطبق على شبه الجزيرة العربية فى فترة ما قبل الحرب العالمية الثانية اذ شهدت حربين من هذا الطراز : الحرب التى وقعت بين السعودية والهاشمية والتى انتهت باستيلاء السعوديين على الحجاز فى سنة ١٩٢٦ . ونشبت الحرب الثانية سنة ١٩٣٤ بين السعودية واليمن وادت الى تثبيت الحكم السعودى فى اقليم عسير . اما النوع الثانى فهو الناتج غالبا عن الخلاف على الحدود بين دولتين عربيتين ومن اشهر هذه الحروب ما وقع بين الجزائر والمغرب سنة ١٩٦٣ وقد يضاف الى الخلاف على الحدود خصومة تنشأ بين النظامين فتحيى ازمة الحدود التى تكون قد نسيت وينطبق ذلك على



شبه الجزيرة العربية .. شهدت حروبا متعددة ..

الحرب القصيرة التى وقعت بين مصر وليبيا فى صيف سنة ١٩٧٧ . وهناك حرب ليس لها سابقة وهى استيلاء دولة عربية على أخرى بقوة السلاح والمثل البارز لها هو استيلاء العراق على الكويت ، وهذا النوع الثانى من الحروب هو الذى يلقى استنكارا على نطاق واسع سواء داخل العالم العربى ام على المستوى الدولى لسبب بسيط وهو ان الدول العربية بعد الاستقلال قد اخذت وضعا دوليا متعارفا عليه وخططت حدودها بدقة ابان العهد الاستعمارى وصار من المتعذر واقعيا تغيير الوضع القائم . اما النوع الثالث فيتمثل فى حالات التدخل العسكرى من جانب دولة عربية فى دولة عربية آخرى بناء على طلب حكوماتها مما قد يجر الى مواجهات اخرى مثل ذلك التدخل المصرى فى اليمن او السورى فى لبنان وسوف نستبعد هذا الطراز من المعالجة لاننا نعتبره متصلا بالحروب الاهلية ولا يندرج فى إطار الحرب



انور السادات

النظامية بين دولتين .

كذلك لا نأخذ فى الاعتبار الصراعات القبلية او ما يشبهها كالصراع المشهور بين آل الرشيد وآل سعود فى نجد او بين إمارة "ابو ظبي" ودبى فى فترة ما بين الحربين وقد اصبحت كلتا الامارتين ضمن دولة الامارات العربية المتحدة .

وإنطلاقا من هذا التصور المحدد لمعنى الحروب العربية العربية لا نستطيع الرجوع بها الى العصور الوسطى ، وإلا لتعددت الامثلة بحيث سارت سمة الصراع هى الغالبة على سمة الوفاق . ويخطىء هؤلاء الذين يرددون المقولة الشائعة . بأن العالم العربى كان موحدا وان الاستعمار هو الذى جزأه . فقد تحارب الفاطميون والعباسيون وتفككت الدولة العربية فى الاندلس وتقاتل ملوكها . وهم المعروفون بملوك الطوائف . واستعان بعضهم على بعض بالقوى الخارجية وكانت الدويلات المسيحية الاقطاعية تفعل نفس الشىء ولا يثير ذلك استغرابنا على نحو ما يثيره استنكار الرأى العام للحروب الحديثة حينما تقع بين دول العالم العربى . ولا يرجع ذلك فقط الى بعد المسافة الزمنية ، وإنما له اسبابه الأخرى فلابد ان نتذكر عدم وجود رأى عام فى ذلك الوقت إذا كان الحكام منفصلين عن الشعوب حتى اننا نتحدث عن صراع فاطمى عباسى ولا نصفه بانه صراع بين مصر والعراق وينطبق نفس الشىء على منطقة المغرب فى نهاية العصور الوسطى فقد شهدت حروبا متوالية بين الدولة الحفصية والدولة المرينية ، ولكن نادرا ما تذكر كتب التاريخ ان تونس وهى مقر الحفصيين تحاربت مع مراكش او المغرب الاقصى مقر المرينيين ذلك لان الصراع كان يدور بين اسرة حاكمة لا تحسب للشعوب وزنا وحتى فى العصر العثمانى وقعت حرب قصيرة بين باى تونس وداى الجزائر سنة ١٧٥٦ وكان هدفها هو ان تتخلص تونس من الجزية التى فرضها عليها دايات الجزائر .. خلاصة القول انه فى غياب الدولة العصرية الحديثة التى نشأت على انقاض الاستعمار فى افريقيا والوطن العربى كانت المنازعات والحروب تجرى على اساس تنافس الاسر المالكة او طموحات شخصية لحكام مغامرين .

"مفهوم الدولة ودورها"

وثمة قضية اخرى ينبغى اخذها فى



معمر القذافى



الشريف حسين بن على



الملك عبد العزيز ال سعود

الاعتبار قبل التطرق إلى سرد احداث الحروب العربية وهى تتعلق بمفهوم الدولة ودورها كما كان شائعا فى الماضى ومفهوم الدولة فى عصرنا الحاضر . ففى الماضى كان دور الدولة فى المجتمع محدودا يقتصر على جمع الضريبة او الزكاة وربما الاعتراف الاسمى فقط بالخلافة الدينية كما ان الوجود المادى الذى يتمثل فى اجهزة الشرطة والادارة المدنية كان غير ظاهر فى خارج المراكز الرئيسية للسكان فمثلا لا تكاد تلمس وجودا للدولة العثمانية خارج المدن ولذا كان من السهل على الأسر الاقطاعية او تلك التى تستمد نفوذها من هيبة دينية او قبلية ان تؤسس حكما وراثيا فى الاقاليم العربية البعيدة عن مركز الدولة وتاريخ العرب الحديث مليء بالأمثلة فى اسرة الصباح فى الكويت . الاسرة القرامانلية فى ليبيا والاسرة الحسينية فى تونس .

وسواء اكان الامر يتعلق بالدولة المركزية فى اسطنبول ام بهذه الدول الاقليمية فإن فكرة تولى الدولة للخدمات كانت غائبة فالتعليم وتعبيد الطرق الى آخره كان متروكا للاهالى اما الدولة العصرية فنظرا لثورة الاتصالات فقد اصبح وجودها محسوسا حتى داخل البيوت عن طريق اجهزة الاعلام وبسبب سهولة الاتصالات ايضا صارت اخبار المنازعات فضلا عن الحروب تؤثر تاثيرا عميقا على المستوى المحلى بل العالمى .. من اشهر الحروب العربية واطولها عمرا تلك المعروفة بحرب الحجاز اذ بدأت باستيلاء النجديين اتباع آل سعود وباسم الحركة الوهابية على الطائف فى سبتمبر ١٩٢٤ وكانت الحجاز فى ذلك الوقت تتبع الشريف حسين بن على والذى خابت آماله بعد تحالفه مع البريطانيين فى الحرب العالمية الاولى فلم ينشىء المملكة العربية الكبرى فى المشرق واقتصر حكمه على مملكة الحجاز وقد انتهت تلك الحرب فى يناير سنة ١٩٢٦ بحصار جدة ثم سقوطها فى يد السعوديين



الامام احمد

وطوال ستة عشر شهرا لم تنقطع الوساطات العربية والاسلامية إلا ان كل هذه الوساطات بقيت دون اثر يذكر لأن معظم الاقطار الاسلامية كانت واقعة تحت الحكم الاجنبي بشكل او باخر .

والدولة الوحيدة التي كانت قادرة على التأثير حينذاك هي بريطانيا وقد اعلنت التزامها بالحياد في تلك الحرب على اساس ان المسألة داخلية ، وان لها علاقات صداقة مع الطرفين المتحاربين وحقيقة الامر ان علاقات بريطانيا بملك الحجاز كانت قد مرت ببعض المشاكل في حين ان ابن سعود كانت تربطه معاهدة حماية بالبريطانيين ولا نقصد بذلك القول ان هذه الحماية هي التي رجحت كفة ابن سعود بل ، إن شدة تماسك النجديين حول زعامتها الدينية كانت عاملا حاسما في انتصار السعوديين على الشريف حسين الذي لم يحظ بتأييد مماثل من قبائل الحجاز ولم يفده الرأي العام في العالم الاسلامي والذي كان اميل الى الشريف ويخشى من ان يكرر السعوديون ما فعلته الحركة الوهابية بالحجاز في اوائل القرن التاسع عشر حين فرضت شروطا قاسية على الحجاج القادمين من الخارج .

وقد اقترنت حرب الحجاز بفظائع ارتكبت ضد المدنيين في الطائف ولكن المواجهات العسكرية لم تخلف اعدادا كبيرة من الضحايا وشتان ما بين خسائر حروب دول بسيطة مثل دول شبه الجزيرة في فترة ما بين الحربين وبين خسائر حروب العصر الحاضر لاختلاف نوعية الاسلحة ومع ذلك فقد كان من المفترض ان يتحرك العالم الخارجي على الاقل لأن تلك الحرب كانت سوف تقرر مصير الاماكن المقدسة الاسلامية ولكن يبدو ان عدم وجود بترول في الحجاز في ذلك الوقت بل عدم بروز اهمية البترول على النحو الجاري حاليا قد قلل من اهتمام العالم الخارجي وترك الاماكن المقدسة لمصيرها .

.. واذا كان التدخل الخارجي قد ابتعد عن حرب الحجاز فمن باب اولى الا تثير الحرب السعودية اليمنية ردود فعل على نطاق واسع غير ان احتلال السعوديين لميناء الحديدة التابع لليمن لفت انتباه الدول الاستعمارية ذات المصالح في البحر الاحمر وعلى رأسها حينذاك ايطاليا بحكم وجودها في الصومال واريتريا . وكانت تعتبر امام اليمن حليفا لها غير ان ابن سعود لم يترك الفرصة لأى تحرك اجنبي فاقر بالكيان التاريخي لليمن وانسحب من

الحديدة التى كانت جزءا تاريخيا من الإمامة العتيقة واكتفى بتثبيت سيطرته على اقليم عسير الواقع بين الدولتين وانتهت تلك الحرب التى لم تزد مدتها على ثلاثة اشهر بعقد معاهدة اخوة وصداقة عربية واسلامية .

● "فترة مابين الحربين"

.. اختلفت ظروف العالم العربي اختلافا جزريا فى الستينات من هذا القرن عما كانت عليه فى فترة ما بين الحربين فقد استقلت معظم دوله استقلالا سياسيا ومن اهم مظاهر هذا الاستقلال اكتساب العضوية فى الامم المتحدة وفى جامعة الدول العربية وبناء عليه فقد اصبح من المستحيل وقوع حرب بين دولتين عربيتين دون حدوث ردود فعل على المستوى العربي والدولى معا . كما دخل عنصر جديد فى حالات الحرب تلك وهو اختلاف فى الايديولوجيات السياسية والاجتماعية وما يستتبعه ذلك من ارتباط بالكتلة الشرقية او الغربية .

تلك هى العناصر الجديدة التى اقترنت بالحرب بين الجزائر والمغرب وهى تضاف الى العامل الابدى فى تاريخ المنازعات العربية الا وهو الخلاف على الحدود .

.. واثناء العهد الاستعمارى تحيزت فرنسا فى تخطيط الحدود للجزائر اذ انها كانت تعتبرها ارضا فرنسية ومن المصلحة توسيع حدودها على حساب جارتيها تونس والمغرب وكلتاهما محميتان واثناء الكفاح ضد الاستعمار اتفقت الحركات الوطنية فى الاقطار الثلاثة المغربية على اعادة النظر فى مسالة الحدود بعد حصول الجزائر على استقلالها فلما تحقق هذا الاستقلال بالفعل تراجعت الجزائر عن الاتفاق السابق وتمسكت بالنظرية التى اقرتها منظمة الوحدة الافريقية وهى احترام التقسيمات الادارية التى تمت فى العهد الاستعمارى كحدود سياسية للدول حديثة الاستقلال .

ولما كانت المنطقة المتنازع عليها بين الجزائر والمغرب تضم ثروة معدنية هامة فقد شرع المغرب الذى يمتلك جيشا نظاميا اقوى فى الاستعداد لانتزاعها بالقوة وتضم منطقة تندوف ومناجم غنية بالحديد بالاضافة الى الغاز الطبيعى . لذلك قيل ان بعض الشركات حرضت المغرب على استخدام القوة ، لانها تفضل التعاون مع الحكومة المغربية ، وتخشى من استثمار اموالها فى الجزائر حيث تسود الاتجاهات الاشتراكية والدعوة الى تاميم وسائل الانتاج

وفى اكتوبر سنة ١٩٦٣ تمكن الجيش المغربي من احتلال بعض المواقع وتوغل الى مسافة ١٠٠ ك . م فى بعض المناطق . وكان للحرب بين دولتين عربيتين صدى بعيد فى العالم العربي فجرت عدة محاولات للوساطة عن طريق الجامعة العربية إلا أن المغرب كان يشعر بان الخلاف بين فريق المحافظين والتقدميين قد ينعكس على هذه الوساطة فلا يتوفر فيها الحياد . ومن المؤسف ان كلا الطرفين المتنازعين رفض فى نهاية الامر وساطة الجامعة العربية او اجتماع قمة رؤساء

نحو نظام أمن عربي

الدول العربية الخمس الواقعة في افريقية بالاشتراك مع دولة افريقية سادسة .

وقبلا بدلا عن ذلك عقد مؤتمر رباعي بالاشتراك مع كل من مالي واثيوبيا ، وهو المؤتمر الذى انتهى باتفاقية باماكو في ٢٩ اكتوبر سنة ١٩٦٣ ، ومما جاء في هذه الاتفاقية قرار بايقاف القتال في موعد اقصاه الثاني من نوفمبر سنة ١٩٦٣ وانسحاب القوات الى الحدود السابقة على ان تحل محلها قوات من مالي واثيوبيا بعد ان تجرد من السلاح . ويعتبر هذا النص اميل الى وجهة النظر المغربية لان قواتها هي التي تقدمت في الاراضي الجزائرية ، ولكن قبيل ايقاف القتال اسرعت فرقة جزائرية خفيفة الى التوغل داخل الأراضي المغربية حيث احتلت واحة فجيج . وبذا صار الانسحاب الى الحدود السابقة مطلبا للطرفين المتنازعين .

● دروس هامة

● ومهما كانت المشاعر العنيفة التي اثارها القتال في حينه فإنه لم يترك اثرا طويل المدى على العلاقات بين الدولتين ، ويمكن القول انه كان نتيجة وليس سببا في النعرة الاقليمية المتفشية ، فبعد وقت قصير تم تبادل الاسرى وتوقف المغرب لفترة عن إثارة مطالبه في الحدود ولذلك لم تبق حاجة

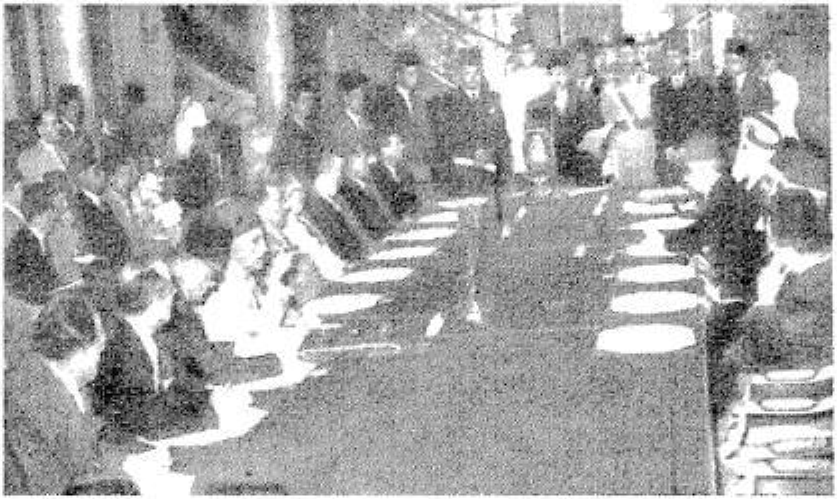


الملك محمد الخامس

الى وجود قوات اجنبية .

وبينما مثل النزاع على الحدود العامل المباشر في الحرب الجزائرية المغربية فإن هذه القضية فيما يخص مصر وليبيا كانت قد دخلت تقريبا طي النسيان فمنذ تسوية ١٩٢٥ التي تنازلت مصر بمقتضاها عن واحة الجغبوب مقابل كسب اقليمي له اهمية استراتيجية في هضبة السلوم المحاذية للبحر ، لم تثر قضية الحدود الا عرضا في سنة ١٩٤٥ وحتى عندما وقعت الاشتباكات القصيرة بين القطرين في صيف سنة ١٩٧٧ تردد الحديث عن مسألة الحدود بشكل غير جاد ، والعامل الاساسي الذى دفع بجيش القذافي إلى محاولة لاختراق الحدود المصرية هو الكره الشخصي الذى سار يكنه الرئيس الليبي نحو السادات وسياسته ازاء اسرائيل .

وعلى كل لم تتجاوز الاشتباكات المسلحة بضعة ايام اذا ما لبثت القوات المصرية ان الحقت بالليبيين خسائر كبيرة بحيث انسحبوا دون ان يحاولوا مواصلة القتال واكتفت مصر



اجتماع تأسيس الجامعة العربية

بهذا الردع الناجز . وثمة درس هام يستفاد من هذه الواقعة وهو ان التسلح باحدث الاسلحة قد يغدو عبثا ما لم يتطور العنصر البشرى ، فالمجتمع الليبى شأنه شأن العديد من الدول النفطية ، التى تكدس الاسلحة ، مازال يخضع للمؤثرات القبلية ويحتاج الى وقت لاستيعاب مثل هذه الاسلحة وخلاصة القول انه من غير المناسب وصف الاشتباكات القصيرة التى دارت بين مصر وليبيا فى يوليو سنة ١٩٧٧ بانها حرب عربية عربية .

كذلك يمكن القول بأن الاستيلاء على الكويت قد تم دون حرب بيد أن الآثار السياسية الهائلة التى ترتبت على هذا الغزو قد تحمل فى طياتها نذر حرب عربية عربية من طراز جديد فالمواجهة سوف تقع بين اطراف متعددة وتستخدم فيها اسلحة فتاكة لم يسبق لها مثيل كما دخلت فى هذا الصراع المرتقب عناصر اجنبية بطريق مباشر وهى ايضا سابقة لم تحدث فى الحروب العربية العربية .

لقد حرم ميثاق جامعة الدول العربية الحرب بين الاعضاء المنتمين لهذا التنظيم ، كما اضيف الى الميثاق نظام الدفاع المشترك فى سنة ١٩٥٠ عرف باسم الضمان الجماعى ثم اثبتت احداث العالم العربى ان هذه المواثيق بقيت حبرا على ورق . وفى تقديرنا ان نجاح اى نظام اقليمى فى المجال السياسى او العسكرى لا يقوم على النصوص المكتوبة . بل على طبيعة نظام الحكم لدى الدول المشتركة فى هذا النظام . اما الدول التى تعتمد على حكم الفرد المطلق فإن قراراتها تغدو خاضعة للتقلبات . ومن هنا فإن إقامة اى نظام عربى للدفاع ينبغى ان يعتمد على دول لها مؤسسات ثابتة إن لم نقل نظام ديمقراطى فى بنية المجتمع والسلطة المنبثقة عنه وهذا التغيير فى النظام العربى لا يتحقق بين عشية وضحاها .

هيكل

الصحفى .. وكاتب التاريخ

ناصر وهزيمة يونيو ١٩٦٧
صدام وأزمة الخليج ١٩٩٠

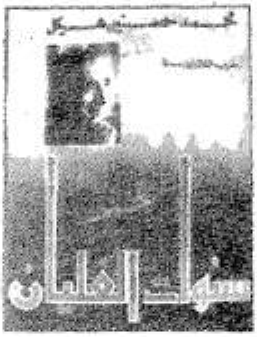
بقلم : د. أحمد عبدالرحيم مصطفى

احرز الصحفى محمد حسنين هيكل شهرة كبيرة اثناء مدة تزيد على ربع قرن عقد خلالها صلات وثيقة بكثير من الشخصيات السياسية الهامة فى الشرق والغرب واكتسب ثقة الزعيم المصرى جمال عبدالناصر الذى ارتبط به بصداقة شخصية جعلت منه مستشارا له بحيث كان له تاثير على كثير من القرارات الهامة وتحول الى اداة اعلامية لشرح سياسته . وقد استثمر هيكل هذه العلاقة الخاصة فى الحصول على ادق المعلومات التى افاد منها فى توثيق مؤلفات الهامة التى ترجم بعضها الى كثير من اللغات الحية .

ولقد اتهم هيكل اثناء حياة عبدالناصر وبعدها باحتكار الاخبار والمعلومات التى احرز فى نشرها فى جريدة الاهرام قصب السبق الصحفى ، كما اتهم بعد وفاة الزعيم المصرى باحتكار الارشيف الناصرى "ملفات منشية البكرى" ولو انه رد على ذلك بان المعلومات التى توصل اليها كانت فى متناول الجميع فيما لو سعوا الى الحصول عليها ولو ان هذا الرد يبدو غير مقنع على اى حال . حقيقة ان هيكل كان قد برز قبل ثورة يوليو ١٩٥٢ نتيجة لتحقيقاته الصحفية المتعلقة بحرب فلسطين بوجه خاص ونتيجة لتغطيته للثورة الايرانية التى تزعمها الدكتور محمد مصدق واية الله كاشانى بحيث اصبح كتابه "ايران فوق بركان" من المصادر الهامة للأحداث التى تعرضت لها ايران فى اواسط القرن العشرين وكذلك الحال فيما يتعلق بكتابه "مدافع ايات الله" الذى تصدى لرصد اسباب الثورة الايرانية



جمال عبد الناصر





محمد حسنين هيكل



الدكتور محمد مصدق
ـ الزعيم الايرانى

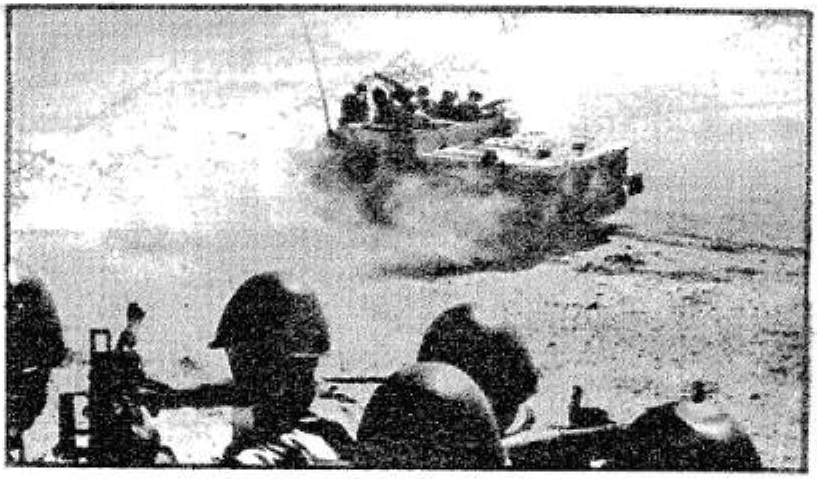
المعاصرة التى تزعمها اية اللة الخمينى . كما الف هيكل سلسلة من المؤلفات الموثقة عن حرب السويس وحرب الايام الستة وحرب اكتوبر ـ رمضان وغير ذلك مما يساعدنا على الالمام بمنهجه فى التاليف . وبامكاننا ان نتبين اسلوبين فى رواية الاحداث التى كان شاهدا لها او قريبا منها . ففى بعضها ـ "كالطريق الى رمضان" ـ نجده يحلل ويربط الاحداث بعضها ببعض ، وفى بعضها الاخر ـ "كملفات السويس" و"سنوات الغليان" و"الانفجار" نجد "الانا" عنده قد تضخمت كما نجده يسرف فى نشر الوثائق التى حصل عليها فى سياق ما يكتبه وفى ملاحق ما يؤلفه اما من قبيل تسهيل الامر على من لم يطلعوا على الوثائق التى حصل عليها او من قبيل استعراض العضلات . وهكذا نجده لا يتمكن من السيطرة على المادة التى اتيحت له مما يجعله ينزلق الى السرد

والاستطراد فى المتن بالشكل الذى يضعف سياق العرض وهو بهذا يختلف عنه فى مؤلفاته الاخرى التى تتميز بالحبكة والتماسك - اذ فى مؤلفاته الاخيرة يغلب عليه الطابع الصحفى الذى تميزت به مقالاته المشهورة فى الاهرام تحت عنوان "بصراحة" وهو الطابع الذى لم يستطع التخلص منه نهائيا بعد ان تحول الى التأليف ونأى بنفسه عن السياسة ومجال العمل الصحفى المنتظم .

● هيكل والمؤرخون

وهيكل فى مؤلفاته الاخيرة ينفى عن نفسه كونه مؤرخا ، بل ويقطع بعدم وجود مؤرخين فى مصر دون ان يبين لنا ما يقصده بكلمة مؤرخ علما بان الجامعات المصرية تلقن طلاب اقسام التاريخ دروسا حول المناهج التاريخية ومدارس تفسير التاريخ وطرق تدوينه - ولا تعدم الساحة بعض المؤرخين المحترفين الذين يلتزمون بالتناول الاكاديمى كما عرفوه فى الجامعة ولو ان الساحة مليئة بكتاب التاريخ الذين يجعلون منه بضاعة ومجالا للشهرة وبخاصة كتاب المذكرات الذين تناولوا الاحداث التى شاركوا فيها او كانوا قريبين منها من زاوية انتماءاتهم ومصالحهم بحيث اختلطت المعلومات وعمت البلبلة . وهنا نلمس الفرق بين المؤرخ كما نفهمه وبين غير المؤرخ . فنحن المؤرخين قد نتخوف من الايغال فى الاحداث المعاصرة خشية ان لا نلم بابعادها - وكثير من المعلومات لا تتضح قبل مضى بعض الوقت وقد لا تتضح اتضاحا كاملا على الاطلاق . وفى عالمنا العربى قد لا تتوافر الاوراق الرسمية والخاصة التى لا غنى عنها والتى قد يستطيع غيرنا الحصول عليها بوسيلة او اخرى بعكس ما يحدث فى البلدان المتطورة التى تهتم بالوثائق وتبويبها وتفهرسها وتوفر الوسائل اللازمة لتصوير ما يحتاجه الباحث منها . وهكذا يختلف المؤرخ عن الصحفى فى طبيعة عمله اختلافا جوهريا .

وبعد هذه الملحوظات المبدئية انتقل الى مقارنة بعض ما كتبه هيكل الصحفى فى جريدة "الاهرام" حول التطورات التى ادت الى نشوب الحرب العربية - الاسرائيلية الثالثة بما كتبه هيكل كاتب التاريخ فى كتابه "الانفجار" الذى نشر تباعا فى جريدة الاهرام قبل ان يخرج من المطبعة .. ففى ٢ يونية ١٩٦٧ ذهب فى الاهرام الى ان "لامفر من صدام بين الجمهورية العربية المتحدة وبين العدو الاسرائيلى" والى انه "مهما يكن ودون محاولة لاستباق الحوادث فإن اسرائيل مقبلة على عملية انكسار تكاد تكون محققة سواء من الداخل او من



الخارج" وهو فى رأيه هذا كان من الداعين الى التلويح باستخدام القوة ظنا منه ان هذا من شأنه ان يؤدى الى انهيار اسرائيل من الداخل خاصة وان الصراعات الحزبية كانت تحتدم فى داخلها بحيث ان الناظر الى السطح كان يخيل اليه انها فريسة سهلة ، وهذا هو الخطأ الذى ارتكبه عبدالناصر وجاراه فيه مستشاره هيكل

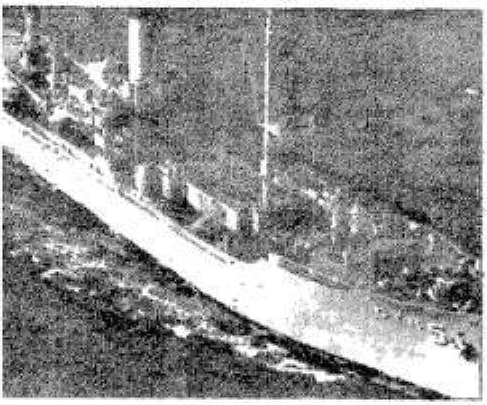
ولو ان ما حدث كان على عكس ما توقعاه : اذ ادت الحشود المصرية فى سيناء الى التحام الاسرائيليين وتشكيلهم وزارة حرب ضمت اقطابا من شتى الاجنحة السياسية . اما فى "الانفجار" فإن هيكل يذهب الى ان امريكا هى التى حرضت اسرائيل على العدوان الذى كان يستهدف الاردن قبل مصر وان الرئيس الامريكى جونسون كان يرى ان التخلص من جمال عبدالناصر يفيد كلا من الولايات المتحدة واسرائيل فى صفقة تربح فيها اسرائيل اكثر مما تربح امريكا فتحصل على الضفة الغربية والقدس فى حين تتخلص شريكتها من الرجل الذى فتح ابواب العالم العربى امام الاتحاد السوفييتى وادخل الشرق الاوسط فى اتون الحرب الباردة . وهكذا فإن عبدالناصر حين حشد القوات المصرية فى سيناء ثم اغلق مضايق تيران امام الملاحة الاسرائيلية قد اعطى لاسرائيل ومن ورائها امريكا المبرر للاجهاز عليه وهو يعتقد ويعتقد معه هيكل انه بذلك يدفع باسرائيل الى طريق الانهيار !

● دور السفينة ليبرتي

وبعد ان يستعرض هيكل رؤيته الخاصة بالصفقة الامريكية - الاسرائيلية ينتقل فى "الانفجار" الى مهمة السفينة الامريكية ليبرتى التى توجهت الى شرقى البحر المتوسط بدون علم اسرائيل او اتفاق معها مفسرا وجودها بان "جونسون" كان يسعى الى تحقيق اكبر قدر من الضمان لاتفاقه مع اسرائيل ولا يرغب فى ان يعطى شريكته فرصة لتجاوز هذا الاتفاق . وكان هيكل قد ذكر فى الاهرام بتاريخ ١٩٦٧/٧/١٤ ، اى فى اعقاب الحرب . ان الولايات المتحدة قد اشتركت فى العدوان على مصر على الاقل بالطيارين الذين سبقتهم طائراتهم الى القواعد الاسرائيلية بعد ان رفع من فوقها رسم علم النجوم الامريكية ووضع مكانه رسم نجمة داود الاسرائيلية ، واضاف الى ذلك ان حاملات الطائرات وفرت حماية للاجواء الاسرائيلية بمعنى اشتراك امريكا فى الحرب بصورة غير مباشرة وهو ما اصرت امريكا على نفيه والاحتجاج عليه ومطالبة المسئولين المصريين بنفى ما سبق ان صرحوا به بهذا الصدد فى سياق الجهود الاعلامية المتعلقة بتبرير الهزيمة التى اصرت اسرائيل على انها اوقعتها بالعرب وحدها دون مساعدة خارجية . ولقد اطلق هيكل على السفينة ليبرتى اسم "سفينة التجسس" . وهو ما رددته الدوائر العربية الرسمية والاعلامية ويذكر انها غطت كل اشارات العمليات المصرية الى القيادة الاسرائيلية وصور الاقمار الصناعية التى كشفت لاسرائيل المواقع العربية كلها ، ولاشك ان هذه السفينة كانت ترصد التحركات على الجبهة وتلتقط الاشارات والمكالمات والاوامر ولم تكن فى خدمة اسرائيل بصورة مطلقة والا لما هوجمت من قبل القوات الاسرائيلية التى ركزت على قصف اجهزة التسجيل والتصنت فى السفينة مما ادى الى مقتل بعض الامريكان الذين وعدت اسرائيل بان تقدم التعويضات الى ذويهم . وخلاصة ما كتب بعد الحرب عن مهمة هذه السفينة تشير الى انها كانت ترصد المعلومات بقصد اطلاع الدوائر الامريكية على مدي التزام اسرائيل بمراعاة ما طلب منها ان تقوم به دون ان تتجاوز ذلك الى حيث تلحق الضرر بالسياسة الامريكية فى الشرق الاوسط ، ولكن اسرائيل لم تلتزم بما طلب منها وانتهزت الفرصة لاحتلال مزيد من الاراضى العربية التى نص قرار الامم المتحدة رقم ٢٤٢ على ضرورة انسحابها منها وهو مالم يتحقق حتى الان .

ويذهب هيكل فى "الانفجار" الى

ان الضفة الغربية بما فيها القدس كانت الهدف الاسرائيلي الاصيل والى لن هذا من الاسباب التي دعت الملك حسين الى القدوم الى القاهرة لتنسيق العمل . والحق ان مواقف الملك حسين منذ توليه الحكم حتى الوقت الحاضر تشوبها علامات استفهام متعددة ـ فمن المعروف انه كان لفترة طويلة من ركائز السياسات الغربية فى الشرق الاوسط وان بريطانيا والولايات المتحدة قد وفرتا الحماية لعرشه فى مواجهة المخاطر التى كانت تتهدده وبالتالى فان مما لاشك فيه انه كان على استعداد لتنسيق المواقف مع الغرب سواء فى خطط الاحلاف التى سعت بريطانيا الى تنفيذها فى اعقاب الحرب العالمية الثانية او فى محاولة احتواء المد القومى العربى المعادى للغرب وبخاصة بعد ظهور جمال عبدالناصر على الساحة العربية وتزعمه للاتجاهات القومية الوحدوية . وهكذا نجد الملك حسين ينضم الى اتحاد الملوك المناوىء للجمهوريات الناشئة فى مصر وفى اليمن وسوريا والعراق ، ولما كانت المملكة الاردنية الهاشمية تضم اعدادا كبيرة من الفلسطينيين المتطلعين الى الانضمام الى موكب الوحدة العربية الذى كان يبشر بتحرير فلسطين فانه اصطنع المرونة فى سياساته العربية مع الاعتماد على الغرب حين تحتدم الامور



سفينة التجسس ليبرتي

. وقد لعب الملك حسين دورا هاما فى التمهيد لاحداث يونية ١٩٦٧ وذلك حين وجهت اذاعته سيلا من النقد لعبدالناصر الذى وقف موقفا سلبيا من الغارات التى كانت تقوم بها القوات الاسرائيلية فى داخل الاراضى الاردنية وذلك ردا على هجمات الفدائيين الفلسطينيين على الاراضى الاسرائيلية عبر الحدود الاردنية ـ بل ان اذاعة عمان اتهمت عبدالناصر صراحة بالاحتماء وراء قوات الطوارىء الدولية التى وضعت على الحدود المصرية وفى قطاع غزة فى اعقاب العدوان الثلاثى على مصر فى عام ١٩٥٦ ، وبعد ان جرى استفزاز عبدالناصر بهذا الشكل سعى الى استرجاع زعامته بحشد القوات المصرية فى شبه جزيرة سيناء واغلاق خليج العقبة فى وجه الملاحة

الاسرائيلية ، وحين لاح شبح الحرب في الافق بادر الملك حسين الى التوجه الى القاهرة على متن طائرة كان يقودها بنفسه . ويعزو هيكل هذا التحرك

جانب الملك الاردني الى رغبته في تنسيق العمل مع عبدالناصر لانقاذ الضفة الغربية من الخطر الاسرائيلي ، بالاضافة الى ان الملك حسين لم يجد خيارا امامه سوى القتال حرصا منه على تلافي غضبة شعبه والفلسطينيين سكان الضفة الغربية وعلى اى حال فان قدوم الملك حسين الى القاهرة في هذه الفترة العصيبة يضيف لغزا آخر الى الغاز كثيرة تحيط بتحركاته التى كان اخرها موقفه الراهن مع الازمة الكويتية - العراقية .

★ ★ ★

وخلاصة القول ان هيكل قد بدأ



الملك حسين

صحفيا لامعا ثم اصبح داعية لتوجهات الرئيس جمال عبدالناصر الذى اشترك احيانا في صياغتها ثم بعد ان اطرح الكتابة الصحفية المنتظمة على اثر خلافه مع الرئيس انور السادات اصبح مؤلفا اهتم بالكتابة عن فترتى حكم عبدالناصر والسادات مستفيدا من صلاته الشخصية ومن الاوراق الرسمية التى حرص على الاحتفاظ باصولها او بصورها وبخاصة حين كان وزيرا للارشاد في عهد عبدالناصر واوائل عهد السادات ومن المعروف ان لديه ارشيفا خاصا وانه يستعمل التكنولوجيا الحديثة وبخاصة الحاسب الالى في تنظيم معلوماته وجعلها صالحة للاستعمال بقليل من الجهد مما جعله ينشر كثيرا من الوثائق التى لم يسبق لاحد الاطلاع عليها . وفيما كتبه مؤخرا - وبخاصة "سنوات الغليان" و"الانفجار" نجد انه يغلب عليه الاسلوب الصحفي الذى اعتاد عليه فترة طويلة وان الوثائق تسيطر عليه بدلا من ان يسيطر عليها . ورغم كل هذا فانه اضاف معلومات لها وزنها الى تاريخ العرب المعاصر بوجه عام والى تاريخ مصر المعاصر بوجه خاص .

لغويات

● لكل كلمة عربية أصل عند العرب القدماء أصحاب اللغة ، فما هو أصل كلمة « الحب » التى يترنم بها الشعراء ولاتخلو منها الأغانى فى كل مكان وزمان ؟! ..

قيل إن أصل «الحب» قولهم :أحب البعير ، أى برك فلم يتحول عن موضعه ! .. وقيل : أصل الحب من الحبة الصغيرة توضع فى الثرى فتنسرح منها الشجرة العظيمة ! .. وحبة القلب أعمق نقطة فيه ، أى سويداؤه .. وكانت العرب تطلق « الحب » على غليان القلب وثورانه .. وهناك أقوال أخرى ! ..

● أما الكلمات التى يقال إنها مرادفة لكلمة « الحب » فليست هى الحب بحدوده ومواصفاته بل هى اتساع فى معناه واستعارات لأحواله ، مثل كلمة « الصبابة » أى انصباب القلب إلى المحبوب كانصباب الماء فى المنحدر ، أو كانصبابه من المتبوع فى الحملم والمطبخ ! .. ومثل كلمة « الشغف » ومعناها وصول الحب إلى شغاف القلب ! ..

● ويكثر استعمال كلمة « العشق » مرادفة للحب ، وإنما العشق هو الاسراف فى الحب إلى حد قد يضر صاحبه .. والناس يسمون رابعة العدوية « شهيدة العشق الإلهى » ويرى العارفون عدم جواز إطلاق « العشق » على حب الانسان لله ، وعلى حب الله للانسان .. ولكن بعض الصوفية يجعلون العشق من أعلى مراتب طريقتهم ، تعلوها مرتبة « التتيم » أى التعبد للمحبوب وتمليكه الأمر كله لاتبات العزة له مع العبودية للمحب ! ..

● ويفخر المحبون بأن « الحب » طبع فيهم وليس تطبعا مفتعلا ، ويذكرون قول المتنبى :

يراد من القلب نسيانكم
ويأبى الطباع على الناقل

وبعضهم يظن كلمة « الطباع » جمعا لامفردا فيضع تاء بدل الياء فى قوله « يأبى » فيقول : « وتأبى الطباع » .. وهذا خطأ لأن الطباع مفرد معناه الطبع ، والجمع طبائع ! ..

● وبعد ، فإن الكلام عن « الحب » قد استأثر بعصاه السحرية من أول المقال إلى آخره ، وإن فيه لبقية ! ..

حول اراء الدكتور طه حسين فى الشعر الجاهلى ومستقبل الثقافة

بقلم: أنور الجندى

عندما يدافع الدكتور محمد الدسوقى عن طه حسين يثير علامة استفهام كبيرة تحمل ابتسامة سخرية عريضة.

فما هى ارضية الدكتور محمد الدسوقى الذى التقى بطه حسين فى العامين الاخيرين من حياته التى امتدت ثمانين عاما وقد التقى به وهو فى حالة المرض الذى كان قد ألم به خلال سنواته العشر الاخيرة والتى وصفته الدكتورة سهير القلماوى فى كتابات لها بأنه كان مؤثرا شديد التأثير على ذاكرة العميد الى الحد الذى كان ينسى معه اشياء كثيرة.

فهل يمكن ان يقال ان الدكتور محمد الدسوقى قد استطاع فى خلال هذين العامين ان يستعرض مع طه حسين أعماله خلال اكثر من خمسين عاما او ان يكتشف خلفيات هذه الاعمال وهو الذى كان عمله قاصرا على ان يقرأ له الصحف او بعض الرسائل خلال بضع ساعات كل يوم، فى هذا السن المتقدم والمرض العضال بعد ان تركه فريد شحاته، ومن هنا كان كل ما يكتبه الدكتور محمد الدسوقى عن مراجعاته مع طه حسين بشأن كتابيه الشعر الجاهلى ومستقبل الثقافة يفتقد كثيرا من الاصالة مع رجل ظل حتى آخر ايام حياته يفخر بأنه لم يرجع عن رأى رآه او مقولة ذهب اليها وهو ادعاء باطل، فان أخطر مقولات طه حسين التى كان يفاخر بها وهى مصر الفرعونية اضطر ان يبتلعها ويجارى الجو بعد حركة الجيش عندما رأى الجماعة يتحدثون عن القومية العربية.



د . طه حسين



د . سهير القلماوى



سعد زغلول

وقد فعل ذلك دون ان يعتذر عن ماضيه الطويل فى دعوته باصرار مصر على فرعونيتها وفى مقولته ان العرب كانوا من قوى الاحتلال كالفرنسيين والانجليز ومن أجله حرقت كتبه فى دمشق . فلقد كان طه حسين دائما صوت سيده لا يبالى ان ينقلب من راى الى راى ومن وجهة الى وجهة اخرى ، واية ذلك انه بعد ان حارب الوفد وسعد زغلول سنوات طوالا عاد فانضم الى الوفد واخذ يحارب اصدقاء الأمس من الأحرار الدستوريين .

اما مقولة الدكتور محمد الدسوقى بان كتاب "الشعر الجاهلى" لم يكن يحمل إلا فكرة "انتحال الشعر" فهو قول ظالم ، اذ لو كانت مقولة انتحال الشعر وحدها هى هدف هذا الكتاب ما قامت عليه قيامة الأزهر والعلماء .

ولكن الشعر الجاهلى كان يحمل فكرة خبيثة فى اطوائه تنكر نصوصا ثابتة فى القرآن الكريم وتصف الرسول صلى الله عليه وسلم بما لا يليق به وتضع لليهود مكانة لم يبلغوها ابدا وليس فى التاريخ الصحيح ما يثبتها وتنكر هجرة ابراهيم الى الجزيرة العربية

ولقد اضطر طه حسين الى استبدال كتاب الشعر الجاهلى بكتاب جديد فى الادب الجاهلى ليتخلص من بعض خطاياه وان بقى مصرا على انتحال الشعر وهى قضية تحاول ان تصيب القرآن وتفسيره ، وضعها عتاة المستشرقين ليهدموا قاعدة هامة من قواعد فهم القرآن وهى العودة الى الشعر بوصفه ديوان العرب .

واذا كان الدسوقى يرى ان طه حسين لم يغير رأيه بالنسبة للشعر الجاهلى وهو قليل الدراية بتراث طه حسين فان رجلا رافق هذه الرحلة طويلا هو الأستاذ محمود محمد شاكر يكذب مقولة الدسوقى ويؤكد ان طه حسين حاول التراجع عن هذا الرأى ـ

دائرة الحوار

على طريقة أساتذة ذلك العهد ـ دون الاعتراف بالخطأ أو الرجوع عنه ولكن بكتابة شيء اخر مخالف عندما كتب عن اعلام الشعر الجاهلى ، وعلى كل حال فان أصرار طه حسين أو الدكتور الدسوقى على ان طه حسين لم يغير رأيه بالرغم من سماعه وجهة نظر أصح ليس أمرا مشرفا للعالم أو الباحث وليس من طباع المسلم الصحيح الذى يدعوه دينه أن يعود الى الحق متى تبين له .

ولقد كان طه حسين يقول لكل من يراجعه فى أمر كتب عنه أو قضية اثارها ، أنه سوف يصحح هذا الرأى .

وكان يقول (اكتم عنى) ولكنه لم يكن يغير شيئا بل هى محاولة للخروج من المأزق وقد فعل ذلك مع الدكتور الحوفى ومع السفير أحمد رمزى سفير مصر فى سوريا عندما حدثه عن احدى مقولاته الخاطئة .

أما كتاب (مستقبل الثقافة) فانه كان فى حقيقة أمره "تقريرا سياسيا" مرفوعا الى رئيس الحكومة يحاول ان يحمى الارساليات الاجنبية فى مصر بعد سقوط الامتيازات وعقد معاهدة ١٩٣٦ حيث كان الاجانب يخشون السيطرة على مدارسهم ومعاهدهم وقد اختير طه حسين ليقدم هذا المنهج ليكون منطلقا لسياسة التعليم فى مصر ، غير أن الدكتور طه عندما أعد تقريره هذا استقالت وزارة النحاس باشا واضطر الى ان يصدره على هيئة كتاب لارضاء الذين كلفوه به فهو فى حقيقته لم يكن عملا مستقلا ولم تكن دعوته الى التعليم كالماء والهواء الا شعارا ارادت به الوزارة التى تولاها ان تكسب به الشعب وقد ثبت فساد التجربة بعد تطبيقها وكتب فى ذلك اقرب الناس الى الدكتور طه وهو تلميذه الدكتور نجيب البهبيتى وتشهد صحف ذلك العهد بذلك .

وعندما يقول الدكتور الدسوقى ان طه حسين اجتهد بالرأى وكل انسان يخطىء ويصيب يعترف بخطأ طه حسين ولكنه ينكر الخلفية الخطيرة التى كانت وراء الحملة على الدين والقرآن والرسول والتاريخ والتى ادخلت بمكر شديد فى قضية انتحال الشعر ليقدم مقولة تنكر على ابراهيم واسماعيل رحلتهما الى مكة وبناءهما الكعبة ومعروف تلك الجهات التى انتفعت بذلك وهى التى حمت طه حسين من المحاكمة .

وما كان من الصحيح على الاطلاق ، ان مصر غربية الفكر تستمد قيمتها من اللاتينية ـ نظرية البحر

المتوسط - ولها جزء من الغرب وعقل الغرب . بينما عرفت مصر الاسلام منذ اربعة عشر قرنا فكونها تكوينا جديدا وصهرها فى بوتقة التوحيد الخالص واقام لها منهجا اجتماعيا وثقافيا وسياسيا مختلفا تمام الاختلاف عن الغرب وفكره الاغريقي والوثني وعلقت وجهتها . الى الكعبة المشرفة ولا تزال و وستظل ولاريب ان محاولة فصلها عن المشرق الاسلامى وعن الاسلام لحساب دعوى الدول اللاتينية التى كانت منارة فى ذلك الوقت باطلة . فقد كانت لحساب فرنسا وايطاليا واسبانيا وفى محاولة لضم شاطىء البحر الأبيض الجنوبى المسلم (المغرب والجزائر وتونس ومصر) الى هذا الحلف الذى لم يثبت امام الأحداث الا قليلا والذى كان هدفه ادخال مصر والمغرب فيما يسمى اوروبا الجنوبية على النحو الذى فرضته فرنسا على الجزائر يوما ما ، ولذلك بان الكشف عن خلفيات الدكتور طه حسين هى فى الحقيقة الهدف الحقيقى لفهم كتاباته ووجهته ، الى سرعان ما يغيرها ويستند لها بغيرها عندما يجدها تنهار .. وقد انهارت مختلف دعواته ومقولاته ولم تستطع واحدة منها ان تثبت على الأيام لانها كانت فى مجموعها معارضة لسنن المجتمعات والحضارات ، مخالفة للفطرة والأصالة ومنهج العلم والتاريخ "والله يقول الحق وهو يهدى السبيل" .

اقرأ فى الهلال
العدد القادم

●● هجاء الزمن الميت
بقلم : د . شكرى محمد عياد

●● شخصية واعماق
بقلم : فاروق خورشيد

●● اسبانيا وفرنسا والعالم العربى
بقلم : د . أحمد مكى

●● المسلمون السوفييت والبريسترويكا
بقلم : عبد الرحمن شاكر

●● لويس عوض .. عاصفة من التحدى
بقلم : محمد ابراهيم ابو سنة

●● سلوى بكر وادب الاحباط
بقلم : د . جلال أمين

● رسالة روما :
فريد كامل يكتب عن رواية اوريانا فالاتشى "انشالله" عن دقائق الحرب الأهلية اللبنانية .



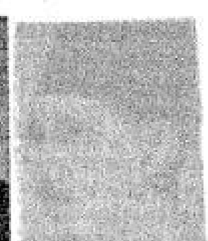
• من مذكرات الدكتور ابراهيم بيومى مدكور

مجمع اللغة العربية

من اهم هيئاتنا الثقافية والعلمية ، وهو جدير بان يوقف عليه فصل خاص ، وقد فكر فيه منذ منتصف القرن الماضى ، وحاول الاستاذ الامام فى أخريات ذلك القرن أن يكون نواة أهلية لمجمع لغوى ، لا سيما وقد كان مؤمنا الايمان كله بانه وسيلة هامة من وسائل النهوض باللغة العربية . ولم يقدر لهذه النواة ان تعمر طويلا . ثم حاول لطفى السيد فى العقد الثانى من القرن العشرين ان يعيد فكرة هذه الهيئة الأهلية مرة أخرى ، وحرص على أن يكونها من العرب والمصريين ، عقدت عدة اجتماعات فى دار الكتب التى كان مديرا لها . ثم اعترضت الحرب العالمية الاولى سير العمل . واريد بعد انتهاء هذه الحرب احياء الفكرة ، ولكنها بدورها لم تعمر طويلا ، وكان لابد ان ننتظر الى اول الثلاثينات من هذا القرن لكى يصدر المرسوم الملكى بإنشاء هذا المجمع .

• • •

ولاشك فى اننا متأثرون فى كل هذا بفكرة "الاكاديمية الفرنسية" ولكننا اختلفنا عنها فيما يتعلق بتكوين هذه الهيئة . فقد اردنا بها ان تقوم على ايدى علماء اللغة سواء أكانوا مصريين أم غير مصريين . فقام تكوينها على أساس



على باشا ابراهيم



عبد القادر المغربى

موضوعى دون أن تطغى الاعتبارات السياسية والاقليمية على هذا الأساس ، ويختلف مجمع القاهرة بهذا عن كل المجامع اللغوية التى انشئت قبله او بعده . وجاء الرعيل الأول من هذا المجمع مكونا من عشرين عضوا ، نصفهم من المصريين ، والنصف الآخير من غير المصريين ، وقسم النصف الآخر قسمة عادلة بين العرب والمستعربين ، فكان فيه شيخ عراقى هو الاب "انستاس الكرملى" وشيخان سوريان هما "عبدالقادر المغربى" ، و"محمد كرد على" وشيخ لبنانى هو "عيسى اسكندر المعلوف" وخامس تونسي هو "حسن حسنى عبدالوهاب" وكانوا جميعا فى مقدمة اعلام الادب واللغة فى ذلك التاريخ . اما المستعربون فكان منهم اثنان من المانيا وهما "ليتمان" و"فيشر" وثالث فرنسى وهو "لويس ماسينيون" ورابع انجليزى هو "جيب" وخامس ايطالى هو "نللينو" وكم كنا موفقين فى هذا الاختيار لأن هؤلاء الخمسة كانوا أئمة الاستشراق فى النصف الاول من هذا القرن . وقد تعاونوا مع زملائهم العرب والمصريين فى رسم خطة العمل ، ووضع لائحته الداخلية التى قامت أساسا على تكوين لجان متخصصة كلجنة الأصول ، ولجنة الأدب ، وتكونت على غرارها لجان أخرى ، وسار عمل هذا المجمع الناشىء فى هدوء طوال خمس سنوات ابتداء من عام ١٩٣٤ الى عام ١٩٣٩ ثم جاءت الحرب العالمية الثانية فحرمت المصريين من زملائهم العرب والمستعربين الأمر الذى دعا عام ١٩٤٠ الى تغذية المجمع برعيل ثان قام على عشرة أعضاء مصريين دفعوا العمل المجمعى دفعة قوية ، فتوسعوا فى تكوين



نجيب محفوظ



احمد امين

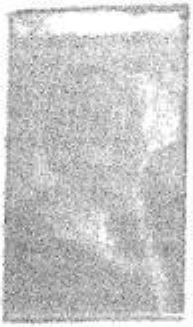
لجانه . وهنا بدأ على باشا ابراهيم ـ عضو المجمع ـ فى تكوين لجنة للمصطلح الطبى ، وحرص على أن يكون فيها تعاون وتبادل رأى بين المختصين من اطباء العرب جميعا ، واتجه المجمع على أيدى هذا الرعيل الثانى الى وضع حجر الأساس لمشروعين كان لهما شأنهما فى العمل المجمعى والنهوض اللغوى ، وهما "معجم ألفاظ القرآن الكريم" ، و"المعجم الوسيط" وسار العمل فى هذين المعجمين الى جانب أعمال أخرى لغوية وعلمية .

ومما يؤسف له أن باب النشر لم يكن مفتوحا أمام المجمع فى يسر ، فوقفت مجلته عند أعدادها الخمسة الأولى طوال الحرب العالمية الثانية ولعدة سنوات بعدها وتوقفت تبعا لها محاضر جلساته ، ولا يزال المجمع يعانى من مشكلة الطبع والنشر هذه حتى اليوم ، ذلك لانه لم يقدر له أن تكون له مطبعته الخاصة ، الأمر الذى فكر فيه "طه حسين" ولكنه لم يوضع مع الأسف موضع التنفيذ ، وفى ربع القرن الاخير نشطت حركة النشر المجمعى ، فتوالى اخراج مجلته بحيث وصلنا فيها الى ما يزيد على العدد الرابع والخمسين ، وكان ينبغى أن يصعد العدد الى اكثر من ذلك بعد أن اتفق على أن



من مذكرات
الدكتور ابراهيم
بيومي مدكور





لوى ماسينيون جاك بيرك

يصدر منها عددان كل علم ، والطاقة الطباعية في مصر في حاجة الى مدد وعون كبيرين .

● مكتبة متعددة الألوان

وانتهى الامر بالمجمع الى ان استعان بثلاث هيئات للنشر هي "المطبعة الاميرية" ، و"دار المعارف" و"الهيئة المصرية العامة للكتاب" واصبحت مطبوعاته تكون مكتبة متعددة الالوان ، فيها ادب ولغة ، وفيها احياء لتراث قديم ، وفيها اخراج لمعجمات لغوية وعلمية ، ويكفي أن نشير في باب احياء التراث إلى أن المجمع حرص على أن يضطلع بعبء المعجمات اللغوية ، فاخرج منها كتاب "الجيم" للشيباني وكتابي "الادب" للفارابي وكتاب "التكملة والذيل والصلة" للصاغاني ، وكلها كتب لغوية مطلوبة في الخارج بدرجة اقوى واشد من طلبها في الداخل ، ومن المعجمات اللغوية اخرج المجمع معجمه الوسيط لاول مرة علم واحد وستين ، واعيد طبعه حتى الآن للمرة الثالثة ، وكل ذلك الى جانب طبعات غير شرعية تظهر في لبنان علما بعد علم . واخرج جزئين من معجمه الكبير ، كما اخرج معجما وجيزا لمرحلة التعليم العام . وتعددت معجماته العلمية في الفلسفة والجغرافيا والفيزيقا النووية والفيزيقا العامة والكيمياء والصيدلة .

وأمر آخر يعنيني أن انوه به ، وهو ان المجمع في لجانه ومجلسه عول دائما على كبار المختصين من الخبراء الذين كان لهم شأن كبير في نشاطه وانتاجه ، فهم الذين يربطونه بالحياة العلمية والثقافية الحاضرة ، وهم الذين يغذونه باللغة العلمية والفنية ، وهنا احب ان اشير الى ان المجمع في معالجته للغة العلم لم يقف عند المصطلحات التقليدية قديمة كانت او حديثة بل عرض لبعض مظاهر النشاط الفني في المسرح والسينما ، بل وللنشاط الرياضي ايضا . فعالج مصطلحات الموسيقى ومصطلحات كرة القدم . وبرهن على انه يعيش في عصره ويواجه متطلباته . واذا كان بعض الالفاظ الاجنبية قد وجد سبيلا الى لغة الحديث ، فإن في احياء اللفظ العربي وتيسيره على العلميين والفنيين ما يكون لغة جديدة عربية سهلة ، ولم يقفل المجمع الباب على شيء من التعريب ، ولكنه رسم لذلك حدودا وقيودا معينة .

وللمجمع نشاط آخر حاوله من قديم ،


عيسى اسكندر معلوف


لطفي السيد

لكي يحبب الشباب والناشئة فى العربية كتابة وانشاء وحديثا ، فبدأ منذ اربعين عاما فى وضع جائزة متواضعة لشباب الناشئين ترجمة أو تأليفا ، وعرض موضوعات للبحث ولم يقف بها عند المصريين بل فتح الباب للعرب جميعا ، واذا كانت ميزانيته لم تسمح بمبالغ كبيرة ، فإنها قد وصلت حتى الآن الى ثلاثة الاف جنيه للجائزة الادبية ، ولاشك أن من احرزوا هذه الجائزة يوم أن كانت متواضعة ، كانوا سعداء بها كل السعادة وهنا احب أن انوه بقصاصنا الأول "نجيب محفوظ" الذى كنت سعيدا بأن اقترح اجازته منذ اربعين سنة تقريبا ، وعلى غرار الجوائز الادبية قررت جائزة أخرى لاحياء التراث ، وهى بدورها متواضعة ومقصورة على شباب الباحثين والدارسين ، ومن يدرى فقد يجيء يوم يستطيع المجمع فيه ان يمنح جائزة على غرار بعض الجوائز العالمية .

ومنذ ربع قرن والمجمع يؤدى رسالته فى احياء التراث ونشره ، وقد اختار من نصوص التراث ماهو اشبه برسالته ، فعنى بخاصة بتحقيق النصوص اللغوية التى لم تنشر من قبل ، فصدرت عنه محققة طائفة من كتب اللغة الهامة منها : "ديوان الادب" للفارابى "الجيم" لأبى عمرو الشيبانى والتكملة للصاغانى .. والافعال للسرقسطى وغيرها كثير ..

اما صلة المجمع بالهيئات الادبية واللغوية والعلمية فى العالم العربى وخارجه فوثيقة ، وتتأكد عاما بعد عام . ويكفى أن أشير الى أن فيه عشرين كرسيا لعشرين عضوا من غير المصريين ، ويشترك هؤلاء فى مؤتمره السنوى كل عام . وقد وفق أخيرا الى أن يكون اتحادا للمجامع اللغوية والعلمية العربية مقره فى القاهرة ، وهذا الاتحاد همزة وصل بين الأدباء واللغويين فى العالم العربى جميعه . وللمجمع مع هذا صلات بهيئات علميّة فى اوروبا وأمريكا وآسيا فضلا عن صلاته بأفريقيا واستراليا . . ويسعده أن يهدى مطبوعاته الى الهيئات العلمية التى يرجى أن تفيد منها ، ويتبادل مطبوعاته مع كثير من هذه الهيئات .

ولايفوتنى أن أشير الى أن سر نجاح العمل المجمعى وتواصل انتاجه عاما بعد عام يرجع بخاصة الى لجانه التى نمت على مر الزمن ، وأصبحت نحو عشرين لجنة أو يزيد وهى موزعة على أبواب الثقافة المختلفة الى جانب عنايتها بأصول اللغة ومعجماتها ففيها لجان للدراسات الانسانية كالتاريخ والجغرافيا والاقتصاد والقانون ولجان أخرى للعلوم الطبيعية كالفيزيقا والكيمياء والصيدلة والجيولوجيا والاحياء وقد أشرت من قبل الى لجنة الطب التى كانت من اقدم اللجان العلمية تكوينا والى جانبها لجان فى الرياضيات من حساب وهندسة وفلك .



من مذكرات
الدكتور ابراهيم
بيومي مدكور



د. بيومي مدكور في أحد اجتماعات مجمع اللغة العربية

هذا إلى أن مظاهر الحياة الحضارية من أثاث وفراش وزى وملبس ومسرح وسينما قامت على أمرها لجنة ألفاظ الحضارة ، وفى عطاء هذه اللجان ما يغذى المجمع بانتظام فى جلساته الأسبوعية التى تعقد طوال ثمانية أشهر من العام ، أما اللجان اللغوية فهى تعمل فى صمت ودقة وطول نفس ، ومنها لجان وقفت نفسها على المعجمات من وجيز ووسيط وكبير ، وأخرى عنيت بأصول اللغة وقواعدها ، وتيسير كتابتها ، ولهجاتها ، وما يستجد فيها من ألفاظ وأساليب .

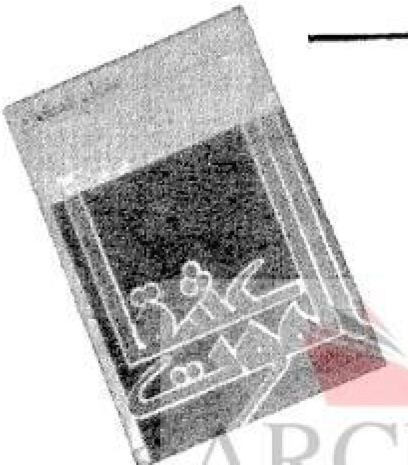
• • •

قُدِّر لى أن أحظى بعضوية المجمع مع الرعيل الثالث عام ١٩٤٦ ، وكان مكوّنا من عشرة أعضاء سماهم أحمد أمين فى استقبالهم "العشرة الطيبة" وقد خوطبت فى أمر هذه العضوية قبل صدور قرارها ، ولاحظت أنها مبكرة بعض الشىء بالنسبة لى ، ولكن أبى كرام الخالدين الا أن يضمونى الى صفوفهم فى وقت كانت الحياة النيابية فى مجلس الشيوخ تشغلنى كثيرا ، واستطعت بعد عام ١٩٥٢ أن أؤدى الضريبة التى قصرت بعض الشىء فى أدائها طوال ست سنوات ، وكم أسعدنى أن أشترك فى بعض اللجان المختصة كلجنة الفلسفة ، ولجنة المعجم الكبير ، الذى أسهمت مع طه حسين فى رسم منهجه ووضع الخطوط الأولى لبدء العمل فيه ، وافتقدت كثيرا من زملاء كرام عشت معهم ، وعاشوا معى طوال أربعين سنة أو يزيد ، وأسعدنى خاصة إذا انتهينا الى انشاء دار خاصة لمجمعنا بعد أن كان من الرحالة الذين ينتقلون من نجع الى آخر . وحبل العمل فى خدمة اللغة طويل وعدته الأولى متخصصون منذ النشأة من الشباب والكهول والشيوخ ، وهذه ناحية أمل أن يستعيد فيها تعليمنا العام والعالى نشاطه القديم ، بحيث يستطيع المجمع أن يجد فى يسر من يعول عليه من خبراء ومحررين .

رواية :

الموت عشقاً

بقلم: صافي ناز كاظم



● في هدوء صدرت رواية جميلة عنوانها "الموت عشقاً" ومؤلفها دكتور على ابو المكارم . إسم يسمع لأول مرة في حقل الإبداع الروائي رغم انه تعدى الخمسين فقد قضى عمره كما يبدو ، يؤجل في صدره الشعر ويخبىء في قلمه مشروعاته الأدبية ليلتفت إلى دراسته في علم النحو العربي ، يأخذ فيه الدكتوراه ويدرسه في كلية دار العلوم القاهرية وجامعات عربية يعار إليها هنا وهناك ليجد أخيراً مساحة الوقت التي يتفرغ فيها لينتج "الموت عشقاً" رواية طولها ٤١٨ صفحة ويطبعها على نفقته الخاصة ، لا ينشر عنها في الصحف تنويها عنها بخبر عن صدورها خبراً في أركان الأدب أو حتى إعلانا مدفوعاً إذ يكتفي المؤلف - الذي لا أعرفه ولم أقابله - بتوزيعها على الكتاب والصحفيين ، الذين تصور أن موضوع الرواية يعنيهم . من دون أن يتابع مصيرها في أيدي هؤلاء الكتاب بين زحمة كتب أخرى تصل إليهم لتتراكم على مكاتبهم تنتظر لحظة فرز مرهقة بين الغث والثمين وهكذا وصلتني رواية "الموت عشقاً" واعترف أنني تناولتها في البداية مبتدئة قراءتها في كسل فالعنوان لم يشدني والإهداء الذي تصدرها لم يعجبني لكنني تعلقت بخيط واحد تلخص

الموت عشقاً

فى سطر يقول : "زمن أحداث هذا الجزء من القصة سبتمبر سنة ١٩٨٠م" ، وكان لهذا السطر الفضل فى أن أعبر المعوقات لأجد نفسى وسط عمل فنى هام أعتبره أهم ما صدر فى عام ١٩٩٠ بين الأعمال الروائية فى مصر .

***

"الموت عشقاً" رواية مغموسة فى الشعر ، إمتصت عبر السنوات الشجن المبثوث حولنا فى كل شيء ، واختزنت الحزن اليانع أمامنا على كل شجرة ترفض القهر وتزدرى التعذيب وتحتج بوقفتها تصد رياح اليأس الآتى من سياط القمع المتوالية . إنها رواية تكمل ثالوث أشهر روايات إدانة القمع البوليسى وهى : "العسكرى الأسود" ليوسف إدريس و "الكرنك" لنجيب محفوظ . "العسكرى الأسود" تدور فى عهد الملكية ، "والكرنك" تدور فى عهد عبدالناصر أما الموت عشقاً – فكما يبدو من قولة المؤلف أنها حول سبتمبر ١٩٨٠ – فهى تصور السنة الأخيرة من عهد السادات قبل أحداث سبتمبر وأكتوبر ١٩٨١ الشهيرة التى أدت إلى إنهاء حكم السادات .

تختلف "الموت عشقاً" عن "العسكرى الأسود" "والكرنك" بإبرازها أن الضحايا المستهدفين أساساً هم من "الإخوة" وليس "الرفاق" الذين كانوا نماذج الضحايا عند يوسف إدريس ونجيب محفوظ . هذا لم يمنع المؤلف الدكتور على أبو المكارم من توضيح أن القهر والقمع والتعذيب والوحشية الغاشمة تضرب حين تقع فئات المجتمع كله : مسلمين ومسيحين وإخوة ورفاق وأبرياء ومسالمين ، لأن المؤسسة القاهرة غالباً ماتكون جهولة وغير منضبطة وعاجزة عن إجادة التصويب فلا تنقض على هدفها وحده بل هى كالأعمى المتخبط يضرب فى كل إتجاه فى ذعر وارتباك مما يحول أجهزة – مفترض أن تكون لأمن الدولة – من أدوات للحماية الى قوة بغى صماء تشيع السخط بين الناس وتورط السلطة فى كراهية شعبية تؤدي حتماً إلى سقوطها إن آجلاً أو عاجلاً .

***

تتوزع رواية الدكتور على أبو المكارم على عشرين فصلاً لكل فصل عنوان شعرى قد لا تبدو لأول وهلة صلته المباشرة باللوحة المصورة لكنه يلخص وجدانيا إيقاع الصورة على إحساس القارىء . الفصول موزعة بين ثلاث دوائر : دائرة تنظيم الإخوة وأبطالها الأخ الأكبر

عمر ، احمد ، حامد ، خالد ، فكرى . ودائرة المؤسسة البوليسية وابطالها : دولة الباشا ، وضابط امن الدولة سمير ، والمامور ، ورئيس المباحث العامة - الذى يؤدى عمله المهنى بصدق وامانة فتدهمه عجلات بطش الاجهزة المتعارضة - ودائرة الشعب المطحون بين صخب مهرجانات الكرة ورحى الفقر والحشيش والدعارة . لكن هنك ايضا خيط المسلمين الابرياء غير المدركين لوعورة الطرقات والمسالك .

تنتهج الرواية فنية السرد والوصف الخارجي الذى يقاطعه دائماً طوت باطني مونولوج يدور في النفس يعارض الخارج او يعمقه او يعقب عليه او يهرب منه الى جبهات لا يمكن ان تراها العيون . ويكاد كل فصل يرسم في فنية لغوية رشية متقافزة لوحة لكل شخصية تتجدل رغم إنفصالها مع الاحداث الشاملة المكونة لمفاصل الرواية .

كل لوحة تشيع جواً متوتراً وتحلل نوازع شخصيات الرواية مع بناء ملامحها الإنسانية التى تتحول في حالة "الإخوة" إلى الشفافية والفداء وتتردى في حالة إفراد المؤسسة البوليسية إلى الجبن والخوف المؤديان بالضرورة إلى التوحش رغم الملامح الانسانية الظاهرة . فتجد ان افراد المؤسسة

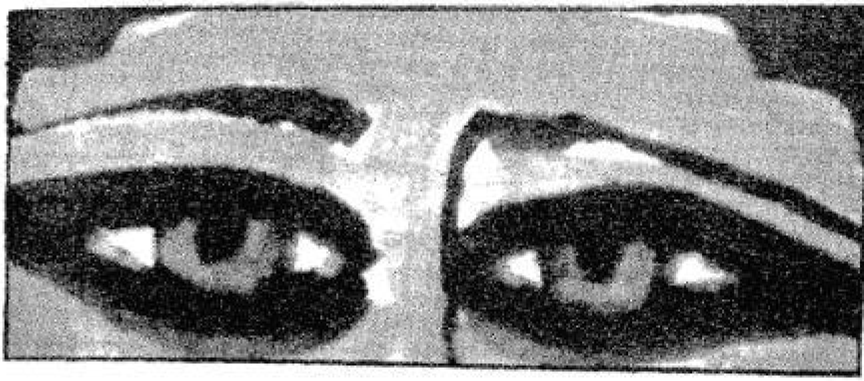


د. على ابوالمكارم

البوليسية بالنهاية ضحايا ممارساتهم التى يتدربون عليها وفق قواعد تعليمات فاسدة تعمل على إنتزاع إنسانية افرادها رويداً رويداً حتى التشويه الكامل الذى تختفى فيه تماماً فطرتهم السوية الأولى التى فطرهم الله عليها .

***

إن اهمية رواقي "الموت عشقا" للدكتور على ابو المكارم انها من النماذج الإبداعية النادرة التى تزاوج بين الفنية الادبية المصقولة عالية المستوى وبين الأيديولوجية الإسلامية النابهة وراءها التى لا تغفل عن نسج خط مسيحي يتداخل ويتعشق في تعاطف في البدن الإسلامي يؤكد وشائج الوطن الواحد والهم الواحد والجنس الواحد وقنوات دماء واحدة تتدفق في تسامح تلقائي يستوعب إختلافات العقيدة ويتم ذلك في ذكاء ولباقة .



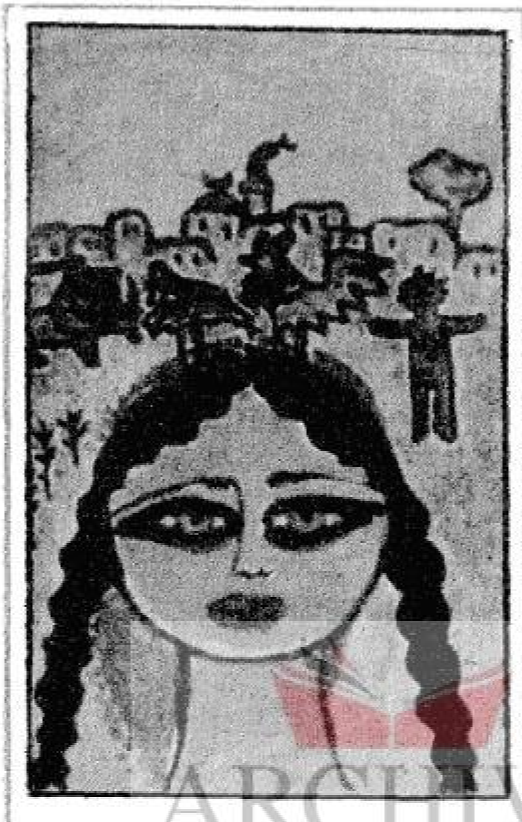
عيون بهية

بقلم : أليفة رفعت
ريشة الفنان : حلمى التونى

نحمده ونشكر فضله على كل ما يحكم به . ها انذا يابنيتى عل ومازلت اعيش مثل القطط بسبع ارواح . سامحينى انى رجوت محمد افندى فراش المدرسة يكتب الجواب يقول لك تحضرى بسرعة لاملى نظرى منك .

السبب . انى من كم يوم نويت ان اخطف رجلى للمستشفى الاميرى . غسلت من الليل جلابيتى وطرحتى من اجل ان يكون لى قيمة امام الحكيم . فضلت طويلا اقول للخلق كل ما واحد منهم يطل علىّ "خلونى معكم الله يرضى عنكم للحكيم" . يقولوا اصبرى حتى نجد لك ركوبة تحملك عليها فالطريق طويل عليك . ثم ينسونى يابنيتى . الغرض .. هذه حال الدنيا وكل واحد عذره معه .

وحياتك قمت من البدرية وارتديت الجلابية حتى لم تكن جفت ولكن قلت ستجف فى الطريق . وامسكت بالعصا الجريد التى اهش بها طيورى وتوكلت على الله . مشيت وظللت امشى وامشى حتى وصلت . الممرضة الله يسترها قالت لى استندى على يدى



وتركتني هذه العصا يا امي . وشالتني من ذراعي وادخلتني لغرفة الحكيم .

اول ماشاهدني قال "اجلسي ياابهيه على المقعد امامي" . قلت العفو يابك . وهل العين تعلو عن الحاجب ؟

ضحك وقال "اجلسي ياابهيه حتى استطيع الكشف على عيونك" .

فجلست ياحبيبتي . اضاء لمبه كهربائية وكشف طرحتي بيده وقال يحملق في هذه العين مرة والعين الاخرى مرة . وانا جالسة غارقة في خجلي . ثم قال . "قولي لي يابهية حكاية عيونك من البداية وبماذا تشعرين ؟"

قلت له "يارب ينور طريقك ويحفظ نظرك يابك . انا عيوني كانت حلوة ومشعشعة واستطيع ان ارى الماشي على الشط الاخر من الترعة واميزه" .

قال "لا يا بهية حالة عيونك متاخرة كثير ولازم تعرفي بالضبط انه ابتدى المرض من ساعة بداية الالم . متى احسست بالوجع ؟ قلت له "الهي لاتمرض يابك . انا مسكينة ووحيده . اصل زوجي الله يرحمه مات من زمن وفات كوم عيال في عنقي اربيهم واجرى على رزقهم ولا كنت واعية حتى افكر الا في تدبير لقمة عيشهم لغدهم . وحياة مقامك الغالي لا اتذكر متى بدأ العماص يقتلهم . لكن من عامين وانا اجد النور يتسرب منهما ببطء مثل الماء الذي يتسرب من القلة المشروخة . مدة ويطيبوا ويرجعوا حلوين واكحلهم . ويصبحوا على مزاجه . اقول يمكن شخت والعجز عبر على رأى المثل . لكن في المدة الاخيرة وجدت الدموع نازلة ترخ وحدها مثل المطر . فلا تحدد الوقت الذي اكتشف فيه على الحكيم والله غفور رحيم" ..

فقال انى اخطات وانه واجب عليّ كنت اكشف من سنين وان مرضى سببه القذارة والذباب .. الغرض . كتب لى ورقة بها اسم قطرة قال انها ستخفف الوجع وتريحني .

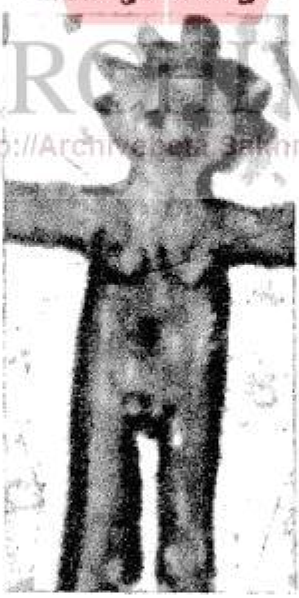
تسالينى اضعها كم مرة فى اليوم ؟ هه .. وحياتك لم



اكلف نفسي حتى باخذها من صيدلية المستشفى مع انهم يصرفونها مجانا . لا .. لايا بنيتي . انا فاهمة والحكيم فاهم انه لايوجد في مستشفى مفيد لي البصر . قلت للممرضة وانا خارجة . اعطني ياصبيتي العصا فيبدو انني سأتحسس بها طريقي بقية عمري .

على كل حال يابنيتي نشكر مجهودهم . لقد بذلوا ما في وسعهم والشفاء بيد الله وحده . وكل شيء مكتوب على الجبين . ولايوجد حكيم لامات ولا عاش يستطيع ان يغير قضاء الله .الذباب السبب مكتوب يجوز في كتبهم . لكن الذباب يضايق كل الناس . ولنا وحدي عيوني اصابها المرض . هاه ؟ حكمة ربنا وارادته ام لا ؟ وايضا انا اعرف السبب الخفي سأقول لك عليه . من

البكاء الكثير والدموع التي هطلت من عيوني من اول امي ما وضعتني وعلقوني من رجلي ووجدوني بنت . طول عمري ابكي . وامي كانت تنصحني من غير فائدة كانت الله يرحمها حنونة وطيبة تاخذنا كل ليلة واحدة واحدة وتغسل وجوهنا وتجعلنا نرقد جوار بعضنا فوق مصطبة الفرن . وهي وعواد وابي ينامون في الناحية الاخرى على الفراش . والذين عاشوا من الاطفال لوالدي ثلاثة بنات وولد والباقي ماتوا . خالك عواد الذي يكبرني يعني هو فوق راسي وخالتك فضيلة وخالتك نظيرة . الله يرحمها . وامي كانت تقول عني دائما انني حساسة



زيادة عن اللزوم واغضب من الكلمة الطائرة في الهواء وابكي ونجمي خفيف ومحسودة لان عيوني جميلة . مصابة بالنظرة . والله اختي نظيرة المسكينة كان هي التي من حقها البكاء اكثر مني . فقد قاست كثيرا وعمرها لم تذق يوم هناء .

في حياتها ولما دخلت الزجاجة في بطن قدميها وتورمت ظلت تئن من الالم وعواد ينهرها ولاتجرؤ على الصراخ حتى لاتقلق نومه وماتت في عز الشباب وظللت ابكي عليها . وكان عواد كل مايكبر اذاه لي انا وفضيلة يكثر . دائما يقرصنا ويضربنا كانما يتلذذ من صراخنا . وعندما كنا نشتكيه لامنا الله يرحمها كانت تقول رجلكم من بعد ابيكم وكلمته مطاعة وتاديبه لكم واجب . وكانت هي وابي يصحباه للغيط ويحبسونا نحن البنات في الدار . ولما بدانا نكبر جعلونا نخرج نلف ازقة القرية نجمع روث البهائم لتبيعه امنا وقود للافران . وانا وفضيله كانت كل منا تصنع عامود من اقراص الروث فوق السطح .

لكن انا كان دائما عامودي اعلى . مرتان واكثر لانني في الحقيقة

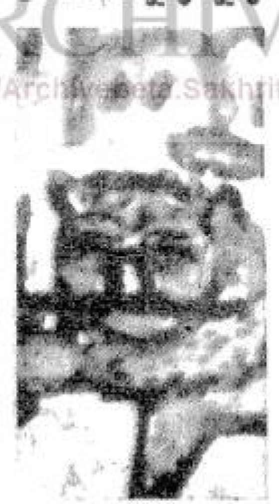
ماهرة وسريعة الحركة . وايضا املح اخواتي . لذلك كانت عين الحسود ترصدني . واثناء عملنا في الروث نحن البنات وكانت كثيرة ولانها لازالت تعيش ، كان عواد يجري بين الغيطان ماشاء له الهوى ويلعب مع الأولاد في القنوات . وعندما يرجع يجلس على المصطبة مقلدا الرجال ويأمرنا بأي عمل ليتصيد لنا الأخطاء ويضربنا .

كانت معيشتنا يابنيتي مثل كل البنات . لكن البنات تحملوا وصبروا وضحكوا ، لكن انا التي ظلت دمعتي دائما على خدي كان عيوني كانت تستعد للآتي . لأن حياتي لم تكن تتيسر كل ما اكبر . على العكس . ليس هناك شيء يفرح الأب البنت كلما كبرت . تظل بعيد عن السامعين في مصائب حتى تجد نفسها عجوزا بلا فائدة . ويكون حظها من السماء إذا وجدت احدا يحن عليها . لا يا ابنتي لاتقولي ان المسألة ليست كذلك . طيب . هل تستطيعين القول فيم اصبحت انفع ؟ هه ؟ الحقيقة انه ليست كل ابنة في مثل حنانك تلبي نداء امها وتتكلف مشقة هذا السفر الطويل من بلد زوجها لبلدتنا لتزور امها .

الله يبارك لك في اولادك لاجل النبي .

لاتواخذيني ياحبيبتي انى ظللت اتكلم منذ وصولك . فلا احد يزورني منذ مدة . هل تصدقين انى احيانا اكلم طيوري حتى لا انسى الكلام ؟

على كل حال لما بدات اكبر اكثر عرفت الدنيا اكثر وعرفت كيف تسير . وكيف يدبر الله احوال خلقه . فمثلا في بعض الأيام كان ابويا يصحبنا معه للغيط . هو وعواد يضعا البذور في الخطوط ونحن نسوى عليها الحفر في الطين وراءهما . وبقدرة الله بالمياه والشمس هذه البذور تشق الطين مع الأيام وتنبت انواع . هذا فول وهذا ذرة وهذا قمح وغيره وغيره . كذلك لفت



نظري ان البهائم والحمير والغنم والكلاب والقطط والأرانب كانوا يعتلوا بعضهم البعض ويخلفوا الصغار .. شيئا فشيئا استطعت ان افهم كيف يحدث هذا ايضا بين النساء والرجال . وافهم من يموت منهم يموت ومن يعيش منهم يعيش .. وكله بمشيئة الله . وحكمته ان كل واحد يموت يخلق بقدرته واحد غيره مكانه . ووعيت جيدا ان دور الانثى جعلها الله جل شانه السبب في دوام خلقه . طبعا يابنيتي اليس دورنا في الحياة ان نحمل تسعة اشهر ونرضع ونراعي الطفل حتى يشتد عوده ؟ وكل دور الرجل في الموضوع ليلة مزاج ؟

لما ادركت هذه الأشياء ، كنت اظل ارقة طوال الليل اتحسر على ابي وامي الله يسامحني على ماكان مني . هي هي هي . يعني لم تكن المعيشة كلها شقاء وضرب وخطف اللقمة بالنكد . لا .. كانت هناك اوقات ايضا اتمتع فيها لما اهرب وحدي بين الغيطان واجلس العب بجوار القناة . اعجن الطين واشكله اشياء واتركها تجف في الشمس . في الأول كنت اعمل قلل وصحون وقدور صغيرة . ثم حاولت اعمل قطط وكلاب



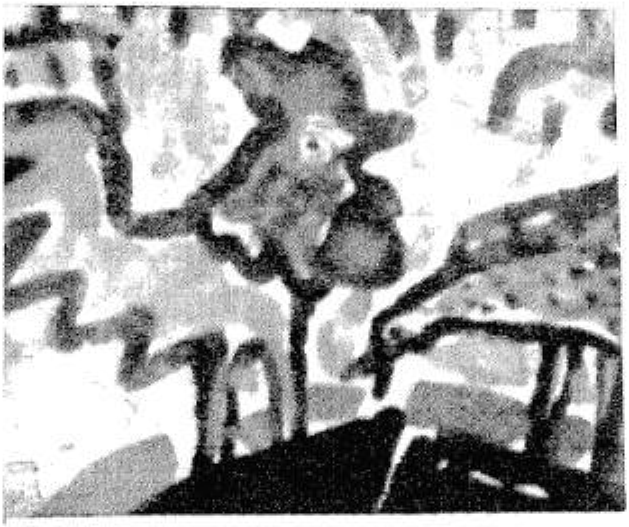
وعصافير وفي يوم فكرت اعمل فى وليوبا . عملت لكل واحد منهم راس وبدن وساقين وذراعين ثم وضعت لابي شيء مثل ذيل القطة . لكن امى لم اكن اعرف ماذا اضع لها ؟ فرفعت جلابيتي لارى ماعند الانثى . لم اجد غير شيء مثل ثمرة التوت بين ورقتين .. وفي يوم في البدرية نويت لخرج اطل على اشياتي وارى هل جفت في الشمس ام لا ؟ وماعرفت الا والنساء يدخلن علىّ ويتكاثرون حولي وقابلة البلدة تكشط بالموس التوتة والورقتين وتركوا جرحا في جسدي وجرحا في نفسي لانى احسست بالقهر والظلم . والاشيء بعد ذلك داوى ظلمهم لي فرجعت ابكي .

وعندما طاب جرح جسدي قالت امي انه حان الوقت لاذهب للكتاب لاتعلم دينى . وظننت ان الموضوع مسلي وفرحت اولا . لكن سيدنا العريف كان يلسعنا على باطن اقدامنا بالفلقة والخيزرانة كلما نطق احدنا لفظا خطا . ويزعق قائلا : "يا متاعيس انطقوا صح . هذا كلام الله وليس مثل اى كلام اخر ستذهبون لجهنم ان اخطأتم" . فنرتعد رعبا وتقوّم السنتنا .

وفي يوم وفجاة .. وجدت جرح جسدي يدمى ثانية بغزارة ارعبتني فزعت الى امي ارتعش غضبا اقول لها "ارايت مافعلتم بي ؟ زغردت امي قائلة "والله كبرت يابهية وخراط البنات سيخرطك . هذه هي الدورة الشهرية" . وامسكت بي فطوقت خصري بحزام من القماش ثم مررت قطعة من القماش مزقتها من ملاءة قديمة واعطتني بقيتها غيارات اغسلها خفية عن الانظار . وقالت لي انني يحق لي الزواج من تلك اللحظة وحذرتني من الرجال . فبدات الاحظ نظراتهم وانا استرق النظر لهم فاجدهم يجنون عندما اسير وانا عاقده منديل راسي على ناحية ومكحلة عيوني واذا دقت الارض بشبشبي البلاستك وشخللت خلاخيلي اهتزت اردافي ونهداي واصبحت لا املك التحكم فيهم . لكن الذى عشقني حتى الهوس حمدان . كان كل ليلة يجلس على جذع الجميزة في الجرن امام دارنا ويظل يغني موال عيون بهية . طبعا ليسمعني شكاية غرامه . كنت اعرفه ونحن صغار في الكتاب . لكن لما كبرنا لم نجرؤ على ان نتكلم سويا . كان فقط يقطرني من بعيد في ذهابي وايابي في صمت . واذا حدث وتواجهت عيوننا تتلاغى بحديث الحب . وكنت اقضي ليلي حالمة مزهوة انني خلقت فتاة حلوة . والله حقا كانت احلى ايام عمري فليس اجمل من الايام تمر على الفتاة وهي بقلب اخضر مملوء بالامل والبشائر .

لكن يابنيتي كل الامال





الحلوة فجأة ضاعت عندما دخل ابى فى يوم اسود قائلا : "مبروك يابهية قرانا فاتحته على دهشان" . جلست مكانى ابكى وحدى بعد ان خرج ابى وامى تفرق الشراب الاحمر . ولم اجرؤ على القول انى لا اريد الزواج من دهشان واريد ان اتزوج حمدان . او ارفع وجهى حتى فى وجه ابى . ومن اكون انا ؟ بنت صغيرة لا اعرف صالحى . ولو جرؤت على الاعتراض يذبحنى الرجال . فقلت لنفسى القسمة والنصيب لرضى بهما ومكتوب لى دهشان وامى دائما تقول "يتساوى الرجال فى الظلام" .

وماذا اقول لك يا ابنتى ودهشان ابوك ؟ ذهب لحاله وانتهى كل شيء وكنت انت حين وافاه اجله مازلت على صدرى ترضعين . لم اكن سعيدة معه . يجوز لان البلهارسيا كانت قد هدت قواه . ويجوز بسبب معاملته بى النساء بالموسى وانا صغيرة . او بسبب انى كنت لاازال افكر فى حمدان .

على كل حال بعد وفاته وجدت نفسى فى حال غير الحال . طول حياتى كان يحكمنى الرجل : فى الاول ابى ثم زوجى . ثم بعد وفاة زوجى ظننت انى استطيع ان افعل ما اشاء على حريتى . لكن المصيبة انى فى هذا الوقت كنت لاازال بى مسحة من الجمال والشباب . فلم اجد يد تمتد لى تعيننى وانا اشقى لتربيتكم . خصوصا ان خالك عواد كان سافر للسعودية ولاتنكر ان له لخوات . طوال عمره كان قاسى القلب . وخالتك فضيلة رحلت مع زوجها للصعيد . وتركونى مقطوعة من شجرة وحيدة اشعر بالغربة فى بلدى . وشعرت ان المراة من غير رجل مثل السمكة خارج الماء بين الناس . والنساء تراها خطرة على رجالها فيهاجمونها بقارص القول ويجافوها كانها كلب اجرب . فاعتكفت عن صاحباتى من تلقاء نفسى حتى لايتسببوا لى فى مزيد من الحزن والبكاء وقلت لنفسى كفانى ان يكون الله انيسى . فاسبح ذاكرة الله بعد ما افرغ من عملى . اليس يابنيتى افضل من الخوض فى سيرة الخلق ؟

وماذا يجدى كثرة الكلام ؟ على كل حال ها انت حضرت وان شاء الله يكون عندك اذن من زوجك تقضى يومين معى حتى اطفىء شوقى لك .

وكل ما ادعو الله واطلبه منه ان ينهى ايامى على خير قبل ان يذهب بصرى واعجز نهائيا واصبح عالة على غيرى .

لا .. لا يالبنتى . انا لا ابكى لانى حزينة ان الله خلقنى امراة .. ابدا . انا نادمة انى ضيعت شبابى وعمرى ذهب من غير ان اعرف كيف اعيش واستمتع كامراة ؟

شهريات

رأى فى الثقافة

لا نقول وداعا أيها العبقرى

هذا الشهر ، نكتب عن موت لويس عوض .

فموت لويس عوض قضية ثقافية عامة وكبيرة .

فالرجل لم يكن واحدا من افراد عديدين : كاتبا ضمن كتاب ، فقرا فى فرقة ، بل كان كاتبا عبقريا من طراز فريد ، قلما يجود الزمان بمثله . فى عمله كله ، تجد الصفات كلها ، وشجاعته هى اهم واخطر هذه الصفات . كان مفكرا شجاعا ، ومتحيزا لافكاره ، يقاتل بكل شراسة من اجل هذه الافكار ، حتى ولو كانت "خاطئة" بالنسبة لخصومه .



د . لويس عوض

كان ناقدا أدبيا شجاعا متحيزا لنوعية معينة من "الأدب" لم يتزحزح عن موقفه تجاه ما كرهه ، وما أحبه من "نصوص" و"عروض" يقاتل بكل أسلحته من أجل هذا ، وضد ذاك ، حتى ولو كان "مخطئا" من وجهة نظر خصومه .

كان باحثا فى مجالات عدة ، فى الادب اللاتينى ، والمسرح الانجليزى ، فى الثورة الفرنسية ، وفى فقه اللغة العربية ، فى مقارنة الثقافة اليونانية بالثقافة العربية ، وكان شجاعا فيما ابداه من آراء فى هذه الأبحاث ، حتى ولو أدى الأمر الى مصادرة أحدها ، أو حتى ولو صودرت حياته نفسها من أجل بعضها الاخر .

لويس عوض ، وقبل هذا كله ، كاتب متمكن من أدواته الى حد مذهل ، كاتب يستطيع أن يستخدم اللغة ويتلاعب بها كيفما شاء ، يحسنها كما لا يحسنها كثير من المتخصصين فى

علومها ، حتى أنه وصل الى طلاوتها ، الى سر ايقاعها ، وجرسها الجميل .
لويس عوض كاتب من مستوى العبقرى .
لذا ، فهيا نقرؤه من جديد لنتلامس مع امكانياته الفذة .

عبده جبير


جيلى عبد الرحمن

جيلى عبدالرحمن سيرة حياة مصرية وديوان حائر فى هيئة مصرية !

من الغريب أن يموت شاعر مهم ، كجيلى عبدالرحمن .. بيننا وهو "على" قضية ديوان تقبع أوراقه منذ أربع سنوات كاملة ، فى الهيئة المصرية العامة للكتاب ، وهو منذ اليوم الأول لهذه الفترة الطويلة تم اقراره من رئيس الهيئة الدكتور سمير سرحان ، ثم عملت رسومه وغلافه منذ عامين ونصف ، وظل الديوان ، قابعا فى مكانه ، لا يحرك ساكنا ، على الرغم من محاولات أصدقاء جيلى ، أثناء فترة مرضه الطويلة ، وحتى بعد مماته ، وإلى أن تتحرك همة هيئة الكتاب التى نشرت للقاصى والدانى المهم وغير المهم من الكتاب والشعراء من كل لون وصنف ، وعلى الرغم من أن جيلى عبدالرحمن ، ولأسباب من سيرة حياته نفسها هو الأولى بالرعاية ، خاصة من مؤسسة مثل الهيئة العامة للكتاب .

فقد جاء جيلى عبدالرحمن الى مصر وهو فى الحادية عشرة (ولد عام ١٩٣١ ـ جزيرة "صاى" مركز "عبرى" فى السودان) مهاجرا مع والده الذى استوطن مصر ، فنشأ جيلى فى انشاص ، وصاحب طفلا فاروق منيب وحسن جاكم ، وتلقى تعليمه فى الأزهر الشريف ، وتكلم لغة مصر ، وأكل وشرب فيها ، وحين شب عمل بها ، ونشر أولى قصائده فى صحفها وكان الرائد الأصيل زكريا الحجاوى هو الذى احتضنه وقدمه للحياة الأدبية العربية ، من مصر وفى جريدة المصرى ، وهو حين أصدر ديوانه الأول "قصائد من السودان" عام ١٩٥٦ أصدره من مصر بالاشتراك مع تاج السر حسن ، وحين عمل "على الراعى" مسئولا عن الأدب فى جريدة المساء استدعى جيلى وفاروق منيب ليعملا معه ، حتى أصبح

شهريات

جيلي رئيس القسم الأدبي بالجريدة نفسها ، ثم حين خرج ليتلقى تعليما عاليا ، وليحصل على الماجستير والدكتوراه من موسكو ، خرج من مصر ، وعاد حاملا رسالته العليا ، وهو كان دائما يخرج من مصر ويعود اليها ، ذهب ليعمل بجامعة اليمن ، ثم عاد ، وذهب ليعمل بجامعة الجزائر ثم عاد الى هنا ، وكان المرض قد اشتد به فكان اختياره ان يقضي الأيام الأخيرة في مصر ، وهكذا كان ، حتى توفاه الله في الرابع والعشرين من اغسطس الماضي .

هذه اذن سيرة جيلي عبدالرحمن المصرية التي تفرض علينا أن نطالب بسرعة اصدار ديوانه "بوابات المدن الصفراء" لا ، بل من حقه علينا ، ومن واجبنا أن تصدر كل دواوينه وأوراقه في طبعة تليق به وبنا .

مسرح

بياعين الهوا

على خشبة مسرح السلام يقدم المسرح الحديث مسرحية "بياعين الهوا" تأليف : وحيد غازي وإخراج : حسام صلاح الدين ، وتدور المسرحية



بياعين الهوا ..

في اطار ديكور يضم لوحتين مرسوم عليهما علامة اكس حمراء على أرضية سوداء - وفي الخلف مواسير مصنع وسلم يصعد كالبرج ، وتدخل مجموعة من الراقصين ليقدموا رقصة افتتاحية - ثم يدخل حشد من الاعلاميين "مذيعة تليفزيون وصحفيون" وعمال - يصنعون جميعا مظاهرة تهتف بحياة رجل البر والاحسان نزيه بيه "محيي اسماعيل" .. الرجل المتدين ظاهريا الذي يأتي ومعه المسئولون لتدشين افتتاح المصنع الجديد للمياه المعدنية ، ويقص الشريط ، ويفتتح المصنع الذي تكتشف أن مياهه ملوثة .. مما يتسبب في موت مدير البنك المسئول عن القروض - وتتكون

"شركة نزيه بيه" من مساعده الاستاذ علوة "محمد دسوقى" وسكرتيرته الحسناء لولا "ايمان" للنصب على السذج والمخدوعين بقناع الدين الذى يضعه "نزيه بيه" على وجهه ، والمنساقين وراء الشعارات الدينية التى ترفعها شركاته لتوظيف الاموال .. لذا يتربص رجل الأمن عاطف "أسماعيل مظهر" بنزيه .. لكنه لا يعرف كيف يضبطه متلبسا بالنصب . لذا يستعين بممثلة الاعلانات ريرى "علا رامى" فى وضع خطة لكشف "نزيه" والايقاع به .. فيتفق معها على ان تذهب اليه لتقوم بعمل اعلانات لشركاته ، ويتنكر "عاطف" ضابط الأمن فى شخصية مخرج الاعلانات .. يساعده أربعة مخبرين بلهاء يتنكرون هم ايضا ..

وفى منزل نزيه بيه نكتشف علاقته الاثمة "بلولا" التى بينها غرامه المزيف .. رغم انه يسعى وراء اى امرأة جميلة فى سعار وحمى .. ويسلم "نزيه" ممثلة الاعلانات "ريرى" بعد أن تتوطد العلاقة بينهما ـ حقيبة من المجوهرات المزيفة لتهريبها بمساعدة المخرج ـ أى الضابط عاطف ـ لندرك بعد كشف الحقيقة وتعرض ريرى وعاطف للخطر ـ أن نزيه كان يعلم ـ من خلال جهات عليا ـ بالخطة التى رسموها له ، وأنه يعرف شخصية عاطف الحقيقية ، ولا يملك الضابط من غيظه الا ان يطلق على نزيه الرصاص ، ومن الغريب انه لا يموت



محيي اسماعيل



وحيد غازي

ولا يصيبه الرصاص ـ بل يواجهه بجسارة . وذلك لانه يلبس القميص الواقى من الرصاص .. ولأن الاخرين لا يعلمون .. يشهدون بكراماته ومعجزاته فتقام له حلقة ذكر ـ تتخللها رقصات ـ تسبح بحمده .

وفى الجزء الثانى يتزاحم طابور المودعين على شركة نزيه لتوظيف الاموال ، وكل جمع كل ما يملك ليوظفها له "نزيه" ، وترقص مجموعة الراقصين ، وتتعدد أنواع المحلات والمشروعات التى يديرها "نزيه" ـ ويتهافت المودعون عليه ، ويلحون فى طلبهم منه توظيف أموالهم وهو يتأبى ويتمنع ، ويفكر "نزيه" لزيادة نفوذه ـ فى دخول الانتخابات وتكوين حزب سياسى .. وفجأة يتذكر "الضابط عاطف وريرى" ويتنبهان الى ان يبلغا السلطات عن جرائم نزيه بعد سلسلة من الخطب الرنانة .

والعرض كما نرى لا علاقة بين تفاصيل أحداثه ـ ان كان ثمة احداث تربط بين اجزائه التى تعج بالاغانى

شهريات

"موسيقى : محمد نوح" والرقصات الجماعية والفردية وأحيانا الرقص الشرقى - بسبب وبلا سبب - فى اغلب الاحيان .

ورغم أن الموضوع الذى يتناوله المؤلف وهو شركات توظيف الأموال وقضية الفساد ملىء بالامكانيات الدرامية القوية التى تكفل خلق صراع درامى قوى فى نسيج درامى متين .. الا ان المؤلف اكتفى بأسلوب الريبورتاج الصحفى فى صياغة المشاهد فجاءت بشكل سطحى .. لا تتعمق جذور الموضوع الذى تتناوله ولا تسبر اغواره ، ولو كانت الصورة الكاريكاتورية التى صور بها شخصياته صحيحة ، ولو كانت هذه الشخصيات - التى قدمها - بهذه التفاهة وهذه السطحية لما حدثت كل هذه الكوارث لاقتصادنا وللمودعين المخدوعين .

وقد تصدى المخرج حسام صلاح الدين لاخراج هذا العرض فوفر له أولا الامكانيات التجارية التى تتطلبها سلعة المسرح الرائجة فى السوق المسرحى التجارى ، وأولها العديد من الاغانى والرقصات "اشعار : مجدى كامل .. الحان : محمد نوح .. استعراضات : عادل عبده" ، واستعان بالاضاءة والديكور والحركة ليقدم موضوعا ذا معنى .. ولكن نظرا لافتقاد المعنى فى كل هذه العناصر لأنها لا ترتبط بنص درامى حقيقى فلم تلتحم بأحداث فذاهت من المخرج المعانى ، وبقى له الشكل ولم تجد محاولات الممثلين الموهوبين المستميتة لاضحاك الجمهور - فبذل كل من "محيى اسماعيل ومحمد دسوقى وايمان خاصة فى الرقص ! ، وعلا رامى واسماعيل مظهر ورفاقهم " كل ما يستطيعون فى سبيل اضحاك واسعاد الجمهور المسكين الذى جاء يشهد فنا رفيعا أو ثقافة ، أو حتى ليضحك ويرفه عن نفسه فلم يجد الا سرابا .

عبدالغنى داوود

اشارات ثقافية

نزار قبانى : وقائع قضية

لا شأن لنا بوقائع القضية القانونية التى رفعها الشاعر "نزار قبانى" ، وتنظر الان فى محكمة مخالفات عابدين فى مصر ، والتى طالب فيها بمحاكمة

الناشرين محمد وابراهيم المعلم ، ومعهما المحرر الأدبى لمجلة الحوادث "جهاد فاضل" لنشرهم كتابا يحمل عنوان "فتافيت شاعر .. وقائع معركة مع نزار قباني" الذى تضمن معركة دارت رحاها ما بين مؤلف الكتاب والشاعر ، حول ديوان "قصائد مغضوب عليها" حيث رأى مؤلف الكتاب أن نزار قباني قد اتخذ موقفا سلبيا من العرب كجنس وقوم ، وحيث رأى انه وصف الشعب العربى بطريقة مقذعة من منطلق ما اسماه رؤيا شعوبية يستخدمها ادباء وشعراء معروفون لا يقصد الوصول الى خلاص عام بل بقصد واحد هو تدمير هذه الأمة !

لكن نزار يرى ، من خلال رده على هذا الاتهام أن "الشعوبى هو الذى يزيف الحقائق ، الشعوبى هو الذى يقف امام الحاكم الآن ويزيف له الحقائق ، .. الوقوف فى وجه السلطة ليس شعوبية اطلاقا ، ربما يجب ضخ الأمل فى شرايين الجماهير لتستيقظ ، ويضيف :

- أنت تستعمل كلمة الشعوبية فى غير محلها ، لأن الشعوبية كما تعرفها تاريخيا : هى حركة تآمر وانقضاض من الخارج على الداخل .

وعن اتهامه بأنه فى هذا الديوان قد كنس ، لا السيئات وحدها ، بل الأمة كلها ، وهذا موقف غير ثورى ، يقول نزار :

- هذا كله صادر عن حب ، أنا لم



نزار قباني

أتعامل مع الشعوب العربية كلها الا بحب .. هذه المعركة اذن فى حقيقتها ، وقبل أن تصل الى قاعات المحاكم ، كان من الممكن لها أن تكون معركة أدبية ساخنة تدور بين وجهتى نظر .

الأولى تقول بأن الهجاء المباشر يسىء الى الامة كلها ، والثانية ترى أن هذا من صلب عمل الشاعر ، أى أن يحمل سيخا من النار ليكوى به جسد الأمة . نقول ان هذه القضية كان يمكن لها أن تكون قضية أدبية ، قضية خلاف فى الرأى لولا ان الجانبين قد صعدا بها تصعيدا وصل بها الى دروب مظلمة .

تصعيد من جانب "جهاد فاضل" باصراره على انه يتصب لنزار قباني محاكمة نهائية ، كسب بها القضية ، وخلاص ، أصبح نزار قباني شعوبيا وخارجا ، وتصعيد من جانب نزار قبانى برفع الأمر الى القضاء بتهمة ضعيفة للغاية ، هى تهمة أن مؤلف الكتاب ، وبالتالى الناشرين ، بنشرهم

شهريات

لمقتطفات من شعره فى صلب الكتاب قد قاموا بسرقة شعره .

فهل حين يلجأ مؤلف ما الى اقتطاف جزء من نص لينقده يعد هذا سرقة . وهل المؤلف بحاجة الى اذن من صاحب النص ليقتطفه ؟

مكتبة الهلال



الكتاب : قضايا المرأة
تأليف : الشيخ محمد الغزالى
الناشر : دار الشروق
٢٢٤ ص .

قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة هو الكتاب الجديد لفضيلة الشيخ محمد الغزالى يضم مجموعة من المقالات التى خصصها فضيلته لقضية المرأة والاسلام من منطلق التمسك بالتعاليم الاسلامية الحقة التى اعلت من قدرها باعتبارها عضوا فاعلا واساسيا فى المجتمع .

يقول الشيخ الغزالى ان "الاسلام متهم باهانة المرأة واستضعافها ! فهل فى كتاب الله وفى سنة رسوله ما يبعث على التهمة ؟؟ القرآن بين أيدينا لم يتغير منه حرف ، وهو قاطع فى أن الانسانية تطير بجناحين ، الرجل والمرأة معا ، وأن انكسار أحد الجناحين يعنى التوقف والهبوط .

فلننظر الى السنة . ولنستبعد ما التصق بها من الواهيات والمتروكات .

نبينا يوصى بأن تذهب النساء الى المساجد "تفلات" أى غير متعطرات ولا متبرجات ، ولكن القسطلانى فى شرحه للبخارى يرى أن تذهب النساء الى المساجد بثياب المطبخ . وفيها روائح البقول والأطعمة !!

وغيره يرى ألا تذهب أبدا .

فأى الفريقين شر من صاحبه على الاسلام ؟

وفى البخارى أن النبى عليه الصلاة والسلام أجاز أن يسلم الرجال على النساء ، وجاء فيه أن الرسول الكريم قال

لعائشة : هذا جبريل يقرأ عليك السلام ـ وكان فى صورة رجل .

فجاء من يقول . ذلك عند أمن الفتنة ، أو ذلك : مع النسوة المحارم أو العجائز أو الدميمات .

ويقول نافيا عن النقاب انه اسلامي أو في خدمة الاسلام : "ان اخفاء الايدى فى القفازات واخفاء الوجوه وراء هذه النقب ، وجعل المرأة شبحا يمشى فى الطريق معزولا عن الدنيا ، فذلك ما لم يأمر به الدين" .

ان لأعداء الاسلام فى بلادنا رجالا مكرة مهرة يوقنون بأن الجبهة اذا تمخضت لأهل الوعى والفقه فهم منتصرون حكما ! ولذلك يلتمون الف طريق لأولئك الغلاة حتى يسود صياحهم على الساحة الاسلامية .

ويتأمل أولو الألباب فيما يقال ، ثم يقررون ترك الاسلام كله .

الكتاب : الجذور التاريخية للشريعة الاسلامية
تأليف : خليل عبدالكريم
الناشر : دار سيناء
١٣٦ ص



بوضوح شديد يكتب خليل عبدالكريم .

ودأب كثير من الدعاة على نعت الفترة السابقة على البعثة المحمدية بنعوت بشعة ووصف عرب الجزيرة فى ذلك الوقت بأوصاف كريهة حتى ترسخ فى الأذهان أن تلك الحقبة لم تكن سوى مجموعة من الظلاميات والجهالات والأضاليل وأن أهلها ليسوا الا حفنة من المتبربرين المتحلين عديمى الفكر فاقدى الثقافة فاسدى الخلق ، وهم يتوهمون بأن ذلك يخدم الاسلام ، خاصة وأن القرآن الكريم وصف تلك الفترة بالجاهلية ، والأمر على النقيض : اذ أنهم بذلك يسيئون للاسلام ،

فمن السخف لو كان الأمر كذلك أن يخاطب القرآن قوما ويجادلهم وهم على تلك الحال وأنت تخرج من قراءة أيات الحوار أنهم كانوا على قدر وفير من قوة المعارضة وتمكن من المحاورة ، وفيم كان الخصام والخلاف

وخليل عبدالكريم يتبنى هنا رأيا شبيها برأى عميد الأدب العربى طه حسين فى كتاب الشعر الجاهلى ويقتطف من طبعته الأولى أن العرب قبل الاسلام « لم يكونوا جهالا ولا أغبياء ولا غلاظا ولا أصحاب حياة خشنة جافية وانما كانوا أصحاب علم وذكاء وأصحاب عواطف دقيقة وعيش فيه لين ونعمة » .

ويقول الكاتب موضحا الموضوع الذى يبحثه ، هو محاولة الكشف عن الموروث أو الميراث العربى الذى ورثه الاسلام عن عرب الجزيرة وذلك بقصد فهم الاسلام فهما صحيحا .

شهريات



الكتاب : الحلقة المفقودة فى القصة القصيرة المصرية
تأليف : د . سيد حامد النساج
الناشر : الهيئة العامة لقصور الثقافة
١٤٤ ص ، ٥٠ قرشا

هذا الكتاب باكورة سلسلة جديدة من الكتب الشعبية التى تباع بأقل من تكلفتها تهدف الى فتح النوافذ امام مناهج النقد المختلفة لتحديد الملامح التى تميز ابداعات الكتاب المصريين ، وتزويد البيئة الثقافية بأجيال جديدة من النقاد لتضطلع بدورها الحيوى والحتمى ليس فقط فى مد جسور التواصل الحميم بين المبدع والمتلقى ، ولكن أيضا بالعمل على الارتفاع بمستوى الذوق الأدبى العام .

يتناول الكتاب بالدراسة أعمال كل من القصاصين عبدالله الطوخى ، أحمد عادل ، محمد كمال محمد ، سليمان فياض ، محمد أبوالمعاطى أبوالنجا ، فاروق منيب ، وعبدالفتاح رزق .

وعلى الرغم من أن الدكتور النساج يقدم كتابه باعتباره - للوهلة الأولى - دفاعا عن هؤلاء الكتاب ، وادانة للنقاد من زملائه الذين تجاهلوهم لأسباب فى نفس يعقوب وعلى رأسهم النقاد الدكتور الطاهر احمد مكى « الذى ينال هجوما شديدا منه » والدكتور السعيد الورقى الذى نال ما هو أشد من الهجوم ، والأستاذ أحمد منصور الزغبى ، على الرغم من ذلك ، وهو ما يدفع الى الاعتقاد بأنه تقييم علمى من باب الدفاع عن هؤلاء الكتاب ، الا أننا نكتشف أنه يضعهم جميعا فى موقف المتهم ، قليل الامكانيات ، ويضع البعض منهم فى مكانة أقل مما يستحقونه الى حد مزعج ، ويهيل عليهم جميعا التراب ليدفنهم باعتبارهم « حلقة مفقودة » و« جيل مدشوت » ، فتحتار معه ، هل هو يدين النقد الذى لم يكن عادلا مع هؤلاء ، أم هو يقدم نفسه باعتباره المخلص ثم يقوم بما هو أخطر من التجاهل ، يقوم بدفنهم فى المقابر لآخر مرة ؟

المشكلة الأساسية فى هذا الكتاب ، وهى مشكلة دائمة عند الدكتور النساج ، انه مجموعة من المقالات المتفرقة التى كتبت فى فترات متباعدة ، ولأسباب مختلفة ، ثم جمعها تحت عنوان واحد الأمر الذى تسبب فى ظلم اضافى للبعض من الكتاب « سليمان فياض وأبو المعاطى أبوالنجا »

بوضعهم فى قائمة الكتاب المنشورين .
يشرف على هذه السلسلة القاص فؤاد تنديل .



● الحرب فى بر مصر تترجم الى الفرنسية .. تحت عنوان :
مصرى انسان من الدلتا

●● صدرت فى باريس الترجمة الفرنسية لرواية "الحرب فى بر مصر" عن دار لاتيس . وذلك ضمن مشروع معهد العالم العربى من اجل ترجمة نصوص ادبية عربية الى اللغة الفرنسية . وهو المشروع الذى يشرف عليه الدكتور بدر الدين عرودكى .
الرواية جرى تغيير عنوانها الى عنوان جديد هو : "مصرى انسان من الدلتا" . وقد جرى هذا التغيير بدون الرجوع الى المؤلف .
وقد قيل فى اسباب هذا التغيير . ان عنوان الرواية الاصلى "الحرب فى بر مصر" يبدو اقرب الى عنوان دراسة عن الحرب اكثر منه عنوان نص روائى .
وان كان هناك اعتقاد ان التغيير قد جرى خوفا من اللوبى الصهيونى .. المنتشر فى الصحافة والاوساط الثقافية الفرنسية بقوة .
الحرب فى بر مصر ترجمت لاول مرة الى الروسية وصدرت عن دار الادب والفن فى موسكو . ثم ترجمت الى الاوكرانية وصدرت فى اوكرانيا .
وفى لندن ترجمت الى اللغة الانجليزية وصدرت عن دار الساقى فى لندن .
ويدون الان من المؤلف ترجمت الرواية الى اللغة العبرية وصدرت عن دار "تفرلس" فى تل ابيب وقد جرى الاتفاق مع المؤلف على ترجمة الرواية الى اللغة الهولندية لكى تصدر فى هولندا فى العام القادم .
"الحرب فى بر مصر" صدرت لاول مرة فى بيروت . عندما منعت فى مصر .
وبعد طبعة بيروت صدرت الطبعة الثانية منها فى دار صلاح الدين فى القدس المحتلة . والطبعة الثالثة من دار الشئون الثقافية العامة فى بغداد .

طبعتها العربية الاولى فى مصر صدرت من دار القاهرة للثقافة سنة ١٩٨٥ . وتصدر قريبا طبعة بصورة جديدة منها عن مكتبة مدبولى .
المترجمة الفرنسية للرواية ايزابيل فليش .
"الحرب فى بر مصر" . تم الموافقة اخيرا على تحويلها الى فيلم سينمائى ينتجه المنتج الفلسطينى حسين القلا ويكتب لها السيناريو والحوار محسن زايد ويخرجها المخرج الكبير صلاح ابو سيف .

وما الدنيا .. إلا بالون كبير

إعداد وتقديم : محمود قاسم

« لاشك ان الله ، سبحانه وتعالى ، قد اختار شكل الكون بصورته الاولى لاسباب تعجز عن إدراك كنهها ، ويقع هذا بالتاكيد ضمن قدرته الربانية . ولكن اذا كان الله قد انشأ الكون بهذه الطريقة التى لانقدر على فهمها ، فلماذا قرر ان يدعه لكى يتطور بموجب القوانين التى نقدر على فهمها »

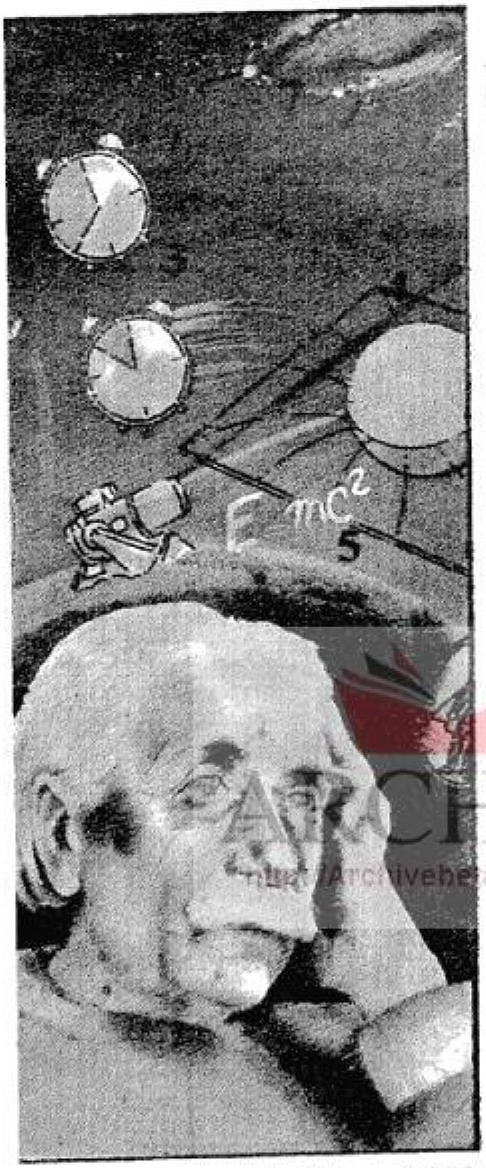
صاحب هذا الكلام هو واحد من اهم الظواهر العلمية والانسانية فى النصف الثانى من القرن العشرين . او بالتحديد انه « اينشتاين » رقم ٢ .. العالم ستيفن هوكنج ، الذى يعد ، بكل المقاييس معجزة علمية حقيقية ، ليس فقط لانه استطاع ان يضع بعض النظريات والقوانين لحركة الكون ، ولكن لانه استطاع ان يتوصل لهذه القوانين العلمية المعقدة وهو يجلس فوق مقعده المتحرك الذى ظل يجلس عليه سنوات عمره التى بلغت الثامنة والاربعين . نموذج انسانى يسترعى الاهتمام . عاجز عن الحركة . والنطق لكن هذا لم يمنعه قط ان يعمل عقله ، فيقدم للبشرية احد اهم النظريات المتعلقة بالكون والزمن ، مؤكدا ان الكون قد خلقه الله عز وجل فى صورة بدائية . وان هذا الكون ينمو ويتطور مثل كافة المخلوقات الحية .. وانه مر بمرحلة الطفولة .. وانه ستكون له مرحلة شباب .. وشيخوخة .. وفناء ..

جاءت عبقرية ستيفن هوكنج فى انه صاغ نظريته المعقدة فى كتاب بالغ الاهمية ، ويخلو تقريبا من تعقيدات الصياغة ، نشره مع بداية العام الماضى تحت عنوان « موجز تاريخ الزمن » اعتبره العلماء وثيقة إنسانية يمكن ان تدخل فى ضمن الكتب القيمة التى شكلت البشرية فى العصر الحديث مثل « تفسير الاحلام » لفرويد ، و « راس المال » لماركس ، و « اصل الانواع » لداروين وغيرها .. لذا فان الكتاب قد باع خمسة ملايين نسخة فى طبعته الانجليزية . ومالبث ان ترجم الى العديد من اللغات المقروءة .. كان اخرها طبعة محدودة فى اللغة العربية .

يهمنا قبل ان نقدم اهم ملجاء فى هذا الكتاب أن نتحدث عن المؤلف .. ذلك



ستيفن هوكنج



اينشتاين .. ونظرية الكون

الظاهرة الانسانية التى تثبت ان الكثيرين من المعوقين يسعون الى تعويض ماحرمتهم السماء من بعض النعم الجسمية او العقلية وذلك من خلال اثبات كفاءاتهم فى مجالات اخرى قد يصبحون بارزين اكثر من البشر العاديين .. ولعل التاريخ قد قدم لنا مئات من هذه النماذج مرورا بهوميروس ، وابى العلاء المعرى ، وهيلين كيلر ، وتولوز لوتريك ، وطه حسين .

● كتب على الكون الشيخوخة !

هذا المؤلف اثار الكثير من الآراء حوله .. لكن قبل ان نذكر ماقيل عنه . تعال معا نستعرض أهم ماجاء فى كتابه . علما بأنه من الصعب ان نقدم مثل هذا الكتاب فى مقال واحد .. او ان نختصره .. لذا فاننا نسعى بقدر الامكان الى القيام بهذه المهمة الصعبة ..

يقول هوكنج فى المقدمة : « كنت قد

وما الدنيا
الا بالون كبير

عقدت العزم على أن أضع كتابا مبتسرا عن الزمان والمكان ، بعد أن فرغت من القاء عدد من المحاضرات فى جامعة هارفرد بالولايات المتحدة عام ١٩٨٢ . اذ كان فى ذلك الوقت عدد لايستهان به من الكتب التى صنفت عن الكون فى مراحل نشأته الاولى ، وعن الثقوب السوداء ايضا ، وكانت تلك الكتب تتفاوت بين الكتاب الممتاز مثل « الدقائق الثلاث الاولى » لستيفن واينبرج ، الا اننى رغم ذلك احسست ان هذه الكتب كلها لم تتناول المسائل التى حملتنى على الكتابة عنها فى علم الكونيات ، ونظرية الكم ، ومن هذه المسائل :

من أين أتى الكون ؟
وكيف بدأ ، ولماذا ؟
وهل سينتهى وكيف ؟

استطاع هوكنج بذلك ان يشارك فى تأسيس ما اسماه بعلم الكونيات ، الذى يدرس حركة وتاريخ الكون بالاضافة الى طبيعة هذا الكون حيث يؤمن ان الناس يعيشون حياتهم اليومية وهم لايعرفون شيئا عن الكون الذى حولهم . فلم يكلفوا انفسهم عناء السؤال عن الكيفية التى تتولد فيها اشعة الشمس لتجعل الحياة على الأرض سهلة ممكنة . ولا عن قوة الجذب التى تشدنا الى الارض ، والتى لولاها لكنا ندور فى الفضاء ، ولا عن الذرات التى تتركب منها أجسامنا والتى تعتمد على استقرارها .

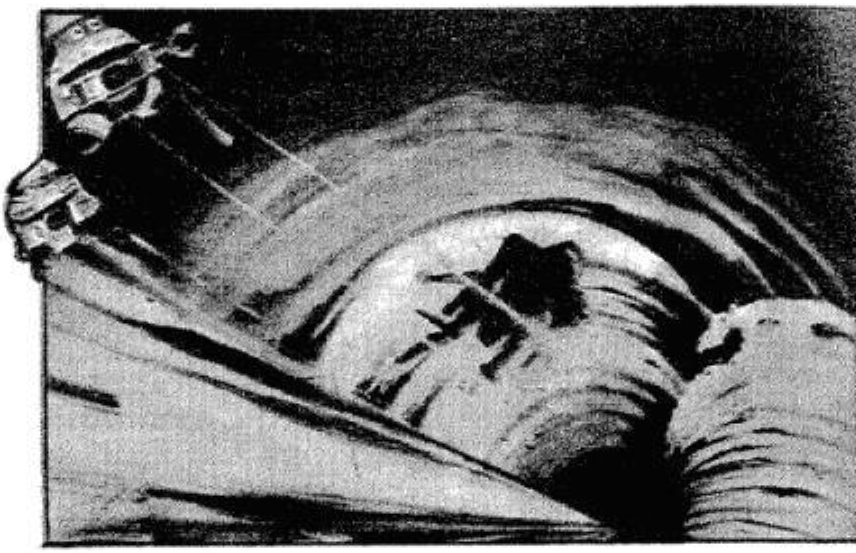
فباستثناء الاطفال فان عددا قليلا من الكبار يصرف جل وقته مستفسرا عن صورة الطبيعة التى نراها وعن مصدر نشأة الكون ، وهل كان موجودا منذ الازل .. ؟

فمما يثير الدهشة فى ميدان الفكر الانسانى أن أحدا لم يفكر فى تمدد الكون او تقلصه الا بعد أن حل القرن العشرين ، وكان الرأى السائد قبل هذا القرن هو ان الكون اما قد نشأ من حالة ثابتة ثبوت الدهر ، واما أن يكون قد خلق فى زمن محدد فى الماضى السحيق ، ولعل هذا التحليل يعزى الى ميل الناس الى تصديق الحقائق الازلية ، والى الشعور بالارتياح من مجرد اعتقادهم ان الكون خالد وثابت ، حتى وان كتب عليهم الشيخوخة والموت .

● سر العناقيد المقللة

الجديد عند ستيفن هوكنج اذن هو ان الكون غير ثابت .. وأن شيخوخة سوف تصيبه يوما ما ، حتى وان تم ذلك بعد ملايين ، او مليارات السنوات .. لكن لاشك أن هذا حادث يوما .. لذا فانه يقول أن فكرة الدوران حول الكون والرجوع الى نقطة البداية تصلح موضوعا لروايات الخيال العلمى . لكنها غير ذات جدوى من الناحية العلمية ، لان الكون فيها قد ينهار الى نقطة التلاشى قبل ان يكمل المرء الرحلة . وانه اذا ما اراد ان يتمها فان عليه ان ينتقل بسرعة تفوق سرعة الضوء لكى يعود الى نقطة البداية . وقبل ان يقترب الكون من نهايته .. وهذا امر غير جائز بالمرة .

يؤمن هوكنج اذن ، اننا نستطيع ان نحدد سرعة التمدد الحالية من خلال السرعات التى تتحرك بها المجرات البعيدة عنا . علما بأن المسافات الى تلك المجرات غير معروفة لنا ، لاننا لانستطيع قياسها مباشرة لان كل مانعرفه عن الكون



الثقب الاسود .. يؤكد امتداد الكون

مو انه يتحدد بين ٥ الى ١٠٪ فى كل الف مليون سنة .. اى ان الكون يتسع ويكبر مثل الكائنات الحية التى تنمو.

فلو جمعنا كل النجوم كلها من تلك التى يمكننا رؤيتها فى مجرتنا والمجرات الاخرى ، فسيكون المجموع اقل من جزء فى المائة من الكمية المطلوبة لوقف تمدد الكون ، وهى اقل من ادنى تخمين لمعدل تمدد الكون ..

اذا ، فلابد ان تحتوى مجرتنا ، والمجرات الاخرى على كمية كبيرة من « المادة المظلمة » ، وهذه المادة لايمكننا رؤيتها مباشرة ، الا اننا نعرف انها يجب ان تكون موجودة بسبب تأثير جذبها التثاقلى على مدارات النجوم فى المجرات . وقد اكتشف ان معظم المجرات فى الكون موجودة على هيئة عناقيد او مجموعات . ويمكن لهذا ان يفسر وجود المادة المظلمة بين المجرات فى تلك العناقيد . فهى التى تقوم بالتأثير على حركة هذه المجرات ..

ولو قمنا بجمع حسابى لكل هذه المادة المظلمة ، فلن نحصل سوى على جزء من عشرة من الكمية المطلوبة لوقف التمدد فى الكون . ومع ذلك فانه لايمكن ان نستبعد احتمال وجود شكل اخر من اشكال المادة منتشرة بصورة متجانسة فى كل ارجاء الكون . وهى وان لم نكتشفها بعد ، لاتزال تزيد من معدل الكثافة فى الكون الى النقطة الحرجة المطلوبة لوقف التمدد .

● حكاية الثقوب السوداء

يقول ستيفن هوكنج ان مصطلح « الثقب الاسود » يعد من المصطلحات حديثة الاستعمال ، فقد وصفه العالم

وما الدنيا الا بالون كبير

جون ويلر عام ١٩٦٩ ليصف به فكرة تعود الى مائتى عام تقريبا . عندما كانت هناك نظريتان عن الضوء : الاولى تقول ان الضوء يتألف من جسيمات . اما النظرية الثانية ، فترى أن الضوء يتألف من موجات .. وقد أكدت التجارب الآن صحة كلتا النظريتين .

الا أنه ، حسبما يقول هوكنج ، لم تظهر نظرية متماسكة توضح تأثير الجاذبية فى الضوء الا عندما قدم اينشتاين النظرية النسبية العامة عام ١٩١٥ . لذا فلكى نفهم الكيفية التى تتكون منها الثقوب السوداء ، علينا ان نفهم دورة حياة النجوم . فالنجم يتكون عندما يبدأ من كمية هائلة من غاز الايدروجين . اما عندما يتقلص حجم النجم فان ذرات الايدروجين تتصادم ، وترتفع درجة حرارته مما يحدث انفجارا أشبه بانفجار القنبلة الايدروجينية . ويبدو كأن النجم فى حالة سطوع وتألق ..

ومن المفارقات العجيبة ، انه كلما ازدادت كمية الوقود فى النجم نفد النجم بسرعة اكبر ، ولذا فان شمسنا حصلت على وقود يكفيها خمسة الاف مليون سنة قادمة تقريبا ، لكنه من المرجح لن تستنفد النجوم الضخمة وقودها في اقل من مائة مليون سنة . وهو زمن يقل عن عمر الكون كثيرا ...

وقد وجد العلماء ، فى تاريخ الكون الطويل ان هناك عددا كبيرا من النجوم التى احرقت كل وقودها النووى ، ثم الت الى الانهيار ، ويمكن ان يكون عدد الثقوب السوداء اكبر بكثير من عدد النجوم المرئية التى يصل مجموعها الى مايقرب من مائة الف مليون نجم فى مجرتنا فقط .

لكن كيف يمكن للمرء ان يرى الثقوب السوداء ؟

يرد هوكنج على هذا التساؤل بأن هذا ممكن من خلال كتل تقل عن كتلة الشمس . ويمكن ان تتكون هذه الكتل اذا ما انضغطت المادة الى كتل عالية جدا بفعل ضغوط عالية جدا تأتيها من الخارج .

وتقوم فحوى نظرية العالم انه لو استطعنا ان نقدر عدد الثقوب السوداء الاولية الموجودة الآن فى الكون لعرفنا الكثير عن المراحل الاولى لنشأة الكون . الا انه للأسف لايمكن الكشف عن الثقوب السوداء الاولية ذات الكتل الكبيرة الا بعد ان نعرف تأثير جاذبيتها على مواد مرئية أو على حركة التمدد فى الكون ..

● هل يتكاثر الكون ؟

خصص ستيفن هوكنج جزءا طويلا من حديثه حول نظريته فى أصل الكون ، ومصيره وأكد أن النظرية النسبية قد تنبأت بأن الزمان ـ المكان بدأ عند حدوث الدوى الهائل وسوف ينتهى عند حدوث السحق الهائل . وقد يحدث تلك عند حدوث شىء غير عادى داخل الثقوب السوداء . فلذا اسقطت اى مادة ، مهما كانت ، داخل الثقب ، فانها سرعان ماتختفى . لكن الشىء الوحيد الذى يبقى منها هو تأثير جاذبية كتلتها الذى نحس به من الخارج . ولو تأملنا تأثيرات الكم فسوف يبدو لنا ان كتلة المادة ، او طاقتها ، تعود فى آخر الأمر الى سائر اجزاء الكون ، وان الثقب الاسود ،

بدوره ، سوف يتبخر ، وينتهى به الامر فطالما سينتهى الكون نفسه ..

وفى عام ١٩٨١ تركز اهتمامى فى التساؤل عن اصل الكون ومصيره ، ومن اجل توضيح الافكار التى تكونت لدىّ ولدى بعض الناس حول الكيفية التى قد تؤثر فيها ميكانيكية الكم فى اصل الكون ومصيره . أرى من الضرورى ان نفهم اولا تاريخ الكون المتعارف عليه الذى يفترض انه عندما يتسع الكون فان اى مادة او اشعاع فيه يميل الى البرودة ، وعندما تصبح المادة باردة يتوقع ان الجسيمات التى تنجذب بعضها الى بعض تبدأ بالتكتل معا .

وفى الدرجات الحرارية المنخفضة . اى عندما تكون للجسيمات المتصادمة طاقة اقل ، فان ازدواج الجسيمات او اضدادها سوف تنتج او تتكاثر بسرعة اقل . اى ان ابادتها بعضها لبعض تكون أسرع من تكاثرها .

ويقر هوكنج ان تاريخ العلم ماهو الا فهم تدريجى بأن الاحداث لاتقع بشكل اعتباطى . ولكنها تؤكد وجود نظام معين . وعليه فان من الطبيعى ان نفترض ان هذا النظام لاينطبق على القوانين فحسب ، وانما على الحالات الكائنة ضمن الزمان - المكان التى لها حالات ابتدائية مختلفة - والتى تتبع القوانين .

اذن هناك احتمالان : اما ان هناك عددا لايحصى من العوالم . وأما ان الكون لامتناه مكانيا . لذا فان احتمال ايجاد اى منطقة معينة من الفضاء فى اى شكل من الاشكال بعد الدوى الهائل مباشرة يكاد يكون هو الاحتمال نفسه . فالكون الاولى ربما كان فى منتهى الاضطراب بسبب وجود عدد من الحالات غير المنتظمة . فالكون ، على الارجح ، قد نشأ فى حالة عدم إنتظام ..

● هل نحن معرضون للفناء ؟

تتلخص نظرية هوكنج ان الكون فى حالة اتساع مشابه لانتفاخ البالون .. فقد امتد الكون الى حجم كبير للغاية . ولذا فاننا لانزال معرضين الى الفناء الى حد ما رغم ابتعادنا عن الثقوب السوداء ..

هذه هى بعض المقتطفات من آراء ونظرية تمدد الكون وضعها عالم اتعده المرض منذ سنوات طويلة . فاصبح لايتحرك الا بصعوبة شديدة .. وكما سبق ان اشرنا فان الاراء قد اختلفت حول هذه الظاهرة الانسانية الغريبة ، وليس حول ماجاء فى نظريات هوكنج . فالكاتب جان كلود بيكر يعلق فى مجلة « لونوفيل اوبسرفاتور » انه من المؤسف ان نحكم على الاشخاص من خلال مصابهم . فقد كان بيتهوفن اصماء. ولم يكن هذا دافعا كى تتوقف موهبته .. ويقول تيبول دامور مدير مركز الابحاث الفرنسى انه اذا كان ستيفن هوكنج قد التصق الى الابد بمقعده المتحرك ، فان مخه جعله احد ألمع علماء الطبيعة المعاصرين ، وهو يوظف هذا المخ بسرعة الضوء لفهم الاشياء .

الغريب ان هناك اشخاصا لهم اراء مختلفة فى هوكنج حيث يقول العالم آفرى شأتزمان : « اعرف ستيفن هوكنج شخصيا . انه يؤسرنى كعالم . ولكننى اعتقد ان البعض ينظر اليه احيانا على انه ظاهرة من السيرك اكثر منه كخليفة لاينشتاين »

ولكن اذا كان كل سيرك يمكنه ان يقدم شخصا مثل هوكنج .. فأهلا بكل سيرك فى العالم .



الوجه الجديد عمرو عبد الجليل

إسكندرية كمان وكمان

بقلم: مصطفى درويش

السينما صناعة ، وهي اذا كانت تختلف عن صناعة الادب من بعض الوجوه ، فانها تشبهها في بعض الوجوه الاخرى ، وآية ذلك قيام مخرجي السينما بابداع افلام عن الافلام .

فثمة وجه شبه بين ذلك النوع من انواع الابداع وبين قيام الروائيين من حين لآخر بكتابة روايات مدارها امثالهم من الروائيين او جنوح المسرحيين من حين الى حين الى كتابة مسرحيات ليس لها من موضوع سوى ما يدور في كواليس المسرح من وقائع واحداث .



يوسف شاهين .. رائد في حدوده

في الميزان

وهناك مبررات للافلام التي من ذلك النوع — من بينها رغبات مبدعيها في تعرية انفسهم من جميع الاسرار والاوتار واستعادة ذكريات ما كان من امرهم مع المنتجين والاستديوهات ، والتعبير عن شعورهم على نحو يستطيعهم بلا حسيب او رقيب .

ويأتي مبرر آخر — ولعله الاهم ، وهو وصف العالم الذي كل ما فيه مكشوف لهم ، في تشكيل ابصارهم وافكارهم على نحو ليس في مقدور الغير سواء كان هذا الغير من خاصة او عامة الناس ، اطلين بفضل تلك الافلات الى الوراء الاولاء بيان على الشاشة قد يكون مسرحا لتبادل التعليقات والانتقادات والآراء .

وعلى كل حال ، فقد اشتهر من دنيا الاعمال في مجال السينما القصيرة البالغة في المبالغات .

ولا غرابة ، اذن اذا ما عكست اغلب الافلام التي صورها الاكثر تلك القسوة ،

إسكندرية كمان وكمان

فضلا عن التعبير بدرجات متفاوتة من التكثيف عن المأزق الذى يعيشه مبدعو الاطياف .

والسؤال ما هو هذا المأزق وما اسبابه ؟

والجواب على هذا السؤال ليس عسيرا .

فاولا ثمة ذلك الصراع الدائم من اجل التمويل والجهد المجنب الذى يثقل كاهل المبدعين ، وغالبا لا طائل فيه ولاغناء .

هذا - أول

ثم تلك المعارك التى تستنزف الطاقات مع رؤساء استديوهات حظهم من الثقافة اقل القليل ، ومنتجين مستبدين يقاسون من غباء شديد ونجوم كل شيء من امر نزواتهم واهوائهم غريب عجيب !

وفوق كل هذا ممارسات فاسدة وشريرة فى صناعة ما استطاعت اية صناعة اخرى أن تبلغ شأوها فى الفساد ولا تساويها ولا تضاهيها فى النكر والشر .

فعلى امتداد تاريخ السينما - وهو تاريخ قصير - كثيرا ما كان يجد صانع الفيلم نفسه مواجها بالتعدى المذل على ابداعه بالتعديل والتبديل ، تارة باعادة التصوير ، وتارة باعادة التوليف .

فاذا ما كتب لفيلمه ان يتوج فى الشباك بالنجاح ، ضيعوا عليه بالغش والخداع نصيبه العادل من الارباح .

اما فيما لو لم يقبل الجمهور على مشاهدة فيلمه ، فهذه النقمة لابد وان تنتهى به موصوما محروما من مواصلة الابداع والحواديت المرعبة التى تروى فى هذا الخصوص لا عد لها ولا حصر

● اسئلة واجوبة

وفى الحق ، فما ان يلتقى صانعو الافلام ، حتى يبدأ الحديث ، وتتتابع الاسئلة لامة حول الخيانات والاساءات وصنوف التشويهات التى لا تعرف قصدا ولا اعتدالا .

لماذا عاد «اليا كازان» الى كتابة الروايات تائبا عن اخراج الافلام ؟

ولماذا كلما جاء ذكر لحياة «اورسون ويلز» الفنية اعتبرها الكثير حياة اقرب الى المأساة .

ولماذا وجد «فرانسيس فورد كوبولا» نفسه ، وهو يصور «الاب الروحى» مرفوتا بدل المرة خمس مرات ؟

ولماذا لم تتح لشادى عبد السلام فرصة اخراج «اخناتون» بعد رائعته «المومياء» ؟

ولماذا تراجعت «متروجلدوين ماير» عن اتفاقها مع «فريد زينمان» الذى كان على وشك الشروع بموجبه فى اخراج قصة «أندريه مالرو» الشهيرة «مصير انسان» ؟

ولماذا امتنع على «جورج كوكور» مواصلة اخراج «ذهب مع الريح» .

ولماذا لم يستطع «جون هوستون» الوفاء بالتزامه اخراج «وداعا للسلاح» ؟

ولماذا انتهى الامر بالمخرجين العبقريين «اريش فون شتروهايم» و«دافيد جريفيث» الى حياة عامة كلها بؤس ويأس ؟ ولماذا مات المخرج «نيازى مصطفى» مقتولا قبل ثلاثة اعوام ، ولم



المخرج والممثل حب ام كراهية

يعثر على الجناة حتى يومنا هذا ؟

وماذا عن كتاب السيناريو الذين ادرجت اسماؤهم فى قوائم سوداء تحول بينهم وبين الاستمرار فى الابداع والممثلين الذين ضيق عليهم الخناق حتى اثروا مفارقة الحياة بالانتحار ؟

ولماذا كل هذا الكم الهائل من الفضائح والخلافات والخصومات ؟

ولماذا الانحدار بالمواهب الجميلة دون اخذ قدرتها فى الاعتبار ؟ اسئلة كثيرة لا نهاية لها .

وطبعا ، وفى كل حالة ثمة اجابة لكل واحد منها .

● قانون الغاب

ولكن الاجابة العامة عليها جميعا انما تكمن فى خصائص صناعة السينما ، تلك الصناعة التى تقوم على انتاج سلع ليس لها قيمة تستطيع بها ان تتجاوز حدود قدرتها على التسلية والامتاع .

وهكذا لا تعتمد ، لاستمرار بقائها الا على قوة الذوق العام ، وهى قوة يصعب التنبؤ بها وحسابها حسابا دقيقا فصناعة السينما ، وعلى عكس غيرها من الصناعات كالصلب والفحم والسيارات ، تتعرض بحكم طبيعتها الى ضغوط اقتصادية شديدة الصرامة ، وتلك الضغوط يتولد عنها تقلبات عنيفة مؤداها تمزق الافراد ، والتحول بهم احيانا الى مسوخ شائهة او الى حطام .

فدنيا الاعمال فى مجال السينما دنيا فاسدة ، متقلبة ، قاسية لا ترحم .

وكل ذلك يرجع الى عدة اسباب اهمها تزاوج جميع المشاكل الملازمة لاى نوع من انواع تجارة الاستعراض (وتجارة الافلام لا تعدو ان تكون امتدادا لتجارة الكرنفال والسيرك) بالمشاكل الملازمة للمضاربة فى راس المال الكبير .

اسكندرية كمان وكمان

فمن المعروف انه ما ان يتعرض رأس المال الكبير للخطر ، حتى يطلى الفنان .

فمن الصعوبة بمكان التوفيق بين متطلبات النجاح فى الشباك ، وبين تحقيق فنان السينما لذاته من خلال التعبير بلا قيود عما يحس ويشعر .

ومن عجب انه ، ورغم كل ما تقدم فعدد الافلام التى تمور وجودا وعدما حول عملية ابداع الافلام قليل بل قليل جدا ، اذا ما قيس بالآلاف المؤلفة من الافلام التى جرى انتاجها على امتداد قرن من عمر الزمن .

● التجديد والتقليد

واعجب العجب ان اهم تلك الافلام القليلة ـ اذا ما استثنينا «الروميه والجميله» (١٩٥٢) لصاحبه «فنسنت مينيللى و «السكين الكبيره» (١٩٥٥) لصاحبه «روبرت الدريش» لمخرجين من غرب اوروبا «ثمانية ونصف» (١٩٦٣) المخرج الايطالى «فيديريكو فيللينى» و«الاحتقار» (١٩٦٣) المخرج السويسرى «جان لوك جودار» . و«الليل الامريكى» (١٩٧٣) المخرج الفرنسى الراحل «فرانسوا تريفو» و «حالة الاشياء» (١٩٨٢) المخرج الالمانى «فيم فندرز»

واكثر تلك الروائع الاربعة غموضا هو «الاحتقار» وليس هذا بالأمر الغريب ، لما هو معروف عن صاحبه «جودار» من ميل جامح نحو الابتكار والتجديد .

والآن ، يمكننا ان ندخل فى عداد تلك الافلام الجدّ قليلة فيلم يوسف شاهين الاخير «اسكندرية كمان وكمان» .

ولعلى لست بعيدا عن الصواب اذا ما جنحت الى القول بانه اول فيلم متكلم بلغة الضاد ، يعرض لموضوع من هذا القبيل .

وهو بهذه المثابة ، يعتبر فى نطاق الوطن العربى عملا سينمائيا رائدا .

واول من تنبه الى ان «اسكندرية كمان وكمان» وهو من ذلك النوع النادر من الافلام كان مراسل «التايم الامريكية فى القاهرة (عدد ٣/٩/١٩٩٠) الذى كتب عنه قائلا «انه فيلم تتشابك فيه الكوميديا الموسيقية بالتسجيلية الاجتماعية والفانتازيا والهزل الهازل» .

كل ذلك والمخرج منهمك بالبحث عن الحقيقة ومعرفة الذات انه المعادل لفيلم «فيللينى» «ثمانية ونصف» .

ورغم كثرة الكلام عن الفيلم فى جميع مجلاتنا وصحفنا ، وهو كلام فى جملته يتسم بالاسراف فى الاشادة والاطناب .

وكل ما يمكن ان اقوله فى شأن هذا الكلام هو ترديد فاتحة «جان بول سارتر» لدراسته «ما الادب ؟» . «ما اكثر الحماقات وما اسرع ما يقرأ الناس ، وما اقل ما يفهمون ، وما اكثر ما يحكمون قبل ان يفهموا» رغم ذلك فإن احدا من اصحاب هذا الكلام الكثير لم يشر الى «ثمانية ونصف» لا من قريب ولا من بعيد .

وفى اعتقادى ان «شاهين» قد تأثر ، وهو يجيل فكره فى سيناريو «اسكندرية كمان وكمان» لا بفيلم واحد ، وانما



احدى لقطات الفيلم

بفيلمين احدهما . بشماتة وتصفه والآخر «الاحتفاء» .

ولا عيب في التأثر بهاتين الرائعتين فلا احد مولع بالسينما الا ومعجب بهما .

والاعجاب اول التقليد . والتقليد اول الابداع ولعل تأثره بالاحتفاء يحمل بعض التفسير لغموض المغزى المقصود من مشاهد «الاسكندر الاكبر» و «كليوباترة» وغموض صلة تلك المشاهد بالخط الرئيسي للفيلم . وغموض تقاطعها وتعارضها مع ذلك الخط .

وليس من شك ان كل هذا الغموض المشوب به الفيلم قد جعله بمنأى عن الفهم .

ولو استطعنا الفهم . وهو امر من الصعوبة بمكان في حالة الاكتفاء لولا بمشاهدة الفيلم مرة واحدة وثانية

إسكندرية كمان وكمان

بسماع الحوار ، لا سيما ما جاء منه على لسان «يحيى الاسكندراني» (يوسف شاهين) دون الاستعانة بترجمة له على الشريط باحدى اللغات الاجنبية .

● العلاقات الخطرة

لو استطعناه لاستبان لنا ان الخط الرئيسى فى الفيلم محورة علاقة معقدة بين مخرج «يحيى الاسكندرانى» وممثل شاب «عمرو عبدالجليل» كان الاول قد اكتشفه واتاح له فرص التالق فى افلام من اخراجه عرض بعضها فى مهرجانات اولها «برلين» واخرها «كان» .

والفيلم يبدأ بالممثل الشاب متمردا رافضا اداء دور «هاملت فى الاسكندرية» فيلم استاذه الجديد .

وما هى إلا مدة قصيرة حتى كان الفتى قد تحرر نهائيا من وصاية الاستاذ بالزواج من الفتاة التى احبها ، فضلا عن اخراج مسلسلات تليفزيونية سوقية يجرى تمويلها ببترو دولارات قادمة من الخليج تنشر الفساد .

ويعانى الاستاذ من عذاب فراق الفتى ، بل قل التمثال الجميل الذى احسن تشكيله على صورته بحيث يكون امتدادا لشبابه الذى ولى بلا امل فى ان يعود ، فاذا به بفضل الفتى يعود .

ويمتد به العذاب على امتداد عرض الفيلم لان حبه للفتى لم يكن حبا عابرا ولا سطحيا وانما كان من هذا الحب الذى لا يكاد يبلغ القلوب حتى يستقر فيها ويستاثر بها .

وهو من فرط حب هذا الذى ملك عليه كل شيء يتصور الفتى فى ادوار هاملت والاسكندر الاكبر .

● الاعتصام .. لماذا ؟

فاذا ما انقلب الحب بينهما من شراب صفو الى سم زعاف لاسيما بعد ان اصبح الفتى بفضل ذهب الخليج من تلك الفئة القليلة صاحبة العربات المرسيدس الفارهة وبعد ان امتنع عن الذهاب الى دار نقابة السينمائيين للتعبير عن تضامنه مع المعتصمين والمضربين عن الطعام احتجاجا على القانون رقم ١٠٣ لسنة ١٩٨٧ .

راينا الاستاذ قريبا من نهاية الفيلم ، وقد جنحت به ساديته الى تصور الفتى فى وضع دموى ممعن فى القسوة .

فها هو ذا ، وفقا لهذا التصور ، راقد داخل تابوت زجاجى فى حجرة فرعونية تحت الأرض يخترق سقفها خازوق يصل الى قلب الفتى مفجرا دماءه التى تسيل حتى تغطى الشاشة تماما .

وفى اثناء هذا كله ، ثمة خط فرعى مقحم على حكاية وقوع الاستاذ فى غرام الفتى ، مداره اعتصام نفر من الفنانين احتجاجا على قيام مجلس الشعب باصدار القانون المشار اليه فى الخفاء .

فيفشل هذا الاعتصام الذى صاحبته ضجة كبرى ، وانتهى فى الواقع كما فى الخيال الفيلمى الى لا شيء . بفضله يلتقى الاستاذ فى دار النقابة بفتاة متمردة «نادية» (يسرا) حلوة الحديث ، تجمع الى براعتها فى فن التمثيل ، ثقافة واسعة ، وظرفا فاتنا .

وسرعان ماتترك الفتاة فى قلبه جذوة لا سبيل الى اطفائها ، فيتصورها كليوباطرة ، ويعلق عليها امالا عراضا تنسيه حبه القديم ، وتدفع به الى مواجهة تضية حياته مع الفن فى افقها الوسيع والعميم .

● الغائب والحاضر

يبقى ان اقف قليلا عند ثلاث ملاحظات لا تزيد . الاولى ان الخط الرئيسى فى الفيلم ليس محوره الصراع بين المخرج والمنتج كما هو الحال فى روائع مثل «ثمانية ونصف» و«الاحتقار» و «محالة الاشياء» .

وانما نوع آخر من الصراع غريب بين مخرج هيمان بممثل ، ولا يريد له ان يكون حرا مستقلا يختار الحياة خاصة كانت أم عامة وفقا لمزاجه ولما يراه محققا لمصالحه .

وعندى ان ثمة سببا لمجيء الفيلم خاليا من اى صراع بين المخرج والمنتج حتى ولو كان تلميحا ، وما استتبع ذلك من نتائج ليس اقلها الافتقاد لاى نقد جاد لفساد الامكنة والعلاقات فى دنيا السينما .. لما هو؟

أنه يكمن فى ان صاحب الفيلم يجمع بين وظيفتى الانتاج والاخراج وغنى عن البيان انه ما ان تجرى المفاضلة بين الاثنتين ، الا وتكون الغلبة للتاجر على حساب الفنان فى اغلب الاحيان .

والثانية ان الفيلم دار حول معان كثيرة دون أن يقدمها لنا بجلاء ومنطق واضح يترتب لاحقه على سابقه .

● صوت الرجعية

وبالتالى عجز عن ان يبعث فينا الاحساس بمأساة الضياع والفقدان .

ولعل مشهد الفتى ، وهو يرقص وحيدا على صوت ام كلثوم وهى تشدو «فات الميعاد» تعبيرا منه عن اوجاعه الناجمة عن عدم فوزه بجائزة التمثيل فى مهرجان كان ، هذا فى نفس الوقت الذى نرى فيه الاستاذ غير مكترث بحال الفتى ، محتسيا مع الرفاق الاجانب الشمبانيا ، وكأن شيئا لم يحدث .

لعله احد المشاهد التى تدل دلالة قاطعة على ذلك العجز عن البيان .

فصاحب الفيلم يريد ان يقول بهذا المشهد ان صوت أم كلثوم رمز للتخلف .. وان الفتى باستمرار الاستماع اليه والتأثر به مشدود لا محالة الى الوراء .

وليس من شك انه ويفرض صحة ذلك القول ـ وهو فى رأيى غير صحيح ـ فالرمز للتخلف بصوت ام كلثوم امر غير مفهوم الا لقلة من الناس .

أما الملاحظة الثالثة والأخيرة ، فتنحصر فى ان مشاهد الاسكندر الاكبر وكليوباطرة انما تروع بسوقيتها وما احب ان ادخل فى اعماق تلك السوقية وتفاصيل تيهها فذلك شيء لا يتسع له هذا الحديث .

كل ما استطيع ان اقوله الآن عن تلك المشاهد انها من نوع فن «الكيتش .» وهى لفظة إلمانية تعنى التافه او الهراء او التفاهة فى بعض الاحيان .

العالم في سطور

بروكسل

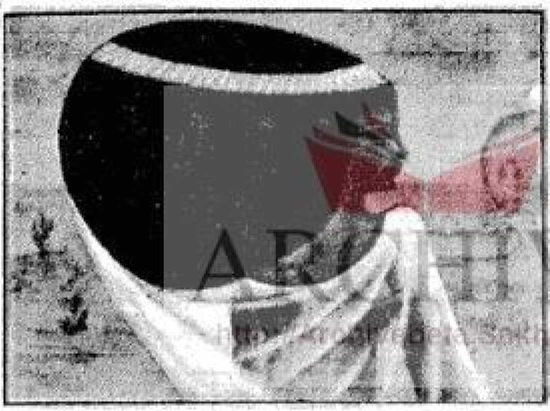
مصري . في قصر البحيرة

في الغربة لابد ان يحمل الفنان حنينه ويحمله بين ثناياه فيروح يعبر عن هذا الحنين بأسلوبه الخاص ويتدفق عطاؤه حسب النبع الذي يولد الحنين . وحسب المشاعر التي تنبض في داخله نحو بلاده ..

والفنان المصري لطفي ابو سرية يقيم في بروكسل منذ عشرين عاما ورغم المسافة الزمنية التي تفصله عن وطنه . فإن هذا الوطن يسكن في ضمير الفنان وأعماله فهو يدفعه دائما الي ان يعبر عنه وان يرسم كل مايشعر به نحو بلاده .



لوحة مصرية على كارت الدعوة لمعرض قصر البحيرة



من يحمل همومك يامصر

وقد اقيم الفنان المصري ابو سريه معرض في قصر البحيرة بمدينة بروكسل مع مجموعة من الفنانين الأوروبيين . ولفتت اعمال الفنان الصحافة الفنية في بلجيكا لدرجة ان الناقد التشيكي جان فيليب دي فوجلار قد كتب عنه في جريدة اخر ساعة مقالا قال فيه :

اثناء زيارة هذا المعرض ستلاحظ المرور المتتابع بالانفعالات والاحاسيس . ثم بالتساؤلات حيث تنتهي بالدهشة .. الانفعالات اولا : حيث نجد التضاد الذي



لطفي ابو سريه

يظهر في اسلوب معالجة رسم الوجه جانبيا والصدر من الامام . وذلك متأثرا بالطريقة القديمة ويبين الاشكال والرموز التي تجد لها اصلا في حياتنا اليومية المعاصرة ثم تكتشف التزاوج بين الشرق والغرب حيث يترجم الحقيقة اليومية بشكل متكامل . المنازل الصغيرة ، والخلفيات الاضاءات المركزة النابعة من عمق الجدران الدروب المتشابكة والشمس التي ترمز للمصرية والحياة . والبيوت التي تحتل مكانة كبيرة في تفكير الفنان .

ويقول نوجلار ان المرأة تلعب دورا حيويا فهي التي تمنح الحياة والحب والدفء والسلام وتعكس الجدران الصغيرة مدى ماتحتاجه المرأة من حماية ورعاية .. اما الدروب المتشابكة فهي تعبر عن مسالك المرأة التي تقودها نحو المنزل .. حيث بيتها واسرتها ..



احدى لوحات الفنان في معرض ببلجيكا

اما الدكتور فنك الاستاذ بجامعة جنت فيقول ان اسلوب الفنان المصري لطفي ابو سريه يرتكز على ثلاث ركائز : اولا تأثره بالفن الفرعوني ثم الفن الاسلامي والمنمنمات واخيرا التكنيك الحديث حيث تجتمع هذه الركائز الثلاث في اسلوب الفنان لتكون مجموعة رمزية صريحة فياضة بالتعبير . كما يستعمل الفنان البرديات العتيقة ليرسم عليها موضوعاته الخاصة .

ولد الفنان لطفي ابو سريه في مدينة طنطا عام ١٩٤٢ وحصل على بكالوريوس الفنون الجميلة بالقاهرة عام ١٩٦٤ ثم سافر الى بلجيكا وحصل على دبلوم الدراسات العليا بالكلية الملكية للفنون الجميلة ببروكسل عام

العالم فى سطور

١٩٧٤ . وقد حصلت لوحاته على جوائز من هيئات التحكيم فى المعارض المختلفة التى اشترك فيها فى بلجيكا وبعض المدن الأوروبية سواء كانت معارض فردية .. او جماعية ..

بون

كارمن .. فوق الجليد

لم يلق عمل ابداعى اهمية مثلما حظت رواية "كارمن" فى السينما تلك الرواية القصيرة التى كتبها بروسبير ميريميه فى القرن الماضى حولها الموسيقار جورج بيزيه الى اوبرا شهيرة .

تحولت هذه الرواية الى سبعة وعشرين فيلما فى تاريخ السينما وشغف بها المشاهدون فى جميع انحاء العالم ، اقتبست فى مصر مرتين ، وكانت ظاهرة سينمائية فى الثمانينات اخرجها كل من بيتر بروك فى انجلترا ، وكارلوس ساورا فى اسبانيا وفرانشيسكو فى ايطاليا وجان لوك جودار فى فرنسا اربع مرات فى عام واحد هو ١٩٨٤ .



كارمن ١٩٩٠

فى عام ١٩٩٠ عادت "كارمن" للظهور فى ثوب جديد فى المانيا قام باخراجها هورانت هولفلد الذى بدا متاثرا للغاية بالفيلم الذى اخرجه ساورا، فقدم فيلما على غراره .. فنحن فى فرقة مسرحية تقوم باخراج اوبرا كارمن ، وعلى المخرج ان يستعين بالنجمة كاترينا فيت التى حصلت على بطولة العالم اربع مرات فى التزحلق على الجليد .. كى تقوم بدور كارمن ..

واثناء الاعداد للمسرحية يمتزج العمل الفنى بحياة الاشخاص فالمخرج يعشق كاترينا ، مثلما يعشق الشاويش دون خوسيه الفتاة الغجرية كارمن وتروح كاترينا تصد المخرج مثلما تفعل كارمن مما يدفع به ان يقتلها فى النهاية ..

كارمن اذن امراة صعبة المنال ، لايمكن الامساك بها ، ولابعواطفها ، انها اشبه بالريح تحب ان تظل منطلقة والا يتحكم فيها رجل حتى لو كان الشاويش دون خوسيه الذى يقرر أن يضع حدا لحياتها ولهبوبها كالريح فى النهاية ..

السؤال الذى يتردد دائما حول علاقة الفنانين بكارمن هو : لماذا كارمن ؟ هل يعشق الناس هذه الشخصية كما وصفها ميريميه فى روايته القصيرة ؟ ويرونها نموذجا للمراة المتمردة الموجودة فى النماذج الهامة من

الأدب العالمى مثل نورا فى بيت الدميه .. وأنا كارنينا عند تولستوى ؟ أم أن الناس يفضلون رؤية هذه المرأة مغلفة بموسيقى بارعة الفها بيزيه وبدلا من ان يذهب الناس إلى الأوبرا لسماعها فإن عليهم ان يذهبوا إلى السينما لرؤية الحدوتة فى اطار فيلمى ولسماع الموسيقى المجسمة ؟ ..

أغلب الظن أن السينما شغوفة بكارمن للسببين معا .. وقد انتبه إلى هذه الظاهرة كل من ساورا وبيتر بروك ثم الألمانى هولفلد الذى استفاد من وجود اللاعبة الرياضية كاترينا نيت ليسند إليها البطولة . وليطلق اسمها على بطلة الفيلم وليضع أوبرا « كارمن فوق الجليد » وهو الاسم الذى اختاره للفيلم .. وهذا فى رأينا الجديد فى معالجته لكارمن .

واشنطن

كيندى : الكتابة من اجل ابى الصعلوك

لاشك ان الجوائز الأدبية تلعب فى حياة البعض دور الساحر الذى عليه أن يغير من ايقاع كل الأشياء .. وفى الولايات المتحدة ، هناك مئات الكتب التى تحقق مبيعات عالية للغاية لكن أغلب الأدباء يتمنون الحصول على جائزة أدبية مثل جائزة بوليتزر من أجل الدخول فى دائرة الضوء الحقيقية .. ايمانا أن المبيعات العالية وحدها لا تكفى .



جاك نيكلسون

وقد دخل الكاتب الأمريكى وليليام كيندى هاتين الدائرتين معا : المبيعات ، والجوائز وهو فى الخامسة والأربعين من العمر . أى عام ١٩٨٣ حين فازت روايته « العشب الحديدى » .. بجائزة بوليتزر الأدبية . وباعت نصف مليون نسخة ، وكان ذلك سببا لتحويلها الى فيلم ، منذ عامين قام ببطولته جاك نيكولسن وميريل ستريب .

ويؤكد النقاد أن كيندى كاتب جيد يتمتع بذاتية خاصة يذكرك بكتابات جيمس جويس ، ووليام فوكنر أنه كاتب ينتمى إلى مدرسة التجريب والرؤية النفسية المعروفة بتيار الوعى .. وهذه سمة نادرة الآن فى الأدب الأمريكى .

هذا الشهر كان على كيندى أن يتمتع بالشهرة التى حققتها له الجائزة الأدبية وينشر رواياته القديمة التى لم يلتفت اليها الناس قبل الجائزة مثل « كتاب كوين » و« بيللى فيلان » ..

الجدير بالذكر أن بيللى فيلان هو أيضا اسم بطل روايته « العشب الحديدى » .. وهو بالتحديد الاسم الروائى الذى اختاره الكاتب لأبيه فأبوه هو بطل أغلب أعماله الأدبية .. ذلك الرجل الذى يراه كيندى شخصية روائية بالغة الجاذبية فهو رجل يعيش فى بلدة صغيرة تدعى الباني قريبة من نيويورك .. رجل يعيش فى الشوارع ويتمتع بالصعلكة ، والتشرد ويقرر فى عام ١٩٣٨ ـ نفس العام الذى ولد فيه وليليام كيندى ـ أن يستودع كل

معارفه ، وهم زوجته آنى وابنه بيلى وابنته بج ، لقد ترك أسرته قبل عشرين عاما وهو يعود لزيارة خلسة كي يضاجع زوجته وتنجب طفلا صغيرا يصبح فيما بعد كاتبا مشهورا .. لم يبق الأب مع أسرته سوى ثلاثة عشر يوما .. وكان عليه أن يرحل مرة أخرى ليعاود حياة الصعلكة ..

يقول البعض أن وليام كيندى ليس رجل أدب ، بل هو مجرد رجل حاول أن يكتب عن أبيه فجاءت رواياته الثلاث وهو يجتر هذا النجاح ويعيد نشر كتبه القديمة بعد أن توقف عن الكتابة ..

أما البعض الآخر فيقول أن هذه الحالة من النشاط والتوقف قد أصابت كتاب كبار مثل صمويل بطلر وترومان كابوت وجين أوستين وأميلي برونتي . وآخرين .

كوسماس

فراعنة .. في بحر الشمال

ويبقى الانسان أسيرا المجهول يحاول أن يخرج عن دائرته ، وأن يبحث دوما عن المعرفة والحقيقة ، مهما كانت غائبة وحتى لو تصور البعض أنها قد لا تكون حقيقة كبيرة البشر ..



أطلال مدينة أطلانتس

والبشر منذ قديم الزمان يبحثون عن قارة ضائعة أطلقوا عليها اسم « أطلانتس » تكلم عنها الحكماء والعلماء وقيل أن بعض الكتب السماوية أشارت إليها والى أنها كانت موجودة أكد الفيلسوف أفلاطون أن القارة المفقودة قد غاصت في أعماق البحار وأنها موجودة في منطقة جزر الكناريا .. وأكد بعض العلماء الآخرين ، وأيضا الفلاسفة أنها موجودة في مثلث برمودا المتوحش ، وأنه لهذا يعصف هذا المثلث بالسفن التي تتحرك في دائرته ..

وقال البعض أن جزر « أطلانتس » المفقودة موجودة أسفل بحر ايجه .. لكن العالم الفرنسي جان دوريل نشر كتابا يحمل اسم « مستقبل تاريخ أطلانتس » أكد فيه أن الجزيرة قد غرقت في وسط بحر الشمال بين الدانمارك وهولندا ، قريبا من الشاطيء البريطاني ويقول لقد اعتمدت في بحثي على النص الذى كتبه الفيلسوف أفلاطون ثم

تصفحت كل الخرائط البحرية التاريخية التى استطعت الحصول عليها وحسب النص الذى كتبه افلاطون ، فان طلب اطلانطس كان محاطا بواد متسع ومسطح وله شكل اقرب الى المستطيل تبلغ مساحته بالتقريب بين ٥٢٠ ، ٣٦٠ كم ، وانه عقب كارثة مرعبة ، نزل هذا الوادى تحت البحر وترك مكانه اثارا صغيرة وبفحص الخرائط البحرية نلاحظ انه لايوجد في أوروبا ناحية يمكن أن يوجد فيها مثل هذا الوادى سوى منطقة في بحر الشمال .

ويقول انه من السهل أن يحدد هذه المسافة وأن الجزيرة موجودة في الأعماق على مسافة ٥٠ مترا لا أكثر .. ويمكن لبعض سفن الصيد ملاحظتها بسهولة ، والغريب أن هذه الجزيرة موجودة تحت أعين البشر دون أن ينتبهوا الى حقيقتها ..

وقد أكد الكاتب انه لم يقل ذلك اعتباطا ، وانما جاء ذلك كله بعد مجموعة من الدراسات استخدم فيها عنصر الكربون المشع المعروف باسم « ك ١٤ » مما أكد أن هذه الصخور التى عثر عليها ترجع الى الفى عام قبل الميلاد وأنها فيما قبل كانت صخور أرضية وليست بحرية ..

وقد أكد دوريل فى كتابه انه يكن الاعجاب الشديد للحضارات الشرقية القديمة وأن هذه الحضارات كانت على صلة قوية بسكان القارة المفقودة ، وأكد أن الفراعنة قد أمكنهم الابحار الى بحر الشمال من أجل الاتجار والاتصال الحضارى .

بكين

انا شخص آخر غيرى

اقامت مجلة الأدب الصينى ، فى عددها الاخير الصادر باللغة الفرنسية احتفالية خاصة بالشاعر المعاصر جيدى مكا كمحاولة للتعريف بهذا الشاعر الشاب فنشرت له ثمانى قصائد بالاضافة الى مقال كتبه « جيدى مكا » حول سيرته الذاتية



والذى يذكر فيه أنه مولود فى ٢٣ يونيه ١٩٦١ وقد أكد الكاتب فى مقاله على مسألة العرق الذى ينتمى اليه الكاتب فهذا شيء بالغ الأهمية لأنه يعكس ، حسب رأيه ، سلوكه ونبضه الانسانى ..

ويرى الكاتب أن المنطقة التى ينتمى اليها اليتجشان هى التى اكتشفت النيران فى الحضارة الانسانية لذا فان الوانهم المفضلة هى الأحمر والأصفر والأسود ..

ويقول الشاعر أنه يهتم أن يحصد تجربته الحياتية المدفونة فى وعيه من أجل خلق تعبيرات جديدة وقد تأثر بالشاعر الروسى بوشكين ونشر ديوانه الأول « أغنيات حبى الأول » عام

١٩٨٥ وفى عام ١٩٨٩ نشر ديوانه الثانى « حلم رجل من وى » وهو اسم العشيرة التى ينتمى اليها

الشاعر ومن هذا الديوان اخترنا ان نقدم نماذج من شعر « جيدى مكا » ففى قصيدته « صخرة الصياد » يقول :

إذا لم يعد الصياد ثانية
واذا انطفأت نيران المعسكر .
فان الدخان سينطمس
وسوف يشعل ابن الصياد النيران مرة اخرى .

اما قصيدته « تضاد » فيقول فيها :

لا هدف لى
فالشمس خلفى فجأة
تعلن ان هناك خطرا انا
شخص لغير غيرى يعبر الزمن والفضاء .

الجدير بالذكر ان مجلة الادب الصينى تصدر فصلية بلغات عديدة ، وهى تهتم بنشر الابداعات الصينية الكلاسيكية والمعاصرة فى الرواية والقصة القصيرة والشعر فضلا عن ملزمة الوان كاملة حول الفن التشكيلى المعاصر وفى عددها الاخير كان الملف خاصا برسوم الفنان داى وى تحت عنوان « شخصيات » .

برلين

هل جاءت الوحدة قبل الأوان ؟

فى الاسبوع الاول من هذا الشهر يلتئم الشمل الالمانى بعد خمسة واربعين عاما من العداء والانفصال الاجبارى .. تم كل شيء بسرعة وكان الالمان ينتهزون تلك الفرصة قبل ان يتراجع السياسيون .

هذا الانطباع لحس به الادباء والمثقفون فى كل من شطرى المانيا ، وحول هذا الموضوع اعدت مجلة « لوبوان » تحقيقا تحت عنوان « تفسخ الفنانين » جاء فيه أن الادباء والفنانين هم اكثر الناس تخوفا من عودة الوحدة بين المانيا لان كل ذلك قد تم بسرعة .

ووسط هذه الأجواء راح كتاب كل طرف يعبرون عن قلقهم فالكاتبة المعروفة كريستا فولف (المانيا الشرقية) تقول ان كتاب الغرب يعاملون اقرانها على انهم ادباء رسميون للنظام السياسى وانها ترفض ذلك .

ويرد على هذه النقطة الكاتب ستيفان هايم قائلا : فى الغرب كنا اول من يرفض تطبيق افكارنا الجمالية والايديولوجية على كتاب المانيا الشرقية وكل ما نطلبه من الكتاب فى الغرب سواء كانوا المان أو فرنسيين أو امريكيين إلا يكونوا عدوانيين أو مهاجمين على الشرق ، والا يرفضوا التعرف على آدابنا ..

وقد خصصت المجلة صفحة للتحاور مع الكاتب الألمانى الغربى بيتر شنايدر الذى يقول ان للادباء فى المانيا الشرقية ما يستحقون الاحترام عليه فهم دائما يتسمون بالشجاعة لكن هناك اشياء تتعلق بالأحداث التى دارت فى العالم الماضى . فهم لم يرحبوا بعودة الوحدة وهم بذلك قد تجاوزوا الحق ولكى ندافع عنهم فيجب ان نتعرف على العادات المتأصلة فى المانيا الشرقية .

ويقول الكاتب ان الأديبة كريستا فولف - التى تتزعم المعارضة - كاتبة جيدة ، ولكنها ترتكب اخطاء . واننا لو حاكمنا اراءها فكاننا نفعل ذلك ايضا مع كافكا وبريخت .

ويرى شنايدر ان اهمية الكاتب فى المانيا تجيء من خلال نظرة الناس اليه فالناس تتعامل مع الكاتب على انه نبى او مصلح



بيتر شنايدر

اجتماعي ، اما الغرب فينظر الى الكاتب على انه مجرد موظف يقوم بالكتابة .

وحول رأيه في سرعة اجراءات الوحدة يقول شنايدر : على المستوى الشخصي فانني كاتب يساري وانا ارى ان كول لم يصنع الوحدة ، ولكنها رغبة الشعبين وان هذا لن يعيد فكرة القومية المتضخمة التي ظهرت قبل الحرب العالمية الثانية كما يتصور البعض .

برلين

برنامج خاص في اذاعة ألمانيا عن الرواية المصرية

الاذاعة الالمانية الغربية في برلين تقيم عددا من البرامج الخاصة التي يستغرق اعداد الواحد منها عاما كاملا . قامت ومنذ العام الماضي بتكليف الدكتور محمد عثمان المصري الجنسية والذي يعمل مع هذه الاذاعة منذ سنوات بإعداد واخراج برنامج خاص مدته ٥٥ دقيقة عن الرواية المصرية المعاصرة بين التكيف والنقد .

مادة البرنامج قامت على احاديث حية مع عدد من الروائيين المصريين على راسهم الكاتب الكبير نجيب محفوظ ، بإعتباره ممثلا لجيل الرواد ، والقاص يوسف الشاروني ممثلا لجيل الوسط ، والزميل عبده جبير ممثلا للجيل الجديد ، بالاضافة الى نهاد شريف عن كتاب رواية الخيال العلمي ، وبسام السعيد . كمعد لأعمال اذاعية من اصول ادبية .

علاوة على الأحاديث الحية مع الكتاب يقدم البرنامج قصة قصيرة لكل منهم يقوم بتمثيلها اذاعيا عدد من اشهر الممثلين الالمان ذوي الشعبية العريضة .

الأديب الألماني المعروف كلاوس شتيلر Klaus stiller اشرف بنفسه على تدعيم البرنامج وترشيحه هذا العام لجائزة احسن البرامج الألمانية الاذاعية وهي جائزة يتبعها اذاعة البرنامج الفائز في عدد كبير من محطات الاذاعة الناطقة بالالمانية في كل البلاد التي تتحدثها .

بسبب الشعبية العريضة التي نالها كاتبنا الكبير نجيب محفوظ ، وبسبب الجهد الشاق الذي بذل في اعداد وتنفيذ البرنامج من المتوقع فوزه بجائزة هذا العام .

رسالة إيطاليا

من فريد كامل

الجسد بين الممنوع والمباح !

العورات ليست موضوعنا اليوم .. فى يوم آخر ـ ربما ـ سنتناول هذه الاعضاء الهامة لاستمرار الجنس البشرى التى وضعها الله سبحانه وتعالى ، فى المركز الجغرافى لجسم الانسان ، فحاولنا أن نخفيها نحن فى مخازن العقل الباطن المظلمة ..

ستقصر حديثنا اليوم ، إذن على السرّة ، وعلى المفكر الانجليزى فيليب هنرى جوليك (١٨١٠ ـ ١٨٨٨) ونظريته التى قدمها فى كتابه « أومفالوس » (أى « السرة » باللغة اليونانية) .. وسنصل إلى الحديث عن هذا المؤلف ، وكتابه هذا ، عبر خط سير غير مباشر ، بل لعله أشبه بطريق جحا الاسطورى إلى أذنه ..

والسرة لمن لايعرفها هى الالتئام الذى يبقى بجسد الانسان (وباقى الثدييات) طول حياته بعد فصله عن حبله السرى عند ولادته ، ويكون هذا الالتئام اكثر إنخفاضا عند المرأة الناضجة منه عند الرجل لأن بطن المرأة مجهزة بطبقة شحمية تحت الجلد هى الوسادة التى توفر الحماية والدفء للجنين خلال مدة الحمل ..

والسرة لم تعتبر عورة فى التاريخ .. بل أن العراء نفسه لم يعتبر عورة إلا ابتداء من القرون الوسطى ، فعندنا تماثيل ولوحات بارزة ورسوم عارية لملوك وملكات مصر الفرعونية وقادة وأباطرة الاغريق والرومان .. إلخ ـ بل أنه حتى فى عصور الظلام والتعنت الدينى كان عراء الذين عاشوا فى جهالة ماقبل المسيحية مقبولا ، وكذلك عراء افراد الطبقة الفقيرة الذى كان « متوقعا » ومفهوما ، وإعتبر مادة للتسلية والفكاهة ، على إعتبار أن الفقراء جهلة ، غير مهذبين ، لايعرفون طريقهم إلى الخلاص .. أى أنهم أقرب إلى الدواب منهم الى الآدميين ..

وأذكر بالمناسبة حديثا صحفيا كنت قد أجريته مع الشاعر والمؤلف والمخرج السينمائى الايطالى الشهير



تمثال ابوللو بلفيدير في رسم قديم له وكما هو الآن وقد اضيف غطاء لعورته في القرن ١٦

لوحة "طرد أجدادنا من الجنة" للفنان ماساتشيو (كنيسة بيال كارميني)



بيير باولو بازوليني قبل مصرعه بقليل ، وكان قد فرغ توا من صنع فيلمه « روائع ألف ليلة وليلة » سألته إذا كان يتوقع لفيلمه مشاكل في الرقابة مثلما كان قد لاقاه منها فيلمه السابق « حكايات كانتربري » ؟ فأجاب : لا ، لأن العرايا في هذا الفيلم من الملونين ، ورقابتنا بحكمتها العظيمة تسمح للملونين بما لاتسمح به للجنس الأبيض ، لأنها تعتبر أن الملونين غير متحضرين ، أي أنهم من مستوى أقل من مستوى البشر ، فهم أقرب إلى الحيوانات منهم إلى البشر .. ومن يعترض على عراء الحيوانات أو أعمالهم ؟! » ولم تعترض الرقابة فعلا على فيلمه هذا الجديد !! والتفرقة العنصرية والقومية هذه لها مظاهر وأعراض متجددة نراها حولنا في كل يوم : من الدول « المتحضرة » التي تعطي منحة مالية شهرية لطالب العالم الثالث الذي يدرس بجامعاتها تقل عن نصف المنحة الشهرية التي تعطيها لطالب الدولة الثرية الذي يدرس في نفس الجامعات لأن هذا « قد إعتاد على مستوى حياة أعلى » ، إلى الانحطاط الفجائي في معاملة الدول المتحضرة للمهاجرين من دول العالم الثالث الذين قد استوطنوا بها وأصبحوا دعامة أساسية لاقتصادها (بما يقومون به من أشق وأذل الأعمال

وأقلها عائدا) بعد أن بدأ تدفق العمالة البيضاء عليها من دول أوروبا الشرقية .. إلى ماتعمله وسائل الاعلام من ضجيج حينما يجرح طفل اسرائيلي وما لاتعمله عندما يقتل عشرات الأطفال الفلسطينيين .. وهكذا ...

... دعنا الآن من هذا الحديث الذي يرفع حرارة الدم في عروقنا إلى درجات الغليان ولنعد إلى العرى الذي كنا نتحدث عنه . كان مسموحا ، إذن بالنسبة للجهلة بالدين : الطبقات الفقيرة الجاهلة غير المهذبة ، والذين يعود تاريخهم الى ماقبل المسيحية ، وكان عرى هؤلاء مسموحا به حتى في تماثيل ولوحات الكنائس - وفي فلورنسة عاصمة فن النهضة في إيطاليا ، التي تشتهر بأكبر تركيز لأعمال فنية في مدينة واحدة صغيرة في العالم ، توجد عشرات الأعمال الفنية العارية ، أهمها - في عالم النحت ، ضمن عشرة تماثيل أو أكثر في سرة المدينة (ميدان السنيورية) تماثيل دافيد لميكل انجلو ، والبطل برسيو ، لشليني ، وخطف نساء مدينة سلبينا ، لجامبولونيا .. وفي التصوير لوحتا آدم وحواء على جانبي مدخل محراب أسرة برانكاتشي في كنيسة ديل كارميني ، ولهذا الهيكل قصة .

ففي سنة ١٤٢٢ قررت دوقية فلورنسة ان ترسل سفراء عنها الى مصر للتجارة وفي ٢٤ يونيو اقلعت من ميناء ليفورنو إلى الاسكندرية سفينة الدوقية تحمل ١٢ شابا من اهم واثرى عائلات الدوقية ، يرأسهم فليشي برانكاتشي ، تاجر الحرائر بالغ الثراء الذي كان يملك شريحة كبيرة من مباني المدينة ، الذي نذر قبل سفره أن يوسع كنيسة ديل كارميني إذا عاد سالما من الرحلة ، وعاد السفراء من مصر بعد سنة اكثر ثراء ، يكسوهم المجد والشرف ، فأضاف برانكاتشي للكنيسة محرابا ، عرف باسم أسرته ، وإستدعى اكبر فناني ذلك العصر : مازولينو (دى بانيكالي) وماساشيو (توماسودى كاسيا) وكلفهما بأن يرسما على حوائط المحراب قصة الانسان ، من سقوط آدم وحواء وطردهما من الجنة ، إلى « خلاص الانسان الذي لاياتي إلا عن طريق الايمان » وقام الفنانان برسم هذه اللوحات ، ابتداء من « آدم وحواء في الفردوس » لمازولينو و« طرد أجدادنا من الجنة » لماساشيو (في ١٤٢٤ - ١٤٢٥) وبكل منهما آدم وحواء عاريان ، بالحجم الطبيعي للانسان تقريبا - وبعد إنتهاء الفنانين من رسم حوائط الهيكل الجديد بقليل مات ماساشيو - عن ٢٧ عاما مسموما في حانة - ثم هزمت أسرة ميدتشي الصاعدة في مؤامرات البلاط وصراعاته الداخلية ، أسرة برانكاتشي التي إضطرت إلى الهرب من فلورنسة واستدعى سادة الدوقية الجدد ، الميدتشي ، فنانين آخرين لاجراء تعديلات على اللوحات الحائطية بالهيكل ، فكشفت الترميمات الأخيرة

رسالة إيطاليا

لهذه اللوحات عن شخصيات من أسرة برانكا لتشى غطيت فى ذلك الوقت .. وفى القرن التالى أضيف محراب من الرخام غطى جزءا من الرسوم الحائطية ، وفى السابع عشر غطيت بأوراق الشجر عورات آدم وحواء وسراتهم أيضا ، فى اللوحتين الجانبيتين - وفى ١٧٧١ قام بالهيكل حريق ، رمم بعده الرسم الحائطى .. فرفعت أوراق الشجر عن سرتى آدم وحواء فى لوحة ماساشيو .. حتى أجرى الترميم الأخير (الذى إستغرق سبعة سنوات ، وتم فى الشهور الأولى من هذا العام) فأعيدت هاتان اللوحتان واللوحات الحائطية الأخرى بالهيكل ، إلى حالتها الأصلية ، وكشف الترميم عن الشخصيات والعورات (والسرتين الأخيرتين أيضا) التى كانت قد غطيت فى الماضى ..

وتغطية العورات قد تكون مفهومة ، ولكن السرات لماذا ، وهى ليست عورات ؟! ولماذا سرتى آدم وحواء فقط بينما لم تغطى أى سرة فى اللوحات والتماثيل العرية الأخرى : الرشيقات الثلاث ، أبو للو ، مارس ، ديانا .. إلخ .. بل حتى سرة السيد المسيح (وتلاميذه الرسل) بقيت عارية بلا غطاء فى لوحات وتماثيل الصلب .

الجواب هو أن سبب هذه التغطية كان حوارا دينيا فلسفيا حول السؤال : هل كانت توجه سرة لآدم - وهو لم يولد ، بل خلقه الله تعالى من طين - أو لحواء - وهى لم تولد ، بل خلقت من ضلع بعلها ؟؟ .. أى أن السبب كان حوارا دينيا خاصا بآدم وحواء ، مقصورا عليهما - وعلى سرتيهما - لا لدافع أخلاقى أو الاعتبار أن السرة عورة ، كما إعتبرتها الرقابة عندنا - وأذكر الآن فيلما سينمائيا رأيته فى الخمسينات ظهرت فى إحدى مشاهده سامية جمال فى حوار مع فريد الأطرش وهى فى بدلة رقصها ، بلا غطاء على سرتها (التى كانت محجوبة فى رقصاتها فى الفيلم) فأضاف الرقيب - بهمة يحسد عليها - نقطة سوداء وضعها على سرتها فى كل من صور المشهد ، فكانت النقطة السوداء تلعب ، وتتقافز هنا وهناك : ترقص رقصة البطن بينما البطن تحتها لا ترقص !! وقيل حينئذ أن هذا لانقاذنا من الاغراء والفساد والغواية .. والله أعلم وهذا كله ضرب من « الترميم » الذى تقوم به رقابة تزيل كل ماترى السلطة انه عورة أو أن عامة الشعب (الفقراء ، الجهلة ، غير المهذبين ، كما وصفت فى القرون الوسطى) لم تبلغ بعد سن الرشد ، أو تصل فى النضج فى النضج إلى الدرجة التى تؤهلها لرؤية السرة مثلا .. هذه الرقابة (وهذا الترميم) يعمل بحسب سياسى ويهدف التعبير عن عظمة السلطة ، وعن أن القائمين على الدولة

اليوم اهم من ماضيها وحضارتها .. بنفس هذا المنطق ازال حور محب مدينة تل العمارنة (عاصمة مصر التى بناها اخناتون) واستعمل احجارها لبناء هيرموبوليس (الاشمونين) ومسح رمسيس الثانى خرطوشه على اثار سابقيه .. بنفس المنطق ايضا ازال موسولينى بطريقة البخ ، زوج إبنته ووزير خارجيته الكونت شيانو من الصور الجماعية لزعماء الفاشية ، وبه تسقط اليوم عن قاعداتها فى الدول الاشتراكية تماثيل كارل ماركس وتغير اسماء الشوارع التى تحمل إسمه .. بنفس المنطق غطت أسرة ميدتشى وجوه افراد أسرة برانكاتشى فى هيكل كنيسة ديل كارمينى (وسرات آدم وحواء على حوائطها) .. ونحن ، بينما نترك سموم العنف الماهر والدعايات الاستعمارية والتسيبية السافرة ترتع على هواها فى شاشات التليفزيون داخل منازلنا (بل اننا نشترى هذه السموم بعملاتنا الصعبة !!) تحارب بنفس المنطق « الف ليلة وليلة » وندفع عن العالم العربى اخطار السرة العارية .

ومن خواص الترميم (او الرقابة) لاهداف سياسية هذا انه يعمل عادة بسرعة وعدم جدية او دراية ودراسة كافية ، مما يسبب تخريب الكثير من التحف الاثرية (اضف الى هذا ايضا مايقوله الناقد المعروف فدريكوزيرى من ان « كل مرمم آثار ، مثل كل ناقد او مؤرخ للفن ، أصله فنان فاشل ، وهو مستعد دائما لان يتدخل بوحشية وصلادية ، بالكلمة او بالفعل ، فى اعمال الفنانين الآخرين ، خاصة العظماء منهم » وتوجد نماذج كثيرة للنتائج الكارثية لمثل هذه الترميمات ، نأخذ منها ، مثلا ماعمل فى إيطاليا فى النصف الاول لهذا القرن : منها ان مرمما ازال من لوحة « العذراء والطفل » – من القرن الثانى عشر – بكنيسة ماشيونو قرب فلورنسة – حمامة كانت فى اليد اليسرى للعذراء ، لاعتقاده الخاطىء انها قد اضيف إلى اللوحة فى عصر متاخر ، فبقى المسيح الطفل مائلا إلى الامام ، مادا ذراعيه نحو .. لاشىء .. وافرط مرمم اخر فى إستعمال الصودا الكاوية لتنظيف لوحة حائطية لجوستودى جران فى كاتدرائية اوربينو فسالت الوان اللوحة وازيل بعضها .. ورفعت عن لوحات للفنان رفائيل احجار كريمة ورقائق ذهبية وملىء مكانها باللون الازرق .. وشوهت نهائيا كاتدرائية سيراكوزا فى صقلية – وترجع للقرن الرابع عشر – بما ادخل عليها من تعديلات مرتجلة وما اضيف من مذابح لحساب الاسر الثرية ، وهدم برج الاوراق (ارشيف الوثائق) الاثرى قرب قوس نصر تيتو بوسط روما ، ليبدو القوس متالقا ، هذا بالاضافة إلى إحلال نحوت بارزة صنعت وفق لسلوب روما الامبراطورية (!!) محل لوحات النحت البارز المفقودة فى قوس

النصر .. كذلك ماكشف عنه الترميم الأخير (الرائع بالمناسبة) لتحفة مايكل انجلو الخالدة ، سقف كنيسة سيستينا بالفاتيكان في روما من أن مرممين سابقين قد قاموا للاستسهال - بكشط الحائط وإزالة الأصل الذى رسمه مايكل انجلو ، خاصة بالنسبة لبعض الأجسام (وربما كانت أصلا عارية أو مغطاة بملابس ذات ألوان أو أطرزة مختلفة) فلم يبق من الأصل فى بعض الأحيان ، سوى الرءوس والأيدى والأقدام .. (وكأنها سلبيات لفيلم « الرجل الخفى » - مثلا !!) وتوجد أمثلة كثيرة فى عالمنا العربى ، لحمى (أو هوس) الترميم الاعلانى هذا ، ومشتقاته : التنظيف ، التلميع ، الاضافة ، الكشط ، التعديل .

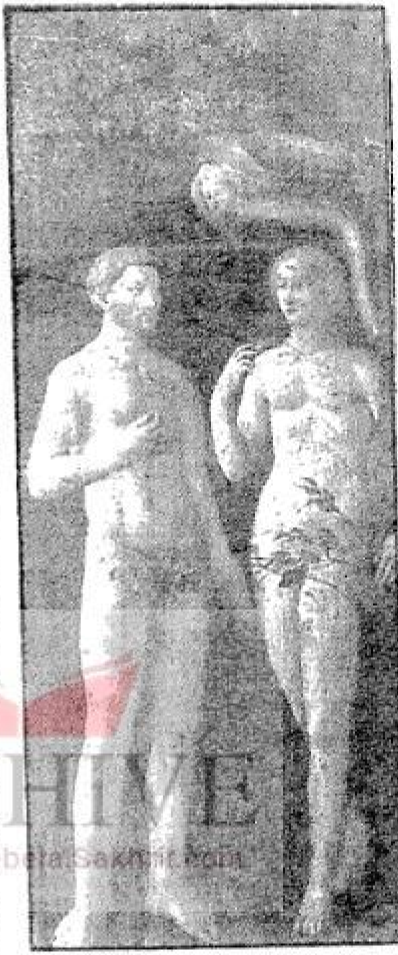
... فى مطلع القرن الماضى ، كان الحوار ، الذى كان قد بدأ قبل عدة قرون ، مازال محتدما بين رجال الدين والمفكرين حول موضوعات اعتبرت هامة حتى ذلك الوقت ، مثل : هل كان لآدم وحواء سرتين مثل باقى البشر؟؟ (وكم عدد الملائكة الذين يمكنهم أن يقفوا على رأس دبوس ؟؟) كانت العلوم الحديثة وهى فى مهدها قد بدأت تكشف بعض الحقائق التى لا تتماشى تماما مع المعارف الدينية : مثلا الطبقات الجيولوجية وماقبها من تكلسات عضوية تعود الى ملايين السنوات - أى أنها أقدم بكثير من تاريخ الحياة على الأرض كما تذكره التوراة ، والدلائل الاولى على تطور الانسان من الحيوان ، مما يتعارض

مع فكرة أنه خلق فجاة .. ويخرج المفكر الانجليزى فيليب هنرى جوس بنظرية توفق بين الجانبين وهى أن حينما خلق الله سبحانه وتعالى العالم خلق به (وهو القادر على كل شىء)

إشارات ودلائل تعود إلى ماقبل الخلق ، ليعطى الانسان احساسا باستمرارية الكون ..

توضح هذا الكلام : إبتداء جوس نظريته باعتبار أن تطور جميع مظاهر وقطاعات العالم يحدث فى دورات متكررة لانهاية لها : البيضة من الدجاجة والدجاجة من البيضة ، الشجرة من البذرة ، وبالعكس ، الحياة من الموت وبالعكس ، وهكذا .. وحينما خلق الله الكون بدأ الخلق المادى هذا من نقطة معينة في كل من هذه الدورات ، مبقيا على الجزء السابق للحظة الخلق فى هذه الدورات كخلفية أو « ذاكرة » لها .

وبالمثل كان لآدم عند خلقه سرة لأنه تحول عندما خلقه الله تعالى إلى الصورة المادية لسوة المولد - المولد « الأزلية النظرية ...



آدم وحواء فى الفردوس للفنان مازولينو بكنيسة دبال كارمينى فلورنسا قبل التحريم الأخير وبعده انكشفت العورة

وأيضا : أن الله حينما خلق العالم ، خلق معه الأدلة على إستمراريته المطلقة ليس فقط فى المستقبل ، بل فى الماضى أيضا ..

.. لم يكن يصدر كتاب جوس المسمى « أو مفالوس » (السرة) فى ١٨٥٧ ، الذى فصل فيه نظريته هذه ، حتى أجمع الناس ، من العلماء إلى رجال الدين ، ليس فقط على رفضها ، بل أيضا على السخرية منها ، لأنها تدعى – فى عصر إشراق العلوم – أشياء لايمكن بحثها علميا لاثباتها أو إنكارها ، ولأنها تتعامى عند دلائل وحقائق مادية واضحة – الديناصور مثلا ، وقد عثر على هياكله العظمية وتكلساته ، مما أثبت أنه عاش فى عصور بالغة القدم ، ولاتوجد أية إشارة له فى التاريخ حسب الكتب الدينية .. هل لم يخلق الله ماديا ؟؟ .. ولماذا لم تستمر دورته الأزلية ؟؟ .. أم هل أراد الله سبحانه وتعالى ، ياترى أن يخدع الانسان باعطائه خلفية وذاكرة كاذبة اثار مادية زائفة لأشياء لم يكن لها أبدا وجود مادى حقيقى ؟؟ .. وبالتدريج تحولت كلمة أو مفالوس لتصبح إصطلاحا علميا يعنى « عملا يهدف التزييف » .. وقضى على ماتبقى من آمال جوس فى أن يقدر ويبجل لفكره ونظريته أن نشر انجليزى آخر إسمه شارلز داروين ، بعد عامين (فى ١٨٥٩) كتابا إسمه « أصل الأنواع » ، قدم تحليلا علميا جديدا للحياة على الأرض وتطورها ، هلل له الجميع ... وبعد سنوات عجاف ، مليئة بالمرارة والحقد وخيبة الأمل ، مات فى فاقة شديدة فيليب هنرى جوس ، مخترع نظرية السرة .. وضحيتها ..

المائة الأعظم

بقلم: حسين أحمد أمين

سيبويه

٧٦١ - ٧٩٣ م

اشهر النُّحاة فى تاريخ اللغة العربية ، رغم كونه فارسيا ولايجيد النطق بالعربية . ورغم انه توفى فى سن الثانية والثلاثين ، فقد تمكن فى حياته من انجاز كتاب ضخم ناضج ، يعرف بكتاب سيبويه ، ووصف بانه "كتاب اعجز من تقدم قبله ، وامتنع على من تأخر بعده" . وقد حاز الكتاب منذ ظهوره ثقة علماء اللغة ، وتداولوه بالشرح فإن قالوا : "الكتاب" ، فإنما يعنونه . وكل ما ألف فى النحو بعده مبنى عليه ، مستمد منه . وكان المبرد يقول لمن اراد ان يدرس معه كتاب سيبويه : "اركبت البحر ؟" ، تعظيما واستصعابا .

اخذ سيبويه النحو والادب عن الخليل بن احمد غير انه لم يقتصر فى كتابه على اقوال الخليل ، بل ذكر كثيرا من اقوال العلماء غيره . فهو ينقل كثيرا عن يونس النحوى ، واحيانا ابوابا برمتها . فالراجح إذن انه جمع فى كتابه ما تفرق من اقوال العلماء قبله ، ورتبها وبوّبها ، وجمع ما استشهد به العلماء من شعر ، وما سمعه هو بنفسه . غير انه لم يكن جامعا فقط ، بل كانت له شخصية قوية تظهر فى التعليل والترجيح والقياس .

وكتاب سيبويه الذى لم تغير الاجيال المتاخرة شيئا من اسسه وقواعده ، يرينا كيف

في التاريخ الإسلامي



أن القواعد العربية اعتمدت اعتمادا يكاد يكون تاما على الاستعمال اللغوى عند البدو . فهو يرجع دائما في أمور اللغة الى عرب البادية الذين يشير اليهم بعبارة "العرب الموثوق بعربيتهم" ، أو "فصحاء العرب" . وعلى ذلك نجده لايسوق فى شواهده شاعرا محدثا قط .

وقد كان من أعظم افضال سيبويه - ومدرسة البصرة فى النحو بعده - على اللغة العربية ، أنه وضع الأسس للغة يسودها النظام والمنطق ، برفضه الفوضى التى تنجم عن قبول الروايات الضعيفة أو الموضوعة أو الشاذة التى لاتتمشى مع منطق اللغة

فمن رأيه إلزام المتحدثين باللغة بالسير في دقة وحزم على القواعد العامة للنحو فإذا كانت اللغات لاتلتزم دائما بالقواعد العامة ، خاصة اللغة العربية التي نشأت عن لهجات قبائل متعددة تختلف فيما بينها اختلافا كبيرا ، فإن سيبويه كان يصر على أهدار الشواذ ، فإذا ثبت صحة الشاذ قال سيبويه "يحفظ الشاذ ولايقاس عليه" . فهو إنما اراد تنظيم اللغة ولو بإهدار بعضها . فإن سمع ما يخالف هذا التنظيم ، اعتبر المخالفة مسألة شخصية جزئية قد يتسامح فيها هي نفسها ، ولكنه لن يتسامح في مثلها او في القياس عليها حتى لاتكثر فتفسد قواعد اللغة هذا اذا لم يكن بالامكان تأويل الشاذ تأويلا يتفق والقواعد ولو بشيء من التكلف

اما مدرسة الكوفة في النحو فكان من مذهبها احترام كل ما جاء عن العرب ، وتجيز للناس ان يستعملوا استعمالهم ، ولو كان الاستعمال لاينطبق على القواعد العامة ، بل تجعل هذا الشذوذ اساسا لوضع قاعدة عامة . ولاشك في ان موقف سيبويه كان اجدى وانفع للغة ، وأحفظ لها على المدى الطويل

محيي الدين بن عربي

١١٦٥ - ١٢٤٠ م

من كبار الصوفية وأنصار مذهب وحدة الوجود . يطلق عليه أتباعه ومريدوه لقب "الشيخ الأكبر" . أما أعداؤه فقد اتهموه بالزندقة ، وحاولوا اغتياله أثناء اقامته القصيرة بمصر ، لقوله بالحلول والاتحاد ، وبأن الأديان جميعا متكافئة .

ولد في الأندلس ، وتلقى علومه في لشبونة واشبيلية ، ثم قضى سنوات في شمال افريقيا ، وأصبح متصوفا في تونس ثم أراد الحج ، فلما راقته مكة أقام بها ثماني سنوات يؤلف ويدرس . وبعد جولة في آسيا الصغرى ألقى عصا الترحال في دمشق حيث أتم أهم تصانيفه ، وهو "الفتوحات المكية" الذي يجمع شتات العلوم الصوفية في خمسمائة وستين بابا .

وقد خلف لنا ابن عربي من المؤلفات مايقدر بنحو أربعمائة وصل الينا منها مايربو على المائتين وهو لم يكن كاتبا فحسب ، بل كان شاعرا مجيدا ايضا ، له قصائد في الغزل كتبها في امرأة أحبها وأحبته في مكة ، وفي التصوف

لقد كنت قبل اليوم أنكر صاحبي
إذا لم يكن ديني إلى دينه داني



فأصبح قلبي قابلاً كل صورة
فمرعى لغزلان ودير لرهبان
وبيت لأوثان وكعبة طائف
وألواح توراة ومصحف قرآن
أدين بدين الحب أنّى توجهت
ركائبه ، فالحب ديني وإيماني

أهم ما شغل فكره هو البحث فى طبيعة الوجود ، وصلة الوجود الممكن (العالم) بالوجود الواجب (الله) . فبحر الوجود الزاخر لا ساحل له . وليس الوجود المدرك المحسوس الا أمواج ذلك البحر الظاهرة فوق سطحه . والمظهر الخارجى للذات الالهية . والإله عند ابن عربي ليس بالإله الذى صوره الناس فى مختلف أنواع الصور فى معتقداتهم الدينية ، وخلعوا عليه مقتضيات عقولهم وقلوبهم أن يخلعوه من الصفات . فإله المعتقدات فى نظره من خلق الانسان ، يتصوره كل معتقد بحسب استعداده وحظه من العلم والرقى الروحي . أما الإله الحق فلا صورة تحصره ، ولاعقل يحده أو يقيده . لأنه المعبود على الحقيقة فى كل مايعبد ، المحبوب على الحقيقة فى

كل مايحب . وكل من عبد غير هذا او احب غيره فقد جهل حقيقة ماعبد وما احب . والمتدين من العامة إنما يعبد الهه الخاص الذى خلقه فى معتقده ويجحد غيره من آلهة الاديان الاخرى ، ويثنى على الحق وما درى انه إنما يثنى على نفسه ، لان إله المعتقد من صنعه ، والثناء على الصنعة ثناء على الصانع . ولو عرف المتدين ذلك ، وادرك ان لون الماء هو لون الإناء ، لما انكر على غيره ما يعبده ، لأن ذلك الغير يظن ـ ولا يعلم ـ ان معبوده هو الله . وإله الاديان يسعه القلب لانه محصور محدود ، اما الله من حيث هو فلا يسعه شيء ، لانه عين كل شيء وعين ذاته .

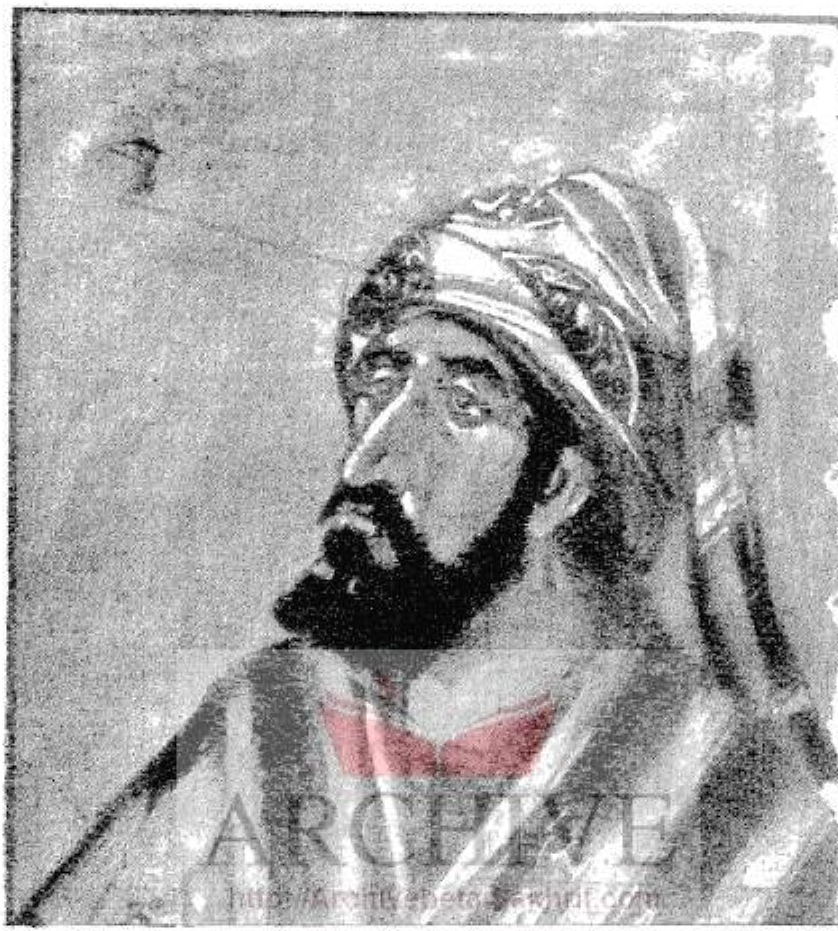
وكل شيء في الوجود خاضع للارادة الالهية ، سواء في ذلك الخير والشر ، والطاعة والمعصية ، والايمان والكفر . فإن اتى الفعل موافقا للأمر التكليفي ، سمي طاعة واستلزم الحمد ، وإن اتى مخالفا له سمي معصية وكفرا استلزم الذم . وهو في كلتا الحالتين عين الطاعة للامر التكويني . وإذا كانت الطاعة والمعصية ليس لهما مدلول حقيقي او ديني ، فاحرى بالثواب والعقاب الا يكون لهما مدلول إيجابي . واقصى ما فى الوسع قوله فى هذا الصدد هو ان الثواب اسم للناشيء عن الطاعة في نفس المطيع ، وان العقاب اسم للأثر الناشيء عن المعصية فى نفس العاصي . وعنده انه لاعذاب ولا ثواب بالمعنى الديني فى الآخرة ، بل مآل الخلق جميعا إلى النعيم المقيم ، سواء منهم من قدر له الدخول في الجنة ، ومن قدر له العذاب فى النار . (يسمى عذابا من عذوبة لفظه !) اما الاختلاف بين اهل الجنة واهل النار ، فاختلاف فى درجة كل من الطائفتين فى المعرفة بالله ، ومرتبتهم فى التحقق بالوحدة الذاتية مع الحق .

فمنطق وحدة الوجود عند ابن عربي انن يقضي على كيان اى دين منزل ويضيع معالم الالوهية المالوفة والمعروفة عند العامة غير ان ابن عربي لا يرى لذلك اثرا هداما . فهو إنما يهدم من ناحية ليبني من ناحية اخرى ، بل يبني احيانا على انقاض ظاهر الشريعة دينا اعمق فى روحانيته واوسع افقا واكثر إرضاء للنزعة الانسانية العامة من كل ماتصوره اهل الظاهر من الفقهاء ، ومن كل ما يتشدق به المتدينون المتعصبون لدياناتهم .

محمد بن عبد الوهاب

١٧٠٣ - ١٧٩١ م

زعيم الفرقة الوهابية التى تعتنق الحكومة الراهنة فى العربية السعودية مذهبها . وقد سمى هو واتباعه انفسهم بالموحدين . أما اسم الوهابية فقد اطلقه عليهم خصومهم واستعمله الأوروبيون ثم جرى على الألسن .



اهم ما شغله مسالة التوحيد الذى هو عماد الاسلام والذى تبلور فى عبادة لا إله إلا الله . وقد راى ان هذا التوحيد قد ضاع او هو دخله كثير من الفساد مما يشبه الشرك . فهؤلاء الاولياء يحج إليهم وتقدم لهم النذور ويعتقد انهم قادرون على النفع والضر . وهذه الاضرحة يشد الناس اليها رحالهم ويتمسحون بها ، فكان الله سلطان من سلاطين الدنيا يتقرب اليه بذوى الجاه عنده واهل الزلفى لديه . بل لقد اشرك الناس مع الله حتى النبات والجماد إذ يعتقدون ان نخلة او شجرة او نعلا او بوابة يمكن إن تبرك الناس بها وقصدوها ان تحقق لهم المنافع . فكيف يخلص التوحيد مع كل هذه العقائد ؟ كذلك راى ان الله وحده هو مشرع العقائد ، وهو وحده الذى يحرم ويحلل . فليس

كلام احد حجة فى الدين الا كلام الله والرسول اما كلام المتكلمين في العقائد وكلام الفقهاء فى التحليل والتحرير فليس حجة علينا وكل مستوف ادوات الاجتهاد له الحق ان يجتهد ، بل هو عليه واجب . واقفال باب الاجتهاد كان نكبة على المسلمين إذ اضاع شخصيتهم وقدرتهم على الفهم والحكم ، وجعلهم جامدين مقلدين يبحثون وراء جملة فى كتاب او فتوى من مقلد مثلهم

هذا هو اساس دعوة محمد بن عبد الوهاب التى التقى فيها تعاليم ابن تيمية ، وعلى هذا الاساس بنيت الجزئيات فهو حر التفكير في حدود الكتاب وصحيح السنة ، يحارب البدع ، ويتوجه بالعبادة والدعاء الى الله وحده لا الى الاولياء والمشايخ والاضرحة وكان يرى وجوب العودة بالاسلام الى بساطته الاولى ، وطهارته ونقائه ، ويعتقد ان ضعف المسلمين اليوم ليس له سبب الا العقيدة . فإن كانت العقيدة الاسلامية فى صفاء عقيدة الاوائل ، وإن كانت عبارة لا إله إلا الله تعنى السمو بالنفس عن الاوثان وعبادة العظماء والمال والجاه ، وعدم الخوف من الموت او الفقر فى سبيل الحق ، عاد المسلمون الى عزتهم وعظمتهم السالفتين .

ولم يعن محمد بن عبد الوهاب بالنظر في مسالة موقف المسلمين من المدنية الحديثة كما فعل معاصره محمد على فى مصر وإنما اتجه الى العقيدة والروح وحدهما ، رائيا انهما الاساس ، إن صلحا صلح كل شيء ، وإن فسدا فسد كل شيء وقد كان لابد له من الاستعانة بقوة زمنية لمحاربة البدع والدفاع عن الدين الصحيح . فتعاهد مع محمد بن سعود امير الدرعية على نشر الدعوة باللسان والسيف معا وسرعان ما تمكن الأمير والداعية من فرض سلطانهما على مكة والمدينة ومعظم انحاء شبه الجزيرة العربية

ولمست الدولة العثمانية خطر خروج الحجاز من يدها وكذا موطن الحرمين الشريفين اللذين يجعلان لها مركزا اسلاميا ممتازا تفقد الكثير منه اذا فقدتهما فارسل السلطان محمود الى محمد على ان يسير جيوشه من مصر لمقاتلة الوهابيين ، كما كلف الدعاة وعلماء المسلمين فى كافة الاقطار الاسلامية بشن الحملات من اجل النيل من الدعوة الوهابية وتكفير القائمين عليها والتشنيع عليهم . خاصة لهدمهم القباب الاثرية والمقابر ورفعهم الزينة والحلى التى كانت على قبر الرسول . وقد تمكن الوهابيون من احراز النصر على جيش طوسون بن محمد على . غير ان محمد على سار اليهم بنفسه فاوقع الهزيمة بقواتهم ، واتم النصر بعد ذلك ابنه ابراهيم .

وقد تاثر الشيخ محمد عبده فيما بعد بتعاليم محمد بن عبد الوهاب ، خاصة بصدد محاربة البدع وفتح باب الاجتهاد غير انه اضاف الى ذلك الاهتمام بمشكلات المدنية الحديثة ومحاولة مواءمة الاسلام معها . كما تاثر بالوهابية الكثير من الشباب المثقف فى الاقطار الاسلامية ، وان ظلت العامة فى تلك الاقطار على ما كانت عليه قبل محمد بن عبد الوهاب من اللجوء فى قضاء الحوائج الى المشايخ والقبور والاضرحة ، والاحتفال بالموالد ، والتذلل لذوى السلطان والجاه

التكوين



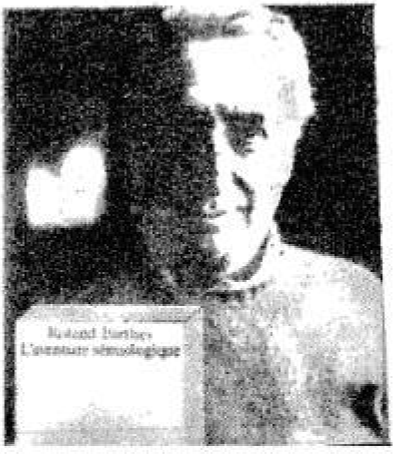
أحمد أبو زيد

لايصبح (الدرس) درسا إلا إذا وجد من يتلقاه ويتفهمه ويستوعبه ويتمثله ويتخذ منه مبدأ ليسترشد به فى حياته ويعود اليه كلما تفرقت به السب فيحدد له معالم الطريق الذى ينبغى عليه ان يسير فيه . ولن يتحقق ذلك على الوجه الأكمل إلا إذا كان (المتلقى) مهيئا من قبل لتقبل الدرس واستيعابه وكانت الظروف والأوضاع السائدة ، فى المجتمع ذاته تساعد على إلقاء الدرس من ناحية وسرعة الاستجابة له من الناحية الأخرى بحيث يصبح الدرس خبرة واسلوبا للسلوك والتفكير وموقفا من الحياة ذاتها .



ولذا فإنه حين قال الاستاذ لتلميذه انه يتعين عليه ان (يدرس) والا يقنع بالقراءة وجد ذلك القول صدى واستجابة سريعين لدى التلميذ لانه كان فيما يبدو مهيئا نفسيا وذهنيا لتلقى الرسالة وفهمها وترجمتها الى فعل . وقد شارك فى ذلك الاعداد والتهيئة الذهنية اساتذة كثيرون سابقون كما كانت الأوضاع الثقافية السائدة فى مصر فى الأربعينيات تساعد على تقبل الدرس وفهمه واستيعابه والتمسك به . فقد كان مجتمع الاربعينيات فى مصر وفى الاسكندرية مجتمعا مفتوحا على ثقافات الشرق والغرب . بكل انجازاتها وابداعاتها الفكرية والادبية والفنية

رولان بارت



بحيث كانت تتفاعل فيه حصيلة الفكر الانسانى كما تتمثل فى الكتب التى تملأ المكتبات سواء باللغة العربية او اللغات الاجنبية المتداولة حينذاك . بنتاج الابداع الفنى فى المسرح والموسيقى الكلاسيكية والموسيقى المصرية الراقية بل والاوبرات العالمية التى كانت تقدمها الفرق الأجنبية التى كانت تزور الاسكندرية بعد ان تقدم روائعها فى القاهرة على دار الاوبرا القديمة التى احترقت بعد ذلك بسنين نتيجة الاهمال وعدم المبالاة بالثقافة حين تغيرت الأمور بمصر . واحتراق دار الاوبرا هو مؤشر على مدى الاستهانة بالثقافة الراقية بحيث نجد بعض المسئولين عن (الثقافة) فى تلك الفترة يحاول التهوين من الكارثة . فلا يجد - من وجهة نظره - خيرا من ان يقول ان الدار كانت مبنية من الخشب وان ما كانت تحتوى عليه من اثاث وملابس ومناظر واجهزة وادوات كانت كلها اشياء عتيقة وليس لها اية قيمة (مادية) بل ان السلوك العام فى المجتمع المصرى فى فترة مؤشرا على المستوى الثقافى الراقى الذى بلغته مصر حينذاك وكان ذلك يتمثل فى ابسط مظاهره فى نظافة الشارع ونظافة الالفاظ التى تصدر عن الناس فى ذلك الشارع النظيف . وهذه كلها عناصر هامة ومتكاملة تحدد طبيعة التكوين الثقافى للمجتمع . وذلك على اعتبار ان الظروف والأوضاع التى تسود فى اى مجتمع من المجتمعات تفرز انماطا معينة من البشر تسود بينهم انماط معينة من التفكير ويتمسكون بانماط معينة ايضا من القيم الاخلاقية

والسلوكية تتلاءم مع تلك الظروف والأوضاع .

وقد لعبت الجامعة الجديدة الوليدة في الاسكندرية دورا بارزا في هذا كله . فقد كانت بوتقة تنصهر فيها كل التيارات الفكرية والأدبية والمذاهب الفلسفية التي يحملها عدد من كبار الأساتذة المصريين والأجانب من فرنسيين وانجليز وألمان وسويسريين إلى جانب الأساتذة الزائرين الذين كانت الجامعة تحرص على استضافتهم والذين كانوا يحملون إليها ليس فقط آخر ماتوصلوا إليه من آراء وأفكار في تخصصاتهم المختلفة بل أن كلا منهم ولعل هذا هو الأهم كان يمثل موقفا محددا من العلم والمعرفة ومن الحياة ومن الناس كما كان لكل منهم منهج واضح ومحدد المعالم بحيث كان يعرض مادة تخصصه ليس كمجموعة من الحقائق والمعلومات وهذا على أية حال هو أدنى مراتب العلم . وانما كان يعرضها من خلال منهج معين أو ربما كان يعرض منهجه من خلال تلك المعلومات والحقائق والوقائع . وكانت كلية الآداب بالذات بأقسامها المختلفة المتنوعة المتكاملة رغم ذلك التنوع تمثل نموذجا . رائعا لتلاقي الأفكار وتفاعل الآراء المختلفة التي كانت تنعكس بشكل أو بآخر في المجتمع ذاته .

● **التعليم بين الرسالة والمهنة**

فحين (يدخل) الطالب كلية الآداب ـ ولا أقول (يلتحق بها) فيتعرض لتفكير



موليير

كبار الأساتذة الذين كانوا يأخذون العلم والمعرفة والثقافة والجامعة بل ويأخذون الطالب نفسه مأخذ الجد والعناية والاحترام فإن ذلك كله كان ينعكس ولابد على الطالب وعلى شخصيته وتكوينه العقلي . فالاختلاف الحقيقي بين جامعة وأخرى أو بين الجامعة ذاتها في فترتين مختلفتين من تاريخها ليس هو الاختلاف في أعداد الطلاب أو في نوع المقررات والمناهج بقدر ما هو اختلاف في نظرة الاستاذ إلى رسالته وإلى الجامعة وإلى الطالب بل وإلى نفسه قبل كل شيء .. انه اختلاف بين أن يرى الاستاذ التعليم رسالة وبين أن يراه مهنة . وكان الاستاذ المرحوم الدكتور ابوالعلا عفيفي الذي عرفنا على يديه محيي الدين بن عربي وقرأنا عليه أجزاء من نصوص الحكم والفتوحات المكية يقول انه يحمد الله أن جعل رسالته وهوايته هما مصدر رزقه في الوقت ذاته . ولا أعتقد أن الكثيرين يدركون عمق دلالة هذه العبارة الوجيزة البليغة .



وحين يدخل الطالب إلى كلية الآداب فيجد - كما كان يحدث - الأبواب مفتوحة على كافة التخصصات في مختلف الأقسام بحيث يستطيع ان يستمع الى ماشاء من محاضرات على كبار الاساتذة بصرف النظر عن تخصصه وعن القسم الذي ينتسب اليه او يدرس فيه ويجلس بذلك - وهو الطالب المبتدىء - تحت اقدام اساتذة وعلماء من امثال يوسف كرم في الفلسفة اليونانية وفلسفة العصور الوسطى وسليمان حزين ومصطفى عامر في الجغرافيا وعبد الحميد العبادى وزكى على وابراهيم نصحى ومحمد مرزوق في التاريخ ومصطفى زيور في علم النفس وابراهيم مصطفى في النحو . بل وان يستمع الى ما شاء من محاضرات في الادب الانجليزى او الفرنسى ويرى امامه بليني او فيدن يقرآن شكسبير كما لو كان يمثلانه على المسرح او يستمع إلى اتيامبل الذى اصبح فيما بعد احد كبار نقاد الادب في فرنسا او إلى ويزنوم في دروس المنطق الحديث والفلسفة المعاصرة وقد اصبح ايضا من كبار الفلاسفة في انجلترا او يستمع إلى رولان بارت الذى جاء إلى الجامعة في وقت لاحق ولم يبق فيها طويلا وقد قتل فيما بعد في حادث سيارة سخيف - كما وصفته جريدة لوموند حينذاك وهو يعبر شارع سان ميشيل امام الجامعة في باريس بعد ان حفر اسمه في اذهان الناس في مجال السيميولوجيا . او حين يستمع الى اساتذة زائرين من امثال ليفي بروفنسال حين دعاه العميد عبد الحميد العبادى . فلابد لهذا الطالب المبتدىء ان يشعر بكثير من الاحترام ليس فقط لهؤلاء الاساتذة الكبار فهذا أمر مفروغ منه - وانما الأحترام لنفسه هو ولانسانيته واهميته ولعقله ولابد من ان يؤثر ذلك في نظرته إلى العلم وإلى الثقافة وإلى المجتمع الذى يعيش فيه وينتمى إليه والذى استدعى له اصحاب هذه العقول الجبارة لكى تسهم في تهذيب عقله هو وصقل مواهبه وقدراته لكى تفتح امامه ابواب المعرفة والثقافة على مصاريعها ، ولابد لهذا الطالب من ان يعمل ويقرأ ويدرس ويأخذ العلم والثقافة بكثير من الجدية كى يستوعب مايصدر عن هذه العقول ، ولابد له ايضا من ان يدرك ويكتشف مابين هذه التخصصات المختلفة من تفاعل بحيث تمتزج معا في وحدة متكاملة وان يقرض بالتالى بوحدة المعرفة .

وحين يجد طلاب الامتياز في قسم الفلسفة مثلا انفسهم امام بعض المقررات الاضافية التى تفرض عليهم جزاء امتيازهم . وان احد هذه المقررات هو دراسة لغة قديمة كانت هي بالضرورة اللغة اليونانية لان اللاتينية كانت مفروضة عليهم بحكم اللوائح اثناء سنى الدراسة لليسانس وكان



جورج ابيض



محمود مرسى

يتولى تدريسها لهم استاذ فرنسي ، ثم يوكل امر تدريس اللغة اليونانية الى استاذ مصرى هو المرحوم محمد مندور فيرى الاستاذ ان دراسة لغة قديمة لمدة عامين فقط لن تحقق الهدف المنشود فيعطى نفسه الحق في ان تتحول معظم دروسه الى الادب اليوناني والادب اللاتيني الى جانب النصوص اليونانية القليلة التي يتعين على الطلاب معرفتها لاجتياز الامتحان .

وتتفتح اذهان الطلاب على عوالم وافاق من الفكر والابداع والادب تمتزج فيها الاساطير حول الكون والخلق والالهة بالشعر اليوناني واللاتيني بالملاحم بتاريخ الاغريق واسهامهم في العلم والفلسفة في وحدة عضوية متكاملة ، بل انه حين تتكون فرقة للتمثيل في كلية الاداب ويوكل امر الاشراف عليها الى مصطفى زيور عالم النفس الكبير الذى اصدر مع زميله المرحوم يوسف مراد مجلة علم النفس التي كانت على مستوى عال من الجدية الاكاديمية فاذا بفرقة التمثيل تختار مسرحية سوفوكليس الشهيرة (اوديبوس ملكا) من ترجمة طه حسين الذى كان في ذلك الحين مديرا للجامعة ، ويتولى اخراج المسرحية جورج ابيض بينما يتولى (المكياج) حلمي رفلة ويقوم بتاليف الموسيقى التصويرية احد كبار المؤلفين الموسيقيين من الايطاليين الذين كانوا يعيشون في الاسكندرية حتى قيام الثورة ويحضر طه حسين عرض المسرحية التي كان يقوم بدور البطولة فيها احد طلاب قسم الفلسفة الذى اصبح فيما بعد ممثل مصر العظيم المثقف محمود مرسي ثم يقدم الحفل نفسه مصطفى زيور ، ولكنه بدلا من ان يرحب بالحضور بتلك الكلمات الجوفاء البلهاء التي يرددها الناس ويكررونها الآن في مثل هذه المناسبات يعرض للمسرحية والاسطورة والى عقدة اوديب والدور الذى لعبته الاسطورة في تاريخ التحليل النفسي والى اراء فرويد بالذات . ويستمع الحاضرون في صمت وخشوع واعجاب واستيعاب للاستاذ ، وتتوالى مواسم التمثيل ويقدم الفريق مسرحيات كلاسيكية من اعمال موليير وشكسبير سنة بعد اخرى ويتولى اخراجها كبار الممثلين من امثال احمد علام الذين لم يكونوا يهتمون بان يوصفوا بانهم (نجوم) ربما لعظمتهم وسموهم وارتفاع هاماتهم عن ان يحلقوا بمثل هذه الالفاظ التي تطلق الآن في ابتذال على انواع غريبة من المشتغلين بالتمثيل . وقد كان ذلك كله يعبر خير تعبير عن نوع الثقافة الرفيعة التي كانت تسود المجتمع .

مجتمع الجامعة ومجتمع المدينة على السواء ، ان يشير بشكل واضح الى



نظرة المجتمع الى الثقافة ومدى فهمه لها والاهتمام بها .

ولقد افدت انا شخصيا من ذلك وانعكس بشكل واضح في بعض دراساتي الميدانية . ففي فترة من الفترات فعلا كانت اهتم بدراسة مفهوم الزمان عن سكان الواحات الخارجة وطريقة قياس الوقت عندهم الاسترشاد بحركات النجوم ومواقعها واعتمادهم على ذلك في توزيع مياه الابار الارتوازية واستخدامها في الري . ولم يكن غريبا على حينذاك ان اجد نفسي عاكفا على دراسة عدد من كتب الفلك حتى اتمكن من فهم النسق كله والعلاقة بين النجوم وحركتها واختلاف مواقعها على مدار السنة لكي تصبح هذه المعلومات كلها جزءا من الثقافة الشخصية بعد ان ادت وظيفتها (النفعية) المباشرة ولكي تؤلف كتب الفلك من ناحية وكتب (التنجيم) من ناحية اخرى جانبا من اهتماماتي (الثقافية) على الرغم من اتساع الهوة بين نوعي المعرفة ثم تطويع هذه المعرفة لفهم كثير من جوانب الحياة الاجتماعية ومظاهر السلوك وانماط التفكير العلمي والغيبي في مصر .

كان التعليم في الجامعة - ولايزال الى حد كبير يتبع الطريقة التقليدية التي تعتمد على المحاضرة او على مايحب البعض تسميته الآن بطريقة التلقين . وهي طريقة يعتقد هؤلاء البعض انه يجب التخلص منها لانها تميل الى حشو دماغ الطالب . باكبر قدر من المعلومات ولاتشجع على التفكير الحر الشخصي الذي يساعد على نمو القدرات الذهنية الخاصة . وقد يكون في ذلك شيء من الصحة ومن الصدق ولكن هذه الطريقة كانت تتميز بميزتين هامتين ربما تكون قد افتقدتهما الآن نتيجة للتغييرات الجذرية التي طرأت على الجامعة وعلى النظرة الى التعليم الجامعي ووظيفته في المجتمع . فاما الميزة الاولى فهي انه كان يتيح للطالب حينذاك حرية البحث في المصادر والمراجع لاستكمال المحاضرة خاصة وانه لم يكن لمعظم الاساتذة كتب يفرضونها على الطلاب فرضا كما هو الحال الآن . وكان من شأن ذلك تنمية روح البحث والمتابعة وتكوين نظرة خاصة او حتى موقف خاص يقوم على الاختيار والانتقاء بما يتفق مع اختلاف القدرات على البحث والفهم ومايتلاءم مع الميول الخاصة الذاتية وكان هذا كله يساعد في آخر الامر على بناء الشخصية العلمية والثقافية المتميزة المستقلة . واما الميزة الثانية فهي الاعتماد الى حد كبير على دراسة (النصوص) كان النص هو سيد الموقف واداة الدراسة والبحث . وليس

المقصود بذلك - كما ذكرنا - (نص) الكتاب المقرر أو المذاكرة التي يكتبها الأساتذة الآن خصيصا لطلابهم وبإشراف من الجامعة التي تحدد حجم المذكرة وسعر الملزمة ووقت توزيعها على الطلاب وتشترط الا يمتحن الطالب الا فيما تم تدريسه فعلا من هذه المذكرة حتى تاريخ معين ، وهو أسلوب فريد في امتهان العلم ورسالة الجامعة . ولكن المقصود هو الرجوع الى المصادر الأساسية ودراستها دراسة متأنية تقوم على التحليل والفهم مع محاولة ترجمتها حين يكون النص بلغة أجنبية . وفي قسم الفلسفة مثلا الذي درست فيه - وذلك اذا جاز ان اشير هنا الى تجربتي الشخصية - كان معظم الأساتذة يحددون نصا قد يكون كتابا كاملا من الأمهات أو جزءا من كتاب أو أجزاء من كتب متفرقة يتم دراستها وتحليلها والتعليق عليها . وبذلك اتيح للطلاب منذ أول إلتحاقهم بالقسم دراسة بعض أجزاء كتاب ما وراء الطبيعة لأرسطو وترجمتها من الفرنسية الى العربية ومحاولة شرحها قبل ان يقوم يوسف كرم بتقديم الترجمة الدقيقة والتعليق الوافي على النص . وكانت المعاناة الشديدة التي يلقاها الطالب المبتدىء في أثناء محاولاته المتكررة هي الأداة الحقيقية الفعالة للتعليم والتدقيق والبحث بكل ماتحمله وماتؤدي اليه من مران ذهني وتدريب للقدرات وتنمية للامكانات والملكات وبالمثل كانت دراسة الرسالة القشيرية ونصوص الحكم والفتوحات المكية كما كانت دراسة دور كايم عن تقسيم العمل



شكسبير



سليمان حزين

الاجتماعي وهو في الأصل رسالة الدكتوراه التي تضم نواة تفكير دور كايم . ولست اعتقد أن المتخصصين في علم الاجتماع الآن أو كثيرا من أساتذة الاجتماع انفسهم في الوقت الحالي درسوا هذا الكتاب أو يعطونه ما يستحقه من عناية لأن حياة السرعة التي يحياها معظم الأساتذة والدارسين تمنع من اعطاء الكتاب الوقت اللازم لدراسته وفهمه أو حتى قراءته قراءة سريعة للالمام بما يضمه من قضايا وبالمثل أيضا أمكن التغلغل الى فكر الفيلسوف البريطاني باركلي من خلال كتابه (نظرية في الرؤية) كما أمكن التعرف على فكر برادلي من خلال كتابه (الظاهر والحقيقة) وهي (معرفة) لم تلبث في حالتي أنا شخصيا أن افدت منها بعد ذلك بما يزيد على أربعين سنة حين طلب اليّ المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية المشاركة في مشروع بحثي ضخم عن السياسة الثقافية في مصر وعهد اليّ بدراسة موضوع (رؤية المصريين للعالم) ضمن ذلك المشروع فاذا بباركلي وبرادلي وكولنجوود ودليتاي يبرزون على



السطح لان الدراسة الواعية كانت قد اصبحت جزءا من الثقافة العميقة ، وان كان الامر قد احتاج بغير شك الى تجديد الصلة واحياء العلاقة بعد ان كانت قد تراجعت واصابها شيء من الفتور ولكنها كانت طيلة الوقت موجودة ولم تنقطع تماما لانها كانت تؤلف جانبا من التكوين العقلي .

● وحدة المعرفة ●

وبالمثل ايضا عرف الطلاب برجسون وكتاباته مع المرحوم الدكتور نجيب بلدى . وهو واحد من افضل الاساتذة الذين عرفتهم الجامعات المصرية في الفلسفة الحديثة . كما كان احد الذين تركوا مصر ضمن من تركوها من كبار الاساتذة الذين تتفنن مصر في مضايقتهم ووضع الصعوبات والعراقيل امامهم . ويبدو ان مصر تحرص حرصا شديدا على طرد كبار اساتذتها وعلمائها ومطاردتهم بشتى الطرق والوسائل وتتركهم للآخرين للافادة منهم والانتفاع بعلمهم وخبراتهم وتجاربهم ، حتى اذا ما اطمأنت الى غربتهم واغترابهم تتباكى وتتغزل ، في مناقب علمائها في الخارج وتعذب نفسها بعد ان تكون قد عذبتهم حتى تركوا الديار .

ونريد ان نخرج من هذا كله بامرين على قدر كبير من الاهمية .

الامر الاول : هو ضرورة ادراك وتقبل فكرة وحدة المعرفة وما يترتب على ذلك من تدخل وتآزر ما يعرف الآن باسم الثقافتين اى الثقافة العلمية والثقافة الانسانية التي يندرج تحتها النشاط الابداعي الفني والأدبي والفكري بمختلف الوانه واشكاله . وان هناك ارضا مشتركة تتلاقى فيها المعارف المختلفة وانه مهما اختلفت التخصصات وتباينت فان اتساع النظرة والامتداد بالبصر الى المجالات الاخرى من شانهما اثراء التجربة وتعميق الفهم حتى في مجال التخصص الضيق الدقيق . ويبدو ذلك اكثر وضوحا في الدراسات الانسانية التي يمكن لها ان تفيد الى حد كبير من تقدم العلوم الدقيقة في فهم السلوك الانساني والابداع الفكري . ولكن التخصصات العلمية الدقيقة يمكنها ايضا ان تفيد من نتائج الدراسات الانسانية وتحليلاتها لكثير من الجوانب الخفية في العقل البشري والمبادىء التي تحكم سلوك الانسان وتصرفاته ، ومواقفه وما قد ينشأ عن ذلك الفهم من اضفاء الطابع الانساني على العلوم الطبيعية الدقيقة وتسخيرها لصالح الانسان . ولكن الاهم من ذلك هو ان يشغل اصحاب كل من هاتين الثقافتين انفسهم بالبحث عن طرق واساليب التفكير التي يتبعها اصحاب الثقافة الاخرى وتعرف موقفهم ونظرتهم الى تخصصاتهم والمبادىء العقلية التي تكمن وراء هذه النظرة



عبد الحميد العبادى

ووراء اساليب البحث بل ووراء النتائج التى يصلون اليها . فالكشف عن هذه المبادىء العقلية يساعد على تضييق الهوة بين الثقافتين ، اى ان المسالة ليست مجرد محاولة الاستعانة باساليب البحث الخاصة باحد المجالين فى المجال الآخر بقدر ما هى الكشف عن المبادىء العقلية العامة المشتركة بين اصحاب التخصصات المختلفة والافادة من ذلك فى توسيع افق الفكر الانسانى وتعميقها بما يتفق مع تنوع الحياة وتعقد الطبيعة البشرية .

والامر الثانى : هو الاهتمام بالرجوع الى (النص) بالمعنى الواسع للكلمة بما فى ذلك التجربة الخاصة المباشرة واعطاء (النص) مايستحقه من عناية دون اخذ الامور بحرفيتها مما قد يترتب عليه جمود الفكر . فالرجوع الى النص يقتضى بذل الجهد الذاتى الخاص لفهمه وسبر اغواره والقاء اضواء جديدة عليه او (قراءته) قراءة جديدة متعمقة ومتانية ومن منطلق جديد ومحاولة تطويعه للاوضاع الجديدة والظروف القائمة . وبهذا وحده يتقدم العلم وتتسع المعرفة وتتشعب افاق الثقافة ويحدد الفرد موقفه من الثقافة ومن المجتمع ومن الحياة ، لان مثل هذه الجهود خليقة بان تحقق درجة اكبر من الاصالة فى الفهم والتحليل . وفارق كبير بين ان (يقرا) المرء مثلا نص ملحمة الرامايانا الهندية او كتاب الموتى عند المصريين القدماء والذى نقله Budge منذ سنين طويلة الى اللغة الانجليزية ويعمل جاهدا على فهم النص وتفسيره ودراسة كل مقد يساعد على الوصول الى ذلك الفهم وبين ان يقرا (عن) هذين العملين ويتقيد بالتالى بما قد يقدمه الاخرون من تفسير لهما من زاويتهم الخاصة . اذ مهما (قرا) المرء من كتابات الاخرين حول عمل من الاعمال الابداعية الرائعة التى تغوص فى اعماق النفس البشرية فلن يخرج بموقف فكرى خاص ونظرة شخصية اصيلة حول ذلك العمل . وهذا هو مانقصده بضرورة الرجوع الى النص . وهذا فى الاغلب هو ما كان يقصده الاستاذ حين طلب من تلميذه ان (يدرس) وليس ان (يقرا) لان الدراسة هى اساس العلم والمعرفة العميقة التى لاتلبث ان تتحول الى ثقافة تقوم على الاختيار والانتقاء الواعى وحسن الادراك .



الفلاح الفصيح .. شاهدا على عصره

بقلم : حمدى أبو كيلة

تعتبر قصة الفلاح الفصيح من اشهر القصص المصريين القدماء واعظمها لانها تمثل عملا ادبيا ينطوى على نقد مرير للمجتمع ويتبنى الدعوة الى اقامة نظام لنشر العدل وتحقيق الرخاء .

كتبت القصة باسلوب يتميز بالفصاحة التى امتزجت بقدر ملحوظ من السخرية والتهكم مما اكسبها مكانة خاصة عند قدماء المصريين الذين شاع لديهم هذا النوع من القصص او المقالات ذات البعد النقدى الاجتماعى الواضح .

واذا كان هناك اجماع على ان القصة لاتمثل حدثا واقعيا بذاته ، فان ذلك لاينفى بالطبع انها تعكس واقعا حفل بأحداث مشابهة ـ بدرجة او بأخرى ـ لما ورد فيها من وقائع وتفاصيل ولعل هذا هو مصدر اهميتها وقيمتها بالنسبة لنا فى العصر الذى نعيش فيه . فهى تقدم لنا بصورة صحيحة صورة حية لجانب هام من الاوضاع الاجتماعية والسياسية فى العصر الذى كتبت فيه وتعطينا فكرة جيدة عن ذلك النوع من الادب الذى كان شائعا فى ذلك العصر .

● الزمان

والزمان الذى تدور فيه احداث القصة يقع فى النصف الاول من القرن الحادى والعشرين قبل الميلاد فى عهد الملك (خيتى) الثالث آخر ملوك الاسرة العاشرة الذى حكم فى المدة من ٢٠٨٠ ـ ٢٠٦٠ ق . م وهذه الاسرة هى آخر اسرات ماعرف بعصر الانهيار الاول ، الذى شغل الفترة ما بين الدولة القديمة بملوكها وعظمتها التى تقف اهرام الجيزة شاهدة عليه حتى اليوم ، وبين الدولة الوسطى ، وقد استغرقت تلك الفترة حوالى ٢٠٠ سنة وساد خلالها حالة من الضعف والتفكك نتيجة لانهيار الحكم المركزى وتشوب المعارك بين حكام الاقاليم وقد صاحب ذلك انتشار الفساد الداخلى واختلال الكثير من القيم الدينية والخلقية التى كانت سائدة فى ظل الدولة القديمة كما كان تعرض البلاد لمحاولات الغزو الخارجى القادمة من آسيا .

● والمكان

هذا عن الزمان اما المكان فهو اقليم

الفلاح الفصيح

شاهدا على عصره

الفيوم الحالى حيث اتخذ الملك خيتى الثالث من مدينة اهناسيا عاصمة لملكه غير المستقر والذى انفصل عنه الجزء الجنوبى من مصر العليا (الوجه القبلى) .

● قبل رفع الستار

وقبل ان ترفع الستار عن الاحداث لنا ان نتعرف على الشخصية الرئيسية فى قصتنا "خون انوب" الشهير بالفلاح الفصيح والقادم من قرية "حقل الملح" القريبة من العاصمة اهناسيا فقد رأى ان مخزنه خال من الغلال اللازمة لطعامه وأسرته فقرر ان يتوجه الى العاصمة لبيع حاصلاته من الملح والطيور والجلود ليشترى بدلا منها قمحا وشعيرا . وهكذا حمل ما استطاع على قطيعه الصغير من الحمير وسار فى ذلك الطريق الضيق المؤدى الى العاصمة .

● المؤامرة

ولسوء حظ "خون انوب" كان ذلك الطريق يخترق ضيعة "رنزى بن مرو" مدير قصر الفرعون . أما "تحوتى نخت" ذلك الموظف الصغير الذى يقع بيته على الطريق ويعمل فى خدمة "رنزى" فقد كان منظر حمير "خون انوب" بحمولتها الثمينة سببا كافيا لاسالة لعابه وتحريك مطامعه . فعندما لمح القافلة الصغيرة قادمة على البعد بدأ على الفور فى تنفيذ خطة سريعة للاستيلاء عليها فامر خادمه بالاسراع الى المنزل لاحضار صندوق مليء بقماش الكتان واسرع بنشر الكتان على الطريق الذى يمر بين ماء الترعة وحقل القمح . فاذا ما وصل الفلاح بقطيعه الى المكان وجد الطريق مغطى بالقماش كما وجد "تحوتى نخت" يحذره من ان يمر فوق هذا القماش . ورغم ان خون انوب احتج على هذا الاعتداء على "الطريق العامة لكل الناس "فانه امتثل للامر وسار بحميره على حافة حقل القمح . فما كان يستطيع ان يخوض بها عبر الماء فى الناحية الاخرى من الطريق .

وعندئذ كان لابد ان يحدث ماخطط له "تحوتى نخت" حيث التضم احد الحمير حزمة من اعواد القمح المغرية . ورغم محاولات "خون انوب" للاعتذار الا ان تحوتى نخت لم يدع الفرصة التى دبر لها تفلت من يده فقبض على الحمير واخبر الفلاح بانه سيستولى عليها عقابا على مافعلت وتعويضا عما سببته من اضرار .

● الخراب

وعندما ادرك خون انوب ان الاعتذار والاستعطاف لن يجدى وان نية خصمه مبيتة على السوء فارتفع صوته بالاحتجاج على اغتصاب حميره لقاء قضمة من اعواد القمح مذكرا تحوتى نخت بانه "لم يمل عن الطريق سوى الا عندما رأى ذلك الطريق مسدودا فى وجهه . ولذلك اضطر لان يطرق الجانب الممنوع" ثم المح مهددا بالشكوى لصاحب الضيعة "مدير البيت العظيم الذى يعاقب اللصوص فى انحاء هذه البلاد" .

واستاء الموظف المغرور مما اعتبره جراة من ضحيته زائدة عن الحد فانتزع عودا من اقرب شجرة اليه وانهال به على جسد الفلاح المسكين غير مبال بصراخه واحتجاجه ثم اقتاد الحمير بما تحمله من غنيمة الى بيته .

عندما وجد "خون أنوب" نفسه فى العراء وقد فقد حميره ومحصوله تذكر بيته الذى تركه خاليا من الزاد واسرته التى اوشكت ان تتضور جوعا فقرر ان يعود الى محاولة استعطاف "تحوتى نخت" لعل قلبه يلين ويرد له حميره . وهكذا اضاع عشرة ايام فى محاولات فاشلة حتى ادرك فى النهاية ان ذاك الحجر ليس بالذى يلينه الكلام .

● هل من مجير

اخيرا لم يعد هناك مفر من اللجوء الى "كبير الامناء ـ المدير العظيم لبيت الفرعون ـ رنزى بن مرو فهو صاحب الضيعة التى جرت فيها الواقعة وهو رئيس الموظف المحتال وهو ـ فوق كل شىء ـ الرجل الذى اشتهر بحبه للعدالة حتى اصبح فى ذلك مضربا للامثال .

وفى اللحظة التى وصل فيها "خون انوب" الى مقر كبير الامناء كان الاخير يتأهب للتوجه لركوب قاربه الرسمي فشق الفلاح طريقه اليه وسط حرسه ومرءوسيه وبدأ فى عرض شكواه باسلوب لبق مهذب استرعى اهتمامه فوقف يستمع اليه لعدة لحظات ثم استدعى احد موظفيه وامره بان يستمع لشكاية ذلك الفلاح ليعرضها عليه فيما بعد .

ولما عاد رنزى من مهمته الرسمية استمع الى تفاصيل القصة ثم عرضها على حاشيته من الموظفين مستشيرا ايلهم فيما يتعلق بشكوى ذلك الفلاح .

● بطانة السوء

"ان القضية يحتمل ان تكون قضية ضرائب دفعها الفلاح خطأ الى رئيس آخر بدلا من ان يدفعها لتحوتى نخت المسئول الاصلى عن تحصيلها . فما كان من "تحوتى نخت" الا ان استولى على مايستحقه من الضرائب . فهل يعاقب تحوتى نخت بسبب قليل من النطرون والملح الذى قد يكون من حقه ؟ فلتصدر اليه الامر باعادتها للفلاح ـ اذا كانت من حقه . ولاشك فى انه سيفعل ذلك" .

كان هذا ما افاض به مستشارو السوء لرئيسهم رنزى بن مرو متحازين لمرءوسهم "تحوتى نخت" ولم يكتفوا بذلك بل حاولوا ان يساعدوه على الخروج من القضية فائزا بالصيد الاهم فتجاهلوا ذكر الحمير



الفلاح الفصيح

شاهدا على عصره

كلية وقصروا الامر على قليل من الملح والنطرون التى لابأس من اعادتها لذلك الشاكى المشاكس .

● جملة اعتراضية

قبل ان نتهمك فى متابعة سير قضية المسكين "خون انوب" الذى افتقد النصير لايسعنا الا ان نتوقف قليلا لنتأمل ذلك الاسلوب الذى عالج به رنزى الموضوع فى بدايته ونقصد بذلك احالة الشاكى الى الموظفين لسماع شكواه لعرضها عليه فيما بعد .

ثم قيام رنزى نفسه بعرض الامر الوظيفى لاستشارتهم فالتصرف الاول يشير الى وجود نوع من تنظيم العمل او التخصص الوظيفى على درجة من الرقى .
كما ان التصرف الثانى يشير الى اسلوب فى اتخاذ القرارات لايستند الى مزاج الموظف الكبير (حتى ولو كان مدير قصر الفرعون) ولكن الامر يستدعى استشارة المحيطين به من كبار الموظفين فاذا لم يغب عن ذهننا ان القصة كلها تدور فى اطار الشكوى من الانهيار والتردى فى احوال البلاد ، لوجدنا انفسنا مدفوعين دفعا الى التساؤل عما اذا كانت تلكم التصرفات والاجراءات شيئا مرعيا او متبعا على وجه العموم فى امثال تلك الحالات . واذا كان الامر كذلك فى عصور الانهيار والتفكك ، فكيف الحال فى عصور الازدهار ؟

وعلى الرغم من ان كل ذلك قد اسفر ـ فى البداية وحتى الان ـ عن اهمال شكوى الفلاح وعدم انصافه بل ومشاركة كبار الموظفين فى التآمر ضده ـ على الرغم من ذلك الا ان وجود الاطار نفسه كان كفيلا بتصحيح هذا الموقف فيما بعد .

● لكل عقدة حلها

والان ، استكمل مؤلفنا المصرى القديم حبكته الدرامية ووصل بنا الى عقدة الموضوع ، فالمخزن فى القرية خال من الحبوب ، والزوجة والابناء يتضورون جوعا ، وما كان باليد من محصول قد طار فى الهواء بل الادهى والامر ان تحويشة العمر المكدسة فى بضعة حمير قد اصبحت هى الاخرى مهددة بالضياع ، وهاهم مستشارو السوء يحثون رئيسهم على نسيان الامر وتجاهله وقد سمع خون انوب ما دار من حديث بين رنزى ومرءوسيه فادرك انه ضائع لا محالة اذا لم يفعل شيئا يعيد اليه حقه المسلوب .

وقد اصبح الجو الان مهيئا امام المؤلف لكى يصل الى غرضه من كتابة قصته الا وهو ان يوصل الى معاصريه نقده للاوضاع الاجتماعية والسياسية التى آلت اليها البلاد ، والانحلال الذى اصبح سائدا بين الموظفين وكيف ان هذا وذاك قد وقع فى النهاية على عاتق المواطن الاعزل الفقير الذى ليس له سند ولانصير ، ولكن الشجاعة والبلاغة اللتين تحلى بهما بطلنا مكنتاه اخيرا من نيل حقه كاملا و لم يكن ذلك ممكنا لولا وجود ملك

عادل رءوف حريص على سيادة العدل بين مواطنيه وعلى ذلك فان وجود ادارة تتسم بالعدل والانصاف لايقل اهمية عن تحلى ملك بتلك الصفات ولا عن ثبات المواطن المظلوم وشجاعته فى المطالبة بحقه فى النهاية مهما لاقى من التهديد والتنكيل .

ولكننا هكذا قد استبقنا الاحداث . فمتى جرى كل ذلك وكيف عبر المؤلف عن تلك الاراء التى نسبناها اليه ؟ كان "خون انوب" قد ادرك المأزق الذى وصل اليه بعد ان سمع المشاورات التى دارت بين "رنزى" ومرءوسيه . فقرر ان يحاول من جديد اقناع "رنزى" بانصافه واعادة حقه المغتصب اليه . وفى كل مرة لايستجيب رنزى لشكوى الفلاح كان هذا يعاود الكرة حتى بلغ عدد الخطب التى القاها على مسامعه تسع خطب بين الدعاء والاستعطاف والمديح وبين اللوم والهجوم والتهديد بل والسباب والتذكير بعقاب الاخرة الذى لن يفلت منه احد مهما كان .

ولكن تأخر رنزى فى الاستجابة لشكوى الفلاح والتحقيق فيها لم يكن تصرفا طبيعيا راجعا لطبيعة ظالمة فيه ، وانما كان راجعا لاعجابه الشديد بفصاحة الفلاح ولباقته فى التعبير عن مكنون صدره ، ولما كان يعلم مدى ولع الملك بالفصاحة والفصحاء فقد ذهب فورا الى مليكه بعد سماعه لاول خطبة القاها الفلاح على مسامعه واخبره بشأن هذا الفلاح وما لمسه من فصاحته ولباقته وما وقع عليه من اعتداء من احد الموظفين . فقال له

الملك "على قدر ماتحب لى من عافية دع امره يقضى على مهل . ولاتجبه فى شىء مما يقول والتزم الصمت حتى لايقف عن الكلام واكتب كل مايقوله حتى نسمعه



ولاتنس ان تعول عياله وامرأته فلعله لم يأت الى المدينة الا لان بيته خال من كل زاد .

وقدم له الطعام وكل مايحتاج اليه من زاد دون ان يعلم بانك انت الفاعل .

وهكـذا اكتملت لمؤلفنا اسبـاب "الصنعة" بعد ان اوجد المبرر لاستمرار "خون انوب" فى القاء شكاياته على مسامع رنزى دون ان يأخذ اى اجراء تجاهها وبذلك وصلت الينا (ووصلت بالطبع الى معاصريه الذين شكلوا جمهوره الذى اراد التأثير فيه) الخطب التسع والتى قال فيها كل مايريد على لسان خون انوب كما لم يفت المؤلف ان يحتاط بالاجابة على مايمكن ان يعن لنا من اسئلة حول مصير اسرته الجائعة طوال مدة تواجده بالمدينة فقد علمنا بان الملك امر باعالتها كما امر باعالة "خون انوب" نفسه (وان كان هو لم يعلم بهذا او ذاك) وهكذا اصبح كل شىء يسير امامنا سيرا

طبيعيا بعد ان سدت كل الثغرات واكتملت سلامة البناء .

● خطب وليست شكاوى

والآن ماذا قال "خون انوب" في خطبه التسع . والحقيقة اننا نفضل أن نسميها خطبا لأن لفظ "الشكاوى" لايعبر تعبيرا دقيقا عن محتواها فكل خطبة منها تقريبا تحتوى على مزيج من المديح لـ (مدير البيت العظيم) وهو ما تبدأ به الخطبة غالبا ثم تتراوح بعد ذلك بين وصف الحالة السيئة التي آل اليها حال الفلاح شخصيا تارة وبوصف ما آل اليه سوء الادارة وحال البلاد في ظلها تارة اخرى . ثم يعود اكثر من مرة الى الهجوم العنيف على رنزى بن مرو ويتهمه بأقسى الاتهامات حتى لو عرضه ذلك للضرب عقابا له على تماديه في الهجوم اثناء القائه لخطبته الرابعة ولاتخلو خطبة من بعض الحكم والمواعظ التي لم تفقد ايحاءها القوى رغم مرور اربعين قرنا على الزمن الذي كتبت فيه والحقيقة ان النص الكامل للقصة جدير بأن يقرأ الا اننا سنكتفي هنا بايراد بعض النماذج ذات العبارة البليغة والدلالة الواضحة مع تباين الغرض من كل منها فعندما يريد الفلاح الفصيح ان يمتدح رنزى بغرض استمالته اليه .

● يبدأ خطبته الاولى بمزيج من المديح ومايشبه الدعاء بالتمنيات الطيبة فيقول :

انك اعظم العظماء
انك اذا نزلت بحيرة العدالة
فستقبل الريح في ثلاجك
ولن يمزق شراعك
ولن يصيب سفينتك عطب
فلن تنقطع حبالها
ولن يجرفها التيار
وستجيء الاسماك لفريسة اليك
وتصيد يدك فتلتقط الطير السمان
وانك اب اليتيم
وزوج الارملة
واخ لمن هجره اهله
وستر لمن لا ام له

● وفي موضع اخر يمزج المديح بالوعظ فيقول :

انك دفة السماء فلاتنحرف
وانت سارى الارض فلاتتمايل
وانك حبل الميزان فلا تمل

● وفي موضع ثالث يقول :

لك تمثل القلم والقرطاس ولوحة البردى
بل انك تمثل الإله تحوت[1] .
فكن بعيدا عن عمل السوء

● وعندما يريد ان يصف سوء الحالة التي آل اليها في اكثر من موضع من خطبه يقول :

ان فمي مفتوح ليتكلم
كما يتدفق الماء من فتحة صغيرة في السد
ان حياة الفقير في ماله
ومن اخذه منه فقد خنقه

● وعندما يرى اعراض رنزى عنه يميز وكأنه يريد ان يقرب الامر الى فهمه في لهجة لاتخلو من التقريع قائلا :

اذا كانت السفينة قد رأست
فكيف ترى ان نعبر النهر ؟
هل ترى ان نعبره على اقدامنا ؟
هل ترى ذلك ممكنا ؟

● وفي نفس السياق يقول له في موضع اخر :

انه لو اتت لحظة يتسرب فيها التلف والفساد الى امتلاك
وتموت طيورك
وتهلك صيدك

● وكأنه انقلب من الدعاء له في مطلع الخطبة الاولى الى الدعاء عليه بأن يعيش ما فيه من بؤس وخراب حتى يستطيع ان يفهمه ويقدر حاله . وكذا ينسى خون انوب من الفلاح رنزى بانصافه انقلب في كل خطبة من المديح والثناء والموعظة الى الهجوم والاتهام والتحذير من سوء العاقبة فيقول :

انظر كيف انهارت العدالة تحت قدميك
بعد ان طردت العدالة فلم يعد لها
مكان في البلاد فكبار الموظفين يأتون السيئات
والقضاة يسرقون
حتى عم الفقر البلاد

● وفي موضع اخر :

لاتطمع كبار لشرائك
قسلة من الفاكهة كافية لاسكات
والكثب مرطبهم القلب
والقويهم عاشرة بالهوى

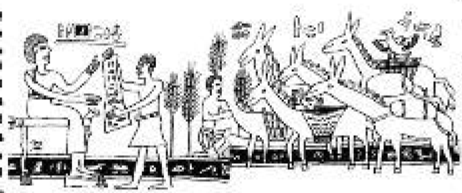
● من حين لآخر راح خون انوب يضمن خطبه تلك المواعظ والحكم التي رأى فيها المثل التي يجب ان يحتذى بها رجال الحكم . وهى تشبه دستورا للاخلاق اراد له واضعه ان يسود العلاقة بين الحكام والمحكومين

فيقول في موضع من الخطبة الثانية :

ان الموت يدرك الغنى والفقير على السواء
فلا تظن انك حي خالد

● ويبدأ الخطبة السادسة قائلا :

ان القاضي الذي يحكم بالعدل
يحيى الصدق ويميت الكذب



ويحقق الخير ويمحو اثار الشر
كما يذهب الشبع بالجوع
وتستر الثياب العرى
وكما تصفو السماء بعد سكون العاصفة
فتبث الدفء فيمن اصابهم البرد
وكالنار التى تطهو الطعام
والماء الذى يروى العطش

● وبعد تلك الفقرة التى تمتدح القاضى ـ او الحاكم ـ العادل ، تأتى فقرة اخرى فى نفس الخطبة لكى تنتقد الحاكم الفاسد او الشرير وهى تشبيهما فى ان كلا منهما عامرة بالمقابلات اللفظية الرنانة :

ان البستانى الذى يزرع الشر
ويروى ارضه بالخبث
لايحصد الا البهتان
ولاينمو حقله سوى الرذائل

● واحيانا تنتاب "خون انوب" حالة من التفلسف تكشف عن حس انسانى راق ، فلو لم تصل الينا تلك الكلمات بنصها الواضح لصعب علينا ان نتخيل انها قيلت بذلك التحديد منذ اربعة الاف عام . كان يقول :

من الطبيعى ان يسرق المحروم
وقد تعتبر هذه السرقة
جريمة فى نظر الغنى
والحقيقة انه لالوم على المحروم ان سرق
فهو يسرق ليقيم اود اسرته

● ولايخلو الامر احيانا من رغبة فى اظهار التحدى والزهو حيث يقول فى مطلع الخطبة الثامنة :

ان لى قلب رجل صريح
وان قلبى لشجاع حتى انك لاتستطيع ان تجد لى فى ذلك نظيرا .

● وبعد ان يسيطر اليأس على خون انوب وتصل به المرارة مداها يقرر ان ينهى مرافعته الطويلة بخطبة يائسة لايتناول فيها قضيته وانما يضمنها مزيدا من الحكم والعظات مضيفا فصلا جديدا الى دستوره الاخلاقى فيقول فى خطبته التاسعة والاخيرة :

ان من يثرى من الكذب
لن يكون له ابناء ولن يجد من يرثه على الارض
ومن سافر فى سفينة الفسق
فلن يبلغ البر يوما
ولن يرسو على اى شاطىء
فلا تتحيز ولاتطمع قلبك
ولاتغمض عينيك عما تعرف
ولاتتجاهل من يقصدك
ولاتنهر من استجار بك
ولاتكن بطيئا وعجل بقضاء الحق
فلا امان لمن لم يكترث بالناس
ولاصديق لمن يصم اذنيه عن الحق
ولاسعادة لمن عاش على الجشع

وأخيرا ينهى الفلاح الفصيح خطبته الاخيرة قائلا :

انظر .. اننى بثثتك شكواى
ولكنك لم تنصت الىّ
فلم يعد امامى الا ان اذهب
بشكواى الى انوبيس

ولما كان انوبيس هو اله الموت عند قدماء المصريين فان خون انوب يعنى انه لما يئس من الانصاف فى دنيا الاحياء فلم يعد امامه الى الانتحار وعندما يهم خون انوب بالرحيل يرسل رنزى فى اثره اثنين من مستخدميه ليرداه فيقول لهما :

انني الان متلهف الى الموت
كما يشتاق العطشان الى جرعة ماء
وكما يحتاج الرضيع الى لبن امه

ويكون لانزى قد لحق بهم فيطمئن الفلاح ويشرح له سبب استبقائه ولكى يؤكد له اقواله فقد امر باحضار لفة البردى التى حوت خطبه التسع وقرأها عليه واحدة تلو الاخرى ، ثم حملها رنزى الى الملك حيث

سر قلب جلالته
بها اكثر من سروره باى شىء
فى البلاد

وطلب الملك الى رنزى ان يتولى بنفسه الفصل فى قضية الفلاح فامر رنزى باحضار سجل الضرائب الخاص بالناحية التى يتبعها خون انوب وتم التحقيق من موقفه القانونى ومن عدد افراد اسرته كما امر باحضار تحوت نخت وتم احصاء املاكه وثروته وجرى عقابه بأن سلمت ثروته للفلاح الفصيح خون انوب

★ ★ ★

ومرة اخرى نجدنا مأخوذين بالتأمل فى تلك الاجراءات التى سبقت الفصل فى القضية ، فعلى الرغم من اعجاب الملك بفصاحة الفلاح التى ادخلت على قلبه سرورا فاق كل شىء اخر فى البلاد الا ان هذا لم يكن وحده كافيا لنصرة خون انوب على خصمه الا بعد التحقق من موقفه القانونى ومدى التزامه بأداء الضرائب على النحو الصحيح فى مقاطعته اى انه ليس كافيا ان تدخل السرور على قلب الملك لكى تنصف فى مواجهة خصمك ولكن يجب اولا ان تكون صاحب حق ازاءه .

ثم هناك تلك الحيرة التى لانستطيع تجاهلها والتى تبرزها المشاهد الاولى للقصة وان كنا قد فضلنا ارجاءها للنهاية لاتصالها باستخلاصنا السابق ، فمن يستطيع ان يغفل تلك الحيلة المعقدة التى اجهد تحوت نخت نفسه فى تدبيرها من اجل سلب اموال فلاح بسيط فقد دفعه لارتكاب خطأ مضطرا لكى يوفر لنفسه ذريعة للسطو على حميره . فهل كان يدرك "تحوتى نخت" ان قيامه بهذا السطو سيجعله محل مساءلة ولذلك عمد الى تدبير تلك المؤامرة حماية لنفسه من الادانة ؟ وهل يدل ذلك على وجود نوع من القواعد والاعراف التى تضع حدودا لحقوق وواجبات كل من رجال الادارة وعامة الشعب والتى تسرى فى حق الجميع حتى لو كان رجل الادارة هذا تابعا لمدير قصر الفرعون ؟

وعلى الرغم من اتفاقنا على ان القصة كلها مؤلفة فهل يمكن ان يكون ما ورد بها منبت الصلة بما كان يشهده واقع الحياة ؟



---

(١) اله الحكمة والقضاء والكتابة

في محطة قطار لوس انجلوس

شعر:
جاسم مراد
جامعة كاليفورنيا - لوس انجلوس



احن إليك مواويل قريتى الوادعة
احن إليك عصافير ذاك المساء البعيد

اتعرف هذى المنافى تكسّر صوتى
ايعرف هذا القطار هواى
ايعرف هذا الطريق سلاسل صمتى
تعبت من الرحلة الظالمة
اينتظر المرء كل حياته
ميلاد حلم جميل ؟!

احاول ان استريح من الذكريات
ومن حجر كان يشرب وجهى
احاول حلما طويلا
احاول ان اطعن الذاكرة
وتهرب من ساعدى السنين
واسئلة من مساء بعيد

يمرّ القطار على صخب الذاكرة
افتح ...
نافذة لاصطاد مرأى جميلا
اطرح قلبى فوق الرصيف
ليقتات من ضحكة عابرة

يمرّ القطار على صخب الذاكرة
واسأل هل سقط الحلم بين مدار الفصول
وقد نلتقى .. زهرة الامس
لكن ابعد انهيار السنين .. ؟؟

أنت والهلال

• المآذن •

تلك المآذن ـ والقلوب فداؤها ... أبراج حق فى السماء تعالى

أبراج حق بالهداية صرحت ... وتظل تعلن للفلاح مقالا

تلك المآذن سارينات « إذاعة » ... لله تدعو .. لاتنى إرسالا

تلك المآذن فى الجواء أسنة ... تصمى وتقتل باطلا وضلالا

« الله أكبر » فوقها قد رددت ... فإذا الجهالة زلزلت زلزالا

طاشت من الشيطان كل سهامه ... وجنوده قد أدبرت أرتالا

فلتسعدى طول الزمان : مآذنى ... يكسوك ربى عزة وجلالا

أحمد قاسم أحمد
قنا

• ذكرى أمير الشعراء •

• تمر فى ١٤ أكتوبر الحالى الذكرى الثالثة والخمسون لرحيل شاعر هذا العصر أحمد شوقى بك الذى لقبه معاصروه « أمير الشعراء » وبايعه الشعراء بإمارتهم عن جدارة .. والاحظ كما يلاحظ الكثيرون أن أجهزة الاعلام المرئية والمسموعة صارت تغفل هذه الذكرى إغفالا تاما بينما تهتم بشعراء أقل شأنا بكثير من هذا الشاعر العظيم . كما أن الصحف المصرية ـ دعك من صحف البلاد العربية ـ لاتلتفت إلى ذكرى أمير الشعراء وتشغل صفحاتها بالحديث عن تقليعات الشعر الجديد .. بل إن المجلات الأدبية لاتلتفت إلى ذكرى أمير الشعراء . ولقد مرت ذكرى شاعر النيل حافظ ابراهيم فى الصيف الماضى دون أن نقرأ عن هذا الشاعر الكبير كلمة واحدة فى مجلاتنا الأدبية !

عبدالشكور على رمضان
الاسكندرية

• يومان ولم أرك •

مر اليومان ولم أرك
يا أحلى من روح الملك
فالليل الحالك يقتلني
والعقل الشارد في حلك
والحزن الرائح يسكنني
والهم الغادي في نسك
ويحوم الشوق على رئتي
ويذوب الصمت على فمك
يبلى من وجه نكرني
وطنا عربيا زينك
وطنا يتسرب من حدق
ويسافر في وجل معك
يحكي لي الف حكاية حب
سب عن زمن قد اودعك
عن كل أساطير الدنيا
تتلاقى ترنو تتبعك
يتجمع بعضي في بعض
يتجمع كلي يسمعك
ما طابت نفسي يا املي
والقلب حزين لم يرك

إيهاب النجدي
ميت غمر - دقهلية

• هذيان •

• الصورة :

● خلع حذاءه باضطراب ، ونصبه في يديه كعصا ، راح يلوح به محذرا ومتوعدا .. كانت اكتافه العارية تلمع في وهج الشمس .. بانت عظام صدره كخشب مقروض والعرق يتصبب من وجهه الشاحب « إبتعدوا .. إبتعدوا وإلا سأصفعكم جميعا .. أيها الصراصير » صمتوا ...
زاغت عيناه في فراغ رمادي ـ الصمت جعله يشعر بالخوف اكثر ..

أنت والهلال

عوت الريح هازة أغصان الشجر البعيدة ، فذعر كطفل صغير « اغربوا عن وجهي .. ألم تسمعوا » .

شد سرواله القصير عندما أحس بتدليه « إلهي أدركني ، إنهم يقتربون .. ألا تراهم ! أبعدهم » .

مرت لحيظات قبل أن يأتيه صدى صوته مرتعشا .. الواقفون أمامه رآهم يتقافزون ويضحكون ، يشيرون إليه بأصابعهم الصخرية الطويلة .. شعر أنه حيوان أجرب .

وقف متسمرا متحفزا .. ولكنهم لايقتربون .. « اللعنة .. هيا اقتربوا .. تعالوا أريكم مكانتكم .. خائفون أنتم أليس كذلك ؟! مساكين ترتعشون لمجرد أنني أرفع حذائي في وجوهكم - لماذا لاتقتربون .. هيا نلهو قليلا أيها الأوغاد » .

ران الصمت ...

ومازال متصلبا في مكانه . شعر بحصوات تنغرس في بطن قدمه ، تؤلمه رفع قدمه قليلا ليتفاداها ، ونظره معلق بهم في توجس . نقل قدمه خطوة إلى الخلف ضحك بهستيرية .

كأنه كان ينتظر أن يجيبه أحدهم .. « قالت له إنني حليق الذقن كما ترى . صمم وأصر على أنني منهم وأضاف - وهو يصفعني - إنني أيضا كثير الكلام عن العدالة الاجتماعية وإزالة الفوارق الطبقية فأنا إذن من الآخرين .. فرماني بتهمتين معا إحداهما تكفي لشنقي في نظره - حلفت له بأغلظ الأيمان أنني لا من هؤلاء ولا من هؤلاء .. أبدا لم يسترح قبل أن تفرمني أنيابه المسننة » .

بدوا له « يكركرون » من الضحك .

مالت الشمس للغروب فشعر بالأفول . لوح للشمس بأيد مرتعشة ، وترقرقت على خده دمعات ، خلع مابقي عليه من ملابس يسيرة ، وأقبل يجري لايلوي على شيء ! ...

حمدي محمد عبدالموجود
آداب القاهرة - قسم الفلسفة

• الشعر والحب •

توهج العقل وانصاعت له الفكر
وقاسمته ضياء الشمس والقمر
فأقبلت كلماتي غير غامضة
كأنها عدسات ملؤها الصور

هـ دز حروف الشعر اذ تركت ... لكل راوية من وقعها اثر
إذا دخلت ديار الفكر كن أريبا ... أعد لها علمك المكسوب والخبر
وكن رقيقا اذا ماقلت قافية ... فرقة الشعر تخلد انفس البشر
لزرع ودادك اغصانا بانفسهم ... فزارع الود يجنى اطيب الثمر
عمّر بقلبك للأحباب صومعة ... يكن بها الحب يعلو باسق الشجر
فالشعر والحب ممزوجان من قدم ... سبيكة من جمال صاغها القدر
قالت : فديتك لن اتيك من بلدى ... فانني وتراب الأرض نصطبر
عد انت إنا غدونا لا انيس لنا ... غير الدموع على الخدين تنهمر
فقلت : هل لغريب الدار من امل ؟! ... قالت نعم ، وبك الاعصار يتكسر !

ترهم جبارى
سان فرانسيسكو
الولايات المتحدة

● أنا الملك ●

حكاية

● حدثت جدتي فقالت : اجتمعت الشمس والقمر ، والصعلوك والملك .

قالت الشمس : انا الملك امد شعاعي لينمو الزرع فياكل الملك وياكل الصعلوك وياكل الناس .

وقال القمر : بل انا الملك بما أعرف من اسرار العاشقين ، انا سيد اسرار الليل ، اسمع حتى دبيب النملة الذكر فى سعيها للنملة الأنثى .

فقال الملك : انا الملك ، اسمي الملك ، عندى خزائن الأرض ، افتحها - إن شئت - فياكل جنودى وياكل الصعلوك وياكل الناس . ولى فى كل شبر عين ترقب حتى دبيب النملة الذكر فى سعيها للنملة الأنثى .

أنت والهلال

قال الصعلوك كيف تحكمون ؟! أنا الملك ، لولاى ماكان الملك ولا كانت جنوده ولاكانت عيونه . أنا أروى للقمر الحكايات حتى ينام فتطلع الشمس التى لاتطلع إلا إذا نام القمر وعندما أجوع أسب الملك فتسمعنى عيونه ، ويأخذنى جنوده ، يضربوننى ويسجنوننى ويطعموننى ، فاصحو حتى ينام القمر وتطلع الشمس ويموت الملك

عزت القمحاوى ـ القاهرة

• فى عينيك مملكتى •

أنا المليك وفى عينيك مملكتى
يانسمة عطرت قلبى واوديتى

قضيت عمرى غريبا تائها وجلا
والخوف يقطن اركانى واوردتى

حتى اتيت فكنت العيد فى زمن
قاس يمزق احلامى واشرعتى

عانيت منه خطوبا يالقسوتها
مذ كنت طفلا وسحب الحزن مرضعتى

فى ظلمة الليل بالقلبى لكم تعبت
عيناى ترقب فجرا يحتوى رئتى

الياس كاد يبيد النور فى افقى
والصمت عكب فى ارجاء صومعتى

حتى لقيتك بين الورد جالسة
والورد ينقل منك اللون فى الشفة

وفوق خديك من عطر ومن بهج
حط الربيع وغنت الف سوسنة

رمضان عبداللطيف حامد
جراجوس ـ قوص

• بعيدا عن سلة المهملات •

● أصبحت رسائل القراء تختبئ فى سلة مهملات هذا الباب الهام لأنه صلة قوية بين المطبوعة وقرائها
واكتب لكم هذه القصيدة لعل وعسى ان تجد ما تجده زميلاتها من العناية أو النقد فى باب القراء « انت والهلال » ولكم جزيل الشكر .

« عيناكي »

تناغيني ، عينكي ، صوتها الاخاذ
يداري في سرها السر
إقترب ولا تقترب
ولكما حبوت ، إليكي ، ردني النهي والأمر
فاسير ، إليكي ، وكلما إقتربت
يتطاير في عيني الرماد يشتعل في قلبي الجمر
يساورني في حبك الشك
ويبكي علي في بستانك الزهر
متى اتوب في دمع ، عينكي ،
واحرق الجفون فالتمس لبكائك العذر
شكوت لوعة ، هواكي ،
وطفح كيلي ، وناء عن حمل ، سرك الصدر
ياتي الصباح بما اشتهي
ويغرب المساء وقد صدح على قلبي النصر
جبلة التي بها حبك
في يم الهوى ، لتوه ، ولرتطم بالصخر
وكم من يوم نظرت لقربكم
وتمنيت ان يصفو لي الدهر
فقد بكى العمر خلف اطلاله
وكم تمنيت لو يضحك العمر

صلاح عبدالستار الشهاوى
دمشيت - طنطا

● تعليق الهلال :

ـ نحن ياعزيزى لانضع فى سلة المهملات اية رسالة مهما حفلت بالاخطاء ومهما كانت غير صالحة للنشر ، فحتى هذه الرسائل نحتفظ بها وإن لم ننشرها ، والدليل على ذلك رسالتك هذه ، فقد نشرناها لكيلا تظن بسلة مهملاتنا ذلك الظن الظالم .. ولكننا لابد أن ننبهك انه لايوجد فى قصيدتك هذه بيت واحد صحيح الوزن ، فهى نثر يدل على انك تحتاج إلى دراسة طويلة جدا للأوزان حتى

تعرف حقيقتها .. اما لغة هذه القصيدة فحافلة بالأغلاط النحوية واللغوية والاملائية ، من اول العنوان « عيناكى » وصحته بدون ياء ، إلى آخر الكلمات .. وقد وضعنا لك الأغلاط الاملائية والنحوية والأسلوبية بين أقواس ، اما الأغلاط العروضية فتشمل القصيدة كلها ولاتحتاج إلى أقواس ! ..

● الأغانى ●



جناحى إلى القرب ...
لكننى حين اطويه اطوى صباحى
وادخل فى الليل ملتمسا ذكرياتى ...
من اين تشرق انسامها ويلوح سناها
فتمحو جراحى !!
اكان الحبيب يداعب اوتار قلبى
ويطبع انغامه فى رحابى
ليمنحنى ـ ثمرات الحضور ـ ببحر الغياب ؟
انا الآن باق مع الاغنيات
وقد صهر الحب ـ فى ذاتها ـ ذاته وتخلى
فكانت شريط حياتى
بصوت المحبة يتلى !!!

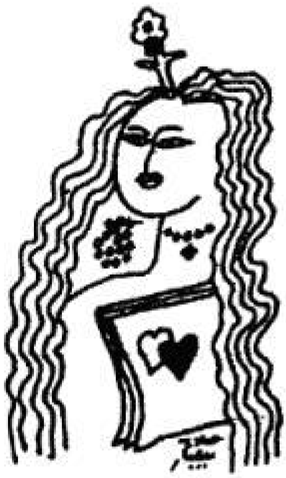
عبدالرحيم الماسخ ـ سوهاج

● باب العشق ●



استلقى فوق ذراعى
وتعالى كى اشرح
لك أسرارى
هذا النجم التائه
فى الكون
هو اوفى اصحابى
حين تضيق الأرض بأحلامى
أتمشى معه
بين الأفلاك
والزهرة هذى

كانت بالأمس ..
تنام بأحضاني
تسأل دوما عني
لتزيل مرارة أيامي
وتحيل الحبر إلى عطر
يسري في الأوراق
وإذا مرت بخدودك نسمه
فدعيها تعبث بالشعر
فالنسمة هذي
بعض خيالاتي
وتسافر كي
تجلب لي أجمل أشعاري
وتعلم من تبغي أن تعشق
أن العشق له باب
تدخله من صفحات كتابي



نبيل خالد
المنصورة

● مع الأصدقاء ●

● سعاد الصاوى ـ كفر صقر :
ـ شعرك التفعيلي صحيح الأوزان ، ولكن ماهذه الخطوط المتقاطعة التي ترسميتها حول هذا الشعر؟!

● محمد أبو سيف :
ـ أزجالك التي بعثتها إلينا طيبة ، وأنت تسميها شعرا ، وإنما هي زجل ، ولايصح إهدار هذه المصطلحات الأدبية والعلمية العريقة .. ثم إننا نعتذر إليك من عدم النشر لأن « الهلال » مجلة للأدب العربي لا للأدب العامي ..

● أحمد ياسر فاروق ـ العسيرات ـ سوهاج :
ـ قصتك القصيرة التي عنوانها « الميراث » لا بأس بها وتدل على استعدادك لكتابة القصة ولكن لاتتعجل النشر حتى تنضج أدواتك ..

● مدحت عبدالحميد ـ المنصورة :
ـ اتصلوا بهيئة الكتاب للسؤال عن الكتب التي تسألون عنها فنحن لاندري عنها شيئا ..

● خليل سعيد طيفور ـ غويانيا ، غوياز ، البرازيل :
ـ نشكر لكم حسن ظنكم بنا ونرجو أن نكون دائما عند هذا الظن الحسن من قرائنا العرب الأعزاء في مهاجرهم وراء البحار ..

الكلمة الأخيرة

مأساة المسرح

من ملامح ثقافتنا المعاصرة ، الحركة المسرحية المصرية الآن ... وهذا قول لاهزل فيه ، فالفنون مرآة الشعوب ، والمسرح خاصة مؤشر بالغ الصدق على مايدور في المجتمع ، أو مايريده المجتمع ...

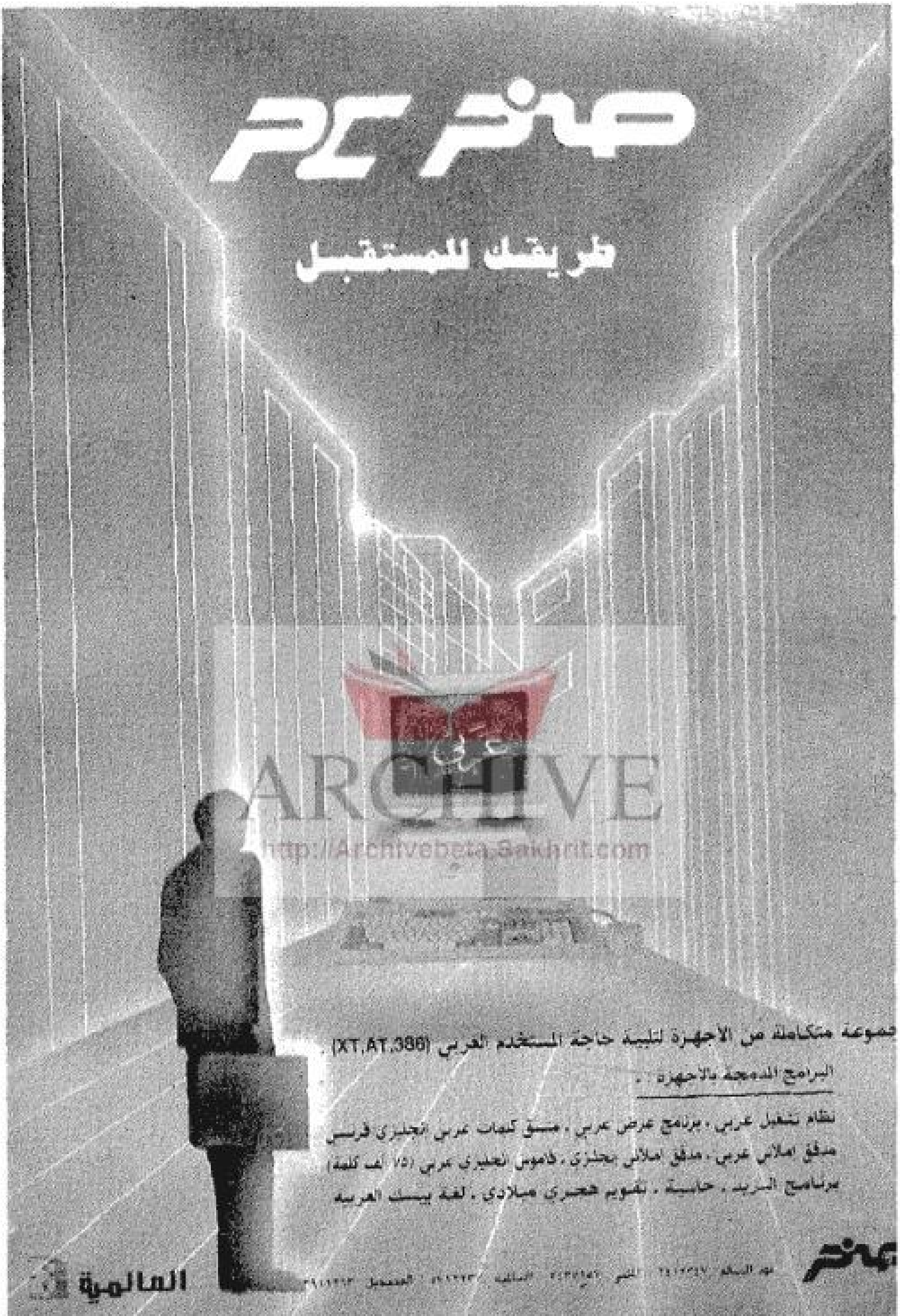
واذا كانت عناوين المسرحيات توحي بأكثر مما نريد ان نطرحه من اسفاف ، الا ان الواقعة التي حدثت في الاسبوع الماضي ، من الممكن ، لانها وقعت بين الكواليس ، ان تضيف الى اللوحة رتوشا تعمق المعنى ...

في مسرحية تحمل اسما بالغ البذاءة خرج الممثلون على النص ، والقوا نكات خارجة ، وتشاجروا فوق خشبة المسرح ، ولعب البعض بالبعض منهم ، واشتدت الخلافات ، وفاق الأمر كل احتمال ، فاصدر الرقيب امره بوقف المسرحية ...

وانقلبت الدنيا ، وطارد المنتج الرقيب ، واذا كانت المسرحية تعرض في الاسكندرية ، فليسافر الجميع الى القاهرة ، وحوصر الرجل ذات اليمين وذات الشمال ، والموسم قارب على الانتهاء ، انتهى اغسطس بنكبة الغزو العراقي للكويت ، ماهو يامحترم المسرحية معمولة للسياح ، والسياح ملجوش ، وهذه هي اللعبة لاموضوع ولافكر ولا مسرح وانما كلام مرصوص من الممكن الخروج عنه ومنه ايضا ، والمخرج - مادام قد قبض - يقلب اللعبة في كلم يوم ، والممثلون كانوا قد سقطوا في كارثة المسرح لهذا الصيف وكانوا على استعداد لقبول اي شيء ... ولكي تجر رجل المتفرج ، فما عليك الا ان تجعل لعابه يسيل ، والحكاية بالنسبة للمنتج لاعلاقة لها بفن او اصول او حتى اخلاق ، بزنس اذ بزنس ياسيدي ، ويوم اوقفت المسرحية ، كان الجميع على استعداد لاى تنازل ، فاضل على الموسم كلم يوم وينفض المولد ... وانفض مولد المسرحية خلال ٤٨ ساعة ، بحذف دور البطل الرئيسي فيها بالكامل ، وبقدرة قادر ظهرت الاعلانات بدون اسمه ولا صورته .....

اما كيف تم هذا ؟! .. كيف حذف الدور بكامله واصبحت المسرحية مسرحية برغمه فهذا ما لايمكن ادراكه ، الا من خلال تاصيل ملامحنا الثقافية في السنة الاولى من العقد الاخير في القرن العشرين ... شفاكم الله وعافاكم .




صخر PC
طريقك للمستقبل
مجموعة متكاملة من الاجهزة لتلبية حاجة المستخدم العربي (XT,AT,386)
البرامج المدمجة بالاجهزة .
نظام تشغيل عربي ، برنامج عرض عربي ، منسق كلمات عربي انجليزي فرنسي
مدقق املائي عربي ، مدقق املائي انجليزي ، قاموس انجليزي عربي (٤٥ الف كلمة)
برنامج البريد ، حاسبة ، تقويم هجري ميلادي ، لغة بيسك العربية
صخر
العالمية
ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

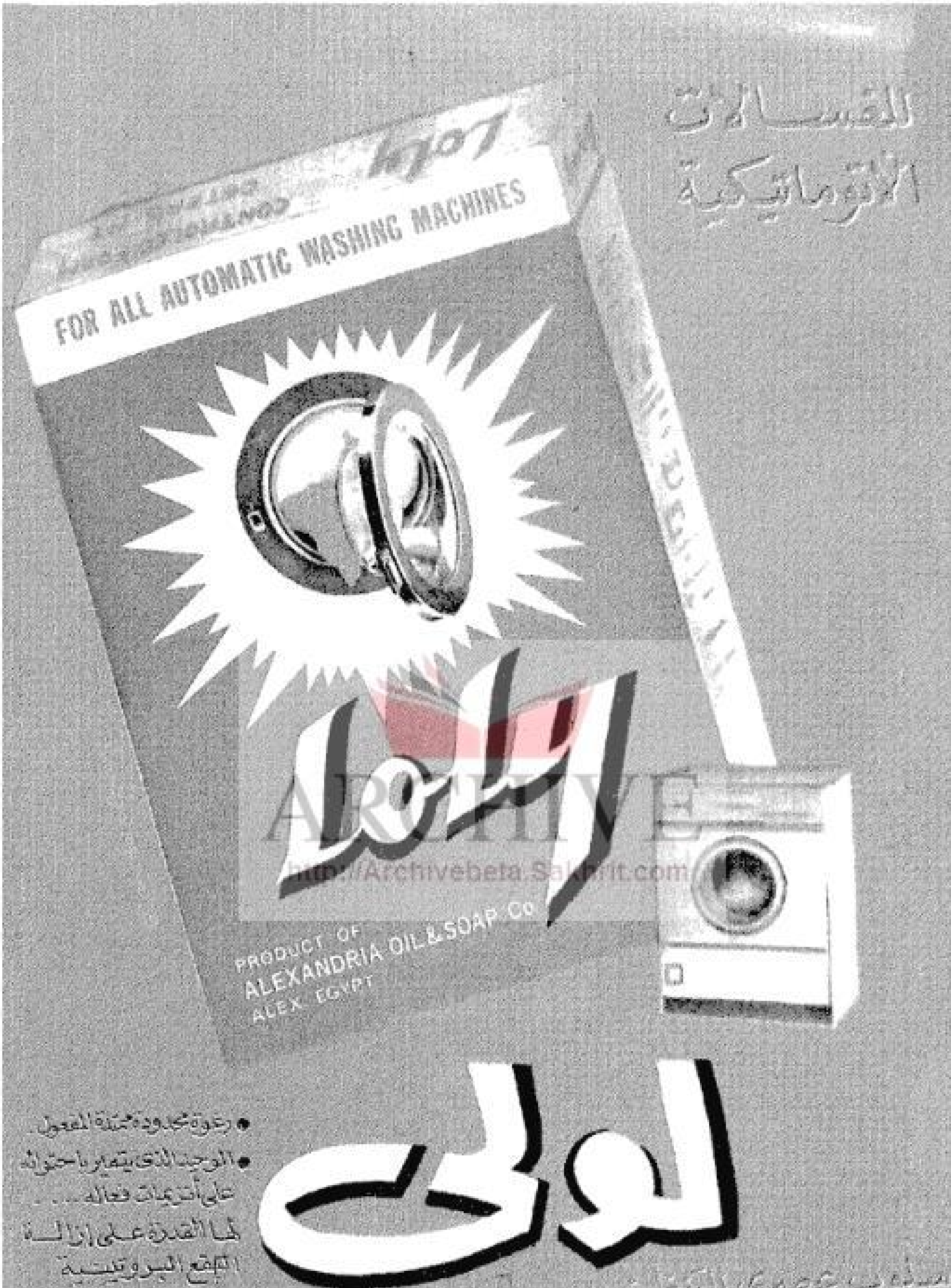
الهلال

نوفمبر ١٩٩٠ • الثمن ٧٥ قرشا

لغز الشخصية المصرية

المرأة تقود ثورة المعلومات




للغسالات
الأتوماتيكية
FOR ALL AUTOMATIC WASHING MACHINES
PRODUCT OF
ALEXANDRIA OIL & SOAP Co
ALEX. EGYPT
• رغوة محدودة ممتازة المفعول.
• الوحيد الذي يتميز باحتوائه
على أنزيمات فعالة ....
لها القدرة على إزالة
البقع البروتينية
أسلوب عصري للتنظيف
ذو أداء فعال ممتاز

الهلال

مجلة ثقافية شهرية
تصدرها دار الهلال
أسسها جورجي زيدان
عام ١٨٩٢ ميلادية

السنة الثامنة والتسعون • نوفمبر ١٩٩٠ - ربيع ثان ١٤١١ هـ

فاطمة اليوسف نموذج للكفاح المشرف للمرأة فى الشرق ، خرجت الى الحياة العامة تكافح ممثلة قديرة اعتلت خشبة المسرح ، حتى اصبحت كبيرة فنانات الشرق ، وانشات مجلة تحمل اسمها "روزاليوسف" واصبحت من اهم وابرز المدارس الصحفية فى مصر .

وما بين المسرح الذى عرفت فيه بعد تفوقها بـ "سارة برنار الشرق" والدور الوطنى الذى ادته من خلال شغفها وحبها للصحافة ، نستعرض فى هذا العدد قصة كفاحها ، وتحملها للمسئولية ، على مدى ثلاثين عاما تضع الحجاب على وجهها حيث كان المجتمع لايعترف بالمرأة .

نرى الآن وبعد سقوط الثورة الجنسية فى الغرب ان المرأة تهيمن على عالم المعلومات فى الولايات المتحدة الامريكية ، كما صارت النساء تشغلن الوظائف التى تفرخ قيادات الأعمال ، مما يبشر بموجة جديدة من النساء البارزات فى مجالات المسئولية السياسية والحكومية والتشريعية حتى ان ماعرف بالثورة الجنسية قد تم اجهاضها .

والتحولات الجديدة فى دنيا عمل المرأة تحتاج الى جهد جبار حتى لاتتحول تسابقاتها الى مجرد عرض من اعراض مرض المجتمع التجارى .

ترى الى اين تذهب المرأة ، وماذا ينبىء المستقبل عن طموحاتها التى فاقت كل التوقعات ؟! .

تقرأ ص ١٧٧ ـ ص ١٧٠

في هذا العدد

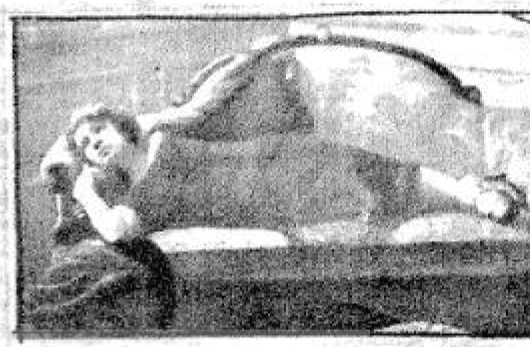


الغلاف تصميم الفنان محمد أبو طالب

فكر وثقافة

قيمة الاشتراك السنوى تسعة جنيهات فى ج . م . ع . تدفع مقدما نقدا او بحوالة بريدية غير حكومية ، وعشرة دولارات فى البلاد العربية ، وعشرون دولارا لباقى دول العالم ، والقيمة تسدد مقدما بشيك مصرفى لأمر مؤسسة دار الهلال ، ويرجى عدم ارسال عملات نقدية بالبريد .

● التكويـن .. من عالم الذكريات ....
.... د . محمد عبدالمنعم خفاجي ١٦٤
● النساء ومجتمع المعلومات .... محمد فتحي ١٧٠
● فاطمة اليوسف ونموذج المرأة المصـرية ....
.... نجوى صالح ١٧٧



الأبواب الثابتة

(٦)
عـزيـزى الـقـارىء
(٣٧)
أقـوال معاصـرة
(٩٩)
شـهـريـات
(١٢٩)
لـغـويـات
(١٥٠)
العالم في سطور
(١٨٦)
أنـت والهـلال

فنون

● الملهاة الموسيقية من البداية حتى كاتوريا
.... مصطفى درويش ١٣٠

قصة وشعر

● قصائد قصيرة ... شـعـر .... عزت الطيرى ٥٥
● دخـول ... قصة قصيرة .... جمال الغيطاني ١١٧
● اوستيكا ... « قصيدة » للشاعر المكسيكى اوكتافيوبات
.... ترجمة : د . حامد ابواحمد ١٥٨

دار الهلال

الإدارة : القاهرة ـ ١٦ شارع محمد عز العرب بك (المبتديان سابقا) ت : ٣٦٢٥٤٥٠ (٧ خطوط)
المكاتبات : ص . ب . ٦١ العتبة ـ القاهرة ـ الرقم البريدى ١١٥١١ ـ تلغرافيا : المصور ـ القاهرة ج . م . ع .
تلكس : TELEX : 92703
HILAL U N
فاكس : FAX : 3625469

لبنان : ٧٠٠ ليرة ، الأردن : ٦٠٠ فلس ، الكويت : ٥٠٠ فلس ، العراق ١٠٠٠ فلس ، السعودية ٧ ريالات ، الجمهورية اليمنية : ٥٠٠ فلس / ١٠ ريالات ، البحرين ٨٠٠ فلس ، قطر : ٧ ريالات ، الإمارات العربية المتحدة : ٧ دراهم ، سلطنة عمان : ٧٠٠ بيسه ، تونس ١٤٠٠ مليم ، المغرب : ١٥ درهما ، غزة والضفة : ٧٥ سنتا ، انجلترا : ١٢٥ بنسا ، ايطاليا : ٢٧٠٠ ليرة ، الولايات المتحدة الأمريكية ٤٠٠ سنت ، كندا : ٥ دولارات .

الارهاب نقيض الثقافة

مما لاينساه تاريخ الثقافة الأوروبية قول الزعيم النازى هرمان جورنج : "كلما سمعت كلمة "الثقافة" تحسست مسدسي" ! ..

ذهبت هذه القولة مثلا على العقلية الارهابية للحكام الطغاة الذين يرون فى الثقافة عدوا لهم لايتعاملون معه الا بنيران المسدسات ، ذلك ان الارهاب هو نقيض الثقافة ، فالثقافة خلاصة حضارة الانسان وكفاحه من اجل التقدم خلال مائة الف سنة ، من عصر الكهوف الى نور القرن العشرين ..

والارهاب هو رفض الحوار ، وهو تحكيم الحديد والنار للفصل بين الآراء والاتجاهات .. ولهذا كان الارهاب قرينا للاستبداد والاستعمار ، وهانحن اولاء نرى ما يحدث فى الخليج ، وما حدث اخيرا فى ساحة المسجد الاقصى ، حيث قتل الارهاب الصهيونى ثلاثين فلسطينيا وجرح الفا او اكثر خلال دقائق معدودة ..

وفى اوربا وامريكا ، برغم الديمقراطية ، يرفع الارهاب راسه لحسم الخلاف بين الآراء حتى اوشك الارهاب ان يصبح ابنا من ابناء حضارة الرجل الأبيض فى القرن العشرين ! ..

وفى كل تحليل لحوادث الارهاب نجد ان الفكر الحر ، وديمقراطية الرأى ، هما الضحية التى يغتالها المدفع الرشاش او البندقية الآلية مع من يغتالانهم من الضحايا البشرية البريئة ..

ان الارهاب هو نقيض الثقافة ، لانه نقيض الحرية التى لاتزدهر بدونها الثقافة ، بل لايمكن ان توجد اصلا ..

وقد تلقت مثقفو مصر والبلاد العربية بدهشة ووجوم واستنكار الى الحادثة الارهابية الدموية التى اودت فى الشهر الماضى بحياة المرحوم الدكتور رفعت المحجوب وحياة خمسة من الأبرياء الذين لم يروا قط وجوه القتلة ، ولم يبادلوهم فى اى يوم كلمة تغضبهم ومع ذلك وضعهم الارهاب تحت فوهات مدافعه الرشاشة وقضى عليهم دون ان يعرف حتى اسماءهم ، فالارهاب الذى يهرق الدماء لاتهمه الأسماء ولايفرق بين الناس لأن الناس جميعا اعداء له ، وهو عدو لجميع الناس !



ونجح المجرمون فى اغتيال احد رموز مصر السياسية ، وخسرنا باستشهاده رجلا من رجالات مصر ، واستاذا من اساتذتها الكبار ، وسياسيا من سياسييها المرموقين .

وهو بحق استاذ فذ ، ومعلم فاضل ، وسياسى قدير ، يشهد تاريخه بانحيازه الى الفقراء .

وهو رجل فكر ، ولم يكن ابدا رجل سلطة تنفيذية ، الكلمة هى سلاحه ، والحوار هو اسلوبه .

لقد روعت تلك الجريمة الارهابية مثقفى مصر والبلاد العربية اذ بينت لهم ان المدفع الرشاش يحاول ان تكون له سطوة فوق الكلمة الحرة ، وان الثقافة تتحرك فى مرمى البندقية السريعة الطلقات .

واذا كانت الديمقراطية تضمن الحوار الحر بين كل الآراء ، فمن الذى يضمن للديمقراطية حياتها تحت تهديد سلاح الارهابيين المحترفين الذين يضغطون على الزناد كلما سمعوا كلمة ديمقراطية" او كلمة "حرية" او كلمة "ثقافة" التى هى ثمرة الحرية والديمقراطية ؟ !

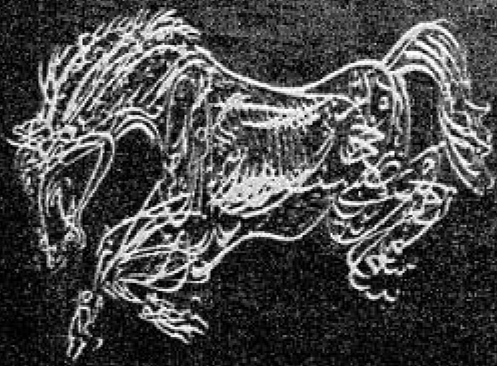
ان الثقافة فى مصر والبلاد العربية لايمكن ان تحنى راسها للارهاب بنوعيه : ارهاب السلاح ، وارهاب الفكر ..

ولكن ضراوة الارهاب المسلح والارهاب الفكرى تتطلب من جميع المثقفين على اختلاف اتجاهاتهم ان يتحدوا فى النضال من اجل حوار ممتد من الأطلسى الى الخليج ، بين جميع الناطقين بالضاد ، بلا ارهاب مسلح ، وبلا ارهاب فكرى .. !

ان اعداء الأمة العربية قد زرعوا الارهاب فى ارضها ، وعلى الأمة العربية ان تقتلع من ارضها جذور الارهاب وعلى المثقفين ان يكونوا طليعة الأمة العربية فى محاربة الارهاب ..

لن ينجح الارهابيون فى اغتيال مصر ، او شل حركتها ، وستظل مصر تقوم بدورها كمشعل للحضارة والتقدم والعدل .

"المحرر"



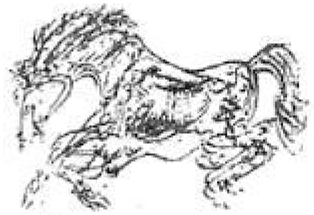
معجزة التصوير بالخط العربى

فى أعمال الفنان أحمد مصطفى

بقلم : محمد ابوطالب

احمد مصطفى ذلك الفنان التشكيلى المصرى الذى سافر الى انجلترا منذ ١٦ عاما ليستقر هناك دارسا ومدرسا وباحثا فى اصول الخط العربى ، تعامل مع هذا الخط من حيث هو نتاج ممارسة وتطوير لأكثر من ألف عام خلت وادرك انه لابد من دراسة تلك الاسس الحسابية والهندسية مع التدريب الشاق والمخلص مدفوعا بايمانه وثقافته ونشأته وكل ذلك التراث العظيم ليؤكد ان للخط العربى - اضافة الى قيمه الجمالية - ابعاداً وفلسفية ودينية تسمو بالروح الى اعلى المراتب .





مُعجزة التصوير بالخط العربي

خلال رحلة طويلة انتقل الخط العربى بسحره وغموضه الى مختلف البلاد الأوروبية عن طريق الكثير من انواع الانتاج الفنى العربى كالمنسوجات والأوانى الخزفية والعملات النقدية والمخطوطات وغيرها ايام ازدهار الحضارة الاسلامية فى القرون السابقة .

وقد لفت الخط العربى انظار الفنان الاوروبى بمظهره البديع وقيمته الفنية الفائقة التى ترتكز على التناسق فى التكرار والاتزان فى التماثل وجمال الايقاع فى الترديد .

لم يكتف الفنان فى اوربا على الاستمتاع بهذا الزخم من الجمال والفن فى الخط العربى ، بل استمر فى متابعة تطوره والاقتباس منه فرأيناه ينقش حروفه العربية على اغلب الصناعات والفنون باشكال مختلفة ينقل كلمات وجملا عربية غالب الظن انه لايعرف معناها لانها احيانا كانت تنقش فى وضع معكوس كتلك الكتابات المنقوشة على قطع الحلى والعملة والاوانى ، وأوغل الفنان الاوروبى فى اقتباسه للخط العربى حتى استخدمه فى تزيين اردية تتويج الأمراء والأباطرة مستخدما عبارات ذات فحوى دينى ودنيوى نقلا عن تلك العبارات التى كانت تطرز بها الاقمشة العربية .

وقد اكد جوستاف لوبون جمالية الخط العربى الذى بلغ درجة عالية من الكمال الفنى كعنصر زخرفى بقوله :

"لقد بلغ الخط العربى من الصلاحية للزينة حدا عظيما ، مما جعل رجال الفن فى القرون الوسطى وفى عصر النهضة يكثرون من استنساخ ماكان يقع تحت ايديهم من قطع الكتابات العربية فيزينون بها المبانى المسيحية" .

وقد استرعى انتباه الاوربيين ولفت انظارهم، ذلك الخط الجميل لاسباب عدة منها :

- تميزه بطابع اصيل وقيم جمالية وزخرفية يكتنفها الغموض بالنسبة للمواطن الاوربى
- ارتباطه فى اذهانهم ببعض المعانى





المقدسة لصلته الوثيقة بالاماكن المقدسة فى فلسطين حيث كانت من أهم الاماكن التى كانت اثارها المزخرفة بذلك الخط الجميل تسترعى انتباههم فى العصور الاولى .

● كان الخط العربى هو الوسيلة الوحيدة لكتابة المخطوطات والمؤلفات الاسلامية التى نهلت منها اوروبا كنوزا علمية وادبية وفنية إبان ازدهار الحضارة الاسلامية .

دفعنا لهذه المقدمة ذلك النجاح المشرف الذى حققه معرض الفنان المصرى احمد مصطفى فى قاعة "هنرى مور" بالكلية الملكية فى لندن حيث افتتحه وزير الفنون البريطانى "دافيد ميلور" الذى استمر لمدة عشرة اسابيع انتهت فى ٦ اكتوبر الماضى .

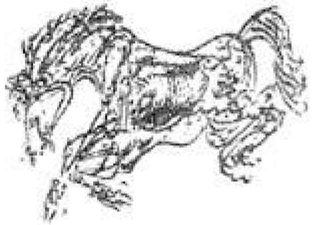
● ماذا يقول النقاد ؟

عرض احمد مصطفى اعمالا فى

على الصفحة المقابلة دينار ذهبى بالمتحف البريطانى بلندن يحمل على احد وجهيه كتابة بالخط الكوفى نصها . « لا إله الا الله محمد رسول الله » وعلى الوجه الاخر كتابة لاتينية باسم OFF REX اى الملك اوفا ملك مرسيه (٧٥٧ – ٧٦٦ م) .



كرسى من الخشب استخدم الصانع الاوربى الكتابات العربية كزخارف جميلة واغلب الظن انه لايعرف مدلول تلك الكتابات .

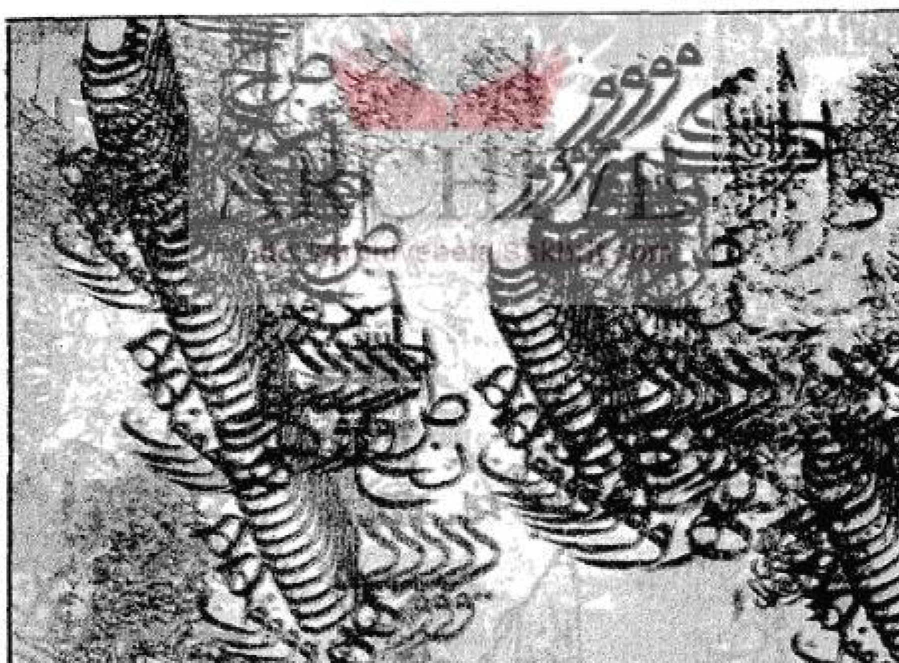


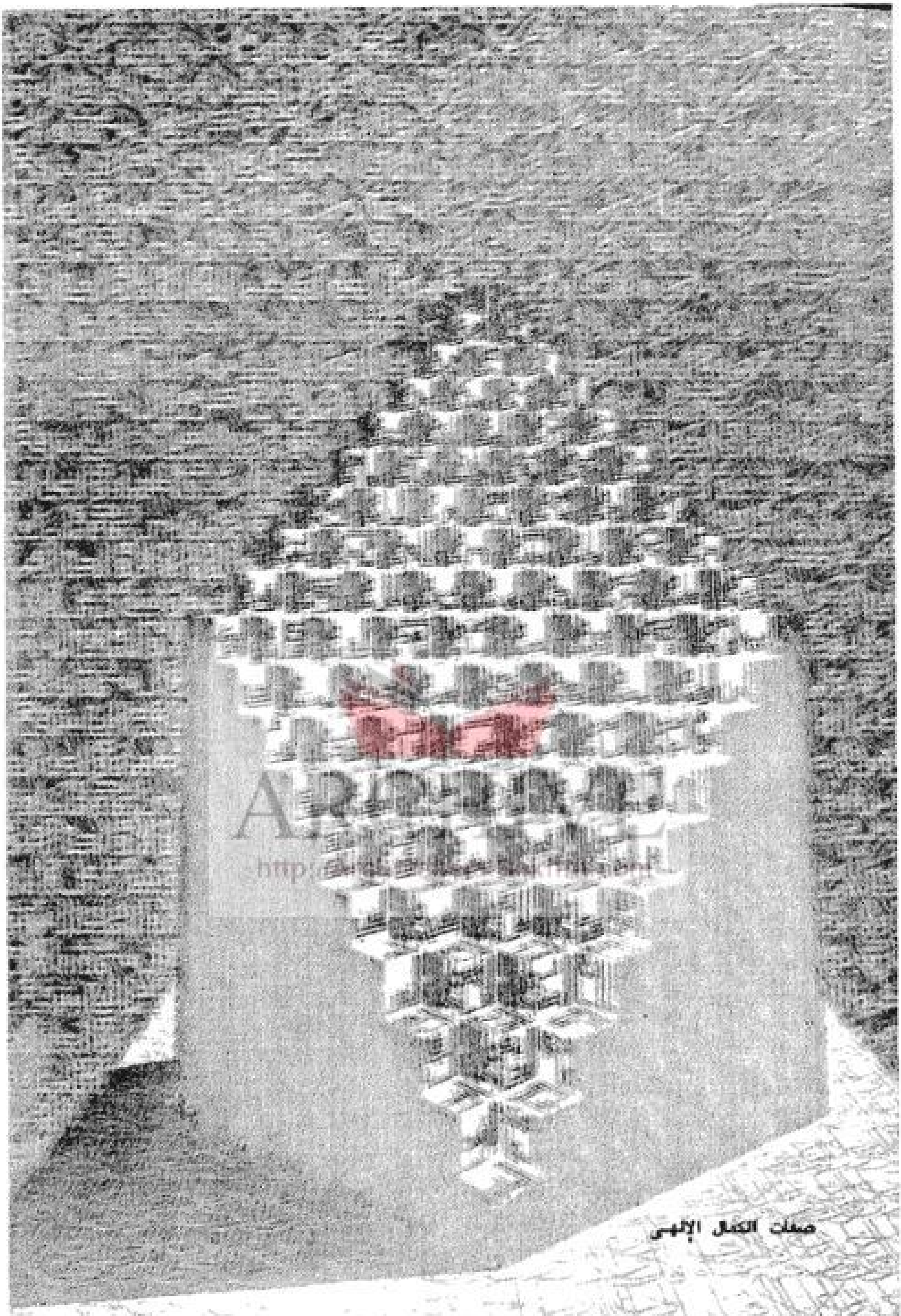
معجزة التصوير بالخط العربي

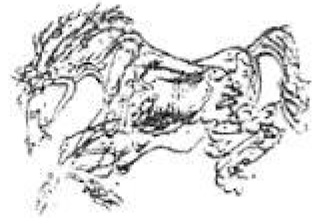
التصوير والسجاد مستخدما الحروف العربية كوسيط ابداعي متعدد الجوانب للتعبير عن موضوعات كونية ودينية اضافة الى تجسيد بعض الحيوانات والطيور مستخدما الخط العربي باسلوب جديد اشادت به اهم الدوائر الفنية في بريطانيا كما كتب عنه باحترام وتقدير وانبهار نقاد الفن في الجرائد البريطانية وغيرها ، قالت عنه الناقدة "باترشيا موريسون" في مقالها النقدي المنشور بجريدة "الفاينتشال تايمز" بتاريخ ١٩٩٠/٨/٧ ......

"...... وحتى بالنسبة لأولئك الذين لايقرءون العربية ، وهي للأسف حالة كاتبة المقال سوف يتعرفون على هذه اللوحة باعتبارها تسليما بالقدرة الالهية وكمال النص القرآني كما ان عناصر التمثيل في كثير من الاعمال تقدم طريقة لاجتذاب المشاهدين الغربيين" . تلك فقرة بسيطة

المحاربون الخفيون في موقعة «بدر» تصوير زيتي ١١٦ × ١٨٠ سم ١٩٧٦ ونفذت سجادة ٢٢٠ × ٢٤٠ سم عام ١٩٨١ .




صفات الكمال الإلهي



معجزة الصوت بالخط العربي

من مقال طويل تبرز مدى اهتمام وتقدير الاوساط النقدية في بريطانيا باعمال احمد مصطفى ولسنا هنا بصدد نقل ماكتبه عنه هناك كبار النقاد والمهتمين بالفنون امثال "دكيث كريتشلو" مدير الفنون الاسلامية والتقليدية بالكلية الملكية للفنون بلندن ودكتور جي . ام . روجرز بقسم الآثار الشرقية بالمتحف البريطاني وغيرهم ، انما نحن بصدد التعرف على تجربة نجاح ذلك الفنان المصرى الذى سافر الى انجلترا منذ ١٦ عاما ليستقر هناك دارسا ومدرسا وباحثا فى اصول الخط العربى .

تعامل الفنان احمد مصطفى مع الخط العربى من حيث هو نتاج ممارسة وتطوير لاكثر من الف عام خلت وادرك انه لابد من دراسة تلك الاسس الحسابية والهندسية مع التدريب الشاق المخلص على مجموعة الأصول والضوابط اللازمة لكل خطاط محترف يتصدى لكتابة الخط العربى ، هذا بالاضافة الى احساسه العميق الصادق مدفوعا بايمانه وثقافته ونشأته وكل ذلك التراث العظيم فى وجدانه بان للخط العربى اضافة الى قيمه الجمالية ابعادا فلسفية ودينية تسمو بالروح الى اعلى الآفاق .

استمرت رحلة البحث لاربعة عشر عاما كان نتاجها ذلك الكتاب الضخم الذى

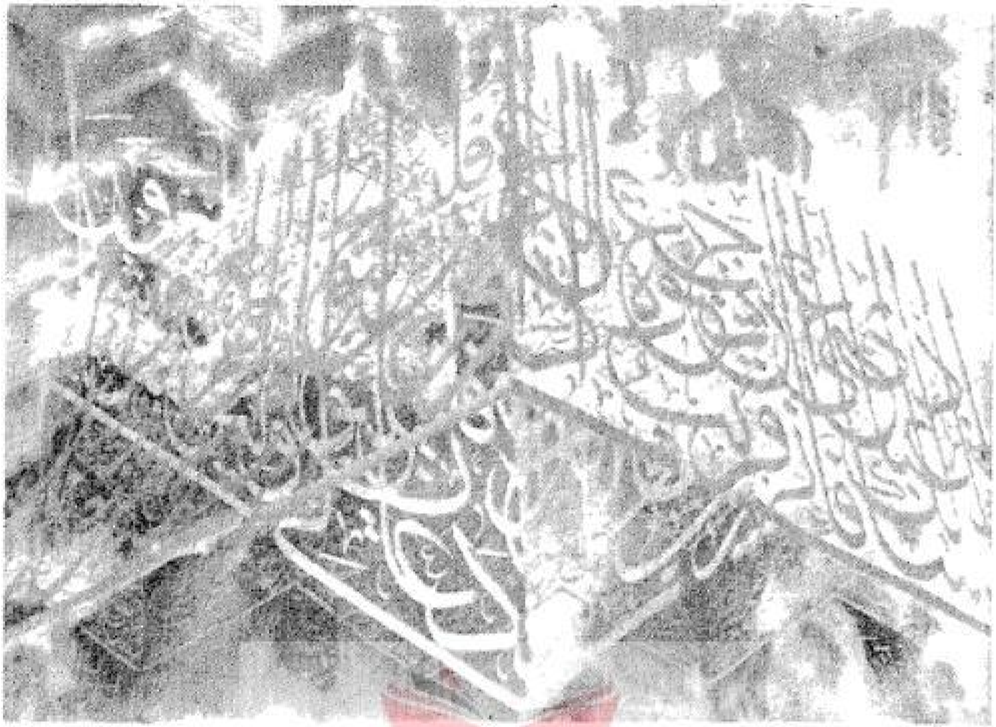


الفنان احمد مصطفى

يحوى نظرية جديدة فى الخط العربى نال عليها احمد مصطفى درجة الدكتوراه من الكلية المركزية للفنون والتصميمات بلندن .

● ماساة ابن مقلة

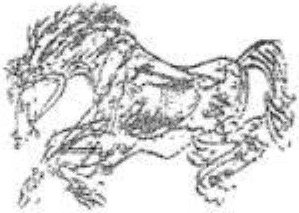
ويعود اكتشاف الفنان احمد مصطفى الى القرن العاشر الميلادى حيث كان الوزير العبقرى ابو على بن محمد بن على ابن مقلة الذى احدث الانقلاب الأول فى الخط العربى واوجد "الثلث" و "النسخ"



اللذين حسنهما من بعده ابن هلال الشهير بابن البواب وابن مقلة الذى توفى سنة ٣٢٦ هـ تقلب فى مواضع كثيرة وعين وزيرا ثلاث مرات الا ان الغيرة والحسد جلبا عليه ابشع الأهوال فقطعت يده اليمنى التى ابدعت هذا الخط الجميل وصاغت قواعد المدرسة البغدادية فى الخط العربى ، وظل ابن مقلة ينوح على حاله ويبكى وكان يشد القلم على ساعده ويكتب به مما اثار حقد "ابن رائق" فقام بالدس والوقيعة حتى قطعوا لسانه وامر بحبسه حتى مات سنة ٣٢٦ هـ .

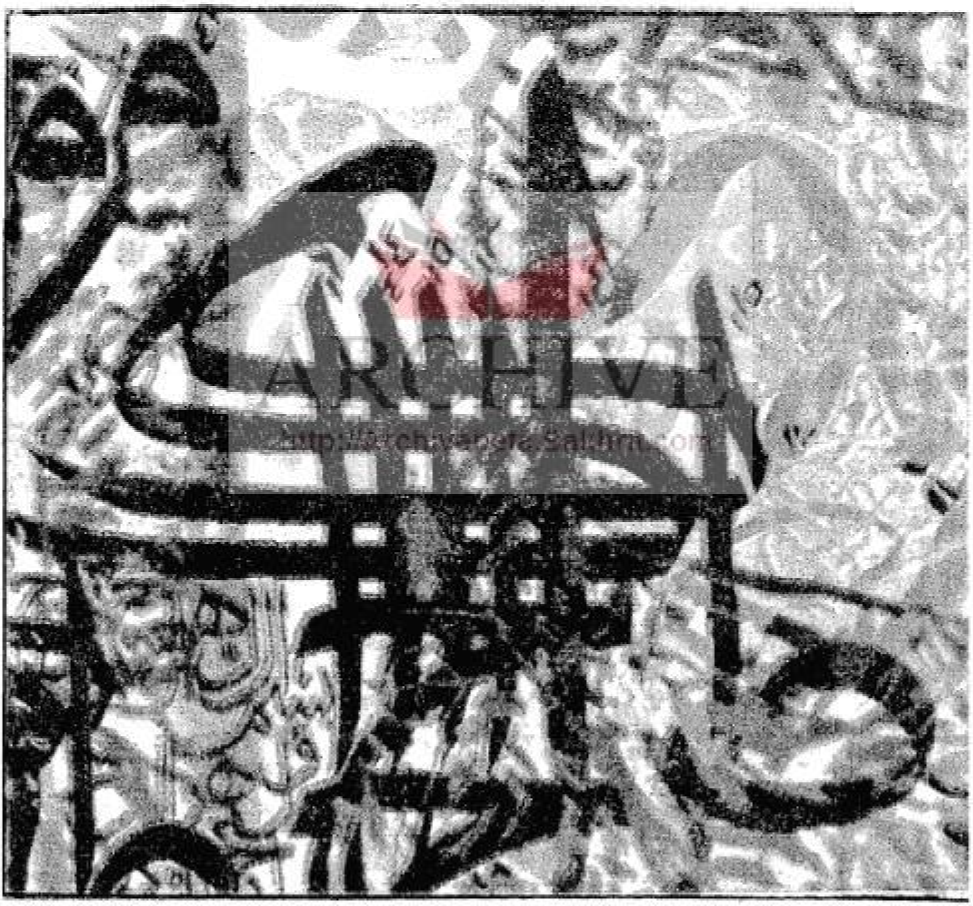
هذا الوزير العبقرى ابن مقلة وضع مصنفا عن الخط العربى اسماه "الخط المنسوب" اعتمد فيه على نظريات رياضية وتعمد ابن مقلة الغموض فى كتابه مما دعا الكثيرين لعدم الخوض فى تفاصيل واسرار ذلك المصنف لقرون عديدة وقد تمكن احمد مصطفى من اختراق استار الغموض فى كتاب ابن مقلة تدفعه الرغبة لاكتشاف اسرار تناسب شكل الحروف العربية واحتلالها للفراغات بدءا بحرف الألف وتوصل احمد مصطفى الى نظرية هندسية يعتقد انها التحقيق

تفصيلية من الحصان
بالالوان

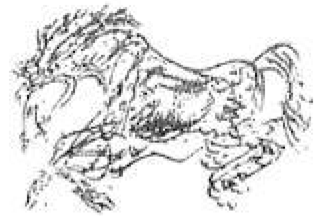


معجزة التصوير بالخط العربي

تفصيلية من سجادة « المحاربون
الخفيون في موقعة بدر »





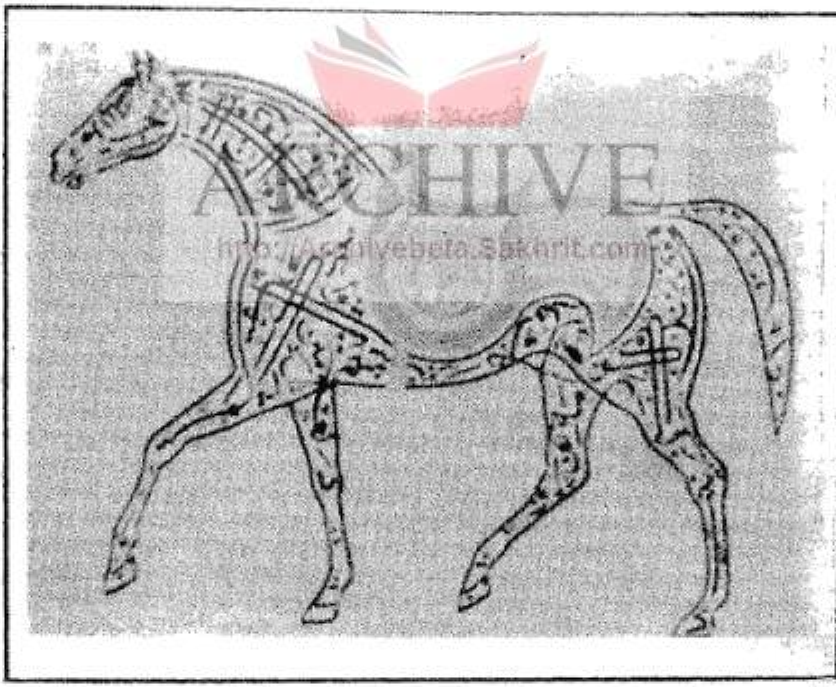


معجزة البحوث بالخط العربي

المقبول لنظرية ابن مقلة ولكن حتى ذلك الحد لم يكن هناك ما يؤكد ان تلك النظرية هى بالفعل اساس الخط العربى الى ان اكتشف مخطوطا عثمانيا فى الارشيف الضخم لمتحف "تولكابى" باسطنبول يرجع تاريخه الى القرن السادس عشر الميلادى نسخ مباشرة من اعمال احد تلامذة ابن مقلة وهو على بن هلال المعروف بابن البواب ولم تسع الدنيا احمد مصطفى عندما انطبقت الحروف والنقاط تماما على النسق الذى صممه واكدت له اكتشافه "لأسس التناسب المطلق" للخط العربى .

هذا من ناحية البحث اما الانتاج فقد استطاع الفنان احمد مصطفى ان يصل الى مستوى مبهر فى قدرته على السيطرة وتطويع الخط العربى وتوظيفه تشكيليا محملا بمضامين واحاسيس لم يسبقه اليها احد ممن اتخذوا من الخط العربى

الحصان الإيرانـي



وسيلة للتعبير فى اعمالهم الفنية .

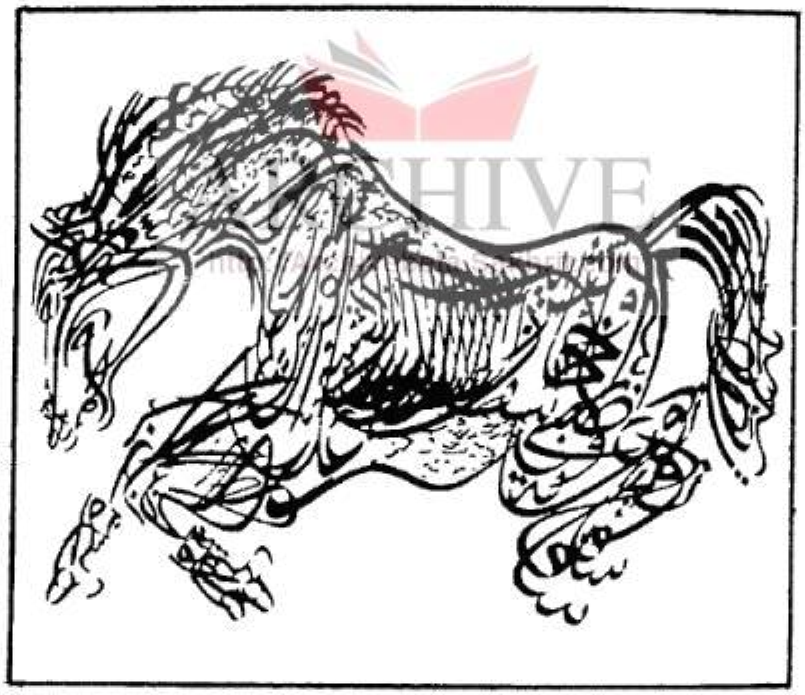
● صورة - الحصان

وعند الحديث عن اعمال الفنان احمد مصطفى لن الجأ الى وصف تلك الاعمال بما تحويه من تكوين وخطوط والوان وبرجات من الظل والنور مستخدما تعبيرات ادبية كما يحلو للبعض وانما

سأتوقف عند نقطة جديرة بالاهتمام وهى انه رغم تداخل الخطوط بكثافة ملحوظة وتباين الالوان واستخدام المنظور للمرة الاولى فى تاريخ الخط العربى لم يفقد الحرف اى من سماته وقواعده .

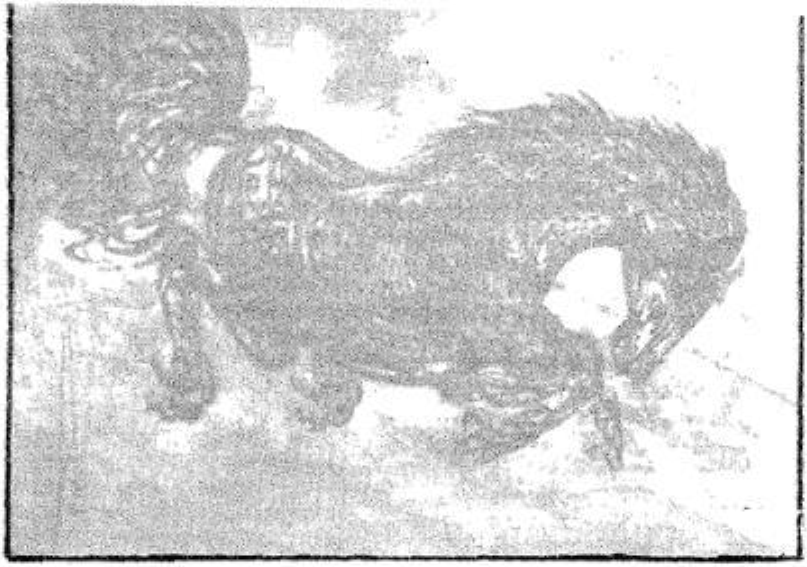
اما استخدام الخط العربى فى تشكيل الحصان عند الفنان احمد مصطفى ، فهو علامة بارزة فى تاريخ الخط العربى رغم ان الفنان الايرانى قد استخدم الكتابة العربية وبنفس نوع الخط "الثلث" فى تشكيل على هيئة حصان عام ١٨٤٨ الا ان الفارق عظيم سواء من مستوى كتابة الخط الثلث الذى تفوق فيه احمد مصطفى ليذكرنا بشيوخ هذا الفن . كذلك من الناحية التشكيلية نجد حصان الفنان الايرانى جاء كمن سبقوه مسطحا ومحددا بخط خارجى ليس له علاقة بالحروف العربية وملأ فراغات جسد الحصان ببعض الجمل المكتوبة بالثلث مستخدما

حصان احمد مصطفى





نماذج من الكتابات في الصحف والمجلات الغربية



حصان إمرىء القيس

ليابا كحشو زخرفى فى حين انه بمجرد ان تنظر الى حصان احمد مصطفى الذى لم يستخدم فيه خطا واحدا من خارج الحروف العربية لتحديد جسد الحصان تستطيع ان تشعر بانك امام حيوان حقيقى مليء بالقوة والرشاقة تكاد عضلاته وعظامه وخصلات الشعر فى عنقه تصرخ بقدرة ذلك الفنان وعبقريته فى ابداع هذا المستوى المعجز والذى يعد فخرا للفنون العربية فى العصر الحديث .

● الخط على الزجاج الملون

كما ان هناك بعدا آخر فى تجربة الفنان احمد مصطفى حيث لم يكتف بما وصل اليه فى بحثه واعماله الفنية من خلال اللوحات مستخدما الخط العربى بل اقدم على خطوة رائدة فى استخدامه عندما صمم عام ١٩٨٦ لوحة من الزجاج الملون لاربعة شبابيك مقاس كل منها ٥ امتار بارتفاع مترين نفذتها شركة المانية لتوضع فى مبنى مدارس دار الفكر بجدة فى المملكة العربية السعودية .

وصمم سجادة بتكليف من حكومة قطر ، اعتمد فيها على الخط العربى لتشكيل مجموعة من الخيول العربية ، وضعت فى قاعة المؤتمرات بمدينة الدوحة .

وكلف بتصميم عشر سجادات ضخمة بطول عشرة امتار وعرض خمسة امتار ونصف لتوضع فى أهم مطارات المملكة العربية السعودية .

الجدير بالذكر ان الفنان احمد مصطفى من مواليد الاسكندرية عام ١٩٤٣ ، وحصل على بكالوريس الفنون الجميلة جامعة الاسكندرية عام ١٩٦٦ ، وعين معيدا بالكلية وظل يحاضر بها حتى سافر الى لندن عام ١٩٧٢ م استقر هناك مواصلا البحث والعمل ليصل الى ما وصل اليه من التقدير على المستوى العالمى .

كيف تتكون المدرسة العلمية ؟!

■ البحث عن المجهول هو الطريق لإثارة اهتمام الدارسين

بقلم : د. مصطفى سويف

التاريخ الطبيعي لنشوء المدارس العلمية وارتقائها من الأمور التي يحسن الإكثار من الحديث عنها في مصر في هذا الزمان لسبب رئيسي هو أن كثرة الكلام عن النموذج والإمعان في وصف ملامحه الرئيسية وتقريبها إلى الفهم والخيال من العوامل التي تساعد على ترسيخه في النفوس، وتيسير الاقتداء به، خاصة إذا كانت تتوفر حولنا بالفعل كثير من العناصر التي يستلزمها بناء هذا النموذج، ولم يبق إلا أن يصبح العزم على القيام بجهد البناء، وذلك بإدخال هذه العناصر معا في منظومة فعالة



● المراحل المبكرة لبزوغ المدرسة :

كثير من الطرق تؤدي الى روما . وكذلك الحال في موضوعنا .

هناك أساليب ومسارات عديدة تظهر من خلالها المدارس العلمية على اختلاف مجالاتها . ولكن في هذا المقام يلزمنا أن نتحدث عن أوضح هذه الطرق وأشدها جذرية ، بغض النظر عن التنويعات أو الجزئيات الفرعية التي لاتمس الجذور .

القانون الأساسي الذي يصدق على نشوء المدارس العلمية جميعا هو أن هذه المدارس تتخلق في بدايتها كما تتخلق الأجنة في الأرحام . فهي من ناحية تتأثر أشد التأثر بمقومات البيئة الرحيبة التي تحتويها ، ومن ناحية أخرى تحمل معها منذ لحظاتها الأولى مجموعة المكونات الأساسية اللازمة لنموها والتي ستشكل هذا النمو بعد أن يخرج الكيان من حالة التكون الأولى :

فهناك أستاذ حديث السن تؤرقه رغبة في الانجاز العلمي . ومجال تخصص يجتذب هذا الأستاذ بومضات من مشكلات بحثية تثير شهيته العلمية . ثم هناك تلميذ نابه وطموح يعيش حياته العلمية وكأنه يبحث عمن يلتقطه ليصنع منه باحثا مكتمل التكوين . وأخيرا هناك إمكانات لتحقيق التواصل بين الأستاذ الباحث والتلميذ تنتظر أن يتقدم هذا أو ذاك لاستغلالها .

هذا التصور للشكل الأولي لمنشأ

كيف تتكون المدرسة العلمية ؟

المدرسة العلمية ، أيا كان مجال التخصص ، تصور بالغ الأهمية ، لأنه يؤكد ضرورة توفر العناصر الاساسية منذ البداية لكي تنطلق عملية النمو في مسارها المأمول ، وسنحاول ان نزيد الأمر وضوحا رغم ما قد يبدو في الحديث من تكرار ، الا ان ملاحظة من طمس لمعالم الطريق يضطرنا الى ان نكون واضحين بدرجة لاتجعل هناك أي مجال للبس او الابهام .

العناصر الاساسية منذ البداية الجنينية هي : استاذ ذو خصائص معينة ، وتلميذ ذو استعدادات معينة كذلك ، ومجال تخصص له بروز في إدراك الاستاذ ووجدانه ، وطرق للتواصل يمكن السير فيها بقدر معقول من المشقة بين التلميذ والاستاذ . ليس المطلوب وجود استاذ يحفظ عن ظهر قلب كيف يجرى تجربة علمية ، ويستعمل جهازا من اجهزة المعمل ، ويحلل مجموعة البيانات التي يحصل عليها عن الظواهر التي يدرسها . هذه امور مفروغ منها ، واى خلل فيها يلغي القضية اصلا . إنما المطلوب هو الاستاذ الباحث الذي يصوغ هذه المكونات الأولية للحرفة في قالب من القلق الخلاق ليتجه بها الى انجاز علمي ما . كذلك لايكفي وجود تلميذ اى تلميذ ، على مقربة من هذا الاستاذ . فالتلاميذ ما اكثرهم حين تحصيهم ، ولكن ما اقلهم حين تريد ان تصنع منهم باحثين . هؤلاء يشترط ان يكونوا اذكياء . ولكن هذا لايكفي ، يجب ان يكونوا منضبطين ومجتهدين في استذكار الدروس . غير ان هذا ايضا لايكفي ، ينبغي ان يتوفر لديهم بالاضافة الى الذكاء والانضباط التعلق بمستقبل يرتبط بالانجاز العلمي ، هكذا مباشرة وبلا مواربة ، والغالب ان يكون هذا التعلق او هذا الدافع في بداية الأمر مبهما من حيث معالمه الداخلية . لكن هذا الابهام لايمنع من ان تكون هوية الدافع معروفة لصاحبها ، ومعروفة بالقدر الذي يحفز على الاقتراب من الاستاذ الشاب ، يلقى بنفسه في طريقه لعل هذا الاستاذ يلتقطه ويقربه اليه ، ويتلمذه عليه ، وبذلك يتيح الفرصة لامكاناته العلمية ان تتفتح وتنمو كذلك لايكفي ان يرتبط الاستاذ الشاب بميدان للتخصص الدقيق معترف به رسميا في اروقة المعهد العلمي الذي ينتمي اليه ، ولكن يجب ان يكون لهذا المجال البحثي بروز خاص في مجال الادراك والوجدان لدى الاستاذ الشاب يجعله اشد جاذبية له من سائر

مجالات التخصص القريبة منه ، وأكثر إثارة لنشاطاته العلمية ، بدءا من الترحيب بزيادة الاطلاع فى هذا الميدان ، إلى زيادة كفاءة الذاكرة فى تسجيل المعلومات والوقائع الخاصة به ، الى حدة البصر والبصيرة فى اكتشاف مالايزال ينطوى عليه المجال من مشكلات بحثية تدعوه إلى الوقوف عندها ، والتصدى لمعالجتها بالحلول المناسبة ، والتنقل على سبيل التجريب والاستكشاف حول بدائل هذه الحلول . واخيرا لايكفى هذا كله ، بل لابد من وجود فرص وطرق للاتصال او التواصل بين الاستاذ الشاب والتلميذ ، بعض هذه الفرص تحتاج الى توفر مهارة الالتقاط والاقتناص عند التلميذ والاستاذ معا ، وبعض تلك الطرق شائعة ومعبدة بفعل خبرات الغير ، والبعض لايزال يحتاج الى جهد إضافى للتخطيط والتعبيد .

هذه هى العناصر الأساسية ، وهذه هى صورتها التى يجب أن نتوفر بها . وهى صورة أقل ما توصف به انها فاعلة اكثر منها منفعلة ، متوجهة الى النشاط وليست خاملة . فإذا توفرت على هذا النحو الذى رسمناه أو قريبا منه فنحن بصدد صورة جنينية لمدرسة علمية تدب فيها النبضات الأولى لحياة مبشرة بالخصوبة .

● المدرسة العلمية كمنظومة فعالة

إذا نحن تركنا المراحل شديدة التبكير ، حيث الكل إمكانات فى طريقها الى التخلق واتجهنا الى النظر فى أحوال المدارس العلمية فى مراحل تالية من عمرها ، مراحل النضج والاثمار ، وجدنا المشهد امامنا عبارة عن منظومة لاتكف عن النشاط ، وان هذا النشاط ينتظم فى قالب له معالم مستقرة ، فهناك توزيع لادوار محددة الى حد كبير ، وهناك ايقاع معين للخطى التى يمضى بها هذا النشاط ، وهناك دورة يكملها هذا النشاط ثم يجددها او يجدد نفسه من خلالها ، وهناك ادوار مركزية واخرى هامشية . وهناك عوامل جذب وعوامل طرد تتولد وتتحدد اتجاهاتها وشدتها بناء على هذه الحركة الدائبة .

فى هذا المنظور يحتل الاستاذ مكانة محورية ، فهو مصدر تحديد المجال الرئيسى لاهتمامات المدرسة البحثية ، ذلك أن كل فرع من فروع العلم الرئيسية ينقسم الى مجالات اضيق ، والاستاذ يختار واحدا من هذه المجالات الضيقة ، ويركز فيه جهود تلاميذه .

وعلى هذا النحو اتجه ماكس فيرتهايمر وتلامذته للعمل فى مجال الادراك ، واتجه كورت ليفين وتلامذته للعمل فى مجال التفاعل

كيف تتكون المدرسة العلمية ؟

داخل الجماعات الصغيرة ، واتجه هانز ايزنك الى البحث فى مجال الشخصية .. الخ .. ومثل هذا يحدث فى فروع المعرفة الأخرى . هكذا يحدد الاستاذ مجال النشاط الذى يضمه هو وتلامذته . وهو الذى يحدد صياغة المشكلات الرئيسية التى تتعرض لها المدرسة ، وبذلك يحدد زاوية النظر أو المنحى الرئيسي الذى يتبعه هو وتلامذته فى دراسة الظواهر التى يتصدون لدراستها : ففى العلم قد تتعدد زوايا النظر للظاهرة الواحد ، وبالتالى تتعدد مناحى الدراسة التى نتناولها بها وعلى هذا النحو سار ايزنك وتلامذته أشواطا بعيدة فى دراسة الشخصية من زاوية بعينها ، هى زاوية الأبعاد الرئيسية للشخصية وكيفية قياسها وقياس آثارها فيما يصدر عن الفرد من سلوكيات معينة دون سلوكيات أخرى . وعلى هذا النحو ايضا قطع جيلفورد وتلامذته مسافات طويلة فى دراسة التفكير الابداعى - وخاصة فى مجال العلم والتكنولوجيا - من زاوية تحديد الابعاد الرئيسية لهذا النوع من التفكير ، بينما اتجهنا نحن وعدد من تلامذتنا فى جامعة القاهرة الى دراسة الابداع من زاوية كونه عملية تمر بمراحل متعددة بدءا من اللحظات الأولى فى النشاط الابداعي وحتى اكتمال الانجاز ، وكان اهتمامنا منصبا بصورة خاصة على فنون القول والتشكيل . والى جانب تحديد المجال الضيق للتخصص . وتحديد زاوية النظر ومنحى التناول فالاستاذ هو الذى يقوم بتوزيع الادوار الرئيسية والتنسيق بينها بحيث تتكامل جهوده وجهود تلامذته فى عمل كبير يتحقق فيه الوحدة من خلال تنوع الادوار ، شانه فى ذلك شان قائد الفريق السيمفونى المتمكن .

وحول الاستاذ ينتظم التلاميذ فى حركتهم ومساراتهم ، تتفاوت حركاتهم فى إيقاعها وتتقاطع مساراتهم فى اتجاهاتها من حين لآخر . وتقترب بعض المسارات احيانا من قلب المنظومة النابض وتبتعد احيانا اخرى ، وفى هذا الاقتراب وهذا الابتعاد تكمن كثير من مصادر القوة والتكامل للمنظومة ، ويكمن ايضا العديد من مصادر التهديد والتفكك ، لأن المعيار هنا سواء من جانب الاستاذ أو من جانب المريدين يكون فى العادة مزيجا مرهف التوازن من العوامل الموضوعية التى تمليها

مقتضيات العمل ، والعوامل الذاتية التي تحركها دوافع انسانية قد يفلت عقالها من قبضة أصحابها . ومعنى ذلك أن المدارس العلمية لاتحمل مناعة خاصة ضد عوامل التدهور والتحلل . إنما هي تكتسب القدر المتاح لها من المناعة في أي مرحلة من مراحل حياتها نتيجة لتضافر الجهود بين مجموع مقوماتها ، الاستاذ بكل مايصدر عنه من صغار الامور وكبارها ، والتلاميذ بكل مايصدر منهم واليهم ، والمشروعات البحثية التي تكتسب كيانا خاصا بها بعد بلوغها مستوى معينا في عملية الانجاز ، وشبكة التواصل التي استقرت داخل هذه المنظومة .

● **الطريق الى النضوج :**

بين مراحل البزوغ ومرحلة النضوج كيف يكون السير على الطريق ؟

هذا في رأينا سؤال هام ومركزي في هذا المقال .

هناك وظائف لاتفارق الاستاذ في اية مرحلة من مراحل استاذيته ، لكن ابعادها قد تتغير بعض الشيء ، في مقدمة هذه الوظائف انه مشغول دائما بمشكلة بحثية ، يتغير مضمونها بين الحين والحين ، لكن التغير يظل محدودا في معظم الأحيان ، أما الانشغال الذي يعني دوام التفكير المصحوب بالقلق فلا يكاد يتوقف بالليل أو النهار ، ويلي هذه الوظيفة مباشرة مداومة العمل المتعلق بتلك المشكلة ، فهو منشغل بالقراءة حول الاسئلة المثارة أو مهتم بتسجيل بعض خواطره وافكاره ، أو منصرف الى عمل تخطيطي أو تنفيذي يتصل بالمشكلة الاساسية أو بعض ماتفرع عنها . العمل عنده لايخضع للايقاع المعهود ، ست ساعات يوميا أو مايقرب من ذلك . العمل يمتد ليشمل معظم ساعات اليقظة ، وربما اقتطع من ساعات النوم ايضا ، ولايخضع للقيود الخاصة بأيام العطلة الرسمية أو ما شابهها . العمل ينظمه جدول زمني تحدده عوامل داخلية تمليها تفاعلاته اللحظية والمرحلية في سياق حوار لاينقطع بينه وبين مشكلة البحث ، وفي ذلك يقول بومروى عن استاذه الفرد كنزى انه كثيرا ما كان يواصل العمل ثماني عشرة ساعة يوميا . وان ابرز صفاته كانت الالحاح والمثابرة . ويروى في سيرة الاستاذ كيف انه كان يرهق نفسه في مواصلة العمل احيانا حتى يصل الى درجة من الاعياء والمرض تلزمه الفراش .

وفي ممارسة الاستاذ التفكير والعمل على هذا النحو ، وخاصة في المراحل المبكرة من الاستاذية يرحب ببعض من يقتربون منه ليتتلمذوا عليه فيجندهم للعمل معه ، مدفوعا احيانا برغبة جامحة

كيف تتكون المدرسة العلمية ؟

الى تعليم الغير ، واحيانا اخرى باغراء تصور معين مؤداه ان انضمام جهودهم الى جهده سوف يضاعف من حجم انجازه ووزنه .

في هذا المقام يلزمنا ان نستذكر قول فرانك ويلارد ليبي ، الاستاذ في جامعة كاليفورنيا لوس انجيلوس ، والحائز على جائزة نوبل في الكيمياء : "إنك لاتعرف شيئا عن العلم بتلقي المحاضرات في مقرر ما . قد تلم ببعض نواحيه الرسمية ، ولكنك لاتشعر بنشوة العلم وبهجته وسحره بالجلوس في قاعة المحاضرات او في المعمل ، حيث المقررات جافة ومبتورة .. إنما الطريق الوحيد لاثارة اهتمام التلاميذ هو البحث . ولهذا لايمكن ان تثير اهتمامهم بالعلم في مدرسة لا ابحاث فيها" . هنا في هذه الوظيفة الثالثة يتمثل الفرق بين استاذ يقود مدرسة ، واستاذ اخر لايقل عنه نبوغا لكنه لايريد وقد لايطيق ان يقود مدرسة . وقد عرف تاريخ العلم كلا من النموذجين . كان الفرد كنزى من الطراز الاول . وكان السير رونالد فيشر ، نابغة الاحصاء الرياضي في مستهل القرن العشرين ، من الطراز الثاني . عندما ظهرت علامات النجابة على فيشر عرضت عليه مناصب جامعية ، لكنه فضل العمل منفردا في محطة زراعية مغمورة ليتفرغ لانجاز اكتشافاته الرياضية وخاصة فيما يتعلق بما عرف فيما بعد باسلوب تحليل التباين . وعلى الضد من ذلك كان حال كنزى ، الذي لانجد اجمل ولا ادق من وصف بومروى له على النحو الآتي : "من الناحية الرسمية كنا معاوني كنزى ، لكن ربما كانت كلمة اسرة هي الوصف الاشد دقة ، لقد كنا نعمل من اجل عبقري فتنا به ، وسعدنا معه وهو يدفعنا الى درجة ارهاقنا ، وزيادة على ذلك كله انه الهمنا جميعا كيف نشاركه في تفانيه الذي لاحدود له" ..

في هذه الوظائف الثلاث ، دوام الاهتمام بالبحث اهتماما مبطنا بالقلق ، ودوام العمل على طريق الانجاز ، واجتذاب التلاميذ للعمل بهم ومن اجلهم ، تتمثل لوضح معالم النهج الذي ينتهجه الاستاذ في الطريق بمدرسته الى النضوج واكتمال العطاء .

ثم ماذا عن حركة التلاميذ ؟ المادة الخام التي يتميز بها تلميذ يقترب طواعية من مثل هذا الاستاذ لابد ان يتوفر فيها اصلا قدر معقول من الذكاء ، وامتزاج شديد بين صورة الذات (كيف يرى التلميذ نفسه) وبين مجموعة من الدوافع

التي تصب في النشاط والانجاز العلمي ، ومن خلال تشكيل هذه المادة الخام بين يدى الاستاذ يتخلق التلميذ العالم . والطريق الى ذلك شاق بالنسبة لطرفي العلاقة الاستاذ والتلميذ ، لكنه يمكن ان يكون ممتعا كذلك ، وربما كانت اهم عناصر الحركة من جانب التلميذ في هذا المضمار ثلاثة : حالة التاهب المستمرة ، والتسليم الممتزج بالتكريس ، والفرح بالجديد . ان

يكون التلميذ على اهبة الاستعداد دائما للتلقى وللمحاولة بما يكافىء الانشغال والعمل المتواصل من جانب الاستاذ واستعداد الدائم للتلقين والتدريب والتوجيه . وان يتعلم وينمي في نفسه ميلا الى الاطمئنان للاستاذ يوما بعد يوم ليصنع منه الاستاذ خليفة له في علمه . والغالب ان يعترى هذا الاطمئنان وما يقتضيه من تسليم نوع من الفتور من حين لآخر ، لكن العبرة بالاتجاه الغالب على المدى الطويل . واخيرا . لابد للتلميذ من ان ينمي في نفسه القدرة على الفرح بالمعلومة الجديدة ، فهذه قدرة لها بذرتها الطبيعية فينا جميعا متمثلة في دافع حب الاستطلاع ، لكنها ، شأنها في ذلك شأن معظم استعداداتنا الفطرية ، يمكن ان تكون رصيدا تنمو على اسسه مهارات ومكتسبات شتى بالغة الاهمية ، شريطة ان نتعهدها بالرعاية الدائمة .

بهذه الوظائف الثلاث من جانب الأستاذ ، وما يقابلها من استعدادات عند التلميذ تفصح عن نفسها شيئا فشيئا ، يلتقى الطرفان حول المشروع البحثي الذى يؤلف بينهما . فتتخلق عن ذلك منظومة المدرسة العلمية ، وتكون لطرق التواصل وادواته السائدة بداخلها اهمية كبيرة في تحديد مستوى التكامل الذى يتحقق للبنيان .

يستطيع القارىء بعد هذه الجولة ان يستخلص عناصر الحبكة في قصة نشوء المدارس العلمية وارتقائها : الاستاذ الذى يدركه تلاميذه على انه مشغول دائما ، فكرا وعملا ، بهموم البحث ، والتلميذ الذى يدركه الاستاذ على انه مرحب دائما بالتلقى مستعد دائما للامتثال ، والتخلق المتواصل لقسمات المشروع البحثي كشاهد على سلامة الفكر والعمل المتواصلين داخل المنظومة .

ونحسب ان القارىء ، وقد طرحنا امامه هذا المنظور عن المدرسة العلمية . ماهيتها وكيفية نشوئها وارتقائها ، يبادر فيطرح علينا سؤالا تمليه الخبرة والبصيرة : وماذا عن المناخ الذى تحيا فيه المدرسة العلمية ؟ فإذا اجبنا على هذا السؤال كان بإمكاننا وبإمكان القارىء ان نواجه معا سؤالنا الاصلى : هل توجد في مصر مدارس علمية ؟

هجاء الزمن الميت

"فتشناك ، وانت غير مرتب ، مرة يونس بن متى ، ومرة عوج بن عنق ، ومرة محمد فهمى ، ومرة احمد شوقى ، ومرة دستويفسكى ، ومرة هنرى ملر ، ومرة البير كامى .. شيء غير مرتب ، عوج بن عنق ، والحوت ، وكافكا والمازنى وابو نواس . لم نفهم شيئا .. كل هذا فيك .. اين انت ؟ .. .

هكذا يسأل الضابط بطل رواية "الزمن الميت" ، مستاء "متحيرا" ولعل القارىء يكون قد سأل نفسه هذا السؤال أيضا قبل أن يسأله الضابط ولعله يظل يتردد طوال الرواية التى تجاوزت ثلثمائة وخمسين صفحة . هل نطمع أن نجيب هنا عن هذا التساؤل ؟

قد يزيد ارتباكنا ، ولا يخف ، حين نلاحظ أن الحدود تكاد تنمحى بين الكاتب ، فاروق خورشيد ، وبطل روايته . فهذا البطل كاتب أيضا ، ومن الواضح أنه يعانى أزمة كالتى وصفها فاروق فى كتابيه "بين الأدب والصحافة" و "هموم كاتب العصر" . هى أزمة عامة ، يمكننا أن نضع لها عنوانا عاما ، "قضايا الكتاب فى العالم الثالث" ، وعلى رأس هذه القضايا : حرية التعبير ، وانصراف أكثرية القراء - وهم أصلاً قلة - عن الأدب الجاد . ولكن هناك أيضا أشياء أكثر خصوصية ، وقائع وأشخاص فى حياة فاروق خورشيد ، عرفها الناس فى وقتها ، ولم تقتصر معرفتها على زملائه وأصدقائه ، وعلى رأسها تلك المحنة التى أدت الى خروجه من الاذاعة ، واستمرت فى شكل قضية لم يصدر الحكم فيها ، لصالح فاروق ، إلا بعد سنين طويلة . كثير من الناس أيضا يعرفون الشاعر محمد فهمى ، الصعلوك الهادى ، الذى تحدث فاروق عن تصعلكه (أو تصعلك بطل روايته) معه حديثا غير قصير . وقراء فاروق خورشيد يعرفون أيضا أن له كتاباً عن المازنى . وفاروق خورشيد (أو بطل روايته) يقول لنا (ص ٢٠٠) إن المنظر الذى يصفه شبيه بمنظر فى رواية "مدار السرطان" لهنرى ملر .

بقلم: د. شكري محمد عياد





فاروق خورشيد

يمكننا إذن أن نعيد صياغة السؤال من وجهة نظر الناقد ، لا المفتش . لن نسأل ، على الأقل فى هذه المرحلة ، أين بطل "الزمن الميت" من كاتبها ؟ هناك قدر من التباعد يلاحظ فى معظم الأعمال الروائية بين الكاتب والبطل ، هذا التباعد الذى يطلق عليه أحيانا اسم "الموضوعية" . والموضوعية تلاحظ أكثر ما تكون فى الأعمال الواقعية ، حتى حين يعرض الكاتب الواقعي تجارب حياته ، تراه يقدمها بطريقة محايدة ، كما لو لم يكن له شأن بها ، فاروق إذن يضرب عرض الحائط بتقاليد الرواية الواقعية ، كما يضرب عرض الحائط بتقاليد أخرى كثيرة . هو موجود فى روايته فى زى ذلك البطل ، الذى لا يكاد يختلف عن زيه هو وعلاقته بذلك البطل تشبه إلى حد كبير علاقة الشاعر الغنائى بالأنا فى قصيدته وهذه الملاحظة تسمح لنا أن نقوم بمحاولة لترتيب العناصر غير المرتبة التى وردت فى تساؤل حضرة الضابط .

فأول هذه العناصر وأهمها هو تراث الأدب العربى الذى يمثله أبو نواس وأحمد شوقى والمازنى . فهذا التراث غنائى فى أساسه . حتى حين اتجه الكتاب العرب المعاصرون الى كتابة الرواية ، لم يستطع معظمهم أن يتخلص من هذه الصيغة الغنائية ، أو لم يحاولوا ذلك ، حتى أن مؤرخى الرواية العربية اضطروا أن يفردوا فصولاً مطولة لما سموه "رواية الترجمة الذاتية" ولاشك أن الصيغة الغنائية تظهر فى رواية "الزمن الميت" ظهوراً بارزا ، وهناك صفحات كاملة ، متفرقة ومتصلة ، فى جميع فصولها ، يوقف فيها الكاتب سير

الحدث لينفض مواجعه ويتنفس عن شعوره بالظلم والضياع ، ابتداء من المحنة التى أشرنا اليها ، والتى يبدو أنها كانت المثير المباشر للكتابة ، وانتهاء بالإحباط والقرف اللذين يصلحبانه حيثما اتجه ، حتى فى مواطن المتعة .

وهذا الانحراف المتكرر عن المجرى الأصلى سمة أخرى من سمات التراث الادبى الذى يلقى ظله بقوة على الرواية . فالاستطراد سمة من سمات الفن القولى عند العرب ، وإذا كان قد اتخذ فى "ألف ليلة وليلة" شكل النمط الثابت أو القالب القصصى ، حيث نخرج من حكاية الى حكاية ثم إلى ثانية وثالثة أو أكثر قبل أن نعود إلى نسق الحكاية الأولى ، فإنه قديم قدم الشعر العربى نفسه ، حيث نرى الشاعر يستطرد من التشبيه الى قصة طويلة قائمة برأسها ، وإن كانت مرتبطة شعوريا بموضوع القصيدة أو بجوها العام . ومعلوم أن حكايات كليلة ودمنة مبنية على الاستطراد ، وأن طريقة الجاحظ فى التأليف تعتمد ـ بصورة واعية ومقصودة ـ على الاستطراد . وكل واحدة من السير الشعبية ـ بعد ذلك ـ هى مجموعة حكايات متسلسلة ، وإن ضمها جميعا إطار كبير واحد .

● السيرة والتشكيل الفنى

على أن للسير الشعبية ـ التى غرق فيها فاروق خورشيد حتى أذنيه ـ تأثيراً فى التشكيل الفنى لروايته "الزمن الميت" يتجاوز كثيراً خاصية الاستطراد .

فالسيرة الشعبية فن شفهى . هكذا خلقت ، وعلى حسب مقتضيات الفن الشفهى اتخذت شكلها البنائى واللغوى ، وإن كان معظمنا يعرفها الآن عن طريق الكتاب . ولعل انتقالها من واسطة المشافهة والسماع الى واسطة الكتاب المطبوع الذى يقرأ ككل كتاب مطبوع ، أن يكون سببا فى انتقال بعض خصائص الفن القولى الشفوى الى بعض الأعمال الروائية المكتوبة التى تأثرت بها . وذلك أوضح ما يكون فى رواية "الزمن الميت" .

كل فصل من فصول الرواية الخمسة يبدأ بخطاب مباشر لجمهور من السامعين ، وإن كان الاستهلال الذى يلتزمه المغنى الشعبى بالصلاة على النبى وذكر شيء من صفاته قبل أن يشرع فى القص ، قد استعيض عنه بتأملات متعالية تناسب حالة ذلك الكاتب الذى يحاول أن يؤمن بشيء ما ، أن يفكر فى شيء ما ، فيقعد به اختلاط المشاعر والعجز عن الالتزام والقرف من كل شيء .

هكذا يبدأ الفصل الأول وعنوانه "البدء" :

"حيث يتحدد وجود الانسان ، حيث يبرز كيان الانسان ، حيث تولد الكلمة التى تخلق انسانا وتميت انسانا .. تبدأ الحياة ، ويكون الكون وينتهى الكون ..

وحين يموت الكون لا يبقى إلا الضياع ..

ويلى هذا الاستهلال مباشرة :

وحكايتنا الليلة يارفاق حكاية تمت فى ضياع .. أعنى أن ناسها ضياع وأحداثها ضياع .. امازلتم تريدون معرفة الحكاية بـاتسيجـاً من ضياع ..." .

يمكنك أن تقول : ما أبعد هذه اللغة عن لغة القاص الشعبى ! القاص الشعبى لا يسب مستمعيه هكذا ، فهو إنما جلس يقص ليمتعهم ، لا ليسبهم ، ولكن هذا الاعتراض ينصب على المضمون لا على الشكل ، وسترى أن الشكل والمضمون يتصارعان فى هذه الرواية صراعاً عجيبا ، وليس اختلاف اللغة الا جانبا واحداً منه . ومن مظاهر هذا الصراع على المستوى اللغوى أن المضمون - وهو كما ترى لون من الهجـاء يشمـل فيمن يشملـهم المستمعين أو القراء - يفرض تحولاً من أسلوب القص إلى الأسلوب الخطابى .

على أن طريقة الابتداء ليست إلا سمة واحدة من سمات السيرة الشعبية والقصص الشعبى بـوجه عـلم . فواسطة المشافهة والسماع تفرض سمات أسلوبية أهم كثيراً من طريقة الابتداء ، وأشد تغلغلا فى نسيج النص الأدبى ، وإن تكن اقل صراحة من التوجه المباشر إلى جمهور من السامعين . وأهم هذه السمات اثنتان : التكرار ، والارتجال .

أما التكرار فكثير جدا .. من مفردات مثل العفن والضياع وأفعى وأهنف وتعس وحزين ولزج إلى تكرار الكلمة نفسها مثل أمشى وأمشى وأصعد وأصعد ونرقص ونرقص الى تكرار التركيب مثل "سنشردك فى الجبال يا أرنب" والدمع أو العرق الذى "ينسال او ينثال" على الوجه أو على الظهر ، إلى تكرار الصور مثل صورة الغواصة التى تطرق فى الفصل الثانى وصور الاكل والشرب فى الفصل الثالث الخ . الخ . وقد يمل القارىء الذى مرن على الأسلوب المكتوب - لاأسلـوب القص الشفهى - هـذا التكرار . ولكن الكاتب يبدو وكأنه يتعمده ، وكأنه شرط لازم للسمة الثانية من سمات القص الشفهى وهى الارتجال .

والارتجال فن يدرس فى معاهد الموسيقى ، وقدر منه ضرورى فى صنعة الكتابة ، وقد يقصد اليه الكاتب قصدا - رغم مايبدو فى هذا التعبير من تناقض ليشعر قارئه بـالألفة والتلقائية . ولكن رواية "الزمن الميت" تغمرك به . وبفضل الارتجال يجد الكاتب من السهل عليه أن ينزلق من الأسلوب الشعرى الغنائى والتكرار الخطابى ، عن طريق المنـولوج الداخلى ، إلى لون من الكتـابة السيريالية كما فى تلك الصورة العجيبة حيث يقفز البطل الى داخل المرآة ليسبح فى عالم غريب فى بطن حوت كحوت النبى يونس (الفصل الثالث) . على أن الأسطورة نفسها تتحرك على مستويات عدة تبعا لتحرك

أسلوب الكاتب بين الغنائية والخطابية ـ التعليمية والسيريالية .
ويبدو أن "المرآة" هي مركز مهم من مراكز التحول السيريالي في سير الرواية كلها ، والاعتماد على هذا المركز حيلة ذكية للانتقال من أسلوب إلى أسلوب . فكلما أطال المرء النظر إلى صورته في المرآة ، لغير غرض عملي كحلاقة الذقن أو اصلاح الهندام ، أصابته حالة تقرب من الجنون ، وهكذا نجد "البطل" في أول وقفة طويلة له أمام المرآة يخيل إليه أن رأس أفعى يطل عليه منها ، ويناقش نفسه مستنكراً حالة الفزع التي أصابته ، ثم يرى عينيه تكبران وتتسعان في المرآة ، ويفيض منهما الماء حتى يشعر بأنه يغرق ، ويتذكر أسطورة "عوج بن عنق" الذي كان على أيام نوح ، وكانت يده تبلغ السحاب ، فلم يحمله نوح في السفينة ولم يغرق عوج . والكاتب يعرض هذه الأسطورة بطريقة تكاد تكون اكاديمية ، ثم يغرق البطل مرة أخرى في الشلال المنبعث من المرآة ، ويدخل بطن الحوت . وتقدم قصة يونس والحوت بالطريقة الأكاديمية نفسها ، ويتحول "المشي في بطن الحوت" الى تشبيه ساذج للبطل (أو الكاتب) وهو يسعى مع محمد فهمي والأصحاب في جنبات القاهرة ، شأن النبي يونس وجميع "أصحاب العجلة والخفة الذين يتفسخون تحت حمل النبوة وثقلها" ، من ابن المقفع الى أبي نواس إلى أبي العلاء ، ومن دستويفسكي إلى جويس الى كامي إلى ملر . (الفصل الثاني : الاتهام) وتظل الاسطورة نفسها تتردد ، كغيرها من التيمات المكررة ، على واحد أو أكثر من المستويات التي واجهتنا في أول لقاء بها ، إلى أن يبدو الأسلوب السيريالي غالبا في النصف الأخير من الرواية .

★★★

ملذا يعني هذا المزج بين أساليب مختلفة ؟ هل نقول للكاتب ، كما قال الضابط لبطله "اين انت ؟" إننا لا نرى قداسة لأسلوب ما ، ولا نطالب بالفصل بين الأساليب كما كانت الكلاسية تطالب بالفصل بين الأنواع الأدبية . ولكننا مادمنا نقول إن الفن "رؤية" ، وإن اللغة تجسد هذه الرؤية في أسلوب ، فلابد لنا أن نطالب بوحدة أسلوبية للعمل ، ولتكن وحدة مركبة (بل هذا أفضل) ، كما نطالب بوحدة الرؤية (وإن كانت مركبة) .

إن روب جرييه ، وميشيل بوتور ، وناتالي ساروت ، كلهم يكتبون مليسمى الرواية الجديدة . ولكن كلا منهم له أسلوبه ، كما ان له رؤيته ، والرواية الواحدة لها أسلوب واحد ، كانه مصطلح خاص بها ، نتعلم من الصفحات الأولى ،

ثم تمضى فى القراءة على هديه .
والمزج بين الأساليب سمة لم تنفرد بها هذه الرواية فقد رايناها ظاهرة ايضا فى "المسافات" لابراهيم عبدالمجيد . ولعلها تعنى رغبة فى التحرر من الخضوع لأسلوب معين ، كالأسلوب الرومنسى ، او الواقعى ، او الواقعى الاشتراكى ، او الحداثى . فإذا كانت كذلك فهى ظاهرة صحية ، بشرط ان ينتهى الكاتب إلى اسلوب متميز له وحدته الخاصة ، وله مصطلحه الخاص .

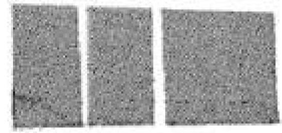
● ازمة نفسية !

ويبدو لى أن كاتب "الزمن الميت" لجأ إلى استخدام هذا المزيج لأنه بدأ الرواية بمصطلح لم يكن مناسباً لما أراد التعبير عنه . هذا المصطلح هو مصطلح السيرة الشعبية ، وهو قريب من مصطلح الملحمة فى كونه يصور البطولة . ولم يكن عند الكاتب بطولة يريد تصويرها ـ وهل يمكن ان توجد بطولة فى الزمن الميت ؟ ـ ولكن كانت عنده أزمة نفسية ، خاصة وعامة ، يريد التعبير عنها ، وكانت هذه الأزمة كلها من صنع المجتمع ، فأخذ يدفع بهذا الأسلوب الملحمى دفعا ، وبمختلف الطرق ، نحو القصيدة الهجائية .

ولكن هل هو صحيح تماما انه لم يكن لديه "بطل" يريد تصويره ؟
واذا صح ذلك فكيف نفسر لجوءه الى هذا الأسلوب شبه الملحمى ؟

الواقع انه كان لديه مثل هذا البطل ، ولكنها بطولة من نوع غريب !

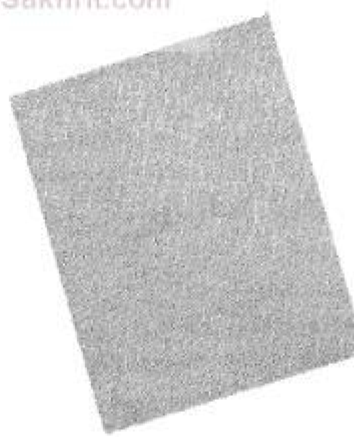
وقد قلنا سلسلة من الأحداث ـ مهما تصرف الكاتب فى ترتيبها ـ وعدد من الشخصيات . أما الأحداث فيمكن إجمالها فى سطرين : كاتب توجه اليه تهمه لا يعرفها ، وتفتش الشرطة مسكنه ، ويطلب فى اليوم التالى للمثول امام المحقق ، ثم يتبين ان قضيته فى جهة اخرى ، فيحيله المحقق الأول الى ثان ، والثانى الى ثالث ، ويفاجأ بان هذا الأخير كان زميلا له فى المدرسة الثانوية ، فيصرح له بالسر ، وهو أن المسألة كلها لعبة ، ولكيلا يقع فيها فعليه الا يستجيب لأى استدعاء جديد ، ولن يحدث شىء !
إذن فالمسألة كلها عبث ، ولكنه عبث محض مرهق ، ولكى ينسى الكاتب مشكلته الوهمية يدخل فى مغامرة نسائية ، عبثية هى الأخرى ، ولكنها واحدة من مغامرات كثيرة سابقة من النوع نفسه .
ويخرج الكاتب من هذه المغامرات كلها بنموذج واحد متكرر للمرأة : المرأة التى لا ترتوى ابدا ، ولا تقنع بأقل من امتصاص الرجل او التهامه وحشد آخر من الشخصيات ، من نساء ورجال ، لا يدخل الكاتب معهم فى أى علاقة حميمة ، ولكنه يتفرج عليهم ، بإرادته او بغير إرادته ، وكلهم كائنات شوهاء تثير التقزز ،



القبض على الأشواك

حتى تصبح تيمة "الرغبة في التقيؤ" من اكثر التيمات ترددا على طول الرواية .

الكاتب إذن "بطل" لأنه لا يشبه أحداً من هؤلاء ، فهو ينتمي الى تلك النخبة من الكتاب والشعراء ، في جميع العصور ، التي كانت ومازالت تسعى داخل جوف الحوت . ولكن هذا الجانب الايجابي من البطل يقابله جانب آخر سلبي ، الوجه الضد للبطل ، المنبوذ المهان ، الذى يعبث به شرطي قمىء ، ويسخر منه طفل صغير ! ولذلك لاتظهر بطولته الا في هذا الهجاء المقذع الذى يصبه على الأحياء جميعا والكاتب - أعنى الكاتب حقا لا البطل - إذ يعرض علينا في



الصفحات المائة الأولى صورة بانورامية لكل مافي الشر من ضعف ودناءة وحقارة ينجح في ان يملأنا إشمئزازاً من الحياة كلها ، حتى الجنس يجعله كريها مقززا ، بل هو اكثر الأشياء عنده اثارة الاشمئزاز .

ولابد أن تتساءل وانت تخوض في هذه الصفحات التي تقارب المائة : هل يمكن لأى كاتب أن يصنع من هذا القبح كله فنا ؟ ولا تملك إلا أن تلوم الكاتب لأنه افرغ شحنة غضبه عليك بلا رحمة . فالهجاء أيضا فن ، ووسيلته الى الفن هي الاضحاك الذى يكاد يبدو بريئا إلى ان تكتشف مافيه من خبث . وكاتبنا يملك الفن ويقدر على الدعابة ، ولكنه يحتاج اولاً الى أن يفرغ المرارة التي في جوفه ، وأنت بعد أن تجتاز بشاعة هذه الصفحات المائة الأولى ، تجد نفسك وقد أخذت تتنفس بشيء من الارتياح ، ثم أخذت تبتسم من حين إلى حين ، رغم ان الهجاء لا يزال حاداً قاسيا . حتى إذا بلغت الفصل الخامس والأخير "الصدى" ، رأيت كيف يمكن أن يكون فن الهجاء رشيقا خفيفا على القلب . وهذا الفصل الأخير يدور في الجحيم ! فبعد أن انقضت الحوادث القليلة التى ذكرناها ، انتهى البطل الى حيث ينتهى كل الأحياء ، حتى الذين عاشوا الزمن الميت ، واحتل في الدار الآخرة المكان الذى يستحقه ، إلى جانب الطاغية ورجل الدين المنافق وحواء الخالدة !

أقوال معاصرة


البرتو مورافيا

● "الشيء الوحيد الذى يستحق معاناة البحث هو الحب".
الاديب الايطالي البرتو مورافيا

● "التاريخ يعاقب المتأخرين فى تقبل التغيير".
جورباتشوف
رئيس جمهورية الاتحاد السوفيتى


جورباتشوف

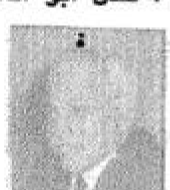
● "جائزة صدام لاتقيد حرية الفكر".
نجيب محفوظ

● "العدوان يجب الا يكون مجزيا"
مارجريت تاتشر
رئيسة وزراء انجلترا

● "ثقافتنا العربية المعاصرة ثقافة مهلهلة".
الاستاذ محمود شاكر

● "المطلوب اقتسام الاعباء والمنافع بين عرب المال وعرب الرجال".
السفير سمير الفرارجي
مستشار رئيس الوزراء

● "نزوات الحكام تزدهر فى غياب الديمقراطية".
دكتور نور محمد فرحات


د . كمال ابو المجد

وكيل كلية الحقوق جامعة الزقازيق

● "من لايرى العدوان عدوانا فليذهب الى طبيب العيون".
الدكتور كمال ابو المجد

من سجن الوعى إلى فضاء السيبالية

• إيهاب حسن فيلسوف مابعد الحداثة فى أمريكا ، ولد فى القاهرة

بقلم: د. على شلش

نمضي مع ايهاب حسن استاذ الادب بجامعة وسكنسن .. في كتابه "تقطيع اوصال اورفيوس" احد ابرز المشتغلين بالادب المقارن ، وفيلسوف لما بعد الحداثة .



د . ايهاب حسن

لقد بدأ فصول الكتاب الحقيقية بفصل مطول مثير عن المركيز الغريب الأطوار دى صاد الذى نبش الحداثيون ماضيه ، واحتفلوا بأعماله ، ابتداء من ابولليتير وبريتون وكلفى وبلانشو فى فرنسا الى هايتة فى المانيا .

● ماذا كان ذلك المركيز العجيب ؟

قيل عنه انه كان صعلوكا مجنونا ، ومتلافا خليعا ، ومن اسمه جاءت نزعة السادية عند فرويد وتلاميذه ، بمعنى التلذذ بتعذيب الغير ، اوصدوا عليه الأبواب فى السجون ثلاثين عاما ، فظل يكتب بطريقة مملة ، ويفكر بطريقة مشبوهة مراوغة ، ومع ذلك فقد ولد وفى فمه ملعقة من الفضة كما يقول الانجليز ، لان اباه كان محافظ أحد أقاليم فرنسا ، ولكنه كان فظا غليظ القلب لايطاق ، مارس السادية على ابنه قبل ان يمارسها الابن على الغير ، ومع ان المعلومات قليلة جدا حول طفولة هذا الابن فمن المؤكد انه كره اباه وامه ، ولما كبر صار ضابطا فى سلاح الفرسان ، وشارك فى اكثر من معركة ، ولكن ابويه زوجاه بمن لايحب ، فبدأت مأساته : راح يتصعلك فى دنيا النساء ، ويستعبد معشوقاته ، ومنهن نساجة قطن عاطلة كان يجلدها ، ويدمى جسدها ، ويصب الشمع المحترق فى جراحها ثم دخل السجن بسبب هذه القسوة الهمجية ثم عرف بحفلاته الماجنة وجرائمه المخجلة ، وهروبه الى ايطاليا ، وسجنه بعد عودته وراح السجن يسلمه الى آخر حتى وقعت الثورة عام ١٧٨٩ فأطلقت سراحه حين سقط الباستيل .

وفى السجون ادركت دى صاد حرفة الكتابة ، فراح يمضغ ظالميه فى زنزانته ، وينتقم منهم بمضغهم مع لقيمات السجن حتى صار "وحشا بدينا" ومع ان ما كتبه لم يبق منه الكثير ، فلم يكن الكتاب الواحد يستغرق فى يده اكثر من اسبوعين ، وعندما افرجت عنه الثورة خرج مفلسا تجرح الشمس عينيه الذاويتين . ووجد زوجته المسكينة فى أحد الأديرة ، فعكف على الكتابة ، والف مسرحية ناجحة . ثم عمل موظفا بالحكومة ولكنه لم يفلح . فقد ضبطوه وهو يكتب منشورات معادية ، فسجنوه ، ونجا بأعجوبة من سكين المقصلة . ولما بدأ عهد الارهاب الذى تورطت فيه الثورة خرج من سجنه ، وتشرد ، ولكنه سعد عندما قبض عليه مرة اخرى بسبب مخطوطات فاضحة ضبطوها فى حوزته ، وقضى بقية ايامه فى مصحة شارنتون العقلية التى كتب عنها ـ وعنه ـ الألمانى بيتر فايس مسرحية ناجحة فى الستينات وفى تلك المصحة الف هو نفسه مسرحية اخرجها وشارك فى تمثيلها مع المجانين وعندما استولى نابليون بونابرت على السلطة لم يعف عنه ، فظل سجينا حتى مات عام ١٨١٤ ، بعد ان ترك وصية طلب فيها دفنه بغير شعائر فى حفرة بأراضيه ، بحيث يختفى قبره وتختفى ذكراه !

كان دى صاد حزمة من التناقض والازدواج . ومع ان افكاره لاتتميز باى عمق ففيها مقدرة رهيبة على الاسترسال ، والتحليق فى الخيال قدر مافيها من شر وسوء طوية ، وليس فى كتاباته اهتمام كبير بالزمان او المكان او الانسان ، ولكن فيها تحررا من كل قيد ، وشعورا بالوحدة ، وانتصارا للشر والرذيلة واللذة الحسية ، ونرجسية بلا حدود . وعنده ـ كما يقول المؤلف ـ ان "الانسان نشوة والنشوة موت" . ولم يكن القتل والتعذيب يشبعان نهمه الجنسى ، وانما اشبعه الادب كما قالت سيمون دى بوفوار . ومع ذلك فهو ـ عند المؤلف ايضا ـ اول اديب طليعى ،

من سجن الوعى إلى فضاء السيريالية



صاموئيل بيكيت

وعقريت الرومانتية والرواية القوطية .

وهو - ايضا - سيريالى قبل السيرياليين ، وناطق بلسم اللاأدب ، ورائد داروين وفرويد ونيتشه وباكونين ومعسكرات الاعتقال النازية . بل هو - كما قال عنه كافكا "الراعى الحقيقى للعصر الحديث" .

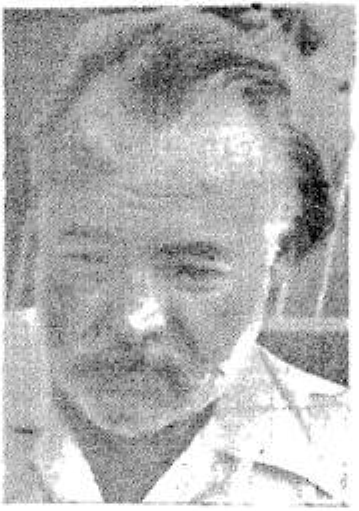
وعلى يديه انتهى عصر التنوير ، وتحول الألم الى مصدر لذة شخصية ، ومنح الأحلام معنى اليقظة ، واذا كانت اعماله - كما يقول المؤلف - تتنبأ بصورة العنصر الهدام فى حياتنا ، والمطالب التى يلقيها علينا صعبة - وربما مستحيلة - التحقيق ، فنحن لانجرؤ بعد على تجاهل هذه المطالب ولايمكن ان توجد حياة للبشر حتى تستجيب لدى ساد . وهكذا - كما يقول ايضا - يرقد اورفيوس مفتوح العينين بلا جسد ، وهو يحملق فى الشمس ، وينتظر الليل الى الابد . بل هكذا "يصبح كل شىء بعد ساد ممكنا - فى الذهن . اما بعد (مواطنيه الشاعرين) لوتريامون ورامبو فكل شىء أصبح ممكنا فى الأدب ، بما فى ذلك قتل اللغة بطريقة شعائرية . كما امكن تمزيق جسد العالم . فقد امكن تقطيع اوصال اورفيوس ، وامكن قلب الوعى بطنا لظهر . وأصبح الانتحار - رمزيا او فعليا - مكملا "للطليعة"

وقد ظهر الطليعيون فى فرنسا فى صور متعددة ، هى الباتافيزيقا والمستقبلية والدادوية Dadaisme والسيريالية .

ومهد لهم السبيل ساد ولوتريامون ورامبو وغيرهم . واذا كان ساد قضى نحبه خلف اسوار السجن او المصحة - السجن ، فقد مات لوتريامون فى الرابعة والعشرين ، وتوقف رامبو عن الكتابة بعد التاسعة عشرة ، وتمنى جارى موته ، وانتحر فاشيه وريجو وكريفل Crevel وارتو Artaud واختفى كرافان Cravan فى جزر البحر الكاريبى "ويسعى هؤلاء الى الموت اصدروا حكمهم النهائى على الابداع" .

لقد سك جارى مصطلح الباتافيزيقا ، وخصص حياته لانكار الفن

لقد سك جارى مصطلح الباتافيزيقا ، وخصص حياته لانكار الفن والحياة ، وملأ كتاباته بالتفاهة والتناقض ، وعد الحب حركة آلية ، وقال ان الانسان يستطيع أن يحب آلة وتستطيع الآلة ان تحبه وصار كل شىء عنده متساويا ، فالشر خير والخير



ارنست هيمنجواى

شر ، والكتابة "زلة لسان" ، حتى أصبحت الباتافيزيقا لغوا لا علما ، او هى "علم الكلام الفارغ" كما يسميها المؤلف ، وهذا تفكير عدمى بالطبع ، انتشر فى مسرحياته القليلة ، وجعلها عبثا مطلقا ، كارها للحياة والبشر واللغة .

ولكن جارى لم يكن الوحيد فى ساحة الطليعية فهناك جيوم ابو لينير (١٨٨٠ - ١٩١٨) الذى اضفى على الطليعية اللغة والاسم ، واثر فى كثيرين من معاصريه ، واتخذ جارى استاذا ، ومع ذلك تصعلك مثله ، واتهم ذات مرة بالاشتراك فى سرقة لوحة الموناليزا من متحف اللوفر عام ١٩١١ . بل قضى فى السجن ستة ايام . وكانت الدادوية من نتاج تلك الايام . ولكنها تظهر فى افضل حالاتها حين ترسم لاحين تتكلم وكان زعيمها الرومانى الاصل ترستيان زارا مشاغبا ، جعلها تهيم على وجهها مثله فى الشوارع والمقاهى والمعارض وصالات الموسيقى ودور الصحف ، وشد اليها بيكاسو وبول كلى وكاندينسكى وعددا آخر من الشعراء وجعل من هذه العصبة المتناقضة من الرسامين والشعراء شعلة نشاط تخريبى فى الفن والشعر على السواء ، لا فى زيوريخ - وحدها حيث نشأت علم ١٩١٦ - وانما فى باريس وبرلين ، وأنضم اليها الصعاليك وارباب السوابق الجنائية والمغامرون من كل نوع وحين وصل زارا الى باريس عام ١٩١٩ اتصل بالسيرياليين من أمثال اندريه بريتون وارجوان وفيليب سوبو ، ووجد عندهم ترحيبا ، وفى مايو ١٩٢٢ ذهب الى المانيا واعلن : "الدادا موقف عقلى . وهذا سبب تبدلها حسب الاجناس والأحداث التى تواجهها فالدادا يمكن تطبيقها على كل شىء ولكنها لاشىء انها نقطة اللقاء بين نعم ولا ، وكل الوان التناقض ، ولابشكل مهيب فى اماكن الفلسفة الانسانية ، وانما بصورة غاية فى البساطة ، عند زوايا الشوارع مثل الكلاب والجنادب" .

● الثورة السريالية

كل ما نجحت فيه الدادية هو اصدار البيانات والتصريحات على النحو السابق ، كما يقول حسن الذى يضيف انها كانت كثيرة التساؤل والكذب والصدق والتناقض ، بغير ماسبب ولانظرية . بل كان صوتها الحقيقى يتخذ شكلا فكاهيا ، فقد رسم انصارها لوحة الموناليزا بشارب ، واصدروا بيانات ابلغ واطرف من شعارهم ولما خاب مسعاهم اندمجوا فى السيريالية ، ولكن زعيمهم ظل يرى الشعر نشاطا ذهنيا لا وسيلة تعبير ثم ثار عليه

من سجن الوعي إلى فضاء السيريالية

اندريه بريتون (١٨٩٦ ـ ١٩٦٦) ، ربما لانه كان ينادى عدمية ارائه ، وكان بريتون طبيبا للاعصاب ، قرا فرويد ، ولكنه اعجب بشعر بول فاليرى ، ثم بابو لليتير ، ثم دب الخلاف بينه وبين انصار الدادوية فى شهر مايو ١٩٢١ فانشق عنهم مع بعض انصاره وكون السيريالية فكأن الأخيرة حركة منشقة ، ثارت على عدمية الدادوية وهرائها ، ومالت الى الاحلام والتنويم المغناطيسى والكتابة التلقائية دون قيد أو شرط ، وفى عام ١٩٢٤ نشر بريتون اول بيـان لهـا واسس مكتبـا للبحـوث السيريالية ، واصدر مجلة "الثوريـة السيريالية" التى جعل شعارها "يجب أن نصوغ اعلانا جديدا لحقوق الانسان" وجند لحركته عددا من الموهوبين من أمثال الشاعرين بول ايلوار ولوى اراجون ـ وصرح بعبارة كشفت عن بعض توجيهات مذهبه الجديد : "قال ماركس : غيروا العالم . وقال رامبو : غيروا الحياة ، وهذان القولان بمعنى واحد عندنا" ومعنى هذا أن الحركة تاثرت بالماركسية ، ولكن بطريقة حرة ، فقد تعلق بريتون بتروتسكى الذى اقصاه ستالين عن السلطة بعد وفاة لينين ، واتهمه باتخريب والتحريف ، وتعلق اراجون بستالين نفسه ومع ذلك كانت السيريالية فى جوهرها تقوم على صوفية اللاوعى والعقل الباطن .

وفى ٢٧ ينـايـر ١٩٢٥ اصـدر السيراليون بيانا قالوا فيـه : "نحن متخصصون فى الثورة ، واذا اقتضت الحاجة فلن نتورع عن اتخاذ اية وسيلة عمل .. ان السيريالية ليست شكلا شعريا ، وانما هى صيحة العقل اذ يتجه الى ذاته ، ويستميت فى التصميم على سحق قيوده بقواديم مادية اذا دعت الحاجة ، ولكن البيان الثانى الذى اصدروه عام ١٩٣٠ كشف عن الصراع بينهم وبين الشيوعيين ، مما ادى الى انصراف البعض عن السيريالية مثل شوير وماسون وفيتراك ، ومع ذلك أنشأ بريتون فى ذلك العام مجلة جديدة أسمها "السيريالية فى خدمة الثورة" بهدف تهدئة الخلاف بين الشيوعيين ، وحين طرد الوار وبريتون وكرافيل من الحزب الشيوعى الفرنسى بعد ثلاث سنوات قويت السيريالية ونشطت ، وراح بريتون ينظم المعارض لفنها ويحاضر فى أوروبا عنها ، بل سافر الى المكسيك عام ١٩٣٨ ، وقابل دييجو ريفيرا وتروتسكى اللذين باركا خطواته ، ثم هرب الى أمريكا عام ١٩٤١ عندما غزا الالمان باريس ، واصدر مجلة هناك اسمها "٧٧٧" مع مـاكس ارنست ومـارسيـل دوشـام ودافيدهير ، وعاد بعد الحرب الثانية فناصر حركة باسم "المواطنون العالميين" وكان سلفادور دالى قد عاد الى اسبانيا ، وانضم الى الكنيسة ، وناصر فرانكو .

ومع أن السيرياليين اكثروا من البيانات والتصريحات والشعارات ، فقد مالوا الى الحب الانسانى والضحك والفكاهة السوداء ، "واذا كانت لوحات دالى توحى بتزييف اللاوعى فهذا هو ـ على وجه الدق ـ الضعف الادبى الذى

علاقته السيريالية" كما يقول المؤلف . فقد دعت الى قيام الشعر على الصورة ، ولكن شعرها نادر الصور . ولكن شعرها نادر الصور ، وبالمثل دعت الى اشياء اخرى فى الشعر واللغة ولكن الدعوة ظلت منفصلة عن التطبيق .

قالت الناقدة الأمريكية انا بالاكيان "ان الشاعر منذ مالارميه الى بريتون اصبح يفضل الصمت على المجازفة باساءة تمثيل سيرياليته التى عثر عليها حديثا" وبذلك يجد الصمت احيانا منفذا للتعبير فى اللاأدب كما يقول المؤلف بل يسبر غور قلب الكون احيانا . بل ان الفكاهة يمكن التمادى فيها الى درجة النفى الصوفى وكذلك المادة يمكن اضفاء الروحية عليها ، والروح يمكن ارغامها على انكار نفسها او تثبيتها .

وهكذا ـ كما يقول المؤلف ايضا ـ يمكن ان نلاحظ ابتداء من الباتافيزيقا الى السيريالية قوة خلاقة بارزة غير ناقصة فى طاقتها التدميرية . فاللغة تكتسب صلابة جديدة ، وتكشف فى الوقت ذاته عن ابعاد جديدة للمطلق وهى تعرض نفسها للمجهول والاحلام والمصادفة والعبث ، وتخلق بذلك فضاء عقليا للفنان وادراكا جديدا . فأشكال الفن توسع تعريفها ووظيفتها وحين تتحطم الفروق بين الفن والواقع ـ كما يقول شاتوك ـ نجد انفسنا مندمجين فى بنية عمل فنى . ويلح علينا شكله كى ندخل جماعة موسعة من الابداع تضم ـ عندئذ ـ الفنان والمتفرج ، والفن والواقع . وهذا هو جهد الطليعة كما يقول حسن . فالخيال ابتداء من الباتا فيزيقيا إلى السيريالية انتابته الثورة ، فانتهى الى تثوير افكارنا ومفاهيمنا عن التغير



سلفادور دالى

الجذرى . وربما كان هذا هو جوهر جميع الجهود الابداعية .

● سكان الفضاء

عند هذا الحد ينتقل ايهاب حسن من الحداثيين الأوروبيين الى الحداثى الأمريكى هيمنجواى . وربما كان من المفاجىء ان يضم هيمنجواى الى زمرة الحداثيين ، ولكنه يعتقد انه حداثى على اعمق المستويات ، وان رواياته تصنع لنفسها مكانا مرموقا فى تراث الصمت الذى يمتد من صاد وكافكا الى بيكيت . فهيمنجواى اديب لايثق فى اللغة ويتخذ عدم ثقته اقنعة عديدة واذا كانت مفرداته اللغوية اقل من مفردات اى روائى كبير ، فهو لايستعير من لغات الآخرين الا القليل ومعظم هذا القليل بذىء ولكنه يستعير الكثير ـ فى الوقت ذاته ـ من العامية . وهو على قناعة بان الأشياء الجميلة تستحق الكتمان ولذلك تعلم فن الحذف والاسقاط من المصور الفرنسى بول

من الأشكال العبثية الى فضاء السيريالية

سيزان . والصمت عنده مزدوج ، فالأدب يتولد من المعارضة الذاتية ، والاسلوب يتطور الى لسلوب مضاد او لا اسلوب . وكثيرا ماتجد الحدث عنده يحل محل الكلام ، ونجد الفكر والشعور ضمنيين لايظهران ، والسخرية مرة وقاسية . واذا كان سارتر لاحظ خاصية التقطع فى الاسلوب فى رواية "الغريب لألبير كامى فهذه الملاحظة تنطبق على رواية "فى زماننا" لهمنجواى . بل ان ابطال رواياته ينتهون الى الوحدة ، وتنتهى قصصه القصيرة بالصمت والموت ، مع انها غير صامتة ، واذا كان النقاد رأوا ان البعد الرابع او الخامس الذى يمكن ان يضيفه هيمنجواى الى فن القصص هو الموت

بول سيزان



والتسامى والحاضر الصوفى ، فقد تجاهلوا بعد الصمت .

ثم ينتقل حسن الى حداثى اوربى اخر يصلح انتاج هيمنجواى كمقدمة لانتاجه او مدخل اليه ، وهو فرانز كافكا . ويرى ان كافكا يقدم لنا الرمز السرى لأدبنا ويؤيد كامى فى قوله ان كل فن كافكا يتألف من اجبار القارىء على اعادة قراءته ويرى - مرة اخرى - ان هيمنجواى وكافكا متشابهان فى تمكنهما من الاقتصاد الدرامى وعبقريتهما الدقيقة فى الحذف . بل هما متشابهان فى سكنى الفضاء ولكن كافكا يسبق السيرياليين والوجوديين الذين ظهروا بعده ، ويهيئنا لاستقبال جينيه وبيكيت واذا كان التلمود سيطر على عقله فقد قاده حبه لدورا ديمانت الى الصهيونية ، حين التحق عام ١٩٢٣ بمعهد الدراسات اليهودية فى برلين من اجل خاطرها ومع ذلك عجز عن الزواج منها فكافر بكل شىء حتى وفاته وهو يحيل صلواته الى قصص غامضة وهنا مكمن قوة فنه بالرغم من تصريحه الذى قال فيه ان قصصه مجرد "شخبطة" على الورق وهروب من سلطة الأب . بل انه يضج من الضوضاء المنتشرة فى الأدب الحديث ، ويقاوم النشر ، ولايريد ان يخلف وراءه شيئا ومع ذلك كان واعيا بانه موهوب فى تصوير باطنه الشبيه بالاحلام ، ولهذا يناقض نفسه ويكرر افكاره وقضاياه فهو فنان يتكاثر الى درجة تدمير نفسه وقصصه رمز لصراع الانسان مع المطلق ولهذا يختلف تفسيرها لانها تفتح كل نوافذ التساؤل والتأويل ، وترى القاتل والمقتول شريكين فى الجريمة واذا كانت روايته "القلعة" تقدم تعبيرا وجيها عن تاريخ اليهود المقدس غير المتسامح فهى ايضا

رواية تدعو الى التأويل وعدمه فى ان واحد واذا كانت انجح رواياته من الناحية الفنية فهى تقدم - مع رواياته وقصصه الاخرى - مفتاحا لأدب مابعد الحداثية فهو يضع المستقبل فى وسطنا ، ويعلمنا ان نحيا بغير بدائل او حلول داخل التناقضات . بل ربما يعلمنا ايضا الدخول فى غيبوبة اورفية تتطلع خلالها الى ضوء الوجود الهائل .

ولكن ماموقع الوجودية على هذه الخارطة الحداثية ؟

يقول ايهاب حسن ان روح مابعد الحداثية تكمن داخل جثمان الحداثية ذاتها ، اى تكمن فى اعمال بروست وجويس ويتس وريلكة واليوت واوبيل وسترندبرج وبيرانديللو . اما الوجودية فتشكل ملمحا اخر وما سارتر الا نقطة مرجعية فى تراث الوجودية ، ولكنه علامة من علامات العصر ، واختار الناس لانه اختار نفسه كما قال ذات مرة واراد تحويل الأدب الى سيف من سيوف الحرية ، ومع ذلك فهو ضد الصمت لانه لايستطيع ان يصمت كما قال مرة اخرى . وهو ضد السيريالية لانها تدمر اللغة والأديب عنده مرتبط بالمواقف قدر ارتباطه بالحرية لانه مدعو دائما الى اتخاذ المواقف ، ولانه ايضا لايكتب للعبيد ، ومع ان رؤيته لاتقل يوتوبية - او احلاما - عن رؤية السيرياليين ، فهو يرى الأديب - والانسان - فى حالة تحول او صيرورة دائمة .

ولكن سارتر لم يكن يمثل الوجودية وحده فقد شاركه كثيرون من الادباء ، وعلى راسهم البير كامى الذى قضى ايامه الاخيرة متمردا على الوجودية ، متبرئا منها ، ولكنه كان اكثر مقاومة للصمت من سارتر ، جعل الموت حجر الأساس فى انتاجه ، واكتشف فى العبث منطقا جديدا للوجود ومع انه نشأ يتيما مثل سارتر ، لان اباه مات وهو طفل ، فقد كانت طفولته ملفوفة فى الضحك ومن الضحك ادرك معنى العبث والتمرد .

بعد كامى جاءت مرحلة او مدرسة النظرة ، ومدرسة منتصف الليل والكتابة البيضاء والرواية الجديدة وهذا ادب لايدعو الى شيء ولايدعى شيئا وانما يعادى التقاليد - ايا كانت ، ويشارك فى تقليد الصمت ، او ماسماه هيجل بالصبر على المنفى والعناء فيه ، وهذا ما سماه هايدجر ايضا "لغز التسيلن" . وهو ادب معنى بالتوافه ، نرجسى متوتر ، يقبع بين حاجزى اللغة والصمت ، بدأته نتالى ساروت قبل ان يظهر له اسم ، ثم اكتسب اسمه على يد الآن روب جرييه وميشيل بوتور وغيرهما . وهكذا يعود اورفيوس المقطع الاوصال - كما يقول المؤلف - الى الاشياء التى حركها ذات مرة ، الا وهى اعضاؤه ، كى يسترد وعيه او اغنيته المغنية .

واذا كان السيرياليون يغنون بهدف تدمير العقل والتاريخ والمجتمع فجان جينيه يحذو حذوهم ، دون ان يكون واحدا منهم . فهو "يثير صراعاته فى الخيال ويحرز انتصاراته على نفسه" وهو يكره الحب والفكاهة والمفاجأة كما يكره الحقيقة . ويغنى كى يذيب اللغة فى صمت اعمق مما يمارسه اصحاب الأدب المضاد او اللا ادب Aliterature . ولكنه لاينتحر ، بل يتيح لاورفيوس ونرجس معا فرصة العناق فى بحيرة سوداء .

واخيرا يجيء صامويل بيكيت وتجيء

من سجن الوعي إلى فضاء السيريالية

معه نهاية الخيال ولكنه لايكف عن الصمت ، وفي صمته لايكف عن الغناء وقد قيل عنه انه كان سكرتيرا شخصيا لمواطنه جيمس جويس في منفاه ، ولكن هذا غير صحيح وانما الصحيح انهما كانا على صلة صداقة وانه خطب ابنه جويس ذات مرة وانه كان يقضى لصاحبه بعض حاجاته . وما رواياته الا انتاج اللعبة الانفرادية التى يلعبها الصوت البشرى مع نفسه ، وخير مثال على ذلك هذان السطران اللذان يستهل بهما روايته "ميرفى" فهو يقول : "سطعت الشمس بغير بديل على اللا جديد وجلس ميرفى خارجها كما لو كان حرا" ولكن مسرحياته تقدم لنا اصفى درجة حققها فنه وافظعها فى ان واحد . وما فعل الانتظار فى مسرحيته "فى انتظار جودو" الا تعبير عن عدم جدوى الرغبات البشرية وتفاهتها . ولكن فيها ـ كما فى افضل اعماله ـ كمية كافية من الصدق والشعر .

● مابعد الحداثة

اخيرا ايضا ياتى الفصل او الفاضل الختامى فى هذا الكتاب الصعب المركز وما مر بنا من مذاهب وشخصيات انما يجمع بينهما السعى الى تدمير الاشكال والبنى التقليدية ، وتوسيع الوعى ، والقبض بالكلمات على جريان الواقع وتدفقه وهذه هى اللغة التى تسعى اليها جميعا كما يقول المؤلف . ولكن صاد وزملاءه السابقين يسعون الى الغاء الواقع ويطمحون الى لاشىء . وهكذا قد تستمر عملية تقطيع اوصال اورفيوس ويخلق الأدب نفسه ذاتيا ، ويفكك نفسه إلى الابد . وهذا مايتفق مع الطبيعة المعروفة فى دورة الخرافة والاسطورة كما يقول المؤلف ايضا فقد حاول الطليعيون عبر قرنين من الزمان ان يخترعوا المستقبل تحت ستار التجربة ولكن تجاربهم مالت الى اشكال زائلة . والخط الذى تسير عليه منذ صاد خط افتراضى فمن الممكن ان تسير على خطوط اخرى وتتبع سائرين اخرين . ومن النادر جدا ان يكون النقد حتميا فنغمتا الصمت اللتان ترددتا بكثرة عبر الفصول السابقة مستمرتان فى ادب مابعد الحداثية وهاتان النغمتان هما :

١ ـ الصدى السلبى للغة وهو يحمل طاقة تدميرية ذاتية ، ويتميز بالشيطانية والعدمية .

٢ ـ الثبات الايجابى للغة وتساميها على نفسها .

ومع ذلك فعصرنا ـ كما قال هارولد روزنبرج ـ ذو طاقة اتصالية كلية قادرة على نشر الاساليب ، والتقاطها فى كل مكان فى ذات اللحظة التى تظهر فيها ، ثم اطلاقها هنا وهناك ، من قارة الى قارة ، كأنها مواد للعبوة الاتصالية الكلية وفى هذه العبوة الاتصالية ـ كما يقول المؤلف ـ يصبح تاريخ الأجناس والأشكال الفنية غير ذى موضوع . واذا كان تقليد الصمت انتقائيا فهو يعنى اختيار اباء احلامنا واذا كان صاد يفرض علينا



سيمون دى بوفوار



بابلو بيكاسو

الشخصية العليا للوعى البشرى فخلفاؤه يدفعون املهم فى الثورة خارج حدود الفن .

لعل الاستعارة التى استخدمها ايهاب حسن هنا من اسطورة اورفيوس وتقطيع اوصاله تكون قد اتضحت الآن . ولعل مغزاها الكامن فى غناء اورفيوس الجديد على قيثار بلا اوتار يكون قد اتضح الآن ايضا . فالأسطورة ومغزاها مستخدمان هنا كرمز للأزمة الحادة التى يجدها دارس العصر الحديث فى اوروبا وامريكا فى الفن والأدب والوعى ، والثقافة عموما . ومازالت هذه الأزمة مستمرة على اى حال لأن تقاليد "الحداثية" لم تندثر ، ولأن ماسمى باسم "مابعد الحداثة" لم يخلق تقاليد جديدة ومختلفة بعد فالحداثية ومابعدها مازالتا حالتين متصلتين عضويا ، لأنهما ـ فى الاساس ـ حالتان تاريخيتان ، اى لم تظهرا فى فراغ خارج الزمان والمكان ، وانما شجعت على ظهورهما ظروف سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية عديدة معروفة ومع أن معظم هذه الظروف مازال قائما فى الغرب بدرجات متفاوتة فربما شجعت الأوضاع الراهنة فى المعسكرين المتوادين على ظهور ظروف جديدة وعندئذ تظهر حالة جديدة ، ربما اطلق عليها الباحثون اسم "مابعد الحداثية" .

ولكن فى حدود هذا الكتاب نلاحظ أن مؤلفه اخذ نفسه بالشدة وعانى ما عانى فى سبيل مراجعة ذلك الكم الهائل من تراث الفرنسية ـ بصفة خاصة ـ والانجليزية ، حتى يقدم لنا خلاصة للمشهد الأدبى الغربى الحديث ، وهى خلاصة شائقة ومفيدة برغم ماتثيره من خلاف .



سلوى بكر

سلوى بكر

وأدب الإحباط

بقلم: د. جلال أمين

كان أول ما قرأت لها ، قصتين إحداهما بعنوان « كل ذلك الصوت الجميل الذى يأتى من داخلها » والأخرى تحمل عنوان المجموعة بأكملها « عن الروح التى سرقت تدريجيا » ، فاتضح لى على الفور أن سلوى بكر مهمومة بما نحن مهمومون به ، ففى كلا القصتين تعبير عن الاحباط الذى نشعر جميعا به ، بصورة أو بأخرى ، ولسبب أو لآخر .

فى القصة الأولى امرأة يثور فى ذهنها فجأة أمل ضعيف فى الخروج من دوامة الحياة الرتيبة والكئيبة ، وفى أن تطرح عن كاهلها العبودية للزوج والأولاد ومطالب الحياة اليومية . يثور بذهنها أمل فى أن تعيش حياتها كما تحب ، وأن تعبر عن رغباتها وأفكارها الحقيقية ، ويمر بخاطرها احتمال أن تكون جميلة ، بعكس ما كانت تعتقد دائما ، وأن تكون ذات صوت جميل ، على الرغم من أن أحدا لم يلاحظ ذلك من قبل .

ولكن هذا بالطبع لا يجوز ولا يقبله أحد ، فزوجها ، وعيسى البقال ، وكل من يسمع قصتها ، يرجح أنها ليست فى كامل قواها العقلية ، وأنها تحتاج إلى طبيب نفسى ، وأن كل هذه الآمال التى ثارت بذهنها لبضع ساعات لا تواجه إلا بثلاث حبات يوميا من أحد الأدوية ، وحبة قبل النوم من دواء آخر .

والقصة الثانية مباشرة ، « عن الروح التى سرقت تدريجيا » ، تتكلم أيضا عن الاحباط الذى أخذ يتسرب الينا جميعا منذ أواخر الستينيات ، كما يعكسه التغير الذى لحق بزوجين شابين ، كانا ممتلئين بالأمل منذ عشرين عاما ، ثم سرقت الروح منهما تدريجيا ، حتى انتهى الأمر بهما الى الجلوس أمام التليفزيون كل يوم ،



نجيب محفوظ

لست اديبا ولا ناقدا ، ولكنى إذا قرات مجموعة قصصية نشرت حديثا للكاتبة سلوى بكر ، فتنت بافكارها وبطريقتها فى الكتابة فبحثت عن اعمال سابقة لها ، ووجدت لها مجموعتين اخريين فإذ قراتهما لم يتغير رأيى بل زاد تعلقى بادبها ، وخطر لى ان اجلس لاكتب تفسيرا لهذا الاعجاب ، املا ان يغفر لى تطفلى باقتحامى ميدانا ليس ميدانى .

ليشاهدا ما لا رغبة لهما فى الواقع فى مشاهدته ، وينشأ ستار ، يزداد كثافة يوما بعد يوم ، ليفصل بينهما .

بمجرد ان تقرأ القصتين الأوليين تتحقق من ان سلوى بكر تنتمى إلى نفس المعسكر الذى تنتمى إليه ، وهذا فى حد ذاته سبب كاف للاغتباط ، ولكن مما يزيد غبطتك انها عبرت عن بعض ما تشعر به بطريقة بالغة الفعالية ، فسلوى بكر لا تضيع اى وقت ، تدخل فى الموضوع مباشرة ، ولا تطيل الكلام ، فقصصها لا تزيد فى معظم الاحوال على ثمان او عشر صفحات ، ولكنها فى هذه الصفحات القليلة تقول لك اشياء كثيرة .

● **نقد جاد !**

كنت دائما اعتقد ، ولا ازال ، ان الادب هو وسيلة اكثر فعالية بكثير فى التعبير عما اصاب المجتمع المصرى من تحولات خلال العشرين عاما الماضية ، من اى علم من العلوم الاجتماعية ، شعرت بذلك مثلا عندما قرات « اهل القمة » لنجيب محفوظ ، فوجدت أن نجيب محفوظ استطاع أن يعبر عن تغير التركيب الطبقى للمجتمع المصرى بسبب الانفتاح ، بل وحتى عن أسباب هذا التغير ، بكفاءة تفوق كفاءة أى بحث قرأته لعلماء الاجتماع المصريين . تذكرت هذا وانا اقرا قصة سلوى بكر « عن الروح التى سرقت تدريجيا » . إنى لا أعتبر هذه القصة من احسن قصصها ، فربما كان التعبير عن الفكرة المقصودة منها مباشرة اكثر من اللازم ، ولكنها مع ذلك صورت تصويرا جيدا آثار سنوات الانفتاح على حياتنا ، وفيما لا يزيد على سبع صفحات ربطت ربطا مقنعا جدا بين اشياء تبدو متباعدة ، مثل حريق دار الاوبرا فى ١٩٧١ ، وزحف العمارات الشاهقة علينا ، وانشغال

سلوى بكر

الناس أكثر فأكثر فى ساعات طويلة من العمل لمواجهة تكاليف المعيشة ، وجلوس الزوج والزوجة كل مساء أمام التليفزيون لأنه لم يعد باستطاعتهما تحمل تكاليف السينما أو المسرح وانتظار الأتوبيس بالساعات وسط أكوام من البشر ، ومتاعب الحصول على سباك لتركيب ماسورة جديدة ، وزوال سور الأزبكية بكتبه ، وحلول محله اللوحات الفجة والصور الملونة تلوينا قبيحا .... إلخ .

هذا النقد الحاد لما أصاب نوعية الحياة فى مصر من تدهور ، ماديا ومعنويا ، كان من السهل جدا أن ينزلق معه الكاتب أو الكاتبة الى عاطفة

الاوبرا تحترق



مصطنعة ، ولكن سلوى بكر فى رأيى ، لم تنزلق اليها ولا مرة واحدة .

انظر مثلا قصتها الجميلة « إحدى وثلاثون شجرة جميلة خضراء » ، حيث تعبر سلوى بكر عن هذا التدهور فى نوعية الحياة المصرية بأن تروى فى ١٢ صفحة صغيرة قصة امرأة نادرة ، مرهفة الحس ، مشكلتها الوحيدة أنها طويلة اللسان فلا تستطيع أن تكتم مشاعرها أو أن تقول عكس ما تشعر به .. وتقنعك سلوى بكر اقناعا تاما بأن هذه المرأة يمكن أن تبتئس ابتئاسا شديدا بسبب قطع أشجار الشارع الذى تسلكه كل يوم فى طريقها إلى عملها وفى عودتها منه ، وتناقص عدد الأشجار شيئا فشيئا من ٣١ شجرة إلى ثلاث شجرات ، تنمو بدلا منها غابة من الأسمنت والألوان الرمادية والبنية ، وتقنعك أيضا بأن من الممكن جدا لهذه المرأة السوية تماما أن يعتبرها الناس مجنونة ويدخلونها مستشفى الأمراض العقلية ، بدأ الناس فى اعتبارها شاذة حينما رأوها تقبل زميلا لها فى شفتيه فى مكان عام ، قبلة سريعة وخاطفة ، استجابة لشعور عارض جدا مرت به ، ثم اكتشف رئيسها وزميلاتها فى أحد الأيام بأنها اتت إلى عملها دون ارتداء حمالة الصدر ، ثم أنها قامت بشراء مكتب طلبت من بائعه أن يلونه باللون الأحمر الفاقع لتخفف من وقع اللون الرمادى المحيط بها فى كل مكان ، ثم أنها فى يوم الانتخابات لم تعرف كيف

تميز بين المرشحين ، فصاحت بالمشرفين على عملية الانتخاب تسألهم « عن السبب فى أن معظم الوزراء عندنا قبيحوا المنظر وأقفيتهم سمينة ، على نحو يجعل المرء يتشكك فى قدرتهم على فعل أى شىء نافع » .

ولكن الدليل القاطع على أنها مجنونة جاء عندما حاولت أن تنفذ ما هددته أمها به يوما من أن تقطع لسانها بالمقص لأن لسانها هو سبب كل المشكلات .

● احباط وخيبة امل !

لقد ذكرت ثلاث قصص تنتهى كلها بالاحباط ، ولكن الحقيقة هى أن كل قصص سلوى بكر تنتهى بالاحباط وخيبة الأمل ، ففى قصة « العاشقة » مثلا ، تجد أن الممرضة فايزة لاتختلف كثيرا عن « سيدة » فى قصة « كل ذلك الصوت الجميل » فهى تخدم الجميع وتطاوع الجميع ، وعلى وجهها دائما ابتسامة لا تتغير ، واللحظة الحلوة الوحيدة فى حياتها هى تلك التى تأتى اليها حين تشرع فى النوم ، فتحلم بشاب طويل جميل يحتضنها ثم تستسلم للنوم ، وتجد نفس خيبة الأمل بالطبع فى قصة « نونة الشعنونة » ، و« الحلم الأمريكى » و« انتظار الشمس » .. الخ ..

إن ناقدا لبنانيا (حسن داوود) قال إن بطلات سلوى بكر هن فى الحقيقة « امرأة واحدة » ، وربما كان هذا صحيحا ، ولكنى أميل إلى القول بأن المشكلة واحدة وليست المرأة ، كما أنى أصدق سلوى بكر حينما تقول أنها لا تقدم أدبا للمرأة باعتباره أدبا موجها ضد الرجل ، فمشكلة المرأة فى قصص سلوى بكر هى مشكلة الرجل بنفس القدر .

★★★

قصة « نونة الشعنونة » ، التى ربما أعتبرها أفضل قصصها ، هى قصة خادمة لم تبلغ بعد الثالثة عشر من عمرها ، « حمارة شغل » ، على حد تعبير مخدومتها ، ولكن مخدومتها هذه ، زوجة الضابط ، تصفها أيضا بأنها « شعنونة » ، لأنها تنتهز كل فرصة للتصنت على ما يدور فى



سلوى بكر

المدرسة المجاورة للمنزل ، حيث أن شباك المدرسة يكاد يلاصق شباك المطبخ ، وتحاول أن تسمع ما تقوله المدرسة للطالبات ، ولا تكف عن التفكير فيما تسمعه ، وتحاول فهمه أو حفظه ، حتى انها عندما رأت المدرس الخصوصي يسأل الولد ، ابن مخدومها ، عن الجذر التربيعي للخمسة والعشرين ، ولم يعرف الولد الاجابة ، ونظر الى أمه ببلاهة ، ردت نونة على الفور بالاجابة قائلة « خمسة يا مغفل » ، وكانت هذه هي المرة الوحيدة التى صفعتها فيها مخدومتها على وجهها طوال السنوات الثلاث التى قضتها فى خدمتهم .. لكننا نفهم من القصة أن نونة اختفت أو ماتت فى صباح اليوم التالى لليوم الذى جاء فيه أبوها من البلد ليعلنها بأنه جاء ليأخذها معه هذه المرة ، لأنه قد تقدم لها عريس « والعريس عائد من بلاد الرسول يحمل من الفلوس ما يكفى لفرش حجرة بحالها فى بيت أمه » ، إذ وقتها طب قلب نونة ، وهرب الدم من وجهها حتى أصبح بلون البفتة البيضاء ، فهى لا تريد العودة إلى البلد أبدا ، ولا ترغب فى العيش وسط الوسلخة والبراغيث والناموس ، ولا ترغب فى الزواج حتى لا تصبح كأخواتها مزروعة فى القلب ، وإنما كانت تحلم بالمدرسة والبنات اللاتى كانت تسمع أصواتهن من شباك المطبخ .

* * *

لا أعتقد أن من الانصاف أن ننقد سلوى بكر لمجرد أن بطلاتها دائما ينتهين الى الاحباط وخيبة الأمل ، فالقصص والشخصيات من التنوع بدرجة كافية ، ولكن ربما كان من الممكن أن نقول لسلوى بكر ان قصصك ، رغم أنها ممتعة ، يجرى أكثرها داخل جدران أربعة ، ونادرا ما تخرج بطلاتك أو أبطالك الى الشارع ، هناك من ذلك ثلاث قصص على الأقل تجرى أحداثها فى الهواء الطلق . هى قصة المطلقة التى يعرض عليها الزواج رجل عجوز تقابله فى الحديقة العامة ، فى قصة « انتظار الشمس » ، وقصة بائعة الترمس فى « امرأة على العشب » وقصة قارئة البخت فى « فأر أبيض صغير » ، وكلها قصص تذكرنى بأفلام مدرسة السينما الواقعية الايطالية التى كنا نراها فى الخمسينيات ، والتى يمتزج فيها البؤس الشديد بالسخرية والفكاهة وهى تصلح فى اعتقادى لإنتاج ثلاثة أفلام قصيرة جميلة ، لا تحتاج من المخرج الى براعة شديدة أو خيال واسع ، فكل شىء مرسوم ببراعة وبكل تفاصيله .

والحقيقة أن خيبة الأمل التى تنتهى بها قصص سلوى بكر تروى بمقدار

كبير جدا من خفة الدم ، القصص كلها حزينة ، هذا صحيح ، ولكنها ليست ثقيلة الوطأة .

ففى قصة نونة الشعنونة مثلا ، ليس هناك فقط ذلك الموقف الطريف بين نونة وابن مخدومها حينما تعرف هى الجذر التربيعى لخمسة وعشرين ولا يعرفه هو ، فتقول له « خمسة يا مغفل » ، ولكن هناك أيضا ما سمعته مرة من خلال شباك المدرسة وشباك المطبخ ، وهو بيت شعر لامرئ القيس يصف فيه حصانه ويقول : « له أيطلا ظبى وساقا نعامة وإرخاء سرحان وتقريب تتفل » ، فكلمة « أيطلا » (وأظنها تعنى الفخذين) . « كانت تحير نونة جدا ، فعندما تأخذ فى ترديدها مع البنات كانت تتوقف قليلا عن « دعك » الصحن الذى تغسله فى الحوض ، وتسأل نفسها عما يمكن أن يكون « أيطلا » هذا ، هل هو برسيم أم حلاوة طحينية أم حمار حصاوى ؟ ؟ !

كذلك عندما تصف « ميمى » نفسها فى قصة « لعب الورق » ، فى الخطاب الذى كتبته لمحرر القلوب التعيسة ، تشكو له من أنه ليس هناك من يريد أن يتزوجها بسبب شكلها تقول :

« ماذا أقول لك عن شعرى الخشن الصلب الذى يجعل رأسى أشبه بقنفد صغير ملتصق بأكتافى ، أحدثك عن ساقى المقوستين الشبيهتين بكسارة اللوز والبندق ، أم عن بروز أضلاع صدرى التى يستطيع أى طفل صغير أن يتعلم عليها العد والحساب ؟ » .

وفى قصة « انتظار الشمس » تحكى سلوى بكر قصة زوجة كرهت زوجها من أول يوم فى الزواج ، ولم تدعه يقبلها إلا مرة واحدة ، وكانت هى القبلة الاولى والاخيرة ، بعدها « دعكت أسنانها بالفرشاة والمعجون » ، وعندما ضربها علقة سخنة « تفلته بمفتاح انجليزى أسال دمه » ..

* * *

وهناك من قصص سلوى بكر ما يشكل فى الواقع نكتة كبيرة ولكنها مؤثرة جدا وانسانية للغاية ، من ذلك قصة ممتازة اسمها « مناسبة للسعادة » ، وخلاصتها أن عائلة فوزية كانت تستعد للذهاب الى حفلة المدرسة التى ستتسلم فيها فوزية جائزة للتفوق ، ذهب أبوها للحلاق ، وجملت أمها حواجبها ، وادخلت العيال الحمام ، وكوت فوزية شعرها ، واستلفت أم فوزية معطفا لائقا من جارة لها ، وذبحوا للغذاء ديكا ودجاجة ، وأهدوا جارتهم صينية بسبوسة ، واشتروا لفوزية حذاء جديدا ، وتمنى أخو فوزية أن تكون جائزة التفوق بندقية ، وتمنت الام أن تكون الجائزة شيئا مفيدا للبيت كبطانية صوف مثلا أو حتى حقيبة جلدية جميلة لفوزية توفر لهم بعض المصاريف ، وعندما خرجت عائلة فوزية من البيت متجهة الى المدرسة ، تطلعت إليهم عيون الجيران من الشبابيك والابواب باعجاب ، ولم يكن

سلوى بكر

هناك ما يضايق فوزية الا حذاءها الواسع الجديد الذى أصرت الأم على شرائه واسعا ليظل صالحا للاستخدام فى السنة المقبلة ، وكان الحذاء يعوق حركة فوزية رغم أن أمها حشرت فيه أربع صفحات من مجلة آخر ساعة .

وكان الأب سعيدا لولا شعوره بأنهم تهوروا وبالغوا فى الاسراف بهذه المناسبة ، فربما لم يكن هناك لزوم لذبح الديك والدجاجة ، ولا للبسبوسة التى كان يمكن الاستغناء عنها والاكتفاء بشاى كحلوى بعد الغذاء .

وفى الحفلة استمعت عائلة فوزية للسلام الجمهورى ، وتلاوة من القرآن الكريم ، وكلمة من الناظرة عن هذه المرحلة الخطيرة التى تمر بها مصر ، وحيت فيها مدينة بورسعيد الباسلة ، واستمعوا إلى أغاني وطنية عن السد العالى وفلسطين ، وحينما ساروا عائدين الى البيت كانت فوزية تحمل فى يدها مصحفا صغيرا كتب على غلافه الداخلى :

« إلى الطالبة المجدة .... بمناسبة تفوقها فى امتحان آخر العام » ، ثم أسم المربية الفاضلة ناظرة المدرسة وتوقيعها .

★ ★ ★

لا أريد أن أختم مقالى دون أن أشير إلى هذا الولاء العظيم الذى تحمله سلوى بكر للعامية المصرية ، وذلك الكنز الذى تحتويه قصصها من التعابير العامية بالغة الجمال والتأثير ، والتى شعرت بالخوف ، وأنا أقرأ قصص سلوى بكر ، من أن تختفى شيئا فشيئا من حياتنا ، إذ أن كثيرا منها لم أسمعه منذ مدة طويلة وجاءت قصص سلوى بكر لتذكرنى به ، سأضرب لذلك بعض الأمثلة القليلة ، فى قصة نونة الشعنونة تريد الكاتبة أن تقول ان شباك المطبخ كان قريبا جدا من شباك المدرسة فتقول « الشباك فى الشباك » ، وفى قصة أخرى تريد أن تذكر أن الطفل قضى حاجته ، دون أن يخلع ثيابه فتقول ان الطفل « مبلل وعاملها على نفسه » ، وتصف اليوم الذى لاتجد فيه وقتا لما تريد أن تفعله بأنه يوم « معفرت » ، وبدلا من أن تقول « قالت لنفسها » تقول « قالت لروحها » ، وتصف انتهاء الموضوع بأنه « أصبح فى خبر كان » . وهكذا .

لا اظن اننى من الآن فصاعدا يمكن ان اجد قصة سلوى بكر فى مجلة أو كتاب دون أن اقبل بلهفة على قراءتها .

قصائد قصيرة

شعر: عزت الطيري

١ [شبابيك]
مجنون شباكي
بعصافير الصبح
لكن عصافير الصبح
تجن
بشبابيك
أخرى !!

٢ [قصة]
منذ عامين انتهينا
والهوى فض عهوده !
منذ يومين التقينا
في جريده
أنت في ركن الزفاف
وأنا
تحت قصيده !!

٣ [رمش]
[illegible] سياط الرمش
ولسعني عشقا
ومضى .....

٤ [منى]
يجتمعون علىَّ
يجرون ورائي
نعشي
مابين الغيم
وبين اليم
يا منى !



ترجمة الأدب

والتفاعل بين الثقافات

بقلم: د. جابر عصفور

لعل من أطلق المثل الايطالي الذى يصف المترجم بالخيانة كان يعني شيئا قريبا مما قصد إليه عالم الأدب المقارن أولريش فايسشتاين عندما وصف الترجمة بأنها " الخيانة الخلاقة "، إذ يظل معنى الخيانة، فى الحالين، مرتبطا بالافشاء، وباقتراف فعل أشبه بالفعل الذى اقترفه بروميثوس عندما سرق النار من الآلهة، ليقدمها هدية إلى البشر، يعلمهم بها رمزية المعرفة والخلق والتمرد على السواء.

● صحيح أن الشكوى من استحالة الترجمة، في حالات بعينها، قديمة لاترجع إلى الرومانسيين، كما نتخيل عادة، بل ترجع الى القرن الثالث للهجرة، التاسع الميلادى، فى عبارات الجاحظ، المتكلم المعتزلى الشهير، الذى قال: "والشعر لا يترجم، ومتى حول تقطع نظمه، وبطل وزنه، وذهب حسنه، وسقط موضع التعجب". وهى عبارات تؤكد صعوبة نقل المعانى الحافة بكلمات اللغة الأصل فى علاقاتها السياقية، أو نقل الايحاءات الصوتية التى لا تنفصل عن العلاقات النحوية التركيبية والصرفية، ومع ذلك، فان هذه العبارات، ومثلها كثير عند الرومانسيين، لم تمنع من ترجمة الشعر خاصة، والأدب عامة، بل لعلها أكدت ضرورة التحدى، ومواجهة المهمة الصعبة، وهى ترجمة ما يتأبى على الترجمة، فى فعل كان يشير اليه جوته عندما قال:

"على المترجم أن يقترب مما يستعصى على الترجمة، حتى يساعدنا على أن نفهم كل أمة ولغة غريبة علينا".

إن هذه الرغبة فى التحدى ومواجهة المهمة الصعبة هى التى دفعت المترجم العربى القديم الى ترجمة بعض أشعار هوميروس (شاعر الالياذة) على الرغم من علم هذا المترجم بعبارات الجاحظ السابقة التى تحذر من ترجمة الشعر.

وكان المنطق الذى يبرر ذلك بسيطا (فيما يحكيه ابوسليمان المنطقى فى " صوان الحكمة ") فى عبارات تقول : " ومعلوم أن اكثر رونق الشعر ومائه يذهب عند النقل ، وجل معانيه يتداخله الخلل عند تغيير ديباجته، ولكنى مع ذلك اتيت ببعضها لاتصلحها ... عن كل معنى دقيق وعلم غزير" .

● إمكانية ترجمة الشعر

هذه العبارات القديمة التى ترجع الى القرن العاشر الميلادى تحتوى على مقدمة الحلول التى أخذت تشيع منذ القرن التاسع عشر فى أوربا ، والتى واجهت استحالة ترجمة الشعر بمجموعة من الوسائل ، أولها الاقتصار على ترجمة مدلولاته أو معانيه ، وآخرها محاولة اعادة نظمه فى اللغة المنقول إليها ، أو محاولة تقديم كتابة ثانية للشعر الاصل فى اللغة الثانية . والمثال المتفرد على اعادة نظم الأصل فى لغتنا العربية الحديثة هو الياذة هوميروس نفسها التى قام بترجمتها سليمان البستانى (١٨٥٦ ـ ١٩٢٥) نظما ، فى جهد مضن استغرق قرابة عشرين عاما ، وصدرت الترجمة عام ١٩٠٤ فاقلقت الحياة الفكرية فى الأمة العربية ، على نحو ما يصور ذلك الكتاب الفريد الذى حرره نجيب مترى (مؤسس دار المعارف وصاحبها الأول) بعنوان "هدية الالياذة" (١٩٠٥) وجمع فيه "ما كتبه أرباب المقامات السامية وأصحاب الصحف والمجلات والأدباء والشعراء عند ظهور الالياذة مع تفصيل الحفلة الوطنية التى اقيمت اكراما لصاحبها الفاضل" .

وربما كان أهم الأمثلة البارزة على تقديم كتابة شعرية ثانية ، لا تدخل فى مجال النظم العمودى ، هو ما قام به الشاعر السورى أدونيس (على أحمد سعيد) سواء فى ترجمته اللافتة للأعمال الشعرية الكاملة لشاعر فرنسا المعاصر ايف بونفوا (دمشق ١٩٦٨) أو ترجمة الأعمال الكاملة للشاعر الفرنسى سان جون بيرس الذى حاز على جائزة نوبل عام ١٩٦٠ ، وذلك من خلال نموذج قصيدة النثر التى تخلق ايحاء شعريا خلصا . ومن يراجع ترجمة ادونيس لهذين الشاعرين يجد ما يؤكد أن الاستحالة التى تحدث عنها الجاحظ ممكنة ، فقد استطاع أدونيس أن يخلق نصا شعريا مقابلا ، كتابة ثانية لشعر سان جون بيرس وايف بونفوا ، على نحو يؤكد ما سبق أن اشار اليه جوته من ضرورة الاقتراب من كل ما يستعصى على الترجمة ، وتمتزج شعرية أدونيس بشعرية بونفوا فى صيغة تبرز مفارقة اللغة الابداعية على النحو التالى :

الكلمات كمثل السماء
لا نهائية
لكن كلها فجأة فى حفرة الماء ، الصغيرة

هذه المفارقة التى تصوغها الكتابة الثانية هى فعل "الخيانة الخلاقة" الذى يقترفه المترجم عامدا ، لأنه لا يريد أن يعزل المعرفة أو الابداع فى لغة دون لغة ، أو أمة دون أخرى ، بل ينقل هذه المعرفة وهذا الابداع فى فعل من أفعال الخيانة التى اقترفها بروميثيوس الذى حطم أسوار العزلة المفروضة على تلهب المعرفة المقدسة ، فأشاعها بين بنى الانسان جميعا .

هذه الاشارة الى "الخيانة الخلاقة" هى التى تبرز تصور الترجمة بوصفها عملية تعرف وتفسير واعادة اكتشاف فى آن . وليس من قبيل المصادفة أن تزدهر هذه العملية المعقدة ، فى اللحظات التاريخية لنهضة الأمم وتقدمها ، وذلك عندما تمتلىء "الأنا" بالرغبة فى الخروج من عزلتها ، وتتعرف نفسها فى مرآة الآخر ، وتتعرف الآخر فى مرآتها . فى هذه اللحظات التاريخية ، بقدر ما تسعى الأنا الى تعرف الآخر وسماع صوته وإنطاقه بلسانها المبين فإنها تريد أن تتعرف التعرف المجدد على لغتها ، أو على مدى ابانه هذا اللسان المبين ، وهو ينطق صوت هذا الاخر ، ويشكله فى نبرة متميزة ونغمة ، وليس من الضرورى أن يكون الاخر ، فى هذه اللحظات ، هو العدو ، أو الغازى ، بل يمكن أن يكون المغاير الذى ينتج تعرفه معرفة مجددة بالأنا ومعرفة كاشفة بلسانها .

ولكن انطاق الاخر بلسان الأنا يعنى اخضاع هذا الاخر لنبرة اللسان الخاص لهذه الأنا وطرائقه المتميزة فى الأداء .

● نافذة على العالم المتقدم

واذا كانت الأنا التى تمتلىء بالرغبة فى الخروج من عزلتها تتخذ من الترجمة نافذة تتطلع منها الى العالم المتقدم للاخر ، ووسيلة للحوار معه ، فان هذه الأنا تحول صورة هذا العالم المتقدم بفعل الترجمة ، وتنقله من صورة الكيان المخيف الغريب الخطر الذى يتأبى على الفهم ، والذى يهدد الوجود ، الى صورة الموضوع الذى يمكن تفكيكه وتعرف أسراره ، والحوار معه بما يقرب هذه الأنا من حلم مستقبلها الذى يرتهن بعلاقتها بهذا العالم . ويحدث شىء مشابه ـ مع بعض الاحتراس ـ الاخر فى علاقته بهذه الأنا ، فهو ـ بدوره ـ يمر بلحظات تاريخية تتوهج فيها رغبته فى تعرف هذه الأنا التى تدق أبواب الحوار معه ، وتفتحها متطلعة الى الاسهام فى صنع عالمه . فى هذه اللحظات ، يسعى الاخر ـ بدوره ـ الى أن يتفهم الأنا ، ويترجمها لنفسه ، كما يعى كل خباياها الدفاعية أو الدافعية .

هذا التصور هو الذى يفسر تلهفنا على الترجمة والحاحنا عليها ، حتى من قبل أن يترجم رفاعة الطهطاوى (١٨٠١ ـ ١٨٧٣) "وقائع الأفلاك فى أخبار تليماك" عن "مغامرات تليماك" التى كتبها فرنسوا فينلون (١٦٥١ ـ ١٧١٥) فجعل الترجمة تنطق مشكلاته مع الحكم المطلق فى عهده ، وتنطق توتره فى منفاه فى السودان ، وتنطق تطلعه الى التقدم ، وتنطق السياق الثقافى للسان العربى الذى كان لايزال مشدودا الى زخرف السجع ومحسنات البديع .. وقد كان الطهطاوى يعرف ـ منذ "تخليص الابريز فى تلخيص باريز" ـ "أن اللسان الفرنساوى .. لا يتلاعب بالعبارات ولا بالمحسنات البديعية اللفظية ... وكذلك غالب المحسنات البديعية المعنوية" وأن ما يعد من المحسنات فى اللغة العربية قد يغدو "ركاكة" فى هذا اللسان .

هذا الوعى باللغة الفرنسية وعى مجدد باللغة العربية نفسها . وهو حالة من حالات التعرف التى لا تقتصر على لغة تغدو مرآة للثانية ، أو العكس ، بل حالة تمتد الى تعرف الثقافة التى تحتوى عليها كل لغة وتنطقها ، كما تمتد الى الحلم الذى تحتوى عليه لغة الثقافة الناهضة

لتحقق التقدم . فذلك هو ما جعل الطهطاوى يصل تعرفه بلغة الاخر (الفرنسى) بتعريفه بدستور هذا الاخر (la sharte) ليؤكد أن العدل أساس العمران الذى يقوم على أن سائر المواطنين مستوون قدام الشريعة ، وأن كل واحد منهم متأهل لأخذ أى منصب كان وأى رتبة كانت ، وأنه لا يمنع انسان من أن يظهر رأيه وأن يكتبه ويطبعه ، وأن الدعوى الشرعية تقام على الملك وينفذ عليه الحكم كغيره ، فذلك هو العمران الذى يقيم العدل ويسعف المظلوم ويرضى خاطر الفقير كأنه العظيم ـ فيما يقول رفاعة الطهطاوى الذى أنشأ مدرسة الألسن ليفتح بها نوافذ على العمران فى العالم المتقدم كله .

ولكن اذا كانت الترجمة نافذة المتخلف التى تنفتح على عالم الآخر المتقدم فإنها ـ من منظور هذا الاخر نفسه ـ هى النافذة المقابلة التى يتطلع منها الى الأنا الناهضة للمتخلف ، كى يزداد بها معرفة ، ومن ثم يتمكن من السيطرة عليها والمضى فى استغلالها ، فى اللحظات التاريخية للاستعمار بتعدد أشكاله . وقد تكون وظيفة هذه النافذة مغايرة فى اللحظات التاريخية الاخرى ، حين يسعى الغرب الى التفهم المتعاطف ، واستجابة لروح جديدة تدفع الى الحوار بين الشرق والغرب والشمال والجنوب .

بالمعنى الأول ، كان الغرب يترجم منجزات الأنا العربية الاسلامية كى يتعرف ملامح موضوع استغلاله . وفى داخل هذا التعرف ، كان المترجم الغربى بوجه عام ـ والأوروبى بوجه خاص ـ ينظر الى تراث الشرق نظرة الاستعلاء

● السعى لاكتشاف الحقيقة

والمؤكد أن هذه الروح الاستعلائية قد تناقصت حدتها ، ولكنها لم تنته تماما ، والأهم أنها أفسحت السبيل لنزعة أخرى تسعى الى التعرف المتعاطف ، أو الفهم الذى يسعى الى اكتشاف الحقيقة ، أو البحث فى الاخر (الذى هو نحن هذه المرة) عن ما قد يكون اجابة عن أسئلة معلقة فى سياق الثقافة الغربية نفسها ، إنها الدافعية التى وصلت الشاعر السويدى جونار إكيلوف (١٩٠٧ ـ ١٩٦٨) بالتراث الشرقى الصوفى ، وجعلته يعيد انتاج ما ترجم لابن عربى من شعر فى "ترجمان الأشواق" ، ويفتتح ديوانه بترجمة للبيتين :

شعرنا هذا بلا قافيه
انما الصدى منه حرف ها
غرضى لفظة ها من أجلها
لست أهوى البيع إلاها وها

وسواء فى "ديوان الأمير" أو "حكاية فاطمة" فإن التناص مع الشعر الصوفى العربى يظل فاعلا ـ فى شعر إكيلوف ـ ليقدم مجموعة من الرموز الدالة منها يوسف وفاطمة والحبيب الذى يسعى دائما لادراك ما وراء الظاهر ، وذلك فى فعل ابداعى يختلف ـ من حيث المنحى ـ عن ذلك الذى فعله جوتة (١٧٤٩ ـ ١٨٣٢) فى "الديوان الشرقى" .

هذه النزعة الانسانية التى ينطلق منها شعر إكيلوف والتى لا تنظر الى الجنوب نظرة الاستعلاء ، أو إلى الشرق نظرة الاستخفاف ، ظلت تتصاعد الى أن ظهرت علاماتها جلية فى الفترة الأخيرة ، وقد كان حصول

نجيب محفوظ على جائزة نوبل (فى موطن الشاعر إكيلوف) تاكيدا لهذا التصاعد وعلامة على انفتاح افق جديد للحوار بين الشرق والغرب والشمال والجنوب .

● طفرة مفاجئة

ولو اخذنا ترجمة فن القصة العربية الى اللغة الفرنسية مثالا على ذلك لاحظنا دلالات مهمة .. ولحسن الحظ فان بين ايدينا قائمة الاعمال الادبية الحديثة المصرية المترجمة الى اللغة الفرنسية . وقد اعدها قسم الأبحاث والترجمة التابع للقسم الثقافى الفرنسى التابع لسفارة فرنسا فى القاهرة . وقام بتوزيعها على المشاركين فى الملتقى الخلص بالادب الروائى العربى مترجما الى اللغة الفرنسية نموذج الأدب المصرى الذى افتتح فى كلية الآداب ـ جامعة القاهرة فى الخامس عشر من شهر اكتوبر الماضى . وأول ما نلاحظه على هذه القائمة ان المؤشر الكمى لترجمة الأدب المصرى يتصاعد تصاعدا طفيفا جدا ، ولكنه يحقق طفرة مفاجئة مع الثمانينيات ، وثانى ما نلاحظه ان هذا المؤشر الكمى فى طفرته المفاجئة يتجه تحديدا الى جيل الستينيات الذى تتصدر قائمة المترجم لأبنائه اربعة اعمال لجمال الغيطانى (وقائع حارة الزعفرانى ، الزينى بركات ، اوراق شاب عاش من الف عام ، رسالة البصائر فى المصائر) مقابل عمل واحد لكل من سليمان فياض (اصوات) ويوسف القعيد (الحرب فى بر مصر) ومجيد طوبيا (دوائر عدم الامكان) ونوال السعداوى (امرأة عند نقطة الصفر) وادوار الخراط (ترابها زعفران) وصنع الله ابراهيم (نجمة اغسطس) . وثالث مانلاحظه أن المسافة الزمنية بين تاريخ نشر هذه الاعمال الروائية فى مصر ونشرها مترجمة فى فرنسا قد تقلصت الى حد لافت .

ففى مقابل يوسف ادريس الذى صدرت روايته الحرام فى القاهرة عام ١٩٥٨ وترجمتها الفرنسية عام ١٩٨٧ هناك جمال الغيطانى الذى صدرت روايته "رسالة البصائر فى المصائر" فى القاهرة ١٩٨٨ وتصدر ترجمتها هذا العام بعد عامين فحسب . والملاحظة الرابعة التى تلفت الانتباه ـ فى هذه القائمة ـ ان اعمال نجيب محفوظ هى التى تحتل الصدارة المطلقة ، فهناك عشرة اعمال مترجمة له الى الفرنسية ، منها عملان اعيد طبعهما للمرة الثانية (اللص والكلاب ويوم قتل الزعيم) وعمل أعيد طبعه للمرة الثالثة (زقاق المدق) . والاكثر دلالة ان هناك اربعة اعمال مترجمة الى الفرنسية لنجيب محفوظ قد صدرت عام ١٩٨٩ بعد حصوله على جائزة نوبل ، وما خلقته الجائزة من مناخ يسعى الى تعرف ادب هذا المصرى الذى حصل على جائزة نوبل .

وما ينطوى على دلالة لافتة فى هذه القائمة ـ فضلا عن ما سبق ـ ان المترجم من القصة يفوق اضعاف اضعاف المترجم من الشعر والمسرح ، فالقائمة تحتوى على اربعة واربعين عنوانا فى القصة ، وذلك مقابل خمسة عناوين فى المسرح وعنوان واحد (فقط) فى الشعر ، هو قصائد لأحمد حجازى . هل يرجع السبب فى ذلك الى ان ترجمة القصة اسهل نسبيا من ترجمة الشعر ام يرجع الى اننا نعيش فى زمن القصة

وليس زمن الشعر ؟ أم أن الانجازات الابداعية التى حققتها القصة المصرية أوضح فى الدرجة والقيمة من منجزات الشعر الذى لايزال مشدودا الى تقاليد طويلة مرهقة تعرقل خطوه ؟ ان كل ذلك ممكن لكنه يستحق مقالا خاصا ، والأكثر أهمية ـ فى سياق هذا المقال ـ أن نموذج ترجمة الأدب المصرى الى الفرنسية ، وهو نموذج تمثيلى لكل الأدب العربى فى كل الأقطار العربية ، يعكس وضعا متغيرا فى استقبال الأدب العربى وترجمته ، ويؤكد بداية مناخ مختلف فى قراءة هذا الأدب ، هو مناخ الرغبة فى تعميق آفاق الحوار بين الشمال والجنوب ، والتخلص من عقدة المركزية الأوربية ، والانفتاح على العالم الثالث الذى أخذ يسهم فى صنع ثقافة العصر الانسانية كلها .

والمعنى المتكرر فى كل هذه الملاحظات السابقة أن الترجمة فعل تاريخى ، يرتبط بالسياق العام للعلاقات بين المجتمعات والأمم ، ويتأثر بها سلبا وايجابا . والمؤكد أن ما يسيطر على العالم المتقدم الذى نعيشه اليوم من رغبة فى الحوار والتجدد هو المبرر المعقول لازدهار "الترجمة" على نحو لم يسبق له مثيل قبل هذه الحقبة . ولا أدل على ذلك من الطفرة التى حققتها "دراسات الترجمة" فى الجامعات والمعاهد البحثية ، حيث لم يعد الأمر يقتصر على التدريب العملى ، بل تجاوزه إلى أن أصبح للترجمة مجموعة متكاملة من العلوم والمعارف والمناهج ، فضلا عن دوريات عالمية ربما كان أشهرها وأهمها مجلة "بابل" التى تصدر من "الاتحاد الدولى للمترجمين" منذ عام ١٩٥٥ . ونظرة عجلى الى القائمة البيليوجرافية التى ألحقتها سوزان ملكجوير بكتابها "دراسات الترجمة" الذى صدر منذ سنوات قليلة تلقينا الى التدفق المذهل فى الدراسات النظرية للترجمة بوجه عام ، ولفروعها المتخصصة بوجه أقل عمومية .

● نعيش زمن القصة :

واذا كان المعنى السابق يلفتنا الى علاقة الترجمة بالأوضاع العالمية ، من حيث هى فعل تاريخى ، فانه يلفتنا الى تغيرات مماثلة على مستوى العلاقة بين الأنواع الأوربية . وليس مصادفة ان تغلب ترجمة القصة على الشعر ، حتى على المستوى العالمى ، فنحن نعيش زمن القصة . وترجمة الأدب العربى ـ من هذا المنظور ـ تتأثر بالمتغيرات العالمية لتراتب الأنواع الأدبية . أعنى انه فى عالم فقد الشعر فيه مكانته القديمة التى كانت له فى العصر الرومانتسى ، وتخلى عن عرشه ـ مختارا او مجبرا ـ للقصة التى أخذت تتصدر الأنواع الأدبية ، خصوصا بعد أن سلبت الشعر شعريته ، فأصبحنا ازاء ما يسمى "القصة القصيدة" ، فى هذا العالم لابد ان يكون مؤشر ترجمة القصة موازيا لارتفاعها على درجات سلم تراتب الأنواع الأدبية .

والحق ان استغراق فعل الترجمة فى لحظته التاريخية هو الذى يجعلنا نلح على انه لا توجد ترجمة بريئة براءة مطلقة (أو حتى نسبية ؟) . إن المترجم خائن دائما ، سواء بالمعنى السلبى الذى تضمنته عبارات ادوارد فيتزجيرالد التى أشرت اليها ، او بالمعنى الايجابى الذى افتتحت به هذا المقال والذى يجعل من كل ترجمة فعلا تفسيريا وكتابة ثانية . فالنص المترجم ـ فى كل

الأحوال – نتاج تفاعل بين ثقافتين او رؤيتين مختلفتين للعالم ، ومن ثم فهو مزج متجاوب بين افاق لغتين في مركب دلالي لابد من دراسته وتحليله في ذاته ، لما ينطوي عليه من ابعاد متعددة وعلاقات معقدة .

وقد يفيد – في هذا المجال – أن نشير الى أطروحة واحد من علماء الترجمة المعاصرين هو أنطون بوبوفك الذي يرى ان كل ترجمة تتضمن مغايرة – بالضرورة – عن الأصل الذي بدأت منه . هذه المغايرة قد تكون تكوينية تنتج عن أوجه الاختلاف بين لغتين أو نظامين ادبيين أو حتى اسلوبين مختلفين . وقد تكون المغايرة توليدية ترجع الى امكان تغير الملامح التكوينية للنص بوصفه نوعا ادبيا . وقد تكون فردية ترجع إلى الأسلوب الخاص بالمترجم ومعجمه الشخصي الذي قد ينتج عنه نسقا من الانحرافات الفردية بالمعنى اللغوي ، وقد تكون سلبية تنتج عن ترجمة خاطئة لمعلومات النص ، لعدم الفة المترجم باللغة الأصل أوبنية النص . وقد تكون المغايرة – أخيرا – متصلة بحقائق الموضوعات التي قد تتبدل في الترجمة – ويمكن – بالطبع – أن توجد هذه الأوجه الخمسة للمغايرة مجتمعة في ترجمة بعينها أو تتوزع على ترجمات متعددة ، على نحو يحدد قيمة كل ترجمة ومداها . ولكن تظل القيمة في كل الأحوال ملازمة لصفة المغايرة التي هي صفة للترجمة في كل درجاتها وعملياتها .

وسواء تقبلنا هذا التصنيف الخماسي لأشكال المغايرة في الترجمة أم قمنا بتعديله ، فان أهم ما يبرزه التصنيف نفسه ويؤكده هو أن الترجمة الحرفية التي تطابق الأصل تطابق الصورة في المرآة ، والتي تخلو من المغايرة ، انما هي وهم محض وسراب خادع ، فهذا النوع من الترجمة – ان تحقق – يغدو نوعا من الببغائية السالبة التي تسخط لسان الانا ولغة الاخر ، وتشوش على امكان التلاقي الخلاق بين افاق لغتين وثقافتين . واذا اردنا دليلا على ذلك فلنتذكر عشرات الترجمات التي قذفتنا بها دور النشر في بيروت ، في زمنها الجميل . ان هذا النوع الحرفي من الترجمة هو ما يحذرنا منه جميع علمائها ، ابتداء من أسلافنا المترجمين الذين أخذوا في نقل التراث اليوناني منذ العصر العباسي ، ونقل عنهم الصلاح الصفدي الذي عاش في القرن الرابع عشر الميلادي ، والذي نبه الى مزالق الترجمة الحرفية التي تبحث عن مقابلات آلية لكل كلمة ، وذلك في بيان مفصل نقله البهاء العاملي في كتابه "الكشكول" .

● تحقيق التوازن

ولكن المشكلة التي لابد من تأملها طويلا ، ومواجهتها معرفيا ، في عملية الترجمة ، هي الكيفية التي يمكن بها تحقيق نوع من التوازن بين الطرفين ، داخل تفاعل الآفاق وامتزاج اللغات الثقافات ، على نحو لا تنفي معه ذات المترجم الحضور المستقل المتميز للموضوع الذي تقوم بترجمته . أن المغايرة صفة حتمية تلازم العلاقة بين النص المترجم وأصله .

ولكن كيف نضبط هذه المغايرة ضبطا تاويليا ، في ضوء نظريات التفسير

المعاصرة التى تصل بين علوم الترجمة وعلوم الهرمنيوطيقا (أو نظريات التأويل) . أن شعر أبى نواس - على سبيل المثال - لا يمكن أن يتحول الى شعر بودلير بالقطع ، ولا يمكن لمترجم فرنسى أن يترجمه بمعزل عن عالمه هو الثقافى ، من حيث هو مثقف فرنسى له سياقه الثقافى التاريخى الخاص ، فهل يمكن - والأمر كذلك - أن يكتسب شعر أبى نواس ملامح بودليرية لا تتناقض مع نواسيته ؟ ومن المؤكد أن مدام بوفارى فى ترجمة محمد مندور الرائقة لن تتحدث بلسان عربى قح . ولكن الا يمكن القول ان اللغة التى تنطقها مدام بوفارى تضفى عليها ملامح تفسيرية لا تخطئها عين المدقق المحقق ؟ بعبارة أخرى ، أين يتوقف الموضوع وتبدأ ذات المترجم الفرنسى فى ترجمة الزينى بركات للغيطانى ؟ وكيف تتلاقى اللغتان الثقافتان لتنتج المغايرة فى ترجمة طه محمود لرائعة جويس "يوليسيز" ؟ ولماذا اكتسب شعر برخت هذه الهشاشة العاطفية اللافتة فى ترجمة عبدالغفار مكاوى ؟ ... وما الحلول التى يمكن للمترجم أن يبتدعها لترجمة التصاقب الصوتى أو المحاكيات الصوتية فى "رامة والتنين" أو "الزمن الاخر" لأدوار الخراط وهى محاكيات لها علاقاتها المعقدة بحركة الدلالة فى الروايتين ، ولها علاقاتها المتناصة مع التراث الصوفى العربى ، وجمالياته الخاصة فى استخدام الأحرف ؟

المؤكد أن الخبرة العملية فى الترجمة ، والتحليل التفصيلى الدقيق للأعمال المتميزة من الترجمة ، تضيف الى وعينا فى الاجابة عن مثل هذه الأسئلة التى تؤرق كل مترجم متميز ، خلال تجاربه المتعينة الملموسة ، وداخل كل مجال من مجالات الترجمة الابداعية أو الفكرية ، والاكثر تأكيدا أن هذه الأسئلة وغيرها هى السبب الذى جعل "نظرية الترجمة" - أو ما يسمى "دراسات الترجمة" اصطلاحا - مجالا بحثيا متعدد الأبعاد والعلاقات ، ويتصل بعلوم كثيرة . منها دراسة الأدب التى تجعل من تاريخ الترجمة جانبا من تاريخ الأدب العام ، ومنها النقد الأدبى من الزاوية التى تجعل من الترجمة تفسيرا تقييميا للعمل الأدبى المترجم ، ومنها علم اللغة من الزاوية التى تناقش الآليات اللغوية لعملية الترجمة نفسها والمشكلات التى تلازمها على المستويات الدلالية والصوتية والنحوية والصرفية ، وأخيرا الهرمنيوطيقا المعاصرة او نظريات التأويل التى تغدو معها الترجمة عملية تفسير ، تعكس موقف من يقوم بالترجمة من ناحية ، وعلاقته بالنص الأصل من ناحية ثانية ، وعلاقة النص المترجم بسياق الثقافة التى أنتجته وسياق الثقافة التى تعيد انتاجه من ناحية ثالثة .

ترى هل يجعلنا ذلك كله ننظر الى الترجمة نظرة مغايرة ؟ أم نظل ننظر اليها نظرتنا الى شىء ثانوى تابع ؟ وهل يدفعنا ذلك الى اعادة النظر فى البرامج التى تدرسها معاهد الترجمة التى لازالت متخلفة فى وطننا العربى ؟ وهل يفيد ذلك - اخيرا - فى تغيير نظرة المؤسسات الثقافية التى تمنح المترجم اربعة مليمات على الكلمة ، سواء كانت كلمة شكسبير او عدوية ؟

الخليج فوق بركان

« درع الصحراء »

واستخدام القوة الامريكية !!

بقلم : اللواء حسام سويلم

● ادى احتلال العراق للكويت لقيام مايزيد على ٢٥ دولة على راسها امريكا وبريطانيا وفرنسا بحشد قواتها المسلحة في دول الخليج ، لاجبار القوات العراقية على الانسحاب من الكويت . سواء من خلال الحصار الاقتصادى على العراق ، او من خلال عملية عسكرية ، حتى ينتهى التهديد العراقى من المنطقة ، وحتى تؤمن مصالح الغرب في امدادات النفط ، وحرية الملاحة في خطوط المواصلات الاستراتيجية .

ويؤكد خطاب الرئيس الامريكى الاسبق كارتر في ٢٣ يناير ١٩٨٠ موقف الولايات المتحدة بقوله : "ان اية محاولة تقوم بها اية قوة للسيطرة على منطقة الخليج ، ستعامل كعدوان على المصالح الامريكية الحيوية . ومثل هذا العدوان سيتم صده بكل الوسائل اللازمة بما في ذلك القوة العسكرية" .

وبدا تشكيل قوات الانتشار السريع ، واخذت تواجه العقبات المتمثلة فى وجود نقاط ارتكاز ، تؤمن لها الوصول الى اهدافها وتؤمن لها خطوط مواصلاتها .. وتوالت الدراسات والابحاث في المعاهد الاستراتيجية ، حول سيناريوهات الخطر وطرق مواجهته ، وكان كل ذلك قبل انتهاء الحرب الباردة وزوال التهديد السوفييتى ، وما تغير في الازمة الراهنة هو مصدر التهديد الذى اصبح عراقيا من داخل المنطقة ذاتها ، ويظل هذا الكتاب يحمل الكثير من الاهمية من زاوية انه يوضح طريقة التفكير الامريكى تجاه المنطقة التى تذخر بالمصالح الاستراتيجية الغربية ، خاصة مع زيادة اعتماد الولايات المتحدة الامريكية على ما يزيد على ٥٠٪ من وارداتها النفطية خلال التسعينيات .

وكانت ومازالت استراتيجية ردع الاتحاد السوفييتى عن شن عدوان عسكرى ضد المصالح الامريكية من اسس وقواعد سياسة الامن القومى الامريكى ، وذلك من عهد ادارة الرئيس

قبل ثلاث سنوات من ازمة الخليج وغزو العراق للكويت ، صدر كتاب بالغ الاهمية يستعرض صاحبه ، الكاتب الامريكي جو شوام ابستين .. التهديدات التي تتعرض لها المصالح الامريكية في الخليج ، والخطط المعدة سلفا لمواجهة هذه التهديدات ..

وكان الخطر الاول الذى يتصوره الكاتب ، يتركز فى الاتحاد السوفييتى ، وقد تناول ثلاثة احتمالات للصراع فى الخليج ، وكان اقلهم شأنا ان يتعرض امن الخليج الى التهديد الناتج من تهديد إقليمي او اضطرابات داخلية ..

واعتبر الكاتب ان الخطط المعدة لمواجهة الاتحاد السوفييتى .. احد القوتين العظميين - كفيل بمواجهة اى خطر اقل ..

ويبقى الكثير من العناصر ثابتة فى كل الاحتمالات التى قدمها واولها مسرح العمليات وكيفية الوصول اليه ، والخطط القائمة لتأمين ابار النفط ، ثم الترتيبات التى تعقب الازمة ، وتبدأ بعد نهايتها .

وهذا الكتاب القديم الجديد ، يؤكد ان الرئيس العراقى لن يفلت بغنيمته !

ترومان ، الا ان الوسائل والاساليب التى عرضت وبحثت من اجل تأثير استراتيجية امريكية تنجح فى احتواء الاتحاد السوفييتى قد تغيرت من قبل كل ادارة امريكية اعقبته ، الا انها جميعا تشترك فى تحديد وتوصيف طريقين للاقتراب من حل هذه المشكلة .

الطريق الاول - ويتعلق بما يطلق عليه " رد الفعل المتماثل " . بما يعنى ممارسة رد فعل امريكى على التهديدات السوفييتية تستهدف احداث خلل فى توازن القوة لغير صالح السوفييت فى نفس المكان والتوقيت الذى وقع فيه التهديد ، وبنفس مستوى الاثارة الذى احدثه العدوان السوفييتى .

الطريق الثانى : ويهتم بما يطلق عليه "رد الفعل غير المتماثل" وذلك بامكان نقل مكان رد الفعل الامريكى بدلا من ان يكون فى نفس المكان الذى وقع فيه العدوان السوفييتى الى مكان اخر ، وان يجرى بطبيعة مختلفة ، وعلى ارض واحدة وهدف يناسب تطبيقات استخدام القوة العسكرية الامريكية باسلوب وشكل افضل مستفيدا من نقاط ضعف القوة السوفييتية .

وضعت لذلك ثلاث استراتيجيات امريكية :

- استراتيجية التصعيد الرأسى
- استراتيجية التصعيد الافقى
- استراتيجية الدفاع التقليدى

والاستراتيجية الاولى تقوم على استخدام القوة التقليدية بشكل يعجز الخصم ولايفيد كثيرا الاعتماد على اسلوب الدفاع التقليدى "غير النووى" .

ولكن سيتم الاعتماد على وجود قوات امريكية غير نووية يتم اعادة تمركزها فى المنطقة كاشارة تحذير للالتزام الامريكى بالدفاع عن المنطقة . وفى نفس الوقت يكون تمركز هذه القوة بمثابة "سلك تعثير" اذا ما حاولت القوات السوفييتية تخطيه وانتهاك هذا التحذير فانها

"ستتعثر" وتقع تحت التهديد بالتصعيد واستخدام اسلحة نووية ضد اهداف سوفييتية داخل المنطقة او داخل الاتحاد السوفييتي نفسه .

والاستراتيجية الثانية : تم وضعها لتواجه احتمال قيام السوفييت بغزو منطقة الخليج على نطاق واسع . وفي هذا الصدد سيكون رد الفعل الامريكي مستهدفا ايضا التصعيد ، ولكن ليس رأسيا ، وانما افقيا ، بمعنى شن هجوم مضاد بقوات تقليدية ضد بعض الاهداف السوفييتية المنتقاة في مسرح عمليات اخرى غير مسرح الخليج .

الاستراتيجية الثالثة : "والتي يحبذها المؤلف ولا تلقى اهتمـامـا لـدى الاستراتيجيين الامريكيين" : فهي نابعة من ان الاستراتيجيات غير المتماثلة - سواء في بعدها للتصعيد الراسي او للتصعيد الافقي - انما تأتي من فرضية وضعها الاستراتيجيون الامريكيون تدعي بان الدفاع التقليدي ليس في مقدور الولايات المتحدة ان تتبناه . لذلك تأتي هذه الاستراتيجية والتي يطلق عليها "الدفاع التقليدي" لتكسر هذه الفرضية وتثبت ان رد الفعل المماثل للعدوان السوفييتي من الممكن للقوات الامريكية التقليدية ان تحققه في مسرح الخليج بالنظر الى الطبيعة الجغرافية الخاصة بهذا المسرح العملياتي المتوقع في ايران مثلا حيث تتوافر الممرات الجبلية وشرايين التحرك المحدودة التي تقود القوات السوفييتية داخل اراضيها الى ايران وحيث يمكن استغلال العديد من نقاط الضعف والتعرض التي ستعاني منها القوات السوفييتية من خلال تقدمها عبر الاراضي الايرانية .

ولأن هذه الاستراتيجية هي الاهم والاكثر واقعية بالنسبة لما يحدث الان في المنطقة فسوف نتناولها بالتفصيل .

هنـاك رأى سـائـد بين جمهـرة الاستراتيجين الامريكيين يدعي أن الردع الامريكي المستند على اسلحة تقليدية لا يحقق ادنى فعالية له ، بسبب عدم قدرة الوسائل التقليدية بمفردها على احباط او تعطيل غزو سوفييتي كاسح ضد ايران ، او سيطرة قوة اقليمية على الخليج ، وان هذا هو السبب فيما اكتسبته استراتيجيات التصعيد الراسي والافقي من جاذبية . الا ان المؤلف يثبت عكس ذلك ، وان استراتيجية الدفاع التقليدي قادرة على تحقيق فعاليتها ، وان القوات الامريكية التقليدية لديها الامكانيات التي تمكنها من الوقوف بقوة في وجه اى غزو سوفييتي لايران وصده . ويحلل المؤلف ذلك بان التوازن العسكري التقليدي لم يلق حقه في البحث والـدراسة . فبـالنسبة لحجم الفارق ، فانه لا يمكن تجاهل حقيقة التفوق السوفييتي في الفرق المدرعة والميكانيكية الموجودة قريبا من الحدود الايرانية على قوات القيادة المركزية الامريكية المكلفة بالعمل في مسرح الشرق الاوسط ، الا ان الاستنتـاجات المستخلصـة من هذه الحقيقة لا مبرر لها ، حيث يمكن من وجهة نظر المؤلف لقوات الانتشار السريع ورغم عدم تفوقها الكمي على السوفييت اذا ما احسن استخدامها ان تحقق ردعا تقليديا

للعدوان ، وذلك على عكس الراى السائد . هذا بالاضافة إلى ان القيود والاعباء التى ستفرضها ظروف مسرح العمليات وطبيعة الحرب على القوات الامريكية ، سيكون لها نفس التأثير المماثل وربما بدرجة اشد على القوات المعادية ، وتنهض المعالم الرئيسية لهذه الاستراتيجية الدفاعية التقليدية على نبذ فكرة الدفاع المتقدم التى يعتمد عليها الغرب حاليا فى المسرح الاوربى ، مع استغلال كامل للوقت المتاح للانذار .

فلتحقيق التوازن فى القوات البرية يتم :

اولا : توفير الوقت اللازم لتجميع وفتح قوات الانتشار السريع فى مواقعها المخططة

ثانيا : عدد الفرق المدرعة والميكانيكية التى يمكن ان تدفعها القوات المعادية .

واخيرا مدى الثقة التى تتمتع بها القوات المعادية بقدراتها على هزيمة القوات الامريكية المنتشرة فى ارض المعركة .

● **البناء العسكرى الامريكى وما يواجهه من مشاكل** : من الممكن باضافة ١,٥ فرقة من مشاة الاسطول البرمائية الى ٣ $\frac{1}{2}$ فرقة ميكانيكية من فرق الجيش ان يتحقق اجمالى حجم من الفرق يقدر بـ ٤ $\frac{2}{3}$ فرقة بقوات دعمها اللازمة ، يمكن نشرها فى منطقة الخليج خلال ٦٠ يوما ، وطالما ان الوقت المتاح يصل الى حوالى ٩٠ يوما ، فانه يمكن نقل قوات اضافية الى هذه القوات خاصة مع توافر وسائل نقل برى وبحرى كافية ، ووجود انذار وتوقع مسبق بوقت كاف عن نشوب الحرب مما ادى الى وجود تمركز مسبق لقوات امريكية كانت قريبة من المنطقة كما يتيح هذا الوقت ايضا للقيادة الامريكية ان تدعم قواتها فى مسارح عمليات اخرى فى نفس الوقت ، منها تدعيم قوات حلف "سنتو" ، وبما يمكن من اضافة خمس فرق اخرى خلال خمسة اسابيع من نشر القوات ، فسيساعد بالطبع اشراك وسائل نقل من اليابان ودول حلف الاطلنطى فى سرعة ارسال هذه الفرق الاضافية

● **تقديرات القوات السوفييتية .**

سيتعين على القوات السوفييتية فى عمليات الخليج المتوقعة ان تقطع حوالى ١٠٠٠ كم من حدودها لتصل الى اهدافها ، مع الوضع فى الاعتبار عوامل كثيرة ستفرض قيودا على التحركات السوفييتية ، وتحد من قدرتها على التقدم والوصول فى توقيتاتها المخططة من قبل ومنها طريقة الهجوم التى ستتبعها القوات السوفييتية . والمصاعب الادارية واللوجستية التى ستواجهها ، ناهيك عن عمليات التعطيل المدبر من قبل القوات الامريكية .

وهناك خياران لاجراء الهجوم السوفييتى :

الخيار الاول : هو اجراء بناء القوات وحشدها داخل اراضى الاتحاد السوفييتى فى منطقة حدوده مع ايران ، يتبعها تقدم وهجوم مباشر متواصل حتى تصل الى حقول النفط فى خوزستان "وهو اسلوب يطلق عليه الهجوم مع التحرك من العمق" .

الخيار الثانى : هو اجراء عمليتين هجوميتين بفاصل زمنى . بمعنى الاستيلاء اولا على شمال ايران ثم التوقف لاعادة بناء وتجميع واعداد القوات ، ثم

استئناف الهجوم كمرحلة ثانية فى اتجاه الهدف

● **مقارنات التوازن فى القوى :**
والسؤال الذى يبرز فى هذا الشأن هو حول مدى قدرة قوات الانتشار السريع الامريكية على اقامة دفاع قوى فى خوزستان قبل وصول القوات السوفييتية اليها ، وذلك ازاء الخيارين السابق ايضاحهما بشأن طريقة الهجوم السوفييتى ، وما هى المزايا الدفاعية التى يمكن ان تجنيها القوات الامريكية فى كل حالة ، فعلى سبيل المثال فان اولى هذه الميزات هى ان العملية الدفاعية الامريكية ستجرى وتدار من مواقع مجهزة مسبقا او تم تحصينها ، بينما سيكون المهاجم معرضا بدرجة كبيرة بعد عملية تقدم شاقة ومجهدة من الشمال ، معرضا نفسه لمختلف انواع وصور النيران من المدافعين الامريكيين . واذا ما اراد المهاجمون التقليل من درجة تعرضهم فسيكون عليهم التوقف لرصد اماكن مصادر النيران الامريكية المخفاة والمختبئة جيدا . ثم تدميرها او اسكاتها بالنيران وذلك خلال تحركهم وهو ما سيقلل ايضا من معدل هجومهم ودقة نيرانهم . اما اذا ما اضطر المدافعون الامريكيون الى اجراء انسحاب تحت ضغط الهجوم ، فانه سيكون انسحابا منظما وعبر خطوط مواصلات ذات فواصل قصيرة ومجهزة من قبل طبقا لتصور مسبق عن خطة الانسحاب . على عكس المهاجمين الذين يكون عليهم ان يطلبوا خطوط مواصلاتهم وامداداتهم ويسحبوها خلفهم اثناء هجومهم عبر الطرق والكبارى والانفاق المدمرة .

وفى ظل ظروف قتال تعطيلى تكتنفه المدافع الصناعية والكمائن . وفى ظل هذه الظروف من الدفاع فان مقارنات توازن القوى الناجمة عن الدفاع التقليدى يمكن ان تصل الى نسبة ١ : ١ . اما اذا نجح السوفييت فى سبق القوات الامريكية فى الوصول الى خوزستان واقامة دفاع لهم فيها ، فسيكون على قوات الانتشار السريع ان تزيد من حجم قواتها لتحدث تفوقا على السوفييت يصل الى ٢ : ١ من اجل الاطاحة بدفاعاتهم .

لذلك فان هناك اربع حالات لادارة العمليات الدفاعية .

١ ـ الحالة الاولى : هجوم مباشر بعد تحرك من العمق ، وستقوم القوات الامريكية بتبنى الدفاع : وفى هذه الحالة بينما الاحوال والظروف الاولية ستكون مواتية وفى صالح الاتحاد السوفييتى فى هذا النوع من الهجوم المباشر ، فان هناك ايضا ظروفا مناسبة ومعتدلة ستكون فى صالح المدافعين الامريكيين تجعلهم يجنون مزايا دفاعية تتمثل فى تجهيز واخفاء دفاعاتهم ، ورصد وضرب الاهداف المعادية عن بعد بدقة ، كذلك تقديم معاونة جوية قريبة للمدافعين . وهذه المزايا ستفوق فى الاهمية بكثير المزايا التى سيحققها المهاجم . وباختصار فان الخط الاساسى لدفاع قوات الانتشار السريع يجب ان يثبت كفاءته فى الصمود امام الهجوم ، وذلك بالنظر للفرصة الزمنية الكافية التى ستتاح له لتنظيم وتجهيز الدفاع قبل الهجوم ، مع تعريض القوات المعادية لهجمات جوية وبرية متواصلة عبر تقدمهم .

ب ـ الحالة الثانية : تقدم تلجج ثم تبنى الدفاع : هذه الحالة تفترض فشل الولايات المتحدة فى استغلال الفرصة الزمنية التى اتاحها لها الانذار المبكر فى الوصول الى خوزستان ويستولون على المناطق الهامة هناك ويقيمون دفاعا قويا . وفى هذه الحالة ستختلف النتائج حيث سيصعب على القوات الامريكية قهر الدفاعات التى اقيمت نتيجة المزايا التى حصلوا عليها الا ببذل جهود ضخمة ، كما ستدور العمليات فى ظروف صعبة للامريكيين .

جـ ـ الحالة الثالثة : قيام السوفييت ببناء عسكرى دفاعي مسبق فى شمال ايران ، وتتبنى الولايات المتحدة الدفاع :

وفى هذه الحالة ستقوم القوات السوفييتية بتعزيز مواقع دفاعية فى شمال ايران ، ومنذ ذلك ستتاح الظروف للولايات المتحدة لاقامة دفاع قوى فى خوزستان بشكل افضل ، مما يمكنها من القدرة على صد الهجوم السوفييتى فى المرحلة التالية رغم زيادة الحجم المتوقع فى القوات السوفييتية التى ستهاجم الدفاعات الامريكية فى خوزستان عند حالة الهجوم بعد التقدم من العمق بنسبة ٥٠٪ . حيث سيحرز السوفييت فى هذه الحالة تفوقا عدديا على القوات الامريكية الدفاعية ، الا ان الدفاع المجهز جيدا من قبل سيكمن من تعويض التفوق السوفييتى .

د ـ الحالة الرابعة : قيام السوفييت باجراء بناء عسكرى مسبق فى شمال ايران ، ثم الوصول الى خوزستان وبناء دفاع سوفييتى قوى فيها وهو ما يعنى فشل الولايات المتحدة فى استغلال عامل الزمن الذى اتاحته الوقفة الاستراتيجية التى اجراها السوفييت عندما اتخذوا دفاعا اوليا لهم فى شمال ايران كان بمثابة قواعد هجوم لهم للمرحلة الثانية نحو خوزستان ثم تمكنوا من الوصول الى الجنوب واقاموا خطا دفاعيا اخر فى خوزستان قبل وصول الامريكيين هناك .

وفى هذه الحالة سيكون الموقف سيئا للغاية بالنسبة للقوات الامريكية ولا امل فيه ، حيث سيكون امامها ثلاثة خيارات : اما ان تحشد وبسرعة قوات امريكية بحرية وجوية ضعف القوات السوفييتية المدافعة فى خوزستان او اللجوء الى الخيار النووى لمعالجة التفوق السوفييتى فى القوات وفى الدفاعات ، وإما اللجوء الى استراتيجية التصعيد الافقى كحلول بديلة للدفاع التقليدى الا ان ذلك سيكون بمثابة كارثة محققة .

● المحتمل والقائم !

من الواضح الان ان امورا كثيرة تغيرت بعد صدور هذا الكتاب لعل اهمها التحولات الدرامية التى طرأت على الاتحاد السوفييتى فى ظل بريسترويكا جورباتشوف ، وتبدل الاوضاع جذريا فى بلدان اوربا الشرقية . واختفاء التهديدات السوفييتية ، انتهاء الحرب الباردة وبدء مرحلة جديدة من الاعتماد المتبادل بين القوى العظمى والكبرى . وهى امور بالقطع قد دفعت رجال الاستراتيجية الامريكية الى ادخال تعديلات اساسية على الاستراتيجية الثالثة المتعلقة بتبنى الدفاع التقليدى ، تضع فى اعتبارها كل هذه المتغيرات ، مع اضافة متغيرات اقليمية أخرى اهمها بروز العراق كتهديد رئيسي يشكل خطرا على امن واستقرار المنطقة خاصة بعد غزوه واحتلاله الكويت عسكريا وتهديده لباقي دول الخليج

العربية كما انتقلت منطقة العمليات المتوقعة من ايران الى السعودية والكويت وباقى امارات الخليج .

واذا استعرضنا التطورات التى ادخلت على الاستراتيجية الامريكية للعمل فى منطقة الخليج فى ضوء هذه المتغيرات فسنجدها تنحصر فى الاتى :

ا ـ استبعاد استراتيجية التصعيد الرأسي واللجوء الى الخيار النووى ، وذلك لان العدائيات المحتملة فى المنطقة ـ وهى العراق وايران ـ تعد دولا غير نووية ـ الا انه فى مواجهة امتلاك كل من هاتين الدولتين لأسلحة دمار شامل تشمل أسلحة كيماوية وبيولوجية ، واحتمالات استخدامها بكثافة ضد القوات الامريكية التى ستعمل فى المنطقة "كما هو الوضع حاليا" ربما سيشكل تهديدا خطيرا للقوات الامريكية اثناء ادارة العمليات ، فانه من المتوقع ان تستمر الاستراتيجية الامريكية فى التلويح باللجوء الى الخيار النووى من اجل ردع هذه الدول عن استخدام اسلحتهم ذات الدمار الشامل .

ب ـ انه لن يكون هناك ايضا مجال لاستخدام استراتيجية التصعيد الافقى ضد العراق ، حيث لا توجد له نقاط ضعف معرضة خارج حدوده ، ولكن من المتوقع ان تلجأ القوات الامريكية بدلا من ذلك الى توجيه ضرباتها ضد العراق من عدة اتجاهات فى وقت واحد تشمل تركيا واسرائيل وايران بجانب السعودية والخليج .

جـ ـ ان مواجهة التهديدات الاقليمية لن تتم بجهود امريكية فقط ، بل ستشترك مع قوات الانتشار السريع الامريكية قوات اخرى حليفة لها من دول حلف الاطلنطى وقوى اقليمية عربية واسلامية ، خاصة فى مجال القوات البرية . حيث ينتظر ان تلعب دورا رئيسيا فى مجال المجابهة البرية . وتنهض القوات الامريكية اساسا بدور تحقيق السيطرة الجوية للعمليات سواء فى مجال توجيه الضربات الجوية ، او حماية الاجواء بالمقاتلات الاعتراضية ، كذلك اعمال الابرار الجوى البحرى فى العمق . هذا بالاضافة لتأمين اعمال السيطرة المجدية الكاملة واحكام الحصار المجدى على الدولة مصدر التهديد .

د ـ اهمية تحقيق توازن عسكرى فعال فى منطقة الخليج بين الدول الموجودة فى المنطقة والتى تشكل مصدرا للتهديد مثل العراق وايران ، وبين الدول العربية الاخرى فى المنطقة . وذلك من خلال ضرورة تقليص حجم ونوعيات الاسلحة الهجومية واسلحة الدمار الشامل الموجودة فى جيوش العراق وايران من ناحية ، وتدعيم القوات التقليدية فى الدول العربية الاخرى وتعزيز تحالفاتها السياسية والعسكرية بشكل اكثر اندماجا مع امكانية اعطاء دور اكثر فعالية لقوات من دول عربية اخرى مثل مصر وسوريا فى المحافظة على امن واستقرار المنطقة وذلك من ناحية اخرى .

هـ ـ واذا ما نشبت عمليات عسكرية فان الهدف الامريكى سيتمثل فى سرعة تدمير القوات المسلحة فى الدول مصدر التهديد ـ سواء كانت العراق ام ايران ـ وبما يساعد على اسقاط النظام السياسى الذى يشكل استمرار وجوده خطرا على

المنطقة وابداله بنظام سياسى اخر معقول قادر على التعاون مع دول الاطارين الاقليمي والدولى . وفى هذا المجال سيكون طابع العمليات العسكرية التقليدية ذا ثلاث مراحل :

● المرحلة الاولى : دفاعية وبما يؤمن ويحافظ على امن وسلامة الدول الصديقة وحقول النفط وشرايين الملاحة التى تشكل مصالح دولية . وذلك بتمركز القدر الكافى من القوات الذى يردع اية قوة اقليمية عن استمرار عدوانها .

● المرحلة الثانية : وتجرى فيها اعمال حصار بحرى وجوى وبرى يستهدف احكام الخناق الدولى على الدولة مصدر التهديد . وبما يدفعها الى التسليم بمطالب المجتمع الدولى . كما تتبع فى هذه المرحلة اساليب المخابرات المستميتة من اجل المساعدة فى اسقاط النظام من الداخل بواسطة انقلاب او ثورة شعبية .

● المرحلة الثالثة : هجومية وتستهدف تدمير القوات المسلحة ومنشآت البنية الاساسية والمؤسسة العسكرية فى الدول مصدر التهديد ، وبما يساعد على اسقاط نظامها السياسى ـ على ان تكون العمليات العسكرية حاسمة فى تحقيق اهدافها فى اقصر فترة زمنية منعا للتورط فى حرب استنزاف طويلة على نمط الحرب الفيتنامية .

هذا وقد ثبت عند وضع هذه الاستراتيجية موضع التنفيذ لمواجهة الغزو العراقى للكويت ان الولايات المتحدة قد احتاجت لحوالى شهرين ونصف من اجل استكمال البناء الدفاعى لقواتها البرية والبحرية والجوية القادرة على تحقيق الهدف الاستراتيجى السابق تحديده ، ليس بمفردها فقط ولكن بالتعاون مع قوات اكثر من ٢٥ دولة عربية واسلامية واوربية اخرى وانها من حيث الوقت تحتاج اضافة الى ذلك الى حوالى شهر اضافى من اجل اجراء عمليات التحضير للمعركة من استطلاع ومخابرات وتخطيط عملياتي وتخصيص مهام وتدريب فى اجواء واراض جديدة وتنسيق جهود وتحقيق تعاون بين قوات من دول مختلفة . هذا فى الوقت الذى تم فيه تكريس كل جهود النقل الجوى والبحرى العسكرى والمدنى فى الولايات المتحدة بسرعة تنفيذ عملية النقل الاستراتيجي للقوات .

وقد بدأ تسلسل الاعمال العسكرية بسرعة تمركز اسراب من المقاتلات والقاذفات الامريكية والبريطانية « طائرات ف ـ ١٥ و ف ـ ١٦ وف ـ ١٧ الشبح ، وتورنادو » فى مطارات الدول العربية فى المنطقة بسرعة الرد على اى عدوان ، تلا ذلك فى نفس الوقت اعمال نقل لفرقتى الاقتحام الجوى ٨٢ و ١٠١ التابعتين لقوات الانتشار السريع ، مع تحويل ٤ حاملات طائرات فى وقت واحد لاتخاذ اوضاعها فى البحار المحيطة بمنطقة العمليات . ثم تلا ذلك نقل فرقتين ميكانيكيتين ثم باقى التدعيمات المجدية والبرية القادرة على فرض الحصار البحرى من جهة ، والاستعداد لشن عمليات هجومية مستقبلية من جهة اخرى . هذا مع اعطاء اهمية قصوى لتوفير أسلحة الردع النووية المتمثلة فى سفينة الصواريخ " ديسكتسن " والقاذفات ب ـ ٥٢ وكلاهما مسلح بصواريخ كروز " توماهوك " قادرة على اطلاق رءوس نووية .

احياء الحلم الصهيونى

بقلم: د. سامى منصور

كتاب صهيوني يحتاج الى عناية خاصة فى القراءة بل وحجم معين من المعلومات حتى يكون هدف المؤلف واضحا وخاصة ان فيه كثيرا من النقد الذى قد يضلل القارىء عن هدف الكتاب.

فهو يقول عن كتابه ـ ص ٥٩ ـ بانه لايعالج تاريخ الصراع العربى الاسرائيلى ولكنه يعالج فقط دور العرب فى الوعى الصهيونى واثر ذلك على اليهود الجدد فى تحقيق الهوية الطبيعية ، واليهود الجدد فى نظر المؤلف والصهيونية هم الجيل الذى نشا متخلصا من كل سلبيات الشخصية اليهودية التاريخية المعروفة مثل السلبية والانعزالية .

ويعترف الكاتب ان غزو اسرائيل للبنان سنة ١٩٨٢ قد فتح مرحلة تاريخية جديدة فقد ابرزت هذه الحرب مشكلتين خطيرتين ، الاولى هى زيادة الاستقطاب داخل المجتمع اليهودى والثانية زيادة عزلة اسرائيل والتى تكاد تصل الى حالة النبوذ فى المجتمع الدولى ويقول بشجاعة "ان غزو اسرائيل للبنان قد وضع كل دعاوى كيانها فى مواجهة مع واقع سياستها ، فهى اكدت لليهود قبل غيرهم بشاعة مايفعلون الى حد انه لايختلف فى شىء عن سياسة هتلر ضد اليهود الا انه فى هذه المرة تمارسه اسرائيل ضد الفلسطينيين" .. !

فالحلم الصهيونى كان يقوم اصلا على اساس ان قيام دولة خاصة لليهود سوف يزيل اثر اكثر من الفين من الاعوام فى المهجر وتعود الشخصية العبرية الى مجدها وهنا يمكن القول ان هذه هى الشخصية العبرية ونقطة الاساس لتحقيق هذه المعجزة فى نظر الصهيونية هى انشاء الدولة .

ويعرض المؤلف لدراسة جرت سنة ١٩٥٥ اى بعد ٦٥ عاما من تحديد مؤسس الصهيونية لهذا الحلم وقامت بها جالية تل ابيب وتدور حول الرؤية الذاتية لصورة







امنون روبنشتاين

صابرا وشاتيلا .. لاتزال هناك

الذات عند تلاميذ اسرائيل بالمرحلة الثانوية .. وكشفت مدى الفارق بين الحلم والواقع وهو ما اعترف به كاتب صهيونى هو الشير زقى جنسبرج تحت اسم احاد حاييم فقال ان اى باحث يمكن ان يكتشف بسهولة ان اليهود فى دولتهم لم يضيفوا اى جديد بل هم نقلوا عن اوروبا وامريكا كل السلوكيات التى كانت فى عصر التنوير والتسامح مع اليهود .

والواقع ان الاتجاهات التى حكمت يهود اسرائيل هى من اوروبا الشرقية ابتداء من الاشتراكية الصهيونية والدين فى الصين والصهيونية الدينية واحياء الصهيونية مما وضع جذور الانقسام فهناك الصهيونية الغربية التى اسسها هيرتزل والتى لم تجد صعوبة فى التعامل مع المجتمع الاوروبى الغربى بينما الاخرى ظلت فى عزلة بالجيتو بكل سلبياته .

● بين الوهم والحقيقة

وقد ترك ذلك اثره على محاولة انشاء قومية يهودية ظهرت فيها درجة التناقض فى الاحلام والاكاذيب والخلط بين الوهم والحقيقة عند البداية مع الغزو الصهيونى لفلسطين تكون مجتمع جديد لليهود وقد

تجنب الجميع ـ اليهود ـ استعمال تعبير يهود وانما اخذوا تعبيرا يهوديا فالهستدرون اسمه الاتحاد الفيدرالى للعمال العبرى وهكذا نقابات الأطباء والكتاب ـ والمحامين الكل عبرى وليس يهوديا (ويكتب مؤلف الكتاب حين يرى فى هذا السلوك تعبيرا عن الرغبة فى تكوين جيل جديد وفق حلم الصهيونية فالواقع ان ذلك جاء نتيجة عدم الاتفاق على تعبير من هو اليهودى .. وهو خلاف جاد مازال قائما حتى هذه اللحظة ولم تستطع القوى المختلفة فى اسرائيل ان تتفق على تعريف اليهودى ليصبح ذلك ضمن القوانين !

كان التناقض بين الوهم والحقيقة فى ان الدولة الجديدة احتاجت الى مجموعة من ليام الاجازات والاعياد غير الاعياد الدينية التى استبدل معظمها باعياد اخرى باستثناءات محدودة مثل عيد الغفران بل لقد بدأت السلوكيات تتغير فى مثل هذه الاعياد فاصبحت المطاعم تفتح ليلة السبت والاطعمة المختلفة تقدم دون التزام بتعليمات الدين وقد اثار ذلك سؤالا حول اثر انشاء الدولة الخاصة باليهود على دعوى الصهيونية بخصوصية التقاليد اليهودية وان الاحتمال الاوضح هو انها سوف تصبح مثل غيرها من دول العالم بلا خصوصية ويصبح الاختلاف هو مثل اختلاف فرنسا عن بريطانيا حسب مايقول المؤلف .

● ادعاءات كاذبة !

وكانت قيادات الصهيونية مشغولة بالبحث عن اصول هذه الخصوصية التى وصل الجنون بها الى درجة الادعاء بأن بعض القبائل المسلمة فى افغانستان وكردستان هى القبائل اليهودية القديمة .. !

وترى الصهيونية ان كثيرا من المسلمين العرب هم فى الاساس اليهود الذين اضطرتهم الظروف الى تغيير دينهم خوفا على انفسهم .

ويقدم المؤلف عرضا لنظريات الاستعمار التقليدى فى صياغة صهيونية مثل ان الصهيونية جاءت إلى فلسطين لتمدين وتحضير المنطقة وهى دعوى الاستعمار الاوروبى القديم عند استعماره لافريقيا واسيا وهى فى دعوى اخرى جاءت لتدافع عن الفقراء ضد الاغنياء باعتبارها دعوى اشتراكية لتسود المنطقة من منظور الاشتراكية .. وانه لولا العداء العربى لكان حزب العمل هو الفائز .. !

ويعيش المؤلف الجانب الاخر من الصورة وهى ان هناك تيارا كان يذبح الفلسطينيين بينما التيار الاخر يتحدث عن التعاون معهم حتى هذا التيار اسقط المؤلف ان الحرب الصهيونية ضد العرب كانت كلها تحت قيادة حزب العمل الذى يقول المؤلف انه فوجىء بدرجة العداء العربى لاسرائيل ..

ولعل اهم مافى الكتاب فعلا هو متابعة كبار الاحزاب الدينية فى اسرائيل منذ بروزها على الساحة فى اعقاب حرب سنة ١٩٦٧ وانه كانت انطلاقتها بعد حرب اكتوبر .

● عمل احمق !

فهى بدأت بأن ماحدث فى يونيو سنة ١٩٦٧ هو معجزة حققتها السماء لليهود

وان ذلك يفرض على اليهود الالتزام بدينهم . وتبلورت الدعوة فى قيام عدد من المستوطنين باقامة حجر الاساس لمستوطنة فى القدس وقامت المظاهرات العربية ثم اقيمت بالفعل مستوطنة جديدة وبدأ تيار الدين يتحول الى منظمات وجمعيات واصبح هو التيار المواجه للصهيونية العلمانية وتبلور الخلاف عند الانسحاب من سيناء الذى اعتبره التيار الدينى عملا احمق ويشير المؤلف الى عجز التيار العلمانى الصهيونى عن فهم هذا الانطلاق الدينى وتفسير ظاهرته واصبح التيار الدينى يقدم الجواب على كل سؤال يواجه اسرائيل .. !!

واهم مخاطر هذا التيار فى نظر الصهيونية العلمانية هو انه جعل التقاليد اليهودية بديلا عن بناء القومية اليهودية الذى ادعت الصهيونية انه كيان قائم كما ان هذا التيار قد اعتبر ان اسرائيل فى حرب اكتوبر كانت على حافة الافلاس فى الايمان الدينى وهو مالا حل له سوى الاحياء الدينى ، والعودة الى التقاليد اليهودية فى الطعام والشراب والسلوك . وطرح هذا التيار مفهومه للسلام فى انه ليس رحلة لمشاهدة الاهرامات بالقاهرة ولكنه سيطرة اليهود على كل ارض الميعاد واعتبار القدس الموحدة عاصمة لها .. !

واعتبر الصراع بين اسرائيل والعالم حول هذا المفهوم هو صراع بين الخير والشر او بين الشيطان والايمان !

وقد ادى ذلك الى انقسام حقيقى فى المجتمع الاسرائيلى على حد تعبير المؤلف بين اغلبية علمانية غربية الفكر واقلية دينية شرقية ـ اوروبا الشرقية ـ النبع وان كان بعضها جاء من الولايات المتحدة .

واستطاع هذا التيار الدينى ان يضع حدا لاسطورة جيل الغزاة الذى احتل فلسطين فى اعقاب وعد بلفور . وهو الجيل الذى كان يتعامل مع بقية المجتمع الاسرائيلى بقدر كبير من الاستعلاء بما عكسه كثير من الاغانى والاعمال الفنية والمسرحية والكتب فى كثير من النماذج وخاصة الشعرية منها والغنائية .

وينتهى الكتاب بطرح مجموعة من الاسئلة حول الادوار المتناقضة التى تحلم بها اسرائيل بين الدور المتفرد لشعب الله الذى يراه التيار الدينى والدور العالمى الذى تراه الصهيونية .

والواضح ان هناك مرحلتين فى تاريخ اليهود : الاولى قبل عصر التنوير والسماحة باوروبا ، والثانية بعد نفى الاولى استطاع اليهود المحافظة على تقاليدهم وسلوكهم فى مواجهة التحدى وحين فتحت الابواب امام اليهود ذاب كثير منهم فى المجتمعات التى يعيشون فيها وبالتالى فالحرية والاستنارة ـ هما عدو التيار اليهودى ولكن ذلك يشير الى مرض خطير وهو الشوفينية الانعزالية التى تمتد الى النفس اليهودية .

ويطالب المؤلف بثورة صهيونية تستطيع ان تحافظ على الوطن اليهود دون انعزاله قائما على العلمانية وليس الشوفينية الدينية وينتهى بالقول ان مستقبل إسرائيل سوف يتوقف على رغبتها وقدرتها على تحقيق هذا الهدف .

« رواية الجريمة »

بقلم : د. سهير القلماوى

الرواية اكثر الاشكال الادبية بل اكثر الاشكال الفنية بعامة تأثرا بالمخترعات الحديثة .. انها هي نفسها وليدة إختراع المطبعة ولولا المطبعة ما تطورت "الحدوتة" المروية الى رواية مطبوعة .

وتدخلت بعد ذلك مخترعات حديثة كان لها اثر فى تطور المجتمع الذى تستوحيه الرواية ، ولكن اثرها الاكبر في شأن الرواية كان ابلغ واوضح ولا نقف بالمخترعات التى اثرت فى السياسة والاقتصاد فهذه التأثيرات يرصدها علماء الاجتماع والسياسة والاقتصاد بأوضح وأدق ، ولا تزعم الرواية لنفسها انها ترصد او تدرس أو تجمع المعلومات . انها معنية اولا واخيرا بالانسان وما يدور فى فكره وما يتحرك فى وجدانه .

● والكتابة او التأليف حول الرواية ، دراسات فى بنائها واشكالها وتاريخها ، تملأ المكتبات ويتردد كثيرا فى قاعات الدرس فى المعاهد ، والجامعات ، ولكننا نريد ان نقف بالتأثيرات التقنية أو الفنية التى غيرت من بناء الرواية نتيجة مخترع ما تتصل رسالته بالرسالة التى تؤديها الرواية .

وكان لتطور الرواية ، من مجرد سلسلة احداث أيام كانت تخاطب المتلقى شفاها إلى رواية فكرة او موقف من الحياة ، محطات بارزة فى سبيل أن تصل الحدوتة الى رواية معقدة الشكل متعددة التراكيب ، واول خطوة بارزة فى عصرنا الحديث هى الاستغناء عن البطل وقد كان البطل فى "الحدوتة" وفى الرواية فى أول عهدها هو العمود الفقرى للرواية بواسطته تتجمع الاحداث وتتطور حسبما يتطور هو فى سنه او تعليمه أو ثقافته أو علاقته بالناس أو برحلاته وأثر المكان والزمان فى تصرفاته . وروايات المذكرات وتقريرات الرحلات كانت مرحلة هامة فى تطور الرواية فى اول عهدها ، وظلت المذكرات بآثارها الدامغة تلحظ فى الروايات الى مابعد مجاوزة اطوار البداية ، انها اى المذكرات والتقريرات عن الرحلات مجموعة احداث يلعب الزمان فى المذكرات والمكان فى الرحلات دورا هاما فى تفجير ينابيع التنوع والتشويق .

ولعل اول مخترع كان له اثر ضخم فى الرواية هو السينما ، إنها تقص قصة متتابعة الاحداث لها بطل ينتقل عبر الزمان

والمكان فتتنوع الاحداث بسبب ذلك ، وتحدث نوعا من التشويق .

وهنا لابد من ان نقف امام طاقات الصورة وطاقات الكلمة لتدرك ضخامة التأثير الذى حدث . فعندما يتحدث نقاد الفن عن ماهية الفن يبدأون اساسا بذكر الحواس الفنية والحواس غير الفنية ، اى ان الحواس الخمس ليس منها الا اثنان فقط يمكن ان يلتقطا من الواقع ما يصلح لان يكون مادة خام لانتاج الفن ، السمع والبصر ويقول القرآن الكريم فى بيان معجز السمع والبصر والافئده ذلك ان السمع يتلقى ولكن يؤثر هذا الذى تلقاه الانسان عن طريق السمع لابد من ان يمر بالفكر ويحرك الوجدان ، وكذلك الامر فى البصر . اما الحواس الاخرى اللمس والشم والذوق فانها لا تستطيع التنويع والتفريع فيما تلقت لترفعه الى العقل فيتفاعل فيه مع مدخرات المعلومات والثقافة المخزونة فى ذاكرة الانسان لان مجالات التنوعات فيها محدودة فالذوق مثلا حلو وحلو وحامض ومالح الخ . ولكن السمع ، ففوق الاصوات السبعة ، عندى عنصر العلو والخفوت عنصر السرعة والبطء عنصر الصوت او النوته كاملة او نصف ، وتركيبات لا نهاية لها يستطيع الفنان ان يجد بغيته وهو يبحث عن وسيلة التعبير . كذلك الامر فى البصر الالوان والخطوط والظلال والقرب والبعد والتكوينات التى لا نهاية لها من صور الكون ومشاهده حولنا .

● فروق واضحة

ولكن بين مادة النغم ومادة التصوير او البحث فروقا واضحة . فلكل مادة خام تستعمل فى التعبير الفنى تفرض طبيعتها وطاقاتها الخاصة . ما يعبر عنه بالنغم لا تستطيع الصورة ان تعبر عنه سواء اكانت الصورة رسما او تمثالا او غير ذلك وطاقة المادة الخام تفرض نفسها على الفنان ويضربون عادة المثل بالراهب الاسطورى "لاوكوون" الذى غضبت عليه الآلهة فسلطت عليه افعتين تطاردانه عبر الغابات ، فلما صور مأساته الشاعر الرومانى الشهير جعله يعدو فارا ويقول "وملأ صراخه الآفاق" فلما جاء المثال ليصور هذه الحادثة لم يستطع ان يجعل الراهب فاغرا فاه فاضطر الى ان يبرزه بطلا يقاوم الافعتين وقد تشنجت عضلاته وظهر العذاب والالم على وجهه صمودا لا فرارا .

واذا اردنا ان نوفى موضوع طاقة المادة الخام وخصوصيتها لاحتجنا الى كتب وكتب .

الذى يعنينا ان الحدث فى الرواية فى شكلها الاول عندما صورته السينما تفوقت على الرواية المكتوبة فى امور وبقيت الرواية تدافع عن خصوصية الكلمة .

ان الرواية لا تقف امام شارع مثلا او انسان لتصف لنا كل جزئية فيه . وهى ما تكاد تنهى جملة وتبدأ اخرى الا كانت الجملة الأولى قد بهتت فى الذاكرة اما الصورة فهى تعطينا المدلول الشارع او الانسان دفعة واحدة بكل الجزئيات وخلاصة ما كان منها له دور فى الاحداث الآتية .

● تشويق القارىء

واخذت الرواية امام تهديد السينما والتليفزيون من بعده تتجنب محاولة

رواية الجريمة

احداث الاثر الكلى . وكذلك الامر فى الاذاعة وان تكن مسموعة هى الاخرى ولكنها تختلف .

وفى غمرة البحث عن جديد بدأت الرواية تتحلق حول الجريمة وحول تشويق القارىء لان يعرف من هو المجرم . ويتعمد الروائى ان يجعل اكثر من شخص يحتمل ان يكون هو المجرم ولعله اقلهم من حيث وضوح الصلة الظاهرة بالجريمة هو المجرم الحقيقى الذى يكتشفه القارىء فى الفصل الاخير من الرواية فاذا راجع الرواية وجد ان هناك بعض التفاصيل التى تجعل هذه النهاية منطقية ومبررة . واخذ هذا اللون من الرواية اى الرواية البوليسية لجدته واتقان عملية التشويق ، فترة طويلة وهو متربع على عرش الرواج فى الرواية المطبوعة وفى الفيلم وفى التليفزيون .

ثم جاء الجمهور الحديث الذى يحتاج الى تقنيات عبقرية يضعها فى الرواية البوليسية لكى تحتفظ بعرشها ويرز روائيون عالميون بل ممثلون عالميون ايضا فى هذا المجال . وهنا تسللت الى ميدانها ما نعرف بعنوان رواية التجسس .

والتجسس عملية معروفة من اقدم عصور التاريخ فالقائد أو الملك قبل ان يقدم على معركة مع العدو يريد ، وهو محق فى هذا ، ان يعرف اين سيضع قدمه فى معسكر الاعداء ومن هم الذين يتعامل معهم ومن هم الذين يتجنبهم . لذلك كانوا يرسلون الجواسيس الذين يتقنون فى وسائل التخفى ليحققوا لهم رصيدا من المعلومات الضرورية للدخول فى المعركة

وتاريخ التجسس طويل وطريف . ان "هوميروس" شاعر اليونان قبل الميلاد بقرون يذكرهم فى رائعته الخالدة "الالياذة" . ولكن عملية التجسس تأخذ من سمات العصر الذى تنفذ فيه وكذلك من سمات الشعب الذى تتجسس على افراده ، صفات كثيرة نجدها واضحة ومكررة ولكن الطريف والمشوق دائما هو التهديد المستمر للعملية ان تكتشف ويدفع ابطالها ثمنا فادحا .

والمغامرة التجسسية فى حد ذاتها أتاحت للروائى ان يتعامل بشكل واسع مع الغموض الذى يثير فضول القارىء فاورد انواعا متعددة ووقائع فى هذا الصدد .

● فنية التفاصيل

وتداخلت الجاسوسية من قبل فى الرواية البوليسية فى بعض تاريخها فكانت سندا قويا للروائى ومنجما غنيا باسباب التنويع والإغراب . وعندما نقرأ لانجار الان بو أو لارثر كونا ندويل تلمح هذا التداخل الذى اثرى النوعين .

واخذت تفاصيل الحادث تطغى على ما سواها . وكان هناك تراث كبير فى فنية التفاصيل قد ظهر أوائل هذا القرن فرواية جيمس جويس" المعروفة يوليسيوس ، هى على طولها احداث يوم واحد وقد ظهرت سنة ١٩٢٢ .

ودخل ميدان رواية التجسس عنصر جديد من المؤلفين اعطى الرواية الجاسوسية طابعها الخاص بعد ان تحررت من اثر الرواية البوليسية .. فهؤلاء طبقة من مؤلفى رواية التجسس "فجراهام جرين" مؤلف رواية التجسس "القوة والمجد" سنة ١٩٤٥ . حتى "سومرست موم" أواخر القرن الثامن عشر كان بدوره

يعمل فى جهاز المخابرات وان ظهر انه كان فاشلا فيه . ومؤلف الرواية المشهور "فلمنج" الذى ذاعت روايته تلفزيونيا ومثلها السوبر مان التى مثلها "جيمس بوند" كان هو ايضا موظفا فى المخابرات وكان بطله ساحرا فى كل ما يفعل قويا ممتازا بدنيا وعقليا فاستولى على حب القراء واعجابهم ، وكذلك حب مشاهدى التليفزيون واعجابهم لما حولت الرواية الى مسلسل تليفزيونى .

والروايات هنا بالرغم من صلة مؤلفيها بجهاز المخابرات لم تكن تعنى اصلا بالسياسة ولا الجرائم السياسية التى يدفع الدافع السياسى الى ارتكابها .

● اختراع امريكى

وتتطور رواية الجاسوسية ويدخلها العامل السياسى من بعيد او قريب حتى يأتى مؤسس رواية الجريمة ريموند شاندلر . الذى يقرر ان رواية الجريمة اختراع امريكى جديد . انه يجذب القارىء فى هذا العصر لان الجريمة لم تعد امرا يقع هناك بعيدا عنا نسمع عنه ان الجريمة تعايشنا وقد تكون بعض ضحاياها ، بل وقد يكون ضحاياها ممن عرفناهم وعاشرناهم انها هنا فى نفس المدينة التى اعيش فيها .

ويقول انها ليست رواية بوليسية باية حال انها تستغنى نهائيا عن الفصل الاخير الذى يشبع حب الاستطلاع ويعرفنا من المجرم . ان هدفها متحرك ، وبؤرة الاهتمام ليست الجريمة فى حد ذاتها وانما الهام هو المجرم نفسه لا من حيث ماذا جعله مجرما فهذا اختصاص علم النفس ، وانما هو يهم "شاندلر" من حيث انه فيم كان يفكر وهو يرتكب جريمته وماذا كان الزمان والمكان اللذان ارتكب فيهما الجريمة . يقول ابو رواية الجريمة انا اقدم لك "الشعر والبندقية" معا فى انسجام فريد .

لذلك هو يعتمد على جمال الاسلوب ، وعلى براعة العرض وعلى مقدرة فذة فى ربط مشاعر المجرم مع الطبيعة من حوله . يورد نصوصا فى وصف عاصفة مثلا ويعقبها رد فعل للعاصفة فى نفس الرجل العادى وفى علاقة رد الفعل هذا باقدامه على ارتكاب الجريمة . ان الجريمة فى رأيه عمل فذ ، له خصوصيته ، لا تنفع فيه الحدوتة ولا الحكاية ولا حتى المونولوج الداخلى أو وصف اللاوعى ، لانه شاذ او فريد .

ومن وراء "شاندلر" جيل عديد من الشباب يغذون المطبعة والتليفزيون بنوع خاص من المحاولات ، بعضها ناجح فى مجال الادب ، وكلها تدور حول الجريمة باعتبارها فى حد ذاتها هى الاصل وليس مرتكبها بالذات ، والاهم ليس الذى يتعقبها ليكتشف عن الفاعل الحقيقى او المجرم ، المهم عندهم عبقرية الجريمة فى حد ذاتها .

وهكذا تظل الرواية ، وهى الشكل الفنى الاسمى للتعبير عن الفكر والوجدان ، معا تمارس حياتها المملوءة بالمتغيرات وتعكس هذه المتغيرات اثارا واضحة فى تقنياتها واساليبها وهذا ما سنعرض له فيها بعد .

[السنة النبوية : مصدر المعرفة « ٢ »]

القرآن والسنة ..

أو : البلاغ والبيان

بقلم : د. محمد عمارة

القرآن الكريم ، هو كلام الله ، ووضعه ، وكتابه الذى احكمت اياته ، وبلاغه المبين ، على لسان رسوله محمد بن عبدالله ﷺ ، الى العالمين .. وهو وحى الله الى رسوله ، ومعجزة التحدى وآية صدق هذا الرسول .. وهو ، بمقاييس ارقى مستويات المنهج السمعى ، المصدر الذى لايدانيه سواه ، ان فى الاعجاز المتحدى ، او فى الحجية المعجزة ، او فى توثيق الرواية ، او فى عقلانية الدراية ، او فى التعهد الالهى له بالحفظ ، وبعدم تبديل مافيه من كلمات ، وبالقطع بان الباطل لايأتيه من اى اتجاه ..

"انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون" [١] .. "واذا تتلى عليهم اياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا او بدله ، قل ما يكون لى ان ابدله من تلقاء نفسى ان اتبع الا ما يوحى الىّ انى اخاف ان عصيت ربى عذاب يوم عظيم" [٢] .. "لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الاخرة لاتبديل لكلمات الله ، ذلك هو الفوز العظيم" [٣] .. "واتل ما اوحى اليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته ولن تجد من دونه ملتحدا" [٤] .. "وانه لكتاب عزيز .. لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد" [٥] ..

ولقد كان تطاول القرون التى اقتربت من الخمسة عشر حتى الان ـ شاهدا على صدق هذا الوعد الالهى بالحفظ وعدم التبديل ، ونفى الباطل ، ومعجزا جديدا ، ودائما يشهد على ان هذا القرآن بالغ ، فى مصادر المعرفة ، اعلى درجات الصدق والثقة واليقين .. وذلك فضلا عن دلائل صدقه المستمدة من ادلة اعجازه الاخرى ، التى لا مجال للحديث عنها فى هذه الاشارة ، بهذا المقام ..

ولقد كانت مهمة الرسول ، ﷺ ـ وهو الذى بلغت دعواه الرسالة بهذا القرآن المعجز قمة اليقين المعرفى . كانت مهمة الرسول :

ا ـ البلاغ لهذا القرآن الكريم .. وهى مهمة جاءه الامر بها فى كثير من ايات هذا القرآن ، بلفظ "البلاغ" ومشتقاته ، وبالفاظ اخرى تحمل ذات المضمون .. مضمون ابلاغ هذا القرآن الكريم الى العالمين .. ولقد نهض رسول الله ﷺ بهذه المهمة ، فبلغ الرسالة ، واشهد على تلك الله والناس اجمعين ..

ب ـ والبيان لهذا البلاغ القرآنى .. وذلك بتفصيل مجمله .. وتفسير اشاراته .. والبسط لكلياته .. والتخصيص لعامه .. والتقييد لمطلقه .. ووضع الضوابط المعينة على التمييز بين محكمه ومتشابهه .. وايضا بتوقيت الشعائر والفرائض والمناسك ، وبيان مقاديرها وشروطها واركانها وانصبتها ومصادرها ومصارفها وهيئاتها .. الخ .. الخ .. ثم صياغة المقاصد الشرعية الكلية قوانين تحكم واقع الامة وعلاقات ابنائها ، وتصبغهما بصبغة الله ... الخ .. الخ ..

تلك كانت المهمة الثانية من مهام الرسالة .مهمة البيان للبلاغ القرآنى .. ولقد انجزها الرسول ، ﷺ ، وكان فيها القائم بما فرضه عليه الله .. "وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس مانُزِّلَ اليهم ولعلهم يتفكرون" (٦) .. "وما انزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذى اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون" (٧)..

جـ ـ والتجسيد العملى للرسالة الالهية : عقيدة وشريعة وقيما واخلاقا ، التجسيد العملى لها ، بالتجربة النبوية ، والتطبيق النبوى لمعالم المنهج الاسلامى ، والذى وضع المفكر القرآنى فى الممارسة والتطبيق ، واحال المنهج الربانى بناء معاشا فى الحياة ، تخلقت من حوله ابداعات المسلمين ، المصطبغة بصبغته الربانية ، فى شكل علوم وفنون وابنية مدنية ، هى تلك التى مثلت حضارة الاسلام ..

فالاسلام لم يقف ، فى الرسالة المحمدية ، عند حدود البلاغ القرآنى ، ولا البيان النبوى النظرى لهذا البلاغ القرآنى ، لانه لم يكن مجرد مذهب ، او نحلة فكرية ، او وصايا يودعها الرسول امانة لدى عدد من الحواريين .. وانما كان ، عبر التجربة النبوية ، بناء حياتيا معاشا ، فى الممارسة والسلوك والدولة والعلاقات .. لقد غدا صبغة الله التى صبغت الواقع والامة . والفكر والحضارة .. فكان القرآن ـ البلاغ ـ الذى جسدته السنة النبوية ـ بالبيان النظرى والتجسيد التطبيقى ـ كيانا حيا يحيا به المسلمون ، ويحيا فى هؤلاء المسلمين !

تلك هى السنّة النبوية ، فى مفهوم كاتب هذه الصفحات ، وتلك هى مكانتها ـ كمصدر للمعرفة ـ من القرآن ، اول واوثق مصادر المعرفة السمعية اليقينية فى حياة الاسلام والنسق الفكرى للمسلمين ..

ولذلك ، فانه بحكم شمول البلاغ القرآنى لشئون عالم الغيب والشهادة ، وجمعه للمبادىء والكليات والوصايا والتوجيهات والضوابط الهادية والموجهة والمرشدة والحاكمة لكافة مناحى الحياة الانسانية .. ووفائه ـ باعتباره كتاب الرسالة الخاتمة

والخالدة ـ بالاجابة على علامات الاستفهام الانسانية : عن البدء .. والحكمة .. والتاريخ .. والواقع .. والمستقبل .. والمنتهى والمصير .. وعن المعايير فى كل ذلك .. بحكم شمول البلاغ القرآنى ووفائه .. كمصدر المعرفة الاسلامية الاولى ـ لكل هذه العوالم والميادين .. كانت السنة النبوية . بحكم كونها البيان العملى ـ فى الفكر والتطبيق ـ لهذا البلاغ القرآنى ، مصدرا للمعرفة اليقينية فى كل ميادين ومناحى هذا البلاغ القرآنى ..

ان السنة ـ فى عرفنا اللغوى ـ هى الطريقة .. وفى عرفنا الشرعى : هى ما صدر عن رسول الله ﷺ ـ غير القرآن ـ من قول ـ هو الحديث ـ او فعل او تقرير ..

ومع صدق ودقة هذا التعريف .. فان مقاصد هذا البحث ، تجعل لتعريف السنة هذا ابعادا تتسق مع هذه المقاصد ، فتراها : منهج النبوة "النظرى ـ والعملى" ، الذى جسد البلاغ القرآنى ، واحال كلمات الله واقعا وحضارة يحياهما الناس الذين امنوا بهذا البلاغ .. ومن هنا تأتى مكانتها كمصدر للمعرفة ، تستمد صدقها ـ بعد اجتماع شروط الصدق فى الرواية والدراية ـ من صلتها بالقرآن الصادق بالاعجاز .. ان اطار هذه السنة ـ كبيان للبلاغ القرآنى ـ يحتم ان يكون لها فى هذا البلاغ معنى او مبنى ، وهى بذلك قد غدت وتغدو المصدر النبوى لبيان البلاغ الالهى ، بلاغا كان هذا البيان النبوى او اجتهادا نبويا اقره بلاغ القرآن ..

وبهذا المعنى لعلاقة السنة النبوية بالقرآن الكريم .. وفى اطار موقف المذهبية الاسلامية من المنهج السمعى . فان المسلم يلتمس فى هذه السنة ومنها ـ كمصدر للمعرفة :

ا ـ مصدرا لمعرفة اسباب نزول البلاغ القرآنى والوحى الالهى على رسول الله ﷺ .. بما يمثله ذلك من علم لتفسير القرآن ، ووعى بحكمة التشريع ، وعون على مواكبة هذا التشريع للتطور عبر الزمان والمكان ..

ب ـ ومصدرا لمعرفة التاريخ السياسى والاجتماعى والاقتصادى والحربى والادبى للتجربة الاسلامية فى عصر صدر الاسلام ، وهى التى حولت البلاغ القرآنى والبيان النبوى الى كيان اجتماعى حى ومجتمع انسانى وبناء حضارى معاش ..

جـ ـ ومصدرا "للفروع" التى وقف القرآن عند اصولها ، ومنها نتعلم التمييز بين الثوابت والمبادىء والاركان والاصول وبين الفروع والمتغيرات ، التى تقوم وتنمو وتتجدد على هذه القواعد والاصول ، مرتبطة بها ، ومصطبغة بصبغتها ، وفى ذات الوقت مظللة لمساحات جديدة من الوقائع والمشكلات ..

د ـ ومصدرا لابنية وهياكل الدولة الاسلامية التى اقامها المسلمون لحماية الدعوة ونصرتها .. وهى التى ـ مع ما يماثلها ـ تمثل نماذج "للواجبات المدنية" التى اقتضتها "الفرائض الدينية" "فاكتسبت" صبغة الواجبات الاسلامية واهميتها ، حتى دون أن يرد التشريع لفريضتها صراحة فى البلاغ القرآنى ..

هـ ـ ومصدرا للتشريع النبوى والتراث القانوى فى السنة ، سواء ما كان منه التفصيل لمجمل القرآن ، او ما كان منه اجتهادا فيما لا وحى فيه .. وهى ، كذلك المصدر للتمييز فى هذا الاجتهاد النبوى بين ما اقره الوحى ، بالنص عليه ، او بالسكوت عنه ، وبين مانزل الوحى مصوبا له او معدلا .

و ـ ومصدرا للتمييز ـ فى الممارسات النبوية ـ بين "الدين ـ الثابت" ، الذى يجب فيه "الاتباع" للمنطوق والمفهوم ، وبين "المتغيرات ـ الدنيوية" ، التى يجب فيها التزام المقاصد ، دون حرفية التطبيقات .. وايضا التمييز بين "الدين ـ الثابت" وبين المتغير من الاعراف والعادات ..

ز ـ ومصدرا للتمييز بين ما لايستقل العقل بادراكه ـ من حيث الحسن والقبح ـ وفى التشريع والاحكام والفرائض والشعائر .. وفى كيفية الجزاء .. ومقادير الثواب والعقاب .. وبين ما هو من شئون الدنيا ، الموكولة الى عقول البشر ، لقدرتها على ان تستقل بادراكها ـ حسنا وقبحا ـ وعلى ان تقنن لها فى اطار شرع الله ..

كل هذه المعارف ـ وغيرها مما ماثلها كثير ـ تنهض السنة النبوية ، فى النسق الفكرى الاسلامى ، ووفقا لقواعد المنهج السمعى ، مصدرا للمعرفة اليقينية فى ميادينها .. بل ان صحيح هذه السنة ، الذى اجتمعت له شروط الصدق ـ من حيث الرواية والدراسة ـ هو كنز للمعارف الاسلامية ، شديد الغنى وعظيم الثراء وجم الفوائد ، كان ولازال وسيظل المنبع للصورة المكتملة الملامح لمنهج النبوة الربانى ، فى تطبيقاته الحياتية الحية .. وهو المنهج الفاعل فى اى جهد جاد من اجل الاحياء والتجديد والتقويم لحياة الامة ، عندما تتراجع تصوراتها وتطبيقاتها عن معايير ومعالم هذا المنهج ، فتعدو على اسلامية فكرها وواقعها عوامل الانحراف .

هنا ، تصبح السنة ، الكاشفة عن معالم منهج النبوة ، مصدرا غنيا للمعرفة المجددة لفكر الاسلام ولواقع المسلمين ..

هذا عن مكان السنة النبوية كمصدر للمعرفة فى منهج الاسلام .

الهوامش

(١) الحجر : ٩
(٢) يونس : ١٥
(٣) يونس : ٦٤
(٤) الكهف : ٢٧
(٥) فصلت : ٤١ ، ٤٢
(٦) النحل : ٤٤
(٧) النحل : ٦٤

كان يا ما كان

النهضة

ولغز « الشخصية المصرية » !

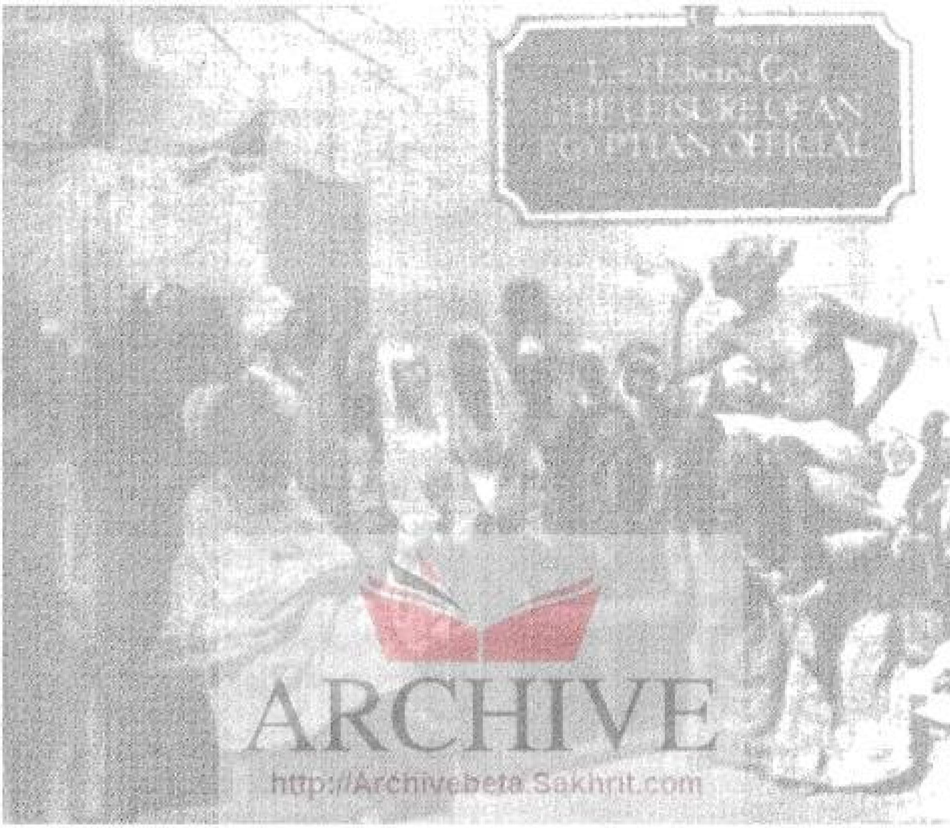
● كيف يرى اللورد سيسيل مصر قبل قيام ثورة ١٩١٩ ؟!

مصطفى نبيل

هذا كتاب يستفزك عند قراءته ، يكتبه صاحبه وهو يتوهم انه من جنس ارقى من غيره من البشر ، يتهكم فيه على المصريين وطبائعهم ينظر إليهم من علٍ ، يوصفهم قاصرى العقول بعيدين عن الحضارة !

يكتبه على سجيته ، فى رسائل خاصة لم تكتب لكى تنشر ، يخطها وهو يعانى الوحدة والتفرد فوق قمة الهرم الوظيفى ، كاحد كبار المستشارين البريطانيين ، لذا سخر فيها ، واستظرف كما يحلو له .. !

وتنشر زوجته هذه الرسائل فى كتاب بعد وفاته ، وزواجها من اللورد ملنر وثيق الصلة باحوال مصر وصاحب لجنة ملنر الشهيرة ، فينصحها بضرورة نشره ، وتصدر طبعته الأولى فى لندن سنة ١٩٢١ ، ويعاد طبعه حتى اليوم ٢٢ طبعة ، لا لقيمته ولكن لولع الانجليز بايام المجد الغابر ، ومع رواج الكتب التى تتناول دور الرجل الابيض فى كل من الهند ومصر والمستعمرات القديمة ..



● وإذا كان الكتاب على هذه الصورة ، فلماذا الاهتمام به وتقديمه ؟!

ربما .. لما يشكله صدوره من سخرية القدر ، فقد صدر هذا الكتاب بعد أن أكدت الوقائع والأحداث مايتضمنه من لغو وسطحية ، وكشف مدى زيف نظرته ومدى مافيه من تعميم ، فإذا كان قد رصد الظاهر من الأمور إلا أنه لم يصل إلى الأغوار العميقة للشخصية المصرية ، واكتفى بنقل مايجرى فى الدوائر العليا وتجاهل مايضطرب به الشارع المصرى .

ولم يمض وقت قليل على وصفه للمصريين بهذا القدر من الاستخفاف

والهزء إلا وقامت أهم وأول ثورات الشرق ، وأشعلت ثورة ١٩١٩ فى مصر من أقصاها إلى أقصاها ، وهددت الوجود الاستعمارى كله ، وقدمت نموذجا لكل الدول الخاضعة للاستعمار .

وأهم مايطرحه هذا الكتاب ، وإن كانت بصورة غير مباشرة ، هو ردود فعل المصريين على الاستعمار البريطانى ، مما يلقى الضوء على أبعاد الشخصية المصرية ، والتى كثيرا ما تقيم بأقل مما تستحق ، وفيه تظهر شخصية مصر التاريخية ، وكأنها لغز يحتاج إلى تفسير ..

فلا يمكن أن يتوقع من يقرأ كتاب اللورد سيسيل . أن يكون هذا الشعب الذى رسم بعض شخوصه ، قادرا على القيام بثورته الوطنية ، والغريب أيضا أن هذه الصورة جاءت فى تقارير القناصل قبل قيام الثورة ، ثم تفاجىء الثورة الجميع ، وتجد أن ذلك يتكرر فى مناسبات تاريخية مختلفة ، فلم أحد قيام ثورة يوليو ١٩٥٢ ، ولم يتوقع أحد الاداء المذهل الذى قدمه جنود مصر فى أكتوبر ١٩٧٣ ..

كما تأتى أهمية كتاب اللورد فى أنه أحد أشكال التحدى الذى يدفع إلى تغيير بعض صور التخلف القائم ، ولعل وقع كلمة المتحامل أن تدفع المتحامل عليه إلى التخلص مما يسىء إلى صورته ، ويولد حالة من الحنق الذى يخلق طاقة العمل والتحدى !

وقد تطفو على السطح فى مراحل التدهور فئات إجتماعية يشغلها الخاص بدلا من العام ، ويهمها الذات بدلا من مجموع الأمة ، وماتحت أقدامها بدلا عن المستقبل .

ومما لاشك فيه أن حركة الشعوب ، يحكمها قانون تراكم الخبرة التاريخية وتأتى نهضتها نتيجة حركة إجتماعية عقلانية ، وهى ليست بالقضاء والقدر ، وانما تحسمها قدرة الشعوب على التضحية ، وقدرتها على مواءمة حركتها مع اللحظة التاريخية وموازين القوى المحلية والعالمية ، والفاصل بين أيام التدهور وأيام العز ، هو عمق الشعور بتدهور الواقع والرغبة العازمة فى تغييره .

وهذه هى الظواهر التى تقدم المؤشرات على بداية نهضتها وتجديد حياتها .

● الهزء والسخرية !

نعود إلى كتاب اللورد سيسيل الذى ازدحم بالهزء والسخرية اللاذعة من المصريين ، من الوزير حتى المواطن البسيط ، واطلق على كتابه « أوقات فراغ موظف مصرى ! » وصاحبه أحد أعمدة الاحتلال البريطانى ، بدأ سنة ١٩٠١ كأحد جنوده وانتهى كاهم موظف بريطانى فى الادارة المصرية ،



محمد سعيد باشا



سعد زغلول

إنتهت عام ١٩١٤ ، وتولى خلالها سكرتارية وزارة الحربية عام ١٩٠٤ ، ثم أصبح سكرتيرا لوزارة المالية سنة ١٩٠٥ ، وأخيرا مستشارا ماليا عام ١٩١٢ .

يقدم فى كتابه أربعة نماذج إختارها من المثقفين والصفوة فى مصر ، أحدهما وكيل وزارة ، والثانى محسن كبير والثالث وزير الفنون والصنائع والرابع أحد كبار موظفى وزارة المالية ..

ويصف وكيل وزارة الحقانية بأنه قصير ضئيل يطلقون عليه سخرية « أوليفر تويست » جاءه يسعى لكى يساعده فى إقامة منزله على نفقة الدولة ، ولكنه لا يفصح عن هدفه مباشرة ، بل مدخله الحديث عن الطقس ، وينتقل إلى مسائل خاصة بعلاقة وزارة المالية بوزارته ، ويصل إلى هدفه سريعا ، فهو يتصور أن من واجب كل الوزارات أن تتحمل نفقات بيته الجديد ، ولقد قدمت له وزارة الأشغال الأحجار التى يحتاجها بنصف ثمنها ، ونقلتها السكك الحديدية بربع الثمن ، ويشرف على إقامة بيته بدون مقابل أحد مهندسى وزارة الأشغال ، وجاء يطلب تدخلى لادخال المياه إلى منزله مجانا ..

وأرفض طلبه ، وأعرف أنه لن يكف عن المحاولة ، وسيصل إلى هدفه إما عن طريق الخديوى أو رئيس الوزراء أو الوكالة البريطانية !

● المكتبة والمرقص !

وهاهو مثقف آخر جاء لزيارته ،

اسمه أحمد بك كلام ، وهو « محسن كبير » مترهل الجسم قصير القامة ، له عينان براقتان صغيرتان سوداوان ، يرتدى ملابس أديب أو فنان ، وفوق رأسه طربوش الوطنية .

ورغم أنه وطنى غيور إلا أنه دأب على أن يتردد علىّ ، ويسر إلىّ بما فى نفسه ، ويجتهد فى حصوله منى على بعض الأموال !

وهذه المرة يبدو عليه القلق والثورة ، أسأله .. هل أستطيع تقديم أى خدمة لك .. ؟ ويندفع ويخرج منديله ويمسح دمعة تترقرق من عينيه ، ويروى بصوت متهدج مشكلته .. إنه من عائلة عريقة فى الوطنية ، تعود أبناؤها أن يقدموا أرواحهم فداء للوطن ، ويلاحقه العار لأنه لم يشترك نتيجة لمرضه فى معركة التل الكبير - التى وقعت بين جيش الاحتلال البريطانى وقوات الثورة العرابية - ولكنه يشترك فى كل مشروع وطنى يرمى إلى رقى البلاد ، ومع ذلك لم يقابل أبناء جلدته جهاده هذا إلا بالجحود والنكران ، وجاء يبث شكواه « فأنت كنت لى دائما نعم الوالد » ويمضى شارحا ، إقترحت منذ فترة إقامة مكتبة وطنية تضم ذخائر الكتب العربية ، على أن يكون رسم الدخول قرش تعريفه ، ونجحت فى جمع الاكتتابات لهذا المشروع ، ومن بينها مبلغ كبير تبرع به الأمير أحمد إبراهيم ، ولم يصادف المشروع النجاح ، بعد إنصراف الشباب على كل ماهو جاد ، فلم يتخلصوا بعد من وحدة اليأس ، وظلوا منصرفين إلى الكتب الرخيصة ، وفشل المشروع ، وتحولت المكتبة إلى دار وطنية للموسيقى والرقص ، ولم ترحم الشرطة تلك الدار ، وأغلقوها بحجة منافاة مايدور فيها للآداب العامة ! .

وكان لدى بعض الجنيهات التى سبق جمعها ، فأرسلتها إلى فقراء مكة ، وإذا بأسرة الأمير تطالب برد المال ، أو تقديم دليل على إنفاقه فى الخير ويهددون برفع النزاع إلى القضاء ، ولكن هل يمكن أن يحصل محسن مثلى على صك من فقراء مكة ؟!

وتظاهرت بتصديق قوله ، ونصحته بأن يرد إليهم مبلغا يساوى المبلغ الذى أرسله إلى مكة ، حتى يناله وحده الثواب (!!)

● إلى جانب القالب !

ويعود ويوزع سخريته على الموظفين ، بأنهم مولعون بإحالة المسائل إلى من هم أعلى منهم سلطة ، وهم أسرى خوفهم وتهيبهم ، وعدم شعورهم بأهميتهم ، وهذا ناتج من أن عقولهم لم تكتمل (!!) ومايثير

إهتمامهم هو الأثر المباشر وليس النتيجة النهائية ، كما أنهم يتلهفون على أن يكونوا إلى جانب الغالب ، مما يبعث على الرثاء ، وحينما طلبت من أحد كبار موظفى الحسابات بعض الأرقام ، لم يفوته أن يسألنى ، عن هدفى من هذه الأرقام ، ثم جاءت الارقام مقنعة تماما وكاذبة بالكامل !

ويروى حضوره أحد اللجان التى يراسها محمد باشا أحمد وزير الفنون والصنايع ، ومهمة هذه اللجنة منح الامتيازات والرخص للأفراد والشركات ، ويرأسها الباشا لا بوصفه وزيرا فحسب بل ومن كبار الملاك أيضا ، وكان وصوله إلى مركزه هذا محل فكاهة واستغراب الجميع ، فهو فى الأصل ابن مالك بسيط ، وعمل فى الحكومة وترقى حتى أصبح قاضيا ، وحول من خلال منصبه نظام الأحكام فى القضايا الجنائية إلى تعريفة خاصة به ، يدفع المتهم إلى شخصه الكريم ويحصل على البراءة .

وترقى حتى أصبح مديرا عاما فى ديوان الأوقاف ، وفيها ترجم كل أعمال الحكومة إلى مايساويها نقدا ، ولم يكن أنانيا بل يوزع بعض مايحصل عليه على المناصب الأعلى ، ووزارة الأوقاف تدار أمورها بواسطة أعلى مقام فى الدولة ، وكان محبوبا من أعلى .

وبالرغم من أن أمره كان مكشوفا للجميع إلا أنه لايمكن إثبات شيء ضده ..

وكنت أميل إليه لما يتمتع به من خفة روح الفلاح وفكاهته ، وهو مايتناقض مع خبث ورياء المصرى إبن المدينة ، فهو وغد ذكى جاهل طيب ليس له ضمير ! ..

ويعود إلى ذم الموظف المصرى بقوله .. يتقن الموظف المصرى إضاعة الوقت ، ويغرم بالكلمات الضخمة والجمل الرنانة ، التى كثيرا ماتكون بلا معنى ، فإذا طلبت أرملة معاشها ، راحوا يؤكدون على فضيلة الرحمة وعظمة الاحسان ، وانتهوا باقتراح وسيلة ملتوية ماكرة للتخلص من الاستجابة لطلب العجوز المسكينة .. (!!)

ويوقع المرءوسون وراء إمضاء رؤسائهم ، ولهم طرقا يستدرجون بها الرؤساء إلى الامضاء على ورقة ظاهرها البراءة ، وفى حقيقتها تتضمن وسائل ارتكاب كل مايريدون ..

ولا تقع عينى اللورد إلا على كل نقيصة ، يصنف مايراه من شرفته يوميا ، فالمنازل عمارتها قبيحة وضوضاء الترام تظهر مع كل صباح ، ويرى الترام وهو ينحنى فى « الدوران » الذى يطل عليه مثل الخنفساء ، وكثيرا مايخرج الترام عن القضيب ، فمن المستحيل على المصرى أن يتعلم من تجاربه (!) ويكاد يخرج الترام على شريطه

خمسة ليلم فى الأسبوع ، وكل مرة يبدأ السائق بالاحتجاج والشكوى وينضم إليه المحصل ، ويثور الشجار بينهما حتى يأتى شرطى نعسان يسب ويلعن الجميع ، وبعد معركة حامية يعيدان الترام إلى الشريط .

أما خادمه ، فهو ناقص الأهلية يحدث جلبة وضجيجا يوميا ، ويعجز عن إنضاج بيضتين ، « ولا يأتى إلى غرفة نومى إلا ويحدث صوتا مزعجا ، ويتعثر فى طريقه بشىء إما المائدة أو المقعد ، فيقلب قدح الشاى ويوصد الباب بعنف فى حركة واحدة ! » وإننى أزعم أن لهم بقايا فضائل بعضها لم يفسد ، وهم غالبا فاسدون على نحو ما بكل الرذائل الشرقية المعروفة ، مع القليل من قلة الأمانة » .

ويصف أحد كبار موظفى المالية ... « أهم مايميزه أنه يفيدنا بواسع معرفته بكل إختلاسات الأراضى التى وقعت فى مصر خلال الأربعين سنة الماضية ، والتى يحمل تفاصيلها فى رأسه العتيق الكث القذرة ! »

● مصدر الثروة

ويبدو أن أملاك الدولة ، هى أحد مصادر الثروة للأفاقين والأوغاد منذ زمن بعيد ، سواء قبل وبعد الاحتلال البريطانى ..

ويستعرض اللورد الكثير من الحيل للاستيلاء على هذه الأملاك ، ولعل الفارق الوحيد ، أن أغلب الطامعين كانوا من الأجانب أيام الاحتلال .

أحد هؤلاء سنيور ينى الايطالى ، وهو كهل متأنق ، وجهه يوحى بالثقة ، له إلمام واسع بالتاريخ ، ويعرف خمس لغات ، ويهوى الموسيقى والتصوير ، ولديه مجموعة فريدة من عاديات عصر البطالسة ، جاء يطلب من اللورد الموافقة على شراء مساحة من أراضى الدولة فى أطراف أحد ضواحى القاهرة ، لكى يقسمها ويمهدها ويوصل إليها الخدمات ويبيعها للأهالى ، فتحصل منها الحكومة على ضرائب عقارية ، ويطلب

حسين رشدى باشا



إبقاء الأمر سرا حتى لاترتفع أسعار الأرض في الناحية كلها ..

ومايلبث أن يغادر مكتب المستشار حتى يقرأ رسالة من مدير مصلحة السكك الحديدية ، يبلغه أنه وجد الموقع المناسب لمحطة البضائع الجديدة ، وعرض صاحبها تمهيدها وتسليمها خلال عامين بثمن معقول ، يقل كثيرا عن ما تدفعه إذا قمنا بنزع ملكيتها وتمهيدها . وهي ذات القطعة التي طلب شرائها السنيور .

ولعل سنيور يني قد رشا أحدهم ، وكاد أن ينسل بين المالية والسكك الحديدية ، ويفوز بغنيمته ويربح في هذه الصفقة مايزيد على ٢٠٠ ٪

● اليهودي والأرمني ..

ويمضي مسلسل الاثراء من خلال أملاك الدولة ، ويتداخل مع الاستثمارات الأجنبية في مصر ، عندما يروي قصة ممثلي أحد الشركات الأجنبية الذين يطلبون إمتيازا ، عندما دلف إلى مكتبه ثلاثة أحدهم رجل أعمال ومستشار قانوني وخبير محلي ، رجل الأعمال يهودي هو « المستر سمسون » والقانوني المستر « ديبونج » الفرنسي من أصل أرمني ، والخبير المحلي سوري يدعى « كساب » يحمل الخرائط ويتطلع في خضوع إلى اليهودي .

يقول اليهودي .. جئت إليك ممثلا لجماعة مالية ذات نفوذ كبير ، أعرض إقامة مشروع ضخم لانتوقع منه ربحا وفيرا ، ودافعنا الاهتمام الكبير الذي نشعر به نحو هذه البلاد وأهميتها للعالم ، فمصر مكان صالح ومناسب للاستثمار ، ويكمل القانوني شرح المشروع الذي لايزيد على طلب إمتياز لمساحة كبيرة من الأرض ، وأخيرا يقوم الخبير المحلي بعرض خرائط ملونة وتفصيلية للمشروع المزعوم ، والذي يتضمن أدق التفاصيل ، وتصل فيه التقديرات إلى أربعة شلنات وثلاثة بنسات ..

ولايخرج المشروع عن عملية إحتيال تتكرر مع تغير التفاصيل ، طلب أراضي يزعمون عدم إحتياجها لمياه الري والاكتفاء بمياه الصرف ، لزراعة القنب والليف ، وأشجار التوت ، ومايكادون يحصلون على الامتياز ،

احمد حشمت



حتى يبدأ الالحاح لكى تصل إليها مياه الـرى ، وعندهـا يبيعـون الأرض ويتقاضون من الجنيهـات ماسبق ودفعوه قروشا ..

ويعد العرض ينسحب المدعو سمسون بأبهة ووقار .

● مقر صيفى

ويصل اللورد إلى الذروة عندما يرسم صورة ساخرة كاريكاتورية لأحد إجتمـاعات مجلس الـوزراء الذى حضره ، ويتهكم على النحو التالى .. يستدعينى سكرتير رئيس الوزراء ، وهو شخص قذر وكريه الطلعة ، ولديه ارتخاء فى إحدى عينيه ، وليس له ذمة أو ضمير ..

وأبلغنى رغبة مجلس الوزراء فى استشارتى فى أمر هام ، يتعلق بالمقر الصيفى وهل نبنى أم نؤجر أم نشترى مقرا مناسبا لمجلس الوزراء ؟

وسرعان ماكنت فى حضرة مجلس الوزراء ، يقابلنى الرئيس ويهز يدى بيده الرخوة ويشير إلى مقعد شاغر ، ويفتتـح رئيس الـوزراء الحـديث بابتسامة رياء ومداهنة ، ويتوجه إلىّ بالكلام !! « إنه يريد أن يعرف ماتم فى شأن إعداد مقر الوزارة الصيفى فى الموسم القادم »!! وقبل أن أجيب يقفز وزير الخارجية الذى يشبه كرة القدم ويسأل !! « هل الأفضل أن نعود إلى النظام القديم ، ونستأجر غرفا فى أهم فنادق الاسكندرية ؟ .. »

ويسكته رئيس الوزراء إستهجانا ، ويقول بعظمة وجلال .. « دعونا نعرف بداية ماتم ، ثم نناقش الاقتراحات الجديدة .. فأجيب .. « لم يتم شىء حتى الآن .. »

ويعود وزير الخارجية ويطالب تأجير غرف فى الفندق حتى يأكل ويتردد على الفندق مجانا - ويرد وزير الحقانية الذى لايهمه الأكل مجانا قائلا : إنى لا أحب الفنادق ، ولا يتفق مع كرامة الوزارة أن توجد الوزارة فى فندق ، ولكل وزير نمره على الباب ، ويعمل فى ظل صخب الموسيقى الذى يعرقل التركيز فى العمل .. »

ويضيـف وزيـر الأشـغـال .. « بالفعل .. إنها خوته ودوشة »

ويتدخل وزير المعارف - الذى كان فى شبابه ابن حظ - قائلا .. « يعيش فى الفندق كلا الجنسين ، ولايليق أن يوجد فيها مقر الحكومة » ويزمجر وزير الحقانية قائلا .. « إن الحل أن نستأجر فيللا ، مما يتيح لنا العمل فى هدوء .. » ويقاطعـه وزير المـالية قائلا .. « يمكن لنا أن نبنى مقرا وافيا من كل الوجوه ، فلدى مقاول ماهر وظريف .. » ويرد وزير الاشغال - السمج الشبيه بالسمكة - « كل المبانى يعود أمرها إلى وزارة الأشغال .. »

ويقترح وزير الحقانية كراء فيللا احمد بك نسيم ، ونحن نعلم - يعلق اللورد - أن أحمد بك نسيم ثقلت عليه وطأة ديون القمار ، ويسعى لتأجير داره العتيقة ، ونعلم أن وزير الحقانية اكبر دائنيه .. ويتدخل وزير المعارف .. يجب أن نبنى هذا المقر وانا أعرف مقاولا ماهرا .. » وينهى اللورد إستعراضه للجلسة ساخرا بقوله .. « فى وسعنا ان ننكر تأدبا اى علم بأن وزير الخارجية يريد العيش فى الفندق مجانا ، وأن وزير الحقانية يريد استرداد ديونه فى الميسر ، وأن وزير الأشغال يريد ويهوى قبض العمولة التى قد ينالها من المقاول ، ولكن من الصعب أن نتجاهل أمر زوج كريمة وزير المعارف الذى إنهمك فى مضاربات عقارية ، وأن إقتراحه بأن يتولى شراء سراى للوزارة ، معددا محاسن إقتراحه ، إن تجاهل هذه المسألة شديد الصعوبة ! »

وينتهى الاجتماع دون الوصول إلى اى قرار ، ويبقى أن نعرف أن الوزارة التى يتحدث عنها والتى لم يحدد شخوص وزرائها هى على الأرجح وزارة محمد سعيد باشا التى تشكلت سنة ١٩١٠ واستمرت حتى سنة ١٩١٤ ، وكانت تضم :

- محمد سعيد باشا الرئاسة والداخلية .
- سعد زغلول باشا الحقانية (استقال فى ابريل ١٩١٢)
- حسين رشدى باشا الخارجية .
- احمد حشمت باشا المعارف .
- اسماعيل سرى باشا للأشغال والحربية .
- يوسف سابا باشا للمالية .

ويؤكد ذلك ماذكره سعد زغلول فى مذكراته فى ١٦ يونيو سنة ١٩١٠ حول هذا الاجتماع ، ويقول .. « إنعقد مجلس النظار بسراى زيزينيا يوم ٢ يوليو ١٩١٠ ، تحت رئاسة سعيد باشا ، وحضره اللورد إدوارد سيسيل بالنيابة عن المستشار المالى .. »

وقد تشكلت هذه الوزارة بعد إغتيال بطرس غالى ، ويقول عنها عبدالرحمن الرافعى .. « بالرغم من أن الآمال كانت معقودة على أن تساير هذه الحكومة الحركة الوطنية لما عرف عن محمد سعيد قبل تولى الوزارة من ميول وطنية ، إلا أن وزارته كانت شرا على الحركة الوطنية من وزارة بطرس غالى السابقة .. »

ومايثير الدهشة أن كتاب اللورد سيسيل قد ترجم ونشر عام ١٩٢٢ ، وقام بتعريبه الكاتب الكبير محمد التابعى ، تحت عنوان « مذكرات اللورد إدوارد سيسيل » ولم يظهر صدى لنشره ، رغم أنه نشر فى ذات الفترة التى كان شخوصها مازالوا على قيد الحياة . !

افاق تعاون

الدول المطلة على البحر المتوسط

• إحتمالات قيام منظمة تضم شماله وجنوبه

بقلم : د. أحمد عبدالرحيم مصطفى

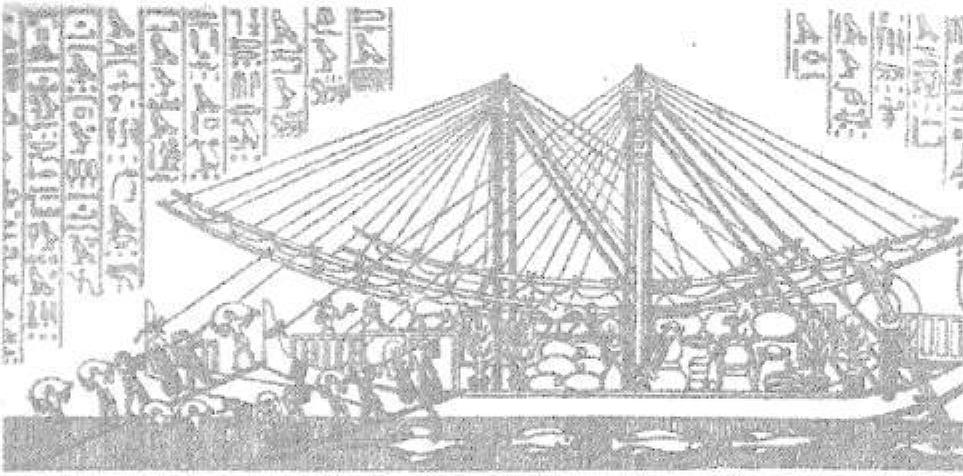
اجتمع فى جزيرة مايوركا ممثلو الدول المطلة على حوض البحر الأبيض المتوسط، وعلى راس جدول اعمال الاجتماع، امكان قيام تعاون بين الدول الصناعية المتقدمة فى الشمال وبين الدول العربية فى الجنوب.

فما الذى يمكن ان يتحقق من هذه الأفكار التى طرحت، وما هى إمكانات هذا التعاون، وهل يمكن سحب الأساطيل من مياهه؟، وما هو موضع اسرائيل من هذا النشاط.

وهل يمكن ان تقدم الرؤية التاريخية ابعادا جديدة لهذه المسألة!..

● لعب البحر المتوسط دورا هاما فى التاريخ العالمى لم تلعبه اية بقعة أخرى على ظهر الكرة الأرضية، فقد كان منذ فجر التاريخ وحتى اكتشاف العالم الجديد فى مركز الأحداث العالمية مسرحا لكثير من الحضارات، كما أن موضعه الجغرافى المتوسط بين ثلاث قارات جعل منه ممرا رئيسيا للتبادل التجارى والحضارى، هذا الى اعتدال مناخه الذى ساعد على الخلق والابداع الى

أن انتقل الانجاز البشرى المتفوق الى مناطق اكثر برودة (شمال غربى أوروبا) أمكن لسكانها بالدأب والمخترعات أن يفرضوا سيطرتهم على العالم الجديد وكثير من بقاع العالم القديم، وبخاصة بعد تحول التجارة العالمية الى المحيط الأطلنطى وطريق راس الرجاء الصالح، وحينئذ فقدت البلدان الواقعة على البحر المتوسط وعلى طرق المواصلات العالمية التقليدية كثيرا من اهميتها



صنع الفراعنة الحضارة عن طريق البحر ايضا

ومن مصادر زخائها التى قامت على استغلال تجارة المرور ، ولكن هذا لم يكن يعنى أن البحر المتوسط فقد اهميته الى غير رجعة ، إذ انه لم يلبث منذ أواخر القرن الثامن عشر أن استرجع قسطا وافرا منها وبخاصة بعد افتتاح قناة السويس فى عام ١٨٦٩ واشتداد حدة المنافسات الامبريالية بين الدول الأوروبية العظمى التى مالبثت أن سيطرت على سواحله الجنوبية والشرقية ، وعلى مساحات واسعة فى أنحاء أخرى من المعمورة وسعت الى فرض لغاتها وأساليب حياتها وأنماطها الحضارية على الشعوب التى سيطرت عليها .

ومنذ أن غزت الحضارة الغربية العالمين القديم والحديث أصبح الأخذ بمنجزاتها مقياسا للتقدم ـ بل ان المؤرخ البريطانى أرنولد توينبى تنبأ بأنها ستسود العالم وقد بشر توينبى بأفكاره الخاصة بقيام الحضارات ونموها ثم اضمحلالها ، فى كتابه « دراسة التاريخ » ، تقريبا فى الوقت الذى كان قد ظهر فيه كتاب أوزفالد شبنجلر « اضمحلال الغرب » ، فالحضارات كالكائنات الحية تحمل فى طياتها بذور فنائها ولو أنها لا تندثر تماما بل تنتقل مؤثراتها الى حضارات أخرى صاعدة ، وكما أن الحضارة الغربية أنجزت فى فترة قصيرة نسبيا كل المخترعات الحديثة التى أتاحت للغرب السيطرة الاقتصادية والسياسية والعسكرية فانها تسببت فى كوارث ليسا أقلها الحروب العالمية المدمرة والتفكك الاجتماعى والأزمات الاقتصادية والنفسية وضعف الشعور بالأمن .

وانبهر كثير من العرب والمسلمين

آفاق تعاون دول البحر المتوسط

بالحضارة الغربية فأخذوا كل ما يرد من الغرب على انه قضية مسلمة دون نقد أو مراجعة أو تطوير ، وقلدوه تقليدا أعمى مسخ هويتهم بحيث أصبحوا كالغراب الذى يقلد الطاووس ، فلا هو بقى غرابا ولا هو أصبح طاووسا ! ، فإذا قيل - مثلا - ان البحر المتوسط يشكل وحدة حضارية راح البعض يرددون هذه المقولة ترديد الببغاوات على أمل أن يوفر ذلك قنطرة توصل الى العالم الغربى المتقدم ، دون تنبه الى الفروق الحضارية التى تفصل شعوب هذا البحر بعضها عن البعض الآخر ، فهل يندرج المصريون والاتراك والشوام واليونانيون والأسبان والمغاربة والايطاليون فى نفس الاطار الحضارى ؟ ، وقد يساعد على الاجابة على هذا التساؤل أن نشير إلى ما كتبه مؤرخان غربيان معاصران تناولا البحر المتوسط خلال فترة القرن السادس عشر الذى شهد صراعا ضخما بين امبراطورية الهابسبورج التى شملت ايبريا والنمسا وايطاليا والمجر والأراضى المنخفضة (هولندة) وكانت لها أملاك شاسعة فى الأمريكتين بالاضافة الى نفوذ قوى فى المانيا ، وهذا كله مما خلع عليها اسم الامبراطورية الرومانية المقدسة ، وبين الامبراطورية العثمانية التى وصلت أوجها خلال نفس القرن فسيطرت على كل البلقان وحولت شرقى البحر المتوسط على الاقل الى بحيرة عثمانية كان الأسطول العثمانى يثير فيها الرعب وبخاصة حين تولى قيادته عزالدين بربروس ، كما سيطرت على كل المناطق الناطقة باللغة العربية باستثناء مراكش .

والمؤرخان اللذان تناولا تاريخ البحر المتوسط فى القرن السادس عشر هما فرناند بروديل Fernand Braudel الفرنسى واندرو هيس Andrew Hess الأمريكى ، وكان هذا الأخير فى وقت ما مديرا لمركز الدراسات العربية بالجامعة الأمريكية فى القاهرة ، ويذهب بروديل الى أن المناخ والتضاريس وغير ذلك من عناصر البيئة المادية قد فرضت الوحدة على حوض البحر المتوسط باعتبارها أساسا لايضاح تاريخ فترة سيطرت عليها سلسلة الأحداث المرتبطة بالصراع الهائل بين المسيحية اللاتينية (الكاثوليكية) التى كانت تتزعمها امبراطورية الهابسبورج ، وبين الاسلام الذى كانت تتزعمه الامبراطورية العثمانية ، ورغم تنبه بروديل للعداء بين هاتين المجموعتين الدينيتين فان تاريخه الجغرافى لمجتمعات البحر المتوسط يعمد الى تحجيم الخلاف بين حضارتى البحر المتوسط الرئيسيتين خلال القرن السادس عشر ، ومما لاشك فيه أن المعوقات الثقافية أثرت

فى تصور بروديل لعالم البحر المتوسط على افتراض أنه يشكل كلا لا يتجزأ ، وهكذا امتزج اطار جغرافى يتميز بالحياة الثقافية باهتمام بروديل بالظواهر الاجتماعية والاقتصادية المتداخلة ثقافيا وذلك سعيا منه الى التقليل من شأن عنصر التنوع .

أما هيس فإنه يذهب فى كتابه « الحدود المنسية » الى أن انقسام البحر المتوسط الى نطاقات ثقافية مختلفة ومحددة تحديدا جيدا هو المحور الرئيسى لتاريخه فى القرن السادس عشر وعلى افتراض أن عملية التغير التاريخى فى القرن السادس عشر قد أدت الى الامعان فى انقسام حياة البحر المتوسط — وهو ما يذهب اليه هيس — فان هذا ينتقل بنا عدة خطوات فى اتجاه ايضاح الطبيعة الخاصة للقرون التالية ، على أن لانضواء العالم الاسلامى والمسيحى واللاتينى فيمابعد فى نظام سياسى واقتصادى ذى صبغة عالمية يسيطر عليه الغرب لم يتمخض فى التاريخ الحديث والمعاصر عن توحيد عالم البحر المتوسط ثقافيا ، إذ أن هذا لم يؤد إلا إلى فرض تقسيمات جديدة من أعلى على الأسباب القديمة للانقسام ، وهى هذه المرة تقسيمات ذات صبغة سياسية واقتصادية اكثر منها دينية .

إذا كان بروديل يأخذ بالحتمية التاريخية حين يجعل الجغرافيا توجه التاريخ أو تسيره ، فان الجغرافيا ليست وحدها هى العامل الذى يحكم


ارنولد توينبى


فرنان بروديل

مسار التاريخ ، فالانسان — فوق كل شىء — هو الذى يصنع الحضارة — ولقد فند المؤرخ توينبى مقولة المؤرخ الاغريقى هيرودوت القائلة بأن مصر هبة النيل فذهب الى أن مصر هبة المصريين القدماء الذين سعوا الى السيطرة على النيل وبنوا الوادى ونظموا الرى وخزنوا المياه وأقاموا حكومة مركزية وحدت الوجهين القبلى والبحرى ، وتصدت للطامعين وشيدت المعابد والمقابر والأهرامات وأحرزت قدرا كبيرا من التقدم العلمى والهندسى والفنى ومن هذا النموذج يتضح لنا الدور الحاسم الذى يلعبه الانسان — إن النيل تعيش على ضفافه عدة شعوب لم يتفوق أى منها حضاريا تفوق المصريين القدماء لا لأنهم من طينة خاصة بل لأن النيل فرض عليهم تحديا ضخما تجاوبوا معه تجاوبا ايجابيا ، والبحر المتوسط — آخر الأمر — لا يشكل وحدة حضارية او

آفــاق تــعـــاون دول البــحــر المتوســـط

ثقافية ، وإن تكن حضارات شعوبه قد اختلطت بعضها بالبعض الآخر وبحضارات أخرى واحدة ، ونحن العرب والمسلمين نشغل حيزا كبيرا فى حوض هذا البحر المتوسط ولكننا لانتشابه مع الشعوب الأخرى القاطنة على شطئانه ، ولعل القول بوحدة حضارة البحر المتوسط كان يرتبط فى فترة ما بمحاولة بعض الدوائر الغربية تكتل تركيا واليونان وبعض الدول العربية المطلة على البحر المتوسط بل واسرائيل فى أحلاف معادية للمعسكر الاشتــراكــى .. ولكن الفــواصــل التاريخية والسياسية والثقافية بين الأتراك واليونانيين ـ مثلا ـ كان لها أثرها فى فشل مثل هذه المشروعات ، وكذلك الحال بالنسبة الى الفواصل بين العرب ـ مسلمين ومسيحيين ـ وبين الصهيـونيين الطامعين فى الأراضى العربية ، وأحرى بالعرب أن يوحدوا صفوفهم وأن يطوروا تراثهم وأنماط حياتهم بحيث يواكبون التقدم العالمى دون أن يسعوا الى أن يكونوا ذيلا للغرب الطامع فى ثرواتهم والذى لا يكن احتراما لهم أو لمقوماتهم .. واذا كانت محاولات توحيد العرب سياسيا لم تتمخض عن شىء لأنها ارتبطت فى كثير من الأحوال بأطماع شخصية فأولى بنا أن نتصدى للسلبيات وأن نبدأ صفحة جديدة تقوم على التعاون مع بعضنا البعض فى سبيل تحقيق المصالح المشتركة ، ولنأخذ نصب أعيننا الطفرات التى حققتها اليابان التى اقتبست بعضا من نواحى تفوق الغرب دون أن تمسخ هويتها أو تتمسح فى ذيول التبعية املا فى أن يساعدها الآخرون أو تربط نفسها بأحلاف تفرض عليها ولا تستند الهوية الى مجرد التشبث بالماضى البعيد ومحاولة بعثه كما كان ، بل لابد من التركيز على أحسن ما فى هذا الماضى مع اضافة ما يمكننا من مسايرة التقدم العالمى ، كما لابد من حسم المشكلة التى يجرى التعبير عنها بالقول بأن ثمة تعارضا بين التراث والمعاصرة وكأنهما نقيضان ، فالتراث ليس شيئا مقدسا لا يجب المساس به أو انتقاده أو تطويره ، كما أن الحداثة لا تعنى التقليد الأعمى لكل ما هو غربى لمجرد أنه غربى ، وبدلا من عقد ندوات عن التراث والمعاصرة يجب بحث الوسائل العملية التى تمكننا من المزاوجة بين هذين القطبين اللذين ليسا متنافرين فى واقع الأمر ، ولنخفف من حدة النرجسية القومية التى يعبر عنها الكثيرون شفاء لمركبات النقص التى أورثنا اياها الخضوع الطويل للاستبداد وللحكم الأجنبى ولنواجه الواقع بشجاعة بدلا من الهروب منه بالنكوص الى فترات من تاريخنا يجرى تصويرها باعتبارها الفردوس المفقود .

شهريات

شعر

دكتور كيلانى حسن سند فى ديوانه فى انتظار المطر

هذا الشاعر فقدناه قبل الأوان ، وهو فى قمة نضجه الفكرى (٥٤ عاما) .. وعزاؤنا ما قدمه قبل وفاته من مؤلفات عديدة ، من شعر ونثر ، لثرى بها المكتبة العربية ، واضاف إليها نتاجا طيبا قيما ، بما حفل به من دراسات ادبية وتجارب شعرية ، آخرها كتاب حازم القرطاجى وهو تلخيص لرسالة الدكتوراة التى قدمها الشاعر ، وحصل بها على مرتبة الشرف الأولى عام ١٩٥٧ ميلادية .

أما الشعر فكان آخر دواوينه هو : « فى انتظار المطر » الذى نحن بصدد الحديث عنه وقد أصدر قبله قصائد « فى القتال » ، و «العاصفة» و : «قبل أن يسقط المطر» وأول ما يلفت نظر القارىء لديوان .. فى انتظار المطر للشاعر كيلانى حسن سند هى تلك النغمة الحزينة التى تشمل الديوان ، وهذا التمرد المتوغل فى أعماق سطوره تلك هى احاسيس شاعر؟ بل وشاعر رقيق الحس مرهف الوجدان ؟ أم ذلك هو أثر تعرضه لضغوط هائلة ، فى حياته الشخصية ، حيث خطبت له أمه عروسا تزوجها والده ، عقب وفاة أمه ..

وكان أبوه موسرا فبدأ ينصرف عنه الى حياته الجديدة ، وكان كيلانى وحيده المدلل ، فأصبح واحدا من ذكور اربعة ..

وطالب الفنان بحقه فى الميراث ، بعد وفاة والده ، وانحاز له البعض ، والبعض الآخر انحاز الى زوجة أبيه .. فنشبت معارك مثيرة ، قتل فيها العديد من الرجال ، وأمسى مطاردا ، ولكنه حصل على حقه فى الميراث ، وقدر لشاعرنا الحزين أن يلتقى بشاعرة فى أحد المحافل الأدبية وكان زواج ، ثم انفصال .

ولقد توفى الشاعر فجأة وهو وحيد فى مسكنه يتلو القرآن الكريم واكتشف الوفاة احد الاصدقاء ، فأسرعت زوجته السابقة وكانت قد أنجبت منه ولدا وقام أهلها بعمل اللازم لدفنه فى قريته ، ونفذوا وصاياه وعلى رأسها اهداء مكتبته الكبيرة الى كلية التربية بالفيوم ، ومنها تخرج .

والآن وقد الم القارىء بالتجارب التى مر بها الشاعر الراحل وعاناها ، فى اعتقادى أن ذلك سيزيده فهما لأشعاره وكشفا عن جوهرها .

وقبل أن نتصفح ديوان : « فى انتظار المطر» آخر ديوان للشاعر كيلانى حسن سند .

لتمعن جيدا فى معنى كلمة العنوان

ذاته ، ففيه ما يدل على مشاعر صاحبه واحساسه ، بحياة مجدبة ، كالصحراء .. مقفرة .

وأرى انه كان يستشف من حياته بعض الأمل فى المستقبل حيث ينزل المطر فيعم الرخاء وتخضر الارض ، وبالتالى تضىء الروح وتنتعش النفس . أجل .. لقد كان الشاعر على ثقة بانهمار المطر فأصدر ديوانه الثالث وقبل الأخير «قبل أن يسقط المطر» .

ولكن ... مر الزمن ولم يشعر بالسعادة المرجوة ولا لحس براحة النفس .. اى أن السماء لم تمطر .

● صدق وعمق فنى

وفى تحد للقدر جلس كيلانى حسن سند ، الشاعر اليائس والحزين ، تحت القبة الزرقاء يتأمل السماء ويغنى ديوانه الأخير «فى انتظار المطر» ترى هل أمطرت له السماء أخيرا ؟ وهل سقط المطر قبل أن يودع شاعرنا هـذه الأرض ..؟ لا أظن .. وقصائد ديوان : «فى أنتظار المطر» ليست مرتبة التقسيم ، وإن كانت منوعة .. فهى شعر حر ، ذو قافية متباينة . وتفاعيل غير محددة ، تطول احيانا أو تقصر ، ويميل معظمها الى بحر واحد يسهل عليه التظم عند الشاعر وإن كانت هناك عدة قصائد من الشعر التقليدى ، تمتاز بموسيقى هادئة وقيمة فنية كبيرة .

وكل شعر الديوان يلفه صدق خالص ، وعمق فنى ، وحركة مسايرة للانفعال .. مثال ذلك فى شعره العاطفى من قصيدة .. «عصفور الحب» وتتميز هذه القصيدة بالوحدة المتماسكة والايقاعات المتوائمة .

وفى اعتقادى أن الشاعـر يعنى بالعصفور قلبه المتعطش دائما الى العاطفة ، وهو هنا يحذره من العودة الى الحب بما فيه من آمال وآلام ، حين يهل الربيع وتتفتح الأزهار ولكن الطائر الماكر يجيبه اخيرا فى تحد وسخرية .

فى ذات مساء شتوى أمسكت به قرب الدار

قد كان وديعا واليفا لكن كذابا ثرثار

مد جناحيه .. استرحمنى .. ذكرنى

أقسم بالماء الجارى كالفضة فى الأنهار

أقسم بالورد الأحمر حين يرى خديك يغار

أقسم لن يرجع بعد اليوم فقلت له يامكار

ستعود إذا خلع الورد القمصان وفك عن العطر الأزرار

ستعود مع الأطيار ، مع النسمة ..

حين توشوش آذان الأزهار .

حين يعود الناس أثنين .. أثنين وكل حديثهما أشعار

لكنى سأقص الريش .. أعريك

وألقيك أمام الريح وتحت الأمطار

فتبسم منطلقا بتحدى

سأعود ولو تلقينى فى النار ..!





كيلانى حسن سند

الحق أنه شعر متوهج بالعبارة المضيئة والصورة الحية ولنستمع الى ابيات من قصيدته الطريفة «دعوة» حيث يقول لحبيبته فى غضب ماكر :

سأدعو عليك .. يحج الفراش الى وجنتيك

سأدعو عليك .. يهب النسيم الشقى ، يبعثر شعرك .

عن كتفيك ..

ويسدل ثوبك حينا وحينا يطير به من على ركبتيك

سأدعو عليك إذا العيد جاء ولم تأتنى

بأن تمرحى فى ربيع الشباب وقلبى يمرح بين يديك

وهذه قصيدة «مرثية حب» وهو يتذكر حبا كان ومضى لكنه مازال يذكر جمال الحبيبة فيصفها وصف ناسك يتعبد فى محراب الجمال .

لم يعد يبصر ما كان وكان .

وجهها الأبيض كوبا من حليب لم تلامسه يدان

شعرها الأصفر أوتار كمان .

صوتها الهامس بالحب غناء الكروان

وبعينيها مظلات أمان .

كرمة مثمرة فى كل آن .

كان إذ يسمع «سوزان» من البعد «سوزان»

ترقص الفرحة فى عينيه ويخضر المكان

يشرب الصوت يناغيه بشوق وحنان

ويراها زهرة تخضر فى كل أوان

فيغنى للدجى ، للفجر ، للشمس التى تنسج ثوب الأرجوان ولعشاق الزمان .

★ ★

وهكذا نجد أن شعر كيلانى حسن سند يجمع بين العنصر الجمالى والقيمى . الجمال فى ابداعه الفنى ، والقيمة فى عمق مضمونه .

والشعر كما نعلم بناء وأدواته لفظ ، وصورة وقيمة فيما يتحلى به اللفظ من إيحاء وتأثير وما تتسم به الصورة من صلة بالتجربة وهذا هو الموجود فى ديوان «فى انتظار المطر» .

شهريات

وإذا استعرضنا قصائد الديوان وجدنا أغلبها من الشعر العاطفي وقليلا من الشعر الوطني وبعض شعر المناسبات .

وأما الشعر الوطني فيميل الى الهدف وفيه سلاسة وقوة . ودليل ذلك قصيدة .. أوديب والمدينة الخرساء «فالشاعر لخص في صفحتين ما عايشه من آمال وآلام وما تجرعه من حياة وموت في ظل عهد من العهود الماضية . وفي رمزية سهلة وحببية الى النفس يقول الشاعر :

حينما جئت الينا وسط الموج سفينة
حينما جئت ازدهار ألف أعطاف المدينة
واكتسى الجذر اخضرارا ورمى عنه العفونة
انطلقنا نحضن الشمس التي كانت سجينه
وانتصبنا كل ما كان انحناء صار فينا كبرياء
غير أن الريح قد تخبط للسفن الرجاء
كل ما كان دواء صار داء
صار أوديب بلاء
ووضعنا ألف مرآة له تعكس ظله
صار نرسيس مُدلّه

ويمضي الشاعر في وصف نهاية تلك الحقبة وأثرها ومشاهدها في قوة وإدراك شاعر أصيل مما يرتفع بمنزلته الى مجال الفن الخالص .

وفي قصيدة «العبور» نجد أسلوبا غنائيا مع عذوبة لفظ وقوة خيال حيث يقول :

حين لمسنا وجه الماء توضأنا وسجدنا
قلنا باسم الله وباسم عرابي وصلاح الدين
باسم الشهداء بطور سنين
باسم العمال وباسم الفلاحين
فانفلق البحر وسرنا بين جبال الموج .
كانت آلاف الأشياء تحيينا
وعصا موسى تهدينا
موسى ألقى بعصاه الينا
فأخذناها وضربنا البحر
فانشق الى آلاف الطرقات
كان ضجيج الآلات . وهي تشق البحر وتصعد بين تلال الرمال
تلقى بقشور اليأس العالق بين الوجدان
تغسل أدران الحزن الملتصقة بجبين الانسان وتعبئني أحواض النار .
لنغسل فيها قمصان الأمس المتسخة من عرق العار .

ولاينسى الشاعر أن يرثى أصدقاءه ومنهم محمد الجيار وعبد اللطيف النشار ويقول في قصيدة «مرثية لشاعر جوال» عن الشاعر النشار :

كنت ترتل أعذب صلوات الحب
حين انحنت الرأس وسال لعاب الشدقين
انتهت اللعبة .. لعبة أن تحيا .. وتكابد قبلي أين .. ؟
كان متاعك ما تحمله في يمناك
عصاك .. وبضعة اقلام ودواة من حبر وقصاصات الأوراق
ترب المقهى سقط متاعك وسقطت
طارت بعض قصاصات الأوراق

غاب العالم .. من غنيت له الأشواق .
من يدرى ؟ قد تلقى الريح ببعض
اغانيك أمام حبيبين
يانهر الشعر المتجدد
لن ينساك الشعر وقد
أحرقت له السبعين شموعا فى المعبد

إن اجمل مافى شعر صاحب ديوان «فى انتظار المطر» هو هذا الانفعال النفسى الذى تثيره فيه الأشياء والأحداث والمعانى والأشخاص ، عند اعادة التجربة فتخرج القصيدة عامرة بالعواطف الجياشة وكأنه انتزعها من هوة الموت ، ودفع بها الى القارىء دافئة تنبض بالحياة .

وبعد .. مازلت اقول أننا فقدنا شاعرا فى قمة نضجه الفكرى ، وخسرنا بفقده نبعا من الاحساس العميق والتأمل الواسع والموهبة الحقة والطلاقة الفنية الأصيلة ..
رحم الله الشاعر الكبير : كيلانى حسن سند .

جليلة رضا

فن تشكيلى

«ثيو بالدين» بين الفن والسياسة

ساقتنى قدماى الى معرض الفنان الألمانى المعاصر «ثيو بالدين» بالمركز الثقافى لألمانيا الشرقية، بشارع «سان جيرمان» بباريس ، وكان المعرض بمناسبة بلوغه سن الثمانين . كان ذلك فى يناير ١٩٨٨ .

كنت قد شاهدت له من قبل ، وبالمصادفة ايضاً ، عددا قليلا من الصور تمثل بعض منحوتاته . تعاطفت بشدة مع احداها وهى تمثل حمامة تتخذ من خوذة مقلوبة لشهيد قاعدة ، ومأوى تقف شامخة ، تتطلع الى المستقبل ! .. وعندما التقيت بها ، ودرت حولها ، ولمست براعة البناء ، ونبض عجينة الطين ، والرمز غير المفتعل او المقحم على سياق البناء .. استمتعت بها اكثر .

كان المعرض شاملا . ضم كل مراحله النحتية ، مصحوبة برسوم خطية ، ورسوم مطبوعة ، ولوحات فوتوغرافية ، ووثائق ودراسات عن انتاجه ، وسيرته الذاتية .. كشفت جميعها عن فنان جمع بين عالمين متناقضين ، عالم لا يتألق الا فى الاستقرار ، وعالم لا يتألق الا فى الخطر .. اقصد : عالم الابداع التشكيلى ، وعالم الفعل السياسى

بوجهيه : السرى والعلنى ! .. فباجتماعهما يكون تبادل الجزر والمد ضرورة ! .. وهذا ما حدث بالفعل لـ «شيو بالدين» ، فقد اضطرته السياسة الى التوقف ، احيانا ، عن ممارسة الفن ، واضطرته احيانا اخرى الى المواءمة بين الفن وتطلعات الحزب الشيوعى الذى انتمى اليه ، بل اضطرته الى انتحال اسمه الحالى ، حتى يتمكن من الهرب من «الجستابو» الى «براج» عام ١٩٣٤ ، ودفعته بعد تلك الى الهرب من «تشيكوسلوفاكيا» الى انجلترا ، واستقر بها بين عامى ١٩٣٩ و ١٩٤٧ . وربما بسبب السياسة ايضا لم يتمكن من اقامة معارض «فردية» الا فى عدد قليل من العواصم الأوربية بينما مثلت اعماله فى المعارض الجماعية الخارجية ، وقد عرضت له بعض الاعمال فى القاهرة كشفت منحوتاته ـ بشكل عام ـ عن وعى بالفارق بين الفن والسياسة ، ولم تكن ـ فى معظمها ـ صدى «ميكانيكيا» لـ «فعل» السياسى ، بل تعبيرا عن موقف ورؤية انسانية شاملة ، موصولة بالانجازات الفنية : القومية ، والعالمية .. فبلمحة واحدة تستطيع اكتشاف ان ابداعه تولد من قلب التعبيرية الالمانية ذات الطابع المميز .. الذى يتسم بالحدة ، والتهاب العواطف ، وربما كان تعبير «الميلودراما» اقرب الى وصف طبيعتها ويعكس انتاجه ، ايضا ، تأثرا بانجازات النحت الحديث .. وبشكل خاص .. انجازات «رودان» و«هنرى مور» ، اضف الى ذلك تأثره بمظاهر الطبيعة ، كالاشجار والاغصان الجافة ، وبالنحت الشعبى الافريقى .

● المرأة .. الوطن

احتل الانسان ـ بهيئته المحورة تارة ، والمشابهة للواقع تارة اخرى ـ البطولة واستحوذت المرأة على اكبر نصيب من تلك البطولة .. ولم يقدمها فى معظم الاحوال باعتبارها شكلا موصوفا عن نموذج ـ او عينة بشرية ـ بل باعتبارها رمزا يتسع للاشارة والايحاء بالوطن الخصيب بالاجنة التى تنتظر الميلاد . وهى ـ اى المرأة ـ فى تمددها غير المسترخى ـ وفى جلستها المنتصبة ، او قيامها الشامخ .. قوية قادرة على حماية الآخرين : ففى منحوتة بعنوان «الام والطفل» ـ انجزها عام ١٩٦٥ ـ تظهر الام بكتلتها الجبلية ، متطلعة الى خطر قادم ، وتصنع من ملاءتها وجسدها مأوى لصغيرها وتشكل كتلة الأم والطفل كيانا نحتيا ، لا يعترف الا بالفراغ الراسم للحدود الخارجية ، ولم يسمح الا بفراغ داخلى اسفل ساقيها ، ليؤكد به ثقل كتلة الام . ونرى المرأة شامخة فى جلستها .. فى منحوتة بعنوان «امرأة حامل» انجزها

عام ١٩٤٨ . ذات أطراف خشنة ، غير ان اداءه النحتى ، ورؤيته تنضج بدرجة افضل – فى تقديرى – فى منحوتة بعنوان «امرأة ممددة» انجزها عام ١٩٧٢ . يخطو بها خطوات فى طريق التخفف من المشابهة الواقعية لتكون رمزا جامعا بين المرأة والوطن والطبيعة ، جسدها يأخذ من كثبان الصحراء الارتفاع والانخفاض والاستمرارية ومن حسية الجنس وخصوبته استدارات الصدر والبطن . ويقوم الفراغ الخارجى والداخلى بخلق كيان حى متوتر ، توتر المخاض ، توتر من يستعد لتقديم هبة عظيمة للانسانية !

● الجذع الاسود !

من الأعمال التى أعجبتنى ، منحوتة من الفخار الاسود ، عنوانها الوصفى «الجذع الاسود» لقد ألهم جذع «فينوس» المكتمل شبابا وجمالا واتزانا ، عشرات الفنانين ، شرقا وغربا ، بابتكار تنويعات لا حد لها منه . كما ألهمت «اساطير التحول» من جنس الى جنس او من نوع الى اخر ، بتحولات مشابهة فى مجال الابداع الفنى . وبالنسبة لـ «بالدين» فقد اختار تحول الجذع – الذى يشكل بطبيته محور الخصوبة والمتعة – من مادة الكائن الانسانى الى مادة النبات ، واستعار له خشونة ملامس الاشجار التى تعلق بها طويلا : دارسا ، ومتأملا ، ومسجلا لها فى عديد من الصور الفوتوغرافية . وربما خطرت له «دافنى» فى تحولها الى نبات ، قربا من «ابولو» .. غير ان «بالدين» استخرج لنا كيانا اسطوريا جديدا .. .. ينتظم الموروث ، والمختار ، ويتمرد على



● حمامة السلام

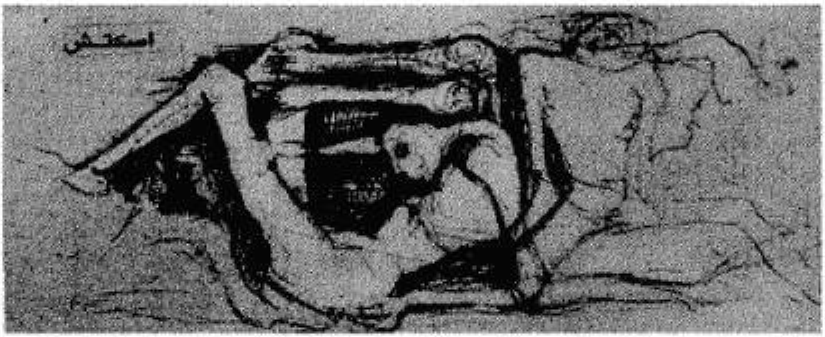
الرصانة الكلاسيكية يملأ مناطق الخصوبة بالحركة والتوتر ويبدو «الجذع» مشتبكا فى معركة ما : تضاريس الكتلة وملامسها الخشنة فى صعود وهبوط ، تصرفنا عن التأمل الجمالى الهادىء الذى نلتقى به عند «فينوس» واختار «بالدين» لمنحوتته جسدا طينيا اسود لينبهنا الى واقع عصرنا المضطرب .

● «رأس به مسمار» !

رأس من الخشب مغروس به مسمار حديدى . انجز عام ١٩٣٩ ويشارك به عشق كبار فنانى الغرب للمنحوتات الشعبية الافريقية ويبدو أن «بالدين» لم يتعلق بهذا النحت الشعبى تعلقا كبيرا ، فلم تظهر اثار هذا التلاقى الا فى اعمال متفرقة ، عبر ازمنة متباعدة وتفسيرى لهذا انه لا يميل كثيرا الى البناء الهندسى المعمارى .. والذى يمثل النحت الفرعونى والنحت الافريقى نماذج مبهرة له ، بل يميل اكثر الى تداعيات الدفق العاطفى الانفعالى ، وربما لهذا السبب طعن هذا الرأس المعمارى ، المهندس بمسمار حديدى . لا مبرر له – فى تقديرى الا الاعتراض على الكتلة المعمارية المتسقة التى دعتنى ، لكونها كذلك ، الى الاعجاب بها !

ليس معنى هذا بالطبع ان «بالدين» يضحى بالبناء ، فالبناء ووحدة الكتلة من الحتميات النحتية التى لا يكون النحات نحاتا الا بالقدرة عليها .

غير ان من بين النحاتين من يرجح كفة البناء المعمارى على التعبير الانفعالى الحاد او العكس وأظن ان «رودان» و«هنرى مور» «رودان» بانفعالاته ، «ومور» بعقلانيته . يتصارعان فى مخيلة «بالدين» ولا يجد منقذا فى كثير من الاحيان الا فى



نوع من الحوشية الفطرية . وتتبدى بصورة جلية في رسومه التحضيرية الخشنة ولا ترقى تلك الخطوط الا عندما تنتقل من الورق المسطح الى بعض الكتل المجسمة في الفراغ مثل المنحوتة التي تمثل راس «فيكتوريارا» حيث يقوم الخط الخارجي . البالغ الحيوية برسم الكتلة وفراغاتها الخارجية والبينية

تلك كانت لمحة سريعة على مثال غير معروف لدى معظم الفنانين المصريين ، على الرغم من شهرته العريضة في بلاده .. التي تحرص مؤسساتها الثقافية على تقديمه الى العالم بالصورة اللائقة .. التي تتمناها لمن يستحقون من فنانينا .. وما اكثرهم !

محمود بقشيش

ذاكــــرة العرب

د . عصمت عبد المجيد

ظلت مصر على مدى قرن كامل من الزمان ، ومنذ انشاء مطبعة بولاق ، ومن خلال مكتبة الأزهر الشريف ودار الكتب المصرية منارة من منارات العلم ، بما تضمه من كتب التراث النادرة التي تحقق للدارسين والمتخصصين بغيتهم فيما يطلبون من علم وجاء انشاء معهد احياء المخطوطات العربية ليقوم بدور كبير حيث اصبح ملاذا لكل الدارسين من حيث تهيئة ماليه من مخطوطات نادرة في مصر والخارج .



د . عصمت عبد المجيد

ولقد قام العاملون في هذا المعهد بجهود كبيرة في تصوير المخطوطات النادرة التي وجدت في دار الكتب والمكتبة الازهرية والمكتبات المنتشرة في عواصم المحافظات بمصر كما انطلقت بعثاته شرقا وغربا الى استانبول والهند والقدس وسوريا وبيروت وتونس والمغرب والسعودية واليمن الشمالي والجنوبي ، ومكتبات اوروبا وامريكا الى ان تكونت حصيلة هائلة من افلام الميكروفيلم بلغت ٢٧ الفا .

وهذا المعهد الذي يتبع المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم عمل منذ انشائه بالقاهرة عام ١٩٤٦ على تصوير المخطوطات العربية من مصادرها الأمنية وفهرستها واعدادها للباحثين ، فضلا عن دوره في تبادل المعلومات عن المخطوطات العربية وتيسيرها مع المراكز العلمية المناظرة ، وتيسير الاطلاع عليها في مقر المعهد وتقديم صورة منها للباحثين على الميكروفيلم او مكبرة على الورق ..

ومنذ الأزمة السياسية التي حدثت ونتج عنها نقل مقر الجامعة العربية الى تونس

شهريات

لم يتوقف عمل المعهد بالرغم من القرار الذى صدر بإنشاء معهد يؤدى نفس الدور بالكويت .

والآن ونحن نعلم ما احدثه الغزو العراقى للكويت واحتمال ضياع كل ماكان يضمه معهد احياء المخطوطات العربية والدور الذى ينبغى ان يقوم به معهد القاهرة الآن .

ان الكم الهائل من افلام الميكروفيلم والتى وصلت الى ٢٧ الف فيلم معرضة للتلف بسبب الاهمال الجسيم الذى نتج عن اصلاح الكهرباء فمن المفروض ان توضع الافلام فى درجة حرارة لاتزيد على ١٨ درجة مئوية ، خاصة وان اجهزة التكييف معطلة .

يواجه المعهد حاليا مشكلة فى غاية الخطورة وهى الاستغناء عن كل العاملين فى المعهد والذين تصل خبرة البعض منهم الى ٢٧ عاما فضلا عن انهم من افضل خبراء الوطن العربى فى هذا المجال ان قرارات انهاء خدمتهم قد تسلموها فعلا فى الوقت الذى حضر فيه عدد من العاملين بمعهد الكويت لكى يتسلموا عملهم بدلا من العاملين فى معهد القاهرة !

ونحن نناشد الدكتور عصمت عبد المجيد نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية ان عشرة من خيرة ابناء مصر مطلوب ان يسرحوا فورا بعد ان افنوا زهرة شبابهم فى هذا العمل . وبعد ان قاموا بجهد كبير فى اثراء المعهد بالوثائق النادرة ومن بينها تاريخ ابن عساكر وقطعة من القرن الثالث من كتاب سيبويه ، وكتاب الصاهل والشاحج للجاحظ وهو مصور من المكتبة الملكية المغربية .

ان العمل متوقف الآن فى المعهد ، حيث توقف الاصلاح منذ عام ولم يعد احد يذهب الى المعهد من الدارسين للاستفادة وهناك عدد من الخبراء مطلوب تسريحهم ، وعدد من العاملين فى معهد الكويت يجلسون الآن داخل المعهد فى انتظار ما سوف يقومون به من عمل .

كل هذا يحتاج بالفعل الى حكمة الدكتور عصمت عبد المجيد ، ليعود لهذا المعهد دوره الريادى وليواصل العاملون به دورهم المشهود به .

مكتبة الهلال

الكتاب : التأويل والمفارقة
الناشر : المركز الثقافى العربى بالمغرب
تأليف : كمال عبداللطيف
١٥٢ ص ٥٥٥ ق م

يضم هذا الكتاب مجموعة من الدراسات النقدية للخطاب

السياسى العربى الذى تمثل فى عدد من الكتابات النهضوية ، والندوات الهامة التى ناقشت قضايا الخطاب السياسى العربى الحديث .. وهو فى حقيقته محاولة اولية نحو تاصيل فلسفى للنظر السياسى العربى ، ويسال المفكر النابه كمال عبد اللطيف هذا السؤال : كيف اول المثقفون العرب فى القرن التاسع عشر المنظومة السياسية الليبرالية ؟ ثم يردفه بسؤال اخر كيف يفكر المثقفون العرب اليوم فى الديمقراطية والاصلاح السياسى ؟ وكيف تشكل نسيج الكتابة السياسية فى العالم العربى ؟

وتاتى اجابات هذه السلسلة من خلال دراسته النقدية النابهة لموضوعين رئيسيين : السياسية النهضوية ، حيث يناقش عملية التاويل والمماثلة المستحيلة عند خير الدين التونسى فى مقدمته ، عوائق الحداثة السياسية فى خطاب رفاعة الطهطاوى ، والموضوع الثانى : هو تاصيل فلسفى للنظر السياسى العربى ويناقش فيه قضايا عوائق النظر وصعوبات التاريخ من خلال دراسته لاوراق ندوة ازمة الديمقراطية فى الوطن العربى التى نظمها مركز دراسات الوحدة العربية فى قبرص عام ١٩٨٣ ، ومفهوم العلمانية فى الخطاب السياسى العربى من خلال دراسته لجدال الامام محمد عبده مع فرح انطون حول مسالة الاضطهاد فى الاسلام والمسيحية .. ثم استعراضه لكتاب الاسلام واصول الحكم لعلى عبد الرازق والمعركة التى اثارها فى حينه ، ثم يتقدم خطوة اوسع بدراسته لموضوع مفهوم الاصلاحية العربية والدولة الوطنية الذى يدرس فيه مفارقات الكتابة السياسية فى الوطن العربى ، من خلال دراسته لكتاب على اومليك ، الاصلاحية العربية والدولة الوطنية ، ثم يختم بحثه المستفيض باستعراض لدرس العروض بدراسة عنوانها حول المشروع الايديولوجى التاريخى ، انها دراسة نابهة لمفكر مجدد واصيل نعتقد انه سيكون قريبا فى الصف الاول من مفكرينا العرب الجادين .

الكتاب : السلطان يرجم امراة حبلى بالبحر
شعر : ظبية خميس
الناشر : رياض الريس للكتب والنشر لندن ، ١٢٤ ص ، ٤ ج . س

فى طبعات انيقة لم تشهد ساحة الثقافة المصرية لها مثيلا اصدرت دار رياض نجيب الريس التى تاسست منذ اعوام قليلة فى العاصمة البريطانية عدة مجموعات شعرية لشعراء الطليعة الشبان العرب ، وقد ضمت هذه المجموعات ذكر الورد لسنية صالح ، والصهيل المعلبة لصلاح نيازى ، ولا نرث الأرض لفوزى كريم ، وقصيدة غرام عراقية لفالح حسن ، ومجاراة للصوت لنورى الجراح ، ثم هذه المجموعة للشاعرة العربية الشابة ظبية خميس ، وهى صاحبة

شهريات

صوت متميز وحاد بين شعراء وشاعرات الخليج العربي، صوت له أصالته وقوته التي تستحق وقفة نقدية جادة من نقادنا الذين يفعلون كل شيء إلا النقد الجاد والمتعمق.

وتضم هذه المجموعة ٣٥ قصيدة جديدة وهي مجموعتها الخامسة بعد خطوة فوق الأرض، والثانية ان المرأة الأرض كل الضلوع، وحبابات المهرة العمانية، وقصائد حب وقد كتبتها الشاعرة في العامين الاخيرين

الكتاب : معجم الاعلام في الاساطير اليونانية والرومانية
اعداد : امين سلامة
الناشر : مؤسسة العروبة . القاهرة . ٤٢٤ ص . ١٠ ج م

هذه هي الطبعة الثانية من هذا المعجم الفريد الذي كانت طبعته الاولى قد صدرت في اوائل الستينيات، وهو في اصله ترجمة لكتاب «معجم الجيب في الميثيولوجيا القديمة» لمؤلفيه هلو، وهيرر، وقد وقع عليه اختيار امين سلامة لانه كما يقول: ايمانا مني بانه اوفى كتاب يتضمن ثبتا شاملا باعلام الاساطير في الأدب اللاتيني واليوناني. ولعلني اكون قد وفقت في النقل، بل واصبت حينما زودته بهذا العدد الكبير من الصور التي خلت منها النسخة الاصلية.

ويقول ايضا عن المشاكل التي صادفته: ان في مقدمتها كانت مشكلة تعريب اسماء الاعلام نفسها، فهناك اكثر من صورة لترجمة العلم، ولكل صورة محاسنها ومثالبها وكنت دائما اضع نصب عيني ان اتخذ سبيلا حكيما ينأى بالقارىء عن كل لبس ويدنو به من البحث اليسير.

انه واحد من تراثنا الثقافي الذي استحق هذا الاحياء بنشره من جديد نرجو ان يلحق به العديد من المراجع الهامة التي نشرت في الستينيات ونفدت ونحن في اشد الحاجة لاعادة طبعها.

الكتاب : تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الاسلامية
تاليف : شوقي عبد القوي عثمان
الناشر : عالم المعرفة ـ الكويت ٣٦٤ ص

توضح لنا هذه الدراسة ان التجارة كانت أبرز مظاهر النشاط في المحيط الهندي، او هي المظهر الوحيد الذي حمله في اعطافه جميع المظاهر الدينية والثقافية والحضارية فضلا عن الهجرات ولم يتضح اثر التجارة كما يقول المؤلف في

منطقة من المناطق وظهر تاثيرها واضحا كما اتضح في منطقة المحيط الهندي ، ذلك ان ظاهرها كان نقل المتاجر عبر بلدانه ، وكذلك من بلدانه الى عالم المتوسط وبالعكس .

وبصورة اخرى يمكن القول انه كانت هناك عدة دوائر متداخلة في المحيط الهندى للتبادل التجارى ، ودائرتان كبيرتان : احداهما تشمل بلدان المحيط والاخرى تشمل بلدان البحر المتوسط وقد اقتصر الكاتب في بحثه على تلك الدوائر المتداخلة ونشاطاتها التجارية .

كما تلقى الدراسة ضوءا على دور العرب العظيم في حركة التجارة العالمية ، وتثبت انهم كانوا حركة الوصل بين ارجاء هذا العالم المترامي ولم يقتصر دورهم على نقل المتاجر فقط بل نقلوا دينهم وثقافتهم الى كل المناطق التى حلوا بها بالرغم من قلة عددهم .

الكتاب : الحركة الشيوعيـــة المصريـــة
تاليف : مصطفى طيبة
الناشر : سينا للنشر
١٢٨ ص

يقول مصطفى طيبة عن دافعه لتاليف هذا الكتاب انه : الشعور بالمسئولية ، المسئولية تجاه وطنى وشعبى ، وتجاه المئات من الزملاء والأصدقاء الذين منحونى ثقتهم ، واعتبروا موقفى الفكرى نموذجا لما ينبغى ان تكون عليه الاستقامة الفكرية .

ويضيف :
منذ ظهر كتاب « رسائل سجين سياسى الى حبيبته » في أواخر السبعينات ، وأنا اتعرض لضغوط شديدة من بعض الأصدقاء والصديقات ، لكتابة تجربتى في الحركة الشيوعية المصرية ، أو لنقل تسجيل شهادتى عن بعض المراحل الهامة من تاريخ هذه الحركة .

في كتابه المذكور برزت اشارات كثيرة لبعض جوانب تاريخ الحركة الشيوعية حتى وأن جرت أحداث ذلك التاريخ داخل الجدران السوداء ، أو فوق الرمال الحارقة لصحراء الواحات الخارجة في جناح والمحاريق

يقول المؤلف . ولأن عيون بعض الأصدقاء التقطت ما تنطوى عليه هذه الاشارات من دلالات ، فمن الطبيعى أن أواجه بعشرات الأسئلة .. تتركز حول خفايا هذه المرحلة .. وتفسيرى لما جرى فيها من أحداث ثم المطالبة والالحاح بضرورة كتابة هذه المرحلة من التاريخ في كتاب مستقل .

لكنه يقول أن هذا ليس الدافع الوحيد فهناك دوافع أخرى تتمثل في صراع يدور في أعماقه بين الانجازات العظيمة التى حققتها هذه الحركة في الأربعينات والخمسينات ، وبين ما وصلت اليه في الثمانينات من ضعف وتفكك ومن عجز عن توحيد اليسار المصرى ، بل وسائر القوى الوطنية الديمقراطية وتيارات الاسلام المستنيرة حول برنامج يمكن الاتفاق عليه .

حول كتاب
"مذكرات طالب بعثة"

بقلم : نبيل فرج

اود ان اصحح بعض الوقائع الخاصة بكتاب " مذكرات طالب بعثة " ، التي وردت في مقال أخي الفريد فرج " صورة شخصية للدكتور لويس عوض " . في عدد اكتوبر الماضي من " الهلال " ، رداً لغيبة رجل انقطعت صلتي به منذ انتقلت في أواخر الستينات من الاسكندرية إلى القاهرة ، ولا اعلم إن كان على قيد الحياة أم لا ، واعني به الشاعر السكندري كناري (حسنين محمود حسنين) الذي لم يشأ الفريد فرج أن يذكر اسمه ، رغم أن مقدمة الكتاب التي كتبها لويس عوض ، وكلمة كناري الثانية في نفس الكتاب ، تذكر بكل امانة الأحداث بتفاصيلها والأشخاص بأسمائها ، وماكان أسهل الرجوع الى الكتاب لتجنب أي خطأ أو تحريف .

ويبدو أن مرور ربع قرن كامل على هذا التاريخ ، من ١٩٦٥ الى ١٩٩٠ ، خلط الوقائع في ذهن الكاتب ، فلم يعد يذكر شيئا منها بشكل صحيح !

وأول ما أشير اليه أنني لم أقل لالفريد ان كناري لديه مخطوط كتاب لويس عوض الضائع إلا بعد نشر الصفحات الأولى منه ضمن مطبوعات "دار النشر للجميع" ، وذلك لعدة أسباب ، أولها أنني لم أكن أتوقع أن يجترىء كناري على نشر نص لايملكه ، فضلا عن أن صاحب هذا النص ، الذي يتصرف فيه دون اذنه ، ناقد كبير مسموع الكلمة ، ان لم يكن مرهوب الجانب ، يملأ الحياة الثقافية بكتاباته وأفكاره ، ولأني اعتبرت أن إعلان هذا السر الذي ائتمنني كناري عليه ـ كما جاء بكلمته في الكتاب ـ سيكون قطعا للطريق عليه .

ولابد أن أذكر هنا أن كناري لم يكن يتصور أن لويس عوض لايملك نسخة من هذا المخطوط ، وإلا لأعاد حساباته في ضوء آخر ، لقد كان يظن أن لويس عوض يملك نسخة أخرى من هذا المخطوط ، على الأقل ، ولكنه يحجم عن نشره ، لأنه لايرضى عنه ، فأراد بنشر هذا الجزء الصغير أن يدفعه الى نشره ، بدعوى أن مايكتبه الكُتّاب يعتبر ملكا للحركة الثقافية كلها ، وليس ملكا لأصحابها .

ولم تبدأ جهود رد الكتاب الى صاحبه إلا بعد أن وصلت الدكتور لويس عوض في

مكتبه بجريدة " الأهرام " نسخة من هذا الجزء الذى نشره كنارى ، ووصل عدد كبير من الكتاب والصحفيين فى مصر نسخ منه ، فى مقدمتهم من يعمل منهم فى " الأهرام " .

● ورأس به مسمار !

بدأت هذه الجهود عندما اتصل بى تليفونيا فى الاسكندرية ذات مساء الدكتور لويس عوض ، لكى يتقصى كعادته الموقف . وقد رأيت حينذاك ، بالاتفاق مع لويس عوض ، ان ادعو كنارى الى منزلى مساء اليوم التالى ، لكى يتحدث مع لويس عوض ، مباشرة ، دون وساطة من أحد .

وبعد هذه المكالمة حضر لويس عوض الى الاسكندرية ليسترد كتابه بنفسه ، لأنه كان فى حكم المستحيل ان يسلم كنارى الكتاب لأحد غيره ، فى حالة قبوله لمبدأ رد الكتاب .

كذلك يتعين الاشارة الى ان كنارى لم يكن موظفا منتدبا أو غير منتدب فى الرقابة - كما ورد فى مقال الفريد - وإلا أصبح حصوله على المخطوط إخلالا بوظيفته يمس الشرف (يعنى سرقة) وانما تلقى كنارى المخطوط كهدية من أحد أصدقائه ممن كانوا يعملون فى رقابة النشر ، ومعه مجلد لاحدى المجلات القديمة ، ردا لجمائل او أفضال كنارى عليه . وكان مبنى الرقابة فى القاهرة الذى قدم اليه هذا المخطوط ، قد تعرض للضرب بالقنابل فى إحدى غارات الحرب العالمية الثانية ، وانتشل هذا الموظف المخطوط من بين الأنقاض .

ولأن الكتاب ظل فى مكتبة كنارى نحو عشرين سنة أو اكثر ، من ١٩٤٤ الى ١٩٦٥ ، يقرؤه بشغف شديد بين حين وحين ، ويحتفظ به ، والأصح أن أقول يخفيه ، فى مكان قصى لا تصل اليه أيدى الأصدقاء والاقرباء وزملاء القلم ، فقد نشأت بينه وبين الكتاب رابطة ، بحسب الوصف الذى ذكره فى النصف المنشور للكتاب ، جعلته يتمسك به ، كما يتمسك الانسان بابن له بالتبنى ، صحبه نحو عشرين سنة ، ويطالب بحقه فيه مثل حق مؤلفه الأصلى سواء بسواء ، وربما اكثر من حق مؤلفه الذى لم يعتن بالمحافظة على مخطوطه (أو وليده) حتى تعرض للضياع !

● حق فى بيع الكتاب !

وليس صحيحا ايضا أننى أسررت الى الفريد بأن كنارى يريد مكافأة خمسين جنيها لرد الكتاب ، فلم يكن كنارى ينظر الى المسألة من هذا المنظور ، منظور المكافأة التى تبدو بالصورة التى كتبها الفريد فرج جارحة للمشاعر ، وانما طالب بما هو حق له ، وهذا الحق عبارة عن نسبة من نسخ الطبع او التوزيع ، تساوى النسبة التى حصل عليها المؤلف ، أو تقترب منها ، ووافق لويس عوض بطيب خاطر ، ثم عدل عن هذه الموافقة بعد شهور ، عندما شعر أن كنارى يثير اللغط فى الصحافة حول الكتاب ، ويغالى فى بيان حقه فيه ، ويسعى للالتجاء إلى القضاء لزيادة نصيبه ، بعد ان اتفقا على كل شىء ، يوم تسلم لويس عوض كتابه ، وعاد به الى القاهرة .

بقيت نقطة أخيرة وهى أن رد الكتاب الى صاحبه لم يستغرق سوى ساعات قليلة ، مازالت اذكرها كما اذكر الأمس القريب ، وليس ثلاثة ايام ، لأن المسألة كانت منذ اللحظات الأولى محسومة او

شبه محسومة ، بالنسبة للطرفين : لويس عوض وكنارى .

وساعد على حل المشكلة خلال هذا الوقت القصير ، مابين فندق متروبول بمحطة الرمل ومنزل كنارى فى محرم بك ، ان لويس عوض حين ذهب لاسترداد الكتاب كان يزمع نشره على الفور ، وفاء لذكرى الدكتور محمد مندور الذى روى فى بعض صفحات الكتاب ذكريات طلية عنه ، اثناء بعثته الى فرنسا .

وبذلك غدت النسخة الوحيدة المستهلكة من مخطوط يحمل عنوان "سولونير" لا احد يعلم عنها شيئا ،

الحقائق كما رواها لويس عوض

هذه العبارة بفصول كاملة فيه ، وتذكرت كيف كان مندور يستحثني عاما بعد عام بين ١٩٤٥ و ١٩٥٠ للبحث عن كتابي الضائع بغية نشره ووصلت الى قرار : ان هذا الكتاب ليس ملكا لى وحدى وانما هو ملك عام كما قال كنارى فى كلمته انه سجل لفترة من تاريخنا الثقافى ، ومن الخطأ ان يطوى هذا السجل . وابسط ايات الوفاء لذكرى هذا الصديق العظيم هو ان استرجع هذا الكتاب وان انشره فى الناس فانشر بنشره صفحات من حياة مندور فى اوروبا لا يعرفها الا الاقلون . وهكذا قررت ان اسافر الى الاسكندرية بلحثا عن كنارى فلن استحال الاهتداء اليه فلابحث عن «دار النشر للجميع» وهى الدار التى صدر عنها النموذج المطبوع .

وبعد يومين او ثلاثة من وفاة مندور وجدتنى فى بيته مع السيدة الشاعرة ملك عبدالعزيز زوجته استعين بها على جمع بعض مقالاته القديمة وهناك التقيت بالصديق الفريد فرج والذى جاء فى مهمة مشابهة وكنت اعلم انه من الاسكندرية فسالته عرضا عن كنارى وكم كانت دهشتى حين عرفت منه انه يعرفه شخصيا وعلمت من الفريد فرج ان كنارى هو حسنين محمود حسنين نفسه . وان العنوان المنشور على الغلاف هو عنوانه كذلك عرفت منه انه صحفى اسكندرى اصاب من العلم حظا لاباس به . ولكنه رجل غريب الاطوار . ورجوت الفريد فرج ان ينوب عنى فى انقاذ الكتاب ، وان يسافر بشخصه الى الاسكندرية فورا لاستنقاذه وفوضته فى ان يعرض على كنارى اى عرض مالى او ادبى يقبله مقابل رد الكتاب فقد كان واضحا فى ذهنى ان نشر هذا الكتاب قد اصبح بعض ما ينبغى عمله لاحياء ذكرى مندور بغض النظر عن اى اعتبار اخر .

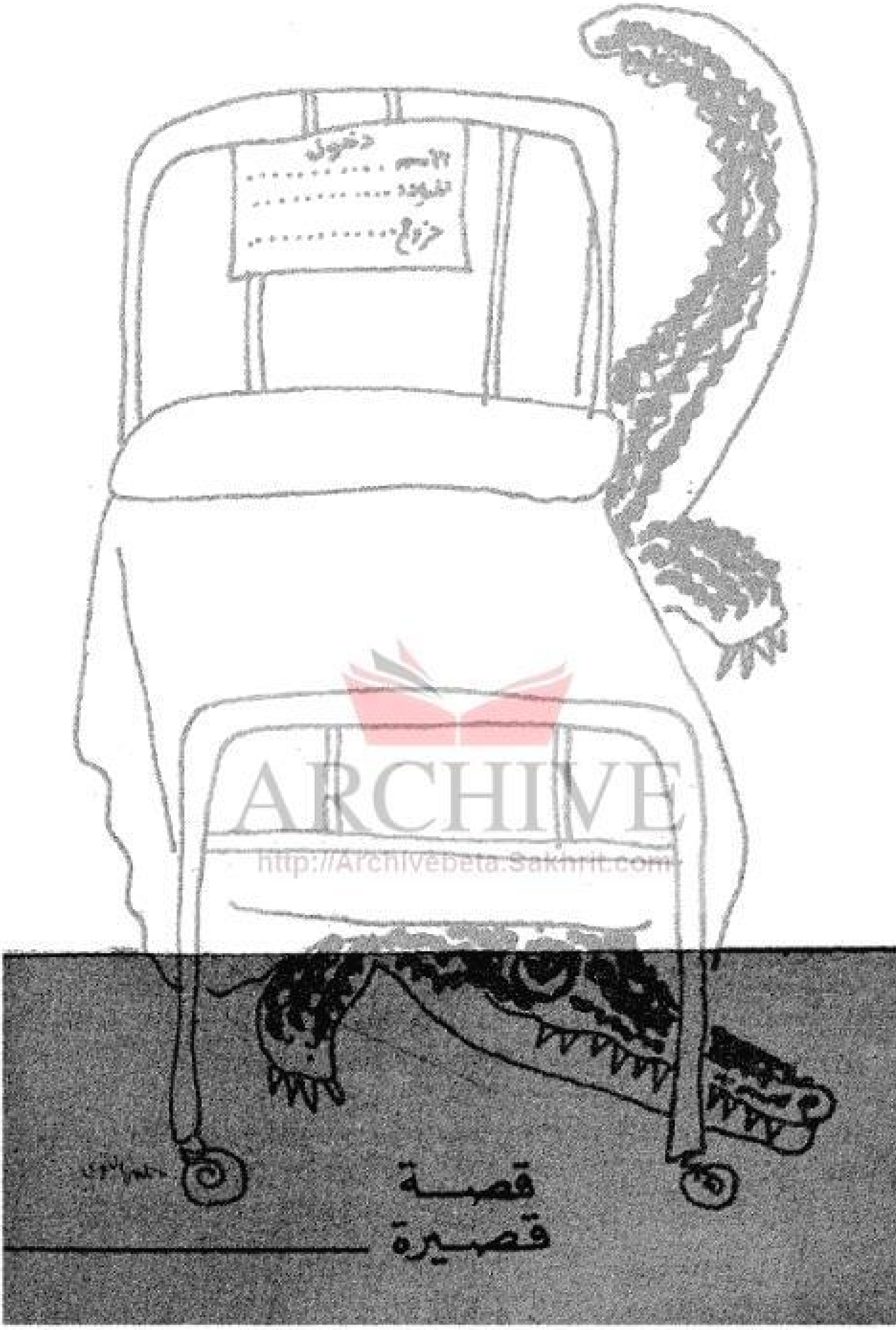
فوعدنى الفريد فرج بأن يتكفل بهذه المهمة .

ومرت ثلاثة ايام واربعة اكتشفت بعدها ان الفريد فرج لم يسافر بشخصه إلى الإسكندرية وانما لجأ الى سلسلة من المكالمات التليفونية مع أخيه نبيل فرج المقيم على مقربة من كنارى فى الاسكندرية وكانت نتائج المفاوضات مع كنارى

عدة آلاف من النسخ الناصعة لكتاب "مذكرات طالب بعثة" يطالعها عدد اكبر من القراء والمثقفين، ويستمتعون به جيلا بعد جيل، كتجربة حية بالعامية المصرية، على مستوى رفيع من الابداعين الفكرى والفنى، ضاع من صاحبه في القاهرة اكثر من عشرين سنة ثم عثر عليه في الاسكندرية عند شاعر مجهول، كان لحسن الحظ على وعي بقيمة هذا المخطوط الذي اهدى اليه، فحافظ عليه كل هذه السنوات، الى ان رده الى صاحبه.

فى مقدمة كتابه مذكرات طالب بعثة

لا توحي بالاطمئنان فقد علمت انه كان يماطل ويراوغ ثم يعد ثم يعدل واخيرا رتبت معه مكالمة تليفونية مباشرة في بيت نبيل فرج في العاشرة مساء وكنت في هذه المكالمة حاسما اصررت على موعد وحددت يوم الخميس ٢٧ مايو ١٩٦٥ في داره بالاسكندرية . حاول التسويف متعللا بالحضور إلى القاهرة ولكنه ادرك من لهجتي في التليفون ان صبري قد نفد . وبالفعل في الموعد المحدد كنت انا والفريد فرج ونبيل فرج في غرفة استقباله وبعد لأى سلمني الأصول . تسلمتها بعد ساعتين من المراوغة واللف والدوران وادعاء ان الأصول ليست في حوزته ولكنها لدى طرف ثالث . تسلمتها بعد ان خرجت عن طوري فحدثته بغلظة عن القانون والمحاكم والسجون والغرامات وكان يحفظ الاصول عند السيدة زوجته في الغرفة المجاورة .. فزعم انه ماض لاحضارها من مكان ما في الاسكندرية وخرج بالكتاب تحت ابطه وذهب يسير به على غير هدى في الشوارع وفي الاوتوبيسات والترامولايات لايعرف كيف يتصرف هكذا ابلغني فيما بعد ثم عاد إلينا بعد نصف ساعة وقد هداه الله إلى الحل القويم فسلم الاصول وبعد ان سلم الاصول تحول كنارى إلى إنسان وديع واخذ يتردد عليّ في فندق المتروبول ويحدثني عن نفسه وماضيه الادبي ومشروعاته .. وعرفت منه ان الكتاب آل إليه منذ عشرين سنة عن طريق قريب او صديق له كان يعمل في رقابة النشر اثناء سنوات الحرب ، كذلك فهمت منه انه لم يكن يتصور اول الامر انى لاامتلك نسخة من كتابي وان نسخته هي الوحيدة الباقية . بل كان يحسب انى قد طويت كتابي عامدا متعمدا طول هذه السنوات وانه اراد بنشر الملزمة ان يضعني امام الامر الواقع وقد ارسل منها نسخا لكل اديب من ابناء مصر بالبريد وانه باع نحو الف نسخة في اسابيع قليلة فاسترد نفقات الطبع وربما ربح بعض المال . والحق انى وجدت كنارى رجلا معقدا .



قصة قصيرة

اجتاز المدخل الفسيح ، توقف ، لايدرى الخطوة التالية . الى من يتجه بالضبط ؟ . مكتب الاستقبال مستطيل . خلفه وقف رجلان يتحدثان ، أحدهما طويل والآخر قصير يرتدى معطفا من القماش الأبيض الخفيف .

ضوء ناعم . خفى المصدر ، لانعكاسه على الجدران المغطاة بمادة صناعية ملساء مردودهما . يحمل حقيبة جلدية . حُمرة لونها غامقة ، تضم جلبابا وملابس داخلية ومذياعا صغيرا وأدوات حلاقة وفرشاة أسنان ومعجونا ، وثلاثة كتب قدر انها تكفى المدة ، يمسك بيده الاخرى عصا نحيلة لايحتاج اليها الآن .

لم يطل وقوفه . اتجه مباشرة الى الواقفين ، سأل القصير بعد إيماءة تحية .

– المفروض أن أدخل اليوم ..

عيناه اعتادتا النظر الى القادمين فى مثل هذه اللحظات ، أشار الى الممر الذى يبدأ الجهة اليمنى .

– الغرفة الثانية للتسجيل .

غرفة مستطيلة ، يتصدرها مكتب معدنى ، بجوار النافذة صوان مستطيل ، أدراجه نحيلة ، الصقت عليها بطاقات بيضاء صغيرة عليها حروف انجليزية وأرقام ، أصوات متداخلة فى المكان نائية . لاتبدد الصمت تماما .

يدخل شاب يرتدى القميص البنى الفاتح ، والبنطلون الغامق ، يبدو أنه لباس موحد للعاملين ، لكنه لا يلبس معطفا أبيض . يمسك بيده جهاز اتصال صغيرا ، لم يدر مبرره . أو بمن يتصل ؟ لكنه سمع منه أصواتا خافتة متداخلة . هل له ضرورة ؟ أم تعمد اظهاره لابهار القادمين الجدد ؟

يبدو باسما ، مرحبا ، أشار الى المقعد . حقا .. انه فى حاجة الى الجلوس . اذ بدأ ذلك الضليل فى جدار بطنه .

دخول

بقلم :
جمال الغيطانى

ريشة الفنان :
حلمى التونى

قصة قصيرة

دخول

والوخذ يخرج مظروفا يحتوى على ورقتين حرص على تصويرهما، والاحتفاظ بنسختين منهما، خطاب المؤسسة الموجه الى الادارة هنا، وفيه استعداد لدفع النفقات طبقا للاتفاق المبرم، المعمول به، الأخرى تقرير الطبيب المعالج، ويحدد التوقيت بدقة.

غدا .. العاشرة والنصف صباحا.

هنا. فى مكان ما، فى موضع يجهله حتى الآن سيتمدد، مغيب الوعى، ثمة مشارط وآلات جراحة حادة مرصوصة الآن فى صوان ما، أو ربما تستخدم فى عملية الآن، أحدها سيغوص فى جسده.

يحاول ان يطرد عن ذهنه استفسارا داخليا يتردد من حين الى حين. هل سيقدر له الخروج مرة أخرى من المبنى ساعيا على قدميه؟ لكن .. العملية ليست خطيرة الى هذا الحد، لكنها رهبة المرة الاولى بالنسبة له.

أغمض عينيه لحظة بتأثير هبة هواء مختلف عن الهواء الصادر عن أجهزة التكييف، أو هكذا خيل إليه. هبوب أثار عنده ذكرى غامضة، شاطىء النهر. منطقة ريفية. عبيقة الخصوبة، وقاربا يتأهب للعبور.

أين؟ متى؟

لايدرى .. لايمكنه التحديد.

الموظف يفتح درجا، يتناول ملفا أصفر اللون، مقسم الى خانات صغيرة. ثبت الخطاب والتقرير داخله، تناول ورقة مطبوعا عليها سطور وكلمات ما. يسأله.

يذكر الاسم ثلاثيا.

يحدد العنوان بدقة، رقم المنزل، الشقة، اسم الشارع والضاحية.

تاريخ الميلاد:

يردد الأرقام التى كتبها مرات فى استمارات عديدة لاحصر لها. اليوم، الشهر السنة.

المرة الأولى التى يجرى فيها جراحة:

نعم.

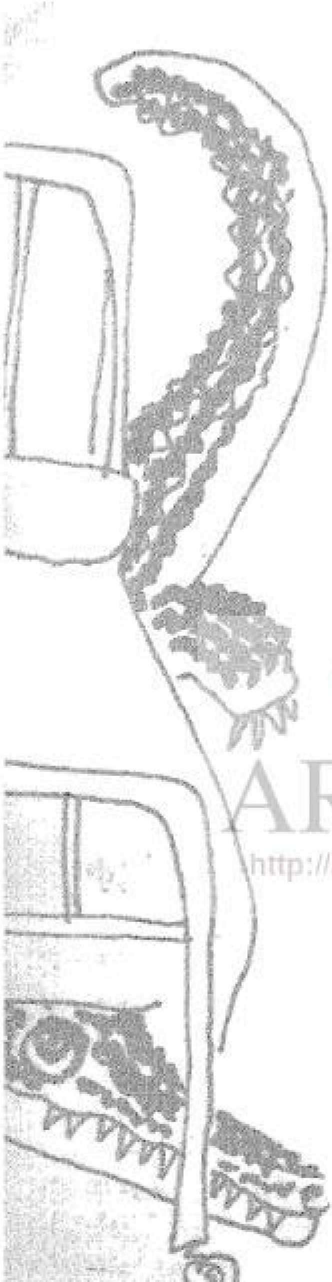
اثمة أسنان صناعية؟

لا.

إنه محايد تماما، او هكذا يحاول أن يبدو، كأنه يجيب على أسئلة موجهة الى شخص آخر. شخص يصحبه، يؤنسه، حتى لايكون بمفرده .. لكن. اين رأى هذه الضفة، متى كان هذا الصباح الندى؟. المؤكد أنه كان يقف فوق كرسى خشبى هل قال أحدهم انهم عثروا على تمساح يحاول الخروج الى البر؟

كيف أفلت من خزان أسوان؟ من السد

العالى ؟
قال أحد الواقفين ـ لا يذكر ملامحه ، هيئته .. يعى القول فقط ـ لابد أنه انحدر من البحيرة صغيرا جدا ، وخلال قطعه مجرى النهر من الجنوب إلى الشمال نما وكبر ، أكتمل عند قربه من المصب .. إذن الضفة فى الدلتا . لكن .. لايمكنه القطع !
هل يرغب فى ايداع شىء ما بالامانات :
يهز رأسه ، يقول أن حاجاته كلها فى هذه الحقيبة .
يقول الموظف أنه يستفسر عن اشياء ثمينة ؟
لايوجد .
يبدو معتادا على توجيه تلك الاسئلة ، ينطق بعضها بدون التطلع اليه ، بدون تغيير نبرة صوته .
الآن بدأ يدرك الرائحة الخاصة للمكان . ثمة مطهر ما .
يسأل عن اسم أقرب الناس الذى يمكن الاتصال به ؟
يتطلع اليه ، ايقاع السؤال ، هل يلمح فضولا ما فى نظراته ؟ يضيف قائلا أنه من المستحسن ذكر رقم الهاتف اذا أمكن ؟ ، ولأن نظرته الثابتة طالت ، خيل للموظف أنه لم يسمع ماقاله ، كرر !!
من الأقرب الذى يمكن الاتصال به ؟
يحيد بعينيه صوب الحقيبة المستقرة بحذاء قدميه . لايخفى عليه مغزى السؤال وهدفه . عبثا يحاول استعادة هذه الضفة النائية . يقدر وضوح الجزء الذى كان يتطلع إليه . تشققات الطمى . الحشائش الغزيرة . النابتة . تلاطم الامواج المؤدية . بقدر ما كان المكان كله غائبا تماما .
يستفسر الموظف مرة اخرى . أقرب الاشخاص . اسمه ورقم هاتفه ... كان يمسك القلم مشهرا التأهب .
من ؟
يستمر فى تطلعه الى العصا ، الى أرضية المكان ، الى اللحظة ....



الملهاة الموسيقية

من البداية حتى كابوريا

بقلم : مصطفى درويش

من بين الاوهام فى دنيا الافلام ، الظن بانه يكفى ان يحشد المخرج عددا لا باس به من الاغانى فى فيلمه حتى يتحول به الى ملهاة موسيقية .

الامر ليس بهذه البساطة فعندما نستعرض تاريخ الفيلم الموسيقى من خلال سينما هوليوود باعتبارها اول سينما تكلمت وغنت ورقصت ، نستطيع ان نفرق فى سهولة ويسر بين ماهو حقيقى وماهو زائف فى ذلك العالم الوردى الجذاب ، عالم الملهاة الموسيقية .

● ولد الفيلم الموسيقى قريبا من نهاية عقد العشرينات وبالتحديد فى السادس من اكتوبر عام ١٩٢٧ ، يوم ان نطقت السينما بعد صمت طويل ، فى فيلم مغنى الجاز ، الذى انتجته شركة اخوان وارنر املة بفضله التحرر من اسار الضائقة المالية الاخذة بخناقها

فى ذلك الفيلم تكلم قليلا المغنى الامريكى ال جولسون بادئا بهذه العبارة النبوءة « هو انتم لسه سمعتم حاجة » ، وغنى كثيرا مستهلا باغنية تناسب ميلاد السينما الناطقة تماما . وبكل المعايير كان الفيلم بشعا ، ومع ذلك فبفضله ولد عهد جديد .

ومنذ هذا الميلاد والموسيقى تلعب دورا هاما فى افلام مصانع الاحلام ، حتى وصل الامر فى البداية بجميع نجوم هوليوود فيما عدا جريتا جاربو والكلب رن تن تن ، والاثنان كان لهما شأن كبير فى ذلك الزمان ، الى الاندفاع نحو تلقى دروس فى الرقص والغناء ابتغاء اغتنام دور ولو صغير ، فيما هو ات من افلام قوامها فى كل



اهل القمة وصعاليك قاع المدينة

لقطة من اللقطات الرقص والغناء فمثلا
عن ضوضاء الكلام

● السحر الخفي

ومهما يكن من الامر ، فسحر الصور تنطق اصواتا تغني ، وتشع اطيافا ترقص ، كان ولايزال سحرا لايقاوم

فالذين شاهدوا الافلام الرائدة التي تكلمت وغنت ورقصت لايستطيعون ان ينسوا « فريد استير » وشاهدوا « جنجر روجرز » يرقص معها في « الطيران الى ريو » رقصة الكاريوكا .

بل ان تأثير هذا الثنائي الشهير برقصته تلك كان داهما الى حد ان راقصة شابة تألقت فيما بعد بحيث اصبحت راقصة مصر الاولى ، قد اتخذت من تلك الرقصة اسما لها .

كما ان احدا من الذين شاهدوا اول فيلم لمحمد عبد الوهاب ، ثم اول فيلم لام كلثوم في النصف الاول من عقد الثلاثينات لايمكن ان تمحى من شاشة ذاكرته لحظة الدهشة والانبهار

من البداية حتى كابوريا

بسماع صوت مطرب الملوك والامراء منطلقا من الشاشة البيضاء متغزلا فى وردة الحب الصافى ، او صوت كوكب الشرق وداد يشارك الطير الاسير مرارة الفراق والحرمان .

● الكم والكيف

ومع ذلك فمن المعروف ان الفيلم لايدخل فى عداد ما اصطلح على تسميته بالملهاة الموسيقية مثل الارملة المرحة (١٩٢٤) الغناء تحت المطر (١٩٥٢) وصوت الموسيقى (١٩٦٥) اذا ما زاد عدد الرقصات والاغانى ويخرج منها اذا مانقص العدد الى حد الانعدام .

فهناك من الافلام بدءا بـ « استعراض الحب » (١٩٢٩) وانتهاء بـ « أنت ولد كبير الان » (١٩٦٧) للمخرج كوبولا صاحب الاب الروحى . مالايثور خلاف بين اثنين حول انها من نوع الملهاة الموسيقية وذلك رغم ان احدا فى البعض منها لم يخط خطوة واحدة مصممة وفق اصول فن الرقص وفى البعض الاخر لم يفتح فمه بكلمة واحدة منغومة .

وبالعكس فتاريخ السينما حافل بافلام من نوع اخر متخم بالرقص والغناء كاغلب الافلام الهندية وكبعض الافلام التى تطوع لخدمة صوت واحد او واحدة من اهل الطرب عندنا كفريد الاطرش ووردة الجزائرية ونجاة الصغيرة وصباح .

فضلا عن ان ثمة افلاما « كمظلات شربورج » للمخرج الفرنسى جاك ديمى الحوار فيها يدور كله بالغناء لا بالتموج بين الطبقات العليا والدنيا كما فى الاوبرا . ولا بالتحول من والى الغناء ذهابا وايابا كما فى الاوبريت ورغم ذلك فاى من تلك الافلام لايحسب ضمن الملهاة الموسيقية والسبب انها لم تتشبع بعنصر الموسيقى بحيث تكون معه مزيجا جديدا من الابداع .

ولا حيلة لنا - فيما اظن - عندما نتعرض لهذه الافلام الا ان نعتبرها من قبيل الدراما العادية ، وان ماحدث فى شأنها هو فى حقيقة الامر انتقال بها الى وضع مفتعل يعبر فيه بالغناء او بالرقص او بالاثنين معا ، عما جرت العادة ان يكون التعبير عنه بالكلام .

والواقع ان الافلام التى لها بعض نصيب من الاغانى والرقصات لان حانة من حانات الليل او مسرحا من مسارح المتنوعات يشكل جزءا من خلفيتها ، هذه الافلام فى اغلبها ليس لها حق الانتساب الى عالم الملهاة الموسيقية .

● الشيوع والبساطة

فالفيلم حتى يمكن اعتباره كذلك ، لابد اولا ان يكون بناؤه العام قائما



عمر الشريف محرك الاراجوز

على الموسيقى بحيث تشيع فى كل ركن من اركانه شيوع الماء فى العود الرطب .

وثانيا ان يكون ذلك البناء قائما على خطة بسيطة لاتزدحم بالاشخاص والحوادث . لاتتغلغل الى المعانى والطبائع .

وقد لا اكون مغاليا اذا ماجنحت الى القول بانه فى حالة توافر هذين الشرطين فان الفيلم لابد ان يستغرق كل ذهن المشاهد من اول لقطة فيه الى اخر لقطة .

ومن عجب توافرهما اخيرا فى ثلاثة افلام مصرية جرى ابداعها فى ازمنة متقاربة هى الاراجوز ، سمع هس وكابوريا .

ولعله من المناسب هنا ان نشير الى ان الافلام الثلاثة قد جرى التقاطها بواسطة كاميرا مدير تصوير واحد ، الشاب الصاعد محسن احمد .

فاذا اضيف الى ذلك ان سيناريو وحوار كل من الاراجوز وكابوريا من اعداد شاب موهوب اخر « عصام الشماع » وان اغانى سمع هس و كابوريا من تلحين الشقيقين مودى وحسين الامام ، وكلاهما من الشباب

من البداية
حتى كابوريا

الذى تعلق عليه فى دنيا الموسيقى امال كبار .

فضلا عن ان الذى ادى دور رئيس المحكمة الخرب الذمة فى سمع هس هو المخرج خيرى بشارة ، صاحب كابوريا .

● انتصار الشباب

فاننا فى ضوء ذلك كله ، نستطيع ان نقول فى ثقة ان الافلام الثلاثة قد سرت فيها روح واحدة تسودها خصائص ، لو اننا امعنا النظر فيها لالفيناها هى بعينها خصائص الشباب التى اهمها تحطيم القيود وجموح الخيال .

ولن اقف عند الاراجوز لصاحبه المخرج هانى لاشين ولا عند سمع هس لصاحبه المخرج شريف عرفة ، لن اقف الا قليلا لا لشىء سوى ان الفيلم الاول قد سبق وان تصديت له بالكتابة فى الهلال قبل عام ، وان الفيلم الثانى ستجىء فرصة الكتابة عنه بما يستحق من استفاضة لدى عرضه عرضا عاما فى مستقبل قريب .

وعلى كل فالفيلمان يمتازان ببساطة الفكرة التى نراها فى فيلم لاشين تقدم

حمص وحلاوة فى « سمع هس »



لنا من خلال محرك الاراجوز عمر الشريف المعبر عن الغلابة الذين حاربوا وضحوا من اجل الوطن المثخن بالجراح حتى نجحوا فى انتشاله من هاوية الهزيمة والعار.

فى مواجهة خساس الناس الذين لم يحاربوا ولم يضحوا ومع ذلك انفردوا بجنى ثمار الانتصار.

● الوهم والحقيقة

اما الفكرة فى فيلم عرفة لصاحبيها كاتب السيناريو الشاب ماهر عواد ، فقد جرى تقديمها لنا من خلال فنانين مشاغبين صعلوكين فقيرين حمص وحلاوة ، (ممدوح عبد العليم) و(ليلى علوى) اللذين يستهل بهما الفيلم وهما فى سرادق يغنيان ويرقصان على لحن وكلمات اغنيتهما اليتيمة انا حمص .. حمص وحلاوة ..

وسرعان ما يختلس المطرب الرسمى غندور (حسن كامى) اغنيتهما مستبدلا بكلماتها كلمات شنانة رنانة لاتقول شيئا او بمعنى اصح تقول عبثا .

انا وطنى بانشد واطنطن .. واتباهى بمجدك ياوطن .. على كل الاوطان متسلطن .

وما ان تصل الى سمع حمص وحلاوة كلمات اغنيتهما منطلقة من شاشة التليفزيون بعد ان جرى تشويهها على الوجه سالف البيان ، حتى يبدأ بينهما وبين المطرب الرسمى المحتال صراع مرير من اجل استرداد حقهما السليب ، تتخلله من حين الى حين استعراضات شيقة غير مقحمة صمم رقصاتها الشاب عاطف عوض ، لعل اهمها استعراض « الفلوس كل شىء » و « فوق .. فوق » .

● القاع والقمة

فاذا ما انتقلنا الى كابوريا لوجدنا انفسنا امام ملهاة موسيقية قوامها فكرة بسيطة اخرى لعصام الشماع جرى تقديمها لنا من خلال صعاليك اربعة من قاع المدينة يتزعمهم ملاكم هاو « هدهد » (احمد زكى) فى مواجهة امرأة فاتنة لعوب حورية (رغدة) وزوجها المليونير سليمان (حسين الامام)

اما كيف التقى اهل القاع باهل القمة ، فهذا مايحكيه خيرى بشارة ، فى فيلمه الروائى الخامس باسلوب ساخر ، زاخر بالدعابة يمتزج فيه الواقع بالخيال المنطلق من القيود الضارب فى افاق لاتعرف الحدود .

واول الدعابات فى مسلسل المفاجآت الملىء بها كابوريا لقطة البداية التالية مباشرة لانتهاء العناوين وبالها من بداية .

انها تصور وجهى سيدتين فى خريف العمر ، تتبادلان اطراف حديث لانفهم منه شيئا لا لسبب سوى ان كلمات الحديث ليست بلغة الاباء ، وانما بلغة الفرنسيس .

من البداية حتى كلبوريا

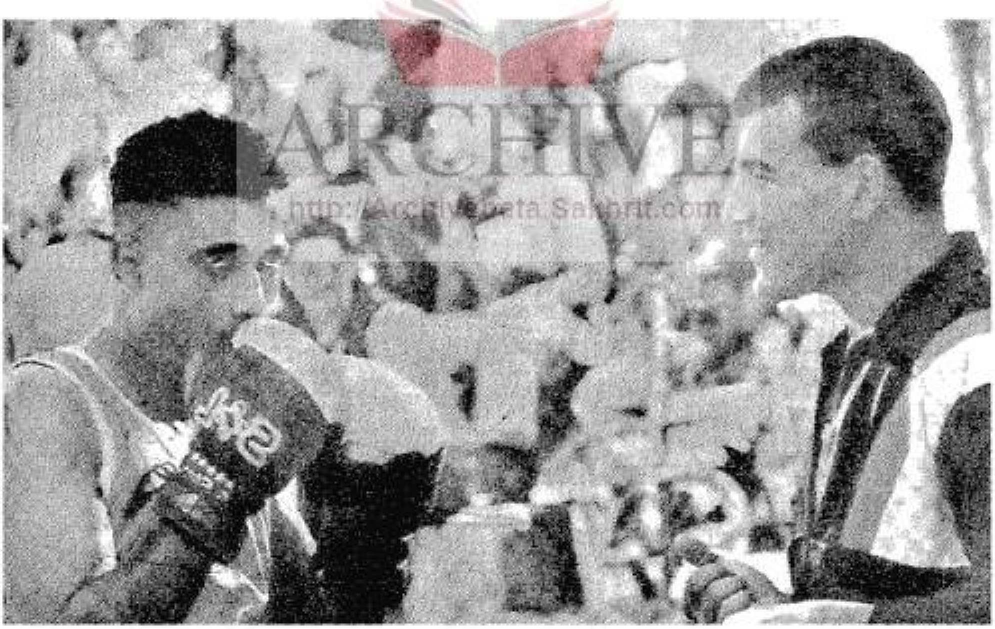
● صراع الديكة

فاذا ماتحركت الكاميرا بعد ثوان الى وراء اكتشفنا ان الحديث داخل فندق عائم ، وان ثمة خشبة مسرح يتوسطها المطرب الشعبي شفيق جلال مرتديا بدلة سهرة بيضاء مشنفا الاذان ، باغنية فرانكو اراب ، ما ان تنتهي حتى يزف الى الجمهور بشرى بدء مباراة يتقاتل فيها ديكان يتحلق حولهما الجمع المنقسم الى فئتين مبعث تخاصمهما مراهنة إحداهما على ديك ، والثانية على الديك الاخر .

وقد يبدو هذا النوع من اللهو غريبا على مجتمعنا

ولكن لم استبعاده وسط الشرائح الواسعة الثراء وليدة الانفتاح ، تلك الشرائح المعروف عنها ولعها الشديد بكل ماهو اجنبي ، والتي هي بحكم مصالحها لا تستثمر اموالها الا في الخارج حيث الامن والامان ، وبحكم ميولها الاستهلاكية لاتركو الا الى كل

احمد زكي .. صعلوك ملاكم في « كلبوريا »



ماهو مستورد ، حتى ولو كان لهوا ولعبا .

وقريبا من الفجر ، وبعد التعرف على حورية وزوجها المليونير اثناء الرهان على الديكة ، تتجه الكاميرا من العوامة (يلاحظ ان اول فيلم روائي مهم لبشارة اسمه العوامة ٧٠) الى سطح النيل حيث نرى قاربا يتهادى بشبان ثلاثة بينهم هدهد الذى كان يردد مع صاحبيه كلمات اغنية « قزقز كابوريا .. اكل الكابوريا لايعلى عليه »

● النداء

وهى كلمات استرعت انتباه حورية السيدة الجميلة الغنية فحفزتها الى مناداة الشبان الثلاثة ، طالبة اليهم الصعود وذلك للاستماع الى اغنيتهم والاستمتاع بما تنطوى عليه من غريب الكلمات .

وطبعا لبوا النداء ، غير انهم ماكادوا يدخلون العوامة حتى لمحهم زوج حورية المليونير واستفزه سوء هيئتهم الذى اعتبره نشازا خليقا بالطرد والابعاد .

فاذا ما قاوموا ذلك ، نشبت بينهم وبين حراس فتوات معركة جرى فيها تبادل اللكمات حتى انتهت بهم الى تخشيبة قربية سجناء

وفى فجر اليوم التالى تم الافراج عنهم جميعا بكفالة دفعتها السكرتيرة او بمعنى اصح الوصيفة سحر رامى ، بأمر من سيدتها حورية لغرض فى نفسها سرعان مايستبين لنا فيما هو قادم من مفاجآت .

هكذا بدأ الفيلم بداية بليغة حددت فى لقطات قليلة مختصرة الاطار الذى ستجرى داخلهُ الاحداث .. اطار الملهاة الموسيقية .

● على باب الله

بعد هذه المقدمة التى حددت للفيلم اطاره ، ينتقل بنا صاحبه الى حى شعبى حيث نرى هدهد يتلاكم فى مباراة فوق حلبة مقامة بواسطة الاهالى فى احدى الساحات .

وهاهو ذا يختلس بين الحين والحين النظر الى فتاة قمر تتابع المباراة من احدى النوافذ المطلة على الساحة

ومن خلال عدد جد محدود من المشاهد التالية لتلك المباراة تتضح لنا ملامح شخصيته .

انه شاب متصرف عن العمل فى ورشة ابيه صانع القوارير الزجاجية مختلفة الالواح طموح هو صاحباه الى الصعود بفضل الملاكمة الى الاوليمبية (يقصد الاوليمبياد) متعلق بحب جارته قمر التى يرفض ابوها خطبته لها لانه صعلوك لامهنة له ، ملتقط رزقه بوسائل غير مـألوفـة تلعب فيها العضلات دورا حاسما .

وما ان تنتهى تلك المشاهد ، التى من بينها مشهد رائع فى مولد حيث ينضم الى الشلة شاب رابع ضخم

من البداية حتى كابوريا

مفتول العضلات ، كان هدهد قد كشف احتياله امام المتفرجين مضيعا عليه بذلك عرق جبين ليلة بكاملها حتى ترسل السيدة الجميلة وصيفتها الى هدهد وشلته عارضة عليهم القيام بمباريات ملاكمة على حلبة مقامة فى حديقة قصرها المنيف .

المصارعون الجدد

وبدءا من لحظة قبولهم لذلك العرض المغرى ينعطف الفيلم انعطافا شديدا ، فاذا بنا امام مشاهد داخل ذلك القصر يقاسر فيها اصحابه على الادميين بدلا من الديكة ، مشاهد تهزنا الى الضحك بما تعرض امام اعيننا من مناظر سمعنا عن متشابهات معها على مدار التاريخ ، فنضحك من سخفها او نتفكه بمفارقتها .

مناظر تذكرنا بعهود طغيان الاباطرة الرومان حينما كانوا يدفعون بالعبيد الى ملاعب للاقتتال كالوحوش الكاسرة ، وسط صيحات غضب او استحسان مندفعة من حناجر متفرجين متعطشين للدماء

وكأن صاحب الفيلم يريد بذلك ان يقول ان شيئا لم يتغير فالصعاليك الذين يتم اصطيادهم فجرا كى يتسلى بهم علية القوم ليلا ، شأنهم فى ذلك شأن الكابوريا التى يجرى اصطيادها مع مطلع الفجر كى يتسلى باكلها من معه ثمنها ، ليلا ، هؤلاء الصعاليك لايختلف امرهم كثيرا عن امر العبيد الذين كان الاسياد يلهون بهم فى سالف الزمان .

الذوق السليم

واخيرا فكم كنت احب ان اعرض شيئا من خصائص الفيلم الفنية التى تتصل اولا بأغانيه التى اراها رغم كل غرابة كلماتها خالية من اى ابتذال يقف حائلا رقابيا دون سماعها على اشرطة تسجيل .

وثانيا بملابس كل من رغدة وسحر رامى التى اراها قد جنحت الى ابهار لايتحلى باى ذوق سليم .

وكم كنت احب كذلك ان اتحدث تفصيلا عن حياة الصعاليك الاربعة فى تيه القصر المنيف ، وكيف راودت حورية هدهد عن نفسه ، وكيف كتب له هو وصحبه التحرر من سحر القصر الخفى ، والنجاة بأنفسهم كما يوليس فى اساطير الاولين .

ولكن شيئا من هذا لااستطيعه لضيق المكان كل ما استطيعه فى هذا الخصوص هو ان اقول ان الفيلم قد خلص بصعاليكه الى النهاية الحتمية فى اى عمل سينمائى له طابع الملهاة الموسيقية ، النهاية التى تقول بان الكل سعيد بل قل فى منتهى السعادة !!

لغويات

● "مدرسة الألسن" اسم اطلقه الشيخ رفاعة رافع الطهطاوى على مدرسة الترجمة عند انشائها فى القرن الماضى .. ولفظ "الالسن" هو الجمع المؤنث لكلمة "اللسان" .. لأن اللسان يؤنث احيانا كقول اعشى باهلة :

انى أتتنى لسان لاأسر بها
من عَلْوَ ، لاعجبٌ منها ولاسخَرَ

واذا جُاء لفظ "اللسان" منكرا كان جمعه "ألسنة" فتقول : ثلاثة السنة ، واربعة السنة الخ .. فاذا جاء "اللسان" مؤنثا يجمع على "ألسن" كذراع واذرع ..

وهكذا تكون "مدرسة الألسن" قد اختارت "اللسان" مؤنثا وجمعه "ألسن" ولو اختارته مذكرا لوجب من الناحية اللغوية ان يكون اسمها "مدرسة الألسنة" .. !

● العمارة .. اصلها القبيلة التى يعمر بوجودها المكان .. ثم اطلقوها على العمران بمعناه الواسع ، قال الشاعر القديم :

لكل اناس من مَعَدٌ عمارة
عَرُوضٌ اليها يلجئون وجانبٌ

والعمارة فى هذا البيت هى القبيلة .. "ومعد" هو معد بن عدنان ابو العرب المستعربة الذى تفرعت من نسله القبائل العربية فى الحجاز ونجد ..

● الناس مخلوقون من تراب ولهذا يسمون "البرية" بفتح الباء وكسر الراء وفتح الياء وتشديدها .. والبرية اصلها "البرى" بفتح الباء والراء ، اى التراب ومنه يجيء الناس واليه يصيرون ، تقول : براه الله يبروه بروا .. اى خلقه – يخلقه خلقا .. وجمع البرية : البرايا والبريات ..

● بعضهم يصف صوت هذا المطرب او ذاك بانه "الصوت المشجى" .. كانه من الفعل : اشجاه .. يشجيه ، وهذا خطأ لأن اشجاه بمعنى اغصه بشيء فى حلقه ، كقطعة من العظم مثلا .. قال الشاعر العربى مرتجزا :

لاتنكروا القتل وقد سبينا
فى حلقكم عظم وقد شجينا

● تقول العامة : فلان كَعٌ غرامة مقدارها كذا من المال ، اى ان هذه الغرامة ثقلت عليه فاعجزته .. وفى اللغة الفصيحة يقال : كع الرجل .. يكع .. اذا عجز عن الشيء .. والمضارع فى النطق العامى "يكع" بضم الكاف ، وفى الفصحى بالكسر او الفتح ..

المسلمون السوفيت

والبريسترويكا :

بقلم : عبد الرحمن شاكر

هل أصبح المسلمون هم الأم الحقيقية للطفل السوفييتي ؟!

على العكس من توقعات مختلف المراقبين ـ وبعضهم كان يعبر عن امانيه الشخصية ـ لم تكن الجمهوريات الإسلامية في الاتحاد السوفيتي ، أكثر الجميع تطلعا إلى الانفصال وتمزيق وحدة هذا الاتحاد . بعد أن ادت سياسة البريسترويكا والجلاسنوست (المكاشفة والمصارحة) ، وما صاحبهما من تغيرات ديمقراطية في الاتحاد السوفيتي ، إلى إطلاق كثير من المشاعر القومية المكبوتة ، بالاضافة الى تعبيرات سياسية أخرى مخالفة للسياسة الرسمية للدولة ، قديما وحديثا .

● وربما كانت أكثر التعبيرات الانفصالية صراحة في المناطق الاسلامية ، هو ماحدث خلال الشهور الماضية في جمهورية اذربيجان التى لا يزال كثير من سكانها من المسلمين الشيعة ، يشعرون بالتوحد الوجدانى

مجموعة من المسلمين السوفييت امام مسجدهم فى قزخستان

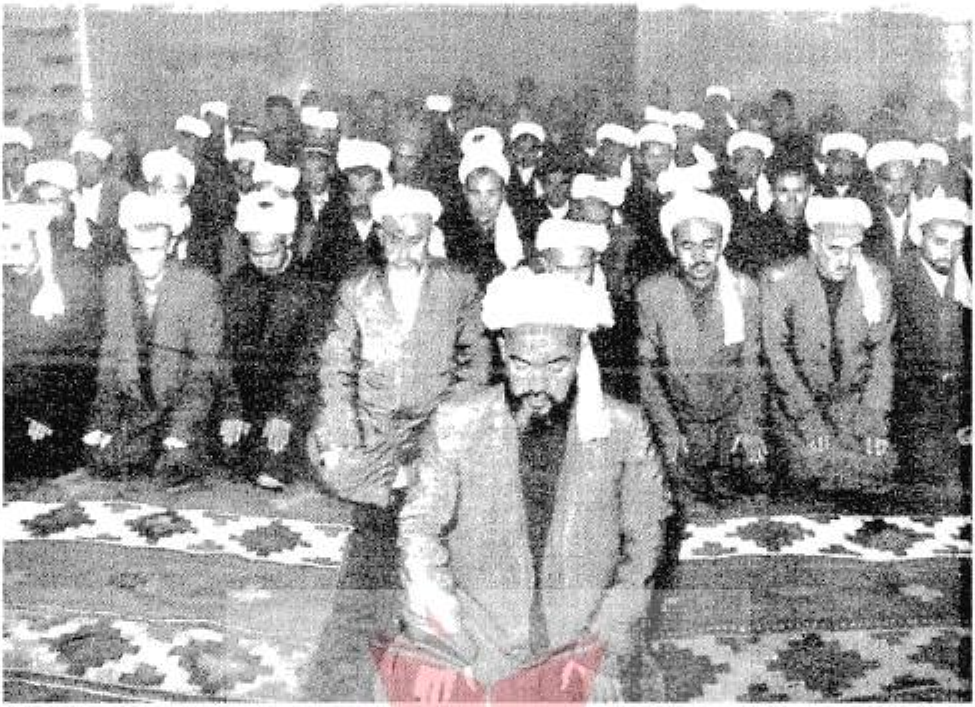


المسلمون السوفيت

العميق ، مع أذربيجان الايرانية ، التى تشترك معهم فى اللغة والعقيدة والأصول العرقية . وسواء كان القمع العسكرى الذى لجأت إليه السلطات السوفيتية آنذاك ، لتلك النزعة الانفصالية ، أو للصدام المسلح بين الأذربيجانيين ، والأرمن الذين يشكلون أغلبية فى منطقة ناجورنوكاراباخ التابعة إداريا لأذربيجان ، فإن المعالجة السوفيتية لم تكن مقصورة عليه ، فمن ناحية لم تقبل الحكومة السوفيتية مطالب أرمينيا فى إلحاق هذا الاقليم المتنازع عليه بها ، مما يعد انتصارا لأذربيجان ، ومن ناحية أخرى ، تم تعيين «عياض مطلبوف» رئيس جمهورية أذربيجان نائبا للرئيس السوفيتى ميخائيل جورباتشوف ، وما أظن أن الحكومة السوفيتية فى وسعها أن تفعل أكثر من ذلك ترضية لأهل أذربيجان ، وتهدئة للحنين القومى لدى بعضهم للتوحد مع إخوانهم فى إيران .

أما مسلمو السنة . ففى زيارة لباكستان مؤخرا أعلن المفتى "محمد صديق مامايوف" رئيس مجلس الشئون الدينية لمسلمى آسيا وكازاخستان بالاتحاد السوفيتى ، أن المسلمين السوفيت لايريدون الانفصال ، مؤكدا بذلك الموقف الذى اتخذته جمهورية أوزبكستان ، كبرى الجمهوريات الاسلامية فى الاتحاد السوفيتى ، ومعظم سكانها من مسلمى السنة ، ويقضى بانتهاج تلك الجمهورية سياسة الاستقلال الذاتى فى إطار الوحدة السوفيتية . هذا فى الوقت الذى سعت فيه جمهوريات البلطيق الأوربية الثلاث إلى الاستقلال التام عن الاتحاد السوفيتى ، بل لم يتردد بوريس يلتسين بعد انتخابه رئيسا للجمهورية الروسية فى الإعلام عن رغبته فى فصل روسيا ذاتها عن هذا الاتحاد ! علما بأن الروس هم الذين أوجدوا هذا الاتحاد ، وهم الذين ضموا سائر الجمهوريات الاسلامية فى آسيا إلى الامبراطورية الروسية ، قبل الثورة البلشفية ، وهم الذين فرضوا لغتهم لتكون لغة الامبراطورية ، ثم الاتحاد السوفيتى بعد الثورة ، ولكن مصدر تبرم يلتسين بالاتحاد هو دعواه أن ميزانية الاتحاد تكلف جمهورية روسيا أكثر مما تطيق !

وهذه الدعوى لو صحت ، فربما يكون فيها بعض التفسير لموقف مسلمى الاتحاد السوفيتى ، الذين يرفضون الانفصال . والذين يعيدون للأذهان قصة سليمان الحكيم والمرأتين اللتين تنازعتا طفلا أمامه ، فحكم بتقسيمه بالسكين بينهما ، فوافقت إحداهما وصرخت الأخرى قائلة : "أعطوه كله لها" ، فعرف سليمان أنها الأم الحقيقية للطفل



المسلمون السوفييت فى لحظة خشوع

لحرصها على بقائه حيا حتى ولو فقدته رحكم لها به . فهل أصبح المسلمون ، هم الام "الحقيقية الآن "للطفل" السوفيتى المريض ؟ علما بأن هذا الطفل هو إحدى القوتين العظميين فى العالم ، ولاشك أن بقاءه كذلك ، يعتمد على بقائه اتحادا تتلاحم داخله الطاقات الهائلة التى تضمها مختلف جمهورياته فى "اوراسيا" ، اى اوربا وآسيا متداخلتين ، ولاشك أن ملامح التمييز بين أوربا وآسيا تختفى تماما حينما تتحرك الأطراف ، وتصل إلى داخل منطقة التلاحم بين القارتين عند جبال الأورال .

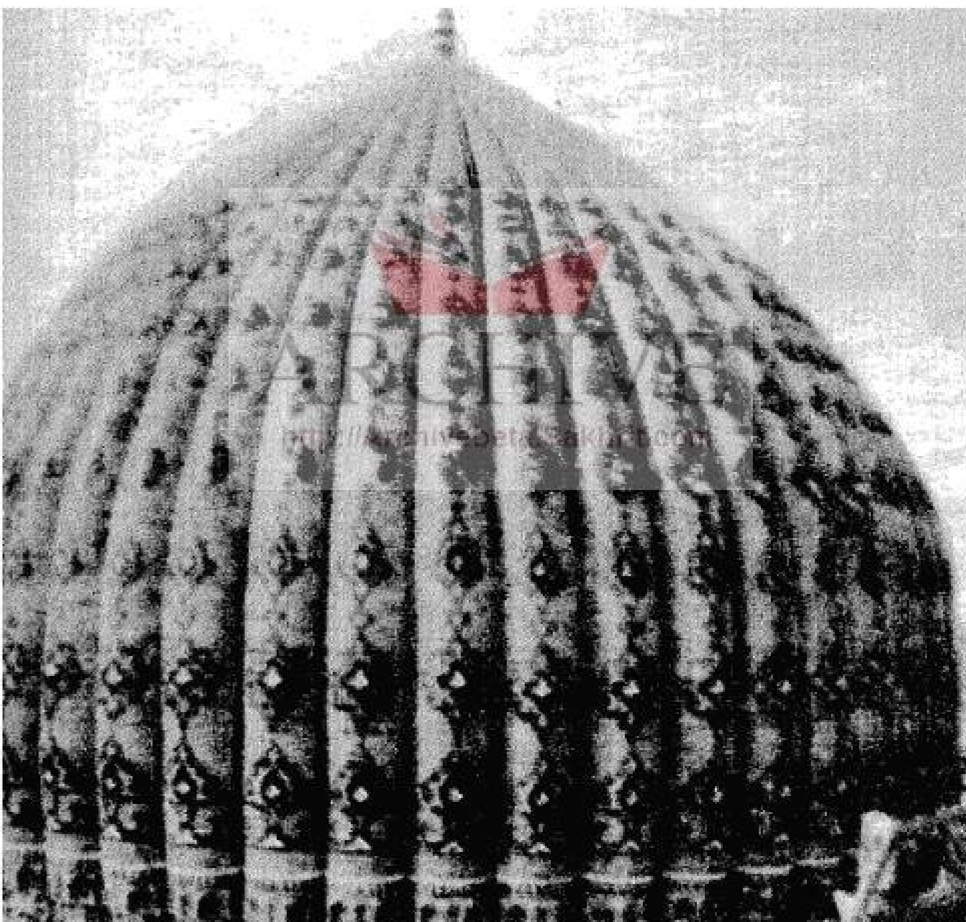
● فتش عن التتر !

لا يقتصر وجود المسلمين فى الاتحاد السوفيتى على الجمهوريات الأسيوية ، فهناك جمهوريات صغيرة تتمتع بالحكم الذاتى داخل جمهورية روسيا ، هى تتاريا وقرغيزيا وبشكيريا ، والأولى اهمها وتقع على

المسلمون السوفييت

ضفاف نهر الفولجا ، وعاصمتها مدينة قازان ، وبالرغم من الأصل المغولى الواحد ، الذى يجمع بين هذه "الجمهوريات" ، وسائر المسلمين فى آسيا الوسطى ، فإن "بلاد ما وراء النهر" التى تضم الجمهوريات الأسيوية ، كانت قبل أن تضمها الامبراطورية الروسية فى أواخر القرن الماضى جزءا من العالم الاسلامى ، الذى فتحه العرب ، واستوطنته قبائل كثيرة منهم ، واختلطت مع أهله ، ويبدو ذلك واضحا فى ملامح سكانه ، أما التتر فإن جحافلهم هى التى

قبة جامع الحاج احمد ياسفى فى قزخستان .



اجتاحت العالم الاسلامى ، وأسقطت الخلافة العباسية فى بغداد ، وبعد ذلك اعتنقوا الاسلام ! وأقام التتر المسلمون دولة "القبيل الذهبى" فى قازان على ضفاف الفولجا ، وقد أخضعت الأمراء الصقالبة المسيحيين لسلطانها ، وراحت تفرض عليهم أن يدفعوا الجزية للخان التترى فى قازان ، أو تغير عليهم وتحرق بلادهم ، حتى وكلوا إلى أمير موسكو أن يجمع لهم الجزية من سائر الأمراء ، ثم يسلمها لهم ، وعرف باسم "إيفان كالتيا" ، أى إيفان الجابى ، ولكنه فى أدائه لتلك المهمة أقنع زملاءه الأمراء بالالتفاف حوله ، ورفض تسليم ماجمعه منهم إلى الخان التترى ، وأنشأ الكرملين فى موسكو لكى يكون قلعة له ، مضاهية "للكرملين الابيض".

المصلون يؤدون الشعائر



المسلمون السوفيت

الذى هو قلعة الخان التترى فى قازان ، ثم زحف على قازان فدمرها ، وأعلن نفسه "قيصرا" على البلاد كلها ، وسماها روسيا ، وأصبح هو يعرف باسم ايفان الرهيب .

من هذا التاريخ يشعر "التتر" بأنهم ليسوا غرباء عن هذه البلاد ولكنهم جزء منها وكانوا أصحاب السلطان فيها فى يوم من الأيام ، وبالرغم من القمع الوحشى الذى أنزله بهم القياصرة الروس ، وخاصة فى عهد نقولا الأول الذى اتبع سياسة "الترويس" فى القرن التاسع عشر لاجبار نصف سكان الامبراطورية الروسية ، على أن يصبحوا روسا ، يتكلمون اللغة الروسية ويرتدون الملابس الروسية ، ويعتنقون الديانة المسيحية الأرثوذكسية ، فإن هؤلاء التتر لم يكن لهم مكان يذهبون اليه ، كما سعى اليهود "الخزر" مثلا إلى فلسطين والأمريكتين ، ولم يكن أمامهم إلا أن يثوروا على المظالم القيصرية التى لم تشملهم وحدهم ، بل شملت الأجناس الأخرى فى الامبراطورية ، حتى أطلق عليهم اسم "سجن الشعوب" ولم يكن الشعب الروسى ذاته بمنجاة من عسف القياصرة واستغلالهم ، حتى تلاحمت الطاقات الثورية لجميع المظلومين فى تلك الامبراطورية ، سواء الروس أو الأجناس الأخرى ، فكانت الثورة البلشفية فى عام ١٩١٧ ، التى كانت المساواة بين الأجناس واحدة من شعاراتها الاشتراكية .

وربما لم يكن من قبيل المصادفة ، أن زعيم تلك الثورة "فلاديمير إليتش لنين" جاء من تلك المنطقة الملتهبة بالثورة على ضفافى الفولجا ، حيث تلقى تعليمه الأول فى مدينة قازان ، عاصمة تتريا حاليا ، وبالرغم من انه كان من عائلة روسية مسيحية ، فلا يستبعد أن تكون عائلته تلك تترية الأصل ، وتم ترويسها ، مثل كثير من عائلات التتر . ولا يدرى أحد إذا ماكان فى ذلك تفسير كلمته التى قالها ، حينما وطىء الكرملين بقدميه لأول مرة بعد الثورة ، حيث قرر نقل العاصمة إلى موسكو ، بدلا من "سان بطرسبرج" التى أصبحت تعرف الآن باسم لينتجراد ، حيث قال : "أخيرا دخلنا الكرملين !" وما إذا كان يقصد بذلك انه قد ثأر أخيرا لهزيمة أسلافه فى قازان !!"

● المستقبل لهم

إن معنى أن تنفصل الجمهوريات الاسلامية فى آسيا الوسطى عن الاتحاد السوفيتى ، هو تخلى سكانها عن إخوتهم المسلمين فى روسيا الأوربية ، فى بلاد اعتادت أن تطلق على المسلمين جميعا

اسم التتر ، ولا يوجد المسلمون الأوربيون في تلك الجمهوريات الصغيرة فحسب ، بل يمتد وجودهم الى المدن الكبرى مثل موسكو ولينينجراد .

لقد فرضت الثورة البلشفية المساواة الحقيقية بين الأجناس واتباع مختلف العقائد الدينية من سكان الاتحاد السوفيتي ، وإذا كانت بعض "المظالم" قد وقعت هنا أو هناك في عهد ستالين ، فلم يختص بها جنس دون آخر ، أو عقيدة دون أخرى ، لقد عانى الشيوعيون أنفسهم من استبداد ستالين ربما أكثر من اتباع اية "عقيدة" أخرى ، ولقد كانت من بين المظالم التي لاينساها المسلمون هناك ، هو نقل "التتر" من القرم اثناء الحرب العالمية الثانية خوفا من انحيازهم إلى قوات الغزو النازى ، وكثيرا ما الحت الدعاية المعادية للسوفيت على هذه المسألة ، ولكن حقيقة الأمر أن القرم ، قد انتزعها الروس من الدولة العثمانية في أواخر القرن التاسع عشر ، ولم يكن سكانها من التتر ممن أشرنا اليهم من قبل ، ولكنهم من الاتراك ، من بقايا العهد العثماني ، الذين لا يختلفون عن التتر في الجنس ، والمسلمون كما يعرفون كلهم باسم التتر في المصطلح التقليدى للروس ، فخشى ستالين أن ينحاز هؤلاء إلى النازى لأن تركيا كانت تميل إليه بحكم صلاتها الوثيقة مع الألمان ، وعداوتها التقليدية لروسيا .

وفيما عدا ذلك ، فإن قمع الاتجاهات الدينية عند المسلمين في الاتحاد السوفيتي ، باسم "العلمانية" لم تكن أكثر منها عند المسيحيين مثلا من رعايا الاتحاد السوفيتي ، وهم الأكثرية الروسية وغير الروسية ، وربما كان حظ المسلمين أفضل في هذا المجال ، فقد كانت الكنيسة الروسية حليفا قويا للقياصرة ، فكان نصيبها من البطش السوفيتي أكبر ، ولم يكن للمسلمين قبل الثورة مؤسسات دينية لها وزن على ذات المستوى .

كان أغلب ذوى النفوذ الديني لدى عامة المسلمين ، هم "الدراويش" الذين يلوذون ببعض كبار الملاك سعيا وراء المكاسب المتواضعة . وسرعان ماحل بدلا منهم جيل من الدعاة الجدد ، لم يتحدوا علمانية الدولة ، ولم يقبلوها في آن معا ! لقد استفادوا من علمانية الدولة في التمتع بالمساواة مع الآخرين ، ورغم احتفاظهم بإيمانهم الديني فقد انصبت دعايتهم على أن الاشتراكية لا تتنافى مع روح المساواة والعدل الاجتماعي في الاسلام ، بل تتفق معه الى حد أن الانسان لا يحتاج الى أن يكون ماركسيا ملحدا لكي يقتنع بها ! وبذلك ضمن هؤلاء الدعاة لأنفسهم مكانة مستقلة مرموقة يحسدهم عليها قساوسة الكنيسة المنزوع سلطانها وأملاكها !

والآن ، وبعد البريسترويكا ، فإن المسلمين في الاتحاد السوفيتي ، قد

كسبوا الديمقراطية ·، بالاضافة الى مساواة الاجناس والعدل الاجتماعى الذى حققته الثورة الاشتراكية واذا كانت البريسترويكا سوف تنطوى على تعديلات واسعة النطاق فى النظام السوفيتى سياسيا واقتصاديا ، فسوف يستفيدون من كافة آثارها الايجابية ، دون أن يتولد لديهم دافع للانفصال . فضلا على ان الانفصال يتضمن الاساءة الى الاقتصاد السوفيتى فى مجموعه بحيث يشملهم فهذا الاقتصاد يعتمد على تبادل المنافع بين المناطق المختلفة سواء أكانت زراعية أم صناعية ، أم بها مصادر للطاقة والمعادن ، ومحاولة الفصل بينها تعنى تدهورا لمصالح الجميع ، فى الوقت الذى يتطلعون فيه إلى إقالة هذا الاقتصاد من

ـ اغنياء المسلمين يمنحون الصدقات في الاتحاد السوفييتي



جامع الحاج احمد ياسوي في قزخستان



المسلمون السوفيت

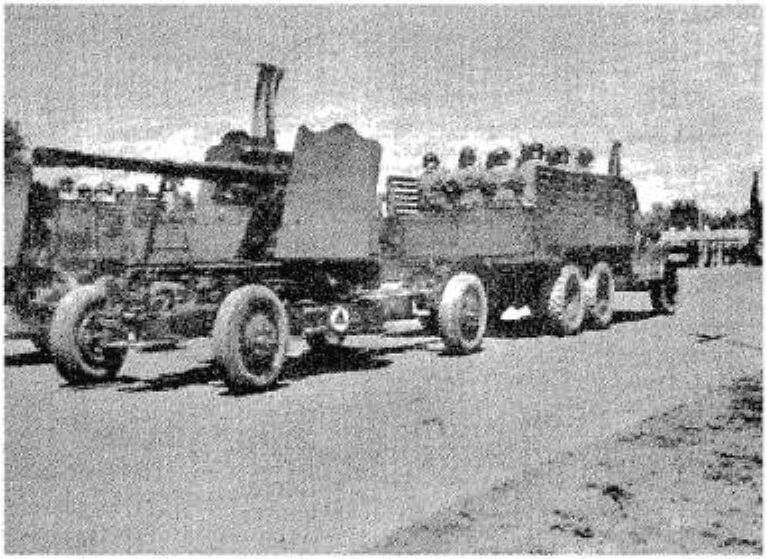
عثرته ، بعد ما ألحقته به الحرب الباردة وسباق التسلح وحرب افغانستان من دمار ولقد كان قرار جورباتشوف بوقف هذه الحرب الأخيرة وسحب الجيوش السوفيتية من أفغانستان المسلمة ، مدعاة للثقة به وبسياسته لدى المسلمين السوفيت ، وأنهاء لشعور التوتر الذى ساد صفوفهم إبان اشتعال تلك الحرب الظالمة !

فيما عدا الرابطة العاطفية بين اهالى اذربيجان السوفيتية وأخوتهم فى إيران ، لا يتطلع مسلمو الاتحاد السوفيتى الى اى من بلدان العالم الاسلامى التى تقع جنوبها ، باعتبارها نموذجا يحتذى او الارتباط الوثيق معها فى وحدة عضوية ،

فاقرب جارتهم اليهم جنسا ولغة وعقيدة وهى تركيا قد اصابها تغيير كبير بعد الثورة الكمالية ، ولم تكن الحرية الدينية فيها أكثر منها في الاتحاد السوفيتى ! فالأذان للصلاة مثلا يؤدى باللغة العربية من مساجد الاتحاد السوفيتى ، فى الوقت الذى شنق فيه اتباع أتاتورك عدنان مندريس رئيس الوزراء التركى الأسبق لأنه قرر رفع الأذان باللغة العربية بدلا من التركية التى فرضها أتاتورك !

وباستثناء الوضع المتدهور للاقتصاد السوفيتى الذى يعانى منه الاتحاد السوفيتى ككل ، والذى يطمع الجميع الى الخروج منع بفضل سياسة البريسترويكا ، فإن المسلمين السوفيت ليسوا على استعداد لفقدان المكاسب المترتبة على بقائهم فى إطار تلك الدولة الكبرى المتقدمة علميا وصناعيا . فقد اختفت الأمية تقريبا من صفوفهم بعد الثورة البلشفية ، بينما لا تزال تسود فى سائر العالم الاسلامى . كما أنهم نجوا من شرور كثيرة أصابت هذا العالم ، من بينها التكدس العشوائى الرهيب فى المدن الصناعية ، وما ينطوى عليه ذلك الوضع من تلوث بيئى وأحوال مزرية ، فمعظمهم يعيشون فى مناطق زراعية صحية ولفرة الخيرات والعمران المدنى عندهم يتخذ صورة انسانية ، ممثلا فى جمهورية اوزبكستان ، كبرى الجمهوريات الاسلامية هناك ، تقع العاصمة طشقند على بعد ثلاثمائة كيلو متر من مدينة سمرقند الأثرية الهامة هناك ، وتتوسع المدينة فى اتجاه الأخرى على مساحات مترامية ، بحيث يمكن أن تلتحم المدينتان فى المستقبل دون أن تصاب إحداهما أو كلاهما بالتكدس العمرانى المفزع !

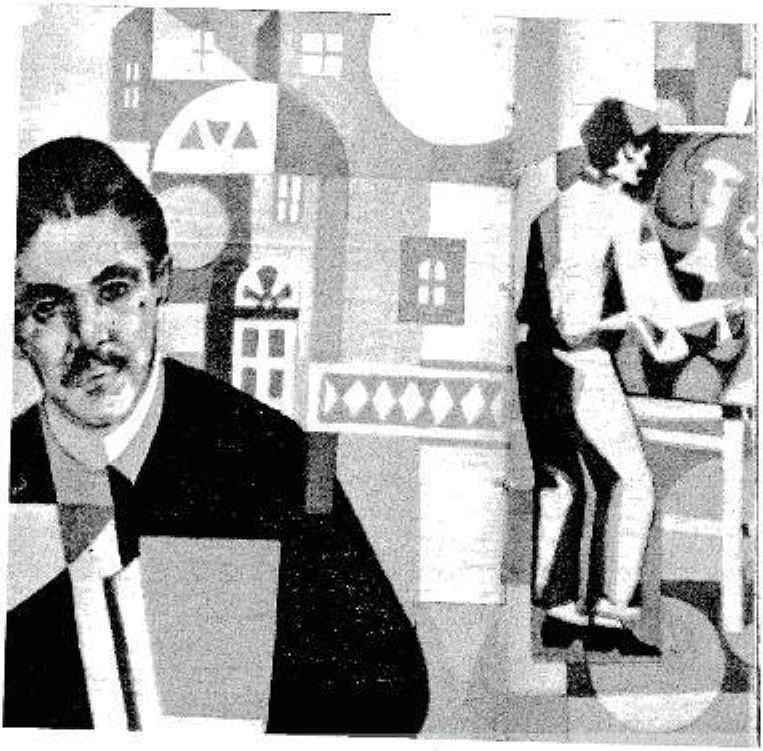
وأخيرا فإن المسألة السكانية فى الاتحاد السوفيتى هى فى صالح المسلمين بشكل مطلق ، فأقل التقديرات تقول إن عدد المسلمين السوفييت الآن هو ٧٠



الانسحاب السوفييتى للقوات المسلحة من افغانستان

مليون مواطن ، ومعدل المواليد بينهم هو ضعف معدله بين السوفيت الأوربيين ، وقد انعكس ذلك بوضوح على تشكيل الجيش السوفيتي ، ومن الطبيعى ان ينعكس على من هم وراء هذا الجيش من العلماء والمهندسين والتكنولوجيين الخ .

ولن يغامر المسلمون السوفيت بالانسحاب من القوة العظمى للحاق بسائر دول العالم الاسلامى التى رزحت طويلا ، ولا تزال تحت وطأة الدول الاستعمارية ، بل ربما كان خيرا لسائر بلدان العالم الاسلامى التى يحس نحوها المسلمون السوفيت بعاطفة دينية متقدة أن يبقى "اللوبى" الاسلامى ، الذى يتعاظم قدره فى تلك الدولة الكبرى ، لعله أن يعدل كفة الميزان لصالحها فى مواجهة اللوبى الصهيونى ، الذى تصنعه الاقلية المزوية اليهودية هناك ، ولسوف يبقى المسلمون فى الاتحاد السوفيتى جزءا من العالم الاسلامى بعواطفهم ، وربما تزداد الروابط الثقافية مع سائره فى ظل سياسة البروسترويكا وحرية المعتقد والتعبير ، ولكنهم سوف يبقون ايضا جزءا متنامى الأهمية من تكوين دولة اتحادية كبرى متقدمة .



حكايات قديمة

شخصية وأعماق

فاروق خورشيد

لوحة الفنانة : بهيجة حسنين

كان أبى رساما فنانا مزخرفا، يدرس الرسم والفن والزخرفة ويهوى الأدب .. وبين عالمه الغريب بين الألوان وروائح الزيوت وعطامات الريشة وحبه الأدبي بدأ عالمي الحقيقي نحو الفن والأدب .. فقد تفتحت عيناى على رؤى عالم من الألوان فوق الأقمشة وفوق جدران المنزل . وفوق كل شيء . كما تفتحت خياشيمي على رائحة الزيت الذى يرسم به وهو يملأ كل بقعة فى البيت وفى الحجرات . بل وفى أركان الحجرات . وفوق حيطانها أيضا .

شخصيّة وأعماق

وكانت أمي منعزلة عن هذا العالم الى حد ما ، ما كانت تستطيع ان تفصل وجودها عن عوالم الالوان والروائح ولكنها لم تكن تحس في كل ما يقدمه ابي ما يهز روحها ، او يدفعها إلى شيء جديد .. وكان الزيت والرسم والفرش والالوان جزءا من روتين العطاء عندها ، ومن هنا لم يكن يقدم في الحقيقة شيئا جديدا ..

كان رساما جيدا ومدرسا جيدا ، ومزخرفا جيدا ، في الاعوام والمناسبات الوطنية ، كان هو الذي يصنع في ورشة المدرسة الصناعية اقواس النصر التي تملأ الشوارع في المدينة وكان هو الذي يصمم لافتاتها بل ويصنعها خطا ورسما .. ثم في نهاية كل عام دراسي كان يقيم معرضا يفتتحه مامور المركز والناظر ومندوب عن مدير المديرية لما انتجه التلاميذ من رسوم ومعروضات ، وكل ما اذكره منها رائحة زيت الرسم الحادة التي كانت تملأ انفي ، والرسوم الضخمة التي كان هو مغرما بها ، والتي لم اكن اجد فيها ما يثيرني ، وان كنت اجد فيها ما يبهرني عطاء جمالي حقا ورقيق ، يغرس في القلب محبة الجمال والرقة ويعلم تلمس المعنى الحلو ، ولكن لا يثير الدهشة التي تدفع الى التساؤل ، ثم الى اعادة خلق العمل الفني في نفس المتلقي من جديد ، باسقاطات ذاتية تضيف اليه العمق الفني الذي يعطي الفن مدلوله ورسالته ومعناه .. تماما كفصول المنفلوطي والرافعي اشياء جميلة ورقيقة ، ولكنها مجرد جماليات مستمدة من الصياغة والتراكيب ، ورقة الجماليات والقدرة على استعمالها ولكنك تعرف نهاية الموضوع منذ لحظات بدايته وقد تجد في نفسك المتعة بالاحساس بالجمال ، ولكنك لن تجد ابدا الدهشة او الذعر الذي يؤدي الى التساؤل ، والى ان تعيد تركيب الموضوع في داخلك لتكوّن منه شيئا حميما او ذاتيا ، الا اذا خرجت من ذاتك تماما وعشت في حلم الكلمات والشخصيات التي تمثل الحدود القصوى من كل شيء ، من المعاناة ومن الالم ، ومن الامل ، ومن الوفاء ومن الغدر .. فإذا ما انتهت فترة مراهقتك الوجدانية هذه ، سالت نفسك عن الاضافة او العطاء فاذا الامر لا شيء من اوله ، وحتى ليبدو كدخان سيجارة محترقة ..

وعلى الرغم من ان حياتنا في مراحل الصبا والشباب تكاد تخلو من البدائل لهذه المعطيات الجمالية التي تعنى بالشكل كل العناية ، والتي تستهدف الامتاع الجمالي المباشر ، الا انني كنت احس ان الاشياء التي تقدمها هذه المعطيات ليست كافية هي تساعدني على الاستمرار ولا تساعدني على إعادة الخلق ، لا تساعدني الى إعادة عالمي الحقيقي ، معنى اخر كنت احس انها تزيف على الاشياء ولا تقدم الحقيقة ، تجمل لي الحياة ولا تقودني الى

الاعتراض عليها . وتبرر لي وجودي ولكنها لا تجعل الوجود قيمة مستقلة ، وقيمة دافعة قيمة الخلق والتكوين ، وتثور على ما هو قائم من اجل بعث ما هو واجب .

ومن لحظتها وانا يثور امامي سؤال دائم ودائر .. هل الفن هو هذه اللوحات التقليدية التي يتقنها ابي ويقدمها جميلة ورائعة ، وهذه الصفحات التي اقرؤها من المنفلوطي والرافعي والزيات واغوص فيها في بحر من الجمال .. ؟ لم الفن هو شيء اخر غير كل هذا الذي يقدمه ابي او يقدمه الرافعي والمنفلوطي والزيات وغيرهم .. ؟ .

ظل السؤال في قلبي حائرا ...

لان شيئا من كل هذا لم يمس قلبي المس الخلاق للمبدع ، او يمنعني اخر المس اللاذع المر .. وفي المدرسة ثم في الجامعة ، وفي مقالات النقاد علمونا ان هذا العطاء الذي ربيت عليه هو الفن هو في حالة الريشة يقدم جمال الشكل .. وهو في حالة القلم يقدم جمال الكلمة .. وهم في حصة الرسم كانوا يعلموننا كيف ننقل الطبيعة الحية ، كيف نرسم من مستوى النظر ومن فوق مستوى النظر ، كيف نعرف النسب ، كيف تكون الدوائر بنسبة مختلفة في تتابع منتظم ، ثم نصل بينها بالخطوط المائلة لتصبح الكوب والفازة والقلة كما انهم علمونا في حصص الخط كيف نمشي فوق النقط لتستوى اصابعنا مع جماليات الحرف ثم كيف تكتب الكلمة عشرين مرة ، وتمتلىء الصفحة ببقع الحبر المتساقطة من اقلام البسط ، ثم يمر قلم المدرس الأحمر فوق كل ما كتبنا ، وتمر صفعاته فوق وجوهنا ، لتعدو كصفحات الكراسات مزيجا من البقع الحمراء والزرقاء على السواء .

وكان المدرسون سواء في حصة الرسم او في حصة الخط ، شديدي الحيرة معي ، كيف وانا ابن هذا الرجل ، الفنان ، الذي ذاع صيته بينهم ، وفي المديرية كلها كاحسن رسام ، واحسن خطاط ، واحسن مدرس للمادتين اكون بكل هذه الخيبة التي ليس بعدها خيبة في مسالة الرسم والخط على السواء ..

وكان هو نفسه ياتيني محمر الوجه ظاهر الغضب ليطلب مني كراسة الرسم والخط ، وحين يراها يروح يضرب كفا بكف وقد تاكد من شكاوى المدرسين اليه .. وكان يبذل الصبي جهده ، لكنه .. وفي زمن مبكر .. اقتنع بانه لا فائدة مني ابدا في هذا الاتجاه .. ولكنه كان يدهش تماما من حديث مدرس اللغات عني .. ويعجب كيف انى ارضى هؤلاء ولا استطيع ان ارضى اولئك والامر انه كانت تستهويني جماليات كلمة فاصول فيها واجول ، ويحتار مدرسو الانشاء من اين جئت بكل هذا الرصيد الجمالي من الكلمات .. البعض كان يظن انني اسرق من الكتب والبعض كان يظن ان هناك من يكتب لي مواضيع الانشاء .. ولكن قلة قليلة .. وخاصة في نهاية الدراسة الثانية ادركت ان عطائي اللفظي نابع مني ومن حصيلة قراءاتي .

وان قراءاتي هذه نهمة ومخيفة وربما تسبقهم هم بزمن .. والواقع ان نهمي للقراءة ازعجني وازعج ابي ، ثم

شخصيّة وأعماق

ازعج المدرسين الذين تعرضوا للتدريس لى .. وخاصة فى اللغة العربية كثيرا .. فقد كنت اقرأ كل شىء . وكأن مهمتى الاولى فى الحياة ان لا اترك شيئا مكتوبا - اعنى مطبوعا ، لا اقراه ، وان لم تكن هواية ، اقتناء المطبوعات اساسية فىّ ، كما لم تكن هواية تذكر الكتاب والمؤلفين ايضا اساسية لى ...

فقد كان يكفينى ان اقرا وان استمر فى القراءة وان اجد ما اقراه باستمرار .. وفى دمنهور وجدت فى مكتبة البلدية امينا للمكتبة يعرف واجبه اولا ويهوى القراءة مثلى ثانيا وتولى هذا الامين مهمة أن يزودنى بالكتب بحيث لا اغادر قاعة المطالعة الا وقد اظلمت انوارها وران عليها السكون ولم يعد فيها الا رائحة الكتب والصمت والدفء ووقار غريب هادىء مازلت اجد اصداءه فى قلبى حتى الآن .. وكان ابى دائما ما يسالنى .. اين كنت ؟ .. ولم يكن لدى من اجابة الا اننى فى مكتبة البلدية .. ومرة اجبته اننى كنت اقرا الأغانى ، وكانت الطامه ، فكيف اضيع وقتى فى قراءة الاغانى وهل انتويت ان اغنى مثلا ، وهل اتجهت هوايتى الى تقليد عبدالوهاب او فريد الاطرش ... وضحك وهو يقول : الاحسن لك ان تحفظ اغانى الكحلاوى ...

واحتجت الى وقت طويل لاشرح له حكاية كتاب الأغانى ، وكانت الطامة اكبر .. فما لى انا وشعراء الجاهلية او ما صلح من شعرهم للغناء . وحياتهم ومغامراتهم .. هذا تضييع للوقت وخزعبلات ، وكان الاوفق مادمت اقرا فى القديم ان اقرا عن صحابة الرسول وآل بيت .. وقال ...

انا لم اسمع بالاصفهانى هذا ولكن اذا كان يهتم كما تقول بما غنى من شعر القدماء ، وباصحاب هذا الشعر فهو



يهتم بالجانب الملجن من حياتهم ، وهذا مالا احبه لك .. ورحم الله ابى فقد قال فى جملته الصغيرة والتلقائية هذه ما اجهد بعض الدارسين انفسهم بعد ذلك كثيرا فى محاولة إلصاقه بكتاب الأصفهانى العظيم ..

ولم يكن ابى يعرف اننى اقرا عن الصحابة وال البيت اكثر مما اقراه هو وشيخ الجامع الذى يعجب به ويحب أن يسمع حديث العصر اليومى الذى يقدمه فى الجامع القريب .. فقد فتح ابن هشام امامى عالما رحبا وغريبا فى سيرة ابن اسحق .. ومن خلال الاغانى والسيرة النبوية والامالى والعقد الفريد ونهاية الأرب وجدت الاجابة على سؤالى الأول الذى ظل فى اعماقى الى ان ايقظته نماذج الشعر والحكايات والأخبار التى احاطتنى من كل ناحية فى هذه القاعة المعتمة الرطبة الرحبة الحبيسة .. قاعة مكتبة البلدية فى دمنهور ..

وجدت جمالا غريبا مبعثه الدهشة والسؤال . جمالا مقلقا لا يحمل الراحة وانما يحمل الاضطراب كانت النصوص امامى جيدة لا استطيع الوصول اليها الا اذا تغلبت على عقبات اللغة وفهم العصر ومعرفة الشاعر ، وتاريخه وحياته .. وحتى بعد ان اعرف كل هذا يظل النص بالنسبة لى شيئا غامضا ، يحمل سرا لا يكشف لى عنه ، ولا يريد ان يزيل الاستار التى تحجبه عنى .. وان كنت تحس فى اعماقى وجود هذا السر الدفين . هذا الكنز الذى يحتاج الى البخور والطقوس الحتمية التى يجب ان تؤدى قبل ان يكشف الكنز عن مكانه ، ويفتح امامى دره ويواقيته وذهبه وجواهره ، ولكن الاصرار والمعاناة والداب ، اعلنت جميعها فى كثير من الاحوال على الوقوف عند باب الكنز الثمين وبقيت تلك الخطوة الأخيرة ليكشف لى الكنز عن معنى ما فيه من جوهر ومعدن اصيل تلك هى دراسة هذه النصوص على ايدى امهر من فى دنيا الصياغ من نقاد وعارفين ، من اساتذة كلية الاداب فى اواخر الاربعينات ، ضيف والقلماوى والبهبيتى ويونس وعزام والشايب وحموده وكامل حسين والخولى ، والفئة من اعلى المتذوقين حسا ، واكثر العارفين جراة على النص ومعانيه وما استغلق فيه .. وساعتها اصبح الحس الغامض ، دنيا مفتوحة وغريبة من الجمال المتجدد والمدهش والمستقر والمتحدى .. ويفتحوا امامى افرادا وجماعات الابواب لرؤية شكسبير وشو وابسن وبوشكين وتولستوى وديستوفسكى العظيم ، ثم سرت بعد هذا فى الدرب وحدى اقفز بين تشيكوف وهيمنجواى وسارتر وميللر وكافكا وشتاينبك وديكنز وموم وبلزاك ثم حاول التعرف على محاولات طه والمازنى والحكيم ومحفوظ بعد زمن من معاملة المدهشين العظام .. وقادنى المازنى الى المزامير والاشعار وقادنى الحكيم الى نشيد الانشاد وقادنى طه الى الف ليلة .. وفتح امامى الخولى مغاليق الرحمن والنور والكهف ... ومضينا فى الطريق انا ومجموعة الاصدقاء نقرا معا جيته واليوت وريتشاردز .. الاول عاشقه هو عبد

شخصيّة وأعماق

الغفار مكاوى ، والثانى عاشقه هو صلاح عبدالصبور ، والثالث عاشقه هو عز الدين اسماعيل ، ثم جاءنا احمد كمال زكى بفريزر وعالمه السحرى العجيب ...

وسط هذا العالم الزاخر الذى يعطى ويأخذ وسط كل هذه الانهار التى تصب دائما فى البحر والبحر ليس بملآن ، تفتح القلب والعقل ونما الوجدان والحس التذوقى لمعنى الفن ولمعنى الجمال ولم يعد الجمال عندنا جميعا ما يريح العين ويطرب ... وانما غدا ما يفجأ ويدهش ، ويثير دوامات جديدة وملتهبة من الابداع الداخلى النابع من الحس الملتهب اليقظ الذى يثيره العمل الفنى وزاد الامر يقينا وعمقا اننا تزاملنا وتفاعلنا على مجموعة الفنانين التشكيليين الذين عاصروا شبابنا وعاشوا معنا هذا الشباب وساهموا فى اخراج الاعداد القليلة التى صدرت من مجلة الثقافة فى اوائل الخمسينات وكانت رسوماتهم المصورة مع قصصنا واشعارنا مثار حملة ضارية علينا من اصحاب النظرة الجمالية التقليدية . ومن هؤلاء الفنانين حامد ندا وفؤاد كامل وجاذبية سرى والسجينى انجى افلاطون والجزار فقد كان اتجاههم الى التمزيق والرمز الشعبى واعادة الترتيب "وخلط النسب المتواضع عليها" شيئا جديدا فى دنيا التعبير الشكلى عند الفنانين التشكليين العرب ، وجاء ابى من دمنهور يحمل اعداد الثقافة ، وكان مايزال يدرس الرسم والنقش والزخرفة .. وان كان قد اصبح على درجة وظيفية عالية لا اذكرها ولايهمنى ان اذكرها الأن .. المهم انه جاء حاملا الاعداد وطرحها امامى ونظر وصمت فى ادب واشفاق على نفسى مما سيصيبنى من غضبه .. ولكنه لم يغضب كان حزينا حزنا صامتا نفذ الى اعماقى كما لم ينفذ الى لوحة من لوحاته الزيتية والفحمية والقلمية التى ملا بها طفولتى وصباى ومطالع شبابى .. ثم قال :

– هل هذا هو الجمال عندكم ؟

وابتسم فى مرارة ومضى يمر على صفحات المجلة عددا وراء عدد ، وهو يقف عند الصفحات التى امتلات برسوم ندا والجزار وجاذبية واخوانهم .. وعاد يكرر سؤاله المر ..

– اهذا ما علمتك من معنى الجمال ..

واطرقت ولم اجب ... ولكنه مضى بعيد يقلب الصفحات مشيرا الى قصص لى وقصائد لصلاح وقال فى لهجته المرة الساخرة :

– هل هذا هو كل عطاؤكما .. هل هذا هو الشعر وهل هذه هى القصص ..

ثم طوى المجالات وقام ولم المه ولم ارد او اعترض .. فقط اطرقت فى صمت فكم كنت اود ان اكون وفاء لما يحب ، واكمالا لما بدا "ولم اكن الا خيبة امل له انا واخى – ابنه الآخر الذى كان يحب صلاح ..

ولم اره طوال فترة اقامته فى القاهرة فى هذه الاجازة التى اقتنصها اقتناصا من عمله الصارم فى دمنهور وتجنب صلاح ايضا ان يلقاه كنت قد حكيت له ما حدث ، ولم يعقب صلاح بشىء بل

قال :

ـ كانني اسمع ابى .

وهمست :

ـ عمي عبد الصبور كم احس باللوم لنا فى عينيه .....

قال صلاح :

ـ لامجال للمناقشة .. بعد حين ربما يعرفان .. ويفهمان ، اما الآن فكل الناس تهاجمنا من جراء ما نشر ..

كان هذا بالفعل صحيحا .. كان ابلؤنا من الأساتذة الذين يهتمون بنا وبما نفعل وننشر ونبدع ، ويتحملون من اللوم والنقد وخاصة من اعلام المرحلة وعلى قمتهم طه حسين الذى لم يرض ابدا بكل ماتقدم فى الثقافة وكان اشد المتحملين للوم من جرائنا استاذنا العظيم محمد فريد ابو حديد الذى كنا نغامر فى مجلة الثقافة وباسمه ومن تحت عباءته .. ولم يكن ابو حديد يلوم احدا منا ، فقط كان يجمعنا عشية صدور المجلة ويستعرضها معنا وعلى شفتيه نفس الابتسامة التى رايتها على شفتى ابى ، وان لم يكن يسال نفس سؤاله ، كان يجد عنده الاجابة التى يقدمها لنا ، وللسائلين ثم واجهت معه عملاق المجلة ولجنة التاليف والترجمة والنشر .. صحبنى يوما لمواجهة احمد امين وانتهت المقابلة باغلاق مجلة الثقافة وابتسامة حزينة على شفتى ابو حديد ، واصرار مراهق على وجهى وملامحى ..

حين انتهت اجازة ابى صحبته فى الترام الى باب الحديد من حيث يركب قطاره الى دمنهور ، وظل صامتا طوال الطريق ، وان كانت عيناه لم تتركا شيئا جميلا الا وقفنا عنده ، وحين اقترب الترام من محطة الوصول ، والتفت ابى الىّ وقد نسي ملحوظه من زحمة الترام ، والناس والمراة التى لم ترفع عينها عن وجهه طوال الطريق وقال :

ـ اسمع .. لقد علمتك حتى الآن كل ما تعرفه من معانى الخير والجمال .. ولكنى اقول لك منذ الآن انسى كل ما علمته لك وعش ماتحب ، واكتب ما تريد .. فانت فى عالم قبيح ، وكل ما يقدمه لك من قبح هو عطاء هذا العالم ..

وابتسم واطفا سيجارته تحت قدميه فى عنف وقال :

ـ يسعدنى اننى لا افهم عالمكم هذا .. ولكنى اعرف ان الكلمات لن تمنعكم من الاستمرار فيه ثم قال :

ـ اسمع .. عش ذئبا وسط الذئاب ، وميز القبح وسط الجمال ، وابحث عن الجمال وسط كل هذا القبح فهذه شريعتكم يا ابناء هذا الجيل ..

ووصل الترام الى محطة الختام ونزلنا انا وابى ووصلنا المحطة العريقة ، بركابها وزحامها وصيحات الناس فيها .. وركب القطار ولوح بيده حين تحرك القطار وابتسم ابتسامته المرة وهى يقول :

ـ انس كل ماقلته لك وابدا طريقك ، وتاكد انى لا الومك .. ولن الومك ابدا .. رحمه الله

ومازالت لوحاته الزيتية عندى ومازالت رائحة الحبر والزيت والمعجون التى ملات حياته فى انفى الى الآن .

العالم في سطور

روما

• النساء .. على طريقة البرتو مورافيا

سيطر هذا الرجل على اذواق اجيال بكاملها في بلاده وخارجها بست عشرة رواية فقط لاغيرها، نشرها على مدى ستين عاما .. اى بواقع رواية كل اربعة اعوام تقريبا .. ومع هذا كان حاضرا دوما في اذهان الناس الذين راحوا يقرأونه ويتعاملون معه على انه مؤلف الالف رواية .

وتجيء غرابة روايات البرتومورافيا (١٩٠٧ - ١٩٩٠) في ان اشخاص رواياته محدودون، وعالمه ضيق لكنه عميق، ويحمل رؤية حقيقية للعالم من حولنا . فلم



البرتو مورافيا

يكن عالما داعرا بالمرة مثلما تصور البعض، كان مكشوفا في بعض فتحاته . لكن البرتومورافيا استطاع ان يعرى النفس البشرية ويكشف عن نقاط ضعفها ، قبل ان يجعل ايا من هؤلاء الاشخاص يخلعون ملابسهم او يتعرون باجسادهم امام الآخرين .

والغريب ان نساء البرتومورافيا لسن داعرات بالقدر الذى نراه في روايات الكثير من ابناء الروايات المكشوفة فادريانا في «امراة من روما» تنتبذ ان تمارس الهوى من اجل ان تملأ معدة وجيب امها .. لذا فهي ترتبط بالتلميذ الفقير كي تغسل ادرانها .. اما الام في رواية «اجوستينو» فمن حقها الشرعي ان تمارس حبا جديدا بعد ان مات عنها زوجها .. لكن شيزيرا في «شوشيارا» المعروفة تحت اسم امراتان تدفع الكثير من شرفها حين يهاجم الجنود ابنتها على الطريق، وهي تحاول ان تدافع عن هذا الشرف بكل ماتبقى لها في سنوات حرب بالغة القسوة .

الا ان هذا لايلغي ان هناك بعض النسوة اللاتي يبحثن عن متعة خاصة . وذلك في روايته الاولى اللامبالون .. فالام تضطر ان تتخذ لنفسها عشيقا ثريا بعد ان تلفت الثروة التي تركها زوجها .. وسعيا للانتقام منها فان ابنتها تفاجئها وتنام مع نفس الرجل فوق فراش الام . اما الابن فهو ينتقم من امه بان يتخذ من صديقة امه عشيقة له .. هم اشخاص لايتلذذون بالخيانة والجنس .. ولكن الجنس هنا وسيلة للانتقام والافلات من ظروف قهرية .

كما تجيء اهمية مورافيا . ليس فقط في مقدرته على كشف حدود

العلاقات المتنافرة المتجاذبة بين الرجل والمرأة . ولكن ايضا لانه رجل ظل يناهض الفاشية فى سلوكه وكتاباته وطارد الديكتاتوريين فى اعماله .. ويرى ان الفاشية خطر على العالم المتحضر وعلى الابداع الادبى . لذا فان شخصيات رواياته لم تهرب من الواقع الذى تعيش فيه الى عوالم غيبية .. بل راحت تواجه وقائعها ومصائرها .. ويردد ان العالم المعاصر لم يكشف اللا وعى وحده .. اى علاقة الانسان مع نفسه . بل الحياة اليومية التى يعيشها الناس وقد دمر هذا الامر الرواية التقليدية .

البرتومورافيا اديب استفاد كثيرا من عمله الصحفى . فقام بتجولات عديدة فى انحاء العالم . ودافع عن قضايا التحرر فى افريقيا .. وعن القضية الفلسطينية ، رغم جذوره اليهودية وعاش متمتعا بايامه وبذاته . احب النساء الجميلات والمفكرات ، فتزوج ثلاثا من اديبات ايطاليا المعاصرات ، واحب السينما فقدم لها احلى الروايات (١٥ فيلما) وكتب مئات المقالات الاسبوعية فى مجلة اسبرسو .. واحب الدنيا فتعلق بها .. وراح يتصرف وهو فى الثالثة والثمانين كانه شاب مراهق فى السادسة عشرة ، مثل بطله اجوستينو ، لكن للاسف فان الموت اختطفه فجاة ، وبدون سابق انذار .

تيرانيا

شيخ القبيلة .. فى البانيا

قصر الاحلام .. عنوان اخر رواية صدرت فى الشهر الماضى للكاتب الالبانى اسماعيل قدرى ، وهى تنتمى الى ادب الخيال السياسى حيث يتصور ان هناك امبراطورية يحوطها الضباب ، الكثيف يحكمها شخص يطلق على نفسه اسم « شيخ القبيلة » ، هكذا يسميه بالحروف اللاتينية ، والشعب لايعرف من هو هذا الرجل المليء بالضباب والذى يحرسه عدد كبير من الرجال .

ويقول قدرى ان الحاكم قد انشأ فى قصره العجيب مكتبا للنوم وللاحلام .. وان فى القصر الف باب وموظفين كثيرى العدد. عليهم مراقبة الناس وسلوكهم فى هذه الامبراطورية وان هذا الحاكم يؤمن بالشمولية لذا ابتدع ما اسماه بشرطة الوعى يمكنها ان تتوغل فى وعى الناس وعقولهم لتعرف فيما يفكرون . ويقول المؤلف على لسان بطله الغامض « اهمية الاحلام ودورها هو انه يمكن من خلالها تخدير البلاد والناس وايضا الحكام وليس فقط الرعية » ولهذا الحاكم خمسة وزراء يمكنه ان يحكم على احدهم بالموت فيختفى عن الانظار لذا فان البعض يسميه "امير الظلام والمجد" .

وعلى طريقة حكايات الشطار ، فلابد ان يظهر شخص يمكنه ان يدخل هذا القصر ويثير فيه القلق ويحطم اسوار الغموض ، وقد نجح علأم هذا ، كما اسماه المؤلف فى ان يتوغل فى القصر بمساعدة خاله ، وزير الحاكم ، وايضا بمساعدة اصدقائه من الثوار ، ويردد بعض



اسماعيل قدرى

الكلمات المبهمة .

لاشك ان اسماعيل قدرى يحاول ان يهاجم التراث الاسلامى من خلال رواية بالغة الذكاء . وهو لايلجا الى هذا بشكل مباشر . فهو يأتى بحكايات عربية قديمة ويغزلها فى حدوتة مثيرة دون ان يعطى لبطل الرواية اى اسم سوى انه شيخ القبيلة .

ويورد على لسان احد ابطاله لقد اقتسم الاتراك السلطة معنا .. وهذا يعنى انهم اقتسموا معنا الجرائم .

اسماعيل قدرى هو الكاتب الالبانى الاول ، احتفل فى العام الماضى بعيد ميلاده الخمسين له روايات عديدة من بينها « يوميات مدينة شمالية » و« ايشيل » و« الحقل » و« جنرال الفرقة الميتة » وغيرها .

باريس

عصر .. جيمس دين

سيظل الممثل الامريكى الراحل جيمس دين بمثابة اسطورة خالدة طوال سنوات لايعلم سوى الله مداها .. هذا الشاب البسيط الذى لم يعرفه الناس كممثل لثلاثة اعوام فقط (١٩٥٢ ـ ١٩٥٥) قام فيها بتمثيل مسرحية .. وثلاثة افلام لا غير .

لم يؤثر جيمس دين على شباب عصره فقط .. بل ان اغلب شباب التسعينات ينظرون اليه كنموذج . فهم لايزالون يرتدون الجينز بنفس اسلوبه .. بل ان نجم التسعينات الشهير فى السينما الامريكية ميكى رورك يقلده كانه جزء منه .

الناس يتحدثون عن « دين » الان فى العواصم العالمية . ليس فقط بمناسبة الاحتفال بذكرى رحيله الخامسة والثلاثين ولكن بسبب عرض مسرحية موسيقية تحمل عنوان « اسطورة جيمى » فى العاصمة الفرنسية ، ويكفى ان يقال ان الموسيقار المشهور ميشيل برجيه هو واضع موسيقى هذه المسرحية .

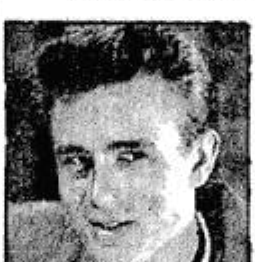
اختارت المسرحية ان تروى قصة الحب الساخنة التى جمعت بين جيمى والممثلة الايطالية الاصل بيير انجلى والتى رفض ابوها ان يزوجها له .. وكيف ان هذا الحادث كان سببا ان تزداد حدة التحرر لدى جيمس دين فاشترك فى مباراة سباق دراجات مات اثناءها .

الجدير بالذكر ان الممثلة بيير انجلى قد ماتت منتحرة على اثر اصابتها بكآبة فى عام ١٩٧١ عرضت المسرحية فى اطار اوبرالى .. ويقول الموسيقار ميشيل برجيه « ان اوبرانا قد صنعت تكريما لجيمس دين » ، لذا فقد اشترك الشاعر بلامندون فى كتابة المسرحية واغانيها .. ومنها على سبيل المثال :

كان ترجسيا ..

كى يحب احدا حبا حقيقيا ..

رجل او امراة لايهم كان قادرا على العطاء



نوبل ١٩٩٠

مفاجعة الشعر .. والموت

بقلم :
محمود قاسم



اوكتافيوباث

● "من بين قراءاتي في سن المراهقة ، تاثرت كثيرا بكتيب يحتوى مختارات من الشعر العربي الاندلسي . ومازلت اتذكر صورا رائعة كان يضمها هذا الكتيب ، وكتب الحكايات شدتني هي الاخرى .. بوسعي القول ان الادب العربي كان مصدر الالهام لى لفترة معينة"

جاءت هذه العبارات في الحديث الذى اجرته مجلة "ماجزان ليترير" .. الادبية الفرنسية في عددها الصادر في مارس ١٩٨٩ مع الشاعر المكسيكى المعروف اوكتا فيوباث الذى فاز بجائزة نوبل في الادب لعام ١٩٩٠ .

تؤكد مثل هذه العبارات على قرب الصلة بين الثقافة العربية والثقافة الاسبانية المكتوبة في امريكا اللاتينية بصفة خاصة ..وليس اوكتافيوباث هو اول من يعلن هذه المقولة فقد نطق بها كثيرون من قبل ، ومنهم الاديب الكولومبى المعروف جارثيا ماركيث الذى فاز بجائزة نوبل قبل ثمانية اعوام .. فالشاعر اوكتافيوباث لم يعلن فقط انه معجب بالشعر العربى بل انه يؤكد ان هذا الشعر كان مصدرا لالهامه ، وسببا لتكوينه

نوبل

الشعرى واصلا فى ثرائه اللغـوى والحسى . وان يقول شاعر متميز مثل هذا الكلام فى زمن اصبح فيه الشعراء الحقيقيون عملة نادرة لهو تأكيد على القيمة الفنية والفكرية للشعر العربى من ناحية . وعلى مدى اصالة شاعر يكرر مثل هذه المقولات بين فترة وأخرى .

● زمن المنسيين

فاز اوكتافيوباث اخيرا بجائزة نوبل .. ونقول اخيرا . لان فوزه بالجائزة كان بمثابة مـزيج من المفـاجآت حتى لاوكتافيوباث نفسه .. اولى هذه المفاجآت تجىء من انه لم يتوقع احد ان يفوز الادب المكتوب بالاسبانية بالجائزة فى عامين متواليين بل ان هذا الادب قد فاز بالجائزة ثلاث مرات فى السنوات التسع الاخيرة فبعد ماركيث (١٩٨٢) وثيلا فى ١٩٨٩ هاهو باث فى عام ١٩٩٠ فى وقت توقع الكثيرون ان تتجه الجائزة فى هذا العام الى آداب اخرى مكتوبة باللغة الالمانية او الايطالية او الصينية او الروسية او حتى لأدب مكتوب بالانجليزية فى بريطانيا وجنوب افريقيا .

ورغم هذه المفاجأة فإن الكثيرين من المتابعين للجائزة فى السنوات الاخيرة قد احسوا بارتياح شديد لانها المرة الاولى منذ سنوات طويلة التى تمنح فيها اكاديمية استكهولم جائزة لكاتب شهير حيث دأبت فى السنوات الخمس عشرة الاخيرة على اختيار كتاب اقل شهرة على المستوى العالمى ، باعتبار ان الجائزة هى نوع من الشهرة لكتاب متميزين لعبت ظروف معينة دورا فى عدم وصولهم الى قاعدة كبيرة من القراء .. ويكاد يستثنى من الكتاب الذين فازوا بهذه الجائزة من عام ١٩٧٥ كاتب واحد هو ماركيث ..

لكن اغلب الاسماء الاخرى كانت فى طى النسيان قبل ان تحصل على الجائزة .. وللاسف فقد طوى النسيان الكثير من هذه الاسماء حتى بعد حصولها على الجائزة وكأن كل هذه القيمة الادبية التى منحت لاصحابها خلال اكاديمية ستكهولم لم تنجح فى ايقاظ العملاق النائم .. وايضا فى ان تقرب هؤلاء الادباء من القاعدة العريضة من القراء ..

فمن يذكر ايفند جونسون من السويد (١٩٧٤) ومواطنه هارى (١٩٧٥) والاسبانى بسنت اليخاندر (١٩٧٧) ، والامريكى اسحاق سنجر (١٩٧٨) واليونانى اوسيوس اليتس (١٩٧٩) .. وايضا البولندى شيزلاف ميلوش (١٩٨٠) والبلغارى الياس كانيتى (١٩٨١) . والتشيكى ياروسلاف سيفيرت (١٩٨٤) والنيجيرى وول

وول سوينكا





جابرييل جارثيا ماركيث



نجيب محفوظ

سوينكا (١٩٨٦) ثم من سيتذكر الاسباني كارمن ثيلا (١٩٨٩) .

● هل ولى زمن الشعر ؟

للاسف فقد ثبت ان لبعض الادب قبولا خاصا لدى القراء سواء نال صاحبه جائزة نوبل ام لم ينل اى جائزة فى حياته .. فجراهام جرين الذى ينتظر الحصول على نوبل منذ سنوات هو اكثر شهرة ، وقراءة من كل الاسماء التى ذكرناها .. كان اوكتافيوباث هو احد الاسماء فى قائمة قصيرة لادباء معروفين ينتظرون الحصول على الجائزة ومن بين اصحاب هذه الاسماء هناك نادين جورديمر (جنوب افريقيا) والالماني جونتر جراس . والصيني باركين واذا كان بعض الذين انتظروا الحصول على الجائزة ، قد رحلوا دون ان ينالوا هذا الشرف مثل الارجنتيني بورخيس فإن اوكتافيوباث اسعد حظا بكثير من زملائه .

اذن فقد تغيرت حيثيات المنح هذا العام ، ونال الجائزة كاتب على مستوى اسم الجائزة التى حصل عليها برناردوشو ، وسارتر ، وكامى ، وهيمنجواى ، وسلمي لاجيرلوف ونجيب محفوظ ، وآخرون ..

اما النقطة الاخيرة التى تستحق النقاش فى حيثيات المنح هذا العام ، ان اكاديمية ستكهولم لاتزال تولى فن الشعر اهتماما كبيرا فى زمن لم يعد الشعر هو الفن الاول فى العالم بل انه تراجع كثيرا قياسا الى التقدم الذى احرزه فن الرواية

.. وخاصة ان ابرز شعراء العصر قد رحلوا عن عالمنا مثل سان جون برس ، وبورخيس وفروست وجاك بريفير .

فبعد ان كانت الاكاديمية تمنح بعض الشعراء المتميزين جائزة نوبل عن روايات اقل اهمية من اشعارهم مثلما حدث مع بوريس باسترناك ، فانها منحت الجائزة لكاتب مسرحي معروف عن أحد دواوينه الشعرية وهو والنيجيري سوينكا ..

اذن ، فالاكاديمية تحاول ان تثبت اننا في عصر الشعر ، وان هذا الفن لن يندثر مثلما يدعي البعض ، فقد حصل اربع شعراء على الجائزة بين عامي ١٩٨٤ و ١٩٩٠ اثنين من هؤلاء الاربعة يقلون عمرا عن الخمسين وهي سابقة لم تحدث قط إلا مرة واحدة للروائي البيركامي الذي حصل على الجائزة عام ١٩٥٧ ..

البير كامي



● **الشعر .. مضاجعة**

لاشك ان في شعر باث اختلافا مميزا جعل القائمين على الاكاديمية يمنحونه الجائزة هذا العام .. وخلاصة مايمكن ان يقال عن هذا الشعر انه مصنوع ليعبر عن متعة الكاتب بالحياة التي يعيشها هذا الشاعر الذي يؤمن ان الكتابة تشكل حالة يلجأ اليها المبدع عندما يشعر بانه يتعرض للموت الكامل : "اجل الادب هو موقف ضد الموت . وانا اقصد تحديدا ، ذلك الموت الذي يأتي من غير مكانه الصحيح" .

ورغم ان المتعة زائلة ، ولان دور الشاعر هو ان يثبت هذه المتعة من خلال كلمات جديدة موزونة تعبر عن نبضه تجاه المحسوس والملموس . ولذا فانه كما يقول الناقد د . ب جالجر في كتابه عن ادب امريكا اللاتينية الحديث ، ان نسبة كبيرة من شعر اوكتافيوباث تصور الحب الجنسي : (ان بصمات قدم المرأة تمثل مركز العالم المرئي ، كما ان بشرتها مصنوعة من الخبز ، وعينيها من السكر ، ويشتمل جسدها على الوديان التي تعرفها شفتاي وحدهما ، وهناك نحل دائم في شعرها كما ان تنورتها مصنوعة من الذرة وتغمس في صدرها اصابع من الماء وبعبارة اخرى هي لاتنفصل عن المراعي الطبيعية التي تعيش فيها ، ليس لكونها جزءا من الطبيعة ، بل الطبيعة نفسها في امرأة تنشر ملابسها في انتصار .

تنشر الصخور ملابسها .
ويقفز الماء ، من قراشة
اكثر عريا ،
لينظر الى نفسه .. في الماء

ويرى جالجر فى نفس الكتاب ان اوكتافيوباث ينظر الى العملية الابداعية والمضاجعة كأمرين متشابهين تماما فالمرء فى كليهما عليه ان يصل الى قمة الانجاز حيث تتحرر المشاعر من كافة الاشياء التى تقيدها وتنطلق منها مكنوناتها فيتحرر المرء من التاريخ والزمن ، وتبرز منه شخصية جديدة حقيقية ، وفى كلا العمليتين يعود المرء الى اصله فيتعرى كما ولدته امه سواء جسديا او نفسيا .. ويؤكد باث فى كتابة القصيدة او عملية الحب حقه فى ان يكون "ابا" لنفسه وينتج باث نصا ادبيا يكون فى حقيقته تجسيدا عن نفسه الجديدة فهو يتصرف باللغة ومع المرأة ليكونا فى النتيجة اما للنفس الجديدة" .

● **المضاجعة .. والشعر .. ابداع**

هذا هو المدخل الاساسى الى الشاعر اوكتافيوباث او هو مفتاح شخصية الشاعر وقد عبر عن هذا فى المقابلة الصحفية التى اجرتها معه صحيفة "كانزان ليترير" الادبية فى عام ١٩٧٧ قائلا : "فى الادب المكشوف هناك اولا عملية استطلاع ، فالاستطلاع امر اساسى للأدب المكشوف ، هناك تحول بين الجنس والادب المكشوف . ويلعب التخيل دورا فى هذا التحول . وهو امر يتعلق بالاستطلاع ووجهة النظر حيث تنبثق المشاعر ويتولد الابداع هذه هى النظرة المكشوفة ، وهى امور تختلف عن اثبات ان الحب حالة مخففة ، ففى هذه النظرة المكشوفة يمتزج الموت والتخيل .

وقد اكد باث على هذا النبض دائما .. ففى حديثه الى مجلة "ماجزان ليترير" يقول ان الحب قد ولد فى الشرق مثلما ولد فى الغرب (الحب ليس حكرا على الغرب) وقد سعيت ان ابين الفرق بين الجنس والاثارة ، فالجنس عملية حيوية وحياتية ، وهو موجود لدى الحيوانات فى الطبيعة فى عالم النبات ، فى الزهور وما الى ذلك اما ، جنس الادب المكشوف فهو جنس بشرى فى المقام الاول ، فالانسان دائما فى حالة تخيل وهو يمارس الجنس . انه يبتكر ويبدع ، لذا فهو فى حالة خيال خصب . والخيال يجعل ايحاءات الرغبة محسوسة .. وبفضل الخيال تمضى هذه العملية المكشوفة بعيدا عن الجنسية الحيوانية .

ولاينسى الشاعر ابدا ان يمزج الموت بالجنس بالشعر كأنهما ثالوث مقدس يطاردونه منذ الميلاد وحتى الموت ... وكأن الجنس هو حالة الهروب المؤقتة من الشبح الابيض القادم من اجل قبض الروح .. لذا فعليه ان يهرب منه اما بممارسة الحب للحظات او كتابة الشعر عن الجنس والموت معا .

تستوى الحياة والموت معا ..
من خلالك
ياسيدة الليل
يابرج الصفاء
ياملكة الفجر
ياعذراء القمر
ياأم الماء ، الام
ياجسد العالم
ومقر الموت .

قصيدة أوستيكا

للشاعر المكسيكي: أوكتافيوباث

ترجمة الدكتور: حامد أبو أحمد

شموس الصيف المتتابعة
تتابع الشمس وفصولها الصيفية ،
كل الشموس ،
الوحداني ، شمس الشموس ،
وقد تحولت إلى عظمة عنيدة وشقراء داكنة
إظلام مادة متبردة .
حفنة من حجر
اناناس من حمم بركانية
مستودع عظام
لا ارض ،
وليست جزيرة ايضا ،
صخرة فقدت خَواصها ،
دُرّاقن* صلب
قطرة من شمس متجمدة .

وفى الليالى يُسمع
تنفس الأحواض
ولهاث الماء العذب
الذى عكّره البحر .
الساعة عالية ومخططة بلون أخضر
والجسد المعتم من النبيذ

النائم فى الكئوس
شمس اكثر سوادا وبرودة .

هنا وردة الأعماق
شمعدان من أوردة وردية
مشتعلة فى عمق البحر .





وفى الأرض ، تطفئها الشمس ،
تطريز شاحب متكلس
مثل الرغبة المطرزة بالموت .

صخور بلون الكبريت ،
أحجار عالية عبوسة
انت موجودة على ضلعى .
وافكارك سوداء ومذهبة .
فإذا مددت يدك
ربما تقطفين عنقودا من الحقائق الغير ملموسة
وفى الأسفل ، بين صخور متلألئة ،
يروح ويجىء البحر الملىء بالاذرع .
دُوار . الضوء يندفع .
وانا نظرت إلى وجهك
وانا اطللت فى الهوة :
الفناء هو الشفافية .

مستودع عظام ، فردوس :
جذورنا المربوطة
فى الجنس ، فى الفم المحطم
للأم المدفونة .
بستان اشجار تتناكح أُسريًا
على أرض الأموات .

★ لوستيكا جزيرة صغيرة فى بحر صقلية . كانت مقبرة إسلامية
★ الدزالق نوع من الشجر

بقلم: حسين أحمد أمين

الواقدي

٧٤٧ - ٨٢٣

من أوائل المؤرخين العرب وأعظم كُتّاب السيرة النبوية . ألفّ ثمانية وعشرين كتابا في القرآن والحديث والفقه والسيرة والتاريخ ، ضاعت كلها عدا "كتاب المغازي" . غير أن مقتطفات كثيرة من كتبه حُفظت في كتب المؤرخين بعده ، كما أن تلميذه ابن سعد اعتمد في تأليفه كتاب "الطبقات الكبرى" على ما سمعه من استاذه .

وقد اجتهد الواقدي منذ سن مبكرة في جمع المعلومات عن المغازي والسيرة . قال : "ما أدركت رجلا من أبناء الصحابة وأبناء الشهداء ولا مولى لهم الا سألته : هل سمعت أحدا من أهلك يخبرك عن مشهده وأين قتل ؟ فاذا أعلمني مضيت الى الموضع فاعاينه" .

أما عن الأحاديث النبوية فقد جمع منها عشرين الف حديث . وكان عنده غلامان يعملان ليلا ونهارا في نسخ الكتب . وقد ترك عند وفاته ستمائة قمطر من الكتب ، يحتاج كل منها الى رجلين لحمله . وقد وصف الواقدي بانه كان أعلم الناس بتاريخ الاسلام ، وبانه من الرواد الذين ارسوا دعائم علم الرجال .

ويمثل كتابه "المغازي" الصورة الأخيرة من مراحل تطور السيرة النبوية في القرنين الأول والثاني للهجرة ومن السمات التي تجعل لهذا الكتاب منزلة خاصة بين كتب السير والمغازي تطبيق الواقدي فيه لمنهج تاريخي علمي ، مع ترتيبه للتفاصيل المختلفة للحوادث ترتيبا منطقيا . فهو يبدأ بذكر قائمة طويلة من الرجال الذين نقل عنهم الأخبار ، ثم يذكر المغازي واحدة واحدة مع تاريخ محدد للغزوة بدقة وغالبا ما يذكر تفاصيل جغرافية عن موقع الغزوة ، تعتبر بحق المرحلة الأولى في الأدب الجغرافي العربي . وفي المغازي الهامة يذكر أسماء الذين شهدوها والذين قتلوا فيها . فان كان قد نزل في الغزوة آيات قرآنية افردها وفسرها في نهاية أخبار الغزوة ،

في التاريخ الإسلامي



كما يلقى الواقدي في كتابه الضوء على مظاهر كثيرة من مظاهر الحياة في المجتمع الاسلامي في الفترة بين الهجرة وموت النبي ﷺ كالزراعة والطعام والاصنام والعادات في دفن الموتى ، الى آخره . وبذا اصبح الكتاب اكمل واتم مصدر لتاريخ حياة النبي ﷺ في المدينة .

وليس الواقدى جامعا ومنظما من الدرجة الاولى للمادة التي يرويها له الآخرون فحسب ، فهو يفوق من تقدمه في تحديد تواريخ الحوادث وليس تاريخه مجرد تكرار لحقائق معروفة من قبل ، وانما ثمرة بحث مستقل . غير انه بخلاف ابن اسحاق لا يوجه عناية كبيرة الى الفترة المكية او تاريخ الرسالات قبل الاسلام .

وقد انفرد ابن النديم في "الفهرست" بوصف الواقدى بالتشيع ، وذكر انه كان يكتم ميله للتشيع اخذا بالتقية . ولعل هذا الاعتقاد راجع الى ما اورده الواقدى في بعض مواضع من كتابه عن عمر وعثمان ، كقوله انهما كانا من بين من فرّ عن النبي في غزوة احد . غير انه مما يضعف من رأى ابن النديم ما ذكره الواقدى من احاديث قد تحط من قدر علي بن ابي طالب ، وهو مالايمكن ان

نتخيل صدوره من مؤرخ شيعي . وعلى اى حال فان "كتب الرجال" عند الشيعة لا تذكر الواقدى ، وكان ابن ابى الحديد اذا نقل في كتابه "شرح نهج البلاغة" فقرة طويلة عن الواقدى ، اتبعها برواية مختلفة يبدؤها بقوله : "وفى رواية الشيعة" . مما يدل على انه لم يعتبر الواقدى مصدرا شيعيا ، او يمثل راى الشيعة .

نصير الدين الطوسي

١٢٠١ - ١٢٧٤ م

عالم من اكبر علماء الاسلام قاطبة ، ارتبط اسمه بأثرين حضاريين من الاثار الحضارية القليلة للمغول الذين اجتاحوا في زمنه العالم الاسلامي ، واستولوا على بغداد ، وقضوا على الخلافة العباسية واعنى بالاثرين : "الزيج الايلخاني" ، ومرصد مراغة الشهير .

وكان نصير الدين يجيد اللغتين العربية والفارسية ويكتب بهما ، ويمكن اعتباره ممثلا للثقافتين العربية والفارسية على سواء . وفي مؤلفاته العلمية سار على منوال المنهج العربي المرتبط ارتباطا وثيقا بتراث الاوائل . وقد مكنته مهارته السياسية الفائقة من ان ينجو بحياته في الظروف القاسية التي مرت بها فارس في منتصف القرن الثالث عشر ، بل وان يزاول نشاطه العلمى ايضا . فقد وقع في قبضة هولاكو ، غير انه استطاع ان يستميله ويكسب احترامه ويحتفظ بنفوذه لديه معتمدا على ما يبدو على سمعته كفلكي منجم . وقد كان في معية هولاكو عند استيلائه على بغداد ، وحالفه التوفيق في العام التالى لذلك . "عام ١٢٥٩ م" فاقنعه ببناء مرصد كبير بمراغة باذربيجان حيث بلاط المغول .

وقد تم تزويد المرصد بافضل اجهزة الرصد في ذلك الحين .. واشترك نصير الدين في بعض حملات المغول العسكرية بغرض جمع المخطوطات لمكتبة المرصد التي قال انها حوت اربعمائة الف مجلد . وكان من بين امناء هذه المكتبة في حقبة ما المؤرخ المعروف ابن الفوطى الذى وقع اسيرا في يد المغول فانقذه نصير الدين . واعدّ المرصد خير اعداد ، ليس فقط في الاجهزة والالات والكتب ، بل وفي العدد الضخم من العلماء ، من بين تلامذة الطوسي وابنائه ، وعلماء من مختلف الاقطار حتى الصين ، بيد ان المرصد لم يدم اكثر من جيلين ، ولم يسمع عنه شيء بعد النصف الاول من القرن الرابع عشر ، ولاتزال خرائبه قائمة الى اليوم في مراغة .

وكان نصير الدين دائرة معارف بمعنى الكلمة . فقد شمل نشاطه العلمى جميع



علوم زمنه ، سواء العلوم الاسلامية الصرفة او العلوم الدقيقة . يقول عنه صديقه العالم السرياني المعروف ابن العبري : "فيلسوف حكيم عظيم الشأن في جميع فنون الحكمة . وكان تحت حكمه جميع الاوقات في جميع البلاد التي تحت حكم المغول . وله تصانيف كثيرة في المنطق والطبيعة والدين ، وعن اقليدس والمجسطي . وله كتاب اخلاق بالفارسية في غاية ما يكون من الحسن جمع فيه كل نصوص افلاطون وارسطو في الحكمة العلمية" .

اما في محيط العلوم الدقيقة فندين له بتصحيحاته لمؤلفات جميع علماء الاوائل تقريبا ممن عرفهم العرب ، وبترجمته الجديدة الرائعة للمجسطي التي طغت على كافة الترجمات السابقة . واما ارصاده لوضع جداول فلكية فقد بدأها في سن الستين ، واتمها في اثنى عشر عاما . اى قبل وفاته بنحو عام . وقد شاركه في وضع هذه الجداول فلكيون اخرون . واستند حسابها على اساس خط منتصف النهار الذي يمر بمراغة ، واطلق عليها اسم "الزيج الايلخاني" نسبة الى اللقب الذى حمله حكام فارس المغول .

والكتاب مرتب على اربع مقالات : الاولى في التقاويم المختلفة ، والثانية في حركات الكواكب ، والثالثة في تحديد الاوقات ، والرابعة في حسابات تنجيمية مختلفة وقد اكتسبت هذه الجداول صيتا واسعا في الشرق الادنى والصين ، وهيمنت هيمنة مطلقة فيها على علم الفلك لعدة قرون . وقد وضعت الجداول اصلا باللغة الفارسية ، ثم ترجمت الى العربية مع شروح لها ، وترجمت هي وشرحها الى اللغة الانجليزية عام ١٦٥٠ ، كما حظيت باهتمام الاوربيين لاحتوائها على قدر ضخم من المادة الجغرافية المحضة .

التكوين



محمد عبد المنعم خفاجي

من عالم الذكريات

جلست على مقعدى فى الفصل اذرف الدموع ، والاستاذ يشرح الدرس ، وصوت القطار فى المحطة يرن صداه فى اذنى .

وها أنذا وحيد ، وحيد ، فأين قريتى بأهلها وبيوتها ، وأين أمى وأبى وإخوتى ؟ إنهم بعيد ، بعيد ، والقطار الذى ركبته أنا وأخى الأكبر من المنصورة إلى الزقازيق ، ها هوذا يركبه أخى فى عودته من الزقازيق إلى المنصورة .. أما أنا فجالس فى الفصل ، حيث أصبحت وحيدا غريبا ، لاشىء معى إلا الذكريات ، وإلا زملاء الفصل ، وإلا المدرس يشرح الدرس ، وأنا لا أفهم شيئا من شرحه ، ولامن الدرس الذى يتحدث معنا فيه .. إنها غربة فى المكان ، وغربة فى الفكر ، لايعلم مداها إلا الله .

كان ذلك منذ ثلثى قرن ، وكان لى فاتحة لحياة جديدة ، كم كانت أمى الحنون تتمناها منذ سنوات طوال .

لقد كان والدها شيخا جليلا ، تلقى تعليمه فى الأزهر الشريف وتخرج منه ، حيث حصل منه على شهادة العالمية ، وكان يمكن أن يصبح صاحب عمود فى الأزهر ، يجلس إليه أستاذا يفيد منه الطلاب ، ولكنه آثر حياة القرية ، على الحياة فى القاهرة ، ليفيد الناس بعلمه .. ولكم كانت أمى تتمنى أن أكون أنا المرشح من بعده لأصبح صاحب عمود فى قلب الأزهر العتيق ، أجلس إليه ، ويتحلق من حولى الطلاب صفا وراء صف ، ومن أجل ذلك كان التحاقى بمعهد الزقازيق طفلا صغيرا ، لأتلقى العلم فيه ، تمهيدا ليوم موعود ، أو مشهود ، أصبح فيه فارس العمود وصاحبه المنتظر .

ولازلت أذكر ذلك اليوم ، الذى جلست



عباس العقاد



طـه حسـين

فيه بعد خمسين عاما من هذا التاريخ ، إلى عمود فى الأزهر الشريف ، أدرس لطلابى اللغة العربية وآدابها ، وأبكى بكاء شديدا ، حيث ذكرت الأمنية التى كانت أمى رحمها الله تتمناها ، وتتمنى اليوم الذى أصبح فيه صاحب عمود ، وكان لابد لى من أن أتحمل الغربة من أجل مواصلة التعليم فى الأزهر ، أما أبى فكان يريد لى اختصار الطريق وأن ألتحق بمدرسة ابتدائية فى المنصورة قريبا من قريتنا « تلبانة » ولكن رغبة أمى كانت أكبر من أن يتجاهلها أحد ، وكان ماكان .

ومن يومئذ من يوم أن عشت الغربة طفلا منذ بدء حياتى التعليمية إلى أن تخرجت .. بل إلى اليوم ، وأنا أحيا حياة طالب علم نهم ، لايرى الدنيا إلا كتابا ويراعا وورقا ، وكنت أقرأ وأحفظ ، وأنا طالب صغير ، الفصل الذى كتبه شيخ العربية ، أبو عثمان الجاحظ ، فى القرن الثالث الهجرى ، عن الكتاب وجلال منزلته فى الفكر والثقافة والمعرفة ، وفى الحضارة ، فازداد حبا للكتاب ، واعتزازا به . ومازلت أذكر قصة الجاحظ وهو طفل صغير ، كيف كان الكتاب هو شاغله الأول ، حتى ضاقت أمه ذرعا بالكتب التى لاتشغل لابنها بشىء إلا بها ، يعكف عليها ليل نهار ، قراءة وحفظا ، وكانت تريد له



ان يتعلم حرفة تدر عليه عائدا عاجلا تعيش منه ، فيأبى ابنها ذلك ، وطلب منها ذات يوم الغذاء ، فدخلت وأحضرت له طبقا وعليه بعض الكتب ، بدلا من الطعام فقال لها : وماذا تغنى هذه الكتب عن الطعام ؟ فقالت : لا شيء فى البيت غيرها ، فذهب إلى حلقات العلم فى مسجد البصرة الجامع ، حيث كان يجلس لتلقى العلم فرآه أستاذه دامع العينين ، فسأله عما به ، وعرف منه قصته ، فأعطاه دنانير ، ذهب بها إلى أمه ، وفى الطريق اشترى كل حاجيات البيت من الطعام ، فرأته أمه ، وهى متهولة ، يحمل فوق كتفيه ، ويحمل معه بعض الحمالين أصنافا عدة من الطعام فسألته ، فقال لها : هذا الطعام من الكتب التى وضعتها لى فوق الطبق ، ففرحت الأم وأدركت صواب الطريق الذى يسير ابنها الصغير فيه .

● إستفدت من أساتذتى

وتستمر بى مسيرة التعليم الطويلة ، تسعة عشر عاما ، من الابتدائى إلى نهايات الدراسات العليا ، اختلفت فيها إلى مئات ومئات من الأساتذة وقرأت فيها آلافا وآلافا من الكتب ، ولقيت فيها العديد من المفكرين والعلماء والكتاب والأدباء والشعراء ، واختلطت فيها بالكثيرين من مختلف طبقات المجتمع ، أستفيد من تجاربهم وخبراتهم ومعارفهم .

لم يكن هناك فى بدء نشأتنا إذاعة مسموعة أو مرئية ، وإنما كانت هناك صحافة ومجلات وكتب وندوات ، وكنا نأخذ منها جميعا مادتنا الثقافية ..

ولم تكن نعتمد فى دراساتنا على أحد ، ولا على الأستاذ نفسه ، إلا بقدر محدود كنا نقرأ الدرس قبل أن نحضره على الأستاذ ، ونوالى استذكار ما مضى وما فاتنا أسبوعا بعد أسبوع ، وكنا نمشى إلى دور الكتب نطالع فيها مايعز علينا شراؤه من الكتب إلى مانستطيع استعارته من الزملاء والأقارب والأصدقاء . وكم كان حزنى الشديد حين أخذت كتاب البخارى من قريب لى فلم يمكنى من قراءته واسترده منى بعد ساعات قصار .

● مع الثقافة وأعلام الفكر

وكانت الأحداث الوطنية تجرفنا دائما إلى ساحتها ، خطب الزعماء .. محمد فريد وسعد زغلول ، ثورة ١٩١٩ ، ونضال الوفد ضد القصر وضد الاحتلال .

الصحف والمجلات من أكبر المواد الثقافية فى حياتنا .. الاهرام – السياسة – الجهاد – البلاغ .. الخ .. الهلال ، والمقتطف ، والسياسة الاسبوعية والبلاغ الاسبوعى واللطائف المصورة ، ومجلة أبوللو والرسالة والثقافة ، والكتاب ، ومجلة الأزهر وصحيفة دار العلوم ، وحوليات الجامعة المصرية ، وما إلى ذلك كله .

كتب كبار الأدباء : طه حسين ، المنفلوطى ، العقاد ، أحمد أمين ،

مصطفى صادق الرافعي ، توفيق الحكيم ، محمد حسين هيكل ، المازني ، زكى مبارك ، عبدالرحمن شكرى ، ابو شادى وغيرهم ..

وهناك الجماعات الادبية .. جماعة الديوان وجماعة أبوللو ، ثم الجماعات الجديدة ، كجماعة رابطة الأدباء ورابطة الأدب الحديث ، وجماعة أدباء العروبة .. الندوات ، وهى كثيرة جدا . ندوة قاعة يورت التذكارية ، ندوة جمعية الشبان المسلمين ، ندوة المقتطف الأسبوعية ، ندوة العقاد ، ندوة جمعية الهداية الاسلامية ورئيسها الأديب التونسى الشيخ محمد الخضر حسين ، شيخ الأزهر فيما بعد ، ندوة شعراء العروبة وفيها خالد الجرنوسي ، وعبدالله شمس الدين ، وحليم مترى وسواهما ، واليوم أصبح يتزعمها الشاعر الوزير وليم نجيب سيفين ، والشاعر ابراهيم عيسى .

إلى ماكان يحفل به الوقت من أعلام العصر ، محمد عبده ، لطفى السيد ، على مصطفى مشرفة ، أحمد زكى ، عبدالحميد بدوى ، السيد محمد الغنيمى التفتازانى ، ابراهيم حمروش ، مصطفى عبدالرازق ، محمد عرفة ، محمود شلتوت ، وغيرهم ، وإلى المؤتمرات والمهرجانات واللقاءات الادبية التى كانت تقوم بين الحين والحين وكانت اللجنة الثقافية فى جامعة الدول العربية ، والمجلس الأعلى للفنون والآداب ، كثيرا ما ينظمان مهرجانات أدبية وشعرية على مستوى العالم العربى كله .

وكنت اقرا كتب التراث ، وكتب أعلام العصر ، والكتب المترجمة من مختلف اللغات ، فأقف على معالم الحياة الفكرية والثقافية والأدبية المعاصرة ، وقوف العارف المتثبت .

لم أنس فى قراءاتي : البخارى ، ولانهج البلاغة ولا إحياء علوم الدين .. إلى مئات الكتب التى قرأتها .. العقد الفريد ، الأغانى ، حسن المحاضرة للسيوطى .

وكانت عنايتى أول الأمر بكتب القدماء : البيان والحيوان للجاحظ ، نقد الشعر لقدامه ، الموازنة للآمدى ، الوساطة للجرجاني ، دلائل الاعجاز لعبد القاهر ، إعجاز القرآن للباقلاني ، المثل السائر لابن الأثير ، كتاب الرسل والملوك للطبرى .. وغيرها .

وأذكر أنى قرأت علما قديما صعبا قراءة خاطئة فغاظنى ذلك من نفسى وصممت على ان اقرأ كل كتب القدماء ، حتى لايفوتنى علم إلا وانا أعرف ضبطه ، وأعرف عنه مالايعرفه سواى .

وكان من الكتب التى احببتها وقرأتها كثيرا : رسالة التوحيد للامام محمد عبده وحياة محمد لهيكل وحضارة العرب لمحمد كرد على ، وهو كتاب احببته كثيرا إلى كتب طه حسين والعقاد والزيات .

وكان من أعلام العصر الذين اعتز بهم وبأدبهم وفكرهم : شوقى ضيف ، ومصطفى السحرتى ، ووديع فلسطين ، ومحمد عبدالغنى حسن ، وأحمد شاكر ، وسيد قطب ، وابراهيم ناجى ، وعلى محمود طه المهندس ، صالح جودت ، عبدالعزيز عتيق وسواهم من أعلام رجال الدين ، وفى مقدمتهم : الامام الشيخ الشعراوى ، وفرهود ، والشيخ الغزالى .

وكان أول مقال كتبته عام ١٩٢٨ ، عن السيوطى ونشر فى السياسة الاسبوعية ، وأول قصيدة كتبتها عن سعد ونضال



الشباب فى سبيل حرية مصر .

وكان كتابى المفضل طه حسين ، والرافعى وزكى مبارك .

● مع جماعة ابوللو

وكانت المجلة المفضلة عندى هى اللطائف المصورة ، والهلال والمقتطف وأبوللو والرسالة .

وراسلت أبوللو من الزقازيق ، وصرت عضوا فيها ، وصار اعضاؤها هم أصدقائى الحميمين : ابو شادى – السحرتى – الصيرفى – ناجى – عامر بحيرى – صالح جودت – مختار الوكيل – وديع فلسطين – وسواهم ، وتعرفت إلى كل أصدقاء ابوللو فى العالم : روكس بن زائد العزيزى – محمد العامر الرميح – الشاعر القروى عبد المسيح حداد – نظير زيتون – إلياس فرحات – شفيق المعلوف – نعمة الحاج – عبداللطيف اليونس ، وسجلت نشأة أبوللو وكفاحها وكفاح رائدها ابو شادى فى كتاب لى بعنوان « رائد الشعر الحديث » كان هو المصدر الأول والأخير فى تاريخ ابوللو وأبو شادى ، وعنه أخذ كل من كتب عن هذه المدرسة الشعرية الرائدة .

وكان اهتمامى أول الأمر فى التأليف بالتراث ، وبالكشف عن جذور قبيلتنا العربية « خفاجة » فكان كتاب « بنو خفاجة » وكتاب « الخفاجيون فى التاريخ » وكتاب « الدولة الخفاجية فى التاريخ » وغيرها .

ثم عدت إلى الكشف عن جذورى الوطنية فكانت كتبى مواكب الحرية فى مصر الاسلامية – التراث الروحى فى مصر الاسلامية – قصة الأدب فى مصر – قصة الأدب المعاصر فى مصر وسواها .

ثم ثلّثت بالكشف عن جذورى الثقافية ، فكان كتابى : الأزهر فى ألف عام ، وغيره .

وفى صداقاتى حرصت على صداقات أبناء العربية بعامة فى كل أقطارها : الحجاز – السودان – سوريا – تونس – المغرب – الجزائر – ليبيا – العراق – دول الخليج – وسواها .

وكنت المستشار الثقافى لكل الأندية الثقافية العربية فى القاهرة : نادى السودان – نادى الشباب الليبيى – نادى الشباب الكويتى – نادى المغرب العربى .

كما كنت المستشار الثقافى للبعثة التعليمية الصينية والبعثة التعليمية الأندونسية فى الأزهر الشريف .

وكان من أصدقائى لفيف من المستشرقين ، من ألمانيا والنمسا والمجر والولايات المتحدة وانجلترا وفرنسا وسواهم ، وكان بعضهم يحضر محاضراتى فى كلية اللغة العربية بالقاهرة مع طلابى ، وكان من أقربهم الى د . عبدالكريم جرمانوس المستشرق المجرى المعروف الذى توفى فى عام ١٩٧٩ م وزوجته الحاجة عائشة التى توفيت بعد ٥ سنوات .

وصرت نائب الرئيس لرابطة الأدب الحديث ، ثم رئيسا لهذه الرابطة الأدبية

العالمية ، ولم ألبث أن وجدتني عضوا في جماعات كثيرة : الشبان المسلمين - ابوللو - المجلس الاعلى للفنون والآداب - المجالس القومية المتخصصة - نادى القصة - جمعية الأدباء - نادى القصيد - العشيرة المحمدية - وسواها من عشرات الجمعيات والجماعات والروابط الادبية والثقافية .

وطفت بالبلاد العربية والاسلامية : السودان - المغرب - تونس - الجزائر - ليبيا - السعودية - العراق - باكستان - الهند - وسواها .

عوامل كثيرة ، أثرت في تكويني ، بل في تكوين الجيل كله ، الذى كنت أحد أبنائه وهو جيل الرواد والشوامخ .

ولا أنسى ماحييت فضل معهد الزقازيق عليّ ، هذا المعهد الذى كان بمثابة أكاديمية علمية ، تخرج منه : الامام محمد متولى الشعراوى ، الشيخ الدكتور أحمد الشرباصى ، الدكتور محمد السعدى فرهود ، الشاعر احمد عبدالمجيد الغزالي ، طاهر أبو فاشا ، أحمد عبداللطيف بدر ، القصصى طه حراز ، ود . رجب البيومى ، ود . محمد الطيب النجار والصحفى محمد فهمى عبداللطيف ، وكان من أساتذته طائفة من

عبدالرحمن الرافعي ابراهيم المازني



اعلام المدرسين : عبدالعزيز عبدالحق ، سيد الباز والد الدكتور فاروق الباز ، منصور رجب ، محمود النواوى ، محمد الطنطاوى ، أحمد شفيع . وتولى عمادته : الجبالى - وحمروش - وعبدالحكم عطا ، ومحمود ابو العيون ، وعبدالحليم قادوم وسواهم من كبار الأساتذة والعلماء والشيوخ .

إن كل مؤلفاتى أثيرة لدى هل أفضل منها : تفسيرى للقرآن الكريم ، أو كتابى السيرة النبوية الخالدة ، أو كتابى ابوعثمان الجاحظ ، أو كتابى ابن المعتز ، أو كتابى مشاهد من السيرة ، أو كتابى مواكب الحرية في مصر أو ماذا افضل منها ؟

● شريط الذكريات

ليتني أستطيع أن أستعيد شريط الذكريات التي ارتسمت في ذهني ، والتى تمثل مواقف معجزة طيلة ثلاثة ارباع قرن .

لقد عبرت بى سفينة الأيام ، وسط أمواج عاتية ، بحارا وبحارا ، إلى شواطىء مسحورة لم اعرفها من قبل ومن قصص المدن المسحورة المملوءة بالجن وبالذهب التى كانت تقصها عليّ أمى وجدت في الطفولة ، إلى قصص ألف ليلة وليلة ، وعنترة وفيروز شاه وأبو زيد الهلالى وغيرها صاغ القدر وجدانى الشعبى الذى اهتز بكل أحداث الشعب وتياراته وتطلعاته .

أكثر من ثلاثة أرباع القرن ، وأنا الانسان المعذب الحائر في دروب الحياة ، يحمل قيثارا ، يغنى به للحرية والسلام والحب والانسانية .

النساء ومجتمع المعلومات

بقلم: محمد فتحى

وقائع مثيرة تتضمنها كثير من الدراسات والتقارير والسجلات حول ماعرف خلال نصف القرن الماضى بـ "الثورة الجنسية"

- **ام فى الحادية عشرة من عمرها !!!**
- **طفل يتمنى ان يحضر له بابا نويل ابا فى راس السنة !!**
- **امراة عادية - اى ليست محترفة - تنقل مرضها السرى الى ١٦٣٩ فردا !!**
- **اعلانات اوكازيونات ، بل وقوانين لتبادل الزوجات !!**
- **عشرات الملايين من البشر يحملون فيروسات مرض الايدز القاتل !!**

....

سلسلة طويلة من الوقائع المؤسية التى تكشف فى نهاية المطاف عن هزيمة ساحقة انزلتها "الثورة المزعومة" بالمراة والرجل والطفل والمجتمع جميعا ..

ولم يكن الامر يستحق منا مجرد اشارة الى هذه الوقائع الغريبة على مجتمعنا لولا ثورة الاتصالات التى نقلتها الى بيوتنا - عبر الاذاعة والصحافة ، ولولا الخلط الذى حدث بين خروج المراة للعمل والثورة المزعومة ، وبالذات لولا اضافة الواقع المعاصر اسبابا جديدة ، راحت تعزز الاسباب الطارئة التى خلقت الموجة الاولى من جيش النساء العاملات .

مع بداية القرن الحالى تضافرت عوامل مختلفة لتصنع ما اصطلح الغرب على تسميته بالثورة الجنسية ..

بدأت موجة خروج المراة للعمل ، التى سرعان ماحثتها ظروف الحروب وما تتطلبه من تعويض عمل الشباب والرجال الذين كانوا يذهبون الى ميادينها بعشرات الملايين ، ويموتون فى ساحاتها بالملايين ..

وبهذا الخروج نالت المراة درجة من حرية الحركة واستقلال السلوك ، ناهيك عن الاستقلال الاقتصادى لم تعرفها من قبل قط . ولم يكن هذا الخروج يعنى بالضرورة انقلابا او تدهورا فى اوضاع

هل تقود المرأة العالم .. رغم سقوط الثورة الجنسية ؟



الاسرة والمجتمع ، لولا انه ادرك اوروبا والحروب تضع القيم - ومنها مايتصل بعلاقة الرجل والمراة والأسرة - فى مازق عسير ، ولولا ما اعقب الحروب من حركة عمران وتمدين عاصفة فككت العلاقات "القروية" وحولت اناس المدينة الى نكرات لايعرف الواحد منهم الآخرين واضعفت اشكال الرقابة الاجتماعية ، وحثت الشعور بالاغتراب ، و ...

كانت هذه هى الارضية التى ظهرت عليها "الثورة الجنسية" غير ان مقدمات هذه الثورة لم تكتمل الا عندما زال تاثير عاملين كابحين ، هما الخوف من الحمل ، ومن الاصابة بالأمراض السرية ، وذلك

بعد التوصل الى وسائل منع الحمل ، والنجاح في علاج هذه الأمراض ، بعد أن ظل - العاملان - يقفان لكل من ينتهك الأعراف القائمة بالمرصاد ..

● عالم المرأة المعاصرة

ولاجدال في ان انجازات التمدين وعمل المرأة ومنع الحمل والنجاح في علاج مرض من الامراض .. لاجدال في انها انجازات رائعة مفيدة للانسان في حد ذاتها ، كما ان الشعارات التي صاحبت بشائر هذه "الثورة" التي يمكن تلخيصها في ان تحرر المرأة يجعلها تعيش حياة اكثر انسانية ، وحياة اكثر انسانية للمرأة تعني حياة اكثر انسانية للرجل والطفل والمجتمع ، وهي شعارات صحيحة مثلها مثل الانجازات التي اشرنا اليها ، ولكن توجهات معينة صاحبت الانجازات والشعارات الايجابية حولت "الثورة الجنسية" الى فوضى وتشتت في العلاقات الاسرية ، وانهيار في المعايير الاخلاقية التقليدية التي تنظم العلاقات الزوجية والسلوك الجنسي وكان من ثمارها ، اضافة الى القائمة المؤسية التي اشرنا اليها في افتتاح المقال ، ارتفاع نسبة الطلاق وزيادة نسبة من يفضلون العيش دون زواج ، ناهيك عن شيوع البورنوجرافيا والانتشار المخيف لمرض الايدز .

ورغم السقوط المؤسي للثورة المزعومة بقيت الانجازات واضطردت . ويهمنا هنا الوقوف وقفة متأنية امام اهم هذه الانجازات وهو خروج المرأة للعمل ..

وحتى يدرك القارىء سر هذه الوقفة لابأس من جولة سريعة في عالم عمل المرأة في مجتمع المعلومات او مجتمع مابعد الصناعة ، الذي يتحرك العالم بمجمله في موكبه ، ولعل المناسب ان تكون جولتنا في بلدان سبقت في هذا المجال...

خلال العقدين الماضيين حظيت النساء بثلثي فرص العمل التي اتيحت في الولايات المتحدة الأمريكية .. وناهز عدد الوظائف الجديدة التي حصلت عليها النسوة هناك ، خلال الثمانينات وحدها ، العشرين مليون وظيفة .. وتغيرت المجالات التقليدية لعمل المرأة - وظائف السكرتارية والوظائف الثانوية والبسيطة - وبتن يشكلن اغلبية بين المهنيين اى العاملين من غير الموظفين والعمال والفنيين .

وتبين الاحصائيات ان النسوة الأمريكيات يبدأن اعمال جديدة بمعدل يتجاوز مثيله لدى الرجال !! حتى باتت ملكية ثلث مواثر الأعمال الأمريكية اليوم من نصيب النساء ..

ولايقتصر الأمر بطبيعة الحال على الولايات المتحدة فقد بينت الاحصائيات انهن يملكن نسبة شبيهة في كندا ، بينما تصل النسبة المقابلة في فرنسا الى ٢٠٪ .. ولايختلف الوضع كثيرا في بريطانيا ، بينما تشكل النساء ثلث قوة العمل الاجمالية في ايطاليا ..

وفي بلد ذي ثقافة شرقية كاليابان ، ظلت المرأة حبيسة البيت الى وقت قريب ، باتت النسوة يشكلن اليوم مايناهز ٤٠٪

من قوة العمل .. وكشف استطلاع للرأى تم أخيرا ان ٨٠ ٪ (ممن شاركن فيه) يطمعن فى وظيفة مستديمة طوال العمر .. وقد دفع هذا الواقع الجديد الى اشتقاق كلمة جديدة فى اللغة اليابانية هى سوتوسان للدلالة على الزوجة العاملة بعد ان كانت الكلمة الدارجة تعنى ان الزوجة تقصر جهدها على "شغل البيت" ..

ولاتقتصر التغيرات فى هذا المجال على تزايد كثافة المرأة للعمل ذلك ان ٤٤ ٪ من الأمريكيات العاملات اليوم من الحاصلات على درجة جامعية ، وبين المتزوجين الجدد تبلغ نسبة النساء ثلث الحاصلين على مختلف الدرجات الطبية ، ٤٠٪ من الحقوقيين ، وفى عام ١٩٧٠ كانت نسبة النساء لاتزيد على ١٠٪ بين الحاصلين على شهادات التخرج فى مدارس الأعمال ، بينما وصلت النسبة أخيرا الى ٣٢٪ .

هذا كما ان النسوة بتن يسيطرن على ٤٠٪ من الوظائف التنفيذية والادارية والاشرافية فى الولايات المتحدة ، وتصل نسبتهن الى ٣٠٪ بين الاطباء والمحامين ، ٣٥٪ بين خبراء الكمبيوتر ، ٥٠٪ بين المحاسبين ، ٢٥٪ بين اصحاب الوظائف العالية فى وول ستريت .. ويتفوق كبير تهيمن النساء على عالم المعلومات فى الولايات المتحدة الامريكية فنسبة ٤٨٪ من عدد النساء العاملات يوظفن جهودهن فى مجالات اقتصاد المعلومات على وجه الخصوص .. (ولايقتصر ذلك على الولايات المتحدة)

وهكذا فقد صار النساء يشغلن الوظائف التى تفرخ قيادات الأعمال والقيادات الاجتماعية مما يبشر بموجة جديدة من النساء البارزات فى مجالات المسئولية السياسية والحكومية والتشريعية ..

ولعل الشيء الأكثر اهمية فيما يحيط بخريطة العمل فى مجتمع مابعد الصناعة هو التغير الذى لحق بطراز العمل .. فبعد الحرب العالمية الثانية غير المحاربون الأوروبيون والأمريكيون بزاتهم العسكرية بافرولات المصانع والستر الرمادية ، وان ظلوا يعتمدون على الطراز السلطوى العسكرى فى اعمالهم الجديدة ، اى ان طراز "الجبهة" التنفيذى ظل الطراز المهيمن فى المجتمع الصناعى الجديد الذى سيرّوا شئونه .. لكن مع اقتصاد المعلومات والخدمات اختلفت طبيعة العمل المطلوب من القيادة حيث صار الاساس حث المرؤوسين على المبادرة والتعهد الذاتى ومساعدتهم على الكشف عن افضل مالدى قدراتهم ، بعيدا عن "اصدار الأوامر والضبط والربط" .

● طراز جديد لاعسكرى

وهنا تبدو فرص المرأة التى تفتقر الى الخلفية العسكرية اكبر بكثير بالذات والطراز الجديد المطلوب (من الرجل والمرأة) هو الطراز التى تتفوق فيه المرأة عادة ، بالاضافة الى تماشيه مع الدور التاريخى للأم فيما يخص قيادة اولادها و ..

باختصار ان كان الرجل هو نموذج "العامل" الصناعي فان المرأة باتت نموذج "عامل" عصر المعلومات القادم الذى يغلب "العقل والدبلوماسية" على "العضلات" .. ان ذلك هو حجر الزاوية وبيت القصيد لأنه يؤكد على انه اينما ازدهر مجتمع المعلومات فان نسبة النساء سترتفع فى صفوف قوة العمل ..

ولعل اول مايتبادر الى الذهن امام التحول البانورامى لدور المرأة فى خارطة عمل مجتمع مابعد الصناعة ، ولصالح المجتمع بوجه عام هو الترحيب المطلق ، بالذات والتغيير يجيء كما رأينا نتيجة عوامل موضوعية .. لكن هناك عوامل مصاحبة تدعو الى الوقوف بصورة متأنية امام الظاهرة الجديدة ذلك ان نفس المجتمعات تشهد تغيرات مقلقة فى محيط الأسرة فنسبة تتجاوز ٨٠٪ من المتزوجين باتت تعبر عن عدم رضائها عن مؤسسة الزواج القائمة ، وأكثر من نصف الزيجات التى تتم تنهار بالفعل ، كما ان هناك شيوع مطرد لوفرة من الآراء والسلوكيات المناهضة للزواج ، و ... وضرورة الوقوف المتأنى تنبع من أن هذه العوامل المؤسية المصاحبة للتغيير فى خارطة العمل ليست قدرا لايملك الانسان رده ، ذلك ان الاحصائيات تبين فى نفس الوقت ، ان مستوى السعادة الزوجية والرضاء الأسرى بين الزوجات العاملات اعلى منه بين النساء غير العاملات .. والمفارقة

تسيطر المرأة الامريكية على ٤٠٪ من الوظائف التنفيذية والادارية



النساء ومجتمع المعلومات

الكلمة هنا هى مايستدعى الروية ويستدعى الوقفة المتأنية ، ذلك انها تؤكد مايجب أن نضعه نصب العين حتى لايسفر التطور الجديد الى هزيمة جديدة للمرأة والرجل والطفل والمجتمع جميعا ..

ولعله من المفيد الاشارة هنا الى ان ماعرف بالثورة الجنسية حظى باهتمام الفلاسفة وعلماء الاجتماع والتربية والاطباء ولعل الدراسات التى انتجها هؤلاء تعطى مؤشرات يمكن ان تفيد فى الوقفة المتأنية امام الواقع الجديد الراهن ..

وابرز مايجب الالتفات اليه هو ان الايجابيات التى صاحبت ماعرف بالثورة الجنسية ، تم اجهاضها لاسترشاد هذه الثورة بمواصفات المجتمع التجارى النفعى الاستهلاكى المتعوى (اى الباحث عن المتعة) الأمر الذى دفع الى سحب المشاكل الخاصة بالسلوك الجنسى لتطغى على مجمل المشاكل الخاصة بالاسرة والمجتمع ، بل وحتى على القضايا الاساسية للحياة والتفكير .

هذا كما اعتمدت هذه الثورة النظر الى التحولات الاجتماعية بصفتها مواجهة بين الجنسين ومن الشعارات الدالة التى سيطرت على حركة "الثورة" فى هذا الصدد ، السعى الى القضاء على سلطة الرجل وتدشين "عصر الانثى" او عصر التأنيث ..

ان التحولات الجديدة فى دنيا العمل تحتاج الى جهد جبار حتى لاتتحول كسابقاتها الى مجرد عرض من اعراض مرض المجتمع النفعى الاستهلاكى



المرأة اليابانية تشكل اليوم مايناهز ٤٠٪ من قوة العمل

المقوى .. والا تكون الوجهة هى العمل على ترميم ادوار سابقة فات اوانها ، قدر البحث عن ادوار معقولة جديدة تدعم احوال الاسرة بمجموعها ، والتحرك بعيدا عن ردود الفعل الجنسية الشوفينية الضارة نحو علاقات التكامل والتوامم والرقى المشترك ، فى اطار مفاهيم القيادة "الأمومية" لامفاهيم السيطرة ، حتى لايتحول الأمر الى هزيمة جديدة للمجتمع ككل والمرأة فى الطليعة ...


ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فاطمة اليوسف

ونموذج المرأة المصرية

نجوى صالح

• كيف واجهت وحدها المظاهرات وخرجت أكثر صلابة من [illegible] ؟

• **تحملت مغامرة اصدار صحيفة بمفردها بعد ان هرب كل الذين شجعوها !**

• [illegible]

• **أعطت درسا لكل الفنانين عندما طالبتهم بترك المسرح قبل هجران الجمهور !**

• [illegible]



فاطمة اليوسف

مازالت قصة فاطمة اليوسف تمثل نموذجا حقيقيا لكفاح المرأة العصرية رغم مضى ٣٢ عاما على رحيلها .

انها طراز من النساء لم يهزمه الفشل ، ولم تزده أسوار السجن الا عزيمة ، وكانت الحجارة التى ألقوها على مبنى صحيفتها وساما على صدرها أكدت به استقلالها وموقفها الوطنى الصلب ضد كل انحراف سياسى .

إن قصة صعود فاطمة اليوسف كانسانة وفنانة وسياسية تحتوى على كل عناصر الصراع والقدوة التى يجب ان يحتذى بها كل انسان عند مواجهة الحياة والاخرين .

ولهذا فان تلك السطور تعيد الى الاذهان قصة امرأة عاشت من أجل مجتمعها وفنها الى آخر لحظة من حياتها .

فمنذ ٣٢ عاما جلس الشاب إحسان عبدالقدوس أمام الميكروفون ليقدمها ببساطته المعهودة :

سيداتى سادتى : "اقدم لكم السيدة فاطمة اليوسف التى عرفتموها دائما باسم روزاليوسف .. أقدمها لكم ، وقد ملأت اسماعكم على مدى ثلاثين عاما .. أقدمها لكم وقد أعجبتم بها كفنانة ، اعتلت خشبة المسرح ، وصعدت سلمه فى خطى ثابتة ، حتى أصبحت كبيرة فنانات الشرق ، وفى العصر الذهبى للمسرح .. أقدمها لكم وقد أعجبتم بها كصحفية ، أخرجت الى العالم العربى جريدة باسمها ، كانت نواة النهضة الصحفية العربية ومازالت حتى اليوم ، مدرسة يتخرج فيها كل كاتب وصحفى ناجح .. وأقدمها لكم كسياسية ، درست السياسة العربية ، وجاهدت ، وقاست مع كل وطنى حر يعمل على رفعة شأن بلاده .

● إمرأة مكافحة

بهذه المقدمة ، لخص الكاتب الكبير احسان عبدالقدوس حياة امه فاطمة اليوسف نموذج المرأة المكافحة ، فى حديث قدمه لاذاعة الشرق الادنى عام ١٩٥٧ .

ولقد ودعت "فاطمة اليوسف" الحياة منذ اثنى وثلاثين عاما تاركة خلفها تجربة كفاح من نوع فريد .

بدأت العمل على المسرح عام ١٩١٠ ، وقبلها بسنوات كانت فى طفولتها يتيمة الأب والأم ، حين كانت رغم أعوامها السبع تتسلل الى مسرح يقع بجانب محل "صيدناوى" وسط المدينة مشدودة الى هذا العالم الساحر الملىء بالزخارف والأضواء والأزياء ، وتبذل قصارى جهدها للوصول الى الكواليس خلسة نظرا لحجمها الصغير ، وهناك تختبىء تتابع حركة الممثلين عن كثب !

وتشاء الصدف أن يراها على هذا الوضع الغريب الممثل والمخرج القدير عزيز عيد ، فاقترب منها وسألها ماذا تفعلين ؟ ولم يسعفها الرد فهى مازالت صغيرة ، والعبارات لم تكتمل بعد فى رأسها ، ولكنه عرف من نظراتها فورا انها مغرمة بالمسرح ، فأخذها من يدها

ليشجعها على اجتياز هذا الطريق ، ولتجد في حنانه الأبوة طوال مشوارها في الحياة !

● ثورة الممثلة الصغيرة !

ومنذ الوهلة الاولى اكتشف فيها عزيز عيد الموهبة الطبيعية ، فتحمس لتلقينها فن التمثيل ، واسند اليها دور الجدة في مسرحية "عواطف الأبناء" رغم عمرها الصغير ، وقامت بدور الحفيدة الممثلة صالحة قاصين .. التي كانت تكبرها على الاقل بعشرين عاما ، وقامت بدور الأم الممثلة "ابريزستاتي" التي كانت فوق الاربعين !!

ورغم حجمها الصغير وصوتها الرفيع الرقيق الذي امتازت به طيلة حياتها ، فقد قامت بهذا الدور بنجاح كبير .. مما ادى الى اقتناع عزيز عيد بموهبة صغيرته .. حتى انه كان يقول دائما انني لا استطيع ان أحيل الرصاص ذهبا .. ولكنني استطيع ان اكتشف الذهب .. وان أجعله لامعا .. خلابا .. !

وهكذا اصبحت فتاتنا الصغيرة تتبع عزيز عيد كظله ، وزرع هذا الاهتمام الزائد نحوها الكثير من الحقد بين زميلاتها ، ومن بينهن صالحة قاصين التي كانت تتميز بخفة الظل ، ووجدت في الفتاة الصغيرة مادة للتهكم والسخرية خاصة صوتها النحيل الذي بدأت تقلده بطريقة ساخرة ، بينما كانت الصغيرة تتكمش باستمرار وتشعر انها دخيلة ، وعاجزة عن مجاراة اولئك الممثلات الراسخات في الفن والشهرة !

الى ان جاء يوم بدأت فيه صالحة قاصين تتهكم من الفتاة كعادتها بطريقة ملفتة للنظر ، فما كان من الممثلة الصغيرة الا ان أمسكتها من شعرها ، وأدخلتها الى حجرة في المسرح وانهالت عليها بالضرب واللكم بكل ما تملك من قوة !

وتكومت "صالحة قاصين" في أحد الاركان بعد ان تلقت درسا قاسيا ، وخرجت "فاطمة اليوسف" رافعة الرأس ، بعد أن أحست لأول مرة بأنها أصبحت انسانة قوية تستطيع مواجهة الاخرين .

● هي والريحاني

ومع الايام تقدمت الصغيرة ، وأصبحت ممثلة شهيرة وإن ظلت حافظة لجميل استاذها العظيم عزيز عيد ، رغم ما سببه لها هذا العرفان من متاعب طوال حياتها !

ورغم اشتراكها في العديد من الفرق المسرحية ، فقد كانت تحرص دائما على ان يكون مخرج رواياتها "عزيز عيد" . حتى عندما عملت في فرقة جورج أبيض ، والريحاني ، الذي ابتدع الروايات "الفرانكو اراب" التي كانت ترضي اذواق الجمهور أيام الاحتلال الانجليزي ، وكانت في نفس الوقت ترضي الطبقة التركية والطبقة المتوسطة المتطلعة !

إلا ان الريحاني كان دائم التدخل في تفاصيل الاخراج وادى ذلك إلى ان تركه عزيز عيد وتلميذته وهما يتحسران على المستوى الهابط الذي نزل بالمسرح الى دنيا الكباريهات !

ولاحت الفرصة عندما تعاقد عزيز عيد مع سيدة فرنسية ، وبدأت روزاليوسف تحفظ دورها الجاد في مسرحية من اخراج عزيز عيد ، وكانت السيدة الفرنسية تتفرج على البروفات ولا تفقه كلمة عربية واحدة ، الى ان جاء يوم الافتتاح ، وامتلأت الصالة عن اخرها بجنود الاحتلال ، وظهرت روزاليوسف على المسرح ، ومضى



فاطمة اليوسف

الفصل الأول بسلام ، وما ان بدأ الفصل الثانى حتى أخذ المتفرجون السكارى فى الصراخ ، فقذفوا الممثلين بالبيض والطماطم ، وكانت بالطبع الليلة الأولى والأخيرة !!

وبعد تلك الواقعة اصبح ممثلو الفرق المسرحية يطلقون على عزيز عيد صفة "النحس" اشارة الى ان معظم مشروعاته الفنية فاشلة !

ووقتئذ تصادف ان تقابل عزيز عيد مع "سيد درويش" ، واتفقا على فكرة أوبريت بطولته لفاطمة اليوسف ، وبدأ البحث عن القصة .. ووجداها عند أحد أبناء الطبقة الارستقراطية ـ المرحوم محمد تيمور ـ الذى كتب اوبريت "العشرة الطيبة" حول الشخصيات التركية المتعجرفة الضيقة الافق فى ثوب من النقد والسخرية !

ومن سيد درويش تعلم عزيز عيد داء كان له اثر بالغ فى حياته ، وهو شم الكوكايين ، ورغم نجاح الأوبريت بصورة بالغة ، فقد سقط عزيز عيد فريسة لهذا الداء الوبيل !

● نجمة فرقة رمسيس

المهم .. بدأ فى القاهرة مناخ فنى يتسم بالنشاط عندما أخذ يوسف وهبى فى تكوين فرقة "رمسيس" وأخذ كثير من الفنانين يتنافسون على تكوين فرق مسرحية كبيرة وصغيرة ، ولكن فرقة رمسيس كانت هى الفرقة الرائدة فقد ضمت نخبة متميزة من النجوم مثل حسين رياض ، أحمد علام ، فاطمة رشدى ، زينب صدقى ، استيفان روستى وغيرهم ، وكانت الرواية الأولى "المجنون" التى كان بطلها يوسف وهبى وكانت روزاليوسف هى الممثلة الأولى فى المسرحية .

تلا ذلك رواية "غادة الكاميليا" التى قامت فيها بدور "مارجريت جوتيه" امام يوسف وهبى فى دور "أرمان" .

وتوالت البطولات المسرحية على الممثلة "روزاليوسف" .. وبدأت الصحف تمجدها بمقالات ، وتسهب فى اطراء تمثيلها حتى اطلقوا عليها "سارة برنار الشرق" ، واستطاعت فى الفترة من سنة ١٩٢٠ حتى سنة ١٩٢٥ ان تصل الى اوج مجدها الفنى ، الى ان بدأت فرقة رمسيس فى التدهور بسبب استبداد يوسف وهبى بالرأى ووضع روايات مليئة بالمآسى والأهوال فاقت كل حدود العقل ، وكانت معظم هذه الروايات يضطلع فيها يوسف وهبى بدور البطولة بينما يعطى للبطلة دورا هامشيا وكانت اخر الروايات التى قدمتها معه هى مسرحية "الذبائح" التى كتب عنها الأستاذ محمد التابعى المقال التالى :

"ان الكل مدينون للأستاذ يوسف وهبى والمؤلف انطون يزبك اما بالبكاء ، واما بالتشنج . فقد طلع فى العام الماضى على عالم التمثيل برواية "عاصفة فى بيت" وقد كانت عاصفة واحدة كفيلة بأن تجعل من الأستاذ يزبك مؤلفا مسرحيا



كان على الممثلات فى ذلك الزمان أن يتخذن أوضاعا رومانسية فى صورهن حتى يتأثر الجمهور .. وها هى روزاليوسف أيام اشتراكها فى فرقة رمسيس تأخذ هذا الوضع « الرومانتيكى » .

سنة ١٩٢٤ فى بداية عملها فى الصحافة مع أو من مد لها يد المساعدة الأستاذ محمد التابعى ، والأستاذ ابراهيم رمزى .

السيدة فاطمة اليوسف فى بداية اشتغالها بالصحافة سنة ١٩٢٤ ، ويظهر تأثرها بالأداء التمثيلى .







فاطمة اليوسف

يشار اليه بالبنان ، وها هو يقدم "الذبائح" .. واكبر ظنى انه يريد دائما ان يهز اعصاب الجمهور هزا عنيفا وهو فى ذلك قاس لا يعرف رحمة ولا شفقة ، وقد كانت "الذبائح" ما أراد !! أبكت الجمهور وراجت تجارة المناديل واقلقت راحة جمعية الاسعاف ، فالذبائح ما هى الا مناحة قائمة كل من فيها صارخ باك لاطم يشق الجيوب .. ليس فى القصة اذا استثنينا ليلى "روزاليوسف" شخص واحد نحبه أو نحقد عليه أو نرثى لحاله أو نحتقره .. وهذه مهارة من المؤلف !

وفى هذا الجو شعرت الممثلة الاولى بحال الفرقة ، وانها اما ان تركن الى ارادة صاحب الفرقة ، وتقبل بزوال مجدها الفنى تدريجيا ، واما ان تترك الفرقة كلها .. وتحتفظ بالشهرة مع انهيار المسرح الذى بات قريبا !

وكان من رأيها دائما : "ان الفنان يجب ان يترك المسرح قبل ان يتركه المسرح ، وان من يبنى مجده درجة درجة ، يجب الا يفرط فيه ، ولا يترك نفسه يهبط السلم الذى صعده ، هذا الرأى الذى لا يؤمن به – مع الأسف – معظم الفنانين !

تركت "روزاليوسف" الفرقة ، وسافرت الى باريس ، وتوالت الضربات على الفرقة بعد ان دب الخلاف بين الممثلين ، وانقلبت روح التعاون ، واصطدم يوسف وهبى مع عزيز عيد وزوجته فاطمة رشدى ، وتتابعت الكوارث المالية على مسرح رمسيس حتى اغلق ابوابه نهائيا .

● وميض النجمة

بعد تسع سنوات من اعتزال روزاليوسف جاءت كارثة احتراق قرية "محلة زيادة" فقررت مع زملائها القدامى اعتلاء المسرح لتقديم رواية "غادة الكاميليا" لمدة ليلتين فقط تبرعا منهم للقرية ، وقد قام بالبطولة امامها احمد علام فى دور "ارمان" .. واقبل الناس اقبالا ليس له نظير على المسرحية وكان من بين المتفرجين مصطفى النحاس ومكرم عبيد والنقراشى ، وغيرهم من زعماء الوفد الذين استقبلوا الحفلة الاولى من المسرحية فى حماس بالغ .

وجلس فى الصفوف الاولى ، الصحفى محمد التابعى وغيره من الصحفيين ، وقد وضعوا ايديهم على قلوبهم ، والتابعى يردد خائفا : "ياترى الأستاذة حتعرف تمثل بعد الاعتزال الطويل ؟! .

وكانتا ليلتين خالدتين .

وبين زملائها القدامى أحمد علام ، حسين صدقى ، زينب صدقى ، ودولت أبيض وغيرهم ، وبين تصفيق الجمهور المختلط مع أهل الفن والسياسة ودعت فناننا خشبية المسرح للمرة الأخيرة !

لقد كانت فاطمة اليوسف انسانة متدفقة الحيوية ، متجردة النشاط ، متفائلة ، دائما .. ضئيلة الحجم كثيرة الحركة ، ذات عينان خضراوان يطل منهما الذكاء والعناد ، هذه هى

"روزاليوسف" فكيف لها ان تركن الى الكسل والسكون ؟!

كان لابد ان تقتحم مجالا له اهمية ، ولهذا اختارت الصحافة عن طريق اصدار مجلة نبتت فكرتها عند حلوانى اسمه "كسلب" كان محله مكان سينما ديانا الان ، عندما كانت جالسة مع شلة من الاصدقاء تجمع بين محمود عزمي ، وابراهيم خليل وغيرهم ، تتحدث عن الفن ، وتطرق الحديث الى الحاجة الى مجلة فنية محترمة ، ونقد فنى يساهم فى النهوض بالحياة الفنية ، و"لمع فى ذهنها" خاطر ، فقالت للزملاء : "لماذا لا اصدر مجلة فنية ؟

وكان من بين الحاضرين ابراهيم خليل وهو صحفى فى جريدة البلاغ ، ورد قائلا : "هل انت جادة بالفعل ؟ ان اى مجلة تتكلف تكاليف باهظة !

وقالت : ترى كم تكلفنى ٣٠٠٠ نسخة ؟ ورد قائلا : تتكلف ١٢ جنيها !

وحينما رأى الجالسون التصميم فى عينيها ، وانها مستعدة ان تبيع اى شيء عندها لتكمل المبلغ ، تظاهروا بالموافقة والحماس .

وفي نفس الجلسة اطلقت على المجلة اسم "روزاليوسف" فهذا هو الاسم الذي اشتهرت به وعرفه الناس ، وهو اسم عزيز عليها ، واغلب الظن ان الحاضرين تركوا الفكرة عند باب المحل لتتحمل هى مسئوليتها كاملة !

فى اليوم التالى ذهبت الى جريدة البلاغ ، وكتبت طلب ترخيص لعمل المجلـة ، ولم تنتظر حتى يظهـر الترخيص من وزارة الداخلية بل افسحت غرفتين من شقتها وضعت فيها مكتبين متهالكين ، واتصلت بالاستاذ الصديق محمد التابعى والأستاذ العقاد وعرضت عليهما الفكرة ، وتحمسا لها كثيرا .

تقول روزاليوسف : بدانا فى اصدار المجلة .. وصدر العدد الأول والثانى .. واتضح ان الحسبة ـ مبلغ ١٢ جنيها ـ كالبلاغات الرسمية ـ لا اساس لها من الصحة .. ووقعنا فى ازمات مالية لا حد لها ، فقد كنا مع كل عدد نضع ايدينا على قلوبنا لاننا لا نملك ما نصدر به العدد الذى يليه .. وينقذنا فى اخر لحظة الموزع الذى يقول بفرح : بيعت لاخر نسخة !!

ولم نكن نملك مطبعة كنا نسير من شارع جلال الى القصر العينى لطبعها فى جريدة البلاغ ـ ثم اشترى التابعى دراجة من المكسب واصبح يركبها للذهاب الى المطبعة !!

وكنا ننسى كل هذا حينما نسمع فى الصباح النداءات روزاليـوسـف .. روزاليوسف .. من باعة الصحف .

وحينما اسأل نفسى ما هى الصعوبة الكبرى التى صادفتنى فى اصدار المجلة وكان على أن اجتازها ؟

لم تكن هذه الصعوبة الكبرى فى المال القليل ، ولا الجهد المضنى ، ولا سوق الصحافة الضيقة ، بل تتلخص فى اننى ... سيدة !!

● هي والوفد

كانت الحياة السياسية فى ذلك العصر غير مستقرة تحت ظل حكم الملك فؤاد والاحتلال الانجليزى ، وبالتدريج انقلبت المجلة الفنية الى صحيفة سياسية يومية ، "وأحسسنا نحن مجلس التحرير ان علينا



فاطمة اليوسف

ان يصبح لنا رأى وهوية على المسرح السياسى .. ومن هنا فتحت علينا النيران من جميع الاتجاهات" !

كانت "روزاليوسف" فى مشوار يومى الى النيابة لسحب الترخيص أو استرداده ، فقد كانت المجلة وفدية ، وتكتب ضد الحكومة ، وظلت كذلك الى ان اختلفت مع الوفد فى وجهات النظر ، حتى ان النحاس ببراعته وخفة ظله قال : "هى روزاليوسف دى .. زى امينة البارودى ؟!

وتفاقم الخلاف مع الوفد ، حتى ان النحاس باشا كان يوصى كل اعضاء الوفد بالا يشتروا روزاليوسف لأنها خائنة لمبادىء الوفد ، وقد اتهمها بأنها تفرق بين عنصرى الأمة ، وكانت التهمة جارحة ، ولا أصل لها ، بل هى فى قاموس الحركة الوطنية منذ قيام سعد زغلول مساوية للخيانة ، واشتركت الحكومة مع الوفد فى الهجوم على المجلة ، وزاد ذلك من اصرارنا على الاستمرار والدفاع عن الموقف الحيادى والتمسك بالمبادىء الوطنية .

● القذف بالحجارة

وتفاقمت المشاكل بين روزاليوسف والوفد ، وتصاعد الموقف حتى الانفجار حينما كتب العقاد مقالا هاجم فيه الوفد ، وتلاه محمود عزمى بمقال اسماه وليم الكذاب ، وكان الاسم الحقيقى "لمكرم عبيد" هو "وليم" ، وهنا ثارت لثورة مكرم الدوائر الوفدية ، واذا بمظاهرة فى اليوم التالى تحتشد امام المجلة وتقذف المبنى بالطوب وهى تدوى بالهتافات المضادة للمجلة ولشخص روزاليوسف ، وخرجت رئيسة المجلة الى الشرفة ، ولم يتوقفوا عن القذف بالحجارة !

واغلقوا باب الدار الحديدى وهم يقذفون الحجارة ويندفعون من أجل الفتك بمن بالداخل ، الا ان روزاليوسف اصرت على فتحه ، وواجهت هذا الحشد الضخم ، واذا الأصوات تخفت ووسعوا لها الطريق ، وشرحت وجهة نظرها فى الحكومة والاحتلال ورئيس الوزراء ، وياللعجب فقد تفرق الجميع وكان شيئا لم يكن !

الا انه بمرور الأيام بدات الخسارة الفادحة تهاجم الصحيفة ، حتى انهم حجزوا على محتويات المنزل ، ووضعت روزاليوسف فى السجن مع مهربات المخدرات والساقطات .

ولكن السجن زادها عنادا ، فخرجت منه لتصدر المجلة مرة اخرى .. وبدأت فى بناء دار روزاليوسف ، ومرت السنون وقامت الثورة ، واصبح لمجلة روزاليوسف مدرسة تخرج منها معظم الأسماء اللامعة التى نعرفها هذه الأيام مثل محمد حسنين هيكل واحمد بهاء الدين وفتحى غانم ولويس جريس وعبدالغنى أبو العينين ورءوف توفيق ثم ابن صاحبة الدار احسان عبدالقدوس وغيرهم .

لقد كانت لهم مثالا تحتذى به اكثر منها صاحبة للدار ، وقد عاشت فى الصحافة ثمانية وعشرين عاما .. ووافتها المنية فى ابريل عام ١٩٥٧ وهى فى أوج نشاطها وحيويتها .



في يوم الاثنين الموافق ٥ نوفمبر سنة ١٩٣٤ اقيم هذا الحفل بمناسبة دخول مجلة روزاليوسف في سنتها العاشرة . وقد كتب التعليق في مجلة « المصور » على الوضع التالي : « لقد لقيت هذه المجلة في أعوامها التسعة مالم تلاقه مجلة أخرى من الاقبال . لما اشتهرت به من خفة الروح وابتكار الأسلوب والجرأة وقد رفعت عليها أخيرا قضايا . وحكم فيها احكام مختلفة . فكان هذا داعية لالتفاف الجمهور حولها لأنها في سبيل خطتها لمصلحة المصريين حوكمت فتهنيء الزميلة » . ويظهر في الصورة السيدة روزاليوسف والى يسارها كريمتها ميمي طليمات ثم قرينها الأستاذ زكي طليمات والى يمينها نجلها احسان عبدالقدوس فالأستاذ عبدالرحمن نصر .

• برنارد شو والاسلام •

فى كلمة بعنوان « برنارد شو والاسلام : كتاب يثير قضية هامة » فى باب « شهريات » من هلال يوليو ١٩٩٠ طرح الاستاذ رابح لطفى جمعة السؤال التالى « هل حقا ان برنارد شو قد رمز بشخصيات بعض مسرحياته وما كانوا عليه من صفات واخلاق الى النبى محمد ام ان ذلك التشابه الذى لاحظه المؤلف بين هذه الشخصيات وبين شخصية الرسول الكريم انما يرجع فى الاسلس الى ان الابطال والعظماء والقادة فى كل زمان ومكان قد يشتركون فى بعض الصفات والاخلاق التى تكاد تكون واحدة بينهم ؟!»

وردى على هذا السؤال يتحصل فى ست نقاط :

١ - الرمزية فى مسرح برنارد شو سمة بدات تتاكد لدى النقاد الدارسين فى السنوات الاخيرة بصورة متزايدة .

٢ - اذا كان من الثابت ان برنارد شو كان يريد ان يكتب مسرحية عن محمد (ﷺ) وان ثمة اعتبارات قاهرة منعته من كتابتها فليس من المستغرب ان يختار اسلوب الرمزية ليقول ماكان يرغب فى قوله بالمعالجة المسرحية الصريحة .

٣ - لست الباحث الوحيد الذى حمله الاختلاف الكبير فى الصفات بين قيصر التاريخى وقيصر المسرحية الى ترجيح احتمال ان يكون قيصر المسرحية رمزا لشخصية تاريخية اخرى ، وقد سردت على سبيل المثال اراء ثلاثة من الكتاب ذهب كل منهم مذهبا مختلفا فى تحديد هوية هذه الشخصية الرمزية .

٤ - قولى ان قيصر المسرحية انما يرمز الى رسولنا الكريم يستند الى عدد من الدلالات التى وردت فى المسرحية والتى تشير الى محمد (ﷺ) والاسلام ، فالتمر الذى كان ياكله قيصر يرمز الى فاكهة الجزيرة العربية موطن الرسول صلوات الله ، وسوق التين يرمز الى سورة التين فى القرآن الكريم ، والرومان الذين ينتمى اليهم قيصر هم الروم الذين سميت باسمهم سورة فى القرآن والذين ورد ذكرهم فيه اكثر من مرة ، وحديث قيصر عن العظيم الذى ياتى بعده ، الذى يحب العفو ويكره الانتقام والذى سيحكم العالم كما حكمه هو ، هو اشارة الى نبى الاسلام ، وما ورد فى المسرحية من حديث عن اصنام الكهنة الفرعونيين اشارة الى الاصنام التى كان يعبدها العرب والتى حطمها محمد ، وغير ذلك . وكل هذه الاشارات اذا لم يكن الغرض منها توجيه القارىء الى استكناه ماقى

المسرحية من رمزية والى ان المقصود هو محمد لكانت لغوا لايتصور مثله كاتب كبرنارد شو .

٥ ـ فى القرآن الكريم الذى قرأ برنارد شو ترجمة جيدة له والذى بلغ من اعجابه به ان اقنع احدى دور النشر الشهيرة بنشرها مجددا مقابل دقيق للمعانى الرئيسية التى وردت فى المسرحية وللاوصاف التى وصف بها المؤلف قيصر المسرحية ، فهل ثمة ما يمنع منطقيا ، ان يرى الباحث فى هذه المقابلة العريقة بين المسرحية وبعض آيات الذكر الحكيم تقريبا للرموز الى ذهن القارىء ، على الأقل القارىء الذى قرأ القرآن كما قرأه المؤلف ؟

٦ ـ التشابه الذى لاحظه « شو » بين شخصية قيصر وشخصية النبى محمد (ﷺ) لم يكن مرجعه ماذكره الاستاذ جمعة . والحق ان « شو » كان كما يتضح من صفحات الكتاب ، يرى انه تشابه ظاهرى ، وقد استخدمه وسيلة لذم قيصر التاريخي ولمدح قيصر المسرحية اى محمد الرجل الوحيد فى التاريخ التى اجتمعت له صفات البطل كما كان يتصورها شو .

محمود على مراد ـ جنيف

● ارستقراطية ●

هى الان جاءت
تغامر بالنشوة العارمة
هى الان تعبر طوق المسافة
تدخل دائرة للتبلور
تخلع نظارة الاعتراف
تصعد تنهيدة للتهيؤ
تصغى الى خربشات الشغف
هى الان تكتب سطر النهاية
وتوجز احزانها فوق موجه
تعبىء ابريقها القرمزى
وتثنى على ركبتيها التوجس
تلقى على الأرض اشياءها
وترسم عصفورة ظامئة



محمد تمساح خضرى
كلاحين الحاجر ـ قفط

• هيكل ومدرسو التاريخ •

• قرأنا فى هلال اكتوبر الماضى مقالة للدكتور احمد عبد الرحيم مصطفى عنوانها « هيكل الصحفى وكاتب التاريخ » فلم نفهم بالضبط ماذا يريد كاتبها ان يقول عن عبد الناصر وصدام حسين وهزيمة يونيو وازمة الخليج وبقية الشئون التى تناولها .. غير اننا فهمنا شيئا واحدا ابرزه الكاتب ، وهو ان هيكل ليس مؤرخا ، ولكنه صحفى يروى التاريخ او يكتب التاريخ ولعل هذا التجاهل نابع عن غيرة او حسد من المؤرخين المحترفين امثال د . احمد عبد الرحيم مصطفى لمن كان مثل هيكل مؤرخا لايحمل شهادة من قسم التاريخ باحدى كليات الاداب .

ان المؤكد هو ان ثمة فارقا جوهريا بين اساتذة التاريخ امثال احمد عبد الرحيم مصطفى وبين المؤرخ الذى تجرد لكتابة التاريخ من واقع الوثائق ومن الاحداث التى عاشها فعلا .. وعلى هذا الاساس يكون هيكل هو المؤرخ ، وشتان بين المؤرخ وبين مدرسى التاريخ فى كلية او مدرسة ثانوية او اعدادية .

وماذا يقول اى مدرس للتاريخ فى امثال : الطبرى والمسعودى وابن الاثير والمقريزى وابن تغرى بردى والجبرتى .. هل كان هؤلاء مجرد كتبة للتاريخ لايقام لهم اعتبار اكاديمى الى جوار مدرسى التاريخ الذين ليس لهم مراجع الا مؤلفات هؤلاء الكتبة المساكين الذين اتعبوا انفسهم فى تدوين التاريخ ؟!

نحن لسنا مع هيكل ولا ضده ، ولانزكى كتبه التاريخية ولانرفضها ونقرأ مايكتبه قراءة نقدية ، ولكننا نرى مدرسى التاريخ يستفيدون منه ثم يتطاولون عليه !

احمد مصطفى كمال محمد
القاهرة ـ العنيل

• جياد المواعيد •

تجىء ..
جياد المواعيد .. جوعى
تشاكس صمتى ..

تهز حقولى ..
فيساقط الرطب ..
وترحل عبر تخوم المدى
تفاجىء قلبى ..
وفى لحظة قد كساها النعاس
تفاجئنى بالعيون التى ترسم العشق
فوق القرى .. انجما ..
تسطر وهج المسافة ..
تهدهد اغرودة ..
للشروق المفاجىء ..
فى مقلتيها .. ولاتستكين ..
جياد المواعيد تركض نحوى ..
تفتش عن رسمك المستبد ..
تخط على شفتيك ترانيم بحر عصى ..
وبعضا من الصور الطازجة ..



محمود مغربى
قنا

• عودة الى صديقى القديم •

• الصوصة ..

على الباب انتظرت .. اوصدت الباب فى وجهى وقالت انتظر .. ربما فتشت فى الحجرة الخلفية او فى الحمام والمطبخ وتحت سريرها .. عادت ، وقالت ليس هنا .. يقينا اعلم انه يتهرب منى .. ينسل من بين اصابعى كزئبق مراوغ .

كانت ضربات كعبها العالى المثلث ـ لحذاء طويل ـ على الارضية الباركيه تلاحق انغام موسيقى هستيرية صاخبة ، ورائحة عطرها تنفذ الى عبر الباب المغلق .

حسدته على تلك الجنة التى يحيا فيها .. امراة جميلة ، وشقة فسيحة وصديق ينتظره لدى الباب تابع كعبد لسيده .

تاخر ، والليل انتصف وضرباتها الهستيرية تتصاعد وانا واجم لدى الباب . متى تاتى فى الفجر ام بعد انقضاء اوقات العبث ؟ مخدعها دافىء وذراعاها حمى الخائفين ، وانا و الليل فى انتظارك هل نسيت سمير الامسيات ورفيق الضرب الطويل يالك من احمق اخرق !

خفتت الموسيقى الصاخبة وضربات الكعب المثلث وخارت قدماى فافترشت البلاط . اربع اقدام جاءت لاتكاد تثبت على الارض . وجسدان

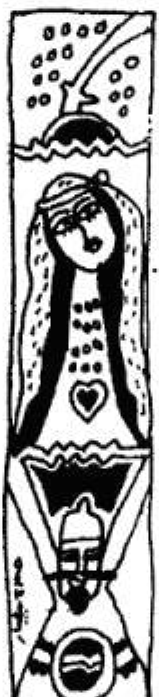
بطيران متلاحمين . تهز يدان خشنتان جذع نخلة باسقة .. تقف على مشارف الامتلاء اسفل الجذع واسمع همس التقبيل فى الصدر العارى ، واشمئز لتاوهات النخلة الباسقة لم يرنى ولم يكن له ان يرانى .. اعمل المفتاح فى الباب المتمنع ، ورفعها الى الداخل .

صمتت الموسيقى قبل صمت ضربات الكعب المثلث .. لملمت جسدى المفترش البلاط وضحكت ملء شدقى .. لا فرق بينى وبينك - عزيزتى - صاحبة الموسيقى والضربات الهستيرية ..

حمدى محمد عبد الموجود

• حلم الحب •

يا الله !..
كل الحلم الحلو اراه ..
فى عينى لبنى ، وعيون بثين وكل الليلات ..
وانا الراحل اثر عيونك ..
اعقل حيث عقلتم ..
واحط رحالى اين اقلم الركب ..
وحط الهودج ..
والنار اضاءت ..
وارتعد الريم ..
ماارتدت خطواتى عنك وقد اهدر دمى السلطان ..
ورمانى الاهل بارماح اللوم ..
نسبونى الى مس الجان ..
وتوعدنى اخوالك فى عبس ..
وتميم - وهذيل ووائل ..
وتوعدنى ابوك ومن والاه ..
كى يسقط تمر النخل علىّ بيتى ..
فلم تؤوينى منذ رحلتم جدرانه ..
كنت السائر نحوك جهرا ..
سرى معلن ..
لم اخباه بخبائك ..



كان السر ـ العشق ـ سيوفا ورملحا ودنانير وجاه ..
طوفت به في نجد وتيماء وحسمى والعبلاء ..
اعلو ـ اهبط ..
تتمثل لى عينك فارسل شعرى ..

طارق محمود

• نهايات •



من وجهك ياتى وهج النور ..
يعلو الصوت باهاتى ..
يرتجف القلب ..
يفيض بانغام تشدو ..
يضىء النجم ليالى الصمت ..
يرفع مصباحى سهد الليل ..
يقبل حلمى فى الفجر ..
يصبح ليلى قلب الفجر ..
ينظر قلبى وجه الشمس ..
فاطير لافتح نافذتى ..
يغمر وجدانى الدفء ..
ينتعش القلب ..
تشتد حرارة لقياها ..
يحترق الوجد ..

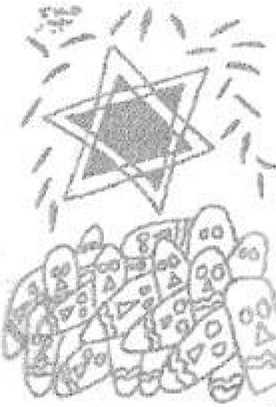
حسنين محمد حسنين الصباغ
سنديون ـ قليوب

• قصيدة من فلسطين •

اود ان اعلم سيادتكم انى احد قراء الهلال القدامى لانها بحق منارة من منارات الادب والعلم والثقافة فى العالم العربى فى كثير من الحالات يجد بعض القراء فيها متنفسا لما يجول فى صدورهم ـ وفيما يلى بعض ملجال فى صدرى ارسله لسيادتكم عسى ان يكون فى المستوى الذى اعتادت الهلال نشره ارجو النظر فيه والعمل على نشره اذا وجدتم ذلك مناسبا

أنت والهلال

كان يوجد لليهود فى اسرائيل شاعر يدعى حاييم ناحمان بباليغ له قصائد مشهورة من جملتها قصيدة بالعبرية اسمها المذبحة تدرس فى جميع المدارس الثانوية فى اسرائيل حتى يومنا هذا ويعتبر حفظها عن ظهر قلب شرطا من شروط النجاح فى امتحان الحصول على شهادة الدراسة الثانوية تلك القصيدة تخاطب النازى وماقيل عنه انه ارتكب جرائم فظيعة ضد اليهود .. وقد نظمت قصيدة اخاطب بها الاحتلال الاسرائيلى ومايقوم به من فضائح تشبه فظائع النازى المشار اليها فى قصيدة بباليغ وفيها دعوة للسلام وتحذير لاسرائيل من مغبة الاستمرار فى العربدة العسكرية وما قد تجره عليها من دمار شامل .



تاجج السخط فينا كى تفارقنا ..
مافى بقائك غير الهم والحزن ..
اسرع وغادر بلاد لست صاحبها ..
فاهلها قد مضوا فى المسلك الحسن .
لتنتهى سلطة احكام قادتها ..
فينا كاحكام قوم عابدى وثن ..
استمرأوا القتل والتدمير شرعهم ..
فاصبحوا وصمة فى جبهة الزمن ..
لم تتق الله فيما انت فاعله ..
كفاك قتل ضعاف من بنى وطنى ..
كانت لكم فى نواحى الارض مشنقة ..
وفرن غاز يذيب العظم فى البدن ..
فما امتشقتم على الطغيان سيفكم ..
بل استكنتم الى الاذلال والمهن ..
ان كنت تصبو لثار انت تطلبه ..
هل كان طفلى مع الطغيان فى قرن ..

المرسل من الارض المحتلة
م . آل سويرى الجو

● تعليق الهلال :
ـ وصلت الينا هذه القصيدة عن فظائع الاحتلال الاستيطانى الصهيونى فى فلسطين قبل حوادث القدس التى قتل فيها المستوطنون اليهود وعساكر البوليس الصهيونى اكثر من ثلاثين شهيدا فلسطينيا واصابوا بالجراح البليغة اكثر من الف فلسطينى ، وهى اكبر مذبحة فى التاريخ الحديث لايمكن لشاعر ان يعبر عن شعوره حيالها !

● من يكتب تاريخ مصر ؟●

شهدت الآونة الاخيرة سيلا منهمرا من الكتابات والاجتهادات حول ثورة يوليو والحقبة الناصرية بصفة عامة ، حتى بات الامر لايخلو من صعوبة فى تتبع هذه الكتابات المتلاحقة وقد تنوعت هذه الاعمال بتنوع اتجاهات ومشارب اصحابها فجاء بعضها يحمل الطابع الصحفى وجاء البعض الاخر على شكل مذكرات لمسئولين وساسة سابقين فى السلطة اما البعض الثالث فجاء موسوما بطابع الشهادة على العصر لشخوص عاصروا الاحداث عن قرب .. ولم يخل الامر فى معظم الاحيان من اثارة الحديث عن اسرار وخبايا وحقائق تذكر للمرة الاولى .

ان المطلوب هو الافراج عن الوثائق الخاصة بثورة يوليو والحقبة الناصرية واتاحة الفرصة للباحثين للاطلاع عليها ليقولوا لنا كلمتهم ، فهناك ضرورة ملحة لذلك بعد ان كثر الجدل واللغط واختلطت علينا الامور ، فى تقييم هذه الفترة والتعرف على حقائقها خاصة وان الجدل حول هذه الفترة من تاريخنا يستاثر باهتمام مختلف القطاعات والاوساط شيوخا وشبابا ، وليس المقصود بالضرورة ان تخرج علينا البحوث والدراسات بالتطابق فى وجهات النظر وانما المطلوب هو الخلاف الايجابى وليس خلاف الخصوم وتصفية الحسابات ، فكم من المرات رفع شعار اعادة صياغة تاريخنا القومى وكم من المرات سمعنا عن لجان شكلت لهذا الغرض ولكن بلا جدوى . فما احوجنا والعالم كله يتغير من حولنا ان نقف وقفة جادة مع تاريخنا فالتاريخ ليس شبحا يطل علينا من ركام الماضى وانما صورة صادقة ومؤشر هام فى فهم الحاضر بكل متغيراته وابعاده وهو الدليل الذى نهتدى به فى ترسم خطى المستقبل ان الوعى التاريخى مازال فى حاجة لاستنفار جهود المفكرين والمثقفين للارتقاء به . واخيرا اخشى القول ان مستقبل الكتابة التاريخية فى مصر ، لا يبعث على التفاؤل وان الوعى التاريخى رغم مايقوم به نفر من المؤرخين المخلصين لم يصل بعد الى النضج الذى نطمح اليه .

زكريا الرفاعي
طالب ماجستير بآداب عين شمس

● مع الأصدقاء ●

● الانسة لبنة احمد محمد الصلوى ـ عزبة عبده مركز كفر صقر :

ـ نرحب بك صديقة للمجلة ، وبكل ماتكتبينه من شعر او نثر .

● رضا ابراهيم عبد المعطى ـ ميت الحلوج ـ دكرنس ، :

أنت والهلال

ـ لم نستطع قراءة شعرك ولا نثرك فى الأوراق التى بعثتها الينا لفرط رداءة الخط وفوضى السطور وكثرة الشطب .

● خليل ابرهيم القشوطى ـ طالب ثانوى ازهرى ـ شبين القناطر ·

ـ قصيدتك التى اولها : ق يانسيم الى حبيبتى وبح لها .. قل لها انى عشقت جمالها .. تنقصها الاوزان وفى القصيدة اغلاط لغوية ونحوية ولكن صغر سنك يشفع لك فاستمر فى التزود بين اللغة والادب ، والله ولى التوفيق .

● محمد مصطفى حسين بكر ـ طالب ثانوى ازهر بمعهد شبين القناطر :

ـ قصيدتك ينطبق عليها ماينطبق على قصيدة زميلكم خليل ابراهيم القشوطى وننصحك بما نصحناه .

● الحسينى الهادى خلف ـ محافظة الدقهلية :

ـ لايكفى ان تقول انك من محافظة الدقهلية فمن اى مدينة او قرية فى الدقهلية ؟! اما قصتكم « الشرنقة » فهى طويلة نسبيا ، وينبغى ان تكتب على وجه واحد من الورقة .

● هالة سمير السعيد ـ كلية التجارة ـ القاهرة :

ـ نرحب بك صديقة للمجلة ، ونرجو ان نتلقى انتاجك الادبى الذى تتحدثين عنه .. وشكرا لحسن ظنك بنا .

● بن عادل ـ الديس ـ بو سعادة ـ جمهورية الجزائر :

ـ كتاب عبد الحميد الديب من تاليف الاستاذ محمد محمود رضوان ، هو كتاب وليس مجلة كما وصفتموه .. وفى هذا الكتاب بعض اشعار عبد الحميد الديب ، وليس لهذا الشاعر ديوان مطبوع

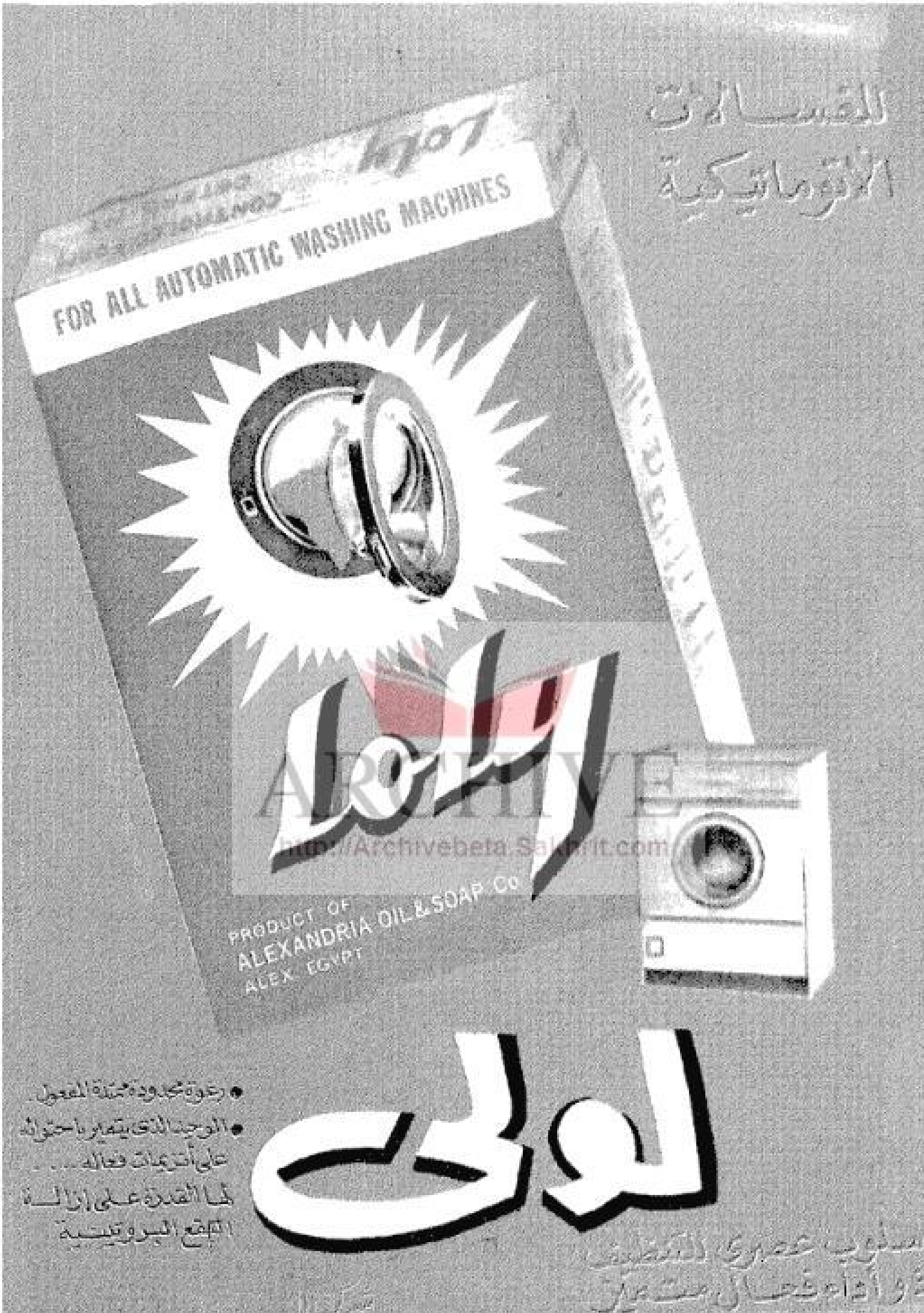
● سعيد عبد الله سعيد ـ المنصورة ـ اليمن

ـ ليست اقاويل بعض المتطرفين عن رواية اولاد حارتنا لنجيب محفوظ بالخطورة التى تتصورونها .. ان هؤلاء المتطرفين لا معرفة لهم بفنون الادب ولا معرفة لهم بالدين يسرعون الى تاويل احكام الدين كما يشتهون .. ورواية اولاد حارتنا صدرت فى عدة طبعات بلبنان وتوزع فى كل مكان ويعاد طبعها .

● ونشكر اصدقاءنا السادة : عاصم فريد البرقوقى .. صلاح الشهاوى .. عاطف عبد الكريم احمد .. محمد ابا الحسن ابو عجوز .. السيد عبده السمرى ومحمود عبد المجيد احمد .. وجمال عطا احمد .. ويوسف عبد العزيز على .. محمد امين عيسوى .. احمد جمال الدين عزام .. وائل محمد جاويش . عبد الرحيم الماسخ .. عادل عبد الظاهر .. احمد خضير .. رمضان عبد اللطيف حامد ..




الهلال
ديسمبر ١٩٩٧ ● ٧٥ قرشا
ألف ليلة
وليلة المصرية



للغسالات
الأتوماتيكية
FOR ALL AUTOMATIC WASHING MACHINES
PRODUCT OF
ALEXANDRIA OIL & SOAP Co
ALEX. EGYPT
لولى
• رغوة محدودة ممتازة المفعول.
• الوحيد الذي يتميز باحتوائه على أنزيمات فعالة ... لها القدرة على إزالة البقع البروتينية
أسلوب عصري للتنظيف

الهلال

مجلة ثقافية شهرية
تصدرها دار الهلال
أسسها جورجي زيدان
عام ١٨٩٢ ميلادية

السنة الثامنة والتسعون — ديسمبر ١٩٩٠ — جمادى الأولى ١٤١١ هـ

سيظل الجدل محتدما وقائما حول د . طه حسين وآرائه وفكره الذى آمن وجاهد طويلا من اجل ترسيخه ونشره بين المثقفين على اختلاف توجهاتهم وانتماءاتهم الفكرية .

وستكتب بحوث جديدة حول كتاب "فى الأدب الجاهلى" والآراء التى اغضبت الكثيرين واتهمته بالكفر والالحاد ! و "الهلال" من جانبها تفرد صفحاتها لكل جديد يتناول فكر طه حسين ، والحوار حول شخصيته ، فقد تناولنا فى عدد سبتمبر الماضى مقالا للدكتور محمد الدسوقى ، تناول فيه جوانب من شخصية طه حسين وآرائه فى الشعر الجاهلى ومستقبل الثقافة .

ويرد د . الدسوقى على الهجوم الذى شنه عليه انور الجندى وما ينبغى فى لغة الحوار .

ولانكتفى بذلك بل ننشر مقالا بعنوان : طه حسين والصهيونية يفند اتهاما وتورطا بعلاقة طه حسين بالصهيونية . وقلة ماكتبه عن القضية الفلسطينية .

ويرد د . مصطفى عبد الغنى على هذه المزاعم التى لاتستند الى اسانيد قوية ،

وبهذا فإننا لانتعامل الكبار من مفكرينا كتماثيل بعيدة عن النقد ، ولكن يكون الحوار هو المعيار لالقاء الضوء على فكرهم المستنير إقرا

ص ٦٤ .

في هذا العدد



الغلاف بريشة الفنان حلمي التوني

فكر وثقافة

قيمة الاشتراك السنوى تسعة جنيهات فى ج . م . ع . تدفع مقدما نقدا او بحوالة بريدية غير حكومية . وعشرة دولارات فى البلاد العربية . وعشرون دولارا لباقى دول العالم . والقيمة تسدد مقدما بشيك مصرفى لامر مؤسسة دار الهلال . ويرجى عدم ارسال عملات نقدية بالبريد .

دائرة الحوار

فنون

قصة وشعر

رسائل صحفية

الأبواب الثابتة

دار الهلال

الإدارة : القاهرة ـ ١٦ شارع محمد عز العرب بك
(المبتديان سابقاً) ت : ٣٦٢٥٤٥٠ (٧ خطوط)
المكاتبات : ص . ب : ٦١٠ العتبة ـ القاهرة
الرقم البريدى : ١١٥١١ ـ تلغرافيا : المصور
القاهرة ج . م . ع .
مجلة الهلال ت : ٣٦٢٥٤٥٨١
تلكس : TELEX:92703
HILAL un
فاكس : FAX:3625469

ثمن النسخة

لبنان : ٧٠٠ ليرة . الأردن : ٦٠٠ فلس . الكويت : ٥٠٠ فلس . العراق : ١٠٠٠ فلس . السعودية : ٧ ريالات . الجمهورية اليمنية : ٥٠٠ فلس / ١٠ ريالات . البحرين : ٨٠٠ فلس . قطر : ٧ ريالات . الإمارات العربية المتحدة : ٧ دراهم . سلطنة عمان : ٧٠٠ بيسه . تونس : ١٤٠٠ مليم . المغرب : ١٥ درهما . غزة والضفة : ٧٥ سنتا . انجلترا : ١٢٥ بنسا . ايطاليا : ٢٧٠٠ ليرة . الولايات المتحدة الأمريكية : ٤٠٠ سنت . كندا : ٥ دولارات .

عزيزى القارىء

هلال ١٨٩٢ فى معرض كتاب ١٩٩١

كان فريق منا فى « الهلال » يرى أن نفاجىء زوار معرض الكتاب الدولى القادم الذى يقام فى القاهرة خلال يناير سنة ١٩٩١ ، بطبعة جديدة مصورة عن الأعداد الأصلية التى صدرت من «الهلال» فى سبتمبر سنة ١٨٩٢ «الموافق ١٠ صفر سنة ١٣١٠ » .. أى منذ ٩٩ عاما ميلاديا ، وأكثر من مائة عام هجرى ! ..

ولكن فريقا آخر اقترح أن نزف هذا الخبر الى قارىء الهلال ، ليكون على بينة من المفاجأة قبل أن يراها فى زيارته لمعرض الكتاب .

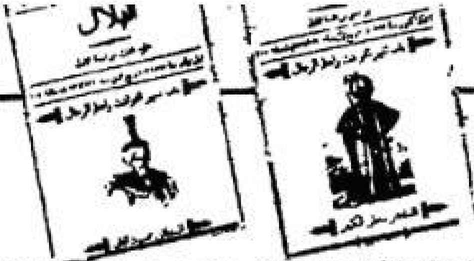
وقد تغلب هذا الرأى الأخير ، وها نحن أولاء ندلى اليك ـ عزيزى القارىء ـ بكافة التفاصيل ..

بدأت الفكرة بمحاولة تصوير المجلد الأول للهلال الذى يشمل أعداد سنته الأولى ، من أول سبتمبر سنة ١٨٩٢ الى أول أغسطس من تلك السنة ، ليكون صدور هذا المجلد فاتحة لصدور مجلدات الهلال التسعة والتسعين ، مجلدا بعد مجلد ، وقد يتجاوز عددها رقم المائة بكثير عندما نصل الى آخر مجلد فيها .

إلا أن طبع المجلد الأول كاملا فى المدة المتبقية على افتتاح معرض الكتاب ، يعتبر متعذرا من وجوه كثيرة ، وفى الوقت نفسه لابد من تنفيذ الفكرة ولو جزئيا . فكان الحل العملى أن نطبع ثلاثة أعداد من المجلد الأول ، هى أعداد سبتمبر واكتوبر ونوفمبر سنة ١٨٩٢ على أن نوالى طبع المجلد الأول فى أجزاء يشمل كل منها ثلاثة أعداد ، فإن ذلك يجعل اقتناءها أيسر ، والاطلاع عليها والاستفادة منها أقرب ..

وهكذا شرعنا فعلا فى تصوير وطبع هذا الجزء من السنة الأولى للهلال ، وسيكون بين يدى القارىء فى معرض الكتاب ، على نفس صورته العريقة ، بحروفه القديمة الواضحة المشكولة ، وكأنه صدر بالأمس فقط لا منذ مائة عام إلا قليلا ..

إن صدور هذا الجزء من المجلد الأول لهلال سنة ١٨٩٢ يلبى مطلبا ملحا طالما تقدم به المثقفون والباحثون من الأجيال القديمة والجديدة ، ومن أساتذة الجامعات والمدارس وطلبتها ، ومن الأدباء والشعراء والمؤرخين والفنانين وغيرهم ..



والمجلد الأول من الهلال مطبوع فى المطبعة الأولى لدار الهلال التى كانت قائمة فى شارع الفجالة بالقاهرة ، ومازال مكانها يحمل اسم الهلال منذ قرن من الزمان .

وقد انتقل الهلال بعد ذلك إلى دار كانت تطل على ميدان الاسماعيلية «ميدان التحرير الآن » .. ثم انتقل الهلال إلى داره الحالية فى شارع محمد عز العرب «المبتديان سابقا » فى أوائل الأربعينات ، وفى هذه الدار التى أوشكت أن تبلغ الخمسين من عمرها ، سيتم طبع مجلدات الهلال كلها إن شاء الله ، بادئين بالجزء الذى ستتلقاه فى معرض الكتاب بعد أسابيع قلائل .

وفى العدد الأول «سبتمبر ١٨٩٢ » يشرح صاحب الهلال ـ المرحوم جرجى زيدان ـ غايته من اصدار الهلال ، ولماذا اسماه «الهلال » فيقول إنه سماه كذلك «تبركا بالهلال العثمانى الرفيع الشأن ، شعار دولتنا العلية أيدها الله » .. وكانت بريطانيا تحتل مصر حينذاك وتأبى الجلاء ولكن الدولة العثمانية كانت لها هيمنة روحية ، نظرا لقيام «الخلافة » فيها ..

وقال جرجى زيدان انه أطلق اسم «الهلال» على مجلته هذه «تفاؤلا بنموها مع الزمن حتى تتدرج فى مدارج الكمال ، فإذا لاقت قبولا وإقبالا أصبحت بدرا كاملا بإذن الله » ..

ولعل جرجى زيدان كان يشير بكلمته هذه الى قول الشاعر العربى أبى تمام :

وإذا رأيت من الهلال نموه
أيقنت أن سيكون بدرا كاملا

وبعد ....

فإن هذا الجزء من المجلد الأول للهلال يفتح لقارئه أبواب الزمن القديم ، فيراه متصلا بالزمن الجديد ، ويوقن أن تطور أمتنا سلسلة متصلة الحلقات من العمل والفكر ، وأن الثقافة العربية فى أواخر القرن العشرين ، موصولة بالثقافة فى أواخر القرن التاسع عشر .. ولولا هذه ما كانت تلك ، فلا فراغ بين الأجيال ! ..

ثم إننا ندع لك الرأى فيما ستطالعه فى هلال سنة ١٨٩٢ وانت تستفتح العام الجديد ، عام ١٩٩١ حاملا لك ولكل القراء ، ولأمتنا العربية كلها ، أطيب الأمنيات ، فى أصعب الأوقات ، وأحرج الساعات ! ..

المحرر



رحلة السيد المسيح الى مصر

في لوحات الأنبياء

بقلم: د. صبري منصور

▲ السيدة العذراء تصويرة في أثناء رحلة الهروب الى مصر (الفنان فرنشيسكو ماروتشي)

ارتبط اسم مصر بكثير من الأنبياء، فأرضها في العهد القديم كانت لهم مهدا وموطنا حينا، وملجأ وملاذا في أحيان أخرى. فكذلك كانت لسيدنا ابراهيم عليه السلام، وإسماعيل ويعقوب، بالإضافة الى اثني عشر نبيا من ولد يعقوب وسيدنا موسى، وهارون وعيسى بن مريم ودانيال عليهم السلام. وحظيت مصر بنيلها وزرعها - كفردوس في منطقة صحراوية جرداء - بمكانة متميزة في مسيرة الزمان البعيد



ولا شك أن رحلة السيد المسيح الى مصر أثناء مرحلة طفولته كانت مصدر الهام لعديد من الفنانين . تلك الرحلة التى لم يكشف لنا التاريخ عن تفاصيلها ، وأن كان الداعى اليها حماية المسيح الطفل من بطش الملك هيرودس ملك اليهود حينذاك ، والذى وصلته أنباء ولادة ملك جديد لليهود فى بيت لحم ، فخاف منه على عرشه ، وبيت النية لاغتياله فى مهده فجاءت اشارة الله ببدء رحلة الفرار الى ارض مصر ، واصطحب يوسف النجار العذراء وطفلها ، سالكا الدروب الوعرة لكى يصل بهما الى أرض الأمان والطمأنينة . ورغم ان حياة السيد المسيح بكل احداثها ومشاهدها قد تناولها الفنانون فى لوحاتهم محاولين الوصول بخيالهم الفنى لتجسيد مناظر العهد القديم ، فإن رحلة السيد المسيح الى أرض مصر كانت موضوعا أثيرا لديهم رغم عدم وضوح التفاصيل التاريخية لتلك الرحلة ، وايضا بالرغم من عدم إلمام الفنانين الأوربيين بعناصر المنظر المصرى . وربما اضفى ذلك التعتيم التاريخى مسحة روحية وجاذبية خاصة لتناول وتصوير هذه الرحلة .

وفى اللوحات الست المنشورة لفنانين مختلفين ، نجد تشابها ملحوظا فى خمس منها نظرا لانتاجها فى فترات زمانية متقاربة . فلقد انتجت فيما بين القرنين الثالث والرابع عشر ، لهذا نجد عناصر التكوين متقاربة ، واختيار الزاوية والخلفية يكاد يكون واحدا ، وذلك بعكس اللوحة التى انتجت فى القرن التاسع عشر ، والتى تقدم لنا الموضوع فى ثوب مغاير تماما .

ولعل من المفيد ان نعرض لملامح الأسلوب الفنى خلال عصر النهضة ، والذى تنطوى تحت لوائه اللوحات الخمس ، اذ ان هذا الاسلوب يمثل انتقالا فريدا لمرحلة جديدة فى تاريخ فن الانسان . ورغم ان هذا الانتقال كانت له بوادره ومؤشراته التى ظهرت منذ القرن الحادى عشر ، فإن المؤرخين قد اصطلحوا على اعتبار عام ١٤٥٣ (وهو عام سقوط مدينة القسطنطينية) هو الحد الفاصل بين القرون الوسطى وعصر النهضة . ولقد اعتاد المثقفون على النظر الى عصر النهضة الأوربية كظاهرة ايطالية فى نشأتها ، وامتدت لها فروع اخرى فى بقية الاقطار الأوربية كفرنسا والأراضى الواطئة . وقد صاحبت هذه النهضة تطورات خطيرة فى مجالات

• نتاج عصر النهضة يمثل مرحلة فريدة في فن تاريخ الانسان

الفكر والعلم ، ولكن ربما كان من اهم مظاهرها ماطرأ على الفن التشكيلي من تحول ، حين اخذ يبتعد شيئا فشيئا عن التجريد والرموز اللاهوتية ، ويقترب اكثر فاكثر من التجسيم الواقعي ، والمعاني الانسانية ، ومظاهر الحياة الواقعية . فالفن منذ عصر النهضة اكتسب شكلا مقتربا من الطبيعة . ولقد شاع هذا الأسلوب الجديد في شتى الأقطار الأوربية ، وتميز الى جانب اقترابه من صور الطبيعة وتناوله لموضوعات غير دينية كمشاهد الرقص والصيد وحياة القصور بفخامة واناقة ولطف ورشاقة في الألوان والخطوط . ولقد أشاع القديس فرانسوا الأسيزي في الفكر الديني الأوربي ابتداء من القرن الثالث عشر عوامل روحانية جديدة ، حين تغنى بكل ما في الطبيعة من سماء ونجوم وطير وحيوان ونبات ، ورأى هذا القديس الشاعر ان كل مخلوقات الله جديرة بالتأمل لأنها نعمة من عند الله ـ تلك النعمة الجديدة صادفت هوى في قلوب الفنانين ، ووجهت انتباههم لما يحيط بهم من جمال طبيعي فبدأوا يهجرون الرموز الكهنوتية ، واحتلت السماء الزرقاء مكان الأرضية المذهبة المصمتة رمز النور الالهي ، واخذت عناصر الطبيعة تظهر بشكلها القريب من الواقع مثل الجبال والاشجار والحيوانات والطيور .

ولقد اقتضت هذه النظرة الفنية الجديدة ايجاد وسيلة تساعد على الايهام والتجسيم واظهار البعد الثالث ، فكان التوصل الى علم المنظور هو السبيل الى اصطياد الواقع فالمنظور الذي تتلاقى خطوطه المستقيمة عند نقطة واحدة ، ووضع الأشياء والعناصر في مكانها بالقياس الى بعدها الوهمي من سطح اللوحة ، كانت كلها عوامل اكدت المفهوم الجديد الرامي الى خلق ايهام قريب من الطبيعة ويماثل الواقع .

• جيوتو (١٢٦٦ ـ ١٣٣٧)

تظل لوحة جيوتو من أبدع وافضل ما حفظ لنا من اعماله ، وهي موجودة في مدينة بادوا الايطالية على جدران كنيسة "ارينا تشابل" تلك الكنيسة الصغيرة التي بنيت عام ١٣٠٥ والتي تضم بين جدرانها ثمانية وثلاثين مشهدا استمدها جيوتو من حياة السيد المسيح والسيدة العذراء .

ويعد جيوتو الفنان الذي ادخل الانسانية الى عالم الفن ، فاسبغ عليه الحرارة والواقعية ويعزى اليه الفضل في هذا الانتقال الكبير من نموذج الفن

• رحلة المسيح الى مصر مصدر
متجدد لإلهام الفنانين التشكيليين



الهروب الى مصر. لوحة مرسومة في عام ١٤٢٣



هروب العائلة المقدسة الى مصر – لوحة للفنان الإيطالي الكلاسيكي جيوتو

البيزنطى الى مرحلة فن عصر النهضة . فقد كان الفن البيزنطى ـ رغم كونه فنا جليلا وروحانيا ـ فنا جامدا ولا انسانيا ، وذا رتابة لاتتغير ، حيث كانت الصور ترسم بالفسيفساء او بالفريسك على لوحات خشبية مشتملة على بعدين فقط هما الطول والعرض ، فلم يكن لها عمق ، وهكذا بدت الاشخاص فى ذلك الفن مسطحة بلا امتلاء او كيان راسخ . وكان الفنان البيزنطى يسعى نحو اكساب قدسية وشخوصه صفة رمزية ، ويعاملهم كأناس غير حقيقيين ، كما كانت الكنيسة تفرض عليه قواعد يراعى الالتزام بها فى اختيار موضوعه وأسلوب عمله ، بل وحتى الالوان التى يستخدمها .

ولقد كان جيوتو أول رسام يرى الحياة أناسا وأشياء حقيقية ، وجاءت شخوصه ـ بالاعتماد على المنظور ـ ذات حجم ووزن كما هى ذات شكل ولون . وكانت بيوته واشجاره المرسومة تمثل شيئا واقعيا مقنعا مثل اشخاصه المرسومين . ولقد حطم جيوتو كل قواعد الفن البيزنطى ، وغير اتجاه التصوير برمته ، فكان فنه معنيا بالكائنات البشرية التى تتحرك وتتنفس وتتكلم ، كما تأمل وتخاف وتحزن هنا على ارضنا الدنيوية .

وفى لوحته لرحلة السيد المسيح تتبدى مقدرة جيوتو وبراعته فى التصميم ، وكذلك بساطته فى التعبير ، وقد احاط العذراء والطفل بمثلث من الصخور فى الخلفية واضعا اياهم داخل اطار فى منتصف اللوحة تأكيدا للأهمية ، وتجدر الاشارة الى ذلك الاحساس الدرامى الذى تؤكده النظرة الثابتة فى عين العذراء ، والوداعة التى تتبدى فى الحمار الذى تمتطيه .

● جنتيلى دا فابريانو
(١٣٧٠ تقريبا ـ ١٤٢٧)

وهو خير من يمثل الاسلوب الفنى الذى ساد قبل عصر النهضة ، فكان حلقة وصل بين الفن البيزنطى والأسلوب الفنى الطبيعى الجديد . وفى لوحته عن الرحلة المقدسة نجده لايزال محتفظا ببعض سمات الفن البيزنطى كالهالات الذهبية حول رءوس الشخصيات المقدسة ، والمنظور الهندسى مازال بدائيا وان كانت الأشخاص قد اكتسبت ليونة الحركة الى حد ما ، والمنظر الطبيعى قد امتلأ بالأرض المزروعة بأشجار الفاكهة والنبات فى بانوراما امتزج فيها عنصرا الصحراء والحقول ، ويلاحظ عدم الالمام بتفاصيل المنظر الطبيعى فى مصر ، فالمنظر المرسوم هو منظر ايطالى تماما تؤكده تلك المنازل ذات

• جيوتو استمد مشاهد لوحاته من حياة المسيح والسيدة العذراء

رسم يوضح الهروب الى مصر من مجموعة الصور التي رسمها جوستاف دوريه في كتابه "الأنجيل المصور لدوريه".



الطراز المعمارى السائد فى ايطاليا حينذاك .

● مارتين شونجاور
(١٤٣٠ - ١٤٩١)

وكان شونجاور من ألمع الحفارين الالمان واشهرهم فى الفترة السابقة على الحفار الالمانى العظيم البرت دورر ، وكانت معظم لوحاته ذات موضوعات دينية ، ومع ان اسلوبه كان فى مجمله ينتسب الى الطراز القوطى ، اذ اعتمد على كثرة الزخارف والمنمنمات والتفاصيل المزدحمة ، فإنه كان يصمم تكويناته بحرية اكبر ، وباحساس مرهف مما يمثل خطوة انتقال لفن عصر النهضة ، ومن سمات أعمال شونجاور تلك العظمة والقوة والخيال الخصب . وقد صور السيدة العذراء وطفلها وكأنهم فى غابة تزدحم بشتى أصناف الأشجار والنخيل والنبات ، وأنواع الطير والحيوان وحتى الزواحف ، وقد أضفى كل ذلك مسحة شاعرية على اللوحة ، اكدتها الملائكة المرفرفة على النخلة التى تحنو وتميل لتحتضن العذراء وطفلها فى رحلتها الى مصر .

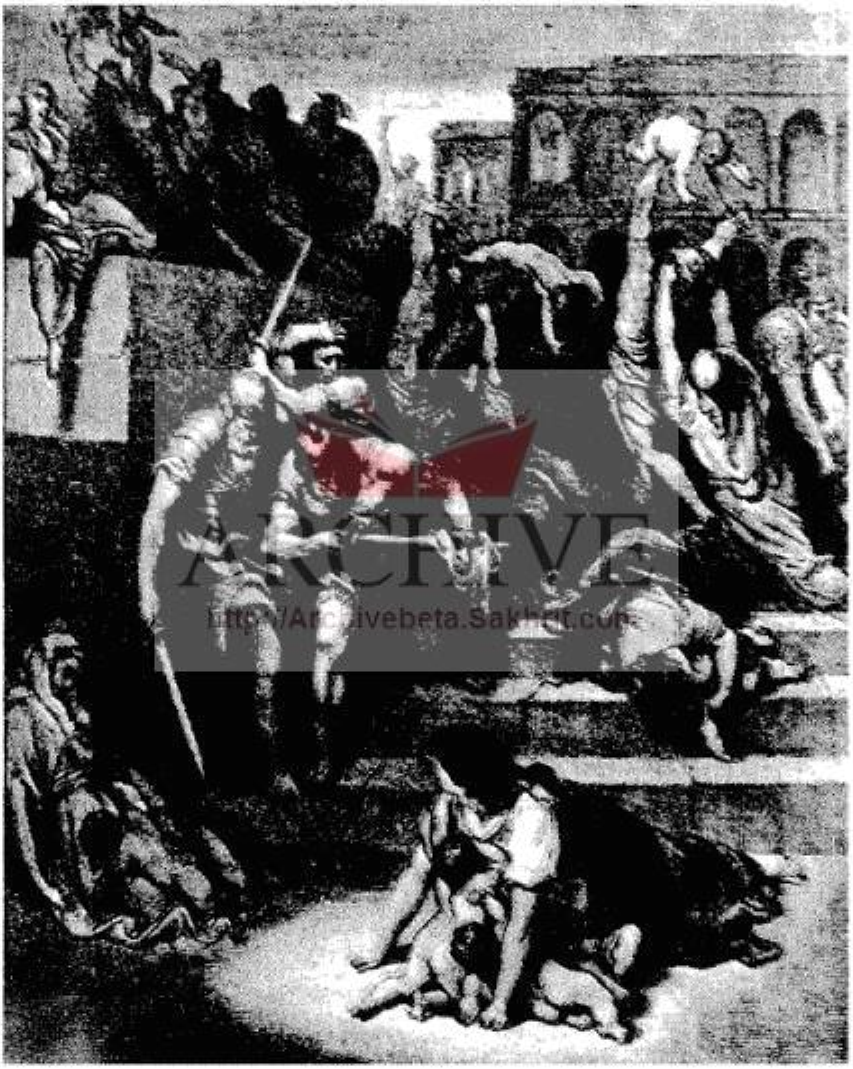
● البرت دورر (١٤٧١ - ١٥٢٨)

ذلك الرسام الالمانى الشهير والذى كان رغم كونه مصورا جيدا ، فإنه بدون منازع يعد واحدا من ابرع الفنانين على مر العصور ، وأكثرهم تأثيرا فى مجال فن الحفر . ولقد قرنه الدارسون بالفنان الايطالى نجم عصر النهضة ليوناردو دافنشى ووضعوه فى نفس مكانته لتنوع موهبته وغزارة انتاجه وقوة خياله . وهو رجل عصر نهضة حقيقى ، اهتم الى جانب الفن بالفلسفة والعلوم ، فكان واسع المعرفة . وقد زار ايطاليا اكثر من مرة حيث كان له العديد من المحبين هناك ، وتبادل الرسوم مع فنان عصر النهضة رافاييل .

وفى لوحته الهروب الى مصر - حفر على الخشب - نجد تكوينا محكما ، وخطوطا قوية رصينة تبرهن على براعة فى الرسم ، والاشخاص المرسومة تمتلىء بالقوة والحيوية . وان كان تأثير استاذه شونجاور واضحا فى المحافظة على المنظر الطبيعى الخلاب ، والحيوانات والطيور التى تمتلىء بها اركان اللوحة ، الا ان لوحة دورر قد جاءت اكثر اكتمالا ، والحركة مرسومة فيها بطريقة اكثر تعبيرا وليونة ، ولقد اكدت الدرجات الداكنة فى الخلفية الاشخاص المرسومة وأظهرتها رغم كثرة التفاصيل من حولها .

● لوحة دوريه « الهروب الى مصر » تكوين محكم وخطوط قوية تبرهن على براعته فى الرسم

مذبحة الأبرياء للفنان جوستاف دوريه



• جد جوستاف دوريه الطبيعة المصرية في لوحته « الهروب الى مصر »

• فيديريكو باروشي
(١٥٢٨ – ١٦١٢)

وهو فنان ايطالى يتضح فى أسلوبه تأثيرات عصر النهضة حين وصل الى قمته ، ففى اللوحة المنشورة عن الراحة فى رحلة الهروب الى مصر ، نجد الحركة المتأثرة بأسلوب مايكل انجلو من ناحية ، وتأثيرات ليوناردو دافنشى من ناحية أخرى ، كما نجد التمثيل الطبيعى لعناصر المنظر المحيط بالأشخاص ، والتلاعب بعنصر الضوء والظل ، وطريقة تجسيم الأشكال واظهار استدارتها ، وصياغة التفاصيل الدقيقة بمهارة بالغة . كل ذلك أضفى على اللوحة مسحة واقعية ، وانتقل بها نهائيا من تصنيف الفنون الدينية الى موضوع يومى فالسيد المسيح فى جلسته الحرة الطبيعية يبدو ضاحكا لاهيا والقديس يلاطفه ، والسيدة العذراء الجالسة فى جلسة مريحة تملأ وعاء الماء من الغدير القريب ، وهى تبدو مبتسمة سعيدة ، حتى الحمار فهو هناك ينظر برضا مشاركا الجميع فى تلك النزهة بين عناصر الطبيعة الخلابة .

• جوستاف دورى
(١٨٣٢ – ١٨٨٣)

ولد دورى فى مدينة ستراسبورج ، وبدأ مشواره الفنى فى باريس حين كان فى السادسة عشرة من عمره وعمل فى مجال الرسوم التوضيحية فى المجلات والكتب ولقد رسم الكتاب المقدس فى أول طبعة فرنسية عام ١٨٦٥ ، وفى السنوات القليلة اللاحقة ترجم الكتاب الى اللغات الأوربية الأساسية وكذلك الى اللغة العبرية .

وهذا العمل لجوستاف دورى له أهمية كبرى فى تاريخ الفن الأوربى فى القرن التاسع عشر ، حين ازدهرت فى تلك الفترة الرسوم التوضيحية واثبتت انه يمكن ان يكون لها استقلاليتها عن النصوص المصاحبة لها ، ونفس قيمتها ايضا . ولقد انجز دورى لهذا الكتاب مائتين وواحدة وأربعين لوحة مثلت المشاهد المختلفة المستوحاة من قصص الكتاب المقدس .

ولعل الرسم المنشور للوحة الهروب الى مصر هو اكثر اللوحات اقترابا من المنظر المصرى والطبيعة المصرية ، فالنهر والافق الممتد ، والنخيل والتلال الصحراوية ورحابة الفراغ كلها عناصر استطاع دورى حسن تمثيلها ، مما يؤكد اتساع معرفته وكذلك قدرته على التخيل . ونلمح فى رسم الأشخاص مبالغة فى الأحجام وايحاء بالدراما تجسده تلك النظرة الملتاعة للسيدة العذراء ، ووضع القديس الذى يلتفت وراءه فى توجس .

أقوال معاصرة



● "الالمام باللغات الاجنبية لا ينتقص ابدا من اعتزاز المرء بانتمائه لحضارته وثقافته"

الرئيس حسنى مبارك

حسنى مبارك

● "لن يحسم ازمة الخليج الا الحل العسكرى !!"

محمد عبدالغنى الجمسى



● "العالم الجديد اقوى من جميع المتخلفين عنه والمتحدين لارادته"

الاديب نجيب محفوظ

نجيب محفوظ

● "بعد اكثر من نصف قرن نعود اسوا من ذى قبل"

الدكتور على الراعى

● "الادباء هم متسولو المجتمع الغربى"

اوكتافيو باز

الاديب المكسيكى الفائز بجائزة نوبل

● "لقد تحطم امامنا كل شىء ، وتهاوت مثلنا ، حتى كدنا نكفر بكل شىء"

الدكتور حسن حنفى

● "المثقفون يتحملون قدرا كبيرا من المسئولية عن تجميل الوجه القبيح للنظام العراقى"

الدكتور فؤاد زكريا

● "المجزر كالهرم لا يمكن نقله !"

الدكتور فتحى سرور

وزير التربية والتعليم

سعاد الصباح



● "لم يبق امامنا إلا أن نختار مابين اعتناق الحرية دينا مقدسا او العودة الى عصر العبيد"

الدكتورة سعاد الصباح

حول مقدمة هيكل

في كتابه الانفجار

بقلم : محمد سيد أحمد

كلنا نعلم مكانة « مقدمة » ابن خلدون ، اشهر المؤرخين العرب ، ومؤسس التاريخ كعلم ، في تاريخ الفكر البشرى .

وقد استهل محمد حسنين هيكل كتابه الاخير ، « الإنفجار » بمقدمة جديرة بأن تجذب انتباهنا .. لقد تطرق فيه اشهر كتابنا الصحفيين المعاصرين الى رؤية ابن خلدون للتاريخ ، وعرض فيه هو الاخر تصوره عما ينبغي ان تكون عليه الدراسات التاريخية . فان « الانفجار » هو المؤلف الثالث في مسلسل كتابات هيكل عن « حرب السنوات الثلاثين »

● كان المؤلف الاول هو « ملفات السويس » والثاني « سنوات الغليان » ويأتي المؤلف الثالث ليستعرض اللحظة الاكثر دراماتيكية في تداعي احداث السنوات الثلاثين . لحظة حرب ١٩٦٧ ، تعرض فيه هيكل لما وصفه بأنه اصعب فصول القضية واشدها تعقيدا ، ولعله اكثرها استحقاقا واستدعاء لتنشيط الذاكرة ، فهذه بالضبط هي لحظة « الخبطة على الراس » التي يجري التركيز عليها في المحاولة المستميتة الجارية لتحويل عارض دوار مؤقت الى حالة غيبوبة دائمة ، وانتهازها فرصة لضرب قوى التغيير والتقدم في العالم العربي المعاصر ، وارغام الامة على الركوع فكرا بعد ان يجري ارغامها على القعود عملا ، وهذه حالة يصعب قبولها والاستسلام لها ..

وربما بمناسبة بلوغ الدراما ذروتها تعرض هيكل في « مقدمته » لنظرته هو الفلسفية الى التاريخ وكيفية تناوله ـ وقراءته ـ وهو يؤلف كتبه على وجه العموم . لقد اورد هيكل في بداية « مقدمته » عبارة وردت في خطاب لاستاذ كرسي التاريخ بكمبريدج واكسفورد « السير ستيفن رانسيمان » عبارة قال فيها «ان هناك قولا شائعا بأن التاريخ له اذان





الملك فيصل .. وعبد الناصر

، ولكن ليس له عيون ، بمعنى اننا نسمع عن روايات عما جرى من وقائعه ، منقولة لنا بالسماع ، والتواتر عن هذا او ذاك من الناس ، ومعظمها مكتوبة بأثر رجعى يخلط الوهم بالحقيقة الى درجة تتركنا مع نوع من الفلكلور الاسطورى يعذبنا كثيرا فرزه اذا كان ذلك الفرز ممكنا على الاطلاق ». واضاف مخاطبا هيكل : «لقد كان ما اثار اهتمامى فى تجربتك هو ان التاريخ عندك له اذان وله ايضا عيون ، وهذه تجربة اتمنى لو ناقشتها معك اذا خطر لك يوما ان تعود الى اكسفورد ..».

ورانسيمان ، بقوله هذا ، انما يصف هيكل بانه ليس مؤرخا فحسب ، بل شاهد عيان ايضا ، وبهذا المعنى فان مايرويه ليس مجرد مايأتيه من الغير ، وانما يشمل عنصرا متميزا هو ما شهده بعينيه وعايشه بنفسه ، ذلك ان ما يرويه غيرك يأتيك عن طريق الاذن ، وما تشهده بنفسك يأتيك عن طريق العين !..

وقد يبدو هذا استخلاصا بديهيا ، ولكنه فى الحقيقة يطرح معضلات عويصة .. خاصة عندما يكون المروى عنه شخصا مثل عبد الناصر ، جسد عصرا ، ويكون المؤرخ



حول مقدمة هيكل في كتابه الانفجار

في موقع الملازم له مباشرة ، وعرف عنه مالم يعرفه غيره .

اذن لاشك ان المؤرخ في هذه الحالة يملك ميزة فريدة ، هي كنز من المعلومات التي لايعلمها غيره ، ولاشك ان هذه المعلومات كانت ذات قيمة استثنائية لسببين على الاقل ، احدهما ان الكثير منها ظل طي كتمان شديد بمقتضى طبيعة صنع القرار في ظل حكم عبد الناصر ، وايضا لسبب آخر هو ان الاحداث التي وقعت في تلك الفترة بالذات من تاريخ عبد الناصر بالغة الخطورة ، ومازالت محاطة بعلامات استفهام كثيرة .

● للتاريخ ضوابط

بيد ان التاريخ ليس قرارات فردية وحسب . وان قرارات الحاكم هي في النهاية تعبير « ذاتي » عن سياق تاريخي تحكم احداثه متغيرات موضوعية لاسيطرة لاحد عليها سيطرة كلية ، ومن المؤكد ان لا احد يعي بمكوناتها كلها ، ومن هنا ، فان المعلومات لدى الحاكم ـ على اهميتها القصوى ـ لاتعطى الصورة كاملة ، ولايكون التحليل المستند الى هذه المعلومات متعرضا بالضرورة لكل جوانب هذا السياق التاريخي . ومن هنا .. فان المؤرخ نفسه ، وهو قريب الى صانع القرار ، ليس محصنا ضد خطر ان يكون لموقعه الذاتي عند القمة تأثير في اجتهاداته ، وان يكون مايراه بالعين على حساب مايتلقاه بالاذن !

يقول هيكل في ختام « مقدمته » : انني بكل قصة « حرب الثلاثين سنة » وتقصي وقائعها وقراءة تاريخها لا اريد ان اثبت شيئا او انفي شيئا ولا ان اقنع احدا برأي او اثنيه عن رأي غيره ، فليست تلك مهمة الكاتب الصحفي بالمعنى الذي افهمه ، وهيكل لا شك ابرز كتابنا الصحفيين ، ولكن صفته الصحفية لاتعفيه من مسئولية المؤرخ وهو يتعرض في دراسات موثقة للسياق الشامل لاحداث دارت على مدى ثلاثين عاما . ان هيكل يستعين بكل مواهبه كصحفي كبير وهو يروي التاريخ ولكن للتأريخ ضوابط لاتزول لمجرد ان العرض حمل كل تشويق الكتابة الصحفية الرشيقة الاخاذة .

وكان لي حديث مع الاستاذ هيكل بعد قراءة كتابه ابديت فيه ملاحظة ، ان التاريخ لايتذكر الناس كما كانوا بالفعل ، وانما يتذكرهم كما اراد من احاط بهم ان تكون عليه صورتهم ، وكما يتمنون أن تستقر هذه الصورة في اذهان الاجيال التالية ! فان الانسان ارادة ، تحيط به ارادات اخرى . ويعني رحيله ان ارادته هو تختفي ، وتظل ارادات الاخرين ، وهؤلاء بيدهم تصوير ارادته على النحو الذي يلبي ماكانوا يريدونها ان تكون ، واعتقد ان كثيرين اذا ما احيوا من جديد ، لدهشوا لصورتهم كما استقرت لدى الناس !

وقد قدم هيكل من المستندات والوثائق ما يؤكد ان المنسوب الى عبد الناصر فى كتابه انما يعبر عن ارادته باكبر قدر من الصدق ، ولكن جهد هيكل فى التوثيق لايزيل عن رواية الاحداث تصوره هو عنها ، ولا يجيز القول بانه لم يكن له هو تفسيره الخاص لها ذلك ان لشاهد العيان رأيا شاء ام ابى ، وانى لا ارى فى ذلك عيبا ، ولا تعارضا مع تصدية لعملية قد يتصورها القارىء غاية فى الموضوعية هى مهمة التأريخ .. ذلك ان التأريخ لم يكن ابدا استرجاعا للماضى وحسب ، بل ان هذا الماضى يجرى استرجاعه على الدوام فى ظل حاضر معين ، وبمقتضى رؤية هى السائدة فى هذا الحاضر ، وفى اطار تصور للحاضر وللتاريخ يتطلع الى استشفاف مستقبل معين ، وبهذا المعنى فان لقراءة التاريخ بعدا فى الحاضر وفى المستقبل ، وان قراءات الماضى تختلف وتتغير مع تغير الحاضر وتغير تصوره للمستقبل . وهذه اشكالية زادت تعقيدا فى عصرنا لاننا بصدد عالم ايقاع التغير فيه بالغ السرعة .. اصابنا جميعا ، الى حد او اخر ، بالدوار ! ومن هذا المنطلق ، اريد ان اتوقف عند فكرتين بالذات يثيرهما هيكل فى « مقدمته » .

● نكسة ام هزيمة !!

● الاولى تتعلق بتقييمه لما جرى فى ١٩٦٧ . يقول هيكل « ليس هناك شك فى اننا سنة ١٩٦٧ واجهنا تجربة مزعجة مهما كانت تسميتنا لها : نكسة ، هزيمة ، او اى وصف اخر ، وان كنت شخصيا لا اميل الى وصف الهزيمة ، ذلك لان الهزيمة تعنى تسليم طرف بالكامل لطرف اخر . فاذا رفض هذا الطرف ان يسلم وهو مالك لارادته ، فهو اذن غير مهزوم ، واكثر من هذا ، فان هذا الطرف اذا صمم على المقاومة واعطى نفسه امكانية العودة باقتدار الى ميدان الصراع ، فهو اذن لم يتهزم بل هو ـ اكثر من ذلك ـ استعاد لقوته فرصتها من جديد حتى فى احراز النصر »

ويستطرد هيكل قائلا : « ولعلنا نتذكر ان اساتذة الحرب ابتداء من مكيافيللى وحتى فوللر يقولون ان اى حرب لها هدفان ، هدف ابتدائى وهدف نهائى ، اما الهدف الابتدائى فهو تحطيم القوة المسلحة للعدو واما الهدف النهائى فهو تحطيم ارادته .. وفى ٥ يونيو ١٩٦٧ نجح الطامعون فى هذه الامة فى تحطيم قوتها المسلحة . وكان هذا هو الهدف الابتدائى ولكنهم لم ينجحوا فى تحقيق هدفهم النهائى وهو تحطيم ارادتنا »

والحقيقة اننى اجد حرجا فى وصف ماجرى فى ١٩٦٧ بانه كان مجرد نكسة ذلك ان الانهيار العسكرى كان مروعا لايتناسب قط مع مجرد وصفه بالنكسة .. وهيكل محق فى تذكيرنا بان عبد الناصر تحمل المسئولية بالكامل ، ولكن الحكمة فى تحمل المسئولية لاتقتصر على مجرد تحملها رسميا ، بقدر ماتكمن فى ان يكون هناك استعداد لعدم التهوين من شأن ماحدث ، وتشخيص اوجه الخلل فيه بدقة وشجاعة . فان هذا وحده يتيح لنا فرصة تكشف الاليات الفنية/العسكرية ، ووراءها الاليات الاعمق ـ الاجتماعية ـ التى تداعى منها الانهيار ، مما يمكننا من تصحيح اسبابه تصحيحا جذريا ..

ثم لقد تحملت دول عظمى هزائم عظمى .. ان هذا ينسحب فى وقت او اخر من هذا القرن ، على كافة الدول العظمى المعاصرة : امريكا فى بيرل هاربور ، بريطانيا فى



حول مقدمة هيكل فى كتابه الانفجار

دنكيرك ، اليابان فى هيروشيما وناجازاكى ، فرنسا وروسيا اثر الاجتياح الالمانى فى السنوات الاولى من الحرب العالمية الثانية ، المانيا فى نهاية الحرب .. وهذا يجرنا الى القول بان حدوث هزائم كبرى لايعنى بالضرورة فقد الارادة الى غير اجل .. فان هذه الدول جميعا قد استردت ارادتها بشكل كان فى احوال كثيرة مدعاة للاعجاب .

ثم هل يمكن لنا ان نقول ان مصر لم تتحطم ارادتها ؟! هل يمكن لنا وصف الارادة المتجسدة فى «المشروع الساداتى» ، بانها الارادة المتجسدة فى «المشروع الناصرى» .. هل ما تم انجازه فى السبعينات على يد السادات من الممكن وصفه بانه امتداد للارادة التى عبر عنها عبد الناصر فى الستينات ؟

ومن هنا كانت هناك حاجة الى التمييز مابين ان تستمر الحياة على نحو او اخر ، وان يستعيد المجتمع قدرا او اخر من « التوازن » وما بين ان يكون هذا « التوازن المستعاد » تعبيرا عن « تواصل الارادة » وتعبيرا عن مشروع ارادى واحد ، وعن رؤية تاريخية متصلة

● النفط والذهب

● ثم هناك فكرة ثانية اعتقد انها هى الاخرى جديرة بان نمعن النظر فيها ، وقد عبر عنها هيكل بقوله فى « المقدمة » ان الشرق الاوسط قد مثل دورا هاما فيما يتعلق بالدولتين العظميين .. فانه ينسب الى هنرى كيسنجر قوله « ان الولايات المتحدة اتاحت لاوربا الغربية طاقة رخيصة حتى تستطيع اعادة بناء نفسها بعد دمار الحرب العالمية الثانية ، ثم ان السعر الرخيص لهذا البترول الذى تتحكم فيه امريكا كان جزءا لايتجزأ - ولعله الجزء الاول - من مشروع مارشال .. بعبارة اخرى ، ان النهضة التى تمت فى اوربا فى اعقاب الحرب العالمية الثانية كان بفضل رخص البترول الوارد من الشرق الاوسط ، اى ان الاموال الامريكية التى اسهمت - بواسطة مشروع مارشال - فى اعادة بناء اوربا قد توافرت لامريكا بفضل رخص البترول العربى ، اى بفضل نهب اموال منسوبة الى العالم العربى وبهذا المعنى ، فلقد كان لاستثمار طاقات وقدرات المشرق العربى دور اساسى فى اعادة بناء العالم الغربى ، واعادة تشييد الحضارة الغربية ، فى اعقاب الحرب العالمية الثانية .

ثم فيما يتعلق بالاتحاد السوفييتى ، يقول هيكل ان هذا الاخير « خسر دعواه باعتباره قوة عظمى لها حق المساواة مع الولايات المتحدة هنا على ارض الشرق الاوسط ، وفى العالم العربى منه بالذات » .. ويشرح هيكل مايعنيه بقوله : « انه عندما وقف الرئيس



عبد الناصر ... وحديث حول الحرب

انور السادات سنة ١٩٧٥ ليطن فى مجلس الشعب المصرى الغاء معاهدة التحالف التى وقعها هو بنفسه مع الاتحاد السوفييتى سنة ١٩٧١ ، اصبح واضحا ان الاتحاد السوفييتى فقد دوره فى قلب الشرق الاوسط ، وكانت تلك بداية النهاية لمرحلة حضوره على المسرح العالمى كاحدى القوتين الاعظم بينما القرن العشرين يدخل فى حقبة التسعينات منه ، ويستطرد هيكل قائلا : « اى ان دور الاتحاد السوفييتى كاحدى القوتين الاعظم بدأ فعلا فى الشرق الاوسط وتوقف عمليا فيه ، ولم يعد امام موسكو بعد ١٩٧٥ غير الانسحاب من قلب المنطقة الى اطرافها المجاورة للحدود السوفييتية ـ افغانستان مثلا ـ ومن يومها استمرت عملية طى البساط الاحمر من قلب الشرق الاوسط الى اركانه ، ثم من الشرق الاوسط الى اوربا الشرقية : بولندا والمجر وتشيكوسلوفاكيا وبلغاريا والمانيا الشرقية ، ثم يتواصل طى البساط الاحمر فى الداخل السوفييتى نفسه : اذربيجان وجورجيا وطاجيكستان من جمهورياته الجنوبية ، ولاتفيا واستونيا وليتوانيا من جمهورياته الشمالية . كل ذلك ـ وسوف تؤكده الايام والحقائق ـ بدأ من اختبار سنة ١٩٦٧ ، الذى تعثرت فيه امكانيات القوة وحدودها ، ودرجة تماسك الاعصاب وتحملها !



حول مقدمة هيكل في كتابه الانفجار

ويختتم هيكل هذه الفقرة بقوله : « وبالتالى فان سنة ١٩٦٧ لم تكن فقط صداما بين مصر واسرائيل ، ولا فقط صراعا بين العرب واسرائيل ، وانما كانت هذه السنة اختبارا اهم من ذلك بكثير فى اثاره وتداعياته المتواصلة » .

وكما سبق وقلنا ، فان المؤرخ لايستطيع ان يكون موضوعيا تماما ، ذلك انه بحكم موقعه لابد ان تنطوى رؤيته على بعد « ذاتى » الى هذا الحد او ذاك .. وقلنا ان ذلك ليس بالعيب ، اذ انه يفسح المجال كى تتكشف على الدوام ابعادا جديدة للحقيقة التاريخية ، ابعادا تنبعث من مراقبين فى مواقع مختلفة وهم يتأملون هذه الحقيقة ويتابعونها .. بيد ان هذا لايعفينا من ضرورة اختبار المقولات المختلفة ، المنبعثة من مواقع مختلفة ، وان نخضعها للفحص النقدى الدقيق .. فالى اى حد يمكن ان يقال ، مثلا ان انتعاش الغرب فى اعقاب الحرب العالمية الثانية يعود الى عوامل منبثقة من المشرق العربى بالذات ؟ والى اى حد يمكن ان يقال ان الانهيار الذى اصاب فى واقعنا المعاصر العالم الشيوعى والاتحاد السوفييتى بالذات ، يعود ايضا الى عوامل موطنها مشرقنا العربى ؟

فليس من شك ، مثلا ، فى ان نجاح مشروع مارشال لم يتوقف على توفير الطاقة الرخيصة فقط ، وان هناك عوامل عديدة اسهمت فى النهضة الاوربية فى اعقاب الحرب العالمية الثانية لايمكن ردها ابدا الى مجرد توفير اموال امكن تدبيرها بفضل رخص سعر البترول فى ذلك الوقت ، وايا كان دور رخص البترول فى تيسير عملية اعادة بناء اوربا ، فلا يمكن لنا ان نقول ان الاموال التى توافرت بفضل هذا الرخص قد اسهمت بالدور الفاصل فى انجاز هذه النهضة فانها كانت ستتحقق على اى الاحوال ، بصورة او اخرى ، حتى لو افترضنا ان اسعار البترول لم تكن ستظل منخفضة كما ظلت بالفعل حتى بداية السبعينات .

كذلك لااتصور انه يمكن ان يقال ان الاسباب التى ادت الى تقلص دور الاتحاد السوفييتى فى المشرق العربى عقب طرد الخبراء السوفييت من مصر سنة ١٩٧٢ ، ثم – فى خطوة ثانية – عقب الغاء المعاهدة المصرية السوفييتية سنة ١٩٧٦ ، هى نفس الاسباب التى ادت الى انهيار الانظمة الشيوعية فى شرق اوربا عقب اطلاق جورباتشوف ما عرف « بالبيريسترويكا » والحقيقة ان هذا الجانب من تحليل هيكل فى مقدمة الانفجار بحاجة – فى رأيى – الى نظرة متأنية .

فلقد مر المشروع الشيوعى الذى تجسد فى اعقاب الثورة البلشفية بمراحل عدة ، كانت هناك مرحلة اقامة الاشتراكية فى دولة واحدة وكان ستالين صانع مفهوم هذه المرحلة ثم جاءت مرحلة ثانية فى اعقاب الحرب العالمية الثانية ، تحول فيه « المشروع الشيوعى » الى معسكر عالمى ، وقد ضمت الدول الاعضاء فيه ، الملتفة حول الاتحاد

السوفييتى فى مواجهته الضاربة مع الغرب الامبريالى ، ايديولوجية واحدة هى الماركسية اللينينية . وكان ستالين ايضا مهندس ملامح هذه المرحلة . فاليه يعود الاصرار على مركزية مفرطة ، وعدم السماح قط بتباين وجهات النظر او اى نوع من «التعددية» ولهذه الاسباب نشب خلاف حاد بينه وبين تيتو ..

وفى مرحلة ثالثة ، وهى مرحلة دشنها خروتشوف ، قبل الاتحاد السوفييتى بان يتعاون مع قطاع من العالم لصبح يخوض صراعا ضاريا هو الاخر مع الامبريالية الغربية ، ولكن من مواقع ايديولوجية لاتنتسب الى الماركسية اللينينية ، بل الى ايديولوجيات انبثقت من حركات التحرر الوطنى فى اسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية .

وجدير بلفت النظر ان مصر فى عهد عبد الناصر قد حصلت على مساعدات اقتصادية وعسكرية من الاتحاد السوفييتى تفوق ما كانت تحصل عليه دول اوربا الشرقية ، فان هناك الدعم العسكرى الذى قدمه الاتحاد السوفييتى لمصر ابتداء من صفقة السلاح التى وصفت « بالتشيكية » سنة ١٩٥٥ . ثم هناك مشروع السد العالى الذى انجز فى الستينات ، وغيره من المشروعات الصناعية الكبرى .. وثمة سؤال لابد ان يتبادر الى الذهن : لماذا قدم الاتحاد السوفييتى ـ ابتداء من حكم خروتشوف ـ لمصر ، دعما اقتصاديا وعسكريا فاق ، على مايبدو من حيث الكم والنوع معا ، ماكان يقدمه وقتذاك لدول اوربا الشرقية ، علما بان هذه الدول كانت تجمعها مع النظام السوفييتى ايديولوجية واحدة ، بينما لم يكن هناك رباط ايديولوجى بين عبد الناصر والانظمة الشيوعية ، بل كان معروفا عن عبد الناصر عداؤه للشيوعية كعقيدة ؟

ويبدو فى الحقيقة ان خروتشوف قد ادرك فى ضوء معركة السويس ، ان دور مصر فى مواجهة الاستعمار ، وفى حركات التحرر على نطاق افريقيا واسيا ، كان دورا محوريا فى تعديل موازين القوى العالمية ، وفى اعادة التوازن بين المعسكرين الشرقى والغربى ، وفى تعبيد الطريق لنوع من « الندية » بين المعسكرين « ندية » اعتبرت حجر الزاوية فى ارساء اسس « الوفاق » فى مرحلة لاحقة ، فبدلا من ان يكون العالم الثالث « احتياطيا » للامبريالية العالمية ، اصبح مطروحا ان يشكل نوعا من « الاحتياطى » للاشتراكية العالمية فى مواجهة الامبريالية ، وبهذا المعنى ، اصبح التعاون بين الاتحاد السوفييتى وحركات التحرر الوطنى تعاونا جمع طرفيه العداء المشترك للامبريالية ، لا الايديولوجية الواحدة .

● الوطنية أم الاشتراكية

وما من شك فى ان « هزيمة » ١٩٦٧ قد فجرت مشاكل عويصة فى العلاقات المصرية السوفييتية .. مشاكل قد طمستها فى البداية وارجأت تفجرها حاجة عبد الناصر الى السوفييت لاعادة بناء القوات المسلحة بهدف « ازالة آثار العدوان » .. ولكنها مشاكل كانت لابد ان تطفو فوق السطح ، ان عاجلا او اجلا .. اذ ان هناك قضيتين كان لابد من تحديد : لأيهما الاولوية ؟ قضية « ازالة اثار العدوان » كما سبق واشرنا وهى قضية وطنية فى المقام الأول أم قضية أن مصر قد تلقت الضربة عام ١٩٦٧ بهذه الضراوة



حول مقدمة هيكل في كتابه الانفجار

للدور الرائد الذى نهضت به فى خدمة قضية « الاشتراكية » ؟ هل اصبح للبعد « الوطنى » والقومى الاولوية ، ام للبعد الاشتراكى ، ؟ وهل يجوز للمنظور الاشتراكى أن يصبح عقبة فى وجه تنازلات – على الصعيد الاجتماعى – لقوى تتسم بالوطنية ولكنها تعادى الاشتراكية .. ثم اصبح للاتحاد السوفييتى مخططه ، اثر تحقيق قدر من «الندية» مع الغرب فى اعقاب انفتاحه على الدول الحديثة الاستقلال بالعالم الثالث ، مخططه فى اقامة الوفاق الدولى ، وتعزيز علاقاته مع الغرب .. وكان لابد ان يتعارض ذلك مع مخططات مصر من اجل « ازالة اثار العدوان » .. مخططات استدعت – ضمن ما استدعت – النظر فى احتمال وجوب شن حرب ضد اسرائيل ..

وليس من شك فى ان خلاف السادات مع الاتحاد السوفييتى كان نتيجة هذه التعثرات ، فضلا عن ان السادات اعتقد ان السوفييت قد راهنوا على فريق غيره داخل السلطة المصرية عقب رحيل عبد الناصر ، وقد حاول السادات الفكاك من روابط مصر مع الاتحاد السوفييتى ، واستكشف احتمالات ازالة اثار العدوان بالاعتماد على الولايات المتحدة .. وهكذا يتضح ان تراجع النفوذ السوفييتى فى المشرق العربى فى السبعينات لم تكن تحكمه ازمة مست العقيدة الشيوعية ذاتها ، ولا المشروع الشيوعى اصلا – شان الازمة التى اسفرت عنها عملية البيريسترويكا فيما بعد – وانما حكمته طبيعة العلاقات السوفييتية العربية منذ البداية ، اى علاقات لم تكن قائمة على الانتماء الى معسكر ايديولوجى واحد ، بل الى مصالح مشتركة – وقد تكون مرحلية – فى مواجهة الغرب ، وهى علاقات كانت لابد ان تختل مع اختلاف موقع الجانبين – الجانب السوفييتى ، وايضا الجانب العربى – من الغرب ، فى اعقاب هزيمة نالت فى الصميم من معطيات الموقف فى المرحلة السابقة .

ولذلك لا اعتقد اننا نستطيع ان نضع فى سلة واحدة الانتكاسة السوفييتية فى الشرق الاوسط فى اعقاب تولى السادات الحكم فى بداية السبعينات – كنتيجة لهزيمة ١٩٦٧ – وتلك التى اصابت النظام الشيوعى منذ طرح البيروسترويكا فى نهاية الثمانينات وبداية التسعينات .. واتصور انه حتى لو لم تكن قد وقعت هزيمة ١٩٦٧ ، فان الانهيارات التى صاحبت عملية البيريسترويكا كانت ستقع لا محالة وانه لايمكن بالتالى بناء علاقة سببية بين العمليتين .

غير ان الاهم فى نظرى هو ان العالم الان يتعرض لتحولات عظمى .. وهذا يطرح بدوره قضايا خطيرة : الى اى حد استدعت هذه التحولات ان نعيد النظر فى تقييماتنا السابقة – التقليدية – فى حكمنا على ماضينا ؟ .. خاصة اذا ما سلمنا بان التاريخ هو

تفسير حاضر لاحداث الماضى . ونتطلق من ان المتصدى لها ليس فقط مؤرخا ، بل قطب صحفى تعامل دائما مع التحليل الحال .. المباشر .. للاحداث !

لقد قلنا ان احداث ١٩٦٧ ـ هزيمة كانت ام نكسة ـ لم تكن محكومة فقط بالنزاع العربى الاسرائيلى ، وانما كانت محكومة بهدف محدد هو انزال هزيمة ساحقة بانجازات مصر فى اتجاه الاشتراكية ، وكان ذلك من منطلق ان التوجه الى الاشتراكية هو ارقى صور تحقيق الاستقلال الوطنى .. الى اى حد مازلنا نتمسك الان بصحة هذه المقولة ؟ واذا ما انطلقنا من ان الاتحاد السوفييتى قد هزم فى مصر ، وان بداية ما اصاب « الاشتراكية عالميا » انما اختبر فى مصر .. فالى اى حد نال ذلك مما انجز فى مصر ذاتها وقتذاك ، ومس توجهها هى الى الاشتراكية ..

ثم .. لقد حملنا المساعدة الامريكية لاسرائيل الدور الاساسى فى هزيمة ١٩٦٧ .. وقال السادات فى اعقاب حرب ١٩٧٣ اننا قد اوقفناها عندما تبين لنا ان امريكا قد تدخلت بشكل سافر الى جانب اسرائيل .. فاننا كنا نحارب اسرائيل .. ولم نكن قادرين على محاربة امريكا .. ونسأل : هل من منطق ـ يتسم بالاتساق ـ فى القول بان محاربة اسرائيل ـ حتى نهاية المطاف ـ هدف ممكن ، ونحن ننطلق من اننا لا نحارب امريكا ، ولا نريد ان نحارب امريكا ، ولا نستطيع ان نحاربها ؟

كان عبد الناصر متسقا ، فلقد انتهى الى ان القضية مواجهة بين الامبريالية والاشتراكية .. اشتراكية مصر وامبريالية امريكا .. وان المواجهة مع اسرائيل جزء من كل يجرى داخل اطار هذه المواجهة بين الامبريالية والاشتراكية .. بينما كان منطلق السادات اقل اتساقا ، ذلك انه اراد ضبط المواجهة مع اسرائيل ، استنادا الى مقولة استحالة مناطحة امريكا .. وكان للاستاذ هيكل شخصيا ، وقبل تولى السادات الحكم ، دور فى محاولة استجلاء عناصر هذه الاشكالية العويصة .. وهذا يدعونا الى ان نطرح من جديد السؤال : الى اى حد كان ماجرى فى ١٩٦٧ نكسة لم هزيمة .. فاذا قلنا ان ماجرى كان مجرد نكسة قررنا ان العلاج هو بالاستمرار فى نفس الطريق .. وان التغلب على النكسة هو باستعادة المبادأة ومواصلة المشوار واذا سلمنا بانه كانت هناك هزيمة سلمنا ـ ضمنا ـ بالحاجة الى مراجعات اساسية .. ان اوان طرحها فى كل ابعادها ..

اعتقد ان هذه موضوعات خصبة للبحث والاستكشاف فى ظل عملية اعادة طرح كل شيء الجارية الان فى كل مكان .. لا لمجرد القاء مزيد من الضوء على الماضى بل ايضا كمرتكزات ضرورية لاستكشاف مستقبل لم تستقر له ضوابط وملامح بعد .. وهى موضوعات اتصورها متوافقة مع مشروع هيكل الجسور ، المتعرض للايقاع الطويل ، والذى اراد تغطية حقبة تاريخية بلغ مداها ثلاثين عاما ، وهو مدى لا تكتمل ملامحه ما لم يبحث عن الثوابت ، لا عن المتغيرات فقط .. من منطلق ان الفرز بين الثوابت والمتغيرات ، والقدرة على التمييز بينها ، قضية مصير اساسية فى ظل نوعيات جديدة من التحديات لم نالفها من قبل ..

السلف غير الصالح

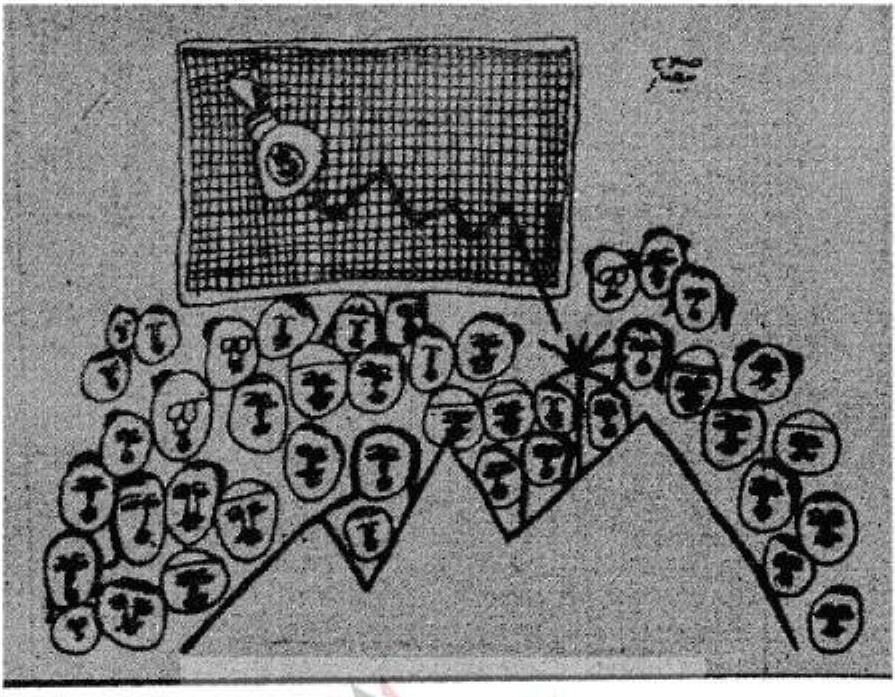
بقلم : د. فؤاد زكريا

قبل أن يسيء القارىء الظن بالنوايا الكامنة وراء هذا العنوان ، أسارع فاطمئنه إلى أن السلف المقصود هنا هو الاقتراض . وأن السلف غير الصالح هو ذلك الذي يوقع الفرد أو المجتمع في فخ من الديون يلتف حول عنقه ويضغط عليه ويهدده بالاختناق .

● وليس كاتب هذه السطور ممن يستبيحون لأنفسهم الكلام فيما لا يجيدونه . ومن المؤكد أن معلوماتى في علم الاقتصاد لا تسمح لى بأن أكون أكثر من قارىء سيء ، فكيف أسمح لنفسى الآن بأن أكون في هذا الميدان المعقد «كاتبا» ؟ ومع التسليم بهذه الحقيقة ، فإن للاقتصاد جوانب انسانية لا جدال فيها ، وهو جزء لا يتجزأ من محاولة الانسان السيطرة على ظروف حياته والتعامل بصورة ناجحة مع العالم ومع غيره من الناس . وبهذا المعنى وحده أسمح لنفسى بخوض ميدان «الديون» الذى أصبح موضوعا رئيسيا لأحاديث الخاصة والعامة في بلادنا خلال الأسابيع الأخيرة .

ولابدأ بالحديث عن أولئك الذين يشككون في عمليات اسقاط الديون ، ولاسيما الديون العسكرية ، التى تمت في الآونة الأخيرة ، على أساس أنها مرتبطة حتما بشروط غير معلنة تزيد من تبعيتنا السياسية والعسكرية للدول الدائنة . وأنا لست في موقع يسمح لى بالتأكد من صحة هذه القضية ، لاسيما وأن تلك الشروط ستظل ، كما يقال ، سرية . ولكنى سأفترض جدلا أنها صحيحة ، عندئذ ستجد أنفسنا أمام مأزق عقلى لا مخرج منه :

فإسقاط الديون يزيد من تبعيتنا لأنه مشروط ببنود سرية تحملنا التزامات فادحة ولكن عدم إسقاط الديون يعنى تراكمها ، مع فوائدها ، عبر السنين ،



مما يضاعف من تبعيتنا : اذ انه كلما ارتفعت أرقام الدين ، هبطت قدرتنا على اتخاذ القرار المستقل فالحاجة الاقتصادية الى الغير تؤدي حتما الى خضوع سياسي له . وهكذا فإنه اذا كان في اسقاط الديون تبعية ، فان في بقائها وتراكمها تبعية ايضا .

ومادامت التبعية قائمة في الحالتين ، فإن من الحكمة ان نفضل تبعية بلادين ؟ على تبعية مثقلة بالديون !

★ ★ ★

غير أن الدافع الحقيقي الذى حفزني الى كتابة هذا المقال ، تلك النغمة التي تكرر على ألسنة عدد من كبار المسئولين وكبار المفكرين بعد ايام معدودة من الاعلان عن إسقاط بعض ديوننا ، نغمة التحذير من ان مشاكلنا لم تنته بانتهاء الديون ، ومن ان الانسان المصرى لا ينبغى عليه ان يركن الى التكاسل والتراخي في العمل بحجة ان الديون ، او نسبة غير قليلة منها ، سوف تلغى ، ومن ثم سيتحسن وضعنا الاقتصادى .

لقد روعتني هذه النغمة ، التى تبدو بريئة المظهر ، سليمة المقصد . وكان أشد ما عجبت له توقيتها من جهة ، ودلالتها من جهة اخرى .

ذلك لأن الأصوات التى اخذت تحذرنا من التكاسل ، ومن الا نفرط في التفاؤل بعد إسقاط جزء من ديوننا ، يستحيل ان تكون في تحذيرها هذا معبة عن إحساس حقيقي ينبض

الشارع المصرى . فلم يكن قد مضى على اعلان اسقاط الديون العسكرية الامريكية إلا ايام قلائل . ولم تكن تعرف بعد مصير الديون العسكرية التى ندين بها للدول الأخرى - ومازال ذلك امرا مجهولا حتى وقت كتابة هذه السطور . فعلى اى اساس إذن بنى هذا الحكم الجائر بأن شعبنا . بمجرد ان سمع نبأ تخفيف بعض ديونه . شاعت فيه الرغبة فى الا يعمل ؟ من المستحيل ان يكون قد اجرى . فى يومين او ثلاثة . استطلاع علمى للرأى . ثبت فيه ان نسبة محسوسة من الجماهير تعتقد ان اسقاط بعض الديون معناه ان العمل والجهد لم يعد ضروريا . واننا نستطيع الآن ان نجلس فى استرخاء . مادامت الازمة الاقتصادية قد خفت وطأتها .

● حكم على غير اساس

ولما كان مثل هذا الاستطلاع مستحيلا فى فترة زمنية قصيرة كهذه (ونحن لم نسمع به على اية حال) . فإن هذا الحكم إما انه قيل على سبيل التوقع . اى ان قائله يتوقع ان يكون موقف الناس . بعد إسقاط تلك الديون . على هذا النحو . وإما انه حكم على الامر فى ضوء آراء ابدتها الدائرة الضيقة المحيطة به . فبدا له ان الشعب المصرى كله مماثل لهؤلاء .

وفى الحالتين كان الحكم مبنيا على غير اساس .

ذلك لان الشعب المصرى ليس على الاطلاق من تلك الشعوب التى تخلد الى الراحة بمجرد ان تخفف من جزء ضئيل من ازماتها . وحسب المرء ان يتأمل ما يقوم به الانسان المصرى فى البلاد العربية . ويرى كيف يتحمل أسوأ ظروف العمل . وكيف حمل على اكتافه قدرا كبيرا من الانجازات التى تفخر بها تلك البلاد . لكى يدرك ان هذا الانسان بعيد كل البعد عن ذلك التكاسل والتواكل المنسوب اليه . بل إننى لأزعم ان تحسن الاوضاع الاقتصادية لابد ان يؤدى إلى نتيجة عكسية . اعنى الى مزيد من العمل والجهد . لان هذا التحسن سيعنى حصوله من عمله على عائد افضل . وبالتالى يرتفع مستوى ادائه حين يشعر بأن الغبن الواقع عليه قد تناقص .

لقد تميز الشعب المصرى . عبر تاريخه . بأنه كان يحصل على قوته بأقصى جهد يمكن تصوره . وبأنه لديه من الجلد وقوة التحمل ما تعجز عنه معظم شعوب الارض . واذا كان يبدو فى فترات معينة من تاريخه متكاسلا . فما ذلك الا لأنه وضع فى ظروف لا تفتح امامه ابواب العمل المثمر والجهد المنتج .

هذه المقولة الاخيرة تقودنا الى الدلالة الحقيقية . والمؤسفة . للحكم الجائر على الانسان المصرى بأنه سوف يتكاسل عن العمل بمجرد ان تبلغه انباء إسقاط جزء من ديونه .

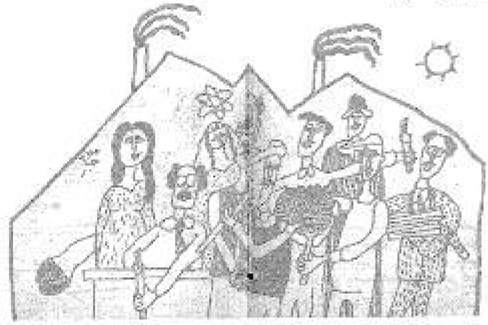
ذلك لأن هذا الحكم يكتسب دلالته الحقيقية فى إطار نسق معين من القيم . يرتكز على إيثار الحياة السهلة على الحياة الشاقة . وتفضيل الكسب بلا مجهود على الكدح فى سبيل العيش . وتلك بعينها هى قيم عصر الانفتاح .

ومن هنا كان من الطبيعى . بالنسبة الى من تشبع بهذه القيم . وعاش فى اوساط لا تعرف سواها منهاجا للحياة . ان يتخيل الشعب المصرى كله على هذه الشاكلة .

★ ★ ★

إن المشكلة الحقيقية لا تكمن على الاطلاق فى ان الشعب المصرى سيتكىء على الأرائك عندما يعلم ان امريكا اسقطت ديونها العسكرية . وان بعض البلاد الخليجية قد محت من السجلات ديونا لم يكن معظمها يسدد بالفعل . فمروجو هذا الاعتقاد يسقطون قيمهم الخاصة على هذا الشعب الذى يبدو ان كثيرا من اصحاب القرار والرأى فيه لا يعرفونه . وان ما يحتاج اليه شعبنا . لكى يكشف عن قدرته الهائلة على العمل المنتج . هو ان تفتح امامه الابواب . وتخطط له المشاريع ويعطى جرعة من الأمل فى مستقبل افضل .

وإذن . فمكمن المشكلة إنما هو ذلك التوجه العام الذى سلكه حياتنا منذ اواسط السبعينات . والذى جعل اعتمادنا الاكبر . فى تسيير شئون اقتصادنا . ينصب على عناصر لا تحتاج الى عمل شاق . كدخل قناة السويس . وتحويلات المغتربين . والسياحة . والبترول . هذا النمط الذى اتخذته حياتنا كان هو المسئول الاكبر عن تراكم الديون حتى اصبحت مقدرا يستحيل إعادته الى العالم . وهذا النمط هو فى اساسه نظام من القيم . لا مجرد تنظيم اقتصادى صرف .



السلف غير الصالح

ومادام هذا النمط سائدا ، فإن الأسباب التى دعت الى تراكم الديون ستظل قائمة . قد ننجح فى التخلص من نسبة كبيرة من ديوننا ، بل قد نتحرر منها كلها (وإن كان هذا لايزال أمرا بعيد الاحتمال) . ونظل نستمتع بهذا الشعور المريح أعواما قلائل . ولكن استمرار نموذج القيم الانفتاحية ، التى تبحث عن كل سبل الكسب ماعدا سبيل العمل وبذل المجهود ، لابد أن يقضى بعد وقت غير طويل على آثار هذا الانتعاش المؤقت ، ويعيدنا مرة أخرى الى سجن الديون فى زمن أقصر بكثير من ذلك الذى تراكمت فيه الديون السابقة ، مادمنا ننظر إلى كل مولود ننجبه على انه فم يأكل ، لا على انه يد تعمل .

● العلاج من الداخل

إن النغمة السائدة فى هذه الايام لا تبشر بخير كثير ؛ ففى بلادنا اتجاه واضح إلى استثمار أزمة الخليج من أجل حل كافة مشكلاتنا الاقتصادية بضربة واحدة . فهذا يطالب بإسقاط ديون أمريكية وأوروبية وعربية وآسيوية ، وذلك يبالغ فى تقدير الخسائر التى تكبدناها من أزمة الخليج ، والمستحقات الضائعة على العاملين فيه ، ويزايد فى تحديد عدد المليارات ، دون أية دراسة أو حساب دقيق ، وثالث يمسك بيديه جرسا وينادى : مصر واحة الأمن والاستقرار ، فشرفونا باستثماراتكم تجدون ما يسركم ! ورابع يعاتب الدول النفطية التى نسيتنا طويلا ، ويطالبها بأن تدفع الآن ثمن المساندة ، وبأن تعقد معنا زواجا اقتصاديا تصلح به غلطتها ، وهلم جرا ..

ولست أعني على الاطلاق أن هذه الأمور لو حدثت لكانت شرا كلها ، بل انني أسارع بالاعتراف بأن تحققها سيعود علينا ، فى المدى القصير ، بمكاسب جمة . ولكن ما أود أن أؤكده هو أن فلسفة «النجدة المستوردة» لن تجلب لنا ، فى المدى الطويل ، إلا



انتكاسات تعود معها الديون بصورة أبشع من كل ما عرفناه من قبل . فالعلاج الحقيقي للخلل الاقتصادي ـ كما يقول كل العارفين ـ ينبغي أن ينبثق من الداخل ، والحل الأمثل هو أن ننمي قدراتنا الذاتية الى الحد الذي يسمح لنا بأن نستغني تدريجيا عن جرعات الانعاش التي استمتعنا بها الى حد الادمان . ولكن لخشى ما لخشاه هو أن حكوماتنا ، التي اعتادت العيش لحظة بلحظة ، ودأبت على أن تدعو الله كل صباح أن يمر اليوم على خير ، أما الغد فله وقته ، سوف تكتفي بتلك الراحة التي يجلبها الانتعاش المؤقت ، ولن تمتد بنظرها الى ذلك الوقت البعيد (نسبيا) الذي تعود فيه الأزمة أسوأ مما كانت ، لاسيما وأنها ، على الأرجح ، لن تكون هناك حين يحل هذا الوقت .

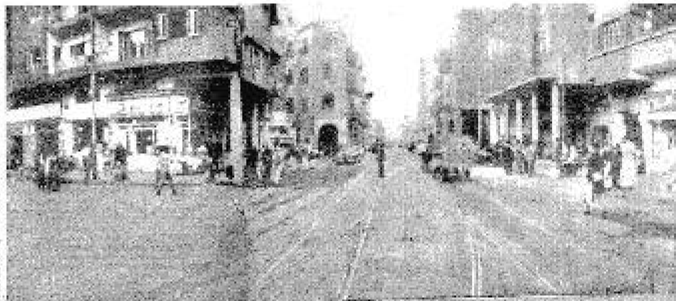
ان شعار «لا عودة الى الديون» ينبغي أن يكون شعار المرحلة القادمة : وأنا لا أعني بالطبع أن نرفض الديون كلية ، فأعظم دول العالم مدينة ، وإنما أعني أن هدفنا ينبغي أن يكون تجنب أية انتكاسة تعود معها الديون فتصبح سجنا خانقا لنا ، وتمنع تحقيق أية تنمية فعالة . ولكي نتحرر من هذا الخطر الداهم ينبغي أن نطرح على أنفسنا ، بكل جدية ، هذا السؤال المحوري : ما الذي أوقعنا في فخ الديون أصلا ؟ هذا سؤال يقتضي اجابة صريحة كل الصراحة ، ومراجعة للممارسات السابقة لا مجال فيها لأية مجاملة . ذلك لأننا لو واجهنا أنفسنا بكل عيوبنا ، وحددنا العوامل التي أدت بنا الى السقوط في هوة الديون ، لأمكننا الوصول الى الوسائل الكفيلة بعدم تكرار المأساة بعد سنوات قلائل .

إن هذه مسألة تستحق بالفعل أن تعقد من أجلها الندوات والمؤتمرات ، وأن تسمع فيها كل الأصوات . ومن حسن حظ مصر أن لديها من الاقتصاديين مجموعة كبيرة لامعة يندر أن نجد لها نظيرا ، في الكم والكيف ، في بلاد العالم الثالث . ولدى الكثيرين من هؤلاء أفكار يمكن أن تكون نواة لخطة نهوض شديدة الايجابية : واذا وضعنا في اعتبارنا خطورة الموضوع وأهميته الحيوية لمستقبل هذه الأمة ، يغدو من السخف أن نرفض رأيا ايجابيا لمجرد أن صاحبه من المعارضين ، ونكتفي بآراء أولئك الذين لم يجلبوا لنا ، على مد السنوات الماضية ، سوى المزيد من الكوارث . والأسخف من ذلك أن نبقى على تلك الفجوة السحيقة بين الآراء العلمية المدروسة وبين السياسة الفعلية المطبقة . فالفكر لا تكتمل مقوماته الا إذا أتيحت له فرصة تغيير الواقع .

إن المسألة أخطر من أن تكون حكرا لفئة معينة من أصحاب الآراء التي جربناها وعانينا منها ردحا طويلا من الزمن . وحين يتعلق الأمر بمستقبل أمة لديها كل هذا القدر من المشكلات المتوطنة ، فلابد من أن نستمع إلى أصوات الجميع ، وربما اتضح لنا في نهاية الأمر أن أشد الناس إخلاصا هم أبعدهم عن المجاملة والمسايرة ، وأكثرهم مصارحة لنا بالحقائق الأليمة القاسية .



ميدان قصبة قبا



شارع القلعة

شارع القلعة

والتاريخ الاجتماعي لمصر

بقلم : محمد سيد كيلاني

إن الكلام عن شارع القلعة ، يعني الكلام عن تاريخ مصر في فترة من أخطر فتراتها من الناحية السياسية والاجتماعية والأدبية والفنية .

فهذا الشارع كان في وقت من الأوقات ملتقى رجال السياسة والصحافة والأدب والفن . كان بمثابة جامعة كبرى تخرج فيه المنفلوطي والعقاد وأحمد محرم ، وأحمد نسيم ، وأحمد الكاشف والهمذاني والهراوي ، وإمام العبد ، وطه حسين وإبراهيم المويلحي وغيرهم من رجال الأدب .

وتخرج فيه مصطفى كامل ومحمد فريد وسعد زغلول وأمين الرافعي وغيرهم من رجال السياسة

وحافظ عوض وسليم حموي وعلي يوسف ومحمد حسين هيكل وأحمد فؤاد ، وأحمد لطفي السيد وغيرهم من رجال الصحافة .

كما تخرج فيه أشهر الخطاطين والطباعين والمجلدين والحفارين على الزنكوغراف .

وسكن فيه عدد من رجال الغناء والتمثيل

كما سكن بالقرب منه في الحلمية كثيرون من عظماء مصر مثل مصطفى رياض باشا ، وأمين فكري باشا ، وعلي مبارك باشا ، وفي درب سعادة كان يسكن أحمد تيمور باشا .

ولعل هذا التجمع هو الذي أوحى إلى الحكومة لاختيار شارع القلعة لتقيم فيه دار الكتب المصرية

* * *

ونشبت فيه معارك سياسية وصحفية وأدبية لا مثيل لها في تاريخنا المعاصر ودبرت فيه مؤامرات وعقدت اجتماعات ومظاهرات . ونشأت على جانبيه المكتبات ودور النشر والمقاهي والخمارات . فكانت الحركة فيه لا تهدأ لا بالليل ولا بالنهار من ناحية العتبة الخضراء إلى ميدان المنشية بالقلعة

شارع القلعة

● كيف كانت هذه البقعة ؟

لو اراد انسان ان يتصور الحالة التى كان عليها هذا الجزء من العاصمة الممتدة من العتبة الخضراء الى القلعة لما وصل خياله الى شىء فهذه ترب المناصرة ، وكانت تشغل مساحة واسعة منه ، تحيط بها المنازل ، من كل ناحية ، ثم ازقة ملتوية ضيقة ومنازل متداعية ، تنبعث منها الروائح الكريهة ، وتنتشر بين اهلها الاوبئة من حين الى حين تفتك بهم فتكا ذريعا ، وحمامات وطواحين وافران وخرائب واسطبلات وحسبك ان تعلم ان المنازل التى ازيلت عند شق الشارع بلغ عددها ٣٩٨ بيتا كبيرا ، ٣٢٥ بيتا صغيرا ، والباقى طواحين ، وافران وحمامات وزرائب وخرائب .

قال على باشا مبارك ، ان هذا الشارع من اعظم ما عمل بمدينة مصر القاهرة . اذ بوجوده حصل نفع كبير وفوائد جمة للعامة وغيرهم ، وذلك كتنقية الهواء من الروائح الكريهة ، وبعد ان كانت جميع الجهات التى مر بها قليلة القيمة ، مشحونة بالقاذورات ، اصبحت بمروره منها عالية القيمة ، مرغوبة السكنى ، توازى أعظم مواقع القاهرة .

« وقد بنى فى ضفتيه البيوت المشيدة كالعمارة الكبيرة المستجدة ذات الاماكن العلوية والسفلية ، من انشاء الحاج محمد إبن جبل ، احد التجار المشهورين ، وسراى الامير رستم باشا ، وسراى الامير حسن باشا الشريعى ، وسراى نعمانى باشا وغير ذلك من البيوت الكبيرة والصغيرة ، والحوانيت العديدة المتسعة ..

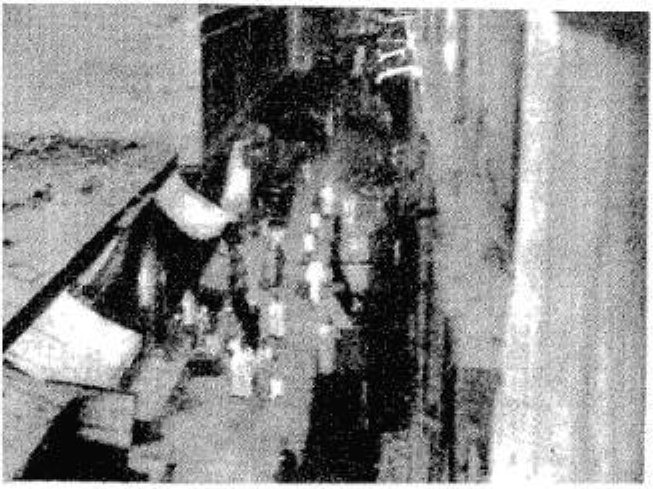
« ثم بسبب قطع هذا الشارع معظم عرض المدينة واتجاهه الواقع بين الشرق الجنوبى والبحرى الغربى ، حدث تغيير الهواء فى اغلب انحاء المدينة بواسطة الشوارع والحارات التى قطعها » .

« وضع المشروع سنة ١٨٧٣ ، وقسمت الأرض المتخلفة من عمليات الهدم ، وبيعت للاهالى فبنوها بيوتا تفصلها حارات كبيرة وشوارع صغيرة ، واصبحت هذه البقعة من اعمر الاخطاط ، واصقعها لقربها من الموسكى والأزبكية ، بعد ان كانت مقفرة موحشة لايرغبها انسان .

« ودكت ارضه بالرمل ، والدقشوم ، ورتب فيه الكنس والرش ، فى كل يوم مرتين ونصب فى جانبيه فنارات الغاز ، فصار بذلك من احسن الشوارع وابهجها .

اما ميدان باب الخرق ـ الخلق ـ فلم يأخذ شكله الحالى الا سنة ١٨٩٧ حين ردمت شركة الترام الخليج المصرى الذى كان يخرق الميدان ، ومدت خطا يبدأ من ميدان السيدة زينب الى غمرة ، وآخر يبدأ من المذبح الى العباسية ، قال كرومر فى تقريره عن تلك السنة « وكان يظن ان الاهالى يستنكرون ردمه ، اى الخليج ، غير انه ظهر على مر الأيام ان اهتمام الاهالى ببقائه مبالغ فيه ، بل ان اصحاب المنازل المبنية على جانبيه ربحوا كثيرا بزيادة اثمان املاكهم »

وفى سنة ١٩١٢ شرعت الحكومة فى





مصطفى لطفى المنفلوطى

شارع بين الصورين
من اقدم الشوارع
وسط المدينة

انشاء ميدان المنشية امام القلعة ، واتفق على اطلاق اسم « صلاح الدين » عليه ، كما انشئت حديقتان صغيرتان ، احداهما بحرى جامع الرفاعى والاخرى بحرى جامع السلطان حسن . وكان جامع الرفاعى زاوية صغيرة فتقرر هدمه واعيد بناؤه سنة ١٩١٢ ، ووزع مدير الأوقاف الخيرية احمد خيرى باشا اوراق الدعوة على العلماء والأمراء والوزراء للاحتفال باقامة الصلاة لاول جمعة في هذا المسجد الجديد الذى تكفلت ببنائه والدة الخديو اسماعيل ، لذلك لما مات اسماعيل سنة ١٨٩٥ نقلت جثته من الاستانة الى القاهرة حيث دفنت في هذا المسجد .

وفى يوم الثلاثاء ، التاسع من اكتوبر سنة ١٩١٧ توفى السلطان حسين كامل .. وخرج نعشه من قصر عابدين محمولا على اعناق بعض الجنود والبحارة وسار خلفه السلطان فؤاد والى جانبه نائب الملك ، فالأمراء والوزراء ورجال الدين ، فاعضاء الجمعية التشريعية فكبار الموظفين المصريين والاجانب .. واخترق هذا الموكب شارع القلعة ، حتى وصل الى مسجد الرفاعى حيث دفنوه الى جانب والده . كما دفن الملك احمد فؤاد الأول ، وقد شيعت جثته في موكب حافل لم ير مثله من قبل، واخيرا دفن فيه الملك السابق فاروق الأول .

★ ★ ★

ولما زار السلطان أحمد فؤاد الأول دار الكتب السلطانية في شهر ابريل سنة ١٩١٨ ، وقف صاحب العزة حافظ بك ابراهيم بجانب تمثال الخديو الاسبق اسماعيل باشا ، الذى نصب فى مدخل دار الكتب السلطانية وخاطب صاحب العظمة السلطان على لسان والده مؤسس دار الكتب السلطانية بالأبيات التى نالت استحسان عظمته وقد كتبت بجانب التمثال وهى :

شارع القلعة

اهلا بزائر اثارى ومكرمها
اهلا بثالث ملك بين اشبالى
روحى تحييك من اعلى سماوتها
تحية اشرقت فى وجه تمثال
ملكت عرشى فقام السعد يخدمه
فعش له ولمصر ناعم البال
وصنت تاجى ، والتيجان فى قلق
والدهر يضرب ادبارا باقبال
حققت ظنى فى نسلى وسيرته
وحقق الله فى الدارين امالى

● شارع الافراح والليالى الملاح

كانت الحكومة قد منعت رقصة البطن التى انتشرت فى بعض مراقص شارع القلعة ، ولكن الراقصات اجتمعن واقمن الدعوة ضد الحكومة ، فاصدرت محكمة النقض والابرام المختلطة حكما قضائيا بعدم اعتبار رقص البطن الذى تستعمله الراقصات المصريات فى القهاوى العمومية من المخالفات ، وحسبته فن من الفنون التى تتعيش منها بعض النساء .. وعليه فقد اصبحت جميع الاحكام الماضية الصادرة على اصحاب القهاوى والراقصات ملغاة .

ومن ذلك الحين استقرت فرق الراقصات والمغنيات والممثلات فى شارع القلعة ، تزاول عملها دون ان يتعرض لها احد .

● شارع الصحافة

كانت معظم الصحف اليومية والمجلات الاسبوعية قبل الحرب العالمية الاولى تتخذ اماكن تحريرها فى شارع القلعة .

ففى سنة ١٨٨٦ ظهرت صحيفة الفلاح لصاحبها سليم حموى ، وفى



مدخل دار المحفوظات بالقلعة يرجع عهده الى ايام محمد على



ابراهيم المويلحى



شارع الموسكي القديم



مبنى دار الكتب المصرية

سنة ١٨٨٩ ظهرت صحيفة «المؤيد» لصاحبها على يوسف، ثم توالت بعد ذلك الصحف مثل الصاعقة لأحمد فؤاد والدستور لمحمد فريد وجدى والجريدة لحزب الأمة، والمحروسة لصاحبها الياس زيادة والأفكار لصاحبها ابو العينين بدر.

لما احتل الانجليز مصر، اخذت الصحف الأوربية والمصرية تتدرج فى مدارج الحرية شيئا فشيئا حتى ادى بها الارتقاء الى الطعن على بعض الكبراء والوزراء، فشق ذلك على فريق من رجال الحكومة، فنزعوا الى مصادرة تلك الصحف والتضييق عليها، غير انهم ارتدوا على اعقابهم خائبين، فكانت الخيبة وسيلة لزيادة ارتقاء الجرائد فى عالم الحرية.

ثم ان الاحكام التى اصدرتها المحاكم المختلطة لصالح اصحاب الصحف زادتهم حرية وجراة. فانتقلوا من التلميح الى التصريح، فكانت الحرية للجرائد الاجنبية اضطرارا وللجرائد الوطنية اختيارا، واصبحت كل الصحف المصرية بلا قيود ولا حدود، وهكذا اصبح شارع القلعة يموج بجماعات منها الطيب ومنها الخبيث، واختلط الحابل بالنابل، فظهرت مطبوعات تتناول اعراض الناس بالطعن والتشهير والتجريح والتحريض على ارتكاب الجرائم حتى جاء مقتل بطرس باشا غالى فاحدث صدمة عنيفة اهتز لها شارع القلعة اهتزازا عظيما.

وفى سنة ١٩١٠ خيم الحزن على شارع القلعة، وعم السخط الشديد، وذلك لصدور القوانين الخاصة

شارع العتبة

بالنشر . فنص القانون على ان الجنايات والجنح التى تقع بواسطة الصحف او غيرها من طرق النشر ، تحكم فيها محاكم الجنايات ويكون حكمها غير قابل للاستئناف وهو المعمول به حاليا .

وقيدت حرية الصحافة والخطابة ، وفرضت رقابة شديدة على دور التمثيل ، كما صدر قانون الاتفاقات الجنائية المعمول به حاليا ، بل زاد عليه فى عهد الاستقلال «كل من علم ولم يبلغ» . وقد نص القانون على انه «يوجد اتفاق جنائى كلما اتحد شخصان فاكثر على ارتكاب جناية او جنحة ما ، او على الاعمال المجهزة او المسهلة لارتكابها .

وقد تألف وفد من اعضاء مجلس الشورى من محمد شواربى باشا ومحمد شعراوى باشا ، واسماعيل اباظة باشا ، وطلبة سعودى باشا ، وتوجه الى الوكالة البريطانية لمقابلة السير الدن غورست والتحدث اليه بشأن هذه القوانين وخاصة المادة ٤٧ من قانون العقوبات المختصة بمعاقبة المتفقين على الجرائم . لكن السير غورست لم يوافق على اراء هذا الوفد واصر على ابقاء المادة كما هى عملا بالأوامر الواردة من اولياء الحل والعقد الذين لاترد اوامرهم فى هذا الشأن .

والذى خفف من وقع هذه القوانين ان القضايا كانت تنظر امام المحاكم العادية ويقف المتهمون امام قاضيهم الطبيعى .

وتمضى الأيام ، مبانى تختفى واخرى تقام ، ويبقى عبق التاريخ .



ميدان العتبة قديما



د . محمد حسين هيكل

بقلم:
د. شكري محمد عياد

لويس عوض

في مرآة لويس عوض

مزيج من المؤرخ والفنان - هذا هو لويس عوض. اضف إلى ذلك حدة في الطبع تجعل كلا منهما - المؤرخ والفنان - يحاول ان يفترس الآخر. لهذا كان لويس عوض في احسن احواله حين ينقد، وفي اشد احواله استفزازا حين يؤرخ، وفي اقرب احواله إلى الفن حين ينسى نفسه. فالناقد يختار ما ينقده (اي يفسره)، ولذلك يمكنه ان يكون هادئا، ومستمتعا، وموضوعيا. اما المؤرخ فهو مقيد بالوثائق والوقائع، فإذا لم ياخذها باللين اخذته بالشدة.

واما الفنان فلا يمكنه ان يبدع وهو اسير للواقع ولا لقضية يحاول فرضها على الواقع. فلن يستطيع ان يكتب فنا إلا إذا تمرد على الواقع ونسى في الوقت نفسه انه صاحب قضية.

وانا من القائلين بان «مذكرات طالب بعثة» ثم «بلوتولاند» هما اهم اعمال لويس عوض الفنية، بما يتضمنه هذا الحكم من تفضيل مهذب على روايته الوحيدة «العنقاء»، ومسرحيته الوحيدة «الراهب». فقد كتب شعره ومذكراته وهو في لحظات استرخاء، وكانه يناجي نفسه.

«اوراق العمر» هي الشيء الفريد بين اعمال لويس عوض كلها، حيث يتجاور المؤرخ والفنان ولا يتصارعان، وان بقي لويس عوض صاحب القضية متمسكا بقضيته كيف امكن ان تتعايش هذه الاقانيم الثلاثة دون ان يطغى بعضها على بعض؟ ان علمانية لويس عوض - مثلا - لا تفسد المنطق

التاريخي في «أوراق العمر» ، كما تقدمه في ترجمته لجمال الدين الافغاني ، مع انها صريحة في الأول ، ضمنية في الثاني ، وهي ايضا اقل استفزازا للقارىء الذي لا يشاطره الايمان بالعلمانية . لان لويس عوض حين يعبر عن علمانيته في أوراق العمر إنما يعبر عنها كشيء شخصي ، ولذلك لا يسعك - ان كنت مخالفا له في الرأي - ان تعارضه او تنكرها عليه . إنه يقدمها في سياق فني ، سياق لم يخطىء الذين قالوا عنه إنه اقرب شيء في ادبنا العربي ، قديمه وحديثه ، الى ادب الاعتراف ومنذا الذي يمكن ان تبلغ به غلظة الشعور الى حد ان يرفض هذا الاقتراب الحميم ، بكل ما فيه من صراحة ، قد تصل الى حد السذاجة احيانا ؟

● فضيحة ماكرة

قرأت رأيا لنجيب محفوظ في «أوراق العمر» ، نقله عنه احد الصحفيين ، انه لم يسترح الى هذا الكتاب لان لويس عوض فضح اسرته بدون داع . ونجيب اول من يعلم ان الفن كله فضيحة . ولكنه في الاغلب فضيحة ماكرة . إن الحقيقة ، تختبىء في ثناياه ، تتغير ملامحها وتفقد شخصيتها تصبح شيئا آخر . يمكنه ان يتبجح بانه اكثر حقيقة من الحقيقة نفسها . وقد يكون صادقا في هذا الادعاء ، ولكنه على كل حال يكفيه محنة الحرج مع الاهل والاصدقاء (وهل الفنان في حاجة الى مزيد من المحن ؟) لويس عوض لا يعرف الكره ، وهذا ما جعله مؤرخا واضح التحيز ، وفنانا شديد الخضوع للحقيقة . إن لم تعرف - وتقبل - روحه الصافية الصريحة فلابد ان تنكر منه اشياء واشياء . ولا اعني بالمعرفة شرطا ان تكون على علاقة شخصية به إنما عنيت ان تقرأه بعقل مفتوح وقلب مفتوح .

ومن الذي لم يفضحه لويس في هذا الكتاب ؟ ان يفضح اسرته ربما كان هذا من حقه ، ولكن ماذنب طه حسين ؟ هل كان ذنبه انه حين دخل بيته لاول مرة ، صبيا هاربا من ظلم ابيه ، شعر بالرجل الكبير يبسط عليه جناح ابوته ؟ من بين مقالات زكي مبارك العنيفة في الهجوم على طه حسين ، مازلت اذكر جملة - ربما كانت الجملة الوحيدة التي اذكرها من هذه المقالات بعد اكثر من خمسين سنة - ان طه حسين عندما خرج من الجامعة وجد مائدة الوفد شهي الموائد ، فتحول الى الكتابة في صحفه ، وقد كانت بين زكي مبارك وطه حسين عداوة معروفة ، كما كان لطه حسين على لويس عوض مآثر تغنى بها لويس في هذا الكتاب وغيره والعداوة قد تغري بذكر المثالب ، ولكن هل يكفي الحب والاعجاب والاعتراف بالفضل - وقد لا يكون ذلك كله كافيا لتصوير العلاقة بين لويس وطه حسين - لان يروي عنه الواقعة نفسها ، بالتفاصيل التي لم يعرفها زكي مبارك ؟ (« أوراق العمر » ، ص ٦١٠)



لويس عوض

التفسير في نظري هو ان الصراحة ، مثل المكر ، أسلوب فني إذا اعتمده الكاتب لم يستطع ان يفلت من احكامه . وبما أن الصراحة هي اقوى الصفات في لويس عوض الانسان فقد كانت هي اقوى الأدوات في يد لويس عوض الفنان . اضف الى ذلك ان ظروف الكتابة كانت تدفع الانسان والفنان معا إلى أن يكون صريحا إلى ابعد حدود الصراحة ، وليس من قبيل الدفاع الاخلاقي عن موقف لويس عوض ان اذكر منتقديه بأن طه حسين نفسه قد ليم من قبل لأنه صور كلا من ابيه واخيه الأكبر – في كتابه الأيام – بصورة لا تدعو إلى الاعجاب .

فهناك خاصية تميز ادب الاعترافات – او ما ينحو نحوه – عما يسمى بادب السيرة الذاتية ، وهي خاصية راجعة – اولا وقبل كل شيء – إلى ظروف الكتابة . وقد لاحظها مؤرخو الادب الفرنسي عن ابرز كتب الاعترافات في الأدب الحديث ، وربما في الأدب كله ، وهو «اعترافات» جان جاك روسو . فهذا الكتاب – ومثله «الأيام» ، ومثلهما «أوراق العمر» – كتب على اثر خصومات عنيفة تعرض الكاتب اثناءها للنيل لا من سمعته الأدبية فحسب ، بل من سمعته الشخصية ايضا . ومن ثم يجد الكاتب نفسه معرضا لما يشبه النفي الاجتماعي ، والكاتب انسان منعزل بطبيعته ، ولكنه لا يطيق النفي ، فهو يعكف على نفسه في محاولة لأن يستعيد ثقته بالناس وثقة الناس به . هو إذن يناجي نفسه بصوت مسموع (يهمه أن يكون مسموعا) . وهو يفضي بادق اسرار حياته لكي يحطم حاجز الشك ، وهو يبدي حرصا شديدا على الوقائع الخارجية ، كي يبرىء نفسه من تهمة الميل مع الهوى ، وهو ينبش في ذكريات طفولته وصباه ، ليطمئن قراءه ، ويطمئن هو نفسه ، الى انه لا يختلف عنهم إلا في شيء واحد ، وهو ان لديه القدرة والشجاعة على مواجهة نفسه .

اي انه لايزال ، في اعماقه ، إنسانا مصابا بشيء من جنون العظمة – لا يزال فنانا !

وهنا فرق لطيف بين كاتب الاعترافات وكاتب الرواية . فكلاهما يستمد من ذكرياته الشخصية ، وكلاهما يتصرف فيها نوعا من التصرف ولكن الفرق بينهما لا يكمن في «صدق» الأول ، و «كذب» الثاني بقدر ما يكمن في ان الأول يدافع عن نفسه ، ويبرىء نفسه ، في حين ان الثاني يتهم نفسه ، ويحاسب نفسه .

● دفاع عن تهم ظالمة !

وقد كتب لويس عوض «اوراق العمر» بين سنتي ١٩٨٣ و ٨٦ ، اى حين كان يقترب من السبعين ، ولعله كان يخشى أن يخرج من الحياة قبل أن يسمع الناس دفاعه عن نفسه أمام التهم الظالمة التى وجهت اليه .

ان يخطىء كاتب فى فهم مسألة من مسائل التاريخ الأدبى او اللغوى او الثقافى او حتى السياسى ليس بتهمة تثير جزعه ، ولكن ان تفسر اخطاؤه بموقف معاد للجماعة التى ينتمى اليها ـ هذه هى الفاجعة . وقد كان لويس شديد الانتماء لمجتمعه : مجتمعه المصرى اولا ، ثم العربى ثانيا . وكان شديد الحرص على استيعاب قيم هذا المجتمع ، ابما فيها القيم الاسلامية . فإن يتهم ، فى عصرنا هذا الكثير الضجيج ، الهزيل الفكر ، بأنه يسعى لهدم هذا المجتمع ، تارة تحت اسم التغريب ، وتارة تحت اسم الشعوبية ، هذه هى الفاجعة الكبرى .

الصفحة الأولى من «اوراق العمر» . براعة استهلال فى دفع هذه التهمة الظالمة :

« كانت العادة فى تلك الأيام البعيدة ان يولد الانسان وان يدفن فى بلدة اهله ، مهما بعد او طال اغتراب الوالدين وهى عادة لا تزال تحافظ عليها بعض الأسر المصرية المتمسكة باصولها الريفية ، ولكنها ايضا عادة فى طريقها إلى الزوال بسبب كثرة الهجرة وتعقد الحياة المدنية . فحين مرضت امى مرض الموت فى ١٩٥٦ ، ونقلها ابى من المنيا الى شارونة (مركز مغاغة ، محافظة المنيا) لتموت بين اهلها بعد اسبوع ولتدفن فى مسقط راسها ، وحين مات ابى فى المنيا فى ٧ يناير ١٩٦٢ نقلناه إلى شارونة ليدفن الى جوار امى .

« وقد ظللت على اعتقادى ان مرقدى المختار سوف يكون فى مصر حتى عشت عشر سنوات تحت حكم السادات ، فلم اعد اعبأ اين يكون مرقدى . وكنت اعتقد طول حياتى ان روحى لن تهدأ الا إذا دفن جسدى فى تراب مصر حتى تولى السادات الحكم فطهرنى من هذه الأساطير المصرية .

« لن يفهم هذا الا رجل يحس فى اعماقه ان لحمه من تراب مصر معجون بماء النيل وعظامه من احجار المقطم

نجيب محفوظ



الجيرية او من صوان اسوان . ولست اشك في ان عبدالناصر فعل ببعض المصريين ما فعله السادات بي وبغيري . ربما كان في هذا الكلام نوع من المبالغة البلاغية .

«وهكذا اقبل ان أولد بشهور في ٢٠/ ٢١ ديسمبر ١٩١٤ اصطحب ابي امي في وابور البحر من الخرطوم عبر قنوات دنقلة ووادي حلفا والشلالات حتى الريب سكة حديد متنقلة من اسوان الى مركز مغاغة او ابا الوقف ثم بالمعدية إلى شرق النيل حيث شارونة . وفي شارونة تركها عند امها وعاد الى عمله في الخرطوم» .

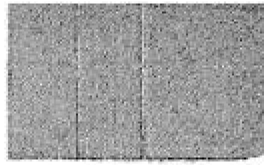
● إنتماء مصري فريد

هذا هو انتماء لويس عوض ، انتماء الى تراب مصر ونيلها وصخورها واساطيرها القديمة والحديثة ، انتماء يجمع بين مسلمي مصر وقبطها . قد تختلف العادات في بعض التفاصيل ، ولكن الجوهر واحد . عادات واحدة في الميلاد وعادات واحدة في الوفاة . مسقط الرأس تراب الآباء والأجداد ، وعليه يوسد «الانسان» - لا فرق بين قبطي ومسلم - رأسه عندما تنتهي رحلة الحياة . ويروى لويس عوض الشيء الكثير من ذكريات طفولته وصباه عن هذه الحياة المشتركة ، وعن الاخوة الراسخة الجذور بين المسلمين والاقباط . ابتداء من «حواديت العائلة» : قصة الجد الاعلى «عوض» الذي توسط لدى «الحاكم» التركي او المملوكي لينقذ احد ابناء شارونة المسلمين من الاعدام ، وقصة عمدة شارونة الذي قتل ابنه في معركة مع بعض الاشقياء لاسترداد اموال سرقت من خالة لويس ، الى عادات الجوار التي الفها لويس منذ طفولته الباكرة ، حين كانت امه تزور بعض جاراتها المسلمات في اعياد المسلمين للتهنئة ، وتصحبه معها في تلك الزيارات ، وترسل اليهن هدايا الكعك والبسكويت والغريبة في اعياد الاقباط ، وتتلقى منهن مثلها في اعياد المسلمين ، الى ذكرياته عن صديق صباه «عبدالحميد جابر» الذي كان يزوره كثيرا في بيته في المنيا ، ويجلس معه حين يشرح له ابوه - حنا عوض - دروس اللغة الانجليزية «وكأنه ابن من ابناء الاسرة» ، مع ان عبدالحميد جابر هذا «كان دائما يسخر من المسيح والمسيحية ، ومن طريقة الاقباط في الصيام ، ولكن بروح فكهة دون تعصب او رغبة في الاساءة» .

هذه صور من الحياة المصرية العائلية ، ود وتسامح بين المسلمين

جان جاك روسو





القفز على الأشواك

والاقباط وان كانت ايام «الكعك والبسكويت والغريبة» قد نسيت الآن او كانت تنسى ! ولقد كنا نمر بها مرورا عابرا، ولكن لويس يتذكرها الآن بهذا الوضوح والتفصيل لانها تعزيه عن اتهام بعض الناس له . ولعله يريد ان ينكر قراءه بها ايضا ، فى وقت عملت فيه الصحافة - قصدا او بدون قصد - على تضخيم الحوادث المتفرقة التى تقع من بعض المتطرفين . ربما كانت قصة اسلام ابنة اخته وزواجها من مسلم اكثر جدية . ولكن لويس يرويها ببساطة وانسانية وصدق ، حتى لقاؤه مع بنتيها المسلمتين ، والارتباك الذى شعر به وهو يقبلهما .

اما تهمة «التغريب» فهى اخف وطأة

د . زكى مبارك



. فهو على الأقل مشترك فيها مع استاذه المسلم الأزهرى طه حسين ، والى حد كبير ايضا مع مسلم ازهرى اخر قبلهما وهو رفاعة الطهطاوى . لذلك لا تظهر اثارها واضحة فى «اوراقه» الا فى موضعين : عندما يشير الى رغبته الأولى فى ان يتخصص فى اللغة العربية وادابها . ثم حين يقول انه حين تخرج فى قسم اللغة الانجليزية كان يعرف «بلجتهادى - وباجتهادى الخاص - اكثر مما كان يعرفه اى خريج فى قسم اللغة العربية فيما يسمى بالأساسيات» . على انه يردف ذلك بقوله ، معبرا بصراحة تامة عن موقفه : «وكنت اعد نفسى لكى اضيف صفحات الى الأدب العربى الحديث إلى جانب تخصصى الاكاديمى فى الدراسات الانجليزية ، فبرزت فى تفكيرى قضية الصراع بين القديم والجديد . وكانت هذه فى الواقع قضية المجتمع المصرى بصفة عامة . وكانت الحلول التى اهتديت اليها تقوم على رفض كل تراث اخذناه عن عصور الانحطاط ، والاستفادة من تجارب الحضارات الراقية فى تجديد الحياة من كل الوجوه ، وهكذا بدا اللاتفاهم الكبير بينى وبين المجتمع التقليدى .» .

ربما كانت مشكلة لويس عوض ، التى لا يمكن ان يعترف بها ، هى انه ، رغم كل ثقافته ، ظل ينظر إلى العالم نظرة ساذجة : فالأشياء كلها اما بيضاء او سوداء ، ونادرا ما تكون فى نظره رمادية . فعصور الانحطاط كلها انحطاط ، ولذلك يجب رفضها ، والحضارات الراقية رقى كلها ، ولذلك تجب

الاستفادة منها لتجديد الحياة من كل الوجوه . هذا ما جعله كاتبا شعبيا فى جوهره ، اكثر شعبية حتى من نظيره محمد مندور ، واكثر تعرضا للهجوم . ولكن هذا لايعنى انه كان مشايعا للحضارة الغربية الى درجة التقليد كما يحب خصومه ان يصوروه . وربما كان رايه فى شقيقه رمسيس عوض (بصرف النظر عن مدى صحة هذا الراى) اصدق تعبيرا عن موقف لويس نفسه نحو الحضارة العربية ، من أى رأى اجمالى ، متحمس ، ابداه فى ضرورة الأخذ عن هذه الحضارة :

«ولما كان مما يشين المثقف العصرى ان يكون رجعيا او حتى محافظا فى التفكير ، فقد اختار رمسيس عوض من الوان الراديكالية اقلها تكلفة ، وهى راديكالية رسل فى الفلسفة وراديكالية اورويل فى السياسة ، تلك الراديكالية التى تمكنك فى ان ولحد ان تشتم الايمان التقليدى دون ان تكون ملحدا ، وان تسب كارل ماركس والاتحاد السوفيتى دون ان تفقد شيئا من تقدمك او عصريتك . هذه الانواع من الاحتجاج كان لها معنى فى اوربا ، ولا سيما قبل الحرب العالمية الثانية ، وكانت تكلف اصحابها التضحيات الجسيمة المقترنة بالالتزام . اما فى مصر فهى مجرد حديث صالونات لا يضر ولا ينفع . ومن اراد ان يخرج بها إلى الشارع فليجرب لذرى العلم مطبقا على العمل .» (ص ١١٤)

لقد كان لويس عوض مخلصا لفكره ، مخلصا لطبيعته ، مخلصا لبلاده ، مخلصا لتراثه . وإنى لارى فيه شيئا من رهبان مصر الرومانتية ، الذين اثروا



رفاعة الطهطاوى

العذاب والاغتراب على التفريط فى إيمانهم . لقد كان فى هذا العلمانى الذى ولد فى اسرة علمانية - كما يقول - روحانية حكمت تصرفاته دائما فى المواقف الحاسمة . بعض الناس ارتاعوا لان لويس حدثهم عن زياراته لوجه البركة حين كان طالبا فى الجامعة . لكنهم عرفوا كيف يقرءون لقاءه الاول للمرأة والجنس حين كان تلميذا فى مدرسة المنيا الثانوية . هذه صفحة من الادب الرفيع تذكرني - مع التناقض الشديد - بموقف مماثل فى «صورة الفنان شابا» لجيمس جويس ، وكثيرا ما حدثت نفسى ، قبلها وبعدها : ليت لويس عوض استطاع ان يتخلى عن جميع قضاياه ومعاركه الاجتماعية والتاريخية وحتى النقدية ايضا ليهب حياته كلها للفن . هذا كان الطريق الأمثل لذلك ، الراهب العلمانى ، كى يظل جنديا من جنود الروح .



« التحذير

من الهمجية والسفه

اخر وصايا الدكتور لويس عوض ..

بدأت أتعرف على الدكتور لويس عوض شخصيا فى المسرح القومى أثناء الإعداد لتقديم مسرحية «حاملات القرابين» ليوريبيدس وقد نقلها الدكتور لويس فى عربية ذات جرس جميل يستمتع بأدائها الممثل قبل المتفرج وكنت ماأزال خريجا حديثا فى المعهد العالى للفنون المسرحية. وكان أملى أن أعرض مواهبى التمثيلية على المخرج اليونانى المخضرم تاكيس موزينيديس الذى سوف يضطلع بإخراج «حاملات القرابين». وسنحت الفرصة بالفعل وقبلت موزينيديس بالمسرح القومى وشاهدنى امثل امامه بالانجليزية مقطعا من مسلسلات لشيكسبير كنت أعددته خصيصا.

قبل ذلك كنت قد شاهدت الدكتور لويس عوض عن قرب أثناء زيارة الفيلسوف الفرنسى سارتر وسيمون دى بوفوار لمعهد الفنون المسرحية سنة ١٩٦٧ وكنا بصحبة الدكتور لويس ويومها أخذتنا نطوف معهم أرجاء المعهد نلتف حولهم ونحيط بهم. كنت مازلت طالبا ومن شدة شغفى بالفن والثقافة لم أجرؤ على الاقتراب من الدكتور لويس عوض رغم اعجابى به وحرصى على أن أقرأ له كل ما يكتب فى الأهرام. هذه الرهبة حالت دون أن يتم بيننا تعارف شخصى.

وبعدها بثلاث سنوات كنت ممثلا بمسرح الجيب الذى سمى «الطليعة» فيما بعد وكنا نقدم مسرحية «مارا – صاد» للكاتب الألمانى بيترفايس وقد شاهدت الدكتور لويس يتردد على المسرح مرات عديدة. وذات مرة شاهدته يحمل جهاز تسجيل وعلمت أنه قد شاهد المسرحية تسع مرات وقام بتسجيلها وتسجيل أغانيها

٥٠

هذه مجموعة من الذكريات تبدو كمشاهد مسلسلة في شريط سينمائي ، البطل فيها هو الدكتور لويس عوض ، وبعد أن فقدناه تملكتني المشاهد وأخذت تطوف بخيالي تنتهي وتعود لتبدأ في الدوران من جديد ، لذلك رأيت أن أسجل الصور قبل أن تبهت ألوانها وتتلاشى تفاصيلها وتضيع ملامحها مع الزمن .

بقلم الفنان : عبد العزيز مخيون

وموسيقاها ! وكان يبدو شغوفا بهذا العمل وفرحا به كفرح الطفل الذى عثر على لعبة جديدة .

أرسل الى الدكتور لويس بعد انتهاء العرض طالبا منى تصحيح نطق اسم احدى شخصيات المسرحية وكنت أردده مرارا فى الحوار تلك كانت شخصية «شرلوت كورداى» . وكنت أنطقها شارلوت بعد الشين فقال لى إنما هى «شرلوت كورداى» دون مد وعلى الفور استجبت للتصحيح مقتنعا وكنت لم أقرأ أسماء الشخصيات فى النص الأجنبى جيدا .

● إعجاب وحب

فى تلك الوقت اقتنيت موسوعة صغيرة اسمها «هتشنسون» وبحثت فيها عن شرلوت كورداى التى اغتالت جان بول مارا إبان الثورة الفرنسية فلم أجد لها ذكرا . قلت للدكتور لويس فى الليلة التالية : أنا استعنت بالموسوعة لأطلع على هذا الاسم ولم أجده . بأى نوع من الموسوعات كنت تستعين به فى دراستك ؟

فاجابنى مبتسما كنت أستعين بالانسكلوبيديا بريتانيكا مباشرة . ثم وجه الى السؤال : أهو أنت مخيون إذن ؟ فاجبته : نعم هو أنا : فاستطرد قائلا : كان موزيشنيس يسألنا عنك لتقوم بدور لورست فى حفلات القرابين .

بعدها عرفت طريق مكتبه فى جريدة الأهرام فكنت أتردد عليه من حين لآخر يساورنى شعور بالرهبة وأنا أدخل سلحته ، وفى المسرح وفى مكتبه تعرفت بفتاة كانت شغوفة هى الأخرى بنفس المسرحية التى نقدمها وكانت تشاهد العرض مع زميلاتها بصحبة الدكتور لويس وقامت بنقل مقال من جريدة لوموند عن المسرحية وأعطتنى



التحذير من الهمجية والسفه

اياه وبعد فترة ليست بالقصيرة اصبحت هذه الفتاة زوجتي .

فى هذا المناخ تعرفت على الدكتور لويس عوض واقتربت منه .

● فى باريس معا

اما المحطة الأخرى التى وقفت فيها معه فقد كانت باريس وبالتحديد الحى اللاتيني . كنت فى منحة دراسية بباريس فى اواخر السبعينيات والعام الأول من الثمانينيات وقد اعتاد الدكتور لويس على القيام برحلته الثقافية بين لندن وباريس فى خريف كل عام وهناك كنت القاه فى فندقه البسيط الذى يقع فى شارع المدارس فى مواجهة السوربون .. كنا ننطلق لنتابع عروض المسارح مساء كل يوم .

هو ابن الستين وانا ابن الثلاثين لكنه يمشى ويهم فى المشى ويتطلع الى المكتبات ويبحث فيها وينزل الى المترو تحت الارض ويصعد السلم ثم يلحق بالحافلة حتى نصل الى ضاحية بعيدة ويتساقط المطر فوق راسينا ونضل الطريق ليلا . ونصر على اللحاق بالعرض المسرحى قبل ان يرتفع الستار عن مسرحية برخت «رعب الرايخ الثالث وتعاسته» . كنت مبهورا بالتجارب المسرحية الجديدة التى كانت تعج بها باريس فى ذاك الوقت : مسرح الشمس لاريان موشكين ، ومسرح فيترى لجاك لاسال ومسرح احياء إيفرى لانتوان فيتيز والمركز العالمى للخلق المسرحى لبيتربروك وغيرهم ، كانت مسرحياتهم ومازالت مثار جدل وموضع اهتمام النقد فى الصحافة والمجلات المتخصصة ولذلك حاولت ان اجذب الدكتور لويس بعيدا عن المسرح الكلاسيكى واغريه بمشاهدة هذه الأعمال الجديدة فوجدته مهتما بالمسرح التقليدى ولا يريد ان يغامر بضياع ليلة يمضيها مع مسرحية لهؤلاء الشباب ، ولكن ذات ليلة نصبت له مصيدة عندما حجزت فى مسرحية «يوم احد عابر فى حياة أنا» لجاك لاسال واصطحبته إلى قصر شايو وجلسنا نتابع ولسوء الحظ لم تكن المسرحية جذابة فغادرنا المكان بعد الفصل الثانى وناقشته فى طريق العودة فعرفت انه يفهم هذا المسرح ويحلله جيدا ، لكنه لا يستسيغه وفى نهاية المناقشة اراد ان يضع لى النقط فوق الحروف فقال : اسمع انا اريد مسرحية اراها واسمعها ثم اخرج منها لاشترى نصها من على باب المسرح لاعود واقرؤها من جديد لكى اعرضها على قرائى فى مصر .

كنت على موعد معه فى المساء وحضرت منتظرا فى ردهة الفندق وكان هو معروفا لادارة الفندق كزبون محترم له شانه .. واخذ يجرب الكاميرا البولارويد التى اشتراها حديثا فالتقط لى صورتين والتقطت له صورة

واقتربت منى صاحبة الفندق مداعبة :
هل أنت دائما بصحبة أبيك فعلق مبتسما : نعم أبوه الروحى ـ ثم خرجنا الى المقهى .

● الشك .. والحقيقة

كان الدكتور لويس دائم الشك وهذا الشك يقوده لاكتشاف حقائق خافية تحت السطح . يتأمل الأشياء من حوله ويفحصها ويقلب فيها من جوانبها المتعددة ، حتى أبسط الأشياء والظواهر العابرة التى تبدو لنا عادية يتأملها جيدا ويشك فيها حتى يخلص منها بمعلومة أو حقيقة .

كنا على مقهى سلكت لاتان الشهير فى انتظار موعد المسرح فاشار بيده على بناية تواجه المقهى وقال هنا فى هذا الفندق أمضيت جزءا من شهر العسل كان ذلك فى الاربعينيات ثم نظر الى كوبون الدفع .. وكان مكتوبا عليه اسم المقهى « سلكت لاتان » وقال هذا المقهى فى الأربعينيات كان اسمه « دوبون لاتان » ولكنه الان يحمل هذا الاسم فلماذا ؟ أظن أنه بعد نهاية الحرب قامت كل المؤسسات والمحال التجارية التى تعاونت مع الألمان بتغيير أسمائها وأنا أشك أن ذلك الدوبون كان من المتعاونين مع الألمان المحتلين .. ونهضنا الى حى العاريه ودخلنا فى قبو أثرى قديم تحت مستوى سطح الأرض وكان هذا مسرحنا تلك الليلة والعرض المقدم عبارة عن اعداد لأشعار بابلونيرودا فى صياغة درامية مع موسيقى شعبية من أمريكا اللاتينية يعرض مأساة الحرية وينعى أحلام الاشتراكية والعدالة الاجتماعية التى سحقها النظام العسكرى فى شيلى .. وبعد انتهاء العرض رأيته سعيدا منتشيا فرحا وقد ذكرنى بنفس الحالة التى رأيته عليها عندما تعرفت به فى مسرحية مارا ـ صاد بالقاهرة سنة ١٩٧٢ كأنه سيطير الى السماء وتساءل : هل حجازى يرى مثل هذه العروض الشعرية ؟

وكان مهتما أن يرى الشاعر أحمد عبدالمعطى حجازى الذى يقيم فى باريس آنذاك أمثال هذه المسرحيات .
واستطرد قائلا عندكم هنا فى باريس وليمة ثقافية لا تنتهى
خلال تجواله فى العاصمة الفرنسية على مدى خمسة عشر يوما وفى المرات الكثيرة التى تجولنا فيها سويا لم أره مهتما الا بالمكتبات والاسطوانات والمسارح والندوات ولقاءات الكتاب والمثقفين وقليلا مادخل أحد المحال الاستهلاكية لشراء أمتعة شخصية رغم أنها عادة أهل الشرق فى بلاد الغرب وقليلون منهم الذين يقاومون رغبة الاستهلاك والشراء فى هذه البلاد الغنية . وكان يراها وليمة للعقول وليست للبطون .

● شيخ عرب فى باريس

ورغم أن الدكتور لويس عوض كان رجلا عصريا ينتمى الى حضارة الغرب وكان هو يؤكد هذا المعنى فى سلوكه ويحب أن يبدو كذلك . لكن هذه الحادثة الصغيرة تجعله يظهر رغما عنه كشيخ عرب فى قلب باريس .
كنت على موعد معه فى ذات الفندق وحضرت قبل الموعد لأكون فى انتظاره فاستقبلتنى صاحبة الفندق وهى فى



التحذير من الهمجية والسفه

حالة من الهلع قائلة : انت مصرى الا تستطيع أن تخاطب المصريين بلغتهم ؟ هل تعرف هذا الولد ؟ كانت تهذى بهذه الكلمات وفهمت منها انها استخدمت عندها شابا مصريا أنيقا يتكلم الفرنسية بطلاقة وكان هذا سبب ثقتها به كما قالت ثم سرق هذا الولد مبلغا كبيرا من المال من خزينة الفندق واختفى . فابلغت البوليس بالامر غير انها لا تعرف عنوانه او اسمه واعطتنى قصاصة ورق عليها اسم مصرى مبهم ورقم تليفون وتحدثت انا محاولا التعرف على الشخص او العثور على خيط يقودنا اليه وانتهى الامر بأن جاء والد الشاب اللص وهو موظف فى منظمة دولية كبرى والتقينا به وهنا تدخل الدكتور لويس وطمأن السيدة ووعدها برد المبلغ وجلسنا سويا على مقهى « كلونى » المعروف وادار الدكتور لويس هذه الجلسة العرفية واتفق مع والد الشاب على رد المبلغ كاملا وتعهدت السيدة امامة بأن تسحب شكواها .. واخذ الرجل يندب حظه ويبكى على عقوق ولده وواساه الدكتور لويس ونصحه بأن يسوس ابنه ولا يقسو عليه حتى لا ينحرف .

تعلمت منه كيف افصل بين الاشياء ومتى أربط بينها وحاولت أن اتعلم منه كيف اتأمل الشيء وافكر فيه وأبحثه . كان سلوكه اليومى البسيط لا ينفصل عما يجول فى دماغه من افكار كبيرة ، ذات يوم كان مدعوا لالقاء محاضرة فى مركز اعداد الرواد للثقافة الجماهيرية وهو فى طريقه الى الدخول لمح اعدادا من الشبان يرتدون زيا موحدا يسيرون فى طابور شبه عسكرى ولما دخل قاعة المحاضرات وجد هؤلاء الشباب امامه يمسكون بالكراسات والاقلام استعدادا لتلقى المحاضرة فتوقف ورفض أن يبدأ وطلب منهم خلع الزى الموحد والعودة بالملابس العادية وقال لهم :

«نحن هنا فى اثينا ولسنا فى إسبرطة » .

رغم قسوة المرض فإن عقله لم يكف عن التفكير والاجتهاد وقد ظل دماغه يعمل حتى اللحظات الأخيرة وها هو ذا الزميل نبيل فرج يحصل منه على هذه الشهادة وقد القيتها نيابة عنه على جموع الحاضرين فى الملتقى القومى بدار الأوبرا «حول المتاحف الفنية وديون مصر» واعتقد انها آخر مساهمات لويس عوض الفكرية قبل أن يرحل عنا فهى تقريبا كلمته الأخيرة :

« رأيى فى هذا الموضوع أن بيع تحف المتحفين سوف يكون عملا من اعمال الهمجية .

ولا اعتقد أن السفه قد بلغ بالمصريين هذا الحد الذى يجعل المواطنين يتنكرون لتراثهم بهذه البساطة . ونحن نحب أن نعرف من صاحب هذا الاقتراح . هل هو البنك الدولى ؟ أم صندوق النقد الدولى ؟ أن



احمد عبد المعطى حجازى



سارتر



سيمون دى بوفوار

موقف الديَانة في هذا الموضوع له دخل بالقطع في اتخاذ القرار بالسلب او بالايجاب ، واذا لم يكن هذا تدخلا في الشئون الداخلية للبلاد فكيف يكون التدخل ؟

ان الديَانة على ايام اسماعيل لم يكونوا على هذه الدرجة من الاستهانة بتراث مصر او بحضارتها ولا على هذه الدرجة من الضراوة في استقطاع رطل اللحم كما فعل شيلوك في «تاجر البندقية» ، فالمسالة - كما ترى - لها ابعاد سياسية وهي استغلال مديونية مصر لنهبها ، وواجب المثقفين هو صد هذا التيار الذي اخشى ان تكون ينابيعه الاولى في وزارة الثقافة ، لان هذا النوع من الفكر الاجرامي لايمكن ان يصدر عن وطني او حتى مجرد رجل متحضر ، إن القضية في غاية الوضوح لا تحتاج لمزيد من اللت والعجن ولا هي موضوع مناظرة فيها وجهات نظر قابلة للاخذ والرد .

إن اقصى ما كان يسعى اليه الاستعمار في القرن الماضي هو الضغط على الحكومة المصرية حتى تقتسم الغنائم واثارنا بنسبة ١ الى ١٠ وهذا يذكرني بالبدعة في التفكير التي اهتدى اليها الدكتور عبدالمنعم الشرقاوي في نفس المناسبة وهي تسديد ديون مصر حين اقترح تصفية حقوق مصر في قناة السويس .

ان ما تملكه مصر من تحف فنية عالمية هو جزء من مساهمتها في الحفاظ على التراث الانساني وعليها ان تتمسك بهذا الواجب الذي يضع المصريين في قائمة الشعوب المتمدنة . »

وفي اليوم التالي بعد انتهاء الملتقى ذهبت لزيارته واخذت اعيد عليه فقرات من الكلمة وهو يسمع ويحاول ان يعرف مدى وقع كلمته على الناس

نماذج شاهدة

بقلم: د. محمد عمارة

وعلى سبيل المثال :

فالقرآن الكريم يشير الى قضية "بدء الخلق" ، ذلك الذى تفرد به الله سبحانه وتعالى ، وجاءت اشارات القرآن لتتحدى به الطواغيت وعبدة غير الله .. "قل سيروا في الارض فانظروا كيف بدأ الخلق" .. "الذى احسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الانسان من طين" .. "قل هل من شركائكم من يبدؤ الخلق ثم يعيده قل الله يبدؤ الخلق ثم يعيده فأنى تؤفكون" .. كما يتحدث القرآن الكريم عن ان احدا من هؤلاء المكذبين لم يشهد "بدء الخلق" حتى يكون له علم به او فيه "ما اشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم وما كنت متخذ المضلين عضدا" .

واذا كانت هذه الاشارات القرآنية الى "بدء الخلق" هى اليقين المتاح للمعرفة الانسانية عن هذا الامر الذى لم يشهده سوى الخالق ، سبحانه وتعالى . فلقد مثلت السنة النبوية مصدر المعرفة الذى اتاح لنا طرفا من الحديث والعلم عن صورة الانسان الذى خلقه بارئه فى احسن تقويم .. ففى البخارى . من حديث عمران بن حصين - يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : "كان الله ، ولم يكن شيء غيره ، وكان عرشه على الماء ، وكتب فى الذكر كل شيء ، وخلق السموات والارض" .. وفيه ، كذلك - من حديث عمر "قام فينا النبى ، صلى الله عليه وسلم ، مقاما فأخبرنا عن بدء الخلق ، حتى دخل اهل الجنة منازلهم واهل النار منازلهم . حفظ ذلك من حفظه ونسيه من نسيه" .

فمن هذا المصدر النبوى ، وتبعا للمصدر القرآنى عرفنا ونعرف طرفا من خبر بدء الخلق ، الامر الذى اتاح لنا تصور الجلال الذى اختص به ، مثلا ، خلق الانسان ، حتى لقد امر ملائكته بالسجود له .. بينما وجدنا هذه الصورة ، لدى العلم الغربى ، الذى رفض المنهج السمعى ، هى صورة الحيوان البدائى والهمجى ! ..

●● واذا شئنا نماذج شاهدة ـ او على الاقل امثلة لها ـ تؤكد صدق الذى ذهبت وتذهب اليه هذه الصفحات ، فاننا واجدون فى عوالم المعارف التى ضمتها السنة النبوية ، المتواترة والمشهورة ، والتى تجسدت فغدت واقعا تعيشه الامة وتمارسه منذ عصر صدر الاسلام وحتى الان والى ماشاء الله .. اننا واجدون فى عوالم المعارف هذا المصدر النبوى ما يشهد على ان هذا هو مكانها من عوالم معارف المصدر الاسلامى الاول : القرآن الكريم .. مكان "البيان النبوى" من "البلاغ الالهى" ●●

وتاريخ عالم يسجله ويحفظه التاريخ ، ذلك الذى بادت اثار اهله ومعالم مجتمعاتهم ، او سبقت حقبه قدرة الانسان على صنع الاثار الباقيات .. هذا التاريخ عن الامم السابقة والحضارات البائدة .. نجد عنه وعن اممه اشارات فى القرآن الكريم .. من ذى القرنين الى عاد وثمود واهل مدين ، وقرى ومواطن واخبار الانبياء والرسل السابقين .. واذا كانت هذه "الاشارات التاريخية" هى القدر المتيقن من ذلك التاريخ ، فاننا واجدون فى السنة النبوية طرفا من المعارف فيها بعض التفصيل لما فى البلاغ القرآنى من اشارات لذلك التاريخ ..

وواقع الجاهلية ، التى اخرج الاسلام اهلها من ظلماتها الى نور الاسلام ، وهو واقع جماعة بشرية غلبت عليها الامية ، فكانت فقيرة فى ادوات التدوين لتاريخ مجتمعاتها ـ هذا الواقع الجاهلى ـ فى عاداته وتقاليده واعرافه .. فى اديانه واوثانه ومناسكه .. فى تشرزمه القبلى وعلاقات قبائله بمن جاورهم من الدول والشعوب .. فى مكانة المرأة به ، وانواع الزواج وعلاقات الرجال بالنساء فى الحلال والحرام .. فى انماط الانتاج وعلاقاته ومصادر الارتزاق .. الخ .. الخ .. هذا الواقع الجاهلى ، والذى لا سبيل الى فهم عمق الطور الاسلامى وجذور الانجاز الاسلامى الا بتصوره ، باعتباره ميدان هذا الانجاز ، والسبب فى مجىء البناء الحضارى الاسلامى على هذا النحو الذى جاء عليه ، هذا الواقع الجاهلى لن نجد مصدر من مصادر المعرفة والتعريف له اغنى من سنة النبى ، عليه الصلاة والسلام .

● امة اهتدت بالمنهج الربانى

وهذا التجسيد الذى صنعه البيان النبوى للبلاغ القرآنى ، والذى ميز رسالة محمد صلى الله عليه وسلم عن كثير من رسالات الرسل الذين سبقوه على درب اتصال السماء بالارض ..

نماذج شاهدة

هذا البيان الذى جعل الرسالة : امة ودولة ومجتمعا ونظاما وحضارة ، اهتدت بالمنهج الربانى ، واصطبغت بصبغة الله .. ليس كالسنة النبوية .. ديوانا جامعا لمعارفه وللتعريف بحقائقه اليقينية - قبل أن تغبشها قصص القصاصين ومدائح المداحين ! .. انها التاريخ الادق لمجتمع صدر الاسلام ، فيها معارف وصف واقعه ، ونصوص دستوره وقانونه ، وعاداته واعرافه .. وفيها صور نشاط انسانه فى كثير من ميادين الحياة ، الخاصة منها والعامة .. وفيها اوفى وصف لدولة الاسلام الاولى .. رعيتها ، وحدودها ، وطرائق العيش وسبل التكسب فيها ... وغزواتها وفتوحاتها .. وفنون قتالها ، وما حدث فيها من انتصارات وانتكاسات .. وفيها سجل العلاقات الدولية ، والمعايير التى حكمتها .. ففى هذه السنة النبوية ، قبل غيرها ، واكثر من غيرها - بل وربما دون غيرها - سنجد ديوان المعارف ومصدرها ، الذى نعرف منه ونغترف صورة الحضر والبيد .. وماذا كانت تعنى الهجرة فى التطور من التعرب والبداوة الى التمدن والحضارة .. وكيف كانت الشورى .. وبدايات مؤسساتها .. والتراتيب الادارية .. والكتاب والتراجمة والمكاتبات .. والولاة والولايات والعمالات .. والصورة الادق والاصدق للمرأة كما ارادها وصنع نموذجها الاسلام .. والاموال والخراج .. الخ .. الخ .. فهى ، فى هذه الميادين ، وما ماثلها ، اوثق واغنى مصادر المعرفة للقارئين الباحثين على السواء .

واذا كان البلاغ القرآنى قد حدد مكانة الرسالة الخاتمة الخالدة فى عقد الرسالات الالهية للبشر .. مكانة المصدق فى الاعتقاد الدينى الواحد - ازلا وابدا - والمهيمن فى الشريعة المتغيرة باختلاف امم الرسالات "شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى اوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه" .. "وانزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم عما جاءك من الحق ، لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ، ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة ولكن ليبلوكم فيما اتاكم فاستبقوا الخيرات ، الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون" .

اذا كانت هذه هى مكانة الرسالة الخاتمة ، عقيدة وشريعة ، من عقد الرسالات السماوية وسلسلتها فان فى السنة النبوية - وهى البيان النبوى لهذا البلاغ القرآنى - الكثير من المعارف التى نستطيع أن نلتمسها حول هذا الموضوع ..

ففي حديث ابي هريرة ، يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : "مثلي ومثل الانبياء من قبلي كمثل رجل ابتنى بنيانا فاحسنه واكمله الا موضع لبنة من زاوية من زواياه ، فجعل الناس يطيفون به ويعجبون منه ويقولون : ما رأينا بنيانا احسن من هذا الا موضع هذه اللبنة ، فكنت هذه اللبنة" .

وفي حديث ابي هريرة ، ايضا ، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : "بعثت لاتمم حُسنَ الاخلاق" .

بل لعلنا لواجدون في التطبيقات النبوية التي جسدت علاقات المسلمين باهل الكتاب في داخل المجتمع الاسلامي الناشيء والدولة الاسلامية الوليدة ، ومع الدول والمجتمعات الكتابية المحيطة ـ وهي ـ هذه التطبيقات ـ جزء من السنة النبوية ـ اننا واجدون فيها كنزا غنيا من المعارف ، لا سبيل الى التماسها في



مصدر آخر من مصادر هذا الباب وذلك التاريخ ..

● البلاغ القرآني

واذا كان البلاغ القرآني يعلمنا ـ ضمن ما يعلمنا ـ المذهب الاسلامي المتميز في امر السنة والقوانين المودعة في ظواهر الطبيعة وحقائق الوجود .. وهو المذهب الذي يعترف بفعل السنن والقوانين في المسببات المتولدة عنها ، مع الايمان بان هذه السنن والقوانين ، مثلها مثل الظواهر والقوى التي اودعت فيها ، جميعها مخلوقة لمن خلقها وخلق فيها هذه السنن والقوانين الفاعلة .. ففعلها المنتظم والمطرد هو خلق الله وارادته ، وله سبحانه ، القدرة على ايقاف وخرق الاطراد المعتاد لعمل هذه السنن والقوانين اذا اراد اظهار اعجاز يؤيد به رسولا او يتحدى به من لا يخصونه بالالوهية والربوبية ..

هذا ما يعلمنا اياه البلاغ القرآني عندما تشير آيات منه الى سنن الله في الكون والوجود والطبيعة والانسان والمجتمعات ..

"ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين . ونمكن لهم في الارض ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون" .. "ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين" .. "وكم اهلكنا من قرية بطرت معيشتها فتلك مساكنهم لم

نماذج شاهدة

تسكن من بعدهم الا قليلا وكنا نحن الوارثين . وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث فى امها رسولا يتلو عليهم اياتنا وما كنا مهلكى القرى الا واهلها ظالمون" .. "واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا" .

تلك بعض من ايات البلاغ القرآنى التى اشارت الى بعض من سنن الله فى الجماعات والمجتمعات .. وعلى هذا الدرب نجد السنة النبوية كنزا للمعارف التى تغنى الفكر الانسانى فى هذا الميدان ..

"ما ظهر الغلول فى قوم إلا القى الله فى قلوبهم الرعب ، ولا فشا الزنا فى قوم الا وكثر فيهم الموت ، ولا نقص قوم المكيال والميزان الا قطع عنهم الرزق ، ولا حكم قوم بغير الحق الا فشى فيهم الدم ، ولا ختر قوم بالعهد الا سلط عليهم العدو" "لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ، ولتاخذن على يد الظالم ، ولتأطرنه على الحق اطرا ، او ليضربن الله بعضكم ببعض ، ثم تدعون فلا يستجاب لكم" .

"اذا رايتم الظالم فلم تاخذوا على يديه يوشك الله ان يعمكم بعذاب من عنده" .. "اياكم والشح فانه اهلك من كان قبلكم ، امرهم بالبخل فبخلوا ، وامرهم بالظلم فظلموا ، وامرهم بالقطيعة فقطعوا" "لا يلبث الجور بعدى الا قليلا حتى يطلع ، فكلما طلع من الجور شيء ذهب من العدل مثله ، حتى يولد فى الجور من لا يعرف غيره ، ثم يأتى الله ، تبارك وتعالى بالعدل ، فكلما جاء من العدل شيء ذهب من الجور مثله ، حتى يولد فى العدل من لا يعرف غيره" .. سأل حذيفة بن اليمان رسول الله صلى الله عليه وسلم :

"- يارسول الله ، ايكون بعد الخير الذى اعطينا شر ، كما كان قبله ؟

- فقال صلى الله عليه وسلم : نعم !

- قال حذيفة : فبمن نعتصم ؟

- فقال صلى الله عليه وسلم : بالسيف !"

"اذا رايتم امتى تهاب الظالم ان تقول له : انك انت ظالم ، فقد تودع منهم" .. ومن حديث ثوبان . مولى رسول الله ، يقول صلى الله عليه وسلم : "يوشك ان تداعى عليكم الامم من كل افق كما تداعى الاكلة على قصعتها ، قال : قلنا : يارسول الله ، امن قلة بنا يومئذ ؟! قال : انتم يومئذ كثير ، ولكن تكونون غثاء كغثاء السيل ، ينتزع المهابة من قلوب عدوكم ، ويجعل فى قلوبكم الوهن ، قال قلنا : وما الوهن ؟! قال : حب الحياة وكراهية الموت " .. "من احتكر طعاما اربعين ليلة فقد برىء من الله تعالى وبرىء الله تعالى منه ، وايما اهل عرصة اصبح فيهم امرؤ جائع فقد برئت منهم ذمة الله تعالى" .. "مثل العلماء فى الارض

كمثل النجوم فى السماء ، يهتدى بها فى ظلمات البر والبحر ، فاذا انطمست النجوم اوشك ان تضل الهداة" .

تلك امثلة على اطراف من المعارف التى مصدرها السنة النبوية .. معارف السنن والقوانين التى اقامها الله واودعها فى الجماعات والمجتمعات والاجتماع .

● السنة زاخرة بالمعارف

● واذا كان الله سبحانه وتعالى قد جعل الانسان خليفة فى استعمار هذا العالم الذى يعيش فيه وعلى امتداد الافاق التى يبلغها سلطانه .. واذا كان البلاغ القرآنى قد حث هذا الانسان على النهوض بمهام الاعمار هذه ، فتحدثت اياته قارنة الايمان العامل بالعمل المؤمن ، على نحو كاد ان يكون دائما .. "يا أيها الذين امنوا اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع ، ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون . فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الارض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون" .. "فاذا فرغت فانصب ، والى ربك فارغب" ..

اذا كانت هذه هى ارادة الله ، وهذا هو حديث البلاغ القرآنى عن عمارة العالم الانسانى بالايمان العامل والعمل المؤمن ، فان البيان النبوى ـ السنة ـ زاخرة بالمعارف التى تمثل الزاد الذى لا ينفد فى هذا الميدان .. فاحاديث العمل ، والماثورات التى



قننت لاحياء الارض وعمارتها .. هى مما لا يتسع له المقام .. بل ان تجربة البناء الاجتماعى والاقتصادى لدولة الاسلام الاولى هى التجسيد العملى لهذا البيان النبوى فى هذا الميدان .. وفى حديث ابى هريرة ، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : "خير الكسب كسب يد العامل اذا نصح" .. بل ان تعظيم العمل الانسانى يبلغ فى السنة النبوية المقام الذى يتحدث عنه حديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، الذى يرويه انس بن مالك : "اذا قامت الساعة ، وبيد احدكم فسيلة ، فان استطاع ان لا يقوم حتى يغرسها فليفعل" !

تلك اشارة الى زاد المعارف التى تقدمها لنا السنة ، كمصدر للمعرفة فى هذا الميدان ..

● واذا كانت العقيدة الاسلامية تأبى "العبثية" التى ترى فى هذه

نماذج شاهدة

الحياة الدنيا نهاية المطاف بالنسبة للحياة والاحياء .. وتجعل من الايمان بالبعث والحساب والجزاء . فى اليوم الاخر ، ركنا من اركان الايمان .. واذا كان البلاغ القرآنى قد اشار اشارات عديدة الى "البعث" في معرض اقامة الحجة على منكريه .. "وقالوا ان هى الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين" "زعم الذين كفروا ان لن يبعثوا ، قل بلى وربى لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم ، وذلك على الله يسير" "ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة ، ان الله سميع بصير" .. "ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا اولئك لا خلاق لهم فى الاخرة ، ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم" ..

اذا كانت تلك اشارات الى حديث البلاغ القرآنى عن "البعث" وخبره ، فان معارف السنة النبوية عن انباء "البعث" وصوره واحوال الناس فيه ، هى المصدر الذى يجد فيه المسلم ما يقرب صورة هذا الغيب ، على نحو ما ، الى ألعقل المحدود لانسان عالم الشهادة ، الذى تتوجه اليه الرسالة الالهية بالبلاغ وبالبيان" .

ففى حديث ابى ذر ، يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : "ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر اليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم : "المسبل ، والمنان ، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب" .. كما نعلم .. ايضا .. "ان من اشر الناس عند الله منزلة يوم القيامة : عالم لا ينتفع بعلمه" .

هذا الى ما ضمت كنوز السنة من صور تقرب للذهن الانسانى ، قدر الامكان ، احوال النفخ فى الصور .. واحداث ما بين النفختين .. وصورة الحشر .. ومكانه .. وصورة الناس فيه .. والحساب .. والميزان .. والجزاء .. والشفاعة .. ومن يظلهم الله يوم لا ظل الا ظله .. الخ .. الخ .. وغيرها من المعارف المقربة والميسرة والمفسرة لاشارات البلاغ القرآنى لهذا العالم الذى يستحيل على العقل البشرى ادراك كنه حقائقه ، كما تستحيل على لغة البشر ان تكون وعاء يفى بحمل ما فى انبائه من مضامين ..

تلك امثلة لنماذج شاهدة على السنة النبوية كمصدر من مصادر المعارف السمعية فى النسق الفكرى للاسلام .. وهى ان وقفت عند حدود "الامثلة" ـ مراعاة للمقام وللحيز ـ فانها شاهدة على صدق وفاء السنة النبوية بهذه المهمة فى فكر الاسلام وفى حضارة المسلمين .

* واخيرا :

فإن التماس الانسان المسلم المعارف العديدة من المصادر والميادين المتعددة ، بواسطة السنة النبوية ، انما يفتح للعقل الانسانى الجديد والعديد من الافاق

، وذلك دون ان يحد من قدرات وامكانات وافاق هذا العقل او يقيد من طموحاته .. بل ان هذا النهج الاسلامي . الذى لا يقف - كالنهج الغربي عند المنهج الحسى التجريبي - انما يقوم - مع تهذيب غرور العقل - بتوجيهه الى الميادين الحقيقية التى تاهل لان يبدع فيها ، وذلك عندما يعلمه حقيقة عجزه عن الاستقلال بادراك معارف عالم الغيب .. وكأنه - المنهج الاسلامي - يذكر العقل بالحقيقة الخالدة التى تقول : كل ميسر لما خلق له ! .

كذلك ، فإن هذا المنهج الاسلامي ، الذى يجعل البلاغ القرآني ، وبيانه النبوى : مصدرا للمعرفة اليقينية في ميادين عديدة يكون في بعضها مجرد حافز للعقل على النظر ، وحافظ له من تجاوز الحدود .. ويكون فى بعضها : المعين والمؤازر .. ويكون في اخرى : المصدر الوحيد لمعرفة ما لا قبل للعقل بالخوض فيه .

ان هذا المنهج المتميز هو المحقق : تكامل المعرفة الانسانية ، وذلك عندما يحقق للانسان قدرا من معارف عالم الغيب ، الى جانب زاده وزاد اجتهاداته من معارف عالم الشهادة .. وهذا التكامل هو الذى يحقق "التوازن المعرفى" للانسان ، على النحو الذى ييسر له "التوازن السلوكى" .. وبهما - التوازن المعرفى ، والتوازن السلوكى - تتحقق "المعـانـى" و"الحكم" و"العلل الغائية" من وراء خلق الانسان ، واستخلافه عن الله ، سبحانه وتعالى ، فى عمارة هذا العالم ، فتنتفى - او تقل - من حياته منغصات وازمات "العبثية" و"اللا ادرية" و"الطرق المغلقة" ، التى تاخذ بخناقه فى ظل الحضارات المادية ، والتى قادته ودفعته - خارج منهج الاسلامي ووسطيته - الى مستنقعات : "الشهوة الحيوانية" و"اللذة الانية" و"الانانية المتعالية" و"النظرة العدمية" تجاه ماوراء عالم المحسوسات .. فلم ينجح التقدم المادى الذى احرزه فى انقاذه من القلق والقنوط والاحباط .. حتى لتصدق عليه الاية القرآنية التى تتوعد فتقول : "كلوا وتمتعوا قليلا انكم مجرمون" ؟! .. وحتى لكانهم دهريو العصر ، القائلون : "ماهى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر" .

هذا هو منهج الاسلام ، العاصم للانسان من هذا المصير .. به راينا السنة النبوية مصدرا للمعرفة ، تنهض بدورها الى جانب البلاغ القرآني فى اثراء معارف الانسان المسلم ، واغناء النسق الفكرى لحضارة الاسلام ..

مناقشة والحوار

« لغة الحوار »

« بين الموضوعية والسخرية »

بقلم : د. محمد الدسوقي

من بديهيات المنهج العلمي في البحث والجدل ان يتخذ الحوار بين المختلفين في الرأى صبغة الموضوعية والأمانة العلمية . وان ينأى ما استطاع الى ذلك سبيلا عن لغة السخرية وعبارات التهكم والتنقص والرمى بقلة الدراية والمعرفة ، حتى يمكن ان يؤدى مهمته في تمحيص الحقائق والوصول الى نتيجة لا يملك الجميع إلا الأخذ بها والنزول عندها .

● ولكن الاستاذ انور الجندى فيما كتبه في عدد اكتوبر من الهلال ردا على مانشرته في هذه المجلة في عدد سبتمبر حول آراء طه حسين في الشعر الجاهلى ومستقبل الثقافة تجاهل هذه البديهيات وراح في حماس عاطفى ساخر يتهمنى بضحالة الفكر ، وقلة الدراية والادعاء الكاذب ، واذكر القارىء ببعض ماقاله الاستاذ الجندى حتى يطمئن إلى انى لم اتقول عليه او انسب له مالم يصدر منه ..

استهل الاستاذ كلمته بقوله : عندما يدافع الدكتور محمد الدسوقى عن طه حسين يثير علامة استفهام كبيرة تحمل ابتسامة سخرية عريضة . ثم يتساءل :

ماهى فرضية الدكتور الدسوقى الذى التقى بطه حسين في العامين الأخيرين من حياته التى امتدت ثمانين عاما . هل يمكن ان يقال ان الدكتور محمد الدسوقى قد استطاع في خلال هذين العامين ان يستعرض مع طه حسين اعماله خلال اكثر من خمسين عاما ، او ان يكتشف خلفيات هذه الأعمال ، وهو الذى كان عمله مقصورا على ان يقرأ له الصحف او بعض الرسائل خلال بضع ساعات كل يوم .. ومن هنا كان كل ماكتبه الدكتور الدسوقى عن مراجعاته مع طه حسين بشأن كتابيه الشعر الجاهلى ، ومستقبل الثقافة يفتقد كثيرا من الأصالة ..



د . طه حسين



انور الجندى

ويقول ايضا : وإذا كان الدسوقى يرى أن طه حسين لم يغير رأيه بالنسبة للشعر الجاهلى وهو قليل الدراية بتراث طه حسين فإن رجلا رافق هذه الرحلة طويلا هو الاستاذ محمود محمد شاكر يكتب مقولة الدسوقى ..

هذه العبارات التى لاينبغى ان يعرفها جدل علمى مهما تتباين الآراء لجا إليها الأستاذ الجندى ، ولا تكاد تخلو فقرة من كلمة هذا الاستاذ من امثال تلك العبارات نصا او مضمونا ، وهو اسلوب فى الجدل ينكره الدين قبل ان ينكره المنهج العلمى .

وابدأ مناقشتى للأستاذ الجندى بتصحيح خطأ وقع فيه ، ولعله كان من وراء حماسه فى انتقاء عبارات التنقص والسخرية ، وإصدار الأحكام دون بينة او برهان ، لقد ذكر انى التقيت بالعميد فى العامين الأخيرين من حياته فقط ، وان عملى معه كان مقصورا على قراءة الصحف وبعض الرسائل !

وماذكره الاستاذ الجندى غير صحيح ، وذلك ان صلتى بالعميد بدأت منذ عام ١٩٦٤ ، أى قبل وفاته بنحو عشر سنوات ، فإذا كان لا يعلم هذا ، فكيف ذهب الى ماذهب اليه ، وهو يقرأ قول الحق فى كتابه الكريم "ولا تقف ماليس لك به علم" ؟

اما إذا كان يعلم وحاول ان يوهم القارىء بأن صلتى بالعميد لم تكن لتتيح لى ان اعرف شيئا ذابال عنه ، وعن مؤلفاته فلهذا دلالة اخطر من دلالة عدم العلم ، والاستاذ الجندى اكبر من ان يفعل هذا ، فجهاده المبرور فى سبيل دينه يربأ به عن القول بغير ما يعلم ، ولكن يظل موقفه من تحديد الفترة الزمنية التى عرفت فيها العميد معرفة لقاء يثير اكثر من سؤال ، من اين له هذا التحديد ؟ وهل لم يقرأ مانشرته سنة ١٩٦٥ ، فى مجلة الرسالة ، ومانشرته بعد تلك فى مجلة العربى والدوحة ، وفى كتابىْ : ايام مع طه حسين ، وطه حسين يتحدث عن اعلام عصره .. ؟ !

وإذا كان تحديد الفترة الزمنية يثير اكثر من سؤال فإن القول بأن عملى مع العميد كان مقصورا على قراءة الصحف والرسائل قول غريب لا صحة له ولا دليل عليه ، فكيف عرف الاستاذ الجندى ان عملى كما ذكر ؟ لقد كنت اقرأ للعميد مايريد دون ان يكون معنا احد حتى اقرب الناس إليه ، وكان إذا زاره زائر توقفنا عن القراءة حتى يخرج ، واذكر بهذه المناسبة ان استاذى الدكتور ابراهيم مدكور عتب علىَّ فى رسالة بعد ان قرأ كتابى : طه حسين يتحدث عن اعلام عصره ، وكان مما جاء فى هذه الرسالة : كيف تنشر حديثا جرى بين اثنين الله ثالثهما .

لا ادرى كيف اباح الاستاذ الجندى

دائرة الحوار

لنفسه فى كلمة منشورة ان يقول مالا يملك برهانا عليه ، وما الذى يمكن ان يفسر به هذا التصرف من مفكر مسلم يقدر امانة الكلمة ، ومسئولية البينة على كل من يدعي دعوى ؟!

ويقتضى بيان خطأ الأستاذ الجندى فيما قرره أن أشير إلى أنى كنت أذهب للعميد فى كل يوم أذهب إليه مرتين : مرة فى الصباح ، وأخرى فى المساء ، وكنت اذهب فى الصباح فى نحو العاشرة والنصف ، وأمكث إلى الواحدة والنصف ، وفى هذه الفترة نقرأ الصحف والمجلات ، وكانت الفترة المسائية وتبدأ فى السادسة وتمتد الى الثامنة والنصف مخصصة لقراءة الكتب القديمة والحديثة ، وقد قرأت مع العميد عشرات المؤلفات ، وأملى علىّ عدة مقالات كان ينشرها فى صحيفة أخبار اليوم ، وبعض مقرراته مع العميد من كتب يتألف من أكثر من جزء ، كمهذب الأغانى ، وعيون الأخبار والحيوان والكامل ، وهذا الكتاب قرأته معه أكثر من مرة ، والنبوغ المغربى فى الأدب العربى ، وسوى ذلك من المؤلفات الادبية والتاريخية التى لا مجال لذكرها .

بعد هذا التصحيح للخطأ الذى وقع فيه الاستاذ الجندى ، والذى تنهار به كل مارتبه عليه من أحكام ، فالمقدمات الفاسدة لا تثمر غير النتائج الفاسدة .

- بعد هذا أناقشه فيما اشتمل عليه رده من آراء ..

إن كلمتى التى رد عليها الاستاذ انور تتألف من شقين : الشق الاول روايات نقلتها عن العميد ، والشق الثانى تعليقات على ماروبت وخلاصة ماروبته ان العميد ظل على موقفه من الشعر الجاهلى ، وهو الحكم على هذا الشعر بأنه منحول ، وانه تمنى أن يعيد النظر فيما كتبه فى مستقبل الثقافة فى مصر ..

وكانت مما علقت به ان العميد يخطىء ويصيب كغيره من البشر ، ولكن المأساة أن تحول الخطأ الى خطيئة ، وان ندعى معرفة مافى الصدور فنحكم على الناس بالألحاد أو المروق من الدين ، أو التبعية الفكرية للآخرين .

ولكن الأستاذ الجندى لايروقه ذلك ويتهمنى بأنى أدافع عن طه حسين ، ويسخر من هذا الدفاع : لأنه لا يقوم على أسس من الدراية الكافية ، كما يتهمنى بأنى مع اعترافى بخطأ العميد أنكر الخلفية الفكرية الخطيرة لأفكاره ..

إن الإصرار على أن من وراء ماكتبه طه حسين فى الشعر الجاهلى ومستقبل الثقافة خلفيات ومواجهات اعدته للقيام بمهمة التشكيك فى المقدسات الاسلامية خطأ يستمسك به الاستاذ الجندى ، وهو يزرى بما يقدمه من آراء وافكار ، ولو سلك طريق الدكتور الغمراوى - رحمه الله - فى كتاب النقد التحليلى لكان اهدى سبيلا واقوم قيلا ، فالدكتور الغمراوى ناقش العميد فى دقة وحلل آراءه فى موضوعية ، وبين ماله وما عليه فى قصد واعتدال ، ومن ثم تبقى مثل هذه الدراسات الجادة ، ويحفظ لها التاريخ قيمتها العلمية ..

ان الاستاذ الجندى اخذ بعد وفاة

العميد يكتب عنه كتابة لا تخرج فى مجملها عن انه عدو للاسلام وحضارته ، وانه لا يختلف عن المبشرين والمستشرقين فى موقفهم من هذا الدين ، وانه الى هذا خبيث منافق مراوغ ، وذلك فى اسلوب انفعالى خطابى يقرر الأحكام فى تعميم دون تحقيق او توثيق ، وهذا منهج فى الكتابة قد يهش له العامة ، بيد انه لا يغنى فتيلا فى ميزان الفكر الصحيح ، ولا يجدى شيئا فى مجال النقد العلمى السليم ، وسأذكر مثلا واحدا مما جاء فى رد الاستاذ الجندى يثبت ما اشرت اليه من انه يقرر الاحكام دون تحقيق او توثيق .

لقد ذكر كشاهد على نفاق العميد ومراوغته انه بعد ان حارب الوفد وسعد زغلول سنوات طوالا عاد فانضم الى الوفد واخذ يحارب اصدقاء الامس من الأحرار الدستوريين .

والحقيقة التاريخية ان العميد تعرض فى عهد صدقى سنة ١٩٣٢ لأزمة اقتصادية شديدة ، بسبب موقفه من الحكومة ، وعدم الاستجابة لها فى منح بعض الساسة درجة الدكتوراه الفخرية ، ولذا احاله صدقى على المعاش دون ان يكون له معاش ، فى هذه الظروف جاءه مصطفى النحاس ، ومكرم عبيد ، وعرضا عليه رئاسة تحرير "كوكب الشرق" وهى جريدة وفدية وكان راتبه منها مائة جنيه ، يقول العميد : ومع هذا لم اوافق إلا بعد ان عرضت الأمر على الأحرار ، ونظرا لأن الأحرار والوفديين كانوا متآلفين ضد صدقى وافقوا على ان اتولى رئاسة تحرير تلك الجريدة ، واستطرد العميد : وكان عملى فى "كوكب الشرق" بداية العلاقة بينى وبين مصطفى النحاس ، وازدادت هذه العلاقة وثاقة بمرور الايام ، وكنت ازوره كثيرا فى منزله ، وكان الرجل يستنصحنى فى بعض الامور وكان يأخذ بما اشير عليه ، كما كان ينزل عند رأيى اذا اختلفنا ..

فطه حسين لم يترك حزب الاحرار مراوغة ونفاقا كما يزعم الجندى ، وإنما كان العمل فى "كوكب الشرق" بداية العلاقة بالوفد ، ثم قويت الصلة بين العميد ورئيس الحزب شيئا فشيئا ، حتى اصبح علما مرموقا ، من اعلام حزب الوفد ، ووزيرا فى اخر وزارة رأسها مصطفى النحاس .

وبعد فإنى بما نشرت فى الهلال لم اكن ادافع عن طه حسين ، لانه ليس فى حاجة الى دفاعى ، فتاريخ الرجل العلمى يدافع عنه ، ولو كان الاستاذ الجندى قد قرأ ما كتبته عن العميد لادرك انى رويت عنه ماليسيء اليه ، وقد علقت على مارويت ببيان وجه الحق فيه ، غير انى حرصت ابلغ الحرص على ان اروى كل ما سمعت بدقة ، خدمة للتاريخ الأدبى والسياسى المعاصر ، ثم إن كلمتى كما اومأت انفا روايات نقلتها ووجهة نظر ابديتها ، فإذا كان الأستاذ انور لا يصدق بما انقل ولا يوافق على ماارى فهذا شأنه ، ولكنه لا يعطيه الحق فى ان يسخر من غيره ، وان يتهمهم بقلة الدراية والكذب ، وقد كنت استطيع ان افعل كما فعل ، ولكن هذا واد لا اباريه فيه ، وما كنت احب له ان يسلكه ، وصدق الله العظيم اذ يقول : "ولايجرمنكم شنآن قوم على الا تعدلوا ، اعدلوا هو اقرب للتقوى" والحق احق ان يتبع ! .

ذاكرة الحوار

طه حسين والصهيونية !

بقلم : د. مصطفى عبدالغنى

هناك راى لجوبلز ، مسئول الاعلام فى حكومة هتلر ، مؤداه إنه كلما كانت الكذبة كبيرة امكن تصديقها .

وما يقوله جوبلز يصح بدرجة ما على ماوجه لطه حسين من اتهامات يعجب المرء لكونها توجه الى طه حسين ، لما بينهما - الاتهام والمتهم - من بون شاسع .

والقضية ، او الاتهام (واعجب ما شئت !) ان هناك علاقة (او على الاقل تورطا) بين طه حسين والصهيونية وصلت الى ذروتها فى عقد الاربعينات .

وكيلا تتحول القضية الى حقيقة يمكن تصديقها (وهو ما يريده الجوبلزيون) لابد من تحديد ملابساتها : الاتهام والادعاء والدفاع ..

فما هى اتهامات طه حسين فى هذه القضية ؟

(١)

● الاتهام :

يمكن ايجازه فيما يلى :

● إنه اشرف على رسالة ليهودى - اسرائيل لفنسون - وكان يطلق عليه لقب (ابو ذؤيب) عام ١٩٢٧ وقدم لها فى كتاب ، بل توسط له حتى يعمل فى دار العلوم ، وحين قامت اسرائيل عين فى الجامعة العبرية بالقدس .

● إنه القى محاضرة فى مدرسة اسرائيلية بالاسكندرية عام ١٩٤٤ عن اسهامات اليهود فى الادب العربى بعد ان لبى الدعوة .

● إنه تولى رئاسة مجلة (الكاتب المصرى) التى انشأها اربعة اخوة من اليهود (آل هرارى) ، واستمر فى رئاستها بين عامى ٤٥/١٩٤٨ قبل حرب فلسطين بعدة اشهر .

● إنه لم يعثر فى كتاباته على شىء عن القضية الفلسطينية : التأييد او المساندة لا سيما إبان ممارسة الصهيونية الارهاب والطرد ويبارك هذا الغرب كله .

ويلاحظ ان هذا الاتهام شارك فيه عدد



طه حسين



العقاد



هتلر

كبير من اعداء طه حسين من اسماعيل مظهر فى الاربعينات حتى انور الجندى فى الثمانينات ، وبينهما تخبطت الاراء من جهل وسوء نية مما يدفع تلامذة طه حسين وابناؤه الى الدفاع والغلو فيه (وهل طه حسين فى حاجة لدفاع ؟) .

فلنرجىء الدفاع لنتوقف هنيهة عند الادعاء .

(٢)

● الادعاء :

تتعدد دعاوى الادعاء وتتحدد عند عدد كبير من المصريين واليهود انفسهم ، بل وتشارك فيه بعض المؤسسات العلمية بحجة المنهج والحيدة .

وربما كان ابرز ممثلى الادعاء ضد طه حسين المفكر المعروف اسماعيل مظهر الذى راح خلال جريدة (المقتطف) يوجه سهام النقد والاتهام لطه حسين (والمعروف ان لهذه الجريدة علاقاتها الوطيدة بالصهيونية منذ اوائل هذا القرن حين تركت حرية التعبير لهم بشكل واضح على صفحاتها) ، كما شارك فى هذا الموقف جريدة المقطم (معروفة بولائها للانجليز) ، بل ان ما يثير الحيرة الشديدة ان صحيفة يملكها يهودى هى "التسعيرة" راحت فى معرض هجومها عليه تسأل كيف تتنى لصحيفة (الكاتب) التى يرأس تحريرها طه حسين ان تحصل على الورق رغم صدورها بعد القانون الذى صدر فى مصر اثناء الحرب الثانية والذى ينظم حصول الصحف السيارة القديمة فقط على الورق من وزارة التموين .

ويمكن ان يضاف لهؤلاء عديد من رجال الدين فى مصر لموقفهم القديم من طه حسين ، وهو موقف يظهر معارضة طه حسين لبعض الوجوه السلفية فى الازهر الشريف ، وموقف الازهر من طه حسين منذ كتابة (فى الشعر الجاهلى) عام ١٩٢٦ .

هذا داخل مصر ، اما خارجها ، فلا نريد الاسهاب فى موقف اخواتنا المشارقة - فى اغلبهم - من عدم ميلهم لطه حسين ولانه مازال يثير رغم مضى خمسة عشر عاما على رحيله كثيرا من القضايا التنويرية التى لا يجب ان يستمر الاحتفاء بها إلى اليوم ، اما اخواتنا المغاربة ، وخاصة فى الجزائر فمازال

دائرة الحوار

بينهم الكثير ممن يعتقد ان طه حسين كان من مؤيدى الفرنسيين ابان الحرب العالمية الثانية ، فى جانب احتلالهم للجزائر ، وقد خبرت هذا الراى عن قرب من اساتذة جامعيين ومثقفين ومتعلمين فى الجزائر ، وسعيت كثيرا لاعيد تكرار راى طه حسين الذى اكده كثيرا فى كتاباته ، من ان الوعى يحتم على العربى المعاصر ان يفرق بين الفرنسيين كمحتلين برابرة ، وبينهم كأصحاب حضارة ينتمون الى هذه الحضارة الغربية التى نعيش فيها اليوم .

وإلى جانب هذا كله ، فإن موقف الخصومة من طه حسين داخل مصر وخارجها ايضا ، حتى اليوم يشوبه - ومازال - قدر كبير من سوء الطوية او الجهل او التجاهل ، بوجه الادعاء ضد مواقف طه حسين والاتهامات المتتالية عنه .

ولا نعرف اين نضع مؤسسة ضخمة مثل الجامعة الامريكية بالقاهرة ومركز الدراسات العربية فيها بوجه خاص ، ففى السلسلة التى صدرت عن اعلام الادب المعاصر فى مصر ، وفى الجزء الاول منها الذى كتب حول طه حسين ، نلحظ عدم وجود عديد من كتابات طه حسين حول للصهيونية وقضية فلسطين ، ورغم ان هذا الجزء اعيد نشره وكتب تحت اسم طه حسين "طبعة جديدة مزيدة ومنقحة" ، وذكر داخله انه امكن استدراك عديد من المواد التى اغفلت من قبل (١٩٨٢) ، فإن العجب يصل الى اقصاه حين نرى ان كتابات طه حسين ، وبوجه خاص حول قضية فلسطين ، غائبة (أو فلنقل بلفظة ادق : مغيبة) .

وسوف نذكر مقالة بعينها لندلل بها على ذلك ، ففى صحيفة (كوكب الشرق) التى صدرت فى ٢٨ أكتوبر ١٩٣٣ يكتب طه حسين تحت عنوان "فلسطين" عن هذا البلد العربى وعن مأساته مالا يمكن تجاهله سواء للمساحة الضخمة التى خصصت للقضية ، أو لافكار طه حسين الواعية بالقضية العربية ومأساة فلسطين فى فترة مبكرة .

وهو ما يقال على عدد كبير من المقالات التى اغفلت ، فيما يبدو ، وما يرجح هذا ، انها تتحلق جميعها حول نفى القضية التى راح يؤكدها - خطأ - العديد من اعداء طه حسين ومريديه فى حياته وبعد رحيله .

ورغم ان الحكم ضد طه حسين كان واجبا يحتمه علينا طبيعة البحث العلمى فى غير هذا الموقف (انظر كتابنا : طه حسين وثورة يوليو ، دار التراث الاسلامى ، القاهرة ١٩٨٩) فإن الحكم لطه حسين ، هنا يظل ايضا واجبا يحتمه علينا طبيعة البحث العلمى وضرورته .

اسماعيل مظهر



المازنى



والآن ، ماهى مفردات الحكم على طه حسين ؟

(٣)

● **الدفاع :**

نستطيع أن نلخص اتهامات طه حسين فى موقفه من الصهيونية فى عديد من النقاط :

اولا : موقفه من "الكاتب المصرى" .

ثانيا : موقفه من قضية فلسطين .

أما عن اتهام طه حسين بعلاقاته المريبة بالصهيونية ابان توليه رئاسة مجلة "الكاتب المصرى" .. فإن ذلك غير صحيح ، وهذا النفى يشير اليه طه حسين نفسه فى مجمل دفاعه ، او تشير اليه كتاباته كرئيس تحرير لهذه المجلة ، او يشير اليه طبيعة المناخ السياسى الذى دفع الى مثل هذا الاتهام دفعا .

أما عن طه حسين ، فإنه لم يصمت ، قط ازاء هذا الاتهام بل تصدى اكثر من مرة لهذا ، وحين طلب منه الدفاع عن نفسه ، فإنه اتجه الى صحيفة "البلاغ الفلسطينية عدد ١٥ اكتوبر ١٩٤٥" ، وكتب خطابا طويلاً جاء فيه :

"طلبوا الىَّ أن اكون مشيرهم فى ذلك فقبلت بعد ان استقصيت واحسنت الاستقصاء وتبينت أن الامر لا يتصل بالصهيونية عن قريب او بعيد" "البلاغ ١٥ اكتوبر ١٩٤٥" .

والذى يقترب اكثر من مجلة الكاتب المصرى يقرأ فى الافتتاحية والبرنامج الذى تعهد به طه حسين على نفسه وعلى غيره من كتاب المجلة ما يلى :

"لا تنحاز الى طائفة ، ولا تتعصب لمذهب ، ولا تقيد نفسها إلا بحقوق مصر والامم العربية" "الكاتب اكتوبر ١٩٤٥" .

بل إن مراجعة اعداد المجلة التى صدرت "٢٢ عددا" يتأكد لنا ان هذا العهد الذى اخذه طه حسين على نفسه وعلى من يكتب فى المجلة منذ اليوم الاول التزم به طيلة صدورها (بين اكتوبر ١٩٤٥ ـ مايو ١٩٤٨) ، فهى لم تكرس للصهيونية ولم تدر فى فلكها ، ولم ينشر فيها ما يستشم منه انه يعمل على تثبيت اقدام اليهود فى فلسطين ، بل على العكس من ذلك ، فإن ما جاء فيها يشير الى انها حملت الانجليز مغبة ما يحدث وأرجعت سوء حال فلسطين وبؤسهم الى سياسة هؤلاء الانجليز التى تنحاز للصهيونية صراحة .

وتمضى سياسة المجلة فى هذا الاتجاه حين ترثى لسياسة الامم العربية التى تترك فلسطين وحدها تواجه الغرب المدجج بالسلاح على ايدى الصهيونية ، وهو ما يعنى ان هذا الغرب يترك الحبل على الغارب لهم ، مما يزيد من هوة الخطر الذى يمثله هؤلاء الصهاينة .

بيد اننا نلاحظ أن اهتمام المجلة بالقضية الفلسطينية لم يصل الى درجة اهتمامها بالثقافة والادب العالمى ، وهذا طبيعى جدا ، اذ ان الشعار المعلن للمجلة كان هو انها (مجلة ادبية شهرية) ، ومن ثم فإنها "لم تعط اهتماما اكبر بالقضية الفلسطينية فضلا عن ان رئيس تحريرها ومعظم الذين كتبوا فيها كانوا من انصار القومية المصرية ولذلك شغلتهم قضايا مصر بالدرجة الاولى" (سهام نصار ، اليهود المصريون صحفهم ومجلاتهم ١٨٧٧ ـ ١٩٥٠ ، العربى ، القاهرة ، ص ٧٩) .

ويديهى هنا ، وهو مايؤكده التعرف على طه حسين وفكره ومواقفه لسنوات طويلة ، انه لم يكن ليسعى الى التعاون مع الصهيونية بأية حال ، وانما يسعى بفكر متنور الى الافادة من هذه المجلة ليلعب دوره فى هذا الاتجاه ، وحتى على افتراض ان الاخوان "هرارى" حاولوا الافادة منه ، فإنه لم يمض فى هذا الطريق ولم يسع اليه .

والارجح فى ادعاءات من هذا النوع انها لاتضع فى الحسبان تكوين طه حسين ووعيه وصلابته فى مجال الادب والسياسة ، فمثقف هذا تكوينه ، لا يمكن أن يرضى ان يلعب دور الاداة مهما يكن الثمن الذى يحرض عليه .

ويظل التفسير الارجح فى الهجوم الحاد على طه حسين وعلى مجلته هو أن النوازع السياسية لعبت دورا كبيرا فى توجيه هذا الاتهام .

فالمعروف ان طه حسين كان منتميا الى حزب الوفد الذى تولى الوزارة بين عامى ٤٢ / ١٩٤٤ ، حتى اذا ما خرج هذا الحزب من السلطة عام ١٩٤٤ ، كان طه حسين قد اقيل مع اقالة الوزارة .

وعلى هذا نستطيع أن نفسر كثيرا من الكتابات المهاجمة لطه حسين ومجلته "الكاتب المصرى" خاصة من اولئك السعديين الذين جاءوا الى الحكم وهدفهم الاول ، كان تدمير الوفد على جميع المستويات ، وسعوا الى التفرد بالحكم حتى انهم حاولوا استبعاد الدستوريين انفسهم بعد ذلك .

ومراجعة دوريات هذه الفترة ، ممن شنت هجوما عاتيا على "الكاتب المصرى" نستطيع أن نتيقن ان اكثرها كان ينتمى للسعديين والسياسة الجديدة .

هذا عن "الكاتب .." فماذا عن موقفه من قضية فلسطين .... ؟

على العكس مما يردد كثير من الكتاب المعاصرين فإن فى كتابات طه حسين الكثير عن قضية فلسطين ، فمن الملاحظ ان عددا كبيرا ممن يهاجمون طه حسين أو يدافعون عنه ، انما يوقعون فى خطأ ان طه حسين تجاهل قضية فلسطين "حيث لا تجد فى كتاباته شيئا عن فلسطين" .

ويترتب على هذا ، كما يقولون ، انه يرتبط فى هذا بأواصر خفية أو ظاهرة بالصهيونية ، اما المدافعون عنه ـ وعلى رأسهم رجاء النقاش ـ فيرتبط موقفهم بإفتقاد المادة ، ومن ثم يقع فى حيرة الوسيلة التى يريد بها تأكيد الغاية التى يسعى للبرهنة عليها .

والواقع ، ان افتقاد راى طه حسين فى قضية فلسطين (وهو راى سعى الى التعتيم عليه عديد من المصادر ، كما رأينا) ، يظل المسئول عن عدم فهم هذا الموقف .

فمن المؤكد أن احساسه بالقضية الفلسطينية كان يخضع ـ كابناء جيله ـ الى مؤثر هام هو : أن وعيه بهذه القضية لم يحل دون إيمانه القوى بالمواطنة ، ولم يكن ليعتقد اى من ابناء هذا الجيل ان اليهود لهم احلام توسعية سعت اليها الصهيونية بعد ذلك وغذتها بكثير من الافكار السياسية .

وكان احساس طه حسين بفلسطين العربية احساسا ناضجا ، وكثيرا ما كان

يذهب الى فلسطين لقضاء "اجازة" يروح فيها عن نفسه وعن اسرته ، واوراقه الرسمية مازالت حتى اليوم تحمل "مذكرة" تقدم بها الى وزير المعارف العمومية فى النصف الثانى من عام ١٩٤٢ يقول فيها أنه يريد "اجازة" لاننى "ساقضيها فى فلسطين" (انظر دار الوثائق ، محفظة رقم ٤٢/١٢/١١/١٤٠) .

الاكثر من هذا ان طه حسين كان واعيا بما يمكن أن تؤول اليه قضية فلسطين بعد الحرب العالمية الثانية ، فحين سأله مندوب مجلة Jmases Du Momde عن قضية فلسطين قال بسرعة :

– (انتهت الحرب بالقنبلة الذرية .. لكنها تركت قنبلة زمنية هى فلسطين) وهو ما تحفظه ذاكرة قرينته فتتذكره بعد ذلك بزمن طويل .

وعلى آية حال فإنه يمكن تحديد موقف طه حسين من خلال ملاحظتين هامتين :

الأولى : تعاطفه مع اهل فلسطين .

الأخرى : فلسطين فى "الكاتب" .

اما تعاطفه العام مع اهل فلسطين ، فهو يظهر اكثر ما يظهر فى مقالاته المبكرة ، ونخص منها الآن هذه المقالة التى وضع لها عنوانا هو "فلسطين" ، ونشرت فى جريدة "كوكب الشرق" فى ٢٨ أكتوبر ١٩٣٣ ، ثم مقالاته التالية فى نفس الجريدة فى نفس العام .

إن تعاطفه الشديد مع ما يحدث لاهل فلسطين من الانجليز والصهاينة فى هذا الوقت المبكر يدفع به ليكتب قائلا :

(.. إن الذين يشهدون هذه المشاهد المؤلمة ثم لا يتألمون ، ويتلقون هذه الانباء المحزنة ، ثم لا يحزنون .. ليسوا من الناس الذين يستحقون هذا الاسم ، وانما هم قوم قست قلوبهم فهى كالحجارة واشد قسوة . فكيف وبيننا وبين اخواننا من اهل فلسطين صلة الجوار فى الدار والاشتراك فى اللغة والدين ، والاشتراك فى المثل الأعلى ، والاشتراك فيما نلقى جميعا من الظلم وما نحتمل جميعا من العسف ، وما نسأم جميعا من هذا الظلم المخزى) .

وهو خلال هذه الفترة المبكرة لا ينى يتحدث عن فلسطين حديث المراقب الواعي ، ويشد انتباهه كثير من الظواهر التى تشير الى ظلم اهل فلسطين ، نختار منها هنا الضجة التى اثارها المجاهد الفلسطينى المعروف محمد على الطاهر ، ففى مقالته بعنوان "غريب" يتحدث عن مأساة هذا المجاهد الذى كان قائما فى مصر منذ زمن بعيد ، فلما تناهى اليه ان امه مريضة فحاول الذهاب الى حيث تقيم فى فلسطين لم يؤذن له ، ويضيف طه حسين متعجبا :

(لما استفتح الباب لم يفتح له . ولما الح فى الاستفتاح لم يحفل به ، ولما غلا فى الالحاح لم يلتفت اليه ، ثم يحمل له البرق فجيعته فى امه فيحاول العود لكن قلب السجان مغلق دائما كباب السجين . فلن يخرج هذا الصديق الحزين البائس من مصر ، ولن يرى امه ميتة كما انه لم يرها مريضة) .

وتتحول قضية فلسطين فى كتاباته الى دعوة ليثور اهل الشرق على هؤلاء الذين يصنعون القضية – الانجليز – وهؤلاء الذين يهتبلون الفرصة – الصهاينة – ومن ثم يصيح :

(ما اجدر الشرقيين ان يتفكروا فى هذا وان يرحموا اخاهم هذا الغريب وان يرحموا انفسهم فكلهم غريب كهذا الرجل

دائرة الحوار

وان يفكروا لانفسهم فى شىء من العزة والكرامة يطلقهم من هذه السجون الواسعة الهائلة التى يخيم عليها الظلام)

وقد تحول وعيه بالقضية الفلسطينية الى وعى عام يلخص قضية "الغريب" سواء أكان مصرياً فى مصر أو فلسطينيا فى فلسطين ، يضيف :

(الظروف القاسية ، والخطوب العاتية ، والايام السود تأبى إلا ان يكون المصرى غريبا فى مصر فكيف بالرجل من اهل فلسطين ، اذا قام على شواطىء النيل) .

هذا عن تعاطفه مع اهل فلسطين ، فماذا عن موقع فلسطين : الواقع والجغرافيا فى مجلة الكاتب المصرى .

وبالعود من جديد لمراجعة اعداد مجلة "الكاتب المصرى" يبدو لنا : انه لم يتناول قضية فلسطين تناولا مفصلا .

انه يهاجم الغرب كمسئول عن القضية .

انه لم يتخذ من القضية موقفا حاسما .

ولكل هذه المواقف مبرراتها التى تضيف الى موقف طه حسين لاتنال منه .

وببساطة شديدة ، فإن مجلة الكاتب لم تكن مجلة سياسية قط ، انما كانت ـ كما لاحظنا ـ ادبية فى المقام الاول ، والاقرب الى تفسير موقفه هنا انه كان موقفا حياديا ، ولذا كان الأدب ـ فى العالم الثالث لايعرف الحيادية فهى تعنى البعد عن القضايا الاجتماعية والسياسية الملحة ـ فمن الادعى للصواب ان يقال ان موقفه هذا الحيادى ، كان يتخذ وهو يرسل بسهام النقد الشديد على قوى الانجليز ، فهم السبب وراء خلق هذه المشكلة وتعميقها لهدف ذاتى ، ومع هذا فهى لم تجن "سوى الحوادث الدامية" .

ولا يعنى هذا الموقف الميل الى الكفة الاخرى ، كفة الحياد "الصمت" ، وانما كان هذا الموقف يعنى ـ الى جانب لوم الانجليز ـ ادانة لما يفعله اليهود فى فلسطين من ارهاب وعنف امام السكان الاصليين ، ومع انه يصف فى افتتاحية احد اعداد مجلة الكاتب ـ يونيو ١٩٤٦ ـ احد المشاهد البائسة ليهود يهاجرون الى فلسطين مارين بالاسكندرية الى عكا "كانت السفينة تحمل الفا او نحو ألف من ضعاف اليهود المهاجرين من الاطفال والصبية الذين لم يبلغوا الحلم" .. فإن هذا الوصف كان من منطلق انسانى بحت وليس انحيازا صهيونيا بأية حال ..

إن هذا الموقف لم يمنعه من ان يقول ،

اسماعيل صدقى



وهو بصدد أولئك المهاجرين ، إن "أهل فلسطين لم يستأمروا فى ايواء هؤلاء البائسين" ، ويضيف بسرعة فى الفقرة التالية :

"ولكن فى الأرض اوطانا كثيرة اقدر على ايوائهم من فلسطين" .

معنى هذا كله ، انه لا يمكن أن توجد علاقة من نوع ما "تورط او تعمد" بين طه حسين والصهيونية ، ففى هذا الوقت من الاربعينات قبل النكبة ـ ١٩٤٨ ـ لم يكن النشاط اليهودى فى مصر مدعاة للشك ، كما لم تكن المشكلة الصهيونية التى تجسدت فى الاحلام الوهمية فى فلسطين قد اعلنت عن نفسها بالشكل الذى بدت به خاصة بعد عام النكبة وصعودا من الخمسينات .

إن مفهوم الصهيونية لم يكن حينئذ بالشكل الذى عرف به فيما بعد ، وشهادة بيير كاكيا ، "احد الباحثين اليهود من اصل مالطى" ، وله كتاب هام كتبه بعد ان عرف طه حسين عن قرب فى فترة البحث هو : Taha Husayn : Hisplace In The Egyptian Literary Renaissance London 1956 . تؤكد مثل هذا الرأى (لقاء فى شتاء ١٩٨٤) ، فاليهودى المصرى فى هذا الوقت المبكر كان يشعر قبل كل شىء بأنه مصرى ، ولم تكن تحول عقيدته دون الانتماء للوطن) .

مصطفى النحاس



ومما يؤكد على هذا ـ يستطرد كاكيا ـ ان يعقوب صنوع فى موقفه من النظام المصرى الجديد والخديو/ الحاكم ، لم يكن ليخطر بباله ، قط أنه يهودى ، وانما كانت اليهودية فى هذا الوقت قطبا مميزا فى دائرة المواطنة التى تحتوى اصحاب عقائد متباينة ، مما يؤكد هذا المفهوم للصهيونية ، كما نعرفه الآن ، لم يكن ليطرأ قط فى هذه الفترة المبكرة ، على اذهان المصريين .

لم يكن يهود ٤٨ قد كشروا عن انيابهم ، وكشفوا عن اقنعة التواطؤ المريعة التى كانت بينهم وبين الانجليز ، ثم بينهم وبين الأمريكان .. لم يكن اليهود قد وصلوا الى دير ياسين ونسف المساكن الآمنة وبقر البطون والتطاول على الارامل والشيوخ والتهديد والوعيد والارهاب .. إلخ إلخ ..

ورغم أن طه حسين سعى لتأكيد قمة المواطنة وتحرير العقل المصرى من غيابات طويلة ، فإنه لم يكن ليخطر على باله ، قط ، أن ثمة علاقة يمكن أن تقوم بينه وبين الصهيونية .

كما لم يكن ليخطر على باله ، انه سيأتى من يضعه فى دائرة الاتهام ، ليأتى بعدها من يحاول الدفاع عنه ..

وهل طه حسين فى حاجة الى دفاع ؟

إعدام شاعر

بقلم : مصطفى نبيل

هذه واقعة نادرة الحدوث على طول التاريخ المصرى .

إنها واقعة إعدام الشاعر عمارة اليمن فى القاهرة سنة ١١٧٣ م - ٥٦٩ هـ . وتاتى غرابتها لما يتمتع به العالم والشاعر من مكانة عالية فى مصر المحروسة ، التى يجنح مجتمعها لرفع شانهم ، والتسامح معهم ..

فما بالك ، وشاعرنا شاعر فحل وضيف على أهل مصر . ! لقد قيل أيامها ، ان موته كان لاشتراكه فى مؤامرة لقلب نظام الحكم ، تعيد الدولة الفاطمية والفكر الشيعي إلى البلاد ، وان لها علاقة بالغزاة من الفرنجة ولم يعدم أبدا لكونه شاعرا أو فقيها .. فهل لقى الشاعر حتفه لدوره فى المؤامرة ، أم بسبب مايتغنى به من شعر ، ومايكتبه من نثر .. ؟

ولم يتركنا الشاعر عمارة اليمنى حيارى ، بعد أن ترك لنا سيرته الذاتية ، فى كتاب «النكت العصرية فى أخبار الوزراء المصرية» ، وسجل فيه مدى إضطراب عصره ، وتناول علاقاته برجال الحكم فى مصر ، الخلفاء والوزراء ، ونقل الحياة الثقافية والفكرية ، وأثبت قصائده فى مديح ورثاء الدولة الفاطمية ، وشكواه ومدحه لصلاح الدين ، بل وحتى مدحه للقاضى الفاضل الذى أصدر فيما بعد حكما بإدانته .

لقد كتب كل ذلك بعبارة سهلة جزلة واضحة صريحة ، وخاصة عندما قدم كتابه بقوله .. «فضل الله الإنسان بعقله ونطقه ، وهذا مجموع ماكتبت ، لم اقصد به شيئا مخصوصا ، ولا فنا منصوصا - قبل شيوع فن كتابة السيرة الذاتية - ، ولم أورد فيه إلا ما أملاه الخاطر ، أو رواه من أقيمه فى الصدق مقام الناظر .. وأشرت فيه إلى النكت العصرية ، فى أخبار الوزراء المصرية ، ومادام الليل والنهار دائمين ، والشمس والقمر دائبين ، فالعجائب المتوالدة صيور ، والتواريخ لها قيود ، ومايخلو الإنسان من بداية مهده ، إلى غاية لحده ، من الوقوع إما فى أحسن الأحوال أو قبح أهوال» ، ويستطرد وكأنه يقرأ الغيب ... «إذا لم تؤرخ النوازل ، عفى النسيان آثارها ، وطمس الإهمال



اثوارها ، واشرت فيه إلى ماشاهدت . من غير إفراط فى أوصافهم ، ولا تفريط فى إتصافهم ، وفى كتابى هذا أقتصر واختصر ، واذكر من مولدى وموطنى ونسبى طرفا ابنى عليها اول حالى وآخر مآلى ، فقد قيل الإنسان من حيث يولد يوجب ، ومن حيث ينبت يثبت ..

وأما النسب فقحطانى ، وأما الوطن فمن اهل الجبال بتهامة اليمن ، من بلدة يقال لها مرطان ، اباؤه سادة قومه ، منهم العلماء والفقهاء والقادة .. عندما بلغت الحلم ، سافرت وأقمت فى زبيد ادرس المذهب الشافعى ، واتقن لغتى واتفقه فى دينى ثم عملت بالتجارة ، بين زبيد وعدن مدة عشر سنوات [من سنة ١١٤٣ م إلى سنة ١١٥٣ م] ، ونظمت الشعر واتصلت بملوك اليمن حتى قيل .. أصبحت تعد من جملة أكابر التجار ، وأهل الثروة ، ومن أعيان الفقهاء الذين افتوا ودربوا غيرهم ، ومن افضل اهل الادب منزلة وافصحهم عارضة ..

● الوبر والحضر

ولايفوت قارىء هذه الفترة أن يلحظ ثقافة العصر ، التى تتميز بالاعتزاز بالانساب ، وتميز البادية عن الحضر ، ويتباهى عمارة قائلا .. « وأهل تهامه اليمن ، أهلها بقية العرب ، لانهم

أعلام شعراء

لايساكنهم حضرى ، ولا يناكحونه ، ولايجيزون شهادته ، ولايرضون بقتله قدرا بأحد منهم ، ولذلك سلمت لغتهم من الفساد» ! ونمضى معه فى رحلة حياته ..

يحج إلى بيت الله الحرام سنة ٥٤٩ هـ ـ ١١٥٤ م ، وتتوثق علاقته بصاحب مكة قاسم بن هاشم أمير الحرمين ، ويبعثه إلى مصر برسالة إلى الفائز خليفة مصر الفاطمى ، وأخرى إلى وزيره الملك الصالح طلائع ابن رزيك ، واستغرقت هذه الرحلة نحو ثمانية أشهر ، أصبح فيها عمارة اليمنى أحد أبرز وجوه منتدياتها وهو المتحدث اللبق وصاحب النظم والشعر والبلاغة ..

استقبله الصالح فى قاعة الذهب فى قصر الخليفة ، والذى كان يطل على مايطلق عليه اليوم شارع المعز لدين الله ، وفى اللقاء الأول وقف عمارة وانشده :

قرين بعد مزاد العز من نظرى
حتى رأيت إمام العصر من أمم
فهل رأى البيت أنى بعد فرقته
ما سرت من حرم إلى حرم
حيث الخلافة مضروب سرادقها
بين النقيضين من عفو ومن نقم

وبعد انشاده تلك الأبيات ، تدفقت عليه الخلع والعطايا ، وخلع عليه من ثياب الخلافة ، وناوله الوزير طلائع خمسمائة دينار ، وأرسلت إليه سيدة القصر بنت الحافظ الخليفة السابق خمسمائة دينار أخرى ... «ونظمنى الصالح للمجالسة فى سلك أهل المؤانسة ، ووجدت بحضرته أعيان أهل الأدب» .

ولم يدر أن هذه أولى خطواته نحو نهايته .

● أحوال مصر ومجالسها

وينتقل عمارة فى كتابه بعد هذا المدخل ـ إلى مذكرات سياسية هامة ، ينقل فيها للقارىء أحوال مصر ومجالسها ، بعد أن رجع إلى مصر للمرة الثانية سنة ٥٥١ هـ ـ ١١٥٦ م ، بعد أن أوفده مرة أخرى صاحب مكه ، ويحتفى به المصريون ، وعلى رأسهم الوزير طلائع ، وتتدفق عليه العطايا ..

وتغريه القاهرة ومجالس المؤانسة بالإقامة والاستقرار ، رغم أحداثها السياسية العاصفة ، ورغم حدة الصراع الفكرى والسياسى ، ولم يكن غريبا شيوع أحد جوانب الإرهاب الفكرى الذى يسجله عمارة اليمنى ـ ضاربا لذلك مثلا ، عندما وقع خلاف بين والى قوص وبين أمير الحرمين ، ونقل والى قوص للوزير الصالح ... «أنى ـ أى عمارة ـ طعنت فى مذهب الإمامية (الشيعة) فكتبت إليه :

ولى تحت دار الملك يومان لم تلح
لعينى علامات الكرامة والبشر
وقد أخذت أيام قوص نصيبها
فهل نقلت تلك السجايا إلى مصر

وبعدها خرج أمر الوزير باكرامى وإيصالى إليه .

ويورد مثلا آخر عندما يشكو مايدور فى مجلس الوزير الصالح ... «جرى من ذكر السلف ما اعتمدت عند ذكره وسماعه ، قول الله عز وجل .. فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا فى حديث غيره .. ، فاستوحش الوزير من غيبتى ، وتساءل : خيرا فأجبت : لم يكن بى وجع ، وإنما كرهت ماجرى فى حق السلف وأنا حاضر ، فإن

أمر السلطان بقطع ذلك حضرت .. وكان مرتاضا حصيفا لقى فى ولايته فقهاء السنة وسمع كلامهم ..

ورغم هذه الواقعة التى يثبتها فى كتابه ، يذكر عماد الدين الكاتب ، أن الصالح بن رزيك طلب من شاعرنا أن يصبح متشيعا ، ويعطيه ثلاثة آلاف دينار ، وتأبى عمارة عن الإنتماء إلى القوم .

● بين السقوط والقيام

ولاتمضى الأيام على حالها ، وتسقط البلاد فى عاصفة دامية ، ويقتل الوزير الصالح بن رزيك ، وتشتعل المنافسة الحادة بين ضرغام وشادر ، ويستنجد الخليفة العاضد ـ آخر الخلفاء الفاطميين ـ بنور الدين صاحب الشام ، فيرسل أسد الدين شيركوه وابن أخيه صلاح الدين ، وتتوالى الأمور والأحداث ، ويصبح أسد الدين وزيرا للخليفة ، وعندما يخطفه الموت يتولى الوزارة من بعده صلاح الدين . ويصبح وصوله إلى الوزارة الخطوة الأولى فى قيام دولة جديدة والقضاء على الخلافة الفاطمية .

وتنعكس هذه الأحداث على السيرة الذاتية لشاعرنا ، ويصف العديد من صورها .. ويروى مقتل الصالح قائلا ..

«ولما قتل ـ أى أصيب فى محاولة قتله ـ الصالح هاجت القاهرة وماجت ، وذل الجرىء وخاف البرىء ، فلم أشعر حتى وصلنى غلمانه بخمسين دينارا ، وقال .. «إنه قد جاءنا من هذا الأمر مايشغلنا عنك ، وإنا لاتدرى ماتكون العاقبة ، فانقل أهلك إلى مصر ـ أى خارج القاهرة ـ ورتب أحوالهم بهذا الذهب ، فانتقلت إلى مصر ، وصعدت إليه لفرط الزحام عليه ، ثم بصر بى فأومأ لى بيده أن أدور من ناحية أخرى ، ففتح الخريطة وقبض لى منها قبضة بلا عدد ، زادت على الثلاثين ، وقال : اشتر بهذه الدنانير على وجه العيد مايحتاجه أهلك ، فإنا عنك مشاغيل ..»

ويروى عن مقتل الكامل بن الصالح ابن رزيك مايلى :

«دخلت قاعة السر من دار الوزارة وفيها على من شاور وضرغام ، وجماعة من الأمراء مثل عز الزمان ومرتفع الظهير ، ورأس رزيك بن الصالح بين أيديهم فى طست ، فماهو إلا أن لمحته عينى ، ورددت كمى على وجهى ، ورجعت على عقبى ، وماملأت عينى من صورة الرأس ، ومامن هؤلاء الجماعة الذين كان الرأس بين أيديهم ، إلا مات قتيلا ، وقطعت رأسه عن جسده ، فأمر شاور من ردنى ، فقلت : والله ماأدخل حتى تغيب الرأس عن عينى ، فرفع الطست ، وقال لى ضرغام : لم رجعت ؟! قلت : بالأسى رهو سلطان نتقلب فى نعمته . قال : لو ظفر بنا ما أبقى علينا . قلت : لاخير فى شىء يؤول الأمر بصاحبه من الدست إلى الطشت» ! !!

واستطاع شاعرنا مع كل هذه التغييرات السياسية الدامية أن يحافظ على علاقات ود وصداقة ، مع الذين تقلبوا على كرسى الحكم ، ونظم فى كل منهم المدائح ، وتلقى منهم العطايا ..

ولم يمنعه ذلك من أن يتأسى عند زوال دولة بنى رزيك ، ويذكر .. «إنما زالت دولة مصر بزوالهم» !! ، أما شاور خصم بنى رزيك فيقول عنه .. «أما أخلاق شاور فكانت مستورة باستمرار السلامة والطاعة والاستقامة ، ولم يكن فيها أقبح من قتل الناصر من الصالح ، فإنها سودت ما إبيض من عالى قدره» !!



ولم يمنعه رأيه هذا في اليوم التالى لقتل شاور بن رزيك من مدحه :

صمت بدولتك الأيام من سقم
وزال مايشتكيه الدهر من ألم

● الوزراء وأكابر الأمراء

«قد أتيت على نبذة يسيرة من الفقر المصرية ، فيما شاهدت من أحوال الوزراء المصرية ، وأنا ذاكر فى هذا المختصر نتفا جرت لى مع أقارب الوزراء ، وأكابر الأمراء ، فما منهم إلا من كاثرته ، وعاشرته ، وبلوت سمينهم وغثهم ، وقويهم ورثهم ، وانكشف المصقول من الصدى ، والجيد من الردىء ..»

هذا ماجاء على لسانه فى كتابه ، ولكن بينما يؤرخ لهذه الوقائع ، تظهر القاهرة غامضة وبلا ملامح ، ولا تلمس الأسى لديه وهى تحترق وتأكل النار بيته ، لكى لاتسقط فى أيدى الفرنجة ، وتبدو الهجمة الصليبية باهتة فى كتاباته ، وكان القتال فى مواجهة الغزاة مثل أية صراعات محلية أخرى !.

وكل مانقله عن القاهرة مجالسته فى قصورها للوزراء والأمراء والأدباء ، ولم يشبعنا بوصف عمارتها وأسواقها أو جوامعها ، ونعرف فقط أنه كان يسكن صف الخليج ، عندما إحترق منزله وحصل من شاور على تعويض .. «فمن كرم شاور بعد حريق دارى محل شط الخليج ، ونهب ماأبقت النار لزمنى دين كثير فأداه عنى ، وبقيت منه مائتا دينار فدفع لى مائة ، وأمر لى بمائة كبش بيعت بمائة وعشرين دينار ..» !

ولم نعرف من عادات وتقاليد القاهرة ، إلا أن الوزراء يتولون حتى مسئولية وجود زوجة صالحة له ... يقول .. «حضر ضرغام معى دفن إمرأة لى ماتت ، فسأل .. أعندك حرة غيرها ، قلت : لا . فقال : لاخير فى دار ليست فيها حرة مهيبة ، ثم ذكر لى عدة نساء وقع الرأى على واحدة منهن .. قال ضرغام .. على أن آخذ لك مهرها ، وكان حسن التأنى فى الحوائج ..»

وكثيرا ماسخط شاعرنا على مايفعل ، وكثيرا ماقرر التوقف عن مدح الحاكم ، يقول .. «رأيت شاور يوما وقد انشرح صدره فقلت له : إن لى مدة تنازعنى النفس فى الحديث معك فى حاجة لدى ، أن تعفينى من عمل الشعر ، وتنقل الجارى على الخدمة راتبا على حكم الضيافة ، فإنى أرى التكسب بالشعر والتظاهر به نقيصة فى حقى ، قال شاور : فما منعك أن تستعفى فى أيام الصالح وابنه ؟ .. قلت : كانت لى أسوة وسلوة بالشيخ ابن الحباب وبأبنى الزبير ، وأنقرض الجيل والنظراء .. وأجاب : تعفى ، ثم أمر بإنشاء سجل بإعفائى ، وأخذ عليه خط الخليفة وخطه بذلك .. »

ولم ينقطع رغم ذلك ــ عن نظم الشعر ، ولم يتوقف عن مديح الأمراء والحكام يغريه مايجلبه المديح لقائله من النفوذ والفلوس ، والدولة الفاطمية من حوله تتحلل .

وتميزت هذه المرحلة بضعف الخلفاء الفاطميين وتحكم الوزراء ، وتصاريح الأجناد من سودان وأتراك ومغاربة ، مما كان إيذانا منها بنهاية الدولة الفاطمية .

● الوحدة والقوة

يدور الصراع بين أطراف الحكم ، وغرقت الحريم فى مؤامرات القصور ، وعمليات القتل والغدر ، من لم يمت بالسم قتل بخنجر فى الظلام ، والكل غافل عن الخطر الصليبى والمستوطنات التى تقوم فى الشام وفلسطين وأصبحت مصر نقطة لقاء وصراع بين كل من نور الدين والصليبيين ، يعرف كل منهما أن من يضمها إلى جانبه سيحسم الصراع لصالحه . وفى ذلك يقول شاعرنا عمارة اليمنى :

يارب إنى أرى مصرا قد إنتبهت
لها عيون الأعادى بعد رقدتها
وهب لنا منك عونا نستجير به
من فتنة يتلظى جمر وقدتها

وأدرك الجميع أن ماحققته الحملة الصليبية من نجاح يعود إلى غياب حاكم قوى ، ووجود عدد من الحكام الضعاف المتقاتلين ، ويؤكد وليم الصورى .. «لن تنعم القدس بالأمان ، إلا إذا إستمر العداء بين القاهرة ودمشق ..»

ويبدأ عماد الدين زنكى مسيرة التوحيد من الموصل إلى مصر ، ثم واصلها نور الدين محمود ، وأكملها صلاح الدين ، الذى وضع أمامه هدفين ، هما توحيد الشرق وطرد الغزاة بتوحيد مصر والشام .

● قراقوش فى القاهرة !

وتكملة حكاية عمارة اليمنى لاتوجد بالطبع فى سيرته الذاتية ، ولكن عند أولئك الذين رددوها ..

وكان من الطبيعى أن يواجه صلاح الدين فى القاهرة ، الجماعات التى تزدحم بها العاصمة من أنصار الخلافة ، ويسجل صلاح الدين فى تقرير أرسله إلى بغداد .. «وصلنا البلاد وبها أجناد عددهم كثير ، وأموالهم واسعة ، وكلمتهم جامعة ، وهم على حرب الإسلام أقدر منهم على حرب الكفر ..» ، وفرض التهديد الخارجى على صلاح الدين أن يأخذ الناس بالشدة ، وظهرت شخصية مازالت رمزا للقسوة وهى شخصية الخصى بهاء الدين قراقوش ، الذى فرض رقابة صارمة على كل من عرف بميوله الفاطمية .

وكان المواطنون كما وصفهم القاضى الفاضل فى رسالة إلى صلاح الدين .. «ليس لك من المسلمين كافة مساعد إلا بدعوة ، ولا مجاهد معك إلا بلسانه ، ولا خارج معك إلا بهم ، ولا خارج بين يديك إلا بأجرة ، ولا قانع منك إلا بزيادة تشترى منهم الخطوات شبرا بذراع ، وذراعا بباع ، تدعوهم إلى الله ، وكأنما تدعوهم لنفسك ، وتسألهم الفريضة وكأنما تكلفهم النافلة وتعرض عليهم الجنة ، وكأنك تريد أن تستأثر بها دونهم ..»

ورأينا كيف استنجد شاور بالصليبيين ودعاهم إلى إحتلال مصر . !!

وفى هذا السياق لم يكن شاعرنا يحتاج إلى تلك الرقابة الصارمة ، فلم يخف مشاعره عند زوال الدولة الفاطمية ، وراح يدبج القصائد فى رثائها ويظهر أسفه على زوالها ، وكتب لصلاح الدين قصيدة يشكو فيها حاله سماها «شكاية المتظلم ونكاية المتألم» ، وعلى الجانب الآخر نظم قصائد يمدح صلاح الدين ، وأخيه شمس الدولة .

إغراء شاعر

● العمل فى الخفاء !

ولما كانت أحد مكونات الدولة الفاطمية تقوم على الخفاء والسرية ، فكان إعلان زوالها إشارة البدء للعمل السرى لإعادتها ، والتنسيق بين الأطراف المتعددة ، من بقايا جنودهم ، وداعى دعاة مذهبهم ، وأن تبدأ خطة العمل التى تقوم على دفع قوات صلاح الدين التى يقودها شمس الدولة إلى اليمن ، وأغرى عمارة شمس الدولة ، بقوله :

أمامك الفتح من شام ومن يمن
فلا ترد رءوس الخيل باللجم

ثم .. الاتصال بالفرنجة وطلب تجريد حمله على مصر بقواتهم فى الشام وصقلية ، والتنسيق مع الاسماعيلية فى الشام والحشاشين فى إيران ، وبعد نجاحهم فى إغراء الجيش بالسفر إلى اليمن نجحوا فى دفع اسطول صليبى إلى الاسكندرية من جزيرة صقلية قوامه ثلاثمائة سفينة .

وتتوقع الخطة أن يخرج صلاح الدين لقتالهم ، وينقض المتآمرون على من يتبقى من جنده فى القاهرة ، وكشف تفاصيل الخطة الفقيه الواعظ ابن نجا الدمشقى ، الذى رفض التواطؤ ، ولم يقبل التعاون مع الفرنجة ، ولكنه تظاهر بالموافقة ثم نقل خططهم لصلاح الدين الذى أمره .. «بمخالطتهم ومواطأتهم وتعريفه بالمتجدد من أمورهم .. » .

وعندما وصل رسول من الصليبيين إلى صلاح الدين ، وأسمه جورج ... «إن جورج يحمل رسالة مخاتله لارسالة مجامله ، ويحمل بليه لا هديه» ، وكان رجال صلاح الدين فى إنتظاره يتابعون ويسمعون .

● ماسجله التاريخ

ويسجل ابن الأثير المؤرخ الذى عاصر تلك الأحداث قائلا :

صلب صلاح الدين ثانى يوم فى رمضان فى سنة ٥٦٩ هـ ، جماعة ممن أراد الوثوب به بمصر من أصحاب الخلفاء العلويين .

وسبب ذلك أن جماعة من شيعة العلويين منهم عمارة بن أبى الحسن اليمنى الشاعر ، وعبدالصمد الكاتب ، والقاضى العويرسى ، وداعى الدعاة وغيرهم من جند المصريين ورجالهم السودان ، وحاشية القصر ، ووافقهم جماعة من امراء صلاح الدين وجنده ، واتفق رأيهم على إستدعاء الفرنج من صقلية ، ومن ساحل الشام إلى ديار مصر على شىء بذلوه لهم من المال والبلاد ، فإذا قصدوا البلاد وخرج إليهم صلاح الدين بنفسه ، ثاروا هم فى القاهرة ومصر وأعادوا الدولة العلوية ، وعاد من معه من العسكر الذين وافقوهم عنه ، فلا يبقى له مقام مقابل الفرنج ، وإن كان صلاح الدين

يقين ويرسل العساكر إليهم ثاروا به ، وأخذوه أخذا باليد لعدم وجود الناصر له والمساعد ، وقال لهم عمارة : وأنا قد أبعدت أخاه إلى اليمن خوفا أن يسد مسده وتجتمع الكلمة عليه بعده».

ومازال الحديث لابن الأثير ..

«وأرسلوا إلى الفرنج بصقلية والساحل فى ذلك ، وتقررت القاعدة بينهم ، ولم يبق إلا رحيل الفرنج ، وكان من لطف الله بالمسلمين أن الجماعة المصريين أدخلوا معهم فى هذا .. الأمير زين الدين على بن نجا الواعظ ، والمعروف بابن نجيه ، وتبوا الخليفة، والوزير والحاجب والداعى

والقاضى ، إلا أن بنى رزيك قالوا : يكون الوزير منا ، وبنى شاور قالوا : يكون الوزير منا ، فلما علم ابن نجا الحال حضر عند صلاح الدين ، وأعلمه حقيقة الأمر ، فأمر بملازمتهم ، ومخالطتهم ، ومواطأتهم على مايريدون أن يفعلوه ، وتعريفه مايتجدد اولا بأول ، ففعل ذلك وصار يطالعه بكل ماعزموا عليه .

ثم وصل رسول من ملك الفرنج بالساحل الشامى إلى صلاح الدين بهديه رساله ، وهو فى الظاهر إليه ، والباطن إلى أولئك الجماعة .

وكان يرسل إليهم بعض النصارى وتأتيه رسلهم ، فأتى الخبر إلى صلاح الدين من بلاد الفرنج بجلية الحال ، فوضع صلاح الدين على الرسول بعض من يثق به وداخله ، فأخبره الرسول على حقيقته ، فقبض حينئذ على المقدمين فى هذه الحادثة ، منهم عمارة وعبدالصمد والعرويس وغيرهم وصلبهم .

وكان نجا الواعظ قد أبلغ القاضى الفاضل ، فأخذه إلى صلاح الدين فى الجامع ، فقام وأخذ الجماعة وقررهم ، فأمر القاضى بصلبهم .

وكان عمارة بينه وبين الفاضل عداوة من أيام العاضد وقبلها ، فلما أراد صلبه ، قام القاضى الفاضل وخاطب صلاح الدين فى إطلاقه ، وظن عمارة أنه يحرض على هلاكه ، فقال لصلاح الدين : يامولانا لاتسمع منه فى حقى ، فغضب الفاضل وخرج ، وقال صلاح الدين لعمارة : إنه كان يشفع فيك ، فندم ثم أخرج عماره ليصلب ، فطلب أن يمر به على مجلس القاضل ، فاجتازوا به عليه ، فأغلق بابه ولم يجتمع به . فقال عمارة !

عبدالرحيم قد احتجب : إن الخلاص هو العجب

ويسجل الحال القاضى الفاضل الذى حاكم المتآمرين وأمر بإعدامهم .. «لاتخلو سنة تمر ، ولا شهر يكر من مكر يجتمعون عليه ، وفساد يتسرعون إليه ، وحيلة يبرمونها ، ومكيدة يتصمونها ، وكان أكبر مايتعللون به ، ويستريحون إليه المكاتبات المتواترة ، والمراسلات المتقاطرة إلى الإفرنج ، يوسعون ، لهم فيها سبيل المطامع ، ويزينون لهم الإقدام والقدوم ...»

ومن هنا نتبين أن عمارة اليمنى ، لم يكن يعزف على قيثارته من أجل آمال وأحلام مجتمعه ، بل توجه بفنه إلى السلطان ، يطلب ذهبه وعطاياه ..

فانعزل الشاعر عن أهله ، وأمكن شنقه وإعدامه .

النظام الدولى

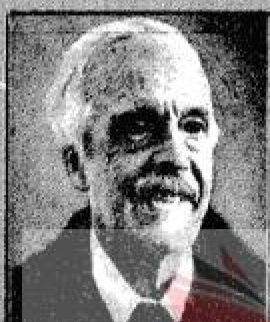
ومستقبل النظام العربى !

بقلم: عبد الرحمن شاكر

ثمة فجوة ، او بالاصح هوة واسعة ، بين ما يسمى «بالنظام الدولى» الجديد ، الذى تتشكل ملامحه ، فى فترة ما بعد الحرب الباردة ، وما يسمى «بالنظام العربى» الذى كان يتمثل حتى الآن ، ولايزال ولو من الناحية الشكلية ، فى جامعة الدول العربية . وهناك خوف شديد ، من ان يستكمل الأول منهما ، وهو النظام الدولى وجوده ، ويثبت هذا الوجود ، على حساب النظام العربى ، على نحو يتضمن تدميره ، او تدمير بعض مكوناته الأساسية ، وبالاخص احتمالات تطوره فى المستقبل ، فى ظل ازمة الخليج الحالية ، هذا إذا ما استطاعت الأمم المتحدة ، هيئة النظام الدولى ، ان تتخذ قرارا بحل هذه الأزمة عسكريا ، ومضت بالفعل فى تنفيذ هذا الحل ، عن طريق القوات متعددة الجنسية المحتشدة فى الخليج الآن وبعض دوله ودويلاته العربية ، وعلى رأسها قوات واساطيل الولايات المتحدة الأمريكية .

● هناك إذن ـ الى جانب الفجوة بين النظامين ـ صراع او تنافس بينهما ، يبدأ من الحوار ، وينتهى او قد ينتهى إلى الدمار . والدمار ليس من نصيب جانب واحد فحسب ، فإذا كان الحل العسكرى الذى قد يفرضه النظام الدولى يعنى دمارا شاملا للنظام العربى ، فالعكس صحيح . فإن عدم حل الأزمة الراهنة ، او بقاء الوضع على ما هو عليه ، انطلاقا من عروبة المشكلة ، قد يعنى عند «اصحاب» النظام الدولى دماره ، حينما تعجز الأمم المتحدة على صيانة وجود إحدى دولها ! كما ان الحل العسكرى ، فى ظل اسلحة الدمار الشامل التى قد تستخدم من جانب احد الفريقين او كليهما لا تنطوى على احتمالات تدمير البيئة العربية وحدها ، وهلاك عدد هائل من


جورباتشوف


بلفور

مواطنيها ، بل يمكن ان يمتد إلى كثير مما يحيط بهذه البيئة من شعوب وامم اخرى . والمحافظة على البيئة على المستوى الدولى - ليس من اخطار الحروب وحدها ، بل من اخطار الانتاج والاستهلاك السلميين ايضا ، كانت ولاتزال واحدة من اهم مسئوليات النظام الدولى ، واحد الدواعى الكبرى لوقف الحرب الباردة بين المعسكرين الكبيرين ، والتطور بالنظام الدولى إلى مستوى يقارب تحويل الأمم المتحدة إلى ما يشبه الحكومة العالمية ، والعمل على توحيد العالم تحت قيادتها .

ومادمنا قد أتينا على ذكر « التوحيد » ، او الوحدة العالمية ، فالنظام العربى بدوره هو محاولة او تطلع الى توحيد العالم العربى ، او الوطن العربى ، او الأمة العربية الممزقة إلى دول او دويلات عديدة فى رابطة ادناها هى الجامعة العربية الحالية ، واعلاها دولة اتحادية واحدة . وجزء من الصراع او التنافس ما بين النظامين المذكورين ، هو ايهما يتوحد اولا ؟ العرب أم العالم ؟! والفجوة او الهوة المذكورة فى أول المقال ، هى أن العالم يوشك ان يسبق العرب فى توحده ! بل يكاد يتوحد على حسابهم ، واشر من ذلك ان يتوحد ضد النظام العربى او ضد شطر رئيسى من مكوناته على الاقل !

● التنافس قديم

على أن التنافس ، او الصراع بين النظامين العربى والدولى ليس وليد اليوم ، بل هو قديم قدم النظامين ذاتهما وبداياتهما الأولى ، فإذا كانت جامعة الدول العربية قد ولدت فى أواخر الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٤ ، فإن هيئة الأمم المتحدة ، قد وجدت بعد ذلك بعلم واحد ، عندما وضعت تلك الحرب اوزارها ، وسرعان ما خاض «النظامان» اول معركة بينهما قبل ان ينتهى عقد الأربعينيات الذى ولدا فيه ، وذلك حول قضية فلسطين ، فقد اختار النظام الدولى الوليد انذاك ، ان يحل مشكلة يهود العالم المشردين على

النظام الدولي

أيدى النازية الألمانية ، التى تم دحرها فى الحرب العالمية الثانية ، على حساب العرب ونظامهم الاقليمى ، وذلك بالقرار الذى أصدرته الأمم المتحدة عام ١٩٤٧ بتقسيم فلسطين إلى دولتين إحداهما يهودية . بعد انتهاء الانتداب البريطانى من جانب «عصبة الأمم» ، الهيئة الدولية السابقة على الأمم المتحدة على فلسطين ، وعلى أساس الركائز التى وضعها هذا الانتداب فى الفترة ما بين الحربين فى ذلك القطر العربى ، تنفيذا لوعد بلفور وزير الخارجية البريطانى إبان الحرب العالمية الأولى باقامة وطن قومى لليهود فى فلسطين ، من السماح بهجرة اعداد متزايدة من اليهود ـ الأوربيين اساسا ـ الى فلسطين ـ الى تسهيل تملكهم للاراضى على نطاق واسع ، الى السماح لهم بتشكيل مليشيات مسلحة للدفاع عن وجودهم المفروض والتوسع فيه ، مما يدخل فى باب ممارسات الاستعمار الاستيطانى ، الذى زاولته الدول الأوربية ، فى أجزاء كثيرة من المناطق التى اعتبرها الاستعمار الأوربى مناطق مختلفة ، غير مؤهلة للاستقلال وتقرير مصيرها بإرادة شعوبها .

ولم يكن من قبيل المصادفة ان تصادق على قرار تقسيم فلسطين ، وتبادر الى الاعتراف بقيام دولة اسرائيل اليهودية فى فلسطين ، كلتا الدولتين الكبريين ، الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفييتى ، اللتين دخلتا بعد ذلك فى مباراة طويلة من الصراع بينهما حملت اسم الحرب الباردة التى دامت قرابة اربعين عاما ، وحققتا حول قرارهما المشترك ما يسمى بالاجماع الدولى ، الذى يستخدم الآن فى الادانة الدولية للعراق ، واحتلاله الكويت ، ويهدد بفرض قراراته عسكريا !

وإذا كان الاجماع الدولى الحالى ضد العراق ، يشارك فيه شطر كبير من النظام العربى ، أو الدول العربية ، فإن الأمر لم يكن كذلك فى مسالة فلسطين ، فقد كانت تجربة وجود نظام عربى فى ذلك الحين ، هو تحديه لذلك القرار الدولى ، بالاصرار على عروبة فلسطين ، ومحاولة الدول العربية المحيطة بفلسطين منع تنفيذ القرار بالقوة المسلحة ، وكانت النتيجة كما هو معروف فشلا كاملا للنظام العربى ، وهزيمة عسكرية اتاحت لاسرائيل ان تستولى على اراض اوسع بكثير مما حدده لها قرار التقسيم ، تلتها هزائم اخرى بلغت ذروتها فى حرب ١٩٦٧ ، التى تمكنت خلالها اسرائيل من احتلال كل فلسطين ، وبعض اراضى الدول العربية المجاورة .

● لماذا لا تجلو اسرائيل ؟

ولا يزال «فقهاء» النظام الدولى ، كلما احتج عليهم صوت عربى يقول : لماذا لا تفرضون قرارات مجلس الأمن والأمم المتحدة ، بضرورة جلاء القوات

الاسرائيلية عن الأراضى العربية المحتلة بعد عام ١٩٦٧ ، بالقوة ، أو حتى المقاطعة الاقتصادية ، كما تفعلون الآن ، أو قد تفعلون بالنسبة للعراق ، يحتجون على هذا «الصوت» بقولهم : انتم أيها العرب المسئولون عن هذا الوضع برفضكم قرار التقسيم عام ١٩٤٧ !

ومعروف أن قيام دولة اسرائيل ، وتوسعها على حساب العرب ، قد ادى الى احباط كل محاولة للتطور بالنظام العربى الى وحدة أوثق ، بل هدد بتدمير المظهر المحدود لهذه الوحدة وهو جامعة الدول العربية ، التى استبعدت دولها كبرى الدول العربية ، وهى مصر ، من عضويتها لمدة عشر سنوات ، حينما لم تجد حكومتها وسيلة لاسترداد ارضها المحتلة فى سيناء ، الا بالاعتراف بدولة اسرائيل ، وعقد معاهدة سلام معها ، وتبادل التمثيل الدبلوماسى وتطبيق العلاقات معها طبقا لذات المعاهدة !

وهكذا أسهم النظام الدولى منذ مولده ، وقبل استوائه الحالى ، فى عرقلة تطور النظام العربى ، وايجاد الهوة أو الفجوة التى تزداد اتساعا بينهما !

● عناصر المساعدة

على أن النظام الدولى فى تطوره الجديد ، ينطوى على عناصر من داخله ، قد تساعد النظام العربى على أن ينمو بدوره ويلحق به ، حتى ولو لم تكن لدى النظام الأول إرادة واعية لتحقيق تلك المساعدة ! من ذلك مثلا ، ما يلجأ إليه بعض ساسة الدول الكبرى ، مثل الريئس السوفيتى ميخائيل جورباتشوف ، من تشجيع العرب ، وحثهم على إيجاد حل عربى لمشكلة الخليج ، قبل تطور الامور الى مستوى الكارثة ، بفرض الحل العسكرى . ففى تلك الاشارة الى الحل العربى اعتراف ضمنى ، حتى ولو لم يكن مقصودا ، بان العرب أمة واحدة ، حتى ولو لم يكن لوجودهم الموحد شكل قادر على حل أمثال تلك المشاكل ، أو بالأحرى منع وقوعها ! وغير بعيد أن اشار بعض الساسة الألمان فى بداية أزمة الخليج الى وصفها بانها مشكلة «داخلية» لدى العرب والمسلمين ، عليهم أن يجدوا حلا لها !

على أن عناصر المساعدة لا تقتصر على تلك التلميحات والايحاءات العارضة . فاذا ما استعرضنا العوامل التى امكن على أساسها أن يخرج المعسكران الكبيران من دائرة الحرب الباردة ، التى كانت بمثابة حلقة خبيثة مفرغة ، تصب فيها معظم القوى الانتاجية والابداعية للقوتين الكبريين فى العالم وحلفائهما ، حتى انهك اقتصادهما معا ، ولو بدرجات متفاوتة .. لوجدنا أن أهم تلك العوامل ، بعد إدراك أخطار الدمار العسكرى وتدهور البيئة ، هو التقاء القيم الاجتماعية ، مابين الديموقراطية السياسية ، والاشتراكية ، أو العدالة الاجتماعية ، والديموقراطية الاقتصادية . وإذا كانت الكتلة الاشتراكية هى صاحبة المبادأة فى التقارب الحالى ، عن طريق تخليها عن

النظام الدولي

نظم الاستبداد باسم الاشتراكية والعدل الاجتماعي إلى الاقرار بضرورة الديموقراطية السياسية ، فإن المجتمعات الديموقراطية الرئيسية في العالم ، قد دخلتها اصلاحات اجتماعية واسعة تحقق الكثير مما كانت تصبو إليه المبادىء الاشتراكية .

أين العالم العربي ، أو النظام العربي ، في تلك المبادىء المتحدة - ان جاز التعبير؟ لاشك أن النظام العربي بعيد عنها كل البعد ، فلا يزال الاستبداد يسود معظم المجتمعات العربية ، سواء في صورة نظم تقليدية ذات طابع قبلي ، أو نظم انقلابية او ثورية ترفع بعضها شعارات الاشتراكية ، ولا يكاد يكون لها منها سوى الاستبداد ، في الوقت الذي تتحول فيه الاشتراكية على المستوى العالمي الى الديموقراطية .

جورج بوش



أما من حيث العدل الاجتماعي ، فإن تركيبة المجتمعات العربية لم تسمح فحسب بالتفاوت الاجتماعي الواسع النطاق داخل المجتمع العربي الواحد ، اى داخل كل دولة بذاتها من الدول العربية ، بل أيضا بالتفاوت على مستوى النظام العربي ذاته ، ما بين الدول أو حتى الدويلات ذات الدخول النفطية العالية ، وسواها ، أو ما بين دول المال ، ودول الرجال كما يقال حاليا ، في الوقت الذي لايكاد يستغني فيه احد الفريقين عن الآخر ، بحكم التواصل الثقافي واللغة الواحدة ، والعقيدة السائدة ، اللتين تسهلان التعاون على المستوى العمراني والخدمي ، والأمني .. الخ جوانب الحياة العامة للمجتمعات العربية . ولعل الأزمة الراهنة في الخليج هي أحد مظاهر استطالة بقاء الأوضاع العربية ، شديدة التناقض في مختلف مجتمعاتها .

إن النظام العربي ، لكي يقوم ويستقر فهو يكاد ينعدم الآن ، يتعين عليه أن يعيد التعلم من «القيم المتحدة» للنظام الدولي الذي يستكمل ملامحه الآن - ومن بين ما ينبغي عليه ايضا ان يتعلمه ، أن الكيانات الكبرى هي أساس الوجود الدولي المعاصر على نحو صحيح فالدول دائمة العضوية في مجلس الأمن ، او باختصار الدول «الحاكمة» في عالم يتجه الي الوحدة ، الدولتان الأوليان

منها أي الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة الامريكية ، كل منهما دولة اتحادية ، تتكون من أعراق متباينة ، مع اختلاف في هيئة التكوين الاتحادي لكل منهما ، والثالثة ، وهي الصين ، هي بدورها أكبر دول العالم من حيث عدد السكان ، والدولتان الرابعة والخامسة انجلترا وفرنسا ، مشتركتان الآن بجهود متفاوتة في عملية توحيد القارة الأوربية ، التي ينتظر أن يتجاوز نطاق وحدتها غرب أوربا ، ليشمل شرقها ، بعد البريسترويكا ، وبعد توحد القيم فيهما ، كما تقدم من القول . والوحدة والديموقراطية ، والعدل الاجتماعي كل منهما ، يرفد الآخر في مجرى التطور الذي يشمل الجميع ، فإن واحدا من دوافع انجذاب شرق أوربا الى غربها ، عن طريق اصطناع قيمها الديموقراطية ، انها تصبو إلى سد الفجوة الاقتصادية التي قامت بين شطري أوربا ، بحكم التطور التكنولوجي ، الذي تحقق في غرب القارة ، إلى جانب الولايات المتحدة الأمريكية واليابان ، وتتطلع دول شرق أوربا في ذلك ، بما فيها الاتحاد السوفييتي ، الى صيغة من التكافل الاجتماعي الدولي ، ليس على مستوى القارة وحدها ، بل على مستوى العالم .

وغني عن البيان أن التوحد الأوربي ، الذي هو جزء أساسي من اتجاه التوحد العالمي ، بل مجرد انتهاء الحرب الباردة بين المعسكرين ، قد انطوى على اعادة توحيد المانيا ، الأمة التي ظلت ممزقة الى دولتين متعاديتين أكثر من أربعين عاما ، بحكم هزيمتها في الحرب العالمية الثانية ، وتوزع أراضيها ونظامها الاجتماعي والاقتصادي بين معسكرين .

وتوحيد الأمة العربية لا يكاد يزيد في مؤداه عن إعادة توحيد الأمة الألمانية فضلا عن الوحدة الأوربية الشاملة التي تضم أمما شتى كانت متنابذة فيما بينها . فلا عذر للعرب في أن تبقى بلادهم ممزقة . ولا عذر لهم في الا يحاولوا الارتفاع بنظامهم الاقليمي ، أو النظام العربي ، عن مستوى نظام الجامعة العربية الذي أصبح مهلهلا الآ ن . واقرب طريق الى هذه الوحدة وأكثره اتساقا مع العصر ومع النظام الدولي وقيمه السائدة ، هو إقرار الديموقراطية والحاجة الى العدل الاجتماعي بين مختلف الشعوب العربية ، وبالانتخاب الديموقراطي يمكن أن يقوم «برلمان» عربي ، يكون هو السلطة العليا في جميع ارجاء الوطن العربي ، والموحد لكافة قدراته وإمكاناته .

في ظل وضع من هذا النوع تحل الشرعية العربية ، محل أية شرعية أخرى محلية ، ولا يكون هناك مجال لعدوان عربي على طرف عربي آخر ، وبالتالي لا يعود ثمة مجال لتدخل أطراف خارجية لحل نزاع عربي ، ولا يعود في وسع النظام الدولي أن يهدد بسحق النظام العربي ، أو شطر هائل منه ، أو رفع التهديد بتدميره الى مستوى الكارثة العالمية !

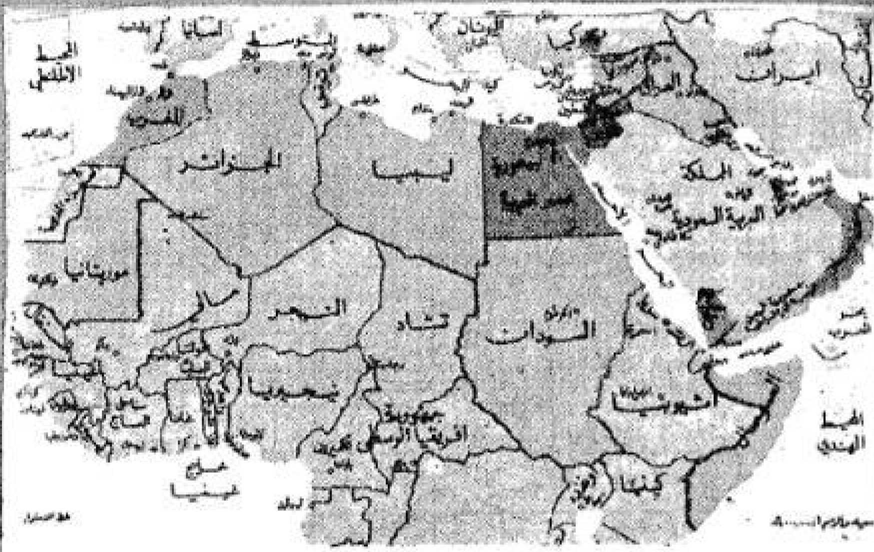


إسرائيل وأزمة الخليج

إعداد : عمرو كمال حمودة

اين « موقع » إسرائيل من خريطة الاحداث فى ازمة الخليج ؟ وما « دورها » ضمن بقية ادوار الأطراف الأخرى التي تشارك على مسرح التطورات ؟

فلقد توقع الكثيرون دورا فعالا لاسرائيل باعتبار انها احد العناصر المؤثرة فى معادلة الأمن داخل الشرق الاوسط .. غير انه ليس بالضرورة ان يكون « الدور » مباشرا او مكشوفا ، حينما يكون «اسلوب الادارة غير المباشرة للصراع » من افضل الأساليب مع هذه النوعية من الأزمات المشحونة بالتعقيدات والمزالق الخطرة .. حيث يختلط فيها النفط بالجغرافيا السياسية ، وتختلط داخلها المواقف العربية .. وتتقاطع عندها التحركات الدولية ، وتكثر الأطراف وتتشابك العناصر والعوامل كلها فى مرجل واحد يتزاحم فيه «البخار» .. حتى تكاد تضيع الرؤية الصحيحة للأمور ...



خريطة الوطن العربي

● وحتى يمكننا «تحديد» الدور الاسرائيلي في الأزمة ، علينا ان نلجأ الى قواعد الحساب ، متعاملين مع الوقائع في صورتها الحية ، وسوف نجد أن كشف الحسابات الاسرائيلية عن الازمة يتضمن مجموعة من الارباح والخسائر الاقتصادية والاستراتيجية .. تتوزع على البنود التالية .

● حدث إنخفاض كبير في الدخل من «السياحة» ، اعتبارا من منتصف اغسطس الماضي بنسبة حوالي ٤٠ ٪ عن المستهدف خلال النصف الثاني من عام ١٩٩٠ ، وهي الفترة المرتبطة بالعديد من الأعياد اليهودية (خانوكاة - يوم كيبور - روش هاشاناه - سوكوت) .. ولقد تأثرت الحركة الفندقية بالسلب ، كذلك الأنشطة الخدمية المعاونة مثل المطاعم والنقل السياحي والحصيلة المقدرة من الرسوم على المتاحف والمزارات الأثرية ، ونظرا لأن الدخل السياحي يشكل احد العناصر الرئيسية للدخل القومي فيمكننا تصور مدى الخسارة التي لحقت بالاقتصاد الاسرائيلي في هذا المجال .

● هبطت الصادرات من المنتجات الزراعية من الضفة الغربية الى منطقة الخليج العربي (بالذات السعودية - الامارات العربية - قطر) ومعها انخفضت الحصيلة الاسرائيلية من الضرائب والاتاوات ورسوم العبور المفروضة من سلطات الاحتلال على الصادرات عبر الأردن .

● إرتفاع أسعار النولون والشحن البحري وأسعار التامين على الواردات الاسرائيلية بنسبة ٣٠ ٪ خاصة على مواد البناء من أخشاب وحديد تسليح مما اضعف من وتيرة البرنامج

الحكومي لتوطين المهاجرين السوفييت .

● كانت خطة إسرائيل منذ يناير الماضي ، العمل في سرية على تشغيل خط انابيب البترول إيلات / حيفا كمنافس لقناة السويس في نقل النفط الخام الوارد من منطقة الخليج وعلى الأخص البترول الايراني والمتوجه لأوربا الشرقية وغرب البحر المتوسط .. وحتى تستفيد من رسوم النقل التي تصل الى ٣٥ سنتا عن البرميل الواحد .. ولكن مع اندلاع الأزمة توقفت ايران عن إمداد زبائنها بالكميات المتعاقد عليها وابلغت هؤلاء الغاء التوريدات عن الربع الثالث من السنة ، حيث إتجهت ايران باغلبية نفطها الى تلبية احتياجات السوق اليابانية وسوق جنوب شرق اسيا تعويضا عن الواردات من البترولين العراقي والكويتي .

● بلغت الخسارة الشهرية من فاتورة شراء البترول حوالي ٥٠ مليون دولار نتيجة فروق الأسعار ، فاسرائيل تستورد حوالي ٣ ملايين برميل شهريا ، ولو حسبنا الفرق ما بين سعر ١٤ دولارا قبيل اغسطس وسعر ٣٠ دولارا الذي يباع به البترول حاليا . فسوف ندرك مدى التاثر الذي أصاب الموازنة العامة .

● في حالة نشوب القتال في منطقة الخليج سوف تتاثر الواردات البترولية لاسرائيل ، لانها دولة غير منتجة للنفط وتستورد الفحم من استراليا وجنوب افريقيا لتموين محطات الكهرباء .. ولا توجد خطط سريعة لمواجهة الموقف الطارىء .. وهناك حالة من القلق داخل دوائر الصناعة اذا تعثرت الواردات مثلا من البترول بسبب الحرب .

●● إذن على صعيد الحسابات الاقتصادية فإن اسرائيل تخسر من الأزمة .. وسوف تخسر اكثر عند إشتعال القتال في منطقة الخليج ، لان مقدار التضخم المتوقع سيشكل ضغوطا اقتصادية رهيبة على اقتصادها المتورم أصلا .

ولننتقل الى البند الثاني من الحسابات وهو أرباح وخسائر إسرائيل الاستراتيجية من الأزمة .

● إسرائيل والحرب !

● منذ توقيع اتفاقيات كامب دافيد ، وضعت هيئة الاركان العامة للجيش الاسرائيلي عدة مسائل إذا حدثت فعلى إسرائيل ان تدخل الحرب وهي :

- قيام تحالف مصري / سوري عسكري
- دخول قوات عراقية الى الاردن .
- نشر صواريخ عربية على الحدود مع إسرائيل
- حصول اية دولة عربية على قدرة نووية .
- مشروعات عربية لقطع امدادات المياه عنها .

● كما اتفقت أراء المحللين العسكريين الاسرائيليين على ان الموقف العسكري على خطوط المجابهة يتمثل فيما يلي :

١ - المملكة الأردنية في وضع لا تحسد عليه بعد تدهور الأوضاع على الجبهة الشرقية في ظل الخلاف

السورى / العراقى الشديد ، وهى تخشى اية مواجهة مع اسرائيل التى ستبتلع ميناء العقبة الأردنى والذى يعتبر المخرج الوحيد للأردن على البحر .

٢ - صحيح أن سوريا تمثل بالفعل القوة العسكرية العربية الحالية القادرة على المجابهة من خطوط قتال مباشرة بسبب قدراتها الجوية والبرية ، ولكن تورط سوريا فى المسألة اللبنانية وخلافها مع العراق .. يحد من قدرتها فى الظروف الحالية .

٣ - أما العراق . الذى تابعت اسرائيل بقلق إمكانياته العسكرية ، وهو يمتلك اسلحة حديثة وصواريخ ارض / ارض بعيدة المدى واسلحة كيماوية وبيولوجية ، وافاده التحالف المصرى / الأردنى / اليمنى فى إطار مجلس التعاون العربى ولكن انشغل العراق بالتعمير وإزالة آثار الحرب مع ايران ثم مضاعفات الخلاف مع سوريا غلف الارادة العراقية بالكثير من الأغلال عن ان تكون (خطرا) ملحا على إسرائيل فى الظروف الحالية .

● ثم هناك « محوران رئيسيان لادارة اسرائيل لصراعها العسكرى فى المنطقة هما :

١ - الاتفاق الاستراتيجى مع الولايات المتحدة الأمريكية .

٢ - مبدأ التفوق العسكرى على القدرات العربية مجتمعة .

وباستعراضنا لمبررات الحرب ولتحليلات العسكريين الاسرائيليين للموقف العسكرى على خطوط المجابهة وللمحددات التى تحكم إدارة اسرائيل لصراعاتها العسكرية فى المنطقة .. تكون قد طرحنا الخلفية التى يمكن من خلالها تصور «موقع» ، «ودور» اسرائيل من احداث ازمة الخليج على الصعيد الاستراتيجى ، فنصل للنقاط الآتية .

● ليس من صالح إسرائيل تنامى واستمرار القدرة العسكرية للعراق ، ولابد من تحجيم هذه القدرة وإجهاضها من حين لأخر، مثلما حدث مع عملية ضرب المفاعل العراقى (أوزاريك) أما وقد عقد العراق تسوية مع إيران ثم افصح عن نوايا عدوانية وابتلع دولة اخرى ثم اهاج المشاعر القومية حول القضية الفلسطينية .. فإن ضربة عنيفة للقضاء على الآلة العسكرية العراقية مطلوبة جدا من جانب امن اسرائيل .

● من صالح اسرائيل إنهيار مجلس التعاون العربى الذى كسر طوق المواجهة مع الدولة العبرية ، وابعد مصر عن التعاون مع دول المواجهة فى الجبهة الشرقية ومع اليمن التى تتحكم فى مضيق باب المندب .

● من صالح اسرائيل تدهور الأوضاع فى المملكة الأردنية وإنكسار تحالفاتها خاصة مع مصر والسعودية ودول الخليج مما سيجعل الأوضاع الاقتصادية عسيرة ، وفرص إنكشاف الأردن عسكريا بسهولة أمام اسرائيل بحيث تبتلع العقبة وتحقق الترانسفير فى اقرب فرصة ملحة .

● من صالح اسرائيل وجود نصف مليون جندى امريكى فى المنطقة العربية للقضاء على الآلة العسكرية

العراقية من جهة وحماية المخططات الغربية والاسرائيلية من جهة اخرى لتامين عملية توطين اليهود السوفييت فى فلسطين ، والحيلولة بين قيام عمل عربى عسكرى موحد ضمن هذه المخططات .

● من صالح اسرائيل فى حالة نشوب قتال فى الخليج بروز المشروعات الخاصة بإعادة صياغة المنطقة . وربما ظهور دويلات جديدة لاعادة التقسيم الجغرافى ، وفى ظل هذه الأوضاع ستبتلع اسرائيل الجنوب اللبنانى وإعلان ضمه بالكامل مع الضفة الغربية والقطاع والجولان .

● من صالح اسرائيل ارتفاع درجة التوتر العسكرى فى المنطقة لطلب قائمة جديدة من الأسلحة المعقدة - ولقد طلبتها بالفعل - لتحسين قدراتها القتالية والدفاعية فى هذه الفترة التى لم يكن واردا فيها اى تسهيلات امريكية فى مجال التسليح لاسرائيل .

● من صالح اسرائيل حدوث إنقسام واسع فى صفوف الأمة العربية بسبب زاوية الرؤية وزاوية المصالح من الأزمة ، وانكشاف النظام الاقليمى العربى وظهور مدى ضعفه وهشاشة السلوك العربى تجاه عمل عربى موحد لدرء الأخطار التى تواجه الامة .

● ليس من صالح اسرائيل ان تساهم بدور عسكرى مباشر مادام وجود القوات الأجنبية المشتركة يتيح لها التخلص من نوايا العراق دون طلقة اسرائيلية واحدة ، وحتى لا تثير المشاعر العربية المعباة .. ضدها وبصورة جماعية .

●● تلك كانت عملية الجرد لحسابات اسرائيل من ارباح وخسائر اقتصادية واستراتيجية من الأزمة ، فما هو التقييم لنتائج هذه الحسابات ؟

- الأزمة نفسها تهم فى الأساس الدول الصناعية الكبيرة ، لان موضوعها الرئيسى هو البترول ، فالمساهمة الاسرائيلية هنا ليست كبيرة من المنظور الواسع للموقف .. ولذلك يأتى الدور الاسرائيلى باهتا وغير واضح ، وجملة الحسابات من أرباح وخسائر تكشف أن النتيجة غير مشجعة بالنسبة لاسرائيل ، فهى تكسب فى البنود وتخسر على نقاط اخرى ، ولاول مرة يمكننا أن نرى مدى حجم اسرائيل كعنصر عادى من ضمن العناصر الأخرى فى المنطقة .. دورها مثل اى دور آخر .

- أما «مكسبها الأساسى» ، فهو إنكسار الموقف العربى واضطراب العمل العربى المشترك ، والخلخلة الشديدة فى سلوكيات التعامل مع الفلسطينيين ، واحتمالات انهيار وتدمير القوة العسكرية العراقية دون حل عربى للأزمة .

- اما بالنسبة لداخل اسرائيل ، فإن الأزمة ستؤدى الى مكاسب على طول الخط للاتجاهات اليمينية المتشددة وإلى دفع الجهود نحو تضخيم دور المؤسسة العسكرية فى صناعة القرار ، وإلى نمو الصناعة العسكرية بشكل كبير وهو الاتجاه الذى يدفعه بشدة موشى ارينز وزير الدفاع ويتبناه .. ثم الاتجاه المتزايد الى عسكرة المجتمع .. وبالتالى فإن فرص السلام تتهاوى وإمكانيات العنف ترتفع .

تجربة روائية جديدة
فى الزمن الميت
لفاروق خورشيد

بقلم : د. أمين العيوطى

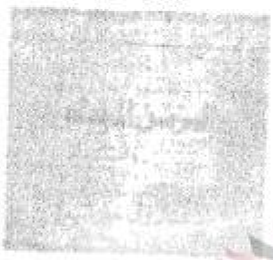
العلاقة بين كتابة السيرة أو السيرة الذاتية وبين فن الرواية ترجع الى بداية نشأت الرواية بل ربما تتجاوزها إلى أبعد من ذلك فى الملاحم . فقد نسج الكثير من الروائيين رواياتهم على هذا المنوال أو ذاك . فعل هذا دانييل ديفو فى روبنسون كروزو ومول فلاندرز ، وتشارلز ديكنز فى ديفيد كوبر فيلد . بل ان ديفو قال فى تقديمه لمول فلاندرز انها مأخوذة عن مذكرات امرأة مرت بالتجارب التى تصورها الرواية . وفعل هذا د . هـ . لورانس فى أبناء وعشاق وجيمز جويس فى صورة الفنان . وفعل هذا طه حسين وهيكل والعقاد والمازنى وتوفيق الحكيم . غير أن الفنان فى كل هذه الحالات وكثير غيرها لم يلتزم بسرد الأحداث كما توالت زمنيا . فلم تعد الرواية مجرد سجل تاريخى . فالفنان مشغول فى المقام الأول بتعقب تطور وعى الشخصية منذ لحظة ولادتها حتى وصولها الى قمة نضجها . ولهذا فإنه يلتزم باختيار اللحظات الدالة فى حياتها ، وتكثيفها ، وإعادة ترتيبها وفرض نظام عليها ، والتأكيد على نسق يؤكد لحظات الاكتشاف لديها . ولهذا تتجاوز هذه الأعمال مجرد سيرة أو سيرة ذاتية لتصبح أعمالا فنية فى حد ذاتها .

● وربما لاتندرج رواية « الزمن الميت » لفاروق خورشيد تحت هذا النوع ـ لكنها شأنها شأن هذه الروايات تقوم على أساس تجربة ذاتية محددة ، وهى تجربة مريرة ومؤلمة تجعل من الرواية كشفا لحالة من التمزق والتشتت والتوزع ، وتحيل البطل إلى أشلاء ممزقة وبقايا متناثرة يحاول أن يلملم شتاتها وأن يتعمق كل مزقة فيها ، فالراوية هنا مشغول بتعميق التجربة والغوص فيها الى أبعد أغوارها ، مثلما هو مشغول بتوسيع مجال الحدث الذى يتداح دوائر من « اتهام » ملفق الى « تفتيش » داعر ، الى « تحقيق » عبثى حتى يصل به الى « صدى » هو نوع من الكونية الساخرة .

لكن الرواية لاتقف عند حدود



فاروق خورشيد



الذاتى الخاص . فهى تعرضه وسط إطار بيئى أكثر عمومية . فنحن نجوس معه فى عدوه المرتاع خلال شوارع المدينة التى تغص بالخلق وميادينها وأزقتها وحواريها التى تفيض بالناس ، وعربات ترامها وأوتوبيساتها وقطاراتها التى تصفعه وتدهمه ، ونلتقى فيها برجال مختلين عقليا وأطفال تغطى ثيابهم بقع الدهن والطعام والحبر ودراويش ملتاثين يطوفون بالمدينة يلعنون ناسها وينذرونهم بحريق جهنم . لكننا بعد هذا كله انما نصطدم بالمؤسسات مع الخباز الذى يوزع على هذه الحشود الأرزاق ، يرمى لها أرغفة يقفز خلفها الرجال يمينا وشمالا ، ويطوح لهم بأرغفة من الوهم . ،وموزع الأرزاق هو موزع الشعارات البراقة الخاوية ، الذى يخصى الرجال ويفرغهم من محتواهم . وهو الذى يلعب على ايتار الدين والوطنية فى نفوس الناس حتى يلهيهم عن قصدهم . هو الخباز الغوغائى ، والخباز المشعوذ ، والخباز الدجال ، والقائد الملهم الذى تجد له فى قصر التطهير فى آخر الرواية صورة أخرى وهو يعيش فى مماته أمجاد حياته . وهما زائفا بسيف خشبى فى يده ومطواة صغيرة وجريدة قديمة بها صورته ، ويرتبط برجل الدين الدجال الدائرة الموضوعية تمتد لتشمل البشر والسلطة التفتيشية وسلطة التحقيق والسلطة الدينية والدنيوية معا . والبطل فى هذا كله يرد على الاتهام الملفق له بادانة اسلوب حياة كامل ونظام كامل . فكل مايحدث فى الرواية ينطلق من الذات الى الواقع ليعود الى الذات مرة أخرى . وتبقى الذات هى المنبع والمصب من أول العمل الى آخره .

ولعلنا نلمس هذا الاهتمام الأولى بالذات فى مشهد التفتيش . فالتفتيش هنا ليس تفتيش البيت وتحطيمه وتفتيته . اننا نسمع عن هذا بشكل عابر فى آخر الفصل فهو فى المقام الأول تفتيش داخلى . المفتش لايفتش البيت ، بل يفتش الرجل يفتش كل شبر فيه ليعرف حقيقته . وبنفس هذا الأسلوب يفتش

تجربة روائية جديدة

المرأة عشيقته . والمرأة نفسها تفتش المفتش ورجليه تنظر الى مابداخلهم . فعملها السرى أن تفتش الرجل هى أيضا ، بل تفتش داخل كل رجل جديد تعرفه . ولقد أعطيت هذا الرجل بالذات لتفتشه ، وجاءوا هم وراءها يفتشون أيضا . بل انها تتهم المفتش بأنه لايعرف كيف يفتش . فهى فى نهاية الأمر واحدة منهم ، مفتش آخر يتوسل بالجنس ليفض خبايا الرجال . والكاتب نفسه مفتش ، يفتش فيهم رغم صمته ، لكنه تفتيش بالقلم . التفتيش هنا يكتسب معنى أبعد من مجرد التفتيش المادى . وهو معنى يسقطه الكاتب على كل جزئيات المشهد ، بل حتى على الصرصار الذى يسقط فى كأس المرأة ليختنق فتريقه على الأرض مع بقايا كأسها . اللحظة الدرامية هنا تأتى اجترارا فى الذات يحمل الرؤيا التى تسقطها هذه الذات على المشهد فتكسبه رؤيا تعبيرية .

● **تداعى الخواطر**

"حدث ذاتى اذن فى المقام الأول يصور معاناة هذه الذات وهى تمر فى مراحل الاتهام والتفتيش والتحقيق . المدهش فى هذا كله أن حدث لايستغرق إلا دورة يوم واحد . وفى هذا قد يجد القارىء أصداء لعوليس جويس الذى لايتجاوز الحدث فيها يوما واحدا ، مثلما يجد أصداء لأسلوب جويس المتميز فى استخدامه لتيار الوعى ، أو الجو الكابوسى فى محاكمة كافكا . ولكن تبقى التجربة هنا مصرية خالصة لابحكم نوعيتها فقط ، ولكن أيضا بحكم استغلال الكاتب لموتيفات أو وحدات فنية مصرية وعربية وغربية يستقيها من التاريخ والأساطير والتراث الشعبى والممارسات الشعبية وبذلك تصبح الزمن الميت عملا متميزا بين الروايات العربية .

ولما كانت الذات هى المسرح الذى تنطلق منه الأحداث يلجأ الراوية الى الايحاء بدلا من التقرير . فالرواية لاتصور بداية تطرح المشكلة ، ووسطا يطورها ، ونهاية تصل بالمشكلة الى اقرارها على الرغم من تقسيمها الى ثلاثة فصول أساسية ومدخل وخاتمة . هى لاتعرض مشكلة من خلال تصادم ارادات بل من خلال وقع المشكلة على ذات البطل ـ الفنان ـ صاحب الكلمة . ولايبدو الاتهام الملفق فى حد ذاته مهما ، فنحن لانعرف عنه شيئا الا من خلال كلمات صديق مواسية أو يكتبها ابنه فى مذكراته أو سؤال حائر تلقيه ابنته نقلا عن مدرسها . اننا مشغولون قبل كل شىء بالمونولوجات الطويلة التى تنساب من داخله : « ياذئبة ارقصى على نعشى وارقصى . وارقصى واسكرى على نعشى ياذئبة الفؤاد والمخالب ، يامن تحب بنصفها الأسفل ، يامن تعيش لنصفها الأسفل .... » أو « ياوجهى ، كم أغلقت أمامك أبواب ، كل ناحية هناك



طه حسين



د .. هـ . لورانس



تشارلز ديكنز

باب مغلق ، باب مسدود ، لامهرب ، لامنجاة .... » وهى مونولوجات قد تتعلق بعشيقته التى تخونه مع ألف رجل ، أو بالارهاق الذى يعانيه والتفتيش يجرى فى بيته ، أو ما الى ذلك . لكنها انطلاقات من عذاب الذات ومرارتها .

ويرتبط باستخدام المونولوج الداخلى استخدام التداعيات ، أو تداعى الخواطر ، مثلما يحدث حين تصوب فوهة مسدس الى عينيه ، ففوهة المسدس عينا كوبرا ، عينا حية ذات أجراس تنقض وتنفث سمها ثم تميت . منها تنطلق القنابل تحطم مدنا وإرادة شعب وكرامته ، وصراخ النساء واليتامى . وأمامها يسقط الرجال وتمزق أرديتهم وتشتعل جلودهم ، وتتهاوى سفينة عريضة ضخمة ويلتهب زيتها ويبتلع بحارا . وفيها ينفلت طفل مشوه وجيل كامل من المشوهين . وفى عمقها يضيع آلاف الفرسان الذين يتوج الريش رءوسهم فى أمريكا ، وآلاف من أهل القارة السوداء أمام الرجل الأبيض . صور تترى ، تنبعث من الفوهة السوداء لتملأ عينيه وتمتد لتشمل صور الدمار والموت أمام قوى الشر فى الطبيعة وفى البشر .

● أسلوب الحلم

ويتسق مع هذا استخدام أسلوب الحلم الذى يقوم على تداعيات لامنطقية ، غير مترابطة ، هلوسات ، صور تمرق فى الذهن تنطلق من اللاوعى المتحرر . ويتضح هذا بالتحديد فى منظر الخباز بمنظاره السميك وكرشه المترهل والناس تتصارع على الأرغفة التى يطوحها يمينا ويسارا . الأرنب المشرد يجرى يمينا ويسارا فى الجبال تلاحقه أقدام الصيادين ، ليقع بين أرجل المتصارعين على الخبز وأيديهم المتشابكة . الرجل يطارح المرأة الهوى عريانين عند ناصية جدار .

تجربة روائية جديدة

الطبيب ينصحه ألا يجهد نفسه مع النساء . المهرة تنطلق فى حقل البرسيم وصهيل الخيول حولها لايهدأ حتى يعتليها الحصان الأحمر الفحل . الغواصة التى لاذ بها تصيبها النسافة اصابة مباشرة . الأصوات فى الميدان تمور سخطا وغضبا . الخباز السمين يعتلى عربة من عربات نقل توابيت النصارى وبيده سوط يفرقع فرقعة مخيفة . الخباز يتحول خطيبا يخاطب الجوعى ويلقى خطبة عصماء عن عام الجوع والخونة والمشتغلين والانتصارات وشرف الجندية وحرية الشعب وينهى خطابه بحديث عن شريعة الله وسنة رسوله ـ الميدان يتحول الى ساحة مولد وذكر ودراويش بشعور متهدلة فوق الأكتاف ولاعب النقرزان وبائع حلاوة زمان ، وختان الأطفال ، وحانة سكارى ينعى فيها سكران ضياع رجولته ، وصيحة الجياع فى الميدان ، وغطاء التابوت ينفتح وتخرج منه فرقتا كرة من العجزة تلهى الناس . الرجال يأكلون الكلاب بالشوكة والسكين . البطل يجرى خارجا من المدينة لاهثا تتعقبه الكلاب كلها رموز للاتجار بالارزاق والدين وتلهية الناس وخصيهم . ولامفر ، فلابد أن تغرق الغواصة . واذا كان تداعى الخواطر تداعيا واعيا ، فان أسلوب الحلم تنويعة أخرى على نفس الأسلوب . غير أن التداعى هنا تداع لاواعى ، لامنطقى ، لا يحكمه الا اختيار الرموز الدالة التى ترتبط بالتيمة الأساسية ، والتنويع عليها ، والعودة إليها لتأكيدها وطرحها من زوايا مختلفة . كل هذا قبل أن نرتد الى الواقع والمرأة التى تشاركه الفراش وتلتهمه التهاما قبل أن تدخل فرقة التفتيش .

غير أن هذا الأسلوب لايلغى بطبيعته اللحظات التى تصور دراميا . فهناك اللحظات الدرامية التى تقوم على الحوار وعلى تصارع الارادات كما يحدث فى التفتيش والتحقيق . مثل هذا يحدث فى روايات جويس وكافكا . لكن اذا كانت المشاهد الدرامية عند جويس مثلا هى الركيزة المحددة التى تؤدى الى التداعيات المختلفة لصور ومشاهد ترتبط ارتباطا وثيقا بالمشهد الدرامى ، فإن العكس تماما يحدث هنا . فلما كانت الذات هى المنبع والمصب فى آن واحد ، فإن تداعيات الذات هى التى تؤدى الى اللحظات الدرامية بحيث تصطبغ عندئذ بصبغة تعبيرية لا بصبغة تأثيرية كما يحدث فى جويس . فإذا كان جويس مهتما بوقع العالم الخارجى على ذاته ، فإن فاروق خورشيد مشغول باسقاط ذاته على الواقع بشكل تعبيرى .

● الصور الاسطورية وتجسيد الواقع

فوق هذا وذاك فإن مايعطى الزمن الميت مذاقا خاصا انما يأتى من

استخدام الكاتب ، كما أسلفنا ، للتاريخ والأساطير والممارسات الشعبية والتراث الشعبى . فحين يفتشه المفتش فهو انما يفتش اخناتون ببطنه العريضة ووجهه الأنثوى الشاحب المريض ليجد تهمة شذوذ يلصقها به وينسى تعاليمه وفكره . والمحقق هو جنكيز خان برمحه ودرعه وفرسه . وهو الحجاج بن يوسف الثقفى بعمامته ونظرته المحتقنة وتعطشه الى الدماء . وهو أمام المحقق طومان باى الذى خوزقه سليم على أبواب القاهرة ثم شنقه .

وفى ثنايا العمل تتوازى الصور الأسطورية مع صور من الواقع . فالبطل هو أوزيريس الذى مزقت جثته وبعثرت أشلاؤه وايزيس تبحث عنه نائمة تترنم بأجمل الأنشودات فيه . فهو حبيبها ، فلقة حبة فول مخضرة ، وشعاع رع يهدهد خدود العذارى بنغم عذب من نايه ، وهو سنبلة قمح مجدولة ، نوارة قطن متفتحة ، زهرة ليمون ، برعمة جوافة ، قطف عنب ، حبة ترمس تزهر بوجود لايموت . وتتوازى مع هذه الصورة صورة زوجته المكومة تحثو الطين على رأسها وتبكى ماضاع ، وتلملم بقاياه قطعة من هنا وقطعة من هناك . وهو ايضا يونس يمشى فى بطن الحوت الذى لايستطيع جلده السميك أن يخفى صوته وهو يسبح باسم ربه . ويونس يستدعى عوج بن عنق يتناول الحوت من قرار البحر ليشويه بعين الشمس ويأكله ، شأنه شأن المفتش أنه عدو الله ، وهو يشعر بكأس الويسكى الذى يفرض عليه المفتش ان يشربه كأنه صخرة سيزيف يرفعها فيفرغها ثم يخففها لتمتلىء بينما هو يحمل الصخرة على منكبه ليرتفع قبل أن يعود إلى نقطة البداية .

وكما يُطَعِّم فاروق خورشيد روايته بالممارسات الشعبية من موالد وذكر وحفلات الختان ، فانه لاينسى أن يُطَعِّم روايته بعشقه الأزلى للتراث الشعبى . ففى جنبات الرواية تتردد أصداء من الف ليلة فالمحقق يتهمه بالكفر ، كأن يده تمتد مثلما تمتد يد العملاق ليلتقط واحدا من التجار والمساكين ليدخل السيخ فى ديره ليخرج من تحت ابطه ليشويه على النار ويتلمظ ليقضم لحمه الذى يتمزق تحت أنيابه . وهو حين يموت كأنه سندباد تحطمت سفينته على جبال الملح ليدخل مع الجميع تجربة العذاب والغيلان والسحرة والتنين ذى الألف ذراع والعملاق ذى العين الواحدة ، وشيخ البحر يلقيه فى بحار العدم ليموت مع الجميع فوق شعور الشواء وعلى قلع السارى الكبير .

بهذه الأساليب لايعمق فاروق خورشيد التجربة ويردها الى أصولها التاريخية والأسطورية والتراثية فحسب ، لكنه يكسب شخصيات التاريخ والأساطير والتراث معان جديدة تكسب اسلوبه مذاقا خاصا وشاعرية دافية لاتخلو من مفارقات ساخرة .

حكايات

ألف ليلة وليلة المصرية

د. كمال نشأت

ريشة الفنان: حلمي التوني

حكايات ألف ليلة وليلة المشهورة من الأدب الشعبي المجهول القائل أو الكاتب ، انحدرت عبر الأجيال ، وهي حكايات هندية وفارسية الأصل في أغلبها ، وقد اضيفت إليها حكايات عربية ، وحكايات عربية مصرية ، ويرجح أن هذه الحكايات المصرية قد أضيفت اليها أيام حكم المماليك .

● من هذه الحكايات المصرية ، حكاية (فاطمة العِرّة) ولفظ (العرة) لفظ مصرى صميم لايستعمله إلا أهل مصر ، وترجمة التعبير الفصيحة هى (فاطمة التى لاتشرف) وواضح أن (العرة) من العار والمعرة ، وهناك حكاية (جودر ابن عمر التاجر مع أخويه) فسنجد فى هذه الحكاية الألفاظ والتعابير المصرية التالية (فوضعت لهما طبيخا) و (عيشا) ـ وهما يأكلان و (يبرجسان) ـ فأقبل جودر على (طابونة) فرأى الخلق على (العيش) مزدحمين ـ مات فى (داهية) ـ أتحب (الفراخ) المحمرة ـ إن مقامك (المنبار) المحشى والخاروف المحشى والكنافة بالمكسرات وعسل النحل والسكر والقطايف والبقلاوة ـ فقالت له : « يوه .. يوه .. أى شىء جرى لك ؟ ـ أروح (آخد خاطر) التاجر ـ ولايطلع النهار إلا وأنت (خالص من جميعه) ـ ياعسكر كلوا و (انبسطوا) .

وفى حكاية (عبدالله بن فاضل نائب البصرة مع أخويه) ترى مثل هذه الألفاظ والتعابير المصرية الصميمة :

لو كان (قلبكما عليه) ـ اعلموا أن عبدالله بن فاضل هذا صار أخى وأنا



(أشق) عليه كل يوم - واضرب كل واحد منهما (علقة) - ثم انها (رمت روحها) فى البحر - ثم (قلع) ثيابه ونام - فدخل باب الخان وقال (دستور) - ولكن حصلت له (خضه) - و (كتب كتابه على البنت) - لا أعرف طريقا (يوديني) الى جهة البر - فانى (أعمل خلاصى) معها - فلما وضعوا (السفرة) قال لهما اجلسا فجلسا يأكلان .

والدكتورة سهير القلماوى تشير فى كتابها عن حكايات الف ليلة ، وهو الرسالة التى نالت بها شهادة الدكتوراة ، إلى مصرية بعض الحكايات وما مر بنا وماذكرناه من الالفاظ والتعابير المصرية يؤكد صدق ماذهبنا اليه ، وما أشارت إليه كذلك الدكتورة سهير القلماوى . والمصرية لاتتحقق عبر الألفاظ والتعابير المتكاملة فحسب ، ولكنها تظهر فى (روح) القصة ، وطريقة السرد ، وفى نوعية الأبطال الشعبيين مثل فاطمة العرة .

● الحكايات من ادب الشعب

والقصص أو الحكايات المصرية لم تخرج فى أسلوب سردها العام عن نمطية البساطة التعبيرية ، فالحكايات كلها من أدب الشعب ، توجهت الى الناس جميعا على اختلاف مستوياتهم الثقافية ، من هنا كان بعدها عن أسلوب التفاصح ، أو الزخرفة ، تحقق ذلك فى أسلوب السرد الفصيح ، ولعلك تحس بهذه البساطة البعيدة عن البهرجة وهى سمة مطردة فى كل الحكايات - فى مثل الفقرة التالية من (حكاية الملك شهرمان وابنه قمر الزمان) :

« وأما ما كان من أمر الملكة مرجانه ، فأنها أخذت الأسعد ودخلت به إلى القلعة ، وفتحت الشبابيك المطلة على البحر ، وأمرت الجوارى أن يقدمن الطعام ، فقدمن لهما الطعام فاكلا ، ثم أمرتهن أن يقدمن المُدام فقدمنه ، فشربت مع الأسعد ، وألقى الله سبحانه وتعالى محبة الأسعد فى قلبها ، وصارت تملأ القدح وتسقيه حتى غاب عقله ، فقام ونزل من القاعة فرأى بابا مفتوحا ، فدخل فيه وتمشى ، فانتهى به السير إلى بستان عظيم فيه من جميع الفواكه والأزهار ، فجلس تحت شجرة بجنب الفسقية التى فى البستان ، فاستلقى على قفاه فضربه الهواء ، فنام ودخل عليه الليل ..)

ولعلنا نرى هذا الأسلوب الجديد الذى مزج بين الفصحى والتعابير العامية الشعبية ، خاصة المصرية منها مثل (جنب الفسقية) و (فضربه الهواء) و (دخل عليه الليل) والوجه المقابل الذى يؤكد شعبية الليالى من ناحية الأسلوب هو مقامات الحريرى وبديع الزمان ، ففيها حيل البلاغة العربية ، واحتشاد الكاتب لاظهار براعته البيانية ، ذلك انها اقرب إلى الأدب الرسمى يكتبه أديب وضع نصب عينيه طبقة خاصة من المثقفين يكتب لها مايتفق وثقافتها ، والشأن فى الف ليلة شأن آخر ، فالهدفان متفقان ، وهو الوصول الى المستمعين أو القراء ، ولكن الوسيلة إلى التأثير وهى الاسلوب السردى تختلف باختلاف نوعية المتلقين .

ومن الطريف الذى يذكر فى هذا المجال ، أن اديبا عربيا أعاد نشر حكايات الف ليلة محققة كما يزعم ، وكان دأبه حسب منهج التحقيق الذى سار عليه أن يشرح بعض الالفاظ الواردة فى كل حكاية ، فعل ذلك فى حكاية بطلها صياد سمك ، وكان نص الحكاية يقول ان الصياد وضع الشبكة و (المقطف) على الرمال ، ولما كان السيد المحقق يجهل معنى لفظة (المقطف) وهو ليس مصريا ـ فقد قال ـ اعتمادا على رجوعه الى القاموس ـ أن (المقطف) مشتقة من الفعل (قطف) اى قطع ، من هنا فهم ان المقطف هو مايقطع به مثل السكين أو المنجل ، بينما هو سلة مفتوحة من أعلاها ، لاتمت إلى عملية القطع بصلة ، والمقطف سلة ـ كما قلت ـ مصنوعة من حبال الليف المأخوذ من شجر النخيل ، ويقوم مقام الحقيبة عند المسافرين المصريين من أهل الريف ، وأهل الصعيد ، وأبناء البلد يتندرون على الشخص المقفل ، عديم الخبرة ، فيقولون إنه (مقطف) !

وإذا افترضنا جدلا ـ كما يقولون ـ أن المقطف سكين فالسيد المحقق لم يسأل نفسه : ماحاجة صياد السمك إلى سكين ؟ خاصة الصياد الذى يستعمل الشباك ؟

إنه يصطاد بالشباك ، ويضع مايصطاده فى (المقطف) دون حاجة إلى استعمال سكين على الاطلاق !

وواضح من اسلوب القصة ، ومن كثير من الفاظها ، انها قصة مصرية ، ومع ذلك لم يسأل محقق الحكايات أى مصرى ممن يعيشون حوله ليدله على معنى كلمة (مقطف) فلا يقع فيما وقع فيه .

وقد توهم أن قصة (عبدالله بن فاضل نائب البصرة مع أخويه) قصة عراقية لأن مدينة البصرة قد ذكرت فى عنوانها ، ولكنه فى الوقت نفسه لم يدرك الألفاظ والتعابير المصرية الصميمة التى سبق أن اشرنا اليها ومنها : لو كان (قلبكما عليه) ـ وأنا (أشق) عليه كل يوم ـ واضرب كل واحد منهما (علقه) ـ ولكن حصلت له (خضه) ـ لا أعرف طريقا (يودينى) إلى جهة البر .. الخ ....

شهريات

• مسرح

رؤية مسرحية :

«جان دارك بين الحقيقة والاسطورة

فوزية مهران

جان دارك .. والمخاطرة

كنا فى شوق لأن نسمع نغمة مختلفة . نشهد مسرحا جديدا . وننصت لاغنية تشدو بحب الأوطان .. وضرورة العمل على تحريرها - وجاءت التجربة فى حينها (مسرح الثقافة الجماهيرية هو أحد الحصون القديمة .. تنبثق من خلاله التجارب والافكار .. تتفجر الرغبة فى التعبير عن الناس .. ان تصبح العملية الثقافية متبادلة . منهم واليهم - وتصر جوقة العزف الجميلة على الاستمرار والتواصل بدءا من قيادتها الواعية الى أصغر فنى فيها) .

- مجموعة من الشباب الواعد .. وفى حمى مديرية الثقافة بالقاهرة .. ومن خلال وعى وحب القائمين عليها انطلقت تجربة فنية مغامرة - اسموها مخاطرة - وهى مخاطرة محسوبة ومنظمة .. تهدأ من عنفها واندفاعها من اجل نموها واستمرارها .

كان اختيار النص رائدا - عن محاكمة جان دارك من مسرحية الأديب الألمانى «برتولد بريخت» .

المسرحية تدور فى شيكاغو وكتبها اثناء الأزمة الاقتصادية فى الثلاثينات .

امتدت الأزمة الاقتصادية الى اوروبا كلها .. وعانت المانيا من البطالة والجوع والتشرد وتفشت الجرائم واسباب الفساد والأمراض الاجتماعية (وليس مثل الجوع يحطم كيان الانسان ويدمى كرامته ويزلل آدميته) .

ولقد استعد بريخت لكتابة هذه المسرحية بدراسة مستفيضة عن الاقتصاد .. وفلسفة رأس المال .

وذكر فى إحدى ملاحظاته لدى اخراجها ان يراعى فكرة «المفارقة الدرامية» - والمعارضة الشعرية الساخرة .

اذ انه قدم فيها اشخاصا حقيقيين - لا مجرد هياكل لافكار - شخصيات تنبض بالحياة . وتؤثر فى الوقت نفسه على شخصية جان دارك وتؤدى الى تحول جذرى فى مفهومها ووعيها - ربما للنقيض تماما - فهى ليست «عذراء اورليانز» التى تناصر الضعفاء والمطحونين وتقدم لهم

شهريات

المعونة والمساعدة الى ان تستشهد وترتفع بعد موتها المأساوى الى مرتبة القديسة .. بل هى ايضا شخصية اخرى تكتشف أن الأمر لا ينصلح بالهبات والمعونات - بتقديم اطباق الحساء لمن لا مأوى لهم .. وان هداية الناس لأ تكون بالترانيم التى تقول لهم «ان الحل الوحيد لمشاكلهم هو ان يسعوا الى السماء لا ان يسعوا فى الأرض .. وان يجدوا لهم مكانا طيبا فى الأعالى .. «لامركزا على الأرض» .

ان فريق «القبعات السوداء التى كانت تغنى معهم لتطهر النفوس الضعيفة التى استولى عليها سلطان الجوع - فى هذا الزمن الصعب «زمن الفوضى المنظمة والتعسف المدبر» يجب اكتشاف الطريق الحقيقى للخلاص والتحرر وتألق انسانية الانسان - وهنا يحرقها التجار والشطار والذين يتاجرون بكل شىء حتى القداسة والدين .

اسلوب المفارقة - او المعارضة الساخرة يضع مضمون وشكل المسرحية فى صراع - وحوار جدلى - حتى تتم عملية الاكتشاف .

من خلال هذا الشكل يكتشف القارىء والمشاهد انه امام عرض ساخر مضحك ومبكى معا - فى حين انه يعرى وسائل المفسدين والمتاجرين بمصائر الناس والمستخدمين لطقوس الدين دون جوهره .

هذا «التقابل» ايضا ينمى لدى الناس متعة المتابعة والتعمق والدخول طرفا فى الحوار والصراع .. ان تقديم شخصية اسطورية على المسرح قد تخلق مسافة بين المشاهدين والشخصية ونجعلها كائنا متفردا بعيدا عن التصديق .. ولكن عندما تعيش الواقع وتتعلم من الاحداث وتنمو على اعين الناس تفرض نفسها علينا خارج المسرح وتبدو حقيقة .

«ايريك بنتلى» الناقد المسرحى الشهير يتساءل لماذا يحب الكتاب وضع التاريخ فوق خشبة المسرح ؟

ويتولى بنفسه الاجابة : ان الكاتب المسرحى يهتم فقط بمواقف معينة فى التاريخ تثير مخيلة الناس وتفكيرهم - وقد يجد نفسه منساقا وراء حادثة .. او شخصية تاريخية هى فى معظمها ومضمونها من صنع خيال الناس وتصورهم .

وعندما ترتفع الشخصية الى مرتبة الاسطورة .. هنا تكون مادة شيقة لمسرحية تاريخية وايضا لان احداث التاريخ تبدو «حقيقية» اكثر واقعية وصدقا على المسرح (وتتبدى الاحداث وكأنها الحقيقة تبحر من الماضى الى الحاضر فى سياق متتابع . وانها فى حركتها المسرحية تعطى معنى وعمقا لاحداث معاصرة وتكشف عن موقف او حالة)

ابرزت ترجمة يسرى خميس واعداد المخرج «عمرو دوارة» عن هذه المفارقة الدرامية - وان كانا قد تأثرا ايضا بمسرحية برنارد شو عن جاك دارك وقويت المفارقة «بمعارضة» «الاسقف» لرسالة جان .

- والمسرحية بهذا الشكل بعيدة عن النص الاصلى لبريخت .. مدعمة بوجهات نظر كثيرة لكتاب كتبوا فى نفس الموضوع

شهريات

.. وبصياغة مبسطة من جانب .. المعد .. واستخراج شخصيات من بين الشخصيات المؤلفة - جاءت هذه المخاطرة .

«المخرج عمرو دوارة» أحال مسرح الفرقة الصغيرة حولنا الى ساحة متسعة للصراع .. لنوعية الحروب الدنيئة .. واساليب الخسة والنذالة ..

وادار الموقف كله ببساطة ويسر وانسجام .

فى نهاية المحاكمة كان الديكور «ايهاب العوامرى» مبسطا وموحيا وناطقا . فالهياكل المقبضة .. والقضبان الحديدية والقيود وتحيط بجان دارك والاضاءة تلتمع بالأحمر توحى بجحيم الظلم ونيران المحرقة .

«حنان شوقى» .. منذ اللحظة الاولى التى تدخل فيها الى المسرح وهى مشحونة تماما تسكنها روح جان معاصرة .. تعانى الضياع والرغبة فى الفهم والانطلاق حيث طريق خلاص حقيقى من جديد لذلك دهشت عندما وجدتها فى النهاية تذيع اسماء الفريق بصوت مرح وكانت منذ لحظات يقطر صوتها حيرة ولوعة وتستحوذ على مشاعرنا - كانت وهى تحدث نفسها داخل الزنزانة وحيدة ..

«اشرف فاروق» بائع السمك له حضور نفاذ .. يتنفس أحداث المسرحية ويؤدى ببساطة وحب .

«ممدوح صالح» السيد الانيق - شخصية حقيقية ساخرة ومرحة بطبعها له قدرة على استخراج الضحكة وسط موقف تعس بوعى وذكاء وروح مشعة وحركة متسقة ويقوى من حدة المفارقة بجعلنا نضحك من انفسنا وضعفنا .

كان يؤدى دوره وهو ناقد له - ان موقف التناقض الساخر الذى اختاره بريخت أسلوبا لمسرحيته ويكشف به عن عبثية الموقف وخطورته فى نفس الوقت لابد ان المخرج وهذا الممثل الجيد - ممدوح صالح - قد ادركا المعنى جيدا وروح المسرحية حتى ادت الحركة الى هذا المفهوم وتجلي وعى المشاهد وحسة النقدى .

الأسقف «محمد رياض» بصوته الواهن وكلماته المتبتلة .. المبللة بلوى عنق الكلمات وسوء تأويلها .. هذا بطل حقيقى قادم الى عالم المسرح ننتظره بشوق وأمل .

القاضى «محمود عبدالصمد» المحقق «احمد عبدالمنعم» القس «اسماعيل الموجى» الفلاح «صلاح حفنى» السفير «ياسر شلبى» ونائبه «عصام عبدالله» كلهم - مجموعة الفرسان - وجوقة العزف قادهم المخرج فى اداء متميز وقوى .

الفلاحات .. والتلميذة الصغيرة .. داليا ابراهيم كانت متأثرة هى نفسها من المشهد والمعنى - جاءت الى المسرح بمريلة المدرسة - واستطاعت بعفويتها وبراءتها ان تؤثر فينا وهى تغمض عينها حتى لا ترى النار تحرق جان دارك .. وان تغض البصر معها وتلفح وجوهنا نار المحرقة .

الجنود والحراس والدكتور - هذا الفريق الواعد الجميل .. تحية لهم ولمن إحتضن الفكرة معهم وساهم فى تجسيدها امامنا على المسرح وفى وعينا .

شهريات

تليفزيون

عصام الدين فرج

ضوابط إعلانات التليفزيون

فى معظم أنحاء العالم توجد صور متنوعة للاشراف على اعلانات التليفزيون بما يكفل وجود قواعد للسلوك المهنى للمعلنين وقوانين لضمان دقة مضمون الاعلانات وسياسات يضعها المسئولون بأجهزة التليفزيون لحظر بعض انواع الاعلانات وكل هذه الصور تهدف الى تجنب بعض الاثار السلبية للاعلان دون ان تقضى عليها بشكل كامل باعتبار ذلك امراً نسبيا فما هو مسموح فى بلد قد لا يسمح بعرضه على الاطلاق فى بلد اخر بل ان هناك بلادا كالدول الاسكندنافية عدا فنلندا تمنع اعلانات التليفزيون تماما .

يخضع التليفزيون واعلاناته لرقابة حكومية تحكمها تشريعات اتحادية ومحلية بالاضافة الى تشريعات تمارسها الهيئات الاذاعية بشكل ذاتى يكفل السيطرة على المواد المختلفة والاعلان مع اشراف اختيارى على مستويات معينة للمعلنين والوكالات وبالاضافة ايضا الى مواثيق الجمعية الامريكية لوكالات الاعلان والتى تمثل قواعد لاداب مهنة الاعلان منذ عام ١٩٢٤ والتى ادخل عليها تعديلات عديدة .

ومن اهم ما تشمله هذه القواعد عدم احتواء الاعلان لكلمات او جمل او صور تخالف العادات والتقاليد السائدة فى المجتمع كما ان اتحاد الافلام السينمائية فى واشنطن وضع ايضا ميثاقا للاعلانات فى السينما ينص على الامتناع عن الاساءة او الترخص فى الاعلان او نشر الصور العارية على نحو مبهرج وفى اوضاع مثيرة .

وبالاضافة لكل هذه المواثيق فان الراى العام الامريكى يمثل رقابة غير مباشرة على الاعلانات وذلك من خلال اتحاد المستهلكين وجمعياتهم ورسائل المشاهدين ومكالمتهم التليفونية وما يمكن ان يشكله ذلك من ضغوط تلقى احتراما لدى محطات التليفزيون الامريكية .

● تشريعات انجليزية

اما المملكة المتحدة فيوجد بها ما لايقل عن ٣٤ تشريعا برلمانيا بشأن الاعلانات ومن اهمها الصادر فى عام ١٩٦٤ والذى يخول للتليفزيون المستقل (والذى يشرف على المحطات المحلية التجارية) حق استبعاد اى اعلان قد يتضمن تضليلا او خداعا بالاضافة لوجود هيئة طبية استشارية لمتابعة الاعلانات الخاصة بالادوية وادوات ومستحضرات التجميل .

● اجهزة الرقابة فى العالم

تقوم عدة جهات بالاشراف على تنفيذ

شهريات

الرقابة الخاصة باعلانات التليفزيون ففى كندا يوجد مجلس ادارة الاذاعات وفى ايرلندا يوجد المجلس الاعلانى والذى يتكون من ممثلين لكل الاطراف المعنية باعلانات التليفزيون وفى اليابان الاتحاد الوطنى للاذاعات التجارية وفى هولندا هيئة خاصة للاعلانات التليفزيونية بالاضافة للوزير المختص بشئون الاذاعة والتليفزيون .

اما فى ايطاليا فان هيئة التليفزيون تعمل تبعا لتوجيهات لجنة برلمانية خاصة تهدف لحماية المستهلك وملاءمة الاعلان بالتليفزيون لمتطلبات الانشطة الانتاجية بهدف حماية الصالح العام .

وفى فنلندا تمنع التشريعات الاعلان عن تنبؤات اقتصادية او عن شهادات تعليمية بالاضافة لخضوع الاعلانات الخاصة بالعقارات للتشريعات الخاصة بها

وتحد الصين من الاعلانات من خلال تشريعات باعتبار الاعلان يؤدى لنشأة انماط سلوكية استهلاكية غير مرغوبة .

اما فى البرازيل فتخضع الشركات الخاصة لانتاج الاعلانات لتشريعات خاصة ، بالاضافة لخضوع الهيئات الاذاعية لقانون تشريعي خاص بالاتصالات اللاسلكية البرازيلية .

اما فى ايران فان فتاوى الخمينى بعنوان فى « مسائل الراديو والتليفزيون » تمثل ضوابط للتليفزيون الايرانى وان كانت لم تشمل اشارة مباشرة للاعلان التليفزيونى فى فترة مابعد الثورة الايرانية .

● اعلانات الدول العربية

يوجد بالاردن اسس تؤكد على خضوع الاعلان التليفزيونى للمستوى الفنى المقبول وفى اليمن توجد رقابة على شكل ومضمون الاعلان التليفزيونى ويمثل ميثاق العمل التليفزيونى وميثاق الشرف الاعلامى الخليجى فى الخليج العربى رقابة موضوعية وفنية بما يتمشى مع القيم والمبادىء وانماط السلوك النابعة من العقيدة الاسلامية واحترام رجال الدين والقانون وعدم استخدام الفاظ غير لائقة تجرح الذوق العام وحذف ماقد يدعو لاثارة الغرائز الجنسية او الدعوة للرذيلة ولايسمح بوجود اعلانات داخل البرامج الدينية او السياسية ونشرات الاخبار وبرامج الاطفال على الاطلاق .

ووضعت السعودية قواعد واساسيات لاعلانات التليفزيون ترتكز على الاتفاق مع الذوق العام والتقاليد والقيم الاجتماعية والبعد عن الاسفاف والمبالغة والمحافظة على احكام الشريعة الاسلامية وعدم المساس بقدسية الزواج وروابط الاسرة .

● صورة المرأة فى الاعلان

اهتمت دول كثيرة بصورة المرأة فى الاعلان التليفزيونى باعتبار انها تستخدم كوسيلة تصل الى حدى العرى الجزئى اوالكامل ، من اجل هدف لفت الانتباه للاعلان ففى امريكا تمنع مواثيق الجمعية الوطنية للاذاعيين التمييز بسبب الجنس فى برامج التليفزيون بصفة عامة ، اما فى فرنسا فلقد تبنى الرئيس الفرنسى فرانسوا ميتران فى برنامجه الانتخابى

شهريات


فرانسوا ميتران


الخميني

لرئاسة الجمهورية اقتراحا عام ١٩٨٢ اقره مجلس الوزراء عام ١٩٨٣ بادخال تعديل باعتبار التمييز الجنسي من حالات التمييز العنصري التي يخضع لها قانون خاص بذلك واصبح استغلال المراة بصورة مهينة امرا غير قانوني يستوجب الشكوى والعقاب .

كما اقرت الهند قانونا يكفل الحفاظ على مكانة المراة فى اعلانات التليفزيون ومنع ظهور سيقان واذرع المراة عارية او استخدام اى ايحاءات كغمز العيون .

اما الكويت فلقد حاول خمسة من اعضاء مجلس الامة الكويتي عام ١٩٨٤ التقدم باقتراح يمنع استخدام المراة فى اعلانات التليفزيون الكويتي على الاطلاق الا ان اللجنة المختصة بالنظر فى المشروع رفضته واكتفى بخضوع الاعلان لقواعد وزارة الاعلام الكويتية الصادرة عام ١٩٧٣ والتي تعتمد على مراعاة الدين والعادات والتقاليد واتجاهات المجتمع .

● الطفل في اعلانات التليفزيون

واهتمت دول كثيرة بالطفل فى تشريعاتها المتعلقة باعلانات التليفزيون فالتشريع البريطاني اكد على عدم المبالغة فى قيمة الجوائز فى الاعلانات الموجهة للاطفال وعدم تشجيع الاطفال على المخاطرة بدخول اماكن او تصرفات غريبة بينما لاتقبل هيئة اذاعة نيوزيلندا الاعلانات اذا استغلت سذاجة الاطفال او رغبتهم فى التقليد ، وتمنع فنزويلا الاطفال اقل من سن الثانية عشرة من الظهور فى اعلانات التليفزيون ، وكذلك وضعت كندا واستراليا تشريعات تتعلق بالطفل فى اعلانات التليفزيون .

وتضع بعض الدول قيودا على اذاعة الاعلانات الخاصة بالسجائر والخمور ففى كندا وفنلندا لايسمح بالاعلان قبل التاسعة عن السجائر حتى لايتعرض الاطفال لمثل هذه الاعلانات ، بينما تمنع دول اخرى الاعلان عن السجائر فى التليفزيون مثل : بريطانيا والمانيا الغربية وسويسرا وايطاليا ونيوزيلندا ، وكذلك تمنع سويسرا الاعلان عن الخمور فى تليفزيوناتها وتحظر النمسا الاعلان عن الخمور فى برامج الاطفال والشباب والرياضة .

● ضوابط اعلانات التليفزيون في مصر

منذ عام ١٩٦٠ وطبقا لقرار جمهوري يباشر التليفزيون المصري الرقابة على برامجه واعلاناته ، دون الخضوع لقانون تنظيم الرقابة على المصنفات الفنية ويخضع الاعلان فى التليفزيون المصري لضوابط عدة :

فهو يخضع لقائمة شروط يجب

شهريات

مراعاتها في الاعلان وهي جزء من التعاقد بين اتحاد الاذاعة والتليفزيون والمعلن وتنص على عدة بنود من اهمها حظر اى اعلان يشير الى الشغف الجنسي او ما يتعارض مع الاداب ، كما تنص على اهمية الحرص في الاعلانات الموجهة للاطفال حتى لايلحق بهم اى ضرر لشخصية الطفل ، واهمية الابتعاد عن مظاهر العنف او الاثارة في اعلانات التليفزيون .

ويخضع اعلان التليفزيون في مصر ايضا لميثاق الشرف الاذاعي الصادر في بداية الثمانينات باعتباره جزءا متمما لاى اتفاق بين الاتحاد والمتعاملين معه ، وهو ينص على حظر استغلال غرائز الجماهير او اذاعة مايدعو الى الانحلال او الاحباط او استخدام العنف او نشر الجريمة والاثارة الجنسية ، كما يحظر الميثاق صراحة اذاعة اى اعلان تجارى لايتماشى مع اخلاقيات ومصلحة المجتمع والذوق العام ويرتبط هذا الميثاق باللوائح الداخلية للاتحاد من ناحية الجزاءات بالنسبة للعاملين به والمتعاملين معه في حالة مخالفة الميثاق .

ويخضع الاعلان في تليفزيون مصر ايضا لقرار اختصاصات الادارة المركزية للمراجعة والنصوص وهي المنوط بها مهمة الرقابة لمراجعة جميع المواد والبرامج قبل عرضها على شاشة التليفزيون للتحقق من التزامها بالنظام العام والاداب العامة والتأكيد على قيم المجتمع الدينية والروحية وحماية النشء من الانحراف وعدم التعريض بالاديان السماوية والعقائد الدينية ويحظر هذا القرار عرض مايمس قيمة العمل والعاملين او ماقد يشجع على الانحلال او يدعو الى الاحباط وتجنب اذاعة او عرض كل مايدعو الى استخدام العنف او يساعد على نشر الجريمة او الاثارة الجنسية ورفض العادات السيئة اوالسخرية من اصحاب العاهات كما ان هناك ضوابط اخرى يخضع لها الاعلان في التليفزيون المصرى مثل اشتراط موافقة وزارة الصحة على الاعلان عن المواد الغذائية وموافقة الرقابة الصناعية بالنسبة للاعلان عن السلع المصنعة .

وعلى الرغم مما تحتويه نصوص هذه الضوابط على اعلانات التليفزيون في مصر من قواعد محكمة فان قرار المرحوم الدكتور جمال العطيفي وزير الثقافة والاعلام الاسبق عام ١٩٧٦ بشأن القواعد الاساسية للرقابة على المصنفات الفنية ، والذى الزم اتحاد الاذاعة والتليفزيون بها كحد ادنى كانت اكثر وضوحا وتفصيلا عن نصوص الضوابط الاخرى ، فلقد اشار صراحة الى عدم جواز كشف الجسم البشرى او الملابس او زوايا اعضاء الجسم ، او المشاهدة الجنسية او استخدام عبارات او معان او الفاظ مقترنة اقترانا وثيقا بالحياة الجنسية ، او السخرية من اى نوع جنسي الا ان هذه الضوابط لم يستفد من نصوصها في الضوابط الحالية التى يجرى تطبيقها .

واذا كانت الرقابة اجراء واسع الانتشار في انحاء العالم ، فانها غالبا تستند الى سلطات تقديرية تفسر النصوص بشكل ذاتي ، خاصة ان هذه

شهريات

النصوص فضفاضة تقبل التأويل والتفسير بشكل غير محدد ويختلف من فرد لاخر .

ويلاحظ ان نصوص الضوابط فى مصر لاتنص صراحة على حماية صورة المرأة فى الاعلان ، بالاضافة الى ان الممارسة اليومية لعملية الرقابة فى التليفزيون هى الاساس فى كشف مدى دقة هذه الضوابط وشمولها لكل مايمكن ان يواجهه القائمون على الرقابة او المعلنون من اختلاف وجهات نظر كل منهم ، فالرقابة عملية نسبية الا ان مايحكمها هو الاحتكام الى ضوابط مقننة .

وهل حان الوقت لكى يلتزم التليفزيون المصرى بالضوابط التى حددها ؟

افتتاح جامعة الناطقين بالفرنسية

سنجور .. لماذا ؟

المتابعون لأنشطة المراكز الثقافية الفرنسية فى مصر لم يندهشوا كثيرا لاقامة جامعة باسم الشاعر السنغالى سنجور فى مدينة الاسكندرية والاسباب عديدة فى هذا الأمر ، منها ان الفرنسيين يحسون بمدى التأثير الثقافي القوى للثقافة الأمريكية فى الشرق الأوسط بصفة خاصة ، ولأن هذه الثقافة اقرب الى ثقافة "الفيشار" ، فان الفرنسيين يكثفون انشطتهم بشكل مكثف ، فهناك دائما أدباء قادمين من العاصمة الفرنسية لزيارة مصر ، وللالتقاء بالجماهير .. وهناك دائما عروض سينمائية كثيرة فى البرامج الشهرية ، فضلا عن المعارض التشكيلية والمنح الدراسية .. والاشتراك المكثف فى المهرجانات السينمائية ، ثم هناك بالطبع الاتفاق التلفازى للبث المباشر فى القناة الثانية .

تلازمت كل هذه الظواهر مع إفتتاح جامعة سنجور .. ومن الواضح بالطبع ان الفرنسيين يهتمون بنشر ثقافاتهم بشكل مكثف ، وربط المنتمين الى الثقافة الفرنسية ، خاصة عن طريق اللغة ببعضهم من خلال اصطلاح عام يسمى بالفرانكفونية ، ويمكن ان نجزم ان كل هذه الظواهر مرتبط بالثقافة فى المقام الأول ، فالفرنسيون يرون انهم الأحق فى ان يتبوءوا مركز الصدارة الثقافية فى

شهريات

العالم .. وعلى سبيل المثال ، فان الأمريكيين لا يميلون الى الثقافة القادمة من أوربا ، بل ويحاولون السيطرة على ثقافة العالم من خلال ما يطلق عليه بظاهرة "الأمريكانية" ، اما الفرنسيون ، فيرون انهم قد قدموا للعالم سينما متقدمة غير جماهيرية ، تخاطب العقول قبل الغرائز ، وأنهم ابدعوا فى مجال الرواية فقدموا الرواية الجديدة ، بالنسبة لثقافة القرن العشرين ، وان كل هذا يضيع هباء أمام السيطرة الثقافية الأمريكية ، ليس فى خارج فرنسا فقط ، بل فى داخلها ..

يهمنا ان نؤكد ان اختيار اسم سنجور لاطلاقه على الجامعة ، كان ذا مغزى رائع .. سنجور هو واحد من اثنين قدما الكثير للثقافة الفرنسية فى افريقيا بشكل عام .. اما الثانى فهو الشاعر والكاتب المسرحى ايميه سيزار ، وقد ارتبط سنجور بالثقافة الفرنسية منذ سنوات تعليمه الأولى ، وكان زميل فصل للرئيس الفرنسي الراحل جورج بومبيدو ، وقد تميز سنجور بانه شاعر جيد ، وكان رئيسا حظى باحترام جميع الأوساط السياسية ، كما انه أول زنجى يحصل على درع السيف فى فرنسا ، وهو اكبر جائزة تمنح لمن يخدمون الثقافة الفرنسية ، كما انه متزوج من امرأة فرنسية بيضاء تدعى كوليت هوبير .

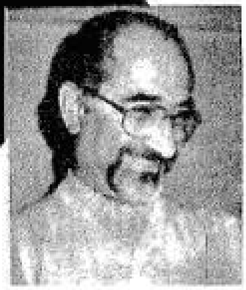
اذن فاطلاق اسم سنجور على الجامعة لم يأت من فراغ .. انه تكريم لرجل انتمى بكل كيانه لهذه الثقافة .. قلبا وقالبا .. لغة ووجدانا .. فهو يكتب اشعاره بالفرنسية ، وتنشر كتبه فى كبريات دور النشر الفرنسية .

ولد سنجور فى عام ١٩٠٦ فى جوال بالسنغال ، وقد عاش الطفل سنوات حياته الأولى فى عيشة رغدة "أحس بأن بلادى هى أمى أسرتى الحقيقية هى اسرة بلادى ، الأسرة التى تفهم كل السلالات التى تحوطها" ، وقد هرب الطفل وهو صغير كى يعيش فى منزل خاله ، لقد جذبت الطبيعة الصغير وحياة الحيوانات والأسفار الغامضة ، وعندما رجع إلى اسرته مرة اخرى كانت رأسه مشحونة بحكايات الأساطير ، وقد سافر الى فرنسا لأول مرة عام ١٩٢٢ ليستكمل دراسته الثانوية ، والتحق بالجامعة عام ١٩٢٩ . وفى عام ١٩٣٩ نشر اولى مقالاته السياسية . اما أول دواوينه فهو "أغنيات الظل" المنشور عام ١٩٤٥

حفل افتتاح الجامعة الناطقين بالفرنسية



شهريات



عبد الحكيم قاسم
الرجل الذى مات مرتين

الذين اقتربوا من عبد الحكيم قاسم فى السنوات الأخيرة يعرفون انه كان على علاقة حميمة بالموت .. وانه مات مرات عديدة قبل أن ينتقل جثمانه الى مقره الأخير ..

فقبل اعوام قليلة اصيب عبد الحكيم قاسم باول ازمة من ازماته الصحية الأخيرة .. ورقد الكاتب بين الحياة والموت فترة طويلة .. وشاهد شبح الموت يقترب منه تارة .. ثم يبتعد عنه تارة .. بدأ الموت كانه يداعبه .. او كانه يلاحقه فلا يطوله من المرة الأولى .. فقد راح عبد الحكيم قاسم يتعلق بالحياة وهو يشاهد شبح الموت يقترب منه ..

وكم عبر عبد الحكيم قاسم . لاصدقائه ، فى احاديثه الشخصية عما رآه فى فراشه وهو ينازع الموت فى البقاء .. كم احس ان وجود الانسان حيا افضل مائة مرة من الموت .. وان الحياة جميلة جميلة مهما بلغت معاناة البشر فيها . بل ان اجمل مافى هذه الحياة هو المعاناة .. وكم تمنى ان يخرج من غرفة الانعاش كى يعانى ثانية .. ويتألم من جديد ..

وعندما مكنت الاقدار عبد الحكيم قاسم من الخروج بعيدا عن غرفة الانعاش بدت مدى العزيمة التى اتسم بها الرجل بعد هذه التجربة القاسية .. فراح يتحرك وهو يدفع يده خلفه . وبيده الأخرى كان لايتوقف عن الكتابة ..

ولهذا السبب كان عبد الحكيم قاسم فى السنوات الثلاث الاخيرة شعلة عطاء ، وموقد كتابة .. كم احس ان الكتابة هى الشيء الوحيد الذى يبعد بها نفسه عن شبح الموت الذى امهله الف يوم ويوم كى يتنفس ويكتب . ويتحرك بين اهله واقاربه واصدقائه .. وقرائه ..

والذين كانوا يلتقون بعبد الحكيم قاسم فى السنوات الأخيرة كانوا يشعرون أن الكاتب قد اخذ اجازة من الموت لبعض الوقت .. وان عليه ان يكتب .. وان يعيش ..

وفى حفل استقبال ضخم فى شهر يوليو الماضى . كان عبد الحكيم قاسم يتنقل بين اصدقائه وزملائه . ويصافحهم بحرارة .. كانه بذلك يتلقى فى نفسه العزاء نيابة عن افراد أسرته .. وراح يستودع الناس والحياة بهدوء ان يبلغهم أن موعد الاجازة قد اقترب من الانتهاء . وان عليه ان يختم ايامه

شهريات

الألف دون ان يسبب قلقا لاحد ..

وفي هذا الحقل شوهدت السيدة الفاضلة زوجته ترعى الكاتب كأنه ابنها الصغير . تود ان تطعمه مالذ وطاب في الحقل .. لكنه كان مشغولا عن هذه الأم والزوجة باشياء اخرى .. كان مهتما ان يشاهد كل اصدقائه من الكتاب والفنانين الذين جاءوا جميعا .. وكأنهم على موعد لوداعه .. بدون سابق موعد ..

واخيرا .. اختار عبد الحكيم قاسم ان يضع اوراقه السبعة جانبا .. وفي سلام وسكينة قضى ايامه الاخيرة في المستشفى .. يحاول ان يطرد شبح الموت عنه .. أو لعله حاول ان ياخذ تصريحا بالبقاء مرة اخرى .. ويبدو انه لم يستطع هذه المرة .. وانتقل مع ملائكته الى السماء .. وبقيت آثاره في الأرض تؤكد انه كان في يوم من الأيام . كاتبا متميزا .. يكتب الرؤية باسلوب الشاعر .. ويلحن للموت اغنيته الأبدية فوق صفحات ادبية خالدة .

مكتبة الهلال



الكتاب : العلم والسحر
تأليف : د . عبد الرحمن نور الدين
الناشر : دار الهلال
١٦٠ ص

« الواقع ان العلم ليس ببعيد عن السحر .. فالعلم قام اساسا بالبحث والتجربة ولولا السحر - في بعض الاحيان - ماتقدم العلم »

تعد هذه العبارة بمثابة مفتاح الدخول لقراءة كتاب « العلم والسحر » للدكتور عبد الرحمن نور الدين حيث حاول ان يؤكد ان السحر ، وهو احد اقدم الظواهر الغيبية المرتبطة بتاريخ الانسان . يقترب من العلم ، وهو الحقيقة المؤكدة التي يستند اليها البشر في علاقتهم بالمعرفة .

فالانسان ظل طوال حياته يتطور . فهو يولد طفلا لا حول له ولا قوة ولا ادراك ولا تجارب .. ثم يصير فتى يكتسب بعضا من الخبرة .. وتتفتح افاق عقله مع ازدياد تجاربه فيفهم اشياء كانت من قبل غامضة لامعنى لها . ثم يصبح رجلا ، ثم شيخا ، وهو يزداد رقيا ويزداد معرفة بالكون من حوله

شهريات

ويخالق هذا الكون العظيم .

ويقول الكاتب ان ممارسة السحر ، دائما ، امر من الامور الشيطانية الملعونة ولكن المؤكد والمؤسف ان هذه الممارسة تتم غالبا عن طريق استعمال آيات الكتب السماوية كالتوراة والانجيل والقرآن الكريم ، حتى ان الكابالا اليهودية . التي هي اصلا طريقة للتصوف والمعرفة بالله ـ تحولت الى دستور اساسي لكل من زاول السحر والعلوم السحرية . منذ مولد المسيح وحتى الان .. ولا يمكن ان يمارس ساحر سحرا الا بعد دراسة مستفيضة لعلوم الكابالا هذه .

وقد توغل الدكتور عبد الرحمن نور الدين في اعماق السحر من خلال مادار في الصين وافريقيا .. فالساحر الافريقي له قوته .. ووضعه بين افراد القبيلة يعطيه دائما التميز فوق باقي افراد القبيلة حتى بين شيوخها . فهو ليس ساحرا فقط .. بل هو ايضا طبيب .. وكاهن .. له قدرات في الشفاء ..

وعن السحر والعلم تحدث الكاتب ايضا عن سحر الارقام - مثل الرقم ٧ الاكثر ارتباطا بالافكار الدينية فهو الاكثر تقديسا عند السحرة .. كما خصص فصلا للحديث عن سحر الشياطين والعروة .. ثم اخر عن التنجيم وعلاقة السحر بالكواكب الشمسية ..

وعن السحر والكتب السماوية يرى د . عبد الرحمن نور الدين ان جمهور اهل السنة ذهب الى ان للسحر اثارا حقيقية . وان الساحر ياتي باشياء غير عادية . الا ان الفاعل الحقيقي في كل ذلك هو الله تعالى . اما المعتزلة فقد ذهبوا الى ان السحر لا حقيقة له .. وانما هو تخييل وتمويه .. وقد حذرت شريعة الاسلام من تعاطي السحر للاذى . وجاءت نصوصها بذمة وتحريمه .

●●



الكتاب : المسالة الطائفية ومشكلة الأقليات

المؤلف : د . برهان غليون

الناشر : سينا للنشر ١٢٠٠ صفحة

ربما كانت ميزة هذا الكتاب ، ان مؤلفه ابن مجتمع تسكنه الطائفية وتؤثر في حركته الاجتماعية والسياسية ، حتى وان اختفت أحيانا تحت السطح ، إلا أنها تتبدى متخفية تحت عباءات حزبية ـ فكرية ، فتقسم الأحزاب والقوى السياسية ذات الدعاوى العلمانية الى أجنحة وكتل ، لايبث المدقق فيها أن يرى العمق الطائفي .

غير أن المؤلف لايتناول موضوعه هذا التناول

شهريات

السياسي المباشر والدارج إنه بالأخرى يوسع الأفق ويحفر العمق ، ليرى أى أثر الطائفية ومنظومة الأقلية ، وليس فقط على المنظومة (أو المنظومات) السياسية العربية ، وإنما التشكل السياسي للمجتمع العربي ، على وحدة المجتمع ، على تماسك المجتمع المدنى ، على البنية الثقافية ، كل هذا منسوجا نسجا محكما وسلسا مع قضية السلطة فى المجتمع العربى .



الكتاب : ضباط الجيش فى السياسة والمجتمع العربى
المؤلف
المترجم : اليعازر بعيرى - بدر الرفاعى
الناشر : سينا للنشر - ٤٩٩ صفحة

بهذا الكتاب تبدأ «سينا للنشر» واحدة من مكتبتين متكاملتين : اسرائيليون وعرب ، التى تعد بأن تقدم رؤية العقل الإسرائيلى للشئون العربية ، تقابلها عرب واسرائيليون ، لتقدم رؤية العقل العربى للشئون الإسرائيلية .

وقد يعتبر هذا الكتاب بداية موفقة لاولى المكتبتين ، حيث يتناول مؤلفه تاريخ العرب السياسى الحديث من سلسلة منظور الانقلابات العسكرية التى وقعت فى البلدان العربية منذ منتصف الثلاثينيات .

ولاشك أنه منظور يستحق الاهتمام ، إلا أنه يستدعى الحذر ، فهو من ناحية يرى إلى هذا التاريخ السياسى العربى الحديث من خلال فعل واحد تمارسه قوة واحدة : الفعل الانقلابى للعسكريين ، ويهمل ماعداه .

إلا أن الحذر أوجب من زاويتين أخريين أكثر خطرا ، وقد نبه اليهما المترجم فى مقدمته الموجزة ، هاتين الزاويتين هما أن المؤلف اجتهد إلى حد ليّ عنق التاريخ ليربط بين الانقلابات العسكرية جميعا وبين النازية الألمانية ، والثانية أن العرب الذين يدعون الى الوحدة العربية ، رجعيون ، يمينيون ، حتى الذين خاضوا منهم تجارب ذات وجهة اشتراكية ، فهى حتما «اشتراكية وطنية» أى نازية .

ولايقل من خطر هاتين الفكرتين أن الكتاب وجه اصلا إلى جمهور عبرى اسرائيلى ثم إلى جمهور غربى قارىء بالانجليزية . فالاولى ترمى إلى توحيد الجمهور اليهودى - الاسرائيلى ضد العدو الذى يحكمه ضباط نازيون ، والثانية تنادى عطف الجمهور الغربى على الذين يواجهون العدو ذاته .

ولقد بذل المترجم جهدا ملحوظا فى عمله ، فتتبع مراجع المؤلف فى أصولها العربية فأعاد مقتطفاته منها إلى أصلها باللغة العربية ، كما عنى بتدقيق اسماء الأشخاص والأماكن وهذا وجه تهمله فى العادة الترجمات إلى العربية .

سوبر ماركت

والسقوط فى بحر من الأفلام الهابطة !

بقلم : مصطفى درويش

لو القينا نظرة طائرة على الافلام المصرية الجديدة المعروضة حاليا بدور السينما ، لاستبان لنا انها جميعا ، فيما عدا ، والحكم لله ، لصاحبه ، حسام الدين مصطفى ، ، من ابداع صانعى اطياف متخرجين فى معهد السينما بالقاهرة ، او فى غيره من معاهدها على امتداد العالم الفسيح .

انها فى مجموعها مخيبة لما علق على هؤلاء المخرجين من آمال كبار ، لا استثنى من ذلك حتى « سوبر ماركت » للمخرج « محمد خان » .

فمن المعروف عن صاحب الفيلم الأخير انه من المخرجين القلائل عندنا الذين لهم رؤية .

ومن ثم يعتبر اى فيلم له حدثا فنيا مثيرا للجدل ، مستوجبا للاهتمام .

● وهو فى « سوبر ماركت » ، كما فى « عودة مواطن » من قبل ، وكلاهما لكاتب سيناريو واحد ، عاصم توفيق ، ، إنما يعرض للمشكلة التى تؤرق باله وبال كل من يهمه امر مصر ، الا وهى فساد الأوضاع فى مجتمع تحرر من كثير جدا من قوانين الخلق والعرف تحت تأثير الأذعان لقيم الانفتاح ، وما نشأ عنه من تعقيد بغيض فى العلاقات داخل الاسرة الواحدة .

فاذا بها تتمزق ، واذا بالأزواج والآباء والأبناء والاشقاء بعضهم لبعض عدو .

● لعنة الاشياء

واذا بالمجتمع عاجز عن ان يقول فى هذا كله شيئا ، او ان يقاوم هذا كله بشىء ..

وما تمزق فى « سوبر ماركت » خان ، هو ما كان بين الأم « اميرة » (نجلاء فتحى) التى تعمل بائعة فى احد محلات السوبر ماركت وبين ابنتها الوحيدة « ناهد » (مريم مخيون) من علاقات قوامها الحب والعطف والحنان ، وذلك عندما عاد الاب مطلق الام (نبيل الحلفاوى) الى مصر بعد غياب فى الكويت طال عشرة اعوام ، مستصحبا زوجة عاقرا ، واسعة الثراء ، واموالا تعد بالملايين .

فها هو ذا ، يلوح للابنة الصغيرة باشياء الحياة اللذيذة .. العربة المرسيدس الفارهة ، فنادق النجوم الخمسة ، السكن الابهة ، السهر فى المراقص والملابس الغالية الغريبة ..

مستهدفا من وراء كل هذا الاغراء جذبها من فلك امها الى عالمه حيث لا وزن ولا قيمة الا للاشياء .

وطبعا لا تصمد الصغيرة طويلا .

ومع الفقدان لها نهائيا بسبب تشيئها ، تسقط الأم هى الأخرى فى مستنقع الأغراء .

وهاهى ذى ، قريبا من نهاية الفيلم غانية فى صحبة طبيب مليونير زير نساء « الدكتور عزمى » (عادل ادهم) ، اتخذ من مقولته المفضلة « الفلوس اما تسرقها او تورثها او تتجوزها » شعارا له فى ممارسة الحياة وفقا لما يهوى ويشاء .

واغلب الظن ان فكرة فساد العلاقات بين الأم والابنة لاسباب تتصل بالثروة والجاه - وهى فكرة الفيلم الرئيسية - مأخوذة عن « ميلدريد بيرس » ، ذلك الفيلم الامريكى الذى ادت فيه النجمة الاسطورة « جوان كروفورد » دور ام مطلقة وهو دور اهلها للفوز لأول وآخر مرة باوسكار افضل ممثلة (١٩٤٦) .

وكما اميرة فى « سوبر ماركت » فقد كلفت « ميلدريد بيرس » بابنتها كلفا شديدا ، وعنيت بتربيتها عناية متصلة .

غير انه فى آخر الامر ، وحين تتقدم السن بالابنة ، تفسد العلاقة بينها وبين الأم شيئا فشيئا ، لاسباب لعل اهمها ان الأم كانت قبل ان تشق طريقها الى الثراء امرأة عاملة من عامة الشعب ..

● البرود .. لماذا ؟

ومهما يكن من الأمر ، فعادة يتوقع لفيلم مداره فكرة تدهور العلاقة بين



السقوط . لماذا ؟

نادية الجندى ... مع اجهزة الامن لخدمة مصر !!



الأم والابنة لما سلف ذكره من اسباب ، ان نشاهده بشيء من الحرارة .

ولكن ما حدث بالنسبة لسوبر ماركت خان كان على العكس من ذلك تماما

فلقد شاهدناه ، والحق يقال ، بكثير من البرود .. لماذا ؟

لأن صاحبه آثر تغليب العقل على القلب ، والرأى على العاطفة .

وعلاوة على هذا ، ارتكب خطأين ليس لاحد ان يغتفرهما فى اى عمل جاد ..

اولهما : الاسراف فى الجنوح الى التعبير المباشر فى عمل يعتمد بحكم بنائه الدرامى لا على الكلام ، بل على تفاصيل كملامح الوجه والضوء والظلال .

ولعل خير مثل على هذا الجنوح ، ذلك المشهد الذى نفاجأ فيه « برمزى » (ممدوح عبد العليم) الموسيقار المولع بالموسيقا الكلاسيكية ، وهو يواجه الطبيب المليونير متمردا ، متحديا صيانة لكرامته ، قائلا انه ليس على استعداد ان يعمل لحسابه قوادا .

اما الخطأ الثانى : غير المغتفر فهو اختيار الوجه الجديد « مريم مخيون » لاداء دور الصغيرة .

فالاكيد حسب مسار الفيلم وتداعى احداثه ان دورها فيه من ذلك النوع المحورى .

والاكيد الاكيد ان وجهها لاتنبعث منه الشرارة المتقدة التى تستولى على المشاعر ، وتهز القلب والوجدان .

● اخطاء بالجملة .

فاذا ما انتقلنا الى « السقوط » للمخرج « عادل الاعسر » لوجدنا انفسنا امام فيلم لايتصور ان يكون صاحبه قد تعلم الف باء السينما .

فالاخطاء فيه من ذلك النوع الذى يدخل فى باب الأهمال الجسيم ..

واحد الامثلة على ذلك ، وما اكثرها ، عدم محاولة مخرجه مع مصوره الحاج « محمد طاهر » التخلص من انعكاسات الضوء على الصورة فى مشهد النيل حيث يستقل « حسن » (فاروق الفيشاوى) برفقة « توحيدة » (مديحة كامل) قاربا شراعيا لزوم الغرام .

فقد اخفت تلك الانعكاسات وجهى الحبيبين ، حتى اننا طيلة المشهد ، لم نستطع أن نرى من ملامحهما شيئا ..

وثمة مثل ثان على هذا الأهمال فى مشهد آخر تجرى وقائعه داخل سنترال التليفون حيث نرى « حسن » يشق بطن بطيخه ، فاذا بها حمراء تسر الناظرين .

وهو فى المشهد لايكتفى بذلك ، بل

يتذوقها سعيدا بحلاوتها وطعمها اللذيذ .

وهنا يشاء المخرج « لحسن » ان ينتقل الى مكان آخر غير بعيد عن البطيخة التى استطعمها ، ليعود به فى اللقطة التالية الى حيث توجد ، فاذا بها بطيخة سليمة لم تمسسها سكين .

وذلك الغياب للوحدة فى تتابع اللقطات ، انما يرجع الى اهمال تسجيل كل الملاحظات بمحتويات المنظر وتكوين الصورة فى كل لقطة ، وفى كل موقف ، حتى يبدو كل شىء فى نهاية الامر طبيعيا ومنسابا .

اما اذا انتقلنا - بعد هذه المهازل - الى الموضوع فستجده ، حسب الظاهر ، يدور حول التصنت .

● بعد السقوط

فبطلاه « حسن » و « توحيدة » يعملان فى احد السنترالات . وهما ، بحكم عملهما ، يستطيعان التصنت على المكالمات وفقا لسيناريو الفيلم الذى كتبه « محمد الباسوس » ، وهو بدوره متخرج فى معهد السينما ، نراهما وهما ينحدران رويدا رويدا من اللهو باستعمال امكانيات التصنت المتاحة لهما ، الى استغلالها ، بفضل ما حصلا عليه من معلومات فى الابتزاز .

اذن فنحن امام موضوع جديد على السينما عندنا اراه متاثرا بفيلم « فرانسيس فورد كوبولا » المعروف تحت اسم « المحادثة » ، والذى جرى تتويجه بجائزة مهرجان كان الكبرى لعام ١٩٧٤ .

ولكن سرعان ما يضيع هذا الموضوع الجديد فى متاهات حكايات فرعية كأزمة المساكن والسوق السوداء والخيانة الزوجية وفساد القطاع العام ، بحيث اصبح « السقوط » فى نهاية الامر فيلما يدور حول معان قديمة ، منبتة الصلة بالتصنت بما يحمله فى طياته من اعتداء اثيم على الحرمات .

● افلام الكيف

والآن الى « الامبراطور » و « شبكة الموت » ، وكلاهما من تلك الأفلام التى تدور وجودا وعدما حول تهريب المخدرات ، وبالذات الهيروين .

وكلاهما يطرح الفكرة المستهلكة القائلة بأن السموم البيضاء انما تتسرب الى ارض الوطن العزيز لشىء سوى ان ثمة نفرا فى قمة السلطة قد تورطوا مع عصابات تهريب دولية لليهود فيها نفوذ كبير .

وما احب ان اتوقف كثيرا عند « الامبراطور » ، اول فيلم « لطارق العريان » المتخرج فى احد معاهد السينما بالولايات المتحدة ، لسببين .

اولهما .. لانه لم يعرض بعد عرضا عاما فى دور السينما .

وثانيهما .. لانه يشبه الفيلم الامريكى « الوجه ذو الندبة » لصاحبه . المخرج « بريان دى بالما » فى كثير من الوجوه .

وقد يكون من اللازم مشاهدة الفيلم الأخير مرة اخرى قبل القفز الى اتهام « الامبراطور » بانه لايعدو ان يكون صورة مشوهة من فيلم « دى بالما » .

يبقى « شبكة الموت » لصاحبه المخرج « نادر جلال » وفيه تلعب « نادية الجندى » او نجمة الجماهير كما يحلو لها ان تسمى نفسها فى ملصقات افلامها ، دور امرأة ذبّاحة للرجال ، مستعينة فى ادائها بكل اسلحتها القديمة ، بما فى ذلك تعرية كل ما سمحت الرقابة بتعريته فى حدود حسن الآداب والنظام العام فضلا عن هز البطن بكفاءة واقتدار معلمات الرقص الكبار امام حشد رهيب من اخطر مهربى الهيروين ، يلهو ويلعب فى احدى علب الليل بمدينة اثينا .

اقول اثينا لان اهم احداث الفيلم انما تدور فى عاصمة الأغريق حيث يقيم مهرب المخدرات « بسيونى » الشهير « بيلى » (فاروق الفيشاوى مرة اخرى) .

وحيث تذهب إليه « نور » (نادية



نجلاء فتحي بائعة في سوبر ماركت

الجندى) بتكليف من اجهزة الامن المصرية على اعلى مستوى ، التى رأت غرسها وسط عصابة المهرب المذكور كما « رأفت الهجان » وذلك بعد إذ تبين لتلك الأجهزة انها كانت ، وهى فتاة على علاقة حب به ، لم تدم طويلا ..

أما لماذا وافقت « نور » على ركوب المخاطر فى سبيل مصر ، فسيناريو الفيلم ـ وهو من تأليف بشير الديك ـ يرجع ذلك الى سببين متضاربين .

● التخليط

الاول : التهديد والوعيد ، فهى حين ترفض الأذعان الى طلب الأجهزة التعاون معها ، تُلفق لها تهم ، من بينها الإتجار فى العملات المهربة ، ومن ثم

يزج بها فى السجن مع نساء احترفن كل ألوان الشذوذ والأجرام .

الثانى : الاقناع والترغيب ، فهى حين تعرف ان حبيبها القديم مهرب للسموم البيضاء ، تلك السموم التى راحت ضحيتها ابنتها الوحيدة التى فى عمر الزهور ، تسرع بالموافقة على الانخراط فى سلك المجاهدين والمجاهدات فى سبيل تخليص الانسانية جمعاء من الاشرار تجار السموم البيضاء .

غير ان السيناريو لم يقل - وما اكثر اللغو الذى قاله - لماذا لم تلجأ تلك الأجهزة بداءة الى اسلوب الاقناع المتحضر بعرض المهمة القومية الانسانية على نجمة الجماهير طالما انه كان لديها الاستعداد نفسيا - بسبب ابنتها - للقبول ، بدلا من الابتداء معها بوسائل قهر غير مشروعة ، وصلت فى القسوة الى حد الالقاء بها فى غيابات السجون مع خساس النساء !!

● قصة المدينتين

ومن عجب ان يجىء رسم شخصية المجرم « بيلى » مهلهلا ، مخلخلا ، وذلك رغم ان « بشير الديك » ، من ابرع كاتبى السيناريو فى مصر وعلى كل فذلك التهلهل والتخلخل امر متوقع بالنسبة لأية شخصية فى اى من افلام نجمة الجماهير .

ومن هنا عدم الدهشة من ان نرى مجرما من طراز « بيلى » لايتورع عن ارتكاب ابشع الجرائم واضلها سبيلا ، نراه وقد انهار فى ثوان امام جسد نجمة الجماهير ، وهو يتثنى ويتلوى امامه فى احد ملاهى اثينا بعد انقطاع فى الحب الذى كان بينهما دام خمسة عشر عاما او يزيد .

ثم نراه مرة اخرى ، وهو الذى سبق وان قال انه لابد ان يظل اسدا فى عالم اشبه بالغابة والا افترسته الذئاب ، نراه وقد تحول الى حمل وديع يقطر رقة لمجرد سماعه ان الصبية المدمنة المنحرفة التى جرى اجهاضها بدل المرة ثلاث مرات ، من لحمه ودمه ، انجبتها له نجمة الجماهير ..

واذا به ما ان يصله ، اثر علمه بان له صبية ، خبر اصابتها فى حادث اصابة جسيمة ، وهو خبر كاذب سلل اليه بقصد استدراجه من اثينا الى كمين منصوب له فى القاهرة ، حتى يسرع بالسفر الى مصر كى يكون بجوار فلذة كبده ، وهو الذى لم يكن يعلم بوجودها قبل ايام !! .

وفى الختام ، فلن اعرض لتفاصيل اخرى ساذجة يطفحها « شبكة الموت » ذلك الفيلم الذى آراه عملا سينمائيا غير مستحب ، كل مافيه لغو وثرثرة ، وكل ما فيه أمره غريب على « بشير الديك » صاحب « سواق الأوتوبيس » و « الطوفان » ..

العالم في سطور

أفينيون

● لورانس داريل .. ٩ روايات عن الإسكندرية

سيبقى الكاتب البريطاني لورانس داريل ، الذى رحل فى التاسع من نوفمبر الماضى ، فى منظور الناس صاحب الرباعية الشهيرة التى كتبها عن مدينة الاسكندرية . ولكن القليل من الناس هم الذين يعرفون ان داريل قد انتهى قبل وفاته بقليل من نشر خمس روايات جديدة ، نشرت على مدى عشر سنوات ، عرفت باسم "خماسية افينيون" تدور اغلب احداثها بين مدينتى افينيون فى فرنسا التى عاش بها السنوات الاخيرة من حياته واختار ان يدفن فى ترابها وليس فى انجلترا ، وبين مدينة الاسكندرية التى عاش فيها سنوات ابان الحرب العالمية الثانية ..

ظل داريل اسيرا لمدينة الاسكندرية طوال حياته . وربط مصيره بها مثلما ربط كتاباته المختلفة بالمدن التى عاش فيها وزارها فى يوغسلافيا وايطاليا . وفرنسا ... لكن الاسكندرية ظلت بالنسبة له "ملكة المدن" .

ولو نظرنا الى وقائع "خماسية افينيون" فسوف نرى ان داريل قد عاد الى الاسكندرية بابطاله . فنحن امام شخصيات محددة ، مثلما فى رباعية الاسكندرية هى كونستانس ، وليفيا ابنتا القنصل البريطانى فى مدينة افينيون . وفليكس شلتو وصديقه الأمير حسن . ثم الراوية - الأقرب الى الكاتب - وزوجته بيا . هذا الحشد الصغير من البشر موجود فى بيت صغير قريب من افينيون اثناء سنوات الحرب . وهى



لورانس داريل

نفس الفترة التى تدور فيها وقائع الرباعية .

واذا كانت الرباعية قد انتهت بانتحار الكاتب . فان الخماسية تبدأ بالعثور على جثة امراة فصلت رأسها عن جسدها . انها بيبرس التى عشقت زوج اختها . لقد انتحرت اختها بعد ان اكتشفت خيانتها . لقد سافرت هذه المراة طويلا . من الفلبين الى الاسكندرية حيث التقت مع شاب سكندرى علمها كيف يكون السلوك الحقيقى . لكنها تهرب الى عالم اخر موحش وتتجه نحو الصحراء . فتركب مركبا يصعد بها النيل نحو اعالى الصعيد .. ثم تعود الى فينسيا ..

كانت حياة لورانس داريل مجموعة من

الرحلات العديدة التي لم تنته الا بوفاته ، وذلك مثلما فعل ابطال رواياته . فقد ولد في الهند في عام ١٩١٢ لاب بريطاني يعمل في مد خط السكك الحديدية . وام ايرلندية . نشر روايته الاولى "الكتاب الاسود" عام ١٩٣٧ . عرف كشاعر وروائي . حضر الى مصر في عام ١٩٣٩ . وقد انتهى من كتابة الجزء الأخير من رباعية الاسكندرية عام ١٩٦٠ ومن اهم روايته الاخرى "النسور البيضاء" ..

اما خماسيته الاخيرة فقد كتب الجزء الأول منها "امير الظلمات" عام ١٩٧٦ ثم تتابعت الاجزاء الأخرى وهي "المدفونة الحية" ١٩٨٠ ، كونستانس او ممارسة الوحدة ١٩٨٣ . ثم "سباستيان" ١٩٨٤ وصدر الجزء الاخير في عام ١٩٨٦

فرانكفورت

في اليابان .. الأدب صناعة

في معرض الكتاب الدولي الذي عقد بفرانكفورت اخيرا . لفت الجناح الياباني انظار الكثيرين لدرجة جعلت من جريدة لوموند ان تخصص ملفا ، ليس له علاقة بالاعلان ، عن انشطة الكتاب في اليابان جاء فيه ان اليابانيين يظلون اكثر من يستهلك الاشياء المكتوبة في العالم . وتعني الاشياء المكتوبة هنا كل ما له علاقة بالقراءة . ويمثل الكتاب هنا ٤١٪ من هذه الاشياء المكتوبة .

والناشر الياباني يهتم بصناعة الكتاب . والحكايات المصورة . ويعتبر كورناشا هو اكبر ناشر في طوكيو . حيث يسيطر على ٧,٥٪ من سوق الاشياء المكتوبة . كما انه اقدم الناشرين في اسيا . حيث يعمل منذ ١٢٠ عاما ..



وتقول الصحيفة انه ليس صحيحا ان صناعة الكتاب في اليابان تقل عن مثيلتها في الولايات المتحدة . فلا يمكن ان يقال ان كتاب حقق مبيعات عليا (بست سللرز) إلا إذا تجاوز عدد النسخ المطبوعة رقم المليون .

وعن الادب في اليابان كتبت سيسيل ساكاي ان الادب صناعة مثل كل الصناعات الاخرى . وانه يجب ان يحقق الادب ارباحا طيبة ، وعوائد مجزية على المؤلف والناشر معا .

وفي اليابان جائزة ادبية كبرى ، مثل جائزة جونكور ، تسمى "نواكي" تمنح للروايات الاكثر مبيعا ، وليس الاكثر جودة ، وهي مصنوعة كي تجذب انتباه القارىء لاحد الكتب . ولعل هذا قد دفع بعض دور النشر الى اصدار جوائز تمولها بنفسها من اجل ضمان زيادة توزيع اعمالها ..

وقد عرف القارىء الياباني في السنوات الاخيرة اسماء بعض الكتاب الذين يحققون اعلى المبيعات مثل

اكيوكى نوزاكا وروى موركاى وغيرهما لذا فقد حصل اصحاب هذه الاسماء على الجائزة اكثر من مرة فضلا عن الاموال الكثيرة التى دخلت الى حساباتهم فى البنوك ..

ويؤكد خبراء الكتاب فى اليابان ان النظر الى الكتاب والأدب على انهما صناعة قد ساعدا فى تطوير هذه الصناعة كثيرا ، مثلما حدث مع كل الصناعات الاخرى . ففى كل عام يصدر مليار ونصف من الأعمال المطبوعة . من كتب لافلام . لشرائط فيديو وغيرها من المواد الثقافية . وليس اليابانيون معنيين كثيرا بهذه المطبوعات . فاغلبها يصدر الى الخارج وخاصة الولايات المتحدة والشرق الأقصى . وايضا الشرق الاوسط ..

وقد شجعت هذه الظاهرة اليابانيين على ان يدخلوا بكل ثقلهم فى صناعة الاشياء المكتوبة . ففى عام ١٩٨٩ فقط دخل هذه الصناعة عدد كبير من الراسماليين بعد ان تاكدوا من ان اموالهم سوف تزداد بشكل واضح فى صناعة الكتاب ... ربما اكثر من الصناعات الأخرى .

استانبول

قصر الأمنيات .. الغارق

تحت سطح الأرض فى العاصمة التركية استانبول لايمكن للمرء ان يصدق ان بناء رائع الجمال يرقد فى صمت صامدا عبر ١٥٠٠ عام من الزمان .

انه سراى بيرى بلتان الذى شيده الامبراطور الرومانى جوستينيان فى القرن السادس الميلادى بالقرب من كنيسته العظيمة "هاجيا صوفيا" .

يطلق الاتراك على هذا البناء "القصر الغارق" .. ذلك انه بنى ليكون خزانا هائلا يمد العاصمة الرومانية استانبول بالمياه فى اوقات الحصار المطول الذى كثيرا ماتعرضت له من اعداء الامبراطورية . وقد انشىء العديد من خزانات المياه لمساعدة الرومان على مقاومة الغزاة والصمود امام الحصار .

وكان "القصر يغذى بمصدر سرى للمياه يضمن وجود الماء به بشكل دائم ومن هنا اطلق عليه الاتراك "القصر الغارق" ..

• • •

ما ان ينزل الزائر السلم الصغير المؤدى الى القصر حتى تصل الى اذانه انغام موسيقى كلاسيكية ويأتيه الهواء رطبا ثم يفاجأ بعدد هائل من الاعمدة الرخامية تمتد فى صفوف عديدة لتشكل بلاطا سقفيا رائعا .. وتحيط بهذه الأعمدة المياه من كل جانب حيث تنعكس على سطحها اضواء متعددة الالوان تتشكل مع الأعمدة البللورية ذات الزخارف الدقيقة لوحة معمارية جمالية بديعة .. وقد وصفها مؤلف ايطالى هو انطونيو دى اميكيس عندما زار القصر عام ١٨٧٤ قائلا : عندما

ادخل بهو ذلك البناء الاسلامي واهبط الى آخر درجات سلم رطيب مظلم على ضوء مصباح صغير حيث المياه المائلة للاخضرار ينعكس عليها الضوء هنا وهناك ليبدد الظلام .. بينما ضوء احمر ينعكس على الاعمدة فيضيء الجدران ومعها المياه المنبثقة حول صفوف لا نهائية من الأعمدة لتشكل غابة كثيفة من اشجار لم يعرفها احد من قبل .

• • •

يعكس القصر الطابعين الأثرى والمعمارى لعهد جوستينيان والذى اتسم بفخامة البناء وروعة التصميم .. في الجانب القصي من القصر ينتصب عمودان يقوم كل منهما على قاعدة لها شكل راس احد الالهة ..

ويلتف حول الراس ثعبانان الاول يمتد من أعلى الى اسفل والآخر يلتفت جانبا .

لايعرف احد اصل هذين الشكلين او اسم الالهيين .. لكنهما ظلا هاهنا اكثر من ١٥ قرنا لايؤرقهما احد .

ويلقى الزائرون للقصر بقطع من النقود في مياهه ثم يذكر كل منهم امنيته الخاصة تماما كما يفعل الزائرون لنافورة الأمنيات بروما .

وتحيط بالقصر حكايات طريفة وغامضة ايضا حيث يقال ان سمكة هائلة الحجم تسكن في اعماق المياه الداكنة وتجوبها ليلا .. كما يقال ان قاع هذه المياه يتسع لحوالى ست عشرة سفينة ضخمة .

• • •

وقد عانى هذا البناء من الصمت والتجاهل لمدة ١٥ قرنا حتى تنبهت اليه انظار المسئولين المحليين باستانبول فامتدت يد الاصلاح والترميم الى اعمدته التي يبلغ عددها ٤٥٦ عمودا يرتفع كل منها ٢٧ قدما وتحيطها اطارات حديدية ذات اسلوب بيزنطي .

ويؤكد اسلوب بناء القصر انه بنى ليبقى ابدا .. فجدرانه يبلغ سمكها اثنى عشر قدما تتصل جيدا عند موضع التقائها لضمان عدم تسرب المياه التي يتغير منسوبها من فصل لآخر وتتم ازالة الرواسب الطينية على فترات متقاربة لكن اكبر عملية تنظيف تمت عام ١٩٨٧ وهو العام الذى فتح فيه القصر للزائرين ..

ومن بين اعمال التجديد التي جرت للقصر انشاء ممر خشبي يمتد بارتفاع خمسة اقدام فوق المياه بدلا من القارب الخشبي الذى كان قديما الوسيلة الوحيدة للوصول الى الجوانب المترامية للقصر الغارق الذى هو احد ثلاثة خزانات للمياه بقيت من العصر البيزنطي ولم يكتشف منها الا هذا القصر بينما الآخران مازالا اسفل المدينة لم يكتشفا بعد وربما يقود اكتشافهما الى تحفتين معماريتين تماثل كل منهما سراى بيرى باتان .

■ ■ ■

موسوعة

تاريخ مصر الإسلامية

بقلم : د. سعيد عبد الفتاح عاشور

تتصف الحضارة المصرية بصفتين اساسيتين : هما العراقة والاستمرار . فالحضارة المصرية من اقدم الحضارات البشرية إطلاقا ، حيث انها بدات باستقرار الانسان الأول على ضفاف نهر النيل ، واتجاهه نحو الافادة من الظروف الجغرافية والطبيعية المتعددة التى احاطت به ، حتى أرسى دعائم حضارة اخذت تنمو وتزدهر على مر العصور ، لتصبح بمثابة الأم لعديد من الحضارات البشرية التى ظهرت بعد ذلك .

ومن ناحية اخرى ، فإنه على الرغم من فترات الاضمحلال والذبول التى مرت بها الحضارة المصرية فى بعض حلقات تاريخها الطويل ، فإن مسيرتها لم تتوقف مطلقا ، كل ما فى الأمر هو أن سرعة إنطلاقها كانت تخف أحيانا على مدى قصير ، لتعود الى الانطلاق بعد قليل . وبذلك اثرت هذه الحضارة التراث البشرى ، واضافت المزيد والجديد الى كل الآفاق الحضارية من اداب وعلوم وفنون .

ولاشك فى أن هذه الرحلة الطويلة على طريق الحضارة البشرية ، كانت فى حاجة الى جمع شتاتها والالمام بتفاصيلها ودقائقها ، وتنظيم جزئياتها ، فى صورة تمكن الباحث وطالب المعرفة من الرجوع إليها والنهل من معينها ، ومن هنا ظهرت الحاجة - منذ عشرات السنين - الى وضع موسوعة مصرية - تاريخية حضارية شاملة - فى بضعة اجزاء ، يختص كل منها بحقبة من حقب التاريخ المصرى ، وقد تشكلت من اجل ذلك لجان ، ووضعت خطط ، ولكن يبدو أن صعوبة المهمة وخطورتها كانت تشكل دائما عائقا يحول دون الشروع فى تنفيذها . وهكذا حتى تبنت الهيئة العامة للاستعلامات الفكرة ، واولتها ما تستحقه من عناية ورعاية ، فصدر الجزءان الأول والثانى من الموسوعة المصرية ، أحدهما يعالج العصر الفرعونى ، والآخر يعالج العصر اليونانى الرومانى ، وكان صدور



تاريخ مصر الإسلامية

الجزء الأخير فى عام ١٩٧٨ .

وبينما كان هذا الجزء فى مرحلة الطباعة ، أخذت الهيئة العامة للاستعلامات تعد للجزء الثالث من الموسوعة المصرية ، وهو الجزء الذى ظهر أخيرا ، والذى يختص بتاريخ مصر الاسلامية وحضارتها ، فى الحقبة الزمنية الواقعة بين سنتى ٦٤١ ، ١٥١٧ م أى منذ الفتح العربى حتى الغزو العثمانى .

ومن الواضح أن هذا الجزء يعالج فترة على جانب كبير من الأهمية والخطورة ـ من الناحيتين التاريخية والحضارية ، بوصفها الفترة التى شهدت انتقال مصر من العصور القديمة الى العصور الوسطى . وعندما نقول إن مصر دخلت دائرة العصور الوسطى ، فإننا نعنى أنها شهدت التحول الى اللسان العربى والديانة الاسلامية ، بكل ما يعنيه هذا التحول من أبعاد حضارية ، روحية وفكرية واجتماعية وغيرها .

وفى كل حلقة من حلقات التاريخ المصرى فى العصور الوسطى الاسلامية ، شهدت أرض مصر أحداثا فريدة ، وقامت عليها منشآت ومؤسسات حضارية ضخمة ، وظهر على مسرحها أعلام خلدوا اسماءهم فى كل الميادين السياسية والحضارية . ففى عصر الولاة ـ أى فى فجر الاسلام ـ قامت الفسطاط عاصمة لمصر فى عهدها الجديد فغدت قلعة للفكر والحضارة ، وغدا جامعها العتيق ـ جامع عمرو ـ مركزا للعلم والثقافة ومنارا للعلوم الدينية وغير الدينية ، ومنه انبثق نور المعرفة ليغذى القيروان وغيرها من مراكز الحضارة الاسلامية فى شمال افريقية .

ولعله ليس من باب الصدف أن تكون مصر فى العصر المسيحى ـ قبل الاسلام ـ هى المهد الأول لحركة الرهبانية والديرية ، وهى الحركة التى قامت على أسس العزلة والزهد والانقطاع للعبادة ، ومن مصر انتقلت هذه الحركة الى كل أرجاء العالم المسيحى شرقا وغربا . فلما دخلت مصر دائرة الاسلام اذا بها تسهم منذ وقت مبكر فى حركة التصوف ، فظهر على مسرحها ذو النون المصرى المتوفى سنة ٢٤٥هـ (٨٥٩م) وتعاقب بعده على أرض مصر عدد من أقطاب هذه الحركة مثل أبى الحسن على الدينورى المتوفى سنة ٣٣١هـ (٩٤٢م) وأبى الخير الاقطع ، المتوفى سنة ٣٤٣هـ (٩٥٤م) وغيرهم .

وباستقلال مصر عن الخلافة فى العصر الطولونى سنة ٢٦٣هـ (٨٧٦م) ، شرع أحمد بن طولون فى وضع نظام جديد للحكم والادارة ، داخل إطار خاص يتفق والشخصية المصرية . وقد عبر عن ذلك القلقشندى فى كتابه صبح الأعشى .

أما العصر الاخشيدى (٣٢٣ ، ٣٥٨هـ ـ ٩٣٥ ـ ٩٦٩م) فكان مع قصر مدته عصر نشاط حضارى كبير ، فى ميادين الآداب والعلوم والفنون ، وظهر فيه عدد من اعلام الفقه من ابناء مصر مثل محمد بن أحمد بن طولون الأسوانى ، وعلى بن عبدالله بن أبى مطر الاسكندرانى . وفى اللغة وعلم النحو ظهر ابن ولاد أحمد المصرى ، واشتهر فى التاريخ عندئذ عددكبير من أبناء مصر ، بعضهم من غير المسلمين مثل سعيد بن



د . ممدوح البلتاجى

البطريق الذى كان بطريركا على الاسكندرية وتوفى سنة ٣٢٨هـ (٩٣٩م) .

ثم كان أن قامت الدولة الفاطمية على أرض مصر سنة ٣٥٨هـ (٩٦٩م) لتجعل منها ـ لأول مرة منذ الفتح الاسلامى ـ قاعدة لخلافة اسلامية . ومع أن هذه الخلافة كانت شيعية تختلف فى المذهب عن عقيدة البلاد وأهلها ، فإن الدولة الفاطمية كانت دولة دعوة ودعاية وإعلام ـ على أعلى مستوى ـ مما ترك اثرا كبيرا فى أحوال مصر الداخلية .

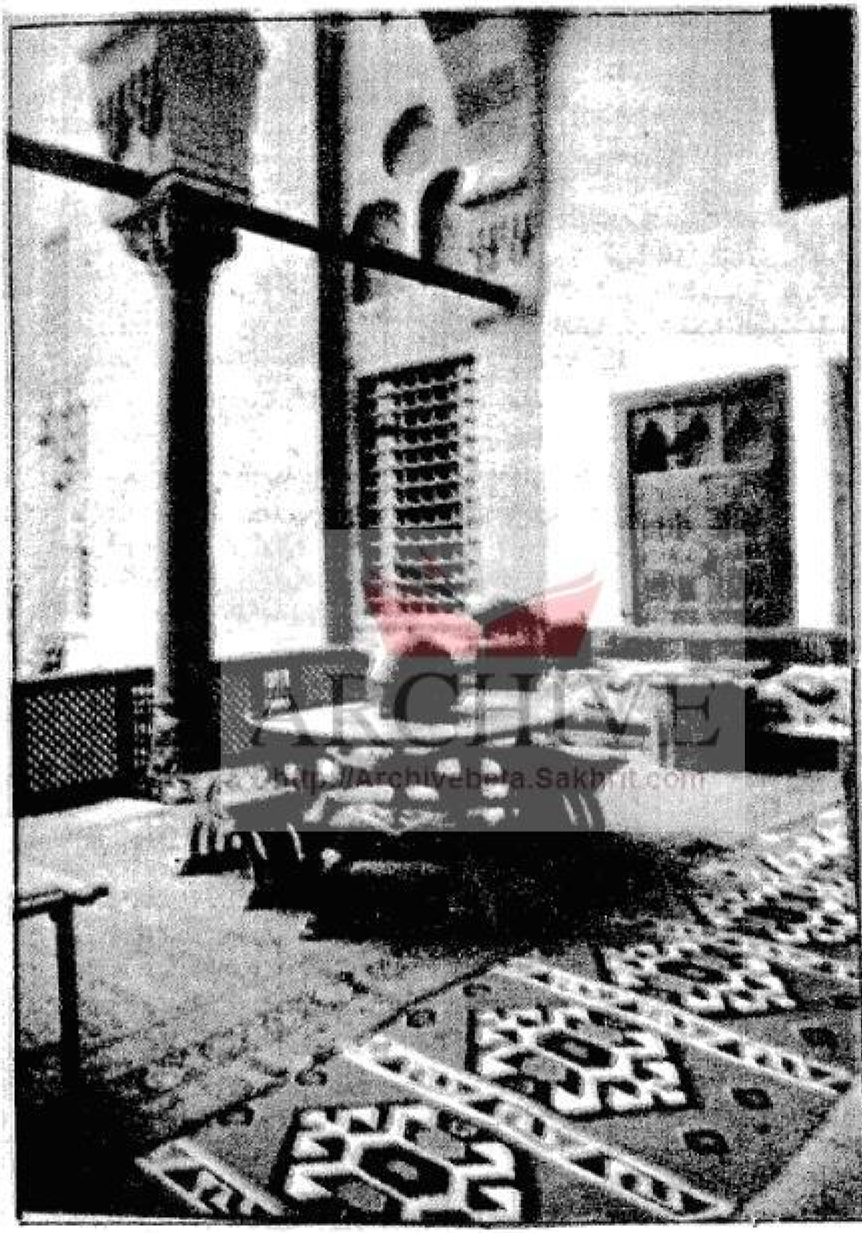
● حضارة لها تاريخ

أما فى ميدان الفكر ، فيكفى ما ذكره أستاذنا المرحوم أحمد أمين من أن الدولة الفاطمية "أتت بحركة علمية عظيمة نشيطة ، وتقدمت العلم والأدب والفن فى مصر والشام خطوات ، حتى لايعد شيئا بجانبها ماكان فى العهد الطولونى والاخشيدى" . ولما كانت الدعوة الفاطمية تقوم على أساس فلسفى يعتمد على الاقناع وقوة الحجة وسلامة المنطق ، فإن الفاطميين اهتموا بإعداد الدعاة اهتماما كبيرا ، وأقاموا دار الحكمة أو دار العلم وزودوها بأعداد ضخمة من الكتب فى شتى ألوان المعرفة التى نبغ فيها عدد كبير من العلماء .

وفى أواخر العصر الفاطمى ، ظهر الصليبيون فى أفق الشرق الأدنى ، وتمخضت الحركة الصليبية عن نتائج عديدة أهمها من الناحية السياسية قيام الدولة الأيوبية فى مصر والشام على حساب الدولة الفاطمية . ولكن اشتداد تيار الحروب الصليبية لم يوقف مسيرة مصر الحضارية فى العصر الأيوبى ، فظلت تواصل رسالتها الحضارية فى شتى الاتجاهات الى جانب صمودها فى وجه الغزو الصليبى أكثر من مرة لمصر ذاتها.

وقد صحب قيام الدولة الأيوبية القضاء على المذهب الشيعى فى مصر ودعم المذهب السنى عن طريق الاكثار من إنشاء المدارس لتكون مراكز لفقه أهل السنة . ولم تلبث أن اتسعت دائرة نشاط هذه المدارس لتقوم بدور الجامعات فى العصور الحديثة ، فاستوعبت العديد من ألوان المعرفة فى مختلف العلوم الدينية والدنيوية ، النظرية والتجريبية . ويعين لكل مدرسة بعض المدرسين من علماء العصر المرموقين .

ولاشك فى أن موقع مصر وانتشار الأمن والسلام فيها ووفرة خيراتها ، جعلها مقصد كثير من المعلمين والمتعلمين ، فلمعت على ضفاف النيل أسماء العديد من العلماء الذين نزحوا الى مصر وفضلوا الحياة فيها وانتجوا بين ربوعها ، فضلا عن أبناء البلاد من



بلغت النهضة ذروتها فى عصر السلاطين الذين امتدت دولتهم من الفرات حتى شمال السودان.


تطور الفنان العربي في عصر
الاسلام في ميادين الفنون
التشكيلية بشكل واضح

تاريخ مصر الإسلامية

المصريين أنفسهم الذين ظهر منهم عدد من المبرزين فى كل علم وفن .

وكان أن بلغت هذه النهضة ذروتها فى عصر سلاطين المماليك الذين خلفوا سادتهم بنى أيوب فى حكم مصر والشام . وقد امتدت دولة المماليك من نهر الفرات وأطراف آسيا الصغرى شمالا حتى جنوب بلاد النوبة وشمال السودان ، وأطلق عليها اسم "دولة البرين والبحرين" إشارة الى أنها تملك برى مصر والشام ، وبحرى الروم (المتوسط) والقلزم (الأحمر) .

والواقع أن عصر سلاطين المماليك يمثل الذروة بالنسبة للنهضة الاسلامية فى أواخر العصور الوسطى ، وهى النهضة الثانية فى الاسلام ، بعد النهضة الأولى التى شهدتها الدولة الاسلامية فى صدر تاريخها ، وفى هذه النهضة الثانية حلت القاهرة محل بغداد التى سقطت فى أيدى المغول سنة ٦٥٦هـ (١٢٥٨م) ، بحيث غدت القاهرة قصبة الحضارة فى العالم الاسلامى ، مشرقه ومغربه .

● بصمات مصرية فى كل العصور

ومن هذا العرض لتاريخ مصر وحضارتها فى العصر الاسلامى حتى أوائل القرن العاشر الهجرى ، والسادس عشر الميلادى ، نخرج بنتيجتين هامتين :

أولاهما : أن الحضارة المصرية فى تلك الحقبة لم تتصف بالاستمرارية فحسب ، وإنما اتصفت أيضا بالقدرة على مسايرة موكب التاريخ ، مع احتفاظها بطابعها الخاص المميز الذى سجل بصمات مصر فى كل صفحة من صفحات تاريخها الحضارى .

أما النتيجة الثانية التى نخرج بها من هذا العرض فهى أن حضارة مصر فى العصور الوسطى - منذ الفتح العربى الاسلامى - اتخذت طابعا جديدا أختلف عن كل العصور السابقة . ذلك أن الفتح العربى لمصر ترتب عليه أنتشار الاسلام من ناحية وانتشار اللغة العربية واللسان العربى من ناحية أخرى . وتحت تأثير هذين العاملين اصطبغت الحضارة المصرية بصبغة جديدة ، مع احتفاظ الشخصية المصرية بملامحها الأساسية التى ميزتها عبر عصور التاريخ .

ومن هنا تبرز أهمية - وصعوبة - وضع موسوعة تاريخية حضارية تعبر عن أوضاع مصر فى الفترة الممتدة من الفتح العربى الاسلامى فى القرن الاول الهجرى - السابع الميلاد ، وحتى الغزو العثمانى فى القرن العاشر الهجرى - السادس عشر للميلاد . ذلك أن المادة العلمية اللازمة لانجاز هذا العمل على وجه سليم لاتتصف بالغزارة والكثرة فحسب ، بل تتصف أيضا بالتنوع وربما التداخل والتشابك ما بين أسماء أعلام تباينت أسباب شهرتهم - منهم السلاطين والأمراء والقادة والعلماء والتجار والفنانون - وأسماء مدن وقرى ونواح وأحياء ودروب وحارات ، وأسماء مؤسسات دينية وتعليمية وتجارية ، تنسب بعضها الى مؤسسيها وتنسب البعض الآخر الى الأحياء التى أقيمت فيها أو بعض المعالم التى ارتبطت بها .. هذا عدا المصطلحات الفنية والمعمارية والزخرفية والآليات وغيرها ..

● قيمة الانجاز وتفرده

وقد تطلبت خطة العمل فى هذه الموسوعة البدء بجمع كل هذه الاسماء فى قوائم ، وتوزيعها على فروع التخصص : هذا مصطلح فى الطب أو فى علم الحديث ، وهذا مصطلح فى فن العمارة أو الرسم أو النحت وهذا اسم لفقيه كبير أو سلطان أو أمير ، وهذا عنوان لحمام أو سبيل أو مكتب لتعليم الايتام . وهذا رمز لموقعة حربية أو لون من الوان الطعام أو نوع من أنواع النسيج ...

وبعد ذلك كانت الخطوة التالية ، وهى توزيع هذه المادة العلمية على الاساتذة المتخصصين ، بحيث يكتب كل منهم فى حقل تخصصه العلمى الدقيق .

وبعد ذلك جاءت عملية الترتيب الابجدى للمادة العلمية ، لأن المفروض فى أية موسوعة أن تكون بمثابة قاموس يرجع اليه الباحث للوقوف فى سرعة وايجاز على تعريف علمى دقيق ، أو بيان محدد ، أو حقيقة تاريخية أو حضارية ترتبط بالاطار العام للموسوعة .

وبـاكتمال تنظيم المادة العلمية وتنسيقها ومراجعتها ، امكن لهذا السفر فى الموسوعة المصرية - وهو السفر الخاص بتاريخ مصر وحضارتها فى العصر الاسلامى - أن يدخل مرحلة الطباعة ، التى تمت والحمد لله على درجة من الاتقان والدقة وجمال الاخراج ، تستحق أن نهنىء عليها الهيئة العامة للاستعلامات .

والواقع أن كل خطوة من الخطوات السابقة تطلبت من الجهد والوقت الشيء الكثير . ولكن ايمان القائمين على هذا العمل بخطورة المهمة التى ينهضون بها ، وإصرارهم على أن يقدموا لمصر وتاريخ مصر وحضارة مصر وأهل مصر ، إنجازا يتفق وما لهذه الأركان من مكانة فى قلوبهم ، جعلهم يتفانون فى العمل ، حتى تمخضت جهودهم بعد بضع سنين من الجهد المتصل عن هذا السفر الضخم الذى يعبر تعبيرا أمينا عن تاريخ مصر وحضارتها منذ الفتح العربى الاسلامى حتى الغزو العثمانى ، أى على مدى يقارب تسعة قرون .

واذا نحن ذكرنا القائمين على هذا العمل ، فلابد - إحقاقا للحق - من الاشادة بالجهد الكبير البناء الذى بذله الدكتور ممدوح البلتاجى رئيس الهيئة العامة للاستعلامات . وسنظل نذكر له الاجتماعات التى كان يعقدها لنا فى مكتبه وسط مدينة القاهرة ليتابع بنفسه سير العمل فى الموسوعة ، ويقف على ماقد يكون هناك من صعوبات أو عقبات ليذللها فى الحال بنفسه ، وذلك إيمانا منه - كما كان يريد دائما - بأن هذه الموسوعة تعبر عن صورة لوجه مصر الحضارى المشرق .

وبصدور هذا الجزء الخاص بتاريخ مصر وحضارتها فى العصر الاسلامى أرى انه من حق زملائى الذين اسهموا فى تحرير مادته العلمية أن اوجه لهم الشكر لاستجابتهم لدعوتنا رغم أعبائهم التى تعرفها تملم المعرفة ، ولتحملهم فى صبر لرجائنا الذى اعترف انه بلغ أحيانا درجة الالحاح والمتابعة .

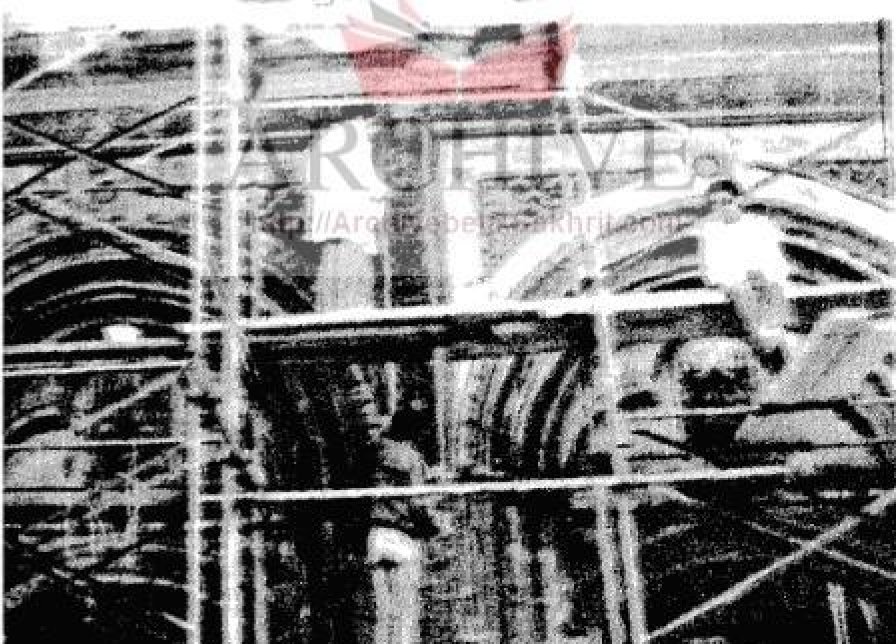
كذلك لابد من توجيه الشكر الى ذلك الطاقم الكبير من الجند المجهولين - وهم موظفو إدارة الموسوعة التى أحتلت جزءا

من مبنى هيئة الاستعلامات بمدينة الاعلام خلف مسرح البالون بالقاهرة وهو المبنى الذى اعتدت أن اتردد عليه سنوات لانجاز مهام تتعلق بهذا الجزء من اجزاء الموسوعة . وفى كل مرة أرى هذا الطاقم من العاملين يواصلون عملهم فى صمت ومثابرة ودقة وأمانة . واخص بالذكر الدكتورة زينب عبد العزيز مصطفى ، والاستاذة ليلى أحمد عدس . لما بذلاه من جهد ضخم يستحق التقدير فى كل مرحلة من المراحل التى مر بها هذا الجزء من الموسوعة المصرية . هذا بالاضافة الى اعضاء سكرتارية التحرير الذين وردت أسماؤهم فى صدر المجلد ، والاساتذة المتخصصين الذين أشرفوا على اختيار واعداد اللوحات المعبرة التى تحتل الصفحات الأخيرة من هذا السفر . وكذلك الاساتذة التى قامت باعداد الفهارس والكشافات . وكلها مهام صعبة تحتاج الى كثير من الخبرة والجهد والذوق والمعرفة .

وبعد فإن العمل كبير ، والصورة مشرقة ، والانجاز ضخم ، واذا صادف احدهم مايفتح مجالا للنقد ، فليذكر أن الكمال لله وحده ، وأن صعوبة المهمة وتشابك فروعها ، وتداخل جزئياتها ، ربما تسببت فيما يفتح موضعا للنقد .

لقد قدمت الهيئة العامة للاستعلامات لتاريخ مصر والاسلام والعروبة شيئا كبيرا يستحق التقدير ، ولمثل هذا فليعمل العاملون .

فى حلقة من التاريخ قامت منشآت حضارية ضخمة

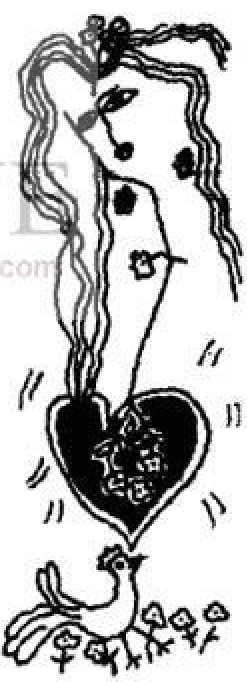




صباح عيني يا نجوم

شعر :
د. أنس داود

خطوها
ما أبصر الآن هنا ..
أم طيفها
يتراءى فى تباريح الهموم
عندما يدنو بها السحر ،
يرفُّ الطير .. تفتُّر الغيوم
عن سناها ..
وصباها ألق الفجر العميم
ثغرها البسام صحو ، وأغان ، وكروم
يلتقى الجرملان فى عاصفة البرق ،
يغادينا جناح الشوق ،
مشبوبا بلون العشق ،
تواقا إلى وهم المعنق
تفر من البيدر بالنور ،
وبالعطر الإلهى المراق
لحظة خاطفة البوح ..
اذا الأضواء تخبو ،
وخيول الحلم تكبو ،
واذا البدر الذى كان
على عرش النجوم الزهر .. يزهو
بات .. مشدود الوثاق
ما الذى أنذر بالبين الرجيم
ما الذى جذر فى أعماقنا
سُودَ التخُوم





هل هو الحزن الذى غلغل فى داخلنا
منذ عصور
هل هو القهر الذى يعصف بالطير الجسور
ما الذى ياطفلتى
يسقط الحلم المجنح
صارحينى يانجوم
صمتك الواجم .. دمع وكلوم
وجنون ليس يشرح
ليتنى املك كشف السر
اعدو فى طريق الظل
ادرى بطباع الخيل فى أعماقنا
ايان تجمح
دفء كفيك خداع ؟
ظما الروح بعينيك خداع ؟ ..
رعشة النشوة فى الثغر الربيعى ..
بل الثغر الحياة
دلنى ياأيها الطير المسافر
أيها الريح المغامر
أيها النجم الرءوم
ما الذى تحكى الغيوم
مرة – ياطفلتى – أو مات لى ..
آه
هل هو الحب الحياة
أم هو الحب الهموم



الرجل الرمادى

بقلم : أحمد الشيخ
ريشة الفنان : محمد أبو طالب

حط رجل رمادى الشعر معفر السحنة والثياب تلك فوق المقعد المسنود على جدار واجهة المقهى القديم ، وبين قدميه انحطت حقيبة ملابسه لتشرح دالعسر ومشقة السفر . كانت على سحنة الرجل تقطيبة شاردة وهو يتأمل حركة الناس فى الميدان مشغولا عن مايجرى بتلك البنايات التى تبدلت . كان من الواضح أن المعالم الثابتة فى ذاكرته قد زالت وتوارت الى حد مذهل . لعلها تحولت فى غفلة منه رسمهم تحديد لم يحسب حسابه ، حتى مشاعر الارتياح التى حسب انه سوف يجدها لم تظهر بوادرها ونظرات الالفة بينه وبين الناس لم تحدث . كأنه كائن آخر غريب حط فى المدينة من كوكب آخر بعيد . ولم يكن هناك غير ذاكرته التى تتشبث بكل مايؤكد انه ولد وتربى فى منعطفات هذه المدينة . وانه سعى فى طرقاتها ودروبها صبيا وشابا . ولابد انه الآن يرى بتلك النظرة الساخطة المرحة وجوه أصدقاء قدامى وأقارب تجرى فى عروقهم قطرات من نفس

الرجل الرمادى

الدم ، ولقد ظن قبل المجىء انهم سوف يخطئونه فى لحظاتهم قبل ان يتعرف عليهم مثلما كان يحدث فى الزمن القديم .

اسبل عينيه وجرب ان يتاكد من صموده ذاكرته وقدرتها على رسم معالم الميدان كما كان فى الزمن الغائب . غامت فى الصورة المرسومة اجزاء وتنازعت لافتات الدكاكين التى غيرت واجهاتها عدة مرات ، فتح عينيه ودقق فى وجوه العابرين ليتعرف على واحد منهم لكنه لم يفلح ، ظل ينظر بتركيز اكثر الى الوجوه المتعجلة وتساءل بينه وبين نفسه ان كان الناس هنا قد اصابهم نفس الداء ايضا مثل الخلق هناك ، هل ركبتهم نفس الهموم وتباعدوا فى الزحام ؟ ورد على نفسه بنفسه بصوت خافت وحزين :

ـ كنت اعرف اسماء من يعبرون الميدان فى معظم الاحوال كان يكابد خيبة الرجاء فى مدينة سعى اليها ليصالحها : فانكرته ولوت بوزها وتدثرت برماد عاصفة طارئة جففت فى شرايين ناسها الدم وشاخت ملامحهم قبل الاوان ،

وتذكر انه لم ينقطع عن زيارتها لاكثر من عامين وعاد ليراها وقد ركبها وكل ناسها الجن والعفاريت . فلجاء الساقى بوقفته والسؤال عن مطلبه فأفاق نصف افاقة وتحير مرتبكا ، لكن الساقى اسعفه واقترح :

ـ مشروب مثلج يطرد الشرد يا استاذ ؟

اومأ موافقا ، ربما لانه اكتشف بالفعل انه فى حاجة ملحة الى مشروب بارد يطفىء الاشواق ويرطب الجوف العطشان لعله فى تلك اللحظة كان يلوم نفسه لانه جاء الى مدينته القديمة التى اصبحت لاتخصه ، قبل المجىء كان يلوم نفسه على التكاسل والارجاء ، كان مصلوبا بين نارين الرغبة فى التباعد والاقتراب من الوالد ، جرحه - الموروث التى تجسد بشرا سويا ، والذى بحسابات كل العقول لاذنب له فى التواجد بتلك الكيفية فى سكة عمره الذى ما استراح فيه يوما ، هو اخ لاب فشل فى اقناعه ولو مرة واحدة بفكرة ، وكان دائما ينظر اليه باستخفاف الاب القادر المالك الحر فى ان يعيش بحسب هواه حتى فى سن العجز .

ـ اى شوق للخلفة يارجل وانت فى هذه السن ؟

ـ السنة الناس مناشير تنهش سيرتك وانت فى الخامسة والسبعين .

احفادك فى عمرها يارجل .

لكن الرجل لاذ بصمت مكابر ، وعلى عادته لم يعلق باكثر من نظرة استياء ، ربما لو زود هو الجرعة لاهانة الرجل ووبخه وقالها على

عادته عندما لاتعجبه الكلمات :

- الرد فيك خسارة .

لعله خاف ايامها من دخول معركة خاسرة اخرى فكف عن المحاولة وهرب بالسفر الى تلك المدينة الكبيرة التى يعيش فيها بغير اختياره ، كان فى حقيقة الامر يفر من رؤية الطقوس التى دعاه الرجل ليشهدها ، وكانوا هم هناك ينظرون وينتظرون بتشف واستهزاء كيف ينفذ الرجل العجوز غرضه ، ويحقق الفكرة التى كبرت فى دماغه وشرع فى التجهيز لتنفيذها وكان هو يعرف انه عندما يركب راسه بارادته الصلبة التى لاتلين فانه لايعرف التراجع او يفكر فيه ، عنادا او رغبة اوتاكيدا لنفسه بانه بالفعل مالك لوعيه ، وانه لن يتزحزح خطوة مهما كانت الاعتراضات عن حقه فى تقرير امر نفسه بنفسه .

★ ★ ★

حدثوه مرارا فى زياراتهم الخاطفة عن زواج الرجل الكبير من بنت نواعم ، كان يتسمع ويهز راسه ولا يجرؤ على التعليق بكلمة وكان الامر لايعنيه رغم ادراكه وادراكهم انه يعنيه ربما كان يتشكك فى انهم ياتون اليه خصيصا لتحريضه او استفزازه ليقول كلاما فى حق الرجل الكبير ، ربما يسبه او يلعنه او يشكك فى قواه العقلية فيستديرون على اعقابهم ويرددون الوشايات عن الابن الجاحد الذى اخطأ فى حق ابيه ، طمعا اوجبنا اورغبة من مواجهته ، كانوا يثرثرون :

- البنت صغيرة كما تعرف وسيرتها على كل لسان .

- ابوك رغم كبر السن



الرجل الرمادي

بصحته وقادر على الخلفة .

- لو انجب منها فسيظل المولود معلقا فى رقبتك ليوم الدين .

- نفرض انه سوف يعجز عن الانجاب .

- لاتستبعد من بنت نواعم اى شىء والشرع هو الشرع .

- سكوتك لا يفيد .

وعندما تكلم سألهم عن كيفية الخروج من المأزق وقد وقعت الفأس فى الرأس . تبادلوا نظرات السخرية الممزوجة بالشماتة وهزوا الاكتاف . ساعتها سأل نفسه عن جدوى التعبير عن سخطه بالشكاية . وربما تأكد لديه انه ومنذ الان وحيد فى بؤرة الحدث ونتائجه . وانه ليس هناك امكانية للخروج او الفرار لم يكن هناك امامه غير الانتظار .

بعد موت الرجل بساعة أعلنت بنت نواعم انها حامل فى شهرها الثانى . وفى مندرة العزاء تسابقوا فى التشكيك فى دعواها وهو ساكت سكوت فريسة فى قبضة فخ من صلب لايرحم . وعندما حدث امرأته فى الامر قالت لن فى الامر لعبة مدبرة . وفسر هو الامر على انه مجرد حسابات محسوبة او غيرة نسائية من بنت نواعم التى تفوقها جمالا وشبابا وجرأة . لكنه مال الى تصديق ماقالت به بعد سبعة أشهر من تلك الليلة اذ جاءته الاخبار بأن بنت نواعم وضعت



بالفعل طفلا ، وانها هددت باللجوء الى المحاكم ضده مالم يتنازل عن ميراث للطفل مقابل اعباء التربية وبحساباته كان التنازل اهون من دخول المحاكم واحكام النفقة التى تخصم من المرتب بحسب الشرع والقانون اصبح الميراث فى حوزتها باختياره ، وما تبقى له من الاب غير طفل رآه ملفوفا ومحمولا على كتفها مرة ، وكم كان يرغب على نحو غامض فى رؤيته ، مجرد رؤيته او تحسس بدنه لكى يحكم بحسه الخالص ان كان بالفعل من نفس السلالة او انه كما يشاع ابن حرام طالع من حيث لا يعرفون ليغتصب حقوقه فى الزمن الضائع .

حط الساقى زجاجة المياه الغازية الباردة امامه فاعاده الى المقهى والناس والصخب المباغت ، كان سطح الزجاجة مغطى بذرات المياه الدقيقة التى تكثفت بفعل الرطوبة وبرودة السطح لعله تذكر عطشه الشديد وهو يتحسس سطحها باطراف انامله فى لهفة المشتاق الى مجرد الاطمئنان الى جرعة باردة في حوزته ، لكنه راه ماثلا امامه بوجهه الرمادى وجلبابه الرمادى وعباءته وعلى رأسه الطربوش ، كان الرجل الرمادى ينظر اليه بعينيه الرماديتين ، وهو ينكمش داخل نفسه وينكمش ، مذهولا ومرعوبا ، ومكتوم الانفاس من الهول الماثل امامه ، ليس فقط لانه نفس الاب الذى مات منذ سنوات وقد عاد الان ووقف قبالته ، وانما ايضا لانه عاد على نحو مغاير لصورته فى سنواته الاخيرة ، كان الرجل الرمادى قد استعاد شبابه القديم وحيويته القديمة وشاربه الهتلرى وقسوة تقاطيعه القادرة ، ازاح الاب بيده كف الابن المغرور عن الزجاجة واخذها احتواها بين انامله الغليظة ثم رفعها ناحية فمه وابتلعها فى جرعة واحدة تماما مثلما كان يفعل فى الزمن القديم القديم ، وبدا له وهو يضع الزجاجة الفارغة امامه انه يلومه ويوبخه ويتوعده بالعقاب الشديد عن خطأ لابد انه اقترفه وهو غافل عن نفسه . كانت اصابع يده المفرودة تلتف حول الزجاجة الفارغة ، وربما كانت ترتجف ارتجافة محسوسة من رعب رؤية الاب الذى يبتسم باستهانة نفس الابتسامة القديمة التى ترف على طرف شفتيه من زحمة الميدان ، وكان هو يتابعه بنظرة مشدوهة وهو يتباعد ويغطس فى الطرف الآخر من الميدان ولا يظهر منه غير طربوشه القديم بينما تتداخل العباءة الرمادية فى دوامات التراب المتناثر التى تعلو وتهبط على رءوس الخلق ، وكان حلقه اكثر جفافا من كل الاوقات السابقة ويده القابضة على الزجاجة الفارغة باستماتة وعجز تستشعر سخونة طارئة لها لسعة الجمر .

اسبانيا وفرنسا

والعالم العربى

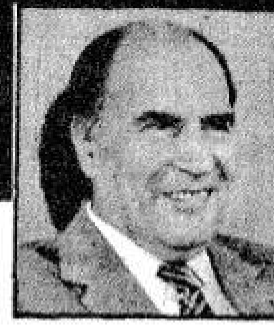
بقلم : د. الطاهر أحمد مكى

●● تصدر أوروبا كلها فى تعاملها مع العالم العربى عن معرفة واعية وعميقة به ، موقعا وتاريخا ونفسية واقتصادا ، ما الذى يرضى اهله ويهدهد من عزيمتهم فلا يثورون ، وما الذى اذا اشهر فى وجوههم خافوا وذعروا ، وماذا يؤدى الى روح الفرقة والمنافسة والبغضاء بين شعوبه ، فتعرف عليه اعلاما ودرسا ، وتعمق وجوده ، وتؤكد خصائصه .

ومن هنا كان اتجاه الدرس الثقافى العربى فى اوروبا طوال فترة المد الاستعمارى المباشر متجها الى التراث بجوانبه العديدة ، وبرزت كل دولة فى تاريخ المنطقة التى تستعمرها : الفرنسيون فى التاريخ الاموى المرتبط بسورية ، وتاريخ شمال افريقيا ، واهتم الانجليز بمصر وفلسطين والسودان وجنوب شبه الجزيرة ، وتعمق الهولنديون فى دراسة المذهب الشافعى لان اندونيسيا تحتذيه فى حياتها الفقهية .

ووقف الاسبان بجهدهم عند التاريخ الاندلسى بوصفه جزءا من تراثهم عند المستنيرين منهم ، وللوقوف على الجوانب السلبية فيه عند المتعصبين دينيا ، وكانت لهم فى كلتا الحالتين جهود عظيمة فى القاء الضوء على جوانبه المختلفة ، فهم على اى حال احفاد اولئك الاندلسيين العظام الذين ابدعوا الحضارة الاسلامية الراقية التى ازدهرت فى بلادهم قرونا طويلة ، حين كانت بقية اوروبا تسبح فى بحر من الظلام والظلمات .

غير ان الاستعمار الاوروبى الحديث ، اخذ بعد الحرب العالمية الثانية وجهة جديدة بانحسار الاحتلال العسكرى المباشر ، وتحرر الشعوب العربية وغيرها ، ويقظتها ونضالها من اجل استقلالها ، فلم يعد يهتم بالتواجد


ميتران


ديجول


احمد حسن الزيات

العسكرى بقدر ما اصبح يهتم بثروات هذه الشعوب والمواد الخام فيها ، وكيف يتحايل عليها ويأخذ بارخص الاسعار ، وان يبقى على اهلها ضعفاء ومتخلفين ، بالحيلة والذكاء ، واثارة روح الفرقة بين شعوبها ، عرقية ودينية ومذهبية ، ومن هنا اكتسى اهتمامه بالتاريخ العربي وجهة جديدة ، فلم يعد يعنى بالماضى وحده ، فقد استوعبه تماما ، وانما ركز جهده على الحاضر واصوله القريبة والمباشرة .

وكانت الولايات المتحدة ، وتمثل الوجه القبيح البشع للاستعمار الجديد رائدة هذا الاتجاه ، فاخذت اقسام اللغات العربية في جامعاتها المختلفة تدرس اللهجات العامية العربية والاحزاب السياسية والصحافة اليومية والاسبوعية واتجاهات الراى العام ، والحركات الدينية والطائفية .

ومن بعدها جاءت اوروبا .

وتجىء اسبانيا مثلا واضحا لهذا التحول ، فحتى عام ١٩٥٠ لم تكن جامعاتها تعنى بغير التاريخ الاندلسى ، ولا ترى للعرب حاضرا تهتم به ، ولم تكن "مجلة الاندلس" والتى تصدر عن مدرسة الدراسات العربية تعبر الا لغير هذا التاريخ ، ولكن بعد هذا التاريخ انشات وزارة الخارجية الاسبانية "المعهد الاسبانى العربى" ليعنى بالحاضر وحده ، وتخصص قسم اللغة العربية فى الجامعة المستقلة ، بتوجيه مستشرق عاش فى مصر زمنا ، وهو بدرو مرتينيث ، بالعالم العربى فى حاضره : تاريخا وادبا .

وعندما راى المستشرق الاسبانى الكبير غرسية غومث ، وكان صاحب مجلة الاندلس ورئيس تحريرها ان السن تقدمت به ، وان الذين عهد اليهم بامرها من الشباب لم يكونوا فى مستوى اسلافهم فعز عليه ان ينحدر مستواها ، وفعل بها ما فعله احمد حسن الزيات بمجلة "الرسالة" من قبل فى مصر ، فاوقف صدورها .

فاصدر الشبان المستشرقون مجلة "اوراق" عن طريق "المعهد الاسبانى"

العربي للثقافة" لتواصل الدور الذى قامت به مجلة الاندلس من قبل .

غير ان اشياء كثيرة تغيرت فى اسبانيا بعد موت فرانكو علم ١٩٧٣ : نظام الحكم ، وايقاع الحياة ، والديمقراطية الواسعة التى شملت كل مؤسسات الدولة ، وبدء الاندماج فى اوروبا ، وهو تطور ايجابى ، وان شابته بعض السلبيات ، شان كل حى يتحرك ويتقدم فى الحياة .

خلال حركة التقدم هذه تغيرت مهمة "المعهد الاسبانى العربى للثقافة" . وتغير معها اسمه ايضا فاصبح "معهد التعاون مع العالم العربى" وذلك يعنى ان التعاون يتجاوز الثقافة والمعنويات الى الماديات ايضا ، ويتخذ من الفهم والمعرفة اداة لتعميق التعاون وتحقيق المصالح المشتركة بين الجانبين ، والقاء الضوء على القضايا المتشابكة او التى تعترض سبل التفاهم والتعاون بينهما .

وتعبيرا عن هذا الاتجاه صدرت مجلة "اوراق" ، ابتداء من عددها العاشر ، فى صورة جديدة ، لتوائم التطور ، وتخدم هذا الاتجاه ، فجاءت ابحاث هذا العدد عن "العالم العربى المعاصر وصلته باوروبا" فتضمنت دراسات جادة وهامة عن :

- اوربا والعالم العربى وسياستهما فى البحر الابيض المتوسط .
- السياسة الاوربية نحو البحر الابيض المتوسط
- الاستراتيجية العربية فى البحر المتوسط .
- البحر الابيض المتوسط فى النطاق العالمى .
- السياسات الاقتصادية فى البحر الابيض .

وتحت كل عنوان من هذه العناوين دراسات متعددة ، كتبها متخصصون من جنسيات مختلفة : اسبانية وفرنسية وايطالية ، وعربية ، وبلغات مختلفة ايضا : الفرنسية والاسبانية والايطالية

يهمنا الان من هذه الدراسة اثنتان ، احداهما عن "سياسة اسبانيا نحو العرب" والثانية عن "سياسة فرنسا"

● اسبانيا والعرب

كتب هذه الدراسة فرناندو موران وزير خارجية اسبانيا الاسبق ، وفيها يقرر ان سياسة اسبانيا العربية فى بدء هذا القرن كانت تحكمها حرب اسبانيا الاستعمارية مع المغرب والتوسع فى

بومبيدو



افريقيا ، وهى دعوة تزعمها العسكريون والملكيون وجمعية افريقيا ، منذ عام ١٨٨٠ ، واستخدموا هذا تعويضا نفسيا عن خسائر اسبانيا الاستعمارية فى امريكا اللاتينية ، وكان الصراع مع المغرب يحدد نصرة اسبانيا العربية ، ولم تكن هناك نظرة كلية الى هذه العلاقة على امتداد زمن طويل ، ربما الى بداية الحرب الاهلية الاسبانية ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩ ، وفيها لم يكن احد فى اسبانيا يشك فى شرعية الاستعمار الفرنسى والبريطانى للبلاد العربية والبلاد الاخرى يلتقى فى ذلك المحافظون واليساريون .

وفى عهد الجنرال فرانكو اصبحت سياسة اسبانيا نحو العرب ذات وظيفة تعويضية ، فلكى تواجه اسبانيا الحصار والمقاطعة الاوروبية التى واجهتها بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية رأت ان تقوى علاقاتها بالعالم العربى ، وكان الامير عبدالله امير شرق الاردن اذ ذاك اول رئيس دولة يزور الجنرال فرانكو . وقد استمرت هذه العلاقة القوية حتى بعد ان تمزق الحصار لتفيد اسبانيا من دعم الدول العربية واصواتها فى دخول هيئة الامم .

وقد اثر جلاء البريطانيين عن قواعدهم شرقى السويس ، وحرب فرنسا الاستعمارية فى الجزائر ، فى السياسة الاسبانية ، فى المجال الخطابى على الاقل ، وجعلتها مقبولة على نحو اكبر فى العالم . فلم يكن لدى اسبانيا مستعمرات عربية ، خلال شمال المغرب وبعض الجيوب فى الجنوب منه ـ تثير العالم العربى ـ وكان موقف فرانكو من استقلال المغرب غير جلى تماما ، كان يؤيده ، ولكنه لم يتخذ خطورة حاسمة ومبكرة بإزائه .

بعد موت فرانكو تطورت اسبانيا سريعا ، واصبحت كل يوم اكثر اندماجا فى اوروبا ، ورغم ان سياسة فرانكو العربية لاتزال ذات اثر فى الاحداث التى تلته ، ولكن حركة الاندماج فى اوروبا ، جعلت اسبانيا محكومة بحركة الجماعة الاوروبية وتوجهها اكثر مما هى مستجيبة لسياسة مستقلة تنبع من مصالحها الخاصة المستقلة .

فرنسا والعالم العربى

اما الدراسة الخاصة بفرنسا والعالم العربى فقد كتبها بول بالتا مدير مركز دراسات الشرق المعاصر فى جامعة السوربون الجديدة واحد كتاب جريدة ليموند المرموقين .

يرى بول بالتا ان الذى وضع اسس سياسة فرنسا المعاصرة نحو العالم العربى هو الجنرال ديجول وان ميتران دفع بها خطوات الى الامام .

لقد حاول ديجول ان يقيم علاقات فرنسا مع العالم العربى فى ضوء حقائق علم الجغرافيا السياسية ، ومصالح الدولة ، فأخذ فى الحسبان

أسبانيا وفرنسا

الاهمية الاستراتيجية لشعوب المغرب ومصر لانها تحتل الجانب الغربى من البحر الابيض . وهى منطقة هامة جدا لامن فرنسا ، الى جانب ان العالم العربى يتضمن كميات هائلة من المواد الاولية ، كالنفط والاورانيوم والفوسفات وغيرها ، وكان يضع فى تصوره دائما ما يمكن ان يسببه لفرنسا من اذى اسطول معاد يتحرك بسهولة فى موانىء البحر الابيض الغربية بين الاسكندرية وطنجة .

وكان يحكم سياسته ، وسياسة خلفه من بعده ازاء العالم العربى العوامل الاتية :

● المصالح الاقتصادية

كانت فرنسا حتى عام ١٩٥٨ قوة زراعية فحسب ، ولكن ديجول خلق منها قوة صناعية ايضا ، ذلك ان الصناعيين قبل ديجول ، خلال العصر الاستعمارى ، تعودوا ان يصدروا مصنوعاتهم الى المستعمرات الفرنسية ، وكانت وقفا عليهم ، فادى ذلك الى عدم اهتمامهم بجودة الانتاج ورقيه ، فغير ديجول هذه النظرة ، وبانتهاء حرب الجزائر دخلت الصناعة الفرنسية ـ بما فيها الحربية ـ العالم العربى ، حيث يوجد البترول اللازم للصناعة ايضا ، ومن هنا لم يتردد ديجول فى ادانة الحرب الاسرائيلية عام ١٩٦٧ ، وعمل على ان تصبح باريس مكانا متميزا لراس المال العربى ، واصبحت فرنسا ذات مكانة متميزة بين الشعوب العربية ، ولم يكن يسبقها غير الاتحاد السوفييتي للحاجة اليه ، وعندما قطع العالم العربى علاقاته مع الولايات المتحدة وانجلترا والمانيا لضلوعها مع الصهيونية . ابقى على علاقته مع فرنسا ، وفيما بين عامى ١٩٦٧ و ١٩٧٠ انتقلت فرنسا فى تجارتها مع العراق من المرتبة ٢٣ الى المرتبة الثالثة . وفى الوقت نفسه مضى ديجول يعمق علاقات فرنسا فى مناطق اخرى من العالم العربى كانت تخضع اصلا لنفوذ انجلترا والولايات المتحدة مثل العربية السعودية ودول الخليج .

● المصالح الثقافية

وهى مصالح توليها فرنسا على الدوام اهتماما كبيرا ، واذا كانت بلاد المغرب قد اخذت تعود الى العربية تدريجيا ، متخلية عن اللغة الفرنسية ، لكنها ظلت على صلة قوية بها ،

ايلجان



ديستان



واصبحت ومعها لبنان ومصر جسرا يصل بين الثقافتين العربية والفرنسية ، وكلها تستخدم الفرنسية في المؤتمرات الافريقية العربية ، وهي ايضا سوق رائجة وهامة لتسويق الكتاب الفرنسي والصحف والمجلات الفرنسية .

ولكن الجانب الانساني لم يكن غائبا عن ديجول فقد آن الاوان لتغيير النظرة الفرنسية الى الشعوب العربية ، حيث توجد على الجانب الاخر من البحر الابيض ، انها بلاد في طور النمو ، ولكن عندها حضارة وثقافة وانسانية نفتقدها في مجتمعنا الصناعي ، ويوما ما ، من المحتمل اننا سنكون سعداء جدا ، لاننا وجدناها عندهم ، ونحن وهم ، كل بايقاعه ، نتقدم بذكائنا وامكاناتنا نحو حضارتنا الصناعية ولكن اذا اردنا ان نلقي نظرة على البحر الابيض مهد الحضارات كلها ، وان نقيم حضارة صناعية ، تتجاوز النموذج الامريكي ، وفيها يصبح الانسان غاية لا وسيلة . ان ثقافتنا الفرنسية يجب ان تنفتح واسعة عريضة امام ثقافة الاخرين .

● مشكلة فلسطين

من الاهمية بمكان ان نحدد موقف ديجول من اسرائيل والمشكلة الفلسطينية ، وقد اتهم فيها بانه صدر عن اهتمامات اقتصادية خالصة .

عام ١٩٦٧ عشية حرب الايام الستة حاول ان يقنع اسرائيل بان تكف عن اظهار عداواتها للعرب ، قال ذلك صراحة لابا ايبان وزير خارجية اسرائيل في تلك الايام حسنا يا سيدى ، سوف تربحون هذه الحرب ، لانكم متفوقون ، ولكن لذلك نتائج ثلاث : سوف يتمكن الاتحاد السوفييتي من الشرق الاوسط اكثر ، وسوف يتعرض تموين الغرب بالنفط لمخاطر ، واخيرا فان مشكلة اللاجئين سوف تتطور وتاخذ بعدا عالميا .

وقد كان الن بوشيه رئيس مجلس الشيوخ لا يخفي تعاطفه مع اسرائيل ، ويرغب في تحويل السياسة التي اختطها ديجول لصالحها ، ولكن حقائق الواقع جعلته يعدل عن خطته هذه .

وعندما تولى جورج بومبيدو رياسة الجمهورية عام ١٩٦٩ حاول ان يوثق علاقات فرنسا باسرائيل ، ولكن رد الفعل الاسرائيلي ازاء صفقة طائرات الميراج لليبيا في ديسمبر ١٩٦٩ ، والمظاهرات المعادية التي قابله بها الصهيونيون عند زيارته الولايات المتحدة عام ١٩٧٠ جعلته يتمهل في هذه المحاولة ، الى جانب الصدمة النفطية الاولى التي صحبت وتلت حرب ١٩٧٣ ، والموقف الهام الذى وقفته الشعوب العربية المنتجة للبترول ، ومن جانب فان فرنسا التي واصلت تقدمها الصناعي اخذت تشعر بقوة دور العمالة العربية في هذا المجال ، وكانت هذه العوامل وراء اتجاه بومبيدو الى انعاش الدراسات العربية في فرنسا وتقويتها .

وقد رأى العرب وانصار ديجول فى جيسكار ديستان الذى خلف بومبيدو عام ١٩٧٤ سيفسيا مواليا لامريكا واسرائيل ، ولكن الرئيس الجديد سرعان ما كذب هذا الانطباع ، وسار فى المجال الثقافى على خطط سلفه ، ورأس انشاء "معهد العالم العربى" وهو منظمة فريدة فى نوعها ، فى كل اوروبا ، وافتتحها ميتران عام ١٩٨٧ .

وفى المجال السياسى وسع ديستان تعاون فرنسا مع الدول العربية المعتدلة ، والتى تتخذ من القضية الفلسطينية مواقف ثابتة ، وقد شجب اتفاقيات كامب ديفيد . وحاول مع رفاقه فى المجلس الاوروبى ان يصدر تصريح البندقية الشهير فى ١٣ يونيو ١٩٨٠ .

مع انتصار اليسار فى ١٩٨١ فان العلاقات الفرنسية العربية ، باستثناء حالات قليلة كانت طيبة اجمالا ، واحيانا كان العرب يستريبون بميتران ، وقد زار اسرائيل عدة مرات ، وشاب دول الخليج شيء من القلق حين اشترك فى وزارة بيير مورى بعض الشيوعيين . وبلغ بهم الحال انهم بدأوا يسحبون ارصدتهم من البنوك الفرنسية ، وكانت العلامات البارزة فى العلاقات الاقتصادية بين البلاد العربية وفرنسا على النحو التالى :

● ارتفعت الواردات الفرنسية من البلاد العربية ، وبخاصة البترول ، الى ٩١,٥ مليار فرنك فرنسى عام ١٩٨٠ ، والصادرات الى ٤٨,٧ مليار .

لم يكن العجز فى عام ١٩٧٩ يتجاوز



الجنرال فرانكو



كلود سيشون

٢٥ مليار فرنك ، عوض فى جانب منه بايداع مبالغ هائلة من رءوس الاموال العربية فى فرنسا ، ولكنه بعد ذلك ارتفع الى ٣٠ مليارا ، وهو ما يعادل ربع الاحتياطى الفرنسى .

● اسهم بيع المواد الحربية الى البلاد العربية فى تعادل الميزان التجارى ، وبلغ ما بيع منها عام ١٩٧٩ مايساوى ٢٥ مليارا ارتفع فى العالم التالى الى ٣٥ ، اكثر من نصفها اشترته بلاد عربية .

● ظلت فرنسا العميل التجارى الاول فى شمال افريقيا ، استيرادا وتصديرا ، ويستورد المغرب كميات هائلة من الكتب الفرنسية ، والمدرسية من بينها بخاصة ، الى جانب الصحف والمجلات .

● يوجد فى فرنسا خمسة ملايين من المسلمين نصفهم من اصل مغربى .

● سياسة ميتران

لتحليل سياسة ميتران العربية من

المهم ان نسترجع مواقفه وموقف الحزب الاشتراكي لحظة انتخابه لنرى كيف تطورت افكاره .

فى لحظة الانتخاب كلاهما كان يعطي اهمية كبرى لقطاعات مختلفة فى الدولة : تجار السلاح ، النمو الاقتصادى ، العمال المهاجرون ، الصراع العربى الاسرائيلى ، حرب العراق وايران ، وينظرون الى هذه القضايا نظرة عامة ومثالية ، ولكن ما ان انتخب ميتران حتى اعطى الاسبقية لمصلحة الدولة ، قبل اى شىء وتبعه الحزب مع اختلاف يسير فى التفضيلات .

وقد بدأ رئاسته بتطمين القادة العرب ، فارسل شقيقه الجنرال جاك ميتران الى العربية السعودية ، وكان رئيس الجمعية الوطنية للصناعات الجوية ، وارسل اخرين الى الخليج ، وعين كلود سيشون للعلاقات الخارجية ، وهما يتمتعان حتى اليوم بعلاقات طيبة مع العالم العربى .

وقد اوحى بعض المستشارين الى ميتران بان يحتفظ بزيارته الاولى للخارج لاسرائيل ، لترمز الى موقفه المتعاطف معها ، ولكنه اختار ان يزور الرياض فى ٢٦ سبتمبر ١٩٨١ ، مهتما فى المقام الاول بتقوية الروابط العربية الفرنسية ، وكان اول رئيس فرنسى يزور دمشق ، فى نفس الوقت الذى يوثق فيه علاقاته مع اسرائيل ، وبالتالى كان اول رئيس فرنسى يزور اسرائيل بعد غزو فلسطين والاستيلاء عليها ، ثم جاء الدور على الحسن الثانى ملك المغرب ، وحسين ملك الاردن ، ومبارك رئيس مصر ، وكانوا على صلة بالزعماء الاسرائيليين ، علانية او فى الخفاء .

وقد استغل العلاقات الطيبة بين سوريا والجزائر ، وبين هذه وليبيا ليحل كثيرا من المشكلات التى اعترضت علاقات فرنسا بليبيا بسبب مشكلة تشاد .

ومع ذلك لا يمكن القول بان سياسة ميتران فى العمق ، نحو فلسطين تختلف عن سياسة ديجول او بقية زعماء الجمهورية الخامسة .

انهم يطبقون القاعدة التى وضعها يوما دزرائيلى رئيس وزراء انجلترا اليهودى : "ليس لانجلترا اصدقاء وليس لها اعداء ، وانما لها مصالح" . متى نعي فى وطننا هذه الحقيقة .

هذا قليل جدا من كثير رائع وجاد وعميق ما تتضمنه المجلة ، وكل ما فيها يستحق العرض والترجمة ، متى يكون لدينا مثل هؤلاء المتخصصين ، ونقيم حياتنا فى جوانبها المختلفة على المعرفة والدرس ، فلا مكان للفهلوة فى عالمنا الحديث .

الحقيقة وراء هجرة

اسماعيل قدرى

شيخ الاسلام .. يحكم قصر الأحلام

بقلم: محمود قاسم

● هؤلاء الكتاب هم : سلمان رشدى ، وف . سى نايبول "الهند" ، ثم اسماعيل قدرى من البانيا ، وقد اكد كل الذين تابعوا هروب قدرى من البانيا الى فرنسا ان الأمر كان بالفعل مثيرا للدهشة ، فقد كانت للكاتب فى بلاده مكانة خاصة ، فهو المسافر الاول فى بلاده التى تقيد حرية السفر للمواطنين ، لدرجة ان جولاته فى بلدان العالم قد زادت عددا على جولات وزير الخارجية الالبانى ، لذا فقد كان سفير البانيا الاول ، فهو الكاتب المقروء بشكل مكثف الان فى العديد من العواصم العالمية .

لم يكن اسماعيل قدرى فى حاجة بالمرة الى ان يهرب من البانيا .. لذا فان السبب الأول ـ حسب رأينا ـ الذى دفعه للهجرة هو أنه أراد ان يحصد ما جاء على لسانه فى كتابه الاخير "قصر الأحلام" الذى هاجم فيه الاسلام بشكل سافر ، وبوقاحة بادية .. حتى وان حاول ان يسرد حكاياته فى اطار فنتازيا ، مثلما فعل سلمان رشدى فى اياته الشيطانية .

تجىء أهمية هذا الحدث ان الكتاب الثلاثة الذين راحوا يطعنون فى الاسلام قد استخدموا لغة القص من ناحية ، ووجهوا كتاباتهم للقارىء الغربى من ناحية ثانية ، وقد بدوا جميعا أشبه بالقروى الذى يضع قبعة فوق رأسه فيتصور انه "خواجه" ..

كما تجىء حساسية هذا الحدث فى ان الكتاب الثلاثة مبدعون متميزون بمعنى انهم لا يلجأون الى المباشرة ، ولا الى أساليب الدعاية المتعارف عليها ، مما يجذب اليهم القراء لمتابعة ابداعهم .

ويهمنا فى هذا المقال ان نركز على اسماعيل قدرى بصفة خاصة ، خاصة انه معروف الى حد ما فى عالمنا العربى ، وقد ترجمت له روايتان الأولى فى القاهرة عام ١٩٨٥ تحت عنوان

ترى هل جاء هروب الكاتب الألباني الشهير اسماعيل قدرى كحالة خاصة من أجل الانضمام الى مسلسل المؤلفين الذين هاجروا الى الغرب من أجل الهجوم على الاسلام بشكل يدعو للدهشة . ويبتعد عن كل اشكال المنطق ؟

لقد أصبح اسماعيل قدرى احد اضلاع مثلث لثلاثة من الكتاب المرشحين دوما للحصول على جائزة نوبل .. ويفخرون دوما انهم جاءوا من بلاد مسلمة ، أو كانت مسلمة ، هى الهند والبانيا ويكتبون للقارىء الغربي من أجل الهجوم على الاسلام .

اسماعيل قدرى



الحقيقة وراء هجرة اسماعيل قدري

"العرس" والثانية في لبنان تحت عنوان "من قتل دورنتين" .

واسماعيل قدرى يعلن دائما فى احاديثه انه لم يعد مسلما ، وذلك مثلما جاء على لسانه فى حديث نشرته جريدة لوموند فى ٢٢ مايو ١٩٨٦ حين قال : "اسمى اسماعيل ، ولكن ليس بى شىء من المسلمين" ، ويمكن ان تكون هذه العبارة مفتاحا للدخول اليه .

يقول اسماعيل قدرى ـ الذى يصر مترجموه العرب على خلع صفة اسمه العربية عنه فيسمونه كاداره ـ انه عندما ولد فى مدينة جروكاسترا عام ١٩٣٦ كان لالبانيا ملك يسمى "زج الأول" كان ملكا بلا صلاحيات ، عين فى عام ١٩٢٨ ، اى بعد انشاء دولة البانيا بستة عشر عاما ... فمن المعروف ان البانيا قد تأسست فى عام ١٩١٢ ، بعد انهيار الأمبراطورية العثمانية ، "كانت دولة بالغة الغرابة ، وأصبحت العاصمة دروس ، حيث يقيم كل سفراء أوربا ، ودت تركيا ان تستعيد البانيا ، كما وضعت كلا من ايطاليا والنمسا والمجر عينيها على البانيا ، وكذلك اليونان وفرنسا ، وعندما اندلعت الحرب العالمية الأولى ، رحل الجميع وتركونا فى قلب الفوضى" .

● عظام الجنرال .. الميت

اذن ، فقد كانت جذور الكاتب مسلمة ، وعندما جاءت النظم الشمولية الى البانيا حاول ان يخلع عنه هذه السمة ، كما سوف نرى ان اهميته قد جاءت بالنسبة للغرب على انه الكاتب الذى ينتقد هذه الشمولية فى عقر دارها ، لكن يهمنا الان ان نؤكد ان طفولة اسماعيل كانت اثناء سنوات الحرب ، فقد عاش سنوات الطفولة فى خضم الحرب العالمية الثانية ، فى البداية هاجمت اليونان البانيا ، ثم اندلعت المقاومة ضد الفاشية والبرجوازية والاقطاع ، مما دفع البانيا إلى ان تنغلق على نفسها حتى لا تصيبها ويلات الحرب ، ومن هذه الأحداث استلهم قدرى أحداث روايته الأولى "جنرال الجيش الميت" التى نشرها عام ١٩٦٠ ، أى وهو فى الرابعة والعشرين ، "فى سن العاشرة قرات مسرحية "ماكبث" ، وكنت أحب قصص الاشباح ، وفى سن مبكرة نشرت بعض القصائد ، وانهيت دراستى فى مدينتى ، حيث كانت بها مدرسة شهيرة ، ربما اكثر شهرة من مثيلتها فى تيرانا ، وبعد ذلك التحقت بالجامعة ، ثم أرسلت الى معهد جوركى للأدب فى موسكو ..

"كانت موسكو مدينة ضخمة بشكل لم أعهده من قبل ، وهناك تعرفت على

الثقافة السوفيتية ، كنت هناك سعيد كشاب ، لكنني لم أكن مبتهجا ككاتب لأنني التقيت بالكثير من مدعى الأدب" .

فى روايته الأولى ، التى كتبها فى موسكو ، تذهب زوجة البانية الى ايطاليا من أجل ان تلملم عظام زوجها الضابط الذى اشترك فى الحرب العالمية الثانية ، وهناك تجول فى الصحراء القاسية التى حارب فيها زوجها ومات ، وتلتقى بقصاص اثر يحدثها عن الحرب ، وعن القتلى ويبلغها عن دهشته من امرأة تبحث عن عظام جنرال ميت بينما هناك الكثير من الاحياء يعيشون كالأموات فعلا ..

● مراسم حفلات الزواج

تتابعت أعمال اسماعيل قدرى التى من أهمها : "طبول المطر" ، و"حكاية مدينة حجرية" ، و"الشتاء القاسى" و"أفول الهة الفيافى" و"ابريل مهشم" و"كوبرى وثلاثة أقواس" و"دعوة الى الحفل الرسمى" .. وغيرها ..

ويقول عن حياته بعد عودته من الاتحاد السوفيتى : "التحقت بالصحيفة الأدبية اليومية "الضوء" ، وعملت فيها خمس سنوات ثم اصبحت كاتبا محترفا ، وهو نظام معمول به فى البانيا يعنى ان الكاتب ينال أجره مقابل عدد السطور التى يكتبها" ، وقد انضم الى اتحاد الكتاب ، ثم أصبح عضوا فى مجلس الشعب الألبانى ثلاث دورات بين عامى ١٩٧٠ و١٩٨٢ .

كما سبق ان أشرنا فان أهمية الكاتب داخل البانيا .. وفى العالم الغربى تجىء من أنه راح ينتقد النظام السوفيتى ، ويهاجمه بضراوة ، كان هذا شيئا مسموحا ، ولايزال ، فى البانيا ، بل لعله شىء مرغوب فيه كثيرا ، ولذا فسرعان ما تنبه الغرب لرواياته وراحوا يترجمونها ، فروايته "أفول آلهة الفيافى" تتحدث عن القطيعة التى حدثت بين البانيا والاتحاد السوفييتى وآلهة الفيافى هم سادة الكرملين فى منظور الكاتب الذى يروى الأحداث على لسانه مطلقا على نفسه اسم "أنا" . فهو شاب البانى يتابع دراسته فى معهد جوركى ، وفى عام ١٩٥٨ يتعرف على الادباء السوفييت ، ويلتقى ببوريس باسترناك الذى يعتبر الكاتب المعارض الذى امكنه ان يعيش داخل البلاد .. فيستمع منه الى الكثير من الحكايات المعارضة عن ستالين وخرتشوف والثورة الحمراء .

وتعتبر أعمال اسماعيل قدرى التالية بمثابة سير على نفس النهج ، فهناك دائما كاتب يدعى اسماعيل قدرى ، يعتبر شاهدا على كل ما يحدث وكأنه يؤكد ان هذه الروايات بمثابة شهادات على وقائع معاصرة ، وقد اهتم الكاتب بتصوير مراسم العرس فى البانيا فى العديد من أعماله الابداعية باعتبار ان الناس يكونون فى

الحقيقة وراء هجرة اسماعيل قدرى

هذه الحفلات فى احسن حالاتهم ، لأنهم ينتظرون حلولها وقتا طويلا ، ويستعدون لها ، ويقيمون الولائم ، ويلبسون أحلى الملابس ، ويتبادلون أحلى العبارات ، بدا هذا واضحا فى روايته "العرس" ـ ترجمها عبداللطيف الأرناؤوط ـ التى تحكى قصة تأخر قطار الركاب عن موعده بسبب التواء فى القضبان ، ويتضح من التحقيق ان بعض المدعوين الى الحفل قد دفعتهم الخمر الى العبث بالقضبان الحديدية .

أما روايته "عربة حفل الزفاف" فهى قصة شابة من الصرب مخطوبة لشاب البانى ، وفى ليلة العرس أصبح الزواج مستحيلا بسبب العربة التى كان عليها ان تغير من خط سيرها .

وتتناول قصة "من قتل دورنتين ؟" أيضا موضوع حفلات الزواج ، تدور الأحداث فى القرن الثالث عشر ، فى ذلك الزمن الذى لم تكن تركيا قد استولت على ألبانيا بعد ، هناك حفل زواج لاميرين ، لكن الأميرة دورنتين ترحل مع رجل غريب ، مما يسبب اندلاع الحرب ، كأنها هيلين طروادة ، ويموت أخوتها التسعة ، وتطلق الأم لعناتها على أحد ابنائها القتلى لأنه لم يدافع عن شرف الأسرة ، فيخرج من مقبرته من أجل العثور على أخته ، وتستمر رحلة البحث ثلاث سنوات مليئة بالمعاناة .

الجدير بالذكر ان اسماعيل قدرى قد سافر بأبطال رواياته الى عصور مختلفة ، من عصر سوفوكليس فى "أخيل أو المفقود الخالد" الى القرن الثالث عشر فى "من قتل دورنتين ؟" وزمن استقلال البانيا فى "سنة سوداء" .

● **شيخ الاسلام .. غامض ؟ .**

أما روايته الأخيرة "قصر الاحلام" فيذهب فيها الى التاريخ الاسلامى فى البانيا .. وذلك من خلال أجواء أسطورية فنتازية ، فهناك أمبراطورية واسعة الحدود ، مليئة بالضباب ، وليس لها نهاية هى صحراء ممتدة على مدى الابصار ، وفى داخل هذه الأمبراطورية يعيش الناس تحت سطوة حاكم ديكتاتور يطلق عليه الكاتب اسم "شيخ الاسلام" مكتوب هكذا بالحروف اللاتينية وهذا الشيخ مجهول الوجه ، لم ير احد ملامحه . ويسكن قصرا ذا قبة مائلة للزرقة ، فكان غامضا ، مليئا بالأسرار ، لذا فان الخوف يستبد بقلوب الناس الذين يحكون قصصا عديدة عما يدور فى قصر الاحلام هذا .. يقال ان هناك مكتبا للنوم والأحلام ، وهناك ممرات



سلمان راشدى

معتمة يعمل فيها الموظفون الرسميون ، وعلى هؤلاء الموظفين ان يختاروا ويرقبوا وينظموا ..

ويرى اسماعيل قدرى أن هذا القصر يعكس شمولية الاسلام ، فقياسا الى ما يحدث فى هذه الأمبراطورية ـ كما جاء فى "مجلة الاكسبريس" ـ فان ستالين يعتبر قزما ، فهذا الشيخ يؤمن بأهمية الاحلام فى صنع مصائر الناس ، لذا فعليه ان يوقف كل التمردات التى يمكن أن تحدث فى القصر .. وعليه ان يبقى على الفلاحين فى حالة أمية وجهالة . وان يدفعهم كى يستيقظوا منذ الفجر من أجل الذهاب الى الحقول ، ولا يعودوا الا بعد غروب الشمس ، لذا فالكلام ممنوع بالنسبة لهم ، وكل ما عليهم فقط أن ينكفئوا فوق أديم الأرض ..

ومن جديد فان اسماعيل قدرى يظهر كشاهد على هذه الأحداث ، فهناك شاب يحمل نفس الاسم يدخل الى قصر الأحلام ، يروح يتأمله ، ويلتقى بالوزراء الخمسة ، ويتعرف على رجال الجيش والجنرالات الذين حكم عليهم بالنفى أو الموت ، وفى الرواية شخص اخر يسمى "سيد الأحلام" يظهر كل يوم جمعة للحاكم ، ويحدد له سلوك حكومته فى المرحلة المقبلة ، وغير خفى ان المؤلف يرمز به الى الوحى الذى ينزل عليه ويجىء له بالنصوص ، أما عم الحاكم فهو وزير يعمل على ان تبقى الأسرة فى العرش ، وان تعمل على تحقيق مجدها ...

وفى الرواية يشير الكاتب ان فترة الحكم التركى لالبانيا ، هى فترة اظلام : "لقد شاركنا الاتراك السلطة ، وهذا يعنى ، قبل كل شىء ، أن نكون شركاء فى الجرائم".

هذه اطلالة على عالم اسماعيل قدرى .. والغريب انه رغم صدور الرواية قبل ثلاثة اشهر باللغة الفرنسية ، فإن واحدا من الكتاب الذين يعيشون فى فرنسا لم ينتبهوا الى ما جاء بها ... ولم تنشر الصحف العربية ، وغير العربية ، الصادرة فى العواصم الأوربية الى ما جاء فى هذه الرواية .. ولم يربط بين هروب اسماعيل قدرى .. وبين "قصر الأحلام" .

رسالة ايطاليا

من فريد كامل

رواية
أوريانا فالوتشي الجديدة
تحكي
وقائع الحرب الأهلية اللبنانية !!

الكتاب إسمه "إنشالله" (إن شاء الله) ويرى - في ٧٩٥ صفحة زائد صفحتي الفهرس، وعبر ١٠٣ من الشخصيات، أحداث ثلاثة شهور في لبنان (من أكتوبر ١٩٨٣ إلى يناير ١٩٨٤). طرح في السوق في ٢٣ يوليو الماضي فباع في الأيام الثلاثة الأولى ١٥٠,٠٠٠ نسخة، بخلاف عقود لترجمته الى ثمانية لغات، وتحويله الى فيلم سينمائي (يجرى تصويره ربما في مدينة نابولي حيث يصور الآن فيلم "الهدية" الذي تدور احداثه أيضا في بيروت !!.. ومع نهاية اغسطس، شهر الاجازة الصيفية، بدأت تدور المطابع لاصدار طبعة ثانية من الكتاب، بعد أن أوشكت الأولى (في ٩٠,٠٠٠ ، ٤٠٠ نسخة) على النفاد.

مؤلفة الكتاب هي الصحفية الايطالية اوريانا فالوتشي، وهي سيدة دقيقة البناء، غير معلنة السن (وإن كانت قد تعدت الخمسين منذ فترة) بشرتها زيتونية اللون وشعرها سنجابي الصبغة، وهي عصبية المزاج، متواصلة التدخين، سليطة اللسان، يخافها حتى رؤساء تحرير المجلات التي تتعامل معها، فهي تصر على ان توافق شخصيا على كل ما ينشر لها أو عنها، من المواقع والبنط والعناوين، الى الصور وما يكتب شرحا للصور.

وهي صحفية جيدة (وشهرتها خارج ايطاليا اعظم منها بها).. تلقي بنفسها في عملها بلا تردد او خوف، سواء كان ما تكتبه رسائل صحفية، بالغة الحساسية والتعبير، من جبهات القتال (ولقد "غطت" حروب فيتنام وكمبوديا



Oriana Fallaci
INSCIALLAH
Romanzo

Rizzoli

ويتجلاتش وكيتش) أو أحاديث ، صحفية عامة ، مع شخصيات هامة ، سياسية وعالمية (نشرت أكثرها مجلة "بلاي بوي" الأمريكية [illegible] وجمعتها في ١٩٨٦ في كتاب) [illegible] أحد الزعماء السياسيين الإيطاليين [illegible] لذلك كل يسمح [illegible] "يتخطين" [illegible] الرؤساء العرب [illegible] هذا الكتاب الأصغر حجما من عمله [illegible] "المستنية" يجمع كل أفكاره ونظرياته السياسية والاجتماعية !؟.

وكانت فالوتشي قد أصدرت كتابين سابقين ، غير مستوحاة من مقالاتها وتحليلها في كتيب . في ١٩٧٥ أصدرت "إلى الطفل" هذه (ونشير إليها هنا بالطفل الذي يطلق شعبيا عندنا على المرأة التي لم تنجب) أصدرت [illegible] تختلف التي- [illegible] عن حنون [illegible] وحساسية [illegible] هذا؟ العالم الذي تعيش فيه ، رغم ضخامته ومآسيه وهمله (ترجم الكتاب إلى أكثر من ٢٠ لغة وحققت مبيعات أرقاما قياسية في أوربا والولايات المتحدة وفي اليابان) ثم أصدرت في ١٩٨٠ كتابها الثاني "إنسان" عن بطل المقاومة اليوناني ، وحبيبها الشخصي - بانا جوليس الذي اغتيل بقنبلة في سيارته . وكتابها الثالث هذا الجديد ، فرغت

رسالة ايطاليا

اوريانا نفسها للعمل لشهور طويلة في احد مساكنها (شقتها بنيويورك) بعد ان غطت حوائطها ، حسب روايتها ، بمئات الصفحات التي ملاتها بوقائع الرواية وشخصياتها الكثيرة ، ومعالم كل من هذه الشخصيات وعلاقاتها ومصيرها ..

لانها كانت تنساها ..

وكانت اوريانا قد ادلت لصديقة صحفية ، عند نشر كتابها الأول خطاب الى طفل .. الخ) بحديث صحفي قالت فيه : "انني تعيسة . لم افعل اى شيء ومما كنت اريد ان اعمله . وليس عندى شيء مما كنت اشتهيه دائما .. وانا لا اعجب نفسي .. عرفت موسما واحدا من الحب ازهر كثيرا ثم جفت زهوره بسرعة وماتت ، ولانني لم انجب تنقصني تجربة هائلة حرمت منها .." .. ثم اسرعت تكذب صديقتها وتنكر حديثها هذا الذي يناقض الصورة التي حرصت على ان تعرف بها : المرأة العنيفة القاسية التي تزدرى العواطف ، التي تقف ندا للرجال في ساحة القتال ، في الملابس العسكرية (وان كانت قد اضافت في لبنان الى الخوذة الحديدية والحذاء ذى الرقبة و"التوتة" الحربية ، معطفا من فراء الفيزون لانها ، كما قالت فيما بعد "شديدة الحساسية لتغيرات الطقس ، وليل لبنان قارس البرودة" !!) .. فهي ، رغم انوثتها ، شبيهة ارنست همنجواى (الذى غطى كصحفى ووصف كروائي من الحروب الاهلية الاسبانية والعالمية الاولى ، الى مصارعات الثيران ، اوصيد الوحوش في افريقيا) .. او هي - على الاقل - خليفة كورزيو مالابارته ..

★ ★ ★

كورزيو مالابارته هذا (١٨٩٨ - ١٩٥٧) - "الولد الشقي" للادب الايطالي - ولد لأسرة ارستقراطية المانية الأصل ، وتحمس في شبابه للفاشية ، فوصل وهو في عشريناته المبكرة ، الى منصب رئيس تحرير "لاستامبا" جريدة الحزب الرسمية - ولكنه فقد بالممارسة ايمانه بالفاشية ، وتحول الى الاشتراكية ، فطرد من الجريدة وسجن ، ثم ارسل مراسلا ملحقا بالجيش النازى في الجبهة الشرقية - فنلندة والاتحاد السوفييتي - فارسل تقارير اعتبرها هتلر خيانة عظمى وحطا للروح المعنوية للجيش ، وطالب موسوليني براسه ، فاعيد مالابارته الى ايطاليا حيث سجن (انقذته من الاعدام علاقته الشخصية الوطيدة بايداتشيانو ، ابنة موسوليني وزوجة وزير خارجيته المعروف) وهرب مالابارته مرتديا ملابس جندى قتيل مازالت بها ثقوب الرصاص واثار الدماء لينضم الى جيش التحرير الوطني "البارتيزان" ويصل الى قيادة وحدة ايطالية حاربت في صفوف القوات الامريكية .. واصدر مالابارته عدة كتب اهمها عن الحرب العالمية الثانية ، فحورب أدبه في ايطاليا وخارجها لانه تحدث عن الحرب وويلاتها في وقت كان الجميع يريدون ان ينسوا فيه الحرب واحداثها .. وزار الاتحاد السوفييتي والصين الشعبية رغم "نصيحة

رسمية" له الا يفعل ذلك ، ثم عاد لايطاليا ليموت نتيجة لجراح اصيب بها فى الحرب الاهلية الاسبانية ، وترك فيللا الاسرة التى كان يقيم بها فى جزيرة كابرى هدية لحكومة الصين الشعبية !!

.. ومن القراءات الممتعة للغاية كتابا مالابارته "نهر الفولجا ينبع فى اوربا" و"الانهيار التام" ، لمقارنة محتوياتهما خاصة .. فقد كان مالابارته يكتب روايتين لأحداث الجبهة ، إحداهما معدّة لتمر على الرقابة وتنشر فى صحف الفاشية خلال الحرب (وهى التقارير التى اعتبرها هتلر خيانة عظمى وطالب بسببها برأسه) ، والأخرى عن حقيقة احداث هذه الحملة الكارثة للجانبين : الالمانى والسوفييتى .. جمع التقارير الصحفية فى الكتاب الاول ، والثانية (التى هربها فى حذائه ذى الرقبة حينما اعيد الى ايطاليا) فى الكتاب الثانى (وكان الموقع على هذه السطور قد عمل دراسة مركزة عن هذا الكتاب الثانى ، نشرت فى القاهرة فى كتاب بعنوان "الانهيار التام" - دار الثقافة الحديثة - ١٩٦٧) .. ولعل اهم كتب مالابارته عن الحرب هو كتاب "جلد الانسان" الذى حاول فيه ان يفهم كيف ان شعب مدينة نابولى قاوم ببطولة خارقة وتضحيات رهيبة ، الاحتلال النازى فى الاسابيع الاخيرة من الحرب ، فحرر مدينته بنفسه ، ليستقبل على الفور قوات احتلال اخر - امريكى - بذراعيه (وساقيه ايضا) مفتوحتين !! .. وقد حولت المخرجة ليليانا كافانى هذا الكتاب منذ سنوات قليلة الى فيلم جيد بنفس العنوان ، قام بيرت لانكستر فيه بدور القائد الامريكى ، ومارشيللو ماستروريانى بدور مالابارته .. بالمناسبة : كان حلم الطفل كورزيو ان يصبح عملاقا عسكريا مثل نابليون بونابارته - هكذا ينطق الاسم بالايطالية ، ومعناه (الجزء الجيد) .. لذا اختار لنفسه ، حينما كبر ، ساخرا ، الاسم القلمى مالابارته .. اى "الجزء السيء" ...)



اوريانا فالاتشى فى لبنان

★ ★ ★

كان المؤلف فى الماضى يامل ، بينما ينسخ صفحاته ، ان يرى كتابه الشمس مطبوعا ، ثم اصبح يكتب ونصب عينيه ان يجد السينمائيون فى روايته المادة الأولية المناسبة لفيلم يصور بالسينما سكوب ، والالوان الطبيعية ، اما اليوم فهو يكتب مئات الصفحات ، بسهولة واسهاب شديدين ، علها تتحول الى مسلسل تليفزيونى لا نهاية لحلقاته .. والواقع ان الكثير من الروايات الجديدة ، لكبار كتاب الغرب مثل

صغارهم ، مبالغة في الطول ، ومملة ومن الممكن ان تكون اكثر إثارة ووقعا إذا انتزعت نصف صفحاتها لتلقى في القمامة .. ولاشك ان كتيب اوريانا فالوتشي "خطاب الى طفل لم يولد ابدا" اكثر إنسانية واحساسا واحق بالانتشار وبالاطراء من مجلديها التاليين "انسان" و"انشالله" إذا جمعا معا ..

لكن الكتاب ، مثل اية سلعة اخرى ، يبيعه الاعلان .. وكانت حملة اعلانية منظمة بتكتيك العمليات الحربية الدقيقة قد اعدت لترويج كتاب فالوتشي الجديد : توقفت عن الكتابة للصحف والمجلات لعدة سنين (كان آخر ماكتبته مقالا عن انجريد برجمان عند وفاتها) للتفرغ لكتاب هو "عصير خبرتها في الحياة" .. واختفت تماما تقريبا .. وفي شهر مايو بدأ تسريب سلسلة من الانباء حول انتهائها من كتابها الذي "سيكون حدثا ثقافيا هائلا ، ملحمة خالدة كالياذة هومير" .. ثم قفز اسمها في الانباء لاتهامها صحفيا ايطاليا ، زميلا لها في امريكا ، بانه "نفذ الى مسكنها واغتصب ادراج مكتبها ليعرف موضوع كتابها" (أين اذن مئات الأوراق المثبتة على الحوائط وبها تفصيل الشخصيات والأحداث ؟؟) وقام بوليس نيويورك باستجواب هذا الصحفي طول الليل .. ثم نشرت - في يونيو - مجموعة المجلات التي تتعامل معها (والتي تصدرها دار ريتزولي ، ناشرة كتابها ايضا) مقالات مصورة عنها ، فاحتلت صورتها اربع مجلات مختلفة في شهر واحد ... كل هذا مع عدم ذكر موضوع او اسم كتابها الجديد .. وفي منتصف يوليو عقدت مؤتمرا صحفيا اعلنت فيه ان كتابها "يطبع الآن" رافضة ان تذكر اسمه او اية معلومات عنه .. تحدثت فقط عن تجربتها في حرب لبنان ، وبكت ، فابكت بعض الصحفيات والصحفيين ، وبدأ الاعلان عن كتابها في الصحف .. لكن بقي عنوانه سرا عسكريا حتى يوم طرح الكتاب في السوق ، في ٢٣ يوليو (بالمصادفة يوم عيد الثورة المصرية ..) .. ثم بدأت سلسلة مقالات المديح والتهليل ...

وباع الكتاب بكثرة لأسباب لاتتعلق بمضمونه او محتواه او بقيمته الادبية او الاعلامية .. باع للحملة الاعلانية الناجحة التي سبقته ، ولطرح كميات هائلة منه بالمكتبات ، وللصورة (الحقيقية) التي تشغف الرجال والنساء التي تحرص المؤلفة على رسمها لنفسها : امرأة صغيرة الحجم شجاعة متحررة ، تذهب الى الحروب كالرجال ، وتستعمل تعبيرات يخجل من استخدامها الرجال ، تعطي الاوامر وتتحكم ولاتسمح بمعارضة ، وتساجل بوقاحة كبراء العالم وقادته .. وباع لموعد طرحه بالسوق ، قبل بدء اجازة الصيف باسبوع ، وهو كتاب سميك انيق ، وحدث جديد اي موضوع جيد للحديث ، يصلح تماما لأن ترفعه اليدان مفتوحا امام الوجه عند الاستلقاء على الشاطيء لمراقبة ، عبر ملازم اوراقه

وصورة مؤلفته الغانيات الرائحات فى مليونات القطعة الواحدة او القطعتين (وتنقصهما احيانا واحدة) .. والايطاليون مشغوفون بالمظاهر وبالكتب الضخمة المثيرة للحوار التى يمكن ان تترك بلا قصد فى مكان ظاهر بالسيارة او على المائدة او رف المكتبة (مثل كتاب "بندول فوكيه" احدث كتب امبرتوايكو ، اكثر المؤلفين الايطاليين شهرة فى العالم الآن - منذ كتابه السابق "اسم الوردة" - الذى باع مئات الآلاف من النسخ فى ايطاليا وحدها ، ودلت الدراسات فيما بعد على ان قراء الكتاب لم يزيدوا على ٢١٪ من الذين اشتروه !!) ...

و"انشالله" رواية تدور احداثها فى الأحياء الجنوبية لمدينة بيروت فى الشهور الاخيرة من حياة البعثة العسكرية المشتركة ، المكونة من وحدات امريكية وانجليزية وفرنسية وايطالية ، التى ارسلت الى لبنان فى صيف ١٩٨٢ - بعد مذبحة صبرا وشاتيلا - لحماية المواطنين غير العسكريين ، وانتهت بالفشل والانسحاب بعد ثمانية عشر شهرا (فى مطلع ١٩٨٤ - بعد ان قتلت سيارات ملغمة ، فى اكتوبر ١٩٨٣ ، من افرادها اكثر من خمسمائة من المارينز الامريكيين والمظليين الفرنسيين) تاركة بيروت الجميلة ساحة لحرب أخوية بشعة مستمرة ، كما كانت من قبلها ... كما هى حتى اليوم من بعدها .. وتروى كيف ان احد ضباط الوحدة ، شارلى ، بطل الرواية ، تمكن من انقاذ الايطاليين من سيارات الشيعيين الملغمة بدفع اتاوة "مستشفى واطنان من المكرونة" ... واكثر شخصيات الرواية من الايطاليين ، من اعضاء الوحدة العسكرية ، ويمكن التعرف بسهولة على الكثير منهم ، رغم ان المؤلفة اعطتهم اسماء جديدة (كوندور ، رئيس الوحدة ، مثلا هو الجنرال فرانكو انيوني ، وشارلى ، بطل الرواية ، هو الكابتن كواردو كونتاتورى .. وهكذا ..) بينما إحتجزت لنفسها دور الاستاذ المثقف الذى يوزع الطرائف والحكم ، ويتفلسف بينما يراقب .. عشرات الشخصيات من مختلف اقاليم ومدن ايطاليا ، لكل منهم المميزات الشخصية التقليدية لمنطقته ، ويتحدث بلكنتها ، وتروى المؤلفة تفاصيل "طوفانية" عن حياته الخاصة وعلاقاته المختلفة ، قصصا كثيرة متداخلة منفصلة ، بعضها ملوث بالدم مبلل بالدموع ، وبعضها محلى بالقشدة والنقل والمكسرات (اما العرب فى الرواية فقلة) .. كل هذا وسط مغامرات روكامبولية : من تحاشى التقويض المستمر المتواصل ، إلى شرب العرق واكل الكبة وتدخين الحشيش ، الى مواعيد غرامية مع فتيات محليات - واحدة منهن فقط "من أسرة محافظة" قتلت المؤلفة منهن . بسخاء عددا محترما) تنتهى عادة بالاتفاق على لقاء آخر فى الامسية التالية ... اذا كتب الله (والمؤلفة) لهن العمر .. "إن شاء الله" .. (ومن هنا عنوان الكتاب !!) ...

★ ★ ★

"تمخض الجبل فلم يلد فارا ، بل كلبا صغيرا من فصيلة لولو ، شقى مداعب ، يجرى ويحاور ويعوى

رسالة ايطاليا

كثيرا ، وقد يمسك قدمك باسنانه او يقفز في حجرك ليلعق وجهك .. ولكنك تمله بسرعة ، ويتعبك ، فتضطر ان تحبسه في الشرفة او الحمام .." .. هكذا استهل الناقد الادبي لمجلة "بانوراما" مقاله عن كتاب "انشالله" ـ اما معلق "ليسبريسو" فقال "كان من المتوقع ان تفجر اوريانا فالوتشي تجربتها الحربية في كتاب ، لان الحيز الذي تتيحه الصحف والمجلات اصغر واضيق واقل عمقا من ان يسمح لها بالتعبير الكامل عن هذه التجربة .. لكنها ، في محاولتها لان تجعل روايتها هذه "اوقع من الواقع" زحمتها بالشخصيات والحوادث ، بالبيماجوجية (محاولة تهييج القارىء واثارته) والتهالك على شرح كل شيء كل هذا على حساب تماسك الرواية ووحدتها ، وحجمها ، فكانت النتيجة عملا لايمكن ان يؤخذ بجدية كاملة ، محتواه اشبه بالمواد التي نجدها في مجموعة المجلات المعروضة في قاعة انتظار طبيب الاسنان او الحلاق ، ولاشك ان كفاح المؤلفة لكتابة ثمانمائة صفحة احق بالاطراء والتنويه من كفاح شخصياتها في هذه الصفحات" ..

.. واضح ان هاتين الاسبوعيتين المعروفتين ليستا من مجلات دار النشر التي تتبعها المؤلفة (ويحلو لنا ان نتصور التعبيرات التي استخدمتها سليطة اللسان هذه حينما قرات مانشرتاه عن كتابها !!) .. لكن واضح ايضا مدى المبالغة فيما ادعته الصحافة المساندة لها من انها كانت تكتب "والدموع في عينيها والابتسامة على فمها" فانتجت "تحفة عالمية لايمكن مقارنتها الا برائعة تولستوي الخالدة : الحرب والسلام" !! .. الذي لاشك فيه (اذا نبذنا جانبا هذه المشوشرات التي قد تكون هامة في عصر القذف المركز بالاعلانات هذا الذي نعيشه ، وتفصيل السلع ـ والكتب ضمنها ـ حسب المقاس والمواصفات ..) الذي لاشك فيه هو ان فالوتشي صحفية جادة وقادرة حقا : هي استاذة مخضرمة ، تجيد فنون استخدام الكلمات والتلاعب بها ، وتكشف كتاباتها عن مواهب ضخمة في قوة الملاحظة والحساسية والذكاء وخاصة في ابراز المتناقضات وجرح الخيال بصدم القارىء بالواقع بنفس القوة التي تصدم بها اسئلتها الشخصيات الهامة التي "تستجوبها" .. وتكشف ايضا عن حماسها الشديد ، الذي ينتقل كالحمى الى كلماتها ، وعن انها تتقن تجديد الاشياء ، تكتب عن المعروف فيبدو وكانه يقال لاول مرة ، وعن حساسيتها الشديدة وإنغماسها فيما تخطه من سطور .. فلكتابها هذا ـ حتى اذا راينا فيه تخمة روائية وهزالة ادبية ـ قيمة وثائقية كبيرة ، فالمؤلفة تصف فيه ، بتفصيل وامانة صحفية ، احداثا تاريخية وانسانية ، دموية بشعة ، من مذبحة الفلسطينيين ، الى صيد الاطفال بالقنص ، من اصابة المتطرفين بالسعار الى اختلاف شكل اشلاء ضحايا القنابل اليدوية ، عن اشلاء ضحايا النسف بالالغام ، او الدك بالمدفعية ..

ليلة من ليالي السين

شعر: ليوبولد سنغور

ترجمها شعراً: محمد علي الشناطي

ايتها المرأة مسى بيديك الناصعتين جبيني
ثمة نخلات تتناغى في النسمات العالية الليلية
عن بعد مرضعة تترنم لوليد
لا يشغلنا الصوت او الهمسات
وليحملنا الصمت المتناغم
يترنم ، ولنسمع دمنا الداكن
ولنصغ الى افريقيا : نبضات
الأرض المحجوبة بضباب قراها المختفية

هاهو ذا قمر يتحدر نحو سرير البحر الساكن
ونعاس يلوى اعناق الضحكات
ورواة يغلبهم طيف النوم كطفل تحمله امه
تتثاقل قدما الراقص ولسان المنشد
هذا وقت النجم الساهد ، والليل الحالم
يتكيء على رابية الغيم ويلبس سروال حليب
تلمع اسطح اكواخ القرية . ماذا تبغى الاكواخ
البوح به سراً للنجمات ؟!
فى الداخل ينطفىء الموقد وقد ائتلفت رائحة ، عاطرة ؛ بروائح
حريفة .. فاضيئى بالزيت الناصع مصباحا كان الأسلاف يحيطون به
كالآباء متى نام الأطفال
ولنتسمع اصوات اهالى إلسا المنفيين
لم يكن الموت هوايتهم ، لكن الرمل ابتلع الحب المبذور .
فى هذا الكوخ الداخن يجدر بى ان اصغى
للأرواح الطاهرة وراسى فى صدرك
ولأستنشق عبق الموتى .. موتانا
التقط واتلو وأردد صوتهم الحى
ولأتعلم ان احيا قبل نزولى ـ كالغواص ـ
إلى أعماق النوم العليا

المائة الأعظم

بقلم : حسين أحمد أمين

ابن تيمية

١٢٦٣ - ١٣٣٨ م

فقيه حنبلي كان لآرائه اثر عميق ، في فكر الحركة الوهابية ، والدعوة السنوسية ، والاتجاهات الدينية المتطرفة التي يشهدها العالم الاسلامي اليوم .

وهو مثل حيّ لبيان اثر العالم المتين الخلق في شئون الدولة والمجتمع فعندما راى الخطر المغولي يحدق بدمشق ، تحدث الى الناس في ضرورة الجهاد ، فكان حديثه اوقع في النفوس من اوامر السلطان .. وبعد رحيل الجيش المغولي بقيادة قازان عن دمشق ، طاف ابن تيمية واتباعه على حوانيت الخمور يكسرون آنيتها ، وقد هاجم بقلمه ولسانه كل الفرق الاسلامية ، كالخوارج والشيعة والمرجئة والرافضة والقدرية والمعتزلة والاشعرية والجهمية وغيرها ، ومن الطبيعي أن تثير قسوته في مهاجمة خصومه ردود فعل عنيفة ، فمن الناس من رماه بالزندقة ، مثل ابن بطوطة ، وابن حجر الهيتمي وتقي الدين السبكي وعز الدين بن جماعة وابو حيان الظاهري الاندلسي ، ومنهم من طالب السلطات بانزال العقوبة به ، وبالفعل ، صرف الرجل سنوات من حياته في سجون القاهرة ودمشق ، وقضى السنوات الاخيرة من عمره في قلعة دمشق حيث مات .

وخلف لنا ابن تيمية عددا هائلا من المصنفات ، هاجم فيها المتصوفة القائلين بالحلول والاتحاد ، وهو في رايه شرك بالله .. وهاجم الفقهاء لتقيدهم في بحثهم امور الشريعة بما جاء به ائمة السنة الاربعة وهو ماراد ابن تيمية النظر فيه من جديد ، وعنده انه ليس من الزندقة الخروج على الاجماع بان

في التاريخ الإسلامي



يرى المرء رايا مخالفا لاجماع العلماء ، وهاجم اصحاب البدع والتضرع للاولياء وزيارة القبور ، بل اعتبرها معصية ان يقوم المسلم برحلة يقصد بها زيارة قبر النبى فقط . وكان مسرفا في القول بالتجسيد ، مفسرا كل الآيات والاحاديث التى تشير إلى الله بظاهر اللفظ ، حتى لقد صرح مرة من منبر جامع دمشق بان "الله ينزل الى سماء الدنيا كنزولى هذا" ، ثم نزل درجة من درجة المنبر .

وكان عنيفا فى خصومته وحربه على المخالفين له فى فكره ، وفى التزامه بقاعدة الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ، فقد اخذ على عاتقه ان يتاكد من ان الناس ، كبيرهم قبل صغيرهم ، يحافظون على الآداب الاسلامية فى سلوكهم ،

ورغم ان هذا كان من واجبات المحتسب ، فقد عين ابن تيمية نفسه محتسبا يطوف في الاسواق مؤدبا للناس .

والامة الاسلامية في نظره هي الامة ، لا امة سواها ، وهي كائن عضوى له اهداف وغايات حددها القرآن والسنة ، وهي تحقيق ارادة الله وعلى افراد الامة ان يعين كل منهم الآخرين على فعل الخير وتجنب الشر ، وان يجعلوا من التعاون فيما بينهم اساسا للعمل المشترك ، ولكي تحقق الامة غاياتها لابد من تنظيم دولة دينية عادلة ، مهمتها احقاق الحق ، والتاكد من اداء الناس لفروضهم الدينية ، ومن صحة المعاملات ، وان تحمي الجمهور من الغش والتدليس ، ولم يكن ابن تيمية يحبذ الاقتصاد الفردى الحر ، فالفرد ليس السيد المطلق لافعاله ، ولابد ان تكون هذه الافعال خاضعة لتعاليم الاسلام ، وعلى الدولة ان تتاكد من مطابقة تصرفاته في ماله وغير ماله لهذه التعاليم .

وكان يرى ان الجهاد فريضة حتى ضد امثال المغول المسلمين الذين اخلوا بتعاليم الدين ، وامثال انصار المغول من الشيعة ، وقد قاتل ابن تيمية المغول في الشام ، ورافق حملة ارسلت للهجوم على معاقل الشيعة في جبال سوريا ولبنان ، فالقتال إذن مشروع لاضد غير المسلمين فحسب ، بل وللمسلمين المارقين ايضا .

وفي رأيه انه لما كان الاسلام قد جاء ليحل محل اليهودية والمسيحية ، فمن الضرورى مهاجمة هاتين الديانتين ، وقد كتب ابن تيمية عدة رسائل في القدح في اليهود والنصارى ، وعارض صيانة المعابد والكنائس القائمة ، وبناء الجديد منها .

وعنده ان الفلسفة تؤدى الى الكفر ، لذلك هاجم في حماسة بالغة الفلسفة اليونانية والمتاثرين بها من المسلمين كابن سينا وابن سبعين ، كما هاجم الغزالي بشدة وطعن في آرائه الواردة في كتابيه "إحياء علوم الدين" و"المنقذ من الضلال" وهاجم محيي الدين بن عربي وابن الفارض ، وتناول في خطبه في المساجد اخطاء عمر بن الخطاب وعلي بن ابى طالب ، الى آخره .

ومع ذلك فإن ابن تيمية يعتبر في طليعة المصلحين في عصر المماليك ، ومن انشط الفقهاء واصرحهم وادقهم فكرا واكثرهم صفاء في الاسلوب ، وقد تاثر بشخصيته وآرائه الكثيرون من امثال ابن قيم الجوزية ، والذهبي ، وابن كثير ، وابن حجر العسقلاني ، ومحمد بن عبدالوهاب ، ومحمد بن علي السنوسي ، والسيد رشيد رضا ، وحسن البنا ، اما العامة فكانت دائما تجله وتعظم من قدره لصلاح خلقه وغيرته على الدين ، وقد احتفلت بجنازته في دمشق احتفالا رائعا ، وحضر دفنه نحو مائتى الف رجل ، وخمسة عشر الف امراة .

اسحاق الموصلي

٧٦٧ - ٨٥٠ م

اعظم الموسيقيين في تاريخ الاسلام ، واشهر المغنيين في العصر العباسي ، وهو إلى جانب ذلك شاعر ، ولغوى ، وفقيه ، ومؤلف مايقرب من اربعين كتابا ، معظمها في الموسيقى والادب .



قال العطوىّ الشاعر : كنت فى مجلس القاضى يحيى بن اكثم ، فوافى اسحاق الموصلى ، واخذ يناظر اهل الكلام حتى انتصف منهم ، ثم تكلم فى الفقه فاحسن ، وقلس واحتج ، وتكلم فى الشعر واللغة ففاق من حضر ، ثم اقبل على القاضي يحيى فقال له : اعز الله القاضي ! أفي شيء مما ناظرت فيه وحكيته نقص أو مطعن ؟ قال : "لا" قال : فما بالي اقوم بسائر هذه العلوم قيام اهلها ، وانسب الى فن واحد قد اقتصر الناس عليه ؟ (يعنى الغناء) فقلت :

"يا ابا محمد ، انت كالفراء ، والاخفش في النحو" قال "لا" قلت : فانت في اللغة ومعرفة الشعر كالاصمعي وابي عبيدة ؟ قال : "لا" قلت : "فانت في علم الكلام كابي الهذيل العلاف والنظام ؟" قال "لا" . قلت : "فانت في الفقه كالقاضي يحيي بن اكثم ؟" قال "لا" قلت : فانت في الشعر كابي العتاهية وابي نواس ؟ قال "لا" قلت : فمن هنا نسبت الى مانسبت اليه ، لأنه لا نظير لك في الغناء ، وانت في غيره دون رؤساء أهله" .

قال المامون : "لولا ما شهر به اسحاق عند الناس من الغناء لوليته القضاء" . وكان اسحاق في حفلات القصر يقف في زمرة العلماء والادباء ، ويؤذن له بإرتداء اللبس الخاص بالفقهاء ، ويغضب اشد الغضب متى اسماه احد باسحاق المغنى !

كان هارون الرشيد اول من قربه من الخلفاء ، وتبعه في ذلك الامين فالمامون فالمعتصم فالواثق فالمتوكل ، وحين مات في عصر المتوكل قال الخليفة : "ذهب صدر عظيم من جمال الملك وبهائه وزينته" . وقد اغدق عليه الخلفاء والاشراف الاموال ، غير انه زاد من ثروته الطائلة عن طريق شراء الجواري بثمن بخس ، ثم يقوم بتعليمهن الغناء والموسيقى واللغة والادب ، ثم يبيعهن بالثمن الباهظ .

وبالرغم من انه ليس من أصحاب النظريات في الموسيقى مثل الكندى والفارابي ، فقد ادى خدمة عظيمة للموسيقى العربية إذ استطاع ان يفرغ الغناء القديم الذى كان يخشى عليه الضياع في منهج محدد ، يقول ابو الفرج الاصفهاني : "ان اسحاق هو الذى صحح الغناء وطرائقه ، وميزه تمييزا لم يقدر عليه احد من قبله ، ولا تعلق به احد بعده ، حتى أتى على كل مارسمته الأوائل من اهل العلم بالموسيقى ، من غير ان يقرأ لهم كتابا أو يعرفه" . ثم يقول إن صوته لم يكن باجمل أصوات المغنين في عصره ، غير انه بحذق ولطفه ومعرفته كان يغلبهم جميعا ويتقدمهم ، فيذوبون كما يذوب الرصاص في النار "وكانوا اذا حضروا وليس اسحاق معهم غنوا وهم غير مفكرين ، فإذا حضر اسحاق لم يكن إلا الجد" . ويروى ان الخليفة الواثق كان يقول : "ماغناني اسحاق قط إلا ظننت انه قد زيد لي في ملكي" .

وقد خصه ابو الفرج بنحو مائة وسبعين صفحة من "كتاب الاغاني" كما حفلت كتب الادب العربي باخباره ونوادره واشعاره ، ولاشك في ان كثرة القصص عنه في "الف ليلة وليلة" اسهمت اسهاما كبيرا في ابقاء ذكراه حية في اذهان قرائها في الشرق والغرب الى يومنا هذا .

●●●

الأدباء والفنانون والمثقفون عاشوا تجربة تكوينهم الثقافي .. ويقدمونها للأجيال الشابة



جلال أمين

على الرغم من أني اقتصادى ، باعتبار أني حصلت على شهادة الدكتوراه في الاقتصاد ، فاني لا اجد متعة حقيقية في قراءة او كتابة الاقتصاد مالم يختلط بشيء اخر : الادب او الفلسفة او السياسة او التاريخ او علم الاجتماع . لعل هذا يرجع في نهاية الامر الى المزاج او الطبيعة ، ولكنى ايضا استطيع ان ادافع عنه بحجج عقلية بحتة . فانا اؤمن بصحة ماقاله الاقتصادى وعالم الاجتماع السويدى الشهير ، جنارميردال : Myrdal "لايمكن تصنيف مشاكل المجتمع الى مشاكل اقتصادية وأخرى اجتماعية واخرى سياسية .. الخ ، بل كل ما يمكن ان يقال هو ان للمجتمع مشاكل ، وانها معقدة" .

لهذا السبب فانني ، عندما طلب منى ان اكتب مقالا عن "تكوينى" ، لم اجد من الصواب ، ولا انا احببت ، ان اقتصر على تكوينى الاقتصادى ، وان لم يكن ثمة مانع من ان ابدأ به .



كان اول من درّس لى الاقتصاد ، وكنت قد التحقت بكلية الحقوق ، هو الدكتور سعيد النجار ، الاقتصادى الشهير الان ، ولكنه كان فى ذلك الوقت "١٩٥١" قد عاد لتوه من دراسته فى لندن ، وكان محاضرا قديرا ومحاضراته شيقة لأبعد مدى ، كما كان كتابه "مبادىء الاقتصاد" ممتازا فى وضوحه وسلاسته ، ودقة منطقه ، ولازلت اعتبره افضل ما كتب بالعربية فى هذا الجزء من النظرية الاقتصادية "نظرية الثمن" . ثم درّس لى الاقتصاد فى بقية السنوات رجال عظام : حسن خلاف ، وزكى شافعى ، ولبيب شقير ، كان من حسن حظى وحظ زملائى ، ان هؤلاء الاربعة هم الوحيدون الذين درّسوا لنا الاقتصاد خلال سنوات الليسانس ، والان استطيع ان اقول ان ماكتبه هؤلاء الاربعة الكبار فى الاقتصاد سواء تعلق بالنظرية الاقتصادية ، أو الاقتصاد المصرى ، هو افضل ما كتب بالعربية فى الاقتصاد طوال الخمسينات والستينات ، ويكفي ان اذكّر القارىء بكتاب الدكتور خلاف "التجديد فى الاقتصاد المصرى" وكتبه وبحوثه عن المالية العامة فى مصر ، وكتاب الدكتور زكى شافعى عن "النقود والبنوك" ، وكُتب الدكتور لبيب شقير عن العلاقات الاقتصادية العربية ، وبحوث الدكتور سعيد النجار فى تاريخ الفكر الاقتصادى فضلا عن كتابيه فى مبادىء الاقتصاد والتجارة الخارجية وبحوثه في الاقتصاد المصرى والدولى .

كان هؤلاء هم اساتذتى الحقيقيون فى الاقتصاد قبل ان اسافر الى انجلترا للحصول على الماجستير والدكتوراه . ومن حسن حظ جيلى ايضا ان هؤلاء الاربعة ، فضلا عن مستواهم العلمي الرفيع ، كانوا على مستوى فريد من الخلق الرفيع ايضا ، والمرء ليندهش الان ان يكون هؤلاء الاربعة قد اجتمعوا فى وقت واحد فى كلية واحدة لتدريس نفس العلم . نعم : كان لكل منهم ميوله السياسية المختلفة عن ميول الاخرين : الدكتور النجار اميل الى اليمين ، والدكتور شقير اميل الى اليسار ، والدكتور زكى شافعى والدكتور خلاف اميل الى الوسط مع تعاطف واضح مع الفقراء ، ولكن كان لهم جميعا درجة عالية جدا من النزاهة الشخصية والاعتزاز بالكرامة واحترام العلم والترفع عن الصغائر .

* * *

ومع ذلك فلم يكن اى من هؤلاء

مسئولا عما كنت أقرؤه خارج نطاق الكتب الجامعية . كان المسئولون عما قرأته في الاقتصاد والسياسة وغيرهما من العلوم الاجتماعية ليسوا من الاساتذة ولا من المصريين . كانوا حفنة من الشبان في مثل سني ، من افضل الشباب السوري واللبناني والاردني ، جاءوا الى مصر للدراسة فتعرفنا عليهم ، انا ومجموعة من اصدقائي المصريين ، فاذا بنا نتعرف على عالم جديد تماما من الالتزام الوطني ، ولم نكن قد بلغنا العشرين بعد ، ومن الثقافة السياسية الاجتماعية الرفيعة .

كانوا مجموعة من الشباب البعثيين الذين انضموا الى حزب البعث العربي الاشتراكي الذي اسسه في سوريا في منتصف الاربعينيات ميشيل عفلق وصلاح البيطار واكرم الحوراني . وكانوا يدعون للوحدة العربية والحرية والاشتراكية وشعارهم : امة عربية واحدة ذات رسالة خالدة ، ويستهدفون تكوين فروع للحزب في كل البلاد العربية . بهرونا باخلاصهم وحماسهم ، وقرأنا كتبهم فاقتنعنا بمنطقهم . كان منطقا بسيطا ومقنعا لشباب لا يطمح الى اكثر من هذا : عدالة اجتماعية ، وديمقراطية ، ودولة عربية موحدة وقوية ومؤثرة . كنت في منتصف دراستي الجامعية عندما بدأت اقرأ بتأثير هؤلاء الاصدقاء ، عن التاريخ العربي والاندماج الاقتصادي ، وتاريخ قضية فلسطين ، ومعضلة الاشتراكية ، وتجارب الوحدة السياسية في العالم ومقومات القومية ، ومشاكل التخلف العربي .. الخ قرأنا يقظة العرب لجورج انطونيوس وكتب ساطع الحصري في القومية العربية ، واحاديث ميشيل عفلق وتحليلات منيف الرزاز للقومية والاشتراكية ، والترجمات العربية المنتشرة انذاك لكتب ماركس وانجلز ولينين وستالين ، فاذا جاء ميشيل عفلق الى القاهرة جلسنا اليه لمناقشته واحضرنا له ما كنا نعتبره اسئلة عويصة ليجيب عليها . كان ميشيل عفلق سعيدا بانضمامنا لحزب البعث ، اذ كان يقول ان الحزب بدون اعضاء من مصر لا مستقبل له ، وكان رجلا رائعا ، جذابا ببساطته واخلاصه وصدق وطنيته . كنا نجلس اليه ، انا وصديقي العزيز على مختار ، الذي اختطفه الموت قبل الاوان ، مرة في صالة فندق "سميراميس" ، ومرة في مقهى "لاباس" ومرة في شقة كان يستأجرها في شارع قصر النيل كلما جاء الى القاهرة ، فيتكلم ونحن نكتب ، ونكون قد فرغنا لتونا من قراءة المادية الجدلية والتاريخية ، فنسأله عن موقف البعث من بعض اراء الماركسية فيبتسم ابتسامة صافية ويجيب احيانا ، او يقول هذه اشياء قرأت فيها



وانا طالب في باريس منذ عشرين عاما او اكثر ، وتكونت قناعاتي ضدها ، ولا تتوقعوا مني الان ان اقارع الحجة بالحجة ، بل اذهبوا الى د . منيف الرزاز فقد يشفي غليلكم" .

مع مرور الوقت ، وكثرة قراءاتي في الماركسية ، اخذت كفة الماركسية ترجح عندي شيئا فشيئا ، وبدأت ارى في الفكر البعثي نزعة طوباوية اكثر من اللازم ، وما بدا لي وقتها انه اقل علمية مما ينبغي . حتى كتبت بحثا مطولا عن المادية الجدلية والتاريخية بعد تخرجي مباشرة ، كان يدل على انبهار شديد بالماركسية ، وضعف حماسي للبعث ، حتى علمت بحصولي على بعثة لدراسة الاقتصاد في انجلترا في اوائل ١٩٥٨ ، فسافرت وانا اقرب الى الماركسية مني الى البعث ، ولكن دون ان افقد حماسي لفكرة الوحدة العربية ، التي كان الماركسيون العرب ايامها قليلي الحماس لها ، على ان قراءاتي بعد ذلك في اوربا قد منعتني من ان اصبح ماركسيا ، مما لن اخوض فيه الان ، وان كنت لم افقد احترامي للماركسية حتى اليوم ، وعلى الاخص للمادية التاريخية .

● تطور الوعي السياسي *

كان هؤلاء الفتية الآتون من الشام هم اذن المسئولون عن تطور وعيي السياسي وثقافتي السياسية والاجتماعية حتى سافرت الى اوربا . ولكن تطوري العقلي كان يسير في اتجاهات اخرى ايضا ، تقع مسئولياتها على اخرين ، كان هناك الى جانب الاقتصاد والعلوم الاجتماعية ، الادب . وحكايتي معه تبدأ منذ الطفولة حين كان ابي يتلقى سيلا لا ينقطع من الكتب المهداه ، كان بعضها من قصص الاطفال كتبها بعض اصدقائه وتلاميذه ، فكان يلقي الينا بهذه الكتب لنختار منها ما نشاء ، دون اي توجيه منه او متابعة لما نقرأ . هكذا قرأت في سنواتي الاولى كتب كامل كيلاني ذات الطباعة الانيقة والصور الملونة ، وما كان يؤلفه او يترجمه احمد عطية الابراشي . واحمد جودة السحار ، لازال منطبعا في ذهني حتى الان صورة الحصان المسحور ذي الجناحين على غلاف قصة مفضلة لي ، وقصة الرجل الذي ابتلع سمكة باكملها فاستقرت في حلقه ، لعلني قرأت كل قصص كامل كيلاني الذي يدين له جيل باكمله . باجادة العربية وبخيال اكثر اتساعا وبطفولة اكثر سعادة او اقل بؤسا .

ثم انتقلت كبقية جيلي الى قراءة محمود تيمور وتوفيق الحكيم وطه حسين قبل ان تصل فى مطلع الشباب الى نجيب محفوظ . اثرت فى نفسى بوجه خاص رواية سلوى فى مهب الريح لتيمور ووصف الحكيم لحياته فى باريس فى زهرة العمر ، وتحمست كما تحمس غيرى لاسلوب طه حسين الفريد . وحاولت اكثر من مرة فى هذه السن ان اقرأ العقاد ولكنى لم استطع صبرا على عبقرياته ، ولعل كتابه الوحيد الذى استمتعت به هو قصة "سارة" ، وجدت متعة اكبر فى بعض الروايات المترجمة التى كانت تنشر كثيرا منها لجنة التأليف والترجمة والنشر ، فقرأت بالعربية روايات لجوته واستمتعت على الاخص برواية الانساب المختارة التى ترجمها عبدالرحمن بدوى ومسرحيات لبرنارد شو وبعض مسرحيات سوفوكليس واثرت فى نفسى الام فيرتر التى ترجمها الزيات واقتباسات المنفلوطى الشهيرة .. الخ .

كان يغيظنى من اخى حسين ، الذى يكبرنى بعامين ونصف ، انه كان دائما يتكلم عن "مثله الاعلى" ، الذى كان نابليون مرة وتولستوى مرة ، ويسألنى باستمرار عمن يكون مثلى الاعلى ، دون أن اكون قد حصلت على واحد بعد . فبحثت بسرعة عن مثل اعلى لا يقل قيمة عن مثله العليا ، واذ وقع بيدى كتاب عن فولتير قرأته بسرعة ووجدت الرجل مناسبا فاعلنت لاخى حسين ان فولتير هو مثلى الاعلى وكتبت عنه مقالا ، كان لدى ابى الجراة الكافية لنشره فى مجلة الثقافة التى كان يرأس تحريرها ، تشجيعا لى على القراءة والكتابة .

مع ازدياد شهرة نجيب محفوظ اخذت اقرأ له ، ولكنى لا اظن انى تحمست مثل حماسى لبعض كتب الحكيم وطه حسين ، باستثناء ثلاثيته ، وعلى الاخص "بين القصرين" ، على العكس من ذلك فتنت بقصص يوسف ادريس فى الخمسينات واشتعل حماسى وانا اشاهد مسرحيتيه ملك القطن وجمهورية فرحات ، ولهذا ظللت حريصا على قراءة كل ما ينشره ، بما فى ذلك مقالاته السياسية فى الصحف ، ومازلت اذكر انفعالى الشديد لدى قراءة قصته السياسية "انا سلطان قانون الوجود" فى الاهرام ، التى نشرها فى اعقاب حرب ١٩٦٧ "أم قبيلها ؟" ، وانتهز الفرصة من حين لآخر لأروى قصتها لمن لم يقرأها .

● شغف كبير بالفلسفة

كان لى ايضا بعض الشغف بالفلسفة ، فكنت قادرا على الصبر على كتبها بل والاستمتاع ببعضها ، لاهتمام حقيقى لدى بالعثور على اجابات على بعض اسئلتها . اذكر انى فى الخامسة عشرة اغرمت بديكارت ، ولعل الفضل فى ذلك يرجع الى كتب



الدكتور عثمان امين ، وكتبت عنه مقالا لابأس به بالمرة بعنوان "ادلة ديكارت على وجود الله" ، ونشره لى ابى فى مجلة الثقافة قبل ان ادخل الجامعة ، كما نشرت لى نفس المجلة فى نفس الفترة بعض المقالات الحمقاء بعنوان "نظرات فلسفية" ، لا ادرى حتى الان لماذا سمح ابى بنشرها ، ام لعل شخصا اخر كان يجيزها فى غيبة ابى اكراما له . ثم بدات مرحلة جديدة فى هذه السن ، عندما بدات اقرا كتبا فى الادب باللغة الانجليزية . كان اول كتاب اقرؤه بالانجليزية ، عدا ماكان مقررا علينا فى المدرسة ، قصة طويلة ، للكاتب الامريكى ذى الاصل الارمنى ، وليام سارويان ، اعارها لى زميل فى المدرسة ممتدحا اياها بشدة . لابد ان قراءتى لها قد استغرقت وقتا طويلا اذ لم اكن قد تجاوزت الخامسة عشرة ، وكانت معرفتى بالانجليزية محدودة . ولكنى اذكر ان طربت بها فرحا وتحمست لكاتبها تحمسا شديدا ورحت ابحث عن كتبه فى مكتبات شارع عماد الدين وعبدالخالق ثروت فوجدت له اربعة او خمسة كتب اخرى ، تضم روايات او قصصا قصيرة ، قرأتها فزاد اعجابى به وحماسى له ، اذ لم اكن قادرا وقتها على مقارنته بغيره ومن ثم خدعتنى بساطته وخفة دمه ومابدا فيه من مشاعر انسانية . وكان اعجابى باول رواية قراتها له "الكوميديا الانسانية" قد وصل الى حد انى ترجمت احد فصولها ونشرته لى ايضا مجلة الثقافة ووصلنى عنه مكافأة قدرها جنيه واحد ثم نسيت سارويان نسيانا تاما وضاعت كتبه مع ما ضاع بسبب سفرى فى البعثة الى انجلترا ، والغريب انى لم احاول وانا فى انجلترا ان ابحث له عن اى كتاب اخر له ، بل لا اظن انى تذكرته او سمعت اسمه طوال اقامتى هناك ، حتى تصادف عندما زرت الولايات المتحدة منذ خمس سنوات ان وجدت كتابا صغيرا له فى احدى المكتبات يضم بعض ذكرياته ، ففرحت بعثورى على صديقى القديم بعد فراق ٣٥ عاما ، ولكن خاب املى خيبة عظمية عندما قرأت الكتاب وان كنت قد عرفت سبب اعجابى القديم به ، بل لقد صادفت فى فقرات قليلة ما اعاد الى متعتى القديمة به .

ففى روايته لذكرياته وهو طفل ، وصف وصفا شيقا ، عملية الاستحمام التى كان يتعرض لها على يد جدته ، وراعنى الشبه الشديد بين ما كانت تفعله به جدته فى ارمينيا ، وما كانت تفعله بى امى اثناء استحمامى ، وكجلوس امى على كرسى الحمام

الخشبي الصغير والمصنوع خصيصا لهذه العملية ، وغلي الماء في صفيحة موضوعة على وابور جاز ، وملء كوز بالماء البالغ السخونة وصب الماء على جسمي الصغير دون ان تقبل امي ان تصدق صياحي وشكواي من شدة السخونة ، ومن دخول الصابون الى عيني ، وهرى جسمي باللوفة حتى يحمر الجلد من شدة الحك ، ورفض امي ان تعتبر ان الاستحمام قد تم ، حتى تسمع صياحي وترى حمرة جلدي . ووجدت في الكتاب بعض ما ذكرني بخفة دمه كقوله انه يعرف ان كل انسان يجب ان يموت في النهاية ولكنه كان دائما يشعر بان استثناء خاصا سيحدث في حالته .

على ان اقبالي على قراءة كتب الادب بالانجليزية حدث في الاساس بفضل اخي حسين . فعن طريقه تعرفت على الادب الروسي . فانفتح امامي فجأة عالم جديد تماما ، كانت روايات دوستويفسكي وتولستوي وتورجنيف من نوع يختلف عن اي شيء قرأته من قبل وكانت قصص ومسرحيات تشيكوف على الاخص هي التي استولت على قلبي . ومازلت لا امل من رؤية بستان الكرز او الشقيقات الثلاث او الخال فانيا على المسرح ، المرة بعد الاخرى ، فاذا حللت بلندن وكانت تعرض مسرحية من مسرحيات تشيكوف كانت هي ما اختار رؤيته مهما كان عدد مشاهداتي لها من قبل . عرفني حسين ايضا على سارتر واندريه جيد وكامي ، وعلى استيفان زفايج وابسن وارثر ميلر ، حتى انه عندما تركت مصر الى انجترا في ١٩٥٨ ، كانت قراءاتي بالانجليزية تكاد تقارب قراءاتي بالعربية في السهولة ، وان لم تقاربها حتى الان في السرعة .

★ ★ ★

لا استطيع ان ازعم انني كنت شديد الانفعال بالشعر والتأثر به ، خاصة بلغة غير العربية ، كما اني لا احفظ منه الا اقل القليل . تهزني احيانا بعض عبارات شكسبير ، ولكن يصعب عليّ جدا ان اعثر على مثال اخر لشاعر اوربي قرأت له باية درجة من المتعة ، ومع هذا فلا اريد ان امعن في التقليل من شأن نفسي ، فلست خلوا تماما من اي احساس ، ولدى بعض الاستثناءات التي استطيع ان ازهو بها .

فعندما كنت طالبا صغيرا في المدرسة الثانوية ، في الثالثة عشرة او الرابعة عشرة من عمري ، جاء يوما زميل الى المدرسة وهو يحمل كتابا صغيرا جدا ، لايزيد حجمه على حجم الكف ، يتضمن شعرا بالانجليزية للكاتب الهندي الشهير طاغور ، كان اسم الكتاب "البستاني" ، وقال لي انه معجب جدا بهذه الاشعار . وبالفعل وجدت الشعر رائعا ، وبدا اسم طاغور يصبح اسما محببا الى نفسي ، ترجمت له وانا في الخامسة عشرة او نحوها بعض اشعاره ، نُشرت



ايضا فى مجلة الثقافة ، ثم اقتنيت مجموعة اشعاره فى مجلد واحد مازلت اعتبره من احب الكتب الى نفسى . ومنذ شهور قليلة شاهدت له فى التليفزيون الانجليزى مسرحية "البيت والعالم" فراعنى ليس فقط جمالها وحكمتها ، بل وما تلقيه من ضوء وما تثيره من فكر ، وهى المسرحية المكتوبة منذ خمسة وسبعين عاما ، فيما يحدث الان من تعصب . وتطرف ذميم فى بلادنا وخارجها .

● احببت المتنبى

هذا هو الاستثناء الاول اما الاستثناء الثانى فهو حبى للمتنبى ، وانا مدين هنا للصدفة البحتة ففى اخر سنوات دراستى الثانوية كانت وزارة المعارف تسمح للتلاميذ بدخول مسابقة فى الادب العربى يتغير موضوعها سنويا ، وتتطلب ممن يشترك فيها قراءة مجموعة من الكتب فى موضوع واحد ويمتحن فيها تحريريا ثم شفويا من بعض كبار اساتذة الادب فى مصر . وكانت الجائزة فيما اذكر ثلاثين جنيها . وكان موضوع المسابقة فى ١٩٥١ المتنبى ، فكان علينا ان نقرأ شعره ونفهمه ونحفظ بعضه وندرس حياته ، بما فى ذلك كتابان كتبهما المرحوم الشاعر على الجارم ، والتحقت بالمسابقة وقرأت فيما قرأت عن المتنبى كتاب طه حسين عنه ، والكتاب الصغير الرائع الذى كتبه الاستاذ محمود شاكر ، واستطعت ان اعرف قدر هذا الكتاب وانا فى تلك السن الصغيرة ، ولم اعرف وقتها ان الاستاذ شاكر كان قد اتهم طه حسين بالسطو على بعض افكاره عن المتنبى . المهم انى فتنت وقتها بالمتنبى ومازلت حتى الان افضله على غيره ، وحصلت على الجائزة اذ كنت الاول فى المسابقة رغم انى حصلت على درجة منخفضة نسبيا فى امتحان اللغة العربية فى السنة التوجيهية "الثانوية العامة" وكانت درجتها تضاف الى درجة مسابقة المتنبى . كما حصلت على جائزة اكبر منها ، هى خمسون جنيها ، لكونى اول الثانوية العامة فى القسم الادبى فى القطر المصرى ، ونشر اسمى فى الجرائد واذيع فى اخر نشرة الاخبار بالاذاعة ، رغم انى كنت اخشى الرسوب بسبب خروجى عن الموضوع فى سؤال الانشاء فى امتحان اللغة العربية .

اما الاستثناء الثالث فهو اعجابى الشديد بشعر احمد عبدالمعطى حجازى كنت قد تعرفت على حجازى وانا فى نحو العشرين من عمرى ،

عندما كنا نلتقى بالاصدقاء البعثيين ، وكانت له مثلنا ميول قومية واضحة ، كما انه كان قد بدأ يعرف ويشتهر ولكنه كان لا يزال ذلك الشاب القروى البسيط الغريب على المدينة وعاداتها . كان يلقى علينا بعض اشعاره إلقاء بديعا ونحن نسير ليلا فى شارع الجامعة بالجيزة ، فتسرى فى اجسادنا القشعريرة وهو يقول ممجدا للثورة الجزائرية : ادراس اسم جبال عليا .. واسم القمة شيليا" لم اكن انفعل لشعر صلاح عبدالصبور بنفس القدر ، وهو لاشك قصور فى فهمى واحساسى ، ولكنى مازلت حتى الان احب شعر حجازى واطرب له ، رغم ان اشتغالى بالاقتصاد قد حرمنى سنوات طويلة من متابعته ، حتى رأيت ابنى منذ ايام وهو يحمل ديوان حجازى الجديد "اشجار الاسمنت" فتصفحته واذا بى استعيد انفعالى القديم ، وانا اقرأ فى قصيدة "العودة من المنفى" .

لما تحررت المدينة عدت من منفاى
ابحث عن وجوه الناس عن صحبى
فلم اعثر على احد ، وادركنى الملال
وبحثت عن نهر المدينة دون جدوى
وانتهيت الى رماد نازل
من حمرة الشمس التى كانت تميل الى الزوال .

اما الاستثناء الرابع فهو غرامى بشعر صلاح جاهين .

اما حالى مع الفنون التشكيلية فكان اسوأ بكثير حتى من حالى مع الشعر لقد حاول معى صديقى على مختار محاولات دون طائل ، فقد كان مغرما بالرسم والنحت وكان هو نفسه يرسم وينحت بنجاح ، وان لم يواظب على اى منهما ، فعرفنى على متحف الفن الحديث ، ايام كان فى شارع قصر النيل بالقرب من جروبى ، وكان يحتوى عدا الصور على مكتبة موسيقية يسمح لاى شخص بالاستعارة منها ، بل وبالاستماع الى الاسطوانات قبل الاستعارة ، ليختار مايشاء . ولكنى كنت اتفرج معه على الصور والتماثيل تأدية لواجب ودون تأثر حقيقى ، واستمر حالى على ذلك الى مابعد سفرى الى اوربا ببضع سنوات .

* * *

كانت الموسيقى هى غرامى الحقيقى من بين الفنون ، وليس لدى بشأنها ما اخجل منه او اعتذر عنه . ومن المؤكد اننى لم أرث حبى للموسيقى من ابى او امى ، فلم يكن لدى اى منهما اى اهتمام بهذا الفن . انى لا اذكر ان رأيت ابى ولو مرة واحدة ينصت باهتمام الى اغنية او قطعة موسيقية او يتكلم عنها باى حماس ، وكذلك الامر مع والدتى ، وربما اذكر تعليقا لابى عن قصيدة لشوقى تغنيها ام كلثوم ، او عن جملة لاحمد رامى فى اغنية لها اعجب بمعناها المبتكر ، كما اذكر له تعبيرا عن سخطه على محمد عبدالمطلب لتقطيعه اوصال الكلمات اثناء غنائه ،



وربما رايته يهز راسه مرة مع احدى الاغنيات الحزينة لحزن يشعر به وقتها ، ولكن هذا هو كل ما فى الامر ، مما اذكره له ان طلبت منه الاذاعة مرة ان يشترك فى تنفيذ فكرة جديدة هى شرح احدى قصائد شوقى التى تتغنى بها ام كلثوم فى حفلاتها الشهرية ، على ان يذاع الشرح بين الواصلتين فيأتى غناء ام كلثوم للقصيدة بعد شرحها مباشرة وقبل ابى ذلك وقام به مرة او مرتين . ولم يجد غضاضة فى ان يقوم اديب كبير مثله بالتقديم لمغنية ، فقد كان على الارجح يسأل نفسه ، هل شرح قصيدة لشوقى مفيد للناس ، او غير مفيد ، محترم او غير محترم ؟ بينما رفض العقاد رفضا باتا معتبرا العمل اقل بكثير من مقامه .

● اعجبت بام كلثوم والسنباطى

اما انا الصبى الصغير فكان امرى مختلفا تماما . كانت واصلات ام كلثوم جزءا اساسيا من حياتى حتى بلغت العشرين . كان يوم غنائها فى الخميس الاول من كل شهر يوما سعيدا بالنسبة لى ، واعتبر ظهور اغنية جديدة لها حدثا بالغ الاهمية ، واظل اردد الحانها فى الايام التالية حتى اكاد ان ارددها كلها ، كلمات والحانا ، عن ظهر قلب . لم اكن استطيع ان اغالب النوم حتى تأتى الواصلة الثالثة ، التى كانت تبدأ فى الثانية او الثالثة صباحا ، فاذهب الى سريرى مبتسما بعد انتهاء الواصلة الثانية . لهذا ظلت الحان السنباطى هى الالحان المفضلة لدى ، اذ لم تكن ام كلثوم تغنى الحان زكريا احمد الا فى الواصلة الثالثة ، لاصحاب المزاج ، القادرين على السهر ، فضلا عن ان الخلاف الملعون بينها وبين زكريا احمد قد استمر معظم سنوات انشغالى بام كلثوم . ادى ذلك الى انى لم اكتشف تفوق زكريا احمد على غيره الا بعد ذلك بسنوات طويلة ، فوجدت فيه منتهى الكمال ، وكان اقتران الحان زكريا بكلمات بيرم التونسى يبدو لى امرا طبيعيا للغاية . ومازلت حتى الان اعتقد ان وصف لينين لكتابات ماركس بانها "كقطعة الصلب لا تستطيع ان تستبدل بجزء منها جزءا اخر" اكثر انطباقا على الحان زكريا احمد منها على كتابات كارل ماركس .

اذكر انى عندما ذهبت لاول مرة لحضور حفلة ام كلثوم الشهرية ، حتى اراها بلحمها ودمها ، لم استطع ان ادفع اكثر من خمسين قرشا للتذكرة ، فانتهى بى الامر بالجلوس فى اعلى صفوف البلكون فى سينما راديو . لم

استطع متابعة الغناء فى الواصلة الاولى . من ضجيج رواد هذا الجزء من القاعة ، وصياح بائعى الكازوزة والشاى ، فما ان انتهت الواصلة الاولى حتى تركت القاعة وجريت باقصى سرعة فى الشارع حتى اصل الى البيت قبل الواصلة الثانية لاكمل الاستماع عن طريق الراديو .

كان اخى حسين هو ايضا الذى عرفنى على الموسيقى الكلاسيكية ونصحنى بان ابدا ببعض المقطوعات السهلة نسبيا مثل شهرزاد لرمسكى كورساكوف وافتتاحية ايجمونت لبيتهوفن ، على ان يتبع ذلك سيمفونية سهلة نسبيا من سيمفونيات بيتهوفن كالسيمفونية السادسة ، وهكذا . واشترى حسين هذه الاسطوانات وبدأنا نستمع اليها سويا . ورغم انى مع الوقت اصبحت احب الموسيقى الكلاسيكية حبا جما فلا اظن ان طربى بها ، يفوق طربى لموسيقى زكريا احمد . كان اكثر المؤلفين الغربيين تأثيرا فى نفسى عندما تركت مصر فى الثالثة والعشرين ، هو شوبان ، على انى عرفت وفتنت بكثيرين غيره ، بعد ذلك . كنت قد تساءلت مرة عما اذا كان من الممكن التعبير عن الموسيقى تعبيرا شافيا ، بالكلمات ، وقرأت قبل سفرى وبعده بعض الكتب التى قد تجيب على السؤال ، وكان من بين ما قرأته قبل سفرى، كتاب صغير اعجبت به اعجابا شديدا (مع انى لم اكن اعرف عنه شيئا فى ذلك الوقت . كان الكتاب بعنوان "التعبير الموسيقى" ومازال من بين الكتب التى احرص عليها رغم تخلصى من كثير من الكتب فى مختلف الموضوعات . اكتشفت بعد سنوات طويلة أن مؤلف هذا الكتاب هو نفس الشخص الذى يعجبنى اى شىء يكتبه ، وانه ليس موسيقيا بل استاذ فلسفة اسمه الدكتور فؤاد زكريا .

★ ★ ★

هكذا كنت عندما ركبت السفينة الى انجلترا منذ ثلث قرن بالضبط . ولا ادرى اين ذهب هذا الثلث قرن ؟ فانا مازلت اذكر يوم ركوبى السفينة وكانه الامس . سافرت خائفا من ان يكتشفوا هناك ضآلة ما اعرفه فى الاقتصاد ، ولكن مملوءا بالطموح فى ان اعود افضل مما ذهبت . كاقتصادى وكرجل كنت اخاف ايضا على امى التى تركتها فى صحة سيئة ، وكان ابى قد مات قبل سفرى باربع سنوات وسيطر على منذ ذلك الوقت خوف شديد من ان افقدها هى الاخرى ، وقد ماتت بالفعل بعد شهور قليلة من وصولى الى انجلترا وعرفت بوفاتها من قراءة الاهرام فى مكتب البعثات بلندن ، ولكن سرعان ما الهتنى حياتى هناك ، وانا اكتشف نفسى اكثر فاكثر ، وتعمل عوامل جديدة فى تكوين عقلى ونفسى تكوينا جديدا تماما ..

أنت والهلال

● ذكرى المثال مختار ●

● يقع فى ١٠ مايو ١٩٩١ العيد المئوى لمولد المثال مختار ، وتستعد جمعية اصدقاء متحف مختار والمركز القومى للفنون التشكيلية للاحتفال بهذه المناسبة ، ونرجو ان تشاركونا فى هذا الاحتفال باصدار عدد خاص عن مختار على غرار الاعداد التذكارية التى اصدرتها الهلال من قبل عن طه حسين والعقاد وغيرهما من اعلام الفكر والثقافة فى مصر ، اذا كانت هذه الفكرة توافق خطط مجلتكم او ان تساهموا باى شكل ترونه فى هذه المناسبة القومية .

علي كل الدبيب
رئيس جمعية اصدقاء متحف مختار

● الهلال :
ـ نرجو ان نخصص فى هذه المناسبة جزءا خاصا عن مختار الذى كان اول مثال مصرى فى عصر النهضة .

● قلب الشاعر ●



ياقلب الشاعر
يبدو ان
حلم ملامسة الشفتين بعيد جدا .
يبدو ان الدرب طويل .
وانا .. لااحمل زاد الدرب .
ياقلب الشاعر .
طارت كل عصافير الاشجار .
وحطت فوق الثلاجات .. الغسالات .
وفوق الاعمدة الخرسانية .
ياقلب الشاعر .. قف .
فزمانك لايتقن فنية هذا اللف .
والصف القاطن فوق صدور الجمعيات .
.. والمنتديات .. الوحدات . الهيئات .
ماعاد هو الصف .
إنقلبت كل صفوف العالم .
اختلطت كل الأشياء .
ياقلب الشاعر .. قلى لى .

هل قدرى انك قلبى .
ام قدرك انى صاحبك .
المملوءة كل عروقه .
بتفاهات الشعر .
ياقلب الشاعر ..
هذا زمن العربات الفارهة .
وتجار العملة والجنس
ومحترفى السرقات .
ياقلب الشاعر .. قم .
يبدو أنَّ
حلم ملامسة الشفتين بعيد جدا .



كمال كامل عبد الرحيم
ديروط الشريف

● اسم الزقازيق ●

● اختلفت مع صديق لى من اهل مدينتى ، الزقازيق ، عاصمة محافظة الشرقية حول اسم هذه المدينة ، وهل جاء من زقزقة العصافير ، ام نسبة الى رجل من المماليك كان يدعى زقزوق بك . فهل لكم ان تدلوا برايكم فى هذا الخلاف اللغوى او التاريخى .

حسن عبد الغفور النديم
الزقازيق

● تعليق الهلال :

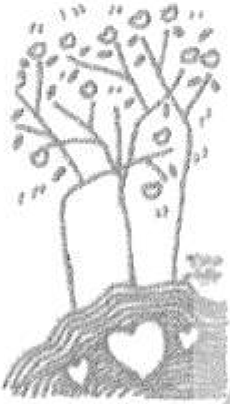
ـ هذا الخلاف يمكن اعتباره اختلافا لغويا من بعض وجوهه ، ولكن التاريخ يغلب عليه فى الحقيقة، ونحن ننقل الكلمة الفاصلة فيه عن العدد الأول من « الهلال » الصادر فى سبتمبر سنة ١٨٩٢ والذى ستعرض طبعته الخاصة الجديدة فى معرض الكتاب الشهر القادم .. يقول الهلال :

« الزقازيق هى مركز مديرية الشرقية .. واقعة على بحر مويس ، وهى من المدن المصرية الحديثة ، بنيت فى زمن محمد على باشا ، وكان فى موضعها سد فى البحر لأجل الرى فاراد الباشا ان يعوض عنه بقناطر

انت والهلال

لتسهيل الري ، فاحضر العمال ، فاقاموا هناك في اعشاش بنوها على جانبي البحر ، وجاءهم بعض الباعة فاقاموا معهم لبيع الطعام لهم ، فاصبح المكان قرية ، واخذت العمارة تزيد بعد اتمام القناطر حتى بلغت ماهي عليه الان ، وقد دعيت زقازيق نسبة الى مستنقع في جوارها كان يعيش فيه نوع من السمك الصغير يدعونه زقازيق ، جمع زقزوق .

• سوف تهطل الأمطار •



افادني الطبيب :
دواء جرحك الرضا .. والانتظار .
فرغم كل هذه الاسوار .
سوف تهطل الامطار .
على السهول والتلال .
وسوف تبسم الأوراق عن ثمار البرتقال .
كما افادني :
تعود هذا العام .
نجمة مسافرة .
وكلما هبت سمائم النوى .
وضاقت اللغة .
حلت على شواطىء الهوى .
ضفائر المراوغة .
فقط .
اذا اردت ان اعيش في نعيم قربها .
ولذة اللقاء .
على ان اشد فوقي الغطاء .

محمود عبد الحفيظ
كفر صقر

• اراء في الهلال •

● كثيرا من ادبائنا المعاصرين صيتهم مدو ، الا اننا نجهل الكثير عنهم حياة ، ومعالجة نقدية ، وتحليلا يومض فيشع ، ولانقول بجعل المجلة حكرا على هذا الباب دون غيره .

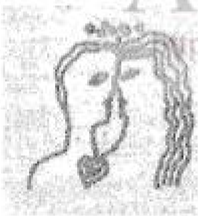
نشكر للاستاذ الدكتور مصطفى سويف متابعاته الفكرية الا اننا نود منه ايفاء المتابعات في موضوع واحد الى ان يفرغ منه .. حتى

تستجمع اطراف الموضوع فيلم القارىء باطرافه . والشكر ايضا للاستاذ الاديب كمال النجمي على مايفيض به من متابعات شائقة ، نطلب منه القاء المزيد من الضوء على نظرته للفروق بين اشكال الشعر حديثه وقديمه . لكن ترى هل لنا فى اجابة منه على هذا الاستفسار : ما هو تعريف الشعر فى رأيه ، وان كنت شخصيا اجل الشعر التقليدى ومع هذا لابخس الحديث حقه ، وهذا رأى استاذنا لكن حيرتنا معشر الشباب ان اساتذتنا على خلاف ، وهلا اوصلتم لنا رايكم انتم فى هذا الأمر . ولايفوتنا ان نشكر الاستاذ الدكتور شكرى عياد لكنا فى انتظار المزيد من نقده عن المحدثين من شعرائنا وقصاصينا ومسرحيينا وربط هذا بالجديد فى مجال النقد ، وان كان هذا عبء يوفيه مشكورا الا ان الأمر بحاجة الى باب مستقل لاحدث النظريات الادبية ، او عرض موجز لكتب من هذا القبيل .

ولست اقول جديدا فى كون مجلتنا صاحبة القمم النجوم فى الادب والفكر والثقافة ولا اقول هذا لنقص المجلة فى هذا الباب او غيره ، انما هى خطرات متابعتنا معكم وصدى لجهودكم كما عودتمونا على النصفة والعناية بخواطرنا التى تصلكم .

ابو بكر محمد محمد حسانين
مدرس اللغة الانجليزية
بمدرسة ابوتشت الاعدادية

● اين انت ●



حبيبتى اين انت ... اباللقاء ضننت
قد حار عقلى وقلبى ... مابين خنت وصنت
وددت لقياك يوما ... امضى الى حيث كنت
كم حن قلبى اليك ... فهل لقلبى حننت
يسائل الدرب عنك ... فى لهفة أين انت ؟

حسن على محمد جابر
الازاريطة ـ الاسكندرية

● روايات البرتو مورافيا ●

● اندهشت حين قدمت روايات الهلال فى عدد اكتوبر الماضى رواية الاديب الراحل البرتومورافيا ، امراة من روما ، ليس سبب الاندهاش هو الاحتفاء بالاديب بمناسبة رحيله ، ولكن سبب

الدهشة هو رواية « امراة من روما » بالذات فقد قدمتها روايات الهلال من قبل في عددى اغسطس ١٩٧١ وسبتمبر ١٩٧١ وكان للاديب الراحل مكانة خاصة في السلسلة فقد قدمت له من قبل (اقاصيص من روما) في عدد مايو ١٩٦٧ كما قدمت روايته المعروفة (المستهترون) في عدد اغسطس ١٩٨١ ، وقدمت له ايضا بمناسبة احتفالها بمرور ٤٠ عاما على صدورها قدمت رواية (١٩٣٤) وهذه المكانة لم ينلها احد من الادباء باستثناء صاحب نوبل جارسيا ماركيز الكولومبي . فاين روايات البرتو مورافيا الاخرى مثل « السأم » و« امرأتان » وكيف يعاد طبع ماقدمناه من قبل ولاتقدم الجديد ؟

فرج مجاهد عبد الوهاب
شربين - دقهلية
محلج قطن شربين

■ تعليق الهلال :

- لاتتعجل الحكم على الامور ، فان روايات البرتومورافيا التى لم ننشرها سوف تكون بين ايدى القراء عندما تتم ترجمتها اما انكاركم اعادة طبع الروايات التى سبق صدورها .

فهذا مالا يشاركم فيه معظم القراء ، ونحن نتلقى رسائل تطلب اعادة طبع روايات كثيرة سبق ان اعدنا طبعها فعلا .. فلا تحكم على الامور من زاويتك الضيقة وحدها ياعزيزى الاخ فرج ، واذكر جيدا ان اعادة طبع الكتب هى من السنن الجارية ، حتى تجد بين يديك كتابا صدرت طبعته الاولى فى القرن التاسع عشر وانت على مشارف القرن الواحد والعشرين .

• الى طفلتى •

ضحكت لى طفلتى .. اى ربيع
طوق الدنيا باحلام البقاء .
ضحكت ، ضحكتها بدر اضاء الليل .
بالحب الذى كان بعيدا ثم جاء .
ضحكت يانسمة الفجر .
وياقيثارة الطير ، وياعطر الندى .
ينساب فى روض الصفاء
جدولا .. يغتسل القلب .. به من كل حزن .
فيغنى للعطاء .



عبد الرحيم الماسخ - سوهاج

• نبوءة للقرن الواحد والعشرين •

• لادرى لماذا ينتظر الناس سنة ٢٠٠٠ اى بداية القرن الواحد والعشرين ، فماذا يمكن ان يكون قد حدث فى العالم حتى ذلك العام المنتظر ؟ فى رايى ان سنة ٢٠٠٠ لن تكون طيبة باية حال لانها سنة كبيسة ، فالمعروف ان سنوات العقود اذا قبلت القسمة على ٤٠٠ تكون كبيسة ، وواضح ان سنة ٢٠٠٠ تقبل القسمة على ٤٠٠ ولهذا ستكون سنة كبيسة ، وانا اتنبا لكم بان السنة الكبيسة هى ايضا سنة خبيثة ، فلا تتطلعوا الى بداية القرن الواحد والعشرين ، ولاتبتهجوا بانقضاء القرن العشرين المسكين ، قرن البطولات والثورات الخائبة والاستعمار والصهيونية الظافرة ، والاحلام العربية الضائعة ، فان القرن الواحد والعشرين سيكون اسوا بكثير من القرن العشرين .

حسنين رجب فهمى
فلكى غير محترف
القاهرة .. شبرا

• رسالة فى يومياتى •



عزيزتى الوحيدة
ياأجمل الصور ،
ياعبرة من شاطىء الجنون ،
تستبين .. تستعر .
عيناك تامران .. استجيب .
تقسوان .. تعصفان .
فانزوى واستمر .. استمر
واحتويك فى محاجرى عمر .
وعمرنا مسافة مجهولة الأبعاد .
كنغمة فى باطن الرمال تستريح
وربما بجانب من الصخور .
يجف ـ قبل الماء ـ ينتحر
هناك او هنا .
يحدنا قدر .

عادل عبد الظاهر أحمد
سنديون ـ قليوبية

انت والهلال

● قصيدة نثرية :

● بانوراما القرن العشرين ●

شجر الرعد الشعبي يطرح [illegible]
يطرح نارا تأكل كل الاشجار . كل العلوك ، كل بذور الشجر الجائم فوق العقل ،
وفوق الايدى ..
تلتهم كل رأى بخارى كامن فى الاكواخ ، وليصاعد من ادنى الارض لاعلى السماء ..
بيد أنى اعلم ان الصمت سيسود القصر ألفى عام ..
ذلك ان القلم .. الورق .. الشعر .. الرأى حق يدعى الباطل فى الاسواق ..
قد اعلن هذا كل مديرى القصر الا واحد ، قد علم ان الموت سيأتى الليلة .. الليلة ،
سيأتى هذه اللحظة ويزور كل الاغبياء ..
ويطيل الاقامة فى القصر المعروف لدى الاغنياء ..
ايضا علم ان الموت يطرق بابه منذ سنين ..
وان كبير التجار سيموت .. سيفنى .. سيقتل قبله ببضع سنين ..
سيصلب فوق الارادة ، على جدار بيوت هذا الجيل ، او فوق صخرة ..
او حتى فوق الهرم الاكبر ، كى يعلم « خوفو » ان لكل زمان طاغية ، وان الطاغية ..
الاكبر هذا تلميذه ليفرح اذن .. لتفرح « خوفو » ولتسكب فى الاكواب .. خمرك ولترقص ، هيا ارقص ..
هيا اهبط من هذا المنبر واتركه ، فقد اتى من جعل الناس كتوما دون كلام ..
من جعل الناس كلابا لاتفهم شيئا الا اكل اللحم وهز الذيل لمن يرمى اللقمة ..
اهبط ، أن المنبر الاعظم فى هذا الجحيم لمن حق هذا الجبار .. هذا الغارق .
وسط قيوده ..
هذا الذى يبلغ لسانه عنان الزمن ، ويبدو ـ هو ـ اصغر من حبة قمح مسلوبة من ..
حقل الرمل الأصفر ذى الاكرام ..
ماعلم احد ان الجهل سيرقص فى ظله ، أو ان الكفر سينفض ريشه فى اطمئنان ..
أو أن الحب ـ فى عصره ـ سيباع باغلى الاسعار ..

ماعلم احد هذا واخفاه الا « باندورا » القرن العشرين ..
كانت تعلم ان القهر .. الظلم .. الفسق .. سيبقى علما بعد ستين ..
وان طعام الناس سيأكله التنين ..
كانت تعلم ، كنا نجهل علما اخفته تحت حجابها وتحت الثوب الابيض ..
سئلت - يوما - ماهذا الذى يبدو من تحت الثوب ؟
نحن نخافه ونخافك ، من جاء بك لهذا البلد المسكين ؟
فما كان الرد الا غدا تعلمون .. غدا تعلمون ..

رافت انور جسار
آداب القاهرة - دراسات كلاسيكية -
جامعة القاهرة

● مع الاصدقاء ●

● **محمد مصطفى حسين بكر - الثانوية الازهرية - شبين القناطر :**

- قصيدتكم عن الكويت التى مطلعها : « ماذا اقول عن شىء مهول .. شىء حطم كل ماهو جميل » .. ليست صحيحة الاوزان ، وواضح انك محتاج الى معرفة الاوزان على اصولها ، فحاول ان تعرفها لانه لا يوجد فى قصيدتك هذه بيت واحد صحيح الوزن ، وانما هى فى الحقيقة نثر ..

● **وجيه يعقوب السيد - المنزلة - دقهلية :**

- نشكرك على حسن ظنك ، ونحن - كما تقول - نهتم بكل رسالة تجىء الينا ، ونحاول بيان اخطاء الادباء الناشئين ولكن بعضهم يظن نفسه لايخطىء !

● **خلف احمد محمود - كلية الاداب بسوهاج :**

- اقصوصتك « العصفور والطفل » لاتزيد على مجرد خاطرة صغيرة ، وليست الاقصوصة امرا بسيطا كما يظن بعض الناشئين .. ثم ان لغتك ليست على مايرام ، ولا تكتب على رسالتك كلمة « الراسل » لان كلمة « الراسل » خطأ .. وصوابها « المرسل »

● ونزجى شكرا خاصا الى اصدقائنا السادة : ايمن فاروق فؤاد .. رمضان عبد اللطيف حامد .. مجدى صلاح .. رياض امين .. مصطفى محمود مصطفى .. محمد احمد الحمامصى .. رمضان الهجرسى .. سعاد الصاوى .. خالد السيد محمد على .. السيد عثمان الللى .. خلف احمد محمود .. وجيه عشم .. محمود عبد المجيد احمد .. محمد امين عيسوى .. عاصم فريد البرقوقى ..

الكلمة الأخيرة

يكتبها هذا العدد

سليمان فياض



أنقذوا مكتبات المدارس

نلوم الشباب المنحرف ، الذى يدمر نفسه . ويدمر أهله ، ويدمر قومه ، فبعض الشباب انحرافه فى المخدرات ، وبعضه انحرافه فى الارهاب ، وبعضه انحرافه فى الجرائم الصغيرة والكبيرة السرقات ، والاغتصاب . وقتل الاب والام ، والاخت ، والزوجة ، والزوج ، والابن ، بسبب وبلاسبب ، وبعضه انحرافه فى التيه والضياع والدوران حول النفس ، لايطمئن لحاضر ، ولايعرف له غدا ولايقتنع بعمل إذا وجد العمل ، ولايرضى بدور يحقق به نفسه . إذا وجد هذا الدور .

ومعظم هؤلاء الشباب المنحرفين ، يعانون أولا من فراغ العقل وفتور الهمة ، والقدرة على حلم ما ، حلم خاص ، يحققون به ذواتهم ويصنعون حاضرهم ، ويؤسسون لغدهم ، ومستقبل امتهم

فمعظم هؤلاء الشباب المنحرفين ، قد تخرجوا فى المدارس المتوسطة وربما فى الكليات الجامعية ، ولكنهم فارغو العقل فاترو الهمة فانحدروا سريعا إلى صحبة الأشرار ، ورفقة الضالين من الاميين ، ومعاهدة الشيطان ، تحت شتى الأسماء ، والمبررات والمعاذير .

والسبب الأول لانحراف الشباب المتعلم كامن هناك ، فى المدارس التى تخرجوا فيها منذ منتصف الستينيات إلى اليوم . ففى المدارس الابتدائية والاعدادية والثانوية . لم يجدوا احدا يحفزهم على القراءة الحرة فى درس القراءة الحرة الأسبوعى ، بمكتبة المدرسة ، وإن وجدوا من يحفزهم ، وجدوا مكتبة هزيلة الدواليب ، شاغرة الأرفف ، احدث مافيها من كتب صدر قبل الستينيات عن مشاكل وقضايا ماقبل الستينيات ، وعن ثقافة وادب وعلوم ماقبل الستينيات .

والمسئول الأول عن خراب المكتبات ، وتعطل دروس القراء الحرة هو وزارة التربية والتعليم نفسها ، وذاتها ، وعينها ، بفوضاها ، وهرجلتها ، وقضها وقضيضها الذى تسمع منه جعجعة ولاترى طحنا .

فوزارة التربية والتعليم وعلى يد وزير ، كان كاتب حسابات ، ورئيسا للحسابات ـ لاعفا الله عنه ولاسامحه ـ لم يكن يثق إلا بأن المدرس هو « الطباشيرة » ، وان المكتبة لادور لها فى التعليم ولا فى التربية ، وان الادارة الثقافية بالوزارة التى كانت تزود المدارس بالمكتبة المختارة فى كل فرع من فروع الأدب والفن والمعرفة لا لزوم لها بالوزارة . ونتيجة لسياسته اوقفت ميزانية المكتبات إلا من ٢٥٠ جنيها لأمناء المكتبات يختارون بها الكتب .. التى يحتاجها المدرسون الاوائل بالمدارس ، لا الطلاب ونقلت الادارة الثقافية إلى وزارة اخرى ، ولوقفت معهما المسابقات الأدبية والعلمية والفلسفية وتوقفت تقريبا دور النشر كلها ، كبراها ، وصغراها ، عن نشر الكتب الثقافية خاصة إلا لحساب مؤلفى الكتب الخارجية ، والمقررة فى مراحل التعليم كلها .

انقذوا مكتبة المدرسة ، والنداء موجه ايضا لوزراء الداخليه

